7me Année No. 287

Lundi - 2 - 1 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
*Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique*

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٨٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ — ٢ يناير سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــرس

الرسالة
فى عامها السابع

بلغت الرسالة — والحمد لله على تأييده وتسديده — سنتها السابعة . والسبعة فى عقيدة الشرقيين عدد يدل على الكمال واليمن والكثرة . وله فى الفلك والرياضة والأساطير والدين مزايا وخواص . وهو فى عمر الإنسان سن التمييز وأول الفتوة . فإذا بدت على الرسالة اليوم مظاهر النشاط ودلائل الاغتباط ومصاديق التجدد ، كان ذلك جارياً على سَنن الطبيعة . فان الحى ينمو ، والنامى يتطوّر ، والمتطوّر يخضع لضرورة الوجود وحاجة الموجود ، فلا يكون إلا ما ترضاه الحياة وتريده الخليقة . والرسالة وليدة الفكر المستقل فى نهضتنا الحديثة ؛ تخلّقت من أمشاجه ، وتغذت على إنتاجه ، ورقَت على أسباب رقيه . فلو أنها كانت للعامة لقتلها مللها ، أو كانت للسياسة لأصابها فشلها ؛ ولكنها كانت للفكرة الحرة التى تَرُود ثم تقود ثم تهيمن ؛ فإن شئت قلت هى الروحية فى هيكل الوطن ، وإن شئت قلت هى الإنسانية فى معنى الأمة

من أجل ذلك عاشت الرسالة . ولكنها تعيش كما يعيش

الجِد ، وتمشى كما يمشى الحق . والجد يعيش متزايلاً ولكنه ينال ؛ والحق يمشى متثاقلاً ولكنه يصل

* * *

لقد أصبحت الرسالة بفضل ما مكن الله لها فى النفوس القريبة والبعيدة عنواناً من عناوين المجد القومى الخالد ، وفصلاً من فصول الأدب العربى الحديث . فإذا وجدت على جنبات النيل مصر العاملة المدبرة ، وجدت على صفحات الرسالة مصر الشاعرة المفكرة . وشتان بين يد تعمل فى التراب ، وفكر يجول مع السحاب ، فيومض فى كل نفس ، ويمطر فى كل بلد ! وإذا فنى أثر اليد مع الإنسان، بقى أثر الروح سرمداً مع الله . فمن ذا الذى يستكثر على الرسالة منا أن نُسهر لها العيون حتى تَعْشى ، ونُرهف لها العزم حتى يكل ، ونحبس عليها القلب حتى يقف ؟ ؟ أليست هى كما ذكرنا وكررنا ديوان العرب المشترك ، جَمعت فيه الأشتات إلى الأشتات ، ووفّقت بين الأصوات والأصوات ، ثم ألّفت من هــذه الآلات المنفردة جوقة موسيقية متحدة تسكب فى مسامع الوجود أناشيد الخلود ؟

يتساءل الذين اكتنهوا حرفة الأدب وكابدوا بلاء النفس فيها : كيف تسنى للرسالة أن تعيش على خفض الاشتراك ونقص المورد من الإعلان ؟ ونحن نقول عن عقيدة وخبرة : إن وفرة المال لا تضمن النجاح ، كما أن كثرة الجيوش لا تكفل النصر . إنما القوة الروحية هى المدد الإلٰهى الذى يهبه الله للمجاهدين متى شاء أن تدول دولة ، أو تعلو كلمة ، أو تبلغ رسالة . وتبليغ الرسالة جهاد . والمجاهد عتاده الإيمان وزاده الصبر ؛ ومن وجد فى العمل منجاه من الهم وملاذه من الناس فقد وجد الثواب عليه فيه

على أن الرسالة مع ذلك شيدت داراً وأنشأت مطبعة . وهى ترجو فى عامها الجديد أن يظاهر الله عليها المعونة حتى تقوم بإنجاز ما وعدت من توسيع الخطو وتنويع العرض وتوفير العُدة

نعم وعدت الرسالة ! وكان من طبعها ألا تماتق الرغبات بالتمنية ، وألا تستميل الشهوات بالوعد ؛ كما كان من عقيدتها أن العمل الصامتَ أنطق الأدلة على توخى الحق ، والماضى الواضح أضمن الوثائق للمستقبل المبهم ؛ ولكنها فى ميعة النشاط ونشوة الأمل تطيع سورة الشباب ، فتطمح إلى الكمال مغضية عن العجز ، وتثب إلى الغاية مستخفة بالعوائق . وما وعْدُها اليوم إلا فيض من الرجاء طفح مما تسر على ما « تعلن » !

* * *

شكونا من الحكومة أنها تهمل الأدب ، وعتبنا على القراء أنهم يعزفون عن الجد ، فما نفعت الشكوي ولا أجدى العتاب . ذلك لأن الحال التى نحن عليها اليوم من اضطراب الحكم بين رغبات الأمة وحملات المعارضة ، وتوزّع الرأى المثقف بين الأهواء المتعارضة فى السياسة ، لا تزال تبعدنا عن حياة الأمن والاستقرار التى تعود إلى الناس فيها لذة التفكير وشهوة القراءة . فليس لنا من سبيل إلا أن نؤدى واجبنا ونسكت ، أو نقول كلمتنا على رأى المسيح ونمضى . والأديب مكتوب عليه أن يجاهد ويضحى ، لا يستمد العون إلا من ربه ، ولا يلتمس العزاء إلا من قلبه ، ولا يبتغى الثواب إلا من سلطان ضميره

وقد ظهر فى العالم الأدبى مع هذا العام الجديد مجلتان محترمتان هما « العصور » و « الثقافة » ، وسيكون لصوتهما مع صوت الرسالة دوى شديد يفتح العيون الوسْنى على الصحائف المكتوبة بعصارة الأذهان ومهج القلوب، فيهتز الأدب الذاوي، وتنشط العقول الفاترة

* * *

اللهم إن كنا أسرفنا فى الرجاء فذلك لحسن الظن بك وقوة الأمل فيك ؛ فهب لنا من لدنك ولياً يكفكف نزوات النفس ، ونصيراً يكفينا عوادى القدر ، ومرشداً يجنبنا مزالق الرأى ، ولا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى الناس

احمد حسن الزيات

سبيل الصحافة

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

فرغت من عملى ، فوضعت القلم ، ونهضت عن المكتب ورحت أتمشى ، فلقينى زميل فسألنى :

« كيف ترى الخبر الفلانى ؟ »

قلت : « عظيم . وقد جعلته موضوع مقالى اليوم »

قال : « أنا جئت به »

قلت : « أهنئك . فمن أعطاكه ؟ »

قال : « قد والله سرقته ! »

فضحكت وقلت : « اللص الشريف ! »

وهممت بالانصراف عنه ، بعد أن أثنيت عليه بالذى هو أهله . فقال : « بودى أن أعرف رأى الوزير فيما صنعتُ ، وما أظن إلا أنه مغيظ محنق »

فقلت : « إن الخبر للنشر على كل حال ، والخلاف بينك وبين الوزير على موعد النشر ، وليس هذا الخلاف بالذى يثير الغضب »

وأقبل فى هذه اللحظة زميل آخر فألقيت إليه خلاصة الحديث وقلت :

إن الجريمة ليست فى ارتكابها ، بل فى افتضاحها . ونحن اليوم نحرم السرقة ، وتقول قوانيننا إنها محظورة ، وإن عقابها كيت وكيت، ولكن (ليكرغ) فى إسبارطة القديمة كان يذهب مذهباً آخر فيقول بأن لك أن تسرق على ألا ينكشف أمرك ، فإذا انكشف كان عقابك صارماً . والنتيجة واحدة ، فان السارق الذى يستطيع أن يستر فعلته لا يصيبه شىء ، وما يعاقب إلا الذى يعجز عن إخفاء ما صنع ، ويثبت عليه ارتكاب الفعل

ووجه آخر للمسألة : زميلنا هذا قد سرق شيئاً — لم يسرق خبزاً ليأكل ، ولا مالاً لينفق على نفسه وعلى عياله، أو ليوسع رزقه ، ولكنه مع ذلك سرق شيئاً فى سبيل رزقه ، فإن رزقه يتطلب منه أن يوافى الجريدة بطائفة صالحة من الأخبار التى تعنى القراء ، وصاحب الجريدة لا يكلفه السرقة ، ولو فعل لكان هذا منه شططاً غير مقبول ، وأمراً لا يطاع ، ولكن الزميل مع ذلك رأى أن قيامه بواجبه يبيح له استقاء الأخبار بهذه الطريقة العوجاء ، وهو — كما تعلم — سنىٌّ متدين ، غير أن كونه سنياً ومتديناً لم يمنعه أن يقدم على سرقة صريحة لا سبيل إلى المكابرة فيها ، من أجل الرزق . ولو أنه كان قد سرق رغيفاً أو بيضة لكان جزاؤه ما يبينه قانون العقوبات . وعذر الذى يسرق الرغيف ليسكت « معدة ثعلبها لاحسٌ ، وتارة أرنبها ضاغبُ » كما يقول ابن الرومى فى قصيدته المشهورة لابن الحاجب ، أوضح ممن يسرق ولا جوع به ولا خلة ، وإنما يريد أن يستديم الرضى من صاحب عمله . ولو جئت بسارق الرغيف ، وسارق المذكرة من الوزير أو أعوانه وسقتهما إلى القضاء، لكان المحقق أن يحكم على سارق الرغيف ، وأن يبرئ سارق المذكرة . وقد يرى القاضى أن الفاقة « ظرف مخفف » — كما يقول رجال القانون — ولكن لن يكون عنده « ظرفاً مبرئاً »

وسارق المذكرة يستطيع وهو آمن أن يباهى بعمله ، وأن يتخذ من قدرته على مثله شهادة مزكية له ، ووسيلة للرفع من شأنه . وكل صاحب جريدة يسمع بجريمته يتمنى لو أن أخانا المجرم كان يعمل له ، بل يتمنى لو كان كل من يعمل فى جريدته على مثاله . ولكن سارق الرغيف بماذا يباهى ؟ أبفقره ؟ أم بعجزه عن الكسب ؟ أم بما وصمه به القانون ؟ أم بما نزل به من السجن ؟ وكل صاحب عمل يزهد فيه ويخاف منه ويتقى أن يكون عنده مثله ؛ وقد يدركه عليه العطف ، ولكنه لا يطمئن إليه . وإنه ليعلم أنه ما أغراه بالسرقة إلا الجوع وقلة الحيلة وانقطاع الوسيلة ؛ وإنه ما كان ليفعل ما فعل لولا ذاك ؛ ولكن الشكوك مع ذلك تظل تساوره وتقاوم شعور العطف وتغالب رحمة القلب ، بل منطق العقل

وأحسب أن الصحافة مدرسة لتعليم هذا الضرب من السرقة ولست أعرف صحفيًا واحداً أتيحت له فرصة سرقة وأحجم عنها أو تردد . وما أبرئ نفسى ولا أنا أستثنيها . هذا وليس عملى فى الصحافة — ولا كان قط — أن أستقى الأخبار ، ولكن

كل عمل فى الصحافة رهن بالأخبار، فصلته بها أوثق مما يبدو للمرء ، وإن خيلت غير ذلك . وإنك لترى الصحفى « حنبليًا » فى كل شيء إلا حين يحتاج إلى الوقوف على خبر ، وإذا بالذمة تتسع ، وإذا كل شيء جائز فى سبيل الوصول إلى هـذا المستور أو المكتوم ؛ ثم لا أسف ولا ندم ولا توبة . وأكبر الظن أن تسقط الأخبار فى الطباع ، وأن الإنسان فضولى بفطرته . فإذا كان هـذا هكذا فإن الصحافة لا تصنع أكثر من تنظيم الأمر وتوجيهه وجهـة المصلحة العامة لخير الجماعة . والصحافة من ثمرات الحضارة، فهى تصنع كالحضارة — أعنى أنها تعمد إلى الغرائز والفطر الساذجة فتصقلها وتهذبها وتنظمها وتجريها فى مجار معينة ، فيصلح أمر الجماعة ويستقيم حالها . مثال ذلك أن الرجل كان يخطف المرأة التى كانت تروقه أو يسبيها، ثم يحتازها ما دام راغباً فيها ويحارب دونها ؛ وهو الآن يتزوجها ، ولا يحتاج إلى الخطف أو الحرب دونها ، وإن كان ربما احتاج أن يعانى متاعب المنافسة من الخاطبيها ، أو الراغبين فيها غيره ومثاله أيضاً أن الأثرة والأنانية قد اتخذا مظهر الوطنية أو القومية ، ولم تذهب الأثرة ولم يبرأ منها الفرد ، ولكن المدنية استطاعت أن تنتفع بروحها فى الفرد وتسخرها لخير الجماعة

كذلك تفعل الصحافة، حين تستغل فضول الإنسان فتتولى جمع ما يعنيه وتنشره على الناس. وقد خرج الأمر عن أصله ، حتى لصار يبدو كأنه منقطع الصلة به . ومن الذى يجرؤ أن يقول : إن الصحافة لا هم لها إلا إرضاء فضول الإنسان بعد أن أصبحت تسمى « السلطة الرابعة ؟ » . ومن ذا الذى يذمها من أجل أنها تصل إلى أخبارها بما يسع رجالها من حيـل ، ويدخل فى طوقهم من وسائل وإن كان بينها السرقة ، بل شراء الذمم بكل ما تشترى به من طيب وذميم — أى بالخداع ، والملق ، والمدح ، والصداقة ، وتبادل المنافع ، لا بالمال وحده كما قد يتوهم البعض ، فإن الرشوة الصريحة وسيلة يندر الالتجاء إليها ...

وهكذا جعلت الصحافة من السرقة عملاً محموداً ، ومن مرتكبها لصًّا شريفاً ! ولا عجب فإن خدمة الأمة تكلف أبناءها تعاطى ما يعده العرف رذائل وآثاماً ، وتحمد منهم ذلك ، وتجزيهم عليه أحسن الجزاء

ابرهيم عبد القادر المازنى

من برجنا العاجى

هأنذا أهبط إلى برجى العاجى مع الشتاء ، فى الوقت الذى يهبط فيه «الأب نويل» مع عيد الميلاد . إنى أرى لحيته الطويلة البيضاء تمتد لتلتف حول الكوكب الأرضى . لقد كان طرفها بالأمس فى بلاد الجليد، فإذا هى اليوم فى بلاد الشمس والهلال. لقد طفت بالمدينة فرأيت عجباً . لقد انقلبت القاهرة رأساً على عقب. أنوار وأعلام، وزينات وأفراح، والناس جميعاً مشغولون بإعداد سهرات العيد . الشرقيون قبل الغربيين يتسابقون إلى الاحتفال بعيد ليس عيدهم ، ولكنهم يريدون تقليد الأجانب . بل إنى لأعرف بيوتاً وأسراً شرقيـة مسلمة تقيم فى منازلها « شجرة الميلاد » أسوة بالأوربيين . نعم . لقد ذهبت أعياد الشرق فلم يعد أحد يأبه لعيد الأضحى أو الهجرة أو ليالى رمضان . إن أعيادنا تقبل علينا فلا نبسم لها ولا نخرج لاستقبالها . إنما نحبس أنفسنا فى بيوتنا كأننا نخجل منها ومن أنفسنا . فإذا جاءت أعياد الأجانب أسرعنا نخرجنا لها باشين مهللين . نحن فى بلادنا نشارك الأجنبى فى أعياده، وهو على أرضنا. لا يشاركنا فى أعيادنا . وبذلك أفهمناه وعلمنا آلنا وأطفالنا منذ الصغر ازدراء ماهو شرقى واحترام ماهو غربى . وهكذا أثبتنا للعالم أن مجرد وطء أقدام الأوربى أرضنا كاف أن نزلزل حصوننا المعنوية . نعم ما كان الغربى يتصوَّر أن الشرق ينبذ من أجله حتى أفراحه التاريخية العريقة بألوانها الزاهية وطابعها الأصيل . إنى ليخيل إلى أن الغربى ذاته ، ذلك الضنين بتقاليده ، الحريص على تجميل خرافاته ، يدهش لرؤيته وجه الشرق قد انطمست ملامحه بهذه السهولة، وضاعت معالمه من الرؤوس والنفوس؛ وزال رسمه الحقيقى إلا من تلك الصفحات الرائعات التى سطرها أمثال بيرلوتى وجيراردى نرفال من الأوربيين أنفسهم الذين أعجبوا بالشرق يوم كان الشرق يحتفظ برداء شخصيته فلا يخلعه ليجرى عارياً كالشحاذ خلف الغرب . إنى لم أر قط باعتنا المتجولين يصيحون « بعرائس مولد النبى » فى الطرقات ولكنهم صاحوا البارحة بنداء شق الفضاء : « الأب نويل بقرش ابيض ! الأب نويل بقرش ابيض ! » . وبهذا تم لذى اللحية البيضاء غزو الشرق

توفيق الحكيم

الشـريف الرضى
وخصائص شعره
للأستاذ عبد الرحمن شكرى

الشريف الرضى لا يضارع ابن الرومى فى تحليله المعنى وتقصيه إياه ، ذلك التقصى الذى ساعد ابن الرومى على إجادة الوصف سواء أكان وصفاً لهمسات النفس وخطراتها أو لأوجه الطبيعة والمرئيات. ولا يضارع الشريف أبا تمام فيما يتقنه من فلتات الصنعة النادرة التى تأتى بالأبيات الفـذة الخالبة الآخذة بمجامع القلوب والتى تستهوى القلوب وتشعل الخيال . ولا يضارع الشريف المتنبى وأبا العلاء المعرى ، ولا سيما المعرى فى التفكير فى النفس والحياة ، وأخلاق الناس . ولـكن للشريف نصيباً لا يستهان به من هذه الميزات ؛ وهو مع ذلك قد اختص بالشعر الوجدانى . ولهؤلاء الشعراء جميعاً ولغيرهم شعر وجدانى ، ولـكنى أحسب أن الشريف بزهم جميعاً فى هـذا الضرب من الشعر . وهو قد أمن ما يعتور ابن الرومى فى بعض الأحايين من الفتور بسبب ما قد يبدر منه من الإفراط فى التقصى والتحليل وتتبع الجزئيات ؛ وأمن الشريف زلل المبالغة فى الصنعة الذى قد يقع فيه أبو تمام إذا أفرط فى حبه للاختراع والتوليد وإتيان ما لم يأت به أحد من التشبيه أو غيره من صيغ الصنعة؛ وأمن الشريف المبالغة غير المقبولة والمعاظلة كما فى بعض شعر المتنبى؛ وأمن أيضاً ماقد ترى فى ديوان سقط الزند للمعرى من مبالغات المتأخرين التى لا تعبر عن وجدان صادق. ولو قارنت بين شعر الشريف وشعر معاصريه لوجدت فرقاً كبيراً فى الأسلوب والذوق ، فإن الصنعة كانت قد انتشرت فى عصره وغالى الشعراء فيها من إبعاد فى التشبيه ومغالاة فى المعنى من غير سـيل دافق من العاطفة والوجدان يلبسها لباس صدق الإحساس ، ومن ألاعيب لفظية ومعنوية . وحسبك أن حكيم الشعر العربى المعرى التزم ما لا يلزم فى لزومياته مجاراة لصنعة عصره ، وبولع أحياناً بالجناس وغيره من المحسنات اللفظية التى لا تناسب ما هو فيـه من التفكير والحكمة والجد . ولا عبرة بمـا يقوله بعض المطلين على الشعر الأوربى من أن الشاعر العالمى الإنجليزى شكسبير يفعل ذلك ويغرى أحياناً بتلك الألاعيب اللفظية ، فإن شكسبير يفعل ذلك فى غير موضع الجد المؤثر ، وعلى لسان أناس من طوائف خاصة ، أولهم صفات خاصة . والشريف يترفع عن أساليب هذا التلاعب بالألفاظ . ولعل هذا هو ما ينبغى أن يكون ، لأن الشريف شاعر الوجدان ، والتلاعب بالألفاظ يتلف أثر الشعر الوجدانى فى النفس إذ لا يستقيم معه . وإن أطرب التلاعب باللفظ بعض الناس طرباً سطحياً إلا أنه ليس طرب الوجدان والعاطفة . وهذه الألاعيب اللفظية هى نزهة ولعب يلهو به الذكاء فى استنباطها واختراعها ومقارنة معانيها ؛ والذكاء من العقل، فلا غرو إذا قبله المعرى شاعر العقل لأنه كان سائداً فى عصره ، وإن كان هذا الهزل ضد جده .

ولا عبرة بما يقول القائل من أنه أراد أن يلفت بعبثه هذا الناس عن حرية القول والفكر والعقيدة فى بعض شعره كما فعل رابليه الـكاتب الفرنسى فى تغطيته نقده لعقائد رجال الدين فى قصصه بالعبث الصاخب ، وإن كان عبث رابليه مجوناً لا يطيقه المعرى . ولا عبرة بقول من يقول إن المعرى أحس من مرارة نفسه أن الحياة والخليقة وإن كانت مقدسة تدعو من أجـل قداستها إلى مرارة النقد ، إلا أنها مهزلة أيضاً ؛ فهى مهزلة مقدسة كما سماها دانتى الشاعر الإيطالى ، ومن أجل أنها مهزلة أباح هزل الألاعيب اللفظية فى أثناء جد الفكر

ومن أجل أن الشريف شاعر الوجدان كان أقرب شعراء عصره إلى الأقدمين. وكان بدوى النزعة وإن كان قد أخذ بنصيب من الصنعة العباسية لإعظام أثر المناجاة أو النداء أو الاستفهام أو النفى الوجدانى فى شعره ، فانه يستخدم هذه الصيغ البيانية ويتعرف وسائل الصنعة فى تكرارها وموقعها . ولـكنها صنعة طبيعية لا تحس أنها صنعة. وهى لا تنافس الوجدان بل تقوى أثره. وإذا قرأ القارئ له غزله أو رثاءه أو إخوانياته أو تحسره على انحسار الشباب أو مناجاته الديار ظهرت للقارئ آثار هذه الصيغ فى إشباع الوجدان وإقناعه ، فإن الشريف الرضى يشبع الوجدان ويقنعه ويطربه ويستميله بالنداء الوجدانى ، أو الاستفهام والسؤال ، أو النفى أو الإخبار بصيغة التحقيق والتأكيد ، أو الأمر أو المناجاة بأساليب أخرى.. ويفعل الشريف كل ذلك حتى ليخيل إلى القارئ أن لأدوات هذه الصيغ فى شعره معنى ليس لها فى شعر غيره؛ وهو

إذا رأى تلك الأدوات والحروف مثل (يا) أو (الهمزة) للاستفهام أو النداء أو (أين) أو (كيف) أو (لن) أو (قد) عرف أنه يجيد استخدامها لأغراض الشعر الوجدانى أكثر من إجادة غيره استخدامها، فنى رثاء أحبابه وأودائه ينادى الدهر فيقول:

(يا) دهر رَشْقاً بكل نائبة

(قد) انتهى العتب وانقضى العجب

(رُدَّ) يدى ماستطاعت عن أربى (لَمْ) يبق لى بعد موتهم أرب

فنى هذين البيتين استخدم النداء والإخبار بالتحقيق والأمر والنفى كلها بصيغة وجدانية تؤثر فى النفس. فهذه هى الصنعة اللفظية المحمودة لا الجناس والألاعيب االفظية التى أولع بها معاصروه.

ويخاطب وينادى النظرة ويسأل مع النفى فى قوله:

ذكرتكمُ ذكر الصبا بعد عهده قضى وطرا منه وليس بعائد

(فيا) نظرة لا تملك العين أختها إلى الدار مِنْ رملى اللوى المتقاود

(أما) فارق الأحباب قبلى مفارق ولا شيّع الأظعان مثلى واجد؟

فنى هذه الأبيات استخدم الإخبار ثم النداء ثم الاستفهام المنفى، وهذه صيغ لفظية وصنعة لفظية لا يحسُّ القارئ أنها صنعة؛ وهى صنعة الطبع التى تُقنع الوجدان، ويتفنن الشريف ويفتن فى مناجاته ومناداته الوجدانية فينادى وقفة الأحباب فيقول:

(يا وقفة بوراء الليل أعهدها الخ) وينادى بؤس القرب القصير من الأحباب الذى يعقبه الفراق الطويل فيقول:

فيابؤس للقرب الذى لا نذوقه

سوى ساعة ثم الفراق مدى الدهر

وينادى نفسه ويشجعها على تحمل آلام الحياة ومتاعبها فيقول:

يا نفس لا تهلكى يأساً ولا تدعى

لَوْكَ الشكائم حتى ينقضى العُمُرُ

وينادى الشباب فيقول:

فمن يك ناسياً عهداً فانى لِعَهدكَ ياشبابىَ غير ناسى

فإن العيش بعدك غير عيش وإن الناس بعدك غير ناس (١)

وينادى بؤس نفسه فى الغزل فيقول:

يا بؤس مقتنص الغزال طاعة ذهب الغزال بلب ذاك القانص

كالدرة البيضاء حان ضياعها مِنْ بَعْدِ ماملأت يمين الغائص

ما كان قربك غير برق لامع ووَلى النمام به وظل قالص

أغدو على أمل لحبك زائد وأروح عن حظ كوصلك ناقص

وينادى الحبيب صاحب القلب الصحيح الخالى من الهوى فيقول:

ياصاحب القلب الصحيح أمااشتنى ألم الجوى من قلبىَ المصدوع

ولاحظ أنه لم يكتف بصيغة النداء فى (يا) بل قرن إليها صيغة الاستفهام المنفى فى قوله (أما). وهى ألفاظ إذا جاءت فى كتب النحو كانت ميتة، ولكنها هنا تثبت حياة كالسمك عند إخراجه من الماء. ويخاطب الشريف السرحة ويرمز بها إلى من يحب فيقول:

إسْلمى يا سرحة الحى وإن كنت سحيقهْ

أتمنّى لك أن تبقَىْ على النأى وريقهْ

ثمرٌ حَرَّمَ واشيكِ علينا أن نذوقهْ

وينادى بالهمزة فى قصيدته المطربة فيقول:

أمعينى على بلوغ الأمانى وشفائى من غلتى واشتياقى

وينادى طائر البان فى قصيدته المشهورة فيقول:

يا طائر البان غِرِّيداً على فنن ما هاج نوحك لى يا طائر البان!

(هل أنت مُبْلغ من هام الفؤاد به ... الخ)

فانظر إلى أثر (يا) و(ما) و(هل)، وإلى تلك الصنعة اللفظية التى تقنع الوجدان كل الإقناع. وقد يُقْنع الوجدان أيضاً بالمناجاة من غير أدوات النداء فيناجى الوطن والدار فيقول:

سكَنتُكِ والأيام بيضٌ كأنها من الطيب فى أثوابنا تتقلَّبُ

ويُعجبُنِى منك النسيمُ إذا سَرَى

ألا كلُّ ماسَرَّى عن القلبِ مُعْجِبُ

ويقول:

كأنك قدمةَ الأمل المرَّجى علىَّ وطلعة الفرج القريب

ويقول:

وأهجركم هجر الخلىِّ وأنتمُ أعزُّ على عينىَ من طارق الكرى

ويقول:

وإنى لأقوى ما أكون طاعةً إذا كذبت فيك المنى والمطامع

ويقول فى قصيدة مطربة:

فإنْ لم تكن عندى كسمعى وناظرى

فلا نظرت عينى ولا سمعت أذنى

(١) أسقطنا أبياتا بين هذين البيتين وهى أبيات مطربة ولكنا أردنا الاختصار

لم الفرار إلى هنالك ؟

للدكتور بشر فارس

لست بسليم أية سلامة حتى إني أعرض عن الاستشفاء ، ولكني لا أرحل صيف كل سنة إلى أوربة رغبة فى معالجة كبد أو مراقبة قلب . ولست ممن يهوى الحر والسَّموم ، ولكني لا أرحل طرباً إلى « النسيم العليل » (متى يموت هذا التعبير وأخواته ، يأيها الناس ؟ !) . ولست من يحب أن يقال فيه : « هذا رجل يعود من أوربة »

ولكني أرحل إليها ... بل أفر إليها .

مما وممن ؟

أتصافيني فأصارحك ؟

أفر من مصر ثم مني ... ومنك .

أفر من مصر لأنَّ لها من نفسي موضعاً عزيزاً . ألم يتفق لك (أعانك الله على مصاحبة النساء !) أن تمل صحبة المرأة التي تخصها بوثبات ودك ، وترعاها بلفتات طرفك ، وتحيطها بنبضات قلبك (ولعله باقٍ على خفقانه) ؟ نهاية الحب بغض أو عراك . ولا بدَّ من القطيعة لصيانة الشوق ؛ والشوق نشاط ، والنشاط حياة

بيني وبين مصر مغاضبة . أريدها أن تقدم رِجلاً عازمة إذا مضت قُدُماً وهي تأبى إلا أن ترتاب فى قدر الخطوة التي جرؤت عليها ، كأن الموضع الذي تخطته فردوس (مِلتن) . وكثيراً ما تنتقم من الرِجل التي تقدمت بالاستواء فى وقفتها أو (معاذ الله !) بالإدبار : نصب مائل فى عُرض الطريق والخلق من خلفه يتأملون وأعينهم يُدَغْدِغها النعاس !

لا نزال نحن المصريين نركب قطاراً يذهب بنا ويجيء من موضع منظور إلى آخر معلوم ، فتارة يمهل فى محطة قائمة فى أول « الخط » وأخرى فى محطة فى آخره أو منتصفه . وأما الذي يلي الموضعين شمالاً وجنوباً فغير واقع بعد فى دليل « السكة الحديدية » .

***

هذا الصداع الذي بين التوثب والتقبض يفتح باباً عريضاً لأسباب المناقضة والتمزق ، وألوان المناوأة والتشيع ، ثم يروّج البضاعة الخفيفة على صنوفها ويُدخل الغرور فى أنفس أصحابها . فتضيع الموازين وتفتر العزائم الصادقة ويزيغ حكم الجمهور .

وحبي الثقافة مثل على ذلك .

الثقافة هنالك (إلا فى البلدان التي يسوسها حاكم بأمره متحمس) واحدة ، لأن برنامج التعليم مجرًى على منهاج واحد . فلا فرق بين قس وزنديق من حيث القابلية الذهنية ، أعني من حيث إدراك الأمور . أما تأويل الأمور وحكاية رفضها وقبولها فما يرجع إلى وجهة النظر وميل النفس . ثم لا فرق بين صانع لم يأخذ من العلم إلا طرفاً ، وكاتب كشفت له الثقافة عن أدق أسرارها ، سوى أن هذا ذهب فى التحصيل أبعد من ذاك .

ثقافة معينة أسبابها ، واضحة معالمها ، تتسع الحين بعد الحين باتساع مجال العلم ، ثم مرسومة على قدّ أذهان أهلها .

ومن نتائج هذه الثقافة أن الفكر يظفر بحرية لا تعرف القيد وأن القلم يجري على هواه . فإذا أصاب الناشيء عيباً عالن به ، وإذا

وإنك أحلى فى فؤادي من الكرى
وأعذب طعماً فى فؤادي من الأمن

ويناجي أيضاً مناجاة وجدانية فيقول :

أنت الكرى مؤنساً طرفي وبعضهم
مثل القذى مانعاً عيني من الوسن

ويقول :

فقلت نعم لم تسمع الأذن دعوة بَلَى إن قلبي سامع وجناني

وتراه يستخدم الاستفهام استخداماً وجدانياً مطرباً كاطراب ندائه الوجداني فيقول :

هل تذكر الزمنَ الأنيقَ وعيشنا يحلو على مُتَأَمِّل ومذاقِ ؟
ولياليَ الصبوات وهي قصائر خطف الوميض بعارض مِبراق ؟

ويستفهم بأين ويناجي فى قصيدته فى ديار الحيرة ، وهي من الوصف الوجداني المؤثر ، ومن الشعر الذي ينبغي أن يختار له كلما اختير له شعر وجداني ويقول فى مطلعها :

أين بانوك أيها الحيرة البيضاء والموطئون منك الديارا ؟

(المقال بقية)

عبد الرحمن شكري

رأى رأيا بثه غير هياب . فلا تراه يداور فى الكتابة أو يتنصل مما كتب . وإذا انتهى العالم ببحثه إلى حقيقة تصرع القضايا المألوفة جهر بها مطمئن الجانب . وإذا بدا لناقد أن يقول قولاً فى كتاب أو عمل متصل بشئون التهذيب دونه من دون أن يرقب الرضى أو يخشى السخط .

وتعليل ذلك أن الثقافة هنالك منفصلة من الدين ومنزهة عن السياسة. الثقافة مدارها العقل ، أما الدين فأمر إيمان ، وأما السياسة فمسئلة هوى . وكلما بطشت السياسة بالثقافة ألجمتها؛ وكلما مشى إليها الدين حولها إلى مجراه وأرساها عند شطئه .

ومن نتائج هـذه الثقافة أن برنامج التعليم يقصد إلى تهذيب ملكة التفكير لا إلى حشو خلايا الذهن . فالتأدب هنالك يطلب القراءة المفيدة لا القراءة المسلية ؛ والمنجذب إلى المسرح حقاً يرغب فى المسرحيات التى تقوم عنده مقام غذاء لا تلك التى تهز أعصابه كأنها صورة من الصور المتحركة ؛ والدائب على قراءة النقد ينتظر حكماً معتدلاً يبذل له شيئاً من الأمر حتى يستوى له رأى لا إطراء مفرطاً أو ذماً مقيماً ؛ وطالب العلم إنما يأخذ أساليب التحصيل والاجتهاد رجاء أن يكب على البحث فيما يأتى من الزمان وهو جد عارف أن « مائدة الثقافة لا تقبل طفيلياً » .

ومن خصائص هذه الثقافة أن كل فرد من أهل الأدب يعرف ما له وما عليه . فلا ترى المطلع يهيم على الإنشاء والنقد ، ولا القصصى يقبل على كتابة الرسائل الفلسفية ، ولا الصحافى يتعرض لنقـد المسارح ومعارض الصور ، ولا الدعى يغير على مؤلفات غيره فينتحلها أو يسلخها أو يمسخها ؛ ثم لا ترى الناقد المعتز بصناعته الوفى لها يهمل الكتب الخارجة من المطابع لأن أصحابها من المحدثين، أو لأنهم غير متعصبين له، أو لأنهم أتوا بشىء لم يتوقعه .

ومن خصائص هذه الثقافة أنها تنشىء مثلاً عليا . فالشاعر ـ مثلاً ـ يكرم قريحته أن تفيض بما قاله غيره سواء من باب السطو أو من باب التقليد ؛ ثم إنه — إلا فى النادر النادر — يعف عن النظم لرغبة أو رهبة ؛ ثم إنه يحاول ما استطاع أن يميز شعره من شعر أصحابه ، ولا يبلغ ذلك إلا إذا استخرج من وليجة نفسه كنوزها فلا تهويل ولا جلجلة !

تلك أمثال من صدق الثقافة هنالك . وإنما صدقها يرجع إلى وحدتها واستقرارها وسهر أصحاب الأمر عليها . ومن الأمثلة على سهر القوم عليها أن الجوائز والمكافآت الموقوفة عليها إنما تجرى على طريقة مرضية . وقصة ذلك أنها مبذولة للمنشئين الحق ولا سيما المحدثين منهم على أن يؤلفوا كتباً لها شأنها لا لموظفين بينهم وبين الأدب المحض شقاق على الغالب، ولا لأصدقاء وأعوان، وأنها بين أيدى حكام لهم ـ على الأقل ! ـ دراية بما يفصلون فيه .

وإليك مثلاً آخر : إن شؤون الثقافة العامة لا تقضى بين جدران وزارة المعارف وفى بهو الجامعة فقط (كأنما الفطنة حصرت فى عقول فئة من الموظفين ، والعلم جمع فى صدور نفر من الأساتذة) . إن حق الأدباء والمنشئين وأصحاب المجلات الرفيعة فى معالجة شؤون الثقافة العامة ليس دون حق أولئك الأساتذة والموظفين .

بقى أن القوم يضعون صاحب الشأن فى موضعه، ويستثمرون ما يجب استثماره، ثم ينبذون من يتوسل بغير الكفاية ويستهزئون بورم الألقاب وطنين الأسماء .

* * *

تلك صبغة الثقافة هنا لك . وليس معنى هذا أنها صافية كل الصفاء ، فالخلق هنالك بشر . إلا أن مبادئها سليمة ومجدية

بشر فارس

أغرب ما رأيت فى حياتى

للدكتور زكى مبارك

أنا متهمٌ بالعقل ومتهمٌ بالجنون . فمن وصفنى بالعقل فهو متلطف ، ومن وصفنى بالجنون فهو مسرف . لأنى فى حقيقة أمرى إنسانٌ يعيش بثورة العواطف فوق ما يعيش بقوة العقل ، وهى حالة تجعل أمرى وسطاً بين العقل والجنون

والتوفيق الذى ظفرت به فى حياتى العلمية مدينٌ لحياتى الوجدانية ؛ فقوة الوجدان هى التى حملتنى على أن أستقتل فى الدراسات الأدبية والفلسفية . وقد يأتى يوم أعترف فيه بالأسباب الوجدانية التى جعلت عقلى يتفوق إلى أبعد حدود التفوق فى مثل كتاب النثر الفنى أو كتاب التصوف الإسلامى

وهذه الغرابة فى تكوين عقلى وقلبى هى التى تحملنى على الجرأة فى تدوين هذا الحديث ، وهو حديث كنت أفتضح به أشنع افتضاح لو نشرتُه قبل سنتين أو ثلاث ، يوم كان لى خصوم يسرهم أن تحاط حياتى بالأقاويل والأراجيف

أما اليوم وقد قل خصومى بحيث لا يزيدون عن ألف أو ألفين ، فأنا أنشر هذا الحديث بلا تهيب ولا تخوف ، وليقل من شاء ما شاء

***

كنت حين انتسبت إلى جامعة باريس أقضى أربعة أشهر من كل سنة فى مدينة النور ، ثم أعود إلى وطنى لأجمع من الصحافة والتدريس ما أستطيع به الرجوع إلى باريس من جديد . ودام ذلك بضع سنين ، ثم عرفت أنى لن أصل إلى غرضى إلا إذا قررت بطريقة حاسمة ألا أفارق باريس إلا فى أحد حالين : النصر أو الموت

وكانت الإقامة الدائمة فى باريس تبدو من المستحيلات ، لأن أبى رحمه الله لم يكن يقدر على إمدادى بكل ما أحتاج إليه . . وكان ما ورثته عن أمى طيب الله ثراها لا يزيد عن بضعة قراريط . وكانت زوجتى أفقر منى ؛ ولم يكن لى فى الحكومة المصرية عمٌّ ولا خال

وفى تلك الظلمات استطعت أن أتفق مع الأستاذ عبد القادر حمزة على مراسلة البلاغ من باريس بمرتب قدره خمسة عشر جنيها ، فتوكلت على الله وقررت الاعتكاف بالقبلة القديمة فى السوربون

ولكن مراسلة البلاغ من باريس لم تكن عملاً ينفع إلا فى حال واحد : هو أن يشعر صاحب البلاغ بأنى أقدم إليه محصولاً أدبياً ينقل القراء من حال إلى أحوال ، فقد كان الأستاذ عبد القادر حمزة اشتهر بين أصحاب الجرائد بأنه يحسن الاعتذار إلى من يريد الاستغناء عنهم من المحررين والمخبرين والمراسلين ؛ وكنت جربت اعتذاراته الرقيقة قبل ذلك حين كنت أحرر فى البلاغ الأسبوعى سنة ١٩٢٦ . ولكن اعتذاراته فى ذلك الوقت لم تكن تؤذينى لأنى كنت مدرساً فى الجامعة المصرية ، وكنت بفضل تلك الوظيفة من المياسير

***

ماذا أصنع فى مراسلة البلاغ من باريس ؟

كنت أستطيع أن أرسل إليه مقالات فى الأدب العربى ، وأنا من أقطابه بلا جدال ، ولكن إرسال مقالات عن الأدب العربى من باريس كان ضرباً من السخف يقترفه من يراسل البلاغ من باريس . وهل يعيش الأديب فى باريس ليحدث الناس عن ابن المقفع وابن العميد ؟ !

ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع لأنجو من تسلُّم خطاب رقيق من خطابات الاعتذار التى يجيدها صاحب البلاغ ؟ ماذا أصنع لأظفر بخمسة عشر جنيهاً أضيفها إلى المبالغ الضئيلة التى أكسبها من الدروس الخصوصية التى أعطيها للطلبة الضعاف فى اللغة الفرنسية من أعضاء البعثات ، والنقود التافهة التى آخذها فى مقابل المساعدة التى أؤديها لبعض المستشرقين الذين يهمهم أن ينقلوا النصوص العربية إلى اللغة الفرنسية ؟

ماذا أصنع ؟ ماذا أصنع ؟

لم يكن أمامى إلا مسلكٌ واحد : هو الاندماج المطلق فى باريس لأحدث قراء البلاغ بأحاديث منتزعة من الحياة الواقعية فى باريس

وما هى إلا أسابيع حتى عرف صاحب البلاغ أنه لن يكتب إلى رجل مثلى خطاب اعتذار ، وحتى عرف قراء البلاغ أنى أحدثهم بما لم يألفوه ، وأن البلاغ لن يستغنى أبداً عن صاحب « الحديث ذو شجون »

***

ولكن الانتصار فى هذا الميدان له تكاليف

كان لا بد من الاتصال الدائم بأساتذة السوربون ومدرسة اللغات الشرقية لأظفر بما تساميت إليه من الألقاب العلمية

وكان لابد من معاقرة الحياة فى باريس لأنجح فى مراسلة البلاغ

أما الأساتذة فالظفر بثقتهم سهل ، لأنى فى الواقع من أصلح الناس لفهم ما أسمع من الخطب والمحاضرات ، ولأنى كنت بالفعل شاباً ناضجاً له فى الأدب والفلسفة مذاهب وآراء

الصعوبة كل الصعوبة ، والعسر كل العسر ، هو فى افتراع باريس لأصل إلى أوهام وحقائق أقيّد بها أذواق قراء البلاغ

وكيف أصل إلى هذا الغرض الجليل ؟

هدتنى الفطرة إلى قضاء أوقات الفراغ فى الملاهى والملاعب والمراقص والقهوات ، فكنت أقضى فى هذه النزهة الطريفة ساعات من النهار وساعات من الليل

كنتُ شاباً ، ورحمة الله على شبابى ، الشباب الذى بددته فى طلب الحب والمجد

كنت أذرع باريس بقدمى لأخلق لمقالاتى جوًّا من الحقيقة لا من الخيال

وأعاننى على ما أسمو إليه لسانٌ مرن فى اللغة الفرنسية مرونة عجيبة تقدر على جذب من أحاور من أسراب الظباء

والفرنسيون يغفرون للرجل جميع الذنوب إذا أمدته العناية الإلهية بلسان فصيح

وكان لى فى باريس ثلاث قهوات : قهوة صغيرة جدًّا فى بوليش بجوار (قهوة الرحيل) التى كان يجلس فيها الدكتور طه حسين يوم كان طالباً فى جامعة باريس

وكانت هذه القهوة الصغيرة مخصصة للمواعيد الغرامية ، والتأملات الفلسفية ، فكيف صارت اليوم ؟ ليتنى أعرف !

أما القهوتان الأخريان فهما الروتوند والدُّوم فى حى مونبارناس

* * *

كيف كنتُ أصطبح وأغتبق بهاتين القهوتين ؟

كان مفهوماً عندى أن لا سبيل إلى معاقرة الحياة إلا فى مونبارناس

وإنما كان ذلك لأنى كنت أتهيب مونمارتر تهيباً يصل إلى الفزع والرعب ، فقد تشاجرت فيها مع أحد الشبان الفجار فى سنة ١٩٢٧ وكاد اسمى يقيد فى سجلات البوليس لولا لطف الله. وكانت هذه التجربة القاسية كافيةً لأن أقنع بالضلال فى حى مونبارناس

وفى قهوة الدوم وقعت المأساة أو الملهاة التى أدونها فى هذا الحديث :

دخلت ذات صباح فوجدت سيدة تطالع سِفر الوجود بعينين زرقاوين يندر أن يكون لهما شبيه أو مثيل

وجلستُ بالقرب من تلك السيدة عسانى أنهب منها نظرة أو نظرتين أستعين بهما على إتمام بعض الفصول من كتاب (سحر العيون) الذى أرجو أن يظهر بعد قليل

وما هى إلا دقائق حتى تلاحظْنا برفق وعطف

ثم أشارت بأن أقترب فاقتربت

رباه ! متى تعود أيامى ؟

وبعد أن دار كأس الحديث نحو عشرين دقيقة عرفت أنها من البغايا

أعوذ بالله ؛ أعوذ بالله ، أعوذ بالله !!!

أمثل هذا الحسن يكون من نصيب الفَجَرة الأوباش ؟

أتكون هذه الحسناء الفتانةُ شبيهةً بالشمس ينعم بضوئها من يشاء ولو كان من الخفافيش ؟

أتكون هذه التحفة الفنية شبيهةً بكرائم الأنهار يشرب منها البهائم والدواب ؟

أتكون هذه العيون السواحر من نصيب من يساعده القدر المخبول فيملأ جيبه بالدراهم ولو كان من الأغبياء ؟

أتكون هذه الدُّمية شبيهةً بالحجر الأصم الذى تسجل عليه حوادث الأفّاقين ؟

ليتنى مت قبل أن أشهد ذلك المنظر الأليم !

ليتنى مت قبل أن أعرف أن مثل ذلك الحسن يباع !

ألك يارباه حكمة فى إذلال هذه الروائع الفنية التى زينت بها الوجود ؟

ارفع الحجاب مرة واحدة ، يارباه ، لأعرف أسرار السياسة العالية التى تسوس بها مخلوقاتك !

وهجمتْ على تلك السيدة الجميلة بعنف فقالت :

اسمع أيها السيد ، ليست الغواية من همى ولا من مناى . أنا امرأة شقية خدعها شاب مثلك باسم الحب ، وكانت ثمرة الحب طفلا هو اليوم تلميذ بمدرسة (. . .) وقد هجرنى الحبيبُ والدُ الطفل وتركنى وحدى أربيه وأرعاه ، فأنا أتسول باسم الحب لأنفق على ذلك الطفل المسكين ، إلى أن يظهر أبوه ، إلى أن يظهر ذلك الوغد الذى هجر معشوقته وطفله منذ سبع سنين . فإن كنت تدعى الرجولة الصحيحة فتقدم لحمايتى ورعاية طفلى ، وسترى كيف أجزيك عطفاً بعطف وإخلاصاً بإخلاص

وما كدت أسمع هذا القول حتى دارت الأرض تحت قدمى

ومن أين أنفق على هـــذه السيدة وعلى طفلها وليس لى من جريدة البلاغ ومن الدروس الخصوصية إلا مبلغ ضئيل من المال لا يزيد على ثلاثة آلاف من الفرنكات ، والحياة قاسية أشد القسوة على الغرباء فى باريس ؟

ثم نظرت فرأيت هذه المرأة تعرض مشروعاً نبيلاً قد يرفع روحى بعد إسفاف . فصوبت بصرى إليها وقلت : وكيف أضمن أن تتوبى عن حياة الرجس ؟

فقالت فى استحياء : إن لغرفتى مفتاحين !

فقلت : وما معنى ذلك ؟

فقالت : لك مفتاح ولى مفتاح ، فخذنى لنفسك وراقبنى كيف تشاء ، فإن استطعت أن تشهد علىَّ ما يريب بعد اليوم فاقتلنى . والمهم أيها السيد أن ينجو طفلى من الجهل ومن الجوع

وفى تلك اللحظة تذكرت عبد المجيد فغلبنى الدمع

تذكرت أنى تركت فى مصر الجديدة أطفالاً منهم عبد المجيد الذى كان يزعزع كيانى حين يقول (بابا)

— وما اسم ابنك ياسيدة ؟

— اسمه موريس

— هلم بنا إلى التسليم على موريس !

***

قد أنسى كل شئ ، ولكنى لن أنسى طلعة موريس قد ينسينى الموت جميع ما حفظت من اللغة الفرنسية ، ولكنى سأذكر فى قبرى عبارة باقية فى اللغة الفرنسية حين طلع موريس فقالت له أمه : Embrasse papa

وتوهم الطفل أنى أبوه فقبلنى بحرارة والدموع فى عينيه

— Papa !

— Mon petit !

واستأذنا مدير المدرسة فسلم إلينا الطفل ليقضى معنا ليلة فى مباهج باريس

وسألنى الطفل : أين كنت ؟ فأخبرته أنى توجهت إلى الشرق لزيارة القاهرة وبغداد وبيروت ، واخترعت له أقاصيص تعجبه وتلهيه ، ولم يفتنى أن أحدثه عن أخبار الجن والعفاريت .

وفى تلك الليلة هجر الطفل صدر أمه وسكن إلى صدرى لينام نوم السعداء

وفى تلك الليلة شعرت أن روحى ارتفع إلى أجواز السماء

كان موريس ورث عن أمه الفرنسية صفرة الشعر وزرقة العينين ، وكان ورث عن أبيه الهولندى شمائل من السجاحة واللطف ، وكان فى جملته وتفصيله تحفة من تحف الوجود . وقد وجد من عطفى وحنانى كل ما يتمناه ويشتهيه ، فانطلق يحدث أترابه فى المدرسة بالنعيم الذى يلقاه فى يومى الأحد والخميس

وفرحت مرجريت بما صارت إليه من راحة البال وصفاء النفس بعد الهيام الأثيم بأحياء باريس

ومضت تقترح ما تشاء من المغامرات فعلمتنى الرقص وطوفت بى على المكنونات من صناديق الليل

وبفضل مرجريت عرفت من خبايا باريس ما لا يعرف الشياطين

ولم نكتف بذلك ، بل نقلتنى إلى رُوان والهافر وأطلعتنى على المستور من شواطئ المانش ، وأقامت معى فى الضواحى النائية أسابيع

والله وحده يعلم كيف عاشرتُ تلك الحسناء ، فلو أنى قلت إنى كنت فى حبها من الأطهار لما صدقنى مخلوق ، لأن سمعتى تعرضتْ لأخطار كثيرة بسبب التهالك على أخبار الملاح ، ولكن الواقع أنى كنت فى صحبة تلك السيدة رجلاً نبيلاً . وأجمل ما نلتُ منها لم يزد عن قُبلة شهية طبعتْها على جبينى حين أخبرتْها أنى

متأهل ولى أبناء . وقد قهرتنى على قبول هدية من العطر و«الكريم» لأرسلها إلى ابنتى أو زوجتى ، وقد قبلت الهدية ثم ألقيتها خِفيةً فى نهر السين

***

كانت مرجريت متعبةً إلى أبعد الحدود

قالت ذات يوم : أنت يا دكتور معرض للسمنة لكثرة ما تشرب من البيرة

فقلت : هذا حق !

فقالت : ما رأيك فى سياحة على الأقدام إلى ليون ؟

فقلت : وفى كم يوماً نصل على الأقدام إلى ليون ؟

فقالت : فى نحو أسبوع

فحملنا أثقالنا واتجهنا نحو ليون ماشيَيْن

وبعد يوم واحد تعبتُ، فحملتها على الرجوع بالقطار إلى باريس

ليتنى أطعت مرجريت وذهبتُ ماشياً إلى ليون لأعرف كيف يعيش الناس فى الأقاليم الفرنسية ، ولأجدد الأنس بصحبة مرجريت يوم همنا على وجوهنا فى الحقول النورمندية !

كانت مرجريت ضجرتْ من حياة الفتون

وكنتُ ضجرتُ من حياة الفتون

وكنا نشتهى أن نعرف معنى التصوف فى الحب ، وكيف لا نتصوف فى الحب وقلوبنا معمورة بحب الطفل العزيز موريس ؟

***

وبعد أن دام هذا النعيم النبيل خمسة عشر شهراً وصلتُ إلى ما أريد فى امتحانات مدرسة اللغات الشرقية وامتحانات السوربون ، وصممت على الرجوع إلى أهلى وأبنائى ، ولم يكن بدٌّ من توديع مرجريت وموريس

وأى توديع ؟ !

كان من الواجب أن أردَّ المفتاح إلى مرجريت ، فرفضتْ والدمع فى عينيها الزرقاوين ، وقالت : احفظ هذا المفتاح فقد تصل على حين غفلة إلى باريس

وكانت مرجريت لا تزال معرَّضة للفقر والبؤس فوعدتها بإرسال سبعمائة فرنك فى كل شهر لتستطيع الإنفاق على نفسها وعلى ابنها الغالى ، وأنا أفِى إذا وعدتُ

***

كانت الدنيا فى ذلك العهد لا تخيفنى ، وهل يخاف من يرجع مزوَّداً بأعظم الألقاب من باريس ؟

ولكنى لم أكد أصل إلى مصر حتى عُطلتْ جريدة البلاغ فأرسلتُ إلى مرجريت أستعفيها مما وعدتُ ، فكتبت تصفح عنى وتسأل الله أن يفتح لى أبواب الرزق

وما هى إلا مدة قصيرة حتى استجاب الله لدعوة مرجريت فكنت آخذ من الجامعة الأمريكية ثمانية وعشرين جنيهاً ، ومن الليسيه اثنين وعشرين جنيهاً ، ومن البلاغ خمسة عشر جنيهاً بغض النظر عما كنت آخذه من المكتبة التجارية ومن مجلة الهلال

ورأيت أن أزيد مرتب مرجريت فكنت أرسل إليها فى كل شهر ألف فرنك

وعرف موريس فضل « أبيه » فكان يرسل إلىَّ فى كل أسبوع خطابين

حرسك الله ياموريس وكتب لك التوفيق !

***

وفى سنة ١٩٣٣ ذهبت إلى باريس لأحضر مؤتمر (الليسيون لاييك) نائباً عن أساتذة اللغة العربية بمعهد الليسيه . ذهبت ومعى المفتاح لأزور مرجريت ولكنى استكبرت عن زيارة مرجريت ، وهل يفكر الأساتذة الكبار فى العطف على امرأة نكستْها المقادير؟

ولما رجعتُ من المؤتمر نقصتُ مرتب مرجريت من ألف فرنك إلى سبعمائة فرنك ، واعتذرت بأن مواردى نقصتْ وأنى لم أعد أملك غير التدريس بالليسيه والتحرير فى البلاغ

فكتبتْ مرجريت تقول إنها ترضى منى بأن أعترف أنها استطاعت مرةً واحدة أن تدخل النور إلى حياتى

أعترف يامرجريت بأنك بددت الظلمات فى حياتى

طال العهد على لقاء مرجريت ، وطال العهد على لقاء موريس وحملنى لؤم الطبع على التخلص من مرجريت وموريس ، وهل كانت مرجريت زوجتى ؟ وهل كان موريس ابنى ؟ وهل كنتُ أول شاب أطاع الغواية فى باريس ؟ يجب أن أقطع المرتب الذى خصصتهُ لمرجريت وموريس ، ولكن كيف ؟

لذلك تاريخ سنراه فى الأسبوع المقبل

« مصر الجديدة » زكى مبارك

وِرد الصباح

للدكتور عبد الوهاب عزام

تنفّس الصبح فى غسق الليل ، ولاحت غرته فى جنح السَّحَر، والنور يسيل من ربى المشرق قليلاً قليلاً. ويولد اليوم الجديد رب فأضىء عقلى بالهدى، ورغّب نفسى فى الحق والخير، واملأ قلبى بالأمل ، وقوّ يدى على العمل . اشرح صدرى . واشدد أزرى ، واشحذ عزمى لليوم الجديد

ربّ ! قد طُويت من عمرى صفحات ونشرت اليوم صفحة ، فاجعل صفحتى هذه أوعى للخير وأخلى من الشر ، وزيّنها بالحق ، وبرئها من الباطل ، واجعل فاتحتها وخاتمتها الإخلاص لك ، والعمل لوجهك

***

ربّ ! إن عقلى يُخدع بالوهم ، ويقنع بالظن ، ويلبس الحق بالباطل . اللهم فاهدنى وثبتنى ، واجعل البرهان الواضح حجتى ، والحق المبين عقيدتى . سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب

ربّ ! إن قلبى يشوبه الهوى ، ويستهويه الباطل ، نخلص اللهم قلبى من الأهواء ، واملأه بحب الحق إنك أنت الحق المبين

رب ! إن نفسى تنزع إلى أن تتزيّد فيما لها ، وتبخس ما لغيرها ، وتُحمد بما لم تفعل ، وتغمط غيرها ما فعل . اللهم فاجعل حق غيرى أحبّ إلىّ من باطلى ، ورضاك آثر عندى من كل شىء

رب، إن الناس يركنون إلى الدعة ، ويُعذّرون فى الواجب، فاجعلنى دائباً على العمل لا أملّ ، قوّاماً بالواجب لا أعتلّ

رب ، إن الناس ينزعون إلى الظلم ، ويجنحون إلى المحاباة ، ويرضون أنفسهم بباطل يزينونه وحق ينكرونه . اللهم فبغض إلىّ الظلم والمحاباة ، واجعل العدل والحق ملء نفسى وقلبى وقولى وفعلى

رب، إن نفسى تنزع إلى إرضاء الأقوياء والاستهانة بالضعفاء. اللهم فاجعل الناس سواسية عندى ، واجعلنى حرباً على الأقوياء المبطلين ، نصيراً للضعفاء المحقين ، لا تَطّبينى فى الحق رغبة ولا رهبة ، ولا يأخذنى فى الصدق خوف ولا رجاء

اللهم إن الناس استهوتهم الشهوات وعبّدتهم المطامع؛ تُضلهم الكبرياء فيصدفون عن الحق ، وتضرعهم الذلة فيخنعون للباطل . فاجعلنى اللهم متواضعاً لا تزهونى نخوة، وقوياً لا تأسرنى شهوة، وحراً لا يعبّدنى مطمع . واملأ قلبى كبراً على السفاسف، وأنفة من الدنايا

اللهم وقد اشتعلت القلوب أحقاداً ، وامتلأت النفوس ضغائن ، وتقطعت بين الناس الأواصر، وفرّق بينهم الحسد، فاملأ قلبى محبة ومودة ، وبرئنى من الحسد والحقد . واجعلنى أطهر من أن أحقد وأكرم من أن أحسد

اللهم إن القلوب قست ، والنفوس أجدبت ، والوجوه وقحت ، فاملأ قلبى رحمة لكل إنسان ، ونفسى شفقة على كل حيوان ، وأدبنى بأدبك ، واجعل فكرى وقولى وفعلى براً ورحمة وإحساناً

اللهم واجعلنى طماحاً هماماً لا تحد طموحى فى الحق غاية ، ولا ينوء بهمتى فى الخير مطلب

اللهم واجعلنى فى الحق جريئاً لا أخاف ، ومقداماً لا أحجم ، ومحارباً لا أجبن ، واجعلنى عدواً للباطل جريئاً عليه ، محباً للحق خاضعاً له

اللهم اجعل لى من ذكرك قرباً وأنساً ورجاء وثباتاً . اللهم إنى أستقبل يومى مؤمناً بك متوكلا عليك، مخلصاً لك ، مجاهداً فيك، راغباً إليك مستمداً منك

فأضىء عقلى بالهدى ، واملأ قلبى بالأمل ، ورغّب نفسى فى الحق والخير ، واشرح صدرى ، واشدد أزرى واشحذ عزمى لليوم الجديد

سبحانك لا إله إلا أنت الحق المبين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

عبد الوهاب عزام

رد على نقد

القديم والجديد

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

أحس أن على ديناً لقراء الرسالة يجب الوفاء به ، فقد كنت وعدت إذا زال الحائل الذى كان يحول بينى وبين الكتابة أن أعود فأفصل ما أجملت فى خطابى الذى نشرته الرسالة وتقيدت فيه بذلك الوعد . وما أجملته هناك وأريد الآن تفصيله ، هو أن ما فهمه الأستاذ (قارئ) من بعض كلماتى ، وانتقده فى مقالاته « الدين والأخلاق بين الجديد والقديم »[1] شيء آخر غير ما أردته بما كتبته ، وأزيد الآن أنه شيء آخر غير ما تفيده تلك الكلمات

وليس الذى يدعونى إلى الكرة بعد تلك الفترة مجرد حب الوفاء ، ولا مجرد الرغبة فى أن أبين أنى أصبت ولم أخطئ . فالإنسان يخطئ ويصيب ، ولا غضاضة على المخطئ ما دام يخلص النية ويبتغى وجه الحق . إنما أكبر ما يجعلنى أحرص على الرد هو الرغبة فى تصفية مسألة القديم والجديد مرة أخرى — فقد صفيتها قبل ذلك فى بعض فصول كتابى النقد التحليلى — ليتبين وجه الحق فيها عسى ألا يعود أحد ينخدع بما بين لفظى القديم والجديد من تفاوت ، فيؤثر فى المعنويات الجديد لجدته على القديم لقدمه ، كما تعود أن يؤثر فى الماديات الجديد على القديم فى المأكل والمسكن واللباس

والنقد الذى كتبه الأستاذ (قارئ) ، وصدر فيه عن أدب جم موجه إلى كلمتين اثنتين من كلماتى : إلى الكلمة الأولى التى قدمتها بين يدى ما كنت أريد من كتابة حول أدب الرافعى ، وإلى بعض الكلمة السابعة التى جعلتها خاتمة تلك الكلمات . ويظهر أن الأستاذ حين بدأ يكتب ، كتب عفو الساعة من غير أن يرجع إلى الكلمة المنقودة وإلى أخواتها إن لزم ليستوثق من أن المعنى الذى فى ذاكرته هو حقا المعنى المقصود بالكلام المنقود ، فقد كان مر على الكلمة الأولى المنقودة بضعة أسابيع حين كتب الأستاذ

ثم يظهر أن تلك الكلمة الأولى من كلماتى صورت مسألة القديم والجديد صورة غير مألوفة . فلم تقصرها على ميدان الأدب ولكن عدتها إلى ميدان الاجتماع ، ثم جعلت من الميدانين ميداناً واحداً ، ومن حركة النزوع إلى الجديد فى كل منهما حركة واحدة تشملهما جميعاً هى حركة الانصراف إلى جديد الغرب ولو استلزم ذلك الانصراف عن قديم القرآن

لكن هذا التصوير أقرب إلى صميم الأمر وإن كان تصويراً غير مألوف . غير أن قربه من الحق لا يتبين حتى تتبين حدود تينك الحركتين الأدبية والاجتماعية اللتين رُكّبتا معاً فى حركة واحدة حين صُوِّرتا ذلك التصوير

وأول هذه الحدود وأوضحها أن تكون الحركة العلمية أو الصناعية غير داخلة فى تينك الحركتين، فإن الأدب والاجتماع غير العلم والصناعة بالبداهة . وإذن فلا محل للرجوع بحركة الجديد إلى عهد محمد على كما يريد الأستاذ (قارئ) لأن عهد محمد على فيما نعرف لم يأخذ عن الغرب إلا علمه وصناعته ، ولم يمس النظم الإسلامية الاجتماعية فى كثير ولا قليل

وحد آخر من حدود حركة الجديد التى أردناها : أن روحها يخالف روح الإسلام فى الصميم . من أجل ذلك أخرجنا منها حركة التجديد التى قام بها الإمامان جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده كما هو صريح مقالنا الأول الذى نقده الأستاذ من الذاكرة من غير رجوع إليه . وهذا الحد الثانى كاف وحده فى إخراج عهد محمد على مرة أخرى من نطاق البحث ، وإخراج كل حركة جديدة تتفق مع الدين

وحد ثالث من حدود حركة الجديد التى أرخنا لها : أنها حركة أفراد لا حركة حكومات ، اللهم إلا أن تكون حركة الحكومة نتيجة من نتائج انتشار حركة الأفراد كما حمل أصحاب الحركة النسوية مثلا الحكومة المصرية على تحديد سن الزواج . ولم يخطر ببالنا أن ننبه بهذا الفارق حين كتبنا ما كتبنا ، لأننا أولا لم نكن بصدد التاريخ للجديد على إطلاقه ، ولكن كنا بصدد الكلام على حركة صارت بعد مذهبا اعتنقه أفراد دعوا إليه وثاروا على دعوتهم حتى انتشرت وصار لها من السلطان ما لها اليوم — ثانيا — كان واضحا من سياق ما كتبنا ومن الظرف الذى دعا إلى الكتابة ومن بعض عبارات فيها مثل : « ومسألة القديم والجديد عمرها لا يكاد يزيد على ثلاثين عاماً آثارها فى الناس نفر تثقفوا ثقافة غربية من غير أن يكون لأكثرهم من الثقافة الاسلامية نصيب مذكور .

(١) انظر الأعداد ١١٤٣ ، ١١٨٤ ، ١٢٩٧ ، ١٢٦٧ ، ١٢٢٨ ، ١٣٤١ ، ١٤٧٧ (من الرسالة)

وهذا ، وغيره لا يدع مجالا للشك فى أن المقصود هو مسألة القديم والجديد التى ثارت بين الناس والتى لا تزال موجودة بيننا فهذا الحد الثالث كاف هو أيضا لأن يخرج من نطاق البحث كل حركة لم يقم بها فرد أو أفراد ولم يعتنقها جمهور من الناس . وإذن فالحركة التى قصدنا بالنقد والتى قدرنا عمرها بثلاثين عاما هى حركة قائمة بيننا الآن لا ترجع إلى عهد نابليون فى مصر ولا إلى عهد محمد على ولا إلى عهد اسماعيل ، ولكن ترجع فى رأينا من الناحية الأدبية إلى العهد الذى كان هيكل وأمثاله يكتبون فيه فى « الجريدة » ، ومن الناحية الاجتماعية إلى العهد الذى كتب فيه قاسم أمين وأصدر فيه كتابيه « تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة »

والعهدان فى الحقيقة عهد واحد يظلهما زمن واحد هو زمن اشتداد الحركة الوطنية الأولى حوالى ١٩٠٨ أو قبلها بقليل . ومن هنا أمكن تقدير عمر واحد للحركتين اللتين بدأتا فى الأدب والاجتماع حوالى ذلك التاريخ ، واللتين جعلنا منهما حركة جديدة واحدة عمرها بالطبع عمرهما ، وهو تقدير طبيعى كما ترى لا عوج ولا تكلف فيه

والأستاذ قارئ لم يأخذ علينا مخالفة للواقع فيما يتعلق بالحركة الأدبية من تقديرنا ذلك، فهو يوافقنا فيه وإن كان بعض ما كتب فى مقاله الخامس[1] يدل على أنه يميل إلى جعل عمر حركة الجديد فى الأدب أقل من ثلاثين . أما من الناحية الاجتماعية فإن التأريخ لحركة الجديد فيها بظهور كتابى قاسم أمين أمر معقول . فقبل قاسم لم يَدع مسلم فى عصرنا الحديث إلى جديد فى هذا الميدان ، ولم يحاول مسلم أن يدعو الناس فى ميدان الاجتماع إلى مخالفة ما جرى عليه العمل فى زمن الرسول صلوات الله عليه فى مسألة الحجاب مثلاً والسفور . وإذا كان هناك من المسلمين أو غير المسلمين من سبق قاسماً إلى مثل ما دعا إليه فإنه لم يترك أثراً فى الناس فى مصر كما ترك قاسم ، ولم يستهو نفراً إلى مذهبه كما استهوى ، ولم يبدأ حركة كبرت بعده حتى جاوزت كل ما كان يدور له فى حسبان . فقاسم أولى الناس بأن يُبدأ بكتبه تاريخ حركة الجديد مما يخالف الإسلام فى ميدان الاجتماع

والحركة التى بدأها قاسم لم تكن لتبلغ ما بلغت وتستشرى كما استشرت لو لم تجد من الحركة الجديدة فى الأدب مؤيداً وظهيراً . فإنك إذا تتبعت الحركتين وجدتهما سائرتين جنباً لجنب تأخذ إحداهما بيد أختها تقيها العثرة وتثبتها فى المعترك ، وإنك لواجد أن الصحف التى ظاهرت إحدى الحركتين هى نفس الصحف التى ظاهرت الأخرى ، وأن أنصار الجديد فى الأدب كانوا ولا يزالون هم أنفسهم أنصار السفور من قبل وأنصار الاختلاط وما إليه اليوم. كانت الجريدة فى مبدأ الحركتين لسان الدفاع عن كلتيهما والدعوة إليهما، ثم كانت جريدة «السفور»، ثم «السياسة»، ثم «السياسة الأسبوعية » وغزا أنصارهما الصحف الأخرى وخلا لهم الجو لما غاب « المؤيد » و «اللواء» ، وصارت الدعوى الجديدة هى البدع و « الموضة » فمن لم يقل بها عن نية واعتقاد قال بها كيلا يوصف بالرجعية والجمود . وليس يهم الآن تعليل ذلك ، إنما المهم توكيد ما كان بين الحركتين من اتصال وتلاقح وتعاون، فالحركة الجديدة فى ميدان الاجتماع أعقبت لوناً جديداً من الأدب لم يكن موجوداً قبلها يصح أن يسمى بأدب السفور ، والحركة الجديدة فى ميدان الأدب مهما يكن أصل نشأتها . قد امتزجت بعد بالحركة الاجتماعية الجديدة المتفاقمة واستوحت منها أكثر وحيها لأن روح كل منهما مستمدة فى صميمها من روح الغرب لا من روح الإسلام . ومن يكن فى شك من هذا فليرجع مثلاً إلى مجلدات « السياسة » و « السياسة الأسبوعية » قبل ظهور كتاب « حياة محمد » ، فسيتجلى له المذهب الجديد فى الأدب والمذهب الجديد فى الاجتماع قد اتحدا فى حركة واحدة شاملة تنبض بروح الخلاف للاسلام ، لأن أصحابها لجهل أكثرهم بالإسلام صدّقوا ما زعمه لهم الغرب من أن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين

وإذا كان من رجال الحركة الجديدة فى الأدب من لم يناوئ الإسلام مع الغرب ومشايعيه من أهل الحركة الجديدة فى الاجتماع فلم يتخذ من وحيها وحيه فى كتاباته ، ولم يجر معها إلى آخر الشوط الذى جرت ومجرى إليه ، فإن هؤلاء نفر جد قليل . والناظر إلى صميم الأمر لا يستطيع أن يحكم على حركة إلا بما يغلب عليها ، وسيجعل لذلك القليل مخرجاً إن أمكنه ولو بتقسيم آخر . ونظن أننا فعلنا ذلك بالحد الثانى من الحدود التى فصلناها آنفاً ، وبما سنبينه إن شاء الله فى مقال تال

محمد أحمد الغمراوى

---

(١) نشير إلى قوله « ولو أنا رجعنا إلى ما ألف من المقالات والكتب منذ ثلاثين سنة ما وجدنا أثراً لهذا الاصطلاح : أعنى اصطلاح تقسيم الأدب إلى جديد وقديم ، وإنما كان الشعراء الذين يسمون الآن أدباء المذهب الجديد يدعون إلى نبذ شعر الغزل المتكلف الخ »

تحيـــة الرسالة

في عامها السابع

للأستاذ محمود الخفيف

أشهى من الورد ومن نشره … ولمحة الفردوس من سحره
ومن رواء الكون مستشرفاً … للرائع المنهل من فجره
ومن جبين الصبح في مهده … وذائب الطل على ثغره
تجاوب الأنفس مسحورة … سواجع الأبكار من طيره
ومن رؤى الحلم وأطيافه … ويقظة الروح على ذكره
ومن سمات العيد في صحوة … تزيده بشراً على بشره
صحيفة المشرق في جلوة … تريك معنى البهر من سره
رسالة الجيل على ومضها … يستقبل النابه من عصره
صباحها اللماح يوحى له … فينشق الآمال في عطره
يلتفت الشرق إلى عيدها … فيستثير العيد من فخره
تهزه من أمسه لمحة … تبتعث الذاهب من كبره
ويزدهيه الجد في يومه … ووثبة المفلت من أسره
يسابق العصر إلى غاية … تنسيه ما يلقاه في سيره
سيرى عروس الشرق موموقة … على هدى السالف من دهره
ثوري على الجهل وأسبابه … وحرري الأعناق من نيره
وجنبي المشرق ما غره … من زخرف العصر ومن زوره
ومن سراب ظنه كوثراً … لو لم يكن صدياًن لم يغره
ومزق الوهم فكم مسه … فبات مغلوباً على أمره
ما كان لولا الذل يرضى بما … أسدله الباطل من ستره
هاتي من الشرق أحاديثه … وأيقظي الذاهل من سكره
قصي عليه الحق كيف انجلت … آيته الكبري لدى بدره
وحدثي الغافل عن مجده … عن (خالد) الشرق وعن (عمره)
ويمن (هارون) وإقباله … وملك هارون على بتره

مأذنة الحق على صوتها … لم يبق ذو وقر على وقره
رن في المشرق أصداؤها … من أربع الهند إلى مصره
بغداد لا تنفك تهفو لها … كما هفا الروض إلى قطره
كم أطلعت آفاقها أنجماً … هم في سماء الشرق من زهره
وجارة الوادي تصوغ الهوى … عقداً يغار الزهر من طهره
شبابها الأحرار كم بينهم … من عدة الجيل ومن ذخره
صحيفة المشرق قد ألفت … أشباله الغر على نصره
دعامة الفصحى وبرهانها … تدعو إلى الله على أمره
ما نسي الشرق لها عزمها … في حلو ما تلقى وفي مره
ما حفلت يوماً بغير العلى … ولم تجب غراً على هجره
كم نابه مد لها كفه … بالرائق السلسال من فكره
وناهض لولا أياد لها … مر به العصر ولم يدره
وساجع في ظلها رقرقت … روائع الآيات من شعره
وناثر بنانه ساحر … ترى بديع الوشي في نثره
ومبدع في الفن هشت له … فجاء بالمعجب من بكره
وملهم يحكي عهود الهوى … فتسكر الألباب من خمره
صحيفة يبسطها أروع … في سره الصدق وفي جهره
ألقت له الفصحى مقاليدها … فجاء بالمعجز من دره
كم غاية في الفن دانت له … طوعاً وقد عزت على غيره
لا تبلغ الأحقاد من نفسه … ولا ينال الغدر من صبره
لا عسره يثنيه عن قصده … ولا يسيغ الزهو في يسره
حياؤه أجمل أوصافه … ولا يدق المكر عن مكره
بيانه سمح إذا ساقه … لا ينفذ الغل إلى صدره
يبني على الأخلاق من مجده … ما تعجز الأحداث عن قهره
لا زال يوليه الهدى نوره … وترفع الأيام من قدره

الخفيف

وحي العام الجديد

إلى أين نسير
بين التفاؤل والتشاؤم

للأستاذ محمد حسن ظاظا

« أم ترى نحن هنا — كما يقول غرورنا لنلعب على مسرح الحياة دورنا الخالد ؟ » جوفروى

انتهى عام وبدأ عام جديد ، وانتهت من قبل أعوام وبدأت أعوام جديدة ، وستنتهى غداً أعوام لتبدأ من بعدها أعوام جديدة ؛ فإلى أين نسير وإلى أى مصير ؟ أترى ندور فى حلقة مفرغة يتصل أولها بآخرها وآخرها بأولها ، فلا يمضى عام إلا ويتلوه عام آخر ، ولا ينقضى خلق إلا ويخلفه خلق آخر ؟

لشد ما يحار الإنسان عند ما يسأل نفسه هذا السؤال فى مطلع كل عام ! ولشد ما يجد الحياة حوله لغزاً معضلاً يستعصى على الحل ، ولا ينفرج فى ناحية إلا ليتعقد ويضيق فى النواحى الأخرى!

ولقد وقف هذا الموقف بالأمس الأستاذ Jouffroy فراح يتساءل أمام تلاميذه « بالسربون[1] » عن الغرض من حياتنا تحت الشمس ، وعن معنى الدور الذى نلعبه على مسرح العالم . وراح يعدد الظروف التى تستثير فى نفوسنا هذا الموضوع ، والنظرات التى تلقيه على مسامعنا ؛ ونحن نورد لك اليوم موجزاً لأقواله ، ثم نعقب عليه بما نريد

يقول[2] : « لا يكاد يصل الإنسان إلى هذا السؤال إلا أخيراً ، ولكن مشاغل الحياة لا تلبث مع ذلك أن تصرفه عن التفكير فيه ؛ والناس حياله سواء ، عالمهم وجاهلهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وسعيدهم وشقيهم ؛ فليس من واحد منهم يصدمه حادث أليم إلا ويغيم على ذهنه ذلك السؤال المحزن « لماذا نحن هنا ؟ وما معنى هذا الدور الذى نلعبه ؟ »

ثم نحن ندخل الدنيا ونفوسنا مليئة بالآمال والشهوات والرغبات ، وتدفعنا هذه النفوس النهمة الجائعة إلى تحقيق إرادتها وسعادتها ، فيقف العالم أمامنا ليحارب تلك الإرادة بكل مايستطيع ومن هنا نقاسى ألم الحرمان ونسخط على حياة وجدنا فيها نهمين نريد أن نشبع وتريد الأقدار أن نجوع !! ولكننا نميل مع ذلك إلى اتهام أنفسنا فنتحلى ونتخلق بالصبر والقناعة والرضى إلى أن تنحط علينا كارثة هائلة ، فنفتح أعيننا من جديد لنرى آمالنا المتلاشية ، ولنصرخ من أعماق قلوبنا المجروحة ، وعقولنا المتزلزلة ، ولنتساءل فى لوعة وأنين : « ترى لِمَ نحن هنا على ظهر الأرض؟ »

وليس لمآسى الحياة وحدها الإصبع الأكبر فى ذلك السؤال ، فإن لسعادتها أيضاً إصبعاً بل أصابع كثيرة . ذلك أنا نسعد فى المبدأ عند ما نحقق رغبة من رغباتنا ، ولكن إذا ظلت سعادتنا وقتاً طويلاً — وقلما يحدث هذا — فسرعان ما تخبو نارها ، وتنمحى روعتها ، فيقل شعورنا بها شيئاً فشيئاً ، وينقلب على مر الأيام إلى كره فتورة وسخط ، لأنا لا نجدها حينذاك كافية لمطامعنا ومحققة لجميع آمالنا ، ومن ثَمَّ نرى الحياة عاجزة عن إشباع رغبة السعادة فينا ، فنشعر بأن مسراتنا أوهام ، ورغباتنا فخاخ نحن أول من يقع فيها . ولا نستطيع أن نتهم أنفسنا هنا كما نتهمها أمام المآسى لأن السعادة بين أيدينا ؟!

ثم نحن نبدو فى المدن كأعظم المخلوقات فنمتلئ شجاعة وثقة وغروراً ، ولكن عند ما نخرج إلى الطبيعة المكشوفة ، ونجد أنفسنا وحيدين أمام سماء لا نهائية ، وأفق تتلوه آفاق ، وجبال شامخة هائلة ، ونجوم عديدة لا تحصى ، وقرى تختفى فى غابات ، وغابات تختفى فى فضاء الطبيعة ، بل وعند ما نرى أن هذه الدنيا تسبح فى هواء الكون مع عوالم أخرى كثيرة ونحن حيالها لا شىء ، ألا نسى حينذاك سعادتنا وشقاءنا ، ونروح متسائلين : « أين نحن من العالم وما دورنا فيه ؟ »

وحينما ننظر فى تاريخ البشرية ، ونعرف أنها جاءت عارية

---

(١) عاش الأستاذ جوفروى من سنة ١٧٩٦ إلى سنة ١٨٤٢ م وقد افتتح منهج الأخلاق بالسربون فى عام ١٨٣٠ — ١٨٣١ بالمحاضرة التى نوجزها ونعلق عليها فى ذلك المقال . أنظر « قضية المصير الانسانى » فى الكتاب الفرنسى « لالاند » واسمه « مطالعات فى فلسفة العلوم »

(٢) لقد حاولنا أن نبسط آراءه موجزة وبنفس طابعها الأصيل بقدر المستطاع .

أو شبه عارية ، ثم قامت منها شعوب ، وقام بين هذه الشعوب نزاع فساد الفرس أولاً ثم الأغريق ، ثم الرومان ، ثم البرابرة ؛ بل وحينما نذهب إلى الأصقاع المجهولة فى شمال آسيا وأواسط أفريقيا وأمريكا ، وجزر المحيط ، لنجد فيها قوماً يختلفون فى اللغة والفكر ولا يعرفون مثلنا لماذا خلقوا ولا من أين أتوا ؛ عند ما ننظر فى ذلك التاريخ البشرى بليله البهيم، وفى الأجناس كفاحها وصراعها، ألا نشعر بغموض هائل يكتنفنا من كل ناحية ؟ أما هذه الإنسانية التى نحن جزء منها ؟ من أين أتت ؟ وأيان تذهب ؟ أترى هى كأعشاب الأرض وأشجار الغابات تخرج من التراب وإليه تعود ؟ أم ترى هى هنا — كما يقول غرورها — لتلعب على مسرح الحياة دورها الخالد المحتوم ؟ وأى دور ذاك وما عسى أن يكون ؟ لقد سقطت المدنية الشرقية تحت أقدام المدنية اليونانية ، كما سقطت المدنية اليونانية تحت أقدام المدنية الرومانية ، وكما سقطت هذه الأخيرة تحت أقدام المدنية الجرمانية ، فترى أى مصير سيكون لهذه الأخيرة ؟ أهو الانتصار المحتوم ثم السقوط كما حدث لسابقتها؟ وماذا يكون دور الإنسانية إذاً ؟ أهو الدوران فى حلقة مفرغة ؟ أم هو الترقى والتقدم ؟ وأين الترقى والتقدم من وحشية الحروب وفظاعتها ؟ وهكذا يحار الإنسان كثيراً وسط هذه الغيوم فيتساءل عبثاً عن القانون الذى يسوق قطيع البشرية بهراوته من أصل مجهول إلى مصير مجهول !

ثم « العلم » بماذا يحدثنا ؟ إنه يقول إننا مجرد حلقة فى سلسلة المخلوقات ! ؛ فالأرض قد استعمرت فى المبدأ بالنباتات الضخمة التى لا تقارن بها نباتاتنا ، والتى لم تكن لتظلل بأوراقها الواسعة العريضة كائناً ما ! ، ثم جاءت ثورة جارفة هدمت تلك الخليقة الأولى كما لو كان خلقها عبثاً ، وأحلت محلها خليقة أخرى هى الزواحف والأسماك ! ! ثم جاءت من بعد هذه خليقة ذوات الأربع الهائلة فمهدت الطريق للانسان الذى طفا أخيراً على السطح كحلقة فى سلسلة سابقة ! وقد عاشت كل خليقة من هذه الخلائق السابقة على الأرض كما نعيش الآن ، فلم لا يأتى يوم ننقرض فيه وتصبح عظامنا أمام الخلائق الجديدة مجرد حفريات ضخمة شائهة تحويها المتاحف وتعجب منها العقول ؟ ؟ إننا حلقة بين حلقات مجهولة ناقصة ، وقد خرجت هذه الحلقة لتتحطم بدورها كما تحطمت أخوات لها من قبل ، فمن نحن إذاً ؟ وأى حق لنا فى الأمل والغرور ؟ ؟

فى كل مكان إذاً حدود . وفى كل مكان ظلام وعجز وألغاز تتلو ألغازاً ! ونحن نجد أنفسنا متسائلين وحائرين كلما وقعنا تحت تأثير هذه الظروف ، وكم منا قد انتحر إزاء هذا المشكل الكبير! ، وكم منا قد لجأ للعقائد التقليدية ليقنع بما فيها من أقوال ووعود ، ولكن خيط حياتنا لا يفتأ يهتز ويتذبذب كما تساءلنا فى حزن وأسى عن أصلنا ودورنا ومصيرنا المحتوم ! !

ولكن الأمر يبدو بالرغم من ذلك كله أهون مما نظن ! وذلك لأن الحياة والموت . والسعادة والشقاء ، وعظم الخليقة وظلام التاريخ ؛ كل ذلك وإن أحزن القلب والعقل والضمير فهو يتحدث إلينا بألف لسان ليثير ثورة جارفة تصد اليأس ، وتذود النوم ، وتدفع الإنسانية إلى البحث الشاق الطويل[1] !!.

* * *

إلى البحث الشاق الطويل ؟ أجل إلى البحث الشاق الطويل ! وإذا كانت الأديان قد وفرت علينا مشقة الحل مما ينبغى لعقولنا النورانية أن تقف عند حد أو أن تقنع بالقليل . ولن يضيرنا أن نكون حلقة فى سلسلة مجهولة الأطراف . فحسبنا أننا نعيش لنلعب دورنا المحتوم فى الحلقة التى نعيش فيها ، ولن يضيرنا أن نتعرض فى حياتنا للكوارث والآلام ، فحسبنا أن نعلم أن قانون الحياة صارم على الجميع وأن مجدنا وعظمتنا فى التحمل والكفاح والصراع أكثر مما هما فى الدعة والسرور واللين . ومهما يكن شأننا ضئيلاً فى الكون الهائل المخيف فلا شك أننا نستطيع أن نسمو بعقولنا وقلوبنا إلى عليين ، وأن ندرك كل عام من أسرار الحياة والوجود ما يقيم لنا وزناً فى العالم المجهول . وإذا كان العلم يشير إلى سلسلة متدرجة مترقية فى المخلوقات فلنسأل أين كالنا نحن البشر وما عسى أن يكون دورنا الحق فى الوجود ؟ وإذا كانت ميزتنا الكبرى قائمة فى « العقل » كما يقول أرسطو فلا مندوحة لنا من جعله يمتد بأشعته إلى سر الحياة والكون

(١) نهاية موجز الأستاذ جوفروى

ليأتينا منه كل عام بجديد فى نواحى ذلك الثالوث المقدس، ثالوث الحق والخير والجمال . ومهما يكن من شأن النكوص العارض فى خط السير فلا شك أننا نقدر جميعا تلك الخطوات الهائلة التى قطعتها الانسانية منذ فجر التاريخ إلى اليوم نحو التقدم والمدنية والنور . فاليوم علم بعد جهل ، وديموقراطية بعد عبودية واستبداد ، وسلام بعد حروب وغارات ! أقول « سلام » وأعلم تماما ما سوف تقول ! وأين السلام من تلك الشعوب المتناصرة المتنابذة التى يحفر كل منها للآخر هوة سحيقة للموت الداهم الفظيع ؟ ولكن رويدك فالفكرة موجودة ، وتزداد بحرارة الخطر اختمارا ، حتى إذا انفجر البركان وأصاب الإنسانية منه أقصى سعير استوت على عرشها وسادت سيادة أنجح وأضمن كما سادت بالأمس القريب فكرة تحرير الرقيق بعد قرون الذل والعبودية والانحطاط !

إلى الكمال إذاً نحن نسير ! إلى كمال الحق والخير والجمال ؛ ولا تفاضل بين الأجيال إلا على ذاك الأساس . ولا ينبغى أن تكون لنا غاية غير هذه الغاية ! ولا يجوز أن نقيس حياتنا أفراداً وجماعات إلا بهذا القياس . ولئن كان مقدراً للأجيال ألا تبلغ ذلك الكمال المثلث فإنما شاء الله ذلك لكيما تبقى للانسانية غاية تعيش من أجلها وفى سبيلها تموت . فلننظر إذاً أى قدر من ذلك الكمال قد تركته لنا الخلائق والأجيال الماضية تراثاً ثمينا مجيدا ، ولنعرف كيف نصونه ونحافظ عليه ونسلمه لأبنائنا وديعة كريمة جميلة ؛ ثم نفكر فى ماذا عسانا نستطيع أن نزيد عليه من الحق والخير والجمال كما فعلت الأجيال السابقة ليبقى ما نزيده ناطقا باسمه على مر الدهور والأجيال

أجل يجب أن نفكر فى ذلك ونسعى فى تحقيقه ونحاسب أنفسنا بصدده عند مطلع كل عام جديد

ويجب على هذا الأساس أن نرحب بالعام وأن نتفاءل بمقدمه ، وأن نرجو الله داعين متمنين أن يكشف فيه للانسانية عن درجات أخرى من سلم ذلك الكمال المنشود

محمد حسن ظاظا
مدرس الفلسفة بمدرسة الخديو
اسماعيل الثانوية الأميرية

قلت لنفسى ...

إن مبدأ الإسلام ، إقرارَ السلام ؛ ومع ذلك لجأ إلى القوة وأخذ بنظام التسلح ، فشرع القتال ثم قال : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... » ومن قبلُ جاءت المسيحية عزوفة النفس زهيدة العين تسبل العفو عن الجارم ، وتبيح الخدين للاّطم ، وتترك ما لقيصر لقيصر وما لله لله ؛ ومع ذلك قال المسيح : « ما جئت لألقى سلاماً بل حرباً »

فهل معنى ذلك إلا أن القوة هى شريعة الله يحفظ بها سلام العالم ، ويقر عليها نظام الحياة ، ويدفع بها بعض الناس عن بعض حتى لا تفسد الأرض ؟

لقد جأرت أوربا كلها ليلة عيد الميلاد بنشيد المسيحية الشرقية : « وعلى الأرض السلام » حتى جفَّت الشفاه ، وبُحت الحناجر ، ثم أصبح الناس فإذا إيطاليا بلد البابا تحشد الجيوش إلى حدود الصومال ، وفرنسا تجيب على التحدى بجنود السنغال ، وهتلر وجون بول يقفان متحفزين متلاحظين : هذا من وراء الديمقراطية ، وذاك من وراء الدكتاتورية !!

فهل يحسب الذين يثبطون مصر عن إرصاد الأهبة وإعداد القوة، بحجة ما نكلف من المال، ونجشم من الأعمال، إنهم يطيعون الله ويخدمون الوطن ؟ .

ابو عبد الملك

للتاريخ السياسي

نتائج اتفاق مونيخ

للدكتور يوسف هيكل

كان يوم الجمعة ٣٠ سبتمبر (أيلول) سنة ١٩٣٨ يوما تاريخيا هاما مغيراً تغييراً رئيسيا لوضعية أوروبا الدولية ، ولاتجاه السياسة الغربية ، إذ به تم اتفاق الدول الأربع (في مونيخ) على حل المشكلة التشيكوسلوفاكية حلا لم يتوقعه أحد قبل أيام من ذلك التاريخ ، لجزأ هذا الحل تشيكوسلوفاكيا وأثر تأثيراً عظيما وسيئا على حياتها الاقتصادية والسياسية . وأهم من ذلك أنه أدى إلى نتائج دولية خطيرة ، تتصل بعلاقات ألمانيا مع دول جنوب شرق أوروبا والشرق الأدنى من جهة، وبوضعية دول أوروبا الكبرى من جهة ثانية .

انتصرت فرنسا عام ١٩١٨ ، فعمل ساستها ورجالاتها على تأمين سلامتها ، وإبعاد خطر الغزو الجرماني عنها . إذ ذاقت فرنسا مرارته مرتين في مدة أقل من نصف قرن . واستخدموا لذلك وسائل تأمين السلامة المعهودة قبل الحرب العالمية : المعاهدات والمبادئ التي تولدت عن الحرب الكبرى، والضمان المشترك ضمن نطاق عصبة الأمم .

عملت فرنسا عام ١٩١٨ على تطويق ألمانيا من الجهة الشرقية بدول معادية فأوجدت بولندا وتشيكوسلوفاكيا، وربطتهما بباريس بمعاهدات دفاعية . ولتقوية مركز تشيكوسلوفاكيا الدولي ، ولإيجاد كتلة قوية أمام ألمانيا في جنوب شرق أوروبا ، ساعدت فرنسا في تكوين التحالف الصغير بين تشيكوسلوفاكيا، ورومانيا ويوغوسلافيا ، وربطت هذا التحالف بنفسها بروابط ودية متينة . وفي عام ١٩٣٥ وقعت فرنسا على معاهدة دفاع متبادل بينها وبين الروسيا ، وتوسطت إلى إيجاد مثل هذه المعاهدة بين صديقتها تشيكوسلوفاكيا وبلاد السوفيت . ظنت الدوائر السياسية أن هذه الروابط الدولية جعلت مكان تشيكوسلوفاكيا الدولي متيناً لا يتزعزع، ويحول دون أي تفكير في الاعتداء على جمهورية مزاريك، واعتقدت هذه الدوائر أيضاً أن القوى المناهضة لألمانيا في أوروبا الوسطى والشرقية قوية إلى درجة لا تجعل حكومة برلين تفكر في اختراق النطاق الذي يحيط بها في تلك الجهة

لم تكتف فرنسا بإيجاد ربيبتها تشيكوسلوفاكيا وتقوية مركزها الدولي ، بل عملت على تحصين الحدود التشيكوسلوفاكية الألمانية ، وتنظيم الجيش التشيكوسلوفاكي وتقويته ، لتتمكن من صد أي هجوم حربي ألماني عنها . لهذا أقرضت باريس براغ المليارات من الفرنكات وأرسلت لها المهندسين الحربيين الاخصائيين لإنشاء حصون هائلة على الحدود الألمانية ، فأنشئ « خط ماجينو التشيكوسلوفاكي » وصرف عليه ثمانون مليوناً من الجنيهات . ثم أرسلت فرنسا البعثات الحربية لتدريب الجيش التشيكوسلوفاكي وتنظيمه ، فأصبح من أنظم الجيوش الأوروبية وأهمها . وزيادة على ذلك ، فإن دخول تشيكوسلوفاكيا الجغرافي في قلب ألمانيا يساعد على جعل هذه البلاد مركزاً لقوة طيران عظيمة تستطيع هدم كبريات المدن الألمانية الواقعة في الجهات المختلفة. وقد ساهمت فرنسا في تقوية قوى الطيران التشيكوسلوفاكي . واعتمدت كثيراً على موقع تشيكوسلوفاكيا الجغرافي ، لهذه الغاية ، فكان في إمكان القوى الجوية المتجمعة في تشيكوسلوفاكيا ، تهديد المدن الألمانية بسهولة وفي وقت قصير . فظنت الدوائر السياسية ، بعد هذا التحصن وإيجاد هذه القوى ، أن لا فائدة لألمانيا من محاولة الهجوم على ربيبة فرنسا . كما أنها ظنت أن لا أمل يرجى لألمانيا من مهاجمة فرنسا لوجود « خط ماجينو » الذي تتحصن فيه عند الحاجة الجيوش الفرنسية ، وجيوش دول معاهدة لوكارنو ، ولوجود القوى الهائلة المحالفة لفرنسا في أوروبا الوسطى والشرقية ، التي في إمكانها الانقضاض على ألمانيا من الجهة الشرقية بسرعة وسهولة

خلافاً لهذه القوى التي هي في حد ذاتها قوى فعالة لا يستهان بها إن عرف استخدامها ، فإن فرنسا استعملت في تأمين سلامتها من الخط الجرماني ، مبدأ « الضمان المشترك » ضمن نطاق عصبة الأمم . فكانت من أقوى أنصار عصبة الأمم ومن العاملين على تنظيم الضمان المشترك وتنفيذه ومن أشد الغيورين عليه والراجين منه سلاماً . فهل منعت المعاهدات والضمان المشترك ألمانيا عن اجتياز السور الذي أقيم حولها ؟ وبعبارة أخرى ، هل أوصلت السياسة التي تبعتها فرنسا خلال العشرين سنة الماضية الشعب

الفرنسى إلى ما يبغيه من سلام وطمأنينة ؟

لم تنفذ المعاهدات ، ولم يعمل بموجب الضمان المشترك . وتمكنت ألمانيا من رفض القيام بما قبلت من واجبات ومن السير بخطى واسعات للوصول إلى ما تبغى وتطمح

وكان أول ما قامت به ألمانيا امتناعها عن دفع التعويض للحلفاء ، فلم ترغم على دفعه ، ثم قرارها بإلغاء القيود العسكرية فى معاهدة فرساى وإعادتها التجنيد الإجبارى ، وتجديد معامل الأسلحة والذخيرة فى بلادها ، وبناؤها أسطولاً جوياً هائلاً ، فلم يردها الحلفاء السابقون والحاليون عن هذه الأعمال ، ثم احتلالها لمنطقة الرين التى تقضى معاهدة فرساى بيقائها مجردة من كل صبغة عسكرية . فلم تتخذ الدول المتعاقدة فى لوكارنو الإجراءات العسكرية التى تقضى بها معاهدة لوكارنو لإعادة منطقة الرين إلى حالتها السابقة ، ثم ضمت ألمانيا دولة قديمة برمتها إليها ، فلم تحرك الدول ساكناً

أما عصبة الأمم فلم تأت بعمل فعال ضد الإجراءات الألمانية ، كما أنها لم تنفذ قانونها حين احتلال منشوريا ، والحرب الحبشية ، والحرب الأسبانية ، والحرب الصينية . تلك الحروب التى هى وليدة أنانية الدول الكبرى ، وضعف عصبة الأمم المستعمرة ووجود الضمان المشترك بين طيات الأوراق فقط .

وتلا هذه الأزمات والحروب الأزمة التشيكوسلوفاكية . وبعد محادثات اتفقت فرنسا وبريطانيا العظمى على حل النزاع الألمانى التشيكوسلوفاكى عن طريق سلمى ، فعقد مؤتمر مونيخ وسلمت بريطانيا وفرنسا فيه بمطالب الهر هتلر ، وخرج زعيم ألمانيا منه منتصراً من غير حرب .

* * *

فى مونيخ تم هدم ما بنت السياسة الفرنسية خلال العشرين سنة الفائتة . واتفاق مونيخ كان « ضربة الرحمة » (أى الضربة القاضية) لعصبة الأمم ولمبدأ الضمان المشترك . إذ فى مونيخ مزقت تشيكوسلوفاكيا دون أن تعلم عصبة الأمم بذلك ، ودون أن يأتى أحد من حلفائها لنجدتها ، حتى أن والدتها وافقت على هذا التمزيق .

وتمزيق تشيكوسلوفاكيا كما أزال قوتها العسكرية والدولية . إذ خسرت تشيكوسلوفاكيا كما ما يزيد على أربعة ملايين من سكانها وفقدت حصونها وقلاعها التى وضعت فيها قوتها وأموالها كما أنها فقدت أيضا كثيراً من مواردها الاقتصادية ، وأصبحت تحت رحمة جارتها القوية .

أما نفوذها الدولى فقد زال ، لزوال مصادره ، إذ كانت تشيكوسلوفاكيا كما تستمد قوتها الدولية من تحالفها مع فرنسا والروسيا ودول التحالف الصغير . فجاء اتفاق مونيخ فألغى تحالفها مع فرنسا والروسيا ، وأبطل عملياً وجود التحالف الصغير . لأن دول هذا التحالف لم تأت بحركة قبل مؤتمر مونيخ للدلالة على وجود التحالف . وهى بالطبع لا تستطيع وضع تحالفها موضع العمل بعد اتفاق مونيخ الذى سلمت فيه الدول الكبرى لمشيئة الهر هتلر . فتحالفها هذا زالت أهميته عملياً ، ولم يبق له وجود فى السياسة الدولية .

« للمقال بقية » **يوسف هيكل**

من الأدب الانجليزي

دفاع الشيخ عن عرضه

للكاتب الانجليزي سير جون وارد

للأستاذ محمد لطفي جمعة

جلس لورد آشلي أوف بلاكبوري كاسل وهيلدا بريكفيلد وارثة بارون أوف كليرمونت ، ينظران إلى الشفق ، وقد توارت الشمس بالحجاب ، وقد هبط عليهما وحي الحب ، وسرت فيهما نشوة الغرام، إذ رآهما الشفق ضحيتي لذة وصبوة ، وكان لكل منهما ما ذكره بماضي مباهج الحياة . وكانا مجتمعين خلسة في غيبة والدها بارون أوف كليرمونت الذي كان يعارض في زواجها من حبيبها لورد آشلي ، الشاب الذي قضى معظم شبابه في المغامرات والفروسية ، ومناصرة الملك شارل على وليليام أوف أورانج ، الذي غزا البلاد ، واغتصب العرش والتاج . وإذ كانت الفتاة والفتى يرتشفان كأس السعادة في تلك الخلوة التي كانت حلماً من الأحلام، فزعت واستيقظت من غفوة الهناء، على غير انتظار . وماذا رأت ؟ ويا هول ما رأت ! أي عينين هاتان البراقتان ؟ هما حقاً عينا أبيها البارون الشيخ نصير وليليام أوف أورانج ، وأحد أبطال الموقعة الحاسمة التي خضبت دماء، هاستنجز بالدماء، وأقصت الملك الشرعي عن البلاد ... ثم صرخت اللادي الشابة ناهضة وخرت صارخة وقد تنازعها الحزن والفرح، وتوزعها الخوف والرجاء؛ وإنها على فرط حبها أباها لم تملك أن شعرت عند رؤيته بفزع ورعب منه وهو يراها بين ذراعي حبيبها الذي يبغضه ويمقته ويتربص به الدوائر ، بعد أن أقصاها عنه وحرم عليها اللقاء ، فثار لورد آشلي لصيحة حبيبته وأمسكها ساقطة ثم عمد إلى الجدار ، فتناول حسامه بأسرع من اللمح ليحمل على الذي سبب كل ذلك الرعب. وكان البارون المسن والشيخ الهم لا يزال صامتاً ، فلما رأى الفتى يجرد حسامه ويستعد لنزاله ابتسم هازئاً وقال :

« إن بأذني مسمع مني ألوفاً يحملون البيض المشرفية ، والسمر السمهرية ، فضع سيفك يافتى ، ولا تكن غراً أحمق ! »

وتشبثت اللادي هيلدا بآشلي وصاحت : « إنه أبي ... فاركع له معي ، لعله يغفر لنا ويصفح عنا — وكانت هذه علة رجائها — نعم ! ما أراه إلا فاعلاً ذلك ... نعم سيغفر لنا ويصفح عنا ... » ثم استدارت نحو الشيخ النبيل وقالت له :

— « أبتاه ! أخليق بك أن تجعل للخوف والشك في صدر ابنتك موضعاً ومجالاً ؟ أخليق بك أن تدع الرعب يلاطم الأمل في فؤادي ، وتترك الريب يزاحم الثقة في قلبي ؟ أبتاه ! اصنع بابنتك ما تشاء واعف عن هذا الغلام ، فأنا التي أمنته وشجعته على هذا اللقاء ! »

ولكن البارون الشيخ وقف ثابت الركن شامخ الأنف ، أصيد مهيباً ، وقور الجانب ، محصن النفس من كل ما عساه يهجم على القلب من دواعي الحنان وعوامل الرحمة . وكان عدا ذلك المظهر قوي الصوت ، سديد النظر ، ساكن الأوصال — وهي علائم ضمير ليس بالساكن ولا الهادئ — وكذلك جعل يرنو إلى ابنته ولا يجيبها ، ثم التفت إلى آشلي وكان الدم في وجنة الفتى يذهب ويجيء ، وقد قام متأهباً للحملة على من عسى يلبي دعوة الشيخ من خوله وجنوده وعسسه وأحراسه . وكانوا جميعاً أشداء ذوي بأس وأسر متين

وقال البارون كرة أخرى: ضع سيفك ياغلام، فقال الفتى : لا ! ما دام هذا الساعد مطلقاً ! فابيضت وجنة الشيخ ، لا رهبة ولا فزعاً ، ثم استخرج من نطاقه مسدساً فقال : « على رأسك إذن دمك ! » ثم أقبل يتأمل الزناد فألفاه صالحاً حديث العهد بالقدح ... وبعد ذلك أقبل يهيئه للرمية القاضية . . . وكان لتلك التهيئة صليل يخشى وقعه في الأذن وهو نذير الردى . تهيأ الشيخ للإطلاق، ولو أطلق لوقف شيئين معاً: حياة اللورد الشاب عاشق كريمته، وبراعة المؤرخ، كاتب هذه الأسطر[1]، ولختم شيئين معاً: عمر الفتى وقصتنا التاريخية ، ولكن هيلدا وهي أشد من أبيها عناداً وأنفذ صرامة وأصعب شكيمة ، ألقت بنفسها دون الغلام وصاحت :

(١) أي المؤلف سير جون وارد

« إذن إلى كبدى فلتسددن سهمك أو قذيفتك النارية ، فتلتق جذوتان ![1] . فإنها خطيئتى لا خطيئته ، وما كان مجيئه هذا القصر عمداً ، وإنما طوح به إليه القدر ، بعد المعركة التى خرجت منها ظافراً ، وأوردته صروف الزمان . وقد أعطيته ذمتى وعهدى ، وما كنت قط للعهد بخافرة ولا للوعد بمخلفة . وإنى لأحبه فوق ذلك ، وأفديه بنفسى وأقيه بمهجتى ... إننى يا والدى أعرف صرامتك ، وأردت أن أعرفك صرامة ابنتك ، وإن وراثتنا لا تكذب ، والدم الذى يجرى فى عروقك وعروقى لا يخون ! »

لقد كانت الفتاة منذ لحظة كلها رحمة ورقة ولين وطفولة بريئة ونعومة طاهرة ، ساجية الطرف ، خافقة الأحشاء ، فإذا هى كلها جرأة وإقدام ، راسخة الوطأة ، سامية النظر ، كأنها قدت من الصخر الأصم أو هى الطود الأشم !

وكانت هيلدا بريكفيلد بارونس أوف كليرمونت مديدة القامة ، فأتلعت وتطاولت تعالياً وخيلاء ... وصادمت لحاظ أبيها من لحظاتها بما هو أشد وأقسى ، ولكنها لم تمد يداً لمنع الشيخ مما ظل يحاول ، لأنها لم تخف عادية الردى ، كأنها ترتاح لطارق الموت وتهش للأجل المتاح ، وجعل الوالد ومن ولد يتبادلان النظر . فما كان أعجب قرب الشبه بينهما ، يا لهما من أسد وفلذة كبده !

وتوقف البارون برهة ، ثم رد سلاحه إلى نطاقه ، ولكنه وقف يقذفها بنظراته كأنما يريد أن يفضى ببصره إلى مخبآت ضميرها ثم قال :

ما أنا[2] من أراد بهذا الغلام سوءاً ، وما أنا من جلب ما قد ترينه الآن من الشر والأذى ، وقد يندر من يصاب بمثل ما نالنى من انتهاك الحرمة والغدر فلا يسفك دماً ولا يزهق نفساً بيد أنى سأفعل الواجب وإن أخللت أنت به وأشأت أداءه . فليلقين حسامه وإلا ورأس أمك لأدعن رأسه على هذه الأرض تثب وتتدحرج وتصبغ الصخر باللون القرمزى[3]

ثم رفع البارون بوقه إلى فمه فنفخ فيه ، وإذا ببوق يجيبه من خارج القصر ودخل عشرون رجلاً مدججاً يعدون مسرعين على رأسهم قائد وصاح البارون « اقبضوا على الغلام أو اذبحوه .

واجتذب الشيخ الفتاة إليه بأسرع من لمح البصر وحال الجند بينها وبين حبيبها فجاهدت عبثاً أن تتملص من قبضة أبيها. وكيف وقد كان التفاف ذراعيه حولها كالتفافة الأفعوان؟ وشد الجند على لورد آشلى شدة فارس واحد . ولكن آشلى حمل بالسيف على أولهم فشق كتفه وألقاه يتخبط فى دمه ، وعلى الثانى فشج وجنته . أما الثالث وكان سيافا حاذقا فقد جعل يروغ من ضربات قرنه اللورد الشاب حتى أصاب غرة منه فضربه فجندله صريعاً ينضح دماء من طعنتين إحداهما فى الذراع والثانية فى الرأس ، ثم غلوه حيث خرَّ وأخذوه من الحجرة وأومأ لهم البارون الموتور أن امضوا به إلى الساحل حيث كانت سفن ترحل وتبحر فأودعوه زورقاً وأعملوا المجاذيف حتى بلغوا السفن ، وكانت منضودة صفاً فوضعوه فى إحداها . أما الفتاة بعد أن رأت حبيبها جريحا أسيراً ، فقد غشى عليها ، وما زالت فى ذبول ونحول اثنتى عشرة ليلة ثم أسلمت الروح بلا أنة ولا زفرة .

محمد لطفى جمعه

(١) جذوة كبدها ونار الرصاص .

(٢) فى الأصل Not I Who

(٣) لون الدم

فى الأقصـــر

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

لا أظننى أسترسل فى عزّة تأخذنى بالباطل إذا قلت : إن الأقصر يجب أن تعد بحق فى طليعة المشاتى العالمية العظمى ، فسماؤها دائمة الزرقة ، وشمسها الساطعة التى تضفى على الأجسام أبراد الصحة والحياة ، ونسماتها المنعشة المحيية ، وزروعها الخضراء التى لا يكفى الخريف نضرتها بصفرته الذابلة ، ونيلها السعيد المنساب فى أحشائها يوزع عليها هدايا الخصب والبركة ، وواديها الحافل بمقابر الملوك والملكات والأمراء والنبلاء ، ومقابرها التذكارية التى تجلى الانسانية فى مثلهـا العليا ومبادئها السامية ، وأطلال هياكلها الأثرية ، بل قصورها الخالدة التى تقوم إلى اليوم وسط مبانيها الفخمة والمتواضعة ، وتتيح لها اتخاذ اسمها الحاضر الأقصر (القصور) — كل هذا أو بعض هذا يجعلها محط رجال أهل الفضل والثقافة والنبل ، يسعون إليها من مختلف الأقطار على أخفّ من جناح الطير . ولقد تسنى لى فى الأسبوع الماضى أن أتعرف إلى نخبة من هؤلاء الأعلام ، وأن أضع جانباً من وقتى واهتمامى بين يدى فتاة غربية نابهة تعنى بدراسة أحوال هذه البلاد وتتغنى بأمجاد تاريخها وبدائعها ... على أن أروع الصور وأوقعها فى النفوس لا تكاد تستغنى فى استتمام جلالها عن الظلال القاتمة والألوان الغدافية ، التى تمسّ أوتار الألم المتنبهة أبداً فينا ، فقد عرض لى أثناء تجوالى مع هذه الرفيقة الفضلى ما ضاقت له نفسى، من شؤون دعتنى إلى تحريك قلمى اليوم للفت نظر من بيدهم الأمر،رجاء معالجتها استكمالاً لأسباب المجد الجدير بهذا المشتى عرض الأثرى الخالد كيلا يشيح عنه قاصدوه ، ويروا أن ما عانوه فى سبيل الوصول إليه كان ضرباً من العبث المبين والجهد المستطير ، وتنزيهاً لنا عن الانحطاط الذى رسختْ نسبته إلينا فى أذهان أهل الغرب ولا يصح أن نبقى فيه متورطين ، ولا سيما بعد أن أبدتْ صاحبتى إعجابها بمظاهرنا كلها التى تشهد بأننا قوم غمسنا فى الترف ، وحظينا بالنعم ، ونهجنـا الصراط السوى فى التضامن والتكافل والكرم ، بفضل ما تدره علينا بلادنا الخصبة . وقد سألتنى يوماً عن أحياء الرعاع عندنا : هل فيها من مظاهر العوز ما تطير لمرآه القلوب ، ويرسل فى نواحى النفس جميعها لدغاً مؤلماً مسرفاً فى الإيلام ؛ فلم أخفِ عنها أن بالأقصر أحياء فقيرة كغيرها من بلاد الله، وإن كنت قد ذكرت لها أنها لا تخلو من جماعات أهلية وحكومية ، تنظم الخير ، وترعى المعوزين ، وتعلم صغارهم تعليما إلزامياً وصناعياً بالمجان ؛ وذكرت لها فى غير تبجح ، أن قلوب أهل هـذه الربوع الوادعة التى لا تزال محتفظة بغرارة الفطرة السمحة المتآخية هى منازل للرحمة ومواطن للسخاء . ثم سألتنى عن التسول وعما إذا كان مباحاً، فَوجمْتُ وقد أسرع إلينا أصحاب الأجسام المشوهة ، والعيون الذابلة القذرة ، والثياب الرثة المهلهلة . وأشهد الحق أنى ما كدت أراهم حتى ذبت خجلاً، إذ كانت العربة قد وقفت بنا فى تلك اللحظة أمام معبد الأقصر الأزلىّ ، القائم على شاطئ النيل فى أجمل أحياء المدينة وأغناها ؛ وغضضت بصرى وخشيت أن أرفعه نحو صاحبتى وهى لا ترى تجاه العظمة الماثلة أمام أعيننا ، سوى تلك الأيدى الممتدة بذل السؤال لتنقض ما شاهده القوم من مكرمات . ولو كنتُ من أرباب السيادة والسلطان لاتخذتُ كل الطرق الفعالة للقضاء على التكفف، ولكن قلة عدتى تضيق على دائرة نفوذى، وإن كانت لا تمنعنى التوجه إلى أولى الشأن بالحاحى أن تعزز القوات لمعاونة أولئك الشحاذين المساكين ، فإنا لو ذكرنا أن رقىّ المجموع إنما يحسب بقدر تعدد مطالب الفرد، لرأينا أننا أبعد الأمم عن الرقى الصحيح . ولا ينتشر التسول فى محيط إلا كان دليلاً على أثرة الأقوياء الأثرياء ، ومقياساً لخسة مطالب الفقراء التى لا تتعدى ما تجدّ العجاوات فى طلابه لسدّ الرمق . وإنها لإحدى الكبر أن يسجل أهل بلدى المطوفون الأسخياء على ذواتهم ما تستتبعه غفلة إهمالهم ، وهذه طلائعه تظهر فى الجهة الواحدة بؤساً وفناء وتقلصاً وتهديماً، وفى الجهة الأخرى نمواً وازدهاراً وانبساطاً فى رحاب النعم ، فلا يَكْمل سناء هذا إلا باستكمال تضاؤل تلك

ثراء وبؤس كيف يلتقيان؟ مقيلاهما فى القلب مختلفان

فليسمحوا لى أن أنبههم إلى تدارك هـذا الأمر الخطير ، وليعلموا أنى بالحاحى فى وجوب السهر على منع الشحاذين من الانتشار فى أحياء المدينة لا أبغى أن يحرموا عطفاً يخولهم إياه

بؤسهم . وبأى حق يحرمونه والأزمة عضود ، والأيام جديبة ، وأولئك المفلوكون أحوج للعون وأجدر بالساعدة ؟ ولكنى أرجو أن يتوسلوا إلى ذلك برشاد الرأى واستخدامه لوضع كل شيء فى موضعه . وليعلموا أن خير وجوه الإحسان زيادة البذل من المال فى سبيل تخفيف الألم العام وتنمية روح الحق والصلاح والتهذيب ، وتوجيه النفوس إلى حياة العزة والكرامة ، فلا تعيش للكسل والخمول اتكالا على كرم المحسنين

هذا ولا بدَّ لى هنا من الإشارة إلى ما حدث فى اليوم التالى حين رافقت صاحبتى إلى « وادى الملوك » فقد تجمهر حولنا صغار السائلين المتفين وتتبعوا خطواتنا ، وكادوا يلزموننا أن نعطيهم شيئاً من النقود . ولعمر الحق أن دموعى تنهمر غزيرة إذ أذكر أولئك الأطفال المحرومين متاع الطفولة المقيمين فى منازل الشقاء حيث تقيم الحاجة بجانب الجهل ، ويقطن الذل فى جوار القنوط ، الذين يعيشون على الجانب الأيسر من النيل ، فى تلك الأكواخ الحقيرة ، المنثورة حول مدافن الملوك الغر الميامين ، لجراح عميقة فى جسم كياننا الاقتصادى والعمرانى ، ويموتون مهملين . لهف قلبى على تلك الزهرات الأنيسة التى تذبل فى ظلام الحاجة والجوع والإهمال ! ونحن نمرُّ بها على الجانب الأيمن ، الجانب المعمور بمدارسه دون أن نعيرهم التفاتاً . ومَنْ ذا الذى يَستطيع أن يدرك كنه القوى الكامنة فيهم ، التى لا تدركها النجدة والثقافة لتبرزها إلى الوجود عظمة ومجداً وفضلاً ونبلاً

إن أيديهم التى تبسط اليوم فى ذل السؤال ، ستبسط فى الغد للسطو والنهب ، إذا لم يسعفها التهذيب الصحيح ، ويجعلها أمينة للغد ، نشيطة عاملة لرقى البلاد . ولقد جابهتنى صاحبتى ببؤس هؤلاء الصغار ، وتدفقت فى الدفاع عن حقوقهم ، ودهشت كيف تتقاعد الحكومة عن رعايتهم اللازمة ، وقالت : إن الأطفال فى جميع بلاد الله يقطعون مرحلة التعليم الأولى مجاناً ، ولو ذهبت تلك البلاد فى أحضان العزلة والريف . وإنى وإن كنت أضم صوتى إلى صوتها فى وضع احتياج أولئك الصغار أمام من بيدهم الأمر ، لا أقصد رجال الحكومة فقط . ومن السفه أن نوجه نظرنا إلى الحكومة فى كل شئ ، ونطلب منها أن تخلق خلقاً جديداً . وليس من شأن الحكومات أن تفسح للناس القادرين سبل العمل ، فيسعون بكل وسيلة صحيحة لرفع الصغار والفقراء ، إلى مستوى يتعاضد فيه الجميع ويتناشدون ، متعاونين على حب الحياة ، ومراعاة المنفعة العامة

بقى أنى لا أستطيع أن أختم كلمتى اليوم قبل أن أضمنها أمرين تفزعت لهما صاحبتى . أولهما الصياح الذى اختص به باعة التحف الحديثة التى يصوغونها على طراز العاديات الأثرية ، وإلحاحهم فى عرضها علينا ، وإمعانهم فى إظهار ما كانوا يظنونه فى أنفسهم من المقدرة على أن يبتزوا منا ثمنها ...

أما الأمر الثانى فالقسوة التى يبديها بعض حوذية المركبات فى إعنات خيلهم وانهيالهم عليها بسياطهم ، حتى لقد حسبت أن بلادنا ينقصها فرع لجمعية الرفق بالحيوان ، وسألتنى إن كانت الحكومة تشرف على أعمال هذه الجمعية ، فأجبتها بالايجاب ، ودللتها على المكان الذى تدار فيه شؤونها ، وعلى مناهل الماء التى أعدتها لتخفيف وطأة الظمأ على السائمة وتكليف رجال البوليس بحمايتها من القساة الذين لا يكثر وجودهم بين الزارعين المرابعين المشهورين بعطفهم على ماشيتهم ، وتعلقهم بها تعلق الوالد بأولاده المحبوبين .

فسرى عنها وقالت وفى عينيها بريق اللجاجة والحنان : « ولكن رجائى إليك أن تحمسى رجال البوليس للتشديد على الحوذية الذين يضربون خيولهم العزيزة المسكينة بغيرمسوغ » .

وإنى لعلى ثقة بأن الخير الذى وعدتها به ستحققه همة أولى الشأن من الحازمين

الزهرة



العالم اليوم

للدكتور محمد محمود غالى

تقدم الرسالة إلى قرائها الدكتور محمد محمود غالى محررها العلمى ، وهو يحمل ألقابا شتى فى الطبيعة والرياضة ، أهمها دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية بأعلى درجات الشرف من السوربون، وهي أسمي ألقاب الامتياز العلمية التى تمنحها جامعة باريس . وهذه الدرجة لكلية العلوم كالاجريجاسيون لكلية الحقوق ؛ والدكتور غالى أول مصرى نال هذه الدرجة . وله أبحاث قيمة أنفقت عليها السوربون ومعهد باستور مبالغ طائلة ، ولعلنا نعود إلى شرحها فى فرصة أخرى . وهو يرسم إلى قرائه فى مقال هذا العدد المنهاج الذى سيسير عليه فى عرض الحقائق العلمية والتطورات الفكرية . والرسالة وقراؤها يغتبطون كل الاغتباط بانضمام هذه الثروة العلمية العظيمة إلى ثرواتها الأخرى التى تنتجها العقول الجبارة فى كل باب

(المحرر)

يا ترى هل نستطيع أن نرجع بخيالنا إلى أول عهود الإنسان لنتصوره فى حالته الفطرية وحياته البدائية ؟ — إن القردة اليوم لا تحاول فى غاباتها أن توقد ناراً ، وهى مع ذلك تتناسل وتستنشق الهواء الصافى وتمرح بين الغدران والجداول تطفئ ظمأها، وتختار من صنوف الطعام ما يشبع جوعها ، ومع ذلك فإن لنا أن نتصور أننا كنا مخلوقات لا تفوقها فى الإدراك ولا تزيد عليها فى المعرفة. ومهما رجعنا إلى التاريخ المنقوش على الحجر الصلد أو المسطور على أوراق البردى، فمن البدهى أننا لا نصل إلى تحديد الزمن أو الحالة التى كان عليها هـذا الإنسان البعيد ، بل نصل إلى تاريخ قريب لا يتجاوز مائة من القرون ، فنرى إنساناً قديماً فى مداركه عريقاً فى معارفه ، وأن الطوبة وقد اخترعها أمحوتب مهندس زوسر بانى هرم سقارة (إذا كان هو مخترعها حقًّا) تدعو للإعجاب . وكيف لا نعجب له حين عرف أن يشيد من اللبن أو الحجارة أشكالاً منتظمة وأشكالاً ذات طول وعرض وارتفاع فيها كل هندسة أقليدس ؛ أشكالاً استعملها فى بناء سقيفة من الطوب أو حجرة تقيه الشمس إذا اشتدت ، والبرد إذا قرس ، والمطر إذا انهمر

إذا رجعنا بالخيال إلى هذا الحد ، ووصلنا بالتفكير فى هـذا النوع من الإنسان مهما بعد فى الزمن ، نستطيع أن نعتبر أن اكتشافه للنار واستعماله إياها كان خطوة واسعة فى سبيل تغيره وتقدمه ككائن بات يختلف يوماً بعد يوم عن الحيوان ؛ فهو إن شابهه فى أنه مخلوق له جسم يقاربه وحواس تشبهه ، يولد ويعيش ويموت، ولكنه يمتاز عنه بشىء كثير من الروية والاستفادة بتفكيره

إذا رجعنا بخيالنا إلى هذا المدى علمنا أن اكتشافه هذا كان خطوة هامة فى سبيل المدنية ومقدمة لسلسلة من الاكتشافات التى نعتبرها اليوم ميراثنا العلمى ، هـذا الميراث الذى ساعد اختراع المصريين للكتابة على الإفادة منه على ممر السنين، والذى تضخم باختراع الأوربيين للطباعة حديثاً والصينيين قديماً حتى بلغ العلم من الاتساع والتقدم حداً أصبح من الصعب معه على كائن أن يستوعب ناحية واحدة منـه ، هذا الميراث العلمى عظيم إلى درجة يبعد معها أن تقضى عليه الحروب بين البشر

لقد حاولنا فى السنين الأخيرة أن نستعرض هـذا الميراث العلمى وندرس نواحيه ونقف على ما حدث فيه من تطورات لنعرف مداها ونستخلص المهم فيها ونستنتج من تتبع هذه النواحى شيئاً عن آمالنا فى المستقبل، ولعل هناك أمراً واضحاً نتفق عليه وهو الدور الخطير الذى لعبته العلوم الطبيعية فى التطور نحو النور والمعرفة؛ فبينما سارت العلوم الزراعية والجيولوجية والطبية والبيولوجية وغيرها بخطوات متزنة معقولة ، إذ بالعلوم الطبيعية قد طفرت فى نصف القرن الأخير طفرات جديرة بالإعجاب . ولو أن أحد أسلافنا دبت فيه الحياة مرة أخرى فدخل أحد منازلنا فربما لا يبلغ تعجبه

من تنسيق حديقة المنزل أو ما به من أثاث كما لا يعجب مثلاً بنوع الفاكهة التي تقدم إليه ، بقدر تعجبه من الراديو أو التليفزيون لأن تميل الزهرة إلى الحمرة أو الخضرة ، وأن يكون لها العبير الذى نعرفه أو لا يكون ، فلا يخرجها كثيرا عن عهده بها

ولأن يكون المقعد من الخشب أو معدن الكروم أو من الحجارة أو من المواد الجديدة فى الصناعة التى تشبه الزجاج وتفوقه بقابليتها للانحناء والالتواء لا يخرج لنا فى النهاية سوى مقعد للجلوس قد لا يفوق مقعد توت عنخ أمون الذى يشعر نفوسنا حين نراه الآن فى المتحف المصرى بما كان يشعر به النفوس منذ آلاف السنين من التنسيق والجمال والجلال

أما أن ننتقل من مصابيح النفط والشمع إلى الكهرباء ، ومن الخيل والحمير إلى القطار ، ومن القطار إلى السيارة — أما أن تعلونا طائرة ونسمع فى مصر أوبرا من فينا وموسيقى من باريس ، أما أن نرى قريباً ونحن فى القاهرة شقيقاً بالأسكندرية أو بأقاصى الصعيد فإن هذا يدعو إلى الدهشة ويدفع بنا للتأمل

هذه الخطوات وغيرها نتيجة للعلوم الطبيعية التى بدأت فى الماضى عهداً مجيداً باكتشاف النار . وفى الحاضر عهداً جديداً باكتشاف تهدم المادة (Desintearation) وتحولها إلى طاقة أو إشعاع

وإنما نوهت بهذين الأمرين : اكتشاف النار قديماً ، وتهدم المادة وتحول العناصر بعضها إلى بعض حديثاً ، لأنى أريد أن ألفت النظر إلى أن اكتشاف بكارل فى سنة ١٨٩٦ لخواص الإيرانيوم الإشعاعية ، واكتشاف مدام كورى وقرينها بيير كيرى فى سنة ١٨٩٨ لخواص الراديوم ، يعدان اليوم فى التفكير الحديث خطوة لها من الأهمية بالنسبة للانسان القادم ما لاكتشاف النار للانسان الأول ومعرفته لاستعمالها .

وعند ما يتاح للبشر الانتفاع أكثر مما ينتفع اليوم بالظواهر الجديدة الخاصة بتهدم المادة يتغير استعمالنا للأشياء ، فلا يقتصر استعمالنا للخشب أو الحديد على صنع المقاعد أو بناء القناطر بل يتعدى ذلك بكثير ، وعندئذ يظل اسما بكارل و كورى على رأس العهد الجديد مثلا أعلى فى أقصى ما وصل إليه الإنسان فى المعرفة .

هذه المقدمة تبين للقارئ شيئاً عن اتجاه الكلمات التى تتفضل الرسالة بنشرها لى فى هذا العام ، فهى ستتناول ناحية العلوم الطبيعية واتصالها بالتفكير والتقدم . وقد وقعت أول الأمر فى نوع من الحيرة ، بخصوص اختيار الطريق الذى أسلكه لأجتذب عدداً كبيراً من أهل الشرق إلى تتبع هذه الكلمات ، عسى أن يجدوا فيها شيئاً من الفائدة والتجديد ، وللقيام بهذه المهمة طريقان . إما أن نتكلم عن الاتجاهات العلمية الحديثة التى سيكون لها أثر فى أعمال الإنسان ، وأعنى بها الاتجاهات الطبيعية والفلسفية ؛ وإما أن نتكلم عن النتائج الفعلية والعملية التى كانت نتيجة للاتجاهات العلمية الجديدة . ولا شك أنه حسب اختيار إحدى الطريقتين يتغير كلية نوع الأحاديث . ولقد انتهيت إلى ضرورة التحدث فى الأمرين معاً ، فتراني فى الوقت الذى أصبحت النظريات الطبيعية الحديثة تمشى بخطوات سريعة ، وتسيطر على شتى العلوم والمعارف ، أصور فى هذه الكلمات الموجزة أهم هذه الحوادث ، وأصف — حسب فهمى — الكون الذى نعيش فيه ، وأقدم لمتناول قراء العربية تقريراً عن المهم من الوقائع العلمية الحديثة ، مستعرضاً الحقائق الرئيسية فى العلوم الطبيعية وما يتصل بها من الانتصارات التى قلبت اليوم أوضاع العلم والمعرفة

وفى الوقت الذى أطمع فيه أن أستعرض من صورة العالم معالمه الرئيسية أرجو أن يسمح لى بذكر كلمة عن غرضى ، وعن الفكرة التى أوحت إلى بهذه المقالات ، وعن الخطة التى سأتبعها لكى نتصل معاً بأهم ما يشغل العلماء اليوم

إن الأبحاث العلمية وما يتم فيها كل يوم لا يمكن أن تكون موضع عناية الناس عامة كما يعنى بها العلماء الذين يهبون أوقاتهم للبحث العلمى . فالعالم يعنيه ما يستجد كل يوم من إضافة ، إذ أن هذه الاضافة يتوقف عليها توجيه الأعمال التى يرجو الوصول إلى نتائج جديدة فيها . أما الآخرون فإن أوقاتهم مقسمة طول اليوم بين عملهم البعيد جدا عن المسائل العلمية ، وبين فترات من الراحة لتجديد نشاطهم فى المنزل بين ذويهم أو فى الخارج بين إخوانهم . فالطالب فى كليته ، والمدرس فى مدرسته ، والعامل بين الدينامو والموتور فى مصنعه ، والمحامى بين المحكمة ومكتبه ، وساعى البريد انتهى من عمله وخلع محفظته والموظف والتاجر والضابط والقاضى وكل أصحاب الأعمال والمهن يصعب عليهم أن يجدوا متسعاً

من الوقت لتتبع الحوادث العلمية وما يجد فى طياتها من تغييرات .

ماذا يقدم العلم لهؤلاء الذين تمتصهم الأعمال المادية حتى يصبحوا جزءاً منها ، والذين لم تواتهم الفرصة للتعود على التفكير العلمى الحديث وتنسم أخباره ؟

فى كل هؤلاء فكرت وتساءلت : هل نستطيع أن نُعبِّد لهم سبيل الارتياح لهذه العلوم ؟ وهل من الممكن أن نشرح نظاماً مثل الذى أصبحت عليه العلوم الطبيعية الحديثة ؟ هذه العلوم الغارقة فى الرموز الرياضية التى بلغ التوسع والتسلسل فيها مبلغاً أصبح معه تتبعها عسيراً حتى على الاخصائيين ؟ هل من السهل تبسيط العلوم الطبيعية التى أصبحت اليوم المفتاح لمعظم التطورات العلمية وما يتصل بها من توجيه جديد لفكر البشر ؟ هل من الجائز أن نشرح هذا لاخواننا الشرقيين فى سلسلة مقالات بالرسالة فنشترك معا فى أعظم ما وصل إليه الإنسان ؟ إنى لأرجو أن يكون النجاح حليفى فى ذلك ؛ وإنى لأشعر بشئ من السعادة والحماسة فى القيام به

أولا : لأننى أميل لهذا النوع من الدراسة الخاصة بالعلوم فمن الطبيعى أن أستطيع أن أحمل فريقاً كبيراً من القراء ليتتبعوها ويميلوا إليها

ثانياً : إننى سعيد أن أوفر على القارئ عناء كبيراً فى مطالعة موضوع بات من أصعب الموضوعات العلمية وباتت رموزه للشخص غير المشتغل بهذه العلوم كالحروف الهيرغليفية لمن لا يعرفها

ثالثاً : إن تمرين الفكر على مسائل صعبة وتتبع هذا النوع من التبسيط له أثر آخر فى تكييف حياة الإنسان وتفكيره فى المسائل الأخرى التى لا تتصل بالعلم وتتصل بحياة الفردية

رابعاً : إننى بذكر بعض التطبيقات العملية للعلوم الطبيعية قد أفيد الكثير ممن يلجأون لهذه التطبيقات لمنفعتهم الشخصية . خذ مثلاً ما يمكن أن تحدثه العين الكهربائية اليوم من التَّفَنُّن فى وسائل الإعلانات التجارية مما لم يُطبق لهذه الأغراض فى مصر ولا يعرفه أصحاب المحلات التجارية حتى الآن فى الشرق عامة ...

خامساً : إننى قد أصل إلى حمل بعض المشتغلين بالعلوم القديمة وبالطرق العتيقة على العدول عن طرائقهم؛ مثال ذلك أولئك الذين يضيعون أوقاتهم سدى فى طلب تحويل الرصاص إلى ذهب والذين يؤملون مثلاً إيجاد نوع من الحركة الدائمة

أما غايتى الأساسية فهى الثقافة العامة . غايتى أن أجعل من التفكير فى ناحية الفلسفة الطبيعية تأثيراً فى حياة الناس الخاصة ، أجعلك تقف على علوم أنت لا تعرفها وليس من السهل بمفردك أن تعرفها، ولا تكفيك السنون الطويلة الباقية من العمر لتستوعبها ، أجعلك تتعلق بمسائل غريبة عنك فلا تجدها صعبة عليك كما تجدها اليوم ؛ أوفر عليك الوقت فى أمور أصبحت أهم أمور العالم العلمى فأصبحت بهذا لازمة لك ؛ أزيد فى ثقافتك وذهنك وقدرتك على فهم العالم الذى يحيط بك

محمد محمود غالى

(الرساله) جاء مقال الدكتور الأول في ست صفحات فاضطررنا إلى تأجيل نصفه إلى العدد القادم



تاريخ الفن

للدكتور احمد موسى

— ١ —

لم يقتصر مجهود الجامعات والعلماء على تسجيل الحضارات عن طريق كتب التاريخ القديمة والحديثة بل وجدوا أنه لا بد لهم من الاستعانة بالإنتاج الفني في مختلف العصور ، إذ أنه المرآة الصادقة التي بها يمكن الوصول إلى نتائج حاسمة في تاريخ الحضارات والمدنيات

ولذلك كانت مهمة تاريخ الفن هي الاستعراض العلمي لتطوره على أساس التاريخ العام مع مراعاة أصول علوم أخرى أهمها علم الآثار Archaeologie وعلم قراءة المخطوطات والنقوش القديمة Balaeographie وفن الدراهم والمسكوكات Numismatik وعلم وصف التماثيل والأيقونات القديمة Phonographie وفن علامات وإشارات الأنساب القديمة Horaldik وغير ذلك مما لا يستند فقط إلى السرد أو التاريخ الذى قد يكون متحيزاً أحياناً إلى مبادئ معينة أو غايات مقصودة حيث تدعو الحاجة إلى صبغه بصبغة قومية أو سياسية بذاتها ، مما لا يفطن إليه إلا العارف الباحث فى أصوله

وإذا كان المسلك العلمى فى التاريخ العام هو تقسيمه إلى قديم ومتوسط وحديث ؛ فإن تاريخ الفن يرجع إلى نفس القاعدة رجوعاً كاملاً ، لما لها من فائدة التبسيط وإيجاد الرابطة بين التاريخ العام وتاريخ الفن

ويتناول تاريخ الفن القديم استعراض فن البناء (العمارة) وفن التمثيل (النحت) وفن الصناعات الدقيقة (الحلى وأدوات الزينة الرفيعة) استعراضاً يرجع فى أساسه إلى التقسيم الجغرافى فيأخذ فن كل قطر على حدة ويتبع فى ذلك أقدمية الحضارة .

وعليه فأول الفنون جميعاً الفن المصرى ويليه البابلى الآشورى والفارسى والهندى والصينى. هذا فى الشرق الأدنى والأقصى . ثم يأتى بعد ذلك الفن الإغريقى الهائل [1] ثم الفن الأتروسكى [2] والفن الرومانى والفن الإسكندرى

أما تاريخ الفن المتوسط فيتناول الفن المسيحى القديم والفن البيزنطى الذى كان له أثر ملحوظ فى كل البلاد الأوربية المتمدينة التى وجد فيها أثر للفن الرومانى والقوطى

هذا إلى جانب ناحية هامة فى تاريخ الفن المتوسط وهى ناحية الفن الإسلامى الذى ظهر فى أقطار متباينة وكان ولا يزال محافظاً على طابعه المميز

أما تاريخ الفن الحديث فهو كثير التشعب صعب التقسيم لتقارب الشعوب واتصالها الذى ترتب عليه انتقال الثقافة من أمة إلى أخرى وتأثير مدنية فى غيرها، ولاسيما فى الفن الألمانى فى عهد النهضة من أوله إلى آخره (القرن الرابع عشر (إيطاليا) والخامس عشر والسادس عشر) وما كان للفن فى تلك المرحلة من طرز مختلفة الوضع متشابهة الروح كما أن انقسام الفن إلى باروك Barock وإلى روكوك Rokok كان له أثره الهام فى الفن الحديث .

والإنتاج الفنى بعدئذ هو ما يمكن تسميته بالفن المعاصر

---

(١) راجع فى ذلك كله مجلدان الرسالة للسنة الرابعة والخامسة فقد بسطنا هنالك الكلام ووفينا البحث

(٢) الفن الأتروسكى هو فن الشعب الذى استوطن شمال ووسط إيطاليا قديما ، وقد ظهر هذا الفن حوالى عام ١٠٠٠ ق . م وازدهر بين القرنين الثامن والرابع ق . م

أو إن شئت فقل هو الفن الذى أدى إلى ما نلمسه الآن من الفنون المعاصرة ، سواء ما كان منها مدرسياً أو سائراً على الأسس المدرسية ، وسواء ما كان منها متجهاً إلى ما يسمونه الفن الرمزى والفن الوصفى والطابعى والاقتباسى .

وكان التقسيم المتبع فى الفن الفرنسى والفن الإنجليزى هو أن ينظر إليهما تبعاً للمراحل التى مرا بها ، ومميزات كل مرحلة منذ القرن السادس عشر ؛ ولاسيما أن هذه المراحل كانت تسمى بأسماء الملوك والحاكمين ، وهذه ظاهرة اختص بها هذان الفنان دون غيرهما .

وإلى جانب هذه الفنون الحديثة فنون شرقية حديثة أيضاً سارت فى طريقها بعض الشئ وتطورت تطوراً مخالفاً لسابق فنونها ، ولكنها مع هذا ظلت محافظة على طابعها الشرقى المميز . هذه الفنون هى الفن الهندى والفن اليابانى والفن الصينى ، التى لم يكن المؤرخ الفنى يُعنى بدراستها دراسة علمية إلا فى العصر الحالى

أما مهمة تأريخ الفن نحو هذه الفنون جميعاً فهى تكاد تكون نفس الدراسة المرتكزة على قواعد مشابهة لتلك التى اتبعت فى تأريخ الأدب فى العصر الأخير . وبذلك أصبح التأريخ الفنى والنقد الفنى والتسجيل الفنى علوماً قائمة بذاتها لها أصولها وقواعدها .

ولتاريخ الفن قصته ككل علم آخر . فقد شملت كتب القدماء ما يهم المؤرخ الفنى إلى حد كبير ، فكتاب التاريخ الطبيعى لبلينيوس Plinius [(١)] وكتاب الرحلة لبوزانياس Pausanias [(٢)] اشتملا على بيانات وإيضاحات كثيرة وأوصاف مسهبة عن الفن فى العصر القديم ، ولكنها كانت أقرب إلى مجرد الرد مع اشتمالها على أسماء الفنانين ووصف ماتم عمله على أيديهم دون نقد فنى

أو دراسة ذات غاية ، كما خلت من بيان شاف لتطور الفن فى أية مدرسة أو مرحلة زمنية معينة .

ولوحظ أن هذا المسلك فى التأليف كان الغالب أيضاً فى العصر المتوسط ، فكل ما كتب فى شأن الفن وتأريخه لم يخرج عن وصف عام للمبانى الرائعة وما استنفده تشييدها من مجهود .

أما التاريخ الفنى بمعناه الحديث فلم يكن ميسوراً لأولئك ولا لهؤلاء بحال . ومنذ ذلك الحين بدأت الجهود الفردية تظهر فى الأفق رويداً رويداً ، ولا سيما بعد ما التفت المسافرون الراغبون فى المشاهدة والمعرفة ، وكذلك غيرهم ممن اشتغل بدرس اللغات القديمة ، إلى وجوب معرفة آثار الأقدمين والغاية من إقامتها وما تدل عليه وعلاقتها بالحضارة ، واتخاذها وسائل قيمة للتدليل على اتجاه معين فى الدرس والفحص

هنا بدأ تاريخ الفن فى الظهور والتطور العلمى . وكان أول أثر لذلك هو إيضاح ما كتبه الأقدمون وما تدل عليه كتاباتهم عن الآثار التى لم يكن الكثير منها موجوداً حيث كان القدم والإهمال وعدم الرعاية والتغيرات الجوية والمدنية قد طغى كل هذا على معظمها فكانت أثراً بعد عين

فاشتغل فريق من علماء تاريخ الفن بتفسير ما كتبه فيتروفيوس Vitruvius [(١)] على حين اشتغل فريق آخر بنبش القديم وتفسير الكتابات والنقوش التى وجدت على كثير من الآثار هذا من ناحية ، أما من الناحية الأخرى فقد قام فريق آخر بمعاينة آثار روما وبعمل رسومات هندسية ومساحية دقيقة عنها

ومهما يكن نوع هذه المجهودات والكيفية التى سار عليها أصحابها ، فإنه لا يمكننا أن نرجع المحاولات الصائبة فى مضمار تأريخ الفن إلى أبعد من القرن السادس عشر . ولعل أول من نعتبره فى مرتبة مؤرخى الفن هو فاسارى Vasari بكتابه القيم الشامل لتراجم هامة لرجال الفن فى إيطاليا Vite dé pin eccellente pittori, architetti e scultori italiana

وجاء بعده كارل فان ماندر بكتابه المدهش « المشاهدات » Schilderboek المطبوع فى هارلم سنة ١٦٠٤ وفى أمستردام سنة ١٦١٨ ، وكان أقل أثر يذكر له الدعاية للفن ولتاريخه ولتعريف الراغبين بعض الشئ عنه

---

(١) بلينيوس الكبير للتفرقة بينه وبين ابن أخته : كاتب رومانى ولد سنة ١٣ بعد المسيح فى كرمون ومات سنة ٧٩ عند ثورة بركان فيزوف وكل ما ألفه فى التاريخ والبلاغة والأجرومية فقد . ولم يبق له سوى كتاب على هيئة دائرة معارف فى ٣٧ جزءا Historia Naturalis ويشتمل على معلومات مستقاة من كثير من كتب الاغريق واللاتين فى التاريخ الطبيعى وفى غيره من المعلومات التى تهم المشتغلين بالعلم .

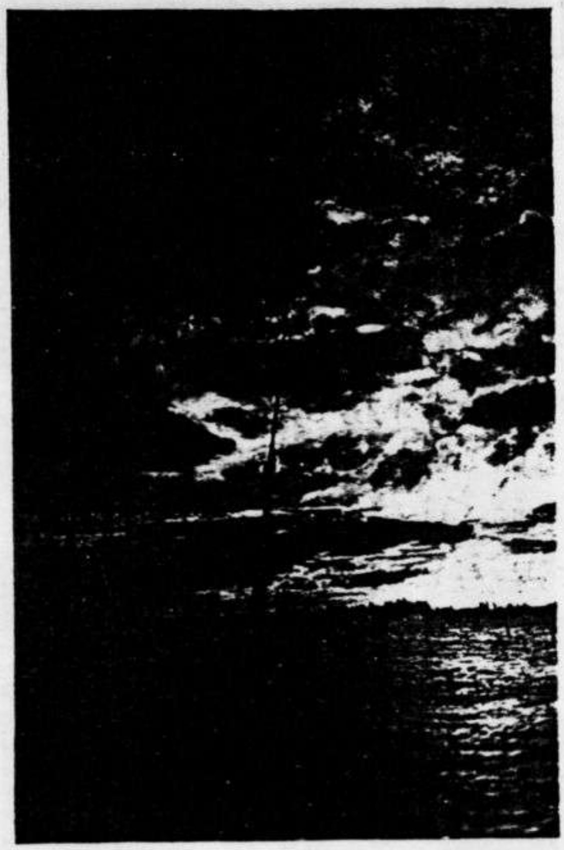
وهو إلى جانب ما فى كتبه من الفوائد الهائلة يعد المرجع القديم فى تاريخ الفن — راجع Kalkwann Die Quellen der Vunstgeschichte des Plinius Berlin 1898

(٢) بوذانياس الكاتب الاغريقى من مغنيسا بآسيا الصغرى سافر أيام هدريان والأنطونيين إلى بلاد الاغريق وآسيا الصغرى وسوريا ومصر ولوبيا وإيطاليا وألف كتابه الشامل لعشرة أجزاء بين سنة ١٦٠ — ١٨٠ بعد المسيح لجزء من هذه الرحلة Periegesis Hellados

وأهم ما كتب فى هذه الكتب وصف القطع الفنية الرائعة وهو إلى جانب بلينيوس أهم من كتب عن الفن — راجع Siebelis und Reichardt, Puasanias 9 Vols., Stuttgart 1827-28

(١) فيتروفيوس الكاتب اللاتينى والبناء الحربى فى حكم قيصر أوغسطس ، ألف عشرة كتب مهداة إلى أغسطس أوضح فيها كل شئ عن العمارة . راجع : ioit nrnaV vus,Rode, 2 Vols., Berlin 1800

وجاء هولاندى آخر هو آرنولد هوبرا كن بكتابه « الواصف الكبير » Groote Schuburgh فى ثلاثة أجزاء ، طبعت فى أمستردام أيضاً سنة ١٧٢٨ ، والتى كانت أساس دراسة الفن فى هولاندا كلها



معركة النور والظلام

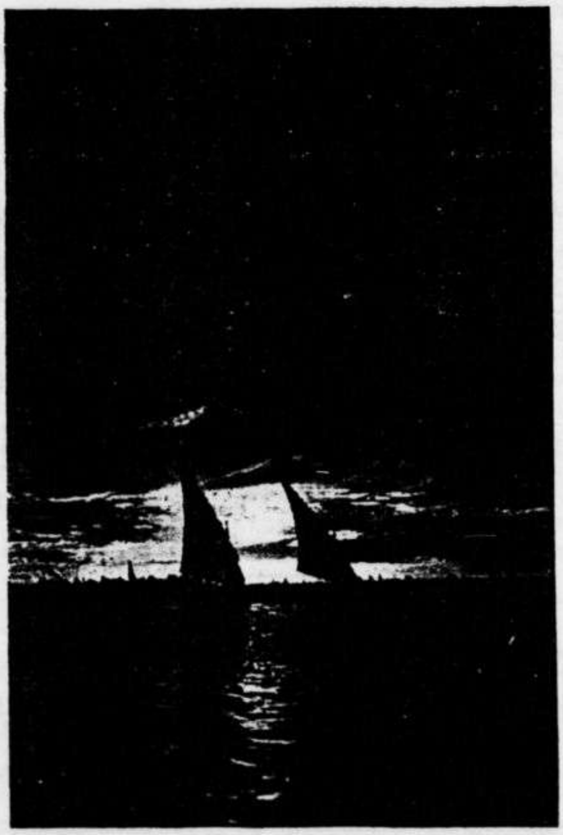
أما فى ألمانيا فقد ألف المؤرخ يواخيم فون ساندرت كتابه الباهر « أكاديمية العمارة والنحت والتصوير » المطبوع فى نومبرج سنة ١٦٧٥ — ١٦٧٩ للمرة الأولى . والذى كتب عنه كل المشتغلين بالفن من معاصريه كتابة ذات صفة علمية

على أنه من الضرورى أن نقول بأن الاشتغال بالتأريخ الفنى كان خلال القرن السابع عشر قاصراً فى الغالب على دراسة الفن القديم . هذا إلى جانب وجوب التنويه بأن بعض المشتغلين بتأريخ الفن وجهوا اهتمامهم إلى ناحية الفنون الصغرى الدقيقة كأشغال المعادن وما إليها من أدوات التحلية ؛ وقد ظهر فى هذا المجال كتاب قيم لبرناردى مونفا كو ، وهو مكون من خمسة عشر جزءاً طبع فى باريس سنة ١٧١٩ — ١٧٢٤ L'antiquité expliquée et représentée en figures طبعاً رائعاً وشمل الكثير من الصور الجيدة، وهو من دون نزاع أول مؤلف أوضح فى جلاء كل المخلفات فى العصر القديم ، والتى كانت ظاهرة للعيان فى تلك الأيام

وكان الفضل فى انتشار هذا المؤلف ورواجه راجعاً إلى كتاب آخر ألفه النبيل كالوس[1] Caylus وفيه أشاد بذكر هذا المؤلف فى كتابه Recueil d'antiquités (سبعة أجزاء طبع باريس ١٧٥٢ — ١٧٦٧)

وظل الحال فى ألمانيا على ما هو عليه منذ ساندرت إلى القرن الثامن عشر عند ما أخرج يوهان فردرش كرست وزميله جيزنر مؤلفهما العلمى عن الفن القديم . هنا انضم إليهما أهل العلم والفضل من مدينة درسدن الذين كانوا عاكفين على كتب الفرنسيين لأنها كانت الكتب التى يمكن الرجوع إليها فى ذلك الحين لعدم وجود غيرها (له بقية)

أحمد موسى



الاتساق ...

(١) كالوس أثرى فرنسى مولود فى ٣١ أكتوبر سنة ١٦٩٢ سافر إلى القسطنطينية سنة ١٧١٦ ومنها إلى بلاد الاغريق وإيطاليا والمناطق البحرية من لافنتا وعاد إلى باريس ١٧١٧ حيث بدأ تنظيم مجموعة تحفه وتفرغ لدراسة التاريخ القديم وعلم الآثار القديمة وأوقف نفسه على خدمة الفن والمشتغلين به من الناشئين

وكان عضو الأكاديمية للتصوير والنحت منذ سنة ١٧٣١ وأكاديمية المكتوبات القديمة منذ سنة ١٧٤٢ ، ولهما أوقف جائزتين خاصتين بكل منهما مات فى ٥ سبتمبر سنة ١٧٦٥ فى باريس



المــــرأة اليونانية

للآنسة زينب الحكيم

عنـد ما تفضل الأستاذ صاحب الرسالة الغراء بفتح « باب المرأة » في الرسالة ، حدث لحضرته هذا الصنيع الجميل ، واعتبرت بدء الرسالة عامها السابع المبارك إن شاء الله فألاً حسناً بالنسبة لعالم المرأة — الشرقية عامة والمصرية خاصة —

وسيكون ما يكتب في هذا الباب ، رسالة عالية تمس حياة المرأة من شتى نواحيها ، وفق ما تقدره وتفهمه من لحياة المرأة المثقفة التي نالت قسطاً عظيماً من التعليم العالي، وتلك التي تؤهلها مواهبها الطبيعية، واستعدادها الفطري للمبدأ ذاته . كما تجد فيه ما قد تتوق إلى قراءته في سرعة : من أدب رفيع ، وعلم مستساغ ، وشئون تمس حياتها ، بحيث لا يشغل كل هذا إلا جزءاً وجيزاً من وقتها الثمين

هذا ونرجو ألا يحرم ميدان المرأة هـنا في مجلة الرسالة التي امتازت من يوم أن أنشئت، بالأسلوب الراقي، والأدب الرفيع، من جولات سيدات مصر المثقفات ، حتى يبرهن أن في مصر كاتبات عالمات مثقفات

المحررة

كان من بين البلاد التي زرتها في رحلتي هذا العـام : بلاد اليونان . فإذا تحدثت عنها اليوم ، فإنما أتحدث عن بعض ما شهدته وخبرته بنفسي

فأول ما لفت انتباهي عند ما وصلت أثينا الشوارع الفسيحة المنظمة ، والأوتوبيس الكبير الطويل الأصفر اللون ، وكثرة الحركة في هدوء ، فترى الترام وأنواع المركبات القديمة والحديثة ، والسيارات ذات الأجرة أو الخاصة ، والناس — كل يتخذ اتجاهه في يقظة وهدوء ، ولا تزعجك أصوات السيارات ، ولا أصوات الباعة المتجولين ، ولا مشاغبات أولاد الشارع

وباعة الجرائد والمجلات ، والحلى الزائفة ونظارات التراب الخ لهم أكشاك خشبية نظيفة لطيفة ؛ موضوعة على مسافات متباعدة على الأفاريز

ومن أهم ما أعجبت به رجال البوليس باليونان ، ولا سيما الموجودون منهم في مدينة أثينا : هندام مرتب (بذلة رصاصية اللون ، وتزلك من الجلد الأسود حول الساقين) يعنون أشد العناية بالقيام بواجباتهم ، ويلحظون الزوار الأجانب باهتمام ورفق

استفسرت عن السر في هذا من وزارة السياحة ، فأخبرت أن رجال البوليس الذين في العاصمة، والذين هم في أماكن الاصطياف منتقون من أحسن الرجال وأحسن العائلات ، وهم متعلمون ، وأغلبهم يتكلمون لغات أجنبية (كالإنجليزية والفرنسية والطليانية) لقنوا كثيراً من الآداب العامة ، ويحسنون تطبيقها عملياً في معاملة السياح والناس عموماً . تصدر إليهم أوامر وتعليمات مشددة من رئيس البوليس ، وهو رجل مشهود له بالكفاية متمرن على هذا العمل من زمن طويل ، واشتغل في سراى جلالة الملك مدة

استطلعت رأى بعض السيدات في مقدار إقبال الأم اليونانية على إرسال أولادها إلى مدارس البوليس والتجنيد، فعلمت أنهن يفخرن أن يقوم أولادهن بهذا العمل الشريف . والإقبال على الكشافة عظيم ؛ ولقد يسر المرأة المصرية أن تعلم أن ليس باليونان أولاد متسكعون في الشوارع ، فإن المسيو متكساس رئيس الحكومة اليونانية أمر بانضمام جميع الأولاد المتعطلين والمتشردين إلى فرق الكشافة ، وهم يتعلمون بذلك النظافة والنظام ، وقضاء مصالحهم بأنفسهم ، وفي الوقت نفسه يكونون جيشاً يسير في سبيل النظام وحماية وطنه

الفتيات اليونانيات والكشافة

للفتيات فرق منظمة ، وزيهن هو الزى الكحلي اللون مع حزام أبيض رفيع وأربطة رقبة بيضاء، وأغطية الرأس نوع يشبه

الفيصلية العراقية لحلية اللون عليها دبوس ذهبي من الأمام

أما الأحذية فكانت صيفية منوعة . وحركات الفتيات والفتيان ليست على جانب كبير من الخفـة والأناقة ، عكس ما اتصف به رياضيو اليونان القدماء



أثينا : معناها « آلهة السلام وحامية العذارى » وقد أشير إلى هذا برمز فوق الاكروبول ، على شكل غصن زيتون . وقد صاغ تمثال أثينا « فيداس » من العاج والذهب الخالص . وقد وضع هذا التمثال الثمين في معبد بارثينون « Parthenon » على ربوة الأكروبول المقدسة

لا يمكن لزائر بلاد اليونان التغاضي عما يلحظه من سمات الجد على وجوه الناس هناك ، وتقدير الوقت ، حتى لقد يظهر على أجسامهم نوع من الإجهاد البدني والفكري في سبيل العيش ...

إذا سار الرجل في الشارع لا يحمل عصا من أي نوع في يده وإنما يحمل بعضهم السبح ، ولم يقع نظري لا في الصباح ولا في المساء على سيدة يونانية تسير وتصحب كلباً أو يتبعها كلب ، وإنما يذهبن مجدات إلى محال أعمالهن ، ويعدن نشيطات إلى بيوتهن..

قلما رأيت واحدة تلبس حذاء بكعب مرتفع في الطريق ، أو تتساهل في ارتداء ملابس لا تتناسب وكل وقت من اليوم ؛ ولم يقع نظري على واحدة منهن تساهلت في طلاء وجهها بإسراف ، وكثرة النساء اليونانيات ضنينات على العموم بأن يظهرن بمظهر الدمى أو الخلاعة

والمجتمع اليوناني المشترك هادئ ولا (يلعبون) النرد ولا غيره من ألعاب التسلية المزعجة في الأماكن العامة . وطريقة تحدثهم لطيفة ، يستخدمون أيديهم للتعبير أحياناً، ولكن بخفة وهدوء ، وقلما يخلو الحديث أو النقاش من نكتة مستحبة مضحكة ، ويقرأون الجرائد الخاصة وهم جلوس على المقاهي أو المطاعم أو في الحدائق العامة ، ولا يتطفل أحد منهم على جرائد الغير أو ممتلكاته

المرأة في حدائق زبيون

حدائق زابيون عبارة عن بساتين فسيحة تقسمها شوارع مرصوفة نظيفة ، وبها مطاعم ومقاه كبيرة ، وتحتوي على « سراي زابيو » نسبة إلى الأخوين زاباس اللذين وهباها للشعب بعد تأسيسها من خمس وخمسين سنة مضت . وبهذه السراي معرض دائم للصناعات اليونانية ، من صناعات خزفية وزجاجية منقوشة وملونة باليد ، وأقمشة حريرية وصوفية ، وأحذية وصور زيتية وخرائط بارزة وغيرها . وبالجملة يعطي هذا المعرض فكرة تامة عن صناعات اليونان الداخلية . وتقوم بالشرح فيه سيدة يونانية

لحظت أن رواد هذه الحدائق ، والذين يجلسون على مطاعمها ومقاهيها لاستماع الموسيقى من طبقة أرقى ، فالجمهور المشترك مرتب الهيئة ، مهذب العادات إلى حد كبير ، تجلس السيدات إلى جانب الرجال من أسرهن في وقار ، ويلفت أنظارهن جميعاً مرور الزوار الأجانب ولكن نظرتهم إليهم نظرة صداقة وارتياح .

والمجتمع كله هادئ لطيف المعاملة جداً ، بشوش الوجه ، قوي النكتة ، يغلب على أفراده اللون القمحي ، وتختلف الأنوف عن طراز الأنف اليوناني القديم ، بينما الذقن والفم ، والمنظر الجانبي للوجه لا تزال كلها تحتفظ بالطابع اليوناني الأصيل

وحركات هاته الفئة من السيدات وملابسهن أنيقة للغاية ، والملابس غالية الثمن جداً على بساطة نسيجها وزيها ، وكذلك القبعات والأحذية مرتفعة الثمن ؛ وبالاستفسار علمت أن سبب ذلك هو استيراد هذه الضروريات من الخارج ولاسيما من ألمانيا ، لأن المعامل الأهلية قليلة ، والصناعات الوطنية لا تزال بدائية فى الوقت الحاضر .

وصف هندام سيدة جلست أمامي

تلبس قبعة حمراء اللون من القش الدنتلا ، على شكل هالة من الأمام ، فى أذنيها قرط مستدير أحمر كلون القبعة ، وفى يدها اليسرى سوار ذهبي عريض به فصوص حمراء كبيرة أقتم قليلاً من لون القرط والقبعة

ثيابها من الحرير الجرسيه الأبيض السكرى ، متقن الصنع جداً . وحلى صدره زران ، أحدهما مستدير كالقرط ، والذى تحته لونه كحلى قاتم ، ويحلى أحد أصابع يدها اليمنى خاتم من لون الزر ؛ وحزام الفستان أحمر من لون فصوص السوار . وحذاؤها أبيض مخرم ، وقفازها من الدنتلة البيضاء ، وشعرها كستنائى يصل إلى خلف أذنيها

زينة وجهها بسيطة ومعتدلة للغاية ، فلا تعدو قليلا من الصباغ الأحمر على شفتيها (يضاهى لون القرط) وقليلا من البودرة على وجهها . وهى ربة منزل من أسرة كريمة ، يجلس تجاهها زوجها ، وهو أيضا أنيق الهندام ، يلبس بذلة سكرية اللون (يشبه السكروته الفاتحة) وحذاؤه أبيض مع بنى . ورباط رقبته أزرق سماوى فاتح جدا وبه نقوش بسيطة من الأحمر الفاتح والبنى الفاتح . أسود الشعر عريض الحاجبين ، صغير الشارب حليق اللحية .

يكون منظرهما حول المنضدة صورة متناسقة مهذبة .



أحد الأزياء اليونانية القديمة

فاذا صح أن هذا نموذج للأسرة اليونانية الموفقة فلا ريب فيه أنهما يتعاونان على الحياة المشتركة فى سلام واطمئنان دل عليهما ما دار بينهما من محادثات خاصة وعامة ، أثناء تناولهما القهوة ، والإصغاء إلى الموسيقى

« الحديث بقية » — زينب الحكيم



مهداة الى الأستاذ توفيق الحكيم

الجـــائزة

للأستاذ محمد سعيد العريان

« فى القرن الثالث الميلادى ، فى عصر الملك (دقيانوس) الوثنى الطاغية ، خرج من مدينة (طرسوس) فى بلاد الروم ، بضعة نفر من المسيحيين المؤمنين ، فراراً إلى الله بدينهم من بطش الملك ، ثم لم يظهروا ولم يعلم عنهم شىء . . . وكان منهم وزير الملك . . . ! »

(أهل الكهف)

... ومضت ثلاثمائة سنة ، ومات دقيانوس ، وقامت دولة على أنقاض دولة ، ورفرف السلام على المدينة التى تخضب ثراها بدماء الشهداء فى عصر الطاغية دقيانوس ، وعاد الناس أحراراً فى دينهم وفى شعائرهم ؛ وعاش المسيحى إلى جانب اليهودى إلى جانب الوثنى فى طرسوس ، إخواناً متحابين ، لا يسأل أحدٌ أحداً عن دينه ولا يجادله فى مذهبه ؛ وانصرف كل لشأنه وحاجته

وجلس « صهيون بن يهوذا » إلى مكتبه ذات صباح بجانب النافذة من غرفته الواسعة المشرفة على الطريق وبين جنبيه همٌّ يعالجه ...

لقد كان صهيون كاهن اليهودية الأعظم فى طرسوس ، ولكن شئون طائفته لم تكن تشغله يوماً عن شئون نفسه ؛ وكان مؤمناً مسموعاً بالتقوى والفضيلة ، عالماً مشهوراً بالاطلاع وسعة المعرفة ، مؤرخاً يروى عن السلف ويحفظ أيام الأمم ويقص ماضى التاريخ ؛ ولكنه كان إلى كل أولئك يهوديًّا من بنى إسرائيل ، يحب المال ويحسن تثميره وتربيته ... ومن ذلك كان أكثر همه حين يخلو إلى نفسه !

... وطال به الوقت وهو جالس إلى مكتبه يحسب ويعدّ ، ويقبض أصابعه ويبسطها فى حسبة لا تنتهى ، ويحصى ما معه من الدراهم وما سوف يأتيه ؛ ثم ابتسم راضياً ، ونهض عن كرسيه لحظة، ثم عاد بكتاب مخطوط فبسطه تحت عينيه وجلس يقرأ ...

ذلك كتاب قديم لم يقرأه أحد قبل صهيون إلا كاتبه نفسه ؛ وقد عثر به منذ أيام عند يهودىّ هرم من سدنة المعبد فاشتراه بنصف درهم ...

وأخذ يقلِّب الكتاب صفحة صفحة وهو يقرأ عجلان غير متريث ؛ ثم وقع فجأة على خبر استرعى انتباهه ، وأيقظ شيئاً فى نفسه ، وأخذ يقرأ :

« ... وكان (مشلينيا) وزير الملك الوثنى الطاغية (دقيانوس) مسيحيًّا مؤمناً ، ولكنه كان لا يجهر بدينه عند مولاه ، وقد اتخذ فى داره معبداً لا يعرف الطريق إليه إلا صديقه (مرنوش) حيث يلتقيان كل مساء لعبادة الرب الأعظم ! »

وهز صهيون رأسه مبتسماً وهو يقول : « ما أبدع هذا ! » ثم عاد يقرأ :

« ... ووقف دقيانوس على سر ميشلينيا وصاحبه ، فثارت ثائرته ... : »

وخفق قلب صهيون بعنف ، إشفاقاً على الفتيين من ثورة الملك الذى لا يرحم ، واستمر يقرأ :

« ... وتوعد الملك وزيره بأقصى العقاب ، وضرب له أجلاً يفىء فيه إلى نفسه قبل أن يمضى فيه أمر الملك ويحل عقابه ...! »

وازدادت خفقات قلب الكاهن عنفاً وشدة ، وحضره ما يذكر من سيرة هذا الملك المتأله الذى خضب أرض طرسوس بدماء المؤمنين من رعيته كبرياء على الله ، فى غير رحمة ولا إحسان

ثم عاد الكاهن يقرأ :

« ... ولكن يد دقيانوس لم تنل ميشيلينيا وصحبه ، فقد

استطاعوا الفرار من بطش الملك الجبار إلى مكان لا يعلمه أحد ... كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة ... »

وشاع السرور فى نفس صهيون حين بلغ هـذا الموضع من قصة أهل الكهف ، وتمتم صلاة خافتة يشكر الله ؛ ولكنه استمر يقرأ :

« ... وبلغ دقيانوس نبأ فرار ميشلينيا وصحبه فغلى غليانه ، وسمى جائزة : مائة ألف درهم لمن يأتيه بميشلينيا حياً ... ! »

وبلع صهيون ريقه وأفلت الكتاب من يده ؛ مائة ألف درهم! يا لها من ثروة ! ليته كان فى عهد دقيانوس ، إذن لفعل كل ما يقدر عليه ليظفر بالجائزة ... الوثنية اليهودية ، المسيحية : ما كل أولئك بإزاء مائة ألف درهم ؟ ... الله ، المسيح ، دقيانوس ، ميشلينيا ؛ ماذا يعنيه من كل هؤلاء لو كان يملك مائة ألف درهم ؟ ...

وسبح صهيون فى أحلامه ؛ وهو يقبض أصابعه ويبسطها ، بحسب ما يمكن أن تغل عليه مائة ألف درهم ، لو ... لو أنه كان فى عهد دقيانوس ... !

وسمع فى الشارع زياطاً وضجة فأطل من النافذة ينظر ... ثم لم يلبث أن هبط مسرعاً إلى الشارع ليرى ويسمع ...

يالله ! ما أسرع ما وقعت المعجزة !...

ولم يصدق أذنيه أول ما سمع ... وعاد يسأل عن سر هذا الزحام والضوضاء ؛ وأجابه محدثه : « يامولاى ، إنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة ... لقد عثر بهم رجل فى كهف على حدود الصحراء ... إنهم الفتية المؤمنون الذين يتحدث التاريخ أنهم ... منذ ثلاثمائة سنة ... »

ولم يصبر صهيون حتى يستمع إلى بقية النبأ ، لقد كان يعرف ما سيقول محدثه قبل أن ينطق ؛ إنهم آية البعث لمن لا يؤمن ؛ لقد ضرب الله على آذانهم فى الكهف سنين عدداً ، ثم بعثهم آية ... ، ولكن ماذا يعنى صهيون من ذلك ؟... لقد كان الأمر يعنيه لو أن الله الذى بعث أهل الكهف قد بعث معهم دقيانوس ، ليسعى إليه فى طلب الجائزة التى سمَّاها منذ ثلاثمائة سنة لمن يأتيه بميشلينيا حيا ؛ فها هو ذا ميشلينيا ، ولكن أين هو دقيانوس ؟

وبرقت له بارقة : وماذا يمنعه أن يطلب الجائزة اليوم من ملك طرسوس ؟ لقد مات دقيانوس ، ولكن حقه فى الجائزة لا يضيّعه موت دقيانوس ! ومن قال إن الملوك الذين خلفوا دقيانوس قد أبطلوا الجائزة التى سماها دقيانوس لمن يدل على ميشلينيا حيا ؟ إنها ما تزال حقًّا شرعياً لمن يسبق إلى بلاغ النبأ ، لا يبطله أن دقيانوس قد مات ومضى على موته قرون !

ولم يتلبثْ صهيون كاهن اليهودية الأعظم فى مدينة طرسوس ، تخلّف الزحام وراءه ومضى مسرعاً إلى قصر الملك ...

« مولاى ! »

وكان وزراء الملك من حوله ، فنظروا إلى صهيون يستمعون لما يقول ؛ واستمر الكاهن فى حديثه :

« ... سأدلك يا مولاى على ميشلينيا ، ميشلينيا وزير الملك دقيانوس الذى فر من طرسوس منذ ثلاثمائة سنة ، سآتيك به حياً ، والجائزة لى ... ! »

ونظر الملك إلى وزرائه ، ونظر الوزراء بعضهم إلى بعض ، ثم توجهوا جميعاً بأنظارهم إلى الكاهن يسألونه بيان أمره ؛ ومضى الكاهن فى حديثه ... ...

وقال وزير من وزراء الملك : « يا مولاى ، إنه أمر ذو بال ؛ لا أعنى حديثه عن الجائزة التى يطلب ، ولكن حديث الفتية الذين ناموا ثلاثمائة سنين ثم عادوا إلى الحياة ؛ إنها عظة الأجيال ، وآية البعث ، ويقظة التاريخ الذى طوته القرون . والرأى عندى أن يطلب مولاى إلى الكاهن صهيون أن يدعو هؤلاء الفتية لنراهم رأى العين أحياء يتنفسون ، ونستمع إلى حديثهم وما كان من أمرهم ... »

قال صهيون : « والجائزة ! »

قال الملك : « وتكون الجائزة لك ! »

* * *

وخرج الكاهن اليهودى مسرعاً إلى الطريق يسعى إلى أمل لا يرى بينه وبين أن يبلغه غير خطوات معدودة ، ولا يشغله من أمرٍ شىء إلا الثروة التى يمنى نفسه بأن تكون بين يديه بعدقليل. ومضى فى طريقه لا يحيى أحداً ولا ينظر إلى أحد ؛ فلما بلغ حيث

كان الزحام ، وجد الطريق خالية ليس فيها سائل ولا مجيب ؛ وأغذ السير يتبع آثار الجماعة إلى خارج المدينة وهم يثيرون الغبار وراءهم على مبعدة ؛ فأدركهم بعد عناء ...

وبدا له على مرمى قريب جبل قائم يشتد الزحام عند سفحه ، من كثرةٍ يموج بعضهم فى بعض ، ويتطاولون بأعناقهم ليروا شيئاً لا يتبينه حيث يقف ؛ فاستجمع عزمه وراح يشق الزحام بكتفى جبار ، وفى نفسه شعور غامض يوحى بالحيرة والقلق ...

وبلغ سفح الجبل ، فرأى وسمع وعرف ؛ هذا كهف الرقيم حيث يرقد ميشلينيا وصحبه ، وحيث كانوا يرقدون منذ ثلاثمائة وتسع سنين قمرية ؛ ضرب الله على آذانهم فناموا ما ناموا ، حتى إذا أراد الله أن يظهر آيته أيقظهم فترة من الزمن ليكونوا رسالة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة ، وحقيقة من التاريخ تنطق بالعبرة ، وموعظة ناطقة تتحدث بما كان وبما يكون . فلما بلغ الله بهم ما أراد من بيان قدرته ، ردَّهم إلى التاريخ ليكونوا خبراً من خبره تتحدث به الأجيال .

* * *

وأطرق صهيون بن يهوذا لحظة يتفكر ؛ ثم لوى عنانه عائداً يشق الزحام وفى نفسه حسرة وألم ...

وعاد الناس جميعاً مطرقين برءوسهم يتفكرون؛ ولكن الخواطر التى كانت تصطرع فى رأس صهيون ، كانت تعدل مايصطرع فى رءوس الناس جميعاً أو تزيد . كانوا جميعاً يفكرون فى البعث والنشور والآخرة ، وكان هو وحده من دونهم يفكر فى الجائزة التى لا يجد سبيلاً إليها وكانت على مدِّ يمينه ، لأنه لا يجد سبيلاً بعد إلى أن يصحب ميشلينيا حياً إلى قصر الملك !

« شبرا » محمد سعيد العريان



دراسة عن شوقي بالفرنسية

فى القاهرة تصدر مجلة رفيعة باللغة الفرنسية يديرها محمد ذو الفقار بك ويشترك فى تحريرها نخبة من الكتاب المصريين والفرنسيين ، وهى فى سنتها الأولى ، واسمها « مجلة القاهرة » La Revue du Caire . وفى عدد ديسمبر من هذه المجلة مقالة نفيسة للأستاذ إدجار جلاّد صاحب (الجورنال ديجبت) ، تناول فيها شاعرية احمد شوقى ، فذكر طرفاً من تاريخه وبسط أسلوبه الاتباعى وأشار إلى جزالة لفظه ، ثم نقل إلى الفرنسية قصيدة من غزلياته . وخاصيّة المقالة ما جاء فيها من الكلام على استلهام شوقى لجهاد مصر الوطنى ونهضة فكرة الإسلام والاضطراب العمرانىّ فى الشرق

اتصال المصريين لهذا العهد بأجدادهم

نشر المستشرق الألمانى الأستاذ (رودى بَرِت R. Paret) فى « مجلة العلوم الدينية » (عدد ٣٥ ج ١ و٢) البارزة باللغة الألمانية فى مدينة لَيْبتِسِج مقالاً لطيفاً يبحث فى استمرار الحضارة المصرية ، ولا سيما فى مصر العليا على تعاقب العصور ، فى الناحية المادية (مثل أدوات المأكل والمشرب والغزل والحرث) واللغوية (مثل إخراج حرف القاف) والدينية (نحو إقامة الأعياد) والاجتماعيـة (كالعادات والعقائد الخاصة بالمولد والموت والزواج والدفن) . وذلك بالرغم من هجوم الحضارات الأجنبية كالإغريقية والرومانية والعربية والنوبية والسودانية . واعتماد صاحب المقال على كتابين : الأول بالإنجليزية وعنوانه « فلاّحو مصر العليا » من تأليف فنفرد بلاكمن ، والثانى بالألمانية وعنوانه « التراث الشعبى فى مصر » لصاحبه فنكلر

حديث عن المسرح الباريسى

أفضى الدكتور بشر فارس إلى صحيفة (الجورنال ديجبت) الصادرة فى القاهرة باللغة الفرنسية عند وصوله إلى ميناء الإسكندرية عائداً من باريس بحديث عن المسرح الباريسى فى هذا الخريف . ويستخلص من هذا الحديث أن التأليف المسرحى هنالك آخذ فى التأخر لتغلب فن الإخراج على إبراز النص ، ولانجذاب المؤلفين إلى الموضوعات الفاسقة مثل حب أم لابنها ، وغرام رجل بآخر . ولشغلهم بالمشكلات السياسية فيستهزئون بالحكم المطلق وينادون بحقوق المرأة ، ويندون بالضرائب ، ويقاومون الميل إلى الحرب والفتك ، ثم لانصراف عامة الجمهور عن المسرحيات الناهضة على التفكير والتأثر الدفين والإيحاء إلى المسرحيات السهلة التناول ، الزاخرة بالعواطف المفرطة ، الفياضة بالجمل « الظريفة » أو الألفاظ الساقطة والمبتذلة

الأسس التجريبية للنظريات الكهربائية الحديثة

ألقى الأستاذ ألبير دره عضو المعهد الأمريكى للمهندسين الكهربائيين محاضرة فى ٢٧ ديسمبر الماضى فى قاعة معهد أنشئ حديثاً فى القاهرة للدراسات الرياضية والطبيعية ، استعرض فيها أهم الخواص الكهربائية والمغناطيسية للمادة التى كانت أساس النظريات المعروفة فى أواخر القرن الماضى ، وذكر ما طرأ عليها من اكتشافات حديثة تطورت بسببها أغلب النظريات الخاصة بتكوين المادة

وكانت هذه المحاضرة تمهيداً لتوزيع العمل بين أعضاء اللجنة التى أنشئت فى هذا المعهد لدراسة تطورات هـذه النظريات وما بنيت عليه من وقائع تجريبية

فابتدأ المحاضر كلامه عن ظاهرة الكهرباء التى كان القدماء يعلمون بعض خواصها البسيطة والتى تقدمت العلوم المتعلقة بها تقدماً

سريعاً فى خلال القرن الثامن عشر بعد أن برهن العالم الفرنسى كولومب بواسطة تجارب دقيقة أن القانون الذى تخضع له القوات بين الجسيمات المكهربة هو نفس قانون نيوتون للجاذبية بين المادة. ثم استنتج من هذا القانون أهم خواص الأجسام المكهربة وبين ما هو الفرق بين الأجسام الموصلة والأجسام العازلة

ثم تناول المحاضر بعد ذلك ظاهرة المغناطيس التى كانت أيضاً معروفة للعلماء منذ قديم الزمن، والتى تخضع لقانون كولومب غير أنها رغم وجود نوعين من الكتل المغناطيسية لا يمكن الفصل بينهما مهما جزئ الجسم المغنطس، بخلاف الكهرباء التى يمكن عزل أحد نوعيها عن الآخر بسهولة؛ وهذا الفرق فى الخواص جوهرى بعث العلماء على الأخذ بنظرية أمبير التى تعتبر أن المغناطيس لا يظهر فى المادة إلا بسبب حركة الجسيمات الكهربائية فى باطنها

وأخذ المحاضر يشرح خواص الكهرباء إذا تحركت وأنتجت تياراً يترتب على مروره فى الأجسام الموصلة ظواهر حرارية وكيميائية ومغناطيسية وتدرج من ذلك إلى ذكر قوانين فاراداى وأمبير المشهورة وقانون لنز (Lenz) الذى يلخص جميع قوانين التأثير المغناطيسى بأنها ظاهرة من ظواهر مقاومة المادة لتغير حالتها الكهربائية أو المغناطيسية. وإذا عممت هذه القوانين على المادة العازلة يمكن كما وضح ذلك مكسويل فى معادلاته المشهورة البرهان على أن هناك تموجات كهربائية تنتشر فى المادة وفى الفضاء بسرعة الضوء، بل على أن الضوء نفسه ما هو إلا نوع خاص من هذه التموجات، وقد شرح المحاضر الحسابات الرياضية الخاصة بذلك. ولقد كان العالم هرتز أول من اكتشف هذه التموجات فى تجاربه المعروفة، فانتشر استعمالها فى الوقت الحاضر بسبب التقدم المدهش الذى تم فى فن الراديو منذ أوائل القرن الحالى

وختمت المحاضرة بذكر الاكتشافات المدنية التى تمت منذ أواخر القرن الماضى، والتى مكنت الطبيعيين من أن يستخرجوا من المادة جسيمات مكهربة وأخرى خالية من الكهرباء، وتموجات مختلفة دلت على أنها مركبة من عناصر غاية فى الصغر لا يمكن إدراك طبيعتها وتفسير تأثير بعضها على بعض إلا إذا أخذ المرء بترك ما عودته حواسه على تصوره عن العالم حوله وتبع فطاحل علماء الطبيعة الحاليين مثل إينشتين وبلانك وبوهر ودى بروجلى وهيزنبرج وشرودينجر وديراك فى عالم تفكيرهم الجديد

م م غ

الحلقة المفقودة

تلك هى حلقة العلماء الذين عرفوا الإسلام وأصوله، وعرفوا روح العصر وعلومه. ولقد كتبت مرة فى افتقارنا إليها، وفقداننا إياها، فلما رأيت (الكلية الشرعية فى بيروت) ودرست فيها قوى فى نفسى الأمل بوجود هذه الحلقة المفقودة. فلما قرأت ما تفضل صاحب الرسالة فكتب عن الكلية ورحلة مديرها الفاضل صديقى الأستاذ محمد عمر منيمنة أحببت أن أطمئن إخواننا بأن ظهور هذه الحلقة المفقودة لم يبق أملاً وإنما صار حقيقة تلمس باليد. وأدلة تحقق الأمل هذه (الكلية الشرعية فى بيروت) التى أقامها من العدم سماحة الأستاذ التقى المخلص مفتى الجمهورية اللبنانية محمد توفيق خالد، والتى يديرها وينهض بها الأستاذ منيمنة والأستاذ العامل الشيخ صلاح الدين الزعيم، ويدرس فيها جماعة من الفحول كالمحدث الجليل الشيخ محمد العربى، والأديب الكبير الشاعر الشيخ عبد الرحمن سلام. ومن الأدلة (المدرسة الشرعية) فى دمشق التى أنشأها من ماله الأستاذ الزعيم المعروف الشيخ محمد كامل القصاب رئيس جماعة العلماء، والتى يدرس فيها طائفة من أكابر علماء دمشق، كالعلامة الشيخ محمد بهجة البيطار، والأستاذ دهمان. وآخر الأدلة وأظهرها (دار العلوم الشرعية فى بغداد) التى أعاد سعادة الأستاذ الكبير حسن رضا بك مدير الأوقاف العام تأسيسها، وجعلها مدرسة عالية كالحقوق؛ والتى يديرها الأستاذ العلامة الحاج حمدى الأعظمى، ويدرس فيها الأستاذ الشيخ قاسم القيسى، والأستاذ الأديب الشيخ محمد بهجة الأثرى وأضرابهم

وهذه المدارس كلها تجمع بين الثقافة الإسلامية، وبين علوم العصر وثقافته، وذلك ما نحتاج إليه ونتمناه. فجزى الله القائمين عليها، والساعين إليها، وإلى أمثالها أحسن الجزاء، وحقق الله بها الأمل

«بغداد» ع ط

حول مقال

أستاذنا الكبير صاحب الرسالة الكريمة

فى المقال الأخير من « الحقائق العليا فى الحياة » للأستاذ النابغ المحقق عبد المنعم خلاف وردت تلك الجملة : « ولذلك حينما وصف الإسلام لنيتشه أو شو بنهاور — لا أذكر — قال محدثه : « إذا كان الإسلام كما وصفت فنحن كلنا مسلمون ! » مع أنه كان ملحداً منكراً لعقيدة الجماهير »

والصحيح ياسيدى أن تلك الكلمة التى أوردها الأستاذ فى معرض الكلام عن الإيمان والعلم لم يقلها هذا ولا ذاك ، وإنما الذى قالها هو « جوته » الفيلسوف الألمانى بعد أن أوقفه محدثه على حقيقة الإسلام .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

عبد العليم عيسى
كلية اللغة

مشروع لإحياء أدب الرافعى

إلى الأستاذ محمد سعيد العريان .

لقد كان فى تقريرك أن بين أدب الرافعى « وبين الأكثرين من ناشئة المتأدبين حجاباً كثيفاً يمنعهم أن ينفذوا إليه أو يتأثروا به » للأسباب التى ذكرتها فى عدد الرسالة ٢٨٥ ، تعميم قد يكون فيه تجن على الحقيقة ، وقد يصدق على القليلين الذين لا ذنب للرافعى — رضوان الله عليه — فى أن تكون على بصائرهم غشاوة فلا يفقهون . والذى أعرفه — ويعرفه كل أديب ومتأدب فى الأقطار الشقيقة — أن الكثرة المطلقة من هؤلاء مدينة لأدب الرافعى فى توجيهها إلى طريق الأدب الصحيح ، وأن الناس هنا لينزلون الرافعى من نفوسهم منزلة الأولياء والصالحين .

وليس أدب الرافعى من السهولة بالمقدار الذى توهمه بعض المدرسين عندكم ، فظنوا أن فى إمكانهم هدمه بوسائلهم البسيطة التى تقدموا بها ، بل هو أدب خالد سيكون له شأن عظيم عند الأجيال المقبلة فى التاريخ

وإن كل عربى وكل مسلم فى الأقطار الشقيقة ووراء بحر الظلمات فى الأمريكتين ، ليحس بأثقل من التبعات التى تحس بثقلها على عاتقك ، ويود من أعماق شعوره أن يجد وسيلة عملية يعبر بها عن وفائه للرافعى رضوان الله عليه ؛ وإننى لأشعر بأننى أعبر عن آراء الجماهير المتأدبة فى الأقطار الشقيقة ، حينما أقترح عليك أن تتفق مع إحدى دور النشر الكبرى فى عاصمة الفاروق على إعادة طبع جميع مؤلفات الرافعى التى نفدت طبعاتها الأولى من دكاكين الوراقين ، وأن تحضر للطبع أيضاً المؤلفات الأخرى التى لما تطبع ، وأن تبادر إلى الإعلان عن ذلك لتسديد نفقات الطبع عن طريق الاشتراك ، بعد أن يذكر اسم كل كتاب ومقدار الاشتراك فيه ، فى مجلة الرسالة التى لا أشك فى أن الأستاذ الزيات سوف لا يضن بفراغ فى بعض صفحاتها لذلك الاعلان مدة طويلة ، وأنا كفيل أنك ستجد الوفاء عملياً كيف يكون .

وانتظاراً لما ستقوم به فى هذه الناحية العملية ، أسأل الله أن تكلأك عنايته وأن يمدك بروح من عنده .

« فلسطين » سعيد عوده

دراسة المخطوطات العربية فى جامعة برنستون بأمريكا

تعنى جامعة برنستون عناية خاصة بدراسة اللغات السامية وآدابها وتاريخها وبنوع أخص اللغة العربية وأدبها وتاريخها . ولقد بذلت الجامعة فى هذه الدراسة مجهوداً عظيما، فقد قام الدكتور فيليب حتى أستاذ الآداب السامية فيها ومن معه من الأساتذة بنشر دراسات قيمة لنواح متعددة من تاريخ العرب وثقافتهم . وقد نالت هذه الدراسات شهرة عالية لأنها تعتبر فى المرتبة الأولى من المراجع الممتازة

وقد درس الدكتور فيليب حتى والدكتور نبيه أمين فارس والدكتور بطرس عبد الملك مجموعة المخطوطات العربية التى يملكها المستر روبرت جَرت من بلتيمور وهى المحفوظة فى خزانة مكتبة جامعة برنستون دراسة نقدية دقيقة. وها هم أولاء ينشرون هذه الدراسة باللغة الانكليزية لتكون فى متناول العلماء والطلاب وجميع من يهتمون بهذه الدراسات

وقد اطلعنا على مقدمة هذا الكتاب فوجدناه على جانب كبير من الأهمية لمن يدرسون آداب العرب وعلومهم . ولعلنا نترجم هذه المقدمة فى عدد قادم زيادة فى التعريف بهذا الكتاب

وهو يطلب من المطبعة الأمريكية ببيروت

المسابقة الأدبية والرسائل التي قدمت

تقرر تأليف لجنة من حضرات الأساتذة محمد صادق جوهر بك مراقب الامتحانات ، والدكتور على مصطفى مشرفه بك عميد كلية العلوم ، ومحمد شفيق غربال بك وكيل كلية الآداب ، واحمد أمين أستاذ الأدب العربى ، واسماعيل القبانى بمعهد التربية للبنين يعهد إليها فحص الرسائل التى قدمت للوزارة فى مباراة الانتاج الفكرى بين رجال التعليم وأساتذة المدارس . وقد جعل من حقها أن تستعين بمن ترى الاستعانة بهم من الاخصائيين فى المواد المختلفة .

وقد تقدمت الرسائل التالية :

فى الأدب : رسالة الأدب المصرى فى عهد الأسرة المحمدية العلوية لسيد نور الدين هلال . والبارودى لفخرى أبو السعود

وفى التربية وعلم النفس : رسالة فى الشباب والمراهقة لرياض محمد عسكر . وتحليل النفس لمحمود محمد محمود . والتربية فى طرق القصص لإيزيس حبيب . ورياضة النفس لفهمى اسحاق

وفى التاريخ : رسالة فى « تاريخ الثورة الفرنسية » لعباس الخردلى . ومصير الحضارة فى ضوء تفسير التاريخ وتطبيقه لابراهيم مسلم والخلافة والسياسة لفخرى أبو السعود . وجامعة الأسكندرية لابراهيم ابراهيم جمعه .

وفى الطبيعة والكيمياء : رسالة فى قصص العلماء والمخترعين فى الكهرباء واللاسلكى لعاطف البرقوق ، وعجائب الفيزيقيا لأحمد فهمى أبو الخير ، والكيمياء ومسائل الحياة اليومية لحسن عبد السلام ، والحسن ابن الهيثم وجهوده فى علم الضوء لعبد الحميد حمدى مرسى ، وحياة النبات ومبدأ التناظر لعبد الحليم منتصر

وفى الرياضة : رسالة فى التحويلات الهندسية لحسن رضوان

وفى الجغرافيا : رسالة موضوعها مصر بين الزراعة والصناعة للويس اسكندر

وفى الفلسفة : رسالة عن أحلام الفلاسفة فى المدينة الفاضلة لزكى نجيب محمود ، وما كان وما يكون لابراهيم السيد اسماعيل

وفى الاجتماع : رسالة فى روح القومية مقدمة الإصلاح الاجتماعى لأحمد خاكى ، وسر النجاح فى العصر الحاضر لأحمد حمدى

الأمير شكيب أرسلان فى دمشق

كانت وزارة المعارف السورية قد أصدرت مرسوماً بتعيين الأمير شكيب أرسلان المقيم فى سويسرا رئيساً للمجمع العلمى العربى فى دمشق ، وقد قبل الأمير هذا التعيين، وتقول صحف دمشق إنه ينتظر وصوله إلى سوريا فى الأسبوع القادم لتسلم منصبه العلمى

تنظيم مجمع اللغة

انتهى معالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف من دراسة المشروع الجديد لتنظيم مجمع « فؤاد الأول » للغة العربية ، وهو الذى وضع بعد سحب المشروع القديم من مجلس الشيوخ

وقد أرسل المشروع الجديد إلى قلم قضايا الحكومة لوضعه فى الصيغة القانونية توطئة لعرضه على مجلس الوزراء فالبرلمان

أستاذ فى جامعة فينا يزور مصر فى مهمة علمية

وصل إلى القاهرة أول من أمس البارون فون فرش أستاذ أمراض الرئة فى جامعة فينا ، تلبية للدعوة التى وجهت إليه . لإلقاء ثلاث محاضرات فى « أمراض الرئة » فى الجمعية الطبية المصرية ، وذلك فى أيام ٢ و ٤ و ٧ يناير

الثقافة

غداً يصدر العدد الأول من مجلة الثقافة ؛ والثقافة مجلة أسبوعية تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر ؛ ولجنة التأليف والترجمة والنشر تاريخها معروف فى نشر المعرفة لدى القراء والأدباء منذ ربع قرن ، فلا يمكن أن يصدر عنها إلا كل جليل ونبيل . والرسالة ترحب بالثقافة ترحيب الشقيقة بالشقيقة ، لأن بينهما من صلة الروح والدم والفكر والغاية ما لا يؤثر فيه اختلاف الدار ولا تباين المظهر . وهى ترجو الله مخلصة أن يوفق الثقافة بمقدار نيتها فى صدق الجهاد وإخلاص العمل وتوخى الحق

عالم سويسرى يزور مصر

اعتزم العالم الكبير فريير أستاذ علم التربية بجامعة سويسرا زيارة البلاد المصرية فى شتاء هذا العام . وقد انتهزت وزارة المعارف هذه الفرصة ودعته لإلقاء محاضرات فى علم التربية الحديثة

استدراك

فاتنا أن نقول إن الصورتين المنشورتين فى صفحة ٣١ وهما معركة النور والظلام ، والانساق هما من تصوير الدكتور أحمد موسى ، وقد تكلمنا عنهما فى العدد الماضى فى باب البريد الأدبى



التصوف الإسلامى

فى الأدب والأخلاق

تأليف الدكتور زكى مبارك



أمامك صورة الدكتور زكى مبارك فتفرس فيها ثم قل لى ماذا وقع فى حسبانك منها. إن كنت قرأت له ما ألف وما كتب فى النقد والمناظرة فستظنه خارجاً من معركة بولاقية كان فيها شدُّ الشعور، ولكم الصدور، ونطح الرءوس، وتمزيق الملابس. وما هذا الرواء البادى على وجهه وهندامه إلا خداع النظر أو فن المصور

وإن كنت قرأت له التصوف الإسلامى فستتخيله لا يزال فى سنتريس (مريداً) للشيخ الطاوى الشاذلى يعكف على الأوراد ويشارك فى الإنشاد، ويحمل الإبريق، وينقر الدف؛ فهو أشعث أغبر ضاوٍ من أثر الذكر والصوم والعبادة

وإن كنت قرأت له هذا وذاك غلب على ظنك أن الرجل قامت به حال نفسية جديدة دل عليها هذا المظهر الجديد؛ فإن إرسال الشعر وتشعيثه من سمات الفلسفة والتصوف والفن. وأنت واجد فى كتاب التصوف الإسلامى صفات وخطرات من كل أولئك جميعاً. وفى رأينا أن هذا الكتاب يؤرخ طوراً جديداً من حياة صديقنا الدكتور، هو طور التأمل والتعمق والنفوذ إلى صميم الجد فى الموضوع. وهو خليق بأن يسبل على ما تقدمه من مغامراته الجريئة فى الرأى والفعل ستاراً من الصفح الجميل. وإذا كان الله قد عود الشعراء والأدباء أنه يغفر لهم من ذنوبهم ما تقدم وما تأخر ببيت من الشعر أو خاطرة من الرأى فما أحرى زكى مبارك أن يدخل معه الجنة على حساب كتابه ألفاً من الأدباء المحرومين!

الحق أن كتاب التصوف الإسلامى بناء شامخ الذرى فى تاريخ الأدب. وأقوى ما يروعك منه الجهد والاطلاع والفهم. وهذه الخصائص الثلاث هى ميزة الكتاب الجليل والبحث الجامع. وإذا كان المؤلف قد نجح فى «إبراز الملامح الأدبية والخلقية للنزعة الصوفية» فانه نجح كذلك فى كشف ناحية من الأدب العربى والفكر الإسلامى كان الأدباء المؤرخون يمرون عليها معرضين، كما يمر السائح الغفلان على منجم الذهب فلا يرى إلا صخوراً وحجارة. والصوفية هى النزعة الوجدانية الصافية فى الفطر السليمة، ولها فى الأدب والخلق والفلسفة والحياة إشعاع هادٍ كإشعاع الحق، وكان لابد لهذا العنصر الباهر المجهول من (مدام كورى) فى زِىّ زكى مبارك تنهك الجسم والعصب، وتنفق الوقت والذهب، فى سبيل كشفه

لا أريد أن أعرض لك الكتاب ولا أطيق الآن أن أحلله وأنقده، فهو يقع فى نحو ثمانمائة صفحة من القطع الكبير؛ وعرضه وتحليله لا يغنيانك عن مطالعته شيئاً. وكل ما أقوله لك إنك ستجد زكى مبارك فيه رجلاً آخر غير الشاب الذى عرفته فى سائر كتبه.

فيض الخـــاطر

مجموع مقالات أدبية واجتماعية للأستاذ احمد أمين

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذه مقالات بعضها نشر فى مجلة « الرسالة » وبعضها نشر فى مجلة « الهلال » ، والبعض الأخير لم ينشر فى هذه ولا تلك ؛ جمعها كاتبها أحمد أمين الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية ، فى كتاب إجابة لدافع غريزة حب البقاء ، لأنها — مجموعة — أدل منها متفرقة ، وفى كتاب أبين منها فى أعداد

والأستاذ أحمد أمين من كبار المؤرخين المعاصرين فى العربية ، يدين له تاريخ الحياة العقلية فى القرنين الأول والثانى للهجرة بأحسن ما كتب فى دراسته من سبل التحقيق فى التاريخ . غير أن كتابة الرجل وإن ظهرت عليها مسحة من التدبر العلمى فى استقصاء الأسباب وربط النتائج لها كمظهر تحليلى، فان التقرير دون التحليل هو طابع دراساته . ولكن تقرير الحوادث والوقائع عنده خاضع لمحكمة النقد العليا التى تستنزل أولياتها من المنطق التاريخى ، ومن هنا جاء ما لدراسات الرجل من قيمة

والرجل يمتاز بكل سمات العالم فى بحثه ، من سلامة النظر وسعة الاطلاع والنزاهة وهدوء الطبع . غير أنه ينقصه التحليل فى عمقه . وطابع التقرير يوقفه كثيراً عند ظواهر الأشياء دون أن يستجلى بواطنها . ولا أدل على ذلك من نظرة سريعة لموضوعات مقالاته التى نشرها بعنوان « فيض الخاطر » ؛ فهو فى المقال الأول يتكلم عن « الرأى والعقيدة » ، ويرى الرأى شيئاً والعقيدة شيئاً آخر ، وهو يذهب فى كلامه مولياً وجهة من النظر تذكرنا بوجهة الفنان توفيق الحكيم فى المقال الأول من كتابه « تحت شمس الفكر »

يرى الأستاذ أحمد أمين مكان الرأى الدماغ؛ أما العقيدة فمكانها القلب . والواقع أن هذه التفرقة اعتبارية محض ، فضلاً عن أن القسمة غامضة ، فنحن لا نعرف من القلب معنى غير الشعور والإحساس الباطنى ، ومثل هذا الشعور والإحساس الباطنى ليس الرأى ببعيد عنه . وكم من رأى هو وليد الشعور الباطن والإحساس الداخلى

وفى هذا المقال يرى الكاتب أن الإيمان بالشىء يستتبع العمل على وفقه لا محالة ؛ غير أننا نلاحظ أن الإيمان شىء والعمل شىء آخر ، وليس الإيمان بالشجاعة أو الكرم من الأسباب التى تجعل المرء كريماً أو شجاعاً ؛ فالكرم عادة وخلة تغلب على الطبع ، والشجاعة قوة للتغلب على المكاره مردّها النفس ، وليس للعقيدة دخل فيها ، وإن كانت العقيدة تتلون بها

وفى المقال الثانى يتكلم الكاتب عن « الكيف والكم » ويقدر أن تقدير الأشياء بالكم شىء يرتبط بالطفل فى نشأته والأمة فى طفولتها . ولما كان كل إنسان مرّ فى طور الطفولة ، والأمم جميعها مرت بهذا الطور ، لهذا علق بالذهن الإنسانى تقدير الأشياء بكمّها. وهذا كلام صحيح ولكن يغلب عليه التقرير دون التحليل، لأن التحليل يستلزم النظر فى أسباب ارتباط تقدير الأشياء بكمها بطور الطفولة عند الإنسان

وفى المقال الثالث عن « صديق » تجد الكاتب يولى وجهة من التقرير للأمور ، فيبدع فى عرضه وتصويره ، ولكنه لا يتناول

وزكى مبارك — إن أردت فيه كلمة الحق — مجاهد باسل من المجاهدين القلال الذين شقوا طريقهم فى الحياة بالقوة ، وأخذوا نصيبهم من المعرفة بالكد ، وأحلوا أنفسهم محلهم اللائق بالصراع . وهو أحد الأدباء الذين لم يقم مجدهم الأدبى على الظروف والحظ . وإذا كان الحظ قد وقع فى حياته فهو الحظ المنكود . لأنه تعلم بكدح قلمه ، وتقدم بفضل جهاده ، ثم كانت الظروف التى تساعد غيره تلح عليه بالنكران والحرمان من غير هوادة

ومن أثر ذلك كان هذا الإعلان المستمر عن نفسه وعن عمله . وهى صفة لا تتفق كثيراً مع وقار العلم وجلال الخلق . ولكنها آتية إليه من وراء الوعى على ظن أن الناس ينكرون عليه فضله وينفسون عليه مكانه

ولو استطاع زكى مبارك أن يتملق الظروف ويصانع السلطان ويحذق شيئاً من فن الحياة (Savoir-vivre) لاتقى كثيراً مما جرته عليه بداوة الطبع وجفاوة الصراحة . ولكن هذه الأعراض النفسية ستفنى فيه وفى الناس ، ويبقى ذلك المجهود العلمى الضخم الذى قدمه إلى الأدب العربى فى شتى مناحيه شاهداً على صدق خدمته للأدب ورفيع مكانته فى النهضة .

الزيات

يبحثه وجه تحطم صديقه من التناقض الذى فى نفسه . هذا . . . وهل يمكن أن يوجد إنسان ليس له وحدته النفسية إلاّ ويكون منحلاً شخصية إلى شخصيات ، وإذن كان الوجه التحليلى فى هذا الموضوع أن يتناول الكاتب يبحثه تداخل الشخصيات التى انحل إليها شخص صديقه ، ويبين أثر هذا التدخل فى إيجاد الاضطراب فى نفسه حتى انتهى إلى تحطيمه

وفى المقال الرابع كلام عن « أدب القوة وأدب الضعف » ظاهره جميل ، ولكن أدب الضعف الذى يلمسه الكاتب فى الأدب العربى أليس صورة صادقة من الحياة العربية ؟ إذن ماذا يطلب الكاتب ؟ أيريد من الخراف أن تلبس جلد الأسود ؟ هذا يخرج بالمسألة عن الصدق ، والصدق أساس الأدب عند الكاتب ...

أظن هذه أمثلة وإن كانت سريعة موجزة خطوطها إلا أنها كافية لتثبت أن الكاتب يقف عند حدّ التقرير فيما يكتب . لكن سلامة النظر وسعة الاطلاع وهدوء الطبع تجعل التقريرات التى يقررها الكاتب تتسم بميسم الصدق والواقع فى العموم . وهذا لا يمنع أن يتسرب فى بعض الأحيان بعض الخطأ إلى تقريرات الكاتب ، غير أنها قليلة فى المجموعة ، نذكر منها قوله إن العالم خاضع للمنطق ، وأن له غرضاً يسير إليه وليس يسير حسبما اتفق ، وأنه محكوم بقوانين ثابتة لا تتغير

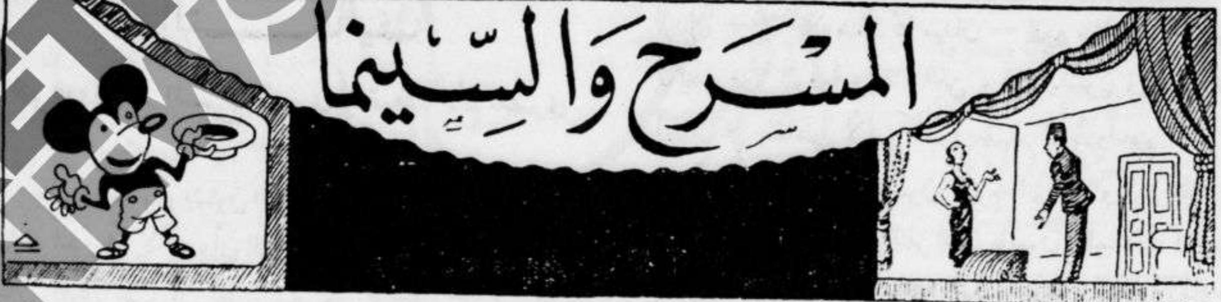
أما كون العالم محكوماً بقوانين ثابتة لا تتغير فهذا صحيح ، وكونه خاضعاً للمنطق صحيح ؛ أما أن يستخلص من ذلك أن العالم له غرض يسير إليه وليس يسير حسبما اتفق فهذا مما لا نوافق الكاتب عليه . فيصح أن يكون العالم سائراً حسبما اتفق وليس له غرض ، ومع ذلك تراه خاضعاً للمنطق محكوماً بقوانين ثابتة لا تتغير

أما بيان ذلك فقد استوفيناه فى بحث سابق منشور بعدد أغسطس سنة ١٩٣٧ من مجلة (الإمام) وفى مقال كتبناه بعدد مارس سنة ١٩٣٨ من مجلة (المقتطف)

والكاتب يمتاز أسلوبه بإشراق الديباجة ودقة التعبير ، غير أن أسلوبه ينقصه السرعة والهزة التى تجذب النفس ، فمن هنا لا يمكن اعتباره أسلوباً أدبياً

والكتاب فى المجموع دراسات قيمة تمتاز بوجه عرضها للموضوع الذى يبلغ به الكاتب أحياناً منزلة الجودة الفنيّة ، نذكر من هذه الموضوعات « سلطة الآباء » و «من غير عنوان» و « منطق اللغة »

« أبو قير » اسماعيل أحمد أدهم



شارع عماد الدين والمسرح

كانوا قديماً يسمون شارع عماد الدين شارع الفن، وكان البعيد عنه يحسب أن فيه الفن حقاً . وما زالت تلك الصفة ملقاة عليه معروفة عنه حتى لأهله الذين يعرفون كل ما فيه . وقد كان جائزاً فيما قبل أن يسمى شارع الفن لأنه كان يضم بين جنبيه فرقتين أو أكثر تعملان وتجاهدان

أما اليوم فماذا فى شارع عماد الدين ؟ فيه أربعة مراقص تلبس الانسانية فيها أقبح الأردية . إى والله لم يعد فيه إلا المراقص تنمو وتتكاثر ويرتادها الناس وعلى المسرح السلام ..

الجمهور المثقف الذى يفهم أهمية المسرح ويقدرها قد جرى مع غيره فى مجرى واحد من حيث جحود التمثيل وعدم المبالاة باحتضاره؛ وأصبح يجد فى (الصالات) ما يكفل له تمضية السهرات دون حنين إلى المسرح المقهور أو شفقة عليه ؛ حتى أصبح شارع عماد الدين وما حوله بقعة مجردة من الحياء ، بعيدة عن روحانية الفن بعد الأرض عن السماء ...

فهل انتهى بذلك تاريخ المسرح المصرى؟ وهل انصرف أبطاله كل الانصراف إلى السينما حيث المجال المادى المربح ؟. نرى هذا، ولكنا نأمل ألا يستمر ؛ لأن للمسرح الحقيق المثقف تأثيره فى النفوس، والسينما قد تستطيع أن تحل محله، ولكنها لا تستطيع أن تكنى عنه كل الكفاية . فهو إذن ضرورى ، وهو لو نهض نهضة حقة سيقف إلى جانب السينما وتخلعها ، وسيعيش وسيكون له شأن .

وأبطال المسرح المصرى لايزالون أحياء ولا تزال فى نفوسهم الرغبة إلى محاولة الجهاد فى سبيل النهوض به ، ولكن يعجزهم المال ، فيظلون فرادى لا جامع لكلمتهم ولا مستغل لمواهبهم .

وحسب وزارة المعارف أن تهيئ (تكية) وتقيمها فى دار (الأوبرا) شهراً أو شهرين من العام ، وهذا عندها هو تشجيع التمثيل .

اجمعوا الجهود وقسموها إلى وحدات ، فهذه للدرام وهذه للكوميدى وهذه للتراجيدى ، تخلقوا جواً شريفاً للمنافسة وتروا نهضة جديدة للمسرح . . . وإلا فقد انتهى أمر التمثيل المسرحى حقاً ، وأصبح (شارع الفن) بقعة موبوءة تظل تنحط وتنحط حتى لا يكون فيها موطئ لقدم شريف

أخيراً تزوجت

ولعل الأمل الباقى فى حياة المسرح المصرى منوط بعنق جمعية أنصار التمثيل والسينما ، وهى وإن كانت مقلة فى إنتاجها ما تزال تحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه من بناء المسرح المنهار . وكان آخر ما قدمته الجمعية بدقة بلغت حد الإعجاب رواية « أخيراً تزوجت » فى حفلة الجمعية الخيرية الإسلامية بدار الأوبرا فى الأسبوع الماضى . وإنا لنتمنى لهذه الجمعية أن تواصل نشاطها حتى تكون هى الرمق الحى الذى نرتجى من ورائه للمسرح المصري بعض الخير

وها هى ذى الفرقة القومية لا تكاد تقضى شهراً فى عمل، حتى تقضى مثله أو أمثاله فى كسل . ها هى ذى تنهى دورتها الأولى بعد فترة لم تنتج فيها جديداً يذكر لتعود إلى نومها المعتاد. وهنيئاً لأفرادها هذا الجو الناعم !

فارس الميدان

فرقة الريحانى هى الفرقة التمثيلية الدائمة التى تبرهن على أن التمثيل الكوميدى لما ينعدم بعد . والريحانى يشكر على هذه المثابرة. غير أننا نأخذ عليه اعتقاده بأنه هو وحده الآن فارس الميدان ، وذلك ما جعله يسير الهوينا حتى لا يخرج طوال الموسم كله أكثر من أربع روايات . وذلك إنتاج لا يفى بالحاجة ؟

التـــأليف

هو علة انهيار المسرح المصرى وسقوط الفيلم المصرى

ينادى المهتمون بشئون السينما والمسرح فى مصر بأن المسرح هنا قد اندثر أو كاد ، وأن الفيلم المصرى لم يظهر بعد فى الثوب الفاتن الذى يجب أن يظهر فيه حتى يستطيع أن يقف إلى جانب الأفلام الأجنبية ولو فى السوق المصرى وحده ، ويؤولون لذلك أسباباً كثيرة مبنية تارة على أساس وتارة على غير أساس ، وتفكر وزارة المعارف وهى القائمة على أمر التمثيل كأداة من أدوات التثقيف تفكر فى مصيره المظلم ، وتجتمع اللجان وتقرّر القرارات وترصد الإعانات وتبذل النفقات فى سخاء ويؤتى بالأجانب لإنقاذ ما يمكن إنقاذه !!

ولكن أحداً من هؤلاء لم يفكر فى العلة الحقيقية لانهيار المسرح المصرى وسقوط الفيلم المصرى ... والعلة هى التأليف ولاشئ غيره . فالممثلون الناجحون موجودون فى مصر والمخرجون البارعون موجودون فى مصر ، وجمهور المتفرجين موجود فى مصر ولكن هناك عنصراً واحداً يكمل هذه العناصر بل يوجهها غير موجود ... هو التأليف

وليس معنى هذا أن مصر بلد لا ينجب المؤلفين ، فالمؤلفون موجودون ولكن كأن لا وجود لهم ... لدينا مؤلفون موهوبون فى طوقهم أن يسدوا حاجة المسرح وزيادة ، وهم مع الأسف يجافون التأليف وينصرفون إلى غيره من شئون القلم لأن التأليف فن ظلمه المتصرفون فى أمره ولم يقدروه قدره أو بعض قدره فأصبح كالصناعة الآلية التى لا يقودها الإبداع الفنى

أصحاب الشركات السينمائية المصرية ومديروها يريدون من المؤلف أن يكتب الرواية الكاملة دون أن يأخذ لها ثمناً وحسبه أن يظهر اسمه على الشاشة ففى ذلك ما يكفل له الطعام وكل لوازم الحياة ... وإلا فليأخذ بضعة جنيهات ولا لزوم لاسمه ولينسب تأليف الرواية إلى مدير الشركة أو مخرجها ...

وأصحاب الفرق المسرحية يدعون لأنفسهم القدرة على التأليف فإذا ما قدم مؤلف رواية إلى أحدهم ردها إليه بعد أن يلمّ بأطراف فكرتها ليكتبها بعد ذلك كيفما اتفق ...

فلماذا إذن يؤلف المؤلف الموهوب ؟ وأين ما يغريه ويشجعه على التأليف ؟ إن اعتزازه بفنه يأبى عليه أن يؤلف ليكون هذا مصير ما يؤلفه ، ومن هنا تتحطم الأقلام وتنزوى المواهب تاركة الميدان — إذا كان هناك ثمة ميدان — لقوم صناعين لا يكلفهم التأليف عناء الموهبة وشقاء الفن ، فهم يكتبون ويبيعون غير آسفين على بضاعتهم لأنهم كتبوا بعقولهم لا بأرواحهم

أولئك هم الذين يسمّون اليوم بالمؤلفين وبكبار المؤلفين ولا أقصد بالمؤلفين هؤلاء النفر الذين يؤلفون (للصالات) فليس هذا تأليفاً وإنما هو هراء قوامه النكتة البذيئة والكلمة الجارحة والوضع المقلوب . اللهم إلا القليل منه ...

وبين هؤلاء الذين يكتبون للمراقص كتابة صبيانية ، وأولئك الذين يكتبون للسينما والمسرح كتابة تجارية ، يضيع المؤلف الموهوب الفنان الذى يكتب للفن . . . فالأولى إذن أن يعيش بعيداً عن التأليف

هذا ما كان حتى اليوم وهذا ما سيكون ونظل نراه مادام التقدير الحق معدوماً وما دامت الشركات السينمائية والفرق المسرحية تقدر التأليف آخر ما تقدر وتعتبره عنصراً هيناً قليل الخطر بينما هو أحق من كل شيء بالعناية والاهتمام والبذل

لذلك ترى الفرقة القومية وهى تسمى (قومية) تلجأ إلى الروايات المترجمة وفوق ، ما فى ذلك من معرة قومية فإنه يصرف الجمهور عنها لأن الجمهور مصرى وريد أن يرى شيئاً مصرياً

وقد تحتج تلك الفرقة القومية أو تلك المهزلة القومية بأن هذا هو ما يقدم لها وصلح أما غيره فقد كان هزيلاً . . . ولكن هل بحثت الفرقة — وهذا من شأنها — بين الموهوبين حقاً من غير أصحاب الأسماء ؟ لا . . . وهل تركت الغايات والميول جانباً وراعت الحق فى الاختيار ؟ ... لا ... إذن فمن أين يأتيها المؤلف الفنان المغمور الذى لا عم ولا خال ...

أما مسألة المباراة فإنها لمهزلة تتكرر وما من ورائها فائدة حتى لو روعى فيها جانب الحياد والحق ... وهيهات ...

أما الطريقة العملية لتشجيع التأليف بل لخلق التأليف وإيجاد المؤلفين فهى أن تقدر وزارة المعارف ثمناً معيناً للرواية السينمائية وثمناً للقصة المسرحية وتشرف هيئة محترمة لا تعرف غير الحق إشرافاً فعلياً على طريقة اختيار الشركات لرواياتها وطريقة دفع الثمن ، أو تقوم هى بعملية الأخذ والاختيار والإعطاء بين المؤلفين والشركات .أو المسارح . ثم تقدر من عندها فوق ذلك مكافأة ماليه لكل رواية تظهر على الشاشه أو على المسرح وبذلك تكون هى المشرف النزيه فتضمن للمؤلف حقه وفوقه مكافأة فينتج ويبدع ويكون فى مصر تأليف ومؤلفون

(ز)

7me Année No. 288

Lundi - 9 - 1 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٢٨٨ « القاهرة في يوم الاثنين ١٨ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ — ٩ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـرس

من مآسى الحياة

فتـــون وجنون ...

إلى الآنسة « أ . ش . ف »

نعم يا آنستى العزيزة ! لَشدَّ ما لاع القلبَ وراع الضميرَ ما قصصتُ من مآسى الحياة ! ولا يزال فى خبايا الغيوب وطوايا الحجب ما هو أمضُّ لوعة وأشد روعة

وعدتنى أن تقصى علىَّ أنباء من تعرفين من طرائد البؤس وأنضاء الهم ، وأنا أقص عليك هـذه القصة ريثما تنجزين هذا الوعد :

فى المنصورة بلد المال والجمال والشعر كانت تعيش أسرة من أُسَرِ الريف الغنية السريّة عيش اللهو والزهو والمرح . وكانت قبل ذلك تعيش فى مزارعها الواسعة فى قرى مركز « شربين » تستغل أراضيها الخصبة استغلال الدءوب اليقظ ؛ حتى أبطرها الغنى ، فرأت طرق الحقول التَّربة لا تلائم المركبة الفخمة ، والبيتَ القروى العتيق لا يوائم الأثاث الأنيق ، والقريةَ كلها لا تصلح مجالاً للعظمة ولا مجتلى للشهرة ؛ فتركت ضياعها وزروعها فى ذمة النُّظار والخَوَل ، وأسلمت قيادها للبذخ والسرف : تربّع بالمنصورة ، وتصطاف بالأسكندرية ، وتشتى بالقاهرة . وتظاهر على رب هذه الأسرة الجهلُ والطيش والفراغ

والغنى والعُجب ، فقلبته بين الحانات والمواخير قَفاً لوجه ، حتى ركبه الدين والمرض ، فباع الأرض لبنك « خوريمى » ، والصحة لبار « أنسطاسى » . وكبر عليه أن يعود إلى قريته ذليلاً بعد العز ، فقيراً بعد الغنى ، نظل فى المدينة ولكن فى بيت غير البيت ، ومظهر غير المظهر ...

تتألف هذه الأسرة من الوالدين ومن ست بنات وابن واحد . وفى هذا الصبى الواحد انحصر مستقبلها وأملها ، فأرصدت ما بقى للأم من موروث الرزق على تربيته وتعليمه . فلعله يكون كابن فلان باشا : ينال (الليسانس) ، ويعين وكيلاً للنيابة فقاضياً فمستشاراً فوكيلاً للوزارة . ويومئذ يرجع المال الذاهب ؛ ويعود المجد المضاع ، وتندم الشماتة الحاقدة . وكان الفتى نحيل البدن ولكنه ذكى مجد ، فلم يتخلف فى سنة، ولم يرسب فى شهادة، حتى نال إجازة الحقوق . وكان فى مدة دراسته الطويلة شغل الأسرة الشاغل : فالوالدان همهما تدبير المال له وتوفير الصحة عليه ؛ والبنات الست عملهن غسل ثيابه وكى بِذَله وتصفيف شعره وتهيئة أكله وتهدئة نومه . وإذا فاتهن اليومَ أن يأكلن الهنىء ، ويلبسن الناعم ، ويجلون حسنهن للأتراب والخطاب فى شارع البحر بالمنصورة ، فسيعوضهن الله غداً بفضل أخيهن الموظف خيراً من كل أولئك فى القاهرة

وكانت الأم تبيع فى كل سنة من سِنِى دراسة ولدها فداناً من أرضها ، تنفق نصفه على المدرسة ونصفه على البيت حتى خرج هو من كلية « حقوقه » ، وخرجت هى من كل حقوقها

أصبحت الأسرة الفقيرة مُعدمة: فلا فى الأرض ولا فى البيت ولا فى اليد . فهى تعيش على ما يبقى من مرتب أملها وكاسبها « فؤاد » ، فقد وظف بأحد مراكز طنطا وعاش وحده . وظل الأبوان الشيخان والبنات النواهد فى المنصورة على ضيق وقلق ينتظرون اتساع الرزق وامتداد الجاه فيجتمع الشمل ويرفه العيش . أتدرين يا آنستى بماذا أجاب القدر دعاء هذه الأسرة ، وعمَّ أسفر الأمل فى هذا الولد ؟

كان فؤاد رقيق البدن والشعور والعقل، فأغرم بالأدب، وفُتن بالجمال، وكلِف بالرُّواء. وحياة الأقاليم لا تقضى حاجة النفس النزاعة الرغيبة من كل ذلك. فكان فى مكان عمله بالنهار، وفى مجالى القاهرة بالليل ، حتى افتتن بمطربة معروفة ، فاضطرب أمره وانتكس حاله

كان فؤاد عُذرى الهوى ، لأن حياءه أقوى من طموحه ، وشاعريته أشد من شهوته . وهو إلى ذلك فقير ، ومعبودته من ذوات الثراء والمجد، فلا يدخل قصرها إلا غنى أو فنان أو مهرِّج. فكان يقنع بالجلوس أمام تختها إذا غنت، وبالطواف حول بيتها إذا استراحت ، حتى خبَله العشق وأضناه السهر . وبان أثر ذلك فى عمله ، فغاب طويلاً عن مكتبه ، وأخطأ كثيراً فى تصرفه ، واختلف دائماً مع رئيسه ؛ فانتهى الأمر وهو لا يزال فى عهد التجربة بفصله !

لم يشعر فؤاد بهذه الصدمة الصاعقة كما شعر بها أهله ؛ فإن حياته كانت فى الحب ، وحياة أهله كانت فى الوظيفة . فلما انجلت غشاوة الهوى قليلاً عن عينيه رأى نفسه خالياً من العمل والأمل ، يُزجى فراغه الثقيل الذليل بالهيام فى الطرقات، والنظر فى (الفترينات)، والاختلاف إلى (الصالونات)، والوقوف بباب المطربة أكثر النهار والليل ، يحادث الخدم ، ويرقب الزوّار ، ويرصد السيارة الحبيبة حين تذهب وحين تؤوب

وأسرع إليه أبوه على كبره ووهنه يستكشف سر النكبة ويعالج مقطوع الرجاء ، فوجده نفساً يتهافت فى جسد ضارع وهيئة زرية ؛ فما زال يتلطف به ويهاويه حتى كشفه عن أمره ، وعاد به إلى الأسرة الفجوعة فى ولدها الوحيد ، وأملها الفرد ، وملجئها الأخير ، وشرفها الباقى ...

ليس فى طاقتى يا آنستى أن أقص عليك خاتمة هذه المأساة . ولو كان وصفها فى إمكانى ، لما كان استماعه فى إمكانك . فإنى أعرف رقة قلبك ووهن جَلدك فى مثل هذه الحال ... وليس من العسير على فطنتك استنتاج ما حدث . فالفتى من تباريح الجوى أصيب بالسل فمزّق رئتيه وشفَّ جسمه، فهو فى السرير عظم هامد ينتظر النهاية المحتومة . والأم من هول النكبة أخذها الفالج ؛ فهى سطيحة على الفراش لا تُمر ولا تُحلى . والأب من فقد الرجاء اعتراه الخبال فمات قتيلاً فى حادث محزن .

والبنات؟ البنات بقين بعد المخبول والمسلول مع الأم الكسيحة لا كاسبٌ ولا خاطب . فتصورى يا آنستى كيف يعشن! لو كان للاسلام أديرة صوفية لدخلن فى حمى الدين ؛ ولو كان للحكومة مدارس خيرية لاعتصمن بقوة العلم؛ ولو كان للأوقاف ملاجئ نسوية لعشن فى ظلال الخير . ولكنهن يا آنستى يعشن العيش الكريه الضنك على فضلات الأقارب الأباعد . ومثل هذا العيش لا يثبت عليه إيمان ولا أمان . والبيت البائس إذا لم يدخله الملَك دخله الشيطان ...

احمد حسن الزيات

الفكاهة والطغيـــان

للأستاذ عباس محمود العقاد

ملَكة الفكاهة نعمة من نعم الحياة ، وخاصة من خواص الإنسان ، وعلامة من علامات الارتقاء . ولكنها خليقة أن تعدَّ فى النقم إذا هى سوغت ما لا يساغ وأباحت ما لا يباح ، كالإذعان لحكم طغيان ، والاجتراء على حقوق أو حرمات

سمعت من سعد زغلول رحمه الله أن « أحمد زيور » فى الوزارة أخطر من عبد الخالق ثروت ومَن على طرازه ، لأن احمد زيور لا يثير الغضب فى المصريين بل يحفز فيهم ملكة الفكاهة ويقلب الأمر من جد إلى مزاح ؛ وهم لا يكرهون ذلك ، وقد يستمرئونه ويمضون فيه ، فيقبلون على يديه ما لم يقبلوه على أيدى الآخرين ، ويأتى الخطر من هذا الباب

وذكرت هذا وأنا أقرأ الفكاهات التى يرويها الرحالون والناقدون الاجتماعيون عن الألمان والروس والطليان وسائر الأمم التى يحكمها أصحاب السلطان المطلق فى هذه الأيام

فينبغى أن نعلم أن هذه الأمم تصنع ما يصنعه المصريون أحياناً من مقابلة الطغيان بالفكاهة ، ومن مجازاة السطوة بالنكتة ، فيصول عليها الحاكم وهى تضحك منه ، وتتفكه بالأحاديث عنه ، وتظن أنها أخذت منه بمقدار ما أخذ منها ، فتستريح إلى هذا القصاص!

قيل إن القائد جورنج يحب النكتة البارعة ، ويطرب للفكاهة الجيدة ، ويود لو يسمع ما يتداوله الناس من أقاويل السخر والمزاح عن الحكومة الحاضرة فى البلاد الألمانية ، ولكنه لا يصل إليها لخوف الناس من كتابتها أو الجهر بها ، فاتفق وسائق سيارته على أن ينقلها إليه كلما سمع شيئاً منها ، وله خمسة قروش على كل نكتة مقبولة

قال الراوى : فطاب المورد للسائق المحروم وحرص على احتكار البضاعة كلها فى هذه السوق . ثم جاء إلى القائد يوماً بحفنة صالحة من النوادر اللاذعة ، فداخل القائد شىء من الغيظ وأشفق من ذيوع هذا الضرب الأليم من التنكيت ، وقال كأنما يحدث نفسه : « ليضحكوا ما شاءوا ... إنهم لا ينسون على كل حال أنهم أعطونا تسعة وتسعين فى المائة من أصواتهم فى الانتخابات الأخيرة ...! »

فصاح به السائق وقد خاف على مورده المحتكر :

سيدى القائد ! من الذى باعك هذه النكتة ؟ !

وروى الراوون أيضاً أن زوجة شابة انتظم زوجها فى إحدى الفرق العسكرية الحديثة فطال غيابه عن المنزل وامتدت ساعات التدريب إلى ما بعد الهزيع الأول من الليل ، حتى تعودت أن تنام ولا تنتظر أوبته حين يؤوب . وتمادى على ذلك فترة طويلة ، فأحبت أن تنبهه بعض التنبيه عسى أن يحتال للخلاص من هذا التدريب أو من تلك المواعيد ، فتركت على الموضع الخالى من السرير ورقة كبيرة أشبه شىء باللوحة التى تكتب للتذكار ، على بعض الأنصاب والآثار ، وكتبت عليها : « هنا ! ... حيث كان يرقد زوجى قبل التحاقه بالفرقة العسكرية » ... فضحك حين رآها . وسمع الجيران بالخبر فضحكوا وتناقلوا الورقة بينهم بضعة أيام ... وسرى الخبر إلى مكتب الاستطلاع فضحك أيضاً ولكنه اعتقل الزوجة أياماً فى معتقل التأديب أو العقاب »

أما فى الروسيا فالفكاهات التى يخترعها الظرفاء للضحك من النظام القائم فيها لا تحصى ، ولا تقل فى الرواج عن الفكاهات الألمانية

قيل إن مندوباً من مندوبى الحكومة أراد أن يستطلع طِلْع الفلاحين الذين يطوفون أو يساقون إلى الطواف بضريح لينين وهو معروض فيه مكشوفاً للأنظار

فسأل واحداً منهم : ما رأيك فيه ..؟ أى فى الزعيم لينين .

فأجاب على البديهة : حاله مثل حالنا ... ميت ولكنه لايدفن !

ووقف فلاح على مقربة من آلة المذياع وهم يركبونها ، فسمع المهندس يقول : إن كل كلمة تلفظ هنا تدوى فى جوانب العالم كله . فهل منكم من يريد أن يقول « كلمة واحدة » باسم الروسيين ؟ فأومأ الفلاح أن نعم ... وتقدم إلى بوق المذياع فصاح : « النجدة ! »

وقفزت جماعة من الأرانب من الحدود الروسية إلى الحدود البولونية ، فدهش الحراس البولونيون لكثرتها وسألوها : ما الخبر ؟ فقال واحد منها : إن مكتب الاستطلاع قد أصدر أمراً بالقبض على جميع الزرافى التى فى الأقطار الروسية ... قال الحارس :

وما شأنكم أنتم وأنتم أرانب ولستم زرافى ؟! فقال الأرنب : « صحيح ! ولكن هل لك أن تثبت ذلك لمكتب الاستطلاع ؟! »

وعمت الشكوى من مكتب الاستطلاع هذا فأشاع الظرفاء الروسيون أن الزعيم ستالين قد أمر بتسريحه وشدد على رجاله أن يتلطفوا إلى الناس غاية التلطف لينسوهم فظاعة ماضيه .

إلا أن الفلاحين المساكين لم يسمعوا بهذا الذى أشاعه الظرفاء البلديون ، فبينما كانت طائفة منهم فى مركبة كبيرة إذ عطس أحدهم عطسة عنيفة سمعها من فى الطريق ، فأطل واحد من رجال مكتب الاستطلاع فى المركبة وسأل : من الذى عطس هذه العطسة ؟

فاضطرب الركب وسرى فيهم الرعب وطفقوا يلكزون العاطس المتوارى أن يبرز نفسه ويحمل وحده وزر عمله ولا يجور على أصحابه جميعاً بجريرة عطاسه ، فلم يسع الرجل إلا أن يعترف بالحقيقة ويقول فى كثير من الوجل والتلعثم : أنا ...!

قال الراوى : فانحنى مندوب مكتب الاستطلاع تنفيذاً لأمر الزعيم ستالين وقال : يرحمك الله !

ويروى الظرفاء الروسيون أن طوفانا من السباب والتبكيت والتعزير سمع ذات يوم فى الحجرة المجاورة لمكتب الرفيق ستالين . فانتظر الحجاب حتى يفرغ الزعيم من حديثه ، ثم فتحوا الباب ليسحبوا منه الرجل المنكود الذى وقعت على رأسه كل هذه الشتائم والمقذعات ، فما راعهم إلا أن يبصروا المكتب خاليا وليس فيه أحد غير الزعيم

— أين الرجل المنكود الذى كنت تشتمه ؟

— فأجاب الزعيم : أنا هو . . . وقد فرغت الساعة من حصة المناجاة !

***

عرضت هذه النوادر و « القفشات » وعرضت معها نوادر المصريين وقفشاتهم للرومان والترك وقره قوش وسائر الحاكمين الذين نالوا من المصريين بالقسوة ، ونال منهم المصريون بالنكتة ، فورد على خاطرى هذا السؤال العجيب : لو كنت حاكما طاغيا ماذا أصنع لهؤلاء الساخرين ؟ هل أطلق لهم العنان يرسلون النكات والقفشات حيث يشاؤون ؟ أو أحسب حسابا لعواقب هذه النكات والقفشات فأحجر على أصحابها ومذيعيها وأتعقبهم بالمصادرة والجزاء ؟

إن النكتة تلطف وطأة الظلم وتوهم المظلوم أنه ينتقم لنفسه بعض الانتقام فتهوّن عليه الشدائد وتروضه على الصبر والانتظار ، فهى من ثم معين للحكام على المحكومين

إلا أن النكتة قد تزرى بالمهابة وتعصف بالرهبة وتجعل الحاكم المخيف أضحوكة فى الأفواه ومهزلة للسامرين ؛ فهى من ثم مضعف لسلطانه ومجرئ على مقامه ومحرض على الثورة والانتقاض

هى بلسم للمظلومين فهى مقبولة

وهى سلاح للمظلومين فهى مرهوبة

فماذا يحسن بالحاكم المستبد أن يصنع مع هؤلاء المازحين ؟

ليس لهذا السؤال جواب فاصل فيما أحسب . ولكنى أقرر الحقيقة إذا قلت إن المحكومين لا يحاربون الظلم بالفكاهات والنكات إلا إذا كان للصبر بقية ، وفى قوس الاحتمال منزع كما يقولون ، وإن الحاكمين لا يتسمحون فى قبول الفكاهات والنكات إلا إذا كان للقوة بقية وللثقة بدوام السلطان مجال فسيح

أما إذا ضاقت الصدور ونفدت الحيل فالمحكومون لا يعتصمون بالفكاهة والتنكيت بل يغضبون ويثورون

وكذلك إذا ضاعت ثقة الحاكم بدوام سلطانه لم يصبر على السخرية والمزاح ، وعالج الحجر عليها عسى أن يستعيد شيئا من المهابة والامتناع

وبعد هذا وذاك يجب علينا أن نفرق بين الفكاهات، وأن نفرق كذلك بين الطبائع التى تتخذها وسيلة لحرب الحكومات

فالفكاهة التى قوامها تلفيق الجناسات اللفظية والملاحظات الشكلية لا تخيف أحداً من العقلاء . أما الفكاهة المخيفة حقاً فهى تلك التى تنفذ إلى المظم وتسرى إلى قرارة الأمور ، ولا ينطبع على هذه الفكاهة إلا أناس يعملون حين يتفكهون ، ويجترئون حين يسخرون .

عباس محمود العقاد

الشريف الرضى

وخصائص شعره

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

على أن الوجدان يفيض فى شعر الشريف حتى من غير الاستعانة بهذه الصيغ البيانية . أنظر إلى وصفه حبيبته فى قوله :

تُحَبِّبُ أيامَ الحياةِ وإنها ... لَأعذبُ من طعم الخلود لطاعم

وتراه يستجمع أساليبه البيانية كلها فى قصائدهِ الطويلة المشهورة كرثائه للصابى وللصاحب فى قصيدتيه التى يقول فى مطلع واحدة :

أعلمت مَنْ حملوا على الأعواد ... أرأيتَ كيف خباضياء النادى ؟

وفى مطلع الأخرى :

أكذا المنون تُقَطِّرُ الأبطالا

أكذا الزمان يضعضع الأجبالا ؟

وهاتان القصيدتان من أفخم قصائده فى الرثاء وإن كان الحنين فيهما أقل منه فى قصائده فى رثاء أهل بيته . وله فى رثاء الصابى قصائد أقل فخامة وإن كانت أكثر حرقة . ومن أكثر قصائد الشريف فى الرثاء وجداناً قصيدته العينية المشهورة التى يقول فيها :

لله نفرة وجد لست أملكها ... إلا تذكرتُ إخوان الصفاء معى

وفيها يقول :

الآن نعلم أن العيش مُختَلَسٌ ... وأننا نقطع الأيام بالُخدَعِ

أُخَيَّ لا رغبت عينى ولا أذنى

من بعد يومك فى مَرْأَى ومُستَمَعِ

وقصيدته التى يقول فى مطلعها :

قف موقف الشك لا يأس ولا طمع

وغالط العيش لا صبر ولا جزع

وهى فى نظرى من أكثر قصائده فى الرثاء وجداناً . ومن قصائده الوجدانية فى الرثاء قصيدته فى آل المسيَّب العينية التى يقول فيها :

وفارقنى مثل النعيم مفارقاً ... ووَدَّعنى مثل الشباب مودِّعا

ومن قصائده الجيدة فى الرثاء قصيدته فى رثاء أمه وهى أكثر وجداناً من قصيدة المتنبى فى رثاء جدته التى يقول فيها :

وإنْ لم تكونى بنت أكرم والد ... لكان أباك الضخم كونك لى أمَّا

وللمعرى قصيدته الطويلة الفخمة فى سقط الزند فى رثاء أمه التى يقول فيها :

مضتْ وقدا كْتَهلتُ فَخلتُ أنى ... رضيع ما بلغتُ مدى الفِطام

ويقول :

سألتُ متى اللقاء فقيل حتى ... يقوم الهامدون من الرجام

فليتَ أَذِينَ يوم الحشر نادى ... فأجهشت الرمام إلى الرمام

ولكن قصيدة الشريف أسهل وأسلس وأكثر وجداناً وهى التى مطلعها :

أبكيك لو نقع الغليل بكائى ... وأقول لو ذهب المقال بدائى

وهى كلها ألصق بالموضوع من بعض أجزاء قصيدة المعرى. ولابن نباتة السعدى قصيدة تستجاد فى رثاء أمه يقول فيها :

فَقدتُ كبيراً بِرَّ أمٍ حَفِيَّةٍ ... كما فقد الثَّدْىَ المعلَّل مُرضعُ

تُبادرُ نحوى تبتغى أن تسرنى ... ولم تدرِ أنى بالسرور أُرَوَّعُ

إلى أن قال :

إلى أى تعليل وأى مَبَرَّةٍ ... وود نصيح بعد ودك أرجع

ولِأَمرٍ ما تذكرنى قصيدة الشريف بقصيدة كوبر الشاعر الإنجليزى فى رثاء أمه ؛ ولعل الذكرى لأثرهما فى الوجدان فحسب لا لشبه كبير

وللشريف قصيدة فى التعزية تستحب للتلطف فى التعزية تلطفاً يجيده الشاعر الوجدانى وهى التى مطلعها : (لو رأيت الغرام يبلغ عذراً) .

وقصائد الشريف فى رثاء جده الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه مشهورة جيدة فخمة ، ولكنها فى نظرى من حيث هى شعر وجدانى أقل مما ذكرت من القصائد . وربما أكون مخطئاً ، وهى لا ينقصها التحرق والتأسف ولكن قيمة الشعر الوجدانى ليست بالتحرق والتلدد فحسب ، ولا بالفخامة ولا بدقة المنطق ولا بعكسه ، وقد يكون الشعر الوجدانى عكس المنطق إذا كان العكس يعبر عن صدق للعاطفة، فقول الشريف فى تشتت قومه وآله :

ما كان ضر الليالى لو نفسن بهم
على النوائب واستثناهم القدر

ليس من منطق العقل ولا هو عكس المنطق الناشىء من مبالغات أهل الصنعة المزيفة بل هو منطق الوجدان الذى يعبر عن النفس؛ فإن كل نفس فى الحياة تطلب أن تستثنى من آلام الحياة وصروفها ومنطق عقل صاحبها يعلم أن هذا طلب محال . فالشعر الوجدانى توفيق ويصادف هوى النفس ومنطقها حتى لكأنه يخلق لها سمعاً يصغى إليه وقلباً يطرب له . وقد يكون البيت الواحد منه ألصق بالنفس وأثمن من قصيدة فخمة سواء أكانت من شعر التلدد ، أو من الشعر التعليمى المحض المستقل عن العاطفة، أو من شعر الزخارف والأعيب الذكاء فى تبذله ولهوه. أنظر مثلاً إلى أبيات الشريف التى يذكر فيها كيف أنه يدافع الهموم بذكرى النعيم الزائل بينما غيره يدفعها بالخمر أو سماع الأغانى ولكنه يفيق من نشوة الذكرى كما يفيق غيره من نشوة الخمر؛ وهى الأبيات التى أولها :

إذا ضافنى هم أمل طروقه
ببعض الليالى أو أضيق به صبرا

إلى أن يقول بعد صحوه من الذكرى :

فما كان إلا خلسة ثم إننى
رأيت يدى مما علقت به صفرا

وهى أبيات ليس فيها خيال غريب ولكن قيمتها فى صدق وصف حالة للنفس ووسائلها فى تعللها . وللشريف قصائد شهيرة فى الإخوانيات قلما تتفق لشاعر آخر فى صدق قولها وبساطتها وقربها من النفس وفى مظاهر الوجدان فيها مثل قصيدته فى مودة الحب ، وهو موضوع قلما يطرقه شعراء العربية عند وصف الحب فى أشعارهم ، أنظر إلى قوله فيها :

أينعت بيننا المودة حتى
جللتنا والدهر بالأوراق

أو قوله فيها :

فى جبين الزمان منك ومنى
غرة كوكبية الائتلاق

ومن قصائده المشهورة قصيدته التى يقول فيها لصديقه :

كأنك قدمة الأمل المرجى
علىَّ وطلعة الفرج القريب

والقصيدة التى يقول فيها :

وكم صاحب كالرمح زاغت كعوبه
أبى بعد طول الغمز أن يتقوما

وهى من قصائده التى ترد كثيراً فى كتب المختارات، وحق لها أن تختار . والشريف إذا جوفى عبر عن شعوره بقوله :

ويظهر لى قوم بعادا وجفوة
وما علموا أنى بذلك أفرح

من برجى العاجى

أمس خرجت من برجى العاجى إلى البرج الدائر .

والبرج الدائر هو مرصد حلوان . دعانى إلى زيارته مديره الأستاذ مدور . وهيأ لى المنظار الكبير مسدداً إلى القمر . فذهبت يدفعنى الشوق إلى استجلاء سر هذا الكوكب الجميل ، الذى نظم فيه شعراء الأرض نصف شعرهم ، ودان له عشاق الأرض بنصف هنائهم . ورفعت عينى إلى تلك العين الذهبية التى طالما رعت بنورها نصف حياتنا ، وسهرت على مسراتنا ، وسكنت من أحزاننا . نظرت ، وإذا أنا أتراجع أسفاً وألما . لا أحب أن أصف ما رأيت . ولكنى أحب أن أسجد لله شكراً إذ جعل لنا عيوناً لا تبصر إلا بمقدار . إن كل الجمال المحيط بنا إنما هو من صنع عيوننا القاصرة . والويل لنا إذا أبصرت أعيننا الآدمية أكثر مما ينبغى لها أن تبصر

ذلك شأن القمر باعث الجمال على الأرض . وكذلك شأن الشمس باعثة الحياة على الأرض . إنها تشرف علينا من مكان معين بمقدار . فإذا اقتربت منا أنملة هلكنا حرقاً ، وإذا ابتعدت عنا أنملة متنا برداً . إن يد الحكمة الأزلية قد وضعتها فى الموضع الذى لا بد لها فيه من أن ترسل إلينا الدفء والخير والسلام

ما أدق هندسة الكون ! اللهم إنى أعود إلى برجى وأنا شديد الأيمان بك ، قريب الفهم لك ، مدرك بعض الإدراك لمشيئتك فى خلق الإنسان ، مطمئن كل الاطمئنان إلى مراميك فى إنشاء حواسنا الآدمية على هذا الضعف . إن ما اعتدنا أن نسميه ضعفاً وقصوراً فى إدراكنا حقيقة الأشياء ليس إلا السياج الذى يحمى سعادتنا البشرية . فإذا خرجنا عن نطاق هذا السياج فقد انقلبنا مخلوقات أخرى لا تتصل بالأرض ولا بجمالها ولا عواطفها . مخلوقات ليست آدمية ، فقد ترى غير ما يرى الآدميون . وقد ترى أبعد مما يرون . ولكنها لن تكون من أجل ذلك أسعد ولا أسمى ولا أنبل .

اللهم إنك مع قصورنا قد صنعتنا على خير حال ، ومع جهلنا قد هيأت لنا أحسن مآل .

توفيق الحكيم

فيكون هو المعزز المكرم بقوله هذا . وانظر إلى الوجدان فى قوله :

يُحَبِّبُ أيام الحياة وإنها لأعذب من طعم الخلود لطاعم

وهو لا يفحش فى هجائه كما يفعل الشعراء ولكنه مع ذلك يدمغ خصومه ، أنظر إلى قوله :

من كل وجه نقاب العار نقبته كالعر مر عليه القار والقطر
يَصْدَى من اللؤم حتى لو تعاوده أيدى القيون زماناً لا نجلى الأثر

وهى مبالغة ضرورية لأنها نكتة يراد بها السخر . وانظر إلى قوله :

تمسكوا بوصايا اللؤم تحسبهم تتلى عليهم بها الآيات والسور

وقوله :

لو عِيْدَ من داء الفهاهة واحد عادوه من عى إذا حضر الندى

وأشعاره فى الشيب كأشعار أخيه المرتضى مشهورة ، وقد عنى بشعرهما فى الشيب صاحب كتاب (الشهاب فى الشيب والشباب) وهو باب من الشعر الوجدانى أيضاً . وهذه النظرة فى ديوان الشريف تثبت ما قدمناه فى أول المقال من أنه أكثر نصيباً من شعر الوجدان ولكن ليس له فى وصف الطبيعة كقصيدة أبى تمام التى أولها (رقت حواشى الدهر فهى تمرمر) أو كقصيدة البحترى التى يقول فيها (وجاء الربيع الطلق يختال ضاحكا) أو (شقائق يحملن الندى فكأنه) أو وصف بركة المتوكل أو وصفه آثار الفرس وغيرها من شعر الوصف التصويرى . وليس له كوصف ابن الرومى غروب الشمس فى قوله (وقد رنقت شمس الأصيل الخ) ولم يسر شعره فى الأمثال كما سار بعض شعر المتنبى ، ولم يولع بالبحث فى الحياة والكون كما يفعل المعرى ، ولكنه مع ذلك قد أمن زلل المبالغات والتشبيهات البعيدة المرفوضة ، وأمن الفتور وأمن المعاظلة والتواء القول وأمن الألاعيب اللفظية . وشعر الوجدان ليس بأقل منزلة ولا أقل أثراً فى النفس من أبواب القول الأخرى التى بزه فيها منافسوه ، فهو إذاً أقل منهم منزلة وله مع ذلك نظرات صائبة تدل على عقل وذكاء وذوق فى اختيار ما يقول ورفض ما لا يجمل به أن يقول . أنظر إلى قوله فى وصف لذة القسوة المركبة فى بعض الطبائع :

يهش للمرء تعريه أظافره كما تهش سباع الطير للجيف
إذا نجا من يديه غير منعفر أفنى أنامله عضاً من الأسف

وقوله :

يصل الدليل إلى العزيز بكيده والشمس تُظلِمُ من دخان الموقد

وقوله فى أثر الأفذاذ فى حياة الناس وتاريخهم :

ولولا نفوس فى الأقل عزيزة لَغَطَّى جميع العالمين خمول

وقوله :

رب نعيم زال ريعـانه بلسعة من عقرب الحاسد

وقوله :

كفى بقوم هجاء أن مادحهم يهدى الثناء إلى أعراضهم فرقاً

وكل هذه نظرات صائبة فى النفس ، وله أشياء كثيرة من أمثالها ، ولا غرابة أن تكون للشاعر الوجدانى نظرات صائبة فى النفوس . وله أيضاً وصف بديع كما قال فى وصف الفرس :

إذا تَوَجَّسَ كان القلبُ ناظرَهُ والقلب ينظر ما لا ينظر البصر

وقال فى وصف تردد الجيل فى النعيم وتشبيهه بتردد القُرْط الجميل فى اهتزازه على جانب الوجه الجميل بعد تشبيه تردد الحبيب فى النعيم بتردد النسيم ولعبه بالأغصان :

ينأى ويدنو على خضراء مورقة لعب النُّعامَى بأوراق وأغصان [1]
كالقُرْطِ عُلِّقَ فى ذِفْرَى مُبَتَّلَةٍ
بين العقائل قُرْطَاهَا قليقان

وهذا الوصف إذا تُؤُمِّل وجد وصفاً مطرباً [2]

عبد الرحمن شكرى

(١) النعامى بالياء ريح بليلة

(٢) ضاق المقال عن الكلام فى النغمة الموسيقية فى شعر الشريف وسنتكلم عنها فى مقال عن تلميذه مهيار الديلمى ونشير إلى مقدرتهما فى الوصف

تنبيه : فى المقال السابق حرّف بيت للشريف وصحته : (فانك أحلى فى جفونى من السكرى) ومتأمل بفتح الميم المشددة الثانية لا بكسرها

أغرب ما رأيت فى حياتى

للدكتور زكى مبارك

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

كيف أقطع مرتب مرجريت ؟

وكيف أدخل البؤس إلى صدر موريس ؟

كيف ؟ كيف ؟

المسألة فى ذاتها هينة ، ولكنها مع ذلك بدت لى فى غاية من التعقيد ، لأن اتصالى بمرجريت كان أثار حول اسمى شبهات أذاعها فريق من أهل الفضول فى باريس ، وأظن — وبعض الظن إثم وبعضه غير إثم — أن ابنة صاحب البيت الذى كنت أقيم فيه كان لها دخلٌ فى إذاعة الشبهات التى آلمتنى فى باريس

كان ناس من المصريين يسألون عنى من حين إلى حين فكانت تلك البنت تلقاهم بابتسامة خبيثة ، ثم تقول : المسيو مبارك رجل لطيف ، فهو لا يُلزم الخدم بترتيب غرفته غير مرة أو مرتين فى الأسبوع !

ومعنى ذلك أنى أبيت ليالى كثيرة فى مكان مجهول

وكان لى مع هذه البنت تاريخ جميل يغريها بأن تُلقى علىّ حقودها حين أغيب

وكان المصريون فى باريس يتعتّبون ويتلومون كلما رأونى ، ويحبون أن يعرفوا أين أقضى أوقات الفراغ

وكانت حجتى حاضرة ، ولكنها لم تكن تُقنع إلا من يريد أن يقتنع . كنت أقول إنى تركت فى مصر خمسة عشر مليوناً وما يهمنى أن أراهم مرة ثانية فى باريس

والواقع أنى أحسنت كل الإحسان فى هذا المسلك ، فلم يكن لى أىّ نفع من تزجيــة أوقات الفراغ مع المصريين المقيمين فى باريس ، فأكثر كلامنا حين كنا نلتقى لم يكن إلا ثرثرة سخيفة باللغة العربية حول السياسة المصرية ، وربما كنت المصرى الوحيد الذى عاش فى باريس ولم يعرف مكان السفارة المصرية فى باريس

والواقع أيضاً أن صلتى بمرجريت لم يعرفها أحد قبل اليوم غير شخص واحد هو الدكتور أمين بقطر الذى كلفتُـه فى إحدى السنين أن يمر على مرجريت ليحدثها عن أشياء لا يمكن أن تكتب فى خطاب ، ومع خطورة هذه المهمة فرّط الدكتور بقطر فى زيارة مرجريت ...

وهكذا يكون الإخوان فى هذا الزمان !

والحاصل — كما يعبر أهل بغـداد — أنى كنت أحب أن أتخلص بصفة نهائية من مرجريت ، لأنى كنت أخشى أن أفتضح فى الأندية المصرية ، وتحقّ علىّ لعنة خصومى ، الخصوم الذين كانوا يعرفون كيف يلطخون سمعتى بالسواد بلا تعفف ولا استحياء

كان يجب أن أقطع صلتى بمرجريت ، وهل بقيت بيننا صلة غير مئات الفرنكات التى أجود بها فى كل شهر لأنقذ موريس من الجهل ومن الجوع ؟

كان هذا المرتب ثقيلاً جداً ، وكان إرساله يضيع علىّ فى كل شهر يوماً أو بعض يوم ، وقد اضطرنى مرة إلى أن أصرخ بالفرنسية ! Je m'ennuie

وكنت فى كل مرة أتعرض لمكاره كثيرة من التحليلات النفسية ، كنت أقول إن لى قرابات كثيرة تعانى الضر والبؤس . وهى أولى بكرمى إن كنت من الكرماء

وكنت أقول إن مرجريت آوتْ روحى وقلبى خمسة عشر شهراً ، وأمكنتنى من أن أصير أباً كريماً لطفل جميل

وكنت أقول إن لمرجريت فضلاً عظيماً فى مرونة لسانى باللغة الفرنسية ، المرونة التى أمكنتنى من أن أحاور هيئة الامتحان فى مدرسة اللغات الشرقية خمس ساعات ، والتى أمكنتنى من أن أصاول هيئة الامتحان بالسوربون ثلاث ساعات ، وذلك مغنمٌ ليس بالقليل

كنت أقول إن مرجريت هى التى عرّفتنى بدقائق الحياة فى باريس

كنت أقول إنى لم أحسن الأكل بالشوكة والسكين إلا بفضل مرجريت

كنت أقول إن مرجريت بكت مرة وأبكتنى يوم زرنا معاً مصانع ستروين ، حين وقفنا ننظر إلى فتاة تطرق الحديد وهىَ أرق من الزهر وأكثر إشراقاً من الصباح

قالت مرجريت : ما رأيك يا محبوبى فى هذه الفتاة ؟

فتلعثمت

فقالت : قل الحق ، ماذا تدفع من الأموال لحديث ليلة مع هذه الحسناء التى تطرق الحديد ؟

فقلت : وهل هى أجمل من مرجريت ؟

فقالت : دع هذا الأدب المصقول وأجبنى

فقلت : أقدم حياتى ثمناً للسمر ليلة مع هذه الفتاة

فقالت : وهل تعرف كيف زهدت هذه الفتاة فى فتنة باريس لتلهو بطرق الحديد ؟

فقلت : أحب أن أعرف

فقالت : هذه فتاة تستعد لتكون ربة بيت ، فهى تطرق الحديد لتجمع من الأموال ما يمكنها من أن تكون زوجةً لرجل شريف مثل المسيو مبارك

ثم استغرقتْ فى البكاء والنشيج

بكيتُ يومئذ لبكاء مرجريت بكيتُ بكاء لو شهدته الملائكة لأضافت اسمى إلى أسماء الشهداء والصدِّيقين

وفى تلك اللحظة جذبتُ يد مرجريت بعنف وقلت : لن نفترق يا مرجريت

فقالت : وكيف ؟

فقلت : سأنقلك إلى مصر ، إن كان لى إلى مصر مَعاد

فقالت : وماذا أصنع فى مصر ؟ هل ترانى أصلحُ لمعاونة مَدام مبارك على ترقيع الجوارب ؟

فقلت : إن مَدام مبارك لا ترقِّع الجوارب

فقالت : كيف تقول هذا وأنت أبخل من اليهود ؟!

وضحكنا ضحكاً صنع بالدموع ما تصنع الشمس بآثار الغيث

* * *

ذكريات مرجريت كلها لطيفة ، ولكن يظهر حقاً أن فىّ شيئاً من أخلاق اليهود ، لأنى عانيت فى حياتى ما يعانى اليهود ، وهل يبخل اليهود بالطبع ولهم جدٌّ اسمه السموأل ؟

إنما يبخل اليهود بسبب الاضطهاد ، وأنا أبخل بسبب الاضطهاد

كان أجدادى من أغنى أهل المنوفية فحملتهم النخوة العربية على التبذير والإسراف إلى أن صافحوا الإفلاس

فأنا أجمع القرش إلى القرش لأصير من الأغنياء

وهل يتفق هذا مع الإنفاق على امرأة جميلة فى باريس ؟

يجب أن أقطع مرتب مرجريت

ولكن كيف ؟

أحب أن أعرف كيف أتخلص من مرجريت

* * *

كانت مرجريت تكتب إلىّ فى كل أسبوع خطابين ، وكانت تخاطبنى بالكاف ، وكنت أبخل عليها بالمخاطبة بالكاف ، لأنى كنت أخشى أن يكون فى المخاطبة بالكاف ما يشهد بأنى كنت مع تلك المرأة على صلات غرامية(١)

وكانت مرجريت تتألم من ألا أخاطبها بالكاف وتقول : إن بخلك علىّ بالمخاطبة بالكاف يوجب أن أُخفى رسائلك عن موريس ، وهى كل ما فى حياة هذا الطفل المسكين من عزاء .

حرسك الله يا موريس وبارك فى حياتك الغالية !

وكانت مرجريت تتحدث فى رسائلها عن أشياء دقيقة لا تذكر إلا فى رسائل العشاق

وكنت أتغافل عن تلك الأشياء حين أكتب الجواب

وكان هذا يؤذيها أبلغ إيذاء ، فكانت تتهمنى بالقسوة والعنف

والله وحده يعلم كيف كنت أسيء الأدب فى مراسلة مرجريت ، فأنا أعيش فى القاهرة وهى تعيش فى باريس ، أنا أحترس تخوفاً من بطش خصومى ، وهى تترسل بلا تخوف لأنها تعيش بين قوم يرون صيانة الحب من الشرائع

وهل تعلم مرجريت أن محبوبها الغالى يحيا فى القاهرة بلا ناصر ولا معين ؟

هل تعلم مرجريت أن محبوبها يشتغل بالتدريس وهو عمل تكدره الشبهات ؟

هل تعلم مرجريت أنى لا أصلح أبداً لما صلح له فيكتور كوزان الذى كان أعظم أستاذ للفلسفة فى باريس ولم يكن له زوجة وإنما كانت له خليلة تحرسه وترعاه ؟

إن مرجريت لا تفهم أنى مصرىٌّ يعيش فى مدينة لها تقاليد غير تقاليد باريس

يجب أن أقطع مرتب مرجريت وأن أتخلص من مرجريت

* * *

وفى أثناء تلك الأزمة النفسية وقع حادث عجيب لم يهتزّ

---

(١) المخاطبة بالكاف تعبير عربى أصيل وهو يماثل الـ Tutoiement فى الفرنسية

له فى القاهرة قلب غير قلبى ، وقع حادثٌ لا يصدقه أحدٌ فى الشرق ولـكنه زعزع كيانى

وقع حادث لم يعلق عليه كاتب مثل المازنى أو العقاد أو الزيات ، ولم يلتفت إليه مصطفى عبد الرازق ولا منصور فهمى ولا طه حسين ولـكنه زلزل قدمى وهدّ بنيانى

وهل يقع فى الدنيا حادث أغرب وأعجب من أن يجيء المسيو ميللران رئيس الجمهورية الفرنسية الأسبق ليطالب فى المحكمة المختلطة بالقاهرة عن حق إحدى الغوانى بالميراث فى تركة أحد الأمراء ؟

قد أنسى كل شيء ، ولـكنى لا أنسى أنى اعتذرت عن دروسى بالجامعة المصرية لأشهد دفاع المسيو ميللران

وماذا قال المسيو ميللران فى ذلك اليوم ؟

قال إن موكلته امرأة شريفة

وما كاد ينطق بهذه الـكلمة حتى صُعِقتُ ، فقد فهمتُ أن المرأة من حقها أن تحب ، وقد أحبتنى مرجريت فمن حقها أن تطالبنى بالنفقة الشرعية حين تشاء

وماذا أملك حتى تطالبنى مرجريت ؟

أملك سمعتى ، وهى كل شيء ، وبفضل تلك السمعة أتسامى لمنصب الأستاذية فى الجامعة المصرية

وقد آن أن أعترف بالخطر الذى كان يهددنى فى جميع أطوار حياتى ، فأنا رجل من كبار العلماء ، وستمرّ أجيال وأجيال قبل أن يوجد لى فى البحث والاطلاع شبيه أو مثيل(١) ولـكنى وا أسفاه مولعٌ بدرس سرائر النفس الإنسانية . وأغرانى بذلك أنى كنت أول دكتور فى الفلسفة من الجامعة المصرية ، وهذا المعنى هو الذى حملنى على الصراحة فيما أسجّل وأقيّد من الأفكار والمعانى ، وأغلب الظن أنى سأكون أشرف ضحية للدراسات الفلسفية ، ولا يغرينى إلا شيء واحد هو الشعور بأنى أنقذ الأدب العربى من كابوس الرياء والنفاق ، ولـكن الأدب العربى يحيا لأموت

والحاصل — مرةً ثانية — أنى عرفتُ وتيقنتُ أنى لا أملك قطع مرتب مرجريت

وهل أستطيع الوقوف بالمحكمة المختلطة بالقاهرة أمام محام ذلق اللسان يطالبنى بحقوق مرجريت ؟

وما هو مبلغ السبعمائة فرنك حتى أهرب من وجه مرجريت ؟

إن أصغر مبلغ أتقاضاه على المقالة الواحدة لا يقل عن جنيهين ، فما الذى يمنع من أن أنفق على مرجريت مما أتقاضاه من مقالاتى فى مثل مجلة الرسالة أو مجلة الهلال ؟

وما الذى يمنع من أن أنقذ سمعتى بمبلغ ضئيل هو مئات من الفرنكات ؟

ولى مع ذلك تعزية صغيرة هى شعور موريس بأن له أباً هو المسيو مبارك الذى استأنف سياحته فى مصر والشام والعراق

ولى تعزية ثانية هى رسائل مرجريت التى تحدثنى عن غرائب الأشياء فى باريس

ولى تعزية ثالثة هى الشعور بأن لى غرفة فى باريس أدخلها على غير موعد حين أشاء

ولـكنى مع الأسف الموجع كنت أشعر بأنى قد نزلت إلى أسفل دركات الانحطاط ، لأنى كنت أقدم المرتب إلى مرجريت بفضل الخوف لا بفضل الوفاء

وفى صيف سنة ١٩٣٧ كانت لى فرصة لزيارة باريس بمناسبة المعرض ، وكانت مرجريت تلح فى أن أزور ذلك المعرض لأراها وترانى ، وقد شجعنى سعادة الأستاذ محمد العشماوى بك على زيارة المعرض لأكتب عنه مقالة أو مقالتين ، ولـكنى رفضت

رفضتُ فراراً من مرجريت

فماذا صنعت مرجريت ؟

ماذا صنعتْ مرجريت ؟

كتبت خطاباً تقول فيه :

« عزيزى مبارك

يسرنى أن أخبرك أن موريس نال إجازة الدراسة الثانوية وقد وجد عملاً بمكتبة ... بمرتب قدره ثمانمائة فرنك . وبعد أيام سأقف مع المسيو... بكنيسة المادلين لأداء مراسيم الزواج . فأرجوك أن تبقى المبلغ الذى تتفضل به شهرياً ، فقد ينفعك فى تربية أبنائك ، ويهمنى أن تعرف أنك أشرف رجل عرفته فى حياتى ، وأن تثق بأن خطيبى لا يغار منك ، فقد صارحته بكل شيء ، وهو فى غاية الدهشة من أدبك العالى ، وكل ما نرجوه أن ترسل عبد المجيد لنتولى تثقيفه فى باريس »

صديقتك العزيزة جداً

مرجريت

حاشية :

« أنا أقرأ خطاباتك مع زوجى . فهـل تقرأ خطاباتى مع زوجتك ؟ »

(١) مع الاعتذار لقراء الرسالة عن هـذا الاسراف الذى علله الأستاذ الزيات أحسن تعليل

من رحلة الحجاز

حديث الحج
في المدينة المنورة
للدكتور عبد الوهاب عزام

فصلنا من جُدَّة مغرب الثلاثاء خامس عشر ذى الحجة ، متوجهين تلقاء المدينة ، وهى مسافة تقطعها قوافل الإبل فى ١٤ يوماً . وبعد مسير سبع ساعات فى طريق سهلة على مقربة من البحر بلغنا رابغا . وهى قرية ذات نخل على مسير ساعة من البحر للراجل ، تجتمع فيها طرق بين جدة ومكة والمدينة ، وإذا حاذاها الحجاج القادمون من الشمال فى البحر الأحمر أحرموا للحج ، وليست هى ميقات للاحرام ولكن الميقات الجحفة على عشرة أميال إلى الجنوب منها

واستأنفنا السير ضحى الخميس آملين أن نبلغ طيبة عشية اليوم ولكن الرمال عوّقت بعض السيارات فبتنا فى أبيار بن حصان . ثم غدونا سائرين ونزلنا بالمسيجيد بعد ثلاث ساعات . واستأنفنا السير حتى العصر فلاح لنا النخل أخضر يانعاً يبشر باقتراب الغاية؛ ونزلنا آبار على وهى ذو الحليفة ميقات أهل المدينه . ومنه أحرم النبى صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع . ثم سرنا فلاحت لنا بعد قليل المدينة المنورة تتوجها القبة الخضراء ، كأنما تباهى على صغرها السماء ... أهذه نضرة الإيمان فى هذه البقعة ، أم ازدهار الآمال فى هذه الساحة ؛ أم كما قال عا كف بك : واحة نزلت من السماء لتأوى إليها الأرواح المتحرقة فى البيداء ؟

ودخلنا المدينة من الباب الشامىّ حيث محطة سكة الحديد الحجازية . وحططنا رحالنا فى المدرسة السعودية وقد أعدّت لنزولنا . ثم سارعنا نتأهب للموقف الجليل ، للساعة التى تعرج فيها الروح من الأرض إلى السماء . ذلكم المسجد النبوى فى بهجة النور والإيمان ، يدوّى بالمصلين والداعين والقارئين ؛ ولكن الواقف إزاء الحجرة النبوية لا يرى من هذا الجمع أحداً ولا يحس من هذا الدوىّ همساً . لا يرى إلا هذا الجلال ولا يسمع إلا هذا الوحى . وإنما هى وقفة يمّحى فيها الزمان والمكان فيتصل الأزل بالأبد والسماء بالأرض

يا لك بقعة صغيرة لا يدرك العقل مداها ، ولا يبلغ الفكر منتهاها ! يا لك حجرة يظل الفكر مسافراً فى أرجائها ، محلّقاً فى أجوائها ، فيتطوّف فى أرجاء التاريخ ، ويحلق فى أقطار السماء والأرض ؛ وكأنما طوى الزمان ، وزُويت الأرض ، واجتمعت الإنسانية ، وحشر البرّ والحق وكل خلق طيب فى هذا الضريح . يا لك بقعة كالكوكب المضىء تناله الأعين فى لمحة وتحيط أشعته بالعوالم العظيمة ! يا لك بقعة كمنبع النهر العظيم ، متدفق بالحياة فياض بالبركة مدّاد بالخير يحيي الأجيال بعد الأجيال

يا حيرة الوصف ، وعجمة البيان ! أهى عنوان كتاب انطوى على الحق والصدق ، والخير والبر ، والإحسان والمرحمة ، يقرؤه القارئ جملة ثم لا يزال تروعه منه الصفحة بعد الصفحة ؟ أم هى تاريخ لا يزال الدهر يكتب صفحاته وإنما أوله وحى الله وآخره غيب الله ؟

أترى هؤلاء المصلين لا يفترون ، وهؤلاء المرتلين القرآن لا يصمتون ، وهؤلاء الداعين لا ينقطعون ، أتسمع هذا الآذان وهذا السلام وما يحدث به المسلم أخاه ، وما يفضى به فى علانيته ونجواه ؟ ليس فيما ترى إلا أناسىّ هداهم محمد، وأفعال علّمها محمد،

آمنت بالله والحب !

لقد أنقذتنى مرجريت من العذاب الأليم

وفرتُ سبعمائه فرنك قبل رحيلى إلى العراق ، وفرتُها وأنا لئيمٌ بخيل

وفرتُ سبعمائة فرنك لأحرم نفسى وقلبى من أبوّة موريس

وفرت سبعمائة فرنك لأرجع إنساناً سخيفاً لا يعرف الهيام بأودية المعانى .

مرجريت ! مرجريت !

أذكرينى بالشعر يوم أموت

هل الله عاف عن ذنوبٍ تسلّفتْ أم الله إن لم يعفُ عنها يعيدها

« مصر الجديدة » زكى مبارك

وكلمات أملاها محمد ، بل كل صوت يرتفع إلى الله فى أقطار الإسلام ، وكل عبارة فى وضح النهار أو جنح الظلام ، وكل لسان يدعو إلى الخير وكل يد تمتد بالبر ، وكل كلمة حق ودعوة صدق ، وكل نية محمودة وسعى مشكور، فهنا منبعه، ومن هذه البقعة وحيه؛ بل كل نزعة فى المسلمين إلى سؤدد ، وكل طموح إلى علاء ، وكل سلطان فيهم قائم بالحق ، وكل شرع نافذ بالعدل ، وكل دعوة إلى حرية وثورة على ظلم، وانتصار للحق، وتمرد على الباطل — كل أولئك شعاع من هذا النور ، أو قطرة من هذا الينبوع

ولست تتمثل هنا مجداً ولا سلطاناً ولا سؤدداً ولا علواً إلا تمثلته تواضعاً للحق ، وبرا بالخلق ، ورأيته سؤدد المساكين وسلطان المستضعفين . السلطان الذى يجمع الناس على شريعة من العدل والمرحمة والمودة والسلام

موقف يتضاءل فى جلاله كل جلال ، ويصغو فى جماله كل جمال . لمحات تطهر فيها النفس من أرجاسها ، وتبرأ من أهوائها ، وتسمو على شهواتها ، وتخلص من أغلالها ، فتستمد الخير والحق والعلاء والتقوى والحب والسلام وتسع السماء والأرض وكأنما تخلق خلقاً جديداً وتفتح فى أعمالها صفحات جديدة . خسر من لم يطهره هذا الموقف ، وخاب من لم ترفع نفسه هذه الساعة . هنا النفس المطهرة . هنا محمد بن عبد الله . هنا رسول الله . هنا خاتم النبيين . ثم هنا اثنان من صحبه وخلفائه : أبو بكر وعمر

***

المسجد النبوى فى شكله الحاضر بناه السلطان عبد المجيد العثمانى ، استغرقت عمارته ١٢ سنة بين سنة ١٢٦٥ وسنة ١٢٧٧ ولم تبق من الأبنية القديمة إلا قليلاً؛ وهو جميل المنظر حسن الهندسة فى سقفه قباب صغيرة منيرة مزينة تحملها عمد متقاربة صبغت لوناً أحمر وزينت بالتذهيب

كان المسجد حين بناه الرسول سبعين ذراعا فى ستين وجدرانه من اللبن وسقفه من الجريد وعمده جذوع النخل ، ثم وسعه الرسول فجعله مائة ذراع فى مثلها ثم توالى التوسيع والتعمير فى أيام الخلفاء الراشدين فمن بعدهم حتى انتهى إلى شكله الحاضر . ولكن حدود المسجد القديمة معلّمة بالعمد كما حددت الروضة النبوية بين القبر والمنبر .

ولا ينظر الإنسان نظرة فى هذا المسجد المبارك إلا وقعت على ذكرى كريمة من رسول الله وأصحابه . فهناك سارية عائشة ، وسارية أبى لبابة الصحابى التى ربط نفسه بها ، وآلى ألا يبرح حتى يتوب الله عليه ، وخوخة أبى بكر .

وحول المسجد مواقع الدور التاريخية : دار أبى بكر ، ودار عثمان وغيرهما

وفى المدينة مشاهد كثيرة عظيمة لا يتسع المقام لتعدادها . وحسبى أن أذكر ما شهدت فى يوم واحد يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من ذى الحجة: خرجنا إلى جبل أحد وهو شمالى المدينة قريب منها فمررنا بجبل سلع وسرنا حتى شهدنا مكان موقعة أحد ورأينا قبر حمزة أسد الله رابضا فى العراء وعلى مقربة منه جدار يحيط بمدفن شهداء أحد رضى الله عنهم .

وفى اليوم نفسه توجهنا شطر الجنوب إلى مسجد قُباء وهو أول مسجد أسس فى الاسلام بناه الرسول صلى الله عليه وسلم حينما هاجر من مكة فنزل فى قباء على مقربة من المدينة فى بنى عمرو ابن عوف . وهو المسجد الذى ذكر فى القرآن : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحقُّ أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا . والله يحب المتطهرين » والمسجد كما يرى اليوم حسن المنظر عالى الجدران تتجلى فيه البساطة والنظافة وقد توالى عليه التعمير حتى انتهى إلى بنائه الحاضر . وفى صحن المسجد مكان يقال إنه مبرك ناقة الرسول صلوات الله عليه ، وقد قرأت عليه بيتين باللغة التركية

وعلى مقربة من المسجد بئر أريس . وهى بئر عميقة ماؤها عذب غزير صاف وهى التى سقط فيها خاتم النبى من يد عثمان بن عفان أيام خلافته . ويستخرج الماء منها ومن آبار المدينة كلها بالسوانى . ترى بكرات على البئر معلقة بها غروب كبيرة وتجر حبالها الدواب من الإبل أو البقر أو الحمير. وقد تجتمع الثلاثة معاً، تسير الدابة نحو البئر فيتدلى الغرب [1] حتى يمتلىء ثم ترجع البئر حتى يرتفع الغرب . فإذا علا الحوض جذبته الحبال فينصب ماؤه فى الحوض، فتسير الدابة أو السانية فى طريق مستقيمة ذهاباً وجيئة

***

(١) الغروب جمع غرب وهى آله

والمدينة جيدة الهواء فى الصيف معتدلة فى الشتاء ، وأرضها خصبة وآبارها غزيرة وبساتينها كثيرة ، وفيها النخل والكرم والرمان والبرتقال والخوخ والموز والبطيخ وفواكه أخرى . وتمرها جيد جداً وأصنافه لا تعد

ولكن الأرض فى وقتنا هذا ليست مستغلة كل الإستغلال ، ولا تفى بحاجات أهلها ، ويعيش كثير منهم على التجارة ، ويعوّل فقراؤهم على جدوى المسلمين

ويظهر على دور المدينة وساحاتها الفقر . وفى ذمة المسلمين أن يبروا جيران رسول الله وأن يعمروا دار رسول الله . عليهم أن يغدقوا الخيرات ، ويمدوا أيديهم للأعمال الدائمة المنظمة من بناء المستشفيات والملاجئ والمصانع والمدارس . وظنى أنه إذا استثمرت أموال المسلمين فى أرض المدينة وغلاتها ، زادت خيراتها أضعافا مضاعفة ووفت بحاجات سكانها أو كادت .

***

إن الحرم المدنى والمدينة كلها أهلها ودورها ومساجدها وطرقها وساحاتها ، كل أولئك يدعو المسلمين إلى التعاون على الخير والاجتماع على العمل الصالح الذى يجعل طيبة بلداً معموراً آهلاً ، منسّق الدور والطرق ، ميسّر الطعام والشراب ، موفور وسائل الصحة والعمل الصالح الذي يجعلها مباءة علم يؤمها بعض الطلاب من أرجاء الأقطار الإسلامية لتؤلف بينهم الثقافة الإسلامية المشتركة ، أو تحفزهم إلى خير الإسلام والمسلمين الآراء المتداولة ، ويدرسوا تاريخ الإسلام فى مواقعه . وليت المدينة تصير مقصد المسلمين من أقطار الأرض يفرون إليها فى الحين بعد الحين ليجدوا سلام أنفسهم وطمأنينة قلوبهم وصحة أبدانهم ، فيذهب إليها أغنياؤهم وأمراؤهم كلما ملكوا الفرصة للاستراحة قليلاً من ضوضاء الحياة ومفاسدها

لن يبر المسلمون دينهم ورسولهم وأنفسهم حتى تسخو أيديهم بالمال وتجتمع عقولهم وأعمالهم على الإصلاح . والله يهيئ لهم من أمرهم رشداً ويهديهم للتى هى أقوم

عبد الوهاب عزام

قلت لنفسى ...

حضر الأصمعى يوماً مجلس الفضل بن الربيع وقبالته فرس مطهم . فقال الوزير لصاحب كتاب الخيل : قم يا أصمعى وأمسك كل عضو من أعضاء هذا الفرس وسمّه ، فإذا سميتها أخذته . فقام وأمسك بناصية الفرس وجعل يسميه عضواً عضواً وينشد ما قالت العرب فيه إلى أن فرغ منه فأعطاه إياه . فهبى يا نفس أن الجود والرق لم يُرفعا من الأرض ، وأنى دخلت يوماً على أمير من الأمراء البهاليل وبين يديه جارية من الغيد الحسان ، ترفل فى دِمَقس شِكوريل وسمعان ، وقال لى هذا الأمير الأديب : إذا سميت ما على هذه الجارية من اللباس ، ووصفت ما فى هذه الدار من الأثاث ، نزلت لك عن الجارية والدار ، وزدتك عليهما ألف دينار ! فماذا ترينى يا نفس فاعلاً ، وأنا الذى لا تعزب عنه مادة فى اللغة ، ولا قاعدة فى النحو ، ولا نكتة فى البلاغة ؟ ماذا أسمى هذا المائل على الفَوْد الأيسر ، أو هذا المائل على الجبين الأزهر ؟ وماذا أقول فى هذا المزرّر على الصدر المشرق ، وهذا المُدار تحت الثدى الناتئ ، وهذا المرسل على الكشح الهضيم ، وهذا المفصّل على القدم اللطيفة ؟ أنا لا أعرف من غطاء الرأس إلا القناع والخمار ، ولا من لباس الجسم غير الملاءة والإزار ، ولا من وقاء الرجل غير الحذاء والنعل ! فهل تنطبق هذه الأسماء ، على هذه الأشياء . أم تكون دلالتها عليها كدلالة الأثاث والرياش على كل (موبليات) البيت ، والورد والريحان على جميع أزهار الحديقة ، والجهل والعُجمة على كل أدوات السيارة ؟ !

لا جرم أنى سأعجز على أى حال ، وسأطلب من رفعت باشا الجارية والدار والمال !

ابن عبد الملك

فى مطلع العام الجديد

بين يـــدى الله !

للأستاذ على الطنطاوى

الآن استهل العام الجديد

لقد أوشك فجره الأول أن يطلّ على الدنيا ، وأنا حانٍ على مكتبى — أفكر منذ ساعات فى أشياء لا أستطيع أن أصفها أو أعبر عنها أو أحصيها — والليل ساكن تتردد بين جوانحه أنفاس السحر وأنا أنظر من غرفتى إلى صحن المسجد (مسجد أبى حنيفة فى الأعظمية) فأراه مشرقاً بالنور ، مترعاً بالجلال ، ولكنه خال من الناس . وأنظر إلى صحن المدرسة (دار العلوم الشرعية) وحديقتها الخالية ، الحالية بأشجار الموز والنخل والورد والغرفة بينهما لها إلى كل من الصحنين باب ... أريد أن أكتب (مقالة العام الجديد) فلا تواتينى الأفكار ، ولا تتوارد علىّ الكلم ، وصدرى أغنى بالمعانى منه فى الأوقات كلها ، ولكن ازدحام المعانى على الفكر ، وتكاثر الصور فى الصدر ، يعيق المرء عن الكتابة كما تعيقه قلّتها ، كالذى يريد أن يملأ الكأس من (السبيل) إن كان جافاً أو نزراً قليلاً لم تمتلىء الكأس ؛ وإن كان الماء يهدر وينحدر بقوة ويتدفق من فم الأنبوب مندفعاً ، تطاير الماء إلى كل جانب ، ولكنه لا يستقر فى الكأس منه شئ — لأن كل قطرة تطرد أختها — كما تزيح كل فكرة فى رأسى الفكرة التى قبلها لتحلّ فى مكانها ...

***

ولقد طالما وقفت هذا الموقف، ففكرت فى الزمان وتفلسفت، وعدت إلى ماضىّ فحزنت ، وفكرت فى المستقبل فأيست ، ثم رأيت ذلك باطلاً كلّه ، كلّه باطلٌ ! لا الماضى يعود ولا الحاضر يدوم ، ولا المستقبل يأتى . تفنى اللذاذات وتذهب الأحزان ، وتمرّ الأيام بنا فى طريق القبر حتى نبلغه ، فتكون خاتمة المطاف هذه الآلام التى نودّع بهـا الدنيا ، والتى تنسينا كل لذة ، وكل متعة استمتعنا بها ...

ويا ليت الموت هو الغاية !!

إن الموت بداية لذة لا آخر لها ، أو ألم ماله من نهاية ...

فأين نحن ؛ وفى أى وادٍ من أودية الضلال نتخبط ؟

اللهم إنى أتوجه إليك فى هذه الساعة لتصلنى بك ، وتدلنى على الطريق إليك ، حتى أعرفك فلقد عرفت أن كل شئ سواك باطل !

***

ما الحياة ، ما هذه الفترة القصيرة من الزمان السرمدى ؟ وما الزمان فى جنب الله الباقى ؟ وما الجمال الدنيوى ، وما الحب الأرضى ؟ وما العلم ؟ أليس العلم كلّه إدراك سطر واحد من سفر الوجود ؟ وكشف حفنة واحدة من رمال الصحراء ؟ فما أجهل العلم إذن بالوجود ! وما أحمق العلم حين يرفع رأسه ليتكلم فى الموجد وقد خرس عما أوجد ، ولينظر إلى الخالق الباقى ، وقد عمى عن المخلوقات الفانية !

وهل عرف العلم من نحن ؟ ومن أين جئنا ؟ وإلى أين نسير ؟

***

وفكرت فى نفسى ، وقديماً قال سقراط ، وكتبت مقولته على باب المعبد فى أثينا : « أيها الإنسان اعرف نفسك » وجاء فى الأثر : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » وقال الله جلّ من قائل : « وفى أنفسكم ، أفلا تبصرون ؟ » نظرت فى نفسى ، فإذا هى قد كانت قبل أن أكون أنا ، فلم أعرف أولها ؛ وكل ما أعلم عنها أنى أفقت يوماً من النوم فوجدت طفلاً — أبصرته فى المرآة — فإذا أنا أحبه أكثر من أبى وأمى ، وإذا أنا لا أفارقه أبداً ، فسألت : من هذا ؟ فضحكوا وقالوا : هذا أنت ، هل أنت مجنون !

وكبر هذا الطفل ، أو هذا الذى سمّوه (أنا) ، ونظرت فإذا أنا لا أدرى من أين جاء ، فقلت لعلّى صنعته أنا وأنا لا أعلم ، ولكن هذا (الأنا) ليس كما أريد أن يكون ، لو صنعته أنا لجعلته أبرع جمالاً ، وأشد قوة ، وأحدّ ذكاء ، وأوسع عقلاً ؛ ثم إنه قد وجد قبل أن أكون أنا ، وقبل أن أعرفه ، وعاش مرحلة فى حياته فى بقعة لا أعلم شيئاً عنها ، ولا أصدق أنى كنت فيها ، أأنا عشت تسعة أشهر فى بطن أمى ؟ مستحيل !

فمن أين جاء إذن ؟ هل خلق من غير شىء ؟

ونظرت حولى أفتش عن هذا الخالق ، فرأيت ناساً مثلى ، وما هؤلاء بخالقين لأنهم يحتاجون إلى من يخلقهم ، وحالهم كحالى ، ورأيت جبالاً وبحاراً وكواكب ، ولكن ذلك كله جامد لا حياة فيه . فهل يمنحنى الحياة وهو لا يملكها ؟ هذه هى الطبيعة فهل تخلق الطبيعة شيئاً ؟ ثم إن معنى (الطبيعة) — كما تعلمت بعد — أنها (مطبوعة) فأين الطابع ؟

فتشت عنه فإذا الإيمان به فى أعماق نفسى ، لا أدرى من أين دخل إليها ، ولعلّه من وضع الخالق الذى وضع السمع والبصر فى الوجه ، والقلب فى الصدر ، والعقل فى الرأس ؟ ووجدتنى أعود فى ساعات الشدة إلى الخالق — الذى يَرى ولا يُرى — أرجوه وأخافه ، وأسأله وأعوذ به ، ووجدتنى أعتقد أنه لا يشبه شيئاً مما أرى ، ولا يحدّه مكان ولا زمان ، لأن الزمان والمكان مخلوقات هو خالقها ، وأنه قديم باق متصف بكل كمال مطلق ، منزه عن النقائص كلها

فآمنت به إيماناً لا يزعزعه (بحمد الله) شك !

***

ولكنى لبثت أسأل نفسى :

لماذا خلقت ؟ وهل الحياة (تكليف) علىّ أن أحمله ، أو أن لى الحق بالتخلى عنها وطرحها ؟ فقالت النفس : بل عليك أن تحملها . إنك لست مالك نفسك ولا أنت موجدها ، وإنما هى وديعة فى يدك ، يكافئك صاحبها إن استعملتها فى الذى خلقها له ، ويعاقبك إن اتخذتّها وسيلة إلى لذتك ، وأطعت فيها هواك ، وحدت بها عن سبيلها

قلت : فما هى الغاية من الحياة ، أهى الأكل والشرب واللذة؟

قالت النفس : كلا . هذه أسباب الحياة بها تقوم وتبق ، وليست هى الغاية منها

قلت : أخدمة الناس ونفع البشر ، وأن أتخذ فيهم حسناً ، وأبق فيهم ذكراً ، هى غاية الحياة ؟

قالت : كلا . إن الناس لا يمكن أن يحيوا للناس ، وما خدمة البشر إلا عرضٌ من أعراض الحياة وليست بجوهرها . إن المسافر يحرص على راحته فى سفره ، فيتخذ خير المركبات ، ويبتغى أطايب الزاد ، ويصحب خير الرفاق ، ولكن للمسافر وراء ذلك كله غاية من سفره ، والحياة سفر فإلى أين المسير ؟

قلت : لا أدرى !

قالت : أعوذ بالله ! وهل يتميز الإنسان عن الحيوان إلا بأنه يدرك غاية الحياة ؟ أما من يأكل كما تأكل الأنعام ، ويشرب كما تشرب ، ويلد كما تلد ، فهو مثلها أو أضل منها سبيلاً ، وإن عاش فى باريز أو نيويورك !

قلت : تخبرينى أنت ما هى الغاية ؟

قالت : لو سألت الجنين فى بطن أمه وكان قادراً على الفهم والإجابة : ما هى دنياك ، وما هى حياتك ، وما غاية الحياة ، لقال لك إن دنياه هذه الأحشاء الضيقة ، وهذه الظلمة المستمرة ، وإن حياته هذه الجلسة المتعبة ، وهذا السكون الدائم ، وإن غايته .... ليس يدرى ما غايته !

ولو أفهمت هذا الجنين أن هنا دنيا واسعة ، فيها شمس وقمر ، وفضاء رحب ، وبحر وسماء ، وأن غايته أن يبلغها ، وأنه سيعرفها ويراها حقاً ...

لو أفهمته هذا لكذبك وأعرض عنك ، لأنه لا يستطيع أن يتخيل إلا ما هو فيه ، ولا يقدر أن يتصور ماذا يكون البحر والشمس والقمر ؟

فإذا جاء إلى الدنيا وصار رجلاً ، نسى حياته الأولى وكذب بها وقال : إن هى إلا دنيا فيها نموت ونحيا ... فإذا خبره الرسل أن هناك حياة أخرى : حياة ثالثة ، وأنها هى دار البقاء ، وأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وأن غايته بلوغ تلك الحياة فى طاعة الله وعبادته ...

إذا خبر بهذا كذب به كما كذب ذلك الجنين ...

أفتكذب أنت بذلك ؟

قلت : لا

قالت : « فتلك إذن غاية الحياة » أن تتصل بالله وتعبده ، وإن تعد نفسك لحياة الخلود

***

وعادت النفس تقول :

أن غاية الحياة تتحقق كلها فى الصلاة . فالصلاة اتصال بالله ، واستعداد لحياة الخلود . ثم إنها لذة لا تعدلها إذا أقيمت على وجهها لذة من لذائذ الدنيا ، ولذلك عدّها النبى صلى الله عليه وسلم حين عدد اللذائذ : الطيب والنساء والصلاة ، ليدل الناس على أنها

من جنسها ، وأنها راحة للنفس ومتعة ، وليست تكليفاً شاقاً ، ولا (مهمة) صعبة ، وليست الصلاة ركوعاً وسجوداً ، ورياضة فان ذلك جسمها ، والجسم لا يقوم إلا بالروح، فاذا خلت منها الصلاة كانت صلاة ميتة ، لا تنهى عن فحشاء ولا منكر ، ولا تشعر بلذة . أما روح الصلاة فهى أنك إذا طهرت أعضاءك بالماء ، طهرت نفسك بالتوبة ، وذلك هو الوضوء الحق ؛ وإذا قمت إلى الصلاة وقلت : الله أكبر ، خرجت من دنياك ، وارتفعت عنها كمن يرتفع فى طيارة ، حتى تراها — كما هى فى الحقيقة — ذرة صغيرة تافهة ... ولم تخش عدواً ، ولا شغلك حب حبيب ولا ملأ نفسك هم ولا غم ، ولا لذة ولا متعة ، لأنك تتوجه إلى الله ، والله أكبر من ذلك كله ، وبيده كل شىء ، فأنت كمن يتصل بالوزير أو الحاكم المطلق ، (ولله المثل الأعلى) فهل يفكر بين يديه بحاجة له عند موظف صغير ، ويشتغل بذلك عن حديث الحاكم أو الوزير ؟

فالصلاة تحقيق لغاية الحياة، وحياة لحظات فى (الحياة الأخرى)، ولكن هى اللذة التى لا يقدر لغات البشر على وصفها ، ولكن الناس يرون منها بروقاً خاطفة فى ساعة من ساعات السحر ، ولحظة من لحظات العبادة ، أو ... أو سكرة من سكرات الحب ، أو عند ما يسمعون نغمة ، أو يقرءون شعراً . هذه اللحظات هى التى تدلنا على ذلك العالم . هى أشعة ضئيلة من ذلك النور الباهر ، تذيق النفس حلاوة الآخرة فى الدنيا لتسمى لها ، وترغب فيها .

قابل بين هذه اللذائذ الروحية وبين اللذاذات المادية ... الطعام والشراب ... إنك لتشبع فتصير لذة الطعام فى نظرك صفراً ، والنساء ... إنك لتتصل بهن حتى تأتى عليك ساعات ، ولهن أبغض إليك من كل شىء . على أن هـذه الصلة لا تروى غليلاً ، ولا تشبع للنفس جوعاً . إن المحبّ ليحس وهو يعانق من يحب ويشد عليها بذراعيه أن بينه وبينها بعد المشرقين ، وأنه ليس فى الدنيا صلة مادية تطفئ غليل المحب. فيابؤس من قنع بالحياة المادية ، وحرم من لذائذ الروح !

وياويح من يكفر بما وراء المادة ، وما بعد الحس ، ياويحه ! أليس فى أثناء نفسه ذكرى ؟ أما فيها أمل ؟ أليس بين جنبيه روح ؟ فكيف ينكر روحه وأمله وذكراه؟ أيجحد ما دليله فى نفسه (أفلا تبصرون ؟)

وكان الفجر يؤذن ، فخرجت إلى المسجد ، وللمسجد فى ساعة الفجر روعة وجلال وأثر فى النفس لا يدركه البيان . ولمسجد أبى حنيفة أوفر نصيب من ذلك ، وأشهد أنى لم أجد فى بغداد كلها مكاناً أحسّ فيه الاطمئنان وأشعر فيه بالخشوع والتجلى كهذا المسجد ، لا لمكان أبى حنيفة منه ، فان أبا حنيفة لا يضر ولا ينفع ، ولا يكون مؤمناً من يرى فيه ذلك ، أو يتخذ من قبره صنماً يعبده ويتمسح به ، ولكن الله قد خصّ هذا المسجد بهذه الروح لإخلاص أبى حنيفة الإمام الأعظم ، وعلمه وأثره فى الفقه الإسلامى ، وإجماع المسلمين على محبته وإجلاله !

هنالك عرفت الحقيقة الكبرى فى الحياة ، فلن أسأل بعد اليوم : لماذا خلقت ؟ ولن أعيش فى حيرة ، فيارب لا تنسنى هذه الحقيقة بترهات العيش ، وأحلام الأدب ، وضلالات العلم . إن هذه الحقيقة شمس ساطعة ، ولكن سحابة صغيرة قد تحجب الشمس عن عينى الضعيفتين . اللهم إنى قد فرغت (أو كدت) من شهوة الغنى ، وتلك الشهوة الأخرى ، فهب لى الخلاص من شهوة الأدب ، وحب الشهرة ، وغرور الفكر فان ذلك أشد على ...

اللهم لك الحمد ، وإليك المآب ، وأنت الحى الباقى ، فصلنا بك ، ودلنا على الطريق إليك !

بغداد (الأعظمية) **على الطنطاوى**

قصة الرافعي العاشق (*)

تعقيب

للأستاذ محمد سعيد العريان

... هذه قصة الرافعي وفلانة، كما رواها لي، وكما يعرفها كثير من خاصته. وإني لأعلم أن كثيراً ممن يعرفونها ويعرفونه سيدهشون إذ يقرءون قصة هذا الحب، وسيتناولونها بالريبة والشك، وسيقول قائل، وسيدعي مدع، وسيحاول محاول أن يفلسف ويعلل؛ ولا عليَّ من كل أولئك ما دمت أروي القصة التي أعرفها، والتي كان لها في حياة الرافعي الأدبية تأثير أيّ تأثير يُرَدُّ إليه أكثر أدبه من بعد. وحسبه أنه كان الوحي الذي استمد منه الرافعي فلسفة الحب والجمال في كتبه الثلاثة: رسائل الأحزان، والسحاب الأحمر، وأوراق الورد. وحسبي أنني قدمت الوسيلة لمن يريد أن يدرس هذه الكتب الثلاثة على أسلوب من العلم جديد!

على أني مسئول أن أبرئ نفسي أمام قدس الحق؛ فأعترف هنا بأن ما رويت من هذه القصة كان مصدره الرافعي نفسه؛ مما حدثني به وحدّث أصحابه، أو مما جاء في رسائل أصحابه إليه ممن كانوا يعرفون قصته؛ وما بي شك فيما روى من هذا الحديث؛ فما جربت عليه الكذب، ولا كان هناك ما يدعوه إلى الاختراع والتزيد كما يزعم من يزعم؛ ولكنها حقيقة أثبتها للتاريخ، لعل باحثاً مدققاً يوفَّق في غد إلى إثبات ما أعجز اليوم عن التعليل له

على أن الرافعي قد أقرأني رسالة أو رسالتين بخط (فلانة) إليه؛ وهما وإن لم تدلا دلالة صريحة على حقيقة ما رويت من قصة هذا الحب، لا تنفيانها كذلك، بل لعلهما أقرب إلى الإثبات منهما إلى النفي؛ والحذر طبيعة المرأة

ثم إن الرافعي لم يخصَّني وحدي برواية هذه الحادثة؛ فإن عشرات من الأدباء في مصر قد سمعوها منه؛ ومنهم من يعرف (فلانة) معرفة الرأي والنظر، ومنهم من كان يغشى مجلسها لا يتخلف عنه مرة؛ ومنهم من كان الرافعي يقصد بالحديث إليه أن يكون بريداً بينهما ينقل إليها حديثه شفةً إلى شفة. وفي الناس بُرُدٌ إن لم تزِد على ما سمعتْ من حديث الحب لم تنقص منه شيئاً! فلو أن الرافعي كان يتزيّد فيما روى لي ولأصحابي من حديث هذا الحب لخشي مغبّة أمره؛ وإن (فلانة) يومئذ ذات جاه وسلطان!

وثمة برهان آخر لا يتناوله الشك؛ هو رسالة من رسائلها نقلها الرافعي من كتاب من كتبها المعروفة لا أسميه، إلى كتابه أوراق الورد[1]؛ يزعم أنها رسالة منها إليه في كتاب، جواباً على رسالة بعثَ بها إليها — وكانت هذه بعضَ وسائلهما في المراسلة كما رويتُ من قبل[2] — وأوراق الورد معروف مشهور، وكتابها معروف مشهور كذلك. ومما لا يحتمل الشك أن تكون (فلانة) لم تقرأ هذه الرسالة في كتاب الرافعي ولم ينبهها أحد إليها. وأبعد من الشك أن تكون قد قرأت هذه الرسالة المنشورة قبل ذلك في كتاب يحمل اسمها ثم لم تفهم ما يعنيه الرافعي؛ ولا شيء وراء ذلك إلا أن تكون قرأتْ، وفهمتْ، وسكتتْ؛ ولا شيء بعدُ إلا أن يكون بينهما شيء يؤيد ما رواه الرافعي من قصة هذا الحب...!

***

على أن اعتراضات ثلاثة توجّهتْ إلى ما رويت من هذه القصة لا بد من التنبيه إليها: أما أحدها فمن الأستاذ الأديب جورج إبرهيم؛ فهو ينكر عليّ أن أستند إلى هذه الرواية، ويروي لي أنه صحب الرافعي في أولى زياراته لفلانة، وشهد ما كان من تأثر الرافعي وانفعاله وجذبته؛ ولكنه إلى ذلك ينكر أن يكون بين الرافعي وفلانة صلة بعد هذه الزَّورة. ويصحح ما رويته عن الرافعي — وكان من سامعيه — بأنه حبٌّ من طَرَف واحد، اختلطت فيه مذاهب الفكر ومذاهب النظر فشُبِّه للرافعي ما شُبِّه؛ فما يحكيه هو صورة ما في نفسه لا صورة ما كان في الحقيقة!

فالرافعي عند الأستاذ جورج إبرهيم لم يكذب ولكنه أخطأ التقدير والنظر. وعندنا أن عدم علم الأستاذ جورج بأن صلةً ما كانت بين الرافعي وفلانة بعد الزَّورة الأولى، لا ينفي أن هذه الصلة كانت حقيقةً ولم يعلم بها؛ فحديثه من ثَمّ لا ينفي شيئاً

(*) « من كتاب (حياة الرافعي) الذي يصدر قريبا »

(١) أوراق الورد ص ١٤٣ — ١٥٠، وتقرأ فقرات منها في هذا الكتاب ص ٩٤ — ٩٦

(٢) ص ٨٣ من هذا الكتاب

ولا يثبته ، ويبقى بعد ذلك ما يستنبط من الرأى على هامش القصة

وقريب مما يرويه الأستاذ جورج ، ما تستنبطه جريدة المكشوف فى بيروت ، فى حديث تناولت به بعض ما نشرنا من قصة حب الرافعى

* * *

وتعقيب ثان توجه به صديقنا الأستاذ فؤاد صروف — محرر المقتطف — على ما رويناه ، قال :

« لقد سمعت هذه القصة من الرافعى كما رويتها ؛ فما أشك فى صحة ما تكتب ، ولكنى أسأل : هل كانت (فلانة) تبادل الرافعى الحب ؟ . . .

« هاك خبراً يدعوك معى إلى هذا السؤال :

« فى يناير من سنة ١٩٣٤ (أو ١٩٣٥) دعتنى فلانة إلى مقابلتها ؛ فلما شخصتُ إليها رأيت فى وجهها لوناً من الغضب فدفعتْ إلىّ رسالتين من رسائل الحب بعث بهما الرافعى إليها لأرى رأيى فيهما ؛ ثم قالت : ماذا ترانى أفعل لأذود عن نفسى ؟ أترانى أتقدم فى ذلك إلى القضاء ؟

قال الأستاذ صروف : « فاعتصمت بالصمت من لا ونعم ، وتركت لها أن تستشير غيرى ؛ ولست أدرى ما كان بعد ذلك ! »

قلت : وهذه رواية جديرة بأن تذكر — ومعذرة من ذكرها إلى الأستاذ صروف — على أنها لا تدل على شىء فى هذا المقام أكثر من أن فلانة لم يكن يروقها فى سنة ١٩٣٤ أن يتحبّب إليها الرافعى ؛ فماذا كان أمره وأمرها معه قبل ذلك بعشر سنين ؟

أيكون لهاتين الرسالتين اللتين يتحدث عنهما الأستاذ صروف — صلة بما كان فى نفس الرافعى من يقين بأنه سوف يلقى فلانة ليصل ما انقطع من حبال الود بعد عشر سنين من يوم القطيعة[١] »

أعنى : هل حاول الرافعى — بعد عشر سنين من القطيعة — أن يعيدَ ما كان بهاتين الرسالتين فلم يصادف قلباً يستجيب لدعائه ؟

على أن هذا الخبر — أيضاً — لا ينفى شيئاً ولا يثبته ؛ ولكنه يفتح باباً إلى الاستنباط والرأى

ولكنه مما لا شك فيه أن الرافعى لم يكن يعلم شيئاً عن وقع هاتين الرسالتين فى نفس صاحبته ؛ ولا أحسبها صنعت شيئاً يدل الرافعى على مبلغ استيائها من هاتين الرسالتين ، وإلا لما ظل يتعلق

(١) اقرأ ص ٩٠ — ٩١ من هذا الكتاب

بالأمل فى لقائها إلى شتاء سنة ١٩٣٥ ، وكنت معه لما همّ بزيارتها[١]

وثمة اعتراض ثالث يعترضه الدكتور زكى مبارك ؛ وما كان لى أن أثبته هنا لولا أن أثبته هو فى كتاب من كتبه نشره على الناس منذ قريب ، ولولا أن أشار إليه فى مقالات نشرها فى مصر وفى العراق وفى بيروت !

والدكتور زكى مبارك أديب مشهور ، ولكن آفته — ولكل أديب آفة — أنه يدسّ أنفه فيما يعنيه وما لا يعنيه ؛ وهو قد شاء أن يحشر نفسه فى هذه القصة التى لا يهمه منها إلا أن يعلن للناس — والإعلان عن نفسه بعض خصائصه الأدبية — أنه كان يجلس إلى (فلانة) جنباً لجنب فى الجامعة المصرية بضع سنين !

وليس يهمنا أن يجلس الدكتور زكى مبارك جنباً لجنب إلى فلانة أو إلى نساء الأرض جميعاً — كما يريد أن يتعالم عنه الناس فى أكثر ما يكتب — ولكنه يزعم أن ما كتبنا عما كان بين الرافعى وفلانة ليس من الحقيقة فى شىء ، لأنه كان يجلس مع فلانة جنباً إلى جنب فى الجامعة بضع سنين فلم تحدثه يوماً أن حباً كان بينها وبين الرافعى ... ... ! !

فمن شاء أن يقرأ مثلاً للحجة الواضحة فى أدب الدكتور زكى مبارك ، فليقرأ هذه الحجة البالغة ؛ على شرط أن يكون مؤمناً بأن الدكتور زكى مبارك لا يجلس إلى (فلاناتٍ) ولا يجلس إليه (فلاناتٌ) إلا ليحدثنه عما كان لهن من جولات فى ميادين الحب ويسألنه الرأى والمعونة !

وليدعْ القارئُ بعد ذلك حديث الدكتور عن العرى والعراة ، وعن (الأديب العريان ...) الذى روى هذه القصة

وعفا الله عن أهل الأدب !

* * *

هذا كل ما تلقيت من اعتراض المعترضين ، من أهل الأدب أو من أهل الدعوى ؛ وعلى أى الوجوه انتهى رأى الأدباء فى تحقيق هذه القصة ، فإنه مما لا شك فيه أن الرافعى كان يحب (فلانة) ؛ وهذ احسبى ؛ فما يعنينى من هذا التاريخ إلا إثبات المؤثرات التى كانت تعمل فى نفس الرافعى فتلهمه الشعر والبيان ؛ أما هى وما كان منها وحقيقة عواطفها ، فشىءٌ يتصل بتاريخها هى بعد عمر مديد !

محمد سعيد العريان

(١) أنظر ص ٨٤ من هذا الكتاب

للتاريخ السياسي

نتائج اتفاق مونيخ

للدكتور يوسف هيكل

رأت دول وسط وشرق أوربا ، بعد أن زالت السياسة التي بنيت عليها العلاقات الدولية ، أن تبنى علاقاتها الدولية على أسس جديدة . فأخذت تلتف حول الريخ طلباً لوده واتقاء لنقمته . لأنه ظهر لها أن لا وجود مطلقاً للضمان المشترك ، ولا فائدة ترجى من التحالف مع الدول المقاومة للهر هتلر . لأن هذه الدول لا تقوى على مد يد المساعدة لحليفتها . والدول القائلة بهذا القول تضرب مثل تشيكوسلوفاكيا لإثبات صحته

وفى الواقع أن تشيكوسلوفاكيا نفسها قد غيرت سياستها الخارجية وأخذت تتقرب من ألمانيا . فأدلى الجنرال سيروفى رئيس حكومة براغ تصريحاً قال فيه : « إن مبادئ سياستنا الخارجية واضحة جلية ، وهى أن تكون علاقاتنا ودية مع جميع العالم لا سيما مع جيراننا . ويجب علينا التعاون معهم إذا أردنا أن نعيش بسلام وطمأنينة » . وقد ذهبت إحدى الجرائد التشيكية إلى أبعد من ذلك قائلة : « إن أوربا الوسطى أزيلت من الوجود ، وإنه يجب علينا حتى فى علاقاتنا التجارية نفسها ألا نعمل مع أية كتلة تضعنا ضد ألمانيا ، أو أن ندرك أن الهر هتلر والسنيور موسوليني أقوى من فرنسا وبريطانيا ، فالهر هتلر يكسب المعارك معركة بعد معركة طبقاً للنظرية الواردة فى كتابه كفاحى »

ولتحقيق سياسة التقرب مع ألمانيا ، وتنفيذاً لرغبة الهر هتلر ، استقال الدكتور بنيش من رياسة الجمهورية التشيكوسلوفاكية فى أكتوبر (تشرين أول) ؛ وألغى تدريس اللغة الفرنسية فى مدارسها كلغة إجبارية ، واستعيض عنها باللغة الألمانية . فرحبت ألمانيا بذلك ، وأخذت تساعد على إيجاد علاقات ودية بين الحكومتين

وانتشار نفوذ ألمانيا فى تشيكوسلوفاكيا يضع فى يدها مفتاح باب الدانوب ، ويفتح أمامها باب أوربا الشرقية والشرق الأدنى . وقد قال فى ٤ أكتوبر (تشرين أول) إرشيبالد سنكلر زعيم الأحرار المعارضين « إننا سنعيش حتى نبكى اليوم الذى باعت بريطانيا فيه الحرية فى أوربا الوسطى ، وفتحت طريق توغل ألمانيا فى أوروبا الشرقية »

وعملياً أخذت ألمانيا تنشر نفوذها فى أوربا الشرقية وفى الشرق الأدنى ، فزار الدكتور فونك وزير الشؤون الاقتصادية الألمانية بلغراد وأنقرة وسوفيا . فعقد مع حكومة يوغوسلافيا اتفاقية تجارية جديدة ، وقال بصددها إن ألمانيا فى وضعية تمكنها من شراء نصف منتوج يوغوسلافيا ، ومن مساعدتها على إكثار منتوجها بتقديم الآلات والمال لاستثمار المعادن . وبالإضافة إلى ذلك فإن فى إمكان ألمانيا دفع أسعار مرتفعة لما تبتاعه ، والمحافظة على مستوى هذه الأسعار ، لأن نظامها الاقتصادى أقيم بصورة لا تؤثر عليه الأزمات . وقد أكد الدكتور فونك أن ألمانيا الآن أعظم بلاد العالم إنتاجاً بفضل نظامها السياسى . وأضاف قائلاً أن ليس فى الإمكان تفريق السياسة الاقتصادية عن العامة

وقد لقى الدكتور فونك استقبالا حارا فى أنقرة ، ونجح فيها نجاحاً باهراً ، إذ عقد اتفاقاً مع الحكومة التركية أقرضتها ألمانيا بمقتضاه ١٥٠ مليون مارك (ما يقرب من ١٣ مليون جنيه انجليزى) لشراء الآلات الصناعية والأدوات الحربية ، على أن تسدد بعد عشر سنوات . وقد أدهش ذلك الاتفاق الدوائر الدبلوماسية ، لأنه فى مايو السابق فقط اقترضت الحكومة التركية ستة عشر مليوناً من الجنيهات من الحكومة البريطانية

وبعد تركيا زار الدكتور فونك بلغاريا وتباحث مع حكومتها للوصول إلى تحسين العلاقات الألمانية البلغارية التجارية . وقد قبل دعوة رومانيا واليونان لزيارة بلادهما ، وفى نيته زيارة إيران وافغانستان ، غير أنه أرجأ ذلك إلى وقت آخر . ودول البلقان ترحب بتحسين علاقاتها التجارية مع الريخ ، لأنها تعتقد أن تجزئة تشيكوسلوفاكيا أزالت كل مقاومة للمصالح الألمانية فى أوربا الشرقية . والعلاقات التجارية المنيمة تولد الصداقة السياسية ، والنفوذ الاقتصادى يوجد النفوذ السياسى

وقد صرح الهر فونك فى حديث له مع مندوب جريدة « برلين تسيتونغ » « أن فى جنوب أوربا الشرق وآسيا الصغرى كل شيء تحتاج إليه ألمانيا تقريباً . ولهذا لا يمكن أن توجد دولة

أخرى قادرة على أن تشترى منها ما تشتريه ألمانيا . ونظراً لأهمية نهر الدانوب لجنوب أوربا الشرق ، يجعل من هذه البلاد منطقة اقتصادية ممتدة من بحر الشمال إلى البحر الأسود ، والدول القائمة فيها تستطيع أن تكون متممة إحداها للأخرى » . وهذا التصريح يرمى إلى تحقيق الحلم الألمانى السابق للحرب العالمية ؛ حلم « همبرك — بغداد »

وتقول جريدة (اسن ناشونال زيتيغ) فى عددها الصادر فى ١٣ أكتوبر (تشرين أول) إنه « إذا أصرت انكلترا وفرنسا على مواصلة جهودهما للاستيلاء على جانب من التجارة تعده ألمانيا بحق أنه من نصيبها فإنها ستكون بعد عام أو عامين ، أى بعد أن تتم تحصيناتها على الحدود الغربيـة ، فى مركز يساعدها على أن تعلن أنها وحدها صاحبة النفوذ الاقتصادى فى جنوب شرق أوربا »

* * *

هذا . ولا تنحصر نتائج اتفاق مونيخ فى علاقة ألمانيا مع دول جنوب شرق أوربا ، بل تتعداها إلى وضعية الدول الكبرى ومجرى سياستها

وفى مونيخ تلاشت عصبة الأمم ، وذهبت البقية الباقية مما كان لها من تدخل فى الأزمات الدولية ؛ وتحققت فكرة السنيور موسولينى من حل المشاكل الدولية بواسطة « مؤتمر رباعى » ؛ تلك الفكرة التى لم توافق عليها بريطانيا وفرنسا عام ١٩٣٣ ، بل أصرتا حينئذ على وجوب حل الخلافات الدولية ضمن دائرة عصبة الأمم . وفى مونيخ عقـد المؤتمر الرباعى لحل المشكلة التشيكوسلوفاكية ، دون إعلام عصبة الأمم به ، ودون اشتراك الروسيا فيه ؛ فكان ذلك نصراً أدبياً سياسياً للسنيور موسولينى اتخذ منه دليل كبير على بعد نظر زعيم إيطاليا وعلى قدرته السياسية فى إيجاد الأسس لتسوية المشاكل الأوربية

وفى ذلك المؤتمر تحققت رغبة هتلر وموسولينى فى عزل الروسيا عن شؤون أوربا فأصبحت الروسيا فى عزلة سياسـية لها نتائجها السيئة فى أوربا . لأن من شأن هـذه العزلة إضعاف موقف فرنسا الدولى ، وبالتالى إضعاف مركز بريطانيا العظمى ، مما يشجع الهر هتلر على السير فى تحقيق مطامعه الواسعة

وفى مونيخ انهارت سياسة سلامة فرنسا . فزالت قوتها فى تشيكوسلوفاكيا وخسرت حلفاءها وأصدقاءها فى بلاد البلقان وشرق أوربا . فكانت فرنسا الدولة الأولى التى تكبدت أكبر الخسائر ولحق بها أعظم الأضرار من جراء اتفاق مونيخ . وكأن هذا الاتفاق كان موجهاً ضدها . وزيادة على ذلك فقد حاول الهر هتلر فى مونيخ تحقيق أعز آماله عليه ، وهو إبعاد بريطانيا عن فرنسا لتتم عزلتها ويزول سلطانها الدولى . وهو لم يواجه هـذه المسألة وجهاً لوجه ، بل أتاها من طريق غير مباشر ، فوقع المستر تشمبرلين تصريحاً مفاده : « إنهما ينظران إلى اتفاق مونيخ وإلى الاتفاق الإنكليزى الألمانى البحرى ، كرمز إلى رغبة شعبيهما بألا يحارب قط الواحد الآخر . وإنهما متأكدان من أن التشاور سيكون الطريقة المتبعة فى حل المسائل الأخرى التى تتعلق ببلادهما » وتقوية لهذه السياسة ألقى السير توماس أنسكيب ، وزير الدفاع الوطنى خطبة فى ١٢ أكتوبر (تشرين أول) قال فيها : « إننى أعتقد أننا سائرون فى الطريق المؤدية إلى إنشاء علاقات ودية مع الشعب الألمـانى العظيم فى وسط أوربا . وأثمن هدية نستطيع تقديمها إلى عالم متزعزع أهوج هو السلام بيننا وبين ألمانيا » .

ومن شأن هذه السياسة تمكين الهر هتلر من تحقيق مطامعه . لأن القوة الوحيدة فى أوربا التى تجعل الهر هتلر يفكر قبل العمل على تحقيق مطامعه الواسعة هى جيش فرنسا العظيم تسنده القوى البريطانية ، وتفريق هاتين القوتين بعضهما عن بعض يعوق الجيش الفرنسى عن العمل ، ويمكن الهر هتلر من تحقيق ما يريد

وما يريده الهر هتلر أمر عظيم خطير ، يشرحه « كتاب النازى المقدس » وتجمله جملة منه إذ يقول زعيم ألمانيا « إنه ليس من الضرورى ، مهما كانت النتائج ، اللجوء إلى الحرب ، إذا أريد حقا الوصول إلى السلام . وفى الحقيقة أن الفكرة الإنسـانية والانشائية ربمـا تكون جيدة فى اليوم الذى يقهر فيه الرجل المتفوق على الجميع ، العالم ويسود ويصبح وحده سيد الدنيا . الحرب أولا وربما بعدها السلام » .

وهـذه الجملة واضحة جلية ، ترى أن الهر هتلر يطمح إلى سيادة العـالم سيادة أوربا فقط . وقد مكن اتفاق مونيخ الذى كان أعظم نصر حازه الهر هتلر زعيم ألمانيا من أن يكون الرجل

الأول في أوربا والمتفوق على جميع ساستها ؛ ومن أن يبدأ في نشر نفوذه عليها وسيادته لها .

* * *

يستغرب المرء تسليم فرنسا وبريطانيا العظمى في مونيخ ، ويجعله يتساءل كيف سلمت فرنسا بمعقلها في وسط أوربا ، ولنفوذها السياسي في جنوبي أوربا وشرقيها ؟ فهدمت بذلك ما بنت خلال العشرين سنة الماضية ، وخسرت حلفاء وأصدقاء ، وسهلت وضعهم تحت النفوذ الألماني ! وكيف قبلت بريطانيا اختلال التوازن الدولي ؟ ذلك التوازن الذي كانت دائماً وأبداً تبذل الجهود وتدخل الحروب في سبيل المحافظة عليه .

هذا ما نبينه في المقال المقبل .

يوسف هيكل

من صاحب العصور إلى صاحب الرسالة

أخي الأستاذ الزيات :

السلام عليك ورحمة الله ، وبعد فإني أحمد الله إليك وأستعينه وأسألهُ لك التوفيق والسَّداد . أبيت أيها الرجل إلاّ كرَماً من جميع نواحيك ، فما كدت تستقبل العام السابع من عمر « الرسالة » حتى عُدتَ عليّ بفضل من ثنائك وحسن ظنك ، فذكرت « العصور » ثم أثنيت فأغنيت

لقد وافتني كلمتك ، وأنا بعد أنفض عن يديّ غبار « العصور » وأتخفف من أثقالها التي حملتها راضياً غير كاره ، لأنقلب إلى هذه الغرف العزيزة التي نشأت في حجور الشيوخ من سكانها أستخبرهم علم ما أجهل ، وأستنبئهم أخبار ما مضى ، لأستوحيَ الظن فيما يستقبل ، وأجدد بعاديّ قوتهم قوة النفس التي لا تهدأ ولا تنام

لا بد من كلمة — أيها الشيخ الجليل — وقد كان الصمت أولى بي وأحبّ إليّ . لا بدّ من كلمة أعتذر بها للذين استقبلوني بفرحة المحبّ أمتع باللقاء على غير ميعاد . فأنت تعلم أني يوم عزمت على إصدار « العصور » لم أكن قد أعددت لها من مال إلا ما ادخرته في نفسي من جهد أعوام طالت في معاناة العلم والأدب ، وبقية من خلق ضننت بها أن تذيع في أطرافها ونواحيها مهزعات العصر الحديث التي صرّفت الأخلاق في وجوه الغي والضلال ، وأطلقت دنيات الغرائز من عقال الشرائع ، وأرسلتها ترعى حمى أبى الله ورسوله أن يكون مرعى لمن آمن بالله واليوم الآخر

ولكن لا بد من مال مسكوك معترف به ، مصدّق على الاعتراف به من « محافظ البنك الأهلي » ، وإن قليل ما عندي من هذا المال لا يغني غناءه في عمل أوله استهلاك بغير نتاج وأنت أخبر بهذا الأمر . فلم يبق إلا الصديق الذي يعين على نوائب الحق ... فبدأنا إصدار « العصور » يعولها الجد من قبلي ، والعون من قبل الأصدقاء الكتاب من أصحاب مذهبنا ، والمدد من « جيب » الصديق الذي أبدى بشاشته ، واستظهرها بعاجل البر ، وسرنا على اسم الله . فما كان إلا كلا ولا حتى قلت كما قال الأول :

سعتْ نُوَبُ الأيام بيني وبينهُ ... فأقلعن مِنَّا عن ظلوم وصارخ
فإني وإعدادي لدهري « محمداً » ... كملتمس إطفاء نار بنافخ

وأبيتُ أن أخفض عن نفسي أو أُرُدّ غلواءها ، فرددتُ المالَ إلى صاحبه غير منقوص ولا مهتضم . وقلتُ إنّ أمراً قضاهُ الله لا بُدّ له من تمامٍ وأجلٍ ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكنْ . وخيرُ الأمر أن ألجأ إلى الله ثم أستعين بما عندي على قضاء الحق الذي يقتضيه ما أقررت به على نفسي ، وما أقررتها عليه في كلمة العدد الأول من « العصور » . فلم أبخل ولم أتراجع ، وأقدمتُ على إصدار العدد الثاني مستبشراً مؤملاً راجياً معتمداً على ثقتي بالله ، ثم ثقتي بحسن التقدير الذي لقيته . فلم يلبث أن لقيَ العدد الثاني من « العصور » حفاوة الناس في كثير من بلاد العربية ؛ ولكن هذه الحفاوة المستبينة في بيع مجلة — تكاليفها أكثر من دخلها بهذا البيع — لا يمكن أن تكونَ هي الرُّقية التي تجذب إلى رقاب المال من كهوف « البنك » فأجوبها وأروضها وأتصرّف فيها تصرّفَ الناس فيما هُمْ به « ناس » ! !

وقلت : عسى أن يقضي الله لأمرٍ ضاق بالفرج ، وتوجهت بقلبي إلى الله ، وبوجهي إلى من أتوسم فيه سمة « الخزانة » المعدة لاحتجان المال . ولكني وجدت القفل بعد القفل على الخزانة ، وافتقدت المفتاح الذي يتسنى له كل مغلق . إن هذا المفتاح ليس عندي ، ولستُ أملكه ، وما أحسبني أرتضي — بعد أن جرّبتُ — أن أملكه أو أحوزه . إنه لا يملكه إلا من قدّم رهينةً ، والخُلُق لا يُعترف به في باب الرّهائن ، ولستُ أملكُ غيره ؛ فلا رهينةَ ، أي لا قرْضَ ولا معونة . وإنه لا يملك المفتاح بعدُ إلا اللصُّ الذي يلين له ما أعضل من قُفْل غَلِق

كلمات لهوجو (*)

للأستاذ عبد الكريم الناصري

— ١ —

* البراءة أعلى من الفضيلة. البراءة جهل مقدس

* في استطاعة الأسنان أن تبصر، كاستطاعة العيون أن تعض

* للطيش حقوقه، ولكن له حدوده أيضاً

* قد تدل الابتسامة على الموافقة ... ولكن الضحكة — في الغالب — رفض

(*) جمل وسطور منتقاة — في أغراض شتى — من كتب فكتور هوجو التالية: بأمر الملك، شكسبير، البؤساء، ثلاثة وتسعون

* في بعض الأحايين تكون الثانوية أصعب من الأولية. وهي حينئذ تقتضي عبقرية أقل وشجاعة أكثر. فالأول قد تسكره الجدة غير المنتظرة، وتبلبل فكره وتهيج حماسته. فيجتاز الهوة وهو جاهل بالخطر؛ ولكن الثاني يرى الهوة ويندفع نحوها

* ما التاريخ؟ صدى من الماضي في المستقبل؛ إنعكاس من المستقبل على الماضي

* البخيل أعمى، فهو يرى الذهب ولا يرى الثروة. المتلاف أعمى، فهو يرى البداية ولا يرى النهاية. المستهترة في الحب عمياء، فهي لا ترى الخطوط والغضون. العالِم أعمى، فهو لا يرى جهله. الشريف أعمى، فهو لا يرى اللص. اللص أعمى، فهو لا يرى الله

* ما البتولة إلا الأمل في الأمومة

* للخوف درجة ينقلب فيها الإنسان رهيباً يملأ القلوب رعباً. إن الذي يخاف كل شيء لا يخاف شيئاً. مثله حقيق بأن يضرب «الاسفنكس (١)» حقيق بأن يتهدد «المجهول» ويتحداه

* الحسد مادة صالحة لصنع الجواسيس. فإن بين تلك العاطفة الطبيعية — الحسد — وبين تلك الوظيفة الاجتماعية — الجاسوسية — لشبهاً عظيماً. غير أن الجاسوس يصطاد لغيره، كالكلب. أما الحسود فيصطاد لنفسه، كالقط

— ٢ —

* إن للدور لأرواحاً

* الفن هو فرع الطبيعة الثاني

* الفن طبيعي كالطبيعة

* الطبيعة، منضافة إليها الإنسانية، مرفوعة إلى القوة الثانية، تنتج الفن

* الجلال هو المساواة. الفكر الإنساني هو الممكن الذي لا حد له

(١) الاسفنكس — في الميثولوجيا اليونانية — هولة في رأس امرأة وجسد لبوة؛ تعترض المسافرين وتوجه إليهم ألغازاً وأحجية، وإذا عجز المسافر عن حلها، أمسكت برقبته وخنقته

وأنا بحمد الله لم أُخلَق على طبيعة السارق بل سُوِّيتُ على هيأة المسروق، كلٌّ من شاء أن يأكلني أكلني؛ قد رضيتُ أن أحوطَ جوهري بالعرض المضيَّع

ومع ذلك فقد أعددت العدد الثالث للطبع، وتصرَّفتُ في وجوه التدبير، ثم وُفِّقت إلى من أرضى عنه ويرضى عني ... ولكن أبى خُلُق الدنيا معي أن يتم جميل تستودعنيه، أو معروف تربيه عندي. فرجعت عَودي على بدئي راضياً عن الله شاكراً لله واثقاً بالله، أستعينه وأستحفظه، وأشكره ولا أكفره

لا أقول الله يظلمني كيف أشكو غير مُتَّهم

وأنا لا أزال أقول: يَصنَعُ الله، يَصنَعُ الله، إن لله تدبيراً يصرِّفنا به كيف شاء إلى مواقع علمه ومنازل حكمته. وأنا مذ كنت، كنت مطية القدر حيثما وجَّهني استقبلتُ المضيقَ والطريقَ بنفس مسلمة وجهَها لله، بأن الزِّمامَ في يد الله

فإن تسأليني، كيف أنتَ! فإنني

صبورٌ على ريبِ الزمانِ صليبُ

يعزُّ عليَّ أن تُرى بي كآبةٌ فيشمتَ عادٍ أو يُساءَ حبيبُ

وعلى ذلك فأنا مُنتظِرٌ، و«العصور» إلى جانبي تنتظِر! وشكر الله لك، وجزاك خَيْرا من صديق **محمود محمد شاكر**

(الرسالة) تألم الرسالة أشد الألم أن يثبط هذا القلم البارع وهذا الفكر الرشيد مثبطات المادة، وتدعو الله مخلصة أن يلهم أهل المال معونة أهل العلم حتى لا تتخلف «العصور» عن صفها في الجهاد إلا ريثما تواتيها المدة. وعسى أن يضن القراء بهذه الثروة الأدبية على الضياع فيعينوها على الصدور بإسلاف الاشتراك.

* للفكر الإنسانىّ ذروة . هذه الذروة هى المثل الأعلى . اللهُ يهبط إليها ، والإنسان يرتفع ...

* « أنا » الإنسان الواحد أوسعُ وأعمقُ من « أنا » شَعْبٍ بأسره

* المثل الأعلى — مطبقاً على الحقائق الواقعة — هو المدنية

* من ميزات العبقرية اتحاد الملكات المتباعدة أشد التباعد فيها

* فى الدنيا شىء يُقال له : غَضَبُ الوضاعة

— ٣ —

* الموتُ من شأن الله وحده . فبأىّ حقّ يَمَسُّ الناسُ ذلك الشىء المجهول ؟

* المجتمعُ يغلق بابه — فى غير رحمة — دون طبقتين من الناس : الطبقة التى تهاجمه ، والطبقة التى تدافع عنه

* ليس الموت بشىء . إنما المخيفُ ألاّ نعيش

* إذن فلنهجمْ

لنهجم ، ولكن لنميز أولاً . إن صفةَ الحقيقة المميزة أنها لاتعرفُ الإسراف أبداً . وما حاجتها إلى الغلو والإسراف ؟ هنالك أمورٌ يجب هدْمها ، وأمورٌ أخرى يجب تبيُّنها وفحصها فحسب ، فما ينبغى لنا — إذن — أن نحمل اللهب حيث يكفى الضوء وحده

* ليس أخرقَ من طلاب النصر والغلبة ؛ إنما المجد الحق فى الإقناع

* كل شىء قابل للنجاح ، حتى النحو والصرف !

* الفرح انعكاس الرُّعب

— ٤ —

* لا بد لكل فكرة من غطاء منظور . لا بد لكل مبدأ من سكن ومأوى ؛ فالكنيسة هى الله بين أربعة جدران ؛ لا بد لكل مذهب من معبد(1)

* أنا كالأقيانوس ؛ لى مدى وجزرى ؛ فى الجزر تبين مواضى الضحلة ، وفى المد ترى أواذى وأثباجى

* المجتمع هو الطبيعة فى حلة من الجلال

* حرية الفرد تنتهى حيث تبدأ حرية فرد آخر ، وفى هذا السطر ينطوى قانون المجتمع البشرى كله

* التفريق بين الهياج المنبعث عن الطمع ، وبين الهياج المنبعث عن المبادىء ، ومحاربة الأول ومساعدة الثانى : فى ذلك تستقر عبقرية كبار القادة الثوريين ، وقوتهم وسلطانهم

* إن للنفس عقيدة فى النور

* أريد الحرية فى الفكر ، والمساواة فى القلب ، والأخوة فى الروح . كفى ! كفانا عبودية ورقاً ! ما خلق الإنسان ليجرر السلاسل ، وإنما خلق لينشر أجنحته ...

« بغداد » **عبد الكريم الناصرى**

(1) مثال لاسراف هوجو فى حب الألفاظ وإكثاره من التلاعب بها

استخبار صحفي (ريبورتاج)

أبو الهــــول يتكلم!

اكتشافات أثرية هامة

(لمخبر الرسالة)

للأستاذ الأثرى سليم بك حسن وكيل مصلحة الآثار اكتشافات كبيرة القيمة من الناحية الفنية والتاريخية فهو الذى أماط اللثام عن سر أبى الهول كما كشف كثيراً من الآثار التى وضحت لنا النواحى الاجتماعية فى عصر الأسرتين الرابعة والخامسة. وقد زرناه فى بيته الصحراوي بجوار أهرام الجيزة فوجدناه منهمكا فى إعداد كتاب قد تزيد صفحاته على خمسمائة صفحة عن عصر الفرعونية.

وقد سمح لنا أن نشاهد حفرياته الحديثة، ونقدم إلى قراء الرسالة أخبار هذه المكتشفات التى غيرت كثيراً من النظريات التاريخية

خرافة الكتابة

« كانت هناك خرافة تقول بأن أهرام ملوك الأسرة الرابعة خالية من النقوش والكتابات، وقد ظلت هذه الخرافة قائمة إلى سنة ١٩٣٨ إذ ثبت خطأها فى ٢٨ نوفمبر الماضى فقد وجدنا صورة الملك خوفو بانى الهرم الأكبر منقوشة بالحفر البارز على أحد أحجار معبد الهرم الجنائزى كما وجدنا رسوماً ونقوشاً أخرى».

بهذه العبارة أعلن سليم بك حسن وكيل مصلحة الآثار عن اكتشافاته العظيمة القيمة التاريخية والفنية

وبهذه العبارة وهذا الاكتشاف هدم كثيراً من النظريات، كما قضى على كثير من المؤلفات التى تناولت هذا الموضوع بالبحث والتحليل. نقد لاحظ علماء الآثار خلو أهرام ملوك الأسرة الرابعة من النقوش والكتابات، مخالفة بذلك مقابر أشراف الأسرة وكهنتها الذين ذكروا كثيراً من حوادث عصرهم وعادات قومهم. فاستنتجوا أن ملوك هذه الأسرة توخوا فى مقابرهم أن تكون من العظمة والفخامة بحيث تنطق بجلائل أعمالهم وتتحدث عن حالة الرخاء فى عهودهم. ولذلك ظهرت الأهرام بضخامتها التى ما زالت حديث العالم دون أن يظهر على جدرانها نقش واحد يدل على أسماء أصحابها



صورة الملك خوفو منقوشة نقشاً بارزاً وهو يلبس تاج الوجه البحرى وكانت العين مصنوعة من معدن آخر ولكن اللصوص سرقوها

الحلقة المفقودة

ولكن هذا المنطق لم يرق لسليم بك، إذ كيف يذكر اسم الملك فى مقابر الحاشية ولا يذكر فى مقبرته هو؟ أضف إلى ذلك ما ذكره المؤرخ اليونانى هيرودوت، فقد قال إنه زار الأهرام ورأى نقوشاً على مبانيها؛ وبذلك تأكد لعالمنا المصرى أن حلقة أثرية ما زالت مفقودة، وأن كثيراً من أسرار الهرم فى الرمال مطمورة ...



لأول مرة نجد موجين من الراقصين والراقصات وفى وسطهما امرأة عارية تقودهما

وبحث ونقب فوجد أن كل هرم له معبدان أحدهما جنائزى وهو إلى جوار الهرم من الناحية الشرقية ، والثانى معبد الوادى وهو يبعد عادة عن المعبد الجنائزى بطريق طويل . وعلى هذا الأساس بدأ أبحاثه فتوصل إلى الدليل القاطع بعد أن نقل رمال الصحراء من منطقة تزيد مساحتها على مائتى فدان . ففى الجانب الشرقى للهرم الأكبر وجد فى معبده الجنائزى فى ٢٨ نوفمبر قطعة من الحجر الجيرى الأبيض نقش عليها رسم الملك خوفو وهو يلبس تاج الوجه البحرى ، كما عثر على قطعة أخرى عليها رسم الملك وهو جالس على عرشه يحتفل بمرور ثلاثين عاماً على توليه العرش . وبهذه الأدلة القاطعة هدم النظرية القائلة بعدم وجود نقوش .

ويتكون المعبد الجنائزى من مساحة واسعة تقع شرق الهرم الأكبر وأرضها من حجر التولوزيت الأسود الذى أحضره الملك من الفيوم . وقد نحت إلى جوار المعبد ثلاثة مراكب رمزية يستعملها الملك بعد موته عندما يتمثل إله الشمس فى طوافه حول الأرض ، واثنتان منها توازيان الهرم وطول إحداهما ٥٥ متراً وطول الثانية ٥٠ متراً ، ويختلف المركب الثالث عن سابقيه وهو فريد فى نوعه ، لأن الوصول إلى قاعه يكون بدرجات كثيرة مما لم يشاهد فى المراكب الأخرى . وقد كانت جدران هذه المراكب مغطاة بالحجر الجيرى الأبيض الذى وجدت آثاره فى المنطقة . وينتظر أن يكشف رفع الرمال التى تغطى تلك المنطقة عن كثير من المعلومات والآثار . ويطمع علماء الآثار أن يجدوا تمثالا للملك خوفو الذى لا يوجد له تمثال فى كل متاحف العالم غير التمثال الصغير الذى وجد فى العرابة ؛ وقد وجدت تماثيل ولكنها محطمة .

كيف رفعوا أحجار الهرم

وهناك اكتشاف آخر يكشف عن كثير من مقدرة قدماء المصريين ، فإن كثيرين يظنون أنهم كانوا يرفعون الأحجار الضخمة إلى مواضعها بجرها على مستويات مائلة . وكلما تم بناء طبقة رفع



العمال يرفعون الرمال والأتربة من أحد المراكب الثلاثة المنحوتة فى الصخر التى وجدت قرب الهرم الأكبر

المستوى المائل إلى أن يتم البناء كله فيزال ما حوله من مستويات . وقد عثر سليم بك على بكر ضخم مصنوع من الجرانيت الغرض منه رفع الأثقال ونقلها ، وهذا يدل على أنهم كانوا يستعملون الآلة الرافعة كما نفعل الآن

سر أبى الهول

وأدت الحفريات الحديثة شرق الهرم الثانى إلى كشف كثير من غموض أبى الهول حتى أصبح فى حكم المقرر أن الملك خفرع



« أوركسترا » كاملة تتكون من ستة أزواج من اللاعبين ويلاحظ أن أحد الزوجين يصفق



الملك « خوفو » بانى الهرم الأكبر يحتفل بعيد « الحب سج » لمرور ثلاثين عاماً على توليه العرش

بانى الهرم الثانى هو الذى أمر بنحته فى الصخر . وذلك لما يشاهد من اتفاق فن البناء فى معبد أبى الهول والهرم . وقد وجدت حول أبى الهول أكثر من ٢٠٠ لوحة أهداها إليه كبار الزوار عندما كانوا يحجون إليه مما يدل على ما كان له من مكانة مقدسة

وكلمة « أبو الهول » محرفة عن كلمة « بوحول » وهى لفظة إسرائيلية معناها « مكان حول » و « حول » إله محلى فى فلسطين . فلما نزل الإسرائيليون بأرض مصر أقاموا فى جوار أبى الهول وعبدوه بدلا من أحد آلهتهم لما بينهما من تشابه . وبمضى الأعوام صحف لفظ « بوحول » فأصبح « أبو الهول » . أما اسمه الفرعونى تبعاً لنصوص أقدمها يرجع إلى الأسرة الثامنة عشرة فهو « حر أم آخت » ومعناها « هوراس الذى فى الأفق » . وحرفه اليونان إلى حرماخيس. ويقول سليم بك « إن الإسرائيليين أقاموا فى تلك المنطقة مدة طويلة ، وإنهم تركوا مصر إلى الشام من طريق بجوار الأهرام ، وما زالت قرية الحرونية تحتفظ باسم الهرم إلى الآن »

فن القدماء

وبكشف مقابر كبار موظفى الأسرتين : الرابعة والخامسة . أميط اللثام عن كثير من غوامض التاريخ، فمن مقبرة « نتربو » يمكننا أن نعرف ترتيب ملوك الأسرة الرابعة . كما بينت المقابر الأخرى أن أولاد خفرع ليسوا أربعة فقط بل هم خمسة عشر ولداً وبنتاً

أما من جهة الفن فقد وجدت فى هذه المنطقة تماثيل كثيرة حافظ فيها الفنان على تصوير وجه صاحبه بكل ما فيه من عيوب، لأن المصريين اعتقدوا بخلود الروح والحياة الأخرى ، كما اعتقدوا أن الروح تزور جثتها . ولذلك وجب حفظها بالتحنيط ، وزيادة فى الاحتياط رأى المصرى القديم أن يلجأ إلى مادة أصلب وأقوى على مقاومة الدهر وعبث الأيدى بدلاً من جثته الهشة فنحت التماثيل لتزورها الروح إذا فقدت الجثة أو تلفت . ولذلك وجب أن تكون الصورة صورة أصلية من صاحبها حتى لا تضل الروح عنها إذا أرادت زيارتها

وكثرة هذه التماثيل أو قلتها ترجع لسطوة الميت وغناه ؛ ففى مقبرة « رع ور » مثلاً وجدت بقايا ١٢٠ تمثالاً . ويلاحظ أن تماثيل الأغنياء كانت دائماً تمثل الترف بأجلى صوره، فإذا كانت لصانع دقق الفنان فى إبراز التفاصيل فيبدو كل شىء على طبيعته، فترى آثار الجهد على وجه الخباز أو العجان حتى أصبحت تلك التماثيل قطعاً حية تقود الفنان الحديث

زيارة الأحياء للموتى

وليست زيارة الأحياء للموتى بنت اليوم ؛ ففى مقبرة الكاهن « فيفى » سرداب به حجرة لها نافذة صغيرة أعدت ليطل منها الناس فيرون تمثال الكاهن وإلى جانبيه زوجته وابنه وابنته فترى فى عينيه نظرة الاطمئنان وكأنه ينظر إليك . كما ترى جلد الذكور ملوناً بلون أحمر بينما جلد الأناث أبيض . وحتى الملابس والعقود لم ينس المثال أن يصبغها بألوانها الطبيعية التى ما زالت ثابتة إلى الآن . فإذا زرت التمثال فقد زرت أصحابه . وليست هذه المقبرة هى الفريدة فى نوعها بل إن الحفريات كشفت عن ثلاث مقابر بها هذه الظاهرة

ومن كشف مقابر الأشراف فى تلك المنطقة عرفنا كثيراً من عادات القدماء وحياتهم الاجتماعية من سمر وغناء ورقص ، ففى مقبرة « كاجوا » كاهن الملك خفرع نجد « أركسترا » كاملاً مكوناً من ستة أزواج من الموسيقيين ، ويتكون كل زوج من شخص يلعب على آلة موسيقية كالمزمار أو الناى أو القيثار وشخص آخر يصفق له تلك التصفيقة التى ما زلنا حتى الآن نصفقها إذا حركت إحساسنا أوتار الموسيقى البلدية

ولأول مرة نجد فوجين من الراقصين والراقصات تتوسطهم راقصة عارية ، وهى ظاهرة لم تعرف من قبل فى النقوش الفرعونية .



لماذا أحاول تصوير العالم
وفق الآراء الحديثة

للدكتور محمد محمود غالى

صحيح أن كل أفعالنا وحركاتنا الخاصة بحياتنا اليومية أو اتجاهاتنا الشخصية متعلقة بأحكام لا يمكن للعلم أن يكون الأساس المباشر للتصرف فيها . فإن العلوم كما يقول ريشنباخ لا تجيب أبداً على السؤال الآتى : « ماذا يجب أن أفعل ؟ » ومع ذلك فإن هنالك اتصالاً بسيكولوجيا بين درجة معرفة الرجل للعلوم وموقفه إزاء المشاكل التى تعترضه فى الحياة وتقديره لبعض المسائل ، وإننا نلاحظ أن كل المذاهب الفلسفية أو علم الأخلاق تبدأ بنظريات فى العلوم ذاتها ، نظريات تتعلق فى العادة بصورة من صور العالم ، والمتأمل يجد علاقة بين الاكتشافات العلمية الكبرى وأعمالنا أو نوع تفكيرنا . خذ مثلا انقلابنا فى التفكير الفلسفى من جراء اكتشاف كوبرنيك لدورة الأرض حول الشمس ، هذا الاكتشاف الذى يذكر الأستاذ محمد مختار عبد الله فى إحدى مقالاته الممتعة بجريدة الأهرام فى العام المنصرم أنها اكتشافات بدأت من أيام العرب . ولست بصدد أن أناقش أصل الاكتشاف ونصيب كل عهد فيه ولا التحديد من موجة الرجوع عندنا بكل شىء لعهد العرب ، وإنما أذكر أن الفكرة فى ذاتها خارجة وغريبة عن أعمالنا اليومية — عن علاقتنا سواء بالأشياء أو الرجال أو مظاهر الحياة .

أن تدور الأرض حول الشمس، أو تدور الشمس حول الأرض، فإن هذا قد يُظن من موضوعات الفلك أو من موضوعات الترف فى المعرفة . ولكن لنا أن نتأمل الناحية الفلسفية ونتأمل النتائج المترتبة عليها؛ وأولى هذه النتائج أن الأرض ليست هى جوهر العالم وما هى إلا سيار صغير جداً بين كثير من السيارات تدور كغيرها حول الشمس، وهذه الأخيرة أى الشمس ماهى إلا إحدى ملايين الشموس المماثلة وليست من أكبرها؛ وهذه الملايين تكون عالماً ، وهنالك الملايين من ملايين العوالم المماثلة يتكون منها الكون. هنا وقف المرء مخذولا فى تفوقه أمام الظواهر الطبيعية؛ وهنا يتضح له شىء من العلاقة الدقيقة بين الإنسان وبين الأرض التى تحويه وبين الوجود ، فالمعرفة العلمية لها أثرها على مشاعرنا وتصرفاتنا ، وهذا هو الذى يحدو بالقارىء إلى تتبع مثل هذه المقالات . إن التفصيلات العلمية بعيدة عن حياتنا اليومية ولكن لمعرفة النتائج والإلمام بالصعوبات التى اعترضت العلماء — أثرها فى حياتنا الشخصية .

لذلك لم يتأخر علماء أعلام مثل فابرى Fabrie أستاذ الطبيعة بالسوربون وعضو المجمع العلمى الفرنسى وريشنباخ وغيرهما أن يكتبوا سلسلة من المقالات فى المجلات الأسبوعية أو الشهرية أو فى الكتب المبسطة . والأخير من كبار الأساتذة السابقين

وهكذا لم يترك الفراعنة شيئاً إلا وضعوا هم بذوره ليتبعهم العالم الحديث فى جده ولهوه

ولم يكن كشف هذه الآثار والوصول إلى هذه الحقائق من الأمور الهينة فقد احتاج إلى عزيمة قوية وصبر طويل ومجهود جبار . فقد استمرت الحفريات برياسة سليم بك عدة سنوات نقلوا خلالها مقادير كبيرة من الرمال، ففى كل يوم كانت العمال تنقل ألف متر مكعب أو أكثر من الرمال، فإذا عرفنا أن العمل كان يستمر ثمانية أشهر فى كل سنة قدرنا كم من المجهود احتاج إخراج هذه الآثار إلى عالم المرئيات

وإنه لمن شقاء مصر أن تطغى الأعمال المكتبية على كل شىء وتفسد على العلم كثيراً من الجهود الناجحة حتى يقول سليم بك حسن : « إن أكبر خطأ ارتكبته فى حياتى هو أنى قبلت منصب وكيل مصلحة الآثار »

(الشتوى)

فى ألمانيا الذين تنتفع الآن بمعلوماتهم جامعة « اسطنبول » ونحوهم تركيا الجديدة التى اقتنعت أن بين الذين شتتهم الظروف السياسية فى العالم اليوم مواهب يمكن الاستفادة منها .

صحيح أن الشخص العادى لا يعنيه معرفة الظروف التى حدت بباستير إلى اكتشاف ميكروبات الأمراض المختلفة مثل الكلب والحمى الفحمية بقدر ما يعنيه المصل أو الطريقة المعدة للعلاج؛ وقصة اكتشاف كالمت (Calmette) لعلاج الدفتيريا لا تهم الجمهور بقدر ثقتهم اليوم بأن للدفتيريا مصلاً للوقاية منها ، بل إن الشخص العادى لا يهمه دوران الألكترون حول نفسه وحول مركز الذرة بقدر ما يهمه النتائج والانتصارات الفعلية للكهرباء .

ولو أن العالم صورة صادقة لما نراه فى حياتنا اليومية .
ولو أن مجموعة المعارف التى نطبقها تمثل لنا صورة صحيحة لهذا العالم لما كان إلا شيئاً كالأشياء المادية التى تحيط بنا ، أشياء تتأثر بالقوانين الطبيعية البسيطة التى درسها معظمنا فى المدارس الثانوية أو العالية كانتشار الضوء فى خط مستقيم وغير ذلك . فالمواد فى هذا العالم البسيط حديد وخشب وحجارة نستخدمها لعمل الأدوات والآلات ، ونجد أن المادة فى هذا العالم البسيط تكون صلبة أو سائلة أو غازية كما أننا نجد فيه الحرارة والبرودة والصوت ، بل نجد أيضاً الكهرباء التى لا نراها ولكنها تدخل فى الكثير من حاجاتنا . هذه الظاهرة ينسى الكثيرون أن يحاولوا تصورها ، وكل ما نعلمه أنها تتولد من آلات خاصة وأنه من الممكن نقلها بالأسلاك . وفى هذا العالم البسيط يجري ترام وأمنيبوس ، ويقهر الأرض فيه قاطرة وتحلق طائرة وتتعالى أصوات الآلات فى المصانع ، وتتدافع الأشخاص بالمناكب فى مدن مكتظة ، وتزدهر الحقول بفعل الفلاح وفعل الجو والماء ، وتجرى الأنهار وتقام عليها الجسور ، وغير هذا على هذه الأرض السيارة والتى نشعر بما فيها وعليها بحواسنا الخمس : السمع والبصر واللمس والذوق والشم ويهيمن عليها وعى وتدبير يطلقون عليهما العقل ، وفى هذا العالم البسيط تعلونا سماء زرقاء فى مصر ملبدة بالغيوم فى غيرها ، حيث تجرى الكواكب فى مجراها ، وكل هذا العالم غارق فى بحرين كبيرين : الزمن والحيز ، هذان البحران أصبحا موضع عناية الباحثين والعلماء المدققين . الزمن والحيز ، عاملان نعتقد أننا جميعاً نعرفهما أو هما فى غير حاجة لدراسة معينة فقد ألم بأمرهما كل من أتيحت له الفرصة أن يجلس على مقعد بالمدرسة

هذه الصورة البسيطة للعالم والتى عللها العلماء لنا بقوانين بسيطة سواء فى الميكانيكا أو الطبيعة أو الكيمياء لم تعد بسيطة كما عهدناها

ففى جو التفكير العلمى انقلاب شديد لم يشعر به الرجل البعيد عن الجامعات ومعامل البحث . وشعر به العلماء والجامعيون المشتغلون ، والواقع أننا لو انحرفنا قليلاً عن الأوضاع البسيطة التى ذكرناها والأوصاف التى قدمناها وأردنا أن نعرف للعالم صورة أدق من الأولى صورة تنطبق على الآراء العلمية الحديثه ، فلا مادة حسب التفكير الأول البسيط ، بل إن المادة جسيمات صغيرة جداً فى حركة دائمة ، وهذه الكوبة المملوءة بعصير البرتقال مثلاً أو الماء الصافى تمثل مجموعة من ملايين الأجسام المتحركة ، فهى شبه مجموعة من النحل حول خليتها فى حركة دائمة ، فكما أنه ليس هناك سطح معين لمجموعات النحل حول الخلية ، فإنه لا سطح معيناً للماء فى الكوبة بل مجموعات من الجسيمات هنا وهناك تعد بالملايين .

وفى هذا العالم الذى نعيش فيه والمملوء من هذه الجسيمات المتحركة لا ضوء هناك ولا لون ولا صوت ، فكل هذه مظاهر لا تختلف إلا بعدد فى الذبذبات والتردد ؛ فالذى نسميه مادة أو ضوء ما هو إلا كهرباء ، بل لا فارق بين الطاقة والمادة ، ويمكن القول اليوم أن الإثنين شيء واحد ، بل المادة نفسها كهرباء والكهرباء مادة

على أن قوانين هذا العالم المضطرب تختلف حسب صورته الجديدة اختلافاً كبيراً عن الأشياء التى تعودناها فى حياتنا اليومية والتى لم تظهر القوانين التى نعهدها صحيحة لنا إلا لأنها متوسطات للقوانين الحقيقية للعالم على صورته الجديدة

هذا الاختلاف فى صورة العالم ومظاهره قد تعدى كل شيء حتى إن القوانين العادية الخاصة بالزمن والمسافة التى تحكم هذا العالم تختلف اختلافاً مبيناً عن التى تعلمناها فى المدارس ، فالحيز الذى اعتدنا أن نتصور فيه طوبة أحوتب ، هذه الطوبة التى نستعملها اليوم لبناء منازلنا ، هذه الطوبة ذات الطول والعرض والارتفاع ، هو حيز معوج ؛ والمثلث الذى اعتدنا أن نعتبر مجموع زواياه تساوى قائمتين ، هو فى الواقع ليس كذلك ؛ والخط الذى اعتدناه مستقيماً يلتف فى النهاية حول نفسه ، بل إن الزمن ذاته يحمل فى طياته أغرب القضايا بعدم التعيين أو المعرفة ، ويتبين لنا ذلك إذا حاولنا أن نحدد زمنياً حادثين بعيدين الواحد عن الآخر

فتبيان هذه الموضوعات وسرد قصة العالم بالتقرب ما أمكن من حقيقته تكون اليوم مجموعة من المعلومات الثقافية ذات الأثر

فى تكوين الفرد وتفكيره وحكمه على الأشياء

هذه المجموعة الجديدة تختلف كل الاختلاف عن الصورة التى عهدها القارئ لهذا العالم التى ترتسم فى ذهننا بما نراه وما اعتدناه وتعلمناه . على أن المهم فى ذلك أن هذه التطورات العلمية الأخيرة التى تلزمنا كما سنرى أن نعامل الأشياء بقوانين مختلفة، كان لها تأثير فى عالم الاكتشاف والاختراع مما سيكون له أثر على الجيل القادم

ليس من السهل أن نطالب كل امرئ بتصديق كل هذه التطورات العلمية الجديدة دفعة واحدة وبدون سابق شرح ، لهذا عمدت إلى هذه المقدمة التى نوهت فيها عى قدر الإمكان ببعض الموضوعات التى سأتناولها

وكأنى أشعر بالقارئ يسائل نفسه كيف وصل العلم لمثل هذه القضايا والتفسيرات الجديدة التى تجعله يتشكك فى أبسط الأشياء ، فى الخط المستقيم الذى اعتاد اعتباره كذلك ، فى فضاء أقليدس ومحاوره الثلاثة ، الذى كان نتيجة طبيعية لتصوره . كيف وصل العلم لهذه التفسيرات الجديدة التى ظاهرها غريب شاذ ولا تدل عليه أعمالنا اليومية ؟ ألا تكون ضرباً من التخمين والاجتهاد العلمى (Speculation) الذى يراد به تفسير بعض الظواهر ولن يلبث العلماء حتى يعودوا إلى النظريات القديمة ؟ ألا تكون الحال كالصور الحديثة عند ما زهد الفنانون فى إخراج صورة خالدة مثل « الجيوكوندا » من عمل « ليونارد دى فنسى » فمثلوا لنا وجه المرأة بدائرة داخلها نقطتان ، والشجرة بخط أو خطين

ولكنى أجيب القارئ أن الأمر ليس كذلك ، فليس الذى يدفع بالعلماء لهذه النظريات الجديدة هو حبهم للتخمين ، رغبة فى جديد وهجر لقديم ؛ وبينما يعرف الفنان أن الاقبال على فنه موقوف إلى حد ما على التغيير وترك القديم للحديث، فليس هذا شأن العالم ، إذ أنه مثل الرجل العادى على حد سواء يسعى دائماً لتبسيط المسائل وليس له مصلحة فى التعقيد . والواقع أنه إذا كان قد وصل الآن إلى مثل هذه الصورة المعقدة للعالم فان ذلك لأنه أراد أن يعرف للعالم حقيقته ويتوغل نحو المعرفة لأقصى الحدود

على أنه فى هذا المجهود الذى يقترب فيه رويداً رويداً من حقيقة الكون وسر الوجود والذى يرسم لنا فيه صورة للعالم أكثر انسجاماً من صورته الأولى ، يعمل لتقدمنا إلى الأمام كجنس سوف يختلف فيه الإنسان القادم عن الحالى ، كما اختلف الإنسان الحالى عن القردة

ألم نكتشف النار وظلت تجهلها القردة ؟ ألم نصنع لأنفسنا طوبة امحوتب وظلت فى الكهوف ؟ ألم نكتشف أخيراً الكهرباء وإشعاع المادة وتهدم الذرة؟ ألم نعرف القاطرة والطائرة ، والتلفون والتلغراف ، والمصباح وأنبوبة النيون ، والراديو والتليفزيون ؟

لقد كلفتنى هذه المقدمة والتفكير فى المقالات التى تليها قراءة عشرات الكتب وحضور الكثير من المحاضرات فطالعت دى بروى وبران وفابرى (Fabrie) ومليكان وسودى وإدنجتون وجن ومارسل بول وريشنباخ وغيرهم ممن حاولوا بجانب أعمالهم العلمية أن يقوموا بدور تبسيط العلوم . وقد اعتزمت أن تكون مقالاتى أكثر فى التبسيط من هؤلاء ، ولكنى أرجو ألا أذهب فى التبسيط إلى الحد الذى تُقتل فيه الموضوعات وتهدم فيه فائدة القراء . ولا أدرى ماذا كان وقع هذه الكلمات على القراء ، فهم أدرى بها منى ، وهم الذين يقدرون إن كان هذا التبسيط كافياً . ولا تظن بعد ذلك أننى سأتحدث فى المقال القادم فى أول درس فى الزمن حسب ما يراه إينشتاين ، أو الحيز حسب ما يفهمه ريمان، أو أحدثك عن كون يتمدد وفق آراء « دى ستير » وملاحظات هبل (Hubble) أو أدخل بك فى الذرة وتهدمها اليوم تحت معاول العلماء مما سيكون موضوع أحاديثى القادمة ، ولكنى أرجو أن تسمح لى أن أتم هذه المقدمة التى آمل أن يكون منها فائدة ، فأتحدث أولاً عن الطريقة التى يشتغل بها العلماء . ما هى منابعهم ؟ ما هى طرائق العلم الحديث ؟ فأفرق بين العلم النظرى والعلم التجريبى

وفى هذا سأنتزع كل ما أمامى من الكتب والمؤلفات فأدعها جانباً لأنى وقد قضيت زهرة العمر فى المعامل ، وفى معامل البحث يصح أن أتحدث عن الوسائل الحديثة التجريبية ، وأفرق بين عالم التخمين وعالم الحقيقة ، وأدل القارئ — كيف يسيطر العلماء اليوم على حالة التقدم

فإذا انتهيت من هذا فى المرة القادمة يصح أن نجول معاً بعد ذلك فى الكلام عن الحيز ثم الكلام عن الزمن فنكون قد اشتركنا معاً فى أول درس حقيقى من دروس الفلسفة الطبيعية

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

هجـــرة الأسماك

بقلم رضوان محمد رضوان

الهجرة ظاهرة غريبة تشاهد فى المملكة الحيوانية على وجه العموم ، وهى ترى بوضوح فى الأسماك ، وكذلك فى الطيور

وتهاجر الأسماك لغرض التناسل ، فمنها ما يهاجر من النهر إلى المحيط للبحث عن مكان تبيض فيه ، والمثل المعروف لهذا النوع من المهاجرة هو ثعبان السمك .

فمن المشاهدات العديدة ، وجد أن ثعابين السمك لا تتكاثر أصلاً فى الأنهار التى تعيش فيها كبقية الأسماك النهرية ، إلا أنه بالرغم من ذلك توجد منها كميات كبيرة لا تقل فى سنة عن أخرى ، وكذلك توجد منها أفراد كبيرة وأخرى صغيرة ؛ وشوهد فى نفس الوقت أن الثعابين الصغيرة تصعد من المحيط إلى النهر . أما الكبيرة فترحل من النهر إلى المحيط

وعلى ذلك اتجه الرأى إلى أن الثعابين ترحل من النهر إلى المحيط للتناسل ، وفعلاً أثبتت المشاهدات أنه لا يتم نمو الثعابين — ويكون ذلك فى سن الخامسة أو السادسة — حتى تتحين وقت الخريف ، وتترك النهر فى جماعات هائلة متجهة إلى مصبه ، فإذا أمسى الليل ، وكان البحر هائجاً ، تنزل إليه وتعوم بنشاط عجيب ، وتبتدئ بذلك رحلتها القريبة ، فتمر من بوغاز جبل طارق إلى المحيط الأطلنطى ، وتعبره إلى جزائر برمود شمالى بحر السرجاس والتى تبعد عن شواطئ الولايات المتحدة الأمريكية بنحو ألف كيلومتر

وقد اصطيدت حيوانات مختلفة فى مناطق متعددة أثناء هذه الرحلة الطويلة ، فوجد أن الغدد التناسلية تكون أقرب إلى البلوغ والنضج كلما قربت الحيوانات من بحر السرجاس مما يدل على نموها طول فترة السياحة

تقطع إذاً الثعابين آلاف الكيلومترات لكى تصل إلى جزائر البرمود بسرعة ٢٠ — ٣٠ كيلومترا فى اليوم ، فإذا ما انتهت إلى مكانها المقصود ، تبيض الأنثى كمية كبيرة من البيض تبلغ المليون ، وقد تزيد على ذلك ، ثم تفرغ الذكور الحيوانات المنوية فى الماء ، وبهذه الطريقة يتم إخصاب البيض

وحين يفقس البيض وتخرج منه اليرقات ، تبدأ سياحتها راجعة فى نفس الطريق الذى سلكه أبواها من قبل ، وتتغذى فى طريقها بالحيوانات المائية الدقيقة

أما مصير الأبوين بعد وضع البيض وتلقيحه فأمر مجهول تماماً إلا أن بعض العلماء يرجح موتها كما هى العادة عند بعض الحيوانات

وعند ما تعبر اليرقات المحيط إلى النهر تصل إليه فى أوائل الشتاء ويعيش جزء منها بقرب مصبه ، وهذه تكون فى غالب الأحايين ذكور المستقبل والتى تعيش فى أعالى النهر تكون الأناث . وتستغرق الثعابين فى رحلتها هذه حوالى العامين

وهناك نوع من الأسماك يهاجر من البحر إلى النهر مثل السمك الأوربى المعروف باسم « حوت سليمان » فهو يهاجر فى جماعات كثيرة العدد فينزل البحر الذى يعيش فيه فى أواخر الخريف وأوائل الشتاء ويتجه نحو النهر مفترساً ما يصادفه من الأسماك الأخرى ، وله مقدرة غريبة على السباحة فى النهر ضد التيار ، كما أن لديه القدرة على القفز متخطياً بذلك أى انحدار يصادفه فى مجرى الماء ، وقد وصلت إحدى قفزاته إلى ارتفاع ثلاثة أمتار فوق الماء

وفى الأنهار التى بها سدود تعترض طريقه ، والتى يتعذر عليه أن يقفز من أسفلها إلى أعلاها ، فكر كثير من العلماء فى إنشاء بناء مائل على هيئة السلم بجانب السد ينحدر عليه الماء من أعلى السد إلى أسفله ، وبذلك يتاح لحوت سليمان أن يتابع سيره بدون أدنى صعوبة

فإذا ما وصل إلى مصب النهر يصوم عن غذائه وحينئذ تبتدئ الغدد التناسلية فى التضخم والنضج

ولقد شوهد أن الحيوان يختار فى رحلته هذه الأنهر السريعة الجريان المتدفقة المياه ، ولذلك فهو يفضل دائماً أن يرحل إلى الأنهر الأوربية فى أوائل الشتاء حيث تهطل الأمطار بشدة وتزداد سرعة المياه فى الأنهار لدرجة كبيرة

وتبين أن الحكمة فى هذا الاختيار هو أن ماء الأنهر السريعة الجريان يحتوى على كمية كبيرة من غاز الأكسجين الذاب ، فإذا ما احتوى اللتر من ماء المحيط على ٦ س و ٣ م من الأكسجين الذاب نجد أنه دائماً يتجه إلى الأنهار التى يحتوى اللتر من مائها على ٨ س و ٣ م أو أكثر من غاز الأكسجين ، كما أنه فى أثناء صعوده النهر يتخير دائماً الأفرع الغنية بالأكسجين إذ أنه شديد الحساسية لهذا الغاز

فإذا ما وصل إلى منبع النهر تكون الغدد التناسلية قد تم نضجها فتبيض الأنثى عدداً عظيما من البيض ثم يلقح الذكر البيض وبذا يتم إخصابه

وبعد ثلاثة أشهر يفقس البيض يرقات تتطور وتنمو كل واحدة منها إلى سمكة صغيرة تعيش فى مكان أبويها مدة تقرب من السنتين ثم تهاجر من مكانها من النهر إلى المحيط حيث كان مقر أبويها من قبل وهى تسلك فى ذلك نفس الطريق الذى سلكه الأبوان فى رحلتهما الأولى

تلك كلمة موجزة عن رحلة بعض أنواع السمك ، يتساءل الإنسان بعدها ما الحكمة أو ما الدافع الذى يحدو هذه الحيوانات أن تترك موطنها وتهاجر فى رحلة شاقة معرضة لأشد الأخطار وكان الأحرى بها أن تبقى حيث نشأت فتتناسل وتتكاثر فى أمان

لم يعثر العلم بعد على تفسيرات شافية لهذه التنقلات العجيبة ، وكل فرض قيل فى هذا الباب هو من قبيل التخمين ليس إلا ؛ فلا زال الإنسان يعترف بجهله أمام هذه الظاهرة الغريبة ، إلا أن العلم قد أثبت بصفة لا تحتمل الشك أن هذه الهجرة صفة وراثية يكتسبها الأبناء عن الآباء، يدل على ذلك أنه عند قيام الثعابين السمك الأمريكية التامة النمو بسياحتها من الأنهار إلى المحيط فإن يرقاتها لا ترجع إلا إلى الأنهار الأمريكية التى تربى فيها أبواها فلا يوجد ثعبان السمك الأمريكى فى أنهار أوربا ولا فى أنهار أفريقيا؛ وكذلك الحال مع الثعبان الأوربى والأفريقى، كل يسلك سبيلاً مرسوماً لا يحيد عنه قيد أنملة ، هو السبيل الذى سلكه أبواه من قبل

رضوان محمد رضوان

بكالوريوس فى العلوم الزراعية



تاريخ الفن

للدكتور أحمد موسى

٢

وعند ما ظهر مؤلف فردرش كرِسْت وزميله جيزنر عن الفن القديم ، كان مكان اجتماعهما أشبه شيء بأكاديمية للفن التقى فيها الكثيرون من أهل العلم والفضل من أولئك الذين كانوا يقرؤون كتب الفرنسيين منذ ساندرِت لعدم وجود غيرها من المؤلفات القيمة (والحديثة نسبياً) بغير اللغة الفرنسية

وعلى رأس هؤلاء الأفاضل يوهان يواخيم فنكلمان Winckel-mann[1] الذى إليه يرجع الفضل الأكبر فى توجيه العقل الألمانى إلى وجوب معرفة الحضارات القديمة ودراستها ، إذ بها وحدها يمكن إيجاد أسس النهوض ووسائل التوجيه المنتج وتحسين الموجود وإمكان الابتكار ، كما كان له فضل عظيم فى إيجاد الدراسات الجامعية المنظمة لعلم الآثار وتاريخ الفن

وإلى جانب هذا الرجل يجب التنويه برجلين هما هينى وليبرت كما نذكر فون هاجدورن وهاينكن وفون شتوخ ، الذين عملوا جميعاً على ازدهار هذا العلم بدافع من أنفسهم فى كل إخلاص وصدق

ومن أهم ما نذكره فى مضمار تاريخ الفن القديم على وجه الخصوص تلك الحفريات الموفقة التى أجريت فى بومبى Pompeyi بالقرب من نابولى فى أواخر القرن الثامن عشر وفى هركولانوم Herculanum[1] وكذلك الأعمال الأثرية المساحية التى قامت بها البعثة الإنجليزية فى أثينا برياسة ستيوارت وريويت والتى ترتب على النتائج الباهرة التى وصلت إليها وما أوجدته من روائع الفن خلال الحفر أن تحول الميل من البحث فى روما إلى البحث فى بلاد الإغريق عن كل ما تحويه أرضها من كنوز يزداد الإعجاب بها والولوع بدرسها كلما ازداد العثور على شيء من محيطها الهائل . فأصبح ميل العلماء شديداً ، كل فى مادة تخصصه ، إلى الهيلينزم أو الثروة الإغريقية فى منطقة هيللاز

عندئذ ولكثرة ما عثر عليه بدأ الأفراد العارفون يجمعون التحف ، وبدأت الحكومات تشجع على أعمال الحفر وتشرف عليها وتأخذ نصيبها مما وجد ، وكان ذلك النواة الأولى لإيجاد المتاحف العامة .

ونحن وإن كنا نعلم تمام العلم أن باريس كانت القلب النابض للآثار وتجارة العاديات بالنظر إلى ما جلبه نابليون ؛ إلا أن ظهور نتائج الحفريات فى روما وفى بلاد الأغريق ووصول أهم ما وجد فى أثينا على مرتفع أكروبوليس من أعظم ما رأت العين من نحت الرخام وأعمال التصوير والحفر التى جمعها البارون إلجين[2] والمجموعة

---

(١) يعتبر فنكلمان مؤسس علم الاركيولوجيا وتاريخ الفن القديم ، وله آراء محترمة فى تعريف الجمال الفنى والجمال المثلى وله نظريات مأخوذ بها فى علم تاريخ الفن ، كما تدين له الدراسات الفنية بالطريقة السلكية من حيث ترتيب الطبقة والنوع والتكوين والميزات . ولد فى ٩ ديسمبر سنة ١٧١٧ باستندال فى آلتمارك وتوفى فى تريستا يوم ٨ يونيو سنة ١٧٦٨

راجع : Justi; Winckelmann, sein Leben, seine Werke und sein Zeitgenossen. 3 Vols. Leipzig 1898.

(١) تعتبر هركولانوم ثالثة المدن المهمة فى التاريخ القديم الخاص بمنطقة كامبانيا بعد نابولى وكابوا تقع بين نابولى وبومبي على الساحل ، سكنها الاغريق الذين رحلوا من جنوب إيطاليا ، وأصبحت مدينة رومانية منذ سنة ٣٠٧ ق . م وقد دمرتها الزلازل سنة ٦٣ بعد الميلاد ، كما اكتسحتها حمم بركان فيزوف وغطتها ففقدت معالمها وبنى فوقها جزء من مدينة رسينا ، وقد عثر على حمامات مجاورة لهركولانوم فى سنة ١٨٨٠ غاية فى الروعة وحسن التنسيق

راجع : Furchheims , Bibliograhia di Pompei , Ircolano e Stabia. Napoli 1891.

(٢) Elgin Marbles هى تلك المجموعة الفريدة التى جمعها توماس بروك إلجين فى أوائل القرن التاسع عشر بتصريح من الحكومة التركية التى كانت تستخدم هذا المرتفع كقلعة حصينة وتمكن بروك بهذا التصريح =

الرائعة التى تمثل الفن الأجينى Aeginic Art إلى مونيخ ، ومجموعة منحوتات أفاريز معبد برجامون التى تمثل الفن البرجامونى أحسن تمثيل إلى برلين Pergamen Sculptures كل هذا قاسم عظمة باريس وجعل من هذه المدن مدارس للفن ولدراسته العليا

وبتأسيس المعهد الأركيولوجى فى روما (١٨٢٩) ، وما قام على تأسيسه من إنتاج هائل ونشاط بديع ، وبإيجاد معاهد أركيولوجية لبلدان أخرى — إلى جانب الأكاديمية الفرنسية منذ سنة ١٦٦٦ — فإن هذا مما ساعد كثيراً على إيجاد المواد العلمية لتاريخ الفن الذى لا يقتصر على ما هو قديم ؛ بل يتناول كل إنتاج فنى أياً كان عصره ، إلا أن الطريقة التى يسلكها فى التسجيل والنقد والتقدير والتأريخ للقديم لا يمكن أن تكون مشابهة لتلك التى يستخدمها للفن المعاصر الذى شوهه ذوو الأغراض والعجزة المدعون ممن يعتمدون على تشجيع غير الدارسين ، وعلى دعاية الصحافة التى تدعى حرية الفكر والعمل ، لأسباب جوهرية سنذكرها فى مقال خاص بفلسفة الفن الحديث

ولقد ظهر بعض الصور المحفور أصلها على لوحات من النحاس Copper Engr..ving مثّلت روائع العمارة ، وأول هذه على ما نذكر ، ما أخرجه جون فيليبيا Felibien فى كتابه Recueil historique de la vie des ouvrages des plus célèbres architectes. Paris 1687 . وكذلك أندريه فيليبيا فى كتابه : Entretie s sur les vies et sur 'es vies et sur les ouvrages des plus excellents pein'res. 4 Vols. London 1705 اللذان سلكا فيهما مسلكاً نقدياً علمياً للإنتاج الفنى الحديث ، وكان للكتاب الأول صدى مهد السبيل لترجمته إلى اللغة الألمانية (طبع بهامبورج سنة ١٧١١)

أما تأريخ الفن المتوسط ، ولاسيما فن البناء، فقد ظهر الاهتمام به فى انجلترا أولاً وكان هذا فى أواخر القرن الثامن عشر

وفى ألمانيا اشتغل فريق من العلماء بتأريخ فن التصوير الألمانى القديم (نسبيًّا) على رأسهم فواسيريه وفون كوانت وفرانس كوجلر وهيدلوف ؛ وكان لإنتاجهم ونقدهم صوت مسموع ، جعل من الفنانين تلامذة يقدرون الفن القديم (نسبيًّا) ويقتبسون منه ويسيرون على ضوئه ويعملون على إحياء ما بلى منه ؛ فظهر أثر الفن المتوسط لا سيما الفن الرومانتيكى

وظهر فى فرنسا مثل هذا الاتجاه على أيد فاضلة نسجل بعضها كفواليه لى دوك ولابورد وشابوى ودوسوميرار ودالى وبالوستر ، وظهر فى أسبانيا كافيدا ، وفى انجلترا ستريت وبوجين وجوتر وفرجسون . وكانت النتيجة لهذا المجهود الشامل أن تأريخ الفن الوسيط تأريخاً جامعاً كاملاً . وهنا استطاع المؤرخ الفنى المستقل أن يربط بين هذه التآريخ بعد التمهيد لها وتم الأمر فى النهاية بوضع تاريخ الفن المتوسط على الأسس الحديثة

ولتأريخ الفن الإيطالى فى عصر النهضة قصة ، فجو إيطاليا حبب الرحيل إليها ، وجمال الفن الإيطالى لفت النظر إليه ، هـذا إلى جانب قيمة استقلال البلاد مما يبعد عنها الدهماء من الأجانب فلا يلتقى فيها سوى أهل العلم والفضل من مختلف الأمم ؛ فاهتم فريق منهم بتأريخ فن عصر النهضة الإيطالى ، ولا نزال نذكر جوتيبه وبرسيه وفونتان وليتارويلى . وكتاب « أبحاث إيطالية » لمؤلفه رومور (طبع برلين فى ثلاثة أجزاء ١٨٢٧ — ٣١) من خير ما ألّف لهذا العصر ، ففيه تناول المؤلف طريقة النقد الفلسفى للفن . وعلى منواله نسج كل من بورشاردت الألمانى ولانسى وكفالكاسيل ومورللى الإيطاليين وكروا الإنجليزى ، وهؤلاء جميعاً ولا شك أئمة مؤرخى الفن المحدثين

وفى نفس المرحلة الزمنية كان قد بدأ فريق من علماء هولاندا بالاشتغال بتأريخ الفن أمثال شابس وإيمرتسيل وغيرهما ؛ على حين اشتغل باسافان وفاجين بمشاهدة التراث الفنى وتأريخه على أساس

= من أخذ جميع ماوقع عليه بصره من كنوز ذكرت وصورت فى مجلدات ضخمة ، كما قام بأعمال قياسية ومساحية دقيقة انتهى منها بعد أن ترك الدار تنعى من بناها .

وترتب على شراهة بروك التى لا نظير لها ورغبته فى نقل كل ما يمكن نقله إلى انجلترا أن تشوهت مبانى أكروبوليس ونقصت نقصاً معيباً ليس له مثيل فى تاريخ أعمال الحفر ، لا سيما فى أفاريز وحليات وزخارف وتصاوير بارتنون (راجع مقالنا بالرسالة سنة ١٩٣٨) ، ومنها تلك المنحوتات نصف البارزة التى يخيل إلينا أنه لا يمكن إبداع خير منها على الرخام ، ومنها بعض الرءوس وبعض التفاصيل البنائية من معبد إرشتايون (راجع المقال الخاص به فى الرسالة سنة ١٩٣٨) وغير ذلك كتمثال ديونيزوس المشهور والذى لا يزال المتحف الأغريقى بلندن (Brit. Mus.) يفخر به ويضعه فى أبرز مكان . هذا إلى جانب مجموعة الأحجار الأثرية المكتوبة والمنقوشة التى أرسلها إلى لندن داخل صناديق بلغت الاثنين .

راجع : Ellis, The Elgin Marbles in the British Museum

النقد المقارن ، واجتهدا فى إيجاد صلات وروابط فنية بين إنتاج الأمم المختلفة وطناً المتشابهة إنتاجاً ، نتيجة لتشابه الموقع الجغرافى العام وتشابه الوسط الأوربى والعقلية والثقافة التى كانت تحيط بها العقيدة الدينية إحاطة كاملة

إلى هذه اللحظة لم تكن المؤلفات الحديثة عن تاريخ الفن العام قد ظهرت بعد ، ولم يكن بد من العمل على إيجادها ، فتكاتف لحسن الحظ فريق من علماء الألمان — كسابق تكاتفهم فى مضمار تاريخ الفلسفة — على إخراج مؤلف شامل ؛ فظهر فى الأفق كتاب « شنازه » وبعده بقليل كتاب « لوبكه » وبعده الكتاب القيم « لأنطون شپرنجر » وقسمت الكتب إلى عصور والعصور إلى مراحل والمراحل إلى شعوب فكان منها تاريخ الفن القديم بما فيه تاريخ فن ما قبل التاريخ ، وتاريخ الفن المتوسط وتاريخ الفن الحديث ، هذا فضلاً عن تقسيم الإنتاج الفنى نفسه إلى عمارة ونحت وتصوير وفنون رفيعة وموسيقى وغيرها

وكان للتصوير الفوتوغرافى قيمة فى المساعدة على إخراج الكتب مزودة بصور الإيضاح التى يعتمد عليها تاريخ الفن كل الاعتماد والتى بدونها يفقد المؤرخ الفنى أهم مادة من مواد درسه ، حتى لترى بعض الجامعات تشترط على طالب تاريخ الفن والآثار الدراية التامة بالتصوير الفوتوغرافى الذى بدونه لا يتم له العمل

وظهرت معاجم ودوائر معارف للدراسات الفنية والآثار تنعم بها ، فضلاً عن المجلات الخاصة وعن تقارير أعمال الحفر والاستكشاف الخ

وكان للتقدم الباهر فى علم الجيولوجيا قيمته وأثره فى تاريخ الفن وعلم الآثار كما كان لتقدم دراسة الأنتروبولوجيا أكبر الأثر فى تحديد الإنتاج الفنى لكل شعب

من كل هذا نرى أن تاريخ الفن والكتابة فيه وتناوله بالنقد ليس بالأمر اليسير وليس مما يباح فى البلاد المحترمة لغير المتخصصين

أحمد موسى



المـــرأة اليونانية

الآنسة زينب الحكيم

المرأة اليونانية الحديثة المتعلمة

زرت إحدى دور الآثار « National Museum » يوم الجمعة ٥ من أغسطس سنة ٩٣٨ . والدخول إليها بأجور مرتفعة للأجانب وزهيدة جدا للأهالى .

بناء الدار فخم ، أمامه حديقة كبيرة منسقة . رتبت محتوياتها وجلها من التماثيل الكبيرة والصغيرة ، والآنية الخزفية ، والفازات المنوعة الأشكال والمادة ، وكذلك الحلى ، رتب كل هذا بنظام علمى تاريخى وفنى ملحوظ ، مما يجعل الزائر يشعر بعد تركه الدار أنه استفاد شيئا قيما . فإن بساطة مظاهر الحجرات إنما يرفع القيمة العلمية التى امتازت بها درجات .

لا يوجد بالدار عمال كثيرون، ولا موظفون؛ والذين يتولون الشرح للزوار علماء وعالمات بالعاديات .

وكان يلتف حول كل شارح وشارحة جماعة يفهمون اللغة التى يشرح بها ، فرأيت جماعة من الألمان ، وجماعة من الانجليز انضممت إليهم ، وجماعة أخرى يشرح لها بالفرنسية ، وجماعة رابعة تشرح لهم سيدة يونانية باللغة اليونانية .

كان صوت هذه السيدة مرتفعاً إلى حد مزعج ، شوش على جميع المتفرجين ، كما ظهرت عليها سمات الغرور ، وعدم المبالاة مع أنها فتاة فى ريعان الشباب أنيقة الهندام جميلة الوجه ، عالمة بدليل أنها تتولى الشرح لعاديات بلادها . إذن كان من أول واجباتها أن تكون أيضاً مثقفة مهذبة بمعنى أن تتذكر تطبيق ما تعلمته من آداب الحديث والاجتماع عمليا وهى فى طور اليقظة وإلاّ فمن شب على شىء شاب عليه . على أن هذه الناحية من النقص قد لحظتها بين كثيرات من السيدات اليونانيات المتعلمات .



ثلاث الفتيات الجميلات كريمات المرحوم نيكولاس اليونانى اعتبرن منذ طفولتهن من أجمل أميرات أوربا ، وجمالهن الآن يشمل ثلاثة بلاد . فالأميرة الجا إلى اليسار هى زوج البرنس بول الوصى على عرش يوجسلافيا، والأميرة الزبث فى الوسط زوجة الكونت شارلز بيافاريا، والأميرة مرينا إلى اليمين وهى دتشس كنت ، وثلاثتهن يتحلين بأكرم الأخلاق التى ورثنها عن جنسيتى والديهما (الأم روسية والأب دنماركى) يضاف إلى ذلك سحرهن الشخصى الذى لا يحاكى . وثلاثتهن حقا زينة الأسر الملوكية فى أوربا الحديثة

المرأة اليونانية فى بيتها

زرت بعض الأسرات اليونانية الكريمة فى بيوتها ، وكان من بين هذه الأسر ، أسرة كاتب شهير ، وكذلك زوجه كاتبة ذائعة الصيت

زرتها أول مرة ، فلم تكن السيدة موجودة لارتباطها بموعد سابق ، فقابلنى زوجها فى حجرة مكتبه — وقد تبينت أنه رجل مهذب، يمتاز بسجايا الرجل الجنتلمان . أطنب كثيراً فى مدح زوجته؛

مما دل على حسن تقديره لها واعتماده عليها ، إذ قال : إنها ذراعه اليمنى فى إخراج المراجع التى يحتاجها من المكتبة

قدم لى تحية الزيارة ... قهوة ، ولكن وضع معها على الصينية صحنا به مربى ، وحوله ثلاثة أكواب بها ماء مثلج ، ووضعت على كل كوب ملعقة صغيرة . استفسرت منه عن كيفية السلوك الذى يجب أن أسلكه ؟ !

قال : هذه عادة يونانية . يؤكل جزء من المربى ويشرب بعض الماء البارد ثم تشرب القهوة . بعد قليل ودعت الرجل وانصرفت على أن أحظى برؤية زوجه فى الزيارة الثانية

فى اليوم الذى سبق تحديده ذهبت لزيارة هذه الأسرة ثانية ، وجلسنا هذه المرة فى حجرة مكتب السيدة الزوجة ، وبعد التعارف وحضور حمى الزوج أيضاً ، قالت الزوجة : تريدين معرفة شىء عن الحركة الاجتماعية فى اليونان ؟ قلت : نعم ، وأريد أن أعرف كذلك شيئاً عن الحركة التعليمية بالنسبة للمرأة اليونانية ، ويهمنى كثيراً أن أصل إلى معلومات صحيحة . فقاطعتها أمها قائلة : إن نسبة المتعلمات من السيدات ٦٠٪ ، والرجال بين ٧٠،٨٠٪

وعادت الزوجة وأخبرتنى بنتف غير واضحة عن جملة أشياء مما أردت ، وقاطعتها أمها مرات ، وقاطعتها هى بدورها مرات ، ونسيتا نفسيهما فارتفع صوتهما ، وكثرت حركات أيديهما

وسألت عن اسم سيدة أخرى من شهيرات نساء اليونان ، فذكر الزوج اسم سيدة ، فقلت تفضل بكتابته لى بغير الأحرف اليونانية حتى تسهل على قراءته ونطقه صحيحاً .

قام الرجل وبحث عن قصاصة من الورق على مكتب زوجته ، وما كاد يرفعها ويأتى بها إلى مقعده حتى انقضت عليه الزوجة معنفة بحالة شرسة ، وأعصاب ثائرة ، وغضب شديد ، لجرأته على التعدى على منضدة كتابتها ، وأخذ تلك القصاصة المشئومة . قابلها الرجل بابتسام ورحابة صدر ، وسلك سلوك الرجل السميدع الذى صمم على ستر الموقف مهما كلفه ذلك . لكن الحقيقة التى لا يمكن الهروب من ذكرها ، هو أن سلوك الزوجة ذاك ، إن دل على شىء فلا يدل على أكثر من التربية الناقصة ، والغرور الفاضح بمعلومات واهية لا تثمن ولا تغنى إذا كان هذا هو تأثيرها فى نفس تلك السيدة الجميلة الوجه الأنيقة الهندام الشرسة الطباع المغالية فى تشويه جمالها الطبيعى بإسرافها فى استعمال الأصباغ .

على أنى أهيب بالقارئة الكريمة ألا تستخلص من هذا أن جميع سيدات اليونان المتعلمات كهذه الأمثلة التى اتفق أن رأيتها . إن من بينهن مثقفات أنيقات بحق عالمات بصدق . ولعل ذلك يتجلى فى الشقيقات الثلاث الموجودة صورتهن بين هذه الصفحات .



أزياء يونانية قديمة لا يزل يرتديها الفلاح اليونانى حتى الآن ، وبعض حراس المعارض ، ودور الآثار

وإن أنس لا أنس أبداً مناظر السيدات اليونانيات اللاتى اشتركن فى الاحتفال بعيد الانقاذ القومى فى ٤ من أغسطس ١٩٣٨ لقد أتت من أجله السيدات اليونانيات من جميع أطراف بلادهن من الجزائر ومن القرى ، كل فريق له طابع خاص وشخصية مميزة ، ويتفق الجميع فى الحسن والرقة ، وحسن ذوق الأزياء التى ارتداها ممثلو وممثلات نحو مائة مكان باليونان .

وكلها يقصر دونها الوصف ويعجز عن شمولها الخيال ، منها ما مثل اليونان القديمة ، ومنها ما يزال يستعمل إلى الآن من تلك الأجيال السحيقة . فدعانى هذا إلى التفتيش فى التاريخ اليونانى القديم ، ليتسنى للقارئات استخلاص موازنة لأنفسهن بين المرأة اليونانية الحديثة والمرأة اليونانية القديمة . وموعدنا الأسبوع القادم إن شاء الله .

زينب الحكيم



رسالة الشعر



من جراح الذكرى

فاتنتي مع النهــر ... ؟

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

مرّتْ عَلَى النهْرِ . . فقَالَتْ لَهُ   وَمَوْجُهُ فى خَشْعَةِ السَّاجِدِ :
يا نَهْرُ قاسِمْنِي الأَسَى مرّةً   وهاتِ أخْبَارَكَ عَنْ عَابِدِى !
نَبِيُّ أحلامى ، وشَادِى الْهَوَى   بِمُعْجزَاتِ النَّغَمِ الخَــالِدِ
طالَ عَلَيَّ الشَّجْوُ مِنْ بُعْدِهِ   والصَّمْتُ مِنْ قيثارِهِ الزّاهِدِ
أضاقَتِ الدُّنْيَــا بتغريدِهِ   فَطَارَ عَنْ مَوْطِنِهِ الجَاحِدِ ؟
أمْ رَاحَ يُلْقِيهِ ، فَيَمْضِى كما   مَرَّ الصَّدَى بِالْكَفَنِ الْهَامِدِ ؟
يَا نَهْرُ أسْمِعْنِى حَدِيثَ الْهَوَى   وَهَاتِ عَنْ بُلْبُلِيَ الشَّارِدِ . .

* * *

فَغَمْغَمَ النَّهْرُ . . وَقَامَتْ لها   أمْوَاجُهُ تُلْقِي صَلاةَ الْحَنِينْ
وَالشَّمْسُ فَوْقَ الشَّطِّ غَرْبِيَّةٌ   صَفْرَاء كَالشَّكِّ بِوَادِى الْيَقِينْ
وَقَالَ : يا عَذْرَاء عِنْدِى لَهُ   أسْمَارُ دَمْعٍ ، وَمَغَانِي أنِينْ !
كَمْ مَرَّ بِى ، تَحْمِلُ أقْدَامُهُ   شُجونُ أزْمَانٍ ، وَبَلْوَى سِنِينْ
أنْغَامُهُ مُرْتَعِشَاتُ الصَّدَى   وَالنَّايُ مَفْجُوعُ التَّغَنِّى حَزِينْ
لَمْ تَتْرُكِ الدُّنْيَا لَهُ فَرْحَةً   يَنْقِلُهَا مَوْجِىَ لِلْعَاشِقِينْ
كأنَّمَا ذَوَّبَ أيَّامَـــهُ   وَعَبَّ مِنْهَا سَكَرَاتِ الْجُنُونْ

* * *

سَألْتُهُ : يا ابْنَ الاسَى رَحْمَةً   فَالنَّوْحُ لا يُطْرِبُ سَمْعَ الصَّبَاحْ !
فَجْرُكَ رَفْرَافُ السَّنَا ، والْمُنَى   فَوْقَكَ طَيْرٌ عَبْقَرِىُّ الْجَنَاحْ
مَالَكَ لاَ تُلْهَمُ غَيْرَ الأسَى   وَلاَ تُغَنِّى غَيْرَ نَارِ الْجِرَاحْ !
فَقَالَ : يَوْمًا سَتُلاَقِى هُنَا   بَيْضَاء مِنْ حُورِ السَّمَاءِ الْمِلاَحْ
تَبْحَثُ عَنِّى . . فَأجِبْهَا : مَضَى   صَبُّكِ فِى الدُّنْيَا شَرِيدَ النُّوَاحْ
أنْتِ الَّتِى أسْلَمْتِهِ زَوْرَقًا   فِى لُجَّةِ الدُّنْيَا لِهُوجِ الرِّيَاحْ
فَمَرَّ كَالنِّسْيَانِ بِى . . وَانْطَوَى   صَبَاحُهُ عَنِّى شَقِيًّا . . وَرَاحْ !

* * *

فَاتِنَتِي ! سِرُّ الْهَوَى سَابِحٌ   فِى نُورِ عَيْنَيْكِ . . فَلاَ تَسْألِى !
فِى زَهْرَةِ الْمَرْجِ شَذًى نَائِمٌ   أخْشَى عَلَيْهِ يَقْظَةَ الْمِنْجَلِ . . .

محمود حسن اسماعيل

في شتاء النفس

للأستاذ عبد الحميد السنوسي

لم يعدْ من بعد ما ضيعتني مؤنسٌ لى غير شعري ودموعى
كلما هاج الجوي واشتعلتْ لوعةٌ هوجاء ما بين الضلوع
صحتُ : يا قلبي المعنَّى غننى
واشفِ ما بى من جوى مُرٍّ وجيع
فى شتاء النفس غنى مثلما كنتَ يا قلبي تغنى فى الربيع
غننى : واغسلْ جراحى بالدموع
واسكبْ السلوى على العانى الصديع
غننى : وارقص على وقع الأسى كلما حطَّمَ درْعاً من دروعى
غننى : ما طال ليلى : غننى
وادعُ فجرى — أين فجرى؟ — للطلوع
غننى : جَفّتْ أزاهيرُ المنى
فادعُ صبنى — أين صبنى؟ — للرجوع
غننى : حتى هجوعى رعا برئت نفسى من بعد المجوع!
غنني : بل لا تغنى ، زدتنى
حسرةً . واهتجتَ يا قلبي ولوعى !!

عبد الحميد السنوسي

شهيد الزنبقة

للأستاذ ناجي القشطيني

نفحات زنبقة أنيقه هبّت عليَّ من الحديقه
ولفيحهـا مال الفؤا د كأنها جذبت عروقه
فوقفت أرمقهـا بعيـ نى عاشق لاقى عشيقه
وأردت أحصرها بعط ف من معاطفها الرشيقه
فسمعت نغمة بلبـل يدعو لزنبقتى رفيقـه

* * *

خليتهـا وخبأت نفـ سى بين أغصان وريقه
وبقيت أنظره وأعـ جب من شمائله الرقيقه
فهـوى يقبلهـا وأطـ فأ فى رحيقتها حريقه
ودعا إليه صـديقه والحر لا ينسى صديقه

* * *

بينا يُغنّى وهو نشـ وان بخمرته العتيقـه
إذ فاجأته يد المنو ن فيبّست فى الحال ريقه
وغدا صريعًا حيث نا م ونومة الموتى عميقه
فوثبت مرتاعًا وكا ن رفيقه أبدى شهيقه
ملأ الحديقـة بالنوا ح وكيف لا يبكى شقيقه

* * *

ابن الطبيعـة مادها ك وأمّك الأم الشفيقه
ماذا تحاول من حيا ة كنت تحسبها دقيقه
عبثاً يحاول من يفتـ ش فى الحياة عن الحقيقه

« بغداد » ناجي القشطيني



فى نهاية الطريق

مترجمة عن الانكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

أخرج الساعة من جيبه ، ونظر إليها للمرة العشرين فى مدة لا تتجاوز بضع دقائق ، ثم أعادها إلى جيبه وأوثق عرى سترته بأنامل تدل حركاتها على الغضب . ثم مشى فى الطريق الخالى المؤدى إلى البراح الريفى ، وقال فى نفسه وهو حانق :

« إن هذا لا يطاق ! إنها وعدت بالمجىء فى الساعة الحادية عشرة والنصف ، والآن مضت سبع دقائق بعد الثانية عشرة ولم يبد منها أثر ! »

ثم دار بلحظه فى الفضاء ، وكانت الريح تعصف باردة ، فالتف بمعطفه وقال : « إذا لم تأت بعد خمس دقائق فإنى سأعود »

ونظر فى ساعته فوجد عقربها لم يتقدم غير دقيقتين ، فقال : « ها قد مضت أربعون دقيقة ولم تأت لوسى »

وترك الساعة فى يده وأخذ يمشى ذهاباً وجيئة ، وهو يخال أن دقات الساعة ضحكات سخرية واستهزاء به ؛ ثم مضت المدة التى عينها للانتظار ، فوضع الساعة فى جيبه وعقد عرى المعطف وأصر على أن يعود ، فسمع صوت طائر يغنى فقال : « أزعجتنى بصوتك يا طائر الجحيم »

ثم مشى مغضباً إلى منزله

***

بعد يومين من هذا المساء تلقى هذا الخطاب :

« عزيزى هيوبرت . لا بد أن يكون عذرك قوياً فى إخلاف موعدى مساء الثلاثاء . ولكن بما أنك وجدتنى لا أستحق أن تكتب إلىّ على أثر ذلك فإنى أبعث إليك بهذا طالبة إليك أن توضح لى أسباب غيابك وعدم كتابتك مشفوعة بالاعتذار . وإلا فإنى أعتبر خطبتنا مفسوخة وأنا أعنى ذلك وأصر عليه »

« لوسى »

غضب هيوبرت أشد الغضب عند ما قرأ هذه الرسالة ولم يعرف كيف يمكن أن يطالب بالاعتذار مع قضائه ساعة ينتظر فى البرد القارس

وفى الصباح التالى كان يفكر فيما إذا كان يكتب أو لا يكتب، فوصل إليه غلاف مسجل من البريد وبه خاتم الخطبة .

وكان هيوبرت رجلاً كثير الفضائل، ولكن المرونة لم تكن من بين فضائله ؛ فقال فى نفسه عند ما تسلم الخاتم : « هذا حسن جداً ! إذا لم تبدأ لوسى بالكتابة وبالاعتذار فإنى لن أكلمها بعد : نعم لن أكلمها »

***

مضى على هذا اليوم ثلاثون عاماً . وكان هيوبرت يمشى فى حديقة جميلة فى حى مونتفورد . وكان اليوم صائفاً من أيام شهر أغسطس، فالتقى فجأة بسيدة فى منتصف العمر. وكان هو أيضاً قد قارب الشيخوخة ، فوقف الرجل الأشيب أمام السيدة وقال : « لماذا لم تأتى فى موعدك ؟ »

فقالت : « لقد مضت أعوام كثيرة أظنها ثلاثين ، ولكن لماذا لم تأت أنت يا مستر هيوبرت ؟ »

قال : « يظهر أنك نسيت الموعد فأرسلت إلى خطابك الذى ادعيت فيه أنك جئت ، وهل تذكرين ؟ »

فقالت : « نعم أذكر وكنت فى الساعة الحادية عشرة والنصف فى المكان ولكنك لم تأت »

قال هيوبرت : « إنك لم تكونى هناك » فتحرجت لوسى



مقدمة ابن خلدون

صدر الجزء الثالث والأخير من مقدمة ابن خلدون باللغة الفرنسية عند الناشر الباريسي (جوتنر) Les Prolégomènes d'Ibn Khaldoun Editions Geuthner, Paris

وكان قد نقل المقدمة إلى اللغة الفرنسية المستشرق (دى سلان) ونشرها فى باريس سنة ١٨٦٢ — ١٨٦٨ . فوقعت موقعاً حسناً عند أهل العلم والاستشراق حتى إن نسخها نفدت . فأخرجها مرة ثانية ذلك الناشر الباريسي من طريق التصوير الآلى للطبعة الأولى ، وكلف المستشرق (جاستون بوتول) بالوقوف على الإخراج وبكتابة مقدمة لها ، وبالتعليق عليها وشرح طائفة من الألفاظ الفنية ، وتدوين فهرس شامل للفصول والموضوعات ، وأسماء الأعلام والبلدان

ومثل هذا العمل يدل على مكانة ابن خلدون وقدر مقدمته . وهل يغيب عن أحد من المشتغلين بالعلوم الاجتماعية أن ابن خلدون سبق نفراً من فلاسفة الغرب إلى آراء سديدة أو طريفة أو قلابة للمألوف ؟ ومن ذلك حديثه قبل (مكيا فللي) عن سياسة الملك ، وقبل (فيكو) عن فلسفة التاريخ ، وقبل (أوجست كونت) عن البحث فى الظواهر الاجتماعية ، وقبل (داروين) عن مسئلة تأثير البيئة . وكل هذا مسلم به متعارف

وعندى أنه — فوق هذا — سبق (بيكون) حيث قال : بنبذ « التشيعات » للآراء Notiones vulgares و (روسو) إذ فضل أهل البدو على أهل الحضر أى أهل الفطرة والخشونة على أهل المدنية والرفاهية ، وسبق الفلاسفة « الدهريين » للقرن التاسع عشر أمثال (كارل ماركس) و (سبنسر) و (جوبينو) و (تارد) و (دركايم) حين قال « إن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذى هو فيه » (ص ١٧٥ ، طبعة بيروت سنة ١٩٠٠) . أما (كارل ماركس) منشىء مذهب الاشتراكية المعروف — فقد سبقه ابن خلدون حيث قال « إنما اختلاف الأجيال فى أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم فى المعاش » (ص ١٢٠) . وأما (سبنسر) فقد سبقه ابن خلدون فى إثبات مبدأين ، أولهما : أن العصبية

وقالت : « لقد كنت تحت شجرة السرو »

قال : « ليس فى هذا المكان شجرة سرو »

فاستدركت لوسى وقالت : « يظهر أنك كنت فى الطرف الآخر من الطريق » وأدرك هيوبرت خطأه فقال : « ولكن الخطأ كان منك ، لأن المكان الذى وقفت فيه هو الذى اتفقنا عليه »

ثم ابتسم كلاهما ، وقال هيوبرت : « هل تأذنين أن أقدمك إلى زوجتى فهى معى الآن فى الحديقة ؟ » فقالت : « نعم وسأقدمك إلى زوجى فهو هنا أيضاً »

ومشيا معاً فى الحديقة فتعرفت لوسى بزوجة هيوبرت وتعرف الأخير بزوج الأولى . ثم أشار هيوبرت إلى شاب يلعب « التنيس » مع فتاة وقال : « هذا ابنى جون »

فابتسمت لوسى ابتسامة سرور وقالت : « وهذه الفتاة التى تلعب معه هى بنتى نانسى »

— صحيح ؟

— نعم

فتبادلا الابتسامات ، ثم قالت لوسى : « أرى بينهما مودة وأظن ... »

قال مقاطعاً : « وأظن ذلك أيضاً »

قالت : « إننى سأوعز إليها ... ولكنى سأنصح لهما بأنهما إذا اتفقا على مكان يلتقيان فيه فيجب أن يعينا بالدقة فى أى طرف من الطريق يلتقيان »

ثم ابتسمت ، فابتسم هيوبرت

عبد اللطيف النشار

ثم التعاون على المعاش من الأسباب الأولى للاجتماع البشرى ؛ والثانى : أن هرم الدولة من الدعة والترف .

وأما (جوبينو) فقد سبقه ابن خلدون حيث أشار إلى تأثير خصائص أجيال الخلق فى الحروب والفتوحات . وأما (تارد) — الفيلسوف الفرنسى — فقد سبقه ابن خلدون إذ أعلن «أن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده » (ص ١٤٧) . وأما (دركايم) — مؤسس « مدرسة » علم الاجتماع لهذا العهد فى فرنسا — فقد سبقه ابن خلدون حين عد وجود الجماعات أمراً واقعاً ملموساً وبصر بالصلة التى بين عدد الجماعة وغنى القطر ، وحين ضخم تأثير التعاون والتماسك Solidarité (ارجع لهذه اللفظة إلى مقالى فى مجلة مجمع اللغة العربية الملكى . ج ٢) وتقسيم العمل ورأى أن البحث الاجتماعى تنبسط أطرافه — من ناحية التاريخ — على جميع أحوال الأمة « مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال » (ص ٣٥) . ثم إن بين ابن خلدون و (دركايم) وجها آخر من الشبه لا يستخف به ، ذلك أن (دركايم) نزه مذهب (أوجست كونت) عن التشيعات للآراء وخلصه من وجوه الاستنباط المحض ، وكلنا يعلم أن ابن خلدون عالم موضوعى كما يقولون Objectif أى عالم يتدرج من المحسات إلى النظر ، ومن الخارجيات إلى الرأى .

بشر فارس

مكتب النشر العربى بدمشق

إلى جانب الجماعات التى تعنى فى دمشق بالشؤون الاجتماعية والعلمية ، عصبة من الشباب قامت منذ أعوام خمسة بتأسيس مكتب لنشر الثقافة والعلم أسمته « مكتب النشر العربى » ؛ وتأسيس مكتب ليس له من غاية إلا خدمة الثقافة والعلم ، ونشرهما بين الأوساط بأقوم الطرق وأكثرها فائدة ومنفعة ، عمل شاق وعسير ، فى بلد ، الثقافة فيه ضائعة حقوقها بين الذين يدعونها والذين يهملون شأنها ، ويتجاهلون وجودها .

ولقد قام المكتب منذ تأسيسه إلى الآن ، بنشر آثار ودراسات مختلفة لطائفة من المفكرين والأدباء سواء المتقدمون منهم والمعاصرون ، فنشط بعمله هذا الحركة الفكرية فى المدينة ، وبرهن على أن الثقافة قيمتها عالية لا تبخس ، وقدرها محفوظ لا يذل ، مهما بلغ من إهمال الناس شأنها ، وجور الظروف عليها .

لست أريد إسرافاً فى المديح خشية الوقوع فى غلو أو مبالغة ، ولا أريد أيضاً الاقتصاد فيه خوفاً من هضم بعض ما لهذا المكتب من حقوق علينا ، ولكن ما أريدهو إيفائه حقه كاملاً غير منقوص ، ورفعه إلى المرتبة التى تستحقها جهود مؤسسيه ومساعيهم ، فإن عملاً كعملهم لا يكافأ بجزاء غير راحة الضمير ، ولا يقابل بتشجيع غير تشجيع الخلق القوى الرصين ، ثم لا تستفزه حوافز غير حافز النفس ورغبتها فى خدمة العلم لتعزيز شأنه ورفع مستواه ، لعمل جدير حقاً بالإعجاب وأهل للتقدير .

ومن الآثار الفلسفية والعلمية التى قام المكتب بطبعها ونشرها ، هذه الآتية : المنقذ من الضلال للغزالي ، حى بن يقظان لابن طفيل ، وقد قدم لهذين الكتابين بمقدمة ضافية مع شرح لآرائهما الدكتوران جميل صليبا وكامل عياد . ثم مجموعة من المحاضرات كان قد أذاعها فى الراديو الدكتور طه حسين بمصر ، فجمعها المكتب وطبعها تحت اسم : الحياة الأدبية فى جزيرة العرب . ثم من أفلاطون إلى ابن سينا ، ودرس وتحليل ابن سينا مع منتخبات من فلسفته للدكتور صليبا أيضا ، وقواعد التحديث لجمال الدين القاسمى ، ثم أصول المحاكمات وعلم المالية للعلامة فارس الخورى ، وغير هذه كثير منه ما هو مطبوع ومنه ما هو قيد الطبع .

فلك طرزى

توثيق الصلات الثقافية بين مصر وأمم الشرق

اجتمعت فى الأسبوع الماضى لجنة توثيق الصلات الثقافية بين مصر وأمم الشرق برياسة صاحب العزة وكيل وزارة المعارف ، وقد عرض على اللجنة خلاصة آراء الحكومات التى قبلت الفكرة ، عدا السودان وتونس والجزائر ، فلم تصل منها ردود بعد ، وأشار إلى أن بعض الحكومات تساءلت عن معنى توحيد الثقافة ، وهل يقصد منه فرض ثقافة معينة على بقية الأمم ، وما هى المسائل التى تبحث فى المؤتمر المزمع عقده

وبعد أن درست اللجنة الفكرة العامة ، قررت تأليف لجنة

فرعية قوامها : محمد فهيم بك مراقب التعليم الثانوى المساعد ، ومحمد قاسم بك عميد دار العلوم ، والأستاذ على الجارم بك المفتش الأول للغة العربية ، والأستاذ نجيب حتاتة مراقب التعليم الأولى المساعد، والدكتور أحمد عبد السلام الكردانى بك ناظر معهد التربية

وعهد إلى تلك اللجنة فحص ردود الحكومات والإحاطة بمشاكل التعليم العامة فى مصر وفى البلدان الشرقية ، وأن تعد برنامجاً لهذه الدراسات يقوم على تفصيل أغراض المؤتمر ، واقتراح بإنشاء مكتب دائم على غرار مكاتب المؤتمرات الدولية

ويظهر أن الفكرة الغالبة هى عقد المؤتمر فى فترات متباعدة إلا إذا دعت الظروف والمشاكل التعليمية فيعقد سنوياً

وقد استقر الرأى على أن يطلق على اللجنة اسم « لجنة بحث وسائل توثيق الصلات الثقافية بين البلاد الشرقية ودراسة أهم مشكلات التعليم فيها »

ولعل فى هذه التسمية مايوضح الغرض الذى يرمى إليه المشروع

تأبين الأستاذين السكندرى ونللينو فى مجمع اللغة

يقيم مجمع فؤاد الأول للغة العربية حفلة تأبين للأستاذين المرحومين الشيخ أحمد السكندرى والسنيور نللينو ، فى الساعة الخامسة والنصف من مساء يوم الجمعة ١٣ من الشهر الحاضر بدار الأوبرا الملكية

وسيشهد الحفلة مندوب من قبل صاحب الجلالة الملك ويخطب فيها الدكتور هيكل باشا وزير المعارف ورئيس المجمع الأعلى والدكتور توفيق رفعت باشا رئيس المجمع والدكتور منصور فهمى بك ، والأستاذ ليتمان ثم ينشد الأستاذ على الجارم بك قصيدة

ويرد عليهم الأستاذ عمر الاسكندرى بكلمة شكر ، ويعقبه وزير إيطاليا المفوض وتنتهى الحفلة فى الساعة السابعة مساء

انشاء أكاديمية علمية فى كابل

من أنباء كابل أن المعارف العامة فى أفغانستان أخذت تخطو خطوات واسعة بفضل الجهود التى تبذلها حكومتها وبحسن الإرشادات التى يقدمها الملك محمد ظاهر شاه الذى يبذل كثيراً من الجهود لنشر الثقافة الإسلامية والعلوم العصرية فى البلاد ، وبفضل أعمال السردار محمد نعيم خان وزير المعارف الذى عرف بجده ونشاطه

ولقد فكرت وزارة المعارف فى تخريج جيل صحيح ينهض بمهام البلاد السياسية والاقتصادية المقبلة، وذلك بتعليمهم وتثقيفهم وفق برنامج خاص فى أكاديمية خاصة . وها هى ذى الأكاديمية قد افتتحت باسم « أكاديمية العلوم السياسية » وحضر حفلة الافتتاح الوزراء وكبار الموظفين وعلى رأسهم صاحب المعالى الفيلد مارشال السردار شاه محمود خان وزير الحربية

وأعضاء الأكاديمية هم من المتطوعين من طبقة الشباب المثقفين ، والأمل وطيد فى نجاح هذه الأكاديمية فى إعداد شبان أكفاء لإدارة شئون البلاد السياسية والاقتصادية فى المستقبل

تمثال للنبى موسى

من أخبار لندن أن الأستاذ فرويد اليهودى النمساوى الذى أخرج من ألمانيا والموجود الآن فى لندن، طلب النحات اليهودى المنجارى لبادا لمهمة هى صنع تمثال نصفى للنبى موسى الذى قام الأستاذ فرويد كما يقال بدرس شخصيته درساً دقيقاً على قواعده السيكولوجية . وقد وصل هذا الأستاذ بعلمه أن شكل موسى عليه السلام يجب أن يكون مصرياً ، وعلى هذا الشكل سيعمل لبادا التمثال

ونحن وإن كنا نعلم أن هذه ليست أول مرة يعمل فيها تمثال للنبى موسى، إلا أننا نعجب للاتجاه الجديد الذى نحاه الأستاذ فرويد من وجوب تمصير هذا التمثال . والمعروف أن موسى كليم الله ولد فى مصر وكانت مهمته منذ ولادته تحرير قومه الذين أذلهم المصريون وعملوا على تشتيتهم

وما كان أجدر بالأستاذ فرويد من أن يواصل أبحاثه فى علم النفس ليصلح ما أثبتت التجارب خطأ الكثير منها ولا سيما فيما يتعلق بنظرية الفضيلة والرذيلة

الذهب من رمال البحر

غادر سويسرا نهائيًا الكيماوى المعروف الأستاذ دونيكوفسكى الذى يدعى أنه اخترع طريقة لاستخراج الذهب من رمال البحر . ويتجه بنظره الآن إلى جزر الفيليبين حيث يؤسس شركة رأس مالها أربعون ألف فرنك لاستخراج الذهب من رمال البحر بالرغم

مما صادفه من الحظ العاثر فى فرنسا وبلجيكا قبل سويسرا

والمعروف أن العرب اشتغلوا كثيراً بالكيمياء وحاولوا مراراً تحويل المعادن ، ومع كونهم فشلوا فى هذا المضمار فإن آخر التجارب الكيميائية أثبتت صدق نظريتهم فى إمكان تحويل المعادن بصرف النظر عما يتكلفه هذا العمل من التكاليف

أما استخراج الذهب من رمال البحر فهذه مسألة أشبه بحلم قد يشابه حلم العرب وقد لا يشابهه ، لأن الذهب إذا وجد بشكل عروق فى الصخر والحجر فى مناطق دون أخرى فإن العثور عليه كذرات رفيعة فى الرمال لا يحتاج إلى المصاعب الهائلة التى يصادفها الباحثون عن الذهب فى باطن الأرض

ومن الغريب أن المصريين الأقدمين عرفوا كيف يبحثون عنه وكيف يستخرجونه ، ولا تزال مناجمهم القديمة موضع إعجاب الجيولوجيين من أبناء هذا الجيل

ولعلنا نسمع من الأستاذ الدكتور حسن صادق بك المدير العام لمصلحة المساحة كلمة فى هذا الموضوع

اكتشاف مدافن أثرية مهمة

اكتشفت أخيراً مدافن واقعة على طول الطريق بين روما والمعرض الدولى الذى سيقام فى وبكاستلفوزانو بالقرب من أوسينا حيث توجد آثار كركالا

ويعود تاريخ هذه المدافن إلى القرن الأول بعد المسيح ، وقد وجدت فيه جملة زهريات من الصفرة وجانب كبير من العملة الفضية وعقود ودبابيس وأدوات للزينة من بينها عقد ثمين من الزبرجد واللؤلؤ والذهب

ووجود مثل هذه المجموعة القيمة يساعد كثيراً على تاريخ العصر الذى وجدت فيه فضلاً عن قيمتها الأثرية

جماعة الفقيرية ويوغا بالهند

وصل فى أواخر ديسمبر الماضى إلى بمباى الضابط الفرنسى الدكتور بينيه موفداً من الحكومة الفرنسية للقيام بتحقيق علمى فى الأسس والأصول التى قامت عليها أعمال جماعة الفقيرية ويوغا

والأمل معقود على أن هذا التحقيق العلمى سيكون أوفى ماتم إجراؤه حتى الآن فتتكشف لنا الأسرار العجيبة التى يجريها « الفقراء » كالسير على اللهب ، وأنواع الرقص والرياضة البدنية الخارقة التى تقوم بها جماعة يوغا والتى يقال إنهم يتعلمونها فى معبد خاص فى بمباى لا يسمح بالدخول إليه إلا لأفراد هذه الجماعة

فى أكاديمية الفنون والآداب الأمريكية

انتخب الكاتب الألمانى توماس فان عضواً فخرياً فى أكاديمية الفنون والآداب فى أمريكا

وقد قال فان ديك بروكس المؤلف المعروف الذى اقترح هذا الانتخاب : « إن توماس فان ربما كان أكبر مدافع فى الوقت الحاضر عن الأفكار التى تقوم عليها أسس حضارتنا »

فى كلية الآداب بالاسكندرية

تألفت فى كلية الآداب فرع الإسكندرية جماعة أدبية بإشراف الأستاذ أحمد الشايب أستاذ الأدب العربى بالكلية ، ونظمى لوقا افندى وكيلاً ، وحنفى محمود افندى سكرتيراً ، ومحمد أحمد الطويل افندى أميناً للصندوق ، وعبد العليم ناصر افندى ، والآنسة سميرة ياقوت والسيد يعقوب بكر افندى أعضاء . وهم يكونون اللجنة الإدارية

والغرض من هذه الجماعة العناية بالثقافة الأدبية بطرق الخطابة والمحاضرات والمناظرة والمسابقات الأدبية والتمثيل والموسيقى الخ

والمحاضرة الأولى ألقيت أمس ، فى منتصف الساعة الخامسة بعد الظهر بدار الكلية باستانلى .. وكان موضوعها : (بين دانت وملتون وأبى العلاء) لنظمى لوقا جرجس افندى وكيل الجماعة

التاريخ فى سير أبطاله

ننشر ابتداء من العدد القادم للأستاذ محمود الخفيف طائفة من التراجم لعظماء التاريخ قديمة وحديثة فى الشرق والغرب ؛ وسيتوخى فى هذه التراجم أن تلم بالتاريخ وتعنى بإبراز حوادثه ، جرياً على المذهب الحديث مذهب دراسة التاريخ فى سير أبطاله ، كما ستكون تلك التراجم بحيث لا تعدو الواحدة ثلاث مقالات أو أربعاً ... وسنبدأ بتقديم ترجمة محمد شريف باشا بطل الحركة القومية والدستورية فى مصر الحديثة

وفاة عالم طبيب

من أخبار لندن أن الدكتور باردسول الذى اشتغل بمرض التدرن الرئوى ومن الذين مهدوا السبيل إلى مكافحته مات فى أواخر ديسمبر الفائت

يوم طرابلس فى العراق

بناء على عزم إيطاليا على إسكان الإيطاليين فى طرابلس الغرب وبناء على ما يعانيه السكان العرب هناك من ظلم الاستعمار وقسوته قرر نادى المثنى فى العاصمة إقامة حفلة كبرى يوم الجمعة القادم الموافق ٣٠ الجارى فى الساعة السابعة مساء يخصها بنصرة طرابلس الغرب

الى العالم الاسلامى كافة والى المصريين خاصة

لا تزال دول الاستعمار مسترسلة فى سياستها الظالمة نحو البلاد العربية والإسلامية ، مستخفة بشعور المسلمين غير حاسبة لهم حساباً ، فتعتدى على حقوقهم ، وتغتصب ديارهم ، وتهين شعائرهم

ولا يكاد ينقضى وقت دون أن نسمع بنكبة نزلت ببلد إسلامى، فبينما نحن نعالج قضية فلسطين المقدسة التى طغى فيها الاستعمار إذا بنكبة أخرى قد انقضت على طرابلس الغرب ، إذ يريد الطليان بعد أن حرقوا الأخضر واليابس فيها، ودوّخوا أهلها وأفقروهم واستعبدوهم وأذلوهم ، يريدون أن يجهزوا عليهم فيجعلوا من بلادهم جزءاً من الوطن الطليانى ، ولا تزال يطن بآذاننا ما نشروه على العالم فى خطب ساستهم ، وبكل الطرق من أن إيطاليا أصبحت صديقة المسلمين والعرب وأنها تحميهم وتحمى ديارهم ومقدساتهم

ولقد كانت مصر ولا تزال تبنى سياسة دفاعها القومى عن حدودها الغربية على اعتبار أن ما وراء هذه الحدود مسكون بقبائل عربية لها فى داخل حدودنا المصرية بنو عمومة وخئولة من نفس هذه القبائل أو من عصباتها ، وأن الإسلام يوثق أواصر السكان بين البلدين وإن اختلفت تبعيتهما . فالدفاع الذى ترى كل أمة من أول واجباتها الاستعداد له فى زمن السلم من جميع الوجوه ، وعلى كل ما يتوقع من الاحتمالات ، إنما كان ينظر إليه فى مصر من جهة حدودها الغربية من الجهة العسكرية فقط . أما وقد صدر أخيراً القانون الإيطالى بجعل ولايات لوبيا الأربع جزءاً لا يتجزأ من مملكة إيطاليا ، فقد أصبح واجباً علينا أن ننظر إلى ذلك من الوجهة الجغرافية والجنسية أيضاً ، ولا سيما أن الإيطاليين قد وجهوا عنايتهم إلى إنشاء مستعمرات لهم — حتى فى الأجزاء الفقيرة التربة من لوبيا — فلم يبق عند أحد شك فى أن هنالك برنامجاً عسكرياً له علاقة كبيرة بما وراء طرابلس وبرقة شرقاً وغرباً

إن البواخر الإيطالية حملت إلى القطر الطرابلسى الشقيق فى أواخر اكتوبر الماضى ألفاً وثمانمائة أسرة إيطالية تقدر نفوسها بعشرين ألفاً . فأسكنت الحكومة منهم ألفاً ومائتى عائلة فى جهة طرابلس وستمائة عائلة فى جهة برقة . وهذه أول دفعة من خمسة ملايين نسمة إيطالية تقرر نقلها إلى طرابلس الغرب . وقد خصصت حكومة روما لهذه الهجرة فى ميزانية وزارة أفريقية مائة مليون فرنك فى كل سنة لبناء القرى واستنباط المياه وإصلاح الأراضى للايطاليين . وكان فى طرابلس قبل مجىء هؤلاء نحو مائة ألف عائلة إيطالية غير الجنود ومن ينضم إلى سلك الحكومة ، وهؤلاء وأولئك تحميهم الحكومة بقوتها . وقد أخذت لهم ١٤٧ ألف فدان من أفضل أراضى لوبيا دون ثمن، وأجلت العرب عن أراضيهم الخصبة فى برقة الحمراء ، ونقلتهم إلى الأراضى المجدبة الممتدة إلى الوادى الفارغ جنوباً وإلى المرج شرقاً وإلى شاطئ البحر شمالاً وهى أرض قليلة الآبار تزرع على المطر . أما برقة الحمراء التى تمتد من شطوط مدينة بنى غازى إلى ما وراء المرج فى الجنوب وتشمل الجبل الأخضر كله إلى ما وراء مدينة درنة فى الجهة الشرقية ، فانتزعت من أيدى أصحابها الشرعيين وهم العرب وأعطيت للمغتصبين من المستعمرين الذين جىء بهم من إيطاليا ليكونوا جيران مصر إلى الأبد ، وليتاخموها فى السلم والحرب ، وأصبح الجبل الأخضر والأراضى الخصبة جميعاً محرّماً دخولها على أبناء العرب .

وقد أصبح المصريون متاخمين لجهات ليست من أوطان إخوانهم عرب برقة الذين يشتركون معهم فى اللغة والدين ، بل لجهات ستكون عما قريب مسكونة كلها بإيطاليين ، وعليهم من الآن أن ينظروا إليها كما ينظر الفرنسى إلى حدوده الألمانية والألمانى إلى حدوده الفرنسية

وإذا كانت إيطاليا لا تتورع عن إزعاج العالم الإسلامى بهذه المظالم وهى تمد عينيها إلى تونس ، فماذا يكون حالها مع المسلمين إذا جاء وقت لا يهمها فيه أن تنشر دعايتها الاستعمارية بينهم عن طريق محطات إذاعاتها اللاسلكية وما إلى ذلك

لذلك نهيب بالمصريين وحكومتهم خاصة وبالعالم الإسلامى كافة أن يفكروا فى مصير طرابلس الغرب التى يوشك أن يجلى عنها جميع أهلها العرب إلى أراضى الجنوب المحرقة حيث يقضى عليهم فيها كما قضى على ستين ألفاً من سكان الجبل الأخضر لاقوا حتفهم فى الصحراء قبل بضع سنوات ، هذا فضلاً عما يلحق كرامة الإسلام بسلب هذا الوطن من حظيرته وتحويله إلى بقعة إيطالية

الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين

الدكتور عبد الحميد سعيد



ديوان صبرى باشا

تحقيق الأستاذ أحمد الزين

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

فى الشعر العربى كثير من الشعراء الذين استبدت بشعرهم عوادى الزمن ومحن الأيام . فضاعت آثارهم فى أجواء العصور الخالية ، وذهبت دواوينهم بين سمع الأرض وبصرها . ولعل الذى ضاع من الشعر العربى أكثر من الذى بقى . ولعل الأيام لو أسعدتنا ببقاء هذه الثروة كاملة لكان للأدب العربى وجهة غير وجهته ، ووضع غير الوضع الذى هو عليه اليوم . وإذا كان للقدماء العذر فى ذلك من صعوبة التدوين ، وندرة الكتابة ، ومشقة الرحلة ، فما عذرنا نحن إذا ما فرطنا فى آثارنا الطيبة وتركنا نتاج أدبائنا البارزين نهب الضياع ، على حين قد أصبح التدوين سهلاً ميسوراً تؤديه الآلات ، ويتم بأيسر النفقات ! إننا لا شك أمة جاحدة لا تقدر أدباءها ، جامدة لا تحترم فنها ، قاصرة إذ تفرط فى الجميل النافع ، بينما يذيع فيها القبيح التافه !

هذا ما كنت أقوله لنفسى إذ يجرى على لسانى بيت من أبيات صبرى باشا السائرة ؛ أو أستمع إلى مغن يغرد بأغرودة من أغاريده الخالدة ، أو يرتفع صوت فى الندىّ بأسماء الشعراء الذين نهضوا بنا فى الأدب ، وحفظوا علينا فى الشعر كرامة النسب إلى العرب . ولقد كان الأسى يتملكنى إذ أرى شعر ذلك الشاعر الممتاز فى شاعريته وفى مصريته مشتتاً لا يجمعه ديوان ، مهملاً لا يفى بطبعه صديق ، مفقوداً لا يهزج به الأبناء ولا يدريه إلا الخاصة من المعمرين . وأخيراً وبعد خمسة عشر عاماً مضت على وفاة الشاعر سمحت الأقدار ، ففزع لجمع ديوانه صهره الكريم صاحب العزة حسن رفعت بك ، ونهض لتصحيحه وضبطه وشرحه وترتيبه صديقه وملازمه الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين ، فكان فى ذلك وفاء للشاعر ، وتقدير للأدب ، وإنصاف للتاريخ ، ودفع للعار الذى حق علينا بتفريطنا فى حق ذلك الشاعر ، وفى حق الأجيال المقبلة !

لقد كان صبرى رحمه الله بين معاصريه « أستاذ الشعراء وشيخهم » فى الصناعة ومراعاة الدقة فى الربط بين المعنى وبين لبوسه من اللفظ ، ولكنه كان أنيقاً مترفاً لا يقول إلا بدافع النفس ورغبة القول ؛ ثم لم يكن يعنى بتدوين كل ما يقول . ومن ثم لم يبلغ ديوانه فى الحجم مبلغ دواوين رصفائه مثل البارودى وشوقى وحافظ ومطران وعبد المطلب . على أنه قد راد كل أبواب الشعر التى كانت مطروقة فى أيامه ، فقال فى المديح والتهانى والتقاريظ وهى أكثر من ثلث الديوان ، وقال فى الهجاء وهو لا يتجاوز الصفحتين ، وقال فى الفكاهات وفى الغزل والذكرى والتشوق وفى ذلك كل عبقرية صبرى وشاعريته ، وقال فى الوصف والاجتماعيات والسياسيات والألـهيات والمراثى والأناشيد ، وعلى هذا الوضع جرى الأستاذ الزين فى تبويب الديوان . وقد عنى بترتيب القصائد فى كل باب ترتيباً تاريخياً مع بيان المناسبات والدواعى التى قيلت فيها كل مقطوعة ، وهذا فى الواقع ترتيب جميل ، إذ به نستطيع — كما يقول الدكتور طه — أن نتتبع النشأة الفنية لهذا الشاعر ، وأن نتبين ما اختلف على شعره من الأطوار فى غير مشقة ولا عناء ، وهو من هذه الناحية درس قيّم لنشأة الفن الشعرى عند شاعر ممتاز ، ومن الخير أن يعرض هذا الدرس على الشباب

ولا شك أن الأستاذ الزين قد وفّق كل التوفيق فى إخراج

هذا الديوان الجميل ، فضبطه وشرحه على أتم وجه وأكمله . ولقد جهدت أن أحصى شيئاً على صديقنا الزين أغيظه به، فغاظنى هو ببراعته وقدرته ، وإنى لأقر بذلك فى غبطة وسرور . وإنما وفق الزين إلى هذا الحد ، لأنه — كما يقول الأستاذ أحمد أمين — قد عاشر الشاعر وصادقه سنين طويلة ، فسمع منه ، وحقق الطريقة القديمة القويمة فى الرواية عنه والمشافهة له ، فمكّنه ذلك من إيضاح ما غمض ، ومعرفته الصحيحة بجوّ القصائد وأسبابها وبواعثها . ثم كان من مخالطته للشاعر ووقوفه على دقائق نفسه وما يوائمها وما لا يوائمها ، ما ألهمه الصواب فى الشرح ، والتوفيق فى الترجيح ، إذا تعددت المسالك وكثرت الاحتمالات . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الأمر كما يقولون : لا يفهم الشاعر إلا شاعر ، والزين شاعر من طراز صبرى ومن مدرسته كما يعبرون ، فكان بهذا خير من يفهم صاحبه وقريعه ، وخير من يرعى شعره هذه الرعاية الحميدة ، ويشرحه هذا الشرح الدقيق الموفق !

قد تقول : وماذا يكون فى شرح شعر صبرى من العناء ، وشعره ليس بغريب اللفظ ، ولا بعيد المعنى كما هو شعر حبيب وأبى الطيب والمعرى وأضرابهم ، بل الرجل ظاهر فى ألفاظه ، واضح فى معانيه ، فنى مكنة كل إنسان أن يتولى بسطه ، وأن يؤدى شرحه . والواقع أن العناء ليس فى الشرح والبسط ، وإنما العناء فى النهج الذى نهجه الزين . ذلك لأن شعر صبرى دقيق اللفظ ، مستفيض المعنى ، كثير الإشارات ، بعيد المرامى ، فكان لا بد فى شرحه من طول اللفظ واتساع التعبير حتى يمكن أن يستوفى ما فيه ، ولكن الزين وقف عند قولهم « البلاغة الإيجاز » فهو يؤدى ما فى البيت من معنى كبير بلفظ موجز مونق ، قد لا يتجاوز به ألفاظ البيت فى كثير من الأحيان ، ومن هنا كان العناء الذى لا يضطلع بعبئه إلا الزين ، لأنه كما قلنا يفهم صبرى حق الفهم ، ولأنه قد حذق ذلك بالتدريب والمران

والديوان مصدر بمقدمات : الأولى للدكتور طه حسين وقد ضمنها رأيه فى شعر صبرى ومميزاته ؛ والثانية للأستاذ أحمد أمين وصف فيها « شعوره بشعر الشاعر وتذوقه لأدبه » ؛ والثالثة للأستاذ أنطون الجميل عن « العوامل الشعرية فى نظم إسماعيل صبرى » ؛ والرابعة للأستاذ الزين نفسه ، وقد تكلم فيها عن أخلاق الشاعر ووطنيته وشاعريته وما اتبعه فى تصحيح ديوانه . وإنما جمع الأستاذ بين كل هذه المقدمات لأنه — كما يقول — أراد أن يجمع للقارئ بين الاستفادة من شعره ، وتلك الدراسة الواسعة المستوعبة لكثير من نواحيه . وأنا شخصياً لا يهمنى كثيراً ما كتبه أولئك الأساتذة عن صبرى الشاعر ، فإن شعر الرجل خير من يفصح عنه ويدل عليه ، وإن ميزات الرجل فى شعره لواضحة جلية لا يختلف فى تقديرها أحد ، كما لم يختلف فى تقديرها الأساتذة الفضلاء ، ولكنى لا شك معجب بما كتبه الزين عن صبرى الرجل ، وما ذكره من أخلاقه ووطنيته . ويا حبذا لو مدّ القول فى ذلك فرسم لنا صورة كاملة لشخصية صبرى تقوم إلى جانب شاعريته الكاملة ، فإن فهم شخصية الشاعر أساس لفهم شاعريته ، وعلى هذا تقوم الدراسات الحديثة ، والمناهج الرشيدة عند علماء النقد

وأما بعد ، فإذا كان شعر صبرى آية الجمال فى تصوير الجمال ، فإن ديوانه قد خرج للناس آية الكمال فى تقدير الكمال ، فهو كالروض الأنف جمع أطيب الزهر ، وتم له جمال الموقع وبهاء التنسيق ، وما أحسبه يقل فى تنسيقه وترتيبه عن ديوان حافظ الذى تولته وزارة المعارف ، ولا عن ديوان شوقى الذى خرج برعايته ، بل إنى لأراه يفوقهما روعة ودقة . وإنه لجهد مشكور ذلك الذى أداه الأستاذ الزين فى خدمة هذا الديوان ، ولو قدر لصبرى أن يرى ديوانه لاغتبط بهذا الصنيع ، ولشكر لصديقه وفاءه ، وحمد له عناءه ، وإنه لمشكور من الأدباء فى جميع الأمصار ، من أبناء العربية فى سائر الأقطار

محمد فهمى عبد اللطيف



فى الفرقة القوميــة

دكتاتورية المدير

سل من شئت من الناس من هو مدير الفرقة القومية ، فيجيبك الأول على التو بأنه مثال حىّ للقداسة وطيب السريرة ، ويشيد الثانى بأريحيته ونخوته ، ويثنى الأكثرون على أدبه وطول باعه فى ميدان الشعر الذى لا يجلى فيه سوى إنسان عرف الحياة وأدرك كوامن أسرارها

ويقينى أن هذه الخصال والسجايا هى بعض نحيزته الموهوبة المكتسبة ؛ فلو سوّلت البداوات لأديب أن يترجم لحياة مدير الفرقة فهو لا بد مأخوذ بتلك السجايا ، لا محيد له عن التقيد بها لأنها لازمته طوال حياته ، ولكنها عافته منذ تولى زمام الإدارة ، وزايلته يوم توهم أنه صار من أخدان الموظفين البيرقراطيين وأقران الحاكمين ، ويوم تخيل فخال أنها فرقة حكومية لها نفوذ البوليس ، وسلطان مأمور القسم !

ليس فى تصدينا لبحث الناحية التى طرأت على حياة مدير الفرقة ما يبعدنا عن صميم موضوع حياة الفرقة ، لاعتقادنا أنها مرتبطة بحياته السابقة ، تلك الحياة التى كانت متوشحة بوشاح القداسة قد أخذت الآن تنزع عنها رمز قدسيتها ، لا للظهور بفطرتها ، بل لإظهار الناحية الأخرى لتلك القداسة

كان لمدير الفرقة أصدقاء عديدون بحكم ماله على بعضهم من أياد بيضاء ، أو شفاعة لا تنسى ، أو سعى مشكور ، أو بحكم راحة النفس إلى آدابه الرفيعة ، وفنه الشعرى السامى

تقدم هؤلاء الأصدقاء يمدون أيديهم تساند الأديب الكبير ، مدير الفرقة القومية للتمثيل العربى ، رمز النهضة ، وعنوان الثقافة ، وتنير له السبيل الوعر الذى سلكه للفنى المسرحى ، وهو ما كاد يصافحهم ويحتضنهم بعض الوقت حتى أقصاهم عنه إقصاء لا عودة بعده

ثم تلفت المدير يمنة ويسرة ، فإذا به يرى شرذمة من ممثلات وممثلين ، وطغمة من عاملات وعاملين ، وفلولاً من فسا كل الصحافيين والمتأدبين ، تحيط به إحاطة ممثل أدوار الكوميديا بموضوعه ، فيهم « السادى » وفيهن « المسودية » وبالعكس ، ولكنهم جميعاً يعرفون التملق بمعناه ومبناه ، لا يصدهم عن الارتماء على أقدام « سعادة المدير » سوى اكتفائه بمد راحته للتقبيل

أوعز سعادة المدير إلى ناقد معروف أن يحمل على أعضاء لجنة القراءة ، وحدث أن لقى ذلك الناقد صدفة فى مجتمع كان فيه أحد الحكوميين المشرفين إشرافاً أدبياً على أعمال الفرقة ، فوجه إليه عتاباً هو مزيج من الحلاوة والطعم المز على حملته على أعضاء لجنة القراءة الذين هم « الصفوة المختارة من رجالات الأدب » وسواهم نوافل !! وقال : هل فى وسعك أن تدلنى على خمسة أدباء يفضلونهم أو يضارعونهم والبلد على ما هو عليه من قحط فى الرجال ؟

قال الناقد : أعرف خمسة بل عشرة من الرجال لهم أوفر اطلاع على فن المسرح وأدب الرواية لا يجاريهم فى ذلك أحد من الأدباء الذى أعرفهم ، وإذ ذكرت اسم الأول منهم قال :

أعوذ بالله من هـذا الذى لا يرضيه إلا أن يكون مديراً للفرقة بدلاً منى ، وهو على كل حال مغضوب عليه من الحكومة التى تمثل أكثرية الأمة

قال الناقد : الأدب لا يعرف الحزبية يا أستاذ

فأجابه : الأدب الذى تعنيه لا وجود له فى مصر

حول الناقد دفة الحديث قائلاً: هل ثمة من اعتراض على فلان؟ وذكر اسمه فأجاب : هذا شاعر لا شأن له بغير الشعر. قال : أنت

شاعر أيضاً ، قال : أنسيت أن لى مؤلفات روائية ؟ قال الناقد : لسنا الآن فى موقف مقارنة وموازنة ومفاضلة ، أنا أعرف أن لهذا الشاعر معرفة واسعة بفن الرواية كما أعرف له اطلاعه الكبير على تطورها وتحولها منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحالى ، وعلى أحدث ما ظهر من روايات وعلى أقوال النقاد فيها

قال مدير الفرقة : أنا أعرفه أكثر منك . إنه كسول خواف لا يصلح أن يكون عضواً فى لجنة القراءة

قال الناقد : ألا تعرف . . . فلاناً وهو مؤلف روائى غذى المسرح أكثر من ربع قرن ؟ فأجاب :

اسمع يا صديق : أوثر أن تذكر لى أسماء كبار موظفين فى الحكومة تكون لهم مهابة الحاكمين وعلم وأدب العلماء والأدباء

ابتسم الناقد وقال : إن من ذكرتهم هم موظفون حكوميون وفى وسعى أن أذكر عشرة أسماء من الموظفين الأكفاء إذا كان لا يرضيك من الأدباء غير الموظفين الحكوميين

وقبل ارفضاض هذه الجلسة المرتجلة التى تكلم فيها الناقد كعادته فى وصف الأدباء ونقد أعمالهم قال له « سعادة المدير » : أنت شاب يا بنى ، فلا بد لحياة الفرقة القومية ، وهى مصلحة حكومية ، من تؤدة الشيوخ وحكمتهم . فأجابه الناقد على نصيحته الغالية هذه قائلاً : « أطال الله عمر السلحفاة وعوضنا عن نشاط الشباب عوض الصالحين »

رميت من وراء هذا التصوير لحالة مدير الفرقة إلى التدليل على نفسيته التى انتقلت من البوهيمية المرحة الجوالة فى آفاق الحياة إلى قيود الوظيفة التى أحاط نفسه بأغلالها ليكون له روح طاغية ، وشهوة دكتاتور ، وأى دكتاتور فى الأدب والفن ؟

ابن عساكر

اخبار سينمائية

بولو

عرضت سينما رويال فى الأسبوع الماضى فيلم « بولو » الذى تدور حوادثه فى الأدغال والأحراج وهو من انتاج شركة برامونت

الآنسة مانتون المجنونة

هذا اسم الفيلم الذى عرض فى الأسبوع الماضى على ستار سينما ديانا ولقى نجاحاً كبيراً وهو من إنتاج شركة مترو جلدوين ماير

أجازة

فيلم كوميدى من نوع طريف لشركة راديو وقد عرض ونجح على ستار سينما متروبول

* تمثل نورماشيرر مع كلارك جيبل فى فيلم (مرح أبله) الذى يظهر فى الموسم القادم

* يلاقى فيلم (فتش عن المرأة) للسيدة آسيا نجاحاً لا بأس به على ستار سينما كوزمو

* انتهى إخوان لاما من تصوير فيلم (ليالى القاهرة) الذى وضع قصته وأغانيه السيد زياده وسيعرض فى عيد الأضحى

* أعد استديو مصر فيلم (الدكتور) للعرض بعد أيام قليلة

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

7me Année No. 289

Lundi - 16 - 1 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٨٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ذو القعدة سنة ١٣٥٧ — ١٦ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

بين الفقـــير والغنى

«يا صاحب السعادة ، لِمَ ترضى أن أكون صاحب الشقاء؟ أنا وأنت نبعتان من دوحة آدم نمتا فى ثرى النيل ؛ ولكن مغرسك لحسن حظك كان أقرب إلى الماء ، ومغرسى لسوء حظى كان أقرب إلى الصحراء ، فشبعت أنت وارتويت ، على قدر ما هزلت أنا وذَوَيت ؛ لأن الماء والغذاء يطلبانك وأنت ضاجع وادع ، وأنا أطلبهما بالكدح والمتح فما أنال غير الجفاف أو النِّطاف !

فماذا يضير المجدودَ أن ينضح المكدود برَشٍّ مما يسبح فيه من فيض هذا الوادى ، وهو لهما كلبن الأم للتوأمين ، لكل منهما شطره بحكم الحياة والأمومة والطبيعة ؟

لقد ضمن الله لك حق الملك لصلاح الدنيا ، ولكنه فرض عليك بإزاء ذلك الزكاة تحقيقاً لهذا الصلاح . فإذا خشيت أن تمتد عينى إلى مالك بالحسد والشهوة ، ويدى إلى نفسك بالعنف والقسوة ، فاكسر نظرتى وحدَّنى عنك بأداء ما جعل الله لى عندك ؛ وإلا كان من الانصاف فى رأيي على الأقل أن يكون اعترافى بالحق لك ، معادلاً لاعترافك بالواجب عليك»

ذلك ما يقوله فى مصر كل فلاح لكل باشا . ولكن

أغنياءنا غلاظ الأجساد والأكباد فلا يصيخون لمثل هذا العتاب الهامس ! وهم إلى ذلك يعلمون أن الله الذى أعان الفقراء بالزكاة على الفقر ، أعانهم عليه أيضاً بالقناعة والصبر . فهم يثقون بالله ، ويؤمنون بالقدر ، ويعتقدون أن نصيبهم المقسوم فى السماء سيهبط عليهم فى الأرض ، أو يصعدون إليه فى الجنة . وفى ضمان هذه الأخلاق السمحة والنفوس المطمئنة ، مشي الغنى متأبِّهاً متألِّهاً يحاول أن يخرق الأرض ويطول الجبل ويملك على عباد الله حق الحياة والموت . ثم ينظر إليه الكادح المحروم وهو يخور من السِّمن ، ويختال من البطر ، ويغوص فى الحرير ، ويخوض فى الذهب ، فيقول بلهجة المؤمن الراضى :

« آمنت بالله ! لو لم يستحق ما هو فيه ، لما كان الله يعطيه ! »

وأقسم ما أعطاه الله ، ولكنه هو الذى أخذ . وما كان ليستقيم فى ميزان العدل أن يُعطى إنسان حتى يطفح ، ويمنع إنسان حتى يجف !

أعرف فى مركز (ط) عشرين بلدة يملكها من الشرق أمير ومن الغرب باشا ، فليس لأحد من الأهلين فيها شبر أرض ولا جذع شجرة . إنما هم أجراء أو مستأجرون سخرتهم الغفلة والاستكانة لرجلين كسائر الرجال، ليس لبطنيهما سعة البحر ، ولا لعزميهما قوة الدهر ، ولا لنفسيهما عظمة الله . إنما هما فمان تملأهما المضغة ، ومعدتان تكظهما الوجبة ؛ ولكن لهما عينين كعين الجحيم لا تمتلئ ، ونفسين كجوف الرمل لا يرتوى ؛ فهما يعصران من أجساد هذه الألوف الجاهدة ذهباً يكتنز ،وقصوراً تُشاد، وسلطاناً يُرهب، وقطعاناً تسعى،ومراكب تطير ، ورغائب تبتغى، ولذائذ تنال، وأوسمة تناط، وألقاباً تكتسب. ثم لا تدركهما بهؤلاء العبيد رحمة الخالق بالخلق ولا عناية الصانع بالآلة . فصاحب الآلة يوفر لها الشحم والوقود ، ومالك البقرة يهيئ لها الحظيرة والعلف ، وهما لا يتركان لفلاحيهما المساكين مايمسك الروح ويستر البدن ، ثم يلزمانهم أن يؤدوا أجرة الأرض ونفقة الإدارة قبل أن يأكلوا. فإذا أُوف الزرع أو رخص السعر وعجزوا عن الوفاء ، سلطا عليهم النظار والمحضرين فأخذوا الدور التى يأوون إليها ، والبهائم التى يزرعون عليها ، وخلفوهم فرائس للمرض والفاقة ، لا يجدون وسيلة للطب ولا حيلة للجوع . فإذا فزعوا إلى فضل الأمير أو الباشا زمّ بأنفه واستكبر أن يفتح عينيه على هذا الهوان والقذر ، ولعله ساعتئذٍ كان يمسح خرطوم كلبه أو يرجّل عُرْف جواده !

* * *

سكان هذه القرى العشرين يعيشون هم وماشيتهم فى أكواخ من اللَّبِن لا تدخلها بهجة الطبيعة ولا تعودها رحمة الله . تقوم على أقذار البرك وفوق سباخ الأرض وعلى ظهورها المراحيض وفى بطونها المزابل . والمالكان المدللان يَفُطَّان بين الحرير والذهب ، فى قصور تطاول السماء ، ورياض تنافس الجنة ، ثم لا يتفضل أحدهما فيحمل الحكومة بجاهه ونفوذه على أن تجفف لهؤلاء البائسين بركة، أو تنشئ لأطفالهم الضاوين مدرسة. وعلة حب الباشا للمستنقعات أن نفقة ردمها على حسابه ، وحجة بغضه للمدارس أنها تصرف الأطفال عن العمل فى أرضه

* * *

ارجعوا يا قوم إلى الله فقد طبّ لهذه الأدواء واحتاط لهذه الفواجع . إن هذا الأمير وذلك الباشا يملك كل منهما مليوناً من المال الذى تحول عليه الأحوال فيزيد ولا ينقص . فلو أنهما يؤديان زكاته كما فرض الله لكان ما يدفعانه خمسين ألف جنيه فى كل سنة . ولو حبسنا هذا المال الوفر على هذه القرى العشرين لما بقى فيها فقير ولا مريض ولا جاهل . وإذن تشفى الصدور من الغل ، وتبرأ النفوس من الوهن ، فتكثر الأيدي ، وتشتد السواعد، ويزيد الإنتاج، ويزكو الريع، ويردُّ عليه ما أقرض الله أضعافاً مضاعفة . ولكن أغنياءنا أبطرتهم نعمة الله فاستغنوا بجبروتهم عن رحمته ، وبملكوتهم عن جنته ، وبعبادهم عن عباده ؛ وكأنهم أصبحوا يرون سعادتهم فى شقاء الوطن ، وعزتهم فى مذلة الناس !

احمد حسن الزيات

عجـــوة ببيض

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

— بابا . هات خمسة قروش !

— يا أخى ، قل صباح الخير أولاً

— آه ، صحيح ، طيب صباح الخير ، هات بقى !

— سبحان الله العظيم ! ألا تنتظر حتى أرد عليك هـذا التصبيح بالخير ؟

— طيب ، ردّ

فأتلكأ — أهز رأسى أسفاً ، وأمصمص بشفتى متعجباً ، وأقلب كفى ، ولكن هذا كله له آخر فيعود اللعين إلى المطالبة بالقروش الخمسة ، فأسأله : « هل يليق أن تصبح أباك — على الريق — بطلب فلوس ؟ »

فيتعجب لى كيف أقول إن هذا غير لائق ، ولا يستطيع أن يفهم أن ابتداء يوم جديد بإنفاق من المرجح أنه فى غير محله ، صعب على النفس جدًّا ، فأقول له : « إنتظر ، حتى تكبر وتعرف بالتجربة »

فيصيح : « يا خبر أبيض ! انتظر حتى أكبر ؟ لا يا بابا ، أنا مستعجل ، وقد وبخنى المعلم أمس »

فأسأله السؤال الذى كان ينبغى أن ألقيه عليه فى بداية الحوار :

— لماذا تريد خمسة قروش ؟ ماذا يمكن أن يصنع طفل مثلك بخمسة قروش ؟

فيقول : « أشترى بها كتاب المطالعة الانجليزية »

فأسأله مرة أخرى : « أو لم تعطك المدرسة كتاباً ؟ »

فيقول : « تقطع ولم يبق صالحاً للاستعمال »

— ولماذا تقطعه ؟

— لست أقطعه ، هو تقطع !

— تكلم بعقل ، كيف يقطع الكتاب نفسه ؟

— لم يقطع نفسه ، ولكن المعلم يأمرنا أن نطويه ، فيبلى ، ويتخرق ، ويتمزق

— هل تعلم أنى كنت تلميذاً مثلك ؟

— لا ...

— لا ؟ كيف تقول لا ؟

— طيب أعلم — إنما عنيت أنى لم أرك ولم أكن معك — هات بقى ثمن الكتاب

— وأنا إنما أعنى أنى لم أحتج فى حياتى المدرسية كلها أن أشترى كتاباً مدرسيًّا لأن كتبى لم تكن تتقطع وكانت لا تبلى أبداً

فيضحك الخنزير ويقول : « لا مؤاخذة يا بابا ، ولكن يظهر أنك كنت تلميذاً كسلان »

فأضحك مثله وأزعم أنها نكتة ، ولكن الواقع أنها أصابت المحز ، ووقعت على المفصل ، فما أعرف من زملائى فى عهد الدرس والتحصيل من كان أبلد منى أو أشد كسلاً . ولا أدرى كيف كنت أنتقل من فرقة إلى فرقة ، وأحسبهم كانوا يؤثرون أن يجبروا خاطرى ويترفقوا بضعفى . ولما أتممت التعليم — أى فرغت من المدارس — وجدت عندى صفوفاً من كتب الدراسة نسجت عليها العناكب بيوتاً وقصوراً ، وقد أخذها منى صديق ، وأعطانى بدلاً منها كتاب (الشعر والشعراء) أو (طبقات الشعراء) لابن قتيبة ، طبعة ليدن . وقد بعت هذه أيضاً بثمن غير بخس فى جملة ما بعت من الكتب

* * *

ويدخل اللعين الثانى أو الأكبر فيقول بلا تمهيد ، ولا تصبيح « اكتب هذه البيانات المطلوبة هنا على هذه الورقة ، وسآخذ من جيبك ستة قروش ، ثلاثة لرحلة إلى الهرم ، وواحداً يبقى معى ، ونصف قرش هو مصروفى ، وقرشاً ونصف قرش ثمن برجل وعلبة ألوان »

فأصيح به « تأخذ من جيبى ؟ من أدبك هذا الأدب ؟ ماما ؟ »

فيقول « لا ، إنما أريد ألا أحوجك إلى النهوض من السرير فإن الجو بارد »

فأقول « متشكر ، يا سيدى ، ولكن ما هذه البيانات الجديدة التى يطلبونها ؟ شئ بارد ! »

وتدخل « ماما » فى هـذه اللحظة ، فتسأل عن هذا الشىء البارد ماذا عسى أن يكون ؟ فأقول

« صباح الخير أولاً يا ماما ، يانور العين ، ثم إنى أرى كل شىء

بارداً فى هذا اليوم المبارك إن شاء الله — لا أحد يصبحنى بالخير ، وكل من يدخل علىّ يقول هات ، ولم يكن ناقصاً إلا أن تسألنى المدرسة عن عمرى ، كأنى تلميذ فيها ، ولست أستغرب أن تسألك غداً عن سنك يا امرأة ، فانتظرى ، وأعدى الجواب من الآن ، وقد أعذر من أنذر ! »

وأرفض أن أعطى الولد نفقات الرحلة قبل أوانها بثلاثة أيام ، وأرفض أن أذكر للمدرسة عمرى — لا حرصاً منى على كتمان ذلك — بل لسببين أولهما أنى لست تلميذاً بها ، فلا شأن لها بى وبعمرى ؛ وثانيهما أنى لا أحب أن أشجعها على هذا الفضول مخافة أن تسأل بعد ذلك كم سن امرأتى ! وأحدث نفسى وأنا أنطق بعبارات الرفض أن من الواجب أن يكون المرء حازماً فى بيت كهذا

فتقول امرأتى « ولكنى أعتقد أنك لن ترفض أن تعطينى مائة وعشرين قرشاً ؟ »

فأثب من السرير إلى الأرض وثبة ليت مصوراً كان حاضراً فيرسمها فإنها حركة رياضية بديعة ، يُرمى فيها اللحاف ، وتطوى الساقان ، ثم تُدفعان فى الهواء وسائر الجسم وراءهما ، ثم إذا أنا واقف على الأرض ، لم يتحطم رأسى ، ولم يصبنى سوء . ولم أكن أعهد فى نفسى هذه القدرة ، ولكن الوقت ليس وقت الإعجاب بالذات

وأصيح « مائة وعشرين قرشاً ؟ أتقولين مائة ... »

فتشير إلىّ أن مهلاً ، مهلاً ، وتسألنى « مالك تصيح هكذا ؟ ماذا يقول الجيران إذا سمعوك ؟ »

فلا أكف عن الصياح وأنا أقول « الجيران ؛ ليقولوا ما شاءوا ولكن اعلمى — أنت وهم أيضاً — أنى مستعف ... مستقيل ... »

فتضحك ... أى والله تضحك ... وتسألنى « من قال لك افتح بيتاً ؟ »

فأرد عليها بقوة « ومن قال لك إن البيت بالوعة ؟ لا ياستى أنا مستعف ... مائة وعشرين قرشاً ؟ يا خبر أسود ! »

فتلاطفنى وتقول « اسمع ، اسمع ، وكن حليماً ... »

فأسألها مقاطعاً « خبرينى أولاً من الذى قال لك إنى أنفق مما أجد تحت السجادة ؟ أو إنى من أهل الولاية وأصحاب الكرامات الذين يمد الواحد منهم يده من النافذة فإذا فيها أصبع من الموز؟

من برجنا العاجى

نفسى بطبيعتها لا تنزع إلى ترف الحياة . ولقد عشت إلى وقت قريب ضالاً . ليس لى بيت مستقر ولا راحة موفورة . ولا حتى مكتبة خاصة تعيننى على عملى الأدبى . إلى أن أوهمنى بعض الناس أن مكانتى كأديب تقتضى أن أغير هذه الحياة . فأصغيت إلى هذا الكلام واتخذت لى مسكناً أنيقاً فى أجمل بقاع القاهرة يشرف على النيل . واقتنيت سيارة جميلة ، وجعلت لى مكتبة تزينها التحف والتماثيل . وأكثرت من حولى الخدم يعنون بأمرى . وأعجبنى قليلاً مظهرى هذا الذى يماثل مظهر أدباء أوروبا المشاهير . وغرنى الحال . وحسبت أننا نتمتع فى الشرق بمثل ما يتمتعون من قوة وحرية ومنعة . فانطلق قلمى مرة يبدى رأياً صريحاً فى مسألة قيل إنها تمس السياسة . وإذا أنا أقع فريسة لإجراءات مهينة ، فالتفت يميناً وشمالاً أبحث عن عالم الأدب يتولى الدفاع ، لا عنى ، بل عن حرية الفكر المهدرة . فلم أجد أحداً من الأدباء قد تحرك . ولم أر صحيفة قد همها الأمر . وخرست كل تلك الجرائد التى طالما رفعت صُوتى على صفحاتها ، واتفق الكل اتفاقاً طبيعياً على إهمال الموضوع . ولم يحفل أصدقائى ولا زملائى ولا قرائى بما حدث لى . ولم يدركوا الخطر الذى يهدد الأدب والأدباء إذا هم شعروا يوماً أنهم لا يستطيعون أن يخرجوا ما فى نفوسهم . (أديب واحد كبر عليه الأمر وأدرك الخطر ونهض فى قلق يحادث المسؤولين ويناقشهم ، هو كاتب عظيم يعد فخر أدباء الشرق فى العصر الحاضر . وصداقته لى معروفة من زمان ، وإن كنت مع الأسف لم أقدرها قدرها فى كل الأحيان)

على أن الحادث فى جملته قد هز عقيدتى فى منزلة الأدب وفجعنى لا فى شخصى ، ولكن فى مركز الأديب فى الشرق ، فقد أيقنت أن ما يسمونه « المكانة الأدبية » إنما هى وهم من الأوهام . وأن الأدباء أنفسهم هم المسئولون فى أكثر الأحوال عن انخفاض شأنهم فى المجتمع لخذل بعضهم بعضا

وأحسست من نفسى الذلة ، فتركت سكنى وسيارتى وخدمى ، وعدت من جديد أعيش شريداً ، كما يستحق أديب فى الشرق أن يعيش .

توفيق الحكيم

أو أن عندى آلات لتزييف النقود ، أو إنى ابن روكفلر ، وبيربونت مورجان وروتشلد معاً ؟ هه ؟ أجيبي أولاً ؟ »

فلا تجيب ، لأنها تضحك مستخفة بأن أجد نفسى كل صباح — على ريق النفس — مطالباً بخمسات القروش للخنزير الصغير ، وستاتها للخنزير الأوسط ، ومئاتها ...

وتقول « ألا تسمع ؟ لماذا تأبى أن تسمع ؟ »

فأقول « لأنى مستعفٍ ... هذا هو السبب ... وسألبس ثيابى وأخرج ولا أرجع »

فتقول وهى تغالب الضحك « ألا تفطر أولا ؟ لقد أوصيت لك ببيض مقلىّ بالعجوة ، وعصرت لك — الآن، بيدى هاتين — أربع ليمونات حلوة ، . تعال أفطر أولا ... وتكلم على الطعام »

ترى ماذا أغرى آدم بمطاوعة حواء ؟ كيف وسعها أن تجره من أنفه وتدس فى فمه الواسع — لا بد أنه كان واسعا — التفاحة المحرمة ؟ أترانى ورثت عنه هذا الحب للبيض المقلى بالعجوة ، وعصير الليمون الحلو ؟

لا أدرى ؛ ولكنى أردت أن أشيح بوجهى عنها ، لأقاوم إغراء ما تصف ، وأغالب سحره ، فطالعنى وجهى فى المرآة ، فإذا هو يبتسم ، وما كان يسعنى بعد أن عرفت أنى أبتسم ، أن أظل متجهما .

وجلسنا إلى السفرة وشربت عصير الليمون ، فشاع الاغتباط فى كيانى ؛ وجاء الطبق وفيه البيض والعجوة ، ففركت يدى ، ودفعت طبقى إلى امرأتى وقلت: « الله يرضى عنك يا امرأة! هاتى! هاتى ! وليسخط علىّ الأطباء ما شاءوا وما وسعهم السخط ؛ وليزعموا أنى أزيد معدتى تلفاً ، فما أباليهم ، أو أحفل مشوراتهم . هاتى ، هاتى ... ترى ماذا أذكرك العجوة والبيض .. لا،لا،لا.. هذا لا يكفى ... إنى أتضور جوعا ... أكثرى ؛ أكثرى »

فتقول « معدتك تتلف ... يكفى هذا المقدار »

فأصيح: « لالا ... على رأى العامة « همّ » ، وقلة مم !» هاتى ، ولا تخافى »

فتقول : « هل معنى هذا أنك ستعطينى ما طلبت ؟ »

فأصيح « ياستى خذى ما شئت ... كلّى لك ... ولكن هاتى من هذا وأكثرى »

فتنهض وهى تقول « ومعدتك ؟ »

فأقول « سننظر فى أمرها فيما بعد . وأحسب أنى لن أعدم طبيباً يستطيع أن يسكن آلامها . أتعرفين أنه يخطر لى أن الطب قد أخفق لأنه لم يستطع إلى الآن أن يغنينا عن المعدة ؟ فليت هناك دكانا تباع فيه أعضاء جديدة من الجسم تركب له وتتخذ بدلا من التى تتلف ، على نحو ما تباع قطع السيارات ! إذن لو سعنى أن ألتهم كل ما فى هذا الطبق الشهىّ . ولكن آخ ! »

وأجدنى أكلم نفسى ، فألتفت مستغربا ، وإذا بها تعود ويدها مبسوطة بمائة وعشرين قرشا فأهز رأسى وأسألها

« ما حاجتك إلى كل هذا ؟ »

فتخبرنى أنها دعت « أم أحمد » وأنها تنوى أن تكلفها شراء ثياب لكسوة الخدم ، فقد آن ذلك جداً ، وقد اختارت أم أحمد لأنها ممن أخنى عليهن الذى أخنى على من نسيت اسمه — آه لبد ، ياله من اسم ! — فهى تحب أن تكل إليها أمر الشراء لتكسب قرشين ، فإنها تأبى الصدقة .

فأهز رأسى موافقاً ، ثم أنهض عن المائدة راضيا وأقول لها بابتسامة عريضة: «مائة وعشرون قرشا ثمناً لأكلة عجوةبالبيض! لست أراه باهظا جداً ... لا بأس ! لا بأس ! سيرزقنا الله من حيث لانعلم ، فلا تخافى ، وأنفقى ما فى الجيب يأت ما فى الغيب

ابرهيم عبد القادر المازنى

شعر مهيار

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال ابن خلكان فى كتاب وفيات الأعيان (هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمى الشاعر المشهور؛ وكان مجوسياً فأسلم . ويقال إن إسلامه كان على يد الشريف الرضى أبى الحسن محمد الموسوى وهو شيخه وعليه تخرج فى نظم الشعر، وقد وازن كثيراً من قصائده) . نعم أخذ مهيار عن الشريف الرضى وسلك مسلكه فى فخامة اللفظ وقرب التشبيه والاستعارة ونغمة الوزن وتحكيم الوجدان والتباعد عن المعانى التى يمجها الذوق والوجدان إلا فى القليل مثل قوله فى الغزل :

غار المحبون من أبصار غيرهم   ضَنًّا وغرت على لياء من بصرى

إذ أن هذا معنى غير مستقيم ولا يقبله الذوق وإن كان للشعراء مثله . ولا أذكر الآن هل للشريف مثله أم ليس له . ومن دلائل التكلف أحياناً فى شعر مهيار أن له قصيدة فى الرثاء بها يرثى أهل البيت رضى الله عنهم ومطلعها غزل وهو : (فى الظباء الغادين أمس غزال) وجاء فى غزلها ذكر الملال والدلال وما إلى ذلك . وهذه أقوال لا تستقيم مع الرثاء عموماً ورثاء أهل البيت خصوصاً .

وعلى أى حال فإن أستاذه الشريف أكثر طبعاً ؛ وإن كان الشريف أحياناً يقبل معانى الغزل المعتاد الشائع فى عصره ، ولكن نصيبه من عبث الحضارة أقل من نصيب مهيار ، وأقل من نصيب غيره من شعراء الدولة العباسية . ومن أجل متابعة مهيار له سلم فى أكثر شعره من هجنة الذوق الحضرى العابث، ولكنه من أجل هذه المتابعة لم يُدْخِلْ فى العربية أثراً من الثقافة والنزعة الأدبية الفارسية . وكنا نأمل أن نجد لمهيار ابتكاراً بسبب جمعه بين الحضارتين الفارسية والعربية ، ولكن طريقة الشريف كانت عربية بدوية أكثر منها حَضَرِيَّةً ، فنزع مهيار هذا النزع؛ ولم يكتف بذلك بل إنه بَرَّزَ فى أبواب القول التى برَّز فيها الشريف مثل الغزل الوجدانى الرقيق ، والرثاء والإخوانيات والعتاب وشكوى الزمان وأهله ؛ وبَرَّزَ أيضاً فى المديح بحكم مهنته . وهو أحياناً يحتذى طريقة الشريف فى المديح بوصف عادات البدو فى معيشتهم فيقول :

ضربوا بمدرجة السبيل قبابهم   يتقارعون بها على الضِيفان

ويقول :

كأنَّ حديث من يُثْنِى عليه   حديث القين عن نصل يمانى

والمديح هو الباب الذى كان فيه مهيار أكثر استرسالاً من أستاذه بحكم منزلته وبحكم ترفع الشريف الذى يخاطب الخليفة فيقول له إنه لا فرق بينهما :

إلا الخلافة ميزتك فإننى   أنا عاطل منها وأنت مطوق

ويقل تبرز مهيار فى أبواب الشعر التى يقل فيها تبرز الشريف ، فلا ينتشى مهيار بما يصف كما ينتشى أبو تمام فى وصف الطبيعة، وكما ينتشى البحترى وابن الرومى. ولكن وصف الشريف أقوى وأعرق فى الشعر من وصف مهيار . أنظر إلى قول الشريف فى وصف القلم :

وينطق بالأسرار حتى تظنه   حواها وصفر من ضمير أضالعُه

أو قوله فى وصف الذئب :

إذا فات شيء سمعَه دل أنْفُه   وإن فات عينيه رأى بالمسامع

وهذه القصيدة تذكرنى قصيدة البحترى التى مطلعها (سلام عليكم لا وفاء ولا عهد) وفيها وصف للذئب منه قوله :

كلانا بها ذئب يُحدِّث نَفْسه   بصاحبه والجد يُتْعِسُه الجد

وتُذْكِر أيضاً والشيء يذكر بالشيء أبيات الفرزدق فى وصف الذئب الذى قراه وأطعمه بعكس ما فعل الشريف والبحترى ، وهى التى مطلعها (وأطلس عسال وما كان صاحباً) .

أما مهيار فله شعر كثير فى الوصف أكثره فى وصف الشمع أو السمك أو الطبل أو الاسطرلاب الخ . وهو ليس من الطراز الأول. وله أبيات فى وصف السماء وهو موضوع كبير يشمل حسنها فى مظاهرها المختلفة ، ولكنه لم يوفه حقه . وله قصيدة فى وصف آلات زينة صناعية فى بركة ، ولكنها على شهرتها لا تدل على أن الشاعر قد انتشى بموضوعه ، فمهيار إذاً لا يُبَرِّزُ فى الوصف كما يبرز فى الموضوعات الأخرى التى ذكرناها وبَرَّزَ فيها أستاذه

والذى جعلنا نأمل أن يبتكر مهيار وأن يدخل شيئاً من أثر الثقافة الفارسية هو ما رأيناه من ابتكار ابن الرومى وما لعله من أثر نسبه الدخيل، وإن كان ابن الرومى قد غلبت عليه النزعة العربية أكثر مما غلبته النزعة الرومية . ومهيار يفتخر بسؤدد الفرس فيقول : إنه جمع المجد من أطرافه (سؤدد الفرس ودين العرب) ويفتخر بفصاحتهم فيقول : (وفيهم أُلْسُنُ البيان) ويقول :

إنْ تُنْكِرِي قومى فعنـدك من بقيتهم بيـانْ

وقد نظرنا فى شعر هـذا الفارسى فوجدناه أكثر عروبة من شعر بعض الشعراء العرب من سكان العراق وفارس، وكان هؤلاء يتملحون ويتجملون بألفاظ فارسية فى بعض الأحايين . ونحن لم نطلع على شعر لشعراء دولة الفرس قبل الإسلام، ولا نعرف إن كان شعرهم قد بقى، ولكننا اطلعنا على منتخبات لشعراء الفرس بعد الإسلام عند ما استقلت فارس بسبب ضعف الدولة العباسية وسقوطها، وبعضهم أيضاً كان يكتب أيام حكم التتر، وهذه المنتخبات لعمر الخيام وحافظ الشيرازى والسعدى والفيروزى والجامى والنظامى وأنورى وفريد الدين العطار وجلال الدين الرومى وابن جمين(١) لا تختلف كثيراً عن شعر شعراء الدولة العباسية من العرب إذا استثنينا ما فى بعضها من قصص تاريخ الفرس القديم التى صارت فى هذا الشعر أشبه بالأساطير الاغريقية فى شعر هومير وغيره ؛ وإذا استثنينا أيضاً الأساطير التى حاكها بعض هؤلاء الشعراء فى موضوع حياة الطيور والحيوانات الخ على طريقة الخيال الآرى. ولم أجد فى شعر مهيار أثراً لذلك وإن كان يقرب من الحضارة الفارسية فى وصفه بعض مظاهر الترف ، لأن الحضارة العباسية العربية كانت شبه فارسية ، إذ قد أخذ العرب فى العراق وفارس من مذاهب الإحساس والفكر والحضارة الفارسية، حتى إن بعض المؤرخين سمى الدولة العباسية ، بالدولة الفارسية العربية . وقد رد العرب هذه المذاهب المستعارة من مذاهب القول والإحساس والفكر إلى شعراء الفرس المسلمين الذين ظهروا عند ما استقلت فارس عن الدولة العباسية ؛ وهذه هى أسباب أوجه التشابه بين هؤلاء الشعراء وبين شعراء الدولة العباسية العربية. فمهيار لا يقترب فى قوله من الثقافة الفارسية والحضارة الفارسية إلا من حيث اقترابه من نزعة شعراء العربية فى الدولة العباسية . وهو كما أوضحنا غير مندفع فيها كل الاندفاع ولا منغمر فيها بسبب احتذائه طريقة الشريف فى محاكاة النزعة البدوية ؛ وهو مع ذلك له شعر فى مظاهر من تلك الحضارة لم يطرقها الشريف كوصفه للخمر كما فى الأبيات التى يقول فيها :

من فم إبريقها إلى شفة الكأ ... س عمود الصباح ممـــدود

وقد أغرق فى تحسين السكر فى قصيدته التى يصف فيها آلات الزينة فى البركة ومطلعها :

ندیمى وما الناس إلا السكارى ... أدرها ودعنى غـــداً والخمارا

وعَطِّلْ كؤوسك إلا الكبير ... تجِدْ للصغير أناساً صغارا

وقد أنقذته محاكاته للشريف من أن يكون أكثر شعره على هذه الوتيرة . وقد ذكرنا أن الوصف فى هذه القصيدة لا يُحدث للقارئ نشوة شعرية ، وإنما النشوة فيها نشوة مادية للشاعر بالخمر كما ترى. وعندى أن بيتاً واحداً فى الوصف للمعرى، وهو ليس من شعراء الوصف ، قد يُحدث نشوة شعرية للقارئ أكثر مما تحدثه قصيدة فى الوصف لمهيار . أنظر إلى قول المعرى :

ليلتى هذه عروس من الزنـ ... ـج عليها قلائد من جمان

وكلمة (هذه) فى البيت لها أثر كبير فى الوصف . وبعض وصف مهيار على سبيل الأحاجى والمعميات وهذا ليس من الوصف العالى

ويجوز لنا أن نقول إن منزلة مهيار من الشريف كانت كمنزلة البحترى من أبى تمام من حيث احتذاء الطريقة. وقد هجا ابن الرومى البحترى فقال :

والفتى البحترىُّ يسرق ما قا ... ل حبيب فى المدح والتشبيب

كل بيتٍ له يُجَوِّدُ معنا ... ه فمعناه لابن أوس حبيب

وهذه مبالغة المنافس القادح الزارى . إلا أنه مما لا شك فيه أن البحترى على عظم منزلته كان محاكياً أكثر من ابن الرومى .

وقد وجدنا أن مهيار يعزب عن نهج الشريف فى بعض قوله وروحه. ولا غرو فإن النبات إذا نقل من مكان إلى مكان كانت ثمراته شبيهة بثمرات نوعه من نبات المكان الثانى، وكذلك طريقة الشعر إذا نقلت من شاعر إلى شاعر، فهى يصدق فيها قول الشريف فى الآمال :

وتختلف الآمال فى ثمراتها ... إذا شرقت بالرى والماء واحد

ولمهيار قصائد عديدة ذات نغمة موسيقية عذبة كنغمة قصائد الشريف العذبة ، وهو لا يقل عن الشريف فى هذه الموسيقية بل قد يزيد أحياناً ، ولكن الوجدان الشعرى فى ثنايا موسيقية الشريف أكثر طبعاً وغزارة؛ وقد يقل الوجدان وتقل الموسيقية فى قصائد مهيار المطولة فى المدح على أناقتها ، ولكن القارئ يشعر فى بعضها إطالة الناثر القدير وتوقف الكاتب فى تدبيج المديح أكثر مما يشعر من اندفاع السيل الشعرى الأتِىّ ؛ ولكن أسباب هذا الشعور أن مهيار كان كاتباً قديراً وأنه أوتِىَ سهولة كبيرة فى النظم ونفساً طويلاً جداً. وفى بعض مدائحه يحس القارئ سرعة اندفاع الوزن ولكنه يحس أيضاً أن سهولة النظم وطول

(١) هذه الأسماء منقولة من صيغها فى كتب المنتخبات الافرنجية التى أشرت إليها لا عن الصيغة الفارسية

النفس قد سبقا شاعرية الشاعر. وهذه هي جناية المدح على الشاعر وجناية نظم الشاعر بالأمر أو الطلب أو للحاجة واكتساب الرزق، وهذا أمر يشترك فيه كثير من شعراء الصنعة مع مهيار، إلا أن ما أضر الشعر من ناحية قد أفاده من ناحية أخرى، فقد أصبحت قصائد الصنعة التي ليس فيها اندفاع سيل العاطفة الشعرية نماذج يحتذى في المدارس وفي غير المدارس لتقويم لسان الناشئين المبتدئين؛ ولكن الخطر قديماً وحديثاً هو إما أن يمل الناشئ اللغة بالرغم من طلاوة النماذج وأناقتها لافتقاده سيل العاطفة، وإما أن يظل طول عمره على النماذج الإنشائية لا يطلب وراءها روحاً أو معنى أو وجداناً. ولقد نجى الشريف من أن يكون بعض شعر المدح من شعره نماذج إنشاء فحسب أنه كان يترفع عن التكسب بالشعر أو كانت له عنه مندوحة. والشريف لم يكثر إكثار مهيار وإن كان الشريف مكثراً جداً إذا قيس بالمتنبي أو أبي تمام

وبالرغم من إطالة مهيار في القصيدة الواحدة إطالة كبيرة في المدح، وبالرغم من مؤاتاة سهولة الوزن له فقد كان يهذب ويشذب ويتأنق ويسيء بالإحسان فيها ظنا حتى يقتنع ذوقه بدليل قوله: —

وأسيء ظنا وهي مُحسِنةٌ لا كالمسيء ويحسن الظنا

ولعل هذا سبب ولوعه بإطراء شعره في شعره فقد قال في قصائده:

لكنها من معدن لم يكن بِسرِّهِ ينبع إلا لِيا

وزاد على هذا فجاء بقول يشبه أقوال المتنبي فقد قال مهيار:

ظهرت بآيتي في غير قومي ولم أنظرْ بمعجزها أواني

أي ظهر قبل ظهور الجيل الذي يستطيع أن يقدره

ولقد قالوا إن الشريف قد اشترك في كتابة بعض ما ينسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في كتاب (نهج البلاغة) وهذا شيء لا يصدق لبعد التزوير من أخلاق الشريف الرضي. وعلى أي حال فليس في شعر الشريف ما يذكرنا بأنه كاتب ناثر، وإن كان له في النثر فضل كبير. وأحسب أن ابن الرومي لو شاء أن ينبغ في النثر نبوغه في الشعر لاستطاع لتقصيه الأجزاء وتتبعه، واتساق كلامه وربط بعضه ببعضه واستطراده وضربه الأمثال وإشاعته المعنى في أكثر من بيت، وما إلى هذه الصفات من صفات؛ ولكن الشعر ملك عليه وقته ونفسه وحاجات لبه وغلبت عليه سهولة النظم. ولم يصل إلينا شيء من نثر مهيار وإن كانت الكتابة هي الصفة المقدمة في كلمة ابن خلكان عنه. ولعل شعره في المدح وغيره من أغراض الأمراء والحكام يغني عن نثره لفظاً ومعنى.

ولأناقة مهيار في أسلوبه سببان: الأول مما كانه طريقة الشريف الرضي، والثاني هو أن الدخيل إذا اعتنق لغة حتى تصير لغته واحتاج إلى النبوغ فيها والتكسب بها اضطر إلى التأنق أكثر من اضطرار الأصيل الذي يعتز بأصالته فلا يتعمد المغالاة في التأنق. ومن أجل ذلك كان مهيار أكثر أناقة في الأسلوب من كثير من شعراء العرب في الدولة العباسية ولا سيما شعراء عصره. وليست أناقته بمستحيلة إذ أن عمدة النحو العربي رجل فارسي مثله وهو سيبويه، وهو مثل آخر من أمثال هذه الظاهرة، وهي أن الدخيل قد ينبغ أكثر من الأصيل في لغة بسبب اضطراره إلى استبطان دخائلها، وهي ليست قاعدة عامة بل هي من الأمور الغريبة كغرابة إتقان الكاتب البولوني جوزيف كونراد للغة الانجليزية وكتابة قصصه بها حتى صارت كتبه تعد من ذخائر الأدب الانجليزي وحتى صار يعد أديباً انجليزياً لا بولونياً

وقد أخذ مهيار عن الشريف سر الموسيقى الشعرية وهي لا تتوقف على الوزن وحده بل على الوزن وعلى أسلوب الشاعر في الإفصاح عن إحساسه. ومن قرأ قصيدة الشريف التي مطلعها: (ضَربْنَ إلينا خدودا وساما) أو التي مطلعها (أراكَ ستَحدثُ للقلب وجدا) أو التي مطلعها (اسلمي يا سرحة الحي) أو التي مطلعها (يا ظبية البان) وغيرها من أشعار الشريف ثم يقرأ شعر مهيار الموسيقي يحس كيف أتقن التلميذ سر تلك الموسيقى كما في قول مهيار:

أراها يوم صدت أن أراها علمتْ أني منْ قتلى هواها

إلى أن يقول:

أُعْطِيَتْ من كل شيء ما اشتهت

فرآها كل طرف فاشتهاها

أو قصيدته التي يقول في مطلعها:

لواعج الشوق والغليلْ عَلَيَّ أحنى من العذول

أو التي يقول فيها:

آه على الرقة في خدودها لو أنها تسرى إلى فؤادها

أو التي يقول فيها:

واذكرونا مثل ذكرانا لكم رُبَّ ذِكرى قرَّبتْ من نزحا

أو التي يقول فيها:

أأنتِ أمرتِ البدر أن يصدع الدجا

وعلَّمتِ غصن البان أن يتميَّلا

أو التى يقول فيها :

وَهَبْكُمْ منعتم أن يراها بعينه   فهل تمنعون القلب أن يتمناها

ولو أن أساتذة فن الغناء فى عصرنا هذا شاءوا لوجدوا فى شعر مهيار نبعاً لا ينضب معينه من الموسيقى والغناء. فيا حبذا لو لحنوا الكثير من قصائده الموسيقية . وقد نبغ مهيار أيضاً فى الرثاء كما نبغ الشريف ؛ ومن أكثر قصائده فى الرثاء وجداناً قصيدة قالها فى فتى كان قد تبناه ورباه وهى التى يقول فيها :

فُجِعْتُ به غض الشمائل والهوى   مُسِنَّ الحجا والفضل مقتبل السن

على حين قامت للمنى فيه سوقها   وحقت شهادات المخايل والظن

ومن قصائده البارزة فى الرثاء القصيدة التى مطلعها (مَنْ حاكم وخصومى الأقدار) والتى مطلعها (نعم هذه يا دهر أم المصائب) ويقول فيها :

سلامٌ على الأفراح بعدك إنها   وإن عِشت ليست إربة من مآربى

ومنها قصيدته فى رثاء عبد العزيز بن نباتة السعدى اللامية التى يقول فيها :

أَفَلَمْ يَرُعها منك نفس حُرَّة   كنتَ الوحيد بها وأنت قبيل

وقصيدتاه فى رثاء الشريف الرضى مشهورتان ولا سيما الدالية التى مطلعها (أقريش لا لفم أراك ولا يد) . وقد نبغ مهيار أيضاً فى شكوى الزمان والإخوان ، وله فى هذا الباب أشعار كثيرة مثل قوله :

وأخ مع السراء من عُدَدِى   وعلىَّ فى الضراء والشر

مولاى والأحداث مُغْمَدَةٌ   فإذا انتُضِين فَرَى كما تفرى

تَعِبٌ بحفظ هَنَاتِ ميسرتى   كيما يُعَدِّدَها على العسر

ومن شعره فى هذا الباب قوله من قصيدة رائعة :

وقلوب أعدائى الذين أخافهم   مغلولة لى فى جسوم أحبتى

ولمهيار قصيدة فى العتاب بلغت منزلة عالية وهى التى يقول فى أول العتاب منها :

يا أهل ودى وما أهلا دعوتكم   بالحق لكنها العادات والدرب

وفى اللغة العربية قصائد بارزة فى العتاب يصح أن تكون فى باب وحدها وإن تفاوتت مراتبها ومنها هذه القصيدة لمهيار وقصيدة البحترى التى أولها (يهون عليها أن أبيت متيماً) والتى مبدأ العتاب قوله (عذيرى من الأيام رَنَّقْنَ مشربى) وقصيدة ابن الرومى التى مطلعها (يا أخى أين ريع ذاك اللقاء) وقصيدة سعيد بن حميد التى مطلعها (أقلِلْ عتابك فالبقاء قليل) وقصيدة المتنبى التى مطلعها (واحرَّ قلباه ممن قلبه شَبِمُ) وقصيدة الطغرائى التى مطلعها (على أثلاث الوادِيَيْنِ سلامُ) .

وفى الهجاء يحتذى مهيار الشريف أيضاً . قارن بين قول الشريف الرضى (من كل وجه نقاب العار نقبته) وقوله (يَصْدَى من اللؤم حتى لو تُعَاوِدُهُ) وبين قول مهيار : —

وملثمين على النفاق بأوجه   صم يصيح اللؤم من قسماتها

ولمهيار أبيات كثيرة ضائعة فى ثنايا مطولاته وهى أبيات يصح أن تشتهر وأن يتمثل بها.

مثل قوله :

والشامة البيضاء تنعت نفسها   لوضوحها فى الجلدة السوداء

وقوله :

يقول المرء ما يهوى ويرجو   ويفعل فعله الفلك المدار

وقوله :

يسمون عيشاً فى الخمول سلامة   وصحة أيام الخمول سقام

وقوله :

ونشتكى دهرنا والذنب ليس له   والدهر مذ كان مظلوم ومتهم

وقوله :

تقام على الفقير وما جناها   إذا وجبت على المثرى الحدود

وقوله وهو ليس من الهجاء بقدر ما هو حقيقة عامة فى كل النفوس : —

يجهلنى بديهة وإنه   يزداد جهلاً بىَ كلما امْتَحَنْ

عبد الرحمن شكرى

المجمع اللغـــوى
وإصلاح لغة الحياة اليومية
للأستاذ عبد القادر المغربى
عضو المجمع

ذكرنا من قبل أن المجمع اللغوى قد اتجه إلى الاتصال بالمصالح الشعبية لتناول الرأى معها فى المصطلحات . وقد سألنا صديقنا الأستاذ المغربى عن الطريقة التى بسط فيها رأيه فى وجوب عناية المجمع بكلمات الحياة اليومية والحاجة الداعية إلى هذه العناية فأرسل إلينا هذا المقال .

أمهات الأعمال التى قام بها المجمع فى دوراته الماضية خمس :

١ — أوضاع فى العلوم والفنون لطلاب المدارس

٢ — كلمات فى الشئون العامة لجمهور المتكلمين باللغة العربية

٣ — تسهيل قواعد اللغة

٤ — كتابة الأعلام الأجنبية بوضع علامات اصطلاحية على الحروف العربية

٥ — الاهتمام بوضع معجمين : أحدهما على للطلاب والآخر لغوى لجمهرة المثقفين

وقد بذل المجمع همة عالية فى مباشرة أعماله هذه وكان سعيه موفقاً فيها . اللهم إلا ناحية واحدة من هذه الأعمال ما زالت محتاجة إلى عناية وتخير أقرب الطرق لحسن الإنتاج فيها

وأريد بتلك الناحية إصلاح لغة الحياة اليومية التى ترجم لها المجمع بقوله (كلمات الشئون العامة) — كأدوات المنازل وما تتناقله الألسنة والأقلام فى الدواوين والأندية والمدارس والمتاجر مما يعبر عنه بألفاظ دخيلة أو عامية : فقد وضع المجمع لهذه الشئون أكثر من مائتى كلمة . ومن مواضع العجب أن هـذه الكلمات تكاد تكون وحدها مثار اللغط فى نقد المجمع والغض من قيمة إنتاجه

وهذا يدل على أن (كلمات الحياة العامة) هى أول ما يتشوّف إليه الجمهور من نتائج أعمال المجمع . لأن اللغة اليومية أصبحت قطعةً من حياته وجزءاً من عقليته . فلا جرم أن يكون إصلاحُ هذه اللغة وتقويمُ اعوجاجها مَثلَهُ الأعلَى وموضع رغبته المُلحَّة على اختلاف الطبقات :

من طلاب المدارس الذين أضربوا منذ أشهر وكان من جملة شروط الرجوع عن إضرابهم أن تدخل اللغة العربية فى البنوك الأجنبية كما أشار إلى ذلك بعض الصحف اليومية

— إلى رجال الصحافة الذين قال أحدهم فى (رسالته) : « تريد اللغة العربية من أولياء العهد الجديد أن تأخذ مكانها الشرعىّ فى المحاكم المختلطة ، وأن تُطَهَّر من شوائب العُجمة فى الدواوين والقوانين والجيش »

— إلى طبقة التجار والمستبضعين الذين كان تَعَرَّض لى أحدهم فى الشارع وسألنى أن أتوسط المجمع فى وضع كلمة عربية تقوم مقام كلمة (مانيكور Manucur) الفرنسية ويراد بها علبة تتضمن مجموعة أدوات تُسَوَّى بها الأظفار وتجمّل . فلم أوفق إلى إجابة سؤله واستمهلته ريثما يأتى دور هذه الكلمة فى (كلمات الشئون العامة) التى يضعها المجمع . أجبتُه بهذا وأنا خجِلٌ وكأننى أسمعه يقول لى : إلى أن يأتى دور هذه الكلمة تكون تغلغلت فى لغتنا ، ومَرِنت عليها ألسنةُ زبائننا والمستَخدَمين فى مخازننا ، فيصعب إذ ذاك تطهير اللغة منها . هكذا تخيَّلته يقول لى . وما زلت أتحيّن الفرص للعود إلى الحديث مع المجمع فى هذا الموضوع حتى كلَّفتنى إدارته أخيراً تهيئة اقتراح أقدمه إليه فى جملة الاقتراحات التى طلبت من الأعضاء

فقلت : ها قد سنحت الفرصة لاستمالة نظر الإخوان إلى هذه المسألة التى إذا قضوا فيها أمراً كان قضاؤهم مؤدياً إلى إصلاح اللغة اليومية . وهو ما يرغب فيه الجمهور بأشد من رغبته فى أعمال المجمع الأخرى : فإن المصطلحات الفنية التدريسية ، وتسهيل قواعد اللغـة ، وكتابة الأعلام الجغرافية ، ووضع المعاجم ، وتحقيق ألفاظها التاريخية — كل ذلك على ضرورته ، إنما تلمس فائدته بعـد سنين . ولا يلمسها ويستفيد منها إلا طبقة المثقفين . فتبقى الحاجة ماسة والنقصُ ظاهراً فى نتائج أعمال المجمع فى نظر الجمهور كما يبقى المجال واسعاً أمام الناقدين .

والحق يقال إن اكتفاء المجمع فى أن يضع من نفسه لنفسه كلماتٍ يسميها كلمات الشئون العامة ومعظمها من غريب اللغة ثم يودعها معجمه أو مجلته — محاولة قليلة الفائدة لا تحقق الجانب الأعظم من المثل الأعلى الذى أُنشىء المجمع لأجله ، ولا تشفى غلة جمهور الراغبين فى تعميم الإصلاح لكل ناحية من نواحى الثقافة اللغوية .

ولا يخفى أن حكم الجمهور — فى عرض المعلومات اللغوية عليه — ليس كحكم تلاميـذ المدارس الذين تملى عليهم إرادة أساتذتهم فيتلقَّونها من دون تذمر ولا مناقشة ، وإنما الجمهور

كالمستهلك أمام مخزن التاجر وبضاعته . فإن وافقت ذوقه وإلا هجرها وبحث عن أخرى غيرها .

وفى المادة الثانية من مرسوم إنشاء المجمع الملكى إشارة إلى أن هنالك طرقاً يمكن سلوكها فى جعل اللغة العربية وافيةً بحاجات الحياة فى العصر الحاضر . وذلك (بأن يُحدد فى معاجم أو تفاسير خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغى استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب)

فأنا أرى أن يستفيد المجمع من هذه الطُرُق التى أشار إليها المرسوم (فى جعل اللغة وافيةً بحاجات الحياة فى العصر الحاضر) فتتألف لجنة من أعضائه تسمى (لجنة لغة الحياة العامة) أو (لجنة اللغة اليومية) ويكون لها فوق ذلك وظيفة الدعاية والنشر والاتصال بجمهور المتكلمين اليوميين على اختلاف أعمالهم ومصالحهم . فتتلقى من إدارات الصحف والدواوين والمحاكم والجمارك والبنوك والمعامل والمتاجر بل من كل سائل الإشكالَ الذى يعرِض له فى شأن وضع كلمة عربية مكان كلمة أعجمية، أو استعمال تعبير فصيح مكان تعبير دخيل ، أو غير ذلك من الأسئلة المتعلقة باللغة اليومية مفرداتها وتراكيبها . .

وتعلن اللجنة اشتراطها على السائلين ألا تتجاوز أسئلتهم الاثنين أو الثلاثة لتتمكن من موافاة رغبتهم بالسرعة المطلوبة فتقرُّ بعض الكلمات أو التراكيب المختلف فى صحتها أو تضع مكانها كلمات أو تراكيب عربية ثم تأخذ رأى المجمع فيما فعلت ، ثم تنشره فى الصحف اليومية تحت عنوان (أوضاع لغوية مؤقتة) فتسمع رأى الفضلاء فى هذه الأوضاع وتعدّل فيه وتحوّر حتى تنتهى إلى نتيجة يطمئن إليها القلب ويُرضى أكثرية السائلين، والصحف اليومية ومحرّروها هم لعمرى أول من يحسن أن تعتمد عليهم اللجنة فى مؤازرتها وترويج عملها

نعم إن فى هذا العمل كلفة وفيه مشقة ، لكن فيه فائدة عاجلة ، وإجابة رغبة مُلحة ، وإصلاحاً مباشراً محسوساً

هذا هو الاقتراح الذى قدمته إلى المجمع ويكفينى منه أن يقبله مبدئياً ثم هو ينظر فى تنظيمه وتهيئة الوسائل التى تجعله منتجاً مثمراً

على أن اقتراحى هذا له التفات إلى اقتراح آخر علاقته به علاقة البناء بالأساس . ذلك أن قرار (التعريب) الذى وضعه المجمع فى دورته الأولى كان مضيقاً جداً مذ جُعل التعريب فيه من حق عرب الصدر الأول بحيث لا يجوز لنا نحن أن نقدم عليه ونقتحم حرمه إلا عند تحقق الضرورة القصوى . وتحديد هذه « الضرورة » من أصعب الأمور . كما أن إبهامها وشمول لفظها يؤدى بطبيعة الحال إلى جدل واختلاف كبير

ولعل المجامع اللغوية التى كانت تقوم فى القاهرة لم تخفق فى عملها إلا لاصطدامها بصخرة التعريب وتضييق الخناق فيه

فاللجنة التى اقترحت تأليفها وسميتها (لجنة لغة الحياة العامة) لا أراها تبلغ غرضها وتؤتى أكلها ما لم يعدّل المجمع قرار التعريب المذكور ، فيجيز التعريب لنفسه بشروط أرفه وأوسع مما فصله فى توجيه قراره الذى نشره فى الجزء الأول من مجلته

فإن قدرت اللجنة على إقناع المجمع بذلك وإلا فلتقنعه على الأقل بلزوم قبول الكلمات الدخيلة اليومية المتفشية فى لغتنا، والتى أصبح من المتعذر تطهيرها منها بالرغم من وضعنا لكثير منها مرادفات عربية فصيحة فاتت الفصحى وبقيت هى ، أو بقيت الفصحى حية بجانبها : مثلما بقيت كلمة (بريد) حيّة بجانب كلمة (بوسطة) ، و (حوذى) بجانب (عربجى) ، و (ردهة) بجانب (صالون)، و(مضخّة) بجانب (طلمبة) ، و (فندق) بجانب (أوتيل)

ولم تقو هذه الكلمات العربية على إماتة الأعجميات ، كما لم تقو كلمات (المغْد . والكهكب . والأَنَب . والحَيْصل . والحدَق) العربية على إماتة أختهن الأعجمية . أعنى كلمة (الباذنجان[1])

وهأنذا أذكر طائفة من الكلمات المعربة الفاشية إلى أقصى حد فى لغتنا اليومية لتكون نموذجاً لما أريده بالكلمات العصرية التى لا تمكن إماتتها وينبغى الترخص فى استعمالها :

سينما . صالون . عَرَبَة . عربجى . كلسون . جرنال . دستة . غاز . سراى . بلكون . شاويش . طاولة . سَبَت . شوال . بنك . بوسطة . فُرْشة . شنطة . فِلْم . كادر . أوتيل . كُبْرى . بُرنيطة . طلمبة . بوفيه

ولماذا لا يكون لهذه الكلمات التى وُلدت تحت مواقع أبصارنا حق فى الحياة أسوة بكلمات أعجمية أخرى توارثنا استعمالها من دون نكير ولا يعرفها سلفنا الأول مثل كلمة : بقجة . بُودَقة . بركار . تخت . درابزين . درباس . دَرْفة . ماهيّة . طربوش . فوطة . الخ

ويمكن تلخيص اقتراحى فى هاتين الجملتين :

١ — وجوب الاتصال بالجمهور للاستعانة به فى إصلاح لغته

٢ — تعديل قرار التعريب : إما بتجويزه للمجمع ، بمقياس أوسع ، وإما باستثناء المعربات الحديثة التى تحجرت فى لغتنا اليومية وأصبح من المستعسر تجنب استعمالها .

المغربى

---

(١) إنما سمى العرب الباذنجان حدقاً تشبيهاً له بعيون المها

الحـــــرب

تصوير السير ا. لاندسير من مجموعة «الدكتور أحمد موسى»



يَا صُورَةً ترنو إليها العيونْ واجِمَةً كاسِفَهْ
تُوحى إلى الأنفسِ هَوْلَ المنونْ فى المْحْنَةِ الخاطفهْ
يَضِجُّ بالوَيْلاتِ هذا السُّكونْ كأنما الأرضُ به راجِفَهْ
لا يَمَّحِي الويلُ بها والشُّجُونْ ولا تني رَعْدَتُهَا القاصِفَهْ

أرَى على الأرضِ طيوفَ الجحيمْ فى هذه الغاشِيَهْ
يَطُوفُ بالنَّاسِ عذابٌ أليمْ مِنْ نَارِهَا الحامِيه
نارٌ تَلَظَّى فى الورى من قديم وأنْهُرٌ مِنْ دَمِهِ جَارِيَهْ

تَرُوعُنِى كَبْوَةُ هذا الجوادْ يَسْقُطُ لاَ مِنْ وَهَنْ
الذُّعْرُ فى عينيه هَزَّ الفؤادْ وزاد فيه الشَّجَنْ
كَمْ صَوَّرَ الرُّعْبَ بهذا الطِّرادْ وما دهى النَّاسَ به مِنْ مِحَنْ

ماذا رَمَى الفارِسَ من صَهْوَتِهْ يا عَيْنُ ماذا رَمَاهْ ؟
كَمْ كُرْبَةٍ لِلنَّفْسِ فى ضَجْعَتِهْ وَكَانَ غَضًّا صباهْ
الموتُ لاَ يَنْقُصُ من رهْبَتِهْ ما ذاعَ من أشْبَاهِهِ فى الحياهْ
مازالَ مِن (هَابِيلَ) في رَقْدَتِهْ ماطَافَ مِنْ رُعْبٍ فأضْمَى أخاهْ !

يَا سَاحِرًا لو أنَّ لى فَنَّهُ لزدتُ فى رَسْمِهِ
أخُطُّ طِفلا مُرْهِفاً أُذْنَهُ يُصْغِى إلى أمِّهِ
يَسْتَوْحِشُ اللَّيْلَ إذا جَنَّهُ وما رَأى أُنْسًا مَدَى يومِه

يَلْثَغُ يا أمَّاهُ طَالَ الغيابْ أيْنَ تَوَلَّى أبى ؟
ياوَيْلَهَا ! كَمْ لَفَّقَتْ مِن جوَابْ لِطِفْلِهَا الصَّاخِبِ !
ماذا جنت؟ طَالَ عَلَيْهَا العذابْ أفٍّ لهـذا الوالِدِ الغائب !

في سَاحَةِ المَوْتِ خَيَالُ السَّلَامْ يزيدُ فى كرْبِهِ
تطوف رؤيا بيته إذ ينام وملتقي صحبه
لـكنه يَفْزَعُ قَبْلَ القِيَامْ مِن يقظة الأوهام فى قلبه !

يَاوَيْحَ للانسان من نَفْسِهِ وَطَبْعِهِ الغَالِب
يُسَابِقُ الموتَ إلي رَمْسِهِ ! ألَيْسَ بالذَّاهِبِ ؟
وغايَةُ المِسْكِينِ من بأسِهِ ألويل للمغلوبِ والغَالِبِ !

الخفيف

السـلام

تصوير السير ا. لاندسير من مجموعة «الدكتور أحمد موسى»



سبحانك يا سلام ! !

لقد بسطت على الأرض المحروبة جناحك الرفيق المسْبِل ، فإذا الدار أمان والفزع اطمئنان والقلوب مؤتلفة والشمل جميع !

هذه ساحة الحرب أصبحت مرعًى للقطيع الراتع ؛ وهذه آلة الموت غدت كِنًّا للحمَل الوادع ؛ وهذا الوعْل النطَّاح فى أمسه لا يدرى ماذا يصنع بقرنيه فى يومه ؛ وهذا الكلب الحارس نسى اللص والذئب فاستغرق فى نومه ؛ وهذه الأسرة الجميلة تنعم بعيشها الغرير تحت سماء الأمن ، فلا همٌّ على والد ولا حزن على ولد !

***

تباركت يا سلام !!

لقد مددت على الدنيا المكروبة ظلك الرخىَّ الوارف ، فإذا الزرع جميم والخير عميم والحال متسقة والدهر مطيع !

هذه الغنم ترعى أثيث العشب هانئة فلا قنابلُ ولا نيران ؛ وهذه الطير تسبح فى صفاء الجو هادئة فلا صواعق ولا دخان ؛ وهذه السفينة تمخر فى عباب البحر مطمئنة فلا طرابيدُ ولا قرصان ؛ وهذه الطبيعة تغرق فى فيض النعيم ووضاءة الفردوس مسترخية فلا خصام ولا عُدوان !

***

حنانيك يا فاطر السموات والأرض !

لقد سميت نفسك السلام ، وسميت ذاتك المؤمن : فلماذا جعلت للايمان شيطاناً واحداً لا أكثر ، وجعلت للسلام شيطانين اثنين هما الدُّنْشى وهتلر ؟ !

اللهم إن فى السلام نعمة ، وإن فى الحرب حكمة ؛ وبين نعمتك وحكمتك ضلت عقول الناس !

ابن عبد الملك

تطورات العصر الحديث
فى الخلق السياسى
للاستاذ محمد لطفى جمعة

نشرت مجلة أوربا Europe التى يشرف على تحريرها الأستاذ رومان رولان Romain Rolland أشهر كتاب فرنسا المقيم فى بلدة نيوفيل على شاطئ بحيرة ليمان بسويسرا، دراسة مستوفاة عن حوادث السياسة التى استجدت فى أوربا بعد ظهور الفاشية والنازية، وألم فيها ببحث جليل عن حياة هتلر وموسوليني بقلم كاتبة أسراره سنيوريتا ليندا رينا لدى وهى التى خدمته بضع سنين، فآثرنا تلخيصها لمجلة الرسالة التى يعد دخولها فى عامها السابع فتحاً جديداً فى العلم والأدب والثقافة المصرية (ل . ج)

فى تاريخ الأمم وأخلاقها ساعات حاسمة ومواقع فاصلة فتتميز عن الأخرى وتفضلها بالطريقة التى تقابل بها صروف الدهر فى تلك الساعات وهاتيك المواقع. ومثلها فى ذلك مثل الأفراد لدى الملمات والشدائد، فترى أمة يهولها الاعتداء الأجنبى عليها ويفت فى عضدها ويضعف من نخوتها وينهك من إرادتها، وما تزال تنحط وتتهالك وتنحل عناصرها حتى تتوارى وتهلك. وهذه عاجزة عن الكفاح فى سبيل الوجود وهى أمة كتب عليها الفناء. ولا فرق فى ذلك بين أمة قديمة أو أخرى حديثة، عريقة أو طارئة، متدينة بدين منزل أو وثنية، شرقية كانت أو غربية. وهناك أمة تزداد قوة كلما تعرضت للآلام، وتنمو فيها الفضائل الدفاعية والهجومية كلما اعتدى عليها الأغيار أو قبض على خناقها الغرباء والغرماء. تتيقظ فيها فكرة المجد كلما حاقت بها الأخطار، وتدب فيها حيوية جديدة كلما حاول عدوها إدناءها من الموت، وتسرى فى أعضائها دماء جديدة وتجرى فى أعوادها أمواه الحياة.

لا نريد أن نعرض للنظامين النازى والفاشى بخير أو بشر، لأننا لا نريد أن ننزل بهذا البحث إلى مستوى الجدل، فإننا نحب أبداً أن نحلق فوق الحوادث الراهنة (١) وإن كنا نحترم السياسة ونقدرها. ولكننا نعلم أنها كثيرة المزالق، ومواطن التحليل فيها تدنى من الخطأ الذى قد لا يغتفر. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن النظام الفاشى الذى ابتكره السنيور بنيتو موسولينى المعروف فى العالم باسم دوتشى أى الزعيم، وتبع آثاره هيرادولف هيتلر المعروف فى العالم باسم فوهرر أى الزعيم أيضاً، قد أثبت وجوده وقدرته على الحياة فقدم بذلك البرهان التاريخى الذى لا بقاء لنظام اجتماعى أو سياسى بدونه، كما قدمت حكومة السوفيت برهانها منذ سنة ١٩١٧ إلى يومنا هذا. وفوق هذا قد أثبت هذا النظام والقائمون به أنه أدى لوطنهم خدمة جلى وقضى على شرور كثيرة وجلب خيراً وفيراً ودل بذلك على أنه النظام الصالح للوطن الايطالى، نظام المستبد المحب للخير despote bènevolent، وقد أثنى عليه كل من شهده وجنى شيئاً من ثماره داخل إيطاليا. وقد قلب إيطاليا رأساً على عقب، وقال بعض محبذيه إنه جعل من بلادهم جنة على الأرض، وإن الذين زاروا إيطاليا قبل تفشيه يكادون لا يتعرفونها بعد انتشاره وقيامه وتسلطه، لأنه صبغ كل شىء بصبغته التى أساسها النظام المطلق والأمن المطلق والأمانة المطلقة، ولكن هذا النظام العجيب الذى وحد كلمة الأمة وجعلها كرجل واحد وأخضعها لرجل واحد وعلق سائر آمالها برجل واحد، قد حكم عليه ذووه بأنه نظام قومى، حتى خطب الدوتشى نفسه فقال « إن الفاشية بضاعة لا تصلح للتصدير، ولا تضمن أرباحها خارج حدود إيطاليا » ولا نعلم إن كان قال هذا القول تواضعا أو حثاً للأمم على الاقتداء به، ولكن وجب علينا أن نصدقه لأن رب الدار أدرى بما فيها. وإن كان هذا النظام قد انتحله هيتلر بتحوير كبير وطبقه فى بلاده حتى بذ التلميذ أستاذه. ولم نسمع بصاحب مذهب سياسى أو اجتماعى قبل الدوتشى يحجر على مذهبه ويحرم عليه الخروج من كسر بيته، بل تعود أصحاب المذاهب أن ينسبوا إليها الصلاحية المطلقة والقدرة والنجاح فى كل زمان ومكان؛ وإذن لا بد أن يكون سنيور موسولينى قد ذكر هذا الرأى عن مذهبه لحكمة خفيت عن سامعيها فى حينه. وإلا فكيف كان اغتباطه بالنازية واتحادهما وابتكارهما محور برلين روما، ثم تشجيع فرانكو فى وطنه حتى ذاق الأسبان بأس بعض وخربت بلادهم حتى صارت يباباً.

(١) يشير إلى كتاب au dessus de la meleé فوق نطاق المعركة الذى ألفه أيام الحروب الكبرى

باسم مناصرة الفكرة الفاشية النازية. وأظن بعض الناقدين ألمعوا فى كتبهم فقالوا إنه نظام يعلق الأمة بأهداب رجل بعينه ، فإن شاخ أو مرض أومات تعطلت الإدارة الحكومية وتلكأت فى انتظار ظهور خير خلف لخير سلف، فى حين أن الواجب يقضى بأن تكون القوانين العامة والخاصة هى الأداة الصالحة للحكم بدون اعتبار الأشخاص .

ومهما يكن حكم المستقبل على الفاشية فإن الكثرة من الكتاب الموالين لها أجمعت على نفعها فى مسقط رأسها وخالفتها القلة المدركة من خصومها . ومنهم من أوذى وهاجر باختياره أو نُفِى مرغماً؛ ومنهم من ألف كتباً صوب فيها سهام نقده إلى الفاشية .

وإن يكن فى الظاهر ما يوهم بأن النازية الألمانية تقليد للفاشية الإيطالية ، فلا يصح القول بأن الهتلرية نوع من الفاشية أو تقليد لها ، وإن كانت تشبهها فى تفرد رجل واحد بالسلطة . ولكن الذى يفرق بينهما هو أن الأولى قامت باسم الإصلاح الداخلى ونصرة ذوى رؤوس الأموال ومقاومة الاشتراكية ومطاردة العمال الذين احتلوا المصانع الإيطالية فى سنة ١٩٢٢ وقدم زعيمها فروض طاعته للملك وحامل الكنيسة الكاثوليكية وانضوى تحت لوائهما . أما النازية الهتلرية فاشتراكية وطنية دينها عظمة دوتيشلاند ومجدها فى غلبة الرايخ الثالث ، وقامت باسم حماية الوطن من الاعتداء الأجنبى والخلاص من قيود معاهدة فرساى وتنفيذ خطط بسمارك القديمة ، من التوسع فى أوربا والشرق وتحطيم الشيوعية . وإذن قامت الهتلرية لتكون وسيلة لها غاية تخالف غاية الفاشية . دع عنك الاختلاف فى أخلاق الأمتين وتاريخهما وعناصر حياتهما . وكلتاهما قد هضمت حقوق الفرد وجعلت الدولة هدفاً أسمى وإن كان فى ذلك تأخير « المواطن » والتضحية به ، مما يختلف عن المدى الذى وصلت إليه الحضارة الحديثة فى تفكيرها وسياستها ومجموع مبادئها ، ولا سيما عند الشعوب الإنجلو سكسونية والتيوتونية

وإذن لا تكون الهتلرية وليدة الفاشية ولا شقيقتها الصغرى، لأن الهتلرية ثمرة التاريخ الحربى والسياسى فى ألمانيا ، وخلاصة نوع من الفلسفة الروحية أو التصوف السياسى منشأه مجامع ميونيخ السرية التى بدأت أثناء الحرب . أما الفاشية ففكرة مبتكرة قامت فى ذهن رجل واحد نتيجة لإدمانه قراءة كتابين : « وعود الزواج » لمانزونى [١] وكتاب الأمير لنيكولاماكيافيلى . وقد صدق حسبانه أنه يصلح شعبه بتنفيذها ووجد معونة كبرى من الأسرة المالكة ومن أصحاب المصانع والكنيسة ، وتشجيعا من الشبان الطامحين إلى الحلول محل كهول السواس وشيوخها ، وكانوا إذ ذاك متلهفين على القوت والمجد ، وكان بعضهم يرقبون المنقذ المنتظر يظهر فجأة فى أفق الوطن وكان إذ ذاك خاليا فى تلك الفترة من العظماء القادرين على حمل أعباء الزعامة . فوقع اختيار الحظ على موسولينى . كان بنيتو موسولينى فى أول أمره صحفياً اشتراكيا متطرفاً ، يحرر فى مجلة « أفانتى » إلى الأمام ، لسان حال الحزب الاشتراكى وزعيمه فيرو أحد أساتذة الجامعة . ولما أعلنت الحرب ساهم فى أوائلها، ثم لم ترقه فهاجر إلى سويسرا حيث ذاق مرارة الفاقة والتسكع ، وعاد إلى وطنه يجرر أذيال الخيبة فحدث له ماحدث لاسكند كيرنسكى فى بطرسبرج سنة ١٩١٧ . غير أن الفرق بينهما أنه استمر ونجح حيث تردد كيرنسكى فخاب. فهو ابن ثورة اقتصادية قلب ظهر المجن لحزبه فى اللحظة الأخيرة .

ولا يفوتنا أن أوربا أصبحت بعد الحرب مباشرة نهباً بين الديكتاتوريين فظهر من طرازهم بريمودى رفيرا فى أسبانيا، وبانجالوس فى اليونان، وبلودوسكى فى بولونيا، وتحدثوا عن ديكتاتورية مزمعة فى فرنسا ورشحوا لها أندريه تارديو الذى كان رئيس وزارتها . ففى ظلال هذه الديكتاتوريات وفى مثار النقع الذى طاف بالأجواء قامت الفاشية وأضافت إلى قميصها الأسود درع الديكتاتورية الفولاذى .

وتضافرت بعض الظروف التى لم تكن فى الحسبان وهى نتيجة الحالة السياسية العامة فى أوربا فجعلت لإيطاليا وألمانيا مكانة توشك أن تضع فى يدها ميزان السياسة الدولية ، ولا سيما بعد فوزهما الأخير. وتراخت انجلترا وفرنسا فى تأييد نفوذهما لانشغالهما بالمسائل الداخلية. وجدت فى الشرق حرب الصين وتفوق اليابان فانضمت إليها ألمانيا نكاية فى روسيا . ورجعت أوربا فى غير وعى إلى سياسة الاتفاقات السرية. ولعل التناطح بين الشعوب ليس إلا تطاولاً بين الزعماء، ومظهراً لقوة إرادتهم ودليلاً على رغبتهم فى الفوز والانتصار على مزاحميهم فى ميادين المجد وعلو الصيت وضخامة الشهرة . ولدى كل أمة من الأمم مؤثرات وعوامل فكرية تؤثر فى نفوس بنيها ولا تكون الزعامة الصحيحة إلا لمن يعرف استعمال هذه المؤثرات والعوامل التى تتحكم فى النفوس؛ فإذا ما اهتدى الزعيم أو المرشح

(١) لايزال الدوتشى يحتفل كل عام بموعد ظهور هذا الكتاب .

للزعامة إلى تلك العوامل تمكن بسهولة من جمع الأفكار وتوحيد الإرادات الفردية حول فكرته الخاصة وإرادته . وهيهات أن ينجح الزعيم ما لم يكن مفتوناً بالفكرة التى صار داعياً إليها حتى تستولى عليه استيلاء لا يرى معه إلا الفكرة التى ينادى بها ؛ وبدون هذا الإيحاء الذاتى لا يمكنه أن ينجح فى التأثير فى أذهان الجماهير ، لأنه لا شىء يحرك هممها مثل مظهر الإيمان الذى يبدو على شخص الزعيم . وإن يكن بعض الزعماء أو قادة الفكر ليسوا من النوابغ فى صدق الآراء وصحة النظر ، إلا أنهم من أهل الهمة وذوي الإقدام . والفرق بين الفيلسوف والزعيم أن الفيلسوف كثير التأمل ، والتأمل يؤدى إلى الشك ، والشك ينتهى بصاحبه إلى السكون دون الحركة ، لأن الحركة لا تصدر إلا عن تصميم الإرادة وهو ثمرة اليقين ؛ أما الزعيم فلا يتأمل لأنه لا يشك ، وحينئذ لا يركن إلى السكون ؛ وإذن تكون قوة الإرادة للزعيم أنفع من سلامة الرأى وصدق النظر وحسن التبصر فى العواقب ، ولكن الذى يفقده الزعماء من تلك الناحية تعوضه عليهم قوة اعتقادهم فى سلطانهم على الجموع وتلك الجموع لا تصغى إلا لذوى الإرادة النافذة الذين يتسلط عليهم العقل الباطن ويملك زمامهم . فإذا ما أصبح صوت الزعيم مسموعاً من جماعة ، اندمجت إرادتها فى إرادة الزعيم وتناست شخصيتها والتفت حول الزعيم ذى الإرادة المتحدة .

يسألون عن الطغيان والجبروت والاستبداد كيف نمت فى البيئات الدكتاتورية والزعامة فى أول أمرها لا تحتاج إلى الاستبداد أو الطغيان ، والمشاهد أن الذين قاموا بأدوار الطغاة أفراد من المؤمنين الضعفاء الذين ليس لهم حول ولا طول سوى العقيدة والإيمان . فإذا ما وصل الزعيم إلى غايته احتاج حتماً إلى الاستبداد ليستبقيها .

ويعتمد الزعماء من هذا الطراز فى تبليغ دعوتهم على الكلام والخطابة والكتابة ، وزعماء العالم اشتهروا بالفصاحة وقوة التأثير فى الجماهير . وعمدتهم على تكرار جوامع الكلم لترسخ فى أذهان سامعيها . وإذا رجعنا إلى خطب زعماء الفاشية والنازية فلا نجد إلا نفس المعانى أفرغت فى قوالب شتى لعلمهم بغريزتهم وإدراكهم الباطنى أن التكرار يترك أثراً عميقاً فى أذهان الخاصة والعامة على السواء . فالزعيم حاذق فى حفر فكرته فى أذهان أتباعه . وتبدأ الأفكار فى الطبقات النازلة ثم ترتقى إلى الطبقات الوسطى فالعليا مثل انتشار أفكار الثورة الفرنسية وارتقائها من طبقات الشعب إلى الوزراء والعلماء . وكذلك الأديان فإنها تنتشر أولاً عند المظلومين والمحاويج والمحرومين والمعوزين إلى استعادة الكرامة والحقوق ، وهذا سر انتشار النصرانية والبوذية بين الضعفاء والفقراء . وقد سادت الاشتراكية أولاً طبقات العمال حتى وصلت إلى العظماء فصار منهم اشتراكيون متطرفون . وكان عدد الذين دخلوا فى زمرة الإسلام من الأغنياء والكبراء محدوداً ثم أقبل عليه كل فقراء الجزيرة العربية وعاصمتها الوثنية (مكة) لأنه كان فى أول أمره دين مساواة فاستظلوا بسلطانه[1] . وقد أدت الأحوال الطارئة فى أوربا ، وضعف الحكومات فى بعض الممالك بعد الحرب وسقوط العروش وتزعزع الثقة فى الآراء القديمة ، إلى حلول بعض الزعماء محل السلطات الحاكمة ومحو تلك السلطات وتلاشيها فى أشخاصهم

محمد لطفى جمعة

على هامش الفلسفة

للأستاذ محمد يوسف موسى

مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

هذه أولى كلمات اعتزمت بمعونة الله وتوفيقه موافاة مجلة الرسالة الغراء بها إن تفضلت وفسحت لها مكانا متواضعا بينها رأيت فى نشرها خيراً لطلبة الأخلاق فى الأزهر وفى غير الأزهر لأنها تتناول بحوثاً لا يستغنى عنها دارس الأخلاق

دعانى إلى التفكير فى نشرها، بعد أن تعبت كثيراً فى تحقيقها، الرغبة الخالصة فى المساهمة فى إقامة الأخلاق ودراستها على دعائم علمية صحيحة ثابتة ، وما أعلمه من أن أحداً لم يتوفر على بحثها مع مسيس الحاجة إليها. وهل يليق بدارس الأخلاق أن يذكر مثلا « أنها علم من العلوم » دون أن يكلف نفسه عناء البحث فى صحة هذا الاطلاق أو عدم صحته ؟ ثم أليس من الضرورى أن يتعرف الباحث بعدذلك المعين الذى ترجع إليه الأخلاق ، والطريق القويم إلى تحديد القانون الأخلاقى ؟

هذه المسائل التى تحتاج إلى صبر وطول أناة فى بحثها ، ونحوها من موضوعات الفلسفة الأخلاقية وما يتصل بها ، هى بعض ما عنيت وأعنى بدراسته ، وما أرجو أن أوفق فيه إلى الصواب إن شاء الله تعالى

الأخلاق والعلم

العلم اليقين ، أو المعرفة العامة المضبوطة الصادرة عن نظر وتمحيص ، أو المعرفة العامة التى تتجه فى جهودها نحو العموم للوصول إلى الحقيقة ، هذه التعاريف كلها بمعنى تقريباً . فهل الأخلاق وهى تبحث فى الخير والشر والحق والواجب وتعنى بتحديد القانون الأخلاقى وتعرف المثل الأعلى وما شابه ذلك من المعانى الكلية والبحوث النظرية — هل الأخلاق ، وهذا أهم مباحثها، يصح أن توصف بأنها علم من العلوم؟ وبعبارة أخرى هل وصلت أو تصل الأخلاق إلى آراء وأحكام تبلغ من العموم وقبول الناس لها حداً يجيزلنا وصفها بأنهاحقائق علمية، فيكون هذا الفرع من الدراسات الفلسفية علماً من العلوم التى تقرر حقائق وقوانين عامة ؟ هل هى دراسة علمية، أى عمل من أعمال العقل ، أو دراسة مرجعها التقاليد التى سيطرت على الأمم فى مختلف الأزمان والبيئات؟

نترك الإجابة مؤقتاً عن هذا التساؤل لنتعجل القول بأنه يعرض بادئ الأمر لمن يتساءل هذا التساؤل حقيقة واقعية تفرض نفسها فرضاً ، هى أن العلم على اختلاف أنواعه كعلوم الطبيعة والرياضة والمنطق والنفس والاجتماع والحياة والتاريخ ، لا يعارض الأخلاق ولا يحل محلها بل يتطلبها

العلم لا يعارض الأخلاق ، لأن العقل العلمى يدفعنا إلى معرفة الحقائق على ما هى عليه وفهمها دون أن نعتمد فى بحثنا على أية فكرة أو نظرية لم تمحص بعد تمحيصاً كافياً . لكنه لا يمنع أن نقابل بين الواقع وبين ما يجب أن يكون ، معرفة الواقع والحقائق العلمية لا تحول بيننا وبين أن يكون لنا مثل أعلى أخلاق يسمو على ما تعارفه الناس جميعاً

كذلك العلم لا يحل محل الأخلاق ولا يغنى عنها . العلم يعرفنا الواقع فحسب فى مختلف مناحى الكون ومظاهره ، ولا يُعنى ألبتة بما كان يجب أو بما يجب أن يكون . هو يتحقق ولكن لا يحكم . كل العلوم التى أشرنا إليها وأمثالها — ومنها علوم النفس والتاريخ والاجتماع — لا تمدنا بمبادئ للسير والسلوك ، ولا بقاعدة نهتدى فى أعمالنا بهديها . لكنها فى الوقت نفسه لا تريدنا على أن نمتنع عن طلب هذه المبادئ خارجاً عنها

علم الحياة مثلاً يرينا أن الأنواع الحيوانية فى تقاتل مستمر ، وأن الحرب بينها سجال . وويل للمغلوب فيها لأنها حرب الحياة أو الموت . القوى يفترس الضعيف ، والغلب والبقاء للقادر على تعديل نفسه حسب البيئة التى يعيش فيها . هذا هو قانون الحياة بين أنواع الحيوان ؛ فهل لنا أن نتخذ ذلك مبدأ لنا فى أعمالنا ؟ هل مما يتفق مع الأخلاق النبيلة أن نقرر أن الناس — كسائر الحيوان — يجب أن يصدروا فى أعمالهم عن مبدأ تنازع البقاء، وبقاء الأقوى ؟ أوالخير فى أن نحكم أنهم على العكس من هذا يجب أن يتساعدوا ، وأن يحترم الأقوياء حقوق الضعفاء ؟

وها هو ذا علم النفس يكشف لنا عما يتركز فى طبائعنا من ميول وشهوات وعواطف مختلفة ، منها عاطفة الأثرة وعاطفة الإيثار . أليس لنا أن نعطى لكل من هذه الميول والعواطف قيمته الأخلاقية ؟ كذلك علم الاجتماع ، وقفنا على ما كان من حرب وتطاحن بين العالم فى العصور المختلفة القديم منها والحديث . هل هذا التحقق العلمى يكفينا للبت فى اختيار أى المبدأين : مبدأ الاحتفاظ بروح العداء بين الأمم والشعوب ، ومبدأ العمل على استئصال العداوة وبذر عواطف العدالة والمحبة العالمية التى تسمح لنا يوماً ما أن نصل إلى سلم عام نهائى وأخوة إنسانية متبادلة

الروح العلمى لا يتطلب منا أن نأخذ العلوم كدليل أخلاق وحيد ، وإن شئت التعبير على نحو آخر لا يتطلب منا أن نأخذ

مما تكشفه لنا العلوم من حقائق وقوانين مثلاً أعلى نتجه إليه في أعمالنا ونسير على ضوئه وسناه

إن العلم لا يعارض الأخلاق ولا يغنى عنها قط، بل هو يقرر ضرورة وجودها ولا يستغنى عنها، وبدونها يكون إثمه أكبر من نفعه. ولنا في تحليل نفسيات العلماء وكشف العواطف التي كانت تسودهم في حياتهم وبحوثهم العلمية ألف دليل ودليل إن صح هذا التعبير. ففي هذه الجهود المضنية التي قام بها العلماء لفهم الطبيعة وأسرارها وللوقوف على النظم التي تسير عليها، وفي تلك المشاق التي عاناها قادة الأمم وهداتها والمحسنون إلى الإنسانية، نجد عاطفة أخلاقية كانت تملك على هؤلاء الأبطال ألبابهم ومشاعرهم وتسوقهم إلى أداء رسالاتهم متحملين في سبيل ذلك ما تهد دون بعضه عزائم صغار النفوس؛ تلك العاطفة هي الرغبة في خدمة الإنسانية وتحسين حالتها المادية والعقلية. وأيضاً القيمة العالية التي يراها العلماء للعلم، تفرض أن الأعمال الإنسانية ذات قيم مختلفة: منها العالي ومنها الدون؛ فالعلم مثلاً أفضل من الجهل، والهدى خير من الضلال، والسعي لمعرفة الحقيقة خير من مقاومتها. إذن واجب البحث عن المعرفة وإعلائها يفرض الواجب بصفة عامة، والمثل الأعلى العلمي يفرض أن هناك مثلاً أعلى عاماً يجب أن ننشده جميعاً

كذلك حب الحقيقة، وعدم التحيز للهوى، والإخلاص، والصبر، والحمية في العمل؛ هذه صفات أخلاقية بدونها لا يتحقق عمل طيب علمي بل ولا علم أيضاً. العالم كالرجل الفاضل يستشعر سروراً عالياً روحياً؛ هو الرضاء بالواجب المؤدي بنبل، والحياة تقضى في شرف وأمانة. يقول الفيلسوف الفرنسي «إرنست رينان[(1)]» في كتابه مستقبل العلم: «المعرفة بين جميع الإنسانية أسماها قدراً، لأنها أكثر بعداً عن الهوى، واستقلالاً عن المسرات» ثم يضيف: «وإنه لمن العناء الذاهب سدى أن يدلل المرء على قداستها وسموها، لأنه لا ينكر ذلك إلا من لا يعترف لشيء بالسمو والقداسة»

والمؤرخ الفرنسي العلامة «أوجستين تييري» الذي عمي لإفراطه في أبحاثه الدقيقة التفصيلية يذكر في مقدمة كتابه: «عشر سنوات في دراسات تفصيلية» أنه لو خُيِّرَ في اختيار حياة له ثانية لما اختار إلا أن يكون أيضاً عالماً مؤرخاً؛ لأن الدراسة الجادة الهادئة مأمن وأمل وحرفة يلي المرء فيها حياته بشرف ... أعمى ومتألم بدون رجاء، وبدون راحة، يمكنني أن أتقدم بهذه الشهادة التي أعتقد أنها لن تكون موضع شك بحال؛ هي أنه يوجد شيء في العالم خير من الثروة وسائر المسرات المادية ومن الصحة أيضاً: هو الإخلاص للعلم[(1)] »

هكذا الدراسة العلمية وتحليل نفسيات العلماء، يكفيان لبيان أن الخير والشر، وهما موضوع الأخلاق، يلاحظان دائماً في كل البحوث والدراسات العلمية على اختلافها.

والآن نعود إلى التساؤل الذي صدرنا به هذا البحث؛ وهو إذا كان العلم — كما تبين — لا يعارض الأخلاق ولا يغني غناءها، بل يسير معها جنباً لجنب، هل لنا أن نسير في البحث خطوة أخرى لنعلم ما إذا كانت الآراء والحقائق الأخلاقية تبلغ من العموم حداً يجعلها حقائق علمية، فتكون الأخلاق علماً من العلوم؟ الأخلاق علم إذا كان هناك حقائق أخلاقية عامة؛ ولكن هل البحث الأخلاقي يكشف لنا حقائق أخلاقية عامة للجميع؟

جواب ذلك فيما يتبع هذا من بحوث إن شاء الله تعالى.

محمد يوسف موسى
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

(1) إرنست رينان عالم نقادة وفيلسوف فرنسي ومؤرخ معروف ولد سنة ١٨٢٣ وتوفي سنه ١٨٩٢

(1) F. Challaye: Philosophie scientifique et philosophie morale

من ذكريات لندن

غـــريب

للأستاذ عمر الدسوقي

ولّت شهور الصيف مسرعة وأذّن مؤذن الواجب والدرس فلبيت كما لبى رجال يرجون حسن الثواب، وغادرت فرنسا والجسم هزيل، والفؤاد عليل، والذاكرة تغص بصور من الحياة ذات ألوان. طفقت الباخرة تسير باسم الله مجريها ومرساها صوب « نيوهيفن » وما كادت تغادر المرفأ حتى هبت العاصفة، ففتّحت أبواب السماء بماء منهمر، وأعتم الجو، وزأرت الريح وزمجرت، وعبثت بالسفينة كما يعبث الوليد بخذروفه، وعادت لا تستقر على حال من القلق، يجور بها الملاح طوراً ويهتدى؛ تعلو فكأنها على قنة جبل، وتهبط فكأنها بين طيات الأخاديد، والأمواج تلطمها من غير شفقة ولا رحمة، وتدفعها بعنف ذات اليمين وذات اليسار وكأنها جبار يصب جام غضبه على صبى لا يملك لنفسه حولاً ولا طولاً، اللهم إلا البكاء والعويل؛ فكنت ترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكنهم من دوار البحر فى ألم مرير؛ وصراخ النساء يشق عنان السماء، ونحيب الأطفال يصدع الصخور الصماء؛ ولو كان للطبيعة الصاخبة قلب لرق ولان؛ وأنى لها وقد أطلقت لشياطينها العنان فأذاقونا العذاب الهون، أربع ساعات وكأنها أربعة قرون

وبعد لأى رست السفينة على الشاطئ الشمالى من بحر « المانش » وتنفست كما تنفس الناس الصعداء، ووطئت قدماى الأرض، وأخذت ألمسها بيدى لأرى أثابتة هى أم متحركة؛ ونجوت بعد ما يئست من النجاة، نجوت بعد أن كنت أصارع الداء والقيء، والدوار والإعصار. نجوت بعد أن هتفت باسم أهلى فرداً فرداً، والشقة بعيدة بيننا، وليث المنية فاغر فاه، والناس من حولى فى شغل لكل منهم شأن يغنيه

تحرك القطار صوب لندن، فأوجست منه فى بادئ الأمر خيفة، إذ كنت لا أزال حديث عهد بالسفينة القلقة، بيد أن الطمأنينة أخذت تتسرب إلى الفؤاد شيئاً فشيئاً حتى برحته الهواجس، وغادره الوجل

ها ... قد وصلنا إلى لندن!

لست غريباً عنك أيتها المدينة العظيمة! كنت آتيك من قبل زائراً، وهأنذا آتيك مستقيماً مستوطناً، فرحبى بالمهاجر الغريب، وابتسمى له، لعله ينسى عذاب الغربة، وقسوة البحر، وألم المرض. لن تضيقى به ذرعاً وهو فرد من تسعة ملايين، فأكرمى وفادته، واطردى وحشته، لعله يذكرك يوماً بالثناء، ويعرف لك هذه اليد البيضاء، وهو بين أهله وذويه

كنت أحدث نفسى بهذا، والسيارة تقلنى إلى بيت كنت أعرج إليه كلما مررت بلندن؛ ووقفت السيارة، وطرقت الباب فخرجت ربة البيت، ونظرت إلى فأنكرتنى. رأت جسماً هزيلاً قد أنهكته العلل، ووجهاً شاحباً قد لفحته الشمس فعادت سمرته مخيفة رهيبة، وسمعت لساناً متعلثماً ينبئ عن نفس مضطربة وفكر تعب، فجملقت وترددت فى الكلام ثم قالت:

— آسفة يا سيدى فكل غرف المنزل مشغولة

— ألا تعرفين بيتاً آخر أقضى فيه الليل، فأنا على ما ترين، أحوج ما أكون إلى الراحة

فأشارت إلى بيت جارتها، فحييتها وانصرفت شاكراً. ثم طرقت باب الجارة وسألتها فى أدب ولطف، فاعتذرت

وأخذت السيارة مرة ثانية تعدو بى فى شوارع لندن. وكلما رأيت فندقاً استوقفت السائق، وذهبت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى وأسأل فى تردد وهيبة عن غرفة شاغرة أقضى بها سواد الليل، وأريح جسمى المتهدم وعقلى المنهوك، وفى كل مرة أجاب بأن الفندق غاص بالزوار، وأعود أدراجى إلى السيارة لأواصل البحث ولسان حالى يقول: وافق حظاً من سعى بجد. بيد أن لندن لاحت حينذاك وكأنها صحراء مقفرة، أخب فيها بين رمال ونجاد وصخور ووهاد، أو كأنى بمدينة قد عفت وأتت عليها يد البلى والحدثان، أو كأنى لا أزال على ظهر السفينة أطلب النجاة بين الماء والسماء

آه يا لندن ... ! ما هكذا حسبتك، أحقاً لا يوجد فيك سرير لغريب يشكو المرض ويطلب الراحة، وأنت عروس

الإمبراطورية العظيمة وأكبر مدن العالم ؟

ليت شعرى ما للقوم كلما رأونى ازوروا عنى ورفضوا سؤلى ، بعضهم فى أدب وبعضهم فى خة ؟ وهل أقضى الليل هكذا أجوب الشوارع والطرقات ؟

أين مصر ؟ أين مصر ؟

وأخيراً تشجعت وطرقت باب أحد الفنادق ، فخرجت سيدة عوان ، ينم وجهها عن شىء من كرم النفس والأريحية ، فسألتها : أعندك غرفة شاغرة يا سيدتى ؟

— آسفة

— أنا كما ترين مريض متعب من سفر مضن شاق ، وقد قضيت وقتا غير قصير أبحث عن غرفة فلم أوفق ، فإذا كان عندك مكان آوى إليه كنتِ أهلاً لشكر عميم ، وأجر مضاعف

— آسفة يا سيدى

— لا بد من المبيت هنا مهما يكن الأمر

وأخرجت متاعى من السيارة ، ونقدت السائق أجره وقد أربى على الجنيه ، والسيدة تتعجب من تصرفى

— إسمحى لى يا سيدتى فلم أعد أقوى على مواصلة البحث

— ولكن ...

— ولكن ماذا ؟

— الفندق خاص بالإنجليز ولا نقبل فيه أجنبياً ولا سيما إذا كان أسمر البشرة

وهنا ثارت ثائرتى ، وللمصرى نفس عزيزة تأبى أن تهان ، وبه كبرياء تلهب نار غضبه إذا مست كرامته ، ولا سيما إذا كان ببلد غريب ، وقد سمعت مراراً بمعاملة الإنجليز لسمر الوجوه ، ولكنى لم أجرب هذه القسوة من قبل ، وكنت حين يجليني أصحاب الفنادق ألتمس العلل والمعاذير ، ولم يخطر ببالى قط أنهم يرفضون لأنى « رجل ملون » . أما وقد سمعت هذه الكلمات ، فلم يعد هناك ريب فى اكتناه السر الذى تحيرت فى كشف طلاسمه منذ ساعة ، وخاطبتها بصوت تنم نبراته عن ثورة نفسية عنيفة وكرامة مهانة

— إنك لا شك مخطئة ياسيدتى ، فأنا لست زنجياً ولا هندياً ، ولا نوبياً ولا حبشياً ، بل إنى مصرى ، تجرى فى عروق أنبل الدماء ، وحسبك أن تعرفى أننا من أرق الشعوب مدنية وحضارة قديماً وحديثاً ، ولن أقبل من مخلوق مهما تكن سطوته ومكانته ، أن يلحقنى بهؤلاء الذين ينظر إليهم بعين الازدراء والامتهان ، ويعدهم دونه فى الذكاء والمدنية . على أننى لست فى مقام جدال ، فسأقضى هنا ليلتى ، ولك أن تخبرى رجال الشرطة إذا شئت ، ولا سيما إذا كان عذرك هو ما سمعت

ولجت الباب دون أن ألتفت إليها ، وطلبت من الخادم أن تدخل متاعى ، ولحقتنى السيدة دهشة حيرى وقالت :

— مهلاً حتى أريك غرفتك ، وحذار أن تظن بى شراً ، فأنا براء من هذه العقيدة ، ولكنى أحرص على راحة عملائى ، ومنهم من يعارض أشد المعارضة لوجود رجل ملون بالفندق ، ويهدد بالرحيل ، وتشويه سمعة المنزل ، وأكثرهم فى ذلك لجاجاً وغلوا ضابط متقاعد ، رأى الشرق عن كثب ، ودأب على ذكر نقائصه ، وعورات أهله ، وأنهم ليسوا إلا همجاً لم يشرق عليهم نور المدينة بعد ، وأن سكناهم معنا مدعاة لتعكير صفو حياتنا وهنائها إذ لكل إنسان عادة لا يستريح إلا لها . أما أنا فمن أصل فرنسى ، وفى ديارنا لا يعيرون هذه الفروق الجنسية اهتماماً ، بيد أنى مضطرة لمجاراتهم ، ما دمت قد اخترت هذه البلاد موطناً لى ، واخترتهم عملاء لفندق ، فلعلك مقتنع بفكرتى . وحين أسمح لك بالمبيت ها هنا لا أرجو إلا شيئاً واحداً ، هو أن تتحاشى رؤية هذا الضابط ، وسأرسل إليك طعام الفطور بغرفتك .

— شكراً لك ياسيدتى ، غير أنك أثرت فى نفسى شعوراً ليس من السهل علىّ إهماله ، ألا وهو محادثة هذا الضابط .

— ليس إلى ذلك من سبيل .

— سنرى .

وانطلقت إلى غرفتى أشد ما أكون تعباً وإعياء ، ولم أكد أنتهى من خلع ثيابى ، والاستلقاء على السرير حتى أتت السيدة بكوب من اللبن ، وقالت فى رفق :

— إنك مريض ، ولعلك بحاجة إلى دواء ، فهل لى أن أقوم بأية خدمة ؟

— شكراً ياسيدتى ، فالدواء عندى ، وسأتناوله بعد هنيهة ، عمى مساء ، وسأراك غداً .

فكرت ملياً فيما رأيت وسمعت ، ثم غلبنى الإعياء فنمت ، وما إن لاحت تباشير الصباح حتى نهضت ، وأنا أحسن

من البارحة حالاً ، وأهدأ بالا ، غير أن النعرة القومية عاودتني ، فأذكرتني مأساة أمس ، وأن واجبي هو تبديد هـذه الأوهام والأباطيل من عقول هؤلاء المرضى بحمى الغطرسة والكبرياء ، وإقامة الدليل لهم على أن المصرى ، وإن تكن السياسة قد جارت فى حكمها عليه ، إلا أنه أبى ذكى ليس من اليسير أن يسكت عن ثأر فى ميدان الكرامة ، أو يصمت عيا فى ميدان الدفاع عن القومية . فلبيت نداء حسى وشعورى ، وارتديت ثيابى على عجل وأسرعت إلى غرفة الطعام ، والقوم لا يزالون نياماً ، وأخـذت ألهو بقراءة جريدة حتى مضى بعض الوقت ، فأخذوا يغدون ويجيون ، دهشين ، متعجبين ، وأنا أرد تحيتهم فى برود مصطنع يخفى تحته نفساً ثائرة على هذا الجهل بمنازل الناس وقيمهم ، وعلى هذا النفاق والرياء .

وأخيراً دخل الضابط ورد تحية الجلوس ، وأجال فى الغرفة نظره فلمحنى ، وظننت بادئ ذى بدء أن وجهه سيتجهم وأنه سيتمتم ويدمدم ، ويثور ويفور ، ولـكنه حيا ببرود وجلس ، فجلست تجاهه على الخوان ، وأخذنا نتناول طعام الفطور فى صمت ، وكأننا فى مأتم ، وهممت بالحديث مراراً غير أن الرهبة عقدت لسانى فلم أنبس ببنت شفة . وبعد لأى سنحت الفرصة ، فقدمت ربة الدار ، ووزعت على الجميع تحاياها وابتساماتها ، ولم تظهر امتعاضاً لوجودى بل سألتنى كيف قضيت ليلى ؟

— على خير يا سيدتى ، شكراً . إنى ليسرنى أن أتعرف بجندينا الذى ذكرته أمس ، فهل تتكرمين بتقديمى له ؟

— بكباشى سمث . صديقنا هذا من مصر ، وقد حدثته عنك أمس ، وأنك زرت بلاده ، وعرفت أهلها وحدثتنا طويلاً عنهم .

فأجاب الضابط فى فتور .

— هذا حسن ، وأومأ إلىَّ برأسه ، فقلت :

— إنى ليسرنى أن أتشرف بمعرفتك ياسيدى ، ولقد أنبئت أن لك رأياً خاصاً فى الشرق والشرقيين ، يحملك على الأنفة والترفع عن مخالطتهم ، ولو سمحت وبينت لى هـذا الرأى لـكنت لك من الشاكرين .

فألقى على ربة المنزل نظرة كلها تعنيف وتأنيب ، ولاح عليه بعض التردد ، غير أن بقية الزوار حثوه على الـكلام قائلين :

دعنا نسمع رأيك ، والرد عليه ، فطالما حدثتنا عن الشرق أحاديث تقشعر منها جلودنا ، ولم تجد بيننا من يدحض رأيك أو يعترضك ، وها قد سنحت الفرصة لمعرفة الحق .

فكرر ما قالته ربة البيت ليـلة أمس ، وزاد أن الشرق لا يصلح إلا وعنانه بيد الغرب ، وأن الشرقيين لم يخلقوا للمدنية الأوربية ، والأولى بهم الاستمساك بعاداتهم الهمجية ، وترك التقليد الأعمى ، وأما مسألة الترفع فذلك أن لـكل قوم عادة ، وليس توافق العادات بالأمر الهين ؛ ثم إن مركزنا الأدبى فى العالم يقتضى أن نترفع عن الشعوب الملونة ، ونشعرهم بمكانتنا التى لا تسامى حتى ندخل فى قلوبهم الروع والرهبة ، وحتى نعودهم الصغار والذلة . وتلك سياسة رجال الجيش البريطانى فى المستعمرات ، وإن لم نفعل ذلك تجرأ علينا الأهالى ؛ وذهب سلطان الحكم وجلاله .

— آه ! الآن عرفت الحقيقة ، إذاً لا يوجد هناك تفوق فى الذكاء كما لا يوجد تفوق فى ميدان الحضارة والاستعداد لتقبلها ، ولـكن المسألة استعمارية بحتة . إن كان الأمر كذلك ، فإنى أتنبأ لامبراطوريتكم بالزوال العاجل . إن هذا الترفع ، وهذه الـكبرياء تبعد بينكم وبين تفهم نفسيات الشعوب المحكومة ، وتجعلها دائماً تشعر بأنكم أجانب ، وتملأ قلوبهم قيحاً ، وتشحنها غيظاً ، وتحرك فى نفوسهم نار الثورة الهامدة ، فيهبون لطردكم والتنكيل بكم . لم لا تحتذون حذو العرب ، وقد أسسوا بنيان ملكهم على قواعد من المساواة والمحبة والإخاء ، ولذا تشرب المحكومون تعاليم دينهم ومدنيتهم وتعلموا لغتهم ، واندمجوا فيهم . لست هنا لأعطيك والحكومة البريطانية درساً فى فن الاستعمار ، ولـكن الاستعمار فى رأيى ورأى العقلاء ، ليس استعباداً ، اللهم إلا فى رأيكم أنتم .

— مرحى ، مرحى ! ! هكذا هتف بقية الزوار ، ما عدا الضابط الذى وجد فىَّ مجادلاً يكيل له صاعاً بصاع ويقرع الحجة بالحجة . ثم استأنفت الحديث منتهزاً فرصة صمته :

— يخيل إلىَّ أنك لم تعرف المصريين حق المعرفة ، وإلا كان حكمك عليهم غير ما سمعت ، ليست القضية ياصديقى ، قضية تفرقة فى الألوان ، فها هى ذى اليابان قد بزتكم فى ميدان الصناعة وغزت دياركم بمنتجاتها ومخترعاتها ، ولولا عهد الأتراك بمصر ، ولولا تدخلكم فى شئوننا ، لـكنا اليوم أمة لهـا فى ميدان العلم والنور

وِرْد المســـاء

مهداة إلى أستاذى الدكتور عبد الوهاب عزام

للأديب محمد أحمد البنا

انطوت صحيفة النهار ، وآب العالم من رحلته فى اليوم الجديد ، ورست السفينة على شاطئ بحر الحياة . ولم يبق من الأصيل إلا العسجد المنثور على أطراف النخيل وعلى أمواج النيل

وعاد العاملون إلى مساكنهم ، والطيور إلى وكناتها . وسبح لله ما فى السموات والأرض

ثم استقرت الأكوان . وخشعت الأصوات للرحمن . وكأنها تتناجى فى حمد خالقها وشكر بارئها ببلاغة الصمت فى لسان الحال . بعد بلاغة الإفصاح بلسان المقال

***

إلٰهى : سبحانك يا من جعلت الليل سكناً ، والمساء وطناً لترد إلى المتفرقين ألفتهم ، وإلى المتعبين المكدودين راحتهم ، ليهنئوا بالمنام ، ويأنسوا فى دولة الأحلام

إلٰهى : سبحانك يا من جعلت الليل لباساً والنهار معاشاً . كما خلقت الأرض مهاداً رحيباً والسماء سقفاً مرفوعاً

ربّنا : عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير

إلٰهى : لقد بكرنا إلى الكفاح مع الصباح المقبل فى نور رحمتك ، ثم عدنا فى ظل سكينتك مترنمين بشكرك ، ونحن بنعمائك آمنون ، وعلى جانبك القوىّ متوكلون

أسلمنا الجنوب إلى المضاجع ، والجفون إلى وساد الكرى على أمانٍ من عينك الساهرة ، واطمئنان من رعايتك الوافرة

إلٰهى : لئن أثقلتنا الأوزار ، وأنقضت ظهورنا الخطايا ، وتنازعت قلوبنا المعارك الدامية من حرب الحياة القائمة ، وصراعها الدائم ؛ فإن لنا من بِرّك مرجعاً ، ومن الرجاء فيك موئلاً ، ومن رضوانك مستقراً ومقاماً

إلٰهى : إن لك علينا من الآلاء ما لو كان كل نفس من أنفاسنا كلمة حمد وآية شكرٍ لك على عظيم آلائك وجزيل عطائك ما كنا نوفيك بذلك كله حقك فتقبل منا إنك أنت الوهاب

إلٰهى : وآمن روعنا وأمّن سربنا وارزقنا فى الضعف قوة ، وفى الخوف أمناً ، وامنحنا من لدنك نوراً يهدى ضمائرنا ، ويرشد حائرنا ، ويؤلف على الحق مشاعرنا

لك يا إلٰهى أولنا وآخرنا ، وباطننا وظاهرنا . لا تخفى عليك خافية من أمرنا ، فمنك خلقنا وإمدادنا ، وإليك مردّنا ومآبنا . فامنحنا القوة لليوم الجديد ، واحينا فيه على خير ما تحب لنا وترضاه منا ، وهب لنا من لدنك رحمة . وهيئ لنا من أمرنا رشداً

محمد أحمد البنا
بكلية الآداب

شأن رفيع . على أننا لم نيأس بعد ، وسوف تسمع اسم مصر يكتب فى سجل الخلود بماء من ذهب ونور . ثق تماماً أن المصرى يفوقك فى الذكاء ، وتفوقه فى القوة المادية ، أما « اللون » فكلنا من آدم ، وآدم من تراب ، وكتبكم المقدسة على ما أقول شهيد . لست أريد إقناعك ، ولكنى أرضى كرامتى ، وعزة نفسى ، وأعطيك درساً فى احترام غيرك مهما يكن جنسه ولونه ، حتى تخبره ، وتعرف خلاله وتفكيره ، والآن اسمحوا لى سادتى بالانصراف وأشكركم على كرم وفادتكم

غادرت المنزل واستوقفت سيارة ووضعت بها متاعى ، وأخذت أبحث مرة أخرى عن مسكن أقيم فيه وأتفرغ للجهاد فى سبيل العلم

آه يا لندن ... لقد جرعتنى نُغَب الهمام أنفاساً ، وأريتنى ليلة أمس وجهاً عبوساً متجهماً ، وأعطيتنى درساً لا ينسى . أهكذا يفعل أهلك بالغريب ؟

سلوا قراه وهرّته كلابهم وجرّحوه بأنيابٍ وأضراس

محمد الدسوقى

التاريخ فى سير أبطاله

محمد شريف باشـا

للاستاذ محمود الخفيف

كان شريف فى عصره رجلا اجتمعت فيه الرجال وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال ...

— ١ —



تحت هذا العنوان نضع اسم شريف ، وفى هـذا المجال نأتى بقبس من سيرته ؛ ومن أولى من شريف أن يتبوأ بين الأبطال مكاناً عليًّا ، إذا نحن ذكرنا رجال حركتنا القومية ؟

ولئن كانت جهود شريف لم يفد منها غير وطنه ، ولئن لم يدو اسمه فى آفاق العالم كما دوت أسماء غيره من الأبطال ، فكثير سواه كانوا فى ذلك مثله ، خطورتهم فى أوطانهم فحسب ، ومع ذلك فلم ينكر عليهم بطولتهم إلا ظالم أو ذو غرض ... وما البطولة فى جوهرها إلا أن يسمو الرجل على الحوادث ويقهرها إن غالبته، وأن يسخرها ويوجهها إن سالمته ، فإن لم يتسن له هذا ولا ذاك كان فى كفاحه ومقاومته وتعاليه عن أن يذل أو يذعن دليل رجولته ومقياس بطولته . وما كانت الشهرة من دلائل العظمة أو من بواعثها ؛ فلكم تشهد الحياة من رجال يحسبهم الغافل من أوزاع الناس وإن لهم لنفوساً تنطوى على عناصر البطولة كأكمل ما تكون البطولة ...

ولقد كان شريف عظيماً بنفسه قبل أن يكون عظيماً بمنصبه. كان رجلاً فى عصر عزت فيه الرجولة وتطامنت فيه أقدار الرجال إما من شر يتقونه أو خير يرجونه ... ولذا يعتبر شريف بحق خالق جيل وباعث نهضة ، فهو فى عصره كان الرجل الذى اجتمعت فيه الرجال ، وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال ...

وكان شريف تركى العنصر ما فى ذلك شك ، ولكنه لم يعرف له وطناً غير مصر ولا قوماً غير بنى مصر . ولما بلغ أشده كان من رجال هذا الوادى فى طليعة العاملين منهم والمجاهدين ؛ يتلفت الرجال إذا حزبهم أمر أو أخذتهم حيرة فلا تستقر أعينهم إلا على شريف، ولن يتقدم لنصرتهم فى مواطن الخطر والشدة غيره

تم الأمر فى مصر لمحمد على ، ذلك العصامى الفذ ، وأثخنت جنوده فى صحارى العرب وفى مطارح السودان ، وتهيأت مصر لأن تستقبل على يد هذا البطل عصراً من عصور يقطبها كان الجيش فيه المحور الذى تدور عليه نهضتها . وفى صدر هذا العصر الفتى ولد محمد شريف ، فكان مولده بالقاهرة فى شهر نوفمبر من سنة ١٨٢٦

وحمله أبوه، وقد انقضت مدة خدمته بمصر معه إلى الآستانة . وكان هذا الأب فى مصر قاضى قضاتها ، ولكنه لم يلبث بالآستانة إلا بضع سنين ثم اختير للحجاز ، فمر بمصر ومعه ابنه ؛ ووقعت عينا واليها على الغلام ، وكانت عينا الوالى تلمحان النجابة فى سرعة عجيبة ، ولذلك طلب إلى أبيه أن يبقيه عنـده ليقوم على تربيته . وكان محمد على يومئذ فى ذروة مجده تهدد جيوشه عرش الخلافة وتحمل على الإعجاب به فرنسا، وعلى الحنق عليه انجلترة ؛ وكان همه منصرفاً إلى الجيش ، فإذا بنى الرجال وأعدهم ، فإنما يكون ذلك ليتخذ منهم دعائم جيشه

وبقى الغلام فى القاهرة وأدخل المدرسة العسكرية التى أنشأها الوالى بالخانكة ، فيمن أدخل من أبناء الأمراء ووجوه القوم؛ ومن ذلك الحين صارت مصر وطن شريف الذى لا يعرف له وطناً سواه

وهكذا نشأ شريف نشأة عسكرية ؛ ولكن جيش مصر ما فتئت انجلترة تعمل على القضاء عليه حتى تم لها ما أرادت ،

ولما يزل شريف فى سن اليفاعة ؛ واستطاع بالمرستون أكبر الكائدين لمحمد على أن يرغم الباشا عام ١٨٤١ على « أن ينكمش فى قوقعته الأصلية فى مصر » . وجاء فى فرمان السلطان فى تلك السنة للباشا المغلوب على أمره أنه « يكفى أن يكون لمصر ثمانية عشر ألف نفر من الجند للمحافظة فى داخلية مصر ولا يجوز أن تتعدوا هذا العدد لأى سبب ما . . . » وأذعن الباشا ولم تغنه صلته بفرنسا ومظاهرتها إياه ؛ فما كانت انجلترة لتسمح بظهور مثل قوته فى مصر وهى التى جعلت أساس سياستها منذ الحملة الفرنسية ألا يقوم فى وادى النيل نابليون آخر

وكان الأجدر بالشباب بعد هذا أن يتجهوا وجهة غير وجهتهم العسكرية . لقد أوفدت الحكومة فريقاً منهم إلى فرنسا فى عام ١٨٤٤ ، وكان من هذا الفريق محمد شريف ، فاختار أن يدخل مدرسة سان سير الحربية

كانت هذه المدرسة التى التحق بها شريف من أشهر المدارس يومئذ ؛ وإن فى اختياره المدرسة الحربية فى تلك الظروف لدليلاً على أن الجندية كانت توائم طبعه ، ففى الجندية الصحيحة حياة الإقدام والهمة والنظام والطاعة ، وتلك صفات امتاز بها شريف رجل السياسة فيما ظهر من أعماله بعد

قضى شريف فى تلك المدرسة عامين تجلى فيهما ذكاؤه وطموحه ، ثم انتقل بعد ذلك إلى مدرسة تطبيق العلوم العسكرية ، فلبث بها عامين آخرين انتظم بعدهما فى سلك الجيش الفرنسى كما تقضى قوانين تلك المدرسة ليأخذ قسطه من المران العملى ؛ ثم تخرج شريف ونال رتبة يوزباشى أركان حرب فى ذلك الجيش

ولم تله شريفاً شؤون فنه عن غيره من الفنون ، فراح يقرأ التاريخ والسياسة ، ولا يفتأ يستزيد من المعرفة ، مستعيناً فى ذلك ببصيرة نيرة كانت من أظهر مواهبه ، وعزيمة صادقة كانت فى مقدمة خلاله ؛ وأتقن شريف الفرنسية وحذقها حتى لقد كان يعجل بها لسانه كأنه أحد أبنائها ، كما درس شريف طباع الفرنسيين ووعى قلبه ظرفهم وأناقتهم ، حتى صار بينهم وهو ذلك الفتى الشرقى وكأنه منهم ، ولذلك لقب « بالفرنساوى » وصار يجرى لقبه هذا على ألسنة معاصريه .. وليس معنى ذلك أن شريفاً قد جعل بينه وبين قومه سداً بما تعود من عادات الفرنسيين ، فما كان مثله بالمتكلف ، ولقد كان له من أصالته واعتداده بنفسه ما يربأ به عن ذلك العيب ، وإلا فكيف أصبح حين عاد إلى وطنه أشد الرجال مقاومة للنفوذ الأجنبى ؟

وولى أمر مصر عباس باشا الأول فأعاد أعضاء البعثات العلمية من الخارج ، فعاد شريف فيمن عادوا عام ١٨٤٩ م . ولقد نستطيع أن نتصور ما تركته حال مصر يومئذ من أثر فى نفس هذا الفتى الطموح ، فلقد تعلم وتأهب ليعود فيجد المدارس تغلق أبوابها ، والجيش يهلك عنه سلطانه بعد أن انهدت أركانه ؛ ويجد مصر وقد ذلت بعد عزة ، يبدو عليها مثل ما يبدو على ذى القوة والبأس وقد جرد من حسامه ، وعاهلها ناقم على العصر ومظاهر العصر ، ونافر من الأجانب وما يأتون به مما كان يعده من أنواع الغرور والبهتان

ضاقت مصر عن همة شريف وعن علم شريف ولكن أين يذهب وليس له غير مصر ؟ وإذاً فليرض بأن يأخذ فى الجيش المصرى نفس الرتبة التى أخذها فى الجيش الفرنسى فليس من هذا الرضاء بد . ولئن كان جيش مصر لا يعمل فربما أتت الأيام بما ليس يجرى فى بال أحد ، فينصرف شريف من ميدان إلى ميدان إلا يكن فيه قتال فليس يخلو من نضال ...

وفى مصر اتصل شريف بسليمان باشا الفرنساوى ، وأعجب به القائد الكبير وأخلص له الود والمحبة ... ألا ليت هذا اللقاء كان أيام نصيبين وكوتاهية ، وإذاً لرأى التاريخ ماذا كان عسيا أن يأتيه شريف الجندى فى ميادين البطولة والتضحية ، ولكنه كان فى تلك الأيام لا يزال طالباً يتطلع ويأمل

ولن يزال سليمان يوليه من عطفه وتأييده ، ثم يلحقه بحاشيته الحربية فى منصب (الياوران) ؛ ويظل هذا عمله فلا يخوض معركة ولا يرسم خطة ؛ وعباس فى شغل عن الجيش لأنه فى غنى عنه ، ولكنه يضيق بما هو فيه ولا يطيق صبراً على إغفال عباس له وإن لم يقصد عباس هذا الإغفال ، فيعتزل الجندية التى لم يكن له منها غير اسمها ، ويكون هذا الاعتزال من جانب شريف أولى خطواته فى الدفاع عن كرامته ، ولسوف تكون له بعدها خطوات لن يخطوها إلا ذو عزة وذو نخوة ...

ويلتحق شريف بدائرة الأمير عبد الحليم ردحاً من الزمن يشرف على أعمالها بما اشتهر به من فطنة وبعد همة . ولقد كان الأمير وهو نجل محمد على من أقرانه فى البعثة ، فألان له جانبه وزاد فى إكرامه وإعزازه ... وشريف يقبل حياة الدعة على رغمه ، ففى طبعه ميل إلى النضال والكفاح ، وفى خلقه اعتداد يشبه الزهو ، بل لقد كان يبلغ به الذهاب بنفسه أحياناً حد الصلف ، وتلك خلة لا يسعنا إلا أن نعدها على شريف مهما تكن بواعثها

وأخذ سعيد الولاية بعد موت عباس ، وكان لسعيد ولع بالجيش ،

وإن لم تكن به حاجة إليه ، وحمله حبه للجيش على أن يشهد تدريبه بنفسه ثم بسط له يده كل البسط ، فألبسه أحسن اللباس وأطعمه أجود الطعام ، ومد له أسباب الترف والنعيم ، حتى لقد كانت تقاس كفاية ذلك الجيش عنده بحسن مظهره ووجاهة رجاله ... وكان شريف وجيه الطلعة جم الأناقة فضلاً عما كان يتحلى به من صفات الجندية ؛ لذلك جعله سعيد من المقربين ، ورقاه إلى رتبة (أمير ألاى) ، ثم ما لبث أن رفعه إلى رتبة (لواء) ووضعه على رأس الحرس الخصوصي؛ وهكذا يعود شريف إلى الحياة العسكرية إن جاز لنا أن نسمى حياة كهذه حياة عسكرية ...

وازدادت عرى المودة توثقاً بينه وبين سليمان باشا فزوجه من ابنته ، وفرح شريف بما ساقه القدر إليه من حظ عظيم ، وكان اسمه قد أخذ ينتشر بين معاصريه من البعداء عن الحاشية ووجوه القوم ، وعرف الناس يومئذ عنه النزاهة والاستقامة ، وأعجب من تسنى لهم رؤيته بما كان يبعثه مرآه فى القلوب من هيبة وبما كان يشيعه فى النفوس من حب ... والحق لقد كان شريف على جانب عظيم من قوة الشخصية ، شهد له بذلك الأجانب والوطنيون على السواء

وبدا لسعيد فمال به من الجندية إلى السياسة بعد أن وصل فى الجندية إلى رتبة الفريق ، وكان هذا التحول بدء مرحلة جديدة فى تاريخ حياته ، مرحلة حافلة بجلائل الأعمال سلكت شريفا فى عداد الأبطال ؛ بل لقد كان هذا التحول بدء مرحلة جديدة فى تاريخ مصر ؛ ولا غرو ، فلقد عظم فيها خطر شريف حتى صار تاريخه تاريخ مصر فى طور من أطوارها ، وتلك منزلة لم يبلغها إلا أفذاذ الرجال ، أولئك النفر الذين يتوقف مصير عصرهم على ما يعملون ، أو الذين تجد فيهم الحوادث أدواتها الحية إذا ما تمخضت تلك الحوادث عن ثورات وراحت كل ثورة تبحث عن رجلها حتى تهتدى إليه فتستقر فى رأسه وفى جنانه .. وأى دليل على العظمة أقوى من أن يكون تاريخ الرجل هو تاريخ عصر من عصور وطنه ؟ على هذا الأساس قامت عظمة سعد فى مصر الحديثة ، وعظمة لنكولن فى أمريكا ، وبسمارك فى ألمانيا ، وفردريك الأكبر فى بروسيا ، وبطرس فى الروسيا . وغيرهؤلاء من الرجال فيما سلف من العصور وفيما اختلف من الأمم ...

اختار سعيد شريفا ناظرا للخارجية ، وهنا أخذت مواهب ذلك الجندى تظهر فى السياسة فتبهر ، وما لبث أن وجد شريف سبيله إلى قلوب من اتصلوا به فحمل أنصاره على محبته ، وحمل خصومه وحاسديه على إكباره وإن لم يريدوا ، وتهيأ لمصر فى شخصه الرجل الذى لم تكن لها مندوحة عنه فيما هى مقبلة عليه من عظائم الأمور ... « يتبع »

الخفيف

استطلاع صحفى (ريبورتاج)*

٢٠ سنة فى مكافحة البلهارسيا

مرض تضخم الطحال

فى مصر علماء وأطباء يفنون جهودهم سنين طويلة على تحقيق نظرية أو اكتشاف ظاهرة . وهذه قصة طبيب سلخ عشرين عاما من حياته ليخفف عن الفلاح آلام المرض ويقى الأمة عوامل الضعف والانحلال

وهم يعيشون للناس أكثر مما يعيشون لأنفسهم حتى ليفضلون ملازمة مريض أو الاشتغال فى معمل على الظهور فى المجتمعات. ولذلك رأينا أن نتصل بهذه الفئة من الباحثين فنكشف عن جهودهم ونطلع الناس على أخبارهم لعلنا نوفى العاملين قدرهم .

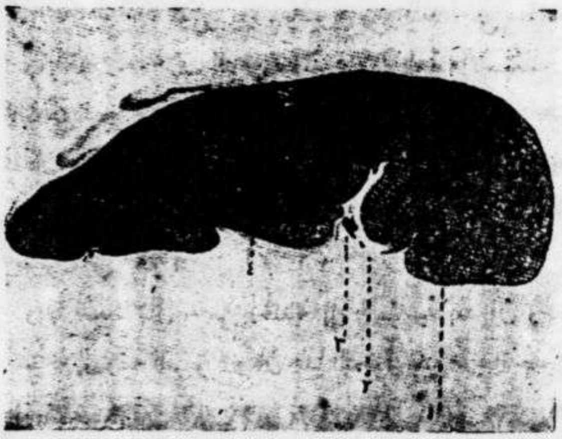
فى الوجه البحرى حيث تكثر المستنقعات ، وحيث وسائل صرف المياه مازالت على أسوأ طرقها تنتشر البلهارسيا بين الفلاحين فتنزف دماءهم ، ولا تقف عند هذا الحد بل تسبب لهم مرض تضخم الطحال فتكبر بطون الرجال والسيدات وما هم بحبالى ، إذ يحمل مرضاهم طحالاً متضخما يزيد وزنه على وزن طفل فى ستة أشهر . فيبلغ وزن الطحال خمسة كيلو جرامات مع أن وزنه العادى يتراوح بين ١٧٠ و ٢٠٠ جرام تقريباً أى أن المريض يحمل ما زنته خمسة وعشرون طحالا

ظل هذا المرض معضلة الطب المصرى حتى سنة ١٩٢٩ إذ تمكن الدكتور أنيس أنسى بك مدير معامل الصحة من اكتشاف سببه ، ثم قدم بحثه للهيئات الطبية العالمية فنال موافقتها ، وأخيراً سجله فى « بورصة الأبحاث الطبية » الجمعية الملكية البريطانية لطب المناطق الحارة فى ٢٥ ابريل الماضى

ويتضخم الطحال لأسباب عدة ، منها الإصابة بحمى الملاريا أو بالتغيرات اللمفاوية العامة ؛ وفى هذه الحالات يسهل تشخيص الداء بالطرق الفنية والميكرسكوبية كفحص الدم مثلاً ، إلا أنه فى حالة الإصابة بالبلهارسيا تضيع كل الدلائل ولا يظهر بالطحال أى خلل أو عيب ، فيرى الطبيب أن مريضه سليم الجسم ، وأن كل عضو يؤدى وظيفته بانتظام إذا استثنينا كبر الطحال مما يضنى الجسم ويرهق العضلات فلا يجد الطبيب مفراً من استئصاله ليخلص المريض المسكين من حمله الثقيل ، ولا يخفى ما يتعرض له المريض من المضاعفات الخطيرة أثناء إجراء عملية كبيرة كهذه . أضف إلى ما يصيب الجسم من عوارض سيئة تنتاب الحيوان والإنسان بعد مضى وقت من استئصال مثل هذا العضو المهم

أهمية الطحال

والطحال هو « بوليس » الجسم لأنه ينقى الدم من الأجسام الغريبة ويقتل الميكروبات الضارة ، فهو مخزن كرات الدم البيضاء والخلايا الأكولة ، وهو يمد الجسم بالعناصر الدفاعية العديدة التى ما زال منشؤها غامضاً على الطب . فاستئصال الطحال إذن يعرض حياة الشخص للأمراض المختلفة ، ويجعل حياته قصيرة الأجل إذ يفقد الجسم القدرة على مقاومة الأمراض



طحال مصرى عند بدء إصابته بالمرض ووزنه ٣٧٥ جم (١) الب الأحمر وبه أجسام غريبة (٢) محفظة الطحال (٣) سرة الطحال (٤) أنزفة منتشرة من تاثير إصابته بالبويضات

وعز على الأطباء أن يقفوا حيارى أمام تلك المعضلة التى اختصت بها مصر من دون بلاد العالم . وأثار فضولهم أن يروا مرضاً خطيراً لا يدركون من أمره شيئاً ، بل إن كل ظواهره هى ظواهر الحالة العادية للطحال فلا يوجد به علامات تسبب ذلك التضخم

تضاربت الظنون والفروض ، وقدر الأطباء ما شاءت لهم نظرياتهم ثم أخرجوا فروضهم إلى حيز العمل ولكن المرض ظل على حاله . وزاد حيرة الباحثين كثرة المرض وظهوره الفجائى ، ففى كل عشر إصابات بالتضخم أمكن الطبيب أن يعرف سبب ثلاث حالات أو أربع ويعزوها إلى حمى الملاريا أو الكلازار أو الأورام وفى باقى الحالات كان يقف أمام سر مغلق

وازدادت حيرة الأطباء عند ما لاحظوا ظهور التضخم فجأة ، إذ كان المرضى يؤكدون أنهم كانوا بصحة جيدة منذ شهور قليلة مع أن حالات التضخم التى يعرفها الطب يحتاج إلى سنوات .

(*) الرسالة : آثرنا كلمة (استطلاع) فى ترجمة (ريبورتاج) على كلمة استخبار ليكون هناك فرق بين المستخبر الباحث والمستخبر الناقل

وكذلك لاحظ الأطباء أن أكثر حالات التضخم المجهولة كانت كثيرة فى الوجه البحرى فتبلغ نسبتها ٣٠ إلى ١ فى الوجه القبلى. وعندئذ جزم الدكتور أنيس بأن « هناك حالة مرض مصرى عضال غير معروف سببها، كثيرة الانتشار فى مصر السفلى »



قطاع فى طحال متضخم نتيجة عدوى بالبلهارسيا ويلاحظ أن جدره غليظة كما تظهر فيه عدة أنزفة منتشرة منه

الحلقة المفقودة

بدأ الدكتور أبحاثه فى سنة ١٩٠٨ وكان وقتئذ مساعد أستاذ فى القصر العينى حيث راقب حالات التضخم وحاول أن يعالجها. ولكنه لاحظ أن كل الحالات التى ترد إلى المستشفى حالات مزمنة وصل فيها تضخم الطحال إلى حد أرغم المريض على الرقاد فأيقن أن إحدى حلقات المرض مفقودة ولم يطلع عليها الطب. وبعد تفكير طويل تيقن بأن هذه الحلقة المفقودة هى بدء المرض أو حالاته الحادة

فإن فلاحينا من الفقر لا يستسلمون للمرض إلا إذا ثقلت وطأته على أجسامهم فلم تحتمل شدته. فإذا أضفنا إلى هـذا أن وظيفة الطحال هى الفتك بالميكروبات والأجسام الغريبة ثم التهامها سهل على الطبيب أن يستنتج أن ميكروب المرض من الضعف بحيث يفتك به الطحال أولاً بأول. واحتاج هذا الفرض العلمى إلى تحقيق يتناول المرض فى حالاته الحادة أو الحديثة التى لا يهتم بأمرها الفلاح. وعندئذ ظهرت مهمة الطبيب شاقة، لأن هذه الحالات ليست فى المستشفى ولا عنـد الأطباء، بل هى هناك فى القرى وداخل الأكواخ

وذهب الدكتور أنيس فى طلب الفلاحين، فزار مرضاهم فى بيوتهم وما كاد يبدأ بحثه حتى اشتد عجبه إذ وجد ٨٠ فى المائة من شبان الفلاحين وأطفالهم مصابين بهذا المرض العجيب ولكن تباشير النجاح أيضاً بدت. فها هى ذى ظواهر ديدان البلهارسيا. وهاهو ذا أثر الصراع بين محتويات الطحال وبين تلك البويضات.

فهل ديدان البلهارسيا هى السبب؟

لنجيب على هذا السؤال بنعم يجب أن نجد بويضة البلهارسيا نفسها. وهذه إن وجدت فلن يسهل العثور عليها إلا فى طحال الأطفال أو فى حالات المرض الأولى أو الحادة. فإن طحال الطفل أضعف من أن يهضم هذه الدودة الخطيرة وبويضتها؛ وبهذا وضع الدكتور يده على مفتاح المرض وبقى عليه أن يكشفه فيصور البويضة فى الطحال كما يجب عليـه أن يلقح الطحال بديدان البلهارسيا ويرى النتيجة

واستحضر لذلك قردة خاصة عرفت باصابتها بهذا النوع من المرض وهى تجلب من جزر الهند الغربيـة. وأجرى تجاربه مدة طويلة احتاج أثناءها إلى أكثر من ٢٠٠ قرد. واستعان بالأرانب فكان له منها ضحايا فى كل يوم



بويضة البلهارسيا فى الطحال وتبين (٥) قشرة البيضة (٦). جزءاً ذائبا فى القشرة وترى جزء صغير من الجنين حالة اتصاله بخلايا الطحال خارج القشرة حيث تفتك خلايا الطحال الأكولة بجنين البلهارسيا وتبين (٨) إحدى الخلايا الأكولة العائمة

معركة حربية

ونجحت التجارب فثبت الفرض. ويقول الدكتور فى تعليل تضخم الطحال « إنه عندما تغزو بويضات البلهارسيا لب الطحال تحدث به التهابا حادا سريعا تعقبه على عجل استعدادات وترتيبات لازمة تبتدىء بعملية التجاذب بين مواد الطحال والجسم الغريب

ثم بتعادل وتخفيف المواد السامة القابلة للذوبان . وتعقب ذلك عملية الهضم التى تقوم بها الخلايا الأكولة المتحركة التى تقطن اللب الأحمر »

وتتحفز تلك الخلايا للقيام بعمل سريع ؛ فتتجمع حول البويضات النازحة فى صفوف متراصة مكونه بذلك خطوط الدفاع التى تعقبها على عجل عملية التخاثر لتوقف فعل المواد الغريبة السامة التى تفرزها البويضات فى تلك الدائرة الضيقة . ثم تهجم الخلايا الأكولة على غلاف البويضات فتذيبه إلى مادتها فتلتهمها وإلى ما تخلف بعد ذلك فتبتلعه فتقى الجسم شر تلك السموم »

فاذا تمت هذه العملية التصقت كل خلية بجارتها مكونة سدا منيعا يحول دون تسرب أية مادة سامة إلى النسيج السليم ثم تبتدىء (الخلايا) فى توالدها وتكاثرها فتتحول إلى خلايا ذات نواة كثيرة Siant Bell . وهكذا يكبر الطحال تبعا لتوالد الخلايا وتكاثرها أثناء صراعها مع ديدان البلهارسيا وبويضاتها »

مرض متوطن

وأيد الطبيب فى إثبات رأيه ما رآه من انتشار قواقع البلهارسيا فى الوجه البحرى، فإن انخفاض ذلك الإقليم ورداءة طرق الصرف فيه جعلته موطن المياه الراكدة وبالتالى معمل تفريخ الميكروبات والديدان وأهمها البلهارسيا والإنكلستوما .

« ويعتبر مرض تضخم الطحال متوطناً فى كل بقاع مصر، وينتشر بكثرة كما تشتد عوارضه وتكثر مضاعفاته بالمناطق المنخفضة فى شمال الدلتا حيث تكثر المصارف والترع ويكثر تبعاً لها توالد القواقع طول فصول السنة بخلاف ما نشاهده فى الوجه القبلى حيث رى الحياض ما زال باقياً فتقل بذلك نسبة العدوى قليلا . وبالرغم من وفرة وجود القواقع أثناء الفيضان فإنها لا تلبث أن تموت متى جفت الأرض وانخفض مستوى الماء »

وتظهر الأعراض المبدئية للمرض عقب العدوى بالسركاريا وتظهر مصحوبة بتوعك المزاج وباضطرابات فى الجهاز البولى والجهاز المعوى وتظهر البويضات فى البول والبراز ويصل تضخم الطحال فى هذا الدور إلى أسفل الضلوع بنحو قيراطين . وينشأ نتيجة تفاعلات بلب الطحال أحدثتها إصابته حديثاً ببويضات البلهارسيا

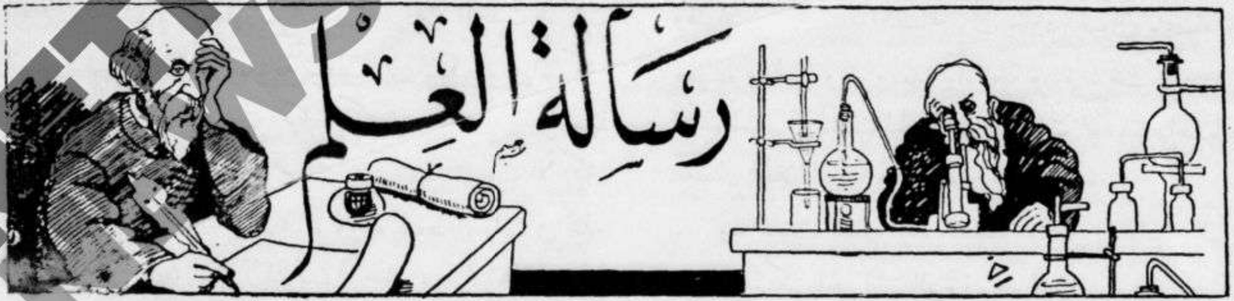
فإذا كانت البويضات قليلة وأتيح للمريض فرصة العلاج تمكن نسيج الطحال الزاخر بخلاياه الأكولة من هضمها وإزالتها فتزول عوارض المرض . أما إذا استمر تعرض الإنسان للعدوى فإن الطحال يتضخم بتكاثر خلاياه بجميع أنواعها حتى تصل إلى سرة البطن ، أو يمتد إلى حافة الحوض ، ويستمر على هذه الزيادة حتى تتاح للمريض فرصة العلاج أو ينتقل إلى مكان لا توجد به قواقع . فيضمر الطحال ويصاب بتليف عام ، وتضخم فى محفظته وعوارضه ، وتتحول الألياف المرنة إلى نسيج ضام ، ولكن الخلايا السليمة منه تستمر على أداء عملها بالدفاع عن الجسم من غزو الأمراض والحميات وغيرها



طحال مصري متضخم وزنه ٤ كيلو جرام وطوله ٣٨ سم وعرضه ١٨ سم أى أنه أضخم من أى طفل

ويحافظ الطحال على هذا الحجم رغم انتهاء دور الإصابة ، وخلو البول والبراز من بويضات البلهارسيا ، وفى هذه الحالة يلقب بالطحال المتوطن ، ومن هذا يتبين أن تضخم الطحال يمكن أن يزول فى حالات المرض الأولى . أما إذا أزمن وطالت مدته ونشأ التليف بين أنسجته وخلاياه فإن تضخمه يلازم المريض ، وقد ينقص حجمه قليلا بالعلاج أو بالانتقال من مراكز العدوى ولكنه لا يعود إلى حجمه الطبيعى

فوزى حميد الشتوى



أهمية نظرية التطور

نظرية التطـــور
وقصة الخليقة
للأستاذ عصام الدين حفنى ناصف

كان الناس فيما مضى يجهلون معظم القوانين الطبيعية التى تسود الكون وتحكمه ، فكان المفكرون منهم يتساءلون : لم هذا اللباس من الشعر غير الكثيف يغطى جسمنا ؟ لم يشبه القط النمر ؟ لم كان الزنجى أسود اللون والصينى أصفره ؟ لم كان الأوربى متحضراً والإفريقى غير متحضر ؟ لم كان عدد صنوف الحيوانات عديداً بهذا القدر ؟ لم نعثر فى أعماق الأرض على عظام أسماك متحجرة ؟ ولم يكن هناك من يستطيع الإجابة على هذه الأسئلة وأمثالها ، وذلك لأن فكرة واحدة لم تكن قد نفذت إلى رؤوسهم ، وهى : أن الأرض قد نمت هى وما عليها فى مدى مئات الملايين من السنين حتى بلغت ما تبلغه الآن ، وقد وصلت الكائنات إلى أشكالها الحالية ببطء شديد وبالتدريج ، ومرت خلال ذاك على أشكال عديدة سابقة لهذه ، فهى قد «تطورت»

تقول نظرية التطور : إن جميع الكائنات الحية الباقية والمنقرضة قد تطورت إلى أشكالها الأخيرة من أصل واحد أو بضعة أصول ، فهى إذن يتصل كل منها بالآخر برباط القرابة

وقد كثرت الأدلة العلمية على صحة هذه النظرية حتى «انتقلت» كما يقول أوسبورن « من نطاق الفروض والنظريات إلى نطاق القوانين الطبيعية » ولذلك فإن « خصومها » كما يقول بلاته « مضطرون إلى مكافحتها ببراهين وحجج من غير التاريخ الطبيعى » وليست أهمية هذه النظرية بقاصرة على كونها ضرباً من العلم والفلسفة فقد أثرت تأثيراً كبيراً على علوم مختلفة كعلم الحفريات والتشريح المقارن والأجنة والاستيطان ووظائف الأعضاء والأمراض وتاريخ الإنسان والاجتماع والنفس والفلسفة .

وللنظرية عدا ما تقدم أهمية بالغة من الناحية العملية ، ذلك أنه إذا كان التطور إلى أرقى ليس هو المصير المحتوم دائماً بل يشترط لحدوثه ظروف وشروط خاصة ، فما يستحق الجهد ولا شك أن يفكر المرء ويعمل على توفير هذه الظروف والشروط ، وبذلك لا يكون الإنسان سلبياً يحمله تيار الحوادث إلى حيث يساق، بل يكون سائراً بمشيئته فى طريق الرقى وهو يعلم أين يسير. وهذا يجعل من السهل علينا أن نجيب على السؤال الذى كانوا يلقونه قديماً عن معنى الحياة والغرض منها ، فليس الغرض منها إلا السير بالبشرية فى سبيل الرقى وتوفير أسباب البهجة والتمتع لكل فرد منها

وقد طبّق سبنسر نظرية التطور على الشئون الاجتماعية ، وشرح رأيه فى نشوء الضمير الخلقى عند الانسان بما يتلخص فيما يأتى : كان الناس فى أول أمرهم يرون أن الحسن هو المفيد إفادة عاجلة ، ثم أظهرت التجارب أن هنالك أحياناً فائدة كبيرة آجلة تَفضُل الفائدة الصغيرة العاجلة . وقد اختُزنت هذه التجارب فى مشاعر أسلافنا وذلك ما أحدث أثره فى مجموعهم العصبى ، وتوارثنا نحن عنهم هذه التأثيرات ، فترانا نعتبر بعض التصرفات حسناً دون أن نجربه ونتثبت بأنفسنا من نفعه ، وإنما أسلافنا هم الذين جربوا ذلك لهم ولنا من بعدهم ، وهذه الحكمة الموروثة هى ما نسميه بالضمير ، وبه نجد من دخيلة نفوسنا ما يرشدنا إلى الخير والشر . وعلى ذلك فإن حياة الفرد ونصيبه الذى قسم له فى الحياة لا يبدوان عند ولادته، بل هما يرجعان إلى الماضى الذى لا نستطيع تقدير توغله فى القدم

نشوء الكون

كانت هنالك مادة أولى تملأ الوجود ، ومن هـذه المادة نشأت السدم ، وهى سُحب من ذرات معدنية صلبة مختلفة

الحجم والمعدن ، ثم تطورت السدم بعد ذلك فأخذت الذرات الصغيرة فيها أو القليلة الكثافة تنجذب إلى الكبيرة أو الأكثر تركزاً ، إلى أن تكونت كرات كبيرة يفصل بين كل منها والأخرى حيز فرغ واسع المدى . واتجهت الذرات الأكثر ثقلاً فى كل كرة نحو مركزها ، وولّد ضغط الذرات فى هذه الكتل التى يزن كل منها تريليونات الأطنان ، حرارة هائلة جعلها تتقد وتتحول إلى كوكب. أما الذرات الخفيفة أى الغازات، فقد بقيت فى الحافة مكونة جواً غازياً حول الكوكب. وقد حدثنا الفلكيون أن الكون الذى نعيش فيه يحوى نحو ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ من الشموس التى تشبه شمسنا ، والكثير منها كواكب مثل كوكبنا الأرضى ، من الجائز أن تكون مأهولة بكائنات حية ، فليس ثمة ما يدعو إلى افتراض أن الأرض أنشئت على نمط خاص

أخذت الكواكب تفقد حرارتها شيئاً فشيئاً ، وكان أسرعها فى ذلك أصغرها حجماً ، وبردت الأرض بالتدريج واتحد ما يكتنفها من أوكسجين وأيدروجين فتكون منهما الماء العذب، ثم اكتسب الماء ملوحته من إذابته لبعض أملاح الأرض وبعض أحماض أنزلها معه من الجو . واستمرت الأرض تبرد وتكونت القشرة الأرضية فى النهاية ويبلغ سمكها فى الوقت الحالى ٨٠ إلى ١٠٠ كيلو متر ، وقد كانت فى أول أمرها متشابهة السُّمك ، وكان المحيط المائى موزعاً حولها بتساو ، ولكن برود القشرة الأرضية أدّى إلى تقلصها ، فارتفعت سلاسل الجبال ونشأت تبعاً لذلك الوديان والمنخفضات ، ثم استقر الماء فى المنخفضات وبدأ الانقسام إلى أرض « يابسة » ومياه

نشوء الحياة والأحياء

نشأت الحياة بعد ذلك على وجه الأرض فى زمن مضى عليه — فى رأى بعض الجيولوجيين — ٥٠ إلى ١٠٠ مليون سنة ، وكانت الأحوال الطبيعية تختلف عما هى عليه الآن، فمياه المحيطات مرتفعة الحرارة ، والعناصر المتشععة عظيمة النشاط، والمركبات الكيميائية ليست كلها على النمط الذى نعرفه، فدبت الحياة فى المادة الحية الأولى (بروتو بلازم)، ثم نشأت منها الوحدات المحدودة التى نسميها خلايا

لم تكن الكائنات الحية الأولى نباتات صرفة ولا حيوانات خالصة ، ولكن البعض منها أصبح نباتاً لاقتصاره على التغذى بالمواد غير العضوية التى فى الأرض ، وجرى البعض الآخر على افتراس ما يجاوره من الأحياء ، وذلك منشأ تكون الحيوان ،

وقد اقتضت عملية الاقتناص أن يتزود الحيوان بأعضاء خاصة بالحركة والحس وبفم ومعدة وأسلحة ودروع فنشأت عنده هذه الأعضاء . ثم نشأت الحيوانات والنباتات العديدة والخلايا بعدم انفصال الخلايا الناتجة من انقسام خلية واحدة

ولما غاضت معظم المياه الضحلة وانسابت الأنهار السريعة الجريان هلكت الحيوانات التى لم تستطع التخلص من بطء حركتها، وتطورت أعضاء الحركة فى الحيوانات الباقية فظهر السمك كالقارب الطويل مجهزاً بزعانف قوية ثم تكونت فيه السلسلة الفقرية . واكتظت الأنهار الضيقة السريعة الجريان بالأحياء فقام بينها الكفاح من أجل الأوكسيجين والغذاء فذهب البعض إلى البحار العميقة وبدأ البعض سباقه صوب البر ونباتاته يقتات بما فيها من حشرات ثم يعود إلى الماء وأخذت المثانة الهوائية تتطور إلى رئتين والزعانف تتطور إلى أطراف ، ونشأت الأمفيبيا كالسمندر والضفدع وهى الحيوانات التى تقطن الماء فى صغرها ثم تنتقل فى كبرها إلى حياة البر

واستمرت المياه فى بعض الجهات تغيض شيئاً فشيئاً وأخذت الحيوانات الأمفيبية فى تلك الجهات تتحول تبعاً لذلك إلى حيوانات برية ففقدت خياشيمها وقويت أرجلها ونشأت منها الزواحف كالورل والتمساح والثعبان

العصر الجليدى

وانقضى الصيف الدائم من على وجه الأرض وكسا الجليد نحو ٤ ملايين ميل مربع من سطحها، تمتد من الهند إلى أوستراليا وإلى أفريقيا . وقضت هذه الذبحة الهائلة على نحو ٩٧ فى المائة من الأنواع النباتية والحيوانية فتحولت النباتات إلى طبقات من الفحم ولم يبق من الحيوانات إلا نماذج قليلة فى الأقاليم الحارة هى التى نسل ما احتواه العصر الحديث من الأمفيبيا والحشرات وغيرها. فلما ذابت طبقة الجليد بعد ربع مليون سنة بسبب انخفاض سطح الأرض فى الجنوب عادت الزواحف إلى الانتشار ، وكانت أوربا فى ذلك الوقت غاطسة تحت الماء لا يطفو منها سوى قنن الجبال وأجزاء قليلة أخرى تبدو كمجموعة من الجزائر محاطة بحواجز من المرجان ما تزال آثارها تشاهد إلى الآن فوق الجبال . وكانت هناك قارة ملأى بالبطاح والغياض ممتدة من أسكوتلاندة إلى أمريكا (تسمى فى عالم القصص بالاطلانطيس) فساعدت على انتقال الزواحف الجبارة بين القارتين

كانت إناث الحيوانات قبل العصر الجليدى تضع البيض وتتركه على سطح الأرض أو الماء فينقف من تلقاء نفسه بتأثير الحرارة، وبذلك كانت الطبيعة تتولى عمل الأم. فلما حلت البرودة أصبح الرقاد على البيض وتعهد الصغار بالعناية أمراً لا غنى عنه. ونشأ للزواحف رداء حرشفى رفيع، وأصبح جلد الأمفيبيا لزجاً كما نشاهد الآن فى الضفادع، ونشأت الطيور والثدييات مزودة بقلب ذى أربع غرف يساعد فى إمداد الدم بقدر وافر من الأوكسيجين ليحرق وقوده فيحتفظ الحيوان بالدفء ولا تنحط حرارته مع حرارة الجو كما هى الحال فى ذوات الدم البارد وهى الأسماك والأمفيبيا والزواحف. وساعد الدم النقى فى الطيور والثدييات على زيادة حجم المخ وارتقائه وتمت لها السيادة فى العصر الجديد. أما الزواحف الضخمة المدرعة بدروع ثقيلة فقد قضى عليها عند ما حل البرد الشديد بعد ذلك فى نصف الكرة الشمالى لزوال الحرارة التى كانت تجعل بعضها ينقف دون أن ترقد هى عليه

وكان للعصر الجليدى أثره العظيم فى عالم النبات أيضاً فقد انتزع سيادة النباتات الجرثومية المنحطة على المملكة النباتية، وأفسح مجال الانتشار والازدهار أمام النباتات المخروطية والنباتات المزدهرة، ولما حل الشتاء فى نصف الكرة الشمالى أخلت معظم الأشجار الدائمة الاخضرار مكانها لنماذج تسقط أوراقها فى الشتاء بصفة دورية فلا تفقد ما تحتويه من الماء وهى لا تستطيع تعويضه من الأرض فى الشتاء

تطور الطيور والثدييات

تسلسلت الطيور من الزواحف بفضل ما حدث لها من التغايرات الملائمة ولاسيما فيما يختص بجهاز توليد الحرارة. وقد عثروا فى صخور بافاريا على متحجر طائر فى حجم الغراب كان يقطن أوربا قبل ملايين السنين، وهو يجمع بين خصائص الزواحف وخصائص الطير، وهذا «الطائر القديم» هو الحلقة «غير المفقودة» بين الزواحف والطيور

وحل عصر جليدى فى شمال أوربا وأمريكا غطى نحو ٧ ملايين ميل من سطحهما، فأرغمت الحيوانات والنباتات المحبة للحرارة على الزحف صوب الجنوب. وقد يكون البرد القارس فى ذلك العصر هو منشأ هجرة الطيور المهاجرة كالسمان والعنز وعصفور الجنة كل شتاء من الشمال إلى الجنوب، كل عائلة منها إلى مكان معين تسلك إليه طريقاً ربما كانت هى الطريق الوحيدة التى عرفها أسلافها فى ذلك الوقت، وعلى ذلك فليست «الغريزة» سوى العادات التى اكتسبتها الحيوانات تحت ضغط ظروف خارجية عنها

نشأت الثدييات الأولى الصغيرة الحجم فى أواخر العصر الجليدى، وقد يكون منشأها فى قارة تمتد حيث يوجد الآن المحيط الهندى وما حواليه، أو لعلها عبرت تلك القارة الضائعة من أفريقيا إلى أوستراليا، ثم غاصت تلك القارة تحت سطح الماء فأصبحت أوستراليا جزيرة منعزلة لا تستطيع أن تصل إليها الحيوانات المفترسة التى تطورت فى باقى أنحاء العالم، وبقيت الحيوانات الثديية البدائية فيها متخلفة عن زميلاتها فى الخارج مثل الكنجرو، وهو لا يبقى جنيناً فى رحم أمه إلا زمناً قليلاً فإنها ليس لها من الأوعية الدموية ما تنقل به دمها إلى الجنين لتغذيته، لذلك تلده سريعاً وتلتقطه بفمها فتضعه فى كيسها حيث يكون ثديها المنخفض فى متناول فمه

بقيت الحيوانات الثديية فى أوستراليا على ما هى عليه تقريباً ولكنها فى أفريقيا صعدت درج الرقى وانتشرت انتشاراً عظيما متجهة فى انتشارها صوب الشمال. فلما كثر عددها ساد بينها كفاح هائل من أجل الحياة وأخذت ذراريها تتطور فى شتى الاتجاهات، فمنها ما أكل اللحم ومنها ما عمد إلى الهرب من الحيوانات المفترسة فاتخذ له ملجأ تحت سطح الأرض كالخلد والأرنب، ومنها ما أخذت أشواكه تنمو وتصلب كالقنفذ، ومنها ما بقى يعيش فوق الأشجار كالسنجاب، ومنها ما هبط إلى البحر كالحوت، ومنها ما اتخذ الليل معاشاً كالخفاش. وانتشرت فصيلة الحيوانات الحافرية فى القارات الأربع مستعينة بقوتها وضخامتها أو بدروعها وأنيابها وقرونها أو بسرعة عَدْوها وحدة حاسة الشم عندها

تطور الإنسان

تسلسل الإنسان من ذرية حيوان شبيه بالقرد، ولكن ليس من ذرية أحد القردة الموجودة فى العصر الحاضر، وإنما تتصل القردة الحالية بالإنسان فى أسلاف مشتركة وجدت من ٣ أو ٤ ملايين من السنين

أخذت الحيوانات الثديية البدائية ترتقى وتتطور فى اتجاه القردة، وانتشرت القردة فى القارات الأربع (أى فى مختلف أنحاء الأرض باستثناء أستراليا)، وذلك من نحو ١٠ ملايين من السنين، ثم تطور قسم منها إلى القردة الشبيهة بالإنسان،

وهى أربعة فروع هبط ثلاثة منها إلى الأرض عند ما بادت الغابات فى بقعة من آسيا بسبب ارتفاع الأرض وجفاف الهواء على الأرجح. ومن المقرر أن ترك الأشجار والإقامة على ظهر الأرض مما يساعد كثيراً على الترقى والتقدم؛ فإن هذه المعيشة تقتضى الملاحظة الدائمة لاتقاء الأعداء واقتناص الغذاء، وقد أصبحت الساقان الخلفيتان تقومان أكثر فأكثر بحمل الجسم، وأصبحت اليدان تستعملان فى إمساك الأشياء، وأثرت كل هذه التطورات على نمو المخ مدة ٤ ملايين سنة

وقد عثروا فى انجلترا على جمجمة يرجع عصرها إلى ٤٠٠,٠٠٠ سنة. كما يدل على ذلك عمر الطبقة الأرضية التى وجدت مطمورة فيها، وقد قدر الثقات أنها جمجمة إنسان منحط جداً من حيث الذكاء

وقد استطاع العلماء بما عثروا عليه من الهياكل البشرية التى ترجع إلى عهد قديم جداً والأدوات الحجرية المتدرجة الرقى التى وجدوها إلى جوار تلك الهياكل — أن يكتبوا قصة الإنسان. وتتلخص فى أن فرعا من متسلقات الأشجار بارح الأشجار وهبط إلى الأرض فارتقى فيها وأصبح يتخذ العصا سلاحاً، ثم ارتقى وبدأ فيه العنصر الإنسانى حين بدأ يقرع صوانة بأخرى ليكسب إحداهما سناً حاداً مشحوذاً

كان الإنسان فى أقدم عهوده يعيش فى جو دافىء بغير نار وملبس ومنزل، ثم حلت خمسة عصور جليدية تتخللها فترات دافئة، واضطر سكان أوربة قبل التاريخ فى المرة الرابعة إلى سكنى الكهوف، ثم شرعوا يرتدون الجلود وتعلموا أن يشعلوا النار بالصوان. وعندما انقضى ذلك العصر الجليدى كانت قد ظهرت فى أوربا بشرية من طراز جديد، فبدأ التطور الاجتماعى واضطرت الأسر إلى المعيشة معا، وسرت فى الكهوف لغة غير ناضجة.

وعادت طبقة الجليد تكسو أوربا فعبر القوم الجسور الأرضية إلى شمال إفريقيا وآسيا الصغرى، وكان السكان أكثف ما يكونون بين الخليج الفارسى ومصر، وكانت وديان النيل والدجلة والفرات قد تكونت حديثاً بفضل هذه الأنهار، واحتدم الكفاح بين القبائل والعشائر من أجل هذه الوديان وطلعت من هذا الكفاح أولى المدنيات.

عصام الدين حفنى ناصف



الفن الأسكندرى

للدكتور أحمد موسى

لا نقصد بعنوان المقال تحديد الفن بعصر الإسكندر كما لا نقصد تحديده بمدينة الإسكندرية وحدها، وإنما المقصود بالفن الإسكندرى أنه الإنتاج الفنى فى البلاد المصرية منذ تأسيس الإسكندرية سنة ٣٣٢ ق . م إلى نهاية حكم البطالسة ، ذلك الفن الذى عُرف أمره وتأثر به فن العالم القديم

وبالنظر إلى قلة ماتبقى من هذا الإنتاج وإلى ضآلة المواد العلمية التى يمكن الاستناد إليها ، وإلى ما بين أيدينا من الآثار البطليموسية فإن تاريخ الفن الإسكندرى بمعناه الشامل من الموضوعات العسيرة التى تجعل البحث ناقصاً قابلاً للنقض فى بعض نواحيه ؛ إذا ماظهر من نتائج الحفر وما قد يعثر عليه من النصوص ما يميط اللثام عن بيانات واستنتاجات تغير ما تقرر حتى الآن

على أنه يمكن القول بأن ما بقى من التماثيل وبعض الآثار يعطى ما يفيد فى هذا المجال ، ويمهد السبيل إلى معرفة المدى الذى وصل إليه أثر الفن الإسكندرى فى الفن الإغريقى أو الهيلينى

ومما لا يقبل الشك أن مدينة الإسكندرية كعاصمة للبلاد أنشئت وشيدت على نمط رائع من حيث التخطيط العام للمدينة ومن حيث تنظيم شوارعها ومبانيها التى عملت لأول مرة فى هذا القطر من الطوب بطريقة هندسية جديدة فى نسقها جميلة فى مظهرها ، ولاسيما أن حوائط المبانى كانت مغطاة من الداخل بلوحات من المرمر زخرفت بنقوش من المعدن . وهذا كله نتيجة للرغبة فى التمدين والعطش نحو الأبهة

وكان شغف الأمراء من أبناء البطالسة وتقديس الناس للآلهة خير دافع إلى إقامة المعابد الهائلة بحوائطها المزخرفة بالنقوش والكتابات ، كما كان سبباً فى إحياء فن النحت والتصوير ، إلى حد أن كانت بعض التماثيل تعمل من الذهب والعاج فى غاية من الدقة والجمال .



تمثال النيل

وبطبيعة جو الإسكندرية الأقرب إلى الجو الأوربى والخليط الذى كان يعيش فى تلك المدينة من البطالسة والمصريين وغيرهما ، كذلك وجود الفلاسفة المشتغلين ضمنا بالطب والجراحة فضلاً عما بعثوه فى العقول بتعاليمهم التى تحض على النظر والدرس والتأمل إلى جانب مجموعة الكتب العظيمة بالمكتبة الخالدة — فى هذا المحيط وهذه البيئة نشأ الفنان الإسكندرى محاطاً بما يوقظ فيه روح العمل والابتكار

ولعل خير مثل لذلك بقايا التماثيل ومنها رأس من البرونز يمثل امرأة مصرية تجلت على ملامحها مصريتها وحيويتها(١) .

وكان للانتاج الفنى غير العمارة والزخرفة والنحت الواقعى Realistic Sculpture اتجاهاً مثلياً رائعاً تراه فى تمثال « النيل »

(١) راجع Von Sybel, Weltgeschichte der Kunst: وأيضا Rayet, Monuments de l'art antique II. Paris 1883.

المحفوظ بالفاتيكان فى روما، والذى وصل منه أنموذج إلى هذه البلاد منذ أعوام . فإذا نظرت إلى صورته رأيت إلى أى مدى استطاع الفنان الوصول إلى ذروة الفن المعاصر لتلك الأيام ، فإلى جانبه تتضاءل التماثيل التى عملت للأمراء ولهوميروس ، والتى لا يمكن أن توصف إلا بكونها من أحسن ما أخرجه الفنانون

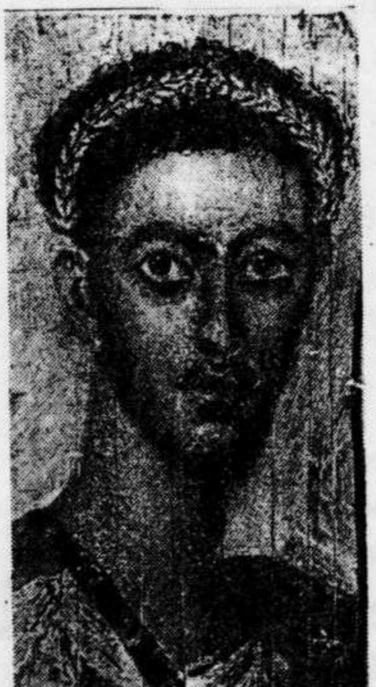


أنظر إلى صورة الإله « النيـل » ولاحظ ما بدا على وجهه من عوامل التأمل والتفكير فى مصير أولاده الستة عشرة « فروع النيل الكبرى والصغرى» وشاهد كيف يتكىء بكتفه على (أبى الهول) الرابض بجانبه ، وقد اختار الفنان «لأولاد النيل » أوضاعاً شتى فظهر كل منهم مخالفاً لغيره ، وفى هذا ما فيه من الغنى الفنى

كذلك اتجه التصوير اتجاهاً جديداً فخرج من تمثيله لصور الأمراء والعظماء إلى تمثيل الحياة العامة والعادات الاجتماعية فرسمت على الحوائط مناظر صادقة فى التعبير عن العصر الذى عملت فيه ، وغير ذلك المناظر الطبيعية كتلك التى صورت لنا أجزاء من المدينة محاطة بالغابات ذات الأشجار العالية ، والتى نصبت بينها تماثيل بأوضاع دلت على حسن التنسيق والوصول إلى درجة فائقة فى فن تخطيط المدن وهندستها ، وهذا الوضع يذكرنا بالحالة التى كان الفن البومبيانى (نسبة إلى بومبى) يسير عليها

على أن الفن الاسكندرى ، أو إن شئت فقل الفن المصرى فى عهد البطالسة ، كان قصير العمر بالقياس إلى الفن المصرى فى عصور أخرى أو إلى الفنون الأجنبية ، فعند ما وصل الفن البرجامونى والفن فى رودس إلى أوج عظمتهما حوالى منتصف القرن الثانى قبل المسيح ، كان الفن الإسكندرى سائراً نحو الهبوط ؛ فانتقل إلى إيطاليا . وخير برهان على ذلك أنه فى أوائل القرن الثانى قبل الميلاد شيدت فى بمبى عمائر على نمط لا يختلف فى الجوهر والمجموع الإنشائى عن ذلك الذى بنى للمرة الأولى فى الأسكندرية ، حتى الزخارف التى عملت على حوائط هذه العمائر فإنها شملت ذلك الطابع الإسكندرى المميز ، والذى يقرر تأثرها بها أفصح تقرير

هذا فضلاً عن أن العارف بتاريخ الفن الدارس لأصوله يذكر جيداً أن المشيدات التى أنشئت فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد ، سواء أكان ذلك فى منطقة كمبانيا أم فى روما ، وسواء فيما يتجلى على البناء المقدس للآلهة « بانتيون أجريبا[١] » Pantheon of Agrippa أو بناء مسرح بومبيوس[٢] Theatre of Pompeyus أو قصر نيرو الذهبى Nero Golden Palace كلها تدل على أنه لا مفر من الاعتراف بوجود أثر الفن الاسكندرى فيها .



ظهرت بعد هذه المرحلة صور رائعة هى تلك التى رسمت على أغطية توابيت الموتى ، والتى قصد بها الاستعاضة عن الأقنعة الذهبية التى كان المصريون الأقدمون يعملونها على الأغطية لتمثيل وجه الميت .

وكان ظهور هذه الصور تدريجياً ونادراً ومرتبطاً بنتائج الحفريات التى عملت

---

(١) راجع Huelsen, in Mitteilungen des Archaeologischen Institutes 1893.

(٢) مبنى أقيم فى روما (يعرف الآن بكنيسة سانتا ماريا روتوندا) أكمل أجريبا بناءه سنة ٢٧ ق.م ، وقد دفن فيه رفاييل وأنيبال كراتشى وفيكتور إيمانويل الثانى ، وقد ثبت أن هذا المبنى لا يتصل بحمامات أجريبا كما كان مظنوناً قبلا .

فى الفيوم[1] منذ سنة ١٨٨٨ ولكنه على جانب من الكثرة التى تسمح بالدرس والتأريخ .

وقد اخترنا ثلاثاً منها تعطى فكرة صحيحة عن قوة التصوير ودرجة إتقانه ، فبالنظر إليها نلاحظ جمال الملامح وحسن التعبير ونبل الإخراج ، إلى جانب ما يبدو على الوجه ويشع من العينين من تأثر نفسانى عجيب .

وكان تصويرها بالألوان على خشب الجميز أو اللبخ على ما نظن وكذلك على قماش التيل — وكانت توضع على التابوت أو تثبت فى غطائه مكان الرأس



وكانت الألوان معدنية مخلوطة بالشمع أو بصفار البيض أو بالغراء وأحياناً بهما معاً ، يرسم بها (ماعدا ما كانت بالشمع) على سطح مدهون بالجبس أو الطباشير .

ويتضح من الكتابات التى نقشت على لوحات صغيرة ووضعت مع التوابيت أو فى داخلها أو التى كتبت على بطاقات صغيرة من الخشب وثبتت إلى جانب العنق Mumies-eticette أن أصحاب هذه الصور كانوا من الأغريق ، وبالرغم من هذا فإنه لا يمكننا الارتكان إلى ذلك لمجرد علمنا بأنه حتى ولو كان الأغريق قد تعودوا عادات المصريين فى طريقة التحنيط والدفن الخ ، فى القرن الثانى قبل الميلاد ، فإنه يبعد كثيراً أن يكون أصحاب هذه الصور من الأغريق لاختلاف ملامحهم ولون شعرهم وتجعده ولون العيون فضلاً عن المجموع التكوينى للرأس . وقد تكون هذه الصور بالرغم مما كتب عليها غير معاصرة للبطالسة .

ومهما يكن من شيء فإن عصر الفن الإسكندرى مع قصره كان شاملاً لمدينة الأسكندريه بمكتبتها ومنارتها ، وشاملاً لآيات من الفن لم يبق منها إلا القليل الذى مع قلته دل دلالة صريحه على أن الفن المصرى فى تلك المرحلة ، وإن كان قد سار فى اتجاه يلائم العصر الذى وجد فيه ؛ إلا أنه أثر فى غيره أكثر مما تأثر هو بالغير .

احمد مرسي

---

(١) كانت الفيوم فى التاريخ المصرى القديم أرضا غير زراعية ، عمل الفراعنة منذ الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ — ١٧٨٨ ق . م) على تخصيبها وتعميرها وذلك بمد القنوات النيلية إليها وبناء مساكن لاتؤثر فيها مياه تلك القنوات . وقد وجدت قناة نيلية طبيعية على بعد ٢٢٠ كيلو مترا جنوب بنى سويف كانت مياهها تنصرف فى الصحراء الغربية فعمل المصريون على تحويل مجراها ومدوه حتى وصل إلى الفيوم بالقناة الحالية المسماة بحر يوسف ، ولا تزال بعض آثار السدود التى أقاموها بقصد حجز المياه ورفعها للتمكن من رى الأراضى المرتفعة نسبيا ، موجودة للآن ، وبهذا أمكن تحويل مجرى المياه إلى الفيوم وتصريفها فى أرضها فنشأت عن ذلك الخصوبة التدريجية .

وكانت نتيجة وصول المياه إلى تلك المنطقة أن تجمع الزائد على الحاجة منها فى جزء منخفض فتكونت بحيرة موريس كما سماها الأغريق (بالمصرى القديم M-weret) . وأمكن باستخدام السدود والخزانات رى الفيوم وما يجاورها ، ونشأ عن ذلك تكوين بحيرة قارون الحالية . وقد سمى أقباط مصر هذه البحيرة « فيوم » Pheom ، وهكذا ظل الاسم حتى الآن

وعلى الساحل الشرقى لبحيرة موريس وجد قصر لابيرنت Labyrinth كما وجد أهرام أمنمحت الثالث (٢٣٠٠ ق . م) وبالقرب منه كانت العاصمة التى سميت فى عصر الأغريق كروكو ديلوبوليس نسبة إلى التمساح وبعدها سميت أرسينو Arsinoe . وقد عثر المنقبون فى القرن التاسع عشر على كثير من المخطوطات القيمة فى تلك الأماكن .

ومدينة الفيوم الحالية تقع فى شمال هذه المنطقة ، حيث يوجد جامع بأعمدة أثرية قديمة .

ويمكن للتوسع فى هذا الشأن وفى أغطية الموميات المصرية فى عصر البطالسة مراجعة :

(1) The Fayum and Lake Moeris, London 1892

(2) Grenfel and Hunt, Fayum towns and their papiri. London 1900

أما لابيرنت فهى تلك المبانى التى أقيمت على سطح الأرض وفى باطنها، وكما ذكر هيرودوت (٢ — ١٤٨) وسترابو (١٧ — ٨١١) كان مجموع الغرف ثلاثة آلاف كلها من الحجر ، وإذا اجتمعت كل معابد الأغريق فى مساحة واحدة تتضاءل أمام مساحة هذه المبانى ، كما قررا أنها كانت أجل من الأهرام وظلت قائمة حتى خربها الرومان فلم يبق منها إلا الأحجار التى أزيلت بمرور القرون والأعوام وأقيمت مكانها المقابر ، وقد أجرى السير فلندرز بيتري العالم الأثرى المعروف أعمال الحفر وعثر على مجموعة رائعة من الصور وغيرها .

راجع : Edwards, Pharaohs, Fellahs. p. 95



المرأة اليونانية القديمة والتعليم العالى

للآنسة زينب الحكيم

التاريخ سجل يطوى فيه أسرار الأجيال . قلبت بين صفحاته عن بعض حالات المرأة اليونانية الغابرة ، فوجدت كل معجب مدهش ...

وفى الحق ليس من المستغرب أبداً أن وجدت سيدات من الدرجة الأولى فى المواهب العقلية بين ناس امتازوا بالثقافة العالية كاليونانيين

وسافو Sapho الشاعرة اليونانية مثال من الأمثلة الخالدة لهؤلاء السيدات . لقد كانت ذات سطوة قوية على بنات جيلها ، وظهر نتاج مجهوداتها الموفقة بين تلميذاتها الكثيرات، واشتركت السيدات برغبة فى درس الشعر ونظمه . وشجعهن على الاستزادة من ذلك مناصرة عدد كبير لهن من مشاهير الرجال الغيورين على ترقية المرأة ، فاستحسنوا أن تتعلم تعليماً عالياً وساعدوها على المطالبة بذلك بكل ما أوتوا من قوة

من هذا نرى أنه منذ العصور المبكرة نودى بتعليم المرأة وبالمساواة بينها وبين الرجل فى اليونان

ففى القرن السابع قبل الميلاد ، تشبث كليوبليس Cleobulus — وكان أحد حكماء اليونان السبعة — بأن ينال النساء التمرين العقلى الذى يناله الرجال ، وأوضح مبدأه بتعليم ابنته كليوبلين Cleobuline التى صارت شاعرة ذات شهرة واسعة فيما بعد

ويثجوراس Pythagoras الذى احتفل بإعلان مذهبه الفلسفى فى القرن السادس بجنوب إيطاليا ، أشار بوضوح إلى ضرورة المساواة بين الجنسين ، واخترع خطة لتعليم النساء ، كان من شأنها أن جعلتهن منتجات فيما يتصل بتدبير المنزل ، كما جعلتهن ممتازات فى الثقافة الفلسفية والأدبية

وأشار أفلاطون بضرورة تعليم المرأة على قدم المساواة مع الرجل ، وسمح بقبول النساء لسماع المحاضرات الجامعية

وفى أيام الاسكندر شجع تحرير المرأة بشكل قوى ، ومن ذلك الحين نرى أن النساء اشتركن فى دراسة جميع الفروع العلمية دراسة عملية

وفى الإسكندريه خاصة ، تعلمت بنات الأساتذة العلماء ، تعلما عالياً ، فواصلن دراسة الفلسفة واللغة ، وعلم الآثار القديمة ، وقد اشتهر منهن كثيرات

وفى الفترة اليونانية الرومانية ، نادى بلوتارخ بتعليم النساء ، وقد انتشر التعليم بينهن فى أيامه إلى حدّ بعيد محمود

وأسباسيا « Aspasia » وضعت (موضعة) تعلم علم البيان والفلسفة ، كعمل تظهر به المرأة فى المجتمع الأثينى ، وأصبح الانتماء إلى جماعة نصيرات التعليم العالى بدعة سارية ، حتى أن كثيرات من نساء الطبقات الراقية (الشريفة) شغلن أوقات فراغهن بقراءة الفلسفة والشعر ، وحصلن على نوع من التعليم ، وإن لم يكن شعبياً ؛ فقد كان خصوصياً من محاضرين فنيين

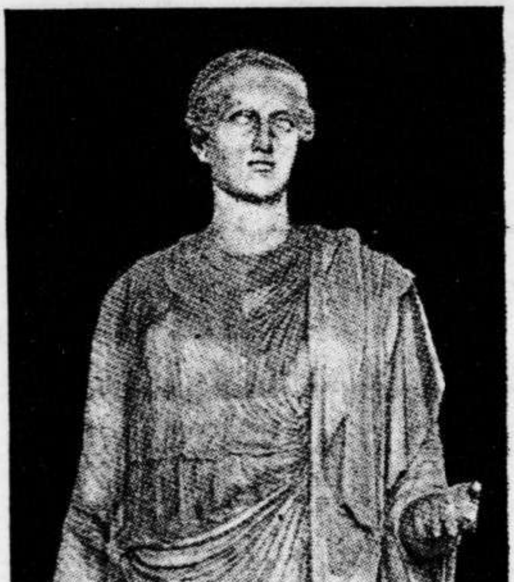
ميول النساء فى ذلك العهد

ظل الكثيرون يعتقدون أن الشعر كان المجال الطبيعى للمرأة ؛ يضاف إلى ذلك الفلسفة فى الدرجة الثانية ، إذ صارت الفلسفة الحرفة العامة التى أجدن تعلمها حينئذ . ولكن لعله لا يغيب عن ذهن القارئ والقارئة ، وصف مدرسة سافو الشاعرة فى جزيرة Lesbian الجميلة التى أوى إليها الهيلينيات لدراسة الشعر والفن

إن جمال جزائر لسبونى الطبيعى ، وحياة الطبقة الأرستقراطية المترفة ، وتوقد ذكاء وحذق سافو نفسها ، وحبها الخالص لصديقاتها

الفتيات من بنات جيلها ، كانت كلها مؤثرات قوية محبوبة فعالة لأهل زمانها

ليس من المستغرب إذن أن أكتسبت النساء حب الشعر وأولعن به ، كما طبعن على الجاذبية لكل شيء جميل فى الطبيعة فى تلك البيئة ؛ كما اكتسبن من مخالطتهن لفنانة مطبوعة ، ومعلمة ماهرة مثل سافو أعلى الصفات



(سافو) تمثال رخامى بفيللا ألبانى فى روما
القرن الخامس قبل الميلاد — من مجموعة «الدكتور أحمد موسى»

حتى لقد قيل : إنه وجدت ست وسبعين شاعرة من بين نساء اليونان القديمة ، غير أنه لسوء الحظ لم يحتفظ لنا سجل التاريخ إلا بأسماء قليلات منهن ، بلغ عددهن تسع شاعرات ؛ لقبن بآلهة الشعر الأرضيات

عندما اتسع المجال أكثر أمام المرأة فى عهد البطولة Heroic Age مهرت النساء فى استعمال النباتات فى فنون السحر ، وفى تطبيب الجروح . وعندما أصبح الطب علماً ، اشتغلت النساء بفنون منه. وظهر اختلاف أمزجتهن واستعداداتهن وميولهن الطبيعية، فمنهن من اشتغلت بالعلوم الطبيعية ، وعلم البيان والتاريخ واللغة ، وأحبت كثيرات علم النقد ، وانتشر بين بنات العلماء

ومن هذا يتضح فساد زعم من ظنوا أن مجال المرأة الطبيعى كان الشعر فحسب . ولعلنا نطمئن إلى هذا الحكم الذى يؤيده علم النفس المقنن فى القرن العشرين

بنات الشاعرات

شاعرات اليونان اللائى سبقت الإشارة إليهن وشبيهاتهن ، كوّن نهضة مباركة من بناتهن اللاتى ورثتهن الميول القوية للفنون والآداب ؛ فكان منهن الموسيقيات ، والمصورات ، والشاعرات ، والفيلسوفات

والتاريخ وإن لم يدلنا على أنه وجد من بينهن ناحتات للتماثيل أو مكوّنات لها ، يذكر الفضل فى اختراع هذا الفن إلى فتاة من كرنثيا Corinthia

والأثر إن صح يروى الآتى :

كانت الفتاة كورا Cora ابنة بوتادس Butades على وشك أن تودع حبيبها ، وربما كان الوداع الأخير ، لأنه كان معتزماً القيام برحلة طويلة . واتفق أن خياله انعكس على الحائط ، إذ كان الوقت ليلاً ويضيء المكان مصباح . تخطر للفتاة أن تحتفظ ولو بهذه الذكرى من حبيبها ، فرسمت محيط خياله فى حياء . فلما رأى والدها ذلك العمل ، دفعته غريزته الفنية إلى أن يملأه لها بالصلصال ؛ فكون تمثالاً لحبيبها ، كان ناجحاً بعد حرقه فى النار

المصورات

كانت لالاّ Lalla من نساء مدينة سيزكس Cyzicus من أقدر المصورات بالألوان ، وكان من أخص صفاتها السرعة فى العمل (مثل الملكة فكتوريا) ، ومع ذلك لم ينقص ذلك

شيئاً من مزايا نتاجها ، واعتبرت أول مصورة فى وقتها حذقت الرسم بالألوان وعلى العاج . وكل ما لونته من الرسوم كان صوراً لسيدات

وأخبرنا بلينى Pliny أنها صورت نفسها فى المرآة وهى عجوز ، وقد عرضت هذه الصورة فى معرض نابلى

وعثر على صورة أخرى لها فى بمباى ، وتمثل فتاة تجلس على مقعد يقرب من الأرض وتنظر إلى تمثال ، وفى يدها اليمنى ريشتها ممتدة إلى صندوق ألوانها وفى يسراها لوح للتصوير . وثيابها منسدلة بأناقة حولها . ويحيط شعرها المتموج رباط لطيف يتدلى حول رقبتها وأكتافها ، ويظهر على محياها مسحة تفكير وعلم تضىء أسارير وجهها الرقيق . فإذا صح أن هذه تمثل صورة « لالا » فإنها لا بد كانت جميلة فاضلة

الفيلسوفات

نبغت كثيرات من بنات اليونان فى الفلسفة والحرف العقلية فى مدارس بيثجوراس «Pythagoras»

جاء فى الأثر أن تأثير بيثجوراس فى كارتون «Karton» كان عظيما جداً ، حتى أن نساء المدينة أحضرن ملابسهن الثمينة وحليهن من عقود وأساور ، إلى هيكل هيرا Hera وأودعنها كمنحة للفضيلة العائلية . وآلين على أنفسهن منذ تلك الساعة أن يكون الحزم والحشمة رائديهن ، ولن تكون الثياب الثمينة بعد الآن ما يتحلى به جنسهن، مستعيضات عن ذلك بالعلوم العالية والثقافة.

لعمرى لقد كان قسما شريفا ومقصدا ساميا صنعت به المرأة اللبنة الأولى فى بناء الإنسانية الحق . وهل من شك فى أن العامل الأول فى أى نهضة يتوقف على المرأة ؟ إذن عليها أن تبادر بوضع بذور كل نهضة لتأخذ بيد الإنسانية مسرعة .

إن آثار النساء اللاتى تشربن مبادىء بيثجوراس تمتعن بسمعة يغبطن عليها فى العالم اليونانى كله ، حيث كانت نتائج تعاليمه بالنسبة لهن ، مبادىء سامية لأخلاق المرأة ، وعناية تامة بواجبات الأسرة ، والنهوض بوسائل المعيشة الصحيحة فى الحياة ولاسيما تربية الأطفال ، مما لا يزال بعض آثاره باقياً إلى الآن .

وقد كان شعارهن «Saphrosyne» وهو تعبير يعنى الاعتدال والاعتداد بالنفس والحياء ، والفضيلة الزوجية ، وبالاختصار : كل ما هو جدير بأن تكون عليه المرأة . وفيما يلى مثال مما يشير إليه ما ذكر :

زوج بيثجوراس

النساء اللاتى نشأن على مبادىء بيثجوراس على ما امتزن به من تلك الصفات العالية والقوى الإنسانية التى هيأن بها حياة ناجحة ، لم تضارع إحداهن « Theano » ثيانو ذات العقل الراجح زوج بيثجوراس فلقد مزجت الفضيلة بالحكمة مزجاً متناسقاً ، بحيث مثلتها الآثار لها لا كأول امرأة ممتازة فحسب ، بل مثلتها كالنموذج الأول لنشأة المرأة الذكية الصحيحة أيضاً

نعرف عن حياة « ثيانو » بعض حوادث أخلاقية فقط ، وهذا يجعلنا ننفذ إلى حقيقة أخلاقها . وأهمها الأقوال المأثورة التى قالتها فى مناسبات خاصة :

سئلت مرة عما تتمنى أن تتميز به ؟ أجابت ببيت من شعر هومر تمثلت به : « اكترائى بالمغزل ، واعتنائى بفراش زواجى »

وسئلت مرة أخرى : ما الذى تسأل عنه الزوجة ؟

أجابت : أن تعيش خالصة لزوجها

وسئلت أيضاً: ما هو الحب ؟ قالت: الحب هو غرام النفس الواهمة

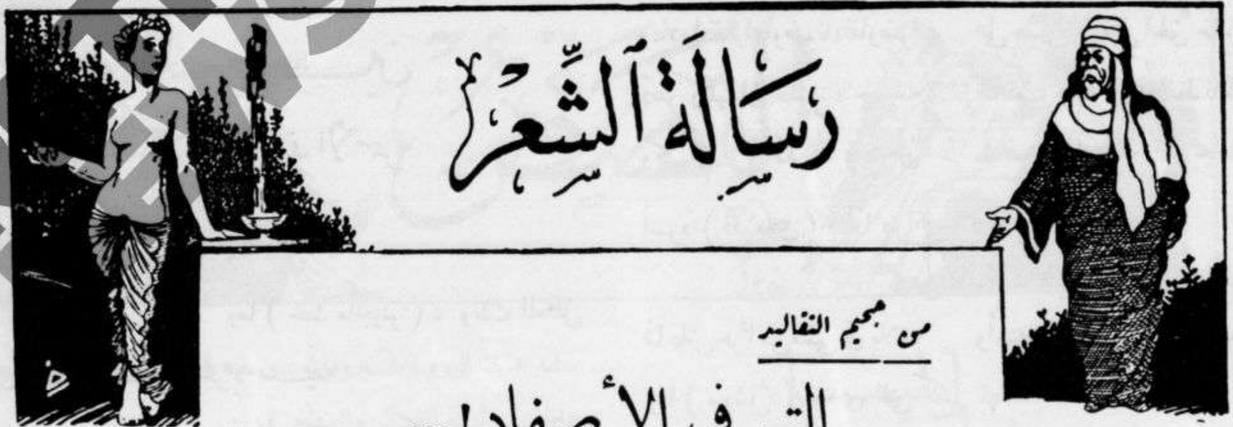
حدث مرة أنها ألقت رداءها وظهرت ذراعها ، فرآها رجل ودهش من جمال تكوينها، فقال: ما أجملها من ذراع! فقالت: ليست لنظرات العامة ، وأسرعت بتغطيتها.

وقد استعار هذه الملاحظة بلوتارخ ، وغيره من رجال الدين من بينهم كليمنت بالإسكندرية ، كما استعارته المؤلفة البيزنطية أنا Anna ، وقد كانت ثيانو شاعرة وكاتبة ناثرة ، وقد عثر على قليل من أعمالها الفلسفية والدينية يستدل منها على مقدار نمو مواهبها فى التعليل ، وفى مناقشة مسائل تربية الأطفال ، ومعاملة الخدم ، وكبت الحسد والعواطف الجامحة ، كل ذلك بأسلوب مؤثر حساس لطيف

ولقد كانت أمينة إلى أقصى حد ، فى نشر مبادىء وتعاليم زوجها ككلمة وكاتبة ، أما موتها وظروفه فغير معروف

هذه صفحة من صفحات المرأة اليونانية الغابرة ، فلعمرى هل يكون نتاج أختها اليونانية الحديثة ، يونانية عصر النور والراديو، والحديد والنار ، أشبه بنتاجها أو أرقى منه؟ هذا ما نرجوه

زينب الحكيم



التي في الأصفاد !...

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

«إلى ملهمتي .. في قيود الرجعية الغاشمة التي لا تدين بشرعة الحب العليا وتنكر على الهوى أزلية أنواره في قلوب العشاق !»

يا قدسها ! هلت كوحي الإله ... على نبي أسكرته الصلاة !
على جناني وهو غر الصبا ... أذهل دنياه ضباب الحياة
على صباحي وهو طفل السنا ... من وحشة الأيام يبكي ضحاه
حيران . لا أيك ، ولا زهرة ... ولا خميل يتحسى شذاه
ولا منى تشرق فيه ، ولا ... شعاع أحلام يناجي سناه
حفيف قبلات الهوى عنده ... لم يدر حتى في الليالي رؤاه
ولذة النجوى وأسمارها ... لغو الأحاديث ، ولهو الشفاه
كنت فناء في ديار البلى ... خاصمه البعث فألقى عصاه
كنت بكاء سرمدي الأسى ... أجفانه لم تدر ماذا شجاه
كنت أنيناً في حشا طائر ... شلت أغانيه أكف الرماه
كنت حنيناً غامضاً ، في دمي ... شعر . ولكن أين مني لغاه ؟
كنت وما كنت ولكن هوى ... ظمآن ، لم تروِ الليالي صداه
ظمآن ! لا خل ، ولا صاحب ... إلا شقاء سابقتني خطاه
حتى أهلت فتنتي ، مثلما ... حيا الندى زنبقة في فلاه
ألقت على روحي شعاع المنى ... والسحر ، والشعر ، وخمر الحياه
عذراء لا من أيما آدم .. ... نسبتها في الكون فن الإله !
وجه .. حرام يا فمي وصفه ! ... ما كان خلف الستر إلا صلاه
صوامع الرهبان ألقت له ... سر القرابين ، وتاب العصاه

له هدوء النبع في واحة ... سجواء لف الطير فيها كراه
ما نورة الفول ؟ وما طيبها ... إن شعشعت عطر الهوى صفحتاه
وما لها « بابل » مشدوهة ... «هاروت» ينعاها لنار الرقاه ؟
حوريتي مرت بها أم رنت ... منها إلى السحر عيون سواه ؟
الله لي ... يا ثغرها رحمة ... فالكرم أطياف لتلك الشفاه
صوتك لحن عبقري الصدى ... أفنى ولا يفنى بسمعي صداه
إني من الطين ... فطهر فمي ... كيما يناغيك بدنيا هواه
وينقل التسبيح عن خافق ... ألحانه تعجز جن الرواه !
من لف هذا الحسن عن عبده ؟ ... ومن بهذي الأرض عني زواه ؟
قومك يا أميرتي ! ما زكا ... عني لديهم في العلا أي جاه
جدي «فرعون» لدى كبره ... كم أطرقت دنيا وخرت جباه !
والفن زادي وعفاف الهوى ... أقدس ما حمل يوماً سراه (1)
هذا الرخيم الشدو في أنملي ... ناي يروع الدهر صافي صباه
مالي يد في سحره .. فاسألي ... فسره العالي بعيد مداه
من وحيك انهلت أماليه ... ومن هواك العذب أشجى بكاه
إما رنحت بإعجازه ... آلهة «الأولمب» خروا جثاه

(1) جمع السارى

فلسطين

للأستاذ محمد الأسمر

سلوا الأرض ما تلك القنا والقنابلُ
وما (خط ماجينو) ، وتلك المعاقل
أرى عصرَنا عصرَ المجرَّدِ سيفه
فسلْ بالظُّبي عن كل ما أنت سائل

تبينتُ أنَّ الحق إن لم تُتح لهُ — بواسلُ يخشى ظلها فهو باطل
لعمرك لو أغنى عن الحق أنه — هو الحقُّ ما قام الرسول يقاتل
ولم يلق عيسى وهو يدعو لربه — من الناس ماساقت إليه الأراذل
فلا تحسبنَّ الحق ينهض وحده — إذا ملتَ عنهُ فهو لا شك مائل
أقمْهُ ، وأسنده ، ودعِّم بناءه — وذُدْعنه ذودَ الليث والليث صائل
ولا تُسندنَّ الحقَّ بالقول وحدَه — فإنَّ عمادَ الحق ما أنت فاعل
من العقل ألا يطلبَ الحقَّ عاجزٌ
فليس على وجـه البسيطة عادل
ولكن قويٌّ يشربُ الدم سائغاً — إذا نضبت يومَ الورود المناهل

أسودَ (فلسطينٍ) تحيةَ شاعرٍ — وكلُّ (فلسطين) أسودٌ بواسل
حللتمْ على الوادى المبارك ، أهلَه — فأنّى نزلتم ، فالقلوب منازل
ذهبتمْ إلى المنفى كواكبَ أمةٍ — وعدتمْ كما عادتْ بدور كوامل
همُ أغمدوكم فى السجون مناصلاً — فها أنتمُ عدتمْ وأنتم مناصِل
خرجتم يواقيتَ السجون وعدتمُ — يواقيت هولٍ بأسُه متواصل
وما أنتمُ إلا سيوفُ ملاحمٍ — وما حادثاتُ الدهر إلا صياقل
لقـد جادلوكم بالسيوف لياليا
طوالاً ، وكان القولُ بالسيف قائل
وعادوا فقالوا فاوضونا ، ففاوضوا — على حذر ، لا يختلِ الحقَّ خاتلُ
دَعوْكم لميدانٍ جديدٍ ، جيوشُه — كلامٌ ، وفيه اللفظُ للفظ قاتلُ
وكلكم ، والحمد لله ، فارسٌ — يدافع عن أوطانه ، أو يجادلُ

أسودَ (فلسطين) ذيادًا عن الحمى
وعن غابكم ، لا يدخل الغابَ داخل
فما عاش حرًّا من مشى فى بلاده — وأمته قد طوقتها السلاسل
وما (سيشلٌ) عندى التى كنتم بها
ولكنَّما دارُ الأذلاء (سيشل)

محمد الأسمر

قصائد فى أبيات

للأستاذ محمود غنيم

ديك الصباح

قلت للديك ساعة صاحا — هل تغنى لنا نشيد الصباح
قال : لا ، بل نعيت يوماً راحا — ومحاه من صفحة العمر ماح

الذئب

قلت للذئب أنت وحش ضَارِ — قال أظفاركم شأت أظفارى
أفمار أن يقنص الذئب سخلا — واقتناص البعير ليس بعار
أفزع المرء كلَّ شاء وأبلٍ — وأخاف الطيور فى الأوكار
استغاث العقاب فى الجو منه — واتقى النون شره فى البحار
ولخير للشـاة ناب وظفر — من شفار المدى وشيٍّ النار

« مدرسة الأورمان » — محمود غنيم

دوحة الفرصاد (١)

للأستاذ عبد الحميد السنوسى

ولقد مررتُ بدوحة الفرصادِ — فشهدتُ ما فعل الزمان العادى
جفت نضارتُها . وصُوِّح نبتها — وتناثرت أوراقها فى الوادى

(١) شجرة التوت الأحمر : وهي شجرة لها فى قلب الشاعر ذكريات حلوة حركته إلى نظم هذه الأبيات

مَاذَا ؟ ! وَأَهْلُوكِ عَلَى غَفْلَةٍ — مَرُّوا بِوَادِي الْحُبِّ صُمًّا قُسَاهْ
لَمْ يَسْمَعُوا النَّجْوَي.. وَلَمْ يَرْحَمُوا — فِي حُسْنِكِ الْمَعْبُودِ نَارَ الشَّكَاهْ
غَنَّتْ لَكِ الْأَصْفَادُ شِعْرَ الْأَسَى — وَالْعَابِدُ النَّائى يُغَنِّى لَظَاهْ !
....

محمود حسن اسماعيل



راهب إيليـــاء

للأستاذ محمد سعيد العريان

على حدود الصحراء صوامع وبِيَع ، وكنائس وأديار ؛ فيها قساوسة ورهبان نذروا أنفسهم لله أو نصبوا حبائلهم للمال ؛ منهم برٌّ وفاجر ، وناسك وداعر ؛ وحواريٌّ من بقية السلف المؤمنين خاشع فى محرابه ، عاكفٌ على أسفاره ، يترقب مَشرق الصبح بنفس راضية وقلب عامر ؛ وآخرُ شيطانٌ فى مسوح راهب ، قد استمرأ المرعى فى ظل البطالة ، واستوطأ المقام فى كنف الراحة ، واستلذّ الحياة فى الدَّير بين خمرٍ عتيق وقدٍّ رشيق وعودٍ وندامى !

وعلى ساحل البحر قلاع وحصون ، وصياص ومعاقل ، وجند من جند الروم قد رابطتْ على أهبة واستكملت السلاح والعدة !

وبين الصحراء والبحر من بلاد الشام يعيش شعب مرزوء ، سلبه غزاةُ الروم وطنَه ومالَه ، وسلبه الرهبان والقساوسة الدينَ والخلقَ وحرية الفكر والضمير !

وكانت قوافل التجار لا تنقطع بين الحجاز والشام

* * *

وكان يوماً قائظاً حين وفدت على الشام قافلة من التجار العرب ، فأناخت جمالها على حدود الصحراء فى ظل جدار قائم ، تستجمّ لما بقى من الرحلة ، وتنفض عن كواهلها غبار السفر الطويل فى صحراء ليس فيها ظلٌّ ولا مأوى ! وكان بينهم عمر !

فتى آدَمُ طوَال أصلعُ أقنى الأنف قويُّ الساعد بعيدُ ما بين المنكبين ؛ فى عينيه بريق ينبئُ عن عزم وفتوة ، وله نظرةُ الآمِر المطاع بين رفاقه وإن لم يبلغ العشرين بعدُ ، وفيهم الكهول والأشياخ !

وبلغت القافلة حظها من الراحة فنهضت تستأنف المسير ، فما كادت تمضى فى طريقها خطوات حتى اعترضها واحد من الرهبان!

ووقف الراهب يتفرس فى وجوه القوم برهة قبل أن يخطو إلى عمر فيضع يده على كاهله يختاره لما يريد من أمر :

وأيقن الركب أن لا قدرة لهم على عصيان الراهب فيما يريد ، فخلفوا الفتى بين يديه ومضوا على وجوههم ...

ولم يستطع عمر خلاصاً من يد الراهب ، ولم يعرف لأى أمر يريده ، فانقاد له . وبلغا الدير فدخل الراهب ودخل عمر ...

وكان فى الحوش كومة من تراب ، وإلى جانبها مجرفة ومكتل ؛ فتقدم الراهب إلى عمر يأمره : « يا فتى ! هذا التراب تحمله من هنا إلى هناك ... يجب أن تفرغ منه قبل أن أعود إليك ... ! »

ثكلتْك أمك يا عمر ! ألهذا كانت رحلتك الطويلة فى البادية الظمآنة من الحجاز إلى حدود الشام أياماً وأسابيع ؟

وجلس الفتى يتحدث إلى نفسه مغيظاً محنقاً ، لا يجد من

فبكيتها ، لا بل بكيتُ صبابتى ... ورثيتها ، لا بل رثيتُ فؤادى

يا دوحةَ الفرصاد غيرك البلى ... وجرت عليك روائح وغوادى

أشبهتِ أعوادى التى نثر الأسى ... أوراقها ، وإنها على أعوادى

قد كنتِ مثلى فى الربيع غضيرةً ... أيامَ أوراق المنى أبرادى

فغدوتِ عارية فلا ثمرٌ ولا ... ورق عليكِ ولا حَمام شادى

أشبهتنى حتى بكيتُ وإنمـا

يدرى جوى الصديان قلب الصادى

يا قلب ليتك فى النعيم وفى الأسى ... أبدَ الزمان كدوحة الفرصاد

فلقد يعود مع الربيع شبابها ... لكنْ شبابُ العمر غير معاد

عبد الحميد السنوسى

كبريائه سبيلاً إلى الطاعة ولا طريقاً إلى الخلاص . ومضت ساعة وعاد الراهب مخموراً يتهالك من نشوته ، وإن عليه لثوباً رقيقاً من حرير يشفّ ويَصف ، ويفوح من أردانه عطر مُسكر !

ونظر الراهب إلى كومة التراب ما تزال فى موضعها حيث كانت ، وإلى جانبها المكتل والمجرفة ، وإلى عمر مازال فى موضعه واقفاً يتفكر ...

ودنا منه الراهب وفى عينيه الغضب ، فلطمه لطمة أليمة وهو يسبّ ويتوعّد ... !

هواناً لك يا عمر إن لم تأخذ بحقك ثأراً كما يثأر البدوىّ لعرضه المنتهك !

وهاجت كبرياء عمر فتناول المجرفة من قريب فأهوى بها على رأس الراهب فخرّ صريعاً لوقته لم ينبس بكلمة !

« لك ما أردتَ لنفسك ... ! » :

قالها الفتى العربى وهو يجمع عزمته فى رجليه فيقفز على سور الدير إلى الطريق لا يعرف أين ينتهى ولا أين يدركه الطلب !

ومضى على وجهه فى المفازة الشاسعة عدْواً كالظليم لا يقف فى طريقه شئ من حفرة أو صخرة أو تلّ معترض ، حتى انتهى إلى جدار قائم فأوى إلى ظله حتى تفئ إليه نفسه ...

وأطلّ رأسٌ من نافذة ينظر . . . ثم انفتح باب الدير الذى أوى إلى جداره عمر ؛ وخرج إليه راهب يسأله عن خبره ... !

« من تكون يا فتى ؟ وما جاء بك ؟ »

واستمع عمر إلى الصوت الذى يناديه فرفع رأسه ينظر ؛ فإذا قسٌ ناحل سقيم الجسد غارق فى مسح أسود ، وعلى جبينه إشراق ونور وفى عينيه تواضع ورحمة .

أجابه عمر فى صوت يختلج : « سيدى ! عابر سبيل أضلّ أصحابه فأوى إلى ظلك ساعة يستريح ! »

سمع الراهب لحديث عمر ثم قال مبتسماً : « أحسبك لم تصدقنى يا فتى ؛ فإن فى عينيك بريقاً ينبئ أنك هارب مذعور ! »

ازدرد الفتى ريقه، واستطرد الراهب : « لا عليك؛ إن عندى مأوى صالحاً وطعاماً ! »

وقاده من يده إلى الدير وأغلق الباب وراءه ... ... !

***

جلس عمر إلى مائدة شهية فأكل وشرب ؛ والراهب بإزائه يحدق فيه لا يكاد يطرف جفنه ، وبينه وبين نفسه حديث طويل .

فلما فرغ من طعامه جلس إليه يتبادلان الحديث ، حتى أنس عمر وثابت نفسه ، وصمت الراهب برهة ثم عاد ينظر فى وجه الفتى وهو يقول : « أئنك لأنت ... ؟ »

وطارت نفس عمر ، وتوزّعتْه الظنون ، واستمر الراهب فى حديثه : « . . . ألا إنه ليس فى هـذا البلد من هو أعلم منى بعلم أهل الكتاب ؛ فإنى لأكاد أوقن أنك الشخص الذى أعنى : ستدول دولة الروم فى الشام على يدي فتى مثلك ؛ ويخفق عليها لواء دين جديد ! »

لم يفهم عمر كلمة مما قال الراهب ، ولكنه استمر يستمع له مدهوشاً ذاهلاً ، وفجأة سأله الراهب : « ما اسمك يافتى ؟ »

قال : « ... عمر بن الخطاب ، من بنى عدىّ ! »

وهب الراهب واقفا وهو يقول : « والله ما خدعتنى فراستى . إنك لأنت هو ؛ فهل تعاهدنى ... ؟ »

ثم أتى بقرطاس وقلم فدفعهما إلى عمر قائلا : « اكتب ... اكتب أننى جارٌ لك ، لا عدوان علىّ فى مالى ولا فى نفسى يوم يئول أمرها إليك ... ! »

وفغر الفتى فاه دهشة لما يرى وما يسمع ؛ ثم توجه إلى الراهب يقول : « سيدى ، لقد أكرمتنى وألطفتنى ما لا مزيد عليه ، فلا تسخر منى بعد ! »

قال الراهب : « أظننت ؟ لعمر الحق ما عنيتها ، ولا عليك من شىء أن تكتب ؛ فإن كان الذى أتوقع فقد فعلت ، وإلا فلن يضيرك مما تكتب شىء ! »

وتناول عمر القلم فكتب ما أملى عليه الراهب ثم دفع إليه الكتاب ...

***

وعاد الفتى إلى أهله ، يعيش عيش المترفين من فتيان العرب ، لا يعنيه من أمرٍ شىء ، إلا ما يعنى غيره من شباب مكة من المنافرة والمفاخرة وانتهاز سوانح اللذات !

ومضت سنوات ، ونسى الفتى ما كان من أمره فى الشام !

وبعث الله محمداً نبياً يدعو إلى الحق وإلى سبيل الرشاد ؛ فآمن من آمن ، وأنكر دعوته من أنكر ؛ وكان عمر أشد أعداء محمد حرباً عليه وعلى صحابته ، فما أمكنته الفرصة مرة برجل من أصحاب

محمد إلا ناله بما يكره من الأذى والمهانة !

ومضت ست سنين منذ بعث الله محمداً بالحق قبل أن يسلم عمر بن الخطاب !

وراحت جنود الإسلام تغزو الشرك فى دياره ، فما وطئتْ بلداً إلا أعلت كلمة الله ورفعت راية الإسلام . ومضى المسلمون فى جهادهم يفتحون الأمصار ونورهم يسعى بين أيديهم ؛ فما انتقل محمد إلى ربه حتى دانت الجزيرة العربية كلها وغمرها نور الإسلام

وتولى عمر إمارة المسلمين وجنودُ الإسلام يومئذ على حدود الشام ؛ فمضى قُوّادُه إلى غايتهم يبشرون بالدين ، حتى تم فتح الشام على أيدى أبطاله : خالد ، وأبى عبيدة ، وعمرو ، ويزيد بن أبى سفيان . وخلصت بلاد العرب من أبناء غسان — من عسف الروم وبطش الرّهابين ، لتعود جزءاً من الدولة العربية المسلمة التى يقوم على شئونها عمر !

وتخفف أهل الشام من أثقال الحكم الجائر ليعودوا إخواناً متحابين ليس لأحد على أحد يد ولا منة ؛ وانزوى الرهبان فى أديارهم لا يربطهم بالجماعة رابطة إلا ما يدفعون للأمير العربى من الجزية تأميناً لأنفسهم ولما يملكون من مال اجتمع لهم على الأيام مما اغتصبوا من أفواه الجياع باسم الدين ! فأيُّما رجلٍ منهم حدّثته نفسه بالعصيان والتمرُّد ، ردُّوه بأسيافهم إلى الطاعة وأجلَوْه عن صومعته ليجعلوها مسجداً من مساجد المسلمين ؛ فلهم حرية العبادة وحرية المقام ما التزموا حدودهم التى ضربها الإسلام عليهم ...

***

وتم الأمر للعرب فى بلاد الشام ، فكتب أمير الجند أبو عبيدة إلى عمر يدعوه ليعقد العهد بين أهل الشام والعرب الفاتحين ويكتب لهم به . وقدم الركب الحجازى يقدمه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؛ حتى أناخ رواحله فى بيت القدس . . . وجلس عمر ذات يوم بين أصحابه وقادة جنده يشرع لهم ويبادلهم الرأى والمشورة ؛ فإذا راهب مقبلٌ من بعيد إلى حيث يجلس هو وصحابته ؛ فما إن تبينه عمر مقبلاً عليه حتى عرف ؛ فارتد بفكره إلى الماضى يذكر تاريخاً بعيدا وذكرى مضى دونها بضع وعشرون سنة ؛ فأطرق برأسه متأثراً وهو يقول فى همس: « جاء مالا طاقة عليه لعمر ! » ثم رفع رأسه وفى عينيه بريق عجيب ، وقد تنشّتْه الذكرى وعادت به إلى ماضيه تنشره أمامه صفحة صفحة منذ كان، وكان ، وكان...

ودنا الراهب الشيخ من مجلس الأمير فحيا ووقف وفى يده صحيفة مبسوطة ، فتناولها الأمير وجعل يقرأ :

« هذا عهد من عمر بن الخطاب إلى راهب إيلياء ؛ له ما لأصحابنا وعليه ما عليهم ، لا نظلمه ولا نخذله ، ولا نفرض عليه ما لا طاقة له به ، وله ديره وما ملك ... ! »

وهم الراهب أن يتحدث ليشرح أمره فابتدره عمر : « حسبك حسبك ؛ إن لك ذمة فى عنق كل مسلم وكل عربى ، إن لم يؤكدها هذا الصك المكتوب أكدها شرف العربىّ وخلق المسلم ! »

ثم التفت إلى عامله أبى عبيدة قائلا : « ذلك جارى ، فله عليك الأمان والذمة ، لا يعرض له أحد بسوء ولا يناله بما يكره ! »

وتلاشت آخر كلماته فى بحة راعشة، وغامت عيناه بدموع التأثر. ثم نهض رافعاً رأسه وهو يقول فى كلمات عميقة التعبير بليغة الأثر :

« حيثما يرفرف لواء الإسلام فليس ثمة إلا العدل والوفاء والرحمة. لا يعرف الفاتح العربى غطرسة الحاكم ولا جبروت المنتصر ؛ ولا شىء بين الحاكم والمحكوم إلا دين الله ووشائج الإنسانية ! »

« شبرا » محمد سعيد العريان



الفنانون المصريون

لما كنت فى جبال الدولوميث صيف السنة الماضية لقيت نفراً من مهرة الفنانين الإيطاليين . فحدثونى عن القسم المصرى لمعرض البندقية الواحد والعشرين XXe Biennale . وكان حديثهم من أعذب ما سمعت إذ أقروا أن دلائل الفن المصرى الحديث من الطراز الأول . ولما انحدرت من جبال الدولوميث إلى سهول إيطالية لم أر بداً من الذهاب إلى البندقية فوصلتها فى يوم يكاد فيه الهواء يصل إلى الرئة : حرّ أسوانى وثقل فى الجو ثم بعوض فتّاك

إن القسم المصرى فى معرض البندقية كان شيئاً عظيماً حقاً .

فلم أفرغ من تأمله حتى بعثت إلى « الرسالة » بمقالة مسهبة وصفت فيها المعروضات وعللت تقدم الفنانين المصريين . وإذا المقالة لا تنتهى إلى « الرسالة » عفا الله عن البريد

ويعزّ علىّ أن أهمل ذلك القسم المصرى ، إلا أنى أصبحت أرى معروضاته على ضوء ضئيل أو كما يقول المصورون أنفسهم فى ضياء مظلم clair obscur ومما زيد فى أسفى أن هذا القسم عُرض ثانية فى فندق الكونتيننتال فى القاهرة وأنا لم أحضرها بعد

فهل يؤذن لى أن أكتب من الذاكرة ؟

أذكر من الصور تلك التى عرضها محمود سعيد وهو مصور يحق له أن ينافس كبار زملائه من الفرنجة . ويمتاز سعيد ببثّ الحياة الزاخرة فى نواحى صوره وبالإتقان من غير تكلف وبالتأليف الجامع المدفون فى اللمحات والإشارات كأنه نغمات تنسجم على وزن لا يبلغ الأذن . ثم إنه أخذ يفلت من تأثير روبرندت Rewbrandt وروبنس Rubens وحول أنظاره إلى الفطريين أمثال فان إيك Van Eyck إلا أنه يصب فى ألواحه ما يحس به خاصة وما يضطرب فى الطبيعة المصرية . وله أداء تعبيرى يدعوك إلى الروية وطلب المزيد . وإنك لتلمس هذا أمام صورتين له على وجه التخصيص هما : فتيات بحرى والجزيرة السعيدة .

وأذكر من المنحوتات تمثالاً لأحمد عثمان يبرز فتاتين خارجتين إلى النزهة فيما أظن . والتمثال على الطريقة الوصفية الدقيقة . إلا أن الدقة فيه غير مباشرة ، ومعنى هذا أن التفاصيل لا تؤدى على حالها المنظور بل على حالها المتخيَّل . وهذا أسلوب فى الأداء عرفه قدماء المصريين . وجمال هذا التمثال من جانب الصدق الذى يفيض من نواحيه ثم من جانب قوته التزيينية décorative

وهنا أحب أن أعلن أن الفن فى مصر الحديثة سبق الموسيقى والرقص والشعر حتى النثر لأنه بنجوة من الرأى العام لانصراف الجمهور عن مظاهره ، والرأى العام عندنا يكره الوثبات ، ولأنه غير خاضع لسلطان التقاليد والمنقولات إذ التصوير فى الإسلام لا يعدو جانب التزويق ، ولأنه نهض أول ما نهض على قواعد الفن الأوربى وحده فلا نزاع ولا شقاق ولا تقديم رجل وتأخير أخرى . أضف إلى كل هذا أن أصحابه أدركوا أن غاية الفن الصحيح طلب الطرافة من ناحيتين : الأولى بالانطواء على النفس والثانية باستلهام ما يحيط بك . فهذه تخرج لكل بلدٍ فنه الموقوف عليها لأنه مستمد من سمائها وأرضها وسليقة أهلها ، وأما تلك فترسل فى ألواح كل فنان معنًى وتنفث سراً .

بشر فارس

من مآسى الحياة

سيدى الأستاذ الزيات

لقد وعدت أن أقص عليك ما أعلم من مآسى الحياة ، ولكنى رأيت ألا أفى بوعدى رحمة بالرسالة وقراء الرسالة

إن حبى للرسالة يمنعنى أن أحملها من المآسى ما تخر تحته الجبال .

مآس سحقت قلوباً كانت قوية ، وأذلت نفوساً كانت عزيزة أبية ، وهدمت حياة كانت حافلة بالآمال والأعمال .

فهل فى استطاعة الرسالة احتمال كل هذا ؟

أما كفاها ما حمّلها صاحبها من مآس وهى لا زالت طفلة فى السابعة من عمرها؟ لقد رأيت الدموع تجرى بين سطورها، وسمعت أنات القلوب المحطمة بين صفحاتها ، فهل أزيدها ألماً وأحمّلها عصارة القلوب المنسحقة ؟ .

رحمة بالرسالة يا سيدى فهى — على رغم ما تحمل من علوم وآداب عالية — لا زالت رقيقة صغيرة نضرة . وإنى لأشفق عليها من وصف ما وصل إليه الإنسان من وحشية وقسوة ! !

نعم يا سيدى الفاضل « إنه لا يزال فى خبايا الغيوب وطوايا الحجب ما هو أمضّ لوعة وأشد روعة من « فتون وجنون »

لا يزال فى خبايا الغيوب وطوايا الحجب مآس هى أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة. وفى خبايا الغيوب آلام تضعف عندها الألفاظ وتمتنع عنها أقوى المعانى

وفى طوايا الحجب ضحايا ...

ليت رحمة الله تدركهم فيذوقوا نعمة الموت ! حتى الموت امتنع عنهم

وهل هناك أشد بؤساً من قوم كل أملهم انتظار الموت ؟

لا تشك الدهر فيما يأتى به من شقاء، ولا تلم القدر بما يجيب من دعاء، فإن قلب الإنسان أشد قسوة وأمرّ تعذيباً من كل هؤلاء . بين الناس من يحملون قلوباً كالرحى . ولقد فكرت مراراً كيف يقدر الإنسان أن يتفنن فى تعذيب إنسان آخر وخصوصاً إن كان أقرب الناس إليه ! ! ولكنى عجزت عن الجواب .

أرانى يا سيدى الفاضل تماديت فى الحديث أكثر مما كنت أود وأخشى إن أنا استرسلت فى الكتابة أن أكشف عن خبايا مآس ربما كان سترها أفضل ، وأعيد ذكرى آلام ربما كان نسيانها أوفق، فعفواً سيدى ومعذرة إن أنا لم أنجز وعدى. فليس فى استطاعتى أن أقص عليك . فربما كان الصمت أبلغ من القصص .

ا . ش . ف

هل عبد الإسرائيليون أبا الهول ؟

جاء فى العدد (٢٨٨) من مجلة الرسالة الغراء أن كلمة « أبو الهول » محرفة عن كلمة « بوحول » ، وهى لفظة إسرائيلية معناها « مكان حول » و « حول » إله محلى فى فلسطين ، فلما نزل الإسرائيليون أرض مصر أقاموا بجوار أبى الهول ، وعبدوه بدلاً من أحد آلهتهم ، لما بينهما من تشابه

ولا شك أن هذا ينافى ما هو معلوم من تاريخ الإسرائيليين ، لأنهم لم يكن لهم إله بفلسطين قبل هجرتهم إلى مصر يسمى « حول » . فإن الذين هاجروا منهم إلى بلاد مصر هم : يعقوب وأولاده ، ويعقوب هو إسرائيل ، وإليه ينسب الإسرائيليون . وقد كان هو وأولاده يعبدون الله تعالى قبل هجرتهم إلى مصر ، وبعد هجرتهم إليها كما هو معلوم من إجماع الكتب المقدسة وغيرها. ولا يصح أن يعدل عن تواتر التاريخ بهذه المناسبات اللفظية التى ترجع إلى توافق اللغات وتشابهها ، ولا يمكن أن يؤخذ منها تلك الأمور التى تنافى الحقائق التاريخية

والمعروف أيضاً أن الإسرائيليين لما هاجروا إلى مصر نزلوا بأرض جاسان ، وهى فى مديرية الشرقية الآن ، وقد أقاموا بها إلى أن أخرجهم فرعون موسى منها

فإذا صح أن قوماً من فلسطين نزلوا بجوار « أبو الهول » وعبدوه . فإنهم يكونون من الفلسطينين الوثنيين لا من الإسرائيليين الموحدين ، وقد كانت فلسطين جامعة للفريقين

وإذا صح أن اسم « أبو الهول » فى الهيروغليفية هو : « حرأم آخت » ؛ ومعناها : « هوراس الذى فى الأفق » . فإن الأقرب أن يكون تحريف ذلك الاسم عن « هور » . لا عن « بوحول » ، وإضافة لفظ الأب إلى أسماء : (الأعلام) شائعة فى العامية المصرية إلى الآن ، وهذه التسمية من وضعها ، وقد جاء ذلك الصنم فى كتب مؤرخى العرب باسم « بلهيت » أو « بلهوية »

عبد المتعال الصعيدى

تمثال مصرى قديم يخرج عن مصر

نشرت بعض الصحف نبأ عن تمثال مصرى معروض على متحف متروبوليتان فى الولايات المتحدة لشرائه، وقالت إنه أخرج من مصر خلسة . وقد قالت مصلحة الآثار المصرية إنه لأمير مصرى استخرج من حفائر دهشور حول هرم الملك ببى من الأسرة السادسة ، وكان يقوم بالحفائر فى تلك المنطقة مسيو جيكييه رئيس البعثة الفرنسية . والمفهوم أن هذا التمثال أرسل من مصر قطعاً

صغيرة ثم أعيد تركيبه فى أمريكا وعرض للبيع فقدر له مبلغ ١٥٠٠ جنيه مصرى ثمناً وقد أرسل متحف المتروبوليتان الأمريكى إلى مصلحة الآثار المصرية خطاباً يعرض عليها فيه شراء التمثال بهذا المبلغ فطلبت إرسال صورة له للاطلاع عليها

وتبحث مصلحة الآثار باهتمام فى هذه الأيام الطريقة العملية لمنع تسرب الآثار المصرية إلى الخارج ، وقد اشترطت أخيراً على هذه البعثات وجوب وضع فنى مصرى فى كل بعثة لمنع أمثال هذه الحوادث

أعظم مجهر فى العالم

حضر ولى عهد بلاد السويد فى ٧ يناير تجربة الميكروسكوب الكهربائى الذى يكبر حجم الأجسام الدقيقة والذرات مائة ألف مرة

وإذا تصورنا أن الميكرسكوب العادى قد لا يتجاوز فى تكبيره خمسة آلاف ضعف ، أمكننا أن نتصور عظمة هذا المجهر الذى سيكون له أعظم شأن فى الكشف الطبى والعلمى والفنى

والمخترع لهـذا الميكرسكوب العجيب العلامة سيجباهو المعروف فى جامعة أوبسالا والذى منح جائزة نوبل للعلوم الطبيعية

ويقال إن البروفسور سيجباهو استعمل مجهره العجيب على أساس الأشعة الكاتوديكية بدلاً من الأشعة الكهربائية العادية

ونحن إذ نسجل هذا الخبر ندعو الله أن يمهد السبيل لأحد المصريين أو أبناء الشرق أن يخترع اختراعاً أو يكتشف اكتشافاً يكون له دوى عالى حتى يلتفت العالم العلمى إلى بلاد تكثر من ذكر العبقرية وذكر النبوغ دون أن يكون من بين أبنائها من يمكن إطلاق إحدى الصفتين عليه بجدارة واستحقاق

مصلحة للآثار العربية

كانت النية معقودة فى وزارة المعارف المصرية على ضم دار الآثار العربية إلى إدارة الآثار الإسلامية وإنشاء مصلحة بهما معاً

وقد رفعت مذكرة إلى مجلس الوزراء بهذا الشأن ، والمأمول بعد هذا الضم أن يتم العمل فى ترميم الآثار والمساجد الإسلامية التى لا يزال بعضها مهملاً مع كونه هاماً أو على جانب من الجمال الفنى

وقد قامت إدارة الآثار الإسلامية بمجهود جبار مع كونها كانت إدارة ؛ فلا يبعد أن يتضاعف مجهودها إذا ما أصبحت مصلحة مستقلة ذات ميزانية كبرى

توليد السماد من الهواء

من المسائل التى تهتم بها الآن مصلحة التجارة والصناعة بحث كشف علمى جديد كشفه أحد الأمريكيين وسجله لدى حكومته

وخلاصة الكشف أنه يمكن توليد السماد من الهواء بطريقة خاصة تجمع بين غاز الأكسجين وغاز الأزوت بعد تسليط أشعة خاصة هى وسط بين أشعة إكس وأشعة الألترا فيوليت . وقد أوضح المكتشف فى تقريره إلى مصلحة التجارة والصناعة المصرية بأن طريقته أقل نفقة من غيرها ، ولذا أرسلت الوزارة المصرية إلى مفوضيتها فى واشنطون طالبة زيادة الإيضاح والبيانات عن هذا الكشف العلمى الذى قد تستفيد منه مصر إذا ما اتضح نفعه

الحالة الاقتصادية فى تونس

كثر الحديث عن تونس منذ أسابيع بالنظر إلى الاقتراحات الإيطالية التى ستتقدم بها الحكومة إلى الجمهورية الفرنسية كما كثر اهتمام الشرقيين بهذا القطر الشقيق. ولعل فيما نذكره عن حالة تونس من الناحية الاقتصادية ما يجعلنا نفهم بعض الشىء الدافع لإيطاليا إلى الاتجاه لهذه المنطقة الخصبة

مساحة الأراضى المزروعة قمحاً	١ر١٠٠ر٠٠٠	فدان
« « المغروسة عنباً	٣١ر١٠٠	فدان
محصول القمح فى السنة	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	قنطار
« الشعير « «	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	«
« الشوفان فى السنة	٥٠٠ر٠٠٠	«
« النبيذ المتحصل من الكرم	٧٠ر٠٠٠ر٠٠٠	لتراً
عدد أشجار الزيتون	١٦ر٠٠٠ر٠٠٠	شجرة
ينتج منها زيت قدره	٥٠٠ر٠٠٠	لتر
وفيها يبلغ طول الطرقات المعبدة	٦٠٠٠	كيلومتر
وطول السكك الحديدية	٣٠٠٠	كيلومتر
وعدد موانيها يبلغ	٢١	مرفأ
منها من الدرجة الأولى	٤	مرافئ
تبلغ حركة التجارة فى أولها وهى صفاقس	٣ر٠٠٠ر٠٠٠	طن
وفى الثانية وهى تونس	١ر٠٠٠ر٠٠٠	طن
وفى الثالثة وهى بنزرت	٤٥٠ر٠٠٠	طن
وفى الرابعة وهى سوس	٤٢٠ر٠٠٠	طن

وقاية آثار المتحف المصرى من الغارات الجوية

المعروف أن المتحف المصرى يشمل أغنى مجموعة أثرية مصرية فى العالم أجمع ، ولذلك كان من ضمن الأعمال الهامة التى درستها الحكومة المصرية النظر فى أمر وقاية الآثار فى المتحف المصرى عند حصول غارات جوية

وقد ذهب الخبير البريطانى فى مصلحة الوقاية من الغارات الجوية إلى مصلحة الآثار لمعاينة الأماكن والمخازن ذات القبو التى يمكن اعتبارها صالحة لهذا الغرض واطلع الخبير على رسوم خاصة بإنشاء مبان أخرى

ويهمنا من نشر هذا الخبر أن نوجه عناية الحكومة إلى التفكير أيضاً فى وقاية الآثار العربية لأنها إذا لم تكن قديمة قدم الآثار المصرية فإنها لا تقل عنها شأناً

مستقبل الثقافة فى مصر

أخرج صديقنا الدكتور طه حسين بك كتاباً قيماً فى جزءين عالج فيه مستقبل الثقافة فى مصر بمعاهدها المختلفة. وقد أرسل إلينا الدكتور زكى مبارك بحثاً ضافياً عنه سننشره فى العدد القادم

بين القديم والجديد

أرسل إلينا الأستاذ محمد أحمد الغمراوى مقاله الثانى فى الرد على (قارئ) فى مسألة الأدب بين القديم والجديد فاضطررنا لضيق الوقت أن نؤجله إلى العدد المقبل

جمعية علمية فرنسية تعمل على نشر الأدب العربى

علمنا أن الجمعية العلمية الفرنسية التى وجهت عنايتها منذ إنشائها إلى نشر الآداب القديمة والحديثة ، قد اتجه تفكيرها إلى إحياء ما تركه العرب من تراث أدبى ، مع توجيه نصيب من الجهود إلى الأدب العربى الحديث لإعطائه حقه من العناية والدراسة

ومما وقفنا عليه فى هذا الصدد أن فريقاً من علماء تلك الجمعية اعتزموا زيارة مصر فى الأيام القريبة المقبلة للاتصال بكبار رجال الأدب فيها ، تمهيداً لترجمة بعض المؤلفات الأدبية القديمة والحديثة ونشرها فى فرنسا

ومما يجدر بالذكر أن هذه الجمعية العلمية قد نشأت بعد الحرب الكبرى ، وبدأت جهودها التى لا دخل للهيئات الرسمية فيها ، بنشر الآداب اللاتينية بعد ترجمتها ترجمة جديدة ، فأحدثت بذلك ثورة فكرية فى البيئات الأدبية والعلمية ، لم تتأثر بها فرنسا وحدها وإنما تعدت حدودها إلى الممالك الأخرى

مشروع جامعة السودان

من أنباء الخرطوم أنه منذ صدور التقرير الضافى الذى وضعه اللورد دى لاوار عن التعليم فى السودان ، ومصلحة المعارف السودانية تبذل جهدها لتحقيق أمل السودانيين فى إنشاء جامعة للسودان على نحو الجامعة المصرية

وقد كتبت بعض الصحف تشك فى إمكان قيام مثل هذه الجامعة لعظم ما تحتاج إليه من تكاليف لا تتحملها الميزانية السودانية . ولكن المتصلين برجال المعارف فى القطر الشقيق يقولون إنهم جادون كل الجد ، فى العمل على تنفيذ مشروع الجامعة السودانية

ويظهر أن الجامعة الجديدة سوف لا تستند فى مواردها إلى المالية السودانية فقط ، لأنها فى الحقيقة ليست تنفيذاً للأمل السودانى المتواضع ، بل تنفيذاً لسياسة عليا ، يرجى من ورائها أن ينشأ هناك مركز علمى كبير يحمل الثقافة إلى الجزء الأفريقى من مستعمرات التاج البريطانى ، وقد أشير إلى هذا الغرض صراحة عند إرسال بعثة دى لاوار

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

Lundi - 30 - 1 - 1939

7me Année No. 291

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٩١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ٣٠ يناير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

عيـــد الفقير...

عيد الفقير! وهل للفقير عيد؟

نعم للفقير عيد إذا أردنا به الشعائر الدينية والقومية: فهو يصلى العيد، ويزور المقبرة، ويعيِّد على آله وصحبه، ويُكرِه السرور النافر على الإلمام ببيته وقلبه، ويجعل من المساجد والحدائق والميادين مظاهر إخلاص وشكر لوطنه وربه

فإذا أردنا بالعيد التقلب فى وثير الفراش من غير صلاة، والتنافس فى ذبح الكباش من غير تضحية، والتأنق فى الزينة والثياب، والتفنن فى الطعام والشراب، والتبسط فى اللذة واللهو، والتهادى بين التيه والزهو، فذلك عيد الباشا والأمير، لا عيد المسكين والفقير

وارحمتا للفقير قبيل العيد! يرى متاجر الملابس واللُّعب والحلوى قد ازّينت واجهاتها البلورية بالعُروض الجذابة والنماذج المغرية، فينظر إليها نظر الراغب المحروم، ويذكر أطفاله الفارّين فى حنانه وهم يحلمون بالثوب الجديد واللعبة المسلية والأكلة الشهية والنزهة الممتعة، ويعتقدون أن أباهم قادر على أن يجعل عيدهم سعيداً وحلمهم يقظة، فيكرُبه الأسى وتصيح الحسرة فى نفسه:

— حنانيك يا رباه! هذه نعمك واسعة سابغة، ولكن القدر لحكمة لا يدركها البصر المحدود جعلها لغيرى لذة بالقدرة.

ولنفسى ألماً بالعجز ، ولأولادى شقاء بالحرمان . فليت القدرة تعرف الرحمة ، وليت العجز يدرك المعونة ، وليت الحرمان يخطئ الطفولة ، وليت الأيام تمضى إلى غايتها من غير عيد ولا موسم !!

إن الأعياد مذلة للوالد الفقير وفضيحة للبيت البائس ! ففى الأيام الأُخَر يستطيع العائل المسكين أن يغلق بابه على بؤسه، ويَرُوض أهله على مكروهه ؛ ولكنه فى العيد لا يستطيع أن يضرب على الآذان ، ولا أن يختم على العيون ، فإن المدافع تقصف فى القلاع ، والمزامير تعزف فى الشوارع ، والناس يزيطون فى الملاهى ، والأطفال فى المراكب والمواكب يرفلون فى الوشى ويلهون باللُّعب ؛ فأولاده لابد سائلون :

يا أبانا، أين الثوب الذى نلبس، واللحم الذى نأكل، والقرش الذى ننفق ؟ أهذا العيد لناس دون ناس ، أم هو ذو وجوه شتى منها العابس والباسم، ومنها الدميم والحسن؟ ولِمَ آثَرَنا نحن يا أبانا بهذا الوجه الشتيم الكالح ؟

لو كان هذا الرجل فى أمة مؤمنة محسنة لأجاب بنيه بقوله : صبراً يا بنى ، فعمّا قليل يدخل عليكم باباكم (بيرم) أو عمكم (نويل) بالألطاف والحلوى والحلل من وقفية الباشا فلان، أو من جمعية كذا للإحسان ؛ ولكنه يجيبهم بالدمعة البادرة، والزفرة المحرقة ، والنظرة الحزينة ، فلا يفهمون إلا أنهم أحقر من هؤلاء الأطفال ، وأن أباهم أفقر من هؤلاء الرجال . أما علة هذا التفاوت وإلهنا واحد، وأبونا واحد ، وملكنا واحد، ووطننا واحد، فعلمها سيأتيهم مع الأيام إذا ما خرجوا بأنفسهم إلى الحياة فرأوا المكظوظ الذى غصب رغيف الجائع ، والملفَّف الذى نهب كساء العارى ، والمموِّل الذى سرق نصيب المحروم

* * *

حدثنى رجل من ذوى هذه الحال أنه كان يشتغل مياومة فى مصلحة من مصالح الحكومة ؛ فلما قل عليه العمل استغنوا عنه ؛ ولكنه لسوء حظه لم يستطع أن يستغنى عن الأكل ، ولا أن يقنع أولاده بالصوم ، فراح يطلب العمل فى كل مكان والمعونة من كل إنسان فلم يجد . ودخل عليه عيد الفطر من هذا العام وليس فى يده ما يشترى به الكُسى لبنيه والسمك لزوجه. وكان قبل نكبته بأسبوع قد وعد الكبار بالبِذَل والصغار بالهدايا، فسبحت أخيلة الأطفال فى جو من الأحلام عجيب الألوان عبقرى الصور ؛ وأسرعت ألسنتهم الثرثارة إلى إشاعة ذلك فى الرفاق والجيرة . فغُمّ على الرجل الحال ، واعتلج فى صدره الهم ، وأصبح حيران لا يدرى ما يقول ولا ما يفعل . تمنى الخروج من هذا المأزق بالمرض أو الموت ؛ ولكن المرض أو الموت إذا أصبح أمنيّة الفقير امتنع كالخير وعزّ كالسعادة . فاحتال على العلة بالجوع ، فصام النهار والليل حتى هجمت عيناه وانسرقت قواه وبانت عليه نهكة المرض

ودخل العيد بضوضائه وخيلائه على هذه الأسرة البائسة فوجدها عاكفة على سرير مريضها الموجَع ، مضرَّمة الأنفاس ، لهيفة القلبِ ، لا أمل لها إلا أن يعافى عميدها و يحيا . فانكفأ العيد النشوان المرِح خجلان عن هذا المنظر الأليم إلى مجالى البهجة والنعيم فى قصور الكبراء والأغنياء والسادة . ولو لا هذه الحيلة التى أنقذت هذا التعِس بالمرض من غير موت ، لأشفى به الخجل والهم على الموت من غير مرض

* * *

تباركت يا ألله ! لقد جعلت فى عيد الفطر زكاة ، وفى عيد النحر تضحية . فهل فهم ذوو القلوب الغُلف والبصائر العُمْى من شرعك العادل أن الفقير يزكى بقوّته حتى يعجز ، والمسكين يضحى بصحته حتى يموت ؟؟

احمد حسن الزيات

تقدم الرسالة الى أصدقائها وقرائها فى عيد الاضحى المبارك بالتهنئة الصادقة والتحية الخالصة ، وترجو لهم وللبلاد السعادة الخالصة والنعمة السابغة والسلام الدائم

الأدب والمدرسة

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

« هل كانت علومك المدرسية ذات أثر فعال فى إظهار مواهبك الأدبية ؟ »

سؤال انتقل به صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم إلى « برجه العاجى » من مجلة أدبية فرنسية ألقته على طائفة من أدباء بلادها فكان جواب أحدهم: «يخيل إلى أن الغباء وفقر الذهن وبلادة الشعور وضعف التصور وانعدام الخيال مواد مقررة رسمياً فى المناهج المدرسية »

ويقول الصديق فيما عقب على هذا الجواب « ولو سئلت لما خرجت إجابتى عن هذا المعنى »

وكنا نتحدث فى هذا قبل أن أقرأه فى البرج العاجى من الرسالة ، قصصت على الصديق بعض ما أذكر من عهد المدرسة ووصفت له أساتذتى فى اللغتين العربية والانجليزية وتوخيت الإنصاف وتحريت الحق، فسألنى أن أكتب هذا وأنشره، فوعدت أن أفعل . وقد بدأت أكتب وفى نيتى أن أبر بالوعد ، ولكننى بعد أن بلغت هذا الموضع أرانى أميل إلى الإخلاف فما أحب أن أسئ إلى أحد بلا موجب وبغير حق، أو أن أرمى بالجحود والكفران. وأكبر الظن أن الذين علمونى نسوا — أو هم لا يدرون — أنى كنت من تلاميذهم؛ فلو قلت فيهم ما قال مالك فى الخمر ما عرفوا أنهم هم المعنيون ؛ ولو أثنيت عليهم لتعجبوا وراحوا يتساءلون « ترى من كانوا معلميه ؟ » ولعل أكثرهم قد عاد إلى التراب الذى جبل منه ولكنى مع ذلك لا أرانى أقدر أن أضعهم فى الميزان إلا إذا وضعت نفسى معهم

أنا أيضاً كنت تلميذاً ثم مدرساً لسوء الحظ . وكانت ميزتى المحتمة فى أيام التلمذة « الغباء وفقر الذهن وضعف التصور » يضاف إليها الفقر . وكان يبلغ من فاقتى فى ذلك الزمان أن كنت أحتاج إلى القميص الأبيض لألبسه مع البذلة فلا نجد ثمنه ، فتعمد أمى المسكينة إلى ما خلف أبى من قمصان فتصلحها فتضيق من هنا وتقصر من هناك ، ولكن الياقة أو البنيقة كانت تعييها فتلبسنيها كما هى ؛ ولو جعلت لى منها حزاماً لكان هذا أصلح. فتصور هذا الطوق العظيم على عنق. وكنت إذ أمشى بها لا أدرى ماذا أصنع وكيف أبلغ المدرسة، لأنى كنت أحتاج إلى كلتا يدى لأهوى بجانبى الطوق عن أذنى، ولكنى محتاج أيضاً إلى حمل الكتب والكراسات فكيف أصنع وليس لى غير يدين اثنتين ..
ولا أدرى كيف نجوت من العمى فقد كانت عيناى ترمدان فلا تعبأ بى المدرسة . نعم كان لها طبيب يحضر كل يوم لعيادة المرضى منا فكنا إذا سمعنا ناقوسه نجرى إليه فيصفنا أمامه ولا يجشم نفسه عناء السؤال أو الفحص ، بل يقول وهو يشير إلى كل واحد منا على الترتيب : « شربة ، بخة ، قطرة » فيتفق أن يكون من حظك «القطرة» وشكواك أن رجلك مهيضة ، أو البخة وبك زكام . وكنت أذهب إليه لعلاج عينى ولكنى كنت أخرج مأموراً بالشربة أو البخة ولا أخرج قط بالقطرة . أما فى البيت فكان كل ما أتداوى به من الرمد الماء البارد .

وآية غبائى وبلادتى أنى كنت فى كل فرقة الأخير ، — حتى مقعدى كان الأخير فى الحجرة — وكنت لصغر جسمى وقماءتى لا أكاد أبدو للمدرس ، فهو لا يرانى ولا يحس بوجودى ولا يعنى بى ، وأنا أغتنم هذه الفرصة فأتشاغل عن درسه بما يخطر لى من العبث . وكان جارى فى بعض الفرق ضخم الجسم كأنه الفيل الصغير ، وكان لجسامته يحتاج حين يقعد أن يتكئ على الدرج بكلتا يديه ، وكانت عادته أن يمسح وجهه بكفيه بعد ذلك ويتمم بقوله : « خيبة الله عليكم » — يعنى زملاءه التلاميذ لأنهم كانوا لا يكفون عن ركوبه بالعبث ، فاشتريت مرة قليلاً مما يسمى « بودرة العفريت » ونثرتها على الدرج فتكأ عليه ومسح وجهه ثم ذهب يحك كفيه وخديه حتى دمى وجهه وانقطع عن المدرسة أياماً حتى شفى . ففطن المدرسون إلى وجودى بعد ذلك وصرت أتهم بكل ما يحدث فى المدرسة ولو وقع فى فرقة غير فرقتى ، فأنا عندهم المحرض أو الموسوس بالعبث إذا لم أكن أنا الفاعل

أما الدروس فما كنت أفهم منها شيئاً ؛ ولم يكن هذا ذنب المعلمين فما كانوا يقصرون فى الشرح والبيان ، ولكنى أنا كنت لا أستطيع أن أنتفع بذلك لأنى أكون قاعداً على ركبتى — فوق البلاط — عقاباً لى على ما لم أصنع فى الغالب — أو واقفاً ووجهى

إلى الحائط أومطروداً من الحجرة كلها. وكيف يمكن بالله أن يفهم شيئاً من لا يزال هكذا — ركبتاه على الأرض أو أنفه على الجدار أو هو يتمشى فى الفناء أو الدهليز ...

وكان أرق المدرسين معى وأظرفهم وألطفهم على العموم إنجليزى أنيق كان إذا رآنى — وما أكثر ما كان يغضى — أخرج على النظام يدعونى أن أقف ويطلب منى أن أتهجى كلمة « مجنون » أو « شقى » وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى . ويكتفى من العقاب بهذا

وكان لنا معلم للغة العربية غريب الأمر — كانت حجرتنا مجاورة لحجرة الناظر الإنجليزى ، فكان هذا المعلم يفرغ من إلقاء الدرس وشرحه ومن التطبيق أيضاً فى خمس دقائق على الأكثر ثم يقول : « اغلقوا النوافذ كلها » فنفعل ثم يأخذ فى حديث سياسى يذم فيه عهد إسماعيل ويلعن فيه أيام توفيق ويثنى على الإنجليز أطيب الثناء . ولم يكن أعجب من صنيعه هذا إلا إغلاقه النوافذ ليوهمنا أن الناظر الانجليزى يسوؤه أن يعلم أنه يثنى على قومه ... وكنا نناقشه ونجادله ونخالفه فيوسع صدره ويروح يحاورنا ويداورنا ليقنعنا بأن ما خرب من نفسه عامر . وكانت تلك أيام مصطفى كامل وكنا نقرأ « لواءه » ونسمع خطبه . وأحسب أنى لا أبالغ إذا قلت أنى تلقيت دروسى الأولى فى اللغة العربية من اللواء والمؤيد لا من معلمى فى المدارس، وتصور أن منهم معلماً كان يكلفنا أن نحفظ كتاب النحو عن ظهر قلب ... بل تصور أنه كان يثنى على التلميذ الذى يقول له فى جواب سؤاله عن الفعل اللازم « ماهو » — « هو ما ليس كذلك » — كما فى الكتاب بالحرف الواحد . ولم أستطع قط فى حياتى أن أحفظ شيئاً عن ظهر قلب إلا إذا جاء هذا عفواً وعن غير قصد، فكانت درجتى فى اللغة العربية هى الصفر دائماً

وكل ماحفظته من الشعر العربى فى المدرسة قصائد قليلة مثل :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميـــل

وما إليها — وحتى هذه يخيل إلى أنى ما حفظتها إلا فيما بعد — لما كبرت ، ولكنى أذكر على كل حال أن المدرس الذى كان يغلق النوافذ ويهجو المصريين ويمدح الإنجليز هو الذى كان يتقاضانا أن نحفظ : « إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ، فكل رداء يرتديه جميل » . وقد يكون هذا اتفاقاً محضاً

وكان أساتذتنا فى اللغة الإنجليزية على عكس ذلك ، فكانوا يرشدوننا ويساعدوننا ويقرضوننا الكتب إذا أنسوا منا ميلاً إلى القراءة ، ويصحبوننا إلى مكتبة المدرسة ، ويتخيرون لنا ما يوافقنا وما يسعنا أن نفهمه ، ولا يبخلون علينا بالتفهيم والشرح حتى فى أوقات الفراغ إذا طلبنا منهم ذلك ؛ ولكن بعضهم كان عجيب الشذوذ . أذكر منهم واحداً كان يعلمنا الجغرافيا الاقتصادية فكان يكتب على السبورة رقماً يبلغ من طوله أن بقيته تجىء على الجدار! وكان هذا مبلغ علمه بهذه الجغرافيا . ومنهم من كان يعطينا الدرجات على الخط وجودته ولا يبالى أصبنا أم أخطأنا فى الموضوع، فأجودنا خطا أعلانا درجة ولو كان أجهل منى

أظن أن المدرسة لا تستطيع أن تعلم الأدب، وكل ما يسعها ويجوز أن يطلب منها هو الترغيب والتوجيه والتسديد ، وحسبها أن توفق فى هـذا ، وأكاد أقول حسبها ألا تنفر من الأدب وتزهد فيه

ابرهيم عبد القادر المازنى

المتنبي وسر عظمته

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

إذا قرأ القارىء قول المتنبى :

وخِلة فى جَلِيسٍ أتقيه بها   كيما يرى أننا مثلان فى الوَهنِ
وكِلْمةٍ فى طريقٍ خفت أعربها   فيهتَدَى لى فلم أقدر على اللحن
كم مخلص وعُلى فى خوض مهلكة
وقتلة قُرِنَتْ بالذم فى الجبن
لا يُعْجِبَنَّ مضيماً حسن بزته   وهل تروق دفيناً جودة الكفن

أحس بما تدعو الحياة إليه من تقييد النفس بقيود التجانس حتى ولو كان فيها قهر أنبل عواطفها ونوازعها ، وأحس بالمعركة التى تدور فى النفس بين نزعاتها من رضاء وإباء وتسليم وثورة ، والتذ مشاركته الشاعر فى تلك المعركة النفسية حتى ولو كانت المشاركة بالعقل الباطن والقراءة بالعقل الظاهر . وهو يحس هذا الإحساس إذا قرأ قوله :

واحتمال الأذى ورؤية جانيه   غذاء تضوى به الأجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش   رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار   حجة لاجئ إليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميِّتٍ إيلام

وهو أيضاً يضع نفسه موضع نفس الشاعر فى تلك الرحلة النفسية التى يلتذها بالقراءة إذا قرأ قوله :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهمْ   ولكنْ معدن الذهب الرغام
خليلك أنت لا مَن قلت خِلى   وإن كثر التجمُّل والكلام

ويزداد اعتداد المتنبى بنفسه ، فلا يزداد القارىء إلا لذة ببيانه عند ما يقرأ قوله :

ما مقامى بأرض نخلة إلا   كمقام المسيح بين اليهود
عِشْ عزيزاً أومتْ وأنت كريم   بين طعن القنا وخفق البنود
واطلب العز فى لظى ودع الذ   ل ولو كان فى جنان الخلود
أنا فى أمة تداركها الل   ه غريب كصالح فى ثمود

وكذلك عندما يقرأ قوله :

ومن جاهل بى وهو يجهل جهله   ويجهل علمى أنه بىَ جاهل
ويجهل أنى مالك الأرض مُعسرٌ   وأنى على ظهر السماكين راجل
تحقر عندى همتى كلَّ مطلب   ويقصر فى عينى المدى المتطاول
غثاثة عيشى أن تغث كرامتى   وليس بغث أن تغث المآكل

والبيت الأول يدل على تفكير طويل فى أنواع جهل النفوس بالنفوس، وهو موضوع عميق كعمق الحياة، ومجاهل أعماق النفس والحياة كمجاهل أعماق المحيط . وكذلك إذا قرأ أبيات المتنبى التى يخاطب بها أسد الفراديس ويدعوها فيها إلى محالفته ، سار القارىء فى رحلة نفسية خيالية فى عالم البيان الشعرى ، حيث يود الشاعر أن يؤلف الوحش وأن تألفه ، كما حدثوا عن الشنفرى الشاعر . وإذا قرأ القارىء قول المتنبى :

عدُوِّى كل شىء فيكِ حتى   لخلت الأُكْم موغرة الصدور
فلو أنى حُسِدْتُ على نفيسٍ   لجُدْتُ به لذى الجد العثُورِ
ولكنى حُسِدْتُ على حياتى   وما خير الحياة بلا سرور

كان قد بلغ من تلك الرحلة النفسية قفراً موحشاً تختلط فيه الحقيقة بالخيال فى نفس بلغت من النفرة من الناس والشك فيهم مبلغاً يجعلها تشك فى الجماد ، وتخاله موغر الصدر كالناس ، وهذه حالة حقيقية فى النفس ، وإن اختلطت فيها الحقيقة بالخيال ، وهى من الحالات النفسية التى يجيد المتنبى وصفها كما قال :

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت   على عينه حتى يرى صدقها كذبا
أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه   حريصاً عليها مستهاماً بها صبا
ويختلف الرزقان والفعل واحد   إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

ويتبع القارىء الشاعر فى رحلة التجارب النفسية حيث يقول :

فلا تَنلْكَ الليالى إن أيديَها   إذا ضربن كسرْنَ النبع بالغرَبِ
ولا يُعِنَّ عدواً أنت قاهره   فإنهن يصدن الصقر بالخرب
وإن سررْن بمحبوب فجعن به   وقد أتينك فى الحالين بالعجب
وربما احتسب الإنسان غايتها   وفاجأته بأمر غير محتسبِ
وما قضى أحد منها لبانته   ولا انتهى أرَبٌ إلا إلى أرَبِ

والبيت الأخير يعبر عن سر التعلق بالحياة ؛ فليس سر التعلق بها لسعادتها وكمال مسراتها ، بل قد يتعلق بها أشد التعلق من قلت مسراته فيها ، وإنما يكون الحرص عليها كلما وجد المرء سبيلاً لنشدان المطالب والمآرب حتى ولو لم يسعد بها . فالحرص على الحياة موجود ما دام المرء ينتشى فيها بالسعى والطلب ،

وإن لم يُؤدِّ السعى إلى فوز وسعادة . ويستمر القارئ متابعاً للمتنبى فى رحلته النفسية فى عالم التجارب وآلامها كما فى القصيدة التى يقول فى مطلعها : (كفى بك داء أن ترى الموت شافياً) . ويعاود وصفها فى القصيدة التى مطلعها : (أود من الأيام ما لا توده) وفى القصيدة التى مطلعها : (فراق ومن فارقت غير مذمم) والتى يقول فيها :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدَّق ما يعتاده من توهم
وعادى مُحبّيهِ بقول عداته   وأصبح فى ليل من الشك مظلم

ويعاود وصف آلامه وآماله وخيبته وتجاربه فى قصيدة : (بم التعلل لا أهل ولا وطن) . وفى قصيدة : (أغالب فيك الشوق والشوق أغلب) . وفى قصيدة : (صحب الناس قبلنا ذا الزمانا) . وهو يحس فيها بضآلة مطالب الحياة بالرغم من إقبال نفسه عليها فيقول :

ومراد النفوس أصغر من أن   نتعادى فيه وأنْ نتفانى
كل ما لم يكن من الصعب فى الأنـ   ـفس سهل فيها إذا هو كانا
وإذا لم يكن من الموت بدٌّ   فمن العجز أن تكون جبانا

وتراه يصف كيف أن نفسه قد تُقهرُ على التخلق بصفات الحياة من مداهنة وشك ، فيقول :

ولما صار ود الناس خبا   جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه   لعلمى أنه بعض الأنام

إلى أن يقول :

ولم أرَ فى عيوب الناس شيئاً   كنقص القادرين على التمام

ويعود إلى وصف ما علمته الحياة من سوء الظن فيقول :

توهم القومُ أن العجز قرّبنا   وفى التوهم ما يدعو إلى التهم
ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة   بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم
هوّن على بصر ما شق منظرهُ   فإنما يقظات العين كالحلم
ولا تشك إلى خلقٍ فتُشمته   شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

ثم هو بالرغم من شكواه يعرف أن للمعالى التى ينشدها ثمناً لا بد أن يؤديه فيقول :

تريدين لقيان المعالى رخيصة   ولا بد دون الشهد من إبر النحل

ويعلم أنه من العبث أن يُعنّى المرء نفسه وأن تُمنّيه إذا لم تدرك ما تمنّتْ فيسلى نفسه ويسلى القارئ معه بقوله :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن

ويعلم أن الظلم فى النفوس صفة عامة إذا خفيت فإنما تخفى لسبب فيقول :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد   ذا عفة فلعلة لا يظلم
والذل يظهر فى الذليل مودة   وأود منه لمن يود الأرقم
ومن العداوة ما ينالك نفعه   ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

وهذه الحكم العديدة وأمثالها فى شعر المتنبى ليست من الشعر التعليمى أو الوعظى الذى يصنعه المرء وهو ناعم البال قرير العين بارد العاطفة وهو جالس إلى مكتبه يتأمل فيما تصف به الكتب والدفاتر أوجه الحياة وأخلاق النفوس فيها ، ولكنه تأمل المختبر المجرب ، فهو شعر التأمل الذى تغرى به العاطفة لا شعر التأمل الذى يغرى به العقل فى دعته أو مباذله أو عند مباهاته بالعلم ومفاخرته بالعرفان ، فهو شعر حكمة يُبصّرُ الشاعر فيها نفسه ويذكّرها كى تتحمل الحياة بمعرفتها الحياة ، وتتحمل الناس بمعرفتها أخلاق الناس . ومن كان شديد الاعتداد بالنفس والاعتزاز بها كالمتنبى كان فى حاجة إلى هذه التبصرة والتذكرة بسبب ما يجشم الشاعر نفسه من معاناة الحياة والناس معاناة فوق معاناة القنوع التى لا بد منها . فهذا الاعتداد بالنفس بما يفيض به من حنكة وخبرة وأنغام وبيان وآلام وآمال ، هو سر نبوغ المتنبى وسر شهرته وتعلق الناس بشعره كما ذكرنا ، وهو سر قوة شعره . وهذه القوة هى فيض يغمر كل باب من أبواب شعره من مدح أو وصف أو عتاب أو رثاء . ومن أجل ذلك تبدو حكمة الحنكة فى شعره مختلطة بالمدح أو العتاب أو الوصف أو الذم ، فى قصيدته التى يصف فيها الأسد ويقول :

فى وحدة الرهبان إلا أنه   لا يعرف التحريم والتحليلا

ويستجمع كل معانى الوصف الرائعة ، إذ تراه يورد الحكمة كما فى قوله :

أنفُ الكريم من الدنيئة تارك   فى عينه العدد الكثير قليلا

وفى قصيدة أخرى بينما هو يمدح الممدوح إذ تراه يقول :

إلفُ هذا الهواء أوقع فى الأنـ   ـفس أن الحِمام مُرُّ المذاق

وفى قصيدة أخرى يقول :

لعـل عتبك محمود عواقبه   فربما صحت الأجسام بالعِلَلِ

وفى قصيدة أخرى من قصائد المدح يقول :

إنا لنى زمن ترك القبيح به   من أكثر الناس إحسان وإجمال

فأصبح منتهى ما يطمع فيه الطامع فى خير الناس أن يحصل على خيرهم السلبى ، أى امتناعهم عن الشر كأنما الامتناع عن العمل عمل يشكرون عليه . وكذلك يورد الحكمة فى قصائد المدح الأخرى مثل قصيدة (لكل امرئ من دهره ما تعودا) التى يقول فيها :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وكذلك يصنع فى قصيدة (على قدر أهل العزم تأتى العزائم) وقصيدة (الرأى قبل شجاعة الشجعان) . فقيمة مدحه ليست فى المغالاة المرذولة كما فى بعض قوله وإن اشتهر بها، ولكن قيمته فيما يخالطه من حكمة وخبرة إما بالأخلاق والحياة عامة، وإما بالصفات المرغوب فيها التى يود كل ممدوح أن تنسب إليه . وكذلك يورد الحكمة فى قصائد الاستعطاف أو التوفيق أو العتاب كقصيدة (إن يكن صبر ذى الرزيئة فضلاً) وقصيدة (حسم الصلح ما اشتهته الأعادى) وقصيدة العتاب الرائعة الفخمة التى يعنف فيها فى عتاب سيف الدولة تارة وتارة يبلغ غاية الرقة كما فى قوله فيها :

إن كان سَرَّكمُ ما قال حاسدنا   فما لجرح إذا أرضاكمُ ألمُ

ويورد الحكمة أيضاً فى قصيدة (بغيرك راعياً عبث الذئاب) فيمدح ويستعطف ويورد الحكمة ، وفيها يقول :

وجرم جره سفهاء قوم   وحل بغير جارمِهِ العقابُ
وكم ذنب مُوَلِّدُهُ دلال   وكم بُعْدٍ مُوَلِّدُهُ اقترابُ

ويورد الحكمة أيضاً فى قصائد الرثاء والتعزية وله فيها قصائد شائعة مثل رثائه لعمة عضد الدولة ورثائه أم سيف الدولة وأخته ومملوكه يماك ورثاء المتنبى لجدته ورثائه لأبى شجاع فاتك، وفى رثاء عمة عضد الدولة يقول :

يموت راعى الضأن فى جهله   ميتة جالينوس فى طبه
وربما زاد على عمرهِ   وزاد فى الأمن على سربه

وفى رثاء أم سيف الدولة يقول :

وصرتُ إذا أصابتنى سهام   تكسرت النصال على النصال

وفى رثاء مملوك سيف الدولة يقول :

وأوفى حياة الغابرين لصاحب   حياة امرئ خانته بعد مشيبِ
إذا استقبلتْ نفسُ الكريمِ مصابَهُ   بخبث ثَنَتْ فاستدبرتْهُ بطيبِ

وفى رثاء جدته الرائع يصف ما لاقاه فى سبيل تجشيم نفسه عظام المساعى فتزداد لذة القارئ فى قراءته . والمتنبى إذا أراد الوصف أجاد كما فى وصف الأسد وكما فى وصف شِعب بوان ونباته الذى يقول فيه وهو من أبدع الوصف :

مغانى الشِعب طيباً فى المغانى   بمنزلة الربيع من الزمان

ويصف الخيل كما فى قوله (وما الخيل إلا كالصديق قليلة .الخ) ويصف الحروب . وليس إقلاله من وصف مظاهر الكون والطبيعة من عجز، بل لأن بصر بصيرته كان موجهاً إلى دخائل نفسه ونفوس الناس وأخلاقهم فى الحياة أكثر مما كان موجهاً إلى مظاهر المرئيات وله فى الغزل بالرغم من ذلك أشياء تستجاد وتستحب مثل قوله :

زَوِّدينا مِنْ حسن وجهك ما دا   م فحسن الوجوه حالٌ تحول
وصلينا نَصِلْكِ فى هذه الدنـ   ـيا فإن المقام فيها قليل

وقوله :

إذا كان شم الروح أدنى إليكمُ   فلا برحتنى روضةٌ وقبولُ
ألم يرِ هذا الليل عينيك رؤيتى   فتظهر فيـه رقة ونحول

فسحر شعر المتنبى هو سحر جاذبية الشخصية المعتدة بنفسها وسحر ما تختبر من الحياة .

ولا نعنى بسحر الاعتداد بالنفس أن النـاس لا يقاومونه . هم يقاومونه بكل وسيلة فى أول الأمر ، وبعضهم يظل يقاومه حتى مع التأثر به . بل إن بعضهم تدل شدة مقاومتهم له على شدة التأثر به . ففى بعض سجايا النفوس قد يظهر التأثر بالإنسان ، أو بالشىء بمظهر المقاومة . ولعل أظهر هذه الظاهرة فى العلاقات الزوجية ، ولكنها موجودة فى جميع علاقات الناس بعضهم ببعض ،

وقد لا تكون المقاومة دليلاً على التأثر . بل قد تكون دليلاً على قلة التأثر أو انتفائه . ولعل الظاهرة أساسها واحد فى الحالتين ، وأساسها هو : دفاع كل نفس فى الحياة عن كيانها ومميزاتها وخصائصها ؛ وكلما كان تأثرها بخصائص غيرها وكيانه أعظم ، كانت المقاومة ألزم فى بعض الحالات وفى بعض النفوس ، إما صيانة للبقية الباقية من استقلالها ، وإما لكى تعذر نفسها لدى نفسها فى استسلامها لسحر الاعتداد بالنفس سراً بمقاومته جهراً فترتاح إلى هذا العذر وتحسب أنها قد صانت به كرامة استقلالها . ولكن إذا كان الاعتداد بالنفس عظيماً ، وكان مقروناً بقوة العبقرية أو البيان والفصاحة أو الخلابة أو العصبية المناصرة له تمكن على الزمن من تحويل الشىء الكثير من المقاومة إلى إعجاب ، كالإعجاب الذى ناله من النفوس التى ناصرته من أول الأمر بسبب لذتها فى الاستسلام أو لذتها فى رؤية اعتدادها بنفسها مقدساً فى شخص عظيم . وتغلب الاعتداد بالنفس على المقاومة يكون شبيهاً بتغلب النعاس على اليقظة . وقد لاقى المتنبى أشد المقاومة ، ولكن شدة اعتداده بنفسه تمكنت من تحويل المقاومة على مر الزمن إلى إعجاب كثير

لقد كنا فى عهد الصغر إذا قرأنا للمتنبى قوله :

من لو رآنى ماء مات من ظمأ
ولو عرضتُ له فى النوم لم ينم

تخيلناه مخلوقاً من مخلوقات الخيال فى القصص الخرافية . وفخره العريض فى هذا البيت وفى أمثاله كان من خواطر العظمة التى رآها لنفسه ، ولكنا لم نشأ أن نعد كل أقواله فى القتال وإراقة الدماء من قبيل خواطر السوء التى تمر بخاطر كل إنسان ، لأن الرجل كان محارباً فعّالاً كما كان متخيلاً قوّالاً . وإذا صدقت قصة مقتله التى قيل فيها إنه فر طالباً النجاة ممن أغاروا عليه حتى ذكّرَهُ مذكّرٌ بقوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وذكره بأن من يقول هذا القول لا بد أن يكون فعله كقوله ، فعاد للقتال حتى قُتلَ

أقول إذا صدقت هذه القصة : كان الاعتداد بالنفس الذى قتله ، هو الاعتداد بالنفس الذى خلّدَ عظمته وزادها . وهو أيضاً كذلك وإن لم تصدق هذه القصة

عبد الرحمن شكرى

من برجنا العاجى

إنى أتجنب دائماً رؤية خروف العيد حياً قبل العيد ، وأتحاشى أن أدنو منه أو ألاطفه أو أعقد بينى وبينه أواصر صحبة أو مودة ، خشية أن تمضى ساعات فإذا هو أمامى مشوياً فى طبق ، ينظر إلىّ بعينين يسيل منهما الدهن والزبد ، نظرات كلها ازدراء لما تكشف له من خلقنا الإنسانى المنطوى على الخيانة والغدر ! إنى أتخيل دائماً معانى هذه النظرات الهادئة العميقة التى تنبعث من عيون هذه الحيوانات الوادعة الأليفة . إنها لأبلغ فى إنسانيتها أحياناً من بعض نظراتنا الآدمية التى يشع منها بريق جشع حيوانى ونهم مفترس قد لا تعرفه غير الضوارى والكواسر !

إنى لأتخيل الحديث الذى يمكن أن يدور بينى وبين هذا الخروف لو أنه منح القدرة على الكلام :

— لماذا صنعتم بى هذا ؟

— لمجدك الأبدى

— مجدى الأبدى ! هذا الذبح والسلخ والحرق مرة فى كل عام على مدى الدهور والأيام :

— نعم ، هو مجدك الذى ينبغى أن تتيه به وتفخر وتزهى على غيرك من الحيوان ! إن دمك يراق من أجل فكرة ، وحياتك تضحى فى سبيل عقيدة !

— آه للإنسان ما أبرعه فى إلباس صغير الفعال رائع الثياب!

— نعم ، هنا مفتاح سمونا وسر عظمتنا !

— هنا الفرق بيننا وبينكم

— نعم ، كل الفرق

— إن الغرائز السفلى ما زالت هى الناموس الأعظم لنا ولكم . ولم تستطيعوا مع قدرتكم وقوتكم أن تخرجوا عن نطاقها قيد أنملة ...

— ولن نخرج

— إنما كل عملكم أن تضعوا على حقائقها العارية رداء ، كما وضعتم على أجسامكم العارية لباساً . نحن العارون جسداً وروحاً ، وأنتم الكاسون جسداً وروحاً . أما بعد ذلك فلا اختلاف بيننا وبينكم .

— هذا صحيح يا سيدى الخروف !

توفيق الحكيم

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

تاريخ كلمة أدب

لا نجد « كلمة أدب » فيما بين أيدينا من الكلام المأثور عن الجاهليين ؛ ولكن ورودها فيما أُثِر عن الرسول (صلوات الله عليه) وعن الصحابة يرجح أنها كانت مستعملة قبل الإسلام فى المعانى التى دلت عليها فى عهد الرسالة أو فى معان قريبة منها

ولدينا روايات من صدر الإسلام منها :

١ — أن علياً رضى الله عنه قال للرسول : يا رسول الله : نحن بنو أب واحد ، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره فقال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، ورُبيت فى بنى سعد »(١) والتأديب هنا معناه التعليم

٢ — ورد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « إن هـذا القرآن مأدبة الله فى الأرض فتعلموا من مأدبته » ، والمأدبة هنا موضع الأدب أى الكتاب الجامع ما يؤدب به الله الناس من أوامر ونواه ومواعظ وحكم

٣ — وروى عن عبد الله بن عباس أنه قال فى تفسير الآية : «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً» : فقّهوهم وأدبوهم . وقال مُقاتل أحد التابعين فى تفسير الآية نفسها : أن يؤدب المرء نفسه وأهله فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر »(٢) والأدب فى هاتين الروايتين يراد به التهذيب الذى يقرب من الخير ويبعد عن الشر

وفى العصر الأموى نجد الكلمة مستعملة فى المعانى المتقدمة أو ما يقرب منها :

جاء فى شعر مُزاحم العُقيلى وصفُ الجمل الذَّلُول بالأديب قال:

فهن يَصرفنَ النوى بين عالج ... ونجران تصريف الأديب المذلل

وجاء فى خطبة زياد البتراء :

« فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدّبون لكم. أما والله لأؤدّبنكم غير هذا الأدب أو لتستقيمُنّ »

(١) بنو سعد : قبيلة من هوازن تنسب إليها حليمة السعدية مرضعة الرسول
(٢) الرسالة القشيرية : باب الأدب ، تفسير الفخر الرازي

وقال بعض الفزاريين من شعراء الحماسة :

أُكَنّيه حين أناديه لأكرمه ... ولا أُلقّبه والسوأة اللقبا
كذاك أُدِّبتُ حتى صار من خلقى ... أنى وجدت ملاك الشيمة الأدبا

واتخذ الخلفاء والكبراء فى العصر الأموى فما بعده معلمين يؤدبون أولادهم فكانوا يسمونَ « المؤدِّبين » وكانوا يؤدبون برواية الكلام البليغ الداعى إلى المكارم ، الحافز إلى العظائم . وقد روى عن عبد الملك بن مروان أنه قال لمؤدِّب ولده : وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا(١)

وفى عيون الأخبار أن عمر بن عبد العزيز قال لمؤدبه : كيف كانت طاعتى إياك وأنت تؤدبنى ؟ قال : أحسن طاعة ؛ قال : فأطعنى الآن كما كنت أطيعك(٢)

وكان المؤدبون ، حين يروون القصائد والخطب والأمثال ، يذكرون طرفاً من أخبار أصحابها ونُبذاً من الواقعات التى قيلت فيها فاستعمل الأدب فى الشعر والنثر وما يتصل به من أخبار ونوادر ، وفشا هـذا العرف على مر العصور ، وسُمّى من يروى الأدب وأخباره ويعلمه أديباً

وامتاز الأديب من الشاعر والكاتب . فإذا غلب على الرجل درس الأدب وتعليمه فهو أديب ، وإذا غلب عليه إنشاء الشعر فهو شاعر ، وإذا غلب عليه إنشاء النثر فهو كاتب . وربما جمع الرجل هذه الألقاب الثلاثة أو اثنين منها

وأطلقت كلمة « الأدب » منذ تلك العصور على المعنيين : المعنى الخلقى والمعنى الكلامى ؛ أعنى حسن الخلق والمعاملة والكلام البليغ وما يتصل به من أخبار . وقد ذكر هذين المعنيين ابن قتيبة فى مقدمة كتابه « أدب الكاتب » إذ قال : « ونحن نستحب لمن قبل عنا أو ائتم بكتبنا أن يؤدّب نفسه قبل أن يؤدّب لسانه ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه » ، وقيل لهـذين المعنيين من بعد « أدب النفس وأدب الدرس »

فأما أدب النفس فقد توسعوا فيه حتى شمل كل طريقة مستحسنة فى علم أو عمل ، وألّفت كتب باسم أدب القاضى وأدب المفتى ، وأدب القراءة ، وأدب المحدث ، وأدب البحث ، وأدب المتعلم،

(١) كتاب نقد النثر ص ٧٠ وعيون الأخبار ج ٢ ص ١٦٧
(٢) ج ١ ص ٢٠١ ، وانظر وصايا المعلمين فى ج ٢

وأدب المريد ، وأدب النديم ، وأدب الدنيا والدين ونحو ذلك[١]

وأما أدب الدرس فقد وسعوه كذلك حتى شمل علوماً عُدّة سميت علوم الأدب أو علم الأدب ، وأحياناً يسمونها الأدب اختصاراً

علم الأدب

لم يكن بد لدارسى الشعر والنثر من معرفة قوانين العربية التى تعصم ألسنتهم من الخطأ ؛ فكان كل متأدب يتعلم النحو وكل مؤدب يعلّمه إلى ما يعلّم من الأدب . فغدا النحو من وسائل الأدب ، واختلط به . وكذلك علوم العربية الأخرى كلما وضع علم جعل من وسائل الأدب ووصل به . فاتصل بالأدب الصرف والنحو والعروض وفنون البلاغة وعلوم أخرى ، وسميت كلها علوم الأدب أو علم الأدب أو الأدب[٢]

وأراد الباحثون فى الأدب بهذا المعنى أن يحدوه حدًّا واضحاً يبين ما يدخل فيه وما يخرج عنه فعرفوه تعريفات متقاربة ؛ منها :

١ — علم يُحترز به عن الخطأ فى كلام العرب لفظاً وخطاً

٢ — علم يتعرف منه التفاهم عما فى الضمائر بأدلة الألفاظ والكتابة

٣ — حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف

وحصروا العلوم التى تدخل فى هذه التعريفات فجعلوا علوم الأدب ثمانية ، ثم زادوها إلى اثنى عشر ، عدّها ابن الأنبارى فى طبقات الأدباء ثمانية : اللغة ، والنحو ، والتصريف ، والعروض والقوافى ، وصنعة الشعر ، وأخبار العرب ، وأنسابهم . ثم قال : « وألحقنا بالعلوم الثمانية علمين وضمناهما وهما علم الجدل فى النحو وعلم أصول النحو الخ »

وقسمها الشريف الجرجانى تقسيماً منطقيًّا إلى اثنى عشر : قال فى مقدمة شرح المفتاح : « إن علم العربية المسمى بعلم الأدب علم يحترز به عن الخلل فى كلام العرب لفظاً أو كتابة . وينقسم — على ما صرحوا به — اثنى عشر قسماً ؛ منها أصول هى العمدة فى ذلك الاحتراز ومنها فروع »

ثم بين أن الأصول هى : اللغة والصرف والاشتقاق والنحو والمعانى والبيان (والبديع تابع لهما) والعروض والقافية

وأن الفروع هى : الخط ، وقرض الشعر ، وإنشاء النثر ، والمحاضرات (ومنه التاريخ)[١]

وقال ابن خلدون فى فصل علم الأدب من المقدمة :

وكان الغناء فى الصدر الأول من أجزاء هذا الفن لما هو تابع للشعر إذ الغناء إنما هو تلحينه . وكان الكتاب والفضلاء من الخواص فى الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه

---

(١) وهذه أمثلة مرتبة على التاريخ :

١ — الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع المتوفى سنة ١٤٢

٢ — باب الأدب فى كتاب البخارى المتوفى سنة ٢٥٦

٣ — أدب القاضى للامام أبى يوسف المتوفى سنة ١٨٢

٤ — أدب القراءة لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦

٥ — باب الأدب فى ديوان الحماسة لأبى تمام المتوفى سنة ٢٣١

٦ — أدب النفس لأبى العباس السرخسى المتوفى سنة ٢٨٦ ، ألفه للمعتضد بالله العباسى

٧ — أدب النديم لكشاجم الشاعر المتوفى سنة ٣٥٠

٨ — أدب الدنيا والدين للماوردى المتوفى سنة ٤٥٠

٩ — آداب الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى النيسابورى المتوفى سنة ٤٤٥

(٢) ومن شواهد هذا أن ابن الأنبارى فى كتابه « نزهة الألباء فى طبقات الأدباء » ترجم النحويين والأدباء معا . وقال فى ترجمة هشام بن محمد الكلبي :

« وأما هشام بن محمد بن السائب الكلبي فانه كان عالما بالنسب وهو أحد علوم الأدب ؛ فلهذا ذكرناه فى جلة الأدباء »

وقال ياقوت فى مقدمة معجم الأدباء :

« وجمعت فى هذا الكتاب ما وقع إلىّ من أخبار النحويين واللغويين والنسابين والقراء المشهورين والأخباريين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة والمعينة وكل من صنف فى الأدب تصنيفا أو جمع فى فنه تأليفا »

وألف أبو يعقوب السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ كتابه « مفتاح العلوم » وقال في مقدمته : « وجعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام : القسم الأول فى علم الصرف ، القسم الثانى فى علم النحو ، القسم الثالث فى علمى المعاني والبيان » وعد هذه العلوم من الأدب إذ قال فى المقدمة نفسها : « وقد ضمنت كتابى هذا من أنواع الأدب دون (نوع اللغة) ما رأيته لا بد منه وهي عدة أنواع متآخذة » ثم بين أن علم الاشتقاق تمام الصرف وأن المعاني والبيان يحتاجان إلى العروض والقافية

(١) بين الجرجانى طريقة التقسيم فى قوله :

« أما الأصول فالبحث فيها إما عن المفردات من حيث جواهرها وموادها فعلم اللغة ، أو من حيث صورها وهيئاتها فعلم الصرف ، أو من حيث انتساب بعضها إلى بعض بالأصالة والفرعية فعلم الاشتقاق . وإما عن المركبات على الاطلاق فأما باعتبار هيئاتها التركيبية وتأديتها لمعانيها الأصلية فعلم النحو ، أو باعتبار إفادتها لمعان مغايرة لأصل المعنى فعلم المعانى ، أو باعتبار كيفية تلك الافادة فى مراتب الوضوح فعلم البيان . وإما عن المركبات الموزونة فأما من حيث وزنها فعلم العروض ، أو من حيث أواخر أبياتها فعلم القافية

« وأما الفروع فالبحث فيها إما أن يتعلق بنقوش الكتابة فعلم الخط ، أو يختص بالمنظوم فالعلم المسمى بقرض الشعر ، أو منثور فعلم إنشاء النثر من الخطب والرسائل ، أو لا يختص بشىء منها فعلم المحاضرات ومنه التاريخ »

وقد أثَّرَ تعميم « الآداب » وإطلاقها على معارف أخرى فى قول الحسن ابن سهل :

« الآداب عشرة : فثلاثة شهرجانية ، وثلاثة أنوشروانية ، وثلاثة عربية ، وواحدة أربت عليهن . فأما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج . وأما الأنوشروانية فالطب والهندسة والفروسية . وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس . وأما الواحدة التى أربت عليهن فقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم فى المجالس[1] »

وجاء فى إحدى رسائل الجاحظ : « إنا وجدنا الفلاسفة المتقدمين فى الحكمة ذكروا أن أصول الآداب التى يتفرع منها العلم لذوى الألباب أربعة : فمنها النجوم وأبراجها وحسابها ، ومنها الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير ، ومنها الكيمياء والطب وما يتشعب من ذلك ، ومنها اللحون ومعرفة أجزائها ومخارجها وأوزانها »

وجاء فى رسالة إخوان الصفاء :

« إعلم يا أخى أن العلوم التى يتعاطاها البشر ثلاثة أجناس منها الرياضة ومنها الشرعية الوضعية ومنها الفلسفة الحقيقية .

فالرياضة هى علم الآداب التى وضع أكثرها بطلب المعاش وصلاح أمر الحياة الدنيا ، وهى تسعة أنواع : أولها علم الكتابة والقراءة ؛ ومنها علم اللغة والنحو ، ومنها علم الحساب والمعاملات ومنها علم الشعر والعروض ؛ ومنها علم الزجر والفأل وما يشاكله ؛ ومنها علم السحر والعزائم والكيمياء والحيل وما يشاكلها ؛ ومنها علم الحرف والصنائع ؛ ومنها علم البيع والشراء والتجارات والحرث والنسل ؛ ومنها علم السير والأخبار »[2] ففى كلام ابن سهل والجاحظ واخوان الصفاء علوم سميت آداباً وليست من علوم الأدب المصطلح عليها .

ويشعر بهذا التعميم قول الجرجانى فى كتاب التعريفات :

« الأدب عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ »

وقد يسر هذا التعميم حاجة الأديب إلى سعة المعارف والأخذ من كل فن بطرف (كما قالوا) وكذلك أدّى إلى هذا التعميم تولى الكتاب من الأدباء الوزارة ودواوين الدولة وحاجتهم إلى معرفة كل ما تصرفه الدول من السياسات وما يتصل بأعمالها من المعارف.

ومن شواهد هذا أن كتاب « صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » ضمن خلاصة المعارف التى كانت فى عصره .

ومؤلفو الأدب فى عصرنا يقسمون الأدب قسمين : الأدب بالمعنى الخاص وهو الشعر والنثر ، والأدب بالمعنى العام وهو كل ما أدركته أمة من المعارف . فيقال مثلاً أدب العرب لما أثر عنهم من نظم ونثر . ويقال أدب العرب أو آداب العرب لكل ما أثر عن الأمة العربية من آداب وعلوم .

وإنما دعا مؤلفينا إلى هذا أنهم قابلوا بكلمة أدب الكلمة الأفرنجية Litterature وهى تدل على كل ما تسجله لغة فى عصورها كلها أو بعضها وتخص أحياناً بما يسمى عندهم Belles lettres أى الكتابة الجميلة وهى الكلام البليغ من الشعر والنثر . فلما ترجم كُتّابنا Litterature فى معناها الخاص بكلمة أدب ، وهى ترجمة صحيحة ، ترجموها فى معناها العام بكلمة أدب ، وهى ترجمة تحمل الكلمة العربية أكثر مما شاع استعمالها فيه على مر العصور .

ولو استعملت كلمة « معارف » فى هذا المعنى العام لكان أقرب إلى الوضع اللغوى وأبعد عن اللَّبس .

وكان من الترجمة عن اللغات الأوربية أيضاً أن سمينا « كلية الآداب » ترجمة للتسمية الفرنسية Faculté des lettres ويقابلها بالانكليزية Faculty of arts فأطلقنا الآداب على اللغات وآدابها والفلسفة والجغرافيا والتاريخ وجعلنا كلمة « آداب » مقابلة لكلمة علوم التى ترجمنا بها كلمة Sciences

عبد الوهاب عزام

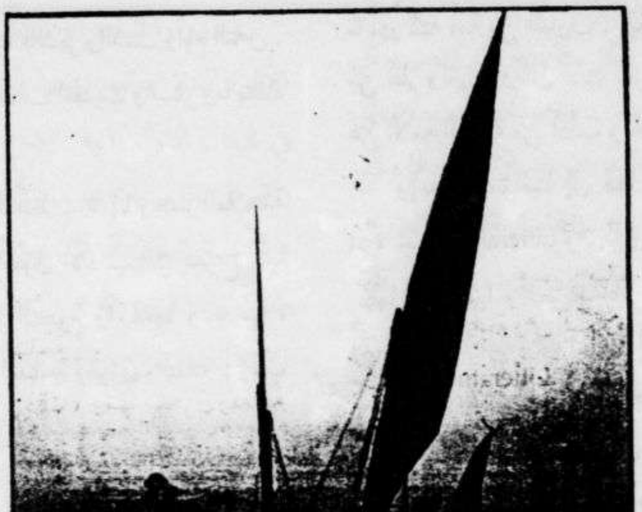
(١) منقول من كتاب (فى أصول الأدب) للأستاذ الزيات

(٢) زهر الآداب ج ١ ص ١٥٩

على الشاطئ الحبيب

«مهداة إلى الصديق الدكتور أحمد موسى»

للأستاذ محمود الخفيف



على شاطئ النيل (تصوير الدكتور أحمد موسى)

كَمْ تَوَقَّفْتُ عِنْدَ شَطِّكَ حِينا
فَمَلأْتَ الفُؤَادَ شِعْرًا وَسِحْرًا
تَتَمَلَّى العُيونُ مِنْكَ جَبِينًا
من جبين الصباح أَسْطَعَ فَجْرًا
أَنتَ أَشْهَى طَلاَقَةً وسُكُونًا
وانهلالاً وأَنتَ أَجْمَلُ بِشْرا

***

إنَّ هذا السكونَ يَغْمُرُ نفسى
من لِقلبِي بِرُقْيَةٍ من سُكُونِكْ
مَنْ لروحى بِحُسْوَةِ المُتَحَسِّى
من صَفَاءٍ تذيعُهُ فى فُتُونِكْ
ما لهذا الصَّفَاءِ يُغْرِقُ حِسِّى
ما أراه إلا أَرَقَّ لحُونِكْ !

***

يا شِرَاعًا لا تَنْثَنِى عَنْهُ عَيْنِى
كيف يَسْهُو عن سِحْرِهِ مَنْ رَآهُ؟
نَامَتِ الفُلْكُ فى سَلاَمٍ وَأَمْنٍ
وسَبَى النِّيلَ حُسْنُهَا وَازْدَهَاهُ
فَجَلاَهَا لِلْعَيْنِ فِى صُورَتَيْنِ
يا لَحُسْنٍ تَهُزُّنِى صُورَتَاهُ !
رَاعَنِى ظِلُّهُ وَيَارُبَّ لَحْنٍ
عَبْقَرِيٍّ يَرِقُّ عَنْهُ صَدَاهُ !
دَقَّ فى حُسْنِهِ فَقَصَّرَ فَنِّى
وَبَيَانِى وَفَاتَ جُهْدِى مَدَاهُ

***

مَنْظَرٌ تَرْكَنُ النفوسُ إِلَيْهِ
يَغْرَقُ الهَمُّ فِى سَنَى رَيْعَانِهْ
يَهْتِفُ القَلْبُ بِالْجَمَالِ لَدَيْهِ
وَيَفِيضُ الشَّجِىُّ مِنْ تَحْنَانِهْ
تَسْكَرُ الرُّوحُ إذ تَرِفُّ عَلَيْهِ
بِالسُّلاَفِ الشَّهِيِّ مِنْ لَمَعَانِهْ
يا لَعَانٍ تَنَازَعَتْ أَصْغَرَيْهِ
لَمَحَاتُ الجَمَالِ فِى إِبَّانِهْ
فَتَوَلَّى ، فَرَاقَ فِى نَاظِرَيْهِ
مَا جَلاَهُ الخَيَالُ بَعْدَ أَوَانِهْ !
كُلُّ حُسْنٍ يَرِفُّ فِى مُقْلَتَيْهِ
فَهْوَ مَا عَاشَ فِى قَرَارِ جَنَانِهْ
هَكَذَا وَشْيُهُ وَسِحْرُ بَدِيهِ
خَلَجَاتُ الجَمَالِ مِن وِجْدَانِهْ

***

قِفْ عَلَى الشَّطِّ سَاعَةً وَتَأَمَّلْ
منظرَ النيلِ فِى سكونِ المَسَاءِ
اجْتَلِ الحُسْنَ مِلْءَ عينيك وانْهَلْ
من صَفَاءٍ يُنْسِيكَ كُلَّ صَفَاءِ

***

إيه يا نيلُ كَمْ يطوف بِقَلْبِي
عِنْدَ مَرْآكَ من بَهِيِّ المَعَانِى
إن كبا الشِّعْرُ دونهن فَحَسْبِي
أن أرانِى مُسَبِّحًا من بيانى

***

إيه يا نيلُ كَمْ بَنَيْتَ حَيَاةً
وَصَحِبْتَ الزَّمَانَ فِى خَطَرَاتِكْ
قَدْ نَبَتْنَا على ثَرَاكَ نَبَاتا
وطَعِمْنَا الجَنِىَّ مِنْ ثَمَرَاتِكْ
لا ترى الأرضُ ما خَلَتْ مَوَاتا
إذ تسير الحياةُ فى خُطُوَاتِكْ
أَنْتَ أَجْرَيْتَهُ شَهِيًّا فُرَاتًا
كُلُّ حَيٍّ أَنْفَاسُهُ مِنْ فُرَاتِكْ!
يا أخا الدَّهْرِ كَمْ وَلَدْتَ بُنَاةً
مَنْ عَلَى الأَرْضِ سَابِقٌ لِبُنَاتِكْ؟
إن تكن قد عَدِمْتَ حينًا رُوَاةً
إن هذا التراب خَيْرُ رُوَاتِكْ
بِشْرُ واديك يقظةً وسُبَاتًا
أى شىءٍ أحلى لَهُ من سُبَاتِك ؟

الخفيف

أعلام الأدب

هوميروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذى الجليل أحمد حسن الزيات أهدى هذه الفصول »

لزمت هوميروس أعواماً ثلاثة أدرسه وأترجمه وألخصه فما ضقت به ، بل ازددت له حباً وبه إعجاباً . وكنت كلما تركته فترةً أحسست شوقاً عجيباً إلى أدبه يجذبني ويلح على فأعود إليه فيخيل إلى أنه قد شرع يغنى لى ويطلعنى على صور غريبة رائعة من فنه الجميل لم أكن قد ظفرت بها من قبل، فأكب عليه عوداً على بدء ، لأطوى الأحقاب الطويلة الماضية ، ولأجلس فى شرفة الزمان فأطل على أخيل وأجاممنون ونسطور وأجاكس وديوميذ وأوديسيوس فى جانب المسرح ، وعلى بريام وباريس وأندروماك وهيلين فى الجانب الآخر ، وبينهما ذاك الضجيج وذاك النقع ، ومن حولها آلهة الأولب يشتركون فى الوغى ينصرون أو يخذلون ما أجمل هوميروس !

لقد اختلف المؤرخون فيه اختلافاً شديداً ، لكن اختلافهم لا قيمة له مادامت الإلياذة والأوديسة ، وما دمنا لا نجد بداً من أن نعترف لهما بمؤلف استطاع أن يسجل شخصيته فى كلتيهما وأن يطبعهما بطابعه الخاص.. فلم لا يكون هذا المؤلف هوميروس ؟ وإن لم يكن هو مؤلفهما فماذا يضير الأدب إذا سمينا هذا المؤلف هوميروس ؟ وهؤلاء المؤرخون الذين ينكرونه بغير حجة ولا برهان إلا أنهم يستكثرون على عقل بشرى واحد هذا الإنتاج الضخم والمحصول الكبير الذى يكوّن أدب أمة ، والذى نهل منه شعراؤها وشعراء الأمم الأخرى فى كل زمان ومكان ، وما يزالون ينهلون .. هؤلاء المنكرون لهوميروس لم لا يصدقون هيرودوتس الذى هو أبو التاريخ والذى ذكر أن بينه وبين هوميروس أربعمائة سنة ؟

ألا يكون التواتر صحيحاً فى أربعة قرون ويكون صحيحاً فى عشراتها ؟ إن تاريخ هيرودوتس هو أصدق ما وصلنا من التاريخ القديم ، وقد ذكر لنا هوميروس وذكر ملحمتيه ، بل حدد يوم وفاته ، وقد سمع المنشدين فى كل فج من اليونان يرددون بالتواتر أغاريده من الإلياذة ومن الأوديسة ومن غير الألياذة والأوديسة ، وكان هيرودوتس خبيراً بأدب بلاده وبتاريخ هذا الأدب ، وكان يعرف أن الإلياذة والأوديسة لم تكونا معروفتين بحالها الذى تواتره الناس عن هوميروس ، قبل هوميروس ... حقاً لقد كانت الأساطير التى حشدها هوميروس فى ملحمتيه معروفة قبله بأجيال ، لكنه كان أول من نظمها فى هذا العقد الجميل الرائع الذى قبس منه إسخيلوس وسوفوكلس ، والذى حام حوله يوريبيدز ، والذى ظل مورداً لجميع شعراء الكلاسيك من غير استثناء

لقد كتب هيرودوتس تاريخه فى زمن استقرار الحضارة اليونانية ونضوجها . . . ونحن نلمح فى تاريخه روح النقد والتمحيص ، والبحث والتحقيق ، فهو إذا روى لم يثبت إلا ما يراه متفقاً عليه من الناس ، فإذا رآهم يتفقون على شىء لا يطمئن إليه ضميره لم يبال أن يقول بعد إثبات ما اتفقوا عليه : أما رأيى فهو كيت ، أو أنا أعتقد كذا ... ولم يكن يبالى كذلك أن يدلى برأيه فى الآلهة ، فقد صرح أنه لا يدرى من أين نشأوا ، وأن شيئاً عن ذواتهم لم يكن معروفاً إلى زمنه ... وذهب إلى أبعد من هذا فقرر أنهم جميعاً من صنع هوميروس وهسيود اللذين وضعا للإغريق ذلك الثبت الطويل من الآلهة وأنصاف الآلهة ثم راحا يوزعان عليهم ذلك الاختصاص العجيب من مقاليد البر والبحر والأفلاك والهواء والنور والظلمة والحكمة والفنون ... وقد رفض ما ذهب إليه الشعراء من أن هذا التوزيع وذاك اللاهوت بطقوسه التى تعارفها الناس كانا موجودين قبل هوميروس وهسيود . . . وأكد أن الميثولوجيا اليونانية كلها لم تعرف إلا بعدهما ...

وإذا كان هيرودوتس قد ولد سنة ٤٨٤ قبل الميلاد ، فليس يبعد أن يكون هوميروس قد ولد سنة ٨٨٤ أو حوالى ذلك ... أو أنه قد عاش بالفعل فى القرنين التاسع والثامن ... أما ما قيل غير ذلك فلم تقم على إثباته حجة ، ولم يؤيده برهان

وتتنازع فخر مولده مدائن شتى. على أن الذى حققه المؤرخون ويؤيده ما جاء فى ترتيلة أبولو أنه من مدينة خيوس الواقعة فى الشاطئ الشرقى من الجزيرة المسماة باسمها والقريبة من مدينة أزمير ، وهو لهذا إيونيوى (من إيونيا) بدليل أن أقدم نسختين من الإلياذة والأوديسة مكتوبتان بلغة إيونيا

ويختلف المؤرخون فى اسمه وفى معناه ، فيذكرون له أسماء معقدة لا داعى لذكرها هنا ... ثم يفسرون اسمه فيقولون إنه يعنى (أعمى) وإلى ذلك ذهب هيرودوتس وهو يعلل ذلك بأن الاسم (هوميروس) مركب من هو — مى — أورون — ومعناها : الرجل الأعمى . ويتعصب هيرودوتس لهذا التأويل بالرغم من وجود تفاسير أُخر قد تكون أقرب إلى المعقول من تفسيره هو ... ذلك أن بعض القدماء يقولون : إن كلمة هوميروس قد تكون مشتقة من (هوميريدا) . وهى اسم لإحدى العشائر التى كانت تقطن جزيرة خيوس آنفة الذكر ، وقد قطنوها برغمهم لأنهم كانوا أسرى حرب (رهائن) نفوا إلى تلك الجهة . وذلك بدليل أن كلمة هوميروس نفسها تحمل معنى أسير تحت الفدية أى رهينة حرب

ولم يضمن هوميروس إحدى ملحمتيه الخالدتين اسمه كما صنع هسيود فى منظومته العظيمة (ميلاد الآلهة وتناسلهم) Theogony فقد ذكر فى مقدمتها اسمه الصريح . ثم ذكر فى قصيدته الأخرى (الأرجا Erga) كيف هاجر من كيمى إلى أسكرا ، وكثيراً من حياته الخاصة وحياة أهله . ولو قد صنع هوميروس مثل هذا ، أو شيئاً من هذا لما وقع المؤرخون فى هذا الخلط الكثير عن شخصه وعن زمانه وعن حقيقته .

ولم يتطرق إلى السبب الذى ذهب ببصره ؛ ويؤكد المؤرخون أنه قضى شطراً عظيماً من عمره بصيراً سليم العينين بحيث استطاع أن يقرأ ويكتب ويسجل كثيراً مما نظم . ويذهب بعضهم إلى أنه بدأ نظم ملحمتيه — أو إحداهما — وهو بصير معافى

وكل ما جاء فى ذلك لا يعدو إشارة طارئة فى آخر ترتيلة أبولو يخاطب فيها العذارى اللائى كن يصغين إلى إنشاده : « إذا سألهن أيما ظاعن أى المنشدين أحب إليهن وآثر إلى قلوبهن أن يجبن على الفور إنه رجل أعمى من قطان خيوس الجبوب المعزاء[1] وإن أغانيه سيخلدن آخر الزمان ! »

وحتى هذه الفقرة لم تسلم من تشكك المؤرخين فى قائلها ، هل هو راوية هوميروس ، أو هو هوميروس نفسه !

هذا ولقد كان للاغريق أدبهم وأشعارهم وأغانيهم وموسيقاهم قبل هوميروس . وليس معقولاً أن هوميروس هو الذى بدأ ذلك جميعاً ، لأن ذلك الكمال أو ما يقرب من الكمال الذى جاء فى ملحمتيه لا يمكن أن يأتى طفرة ... وإذا صدقنا هيرودوتس يكون هوميروس صاحب فضلين عظيمين على سكان هيلاس — اليونان — كافة ... فهو الذى صنع آلهتهم وأنشأ بذلك لاهوتهم الوثنى العجيب ، ووزع ما فى الحياتين الأولى والآخرة على هذه الآلهة وتلكم الأرباب . . . ثم هو الذى بدأ نظم الملاحم الطوال ودبجها هذا التدبيج المتألق البراق ، مستغلاً أساطيرهم القديمة ، وذاك الفوكلور الساذج الذى يفيض به تاريخهم القديم

والثابت أن هوميروس لم ينظم الإلياذة والأوديسة للقراءة والاستمتاع الأدبى ، بل هو قد نظمهما للتلاوة والإنشاد فى المحافل ومجامع السمر ، إذ كان من دأب دويلات بحر إيجه استدعاء الشعراء والمنشدين والمغنين لإحياء أفراحهم وبعث المرح فى حفلاتهم . وقد حفظ لنا الأثر أسماء أورفيوس وميوزيوس ولينوس وغيرهم من شعراء عصر البطولة ومنشديه وموسيقييه الذين سبقوا هوميروس إلى نظم الخرافات وقرض الأساطير ، متأثرين فى ذلك بقصص الشعوب السامية فى مصر والشام وأساطير الفرس والبابليين . ولم يحفظ لنا التاريخ شيئاً من آثار هؤلاء الشعراء ، اللهم إلا نتفاً مما كان يستشهد به اللغويون ومؤلفو المراجع للتدليل على صحة كلمة أو سلامة استعمال ، وهو شيء يسير ليس فيه غناء

وقد سهلت اللغة اليونانية القديمة على شعرائها الكلاسيكيين عملهم ، وجعلت نظم الملاحم الطوال من أيسر الأعمال الأدبية وأهونها عليهم ... ذلك أنها لغة واسعة شاسعة استوعبت لهجات كثيرة لمختلف القبائل والبطون والأفخاذ الضاربة فى شطئان البحر الإيجى ، وقد تهيأ لها بذلك ما تهيأ للسان قريش من كثرة الترادفات وليونة التعبيرات وتعددها

ولم يكن نظم الملاحم للتلاوة يستدعى فنية الأسلوب أو صقله بحيث يحتاج مجهوداً أو يلتفت فيه الناظم إلى ما يلتفت إليه شعراؤنا من التهذيب والتطرية البيانية والزخرف الصناعى ... وقد يحسب قارئ أدبهم أنه من عبث أطفال كما قال قدماء المصريين مرة لصولون ... وقد كان المصريون معذورين فى قولهم هذا ؛ فلقد كانوا يعنون بالجد الصارم من أمور الحياة أكثر مما كانوا يلتفتون إلى هذا القريض الطويل الشعبى يهرف به الشعراء والمغنون .

والحق أن روح الطفولة شائعة فى ملاحم اليونان كلها .

(١) الجبوب من الأرض الصلبة الغليظة والمعزاء كثيرة الحجارة السود

ولم تظهر العناية القليلة بالأسلوب إلا فى شعراء الدرامة ، ثم فى شعراء الأسكندرية بعد ذلك . وهذه الروح واضحة فى هوميروس وضوحا شديدا ، فهو لا يعنى إلا بالحادثة ، وكثيرا ما يتحاشى (الرتوش) والتهاويل المملة والزخارف اللغوية التى لا تتهيأ إلا فى الأثر الأدبى الذى يؤلف للقراءة لا للإنشاد أو للتمثيل . وهو لهذا يحصر انتباه سامعيه فى صميم القصة ، وقل أن يشرد بهم خارجها كما يصنع شعراء الرومانتيك . وقل كذلك أن يستعمل الأصباغ لتطرية بيانه كيما يسترفيه ضعفاً أو يعوض السامع بفخامة العبارة تفاهة الموضوع ، فهو دائماً يلتزم الروح ولا يلتفت إلى دمام [1] الجسم إلا بقدر ، وإلا فى حدود النظم الذى أخذ به نفسه فى الملحمة .

وفى ذلك يقول الأستاذ بورا : « إنه يكتب — أو ينظم — لكل الناس وليس لطبقة بعينها من الناس »

وقد ساعد هوميروس تقلبه فى البلاد فى هضم اللهجات المختلفة فى الأصقاع المتدانية اليوم — المتنائية يومئذ - التى زارها . ونحسب أنه من أجل ذلك تنازعت فخر مولده هـذه المدائن السبع التى فعلت ذلك ، فقد كان يقيم حقبة بكل منها فينشد إلياذته — ولما يكن قد نظم الأوديسة — ويغنيها بلهجة الجهة التى هو مقيم فيها فيتقن إنشادها بهذه اللهجة إتقاناً لا يدع أثارة من الشك فى أنه من أهلها ... وهنا ملاحظة طريفة انتبه إليها كل من برتون راسكو الأديب الناقد الأمريكى وجلبرت مورى — المؤرخ الثقة فى الأدب اليونانى — ذلك أنه لا بد أن يكون هوميروس قد نظم الإلياذة مرتين .. تُتلى إحداهما فى بلدان الشاطئ الأسيوى وفيها يُغَلِّب أبطال طروادة على أبطال هيلاس .. وتُتلى الأخرى فى بلدان هيلاس ، وفيها يُغَلِّب أبطال هيلاس على أبطال طروادة ويُظفرهم بهم . . . وبغير هذا لم يكن يستطيع أن ينشد إلياذةً واحدة فى كلا الشاطئين . ولو صح أنه فعل لثار به الأهلون بفعل العصبية ولمزقوه إرْباً . . . لأنه كيف يترك أخيلا مثلاً يقتل هكتور وهو ينشد هذا الشعر لأحلاف هكتور وأهله . . . وكيف يسيغ أن يترك هكتور يقتل أخيلا إذا كان الإنشاد نملأ من مواطنى أخيل ؟

• غير أن هذه الملاحظة ما تزال تفتقر إلى ما يثبتها ، لأن الإلياذة التى بأيدينا هى التى كانت تنشد وتغنى فى هيلاس

(البقية فى العدد القادم) دريني خشبة

(١) الدمام : التواليت

لو كان ... لكان ...

للشاعرة ايلا هويلر ولككس

بقلم السيدة الفاضلة « الزهرة »

إننا نكون فى الحالة التى نستطيع بلوغها فلا تقولوا : لو لم يكن كيت وكيت ، لكان تحقق لنا هذا الأمر أو ذاك

فليس فى تصاريف الحوادث والحظوظ والعوارض ما يمكن أن يثنينا عن النهج الذى اختارته لنا القدرة العلية

ولا يقدر على جلائل المدارك ومعالى الأمور إلا كل ذى همة قعساء .

إننا نؤدى الأعمال التى نرغب فى أدائها ، ونقدر على إنجازها ، فإياكم أن تحلموا وتكتفوا بالأحلام ، فإن الفرصة تتخلى عن البطل ولا تواتيه ، وإنما تغادره حزيناً غير متوج

وإنى لأعتقد أن جميع الناس تنم عنهم ظواهرهم وتبدو سيماهم على وجوههم ويعرفون من ثمارهم

والفعّال الحق هو الذى يستطيع أن يعمل فى حزم ، وينفذ فى جدّ ...

إننا نختار المراقى التى نستطيع تسلقها ، فلا تحدثونى عن القواصف الهوجاء التى صدتكم عن تسنم الذروة

وأى نسر ضل سبيله عن المرتقى الذى كان يلتمسه ولم يدرك المصعد الذى اتخذ إليه سمته ... ؟

حقًّا إن الذى يزحم منكب الجوزاء فيتذرى الأوج دائماً ، هو الذى يجد فى طلابه

ولشدّ ما أمقت هذه العبارة القائلة : « لو كان ... لكان » فإنها خلو من كل حوْل وقوة ، مشوّهة لأجمل حقائق الحياة

وإنى لأعتقد أننا ننال وندرك كل ما ينبغى أن يكون أجراً لكدحنا وجزاء لجهادنا

(الزهرة)

بيني وبين نفسي

للأستاذ على الطنطاوى

نظرت اليوم فى سجل ميلادى ، فوجدتنى على أبواب الثلاثين فتركت عملى وجلست أفكر . ماذا بقى لى من هذه السنين الثلاثين يا أسفى ! لم يبق إلا ذكريات واهية تحتويها بقية قلب تناثرت أشلاؤه على سفوح قاسيون فى دمشق ، ومسارب الأعظمية فى بغداد ، وغابات الصنوبر فى لبنان ... إى والله ، وعلى طريق الأهرام فى مصر ، وضفاف (الشط) فى البصرة ، وحوائط النخيل فى يثرب أشلاء من قلبى وأشلاء ... فماذا أفدت من عمرى الضائع وشبابى الآفل ؟ لاشىء ! لا مجد ولا مال ولا بنين . لم أفد إلا اسماً مشى فى البلاد تحمل قسطه من المدح والذم ، والتمجيد واللعن . ولكنى كنت فى معزل عن هذا كله فلم ينلنى منه شىء. إن اسمى ليس منى . إنه مخلوق من حروف ، ولكنى إنسان من لحم ودم . فهل تشبعنى الشهرة ، أو يكسوني الثناء ؟ ولم أملك إلا قلباً أحبّ كثيراً ، وأخلص طويلاً ، ولكنه سقط كليماً على عتبات الحب والإخلاص ، ورأساً حشوته بما وجدت من العلوم والمعارف فأثقلته علومه عن التقدم ، فاحتلت مكانه الرؤوس الخفيفة الفارغة ...

فيا ليتنى علمت من قبل أن الحياة مثل اللجة ، يطفو فيها الفارغ ويرتفع ، وينزل الممتلىء ويغوص

***

إنى لأتصور الآن كيف كنت أنظر فى طفولتى إلى أبناء الثلاثين ، أولئك الشباب الكمّل الذين بلغوا قمة الحياة وعرفوا الاطمئنان والاستقرار ، فأجد بينى وبينهم بوناً شاسعاً ، وأرى أنى لن أبلغ الثلاثين أبداً ... ذلك لأن كل ما أعلمه أنى ولدت وأنا ابن أربع سنين . فأدخلت المدرسة . فكنت أعيش فيها سنة لأنجح فى الامتحان، وأرتقى من صف إلى صف، وأستمتع بالعطلة. فلما أكملت دراستى العالية ولم يبق من مدرسة ، ولم يبق امتحان وقفت فلم أتقدم ، وفقدت غايتى فلم أعد أحس أنى أعيش ؟ ثم تلفتّ إلى الماضى أعيش بذكراه ، فأصبحت كلما انقضى علىّ عام رجعت فيه سنة إلى الوراء ، فأنا أصغر كلما كبرت ، وأدنو من الطفولة كلما نأيت عنها . فمتى أبلغ الثلاثين ، وأين أحط رحالى بعد هذا المسى ؟

***

وغشيت قلبى غاشية من غمّ ، فأشعلت عوداً من الكبريت لأوقد دخينة ، وكنت فى ذهلة فسرت النار فى العود ثم تأججت وتوقدت ، وأنا أنظر إلى اللهيب جامد العين محدقاً فى عالم بعيد الغور حتى أحسست بحرارة النار فى يدى ، فانتبهت وألقيت العود ، فإذا هو قد استحال إلى فحمة سوداء ضعيفة تطير مع النسيم ... فقلت : هذه هى الحياة . إن الألم الذى أحسسته يلذع نفسى هذه العشية كلذع النار أصبعى ، سينتهى بى إلى مثل هذا المصير . سأمضى كما مضى هذا العود ، ولكنى لا أخلّف ورائى شيئاً . لن أدع مالاً ولا جاهاً ولا عملاً ، لأنى اشتغلت واحسرتى بالأدب ..

ويا ليتنى تفرغت بعد للأدب ، ولم يستغرق حياتى الكدح للعيش ... إنى لم أعمل شيئاً . إن فى رأسى وقلبى شيئاً كثيراً ، ولكن قلمى مكسور ، ودواتى جافة ، ولسانى مشدود بنسعة ، فأنا لا أستطيع أن أقول ...

عندى ألحان كثيرة ، فأنا أحب أن أغنى ، ولكن الغناء يستحيل من الضيق إلى زفرات تخرج مقالات فيحسبها الناس ألحانى كلها ، إلا أن ألحانى لا تزال فى صدرى لم يسمعها بشر . وماذا ينفعنى أن يسمعها الناس فيطربوا ويصفقوا وأتفرد أنا بالخيبة والألم ؟ إن الناس لا يألفون إلا الأغانى الفارغة المدوية ، فلتبق أغانى العذبة فى صدرى ، أسمعها وحدى من غير أن يتحرك بها لسانى ، لأن لسانى مشغول بإلقاء الدرس !

كل ما أكتب زفرات متألم وإشارات أخرس ، فهل يأتى اليوم الذى تنحسر فيه الزفرات عن الأغانى، والإشارات عن الألفاظ والمعانى ... ؟

***

على أن هذه الزفرات وهذه الإشارات عزاء نفسى ، فكم لهذه (الرسالة) من فضل علىّ ، وكم من الفضل لهؤلاء الأدباء الذين يستطيعون أن ينقلونى من دنياى هذى الضيقة ، إلى دنيا واسعة تطير روحى فى أجوائها حرة طليقة ! فهل يدرى الزيات ،

أو هل يدرى معروف الآرناؤوط ، أنى طالما أحييت الليالى الطويلة فى فرتر ورفائيل وسيد قريش وعمر بن الخطاب ، وأنى طالما لجأت إليها أقرع بابها وأتوارى وراء سورها فى جنان سحرية لا أستطيع أن أصفها بأكثر من إعلان العجز عن وصفها ؟ فأى عالم فى رأس معروف ، وأى دنيا فى صدره ؟ وأى نبل وسمو فى هذه اللغة ، لغة معروف ولغة الزيات ولغة الرافعى هذه التى تتيه بجواهرها ولآلئها على حين تمشى لغات كتاب العصر بأسمالها البالية ومزقها المخرَّقة ... لغة فخمة تشعرك بالسيادة والعظمة ، لا كهذه اللغات الهزيلة العارية ...

وكم من الفضل لهيكل علىَّ ، فلقد سلخت فى قراءة كتابه (منزل الوحى) أياماً كنت أعيش فيها فى عهد النبوة ، ولقد مررت بهذه البقاع التى يصفها ، وأثارت فى نفسى عوالم من الذكريات والآمال والخواطر ، فإذا أنا أجدها كلها وأجد أكثر منها فى كتاب هيكل ...

هذه هى الواحات التى لقيتها فى صحراء حياتى ، فى سفر ثلاثين سنة ، فلولا عالم لامرتين أنفذ إليه من خلال نفس الزيات ولغته البارعة ، وأسلوبه السماوى الذى أسمع غناء كلماته وهتافها فى كل جملة ، حتى كأن كل كلمة يقرنها الزيات بأختها عروس تزف إلى بعلها؛ فأنت حين تقرؤه أبداً فى عرس ، تشم عطره ، وتسمع غناءه ، وتحس فى نفسك طربه . ولولا معروف وعبقريته ، ولولا هؤلاء المؤلفون الذين قبست منهم السعادة والاطمئنان ، كانت حياتى صحراء قاحلة ، وما كنت أطيق الحياة . أفليس أكبر المكافأة للكاتب أن يعيش على آثاره الناس ؟

***

يا رحمة الله على تلك الأيام . أيام كنت أغلق فيها بابى علىّ . . . ثم أقبل على كتبى أجالس فيها العلماء والأدباء ، وأجد فى حديثهم الصامت لذة ومتاعاً . كنت أقرأ لأنى كنت أجهل الحياة ، فلما عرفتها لم أعد أطيق قراءة ولا بحثاً . ولماذا أقرأ ؟ ولماذا أتعلم ؟ ولماذا أكون فاضلاً والحياة حرب على أهل العلم والفضل ، والناس كالحياة لأنهم أبناؤها وتلاميذها

ألا يحيا الكاذب المنافق سعيداً موفوراً ، ويموت الصادق الشريف فقيراً محتقراً ؟ ألا يصدق الناس الشيخ المشعوذ لأنه يدخل إلى نفوسهم من باب الدين ويكذبون العالم الفاضل ؟ أليس طريق الشعبذة وادعاء الكرامات والمخرقة على الناس بعلم أسرار الحروف، واستحضار المردة، واستخراج الجنّ من أجسام بنى آدم، آثر عند عامة الناس من العلم الصحيح والأدب المحض ؟ ألا يتمتع هذا اللص بالثقة التى لا يحلم بها عالم متخصص أو باحث مدقق ، وتنهال على يده الأموال ، وتزدحم على يده الشفاه ؟ ألا يبلغ المنافق ذوالوجهين أعلى المراتب وأسماها ويبقى الصادق الشريف فى الحضيض؟ ألا يركب الجاهل فى السيارة الفخمة ، ويسكن القصر العظيم ، ويحتل المرتبة العلمية العليا ، ويمشى العالم إلى بيته الحقير لا يدرى به أحد ؟

أليست أسواق الرذيلة عامرة دائرة ، وأسواق الفضيلة دائرة بائرة ؟

ألا يظفر الكاذب المفترى بالبرىء ؟ ألا يغلب القوى الضعيف؟ ألا ينتصر المال على العلم ؟

فلماذا أقرأ ؟ ولماذا أتعلم ؟ ولماذا أكون فاضلاً ؟

***

وقمت وقد صفيت حسابى مع الحياة ، فإذا أنا قد خسرت ثلاثين سنة هى زهرة عمري وربيع حياتى ولم أربح شيئاً . . .

على الطنطاوى

الأمـــل...

« إذا كانت الحياة وردة ،
فإن الأمل كمامها »

للأستاذ ابن عبد الملك

أجل يا صديقي مُسَلِّيه : الله في السماء والأمل في الأرض! وبين رَوْح الله المؤاسي ، ومَدد الرجاء الآسي ، تندمل الجفون القريحة، وتلتئم القلوب الجريحة، وتنتعش الجدود العاثرة

الكروان يموت فرخه في المساء وفي الصباح يرقص ويصدح ، والشاة يُذبح حَمَلها في الحظيرة وفي المروج تثغو وتمرح ، والقلب يُقطع من القلب ، والروح تُنزعُ من الروح ، ثم يعيش المحب بعد حبيبه ، والوالد بعد ولده ، كما يعيش النهر الناضب في ارتقاب الفيضان ، والروض الذابل في انتظار الربيع !

لله على الناس نعمتان لا يطيب بدونهما العيش ولا يُبلَغ إلا عليهما العمرُ : النسيان والأمل .



ماذا كان يصنع الأسى بالقلوب الوالهة إذا لم يمح النسيان من الذهن صورة الحبيب الراحل أو الهاجر؟ تأمل حالك يوم فجعك الموت في عزيز عليك ، أما كنت تجد لهيب الحزن متصلاً يوقد صدرك من غير خُبُوّ ، ويذيب حشاك من غير هدنة ؟

تصور دوام هـذه النار على نياط القلب وأعصاب الجسد ، ثم قدر في نفسك الحياة على هذه الصورة . على أنها والحمد لله لا تدوم ؛ فإن الجبار الذي سلط الألم على الروح ، هو الرءوف الذي سلط الزمن على الألم . فالزمن لا ينفك يسحب الأيام والليالي على الصور والآثار حتى تنطمس المَشابه، وتعفو الرسوم، ولا يبقى من المفقود إلا صورة لا تنطق ، ولا من الجرح إلا ندبة لا تحس

وماذا كان يفعل اليأس بالنفوس المكروبة إذا لم يفتح الأمل أمامها فرجة في الأفق المطبق وفسحة من الغد المجهول ؟

يا ويلتا للفقير يعتقد أن فقره يدوم بدوام الحياة ، وللمريض يرى أن مرضه ينتهي بانتهاء الأجل ! ويا بؤسَ للحياة إذا لم يقل المأزوم والمحروم والعاجز : إذا كان في اليوم قنوط ففي الغد رجاء ، وإذا لم تكن لي الأرض فستكون لي السماء !

ابن عبد الملك

على هامش الفلسفة

اختلاف الأفكار
والنظريات الأخلاقية

للأستاذ محمد يوسف موسى
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

قلنا فى الكلمة الأولى : إن الأخلاق تعتبر علما من العلوم إذ كانت تصل فى بحوثها إلى آراء وحقائق أخلاقية تبلغ من العموم وقبول الناس لها مبلغ الحقائق العلمية . ولكن هل توجد هذه الحقائق العامة للجميع ؟

مذهب الشك الأخلاقى ينكر وجود أمثال هذه الحقائق التى يقبلها الناس جميعاً : البيض والسود ، والحمر والصفر ؛ لأن القواعد الأخلاقية ليست إلا عادات وتقاليد تختلف باختلاف العصور والبيئات؛ وليس يعوزنا أن نجد لهذا الرأى سندا فى التاريخ. هذا مُونْتَانى Montagne الفيلسوف والأخلاق الفرنسى المعروف ، بعد أن جمع كثيراً من الآراء والأحكام الأخلاقية ، يؤكد هذه النظرية بقوة حين يقول : لا يوجد شىء أكثر اختلافا بين أمم العالم بأسرها من العادات والقوانين . كثيراً ما نجد أمراً ممقوتاً هنا ممدوحا بل موصى به هناك؛ فى إسبارطه كانوا يتمدحون المهارة فى الفن ويتواصون بها بينما ذلك كان محرما عند غيرهم ، وقتل الآباء المعمرين إشفاقا عليهم من تحمل أعباء الحياة وتكاليفها نراه مباحا بل مأمورا به لدى بعض القبائل التى لا تزال فى دياجير الظلام ، وأخيرا لا يوجد أمر غير مرضى هنا إلا ويكون محمودا عند أمة أخرى[(1)] » .

وباسكال Pascal الفيلسوف الفرنسى الذائع الصيت استعاد بعض ما أتى به مُونْتَانى من مثل وحجج ، وأتبع ذلك بفيض من فصاحته اللاذعة إذ يقول : « لا يوجد تقريباً شىء عادل أو غير عادل إلا ويغير من صفته تغير إقليمه ؛ ثلاث درجات فى الارتفاع إلى القطب تقلب رأسا على عقب كل ما عرف من عدالة . خط واحد من خطوط الزوال يتحكم فى الحقيقة والحكم الخلق — الحق له أزمانه وبيئاته ، عدالة مضحكة هذه التى يحدها نهر ! حقيقة أمام جبال البرينيه Pyrenées خطأ وضلال وراءها[(1)] »

حقيقة أن التاريخ وعلم الاجتماع ليؤكدان أن القواعد اختلفت باختلاف العُصُر ، كما اختلفت وتختلف فى العصر الواحد بحسب البيئات . الرق كان نظاماً معروفاً لدى العبرانيين والمصريين القدماء والهنود والصينيين والعرب فى الجاهلية ، وإن اختلفوا شدة وليناً وقسوة ورحمة فى معاملة الأرقاء . كما كانت الجمعية الإنسانية فى المدينة الأغريقية — التى يفخر بها الأوربيون اليوم — تقوم على استرقاق فريق من المواطنين ؛ حتى إن أرسطو بجلالة قدره يبرره لاعتبارات مختلفة : منها أنه لا بد من العبيد ليتوفر الرجال الأحرار على الدراسات العقلية العالية . وأنه يوجد أناس بلغوا من السفالة والضعة أن يفهموا أنهم خلقوا للاستعباد . كما لم تمنعه الديانة المسيحية ولا الدين الإسلامى أيضاً ؛ وإن لم تنبه الشريعة الإسلامية كغيرها على أن من الناس من خلقوا للذل والهون ، ومن لا ترتفع بهم طبائعهم إلى مراقى الأحرار بل جعلت سببه أمراً واحداً : هو الكيد للاسلام ومحاربة الله ورسوله ، ثم تدور الدائرة عليه[(2)] .

هكذا كان الرق نظاماً معروفاً فى الأزمان الماضية ؛ أما فى أيامنا هذه فقد صار معتبراً من أشنع المظالم الإنسانية ، وغدا محرماً تحريماً باتاً .

لنترك الآن حق الحرية الشخصية وما كان فيه من اختلاف ، لنلقى نظرة على حق الحرية الفكرية لنعلم ماذا كان حظه من تقدير الناس واتفاقهم عليه كحق عام يجب أن يتمتع به الجميع .

فى العصور المتوسطة كان عدم التسامح الدينى لدى المسيحيين مبرراً لا نكير فيه . ما كان أكثر رجال الدين الأعلام الذين كانوا يؤكدون أن الحقيقة لها كل الحقوق ومن بينها اضطهاد الضالين — فى رأيهم طبعاً — بوساطة القوة ! وأية حقيقة هذه التى كانوا يتكلمون عنها ؟ إنها الحقيقة التى يعتقدونها ، أى حقيقة كنيستهم ؛ فالتعاليم التى تتعارض وتعاليم كنيستهم كلها ضلال ،

(1) Challaye : Philosophie Scientifique et philosophie morale

(1) أفكار باسكال Pascal : Pensées Pascal
(2) مما يرجع إليه فى هذا كتاب الرق فى الاسلام الذى ألفه بالفرنسية العلامة احمد شفيق باشا وعربه المغفور له احمد زكى باشا .

كلها إلحاد، كلها جرائم موجهة ضد الارادة الإلٰهية فهي حرية بأشد العقاب. ها هو ذا سانت أُوجِسْتين Sant Augustin[1] مع رجاحة عقله وسمو فكره يوصي بالالتجاء للاكراه لهداية الضال حينما تعوز الحيلة ولا ينجح الإقناع[2]. وكذلك سانت توماس Sant Thomas (أبعد رجال الكنيسة الغربية ذكراً: ١٢٢٦ — ١٢٧٤) يقول في بعض ما كتب: إذا كان المزورون والمجرمون يعاقبون عدلاً بالإعدام، فحرى بنا أن يكون جزاء الهراطقة الخوارج عن الدين لا الحرمان الأبدي من الكنيسة فقط بل الموت الزؤام. وقد كان من أثر هذا التعصب الممقوت ما يذكره تاريخ فرنسا من المذابح التي سالت فيها الدماء أنهاراً بين الكاثوليكيين ودعاة الإصلاح الذين اعتبروهم ملاحدة خرجوا على الدين.

ولسنا في حاجة لذكر ما كان من محاكم التفتيش في أسبانيا النصرانية، وما أنزلته بالأبرياء من عذاب لا لشيء إلا حداً من حرية الدين والفكر، ولا لما كان من تعذيب بعض سادات قريش وغير قريش في الجاهلية لبعض الذين هداهم الله للاسلام ليعودوا مشركين. لسنا في حاجة لذكر هذا وأمثاله لنتبين كيف كانت عقلية الناس حتى كبار الأحلام في تلك الأيام! أما في أيامنا هذه فيعتبر عدم التسامح سبة وجريمة أخلاقية مهما كان سببه ومأتاه. العقول الحرة تأباه وتجده مرذولاً، وغالب رجال الأديان يمقتون الإكراه في سبيل نشر ما يعتقدون «ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء. لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي. فمن يكفر بالطاغوت، ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم»

على أننا نقول إن الأمر كاد في هذه الناحية يعود قريباً من سيرته الأولى: أحداث تجد، وأفكار تتغير، وأنماط في الحكم تستحدث في بعض دول أوربا تقيد بل تلغي حريات الناس. فلا يفكرون إلا بقدر، وعلى ما يهوى السادة الحكام!

ثم حقوق النساء؛ أترى الناس كانوا فيها على اتفاق؟ لا. إن التاريخ شاهد صدق على اختلاف الناس فيها اختلافاً كبيراً. كان الأثينيون — وهم من تعلم مدنية وحضارة في الأزمان الماضية — يرون المرأة سلعة تباع وتشترى، وجعلوا مهمتها في الحياة تربية الأطفال وتنظيم البيوت. واليهود أباح بعض طوائفهم للأب بيع ابنته وهي قاصرة. وفي فرنسا قديماً بلغ من امتهان المرأة وهوانها عندهم أن عقد في بعض الولايات الفرنسية مؤتمر عام سنة ٥٨٦ م، أخذوا يبحثون فيه حالة المرأة ومركزها في المجتمع، وما إذا كانت تعد إنساناً أو غير إنسان، وانتهى الأمر بتقرير أنها إنسان؛ ولكن خلقت لتخدم الرجل ليس غير[1]! ولا تنس ما كان من وأد بعض عرب الجاهلية بناتهم، ومن اعتبار المرأة كالمتاع تورث عن أبيها وزوجها. والآن تغير هذا كله، وأصبحت المرأة مساوية للرجل إلا في بعض حقوق يرى بعض الأمم من الصالح العام عدم منحهن إياها

وإذا كانت النظريات والآراء الأخلاقية تختلف في الأمة الواحدة باختلاف الزمن، فهي كذلك مختلفة في الزمن الواحد باختلاف البيئات. بينما نرى في هذه الأيام الناس الذين هم على الفطرة كسود استراليا يعتقدون دينيًّا قدسية بعض أنواع من النبات والحيوان، فيكون الموت جزاء من يجرؤ على أكل شيء منها[2] كما نرى البراهمة في الهند يقدسون البقرة ويعتبرون أكبر الجرائم قتلها أو الأكل من لحمها، وتقوم بينهم وبين مواطنيهم المسلمين لهذا السبب المعارك الدامية — بينما نرى هذا وأمثاله كثيراً، نرى كثيراً من سود إفريقيا يستحلون بل يفضلون أكل لحوم البشر من أعدائهم الذين يسقطون في ميدان الحرب، أو عبيدهم الذين يعنون بتسمينهم ليكون منهم غذاء دسم شهي، أو أقاربهم الذين نالت منهم السنون وعجزوا عن احتمال أعباء الحياة[3]

في مقابل هذا وذاك نجد بعض البوذيين الدينيين كرهبان الهند الصيني يعدون جريمة قتل أي كائن حي مهما كان؛ ويصل الأمر بهم إلى ترشيح مياه الشرب حتى لا يبتلع أحدهم أثناء شربه أية حشرة حقيرة غير مرئية فيكون في ذلك موتها. أما نحن

(١) أسقف فرنسي يعتبر أشهر آباء الكنيسة اللاتينية (٣٥٤ — ٤٣٠)
(٢) الكتاب السابق ذكره للأستاذ الرحالة: Challaye

(١) مما يرجع إليه في هذا كتاب: (مركز المرأة في الاسلام) للسيد الأمير علي الهندي
(٢) يرجع إلى كتاب Les formes élémentaire de la vie religieuse par Durkheim تأليف إميل دركيم
(٣) الكونغو الفرنسي Challay: Le Congo-français

فتتخذ موقفاً وسطاً بين الفريقين احترام الحياة الذى يعده هؤلاء الرهبان حقاً مقدساً لكل حى لا نراه حقاً إلا للآدميين، ولا يعترف به أولئك المتوحشون إلا لعدد قليل كأسرة الشخص أو قبيلته أو أفراد قريته

كذلك الانتحار الذى يحرمه الدين الإسلامى وتنكره المدنية الأوربية الحالية، يعده اليابانيون تقليداً وطنياً طيباً، ويرونه واجباً فى كثير من الحالات؛ ينتحر اليابانى حين يرى أنه جُرد من شرفه أو عانى سقوطاً فاضحاً كبيراً، وينتحر احتجاجاً على ظلم ارتكب، أو نحو ذلك من العوامل الأخرى التى تجيزه فى رأيهم. ذكر الأستاذ شالِيِ Challaye فى كتاب له عن اليابان بعد رحلة إليها طائفة كبيرة من حوادث الانتحار وعوامله؛ منها: أن ضابطاً انتحر سنة ١٨٩١ ليلفت نظر الحكومة والرأى العام إلى تعدى الروسيا على بعض النواحى فى شمال اليابان، وأنه فى سبتمبر سنة ١٨٩٢ انتحر أحد الضباط الكبار وزوجته أثناء سير جنازة الامبراطور إظهاراً لإخلاصهما له وعدم رغبتهما فى الحياة بعده (١)

وحرمة مال الغير لم تكن دائماً حقاً مقدساً لكل إنسان. التاريخ يقفنا على أن الغارات على الآمنين من القبائل الأخرى كانت من أبواب الارتزاق لدى كثير من الأمم فى جاهليتها؛ واليهود كانوا يرون مال الغير — أى غير اليهود — حلالاً سائغاً لهم: « ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل »

من السهل مضاعفة هذه المثل والإتيان بغيرها مستمدة من حياتنا الحالية وتقاليدنا المختلفة فى الصعيد أو الوجه البحرى مثلاً من مصر، وخاصة فيما يتصل بالأفراح والمآتم وعادات أخذ الثأر والانتقام، مما يؤكد أن الآراء والأحكام الأخلاقية تتغير مع الزمن وتختلف مع الأوساط والبيئات

ولكن هل من الحق رغم تضافر هذه الشواهد كلها أن ننكر أن هناك حقائق أخلاقية عامة سايرت العُصُر وسادت فى جميع البيئات؟ بيان ذلك فى الكلمة الآتية إن شاء الله

محمد يوسف موسى

(١) المؤلف نفسه فى كتابه: اليابان المصورة Le Japon illustré

التاريخ فى سير أبطاله

محمد شريف باشا

كان شريف فى عصره رجلا اجتمعت فيه الرجال
وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال

للأستاذ محمود الخفيف



ساقت الأقدار ولاية العهد لإسماعيل فاستبشر الناس وارتقبوا عهد هذا الأمير الذى ذاع من صفاته فيهم ما حببه إليهم ، وكانوا قد علموا أنه من ذوى النباهة والحزم وبخاصة فى شؤون المال ! ولم يطل ترقب الناس ، فقد آل إليه الأمر عام ١٨٦٣ م

وراحت مصر تستقبل طوراً من أطوار تاريخها ، تحار أشد الحيرة ماذا نسميه وبأى الصفات ننعته .. طوراً كان غريباً حقاً ، تترك غرابته المقول فى دهشة شديدة وتكلف من يريد الإنصاف فى درسه عسراً شديداً

ما برحت فرنسا وانجلترة تراقبان الحوادث فى وادى النيل ؛ أما فرنسا فكانت لا تنى تعمل على أن تزيد نفوذها الأدبى فى مصر ، ذلك النفوذ الذى وضعت أساسه حملتها فى هذه البلاد والذى ما فتئ يتزايد ويعظم فى عهد محمد على ، وها هو ذا فى عهد إسماعيل قد بلغ غايته حينما اتصل فى عهده البحران واستطاع ديلسبس أن يجرى بينهما تلك القناة التى سوف تغير مجرى تاريخ هذا الوادى .. وأما انجلترة فكانت على سياستها تحول دون ظهور قوة فى مصر ، وقد استراحت من محمد على وراحت اليوم تقف فى وجه حفيده وتحرص على أن يظل خاضعاً للخليفة ، ولما التقى البحران أصبح همها متجهاً إلى السيطرة على مصر لتسيطر على القناة

وكان شريف من رجال هذا الطور فى الصف الأول ولكن كان ذلك من الوجهة الرسمية فحسب ، فلقد لبث من عمره سنين لا تحس مصر شيئاً مما ظهر له من خطر فى أواخر ذلك العهد ...

شهدت مصر فى هذا الطور جلائل الأعمال ومظاهر الاستقلال ، كما شهدت عوامل البلى وعناصر الانحلال . شهدت يد التعمير تبعث الحياة والنشاط والقوة فى العاصمة وعلى صفحة الوادى ؛ وشهدت يد التخريب تهوى بمعولها فى غير هوادة أو رحمة فتزلزل البنيان وتقوض الأركان . شهدت العظمة الشامخة والثروة الباذخة وشهدت الذلة المستخذية والفقر المستكين ؛ شهدت نوازع الاستبداد وشهدت دوافع الحرية ؛ شهدت مواقف البطولة والصدق ؛ وشهدت مخازى الدس والبهتان ... شهدت مصر ذلك كله وشهدت زيادة عليه مثل ما تشهد الفريسة تجمعت عليها الذئاب وأوهنها طول الدفاع والجلاد

أراد اسماعيل أن يسبق عصره فيما يطلب من أوجه الكمال ، فلن يجمل بمصر وهو واليها أن تكون قطعة من أفريقيا ، ولا أن تكون جزءاً من تركيا ، ولن يهدأ له بال حتى تنتسب مصر إلى أوروبا ، وحتى تحطم الأصفاد وتطرح عن عنقها نير الاستعباد

لم يمض من عهد هذا الأمير الفذ اثنا عشر عاماً حتى غمر مصر فيض من الإصلاح ، وتهيأ لها من أسباب الرقى ما لم يكن ليتهيأ مثله فى أقل من قرن إذا سارت الأمور سيرها العادى ... ففى تلك الفترة الوجيزة وصل بين البحرين وشقت الترع الطويلة تحمل إلى أنحاء الوادى من مياه النهر وغرينه ما يدرأ عنها رمال الصحراء. ومدت سكك الحديد وأسلاك البرق ، ونظم البريد ومهدت السبل وعقدت الجسور ، وأصلحت الموانى وأقيمت المنائر ، وشيدت المصانع وافتتحت دور العلم للبنين والبنات وعنى بالتحف

وفى تلك الفترة تقلص نفوذ السلطان ، وأحاطت بوالى مصر مظاهر السيادة فلقب بالخديو وسمح له بمنح الألقاب ، وأطلقت

يده فأصلح القضاء، وأدخل على النظام الإدارى كثيراً من الإصلاح

وفى تلك الفترة سارت القاهرة تستبدل حياة بحياة ، ومظهراً بمظهر ، فتتخلص ما وسعها الجهد من أفريقيا ولا تنى تقترب من أوروبا ، وراح الخديو العظيم ينشر فيها من مظاهر همته ما جعل أعماله فى هذا المضمار من عجائب القرن التاسع عشر ، وما برحت القاهرة طول عهده غاصة « بالمونة والأحجار » تلك التى كانت هوى الخديو ومسرة فؤاده

ولكن اسماعيل وا أسفاه أنفق فى سبيل ذلك المجد ما زاد على خمسين مليوناً من الجنيهات لم يكن لديه منها شىء يذكر ... ولذلك لم يلبث أن رأى مصر التى أراد أن تكون قطعة من أوربا تساق على رغمه لأن تكون ملكاً لأوربا ! فمن أوربا استدانت تلك الملايين ؛ ولما عجزت عن دفع دينها كانت رهينة لذلك الدين .

أين كان شريف حين أخذت مصر فى سياسة الاستدانة ؟ وكيف فاته وهو الأريب الحاذق ما كانت تبيت انجلترة من غدر لاقتناص مصر ؟ أو لم ير أنها كانت تقيم من أموالها حول الوالى شبا كا أحكمت نسجها يد المكر ، وبالغت فى سترها الرؤوس الماهرة والقلوب الغادرة ؟

كان شريف ناظراً للخارجية كما سلف أن ذكرنا ، فلما تم لإسماعيل الأمر أضاف إليه نظارة الداخلية ، فهو يعرف شريفا معرفة خبرة ووثوق إذ كان له زميلا فى الدراسة ؛ وبقى شريف يدير المنصبين متمتعا بثقة إسماعيل وعطفه ، خليقا بما نال منه من تكريم ، وأى تكريم . كان أعظم يومئذ من أن يقيمه الوالى نائبا عنه حينما رحل إلى الآستانة عام ١٨٦٥ وما كان إسماعيل ليفعل ذلك لولا أنه كان يرى شريفا أكثر الناس ولاء له

على أن شريفا لم يك يملك غير النصح فى عصر كذلك العصر وتلقاء رجل كإسماعيل تناهى إليه السلطان والبأس حتى ليستنكف أن يذعن للخليفة ، فيسعى ما وسعه السعى لتطلق يده فى شؤون مصر كلها وبخاصة فى عقد القروض

ولكن هل نصح شريف لاسماعيل كما كان خليقا أن يفعل ؟ لو أنه فعل ذلك لجاء ذكره فيما جاء من أخبار ذلك العهد الذى كثرت فيه الأقوال . ومهما يكن من الأمر فقد ظل شريف فيما اختير له من المناصب لا يعارض ولا يغضب فيستقيل ... وتلك مسألة أخرى نعدها على شريف ونأخذه بها ...

بيد أننا من جهة أخرى نعود فنذكر أن مبدأ المسئولية الوزارية لم يكن قد قام فى مصر بعد؛ فإسماعيل هو وحده المسؤول عن حكم مصر وسياسة مصر ، وما على نظاره إلا أن ينفذوا ما يأمرهم به دون أن يكون لهم فيه رأى أو تكون عليهم من جرائه تبعة ؛ ولم يك ثمة فرق بين جيب إسماعيل وخزينة مصر ، ولذلك كانت سلطته المالية أعظم من سلطته الإدارية إن صح أن كان بين السلطتين تفاوت ...

هذا كله حق لا سبيل إلى إنكاره، ومن أجله يخف وزر شريف وتقل ملامته ، ولكنه لن يعفى من ذلك الوزر إلا أن نميل فنتحيز أو أن نذكر بعض ما بذله شريف من جهود جبارة فيما بعد فى مقاومة نفوذ اسماعيل ومحاربة طغيان الأجانب فيحملنا ذلك على تناسى موقفه فى تلك الفترة التى غلب على طبعه فيها الهدوء والرضى ... على أننا لا نسيغ هذا ولا تطاوعنا النفس على ذلك .

والواقع أن هذه الفترة من حياة شريف فترة سكون لا يتفق وما جبلت عليه نفسه من شجاعة شهد له بها حتى خصومه ، فهل كان مرد ذلك إلى ما كان من إذعان مصر نفسها واستسلامها ؟

يخيل إلى أن ذلك أقرب إلى الصواب . فلقد كان الرأى العام فى ذلك الوقت أعنى مدى الاثنى عشر عاماً الأولى من حكم إسماعيل لا يزال فى مرحلة تكوينه ، ولذلك لم يكن للشعب نفوذ إلى جانب نفوذ إسماعيل وجاهه ، فمجلس شورى النواب الذى أنشأه الوالى والذى أولاه شريف حظاً كبيراً من عنايته ونشاطه ، كان لا يملك حق محاسبة الحكومة ؛ وكانت البلاد محرومة من الصحافة الوطنية، خالية من الأحزاب السياسية ؛ وكان المتعلمون من المصريين منصرفين إلى المناصب الحكومية يتقدمون بالزلفى إلى إسماعيل وحكومته . ولقد أدى الانتخاب لمجلس الشورى إلى حرمان المجلس من هذا العنصر لو أنهم أرادوا أن يتجهوا إليه ...

وعلى ذلك فلو أن شريفاً تحرك حركة قومية فى ذلك الوقت لما هزت حركته النفوس ، كما راحت تهزها حركاته فيما بعد حين أفاق الرأى العام على تدخل الأجانب فى شئون مصر ، وحين ظهرت فيه عناصر لم تكن موجودة من قبل ، كدعوة جمال الدين التى أومضت فى ظلمات ذلك العصر ، وكظهور الصحافة واهتمام المتعلمين بقضية البلاد المالية ، وغير ذلك من أسباب البعث والنهوض ...

عندئذ آن لشريف أن يخطو ، فكأنما كان قبل خطواته الوطنية فى مرحلة الإرهاص ، شأنه فى ذلك شأن كثير من الزعماء من قبله ومن بعده . وما أعظم الشبه فى ذلك بين سعد وشريف ! فهذا سعد جبار هذا الوادى وزعيم أبطاله ومفخرة أجياله ، ظل فى الفترة الأولى من حياته ساكنا لولا ما كان من آثار قلمه

ونفثات روحه . فلما سارت الحوادث سيرها ، وتهيأت البلاد لانتفاضة تنفس عنها بعض ما بها تلفتت القلوب ودارت الأعين فلم تستقر إلا عليه كأنما ألهمت ذلك إلهاماً ! ... وإنك لترى من أوجه الشبه غير هذا كثيراً بين سعد وشريف فيما نقص من سيرته

كان لا بد للمسألة المالية أن تنتهي إلى ما انتهت إليه من تدخل الأجانب فى شؤون مصر الداخلية ، ولكن هذا التدخل لم يكن شرا كله كما اعتاد المؤرخون أن يصوروه ، وحسبنا مما انطوى عليه من عناصر الخير أن قد استيقظت على ضجيجه وصخبه مصر ، فانبعثت القومية المصرية ومضت تنفض مصر عن كاهلها غبار القرون على صورة أروع وأقوى مما تبدى فى ثورتها على نابليون وكليبر ، ومما ظهر من آمالها ومشيئتها يوم ذهب أبناؤها وعلى رأسهم عمر مكرم والشرقاوى يلبسون محمد على الكرك والقفطان دون أن يرجعوا فيما فعلوا إلى السلطان ...

تراكمت الديون على مصر حتى أنها لم تكن تقل عن تسعين مليوناً من الجنيهات فى عام ١٨٧٥ م . فمن ديون سائرة كانت فى ذاتها أبلغ ما نال الخديو من معانى الغبن ، إلى ديون ثابتة فيها أوضح معانى الشره وأقبحها من جانب الدائنين ، إلى قروض داخلية لجأ إليها «المفتش» ذلك الذى قام على شؤون مصر المالية ، فكان فى ذاته عبئاً فوق أثقالها التى ناءت بها ، ومن تلك القروض الدالة على شدة الارتباك والخلل دينا المقابلة والرزنامة ...

عندئذ تحركت انجلترا نحو هدفها ، وكانت أولى حركاتها فى هذا المضمار شراء نصيب مصر من أسهم القناة ، اشتراه دزرائيلي رئيس وزرائها بثمن بخس ! ولم يرده عن ذلك عطلة البرلمان يومئذ . وكيف يفوت دزرائيلي وهو الذى يعرف الفرص ويعرف كيف يقتنصها، كيف يفوت ذلك الداهية أمر كهذا الأمر يجعل مركز بلاده فى القناة كمركز فرنسا أو أعظم ، ويصحح خطأ وقعت فيه انجلتره ألا وهو استهانتها بالمشروع أول الأمر ظناً منها أنه لن يتم، ثم تراخيها عن شراء الأسهم بعد ذلك رغبة فى إحباطه

ولكن مصر بعد بيع أسهمها لا تزال فى حاجة إلى المال لتدفع به بعض ما جره عليها المال من وبال . وأنى لها المال بعد ذلك كله ؟ وأية دولة تمد إليها يدها ؟ إذاً فلتفكر مصر فى الاصلاح ثم فلتفكر انجلترة فى اصطياد الفريسة !

طلب الخديو موظفاً انجليزيًّا يدرس لها شؤون مالها ويصلح ما يراه من أوجه الخلل ؛ فتلكأت انجلترة لأنها عن دهاء وجشع تحب أن تتدخل ولكنها لا تحب أن تفتح أعين غيرها

وجاء الموظف ولكنه زود من جانب حكومته بأوامر، فعليه أن يدرس وعليه فوق ذلك أن يحقق ويدقق ثم يرفع تقريراً عما رأى ! وما لهذا أراده إسماعيل فما كان يريد والى مصر إلا أن يكون هذا الموظف معيناً له فى إصلاح مالية البلاد

ورفع «كيف» التقرير إلى حكومته ! وجاء دور دزرائيلي فأعلن البرلمان الإنجليزى فى غير تردد ولا استحياء أنه يرغب عن نشر التقرير لأن الخديو رجاه فى ذلك . ولعمر الحق ما رجاه الخديو ولا أشار إلى ذلك من قريب ولا من بعيد ...

ذعر الدائنون ، وهبطت أسهم مصر كما يقول رجال المال ، وتلقى الخديو الصدمة العنيفة ممن أمل على يديهم الإصلاح وقال فى مرارة وغيظ : «لقد احتفروا لى قبرى» وهى كلمة موجعة جامعة ، فبعد هذا التصريح من جانب دزرائيلي سيكون الطوفان . وما كان فى تقرير كيف إلا أن مصر «تشكو مما ينتشر فى الشرق من أمراض منها الجهل والإسراف والاختلاس والإهمال والتبذير وأنها تشكو من كثرة النفقات التى سببتها محاولة إدخال مدنية الغرب والتى تترتب على مشروعات لا تجدى نفعاً ، وعلى مشروعات نافعة ولكنها تنطوى على الخطأ» . بل لقد ذكر كيف فى عبارة صريحة : «إن مصر تستطيع أن تدفع ما عليها من الديون إذا أحسنت إدارة البلاد» . ولكن للسياسة مطامعها وأغراضها ولها من أجل ذلك أساليبها التى كثيراً ما تسخر مما تواضع عليه أغرار الناس من قواعد الخلق والاستقامة !

لم تستطع مصر أن تفلت من دائنيها فكان لابد من إذعانها لمراقبة مندوبيهم وتألف فى مصر «صندوق الدين العام» فكان حكومة صغيرة من الأجانب داخل حكومتها ؛ ثم وافق الخديو مكرها على تعيين مراقبين أجنبيين أحدهما انجليزى للدخل والآخر فرنسى للصرف ، وعين تبعا لهذين موظفين من الأجانب برواتب ضخمة ؛ وعنى الخديو حقا بالاصلاح يومئذ ولكن يد الغدر كانت من ورائه تبعث الارتباك وتنصب الشباك

وقبل الخديو فيما قبل على رغمه تأليف لجنة من الأجانب سميت «لجنة التحقيق العامة» جعل على رأسها دلسيس ومنحت سلطة واسعة غير محدودة، فما كادت تعمل حتى اصطدمت، وكان اصطدامها فى بدء عهدها لسوء حظها بالرجل الذى يتحفز ويتحين الفرصة ليثب. ومن يكون ذلك الرجل فى تلك الأيام العصيبة غير شريف ؟

استدعته اللجنة ليمثل أمامها لتستفهمه، فتعاظمه الأمر فأبى، فأصرت اللجنة وقد خشيت على هيبتها ونفوذها ، ولكنه خشى



التربية العملية

أطفالنا

للآنسة زينب الحكيم

التربية العملية مسألة لا يجدى فيها ترقيع ، ولا يفلح فيها النصح الكلامى كثيراً إذا فات أوانها ، وأهمل شأنها فى حياة الانسان المبكرة . لهذا سأوضح بعض الأمثلة كيف يمكن تنشئة الطفل منذ طفولته ، ليتناسب مع الجماعة ، ويشب على روح الفرد للمجموع ، والمجموع للفرد (المحررة)

كلنا يُقرّ بشدة العناية التى تحيط المولود من يوم ولادته ، تلك العناية التى قد لا يشابهها العناية بالملوك على عروشهم ، ولا الجبابرة المتألهين على أقوامهم

فالطفل، فى مدى الخمسة عشر أو الثمانية عشر شهراً الأولى من حياته ، تؤدى له جميع لوازمه ، ولو ضحيت فى سبيل ذلك صحة الكبار ولا سيما الأم . وكنتيجة لهذه المعاملة ، وتلك الرعاية ، يصير الطفل أنانياً بكل ما فى هذا التعبير من معنى ، خصوصاً بعد أن يقارب تمام السنتين من العمر

وكلما بدأ الطفل يتحرر من طور العجز، أو الاعتماد المطلق على من حوله فى الطفولة المبكرة ، يبدأ ينازع رغباته ولوازمه من أجل إخوته وأخواته، ومن والديه والأفراد الآخرين الذين يحيطون به.



فرغباته الشخصية، وطلباته المضادة لطلبات المجتمع ، يجب تعديلها بحكمة ، وبهذا يبدأ حفظ أول درس صعب فى الحياة . وبفهم هذه التناقضات الأولية فى حياة الطفل تتساعد على فهم سلوك الأطفال بوجه عام ... ومن ثمَّ نرشدُ إلى أمثل الطرق لتربيتهم ، وأحسن التدابير لتنشئتهم

أما جعل الطفل مناسباً لبيئته ، وتهيئة البيئة نفسها لمناسبته ، فمقدرتان تستلزمان مجهوداً عظيماً ، لأن كل فرد منا يفهم ويقدر أن للجماعة فى أى بيئة مطلبين ضروريين :

١ — أن يعيش الإنسان مع آخرين من نوعه ، لأجل حماية الجماعة ... ولأنه اجتماعى بطبعه ، ولأجل إيجاد إلف له

٢ — أن يقف كفرد يدفع عن سلامته الشخصية ، وأن يستطيع جذب رفيق له .

ومن هذا نرى ، أن له عدة حقوق خاصة واضحة ، وعليه

هو أيضاً على كرامته وكرامة منصبه فأصر كما أصرت . . . أيمثل شريف أمام لجنة من الأجانب ؟ ولم لا تنتقل إليه اللجنة وهو العزيز بنزاهته واستقامته ، الكبير بشخصه ومنصبه ، العظيم بوطنيته وكرامته ؟ إذاً فليطلق شريف المنصب غير آسف ، وقد كان ما أراد فاستقال ! وهزت البلاد استقالته بما تنطوى عليه من المعانى فلقد كانت وثبة فى حينها ، كانت غضبة من رجل فى أمة عدّ بها أمة فى رجل ؛ وهكذا خطوات أحرار الشمائل وعظماء الأجيال كأنما تجئ على قدر من الأيام فتكون رداً بليغاً على من يزعمون أن عظماء الرجال يدينون بعظمتهم لظروفهم لا لصفاتهم ، هذه فى مصر هى الظروف ، فليت شعرى لم لم يظهر غير شريف وقد غضب مع شريف عشرات غيره من الرجال ؟

« يتبع »

الخفيف

واجبات لنفسه كفرد ، ولكن مشكلته العظمى هى معرفته كيف يوفق شخصيته ورغائبه لاحتياجات الجماعة .



لقد كان الإنسان الأول فى طفولته يعرف هذا التوفيق بالصدفة ، أى بطرق عرضية مطولة ملفوفة ، بينما نصل إليها الآن بطرق مباشرة مختصرة قليلة الالتواء إن وجد؛ لأن الدراسات الحديثة قد أفادتنا كثيراً ، ودلتنا على أن فى نفس الطفل غرائز وميولا وطاقات كامنة، وهو مهيأ لكيفية تنميتها — إذن ما علينا إلا أن نترك له القيادة ، فيفصح لنا عن نفسه ؛ وعملنا نحن هو أن نوجهه ونرشده إلى أحسن السبل ليهيىء نفسه لبيئته ، مع مراعاة أن ضروريات الجماعة ومستوياتها دائمة التغير .

فالسلوك الخلقى لجيل ما ، يعتبر دائماً السلوك غير الخلقى بالنسبة للجيل الذى يليه . وإذا افترضنا أن على الطفل أن يستمع ويخضع لأوامر إخوته ووالديه ، وجدوده ومعلميه فعلينا أيضاً أن نفترض له منفذاً لرغباته حتماً .

وهنا يتحتم على الوالدين واجبان : —

١ — أن يعلما الطفل إلى أى حد يجب عليه أن يخضع رغباته واحتياجاته لرغبات واحتياجات الجماعة .

٢ — عليهما أن يعلماه إلى أى حدّ يمكنه أن يشبع رغباته ، وإلى أى حد يجب أن يدافع عن حقوقه ، وإلى أى حدّ يعتمد بنفسه ، ومتى يخضع لأوامر الغير ، ومتى يعدل رغباته نزولاً على إرادة الجماعة .

الطفلة (جميلة) نشأت وهى صغيرة فى مزرعة ، وأحاطها أمهات وآباء محبون جداً لها ، ولم ينقص حب الخالات والعمات لها عن حب الجدات والجدود .

وطفلة فى مثل هذه البيئة ، وهذا الجو ، أحست بأهميتها ، وبالغت فى إملاء إرادتها فكانت إذا أرادت شيئاً ما يحضر لها ، ما كان عليها إلا أن تبكى بصوت مرتفع ، ولمدة كافية حتى تحصل على ما تريد . وأحياناً كانت تبكى على أشياء لا يمكن أن تعطى لها ، كأن تريد القمر مثلاً. وكانت تبكى أحياناً أخرى بدون سبب

ففى هذه الأوقات التى لم يمكن فيها إجابة طلباتها ، أو الصبر على تدليلها إشفاقاً عليها من كثرة البكاء — كان يقول أحد من بالمنزل : « خذوا جميلة إلى الحديقة وأركبوها الحصان — قد يهدئها ذلك » أو يقول آخر فى مناسبة أخرى : « خذوها إلى شارع المحطة لترى القاطرة الكبيرة وهى مارة — قد يهدئها ذلك »

وإذا لم تفلح هذه الطرق معها ، كان يعطى لها قطعة من الحلوى لكى تهدأ . ولقد استمر هذا النوع من المعالجة ، حتى أتى على أفراد الأسرة يوم نضب فيه معين حيلهم مع هذه الطفلة لتهدئتها كلما بكت



فمرة من تلك المرات ظلت تبكى وترغى وتزبد مدة طويلة ولم يلتفت إليها أحد . فما كان منها إلا أن نادت بأعلى صوت قائلة : « إعطوا جميلة قطعة من السكر — ذلك قد يهدئنى » دهش كل فرد حولها لما حدث منها ، وحار الجميع كيف يجاوبونها ، وتأملت هى طويلاً ثم قالت : « خذونى إلى الحديقة لأركب الحصان — ذلك قد يهدئنى » واستمرت تبكى

هنا وهنا فقط فطن الوالدان وكل أفراد الأسرة للدرس المهم

الذى أعطته لهم هذه الحادثة ، ونبهتهم إلى تلافى الغلطة التى كانوا يقعون فيها فى تربية الطفلة ؛ ومن حسن حظها أن غـيّر الجميع خطتهم معها تدريجياً ، وعدلوا مجاوبتهم لبكائها

من هذا يرى أنه إذا سمح للطفل أن يصير أنانياً ، بحيث يطلب كل ما يريد غير ناظر إلى حقوق الغير ، فإنه سيبقى طول حياته على خلاف ومنازعات مستمرة مع الناس الآخرين ، ويشعر غالباً بأن الناس لا يعدلون فى معاملته أبداً . وكثير من الأفراد لا يحصلون على ما يشعرون أنه من حقهم ، ذلك لأنهم ينتظرون أكثر مما يستحقون من الحياة ، ويتطلبون من الناس أن يتنازلوا لهم ويؤثروهم على أنفسهم بحالات لا يمكن تحقيقها

وهـذا هو السرّ فى سـوء حال الشبان الذين لا تقدر على ترويضهم عائلاتهم ولا مدارسهم ويضج منهم المجتمع. والـكل يشكون ويتأففون من فساد المجتمع ، ولـكن ليس الذنب كله ذنب المجتمع ، فلو لم توجد عندنا حالات عامة شائعة فى بيوتنا المصرية من أشباه التربية الخاطئة ، لما سمعنا بحوادث الأولاد الذين يتهجمون على آبائهم بالضرب أو القتل ، أو تنكيد حياة الأم ، لشدة هياج ابنها العصبى وغير ذلك فى كل وقت . والحقيقة أن لا عصبية هناك ولا جنون ، وإنمـا هو سوء التربية المبكرة وخطؤها الذى يجعل من الطفل شخصية غير شخصيته ، ويجعل حياته كلها تصنعاً والتواء .

إن سلطة الوالدين والمربين على الطفل هى التى تعلمه حقوق الجماعة . ولـكن ليحترس من استعمال السلطة بغلظة وجهل معه ، فإنه إذا حصل ذلك ولم يكن لدى الطفل المخارج الـكافية لنزعات نفسـه ، فإنه يصبح شغوفا قلقا خجلا فى غير موضع الخجل ، عنيدا ينكر كل شىء ، ويشاغب حيث لا سبيل إلى الشغب ، ويصير أشد ميلاً للتأثر بغير بيئته التى باتت غريبة عليه .

وهذا دون ريب مالا نقصد إليه . إذن يجب أن تخدم السلطة الوالدية غرضين :

١ — أن تكون وسيلة يتعلم بها الطفل كيف يوفق نفسه للجماعة ...

٢ — أن تكون وسيلة يتعلم بها الطفل أيضاً إلى أى حد يمكنه أن يعبر عن رغباته واحتياجاته .

ذلك لأن كثيراً من الضغط على الطفل يتعين خطؤه وضرره إذا ما كلفنا أنفسنا مشقة إيجاد المخارج الصحيحة التى يعبر الطفل فيها عن نفسه ؛ ويظهر لنا تعسف أوامر النهى التى نضايق الطفل بها والتى يستغنى عنها تماماً ، إذا اتبعت طرق التربية الصحيحة ، التى تمكن الطفل من إشباع ميوله دون إزعاج الآخرين .

ولا يصح أن نتصور أن الطفل إذا خالف قانونا أو نظاما يجب أن يسامح ، لا بل يجب أن يعاقب . وكل ما نرمى إليه هو أنه يمكن أن نعلم الطفل دائماً ، ونعوده التعبير عن رغباته وإشباع ميوله ، دون مضايقة الجماعة .

زينب الحكيم

ذكريات

بمناسبة انعقاد المؤتمر الطبي بالقاهرة

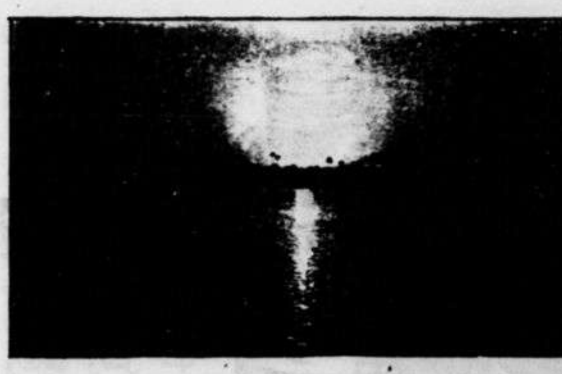
في مثل هذا الوقت من العام الماضي، كنت أتخذ عدتي للسفر مع أعضاء المؤتمر الطبي العربي الذي انعقد في عاصمة بلاد الرشيد.

ولقد تعاونت الحكومة والشعب على إنجاح المؤتمر وإكرام المؤتمرين ومساعدتهم على زيارة بلادهم الجميلة

وفضلاً عن تخفيض أجور السفر المتبعة بمناسبة انعقاد المؤتمرات وما شابهها، فإن الحكومة العراقية مبالغة في السخاء تفضلت بجعل السفر مجاناً على السكك الحديد مع كثرة نفقاتها هناك ولقينا من حسن معاملة مختلف الهيئات كل مشرف سار



سعادة فخر الدين باشا آل جبيل الذي نزلت ضيفة على أسرته في بغداد، وهي من أعرق الأسرات العراقية



الغروب على دجلة (طريق الكرادة : بغداد)

وإني قوية الأمل، شديدة الرجاء، أن ينال جميع أعضاء المؤتمر الطبي — وهم في بلادنا — مثل هذه المعاملة جرياً على عاداتنا. وإني أهيب بكل تاجر ومرشد، وكل ذي مصلحة شخصية من أجانب ووطنيين أن يترفع عن مضاعفة أثمان ما يروق لضيوفنا شراؤه، وخصوصاً للعراقيين، فإن التجار في بلادهم أقسموا أنهم كانوا يبيعون لنا الأشياء بأثمان أرخص مما يبيعون بها لأهل البلد والتاجر العراقي صادق أمين، كلمته شرف، ووعده موفى مهما يكن من الأمر



الشعار العراقي يزين أظهر مكان في سراي آل جبيل وتجلس على الأريكة التي تحته الآنسة زينب الحكيم، مرتدية بعض ملابس السيدة العراقية في البصرة،

وإني لهذه المناسبة السارة أختص الرسالة الغراء ببعض الصور التذكارية عن المؤتمر الطبي السابق تحية لأطباء العراق وترحيباً بهم ولجميع الأعضاء الأفاضل.

زينب الحكيم



الآنسة بحديقة آل جبيل



إثبات نظرية التطور

للأستاذ عصام الدين حفني ناصف

البراهين على صحة نظرية التطور كثيرة لا يحصرها العد ، فحيثما أرسل الإنسان الذى وعى هذه النظرية بطرفه فى عالمي الحيوان والنبات ، وجد شواهد توضح ما بين مختلف الكائنات الحية من صلة القربى . وقد اخترنا هنا أمثلة قليلة تتعلق بحيوانات مألوفة ، نراها مما يسهل فهمه وتجدر معرفته

من علم ترتيب الكائنات

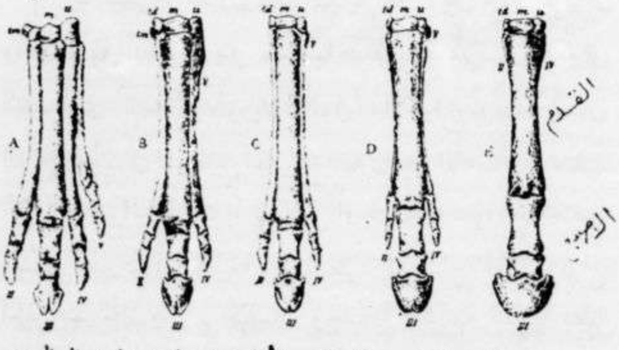
وصف العلماء إلى الآن ما يربى على ٥٠٠ر٠٠٠ حيوان حى و٢٠٠ر٠٠٠ نبات و١٠٠ر٠٠٠ متحجر ينفرد كل منها بصفة من الصفات . وهم يقسمونها إلى أقسام مختلفة المراتب ، فنوع الثعلب ونوع الذئب ونوع الكلب تابعة كلها لجنس الكلب ، وهذا تابع للعائلة الكلبية من فصيلة آكلات اللحوم ، وهذه تابعة لتربية ذوات الثدى وهى تابعة لقبيلة ذوات الفقار

وليس تحديد الأنواع من الأمور السهلة ، فبعض العلماء يعتبر بعض المجموعات أنواعاً جديدة فى حين يعتبرها علماء آخرون مجرد « تنوعات » ونحن نلتقى بالتنوعات دائماً حين نبحث آلاف النماذج من أحد الأنواع الحيوانية أو النباتية ، وهذه القدرة على التنوع من أهم خصائص الأحياء ، فهى تيسر لها ملاءمة البيئة المحيطة بها ، وذلك يتيح لها أن تتطور وترتقى من حيث بناء الجسم وقدرته على العمل

وعلم ترتيب الكائنات ينطق بصحة نظرية التطور (١) لأن الوفرة الهائلة فى عدد الكائنات الحية التى يمكن على الدوام إثبات وجود أشكال انتقالية بينها ، تسير كلها ببطء فى طريق التحول والتغير (٢) ولأن « النوع » لا يمكن تحديده تحديداً تاماً ، فلا بد أن يكون شيئاً متغيراً

من علم الحفريات

تتكون طبقات الأحجار الرسوبية فى وضع أفقى ، ويكون أسفلها أقدمها عمرا ، وتحتوى كل طبقة على حيوانات ونباتات دفنت فيها فى العصر الذى تكونت فيه تلك الطبقة ، وقد وجد أن الحفريات التى دفنت فى طبقة قديمة العهد تكون أبسط فى تكوينها وتركيبها من حفريات الطبقات التى هى أحدث منها عهدا .

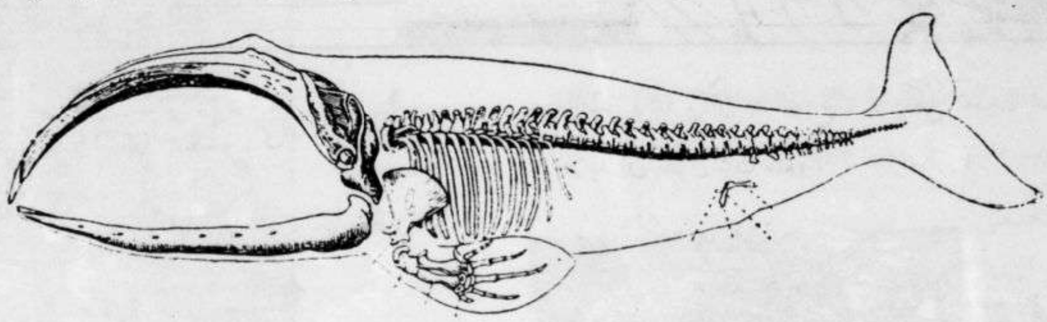


تبين هذه الصورة تطور عظام القدم الأمامية للحصان ، ونرى إلى اليمين قدم الحصان الحالى وقد قويت فيها الأصبع الوسطي ونمت ، كما نرى الأصبعين الثانية والرابعة وقد ضمرتا كثيراً. فاذا انتقلنا إلى الشكل الثانى من الجهة اليمنى وجدنا صورة عظام القدم فى عهد سابق قبل أن تصل الأصبعان الثانية والرابعة إلى هذه الدرجة من الضمور ونرى أثراً باقياً من الأصبع الخامسة ، أما الشكل الذى إلى اليسار فنرى فيه هذه الأصابع أكبر حجما لأنها أصابع حصان أقدم عهداً

ومن الأمور الهامة أننا نجد حفريات كل سلسلة من سلاسل الأنواع الحيوانية على النحو الذى كنا نتصورها عليه قبل أن نعثر بها وذلك ما حدث مثلاً فيما يتعلق بقدم الحصان ، فقد تعودنا أن نجد معظم الحيوانات الثديية الراقية ذات خمس أصابع فإذا اختلف الأمر عن ذلك فى الحصان ، ألزمتنا نظرية التطور

بافتراض أن أصابع أسلافه كانت خمسا فبقيت منها واحدة وضمرت الأربع الأخرى ، ونحن نميز فى قدم الحصان الحالى إصبعاً واحدة ونجد فى الخيل المتحجرة فى عهد البليوسين أن قدمها ذات ٣ أصابع وفى الخيل المتحجرة قبل ذلك فى عهد الميوسين أنها ذات ٤ أصابع وفى المتحجرة فى عهد الأيوسين أنها ذات ٥ أصابع

هيكل الزعنفة الصدرية إلا أن الحوت متسلسل من حيوان برى كان يستعمل طرفيه الأماميين فى المشى ثم تطورا بتطور معيشته من برية إلى بحرية. وهنالك إثباتات أخرى تؤيد أن الحوت حيوان ثديىّ متسلسل من أصل برى ، وهى كونه يتناول الأوكسجين اللازم لحياته برئتيه من الهواء لا بالخياشيم من الماء ، وكونه



الهيكل العظمى لحوت جرينلاندا داخل إطار يبين الشكل الخارجى للحوت . ويتضح عند تشريحه أنه ليس من الأسماك كما يوهم شكله ، بل هو من رتبة الحيوانات الثديية ، فليست الزعنفتان الأماميتان سوى الذراعين وقد تطورتا . ويلاحظ أنه مع ضخامته ذو مرىء ضيق فهو مضطر إلى التغذي بالقواقع الصغيرة والحيوانات القشرية الصغيرة ومن نجف البحر ، فليس فى استطاعته أن يبتلع إنسانا كما يتوهم العامة

من علم التشريح المقارن

يرينا التشريح المقارن ذلك التشابه العظيم بين جسم الإنسان وأجسام باقى الحيوان وفى مقدمتها « الشبيهة بالإنسان » وهى الشيمبانزى (البعام) والجوريلا (الغول) والأورانج أوتان (إنسان الغابة) والجيبون . ويقابل التشريح المقارن بين الأعضاء فى مختلف الأنواع الحيوانية فيثبت ما بينها من أوجه الشبه سواء فيما يختص بالشكل الخارجى أو الوظيفة . فإذا نظرنا إلى جناح الخفاش وذراع الحفر عند الخلد وذراع الإنسان وجدناها متشابهة تشابهاً عظيما فى تركيب عظامها رغم تباين وظائفها ، وما ذلك إلا لأن هذه الحيوانات متسلسلة من أصل واحد

ينظر معظم الناس إلى الحوت باعتباره ضرباً من السمك ، وذلك لإقامته فى الماء ولشكله الوشعى (المغزلى) ولوجود زعانف الصدر والذنب ، ولكن تشريح الزعنفتين الأماميتين يرينا فى كل منهما هيكلاً عظمياً يشبه مثيله فى الطرف الأمامى من الحيوانات الثديية الأخرى . أما الزعنفة الذنبية فيدعمها محور عظمى هو نهاية العمود الفقرى . ولبعض أنواع الحيتان زيادة عما تقدم زعنفة ظهرية بيد أنها خالية من أية دعامة عظمية ، ولا إيضاح لهذا التباين فى بناء الزعانف المختلفة فى الحوت الواحد ، ولهذا التعقد فى بناء

من ذوات الدم الحار فلا تنخفض حرارة جسمه — كالأسماك — بانخفاض حرارة الماء الذى يعيش فيه ، وكون أنثاه تلد صغارها تامة التكوين وترضعها .

من علم الأجنة

يجتاز كل حيوان فى نموه من خلية البيضة حتى يكتمل سلسلة من التغيرات المحتومة ، ويمر بسلسلة من الأشكال المختلفة، هى إعادة موجزة للسلسلة الطويلة من الأشكال التى اجتازها أسلاف هذا الحيوان أى أصول نوعه منذ أقدم أزمنة الخلق العضوى حتى الوقت الحالى

فالحوت — مثلاً — يمتاز فى كبره بعدم اشتمال جسمه على الشعر والأسنان والعنق والطرفين الخلفيين ، ولكن هذه الأعضاء توجد فى جنينه ، وذلك ما يشير إلى تسلسله من أصل ثديى له هذه الأعضاء

كذلك يحوى جسم الجنين الإنسانى أعضاء عدة لا إيضاح لهـا إلا أنها موروثة عن الأسلاف الحيوانية ، فهو مغطى بشعر كثيف يذكرنا بفروة القرد ، وقد يبقى الثوب الشعرى الجنينى فى أحوال مرضية شاذة عند من يسمونه بالإنسان الكلبى . وللجنين الإنسانى ذنب واضح ، وله فى كل ناحية خمس مجموعات

من غدد لبنية ، وذلك ما يدل على أن العضو اللبنى — كما هو الحال عند الحيوانات الثديية الدنيئة — لم يكن فى الأصل زوجاً واحداً فقط

من علم الانتشار الجغرافى

تقدم لنا الجغرافيا الحيوانية كثيراً من الحقائق الناطقة بصحة نظرية التطور . فمن ذلك أن المناطق والأقاليم المنعزلة عن غيرها تحوى أنواعاً حيوانية خاصة بها لا توجد فى سواها . ولئن كانت حيوانات أمريكا الشمالية شبيهة بحيوانات شمال آسيا وشمال أوروبا فإن لحيوانات أمريكا الجنوبية (أعنى التى كانت بها قبل أن يستعمرها الجنس الأبيض) صفات ومميزات خاصة بها نتجت من نمو تلك الحيوانات فى عزلة وعدم اختلاطها بحيوانات أمريكا الشمالية . وذلك لأن أمريكا الوسطى كانت فى عصر الميوسين مغمورة بالماء ، فلم يكن ثمة وجود لذلك المعبر الأرضى الذى انبثق بعد ذلك فوق اليمّ فأصبح يصل بين الأمريكتين . ومما يؤيد هذا التفسير وجود بعض الأسماك والقواقع مشتركة فى المحيطين شرق أمريكا الوسطى وغربها مع أنه لا يوجد نوع من الأسماك والقواقع مشترك فى شرق أمريكا الجنوبية وغربها



رأس جنين فى الشهر الخامس من تكوينه ويرى مكسواً بالشعر الجنينى الذى يسقط قبل الولادة

ومما يلفت النظر تلك الجزائر التى طلعت فى المحيط بعمل براكين تحت الماء مثل جزيرة سانت هيلانة (وتبعد ١٨٠٠ كيلو متر عن إفريقيا) فهى خالية تماما من الحيوانات الفقرية البرية والطيور البرية ، وبها من الطيور البحرية نوع واحد من النورز له قرابة بالأنواع الأفريقية ، وبها أنواع من الخنافس ذات الخرطوم وهى الأنواع التى تعيش هى ويرقاتها وعذاراها على الخشب وفى داخله . وفى ذلك ما يبين أنها انتقلت إلى تلك الجزيرة النائية محمولة على أخشاب طافية . ولو كانت حيوانات تلك الجزيرة قد خلقت على حدة لما كان هناك سبب مفهوم لإيثارها بالأنواع ذوات الخرطوم من الخنافس .



ما يسمى بالإنسان الكلبى وقد احتفظ بالشعر الجنينى

التفاعل الحيوى الكيميائى للدم

إذا تركنا دماً طازجاً فى مكان ما ، رسبت منه الكرات الدموية والألياف وبقى سائل أصفر هو المصل . ولكل حيوان فقرى مصل خاص به من شأنه أن يضر بالكرات الحمراء التى فى دماء الأنواع الحيوانية الأخرى . بيد أننا إذا كررنا حقن مقادير صغيرة من مصل دم حصان — مثلاً — فى الأوعية الدموية لأرنب ، تغير دمه بعد فترة من الزمن فأصبح مصل دمه يؤدى عند وضع قطرات منه فى محلول يحوى قليلاً من مصل دم الخيل ، إلى تكوين راسب زَغَبى ، وهو يحدث الترسيب أيضاً — ولكن بدرجة أضعف ، مع دم الحمار ، وذلك ما يوضح قرابته به . فإذا حقنّا أرنباً بمصل دم إنسانى أصبح مصل هذا الأرنب يرسب الدم الإنسانى ، بيد أنه أيضاً — وبنفس القوة — يرسب دم القردة « الشبيهة بالإنسان » ، أما القردة الأخرى فيرسب دماءها بدرجة ضعيفة . وهذه التجربة تبرهن لنا على وجود « صلة الدم » بمعناها اللفظى

الإنسان في ضوء نظرية التطور

يتعين علينا من الوجهة الفنية المحض أن ندخل الإنسان في نطاق نظرية التطور وقوانينها، فليس الإنسان من حيث العلوم الطبيعية سوى حيوان فقرى يمشى قائماً ، ومن مميزاته الظاهرة على سائر الحيوانات الثديية القريبة منه أنه يعتمد فى سيره على قدميه فقط ، وكثير من خصائصه الجسمانية الأخرى موجود فى عالم الحيوان وإن لم يكن مجتمعاً بهذا التوافق إلا فى الإنسان

والإنسان عظيم الشبه بالقردة الراقية إلى حد جعل أحد العلماء يقول : إن الفرق بين أحط الأجناس الإنسانية والقردة « الشبيهة بالإنسان » أقل كثيراً منه بين هذه وأحط القردة

ولئن كان المنظر الخارجى للجوريلا يبعث فينا النفور من تصور صلة قرابة تربطنا بها ، فأننا نجد حين نسلخ جلدها أن التشابه بين جسمها وجسم الإنسان لافت للنظر . فكل عظمة وكل عصب وكل عضو من الأعضاء المختلفة موجود عندها فى مثل موضعه عند الإنسان. وهى تشبه الإنسان كذلك فى كونها بلا ذنب ناتىء خارج الجسم ، وبلا انتفاخ فى الإلية، وبلا شعر كثيف فى الخدين كما تشبهه فى بناء عضو التفكير أى المخ، فإن مخها يحوى نفس الأجزاء والأخاديد والتلافيف التى يحويها مخ الإنسان

مستقبل الإنسان

من المرجح جداً أن يستمر الإنسان فى التطور مدى أزمنة طويلة جداً ، ولكننا لا نستطيع أن نقطع: هل يكون هذا التطور إلى أرقى أم إلى أحط ؟

لقد كتظت الأرض بالحياة أحقاباً طويلة دون وجود الإنسان. ومن الممكن أن تبقى حافلة بالحياة ولو انقرض الإنسان ؛ فالأرض لم تخلق هى وعالم الأحياء من أجل الإنسان، ولكن مجده وقوته فى كونه يعرف كيف يستغلها ويستخدمها لقضاء أغراضه .

عصام الدين حفنى ناصف



الفـــن الأمريكى

العمارة

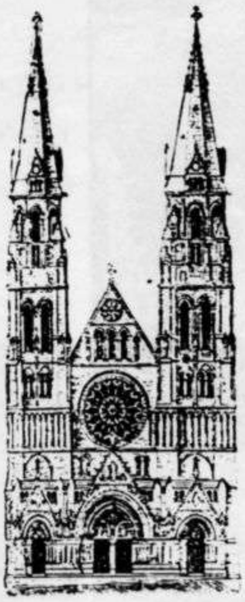
للدكتور أحمد موسى

لا يرجع الفن الأمريكى المقتبس من أوربا لأكثر من وصول الأسبان إليها. وبدت أول مظاهره فى تشييد الكنائس التى تميزت بضخامة مظهرها وطرازها الباروكى مع بساطة الزخارف وقلة النقوش، على نقيض ما كان جارياً فى تلك المرحلة الزمنية.


ش ١ — مبنى مصلحة التليفون فى نيويورك

كما أنها عند ما شملت شيئاً من التحلية كانت ضعيفة إلى حد لا يتناسب مع التصميم الإنشائى.

وأول المبانى الضخمة «الثقيلة» كانت بسان فرانسسكو وتولا Tula التى تمت بين سنتى ١٥٤٠ و ١٥٦١ وبعدهما كنيسة مريدا Merida القبية التى تم تشييدها سنة ١٥٩٨، ثم الكاتدرائية الهائلة بمكسيكو (١٥٧٣ — ١٦٥٦) بمنارتيها اللتين بلغ ارتفاعهما نحو الستين متراً.


ش ٢ — عمارة بيركشاير فى نيويورك

ولعل كنيسة لاجوس الباروكية الطراز (١٦٤٩) وكنيسة شايهواهوا (١٧٨٩) توضحان لنا أثر الفن الأوربى الإسبانى وتطوره فى أمريكا.

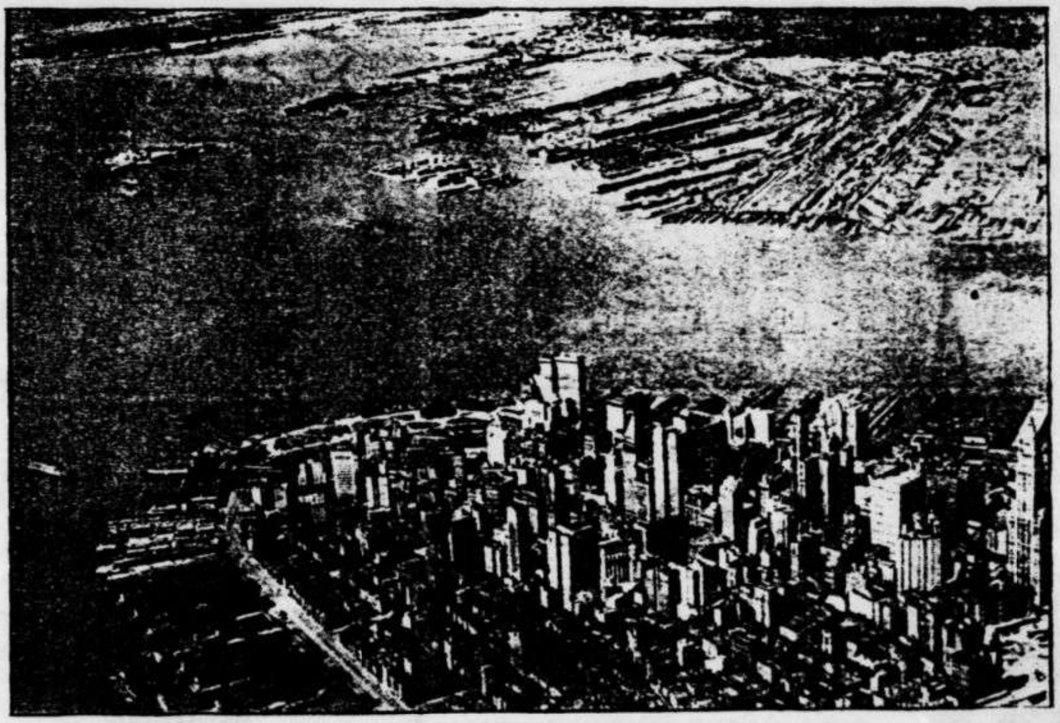
وبدأ تطور الطراز المعمارى تطوراً شاملاً منذ القرن الثامن عشر، فاتجه الميل إلى إهمال الزخرفة واعتبارها عملاً يضيع الوقت والمال، وظهرت الرغبة فى تبسيط البناء. إلا أنه بالنظر إلى اتساع الأراضى وقلة ازدحام السكان ورخص التشييد لخلوه من كثرة النقش والتحلية، فإن الضخامة والثقل ظلا على حالهما الأول وحافظا على مكانتيهما من نفس المهندس المعمارى. وخير مثل نسوقه لهذا مبانى سان فرانسسكو وساجراريو متروپوليتانو فى مكسيكو وكتدرائية ليون.

ولم يكن هذا المظهر منحصراً فى الكنائس وحدها، بل كان شاملاً للمبانى العامة والمبانى العادية؛ فترى السراى الأهلية National Palace التى يرجع تاريخها إلى عام ١٦٩٢ بواجهتها التى يبلغ طولها مائتى متر، وسراى البلدية (١٧٢٠ — ١٧٢٤) ومدرسة برج (١٧٩٧ — ١٨١٣) فى مكسيكو، خالية كلها من النقوش والزخارف التى تعتبر فى «الدنيا القديمة» ضرورية لتجميل البناء

وأهم كنائس جنوب أمريكا كنيسة كوسكو التى بدأ إنشاؤها سنة ١٥٣٧ وكنيسة ريودى جانيرو ، وباهيا ، وبونس أيرس ، وليما ، وسانتياجو حيث توجد الكاتدرائية المظيمة (١٦٤٧ — ١٧٤٨)، واختلف المجموع الإنشائى فى كل منها اختلافاً يحتاج إلى التفصيل الذى لا يتسع له المجال لاتصاله بأصول العمارة .

وقد لوحظ أن فن العمارة الذى انتقل من انجلترا وهولاندا والتى يذكرنا مظهرها الإنشائى العام بالتصميمات التى حملت طابع المعمارى الإنجليزى كرستوفوررن فى لندن ، وكذلك بيت البلدية فى بوستون والبيت الأبيض فى واشنجطون ، كلاهما حمل مظهر البساطة والرغبة فى جعل المبانى عملية أكثر منها فنية ، فكانت متأثرة بالفن الهولاندى المجرد .

أما فى القرن التاسع عشر فقد كان تأثير العمارة الأوربية أعم



ش ٣ — منظر عام لجزء من نيويورك الحالية ماخوذ من الطيارة

إلى أمريكا كان أميل إلى الناحية العملية منه إلى الناحية الفنية لجملة أسباب ؛ منها أن الذين هاجروا إلى « الدنيا الجديدة » كان معظمهم ممن ضاق بهم العيش فى بلادهم ، أو من الذين اتسع لهم مجال التبسيط على اعتباره تجديداً ، فضلاً عن العطاش والرغبة الصادقة فى الاستغلال السريع . أما الإسبان الكاثوليك فقد ظلوا سائرين فى اتجاههم المعمارى الذى مال إلى الزخرفة والتنميق ؛ فترى فى المدن الجديدة التى منها سانتافيه أمثلة عدة تؤيد ذلك .

وبينما اتجه الفن المعمارى فى الجنوب اتجاه البلاد الكاثوليكية كما هو الحال فى كاتدرائية نيو أورليانز (١٧٩٢ — ١٧٩٤) التى لا يخرج طراز بنائها عن كونه خليطاً من العمارة الكلاسيكية الفرنسية والعمارة القوطية إلماماً ؛ نراه اتجه فى الشمال نحو البعد عن الزخرفة والميل إلى تبسيط الواجهات . وهذا يؤيده ما يلاحظه المشاهد المدقق على كنيسة كرست فى فيلادلفيا التى تم بناؤها سنة ١٧٢٧ وأكبر، وذلك بالنظر إلى كثرة المعماريين الذين ذهبوا إلى أمريكا.

وقد ظهر أثر الفن الكلاسيكي على أشده فى البناء الرائع المسمى كابيتول واشنجطن (ش ٤) الذي ابتدأ بناؤه سنة ١٧٩٣ والذى جعلت أعمدته من الطراز الكورنتى [1] والتى أقيمت فوق أعتابها القبة فارتفعت عن الأرض تسعين متراً . على أن هذا البناء ليس الوحيد من نوعه الذى حمل هذا الطابع وهذه الروعة ؛ فهناك مشيدات أخرى مثل بيت الاختراعات Patent Office فى واشنجطون ودار الجمرك فى بوسطن وفى نيويورك وغيرها فى فيلادلفيا ، كلها شاهد على هذا الاتجاه .

ونجد أيضاً أثر الطراز الرومانتيكى ظاهراً فى التكوين الشكلى العام للكنائس وغيرها من المبانى الجديرة بالاعتبار . وهذا لا يمنع من أن تكون كاتيدرائية باترِكس فى نيويورك على الطراز القوطى

(١) راجع مقالنا (أكروبوليس أثينا) بالرسالة

التأخر وعلى جانب من عظمة المظهر ، ولو أنها بدت فى مجموعها نحيفة التكوين بالنسبة للمألوف فى هذا الطراز . وعلى نفس المنهج بنيت كنيستا ترينيتى وتوماس وغيرهما فى نيويورك وكان الواضع لتصميمها المعارى الانجليزى أبجون Upjohn .

ولا نذكر كنيسة كانت على جانب عظيم من روعة الفن الخالص سوى كاتيدرائية « جميع القديسين » All Saints (ش٢) التى كانت ولا تزال ضيقة المساحة ، وهذه الروعة تتلخص فى دقة التعبير عن الطراز القوطى المبكر.

ولعله جدير بالذكر أن المبانى التى تجلى فيها الطراز الرومانتيكى هى كنيسة هولى كوميونيون فى فيلادلفيا وردهة كاتيدرائية ترينيتى السابق ذكرها ، وكنيسة نيو أولد ساوث بمنارتها التى تأثرت بالفن الإيطالى فكانت مثلاً جيداً له فى أمريكا .

أما فى المبانى العامة فبرلمان أوتاوا فى كندا وكابيتول الدولة فى هارتفورد والمكتبات فى بورلنجتون ووبرن ، وكاونتى كورت هاوس فى بتسبرج ، ومتحف الفن فى سنسناتى ، والناشيونال أكاديمى التى تذكرنا كثيراً بقصر الدوج فى فينيسيا ، ومتحف التاريخ الطبيعى فى نيويورك .. كل هذه آيات بينات لفن البناء الأوربى فى أمريكا ، كما أنها خير دليل على الغنى الفنى المعارى والمقياس الصادق لتقدير الفن الخالص .

ومن الغريب أن أمريكا لم تقتبس من فن « عصر النهضة » شيئاً يذكر ، ولكنه يخيل إلينا أن الرغبة العملية كانت لا تزال الحائل بين العمارة وبين الاقتباس. ولهذا السبب نجد أن الحلقة الفنية المعمارية ناقصة . وذلك ما انبنى عليه عدم وجود الرابطة بين الطرز السابق اقتباسها وبين المسلك المعارى الذى مثل الضخامة والبساطة فى المظهر .

وهذا بلا شك سبب جوهرى فى الانتقال الفجائى من عمارة القرون الوسطى من حيث « الثقل والضخامة » كما هو الحال فى كابيتول الدولة بنيويورك إلى عمارة بيت البلدية فى فيلادلفيا، التى كان المنهج فيها مشابهاً لما اتبع فى بناء اللوفر ، هذا فضلاً عن منارته التى تعد أعلى منارة فى العالم . وهذا نفسه نعاينه فى مبانى بيوت الدولة والمكتبات والمحطات والمتاحف ودور التمثيل وغيرها من حيث اتساع مساحاتها وكبر أحجامها — ولكنها مع هذا الاعتبار ضئيلة القيمة المعمارية الفنية لما بدا عليها من مظاهر البساطة وقلة التنسيق .

وحتى القصور والفيلات فى « الدنيا الجديدة » بنيت دون قيد فنى أو شرط من شروط الجمال العام ، فهى لا تخرج عن كونها خليطاً من طُرُز مختلفة تجاورت وارتفع بعضها وانخفض البعض الآخر فظهرت خالية من الجمال ؛ هذا فى بيوت شيدها عظماء البلاد الذين يظن غالباً أنهم أدرى من غيرهم بأصول الجمال ، أو على الأقل ممن لا عذر لهم فى وجوب العمل على تشجيع الفن أيا كان نوعه.

من هذه الاتجاهات المختلفة وعلى ضوء هذا الخلط وعدم التقيد بقاعدة معينة أو فن معروف بدأت فاتحة اتجاه جديد فى أمريكا ، هذا الاتجاه هو إشغال أصغر مساحة من سطح الأرض بأكبر عدد ممكن من طبقات العمارات والبيوت ، وساعد على ذلك عدم إمكان التوسع فى مساحة مدينة واحدة أكثر من المعقول ، إذ لا يجوز أن تسافر ساعتين من طرف إلى الطرف الآخر فى بلدة واحدة ، هذا إلى جانب نمو عدد السكان نمواً هائلاً .

وأولى هذه العمارات بيت بير كشير فى نيويورك؛ فقد بنى شاملاً لتسع طبقات، وتدرج الحال حتى وصل إلى مائة وعشرين طبقة وأزيد!

ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد ؛ بل سار كل فى اتجاهه حسبما أراد وتبعاً لما تسمح به دولاراته ، فتجد إلى جانب بيت يناطح السحاب منزلاً لا يتجاوز خمس طبقات .

وبعد أن كانت أمريكا تقلد أوربا فى أول الأمر ، أصبحت أوربا تقتبس من أمريكا وتقلدها . وطغت هذه الموجة على القاهرة أيضاً فأصبحت ترى عمارات يبلغ عدد طبقاتها عشراً وثلاث عشرة بنيت كلها متلاصقة أو متجاورة لا ينفذ إليها نور ولا هواء ، مع أننا لسنا فى حاجة ماسة إلى مثل هذا المنهج السقيم ، لا سيما وأن عدد سكانها ضئيل جداً بالنسبة إلى مدن أمريكا الكبرى، ومساحة القاهرة أكبر نسبيا من مساحة تلك المدن .



ش ٤ — كابيتول واشنجطون (تصميم والتر)

(له بقية)

أحمد موسى

صوت الآنسة أم كلثوم

من الوجهة الفنية

يعتبر صوت أم كلثوم أجمل وأكمل وأقوى صوت نسائى فى العصر الحديث . ولعله أخلد الأصوات جميعاً فى تاريخ الطرب بعد صوت (ألمظ) زوجة عبده الحمولى ومطربة الخديو إسماعيل .

فهو يمتاز بتكوين سليم لاعيب فيه ، وبضبط نسب مقاماته ضبطاً محكما لايحتاج لشرح ولا تحليل لأننا جميعاً نسمعه .

فهو غنى بتريولاته (ذبذباته) التى تفعل فى النفس فعل السحر أو أكثر ، والتى تعطى السامع لوناً لامعاً ونبرة صافية غنية بكل الدوافع التى تسلب الإنسان حسه ونفسه .



يتكون من (ديوانين) تقريباً . وهو من نوع (الكونترآلتو) (والميزوسبرانو) ويبلغ ١٥ مقاماً تقريباً (١٢ كونترآلتو) و (٣ ميزوسبرانو)

أم كلثوم أقوى مطربة فى الشرق ، تتصرف فى عقود النغم وعنصره تصرفاً فنياً سليماً . فهى مثلاً تتصرف فى العقد الأول (بياتى ذى الأربع على الدوكة) وتتصرف فى العقد الثانى (راست ذى الأربع على النوى) . كذلك عشاق ذى الأربع على النوى ، والحجاز ذى الأربع على النوى . وتهبط من البياتى ذى الأربع على الدوكة (نغمة السكارجهار)

وكل هذا لا يخرج عن عقود النغمة وعنصرها ولا يؤذى أذن السامع بل يصور له ذوق رفيعاً سامياً فى التصرف . وفى ذوق النغم وفهمه .

وهى أقدر المطربات قاطبة فى فن الإلقاء . وفهم الغناء ، وإعطاء كل كلمة المعنى الذى يترجمها ترجمة صادقة .

وأكبر الظن أن هذا يرجع إلى أنها اشتغلت كثيراً مطربة ومغنية (للقصائد النبوية) فى المدائن والقرى .

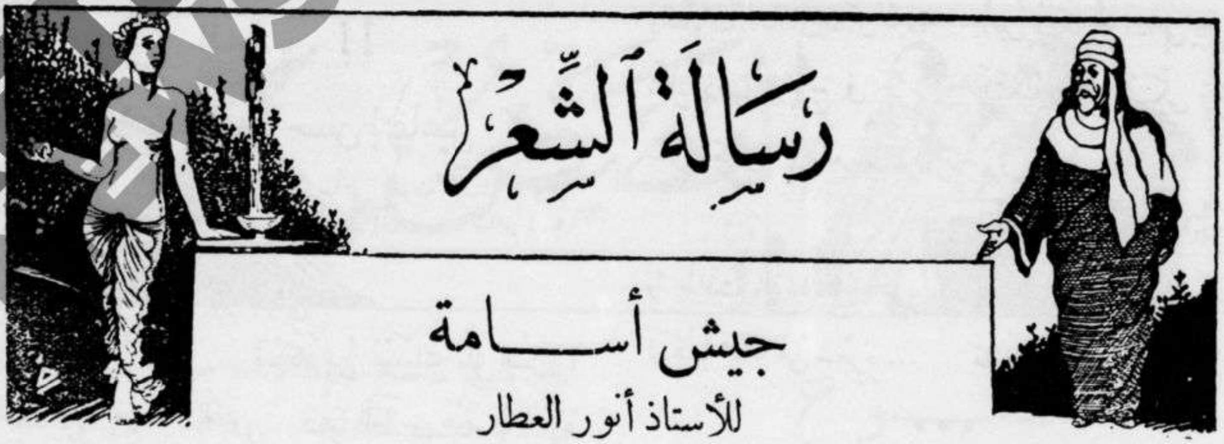
تجيد كل ما تغنيه : فى الطقطوقة ، والدور ، والتوشيح ، والمنولوج ، والقصيدة ، لا تستطيع أن تسمو فى ناحية على الأخرى ولا فى نوع على نوع ، لأن التوفيق يأبى إلا أن يلازمها فى جميع ما تغنى .

تدين للملحنين بكثير من مجدها ، وإن كانت هى لا تحب أن تعترف بهذا

تعزف على العود ، وتفهم فى علم النغم ، وتلم إلماماً بسيطاً ببحور الشعر وقوافيه .

سننتظر طويلاً حتى نجد صوتاً كصوتها ، وتصرفاً كتصرفها ، وذوقاً فنياً كذوقها .

محمد السيد المويلحى



جيش أسامة

للأستاذ أنور العطار

ضجَّ مَهد الصحراء بالتغريد   وسَرى النور فى رمال البِيد
هو ذا فى غَيَابة البعد خطٌّ   ينجلى من سَرابها المعقود
سال ذَوْبُ النضار فى مصحف الأفْ
ق فزان الدنيا بحُلم رغيد
نَهَرٌ من هـــداية يتلوى   فى فضاء رحْب المطاف مديد
ضم فى شاطئيه صَيَابةَ العُرْ   ب وبأس الممرّسين الصّيد
والأمـــير الفتِىّ يَدرع البيـ   ـد بجيش من الكماة عديد
رفرفت رايةُ النبى عليــه   ورعته بالنصر والتأييـــد

مَن هو القائد الفتِىُّ وما يذ   شُد فى قصده الطَّرُوح البعيد
ولمن هذه الزُّحوف تَوَالى   كوفود تنهلُّ تِلوَ وفود
يقدُم الفيلق الذى أفزع القفـ   ـر وهز النجود إثر النجود
تمشى فى سُبْله البيد نشوَى   نملاتٍ برملها العِربيـــد
يا صحابى هذا (أُسامة) يختا   ل يبُرْد من الشباب نضيد
رأس الأكرمين وهو ابن عشريـ   ـن بعزم ماض ورأى سديد
وعليه جراءة الاسَـــدِ الوَرْ   د وتحديقةُ العُقاب الصيُود
يا له قاحماً نمتـــه البطولا   ت وألقت إليه بالاقليـــد
والبطولات شعلة الأمل السا   طع فى ظلمة الليالى السود

حدث النفس وهو يحلم جذلا   ن بنصر دانى القطوف عتيد
إيه يا نفس لا ترُعْك المنايا   فالمنـــايا أمنية الصنديد
أطلبى المطمحَ القصىَّ مداه   ودعى الضعف للجبان الرّقود
واذكرى ناثماً (بمؤتة) باع النـ   ـفس زُلْفَى رب البرايا الحميد
وانهضى للجهاد فى نصرة الحـ   ـق وبثي رســالة التوحيد
ودعى اسم النبى تعبقْ به الدنـ   ـيا وترتع فى عالم من سعود

وتلاقى الجمعان فارتجت الأر   ض وغابت فى العاصف المشهود
هل رأيت الأتىَّ يُزبد جيّا   شاً ويرمى الجلمود بالجلمود
وتعالت فى القفر تكبيرة الله   ه فدوّى الوجود بالتحميد
ثبت المسلمون فى لقية الرو   م وغاصوا فى القسطل المزرود
وفرُوهم بكل ماض صدوق   كصباح يفرى الدجى بعمود
لا يُرى منهمُ ضحى اليوم إلا   آيسٌ من نجاته أو مُود
وأُسودُ الصحراء قد غنموا النصـ   ـر وفازوا بالمأمل المنشود
مَنْ يُرِدْ فرحة النعيم المرجى   يصدق الله فى ظلال البنود

الصحارى يا سحر هذى الصحارى   آيةُ الله فى كتاب الوجود
ثورة الشمس فى خِضَمٍ من النو   ر سحيق نائى المرام عهيـــد
الأوادىُّ فى حماها تنَزّى   قاذفات باللاهب الموقود
يا لها الله من جحيم تَلَظَّى   تخطف الروع من جنان الجليد
هى للائذ المحب أمانٌ   وهى للغاصبين نار الوعيـــد

أى زهو تثيره هـــذه البيـ   ـد بقلب بحبهـــا معمود
نهض الفجر فى حماها بهيا   حافلا بالسنا النقىّ الفريد
عانقتها الأضواء في هبة الصبـ   ـح فأزرت باللؤلؤ المنضود
سكبت فى فضائها المسجد الصر   ف وحلّتْ أفياءها بالعقود
أشرق اليمن من محاريبها الزُّهـ   ـر ومحرابها محط السجود
ها هنا يا صحابتى معبـــد الا   ه على غابر الزمان الأبيد

لله... !!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« سألتني القوت حسناء ، وهي
لا تدري أني ... شاعر ! »

مَالى أرَاكِ الْيَوْمَ ؟... نَارُ الضَّنَى
تَـكَادُ مِنْ عَيْنَيْكِ تلْقِى الشَّرَرْ !
رُفَاتُ نُورٍ فِيهما لِلْمُنَى ... رَغْمَ الْمَآسِى عَبْقَرِيُّ الْحَوَرْ
ونَعْشُ أَحْلَامٍ طَوَاهُ السَّنَا ... وَسارَ ... لا يَعْلَمُ أَيْنَ الْمَقَرْ
أيْنَ ؟ ! وَلَمْ تُبْقِ الَّليَالِي بنا ... مِنْ رَحْمَةٍ تَأْسُو جِرَاحَ الْقَدَرْ
لا تَنْدُبِيهِ عِنْدَنَا ... إِنَّنَا ... أَقْسَى قلُوباً مِنْ صَفَاةِ الْحَجَرْ !

والصَّوْتُ.. ماذا في صَدَى نَبْرِهِ؟ ... أنينُ ثُـكْلٍ أَمْ تَشاجي يَتيمْ؟!
شَاكٍ أَذَابَ الرُّوحَ فى جَمْرِهِ ... لَـكِنَّهُ رَغْمَ التَّشَـكِّى رَخِيمْ
سَاقٍ مَضَى بِالدَّمْع فى دَهْرِهِ
يَسْقِى الْحَزَانَى مِنْ شَرَابِ الْجَحِيمْ
لَوْ طَافَتِ الدُّنيَا عَلَى خَمْرِهِ ... لَما صحا فى الْبُؤْس مِنها نَدِيمْ
لَـكِنَّهَا صَمَّاء عَنْ سِحْرِهِ ... مَا يَفْعَلُ الشَّاكِى لِسَمْعٍ لَئيمْ ؟!

* * *

وهٰذِهِ الْـكَفُّ الَّتِي ما تَرَى ... مِعْصَمَهَا الْبارِى لِغَيْرِ السِّوارْ!
بَيْضاء كالزَّنْبَقِ فَوْقَ الثَّرَى ... أَلْقَتْهُ رِيحٌ فى هَجِيرِ الْقِفَارْ
الذُّلُّ سَوَّى حُسْنَهَا مِنْبَرا ... يَهْتَزُّ بِاللَّيْلِ فَيُبْكِى النَّهَارْ
والنَّاسُ مَلُّوا شَدْوَهُ... يا تُرَى ... لِمَنْ يُنَادِي يا تُرَابَ الدِّيَارْ ؟
سائِلَةَ الْقُوتِ بِهَذَا الْوَرَى ... كُفِّى... فما تَلْقَيْنَ إِلاَّ الْخَسَارْ!

* * *

الثَّغْرُ رَفْرَافُ الْهَوَى لِلْقُبَلْ ... لَـكِنَّها ذابَتْ عَلَى بُؤْسِهِ
والصَّدْرُ نامَتْ فى أَسَاهُ الشُّعَلْ ... وَاهْتاجَ لِلْقُوتِ لَظَى حِسِّهِ
والسِّحْرُ فى الْأَجْفان يَنْعَى الْأَمَلْ
وَيَسْأَلُ الْخَيْبَةَ عَنْ رَمْسِهِ !
بِنْتَ الطَّوَى! ذُوبِى بُكاء وَهَلْ ... يَوْمُكَ إلاَّ مِنْ صَدَى أَمْسِهِ !
الدَّهْرُ بِالرُّكْبَانِ لَاهٍ ثَمِلْ ... والْحَظُّ مَطْوِيٌّ عَلَى نَحْسِهِ !
سأَلْتُهَا : ما بالُ هَذَا الْجَمالْ
أَسْيَانُ فى الدُّنْيَا ، حَزِينٌ ، لَهِيفْ ؟!
ماتَ الْهَوَى فى ظِلِّهِ والدَّلَالْ ... و فِتْنَةُ اللَّمْحِ ، وسِحْرُ الرَّفِيفْ
وَاصْفَرَّ حَتَّى عادَنى فى الْخَيالْ ... رَيْحَانَةً أَبْلَى شَذَاهَا الْخَرِيفْ
قالَتْ: مُحاسِحِرِىَ ذُلُّ السُّؤَالْ ... وَخَيْبَةُ الْحَظِّ لِحُسْنِى الْعَفِيفْ
إنْ قُلْتُ : قُوتاً ! قالَ إِثْمُ الرِّجالْ :
بِالْعِرْضِ لاَ نَبْخَسُ حَقَّ الرَّغِيفْ!

محمود حسن اسماعيل

ها هنا مشرق النبوة ، مهوى الـ ... خير مجلى الحلم السنىّ السعيد
ها هنا دارة الهناءة والبشـ ... ـر وما شئت من سخاء وجود
ها هنا البأس والجراءة والحز ... م ومستعصم الفخار الوطيد
ها هنا معقل الغطارفة الغـ ... ـر ومستوطن العلاء التليد
ها هنا السيف صورة الأمل البكـ ... ـر وترنيمة الشجاع النجيد

وعلى البيد صورة تبهر العيـ ... ـن جلالا بسحرها المسرود
طوّف الدين ساحها ثم أسرى ... يغمر الكون بالضياء الجديد
أمهمع الرمل يملأ الأرض تسبيـ ... ـحاً بشدو محبب مودود
هدهدته قيثارة تتغنى ... بلحون قدسية الترديد
جازه العُرْب في مواكب للنصـ ... ـر تفادى على اللواء المجيد
أذن الله للصحارى فماجت ... ساحتاها بقاحمين أسود
يا جنود الحق المبين سلام ... أنتمُ للعلاء خير جنود
بكم عزت الحنيفة في الكو ... ن ونالت شأو المرام البعيد

فتحوا الأرض فاستقادت لفتح ... ناصع كالسماء هاد رشيد
غيرهم يفتحون للذل والعا ... ر وهم للعلاء والتشييد
ثم دال الزمان من ناسه الغـ ... ـر فقرت سيوفهم في الغمود
واستكانت إلى الكرى فعليها ... صدأ الدهر من طويل الهمود

« بغداد » ... أنور العطار



الدمـــوع

مترجمة عن الإنكليزية

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

كان ريكاردس أرملاً يعيش مع ابنته الوحيدة . وكان كثير التنقل من مسكن إلى مسكن ، ولكنه لم يترك لوندرا فى وقت من الأوقات . وكانت المساكن التى يقيم فيها من النوع الحقير الذى تؤجر فيه كل غرفة على حدة ، وتدفع أجرتها مقدماً

وكان كثيراً ما يلجأ إليه المجرمون للاستشارة ، فيفتيهم بما يدفع عنهم العقاب أو يجد لهم الوسيلة للخلاص . ولكنه هو نفسه لم يكن مجرماً ، وإن اعتمد فى رزقه عليهم وعلى مؤلفات صغيرة يضعها عن المجرمين والإجرام

كان أكثر زواره من طبقة الحدادين والنشالين واللصوص المبتدئين وخدم المنازل . وكانوا يطلقون عليه لقب (العلامة لتفننه فى ضروب الحيل)

وكان يقول لهم إنه قضى الشطر الأول من شبابه طالباً فى جامعة اكسفورد ، وإن له أصدقاء من بين الوزراء واللوردات . وكانوا يجدون أمامه كلما زاروه أكداساً من الكتب ، ومجاميع من صور العظماء . وكانت بنته فيوليت ذهبية الشعر جميلة العينين رشيقة القد . وهى تقوم فى المنزل بكل أنواع الخدمة ، من الطبخ إلى الكنس إلى مشترى الحاجات من السوق . وكانت زكية نشيطة ، وقد بدأ أبوها يحد من حريتها ويراقبها مراقبة شديدة لما بلغت عامها الرابع عشر . وذلك لأنه لاحظ أن بعض زواره كانوا يغمزونها بألحاظهم، وظن أنها كانت تنتهز فرصة يكون فيها غافلاً فتبسم لأحدهم . وقد لاحظ مرة أو مرتين أنها تركته فى أثناء حديث له معتذرة بعذر من الأعذار . ولكن اتضح أن العذر مكذوب ، وأنها خرجت لتحادث أحد الشبان على السلم

وكان فى مثل هذه الحالة يغضب ويحتد ويطرد زائره ويأمره بعدم العودة ، ثم يستدعى فيوليت فيأمرها بملازمة حجرتها

وفى يوم من الأيام استأذنته فيوليت فى الذهاب إلى السينما مع أحد أصحابها فقال : « كلا لا تذهبى »

قالت : « حتى ولا مع سوانى جيمز ؟ » . فقال : « لا تذهبى مع أى إنسان »

قالت وقد بدا عليها ما يبدو على سائر الفتيات فى حالة العناد : « ولكننى أريد أن أذهب فلماذا تمنعنى ؟ » فقال : « لأنى آمرك بعدم الذهاب »

فهزت رأسها الجميل الشعر وقالت : « هب أننى ذهبت بالرغم من منعك ؟ » . فقال : « إذن أضربك عند عودتك »

قالت : « وهب أننى لا أعود إلى المنزل ؟ » . ثم اغرورقت عيناها الجميلتان بالدموع وقالت : « هب أننى ألقيت بنفسى تحت الترام أو القطار أو فى البحر ؟ »

فهز العلامة كتفيه وأجابها بجواب خشن . واعتادت أن تسكت عند مثل هذه الحالة وتكف عن مطالبته بالذهاب

ولكن لا يحسب القارئ أن معاملته إياها كانت خشنة على الدوام ، فقد كان كثيراً ما يلاطفها خصوصاً إذا شرب وانتشى ، ويصفها بأنها عزاؤه وتسليته ويقول لها إن أمها أوصته وهى تموت بأن يعنى بها، وإنه لهذا السبب يحرص عليها ويبذل من أجلها كل ما يستطيع ، وإنه إذا منعها عن جيمز وأمثاله فإنه يعلم أن أمثال هؤلاء سيجرون إليها المتاعب فى المستقبل، وإنه سيجد لها الزوج الكفء فى الوقت المناسب

لكن كل شيء من هذا قد ذهب وفات أوانه وأصبحت فيوليت في السابعة عشرة فلم يعد يستطيع تهديدها بالضرب ولم تعد تجدى معها النصائح ، فإذا ما أراد إرغامها على رأيه هددت بالانتحار فيضطر إلى الإذعان . ولم يعد له من سلاح غير لسانه الذي يلجأ إليه في قليل من الأحيان

وكانت في هذه الحالات تلجأ إلى الدموع

ولما تجاوزت العام السابع عشر وجد أبوها وسيلة جديدة للرزق هي إرسال خطابات يطلب فيها المساعدة من كبار المؤلفين والكتاب وإلى من يقيمون من أنفسهم مقام الرعاية لحملة الأقلام. وكان يقول في خطاباته إن حرفة التأليف كسدت في مدة الحرب وفي العهد الذي تلاها، وإنه يرتزق من قمه، وإنه لا يملك حتى طابع البريد الذي يرسل به الخطاب ، وإنه لذلك يبعث به مع ابنته الوحيدة فيوليت .

ثم يسلم الخطاب إلى ابنته ويأمرها بأن ترتدى أقدم ثيابها وتضع في كفيها قفازين باليين ، ويبحث في فهارس الكتب عن أسماء المؤلفين وعناوينهم ، ويوصى ابنته بأن تتصنع الكآبة وتزعم أنه ليس في المنزل طعام وبأن تقلل معهم من الكلام بقدر المستطاع

قالت : « وهل أقول ليس في المنزل شراب أيضاً ؟ » فقال : « إياك أن تذكرى اسم الشراب ، ولنتفق حتى يسلم إليك الرد »

وفي أول مرة كلفها بذلك ذهبت وعادت فوضعت أمامه عشرة جنيهات فاستخفه الطرب وقال : « كيف أمكنك الحصول على كل هذا ؟ »

فقالت: «لقد فعلت كما أمرتني ، فأبى الرجل أن يعطيني شيئاً ولكني بكيت »

قال : « بكيت ؟ كيف ؟ هل آذاك ؟ »

فقالت : «كلا »

قال : « ولكن كيف تبكين ؟ هل تأثرت من ذهابك بهذه الرسالة ؟ » فقالت : «كلا يا أبي ، ولكني وجدت البكاء وسيلة لتنفيذ المهمة التي ذهبت من أجلها »

قال وقد بدت عليه علائم الراحة والاطمئنان : « خبريني يا فيوليت . هل في استطاعتك البكاء كلما أردت ؟ » . فقالت : « نعم . فإن معاملتك إياى منذ الصغر سهلت علىّ اصطناع البكاء »

فلاطفها وواساها وقال : « تعالى يا ممثلتي العزيزة . إنني أهنئك بمستقبل باهر »

وكان ذلك اليوم بداية عهد جديد ترك فيه العلامة إفتاء المجرمين وترك حرفة التأليف ، وعكف على تحرير الخطابات وإرسال ابنته بها

ولقد أغنته هذه المهنة فأيسر ، ولكنه ما زال عاكفاً على إرسال الخطابات

وفي يوم من الأيام جاءت إليه الخادم بخطاب وقالت : إن الفتاة التي حملت هذا الخطاب تنتظر مقابلته بالباب . فقال : «أسمعيني ما في خطابها» فقرأته ، وهو خطاب من مؤلف كسدت سوق بضاعته ، وليس في منزله طعام ، ويريد مساعدة مالية لا تقل عن عشرة جنيهات

قال ريكاردس : « أطردى التي جاءت بهذا الخطاب » . فقالت الخادم : « أخشى يا سيدى ألاّ يكون هذا في استطاعتي . إنها تبكي وحالتها مؤثرة جداً ، وتقول إنه ليس في منزلها طعام »

قال : « اطرديها . فلماذا يلجأ إلىّ من أرسلها ؟ عنده نقابة المؤلفين ، وعنده الجمعيات الخيرية المختلفة »

فخرجت الخادم وهي تفكر في وحشية سيدها الذي يأمر بطرد فتاة مسكينة لا تجد هي ولا أبوها القوت الضروري . ثم عادت فقالت: إن الفتاة أبت أن تنصرف ، وألحت عليه أن يقابلها. فنزل ريكاردس ووجد الفتاة في ثياب سوداء وفي يدها قُفاز كله ثقوب . وبكت أمامه بدموع حارة ، وأقسمت بصوت متهدج ، أنه ليس في منزلها قوت . فاضطر ريكاردس أمام هذه الدموع إلى إعطائها خمسة جنيهات »

وربما أدرك القارئ أن تلك الفتاة لم تكن سوى فيوليت متنكرة ، وقد غيرت صوتها ، وأنها تمثل أمام أبيها نفس الدور الذي كان يرسلها لتمثيله أمام الناس

وفي يوم قريب من هذا الحادث طلبت فيوليت إلى أبيها أن يأذن لها بالذهاب مع جيمز للنزهة. فأبى وأصر على إبائه، وأطاعته وقد كظمت غيظها وأصرت على فكرتها

في عصر ذلك اليوم سلم إليها أبوها خطاباً إلى أديب كبير في ضاحية من ضواحي المدينة لأنه كان قد استنفد أسماء المقيمين فيها، فذهبت لأداء هذه المهمة بعد أن زارت مكتب أبيها وأخذت منه أوراقاً

وانقضى اليوم ولم تعد ، وانقضى اليوم التالى كذلك ، وكاد أبوها أن يجن ، وأشيع أنها تزوجت من جيمز وأنها تقيم معه فى منزل قريب من منزل أبيها

وتفقد مكتبه فوجد كيس نقوده مفقوداً ، وكذلك دفتر مذكراته الخاص وبيان طويل بأسماء المؤلفين وعنواناتهم ، فكان حزنه على البيان والدفتر أكثر من حزنه على المال المفقود لعلمه أن هذين هما مصدر ثروته . وأدرك أنها ذهبت إلى جيمز لتؤدى له الخدمة التى كانت تؤديها لأبيها فامتلأت نفسه بالأحقاد على هذا المزاحم

وبعد أسبوع واحد تقابل ريكاردس وجيمز فى الطريق فأمسك الأول بتلابيب الثانى ، وطلب إليه أن يرد ابنته أو يسوقه إلى البوليس، لأن فيوليت لم تبلغ العام الحادى والعشرين فلا حق له فى الزواج منها إلا بإذن أبيها . وقال إنه إما أن تكون معاشرته إياها سفاحاً معاقباً عليه لعدم بلوغها تلك السن ، وإما أن تكون متزوجة بعقد مزور

قال جيمز : « إذن فلنذهب إلى البوليس وأنا مستعد للعقوبة إن كان ثمت عقوبة ، ولكنى سأقدمك للمحاكمة وعندى الأدلة بخطك من دفتر مذكراتك ، ومن بيانك بأسماء المؤلفين . وسأقول إنك تعيش من أموال تحصل عليها بطريق النصب لأنك تطلبها بأسباب غير صحيحة ؛ وبنتك تشهد عليك »

لما سمع ريكاردس ذلك وجف قلبه وفتر تحمسه وترك خصمه وذهب قانعاً من الغنيمة بالإياب

وفى اليوم التالى نشرت الصحف إعلاناً هذا نصه :

« رجل من المشتغلين بالأدب متقدم فى السن يريد أن يتبنى فتاة يتيمة فى السابعة عشرة من العمر . العنوان : صندوق البريد رقم ٧٣١٥ »

وليس فى استطاعتى إلا أن أفهم أن صاحب هذا الإعلان هو ريكاردس وأنه يريد الاستعاضة باليتيمة عن بنته وممثلته فيوليت .

عبد اللطيف النشار



الدكتور طه حسين فى ذكرى الأستاذ صادق عنبر

دعت (رابطة الإصلاح الاجتماعى) جمهوراً كبيراً من رجال العلم والأدب والصحافة إلى حفلة أقامتها بدار الجمعية الجغرافية الملكية بمناسبة مرور عام على وفاة المرحوم الأستاذ صادق عنبر . وقد افتتح الحفلة الأستاذ أنطون الجميل بك بكلمة بليغة ثم تعاقب الأدباء والعلماء من أصدقاء الفقيد وتلاميذه والمعجبين بأدبه ، فتكلم الأستاذ جاد المولى بك عن شخصيته ، والاستاذ الهمياوى عن أدبه ، وألقيت قصيدة للأستاذ الكاشف ، وألقى الأستاذ محمود بيرم التونسى زجلاً رقيقاً ، والشاعر الشاب أحمد عبد المجيد الغزالى قصيدة

وكانت الحفلة تليق بذكرى الفقيد الراحل وتدل على أن الأديب يعيش فى أدبه العالى ويمتد عمره فى أصدقائه الخلصاء

وهنا مسألة لا بد من الإشارة إليها ، فقد ذكر الأستاذ الهمياوى أن الأستاذ صادق عنبر هو الذى كان يكتب تلك المقالات المعروفة فى نقد النظرات للمنفلوطى ، وأن الدكتور طه لم يكن له فيها إلا الإمضاء ؛ وقد أيده الأستاذ عبد الرحيم بن محمود فى هذه الدعوى الجريئة ؛ وأذكر أن كاتباً كتب مثل هذا الكلام منذ سنوات فى مجلة الزهراء

ونحن بشهادة العيان ننكر هذه الدعوى أشد الإنكار ، لأننا كنا مع الدكتور ساعة كان يمليها ويدفع بها إلى الجريدة ، وقد ذكرنا فى بعض مقالاتنا أسباب ذلك . ولا ندرى كيف يسيغ العقل هذا والدكتور طه كان يومئذ أقل من الأستاذ صادق عنبر سناً ونفوذاً وشهرة . وما الحكمة فى أن يكتبها الأستاذ عنبر ويمضيها الدكتور طه وذاك موظف فى جريدة (العلم) وهذا أجنبى عنها ؟ إن الدكتور طه يأبى عليه طبعه أن يضع اسمه هذا الموضع ، وإنا لنعلم أنه نحل كثيراً من الناس مقالات وبحوثاً وكتباً نالوا بها الشهادات والدرجات والثروة

فلم « الدكتور »

تعرض « شركة مصر للتمثيل والسينما » هذه الأيام فى مدينة القاهرة شريطاً مصرياً محضاً عنوانه « الدكتور » . وبعيد أن أقف هذه الكلمة على العرض والوصف والبحث ؛ فإنما الذى فى نيتى أن أحدث قراء هذا الباب من « الرسالة » عما خلص لى من قصة « الدكتور » . وذلك لأن الذى يعنينى من المظاهر الأدبية والفنية فى مصر إنما يرجع إلى الناحية الاجتماعية خاصة

أما تمثيل القصة فيدلنا على أمرين : الأول مهارة الممثلين المصريين فى فن « المهزلة » Comédie (مثلاً مختار عثمان وفؤاد شفيق) ، ولن أنسى ساعة يدخل الخادم الريفى على الباشا وزوجه فيجرى حديث صامت يُضحك المصلوب . والسبب فى ذلك أن التمثيل فى مصر قام — أول ما قام — على المسرحيات الهزلية ، وأن سليقة المصرى إلى الخفة والظرف والمرح والمحاكاة الساخرة ميّالة . وأما فن المأساة فالمصرى لا يتقنه بعد لأنه لا يحكم كيف يمثل الإنسان ، الإنسان من غير صفة تصفه ، الإنسان على سجيّته . وتعليل هذا أنه تجذبه المبالغة فى التعبير على الغالب وتعوزه قوة الصدق فى الإحساس الدفين أحياناً

والأمر الثانى مضىّ الممثلات فى طريق الإتقان ، من حيث أنهن طرحن التكلف وسلّمن بأن التواضع فضيلة وأدركن أن الكلام الملقى مصدره القلب أو العقل لا الذاكرة ولا الدعابة « الشخلعة » ... وماضرّ الأستاذ سليمان نجيب وهو بطل القصة (مع لقب بك) لو حذا حذوهن فتحلّى بالبساطة وأطلق وجهه من الإطار الذى حبسه فيه : إطار يغلب عليه الجفاء ويطّرد فيه الانقباض مع شىء من العجب ؛ إطار يحصر ابتسامة لا تتبدّل

كأنها مسمرة به، ولا تَرِف لأنها على حظ من التقبّض

بقيت القصة (وهى من تصنيف الأستاذ سليمان نجيب) . ومجمل القول فيها أنها تصلح موضوعاً لخطبة يخطبها مصلح اجتماعى متطرف . وإليك فقرات من البرنامج المطبوع ، وقد ذكرت بحروفها أو بمعانيها فى أثناء التمثيل :

« فلم الدكتور صراع بين الحب العاطفى والحب الأبوى » ، « مشكلة العصر : الرجل، المرأة : أيهما يسود » « فيلم الدكتور يعالج داء قاسياً داء التماسك بالطبقات والتغاضى عن قيمة الأشخاص » « فلم الدكتور يعيد إلى الريف المصرى مجده وعظمته ويرد إليه أبناءه الذين سحرتهم مدنية المدن وبهاؤها البراق الخداع » ، « حياة اللهو وحياة الاستقامة : أيهما أفضل » ، « حياة الترف فى الحضر وحياة البساطة فى الريف » الخ ...

بالله ما هذا الداء المتفشى فى المؤلفين عندنا ولا سيما الذين يؤلفون للمسرح والسينما ؟ يريد كلهم أن ينقلبوا وعاظاً . فهل لهم — أصلحهم الله وأبقاهم ذخراً للفضيلة ومكارم الأخلاق ! — أن يضعوا العمائم على رؤوسهم ، أو يجلسوا القلانس على مقدَّمها فيرتقوا المنابر ليوعدوا خلق الله أو يعدوهم ؟

ما هذا التهويل ؟ الأديب المصلح يشير ويغمز لأن الأدب فن ، أو يظن المؤلفون عندنا أن جمهورنا بليد أية بلادة حتى أنه يحتاج إلى التنبيه الصريح ؟ ثم ما هذا الادعاء ؟ هل سألهم الجمهور أن يسقطوا الفن إلى التأديب ؟ وما هذه المشكلات التى يعرضها شريط « الدكتور » ؟ الحب العاطفى والحب الأبوى ، الريف والحضر . اللهو والاستقامة . . . تلك أحاديث طريفة جداً حقاً !

ثم إن مثل هـذا اللون من القصص السينمائية الناهضة على الوعظ والنضال الفكرى يعوزه أجل العناصر شأناً : الحركة، نقاش وتدافع حجج وتبيين وتدليل ، كل هذا ربما صلح للمسرح إلا أنه بعيد كل البعد عن السينما

و « الدكتور » — على هذا — يشمل قطعاً لطيفة بفضل حذق المخرج نيازى مصطفى وجودة الموسيقى على أيدى محمد الشجاعى وعبد الحميد عبد الرحمن ومهارة طائفة من الممثلين (وقد ذكرت بعضهم فوق) والممثلات أمثال فردوس محمد فدولت أبيض فأمينة رزق . فلا عدمنا « شركة مصر للتمثيل والسينما »

على الهامش :— متى يأتى الزمن الذى فيه نزن الكلام ؟ ففى البرنامج المطبوع ما حرفه : « فيلم الدكتور أروع ما جادت به قريحة مؤلف (هل هنالك غلطة مطبعية فتقرأ : المؤلف) وأعظم ما أخرجته عبقرية مخرج » (كذا) ... رحم الله هوليوود !

— كانت لغة القصة العامية على وجه الإطلاق ، بل العامية السوقية أحياناً . ومهما يكن من شئ فقد ساء أذنى قول الآنسة أمينة رزق « يا دَكتور » (بفتح الدال) و « يا دُكْتر » (باختلاس الواو) . وقد يحق لها هذا اللحن لو كانت ترتدى « ملاية لَفّ » والحال أنها تنعم فى « فساتين » على جانب عظيم من الأناقة

بشر فارس

معهد للغات الشرقية القديمة والحديثة

من المسائل التى نظرها مجلس جامعة فؤاد الأول ، فى آخر الأسبوع الماضى مذكرة من كلية الآداب بمشروع قانون بإنشاء معهد للغات الشرقية

وقد قرر المجلس إحالة المشروع إلى لجنة اللوائح والقوانين لدراسته ووضعه فى الصيغة القانونية

وقد علمنا أن هذا المعهد سيضم ثلاثة أقسام : الأول خاص باللغات الشرقية الإسلامية القديمة . والثانى خاص باللغة السامية . والثالث خاص باللهجات العربية القديمة والحديثة . وربما تقرر أيضاً تدريس اللغات الفارسية والتركية والصينية

وسيقصر دخول هذا المعهد على طلاب كلية الآداب الذين يحصلون على درجة الليسانس ، وستكون مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات . والمفهوم أن تلاميذ قسم اللغة العربية هم الذين سيمونون المعهد . ولكن سيباح لطلاب الأقسام الأخرى أن يتقدموا إليه إذا تحققت فيهم الشرائط التى تستوجبها الكلية فى الطلاب

التعليم الدينى فى المدارس

قامت وزارة المعارف فى خلال العام الماضى بجهود مشكورة للتوسع فى التعليم الدينى بمدارسها ، عاملة على جعله أساساً للنهضة القومية الحديثة ، وتنشئة الطلاب على مبادئه وآدابه تنشئة تقوم

عليها تقوية الأجيال المقبلة روحاً وعقلاً ونظاماً

وتقوم الوزارة الآن سيراً على هذا النهج بإعادة النظر في هذا الموضوع من حيث الاعتبارات الآتية :

١ — تقدير أثر العناية التي بذلتها الوزارة أخيراً بمناهج الدين

٢ — المقارنة بين المناهج الحالية والمناهج السابقة من وجهة خطوات التعديل

٣ — الاطلاع على مبلغ عناية المدرسة وتلاميذها بهذه المادة بدراسة تقارير المفتشين

٤ — وضع بيان بالموضوعات التي يجب أن تشملها كتب الدين المقررة لمدارس الجنسين ، واختبار وفاء الكتب الحالية بهذه الموضوعات

٥ — النظر في هل تقصر العناية بالدين على ما بين المدرس والتلميذ من تجارب يرجع إلى مقدرة كل منهما ، أو العمل على جعله مادة أساسية يمتحن فيها الطلبة في آخر العام مثل غيرها من مواد اللغات والعلوم

وتتجه العناية أيضاً إلى اختيار مدرسي الدين من بين الذين أهلتهم ثقافتهم إلى عدم الاعتقاد بوجود تعارض ما أو جفوة بين تطبيق تعاليم الإسلام وبين مقتضيات العصر الحاضر ، وهم الذين عرفوا أسرار الدين معرفة عقلية وقلبية دون الوقوف عند حد النظريات

ويطلع كبار مفتشي اللغة بوزارة المعارف الآن على الكتب المؤلفة في هذا الموضوع لإبداء ملاحظاتهم عليها بما يلائم هذا التوسع توطئة لوضع تقرير توجيهي للعناية الواجبة نحو هذه المادة

بعثة ألمانية للأبحاث العلمية في الحبشة

سافر في منتصف يناير من مدينة ميونيخ عشرة من أعلام الألمان بينهم الدكتور فون سالفلد الذي اشتغل في الجامعة المصرية أربعة أعوام ، في رحلة إلى بلاد الحبشة وكينيا وتنجانيقا ، للقيام بأبحاث تتعلق بعلم الانتروبولوجيا وعلم الأجناس والحيوانات ، كل هذا لحساب متحف ميونيخ الطبيعي

ورأس هذه البعثة العلامة الدكتور هارتل مار الذي سبق أن تولى رياسة مثل هذه البعثات من قبل في أفريقيا أو الهند

ولا شك أنها ستجد كل معاونة من السلطات الإيطالية في الحبشة

ترقية الأغاني المصرية

تقوم وزارة المعارف الآن بمشروع هام لإصلاح ناحية لها خطرها في النهضة الاجتماعية العامة عند الشعب ، وهي ناحية الغناء والموسيقى . فقد لوحظ من زمن بعيد أنه على الرغم من الخطوات الواسعة التي خطتها مصر في سبيل مجدها وقوتها وثقافتها فإن الجانب الفني منها، والجانب الغنائي على الأخص، لا يزال متأخراً عن الهدف الرفيع الذي تتمشى إليه

ويلخص مشروع الوزارة في أن تعهد إلى طائفة من الشعراء الممتازين تأليف خمسين قطعة غنائية في مختلف الموضوعات التي تني بما يجب توفره في أغاني أمة قوية ممتازة ناهضة ، على أن تعهد إلى طائفة أخرى من كبار الملحنين وضع الألحان المناسبة لها

وستترك الحرية لهؤلاء الشعراء والملحنين في القيام بعملهم خاضعين فيه لوحي شعورهم وإلهامهم الخاص ، وتعطى على القطعة الواحدة عشرة جنيهات للتأليف وعشرة أخرى للتلحين . على أن يتجدد تأليف هذه الأغاني كل سنة حتى يتوفر منها العدد الكافي الذي يقضي على ما هو موجود الآن

وستتبع الوزارة في موضوع « الأناشيد » نفس ما تتبعه في الأغاني ، إذ رأت أن الذين يضعونها الآن من ناحية الصناعة لا ناحية الشعور يضرون بالقيمة الفنية التي لو توفرت فيها لأثمرت فيما وضعت له

ترشيح عميد الآداب لعضوية معهد التعاون الفكري

تلقت وزارة الخارجية كتاباً من وزير الخارجية الفرنسية ، بوصفه مقرراً لمعهد التعاون الفكري ، يرشح فيه صاحب العزة الدكتور طه حسين بك عميد كلية الآداب عضواً في المعهد ، لما له من أثر ظاهر في الثقافتين العربية والفرنسية

وينتظر بعد أن توافق مصر على هذا الترشيح ، أن يعرض الأمر على سكرتيرية عصبة الأمم لإقراره

المباراة الأدبية بين رجال التعليم

طلبت وزارة المعارف ، إلى اللجان الفرعية التي كلفت لدراسة المؤلفات التي وضعها رجال التعليم فى مختلف نواحى المباراة الأدبية وبحثها ، أن تقدم تقاريرها قبل يوم ١٨ فبراير القادم

وقد بدأت الرسائل الخاصة بالموسم الثانى لهذه المباراة ترد على الوزارة توطئة لدرسها واتخاذ قرار فيها

التدريب والتكليب

استفاض على ألسنة الكثرة المثقفة قولهم « الكلب هول ومدربه فلان ... » وهو خطأ لغوى إذ الصحيح أن يقال : « الكلب هول ومكلبه فلان ... » سواء أرادوا بفلان أن يكون مسلطه على الجناة للدلالة عليهم أو هو الذى ضراه وعلمه طريقة الإرشاد إليهم، إذ بكل من المعنيين وردت كلمة «مكلب» فى لغتنا بصدد الحديث عن كلاب الصيد ولا يصح استعمال غيرها فى هذا الصدد، وما تسليطه على الجناة للدلالة عليهم إلا كتسليطه للصيد وتعويق المصيد .

وقد جاء فى لسان العرب ص ٢١٧ من الجزء الثانى « ومكلب مضر للكلاب على الصيد معلم لها؛ وقد يكون التكليب واقعاً على الفهد وسباع الطير . وفى التنزيل العزيز وما علمتم من الجوارح مكلبين . والكلاَّب — بتضعيف اللام — صاحب الكلاب ، والمكلب الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد. وفى حديث الصيد : إن لى كلاباً مكلبة فأفتنى فى صيدها . المكلبة المسلطة على الصيد المعودة بالاصطياد الذى قد ضريت به والمكلب بالكسر صاحبها والذى يصطاد بها »

احمد عبد الرحمن عيسى

مؤلفات موسيقى نابغ

جاءنا من وارسو أنه سيصدر فى فبراير القادم الجزء الأول من مؤلفات الموسيقى شوبان البولونى المشهور .

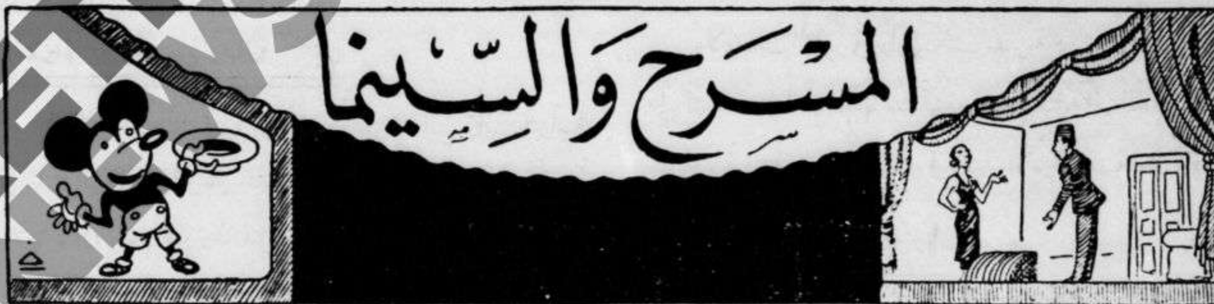
وسيشرف الموسيقى المعاصر السيو بدرفسكى على إخراج هذه المؤلفات . وينتظر أن يتم إخراجها جميعا فى مدى أربعة أعوام

فياليت هـذا العمل يكون له مشابه فى مصر وفى الشرق فنجد من يعنى بإحياء مؤلفات تعـد من الكنوز سواء فى العلم أو الأدب أو الفن .

ولا يصعب العثور فى دار الكتب المصرية على مخطوطات إذا عمل على نشرها وإذاعتها فإنها ستكون موضع عناية أمم العالم وتصبح بمثابة دعاية قيمة تسجل لنا السير فى مضمار الأمم الناهضة فعلاً لا قولا .

احياء ذكرى العلماء والأدباء

قررت الحكومة التركية إصدار مجموعة من طوابع البريد لمناسبة انقضاء خمسين عاماً على وفاة الشاعر القومى نامق كمال ، وستحمل تلك الطوابع صورة الشاعر وبعض كلمات من شعره



في الفرقة القومية

المخرج فلاندر وسكرتير الفرقة

الخواجة فلاندر مخرج استقدمته الفرقة من بلده باريس ليعمل فيها بعد إذ عاف الأستاذ زكى طليمات العمل ، وبعد إقصاء الأستاذ عزيز عيد عنه والاكتفاء بالمخرج عمر الجميعى ريثما يعود فتوح نشاطى الموفد إلى فرنسا للتخصص فى فن الإخراج

والخواجة فلاندر له ذوق وله فن ، وهو رغم جهله لغتنا العربية وعادات أمتنا وتقاليدها ، قد استطاع أن يساهم فى إخراج بعض روايات موضوعة فكساها رونقاً وأضفى عليها بهاء فنياً ، كما أخرج رواية مترجمة يعرفها فى الأصل إخراجاً تقليدياً لا اعتراض عليه فى الشكل المسرحى ، والحركة التمثيلية . ولا أقول شيئاً فى الإضاءة لأن معداتها ناقصة نقصاً لا سبيل إلى تداركه

ولعل أحسن الروايات التى أخرجها ، وأدناها إلى الدلالة على استعداده الفنى هى رواية « المتحذلقات » المكونة من فصل واحد

أزعم أن لمحة واحدة من الناقد يلمح لمعانها فى رجل الفن تكفى للدلالة على أن وراءها ما بعدها . فلمعان فن الخواجة فلاندر بدا فى قدرته على إلجام ممثلات وممثلى رواية المتحذلقات وتقييدهم كما يفعل مروض البغال الشموسة ومدرب الببغاوات ، وفى صدهم عن الإسراف فى العطاء أكثر من اللازم الواجب . مثال ذلك : الممثل الضحاك فؤاد شفيق كان أكبر همه استلفات النظر إلى حركاته وإشاراته ، غير آبه لإرشادات المخرجين بدعوى أنه يفهم فنه أكثر منهم ، ويدرك رغبات النظارة وميولهم ، وغير حافل بما تحدث حركاته وإشاراته من خلل فى سياق الرواية ومن صرف الأذهان عن الغرض الصارم الذى مهد له المؤلف بنكتة أو إشارة ، إذ كانت غايته كما قلت إضحاك الناس فقط

وهكذا الممثلة أمينة نور الدين فقد اقتبست بعض حركات من بعض ممثلى السينما أمثال هاردى ولوريل وأضرابهما ممن يقوم تمثيلهم على الحركة المفتعلة . ولم نكتف بالأخذ عنهم كالقردة بل أخذت تغرق فى التقليد والافتعال إغراقاً ممجوجاً وهذا ما دعانى إلى تشبيهها « بالساروخ » إذا اشتعل وارتفع فى الفضاء تبدو نجومه لامعة وضاءة بعض لحظة، ولكن كثيراً ما لا يشتعل لفساد مادته فينخنق وهو فى الأرض

أما هذا المخرج ، أو بعبارة أصح هذا المروض ، فقد استطاع أن يجعلهما يقومان بدورهما على وجه مقبول ، وهذا بعض المطلوب منه

ما كنت أبتغى الإلماع إلى هذه الناحية من النقد لولا حوافز ثلاثة :

١ — إدعاء قطب من أقطاب لجنة القراءة أن رأى النقاد المسرحيين لا يتعدى ، بل يجب ألا يتعدى ناحية إخراج الرواية وطولها وقصرها على الوقت المناسب

٢ — إدعاء قطب ثان أن ليس فى مصر نقاد

٣ — شكوى الخواجه فلاندر من سكوت الصحف وأغضاء النقاد عنه

أما أنا فلن أسكت عن دحض الادعاء وعن نفى التهمة عن الناقدين المترفعين والأدباء المنصرفين عن الفرقة اشمئزازاً من أعمال رجالها الذين يتخبطون فى ظلمات الادعاءات ، ولن أراجع حتى أظهر العلل التى أخذت تتأصل فى الفرقة لوزارة المعارف المغضية عنها ، ولأعضاء البرلمان الذين يغذونها من مال الأمة ، ولكنى أقتصر الآن على تفهيم الخواجة فلاندر بأن فى مصر صحافة قوية ، وفيها نقاد يحسب لهم ألف حساب ، وإن مصر

تتوقل فى نهضتها الثقافية سلم الارتقاء ، وتتوجه بدوافع فردية ، لا جماعية ولا حكومية ، صوب المثل العليا ، وإن قول المغرضين أن خططا يعتور الأدباء إنما هو محض افتراء على مصر الناهضة وشبابها اليقظ .

وإن فى الفرقة القومية — وياللأسف — جماعة ، وصلوا فى غفلة الزمن ، إلى وظيفة لم يخلقوا لها ، ومن هؤلاء موظف يقول إنه سكرتير الفرقة القومية واليد المنفذة لما يرتئيه أو يشير به مديرها والحامل « كرت بلانش » منه ، فهذا المخلوق المكلف بتوجيه الدعوات إلى رجال الصحافة وجماعات الأدباء يقبض يده عن الصحافة الناقدة ويبسطها بسخاء على الصحافة التى تنشر المدائح والتقريظ مأجورة بالمال ، ويفيض بها فيضاً على من لا أذكرهم وعلى نسوة ما عرفن من الأوبرا سوى بابها الخارجى

وهذا المخلوق يعطى تذاكر الدعوات ، لا جوداً ولا كرماً كأصحاب البدوات . بل حرماناً وتشفياً من صحافة ومن أدباء يرون الفرقة قد تحولت إلى « تكية » ، وأن رجالها تهاونوا فى تحقيق غرضها الثقافى ، ومن هؤلاء المحرومين من « نعمة » سكرتيرها المبجل ناقد مجلة الرسالة

كم من صحيفة أمثال « الرسالة » لم تشملها نعمة الفرقة ؟ وكم من أديب مغضوب عليه من سكرتير آخر الزمان لأنه لا يذكره إلا بقدر فهمه المحدود ؟

ليت الخواجة فلاندر الذى يشكو من إهمال الصحافة والنقاد لفنه يعرف أنه ما من سطر واحد ينشر فى الصحف إلا بأجر يدفعه المدير . وليته يعلم مدير الفرقة ويفهم السكرتير الذى لا يفهم أن الفرقة القومية للتمثيل هى للأدباء ورجال الصحافة والمتأدبين وطلاب الجامعات والكليات والمدارس العليا . هى لهؤلاء قبل كل شىء ، وليست للممثلات يدعون إليها أترابهن ومعهن أصدقاؤهن ، ولا للممثلين يوزعون الدعوات على المارة وجلاس القهوات وموظفى المحلات التجارية

ليت الخواجة فلاندر يقول لمدير إدارة الفرقة إن « بيت موليير » يرسل تذاكر الدعوات إلى أساتذة الكليات ، وهؤلاء يوزعونها بالقسط على الطلاب ، وأن الطلاب يتهافتون على مسرح الكوميدى فرانسيز والأوديون وسواهما من المسارح التى تغذيها وزارة المعارف بالاعانات كما يتهافتون على مطالعة الكتب المفروضة عليهم

ليت الخواجه فلاندر يقول لمديره إن واجبه يحتم عليه تفقد مندوبى الصحف إذا تغيب واحد منهم ، وأن يسعى إلى الناقد يسأله عما عاقه عن حضور التمثيل ، وأن يأمر ببيع عدد من التذاكر بأثمان مخفضة كما هى الحال فى كل فرق التمثيل التى ترعاها الحكومة

ليت سعادة المدير يعرف أن الفرقة هى للأدبيات والأدباء، وأن مقاصير الأوبرا ليست لتاجر الخمور ، وبائع الأقمشة والخياط والحذاء الذين لا يعرفون ولا يفقهون من فن التمثيل شيئاً ، وأن الأليق من هؤلاء بجلوس المقاصير هم الذين يفهمون الحياة عن غير طريق جمع الملاليم إلى قروش والقروش إلى جنيهات تدخر لبناء مسرح خاص بالفرقة يغنيها عن استعارة الأوبرا بعض الوقت

أحسب أنى لو قلت فى خور الفرقة وهزالها وعجزها عن تحقيق بعض ما هو مطلوب منها تحقيقه أضعاف ما قلته لعددت نفسى من المقصرين ، ولكنى أرى لزاماً علىّ حرصاً منى على حياتها ، وتفادياً لما قد يخالط أذهان بعض الذين لا يرون سوى ظواهر الأشياء ، أن أشرك معى طائفة من الأدباء فى إبداء الرأى فى هذه المؤسسة التى أرادتها وزارة المعارف وأرادها نواب الأمة لغرض ثقافى نبيل ، فتحولت بفضل الرجال الأفذاذ إلى « مصطبة » للشيوخ العلماء المتعالين و « تكية » للكسالى من الممثلين والمتعطلين وفسا كل الصحفيين وحثالة المتأدبين

ابن عساكر


حاليـــــاً
فرصة
عظيمة
عند
شيكوريل

7me Année No. 292

Lundi - 6 - 2 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـدد ٢٩٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ٦ فبراير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

كيف نعالج الفقر؟

سؤال طالما وقع فى رَوْع النبيين والمصلحين والفلاسفة ممن يملكون القول والدعوة، ولكنه لم يدر أبداً بخلد الأمير فلان والباشا علّان والبيك ترتان ممن يملكون الفعل والتنفيذ. ومن بداهة العقل أن يفكر الأنبياء والحكماء فى معضلة الفقر، فإنهم نشأوا فى مهده الخشن، ودرجوا فى فنائه الضيق، وعاشوا فى مرعاه الجديب، ورأوا بأعينهم العبْرى أثقال العيش تنوء بالظهور الضعيفة فتسقط فى طريق الحياة عرضة لزواحف الرذيلة وجراثيم المرض. ومن بداهة العقل كذلك أن تبقى معضلة الفقر من غير حل يطهر الأرض من سمومه، وينقذ الناس من همومه؛ فإن أرباب الحكم والتشريع والتنفيذ هم من سلائل النعمة وكنائز المال، فلا يخطرون ببالهم الفقر، ولا يحطبون فى حبالهم الفقير؛ وهم يظنون إذا محا الإحسان الفاقة، ونفى التعليم الجهالة، أنهم لا يجدون الخدم ولا يملكون العبيد؛ والجاه من غير أذلاء زفة من غير نظّارة، والمال من غير فقراء مُلك بلا رعية

من أجل ذلك كان الفزع إلى الأقوياء والأغنياء من عوادى الفاقة تزييفاً على الطبع وتكليفاً بالمحال. ومن أجل ذلك كان تنظيم العلاقة بين القوة والضعف، والغنى والفقر،

الفهـــرس

صفحة

عملاً من أعمال الله وحده، يرفّه عليه النفوس، ويرفع به الإنسانية، ويجمّل به الحياة. فإذا حار بنا الفاقة بسلاح الاقتصاد المحض كسنّ النظم، وتوسيع الموارد، وتوزيع العمل، وأغفلنا أثر الحظوظ والميول والأحوال والأمراض في حياة المرء، قتلنا الفقر بقتل الفقير، كما يقتل الطبيب المرض بقتل المريض. إنما يحارَب الفقر بسلاح الدين ليس غير. وسلاح الدين في مجاهدة البؤس أنه يجعل للفقير في مال الغني حقاً معلوماً لا يصح إسلامه إلا باعتقاده وأدائه؛ وأنه يقوي الإنسانية في الإنسان حتى يشعر بالأخوة لكل مسكين، وبالرحمة لكل بائس. وبقوة الإنسانية وحدها في الدول المتدينة كانجلترا وأمريكا أوشك البؤس أن يزول، فوجد كل مريض مستشفى، وكل هَرِم ملجأ، وكل يتيم مدرسة. وقد بلغ ما أنفقته الحكومة الانجليزية على أعمال البر في سنة من السنين ثلثمائة مليون جنيه، ولا يقل ما يتبرع به الشعب البريطاني للمستشفيات وحدها عن خمسين مليون جنيه في العام!

* * *

الدين هو الطب الوحيد لأدواء المجتمع؛ فإذا غرستموه في قلوب النشء، وقويتموه في نفوس الشباب، جعل من الأمة أسرة متماسكة البناء، متضامنة الأعضاء، يعين سعيدها الشقي، ويحمل قادرها العاجز، حتى يقطعوا مراحل الحياة رافهين لا يمسهم نصب، ولا تجافي بينهم عداوة

مَن غير الله يستطيع أن يرقق هذه الكبد الغليظة في هذا الغني المبطان الذي غلا في الكبر، ولج في الهوى، ودلّل نفسه على ذل الناس، وأمسك رزق الله في خزائنه فلا يطلقه إلا لشهوة أو نزوة؟

من غير الله يستطيع أن يقلّب العِبر على عيني هذا المغرور فيريه بالثكل والمرض والهم أن الراحة في النفس ألذ منها في الجسم، وأن الجمال في الرحمة أسمى منه في الجبروت، وأن السعادة في الإعطاء أعظم منها في الأخذ، وأن خير ما في الدنيا هو ما انتقل معه إلى الآخرة؟

هيهات أن يكون في الأرض إيمان ما دام في الأرض فقر. فإن أسباب الفقر ممدودة من الطمع والشح والأثرة؛ وهذه الخلال السوء لا تطمئن عليها نفسٌ مؤمنة. وإن من ضلال الأفهام أو الأقلام أن نعالج الفقر على أنه ناجم من ندرة العمل في البلد أو قلة الخير في الدنيا، فإن العمل ميسور للقادر، ورزق الله موفور للحي. وإذا شكت الأمم اكتظاظ المعامل ونضوب الموارد وضيق الرقعة، فإن مصر الجديدة البكر بينها وبين هذه الشكوى أن تمصِر المصانع والمعامل والمتاجر والمصارف والشركات، وما بالقليل ذلك

* * *

لا تطلبوا من الفقير العمل قبل أن توفروا له القدرة عليه. إنه جاهل فاشرعوا له منهل العلم؛ وإنه عليل فانهجوا له سبيل الصحة؛ وإنه معدم فدبروا له رأس المال. ومن بلادة الحس أن الغني يسمعك وأنت تقرأ هذا الكلام، فلا يظن المخاطَب به أحداً غير الحكومة، فيشارك في النقد، ويسرف في الإنكار، ويلح في الطلب، لأن الحكومة في رأيه يجب أن تلبي كل نداء، وأن تؤدي كل واجب. والحكومة لو درى هذا المتوا كل القدم لا تتسع مواردها بكل رغبة؛ فإنها لم تجبُ منه ومن أمثاله إلا حق العمارة والأمن؛ أما حق الله عنده فقد وكلت أداءه إلى ضميره، يعطيه من يشاء متى يشاء وكيف يشاء؛ ولكن الضمائر نامت على هدهدة الشهوات، والعواطف قست على جفاف المادة؛ وبين غفوة الضمير، وقسوة العاطفة، ذهب وازع الدين فلم يبق إلا وازع السلطان

فهل يفكر أولو الأمر أن يعالجوا الفقر بما عالجه الله به فيجبوا الزكاة وينظموا الإحسان؟ إنهم إن يفعلوا ذلك لا يجدوا في البيوت عائلاً، ولا في الطريق سائلاً، ولا في السجون قاتلاً، ولا في المواخير ساقطة!

احمد حسن الزيات

مشـــابهات

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى شهر واحد عرضت دور الصور المتحركة بالقاهرة روايتين متشابهتين فى كثير من السمات والمعانى ، وإن كانت إحداهما فى باريس والأخرى فى بتروغراد ، أو كانت إحداهما فى القرن الثامن عشر والأخرى فى القرن العشرين ، أو كانت إحداهما عن لويس السادس عشر والأخرى عن القيصر نقولا الثانى

كتبنا مقالنا الماضى بالرسالة عن « مارى أنطوانيت » فلم تمض أيام حتى شهدنا رواية « راسبوتين والقيصرة » وشهدنا كيف تتشابه الحوادث والنكبات ، وكيف يصدق فى بعض الأحايين قول من قال إن التاريخ يعيـد نفسه ، وإن كانت الإعادة لا تخلو من تبديل وتنقيح : شيمة الراوية الماهر الذى لا يعيد القصة الواحدة مرتين بأسلوب واحد !

***

فى مأساة لويس السادس عشر ومأساة نقولا الثانى مشابه كثيرة يرجع بعضها إلى المصادفات وبعضها إلى تشابه النتائج عند تشابه الأسباب

فكانت لكليهما ملكة أجنبية من أصل ألمانى ، وكانت لكلتا الملكتين يد فى الكارثة التى حاقت بالرجلين ، وكان التاريخ فى كليهما يجرى على سنة « الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون » ولا يعمل بآية العدل فى القرآن الكريم : « ولا تزر وازرة وزر أخرى »

فقد كان نقولا الثانى مظلوماً فيما أصابه كما كان لويس السادس عشر

كان كلاهما طيباً رؤوفاً يريد الخير لشعبه ؛ وكان نقولا الثانى محباً للسلام ينادى بالتحكيم فى الأزمات الدولية ؛ وكان يجنح إلى مشاركة الأمة إياه فى تبعات الحكم ما استطاع ، وكان منقاداً لمن حوله كما كان لويس من قبله ، ولم يكن مشاكساً ولا بطاشاً يحب الفتك وسفك الدماء ، ولكنه جاء فى زمن وبيـل فأصابه وبال الزمن وأخذه مع التيار الجارف الذى لا يتأنى ولا يتدبر فى حكمه على الجناة والأبرياء

ليست هذه هى المشابهات الهامة فى تاريخ الرجلين المظلومين ، فربما كانت أو كان معظمها من أثر العوارض والمصادفات ، ولكن المشابهة العظمى هى تلك « الحالة العقلية » التى تحيط بالعوالم المنهارة والدول الدائلة والكواكب الآفلة ، ونعنى بها العهود التى تجمع بين الإدبار والإقبال وبين النظر إلى الغيب والخوف من الحاضر وقلة الاطمئنان إليه

فى تلك العهود يحس الناس أنهم ضعاف عاجزون ، لأن زمام الحوادث يفلت من أيديهم وتيار الحوادث يجرفهم على غير إرادتهم إلى غير الطريق الذى يختارونه لأنفسهم ، فهم من أجل هذا الإحساس بالعجز والضعف ينظرون إلى الغيب ويتطلعون إلى عالم الأسرار ويؤمنون تارة بالقديسين وتارة بالمشعوذين ، على قدر نصيبهم من العلم والبصر بحقائق الحياة

وفى تلك العهود يضمحل الأمل ويغلب اليأس ويبطل الإيمان بالمثل العليا والصفات الرفيعة فيقبل الناس على المتعة والسرور ، ويأخذون من الحاضر كل ما يعطيهم من اللذة واللهو ، لأنهم لا يرجون غداً ولا يركنون إليه

وقد تجمع النفس بين النقيضين : فهى مغراة بالشعوذة والنظر إلى المغيبات المجهولة ، وهى مغراة باللذة فى حاضرها ؛ لأن الحاضر بغير شاغل من الشواغل لا يطاق فى أمثال تلك الأزمان

إنما المرجع فى طلب الغيب وطلب اللذة معاً إلى سبب واحد ، وهو أن الحاضر مشؤوم والمستقبل غير مضمون ، والإنسان بينهما عاجز عن التصرف بمشيئته فيما يزاول من كبار الأمور وصغارها على السواء

***

من أجل هذا ظهر « كاليسترو » الدجال الأعظم فى عهد لويس السادس عشر

ومن أجل هذا ظهر « راسبوتين » الدجال الأعظم فى عهد نقولا الثانى

وكلاهما دليل على تشابه الحوادث والدوافع النفسية بين بنى الإنسان

وكلاهما دليل على أن التشابه فى بنى الإنسان لن يمحو الفوارق بين الشعوب ، ولن يزيل الخصائص القومية التى اشتهر بها كل شعب من تلك الشعوب

فراسبوتين لم يكن يصلح فى مكان كاليسترو ... وكاليسترو لم يكن يصلح فى مكان راسبوتين

راسبوتين ظهر بين الروس وهم أمة لا شرقية ولا غربية ، لا مؤمنة كل الإيمان بالدين ، ولا مؤمنة كل الإيمان بالوثنية ، لا متحضرة بحضارة العلم الحديث ، ولا مستغرقة فى البداوة أو جهالة القرون الوسطى

فظهر لما ظهر بين هؤلاء القوم برسالة من الدين ومن الوثنية فى وقت واحد ، أو برسالة من الشعوذة ومن اللذة فى عقيدة واحدة ، أو برسالة يمت بعضها إلى زهادة المسيح ويمت بعضها إلى المزدكية القديمة ، وإلى عبادة «عشتروت» التى هى أقدم منها ، وإلى ما قبل ذلك من المذاهب الخفية التى لم تنقطع بقاياها قط فى الرقعة الغربية الجنوبية من القارة الأسيوية ؛ أى فى ذلك المكان المعزول الذى تصل إليه آثار الحضارات جميعاً فى آسيا وأوربا وأفريقية ، ثم يحفظها جميعاً فى عزلته المطوية بعد أن يصبغها بماله من صبغة قلما تمسحها الأجيال

فى تلك الرقعة بقيت عبادة الشيطان ، وبقيت الشواذ من فرق الباطنيـة ، وبقيت تلك النحلة التى تبيح فى تكاياها وصوامعها باسم الدروشة الإسلامية ما ليس يبيحه الإسلام وليس يرضاه دين من الأديان الكتابية ، وبقيت نحلة « الخليستى » التى انتمى إليها آخر الأمر « راسبوتين » وكانت أصلح ما ينتمى إليه رجل يدل نعته القديم على طبعه القديم . فإن « راسبوتين » كلمة روسية معناها الفاجر أو الداعر ... وهو لقب اشتهر به الرجل فى شبابه من جراء عبثه وعيثه واستهتاره بالشراب والفسوق

ما هى هذه « الخليستيـة » وما عباداتها وشعائرها المفروضة على أتباعها ؟

هى نحلة مدارها على أن الخطيئة مطلوبة لأن الغفران صفة إلهية فينبغى أن تتحقق لله هذه الصفة التى هى أخص صفات الخالق جل وعلا . وإلا فكيف يكون الله غفوراً بغير الخلائق الخاطئين ؟

ومدارها من جهة أخرى على أن الإنسان يعيش بالروح مع الله ويعيش بالجسد مع الناس ، وأن لله قديسين هم الذين يقودون عباده فى طريق المعيشة الجسدية وفى طريق الغفران . فليس يحق للعبد أن يخطىء وحده بغير قيادة من قديسه المختار

وعلم راسبوتين « سلطانه المغناطيسى » العظيم على نفوس أتباعه فزعم أنه قديس الزمان المرسل من قبل الله لالتماس الغفران ، فبغيره لن يهتدى أحد فى « الطريق » إلى حظيرة الرحمن !

أما هذا « السلطان المغناطيسى » فقد كان فى راسبوتين كأقوى ما عرف فى إنسان من الناس ، حتى بلغ من سطوته أنه سلطه على رجل يمقته وينصب حوله الفخاخ لقتله بالسم أو الخنجر فأنامه وشل حركاته . ولا ريب أن هذا السلطان المغناطيسى مستمد فيه من تلك القوة الحيوانية الهائلة التى أنقذته من السم ومن الخنجر مرتين ، وكادت تنقذه المرة الثالثة لولا إطباق المتآمرين عليه بالعصى والسيوف بعـد إطلاق الرصاص عليه وتسميمه بما يكفى لقتل بضعة رجال ، ولا ريب كذلك أن هذا السلطان المغناطيسى هو الذى أعانه على شفاء ولى العهد بالسيطرة على أعصابه وسريرته بعد ما يئس منه الأطباء ، وأنذروا بموته من أثر سقامه الموروث

* * *

بهذه العدة كان الدجال الروسى يستعد لإنجاز «مهمته التاريخية» فى ذلك العالم المنهار من الدولة الروسية

فبماذا استعد زميله « كاليسترو » من قبله حين تصدى « لمهمته التاريخية » بين الفرنسيين فى عصر الفلاسفة المشككين والدعاة الملحدين الثائرين ؟

لا بد له من عنصر الغيب والخفاء ، ولا سبيل إلى هذا العنصر من طريق النحل الدينية فى تلك الآونة الملحدة المستريبة ، فلينقل أتباعه إذن إلى صوامع الماسون وهياكل الجماعات السرية ومكامن الدسائس والمؤامرات

ولا بد له من عنصر الغواية والمتعة ، ولا سبيل إليهما من نحلة الدروشة والعبادة ، فليسحر أتباعه إذن باسم عقاقير الشرق التى تجدد الشباب وتطيل العمر وتكسو غضون العجائز مسحة الصبا ورونق الصباحة

وهكذا كان لـكل « عالم منهار » دجاله الأعظم ، ومن ثم موضع التشابه بين العوالم المنهارة

وهكذا كان دجال كل أمة على غرارها أو على نموذج أخلاقها وأطوارها ، ومن ثم موضع الخلاف بين تلك الأشباه

وإنما عبرة التاريخ أن نخلص إلى هذه المواضع المتشابهات ، وهذه المواضع المختلفات من حوادث الشعوب فى قبضة القانون الخالد المستعاد .

عباس محمود العقاد

ابن الرومي

الشاعر المصور

للأستاذ عبد الرحمن شكري

يولع الناس فى الحياة عادة ، لتسهيل فهم الأنفس والأمور وتبسيطه، بأن يجعلوا لكل نفس أو أمر صفة يرمزون بها أومعادلة أوقاعدة، وفى ذلك أضرار، منها أن العجلة قد ترمز للأمر أو النفس بصفة لا تتفق وأكثر الخصائص المراد تلخيصها بالرمز أو تختلف عنها كل الاختلاف، وإذا تعلق الناس بالرمز صعب إصلاح خطئهم وصعب حملهم على تغيير زيهم وصعب عليهم فعل الأمر الذى يعالجونه أو النفس التى يتفهمونها، أو قد يكون الرمز منطبقاً على جانب صغير منها فيغفل الناس عن الجانب الأكبر . على أن الرمز إذا وافق الجانب الأكبر فهو قد يغرى أيضاً بالغفلة عن الجانب الآخر الذى لا ينطبق عليه الرمز فيتسرب الخطأ فى هذه الحالة أيضاً، ولكن إذا تأنى المفكر فى وضع الرمز واختياره وقدّر أن يكون مخطئاً فى بعضه أو كله وحسب حساب مالا ينطبق عليه الرمز حتى فى حالة الإصابة كان فعله مسهلاً للتفكير والفهم وتذوق الأمور. وعلى هذا الشرط نبيح لأنفسنا أن ننظر إلى كبار الشعراء على ضوء رمز نرمز به إلى كل منهم وصفة نصفه بها ، فنقول إننا نتذوق أبا تمام كأنه خطيب عبقرى بصير بأساليب البيان وأثرها فى النفس،جرىء فى ابتداع الأقوال، بصير بما يعالج من أمور البيان بالرغم من جرأته ؛ وسواء أكانت أقواله فى أمور حسية أو نفسية فإن كلماته تبلغ صميم القلب بما فيها من الخيال المشبوب وقوة الإيجاز مع الدلالة التامة والإلمام بالمعنى المراد ومع تجنب الإطالة الفاترة . وفنه من هذه الناحية يشبه أيضاً فن صانع القصص التمثيلية فى الاعتماد على قوة الأداء مع صدقه الفنى وإيجازه مع استيفائه المعنى. وندرك على هذا الوصف أن لأبى تمام ولمن نشبهه به جوانب لا يتفقان فيها ولا يلتقيان عليها، لأن النفس الإنسانية تشبه البلّور ذا الأضلاع والجوانب العديدة التى تنعكس عليها أشعة الشمس فى أشكال وجهات مختلفة متعددة . ونتذوق البحترى كأنه ممثل قدير يلوك حلو الكلام ويتأثر به وينتشى بحلاوة الصنعة حتى تخلق له الصنعة عواطف فنية كما فى حياة بعض كبار الممثلين؛ ونقدر مع ذلك أن لنفسه جوانب أخرى تنعكس عليها أشعة الفنون . ونتذوق الشريف الرضى كأنه موسيقى يحكم الوجدان ويؤثر فى النفس بأنغامه؛ ونقدر أيضاً ما للنفس البشرية من مرام مختلفة . ونتذوق المتنبى على أنه محارب مغامر مدجج بسلاح الحنكة والخبرة والاعتداد بالنفس ونعرف له جوانب أخرى . أما ابن الرومى فإننا قد أدركتنا فى أول الأمر حيرة فى اختيار صفة واحدة له ، إذ أنه قد يقف موقف الخطيب المؤثر كما فى قصيدته فى التحريض على قتال العلوى صاحب الزنج بعد أن خرّب البصرة وهى التى يقول فى مطلعها :

ذاد عن مقلتى لذيذ المنام شغلها عنه بالدموع السجام

وابن الرومى مثل أبى تمام مُغرًى بابتداع التشبيهات والأخيلة والمعانى، ولكنا لم نشأ أن نختار له الرمز الذى اخترناه لأبى تمام لأنه قد يدركه الفتور، وأبو تمام لا يدركه الفتور؛ وقد يطيل حتى يمل سامعه خصوصاً فى المدح، وأبو تمام لا يطيل مثله. وقد تدركه اللجاجة الفكرية فى إيراد الحجة ودفع الحجة بالحجة على طريقة المجادل المناقش المناظر لا على طريقة الخطيب الذى يؤثر بالعبارات والأخيلة المشبوبة النارية المستقلة فى معناها بعضها عن بعض فى إيجازها وتركزها تركز الأحماض أو الروائح العطرية المنعشة أو المخدرة أو المميتة ، وابن الرومى يبسط معناه بسطاً كما تتسع دائرة موقع الحجر فى الماء أو كما يبسط الخباز الرقاقة فى قول ابن الرومى نفسه :

ما بين رؤيتها فى كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة فى لجة الماء يُرمى فيه بالحجر

وهذا هو الوصف الذى ينطبق على ابن الرومى نفسه فى صناعة المعانى فكأنه خباز المعانى . ولابن الرومى فى الأهاجى ما هو أشد من الأحماض فتكاً، ولكن أثرها ناشئ أيضاً من تقصّيه أجزاء المعنى وصوره المختلفة وتوليد المعنى من المعنى . ولم نشأ أن نصف ابن الرومى بما وصفنا به البحترى الذى ينتشى بما يصوغ من حلوى الصناعة وما يلوكه منها كما ينتشى الممثل بما يمثل من الأحاسيس . لم نشأ أن نصفه بهذا الوصف ولو أنه وصف ينطبق

على كل ذى فن إلى حد ما فهو ينطبق على الشعراء جميعاً ولكن ليس كانطباقه على البحترى. وابن الرومى لا يبلغ به التفانى فى فن الألفاظ وصناعتها والانشاء بها ما يبلغه البحترى بل يستخدم ابن الرومى الألفاظ استخدام السيد الآمر لعبده محبوباً كان العبد أو غير محبوب؛ أما البحترى فكان لا يقرب الألفاظ إلا كما يقرب المحب حبيبته ولم نشأ أن نصف ابن الرومى بما وصفنا به الشريف الرضى الذى نتذوقه كموسيقى يحكم الوجدان والفطرة السليمة؛ لم نشأ أن نصف ابن الرومى بهذا الوصف ولو أن له فى الغزل والعتاب والشكوى أشياء عميقة الأثر فى النفس كقوله فى الغزل:

أعانقها والنفس بعدُ مشوقة
إليها وهل بعد العناق تدانى
كأن فؤادى ليس يشفى غليله
سوى أن يرى الروحين يمتزجان

وقوله فى العتاب:

تخذتكم ترسا ودرعا لتدفعوا
نبال العِدَى عنى فكنتمْ نصالها
وقد كنتُ أرجو منكم خير ناصر
على حين خذلان اليمين شمالها
فإن أنتمُ لم تحفظوا لمودتى
ذِماما فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا موقف المعذور عنى بمعزل
وخلوا نبالى والعِدَى ونبالها

ولكنه بسبب لحاجته الفكرية أحياناً وتتبعه أو موازنته بين أجزاء المعنى وتلمسه دقائق الصور قد تضيع منه النغمة الشعرية وإن كان شعره يكتسب ميزة أخرى. وقد أحس ابن الرومى مع ذلك فى نفسه بذلك الجانب منه الذى يشبه به الموسيقى أو الطائر الصادح فقال زاعما أنه لا يمدح ممدوحه:

إلا كما راقت القمرىَّ جنتُه
فظل يُتبعُ تغريدا بتغريد

ولم نشأ أن نصفه بما وصفنا به المتنبى من أنه محارب مغامر يغالى فى الاعتداد بالنفس لأن ابن الرومى لم يطلب مُلْكاً ولا حُكماً ولا رياسة وإنما طلب السلامة من الناس وإنصاف أدبه وفضله وفنه وإعطاءه حق ذلك الأدب والفضل مما فى أيدى الوجهاء والرؤساء والأمراء من أموال الله والناس التى كثيرا ما كانت تنهب نهبا. وكان ابن الرومى مرهف الحواس منهوما بالجمال فى كل مظاهره ومطالبه، وهذا يكفى أن يكون شغله الشاغل فى الدنيا بعكس المتنبى. وكان ابن الرومى يخشى الأسفار فى طلب الرزق وله فى وصف خشيته منها أشعار، ويخشى ركوب البحر ويخشى لقاء الناس ويتشاءم بهم، فكانت صفاته النفسية تختلف

من برجنا العاجى

كل شئ أمامى فى الريف يرتل نشيد السلام. فشجيرات الفول الخضراء ترقص مع النسيم، وترسل فى الفضاء من حولى أريج زهرها الأبيض كما ترسل القبلات المعطرة. والبقرة ذات الأهداب الشقراء تتمطى فى أشعة الشمس كأنها حسناء تستيقظ فى فراش دافئ.. والكلب رابض قد أغمض عيناً وفتح أخرى تلقى على الكائنات نظرات الرضا والصفاء. والدواجن والهوام والأرض السمراء، وجداول الماء، كلها بأصواتها الصغيرة وأزيزها اللطيف وصمتها الدائم وخريرها الهامس تتراءى للمتأمل كأنها تتبادل حواراً خفياً مفعماً بكلمات الود والحب والأخاء الأبدى، وكأنها جميعاً فى حركتها وسكونها جوقة موسيقية تخضع إلى يد غير منظورة كى توقع لحناً متناسقاً أزلياً لا يسمعه غير الأنبياء والشعراء.

صوت واحد نشز فى أذنى عن هذه المجموعة: هو صوت الإنسان. متى ظهر ظهرت معه الفوضى، ونشأ الخلاف حيث لا ينبغى أن يكون خلاف. تلك طبيعته. وقد تكون تلك أيضاً عبقريته.

جلس إلىّ رجلان لا يختلفان فى الزى ولا فى اللغة ولا فى اللهجة. لكن سرعان ما سمعت أحدهما يقول لصاحبه:

— أنت فلاح. أما أنا فعربى.

فعنيت بالأمر، وبادرت أسأل الرجل السؤال الذى طالما ألقيه فى مثل هذا الظرف:

— وما الفرق بين الفلاح والعربى؟

فأجاب الرجل بذلك الجواب الذى سمعته كثيراً فى مثل هذا الموضع: مروءة العربى وشجاعته وشهامته وإكرامه الضيف وحمايته الجار. ثم ... ثم شرف النسب. لم يدهشنى ذلك ولكن الذى أدهشنى حقيقة، وقد لا يصدقنى البعض إذا ذكرته هو أن هذا الرجل غير المتعلم قد أشار إلى صاحبه وقال:

— أما جماعة الفلاحين فما هم إلا أولاد توت عنخ آمون!

عجباً! إذن منشأ الخلاف بين العروبة والفرعونية ليس أدمغة المفكرين والمثقفين، إنما هو فى الريف وفى قلوب ساكنيه!

توفيق الحكيم

اختلافا كبيرا عن نفس المتنبي، ولا نحسب أن المتنبي كان يضرع فى مخاطبة ممدوح كما فعل ابن الرومى فى قوله :

أصبحتُ بين خصاصة وتجمُّـل ... والمرء بينهمـا يموت هزيلا
فامدُدْ إلىَّ يدا تَعـوَّدَ بطنها ... بذلَ النوالِ وظهرُها التقبيلا

وفى قوله :

تعرفتُ فى صحبى وأهلى وخادمى ... هوانى عليهم مذجفانى قاسمُ

وبعد ذلك بأبيات يرجو الرئيس المعاتَبَ ألا ينسى أنه خادم.

أما شدته فى هجائه فشدة الرجل المرهف الحس إذا جُوفِيَ أو غُبِنَ أو أسيء إليه أو اضطهد. ونكرر أن النفس كالبلور ذى الأضلاع والأشعة المنعكسةُ عليه مختلفة النواحى. ولكن لعل أصدق وصف يوصف به ابن الرومى هو أن يوصف بالمصوِّر أو الرسام أو النقاش. ويخيل إلينا أنه لو كان عائشا فى إيطاليا فى عهد نهضة الإحياء، واشتغل بالنقش والرسم ما كانت قدرته تقل عن قدرة مصور مثل تشيانو (تيتيان) فى ولوعه بألوان الجمال وجمال الألوان. ولا نعنى أنه كان مصورا فى وصف مناظر الطبيعة والنبات[1] فحسب، وإنما كان مصورا فى كل أبواب شعره من مدح أو ذم أو غزل أو وصف للغناء أو المآكل أو الأشربات. وقد ذكرنا قدرته الخطابية فى قصيدة التحريض على قتال صاحب الزنج ولكن أعمق أجزاء القصيدة أثرا هو وصفه دخول الزنج المدينة ووصفه ما فعلوا بها وبأهلها. فولوع ابن الرومى بالألوان لم يكن مقصورا على ألوان المرئيات بل تعداها إلى ألوان الآراء، فتراه يُغرى بوصف لون من الرأى ثم بوصف اللون الذى هو نقيضه. والولوع بالألوان وشدة الإحساس بمعانيها وجمالها وأثرها من صفات المصور، وكذلك تَقَصِّى الأجزاء وربط أجزاء الصورة فى القصيدة. ومن مظاهر ولوعه بوصف ألوان الرأى قصائده فى مدح الحقد وذمه ؛ وليس من المرفوض أن نقول إن مدحه الحقد كان بسبب إحساسه المرهف وحقده على الذين آلموا هذا الإحساس المرهف من مناوئيه.

فمن مدحه الحقد قوله :

أديمى من أديم الأرض فاعلم ... أسيء الربع حين يسيء بذرا
يُسمى الحقد عيبا وهو مدح ... كما يَدْعُونَ حُلْوَ الحق مُرَّا

وقوله :

وما الحقـد إلا توأم الشكر فى الفتى ... وبعض السجايا يَنْتَسِبْنَ إلى بعض

وإنى أشك فى أن الحقد توأم الشكر دائماً فإنه إذا قُرِنَ بالحسد، ولكل نفس نصيب منه قل أو كثر، منع من الشكر. وقد راجع ابن الرومى نفسه ولامها على مدح الحقد فى قصائد منها قصيدته التى يقول فيها :

يامادح الحقد محتالا له شبها ... لقد سلكتَ إليه مسلكا وعثا

وأبدع منها وأعظم قصيدته التى مطلعها :

ياضارب المثل المزخرف مُطْرِياً ... للحقد لم تقـدح بزند وارى

وعندى أن هذه القصيدة من أعظم وأجل قصائده، وكل منتخبات من شعره لا تشملها تعد ناقصة، وفيها يحث على مغالبة النفس لطباع الشر وعلى تنمية طباع الخير. وقد بلغت قوة التصور عند ابن الرومى مبلغاً جعله يُصوِّر الطبيعة وكأنها من الأحياء. وربما كان ولوعه بذلك أكثر من ولوع شعراء العربية الذين كانوا يجردون من الجماد أشخاصاً فيخاطبون الليل أو السرى أو الرياح أو النجوم أو الربوع والأطلال أو الفراق، فيحدثونها ويحدثهم، وهـذه الصفة من قبيل تلك الصفة فى ابن الرومى وإن كان إحساسه بحياة الطبيعة أعم وأشبه بطريقة الشعراء الآريين[1]. وليس شبه ابن الرومى بالشعراء الآريين مقصوراً على إحساسه بحياة الطبيعة وإشاعة المعنى فى أكثر من بيت وتقصى أجزاء المعنى، بل هو يشمل أيضاً تفضيله فكاهة الصور الخيالية ومعانيها على الفكاهة اللفظية الشكلية، وكانت فكاهة الصور الخيالية مفضلة فى العصور المتقدمة فى الآداب العربية فلم يبتدعها ابن الرومى وهى ليست ملكاً له ولا ابتكاراً ولكنه زادفيها زيادة كبيرة، ثم إن المتأخرين من الشعراء صاروا يفضلون فكاهة المغالطات اللفظية، وهذا النوع كان معروفاً شائعاً فى الأدب الأوربى وإن كانت الصور الخيالية أفضل وأعلى مرتبة.

ولعل عظم نصيب ابن الرومى من فكاهة الصـور الخيالية

---

(١) قد نبه الأستاذ العقاد إلى ولوع ابن الرومى بالألوان وضرب شواهد ذلك الولوع وأشار أيضاً إلى ولوعه بتصوير الطبيعة ذات حياة.

(١) كثير من علماء علم الوراثة فى العصر الحديث ينكرون استطاعة الوراثة توريث أساليب الفكر ومذاهب الاحساس وقد تغالى بعضهم فى ذلك، ولكن لم ينكر أحد توريث هـذه الأمور عن طريق القدوة فى الأسرة والبيئة من الجد إلى الأب إلى الابن

كانت من أسباب تبرزه فى الهجاء تبرزاً لا يضارعه فيه شاعر آخر. ولو حذفنا هجاءه الذى أفحش فيه مثل هجاء ابن الخبازة المعروف بهجاء بوران وغيره من الفحش القاذع الذى لا يصح نشره فى هذا العصر بقيت لنا فى هجائه صور فكاهية خيالية لا يستطاع تجنب اختيارها إذا أحصيت خلاصة الخلاصة من شعره، لأنها أعلى مرتبة من مدحه بالرغم من إجادته فيه. وقد كان الهجاء سبب موته مسموماً. والظاهر أن الأمراء والوجهاء كانوا يسيئون الظن يبعض مدحه غلاوة على خشية الذم، وهذا أمر يشاهد كثيراً فى الحياة؛ فإذا اشتهر رجل بالسخر ظن الناس كل مايقول من قبيل السخر أو الذم حتى ولو لم يقصد إلا المدح والتودد والصفاء.

ومن شواهد سوء الظن هذا ما حدث عند ما مدح ابن الرومى أبا الصقر اسماعيل بن بلبل الشيبانى بقصيدته الرائعة التى مطلعها (أجنت لك الوردَ أغصانٌ وكثبان) فأساء الممدوح الظن بقول الشاعر:

قالوا أبو الصقر من شيبان قلتُ لهم	كلا ولكن لعمرى منه شيبان
وكم أبٍ قد علا بابن ذرا شرف	كما علا برسول الله عدنان
ولم أُقصرْ بشيبان التى بلغتْ	بها المبالغ أعراقٌ وأغصان

وظن أنه يهجوه بضعة الأصل مع أن المدح ظاهر للأصل والفرع. ولا نظن أن الغباء هو الذى سما بالممدوح إلى مرتبة الوزارة، وقد كان وزيراً فلم يبق إلا التعليل الذى ذكرناه، وهو أن الرجل إذا اشتهر بالسخر والذم حُملُ مدحه على محمل الذم والسخر، والشك فى نية القائل يُغطى على فهم السامع، وكثيراً ما تراه فى الحياة يُغطى على فهم ذوى الفهم حتى تراهم كالأغبياء.

والظاهر أن حادث أبى الصقر لم يكن الحادث الوحيد من نوعه وإن كان أظهر حادث. فإن لابن الرومى أشعاراً كثيرة يشكو فيها من خذلان الممدوحين مثل قوله: (ما لى لديك كأنى قد زرعتُ حصى). وقوله: (فلا تعتصر ماء الصنيعة بالمطل). وقوله: (طال المطال ولا خلود لحاجة). وقوله: (أباحسن طال المطال ولم يكن). ومثل هذا كثير فى شعره. وكان يغبط البحترى لإقبال المدوحين على شعره، ومن أجل ذلك كان يتعرض ابن الرومى للبحترى، وله فيه أهاجٍ منها قوله:

الحظ أعمى ولولا ذاك لم نره	للبحترىّ بلا عقل ولا حسب

(البقية فى العدد القادم)

عبد الرحمن شكرى

من الشعر المنسى لحافظ!

« لحافظ إبراهيم كثير من القصائد والمقطوعات قد أهملها الناشرون، فلم يحفظها ديوانه فى طبعته الأهلية، ولا فى طبعته الحكومية، على أنها من الشعر الرائع الذى تشرق فيه روح حافظ وتتمثل فيه شخصيته؛ ولذلك رأينا من الوفاء لشاعر النيل، ومن الرعاية للأدب، ومن الإنصاف للتاريخ أن نذيع ما لدينا من ذلك — وهو قدر لا بأس به — بين قراء الرسالة، وربما لو اجتمع لنا مقدار كبير جعلناه تذييلاً لديوانه، ونرجو ممن عنده العلم بشىء من ذلك أن يدلنا عليه وله الشكر منا ومن أبناء الضاد فى سائر الأقطار ومن قراء الرسالة »

فؤادى ... !

يا خافقاً قل لى متى تسكنُ	لله ما تُخفى وما تُعلِنُ
ياليت شعرى عنك فى أضلعى	ماذا تقاسى أيها المثخَنُ
وما الذى أبقاه من مهجتى	ومن حياتى داؤك المزمِنُ
يا ثغره، من ذا الذى يحتسى	برد ثناياك ولا يؤمنُ
يا قده، هذى قلوب الورى	معروضة طوبى، لمن تطعنُ
يا لحظه، مُرْنا بما تشتهى	كل محال فى الهوى ممكنُ

خيبة أمل ... !

وخيّب آمالى وقوفُك دونَها	وأنك عند الظالمين مَكين
يَسرُّك أنى نائم الجد عاثر	ويُرضيك أنى للخطوب ألين
ليهنك مابى من أسىً وخصاصةٍ	وتقليبىَ الكفين حيث أكون

م . ف . ع

صحائف من تاريخنا القومى

قاسم أمين – الرجل

للأستاذ أحمد خاكى

اشتهر قاسم أمين بدفاعه عن المرأة لأن ذلك كان أوضح ما كتب عنه ، لكنه عندنا من أكبر المصلحين المصريين الذين ظهروا فى أوائل هذا القرن . وليس دفاعه عن المرأة إلا شعبة من آرائه فى الحرية والتربية واللغة وسائر وجهات الإصلاح . ولو أنك تصفحت كلماته قبل أن تقرأ كتابيه فى « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » للمحت عقلية جديدة نفذت وراء الحجب التى تكاثفت على عقول المصريين خلال قرون طويلة ، ورأيت كيف تستطيع النفس الحساسة أن تندسّ إلى ما وراء الحجب فتلقى الحقيقة سافرة غير مقنعة ، ثم لشاقك من حياة هذا الرجل أنه كان شجاعاً ، ولاتخذت من حياته مثلاً أعلى للتفانى دفاعاً عن الفكرة

ظهر فى أعقاب القرن الماضى قليل من أمثال قاسم أمين ، لكنهم لم يلقوا ما لقى هو من العنت والسخرية والاستهزاء . كان يعيش أكثر أضرابه فى أجوائهم ، لكن قاسماً كان يعيش فى جو خاص به هو نفسه . وذلك ما استعدى عليه المتعصبين من أصحاب الدين وأنصاف المتعلمين من أصحاب العلم ؛ وقليل أولئك الذين قدروا تلك النفس الحساسة التى تؤمن بالحرية إيمانهم بنعيم الحياة . وكثير أحسوا مثل إحساسه بما كانت ترسف فيه المرأة المصرية من أغلال ، لكن أحداً من هؤلاء لم يؤتَ من شجاعة النفس ما استطاع أن يصمد به للمهاترين والمغالين ممن أعمتهم التقاليد

على أنه ليس يعنينا اليوم فى حديثنا عنه وجوه الإصلاح التى نبه إليها وتحدث فيها وإنما يعنينا أن نرى قاسم أمين الرجل وأن نتعمق فى درس تلك النفس الزكية التى أوتيت كثيراً من الغضب الكريم . وأشهد لقد هممت بالكتابة عن النقاش الذى دار بينه وبين الدوق دار كور ، لكنما رأيت أن الكلام فى ذلك سوف يصبح ناقصاً لا غناء فيه ما لم أتحدث عن قاسم أمين « الرجل » لأن قاسم أمين « الرجل » هو الذى غضب للقومية المصرية ، وهو الذى غضب للإسلام والمسلمين ؛ وهو بعد ذلك الذى دافع عن مصر والإسلام بحرارة المجاهد الرشيد

وأول ما يمتاز به قاسم أمين « الرجل » نفس محسّة تجيش بمختلف العواطف ، فهو قد أوتى الكمال من الحس الدقيق والشعور المرهف ، وهو من أول المصريين الذين اعترفوا بأن النفس جماع لمختلف العواطف والمشاعر والوجدانات إلى غير ذلك مما يتصل بالدراسات النفسية الحديثة . ولعله أحد المصلحين القلائل الذين اهتدوا إلى تلك النتائج قبل أن يتعمق الناس فى دراسة علم النفس . فهو يعترف بأن الانسان مجموعة من الأعصاب تتأثر بالبيئة التى يعيش فيها ، وأن القلب الذى يكنّ البغض هو نفسه الذى يكنّ الحب ، وأن النفس الشريرة تنمو – إذا نمت – لأنها تصادف جواً صالحاً يؤثر فيها

وقد كان شديداً على البيئة التى نشأ فيها قاسم أمين أن تؤمن بما جاء به ، كان شديداً عليها أن تعنو للنتائج القيمة التى وصل إليها لأنها كانت بيئة نصف متعلمة ونصف متدينة فى وقت معاً ، أما العلم الذى تشبثت به فقد كان خليطاً من القشور والخطل ، وأما وجهتها الدينية فقد كانت ملتوية تمتاز بالنفاق والجدل . لذلك لم يعترف أنصاف المتعلمين بالغرائز التى تندفع فى نفس الإنسان ، ولم يحاول أنصاف المتعلمين أن يتبصروا فيما انحدر إليهم من أصول القرآن والسنة . ولو أن أولئك وهؤلاء قد اجتمعوا على أن يذوقوا ما ذهبت إليه تلك النفس الحاسة لرأوا رأياً آخر غير الذى بسطوا فيه أقلامهم وألسنتهم عن جهالة

على أن تلك النفس الحساسة التى اعترفت بالخير والشر جميعاً هى النفس التى أعانت صاحبها على أن يستوعب الآثار الدقيقة التى مارسها فى حياته . هو قد اعترف بالغرائز الدنيا وقد اعترف بالعواطف العليا ، وهو قد رأى الشر إلى جانب الخير ، فكان فى كل ذلك يمثل المعلم المتبصر الرشيد ، ولن يكون الزعيم ولا المعلم حتى ولا القاضى أهلاً لما يرجى منه حتى يرى النفس الانسانية من ناحيتيها وحتى يقدر الشر والخير والرذيلة والفضيلة ، وحتى يعترف بالشر والرذيلة ويتفحص هذه وذلك ليترسم السبيل السوية نحو الخير والفضيلة وكل ما ينطويان عليه من معان

تلك النظرة الدارسة هى التى أقامت عند قاسم أمين كل المعايير التى حاول أن يطبقها على المجتمع المصرى ، ولأنه كان يؤمن بأن النفس جماع العواطف والوجدانات فقد قال : « إن الفضيلة والرذيلة يتنازعان السلطة على نفس الانسان فى جميع أدوار حياته . فتارة يخضع للأولى وتارة تتغلب عليه الثانية ، ولا يوجد رجل مهما بلغ فى التربية والعلم يكون آمناً من السقوط يوماً فى الرذيلة ، كما لا يوجد رجل مهما أحاطت به الرذيلة إلا وفيه استعداد لأن يأتى يوماً بأفضل الأعمال

« وحقيقة الأمر أن أخلاق الإنسان ليست شيئاً يتم دفعة واحدة ، وليس لها حد تقف عنده ، إنما هى فى تحليل وتركيب ، فى تكوين مستمر يعتريها الانحلال زمناً وتعود بعده إلى التماسك »

بل هو قد استطاع أن يقيم معياراً صحيحاً يقيس به رغبات الرجال ونزعاتهم . ولسنا ندرى هل كان يتنبأ بكشوف علم النفس الحديث حين قال : « إن الإنسان أسير الشهوات ما دام حياً . وإنما تختلف شهواته باختلاف سنه : فشهوة اللعب عند الطفل ، وشهوة الحب عند الشاب ، وشهوة الطمع عند رجل الأربعين . وشهوة السلطة عند شيخ الستين ، جميعها شهوات تعرض صاحبها للهفوات واقتراف الخطايا»

وقد كان قاضياً، على أنه كان ينظر إلى نفس المجرم نظرة دارسة أخرى . كان يرى أن المجرم مسير أكثر مما يكون مخيراً ، وأنه « لا بد أن تكون الغاية النهائية للتربية الأدبية هى العفو عن الخطيئة — العفو عن أكبر خطيئة ، العفو عن كل خطيئة »

« هل المخطئ مسئول أوغير مسئول ؟ وما هى درجة مسئوليته ؟ مسألة عظيمة يجب على من يريد الحكم على غيره أن يحلها . لكن حلها يكاد يكون محالاً ، إذ لا يستطيع أحد أن يلم بجميع العوامل التى تتركب منها الذات الإنسانية بوجهيها الأدبى والمادى ، والقليل الذى يعلمه من ذلك يبين أن سلطة الإرادة على النفس محدودة وخاضعة لمؤثرات كثيرة شديدة تتنازعها وتقارعها وتضعف قوتها على نسبة مجهولة ومقدار لا يصل إلى تقديره عقلنا . وكل تاريخ الإنسان فى الماضى يدل على أنه إن لم يكن متولداً عن الحيوان المفترس مباشرة ، فهو مشابه له فى شره وأطاعه وشهواته . خلق عليل النفس كما هو مريض الجسم . خلق على أن تكون صحته الجسمية والعقلية صدفة سعيدة وعارضاً مؤقتاً »

« فالخطيئة هى الشىء المعتاد الذى لا محل للاستغراب منه . هى الحال الطبيعية الملازمة لغريزة الإنسان . هى الميراث الذى تركه آدم وحواء لأولادهما التعساء من يوم أن اقتربا من الشجرة المحرمة ... من ذلك اليوم البعيد لوثت الخطيئة طبيعتهما ، وانتقلت منهما إلى ذريتهما جيلاً بعد جيل . ذلك هو الحمل الثقيل الذى تئن تحته أرواحنا الملتهبة شوقا إلى الفضيلة ... »

« وأخيراً ، فإن العفو هو الوسيلة الوحيدة التى ربما تنفع لإصلاح المذنب ، فقلما توجد طبيعة مهما كانت يابسة لا يمكن أن تلين إذا هى عولجت »

وإذا أنت نثرت بين يديك كل ما قيل عن تنازع الغرائز ، وإذا أنت نشدت فكرة تأخذ بجماع الغرض الأسمى للتربية ، لم تجد تصويراً أدق مما ترسمه قاسم أمين فى تلك الكلمات . كل كلمة تنضح من ينبوع من الحكمة والحق والحب ، وكل فقرة تجبهك بحقيقة من الحقائق التى يعيها رجال التربية ويعلمون مداها فى تربية العقل والوجدان فى العصر الحاضر . وإنما النفس الحساسة التى تفيض رحمة وحنانا هى التى شعرت بكل ذلك . وقاسم أمين القاضى هو الذى آمن ذلك الإيمان . أليس القاضى هو الذى يستطيع أن يبلغ بإحساسه إلى مستسر النفس ويتعمق بشعوره إلى أطوائها ؟ إلا أنه كان قاضياً فذاً ذلك الذى استطاع أن يوفق بين العدل وبين العفو . فهو يشعر بنواحى الضعف البشرى كما يشعر بها شاعر مثل شكسبير ثم لا يمنعه ذلك من أن تجرى أحكامه بقسطاس مستقيم

***

قاسم أمين المربى وقاسم أمين القاضى هو الذى شعر بكل ذلك؛ لكن قاسم أمين المتفنن الأديب هو الذى استطاع أن يؤلف بين العفو وبين العدل وأن يداول بين المثل الأعلى وبين الفطرة الدنيا . والمتفننون فى العالم هم أولئك الذين ألفوا بين المتناقضات وجمعوا الأبيض والأسود فى صعيد واحد يفرقون بين هذا وذاك بما يوحى إليهم من الحكمة وبما يلهمون من شعر أو حديث أو تصوير . ولولا أن المتفننين القدامى والمحدثين قد اعترفوا بالرذيلة والخطيئة والشر لما ورث العالم ذلك الفن الذى رفه على الإنسان حياته . وقد أوتى قاسم أمين نفس المتفنن الأديب وهى التى ألهمته

أن يرد حياة المجتمع في عصره إلى عناصرها الأولى فاستطاع أن يفرق بين الحق وبين الباطل واستطاع أن يدافع عن الأصول التي اهتدى إليها في حرارة الأدباء والمتفننين

ولسنا ندري: أإذا أتيح لقاسم أمين أن يكتب في الأدب التمثيلي أكان يكتب من المسرحيات ما يشاكل تلك النفس الفنانة التي ترددت بين جنبيه ؟ لكن قاسماً كان فيما يكتب يستروح نفحة نقية من الأدب ، ويتهدّى بشعور عميق من الفن . إلا أنه لأمر ما لم يتجه إلى الأدب المسرحي ، أو قل إنه أوتي الكثير من عدة الفن لكنه لم يتهيأ لإنتاج الفن نفسه . وإنما قوام الفن تلك الحساسية البريئة التي تستطيع أن تشفق على المجرم وأن ترى الغرائز الدنيا مصطخبة مع الأفكار العليا . إنها نفس حساسة تلك التي تستجيب لكل الآثار التي تلقاها ، وهي هي نفس المتفنن الأديب. وأي الرجال كان شكسبير، وأي الرجال إبسن أو برناردشو إذا هم لم يمتازوا بتلك النفس الحساسة التي تستجيب لكل الدواعي ؟ وعندنا أن قاسم أمين كان أحد الذين انفعلوا لآثار البيئة التي عاشوا فيها ، ثم أعطوا بعد ذلك أضعاف ما أخذوا : وهو يشبه في ذلك جمهرة الروائيين الذين صوروا الحياة كما كانت وكما ينبغي أن تكون . ولو أنه أوتي حظاً من التأليف الروائي لخرجت من بين يديه مسرحيات تطاول ما ألفه الآخرون. وحسبه أن كلماته التي لم تبلغ الستين صفحة لم تزل معرضاً لنواح كثيرة من حياة الجيل السالف : معرضاً أحسن تصويره أي إحسان .

ولعلنا نطيل كثيراً إذا حاولنا أن نتأثر ما صوره قاسم أمين من حياتنا المصرية ، فهو في مرة يصف حياة خمسة من الشيوخ أحيلوا إلى المعاش وقضوا أوقات فراغهم في لعب الطاولة وفي مناقشات بريئة صاخبة عن البن . قضى الموت على أربعة منهم « وبقي خامسهم منفردا كئيبا لا يتكلم ولا يخرج من بيته لا يدري ماذا يصنع بحياته ويرقب الموت الذي يخلصه منها . » وهو يكتب في مرة عن متطفل اقتحم بيت أحد أصدقائه وفيه قوم يسمرون فأفسد سمرهم . وهو في كل ما يصف شاعر بالجذل الذي يملك نفس الروائي، وهو يقول في ذلك : « يقصد الناس التياترات لرؤية الحوادث الغريبة ، وسماع القصص المضحكة أو المبكية . والعاقل يكتفي بما يراه حوله ويسمعه ، يتفرج مجانا على وقائع لم تبلغها مخيلة المؤلفين ، ولا مهارة الممثلين » .

***

وشيء آخر شارك قاسم أمين فيه أهل الفن والأدب ، ذلك هو الشعور بالجمال . فلقد كان خياله سخيا لدنا ، اتسع لألوان كثيرة من الجمال . وقد حاول أن يسبغه على غرائز الفطرة الأولى التي اعترف بها . فهو إذا اعترف بأن الإنسان يولد شريراً فقد ذهب إلى أن الغريزة قد يستعلى بها إلى المكان الأسمى . وهو في ذلك يختلف عن كل معاصريه الذين ثاروا به . ولأن هؤلاء لم يدركوا ذلك الأساس الأول من أسس التربية والإصلاح فقد ظل قاسم أمين عرضة لسوء الظن،وظلت كلماته غرضا لسوء التأويل؛ وهو قد كان يؤمن بأن « أعظم ما يصاب به المرء أن يحرم من الذوق السليم » وبأن « الذوق السليم هو الإحساس الفطري الذي ينمو ويتهذب بالتربية . هو الشعاع اللطيف الذي يهدي صاحبه إلى أن يقول ويفعل ما يناسب المقام »

وكأنما قد ألهمت تلك النفس الحساسة حب الجمال إلهاماً ، وكأنما تشرفت على ما تندفع به نفس الإنسان من عواطف نبيلة ، كما اطلعت على ما يتدفق في أغوارها من غرائز وشهوات . والحق أن باحثاً يدرك الشر لا بد أن يرى ناحية الخير ناصعة بريئة . وقد داول هو البحث بين الخير والشر فأقام حدوداً جمالية يرى أن مصر لم تأخذ بالكثير منها . فهو قد كان يرى أن « أكبر الأسباب في انحطاط الأمة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة : التمثيل والتصوير والموسيقى ، وأن هذه الفنون ترمي جميعها على اختلاف موضوعها إلى غاية واحدة هي تربية النفس على حب الجمال والكمال ، فإهمالها هو نقص في تهذيب الحواس والشعور »

وهو يقص عليك القصة التالية لتدرك تقديره للجمال ، ولترى في أية بيئة كان يعيش :

« دخلنا قصر اللوفر ، وكنا أربعة من المصريين لنمتع النظر بأبدع ما جادت به قرائح أعاظم الرجال في العالم ، فبعد أن تجولنا في غرفتين جلس أحدنا على أحد الكراسي قائلاً : أنا اكتفيت بما رأيت وها أنا منتظركم هنا . وقال الثاني : أتبعكما لأني أحب المشي وأعتبر هذه الزيارة رياضة لجسمي ، وسار معنا شاخصاً أمامه لا يلتفت إلى اليمين ولا إلى اليسار ، وما زال كذلك حتى وصلنا

أعلام الأدب

هوميروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذى الجليل أحمد حسن الزيات أهدى هذه الفصول »

ألم ينظم هوميروس غير الإلياذة والأوديسة ؟

لقد ذكر كالينوس الشاعر اليونانى القديم (٦٦٠ ق . م) منظومة لهوميروس تدعى (Thebais) لما يعثر عليها إلى عصرنا هـذا . ويظن بعض المؤرخين أنها لا تعدو أن تكون الإلياذة فى صورة أنخم نظمها للانشاد فى طية اليونانية ولذلك أطلق عليها هذا الاسم

وعثروا على آثار للشاعر سيمونيدز (أمورجوس) الذى كان يعيش فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، وردت فيها مقتطفات من هوميروس يُظن أنها من الإلياذة — منها ذلك البيت المشهور : « وكما تَسَّاقط الأوراق (فى الخريف) فكذلك تَسَّاقط أرواح البشر »

وبعد ذلك بقرن كامل (٥٥٦ — ٤٦٨) رَوى شاعر آخر يدعى : سيمونيدز (من كيوس) بالتواتر عن هوميروس شعراً من ملحمة مفقودة لا تمت بصلة لا إلى الإلياذة ولا إلى الأوديسة

أما بندار (٥٢٢—٤٤٨ ق . م) ، وهو زعيم الشعر الغنائى فى اليونان القديمة ، فقد كان مشغوفاً بهوميروس وإن لم يمنعه شغفه به من مآخذ أخذها عليه فيما يتعلق بأوديسيوس ... وقد ذكر لهوميروس ملحمتين طويلتين عن أخيل ما تزالان وا أسفاه مفقودتين إلى اليوم ... وإذا كانت الأوديسة قد بلغت هذه الغاية من الإبداع فى سمو القصص وكثرة الوقائع وهى لبعض أبطال الإلياذة ، فما بال هوميروس فى ملحمتيه فى أخيل وهو بطل أبطال الإلياذة جميعاً ؟ ! أية ثروة أدبية من شعر البطولة قد فقدها العالم !!

لقد كان بندار يعجب بهاتين الملحمتين (الإلياذة الصغيرة والأثيوبيون) إعجاباً فائقاً جعله يشدو بهما كما يشدو عصفور الكناريا باللحن الموجع ...

أما إسخيلوس فقد كان يقول عن مآسيه التى نيفت على الثمانين ولم يصلنا منها ويا للأسف إلا سبع : « إنهن فتات من موائد هوميروس الحافلة ! ! » والثابت أنه استخدم أبطال الملاحم الهومرية فى أكثر ما ألف إن لم يكن فى كل ما ألف ... فهل كانت جميع مآسى اسخيلوس عن أبطال الألياذة والأوديسة فقط ؟!

وقد ألف سوفوكليس أربعاً وعشرين ومائة مأساة ... وكانت ثلاثياته[1] تحوم حول أبطال هوميروس كما كان يفعل إسخيلوس، فهل كانت أبطاله فى هذه الأربع والعشرين والمائة المأساة كلها من الألياذة والأوديسة ؟

يقول المؤرخون حين يعرضون لهذا إن كلا من إسخيلوس وسوفوكليس كان يعد كل ما وصـل إليه من ملاحم العصر القديم هومريا ، ولو لم يكن من نظم هوميروس ... ومن هذا التراث العظيم استمدا موضوعات مآسيهما ... بل يقولون إنهما كانا يدعوان ذاك العصر كله العصر الهوميرى ... على أنه ليس فى هـذا الكلام دليل على أن هوميروس لم ينظم غير الإلياذة والأوديسة ، وإلا لم يقل إسخيلوس إن مآسيه فتات من موائده

(١) كانت مآسى اسخيلوس وسوفوكلس تتركب من ثلاثيات والثلاثية Trilogy عبارة عن ثلاث مآس تؤلف موضوعاً واحداً

قاعة المصاغ والحلى . وحينئذ تنبهت حواسه وصار ينظر إلى الذهب ثم صاح : هذا ألطف ما فى الدار . وصلنا إلى تمثال إلهة الجمال الفريدة فى العالم أجمع ، فسألت دليلنا ماذا تساوى هذه الصورة إذا عرضت للبيع ؟ فقال إنها تساوى ثروة أغنى رجل فى العالم . تساوى كل ما يملكه الإنسان . تساوى ما يقدر لها حائزها ويطلبه ثمناً لها ، إذ لاحد لقيمتها »

وأنت تستطيع أن تقدر المرارة التى تخبث النفس الزكية حين تهتز لقطعة من الشعر أو الموسيقى أو لقطعة من التصوير والنحت؛ يحس بهذه المرارة إذا ابتلاك القدر بأن تسير وشخصاً يجافى نفسه كل نوع من أنواع الجمال ، فلا يرى من جمال الشعر إلا البيت المتهتك السخيف ، ولا من جمال الموسيقى إلا النغم الصاخب النفر . ولعلك تحس بالمرارة التى كان يشعر بها قاسم أمين إذ كان يساير رجلاً استغلقت عليه آيات الفن الخالدة غير بعض حلى من الذهب والفضة لأن لها بريقاً يلمع ! حقاً إن قاسماً كما أسلفنا القول كان يعيش فى جو خاص لا يشاركه فيه إلا القليل

احمد خاكى

الحافلة ، لأن إسخيلوس كان يعنى ما يقول أكثر مما يحاول مؤرخو زماننا هذا أن يفهموا من عبارته وجهها الصحيح ، وهو ولا شك كان يعنى هوميروس نفسه ، ولم يعن عصره كله وبعض العصر الذى سبقه وبعض العصر الذى جاء بعده أو ما يسميه المؤرخون العصر الهوميرى ، أو ما يزعمون أن إجزنوفان (القرن السادس) كان يدعوه كذلك

هذا وقد اعترف تيوسيديدز لهوميروس بالإلياذة وبالأوديسة وبترتيلة أبوللو ؛ أما أفلاطون فلم يستشهد بأكثر من نتف من الإلياذة والأوديسة ؛ وجاء أرسطو فاعترف له بالإلياذة والأوديسة وملحمة فكاهية تدعى (مارجيتس) ضاعت فيما ضاع من تراث الإغريق ... أما أرسطرخوس الأسكندرى العظيم (١٦٠ ق . م) فلم يعترف له بأكثر من الإلياذة والأوديسة

وعلى ذكر أفلاطون وأرسطو نروى أن كلا منهما كان يقتنى نسخة من الإلياذة مختلفة فى كثير من فصولها عن النسخة الأخرى ، ولم يستطع المؤرخون تعليل ذلك بعد ، اللهم إلا ما يعزى إلى بزستراتوس — منظم أشعار هوميروس فيما يقال — من أنه تناول الإلياذة بشىء من التحوير ، وأقحم عليها زيادات فى تمجيد الأثينيين ... وهو ما يشك فى صحته الأساتذة لانج وموراى وبورا والعلامة كارل موللر

على أنه ليس بزستراتوس وحده الذى اتهم (بتحشية) الإلياذة والتزوير على هوميروس ، بل إن صولون نفسه قد اتهم بمثل ذلك ... بل اتهمت به كل مدينة يونانية ... وما حدث للإلياذة من ذاك القبيل هو ما حصل لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم حينما اختلفت الأحزاب وأراد كل منها أن ينصر مذهبه بأثر من كلام الرسول ، فكثر التلفيق وشاع الوضع ، ثم نشأ بعدذلك ما نشأ من مدارس الحديث وشمر الأئمة للتجريد والتضعيف وما إلى ذلك .. فمثل هذا حدث فى اليونان القديمة

ولقد ساهمت مدرسة الإسكندرية بأوفى نصيب فى درس الإلياذة والأوديسة ، وفرغ من تلاميذها الأفذاذ لكلتا الملحمتين عدد عظيم استطاعوا عرفان الزائف من غيره ، وكان إمام هذه المدرسة المؤرخ الناقد الكبير أرسطرخوس الذى وضع لنقد الأدب الهوميرى قواعده الرائعة

ويحددون عصر البطولة الذى وقعت فيه حوادث الإلياذة ثم حوادث الأوديسة بالقرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وذلك أن القبائل اليونانية (الأيونيّه والأيوليّه والدوريّه) كانت قد أخذت تنهض فجأة وتناضل فى سبيل مجدها وتناوئ الحثيين والمصريين على السواء ، وكان لا بد لها قبل كل شئ من أن تقهر طروادة المحصنة القوية الرابضة على ضفة الهلسبنت (الدردنيل) الشرقية . . . وبعد أن وضعت الحرب أوزارها . . . وبعد أربعة قرون أو نحوها ، جاء هوميروس ليروى وقائع هذه الحرب فى منظومته الخالدة ، أو وقائع السنة الأخيرة من السنوات العشر من حصار طروادة — أو إليوم — كما كان يدعوها غالباً .

فالإلياذة من هذه الوجهة قصيدة حربية حافلة بأنباء المعارك ، تكاد تسمع صليل القتال وأنت تتلوها ، وتكاد تشرف منها على ميدان صاخبٍ ثائر النقع ، شديد الروع ، فائر بالدماء ... وإذا كنت من رجال الحرب سرتك الخطط المرسومة والخدع المحبوكة ، وراعتك هذه الفيالق المجيّشة تأخذ أماكنها ثم تتحرك كالموج ، ثم ترتد قطعة بعد قطعة وهى فى حالتى الكر والفر كالرجل الواحد ، أو كالبنيان المرصوص ... والإلياذة من هذه الوجهة أيضاً تصور لك حياة الجند فى الثكنات أبرع تصوير وأروعه ، كما تصور لك حياة البحارة والرياضيين والرعاة ورجال الجبال ... لكنها لا تبلغ من ذلك ما بلغه هسيود فى ملاحمه ، وذلك ما نرجئه لفصل آخر

الإلياذة وصف قوى لهذه المجازر التى نشبت بين جيل من الناس يسكن فى طروادة ، وبين جيل مختلف عن جيل طروادة ... لأنه جيل من أنسال الآلهة ، وذرارى أرباب الأولب ، فيما تزعم أساطير اليونان ... جيل توالد من تزاوج عجيب بين هذه الأرباب الأولبية وبين إنسيات فاتنات من بنات حواء ... فليس أخيل العظيم ولا أودسيوس ولا أجاممنون ولامنالايوس ولاديوديميد ولانسطور ولا أجاكس ولا أبطال أخايا[1] جميعاً أشباهاً لهكتور ولا باريس ولا أبيهما بريام ولا لأبناء طروادة ، لأن الأولين أبناء آلهة والآخرين أبناء بشر مثلنا

شخصيات عجيبة جداً تلك الشخصيات التى اخترعها هوميروس

(١) أخايا وهيلاس من أسماء اليونان القديمة . وأخايا أيضاً مقاطعة بعينها من هذه البلاد

فهو لم يكتف بأن صنع للأغريق لاهوتاً يعج بكل زوج من الآلهة بل راح يزاوج بين تلك الآلهة وبين الناس ثم ينسل أولئك الأبطال العظام الذين دوخوا طروادة، وأرووا سوحها بالعزيز الغالي من دماء أبنائها

فالسيدة هيلين، التي بسببها نشبت الحرب، هي ابنة زيوس كبير الآلهة من ليدا التي أحبها الاله الأعظم في غفلة من زوجه هيرا.

وأخيل — بطل الإلياذة — هو ابن بليوس ملك فتيا — لكن أمه عروس الماء الحسناء المفتان ذيتيس — التي استطاعت أن تزلزل قلب الإله الأكبر — زيوس — بجمالها الساحر، وأن تجعله، وهو سيد أولمب، بعض عبادها، كما استطاعت كذلك أن تسحر قلوب الآلهة الذين أهرعوا من كل مكان ليشاركوا في زفافها ويشربوا النخب في أكواب مما أهدى إليها الصب المدنف، إله الخمر، باخوس!

وأوديسيوس — بطل الأوديسة، وثاني أبطال الإلياذة، وصاحب فكرة الحصان الخشبي — يتصل بزيوس من أمه مايا — وكذلك ابنه تليماك

أما أجاكس، وهو من أبرز فرسان الإلياذة وأشدهم بأساً، فهو من حفدة دردانوس

وأجاممنون، وأخوه منالوس، هما ولدا أتريوس حفيد تنتالوس، ذلك الملك القاسي المتحجر القلب الذي حاول مرة أن يطعم الآلهة من شواء صنعه لهم من بدن ابنه[1]. فكان جزاؤه النفي إلى ظلمات هيدز حيث قاسي الظمأ الممض وهو غريق في نهر من الماء العذب لا يصل إليه فوه، وإن بينه وبين الماء لشبراً واحداً

وجميع الأبطال الآخرين هم حفدة الآلهة، وأبناء السماء كما دعاهم هوميروس (الألياذة جـ ٢ سطر ٥١٣)

على أن أبطال طروادة يمتون هم أيضاً بوشائج النسب إلى بعض الآلهة. فبريام وأبناؤه التسعة (هكتور وباريس ... الخ) ينحدرون من أسلاف أجاكس (دردانوس)

وفي كثير من كتب الإلياذة مفاخرات عجيبة بالأنساب بين أبطال اليونان وأبطال طروادة، إذ يرد الطرفان أصولهما إلى الآلهة (إقرأ المفاخرة الجميلة بين أخيل وبين إيناس — إلياذة — الكتاب العشرون)[2]

بيد أن أبطال اليونان في الإلياذة يبدون أكثر اقتراباً إلى الآلهة وأشد اتصالاً بهم مما تبدو العناصر المكونة لجيش طروادة

وكذلك الحال بين آلهة الأولمب، فأكثرهم يعطفون على اليونانيين ويناضلون عنهم، ويُسْدون لهم أحسن الجميل فيما تقتضيه معاركهم من تيسير وترشيد

أما طروادة، فيعطف عليها أبوللو، وتنحاز إلى صفوفها فينوس... أليس باريس قد قضى بالتفاحة لها من دون هيرا وميترفا؟

لذلك تكاد تكون حرب الإلياذة قائمة بين قبيلين متفاوتين في الطبائع، فأحدهما أقرب إلى الآلهة منه إلى الناس، والآخر أقرب إلى الناس منه إلى الآلهة، وفي ذلك ما فيه من ميل هوميروس الذي يبدو هواه مع اليونانيين في الإلياذة التي تملكها، والتي هي من تمحيص اليونانيين من أهل أثينا والأسكندرية

على أن هذا الميل لم يكن حاداً أو مبالغاً فيه كما هي الحال في القصص الشرقي الذي خلفته لنا عصور البطولة ومن نحو قصة عنترة أو أبي زيد أو سيف بن ذي يزن؛ فالغالب في هذه القصص أن يطبع الراوي سامعيه بطابع خاص، فيجعل هواهم في جهة واحدة بحيث يطربون أبلغ الطرب وأشده إذا جال عنترة جولة فأطاح برؤوس مائة أو مائتين أو ألف أو ألفين. أو إذا انهزم الزناتي أمام أبي زيد... لا... لم يفعل هوميروس كما فعل هؤلاء، فهو بالرغم مما جعل لأبطال الاغريق من شرف النسب وكرم الحسب، وبالرغم مما أنهى به الإلياذة من فتح طروادة وإشعال النيران فيها وقتل أبطالها البارزين إلا أنه قد خصهم بنوع عجيب من البطولة يرفعهم درجات فوق الأبطال الاغريق. وذلك أنه جعلهم أناساً، وجردهم في المعمعة من هذه الحضانة الربانية التي خلعها على أخيل وغير أخيل، ومع ذلك فقد صبروا وصابروا ولقوا جموع اليونانيين بمثل الشجاعة التي لقيهم اليونانيون بها، فلم يجبنوا، ولم يهنوا، ولم يتخاذلوا عند اشتداد اللقاء، وكانوا يَقتلون ويُقتلون، وكانت الكرة تكون لهم مرة ولخصومهم مرة... وكانت لهم مواقف عجيبة مشرفة تنتزع من القارئ استحسانه أو رثاءه... وقد استطاع هوميروس أن يستدر دموع سامعيه وهو يصور وداع هكتور لزوجه وولده،

(١) أساطير الأغريق والرومان لجربر ص ١٤٣

(٢) تجد في الكتاب الثاني للألياذة أنساب معظم الأبطال اليونانيين الذين اشتركوا في هذه الحرب وقد أورد الأستاذ جربر جدولا جنيالوجيا في آخر كتابه هو أحسن ما وضع في هذا الباب

وفزع هذا الولد العجيب وأبوه يتناوله من يدى أمه ليقبله القبلة الأخيرة التي لم يره بعدها ، لأنه ذهب ليصاول أخيلا فيقتله أخيل بمساعدة الآلهة ... لا لأنه أقوى منه وأشد مراساً ...

لقد استطاع هوميروس أن يستدر دموعنا وهو يصور لقاء أخيل لبريام المحزون وقد ذهب — وهو ملك طروادة — يرجو بطل الإغريق وزعيم الميرميدون فى أن يدع له جثة ولده هكتور ، وأن يخلى بينه وبينها ، فما كان من أخيل إلا أن أصاخ ودموعه تنزف ، فترك الجثة ، جثة هكتور الذى قتل بتروكلوس حبيب أخيل ، ووكيله على جنده وأعز الناس إلى نفسه ، والذى بكيناه أحر البكاء حينما قتل ، وحينما انتزعت أسلابه ، وحينما جئ به إلى معسكر أخيل معفراً بتراب المعمعة ، وحينما سهدت عليه العيون ، وسهرت عليه حبيبة أخيل

وهكذا يرتفع هوميروس بأبطاله فى الناحيتين ، ويوزع إعجاب القارئ على المعسكرين ، مما سنبينه فى العدد القادم

دريني خشبة

عرض سريع

يوم الفتوّة فى بغداد

للأستاذ على الطنطاوى

ذلك هو يوم الجمعة ٢٧ يناير ، الذى انتقلت فيه بغداد كلها ، فاستقرت فى شارع الرشيد وشارع غازى ، لترى مركب الفتوّة ، الذى يصل بين غازى والرشيد ، فينشئ المجد الجديد ، على أساس المجد التليد ... وقد أتى الناس من كل فج عميق ، ليشهدوا بأعينهم كيف غدا أبناؤهم أسوداً صغاراً ، أشبالاً ، يدافعون عن الحمى ، ويحمون العرين . . . ويبصروا ببصائرهم الآتى المجيد ، والمستقبل الزاهر ، وقد أشرق فجره من عيون أولئك الفتيان ، التى تبرق بريق الحماسة والإخلاص ، وقلوبهم التى تنطوى على التضحية والثبات ، وألسنتهم وهى تنشد النشيد الذى يوقظ الموتى ، ويصبّ الحياة فى الصخر الصلد ، وأيديهم التى تهز البنادق ، تقول بلسان حالها : إنا نحقق ما نقول !

مرحى يا فتيان العراق ، عشتم للعروبة ، وسلمتم للاسلام !

* * *

أقبل الناس على شارع الرشيد ، قبل أن تقبل الشمس بوجهها على بغداد ، فملؤوا جوانبه ، واستأجروا مداخل المخازن ، وشرفات المنازل والفنادق ، حتى بلغت أجرة المقعد الواحد ربع دينار ، ولا ترى فى شرفة مقعداً ، ولا على رصيف مكاناً ، وتعلق الناس بالأعمدة ، وأشرفوا من الأسطحة ، وكانت الوجوه فى بشر وانطلاق ، كما كانت الطبيعة متهللة باسمة فى هذا اليوم المشهود ، والشمس بازغة ساطعة ، والأنس فى الأرض وفى السماء ...

وانتظر الناس ساعات ، لا يملّون ولا يضجرون ...

* * *

وكنت فى غرفتى فى (الأعظمية) أهم بالنزول إلى بغداد ، ثم يردعنى خوف الزحام ، وكراهية الاختلاط ، وخشية أن يبتلعنى هذا اللج البشرى الهائل . . . وكنت أنظر فى ركام الكراسات التى تبلغ المئات ، والتى جمع فيها كل تلميذ ما يستطيع من الأخطاء والحماقات ، لأموت بتصحيحها ، وتقدير درجاتها ، فلا أمسها ، ولا أدنو منها ، وإنما أنصرف عنها أفكر فى بلدى وأهلى ...

أأنا أهجع آمناً فى بغداد ، وآنس مطمئناً ، وأهلى فى دمشق يمشون على النار ، ولا يدرون أإلى موت أم حياة ؟ أأستمتع بالجمال ، وأتذوّق الحب ، وأنفق الأماسىّ الهادئة ، فى مسارب الأعظمية ، أساير (الشط) وأتفيأ ظلال النخيل . والشام قد ثار من تحته البركان ، وزلزلت منه الأركان ، وهبّ أهله هبّة المستميت ، يريدون الحياة كاملة ، أو الموت صرفاً زعافاً ؟

فكرت فى ذلك فامتلأت نفسى كآبة وحسرة ، فقمت على غير شعور منى وانطلقت إلى بغداد ، وما أدراك اليوم ما بغداد ؟

* * *

بلغت (الباب المعظم) وعهدى بالمكان أن فيه شوارع وميداناً ، فإذا هو بحر من الخلائق يموج بعضها فى بعض ، وقد غرق فى هذا البحر الشارعُ واختفى الميدان ، فوقفت حائراً لا أتقدم ولا أتأخر . وطال بى الوقوف ، وخشيت أن أبقى كذلك

إلى المساء ، فتشددت وقلت: ويحك يا نفسى ! لماذا الجبن؟ وعلام التأخر ؟ ولماذا كنت تدفعيننى إلى أن أمارس ألوان الرياضة ، إذا كنت لا تستطيعين النجاة فى مثل هذا اليوم العصيب؟ وظننت نفسى قد اشتدت ، فشمرت عن ساعديّ وأقبلت أدفع هذا ، وأزيح ذاك ؛ وكلما دفعت عنى واحداً حلّ مكانه عشرة ، فخارت قواى وأيست من النجاة ، واعترفت لنفسى بأنى لم أبلغ بعد مبلغ عنتر (عنتر القصة) الذى يقبض على الرجل فيرفعه بيده فيضرب به الآخر فيقتل الاثنين ... فوقفت فاشتد على الضغط من كل جانب ، حتى أحسست كأن أحشائى ستخرج ، وضاق نفسىَ، ولكن كل ضيق إلى فرج ، فلم يكن إلا أن فرج الله عنى فبعث رجلاً من رجال الشرطة أعرفه فحملنى إلى الفندق الذى أريد ...

* * *

وكان فى شرفة الفندق سعادة القائد البطل فوزى القاوقجى وأخى الشاعر أنور العطار فى جماعة ، فحللت فيهم ، ولبثنا ننتظر الموكب ، ونتحدث عن الفتوة فى العراق ، ونستمع إلى أحاديث فوزي وهى للأديب كنز لا ينفد ... وأشهد أن فى العراق فتوة وشبابا ، وأنه شعب عرف طريق الحياة فسلكه . ولقد رأيت من مظاهر الفتوة فى بغداد ما جعلنى أبكى من فرط التأثر ! رأيت فى بغداد طفلاً يدرج على باب منزله ، لم يتعلم المشى ولا النطق ، وهو يحاول أن يخطو خطو الجند ، ويوعز إيعاز القائد : يُسْ . يمْ . أى : يسرى . يمنى ...

رأيت فى بغداد أطفال المدارس الابتدائية ، يسيرون سير الجنود . يقودهم مدرس بلباس ضابط ، يدربهم على فنون القتال

وذهبت مع الطلاب إلى معسكر الانكليز فى (سن الذبان) لمباراة رياضية . فرأيتهم قد قلبوا المدينة الانكليزية إلى حى من أحياء العرب ، وأفاضوا عليها روحهم وشبابهم وفتوتهم ، فقلت : تبارك الله ! إذا كان جيش من لاعبى الكرة لا يتجاوز الخمسين شاباً فعل هذا كله ، فكيف لو جاء الجيش العربى جيش المستقبل ؟ وسألت الطلاب فى الامتحان هـذا السؤال الأزلى : ماذا يريد أحدكم أن يكون ؟ فكان جواب الأكثرين أنهم يريدون أن يكونوا جنوداً ، مشاة وركباناً ، وبحارة وطيارين ، يدافعون عن أمتهم ويذبون عنها كل طاغية أو جبار ينبع من الأرض أو يهبط من السماء ... ورأيت أثر الروح العسكرية واضحاً فى الطلاب ، فالطاعة من غير استخذاء ، والحرية من غير تمرد ، والنظام من غير جمود . تلك هى صفات طلاب العراق . وإن فى مدرستنا الغربية لثلثمائة طالب ، والمدرسة سائرة سير الساعة المتقنة وليس فى إدارتها إلا مدير ومعاون ، مع أن مثل هذا العدد يحتاج فى دمشق إلى عشرة ضباط (معيدين) ثم لا تكون المدرسة كالساعة ، وإنما تكون كالبركان الذى يهدد كل لحظة بالانفجار . فيا ليت شباب دمشق يعرفون الروح العسكرية ، كما عرفها أشقاؤهم شباب العراق

* * *

لبثنا ننظر إلى الضحوة الكبرى ، والناس لا يزدادون إلا تدفقاً ، فكأنهم سيول تصب فى هذا الخضم المعظم ، والشارع يموج بالناس موجاً ، ويزخر بالخلائق ، وكلهم يتطلع وينظر ، وكلهم يسأل متى يأتى الموكب ، وعمال الشركة الأميركية للسينما ماثلون بآلاتهم فى الشرفات والزوايا ، ليصوروا معالم الحياة فى بغداد ...

وإن البحر ليموج ويزخر ، وإن أمواجه لتصخب وتضطرب ، وإذا بالمعجزة قد وقعت فانشق كما انشق البحر لموسى ، وانفتح الطريق ، فنظر الناس ونظرنا فإذا الأعلام العربية تلوح بألوانها الأربعة التى تجمع شعار دول الإسلام كلها بأمييها وهاشميها وعباسيها وترمز لفضائل العرب كلها :

بيض صحائفنا سود وقائعنا خضر مرابعنا حمر مواضينا

وإذا الموكب قد لاح من بعيد ، كما يلوح الهلال الهـادى ، للقائد الآيس ويسطع كما يسطع نجم الأمل فى ظلمة القنوط ، وإذا موسيقاه القوية تدوى فى الآذان ، فيكون لها أثر فى النفوس أحلى من نداء الحبيبة فى نفس المحب المشوق ، فحبس الناس الكلمات ووقفوا الأنفاس ، يتطلعون ويترقبون ، والموسيقى تعلو والفتيان يتقدمون حتى وصلت طليعتهم . . . فما استطاع ذو شعور إمساك دموع الفرح والرقة والتأثر أن تسيل ، وارتجت الأرض بالتصفيق والهتاف ، كما ارتجت من قبل بهذه الموسيقى القوية المحبوبة ، وهذا النشيد الذى يسمع من خلاله صوت المستقبل البارح وتلوح فى أثنائه خيالات المعارك المظفرة . . . وكان الفتيان أطهاراً مثل الزهر اليانع ، لدنا كأغصان الروض ، ولكنهم كانوا أقوياء كدوح الغاب ، أشداء كأسود العرين ؛ وكانوا يسيرون صفوفاً متعاقبة على عرض الشارع ، مرفوعة رؤوسهم ، منتصبة قاماتهم ،

موزونة خطاهم ، على أكتافهم بنادقهم وعدة قتالهم ، يتقدمهم قادتهم ومدربوهم والقائد العام المقدم محمود فاضل ومساعده الجرموز الأكبر بهاء الدين الطباع على الخيول البلق ، أمام الجيش الفتى

* * *

لا والله ما أحسست بالعجز مرة عن وصف ما أرى مثل عجزى اليوم . ومنذا الذى يقدر على وصف هذا الشيخ الهم ، ذى الشيبة السائلة على صدره وهو يلحظ حفيده الصغير ، يحمل البندقية ويمشى مختالاً مزهواً ، يحلم بأمجاد المستقبل ، ويذكر ما درس من أمجاد الماضى ، فلا يطيق منع الدموع أن تسيل من عينيه وتتحدر على لحيته البيضاء ... إنى لأسمعه يحمد الله على أن لبلاده جيشاً من أبنائها ولم يكن يرى إلا جيشاً واغلاً أو دخيلاً ..

ومنذا الذى يقدر على وصف هذه الأم التى أمسكت بيد طفليها الصغيرين وهما يتوثبان ليلحقا بالموكب ليريا أخاهما ، وطفقت تدعو الله دعاء هامساً يتصعد من خلال الزفرات أن يحفظ لها ابنهـا ، وللوطن بنيه : « يارب سلّم ، ماشاء الله كان .. يارب سلم .. » وتبكى !

ومنذا الذى يقدر أن يصف شارع الرشيد فى هذا اليوم ؟

يا أيها الرشيد ! قم تر المجد الذى بنيته لا يزال قائماً . قم تر الأحفاد قد نهضوا يسلكون طريق الأجداد . قم ترنا لم نضع الأمانة ولم نهلك التراث . قم تر مجد غازى يتصل بمجدك كما اتصل الشارع بالشارع فعادا مهيعاً واحداً ؟

هؤلاء يا مولاى عدة المستقبل ، وهذا الجيش وهذه الآمال !

* * *

وفكرت فجأة فى بلدى وأهلى ...

نحن هنا فى فرحة والنار مشتعلة فى فلسطين ، والنار توشك أن تلهب فى الشام ! أى مصيبة لم يرها الشاميون ، وأى خطب لم ينزل بهم؟ أما خرب الأقوياء بلادهم ضرباً بالمدافع وقصفاً بالحديد وحرقاً باللهيب ؟ أما أخذوا ذهبهم وأبدلوهم به ورقاً أقفرت به الخزائن وافتقر به ذوو الغنى واليسار ؟ أما قطعوا البلاد حكومات ، وجعلوا من القرى دولات ، وقسموا الناس بدداً ليجعلوهم طرائق قدداً ؟

أفما جروا على هذا كله ؟ بلى ، لقد جروا حتى لم يبق فى قوس الصبر منزع ، واحتملوا مالا يحتمل ؟ فلما نفد الصبر ، وباد طوق المحتمل ، هبوا هبة الحليم إذا غضب ، وياما أشد غضب الحليم !

أنكون نحن فى فرحة ، وقومنا فى الشام فى ألم ؟

وكدت أشعر بالحزن فى قلبى ، ثم قلت : لا ، إن هـذا هو الجيش الذى يجب أن يفرح به قومى. إن بطولة العراق وفتوة العراق صفحة من سفر المجد العربى ، كما أن تضحية فلسطين ، وجهاد دمشق ، ونهضة مصر ، صفحات منه أخرى . إن هذه كلها قوى متحدة ، تتوجه وجهة واحدة !

ثم إن دمشق لا تخاف شيئاً ولا تخشى !

ولم تخاف ؟ الرصاص ؟ لقد فتح له أهلوها صدورهم ! المدافع ؟ لقد أعدوا لها منازلهم ! اليتم والثكل ؟ لقد تعوده أبناؤهم وأمهاتهم !

إنهم يريدون أن يحيوا حقاً أو يموتوا . فهل يغلب شعب وطن نفسه على الموت ؟

* * *

وكان جيش الفتوة لا يزال يسير ، والأرض ترتج بالموسيقى والنشيد والهتاف والتصفيق والدعاء والبكاء ، فعاد الأمل إلى نفسى قويا ، هذه (بيه مونت) الوحدة العربية ، هذه (بروسيا) العرب ، هؤلاء عدة المستقبل ، وهذا الجيش ، وهذه الآمال !

فياأهل دمشق ، وياأهل فلسطين ، ويا أيها العرب ، فى قاص من الأرض ودان .

اطمئنوا فإن لـكم جيشاً !

* * *

ولما جاوز جيش الفتوة شارع الرشيد واتجه إلى شارع غازى ماج البحر واضطرب ، وتدفقت وراءه الجموع ، وأسرعت إلى (الأعظمية) لأدرك الصلاة ، ونفسى تضطرم بأجمل العواطف ، وأبهى الصور ، ولـكن جمالها لا يستتم فى نفسى . إن فى الموكب لنقصاً ظاهراً . أفما كان فى الامكان سدّه ؟ أكانت تخر السموات على الأرض ، ويفسد نظام الـكون لو قدم الموكب ساعة أو أخّر ساعة ، ولم تضع الصلاة على هؤلاء الفتيان كلهم ؟

هـذا هو النقص ، فياليت الوزارة لم تنسه ... يا ليتها ساقت هؤلاء الجنود كلهم إلى المساجد ليقيموا فيها الصلاة ، فإن أجدادنا ما غلبوا عدوهم إلا بالصلاة ، والالتجاء إلى الله ، وهوان الدنيا وأهلها عليهم ، وابتغائهم إحدى الحسنيين الظفر لإعلاء كلمة الله ، أو الشهادة !

إذن لـكان لهذا اليوم جلال الدنيا ، وجلال الدين ، وإن فى الآن لإصلاحاً لما مضى ، وإنه على هذا ليوم مشهود !

« بغداد » علي الطنطاوي

من ذكريات لندن

عربيد

للأستاذ عمر الدسوقى

فى لندن للمصريين نَدِىٌّ ، يختلف إليه الأخيار والأشرار ؛ بعضهم لرؤية صديق ، أو التزود من أبناء الوطن ، أو الاستجمام من عناء الدرس ؛ وبعضهم لقتل الوقت فى لعب الميسر واللهو فى غير كرامة ولا وقار

وكانت لنا فيه جلسات ممتعة ، لمصر منها قسط الأسد ، ننتقد الساسة من غير تحرج ولا هيبة ، ونضع خطط الإصلاح الجريئة ، وتنفطر قلوبنا أسى ولوعة على مصر وما تعانيه ، ونحتدم فى جدال عنيف كله لمصر ولخير مصر

وفى ذات مساء ، بينما نحن جلوس حول المدفأة ، ندفع بحر ناره زمهرير الشتاء ، نجول ونصول كعادتنا ، فى السياسة تارة وفى الأدب أخرى ، إذ دخل علينا فتى فى شرخ الشباب ، رَبعةَ عريض المنكبين ، غائر العينين ، بارز الجبهة ، أسمر البشرة ؛ فحيا بأدب ، ثم اتخذ مجلسه بيننا ، ينصت إلينا ولا يشاركنا ، ثم بدا له فزج بنفسه فى الحديث ، وخب فيه ووضع ، وبعد لأى قصّ علينا قصته ، قال :

جئت ناديكم اليوم ، أطلب الغياث والنجدة ، فقد نزحت إلى لندن طلباً للعلم منذ شهرين ، وأقمت مع زوجى وابنتى الصغيرة فى منزل مؤثث ؛ وفى ذات يوم تسلمت كتاباً من سيدة انجليزية ، تعرض فيه استعدادها لخدمتنا ، مدة شهر الصوم ، وتدعى أنها مسلمة من ذوات التقى والورع ، وأن الذى حداها للكتابة إلينا ، إشفاقها علينا ، فخدعنا بكتابها المعسول ، وبرحنا منزلنا إلى منزلها ؛ وقضينا اليوم الأول لا نلاقى إلا كرماً وأريحية ، فذهبت الوحشة ، واطمأنت النفوس ؛ وخرجت فى اليوم التالى مبكراً ، وأبت متأخراً ، فوجدت زوجى تبكى وتنتحب ، وقد ضمت طفلتها إلى صدرها ، فسألتها ، ما بالُها ؟

— لقد مر بنا يوم عبوس قمطرير ، قَفَّت فيه أوصالنا من القر ، وجمدت أطرافنا من البرد ، وجاعت فيه الطفلة حتى أشرفت على الموت ، واستغثنا ربة البيت مراراً ، فلم يزدها نداؤنا إلا إعراضاً عنا وازوراراً . ذهبت إليها أستعطفها وأسترحمها ، فأرتنى وجهاً كالحاً كئيباً ، وأسمعتنى من هجر الكلام ما تعافه آذان الأحرار ، وهاأنت ذا ترانى أعانى والطفلة السغب والبرد ، وأضمها إلى صدرى لعلها واجدة فيه دفئاً أو سلوى

— ويل لها من كذوب ماكرة ! هكذا قلت ، وأنا أنتفض غيظاً وموْجدة ، وبودى لو أذهب إليها فأحطم رأسها أو أهشم عظمها ، أو أمزّقها إرباً ، ولكن عنَّ لى أن أستعمل الحيلة حتى أخلص منها لا علىَّ ولا لى . فغادرنا المنزل تواً ، وتركنا متاعنا إلى الصباح ، ثم أرسلت من يحضره ، فأبت أن ترد إلينا . فقلت : يا للعجب ! إنى قد وقعت منها على داهية ؛ وأسرعت إلى منزلها غضبان أسفاً ، فاستدرجتنى حتى دخلت إحدى الغرف ، ثم أوصدت الباب وأحكمت رتاجه ، وأخذت تهدد وتتوعد ، وتبرق وترعد . وتقول : قد أتلفتم أثاث المنزل ولن تبرح حتى تنقدنى عشرين جنيهاً ، أو تكتب بها صكاً ؛ فكتبت ما شاءت فداء لنفسى ، وإبقاء عليها ؛ وخرجت لا ألوى على شىء ، وذهبت من فورى إلى محل الشرطة ، وذكرت ما عانيته منها ، فصحبنى أحد رجاله ؛ وما إن رأته حتى اصفر وجهها فرَقاً ورعباً ؛ فسألها عن الصك فأنكرته . فقال : إنى على ذلك شهيد ، وأخرج أمتعتى عنوة ، وحذرها بالعقاب الأليم إن هى فكرت فى إيذائى . فانطلقت شاكراً له ، وحمدت الله على أن نجوت من مخالبها

ولكن وا أسفاه ! قد طاردنى شرها فى كل مكان ، فضاقت علىَّ الأرض بما رحبت ؛ إذ أنها كتبت للارسالية تصمنى بالعربدة ؛ ومرضت زوجتى وطفلتى من أثر ذلك اليوم المشئوم ؛ وقد نصحنى الأطباء ألاَّ أبقيهما يوماً واحداً فى لندن حيث لا يعين جوها على البرء والشفاء ؛ فودعتهما والدموع تنهمر ، والقلب ينفطر ، وسافرا إلى مصر على ما بهما من مرض ، وعدت أدراجى إلى منزلى وحيداً غريباً ، لا أجد مواسياً أو حبيباً

وهأنذا يا سادتى ، أناشدكم أواصر الوطنية والإخاء ، إلاَّ أقلتمونى من عثرتى ، وانتشلتمونى من وهدتى . فقد حجب الحزن بصرى عن النظر ، وغشّ الأسى قلبى عن التفكير ، وكل ما أبغيه أسرة تحنو علىّ ، وتأسو ذلك الجرح حتى يندمل ، وتعيننى بعطفها على الدرس ، وبحسن معاملتها على السلوى

فحركت مأساته الأفئدة رثاء له وحدباً عليه ، وعلت الآهات

والزفرات توجعاً لمصابه ، وأخذنا نقدح زناد الفكر حتى اهتدينا إلى سبيل نزود به وحشته ، ونخفف كربته ، فقلت:

— إنى أقيم فى أسرة أحلتنى مكاناً علياً ، وأنا عندهم ملء السمع والبصر ، أتقلب فى أعطاف الهناءة والدعة ، فإن شئت أن تشاطرنى ما أتمتع به من الراحة والطمأنينة ، فلن تزيدنى إلا سروراً

— شكراً لك ، ثم شكراً ؛ إنى محتاج ليد قوية رشيدة فى هذا البلد الغريب تهدينى سبيل الحق حتى أقف على أسراره وعاداته ، ولن يسعنى حيال هذه السماحة إلا القبول ، والثناء العاطر ، والاعتراف بالجميل

— هيا بنا الآن أريك المنزل وأقدمك للأسرة ، وكن واثقاً بأنهم سيضعونك فى منزلة العزيز المكرم

أخذت ألح له أثناء الطريق بما يؤهله لاكتساب محبة الناس فى هذه البلاد ، وأننا هنا رسل الدعاية لمصر البائسة ، فلزام علينا أن نتحاشى السفاسف والدنايا ، وأن الأسرة التى سيقيم فيها ، تربأ بمنزلها أن يدنس ، أو يكون موئلاً للفحش والخنا ، أو يكون ضيفها عربيداً ماجناً ، وخليعاً مستهتراً ؛ لأنها متزمتة وقورة ، وربها أستاذ كبير فى الموسيقى ، ولم يرِ منى إلا كل ما يشرح صدره ، ولم أعهد عليه إلا التفانى فى سبيل راحتى

بدت على محياه أمارات الارتياح ، وأكد لى أنه سيكون مضرب الأمثال فى نبل الأخلاق والرجولة ، وأنى سأكون فخوراً بصحبته ، تياهاً بخلاله وسجاياه

قدمته للأسرة وزكيته وأطنبت فى مديحه ، وقصصت ما لاقاه من عنت وإرهاق ، فرثوا لحاله ورحبوا به ، وأخذوا يبعدون من مخيلته هذه الصورة المزرية عن بلاد الإنجليز وخلال أبناء التاميز ، بحديثهم الحلو ومداعباتهم الطريفة

مضى على صاحبنا أسبوع ، بدا فيه نموذجاً عالياً للأدب والظرف والدماثة والوقار ، فزدنا فى إكرامه والاحتفاء به . بيد أنه أخذ يتخلف عن جلسات الأسرة بعد العشاء ، ويلزم الصمت أثناء الطعام ، ثم يفر إلى غرفته فرار الظليم ، فرابنا أمره وخشينا أن تكون قد حلت به كارثة ، فتبعته مرة ، وطرقت باب غرفته ، فلم يجب ، فواصلت الطرق فترة غير وجيزة ، وأنا أناشده الله إلا أفضى إلىّ بدخيلته ، وبدواعى وجومه وعبوسه ؛ ففتح بعد لأى ، وشرر الغيظ يتطاير من عينيه ، وفى وجهه إكفهرار وامتقاع ، ويداه ترتعدان كالمحموم ، وابتدرنى قائلاً بصوت متهدج يفصح عنَ الوجل والحنق :

— ماذا تريد ؟ لن أسمح لك بدخول حجرتى ، أقصر عطفك على نفسك ، فلست حدثاً غِراً !

— آسف يا هذا ! فلم يدر بخلدى أن مثلك ، وقد كان بالأمس سمحاً وديعاً ، سيظهر اليوم سافلاً وضيعاً ، ماحفزنى للمجىء إليك إلا عطفى عليك ، وظننت أنك تقاسى همّاً دفيناً ، وأنك ستهش لحديثى وتبش ، وقد جئتك لأسرى عنك ، أما وقد طرقت أذنىَ كلماتك البذيئة ، فأعد نفسى متطفلاً وأنت وشأنك

انطلقت إلى غرفتى ، موهماً الأسرة أنى لا أزال عنده وأخذت أفكر فيما عساه يكون سره ، ولم حرص جد الحرص على عدم السماح لى بدخول مخدعه ، ولكن أعيانى الفكر ، فلم أهتد إلى إجابة مقنعة ، بيد أن الشك أخذ يساورنى ، ويخيله إلىّ شيطاناً مريداً ، قد أتى أمراً إداً ، ورغب فى إخفائه عنا

جاءتنى ربة المنزل بعد يومين وأنا أتناول طعام الفطور وقالت :

— إن صاحبك هذا مأفون معتوه ، فقد خرج بملابس النوم فى الطريق لابتياع إحدى الصحف ، ولا ريب أن هذا مخل بالآداب فى عرفنا وتقاليدنا ، وأخشى أن يراه رجل الشرطة فيقبض عليه

تركت الخوان مسرعاً ؛ وهرولت وراءه ، وحاولت أن أرده إلى صوابه ، وأبين له أن خروجه هكذا خطل سيعرضه للبرد القارس ، والانتقاد المر ، وتدخل رجال الأمن ، وأن انجلترا ليست كمصر فوضى لا يعرف الناس فيها نظاماً للأزياء

— لقد نهيتك من ذى قبل ألا تعنَى بأمرى ، وأن تدعنى وشأنى ، فأنا أعرف بآداب اللياقة منك

— إننا أبناء وطن واحد ، وما يلحقك من العار والمهانة سيلحقنى كذلك ؛ لن يتحدث الناس هنا بأن فلاناً أخطأ ، بل سيقولون : أحد المصريين أجرم ؛ فرفقاً بسمعتنا ، وتقبل نصحى ، فقد مضى علىّ بهذه الديار أمد غير قصير

عاد إلى المنزل وهو يزمجر كمن أخذته العزة بالإثم ، وكبر عليه أن ينصاع لطلبة غيره

عزوت كل هذه التصرفات لجهله بعادات القوم ، فلم آبه لتعنيفه وتقريعه ، وأخذت أتلمس العلل والمعاذير لكل ما يصدر عنه من فعال يندى منها الجبين خجلا أمام أناس لا يذكرون

عن مصر إلا الشوه من الحقائق . ولكن صاحبنا ظل سادراً فى غوايته لا يستمع لموعظة ، أو يتعلم من تجربة ؛ فجاء ربة البيت فى ظهيرة أحد الأيام ، وطلب منها أن تطهى له دجاجة على الطريقة المصرية ، فاعتذرت بأنها لا تعرف قليلاً أو كثيراً عن الطعام المصرى ، وأولى له أن يباشر طهيها بنفسه ، إن كان لا يزال على رأيه .

فأخذ يكيل لها السباب ، ويؤول رفضها بامتهانها له ، وعدم تقديره ، ولج فى وقاحته وسلاطته حتى أبكاها .

فذهبت محنقة تتميز من الغيظ ، وانتظرت مقدمى على أحر من الجمر ، وما أن دخلت المنزل حتى قصت على قصته منفعلة ، وأصرت على طرده من المنزل ، لأنها لم تسمع مثل هذه البذاءة طوال حياتها ؛ فأخذت أهون عليها الأمر ، وأعذر تصرفه هذا لشدة حساسيته ، شأن كل غريب فى بداية حياته ببلاد لم يألف طباع أهلها .

ضقت بهذا الغبى ذرعاً ، ولعنت الساعة التى لاحت فيها طلعته الكئيبة علينا ؛ وأعملت الفكر عسى أن أوفق إلى سبيل أصرف به هذا الوباء ، وقد أصبح كالدمل المد ، أحمله فى رقعة من جلدى ، ينغص علىّ هناءتى ، ويكدر راحتى . أى شيطان رجيم سول له أن يطهى دجاجة على الطريقة المصرية ؟ ذهبت على أجد عنده جواباً شافياً ، وطرقت بابه بشدة وغضب ، وفى عزمى أن أعطيه درساً لا ينسى ؛ فسمعت همس سيدة من الداخل تحذره من الفضيحة إن استجاب لقرعى ، بيد أنه فتح الباب على مصراعيه ، وقال بصوت المستهتر الماجن المجازف ، الذى غاض الحياء من وجهه وكان يترنح سكراً ، ويبتسم ابتسامة داعرة :

— هذه فلانة ، وقد كانت هنا حينما أنبتك فى المرة السالفة على طرقك بابى ، وأبيتُ أن أدخلك غرفتى ؛ ولا يعنينى الآن ، أن تطلع على ما كنت أخفيه ، فسوف أنتهج طريق العربدة ، ولا أعيرك أو غيرك التفاتا .

— لكنك رجل متزوج ، ولك طفلة ، وهذا مُزْرٍ بك ، محط لقدرك ، وسيلهب أهل المنزل عليك سخطاً وغضباً ؛ ثم إن ما تأتيه من المنكر ، مخالف للقانون ، فليس هذا بيتاً من بيوت الخنا والدعارة ، ويخيل إلىّ أن رفيقتك لم تبلغ بعد سن الرشد ، وسيكون جزاؤك ، إن فضح أمرك ، السجن أو الطرد من هذه الديار ، فعجل بإخراجها ، وإلا داهمك رجال الشرطة .

— ها ها ... ها ها ... ! نعم أنا متزوج ، ولكنى أرسلت زوجتى إلى مصر تخلصاً منها ، لا لمرضها كما أخبرتك كذباً ؛ ولست أعبأ بما يحط من قدرى فى هـذه البلاد ، فقد استمرأت هذه الحياة بمصر وأنا لا أزال عزباً ؛ أنا مستعد لأذكر لك تاريخ حياتى ، إنى رفعت راية الشر والفسق عالية خفاقة ، وما تزوجت رغبة فى الزواج ، ولكن طمعاً فى مال من تزوجتها ؛ وقد تنازلت لى الساذجة عن كل ما تملك ، فليس ثمة حاجة إليها بعد ذلك ، بل إنى أريد أن أبين منها إلى الأبد ، حتى أكون حراً طليقاً . نحن نختلف ، يا صديق ، فى نظرتنا إلى الحياة ؛ ولست أخشى رجال الشرطة ، فما أتت هـذه الفتاة إلا طواعية واختياراً ؛ ولن أترك المنزل ، بل عليك أنت أن تغادره ، إذا كان مقامى به يزعج وقارك وتزمتك . لِمَ لا أنهل من مورد اللذات وأثمل ، أينما شئت وكيف شئت ؟ أليست هذه بلاد الحرية كما ينعتها قاطنوها ؟ ليست هـذه أول فتاة وليس ما ترى أول كأس من الخمر أحتسيها ، افعل ما شئت ! !

— أيها الوغد الدميم ، إنك تبحث عن حتفك بظلفك ، ولن تجد منى بعد الساعة هوادة فى التنكيل بك ، تطهيراً للمجتمع من حثالاته ، وعبرة لأمثالك الطائشين ، الذين لا خلاق لهم ، ولا ضمير يعنفهم ، ولا شرف يردعهم .

أخبرت ربة البيت بكل ما حدث ، فاقشعر بدنها هلعاً ، وقطبت أساريرها احتقاراً ، وعدت ابنتها تنادى رجل الشرطة ؛ ولكن الطير قد أفلت من سجنه ، فلم نقف للفتاة على أثر ، وطُرد العربيد شر طردة ، ووضع تحت مراقبة شديدة صارمة .

هجر لندن بعد أن سدت فى وجهه المسالك أنى ذهب ، وأقام فى إحدى ضواحيها غير متوان عن الغواية والضلال .

علم أترابى الذين سمعوا قصته الأولى بما آل إليه أمره ، وما اقترف فى حق مصر من الآثام ، وما لطخ به سمعتنا من الوصمات ، فعزموا على شكايته للقنصلية المصرية ، حتى تقصيه ، ولكن رقت قلوبهم فلم يفعلوا ، وإن كان مجهم قد بلغ أشده ، حينما علموا أنه من أعضاء البعثات ، وأنه طلق زوجه فى النهاية .

ليت شعرى لِمَ يُوفد مثل هذا ؟ أليكون سبة لنا وعاراً علينا ، ومثلاً حياً متنقلاً تقذى منه العيون ، ويعافه المجتمع ، ويلمنه الناس أينما حل ، والبلاد التى لفظته ، والأمة التى ينتمى إليها ؟ ؟

عمر الدسوقى

أسـطورة ...!

(تصوير مرسان)



قالوا : وكيف كان ذلك ؟

قال الراوى: زعموا أن الرئيس رزفلت سفير السلام بين السامية والآرية، ورسول الوئام بين الديمقراطية والديكتاتورية، أولم لأقطاب الحكم فى الدول الأربع ذوات الرأى فى مصير العالم اليوم وليمة ليستخرج من بين الأفواه والكروش ، علل الخلاف بين الأساطيل والجيوش . فلما فرغت الصحون ، وامتلأت البطون ، دارت الكؤوس ، فدارت الرؤوس ، ونم كل لسان بكمين سره

قال الدتشى وقد نهض معتمداً على كتف الفوهرر :

إن تشمبرلين ودلادييه لا يزالان على الرياء القديم يتبجحان بالحرية والمدنية والسلام ، وهما يخفيان وراء الحرية استعباد الشرق ، ووراء المدنية اهتضام الحق ، ووراء السلام الخب والشطارة . أما أنا وهتلر فمبدأنا أننا عراة جياع ، وسياستنا الصراع لا الخداع ، ووسيلتنا الإخضاع لا الإقناع . فإذا جنح خصومنا للسلام ، فليقاسمونا ما فى أيديهم من الطعام ، وإلا فالحرب التى تجعلنا سواء فى الضعف ، إن لم تظهرنا عليهم بالقوة

فنظر السيد رزفلت إلى عميدى الديمقراطية فوجدهما يتلاحظان ولا يتكلمان . فقال للرؤساء جميعاً :

— إن الذئاب تتهارش ولا تتفارس . وإنى أراكم متفقين على الغاية، بعضكم بالطيش وبعضكم بالحذر، وموافقين على هذا الرأى، بعضكم بالكلام وبعضكم بالنظر . وليس أمامكم ما يقبل القسمة إلا بلاد العروبة ! فهى التى غزتها فرنسا بالتعليم والربا ، وفرقتها أمريكا بالتبشير والهدى ، ومزقتها انجلترا بالتفريق والتجارة . وفى تقسيم القارتين العجوزين بينكم على السواء ، نجاة المدنية والديمقراطية من الفناء

قال الراوى : فانبسطت أسارير الرؤساء لهذا الرأى الصريح، وشربوا كما ترى نخب هذا الحل المريح !

ابن عبد الملك

دعيني أنام !

للأستاذ محمد سعيد العريان

دعيني أنام !

إن عينيّ لم تذوقا طعم الكرى منذ بعيد !

سنوات وسنوات ، وأنا دائب السُّرَى فى هذه الطريق أفتش عن نفسى فلا أجد نفسى ، وأنشد سعادتى فلا أجد إلا شِقْوة النفس وظمأ الروح وقلق الضمير ! والطريق لا تنتهى إلى غاية ، والعثرات تتكاءد السالك فى كل منعرج وكل ثنية !

دعيني أنام !

فهل رأيتِ السعادة إلا حلماً هنيئاً يتخايل للنفس فى لحظة ناعسة ضرب النومُ على آذانها فى ليلٍ مطبق ؟

ما أجمل هذه الفراشة تتواثب فى مطارفها الوشَّاة على أعين الناس ! ولكن هيهات أن تنالها يد ! كم جهدت جهدى فى اللحاق بها فما بلغْت ... !

دعيني أنام ! لعلى أن أنالها فى سِنةٍ حالمةٍ تبلغ بى ما لا مَبلغ إليه فى يقظة الحياة !

دعيني ، دعيني ... ! إننى وجدت نفسى هنا ، وطالما نشدت نفسى فما وجدتها ... !

إن بى حنيناً إلى هذا الفراش الدافئ بعد طول السُّرى وجهد السهر وكدّ الطريق !

***

افتحى عينيك ياعزيزتى على حقائق هذا الوجود ثم خبِّرينى ...

ذكِّرينى ما كان من ماضىَّ ، فقد أنسانيه ما ترادف علىّ من أحداث الزمان !

هل تذكرين يا عزيزتى تلك الأيام البعيدة ، يوم كنا وليس لنا ماضٍ نأسَى عليه ، ولا مستقبلٌ نتطلّع إليه ، والدنيا تدور بالناس فى حلقتها المفرغة وتدور بنا ، فما يعنينا شيء من الدنيا ومن الناس ، وما نشعر من الزمان إلا باليوم الذى نعيش فيه ؛ هو كلُّ تاريخنا فى الحياة لا ماضىَ له ولا آتٍ ... ؟

ذلك زمان كان فما له من معاد !

مَن كنتُ أنا عندِ الناس يومئذ ومن كنتِ ؟

هل كنا يومئذ إلا فتاة وفتى قد ألَّف الحبّ بين قلبيهما ؛ فما يُرَيان فى الطريق إلا ذراعاً إلى ذراع ، وخطوة إلى خطوة ، وقلباً يعطف على قلب ، وروحاً تهفو إلى روح ، وعلى الشفاه همسات تُخافت بها ، وفى العيون نظرات تتناجى . والناس تنظر إلينا فما يهمنا شيء من نظرات الناس ولا من حديث الناس ؛ لأننا كنا يومئذ نعيش فى أنفسنا بعيدين عن دنيا الناس ...

هل تذكرين ... ؟

كان ذلك منذ بضع عشرة سنة ... وكنا صغيرين ... !

***

وجلسنا ذات يوم فى حديقة على الشاطئ ... وكانت يدك بين يدىّ وقد أطرق كلانا ، وتراءى لنا فى لحظة حُلم رائع سعيد تجاوز بنا الزمان والمكان إلى حيث لم يكن لنا عهد ، يظلنا سقف واحد فى دويرة تجمعنا وتجمع لنا ما تفرق من أحلام الشباب ... وظللت فى إطراقك وظللتُ ، نتناجى ونتبادل الأفكار صامتين ؛ فما كانت بى حاجة لأحدّثك عما فى نفسى ولا كانت بك حاجة ؛ وتفاهمنا على صمت ... ونظرتُ فى عينيك ونظرتِ ، فتضرَّمتْ وجنتاكِ من حياء ، وأحسستُ يدك تختلج بين يدىّ ...

ونهضنا صامتين فأوصلتك إلى دارك وعدتُ وحيدا إلى دارى وأنا أفكر ...

وعرفنا من يومئذ أن غداً هو يومٌ من عمر الزمان ؛ وما كان يعنينا قبلُ إلا حاضرنا الذى ننعم به ...

أما زلت تذكرين ياعزيزتى ؟

ولما ضُرب الحجاب بيننا وقامت دونه التقاليد ، تلفت القلب ينظر ؛ ولزمت الوحدة أياما أعرض ذكريات الماضى ولهفة الحاضر وأمل المستقبل فعرفت ...

... عرفت يومئذ أن حقيقة الزمان ليست هى فى هذا الحاضر ، ولا فى الغد المنتظر ؛ ولكنها فى اليوم الذى مضى ولاسبيل إليه ... أمس !

***

حينما يكون معنى الزمان فى نفس الحى هو اليوم الذى يعيش فيه وحَسْب ، فهو فى حقيقة الحياة ومعنى السعادة ؛ فإذا سولت له

الأمانيّ أن يتعجّل أيامه فيتطلّع إلى ما قد يكون فى غد ، فقد آذنته الدنيا بيوم يُطْرد فيه من جنة السعادة نادما اسوان . . . ثم لا تكون إلا الثالثة ، حين يتذكر أن له ماضيا كان وطواه الزمن ؛ فـا هو يومئذ حىٌّ يعيش فى حاضره ، ولا آملٌ يفكر فى مستقبله ؛ ولـكنه ذكرى بلا رجاء ، ولهفة مالها انقضاء !

الحاضر هوالحقيقة ، هوالسعادة ، هوالحياة ؛ وما الغد إلاوهمٌ يبدعه خيال الحىّ ليفر إليـه من حاضره الذى هو به حىٌّ يسعد بالحياة ؛ وما الأمس إلا الجزء الذى مات منا وسبقنا إلى الفناء !

ولـكن الزمان على ذلك هو أمس ، واليوم ، والغد جميعاً : هذه الثلاثة هى حياة الحىّ وعمر الزمان ؛ لا سبيل إلى تجاهل ذلك بعد عرفانه !

ليتنى لم أعلم ! ليتنى لم أعلم !

ليتنى ظللت حياتى أجهل معنى الزمان ؛ لا أفكر فيما كان ، ولا أتوقع ما يكون ، ولا أعرف من عمر الزمان إلا اللحظة التى أعيش فيها !

***

...وتلاقينا مرة على ميعاد ... هل تذكرين يا عزيزتى ؟ ... وجلستُ أقرأ لك فصلاً بليغاً من كتاب كان معى ؛ فتندّت عيناك بالدمع !... إننى ما أزال أذكر ذلك كأنه كان أمس ، على أن بينى وبينه عشر سنين !... لقد قلتِ لى يومئذٍ كلمة ما زال صداها يرنّ فى أذنى :

« يا عزيزى ! ليس فى البشرية كلها من يقدر على خلق المعجزة التى تهزّ النفس من أعماقها غير الأديب البليغ ! »

وقلتِ كلاما آخر لا أذكره ، ولـكن أثره ما زال يعمل فى نفسى ؛ فجهدت جهـدى لأخلق المعجزة التى تهزّ النفس من أعماقها ... ولم أذق طعم الكرى من يومئذ ...!

ليت شعرى ، هل جاءك — وبينى وبينك حجاب التقاليد — نبأ ما كنت أبذل من أعصابى ومن دمى فى سبيل هذه الغاية حرصاً على أن أكون يوم اللقاء كما تريدين أن أكون ؟

يا ليت يا عزيزتى ، يا ليت !

عشر سنين من عمر الشباب وأنا أُخرج للناس كل يوم جديداً فى الأدب ، إلا يكنْ من إلهامك فإنه بسبيل إلى تحقيق أملك !

يترادف الليل والنهار ، وتتعاقب الظلمة والنور ، وأنا عاكف على دفاترى وأوراق ، أكتب وأفكر جاهداً لأخلق المعجزة التى تهزّ النفس من أعماقها ...!

تُرى هل بَلَغْتُ ؟

هأنذا على شَرفٍ من الأرض فى طريق لاحب ، وثمة بارقةٌ تلوح من بعيد ...

وما تزال الفَـراشة الجميلة تتواثب فى مطارفها المْوَشَّاة ، لا تنالها يدى على طول السُّرَى وجهد السَّهَر وكدّ الطريق .. حَتَّامَ المسير ؟

من أنا اليوم عند الناس ومن أنت ؟..

ها نحن أولاء قد التقينا منذ عام يظلّنا سقف واحد فى دورة تجمعنا وتجمع لنا ماتفرق من أحلام الشباب؛ ووجدنا تعبير رؤيانا . ولـكن ... أين أنا ؟ وأين أنت ؟

ماذا أجدى علىّ هذا الجهد المتواصل عشر سنين أبتذل شبابى وأنفق من دمى فى سبيل المجد والشهرة والصيت البعيد !

المجد ؟ الشهرة ؟ الصوت المسموع ؟ ... ما كل أولئك يا عزيزتى فى حقيقة الحياة وفى دنيا الناس ؟

واخسارة الصفقة ! إن الفراشة الجميلة لا يجتذبها شىء من كل أولئك . إنها جميعاً أوهام وأباطيل ليست من السعادة ولا هى سبيلاً إلى السعادة

أين منى نفسى وأين أنتِ منى ؟

لقد التقينا يا عزيزتى كما تراءى لنا فى أحلام الشباب منذ بضع عشرة سنة ، ولـكننى لستُ هنا ، ولـكنكِ لستِ هنا ...!

إنك أنتِ التى أغريتنى بسلوك هذا السبيل منذ سنوات وسنوات فنذرتُ نفسى للفن حتى أبلغ إعجابك ، فلا تسأليني بعدُ عن نفسى !

هذا العبوس فى وجهك يا عزيزتى ألمٌ إلى آلامٍ على كاهلى ..

حدثينى صريحة : لماذا أنتِ غضبانة ؟

أنت تريديننى كما كنتُ منذ بضع عشرة سنة : فتًى لفتاة لا يشعر شعورَ الحىّ إلا معها ؟

أنت تدعيني لرحلة من مثل ما كان فى سالف الأيام ذراعاً إلى ذراع على الطريق ؟

أنت تسألينى : متى أراك إلى جانبى كعهد مضى لا يعنيكَ من أمرِ شيء إلا أن تكون لى وأكون ... ؟

وأنت إلى كل أولئك تريدين لى المجد والشهرة والصيت البعيد ؟

لقد أذكرتنى ما كان من أمرى وأمرك يا عزيزتى، وأيقظتِ فى نفسى ما كان راقداً من زمان ؛ وهجتنى إلى ذكرى اللهو والهوى والصبابة وسعادة الحب فى سالف الأيام ، حين لم يكن فى الدنيا غيرى وغيرك ، ولم يكن الزمان إلا اللحظة التى نعيش فيها لا ماضىَ له ولا آت !

ما كان أسعدنى بهذا الماضى !

فماذا أجدى علىّ ما نلت من دنياى بعد هذا الجهاد ؟

ها هنا شيء وشىء . فمنذا يهدينى بينهما سبيلَ الرشاد ؟

***

دعينى أنام !

إن عينىّ لم تذوقا طعم الكرى منذ سنوات وسنوات ...

دعينى دعينى ... إننى وجدت نفسى هنا ... !

ما المجد ، والشهرة ، والصوت المسموع ، إلا وهم من الوهم وحيلة من الحيلة لتفسد على السعيد دنياه !

لا تدعينى يا عزيزتى بعدُ إلى الجهاد والعمل . إن بى حنيناً إلى هذا الفراش الدافئ بعد طول السرى وجهد السهر وكدّ الطريق ... !

دعينى أنام لعلى أبلغ من السعادة فى سِنةٍ حالمةٍ ما لا مبلغ إليه فى يقظة الحياة !

بل دعينى يا عزيزتى أستيقظ من ذلك الحُلم الطويل الذى ضرب على عينىّ بضع عشرة سنة أهذى باسم الفن والأدب والشهرة والجاه والصيت

هذه هى الحياة ، هذه هى الدنيا ، كل ما عدا ذلك خداع وتلبيس ووهم من الأوهام !

دعينى ، دعينى !

« شبرا » محمد سعيد العريان

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

موضوع الأدب

الإنسان إما أن يبين عن حقائق خارجة عن نفسه لا يصلها بخياله ولا يصبغها بعاطفته ، وإما أن يعبّر عن حقائق امتزج بها الخيال ولوّنتها العاطفة ، أو عن خيالات مخترعة ليست صورة من حقائق العالم

إذا قال الجغرافى فى وصف أرض : فيها أودية عميقة بين جبال عالية ، فقد أبان عن حقيقة رآها أو سمعها ؛ لم يصلها بالعاطفة فيبيّن إعجابه بها أو خوفه منها أو انبساطه أو انقباضه لمرآها أو ما تخيله حين شاهدها

وإذا قال كاتب فى وصف هذه الأرض : « تهولك بها أودية عميقة تطلّ عليها جبال شامخة عاتية يحلق الطرف دون ذُراها » . فقد أبان عن الحقيقة مشوبة بما شعر هو به من رهبة وما تخيّل من إطلال الجبال على الأودية ، وتحليق البصر دون قممها

وكذلك يقول الجغرافى : « صحراء منبسطة مستوية طرقها متشابهة ، شديدة الحر ، كثيرة الرياح » فينقل إلى السامع صورة الصحراء لم تغيّرها عاطفته ، ولم يزد عليها خياله

ويقول الشاعر[1] فى وصف هذه الصحراء :

ومَجْهل كاطّراد السيف محتجز	عن الأدلاّء مسجور الصياخيد
تمشى الرياح به حسرى مولّهة	حيرى تلوذ بأكناف الجلاميد
موقَّف المتن لا تمضى السبيل به	إلا التخلل ريثا بعد تجهيد

فتراه قد أفاض على الصورة الطبيعية ألواناً من شعوره وتخيله

وانظر الفرق بين فلكىّ يتكلم عن الشمس طلوعها وغروبها ودورتها السنوية ، وعن القمر ومنازله ، والنجوم وحُبُكها ؛ يصف الحقيقة كما هى على قدر إدراكه ، وبين من يقول -مثلا- :

منع البقاءَ تقلبُ الشمس	وطلوعُها من حيث لا تُمسى
وطلوعُها حمراء صافية	وغروبها صفراء كالورس

(١) هو مسلم بن الوليد

وقول الآخر :

مخبأة أمّا إذا الليل جنّها فتخفى وأما بالنهار فتظهر
وقد انشقَّ عنها ساطع الفجر فانجلى
دجى الليل وانجاب الحجاب المستّر
وأُلبِسَ عُرض الأفق لوناً كأنه
على الأفق الشرقى ثوب معصفر. الخ(١)

وقول ابن الرومى :

إذا رنّقت شمسُ الأصيل ونفّضت
على الأفق الغربىّ ورساً مُذعذَعا
وودّعت الدنيا لتقضىَ نحبها وشوّل باقى عمرها وتشعشعا
ولاحظت النُّوار وهى مريضة
وقد وضعت خدّاً على الأرض أضرعا. الخ

الفلكى يصف حوادث لا صلة لها بقلب الإنسان وخياله. والشعراء يصفون شعور الإنسان بفنائه على مر الزمان، ويتخيلون فى طلوع الشمس وغروبها صوراً تخلع على الشمس شعور الإنسان وعاطفته.

***

تمثل نفسك تقرأ نظرية هندسية أو معادلة جبرية ثم تمثلها تقرأ قصيدة لشاعر نابغة أو خطبة لخطيب عظيم؛ إنك حين تقرأ الهندسة أو الجبر لا تفرح ولا تحزن، ولا تغضب ولا ترضى، ولا تخاف ولا تأمن، ولا تضحك ولا تبكى. ولكنك حين تقرأ القصيدة أو الخطبة لا تخلو نفسك من بعض هذه المعانى أو ما يشبهها.

وإذا قال طبيب: «إن مرض كذا منتشر فى كل بلد» فهذا خبر لا يعبر عن شىء من عواطف الطبيب بل يخبر عما هو كائن، ولكن أبا العلاء المعرى حين قال:

ما خص مصرًا وبأ وحدها بل كائن فى كل أرض وبأ
أنبأنا اللب بلقيا الردى فالغوث من صحة ذاك النبأ

أراد أن يبين عما يحيط بالإنسان من الآفات ويعرب عن خوف الإنسان وحزنه فى هذه الحياة، وإنما ذكر عموم الوباء وسيلة إلى الإبانة عن آلامه ومخاوفه

وهكذا يستطيع الناظر فى هذا الموضوع أن يوالى الأمثلة فى غير عسر.

***

(١) ديوان المعانى ج ١ ص ٣٧٩

كل ما أبان عن عاطفة أو خيال صلح أن يكون موضوعا للأدب؛ وهو مادة الأديب يؤلف منها أدبه. ولكن من هذا البيان ما هو شائع بين الناس يشترك فيه الخاصة والعامة والصغار والكبار، فهذا لا يعد فى الأدب وإن اتصل بالعاطفة والخيال؛ فلا بد من سمو الإدراك، وجودة التصوير. لا بد من الصنعة أو الفن. لا يُعد الإنسان مصورا حتى يجيد التصوير، ولا يعد نجارا كل من نجر خشبة أو دق مسمارا بل لا بد أن تكون له صنعة لا يستطيعها كل من حاولها. كذلك ليس كل من عبّر عن عاطفة أديبا. لا! حتى يكون فى بيانه إدراك يرفعه عن العامية والابتذال، وصنعة تميزه عن الدهماء وتميزه باسم الكاتب أو الشاعر أو الخطيب الخ — حتى يأتى بكلام معجب يحس فيه سامعه أو قارئه إدراكا قيماً، وتصويراً بارعاً كما تُرى صنعة نجار فيُعرف أنها عمل لا يستطيعه كل من وجد الخشب وآلات النجارة.

الحزن — مثلا — عاطفة تبين بالوجوم والصياح، والأنين والبكاء، والعبارة المعتادة، والقصيدة. وكل هذه الدلالات تبين عن العاطفة ولكن لا يعد من الأدب إلا القصيدة.

وكذلك الأمور النفسية الملونة بألوان النفس تملأ كلام العامة والخاصة ولكنها لا تحسب أدبا حتى ترتقى إلى مستوى الفن، وفى هذا درجات تتوالى إلى حد الإعجاز.

الفرق بين الأدب والعلم

يتبين مما تقدم أن قضايا العلوم المحضة ليست مادة للأدب؛ فإذا قلنا: زوايا المثلث تساوى زاويتين قائمتين، أو الخط المستقيم أقصر خط بين نقطتين، أو حاصل ضرب خارج القسمة فى المقسوم عليه يساوى المقسوم، أو هذا الدواء ينفع لهذا المرض الخ فهى قضايا علمية ليست من موضوع الأدب فى شىء.

ليست هذه القضايا من الأدب ولكن يجوز أن تدخل فيه لتكون مقدمة لغيرها أو للتشبيه بها أو نحو ذلك كما قال المعرى:

طرق العلا مجهولة فكأنها صم العدائد ما لها أجذار

وقوله:

الخلق من أربع مجمعة ماء ونار وتربة وهوا

والكتب العلمية ليست من مباحث الأدب إلا أن ينظر

الأديب إلى حسن البيان فيها والترتيب والتقسيم ووضوح الألفاظ فيجوز للفن أن يتناولها من هذه الناحية

فإذا اتحدت المسائل فى كتب علمية واختلفت أساليبها فقيل هذا الكتاب واضح العبارة ، صحيح الألفاظ ، جيد الأسلوب فهذا تقدير موصول بالفن يجعل الكتاب من هذه الناحية ذا صلة بالأدب . ويستخلص من اختلاف موضوعى العلم والأدب هذه الفروق بينهما :

١ — الأدب مرجعه نفس الإنسان ، والعلم مرجعه الطبيعة

٢ — فمقياس الأدب صدق التصوير لما فى النفس خطأ أم صواباً ، ومقياس العلم صدق الإدراك للحقائق الواقعة دون نظر إلى أثرها فى النفس

٣ — والأدب الإنسانى موضوعه الإنسان : سعادته وشقاؤه فى هذا العالم . والعلم يستوى عنده الإنسان والحيوان الأعجم والنبات والجماد . فالطبيعى يبحث فى قوانين الطبيعة السارية فى هذا العالم ، والحيوىّ يبحث عن قوانين الحياة فى الأجسام الحية ، والطبيب يشرّح الأجسام ليتبين تركيبها . وهم فى هذا البحث يتحرون الحقائق كما هى لا يبالون أن تكون فى الإنسان أو فى غيره.

وأما الانتفاع بنتائج العلوم فى إحياء الإنسان أو قتله وإسعاده أو إشقائه ، فهو أمر خارج عن موضوع العلم

٤ — والآراء والكتب العلمية تترك إذا تبين خطؤها أو كتب ما هو خير منها فلا يرجع إليها إنسان إلا إذا أراد أن يؤرّخ العلم ؛ فلا تجد من يقرأ فى كتاب هندسة أو حساب قديم وقد كتب ما هو أحسن منه ؛ ولكن كتب الأدب تتضمن عواطف الإنسان فأيان اطّلع القارئ فيها وجد عاطفة إنسانية تؤثر فى نفسه لا يضيرها الخطأ أو القدم . فنحن نقرأ اليوم شعر هومير وشعر امرئ القيس وغيرهما ، ونجد فيه من متعة النفس ما نجده فى الشعر الحديث

اختلاف المنشآت الأدبية

قد تبين أن مدار الأدب على العاطفة والخيال والأمور النفسية لا الحقائق الثابتة خارج النفس . وليست كل القطع الأدبية سواء فى ذلك ، بل تتفاوت قرباً من هذا المركز وبعداً . وأدخلها فى الأدب أقربها إلى المركز . وفى الأدب موضوعات يقل نصيبها من العاطفة والخيال حتى تنتهى إلى المحيط الذى يفصل الأدب عما سواه ، ويكاد يشك القارئ أنها من الأدب

ومن أجل ذلك اختلف النقاد فى شعراء من أئمة البيان كأبى تمام والبحترى والمتنبى وأبى العلاء . قال بعض النقاد : المتنبى وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحترى . ويميل بعض النقاد إلى إخراج لزوميات المعرى من الشعر . والحق أن دواوين هؤلاء الشعراء جميعاً تحوى أدباً لا علماً ، ولكن حظها من العاطفة وعمل الخيال يختلف ؛ فتجد البحترى أكثر نصيباً من العاطفة والخيال فى جملة شعره ؛ وأبو العلاء فى لزومياته أقل حظاً منهما ولكنه لم يخرج عن دائرة الأدب . وأبو تمام والمتنبى بين عاطفة البحترى وحكمة أبى العلاء

وبهذا يفسر قول القدماء : « أعذب الشعر أكذبه » فالأكذب أدخل فى الخيال وأبعد عن الحقيقة . ولكن ينبغى ألا يخدعنا هذا القول ؛ فربما نجد الشعر القريب من الحقيقة والبعيد عن الخيال أعذب وأحب إلينا من شعر كثر خياله وبعد عن الحقيقة . وقد تبين العاطفة قوية واضحة حيث لا خيال كما يؤثر مرأى الطفل الحزين فى رائيه ، ويعجب المنظر الجميل شاهده ، وليس هناك إلا الحقيقة المؤثرة

أنظر قول كثير عزة :

خليلىّ ! هذا ربع عزة فاعقلا   قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

لا تجد فيه مجازاً ولا استعارة ولكنه مثّل لك الشاعر واقفاً على دار عزة وقد خلت منها وهو يطلب إلى صاحبيه أن يعقلا ناقتيهما ليفرغا للبكاء معه . ليس فى هذا تخيل ولا صنعة ولكنه يكشف عن عاطفة محزونة ساذجة لها أثرها فى نفس الانسان

وانظر هذه الأبيات :

أقول لصاحبي والعيس تهوى   بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عَرار نجد   فما بعد العشية من عَرار
ألا يا حبذا نفحات نجد   وريّا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحلّ الحىُّ نجداً   وأنت على زمانك غيرُ زارى
ليال ينقضين وما شعرنا   بأنصاف لهن ولا سرار

إنك تجد فى هذا الشعر الطبيعى الصادق الخالى من الكذب والخيال والإغراق من الإبانة عن العاطفة ما لا تجد فى شعر متكلف قد أغرب فيه الخيال وافتنّت فيه الصنعة

عبد الوهاب عزام

استطلاع صحفى

الأندية الأدبية فى مصر

نادى الحلمية

لمندوب الرسالة الأدبى

مقهى ضئيل المنظر ، تافه الموقع ، يطل على ميدان ضيق محدود ، يعج بالسابلة ، ويضج بالحركة ، وترتفع فيه أصوات الترام والسيارات منحدرة من القلعة وصاعدة إليها ، فلا رواء فيه ولا بهاء ولا شيء مما يبعث الشعر ويهز الفكر ويحبب إلى الأدب ، ويغمر النفس بشعور الرضا والاطمئنان ؛ ولكنه على الرغم من هذا كله مهوى الشعراء والأدباء ، ومراد الأفكار والآراء ، وله فى ذلك عمر طويل وتاريخ حافل

ترى ما الذى حبب هذا المكان إلى إخواننا الأدباء، وهم طلاب الهدوء والسكون ، وعشاق المناظر الشعرية اللطيفة ؟! أهى تلك الدرجات الأربع التى يصعدها الداخل إليه فتشعره بالرفعة والصعود والعظمة ! وحب العظمة شيء فى نفوس الأدباء ؛ أم هى تلك الديمقراطية الصريحة التى يتميز بها ذلك المكان ، إذ يجلس القوم فى غير كلفة ، والتملص من الكلفة شيء محبوب لدى الشعراء ؛ أم هى قلة النفقة ، والأدباء لا شك قروشهم معدودة ، وجيوبهم مكدودة ، فهم يرتاحون إلى قلة المصاريف وعدم التكاليف ؟!

أنا والله لا أدرى السبب فى ذلك . ولقد سألت إخواننا الأدباء أنفسهم فما وجدت عندهم شيئاً من علم ذلك السر ، بل لقد ذكر لىَ الشاعر « الأسمر » أن أدباء الحلمية تمردوا منذ سنوات على ناديهم ، وحاولوا أن يكون مجلسهم فى مقهى فخم بميدان الأوبرا حتى يليق بمكانتهم ، ولكنهم فشلوا فى تمردهم ، وعادوا إلى مكانهم صاغرين ! حيث ما زالوا يصعدون الدرجات الأربع ! وقد يكون للمسألة تعليل من التاريخ ، فلنرجع إلى التاريخ

إن نادى الحلمية يتصل بحى الحلمية ، وحى الحلمية حى يتميز بطابع خاص ، وينفرد بتاريخ حافل ، وهو أول حى أسس فى مصر على طراز منظم ، وقد كان موطن الأسر العريقة والسلالات التركية التى تحكم البلد ، وتملك ثروته ؛ وقد كان لهذا الحى ناد يشرف على شارع محمد على فى مواجهة جامع قوصون ، وكان يختلف إليه كثير من الكبراء والأدباء الذين يقطنون ذلك الحى ، فكان يجلس فيه المرحوم حسين باشا رشدى ، والمرحوم شوقى بك قبل أن ينتقل إلى المطرية ، وحفنى ناصف ، وابراهيم هلال ، وحافظ إبراهيم ، والشيخ عبد المطلب ، وأحمد نسيم ، وأحمد الزين ، وبيرم ، والهراوى ، وعماد ، والسيد حسن القاياتى ، وكان يتردد عليه المازنى أيام كان يسكن بالإمام ؛ وقد أخبرنى الهراوى أنه لا يذكر أديباً فى مصر لم يتصل تاريخه بذلك النادى القديم، وإنه ليتحدى من ينكر الجميل على أصحابه . وإنه على استعداد لأن يذكر من لا يذكر ماضيه !



الأساتذة : الأسمر ، حسين شفيق ، عبد الرسول ، الهراوى

وقد ظل ذلك النادى قائماً أيام الثورة المصرية ، فانتقل إليه الشيخ مصطفى القاياتى رحمه الله ، وكان الشيخ القاياتى عنصراً قوياً من عناصر الثورة ، وكانت له حاشية حافلة بالشباب المفكر الجرىء أمثال الشيخ عباس الجمل ، والشيخ الجديلى ، والشيخ البنا ، والأستاذ إبراهيم عبد الهادى ، وأضرابهم ، فاختلط الأدب بالسياسة بين جدران النادى ، فكانت تنطلق منه التدابير المفزعة والقوافى المقذعة ، فضاق به الإنجليز ، وأطلقوا عليه الرصاص ؛ وللهراوى فى ذلك شعر ...

فلما كان سنة ١٩٢٦ مات صاحب المقهى ، فانفض السامر ، وانقطع الزائر ، وبطل الندى الحافل ، وقام مكانه مطعم للفول ومستخرجاته ، والعدس بجميع ألوانه ؛ وراح الأدباء يتلمسون المكان الذى يجمعهم ، فتأخروا خطوات عن جامع قوصون إلى جهة القلعة فوقعوا على النادى الذى هو مجمعهم اليوم ، والذى هو موضوع حديثنا فى ذلك المقال

ولقد غدا النادى الجديد صورة كاملة للنادى القديم ، تحفل بالأدباء والشعراء ، وعمرت مقاعده بمجالسهم فى الليل والنهار ،

وقصده الكبار فى الأدب والصغار !

فكان يجلس فيه الشيخ عبد المطلب شاعر البادية ، والحاج محمد الهراوى شاعر الأطفال والرجال ، والأسمر أديب القبلتين وشاعر الأزهر ، والزين شاعر دار الكتب ، وحسين شفيق المصرى الشاعر الحلمنتيشى المعروف ، والدكتور زكى مبارك عبقرى سنتريس ومعبود باريس ، والسيد حسن القاياتى شاعر النبل والورع ، و (مجنون) إحسان . وكان ينضم إليهم كثير من شباب الأزهر ودار العلوم وغيرهم ممن يشدون بالأدب ويعملون فى الصحافة ؛ وكان حافظ رحمه الله يتردد عليهم من وقت لآخر خصوصاً فى الفترة التى أحيل فيها على المعاش ؛ وبين جدران ذلك النادى نظم قصيدته الطويلة فى هجاء صدقى باشا التى لم ينشر منها فى الديوان إلا أبيات ...



الأسمر ، فهمى عبد اللطيف ، عبد الرسول ، الهراوى يأكلون الجزر

ولقد استبدت تكاليف الحياة ومطالب العيش بكثير من الأدباء فألهتهم عن مجالس السمر ، وحرمتهم من ذلك المجلس الطيب الشهى ، ولكن ما زال النادى عامراً بأبنائه المخلصين ، وما زال المتخرجون فيه يهبطون عليه بين وقت وآخر حتى الذين يسكنون فى الضواحى على بعد الشقة وكثرة الكلفة . ويا له من حنين طيب ووفاء عجيب ! وقديماً قيل (ما الحب إلا للحبيب الأول)

ويعتبر الهراوى فى هذه الأيام عميد نادى الحلمية ، أو عمدة مصطبة الحلمية كما يقول صديقنا الدكتور زكى مبارك ، أو شيخ السقيفة على حد تعبير المهدى مصطفى الشاعر الظريف

فالهراوى من الجلساء المخضرمين أدرك النادى السابق وكان من رجاله ، وأسس النادى اللاحق وآثره بكثير من عطفه وإخلاصه ، فقل أن يتغيب عنه فى يوم من الأيام ودائماً يحلو له أن يأخذ مجلسه عند المدخل على سفح (الدرجات الأربع) ومن حوله الأسمر والشيخ عبد الرسول ومرتضى الخطاط ، أجزاء لا تتجزأ وعصبة لا تفترق

وأدباء الحلمية نمط واحد وطراز متفق ، ولهم ذوق عملت فيه الثقافة العربية أكثر من أى شىء آخر ؛ وهم يعشقون الديباجة القوية السليمة ، ويطيرون بالأساليب المشرقة المونقة ، ويذكرون شوقى وحافظ وعبد المطلب بالخير والحمد ، ويترحمون على المنفلوطى والرافعى وأضرابهما ؛ والزين لا يعدل بالزيات أديباً فى مصر بل فى الشرق . وهم يضحكون من أولئك الشعراء والأدباء المستغربين الذين يذكرون جوته وشكسبير ولا يعرفون المتنبى والبحترى وشيخ المعرة ، ويسميهم الهراوى بدجاج القريض ، وفى رواية أخرى بغاث الشعر .

وكثيراً ما يدخل أدباء الحلمية فى مناقشات حادة ، وجدال عنيف ، يصل ضجيجه إلى الشارع ، ويطول فيه اللسان ويسفه ، ولكنهم دائماً خلصاء أصفياء على الكراسى متقابلين .

ويجرى أدباء الحلمية فى فنون وأمشاج من أحاديث الأدب والنقد والدعابة ، فإذا كان الحديث فى ذكريات الماضى ، فالهراوى فارس الحلبة ، يزكيه الشيخ عبد الرسول ؛ وإذا كان القول فى أخبار الأدباء والشعراء فالحكم للزين والويل لمن يعترض ؛ وإذا تكلم القوم فى الشعر رأى الأسمر أن يخرج من وقاره فيخب ويضع ؛ فإذا انتهى القوم إلى الدعابة حاولوا جميعاً أن يمدوا ألسنتهم ؛ ولكن لا يلبث الشاعر الحلمنتيشى أن يضع يده على رؤوس القوم وأن يجرفهم بتياره الزاخر ، حتى يقول كل منهم لصاحبه : انج سعد فقد هلك سعيد .

وقد يبتدىء القوم حديثهم فى شىء يهمهم ، أو فى مشكلة تعنيهم ، ولكنهم سرعان ما يخلعون عليه ثوب الأدب ويجعلونه حديث السمر .

فهذا الشاعر الأسمر قد جاء فى أمسية يشكو إلى إخوانه أمر ساعة أهداها إليه صاحبه الهراوى فأتعبته وصارت تمشى كما يقول الأسمر تارة (عربى) وتارة (أفرنجى) وتارة لا عربى ولا أفرنجى ، أما الدكتور حسين الهراوى فتناولها ثم جس نبضها وقال :

هذه (عندها ضغط دق) وهى (تحتاج إلى الراحة التامة) .

وأما الدكتور زكى مبارك فنظر إليها ثم اندفع ينشد :

واهـا لبعض الهدايا   بعض الهـدايا رزايا
ساعات باريس عندى   لهـــا جميع المزايا
تدق دقـاً لطيفاً   كمثل همس مُنايا
وســاعة الهراوى   أولى بيعض التكايا
تدق دقــاً عنيفاً   كما تدور رحــايا

وأراد أن يسترسل فى إنشاده فهدده الهراوى بإهداء (منه) إليه ، فأمسك وجبن

وأما الأستاذ حسين شفيق المصرى فقال : « دى ساعه دايره على كيفها » و (ماشيه مشى مسخره) و (قلبها فاضى) و (عاوزه بوليس يضبطها) و (الساعاتى لما يشوفها قلبه يدق) و (أنها الساعة التى هى أدهى وأمر ...)

وكان مجلس طيب لم يسع الهراوى نفسه إلا أن يسجله بالشعر فقال :

وســاعة أهديتها   إلى الأديب الأسمر
حسبتها فى مخـــبر   كما لها من مظهر
فظرفها من معـدن   مرقش منمّـــر
فمن بياض فضة   إلى ســواد عنبر
وعقربا ميناـئهـــا   من النضار الأصفر
أحجارها كأنهــا   من لؤلؤ وجوهر
فلم يكن كمثلهـا   هـدية من موسر
ولم يكن كمثلهـــا   من بائع لمشترى
وليس من تقـدم   فيهـــا ولا تأخر
تمشى عليها الشمس فى   عطاردٍ والمشترى
وقـــد ظننت أنه   بمثلها لم يظفــر
حتى احتوانا مجلس   يزخر بالتنــدر
فمن طبيب ماهر   إلى أديب عبقرى
وكاتب مفكر   وشاعر مصــوّر
فجاءنا الأسمر فى   زمجرة الغضنــفر
ثم رمى بســاعتى   بهيئة المستنكر
وقال فافتح محضراً   واذكر وقل فى المحضر
بأننى من ساعتى   ومنك فى تحــيّر
فإنهـــا تذبذبت   من سنةٍ فأكثر
فتارة تَقَــدُّمٌ   إلى مدًى لم يحصر
فتسبق الليـــل إلى   صبــاحه المبكر
وتارة تأخُّـــر   لغاية لم تقـــدر
والآن فانظر ترها   فى وقفة المستكبر
وإن ما ذكرته   دون الذى لم أذكر

* * *

فقلت مهلاً يا أخى   فضحتنى فى معشرى
فانهمرت نكاتهم   مثل السحاب الممطر
فقائل : حق نشو   ق لفقيه أزهرى
وقائل : محــبرة   من اختراع (بَرْكر)
وقائل : رقاصهــا   يحتاج للمجــبر
وقائل : قوموا بنــا   نسأل عنها السمكري
فقلت كفوا ساعة   عن ساعة لم تستر
أليس منكم عاذر   حتى أخى لم يعـــذر
إن قصرت فإنها   فى زمن مقصر
آليت لا أهدى لكم   شيئاً — يمين منذر
ومن أراد ســاعة   فليشتر أو يكتر

وكم فى (نادى الحلمية) من مثل هذه المجالس الطيبة لو حفل أديب بتسجيلها لحفظ للناس كثيراً من السمر الطيب والدعابة الحلوة والأدب الرائع ... ولكن هيهات

م . ف . ع

السلام

نظم الصورة القلمية المنشورة فى العدد ٢٨٩ من الرسالة

« مهداة إلى الأستاذ ابن عبد الملك »

للأديب عبد الحميد الهيتى

ذى صورة فى وحيها صادقهْ   توحى إلى الشاعر
صامتةٌ لكنها ناطقهْ   فى منطق ساحر
الأمن فى صفحتها الشارقهْ   يشرق مثل الأمل الزاهر
والخَلْقُ فى ساحتها غارقه   فى أمنها هادئة الخاطر

* * *

هنـــا قطيع الغنم الراتع   فى عيشة راضيهْ
منبثة فى حقلها الواسع   آمنـة لاهيـه
فبعضها فى وقفة الخاشع   وبعضها جاثية غافيـــه
يا عجباً للحمَل الوادع   ترضعه الأم على ناحيه

* * *

قد نام عنها كلبها الحارس   على أثيث العُشُبْ
كأنه وهو به طامس   من نومه لم يهبْ
قد نسى الذئبَ ولا هاجس   يَمرُّ فى خاطره أو يدبْ
حتى ولم يهمس له هامس   في الطيف مايدعوه أن يكتئبْ

* * *

هناك بالقرب من الساحل   عائـــــلة تبسمُ
ما فكرت فى الزمن الزائل   ولا الذى يقدم
تلهو بصفو الزمن الماثل   لها ولا فى غيره تحـلمُ
يالجلال الأسرة الكامل   لو خط فى الرسم أبٌ مفهمُ

* * *

هنك عن بعـد على اليمينِ   مغروسـة أشجارُ
ريانة مورقة الغصونِ   توقرها الأثمـارُ
وربمـا فى عشها المكينِ   آمنـــة تزقزق الأطيارُ
قد نسيت مرارة السكين   ولم تدام عشها الأخطارُ

* * *

أرى طيوراً فى السما حائمات   من مرح صادحه
فى هدأة الكون مضت سابحات   غادية رائحـــه
فلم تروع سربها الطائرات   ولم تجئ قاصفة صائحـــه
والبحر رهوٌ فوقه الباخرات   تمخر لا تجتاحها جائحه

* * *

يا صورة صوّر فيها السلام   صـــورته الخالدَهْ
توحى كوحى الصحو بعد الغمام   فى الأنفس الراقده
ما السلم إلا الغيث فى الابتسام   والحرب إلا السحُب الراعدهْ
فلسفة الله هما فى الأنام   ضلت بها ألبابنا شارده

« هيت »   عبد الحميد الهيتى

قصائد فى أبيـــات

للأستاذ محمود غنيم

المطر

بدت الأرض مرة فى الشتاء   ترّةً مثـــل صفحة الدأماء
فسألت الغمام هل بك خطب   مثل خطبي حتى بكيت بكائى
قال لا بل دنَّستم الأرض بالإ   م فطهرتُ وجهها بالمـــاء

لؤلؤة

شاهدت لؤلؤة كالبرق تأتلقُ   على جبين أمير سار مختالا
فقلت ما أنت؟ قالت إننى عرقُ   من جبهة الزارع المسكين قد سالا
الناس تنعم والفلاح يحترقُ   وليس يحرز لا جاهًا ولا مالا

السعادة

لم أدر ما طعم السعادة فى الصبا   فإذا بهـــا موفورة أسبابها
حتى إذا أصبحت أدرك كنهها   سلب السعادة من يدى سلابها

الغرب

قلت للشمس يا عروس السماء   إنما تغربين فى عين ماء
فلماذا لحت وجهك إذ أشـ   ـرق مثـــل العقيقة الحمراء
قالت الشمس إنما طفت حول الـ   ـغرب والغرب سابح فى الدماء

محمود غنيم



أرض تدور وإنسان يحيا ويموت

للدكتور محمد محمود غالى

الفراغ الذى نتنقل فى أنحائه — الزمن والحوادث — الأرض التى تدور — الكون مجموع العوالم — الانسان يحيا ويموت

نبدأ الكلام عن الفراغ أو الحيز الذى نتنقل فيه، ونتكلم عن الزمن الذى يمر علينا لاتصالها بفلسفة كل علم، وأى علم نستطيع أن نتعلمه أو فلسفة نستطيع أن نناقشها لا يكون الفراغ والزمن عاملين أساسيين فى دراستهما ؟ هذان العاملان ظلا أساساً للعلوم من عهد المصريين والإغريق ؛ فليس فى وسعنا أن نتحدث عن الأرض والكون والإنسان المفكر دون أن نرجع مبدئياً إلى هذين البحرين اللذين تكتنف لججهما جميع المخلوقات : الحيز والزمن . وسنعرض لهما فى هذه الكلمة حسب الأوضاع التى ألفناها فلا نتعرض اليوم لفهمهما وفق أحدث الآراء

أما الفراغ أو الحيز Espace فإننا نلمسه بحواسنا وندركه بتحركنا . كلنا يعلم أننا، ونحن فى مكان معين، نستطيع أن ننتقل شرقاً وغرباً أو شمالاً وجنوباً أو إلى أعلى وأسفل، كما نستطيع أن ندور حول نقطة ثابتة، أو نكون فى حالة نلقى فيها حركتنا مجموعة من هذه الحركات كحركة شخص داخل سفينة تتأرجح فوق عباب الماء بالنسبة إلى منارة على شاطئ البحر

وأما الزمن وفق تصورنا البدائى فكلنا يعرفه ويدركه بالحوادث التى تقع لنا، فنقول: لم نر فلاناً منذ رحيله للأسكندرية، ونقدر طول غيبته بعدد من الأيام، وينشأ من ذلك أن أهم الحوادث بالنسبة لنا دورة الأرض حول محورها، فهى التى تولد الليل والنهار ويسمى مجموعها « يوماً » وقد اعتدنا تقسيمه إلى ٢٤ ساعة ، وكان من الجائز أن نقسمه إلى عشرين ساعة أو عشر، فتقسيم اليوم إلى أى عدد من الساعات عمل اعتباطى من اختيار الإنسان لادخل للطبيعة فيه . فلو أننا اتفقنا على أن نجعل اليوم عشر وحدات جديدة تسمى كل منها ساعة لما احتجنا إلى إدخال أى تغيير فى آلات قياس الزمن التى نسميها «ساعة» سوى تغيير فى تقسيم ميناء الساعة

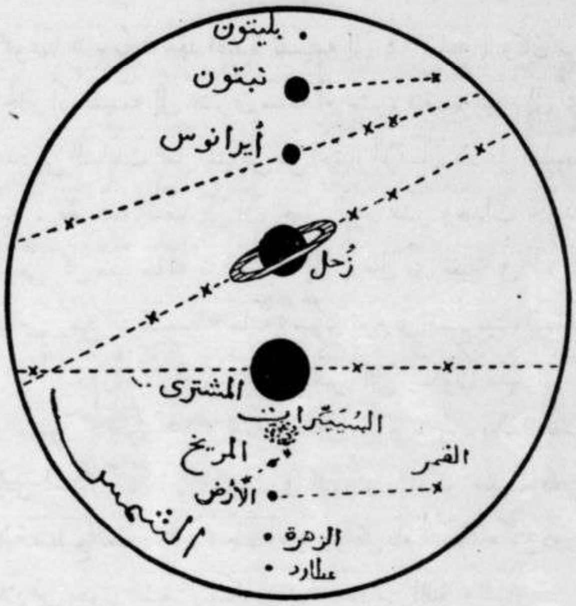
أما دورة الأرض حول الشمس التى يتكون منها السنة والفصول فتحوى ٣٦٥ يوماً وسدس اليوم تقريباً، وهذا العدد ليس اختيارياً كعدد الساعات فى اليوم، وإنما هو حدث طبعى لا نستطيع تغييره؛ فقد لوحظ أنه بمرور كل عام أى بإتمام كل دورة للأرض حول الشمس يتكون هذا العدد من الليل والنهار

أما فترة الحياة للانسان فهى تختلف لكل فرد، فليس من الميسور لنا أن نعين الذين ستنتهى حياتهم هذا الأسبوع من أهل القاهرة وإن كنا نعرف من مجموع القاهريين أنه يولد فى الأسبوع القادم حوالى التسعمائة ويموت حوالى الخمسمائة ...

ونحن أكثر إحساساً بالزمن منا للحيز، فإن الزمن يتغلغل فى مشاعرنا ، وفترة من الزمن أقرب لإحساسنا من مسافة فى الفراغ . وقد يخطئ المرء فى تقدير أو مقارنة مسافتين ولكنه لا يخطئ فى إدراك وترتيب حادثين ، فإذا وقفنا فى ميدان الأوبرا فقد لا يسهل علينا أن نعرف أيهما أقرب إلينا : مسجد القلعة أم الجامعة المصرية بالجيزة . بل كثيراً ما يخطئ المرء فى تبين الأطول من بين اثنين من أصدقائه رغم تكرر رؤيته إياهما

أما شعورنا بالزمن فلا يتسرب إليه الخطأ . فنحن واثقون أن حصولنا على تذكرة الترام حادث لاحق لارتقائنا إياه ، وأن وجودنا به حادث لاحق لمبارحتنا المنزل . وإذا اشترينا صندوقاً من السجائر فما لا يداخلنا الشك فيه أن الكتابة المطبوعة على ذلك الصندوق قد تم طبعها قبل شرائنا إياه ، وعندما نذهب

بأولادنا إلى المدرسة لا يكون ثمة ريب فى أن حادث ولادتهم سبق بكثير دخولهم المدرسة. ويدخل عامل الزمن فى التجارب العلمية، فنى مقدور العلماء أن يقيسوا فترات صغيرة جداً منه، وقد بين لى الأستاذ جيبه Guillet فى إحدى زياراتى له كيف نتوصل إلى قياس فترة من الزمن لا تتجاوز جزءاً من خمسة ملايين جزء من الثانية. ولا متسع هنا لشرح التجارب الخاصة بهذا التحديد الدقيق



شكل (١)

على أن كل هذه الحوادث قصر أم طال مداها تتعين بأمر ثابت لنا هو : دورة الأرض حول الشمس التى نسميها عاماً .

فعندما يقول إنسان لقد مضى على إقامتى بهذه الدار ثلاث سنوات وستة أشهر ، فمعنى ذلك أن الأرض فى مدارها حول الشمس عادت لمكانها الأول ثلاث مرات ، ولا تزال سابحة فى دورة رابعة قطعت منها نصف الطريق

* * *

كل الكائنات ، وكل ما فى الحياة ، وكل شىء نستطيع أن نحس به أو نراه، يكتنفه أو يشمله هذان البحران: الفراغ والزمن. إذ لا يمكن لخيالنا وحواسنا أن تتخيل أو نستوعب شيئاً كائناً ما كان غير موجود فيهما ، فهذه النملة فى طريقها على هذه البقعة من الأرض تقطع هذه المسافة فى الحيز ويمر عليها الزمن . وهذه الأرض التى تحمل النملة وتحملنا تقطع أيضاً فى هذه الفترة جزءاً من طريقها الذى تدور فيه حول الشمس . وهذا الحجر من أحجار الهرم يشغل حيزاً معيناً وقد مضى عليه أكثر من خمسين قرناً وهو فى هذا الوضع ؛ أعنى أن الأرض قد دارت حول الشمس منذ وضعه أكثر من ٥٠٠٠ دورة، وحول نفسها حوالى الملايين من الدورات ، وليس هذا عمر هذا الحجر منذ تكونه ، بل هو الفترة التى مرت على وضعه بين هذه الأحجار. أما عمره فمن عمر تكوين الأيوسين وهو عصر جيولوجى بعيد قد ولى منذ ٦٠ مليوناً من السنين

ولو التزمنا جانب الدقة لقلنا إننا نحن والحجر أقدم من ذلك بكثير فإن العناصر التى نشأنا منها ترجع إلى تكون الأرض التى يغلب على الظن أنها انفصلت عن الشمس ؛ فكل ما نتكون منه كان موجوداً منذ تلك اللحظة التى لعلها تبعد فى الزمن ألفى مليون من السنين ، بل كان موجوداً قبل ذلك منذ تكون الشمس ، بل قبل تكون السديم الذى نشأت منه الشمس ، بل منذ كانت الخليقة ..

هذا هو الحيز حسب الإدراك البدائى والزمن وفق الوضع البسيط . ولكن تصور العلماء لهما قد تغير اليوم

فى رواية تناقلتها الصحف إبان الضجة التى أثارتها نظرية إينشتاين فى النسبية أن ابنه سأله ذات يوم أن يوضح له تلك النظرية ؛ فأجابه : إنه لو فرض جدلاً أن كائناً سيسافر بسرعة تقرب من سرعة الضوء واتفق معه مودعه أن يغيب عنه سنة فإنه لا يحق له عند وداعه على المحطة أن يقول له : إلى اللقاء ! لأنه عند ما يعود هذا المسافر بعد عام يكون قد مر على الذى ينتظره مائتا عام ، وبذلك يكون قد ثوى فى رمسه منذ نيف ومائة سنة

هذا الوضع الجديد فى الزمن والحيز الذى كان الأساس فيه معادلات لورنتز Lorentz يختلف عما عهدناه ، وسنرجئ الدخول فى فهمهما إلى مقال آخر

أما فى هذه الأسطر فلدينا مسألة أكثر بساطة تتعلق بالأرض التى نعيش عليها والكون التى هى جزء منه

* * *

لئن كان بين الشموس ما يقرب حجمه من حجم الأرض ، فإن أغلبها كبير لدرجة أن ملايين الأرض ممكن أن تدخل فى إحداها وتدع مكاناً لملايين غيرها. وليس لنا أن نعجب من هذا، فلو أن قروياً لم يخرج فى حياته عن بلدته لظن أن كل ما على الأرض من ماء هو من نوع الجداول والسواقى التى اعتاد أن يراها فى حدود موطنه الضيق. وما أشد ما تتملكه الدهشة حين يسافر بالبحر للحجاز مثلاً أو لأوربا فإن هذه البحار التى يعبرها تحوى من الماء

ملايين أمثال ما تحويه الجداول التي اعتادها

على أن ملايين الملايين من هذه الشموس تكون عالماً واحداً كعالم المجرة الذي شمسنا إحدى شموسه — ويدلنا العلم اليوم أن ملايين الملايين من العوالم تكون الكون

ينتج من ذلك أن الأرض بقاراتها ومحيطاتها هي بالنسبة للكون كشوكة من أشواك التين بالنسبة لإقليم متسع غرس فيه نبات التين، أو كقطرة من الماء بالنسبة لمجموع البحار

هذا هو مركز الأرض من الضآلة بالنسبة للكون الذي هي جزء منه. على أن هذه الملايين من ملايين النجوم تسبح في مجراها على مسافات شاسعة جداً بين الواحد والآخر بحيث يعد اقتراب واحد من الآخر حادثاً نادراً جداً

فالمسافة بين الأرض والشمس التي هي مليون مثل ارتفاع الهرم الأكبر صغيرة جداً بنسبة المسافات بين الشموس التي نتحدث عنها. ويكفي أن نعلم أنه بينما يصلنا الضوء من الشمس في ٧ دقائق تقريباً فإنه يصل لنا من أقرب شمس بعد ذلك (الفاسانتور) (Centauri) ويسمونها «قضيب الكرم» في أكثر من أربع سنوات .

ولو أن الشمس على بعدها عنا تمثل مصباحاً في الردهة المجاورة بالمنزل فإن الفاسانتور تمثل مصباحاً في فينا أو طهران

على أن الغالب على الظن أنه منذ أكثر من ألفي مليون سنة اقترب أحد هذه النجوم وهو في طريقه من شمسنا . وكما أن اقتراب القمر يحدث على بحار الأرض ظاهرة المد والجزر أي ارتفاع الماء في جزء من الكرة وانخفاضه في الجزء المقابل؛ ويبلغ ارتفاع المد قريباً من الشواطئ المصرية ٣٠ سنتيمتراً وفي الجزائر ٦٠ س م وفي فرنسا متراً أو اثنين وفي فندى في أمريكا ١٩ متراً و ٦٠ سنتيمتراً فقد حدث في جسم الشمس مد كبير جداً يبلغ حجمه آلاف أمثال حجم الأرض كافة؛ وازداد اقتراب النجم فارتفع المد لدرجة سببت انفصال كتلة من جسم الشمس انقسمت إلى الأجزاء التسعة التي هي السيارات المعروفة وأقمارها وهي التي تدور من ذلك الحين حول أمها الشمس

ولو شخص القارئ ببصره إلى السماء في الليل لاستطاع أن يلحظ الفارق الكبير بين السيارات التسعة التي تكون مع الشمس مجموعتنا الشمسية وبين الشموس الأخرى ، فإن ضوء السيارات كضوء القمر يبدو ثابتاً لاكتساب هذا الضوء من الشمس . أما النجوم فهي تتوهج كالشمس، وأثر هذا التوهج واضح على العين



(شكل ٢)

أما السيارات التسعة فمنها ما هو أصغر من الأرض مثل عطارد والزهرة والمريخ وبليتون ، ومنها ما هو أكبر منها مثل المشترى وزحل وإيرانوس ونبتون. وحجم الشمس يقرب من مليون وثلث مليون (١٫٣٠١٫٢٠٠) حجم الأرض بينما حجم عطارد ٥/١٠٠ من الأرض والزهرة ٩/١٠ والمريخ ١٥/١٠٠ والمشترى ١٢٩٥ وزحل (وهو سيار يمتاز بطوق حوله) ٧٤٥ مرة وإيرانوس ٦٣ ونبتون ٧٨ ؛ أما بليتون فنظن أن حجمه ١/١٠ من حجم الأرض ولم يكتشف إلا منذ نحو سبع سنوات

ولكل سيار عدد من الأقمار تابع له يدور حوله، وليس لعطارد والزهرة أقمار . وقد أشرنا في الشكل إلى مواضع الأقمار بعلامة × وللأرض قمر واحد وللمريخ قمران ، وكنا نعرف للمشترى تسعة أقمار، وقد كشف المنظار الجديد لمرصد مونت ولسون بأمريكا قمرين جديدين فأصبح عددها ١١ ، والمعروف لزحل حتى الآن تسعة أقمار ولإيرانوس أربعة ولنبتون قمر واحد

أما بليتون فلم يشاهد له حتى الآن أقمار .

وفي الشكل الأول تمثل الدائرة الكبرى الشمس وفيها دوائر صغيرة تمثل حجوم السيارات التسعة بالنسبة للشمس وترى مرتبة



الفـــن الأمريكى

النحت والتصوير

للدكتور أحمد موسى

أما النحت فلا يرجع لأكثر من القرن الثامن عشر . على أن ما هو جدير بالفحص والدرس منه لا يعود إلا إلى منتصف القرن التاسع عشر ؛ لأن ما تم عمله منذ تلك الفترة يمكن اعتباره مقياساً صادقاً لمدى ما وصل إليه النحت الأمريكى

وأول من يمكن ذكره من رجال الفن فى « الدنيا الجديدة » رجلان هما پاورز H. Powers وجرينوف Greenouph اللذان نالا فى بلدهما درجة من التقدير . وقد سافرا مبكرين إلى روما للمشاهدة والمعرفة ، والتقيا هناك بكل من كانوڤا Canova وثورْوالدسين Thorwaldsen المعاصرين لهما واللذين كانا من رجال النحت المعروفين . فشاهدا فى روما واقتبسا الكثير مما فيها

ومن رجال الفن الذين لم يتلقوا على مدرس أو أستاذ ومع هذا أنتجوا إنتاجاً يستحق الاعتبار كراوفورد وأراسموس پالمر

وكان المسلك الذى سار عليه پاورز متأثراً بفن « عصر النهضة » الإيطالى والفرنسى ، ولكنه مع هذا انتمى إلى مذهب الفن الواقعى الذى تجلى فى منحوتاته للأشخاص بطريقة قوية دلت على المقدرة والثقة بالنفس ، فجمع بين الأناقة فى الإخراج ، وبين القوة التى تمكن بها من إبراز الشخصية

وبالرغم من أن الاتجاه السياسى فى أمريكا كان أميل إلى إظهار الروح الوطنية عند بعض الأفراد ؛ فإن فن النحت كانتاج عام لم يخف أثر الاقتباس الأوربى الذى إليه يرجع الأصل فى خلقه

ولا يمكن أن نسجل هنا مع الإعجاب خلقاً فنياً فى مجال النحت إلا لمثالين محدثين نسبيا إلى من ذكرناهم . وأول هؤلاء جودنز Saint Gaudens الذى نأتى له هنا بصورة من إحدى تماثيله الرائعة (ش . ١) . ألا وهو التمثال البرونزى لتسجيل شخصية لينكولن ، فترى الرجولة والقوة والاحترام متمثلة كلها فى التمثال أنظر إليه وتأمل الكيفية التى وقف بها لينكولن ، وبساطة

فى داخلها بترتيب بعدها عن الشمس فأبعدها هو سيار بليتون إذ هو يتم دورانه حول الشمس فى ٢٥٢ سنة

.هذه هى المجموعة التى تنتمى إليها الأرض التى تحملنا

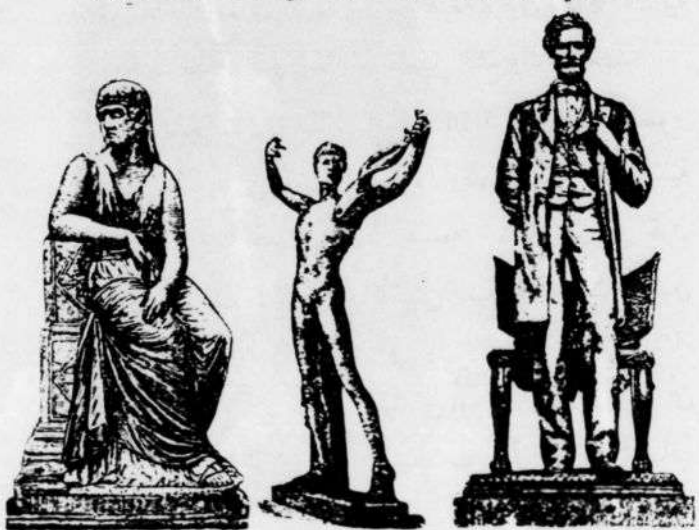
وما شمسنا كما قدمنا إلا إحدى ملايين الشموس من نهر المجرة الذى هو عالم واحد من ملايين الملايين العوالم التى تكون الكون. ويمثل الشكل الثانى أحد هذه العوالم ، وفى هذه الصورة نرى صورة ضوئية لأحد هذه العوالم وهو عالم تبدو مجموع شموسه للناظر فى شكل الحلزون ، ويغلب على الظن أن هذا الشكل الحلزونى لا يوجد فى واقع الأمر على هذا النحو ، وإنما هى ظاهرة خاصة بالعوالم البعيدة. فلو افترضنا أن فى ذلك العالم البعيد كائناً ينظر إلى عالم المجرة (عالمنا) لرأى جماع شموسه فى هذه الصورة الحلزونية.

وسنتكلم فى المقال الآتى عن الفكرة فى منشأ الحياة على أحد هذه الكويكبات وهى الأرض وعلى احتمال نشوئها كذلك على غيرها من السيارات ، ونحاول على قدر الاستطاعة أن نفسر الحياة ونرى هل هى ظاهرة كغيرها من الظواهر الطبيعية مثل الإشعاع المادى والمغناطيسية أم هى أمر آخر

وقد وجدنا من الأيسر قبل أن نطرق باب الحياة ولا سيما فيما يتعلق بالإنسان أن نبدأ اليوم بوصف البيت الذى يعيش فيه قبل أن نصف صاحب الدار . وموعدنا المقال القادم

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

المظهر الذى ارتسم على ملابسه ، ثم شاهد الموضع الأنيق للذراع اليسرى والكيفية التى بها أمسكت اليد المعطف . هذا إلى جانب جمال التكوين للرأس والنظرة الثاقبة التى تجلت على العينين .



ش — ١ (لينكولن) ش — ٢ (سفوكليس) ش — ٣ (أورشليم الحزينة)

ولا أبدع من تلك الوقفة حيث ترى القدم اليسرى تخطو إلى الأمام؛ أما المقعد خلف التمثال فهذا وإن خرج عما نألفه الآن ، إلا أنه طابع مميز ومسجل للاقتباس كما ذكرنا .

وثانى نحات جدير بالذكر هو نيهاوس Ch. H. Niehaus ، وثالثهم ماكنايل H. A. Mac Neil الذى نحت ما يعبر به عن عادات الهنود الحمر من « رقص الأفاعى » و « تمجيد الشمس »

وغير هؤلاء هربرت أدمز Herbert Adams الذى وضع تصميم البناء التذكارى فى أوبرن ، ودانيل شيستر فرنش صاحب تمثال ميلمور وتمثال المهندس المعمارى هنت فى نيويورك ، وله أساليب خلابة فى الكيفية التى أخرج بها منحوتاته التى نذكر منها تماثيل واردوبار ترديج والجنرال جرانت فى بروكلين

ولا بد من أن نذكر على الخصوص النحات بويل J. Boyle ودونج الذى يعطينا التمثال (ش — ٢) فكرة عنه . أنظر إلى سفوكليس (١) ، وقد بدا نحيلاً كما كان ينبغى لمن وصف نفسه بالجمال والشباب ، وتأمل امتداد الذراعين وجمال حركة اليدين إلى جانب الرأس

ومن بين النحاتين الأمريكيين من أظهر فى صدق وقوة مقدار تأثره بفن أجنبى . وخير مثل لذلك الفنان ستورى الذى عمل تمثال « أورشليم الحزينة » ، وإذا نظرت إليه (ش — ٣) رأيت أن التكوين الكلى للجسم والطريقة التى جلست بها « أورشليم » والتفاصيل التى تبين ثنايا الملبس كلها إيطالية . أما الوجه وما ارتسم عليه من كآبة فقد عبّر خير تعبير عن الحزن واليأس والاستسلام وهو ما يتمشى مع المقصود من وضع التمثال . وكان كل من روجز وبيبيسو L. Bibisso يسير فى نفس الاتجاه متأثراً بالفن الإيطالى

أما من تأثر بالفن الألمانى فكان كل من راينهارات وإيزيكيل M. Ezekiel وكايزر ، هذا عدا الفنانين الألمانيين أصلاً والذين اتخذوا أمريكا وطناً ثانياً لهم ، أمثال كارل بيتر Bitter وإيزيدور كونتى ويوهان جيليرت

سار كل هؤلاء فى طريقهم تحت لواء الفن الواقعى المنتمى قليلاً حيناً وكثيراً حيناً آخر إلى فن « عصر النهضة » الإيطالية والفرنسية



ش — ٤ (موت الجنرال وولف)

وقد ظهر بعدئذ فن جديد فى الأفق الأمريكى لا يخالف فى مظهره العام « الفن الحديث » من حيث الرغبة فى التبسيط والابتعاد تدريجياً عن الضوابط والمقاييس الفنية

وهذا لا يستغرب إذا تذكرنا أن العلاقة بين العمارة والنحت والتصوير موجودة دائماً ، وأن البيئة التى يتأثر بها البناء هى نفسها التى تؤثر فى النحت وفى التصوير

(١) Sophokles ابن سوفيللوس المثرى ، (٤٩٦ — ٤٠٦ ق . م) وكان من أعظم شعراء اليونان الثلاثة . وفى روما بمتحف لايتران يوجد تمثال رخامى يمثل الشاعر ، وقد عثر عليه فى تيراسينا سنة ١٨٣٨ ، وهو دون شك من أجل تماثيل اليونان وأعظمها قيمة وتكوينا

على أننا لا نريد أن نتناول اتجاهات « الفن الحديث » أو الفن المعاصر فى أمريكا بالدرس والنقد لأننا قد وعدنا القارئ بمقال خاص عنه نكتبه فى فرصة أخرى



ش ـ ٥ (واشنجطون يعبر نهر دلاوار)

أما فى التصوير فإن الأثر الأوربى ظاهر أيضاً وواضح إلى حد لا يحتاج للبراهين ، فقد ارتبط فن التصوير فى أول أمره ارتباطاً وثيقاً بالفن الانجليزى ، وتقدم على هذا الأساس تقدماً باهراً ، فما كاد ينتهى القرن الثامن عشر إلا وقد ظهر مصوران عظيمان ، أولهما وست B. West الذى سجل موت الجنرال وولف فى موقعة كويبك تسجيلاً رائعاً . أنظر إلى المجموع الإنشائى للصورة (ش ـ ٤) وفكر فى الكيفية التى استطاع بها الفنان إظهار هذه المجموعة من الوجوه الناظرة إلى الجنرال المحتضر ، وكلها تعبر عن الأسى والحزن والجزع ، ولاحظ العدد الهائل من الجنود الذى يبدو كأنه ظل فى مؤخر الصورة ، وتأمل إلى جانب ذلك حركة الأيدى والروعة التى تجلت فى الإخراج

وثانيهما جون كوبلى Gohn Singleton Copley الذى اشتغل كالأول أيضاً بتسجيل المناظر التاريخية والوطنية وغيرهما جلبرت ستوارت ولورينج إليوت الذى اشتهر بتصوير المناظر الشخصية !

وهكذا استمر أثر المدرسة الانجليزية فى فن التصوير الأمريكى حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وبعدئذ ظهر اتجاه جديد بظهور الفنان لويتس E. Leutz الذى أظهر أثر مدرسة دوزلدورف الألمانية Duessel-dorfer Schule فنرى فى الصورة (ش ـ ٥) واشنجطون واقفاً فى وسط قارب صغير ازدحم برجاله ، منهم من حمل العلم الأمريكى ومنهم من اشتغل بالتجديف فى ماء مملوء بالثلوج . وليس هذا المنظر مما يستهان بتصويره ، فهو محتاج إلى مقدرة عظيمة ودراسة عميقة لقانون الحركة الجسمانية إلى جانب صعوبة التلوين لإبراز تفاصيل الثلج والماء المتجمد

وأعقبه الفنان بيرستادت A. Bierstadt الذى اشتغل بتصوير المناظر الطبيعية التى وقعت تحت نظره . وظهر أثر المدرسة الفرنسية فى أمريكا بعد انقضاء الستين أو السبعين سنة الأولى من القرن التاسع عشر ، ذلك بالرغم من تأسيس جمعية الفنانين الأمريكيين Society American Artists فى أول يونيو سنة ١٨٧٧ وإنشاء أكاديميات على نمط ما هو موجود فى أوربا . وهذا يدل على أن الفن الأمريكى كان أوربيًّا فى الأصل ولم يجد منهلاً صافياً يستقى منه إلا فيها

واشتغل فريق من رجال الفن بتصوير الحيوان وعلى رأسهم بيرد Beard وبيتر موران Peter Moran وبور Poor ، كما اشتغل فريق آخر بتصوير المناظر الطبيعية وحدها ، وأهم هؤلاء توماس وبيتر موران الذى صور لوحته الرائعة « مزاج الغروب » (ش٦) والتى أظهر فيها انعكاس أشعة الشمس الذهبية على صفحة الماء . وغيرهم من هو جدير بالذكر مثل جيفورد R. S. Gifford وميللر Ch. Miller وهارت Games M Hart وجاى W. M. Gay عدا من كانوا فى الدرجة الثانية مما لا يتسع المجال لذكرهم



ش ـ ٦ (مزاج الغروب)

وكان الفنان شاز W. Chase من الذين أجادوا تصوير الأشخاص وتسجيل المناظر الشعبية ، وكنا نود أن نأتى بأكثر من صورة لإنتاجه . ولعلنا بالنظر إلى (ش ـ ٧) نتمكن من

الوقوف على جانب من مقدرته ، فقد صور الشيطان يفرغ الخمر فى كأس وعلى شفتيه ابتسامة السخرية .



ش – ٧ (الشيطان)

وتخصص هنرى باكون للمناظر التاريخية كما تفرغ هومر (Winslow Homre) للمناظر الشعبية البحتة التى اتصل بها واندمج فيها وذلك فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن .

وظهر جماعة من الذين انتقلوا بخيالهم المحلى إلى خيال أوسع مدى ، فمنهم من نقل صور الحياة كما هى دون تعريج على المثل العليا ، ومنهم من رسم مناظر رآها فى بلاد انطبعت صورتها فى مخيلته ، ومنهم فريق أكثر من الأسفار ، وسجل كل ما شاهدته عيناه .



ش – ٨ (باب الحريم)

ولعلنا نرى فى (ش٨) التى صورها بردجمان F. A. Bridgman خير دليل على انتقال الخيال ، لا إلى « الدنيا القديمة » بل إلى الشرق !

سمى هذه الصورة « على باب الحريم » فصور مدخلاً تعلوه « مشربية » لبيت على الطراز العربى واهتم بإبراز الزخرفة والنقش كما حرص على تصوير امرأتين إلى يسار الباب ، وقد جلست كل منهما تعرض ما تريد بيعه ، وأمام المدخل سيدتان جاءت إحداهما على ما يظهر فى الصورة راكبة حماراً وقف بالقرب منهما وبجانبه صاحبه . والمجموع الإنشائى رائع لا يستطيع تدويره إلا المتمكن .

وترى على اليسار شجرة اللبخ الكبيرة وقد وقعت ظلالها على حائط البيت ، وجلس إلى اليسار بعض الصبية أمام شباك الكتاب » .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر موزلز وبيرس وويكس ممن ينتمون إلى المدرسة الباريسية فى أوائل القرن العشرين .

أما بعد الحرب العظمى فقد سرت موجة جديدة غيرت معالم الفن القديم ، سيكون الحديث عنها ضمن مقالنا الخاص بالفن الحديث .

احمد موسى

الأستاذ محمد عبد الوهاب

من الوجهة الفنية

لم يخدم (الحظ) فى دنيا الموسيقيين أحداً كما خدم عبدالوهاب ، ولم يتطوع الزمن فى ركاب مطرب كما تطوع فى ركابه حتى أبدله نعمى بيؤس ، ويسراً بعسر ... !

هو من صدور (الملحنين) فى الشرق ، ولكنه سيد المطربين فيه . بز القدماء بقديمه ، وعز على قرنائه بجديده وتجديده . سما بالموسيقا سمواً كبيراً حتى جعل منها شيئاً محترماً ، وارتفع بمنزلة (المطرب) ارتفاعاً عظيماً حتى أصبح العظماء يتوددون إليه بعد أن كانوا يحسبونه مهرجاً لا أكثر ... ! !

صوت رخيم جميل ، ولعله أسلم أصوات مطربينا وأقدرهم على التطريب الحق الذى يأسر النفس ، ويملك الحس . لا نستطيع أن نقول عنه إنه غنى (بتريولانه) ولكننا نستطيع أن نقول إنه غنى بالطاعة لصاحبه ، والخضوع لكل أوامره ونواهيه

يبلغ أربعة عشر مقاماً (أوكتافين)، خمس مقامات (تينور) ثقيل،وتسعة مقامات(بريتون) تقريباً كلها سليمة قوية واضحة لامعة لا يرتجل، ومع كل ذلك فهو (يشتغل) ! ويشتغل شغلاً عجيباً يدر عليه الآلاف المؤلفة . والسر فى هذا أنه لا يؤمن بالتصرف ولا بالارتجال . ولا يغنى إلا بعد أن يكون قد لحن الكلام وجربه أكثر من عشرين مرة مع رجال تخته . فإذا طلبت منه (مقطوعة) له قديمة غناها كما سجلها دون تصرف أو خروج كالأسطوانات تماماً ... !

يحب فنه أكثر مما يحب نفسه؛ ولذلك لانعجب حينما تعرف أنه لا يرى بأساً من مواصلة ليله بنهاره ونهاره بليله ملحناً وعازفاً دون أن يراعى صحته الضعيفة ! درس (الصولفيج) دراسة طويلة ، وهذا ما أفاد صوته كثيراً ، ولكنه مع هذا لم يستطع أن يسجل لنفسه لحناً واحداً (بالنوتة) بل يستعين فى ذلك بالأستاذين جميل عويس ، وعزيز صادق

هو أول من أدخل على التخت العربى آلات الكونترباس ... الفيولانسيل .. الإكورديون الكاستنيت .. المثلث النحاسى .. النقرزان ...

له مدرسة واسعة تضم أغلب الشرق مطبوعة بطابعه ، ملونة بلونه ، لا تحب إلا إياه ولا تستسيغ إنتاجاً إلا إنتاجه وكفاه فخراً أنه (متبوع) أبداً فلا يكاد يخرج شيئاً جديداً حتى ترى بعض الملحنين الذين يتعقبونه ويترسمون خطاه قد حاكوه وقلدوه . فالموسيقا العربية لم تكن تعرف أو لم تكن تعترف بالرومبا ، والتانجو ، والكاريوكا . فلم يكد يمصرها ويخضعها للذوق الشرقى حتى تهافت عليها غيره كالذباب عدداً وهم يحسبون أنهم ملحنون مجددون كعبد الوهاب



تدين له الموسيقا بالشىء الكثير ؛ فهو وإن كان لم يخلق كبتهوفن ، وموتسارت ، وفجنر ، وهندل ، ودى لاسو (مثلاً) إلا أنه جدد ، وجمع من هنا وهناك بذوق سام حتى خلع على الموسيقا إهاباً قشيباً متيناً !

أصبح الآن (مقلا) لدرجة تبعث على النقد؛ وهو يحتج بتفرغه للسينما ولكننا لا نعفيه من اللوم، فالمال لايدوم، وإن دام فالسمعة وحب الشعب والمجد والشهرة ، كل هذه الأشياء لا يغذيها إلا العمل ، والعمل المتواصل الذى يمدها بالحياة .

* * *

سن للمطربين سنة (الطراوة والاسترخاء ، والدموع) فقلما يغنى شيئاً حماسيا أو وصفيا ، بل أغلب أغانيه غزلية فحسب



من مآسي التاريخ

مصرع الدون كارلوس

للأديب محمد محمد مصطفى

قال الأستاذ محمد عبد الله عنان في كتابه « تاريخ المؤامرات السياسية »

« ... ما أفاضت سيرة من سير القصور في القرن السادس عشر على دولة الخيال والشعر قدر ما أفاضت سيرة الدون كارلوس، وما تبعث قصة إلى النفس من روعة وكآبة قدر ما تبعث أساطير هذه القصة العجيبة

وأى سيرة أدعى للروعة والوحشة من سيرة ملك يقضى بالموت على ولده لمؤامرة قيل إنه دبرها لقتله . ثم يذهب فى بطشه إلى حد تنفيذ هذا الحكم

هذا ما يحفظ التاريخ من سيرة فيليب الثاني ملك أسبانيا وولده الدون كارلوس »

فوجئ الأمير بتحية صدرت إليه من خلفه ، فاتجه ببصره إلى مصدر الصوت فرأى صديقه الأمين الكونت « أجمونت » ... فقل اضطرابه قليلاً وسأل الكونت :

— أتبعك جواسيس الملك الليلة يا كونت ؟

فابتسم هذا فى خبث وأجاب :

— أبداً يا مولاى ، فقد ألحت صورة الخمر على أعينهم فرنق بها السكرى فدلفت إلى جناحك من الباب الخلفى بعد أن تخطيت الأهوال فى اجتياز الحدود سراً ...

— أبخير أتيت ؟

فأجاب والابتسامة لا تفارق شفتيه :

— بكل خير

ثم أخرج الكونت من ثنايا ثوبه ورقة نشرها أمام ولى العهد، وجعل يمر عليها بأصبعه هامساً للأمير :

— بين شعاف هذه الجبال يا مولاى ستكمن قواتى ، فإذا ما جن الليل انضمت إليها قوات أمير أورانج تتبعها قوات الكونت هورن (١) . وعلى سموك اجتياز الحدود سراً مساء منتصف مايو القادم لتعودوا على رأس هذه الجيوش إلى أسبانيا لتثل بها عرش هذا الشيخ الذى لم يتورع الليلة عن الزواج بطفلة فى سن حفيدته

* * *

وحمل الدون كارلوس آماله وأحلامه ، ومضى بها إلى حديقة القصر الملكى يرسل بين الحين والحين صفيراً خافتاً حتى عثر بين الخمائل على دوحة استذرى بها حتى لا يناله برد الليل إن غلبه النوم تحتها

* * *

وتسربت خيوط الفجر من ثوب الليل ، وما يغمض لعروس الملك جفن ، وتشعر الفتاة لرؤية عريسها الشيخ الذى يغط إلى جانبها بهم يجثم على روحها ، فتتسلل مارقة إلى حديقة القصر الملكى ، وتسير بين رياضه على غير هدى ...

سارت بين الخمائل تناجى النجوم وقلبها الغض يخفق فى عالم مجهول . ثم أفلتت منها صرخة خافتة إذ رأت أمامها شاباً كأنما قد تثاءبت عنه الأرض

(١) أمراء الأراضى السفلى (هولاندة والبلجيك) وكانت وقتئذ تابعة لأسبانيا

فإذا سألته السبب قال : إن الشعب لا يحب ولا يشجع إلا هذا اللون ، وما درى أنه وحده الذى يقع عليه أغلب هذا الوزر . المعروف أن المغنى الحق هو الذى لا يعرف إلا فنه ، وفنه فقط ولكن عبد الوهاب أراد أن يخالف هذه النظرية فعرف الفن وغير الفن ، وتأثر بميول ضد ميول وقد عرف عنه ذلك ومع كل فهو يصر على لونه ...

إن الفن موطنه السماء؛ ومن فى السماء فوق الجميع وللجميع. فمن ترك فنه وسماءه ليعيش فوق الأرض جرفه التيار الذى لا يرحم

محمد السيد المويلحى

— ترى بعثت روعة هذا الفجر فى نفسك الاكتئاب أيها الشاب؟

— وى ... من أنت ... ومن أى فردوس فررت يا فتاة؟

فيشرق الابتسام على ثغر الفتاة وتقول للشاب الماثل أمامها فى سذاجة الطفولة ومرحها :

— الملكة ... ومن أنت؟

فيقف الدون كارلوس فى تؤدة ويشخص ببصره إلى الصبية يعبث الهواء بشفوف نومها فيبرز نهداها الصغيران، ويظهر تقاسيم جسمها الفتان، ويتمتم الشاب فى خفوت :

— عروس أبى ... أقصد الملك ... وإلى أين؟

— إلى الفجر وسحره

وينسى الأمير لهذا الجمال الذى سيذوى فى ظل والده الشيخ ويدرك من حديثها نقاء سريرتها فيدرج بها على العشب النضير هو .. يتسامران فتجرده من قلبه ولبه، ويأخذها بشبابه وحبه، ويبدو لها وجه الشيخ بلحيته المرسلة كأنه شيطان مريد . وتنظر إلى ولى عهده فتدخل من عينيه الجميلتين إلى جنة الحب ، ويخفق له قلبها الغض المتعطش إلى الغرام ...

وفى غفلة من الدهر كانا يختلسان اللقاء على الربى وبين الخمائل، فهى لا تعرف السعادة إلا فى حضنه الفتى الحبيب، وهو قد تدله بها فلا يعدل بقبلاتها المسكرة ما فى بطون الأرض وعلى سطحها من أذخار وكنوز ...

وينظر الملك إلى طول لبثها فى الحديقة فيرتاب ويحوطها بعيونه فتنقل إليه الأخبار ...

وعلى إحدى الربى وقف الملك مستتراً يرى العاشقين الصغيرين وكيف ينهلان السعادة ويستمع إلى وسوسة قبلاتهما الناعمة فيحرق الأرم ويستجمع ما تبخر من صبره ويولى عنهما هامساً بينه وبين نفسه :

— ليكن هذا بينهما لقاء الوداع

ويتأوه من أعماق نفسه ويهتف :

— أما وقد بليت أيضاً بحبها فستعيش هذه الفتاة لأن قلبى يريد لها الحياة ... أما هذا الوغد ... وهدد بقبضته فى الهواء ومضى لسبيله فى طريق القصر

***

وراح ولى العهد يستعرض أصدقاءه ليختار من بينهم من يمده بخيل يرحل عليها خفية إلى الحدود، فيقع اختياره على مدير البريد...

ويشفق مدير البريد أن ينكشف أمره فتناله يد الملك، فينقل إليه رغبة الأمير ...

ويأمر الملك بالقبض على ولده وإيداعه السجن، فتضبط أسلحته ونقوده وأوراقه التى دلت على مشروع محاولة استيلائه على الأراضى السفلى ودحر الملك ثم الجلوس على عرش أسبانيا. فأبلغ الملك الحادث إلى الجهات الكبرى وانتدب محكمة عليا برياسته لمحاكمة ولده

***

كان سجن الأمير غراماً على نفس الملكة فطوت جوانحها على حرق حبه ، وأضحت ذاهلة وانية ترى القصر كأنه قطعة من الجحيم ، وعزفت عن الطعام حتى رق جلدها وشحب لونها

ولقد تتحامل على نفسها التطوف بمجالس غرامها وأعشاش حبها تدب فى رفق كأنما قد حطمت قواها السنون ، فإذا جلست فى مكان ضمهما يوماً خيل إليها أنه إلى جانبها يضمها ويحنو عليها فتخشى أن يكون ذلك وهماً فتتحسسه بيديها فلا تقع على شىء فتقف فزعة وتحوم حول نفسها وتسقط صارخة :

— يا كارل ....

فتردد جوانب القصر صيحتها :

— يا كارل ...

وكان صفاء عينيها الجميلتين وتدلههما ينمان عما تكابده من حر الحب وبالغ الوجد

وينظر الملك إليها فيراها متلفة آيسة وقد أطفأ الحزن بريق عينيها فينهدم لها قلبه انهداما ويسألها عن سر وجومها واكتئابها فتنفجر باكية وتجثو عند قدميه .

ويعلم الملك أنه الحب فيستضحك حتى تبدو نواجذه ويمسك بيديها الصغيرتين لينهضها فتأبى إلا أن يسمع لشكاتها ...

— خير . أأستنزل لك من السماء نجما تقرين به عينا ياطفلتى الحبيبة ؟

— أتقسم على طاعتى فيما أرجوه منك .

— لك هذا .

— أن تطلق سراح ولدك .

فاربد وجه الملك وعبست أساريره وأشاح عنها قائلاً :

— أشغفك حبا ذلك الولد الغر ؟

— حباً ملك علىّ نفسى

— فلم لا تدفعين هذا الحب عن قلبك وهو لم يزل بعدوليداً ؟

— إنه ولد عاتيا قويا

— فلن أفرج عنه إذاً أبداً . وسأجعل من جسده للطيور طعاماً شهياً ...

ويظلم الفضاء فى نظر المسكينة وتقول وما تملك نفسها :

— فإذا ما قلت لك إنى سأقضى على نفسى وأحملك وزرى إن مسسته بسوء ؟

ففكر الملك ثم فكر ... وفتقت له أفكاره حيلة

فدنا منها وقد زال أثر العبوس من وجهه قائلاً :

— إننى لم آمر بسجنه يا صغيرتى إلا لدفع بغيه عنى ، ولئن أطلقته ختر بميثاقه وأعاد المؤامرة بعد أن قتلتها فى مهدها

— سيفيد من درسك هذا له عبرة

— أفتجعلين من ذمتك عهداً ألا يعيد الكرة ؟

فأبكاها فرط السرور لقرب انتصارها ومدت إليه يدها باسمة

— هذا عهد

فرقت لها نفس الشيخ وقال :

— إنى أعدك بالحكم ببراءته

فهزتها نشوة الفرح وطوقت عنقه قائلة :

— هل قلت إنك ستبرئه ؟

فطرب الملك لعناق فتاته وأعاد القول باسماً : لك هذا

وفى هدأة الفجر تسللت عروس الليل على أطراف قدميها وقلبها يخفق ويدها عليه ... حتى إذا ما اجتازت الباب السرى ركبت عربة كانت تنتظرها خارج القصر وانطلقت بها فى مسارب الوادى لتنقلها خفية إلى سجن الحبيب

وما اقتربت الملكة من باب السجن حتى تخلى عنه حراسه ، فطوت سلالم القبو أربعاً أربعاً ...

وألفت حبيبها الموموق مكباً على نضد عتيق وقد سقط رأسه الجميل على صدره تتناوبه فورات اليأس والحمى ؛ فلما رأى الملكة انتعشت نفسه وصاح : إزا

— كارل

وألقت نفسها بين أحضانه وأهوت بقبلاتها على فه وشعر الدون كارلوس بأنه فى حاجة إلى الحياة عن ذى قبل وأحس أن قوة هرقل قد حلت فيه وأن قوى العالم لن تستطيع إفلاتها من بين يديه ولو تكالبت عليه جميعاً وكان بعضهم لبعض ظهيراً

ولم يخف افترار ثغره عن عين طفلته الحبيبة ما رسمه الأسى على وجهه وما يلاقيه فى غياهب سجنه . فانتشرت نفسها عليه رقة ورحمة وأرسلت من عينيها عبرات حرارا ...

قال الدون كارلوس :

— لم البكاء يا إزا وهو يتلف عينيك ؟

— ومن أحرى منى بطول البكاء ؟

— أنا ... لهول ما أفكر فيك ولفرط ما عاث الحب فى قلبى وأماتنى حياً لبعدك بينا يحيا هذا العجوز الحيزبون بين أعطافك ناعماً بجمالك مخفرجاً فى ظلك ؟

ففاضت عيناها بالدمع فحبس عبراته وكبت عاطفته ، ولم تشأ أن تخبره بوعد الملك لها بتبرئته لعدم ثقتها بتنفيذ هذا الوعد وخشية أن يظن الدون كارلوس أنها خدعته إذا ما حنث الملك بوعده

حتى إذا أشرقت غرة الصبح انتزعت نفسها من بين أحضانه وعادت إلى القصر تتأوه من قلبها المعذب المفؤود

سيق الأمير إلى قاعة المحاكمة وقد بدا على وجهه السامع علائم العناء . فلما رآه الملك عبس فى وجهه وبسر . وأخذت عينا الملكة الجميلتان ترسلان الدمع مدرارا فتنضو عن صدرها الجميل ثوبها لتخفيه فيه

وتقدم الدون كارلوس تنوء قدماه بحمل جسمه الوانى حتى انتهى إلى مقعد أعد له فجلس عليه وأخذ يردد الطرف بين الملك حينا وأعضاء المحكمة أحيانا فيرى على وجوههم مسحة الجد والاهتمام .

وقطع الملك رهبة السكون حيث أمر بابتداء المحاكمة فوقف المدعى (البرنس إيفولى) وألقى بيانا مسهباً عن محاولة الدون كارلوس الاعتداء على الذات الملكية بوضعه مشروعاً لاغتيال أبيه ومحاولته انتزاع الأراضى السفلى ، واختتم بيانه بطلب اعدامه

فتحرك الملك فى مقعده قليلا وقال بصوت هادىء :

— ألديك ما تقوله يا كارلوس ؟

فنهض الدون كارلوس متثاقلاً وقال بثبات :

إننى لا آنس فى وجه أحدكم رأفة ولا رحمة ، وكلكم كشق مقص الفناء ، كل يتمم للاخر مهمة القضاء على ؛ بيد أننى أود أن أتلقى حكم إعدامى من شفتين غير شفتيك ، فهل لى أن أرجو المحكمة أن تنطق مليكتى بهذا الحكم ؟

فرد المدعى قائلاً :

— ولكن الملك رأس الدولة ورئيس المحكمة

فهتف الدون كارلوس :

— والملكة جسم الدولة فهل تعيش رأس بلا جسم ؟ فاشتد غضب الملك وموجدته على ولده وتهامس قليلاً مع الأعضاء ، ثم اعتدل فى جلسته ونطق بالحكم

ودوى حكم إعدامه فى أذن الملكة كهزيم الرعد فاستهولته وهبت عجلانة إلى الدون كارلوس فاحتضنته وأخذت ترسل من عينيها إلى الملك شرراً كالقصر وهتفت صاخبة :



انتهاء الدورة السادسة لمجمع فؤاد الملكي

عقد مجمع فؤاد الأول للغة العربية فى الأسبوع الماضى آخر جلسة من جلساته فى هذه الدورة (وعددها ٢٥) وعقد فى المساء جلسة أكمل فيها بعض الدراسات التى يضطلع بها

وشهد الجلسة الختامية الأعضاء جميعاً ، عدا أربعة منهم ، هم حسن حسنى عبد الوهاب باشا ، وقد اعتذر من عدم حضور الدورة كلها ، والأستاذ أحمد أحمد العوامرى بك ، والدكتور فيشر بسبب تغيبهما لمرضهما ، والأستاذ جب إذ سافر إلى وطنه انجلترا منذ أسبوع

وقد أتم المجمع فى دورته السادسة طائفة كبيرة من المصطلحات العلمية قاربت الألف

فأنجز فى علوم الأحياء زهاء ٣٥٠ مصطلحاً ، وفى علوم الطبيعة نوع الحرارة زهاء ٢٠٠ مصطلح ، وفى الموسيقا حوالى ٢٥٠ مصطلحاً ، وفى علم الهندسة نحو ٢٠٠ مصطلح

وأرجأ إلى الدورة القادمة قسماً كبيراً من المصطلحات فى شتى العلوم وفى الاقتصاد السياسى . وستضم المسائل المؤجلة إلى ماتضعه لجان المجمع فى الفترة القائمة بين الدورتين الحاضرة والقادمة

أما المصطلحات العسكرية فكان المجمع قد كتب إلى وزارة « الدفاع الوطنى » يطلب إليها أن توافيه بما قامت به فى شأن المصطلحات العسكرية التى سبق أن وضعتها اللجنة المختصة ، غير أنه لم يتلق رد الوزارة حتى الآن . وستنتظر اللجان المختصة هذا الرد لتعد بمساعدة الخبير الحربى المختص ما يمكن وضعه منها تمهيداً لعرضها على المجمع فى الدورة المقبلة

— ألا أيها العجوز الحانث بوعده ... لن تناله بأذى حتى تمر على جثتى ... فلتأت أنت وحرسك وجندك فإنى لكم

وصمت الملك قليلاً ثم قال :

— أنظروا كيف تدافع الملكة عن عشيقها الفاجر ... وأشار إلى جنوده فانتزعوه منها حتى إذا بلغوا به السجن ألقوه فيه فى انتظار تنفيذ الحكم

وانصرف أعضاء المحاكمة تاركين الملك والملكة وحدهما فجثت إزاء تحت قدميه جثو الراهب فى محرابه وأخذت تستعطفه فى ذلة وانكسار أن يرد على ولده حياته وأن يقف تنفيذ إعدامه وأعطته موثقاً ألا تلتق به بعد اليوم إن أجاب سؤلها . . . ولكنها كانت تستدر القطر من الصخر ، وتبذر الحب فى المهمه القفر ...

وشدد الملك الرقابة على السجين حتى لا تلقاه الملكة فتدبر لفراره أو تحاول إنقاذه . فتبدلت فى عينها الدنيا وضاق أمام نظرها فضاء الأرض التى لم تتسع على رحبها لحبيبين فعزفت عن الطعام وتساقطت نفسها حسرات عليه

وأومأ الملك إلى طبيب القصر أن ينفذ بنفسه الحكم على أن يبقى شرف الأمير مصوناً ...

وانخلع قلب الملكة لسماعها نبأ إعدامه بجرعة سم دسها إليه الطبيب ، فعصفت برأسها نوبة جنون جرت على أثرها حافية القدمين إلى السجن . . . ومنعها حارس الباب فبكت إليه وتوسلت ... فقال الحارس إن أوامر الملك مشددة ... فهوت بشفتيها الرقيقتين الناعمتين على قدمى الحارس الموحلتين ... فتركها تمر ... وقال: ليفعل بى الملك ما يشاء

ووجدت جثة الحبيب مسجاة على فراش خشن فأخذت رأسه الجميل بين يديها وشخصت ببصرها إليه فكان فى غفوته الأبدية كطائر الأفنان ؛ وسكنت حتى لقد خيل لمن رآها أن روحها قد تسللت من جسدها تاركة وجهها على هذه الصورة الجامدة

واختلط عقل الفتاة المسكينة فكانت لا ترى إلا فى الطريق لقبره ذاهبة أو عائدة ، وأرقت فلم تعد تنام إلا لماما ...

وهاجها الوجد إليه فجر ذات يوم فقامت إلى قبره بفأس تريد اقتحامه وأخذت تحطم رخامه وتكشف عنه التراب حتى إذا انفتحت لها فيه فجوة أدخلت فيها يديها ورأسها وأخذت تعالج غطاء ناووسه حتى رفعته فانهال عليها حجر كبير فسقط رأسها الجميل على صدر حبيبها ... ولفظت آخر أنفاسها .

محمد محمد مصطفى

ويرى كثير من حضرات الأعضاء ضرورة الإشراف على وضع المصطلحات العسكرية فى صيغ عربية صحيحة ، استكمالاً لمظاهر الاستقلال القومى ، وحرصاً على استخدام لغة الدولة

المصطلحات الطبية

كان من أهم الدراسات التى قام بها المؤتمر الطبي العربى ، موضوع المصطلحات الطبية فى اللغة العربية . وقد رأس الجلسة التى دار فيها بحث هذه المسألة حضرة صاحب العزة محمد العشماوى بك وكيل وزارة المعارف . وقام بأعمال سكرتيرتها صاحب العزة الدكتور عبدالواحد الوكيل بك

وقد أدلى الدكتور الوكيل بك ببيان عن الجهود التى قامت بها الجمعية الطبية المصرية فى هذا الشأن ، إلى أن انتهت بالقرار الذى اتخذه مؤتمر بغداد وهو أن تتصل الحكومة المصرية بجميع البلاد العربية لتأليف لجان لبحث المصطلحات والقواميس والمجموعات اللغوية الطبية الموجودة فى كل منها ، على أن تؤلف لجنة عليا ، وتجتمع فى مصر شهراً أو أكثر من كل سنة لاختيار أوفق تلك المصطلحات ، بحيث تكون قراراتها ملزمة للجامعات والكليات والمؤلفين والأساتذة فى التدريس

وقد ذكر سعادة الدكتور على ابراهيم باشا فى هذا المقام قراراً أصدره مجلس كلية الطب فى جلسة عقدت قبيل العيد يتضمن إدخال اللغة العربية بالفعل لتدريس بعض الفروع على أن تكون الإجابة باللغة العربية إجبارية عن الأسئلة التى تلقى فى الامتحانات فى موضوعات الطب الشرعى والقوانين واللوائح الصحية المصرية . كما قرر المجلس تكليف الأساتذة المصريين بكلية الطب تلقين الطلاب التقارير الطبية باللغة العربية فى أثناء تدريسهم العلوم التى تقدم ذكرها باللغة الأجنبية

وأشار سعادة الرئيس فى هذه الجلسة إلى جهد وزارة المعارف فى صدد تعزيز صلات الثقافة والعلم بين مصر والبلدان الشرقية ، وأنه قد أنشئت لجنة لهذا الموضوع مضت فى طريقها شوطاً بعيداً

وقد قرر المؤتمر فى هذا الموضوع التوصية بإبلاغ قرارات لجنة المصطلحات إلى مجمع « فؤاد الأول » للغة العربية حتى لا تتعارض أعماله مع قرارات المؤتمر

مدينة فى مسقط لا يعرف العالم عنها شيئاً

وصلت البعثة الجيولوجية التابعة لشركة النفط العراقية إلى البصرة وبدأت أعمالها فى الأراضى الواقعة فى جبل سنام ويقوم مدير البعثة بتعيين المواقع المراد حفر الآبار فيها

وقد صرح المدير أنه قبل وصوله البصرة ، قام بجولة جوية فى سلطنة مسقط ، اكتشف فى أثنائها مدينة آهلة بالسكان ولا يعرف أهل هذه المدينة شيئاً عن العالم كما لا يعرف العالم عنهم شيئاً . وقد ظهر للبعثة التى ارتادت تلك المنطقة للبحث عن النفط أن جبل الأخضر المعروف فى مسقط لم يكن سوى كثبان رملية كانت السبب الأول فى جهل هذه المدينة واعتقاد الناس بأنه جبل حقيق تنتهى عنده أطراف تلك البلاد من سلطنة مسقط

معرض المثالين الفرنسيين المعاصرين والمثال مختار

دعت جمعية محبى الفنون الجميلة بعد ظهر الجمعة الماضى رجال الصحافة والفن إلى زيارة معرض المثالين الفرنسيين المعاصرين والمثال مختار بعد أن انتهت من تنسيقه وأعدته للافتتاح . فلما اكتمل عقدهم فى الساعة الرابعة والنصف ألقى عليهم المسيو جورج جراب أمين متحف رودان فى باريس كلمة استهلها بالإشادة بذكر مصر مهد الحضارة والفنون ولا سيما فن النحت ، ثم تكلم عن الفنانين الفرنسيين أصحاب التحف المعروضة

وقد اشتمل هذا المعرض على حوالى ١٤٠ قطعة تعد من آيات النحت فى العالم منها ٢٨ تحفة للمثال العظيم رودان (١٨٤٠ — ١٩١٧) الذى يعد بحق فى مصاف فيدياس نحات اليونان العظيم وميكائيل انجلو الفنان الإيطالى الشهير فى عصر النهضة بأوربا

أما بقية القطع فهى لتلاميذ رودان مثل بورديل ودسبيو ومايول وبومبون وديجا الذين يؤلفون مدرسة النحت الحديثة فى فرنسا وهى المدرسة التى بلغت أوج العظمة فى هذا الفن

وتدل مجموعة تحف رودان على ما امتاز به من مقدرة فائقة على تصوير الحياة فى تماثيله ، فتسجل للخلود الخواطر المضطربة من عقائد دينية أو حب الوطن أو الحنان الأموى أو لهيب الغرام أو الحقد الدفين أو التفكير العميق وغير ذلك من مظاهر الحياة

وقد نسج تلاميذه على منواله حتى كاد بورديل يضارعه فى المقدرة ، كما امتاز بومبون بتماثيله عن الحيوان فأودعها من الفن والبراعة كل ما يمكن أن يمثل فى الطين والشمع من حياة

وقد رأى المسيو جراب منظم المعرض أن يعبر عن شعوره

نحو صديقه مثال مصر الكبير المرحوم مختار تخصص جانباً من المعرض لتحف مختار فعرض منها ٣٤ قطعة كانت دليلاً ساطعاً على أن صانعها أول من وفق من النحاتين المصريين المعاصرين للبروز فى هذا الفن فكان خير خليفة لأسلافه النحاتين المصريين الذين سموا بفن النحت فى عهد الفراعنة إلى ذروة النبوغ

وقد وفق المسيو جراب فى عرض تحف مختار مع تحف الأساتذة الفرنسيين الذين أحاطوه بمحبتهم وتقديرهم

وأعد للمعرض دليل واف باللغتين العربية والفرنسية اشتمل على نبذة تاريخية عن تطور فن النحت وبلوغه حد الكمال فى هذا العصر فى فرنسا ، ويلى ذلك وصف مختصر لكل قطعة من المعروضات

تاريخ كلمة أدب

كتب الدكتور عبد الوهاب عزام بالعدد ٢٩١ من الرسالة بحثاً قيماً فى (تاريخ كلمة أدب) تتبع فيه مراحل استعمال هذه الكلمة إلى عصرنا هذا ، فى دقة العالم الباحث وإمتاع الكاتب الأديب . بيد أنه قال فى افتتاح البحث : « لا نجد (كلمة أدب) فيما بين أيدينا من الكلام المأثور عن الجاهليين » الخ ...

ولما كنت قد رأيت هذه الكلمة فى كلام جاهلى فقد رجعت إلى مظانها ، فرأيت أبا على القالى فى الجزء الثانى من الأمالى (ص ١٠٤) يورد قصة زواج أبى سفيان بن حرب من هند بنت عتبة . وصف عتبةُ لابنته هند أبا سفيان فجاء فى وصفه : « يؤدب أهله ولا يؤدبونه » وجاء فى رد هند : « وإنى لآخذه بأدب البعل مع لزوم قبتى وقلة تلفتى »

وقد أشار إلى ذلك الأستاذ محمد هاشم عطية فى مطلع كتابه «الأدب العربى وتاريخه» فى نفس الموضوع وبعنوان (تاريخ كلمة أدب) . وللدكتور عزام تحيتى وإجلالى (ع . ح . غ)

غريب

قرأت فى عدد ٢٨٩ من «الرسالة» مقالاً دبجته براعة الأستاذ عمر الدسوقى وقد أعجبنى الشعور النبيل والثورة للكرامة المهانة والدفاع عن القومية المثلومة

وأود أن ألفت نظر الأستاذ إلى الغلطة الكبرى التى وقع فيها. إنه دافع عن نفسه خير دفاع وأبان حقيقة المدنية المصرية إبانة لا ينكرها عليه عاقل، ولكنه حط مقام شعوب لها كرامة تعتز بها وقومية ومدنية حافلة زاهرة ، فإنه تبرأ من أن يكون « زنجياً أو هندياً أو نوبياً أو حبشياً » وذلك ظاهر فى كلام الأستاذ الفاضل، إذ يقول : «بل إنى مصرى، تجرى فى عروق أنبل الدماء وحسبك أن تعرف أننا من أرق الشعوب مدنية وحضارة قديماً وحديثاً ولن أقبل من مخلوق مهما تكن سطوته أن يلحقنى بهؤلاء الذين ينظر إليهم بعين الازدراء والامتهان ويعدهم دونه فى الذكاء والمدنية»

إننى لست فى مقام جدال ، وفى هذا الموضع لا يمكننى إلا أن أذكر الكاتب الهندى كارا كا وكتابه « إلى الغرب » Igo West فإن هذا الشاب عند ما كان يدافع إنما كان يشمل قضية المهضومين كلهم ولا يفرق بين أسود وأدكن وأسمر وقمحى. كلهم سواء استعبدوا واستذلوا ظلماً وعدواناً . وكان الأحرى بأستاذنا أن يحذو حذوه ويدافع عن « قضية الظلم والاستعمار والاستعباد »

لا شك فى أن القوم هناك ينظرون إلينا (الملونين) بعين الازدراء والاحتقار ويعتبروننا أقل ذكاء وعقلية منهم ، ولكن العلم الحديث برهن على خطل هذه النظرية التى روجها بعض « العلماء التجار » المغرضين كى يجعلوا لهم حقاً سماوياً منزلاً لاستعباد الشعوب الضعيفة واستعمارها

إن الدافع الذى أملى على الأستاذ كتابة المقال ، هو نفسه الذى حفزنى لأن أسطر هذه الكلمات التى لا تفى ولكنها تذكرة . إن الحبشى لا يقبل أى إهانة لوطنه ، والهندى لن يرضى بطعن فى عقليته أو وطنيته . ولا أدرى كيف زل قلم الأستاذ هذه الزلة فإن النوبيين مصريو الأصل ... وربما رد الأستاذ هذا القول بقوله إنهم سودانيون ... وفى هذه الحالة ستزداد دهشتى لأن المعروف لدينا أن مصر والسودان قطر واحد ، ولكن السياسة المغرضة جزأته ولعبت فيه ماشاء لها، وأرجو أن يعمل العاملون لرتق هذه الثغرة . والغريب أن كثيراً من فقرات المقال ينافى قوله هذا !

« الخرطوم » (م . ع . ب)

الأندلس الجديدة

لما أخذ الاسبانيون يكتسحون البلاد الأندلسية فلا يدعون فى واحدة منها أثراً لما كان فيها للاسلام من سلطان وحضارة — اهتزت البلاد الإسلامية الأخرى واضطرب سكانها فارتفعت



أقلام الناشئين

للأستاذ فليكس فارس

أمامى كتابان نشرهما الشيخ أحمد جمعة الشرباصى . الأول بعنوان « حركة الكشف » صدر منذ سنتين ، والثانى بعنوان « محاولة » صدر فى هذا الشهر

ولقد رأيت فى هذين الكتابين من روعة الإنشاء، ودقة الشعور والنضوج المبتسر ما أهاب بى إلى إرسال كلمة فيهما

إن المؤلف يرمى فى كتابه الأول إلى إظهار ما فى نظام الكشافة من محاسن وفوائد ، داعياً إلى تكوين فرق تعمل بهذا النظام من الشبيبة المنتسبة إلى المعاهد الأزهرية ، مستنداً فى دعوته هذه إلى أن تقوية الناشئة ، وتعويدها الصلابة والطاعة وتدريبها على توحيد الحركة والسير نحو هدف واحد فى غاياتها الأخلاقية ، إنما هى جميعاً من قواعد الإسلام الأساسية . فلا يمكن أن يعد تكوين هذه الفرق فى المعاهد الدينية بدعة أو اقتباساً لطريقة تخالف العقيدة ، أو تشذ عن التقاليد الموروثة عن السلف الصالح

ومما تجدر الإشارة إليه أن كتاب « حركة الكشف » صدر سنة ١٩٣٦ حين كان المؤلف فى السابعة عشرة من عمره ، وقد وقفت فيه متعجباً بل مندهشاً أمام هذا التسلسل فى تدوين تاريخ الكشف وتطور أساليبه وأمام هذا المنطق الرصين يقدر الحوادث ويزن أعمال الرجال ويتغلغل فى التاريخ ليثبت فضل العرب المهتدين بنور الوحى على نهضة الغرب فى تفكيره وتنظيمه

أما فى الكتاب الثانى فالمؤلف يذهب فى محاولته ذهاب من

الأصوات من كل جانب تدعو ملوك المسلمين وأمراءهم لنصرة إخوانهم الأندلسيين . ودفع عادية الأسبان عن بلادهم .

فلما لم تلق الدعوة مجيباً ، ولم يتقدم أحد من ملوك المسلمين . منفردا — بنجدة — ولا كان بينهم من الاتحاد واجتماع الكلمة — ما يجعل لهم — مجتمعين ، قوة يستطيعون بها للأندلس إنقاذا — نفذ القضاء وتم للأسبان فيها ما أرادوا .

عم الأسى ، وشمل الحزن جميع المسلمين . ففاضت ألسنة شعرائهم وخطبائهم قصائد وخطباً — لا تزال تملأ الكتب وتبعث فى النفوس أليم الذكريات — فى رثاء الأندلس ، والتفجع لمصابها ،

أما اليوم فالمسلمون يشاهدون « طرابلس الغرب » تقتطع من بين أقطارهم لتصبح إيطاليا الأفريقية، وتمحى منها آثار العروبة والاسلام لتقوم على أنقاضها صروح الحضارة الرومانية، ويستبدل بإخوانهم فيها عنصر لا يمت إليهم بصلة، ولا يحمل لهم غير البغضاء والطمع فيما يتصل من أوطانهم شرقاً وغرباً بطرابلس الغرب يشاهدون كل هذا متفرجين ، ويقرأون أخباره فى الصحف، ولكن كما يقرأون أخبار حوادث الشرق الأقصى أو أمريكا الجنوبية ، لا يثور فيهم اهتمام ، ولا يهتز لهم شعور ، ولا ترتفع بينهم أصوات ، حتى بالاحتجاج والاستنكار

فهل ينتظرون أن يغمرها الخطب ، وحينئذ ترتفع أصواتهم ، ولكن بالرثاء والتفجع والبكاء على الأطلال — أطلال العروبة والإسلام الدارسين — فى طرابلس الغرب :

يا طالبى وحدة الأوطان هل طرقت
أبواب آذانكم ذكرى طرابلس ؟
أيصبح العرب « طليانا » تضمهم
(روما) و (مكة) فى صمم وفى خرس ؟

« غزة » محمد خليفة شعبان الطرابلسى

رسخت عقيدته متعالية عن تردد المحاولين ، فيأتى بسلسلة مقالات أولها عن الصديق الصدوق يجىء فيها على وصف إخلاص أبى بكر الصديق للرسول الكريم سارداً ما حدث للأول مع عمر فيرسم أروع صورة شهدها التاريخ للوفاء والإقرار بالخطأ وإنصاف سيد المنصفين . ثم يدبج مقالاً بعنوان « محمد عبده ، النابغة الذى عاش فى وطنه غريباً » فتقع بصيرة القارئ فى هذا الفصل على الصورة الخالدة التى ستحل للامام الكبير فى روع الجيل الآتى بعدنا فترى هذا الجيل أشد إنصافاً منا نحن أبناء حقبة الانتقال وأوسع إدراكاً لعظمة أبطال النهضة وأعمق تأثراً مما لاقوا فى زمانهم من أذية واضطهاد

ويكتب الأزهرى الناشئ قطعة « أمام المحراب » بشعر منثور فإذا هى صرخة نفس تتجه إلى خالقها بإيمان يختلج له القلب ويتنبأ لرجال اليوم بتفوق رجال الغد عليهم فى إدراك عظمة العبادة ومبادئ الدين الحق

وتقرأ بعد هذه الصلاة مقالاً بعنوان « نزعة الإجرام » يقف فيه الفتى المعمم — وهو لما يبلغ العشرين من سنيه — وقفة الشيخ الحكيم ينفذ بنظراته إلى ماوراء القانون المدنى من وازع فى الشرع والأخلاق يجتث الإجرام من أصوله

وهكذا يسير الفتى الناضج فيكلمك عن غدر الصديق وعن أيام قضاها فى رأس البر يرجع منها يعبر عن الصيانة ومكارم الأخلاق وعن أمل المحبين فى مناجاة للقمر ، كلها وصف دقيق وشعور رقيق ، وعن إصلاح الصحافة فيعرض لها فى منازعها وأحزابها وفى قوتها وضعفها . ويصور لك الفراش الدائر بالمصباح وخيانة ابنة ساطرون لأبيها فى سبيل عشقها لعدوه كسرى سابور بقصة من أروع وقائع التاريخ ، ثم يورد أسطورة الأميرة ليستغل منها عبرة التعاون بين الناس ، وينشدك بعد ذلك قصيدة عامرة يهيب فيها بالشباب للدفاع عن الوطن ثم يرسل نجواه إلى الليل فيريك كيف يتجلى النضوج فى روح الشباب إذا هو اتخذ الدجنة مركضاً للتفكير لا ستراً للمعاصى وارتكاب الموبقات ، ويوجه بعد ذلك خطاباً للمرشدات تدلك على احترام فتى مصر لفتاته ورفعه لقامها إلى حيث أراد الشارع الأعظم ، ثم يعطف على زهرة القبور يناجيها فتى شاعراً وشيخاً مؤمناً ، فلا تدرى أيسمعك هذا الهاتف قصيدة أم ابتهالاً . ولا يفوت الشيخ الفتى أن يعقد فصلاً عن شهر الصيام يتجلى فيه الزهد والعزم قوة واحدة تجاه الحياة

وأخيراً يعرض عليك قصة عربية عن الحب اتخذ الأندلس مسرحاً لها ليعرض للحب الأسمى وللشهوة الدنيئة بتحليل رائع ، ويتبع هذه القصة بأخرى عن سرعة الخاطر عند العرب وبأسطورة عن السعادة ويختم الكتاب برواية مسرحية للأطفال .

إن العبقرية العربية تنتبه فى هذا الجيل الذى يتقدم ليحل محلنا على الذروة نحن النازلين منها إلى الأغوار .

لقد ولدت أقلامنا أقلاماً خيراً منها ، وما كان بيننا من يكتب بين الخامسة عشرة والعشرين ما تكتبه الناشئة فى نضوجها المبتسر فى هذه الأيام . فليعطف شيوخ الأدب على هؤلاء الأحفاد . إن أقلامنا ستبعث فى أقلامهم ، وصوتنا سيدوى فى أصواتهم ، حين تتحطم أقلامنا ويخرس الموت أصواتنا .

فليكس فارس



الفرقة القومية

ماهى الوسائل لاصلاح المسرح

هل من عقاب أشد وقعاً على النفس من تركك شخصاً وشأنه فى المجتمع لا يأبه له أحد ولا يلتفت إليه ملتفت خصوصاً إذا كان له خطره الأدبى والاجتماعى ؟

هكذا ترك الأدباء الفرقة القومية وانصرفوا عنها لا يلتفتون إليها . فلولا كتابة مأجورة تنشرها الفرقة فى بعض الصحف الأسبوعية ، ولولا إعلانات عن أربع أو خمس روايات تمثل فى الفصل ، لكانت هذه الفرقة التى استنفدت من مال الأمة ستين ألفاً من الجنيهات أشبه بحلم يتبخر فى اليقظة ، أو بعابر سبيل لا يلتفت إليه أحد

ولما كانت غايتنا المحافظة على هذه المؤسسة الثقافية ، واستنهاض بقايا الهمة الباقية فى القائمين عليها ، عمدنا أولاً للتنبيه إلى الغرض الخبيث الذى ترمى إليه إدارة الفرقة من إغضاب النقاد واستغلال انصراف الصحافة وصدوف الأدباء عنها ليقبع رجالها الأفاضل كالتماسيح المبشومة يهضمون الغنيمة على مهل ، وثانياً إلى استفتاء أدبائنا أصحاب الدراية فى فن الرواية والمسرح فيما يجب عمله لإنقاذ هذه المؤسسة العزيزة على الأدباء

بدأنا بسؤال كبار الأدباء كالعقاد والمازنى وغيرهما ، ولهؤلاء الأساتذة الأجلاء رأى مجمل نرجئه إلى ما بعد ، ثم سألنا الأستاذ زكى طليمات عن وسائل إصلاح المسرح ، وللأستاذ طليمات دراية نظرية وعملية لاينكرها عليه سوى المتعنت صاحب الغرض، فأجاب :

يتكون المسرح من ثلاثة عناصر : رواية ، وممثل ، وجمهور . فإذا نشدنا الإصلاح للمسرح وجب أن نقوم بإصلاح هذه العناصر الثلاثة ، بعد أن نتبين ماهى عليه الآن ، وما كانت عليه بالأمس ، وما يجب أن تكون عليه فى المستقبل

الرواية : أقامت وزارة المعارف مباريات لتأليف المسرحية المصرية بقصد ترقيتها ورفع شأن التمثيل ، فكان أن حظى المسرح ببعض روايات جيدة ، إلا أنها لم تسم بكثير عما كان شائعاً إخراجه على المسارح ولم تسفر عن المخرج الحق المرجو الذى بيده وضع طابع أصيل للمسرحية ، والذى يرجى منه خلق مدرسة جديدة فى التأليف ، وعليه فإنى أعتقد أن إقامة المباريات وسيلة تكميلية أهم منها حث الفرق العاملة على إخراج أكثر عدد من المسرحيات المصرية ، وذلك بتنشيط الأقلام ، وحفز النابهين من المؤلفين على الإكثار من نتاجهم ، لأن المؤلف إذا لم يجد سوقاً لرواياته تولاه اليأس وأمسك عن الكتابة . وأرى من واجب الفرقة أن تضطلع بمهمة تقديم المسرحيات المصرية قبل أية مهمة أخرى ، فإذا انحرفت عن ذلك فإنها لا تحقق الغرض من قيامها ، ولذلك أشير لترقية المسرحية المصرية أن تعمل وزارة المعارف على ترجمة نفائس الروايات المسرحية الغربية ترجمة أنموذجية وإذاعتها بين المتأدبين ، وذلك لإحياء ثقافة المسرح نحن فى أشد الحاجة إليها بحكم أننا نفتقر إلى هذه الثقافة فى الأدب العربى القديم والأدب العربى المستحدث .

الممثل : فن التمثيل عامة حديث فى مصر ، دخيل فى الأدب العربى ، لم نعرفه باللسان العربى إلا منذ ثمانين عاماً . جاء مصر فيما جاءها ضمن موجة الثقافة الغربية التى طلع علينا بها البحر الأبيض فى النصف الأخير من القرن الماضى . ومنذ ذلك الحين ونحن نباشر فن التمثيل على طريقة ارتجالية، وإن شئت قل بدائية، أعنى أنها لا تقوم على قاعدة ولا ترتكز على أساس . وفن التمثيل ، أى فن الأداء كسائر الفنون الشكلية مثل النحت والتصوير وغيرهما، له قواعد وأصول يجرى تدريسهما فى معاهد خاصة تخرج الممثلين الحاذقين بعد أن يكونوا قد أحسنوا تعرف هذه الأصول والقواعد . وإذا قلت إنه واجب على الممثل أن يتلق أصول فنه فى معهد ، فهذا لا يحجزنى عن الاعتراف بأن هناك طبائع غنية بمواهبها ، خصبة بإحساساتها ، هى فى غنى عن الصقل والتهذيب فى

معهد أو مدرسة ، إلا أن الطبيعة ضنينة بخلق هذا النفر العزيز الذى يطلع على الدنيا وهو يحمل فى روحه الطبع القوى ، والذوق الصافى ، والحساسية اليقظة ، والصوت الجهير ، واللفظ الفصيح ، والإيقاع المحكم ؛ وهذه هى أهم المصادر التى يصدر عنها الممثل الحق مثل هـذا من الشواذ — والشاذ لا قاعدة له — وعليه فإنشاء معهد للتمثيل هو الوسيلة الفعالة ذات الأثر فى تكوين نشء جديد من الممثلين يجمعون إلى فيض الموهبة الطبيعية ، حذق التعليم ، وصقل التهذيب ، وثقافة الفن

الأكثرية الغالبة من محترفى التمثيل فى مصر يقومون بعملهم على إيحاء الفطرة وهدى التجارب وما يستقر فى أذهانهم مما يشاهدونه من آثار الفن الغربى أو على الشاشة البيضاء

ومن هؤلاء طائفة احترفت فن التمثيل ، لا عن عقيدة وموهبة وإنما عن حاجة ، فهم عمال فن Artisans إذا خصتهم الطبيعة بشىء من الموهبة الصادقة فإن ضعف التحصيل العلمى ، وافتقار الثقافة الفنية ، يجعلان هذا القدر من الموهبة لا يرفع صاحبه إلى الممثل الموهوب المفتن الذى يترجم بأدائه أعمال مؤلفين نبهاء ، ويسمو بفكره إلى حياة سامية مثل حياة شكسبير مثلاً أو موليير أو أبسن وغيرهم

أما عنصر الممثلات فأقل شأناً من عنصر الممثلين ولا سيما فى الناحية الثقافية والعلمية . ويؤلمنى أن أقرر أن بيننا ممثلات لا يحسن القراءة ، فإذا قرأن يتعثرن ، وإذا كتبن فليأتين بأغرب النقوش وأعجب الخطوط

بعد هذا أرى أنه لزاماً على المهتمين بترقية المسرح أن يعملوا على إنشاء معهد للتمثيل فى معناه الكامل . وفوق هذا أرى أن ترسل بعوث إلى الخارج من خريجى هذا المعهد ، لا أن ترسل بعوث من أفراد كل مؤهلاتهم صلة قرابة أو محسوبية

الجمهور : الجمهور فى مصر خليط عجيب ، فيهم من يعيش بعقلية القرون الوسطى أو ما قبله ، ومنهم من يعيش بعقلية عصر النهضة ، ومنهم من يعيش بعقلية عام ١٩٣٩ ولكل فريق منزع خاص وذوق خاص ، وهذا أمر لا نجده فى الجمهور الأوربى ، فمهمة إرضاء هذه الجماهير عن طريق المسرح صعبة وعرة .

هناك نظريتان يأخذ بهما العاملون فى المسرح ، الأولى الارتقاء بالجمهور إلى آفاق الأدب الرفيع ، والثانية مجاراة الجمهور فى مرغوبه وممالأته فيما يريد من تملق عواطفه . حاول بعض أصحاب الفرق الأهلية أن يأخذوا بالنظرية الأولى فلم يوفقوا إلى الكسب الوافر فانحدروا إلى الجمهور ، كما أخذ البعض الآخر فى بدء اشتغاله فى المسرح بالنظرية الثانية وما زال أرجوحة بين الفشل والنجاح

وسبب ذلك فيما أرى اختلاف المستوى العلمى والفكرى ، والجمهور المصرى حديث العهد فى المسرح ليست له فيه ثقافة أو تقاليد ، يؤم دوره بغية التسلية لا ارتجاء الغذاء الفكرى أو العاطفى . فواجب مصلح المسرح أن يعمل تدريجياً على إيجاد جمهور يحس التمثيل ويتذوقه .

* * *

— هـل قامت الفرقة القومية بواجبها فى إيجاد الجمهور والرواية والممثل ؟

— الفرقة القوميـة ما برحت تتطوح وتتهادى فى عملها ، ولم تستقم لها بعد طريقة خاصة أو سياسة مقصودة وذلك بحكم أنها مؤسسة جديدة تقوم بمهمة إذاعة فن جديد فى مصر ، ولا أدرى ما الذى يمنعها من أن تستخلص لها خطة بعد التجارب التى أفادتها فى السنوات الأربع التى مضت على تأسيسها .

المال لا يعجزها ، ومعينها فى عطف وزارة المعارف واسع المدى ، فهى بذلك تعمل فى ظروف جيدة لم يسبق لفرقة مصرية أن عملت فيها .

فمن حيث فن التمثيل لم تقدم الفرقة جديداً ، لأن المشتغلين فيها عملوا على المسرح سنوات عديدة ، والبعوث التى بعثت بها إلى الخارج لم تعد بعد . فلا ندرى ماعسى أن تلقاه فى هذه الناحية من توفيق ونجاح . وشأن فن الإخراج كشأن فن التمثيل

ومن حيث الرواية فإنها لم تقدم كاتباً يأبه له ، وعملها فى المسرحيات المترجمة يطغى على حرصها على تنشيط المؤلفين المصريين وتشجيعهم . وهنا موضع العجب ، ففى الوقت الذى يقول فيه أحد أعضاء لجنة قراءة الروايات : « إن الفكر الروائى المسرحى آخذ فى التقدم إلى الكمال ، بل إلى الكمال السريع » نرى أن نتاج هذا الفكر ضئيل يتنافى مع ما يقرره أعضاء اللجنة فلا ندرى هل اللجنة أخطأت فى تقديرها ؟ أم إن مدير الفرقة لا يؤمن بما تؤمن به اللجنة ، وأنه لا يحب الرواية المصرية لوجه الشيطان ... ؟

أما من حيث الجمهور فقد أخفقت الفرقة إخفاقاً تاماً فى اجتذاب أى طبقة من طبقات الجمهور فى مصر ، ولو اقتصر معينها المادى على إيرادها من جيوب الجمهور لما استطاعت أن تصمد شهراً واحداً

ابن عساكر

7me Année No. 293

Lundi - 13 - 2 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٩٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ذو الحجة سنة ١٣٥٧ — الموافق ١٣ فبراير سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

يا أذن الحى اسمعى !

أوشكت هـذه الصفحة أن تحترق لطول ما أنَّ عليها الفقر وزفر فيها الشقاء، وأغنياؤنا ـ أحيام الله ـ لا يسمعون لأن آذانهم مبطنة بالذهب الأصم، ولا يشعرون لأن قلوبهم مغلفة بالورق المالى الصفيق؛ وبال الخلىّ أطول من ليل الشجىّ، وسمع الناعم أثقل من همّ الشقى، ودنيا اللذة أشغل بمباهجها وملاهيها عن دنيا الألم!

* * *

لعل من القارئين من يختلج فى رأسه هذا السؤال:

لماذا يمتد نفَسى بهـذا الأنين الموجع، ويستمد قلمى من هذا الدمع القانىْ؟ وجوابى أنى نشأت فى قرية من أولئك القرى العشرين التى سلط القدر عليها الباشا والأمير (1)؛ فانشق بصرى على مناظر البؤس، وتنبَّه شعورى على مآسى الجور؛ وعلمت حين تعلمت أن وطننا يفيض بالخير، وديننا يأمر بالإحسان، فأيقنت أن فقر الناس، ناشئ من فقر الإحساس؛ فإذا عرف الفقير حقه، والغنى واجبه، تلاقت الأنفس على حدود الإنسانية الكريمة. فأنا أحاول بمواصلة هذا الأنين أن أعالج وقْر المسامع وسدَر العيون وخدَر المشاعر، عسى أن يتذكر المترفون

(1) أنظر العدد ٢٨٩ : « بين الفقير والغنى »

الفهـــرس

أن لهم إخوة من خلق الله يأكلون ما تعاف الكلاب من المآكل، وينامون مع الحيوان فى المزابل، ويقاسون من الأدواء ما لا يقاسيه حىٌّ فى غير مصر. ولكنى علمت وا حسرتاه بعد شهرين مضيا فى الشكوى والاسترحام، أن بين أبناء الذهب وأبناء التراب أطباقاً من اللحم والشحم، والحديد والأسمنت، ترتد عنها أصوات الضارعين أصداء خافتة؛ ثم تتجاوب هذه الأصداء فى أكواخ المساكين؛ ثم تهافت على بريد الرسالة تهافت الأرواح الهائمة على الشعاع الهادى تلتمس فى ضوئه الطريق إلى الله وائلِ الضعيف وعائل المعدم!

***

من لنا بمن يفتح عيون السادرين على هؤلاء الأيامى اللاتى يقضين ليل الشتاء البارد الطويل على بلاط الأفاريز وقد تطرح أطفالهن على جنوبهن طاوين ضاوين لا يفهمون عطف الأب، ولا يعرفون دفء البيت، ولا يدركون إلا أنهم أجساد تعرى ولا تجد الكساء، وبطون تخوى ولا تصيب الغذاء، وأكف تمتد ولا تنال الصدقة؟



تمثال السائلة، وكم تمثال لها فى مصر من لحم ودم!!

من لنا بمن يفتح قلوب المالكين لأولئك الفلاحين الذين اصطلحت عليهم محن الدنيا وبلايا العيش، وجهلتهم الحكومة فلا يعرفهم إلا جباة الضرائب فى المالية، وفرازو القرعة فى الحربية، وحراس السجون فى الداخلية! أما المعارف والصحة والأوقاف والأشغال فشأنها شأن المترفين والمثقفين لا تعرف غير المدينة ولا تعامل غير المتمدن؟

من لنا بمن يقول لهؤلاء المثرين المستكبرين إن ركفلر ورنشلد لم يرفعهما إلا حب الإنسان، وإن الدمرداش والمنشاوى لم يخلدهما إلا بذل الإحسان، وإن لديهم من فضلات الثروة كربح الأموال فى المصارف، ومكافأة النيابة فى البرلمان، وحثالة الزروع فى العزب من التبن والقش والحطب، ما يوفر الغذاء والدواء والعلم لألوف الألوف من بنى الوطن؟

***

بالأمس كانت ذكرى وفاة المرحوم السيد عبد الرحيم الدمرداش، وهو والمنشاوى وبدراوى سمنود من ملائكة الأرض الذين يرفرفون بأجنحتهم النورانية على شقاء كثير من الناس. فلماذا لا يقام لهؤلاء الخيِّرين البررة وأمثالهم تماثيل فى الميادين العامة، ليتشبه بهم الغنى، ويترحم عليهم الفقير، وليكون فى رفع ذكراهم على هذا النحو إعلاء لمعنى الإحسان، وإطراء لأريحية المحسن، وتفريق بين من دلله الوطن فعقّ، وبين مَن رباه الوطن فبرّ، فلا تستوى الحسنة ولا السيئة، ولا ينبغى «أن يكون المحسن والمسىء بمنزلةٍ سواء، فإن فى ذلك تزهيداً للمحسن فى إحسانه، وتدريباً للمسىء على إساءته»

احمد حسن الزيات

نقص أم ماذا ... ؟

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

كان معى — وأنا مدرس فى مدرسة دار العلوم — أستاذ انجليزى كانت بينى وبينه صداقة وثيقة . وكنا نعلم الطلبة مبادئ اللغة الإنجليزية ، فأقبل على يوماً يقول : « لقد أخفقت وأحسب أن من واجبى الآن أن أقنع رؤسائى بنقلى إلى مدرسة أخرى ، فما فى بقائى هنا خير ، ولست أدرى كيف تصنع أنت ، ولكن الذى أدريه أنى أنا أخفقت »

فقلت له وأنا أمازحه : « أقعد ، أقعد ، وحدث (عمك) المازنى بما تعانى وتكابد . ما هى الصعوبة اليوم ؟ »

قال : « سأخبرك . إن كل طالب يسألنى مثلاً عن الفعل « Sit » — يجلس — كيف انقلب فصار « Sat » — جلس — فلا أستطيع أن أجيب بكلام معقول مقبول يرتاح إليه العقل . هم يريدون سبباً ويطلبون تعليلاً ، وأنا لا أعرف إلا أن هاتين صيغتاه فى الحالتين . وقس على هذا »

قلت : « هل تطيعنى إذا أشرت عليك بأمر ؟ »

قال : « أتمزح ؟ »

قلت : « أمزح ... أجد ... سيان . المهم إنقاذك من الورطة . إسمع يا صاحبى . لقد كنت أظن أنك أفدت شيئاً مما تعلمته من قواعد اللغة العربية . وكنت أحسب أن ذهنك مرن ، وأن لك قدرة على الاقتباس والقياس . وكنت أتوهم أنك تستطيع أن تخاطب كل فريق من الناس بما يفهمون »

قال : « لست فاهماً »

قلت : « ألم يعلمك شيوخك فى اللغة العربية أن (قال) أصلها (قَوَلَ) وأن الواو فُتح ما قبلها فصارت ألفاً ؟ »

قال : « نعم »

قلت : « هل تستطيع أن تزعم أن هذا كلام معقول مقبول يستريح إليه العقل ؟ »

قال : « لا »

قلت : « ولكنك سلمت به بلاجدال ، وأخذته عن مشايخك بلا مناقشة أو تفكير ، وأجبت به فى الامتحان بلا تردد ، وأنت تزعم اليوم أنك تعرف العربية حق معرفتها ، وأنك أخذتها عن أهلها »

قال : « ولكن ما دخل هذا فى موضوعنا ؟ »

قلت : « كنت أحسبك ذكيًّا ولبيباً ، فإن هذا هو حل المشكل . بهذه العقلية التى جعلتك تسلم بأن قال أصلها قَوَلَ ، فُتح ما قبلها فانقلبت ألفاً ، يجب أن تخاطب الطلبة . فاذهب وقل لهم إن « Sat » أصلها « Sit » وإن حرف العلة فتح ما قبله فانقلب « Sat » فسترى أن هذا يسرهم ويكفيهم ، وستجد أنك استرحت بعد ذلك من كل عناء »

فصاح بى : « ولكن هذا غير معقول »

قلت : « إنه معقول كقولك إن قال أصلها قَوَلَ وأن الواو فُتح ما قبلها إلى آخر هذا الهراء . ولا تحتقر تلاميذك حين تراهم يصدقون أن « Sat » أصلها « Sit » وأن حرف العلة فُتح ما قبله إلى آخر هذا الهراء ، أو حين يتوهمون أنهم فهموا . فلست خيراً منهم ، وما أكثر ما يتوهم الإنسان أنه فهم ، وهو غير فاهم شيئاً . إذهب وافعل ما أشير به وأخبرنى بالنتيجة ، وإن كنت أعرفها من الآن كلها . لن تقول لى بعد الآن إنك أخفقت ، وإنك ستطلب من الوزارة النقل إلى مدرسة أخرى »

وقد كان ، وسكنت الثورتان : ثورة الطلبة على المدرس ، وثورة المدرس على نفسه

وهذا استطراد بدأت به ، أما ما كان العزم أن أقوله فهو أن هذا الصديق المدرس سألنى يوماً وقد علم أنى رُزقت طفلاً : « حدثنى عنه . صف لى كيف تحبه ! »

قلت : « لا أعلم أنى أحبه »

قال : « لا تتكلف الفلسفة »

قلت : « الحقيقة أنى حائر ، لا أشعر بأية عاطفة ، ولا أحس أن لى به سروراً كذلك الذى أسمع وأقرأ أن الأدباء يحسونه ببنيهم ؛ وإنى لمستغرب »

قال : « أتتكلم جاداً ؟ »

قلت : « إنى جاد جداً . وثق أنى حائر »

قال : « لعل العاطفة راقدة ، وعسى أن تكون محتاجة إلى ما يوقظها وينبهها »

قلت : « عسى »

وانتقلنا إلى حديث آخر ، ومضت الأيام وماتت البنت — فقد كانت بنتاً — فلم أرنى حزنت أو جزعت ، ولم يكن هذا كافياً لتنبيه عاطفة الأبوة التى قال لى صاحبى أن أكبر ظنه أنها راقدة . ولى الآن من البنين ثلاثة ، وقد استطعت أن أوحى إلى نفسى حب بنتى التى ماتت ، وحب أخرى جاءت وذهبت مثلها ، وحب البنات على العموم دون البنين ، أو أكثر من البنين ، ولكنى أدرك أن هذا فعل الإيحاء لا فعل الطبيعة ، وأعرف من نفسى أنى لا أعرف لبنىّ مثل ما يعرف الآباء غيرى . نعم أشفق عليهم وأعنى بهم ، ولكنى لا أشعر لهم بتلك الرقة التى أسمع بها . ويخيل إلىّ أن العادة هى منشأ ما أحسه لهم ، وأنى أرحمهم لأنهم صغار ضعاف ، وأعنى بهم لأنى جئت بهم فأنا مسئول عنهم . وكثيراً ما أضجر وأمل ، وأسأل نفسى متى يكبرون ويستغنون عنى ، فأحط عن كاهلى عبئهم ، وأرتاح منهم ، وأعيش وحدى مستقلا عنهم ؛ وأرحل وأغيب ، فلا أحن إليهم إلا حنة المرء لعشيره وصديقه ، ولمألوفه

وكان لى أخ أسن منى ، وكنت أوقر سنه ، ولكنى لم أكن أشعر له باحترام أو حب ، كالذى يكون بين الأخوين عادة . ولم أبكه لما مات ، وإنما سخطت على ضعفه الذى قتله ، فقد كانت امرأته تركبه كالحمار ، وكان يشكو لى هذا ، فأضجر ، وأقول له : « ما الفائدة ؟ إنك ضعيف ، وهى تركبك ، ولا أمل فيك ولا خير فى الشكوى ، فاحتمل على قدر طاقتك ، فما خلقك الله لغير هذا » فيقول : « نعم . صدقت . يجب أن أحتمل » فأنهض من مجلسه مشمئزاً ، وإن كنت فيما عدا ذلك أستظرفه وأستخف ظله ، وأحب فكاهته ، ولكن ضعفه كان يهيج نفسى عليه ، وقد مرضت جدتنا فلم يعدها لأن امرأته أبت عليه ذلك ، فلما ماتت جاء ليمشى فى جنازتها ، فأبيت عليه ذلك وقلت له : « كان الأولى أن تعودها فى حياتها لتسرها على الأقل ولتعفيها من شعور الحسرة ، أما الآن فأولى بك أن تذهب إلى بيتك » ففعل

وانقطع ما بينى وبينه سنوات لم أشتق إليه فيها قط ، ثم التقينا اتفاقاً فتصافحنا فى صمت ثم نزعت يدى ، ومضيت لشأنى ومضى فى سبيله . وقد قصصت هذا لأصف شعورى الحقيق

فهل هذه بلادة ؟ أو هى نقص فى بعض جوانب النفس ؟ أم ذاك لأن عاطفتى الأدبية تستغرق نفسى كلها ؟ أم لأن حبى لأمى استنفد ذخيرة النفس من هذا الحب ؟ فقد كان حبى لأمى — وما زال — أقوى ما استولى على نفسى ، وكان هو العامل المؤثر فى سيرتى ، فكنت إذا هممت بأمر أسأل نفسى : « ماذا ترى يكون رأى أمى فى هذا ؟ » فإذا كان الجواب خيراً أقدمت ، وإلا صددت نفسى وكبحتها عن مرادها ، وصرفتها عما تحاول . أم ترى التعليل الصحيح أن البنين والإخوة والأقرباء على العموم نتيجة المصادفة ، ليس إلا ؟

لا أدرى . وأكبر الظن أن بى نقصاً ، فإنى فيما عدا حبى لأمى ، لم يغلبنى حب قط - لا حب امرأة ، ولا حب أحد من البنين أو الأقارب . ولست أرى الناس كذلك ، وليس من المعقول أن أزعم أن الناس غيرى شاذون ، وأنى أنا وحدى الطبيعى ، والأولى والأقرب إلى العقل أن آخذ بمنطق « قراقوش » فأصدق الناس ، وأرفض زعم الفرد .

ابرهيم عبد القادر المازنى

للتاريخ السياسى

النزاع الايطالى الفرنسى
وموقف المستر تشمبرلين

للدكتور يوسف هيكل

لم تأت سياسة « تهدئة الخواطر » بما كان يتوخاه المستر تشمبرلين منها . بل إن هذه السياسة أكثرت المشاكل الأوربية وعقدتها . فنجاح الهر هتلر فى ميونيخ قاد ألمانيا إلى مهاجمة بريطانيا والتهكم بها ، وجعل الفوهرر يعد العدة لتحقيق مشروعاته الواسعة فى شرق أوربا ؛ فعظم الخطر الألمانى وتفاقم ...

أما إيطاليا فقد ازدادت تدخلا فى أسبانيا وازدادت جرأة وتبجحاً ، فقامت تهاجم فرنسا مطالبة إياها بقسم من أملاكها . واشتدت مظاهرات هذه المطالب فتحولت إلى نزاع بين باريس وروما يهدد العالم بحرب ضروس. فما هى المطالب الايطالية ؟ وماذا كان تأثيرها فى فرنسا ؟ وهل تستند إلى حق صحيح ؟ وما هو موقف المستر تشمبرلين منها ؟

بينما كانت فرنسا آخذة فى تحسين علاقاتها بجاراتها اللاتينية ، فعينت سفيراً لها فى روما ، واعترفت بالإمبراطورية الإيطالية ، جابهتها إيطاليا بمطالب جديدة فيها اعتداء على أملاك حكومة باريس ، وإهانة للجيش الفرنسى . وللتهرب من مسؤولية ذلك ، لم تضع حكومة روما هذه المطالب فى قالب رسمى ، بل عمدت إلى التمثيل فى إسماع حكومة باريس مطالبها . وكان مسرح التمثيل قاعة البرلمان فى روما ، وكان الممثلون وزير الخارجية وأعضاء مجلس النواب . وموجز المشهد أنه فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٣٨ ألقى الكونت شيانو وزير خارجية إيطاليا خطاباً سياسيا فى مجلس النواب ، نوه فيه بـ « مطالب الشعب الإيطالى الطبيعية » وعند ما لفظ الوزير هذه الجملة ، وقف النواب وقفة رجل واحد صائحين : « نريد تونس و كورسيكا ونيس » ... وفى الأيام التالية أخذت الجموع الإيطالية تطوف الشوارع مطالبة فرنسا بمطالب نوابها ، وقامت الصحافة الإيطالية وهى شبه رسمية تبرر موقف النواب ، وتوضح شعور الجماهير الإيطالية المطالبة بحق طبيعى لها فى الممتلكات الفرنسية الثلاث السالفة الذكر . ولم تكتف الصحف الإيطالية فى بيان ما تدعيه حقاً لإيطاليا، بل أخذت ولا تزال تأخذ فى التنديد بفرنسا وانتقادها انتقادات مرة ؛ فقابلتها الصحف الفرنسية بالمثل ، فنشأ بين البلدين جدل صحفى كان من تأثيره ازدياد توتر العلائق بين روما وباريس. وفى هذه الأثناء لم يرد الطلبة فى فرنسا الوقوف موقف المتفرج ، بل قرروا الرد على المظاهرات الإيطالية ، فقامت جموعهم بمظاهرات فى أنحاء المدن الفرنسية هاتفة بهتافات تهكمية منها « صقلية وسردينيالفرنسا » و « إيطاليا للنجاشى »

كان للمشهد التمثيلى فى البرلمان الإيطالى وقع سيئ فى الدوائر الفرنسية . وقد اهتمت حكومة باريس به اهتماماً كبيراً ، فدعا المسيو بونيه وزير خارجية فرنسا سفير إيطاليا لمقابلته فى اليوم التالى للحادث ، وقابل المسيو فرنسوا بونيه سفير فرنسا فى روما الكونت شيانو فى ٢ ديسمبر واحتج على حادث مجلس النواب الإيطالى ، فنفى الوزير مسؤولية الحادث عن حكومته بقوله « إن الحكومة الإيطالية لا تعد مسؤولة إلا عن مسلكها ومطالبها الرسمية »

لم تكتف الحكومة الفرنسية بهذا الرد ، وعولت على أن تبرهن أنها لا تتهاون فى مصالحها ولا تسمح بالتفكير فى الاعتداء على أملاكها ، فردت على مظاهرة البرلمان الإيطالى المدبرة رسمياً ، بزيارة المسيو دلادييه لكورسيكا وتونس فى ٣ يناير سنة ١٩٣٩ ، بموكب عسكرى ، فقوبل فيها بترحاب عظيم . وقد هتف أهل كورسيكا وسكان تونس الفرنسيون بحياة فرنسا ، وأظهروا أنهم فرنسيون لا يريدون من جنسيتهم بديلاً . أما أهل تونس العرب فأكدوا — إن كان لا بد من المفاضلة بين فرنسا وإيطاليا — أنهم لا يترددون فى التمسك بفرنسا ، ولا يقبلون قط الانتقال إلى الحكم الإيطالى . وزيادة على ذلك فقد صرح المسيو دلادييه ، والمسيو بونيه داخل البرلمان وخارجه ، أن الحكومة الفرنسية لن تتنازل عن شبر واحد من أملاكها

لم ترتح إيطاليا لزيارة المسيو دلادييه لكورسيكا وتونس ، بل رأت فيها اعتداء صريحاً عليها وسبباً لزيادة توتر العلاقات بين الجارتين . كما أن تأكيد الدوائر المسؤولة فى باريس برفض المطالب الإيطالية ، أغضب رجالات إيطاليا وصحافتها . فاشتدت فى حملتها على فرنسا ، وحاولت إثبات عدالة تلك المطالب الطبيعية .

***

لم تكن نيس وكورسيكا يوما ما تابعتين لإيطاليا الحديثة ، إذ أن نيس ومقاطعة سافوا كانتا من أملاك الدون دى سافوا وجزءا من مملكة سردينيا . ولما قام الملك فكتور عمانوئيل ووزيره كافور بتوحيد إيطاليا ، احتاجا إلى مساعدة فرنسا لهما فقاوضا نابليون الثالث فى مساعدتهما على إخراج النمساويين من اللومباردى وفى موافقته على توحيد البيمون مع الدول الوسطى . ووعداه مقابل ذلك بالتنازل لفرنسا عن نيس ومقاطعة سافوا . فتم الاتفاق بينهم على ذلك عام ١٨٦٠ . وعندما جرى استفتاء التنازل لفرنسا فى ١٥ ابريل عام ١٨٦٠ ، كان ٢٥٧٤٣ صوتاً محبذين الانتقال و١٦٠ صوتا فقط ضد التنازل .

أما كورسيكا فقد كانت تابعة لجنوا منذ القرن الخامس عشر حتى عام ١٧٦٨ ، الذى فيه باعت جنوا سيادتها على هذه الجزيرة لفرنسا . ومنذ ذلك التاريخ وكورسيكا جزء من فرنسا .

وأما تونس فقد تدخلت فيها الدول الاستعمارية عن طريق قرض الأموال لها . ثم تدرعت هذه الدول كعادتها باضطراب الأحوال المالية والإدارية ، ففرضت على تونس عام ١٨٦٩ رقابة مالية قوامها ممثلون لبريطانيا وفرنسا وإيطاليا . وأخذت هذه الدول الثلاث تتنافس وتسعى كل منها بأن يكون لها القسم الأول من التدخل فى شؤون تونس ونشر نفوذها عليها . وكانت إيطاليا تأمل فى احتلال تونس وجعلها مستعمرة لها . ولما أرادت تنفيذ رغبتها ، أبدت ما عزمت عليه لانكلترا لأخذ موافقتها ، فأجاب رئيس وزارتها حينئذ ، أن بريطانيا العظمى لا ترى بعين الارتياح ساحل تونس وساحل صقلية فى يد حكومة واحدة . ولا تزال بريطانيا تحتفظ بهذه السياسة حتى الآن حفظاً لسلامة طرق المواصلات فى البحر الأبيض المتوسط . وكانت فرنسا ترغب فيما كانت ترغب فيه إيطاليا من ضم تونس إليها ، فاتفقت مع بريطانيا بأن تترك لها حرية العمل فى تونس نظير موافقة فرنسا على ضم انكلترا جزيرة قبرص

وفى عام ١٨٨١ سارت قوة عسكرية فرنسية إلى داخل تونس بحجة مطاردة بعض القبائل التى اعتدت على حدود الجزائر ، وأخذت تتوغل فى البلاد التونسية وتستولى عليها ... فاضطر « باى » تونس إلى النزول عند رغبة الغزاة ، وتوقيع معاهدة « بردو » فى ١٢ مايو ١٨٨١ التى بموجبها قبل الحماية الفرنسية

تأثرت إيطاليا من عمل فرنسا كثيراً ، واعتبرته اعتداء على أمانيها وعلى حقوقها الطبيعية ، حتى أنها لم تعترف بفتح فرنسا لتونس إلا عام ١٨٩٦ ، الذى به تم الاتفاق بين باريس وروما على منح الرعايا الإيطاليين البالغ عددهم حينئذ ٥٥٫٥٧٢ إيطالياً ، امتيازات خاصة ، يحافظ الإيطاليون بموجبها على جنسيتهم

* * *

وقد تجدد الخلاف بين فرنسا وإيطاليا فيما بعد الحرب العالمية ، بسبب الجالية الإيطالية فى تونس ، تلك الجالية البالغ عددها الآن نحو مائة ألف إيطالى تقريباً ، مقابل ما يزيد على مائة وعشرة آلاف فرنسى ، عائشين بين مليونين ونصف من العرب . وأخذ هذا الخلاف يتفاقم حتى أن الصحف أخذت تتحدث عام ١٩٣١ عن احتمال وقوع حرب إيطالية فرنسية ، وظل توتر العلاقات بين الجارتين شديداً حتى ٧ يناير ١٩٣٥ ، وهو التاريخ الذى تم فيه الاتفاق بين السنيور موسولينى والمسيو لافال على تسوية الخلاف القائم بين الحكومتين

نالت إيطاليا ، بموجب هذا الاتفاق ، لرعاياها فى تونس امتيازات جديدة . فالإيطاليون الذين يولدون فى تونس قبل ٢٨ مارس سنة ١٩٤٥ يحافظون على جنسيتهم الإيطالية ، والذين يولدون بين ١٩٤٥ و ١٩٦٥ يحق لهم اختيار الجنسية الفرنسية ، وأما الذين يولدون بعد ١٩٦٥ فيخضعون للقانون العام . وأما المدارس الإيطالية فتحافظ على وضعها الحالى حتى عام ١٩٥٥ ، ومن ثم تصبح تحت الرقابة الفرنسية . وفى هذا الاتفاق أيضاً قام المسيو لا فال بتنفيذ البند ١٣ من اتفاق لندن عام ١٩١٥ ، الذى بموجبه تعهدت فرنسا بتعويض إيطاليا ببعض المزايا الاستعمارية نظير دخولها الحرب ضد ألمانيا ، وذلك بالتخلى لإيطاليا عن منطقة تبسى البالغة مساحتها ١١٤ ألف كيلو متر مربع فى صحراء أفريقيا ، وبالتنازل عن جزيرة دوميرا فى البحر الأحمر ، وعن قسم من الساحل الصومالى الفرنسى المواجه لباب المندب ، وعن عدد من أسهم سكة حديد جيبوتى — أديس أبابا . وظن حينئذ أن هذا الاتفاق وضع حداً للخلاف بين الجارتين .

غير أن تطور الحالة الدولية ، وطموح إيطاليا إلى سيادة

البحر الأبيض المتوسط ، أديا بالسنيور موسوليني إلى تجديد الخلاف مع فرنسا على بساط المطالب الاستعمارية . ولم يكن في الواقع الداعي لهذه المطالب سبباً تاريخياً ، أو حرصاً على تطبيق حق تقرير المصير ، وإنما هو سبب حربي

فلكورسيكا أهمية كبيرة في نظام الدفاع الفرنسي ، كما أن بنزرت الواقعة في غربي تونس هي الميناء الحربي الرئيسي للأسطول الفرنسي في شمال أفريقا . فوضع إيطاليا يدها على كورسيكا يضعف وضعية فرنسا الحربية في البحر الأبيض المتوسط ويزيد في أهمية المواقع الإيطالية الحربية . وأما استيلاء إيطاليا على تونس فمعناه ، زيادة على إضعاف فرنسا ، تمكنها من وضع رقابتها التامة على القسم الضيق من البحر الواقع بين تونس وصقلية ، والذي لا تزيد مسافته بينهما على ٩٠ ميلاً ، ولا سيما أن جزيرة بانتلاريا الإيطالية قد حصنت تحصيناً حربيًّا عظيماً . وبذلك تتمكن إيطاليا من شطر البحر الأبيض المتوسط إلى شطرين ، ومن قطع المواصلات بين قسميه ، وفي ذلك ما فيه من الأخطار الفادحة على أملاك فرنسا الآسيوية والإفريقية الشرقية ، وعلى الإمبراطورية البريطانية . ومن الغريب أن بعض الصحف الإيطالية لم تخف هذا السبب ، إذ قالت : إن إيطاليا لن تتغاضى عن المطالبة بكورسيكا وتونس لأن وجودهما في يد فرنسا خطر عليها ...

ولكيما يكون لإيطاليا عذر قانوني في تجديد الخلاف مع فرنسا ومطالبتها بمزايا استعمارية جديدة ، نقض السنيور موسوليني معاهدة ١٩٣٥ ، وذلك بتبليغ الكونت شيانو في ٢٢ ديسمبر المسيو فرانسوا بونسيه أن حكومته لا تعد المعاهدة الفرنسية الإيطالية التي عقدت عام ١٩٣٥ نافذة ، لأنها لا تتفق مع مقتضيات الحالة الحاضرة ، ولأن فرنسا لم تنفذها ولم تحافظ على نصوصها أو روحها بل اشتركت في العقوبات الاقتصادية التي وضعتها عصبة الأمم على إيطاليا خلال الحرب الحبشية . على أن فرنسا متمسكة باتفاق ١٩٣٥ الذي سوى في نظرها كل أسباب الخلاف بينها وبين إيطاليا ، بدليل توقيع الحكومة الإيطالية رسمياً عليه في ٧ يناير سنة ١٩٣٥ ، والتصريحات التي أفضى بها السنيور موسوليني في ليتوريا يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٣٦ وجاء فيها قوله : « إن مشاكل إيطاليا في القارة الإفريقية حلت كلها حلاً نهائياً مشرفاً »

وهي تقول إنه إذا كان اتفاق ١٩٣٥ لا يلائم أحوال إيطاليا الحاضرة ، فإن اتفاقات ١٨٩٦ بشأن الإيطاليين في تونس لم تعد ملائمة للحالة الحاضرة أيضاً ، ولذلك يكون لفرنسا الحق في وضع نظام جديد للرعايا الإيطاليين فيها . أما مسألة العقوبات فمن نكران الجميل التحدث عنها ، لأنه لولا ولاء حكومة باريس للاتفاق الذي عقد مع حكومة روما لما تمكن السنيور موسوليني قط من اكتساح الحبشة وإيجاد الإمبراطورية الايطالية

أما ما هي المطالب الرسمية الإيطالية فلم تعلنها بعد حكومة روما ، وهي تقول إنها ستتقدم بها إلى فرنسا في الوقت المناسب وبالصورة المناسبة . غير أننا نستبعد أن تكون نيس وكورسيكا من ضمن هذه المطالب . وإن ما تطمع فيه إيطاليا على ما يظهر هو الاستيلاء على تونس ، أو جعلها منطقة حرة على مثال طنجة والاشتراك في إدارة قناة السويس ، والاستيلاء على خط حديد جيبوتي — أديس أبابا ، وعلى جيبوتي نفسها أو الاشتراك في استعمال مينائها من غير مقابل .

* * *

ومما هو جدير بالملاحظة أن الصحافة الألمانية ، الناطقة بلسان حكومة الريخ بصورة غير رسمية ، تؤيد إيطاليا في موقفها . وقد ذكر الهرهتلر موقف بلاده تجاه إيطاليا في خطابه الذي ألقاه في ٣٠ يناير ، ومما جاء فيه أنه « إذا كان يراد إثارة حرب تحت أي ستار كان ضد إيطاليا فإن الواجب يدعو ألمانيا إلى الوقوف بجانب صديقتها .

ومما لاشك فيه أن إثارة السنيور موسوليني الخلاف الاستعماري مع فرنسا من جديد ، هو نتيجة لاتفاق مونيخ ، وأن زعيم إيطاليا ما كان يجرؤ على ذلك لو أن فرنسا في المكانة الدولية التي كانت فيها قبل تضحية تشيكوسلوفاكيا . فالسنيور موسوليني أراد الاستفادة من ضعف فرنسا بسبب انهيار ما كانت تعتمد عليه من نظام التحالف بعد اتفاق مونيخ . ورأى في زيارة المستر تشمبرلين فرصة سانحة لمساعدته على تحقيق ما يريد من فرنسا ، لأنه كان يعتقد أن بريطانيا ترى من الحكمة توطيد صداقتها مع إيطاليا بالنصح لفرنسا بإيثار خطة المسالمة على العمل على تبديد روح ميونيخ والقضاء عليها

ولما كانت إيطاليا تعلم أن لا أمل لها فى تحقيق مطالبها من فرنسا عن طريق المفاوضات المباشرة ، أرادت أن تنقل خلافها معها إلى مجال المسائل الدولية . وبما أنها متأكدة من مساعدة ألمانيا لها فى مطالبها عملت على إقناع بريطانيا بعقد مؤتمر رباعى لبحث هذه المطالب . ولنقل إيطاليا مطالبها إلى مجال المسائل الدولية وجعلها من اختصاص المؤتمرات الدولية ، أعلنت أن اعترافها بالحماية الفرنسية على تونس كان مقيداً باحترام حقوق الإيطاليين فى البلاد التونسية . وبما أن فرنسا لم تحترم هذه الحقوق فقد أصبحت إيطاليا فى حل من الاعتراف بالحماية الفرنسية . وترى أنه من الواجب على الدول الأخرى ألا تكون مقيدة بهذا الاعتراف . وقامت الصحافة الإيطالية تؤيد هذه النظرية وتمهد الرأى العام الدولى لتحبيذ عقد مؤتمر رباعى حفظاً للسلام ، وحرصاً على إيجاد التفاهم بين الدول الأوربية الكبرى . فحملت حينئذ الصحافة الفرنسية على هذه النظرية وأكدت أن مثل هذا المؤتمر لن يعقد لبحث المطالب الإيطالية ؛ وإن عقد فلن تشترك فيه فرنسا . وعلى أثر ذلك أخذت الصحافة الإيطالية تلفت النظر إلى أن فى نية بريطانيا التوسط لتسوية النزاع الإيطالى الفرنسى . وكان السنيور موسولينى يعلق أهمية كبرى على زيارة المستر تشمبرلين للعاصمة الإيطالية ؛ فخشيت الحكومة الفرنسية من أن يتمكن زعيم إيطاليا من الضرب على الوتر الحساس عند رئيس الوزارة البريطانية ، ومس نقطة الضعف فيه ، فيحمله على التوسط كما حمله الهر هتلر على ذلك فى المسألة التشيكوسلوفاكية

وللحيلولة دون ذلك قابل المسيو كوربان سفير فرنسا فى لندن اللورد هاليفاكس ، وأعلمه أن فرنسا ترى أن المطالب الإيطالية من الشؤون التى يجب أن تسوى بينها وبين إيطاليا وحدهما ؛ وأن فرنسا لا توافق ، وعلاقاتها سيئة مع حكومة روما ، على منح إيطاليا شيئاً ما بقناة السويس . وفى ١١ يناير يوم وصول المستر تشمبرلن واللورد هاليفاكس باريس فى طريقهما إلى روما نشرت جريدة « الطان » الناطقة بلسان وزارة الخارجية الفرنسية أن لا وساطة هناك ، لأن فرنسا لن تسمح بأى مناقشة دولية عند ما يتعلق الأمر بمصالحها الحيوية ووحدة إمبراطوريتها ، وهى لن تشترك فى أية مساومة رباعية أو ثلاثية فى هذا الوضوع . ومن الأكيد أن بريطانيا تشارك فرنسا فى وجهة نظرها ، ويستطيع السنيور موسولينى أن يتحقق ذلك بنفسه ، إذا رأى فائدة من مفاتحة الوزراء البريطانيين فى هذا الصدد

وقبل أن يزور المستر تشمبرلن روما زار باريس وتحدث مع وزارتها ، وفى هذه الزيارة أكد للمسيو دلادييه أنه لا يريد التوسط فى الخلاف القائم بين روما وباريس . فكان ذلك خيبة للآمال التى كان السنيور موسولينى يعقدها على توسط المستر تشمبرلين ، وصدمة للدول التى كانت تعمل على التفريق بين لندن وباريس .

أما محادثات روما فقد فشلت فشلاً تاماً فى جميع المسائل التى طرحت على بساط البحث . وكان هذا الفشل نجاحاً باهراً من وجهة نظر بريطانيا وفرنسا ، لأن تلك المحادثات لا تعد ناجحة فى نظرهما إلا إذا فشلت . وكل ما استفيد من هذه المحادثات هو إدراك انكلترا أن المستقبل قاتم على رغم إظهار إيطاليا نيات سليمة ، وتأكد إيطاليا من متانة التضامن الفرنسى الانكليزى ، وأنه ليس من السهل زعزعته ولا الحفر تحته .

وفشل هذه المباحثات جعل جريدة « تلغرافو » ذات العلاقات الوثيقة بالكونت شيانو تصرح بأن « ليس معنى نقض إيطاليا لاتفاق ١٩٣٥ أنها تريد الحرب ، بل معناه أنه يجب البحث عن اتفاق آخر . فالحكومة الفاشية لا تعارض فى مباشرة مفاوضات جديدة ، ولكن ذلك يعد أمراً متعذراً فى الجو الحالى » . وذلك الجو لم يصف منذ ذلك الحين بل تلبدت غيومه ، فاشتد الجفاء ، وتعاظمت حملة صحف الطرفين ، مما جعل السنيور جايدا يشير إليها بقوله « إن المدافع ستطلق من تلقاء نفسها » على أن إيطاليا لم تفعل شيئاً لتحسين علاقاتها بفرنسا ، بل زادت الحالة خطورة بدعوة فرق من الإيطاليين لحمل السلاح ، وبحشد فرق من الجيش الإيطالى فى الحبشة قرب حدود الصومال الفرنسى ، مما جعل فرنسا ترسل فرقاً وبوارج حربية إلى جيبوتى . ولعل السنيور موسولينى يأمل نيل مطالبه عن طريق التهديد بالحرب ، وإرهاب الرأى العام .

فهل ينجح بذلك كما نجح الهر هتلر خلال شهر سبتمبر الفائت ؟ هذا ما نشك فيه .

يوسف هيكل

ابن الرومي

الشاعر المصور

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وترى ابن الرومي بالرغم من إطالته فى المدح وإكثاره فيه يذم هذه الخطة فيقول :

وإذا امرؤ مدح امرأً لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه

ويقول للممدوح :

فإن الله أعلى منك جِدًّا ويرضيه من الحمد اليسيرُ

على أن له بالرغم من كل ذلك مقدرة كبيرة على توليد معانى المدح كما فى الأبيات التى يقول فيها :

والناس تحت سماء منك مُشْمِسة

والناس تحت سماء منك مدرار

فيتتبع هذه المعانى الشائعة ويولد منها معانى أخرى ، وله الأبيات التى يقول فيها :

هب الروض لا يثنى على الغيث نشره

أمنظرة يُخْفِى مآثره الحُسْنَى

والتى يقول فيها :

له هيبة لم يكتسبها بكلفة

إذا اكتسبت ذاك الوجوهُ العوابس

والتى يقول فيها :

آراؤكم ووجوهُكم وسيوفُكم فى الحادثات إذا دَجَوْنَ نجوم

والتى يقول فيها :

خِرْقٌ تَعَرَّضَتِ الدنيا له فصبا

إلى المكارم منها لا إلى الفتن

له حريم إذا ما الجار حل به أضحى الزمان عليه جد مؤتمن

كأنه جنة الفردوس قد أمنت

فيها النفوس من الروعات والحَزَنِ

ولكن أهاجيه بالرغم من ذلك أبرع وأشد أثراً ، وهو فيها أكثر ابتداعاً للمعانى والخيالات ، وأحياناً يسوق فيها الأخيلة الفكاهية مترادفة ويولد الذم من الذم والهجاء من الهجاء وينتشى بالهجاء ويعربد كل عربدة ويطلق لنفسه العنان كراكب الجواد الذى يطلق العنان لجواده يعدو ما شاء العدو. ومن شعره المشهور فى الهجاء قوله :

ولو يستطيع لتقتيرِهِ تَنَفَّسَ من منخر واحد

وقوله :

إن للجد كيمياء إذا ما مسَّ كلباً أحالهُ إنسانا

وقوله :

فلو لم تكن فى صُلبِ آدم نطفة لخر له إبليس أول ساجد

وقوله :

لو كنتمُ صحتى وعافيتى فررتُ من قربكم إلى السَّقَمِ

وقوله فى هجاء طبيب :

سلَّط الله عليه طبَّهْ وكفاه طبه لا بل كفانى

وقوله :

وأخرق تضرمه نفخة سفاها وتطفئه تفلة

وقوله :

وقال اعذرونى إن بخلى جِبلة

وإن يدى مخلوقة خلقة القفل

طبيعة بخل أكدتها خليقة

تخلَّقتها خوفَ احتياجى إلى مثلى

وقوله : وقد أبدع واستطرد فى وصف صور السعادة التامة وتصويرها تصويراً بارعاً كى يقول : إن سعادة الناس التامة لا تقتضى الشكر عليها ما دام المهجو منهم ، فانظر إلى براعة الرسم والتصوير فى قوله :

ما كرَّم الله بنى آدم إذ كان أمسى منهمُ خالد

والله لو أنهمُ خلَّدُوا حتى يبيد الأبد الآبد

وأصبح الدهر حفياً بهم كأنه من بِرِّهِ والد

ولم يكن داء ولا عاهة فالعيش صافٍ شربه بارد

ودامت الدنيا لهم غضة كأنها جارية ناهد

ما كلِّفوا الشكر وقد ضمهم وخالد اللؤم أب واحد

على أن هذا كله أهون ما فى شعره من الهجاء ، وأسهل تحملاً من فحشه الذى أطلق لنفسه العنان فيه وخلع الحياء ، وأتى بأشد

مما جاء به كل الشعراء . فلا الحطيئة ولا الأخطل ولا جرير يدانيه فى الهجاء ، وهو مع ذلك أحياناً يخلط الهجاء بالحكمة والمثل كما فى قوله :

توَقٍّ الداء خيرٌ من تصدٍّ
لأيسره وإن قرب الطبيب

وكما فى الأبيات المشهورة التى يقول فيها :

رأيت الدهر يرفع كل وغد
ويخفض كل ذى شِيَم شريفهْ
كمثل البحر يغرق فيه حى
ولا ينفكُّ تطفو فيه جِيفهْ
أو الميزان يخفض كل وافٍ
ويرفع كل ذى زِنَةٍ خفيفهْ

فترى أنه مُغْرًى دائماً بتتبع الصور وبالتصوير سواء أكان ذلك فى مدحه أو ذمه.

وتظهر مقدرته على التصوير أعظم ظهور فى وصفه الأزهار أو الأنهار أو الأشجار أو القفار أو الرياح أو السماء أو السحاب أو الفواكه أو الروائح أو المأكولات ، وله فى كل هذه الأشياء أشعار كثيرة . أنظر إلى وصفه للنسيم :

وشمأل باردة النسيم
تشفى حزازات القلوب الهيم
كأنها من جنة النعيم

وقوله فى وصف الأرض والمطر :

أصبحت الدنيا تَروق من نظرْ
بمنظر فيه جلاء للبَصَرْ
أثنت على الأرض بآلاء المطر
فالأرض فى روض كأفواف الحبر
نَيِّرَةَ النوار زهراء الزَّهَرْ
تَبَرَّجَتْ بعد حياء وخَفَرْ
تَبَرُّجَ الأنثى تصدت للذكر

ويقول فى غروب الشمس :

كأن خُبوَّ الشمس ثم غروبها
وقد جعلت فى مجنح الليل تمرض
تخاوُص عينٍ مس أجفانها الكرى
يُرَنِّقُ فيها النوم ثم تُغَمِّضُ

ومن بدائعه القصيدة التى يقول فيها (حيتك عنا شمال طاف طائفها) والتى يقول فيها : (ورياضٌ تخايَلُ الأرض فيها) والتى يصف فيها النرجس والورد فى قوله (للنرجس الفضل المبين لأنه) والأخرى التى يصف فيها فواكه إيلول ويقول : إنه لولاها لزهد فى الحياة . وله القصيدة البديعة التى يصف فيها غروب الشمس وأول وصفها قوله فيها :

وقدر نَقَّتْ شمس الأصيل ونفَّضت
على الأفق الغربىِّ ورساً مذعذعا

وفيها يتخيل أن الشمس تودع النبات ويودعها النبات وكأن كلا منهما يحس لوعة الفراق . ويخيل إلى أنه لو كان نقاشاً لرسم

من برجنا العاجي

يقع لى أحياناً أن أهبط محلاً عاماً فيتقدم إلىّ شخص لا أعرفه ، يحيينى تحية رقيقة ويقول : « أحد قرائك المعجبين » ثم يمضى دون أن يزيد . ويحدث لى دائماً فى كل عيد أن أفض البريد فأجد بطاقات التمنيات ورسائل التهانى كأنها باقات الورد من قراء كرام لم تبصرهم عينى ولم يرونى إلا فكرة تعيش فى سياج السطور على أديم الصفحات

هنا معنى الاتصال الروحى ، أرفع ألوان الاتصال ، وأسمى أنواع المشاعر . وإنى ليملؤنى العجب حيناً ، ويداخلنى الزهو أحياناً إذ أجد فى الشرق مثل هؤلاء القراء !

لكن مهلاً ... فيم العجب ؟ ألسنا القائلين إن الشرق هو قلب « الروحانية » النابض ؟

إنما المدهش حقاً هو أن نرى قراء الغرب يبعثون كل صباح ملايين الرسائل إلى كتابهم المحبوبين ! نعم أين هذا الاتصال الروحى من ذلك ؛ إذا قلنا إن الفرق فى عدد القراء وانتشار الأمية أو التعليم لكذبتنا النسب والأرقام ، ولتبين لنا آخر الأمر أن الشرق متخلف فى هذا المضمار على كل حال

إن عيب الشرق هو « الكسل » . والقارئ الشرقى على وجه عام رخو المزاج فاقد النشاط . إنه يطالع وتتأثر نفسه ويتفتح قلبه ، ثم لا يلبث أن يتثاءب وينسى الكتاب وينسى المؤلف وتخمد فيه الجذوة . ثم هو بعد ذلك كثير الإهمال قليل الاكتراث . فأين القوة الداخلية التى تدفعه إلى طلب الاتصال بذلك الروح الذى أنس إليه ؟

إنه « يستهلك » مادة الكتاب مثلما يستهلك مادة الطعام دون أن يلقى بالاً إلى الطاهى الذى أعده لمائدته .

وهكذا ينكشف الأمر عن هذه النتيجة العجيبة :

إن روحانية الشرق قد هبط بها « كسل النفس » إلى المادية ، وإن مادية الغرب قد ارتفع بها « تيقظ النفس » إلى الروحانية !

توفيق الحكيم

ونقش صورة مملوءة بالحياة كأبدع ما صنع المصورون فى معنى هذه القصيدة ، ولكن ما أحسب أن مصوراً يأتى بأحسن مما جاء به فى الشعر ، وله وصف العنب الأبيض الذى يقول فيه :

لم يُبْقِ منه وَهَجُ الحرور إلا ضياء فى ظروف نور

وله فى وصف الخمر :

لطفت فقد كادت تكون مُشاعَةً فى الجو مثل شعاعها ونسيمها

وأمثال هذا الوصف كثير فى شعره. وهو مصور أيضاً فى غزله. أنظر إلى وصفه محاسن النساء فى قصيدة (أجنت لك الورد أغصان وكثبان) ووصفه الجمال والغناء فى قصيدته الدالية فى وحيد المغنية وهى التى يقول فيها : (ياخليلىَّ تَيَّمَتْنى وحيد) وكأنما هو فيها يُصوِّرُ الألحان كما يصور الوجوه الحسان . ومن بدائعه فى الغزل قوله : (وحديثها السحر الحلال لو انه) وقوله : (لو كنتَ يوم الفراق حاضرنا) وقوله : (لا تكثرنَّ ملامة العشاقِ) وقوله : (وفيك أحسن ما تسمو النفوس له) وقوله : (شفيعك من قلبى شفيعٌ مُشَفَّعُ) . وله غزل كله شهوة ، وله مجون شنيع ، وكان يفتخر بالمقدرة الجثمانية على الملذات. وهذا كله لا يليق نشره ولكن له مع ذلك غزلاً وجدانياً رقيقاً ، فهو قد جمع الأطراف لأنه كان مرهف الإحساس كما كان مرهف الحواس وتراه يجمع الوجدان والتصوير فى قوله فى حب الوطن :

بَلَدٌ صحبتُ به الشبيبة والصِّبا ولبست فيه العيش وهو جديد

فإذا تمثَّل فى الضمير رأيته وعليـــه أفنان الشباب تميد

فهنا أيضاً نزعة التصوير غالبة عليه فى البيت الثانى. وله أشعار أخرى فى حب الوطن، ولا غرو فإنه كان يمقت الأسفار. ومن رأيى أن تحسُّرَ ابن الرومى على ذهاب الشباب ليس له مثيل فى شعر الشعراء وإن كانوا قد أكثروا فى هذا الموضوع. وأحسن قصائده فيه قصيدته التى يقول فيها (كفى بالشيب من ناهٍ مطاعِ) ومن أبياته فيها، وقد غلبت عليه النزعة إلى التصوير فى هذه الأبيات:

يُذَكِّرُنِى الشبابَ جنانُ عـــدن
على جنبات أنهـار عِـذَابِ

تفيء ظلها نفحات ريح تهز متون أغصان رطاب

إذا ماسَت ذوائبها تداعت بواكى الطير فيها بانتحاب

يذكرنى الشباب وميض برق وسجع حمامة وحنين ناب

وكانت أيكتى لِيَدِ اجتناء فصارت بعده ليد احتطاب

وهو لا يكتفى بما يكتفى به غيره من جعل الحياة بعد الشباب كالموت بل يقول إنها عذاب. وله قصائد أخرى فى التحسر على الشباب منها قصيدة (دَارَ أو طارَهُ إلى الذِكَر)و (خليلىَّ ما بعد الشباب رزية) و (لا تَلْحَ مَنْ يبكى شبيبته) و (أيام استقبل المنظور مبتهجاً) وقوله :

اكتهلتْ همتى فأصبحتُ لا أبـ
ـهج بالشىء كنتُ أبهج بهْ

وَحَسْبُ من عاش من خلوقتـه خـلوقة تعتريه فى أرَبِهْ

وهذا الرجل المهوم بمحاسن الحياة ولذاتها ، المولع بوصف مباهجها وفتنها وأطايبها، له حالات إذا وصف فيها الزهد أتى بالقول المؤثر ، كما فى قصيدته فى وصف الزُّهَّادِ ، وهى قد جمعت أيضاً بين التصوير والوجدان ، وهى التى يقول فيها :

تَتَجافَى جنـوبهم عن وَطِىء المضاجعِ

ولكن الجمع بين التهافت على الملاذ فى وقت من أوقات الحياة وشدة الشعور الدينى فى وقت آخر أمر مشهود؛ وقد يتردد صاحبهما بينهما مرات عديدة .

وقصائد ابن الرومى فى الاخوان والعتاب متنوعة الأغراض والمعانى والأنغام والصور . وأشهرها قصيدة : (يا أخى أين ريع ذاك اللقاء) وفيها يتخيل مناظرة ونقاشاً طويلاً بينه وبين هنات صاحبه ، وهى بارعة فى التصوير والتفكير ؛ ولكن له من القصائد ما هو أكثر وجداناً وعاطفة ، وله مقطوعات موسيقية كقوله :

طلبتُ لديكم بالعتـاب زيادة وعطفاً فأعتبتم باحدى البوائق

فكنتُ كمستسقٍ سماءَ مخيلة حياً فأصابته باحدى الصواعق

وقوله :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرنَّ من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه يحول من الطعام أو الشراب

والأبيات التى ذكرت من قبل وأولها : (تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا) وهى من أبدع ما قال فى العتاب الوجدانى ، وكذلك قوله : (أتانى مقال من أخ فاغتفرته) . وقوله : (إنى لأغضى

عن الزلات مجتنباً) . وكثرة العتاب فى شعره تدل على أنه كان منكوباً فى الإخاء والأنصار . وقد أجاد ابن الرومى أيضاً فى الرثاء لأنه كان منكوباً فى أولاده ، وإنما هذه نكبة الرزء والموت لا نكبة الجفاء التى دعت إلى إجادة العتاب ، ولا أذكر قصيدة فى رثاء الأبناء فى اللغة العربية تقارب قصيدة ابن الرومى الدالية فى رثاء ابنه الأوسط غير قصيدتى التهامى ، ومطلع قصيدة التهامى الأولى :

حكم المنية فى البرية جارى ما هذه الدنيا بدار قرار

ومطلع الثانية :

أبا الفضل طال الليل أم خاننى صبرى
فخيِّلَ لى أن الكواكب لا تسرى

وفيهما يرثى ابنه كما رثى ابن الرومى ابنه بقصيدته التى أولها مخاطباً عينيه :

بكاؤكما يشفى وإن كان لا يُجدِى فجودا فقد أودى نظيركما عندى

وتغلب نزعة الرسم والتصوير على الشاعر ، فيصف ابنه يعالج المرض والموت ، ويصف حزنه إذا رأى أخويه يلعبان فى ملعب له . وهذه القصيدة من أجلّ ما قال ابن الرومى من الشعر ، بل من أجلّ ما قال شاعر من الشعر ، وهى أكبر دليل على أن الشعر الرفيع المقام لا يكون إلا إذا وجدت العاطفة ، وأما الصنعة وحدها فلا تخلق شعراً عالياً. ولابن الرومى قصائد أخرى فى الرثاء تستجاد، منها رثاء يحيى بن عمر العلوى التى مطلعها :

أمامك فانظر أىّ نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيمٌ وأعوج

وفيها يقارن بين ترف العباسيين وبين ما كان العلويون فيه من تشريد واضطهاد . ومما يؤسف له أنه شانها بالفحش الشنيع فى هجاء العباسيين ؛ وهذه القصيدة تذكرنى بقصيدة دعبل الخزاعى الرائعة فى آل البيت وهى أعمق أثراً ومطلعها :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات

والذى يقرأ شعر ابن الرومي يرى أنه أشد ذوى الفنون عجزاً عن حبس بعض ما يجول فى خاطره من الخواطر ، وهذا العجز يجعل صاحبه كأنه أسوأ خلقاً ونفساً من الناس ، وهو قد يكون وقد لا يكون، فإن كل إنسان – كما قال سمرست موام – القصصى الانجليزى فى كتاب (الخلاصة) تخطر على خاطره خواطر السوء حتى على بال القديسين المطهرين الذين كانوا يشكون فى نقاوتهم وطهارتهم بالرغم من أنهم كانوا لا يفعلون ما يدعو إلى هذا الشك؛ وذوو الفنون، بسبب النزعة الفنية إلى تصوير أنفسهم والتعبير عن خوالجها ، قد يعجزون عن كتم هذه الخواطر التى يكتمها غيرهم . وإنى أميل أحياناً إلى الاعتقاد أن قصص المجون فى شعر أبى نواس وابن الرومى لم تحدث حقيقة ولم يفعلوا ما زعموا أنهم فعلوا أو على الأقل بعضها لم يحدث ، وإنما هى خواطر السوء التى تمر بخاطر الناس ويكتمها الناس ويعجز بعض الفنانين عن كتمها بل يصنعون منها قصصاً فخراً بها أو صنعة. وعلى هذا القياس نستطيع أن نفهم قصيدة ابن الرومى التى أولها : (لهف نفسى على رصاص مُذابِ) أى رصاص منصهر كى يصبه فى فم عدوه حتى يموت ويتشفى بسؤاله عن صحته أثناء ذلك، وهى قصيدة شنيعة. ولكن كم من الناس إذا تألم من عداء رجل ألماً شديداً لا تخطر له مثل هذه الخواطر إذا اشتد به الألم وكان مرهف الإحساس؟ أما أن يصب الرصاص المنصهر فى فم إنسان فهذه مسألة أخرى، فقد يكون صاحب هذه الخواطر أعجز الناس عن إتيان الشر كما هو أعجز الناس عن كتمان ما يجول بخاطره من خواطر السوء. ولا ننس أن ابن الرومى كان مرهف الإحساس حتى أنه أعد خنجراً مسنوناً كى يقضى به على حياته فيما زعموا إذا اشتد به الألم فى الحياة، وقد اشتد واشتد ولم يفعل

عبد الرحمن شكرى

أعلام الأدب

هومـــــيروس

للأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذى الجليل أحمد حسن الزيات أهدى هذه الفصول »

كان هوميروس يخفض الآلهة إلى مراتب الناس فيجعل لهم من الغرائز الدنيا مثل ما للناس ، ثم يرفع الناس إلى مراتب الآلهة فيجعل لهم من الفضائل ما ليس ينبغى إلا للآلهة ، أو ما ليس يتوفر إلا للآلهة

وعجيب أن تتخذ آلهة هوميروس مثلها العليا من البشر الذين خلقتهم بأيديها ، لأن هوميروس — على ما يبدو فى ملاحمه — لا يرى الحياة الدائبة النشيطة المفعمة بالغرائز المتضاربة ، إلا فى محيطها المرئى المعترف به الذى يتكون منا نحن البشر ... ولكى تتم الصورة الشعرية التى هى روح ملاحمه ، والتى تفوّق بها على ضريبه هسيود ، تراه يلجأ إلى الأساطير يلون بها فصوله ، وليثير بغرابتها اشتياق سامعيه ، وليجدد فيهم الحماسة التى هى أولى غايات الملاحم . لذلك تراه يعقد مجالس الآلهة للتشاور فيما ينبغى أن تكون الوسيلة لنصرة فلان أو لخذلان فلان ، فإذا اجتمع شمل الأولمب فلا بأس أن تثور الحفائظ بين أرباب وأرباب وبين ربات وربات ، ولا بأس أن يُعيّر أحد الآلهة فلكان إله النار بما وقع بين زوجه فينوس وبين مارس إله الحرب من خطيئة وفسوق ... ولا بأس أن يدس هرمز أنفه فى الموضوع فيصرح أن مارس معذور جد معذور فيما حدث له من الصبوة إلى فينوس ، وأنه أول من يشتهى أن يكون الذى وقع لمارس كان قد وقع له ...

وليس يرى هوميروس بأساً فى أن ينزل الآلهة فى معمعان الحرب يتناحون عن الأبطال الذين ينتمون إليهم ... ففى الكتاب العشرين من الإلياذة يستأذن الآلهة سيد الأولمب فينقسمون فريقين ، فتكون هيرا وميزفا وهرمز وفلكان فى صفوف الإغريق ، وينحاز أبولو ومارس وديانا وفينوس إلى صفوف الطروادين ... فإذا ثار النقع ، واضطرمت الحرب ، والتقى أخيل وهكتور (الكتاب العشرين) وقعقعا بالسلاح ، وأوشك هكتور أن يظفر ببطل أبطال اليونان عند ما يسقط رمحه ... تتقدم ميزفا فجأة وعلى عجل فتأخذ الرمح من فوق الأرض وتناوله لأخيل فتنقذه من قتلة لم يكن فيها شك ولا عنها متحول ... وهى تفعل مثل ذلك فى الكتاب الثانى والعشرين فتنقذ أخيل وتمهد له بذلك فيقتل هيكتور ... ومع أن ميزفا هى ربة الحكمة فى الميثولوجيا اليونانية فهوميروس فى هذا الموقف ينحط بها إلى أسفل مراتب الإنسان لأنها تكون سبباً فى قتل رجل عظيم مثل هكتور يدافع عن وطنه ويذود عن حمى بلاده ... وهى لا تتسبب فى قتله فقط بل تحرمه فرصة نادرة أوشك أن يبطش فيها بأخيل

وليتها فعلت كما صنع نبتيون فى الكتاب العشرين حينما أنقذ إينياس من رمح أخيل مرتين حتى لا يغضب زيوس كبير الآلهة على بطل الإغريق[1]

هوميروس يزخرف الإلياذة بمثل تلك الأساطير ليقطع تسلسل المعارك ، وليتقى سأم السامعين ، وليجدد حماستهم ، وهو فى ذلك أستاذ أرباب المسرح من أمثال شاكسبير وموليير ... وهو لا تعييه حيلة فى اختراع ما يخفف وطأة الحزن إذا استعرت نيرانه فى قلوب الناس حوله ، فلا بأس عنده إذن من أن يترك جدث بتروكلوس ويقيم حفلاً أولمبيا للألعاب يشترك فيه أبطال الحرب فينافس بعضهم بعضاً فيتسابقون ويتلاكمون ويصطرعون ويقذفون القرص ويرمون الطوق ويحملون الأثقال ويسابقون على الخيل .. وتكون حفلة باهرة كأحسن ما شهد العالم الحديث فى أولمبياد برلين ... ثم ينهض أخيل المحزون المرزأ ، فى إثر كل مباراة ، فيوزع الجوائز السنية على الفائزين (الكتاب الثالث والعشرين)

وقارئ الإلياذة يتولاه العجب وتأخذه الدهشة لبراعة هوميروس الأعمى فى الوصف ... فكأس نسطور فى الكتاب الحادى عشر ، ودرع هكتور فى الكتاب السادس ، والنقوش الأخاذة التى حفرت فى درع أخيل ، والستر الأزرق الجميل فى قصر ألكينوس ، وشروق الشمس وغروبها ، وتكاثف الضباب ، والنقع المثار فوق المعمعة ... كل هذه آيات من الوصف الدقيق الذى يشهد لهوميروس بملكة فنية قوية تتجلى فى أكثر أنحاء

(١) فى هذا الكتاب أيضا ينقذ أبولو هكتور من يدى أخيل

منظومته ، وتربك المترجم خاصة [1] حتى يستعصى عليه أن يساير هوميروس ، ملك الشعراء ، الذى تراه فيما ينظم مصوراً ورساماً وقائد جيوش وإلهاً وسحاباً وبرقاً ورعداً وحداداً .. ثم جزاراً وشواء ... ثم راهباً وواعظاً وما شئت من فنون الحياة التى لا حصر لها ...

لقد يتهم الإنسان لغته وهو يترجم هوميروس ... فهو لا يدري كيف ينقل كلامه وهو يصف الرجل يتل الشاة ثم يذبحها ثم يسلخها ثم (يوضّبها !) ثم يشعل النار ثم يؤججها ثم ينثر فيها من أعواد الند والرند والصندل ثم يلقى فيها بالقراميد ثم يقطع اللحم ثم ينتشر القُتار (رائحة اللحم المشوى) ... ثم ... ثم ...

حقاً إن فى كتب فقه اللغة ما يعين المترجم على كل هـذا ، لكن المترجم يغازل الذوق العام للقراء وهو ينقل آثار الأعاجم ، وهو إذا قسا على هذا الذوق أعرض عنه ، ولم يلتفت إليه ، وذوق القراء عندنا ذوق كسول لا يجب أن يُرهق بما حُشد فى كتب فقه اللغة ، لأن أكثر ما فى هذه الكتب حوشى وقد هجر استعماله ، والمترجم لا يستعمله إلا إذا ضاقت به الحيل ، ولم يستطع أن ينحت من الكلمات الحديثة السائغة ما ينزل برداً وسلاماً على القراء .

***

وبعد فأى الملحمتين أثرت فى نهضة الأدب المسرحى اليونانى أكثر من الأخرى ، الإلياذة ، أم الأوديسة ؟

لقد أشرنا إلى ما قيل من أن هوميروس قد نظم الإلياذة للرجل ، كما نظم الأوديسة للمرأة . الإلياذة التى تفيض بذكر الحروب ووصف الملاحم ومقادير الأبطال فى أولئك جميعاً ، والأوديسة التى هى قضية زوجة وفية غاب عنها زوجها حتى ظن أنه غير آيب وحتى طمع فيها كل طامع ، لأنها تفردت بين نساء زمانها بالحسن الذى لا يغيره مرور الأيام ولا ينال منه تطاول الزمان

نظم هوميروس الإلياذة لتكون مثالاً للرجال يحتذونه ... إذ ينبغى أن يكون الرجال شجعاناً . ينبغى أن تثور فيهم النخوة إذا تعرض رجل نذل مثل باريس لامرأة أحد منهم بسوء فيقوموا كرجل واحد ويجتمعوا من كل حدب وصوب ليردعوا من نالهم بالأذى فى أعراضهم ، ولو شبوها ضراماً ، وَصَلَوْها أعواماً ...

ونظم هوميروس الأوديسة للنساء مثالاً رائعاً من الوفاء يحتذينه ... إذ ينبغى أن يكون النساء وفيات لأزواجهن فلا يفرطن فى أعراضهن ، ولا يستسلمن للمقادير إذا عارضت شرفهن . لقد غاب أودسيوس زمناً طويلاً ، واجتمع عشاق بنلوب فى قصره يراودون زوجه ويأكلون زاده ويهينون ولده ، ومع ذلك فلم تضعف بنلوب ، بل احتالت للطاغين العتاة ، وصابرت ، وضربت بعضهم ببعض حتى آب زوجها لخضد شوكتهم واستأصل شأفتهم

فالإلياذة خشنة لخشونة الرجال ، والأوديسة لطيفة رقيقة فيها كثير جداً من رقة النساء ... وهى رقة جعلت صموبل بطلر الأديب الانجليزى العظيم يؤمن بأن هوميروس لم ينظم الأوديسة ولم يعرفها ولا تمت إليه بسبب ، وبأنها من نظم فتاة من جزيرة صقلية استطاعت أن تدرس هوميروس والميثولوجيا اليونانية دراسة هادئة ثم فرغت لنظم الأوديسة فأتمت عملها فى سهولة وفى يسر ، وأخرجت هذه الدرة الفريدة التى تسمو فى كثير من فصولها إلى ذروة الإلياذة

لشد ما يدهش المرء لهذه الفكرة الغريبة التى قدف بها منطق بطلر ! إن كثيراً من القرائن يؤيد هذا الرأى ، بيد أننا لا نميل كثيراً إلى الأخذ به لأن الأخذ به شرود خطير مبالغ فيه عن حيز الأدب اليونانى القديم ، وقليل من الاستقراء فى المآسى التى ألفت بعد هوميروس تهدم رأى بطلر وآراء الذين تشككوا فى صحة نسبة الأوديسة إلى هوميروس ، فثلاثية إسخيلوس (الأورستيه) مثلاً والتى تتركب من مآسيه أجاممنون وحاملات الكئوس والأيومينيدز قد أشير إليها فى الأوديسة (الكتاب الحادى عشر) إذ يقص أوديسيوس على ألكينوس الملك رحلته إلى هيدز (الدار الآخرة) وما تحدث إليه به الكاهن تيرزياس عن أوبة أجاممنون ، وما حدث له من الغيلة على يدى زوجته كليتمنسترا وعشيقها إيجستوس ثم ما كان من ثأر الفتى أودست لأبيه وقتله أمه ... الخ

فهذه الثلاثية التى أخذها إسخيلوس من الأوديسة وقدمها للمسرح تنقض وحدها دعوى الأديب بطلر ، لأن الفتاة الصقلية التى يزعم أنها نظمت الأوديسة لم تكن قد وجدت بعد

(١) اقرأ مقدمات مترجمى هوميروس كوپر ولورد دربى وتشابمان وبوب

وقد جاء سوفوكلس فوضع مسرحيات كثيرة معظمها مفقود بكل أسف متخذاً موضوعاتها من صميم الأوديسة ، ومما وصل إلينا من أسمائها تلك المسرحية الجميلة المسماة نوزيكا ، وقد أخذ فكرتها من الكتاب السادس ، وهى المسرحية التى يُروى أن سوفوكلس نفسه قد قام فيها بتمثيل دور الفتاة نوزيكا ابنة الملك ألكينوس حينما ذهبت إلى شاطئ البحر فى سرب من وصيفاتها تغسل أثواب عرسها وتنشرها فى الشمس فوق أغصان أشجار الغابة التى كان أوديسيوس مختبئاً فيها بعد نجاته من الغرق

وهناك أدلة كثيرة تهدم ما رآه بطلر خطأ فى نسبة الأوديسة إلى مؤلف غير هوميروس ولم أعثر فى الكتب التى درست فيها ملك الشعراء من يوافق الأديب الأنجليزى على وجهة نظره هذه

والذى يقرأ مآسى اليونانيين القديمة يلاحظ أن الشعراء قد عنوا بالإلياذة أكثر مما عنوا بالأوديسة ، فأخذوا من الأولى أضعاف ما أخذوا من الثانية . وقد لا يكون بعيداً أن إسخيلوس قد أخذ من الإلياذة ستين مأساة على أقل تقدير من الثمانين التى ألفها والتى قال فيها إنها فتات من موائد هوميروس الغنية ... وكذلك أخذ سوفوكلس مادة مآسيه فى أكثر ما وضع للمسرح

والإلياذة حقيقة بهذا الالتفات من شعراء اليونان ، فهى النهر العظيم الجياش المتدفق الذى تفرعت منه الأوديسة والإلياذة الصغيرة والإلياذات الكثيرة التى ألفها شعراء القرن الثالث قبل الميلاد فى كل من أثينا والأسكندرية ، والتى لا نستطيع هنا أن نحصرها ، بل أن نتكلم عنها

***

وليس من شك فى أن شخصية أخيل هى أبرع شخصيات الإلياذة . ولا غرو ، فقد سمى هوميروس إلياذته « قصيدة غضب أخيل !! » . وروح أخيل هى كهرباء الحماسة فى الإلياذة من أولها إلى آخرها

أنظر إليه وقد ذهبت به أمه إلى نهر الخلود تغطه[1] فيه حتى لا ينفذ فى جسمه رمح ولا سهم من رماح الحرب أو سهامها لأن لماء هذا النهر ذاك الفعل العجيب ! وانظر إليه كيف يبتل جسمه كله ما عدا عقبه ... ثم يكبر أخيل ويشب ويصبح بطل أبطال اليونان ، ثم تكون حروب طروادة فيمضى إليها بخيله ورجله ، ويقتل الأبطال الصناديد ، ثم يصوب إليه باريس سهماً من سهامه يقر فى العقب التى تبتل بماء نهر الخلود فيكون فيه حتفه !

وانظر إليه يختلف ، وأجاممنون من أجل الجارية بريسيز التى هويها أخيل وعلقها قلبه فيرفض أن يغشى المعركة ، ويعتزلها وجنوده الميرميدون ، فتدور بذلك الدائرة على جيوش اليونان ولا يغنيها أن يكون فى صفوفها الأبطال المغاوير أودسيوس وأجاكس وديوميدز ومن إليهم ... وأنظر إليه يكلمه بتروكلوس فى نصرة بنى جلدته حين يعز عليه أن يصطلمهم أبطال طروادة فيأذن له ، ويضفى عليه درعه العظيمة التى ذهبت أمه فصنعتها له عند فلكان الحداد ... ويذهب بتروكلوس فيكسر شوكة الطرواديين ويصيبهم القرح على يديه وأيدى الميرميدون جنود أخيل .

وانظر إلى أجاممنون يعتذر إليه ويرد عليه بريسيز ويقسم له أنه لم يطمثها ولم يمسسها بسوء . وانظر إلى أخيل لا يفئ ولا يلين ولا ينهض لحرب الطرواديين ، فيغضب الآلهة ويسخط أرباب الأولمب ويخرق الشرائع وقوانين الأخلاق ، فتكون النتيجة أن يُقتل بتروكلوس الحبيب العزيز

وانظر إلى أخيل كيف تسود الدنيا فى عينيه حزناً على بتروكلوس فيمضى إلى المعمعة فيصرع أبطال طروادة ويجول فيها ويصول ويزأر ويزمجر ويطويها كالعاصفة ... ثم انظر إليه يظفر بهكتور قاتل بتروكلوس فيصرعه ويجره خلف عربته ويدور حول طروادة غير موقر قدس الموت ولا حافل بتقاليد السماء

ثم قف عند أروع مناظر الإلياذة جميعاً : بريام الحزين ! والد هكتور ! هذا الرجل المحطم يمضى وحده إلى أخيل باكياً ضارعاً متوسلاً ، يرجو الرجل الذى قتل أولاده فى أن يدع له جثمان هكتور ليشفى بالبكاء عليه جوى نفسه ، وليطفئ بتحريقه السعير المضطرم بين جوانحه ، فيعصف الحزن بأخيل العظيم ، ويعانق الرجل العظيم ، ويتبادلان البكاء ، ثم يأذن له يدفن ولده ...

هنا نبل هوميروس ، وهنا إنسانيته وسموه ، وهنا فرق ما بينه وبين قصاصينا الذين يشتركون مع سامعيهم فى السخط على بطل الناحية الثانية

دريني خشبة

(١) غطه فى الماء غمسه فيه وغطسه بالتشديد

الإســـلام دين تبشيري

للمستشرق الإنجليزي توماس أرنولد

للأستاذ عبد الفتاح السرنجاوي
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية أصول الدين

كان المرحوم السير توماس أرنولد المتوفى في التاسع من يونية سنة ١٩٣٠ — أستاذاً للغة العربية في جامعة لندن، وكان واسع الاطلاع في علوم الدين الاسلامي واللغة العربية، وأهم مؤلفاته كتاب: «الدعاية الاسلامية The Preaching of Islam». وهو بحث عظيم الخطر جليل القيمة في تاريخ انتشار الدين الاسلامي. طبع المرة الأولى سنة ١٨٩٦، وأعيد طبعه سنة ١٩١٣؛ ثم طبع بعد وفاة المؤلف طبعة ثالثة سنة ١٩٣٥ كتب مقدمتها المستشرق العلامة (رينولد نيكولسن). وأهم ما يلفت النظر في هذا الكتاب هدوء البحث، وسلامة التفكير، وعدم التحيز. ولا غرو فقد كان مؤلفه من أكثر المستشرقين اعتدالا وأصدقهم نظراً وأكثرهم تجرداً من النزعات التعصبية، وهذا جعل لكتاباته في الموضوعات الاسلامية أهمية خاصة، ونحن نكتفي بهذا التعريف القصير لنقدم لقراء (الرسالة) ترجمة الفصل الأول من هذا الكتاب القيم، وهذا الفصل يعتبر مقدمة لما تناوله المؤلف بالبحث في بقية فصول الكتاب، وسنوافي الرسالة بترجمة الفصول الأخرى تباعاً، كما أننا سنعد دراسات أخرى لما أخذنا على بعض آراء المؤلف «ع. س»

برح الخفاء منذ ألقى الأستاذ ماكس مولر Max Müller محاضرته بكنيسة وستمنستر يوم الشفاعة للجماعات التبشيرية في ديسمبر سنة ١٨٧٣. وأسفر الموقف عن أن الديانات الست العالمية العظيمة يمكن تقسيمها إلى تبشيرية وغير تبشيرية. فالنوع الثاني تنضوي تحت لوائه اليهودية والبراهمية والزرادشتية. ويضم النوع الأول البوذية والمسيحية والإسلام. ولقد حدّد الأستاذ في وضوح ما اصطلح على تسميتها (ديانة تبشيرية) فقال: إن معناها أن يكون نشرها وإدخال الكفار فيها قد سما إلى مرتبة الواجب القدسي في نظر منشئ الديانة أو خلفائه الأولين ... إنها روح اليقين في نفوس المؤمنين لا يقر قرارها حتى تنبعث فكرةً فقولاً فعملاً، ولا ترضى وتطمئن حتى تبلغ رسالتها إلى كل نفس إنسانية، وحتى يؤمن بما آمنت به أفراد البشرية جميعاً (١)

ومثل هذه الغيرة التي بدت من المسلمين لتشهد على صدق دينهم هي التي حفزتهم على أن يحملوا رسالة الإسلام إلى كل أرض ينفذون إليها، وهي التي جعلت لدينهم بحق تلك المكانة بين الديانات التي نطلق عليها (الديانات التبشيرية). وتاريخ نشأة هذه الغيرة التبشيرية والقوى الدافعة إليها وطرائق نشاطها كلها موضوع الصحائف القادمة، ولا ريب في أن أولئك المائتي مليون من المسلمين المنتشرين اليوم في الأرض دليل جهاد هذه الروح طوال القرون الثلاثة عشر الماضية.

وأعلن تعاليم هذا الدين لأول مرة في القرن السابع عشر على أهل بلاد العرب نبي انضوت تحت لوائه قبائلها المتفرقة فأضحت شعباً واحداً، ثم دبت فيهم الروح القومية الجديدة فملأتهم حياة ونشاطاً، ثم سرت في جيوشهم حماسة وغيرة فملأتاها بأساً وقوة لا مرد لهما، وبهذه العدة كلها خرج المسلمون إلى القارات الثلاث يفتحون البلاد ويخضعون العباد، فاستولوا في أول الأمر على سوريا وفلسطين ومصر وشمال أفريقيا وبلاد فارس، وانطلقوا بعد هذا غرباً إلى أسبانيا وشرقاً إلى ما وراء الأندوسيا، ولم يمض على وفاة النبي مائة عام حتى وجد المسلمون أنفسهم سادة امبراطورية أوسع رقعة من امبراطورية روما في أوج قوتها

ورغم أن هـذه الأمبراطورية قد تصدعت فيما بعد وانهارت قوة الإسلام السياسية فإن فتوحه الروحيـة قد بقيت لا تحول دون سبيلها الحوائل. نعم أغار المغول على بغداد سنة ١٢٥٨ وسلبوها، وأغرقوا في الدماء مجد العباسيين وقد ذبل عوده وحال لونه، وقام النصارى في الأندلس وعلى رأسهم فرديناند صاحب ليون وقشتالة فطردوا المسلمين من قرطبة سنة ١٢٣٦، ودفعت غرناطة آخر حصن للمسلمين في الأندلس الجزية للملك المسيحي. كان ذلك كله يجري والمسلمون يضعون أقدامهم في أرض جديدة يدخلون أهلها في دين الله، تلك هي جزيرة سومطرة، ثم كانوا على وشك أن يبدأوا تقدمهم الموفق في جزائر أرخبيل الملايو، وهكذا يقوم الإسلام في ساعات انهياره السياسي بطائفة من أعظم غزواته الروحيـة. وفي التاريخ ظرفان خطيران وطئ فيهما الكفار بأقدامهم أعناق المسلمين، أولهما: حين دهمهم الأتراك

(١) تعليق على مقالة (المستر لايال = Mr. Layall) التي عنوانها (الديانات التبشيرية) في مجلة فورتنيتلي ريفيو = Fortnightly Review) عدد يولية سنة ١٨٧٤

السلاجقة فى القرن الحادى عشر ؛ والثانى حين غزاهم المغول فى القرن الثالث عشر . ورغم أن الغزاة أخضعوا المسلمين لسلطانهم السياسى فى كلتا الحالتين فإنهم خضعوا لسلطان الدين الإسلامى ورضوه دينا لأنفسهم . وفى مرة أخرى نجد المبشرين المسلمين فى غير اعتماد على سلطان الحكم وصولة الجيوش يحملون الدين الإسلامى إلى أواسط أفريقيا والصين وجزائر الهند الشرقية .

واليوم يمتد نطاق الإسلام من مراكش إلى زنجبار ، ومن سيراليون إلى سيبيريا والصين، ومن البوسنة إلى غيانة الجديدة . ولو أننا تركنا البلاد الإسلامية البحتة أو التى يسكنها عدد كبير من المسلمين كالروسيا والصين ، وجاوزنا حدودها إلى البلاد التى لم تؤمن بالإسلام لوجدنا بها بعض الجماعات الإسلامية القليلة العدد المحدودة الكيان تشهد على قيام الإسلام بين من كفروا بدعوته . ومن أمثلة ذلك لتوانيا التى يعيش فيها مسلمون من أصل تترى يتكلمون اللغة البولندية ويسكنون أقاليم كوفنو وفلنو وجردونو[1] ، وكذلك المسلمون الذين يتخاطبون باللغة الهولندية فى مدينة الرأس ، كذلك أجراء الهنود الذين حملوا معهم الدين الإسلامى إلى جزر الهند الغربية وغيانا البريطانية والهولندية ، وأخيراً نجد للاسلام أنصاراً فى انجلترا وشمال أمريكا واستراليا واليابان ...

ويرجع انتشار الإسلام فى تلك المساحات الواسعة على ظهر الأرض إلى أسباب كثيرة اجتماعية وسياسية ودينية ، ولكن من أهم العوامل التى أحدثت هذه النتيجة المثيرة للاعجاب جهود المبشرين المسلمين المتتابعة ، وهؤلاء اقتدوا بالنبى (ص) نفسه فضحوا بحياتهم معه فى سبيل إدخال الكفار فى دينهم .

ولم يكن واجب الدعوة إلى الدين فكرة متأخرة فى تاريخ الإسلام ، بل كان أمراً محتوماً على المؤمنين من أول الأمر ، يدل على ذلك ما نسوقه إليك من آيات القرآن المرتبة ترتيباً زمنيا بحسب نزولها :

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (س ١٦) (١٢٦)

« وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب ، فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا وإليه المصير » (س ٤٢) ، (١٥ — ١٦)

ونجد نذراً كثيرة كهذه فى السور المدنية التى نزلت ومحمد على رأس جيش عظيم وهو فى منتهى قوته ، نسوق منها ما يأتى :

« وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؛ فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد » (س ٣) (٢١٠)

« ... كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (س ٣) (١٠٤ — ١٠٥)

« لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم . وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون » (س ٢٢) (٦٨ — ٦٩)

والآيات الآتية مأخوذة من السورة التى تعتبر على وجه الإطلاق آخر ما نزل من القرآن :

« وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » (س ٩) (٨)

إذاً فالإسلام منذ نشوئه دين تبشيرى من الوجهتين النظرية والعملية ؛ وحياة محمد مثل لهذا المبدأ التبشيرى ، كما أن النبى نفسه قد ظهر على رأس جماعات تبشيرية عديدة نجحت فى إدخال الكفار فى الإسلام . ولا يصح فوق هذ أن نغتنم الأداة على الروح التبشيرية فى الإسلام فيما قام به أهل الاضطهاد من ضروب العنف والقسوة ، أو أن نبتغيها فى جهاد هذه الشخصية التى تكاد تكون إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة ، شخصية المحارب المسلم يحمل سيفه فى إحدى يديه ويحمل القرآن فى الأخرى[1] ؛ وإنما يجب

(١) (ركليس = Reclus المجلد الخامس صحيفة ٤٣٢ ، و (جازتوت Gasztowtt صحيفة ٣٢٠

(١) نشأ هذا التشويه لحروب المسلمين عن افتراض أن غزوهم لبلاد الكفار تضمن أن الغرض تحويلهم إلى الاسلام ، ولقد أوضح (جولد زيهر) هذا التمييز بين الأمرين فى كتابه (Vorlesungen über den Islam)

أن نلتمسها فيما بذله البشر والتاجر من جهد هادئ بعيد عن الفضول ، لحملا دينهما إلى كل مكان على وجه الأرض . ويريدنا البعض أن نحذو مثالهم فى الاعتقاد بأن المسلمين لم يلجأوا إلى مثل هذه الطرق السلمية فى التبشير والإقناع إلا حين أقعدتهم الظروف السياسية فجعلت من المستحيل أو من غير الكياسة استعمال العنف والقوة ، ولكن الحقيقة أن القرآن فى كثير من الآيات يحض على الرفق فى الدعوة ؛ ومن أمثلة ذلك :

« واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً . وذرنى والمكذبين أولى النَّعْمة ومهلهم قليلاً » (س٧٣) (١١ — ١٢)

« إلا بلاغاً من الله ورسالاته » (س ٧٢) (٢٤)

« قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون » (س ٤٥) (١٣)

« وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرّمنا من دونه من شئ ، كذلك فعل الذين من قبلهم، فهل على الرسل إلاَّ البلاغ المبين » (س ١٦) (٣٦)

« فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين » (س١٦) (٨٣)

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتى هى أحسن إلاَّ الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أُنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » (س ٢٩) (٤٧)

« فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاَّ البلاغ » (س ٤٢) (٤٩)

« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (س ١٠) (١٠٠)

« وما أرسلناك إلاَّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (س ٣٤) (٢٩)

وليست أمثال هذه الوصايا قاصرة على السور المكية ، ولكنها تكثر كذلك فى السور التى نزلت فى المدينة . ومن أمثلتها ما يأتى:

« لا إكراه فى الدين » (س ٢) (٢٥٦)

« وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين » (س ٦٤) (١٣)

« قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حُمّل وعليكم ما حملتم ، وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلاَّ البلاغ المبين » (س ٢٤) (٥٥)

« قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين » (س ٢٢) (٥٠)

« إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً » (س٤٨) (٩ - ١٠)

« ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلاَّ قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين » (س ٥) (١٥)

والغاية من كتابة الصحائف الآتية أن نبين كيف تحققت هذه المثل فى التاريخ ، وكيف تناول الداعون إلى الإسلام تلك المبادئ التى تعزى إلى النشاط التبشيرى فجعلوا منها أموراً عملية ، كما أود فى بداءة البحث أن يفهم القارئ فى وضوح أننى ما قصدت من وضع هذا الكتاب أن أدون تاريخ العنف والاضطهاد فى الإسلام ، وإنما قصدت أن أدون تاريخ التبشير الإسلامى . وليس غرضى من تأليفه أن أتناول الظروف التى تحوَّل الناس فيها إلى الإسلام بوسائل الإكراه والقسر — وهى مبعثرة هنا وهناك فى صحائف التاريخ الإسلامى — فقد أمعن الكتاب الأوربيون فى التنفير عنها والتهويل فى تدوينها على وجه لا يخشى معه من نسيانها ، ثمّ هى لا تدخل على وجه الدقة فى نطاق تاريخ التبشير الإسلامى . فلنتجاوز هذا إلى تاريخ التبشير المسيحى ، وفى بطونه نتوقع بطبيعة الحال أن نقرأ عن الجهود التى بذلها القديس ليدجار Liudger والقديس ويلهاد Willehad بين الوثنيين السكسون أكثر مما نقرأ عن حالات التنصير التى أمر شارلمان أن تكون ، فكانت تحت قراع الرماح ورنين القسى ، فى جو من الرهبة تداعت فيه الأصوات وتجاوبت الأصداء[1] . كذلك الحال فى الدانمرك فقد اجتث ملكها كنوت Cnut الوثنية من بلاده بحد السيف ، ولكن بالرغم من هذا فالقديس أنسجار St. Ansgar وخلفاؤه هم المثلون الصادقون للتبشير بالنصرانية هناك. وفى بروسيا يمثل التبشير بالمسيحية القسيس جوتفريد

(١) راجع حوليات انهاردى فولدنسيس (Enhardi Fuldensis) سنة ٧٧٧ م وراجع كتاب (Monumenta Germanicæ Historica) تأليف (G. H. Petz) المجلد الأول صحيفة ٣٤٩ وراجع أيضاً صحيفتى ١٥٦ ، ١٥٩ من نفس الكتاب.

والأسقف كرستيان برغم مامنيا به من الفشل فى كسب الوثنيين البروسيين إلى دينهم، وبالرغم مما كتب من التوفيق لجماعة (إخوان السيف) وبقية الصليبيين الذين تيسر لهم أن يتموا بقوة النار والحديد ما بدأه جوتفريد و كرستيان . وفى ليفونيا نهضت طائفة من الفرسان تدعى (جماعة الاخوان المسيحيين الحربيين) بإدخال أهل هذه البلاد فى النصرانية بوسائل الحرب والقسر، ومع مااقترن بجهدهم من الضناء والعناء فالراهبان مينهارد وتيودوريك هما بحق رسولا المسيحية إلى هذه البلاد . ولقد لجأ الجزويت أحياناً إلى وسائل الارهاب والعنف[1] ، ولكن هذا لا يحط من قدر المآثر التى كسبها أمثال القديس (فرانسيس اكسافيير) والمبشرين الآخرين من الجزويت . ولا يقل عن أولئك كل ما يعزى إلى (فالنتين) رسول جزيرة أمبوينا إذ صدرت الأوامر سنة ١٦٩٩ لكل راجا من حكامها أن بعد عدداً من الوثنيين يتنصرون على يد هذا الرسول فى إحدى جولاته فى الجزيرة[2]

وتبدو حركة التبشير فى تاريخ الكنيسة المسيحية متقطعة غير متصلة ، فهذا عصر انتعاش وحماسة فى التبشير يعقبه عصر بلادة وجمود ، وذاك عصر تحل فيه وسائل الإرهاب والقسوة محل وسائل الإرشاد والدعة . وهذا بعينه هو شأن الدعاية فى الإسلام تنساق إلى المد ، ثم لا تلبث أن تستطرد إلى الجزر . ولكن لما كانت الحماسة التبشيرية فى كلتا الديانتين ظاهرة متميزة ، فتاريخ الدعاية فى كل منهما حرىٌ بأن يكون موضوع درس مستقل . وليس معنى هذا أن نبعد عنه بقية المظاهر الأخرى للحياة الدينية ، ولكن معناه أن نفرغ جهدنا فى واحد من هذه المظاهر له مميزاته الخاصة . إذاً فتاريخ الدعاية وتاريخ الاضطهاد يجب أن يدرس كل منهما درساً مستقلاً بعيداً عن الآخر ، سواء أكان ذلك فى تاريخ الكنيسة المسيحية أو فى تاريخ الديانة الإسلامية رغم ما حدث من تلازمهما فى بعض الظروف فى كلتا الديانتين ، ذلك لأن الدين المسيحى لم يستفض هذه الاستفاضة وينتشر هذا الانتشار فى كل الظروف بمثل الوسائل التى استخدمها فى فيكين Viken جنوب النرويج الملك أولاف تريجفسون Olaf Trygvesson الذى عمد إلى من رفضوا الدخول فى المسيحية فذبحهم أو قطع أيديهم وأقدامهم أو نفاهم خارج بلاده ، وبهذا نشر النصرانية فى كل أنحاء فيكين[1] . كذلك لم تكن نصيحة القديس لويس مبدأ يسير عليه المبشرون النصارى، تلك النصيحة التى يقول فيها: « إذا سمع أحد العوام شخصاً يطعن فى الشرع المسيحى ، فلن يذب عن دينه إلا بسيفه ، وليوغل بذلك السيف فى أحشاء الكافر إلى أبعد مدى يستطيع[2] »

ونجد بالمثل جماعات تبشيرية إسلاميه لم تستن تلك السنة البربرية التى عبر عنها مروان آخر الخلفاء الأمويين بقوله : « من لم يدخل من أهل مصر فى دينى ويصل كما أصلى ويتبع مذهبى لأقتلنه وأصلبنه[3] »

كذلك لن نعتبر المتوكل والحاكم وتيبو سلطان أصدق أمثلة المبشرين المسلمين لنخرج من الميدان أمثال مولانا إبراهيم الداعى إلى الإسلام فى جاوة وخواجة معين الدين ششتى فى الهند وغيرهم ممن لا يحصيهم العد وكان لهم فضل فى إدخال الناس فى الإسلام عن طريق الهدى والإرشاد السلمى وحدها

ولكن بالرغم من أنه يمكن وضع فصل للتمييز بين اعتناق الدين عن طريق الاضطهاد والعنف وبين اعتناقه نتيجة الإرشاد والدعاية السلمية ، فإنه ليس يسيراً أن نتحقق الدوافع التى حملت الشخص على أن يستبدل بدينه القديم ديناً آخر . كذلك ليس من السهل أن ينجلى لنا إذا كان المبشرون بالدين قد تساموا إلى حد اعتبار الدعوة الدينية واجباً روحياً مقدساً ، واسترشدوا بالمثل الأعلى الذى أوضحناه فى الفقرة الأولى من هذا الفصل ،

---

(١) راجع كتاب (تاريخ النصرانية بين الهنود) تأليف (ماتورين فيسيير دلاكروز صحيفة (٢٩٠ — ٥٣١) طبعة لاهاى سنة ١٧٢٤

(٢) مجلة تاريخ الأديان (Revue d'histoire des Religions) المجلد الحادى عشر صحيفة ٨٩

(١) كتاب الأستاذ كوزاد موورر (Die Bekehrung des norwegischen zum Christenthume) المجلد الأول صحيفة ٢٨٤ طبعة (München) سنة ١٨٥٥

(٢) كتاب تاريخ القديس لويس تأليف (جان سير دي جوانفيل) طبعة (N. de wailly) صحيفة ٣٠

(٣) كتاب (Severus) صحيفة ١٢١

ففي كلتا الديانتين نجد نفوساً متحمسة تحل دينها محل الحقيقة العليا في حياتها ، وقد وَجَدَ مثل ذلك الكلف الشديد بالشئون الروحية مخرجاً في تلك الحماسة التي أدّت إلى اعتناق الحقائق الجزلة السديدة ، وإلى سيادة المذاهب والعقائد التي آمن الناس بصحتها ، وهذا كله مصدر القوة التي اشتدت بها عرى الحركات التبشيرية وثبتت قواعدها . وهناك قوم لم يعملوا أكثر من الاستجابة إلى دعوة الداعين ، ولكنهم اعتنقوا الدين الجديد بحماسة لا تقل عن حماسة الأولين ، وعلى نقيض هؤلاء وهؤلاء عرف الإسلام كما عرفت النصرانية قوماً آمنوا بكلتا الديانتين ، وكانت الشرائع الدينية لديهم مجرد ذرائع إلى ما يبتغون من الأغراض السياسية أو وسائل إلى ما يلتمسون من أوضاع للنظم الاجتماعية ، وهكذا اعتنق أولئك القوم دينهم الجديد على أنه ضرورة يخطرون أنفسهم عليها إخطاراً ، أو على أنها حلول مناسبة للمشاكل التي لم يعنوا بالتفكير فيها وإيجاد حلها بأنفسهم ، ومثل هؤلاء نجدهم على السواء في كلتا الديانتين ، إذاً فقد اعتنق الاسلام كما اعتنق النصرانية في ظل الظروف الاجتماعيــة والسياسية والاقتصادية قوم لا تصلهم صلة بهذه الحرقة الروحية ، وذلك القليل النفساني الذي يمهد المبشرين الصادقين ، وفوق هذا فتاريخ الحركات التبشيرية وما يصادفها من الأحداث إنما يعنى عادة بتدوين حالات التحول من دين إلى آخر دون العناية بتحليل الدوافع التي حملت الناس على استبدال دينهم بغيره ، وتاريخ التبشير الاسلامي على وجه الخصوص يفتقر افتقاراً بيناً إلى المادة في هذا الصدد لأن الأدب الإسلامي معوز إلى أخبار حالات التحول إلى الدين الإسلامي ، بينما اهتم أدب الكنيسة النصرانية بمثل هذه الحالات في الدين المسيحي وأحلها منه محلاً رفيعاً ، وعلى هذا فنحن في مجالتنا القادمة لموضوع النشاط التبشيري الإسلامي لم نستطع الوصول إلى طبيعة العوامل التي حملت الناس على الدخول في الاسلام ، سواء منها السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الدينية البحتة ، ولو أننا استطعنا في بعض الظروف أن نشير إشارات عرضية لما أحدثته بعض هذه العوامل من الآثار

عبد الفتاح السرنجاوي

قلتُ لنفسي ...

عجيبٌ أمر ابن آدم اليوم !! يكاد لا يعطف بعضه على بعض إلا المادة أو السطوة أو الشهوة ! أما أُلفة الجنس للجنس ، ومتعة الإنس بالإنس ، وإجابة الحس للحس ، فقد أصبحت في هذا الزمان ، من الصفات الأثرية في الإنسان .

كانوا يقولون إن الناس مع الزمان ، يقبلون متى أقبل ، ويدبرون متى أدبر . فكنا نقول : كان ذلك والزمان كلبٌ يجري وراء سيده ، ما دام الرغيف في يده . أما اليوم فالزمان إنسان حر مفكر لا يتبع إلا المبدأ ولا يطيع غير الضمير . ولكن الواقع وا أسفا علمنا أن الزمان لا يزال كلباً ، وأن المال لا يزال رباً ، وأن حكمة الأولين لا تزال صادقة ! .

لي صديق من رءوس العراق المرفوعة بالفضل والنبل والكفاية ، كان وهو في سلطان السيف وعزة القلم مرجع الرأي والهوى والحاجة . فلما نكبته في نفسه وأهله السياسة العشواء الجموح ، تجرد كالسيف ، وتفرد كالأسد ، وأصبح فإذا الوجوه أقفاء ، والأنصار أعداء ، والأحياء في دنياه موتى ؛ فلا رأس ينحني ، ولا لسان يحيي ، ولا يد تصافح . وظل وحده يعالج مرارة الحزن والحرمان والغربة حتى صحا الدهر من غفوته ، ونهض الحظ من كبوته ، فعاد إلى الوزارة ، وعاد الناس إلى الزيارة ، وقال الوجه الذي عبس وأشاح ، واللسان الذي ذم ونم : والله يا مولانا لا يعدل حزننا لغيبتك ، إلا فرحُنا بأوبتك ... ثم انعكست الصفات في الصحف ، فصارت الخيانة أمانة ، والبلادة زكانة ، والعقوبة شهادة ...

ابن عبد الملك

على هامش الفلسفة

الحقـــائق الأخلاقية

للأستاذ محمد يوسف موسى

مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

ليس من الحق برغم ماسقناه فى الكلمة السابقة من الشواهد على اختلاف الآراء والأفكار الأخلاقيـة تبعاً لاختلاف الأمم والشعوب والزمان والمكان — ليس من الحق مع هذا كله أن ننكر أن هناك حقائق أخلاقية عامة سايرت العُـصُر وسادت فى جميع البيئات

ذلك أنه من السهل أن نلاحظ أن الناس على ما بينهم من اختلاف مرجعه الجنس والبيئة والزمن يمتثلون لما يعتقدونه واجباً على أوجه مختلفة ، وقد تتباين كما رأينا أحياناً ؛ ولـكنهم جميعاً يقبلون فى قرارة أنفسهم فكرة الواجب ويعتقدون أن بعض الأعمال أعلى خلقياً من البعض الآخر . الـكل يعلم أنه يوجد خير وشر ، ويحس الاحترام لبعض الناس والاحتقار لآخرين . الرجل الساذج فى إفريقيا وأستراليا فى خضوعه لتقاليده العجيبة وعده ذلك واجباً ، والمجرم الذى لا يخلف ما وعـد بعمله من مآثم ومنا كر ، والذى يرى نفسه ملزماً من نفسه بعدم خيانة عصابته ؛ أولئك جميعاً عندهم خلقية مشابهة فى صورتها لا فى مادتها ومحتواها لخلقية الرجل الفاضل من هذه الناحية ، مادام الجميع يرون القيام بالواجب أمراً مقضياً . ليس علينا إلا إنارة عقول هؤلاء المسا كين الذين يخضعون هـذا الخضوع الأعمى لتلك التقاليد الظالمة ، وتفهيمهم أى الأعمال تعتبر واجبات يجب أن يقوموا بها ويعدوا تنفيذها أمراً إلزامياً

هذا التحقق وهو أنه يوجد لدى جميع الناس بلا استثناء منذ ابتدأوا يفكرون ويعملون نظريات وعواطف أخلاقية ، يجيز لنا أن نصف فكرة الواجب والخضوع له وعدّ من يقوم به خيّراً بأنهـا حقيقة أخلاقية عامة . ثم على رغم هذا الاختلاف الذى لا ريب فيه بين ما يسمى واجباً هنا وواجباً هناك ، ليس من النادر أن نلاحظ تماثلاً بين بعض النظريات الأخلاقية لدى جميع الناس . إنه من العسير بل من المستحيل أن تذكر وسطاً أو عصراً يعتبر الجبن فيه أفضل من الشجاعة أو الظلم أفضل من العدالة . العدالة اختلف الناس فى فهمها وطبقت بطرق متغايرة فى الأمم المختلفة ، هذا حق ؛ ولـكن الرجل العادل كان ولا يزال محترماً دائماً لعموم فكرة اعتبار العدالة فضيلة خلقية

الرجل الذى على الفطرة ، بل الطفل الغرير ، يقبل بطيبة خاطر عقاباً يعتقد عدالته ، ويثور فى نفسـه على عقاب يراه ظالماً . ذلك معناه تأصل فـكرة العدالة لدى الجميع ، العدالة العامة التى يحسها النـاس جميعاً ويحنون لها الرءوس إ كباراً وإجلالاً ، لا العدالة القانونية المدونة فى بطون كتب القانون والتى تتغير بتغير البيئات . وفى هذا يقول مُونْتانى Montagne[1] الشاك الذى يرفض كل مالم يقم عليه دليل لا ريب فيه : « العدالة فى نفسها الطبيعية العامة ، فيها من النبل ما ليس فى العدالة الخاصة الأممية التى تنفذ عند الحاجة بسلطة الشرطة ورجال الأمن العام »

كذلك « فُولتير » نراه يدلل على عمومية عاطفة العدالة ، بعد أن بحث الأمر بحثاً دقيقاً ، بدليل مقنع إذ يقول : فـكرة العدالة تظهر لى حقيقة من الطراز الأول ، يقبلها الجميع ويشعرون بوجوب احترامها ، حتى إن أ كبر الجرائم نراها ترتكب تحت حجة باطلة من العدالة . الحرب ، وهى أ كبر الجرائم الهدامة التى تتعارض والغرض الإنسانى النبيل وهو المساعدة والتساند ، يجتهد فى تبريرها من يشعل نارها أولاً بحجة الدفاع عن العدالة[2] »

لا أرانى بحاجة لتدعيم هذا الرأى الذى يذكره « فولتير » ، فالحوادث التى تتوالى أمام أعيننا منذ سبتمبر الماضى للآن تؤيد لأقصى حدود التأييد هذا الرأى . لقد أنذر هتلر العـالم بحرب ضروس دفاعاً عن السوديت وحقوقهم المهضومة كما زعم ؛ واليوم يلعب هذه اللعبة موسيلينى دفاعاً عن حريات الإيطاليين وحقوقهم ومصالحهم المهدرة فى تونس وغيرها كما يقول ! وقبل ذلك استعمر الشرق والأمم المستضعفة تحت ستار من العدالة أوهى من بيت العنكبوت !

وإذا كان من الحق اعتبار العـدالة حقيقة عامة أخلاقية فكذلك عاطفة الضيافة والـكرم ، تلك العاطفة السامية التى تنبئ

---

(١) أحد مشاهير الفلاسفة والأخلاقيين الفرنسيين (١٥٣٣ — ١٥٩٢ م) خلدته « Ses Essais » أى « التجارب » التى منها هذه الفقرة فى الـكتاب الثالث الفصل الأول .

(٢) من مؤلفه : « الفيلسوف الجاهل Le Philosophe ignorant »

بالإخاء الإنسانى ، نجدها ممدوحة موصى بها فى كل الأوساط والأزمان ؛ الأمم تعيّر بالبخل وتتمدح بالكرم إذا جدت دواعيه

وليس عجيباً أن ترى تقارباً بل اتفاقاً على كثير من الآراء والصفات الأخلاقية ؛ بل لعل العجيب ألا يكون مثل هـذا الاتفاق . ذلك أن الناس ، تقدم بهم الزمن أو تخلف ، السامى والآرى والشرقى والغربى والأسود والأبيض ، أى هم جميعاً لديهم معين للأخلاق يكاد يكون واحداً ، أو هو واحد فى أصله وإن اختلف فى بعض التطبيقات تبعاً لاختلاف الأزمان والبيئات ؛ ذلك المعين هو الضمير .

وفى هـذا يقول العلامة بارتلمى سانتهلير مترجم أرسطو من اليونانية للفرنسية فى مقدمة كتاب الأخلاق لأرسطو : « ولنؤكد من غير أن نخشى الزلل أن حقائق علم الأخلاق فى الساعة الراهنة عند الأمم المتمدنة ليست منذ الآن محلاً للجدل بين النفوس الفاضلة ، وأن تلك الحقائق لا خوف عليها . يمكن أن يقع الجدل فى النظريات ، ولكن لأن سلوك الناس الأخيار هو فى الواقع واحد ، يلزم حتماً أن يكون بينهم قدر من الحق مشترك يستند إليه كل واحد منهم من غير أن يستطيع مع ذلك فى الغالب أن يقف غيره عليه ولا أن يدركه هو نفسه . ومن النادر أن يقع إجماع الآراء على طريقة بسط مذهب بعينه مهما أجيدت ومهما بلغت من الحق ، ولكن من الأفعال ما هو مقر عليه عند جميع الناس ؛ وبيّن أن هذا الإقرار العام سببه أن هذه الأفعال تابعة لمبادئ مسلمة عند الجميع ، وتقع على مقتضاها من حيث لا يشعر الفاعل لها فى غالب الأحيان »(١)

ثم يقول فى موضع آخر : غير أن قانون الأخلاق ليس قانوناً شخصياً بل هو قانون عام ، قد يكون فى ضمير أشد قوة وأكثر وضوحاً منه فى ضمير آخر ، ولكنه موجود فى كل الضمائر بدرجات تختلف قوة وضعفاً . إنه ليناجى جميع الناس بلهجة واحدة ، وإن كانت أفئدتهم لا تصغى إليه على السواء . ينتج من ذلك أن قانون الأخلاق ليس فقط قاعدة للفرد بل هو أيضاً العامل لوحدة الروابط الحقيقية التى تربط الفرد بأمثاله . لئن كانت الحاجات تقرب بين الناس فإن المنافع تباعد بينهم إذا لم تكن تذكى بينهم نار الحرب . فلولا الاتحاد الأخلاقى لكانت الجمعية البشرية محالاً(١)

ولعمر الحق إن هذا لا يحتاج إلى أى تعليق لبيان صحة ما فيه من آراء .. فهناك كثير من المبادئ الأخلاقية مسلمة بشهادة الواقع من الجميع لصدورها عن معين واحد ، قد يختلف قليلاً أو كثيراً بعض الأحيان ، لكنه واحد على كل حال

على أن التاريخ يكشف لنا أمراً آخر يجب أن يكون موضع تقديرنا وأن نعلق عليه أهمية لها خطرها : المثل الأعلى الأخلاقى يقاسى الكثير من التقاليد فى بعض الأزمنة والبيئات ، هذه التقاليد التى تراها حجر عثرة فى طريق المصلحين دائماً . تصفح تاريخ أمة من الأمم تجد فى فترات مختلفة سعدت الإنسانية ببعض كبار الأحلام والفكر الراجح الذين كانت رسالاتهم معارضة للتقاليد الضيقة التى تسيطر فى أيامهم بمثل عليا رحبة صالحة للجميع . حقا إن الرأى العام كان يقف ضد هؤلاء العباقرة ، إلا أن المستقبل كان يحكم بأنهم على حق فيما بشروا به ، كما أن الإنسانية باركت هذه الثورات ، الثورات المدينة لها بخلقية أعلى وأفضل ، وأذاعت فى جنبات الأرض أن هؤلاء الذين ثاروا على التقاليد هم النبلاء المحسنون للانسانية عامة

ولعل من الخير ومن الواجب أن نلاحظ أن تلك التقاليد الدينية أو الاجتماعية التى عارضها أولئك المصلحون كانت مختلفة أشد الاختلاف فيما بينها ، وأن هذه الآراء الأخلاقية ، والمثل التى كانوا يدعون لها فى الأزمنة المختلفة والبيئات المتعددة تعطينا مشابهة مدهشة عجيبة وانسجاماً خارقاً يجيز لنا أن نقدر أنهم كانوا يصدرون عن معين واحد فيما وقفوا أنفسهم على تحقيقه . وموعدنا ببيان ذلك الكلمة الآتية إن شاء الله .

محمد يوسف موسى

***

وقع خطأ فى مقالنا الذى نشر بالعدد ٢٩١ — المهارة فى الفن وصوابها : المهارة فى الفنن .

(١) كتاب الأخلاق لأرسطو ترجمة الأستاذ لطفى السيد باشا ص ٧

(١) المرجع نفسه ص ١٦

استطلاع صحفي (ريبورتاج)

البحث العلمي في كلية العلوم

جولة في معاملها

« في كلية العلوم بجامعة فؤاد الأول نهضة علمية يسودها روح البحث والاكتشاف ويشرف عليها الأستاذ الرياضي الدكتور علي مصطفى مشرفه بك عميد الكلية

وقد آثرنا أن نقدم لقرائنا نبذة قصيرة عما يدور بين جدران هذا المعهد من أبحاث ترفع رؤوسنا وتشعرنا بأننا نقدم للعلم نصيباً من البحث كأمة حية ناهضة »

معهد للبحث

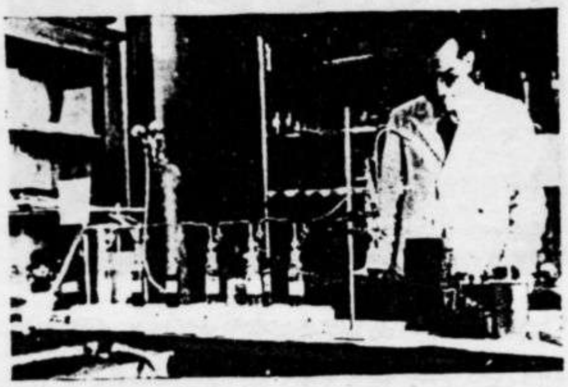
في الطابق الثاني من بناء كلية العلوم غرفة صغيرة هادئة ، تشاهد فيها دائماً شخصين ، أحدهما يواجه النافذة وينظر إلى مجهر يكبر له أنسجة النبات فيرسمها على قطعة من الورق ؛ بينما اختار الثاني لنفسه ركن الغرفة بعيداً عن الأيدي والأرجل ، فجهازه معقد طويل يتكون من عدة أوان زجاجية تتصل بآلة كهربائية تسجل درجات الحموضة أو القلوية في التربة أو النبات

الأول هو الدكتور جريس والثاني هو الدكتور عبد الحليم منتصر ، يبحث الأول في النباتات المصرية القديمة ومنها يعرف تاريخ الأمراض التي تصيب النباتات كما يعرف شيئاً عن التطور الذي تناول النباتات المصرية الحديثة ، ويقوم الثاني بتجاربه ليبين للناس خواص التربة المصرية ونباتاتها ، فقد صرف الدكتور منتصر كثيراً من وقته وعلمه حتى قدم عدة أبحاث عن تركيب التربة المصرية وعلاقتها بالنبات

وكلا الأستاذين من أعضاء هيئة التدريس في كلية العلوم . فالأستاذ أو المدرس أو المعيد في كلية العلوم لا يقصر همه على تلقين الطلاب بعض الدروس ؛ ولكنه مسئول أمام نفسه وأمام العلم أن يقدم للعالم بحثاً يدل على أنه يصرف وقته لمنفعة الانسانية؛ ولذلك لا يكاد يمر شهر واحد حتى نرى بحثاً جديداً تنشره مجلات العالم العلمية التي يدل النشر فيها على أن البحث جديد على الناس وأن الباحث أضاف مادة جديدة تدعم مدنية المجتمع

الأدوات الأولية للبحث

ومهمة الأستاذ في كلية العلوم تختلف عنها في الكليات الأخرى ؛ فقد يقتصر الأستاذ في كلية الآداب مثلاً على إلقاء المحاضرات وتلقين الطلاب مختلف أساليب البحث ، ولكن أستاذ كلية العلوم مطالب بأن يجعل من أبنائه علماء باحثين يكشفون أسرار الطبيعة ويظهرون للناس خواص المادة ، يهتمون بالمجهول أكثر مما يهتمون بالمعلوم . فعملهم هو إزاحة الستار عما غمض فهمه ، ولذلك قلما يهتم المدرس أو الأستاذ بما حصله تلاميذه من قوانين معروفة أو نظريات ثبت وجودها ، فإن هذين الشيئين يعتبران الأدوات التحضيرية للعمل في كلية العلوم

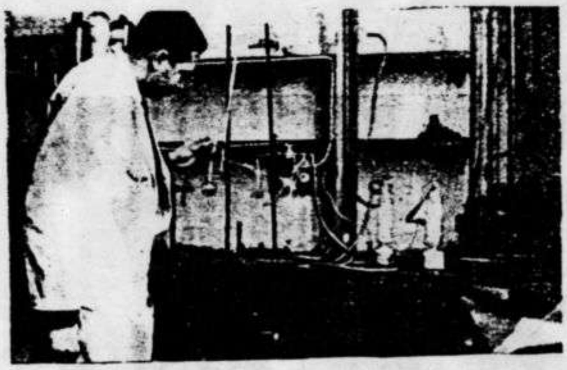


الدكتور عبد الحليم منتصر يسجل بجهازه الدقيق درجة الحموضة والقلوية في التربة والنبات

ومقياس النجاح عند الأستاذ أن يرى طلبته يصلون إلى نتائج سريعة ، ولذلك يهتم بأن يدل كلا منهم على أفضل المراجع التي يلم فيها الطالب بموضوعه . وإذا قلنا المراجع فليس معنى هذا أن الأستاذ مستعد لأن يرشد تلميذه في أي موضوع بل إنه مستعد لأن يقدم له المعونة والإرشاد في الناحية التي تخصص في دراستها. فقد اتسع مجال العلم حتى قسم إلى أقسام تجزأت إلى فروع والفروع إلى موضوعات . ولذلك يحتاج الباحث كثيراً أن يترك بلاده ومن فيها من أساتذة ليذهب إلى جهة معينة حيث يجد أستاذاً اختص في نفس البحث الذي يقوم بتحقيقه . وهناك جامعات بكافة فروعها اشتهرت بالبحث في موضوع واحد كما هي الحال في إحدى جامعات انجلترا العظيمة التي أصبحت قاعدة لدراسة مادة الراديوم وخواصه

استقرار

وليس اتجاه جامعة من الجامعات إلى دراسة معينة من الأمور الهينة فهو يحتاج إلى استقرار الحياة فى تلك الجامعة مدة طويلة كما يحتاج إلى أساتذة ثابتين يضمنون مراكزهم إلى أن تأتى نهايتهم . فطبيعة البحث والاستقراء العلمى بطيئة يُحسد فيها العلماء على طول صبرهم . فهناك علماء قضوا طول حياتهم جادين وراء مبحث واحد . ولعلك تذكر ما ذكرناه فى عدد ماض من أن أحد أطبائنا صرف عشرين عاماً ليكشف أسباب مرض تضخم الطحال



وديع افندى يقوم باحدى التجارب للوصول إلى أسهل طرق الصباغة

ويحتاج البحث العلمى إلى أجهزة خاصة بعضها دقيق وبعضها كثير التكاليف مما تعجز عن شرائه مالية الأفراد، ولذلك لا مفر من هيئات قوية تحمى تلك الأبحاث وترعاها حتى يجد العلماء واسطة يقدمون عن طريقها ما فى رءوسهم من جذوات تنير طريق المجتمع

وعدم الاستقرار هو الظاهرة السيئة المشاهدة فى كلية العلوم، فإن أكثر أساتذتها من الأجانب الذين يشتغلون بعقود محدودة الأجل . فلا يضمن الأستاذ بقاءه فى مصر أكثر من المدة التى نص عليها عقد استخدامه ، وهو لذلك ضنين بجهده أن يضيع فيما لا ينتج ، فقد يبدأ بحثه وينتهى عقد استخدامه وهو فى خطواته التمهيدية .

فمن الطبيعى لهذه الأسباب أن يقصر الأستاذ بحثه على موضوعات قصيرة سهلة التناول سريعة الفحص . ولا شك أن مجهود الأساتذة الأجانب مجهود مشكور ؛ إلا أن أبحاث كليتنا لن تتخصص إلا بعد أن ينعم كل أساتذتها بالاستقرار . وهذا لن يتحقق إلا إذا أصبح كل أساتذتها مصريين ، وأملنا عظيم فى أن يحل ذلك اليوم سريعاً . ففى كل معمل كيميائى أو نباتى تشاهد الأيدى المصرية تقوم بنصيبها لتقرن الغاية العلمية بالفكرة الوطنية فيسيطر المصريون على جامعتنا ليوجهوها إلى الناحية المقصودة

هيئة العلم

وتقوم الدراسات فى كلية العلوم على أساس البحث العلمى . فالطالب فى سنى الدراسة النظامية إلى أن يحصل على درجة البكالوريوس مطالب بأن يحقق نظريات معروفة ويختبر بنفسه عمليات فرغ منها سواه ليتدرب على طرق البحث العلمى ، ويطلع على أساليبه . فإذا جاز امتحان البكالوريوس فهى شهادة بأنه قادر على البحث العلمى تحت إشراف أستاذه . ويراقب أساتذة الكلية أبحاث خريجيهم ، فيسدون إليهم النصح ويدلونهم على المراجع التى تسهل لهم الوصول إلى النتائج التى يبحثون عنها

وإن المشاهد ليدهشه أن يرى هيئة التدريس فى الكلية تعمل بنشاط مستمر فتتقدم بأبحاثها فى كل شهر وكل سنة، فإن الموظف يبدأ فى الكلية معيداً بدرجة بكالوريوس ليرقى بعد فترة فيحصل على درجة ماجستير ثم دكتور . فمن المظاهر البارزة هناك أن كل شخص مقيد ببحث يعمل ليله ونهاره لتحقيقه . وقد أتاحت لى الفرصة أن قضيت الصيف الماضى مع أحد معيدى الكلية فكان دائماً يجلس إلى شاطئ البحر فى أوقات فراغه ليقرأ كتاباً عن « الامتصاص السطحى » وهو جزء من بحث يقوم به بين جدران الكلية .



لم تخش هذه الآنسة على جمال يديها أن تشوهه المواد الكيماوية ، فهى تقدم عن المرأة نصيبها فى سجل البحث العلمى

وتنصب أكثر أبحاث الكلية على موضوعات مصرية، فتجد موريس أفندى يبحث فى الامتصاص السطحى للقطن، ووديع أفندى

يحث فى تركيب أنواع الأصباغ . وقد تمكن بعض الأساتذة المصريين من اكتشاف عائلات من النباتات والحيوانات المصرية التى لم تكن معروفة من قبل . ونظرة واحدة فى تقارير الكلية تبين لنا ضخامة العمل الذى يقوم به أولئك الباحثون فى غرفهم

ففى كل قسم عشرات من الأبحاث . وتصدر الكلية نشرة صدر منها حتى الآن ثمانية عشر عدداً ، وتحتوى على أبحاث قومية جديدة على العلم . هذا خلاف ما ينشر فى المجلات العلمية الأجنبية التى تشعر العالم الخارجى بوجود العلماء المصريين أكثر مما نشعر نحن بوجودهم . فما زلت أذكر ما أصاب ذراعى من « تنميل » أصابه لثقل مجموعة النشرات التى حملتها إلى دارى لأعرف بعض ما يفعل أولئك الناس . ففى الكلية ثمانية أقسام لا يقل عدد الموضوعات التى تبحث فى كل منها عن عشرين بحثاً، إلى أن إنتاج الكلية لا يقل عن مائة بحث فى السنة

وتعتمد هذه الأبحاث هيئات علمية أجنبية محترمة فيرسل البحث إليها لمراجعته وتحقيقه وإبداء الرأى فيه؛ فإذا وافقت الهيئة المنتدبة على اعتباره بحثاً جديداً صحيحاً منح صاحبه الدرجة التى يستحقها إذا كان الغرض من تقديمها الحصول على درجة . والدرجات ثلاث: البكالوريوس وقد تكلمنا عنه، ودرجة الماجستير وهى اعتراف بأن حائزها يمكنه أن يقوم بأبحاثه مستقلاً تمام الاستقلال وتؤهله للحصول على درجة دكتور التى يجب للحصول عليها أن تقرر لجنة الامتحان أنها تضيف مادة مبتكرة إلى الإنتاج العلمى .

نسيج العلم الحى

وقلما تجد فى كلية العلوم طالباً لا يطمع فى الحصول على إجازة الدكتوراة ويسعى إليها . فإن روح الكلية لا تفهم إلا معنى واحداً وهو إضافة مادة جديدة إلى نسيج العلم الحى . وقد يعجب الناس ويقولون: وما لنا لا نسمع عن هذه الأبحاث ولا نراها ؟ والجواب على ذلك سهل بسيط، فإن الباحث العلمى يضع الحجر الأول للاستغلال الاقتصادى والصناعى فهو يضع النظرية اليوم ليمكن استغلالها بعد عشرات السنين . وما زال كثير من النظريات التى تحقق وجودها علمياً بعيدة عن التطبيق فى الحياة العامة . فهل تمكن العالم بعد من الاستفادة من تحطيم الذرة ؟ إنهم يعرفون ما فيها ولكن هل وصلوا إليه ؟

وثمة سبب آخر حجب أعمال هذه الكلية عن الشعب حتى اختلط على الناس اسمها واسم دار العلوم ، فقد حكى لى أحد الأساتذة أن أحد الوزراء السابقين كان يجهل الفرق بين كلية العلوم ودار العلوم ! ويرجع هذا الجهل إلى اعتزال الكلية وعدم اهتمامها بالدعاية اللازمة لها . فإن الدكتور مشرفة عميد الكلية من ألمع الشخصيات العلمية فى الخارج وخصوصاً لأبحاثه عن العلاقات بين المادة والإشعاع التى علق عليها عظماء العلماء فى أوربا كالسير أليفرلودج والسير جيمس جينز . ولكن هذه الأبحاث ما زالت مجهولة من أكثر المصريين



أمين المكتبة ويجد الباحثون عنده كل المراجع التى يحتاجون إليها فى المجلات أو فى الكتب

وللكلية مكتبة كبيرة يشرف عليها برهان الدين افندى وهى مكتبة خاصة بالكتب العلمية التى يحتاج إليها الطلبة والأساتذة فى دراساتهم. ومن أهم أقسامها المجلات فإنها الرباط الوحيد بين الباحثين ومنها يعرف الإنسان ما يدور فى المعاهد الأخرى وقد يصل بعض أعداد هذه المجلات إلى عدة جنيهات. ويصرف على المجلات وحدها ٥٠٠ جنيه وعلى الكتب ٨٠٠ جنيه فى السنة

فوزى عبد الشترى



بين المـــرأة والرجل

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

الشرق والغرب شرع واحد فى المسائل التى تتناول الأحاسيس والعواطف ، بل الحب — بنوع خاص — فى مختلف أنواعه وحالاته ، والمرأة هى هى فى كل مكان وزمان . والتحليل الدقيق للقصص الأربع التى تفضلت حضرة الأديبة الكبيرة محررة « رسالة المرأة » باستطلاع آراء القارئات فيها ، يجعلنى أردّ تصرفات المرأة فى كلٍّ منها إلى تلك الأصول البدائية التى ركزت فى نفسها مركبات قوية متناقضة تكاد تكون من الغرائز النسوية لأنها اندست فى أغوارها حقباً طويلة دون أن تدريها ، فطبعت سمتها على حياتها وآرائها ، ووجهتها إلى نواح متشعبة كانت مصدراً خفياً لأعمال تنفع وتضر على السواء . ولعلّ من أعظم هذه المركبات ما يسمى « مركب النقص » فإن المرأة منذ بدء عصور التاريخ البشرىّ قد كانت فى الغرب موضوع حب الرجال وإعزازهم ، وكان التغنى بمحاسنها والتشبيب بها موضوع قصيدهم وأناشيدهم ، على أنهم رغم بلوغهم أوج التعبد لها ، ما برحوا حتى العصور الوسطى بل والحديثة يوجسون خيفة منها ويعدونها بلاء مقيما وشراً مستطيراً . وكانوا إذا تفوقت إحدى النساء فى ذكائها أو بنبالتها يتهمونها بالسحر والشعوذة ، ويجعلونها غرضاً لسهام طغمة كبيرة من رجال الدين . أما فى عصور الوثنية والجاهلية فى الشرق فقد أجلسوها على عروش الربوبية ، وجعلوا من العذارى الجميلات كاهنات لمعابد أصنامهم ، ثم بقيت من العصور الوسطى وما بعدها كأنموذج لحسنٍ ضائع ، وكقنية ثمينة يدخرها الملوك والولاة فى قصورهم ، أو ملهاة جميلة يتسلون بها بعد عودتهم من غزواتهم ورحلات قنصهم ، ثم اتخذوا منها إكليل الغار الذى يتوّجون به كل بطل صنديد مكافأة له على شجاعته ، أو ثمناً لعبقريته ومواهبه ... ولقد أدّى هذا كله إلى إشعار المرأة بعجزها ونقصها ، ودفعها إلى تغذية رغبتها فى الظهور أمامهم لا بمظهر الندّ والنظير فقط ، بل محاولة التفوق عليهم وعدم الاستخذاء لهم ، والجدّ فى الظفر بإخضاعهم لنفوذها الآمر .

وعندى أن هذا هو « مركب النقص » الذى يعدّه كثيرون من كتّاب المرأة غريزة أساسية من غرائزها ، بل ميلاً قوياً من ميولها الفطرية التى تغريها بحب السيطرة فى إيجاع وإيلام للرجل ، ولكنى أرى أن هذه الغريزة المزعومة ليست أصيلة فى المرأة ، بل هى فى الحقيقة صورة ظاهرة من صور الحب التى مرجعها حب الذات ، والتى تختصر تاريخ النزاع المديد الشديد الذى قام بينها وبين ذلك الرجل الذى ظل أحقاباً متعاقبة يقهرها ويحتجزها كغرضٍ من أغراض العاطفة الرخيصة . على أن ذلك النزاع لم يلبث أن استحال إلى حرب نظامية تطورت وصارت خطة سياسية أو وسيلة نسوية ، أخذت الآن تتضاءل وتتقلص حتى لتكاد تختفى فى أعلى طبقات السيدات تهذيباً وأرقاهن علماً وثقافة ..

أجل ، هى صورة ظاهرة من صور الحب التى مرجعها الذات والرغبة فى إثباتها بشكل أكمل وأوضح ، وتحديد مكانها فى حيز الوجود . بل هى مظهر راق لحب الذات مصدره إعجاب المرأة بالقوة ، ذلك الإعجاب الذى ينسبه سبنسر فيها إلى نمو شعورها الدينى ، وحنينها إلى اللياذ بقوة أعظم من قوتها ، فهى حين تظهر سيطرتها على الرجل ، إذ تطالبه باستعراض مجازفات إقدامه وصلابة مكسره وصرامة بأسه أمام الملأ ، إنما تريد أن تتبذخ بقوته ، لأنها كما تقول الكاتبة الإنجليزية جورج أليوت : « لا تستطيع أن تتعلق بالرجل الخوار الهشيم » . ثم إنها حين تستفز فيه روح المنافسة والغيرة ، ولو عن طريق الخطار بحياته ، تعمد إلى امتحان حبه ، وتتطلع إلى مبلغ تهافته على الاستئثار بإعجابها ، وإرضاء نزعات تدللها وتيهها، بطرائق تسير ذكرها فى الآفاق، وتفشى تدلهه بحبها على الألسنة ، وترجّع صدى هيامه بها فى المحافل ، وتذهب سمعه فى الناس ، ولا تتوانى فى سبيل سعيها لامتلاك قلبه عن

إثارة زهوه بتقريظ شهامته وتملق رجولتـه وإطراء نخوته ، فلا يتوانى هو بدوره عن حمل نفسه على المخاوف والمعاطب واقتحام المهلكات والمتالف

ولكي نقرب من إنصاف المرأة مع ذلك ، أصرح بأن ما يبدو منها من حب السيطرة ، لا يمكن أن يؤخذ على معناه المطلق ، لأنه لا يتجاوز ميلها الفطرى إلى التسلط على قلب الرجل ، ونيل الحظوة فى عينيه . ولئن رغبت فى أن تكون محبوبة منه بكل قواه ، فإنما رغبتها الأولى أن تكون هى المحبّة . وأكبر اعتقادى أن ما تبذله من قبيل استمالته إليها ، ليس إلاّ نتيجة لتلك الرغبة الملحة ، وعلى كل حال فرغبتها ورغبته مترابطتان ، والغالب أن يكون الحب متبادلاً بينهما . ولقد قدمتُ أن المرأة الراقية المهذبة ، قد تمكنت بفضل العلم الناضج من معالجة « مركب النقص » الذى أذكته فيها سيادة الرجل فى مثل البيئات والأحوال الخاصة التى سردتها حضرة الآنسة الفاضلة « زينب الحكيم » فى قصصها ، وأصبحت الفتاة اليوم تتوخى فى عهـد خطبتها وسائل متزنة للسيطرة على قلب خطيبها وشريك حياتها، فأبت أن تتبع ما كانت تتبعه أختهـا فى العهـد الماضى من ضروب إحاطته برعاية الأم الحانية على طفلهـا الرضيع بنواهيها العديدة ، لأنها قد تحققت أن فتى اليوم ، يكره القيود التى تغلّ الإرادة وتشلّ القوى ، ويرفض الانصياع لمنْ تمحضه النصح على الولاء ، بارتداء الملابس الصوفية إذا ما لاحت بوادر الشتاء ، واستصحاب زوج إضافى من الجوارب السميكة إذا خرج لمباراة فى لعبة الجولف ليتقى بها الأمطار فى حالة هطولها ، وأن يتعشى بفالوذج اللبن والبيض ، وأن يعنى بتهوية مسكن العزوبة المجدب من أناقة المرأة وعنايتها ؛ لأن الحياة الرياضية ، التى يحياها فتى اليوم ، فى فرق الكشافة والجوالة والتدريبات العسكرية ، قد جعلته واسع الحيلة فى شؤون المعيشة ، شديد الاعتماد على نفسه ، كبير القدرة على العناية بصحته وبمسكنه ، وأصبحت فتاة اليوم تتجنب إظهار امتلاكها له أمام الناس ، والتحدث بحقوق الاختصاص التى وضعتها عليه كما لو كان بعض الدواجن التى تدللها وتستصحبها معها فى المنتديات العامة مباهية بسيطرتها عليه . وأصبحت تتجنب الاعتداد بنفسها ، والاستعلاء عليـه وإبداء البرودة نحوه والإكثار من معاتبته والتفلسف فى تحليل كل صغيرة وكبيرة من تصرفاته ومحاسبته على كلماته والإغراق فى أخذه بمغالبات جدلية ومناقشات منطقية، وإملاله بسرد النظريات العلمية والتخيلات الروائية ، وإذاعة المعلومات وآخر النشرات الإخبارية الشائعة بين أفراد طبقتها ، والظهور أمامه بمظهر الحزن والاكتئاب والتجهم ويقظة الضمير والإفراط فى ادعاء الورع والتدين ، وتحوير الأمور وتحريفها وقلب ظاهرها لباطنه ؛ وأخذت تبدو أمامه على الدوام متهللة الغرة ، قريبة منال البشر ، طيبة النفس فكهة الأخلاق ، فى احتشام الفتاة ، وخفر العذراء ، وكرامة السيدة وجلالها وصراحتها وثقتها ومحبتها ووفائها وطاعتها . .

ولعلـه يحسن بى أخـيراً أن أنتحى ناحية الرجل فأقول إنه يستطيع تحقيق المثل الأعلى للفتاة كزوج حين تجتمع فيـه أنبل ميزات الرجولة وأكرم أخلاقها وأمجد مناقبها ، فتجد فيه القوّام المخلص العطوف المطاوع ، والشريك الحازم الرشيد الأمين الكريم الذى يتفانى فى توفير أسباب الراحة والطمأنينة لها ، ويتعاون معها على إسعاد العمران ، والسمو بالمجتمع الإنسانى إلى مراقى الكمال المنشود .

الزهرة



الحيـــاة

هل هي وليدة المصادفة ؟

للدكتور محمد محمود غالى

من تفكير مدام كيرى — هل نحن والتفاحة شيء واحد — هل تكتب القردة بيتا من الشعر — وهل يرفع الماء طوبة مغمورة فيه — إمكان الحياة على كويكبات أخرى — شعورنا بأنها غير وليدة المصادفة .

في خطاب لمدام كيرى مكتشفة الراديوم لبنت أختها « زلاى » ما يدعو لإنعام النظر ، لهذا أذكر منه بعض الفقرات :

« عُنى ابنتاى فى الربيع بتربية دود القز وكنت وأنا مريضة أتتبع مدة عطلتى بالمنزل التطورات التى تحدث عند تكوين الشرانق ، وكانت لى فى ذلك لذة عجيبة ، فقد لفت دود الحرير نظرى إلى الشعور بجنسها العجيب الذى يُشبهنا فى ناحية الجلد على العمل والنشاط والمثابرة

لقد ثابرت طول حياتى على العمل لغرض واحد ، وقمت بهذه المهمة دائماً نحو غرضى رغم علمى أن حياتنا سريعة العطب محتومة الفناء لا تترك شيئاً أيا كان وراءها ، ولا بد أنى فعلت ذلك لأن وراءنا شيئاً يحفزنا للعمل ، لعله نفس الشىء الذى يحفز الدودة لتبنى هذه الشرنقة . هذه الدودة المسكينة يجب عليها أن تبدأ هذه الشرنقة التى من المستحيل عليها أن تتمها ، فهى كما نعلم لا تصل إلى نهاية مهمتها بل تموت فى طريق العمل دون تعويض

فليستمر كل منا يا عزيزتى فى نسج شرنقته دون أن يسأل لماذا وإلى أية نهاية »

حياة النملة أو دودة القز أو الإنسان ، هذه الحياة وما تخفى وراءها من حافز شخصى وما تكنه من وراثة بعيدة المدى ، تلك الوراثة التى تحفزنا للعمل المستمر ، هذه الحياة — وأدهش ما فيها الإنسان الحى — نريد أن نعرف الفكرة فى منشئها وتبين علاقتها بالكون ، ويتناول هذا الموضوع مدرستان أو مذهبان :

الأولى تعتقد أن الحياة وليدة لمصادفة وقعت فى الكون ، وأن الكون لم يكن فى نشأته مخصصاً أو مقصوراً عليها . والمدرسة الثانية تقول عكس ذلك وتعزو للحياة وللإنسان أهمية خاصة

أما عن نفسى فإن إحساساً خفياً وإن كان غير مَبْنِىّ على حقائق علمية أو على أساس فى العلم التجريبى يدفعنى إلى أن أكون من أنصار المدرسة الثانية

أن تحاول إقناعى اليوم أننى والتفاحة التى أ كلها شىء واحد ، وأننى والمحبرة التى أ كتب الآن منها مركب متشابه من النيترون والألكترون وغيره وأن ترتيباً خاصاً من هذه الذرات وما يدور فى غلافها من ألكترونات هو الذى جعل هذه تفاحة تُنبتُ غيرها من التفاح وجعلتنا آدميين ننسل غيرنا من جنس الإنسان وجعلت هذه محبرة لا تصلح إلا لتمكننى من أن أمد القارئ بهذه الأسطر

أن تحاول أن تُدخل فى روعى أننى وبقية النبات أو الجماد شىء واحد وأن الحياة ظاهرة وليدة الصدفة كظاهرة المغناطيسية أو الإشعاع المادى ، وأننى وهذه الكائنات نتساوى ، كل هذه مسائل لا أجد من نفسى تساهلاً فى قبولها

قد تكون بليغاً جداً فى محاولتك ، وقد تكون براهينك العلمية والعملية من القوة بحيث نطأطئ الرأس لحججك ، وبحيث لا نستطيع اليوم أن نُقنعك بطريق العلم النظرى أو العلم التجريبى بخطأ علمك وتجاربك ، ولكن غريزة فى النفس تشبه الغريزة التى تحمل دودة القز السابقة على العمل وتحملك على الخروج من المنزل كل يوم لكسب عيشك ، تدفعنى إلى أن أخالفك فى الرأى ، ويداخلنى شعور يستقر فى نفسى يوحى إلى أننا نختلف عن التفاحة والمحبرة اختلافاً مبيناً ، وأن فى جوهر حياتنا ما يجعلنا نفترق عن الأشياء وعن الظواهر الأخرى للكون

فى محاضرة لمسيو روجيه عميد كلية الطب السابق بباريز حضرتها فى شتاء ١٩٣٤ بين آلاف المستمعين فى إحدى ردهات بوليفارد سان جرمان بالحى اللاتينى ، ألقاها فى جماعه المعقلين Les Rationalistes التى هو وكيلها تعرّض للحياة وعلى الأخص لما نسميه الروح والعقل . ولو أنك حضرت هذه المحاضرة لأيقنت أن روجيه على حق ، ولخرجت مثل الكثير مقتنعاً بأنك والتفاحة وباقى الكائنات شىء واحـد ، وأن ما نسميه العقل والروح والنفس وغير ذلك ما هو إلا نوع من الآمال التى نتصورها لأنفسنا ، وأنه لا وجود لها إلا فى خيالنا . ليست أمامى الآن محاضرة الأستاذ روجيه حتى أعيد قراءتها وألخص لك نقطها القوية التى تستند إلى وقائع فعلية وتجارب عملية فى الطب والتشريح المقارن والتى تعرّض فى ختامها لفلسفة برجسون Bergson التى لا يعترف بصحتها ويهاجمها هجوماً عنيفاً

ولعل رأى روجيه يمثل رأى غالبية العلماء زملائه اليوم من الأطباء والبيولوجيين . والظاهر لى أننا إن أردنا أن نستدل على تفسير للحياة بين علماء الطبيعة والرياضة المعاصرين فإنه يغلب على الظن أننا نصل إلى النتيجة نفسها . وها هو ذا السير جينز Sir James Jeans فى كتابه « العالم الغريب » يقول وهو يتكلم عن الأرض كسيار انفصل عن الشمس : إننا لا نعرف كيف ومتى ولماذا تولدت الحياة بطريق الصدفة فى واحد من هذه الأجزاء التى تناثرت من الشمس وهو الأرض

هذه الحياة التى بدأت فى مخلوقات بسيطة لا تعرف فى المبدأ شيئاً غير أنها تتوالد ثم تموت . أجل هذه الحياة التى استمر خيطها يطول ويتعاظم إلى أن وصلت إلى هذا الوضع المعقد الذى تتوالد فيه كائنات تهب الجزء الأكبر من عمرها لأطماعها ورغباتها بل لأديان وضعت فيها أكبر آمالها . وإن شيئاً من التأمل فى البحث عن صلتنا بالكون المحيط بنا يحملنا كما يقول ذلك السير جينز على الفزع ، فالكون يفزعنا بعظم مسافاته الشاسعة وبطول الزمن الذى يمر ويبدو كأنه لا نهائى ، والذى لا يُعد تاريخ الإنسانية فيه إلا لمحة من البصر — الكون يفزعنا بوحدتنا وبضآلة المادة التى يتكون منه عالمنا الشمسى بالنسبة إلى ملايين العوالم ، وإن أرضنا على حد تعبير السير جينز ما هى إلا جزء واحد من مليون جزء من حبة رمل من مجموع كل رمال الشواطىء — إنما الفزع أن ندرك أن العالم أصم لا يشعر بنا وأنه ممانع لكل نوع من الحياة تشبه حياتنا . فالفراغ بين العوالم أو الشموس من البرودة بحيث أن كل حياة تنتهى فيه بالجمود والموت ، والجزء الأعظم من المادة المكونة للنجوم ، من الحرارة المرتفعة بدرجة تجعل كل حياة فيها مستحيلة ، ويصل إلى هذه الأجرام من الأشعة المختلفة ما هو غير ملائم للحياة وقاتل لها . ويكفى أن أذكّر القارئ أن طبقة الأوزون المحيطة بالكرة الأرضية تحمينا من الإشعاعات القاتلة

فى عالم هذا وصفه ألفينا أنفسنا مخلوقات فيه تتحرك وتفكر ، ولو اعتقدنا كما يعتقد جينز وغيره أن وجودنا حادث وليد الصدفة فإن فناءنا أيضاً سيكون وليد الصدفة ، فإن من المعقول فى رأيهم أنه باستمرار الزمن يحتمل أن يقع أى نوع من الحوادث .

ويعتقد السير جينز أن « هكسلى » هو الذى قال :

« لو فرضنا وتركنا ستة من القردة تكتب على الآلات الكاتبة دون أن تعى ما تخطه مدة طويلة تبلغ ملايين الملايين من السنين ، فإننا فى سير الزمن نرى بين أسطرها بطريق الصدفة كل الكلمات المحفوظة فى المتحف البريطانى . ولو أننا اخترنا آخر صفحة من الصفحات التى سطرتها القردة فقد نلاحظ أن توقيعاتها العمياء قد خطت أحد أبيات شيكسبير ، وعند ذلك يحق لنا أن نعتبر هذا البيت من الشعر حادثاً من أغرب الحوادث . ولو أننا بعد ذلك تصفحنا ملايين الصحائف التى كتبتها القردة فى ملايين السنين فإنه مما لاشك فيه أننا سنعثر مرة أخرى على سطر آخر من أبيات شيكسبير كان هو أيضاً وليد الصدفة العمياء » .

وهكذا لا بد أن يحدث لعدد قليل من الشموس بين ملايين الشموس الأخرى الحائرة ما حدث للشمس من وجود سيارات تدور حولها، مما أوردناه فى مقالنا السابق، ويدل الحساب على أن هذا العدد من الشموس قليل جداً بالنسبة لعدد شموس الكون .

ومن البدهى أن الحياة كما نستوعبها لا تحدث إلا على سيارات شبيهة بالأرض إذ يجب لوجودها شروط طبيعية ملائمة مثل اعتدال درجة الحرارة ، وعلى هـذا الاعتبار تستحيل الحياة فى الشموس نفسها التى هى نيران متقدة كما تستحيل فى الحيز بعيداً عنها ، فهذا لا تزيد درجة حرارته على أربع درجات فوق الصفر المطلق (أى أقل من ٢٦٨ درجة تحت الصفر العادى)

فالحياة جائزة على كويكبات تقع على مسافة معينة من هـذه

الشموس ، إذا ابتعدنا عن هذه المناطق المعينة امتنعت الحياة للبرودة المهلكة ، وإن اقتربنا امتنعت أيضاً بسبب الحرارة المحرقة

ونستدل من الحساب على أن المناطق التي تجوز فيها الحياة لا تكون إلا واحداً على مليون البليون من مجموع الحيز . على أن الحياة تندر في هذا الجزء النادر من الحيز ، ذلك لأن تناثر جزء من إحدى الشموس وانفصاله عنها يعد حادثاً نادراً جداً ، ويغلب على الظن أنه يوجد نجم واحد في كل مائة ألف نجم يشبه الشمس في وجود سيار يدور حوله كالأرض حيث الحياة على هذا السيار قد تكون جائزة .

لهذا يجوز الاعتقاد أن الكون لم يخلق خاصاً لغرض الحياة ، هذا رأى يميل إليه السير جينز وغيره ، والواقع أنه لا تناسب مطلقاً بين عظمة الكون والنتيجة الضئيلة الموجودة في بعض أجزائه والتي ترى أثرها في الحياة .

على أننا لا نعلم هل توجد شروط طبيعية كافية بذاتها لإيجاد الحياة ، فثمّ مدرسة تعتقد أنه عند ما بردت الأرض كان لا بد من ظهور الحياة في أثناء ذلك ، ومدرسة أخرى تقول إن حادثاً أولاً أوجد الكائن وأنه كان لا بد من حادث ثان ليوجد الحياة في الكائن

على أن المركبات المادية للكائن الحي هي ذرات كيميائية عادية ، هي الكربون كالذي نجده في دخان المصانع ، والاكسيجين والهيدروجين كاللذين نجدهما في الماء ، والأزوت الذي يكوّن الجزء الأكبر من الجو المحيط بنا — كل هذه الجزئيات والذرات الموجودة في الكائن الحي كانت موجودة حتماً في الأرض ، هذه المولودة الجديدة ، وقد حدث في وقت من الأوقات أن مجموعة من هذه الذرات — بطريق الصدفة — ترتب بالطريقة الموجودة بها اليوم في الخلية الحية ، وكان لا بد من ذلك مع طول الزمن ، كما كان لا بد للقردة الستة من أن تسطّر يوماً أحد أشعار شيكسبير . وعلى هذا لنا أن نتساءل هل هذه الذرات بترتيبها هذا هي التي كونت بمفردها وبهذا الترتيب الخلية الحية ؟ وبعبارة أوضح ، هل الخلية الحية هي مجرد مجموعة من الذرات العادية مرتبة بشكل خاص أو هي شيء آخر ؟

هل المادة الحية مجموعة من الذرات أو مجموعة من الذرات مضافاً إليها الحياة ؟ وبعبارة أخرى هل يستطيع كيميائي ماهر أن يوجد لنا الحياة على أي شكل باستعمال عدد معين من الذرات أو تنقصه قوة أخرى غير العدد والترتيب ؟

هذا ما نحاول أن نتناوله في المقال القادم . ويبدو لي أنه للإجابة على ذلك لا مناص من الدخول في عميق العلوم الطبيعية فنبدأ وصفاً وجيزاً للمادة وللمادة الحية وفق آراء العلماء اليوم

وخلاصة القول أنه بالرجوع إلى فكرة ترجع في الواقع لشيء أشبه بحساب الاحتمالات (Calcul de Probabilité) وبالرجوع إلى جواز طول الزمن وجد العلماء مخرجاً وتفسيراً محتملاً لوجود الأرض ولوجود الحياة عليها ، تفسيراً مبنياً على الصدفة

* * *

في مثال ذكره العالم الكبير جان بيران (Jean Perrin) وأبلغنيه الأستاذ الكبير هنري موتون (Henry Mouton) أننا إن اعتبرنا الحركة البراونية التي تتلخص في أن ما يصيب أي جسم داخل السائل من ضغط هو مجموع صدمات جزئيات السائل عليه ، فإن لنا أن نعتقد أنه يصح بعد ملايين السنين أن يحدث مرة أن يرفع الماء قالباً من الطوب مغموراً في ماء ساكن ، وعندئذ لنا أن نعتبر حادث رفع هذا القالب على سطح الماء من المعجزات النادرة ، وإن كان هذا الحادث ليس مستحيلاً عند العالم الذي يعرف الحركة البراونية والذي يتوقع حدوثه يوماً

ومع جواز تسليم القارئ بما يذهب إليه كل من هاكسلي وبيران فالحياة عندي رغم القردة التي يصح أن تكتب يوماً ما سطرا من الشعر ورغم الطوبة التي يصح أن ينهض بها الماء ، من الغرابة بحيث لا تطاوعنا النفس على أن نعتبرها وليدة الصدفة وأنها طرأت عن غير قصد .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية ، ليسانس العلوم الحرة ، دبلوم الهندسخانة

النباتات آكلة الحشرات

بقلم رضوان محمد رضوان

تتشابه النباتات بوجه عام فى نظم تركيبها واحتياجاتها الغذائية سواء كانت هذه النباتات مائية أو نامية فى الصحارى أو على قمم الجبال ؛ إلا أن شكلها الظاهرى وتركيب بعض أعضائها الداخلية تتحور وتعدل تبعاً للبيئة التى يوجد بها النبات حتى يمكنه أن يعيش فى الظروف التى تحيط به ؛ وهذا هو الحال فى النباتات آكلة الحشرات

فمن المعلوم أن النبات يحتاج فى غذائه إلى عناصر خاصة[1] . لا بد من توفرها فى البيئة التى يعيش فيها النبات حتى يمكنه النمو والحياة . والنباتات الخضراء حساسة جداً لعنصر الأزوت فهو من أهم العناصر المكونة للبروتوبلازم الحى ؛ كما أن النبات لا يمكنه امتصاص الأزوت إلا على صورة أزوتات ، وعلى ذلك فوجود الأزوتات أمر ضرورى لحياة النبات

ويقوم بتجهيز أملاح الأزوتات للنبات أنواع من الأحياء الدقيقة تعرف باسم «بكتريا التأزت» فهى تحول النوشادر إلى حمض الأزوتوز ثم تؤكسده وتحيله إلى حمض الأزوتيك الذى يتحد بالأملاح القلوية مكوناً أملاح الأزوتات

أما فى الأراضى التى لا تعيش فيها بكتريا التأزت لعدم ملاءمة الظروف لها كأن تكون الأرض حمضية مثلاً ، فعلى ذلك لا تتوفر أملاح الأزوتات اللازمة لحياة النبات ، كان لا بد للنباتات التى تعيش فى مثل هذه الأراضى أن تبحث عن وسيلة جديدة للحصول على الأزوتات اللازمة لها ، وفعلاً قد هيأتها الطبيعة بتحورات خاصة لتجعلها ملائمة لاقتناص الحشرات حتى تستطيع أن تستمد منها عنصر الأزوت . وسنذكر فيما يلى أهم أنواع هذه النباتات وطريقة كل منها فى الاقتناص :

نبات الدروزرا (Drosera)

ينمو فى وسط حمضى فيستحيل على الجذور أن تمتص أملاح الأزوتات ، وفيه الأوراق ضخمة بها عدد من الزوائد الحساسة التى تفرز مادة لزجة حمضية ؛ فإذا ما سقطت حشرة ما على ورقة من هذه الأوراق ، التصقت بالمادة الرحيقية حالما تلامسها ، وعبثاً تحاول الحشرة الفرار ، فإنها إذا حاولت ذلك اشتبكت بزوائد أخرى ، فتصير داخل شبكة محكمة من هذه الزوائد الحساسة ، وبذا يصبح خروجها ضرباً من المحال . فإذا ما اقتنص النبات فريسته تنحنى تلك الزوائد فوق الحشرة وتفرز عليها أنزيم الببسين Pepsin لهضم الحشرة وإذابة جسمها ، وبعد ذلك يتص النبات تلك المواد المذابة ، ثم تعتدل الزوائد وتعود الورقة إلى شكلها الطبيعى وتتهيأ لاقتناص فريسة أخرى .



(ورقة الدروزيرا)

نبات النيبنثس (Nepenthes)

يوجد هذا النبات فى بلاد الملايو ، وهو يحتال على اقتناص الحشرات بطريقة طريفة ، فنجد أن جزءاً من الورقة يتحور إلى شكل جرة ذات غطاء يتحكم النبات فى فتحه وقفله حسب حاجته . وتتجمع قطرات ماء المطر داخل هذه الجرة ؛ ويستعين النبات على جذب الحشرات برحيق حلو الطعم يفرزه داخل الجرة ، فإذا ما دخلت فيها حشرة لامتصاص الرحيق انزلقت أرجلها وسقطت فى الماء . وفى الوقت نفسه يغلق الغطاء وبذا توصد أوجه

---

(١) العناصر الأساسية فى غذاء النبات هى : كربون . أكسجين . إيدروجين . أزوت . كبريت . فوسفور . بوتاسيوم . كلسيوم . حديد . مغنسيوم

الخلاص أمام الحشرة وتفقد كل أمل فى النجاة ، حينئذ يبتدئ النبات فى عملية الهضم بواسطة إنزيما خاصة يفرزها لإذابة الحشرة حتى يتمكن من امتصاص المواد الناتجة . بعد ذلك يفتح غطاء الجرة وتستعد الورقة لاستقبال قدم جديد وهكذا .


(نبات النيبنتس)

وهناك نبات معروف فى شمال أمريكا يسمى Sarracenia مثل نبات النيبنتس

نبات الديونيا (Dionaea)

تحتوى ورقة هذا النبات على مصراعين يتحركان على العرق الأوسط وتنتشر على السطح العلوى لكل منهما زوائد شوكية دقيقة ، فإذا وقفت حشرة ما على الورقة انقفل المصراعان فجأة وبسرعة وتنغرز الأشواك الحادة فى جسم الحشرة فتمزقها وبذا تبدأ عملية الهضم والامتصاص

حامول الماء (Utriculària)

ويوجد هذا النبات فى مصر منتشراً فى المياه العذبة ، وتحمل أفرعه أجزاء منتفخة أشبه بالمثانات بها خلايا خاصة ولها غطاء يفتح للداخل فقط ، فإذا لامست إحدى الحشرات المائية الشعور الحساسة ، انفتح الغطاء بسرعة إلى الداخل ، واندفعت الحشرة مع الماء إلى داخل المثانة ، وتبقى هنالك حتى تموت وتتعفن . ثم تمتص بعد ذلك بواسطة الخلايا المبطنة لجدر المثانة

هذا وقد قرأت أخيراً فى إحدى المجلات الأمريكية[١] نبأ المنشور على نوع من الأشجار يفترس الإنسان ؛ فقد روى العلامة الدكتور كارل ليشى أحد الرواد النمسويين ومن أقطاب العلماء ، أنه أثناء رحلته فى ارتياد مجاهل جزيرة مدغشقر اتفق أن رأى منظراً غريباً ملك عليه حواسه وأخذ بلبه . ذلك أنه رأى جماعة من الزنوج يدفعون فتاة عارية نحو شجرة هائلة تشبه شجر الأناناس ولها أوراق ضخمة ، ويبلغ محيط الشجرة من أسفل ست أقدام أو أكثر ، ويخرج منها أفرع طويلة ذات أوراق عريضة إبرية الحافة ، ويسيل من الشجرة رحيق مسكر ، حتى إذا ما وصلت الفتاة إلى الشجرة أرغموها على شرب الرحيق. فلم تكد تفعل حتى انتابتها نوبة من الإغماء قد تكون من تأثير الخوف ، وقد ترجع إلى أن الشراب مخدر للأعصاب

وما لبثت الأوراق أن التفت حولها واحتوتها بين أسنانها وبذا اختفت عن الأنظار ، وما لبث أن سال دم الفتاة مع رحيق الشجرة فأقبل الزنوج عليه يشربونه بشراهة وغلظة

وقد أيد هذه المشاهدة الكابتن هرست الإنجليزى الذى قام على رأس بعثة علمية لارتياد مجاهل مدغشقر؛ فقد وصف ما شاهده وقال إن أوراق تلك الشجرة تلبث مطبقة ستة أيام أو أقل قليلاً ثم تنفرج عن هيا كل عظيمة تذروها الرياح

أقول إن هذه المشاهدات سواء كانت واقعية أو خيالية لا تخالف العلم فقد رأينا كيف أن النبات يفترس الحشرات فى احتياجه إلى الأزوت ؛ ولن يميز النبات بين حشرة أو حيوان أو إنسان إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً . وأغلب الظن أن الشجرة المذكورة فى جزيرة مدغشقر ، تعتمد فى غذائها على الحيوانات التى تلجأ إليها ليلاً أو فراراً من القيظ أو هرباً من عدو ، وأن الأهالى وقد عرفوا فيها تلك الخاصية قدسوها وأخذوا يقدمون لها القرابين من الفتيات ، ويشربون من رحيقها المسكر المختلط بدم الضحايا ، وهم يعتقدونه شراباً إلهياً قدمته إليهم الآلهة تقبلاً منها وكرماً

هذه كلمة موجزة عن النباتات آكلة الحيوان ، وهى جديرة بأن تسمى : « النباتات آكلة اللحوم » أسوة بالحيوانات « آكلة اللحوم »

رضوان محمد رضوان
بكالوريوس فى العلوم الزراعية

(١) National Geographic Magazine



فيـــدياس

PHIDIAS

للدكتور أحمد موسى

كان لاستيقاظ الشعب الإغريقي ونمو الروح الوطنية فيه بعد الحروب الفارسية أن ازدهر فن النحت على أيدي الذين استطاعوا السيطرة على الخلق التكويني، ووصلوا إلى أقصى درجة من الإعجاز في إخراجه، فكان لمنحوتاتهم أن مثلت المُثل العليا أسمى تمثيل وعبرت عن الوصول إلى درجة الكمال؛ فارتبط الواقع بالجمال المُثلي، وظهر النحت الإغريقي بمظهر لا يزاحم فيه إطلاقاً.

وكان استعداد الإغريق للنحت هائلاً، فجعلوا من تماثيلهم البارزة ونصف البارزة ما سجلوا به الموهبة الفطرية والعقلية والفنية في هذا المجال.

ولهم من منحوتاتهم ما أظهر عقائدهم الدينية والكيفية التي كانت تسير عليها عاداتهم فضلاً عن حياتهم العامة التي كانت الألعاب الرياضية ركناً هاماً من أركانها.

وكان ولا يزال وسيظل النحت الإغريقي مثار إعجاب الإنسان المتحضر ورمزاً للتفوق ومثلاً عالياً يحلق في سماء الفن، لا يمكن لطامح أن يعلق بأطرافه.

وللنحت في بلاد الإغريق مناطق ومراحل ومدارس. أما من حيث المناطق فخيرها لهذا المقال منطقة أثينا، وأما المرحلة الزمنية فهي المحصورة بين سنة ٤٧٠ وسنة ٣٣٠ قبل الميلاد، لأن هذه هي مرحلة «عصر الرفعة» أو «الازدهار».

على أنه يمكن تقسيم هذا العصر إلى قسمين: أولهما أو أقدمهما استغرق القرن الخامس قبل الميلاد (من كيمون إلى حرب البيلوبونيز) وفيه تناول النحات الإغريقي الحقيقة الواقعة أمام عينيه في أحسن وضع لها؛ فلم تكن تنتحي هذه الحقيقة إلى فرد بعينه، بل إلى النوع كلية، في شيء من السمو في الخيال والتصور، فكانت طابعية النزعة وليست طابعية الإخراج.

ومع هذا لا يزال المشاهد يتصور أو يظن «وحيناً يعتقد» أن التماثيل – في تلك المرحلة على الأقل – قد عبرت بتفاصيلها وطريقة إخراجها عن أصحابها التي نحتت من أجلهم تعبيراً حقيقياً



ش – ١ (عملة إليس وعليها صورة زويس)

أو طبيعياً، ولكن هذا بعيد الاحتمال بالنظر إلى ما في تكوينها من جمال ساحر قلما يوجد مثله في النوع الإنساني.

ومما جدير بالذكر أن المظهر الكلي والمجموع الإنشائي لمنحوتات «عصر الرفعة» أو «الازدهار» يعطي فكرة المبالغة في الأحجام مع تمام التناسب، ولم يقصد النحات الإغريقي من ذلك إلا إبراز المعالم في مظهر من القوة وعلو الهمة ووجود الشخصية، في هدوء نفساني وبعد عن العنف.

وأما الحركة الجسمانية التي تعبر عن الحيوية فهذه مع بساطتها – نسبياً – من حيث التنويع؛ فإنها عبرت خير تعبير عن اليقظة والنشاط.

ولا يوجد من يمكن اعتباره فى مقدمة هذا العصر سوى زعيم المدرسة الأتيكية القديمة (نسبة إلى أتيكا) ألا وهو فيدياس الذى لا يزال ليومنا من أعظم فنانى العالم أجمع .



ش ــ ٢ (تمثال نصفي للآله زويس ــ الفاتيكان)

ولد فيدياس بن خرميدس الاثينى فى عام ٥٠٠ ق . م . واشتغل مصوراً فى أول الأمر ثم تتلمذ على أجيلادس Ageladas وبعدئذ استقل فى عمله حتى استدعى لنحت تمثال زويس المعروف فى أولمبيا ، وعاد إلى أثينا والتقى فيها بپركليس وعمل فى البارتنون.[1]

وبعد ما أتم تمثال أثينا سنة ٤٨٣ اتهم بالخيانة وطلب للمحاكمة ولكنه مات قبل الحكم عليه .

وأبرز مميزات فنه أنه أول وأعظم مثال مُثلى بكل معانى الكلمة ، لا سيما وأنه حصر مجهوده الجبار فى خلق تماثيل الآلهة واستطاع التعبير عن المثل الأعلى فى التكوين الجسمانى المتناسب مع تمثيل الآلهة ، فاتخذ من جسم الإنسان مادة بيانه ، ولكنه ارتفع بتماثيله إلى المستوى الذى أبعدها عن الصفات البشرية وقربها من الألوهية؛

(١) راجع مقالنا « بارتنون » فى الرسالة

فبدت فى غاية كمال الانسجام التفصيلى للأعضاء ونهاية الكمال المجموعى للانشاء ، وأصبحت مدرسة أتيكا تسير على منواله وعرفت بهذه الميزات الرائعة من بعده .

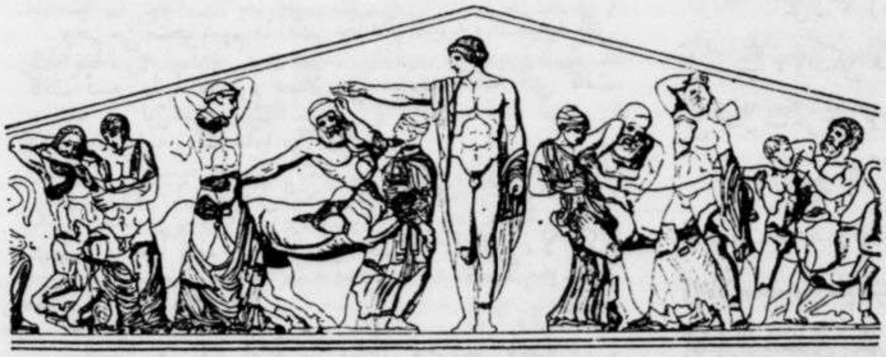
اشتغل فيدياس بنحت تماثيله من سن الفيل والذهب حيناً ، ومن البرنز حيناً آخر ولكنه نحت فى الرخام نادراً .

أما أعماله التى استطعنا أن نقف عليها فأولها تمثاله لأثينا پرماخوس على مرتفع أكروپوليس وكان ارتفاع هذا التمثال نحو العشرين متراً . وقد سبق أن نوهنا بذكره فى مقال سابق.[1]

وله أيضاً مجموعة رائعة مثلت ملتيادِس القائد الذى انتصر على الفرس فى موقعة ماراتون سنة ٤٩٠ ق . م وحوله الآلهة وأبطال أتيكا ، كما مثل الأثينيين يقدمون الهدايا والقربان فى دِلِفى .

هـذا إلى جانب تماثيل معبد زويس Zeuss الذى اعتبره الإغريق إلـهاً للسماء والبرق والضوء ، والذى يقابل الإلـه جوبيتر عند الرومان ، وتماثيل معبد أثينا پارتنوس Parthenos .

وكان الجسم مكوناً من سن الفيل والملبس من صفائح الذهب؛ وقد تم تمثال زويس سنة ٤٤٨ ولكنه حرق بعدئذ ، ولولا الصور التى سُكّت على نقود إليس Elis لما أمكننا أن نعرف من شكله شيئاً . جلس زويس (ش ١) على عرش بديع حاملاً بيمينه إلهة النصر Nike وفى يساره العصا ، وواضعاً قدميه على كرسى صغير خصص لهذا الغرض ، وأحيط الرأس بغصن الزيتون فوق شعره المجعد ، كما أحيط الوجه بذقن كثيف . وإذا تأملت الصورة اليمنى



ش ــ ٣ (جزء من وسط المثلث الواقع تحت جالون الواجهة الغربية لمعبد زويس فى أولمبيا)

فانك تجد القوة والنبل والجمال السامى مرتسما فى وضوح على وجه زويس . وقد تحلى الملبس ببعض رسومات ملونة على الذهب .

(١) راجع مقالنا « أكروبوليس أثينا » فى الرسالة

أما قاعدة العرش فقد تحلت برسومات تمثل مولد أفروديت إلٰهة الحب عند الإغريق ، والتى خلقت كما هو مذكور فى قصص الآلهة ، من زبد ماء البحر . ولا بد لنا من أن نذكر أن نظرة زويس تدل على الحلم والجبروت ، وهذا منطبق على صفة الألوهية فى معناها الكامل

وكان تمثال أثينا پارتنوس من سن الفيل والذهب أيضاً ، أتمه سنة ٤٣٨ إلا أنه اختفى منذ أوائل القرن الرابع . وكل ما حصلنا عليه تمثالان منقولان عن الأصل ، أحدهما كبير عن الآخر ، وهما محفوظان فى متحف أثينا . ويخيل إلينا أن الأكبر منهما أقرب إلى الأصل بالنظر إلى ما فيه من تفاصيل تتناسب مع ما عرف عن فيدياس وما امتاز فنه به من طابع خاص .

وله قطعة تمثل أثينا وهى من بدائع معروضات متحف عاصمة بلاد اليونان . هذا عدا تمثال برنزى على جانب عظيم من الجمال لأثينا ليمنيا Lemnia قدّمه الليمنيون إلى مرتفع أكروپوليس .

وفى متحف درسدن تمثالان رخاميان مماثلان له يظهر أنهما منقولان عنه . أما فى روما فله تمثال لأفروديت أورانيا ، ولهرمس ابن زويس الذى اعتبره الإغريق إلهاً للرعاة ورسولاً للآلهة وإلهاً للطرق والتجارة ، وهو الذى يقابل عند الرومان الإلٰه مركور .

وكان لفيدياس تلامذة أمجاد منهم من سار على خطاه مثل أجوركريتوس Agorakritos of Paros وألكامينيس Alkamenes of Athena or Lemnos وكولوتيس Kolotes الذى ساعده فى العمل بأولمپيا ، ومنهم من ارتسم لنفسه خطة خاصة مثل ليكيوس Lykios بن ميرون وتلميذه ، وستروبخيليون Strongylion الذى كان بارعاً فى نحت تماثيل الخيل فى حالة السير والتسابق ، وكريزيلاس .

واستعان فى خلق تمثال زويس بشعر هوميروس الذى فيه وصف الإله وصفاً مكن النحات من خلقه (ش ٢) . ولعلنا بالمقارنة بين الرأسين نجد غنى الفنان واضحاً جلياً ، فلا ملامح متشابهة ولا الشعر على أبسط جانب من التماثل .

ونختار هنا جانباً من التماثيل المنحوتة فى جزء من وسط المثلث الواقع تحت جمالون الواجهة الغربية لمعبد زويس فى أولمپيا لنقف على مدى العظمة الفنية التى تجلت فى عمل فيدياس (ش ٣) .

أنظر إلى تفاصيل الأجسام ، وتأمل تكوين العضلات ، وشاهد الحركات الرائعة فى كل جزء من أجزاء القطعة ، ثم انتقل

بنفسك فجأة إلى مصر وإلى من يقدّر الفن فيها ويفهمه ، تجد أننا بحالتنا الراهنة لا نستطيع أن نخلق جيلاً يتذوق الجمال فى الوقت الحاضر .

أما المستقبل فهو رهين بما نعده الآن ، فإن لم يتكاتف الشعب المصرى مع الحكومة كلٌّ فى دائرته على إحياء الفن والعمل على تعليم النشء كيف ينظر وكيف يتأمل وكيف يتذوق فلا أمل عاجلاً أو آجلاً فى شىء .

أحمد موسى

الشيخ محمد رفعت

من الوجهة الفنية

للأديب محمد السيد المويلحى

أكبر الظن أن القراء سيعجبون ما وسعهم العجب ، ويدهشون ما مكنتهم الدهشة لأننا نعتبر الأستاذ الشيخ محمد رفعت المقرئ المعروف بل سيد قراء هذا الزمن — موسيقياً قبل أن نعتبره مقرئاً . ولكنهم لو علموا أن الأستاذ موسيقى بفطرته وطبيعته وأنه يزجى إلى نفوسنا أرفع أنواعها، وأقدس وأزهى ألوانها، لكفوا أنفسهم مؤونة العجب والدهشة ... لو علموا أنه (بصوته) فحسب يأسرنا ويسحرنا دون أن يحتاج إلى (أوركستر) يشد أزره ويهيئ الأذهان لفنه ويرسم الطريق لصوته ، لعلموا موضع الإعجاز فى فن هـذا الرجل العجيب . وليتصور كل منا مطرباً أو مطربة يغنى أو تغنى دون مصاحبة (تخت) ماذا يكون ، وماذا تكون ... ؟؟

إن البعض يستتر خلف هذه الموسيقى لتضفى عليه لوناً من الحسن والقبول ، ولكن أستاذنا لا يعتمد إلا على نبرته اللامعة ، وصوته الملائكى الحنون ، وفنه المرهف ، وأسلوبه المقتدر المبتكر . .!

(محمد رفعت) ... اسم يخطه القلم بسهولة وبساطة وسرعة فما إن يخط ... حتى يهيئ للأذهان جواً غير الجو الذى كانت تعيش فيه ... جواً من النور تسبح فيه أطياف الملائكة ، وتغرد فيه بلابل الجنان ، ويعطره أريج شذى ندى نقى . جو القرآن الكريم ، المرتل ، المفسر ، الذى تخشع له القلوب ، وتخضع له النفوس ، وتؤسر له الأرواح مهللة مكبرة ، جو الصفاء والنقاء الذى يتخلص فيه الإنسان من أدرانه وأوضاره ، وشروره وآثامه . الجو الذى تصفو فيه الروح لتحلق فى سماء قدرة الله ورحمته وحنانه، الجو الذى يخضع له العاصى ، ويخشع له المتكبر المتجبر الذى يظن أنه كل شىء وما هو بشىء أمام جبروت الله وكبريائه .!!

***

صوت تبارك من خلقه وصوره ، وخصه بهذا السحر الذى ينشر ألويته ، ويرفع بنوده فوق ملايين البشر فى أنحاء العالم الفسيح

صوت لم يخلق الله مثله فى لونه ونوعه، كما لم يخلق – جل شأنه – بصمتين متشابهتين ، فجاء فريداً وحيداً غنياً بكل ما فى الفن من قدرة واقتدار ... !!

يقول البعض إنه ضعيف (ضيق الحجم) لا يستطيع أن يظهر فى المجتمعات المحتشدة ، ونقول لهذا البعض إن الجمال لا يتوقف على القوة والشدة ، والارتفاع . فالحمار كبير والبلبل صغير والفرق واضح بينهما . .!



يتكون صوته من ديوانين ونصف (١٨ مقاما) تقريباً . ديوان (ريتون) وديوان (تينور) ثقيل ونصف ديوان (تينور) خفيف ويمتاز (باستعارته) التى لا يستطيع أن يحاكيها إلا كل صوت سليم قوى ...

استعارة تزيد على الديوانين والنصف بنصف ديوان تقريباً .

فهو كما نرى صوت سليم قوى وإن كان صغيراً فى حجمه ...

أنبل ما فى هذا الرجل السامى تواضعه الجم وحياؤه الإيمانى ، تواضعه

الجم مع أن عرشه من فلذات القلوب والأرواح ومع أن جمهوره يزرى بجمهور أكبر مطربينا ومطرباتنا لا فى مصر وحدها بل فى بقاع العالم المترامى، لا من المسلمين فحسب بل من جميع الملل والأديان ...

أعرف تاجراً كبيراً (مسيحيا) فى الموسكى لا أمل له ولا سلوى إلا سماع رفعت . وأذكر فى هذا الصدد أن ابنته — وهى متزوجة — كانت على شىء من التعصب فأتلفت (الراديو) عمداً حتى لا يتأثر والدها فيغير عقيدته — كما صور لها الوهم — فلما علم بالأمر طردها هى وزوجها وأولادها من بيته، ثم اشترى آلة جديدة ليرضى روحه من فن رفعت العالى ، وقرآنه المرتل المفسر !

والقس « م . ع » الذى أسلم فى العام الماضى لم يسلم على يد واعظ أو عالم ، وإنما أسلم على (صوت) رفعت وحسن ترتيله ، وسحر تأثيره

لو أتيح للقراء أن يذهبوا إلى — الشام — لعلموا أن رفعت هناك مقدس ، إذا قرأ سكنت الأصوات وانقطعت الهمسات ، وعم السكون ، وامتلأ الجو كله تأثراً وخشوعاً ونوراً ، فكل بيت وكل فرد يتمنى أن يجود بكل ما يملك حتى يسمعه دواماً

هذا الرجل وهذه منزلته ومكانته يأبى أن يلقبه المذيع بكلمة (الأستاذ) لأن بعض المقرئين طالبوا أن يلقبوا هم أيضاً كما يلقب فرفضت المحطة فتنازل عن لقبه حتى لا يتألم إخوانه !

تقواه مضرب المثل ، وكرمه يشمل الجميع . يعتقد أن توفيقه من الله وحده لا من صوته ولا من فنه ؛ لهذا يخلص له الإخلاص كله . فإذا قرأ ، قرأ بخشوع وفهم لما يقول . يعينه على ذلك إلمامه ببعض علوم العربية وعلم القراءات

لم يتعلم الموسيقى على معلم ولا فى مدرسة، بل ربى نفسه بنفسه، وله فى أذنه الموهوبة خير ضمان . وقد عوده الله أبداً أن ينصره ويوفقه ، ويجمع حوله القلوب ...

قد يدهش القارئ إذا علم أن بعض إخوانه يحاربه ويشيع حوله الشائعات المختلفة التى بلغت مرة درجة (الموت) ، وقد يدهش أكثر إذا علم أن محطة الإذاعة (لسبب مجهول) تشايع من هم دونه فى كل شىء فإذا سألته : ولم لا تظهر هذا للملأ ... ؟ قال : « عودنى الله أن يوفقنى أبداً . فماذا يصنع العبد أمام إرادة خالقه ... ؟ ! »

كما أن للورد أريجه ، وللماس بريقه ... فللأستاذ (رفعت) سحره الآسر ، وأثره الساحر ، وسيبقى اسمه متألقاً ساطعاً فى سماء الخلود ... ! !

محمد السيد المويلحى



رسالة الشعر



ابنة الفجر

للأستاذ إيليا أبو ماضى

حينما يغمض الِحمام جفونى   ودوى صوت مصرعى فى المدينه
وتمشى فى الأرض داراً فداراً   فسمعتِ[1] دويه ورنينه
لا تصيحى واحسرتاه لئلا   يدرك السامعون ما تضمرينه
وإذا زرتنى وأبصرت وجهى   قد محا الموت شكه ويقينه
ورأيت الصحاب جاثين حولى   يندبون الفتى الذى تعرفينه
وتعالى العويل حولك ممن   مارسوه وأصبحوا يحسنونه
لا تشقي علىّ ثوبك حزناً   لا ولا تذرفى الدموع السخينه
غالبي اليأس واجلسى عند نعشى   بسكون إنى أحب السكينه
إن للصمت فى المآتم معنى   تتعزى به النفوس الحزينه
ولقول العذال عنك «بخيل»   هو خير من قولهم «مسكينه»
وإذا خفت أن يثور بك الوجـــد فتبدو أسرارنا المكنونه
فارجعى واسكبى دموعك سراً   وامسحى باليدين ما تسكبينه

يا ابنة الفجر من أحبك ميت   ولأنتِ بمثل هـــذا رهينه
زايل النور مقلتيـــه وغابت   تحت أجفانه المعانى المبينه
فأصيخي هل تسمعين خفوقاً   كنت قبلا فى صدره تسمعينه
وانظرى ثم فكرى كيف أمسى   ليس يدرى عدوه وخدينه
ساكتاً لا يقول شيئاً ولا يســـمع شيئاً وليس يبصر دونه
لا يبـــالى أأودعوه الثريا   أم رموه فى حمأة مسنونه
وإذا الحارسان ناما عياء   ورأيتِ أصحابه يتركونه
فتعالى وقبلى شـــفتيه   ويديه وشـــعره وجبينه

(١) نلاحظ أن الشاعر قد ارتكب ضرورة لا تجوز وهى إشباع تاء المخاطبة وقد كررها مراراً فى القصيدة (الرسالة)

قبل أن يسدل الحجاب عليه   ويوارى عنكِ[1] فلا تبصرينه
واحذرى أن تراك عين رقيب   ولئن كان حل ما تحذرينه
فإذا ما أمنت لا تتركيه   قبلما يفتح الصباح جفونه
وإذا الساعة الرهيبة حانت   ورأيتِ حراســـه يحملونه
وسمعت الناقوس يقرع حزناً   فيرد الوادى عليه أنينـــه
زودى الراحل الذى مات وجداً   بالذى زود الغريب السفينه
نظرة تعلم السموات منها   أنه مات عن فتاة أمينة

طوت الأرض من طوى الأرض حياً   وعلاه من كان بالأمس دونه
واختفى فى التراب وجه صبيح   وفؤاد حر ونفس مصونه
وإذا ما وقفت عند السواقى   وذكرت وقوفه وسكونه
حيث أقسمت أن تدومى على العهـــد وآلى بأنه لن يخونه
حيث علمتِه القريض فأمسى   يتغنى كى تسمعى تلحينه
فاذكريه مع البروق السوارى   واندبيه مع الغيوث الهتونه
وإذا ما مشيت فى الروض يوماً   ووطـــأتِ سهوله وحزونه
وذكرت مواقف المجد فيه   عند ما كنت بالهوى تغرينه
حيث علمته الفتون فأضحي   يحسب الأرض كلها مفتونه
حيث وسدته يمينكِ حتى   كاد ينسي شماله ويمينـــه
حيث كنتِ وكان يسقيك طوراً   من هواه وتارة تسقينه
حيث حاك الربيع للروض ثوباً   كان أحلى لديه لو ترتدينه

(١) إشباع الكاف هنا خطأ أيضا (الرسالة)

فالثمي كل زهرة فيـــه إنى   كنت أهوى أزهاره وغصونه

ثم قولي للطير مات حبيبي   فلمـــاذا يا طير لا تبكينه

وإذا ما جلست وحدك فى الليـــل وهاجت بك الشجون الدفينه

ورأيت الغيوم تركض نحو الغـــرب ركضاً كأنها مجنونه

ولحظت من الكواكب صداً   ونفاراً ، وفى النسيم خشونه

فغضبتِ على الليالى البواقي   وحننت إلى الليالى الثمينه

فاهجرى المخدع الجميل وزورى   ذلك القبر ثم حنّي قطينه

وانثرى الورد حوله وعليه   واغرسي عند قلبه ياسمينه

(الولايات المتحدة)   ايليا أبو ماضى

توبة المكره

للأستاذ حسين شفيق المصرى

كبرتُ وهدنى طولُ الليالى   فلا حالٌ تسُر ولا وَسامة

فمـــاذا تبتغى الغاداتُ منى   أضعفى يبتغين أم الدَّمامة ؟

وماذا أبتغى منهن ويحى ؟   أيهوى الشيخُ أم يشكو سقامه

كبا فرسُ الهوى فسقطتُ عنه   ومات فلستُ بالراجى قِيامه

وأقعدنى عن اللذات عجزى   فليست توبتى عقبى ندامه

فما صومى الغداة ولا صلاتى   بشىء نافعى يومَ القيـــامة

حسين شفيق المصرى

حنـــين

للأستاذ حسن حمدى بك

يا غائبين عن العليل لأنتمُ   فى القلب مهما غبتمُ شُهّادُ

يا عائديه فى الكرى عودوا ، فِدَى   لخيـــالكم فى اليقظة العوّاد

لا تحسبوا الآحاد طابت بعدكُمْ   طابت لكمْ ما عِشتُمُ الآحاد

لا تحسبوا الأعياد عادت بعدكُمْ   أيامُ قربكمُ هى الأعيـــاد

بحياة من وقف الجمال عليكمُ   وحياتكم قولوا متى الميعاد

كم قلت من أسفى عليكم نائحاً:   بانت ، فيا أسفا علىّ ، سُعاد

فمتى أقول من ابتهاجى شادياً :   «يا مصر أهلك بالسلامة عادوا»

حسن حمدى

من الشعر المنسى لحافظ

إلى الرئيس روزفلت !

« مر مستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة بمصر وهو عائد من الصيد والقنص في أواسط أفريقيا فى مارس سنة ١٩١٠ ، فخطب فى الجامعة المصرية خطبة أشاد فيها بأبناء عمومته الانجليز وحمد صنيعهم فى مصر . فقال له حافظ هذه الأبيات » :

إى خطيبَ الدنيا الجديدة شنّف   سمعَ مصرٍ بقولك المأثور

إنما شوقها لقولك يا (روز   فلت) شوق الأسير للتحرير

قف غداً أيها الرئيس وعلم   أهلَ مصرٍ حرية التعبير

أخبر الناسَ كيف سُدتم على النا   سِ وجئتم بمعجزات الدهور

وملكتم أعنّة الريح والمـــا   ء ودُستم على رقاب العصور

قف وعدِّ مآثر العلم واذكر   نِعَمَ الله ذكر عبدٍ شكور

وإذا ما ذكرت أنعمه الكبـ   رى فلا تنس نعمة الدستور

يا نصير الضعيف مالك تطرى   خلّةَ القوم بعد ذاك النكير

لم تطيقوا جوارهم بل أقمتم   فى حماكم من دونهم ألف سُور

أنت تطريهمو وتثنى عليهم   نائياً آمناً وراء البحور

ليت شعرى أكنت تدعو إليهم   يوم كانوا على تخوم الثغور

يوم كانوا قذًى بعين «نيو يور   ك» وداء مستحكما فى الصدور

يوم نادى «واشنجطون» فلبّا   ه من الغاب كلُّ ليثٍ هَصور

يوم سجلتمو على صفحات الد   هر تاريخ مجـــدكم بالنور

ووثبتم إلى الحيـــاة وثوباً   ونفضتم عنكم غبار القبور

إنما النيل و«المسيسبي» صنوا   ن هما حَلْبتان للممور

وعجيب يفوز هـــذا بإطلا   ق وهـــذا فى ذلة المأسور

يا نصير الضعيف حبب إليهم   هجر مصر تفز بأجر كبير

فعليهمْ أن يهجروا وعلى المص   رى ذكر المتيّم المهجور

م . ف . ع



غريب

قرأت بدهشة وعجب كلة الأستاذ (م . ح . ب) من الخرطوم فى العدد (٢٩٢) من الرسالة ، ولا ألومه أن يغضب إذا أهينت كرامته ، أو مست قوميته بسوء ؛ بيد أنى حين تبرأت من أن أكون « زنجيًا أو هنديًا أو نوبيًا أو حبشيًا » كنت أشير إلى ما يعتقده الانجليز فى هذه الأجناس خاصة ، ولذلك قلت فيما بعد : « ولن أقبل من مخلوق مهما تكن سطوته أن يلحقنى بهؤلاء الذين ينظر إليهم بعين الازدراء والامتهان ، ويعدهم دونه فى الذكاء والمدنية » . وقلت : « إنى لست فى مقام جدال » حتى أفند هذا الرأى الخاطئ ، إذ كنت حريصاً على إيجاد مأوى أستريح فيه من عناء السفر ، وشدة الداء ؛ وحين لاحت الفرصة دافعت بكل ما أوتيت من قوة عن « الشعوب الملونة » فقلت : « الآن عرفت الحقيقة ، إذاً لا يوجد هناك تفوق فى الذكاء كما لا يوجد تفوق فى ميدان الحضارة والاستعداد لتقبلها ، ولكن المسألة استعمارية بحتة » ؛ وتكلمت عن الشرقيين عامة كما تكلمت عن المصريين خاصة ، ولا يلمنى الكاتب الفاضل إذا دافعت عن نفسى أولاً ثم عن غيرى ثانياً

الواقع أن الإنجليز وبعض الأوربيين حينما يرون شخصاً أسمر اللون ، لا يفكرون إلا فى هذه الأجناس ؛ لأن الأمريكيين نشروا الدعاية السيئة ضد الزنوج ، والاستعماريين شوهوا سيرة الهنود والنوبيين والأحباش ووصموهم بكل رذيلة وعيب . أما أنا يا سيدى فلم يزل قلمى ، ولم يخطر قط ببالى أن أهين شخصاً ما ، ولو عرفت مقدار صلتى بالهنود والسودانيين والأحباش لما اتهمتنى بما ذكرت ؛ فى الهنود ذكاء عظيم ، وفضل كبير ، وعلم جم ؛ والسودانيون إخواننا فى الوطن والعروبة والدين ، ومنهم أعز أصدقائى الأستاذ الأديب توفيق البكرى كاتم سر « النادى السودانى بمصر » وأنا أعطف على ناشئتهم فى مدارسنا المصرية عطف الأخ الأكبر على إخوته الصغار . أما الأحباش فقد اتصلت بهم فى لندن أيام نضالهم مع الايطاليين ، وعرفت فيهم خلالاً حميدة ، وأدباً غزيراً ؛ ودرست اللغة الحبشية فى معهد اللغات الشرقية بلندن على آخر وزير لخارجية الحبشة المستقلة الأستاذ «هروى» Herouy وبعد من إنكار الجميل أن يخطر ببالى إهانتهم

ولعل فى كلمتى هذه ما يزيل الشك ، إن كان ثمة شك

محمد الدسوقى

تاريخ العرب

لما كانت الظروف الحاضرة قد أحيت بين بلاد الشرق العربى صلاته القديمة ، وجمعتها على أمل وحدتها التاريخية ، للتعاون المشترك على النهوض والاستقلال ، فقد تقدم اقتراح إلى وزارة المعارف لتعمل على وضع تاريخ للشعب العربى منذ أقدم العصور على أن يدلل هذا التاريخ ، بحسب ما وصل إليه محققو العرب ، على حقيقتين خطيرتين لازمتين للوحدة العربية: أولاهما أن الشعب العربى أعرق الشعوب جميعاً وهو واضع أسس الحضارة الإنسانية ومنظم العدالة ومبادئ العلم وتعتبر أرضه مهبط الشرائع السماوية جميعها. وثانيتهما أن الأمم الشرقية الحالية مما يحيط بجزيرة العرب أمم عربية خالصة مما يمتنع معه الاندفاع مع الدعايات السياسية الغربية من أن العراق آشورى وسوريا فينيقية ومصر فرعونية وبلاد المغرب بربرية وغير ذلك

وقد رحبت وزارة المعارف بهذا الاقتراح ، وشرعت فى دراسته

الشيخ طنطاوى جوهرى وجائزة نوبل للسلام

سبق أن أشرنا إلى تقدم فضيلة الأستاذ الشيخ طنطاوى

جوهرى يبعض مؤلفاته لنيل جائزة نوبل للسلم فى هذا العام، وقد كان من شروط التقدم لمثل هذه الجائزة أن يكون صاحب المؤلفات من أساتذة الجامعة أو أن يرشحه أحد الوزراء أو عضو فى البرلمان أو أستاذ جامعى فى الفلسفة أو التاريخ أو القانون أو السياسة .

ولقد تطوع لترشيح فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى مشرفه بك عميد كلية العلوم ، والدكتور عبد الحميد سعيد عضو البرلمان ، فأخذت وزارة الخارجية بهذا الترشيح وأرسلت مؤلفات الأستاذ إلى البرلمان النرويجى مشفوعة بتقرير عن جهوده فى سبيل العلم والسلام وشهادات علماء انجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا فى قيمة مؤلفاته .

اللغة العربية فى مدارس ايراد

رغبت وزارة المعارف الإيرانية فى الأخذ ببعض مناهج التعليم فى مصر على أثر اطلاعها عليها بمناسبة الدعوة لعقد مؤتمر شرق للتعليم . وقد تبودلت رغبة أخرى فى دراسة اللغة العربية فى إيران إذ لوحظ أن انتشار هذه اللغة يكون عاملاً على توثيق الروابط بين إيران وبين جاراتها الشرقية

وينتظر أن تبدأ وزارة المعارف فى أوائل العام المقبل فى ندب عدد من مدرسى اللغة العربية للعمل فى مدارس إيران

الأغانى المصرية وتعميمها فى العراق

تلقت وزارة المعارف من حكومة العراق طلباً بإرسال صورة من الأغانى المصرية والقطوعات الشعرية الغنائية لتعميمها فى بلاد العراق

وقد أرسلت الوزارة بعض المقطوعات التى منح أصحابها جوائز مالية وبعض مقطوعات أخرى تمثل النهضة المصرية الحديثة ومنها النشيدُ القومى للأستاذ محمود محمد صادق

وقد ذكرنا من قبل أن وزارة المعارف تعنى الآن بإحياء الأغانى المصرية وتوجيهها التوجيه الهذيبى لتتمشى مع روح النهضة الحديثة

قصيدة مولد الليل

سيدى الأستاذ صاحب الرسالة الغراء :

سلام الله عليك . وبعد فقد ورد فى قصيدة الأستاذ الشاعر محمود الخفيف « مولد الليل » (الرسالة عدد ٢٩٠) بيتان شذ مجزاهما عن تفاعيل بحر القصيدة ، أحدهما « ومضت تمسح كف الدجى » والآخر « إن دجا فوقِ قَ ليل الردى » ولعل هذا تطبيع فنرجو تصويبه ضناً منا بجمال هذه القصيدة أن يصيبه تشويه الكسر . وفى شعر الأستاذ الشاعر رقة وسمو فى الخيال يغريان على حفظه والترنم به . وبقاء العجزين على حالهما فيه نبوٌّ باللسان عن إنشادهما ونبوٌّ بالأذن عن سماعهما .

هذا وحفظ الله ابن عبد الملك الزيات

« نابلس » فدوى

(الرسالة) : نشكر للأديبة الفاضلة حسن التفاتها ودقة ملاحظتها ونرجو منها أن تقرأ الشطرين هكذا :

« ومضت ماسحة كف الدجى »

« إن دجت فوق دياجير الردى »

حول الفرقة القومية

نشر الأستاذ (ابن عساكر) حديثاً لى فى العدد رقم ٢٩٢ من مجلتكم الزاهرة أسقط منه — لعلة لا أعرفها — فقرة خاصة بالمؤلفين المسرحيين المصريين الذين أخرجت لهم الفرقة القومية روايات مسرحية ، فذكر فى الحديث المنشور ما يأتى : « ومن حيث الرواية فإن الفرقة لم تقدم كاتباً يؤبه له ... »

هذا فى حين أن العبارة التى أمليتها عليه إملاء — وإننى دائماً أملى أحاديثى أو أكتبها — هى : « ومن حيث الرواية فإن الفرقة لم تقدم كاتباً جديداً يؤبه له إلا الأستاذ توفيق الحكيم »

أمليت هذا إحقاقاً للحق ، وتنويهاً بجهود الأستاذ توفيق الحكيم فى حين أننى لم أغمط قدر المؤلفين الذين تقدموه فى كتابة المسرحية أمثال الأساتذة : ابراهيم رمزى ومحمود تيمور ولطفى جمعة وعباس علام ومحمد خورشيد وغيرهم .

لهذا أرجو التفضل بنشر هذه الكلمة استدراكا لأمر خرج عن محاوره .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . زكى طليمات

كلمة « فطاحل »

عثرت وأنا أقرأ المقدمة التى وضعها الأستاذان الكبيران العوامرى والجارم عضوا المجمع الملكى ، لكتاب البخلاء ، (طبع دار الكتب المصرية) على الجملة الآتية :

« وليس من غرضنا فى هذه الكلمة أن نجلو على القارئ فن الجاحظ وأدبه ولا ... أن نقايس بينه وبين فطاحل العصر العباسى من الكتاب والمنشئين » ص ٣ سطر ٤

وكلمة فطاحل هذه هى جمع فِطَحْل ، وقد استعملها كثيرون وأرادوا بها معنى العظيم . على أنها ليست من هذا المعنى لشىء على ما نحسب . جاء فى اللسان :

« فِطَحْل كهزبر : الأرض قبل أن يخلق الإنسان . البعير الضخم . » وذكر مثل ذلك صاحب القاموس والتاج والنهاية . ولم يذكرها الأساس

ونحن لم نعثر على هذه الكلمة فى شعر العرب أو كلامهم بهذا المعنى . وقد ورد : فحل ، وقرم ... ولم أجد أحداً من العرب استعملها مجازاً . فهل للأستاذين أن يبينا لنا وجه استعمالها ، أو يذكرا لنا أحداً من العرب الخلص استعملها ، أم كان ذلك جرياً وراء الخطأ الشائع ؟

« دمشق » صلاح الدين المنجد

الفاعل عند البصريين

يمتنع عند البصريين أن يكون الفاعل متقدماً على فعله . وفى الصبان ج٢ ص٣٢ جاء «وفى كلام الدماميني ما يفيد أن من المانعين للتقدم من يخص منعه بالاختيار حيث قال نص الأعلم وابن عصفور فى قول الشاعر :

صددت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

على رفع وصال بيدوم وقدم للضرورة وهو ظاهر كلام سيبويه »

فأنت ترى أن من المانعين للتقدم من يخص المنع بالاختيار مستدلاً بهذا البيت . ولو أنهم فسروه تفسيراً آخر غير التفسير الذى فسروه به لما جروا علينا خلافا كنا فى غنية عنه ...

والتفسير المقبول هو : قل وصال يدوم على طول الصدود . فيكون قل فعل ماض وما زائدة ووصال فاعل قل . يبرر ذلك عندى :

(١) أن قلما تستعمل فى وجهين : تستعمل للنفى المحض فيمكن أن تكون حرفاً نافياً « كما » فلا تطلب فاعلاً . وقد قرر البصريون إعرابهم على هذا الوجه « ب » وتستعمل لإثبات الشىء القليل كما قال الرضى . وقد قررت إعرابى على هذا الوجه .

(٢) أن الفعل وفاعله كجزأى كلمة ولا يجوز تقديم عجز الكلمة على صدرها ج ٢ ص ٣٢ صبان . على أن هذا البيت الوحيد الذى يحتج به قد أخطأ فى اللغة قبل أن يخطىء فى النحو . فصحة أطولت أطلت . ولكن الشاعر اضطر إلى هذا لضرورة الوزن . فيجوز أن يكون فى البيت ضرورتان . ولعل هذا الوجه من الاعراب يسنده ما رأيته « للقانى » فى المغنى فى بحث « ما الزائدة » : « إن البصريين لا يجيزون تقديم الفاعل فى نثر ولا شعر » .

فهل آن لنا — ونحن فى دور تبسيط النحو — أن نحذف من كتبنا أمثال تلك الخلافات التى لا تجدى ولا تفيد ؟

عبد العليم عيسى
كلية اللغة

فى الشعر العربى

أخذ الأستاذ بشر فارس على الجارم بك كثرة استعمال المحسنات المعنوية والألفاظ التى لا ترى إلا فى المطولات من المعاجم ، والتى لا يقوم شعر الجارم إلا بها ، وعندى أن هذا خير ألف مرة ومرة من هذا الضرب الذى ارتضاه الجارم بك لنفسه

وإنى أقتطف شيئاً من قوله يوم نقل رفات سعد الخالد وأضع بجواره قول أحمد شوقى بك « على قبر نابليون » وقصيدة أخرى له أيضاً « دمعة وابتسامة »

قال شوقى فى الأولى :

قف على كنز بباريس دفين من فريد فى المعالى وثمين

وفى الثانية :

إرفعى الستر وحيّى بالجبين وأرينا فلق الصبح المبين

فيقول الجارم بك :

اكشفوا الترب عن الكنز الدفين   وارفعوا الستر عن الصبح المبين

ويقول شوقى :

وانتقد جوهرة من شرف   صدف الدهر بتربيها ضنين

فيقول الجارم :

واجتلوه درة ساطعة   صدف الدهر بشرواها ضنين

والقصيدة كلها على هذا النمط الذى إن قبله الأستاذ الجارم لنفسه فلن يرضاه له أحد

« إسكندرية »   مصطفى على عبد الرحمن

بيان من جريدة الشباب

يسرنا أن نخبر القراء أن جريدة الشورى ستعود إلى الصدور قريباً وسنرسلها إلى القراء بدلاً من جريدة الشباب التى سنوقف إرسالها. وستكون الشورى مثل الشباب تماماً إن شاء الله. وإننا من الآن نوصى حضرات المشتركين والقراء والأصدقاء والزملاء بأن يجعلوا جميع مخابراتهم معنا على هذا العنوان :

محمد على الطاهر
جريدة الشورى بمصر
Mohamed Ali Ettaher
Ashoura Newepaper,, Cairo,,

حول شريط الدكتور

تعقيباً على ما كتبه الدكتور بشر فارس عن رواية « الدكتور » السينمائية ، أقول إن من العيوب الموجودة بالفلم أيضاً أن تبرز صورة الحمار الناهق حينما أطل « الباشا » من نافذة المستشفى القروى ، لكى يتمتع بهواء الريف العليل ، ويتمتع بجمال الطبيعة الساحر ! . أما كان الأجمل ألا تبرز صورة الحمار هنا ، وأن يكون بدل ذلك شتى المناظر الفاتنة والصور الخلابة ؟

ولست أدرى سبب تلك الصورة المشوهة التى أعطتها لنا الرواية عن أسرة الدكتور حلمى . وأظهر موضع لتشوهها حينما جلس الباشا وزوجته وابنته إحسان مع حلمى وأبويه ، لتناول الغداء بالعزبة ، فهل يعقل أن تقدم « الشوربة » والأطعمة فى صحاف فخمة وأدوات « مودرن » ونظام مدنى ؟ ثم يقدم بعد ذلك « الخروف » المطبوخ ، فلا يؤثر فى لحمه السكين ، ولا يقدر على تقطيع أوصاله إلا كف الشيخ عبدالسلام الشثنة ؟ !

وعند ما دخلت أم حلمى على الضيوف ... هل يعقل أن تسلم فقط على إحسان ، ثم تترك أباها وأمها ، فلا تخاطبهما ببنت شفة ؟ أهذا ما يوحى به الطبع الريفى والعادات المصرية ؟!

وهناك مظهر اصطدام السيارة المقلة للضيوف بالجمل المثقل بحمله فى حمى العزبة ... أحقاً يفعل أبناء القرى بالسيارة الفارهة وفيها راكبوها وهم غرباء ذوو مظهر وجاه ونعمة ، مثل ما رأينا فى الرواية ، مما توحيه الجرأة وعليه التبجح ؟ أظن أن الريفى بعيد كل البعد عن هذه الروح ؛ فهو لا يزال يجل الغريب ويحيطه بأنواع التجلة والإكبار .

أحمد الشرباصى



رجعـــــة أبى العلاء

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

أبو العلاء المعرى رجل عبقرى الذهن ما فى ذلك شك ، وهو فى عبقريته هذه نفاذ مستوعب يقتحم كل شىء، ويحيط بكل شىء. ولقد اهتم به كثير من النقاد والباحثين فى هذه الناحية ، فدرسوا آثاره ، وشرحوا أقواله ، وحللوا ملكاته ، وقال كل فيه بما يرى وعلى ما يفهم ، والأستاذ العقاد فى جملة هؤلاء الذين عنوا بشيخ المعرة ، بل إنه لأشدهم مصاحبة له ، ونظراً فيه ، وإدماناً عليه. اتخذه رفيقاً فى جميع أطوار فكره ، وجرى معه فى كل أدوار عمره ، وكتب عنه فى « المطالعات » عدة فصول هى أدق وأعمق ما كتب عن المعرى فى عبقريته وفلسفته وتحليل ملكاته ...

والمعرى أيضاً رجل عبقرى النفس ما فى ذلك شك ، وعبقرية النفس هى الشعور بالواجب والحرص عليه ، والإيمان بالحق والتفانى فيه ، والإحساس القوى الذى يملأ النفس بالروحانية والثقة والكرامة والأنفة والترفع عن كل مايشين ويزرى بصاحبه . وغاية الكمال فى « الشخصية » الإنسانية أن تجتمع لها العبقريتان: عبقرية الذهن وعبقرية النفس ، فتتوازن من الجانبين ، وتتعادل فى الجهتين ، فإذا هى على استواء فى التفكير والتقدير ، والعواطف والأهواء ...

وإذا كان المعرى فى الناحية الأولى قد أشبعه الباحثون قديماً وحديثاً بالبحث والدرس ، فإنه فى الثانية مطمور مغمور ، لم يفطن إليه كاتب ، ولم يتنبه له ناقد ، ومن هذه الناحية المجهولة ، أراد العقاد أن يكشف عن أبى العلاء فى « رجعة أبى العلاء » فبلغ من ذلك غاية ما يبلغه الناقد البصير فى الكشف عن « مجهول » بالفرض والاستنتاج والحدس والتخمين والمقارنة بين العبقريات والشخصيات ، والمقابلة بين الآراء والأفكار ، مع مراعاة الزمان والمكان ، والظروف والملابسات

فى المقال الذى كتبه العقاد عن « صاحب الجلالة المعرى » دراسة قوية نافذة ، تتجلى فيها عبقرية العقاد فى البحث والتحليل وتنكشف فيها عبقرية المعرى النفسية ، أو ما يسميه العقاد بشيمة السمت والوقار ، أو كما نقول فى لغة العصر الحاضر : أدب البيئة وأصول اللياقة « ص ٢٤ » ومن رأى العقاد أن هذه الخصلة فى الرجل ترجع إلى مراجع كثيرة : هى التربية فى بيت العلم والوجاهة ، والسليقة العربية ، وفقد البصر ، والكبرياء ، وعزة النفس ، ووهن البنية ، وضعف الخوالج الجسدية ضعفاً أتاح له أن يكبح نوازع اللحم والدم ويقمع دوافع الشهوات

وفى الفصل التالى يمعن العقاد فى التحليل والكشف عن عبقرية المعرى النفسية ، ويحاول أن ينظر إليه فى « عالم السريرة » فيسأل : هل كان من المستطاع تغيير هذه الخصلة ، خصلة السمت والوقار ؟ ثم يسأل : وماذا كان المعرى صانعاً لو أنها تغيرت بعض التغيير أو كل التغيير؟ ثم يجيب العقاد على ذلك بأن تغييرها كان مستطاعاً كما يستطاع كل تغيير فى عوارض الصفات ، وأكبر الظن فى هذه الحالة أنه كان يجمع بين النواسية والخيامية فى نمط واحد ، أو كان يخرج لنا نمطاً جديداً يضاف إلى نمط النواسى ونمط الخيام فى ديوان الآداب الشرقية

ولقد بلغ العقاد فى هذا الفصل والذى قبله غاية لا تطاول فى التحليل والتقدير والاستنباط . وهذان الفصلان هما خير ما فى كتابه من الدراسة ، وأمتع ما فيه من نفاذ الذهن العبقرى

فى إدراك السر العبقرى . ولقد فرض العقاد لشيخه المعرى فروضاً كثيرة ، ونظره فى أوضاع مختلفة . ولقد حاول أن يلبسه لبوس قاضى المعرة ، أو أن يظهره فى مظهر النواسى ، أو يجعله على نهج الخيام وطريقته، ولـكنه انتهى به إلى حقيقته الـكائنة « فأبو العلاء هو أبو العلاء » حين يمعن فى أغوار ضميره فيلمح هواجس قلبه ، وشكوك عقله ، ومادة علمه واختباره ، وآثار نعمته وحرمانه (ص ٦١)

وبهذه الطبيعة الـكائنة رجع العقاد بشيخه المعرى إلى الحياة ، وطوّف به فى أنحاء الأرض ، واستطلع طلعه فى شؤون العالم الحاضر ممـا رأى وسمع . فلما بلغ غاية المطاف ، وسئم المضيفين والأضياف ، رجع به إلى مثواه ، وانتهى به إلى حيث هو فى رقده ، بعد أن ودّعه بقصيدٍ على طريقة اللزوميات . والفكرة فى رجعة أبى العلاء قد حاولها المنفلوطى رحمه الله من قبل ، ولـكن هناك فرقاً كبيراً بين العقاد والمنفلوطى فى رجعة أبى العلاء وبعثه، فقد كان المنفلوطى يبغى دراسة المعرى من أقواله وأشعاره فانتهج لذلك نهجاً قصصياً قريباً إلى النفوس ، سهلاً فى التناول . أما العقاد فقد تخيّـل «رهن المحبسين» يجوس بيننا خلال الديار ، ويتمرس بأحوال الأمم فى عالمنا الحاضر . ثم راح ينطقه بالرأى فى شؤون زماننا بالقياس على المعهود من كلامه ، والمقابلة بين المعروف من آرائه، وهو فى كل هذا يستشهد بشعره ، ويتمثل بقوله ، ويصطنع لغته ، ويجرى على طريقته ...

ولقد أخذ على العقاد بأنه فى كتابه قد أظهر شخصيته هو لا شخصية أبى العلاء ، وأبدى رأيه هو لا رأى شيخه فى الحياة ، وأنه أنطق الرجل بالقرآن وما كان ديدنه ذلك ، وكأنى بقائل هذا قد فاته الغرض الذى قصد إليه العقاد . وأشار إليه فى المقدمة بصريح العبارة ، فإن العقاد لم يقصد إلى دراسة المعرى ولـكنه فرضه حيـًا فى هذا العصر ، وعلى هذا الفرض أنطقه بالرأى قياساً على المعهود من كلامه وآرائه كما يقول ، فله أجر المجتهد إن أخطأ أو أصاب فى مجال الفرض والتخمين ...

وفى الـكتاب أقوال يجوز فيها بيننا وبين الأستاذ الخلاف ، فهو يقول مثلاً : أما الخمر فلا أستبعد أن الشيخ قد ذاقها فى بعض الأديرة التى كان يغشاها للدرس (ص ٤٦) وأنا أخالف الأستاذ فى ذلك وأرى أن وصفه للخمر لا يقوم دليلاً على ذلك . والأستاذ العقادنفسه يأخذبهذا الرأى فيما كتبه عن المعرى فى المطالعات فبأى قولى الأستاذ نأخذ ؟

ويقول على لسان المعرى لتلميذه حسبك حسبك وهو يشرح له فلسفة العصر فى المرأة ، وعهدنا بالمعرى يتلهف على المعرفة ، ويضرب إليها أ كباد الإبل ، فليس من طبعه أن يقول : حسبك حسبك . فى مثل هذا المقام

ويقول العقاد : أما أبو العلاء فهو قريب من أبى نُواس فى الثقافة ، وكان الأنسب أن يقول : ولقد كان أبو نواس قريباً من المعرى فى ثقافته ... والفرق واضح بين القولين

ويحاول الأستاذ العقاد أن يقف بالمعرى فى المناقشة والمحاجة دائماً موقف المتريث المجمجم المتمعض ، وما كان المعرى كذلك بطبعه إلا فى مواقف التقيّة والمداراة

وأعود فأثنى على كتاب أستاذنا الـكبير خير ثناء ، وأشكره على يوم قضيته فى استجلاء « كتابه » فلم أندم عليه ، بل ربحت منه الـكثير ، وأفدت منه النافع الجليل .

م . ف . ع



الفرقة القومية

هل هى فى تقدم

أم فى تأخر أم فى ركود ؟

لقد ساير الأستاذ توفيق الحكيم الفرقة القومية منذ نشأتها وكانت أولى مسرحياته ، أهل الكهف « حسن طالع » لها ، افتتحت بها عملها الفنى ، وقد غذى المسرح بروايته الثانية « سر المنتحرة » وله مجالات فى فن القصة تدل على روحه القوى واندفاعاته الجريئة فى ارتياد آفاقها ليتعرف أسرار الحياة وليشرك قارئه معه فى الفرح بالحياة أو الاكتئاب منها

قلت للأستاذ الحكيم : لقد سايرتَ الفرقة القومية منذ افتتاحها وغذيتها بمسرحياتك ، وعاونت مديرها وسندته فى مهمته، وها قد مضى على ذلك أربعة أعوام ، فهل فى وسعك أن تقول هل الفرقة فى تقدم أو فى تأخر أو فى ركود ؟ فأجاب :

من يطلع على التقرير الذى وضعه سعادة الدكتور عفيفى باشا وفيه بيان الغرض من إنشاء الفرقة القومية ير أن المقصود من وجود هذه الفرقة ورصد مبلغ كبير من مال الأمة ، هو إنشاء دار تحدث نهضة عظيمة تشعر البلاد والجمهور المثقف بها ، يكون من شأنها ترقية الفن والأدب المسرحى وحركة الترجمة أيضاً مما يجعل هذه الدار عنواناً تفخر به مصر . لذلك كان المفهوم أن خطة الفرقة سائرة فى هذا السبيل ، ولكن اتضح مما قدمته فى مواسمها العديدة أنها لم تؤد أكثر مما أدته الفرق الأهلية من قبل ، بل إن البلاد شعرت بنهضة مسرحية فى أول عهد ظهور مسارح جورج أبيض، ورمسيس ، وفاطمة رشدى . حيث أخرجت للناس بعدروائع الأدب الغربى المعروفة أمثال عطيل ومكبث وسيرانو دى برجراك وغادة الكاميليا وغيرها ، كما أن مسرح الأزبكية كان قد نهض إلى حد ما بالرواية المسرحية الغنائية . وكان المنظور بمجرد ظهور الفرقة القومية بما لها من وفرة المال والممثلين ؛ وتعضيد الحكومة أن تتجه بالفن اتجاهاً جديداً ، ولكنها خيبت ظن الجمهور، فرواياتها المترجمة هى من سقط متاع الغرب ومن أقلام شبه مجهولة ، وكذلك التأليف . كما أن الإخراج والتمثيل ليس لهما قاعدة ثابتة لعدم إسنادهما إلى أيد مختصة مسؤولة عن الإدارة الفنية كما هو الحال فى جميع المسارح والسينما المحترمة ، وقد وضحت جميع هذه النقط فى التقرير الذى كلفت بتقديمه إلى وزارة المعارف

إذن يمكننى أن أقول إن الفرقة القومية ليست فى تقدم كما تدعى هى ، بل هى فى جمود سيؤدى إلى التأخر ولا شك

— هل علة هذا الجمود هى الإدارة العامة ، أم لجنة القراءة ، أم المؤلفون الذين لا يغذون المسرح ؟

أعتقد أن المسؤول الوحيد عن سير الفرقة هى الإدارة العامة ، وأن لجنة القراءة والمؤلفين ليسوا غير وسيلة يتوسل بها المدير للانتفاع بهم فى الوصول إلى الغرض الأسمى للفرقة ، فلجنة القراءة ليست هى المدير ، والمقصود من وجودها إعانة المدير على اختيار الروايات من بين الأكوام التى تقدم إليه . أما المؤلفون فهم على نوعين : مجهول ومشهور ، فظهور الأول رهين بالظروف والمصادفات ، والمباراة فى التأليف هى إحدى الوسائل التى تعجل اكتشافه وتيسر إبراز مواهبه . أما الثانى أى ذلك المؤلف الذى لا تشغله ميادين نشاط أخرى فهو فى الغالب لا يمكن أن يقحم نفسه فى الفرقة بغير دعوة منها ، وفى العالم كله نجد المسارح وشركات السينما هى التى توسل فى طلب المؤلفين المشهورين وتتعاقد

معهم . أما قول بعضهم إن كبار المؤلفين يتهيبون الوقوف مع الكتاب الناشئين فغير صحيح ، لأن الكاتب المشهور مهما أسفّ فإنه يخرج عملاً له قيمته الفكرية على كل حال ، مطبوعاً بطابع شخصيته الأدبية التى عرفها الجمهور ورضى عنها واشتهر من أجلها فى مناحى الأدب الأخرى

– أراك أزحت عن عاتق لجنة القراءة أسباب تأخر الفرقة فى حين أن مديرها يقول إنه ينفذ قراراتها ، وإن الفرقة لا تمثل إلا الروايات التى تقرها اللجنة

قلت : إن مهمة لجنة القراءة تصفية المتراكم من الروايات المقدمة للمدير ، وليس من شأنها إحداث النشاط الأدبى والفكرى اللازمين لحياة الفرقة ورقيها . فليس مثلاً من شأنها البحث عن أمهات الآثار الغربية التى تلائم المزاج المصرى فتدفع بها إلى المترجمين ، والمقتبسين ؛ وليس من شأنها أيضاً أن تتعاقد مع المؤلفين الذين ترى أن مصلحة الفرقة فى أن يكتبوا لها ؛ وليست هى التى تبحث عن وسائل إخراج هذه الروايات التى يسترعى إخراجها انتباه الجمهور ، فكل هذه المسائل من اختصاص مدير الفرقة وحده ، وهو إمّا لكسله أو عدم تحمسه لإحداث النشاط الفكرى والفنى المطلوب يحاول أن يلقى تبعة هذا الجمود على لجنة القراءة أوعلى كبار المؤلفين ، وهى فى حقيقة الأمر حجة يستتر خلفها تبريراً لما يشعر به من خيبة الأمل التى كانت معقودة على الفرقة

قلت : أعرف مدى نفوذ أعضاء لجنة القراءة على مدير الفرقة ، كما نعرف جميعاً مبلغ تسامح المدير فى كل شىء ، وحبه للسلام ، وبعده عن النضال والجدل الأدبى فهل لك أن تقول بصراحة هل يمكن لأعضاء لجنة القراءة أن يكونوا رجال حكم صحيح فى الفن المسرحى والرواية المسرحية ، وهل ما جاء فى أحاديثهم يدل على أنهم أهل لمساعدة المدير فى تحقيق رسالة الفن المسرحى

فقال: أعتقد أن أسباب نفوذ لجنة القراءة مستمدة من ضعف مدير الفرقة ، وأن أسباب ضعف المدير آتية من استئثاره بالعمل والضن على نفسه بمساعدة يستمدها من صاحب دراية ومعرفة ، وهو الكسول كما عرفنا ، فلو أنه كان يشفع الرواية التى يقدمها إلى اللجنة برأى فنى قاطع ، ويترك للجنة النظر إلى الرواية من الناحيتين : اللغوية والخلقية ، لكانت اللجنة لزمت حدها . ولو أنه ألف لجنة فنية من المخرجين وكبار الممثلين مسؤولة عن نجاح الرواية وعن سقوطها ، لكانت الفرقة مشت فى طريقها الطبيعى ، وقامت كل هيئة بما هو موكول إليها من أعمال . ولو أن الأمور كانت تسير فى هذا الطريق وهو الطريق القويم المتبع فى فرق التمثيل فى العالم ، لما كان يضير الفرقة أن تكون لجنة القراءة فيها مؤلفة من شيوخ أو غير شيوخ. وفى الختام أقول لك ولقرائك: سامح الله مدير الفرقة ، فلقد أبطأ جد الإبطاء فى تيسير الأدب المسرحى فى سبيله المهد

ابن عساكر

الاشتراك المخفض فى الرسالة

طلب إلينا كثير من الإلزاميين والموظفين والطلاب أن نمد أجل التخفيض أسبوعاً آخر نظراً لوقوع الغير فيه فلم يسعنا إلا النزول على إرادتهم .



في يوم ١٣ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بناحية شباس الملح مركز دسوق وإذا لم يتم البيع فيكون في يوم الخميس التالي بسوق دسوق كطلب السيد افندي السيد أبو حلاوة من دسوق سيباع علنا الأشياء الموضحة بمحضر الحجز ملك ابراهيم علي خلف الله وآخر من الناحية نفاذاً للحكم في القضية ن ٦٤ سنة ٩٣٩ وفاء لمبلغ ٤٦٢ قرش صاغ خلاف ما يستجد

فعلى راغب الشراء الحضور

في يوم ١٩ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بكفر سلامه حنا تبع القنايات مركز الزقازيق شرقية سيباع علنا المواشي الموضحة بمحضر الحجز ملك طلبة بنداري رمضان من الناحية نفاذاً للحكم في القضية ن ٦٤٧ سنة ٩٣٧ كطلب منصور ابراهيم زيد من الناحية وفاء لمبلغ ١٠م٢ج خلاف النشر وما يستجد

فعلى راغب الشراء الحضور

في يوم ٢١ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بناحية بني عمار وزمام بندر طهطا ويوم ١٣ منه بسوق طهطا والأيام التالية إذا لزم الحال سيباع علنا محصولات زراعية موضحة بمحضر الحجز ملك السيد عبد الرحيم الفولي من الناحية نفاذاً للحكم في القضية ن ٥٤٩١ سنة ٩٣٨ مدني طهطا كطلب أحمد سلامة أحمد من الناحية وفاء لمبلغ ١٠١٢ قرش صاغ

فعلى راغب الشراء الحضور

في يوم ١٩ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بناحية البراجيل وسوقها سيباع علنا زراعة قصب موضحة بمحضر الحجز ملك سيد محمد درويش من البراجيل نفاذاً الحكم ن ٣٦٣٤ سنة ٩٣٨ وفاء لمبلغ ٩٥٨ قرش صاغ كطلب حضرة عبد الرحمن افندي مصطفى المحامي الوكيل عن راشد عبد الله بصفته من البراجيل فعلى راغب الشراء الحضور

في يوم ٢٥ فبراير سنة ٩٣٩ الساعة ٨ صباحا بناحية رويشه كطلب ابراهيم موسى عيد بكفر الشيخ سيباع علنا أذرة موضحة بالمحضر ملك حسانين شرف بالناحية نفاذاً للحكم ن ١٣٦١ سنة ١٩٣٣ وفاء لمبلغ ٥٩٥ قرش صاغ فعلى راغب الشراء الحضور

7me Année No. 294

Lundi - 20 - 2 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٢٩٤ «القاهرة فى يوم الاثنين أول محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

الطفولة المعَـــذبة

فى الأقوال السائرة أن الفقير كلما طلب من الله قرشاً أعطاه كرشاً . وفى ذلك حكمة للعليم الحكيم تستسرُّ دلائلها على الفطن المحدودة . فإن قوام العيش ونظام الدنيا منوطان بالسعى المرهق والعمل المَهين ، وهذان لا يقوم بهما إلا الكثرة ، ولا يحفز عليهما غيرُ الحاجة . والغنىُّ المترف يحسب أن يديه لم تخلقا إلا لصرف النقود وقطف الخدود ورفع القدح ؛ فمثله كمثل السبع من الوحش والطير : يهلك ولا ينتج ، ويدمر ولا يعمر ؛ فكان من صلاح الأرض أن يقل نسله كما يقل نسل الأسود والنمور ، ويكثر نسل الفقير كما يكثر نسل الضأن والبقر . ولكن حكمة الله ضاعت فى غفلة الناس ، فبغى الغنى على الفقير حتى أصبح وهو مصدر الإنتاج فى النسل والحرث ، مفدوحاً بحمله فلا ينهض ، ومكدوداً بعمله فلا يستطيع . ثم نبا كوخه الجديب الضيق عن بنيه فدرجوا فى أفاريز الشوارع وزوايا الطرق وعليهم هلاهل من أخلاق الثياب تهتكت على الصدور والجوانب ، يستندُون الأكف بالسؤال ، أو يستدِرُّون الجيوب بالسرقة ، أو يأكلون ما طرح الناس من فضلات الطعام فى المزابل . هؤلاء الأطفال المشردون هم الذين تراهم يطوفون طول النهار وثلثى الليل على القهوات والحانات ، كما تطوف الكلاب والهررة على دكاكين الجزارة ومطاعم العامة ، وهمهم أن يصيبوا ما يسد الرمق ويمسك الحياة . فاذا أغلقت المقاهى

وهجعت المدينـــة تساقطوا من السقوب واللقوب على العتبات وفى الحنايا وتحت الجدُر ، فيقضون آخر الليل بعضهم فى بعض كما تتداخل خراف القطيع إذا عصفت الريح أو قرس البرد

هؤلاء الأطفال المهملون هم الذين يستغل ذكاءهم تجار الرذيلة ، وسماسرة الجريمة ، يسلطونهم على القلوب البريئة والجيوب الآمنة ، فيسلبونها العفة والمال ، ثم لا يكون نصيبهم من هذه الثمار المحرمة إلا الخوف والجوع والأذى والمطاردة . يغرون الصبيان بالشر ، ويوزعون المخدر فى السر ، ويسرقون السابلة بالحيلة ، ويستجدُون الجلوس بالرحمة ، ويجمعون الأعقاب من الطرق ، وكل أولئك لطغمة من المتعطلين يتعقبونهم بعين النسر من بعيد؛ حتى إذا أخـذوا ما معهم تركوهم لأهوال الليل ، فإذا خشوا منهم ثاراً أو فراراً كدسوهم فى أقباء المنازل المهجورة فلا تدركهم عين الشرطة ولا تنالهم رعاية البر . ولا أدرى كيف سالت على قلمى كلمة البر هنا ، وهى لو كانت فى لغـة الناس لما كان كل هذا !

إن سادتنا المترفين ليأنفون أن تقع أعينهم على هذا القبح ، وتدنو أثوابهم من هـذا القذر ، فهم ينهرونهم كما ينهرون الـكلاب ، ويذبونهم كما يذبون الذباب ، ويفورون غضباً على الحكومة أن تسمح لهـذه الحشرات أن تدب على الطرق المغسولة ، أو تحوم حول الموائد المزدانة !

شقّ الله هذه الأشداق المنفوخة يا سادة ! إن هؤلاء الأطفال الذين يحملون العلب بالأصباغ ، أذكي من أطفالكم الذين يحملون القماطر بالـكتب ؛ وإن عباقرة العالم فى الأدب والفن والعلم والحكم قد وُلدوا كهؤلاء فى مهاد اليتم والعدم، ونشأوا فى حجور الألم والفاقة ، فاضطرهم الشقاء الباكر أن يعرفوا أن لهم أذهاناً للتفكير ، وعقولاً للتدبير ، وأيدياً للعمل ؛ فتفكروا ثم قدّروا ثم عملوا ، فكان من أثرهم هذه الدنيا ، ومن سيرهم هذا التقدم . أما أبناؤكم أبناء الدعة والسعة والرفاهة فانتفى عنهم العمل لقلة الحاجة ، وضعفت فيهم أداته لكثرة البطالة ، فأصبح المخ مستوياً أملس كالصحيفة ، والجسم صقيلا أملط كالديباجة ، واليد رقيقة رفافة كالزنبقة . فهم تماثيل ناطقة للغباء الأنيق ، تَطعَم وتنعم وتلهو على حساب الفقير الذى يعمل ولا يأكل ، والأجير الذى يشقى ولا ينال !

بالله ما ذنب هـــذا الطفل الشريد الذى تتحامون مسّه ، وتتفادون مرآه إذا كان القدر قد اختار له ذلك الأب البائس الذى يتزوج ولا يعاشر ، ثم يلد ولا يعُول؟ هل من طبيعة الحى أن يلقى أفلاذ كبده مختاراً فى مدارج الطرق تطأها الأقدام وتتخيفها المكاره ؟ هل تستطيعون أن تجدوا لذلك إذا وقع علةً غير الفقر الذى يحمل الأب فى أزمات القحط والحرب على بيع بنيه وأكل بناته ؟ فإذا كنتم تشفقون على نعيم عيشكم من رؤية البؤس ، وتخشون على جمال حياتكم دمامة الفقر ، وتضنون بسلام وطنكم على أدواء التشرد ، فاقتحموا على الفقر مكامنه فى أكواخ الأيامى وأعشاش العجزة ، ثم قيدوه بالإحسان المنظَّم فى المدارس ، والصدقة الجارية فى الملاجئ ، تجدوا بعدئذ أن الدنيا جميلة فى كل عين ، والحياة بهيجة فى كل قلب ، وتشعروا أن روحاً عامة قد وصلت بين جميع الأرواح فأصبح الشعب كله جسماً حياً متآلفاً متكاتفاً تتغذى خلاياه بدم واحد ، وتتساير نواياه إلى غاية واحدة !



احمد حسن الزيات

كتاب مصطفى كامل

للأستاذ عباس محمود العقاد

الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي بك جدير أن يسمى بحق مؤرخ النهضة القومية الحديثة ، لأنه أرخها في مرحلتها التي بدأت بالحملة الفرنسية ، وأرخها في مرحلتها التالية التي بدأت بقيام محمد على الكبير على الأريكة المصرية ، وصحبها فيما أعقب ذلك من المراحل إلى عهد الثورة العرابية فالاحتلال البريطاني فالحركة الوطنية في عهد هذا الاحتلال

وها هو ذا قد تأدى في تاريخه لها إلى ختام القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، أي إلى الفترة التي ظهر فيها زعيم الوطنية في أبناء ذلك الجيل مصطفى كامل باشا رحمه الله

ونهجُ الأستاذ الكبير في كتابه عن مصطفى كامل شبيه بنهجه في الكتب المتقدمة من حيث الطريقة والوجهة ، يتتبع الوقائع ويستقصى ما احتاج إليه من الأسانيد وينصف في الحكم على الرجال والحوادث مع ميل يسير إلى تخفيف التبعات أو تجميل المحاسن في بعض الجوانب ، وسهولة في التعليل والتعليق لا تثقل على ذهن القارئ ولا تكتفى مع ذلك بالظواهر دون ما يلازمها من الأسباب والعواقب

إلا أنه في كتابه عن مصطفى كامل قد اقترب من ميدان الحياة الحاضرة أو من معترك السياسة الذي يعيش فيه ، فكان لذلك أثره في الميزان دون قصد في بعض الأحيان ، وعلى قصد ظاهر في بعض الأحيان

ولتوضيح ما نقول نرجع إلى الحركة الوطنية ومذهبيها المختلفين بعد احتلال الإنجليز لهذه البلاد

فقد كانت الدعوة الوطنية كما قلنا في كتابنا عن سعد زغلول « شعباً مختلفات في القصد والنتيجة المأمولة، فمنها ما كان يتجه إلى الدولة العثمانية ، ومنها ما كان يتجه إلى فرنسا لأنها أكبر الدول التي كانت تناوئ انجلترا في مطامعها الشرقية ، ولم يشترك مع هؤلاء ولا هؤلاء حصفاء الثورة العرابية الذين شهدوا بأعينهم تذبذب السياسة الفرنسية والسياسة العثمانية قبل الاحتلال . فقد رأى رجال هذا الفريق ما هو حسبهم وزيادة في هذه الآمال الكاذبة وهذه الجهود العقيمة ، فاستقاموا على الطريق الوحيد المفيد الممهد لهم وهو طريق النهضة المصرية الصميمة واستقلال المصريين أنفسهم بطلب الاستقلال، وتزويد الأمة بعدة العلم واليقظة والمثابرة، لأنه ما من وسيلة إلى الاستقلال في رأيهم أنجع من وسيلة فهمه والاستعداد له والإصرار على طلبه ، ومن هذا الفريق كان أناس من فطاحل المصريين أمثال محمد عبده وسعد زغلول »

* * *

هذان هما المذهبان اللذان شاعا من مذاهب الحركة الوطنية بعد الاحتلال : مذهب مصر للمصريين ، ومذهب الاعتصام بالسيادة العثمانية ، إما لأنها دولة الخلافة ، أو لأن السيادة العثمانية « حجة شرعية » لمحاربة الغاصب وإظهار مركزه « غير المشروع »

ولا يخفى أن مصطفى كامل رحمه الله كان من أنصار السيادة العثمانية ، وكان يذكر الاستقلال ولا يذكر الاستقلال التام ، وكان يقيم المحافل كل عام في عيد جلوس « المتبوع الأعظم » عبد الحميد سلطان آل عثمان ليؤكد ولاء المصريين للسيادة العثمانية . وقد أنشأ الحزب الوطني فكان المبدأ الأول من مبادئه « استقلال مصر كما قررته معاهدة لندرة سنة ١٨٤٠ ، ذلك الاستقلال الذي يضمن عرش مصر لعائلة محمد على مع الاستقلال الداخلي عن تركيا »

وكان المبدأ العاشر من مبادئه « تقوية العلائق بين مصر والدولة العلية »

ولبث أشياع مصطفى كامل على هذا الرأي حتى كتب اللواء يعيب على الأستاذ الكبير « أحمد لطفي السيد بك » أنه يطالب بالاستقلال التام ويخرج بذلك على أحكام القانون وعلى سنة الولاء للسيادة العثمانية ، فاضطر الأستاذ يومئذ إلى التفرقة بين الاستقلال التام والاستقلال الكامل توفيقاً بين ما يدعو إليه وبين الصيغة الشرعية

ثم لبث أشياع مصطفى كامل على هذا الرأي إلى ما بعد الحرب العظمى وبعد الثورة الوطنية التي أعقبتها ، فحولوا الأمر إلى أصحاب السيادة في الآستانة ثم في أنقرة ، كأنهم هم الأصلاء وليس للمصريين أن يبرموا أمراً في هذه السيادة إلا بعد إبرام الأصلاء رأيهم في موضع الخلاف

وقد تعاقبت الحوادث وتمخضت الآراء فظهر بعد حين موقع الصواب من المذهبين ، وضعفت حجة السيادة العثمانية شيئاً فشيئاً حتى أصبح الجيل الحاضر يعجب كل العجب كيف كان هذا الرأى فى يوم من الأيام موضع خلاف ! !

وقد كان الإنصاف التاريخى يقضى ببيان هذه الحقيقة فى تاريخ مصطفى كامل ولا يمنع المؤرخ أن يفصل أعذار المتعصبين بالسيادة العثمانية فى ذلك الحين ، بل يوجب عليه أن يذكر هذه الأعذار وأن يذكر معها صواب المخالفين ولا سيما حين يشعر أنه صواب.

ولكننا بحثنا فى كتاب مصطفى كامل فلم نر فيه إشارة إلى هذا أو ذاك ، وكأنما غلبت النزعة الحزبية على النصفة التاريخية فوجدنا أن الأستاذ الكبير قد أغفل الموضوع كل الإغفال ، فلم يذكر محافل التبوع الأعظم ولم يذكر حملة اللواء على طلاب الدستور والحرية فى البلاد العثمانية ، وكتب أكثر من عشر صفحات عن تأسيس الحزب الوطنى مفصلا أسماء أعضائه وأقوال الصحف فيه دون أن ينشر مبادئه أو يأتى بالمهم منها وهى أهم ما يثبته المؤرخ فى سيرة زعيم حزب من الأحزاب

ولو أنه فعل هذا لأقر الحقائق فى نصابها وأتاح للقارئ أن يحيط بمعانى الحركة الوطنية من جميع نواحيها ، وأن يستخرج العبرة المقصودة بالتاريخ من صواب أو خطأ لكل فريق ، وما من فريق واحد معه كل الخطأ أو كل الصواب .

وبينما الأستاذ الكبير ينسى هذه الحقائق التى لا يطلها النسيان إذا به يأخذ بالظنون التى لا سند لها ولا معول عليها فيما يكتبه عن سعد زغلول فيقول عن علاقة سعد بالجامعة المصرية « وتبين أن انسحابه من رياسة اللجنة كان تحقيقاً لرغبة الاحتلال لكى يحبط المشروع ، وقد أصابه الفتور والركود فعلاً بعد انسحابه من اللجنة ، وبخاصة لأن الحكومة خلقت فى ذلك الحين بإيعاز من الاحتلال أيضاً حركة إنشاء الكتاتيب واستحثت الأعيان فى مختلف الجهات على التبرع لها معارضة بذلك مشروع الجامعة »

ثم أشار الأستاذ الكبير إلى مسألة التعليم باللغة العربية فقال « وقد كانت خطبته — أى خطبة سعد — دفاعاً عن سياسة الاحتلال فى التعليم ، لأن الاحتلال هو الذى أحل اللغة الانجليزية محل اللغة العربية فى التدريس بالمدارس الأميرية ... »

* * *

تبين أن انسحاب سعد زغلول من رياسة الجامعة كان تحقيقاً لرغبة الاحتلال ... يا عجباً ! كيف تبين ذلك ؟ ومن أين جاء ذلك البيان ؟

أما الحقيقة فهى أن الحكومة تبرعت للجامعة بالمال واعترفت بشهاداتها كما تعترف بشهادات المدارس الأميرية . وسألنا سعداً فى ذلك فقال فى بيان نشرناه فى كتابنا عنه : « ... كل هذا والذين يريدون إخراج الجامعة من قبضة الحكومة قد يجهلون أنها دفعت مرة واحدة خمسة أضعاف ما دفعه المتبرعون فى أنحاء القطر المصرى بأجمعه ، وليس هذا كله كل ما أمدت به الحكومة هذه الجامعة فإن اعتبارها لها مدرسة منتظمة وقبول شهاداتها بين بقية الشهادات المدرسية ينشط الناس إلى الإقبال عليها إقبالاً لا تظفر بمثله إذا كان الغرض منها مجرد تحصيل العلم وتوسيع العقل ، وربما لا تنسى أن بعض هؤلاء كان يطلب من الحكومة إعانة المشروع مادياً ، فرفضهم الآن إشرافها عليه بعد أن أدت الحكومة ما طلبوه منها يعد من الغرابة بمكان »

هكذا كان موقف سعد من الجامعة وهو وزير ، وإنه لأصوب ألف مرة من موقف الداعين يومذاك إلى إحباطها وتشكيك الناس فى مصيرها . أما إنشاء « الكتاتيب » واعتباره حرباً للجامعات والمدارس العليا فقد عشنا بحمد الله حتى رأينا الدستور المصرى يفرض التعليم الإلزامى فرضاً ويجعله واجباً من الواجبات الوطنية ، وعشنا بحمد الله حتى علمنا أن سعداً قد سبق النهضة القومية سنوات إلى ذلك العمل المجيد الذى كان محسوباً يومذاك من الجنايات

ومن السهل على الإنسان أن ينقد سعداً حين يعارض الهجوم على تقرير التدريس باللغة العربية فى جميع المدارس المصرية قبل إعداد الكتب وإعداد المدرسين والنظر فى عواقب هذا التبديل ؛ ولكن من السهل أيضاً أن يعلم الإنسان أن المستطاع هو المستطاع وأن سعداً قد عمل فى سبيل اللغة العربية والتمهيد لتدريسها جهد ما يعمله وزير فى تلك الأيام ، وأن مدرسة مصطفى كامل نفسها لم تكن تستغنى بالمدرسين المصريين عن المدرسين الانجليز ، اعتماداً

رد على رد

بين القديم والجـــديد

(لأحد أساطين الأدب الحديث)

يجمع الأستاذ الغمراوى فى نفسه من صفات الخلق العظيم ما لا يتفق إلا لقليل من المهذبين الأفاضل ؛ فهو يغار على الفضيلة والدين، ويجمع إلى غيرته لطف المناظرة والإنصاف وآداب الحديث والمجادلة بالتى هى أحسن؛ وهذه رعاية من الله، نرجو أن يديم الله عليه نعمته . وقد ظهر عدل الأستاذ وإنصافه فى اعترافه بأن فى الأدب القديم أكثر مما يشكو منه مما فى الأدب الحديث ، وفسر القديم بأنه ليس القدم الزمنى ، فالقديم والحديث فى اصطلاح الأستاذ صفات لا تدل على الزمن ، وضرب مثلاً بشعر عمر بن أبى ربيعة وقال : إنه لو كان فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لنفاه بسبب غزله. فعمر بن أبى ربيعة إذاً على قدمه الزمنى ليس من الذهب القديم فى الشعر والأدب على حد اصطلاح الأستاذ، إذ أن القديم فى اصطلاح الأستاذ هو من لم يقل غزلاً يثير شجون النفس وشهواتها وتعلقها بفتنة الحسن . وليعذرنى الأستاذ إذا قلت إنه يصعب عليه أن يجد شاعراً واحداً يصح أن ينطبق عليه اصطلاح القديم فى عرفه ، فهذا الرافعى على تقواه ودينه وفضله له فى الغزل نثراً وشعراً أشياء (أشهى) من شعر عمر بن أبى ربيعة . ألم يقرأ الأستاذ الغمراوى للرافعى وصفه للراقصة ومحاسن جسمها وقصته معها ؟ ومع ذلك فالأستاذ الغمراوى يقول إن أدب الرافعى يمثل الأدب القديم فى اصطلاحه، مع أن الأستاذ الغمراوى لو كان خليفة وعرض عليه غزل عمر بن أبى ربيعة وبعض ما قاله الرافعى شعراً ونثراً فى الغزل ووصف مفاتن الحسن ولذة التقبيل ومحاسن جسم المرأة لأمر الأستاذ بنفى الشاعرين : ابن أبى ربيعة والرافعى معاً . وإذا كان الأستاذ فى شك من أن الرافعى له أشياء أشهى من أشياء عمر بن أبى ربيعة ذكرنا له طرفاً منهـا ورضينا بحكمه وهو أعدل الحاكمين من الناس . بل نحن نترك للأستاذ الخيار فليختر أى شاعر ونحن نورد له ما يستحق به النفى لو وكل الأمر إلى الأستاذ الغمراوى فى نفى الشعراء ونورد ما يستحق به النفى ونقارنه بما استحق به عمر بن أبى ربيعة النفى ونقبل حكم الأستاذ الغمراوى فى المقارنة وهو خير الحاكمين

إننا ما أردنا أن نعتذر شطط المتأخرين بشطط المتقدمين كما ذكر الأستاذ وإنما أردنا أن نبين أولاً أن النفس البشرية واحدة فى كل زمان ومكان مهما اختلفت الفروق الظاهرة وبالرغم من شذوذ الآحاد بالنقاوة النادرة أو النجاسة البالغة النادرة. وأردنا أن نفسر أثر المتقدمين فى أقوال المتأخرين وأن نقول إن الشطط فى وصف المفاتن وفى شرح الشكوك النفسية لم يأتنا من ناحية الافرنج وحدهم بل جاءتنا به مؤلفات العرب ولا سيما عند ما أُدْخِلتْ الطباعة وطبعت المخطوطات العربية القديمة والحديثة . على أن النفس الإنسانية ياسيدى الأستاذ ينبوع يفيض بكل ذلك من غير حاجة إلى كتب العرب أو كتب الأوربيين ؟ وإن شاء الأستاذ فليرتد أماكن الناس الذين لم يتأثروا كثيراً بكتب العرب ولا بكتب الإفرنج وليسمع هواجس نفوسهم .

على أن فى ذكر الأستاذ التجاء عمر بن الخطاب إلى النفى

على ما كان يقال فى ذلك الحين من أن تدبير الدراسة والكتب المدرسية ليس بالأمر العسير

***

هذه ملاحظاتنا على موازين الأستاذ الرافعى فى تاريخ هذه الفترة ، فهو يمسح من هذا التاريخ كل ما يبين وجه الصواب عند من خالفوا صاحب السيرة فى الأساس أو التفصيل ، ويثبت من جهة أخرى ظنوناً لا ثبوت لها لتقرير الصواب فى جانب المؤيدين والناصرين

ومع هذا نقول إن مكتبة « النهضة القومية » لا تكمل بغير كتاب الأستاذ عن مصطفى كامل ، لأنه يشتمل على وقائع صحيحة وأسانيد صادقة وملاحظات قيمة . أما المواضع التى ينحرف فيها بعض الانحراف عن سنته فى الإنصاف والتمحيص، فليس للقارئ أن يطلب الحق كله من كتاب واحد ، ولا سيما فى تاريخ تختلف فيه الميول والآراء .

عباس محمود العقاد

ما يدل على أن النفوس فى عهد عمر رضى الله عنه لم تكن تمتنع عن التعلق بمفاتن الحسن ومحاسن الحياة ، ولعل الأستاذ قد أذكرته التجاء عمر إلى النفى قصة سماع عمر غناء التى تغنت بهذا البيت:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها
أم من سبيل إلى نصر بن حجاج

فنفى عمر رضى الله عنه نصراً هــذا . ولو رجع الأستاذ إلى ما قبل سيدنا عمر وتدبر حكمة الآية الكريمة التى تنهى الناس عن قرب الصلاة وهم سكارى لرأى عبرة تسلك النفوس البشرية فى كل عصر فى صعيد واحد بالرغم من تفاوتها . وأستحلف الأستاذ أن يحكم على تلذذ كعب بن زهير بذكره كبر عَجُز حبيبته فى قصيدة (بانت سعاد) عند ما قال (هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة) وتلذذه بذكره كبر العَجُز فى قصيدة يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم وهى قصيدة يتبرك بها بعض الناس، وبعضهم يتخذها حجاباً وتميمة بما فيهـا من التلذذ بذكر كبر العجز من غير فطنة إلى ما فيها . ومع ذلك قد سر النبى صلى الله عليه وسلم بغزل كعب هذا سر الكرام بمـا كان يدعو إليه من العقيدة السمحة وتألف النفوس ومعرفته ضعف النفس وقصورها . فماذا كان يصنع الأستاذ الغمراوى لو أن شاعراً مدحه بقصيدة تغزل فى أولها وتلذذ فى غزله بذكر كِبَرِ عَجُزِ حبيبته ؟ هل كان يتغاضى كما تغاضى النبى صلى الله عليه وسلم أم كان ينفيه كما أراد أن ينفى عمر بن أبى ربيعة ؟ وماذا كان يقول الأستاذ لو أن شاعراً انجليزيا مدح ملك انجلترة ومقام الملك دون مقام النبوة فقال الشاعر فى قصيدته (إن حبيبتى يا كنتج جورج لها عجز كبير)؟ إننا يا أستاذ نضرب هــذه الأمثال لنبين أن الناس ناس فى كل زمان ومكان، وأن النفس البشرية واحدة مهما تباينت واختلفت صفاتها . ولو كان الأستاذ فى شك من ذلك فليراجع ديوان حسان بن ثابت فيراه فى قصيدة يتهم أبا الوليد ابن المغيرة بمحبة غـلام رومى جميل كان مملوكاً له ، وبأنه علق صـورة الغلام كى ينظر إليها إذا غاب عن نظره ، ويتهم أمه بمحبة الغـلام أيضاً . (صفحة ٣٢٩ طبعة السعادة شرح العبانى) . ولو رجع الأستاذ إلى كتاب (العقد الفريد)

من برجنا العاجي

جاءنى بريد « بيروت » هذا الأسبوع بمجلة أدبية فاضلة ما كدت ألقى نظرة على صدرها حتى وجدته زاخراً بسب مصر ورجال الأدب فى مصر . مع استنكار « لامتداد الأدب المصرى والثقافة المصرية فى أجواء البلاد العربية » وبعد أن نفى الكاتب الكريم عن مؤلفات المصريين كل قيمة فى بضعة أسطر ، ختم الكلام بقوله : « إننى أنكر هذه الثقافة (اللقيطة) ويعز علىّ كلبنانى عربى أن تؤخذ بلادى بالتدجيل وتخدع بالدعايات المجانية أو المأجورة »

ما هو الدافع إلى هذا القول ؟ أهو نقد الجهود فى ذاتها حتى نستيقظ قليلاً ونرى أن قراءنا فى البلاد الشقيقة قد بدأوا يسأمون إنتاجنا ، ويستحثوننا على تجديد طرائقنا وتعزيز وسائلنا ، حتى يظفروا ويظفر الأدب العربى الحديث بالنهضة الباهرة المنشودة ؟ إن كان هذا هو قصد المجلة والكاتب فهو قصد نبيل ، لا يسع مصر وكتابها إلا أن يبعثوا إليهما من أجله أصدق عبارات الشكر

أما إذا كان الباعث هو مجرد الغضب لأن مصر بالذات هى التى تنبعث منها أشعة الثقافة العربية الحديثة فى الوقت الحاضر ، فتلك عاطفة لا تشرف صاحبها ولا نحب نحن أن نسلم بوجودها ، خصوصاً فى بلد تربطنا به أواصر النسب

ومع ذلك فهذا أمر لا ينبغى أن يكون موضع جدال ، لأنه أمر يتعلق بالواقع

فإذا كان الواقع هو أن نسيم الثقافة يهب علينا اليوم من جبال لبنان ، فلا أحبّ إلينا نحن المصريين من هذا . وهو خير لنا وأشرف من أن يهب علينا من جبال الألب

غير أن الذى يؤلمنى هو أننا معشر الشرقيين يكبر علينا دائماً أن نرى الفضل يأتينا من شرق ، ولا نغضب بل نفخر إذ يأتينا الفضل من غربى !

ولأرفع صوتى صريحاً : إن الشرق لن تقوم له قائمة إذا بقيت فيه ذرة من روح التنابذ والتحاسد . فإن لم يسعفنا التعاون والتساند فلنوقن بسقوطنا العاجل بين فكى الغرب النهم .

توفيق الحكيم

لقرأ أن سائلاً سأل عبدالله بن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم: هل قول المجون ينقض الوضوء؟ فقال: لا. وأنشد بيتاً فيه مجون وكانت قد حانت الصلاة فقام وصلى للدلالة على أن شعر المجون لم ينقض وضوءه. وفى حالة أخرى سمع وهو يحدو ببيت فيه مجون. ولو تقصى الأستاذ أخبار سبي الرقيق من المدن الفارسية والرومية التى فتحت عنوة وأثر ورود هذا السبي إلى شبه جزيرة العرب، وما كان يرد قبله من جلب تجارة الرقيق قبل الإسلام لعلم أن الولوع بمفاتن الحسن لم يكن مقصوراً على الشعراء المتقدمين أو المتأخرين. ونحن لا نريد أن نعذر حالة الناس فى عصرنا. فلعل التعلق بمفاتن الدنيا فى عصرنا أضر وأفسد إذ أن القوى الحيوية الخلقية العظيمة فى نفوس المتقدمين كانت تستطيع موازنة ضعف هذا التعلق، وانعدام هذه القوى الخلقية الحيوية فى عصرنا يزيد ضرر التعلق بمفاتن الحسن وشهواته. نعلم ذلك ونوافق الأستاذ على ضرورة معالجة هذه المسألة، ولكن لا يكون ذلك إلا بالتربية وتطهير الكتب ولاسيما القديمة. أما أننا رجعنا إلى مبدأ نهضة التجديد فالأستاذ نفسه يعترف بأن التجديد فى الأدب روح لا قالب، وأن هذه الروح مستمدة من نظام التعليم الحديث، ومن الأنظمة التى اقتبست من الأنظمة والشرائع والسنن الأوروبية، ومن البعثات العلمية إلى أوروبا وأثرها فى النفوس، ومن الكتب التى ترجمت؛ وما دامت المسألة مسألة روح لا قالب فلا يستطيع الأستاذ فصل التجديد فى العلوم والتعليم والنظم والشرائع عن التجديد فى الأدب وهو لم يحاول أن يفعل ذلك. أما أننا فسرنا قوله: (تغليب دين على دين) بغير ما أراد فعذرنا فى ذلك أنه كان يقارن بين الثقافة والحضارة والدين عند العرب وعند الأوروبيين فلم يخطر ببالنا أنه يعنى بالدين عند إطلاقه على الأوروبيين معنى الضلال والباطل وإنما ظننا أنه يعنى دينهم، ولنا العذر أو بعض العذر. وأما قول الأستاذ إن حافظ ابراهيم رجع بالغزل إلى طريقة الجاهلية وصدر الإسلام أى طريقة الغزل بالعاطفة كما فعل العذريون فهذا ما لا يقول به حافظ نفسه ولم يقل به أديب قبل الأستاذ. والأصح وهو ما قلناه من أن البارودى وشوقى وحافظ أنقذوا الأدب من طريقة ابن حجة الحموى وخليل بن أيبك الصفدى وصفى الدين الحلى وأشباههم ورجعوا به إلى طريقة مسلم بن الوليد وأبى تمام والبحترى وحسبهم هذا فخراً. وقد جعلنا أكثر قولنا فى التجديد فى الشعر لأن الباعث على مقالات الأستاذ كان شعر الرافعى والعقاد، ولم نقصر التجديد على محاولة إدخال العاطفة كشرط أساسى فى الغزل بل قلنا إنها شرط أساسى فى كل شعر، وإن الصنعة لازمة، ولكن لخادمة للتعبير عن النفس والحياة وعواطف النفس وأحاسيسها فيهما، فتحجر الصنعة من غير بحث فى النفس قيد، والتخلص من جمود ذلك التحجر حرية، وهى الحرية التى أردناها فى قولنا. وقد فسرنا ذلك بإطالة وأوضحنا أن هذه الحرية ليس معناها التخلص من قيود العرف أو الدين، فنرجو الأستاذ أن يرجع إلى ما فصلنا من الكلام عنها. وقد اعترفنا للأستاذ بما فى نزعة التجديد من عيوب وحبذا لو رجع الأستاذ إلى ذلك التفسير والتعليل، وقلنا إنها عيوب عارضة وليست كل شىء. أما المسائل الاجتماعية التى ذكرها الأستاذ فهى أمور يختلف فيها الأدباء وغير الأدباء ويختلف فيها الناس فى كل عصر؛ ولو شاء الأستاذ لذكرنا من أقوال كتاب العرب وشعرائهم ما هو أشد من أقوال طه حسين وهيكل وقاسم أمين. ومن الغريب أن الأستاذ لا يرى حرجاً فى الاقتباس من علوم أوربا ويرى حرجاً فى الاقتباس من مذاهبهم وأبواب أدبهم، وإذا كان هناك حرج فالحرج فى الحالتين.

(قارئ)

أعلام الأدب

هوميروس

الأستاذ دريني خشبة

« إلى أستاذى الجليل أحمد حسن الزيات أهدى هذه الفصول »

(تابع)

ومن ألمع شخصيات الإلياذة شخصية أجاممنون ... تلك الشخصية العجيبة التى رفعها هوميروس فوق شخصياته جميعاً ، وخصها بالقيادة العامة للأسطول فى البحر والجيوش فى البر

وأجاممنون هو شقيق منالوس زوج هيلين التى بسببها شبت الحرب بين اليونان وطروادة . وهو الذى ضحى بابنته إفجنيا كى تتحرك الريح وتأذن الآلهة للأسطول أن يقلع من أوليس بعد إذ لبث هناك زماناً طويلاً لا يقوى على حركة لسكون البحر وجمود الرياح ... وقد اتخذ إسخيلوس من مأساة الفتاة إفجنيا(١) موضوعاً لمأساته الرائعة التى دبرت فيها كليتمنسترا زوجة أجاممنون غيلة زوجها بعد أوبته من طروادة وذلك بمعاونة عشيقها إيجيستوس ثم تتسلسل ثلاثية إسخيلوس المشجية (الأورستية) التى ترجمناها لقراء الرسالة منذ ثلاثة أعوام

ومن المشاهد المؤلمة التى ينقم فيها القارئ على أجاممنون ، ذلك المشهد الذى يقص علينا فيه هوميروس ما شجر من الخلاف بينه وبين البطل أخيل ... وذلك أن الجيوش اليونانية كانت قد ظفرت فى إحدى المعارك بسبي عظيم كان فى جملته الفتاة خريسيز ابنة كاهن أبولو والفتاة الحسناء بريسيز . وقد كانت خريسيز من نصيب أجاممنون وبريسيز من نصيب أخيل ... ولما علم والد حريسيز بما آل إليه أمر ابنته كمد كمداً شديداً وذهب إلى خيمة أجاممنون يتوسل إليه أن يرد إليه ابنته ، لكن القائد العام أغلظ للوالد المنكوب ورده رداً شديداً . فدعا الكاهن إلهه أبولو أن يصب سوط عذابه على اليونانيين ما داموا لا يردون عليه فلذة كبده وقطعة قلبه ... واستجاب له إله الشمس فسلط عليهم طاعوناً راح يبيدهم ويفتك بأجنادهم ... ثم جاءتهم النبوءة بوجوب رد الفتاة إلى أهلها إذا أرادوا رفع البلاء عنهم ، فوافق أخيل كما وافق كل رؤساء الجيش ، لكن أجاممنون أبى أن يرد الفتاة إلا إذا قبل أخيل أن ينزل له عن بريسيز التى ملكت عليه فؤاده وامتزج حبها بدمه ... ولما رأى أخيل ما يحل باليونانيين من بلاء قبل مكرهاً أن يهب أجاممنون معبودته ، لكنه اشترط ألا يخوض المعركة مع بنى جلدته بعد ذاك(١)

هذا مشهد يثير السخط على أجاممنون ، كما أثاره تسليم رأس ابنته للجلاد قرباناً للآلهة حتى تثير الرياح كى يقلع الأسطول ... ويتمثل هذه المشاهد التى سنضع بين يدى القارئ صوراً رائعة منها وضع هوميروس أساس المأساة اليونانية ومهد السبيل لمن جاء بعده من الشعراء فخلقوا الدرامة وخلقوا المسرح وتركوا للذهن البشرى ثروة ما يزال يستغلها وما يزال يروى ظمأه منها

وقد ورد ذكر أجاممنون فى الأوديسة كما أسلفنا وذلك عند ما لقى أودسيوس الكاهن تيرزياس فى العالم الثانى وأخذ يقص عليه ما آل إليه أمر أبطال الإلياذة بعد أوبتهم إلى أوطانهم ، وقد ذكر له من أمر أجاممنون ما دبرته له زوجه

وللبطل ديوميد منزلة رفيعة فى الإلياذة ، ويكاد بشجاعته النادرة يتفرد بالإعجاب بعد إذ هجر المعركة أخيل . ففى الكتاب الخامس الذى قصره هوميروس على هذا البطل لا تقتصر شجاعته على التفوق على الآدميين الذين خاضوا الحلبة بل تتعداها إلى الآلهة ، وحسبه فخراً أنه جرح فينوس ربة الجمال التى كانت تتفانى فى مساعدة جيوش طروادة ، ثم مارس إله الحرب الجبار ، الدله بهوى فينوس ... وكلما حاق بأحد اليونانيين كرب فى المنمعة كان ديوميد أسرع الفرسان إلى نجدته بل إنقاذه ... وقد ذهب فى الكتاب العاشر فى صحبة أودسيوس إلى معسكر الطرواديين فى حلك الليل حيث اغتالا ريسوس بعد أن اجتازا ساحة تمج بالمنايا وتضطرب بألوان المهلكات

أما أودسيوس فله شخصية فذة ... إنه بطل مخاطر لا يبالى الردى ولا يرهب المنايا ، إلا أنه يمتاز بناحية أخرى أظرف وألطف ... ناحية تثير المرح وتبعث على الضحك ، ضحك الجد

---

(١) كذلك كتب فخر شعراء اليونان يوربيدز عن إفجنيا درامتيه البارعتين إفجنيا فى أوليس وإفجنيا فى توريس كما كتب عن أورست وعن كثير من أبطال هومر وسنعرض لذلك في الفصول التي سنخصه بها إن شاء الله

(١) الكتاب الأول من الالياذة

الصارم لا ضحك المشعبذين ورجال المساخر ... إنه كان من عشاق هيلين قبل أن تنشب هذه الحرب ، فلما فاز منالوس بهيلين ، حزن وتولاه الكمد ، لكنه تزوج من إحدى قريباتها (بنلوب) التى لم تكن تقل عنها جمالاً ونضرة وطلاوة ، والتى استطاعت أن تحتل من قلبه فراغ هيلين كله ... فلما نشبت الحرب بسبب هيلين وعلم أودسيوس أنه مدعو إلى خوض غمارها فيمن دعى من ملوك هيلاس وأمرائها آثر السلامة ، فادعى العته ، وذهب إلى شاطئ البحر بمحراث عظيم يجره ثور وجواد ، وجعل يحرث الأرض ويبذر فيها الملح كما يفعل المجانين ... ولم تنطل هذه الحيلة على بالاميد رسول منالوس فقد عمد إلى تزييفها بوضعه الطفل تلماك بن أودسيوس فى طريق المحراث . فكان أودسيوس يتفادى ولده فى مهارة أشد الناس وعياً وأكثرهم إدراكاً ... وفى الإلياذة كثير من المشاهد التى تدل على براعة أودسيوس وجمال حيلته وعمده إلى الخدعة فى الحرب أكثر من الاتكال على الشجاعة المجردة . كما كان يصنع ديوميد أو أجاكس أو أخيل ... وخدعة الحصان الخشبى التى فتحت طروادة هى من تدبير أودسيوس ... أما الأوديسة فإنها غاصة بحيل هذا الرجل العجيب ، وبحيل خلابة لا يمكن استيعابها فى هذه الفصول المقتضبة عن هوميروس. وننتهز هذه المناسبة فنشير إلى ما تسرب إلى قصص ألف ليلة وليلة من خدع أودسيوس . فأكثرنا قد قرأ رحلات السندباد البحرى ، وأكثرنا يذكر المارد الذى حبس السندباد ورجاله فى كهفه ، وراح يسمنهم ويغتذى بهم واحداً بعد واحد حتى دبر السندباد حيلة سمل عينى المارد بالسيخ (السفود) المحمى وما تم بعد ذلك من هرب السندباد ورجاله إلى زورقهم ونجاتهم بأنفسهم فى البحر .. هذه صورة كاملة من صور الأوديسة اقتبسها الراوية العربى وكساها هذا الرواء القشيب مباعدا بينها وبين الأصل غير مشير إلى مصدرها . ونحسب نحن أن قصة السندباد كلها لم تكتب إلا بعد العصر الذى فشت فيه الترجمة عن اليونانية واشتدت فيه أواصر الصداقة بين هارون عاهل بغداد ، وشرلمان عاهل بيزنطة ، وما تبع ذلك من وفود تجار القسطنطينية إلى بغداد ووفود تجار بغداد إلى العاصمة الرومية ، وما كان يصحب هذه الرحلات من تبادل القصص وسرد الأخبار ... وليس يبعد كذلك أن يكون لاختلاط العرب بأهل الأسكندرية من مصريين ويونانيين أثر فيما نلحظه من تلقيح القصص العربى بطرائف القصص اليونانى .

هـذه بعض الشخصيات اليونانية من المذكور فى إلياذة هوميروس ، تقابلها شخصيات أخرى فى معسكر طروادة ... ولسنا ندرى بأيها نبدأ ؟ إن باريس الذى كان سبب هذه الحرب الضروس شخصية هزيلة مريضة شاحبة ، وليس يستطيع الإنسان أن يفهم كيف جاز أن تنشب هذه المجزرة الشنيعة المروعة بين هذين الحلفين الكبيرين من أجل أن هذا الفتى باريس ينزل ضيفاً على منالوس فيكرمه ويحتفى به ثم ما يلبث الضيف أن يغازل زوج مضيفه . ثم ما هو إلا أن يفر بها بعد تدبير هو أسفل ما عرف فى تاريخ الهمجية والقحة ! ! حقاً ، لقد وعدته فينوس قبل أن يقضى لها بالتفاحة المشئومة أن تمنحه أجمل زوجة وأفتن امرأة . أفلم يكن هذا النذر الإلهى يُقضى إلا على هذا النحو ؟ والغامض الذى لم يفسره علم الأساطير هو كيف أنه قد ساغ صنع باريس فى ذهن أبيه ملك طروادة ؟ وكيف رضى بطل عظيم مثل هكتور عن هذه الدعارة التى أثار بها أخوه الحرب بين هذين العالمين ؟ قد نلتمس العصبية الجنسية عذراً واهياً لهذا الرضى ، بيد أنه يكون عذراً متهدماً على كل حال

يدرس الإنسان شخصية بريام الملك فيعجب لنبالة الرجل وفطرته التى فطره الله عليها من محبة للعدل وميل إلى الإنصاف وإشفاق على الرعية ، فكيف وزن عمل ولده حين أبى أن يأمره برد هيلين إلى زوجها حقناً لكل تلك الدماء ؟! أين المرض إذن ؟ أفى رأس بريام ومثله ؟ أم هو فى رأس هوميروس ؟! هنا موضع الضعف فى عقدة الإلياذة ، وهو ضعف يشبه الضعف فى عقدة الأوديسة ، حين يجتمع عشاق بنلوب فى قصر أودسيوس ، وحين تمر عليهم السنون الطوال منتظرين أن تختار منهم ربة الدار بعلاً لها ، فهم بذلك يشبهون القطط ويحاكون الديكة حين تقتتل على الأنثى ... هذا ضرب حيوانى من تفكير هوميروس يشوه جمال ملحمتيه ، ولعل للوثنية نصيباً كبيراً فى توجيه شاعر الخلود هذه الوجهة . . . ولعل المصريين القدماء لم يكونوا متجنين حين قالوا عن ملاحم اليونانيين إنها نتاج صبيانى ، ولذا لم يأبهوا لها ولم يعنوا بها برغم ما مدحها لهم صولون

والعجيب فى هوميروس أنه لم يبال أن ينحط بالمرأة اليونانية إلى مستوى دون مستوى المرأة الطروادية بمراحل هائلة . . . لقد جعل المرأة اليونانية متاعاً شائعاً وغرضاً تتحيّفه لبانات الرجال ؛ فهيلين زوجة منالوس ملك أسپرطة تفر مع پاريس إلى طروادة دون أن تتأبى أو تتمنع . ثم تشب الحرب بسببها فلا تحاول مرة أن تفر إلى معسكر اليونانيين . بل تظل طوال السنوات العشر متمة حلالاً لباريس ، وتنتهى الحرب ، وتضطرم النار فى طروادة ، وتعود هيلين إلى أسپرطة ، فلا تثور نخوة منالوس ، ولا يضطرب قلبه بقليل من غيرة الرجال

أما بنلوب فقد ضربت المثل الأعلى لحفاظ المرأة ووفاء الزوجة ، لكنها مع ذلك عوملت من أمراء هيلاس معاملة عجيبة مضحكة تدعو إلى السخرية التى فاجأ بها المصريون القدماء المشترع صولون ... وإلا فما هـذه العصبة من العشاق المعاميد تحتل منزل أودسيوس فتريغ خيره وتأكل زاده وترتع فى شرفه وتستبيح عرضه ؟ ! أكانت منزلة المرأة عند اليونانيين — ولو فى عصر هوميروس — بهذه الدرجة من الهوان ! زوجة ملك إيثاكا تكون بطلة هذه المأساة الغرامية الوضيعة ، وقد قدم هوميروس من خيوس لينشد ملحمته فى المدائن اليونانية ليسمع أهلوها كيف كان أسلافهم يعاملون زوجة بطل أبطالهم ؟ !

وكليتمنسترا زوجة أجاممنون . . . لقد عشقت هى أيضاً إيجستوس المتآمر على عرش مولاه والذى دبر له تلك القتلة الهائلة الشنيعة بعد عودته ظافراً من طروادة ... فما هذا الذى صنعه هوميروس بنساء اليونانيين ؟ لقد عبث بهم وهو يرفع أبطالهم إلى ذروة المجد ، ولها بعقولهم حين عرض عليها بضاعة البطولة المزجاة ملفوفة فى أكفان تلك الأعراض الممزقة ... حتى آلهتهم ... لقد تناولها كما يتناول الطفل دماه ولعبه يعبث بها ويلهو ... حتى كبير الآلهة وسيد الأولمب ... أنظر إليه كيف احتالت عليه زوجه جونو (حيرا) — الكتاب الرابع عشر — فجعلته يغفى ثم يغط فى نوم عميق كيما يذهب نبتيون لنصرة الإغريق ، فإذا استيقظ فى الكتاب الخامس عشر وعلم ما كان من أمر نبتيون أرسل إليه ينذره فى المعركة ، فيعود رب البحار وينبرى أبولو لمشاكسة اليونانيين فترتد جموعهم إلى قواعدها عند الأساطيل ...

أما المرأة الطروادية فقد سما بها هوميروس سموّاً بلغ الغاية وأوفى على المأمول ... أنظر إلى الأزواج والعذارى والأمهات يجتمعن حول هكتور فى الكتاب السادس فى عودته من المعركة يسألنه عن ذويهن ؛ وانظر إلى أمه تبرز إليه من حريم بريام عابسة مقطبة تزجره لأنه عاد من المعركة وهى على أشدها ، ثم تحضه على اللحاق بإخوانه ينصرهم ويشد أزرهم ويرد عادية الإغريق ... ثم انظر إلى هذه المرأة المرزأة — هيكوبا — تجمع المتضرعات من بنات طروادة وتذهب فيهن إلى هيكل مينرفا تصلى وتعفر القرابين كيما تشمل جيش طروادة بحسن رعايتها وجميل حمايتها ... ثم استمع إليها تحنو على هيكتور فى الكتاب الثانى والعشرين بعد إذ وعظه والده خوفاً عليه من أخيل (الجنّى !) وقد أفزعها منظره يصول فى الحلبة ويجول ، فتذرى دمعها وتساقط نفسها بعد إذ أرسلت إلى المجزرة بأكثر أبنائها ... أو انظر إليها تمزق نياط القلوب فى الكتاب الرابع والعشرين إذ هى تبكى هكتور بعد إذ عاد أبوه بجثمانه من لدن أخيل ... أو انظر إليها تتعلق ببريام وقد انقض پيروس (ولد أخيل) على آخر أبنائها يخترمه برمحه ، ثم ينقض على بريام الشيخ الفانى المسكين فيجهز عليه ، ثم يقتاد هكيوبا ... هكيوبا المحزونة المفجّعة فتكون فى جملة السبى الذى يعود به اليونانيون من طروادة [1] ، ويكون سبياً يجر عليهم النحس فيقتل من يقتل ويردى من يردى

وأندروماك ! لشد ما يُدوّى فى فؤاد القارئ هذا المشهد الرائع بينها وقد حملت طفلها وبين زوجها هكتور فى الكتاب السادس من الإلياذة ! إن هوميروس يرتفع فى هذا المشهد إلى ذروة فنه فى ملحمته الخالدة ! لشد ما يحرق القلب وداع أندروماك الزوجة لهكتور الزوج !

أنظر إليها واقفة فوق برج من أبراج طروادة وقد قتل أخيل زوجها وراح يجره وراء عربته فى الساحة حول إليوم . والرأس الكريم العظيم يثير التراب المنضوح بالدم ، وأخيل يلهو بكل ذلك ويشتفى !

بل انظر إليها وقد وقفت تضرب صدرها وتسكب دمعها على جثة هكتور بعد إذ عاد بها أبوه بريام من عند أخيل ، ثم تقول :

(١) هذه الوقائع الأخيرة ليست من الالياذة

« زوجى ! أهكذا تمضى فى عنفوان الصبا وشرخ الشباب ، وتتركنى وحيدة فريدة كاسفة ! هـذا ابنك ما يزال فى المهد ، وهذان أبواك الشقيان ! لن يشب ابنك يا هكتور عن طوقه ، لأن من دون هذا دك تلك الحصون ، وتقويض طروادة التى كنت حاميها وحامى نسائها والذاب عن بنيها ! يا لشقاء الحرائر اليوم يا طروادة ! إن هى إلا لحظات ثم يحملهن البحر إماء للغزاة ، وأنا وولدى فى جملة السبى ياهكتور . . . ولدى ! ولدى البائس الشقى ! إلى أين المسير ؟! إلى بلاد العدو الظالم لتكون من جملة الخدم والخول ... ليراك من يحسب أباك قد قتل أباه أو أخاه فيبطش بك ، وينتقم منك ، ويقذف بك من فوق برج أو حصن ...

« لشد ما كنت حزناً لأبويك ياهكتور ! بيد أنك كنت حزناً ممضا لمخلوق تعيس آخر هو أنا ... ! »

وهكذا بكت هـذه الزوجة المخلصة الوفية زوجها ، وهكذا كانت دموعها الغوالى مداداً لا ينفد لمآسى يوريبيدز[1]

ما أجمل هوميروس !!

وما أضيق هذه الفصول بأدبه الخالد الذى لا يبيد !! .

دريني خشبة

(١) كتب يوريبيدز فى نساء طروادة مآسى كثيرة لم يصلنا منها إلا ثلاث : هيكوبا وأندروماك وسيدات طروادة

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الأدب والنقد والتاريخ

يبيّن الأديب شاعراً أو كاتباً عما يدرك ويتصوّر ويتخيل من مشاهد العالم ومعانيه . يصف مرأى جميلاً أو دميماً ويعرب عن إحساس مؤلم أو لذيذ . وتارة يكون موضوع الأديب مظاهر الأدب لا مظاهر العالم . يصف قصيدة أو مقالاً يبيّن ما فيهما من بلاغة وجمال أو ما يعوزهما من قوة فى المعنى وسلاسة فى اللفظ ، أو يعرض للشاعر والكاتب يبين ما فطرا عليه من طبع وما وأتاهما من علم ، وما يُسّر لهما فى موضوعات البلاغة وأساليبها أو يأخذ عليهما قصوراً فى الإدراك أو عيًّا فى البيان وهلم جرًّا . وربما يتناول الباحث موضوعات من الأدب يصف تقلبها على مر العصور ، أو طائفة من الأدباء يصف توالَيهم على الزمن وأخذ بعضهم عن بعض وتقيّل بعضهم بعضاً . فيخرج للناس صورة للأدب فى عصر أو أعصر

هذا كله من الأدب ، ولا يسوغ أن نخرج من الأدب المقالات التى تنقد الأدب أو تؤرخه

١ — لأن الباحث فى قصيدة أو مقال يصف ما أوحت إلى نفسه هذه القصة وهذا المقال وما أدرك فيهما من جمال وما أشرب قلبه من حب أو بغض ، وفرح أو حزن . فهو كالذى يصف مشهداً جميلاً أو دميماً فى العالم أو أمراً حزيناً أو بهيجاً من أمور الحياة

٢ — ولأن الناقد والمؤرخ مهما يستعمل الفكر والعقل ويذكر العلل والنتائج إنما يحكم بعاطفة ويقيس بوجدان فلن يستطيع أن يدخل دائرة العلم المحض ما كان موضوع بحثه الأدب والأدباء

يتبين من هذا أن الأدب له فروع : إنشاء ونقد وتاريخ . ويمكن أن نرد هذه الفروع إلى فرعين : أدب ذاتى[1] وأدب موضوعى ، وهذا يشمل النقد وتاريخ الأدب ونزيد وضوحاً فيما يلى :

الأدب الذاتى النفسى هو الكلام الذى ينشئه صاحبه إبانة عما فى نفسه . والأدب الموضوعى هو الكلام الذى يقصد به تبيين ما فى الكلام الأدبى من محاسن ومساوئ ، أو الإبانة عن فضل شاعر على آخر ، أو ترجيح طريقة من البيان على طريقة ، أو بيان أطوار الأدب فى عصوره المختلفة الخ ...

والخلاصة أنه الكلام الذى يراد به وصف الأدب والأدباء

وفيما يلى أمثلة توضح هذين الضربين من الأدب :

— ١ —

قال البحترى فى وصف دمشق :

إذا أردتَ ملأتَ العين من بلد   مستحسنٍ وزمان يشبه البلدا
يمشى السحابُ على أجبالها فِرَقاً   ويصبح الروضُ فى صحرائها بددا
فلست تبصر إلا واكفاً خضلا   أو يانعاً خضراً أو طائراً غَرِدا

وقال أبو هلال العسكرى :

أما ترى عود الزمان نَضْرا   ترى له طـــلاقة وبشرا
أتته ألطافُ السحاب تترى   وساقت الجنوب غيما بكرا
تبسط فى الصحراء بُسطاً خُضرا   وتمنح الروضة زهرا صُفرا

(١) التعبير بالذاتى والموضوعى أدق من التعبير بالانشائى والوصفى

ونرجسا مثل العيون زهرا وأقحوانا كالثغور غرّا
كأنما يصوغ فيها تبرا كأنما يروق فيها عطرا
كأنما ينثر فيها درّا ... الخ

وقال أبو الطيب فى رثاء أخت سيف الدولة :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبرٌ فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدعْ لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى
تعثرت به فى الأفواه ألسُنها
والبرد فى الطرق والأقلام فى الكتب

وقال الحسين بن مطير الأسدى أحد شعراء الحماسة يرثى معن بن زائدة الشيبانى :

ألِمَّا على معن وقولا لقبره : سقتك الغوادى مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معن أنت أول حفرة
من الأرض خُطَّت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مُترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدّعا
فتى عِيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معن مضى الجود فانقضى
وأصبح عرنين المكارم أجدعا

وقال ابن المعتز يصف سامرّا بعد أن تركها الخلفاء إلى بغداد فسارع إليها الخراب :

« كتبت إليك من بلدة قد أنهض الدهر سكانها ، وأقعد جدرانها ، فشاهد الناس فيها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر ، وكأن عمرانها يُطوى ، وكأن خرابها ينشر ، وقد وكلت إلى الهجر نواحيها ، واستحثّ باقيها إلى فانيها ، وقد تمزقت بأهلها الديار ، فما يجب فيها حقُّ جوار ، فالطاعن منها ممحوّ الأثر ، والمقيم بها على طرف سفر ، نهاره إرجاف ، وسروره أحلام ؛ ليس له زاد فيرحل ، ولا مرعى فيرتع الخ »

فى هذه القطع كلها تجد المبين ينشئ ما يترجم عما شعر به وتخيله وتصوره حينما رأى منظراً بهيجاً من السحاب والرياض ، أو مرأى كئيباً من الخراب والاقفار ، وحينما علم موت صديق يعز عليه أو عظيم ، كان يزجى آماله إليه . وكل هذا تصرف فى معان نفسية يحسها المتكلم نفسه . فهذا أدب ذاتى

— ٢ —

فإذا تبينت هذا فانظر إلى الأمثلة الآتية :

قال القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى فى كتاب الوساطة :

« وقد علمت أن الشعراء قد تداولوا ذكر عيون الجآذر ونواظر الغزلان ، حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلا فى النادر الفذ . ومتى جمعت ذلك ثم قرنت إليه قول امرئ القيس :

تصدُّ وتُبدى عن أسيل وتتّقى بناظرة من وحش وَجرة مطفل

أو قابلته بقول عدىّ بن الرّقاع :

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحورُ من جآذر جاسم

رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين ، وتبينت قربهما منه ؛ والمعنى واحد ، وكلاهما خال من الصنعة ، بعيد من البديع . إلا ما حسن به من الاستعارة اللطيفة التى كسته هذه البهجة . وقد تخلل كل واحد منهما من حشو الكلام ما لو حُذف لاستغنى عنه وما لا فائدة فى ذكره لأن امرئ القيس قال : « من وحش وجرة » . وعدياً قال . « من جآذر جاسم » ولم يذكرا هذين الموضعين إلا استعانة بهما فى إتمام النظم وإقامة الوزن، ولا تلتفتن إلى مايقوله المعنويون فى وجرة وجاسم فإنما يطلب به بعضهم الإغراب على بعض ، وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلا كغيرها من الظباء ، وسألت من لا أحصى من الأعراب عن وحش وجرة فلم يروا لها فضلاً على وحش ضرية وغزلان بسيطة . وقد يختلف خلق الظباء وألوانها باختلاف المنشأ والمرتع ، وأما العيون فقل أن تختلف لذلك. وأما ما تم به عدى الوصف ، وأضافه إلى المعنى المبتذل بقوله على أثر هذا البيت :

وَسْنان أيقظه النُّعاس فرنّقت فى عينه سِنة وليس بنائم

فقد زاد به على كل من تقدم ، وسبق بفضله جميع من تأخر . ولو قلت : اقتطع هذا المعنى فصار له ، وحُظر على الشعراء ادّعاء الشرف فيه لم أرنى بعدت عن الحق » اه

الجرجانى فى هذه القطعة يفضّل بيتى امرئ القيس وعدىّ على أبيات الشعراء فى معناها ، ثم يبيّن ما فيهما من الحسن وما تخللهما من الحشو ، ثم يصف بيت عدىّ الثانى بأنه أحسن بيت فى معناه . فالجرجانىّ لم يُبن هنا عما أحسّه هو فى وصف

العيون ، ولكنه ينظر فيما قال غيره فيبين ما فيه من إجادة وتقصير ويبين أى الأبيات أبلغ وهكذا . فهو إنما يصف كلام غيره ويقيسه بذوقه وتصوره (١)

فهذا أدب موضوعى ...

وقال بشر بن المعتمر (٢) :

« ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدار المعانى ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ؛ فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاماً ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعانى ، ويقسم أقدار المعانى على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار الحالات : فإن كان الخطيب متكلماً تجنب ألفاظ المتكلمين ، كما أنه إن عبّر عن شىء من صناعة الكلام واصفاً أو مجيباً أو سائلاً كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين إذ كانوا لتلك العبارة أفهم ، وإليها أحنّ ، وبها أشفق ... الخ »

وقال أبو العباس الناشىء (٣) :

لعن الله صنعة الشعر ماذا	من صنوف الجهّال منه لقينا
يؤثرون الغريب منه على ما	كان سهلاً للسامعين مبينا
. . . .	. . . .
إنما الشعر ما تناسب فى النظم	وإن كان فى الصفات فنونا
فأتى بعضه يشا كل بعضا	قد أقامت له الصدور المتونا
كل معنى أتاك منه على ما	تتمنّى ، ولم يكن ، أن يكونا
فتناهى عن البيان إلى أن	كاد حسناً يبين للناظرينا
فكأن الألفاظ فيه وجوه	والمعانى ركّبن فيه عيونا
. . . .	. . . .
فإذا ما مدحت بالشعر حراً	رُمتَ فيه مذاهب المسهبينا
فجعلت النسيب سهلاً قريبا	وجعلت المديح صدقاً مبينا الخ (٤)

ترى فى قول بشر والناشىء وصف خطة للبيان ، ودعوة إلى طريقة فى الإنشاء يريانها الطريقة المثلى وهذا أدب موضوعى أيضاً

واقرأ هذه القطعة أيضاً : قال أبو منصور الثعالبى فى مقدمة اليتيمة :

« لم يزل شعراء الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها فى الجاهلية والإسلام ... والسبب فى تبريز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم فى الشعر قربهم من خطط العرب ، ولا سيما أهل الحجاز، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم من الفساد العارض لألسنة أهل العراق بمجاورة الفرس والنبط ومداخلتهم إيّاهم

ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة العبارة وحلاوة الحضارة ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان ، وبنى ورقاء هم بقية العرب، والمشغوفون بالأدب، والمشهورون بالمجد والكرم، والجمع بين آداب السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل — انبعثت قرائحهم فى الإجادة فقادوا محاسن الكلام بألين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا »

يوازن الثعالبى فى هذه الأسطر بين شعراء الشام وشعراء العراق ، ويفضّل الأولين ، ثم يبيّن الأسباب التى فضلتهم على غيرهم ؛ فهو يصف كلاماً بالجودة وشعراً بالتفوق ويحاول أن يعدد الأسباب التى أجادت هذا الكلام ، وقدمت هؤلاء الشعراء

وهذا أدب موضوعى كذلك

واقرأ بعدُ هذه الجملة من مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة :

« هذا الكتاب ألفته فى الشعر ؛ أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم فى أشعارهم ، وقبائلهم وأسماء آبائهم ، ومن كان يعرف باللقب أو الكنية منهم ، وعما يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ؛ وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ فى ألفاظهم ، وما سبق إليه المتقدمون فأخذه عنهم المتأخرون

وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته ، وعن الوجوه التى يختار الشعر عليها ، ويستحسن لها إلى غير ذلك »

تجد صاحب الكتاب يعمد إلى تاريخ الشعراء بذكر أخبارهم وأزمانهم وإلى تاريخ الشعر بذكر ما أخذه المتأخر عن المتقدم من المعانى والأساليب — زيادة على النقد وتبيين المستحسن المستقبح ، والخطأ والصواب . وهذا يدخل فى الأدب الموضوعى كذلك .

(١) أمثلة أخرى فى أسرار البلاغة ص ٤٠ وما بعد (ط) المنار
(٢) البيان ج ١ ص ١٠٦ (ط) التجارية
(٣) العمدة ج ٢ ص ٩١ ط) النعسانى
(٤) مثال آخر بعد هذا فى الكتاب نفسه (العمدة)

كل الأمثلة التى قدمتها فى إجمال هذا الفصل تدخل فى الأدب؛ ولكنها يمتاز بعضها عن بعض: فى القطع الأربع الأولى أدب ينشئه الشاعر إنشاء ويبتدئه ابتداء لا يصف فيه كلام غيره، بل يصف ما رأى هو من مناظر، وما شعر به من حزن وألم ونحو ذلك فهذا الذى يسمى الأدب الذاتى

وفى القطع الأخرى تجد أدباً يدور حول الكلام البليغ، أدباً يصف أدباً آخر أو يبحث فى قوانين الأدب وأحواله وأطواره وهذا الذى يسمى الأدب الموضوعى

ولكن بعض هذا الأدب الموضوعى يبين محاسن القطعة من الشعر أو النثر أو يبين أحسن المناهج التى يسلكها الشاعر أو الكاتب، كما فى قطعة القاضى الجرجانى وقطعة بشر ابن المعتمر وقطعة الناشئ وهذا يسمى النقد.

وبعض الأدب الموضوعى يبين التاريخ والتطور كما فى قطعة ابن قتيبة. وهذا تاريخ الأدب.

وفى العدد الآتى نجمل الكلام فى النقد وتاريخ الأدب.

عبد الوهاب عزام

دراســـــات
فى الأدب المصرى القديم
للآنسة الفاضلة الزهرة

إنا سلالة أمة تباهى بتاريخها الأمم، فمن الواجب علينا أن نلم بذلك التاريخ المجيد، ونستعرض صوره، لنمكن حلقة من تلك السلسلة الجميلة الغالية، التى تصل بيننا وبين القدم، وتقربنا إلى آبائنا الكرام، أولئك الذين بنوا المجد وشادوه، واستذلوا الزمان وأخضعوه، وأكرهوه بباهر أعمالهم على أن يسجل أسماءهم فى ديوان الخالدين.

ولقد رأيت أن أستمدّ ذرائع الاتصال والقربى بالتغلغل فى قرارة الماضى السحيق، للاحاطة بحياتهم الأدبية، بحيث نستطيع أن نلمس فيها زمانهم وبيئتهم، ونلمح قبساً من نظرياتهم فى الوجود، وما اتخذوه لأنفسهم فيه من نظم الاجتماع والسياسة، والدين والأخلاق، لعلنا نتدرج من هذا كله إلى إقامة الدليل القاطع، على سمو المنزلة التى بلغها الأدب المصرى القديم، ودحض ما رمى به من النقص والقصور. وقد كان علماء المستشرقين إلى منتصف القرن التاسع عشر يعتقدون أنه قد خلا من القصص وطول العبارة، وانسجام التفكير واستمرار الخيال، وافتقر إلى الفلسفة والنظريات. والواقع أن الأدب المصرى القديم كان حافلاً بالثروة المعنوية، وأفانين القول، وكان متعدد الفروع والأبواب حتى إنه لم يترك فرعاً إلا تناوله، خلا فرع الشعر التمثيلى. ويرى الدارس للكتابات القديمة خصائص بارعة تميزها عن باقى آداب الشعوب السامية لما يتجلى فيها من حسن الوصف، وكمال الصوغ، وبساطة التعبير، وطلاوة اللغة ومتانتها، وسهولة الألفاظ ورقتها، فى امتاع جزل بليغ. ولقد كان من أظهر تلك المميزات، الوضوح والاستقامة، وأناقة الأسلوب، وروعة التركيب، وجودة المقاطع، ونصاعة المبنى، وإيجاز المعنى وإصابته. على أن هذا الإيجاز كان ينتهى بالكاتب الضعيف فى أحايين إلى السخف والعى والركاكة. غير أن الكاتب الأريب، كان يستطيع بقليل من التفنن أن يصور سجية من السجايا، وضاءة الجبين إذ يصف عاطفة من العواطف، قدسية الجوهر سافرة المحيا. ولم يكن للكاتب المصرى ند فى حسن اختيار الألفاظ ووضعها فى المكان الملائم لها فى الجملة، فأنت تراه يكتب كلؤلؤ هذا العصر المجيد دقة ورقة ومتانة وظرفاً، ويمثل لك الحياة كما تقع فى صورة كلامية لا تقلّ تأثيراً وإبداعاً عن الصورة اللونية المتقنة، فإذا نزل بك إلى ميدان السياسة، تجده يصف لك الملوك والحكام وصفاً دقيقاً، فيقول عن العاهل الجليل: «إنه يعزف كيف يأسر القلوب ويملكها» ويصف القاضى العادل بقوله: «إنه يسلك مناهج الاستقامة ونزاهة القلب». وبألفاظ قليلة منتقاة كان يجلى لنا الحاكم المحبوب المترفق، والقاضى الحكيم المنصف. وإذا عرّج على الحياة وألوانها ألفيناه يصف الشباب ولذاته، والمشيب وحسراته، والهرم ومرارته، كل ذلك بأسلوب سهل وإيجاز مبين، لا أثر فيه للصناعة الأدبية المتكلفة فكان فنه الفن الصحيح. وكان من مميزات هذا الأسلوب الموجز الممتع، ما حملته ألفاظه من صور ومقدمات معنوية كانت فى الأدب المصرى القديم روح المجاز المرسل وعنصر الكتابة البليغة، ويمكننا أن نقتبس أمثلة لذلك كقولهم: «الطبيع يطاع!» و «الجاهل حىّ ميت» وهكذا كانت الجملة القصيرة فى الأدب المصرى تفرغ فى مثل هذا القالب من البساطة وانسجام التفكير ودقة السبك. ومعلوم أن الجملة القصيرة الصحيحة تلخص فكرة العقل القوى الحصيف

لأن الإيجاز فى الإفهام ممدوح مستحبّ . ولقد كان الأسلاف يكرهون الإسهاب المخلّ ، والإطناب المملّ ، فتراهم يجنحون دائماً إلى قرب المجتنى ، ويعتقدون أن خير الكلام ما قلّ وجلّ ، ودلّ ولم يملّ . وكانوا فى حياتهم اليومية يشمئزون من الثرثار ويعدون الثرثرة مما ينافى عقيدتهم الدينيـة فى أشرف المواهب ، واعتاد من يقف منهم فى محكمة العدل والدينونة ، أمام قضاة « العالم السفلى » فى دار الآخرة أن يقول : « أشهد أنى لم أكثر من الكلام فى حياتى ولم أسترسل فيه بإطناب تمجه الآذان» وكانوا يحبون تنميق اللفظ وزخرفته ولكنهم أجادوا تنقيحه ووفقوا فيه توفيقاً عجيباً دون أن يداخله التعمل . وكذلك كانوا لا يطاولون فى دقة التشبيه . والحق أنهم كانوا يرتفعون إلى أجمل سماواتها وأعلاها كلما التمسوها من الطبيعة . وبيّنوا أن التفوق فى تقريب المثال، دليل القدرة على بُعد المنال، والتعميم والإطلاق فى رسم الحقائق الناصعة رسماً صادقاً ، وعنوان البراعة فى الموازنة العقلية والمقارنة الذهنية ، بل إنه مجلى الحماسة والحرارة والإخلاص للفنّ ومعرض العاطفة العميقة الصحيحة التى تفتن الألباب بصحتها وقوتها. مثال ذلك تشبيه الملك رمسيس الثانى « بأسد ظافر يضرب بمخلبه ولايدبر ، يزأر ويزمجر بصوت هائل فى وادى الظباء. . . » أو قولهم فيه : « إنه يشبه ابن آوى فى سرعة خطاه وسعيه لاقتناص ما يجده والانقضاض عليه كالبرق الخاطف»

وكانت التعبيرات المتجافية الوعرة ، والكلمات الغثة المثقلة بالاستعارات الرثة والتوريات المتنافرة ، والمترادفات المتقعرة الفجة والمحسنات اللفظية الجوفاء من الأخطاء التى يجهلها المؤلف المصرى الذى كان يميل فى أسلوبه ولغته إلى الوضوح دون أن يتسامح فى لفظة واحدة تطن بلا معنى وبلا غرض ... وكان آية فى الجلاء والاحكام حين يروى حديثاً أو يدون حادثاً . ولعل ذلك راجع إلى سلامة طبعه ، واستقامة خلقه ، وتمسكه بالصدق ، ومقته للمبالغة والغلو ، ولم تكن تآليفه صادرة بحال من الأحوال عن انحطاط فى التخيل ، أو قصور فى التصور ، أو عجز عن عمق التفكير ، لأننا حين نطالع سيرة عظيم من العظماء من خلال منظار الحقيقة ، ثم نعمد إلى قراءة الشخصيات البارزة فى أقاصيص أولئك المؤلفين ومن جعلوا أبطالاً لها كما ابتكرتها تصوراتهم الخصبة واخترعتها عبقريتهم المبدعة ، نرى تخيلاً سامياً معتدلاً رصيناً ، يحدوه العقل الراجح ، ليطابق الواقع المعقول ، ويمنح تلك الشخصيات سحنة جميلة ، تدب فيها الحياة الناشطة ، فتراها متجسدة حيالنا ، لا أشباحاً ضعيفة لا كيان لها ولا جسم ...

وفى هذا العالم الأدبى العجيب ، الذى كان يعنى بالأنواع والنماذج التى يكثر أشباهها فى الحياة اليومية ، نرى مواطن الشبه الموجودة بين كل فروع الأدب القصصى المصرى القديم ، وبين القصص التى يتحفنا بها المؤلفون المجيدون فى القرن العشرين من أتباع المذهب الواقعىّ . ونزداد إيماناً بأن عقول أهل الأجيال السالفة لم تكن دون عقول أبناء العصور الحديثة . هـذا ولعلنا واجدون فى قصة « سانيهات » — ابن الجميزة — صورة أمينة واضحة للحياة والعادات القديمة . ولا يبعد أن هذا الاسم قد أطلق على بطل القصة لكونه عاش حيث توجد شجرة من أشجار الجميز المقدسة التى اشتهرت بها مصر منذ القدم ، ولا سيما أن الاسم « سانيهات » معناه « ابن الجميزة » ونحن نرى فى موضوع القصة ما كتبه سانيهات هذا عما شاهده فى مغامراته أثناء تنقلاته ورحلاته فى جنوب شرق فلسطين . وإنى كمصرية يسرنى أن أذكر بلسان الاعظام والاكبار ، هذا الدليل الذى تقيمه القصة على أن المصريين قد سبقوا ماركوبولو و كولمبس وفاسكودى جاما وماجلان وغيرهم من كبار المستكشفين إلى ارتياد المجاهل ، وأنهم قد كتبوا قصص هذا الارتياد بيد أجادت نقل ما انطبع فى الذهن من صور المرئيات والحوادث بخاصة عجيبة وقوة انتباه فائقة . وقد وصف سانيهات هذه الأصقاع التى رآها وصفاً بارعاً ، ورسم الحياة الاجتماعية لسكانها ، ومثّل أخلاقهم وعاداتهم ونزعاتهم وميولهم أكمل تمثيل وأظهر بعد عودته إلى مصر ، الفرق العظيم بين حضارة بلاده والحياة البدائية الخشنة التى كان يحياها أولئك القوم ... وسانيهات هو هذا « الأمير الملكى وحامل خاتم الملك ، والصديق المخلص ، وأمين شؤون الأجانب ، والمحبوب الملكى التابع للمقام الأسمى » وقد فرّ من مصر حالما سمع بوفاة الملك أمينمهت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، أى قبل الميلاد بألفى سنة. وهو لا يحدثنا فى القصة عن هروبه ، ولكننا نرجح أنه هرب لأنه كان أحد أبناء الملك من أم لا يجرى فى عروقها دم الفراعنة ولذلك لا يقدر أن يرث عرش أبيه وإلى جانبه « أوسرتسن » الابن « الملكى للفرعون » فهو يخشى أن يقتله الفرعون الجديد حتى لا يكون له من ينازعه العرش وينافسه فيه ، ويشجعنا على التمسك بهذا التعليل ما جاء فى سياق القصة ، من الهج بالإكرام الذى صادفه سانيهات من أفراد البيت المالك عند أوبته من ديار الغربة . ومعلوم أن الفراعنة كانوا شديدى التمسك بعصبيتهم ، عظيمى التعلق بأقاربهم

فلا يقربون منهم غير كريم النسبة ...

نعود إلى حديثنا الأول فنقول: إن سانيهات يذكر أنه ولى هارباً من مصر في الليل، وكان «يختبئ في الأدغال نهاراً لئلا يراه أحد من الجيش المرابط على الحدود» وبعد صعوبات جمة ومخاطر عدة وصل إلى سلسلة الحصون التي أقيمت لصد غارات الأعداء على الحدود، وجاوزها في دياجير الظلام، وأنه حين شارف «البحيرات المرة» خارت قوته «وشعر بظمأ شديد، وجف ريقه، وضاقت أنفاسه» فقال في نفسه: هذا نذير الموت. ولكن ثغاء الماشية كان يتطرق إلى سمعه فينعشه وينفخ فيه روح القوة ويطمئنه فيواصل سيره إلى أن يصادفه زعيم إحدى القبائل، فيعطيه «ماء ولبناً مغليا» ويخبرنا بعد ذلك أن كل قبيلة من القبائل العائشة في تلك الأقاليم كانت تكرم مثواه وتستضيفه بدورها، حتى حط رحاله في أرض «أيدوم» حيث أقام سنة ونصف سنة، وأن أمير «تنو» التي زرتها منذ أعوام في جنوب شرقي فلسطين وتقع بين الخليل وبيت جبرين، قد أرسل إليه ودعاه إلى الإقامة عنده. ويحسن بي أن أنقل هنا ما ذكره سانيهات من حسن معاملة ذلك الأمير بقوله: «ومنحني اختيار ما أريده من الأرض حتى تلك الأرض التي كان يملكها في الخارج وهي أرض حسنة. والحق يقال أن ما أعطانيه كان عظيما، وقد قدمني على أولاده وزوجني من كبرى بناته وأقامني أميراً على قبيلة من خيرة قبائل أرضه». ثم يحدثنا عن إغاراته على القبائل الأخرى ويقدم لنا وصفاً فريداً عن قيامه بمنازلة أحد أبطال تنو. والظاهر أنه كان محسوداً على المكانة التي كانت له في قلب الأميرة العظيمة، وعلى ما أحرزه من مجد الشهرة وفخر الانتصار، فجاء ذلك البطل ذات يوم ودعاه إلى النزال، «رجلاً قوياً لا أخ له في القوة»، وقد «أخضع لجبروته وكان: كل إنسان». وقال: «فلينازلني سانيهات»، وكان يريد أن يقتله، ولكن بطل تنو تضاءل أمام المصري الخبير بفنون القتال والقائل في ذلك: «وجاء الموعد فالتقينا وناديته أن يبدأ فصوّب سهامه ولكني تحاشيتها كلها، وسقطت بقربي سهماً إثر سهم. وهنا فوّقت نحوه قوسي وأطلقت السهم. فنفذ إلى عنقه فصاح من شدة الألم وخر على أنفه فأخذت قناته وأنفذتها في جسمه، ووضعت قدمي على ظهره فهلل البدو، واستحوذت على جميع مقتنياته وماشيته. الشيء الذي كان يريد أن يفعله بي فعلته أنا به»

وأظنني بعد هذا كله لست في حاجة إلى الإشارة إلى أن الآداب القصصية العالية لم تمنح أية أمة في الوجود ما منحت الأسلاف من التفوق في القصص الخيالية الممتعة التي يعدها العلماء المشتغلون بالمصريات في الوقت الحاضر غاية في سمو التصور ودقة التفكير وسعة التصوير وخصوبة الخيال وسلامة اللغة وسلاسة الأسلوب. ولعل أبدعها «قصة السحرة» التي جمعت ورتبت على طريقة كتاب «ألف ليلة وليلة». فهي في الحقيقة قصة واحدة طويلة. تضم ثلاث أقاصيص متتابعة، أدخل المؤلف كل واحدة منها في التي تليها، وقد عارض سير القصة عينها عند نهاية الجزء الأول منها بشيء جديد، لأنه رأى كما يرى كتاب العصر الحديث في قصصهم ضرورة وقوف القارئ عليه قبل الخاتمة، وهي مهارة أرادها فوفق فيها رغم ما تفيض به سطورها من تحول ساذج معجب لا ترون مثاله في غالبية ما يكتبه كتّاب اليوم من الفرنج وغيرهم! وهذه القصة البديعة أشهر من أن تعرّف. إلا أن السبيل إلى تلخيصها الآن غير ميسور، ولا يسمح المقام باقتباس شيء مما حفلت به تصانيف الأسلاف من الحكم الخالدة والمواعظ الأبدية والأمثلة العالية والكتب السياسية التي تبودلت بين الفراعنة وملوك الشعوب الأخرى من معاصريهم والرسائل المتبادلة بين الإخوان والأصدقاء وأغاني الحب والتسابيح الدينية، والأناشيد الغنائية والأشعار القصصية الطويلة التي أتوا فيها على ما سعد به ملوكهم من جلال الانتصارات وعز الفتوحات. بيد أنه لا يسعني إلا أن ألم في إيجاز إلى كتاب «المحاورة بين مصري ونفسه» تلك المحاورة التي يزخر فيها كل ما يزخر في الحياة النابضة من قوة دافقة، وتمثّل صراع الروح والجسد، وأزمات الوجدان الطاحنة، وفورات العواطف المتأججة، وهجسات الضمائر، في مهاوي ضعفها ودركات فورها، أو درجات مجدها وذروات قوتها

وهناك ثلاثة كتب جديرة بالعناية أولها كتاب «بتاهوتب» وهو أقدم كتاب في الدنيا كما يقول المؤرخون. وفي هذا الكتاب فصول ممتعة، فأنتم ترون مؤلفها حين يعرض لذكر المرأة يكتب عنها كمؤلفي القرن العشرين — حفاوة وإجلالاً وإكباراً —

أما الكتاب الثاني فهو «حكم الكاتب آني» ولست أريد أن أطيل الوقوف عند هذا الكتاب وإنما أريد أن أذكر منه نبذة واحدة نصح فيها المؤلف الولد برعاية أمه فقال: «ضاعف الطعام والشراب اللذين تقدمهما لأمك فهي التي تعبت في تربيتك ووجودك

وأدخلتك المدرسة وعنيت بتهذيبك وتثقيفك . احذر من أن ترفع يدها إلى السماء ضدك فتسمع الآلهة شكاتها » ويظهر من هذا جلياً أن رياسة الأسرة فى ذلك الحين كانت للأم حيث ينبئنا الكاتب أنها هى التى عنيت بتهذيب الولد وأدخلته المدرسة

أما الكتاب الثالث فهو سياسىّ بحت وعنوانه تعاليم أمينمحت الأول وهو غاية فى الحكمة والحيطة ، كتبه إلى أمينه يحذره ممن حولهم من أهل البلاط ومن دسائسهم الكثيرة

وهنا أكتفى بما تقدم مبرهنة على أن مصر بأدبها القديم قد كانت أستاذة الدنيا ومعلمة الوجود ، وحسبى أن أختم بقول مسيو سانتهلير : « لست أريد أن أردّ على الذين يتهمون اليونان بعدم معرفتهم القراءة والكتابة إلا بهذه الكلمة وهى : كيف يجهل اليونان القراءة والكتابة وقد كانت تربطهم بالمصريين صلات قوية ؟!! »

وجدير بهذا كله أن ينبّه غافلنا ، ويشعرنا بحاجتنا إلى إيجاد أدب قومى يصوّر المزاج العقلى المصرىّ ، ويستمد من صميم الحياة المصرية مادته وعناصره ومسالكه ، فيمثل حالتنا الاجتماعية ، وحركاتنا الفكرية ، والعصر الذى نعيش فيه لكى تكون لأدبنا شخصية بارزة ممتازة ، تضمن لنا المكان العالى الذى نريد أن نشغله بحق فى خريطة الوجود

« الزهرة »

أين أنا ؟

للأستاذ محمد سعيد العريان

« أين أنت يا صديقى ؟ منذ كم ألتمس لُقياك فلا أجد سبيلاً إليك ! »

هكذا سألنى صديقى وقد لقينى على الطريق منطلقاً لبعض شأنى على غير ميعاد ... فأخذت أسأل نفسى سؤاله إياى : « أين أنا ؟ »

هأنذا واقف بإزائه على حَيْد الشارع أستمع إليه وهو يفيض فى الحديث سائلاً ومجيباً ، وعاتباً وعاذراً ؛ ولكننى مع ذلك لست هنا !

إن نفسى هناك ... بل إننى على التحديد لا أعرف أين نفسى ! فى هذا المكان الذى يجمعنى وإياه ، كنتُ وكان ، ولكننى مع ذلك لا أكاد أشعر أننى وإياه فى ذاك المكان !

« أين أنتَ يا صديقى ؟ »

عجباً ! إنه ليرانى بإزائه وإننى لأراه ، وإنه ليعرف مكانه من نفسى ؛ وإن الحبّ الذى وحّد بين قلبينا لخليقٌ بأن يلهمه الجواب ولكنه مع ذلك يسأل ، ولكننى مع ذلك لا أملك الجواب !

« أين أنا ؟ »

لقد أخطر هذا السؤال فى بالى معانىَ وصوراً جمة ، تذكّرنى حيث كنا ... ويومَ كنا ... وتنشر على عينىّ صحائفَ من ذكريات الماضى ومَشغَلةِ الحاضر وأمانىّ المستقبل !

هأنذا واقف بإزائه على حيد الشارع جسداً إلى جسد ، فإننى لَمعه ، ولكننى لست فى هذا المكان ! وإننى لبعيد عنه ، ولكنه معى فى سياحةٍ فكرية طويلة تنتقل حيث شئنا فى ذكريات الماضى الغابر ونطوى السنين فى لحظات !

أتُراه كان يرانى ؟ أتُراه كان يعرف أين مكانى ؟ هل كان بإزائه فى تلك اللحظة إلا جسداً وصورة ؟

إنه ليسألنى : « أين أنت ؟ ... » وإننى لأسأل نفسى ... هل كنتُ معه ؟ هل كنتُ بعيداً عنه ؟ هل كان يجمعنى وإياه مكان ؟ هل لقينى جسداً أم لقينى فكراً وعاطفة ؟ هل كان الذى معى هنا على حيد الشارع هو الذى معى هناك فى وهمى وفى ذكرياتى ؟

أين كنتُ وأين كان ؟ أين وأين ؟

ليت شعرى ما الحقيقة ؟ وما الخيال ؟ أين يلتقيان وأين يفترقان ؟ وأين الحدُّ الذى يفصل بين دنيا المنظور ودنيا التصوُّر ؟

هأنذا ما أزال أسأل نفسى : « أين أنا ؟ » وهذا سؤال صديقى ما يزال يرن فى أذنى : « أين أنت ؟ » وما تزال يدى فى يده ، وما زلنا واقفين جسداً إلى جسد على حَيْد الطريق !

وتحدّث صديقى إلىّ ما شاء وتحدّثتُ إليه ، وهمّ أن ينصرف لشأنه وهممت ؛ وعاد يسألنى :

« وأين ألقاك بعد ؟ »

أين يلقانى وأين ألقاه ؟

ها هو ذا يولينى ظهره ماضياً إلى غايته ، ولكنه معى ، ولكننى معه ، ولكنه يسألنى : « أين ألقاك ؟ »

أتُرانى وإياه الساعةَ على فراق أو على لقاء ؟

منذ لحظة كان وكنتُ وإنه ليسألنى : أين أنت ؟ وإنه ليسألنى الساعة أين ألقاك ! وما افترقنا بعد !

أتُرانى معه هناك أصحبه فى طريقه أم تُراه هنا يصحبنى ؟ جسدان كانا معاً منذ لحظة فافترقا ومضى كلٌّ منهما على

وجهه، ولكنه مازال معى يصحبنى فى طريق وما أزال أصحبه لا ريب
أأنا الذى معه هناك يناجيه فى طريقه أم أنا الذى هنا ؟
أهو الذى معى الساعةَ أتحدث إليه أم هو الذى مضى وخلفنى؟
اثنان هنا : أنا وهو ، واثنان هناك : هو وأنا ، واثنان كانا جسداً إلى جسد يتناظران على حيد الشارع منذ قليل ... !
أىُّ هؤلاء أنا وأيهم هو ؟.. أيُّنا الحقيقة وأيُّنا الخيال ؟..
أأنا واحد أم اثنان ؟.. وهو ، ما هو ؟ وكم هو ؟
إننى أنا مع نفسى الساعة لا ريب ، فمن ذاك الذى يزعم صاحبى فى وهمه أنه يماشيه ويُسرّ إليه النجوى ؟
وإنى لأشعر أن صاحبى هو معى الساعة ؛ فمن ذاك الذى مضى بعيداً ؟
أتُرى ذاك الذى مضى بعيداً يعرف هذا الذى معى أو ينكره ؟
أم تُرانى أعرف ذاك الذى يماشيه صديق ويزعم أنه أنا وما هو أنا ؟
يا عجبا ! إننى لأكاد أنكر نفسى !
ها هنا أصل وصورة ؛ فمنذا يمايز بينهما ؟
ها هنا حقيقة وظل ؛ فأىّ الاثنين أنا ؟
... وطال علىَّ الطريقُ وما ظفرتُ بجواب ؛ وبرمتُ بصاحبى الذى كان يماشينى وأناجيه فأنسيتُ ذكره ؛ وأحسب صاحبى الذى هناك قد ملّ ملالتى فأنسىَ ذكرى ... ...
وشعرتُ فجأة كأنما ثابتْ إلىَّ نفسى ...!
وكأنما كان جزء منى بعيداً عنى فآب إلىَّ !
وأحسست إحساس الحىّ بوجوده !
ووجدت بعد لأى جواب ما سألت نفسى !
« هأنذا ... هأنذا ... إننى أنا هنا ! »
أين كنت ؟ ومن أين عدت ؟
وهل كنت شيئاً قبل له كيان وله مكان ؟
سَلِ الطفلَ ساعة مولده : أين كنت أيها الوليد قبل أن تصير جنيناً فى بطن أمك ؟ »
فلو عقلَ السؤالَ وعَنَى الجوابَ لما أطاق
سَله أولاً : هل كنت ؟ قبل أن تَسألَ : أين كنت ؟
أنا ونفسى شىء واحد : لو انفصل منهما شىء عن شىء لما كان ثمة شىء !
ما أنا ؟ حين يكون خيالى بعيداً عنى ؟
ما أنا ؟ حين تتعلق أوهامى بما ليس فى يدى ؟
ما أنا ؟ حين تمضى بى الذكرياتُ إلى غير عالمى وتحاول أن تعيش بى فى غير أيامى ؟
ما أنا ؟ حين أفكر فيكَ ، أو فيه ، أو فيها وأغفل عن حقيقة نفسى ؟
ما أنا حينئذ بشىء ؛ فلا أنا هنا ولا أنا هناك ولكننى أشلاء !
نحب الشىء ونتمناه ، ونتخيل ساعة الظفر به ؛ فنحسّ فى أعماقنا ساعة نحب ونتمنى ونتخيل — إننا لا نشعر بوجودنا الكامل فى أنفسنا ؛ لأن الشىء الذى يكمّل وجودنا ليس فى يدنا ؛ ثم نظفر بما كنا نحب ونتمنى ونتخيّل ، فلا نشعر حينئذ بوجودنا الكامل فى أنفسنا ؛ لأن الشىء الذى يكمّل وجودنا لا يمكن أن يأتى من خارج أنفسنا !
ونأسى على مافات ، ونتلهّف على سوالف اللذات ، ونتخيّل عودة الماضى إلينا أو رجعتنا إليه ؛ فما نحس ساعةَ نأسى ونتلهف ونتخيل أننا أحياء لنا وجودٌ محدود بزمان ومكان ؛ ولكننا فكرةٌ أو حلم أو أمنية : صورة ما لها مثال ، ووهم ما له حقيقة !
... ولكن الإنسان على ذلك لا بدَّ له من أمل يسعى إليه ، أو ماض يحرص على ذكره ؛ أفيكون ذلك لأن الله الذى برأ الخلق حين منح الإنسان نعمة الوجود قد حرمه نعمةَ الشعور بالوجود ؟
إلا الطفل : إنه هو وحده الذى يعيش فى حقيقة الوجود ، ليس له ماض وليس له أمل ؛ إنه هو ونفسه شىءٌ واحد منذ كان إلى أن يأذن الله ! ولكنه لا يدرى ! ولكنه لا يدرى ! .
تعاليت يا ربّ ! شهدتُ أن لا إله إلا أنت ؛ لأنك أنت وحدك الموجود ؛ وكل ما عداك ظلال وأوهام وأباطيل ! .

« شبرا » محمد سعيد العريان

من مزاح الشعراء

ساعة الهراوي

متاعب لا تنتهي

للأستاذ محمد الأسمر

أصبحت مع ساعة الهراوى كما يقول البهاء زهير :

كلما قلنا استرحنا   زارنا الشيخ الإمام

فهذه الساعة الملعونة كلما قلت استرحت منها (جدّ لى منها سبب) وفى العام الماضى حينما ظننت أن الله أراحنى منها ودعتها بكلمة فى جريدة الأهرام الغراء ، ولكن ما لبث هذا التوديع غير قليل حتى أعادنى إليها — ولا أقول أعادها إلىّ — فإنه تبين لى أننى التابع لها ، وأنها صاحبتى ولست أنا صاحبها ... أقول ما ظهر هذا التوديع حتى كانت الأبيات التى قلناها على لسان الدكتور أو (الدكاترة) زكى مبارك موضع أخذ ورد ودراسة وتمحيص أثارها حضرة المربى الفاضل الأستاذ عبد الحليم خطاب بين تلاميذه بدار العلوم فى درس من دروس العروض ، وكتب عن ذلك البحث العروضى صديقنا الأستاذ عباس خضر كلمة بالأهرام مما حدا بنا إلى رد الشبهة التى وجهت إلى بعض أبيات الدكتور — أستغفر الله — بل الدكاترة زكى مبارك .

ثم انتهت بعد ذلك أخبار هذه الساعة ومتاعبها ، ولكن مجلة الرسالة الغراء طلعت علينا فى العدد ٢٩٢ وبين صفحاتها كلمة ممتعة عنوانها (نادى الحلمية) للكاتب المجيد (م . ف . ع) مندوب الرسالة الأدبى ، وقد حوت هذه الكلمة فيما حوته قصيدة الشاعر الكبير الحاج محمد الهراوى ، قصيدته الطيبة فى ساعته الملعونة التى أراها فى جلبها المتاعب لى كحذاء (أبى القاسم) وما جرّه على صاحبه من ويلات . وكيف لا تكون هذه الساعة أخت هذا الحذاء — حذوك النعل بالنعل — وهأنذا بعد عام كامل أجدنى مضطراً إلى التحدث عنها !

يقول الأستاذ الهراوى فيما يقوله عن ساعته فى قصيدته ما يأتى :

وساعة أهديتها   إلى صديق الأسمر
أحجارها كأنها   من لؤلؤ وجوهر
فلم يكن كمثلها   هدية من موسر
ولم يكن كمثلها   من بائع لمشتر
وليس من تقدم   فيها ولا تأخر
تمشى عليها الشمس فى   عطارد والمشترى

وهذه الأبيات يصدق عليها قول القائل فى الشعر — أعذبه أكذبه — إلا أن البيت الأخير تجاوز الحدود المعقولة كلها لعذوبة الشعر جميعها . فنحن إذا صدقنا أن هذه الساعة أحجارها من لؤلؤ وجوهر وأنه لم يكن كمثلها هدية من موسر .. الخ الخ ، فإننا لا نصدق بحال من الأحوال أن الشمس تجرى عليها فى عطارد والمشترى . فإن الشمس إذا انحرفت عن أبراجها ومشت على أحد الكوكبين عطارد أو المشترى لكان هولٌ فى السماء والأرض لا يتصوره العقل إلا يوم يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات غير السموات . وحينئذ لا تغنى ساعة الهراوى عن العالم شيئاً ، وحينئذ يعلم الأستاذ الهراوى كم كنت أنا مبتلى بهذه الساعة

لو أن صديق الشاعر الكبير نظر نظرة فى النجوم لتبين له أن (عطارداً) و (والمشترى) كوكبان من الكواكب السبعة ، لا برجان من أبراج الشمس .

... وقد تناول أبو إسحاق الصابى الكواكب السبعة فى الأبيات الآتية . قال مادحاً :

نَلِ المنى فى يومكَ الأجورِ   مستنجماً بالطالع الأسعد
وارقَ كرقى (زحلٍ) صاعدا   إلى المعالى أشرف المقصد
وفض كفيض (المشترى) بالندى   إذا اعتلى فى أفقه الأبعد
وزد على (المريخ) سطواً بمن   عاداك من ذي نخوة أصيد
واطلعُ كما تطلعُ (شمس) الضحى   كاسفةً للحِندِسِ الأسود
وخذ من (الزُهرة) أفعالها   فى عيشك المستقبل الأرغد
وضاهِ بالأقلام فى جريها   (عُطارِدَ) الكاتب ذا السُّودد
وباه بالمنظر (بدرَ) الدجى   وافضُله فى بهجته وازدد

هذا واللهُ سبحانه وتعالى هو المرجوُّ — بعد اليوم وقبل اليوم — فى إراحتنا من هذه الساعة ، ومن متاعبها ، وهو أرحم بعباده وألطف من أن يجعل الشمس تجرى فى عطارد والمشترى من أجلها .

محمد الأسمر

القمر بين الحقيقة والخيال

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

طرائف وعجائب

لو سار قطار إلى القمر بسرعة خمسين ميلاً فى الساعة لوصل إليه فى مائتى يوم . ولو أطلقت قنبلة فى الجو بسرعة ١٦٤٠ قدماً فى الثانية لوصلت إليـه فى ثمانية أيام وبعض يوم . والأمواج اللاسلكية التى تدور حول الأرض فى سُبع ثانية ! تصل إلى القمر فى ثانية وربع ثانية !

قد يعجب القارئ إذا علم أن بعد القمر عن الأرض ضئيل جداً إذا قورن بغيره من أبعاد السيارات والنجوم عن الأرض . ويزيد استغرابه إذا قيل إنه على الرغم من هذا البعد الذى يبدو هائلاً بالنسبة للأبعاد الأرضية ، فإن القمر هو أقرب جسم سماوى إلى الأرض يبعد عنها بمقدار ٢٤٠٠٠٠ ميل ! ...

القمر من الأجرام السماوية التى تستمد نورها وحرارتها من الشمس، يدور حول الأرض مرة فى كل ٢٨ يوماً ، يومـُه طويل ونهاره طويل، طول كل منهما أربعة عشر يوماً ، فتأمل ! ... يشرق متأخراً ويغيب متأخراً خمسين دقيقة ونصف دقيقة عن إشراقه ومغيبه فى اليوم الذى تقدمه . يظهر فى أشكال مختلفة فمرة نراه هلالاً ومرة نراه نصف دائرة ومرة نراه دائرة كاملة وفى بعض الأحايين يغيب ولا نستطيع رؤيته . وعلى هذا فالقسم المنير منه يزيد وينقص ، يزيد إلى أن يصبح بدراً كاملاً ، ثم ينقص إلى أن يطلع مع الشمس فيكون محاقاً . وسبب هذا أن الشمس تنير نصفه كما تنير نصف الكرة الأرضية ، وفى أثناء دورانه حول الأرض من الغرب إلى الشرق يكون القسم المظلم متجهاً نحونا إذا صدف أن وقع بيننا وبين الشمس . ثم يتقدم قليلاً نحو الشرق ، وهذا التقدم يظهر جانباً صغيراً منه منيراً ويزداد هـذا القسم المنير كلما تقدم نحو الشرق إلى أن يطلع من الشرق وقت غروب الشمس وحينئذ يبدو لنا قرصاً منيراً وبدراً كاملاً . ثم يبدأ القمر بإتمام دورته حول الأرض فينقص ما نراه منيراً ، وتستمر هذه الحركة والقمر المنير فى تناقص إلى أن يطلع مع الشمس فيكون حينئذ وجهه المظلم هو المتجه نحونا ويكون عندئذ محاقاً .

ونظراً لقربه منا فهو يبدو كبيراً إلا أنه فى الحقيقة صغير بالنسبة للنجوم وبعض الكواكب ، فقطره أكبر من ربع قطر الأرض بقليل كما تبلغ مساحته مساحة أميركية الشمالية والجنوبية . وعلى هذا فجاذبيته أضعف من جاذبية الأرض ، والرجل الذى يزن ٦٠ كيلو جراما على سطح الأرض يزن سدس هذا المقدار على سطح القمر . وإذا قذفنا حجراً إلى علو خمسة أمتار هنا، واستعملنا نفس القوة والسرعة فإن الحجر يرتفع إلى علو ثلاثين متراً فى القمر، وقد تكون رغبة لاعبى الكرة شديدة فى أن تجرى اللعبة على القمر إذ يستطيعون رميها وإرسالها مسافة تفوق ستة أضعاف مسافة رميها هنا

ولضعف جاذبيته فهو تقريباً خال من الهواء والماء إذ ليس فى القمر قوة جذب كافية لحفظ دقائق الهواء محيطة به فهى (أى الذرات) دائمة الحركة والتصادم بسرعة (٤٥٠) متراً فى الثانية، وليست حركتها فى جهة واحدة بل فى جميع الجهات ، لذا فهى تفلت تماماً من سطح القمر ولا تستطيع البقاء عليه

ولقد نتج عن خلو القمر من الهواء انعدام المياه وعوامل النحت أو التفتت ، فلا نرى على سطحه أثراً من ذلك وبقيت الجبال على حالتها الطبيعية لم يحصل فيها أى تفتيت فى الصخور ولم تتكون أودية بالمياه الجارفة ، ويمكن القول أنه عالم قاحل هادئ ساكن خال من أنواع الحركة وعلامات الحياة

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن خلوّه من الهواء أدى إلى تعرض سطحه لحرارة الشمس المحرقة وللبرودة الشـديدة، إذ الهواء هو الذى يلطف حرارة الشمس وهو الذى يحتفظ بالحرارة التى تشعها الشمس حائلاً دون خروج الحرارة

وعلى هذا ترتفع الحرارة على سطحه أثناء النهار الطويل ارتفاعاً عظيماً حتى تصل إلى درجة الغليان؛ وقد تزيد حتى تقترب من درجة ذوبان الكبريت ، وتهبط الحرارة فى الليل الطويل فجأة وتستمر فى الهبوط حتى تصل إلى أكثر من (٢٥٠) درجة فهرنهيت تحت الصفر

وإذا تحادث اثنان على سطحه فلا يسمع أحدهما الآخر فيضطران عندئذ إلى التفاهم بلغة الإشارات، ذلك لعدم وجود أمواج هوائية تنقل الصوت ، وأظن أن القمر يلائم الذين يعنون بالدفعية إذ لو أطلق مدفع فى القمر لما سمعه أحد هناك ولما حصل على الأذن أى أثر ولما اضطر الإنسان إلى استعمال ما يقى أذنه من شدة الأمواج التى يحدثها صوت المدافع

القمر يعوق حركة الأرض

كانت الأرض قبل وجود القمر تسير حول الشمس فى مدة أربع ساعات أى أن يوم الأرض كان أربع ساعات ولم يكن أربعاً وعشرين ساعة كما هو الآن !

لقد زاد القمر فى طول يوم الأرض، فما السبب فى ذلك؟ لكل شىء سبب ، وكل ما فى الكون يسير ضمن نواميس لا يتعداها . ولقد استطاع الإنسان بفضل ما وهبه الله من القوى العقلية أن يكشف عن السبب ويعرف المجهول فى بعض الحالات ، وهو لا يزال سائراً فى ذلك، وقد كشف من القوانين الكونية والأنظمة الطبيعية ما أمكنه الوقوف على كثير من عجائب الكون وروائعه .

استطاع الإنسان أن يحسب سرعة القمر حول الأرض فوجدها ٢٣٠٠ ميل فى الساعة ، كما ثبت له أن القمر يدور على محوره مرة واحدة كلما دار حول الأرض مرة واحدة فى ٢٨ يوماً ورأى فى الجاذبية ما يفسر له الإعاقة التى يحدثها القمر على حركة الأرض فثبت له أنه لولا قوة الجذب بين القمر وبين الأرض لاستمر فى سيره على خط مستقيم ، ولأصبح بعيداً عنا الآن ملايين الأميال

ولكن هذه القوة المستمرة ، هى التى تغير اتجاه سيره وهى التى تجعله يسير فى خط منحن (فلك) حول الأرض على الكيفية التى نعرفها .

إن الجاذبية بين الأرض والقمر متبادلة ، فكما أن الأرض تجذب القمر وبينهما قوة تجاذب تجعله يسير فى مسار منحن حول الأرض، فكذلك القمر يجذب الأرض وبينهما قوة تجاذب ، وهذه القوة أثرت على الأرض ولا يزال أثرها يعمل فيها (فى الأرض) إذ أبطأت حركة الأرض وجعلت دورتها حول نفسها تستغرق ٢٤ ساعة بدلاً من أربع ساعات !

وعلى أساس قانون الجاذبية العام الذى ينص على أن قوة التجاذب بين جسمين تتوقف على مقدار كتلتيهما وعلى المسافة بينهما — أقول على هذا القانون حسب العلماء وزن الأرض وغيرها من الأجرام السماوية . فلقد حسبوا وزن الأرض من جذبها طناً من الرصاص (مثلاً) أو من جذبها القمر أو غيره من الكواكب

وهكذا توصل الإنسان بفضل قانون الجاذبية وبفضل ما أخرجته (الرياضيات) من معادلات ونواميس من الإتيان بالعجب العجاب وبالسحر يخلب الألباب !...

القمر والتجارة

ما علاقة القمر بالتجارة ؟ أو ما علاقة التجارة بالقمر ؟ وهل القمر يساعد على التجارة أو يعوقها ؟

إن للقمر أكبر الأثر فى إحداث المد والجزر، ولولاها لما كان فى الإمكان أن تدخل البواخر إلى الموانى أو أن تخرج منها . ومن هنا تتبين لنا علاقة القمر بمصالح الناس واتصاله الوثيق بها . ويذهب بعض الفلكيين إلى أن هذا الاتصال قوى إلى درجة أن القمر فى نظرهم هو من عوامل تقدم المدنية وارتقائها ، فإذا تلاشى من الوجود أو بعد كثيراً عن الأرض اضطربت التجارة واختل نظامها .

يحصل مدان وجزران فى كل يوم ؛ والمد هو ارتفاع الماء والجزر هو انخفاضه . ويحدث ذلك من جراء الجاذبية بين الأرض والقمر ، هذه الجاذبية ليست من القوة بحيث تجعل دقائق الأرض تتحرك ، ولكن مياه البحار تطيعها حسب قوتها وتتجمع فى البحر من هنا ومن هناك تجاه القمر ، ومن هذا وبتأثير الشمس يحصل المد والجزر . وكثيراً ما نسمع بأن للقمر علاقة بالزراعة ، ولكن إلى الآن لم يثبت شىء من هذا . ولا غرابة فى ذلك إذا عرفنا أن الزراعة تتأثر (قبل كل شىء) بالحرارة ، فالشمس تؤثر على النبات بحرارتها . أما حرارة القمر فهى من الضآلة بحيث أنها لا تحدث أى تأثير يذكر على النبات أو على غير النبات

ولقد قاس الفلكيون حرارة القمر وهو بدر كامل فوجدوها لا تزيد على جزء واحد من ١٨٥ ألف جزء من الحرارة التى تخرجها الشمس إلينا

وقد جرب العالم الفلكى (فلاماريون) عدة تجارب فى ضواحى باريس ليتحقق مما إذا كان للقمر أى تأثير على المزروعات، فزرع بعض الخضر كالفول والبطاطس والجزر فى أوقات مختلفة تطابق أوجه القمر الأربعة فلم يثبت لديه أقل تأثير فى نموها . وإذا كان هناك تأثير للقمر فى النبات فقد يكون من الزوابع والعواصف التى يثيرها القمر بجاذبيته للأرض

القمر والبحار

إذا نظرنا خلال التلسكوب إلى القمر فإنا نراه غير مستو كثير الارتفاعات والفوهات البركانية. ويقال إن عدد هذه الفوهات

يزيد على ستين ألفاً يبلغ قطر بعضها ١٤٠ ميلاً وعمق البعض الآخر ١٨ ألف قدم . أما الارتفاعات فهى سلاسل لجبال كثيرة ، فهناك من السلاسل ما يمتد إلى أربعمائة وخمسين ميلاً ، ومنها ما يشتمل على أكثر من ٣٠٠٠ قلة أعلاها جبل (هيجنز) ارتفاعه ٢١٠٠٠ قدم وهو أعلى من (أفريست) أعلى جبال الأرض. وكذلك يوجد على سطحه سلسلة تعرف باسم « الألب » تشتمل على ٧٠٠ قنة من قنن الجبال ولها واد طوله أكثر من ثمانين ميلاً وعرضه يزيد على خمسة أميال

ولهذه الجبال ميزات لا نجدها على جبال الأرض ، منها عدم وجود مغاور وكهوف ومنها جمال مناظرها الخلابة وما لها من ظلال تفئ على ما تحتها من صحارى . هذه الجبال سهلة التسلق لا يجد الإنسان صعوبة أو مشقة فى السير عليها أو التسلق إلى أعلاها، بل يشعر بخفة وسرعة ما كان ليشعر بهما لو كان يتسلق جبال الأرض. وإذا صدف أن زلت قدماه وهوى من محل عال فلا أذى يصيبه ، ولا ضرر يعتريه . وقد يستغرب القارئ من هذه التفصيلات ، وقد يختلط الأمر عليه فيظن أن القمر موطن المعجزات وموطن السحر . ولكن لا معجزات ولا سحر ، فكل ذلك آت من ضعف جاذبية القمر إذ قوة التثاقل تعدل سدس مقدارها على الأرض

هذه هى التى تجعل المستحيل هنا ممكناً هناك (على القمر) ، وتجعل المعجزة هنا أمراً عادياً هناك، وتجعل من الحركات الصعبة هنا سهلة هناك باستطاعة من (يزود نفسه بالأكسجين) وغير ذلك من الألبسة الواقية من الحر الشديد والبرد الشديد — أن يقوم بها ويتفنن فيها

وفى القمر أودية كثيرة يربو عددها على عشرة آلاف واد ، منها ما هو واسع جداً كالسهول الفسيحة ومنها ما هو ضيق فيبدو كمجارى الأنهار

وإذا نظرنا إلى القمر حينما يكون بدراً واستعملنا نظارة صغيرة لذلك رأينا أنه ملئ بالبقع النيرة التى هى جبال عالية، وبقع أخرى مظلمة هى سهول فسيحة . وقد ظن العلماء فى أول الأمر أن هذه البقع المظلمة بحار فسميت بأسماء البحار كبحر الزمهرير وبحر الرطوبات وبحر الخصب وبحر الرحيق وبحر الغيوم

وعلى ذكر البقع يقول أحد الفلكيين إن هذه البقع لم تعرف إلا عند اختراع النظارات ، ولكن رأيت فى الشعر العربى ما يدل على أن العرب عرفوا هذه البقع المظلمة قبل اختراع النظارات من ذلك ما قاله التهامى :

فبات يجلو لنا من وجهها قمراً   من البراقع لولا كلفة القمر

القمر من الأرض

لاحظ العلماء أن كثافة القمر تقرب جداً من كثافة الصخور الموجودة فى أعماق الأرض ، وثبت لديهم أن العناصر التى يتألف منها القمر هى نفس عناصر جوف الأرض؛ ومن ذلك تحققت النظرية القائلة بأن القمر كان يوماً من الأيام جزءاً من الأرض انفصل عنها من المكان الذى هو اليوم قاع المحيط الهادى؛ وهذا يطابق رأى العالم الإنكليزى (جينز) الذى يرى أن التوابع أو الأقمار ليست إلا قطعاً انتزعت من السيارات كما انتزعت السيارات من الشمس على أثر سلسلة من الحوادث تشبه أن تكون واحدة فى الحالين

أما الدكتور على مصطفى مشرفة بك فلا يميل إلى هذا الرأى ولا إلى الأخذ به لأن الأرض (على رأيه) كانت فى حالة سيولة عند ما انفصل القمر عنها

وقد يكون من الطريف أن يعرف القارئ أنه لما انفصل القمر عن الأرض وأفلت إلى الفضاء نشأ (على رأى الأستاذ بكريج) انفصال أمريكا عن أوربا فكان الأوقيانوس الأتلنتيكى وكان ذلك عند ما كانت الأرض مائعة أو شبه مائعة

اقتراب القمر

قد يظن البعض أن اقتراب القمر من الأرض مما يزيدها جمالاً ومما يغمرها بهاء وسناء وسحراً ، ومما يجعل الإنسان يتمتع بنوره وبأشعته الفضية أكثر من تمتعه الحاضر . قد يكون هذا الظن فى محله فينعم الإنسان حينئذ بمناظر القمر وبجدفيها كل الجمال وكل المتاع

ولكن ذلك لا يكون إلا بثمن ؟ وعلى حساب كوارث وبلايا تصيب الأرض من اقترابه منها . فعلى فرض أن هناك من العوامل ما يقرب القمر من الأرض وما يجعله على بعد ستين ألفا من الأميال فقط فحينئذ يزيد المد والجزر ٦٤ مرة . وإذا كان ارتفاع المياه عشرة أمتار فسيصبح ٦٤٠ متراً وستغمر الموانى والمدن وما يجاورها ، وقد يلتقى من جراء ذلك البحران الأبيض والأحمر ولا ينجو من اليابسة إلا القليل كالجبال والربوات العالية

وليت الأمر يقف عند هذا الحد بل يتعداه إلى الملاحة فلا تعود تأمن سلوك البحار ودخول الموانى .

منظر الأرض من القمر

إذا تصورنا أنفسنا على سطح القمر ولدينا ما يلزمنا من الأكسجين وما يقينا من الحر والبرد فكيف نرى منظر الأرض؟

وهنا يختلف الوضع عن منظر القمر من الأرض، فلا إشراق ولا مغيب لأن أحد وجهى القمر يبقى متجهاً إلى الأرض دائماً، وإذا اتفق أن ذهبنا إلى الوجه الآخر فلا نستطيع رؤية الأرض بحال ما، وتبدو الأرض كالقمر ولكن أكبر منه، لا تغير مكانها فى الفضاء، تظهر فى بعض الأحيان مظلمة وفى أحيان أخرى منيرة كلها أو نصفها أو ربعها. أما جمالها فيتجلى عند ما تكون بدراً إذ يكون ضوؤها شديداً أخاذاً.

أما السماء المحيطة بنا ونحن على سطح القمر فغير السماء التى نعرفها، لا شفق هناك ولا سراب، ولا سحب ولا ضباب، نرى الشمس على حقيقتها كرة هائلة فى سماء حالكة الظلمة شديدة السواد، ضوؤها ساطع، ولونها إلى الزرقة مائل. قد يبدو هذا غريباً، ولكن ليس فى هذا أى غرابة، فلا جو حول القمر يشتت الضوء ويحلله إلى ألوانه، ولا امتصاص ولا انعكاس لهذه الألوان. وهذا ما يجعل السماء تبدو سوداء ليس فيها ما نراه فى سماء الأرض من جمال فاتن وألوان مختلفة خلابة.

نرى القمر عالماً هادئاً يطيب للمفكرين فلا زوابع ولا عواصف ولا غبار تعكر السكينة وتفسد الهدوء، عالماً يكتنف الجبال الكثيرة ويحوى الوديان والفوهات العديدة حيث لا مدن ولا غابات، ولا حقول ولا بحار

القمر والشعراء

لا تعجب من هذا العنوان: فهناك علاقة وثيقة بين القمر والشعر، وكيف لا يكون هناك علاقة والقمر هو الجرم السماوى الذى لفت أنظار الشعراء وشغلهم، وهو الوحى الذى يستلهمون منه، كما أنه المعين الذى يغرف الأدباء منه الخيال؛ وقلما تخلو قصيدة غزلية من التشبيه به أو التحدث عنه. لا يفارق تخيلهم، يأخذون من تزايده ونقصانه ومن اكتماله بدراً ومن أشعته الفضية — ميداناً لنظم الشعر ومسرحاً للأدب الرفيع

ولا أدرى لماذا كل ذلك؟

إنى على يقين أنهم (الشعراء والأدباء) غاضبون حانقون لما ورد فى هذا المقال من حقائق، وأقول كما قال الأستاذ توفيق الحكيم

«إن كل الجمال المحيط بنا إنما هو من صنع عيوننا القاصرة. والويل لنا إذا أبصرت أعيننا الآدمية أكثر مما ينبغى لها أن تبصر...»

ولئن أبصرت عيوننا أن القمر خال من الهواء، وأن نهاره محرق وليله بارد لاذع، وأن أشعته مستمدة من الشمس وهى أشعة أكذب من سواد الخضاب فى اللمة البيضاء

ولئن أدى البحث إلى أكثر من هذا فصنع لنا عيوناً نبصر بها فوهات براكينه المخيفة، ووديانه الموحشة، وأراضيه المقفرة؛ أقول لئن أبصرت عيوننا كل هذا وفجعتنا فى القمر، فلقد دلتنا عيون العلم الحادة إلى ما هو خير منه وأبانت لنا الشمس على حقيقتها وأماطت اللثام عن روائع كثيرة ما كنا لنعرفها أو نبصرها بعيوننا الآدمية القاصرة

كشفت لنا عن الشمس وأنها باعثة الجمال على القمر ومصدر الحياة على الأرض، ولولاها لما دارت الأرض ولا دار القمر

فلماذا إذن لا يتغنى بها الشعراء والأدباء؟ ولماذا ينكرون عليها خيراتها وبركاتها

ولئن جحد الشعر والأدب أفضال الشمس عليهم وعلى الناس فلقد أنصفها العلم ورعى حقها وبوأها مكانها اللائق بها وبما تسديه إلينا من نعم لا تحصى ولا تعد

وأخيراً أعزى الشعراء عن حبيبهم القمر بقول المتنبى:

لو فكر العاشق فى منتهى ... حسن الذى يسبيه لم يسبه

«نابلس» قدرى حافظ طوقان

التاريخ فى سير أبطاله

محمد شريف باشا

كان شريف فى عصره رجلا اجتمعت فيه الرجال
وكانت مواقفه توحى البطولة وتخلق الأبطال

للأستاذ محمود الخفيف

كان فى استقالة شريف معنى الغضب ، ولكنه لم يكن غضب فرد لشخصه فحسب وإلا لما كان له ما كان من خطر ، كان غضب رجل لشخصه ولقوميته معاً أمام لجنة من الأجانب تريد أن تظهر بمظهر السيادة ، وتحرص أشد الحرص على ذلك المظهر ، ولذلك كان ذلك الغضب ثورة ؛ وما لبث تلك الثورة أن بعثت فى كل نفس من نفوس الأحرار ثورة مثلها ، وبذلك تهيأت البلاد لأن تثبت أمام الأجانب وجودها ، واغتدى شريف بما فعل رجلها ورأس أبطالها

ورب قائل يقول وماذا كان فى ذلك الموقف من معانى البطولة ؟ هذا رجل اعتزل منصبه فكيف يكون الابتعاد عن الميدان رجولة ؟ ولكن الذين يعلمون مبلغ ما وصل إليه نفوذ الأجانب يومئذ ، ومبلغ ما منى به المصريون من خور ، وما عرف عنهم من الحرص على المناصب الحكومية ، يدركون ما ينطوى عليه موقف شريف من عزة وتضحية . هذا إلى ما سبق الاستقالة من تحد للجنة وسلطانها . ولو أن الخديو آزر شريف يومئذ لما ترك منصبه تاركاً اللجنة بذلك فى أحرج المواقف ممعناً فى عصيانه وترفعه ... ولكن الخديو على جلال قدره طلب إلى اللجنة فى لهجة تشبه الرجاء أن تكتفى من شريف أن يرد على أسئلتها كتابة . ولما رفضت اللجنة ذلك لم يرد الخديو عليها بعمل أو بقول يكون فيه معنى التأييد لرجله والاستنكار لفعل الأجانب ، ومعنى ذلك أنه لم يبق أمام شريف إلا أن يتخذ من استقالته مظهراً من مظاهر الاحتجاج على تدخل الأجانب فى شؤون البلاد ، فكان ذلك المظهر أول نذر الثورة ...

أخذت لجنة التحقيق العامة تدرس الحالة . ولقد جعلت اللجنة هدفها بطبيعة الحال العمل الصالح للدائنين ، ولذلك فلم تأل جهداً فى أن ترجع بكل المساوىء إلى الخديو وحكومة الخديو متناسية ما فعله الدائنون من مخاطراتهم بأموالهم ابتغاء الربح الوفير وما جره جشعهم على البلاد من دمار ، وما انطوى عليه مكرهم من غدر وبهتان وزور واختلاس .

تعامت اللجنة عما كان يقاسيه الفلاحون يومئذ من شقاء ، ولم تراع فى تقريرها بؤس أولئك الذين أثقلتهم الضرائب وهدهم الجوع ، أولئك المساكين الذين كانوا كثيراً مايفرون من أرضهم لكثرة ما كان يطلب منهم ، أولئك الذين غمرهم فى سنة من تلك السنين السود سيل جارف لم يكن أقل هولاً عليهم من سيل الضرائب ، ألا وهو فيضان النهر على قراهم وأراضيهم ، أولئك الذين أحاط بهم المرابون والأمراض معاً وباتوا يتمنون الموت من قبل أن يلقوه

وتغافلت اللجنة عن أولئك الأجانب الذين كانوا يهربون بضائعهم وينجون بها من الجمارك ثم لا يدفعون عنها شيئاً داخل البلاد فى ظل تلك الامتيازات المشؤومة التى كانت من أكبر المساوىء التى منيت بها مصر والتى قل أن يجد المؤرخ مثيلاً لها فيما كانت تتضمنه من الجور ، وما كانت تقوم عليه من الباطل والبهتان ؛ وكذلك تغافلت اللجنة عن أولئك الأجانب الذين تزايد عددهم فى الحكومة المصرية ، والذين كانوا يتقاضون الأجور العالية جزاء على ما اتصفوا به من الكسل وقلة المروءة وجمود العاطفة ؛ بينما كانت مرتبات الوطنيين لا تدفع لهم إلا فى مشقة وعناء وهى من القلة بحيث كانت تحفز الكثيرين إلى الاختلاس والتهاون فى العمل .

واقترحت اللجنة فى قرار تمهيدى أن يتنازل الخديو عن سلطته المطلقة إلى وزراء مسؤولين ، وأن ينزل عن أملاكه فى نظير مرتب معين ، وكذلك تنزل أسرته عن أملاكها ... كل ذلك دون أن تفكر اللجنة فى أن يتنازل الدائنون عن شىء من ديونهم وهى تعلم كيف تراكمت تلك الديون وكيف تزايدت أرباحها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه

وقبل الخديو تأليف الوزارة المسؤولة فاستدعى نوبار من أوربا وعهد إليه تأليف وزارة يتضامن أعضاؤها فى التبعة وتقوم بالحكم فى البلاد ، ونظر المصريون فإذا وزارة المالية تسند إلى رجل انجليزى ، وإذا وزارة الأشغال تسند إلى رجل فرنسى ، وهكذا سيطر الأجانب على مصر سيطرة تامة !

ومن غريب أمر هذه الوزارة أنها بينما كانت تسمى « وزارة مسؤولة » لم يكن لمجلس شورى النواب حق إسقاطها بل لم يكن له حق محاسبتها ، ولم يك للخديو سلطان عليها ، ومع ذلك كانت

تلقب بذلك اللقب ! فليت شعرى كيف كانت مسؤولة ومن كان إليه يرجع الأمر يومئذ ؟

كان الوزيران الأجنبيان هما صاحبي السلطان الحقيقي في البلاد، فلئن كانت ثمة مسؤولية على نوبار ومن معه من الوزراء المصريين فأمام الأجانب كانت تلك المسؤولية ، وعلى ذلك فمن هذه الوجهة يصح تسمية تلك الوزارة بما سميت به ، أما أن تعتبر وزارة مسؤولة كالوزارات التي يكون للشعوب حق محاسبتهـــا وإسقاطها من مناصبها فتلك سخرية من سخريات الأجانب كانت في ذاتها من أبلغ نكاياتهم يومئذ بالبلاد وأهل البلاد

ولكن شريفاً كان عضواً في تلك الوزارة ، أسندت إليه وزارة الحربية ، وحل محله رياض في الداخلية . ولنا أن نتساءل كيف قبل شريف أن ينضم إلى تلك الوزارة؟ والذى نستطيع أن نستخلصه من حوادث ذلك العهد وملابساته أنه فعل ذلك على الأرجح لأن الخديو كان يرى فيه يومئذ الرجل الذى يستطيع بما أوتى من شجاعة وثقافة أن يراقب أعمال نوبار ومن معه من الأجانب ، وفى هـذا من الغض من شخصه ما لم يكن يسعه السكوت عليه على أن شريفاً على رغم ثقة الخديو به وإيثاره إياه بالمحبة كان يكره استبداد الخديو بالأمر بقدر كراهته لنفوذ الأجانب ، وكان يضمر ذلك فى نفسه حتى تحين الفرصة كما سيظهر من أعماله عما قريب

وسرعان ما دب الخلاف بين الخديو ووزرائه أو على الأصح بينه وبين نوبار والعضوين الأجنبيين ، فلقد كان فى الوزارة رجال غير شريف يدينون بالولاء لحاكم البلاد الأعلى ومن هؤلاء على مبارك ورياض ... وتزايد هذا الخلاف حتى أصبح اسماعيل ولاهم له إلا أن يتخلص من تلك الوزارة التى لم تترك له من السلطة إلا اسمها

وسنحت له الفرصة فى حادث مظاهرة الضباط ، فإن نفراً من الضباط الذين استغنى عنهم عملاً بسياسة الاقتصاد قد تجمهروا أمام وزارة المالية واعتدوا على نوبار والعضـو الإنجليزى السير ريفرزولسن ، وكادوا يلحقون بهما الضرر البالغ لولا أن شخص الخديو بنفسه وفرق المتظاهرين . . .

وأعلن اسماعيل على أثر ذلك أنه غير مسؤول عن شيء فى البلاد مادام محروماً من السلطان ومن ثم رأى نوبار أنه لا قبل له بمواجهة الحال بعد ذلك فرفع إلى الخديو استقالته ، وبذلك تخلص الخديو وتخلصت البلاد من تلك الوزارة التى اعتاد الناس أن يسموها الوزارة الأوروبية

وإنا لا نستطيع أن نمر بحادث الضباط هذا دون أن نشير إليه ولو فى إيجاز ، فنقول إن هذا الحادث كان أول خطوة فى الحركة العسكرية التى سوف تكبر حتى تكون الجانب العسكرى فى الثورة العرابية ، ذلك الجانب الذى سوف يفسد على الثورة مبادئها ويميل بها عن وجهتها

قلت لنفسي ...

لا أدرى لأية حكمة قضى الله على قادة العرب أن يختلفوا دائماً فى الأسماء دون الأفعال ، وأن يدعوا الموضوعات وينصرفوا إلى الأشكال؟ ما هذه العصبية الجاهلية التى عجزت عن محوها الحنيفة المؤلفة ، والمدنيـة المهذبة ، والثقافة المتحدة ، والآلام المشتركة ، والخطوب التى تكفكف النفوس الأثِرة ، وتطارف العيون الرغيبة ؟ !

هذه القضية المصرية لم يصبها بالضعف والبطء والتأخر إلا تكالب الزعماء على الرياسة ، وإقحامهم الأهواء الحزبية فى باب السياسة ، ووزنهم الأمور العامة بميزان المنفعة الخاصة ؛ فزهق الحق ، ونفق الزور ، واستخذى المنطق ، وطاش الرأى الحصيف بين غفلة الشعب وأثرة القادة !

كذلك سياسة الأحزاب فى سورية والعراق ، لم تخل يوماً من هذا النفاق والشقاق . وهذه قضية فلسطين يجتمع لحلها وفود الدول العربية ، وتتفق على أمرها الأحزاب الإنجليزية ، وتتحـد فى سبيلها الطوائف اليهودية ، ثم لا يختلف إلا أقطاب الرأى فيها ! وقد اشتد هذا الخلاف واحتد حتى أوشك أن يقطع أسباب الأمل ، وأن يحول بين المؤتمر وبين العمل !

حتى الأدب والثقافة ! لا بد أن يكون لهما زعامة وخلافة ، ثم يختلفون فى مقر هذا السلطان ، أفى مصر يكون أم فى لبنان ؟ ... فهل فرغنا من الجد يا قوم حتى نشتغل بهذه الصغائر ؟ أم عجزنا عن استبطان الأمور فوقفنا عند الظواهر ؟

ابن عبد الملك

ويكون فى النهاية سبب فشلها وتحويلها إلى كارثة تجرف البلاد إلى هوة بعيدة القرار .. ذلك الجانب الذى كان له بسيرة شريف صلة وثيقة، فلسوف نرى أنه لولا تطرف العرابيين وشططهم لسار شريف بالبلاد سيراً كان يصل بها بلا شك إلى غاية لو أنها أتيحت لها لتغير بها تاريخها واتجه وجهة غير التى سيق إليها

وكانت تولد بالبلاد يومئذ حركة وطنية قوية، حركة سوف تلتقى فيما بعد بالحركة العسكرية فيتألف من التيارين تلك الثورة التى تعمد كثير من المؤرخين تشويهها والتى أخطأ فهمها عدد منهم ليس بالقليل حتى تبينت آخر الأمر على حقيقتها ...

وكان لتلك الحركة الوليدة مركزان أولهما المركز الرسمى وهو مجلس شورى النواب ، وثانيهما المركز الأهلى وهو بيت البكرى حيث كان يلتقى الأحرار من العلماء والنواب والأعيان .. وبهذين المركزين كان شريف دائم الاتصال لا يسهو ولا تفتر له همة

كان شريف دائم الصلة بالنواب إن جاز أن نسمى أعضاء المجلس على حالتهم هذه نواباً ؛ وكان يتمنى أن يتخذ منهم قوة يناوئ بها الأجانب ويحد من سلطان الخديو، ولن يتم ذلك فيما يرى إلا أن يكون الوزراء مسؤولين أمام هذا المجلس كما هو الحال فى المجالس الأوربية التى تسير على القواعد الدستورية . ولقد بذل شريف جهداً محموداً فى إنشاء هذا المجلس وظل يتعهده بنصحه ورعايته، وإنه ليأمل أن يتطور مع الزمن حتى يصبح هيئة لها مكانها فى النظام الحكومى فى مصر

وكان شريف يرقب حركة هؤلاء الأحرار من الرجال الذين كانوا يجتمعون فى بيت البكرى ، وكان لا يفتأ ينصح لهم ويشير عليهم بما يعملون ، وإن له بينهم لمكانة تجعله مناط آمالهم ومعقد رجائهم ، وما أشبه تلك الظروف بظروف مصر غداة الهدنة التى انتهت بها الحرب العظمى يوم كان الرجال يجتمعون خفية يفكرون فى مصير بلادهم ويتجهون بأفكارهم وإن لم يقصدوا إلى رجل بعينه يحسون أنه سيغدو عما قريب زعيم ثورتهم

سقطت الوزارة الأوربية ولكنها ألفت من جديد برياسة الأمير توفيق ، فلقد رفض قنصلا انجلترا وفرنسا أن يرأس اسماعيل نفسه الوزارة كما طلب . ولقد أرادت الدولتان على لسان قنصليهما أن يدخل نوبار الوزارة الجديدة فرفض الخديو وصمم على الرفض ورأت الدولتان مبلغ حرص اسماعيل على إبعاد نوبار ، فاشترطتا أنهما تقبلان ذلك إذا أعطى العضوان الأوربيان فى الوزارة حق « الفيتو » على قرارات مجلس الوزراء ، ورضى إسماعيل بذلك فصار للعضوين الأوروبيين حق إيقاف أى قرار لمجلس الوزراء لا يوافقان عليه؛ ومعنى ذلك أنهما صارا يحكمان البلاد حكما ديكتاتوريا لا يدع للخديو فى مصر سلطة أو ظلها !

وآن لمجلس شورى النواب أن يخطو خطوة ما كان أعظمها من خطوة ؛ نمى إلى المجلس فيما نمى إليه من أنباء الوزارة الأوربية أنها تأتمر بالمجلس وتنوى التخلص منه فصمم الأعضاء ألا يتفرقوا وأن يظلوا فى أماكنهم للنظر فى شئون البلاد فى تلك الآونة العصيبة ... ألسنا نرى فى ذلك صورة مما حدث فى فرنسا فى مستهل عهد ملكها لويس السادس عشر ، حين اشتدت الضائقة المالية ورأى نواب الشعب وجوب العمل على وضع حد لسوء الحال ؟ لقد أدت الظروف إلى أن يصبح مجلس شورى النواب تلك الهيئة التى لم يكن لها حول ولا قوة — هيئة تحاسب الوزراء وتملك حق إقصائهم عن مناصبهم إذا ما تهاونوا فى حقوق البلاد

لقد كان لشريف الفضل كل الفضل فيما وصل إليه المجلس من حقوق حتى ليعد شريف بذلك مؤسس الحركة الدستورية فى مصر.

كان المجلس فى وزارة نوبار قد أرسل إلى السير ريفرزولسن وزير المالية يدعوه ليحضر أمامه ليسأله عن بعض الأمور ، فسوف وماطل ولم يحضر أو يرسل إلى المجلس شيئاً مما طلب المجلس أن يطلع عليه من المشروعات ؛ وضاق المجلس بما فعل وزير المالية وأصبح يفسر عمله بأنه إهانة موجهة إلى الأمة فى أشخاص نوابها

وفى وزارة الأمير توفيق استصدر وزير الداخلية رياض باشا أمراً من الخديو إلى النواب بأن مدة مجلسهم قد انتهت فعليهم أن ينفضوا ؛ وذهب رياض يتلو على النواب هذا الأمر ؛ وهنا وقف النواب وقفة جديرة أن تفخر بها مصر فيما تفخر به من مواقف البطولة ، فلقد رفضوا أن يذعنوا ، وهددوا رياضاً بما عساه أن يقع من الحوادث فى البلاد تجاه سياسة الوزارة ، وجعلوا تبعة ذلك عليها .. ولكم نرى من أوجه الشبه بين موقف هذا المجلس ومجلس طبقات الأمة فى فرنسا حين وقف فيه نواب العامة يتحدون قرار الملك أثر صيحة ميرابو المدوية التى نقلت تاريخ فرنسا من فصل إلى فصل

ولكن النواب هنا لم يكونوا فى الحقيقية يتحدون الخديو، ولقد كانوا يعلمون أنه يعطف على حركتهم ليتخلص بهم من تدخل الأجانب فى شؤون مصر ، ذلك التدخل الذى حرمه كل سلطة وإنما كان النواب يتحدون الوزارة الأوربية ويريدون أن يأخذوا السبيل عليها

وكانت مطالب المجلس يومئذ تنحصر فى المسألتين الدستورية والمالية ، أما أولاهما فتتلخص فى أن تكون الوزارة مسؤولة أمام

المجلس بحيث يصبح هيئة لها مكانها الفعلي في حكومة البلاد ، وأما الأخرى فمؤداها أن يبحث المجلس المسألة المالية دون الأجانب وأن يقرر في أمر الدين والضرائب ما تمليه عليه مصالح البلاد .

وأصر النواب على تلك المبادئ فكانت حركتهم هذه حركة قومية بأوسع معاني تلك الكلمة ؛ وكان يظاهر النواب أحرار البلاد من العلماء والأعيان والتجار، الذين لم تنقطع اجتماعاتهم في بيت البكري. وأخيراً اتفقت كلمة الجميع على أن يتوجهوا إلى الخديو بما عرف باسم اللائحة الوطنية ، وفيها يعترض النواب على اقتراحات ريفرز ولسن التي كانت ترمي إلى إعلان إفلاس مصر ، ويقررون أن إيرادات مصر تفي بدفع ديونها ؛ ويطلبون إلى الخديو تقرير مبدأ مسؤولية الوزارة أمام المجلس وتأليف وزارة وطنية تقوم مقام هذه الوزارة الأوروبية التي ضاقت بسياستها البلاد ...

ولقد وضعت هذه اللائحة لجنة من النواب تحت إشراف شريف ؛ فكانت هذه اللائحة الخطيرة كبرى حسناته إلى هذه البلاد كما كانت أهم خطواته السياسية وأبعدها في مجرى الحوادث أثراً ؛ ووقع على اللائحة ستون من أعضاء المجلس ومثلهم من العلماء وفي مقدمتهم شيخ الأزهر والبطريرك والحاخام ، كما وقع عليها عدد كبير من الأعيان والتجار والموظفين والضباط ، ورفعت بعد ذلك إلى الخديو فرأى أن قد حان الوقت ليوجه إلى النفوذ الأجنبي ضربة قوية ، فالبلاد من ورائه تؤيده وتشد أزره، ولذلك لم يتردد في الموافقة على اللائحة، وسرعان ما هزت فعلته البلاد هزة قوية، هزة الفرح بانتصار الحركة الوطنية والأمل في مستقبل تحطم فيه البلاد أغلالها وتنعم فيه بالراحة والرخاء

واستقالت وزارة توفيق ، فاتجهت الأبصار إلى شريف واتفقت عليه القلوب والأهواء، فما لبث أن تضاعف سرور البلاد بأن أسندت إليه رياسة الوزارة الوطنية، وأصبح شريف زعيم الحركة الوطنية ورئيس وزارة الأمة فكان بذلك في مصر صاحب الرياستين

(البقية في العدد القادم)

محمود الخفيف



عنـــد الثلاثين

للأستاذ محمود الخفيف



تمهّلي والتفتي لفتـــة لا تذهلي عن دهرك الراحلِ
لا تعبسي ما إن ترى لذة أشهى من الآمال للآملِ
عند الثلاثين ففي ساعة وجاوزى اليمّ إلى الساحلِ
هذا هو الماضي فماذا ترى عيناى من طيف له ماثلِ ؟
مطارح الأيام مبسوطة كم بينها من أثر حافلِ !
كم أجتلي يا نفس من صورة عرفتها في عيشى الزائلِ
كم بهجة قد بت يا ويلتا في شغل عن ذكرها شاغل !

* * *

أرى وكم يبهجني أن أرى مسارحي في قريتي الضاحيه
هناك حيث الأمن ممدودة ظلاله والبشر والعافيـــه
هناك حيث الحسن رفافة طيوفه للأعين اللاهيـــه
وحيث تحلو الأرض منضورة ويعلق السحر بها خاليه
وتعجب الأدواح فينانة وما خلت من روعة عاريه
هناك حيث الصمت أنشودة لا تفتأ النفس بها شاديه
في جنة عشت زمانا بها يا ليت لي أيامها ثانيـــه

* * *

هذي هي السرحة في ظلها ابن ثمان في الضحى يلعب
في ثغره من بسمات الرضى مثل ابتسام الزهر أو أعذب
وعينه من لمحات المنى كما انجلى في أفقه الكوكب
مثل فراش الروض في لهوه ودأبه لكنه أوثب !
دنياه هذي النخل . في جانب منها يرى للأعين المكتب
كم رتل الآيات في مقعد فيه وكم باهى بما يكتب
أجرت له الفصحى به كوثرا معينه في القلب لا ينضب
يا ناشئا أوحت له سحره شمس من الفرقان لا تغرب

* * *

يا لاعبـــا لم يدر غير المنى كم يطرب القلب لمرأى صباه
كم يسحر النفس خيال له ينقل في تلك النواحي خطاه
في عيشه الحالم كم هزه من عالم السحر جمال رآه
أعرفه ! في صدره خافق غض يري في الريف دنيا مناه
ها هو ذا في كونه هائم تغرق في نور الضحى مقلتاه
ها هو ذا الكون على بعده عن حاضري، تملأ عيني رؤاه
كأنما تمزج في مسمعي أصداؤه اليوم ويسري شذاه!

* * *

مغناى في الريف أرى طيفه في زحمة الماضي وفي لجته
إن ذهلت عيناي عن موضع سواه لن تذهل عن صورته
هذا الفناء الرحب لم أنسه والقلب هيمان إلي فتنته
وهذه الشرفة يا حسنها يا حسن شمس الصبح في جبهته
الأمن فيـه باسط ظـله واليمن والإقبال في ساحته
والأهل، والولدان من حولهم أروع ما في البيت من زينته
صلاتهم يزخر تسبيحها بالحمد لله على منته . . .

عِشْتُ زَمَانًا ثم حُمَّ النَوَى   وَذقتُ طَعْمَ الهَمِّ مِن فرْقتِه
فى غرْبتِي كم مَسَّ قَلْبِي الضَنَى   وهَاجَ تَحْنَانِي إلى رُؤْيَتِه
يا نَازِحًا عَنْ أهْلِهِ قَلْبُهُ   يَذُوبُ مِنْ شَوْقٍ إلى جَنَّتِه

* * *

يَسْتَقْبِلُ الدَّرْسَ عَلَى وامِضٍ   يَسطَعُ كالـكَوْكَبِ مِنْ أمْسِهِ
مَا كَادَ يَخطُو لِلعُلَى خُطْوَةً   حَتَّى شَأَى الأقْرانَ فِي دَرْسِهِ
السَبْقُ مِنْ عَادَاتِه ، طَعْمُهُ   أشْهَى مِنَ الشَّهْدِ إلى نَفْسِهِ
خَيَالُهُ المَشْبُوبُ يُوحِي لَهُ   ما يُبْهِجُ المُرْهَفَ من حِسِّهِ
يَلْهَجُ بِالشِّعْرِ فَفِي رُوحِهِ   وَحْيٌ لَهُ يُصْغِى إلى هَمْسِهِ
إن ضَاقَ بِالوَحْشَةِ طَارَتْ بِهِ   أجْنِحَةٌ مِنْـهُ إلى أُنْسِهِ
أوْ كَلَّتْ النَفْسُ حداها إلى   ما أنْبَتَ العِرْفَانُ من غَرْسِهِ

* * *

فِي حَلْبَةِ العِلْمِ مَضَى سَابِقًا   يَسْتَقْبِلُ اليَافِعَ من سِنِّهِ
ما أوْهَنَ الجُهْدُ لَهُ عَزْمَةً   فى سَهْلِ مايَطْوِى وَفِي حَزْنِهِ
يُسَدِّدُ الحَزْمُ له خَطْوَهُ   وتنطوى الأيَّامُ فِى يُمْنِهِ
يَرْسِمُ آمَالاً عِرَاضًا ولا   يَدْرِى من الدَّهْرِ مَدَى ضَنِّهِ
فِى كُلِّ ما يَقرَأُ مِن سِيرَةٍ   صَدًى لِما يَهْجِسُ فى ظَنِّهِ
فَفِي غَدٍ (سَعْدٌ) بهذا الحِمَي   يَذودُ ذَوْدَ اللَّيْثِ عن رُكْنِهِ
وتَارَةً ذو صَـوْلَةٍ قَادِرٌ   يُصَرِّفُ الأمْرُ عَلَى إذْنِهِ
أوْ مِدْرَهٌ مُقْتَدِرٌ نَابِهٌ   الحَقُّ والقِسْطَاسُ فى وَزْنِهِ
أحَبُّ ما مَنَّى بِهِ نَفْسَهُ   شَادٍ تَغَارُ الطَّيْرُ مِن لَحنِهِ
مُقَدَّمٌ فِى قَوْمِهِ شاعِرٌ   السِّحْرُ والإعجَازُ فِى فَنِّهِ !

* * *

غَـنَّى زمانًا بِالمُنى حالمًا   فى عُمْرِهِ المزدَهِرِ النَّاضِرِ
يبيتُ جَذْلاَنَ هنئَ الـكَرَى   مُمَتَّعًا بِالحُـلْمِ الزَّاهِرِ
ماذا دهى قيثاره فاشتكى ؟   يا ويله من حُبِهِ البا كِرِ !
طافت بِهِ من خَمْرِ هذا الهوى   كئُوسهُ ... يا ويح لِلشَّاعِرِ
تـكَشَّفَتْ دُنْيَاهُ عن عالَمٍ ...   يا قُدْسَ هذا العالم السَّاحِرِ

يَا حَيْرَةَ الشِّعْرِ لَدَى وَصْفِهِ   يا رَحْمَةَ الأطيافِ فى الخَاطِرِ !
هذى الرؤى تَرْجِعُ رفَّافَةً   من غَمْرَةِ الماضى إلى ناظِرِي

* * *

يَهْدِفُ لِلعِشْرِينَ فى نَفْسِهِ   وَحْيُ الذى يخفق فى جنبه
مُحَبَّبُ العِشْرَةِ فى وَجْهِهِ   بَشَاشَةُ الوَرْدِ إلي صحبه
وفى حنايا صَـدْرِه رُقْيَةٌ   عن الخنا والهُجْرِ مَالَتْ بِهِ
يا نَفْحَةَ الخُلْدِ لَأَنْتِ التى   أيقَظْتِ هذا الطُهْرَ فى قَلْبِهِ
يا وَمْضَةَ الرُّوحِ جَلَبْتِ الهُدَى   وطُفْتِ بالنُّورِ على هُدْبِهِ
يَا نَسْمَةَ الحُبِّ بِهَذَا الشَّذَى   الرَّوْحُ وَالرَّيْحَانُ مِنْ رَبِّهِ
فى كُلِّ حُسْن حَوْلَهُ لَمْحَةٌ   تُلْقِي عَلَيْهِ السِّحْرَ مِن حُبِّهِ
والـكَوْنُ، ما دارت به عينه   مُلْقٍ معانى الحُبِّ فى لُبِّهِ

* * *

كَمْ عَادَ لِلقَرْيَةِ فِي لَهْفَـةٍ   لِلعَيْشِ فى أكْنَافِهَا الواسِعَهْ
والصَّيْفُ فى أنحائها رَائِعٌ   بَاتَتْ بِهِ أمْسَاؤُهَا رَائِعَه
هُنَاكَ لَا يَلْبَثُ حَتَّى يَرَى   فَتَاتَهُ بَعْـدَ النَّوَى رَاجِعَه
هُنَاكَ كَمْ سَارَا عَلَى مَوْعِدٍ   وَاللَّيْلُ يَغْشَي القَرْيَةَ الهَاجِعَه
فالتقيا لا عَـيْنَ تَرْعَاهُمَا   إلاَّ عُيُونَ الأنْجُمِ اللاَّمِعَه
يَا قُدْسَ هذا الحبِّ فى خَلْوَةٍ   صَلَّتْ بِهَا مُهْجَتُهُ خاشِعَه
فى رَوْعَةِ الصُّبْحِ يرى وَحْدَه   جَبِينَهَا فِي شَمْسِهِ الطَّالِعَه
وَيَمْلَأُ النَّفسَ صَدَى صَوْتِهَا   والطيرُ فى أفنَانِهَا سَاجِعه
وَينْطَوِى الصَّيفُ وَأحلامُهُ   والوَصْلُ فى عيشته الوادِعه
يا لَيْـلَةَ التَّوْدِيعِ كَمْ لَوْعَةٍ   هَاجِسَةٍ فى نفسهِ الجازِعه
يا حَيْرَةَ الأعْيُنِ فى مَوْقِفٍ   تُرَى بِهِ بَاسِمَـةً دَامِعَه !

* * *

صَحَا عَلَى العَيْش وَأكْلاَفِهِ   فَسَارَ سَيْرَ النَّابِهِ المَاجِدِ
هذا هو الزَّوْرَق يجرى بِهِ   يا رَحْمَتَا لِلزَّوْرَقِ الجَاهِدِ
ما هذه الدنيـا وأوضاعها   كم ذا يرى مِن طَبْعِهَا الفاسِدِ!

الجـــاهُ فِيهَا للخنا تَوْأَمٌ ... والحظُّ لِلاَّهِي وَلِلْقَاعِدِ !
كَمْ جَاهِلٍ يَعْلُو بِهِ جَهْلُه ... فيها وكم مِن غَافِلٍ جَامِدِ !
وَالصَّابِرُ الْمَكْدُودُ يَشْقَى بها ... ما أَضْيَعَ الآمَالَ لِلْحَاصِدِ
وَكم يَرَي ذو البِرِّ من جَاحِدٍ ... وذو الحجا والفَضْلِ من حَاسِدِ
والناسُ إلا قِـلَّةً أذؤبٌ ... وحَاقِدٌ يَنْعَى عَلَى حَاقِدِ
مَا ضَرَّهُ من عَيْشِهِ ما رَأَى ... أو صَدَّهُ عن سَيْرِهِ القاصِدِ
يَحْتَقِرُ الدُّنْيَا وأَوْهَامَهَا ... مِن طَارِفٍ فيها ومِن تالِدِ
يَكِيدُ لِلدَّهْرِ بِأَقْدَامِهِ ... فَلَيْسَ هذا الدَّهْرُ بالكائِدِ!

* * *

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا لِيَشْقَى بِهَا ... أَمَا تَرَى هَازِلَةً لاعِبَهْ؟
وَيْلٌ لِمَنْ تَطْغَى عَلَى لُبِّه ... بُرُوقُهَا الكَاذِبَةُ الخَالِبَه
يَا أَيُّهَا الباكى على حَظِّهِ ... لا يُرْجِعُ الدَّمْعُ مُنَّي ذاهِبَه
عَجِبْتُ للشَّاكِين أَيَّامَهُمْ ... ما نَفْعُ تلك العِيشَةِ الصاخِبه؟
الْهَمُّ ، والدُّنيا على حالِهَا ... غِذاءُ هَذي الأَنْفُسِ الغاضِبه
حَيَاتُهُمْ لا يَسْتَسِيغُونَهَا ... حَتَّى تَرَى شَاحِبَةً غَارِبَه
يَا عَجَبًا حِين يَلُوحُ الرَّدى ... تَلْمَحُهُ أَنْفُسُهُمْ هَائِبه !

* * *

ابتَسِمى يَا نَفْسُ لا تَعْبِسي ... لا خَيْرَ لِلعَابِسِ مِن دَهْرِهِ
الْحُرُّ لا يَأْسَى عَلَى فَائِتٍ ... والدَّهْرُ لا يَقْوى عَلَى قَهْرِهِ
هذا هُوَ المَاضِي خُذِى وَحْيَهُ ... واسْتَقْبِلِي الغَيبَ عَلَى ذِكْرِهِ
مَاضِيكِ لا تَذْهَبُ أَطْيَافُهُ ... أَوْ تُطْفِئُ الأَيَّامُ من بِشْرِهِ
بَاتَ مِن الأَقدَارِ فِى نَجْوَةٍ ... هذا هُوَ المُعْجِبُ مِن سِرِّهِ
ما غابَ من عيش الفَتَى من أَمَّى ... لا يُقْدِمُ المَرْءُ عَلَى نَشْرِهِ
أَمَّا سَنَا الماضى فيوحى لَهُ ... ما كَرَّتْ الأَيَّامُ ، مِن نورِه
ما لَذَّةُ العَيْشِ إذا ما خلا ... من رَوْعَةِ الماضى ومِن سِحْرِه؟
مَوْتٌ من المَوْتِ بِقَلْبِ الفتى ... نِسْيَانُهُ السَّالِفَ مِن عُمْرِه

* * *

آليتُ لا آسَى عَلَى ذاهِبٍ ... أَوْ أُذْرِفُ الدَّمْعَ عَلَى دَارِسِ
هواى لن أَشْقَى بِهِ بَعْدَ مَا ... عِشْتُ زَمَانًا عِيشَةَ اليائِسِ
سِيَّانَ عِندى بَعْدَهُ ما أرى ... من بَاسِمِ الأَيامِ والعابِسِ
لـكننى أمضِى إلى غايَتِى ... أحنو على المَحْزُونِ والبائِسِ
أُصْغِى من الماضِى إلى ماثِلٍ ... من طَيْفِهِ فِي مِسْمَعِى هَامِسِ
أحيا عَلَى الذِّكرى حَيَاةَ امْرِئٍ ... ما كانَ من دُنيَاهُ بالآيِسِ
إن فَاتَهُ فِيها لذيذُ الجنَى ... كفاهُ مِنْهَا لَذَّةُ الغارِسِ

* * *

عِنْدَ الثلاثين قفى وَانظرِى ... وَغَازِلِي يا نَفْسُ حُلْوَ الأَمَلْ
مَنْ لَمْ يُشَمِّرْ لِلمَعَالِي فتًى ... هَلْ يَعْرِفُ العَزْمَ إذا ما اكتَهَلْ؟
العَيْش فى الدُّنيا قَلِيلٌ فَهَل ... مِن مَوْضِعٍ فِيهِ لِغَيْرِ الجَذَلْ؟
كَمْ شِدَّةٍ يا نفسُ مخبوءة ... وَلَذَّةٍ فى عَيْشِكِ المُقْتَبَلْ
لا تَلْعَنِى دَهْرَكِ أو تَحْمَدِى ... الدَّهْرُ لا يُسْأَلُ عَمَّا فَعَلْ

* * *

هيَّا إلى الزَّوْرَقِ خُوضى بهِ ... غِمَارَ هذى اللُّجَجِ القَاذِفَهْ
لا تَطْرَبِى لِلرِّيحِ إن سالمتْ ... أو تَرْهبى أنواءَهَا القاصِفه
السَّبْقُ أن تجرِى عَلَى ثائِرٍ ... وَالفَخْرُ أن تَقْتَحِمى العاصفه
الضفَّةُ الأخرى إذا ما دنت ... لا تَنفِرى مِن قُرْبِهَا خائفه

الخفيف



فن التجميل

للآنسة زينب الحكيم

التطور سنة الحياة ، ومعناه النمو التدرجي والتكشف ، ومعناه أيضاً نشوء الأشكال العليا من الدنيا في الحياة كما يقول القاموس

إذن نفهم من هذا أن كل شيء حي ، وأي شيء يمت لذلك الحي بأدنى صلة، يسري عليه ناموس التطور التدرجي في الحياة . ومن غير الضروري أن نثبت منطقياً أو علمياً سلسلة تطور الإنسان مثلاً من عصور ما قبل التاريخ إلى البربرية الأولى فالثانية فالثالثة ، ولا أن نعدد الأطوار التي قطعها حتى وصل إلى ما هو عليه الآن. فلسنا في حاجة إلى ذلك في هذا المجال . إن هذه أشياء مقطوع بصحتها على الأقل من ناحية التدرج النشوئي الذي استغرق آلاف السنين

إنما الذي يعنينا هو أن نوضح أن الحياة في مختلف نواحيها تخضع للناموس ذاته ؛ فكلما تطورت حالة الإنسان اختلفت بيئته وتغيرت طرقه ووسائل معيشته من تجارة وصناعة، وعادات ونظم، وتعاليم ومبادئ ، وعلوم وفنون وغير ذلك

وفن التجميل ولو أنه يبدو فناً كمالياً ، فإنه في الواقع فن ضرورة ولزوم إذا أخذنا بالمبدأ القائل بسذاجة الطبيعة وأنها جرداء قاحلة ما لم نضف عليها من رائع خيالنا وبديع تصورنا

فإذا وضحت النظرية الآن ، وصح تطبيقها على الجمادات والعجماوات ، فمن الضروري لزومها للكائن المفكر الذي يسوقه تفكيره إلى بلوغ أقصى درجات الكمال في كل شيء . ولا جناح عليه إذا لحظ أنه يعمل للارتقاء في جهات قبل أخرى ، أو إذا تباينت درجات ذلك التطور ، فهذه سنة الحياة ونظام تكوينها

وفن التجميل على هذا الأساس من أعرق الفنون وأكثرها حركة وأشدها اقتحاماً . فالكوخ لم يبق ذلك الشكل الساذج ، بل تحول وتحور حتى صار بيتاً ، والبيت تطور وتطور على أشكال وأنماط ...



زينة امرأة في القرن السادس عشر

والقدر لم يبق ذلك الإناء الضروري لحمل الماء أو غليه ، وإنما تطور فتحوّر وهذب ، واختلف أنواعاً وأشكالاً ، ونقش تارة ، ولُوّن وزركش أخرى

وكذلك الناس تطوروا، ولم تعد المرأة تلك البربرية التي كانت تحمل نفسها الأحجار وقطع المعادن الثقيلة للتزين مثلا ، وإنما تطورت زينتها إلى ما هو ألطف وأجمل

لهذا نقول : إن فن التجميل في كل العصور بالنسبة للمرأة

فى الشرق والغرب ، يتغير مثله الأعلى بالنسبة لدرجة تطورها ، وإن اتفقت بعض مظاهره فى أشياء

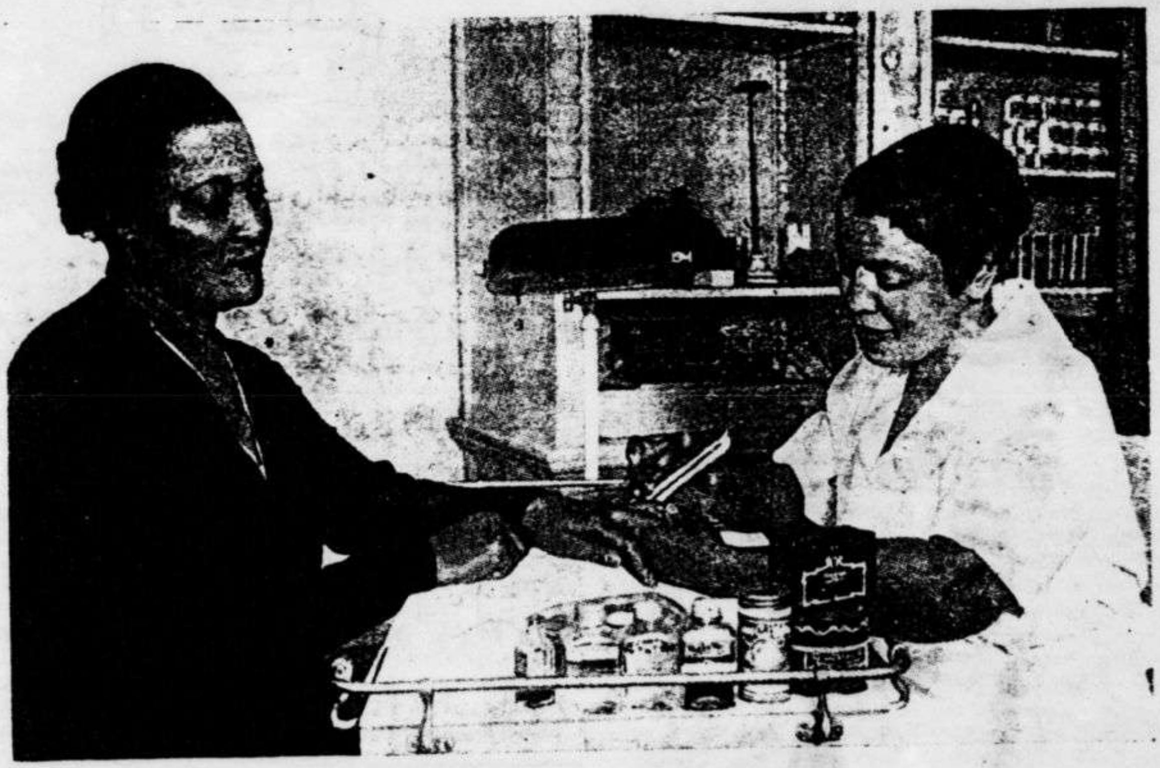
فمثلاً من زمن بعيد كانت منضدة التزين هى المرآة التى انعكس عليها نشاط المرأة . وقد وجد المنقبون فى بلاد آشور ، وفى مصر ، مناضد للزينة تكاد تكون محملة بضروب من وسائل الزينة ، كما قد يرى على أفخم مناضد التزين اليوم فى البيوت ، وفى محال التجميل العامة

والتاريخ يبرهن ، مع الأسف أو مع الغبطة ، على أن الجمال لم يكن طبيعياً أبداً (وهذا يتفق مع النظرية التى أشرنا إليها فى أول هذا المقال) ثم قرر العقل البشرى إثبات ذلك فى الشرق

ويستعمل الروائح العطرية القوية التى تضعف من أعصاب نساء الشرق البذينات فتزيدها وهناً على وهنها ، وبالجملة فإن نساء الشرق لا يحسن استعمال وسائل تزين الغربيات ، وكثيراً ما يخطئن فى تطبيقها العملى ، ويخلطن بينها مما يؤذى أجسامهن ويسىء إلى أخلاقهن بوضعهن الأشياء فى غير موضعها

كل ذلك لجهلهن تراكيبها ، وعدم دراستهن لأنفسهن بحيث يعرفن ما يلزم لهن ، وكذلك لعدم استعمالهن مبتكرات بلادهن ، التى تكون وليدة حاجاتهن ، وما يتناسب مع طبيعتهن

إن غفلتهن عن التعليل المنطقى تجعلهن مقلدات مسرفات



زنجيات أمريكا يجملن أظافرهن وأيديهن بصالونات التجميل العامة

والغرب ، بدليل ما اتخذه الناس من وسائل للتجميل ، ومن تحايل لأسبابه اتفقت به النساء بوجه خاص ؛ وإذا اختلفت وجهات النظر فى ذلك ، فإنما تختلف من حيث التقدم فى التطور لا من حيث المبدأ

ففى الغرب اخترعت محسنات البشرة ولون الوجه وفق أسس فنية وعلمية . أما الشرق فقانع بهذه النتائج غير المتقنة ، التى يمكنه الحصول عليها من أنواع الكريم والحناء ، والكحل الأزرق الذى تكحل به الجفون من الداخل ، فيحدث تهيجاً فى العين بسبب ملئها بالدموع ، ويجعلها شديدة اللمعان ، ويعتبر ذلك من الجمال ، وهو خطأ مضر بالعين

فى التقليد ، فكثيرات منهن قلدن وما زلن يقلدن النجمة السينمائية فلانة ، والممثلة المسرحية علانة ، وغاب عنهن أن زينة الفتاة الممثلة على المسرح أو السينما ، لا يمكن أن تجعلها جميلة أو متزينة بالمعنى الذى يقصد من التزين ، لأن المقادير الهائلة التى تصبغ بها وجهها ، إنما يقصد بها أولاً أن تساعد على إظهارها بوضوح على المسرح الشديد الضوء ، أو أمام أنوار التقاط الأفلام السينمائية ، كيلا تظهر شاحبة ذابلة ، غامضة الملامح إذا ما سطعت عليها تلك الأنوار القوية .

والصورة البشعة ، التى نراها هنا وفى كل مكان من المعمورة

بوجوه النساء ، إنما تدل على الجهل الذى تحمل المرأة عنوانه على أبرز جزء فيها ، مما ينفر من مزاولة فن التجميل الذى يعتبر من أرقى الفنون وأعرقها .

لو عاشت جدتنا لتسمع ما نقوله اليوم عن التزين ، ولو رأت بعينى رأسها حال وجوه السيدات اليوم ، لذهلت وطار لبها ، لأنه ما كان يستعمل للتزين فى أيامها إلا أنواع من الصابون الصحى غير المهيج للبشرة كصابون القطران والكبريت الممتازين .

بينما كان الرجال فى ذلك الزمن ، يوضحون رجولتهم بنحو قدم أو أكثر من لحية مربعة مهذبة حول ذقونهم .

أما وسائل التزين التى يعلن عنها بلا انقطاع فى جميع المجلات النسائية وغيرها الآن ، أو ما يسمع عن علاجات البشرة المختلفة وما شابه ذلك ، فكان غير مألوف ، ولم يطق سماعه أو السماح باستعماله السواد الأعظم من الناس فى القرن التاسع عشر

وقد اعتبر استعمال الدهون وأصباغ الوجه — من أحمر وذرور وغيرهما — من الجرائم الخلقية، والغواية فى المجتمع، واعتبر استخدام أصباغ الشفتين وتزجيج الحواجب من علامات الانحراف ، ومنتهى التبجح ، بل دليل الفساد والشر

لهذا طالما انتهرت الجدة العزيزة بناتها إذا ارتابت فى حمرة وجنتى إحداهن ، أو إذا هى صففت شعرها بأداة التجعيد المحماة . ولعمرى ما عساها كانت تفعل الآن ، إذا رأت بعض الفتيات المتطرفات ، اللائى ينمين أظافرهن حتى تصير كمخالب الحدأة ، أو يلبسن أحذية طول كعوبها أربع بوصات أو خمس؟! من غير شك كانت تثور وتفور ولها الحق ، وليست معارضتها فى هذه الحالات وأشباهها مما تؤاخذ عليه ، والشيء إن زاد عن حده انقلب إلى ضده

وفى الواقع ، لا يوجد شيء تطور فى العالم بسرعة مثل ما تطورت وسائل الزينة وطرق استعمالها

وأصبح استخدامها باعتدال وفن من التقاليد المرعية والعادات المقبولة .

فالسيدة التى تظهر بأظافر غير معتنى بها مثلاً ، أو بشعر لا تظهر عليه دلائل العناية والتهذيب والتجميل ، أو بوجه شائه وكان فى استطاعة صاحبته أن تقلل من شوهه ، تعتبر خارجة على التقاليد ، مقصرة فى حق نفسها ، وفى حقوق المجتمع . وهل هذا العصر إلا عصر تجدد ونشوء ؟ !

لهذه الاعتبارات من جهة ، ولإسراف السيدات وبعض الرجال فى التزين الخاطئ من جهة أخرى ، ارتفعت تكاليف التزين جداً ، بحيث أصبح ما ينفق على وسائله من نقود مقادير لا تصدق بسهولة لو لم تثبت صحتها الإحصاءات الرسمية



فتاة منغولية فى كامل زينتها

لقد قدر الآن فى الولايات المتحدة أن المرأة تنفق ثلاثمائة مليون جنيه فى السنة على معالجة التجميل، والدهون من كل نوع. وقد قسم الإحصائيون هذا المبلغ الضخم بين أصباغ الشفاه، وأصباغ الوجنتين والذرور ، ودهانات تغذية بشرة الوجه والكريم بأنواعه، وأصباغ الحواجب والأهداب ،ودهونات الشعر وغير ذلك

أما فى انجلترا ، فإن أرقام ما ينفق على هذه الأشياء ليست إلى هذا الحد من الغلو، والمصاريف فى انجلترا على التجميل خمسون مليوناً من الجنيهات ، أو ربما كانت ٧٠٠٠٠٠٠٠ جنيه

أما فى مصر ، فليست لدينا إحصائيات يمكن الاعتماد عليها فى هذا الصدد ، ولا بد أن يكون الإنفاق فى منتهى الإسراف ، لأن مصر سوق دولية ، والعرض كثير والمهارة فى التصريف ممتازة ، والعقول ساذجة ، والإرادة ضعيفة فى أغلب الحالات

كثيراً ما ألحظ وأنا أشترى شيئاً من الصيدلية ، أو من متاجر الأدوية ، سيدات يستغللن مهرة الباعة فيها استغلالاً سيئاً ،

وكثيرات من السيدات يفوضن أمرهن للبائعة اللبقة ، أو البائع ذى الحيلة لينصحا لهن بما يشترين، مما يكون أقوى أثراً فى زينتهن ولنا أن نتصور أى نوع وأية كمية من البضاعة يبتاع هؤلاء السيدات!



المرأة التركية الحديثة أمام مرآتها

أما الحالة فى العراق ، فإنه ولو لم أعثر فيه أيضاً على إحصائيات يستدل منها على مقدار ما تنفقه السيدات هناك على التجميل ، فإنى بما شهدته من تهافت المرأة ، وطنية وأجنبية ، على الأصباغ والدهون والعطور، والتغالى فى عمل التواليت بوجوههن وأيديهن بل وأرجلهن ، باستعمال أجود أنواع الزينة وأغلاها ثمناً ، أستطيع أن أقول إن المبالغ التى يصرفنها حتماً تكون ضخمة .

ويأتى بعد سيدات العراق السيدات اللبنانيات

أما السوريات (وعلى الأخص الرشيقات) فكثرتهن لا يُحسن استعمال هذه الأشياء ، ولا يسرفن فيها

والسورية العادية لها طرق تزين أهلية ، فتستعمل أنواعاً من تربة أرض بلادها وأعشابها ، وتستعمل أنواعاً من الصابون من صناعات حلب ، وبالضرورة قد تحتوى هـذه الأشياء أنواعاً من العناصر الضارة التى تتلف الأجزاء التى توضع فوقها من الجسم ، ولكن المرأة لا تبالى كثيراً بذلك لجهلها من جهة ولشدة اقتصادها من جهة أخرى، ولا تستطيع أن تدرك أنها تسرف من حيث تقتصد

أما المرأة التركية فتسرف فى استعمال وسائل الزينة ولكنها تتزين بفن وحسن ذوق

والمرأة اليونانية الحديثة قد سبق لنا ذكر شىء عن زينتها ، والأغلب عليها الاعتدال والبساطة فى التجميل وفى النفقات

أما المرأة اليوجسلافية ، فأشد نساء أوربا الحديثة تطرفاً ، ولكن بحسن تصرف وإتقان ، ويغلب عليها الإسراف الشديد .

والنساء الفرنسيات لهن شهرة معروفة عالمية فى فن التجميل ، ومع إسرافهن الشديد فى عمل التواليت ، وإنفاق الكثير جداً على أسبابه ، فإنه مشهود لهن بالدقة والصنعة وحسن التصرف .

أما المرأة الألمانية ، فتكاد تكون مسترجلة فى هذا الصدد ، والتزين الصناعى قليل عندهن ، ولذلك فكثرتهن يعانين حياة سقيمة مع أزواجهن، ومن العجيب أن العلم وحده لا يفيد كثيراً فى الحياة ، فإنه يقدر ما تمتاز به المرأة الألمانية من علم وثقافة ، وتفرغ لفن الأسرة ، بقدر ما يتعلل الرجل عليها . وهى تكلف نفسها فوق ما تحتمل النهوض به من مسئوليات الحياة العملية ، فتهرم قبل أوانها ، ولا تحاول كثيراً أن تخفى هذه المظاهر بعمل التواليت .

هذه إلمامة سريعة بفن التجميل بالنسبة للمرأة فى العصر الحاضر، فهل كانت وسائله قديماً مشابهة لما تستخدمه الآن؟ هذا ما سنطالعه فى الأسبوع القادم إن شاء الله . زينب الحكيم



النظام الشمسى للمادة

كلمة لازمة قبل التعرض للحياة

للدكتور محمد محمود غالى

تجزئة المادة والرجوع بها إلى علاقات زمنية مكانية — الذرة فى المادة تمثل نظاما شمسيا — أمثلة من هذا النظام فى المواد المختلفة

يرى القارئ وهو يقلب صفحات هذا المقال أشكالاً تشبه الأشكال التى كان يحاول كل منا رسمها وهو على مقاعد المدرسة عند ما ملك كل منا لأول مرة بركاراً (برجلاً) للرسم ، وقد يعتقد القارئ بادئ الأمر أن هناك خطأ مطبعيًّا لورود هذه المنحنيات المنتظمة التى حاولها كل منا فى حداثته وسط مقال يتعلق بالمادة وبالحياة ويحاول كاتبه أن يجد تفسيراً لها ، وبدهى أن تتملكه الدهشة عند ما يطالع فى عنوان المقال « كلمة لازمة قبل التعرض للحياة » ، ثم يتأمل هذه الأشكال : تُرى ما العلاقة بين المادة أو الحياة وهذه الرسوم المنتظمة ؟ أية رابطة بين الكائن الحى وأغرب ما فيه الإنسان المفكر ، وهذه المنحنيات والقطاعات التى تذكرنا بعبثنا فى حداثتنا ؟ ... هذا ما سيجده القارئ بين هذه الأسطر وفى المقال الذى يليه

***

كل ما فى الكائنات فى حركة دائمة — عند ما ترى قطرة ماء صافية على ورقة من أوراق الشجر وسط حديقة فى يوم هادئ خف نسيمه ووجم كل ما فى المكان من كائنات ، قد يخيل إليك أن كل ما هو حولك فى هدوء تام ، والواقع أن أيًّا من هذه الكائنات ، حتى نقطة الماء ، بعيدة كل البعد عن هذا الوصف من الهدوء ، فلا نقطة الماء فى سكون ولا ورقة الشجرة التى تحملها ؛ إنما السكون جزئى بالنسبة إليك وليس بالنسبة للكون .

نعود إلى نقطة الماء فكل جزء منها مركب من ذرات من الأكسجين والهيدروجين ، كل ذرة من هذه مجموعة شمسية تشبه الشمس والأرض وسياراتها التسعة وأقمارها

ليتأمل القارئ معنا أصغر ما فى هذه المجموعة وهو الالكترون يجده يدور حول نفسه ثم حول النواة مركز الذرة ، كما تدور الأرض حول نفسها ثم حول الشمس . على أن هذه المجموعة من الذرات تكون جزءاً دقيقاً من الماء ذكرنا فيما تقدم أنه فى حركة دائمة ذهاباً وإياباً ، صعوداً وهبوطاً ، بالنسبة لمجموعة الجزئيات الأخرى المكونة لنقطة الماء . هذه الحركة الأخيرة كبيرة جداً بالنسبة لحركة الالكترون الدورية المتقدمة ، حتى أننا نرى أثرها إن لجأنا إلى تلوين هذه النقطة بأية مادة كولويدية واستخدمنا الالترابيكروسكوب . على أن هذه الجزيئات المكونة للنقطة تدور مع الأرض حول محورها بل تدور مع الأرض حول الشمس — على أن الشمس بدورها تدور ومعها الأرض والسيارات التسعة دورة أخرى مداها حوالى ٣٠٠ مليون سنة لتعود إلى وضعها الأول بالنسبة لمجموعة الشموس التى هى إحداها . على أن هذه المجموعة من الشموس ومنها شمسنا تبتعد فى الحيز بالنسبة للمجموعات الأخرى المجاورة لها ، وتبلغ سرعة ابتعاد بعض هذه المجموعات أو العوالم بعضها عن بعض ٢٥ ألف كيلو متر فى الثانية أى أنها تقطع فى الثانية الواحدة مسافة كالتى تفصلنا عن الصين ، وهكذا لو أردنا أن نبحث حركة الالكترون ، أصغر ما فى نقطة الماء أو حركة جسيم آخر فى الورقة الحاملة نقطة الماء ، بالنسبة للحيز ، لتملكتنا الدهشة ، ولأدركنا أن كل ما فى الحديقة ، على ما يبدو عليها من هدوء ظاهر ، بعيد جد البعد عن السكون والراحة

إنما ذكرنا ما تقدم لأن العلوم اليوم تتقدم نحو مقصد جديد ، ذلك أنها تحاول الرجوع بالأشياء إلى علاقات مكانية زمانية

(Spaco - temporelle) وعندما يصل الإنسان إلى الرجوع بكل الظواهر إلى مثل هذه العلاقات ، فى الزمن وفى المكان ، نكون قد اقتربنا من قمة العلم ونهاية المعرفة . أما وقد تعرضنا للحياة وهى التى تبدو لنا مظهراً من مظاهر المادة فلنحاول أن نعرف إلى أى مدى وصل بها العلماء فى هذا السبيل .

قبل أن نتكلم عن المادة الحية كالخلية وجسم الإنسان ونبحث هل تمكن العلماء فى تحديد جسيماتها بعلاقة مكانية زمنية يجمل بنا أن نشرح للقارىء إلى أى درجة وصلوا بالمادة الصماء (عادمة الحياة) إلى مثل هذا التحديد .

يتكون الجزىء للعناصر المادية كالحديد والذهب من مجموعة من الذرات وقد ثبت أن الذرة ليست أصغر ما فى المادة ، ذلك أنه أمكن عمليا فصل الألكترونات عن الذرة وإثبات وجودها فيها ، وقد تبين ذلك فى بادىء الأمر أولاً لوجود ما نسميه الذرات المتأينة Atames ionisés فى المحاليل وهى ذرات فقدت أو اكتسبت ألكترونات وهذا ما يثبت وجود الألكترن فى الذرة؛ وثانياً لما يمكن أن تصدره الذرة من الإشعاع ، وما دام الضوء موجات كهربائية فلا بد أن هذا الإشعاع نتيجة لعملية كهربائية حدثت داخل الذرة نعلم الآن أنها حركة الألكترونات أى ذرات الكهرباء داخل الذرة

ويطول الشرح لو أردنا أن نذكر للقارىء سلسلة التجارب الطبيعية التى تثبت ذلك . ولعل النتائج التى نشأت عن اكتشاف « بكارل » الفرنسى للنشاط الإشعاعى واكتشاف مدام كيرى أستاذة السوربون للراديوم ، لا تجعل اليوم مجالاً للشك فى إثبات حقيقة تفتت الذرة الكيميائية وأنها تتركب من مركز رئيسى يسمى النواة Noyau ومن عدد من الألكترونات تدور حولها

هذا التركيب الذرى كان وما زال هدفاً لسلسلة من الدراسات الطبيعية التى ترمى إلى معرفة النموذج الذى تتألف منه الذرة أى صورتها المكانية سواء فيما يخص النواة أو الألكترونات التى حولها. ولقد كان للعالم الإنجليزى المعروف رذرفورد Rutherford الخطوة الأولى لمعرفة هذه الصورة المكانية للذرة. وتنحصر دراسته الأولى فى قذف الذرة أى ضربها بإشعاعات مختلفة ، ودراستها ودراسة هذه الإشعاعات بعد ذلك . وقد أثبت بهذا أن الذرة مجموعة لجسيمات منفصلة الواحدة عن الأخرى ولكنها مرتبطة بعضها ببعض بقوة جاذبية تعادل قوة دوران هذه الجسيمات حول الذرة

وبعبارة أخرى اكتشفت « رذرفورد » فى الذرة نظاماً شمسياً يشبه نظام مجموعتنا الشمسية ، ولكن يختلف عنه فى أن القوة الجاذبية فى المادة قوة كهربائية بين شحنة موجبة وشحنة سالبة بينما القوة بين الشمس والأرض هى القوة الجاذبية النيوتونية أى بين الكتلة والكتلة

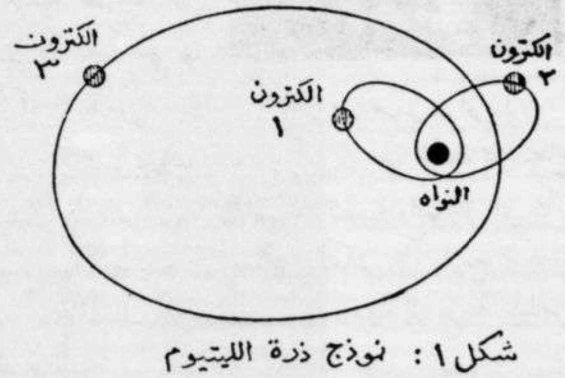
على أن نظريات « روزفورد » وغيره الخاصة بنماذج الذرات المختلفة لم يكن التقدم فى كل حالة حليفها ، فقد تقدمت تارة وعثرت أخرى ، ونرى ونحن نطالع الآن أجمل باب نعثر عليه فى فلسفة العلوم الطبيعية كيف اتخذ نظام رذرفورد الشمسى للمادة طريقاً متعرجاً غير مستقيم ، وإن شئنا أن نسطر هنا ما صادف هذه الآراء من عقبات ووثبات لسطرنا نصف العلوم الطبيعية الحديثة ، ولكن لا مناص من أن نلخص يوما هذه المسائل وهى من أبدع ما وصل إليه الفكر البشرى من الجمال والتنسيق ، عندئذ نذكر قصة بالمر (Balmer) ثم انتصارات بوهر (Neils Bohr) الدنمركى الذى كان مساعداً لرذرفورد . فليست هذه من المسائل التى يجوز إغفالها ، ونكتفى الآن أن نذكر أن الأخير وفق بين النماذج الشمسية لرذفورد ، وبين نظرية الكم (quanta) للعالم الكبير بلانك (Max Planck) . ولبوهر تعزى فكرتان أساسيتان فى الفلسفة الحديثة ، الأولى تتلخص فى أنه يجوز لنا أن نفترض كل الأقطار أى الأطوال فى مسارات المجموعات الشمسية الخاصة بالعالم الكبير بينما لا يجوز لنا أن نفترض إلا أطوالاً معينة لمسار الألكترونات . والفكرة الثانية : أن الإشعاع وفق آراء « بوهر » هو جهد حادث من وثبة للألكترون حول النواة من مسار إلى مسار أقرب منه لها

إنما أذكر ذلك ليعلم القارىء أن النموذج الشمسى (رغم ما دخل عليه من تعديل بعد الميكانيكا الموجية للعالم « دى بروى » (De Broglie) لم يكن مجرد العلم التخمينى أو النظرى بل كان يتصل بكل الفروع الطبيعية الأخرى وبخاصة التحليل الطيفى ، وعند ما تتاح لى الفرصة لأطلعك على الانتصارات الكبرى التى حازها بوهر وغيره تصبح هذه الحركات الألكترونية فى المادة الصماء أمراً عند القارىء لا يقبل الجدل .

نعود للنموذج الشمسى ونترك البراهين عليها فى الوقت الحاضر؛ فالذرة وفق « رذرفورد » مجموعة شمسية تتوسطها نواة كالشمس شحنتها موجبة وتدور حولها ألكترونات كالسيارات التسعة

شحنتها سالبة ، ويصح أن تحوى النواة عدداً من الوحدات السالبة تتعادل مع عـدد من الألـكترونات، وكلما كانت النواة ثقيلة زاد عدد وحداتها الموجبة . وأخف ما نعرفه من النواة نواة الهيدروجين التى تحوى شحنة واحدة موجبة يدور حولها ألـكترون واحد كالأرض يتبعها القمر . أما الهيليوم فلنواته شحنتان وبالتالى يدور حولها ألـكترونان ، ويحضر الذهن بعد ذلك فى جدول العناصر الليتيوم Lithium الذى لنواته ثلاث شحنات ويدور حولها ثلاث ألـكترونات كما هو مبين بالشكل (١)

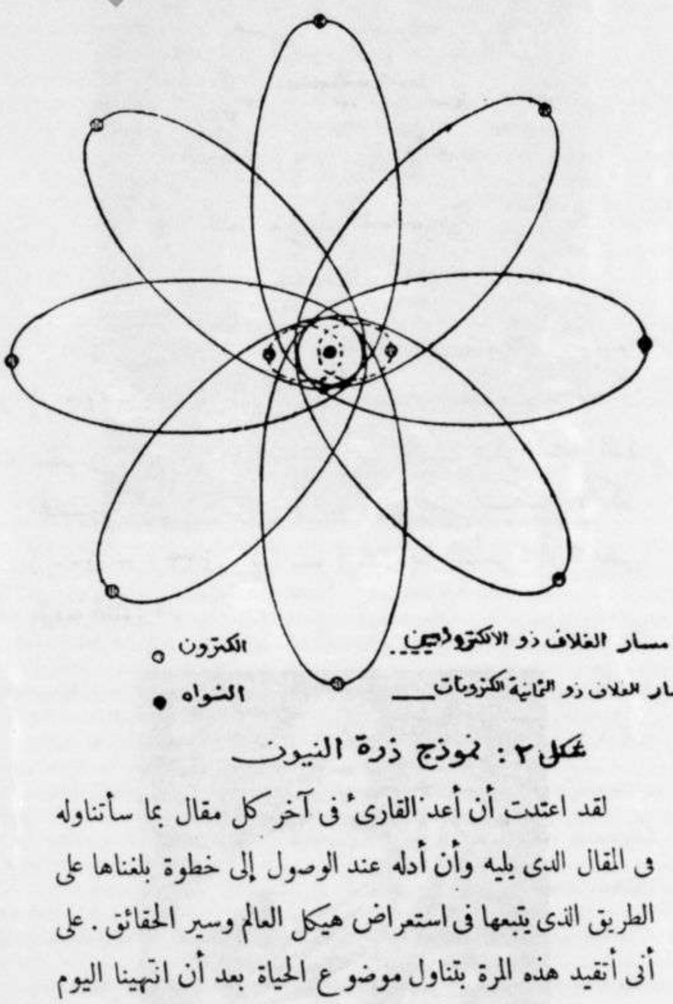
ولقد أمكن البرهنة على أن واحـداً من الألـكترونات الثلاثة لا يجتمع مع الآخرين فى غلاف واحد (الغلاف الجزء المحدد بالسهام) وهذا الألـكترون الثالث يشبه فى هذه المجموعة الشمسية الصغيرة كوكب بليتون فى مجموعتنا الشمسية الـكبيرة ، والذى ذكرنا أنه يدور بعيداً جداً عن الشمس ويتم دورانه فى ٢٥٢سنة وهكذا كان للذرة كل عنصر عدد من الألـكترونات يتزايد من عنصر لآخر حتى نصل إلى الذرات العليا مثل الرصاص الذى يدور فى غلافه ٨٢ ألـكترونا وهو بذلك مجموعة شمسية معقدة . كذلك الايرانيوم وتعد ذرته أثقل الذرات إذ يدور حول نواته ٩٢ ألـكترونا ولعل هذه الـكثرة هى السر فى عدم اتزانه وفى كونه المواد المشعة



شكل ١ : نموذج ذرة الليتيوم

وفى (الشكل ٢) مثال آخر لنموذج ذرة النيون وهو الغاز الذى استعمله لأول مرة جورج كلود أستاذ كلية فرنسا والذى يكثر استعماله فى الاعلانات فى المساء فتملأ أنابيبه شوارع القاهرة. وفى هذا النموذج ترى للنواة مسارين لألـكترون وثمانية مسارات لثمانية ألـكترونات أخرى

هذه هى المادة كما يراها العلماء وقد ذكرنا فى مقالنا السابق أن المركبات المادية للـكائن الحى هى ذرات كيميائية (الـكربون والأكسيجين والهيدروجين والأزوت) وأن العلماء يعتقدون أنه قد حدث فى وقت من الأوقات أن مجموعة من هذه الذرات ترتب بطريق الصدفة بالطريقة الموجودة بها اليوم فى الخلية الحية ، وتساءلنا هل المادة الحية مجموعة من الذرات أو مجموعة من الذرات مضافاً إليها الحياة ؟ وقد بدأنا اليوم بهذا الوصف للمادة وفق آراء العلماء ، وبقى لنا أن نتناول المادة الحية ونعرف فى أى الأوجه تختلف عما وصفناه



شكل ٢ : نموذج ذرة النيون

لقد اعتدت أن أعد القارىء فى آخر كل مقال بما سأتناوله فى المقال الذى يليه وأن أدله عند الوصول إلى خطوة بلغناها على الطريق الذى يتبعها فى استعراض هيكل العالم وسير الحقائق . على أنى أتقيد هذه المرة بتناول موضوع الحياة بعد أن انتهينا اليوم من وصف المـادة وصفاً كان لازماً لتناول مثل هذا الموضوع . وها قد وصلنا معاً إلى طريق وعرة ولـكنى سوف لا أدخل بالقارىء مكاناً أشعر أنه لا يتعلم منه شيئاً جديداً . وإنى أنتهز الفرصة لأقدم شكرى للذين أرسلوا إلى كلماتهم الطيبة بخصوص هذه الجولات ، وسأواصل جهدى على صفحات الرسالة فى تبسيط ما نصل إليه من المعرفة

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية ، ليسانس العلوم الحرة ، دبلوم المهندسخانة



بركسيتلس
PRAXITELES
للدكتور احمد موسى

كان للانقلاب المدنى الذى جلبته حرب البيلوبونيز (٤٣١ — ٤٠٤ ق . م) وتطور العقلية والنفسية الإغريقية أثر عظيم فى النهوض الفنى واتجاهه . ولذلك يمكن اعتبار المدة المحصورة بين نهاية تلك الحرب وبين عصر اسكندر الأكبر (٤٠٠ — ٣٣٠ ق . م) مدة « الازدهار المتأخر » أو « عصر الرفعة الثانى » .



(ش ١) ساتير

ولا يهم مؤرخ الفن المشتغل بالأركيولوجية الإغريقية أن يتناول فى مقال كل ما أحاط بالحياة الإغريقية من سياسية واجتماعية إلى مدنية إلى حياة خاصة بسبب الحرب ؛ وإنما يهمه أن يتلمس النتائج التى ترتبت عليها فى الآثار الموجودة أو على الأقل بين دفات الكتب الموثوق بقيمتها العلمية كمراجع يعتمد عليها ومصادر أثبت البحث صحة ما جاء فيها .

ولما كان الفن الإغريقى قد اتجه فى النحت بعد حرب البيلوبونيز اتجاهاً صادق التعبير عن التغير والمنهج الجديد الذى مال كثيراً وفى وضوح إلى تمثيل الفردية بعد أن كان ممثلاً للجماعات ؛ فقد جاء من حيث الجوهر أقوي إفصاحاً عن النظرة الشخصية للفنان .



(ش ٢) هرمس فى أولمبيا

ولذلك — ولا نبعد عن الصواب — نجد أن التماثيل فى مجموعها انتقلت انتقالاً هائلاً من ناحية تعريفها للحياة فى صدق ومحاكاتها للطبيعة البشرية فى قوة، لما ظهر عليها من حسن التكوين والحركة، كما تمكن الفنان من التعبير عن خوالج النفس، وهذه ناحية لم تكن إلى هذه المرحلة مما يستطاع تمثيله أو محاكاته ولا سيما أن المشاعر النفسية والعوامل التى يتأثر الجسم منها تأثراً يبدو فى حركته وينعكس على ملامح الوجه ، مما لا يتاح لنحات أن يخرجه إلا بعد وصوله إلى درجة عليا من المقدرة الفنية

فبينما نرى اهتمام الفنان كان قبل هذه الآونة متجهاً نحو تمثيل المقدرة والشجاعة والقوة[1] ، نراه فى هذه المرحلة أكثر ميلاً نحو صدق المحاكاة ومراعاة التعبير عن النفسيات ، والرغبة فى التأثير على المشاهد بإشراك حواسه فى الاستمتاع والسمو قبل الشعور بالرهبة والتأثر بالعظمة .

وهذا ما انبنى عليه تقهقر النحت التذكارى والتجسيم المعمارى وتقدم التماثيل المستقلة ذات الفكرة المحدودة . وهكذا ترى انتشار

(١) راجع مقالنا عن فيدياس بالرسالة

التماثيل الرخامية (لا سيما فى أتيكا) واختفاء غيرها من تلك التى كانت تنحت من سن الفيل والذهب ، هذا فضلاً عن الكيفية التى سار عليها النحات لإبراز التفاصيل دقيقة وإظهار القدرة فى القطع الرائع .

تم هذا على أيدى فنانين مبدعين نذكر منهم ديمتريوس Demetrios of Alopeke وسيلانيون الأثينى Silanion وسكوپاس Skopas الذى يعد أول نحات إغريقى فى القرن الرابع قبل الميلاد . كما يعتبر فى مقدمة زعماء المدرسة الأتيكية الحديثة .

بعد هذا التطور وفى وسط هذا المحيط نشأ الفنان العظيم پركسيتلِس بن كيفيسودتس الذى ينتمى إلى عائلة أتيكية .



(ش ٣) هرمس فى لندن

وكان أصغر سناً من سكوپاس فرأى الكثير قبل البدء، كما أنه أقام معظم سنى حياته فى أثينا حتى عصر اسكندر الأول ، وقد خلدت شهرته كنحات للرخام دون غيره بالرغم من أن له بعض قطع عملها من البرنز

وبدراسة ما تركه هذا النحات الفذ نحصل على قسط وافر من مميزات طابعه الشخصى الذى يتلخص فى أنه عنى عناية فائقة ونجح نجاحاً باهراً فى التعبير عن الجمال النابض ، واختار مادته منه فى ربيع الحياة، فمثل الشباب تمثيلا رائعاً خلاباً وأبرز أسمى صفاته وهى الصبا والزهو والقوة والنشاط وحسن التكوين .

وهذا لا يمنع من وجود بعض القطع التى مثلت ناحية الجد والنضوج ، فجمع بين حالتين جعلت منه أستاذاً فى تصوير العوامل النفسية دون نزاع . كل هذا بالنظر إلى الدرجة العليا التى وصل إليها فى هذا المجال ؛ فمن الهدوء إلى الحركة ومن اللين إلى العنف فضلا عن أنه جاء بجديد له قيمته العظمى فى دراسة فن النحت،



(ش ٤) رأس تمثال هرمس فى أولمبيا

فقد استطاع الجمع بين التكوين الجسمانى فى وضع ما ، وبين ما يلائم هذا الوضع من ملامح ترتسم على الوجه وتنسجم مع تكوين الرأس فكأنه أكسب رؤوس تماثيله حياة اتفقت مع تمثيل الواقع ، وانسجمت مع المجموع الإنشائى ، فجاءت دليلا على أن الفنان بلغ الذروة فى دقة الإخراج من ناحيتيه الفنية والعملية ، كما أنه سار بالنحت خطوات واسعة نحو التأنق فى التكوين .

أما من حيث الناحية الإنشائية فإنه كان واسع الأفق غير محدود الخيال ، فأخرج إلى جانب تماثيل الآلهة تماثيل للإنسان (تمثال ديادومينوس وغيره) .

ولپركسيتلس ناحية أفرغ فيها حبه وهيامه ، تلك هى الناحية التى عبر بها عن جمال أفروديت إلهة الحب ، وشباب إيروس Eros إله الحب وابن أفروديت وهو الذى تحدثنا القصة الإغريقية عنه بأنه كان ولداً جيلاً بجناحين أو شاباً يحمل قيثارة Lyra أو قوساً ، وموسيقى أپولو Apollo بن زويس إله النور والغناء والعزف ، ونشوة ديونيزوس Dionysos إله الزراعة والحصاد وزراعة الكرم .

وأهم أعماله الباقية وأحسنها تمثال هرمس Hermes ابن

زويس إله الطبيعة والرعاة ورسول الآلهة « وإله التجارة والطرق والرّحل واللصوص » والنوم والأحلام . وهو التمثال الذى وجد أثناء أعمال الحفر سنة ١٨٧٧ ولا يزال محفوظاً بمتحف أولمبيا .

وقف الإله الشاب عارياً يحمل بذراعه اليسرى المتكئة على جذع شجرة الطفل ديونيزوس (ش ٢ تمثل نصف التمثال فقط) ويمسك بيمناه عنقود العنب متجهاً به نحو الطفل . والساق اليمنى مستقيمة (هكذا فى الأصل الكامل) والوسط محدود بخطوط غاية فى الدقة مما تميز به نحت الفنان . والإنشاء المجموعى والوضع الكلى لهذا التمثال كله ملىء بالحياة ، عظيم بالجانب المتوفر فيه من الجمال ، ولا سيما الرأس الدقيق الصنع البديع التكوين . أما الابتسامة الهادئة التى ارتسمت على وجه صاحبه (ش ٤) فهى من أدق ما شوهد منحوتاً فى الرخام .

ولعل تمثاله لأفروديت كنيتوس Aphr. of Knitos هو أهم وأعظم عمل فنى قام به (ش ٦) ، وقد فهم الأقدمون ذلك ونظروا إلى التمثال نظرة تقدير وإعجاب واستمتاع بروعته . تريد أفروديت النزول إلى البحر ، فتخلع ملابسها وتلقى بها على آنية الزهر . وقد اتخذ من فكرة الرغبة فى الاستحمام والتهيؤ للنزول فى الماء موضوعاً للانشاء الفنى الخلاب ، فبدا التمثال هائلاً ، وظهر الوجه وعليه أثر ابتسامة أقل ما يقال فيها أنها التوفيق الكامل .



(ش ٥) رأس أفروديت فى لندن

ولم يبق أثر يدل على هذه العظمة الفنية إلا الصور التى رسمت على العملة ، إلى جانب تماثيل نقلت عن الأصل ، أحسنها التمثال المحفوظ بالفاتيكان (ش ٤) وآخر محفوظ فى ميونيخ Glyptothek in muenchen فيه بعض التغيير .



(ش ٦) تمثال أفروديت فى الفاتيكان

وفى انجلترا رأس أفروديت (ش ٥) وله تماثيل لأفروديت فى لباسها نذكر منها ما عمله لمدينة كوس Kos .

وله أربعة تماثيل لإيروس موجود أحدها بالفاتيكان وآخر فى نابولى . وتماثيله لأبولو تحتاج إلى شرح وإفاضة . وكل ما نبتغيه من هذا المقال ومن غيره أن يلتفت القارئ إلى النحو الذى سار عليه أساطين الفن ومقارنة ذلك بالاتجاه السقيم الذى يتجه نحوه بعض الشباب من المشتغلين بالنحت فى هذه الأيام ، وهم يعتقدون أنه الاتجاه الصحيح على حين أنه العجز فى معناه الكامل .

أحمد موسى

السيدة فتحية أحمد

من الوجهة الفنية

للأديب محمد السيد المويلحى

من أثبت المطربات قدماً فى فنها ، وأعظمهن خبرة بصناعتها. تعتبر ثانية مطربات الشرق بعد (أم كلثوم) ، وإن كان بعض جهابذة الفن يرفعها عليهن جميعاً لقدرتها وتصرفها العجيب الذى يجمع بين سحر القديم وقوته ، ورونق الجديد ورقته ، والذى لا يعجز عن إرضاء جمهرة السامعين ولو كانوا حشداً مختلفاً فى ذوقه متبايناً فى عمره .!

سمعتها مرة تغنى فى دار (الاتحاد الموسيقى) الذى يرأسه الأستاذ ابراهيم شفيق وكان على رأس الجميع مصطفى رضا بك مدير المعهد الملكى للموسيقى العربية ، والدكتور محمود أحمد الحفنى مدير إدارة الموسيقى بوزارة المعارف ، والآنسة أم كلثوم، فإذا بها تبتدىء من نغمة (النهاوند) فعملت من (النوا) بياتى ثم نهاوند . وحولت النوا عشاق وقفلت (تركيز) على أساس النغمة، ثم النوا راست وقفلت(زاريل)، ثم رجعت للنوا حجاز وطلعت على جواب الكردان وعملت نهاوند وراست على (الكردان) ، ثم صبا على الحسينى ، ثم قفلت (نهاوند) !

وكل هذا متآلف مع النغمة الأصلية مما أخرج (أم كلثوم) عن طورها فلم أرها فى موقف لمطرب أو مطربة (تصرخ) كما كانت تصرخ أمام (فتحية) . ولقد أراد البعض أن يرجوها فى الغناء بعد أن انتهت ... فما كان منها إلا أن قالت حرفياً (وماذا أقول بعد هذا) !

يبلغ صوتها خمسة عشر مقاماً تقريباً. وهو من نوع (الكونتر آلتو) وإن كان البعض يقول إنه من فصيلة (التينور) ... !

يمتاز بلمعته ونبرته وقدرته حتى أطلق عليه جميع الموسيقيين والموسيقيات لقب (الفتوة) ! لأنه ينفرد بقوة عجيبة غريبة ؛ فلو استمر شهوراً يشتغل كل ليلة ما شكا وما نقص وما (خستك) كغيره من الأصوات .. جيد الإلقاء . دقيق المحاكاة .

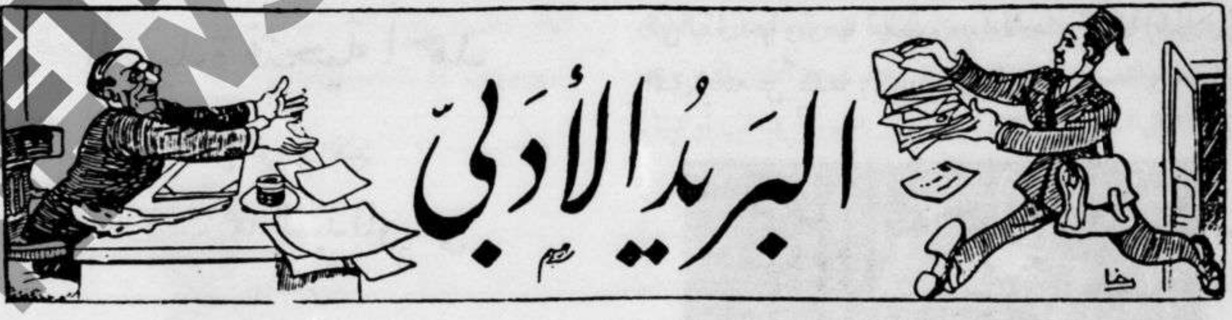
هى أول (مطربة) جمعت بين أشياء متناقضة متنافرة لا سبيل إلى جمعها أبداً ! جمعت (الشرف) والفن والأمومة المنتجة الرحيمة التى تبذل دمها وروحها لتهذب وتعلم أولادها من مالها (الحلال) الذى جمعته من كدها ، وتعبها ، وصوتها !



(ياليل) ... أشهد أننى أكره هذا النداء الذى قتله مطربونا ومطرباتنا نداء ، وأوجعوه وأثخنوه مناجاة . ولست أدرى السر فى هذا ، ألقصور فنى ، أم لضعف صوتى ؟؟ إن كان هذا أو ذاك فقد كنت أكره نداء الليل ومناجاته حتى سمعت هذا النداء العجيب من (فتحية)

سمعتها تناجيه وتناغيه بتصرف حيرنى ، ثم أدهشنى وأعجبنى حتى حول كراهتى حباً وافتناناً ... وصرت لا أود ولا أسمى إلا لأسمعها تقول : ياليل .. ! بقوة تخجل الرجال ، وبقدرة تذهل النساء ، حتى اعترف لها الجميع وأولهم (أم كلثوم) و (عبدالوهاب) بأنها أقدر مطربة فى العصر الحديث فاقت المطربين والمطربات فى مناجاة (الليل) وغناء (الموال) .!!

هاجرت إلى الشام مراراً وراحت تذيع رسالتها هناك فذاع اسمها ذيوعاً قل أن يدركه غيرها ، ولكن الحنين عاودها إلى مصر



فى الاستشراق

ظهر الجزء الأخير من المجلد الثانى لكتاب « تكملة تاريخ الآداب العربية » من تأليف المستشرق الكبير الذائع الصيت الأستاذ كارل بروكلمن ، وهذه « التكملة » تستدرك ما فات المؤلف فى « تاريخ الآداب العربية » المطبوع سنة ١٨٩٨ . ثم تأتى بكل ما حدث فى جانبى النشر والبحث منذ ذلك العهد . وهى على جانب عظيم من التدقيق والتحقيق ، وإن رأى بعضهم أنها موضع مراجعة من هنا ومن هنا . والحق أن الأستاذ بروكلمن جدير بالإعجاب فضلاً عن الشكر ؛ ذلك أن عمله جليل ونافع ، وما نظن أحداً من المشتغلين بالشرقيات يستطيع أن يهمل « تاريخ الآداب العربية » و « تكملته » فإنهما مصدر عرفان لا يعدله مصدر فى بابه . ودليل هذا أن جميع من كتبوا فى الآداب العربية رجعوا إليه بل اعتمدوا عليه . ولهذه التكملة جزء ثالث سيبرز هذه السنة فى أجزاء متوالية ، وسيكون موقوفاً على الأدب العربى الحديث

مكارم الأخلاق

للدكتور بشر فارس مبحث عنوانه : « مكارم الأخلاق » عبارة أخاذة ترجع إلى الأخلاقيات التقليدية نشر من عهد قريب باللغة الفرنسية فى « مجلة الأكاديمية الوطنية للعلوم » فى روما (الجزء ٥ — ١٠ لسنة ١٩٣٧) وهى من أعلى المجلات العلمية مكانة فى أوربا، وكان الدكتور بشر فارس ألقى هذا البحث محاضرة فى مؤتمر المستشرقين المنعقد فى روما سنة ١٩٣٥ ، وإليك فصول هذا البحث : رواج عبارة «مكارم الأخلاق»، مفادها، مصدرها، مضمونها ، علاقتها بالفتوة والمروءة ، اتصالها بزمن الجاهلية ، الخاتمة : عبارة إسلامية محضة ، رخصة ، مبهمة ، أخاذة . ويمتاز هذا البحث بالمنهج العلمى وبإثبات المصادر الأولى . وقد بلغنا أن صاحبه سينشره بالعربية هذه السنة فى مصر طى كتاب يضم مباحث أخرى عنوانه « مباحث عربية »

فرجعت لترى أن القدر قد أعد لها (مزحة) تهد الجبال وتقتل الرجال . رجعت وكان لها (رصيد) فى البنك يبلغ سبعة آلاف من الجنيهات فإذا به (ستة مليمات) فحسب ... ! فإذا أردت أن تعرف السبب فهو (رجل) وضعت فيه ثقتها بحكم قرابته لها فإذا به يستغل جهلها بالقراءة والكتابة — وقتئذ — وينتزع منها ومن أولادها هذا المال الذى جمعته كما قلت قبلا بكدها وسهرها وصوتها ... !

لاعيب فى مطربة (القطرين) إلا أنها كغيرها من مطرباتنا قطعت شوطاً عظيما ، وزمناً طويلاً فى الجو الموسيقى فلم تستفد ، ولم تتقدم ، ولم تتعلم ، اعتماداً على صوتها وحسن تصرفها الذى وهبها الله إياه

تحب الفن للفن ، والموسيقى للموسيقى ، ولا تستطيع أن تملك نفسها وتكبت شعورها وتحبس إعجابها — كما يفعل غيرها — عند ما تسمع الجيد المتقن، فتراها تنثنى وتصفق (وتزن) كأى فرد عادى تماماً . ولعلها المطربة الوحيدة التى تسعى وراء كل مطرب أو مطربة لتسمع وترخى أذنها وفنها . ولا يظن القارئ أن تلك الصفة التى توصف بها فتحية (عادية) لأنها إن كانت عادية معه ومعى إلا أنها معدومة مفقودة فى الوسط الفنى. ما من فرد من أبناء الموسيقى سواء أكان مطرباً أو مطربة تسأله رأيه فى زميل إلا سمعت الثناء أولاً ثم التعقيب بكلمة (ولكن...) ولكن هذه كفيلة بتشويه جميع الحسنات ، وتدنيس جميع المزايا ، وتحقير جميع الهبات ...

أما فتحية فرأيها صريح واضح ، قاطع صادق . وما أندر الصدق بين المطربات !

محمد السيد المويلحى

هل فى القرآن الكريم أسلوب غير عربى ؟

ذكر الشيخ الخضرى فى حاشيته على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك فى النحو أن قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام : (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) يجوز أن يكون وضع اسم الإشارة للمذكر فيه وهو هذا موضع المؤنث لأن لغة ابراهيم كانت لا تفرق فى اسم الإشارة بين المذكر والمؤنث ، فجرى القرآن فى ذلك عليها ، وأشار إلى الشمس وهى مؤنثة باسم الإشارة الموضوع فى لغة العرب للمذكر

وقد نبهت طلابى فى الدرس إلى خطر هذا الرأى ، وأحببت أن أبين هذا لقراء مجلة الرسالة الغراء

فالأمر فى هذا يرجع إلى الأسلوب ، ولم يختلف أحد فى أن أسلوب القرآن يجب أن يكون عربياً ، فلا يصح أن يتقدم فيه مثلاً المضاف إليه على المضاف ، ولا غير هذا من أساليب اللغات الأخرى ، وإن كان كلامه مترجماً عنها ، لأنه يسلك فى ترجمته أسلوب الترجمة المعنوية ، ولا يتقيد فيها بشىء من أسلوب ما يترجم عنه

وهذا الذى أمنعه مما يرجع إلى الأسلوب غير ما اختلف فيه العلماء من وقوع المعرب فى القرآن الكريم ، لأن ما يرجع إلى الأسلوب يرجع إلى نحو العربية، فتكون مخالفته خطأ. أما وقوع المعرب فى القرآن فيرجع إلى إيثار لفظة أعجمية على لفظة عربية، وهذا لا يمكن أن يتوجه إليه الخطأ، ومع هذا اختلف علماؤنا فيه ورأى بعضهم أنه يقدح فى عربية القرآن الكريم

وقد ذكر الشيخ الخضرى مع ذلك الاحتمال الذى نخالفه فيه احتمالات أخرى تسيغها العربية ، ولا تكلف القرآن أن يجرى على أسلوب لغة أخرى غيرها ، فقال: يجوز أن يكون تذكير اسم الإشارة فى ذلك مراعاة لتذكير الخبر ، أو أن يكون تذكيره لتنزيل الشمس منزلة المذكر . وإنى أرى أن ابراهيم كان يشير إلى جرم الشمس فى ذلك الوقت لا إلى لفظها ، ولفظها هو المؤنث فى العربية ، أما مدلولها فكوكب من الكواكب كالقمر وغيره ، والكوكب مذكر لا مؤنث ، ولهذا أشار إليه ابرهيم بلفظ المذكر

عبد المتعال الصعيدى

الأدب المصرى فى رأى كاتب لبنانى

نتقل عن زميلتنا (المكشوف) البيروتية ذلك الرأى الجرىء الذى أشار إليه فى هذا العدد الأستاذان : توفيق الحكيم وابن عبد الملك ، فإن فى الاطلاع عليه فائدة من جهة صوابه ومن جهة خطأه . قال الكاتب :

« لست مكابراً ، ولكننى أنكر مستنداً إلى الوقائع الحقيقية التى قررها الأستاذ سامى الكيالى فى رده على كلمتى البريئة حول إشارته إلى « امتداد الأدب المصرى والثقافة المصرية فى أجواء البلاد العربية » . فقد بنى الأستاذ زعمه هذا على ما تخرجه المطبعة المصرية من مؤلفات عربية

فما هى هذه المؤلفات ؟

أكثرها غير مصرى . والأستاذ الكيالى لا يجهل أن المطبوعات الصادرة عن مصر هى فى الغالب كتب قديمة أعيد طبعها ، أو مخطوطات نادرة تطبع للمرة الأولى . فهى إذن ليست مصرية لأن أصحابها من خارج مصر . وليدلنى إن استطاع على كتاب واحد ذى قيمة لمؤلف مصرى صميم

أما المؤلفات المصرية الحديثة فلا أعرف أين هى مخبأة لا تظهر على وجهى ، فإن أكثر هذه المؤلفات أنشأه كتاب مصريون ، ولكن بمادة أجنبية مستوردة من الخارج

تأمل أن مصر التى يقول الأستاذ صاحب « الحديث » أنها تسيطر بثقافتها على البلاد العربية قد عجز أدباؤها وأعلامها عن وضع الموسوعة الإسلامية فلجأ بعض المعلمين الرسميين إلى ترجمتها عن لغة أجنبية . وياليتهم أجادوا الترجمة ، إذن لهانت المصيبة ، ولكن ترجمتهم جاءت فاسدة مشوهة تضلل ، والمفروض فيها أنها تهدى !

وتأمل أن مصر التى يريد بعضهم أن يجعلها زعيمة العروبة ، ينادى أكبر أديب فيها بفرعونيتها ويقول : إن الاسلام لم يغير شيئاً من عقلية أبنائها على الرغم من مرور ثلاثة عشر قرناً على قيامه فى وادى النيل !

وتأمل أن مصر العظيمة هذه لم يخلق فيها بعد ناثر أو شاعر يسجل فى ملحمة شعرية أو نثرية الأحداث الخطيرة التى تعاقبت

عليها منذ الهدنة إلى اليوم ، ويخلفها تراثاً خالداً للأجيال الآتية !

وتأمل أن أكبر مفكرى مصر وأدبائها من طه حسين ، إلى حسين هيكل ، إلى أحمد أمين ، إلى محمد لطفى جمعة ، إلى غيرهم وغيرهم ، قد عجزوا فى مؤلفاتهم التى خلقت شهرتهم الأدبية عن الإتيان بنظرة واحدة طريفة لم يستمدوا روحها من أجنبى . فالشك فى صحة « الشعر الجاهلى » مسبوق إليه ، و « حياة محمد » مقتبسة من كتاب أميل درمنكهيم ، و « ضحى الإسلام » ليس لمؤلفه فيه إلا العنوان بدليل الأسماء العربية الواردة مشوهة فى طبعته الأولى أمثال زافار وأصلها ظفار ، وأريتاس وأصلها الحارث، و«فلاسفة العرب» وأصله بالفرنسية«مفكرو الإسلام» لكارا ديفو

أتكون هذى هى الثقافة المصرية التى تريد يا أستاذ سامى أن تتأثر بها البلاد العربية ؟

إننى أنكر هذه الثقافة اللقيطة ، ويعز على كلبنانى عربى أن تؤخذ بلادى بالتدجيل وتخدع بالدعايات المجانية أو المأجورة »

زهير زهير

مصر فى مختلف العصور

فرغ الأستاذ محمد قاسم بك عميد دار العلوم من تقريره عن مؤتمر العلوم التاريخية الثامن فى دورته الأخيرة التى عقدت بمدينة «زوريخ» ومثل هو مصر فيه ثم رفعه إلى معالى وزير المعارف

ويقع هذا التقرير فى ٢٣ صفحة ، تحدث فيها الأستاذ قاسم بك عن النظام السياسى والفكرى فى سويسرا ، ثم أشار إلى أهم الموضوعات التى عرضت على بساط البحث ، ولا سيما ما يتصل منها بالبلاد الشرقية والمسائل التى تتخذ صبغة عامة

وانتقل إلى الكلام عن رسالته التى عرضها على المؤتمرين — وهى خاصة « بالبحث العلمى » — وانتهى من هذا إلى ذكر طائفة من المقترحات رأى أن تنفيذها يجعل مصر تتابع الأبحاث التاريخية التى تجرى فى البلاد الأخرى .

ومن هذه المقترحات تحويل الشعبة التاريخية المحلية إلى جمعية تاريخية تعنى ببحث تاريخ مصر ، وإنشاء متحف تاريخى ووضع فهرس سنوى خاص بشئون التاريخ

ومما جاء فى هذه المقترحات أن تعمل الحكومة على وضع أطلس تاريخى لا ليسد حاجة المدارس ومعاهد التعليم وحدها بل يفى بجميع حاجات الدولة . وأن يوضع معجم تراجم يبين تاريخ كل من اشتغلوا بالشئون التاريخية فى أجيال مصر المختلفة

ومن أهم هذه المقترحات وضع تاريخ عام لمصر تنهج فيه الحكومة منهجاً قومياً ، أسوة بما حدث فى الممالك التى نهضت حديثاً كبولندا وتركيا وألمانيا وإيطاليا وغيرها

ترقية الأغانى واعداد أناشيد مدرسية قومية

أشرنا من قبل إلى مشروع وزارة المعارف لترقية الأغانى المصرية ورفع مستواها والتوسع فى أغراضها ومدلولاتها بما يفى بحاجات الوطن المعنوية لاطراد النهوض والتقدم

وقلنا إنها اعتزمت أن تعهد إلى عدد من كبار الشعراء والموسيقيين تأليف وتلحين خمسين قطعة غنائية ، متجهة فى ذلك إلى العدول عن نظام المسابقات

ونزيد اليوم أنه تألفت لجنة من حضرات على الجارم بك ومصطفى رضا بك مدير معهد فؤاد للموسيقى والدكتور محمود الحفنى مفتش الموسيقى بوزارة المعارف للنظر فى تفاصيل هذا المشروع وطرائق تنفيذه وإنجاحه

أما اختيار الشعراء الذين يعهد إليهم وضع القطع فسيترك إلى رأى معالى وزير المعارف ، وسيبدأون فى عملهم عقب إبلاغهم ذلك مع التوجيهات التى تحرص الوزارة على إحاطتهم بها دون المساس بحريتهم فى التأليف

وسيكون من عمل اللجنة أن تنظر فى إعداد الأناشيد المدرسية التى تريد الوزارة أن تكون نموذجاً للأغانى التى تنشدها وذلك فى مناسبة احتفالها باستقبال صاحب السمو الأمبراطورى ولى عهد إيران .

توحيد الثقافة بين مصر والأقطار الشرقية

من الخطوات أو الوسائل التى فكر فيها أولو الأمر فى وزارة المعارف للوصول إلى توحيد الثقافة بين مصر والأقطار الشرقية إنشاء معاهد علمية مصرية فى بعض هذه البلاد الشرقية

تنشر بين أبنائها الثقافة المصرية والمناهج العلمية الحديثة التي يراعى فيها أن تتوحد بالتدريج ثقافة الشرق العربي . وقد صادف هذا التفكير قبولاً من بعض الهيئات التي يهمها أن تشتد أواصر الصداقة بين مصر وشقيقاتها العربية ، وأن تحمل مصر علم الزعامة العلمية في هذا العهد الجديد

ولكن هذا المشروع ما زال مبدئياً ، ولا بد أن تخطو به وزارة المعارف خطوات كثيرة ، فتخرج به من حيز التفكير إلى حيز العمل ، ومنها الاتفاق مع الدول الشرقية التي ينتظر أن يبدأ بإقامة المعاهد المصرية فيها ، وتدبير المال اللازم للبدء في المشروع . وقد اتصلت الوزارة ببعض وزراء الدول المفوضين في الدول الشرقية وطلبت إليهم إبداء رأيهم في إنشاء هذه المعاهد وينتظر أن تتصل بالبعض الآخر لتتكون لديها فكرة واضحة ذات تفصيلات صحيحة عن الموقف كله ولتبدأ بعد ذلك في السير في المشروع إذا استطاعت اجتياز عقبة تدبير المال

احياء الأدب العربي القديم

عزمت وزارة المعارف رغبة منها في تقريب الأدب العربي القديم من نفوس الطلاب وناشئة المتأدبين أن تعمل على تهذيب طائفة من كتب الأدب

وقد استقر رأيها على البدء بتنفيذ هذا المشروع في ٣٠ مؤلفاً بين كتاب وديوان على أن تدع باب الاشتراك في هذا العمل مفتوحاً أمام من يريده من الكتاب حتى ١٥ مارس القادم ، وأن يكون أجل تقديم الكتب والدواوين بعد إعادة وضعها على الأسلوب الذي تشير به الوزارة يوم أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ وفيما يلي أسماء هذه الكتب :

العقد الفريد . الصناعتين . الخطط للمقريزي . الطالع السعيد للأدفوي . تاريخ الجبرتي . علم الدين لعلي مبارك . المستطرف للابشيهي . محاضرات الأدباء . مختارات من الأغاني . مسالك الأبصار للعمري . نهاية الأرب للنويري . طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة . صبح الأعشى . النجوم الزاهرة . مختارات من مقامات الحريري . الضوء اللامع للسخاوي . حسن المحاضرة للسيوطي . مختارات من قصة عنترة . مختارات من رسائل الجاحظ . تراجم من ابن خلكان . تراجم من خزانة الأدب للبغدادي . تراجم من معاهد التنصيص . ديوان أبي تمام . ديوان ابن النبيه . ديوان البحتري . ديوان المتنبي . مقدمة ابن خلدون . ديوان البهاء زهير . ديوان ابن سناء الملك . ديوان ابن نباته

هذا وستمنح الوزارة مكافأة كبيرة لكل كتاب يقبل ، وقد ألفت لفحص هذه الكتب لجنة من الأساتذة : أحمد أمين ، ومحمد جاد المولى بك ، وعلي الجارم بك

اللغة الفارسية في الجامعة الأزهرية

ندبت مشيخة الأزهر الأستاذ محمد تقي القمي العالم الإيراني نزيل مصر الآن لتدريس اللغة الإيرانية بكلية اللغة العربية . وقد بدأ الدراسة في الأسبوع الماضي وحضرها من الطلبة ثلاثون طالباً وقدمه صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ ابراهيم حمروش شيخ الكلية بكلمة طيبة فرد عليه مبينا فضل اللغة العربية على العالم الإسلامي وأشار إلى ما بينها وبين اللغة الفارسية من الروابط الثقافية مما يجعلهما متلازمتين .

ثم انتقل بعد ذلك إلى الدرس الأول في اللغة ولم يشأ أن يعلم في هذا الدرس الطلبة غير كلمات ثلاث وهي « الله والملك والوطن »

وسيشمل تدريس اللغة الإيرانية تاريخ الأدب الإيراني وينتظر أن يمتد تدريس هذه اللغة إلى كليات أخرى .

الدكتور زكي مبارك

مضت أسابيع وأصدقاء (الرسالة) يسألون عن السبب في احتجاب الدكتور زكي مبارك ، وقد خشينا أن يكون أصيب بمرض الكسل الذي يؤاخذ به من يناوشهم من الأدباء . ومَن عايَرَ ابتُلِي ! ثم عرفنا أنه كان في ضيافة « ليلى المريضة في العراق » وأن كتابه عنها وصل إلى ثلاثة مجلدات ضخام . وقد وصلت إلينا مقدمة هذا الكتاب وسننشرها في العدد المقبل

أما أبحاث الدكتور زكي مبارك في النقد الأدبي فسنواجه بها القراء بعد أيام

جمعية تركية مصرية

تلقينا أنه قد تألفت في مدينة القاهرة جمعية باسم « الجمعية التركية المصرية الخيرية » غرضها إيجاد صلة من التعاون والتعارف

بين الأتراك والمصريين وتقوية الروح الفكرية والروحية والخيرية بين الشعبين .

وستعمل الجمعية للوصول إلى هذا الغرض على إلقاء محاضرات تتناول الموضوعات العلمية والاجتماعية والأدبية وغيرها ، كما أنها ستنشئ مدرسة تقوم بتعليم اللغتين العربية والتركية لأعضائها مجاناً ؛ وستقوم كذلك بمساعدة المحتاجين وإنشاء المستوصفات الخيرية لرضاهم ، وتسهيل السياحة بين مصر وتركيا ، وما إلى ذلك من الأعمال التي تقوى العلاقات بين المصريين والأتراك

وترحب الجمعية براغبي الانتساب إليها ، وترجو منهم مقابلة سكرتيرها في مقرها رقم ٥١ بشارع ابراهيم باشا

الى الأستاذ فيلكس فارس

أحييك تحية الأدب وأشكر لك تلك الروح الطيبة ، وأتقدم إليك بموفور الشكر على كلمتك الممتعة التي جبهدرت بمجلة الرسالة الغراء بعنوان (أقلام الناشئين) فقد لمست فيها عظمة جبارة وروحاً عالية وتقديراً صحيحاً وميزاناً عدلاً

وحقاً ليس الأديب من يدبج بليغ المقالات ويبتكر غريب المعاني ويظهر للملأ أقوم الأساليب فحسب ، إنما الأديب هو الذي يضم إلى ذلك نقداً صحيحاً ، وتقديراً حقاً ، ويحكم للأديب أو عليه بأحكام هي الصواب . فمحكمة الأدب إذا كانت عادلة فإنها مع إحقاق الحق لذويه مدرسة عالية ، وثقافة جد نافعة ومرآة عامة تتجلى فيها صورة الحقائق فيشهدها الناس ويتخذون منها درساً مفيداً

وإنك بما حللت به نفسية الشاب أحمد جمعة الشرباصي وكلامه قد وضعت نفسك أو وضعك أدبك موضع عظماء الحكام فشكراً لك وسلام عليك

مصطفى الصاوى
مدرس أدب بمعهد القاهرة الأزهرى

الى الأستاذ دريني خشبة

بمناسبة الفصول القيمة التي تنشرها في الرسالة الغراء عن هوميروس — أودّ أن أعرف هل هناك ترجمة عربية مطبوعة للإلياذة والأوديسة ، وإذا كانت هذه الترجمة حلماً لم يتحقق بعد ، فلماذا لا يفكر الأستاذ في طبعها في كتاب ينشره على الناس بعد أن والى نشرها في الرسالة والرواية ، بقلمه العذب الرصين ، وأسلوبه الساحر البليغ ؟!

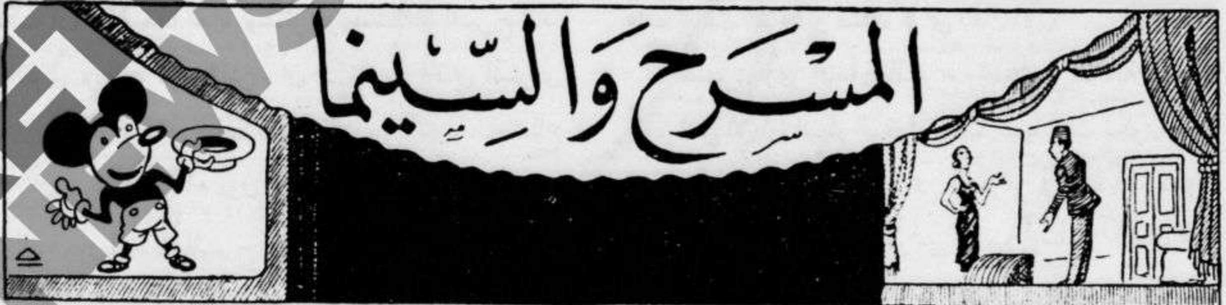
إنّ هذا أمل الأغلبية الساحقة من قراء الرسالة في مصر والشرق الذين يقدرون إنتاج هوميروس ، ويعجبون بالأستاذ دريني خشبة ، ويعرفون قيمة الأدب القويّ الرفيع .

احمد احمد العجمى

تصويب

وقعت أخطاء مطبعية في مقال (يوم الفتوة في العراق) في العدد ٢٩٢ من الرسالة تصحيحها كما يأتي :

الصفحة	العمود	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٣	١	٢	مركب الفتوة	موكب
٢٥٤	٢	٣	لثلمائة	لثمانمائة
٢٥٤	٢	٢١	للقائد	للتائه
٢٥٤	٢	٢٨	البارح	البارع
٢٥٥	١	٩	على أن	على أن رأى
٢٥٥	٢	٧	ولم تخاف	ومم تخاف
٢٥٥	١	٢٩	جروا	صبروا



الفرقة القومية

نجاحها وفشلها

ووسائل إصلاحها

ينفرد الأستاذ محمود تيمور بك بين من أعرف من أصدقائى الأدباء ، بطبيعة مسالمة ، وخلق سبط منسجم ، يحاول جهد المستطاع الابتعاد عن مسالك الخصام الأدبى ومواطن الشحناء . ومجمل ما قد تسمعه منه — إذا احتكت الآراء واصطدمت الغايات فى موضوع قصة أو كتاب أدبى — رأى يبديه بدون ما تصلب أو تشدد ، أو حد يوقفك عنده إذا توعرت وتصعبت . يفعل ذلك ولا تفارقه ابتسامة رخية تطوى تحتها كل شىء ، وتجعلك لا تطالع فى تقاطيع وجهه ما نم عن تكتم مقصود ، أو فى رفات جفونه عن نفس كظيمة . ولكنى لمحت فيه فى هذه المرة وهو يحدثنى عن الفرقة القومية ما لا يتفق وما وصفت من طباعه . وأحسب مرد ذلك إلى ألم فى النفس من أمل خائب . وهل من ألم أشد على نفس الأديب من صدمة يصدم بها من هذه المؤسسة الثقافية فى مثل هذا الوقت ؟

سألته ما رأيه فى الفرقة القومية ، هل نجحت فى رسالتها أم فشلت ؟ فأجاب :

الفرقة القومية نجحت وفشلت فى وقت واحد . نجحت فى أنها قدمت لنا بعض الروايات الفنية فى إخراج مبتكر وتمثيل متقن، نذكر من ذلك: أهل الكهف ، وتاجر البندقية ، والجريمة والعقاب .

وفشلت فى أن ما قدمته لنا من مثل هذه الروايات كان قليلاً جداً فى السنوات الماضية التى اشتغلت فيها ؛ وهذا يدل على أن المجهود المبذول من القائمين بأمرها ضعيف

والأقوال كثيرة فى أسباب هذا الفشل ، وقد عالجها بعض النقاد فى حملاتهم على الفرقة ، كما أن البعض الآخر أدلى برأيه فى الدفاع عنها ، فمن ذلك يقال : إن الفرقة تشترى الروايات ولا تمثلها إذ يتضح لها عدم صلاحيتها أو عدم رضا بعض المقامات

كذلك يقال إن كثيرين من المؤلفين المصريين قدموا روايات جيدة ولكنها أهملتها لأسباب لا محل لذكرها . ولو صحت هذه الأقاويل لدلت على أن الإدارة ليست مستقلة تمام الاستقلال فى عملها ، وأنه يعوزها إدارة مركزة تتحمل كافة المسؤوليات

ويمكننا أن نتأكد من فشل الفرقة فى عملها بمراجعة ميزانيتها المادية والأدبية ، أى مقدار ما ربحته ومقدار ما قدمته من الروايات الناجحة للجمهور . وليس هناك سر إذا أذعنا أن الفرقة القومية تتكبد اليوم خسائر مادية جسيمة لولا الإعانة السخية التى تمدها الحكومة بها لكان قضى عليها فى بدء عملها

أما الخسارة الأدبية كما أوضحنا سابقاً فالفرقة لم تقدم لنا من الروايات الناجحة خلال الأعوام الأربعة سوى ثلاث روايات أو أربع ، وأنها لضعفها لجأت إلى استعارة روايات سبق تمثيلها كمجنون ليلى ، وأنها تزمع فى موسمها المقبل تمثيل روايات فرقة جورج أبيض القديمة ، مع أن الرويات الأفرنجية الجديدة مثلاً تعد بالمئات ، وأقصد بهذه الروايات تلك التى تساير نهضة الفن الحديثة . فمصر محرومة من هذا النوع ، مع أن الوسائل كلها متوفرة لترجمة وإخراج هذه الروايات ، كما أن مصر لها من المؤلفين المصريين المجيدين من يستطيع أن يمد الفرقة ويغذيها بروايات فنية

ويمكننا إنصافاً للفرقة أن نقول إن من دواعى فشلها سبباً عالمياً يشكو المسرح منه على وجه العموم ، ألا وهو طغيان السينما .

إنما يمكننا أن نعالج هذا الداء بوسائل فى استطاعة المسرح صدّ تياره القوى ، فلقد ثبت للفنيين أن لكل من الفنين المسرحى والسينمائى ميدانه المستقل ، فإذا فهمنا ذلك حق الفهم ، استطاع المسرح أن يعمل فى ميدانه دون أن يخشى قضاء السينما عليه

والفرق بين السينما والمسرح أن الأول يعنى بالمظاهر إذ يعطينا أروع المناظر بصورها المفصلة وجوها الحقيقى ، بينما المسرح لا يطلب منه فى الوقت الحاضر مثل هذه الزخارف الدقيقة ، لأنه مهما أوتى من الدقة فى إظهارها فإنه يعجز دائماً عن تأديتها على وجهها الصحيح ، ولكن يطلب منه العناية بإبراز الفكرة ناضجة قوية كما يعنى بروح الانسجام الواجب بين الممثل والجمهور ، وهذا ما نطالب به الفرقة

— ماذا ترون من علاج للإصلاح ؟

— لعلاج الفرقة وإصلاحها أوجه أذكر منها ما يأتى :

أولاً : هو ما سبق لنا ذكره من ضرورة تركيز الإدارة واستقلالها استقلالاً تاماً أى جعلها تتحمل مسؤولية أعمالها وحدها أمام وزارة المعارف . وتوضيحاً لذلك نقول إنه يجب ألا تتلقى الإدارة أوامر لتنفذها ، بل يجب أن تصدر هى الأوامر وتتحمل مسؤولية إصدارها . ويجب أيضاً أن يكون للجنة القراءة رأى استشارى فقط وتكون هى ضمن الإدارة المشرف عليها مدير الفرقة

ثانياً : يجب دعوة المؤلفين المصريين بصفة جدية ، والعمل على تشجيع مؤلفاتهم بكافة الوسائل . وحسبنا أن الجمهور هو الذى سيصدر حكمه على هؤلاء المؤلفين أو عليهم ، كما أن هذه الدعوة ستمهد للمؤلفين المغمورين طريقاً إلى تبوء مراكزهم بحق

ثالثاً : إيجاد مسرح دائم للفرقة تمثل فيه طوال الموسم ليتم الاتصال بينها وبين الجمهور

رابعاً : أرى أن يتبع فى نظام المرتبات التى تدفع لهيئة الإدارة والممثلين النظام الآتى :

يدفع للموظف نصف مرتبه الحالى والنصف الآخر يكون بمثابة أسهم تدر عليه ربحاً يقل أو يكثر وفق نجاح الفرقة أو فشلها. والمقصود بذلك إشعار العامل فى الفرقة موظفاً كان أم ممثلاً بمسؤولية نجاح الفرقة ، وأن عليه واجباً يؤديه كأنه يعمل لفرقة هو أحد أصحابها ، وليس موظفاً يتقاضى مرتبه الشهرى ، وسيّان عنده نجحت الفرقة أو فشلت كما هى الحال الآن

خامساً : أرى تحبيباً فى المسرح وتقليلاً من منافسة السينما له أن ترخص الإدارة أسعار الدخول رخصاً نسبياً بحيث تكون أسعار نصف كراسى الصالة تساوى ثمن الكرسى فى السينما ، وتكون أسعار النصف الآخر من الكراسى مخفضة أيضاً . كذلك يجب عمل تخفيض خاص لطلبة وطالبات المدارس ، والموظفين ، وأعضاء الهيئات الأدبية ، والنوادى ، والصحفيين بأن يكون لهم حق الدخول بنصف الأجرة

سادساً : يجب تحديد التذاكر المجانية تحديداً دقيقاً فلا تبعثر ذات اليمين وذات الشمال ، كما يشاع ويقال ، بعثرة زهدت الناس فى الفرقة تفادياً لما يقال عن هذه الدعوات التى تأتيهم بالمجان أو تطرح عليهم طرحاً . انتهى

أشار حضرة الأستاذ الفاضل تيمور بك إلى أشياء أرى لزاماً على توضيحها، وهى استقلال الإدارة ، ونفوذ لجنة القراءة، والسعى إلى قبول بعض الروايات ورفض بعضها فالإشارة وحدها فى مثل هذا الموقف لا تفى بالمرام ولذلك سأعود إليها فى فرصة مواتية

ابن عساكر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 296

Lundi - 6 - 3 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مصـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسؤل

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٩٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٦ مارس سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

منطق الغـــنى ...

لقيت أول أمس على مقهى « أتينيوس » بالإسكندرية رجلاً من نابهى النواب أعرفه معرفة لا تقرّب ولا تبعّد . هذا الرجل ينزع بطبعه منزع الأرستقراطيين فى نمط العيش وأسلوب التفكير ورونق المظهر ؛ فهو يتجمل بالزينة ، ويتنبّل فى الكلام ، ولا ينفك يعلك ألفاظ المثرين المترفين كالبنك والبرصة والسيارة والخيل والسباق والسهرات والحفلات والملاهى حتى لتظنه المرجع الحجة فى أولئك جميعاً . ونباهة هذا النائب لم تأته عن طريق الفطنة أو الخبرة أو الكياسة ، وإنما أتته عن طريق التهويش والتهريج والسياسة ؛ فهو فى مجلس النواب جزء من كرسيّه لا يتحرك ولا ينبس ؛ ولكنه فى الأمور الحزبية والانتخابية ولاّج خرّاج يجذب الزعماء بالمآدب الصاخبة ، ويخلب الناخبين بالوعود الكاذبة ، ويدرج بالدعوى والدعاية من قهوة إلى قهوة

قال لى بعد أن تبجح طويلاً بقوة أثره فى توجيه المجلس ، وتسفيه المعارضة ، وتنظيم النادى ، وتقويم الحكومة :

— مالك وللأغنياء توغر عليهم صدور الصناع والزراع والخدم ؟

— عجيب ! وهل تقرأ الرسالة ؟

— إنما يقرأها ابنى وابنتى ؛ وهما متأثران بها ومشايعان لها ، ولا يزالان يجادلاننى فيما تكتب وتطلب حتى أترك لهما الدار ! فهل

تريد أن يكون الناس كلهم سواء فى الثروة ، وليسوا كما تعلم سواء فى الذكاء والقوة ؟

— يا سيدى ما اعتقدنا ذلك ولا كتبناه . فإنا نؤمن بالغنى والفقر كما نؤمن بالقضاء والقدر . والتفاوت فى الطبع والكفاية والحيلة والوسيلة مبدأ مقرر فى الطبيعة ، ونظام مسلّم فى الدين ؛ ولكنا نحاول أن نُذكّر الأغنياء، أن الله الذى خلقهم وخلق الفقراء، قد جعل لُحمة ما بينهم وبينهم قائمة على أساس من المودة والرحمة يكفل المخالصة ويضمن السلامة . فإذا تعهدوا هذه الصلة الإلهية بالبر ، فمنح القادر العاجزَ روحاً من قواه ، ونفح الواجد الفاقدَ قليلا من جدواه ، سارت القافلة الإنسانية فى طريقها إلى الكمال الممكن غير ظلعاء ولا وانية . وإذا أردنا المساواة فإنما نريدها فى الحق والواجب ، وإذا ذكرنا المشاركة فإنما نذكرها فى حدود الإحسان والزكاة

— الإحسان يغرى بالكسل ويعين على بقاء الفاسد . والفقير فى أكثر أمره عليل الجسم أو العقل ؛ فلم لا يكون من الخير أن يُترك للحرمان حتى يذبل ويسقط ؟

— إذا استطعت أن تنفذ هذا الرأى فى أسرتك الخاصة ، استطعنا أن ننفذه فى أسرتنا العامة . فهل فى مقدورك أن تترك ابنك الملول الذى لا يبرأ ، وأخاك المخبول الذى لا يعى ، حتى تعصف بهما المنون كما تعصف ريح الخريف بالورق الجفيف ؟

— ما أظن القلب يطيع العقل فى ذلك

— ومن قال لك إن العقل يخولك حق الله على خلقه ؟ إن للفقير حق الحياة ، وليس لك عليه حق الموت . والله الذى خلق الكون خلق الفساد وجعل لكل منهما قوانين يجرى عليها فى الطبيعة . وستنالك أنت على الرغم من قوتك وغناك عوامل الذُّوىّ والبلى ، فهل تقبل من ذوى رحمك ووارثى مالك أن يدعوك فريسة الهرم والمرض ، كما يدع القطيع الحمارَ المحموم فى القفر الجديب ؟

***

رأى صاحبى أن هناك مدارك من فهم الحياة استعجمت على ذهنه الشارد، فغمغم ببعض الجواب وبيّن بعضه الآخر حين قال:

— ... ولكننى أعلم أن الزكاة فى أوربا ليست مشروعة ولا مجموعة ، ومع ذلك تجد الفقر محمولاً والحياة آمنة . فكل إنسان يعمل ، وكل حى يعيش

— لا يغرنك يا سيدى ما تعلم من ظواهر الحياة الأوربية ، فإن مدنيتها طلاء على صدوع ، وكبرياء على خضوع . ولولا قيام الأديرة بجمع الصدقة وتنظيم الإحسان ، ونهوض الحكومات لحماية العجز وتوفير العمل ، لرأيت البؤس كرمز الموت هيكلاً بادى العظام لا تستره أثواب ولا تحجبه أبواب

— وما قولك فى أمريكا ؟ أليست المسافة فيها بين الفقراء والأغنياء ، كالمسافة بين الأرض والسماء ؟ ومع ذلك لا تجد بين هؤلاء وهؤلاء حسداً ولا ضغينة

— عفواً يا صاحب العزة ! لقد عرفت القياس وأنكرت الفارق . إن أكثر المنافع فى أمريكا من فضل الغنى ؛ فكيف يبطن الفقير له الغل وهو يتعلم فى مدرسته طفلاً ، ويعمل فى مصنعه رجلاً ، ويتداوى فى مستشفاه مريضاً ، ويأوى إلى ملجئه شيخاً؟ إن صاحب الملايين فى الدنيا الجديدة مثل الإنسان الأعلى : أثرى بالكد والإيمان والكفاية ، ودبر ثراءه على قواعد الوطنية والإنسانية والدين ، فكان حرباً على الجهل والبؤس والشر ، وعاملاً للسلام والوئام والمحبة . أما أغنياؤنا فمثال الطمع الجرىء والشح الدنىء والصلف العاتى : أثروا بالإرث أو بالحرص أو بالحظ أو بالحيلة؛ ثم كدروا صفو الحياة على الفقير، فهم يزاحمونه على المجانية فى المدارس ، ويغلبونه على الوظائف فى الدواوين ، ويدوسونه بسياراتهم فى الشوارع ، ويسلبونه بطاعتهم فى المزارع ، ويصدونه عن البرلمان حتى لا يكون لغير أقوالهم سميع، ولا يصدر بغير إرادتهم تشريع

ونظر صاحبى فى ساعته ذات السوار ، ونظرت أنا إلى البحر فإذا هو يمور ويفور ، والصيادون المساكين يكافحون العاصفة ليصيدوا لهذا الغنى البطان لوناً من الطعام تكمل به مائدته الموقَّرةُ الحافلة !

ثم افترقنا وكل منا على رأيه !

احمد حسن الزيات

حرب الأجيال

للأستاذ عباس محمود العقاد

أعلن الناقد الإنجليزى « فرانك سوينرتون » فى صحيفة « الأوبزرفر » عن قرب صدور الكتابين الجديدين للمؤلفين الكبيرين « ولز » و « موجهام » فقال فى مقدمة كلامه :

« هناك تناقض يغرى بالتساؤل بين موقف المصريين وموقف الجيل الفكتورى حيال الكتاب النابهين . فقد كان هؤلاء الكتاب يحاطون بالإجلال المرهوب حين ينتهون إلى الشيخوخة ويقلعون عن التأليف ، وكانوا قبلة التبجيل والتشريف والحجيج من سائر البلاد . أما اليوم فنقيض ذلك هو الواقع : اليوم يلبث كتاب الأمس فى الميدان ولا يخرجون منه ولا يتطلعون إلى إجلال مرهوب أو يستقبلون التبجيل والتشريف ، وكل شاب ذى ملكة موهوبة يقتضيهم الثناء السخى والتشجيع ولكنه يرى لنفسه حقاً فى الإنحاء عليهم واتهامهم بالوقوف فى طريق الثورة الأدبية »

* * *

هذه حرب الأجيال التى يتحدثون عنها فى البلاد الأوربية ، ويقصدون بها قيام جيل من الكتاب والأدباء وراء جيل ، ومحاولة الجيل الجديد أن يفسح له مكاناً إلى جانب الأعلام النابهين فى ميدان الأدب والتأليف

وهذه الحرب قديمة لم تنشأ فى زماننا هذا ولا فى الزمان الذى قبله وإن اختلفت فيها الدعاوى والأساليب

ولكنها اشتدت فى الجيل الحاضر لعوامل جديدة طرأت عليها : منها التزاحم العنيف ، ومنها أن النظرة إلى « الماضى » اختلفت بين العهد الفكتورى والعهد الحاضر ، أو بين أوائل القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

كان التوقير حقاً للماضى ، لأن الناشئين كانوا ينتظرون منه كل شئ ويتجهون إليه إذا أرادوا العلم والخبرة والحنكة والهداية

أما اليوم فقد جدت مشكلات نفسية واجتماعية ليس للماضى فيها تصريف ولا احتيال ، ولا يتجه فيها أحد إلى الماضى ليعرف ما عنده لها من علاج وتدبير ، لأنها لم تكن معروفة فيه ولم تكن معروضة على أهله ، فتحول الاتجاه من الماضى إلى المستقبل ، وبطل ما كان مألوفاً مقرراً للماضى من التبجيل والتشريف

هذه المشكلات هى سر الحياة وسر الأزمات العالمية وسر القلق والاضطراب فى علاقات الاجتماع

ليس للماضى فيها تصريف ولا احتيال . فهل التصريف والاحتيال فيها للحاضر ؟ وهل هما للمستقبل القريب أو البعيد ؟

كلا ! التصريف والاحتيال فيها للزمان وللعمل المشترك بين جميع الناس من شيوخ وكهول وشبان وأطفال لا يزالون فى المهود أو لا يزالون فى الأصلاب

وهل يرجى أن يجيء على الدنيا عهد من العهود خلواً من المشكلات التى تطلب الحلول ولا ينفرد بحلها جيل واحد من الأجيال ؟

كلا ! إن هذه المشكلات لا يحلها الحاضر ولا المستقبل برأى هذا أو باحتيال ذاك ، ولكنها تنحل مع الزمان تارة بالعمل المقصود وتارة بأعمال كثيرة غير مقصودة ، ولا تزال طبقة منها وراء طبقة على مدى السنين

هذه هى الحقيقة التى يجهلها بعض المتعجلين . وليس من غرضنا فى مقالنا هذا أن نسهب فى توضيحها وتمحيص نظرات الناظرين إليها ، وإنما أردنا أن نشير إلى العامل الجديد الذى أضاف بعض الشدة والعنف إلى حرب الأجيال ، وأدى إلى ذلك الموقف الذى لخصه « فرانك سوينرتون » فيما تقدم

* * *

يوشك من يقرأ كلمة الناقد الإنجليزى ويذكر ما يكتب فى مصر وفى بعض الأقطار العربية أن يبادر فيقول : « إن بعض الحال من بعض » أو « الحال من بعضه » كما يقول العامة فى البلاد المصرية ...

فإن قال قائل مثل هذا فهو مخطىء ، لأن الحال الذى يحسب « بعضه من بعض » لمختلف أبعد اختلاف .

هناك يتكلمون عن الشيوخ الذين أنافوا على السبعين ، وهنا يطالبون الكهول فيما دون الخمسين بالسكوت والانزواء .

هناك يأتى بعد جيل « ولز » جيل هكسلى وهو فى الرابعة والأربعين ، ثم يأتى بعده جيل الشبان الناشئين وهم فى نحو

الثلاثين ، وهنا لا يتجاوز الشاب العشرين حتى يتعجل الشهرة بل يريدها له وحده خالصة دون أبناء الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين ، بل دون زملائه الآخرين من أبناء العشرين .

هناك يؤلفون ويبتدعون ويزاحمون الرأى بالرأى ، والنهج بالنهج ، والتفكير بالتفكير ؛ وهنا لا يؤلفون ولا يفكرون ولا يقرأون ، ولا يزيدون على إبراز شهادة الميلاد والترنم بما يسمونه حقوق الجيل الجديد .

هناك يثبون إلى المستقبل فيسبقون ، وهنا يرجعون إلى الوراء ويشبهون الببغاوات فى ترديد الصياح القديم .

***

أضف إلى هذا أموراً أخرى تختلف فيها البواطن والظواهر ويؤجرعليها القادحون فى مشاهير الكتاب لغرض ليس بالصريح ولا بالشريف .

فهم تارة مأجورون لأصحاب المطامع السياسية الذين يريدون القبض على أعنة الدعوة فى بلاد الشرق، فلا يملكون هذه الأعنة والمشاهير من الكتاب قائمون مسموعون ، فيبذلون ما فى وسعهم للغض من أولئك الكتاب والتطاول عليهم بالصياح والضجيج الذى قد يروج بين الأوشاب والأغمار ، لأن الأوشاب والأغمار لن يطلبوا دليلاً ولن يميزوا ما يسمعون .

وهم تارة مأجورون للشيوعيين الذين ينادون بالأدب الدارج أو أدب اللغة العامية لأنه أدب « الصعاليك » وهم يبشرون بدولة الصعاليك ولا يسرهم أن ترسخ فى الشرق العربى آداب اللغة الفصحى ولا الآراء التى تناقض ما يدعون إليه من فوضى وابتذال، بل لا يسرهم أن تستقر فى الأقطار العربية مكانة مصر خاصة لأن مصر خاصة قبلة المأثورات الموقرة من التاريخ القديم ، فإذا هدموا مكانتها فقد زال من طريقهم هذا المعقل الحصين وتمهدت الأرجاء بطاحا ذلولا ليس فيها ما يعوق نعيب ماركس وخليفته لنين، وصاحبيه تروتسكى وستالين .

فإذا لم يكونوا مأجورين لأصحاب المطامع أو للشيوعيين فهم مغرورون يتهافتون على الشهرة ولا يتذرعون لها بأسبابها ولا يرجعون إلى ما فيهم من نقص وكسل وعجز عن الكفاح، بل يفضلون التعلل بالأسباب الواهنة والدعاوى الكاذبة والحجج المسلية التى تشبه الأفيون فى التخدير والإرضاء وتشبهه فى هدم القوى وتخريب الأذهان

وكثيراً ما تسمعهم يقولون : كيف تأتينا الشهرة وهؤلاء الكهول أو الشيوخ يحتكرون ثناء الصحف السيارة ويستأثرون بميدان الدعوة والتأليف ؟

وهذا بعينه هو الأفيون إن لم نقل هو أخبث من الأفيون فى الكذب والتحطيم

فقد صدر فى مطلع هذا العام كتب ثلاثة لمن يسمونهم بالكهول والشيوخ وهم طه حسين واحمد أمين وكاتب هذه السطور . فكم نهراً من أنهر الصحف اليومية قرأوه فى تقريظ هذه الكتب أو فى الإشارة إلى صدورها ؟

لا أذكر أننى قرأت شيئاً ذا بال فى الصحف اليومية عن كتاب طه حسين « مستقبل مصر الثقافى » أو كتاب احمد أمين « فيض الخاطر »

أما كتابى رجعة أبى العلاء فقد ظهر وأوشك أن يباع نصفه ولما تذكر صحيفة يومية واحدة أنه صدر من المطبعة مجرد صدور ... والكتب مع هذا تسير فى طريقها وتلقى حظها من الذيوع

فالواقع أن جيل الأدباء الكهول فى مصر جيل لا يدين لأحد بما أصاب من شهرة ومكانة ، وهو فى هذه الخصلة جيل فريد بين أدباء العالم من أقدمين ومحدثين

فالأدباء الأقدمون كانوا يعولون على النصراء والمشجعين ويعتمدون على الخلع والهبات

والأدباء العصريون فى أوربا يعولون على دعوة الناشرين وإقبال الملايين من القراء فى لغاتهم وفى اللغات الأخرى التى يترجمون إليها

أما أدباء الكهول والشيوخ المصريون فلا نصراء ولا هبات ولا دعوة ناشرين ولا ملايين قراء ، وكل ما هنالك حسد واضطغان واستهداف للبذاء من مأجورى الشيوعيين ومأجورى أصحاب المطامع ومن تقعد بهم الرخاوة عن الجد والكفاح

فماذا كانوا لاقين يا ترى لو أصابوا من الكسب والشهرة ما يصيبه برناردشو أو ولز أو موجهام أولدفيج من طبعة واحدة لكتاب واحد يباع للقراءة ويباع للتمثيل ويباع للصور المتحركة ويباع للترجمة فى بضع لغات !

وما أحسب إلا أننا كنا نمشى يومئذ فى الطريق فيخرج علينا الـكامنون من « نابغى الجيل الجديد » بالمسدسات والسكاكين !!

***

هذه هى حرب الأجيال عندنا لا يقال فى وصفها أصدق من أنها لعب أطفال، أو مكيدة أنذال، أو سفاهة جهال؛ وليس من ورائها نفع للأدب العربى ولا لمن يحاربون فى ميدانها بذلك السلاح المفلول ؛ ولن ينهزم فيها أناس انتصروا على الزمن وعلى الجهل وحدهم بغير معونة من حكومة ولا دعاة، ولا محاباة من الجماعات أو الأفراد الأقوياء، بل على الرغم فى معظم الأحايين من الإجحاف والعداء يلقاهم بهما جميع هؤلاء . فأحرى بهم ألا ينهزموا اليوم فى ميدان مأمون لا يقابلهم فيه جيش ولا جنود ، ولا سلاح ولا بنود ، إلا اللجاج والهراء ودسائس الجبناء فى الجهر والخفاء.

عباس محمود العقاد

النجم الذى هوى

للدكتور زكى مبارك



ما كنت أحسب أن الأيام تدّخر لى هـذا النصيب الضخم من الحسرة والحزن والالتياع

ما كنت أظن أن فى أخبار الدنيا ما يهددنى بالموت وأنا سائر فى الطريق

ما كنت أتوهم أن صدرى يملك هذه الذخيرة من الحرص على حياة الأصدقاء

رجعت إلى بيتى عصر الخميس ولم أخرج منـه إلا صباح السبت طلباً للتفرغ لبعض الأعمال

فماذا رأيتُ حين خرجت ؟

رأيت أن يوماً واحداً هو يوم الجمعة كان كافياً لأن تذهب دولة من المروءة والشرف والأريحية من عالم الفناء إلى عالم البقاء

إى والله ، يوم واحد كان كافياً لأن يموت فيه رجل ويدفن وينقضى مأتمه وينفض من حول بيته الجازعون بحيث لم تبق فرصة لمن يريد أن يقدم إلى أهله كلمات العزاء

إى والله ، فى يوم واحد ذهب الأستاذ محمد الهراوى إلى غير مَعاد ...

فيا أخى ويا صديقى ويا كل ما كنت أملك من الصدق الصادق الصحيح ، كيف تطيب الدنيا بعدك وفيها ما أعرف وما كنت تعرف من نُدرة الأصدقاء الأوفياء ؟

كيف تطيب الدنيا بعدك ، يا محمد ، وكانت حياتك العزاء، عما فى الدنيا من بلايا وأرزاء ؟

كيف تطيب الدنيا بعـدك ، وما تخلّق الناس بالصدق إلا ليزاحموك ، ولا عرفوا الوفاء إلا لينافسوك ؟

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

لك أن تعرف فى عالم الأرواح أن إخوانك وأصفياءك سيذكرون أيامك كما يذكرون بشائر الأحلام وبواكير الأمانى

لك أن تعرف ، يا محمد ، أن إخوانك وأصفياءك يؤمنون بأن فجيعتهم فيك هى فجيعة الرياض بموت البلبل الصداح ، وفجيعة القلوب بذهاب الأمان ، وفجيعة الجسد بفراق الروح

أين من يعزينى فيك يا أخى ويا صديقى ؟

أين من يعزينى فيك وأنا أشعر بأن الموت حين خطفك لم يوجِّه الطعنة إلى صدر غير صدرى ؟

أين من يعزينى فيك وأنا أومن بأن أباك لو كان عاش حتى ثكلك لـما جزع عليك معشار ما جزعتُ عليك؟ أين من يعزينى فيك إن كان قلبى سيعرف من بعدك العزاء ؟

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

كيف جاز عندك أن تغمض عينيك قبل أن ترانى ؟

كيف جاز عندك وأنت مثال العطف والحنان أن تفارق الدنيا قبل أن أراك ؟

أكنت تعرف بوحى القلب أنك مفارق ؟

كنت تعرف ذلك ولا ريب ، لأنك تلهفت إلى لقائى فى أيامك الأخيرة مرات ومرات ، وكنتُ لجهلى أحسب ذلك من أمارات الشوق ، لا من أمارات التوديع ، فضيَّعتُ حظى من لقائك وأنا آثمٌ ظلوم

ليتنى أعرف ، يا محمد ، كيف تشعر بعد الموت بجزعى عليك !

ليت الحجاب يُكشَف مرةً واحدة لأعرف أن حزني وصل إليك !

***

أين من يعزيني فيك يا نعيماً ذهب وأملاً ضاع ؟

أين من يعزيني فيك يا روضة من الحسن عصف بأزهارها الزمان ؟

أين من يعزيني فيك يا دوحةً من المجد عدَتْ على أغصانها العوادى ؟

أين من يعزيني فيك وما عرفتُ معنى الأخوّة إلا حين عرفتُك ، ولا تذوّقتُ معنى الأنس بالأرواح إلا حين أنستُ بروحك ، ولا فطنتُ إلى ما فى الدنيا من ذخائر إلا حين فطنتُ إلى الذخائر المودَعة فى صدرك الأمين

***

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

أفى يوم واحد تضيع من يدى ، أيها الكنز الثمين ؟

أفى مثل ومضة البرق يذهب الروض الذى كنت آوى إلى ظلاله حين يلفحنى هجير العناء ؟

أفى مثل لمح البصر أنظر فأرانى وحدى وكنتَ جيشاً أحارب به الزمان ؟

أفى مثل خفقة القلب ينطفئ السراج الذى كنت أستهدى به فى الملمات ؟

***

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

سيكون فى دنيانا بعدك أفراح وأحزان ، وسنلقى الدنيا بعدك باسمين أو عابسين ، ولكننا سنذكر إن طالت الحياة أن خفقات القلوب من بعدك لن تكون إلا مزاحاً فى مزاح .

نكذب عليك ، يا محمد ، إذا قلنا إننا سنجعل خفقات القلوب وقفاً على الهتاف باسمك ، والشوق إليك ، ولكنك ستعرف أنك ستظل فى قلوبنا مثال الشرف والصدق ، وستراناً من أهل الحرص على التغنى بمحامدك فى أكثر الأوقات ، حين يجدّ ما يوجب أن نتطلع إلى الأصدقاء الأوفياء .

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

بموتك عرفتُ أن الحزن خليقٌ بأن يكون شريعة من الشرائع

بموتك عرفت كيف يجب أن أفكر فى لقاء الرفاق الأصفياء كل يوم .

بموتك عرفت أن فى قلبى ذخائر من الصدق والوفاء

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

أقسم بالله وبمودتك أن الموت كاد يتناشنى فى الطريق حين قرأت خبر موتك ، فإن طالت حياتى بعدك فسيكون ذلك أعجوبة من الأعاجيب ، وسأقضى ما بقى من حياتى فى تحقيق الأغراض التى كنت تحبّ أن تحققها فى حياتك

أخى وصديقى :

لا أقول : « يغفر الله لك » ، فقد كنت أطهر من الزهر المطلول ، وإنما أقول : « يغفر الله لمن عرفك ولم يمت لموتك » .

***

أما بعد ، فقد كان فى نيتى أن أرثى الهراوى فى إحدى الجرائد اليومية ، ثم رأيت أن أرثيه فى « الرسالة » لأحدث عنه إخوانه فى سائر الأقطار العربية .

وسأرجع إلى الحديث عنه مرة أو مرات لأبين ما صنع هذا الفقيد العزيز فى خدمة العروبة والإسلام والإنسانية .

نفعنى الله بدعواتك ، يا محمد ، وحرمنى فيك العزاء ، فما أحب أن يكون لى فيك عزاء .

يا محمد ، وما أجمل اسمك !

أحبك وأشتاق إليك ، وأحب من أجلك ذاويات الأزهار ، وهاويات الكواكب ، فاذكرنى عند ربك يا أصدق صاحب وأشرف صديق . وسلامٌ عليك من صفيّك وأخيك .

« مصر الجديدة » زكى مبارك

رد على رد

بين القديم والجديد

لأحد أساطين الأدب الحديث

كنت أقرأ مختارات الشعر التى جمعها محمود باشا سامى البارودى الذى يعد زعيم المذهب القديم فى الأدب فى العصر الحديث ؛ فوجدت أنه قد اختار فى باب النسيب مجونا ليس بأقل من مجون الحسين بن الضحاك وأبى نواس الذى اختاره الدكتور طه بك فى كتاب حديث الأربعاء بل بعضه أشد منه وبعضه مثله، فاختار لأبى نواس قصيدة قالها يتغزل فى شاب جميل كان كاتبا فى ديوان الخراج بدليل قوله فى القصيدة :

ومن يريد ديوان الـ خراج مضمخا عَطِرا

وكانت عادة الشعراء فى ذلك العهد التغزل فى ملاح كُتّاب الدواوين. وفى هذه القصيدة يقسم أبو نواس أن مُرَقَّشاً الشاعر العذرى النزعة لو كان حيا لما أحب امرأة بل لأحب ذلك الكاتب المليح: وهذه هى القصيدة كما أوردها البارودى :

أما والله لا أشرا حلفتُ به ولا بَطَراً
لو آن مُرَقَّشاً حىٌّ تعلّق قلبه ذَكَرا
كأن ثيابه أطلعـ ن من أزراره قمرا
بوجه سابرىٍّ لو تَصَوَّبَ ماؤه قطَرا
وقد خطّتْ حواضنُهُ له من عنبر طُرَرا(١)
بعينٍ خالطَ التّفْتيرُ فى أجفانها حَوَرا(٢)
يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظَرا

واختار البارودى لأبى تمام قطعة قالها فى غلام مملوك أهداه إليه الحسن بن وهب فقال :

قد جاءنا الرشأ الذى أهديته خَرِقاً ولو شئنا لقلنا (المركب)

والذى اختار هذا الشعر ليس الدكتور طه بك ولا هيكل باشا بل البارودى باشا .

(١) الحواضن أشبه (بالدادات) (٢) يعني بالتفتير نعسة العين

وقد أوردنا قبل الآن اختيار البكرى أشياء من مجون ابن الروى ونشر الشيخ شريف مجونه أيضاً . ولكن الأستاذ الغمراوى ترك البارودى وترك البكرى والشيخ شريف واختص الدكتور طه وهيكل . فإذا كان ذلك لأن البارودى عارض قصيدة البردة فقد ألف الدكتور طه على هامش السيرة وألف هيكل حياة محمد وفى منزل الوحى ، ولا أظن أن أحدهما نشر شيئاً يقارب ما نشره البكرى والشيخ شريف والبارودى

والفكرة التى يتبينها القارئ من كلام الأستاذ الغمراوى غير صحيحة ، وهى أن المجون يعصم منه التدين فقد سمعنا فى بعض حفلات إحياء المولد النبوي الكريم من التغزل فى الذات النبوية من الشعر ما ينبغى أن ينزه عنه ذلك الحفل من ذكر الرضاب والريق والوصال الخ الخ على طريقة بعض الصوفيين .

وسمعنا بعض الأفاضل يختلفون فى أمور ثانوية تافهة من أمور الدين، وكل منهم متدين ، فإذا انصرف أحدهم ذكره مناظره بكل سوء وبالمجون واتهمه بالزندقة . بل رأينا أن أعظم سلاح شيوعاً فى الدفاع عن الدين والفضيلة أو عن عقيدة الوطنية أو عقيدة سياسية هو سلاح المجون فى القول وتهمه، وتعدى هذا السلاح هذه الأحوال إلى الدفاع عن النظريات العلمية والرأى يُرَى فى البحث العلمى. والحقيقة أن المجون مزاج لادخل له بالتدين أو عدم التدين؛ وقد كان من أثر انتشار مزاج المجون أنك تقول قولاً سلمياً تقصد به معنى نظيفاً فيكون أول ما تصنع عقول السامعين أن تفتش فيه عن تخريج إلى المجون ، ولا فرق فى ذلك بين المتدينين وغير المتدينين، ورأينا أناساً من المتدينين يدعوهم الحسد والحقد إلى اتهام كل من كان أغنى أو أعقل أو أنظف منهم بالمجون . ونعرف أن فى علم النفس قاعدة تدل على أن بعض النـاس حتى المتدينين منهم يتمنون. لأنفسهم أمانى المجون فيتلذذون بأمانيهم بنسبة ذلك المجون إلى غيرهم . وهناك طائفة من المتدينين صاروا ينافسون بعض رجال الصحافة والسياسة فى سلاحهم السياسى ويحتجون باستعمال حسان بن ثابت هذا السلاح فى الدفاع عن الدين ، وقد فاتهم أن المسلمين كانوا فى عهد قوله هم المضطهدين المشتومين وقد نالهم من أقوال خصومهم من السباب مثل ما نال المشركين من أقوال حسان بن ثابت. وفى يقينى أن النبى صلى الله عليه وسلم

عند ما دعا له أن يؤيده روح القدس وعند ما نصحه أن يلجأ إلى أبى بكر الصديق لم يكن يريد أن يزيده سيدنا أبو بكر من شدة الهجاء، فقد كان الشاعر به أعرف، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم تحرج من الرمى بالباطل بالرغم من أن شعراء الكفار ما كانوا يتحرجون من ذلك. وقد ذهبت أقوالهم بعد ما انتصر الإسلام وبقيت أقوال حسان بن ثابت. ولو بقيت أقوال شعراء الكفار لدلت على ما أردنا إثباته وهو أن شعراء الكفار كانواهم البادئين بتلك الطريقة فى الهجاء. ومع ذلك فإن ديوان حسان بن ثابت خليق بأن يسمى ديوان العبر لأن سادة المشركين الذين هجاهم صاروا بعد إسلامهم سادة المسلمين، وفى هجائه بعض ما لا ينقضه الإسلام ولا يغيره. وهذا الديوان إذا أخذ على علاته دل على حالة خلقية لا يتوقع القارئ أن تكون فى ذلك الزمن. والسير على هذه الطريقة من غير رقيب أو وازع هو من الإخلال بروح الدين فى عصرنا وهو عصر ينقاد فيه السذج لمن يريد أن يشفى حقده أو حسده ممن لا دين له ولا خلق وإن تظاهر بالدين والخلق، وهذه حقيقة لا مبالغة فى تعبيرنا عنها وقد لا يكون الأستاذ الغمراوى ممن يعرفها لبعده عن هذه الطوائف وبعده عن أحقادها وأقذارها ولكنها حقيقة يستطيع أن يراها فى المجادلات السياسية وخصومات بعض المشتغلين بالسياسة والصحافة والأدب؛ فليس من العسير أن يفهم الفكر وجودها فى بعض النفوس التى تتخذ السذج من المتدينين قنطرة للوصول إلى غرض شخصى، أو فى نفوس بعض الذين لا يفهمون أن الدين ينبغى أن يترفع أنصاره عن المجون؛ لكن كيف تفهم ذلك نفوس مزاجها ذلك المجون. والمزاج لا يستطاع تجنبه مهما كان المرء متديناً. فالخطأ الذى وقع فيه الأستاذ الغمراوى عند ما حسب أن شدة التدين تعصم من الانهماك فى الشهوات، أو أنها تعصم من لذة قول المجون إنما هو خطأ الذى يحكم على غيره بحالة نفسه؛ فإذا وجد نفسه متديناً يكره المجون ظن أن التدين يعصم من المجون. وليسمح لى الأستاذ الغمراوى أن أقول بكل رعاية: إن هذا الظن يدل على أنه لم يدرس خصائص النفس الإنسانية عامة فى نفوس الناس دراسة غير المتحيز وغير المتعصب لطائفة دون طائفة، فإنه لو فعل ذلك لعلم أن مقدار ما فى نفس المرء من مجون لا يعينه مقدار تدينه، حتى ولو وجدنا أمثال الأستاذ الذين يعصم تدينهم من المجون. ونحن لا نريد التعرض لشواهد من شعر ونثر

من برجنا العاجى

قرأت بين الرسائل التى جاءتنى فى موضوع نشر اللغة العربية بين الأجانب رسالة لم أر بداً من إثباتها هنا، لأنها قد عرضت فى فقرات سبع، مسائل ينبغى أن توضع موضع التفكير. قال صاحب هذه الرسالة: كى ننجح فى اجتذاب الأجانب إلى « حانوتنا » الفكرى يجب أن نتبع ما يأتى:

أولاً — أن يتكلم المصريون جميعاً اللغة العربية فى كل المناسبات، وألا يسمحوا لأنفسهم ما داموا يعيشون فى مصر بالتكلم بأية لغة أخرى مهما ترتب على ذلك من نتائج

ثانياً — أن تكون جميع مكاتباتنا باللغة العربية، وأن نضطر الأجانب إلى قبول الكتابة إليهم بلغتنا

ثالثاً — أن يكون التعليم فى جميع المدارس الأجنبية فى مصر باللغة العربية

رابعاً — أن يوطد الكاتب المصرى عزمه على أن يكتب للعالم كله. إذ على الرغم من أن ما يكتبه لن يخرج عن حدود الأمم الشرقية الناطقة بالضاد، إلا أن مصر بالذات هى شبه عالم صغير فيها من كل الأمم وكل الجنسيات

خامساً — العناية بأسلوب الكتابة، والارتقاء به إلى السلاسة مع السهولة، وأن يجتهد كل كاتب فى الكشف عن نفسه وغرضه فى وضوح وصفاء

سادساً — أن تعرض المطبوعات بأثمان معتدلة لإغراء الأجانب بقراءتها

سابعاً — أن تكون هناك رقابة على المؤلفات جميعاً فلا ينشر منها إلا ما يستحق النشر، حتى لا نكلف الأجانب قراءة سخافاتنا المزرية

تلك مقترحات صاحب الرسالة. وهى من غير شك كفيلة بتحقيق الغرض. لكن المعضلة فى التنفيذ، وأن بعضها لا يمكن أن يقوم به غير حكومة قوية الشوكة مرهوبة الجانب، وبعضها يقع حمله على كواهل الأدباء.

وأعجبنى قول هذا الأديب: إن الكاتب المصرى ينبغى أولاً أن يوطن عزمه على أن يكتب للعالم كله. ولعل هنا مفتاح القضية كلها، فهل فى مصر الآن أدباء يكتبون للعالم كله؟ ذاك موضوع يحتاج فى بحثه إلى صفحات طوال.

توفيق الحكيم

الأدباء الغربي العهد كرامة وصيانة ؛ وأما من عداهم من المتدينين وغير المتدينين فما على الأستاذ إلا أن يخالطهم وأن يدرسهم من غير أن يشعرهم أنه يدرسهم إلا إذا كانوا يهابونه كل الهيبة فلا يظهرون أمامه حقيقة نفوسهم . والخطأ الثانى الذى وقع فيه الأستاذ هو ظنه أن الشكوك الدينية تمنع الاعتقاد . والخطأ الثالث حسبانه أن عجز الكاتب عن منع إذاعة هواجس نفسه يدل على أنها أكثر تمكناً من نفسه ؛ ومثل الأستاذ كمثل الذى يرى صنبور ماء لا يقفل تماماً فيحسب أن ماءه أغزر من ماء غيره لأنه لا يستطاع إحكام حبس الماء من التسرب منه . وهذه الهفوات الفكرية هى التى وطدت السبيل لأن يفهم الأستاذ فى النزعة إلى التجديد ما ليس فيها، ففهم أنها حركة التفاف يراد بها التعاون مع الحاقدين على الدين الاسلامى من الأوربيين . وقد أوضحنا للأستاذ بالشواهد التاريخية والأدلة المنطقية أن كل ما فى هـذه النزعة من محاسن ومفاسد كان من الممكن استنباطه من الآداب والعلوم العربية حتى ولو لم تتأثر النفوس بأدب اللغات الأوربية ، وإنما كانت تحتاج إلى زمن أطول لاستخراج كل هذه الأمور لو لم تتأثر بأدب اللغات الأوربية . ولا أدرى لماذا لم يتهم الأستاذ الغمراوى أبا العلاء المعرى بأنه كان يريد أن يقوم بحركة التفاف وتطويق معاونة لأعداء الإسلام من الأوربيين

ومن رأيى أن الأستاذ الغمراوى يؤدى خدمة كبيرة للدين والفضيلة لو أنه ترك نزعة التجديد وحاول بغيرته الصادقة أن يطهر الشعور الدينى من شوائب الأثرة والمجون فى نفوس الناس الذين يعتقدون أن تدينهم صك يعفيهم من ضرورة تطهير أنفسهم من المجون ومن تهالك الأثرة وجشعها ووسائلها الخبيثة وأحقادها .

وإذا كان شيخ الأدب القديم محمود باشا سامى البارودى لم يعصمه أخذه بالمذهب القديم من اختيار شعر أبى تمام فى الغلام . فإن من الظلم يا أستاذ أن تلوم الدكتور طه وهيكل بعد ذلك على نشر قصص منقولة عن الفرنسية ، وهى مهما كانت لا يبلغ بها المجون هذا المبلغ ، وبعضها كان دراسات نفسية (سيكولوجية) ، وإذا كان شيخ المعرة أبو العلاء المعرى لم يرد أن يقوم (بحركة التفاف) لمعاونة أعداء الإسلام من الأوربيين عندما قال : (قالوا لنا خالق حكيم) إلى أن قال :

هـذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

وعندما قال : (الموت نوم طويل لا انتهاء له) ، وانظر إلى قوله لا انتهاء له ، وعندما قال فى إنكار البعث :

لو كان جسمك متروكاً بهيئته بعـد التلاف طمعنا فى تلافيه

ومثل قوله فى فناء الروح :

وجسمى شمعة والروح نار إذا حان الردى خمدت بأفٍّ

أقول بعد هذه الأقوال وأشباهها التى يتخللها أقوال أخرى تختلف عنها: إذا كان شيخ المعرة جديراً بإحياء المسلمين ذكراه ، وطبع أقواله فمن الظلم أن يعـد الأستاذ الغمراوى دراسة فولتير جريرة وحركة التفاف .

إن للدكتور طه آراء تخالفها كل المخالفة ، ولـكنها ليست حركة التفاف؛ إنما هى نتيجة التفكير الذى قد يخطىء وقد يصيب. وكذلك ليست القصص التى تقلها السياسة الأسبوعية حركة التفاف وإنما يصح أن ينتقد الناقد نشر بعضها، وما دامت مكتبات مدارس البنين والبنات الدينية وغير الدينية مملوءة بمثل المجون وأشد من الفحش والمجون الذى سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه[1] سحيم عبد بنى الحسحاس ينشده فى بنت سيده ويقول :

ولقد تحدَّر من كريمة بعضهم عرق على جنب الفراش وطيب

فمن العبث لوم السياسة الأسبوعية على تلك القصص

(قارىء)

(١) راجع كتاب طبقات الشعراء لابن قتيبة

أعلام الأدب

اسخيـــلوس والمسرح اليوناني

للأستاذ دريني خشبه

وكان للتمثيل موسمان عند اليونانيين . فموسم الشتاء (اللينايا Lenæa) وذاك هو موسم عصر الخمر عندهم ، وموسم الربيع (الديونيزيا Dionysia) حينما كانت تجتمع فى أثينا وفود أحلافها[1]

ولم تكن تمثل على المسرح اليونانى إلا كل درامة تنجح أمام هيئة المسابقة ، وكانت المسابقات تعقد ثلاث مرات[2] فى السنة بإشراف الحكومة التى كانت تمثلها الهيئة الدينية

وقبل أن ينشأ مسرح ديونيزوس العظيم على منحدر الأكروبوليس الجنوبى الشرقى كان لأثينا مسرح آخر فى مكان سوقها وكانت مدرجاته من عروق الخشب ، وقد حدث أن سقطت هذه المدرجات مرة فى نزاع كبير نشب بين أنصار كل من اسخيلوس وبراتيناس وخوريلوس فى الأولمبياد السابع (٤٩٩ ق . م) فقتل خلق كثير من النظارة ، وكان هذا الحادث هو الباعث لبناء مسرح ديونيزوس[3] ، حيث صنعت المدرجات من الحجر على الحدور الراسخ فكانت تتسع لثلاثين ألف متفرج

وكان مكان التمثيل هو الدائرة المنخفضة الوسطى من المسرح وكانت تسمى المرقص أو الأركسترا Orchestra

وفي وسط المرقص كان يقام المحراب الذى يبدل فيه الممثلون ملابسهم وأزياءهم التنكرية ، وقد رؤى أن يكون إلى خلف المرقص حين رفعت أرضه بالخشب لتتناسب مع المدرجات العالية أمامها

ولما كان المسرح فى مثل هذا الاتساع الهائل عمد الأثينيون إلى حيل المكياج ليضخموا الممثلين بحيث تراهم الصفوف الخلفية ، فكان هؤلاء يلبسون أخفافاً كباراً لها أعقاب عالية من الخشب ، وثياباً سميكة محشوة ومبطنة ببطائن منتفخة ، وقد يكون للثوب ذيل فضفاض يجرره الممثل وراءه

وكانوا يلبسون الأوجه التنكرية الكبيرة التى تلائم المشهد الروائى ، فإذا كان المشهد محزناً ظل الوجه عابساً بادى الألم ، وإذا كان المشهد مضحكاً بدت على الوجه أسارير المرح وقسمات الضحك أو علائم التهزيل

وكما عمدوا إلى ذلك لتضخيم الممثلين فكذلك عمدوا إلى فم الوجه التنكرى فنفخوه بحيث يخرج الصوت منه مدوياً يجلجل فى أرجاء المسرح فلا تضيع كلمة واحدة على نظارة الصفوف الخلفية

وقد أدى هذا المكياج العجيب إلى بطء الحركة فى المرقص بطئاً شديداً لأن تلك الأخفاف الخشبية ذات الأعقاب العالية لا تعمل على السرعة بل تعمل على البطء ، هذا إلى اضطرار الممثل أن يتجه دائماً إلى الوجهة التى يعبر عنها الوجه التنكرى الذى يلبسه ، لأنه لا يستطيع تبديل (تقاطيعه) حسب ما يقتضيه سياق الحديث[1]

وكانت طبيعة هذا المسرح الضخم الرحيب تقتضى أن يكون الممثل حاذقاً بارعاً ملماً بدقائق فنه خبيراً بتوجيه الصوت الذى كان ينبغى أن يكون دائماً جهورياً عالياً فى غير حشرجة ولا تصديع

وقد كان الشعراء أنفسهم — وهم مؤلفو الدرامات — يقومون بتمثيل الأدوار المهمة ويتولون فى الوقت نفسه مهمة الاخراج والإشراف الشامل على تمثيل الأدوار الأخرى ... وقد ظل إسخيلوس وسوفوكليس يمثلون أدوارهم حتى اضطرا إلى التخلى عن ذلك حينما ضعف صوت إسخيلوس ورأى سوفوكليس أن يستعمل ممثلا آخر يقوم عنه بهذه المهمة ، ومن هنا نشأ الاحتراف فى التمثيل حوالى سنة ٤٥٦ ق . م

وإسخيلوس هو أول من اتخذ ممثلين بدل ممثل واحد يقوم بمعظم الأدوار الهامة فى الدرامة . وقيل إن سوفوكليس زاد عدد الممثلين فجعلهم ثلاثة ؛ وقيل إن إسخيلوس هو الذى صنع ذلك وسَنَّه لمن جاء بعده

وكانت أدوار النساء تسند عادة إلى الصبيان المُرْد ذوى الصوت الناعم الرخيم . وقد مثل سوفوكليس نفسه دور الحسناء

(١) بركليس للأستاذ E. Abbot ص ٢٩٣

(٢) خلاصة الأدب لدرنكووتر ص ١٧٧ (٣) راسكو ص ٤٣

(١) ستوبارت ص ١٧٥

نوزيكا[١] فى درامته المفقودة (نساء غاسلات) ... ولا ندرى ماذا منع الآغريق من إسناد هذه الأدوار إلى السيدات ، وليس فى المصادر التى بأيدينا ما يلقى النور على ذلك

وقد كان الفنانون يبدون مهارة عجيبة فى صنع الأوجه التنكرية وخاصة لأدوار النساء ، وقد حفظ لنا الأثر كثيراً من فن فدياس فى ذلك خصوصاً فى أدوار درامات سوفوكليس

أما الخورس (المنشدون) فقد عرفنا أن عددهم فى الدثرامب (أغانى باخوس[٢]) القديمة كان خمسين . وقيل ثمانين وقيل غير ذلك ، وقد نزل بهم إسخيلوس إلى ثمانية وأربعين لا يظهر منهم فى المشهد الواحد إلا اثنا عشر . وقال ستوبارت بل كان يظهر منهم فى المشهد الواحد خمسة عشر يخرجون من المحراب فى صفوف ثلاثة طولية عدد كل منها خمسة ، ويقودهم رئيسهم صاحب الناى وعلى يمينه ويساره قائدا الصفين الآخرين

وكان أفراد الخورس يُختارون من أمهر الراقصين اليونانيين ، ومن الذين مرنوا على الإنشاد والغناء ، وذلك لما يتطلبه فن الدرامة اليونانية من التوقيع الموسيقى الرشيق الأنيق المنتظم الذى يوائم مجرى التمثيل ويتفق ومشاهد المأساة أو الملهاة

أما ملابس الخورس فكان يؤدى ثمنها الثرى الذى تعهد للشاعر بمصروفات الدرامة ، وكان لكل فرد من المنشدين أربعة (أطقم) من الثياب يغيرها حسب اختلاف المشاهد ...

وكان للخورس المقام الأول فى الدرامة القديمة ، فهم الذين يشرحون الحوادث وهم الذين يعطون للنظارة كل فكرة هامة عن الدرامة ، وما الممثل (أو الممثلان أو الثلاثة) إلا قائد التسلسل أو كما يقول آرسطو (The Protagonist) أى الشخص الذى يقود الحديث ويوجهه[٣] . وقد أخذت مهمة الخورس تتضاءل وتقتصر على الشرح الخفيف والأغانى والموسيقى بعد اسخيلوس . فنى درامة المتضرعات Suppliants[٤] ترى أن الخورس هم أبطال الرواية ذكوراً وإناثاً ، وأنهم ينشدون من مادتها الثلثين على الأقل ؛ أما الثلث الباقى فهو للحوار ويؤديه الممثلان . فالخورس فى إسخيلوس هم صلب الرواية ، وهم حاضرون أبداً فى الأوركسترا لا يبارحونه ... أما فى سفوكليس ، أو فى درامته فيلوكتيتس[١] Philoctêtês فلا تكاد تحس للخورس تلك الأهمية ، بل لا تكاد تحس لهم أهمية مطلقاً ، وهم لا يظهرون فى الأوركسترا إلا بعد أن تقترب المأساة من أوجها ، ولا يكادون ينشدون من مادتها أكثر من السدس . وهذا هو السبب فى سرعة الأداء فى مآسى سوفوكليس وبطئه فى مآسى إسخيلوس ، بل هذا هو السبب الذى أظفر الشاعر الشاب بالشاعر الشيخ كما سنرى فيما بعد .

وقد فقدت أغانى الخورس قيمتها تقريباً فى درامات يوربيدز واحتلت الموسيقى المكان الأول فيها جميعاً ، وقد حدث ذلك التبدل حينما انحط الغناء وتشوف الأثينيون إلى الموسيقى العلوية الرفيعة التى تذكى الشاعر وتحوم بهم فى آفاق شعرية جميلة ، ومن هنا اهتمام يوربيدز بالأناشيد والمراثى القروية مما سوف نتناوله فى حينه إن شاء الله .

وقبل أن يبدأ التمثيل ، كان لا بد من إعطاء النظارة فكرة عن موضوع الدرامة ، فكان يبرز من المحراب أحد أفراد الخورس أو الممثلين أو الشاعر نفسه ليقدم المقدمة أو ال Prologue وذلك قبل أن يدخل أحد من الخورس ، أما مقدمة الخورس أو ال Episodion فهى ما يقدم به الخورس نفسه قبيل كل مشهد جديد ...

***

أما مادة الدرامات اليونانية فقد كان لها مصدران عظيمان : أحدهما خارجى ويشمل مشكلات السياسة ومؤامراتها وكل ما يتعلق بسلامة الدولة ، والآخر داخلى أو أهلى ويشمل الأساطير الدينية التى تحدد العلاقة بين الناس والآلهة أو بين الآلهة والآلهة أو بين الناس والناس فيما يتعلق بتقليد دينى أو فيما له صلة بتلك التقاليد

وفى الدرامات التى تتناول موضوعاً سياسيًّا لم يكن يسمح للشاعر أن يستهزئ بدولة ما حتى ولو كانت دولة معادية ؛ ولم يكن يسمح له أيضاً بأن يثلب طائفة ما من الطوائف التى يتركب منها الشعب الإغريقى . وقد حدث أن ألف الشاعر فرينيخوس

(١) موراى ص ٢٣٣
(٢) باخوس هو الاسم الرومانى لاله الخمر ديونيزوس
(٣) موراى ص ٢٠٨
(٤) لخصناها لقراء الرسالة سنة ١٩٣٥ وهى لأسخيلوس

(١) هى الدرامة الخالدة التى أعجب بها شاكسبير ونظم همات على غرارها وسنخلصها للقراء إن شاء الله فى فصولنا عن سوفوكليس

درامة[1] آذى بها الأيونيوّيّين ، فثارت الخواطر عليه فى أثينا وانتهى الأمر بمحاكمته والحكم عليه بغرامة فادحة

وقد كان لأبطال الملاحم الهومرية والهسيودية النصيب الأوفى من عناية شعراء الدرام . وكانوا يعنون كذلك عناية فائقة بأبطال الحروب المروعة التى نشبت بينهم وبين الفرس ... تلك الحروب التى خلقت المجد اليونانى وحالت بانتصار اليونانيين دون تبربر أوربا

أما الأساطير التى تعج بها الميثولوجيا اليونانية فقد كانت مادة أساسية للدرامة ... ولا غرو ، فقد عرفنا أن الدِّثرامب كانت الفجر الصادق لهذا الفن الجليل العظيم ... والدِّثرامب هى أغانى باخوس ، وهى وإن كانت تنشد باسم هذا الإله المرح الطروب قد أدت إلى المأساة الصارمة الشجية التى تفيض بالألم وتورث الحسرة والأسى

وهنا موضع إشارة إلى رأي طريف جهر به أستاذ عظيم من أساتذة الأدب اليونانى القديم هو العلامة ردجواى ... فقد أنكر هـذا الأستاذ أن تكون أغانى باخوس الفياضة بالفرح والمرح والتهريج أصلاً للمأساة ، وزعم أن أصلها إنما هو الأسى والحزن ، والأسى والحزن إنما ينشآن حول الموتى وحول المقابر وفى المحافل الجنائزية التى كانت تقام فى هذه المناسبات ، وما كان يصحبها من إقامة شعائر الموت والطقوس الدينية المختلفة . ودليله على ذلك تلك الشاهد الكثيرة التى تزدحم بها المآسى من مناظر الحزن وإبراز أمارات الأسى وتجصيص القبور فى المناظر التى تقتضى ذلك .

هذا رأى طريف حقاً ... لكنه رأى لم يشر إليه أحد من قدماء اليونان ، لا أفلاطون ولا أرسطو ولا هيرودوتس ولا أحد ممن أرخ لهذا الأدب المسرحى العظيم . بيد أنه لا ينقض هـذا الرأى عدم إشارة أحد من هؤلاء إليه . فهو رأى محترم لأنه منطقى ولأن الأستاذ قد أردفه برأى آخر فى نشوء الدرامة الكوميدية كاد ينكر به ما تواتر به التاريخ وأجمع عليه العلماء من أمر نشوئها ، فقد زعم أن الكوميدية لم تنشأ عن الدِّثرامب التى هى أغانى باخوس الخمرية المرحة ، بل نشأت فى قرية تدعى Kome اشتهر أهلها بممارسة عبادة العنز لا عن تقى وورع بل اندفاعاً مع التيار ... وآية ذلك أنهم لم يكونوا يظهرون إلـهم الذى هو ديونيزوس أيضاً ... فى المظهر الذى كان ينبغى له بصفته أحد سادة الأولمب ، بل هم كانوا يظهرونه فى مظهر المخلوق المخمور العربيد الذى يثير مرآه الضحك[1] ويبتعث النشوة والابتهاج ، والسخرية أحياناً . فمن اسم هذه القرية اشتقت كلمة Komôidia للملهاة ولفظة Kômoi لشعرائها ومنشديها

ومع ما لهذا الرأى من قيمة ووجاهة فهو ما يزال يفتقر إلى إثبات وتدعيم .

***

هذا ولم تكن مناظر القتل وسفك الدماء تمثل على المسرح ، بل كان يكتفى بدخول رسول فيفاجئ الممثلين والخورس بمقتل فلان أو الاعتداء على فلان . وهنا تتغير اتجاهات المأساة ، وتبلغ أوجها بالخطبة الطويلة التى يلقيها هذا الرسول . لأنه يتناول شرح الاعتداء ووقته ومكانه وكيفيته والقائم به ... الخ . وكانت المأساة فى الغالب تنتهى بهذه الخطبة ، فيظهر إلـه ، خصوصاً فى درامات يوربيديز ، فيلقى عظة أو عبرة ، ثم يدخل الخورس إلى المحراب ، وينصرف الجمهور إن لم يكن هناك تحكيم

وعلى ذكر الخطبـة التى يلقيها الرسول نذكر أن الدرامة اليونانية لا تشبه بحال من الأحوال الدرامة التى نشهدها اليوم فى مسارحنا ... فدرامتنا تعتمد على الحوار القصير ، أما الدرامة اليونانية فتعمد على الخطب الطوال فى أكثر الأحوال ... ولم يوزع الشعراء اليونانيون بيتاً واحـداً من الشعر على أكثر من ممثل واحد كما يصنع شعراؤنا اليوم ومنذ عصر شاكسبير ... ومن الظريف جداً أن مترجمى الدرامات اليونانية القديمة من الانجليز والألمان والفرنسيين قد حافظوا على هذا التقليد حينما نقلوا تلك الدرامات إلى لغاتهم شعراً

وقبل أن نختم هذا الفصل نرى ألا يفوتنا أن نشير إلى حرية الرأى الكاملة عند هذا الشعب الأثينى الراقى العظيم ... تلك الحرية العجيبة غير المحدودة — إلا ما سلفت الإشارة إليه فى تناول بعض المشكلات السياسية — التى كان ينعم بها المؤلف والخطيب والمحاور وكل فرد من أفراد ذلك المجتمع الأثينى المهذب

لقد نشأت الدرامة اليونانية نشأة دينية بَحْتَـة ... لكن

(١) غرامة ملتيوس

(١) سنضع بين يدى القارىء صوراً من هـذا الأله العجيب للشاعر أرسطوفان . وكذلك سنعرض مرة أخرى لنظرية نشوء الملهاة عند الكلام عنه .

المجتمع الأثيني لم يكن مجتمعاً دينياً متزمتاً ... ودينه لم يفرض عليه طقوساً يومية من العبادات ، وإن كنا نحن نؤمن إيماناً مطلقاً بما لهذه الطقوس من الأثر الجليل فى مجتمعنا ... لكنهم هكذا نشأوا ... نشأوا وثنيين فى عشقهم للجمال والحرية ومحبة العدل وإيفاء كل ذى حق حقه .. احترموا الموت ولم يفكروا فيما وراءه، وآمنوا بالقضاء والقدر إيماناً إيجابياً لا إيماناً سلبياً مثل إيمان بعضنا بهما ... ومن هنا نبعت روائع دراماتهم ... لقد كان كل ما يأمرهم دينهم به هو تقديم القرابين وعقر الأضاحى ... ثم دفن الموتى ... فمن لم يدفن بعد موته أو قتله ظلت روحه هائمة فى الظلمات عابسة كاسفة حتى يدفن صاحبها فيؤذن لها فى دخول هيدز ...

هذا كل ما فُرض عليهم من أمر دينهم . . . ومع ذاك فقد فهم أحرارهم هذا الدين الأسطورىّ على وجهه الحق فلم يبالوا أن يزيفوه ويتناولوا آلهته بالنقد والتخطئ والتسفيه والسخرية أحياناً ... كما سيمر بك فيما يلى

دريني خشبة

فى السـلام

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

لا كلمة الآن أشد سحراً وأكثر دوراناً على ألسنة الساسة من كلمة السلام ، فهم يرسلونها فى خطبهم العالمية والمحلية حتى لتظهم ويظنون أنفسهم خلفاء الرسل فى الدعوة إلى سلام الأرض

وقد بنوا لهذه الكلمة الساحرة بيتاً عالياً فى جنيف له سدنة وكهان وحجاب ، وكل هذا « كالعروض » : بحور بلا ماء !

ولا أعرف ديناً عنى بترديد هذه الكلمة على أسماع أهله فى الخلوة والجلوة وتثبيتها فى طباعهم كما عنى الإسلام

بل إن الإسلام والسلام كلمتان متداخلتان مادة ومعنى . ويعرف كل من له إلمام بفقه اللغة العربية وخصوصاً قانون « تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى » أن هاتين الكلمتين ليس بينهما من فرق فى المعنى إلا بمقدار ذلك الفرق الضئيل فى اللفظ

وأنا الآن بمعرض بيان الأسس التى وضعها الإسلام لضمان السلام فى النفس ، وبين الطبقات فى الشعب ، وبين الأمم فى الأرض

وأول ما يسترعى النظر هو أن تحية المسلمين هى إلقاء كلمة السلام . وما أجد تحية أقرب مناسبة لكل وقت كهذه التحية ، وهى فى الواقع بمثابة عهد بين البادئ والمجيب ، على ألا يمس أحدهما الآخر بسوء . وفى البادية يفهمون لها هذا المعنى الجميل فيرافق المجيب البادئ إلى آخر حماه حتى لا يصاب بسوء ما دام فى حماه ، بعد هذا التعاقد

وفى الصلاة الإسلامية ترديد كثير للسلام ؛ حتى ليصح أن نطلق على التشهد « نشيد السلام » ففيه سلام على النبى صلى الله عليه وسلم وفاء له وذكرى بين يدى الله ، وسلام على النفس لبعث الطمأنينة وإشاعة معناها فى الروح وإيحاء ذاتى إلى القلب بذلك المعنى، كما يشير بذلك علم النفس الحديث، وسلام على العباد الصالحين يرسله المصلى إليهم فى غيبتهم وغيبوبته هو فى مقام الله ، وكأنه يتعهد أمام الله ألا يمس أحداً من رجال الإصلاح بسوء ، ثم تنتهى الصلاة بسلام عن اليمين والشمال يستأنف به المصلى عودته إلى ملابسة أمور الحياة . ذلك موقف هو أعظم مواقف التصفية للنفس المسلمة فى حياتها اليومية ، فلينظر فيه علماء النفس ويبينوا أى قوة تربيوية أوحى بمعانى السلام منه ؟

ثم يعمد الإسلام إلى تثبيت معنى السلام من طريق العظة بالقول بعد أن أوحى به فى العبادة فيصف المسلمين بأنهم « إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلية » « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » إلى آخر النصوص التى تفيض بها مراجع الإسلام

ولما قامت دولة الإسلام بالمدينة وابتدأت الحياة السياسية للمسلمين شرع الله شرائع الحرب والسلم حتى لا يسير المسلمون وراء السياسة وهى فاجرة قاسية ، فنادى نداء عاماً « يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة » « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » « وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله » « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً » وقد نهى وحذر من الخداع واتخاذ العهود والمواثيق تمويها وغشاً « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم

ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها » « ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً » « ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمة هى أربى من أمة إنما يبلوكم الله به »

وهنا نقف قليلاً لنفكر فى هذه الآية العجيبة التى تلخص كل مشاكل السياسة وبخاصة فى هذا العصر . فنحن على علم الآن بأن كل ما يوقع الأمم فى جحيم الحرب هو عدم الثقة المتبادلة فكل دولة لها مواثيق مستورة ومواثيق علنية ، والاعتماد الأكبر على المحالفات السرية، وكل دولة متهمة عند الأخريات ، وكل دولة تريد أن تكون أربى وأكثر عدداً وقوة ومنافع من الأخرى ، فهم قد اتخذوا مواثيقهم وعهودهم دخلاً وغشاً بينهم فلا تترك ثقة ولا تدفع شكا ، وكل هذا للمادة والمال « لتكون أمة أربى من أمة » لا لخدمة مثل أعلى ، ولا لعلم أو معرفة ، ولا شك أن هذا بلاء كبير كما يعبر القرآن

فانظر كيف يدخل الإسلام إلى السياسة بهذه الروحانية الجميلة التى هى سر نجاح سياسة العرب فى تعريب الأمم وإسلامها

ويعد القرآن اتخاذ العهود والمواثيق دخلاً وخداعاً وغشاً ، زلة قدم بعد ثبوتها ، وذلة تحت حكم السوء ، وصداً عن سبيل الله « ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم »

ولم أر القرآن يؤكد معنى فى موضع واحد منه وفى آيات متلاحقة وفى بيان يدير المعنى على اختلاف وجوهه ويستعين على توكيده بالتشبيه والتمثيل كما رأيته فى هذه الآيات التى تحض على الوفاء وتنهى عن الخداع فى السياسة بين الأمم ... !

وأحب ألا يفهم قارئ أن القرآن يدعو إلى الضعف والغفلة بإدخاله الروحانية فى السياسة ، فإن هذا فهم خاطئ . فقد دعا الإسلام إلى الأخذ بأسباب القوة ما وسعت الطاقة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء » . « وليجدوا فيكم غلظة » ... « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف »

وإنما هى رحمة الأقوياء ، وعفو القادرين ، وسلام تحت ظلال السيوف ...

« بغداد — الرستمية » عبد المنعم محمد خلاف

من برج بابل

أسعد ساعاتى وأحفلها بالعبر والتأمل ، حين أجلس إلى طفلى . فأعمد أنا إلى إبرتىّ الطويلتين دائبة على صنع قطعة من النسيج، ويفرغ هو إلى الدُّمى واللُّعب كأنه ملك عابث، فهو منهمك أبداً فى تدبير دولة من لُعب، فتارة يقسم فصائل جيشه وينصب عليهم القواد ويدعوهم إلى القتال والجهاد ، وطوراً يزف الملك إلى الملكة ، وأحياناً يحرك القطار على القضيب. وهو فى هذا كله نشيط دائم الحماسة والحركة، يزمزم بلغة غريبة عنا، كأنما لا يفهمها غير عاله الصغير ورعيته الجامدة!

ثم لا يلبث أن يعتريه الملل والسآمة وتسيطر عليه غريزة عجيبة ، فيهدم عرشاً نصبه ، ويبعثر جنوداً مدربة منظمة ، ويصدم عربات قطاره ، ويهرع إلىّ محتجاً متبرماً ، يطلب عالماً جديداً أو إن شئت لعبة جديدة . وبأى قدرة أستطيع أن أمده على الدوام بعوالم لا متناهية متجددة فى كل لحظة ! فإذا شعر منى بالعجز عن الخلق والإبداع انصرف إلى دنيانا نحن الكبار : فيجذب الزهرية المستقرة فى رشاقة على المنضدة ويهوى بها إلى الأرض ؛ وإلى الورد فيعبث بأوراقه، ويعمد إلى الستار المسدل على النافذة فيهدله، وإلى زجاجها فيحطمه؛ ويسعى إلى القط الجميل الوديع فلا يزال يستدرجه، حتى إذا تمكن منه حاول خنقه بيديه الدقيقتين.

لشد ما يجهد أعصابى هذا المخلوق الصغير الجبار! إنه لا يهدأ، إنه لا يستقر . ولا يحلو له غير التدمير والعبث بنظامنا . لا توقفه نظرتى الحادة المهددة ، ولا تهدئه بسمتى الحنون الرقيقة ، ولا يثنيه ما أقدم من حلوى .

ألا إن فى الأطفال حافزاً عجيباً يدفعهم على الدوام إلى هدم ما هو قائم ، وإفساد ما هو كائن، وتحليل ما هو مركب. وحين ألقى النظر على يدىّ وهما دائبتان فى نسج الحياة ، وعلى آثار الحطام التى أنزلها بعالمى طفلى الصغير ، أشعر بالفارق الهائل بين الأمومة العاملة والطفولة الهادمة

هؤلاء الصغار، فلذات أكبادنا، يولدون فى الحياة بمشاعر جديدة ، وطبائع جديدة ، وأفكار جديدة ، وآمال جديدة .. فلا يطيب لهم أن يبقوا على ما صنعت الأمهات وما بذل الآباء ؛ فتراهم يحطمون فى لحظة عالمنا ، ثمرة كدنا وعمرنا وجهدنا، كما لو كان صنماً قديماً سخفت عبادته !

مارى نسيم

حول كتاب « مصطفى كامل »

مصطفى كامـــل

والسيادة العثمانية

للأستاذ محمود العمرى

فى عدد الرسالة الصادر فى ٢٠ فبراير كلمة للأستاذ العقاد عن كتاب « مصطفى كامل » لعبد الرحمن بك الرافعى ، لا يسع قارئها إلا أن يرى فيما جاء بها ، حواراً طبيعياً بين مؤرخ (سعد زغلول) ومؤرخ (مصطفى كامل) . وقد أوسع الأستاذ العقاد مجال المناقشة من الجانبين، إذ قال فى آخر كلمته أن ليس للقارئ أن يطلب الحق كله من كتاب واحد لاسيما فى تاريخ تختلف فيه الميول والآراء . وهذه دعوة ضمنية إلى طرح الموضوع على بساط البحث كيما يستنير أبناء الجيل الحاضر ممن تأثروا بحركة سعد زغلول دون حركة مصطفى كامل .

والمهم فى هذه الكلمة أن الأستاذ العقاد يأخذ على عبد الرحمن بك أنه ظل غير متحيز فى سلسلة كتبه عن الحركة القومية منذ الحملة الفرنسية إلى أن وصل إلى مصطفى كامل فتحيز له ضد خصومه .

ولأجل أن نبحث هذه الملاحظة لا بد لنا من الرجوع إلى السياق التاريخى لمنطق الوطنية المصرية منذ الحملة الفرنسية ، لنتبين ما إذا كان هناك عدم تناسق فى حلقاتها ؛ وعندئذ نرى الحكمة الحقيقية فيما قاله عبد الرحمن بك فى مقدمته : من أنه كان فى أول الأمر يريد ترجمة سيرة مصطفى كامل ، فأدى به البحث إلى أن يمهد لها بتحقيق تاريخ الحركة القومية منذ الحملة الفرنسية التى تعد بداية محاولة دول أوربا الاستيلاء على مصر بأساليب واحدة ؛ إذ أن حركة مصطفى كامل لا يمكن اعتبارها من جانب المؤرخ الحقيق إلا حلقة من حلقات سلسلة جهود المصريين للوقوف فى وجه الفاتح الأوربى ؛ كما أن تشابه الموقف فى هذه الحلقات كان من شأنه أن أملى على المجاهدين فى سبيل الاستقلال الحقيقى خطة واحدة . وما الشعور الوطنى إلا غريزة الدفاع عن النفس ، وهى غريزة طبيعية فطرية إذا كانت سليمة صادقة فرضت على النفوس منطقاً سليماً على اختلاف درجة تعمق الآخذين بها فى مبلغ فهمهم إياها عن طريق العقل .

فالسلسلة التاريخيــة التى بدأت منذ قرن ونصف قرن تقريباً إنما هى عدة فصول فى رواية واحدة يطلع عليها القارىء فى سلسلة الحركة القومية بقلم رجل يجمع إلى صفاته كمؤرخ صفة أخرى وهى صفة المؤمن بتلك الحركة، وهذه مزية ضرورية لمؤرخ أى فكرة ؛ إذ أن عبد الرحمن بك رجل يؤهله طول بلائه فيها لأن يفهمها بروحه ومزاجه فضلاً عن فهمه إياها كمؤرخ وكرجل يدرك المرامى السياسية عن طريق إلمامه بالقانون .

احتل نابليون مصر ، وكانت تابعة لتركيـا ، وكانت انجلترا منافسة له تسعى لإخراجه منها . وكانت حجتها فى ذلك أن فى هذا الاحتلال اعتداء على حقوق الدولة العثمانية التى لم يكن فى حالة حرب ضدها بل كان متعهداً بسلامتها بمقتضى المعاهدات . فأخذت تحرض تركيا على التمسك بحقوقها، وتحرض المصريين على التمسك بعلاقتهم بها ما دام الاحتلال الفرنسى قائماً . وكان نابليون يسعى جهده لحمل تركيا على الرضا عن احتلاله لمصر نظير مزايا عظيمة فى البلقان ، كما سعى بوسائل شتى لحمل الزعماء المصريين على قبول الانفصال عن تركيا فبذل فى سبيل ذلك جهوداً عظيمة ، وأدى للشعب خدمات جليلة ، ولكنه لم يفلح مع تركيا ولا مع مصر ، ولذلك تم للمصريين ما أرادوا من عـدم تمكن النير الأجنبى من أن يقوم على رضاهم بسند شرعى. ولو أنهم خدعوا بما أغراهم به نابليون باسم الانفصال عن تركيا لخلا الجو أمام احتلاله وهو الإهدار الحقيقى للاستقلال ولكانت مصر إلى الآن مستعمرة فرنسية ...

أثبت التاريخ بعد ذلك أن مصر لم تكن بهذا السلاح السلبى تقصد التبعية لتركيا بدليل أنها ما كادت تتخلص من الاحتلال الفرنسى حتى أخذت تعالج مشكلة استقلالها مع تركيا وجهاً لوجه، فوضعت محمد على على رأسها وحاربت تحت قيادته المتبوع الأعظم وهزمت جيوشه ؛ وذلك بفضل استقلالها الداخلى الذى مكنها من أسباب القوة القومية، وهذا لعدم توفر الركن الأساسى للتبعية الفعلية لتركيا وهو وجود جيش احتلال تركى فى مصر .

لم يقف الجيش المصرى الظافر على تركيا إلا تدخـل دول أوربا التى لا تأخذ الواحدة منهن على المصريين تمسكهم بتركيا إلا عند ما يكون هذا التمسك مقصوداً به التخلص منها . أما إذا كان مقصوداً به التخلص من دولة منافسة لها فإنه يصبح عندئذ أمراً منطقياً تمليه الوطنية الحقة ولا تعصب فيه للدين ولا للخلافة

ولم يقف الاستقلال الذى عملت له مصر فى ميدان القتال

عند الحد الذى رسمته معاهدة سنة ١٨٤٠ إلا تدخل تلك الدول خشية فتح باب المشكلة الشرقية بما تقتضيه من التنافس على توزيع أسلاب الدولة العثمانية

وفى سنة ١٨٨٢ احتلت انجلترا مصر احتلالاً مؤقتاً بموافقة صاحبى الشأن فى معاهدة سنة ١٨٤٠ وهما سلطان تركيا وخديو مصر فعاد نفس الموقف الذى كان قائماً أيام الاحتلال الفرنسى . وبعد أن انتهت الحالة المؤقتة التى أدت إلى ذلك الاحتلال أصبحت فرنسا تطالب انجلترا بالجلاء بنفس الحجة التى كانت هذه تتذرع بها أيام نابليون فسعت انجلترا سعى هـذا الأخير لإزالة العقبة القانونية التى تجعل احتلالها غير مشروع فأوفدت درامندو ولف إلى الآستانة للاتفاق على تبرير الاحتلال الدائم وهو الحماية ففشلت، وكان بعض فشلها راجعاً إلى سعى فرنسا التى حاربتها بنفس الحجة التى حوربت بها قبلاً وظلت تحاربها بها إلى أن اتفقت معها انجلترا على إطلاق يدها فى مراكش

لجأت انجلترا أيضاً إلى مثل ما لجأ إليه نابليون من حمل الشعب المصرى على المطالبة بالانفصال عن تركيا قبل أن ينجلى الجيش الانجليزى عن مصر وقدمت فى سبيل ذلك للشعب المصرى خدمات اقتصادية وقامت له بإصلاحات إدارية كثمن لإلهائه عن الاستقلال فنجحت مع بعض الأعيان الذين كانوا يسمونهم أصحاب المصالح الحقيقية فراحوا يقولون إن الاستقلال هو الانفصال عن تركيا قبل الجلاء . وكانت الغاية التى قصد إليها الإنجليز أن تزول من طريقهم إلى الحماية الحقيقية تلك العقبة التى جعلت مركزهم غير صحيح . ثم شفع هؤلاء المصريون خطتهم بالمناداة بالاتفاق مع انجلترا كما تنكروا لسلطة الخديو الممثل الشرعى للسيادة المصرية المقررة فى معاهدة سنة ١٨٤٠ حتى تهدم المعاهدة المذكورة من ركنيها الخارجى والداخلى ، هذين الركنين اللذين هدمهما الاحتلال

عندئذ قام مصطفى كامل فنهض نهضة استقلالية تامة لاشك فى اتجاهها ومراميها ، وقال مراراً إن مصر لاتريد إبدال متبوع بمتبوع ، ولـكنه احتاط عند تحديد المطالب السياسية فجعل هدفه الأول جلاء الاحتلال ووضع أمامه معاهدة سنة ١٨٤٠ سنداً قانونياً سياسياً ضد الاعتداء الحقيقى على تلك المعاهدة

إن القول بأن استفادة مصطفى كامل بالعوامل الخارجة عن الجهود المصرية كان مناداة بالتبعية لهذه العوامل إنما هو قول بعيد عن الحقيقة التى لمسها معاصروه قبل أن يسلموا له بما اعترف به الأستاذ العقاد إذ قال عنه إنه زعيم الوطنية المصرية فى ذلك العصر

استفاد مصطفى من خلاف فرنسا مع انجلترا فظن بعض الناس أنه صنيعة فرنسا . فلما تنحت فرنسا عن قضية مصر استمر فى جهاده بل ضاعف قواه . واستفاد من خلاف ألمانيا وحلفائها وأيد الخديو ، حتى إذا خرج كرومر وتغير الحال أثبت مصطفى كامل أن انتصاره لسمو عباس حلمى باشا لم يكن إلا انتصاراً للسيادة المصرية لا لشخص الخـديو وضاعف الهمة حتى زالت حجة المـكابرين الذين قالوا بأنه صنيعة . وكذا كان شأنه مع تركيا شأن المستفيد من مصلحة مشتركة فى موقف معين . وما قوله فى شأن الخلافة إلا شأن فرنسا وإيطاليا مثلاً عند اتفاق مصالحهما بأن هناك رابطة لاتينية

ولما تولى الحركة فريد بك ازدادت خطة الوطنية وضوحاً لمناسبة الظروف التى استجدت فقامت الحرب العالمية وهو فى تركيا فأفهم رجالها وهم على وشك الهجوم على مصر أن عدم مطالبة المصريين برفع السيادة التركية إنما كان لوجود الاحتلال الإنجليزى

اعترفت انجلترا بأن تكييف مصطفى كامل للاستقلال كان تكييفاً صحيحاً كما اعترفت للمجاهدين ضد نابليون عند ما كانت تريد إخراجه من مصر . ويكفى أن يطلع الإنسان على إعلان الحماية ليرى هذا الاعتراف إذ جاء فيه : « بما أن تركيا فى حالة حرب مع انجلترا فتزول من الآن السيادة التركية وتصبح مصر تحت الحماية البريطانية »

ولما انتهت الحرب العظمى لم يتمسك رجال مصطفى وفريد بالسيادة العثمانية ، فهذا غير معقول ، وإنما عملوا على ألا يتم تنازل تركيا عن سيادتها إلا لمصر لا لانجلترا كما عملوا على احتفاظ مصر بمـا لها من الحقوق فى معاهدة سنة ١٨٤٠ . ولذلك سافروا إلى أنقره وإلى لوزان ولم يسع (الوفد المصرى) إلا أن يبعث معهم بعض رجاله ويشترك معهم فى هذا السعى .

أما ماحصل بعد ذلك فيكفى أن تكييف مصطفى كامل قد سجل له التاريخ نتيجة واضحة وهى أن معاهدة سنة ١٩٣٦ استنفدت برامج جميع الأحزاب ما عدا برنامج الآخذين بمبدئه .

محمود العمرى

انتظروا عدد الرســـالة الممتاز

فى صباح ١٣ مارس

دراسات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الأدب الموضوعى نقد وتاريخ

رأينا فيما تقدم أمثلة من الأدب الموضوعى، ورأينا بعض هذه الأمثلة يتناول قطعة من الأدب ليبيّن ما فيها من عيوب ومزايا؛ ورأينا أمثلة أخرى تبيِّن مناهج الكلام البليغ، وتوضح مزايا هذا الكلام فى معانيه وألفاظه وأساليبه، وقلنا إن هذه الأمثلة وما يشبهها تسمى نقداً. ثم وجدنا أمثلة غيرها تقصد إلى تبيين أطوار الكلام فى العصور المتتابعة وإيضاح أسبابها، وقلنا إن هذه الأمثلة وأشباهها تُعدّ من تاريخ الأدب

وهنا نُجمل الكلام فى النقد الأدبى وتاريخ الأدب

١ — النقد الأدبى (١)

نقد الكلام تبيين مزاياه وعيوبه، وتمييز جيِّده من رديئه يقال: نقد الكلام وانتقده على قائله، وهو من نقدة الشعر ونقّاده ... الخ (٢)

٢ — نشوء النقد وتطوره

النقد طبيعى فى الإنسان، ينشأ من استحسان الشىء أو استهجانه. ويزيد الناس اهتماماً به اختلاف الأذواق فى تقدير الشىء الجميل والقبيح، وتفاوت الإدراك فى معرفة الصواب والخطأ، ويعظم الخلاف فى دقائق الأمور التى لا يُبينها حس واضح أو إدراك بيّن، وكلما دقت المسألة عسُر الحكم فيها وكثر الخلاف؛ وكلما كثر الخلاف كان النقد أصعب، وكان على صعوبته ألزم. والنقد يكون فى العلوم، والصناعات، ويكون فى الآداب. وهو فى هذه أغمض وأعسر لأن الآداب لا يرجع فيها إلى الحس أو العقل ولكن إلى العاطفة والذوق، وهما من الأمور النفسية يصعب تحديدهما ويكثر الاختلاف فى أحكامهما

والنقد يكون فى مبتدئه أحكاماً لا يدعمها برهان ولا يوضحها بيان، ثم تتناقض الأحكام، وتتصادم الآراء، فيذهب كل ناقد يفسر رأيه، ويقيم حجته، على قدر ما يواتيه فكره، ويمده ذوقه، حتى ينتهى الجدال إلى أمور مسلمة ومقاييس محدودة يحتكم الناس إليها فيتفقون. وربما ينتقل الخلاف من المسائل الجزئية التى يختلفون فيها إلى المقاييس الكلية التى يقيسون بها؛ يختلف اثنان فى وزن شىء أو طوله فيعمدان إلى الميزان أو الذراع ليعرفا الصواب فيما اختلفا فيه، وربما يقع الخلاف فى صنجة الميزان أو فى طريقة الوزن أو فى الذراع أو طريقة الذرع.

وكذلك الأمور المعنوية، يقع فيها الخلاف فيرجع المختلفون إلى قواعد يتفقون عليها، وربما يختلفون فى القواعد نفسها. يقول واحد: هذا حسن، ويقول آخر: بل هو قبيح، فيرجعان إلى القوانين التى يعرف بها الناس الحسن والقبيح، يقول أحدهما: حسن لأنه نافع، ويقول الآخر: قبيح لأنه ضار، ثم يعرفان أنه نافع أو ضار فيتفقان. وقد يتمادى الخلاف بينهما فى المقياس نفسه، فيقول أحدهما: كل نافع حسن، ويقول الآخر: ليس كل نافع حسناً، ليس مقياس الحسن والقبح هو النفع والضر بل قبول النفس أو نفورها أو اللذة والألم. فإن لم يتفقا على مقياس الحسن والقبح استمر الخلاف بينهما

كذلك الأدب: يسمع أحد الناس قصيدة فيستحسنها ويطرب لها ويخالفه آخر؛ فيقول الأول: ألفاظها مألوفة سلسة حسنة النغمة، ومعانيها جميلة فيها سمو بالنفس ولها أثر فى القلب، وكثير

---

(١) لا نقصد فى هذا المقال استيعاب الكلام فى النقد، ولكن نريد أن نصوره للقارئ فى أيسر الصور وأقربها

(٢) وأما المعنى اللغوى للكلمة فقد جاء على الأضرب الآتية ويمكن ترتيبها على النسق الآتى لتمثل استعمال الكلمة بين أول معانيها اللغوية ومعناها الاصطلاحى:

١ — نقد الطائر الحب ينقده إذا لقطه واحدة واحدة

٢ — نقد الشىء ينقده إذا ضربه بأصبعه كما تنقر الجوزة

٣ — فى حديث أبى ذر: فلما فرغوا جعل ينقد شيئاً من طعامهم، أى يتناول يسيراً منه

٤ — نقد الدراهم نقداً: ميز زائفها من جيدها

٥ — فلان ينقد فلانا بعينه: يديم النظر إليه خلسة

٦ — ناقدت فلانا ناقشته

٧ — نقد الناس عابهم. وفى حديث أبى الدرداء: إن نقدت الناس نقدوك، وإن عبتهم عابوك

منها مخترع . ويخالفه الثانى فيما زعم للألفاظ والمعانى من أوصاف فيقول: ليست الألفاظ مألوفة سلسة ، أو يوافقه على أنها كما قال ولكن يدعى أن الألفة والسلاسة ليست مقياس الجمال أو البلاغة؛ فإما أن ينتهيا إلى مقياس يرضيانه فيتفقان ، أو يتمادى بينهما الخلاف

وفى البحث عن المقاييس والاتفاق عليها أو الاختلاف فيها يكون تطور النقد الأدبى وتشعب مذاهبه ، ووضوح مناهجه ، واستناده إلى براهين تتفق فيها المعرفة الواسعة والذوق المهذب والحس المرهف

٣ — ضروب النقد

وفى النقد الأدبى ضروب منها :

١ — نقد الجزئيات، وهو نقد قطعة من النثر أو الشعر بالنظر فى ألفاظها وتبيين أنها مما عرف فى اللغة ، وأنها موافقة للصرف والنحو ، وأنها مألوفة غير مبتذلة ، وأن وزنها ، إن كانت من الشعر ، صحيح لا خلل فيه — أو بالنظر إلى معانيها وتبيين أنها غامضة أو واضحة ، وقيمة أو تافهة ، وطريفة أو مبتذلة ، ومخترعة أو مسروقة ، وأن التصوير فيها واف بالمقصد أو مقصر عنه ، وأن مجازاتها واستعاراتها حسنة أو قبيحة ... وهلم جرا

٢ — وقد يتناول النقد شاعراً أو كاتباً ؛ فيقال إنه ركيك الألفاظ أو غامض المعانى أو مستهجن الموضوعات أو متكلف لا يصور الطبيعة أو سراق غير مخترع

٣ — وربما يكون النقد أوسع من هذا فلا يتناول قطعة أو شاعراً بعينه ، بل يتناول طرائق البيان ومناهج البلاغة ؛ فيقال: ينبغى أن تؤلف الألفاظ على أسلوب كذا ، وأن تحرر من السجع والصناعة ، وينبغى أن تكون المعانى بينة قريبة من المخاطب ، وينبغى أن يطول الكلام أو يقصر على قدر المقام وهكذا

٤ — وأحياناً يسمو النقد فوق هذا كله وينظر إلى الأدب ومقاصده عامة فيتناول مسائل كالمسائل الآتية : هل للأديب أن يطرق كل موضوع ، أو هو جدير بأن يتناول موضوعات سامية لا يتناولها العامة ؟

هل على الأديب أن يلتزم الأخلاق والآداب فيما يكتب أو هو حرٌ فيما يُبين غير مطالَب إلا بالإجادة فى بيانه ؟

هل الحق والصدق من أسس البلاغة أو يكون الكلام بليغاً وهو كذب وباطل ؟

هل للأديب مقصد فيما يكتب ، أو هو كالزهرة تنشر الرائحة العطرة بطبعها لا تبغى وراء هذا شيئاً ؟

وهذه المباحث أعمق مباحث النقد وأوسعها وأعظمها جدوى لأنها تتناول وجهة الأدب ومقاصده وموضوعاته ، تعمد إلى سُبُل الأدب تبيّنها وتوضّحها ليكون الأديب على بينة من غايته وسُبله قبل أن يسير ، فلا يعتسف الطريق ولا يضل دون الغاية

٤ — النقد فى الأدب العربى

أما النقد اللفظى الذى يرجع إلى متن اللغة والنحو والصرف والعروض فالأمر فيه يسير لا يحوج إلى شواهد ، وهو واقع فى كل زمان يشترك فيه الشادون والمنتهون . ويُرى فى كتب الأدب كثير منه ؛ وقد كتب فيه الحريرى كتابه « درة الغوّاص فى أوهام الخواص »

وأما نقد الألفاظ من حيث سلاستها أو تنافرها وألفها أو غرابتها ونحو هذا ففى كتب الأدب والبلاغة مباحثه وشواهده

والنقد المعنوىّ عرفه العرب فى كل عصور الأدب حتى العصر الجاهلى ولكنه كان أول الأمر نقداً مُبهماً غير معلّل كقولهم : فلان أشعر ، وهذه القصيدة أحسن ؛ أو نقداً لمعان جزئية أحسن فيها القائل أو أساء

ثم حاول العلماء منذ القرن الثانى أن يصفوا طرائق البيان ، ويحدّوا حدوده ويبينوا معالمه فكتبوا فى البيان وأكثروا ودعموا دعاويهم بكثير من المنظوم والمنثور

ونجد النقد عندهم مفرّقاً فى الكتب الآتية وأمثالها :

١ — كتاب البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥

٢ — كتاب نقد الشعر وكتاب نقد النثر لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٥

٣ — الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى المتوفى سنة ٣٩٢

٤ — كتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى للحسن بن بشر الآمدى المتوفى سنة ٣٧٠

٥ — كتاب العمدة فى صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيروانى المتوفى سنة ٤٥٦

٦ — كتاب أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١

٧ — كتاب المثل السائر فى أدب الشاعر والناثر لضياء الدين ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٧

تناول هؤلاء البيان من جهاته المختلفة ألفاظه ومعانيه وأساليبه وحاولوا جهد الطاقة أن يبينوا النهج للبلغاء ويصفوا القواعد التى يبنى عليها الكلام البليغ

ولكن نقادنا لم يتناولوا المباحث العامة التى تبين وجهة الأدب ومقاصده ، وموضوعاته وصلة الكلام بقائله وصلة القائل ببيئته

وقد عنى بهذا الأوربيون منذ عصر النهوض ، وتوسع فيه الفرنسيون منذ القرن السابع عشر الميلادى حتى نبغ منهم فى القرن التاسع عشر ثلاثة يعدّون أئمة النقد الأدبى حتى اليوم . وهم :

١ — سنت بوف[1] وأساس مذهبه معرفة الصلة بين الأدب ونفس الأديب ، وجعل النقد تاريخاً للعقول والأنفس يتعرفها فى آثارها ويكشف عن خباياها

٢ — تين[2] ومذهبه يعنى كثيراً بمعرفة البيئة التى نشّأت الأديب ليتوسل بها إلى معرفة الأديب نفسه

٣ — برنتيير[3] ومذهبه أن البلاغة قائمة على التدرج والتطور كالحيوان والنبات وعمل الناقد هو تتبع هذه الأطوار

عبد الوهاب عزام

---

(١) Saint Beufe (١٨٠٤ — ١٨٩٦)

(٢) Taine (١٨٠٨ — ١٨٩٣)

(٣) Ferdinand Bronetiére (١٨٤٩ — ١٩٠٧)

إنى تعبة!

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

إنى تَعِبة الليلة ، وهناك شىء — لست أدرى على وجه التحقيق ما هو . ولعله هزيم الريح أو دوى المطر فى جنح الدجى ، أو لعله تصايح الطير على الأيك من كل جانب فى الخارج

هناك شىء ، أجد لشجوه أمثالاً تستخرج وجدى ، وتبعث أساى من بعد هجومه، وتعيد إلى الماضى السحيق وأحزانه وآلامه

فأشعر ، وأنا أجلس هنا متأملة مفكرة ، أن يد شهر مدبر ، من شهور يونية التى خلت ولم يبق من عهدها السعيد إلا التذكر ، تمتدّ الآن إلى أوتار قلبى المرتخية ، وتشدّها ، وتصلح وحدة أوزانها ، وتحكم انسجام اهتزازاتها

إنى تعبة الليلة ، وإنى لأفتقدك ، وأحنّ إليك يا حبّى ، وأشتاقك شوقاً أكتمه جهدى ... ومن خلال الدموع أحسب أننى أراك ، وكأنك تمضى اليوم فقط مع الذاهبين إلى ربهم

مع أن الزمان قد مدّ خطاه الواسعة فى مهامه مترامية ، وتجاوز عهوداً عديدة وأعواماً مديدة مذ فارقتنى ، وكأنى أستشعر الانفراد والوحشة من جديد ... أنا التى كثيراً ما أحيا فى عزلة وحدى ، وها هى ذى أوتار قلبى المشدودة تدعو الهديل

ولكن هيهات أن يجيبها منوط بأطراف الجناح رميم ... هيهات أن يطربها باللحن القديم الحلو الرنان

إنى تعبة ، وذلك الحزن المضىّ الذى كرّت عليه الأعوام ، يثور دفعة واحدة على غير انتظار ، وإن ثورته الهائلة لتحدث فيه ثلمة واسعة تتدافع منها الآلام ، وتنحدر بقوة إلى قاع نفسى كما يتحدر بغتة تيار نهر هائج من ثغرة فى حواجزه وينفجر كطوفان متدافع لا تقوى عليه السدود ، فيجرف فى طريقه كل شىء ، ويكتسح فى لجه الزبد ، وثبجه المرغى بقايا سفينة محطمة لها شراع ناصع البياض ، وإن تلك اليد لتهوى ثقيلة على أوتار قلبى المشدودة وتحركها بريشتها فى عنف لتكتسح منها الأنغام

ولكن يخيل إلىّ أن أوتار عواطفى التى تلاشى رنينها مع الزمان عادت تطنطن وتدوّى بعد ذلك الأمد الطويل بفعل تلك اللمسات العنيفة التى تحاول أن تجدد وقع اللمسات الأولى الرقيقة، بيد أن النغمات التى تفرّ من تحت الأنامل المحركة الأوتار لا ترجّع غير صوت النواح والعويل، وصدى الحسرة والأنين

الزهرة

حيـــاة محمد

باعتباره صاحب الدعوة الاسلامية

للمستشرق الانجليزى توماس أرنولد

ترجمة الأساتذة

عبد الفتاح السرنجاوى محمد الدسوقى

عبد العزيز عبد المجيد[1]

لم أقصد بكتابة هذا الفصل أن أضم إلى البحوث الكثيرة التى عالجت موضوع السيرة بحثاً جديداً ، وإنما قصدت دراسة حياة محمد فى مظهر واحد من مظاهرها ، هو الذى يتمثل لنا فيه رسولاً يدعو الناس إلى دين جديد . ومن الطبيعى أن نتوقع فى حياة منشئ الإسلام والداعى له عرضاً للوضع الحقيقى لما اقترن من النشاط بالتبشير بالدين الجديد ، ولو أننا اعتبرنا حياة النبى معياراً خلقياً لما يجب أن يكون عليه المؤمن العادى ، لحق أن تكون حياته كذلك معياراً لما يجب أن تكون عليه الدعوة الإسلامية ، وما دامت حياة النبى عنواناً للدعوة الإسلامية ، فإنا نتطلع إلى معرفة شيء عن الروح التى استولت على من يأخذون مأخذه ويستنون بسنته ، وعن الوسائل التى قد يعمدون إليها فى سبيل تحقيق أغراضهم ، ذلك لأن الروح التبشيرية فى الإسلام ليست فكرة متأخرة فى تاريخها ، وإنما نذهب إلى أنها تقترن بالدين منذ نشوئه الأول . ونود فى هذه العجالة أن نبين ما ذهبنا إليه ، ونوضح كيف أن محمداً النبى (ص) مثال للمبشر الإسلامى ، ونحن بغض النظر عن معالجة حياته الأولى أو العوامل ذات الأثر فى حياته حتى بلغ رجولته ، أو دراسة حياته باعتباره سياسياً أو قائداً حربياً ، نعنى العناية كلها بدراسة حياته كمبشر ونذير .

ومحمد ما لبث بعد اضطراب وكفاح نفسانى طويلين أن اقتنع بصحة رسالته السماوية ، وكانت أولى جهوده أن دأب فى إقناع أهله بذلك الدين الجديد القائم على وحدانية الله ، وإنكار عبادة الأوثان ، ووجوب أن يخضع الإنسان لمشيئة الخالق ، تلك هى الحقائق المجردة التى دعاهم إلى الإيمان بها . فكان أول من آمن به زوجه الوفية المخلصة خديجة التى تزوجت قبل هذا بخمسة عشر عاماً من قريب لها فقير كانت قد استخدمته فى تجارتها ، فصيَّرها أجدى عليها وأربح ، تزوجته بهذه الكلمات :

« يا ابن عمى ، إنى قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك فى قومك ، وأمانتك وحسن خلقك ، وصدق حديثك[1] » .

فانتشلته بهذا من الفقر ومكنته من العيشة فى المستوى الاجتماعى الذى يليق بنسبه ، ولكنَّ هذا كله يسير إلى جانب ما بدا من وفائها وإخلاصها إذ شاطرته اضطرابه الفكرى وغمرته بعطفها وشملته برعايتها فى ساعة الشدة . أتاه الوحى مرة وهو فى الغار فآوى إلى خديجة ، وقد شمله الفزع واستولى على قلبه الاضطراب ، فآمنت خيفته وأذهبت عنه الروع وقالت تخاطبه :

« أبشر يا ابن عمّ واثبُت ، فوالذى نفس خديجة بيده ، إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، ووالله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق »

ولقد بقيت حتى وفاتها سنة ٦١٩ م أى بعد خمسة وعشرين عاماً فى حياة الزوجية تفيض عليه دواماً من حنانها وعزائها وتشجيعها كلما أصابه من أعدائه الأذى أو ساورته فى نفسه الشكوك ، وفى هذا يقول ابن اسحاق :

« كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء به عن الله تعالى ، وآزرته على أمره فخفف الله بذلك عنه ، فكان لا يسمع شيئاً يكرهه من قومه من رد وتكذيب إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهوّن عليه أمر الناس »[2]

هذه خديجة يقدم لنا التاريخ فى سيرتها أروع الصور فى الحياة الزوجية وأنبلها .

ومن بين السبَّاق فى الإيمان بدعوة محمد اثنان كان قد تبناهما هما زيد وعلى ، ثم صديقه الحميم أبو بكر الذى قال فيه النبى فيما بعد :

« ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوةٌ ونظر وتردد ، إلا ما كان من أبى بكر ، ما عَكم عنه حين ذكرت له »

(١) اتصل بنا بعد نشر المقالة الأولى من ترجمة كتاب « الدعاية إلى الاسلام » لمؤلفه المستشرق العظيم والمؤرخ المحقق السير توماس أرنولد الانجليزي أن الأستاذين محمد الدسوقى وعبد العزيز عبد المجيد كانا يعملان فى ترجمة هذا الكتاب أثناء حياتهما الدراسية بانجلترا وقد اتفقا الآن مع الأستاذ عبد الفتاح السرنجاوى على أن يشترك الثلاثة فى نشر هذا الكتاب تباعاً فى الرسالة ، وفى إعداد البحوث الخاصة بالتعليق على الكتاب حتى يخرج فى وضعه الأخير متناسباً مع خطر الموضوع الذى يعالجه

(١) ابن اسحاق ص ١٢٠ (٢) ابن اسحاق ص ١٥٥

وكان أبو بكر تاجراً على سعة من المال ، يحترمه قومه احتراماً شديداً لكرم خلقه وذكائه وكفايته ، أنفق بعد إسلامه الجزء الأكبر من ثروته فى شراء الأرقاء المسلمين الذين اضطهدهم مواليهم لاعتناقهم تعاليم محمد . وحين أسلم أبو بكر دعا إلى الله فأسلم بدعائه خمسة نعتبرهم فى عداد السابقين فى الإيمان ، هم سعد بن أبى وقاص الذى فتح فيما بعد بلاد فارس ، والزبير بن العوام الذى اشتهر بالكفاية الحربية ، وعبد الرحمن بن عوف التاجر الثرى ، وعثمان ثالث الخلفاء الذى تعرض للأذى والاضطهاد منذ إسلامه ، فقد أخذه عمه فأوثقه كتافاً وقال له :

« ترغب عن ملة آبائك إلى دين مستحدث ! فوالله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه » . فقال عثمان :

« والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه »

فلما رأى عمه صلابته فى التعلق بدينه أطلق وثاقه وتركه . واستطاع النبى أن يجتذب إليه طائفة أخرى أكثر أفرادها من الموالى والفقراء ، وبذلك نجح فى أن يجمع حوله فئة قليلة من التابعين خلال السنوات الثلاث الأولى من الدعوة . وكان التوفيق الذى أصابه محمد فى هذه الجهود السرية مشجعاً له على أن يوسع نطاق دعوته ويجهر بها ، فدعا عشيرته فاجتمعوا فقال لهم :

« يا بنى عبد المطلب ، إنى والله ما أعلم شاباً فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر ؟ »

وهنا صمتوا جميعاً ولم يتكلم غير علىّ فى حماسة الصبى فقال :

« أنا يارسول الله »

وما كاد على يفرغ من كلامه حتى علا ضحك القوم ساخرين مستهزئين . ولم يكن ذلك الإخفاق ليصد محمداً عن تبليغ رسالته فدعا الناس فى مناسبات أخرى ، ولكن دعوته لم تلق منهم غير السخرية والتحقير

وحاولت قريش أكثر من مرة أن تغرى عمه أبا طالب باعتباره عميد بنى هاشم الذين ينتمى إليهم النبى كى يردعه عن سب آلهتهم وعيب دينهم ودين آبائهم ، وهددوه وقالوا إما أن تكفه عنا وإما أن تخلى بيننا وبينه ، فنصح أبو طالب لابن أخيه أن يبقى على نفسه وعليه وألا يحمله من الأمر ما لا يطيق ، فأجابه النبى :

« يا عماه ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته »

فتأثر أبو طالب وقال له :

« اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشىء أبداً »

ولما أن ضرب الإخفاق على هذه المحاولات السلمية اشتدت موجدة قريش وتضاعف احتدامهم وأيقنوا أن انتصار ذلك الدين الجديد معناه القضاء على دين بلادهم وعلى ما يمتازون به بين العرب من السيادة القومية ، ثم هم فوق ذلك يخسرون الثروة والجاه اللذين يستأثرون بهما عن طريق سدانة الكعبة الشريفة . أما محمد نفسه فقد كان برغم ما تعرض له دواماً من بذاءة القوم وسفاهتهم فى ذمة أبى طالب وذمار بنى هاشم الذين منعوه وحالوا دون أى اعتداء على حياته ؛ يحفزهم على هذا ما جبل عليه العرب من قوة العصبية ، مع أنهم لم ينعطفوا نحو الآراء التى دعا إليها . أما الفقراء والرقيق الذين لا ملاذ لهم ولا جوار فلم يجدوا مخرجاً من طائلة الاضطهاد الغليظ ، فكانوا يحبسون ويعذبون كى يفارقوا عقيدتهم . وكان أبو بكر يشتريهم ليخلصهم من العذاب ، فقد اشترى بلالاً [1] ذلك العبد الإفريقى الذى كان محمد يطلق عليه (أول ثمار الحبشة) والذى لقى من ضروب الامتهان ما لم يلقه أحد ، فكان يلقى فى الرمضاء وقت الظهيرة وقد حميت الشمس ثم توضع على صدره صخرة ثقيلة ويقال له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وترجع إلى عبادة الأوثان ، وبلال لا يجيب على ذلك إلا بقوله : (أحدٌ أحدٌ) . وهلك شخصان متأثرين بما أصابهما من الاضطهاد وما ألم بهما من نوازله القاسية . ولما أن رأى محمد ما نزل بالمسلمين من الأذى مع عدم قدرته على تخليصهم مما هم فيه نصح لهم بالهجرة إلى الحبشة ، فخرج فى السنة الخامسة من النبوة (٦١٥ م) إلى الحبشة أحد عشر رجلاً وأربع نساء ، وهناك رحب بهم ملكها النصرانى . وكان فيمن هاجروا مصعب بن عمير ، وفى سيرته يتمثل أقصى ما أصاب المؤمنين من بلاء ومحنة ، فقد أبغضه من أحبهم ومن كانوا من قبل لا تقصر قلوبهم عن الولوع به . أسلم بعد أن تفهم تعاليم الدين الجديد فى بيت الأرقم ، ولكنه أخفى إسلامه لما كان له من مقام كبير فى قومه ، ولما كان له من حب جم فى قلب أمه ، وأمه لا تقل عن قومها كراهية للدين الجديد . ثم ما لبثت هذه الحقيقة أن تبدت للناس وذاع إسلام مصعب ، فأطبقوا عليه وسجنوه ، ولكنه استطاع الهرب وخرج مهاجراً إلى الحبشة

(١) هو المشهور فى العالم الاسلامى (بالمؤذن الأول)

وسار حقد قريش فى إثر المهاجرين إلى الحبشة فأرسلوا وراءهم بعثة من رجلين يطلبان إلى النجاشى أن يسلمهم إليهما ليردوهم إلى قومهم ، ولكن النجاشى سأل المسلمين عن أمرهم ، ولما أن علم منهم الخبر اليقين أبى أن يسلمهم وقد جاوروه ونزلوا بلاده واختاروا حمايته ، قال المسلمون للنجاشى عندما دعاهم وسألهم عن أمرهم ما يأتى :

« أيها الملك ، كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا لتوحيد الله وألا نشرك به شيئاً ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وأمرنا بالصلاة والصيام ، فآمنا به وصدقناه وحرمنا ما حرم علينا وحللنا ما أحل لنا ؛ فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك » فقبل النجاشى رجاءهم وورد رسولى قريش خائبين

فى ذلك الوقت بذلت جهود جديدة فى مكة لإغراء محمد بالجاه والمال على أن يكف عن الدعوة إلى دينه ، وضاعت كل هذه الجهود عبثاً . فلما عاد رسولا قريش إلى مكة يعرضان نتيجة سعيهما ضد المهاجرين إلى الحبشة ، وكان قريش يترصدون خبرهما ويتحينون عودتهما ، حدث حادث خطير ، هو إسلام شخص كان من قبل أشد وأغلظ أعداء محمد ، وكان يعارضه بحماسة وحدة لا يحدها الوصف ، وكان المسلمون يعتبرونه بحق أقوى خصوم الإسلام وأشدهم ، وأصبح بعد إسلامه من أعظم الشخصيات وأنبلها فى الصدر الأول من تاريخ الإسلام ، ذلك هو عمر بن الخطاب

حدث يوماً وهو فى نوبة غضب على النبى أن خرج ومعه سيفه يريد قتله ، فلقيه رجل من أقاربه فقال له :

« أين تريد يا عمر ؟ »

« أريد محمداً الذى فرّق أمر قريش وعاب دينها وسبَّ آلهتها فأقتله ! »

فقال له : والله لقد غرّتك نفسك ، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترجع إلى أهلك فتقيم أمرهم ؟

قال عمر : « وأى أهلى ؟ »

قال الرجل : « خَتَنُك وابن عمك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة زوجهُ ، فقد والله أسلما ! »

فرجع عمر إليهما وعندهما خباب يقرئهما القرآن ، فلما سمعوا صوت عمر أخذت فاطمة الصحيفة فألقتها تحت فخذيها ، وقد سمع عمر قراءة خباب فلما دخل قال :

« ما هذه الهينمة ؟ »

قال : « ما سمعت شيئاً »

قال : « بلى ، وقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه »

وبطش بخَتَنِه سعيد بن زيد فقامت إليه أخته لتكفه عن زوجها فضربها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته :

« قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما شئت »

ولما رأى عمر ما بأخته من الدم فى وجهها ندم وقال لها : أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون فيها الآن حتى أنظر إلى ما جاء به محمد . وبعد تردد أعطته الصحيفة وفيها (طه) فلما قرأ بعضها قال :

« ما أحسنَ هذا الكلام وأكرَمه ! »

وانشرح صدره للإسلام وما لبث أن قال :

« دلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم » (يتبع)

الأدب المصـــرى

وكيف ننظر إليه

للأستاذ شكرى فيصل

أثارت كلة (زهير زهير) فى « المكشوف » التى نقلتها الرسالة الغراء فى العدد ٢٩٤ موضوعاً جديداً للبحث عن الأدب المصرى ، وعن مظاهر هذا الأدب ، وما كان من أثر المؤلفات والمطابع المصرية فى الأقطار العربية الأخرى

وأشهد أن كلة « المكشوف » كانت جريئة . . . وأن حملة (زهير زهير) كانت شديدة قاسية بخست الأدب المصرى والثقافة المصرية حقهما وفضلهما على وضوح هذا الحق وعظم هذا الفضل

***

وما كان لى أن أعرض لبواعث هذه الحملة

ولا يسرنا أن نذهب إلى الظن بأن العصبية الدينية، أو النزعة الإقليمية ، تملى مثل هذه الآراء أو أبعد منها ، وإنما الذى يهمنا أن نناقش السيد زهير زهير فيما عرض له

يقول الكاتب : إن أكثر المؤلفات التى تخرجها المطبعة المصرية غير مصرى، وهى تختلف بين أن تكون نوادر مخطوطات أو طبعات جديدة لكتاب قديم ، وإن المؤلفات المصرية الحديثة مخبأة لا تظهر على وجهه ، وهو يتساءل عن كتاب واحد ذى قيمة لمؤلف مصرى صميم

لنتساءل : ألا يكون إخراج المخطوطات النادرة ، والقيام على تصحيحها وطبعها ونشرها ، أو تجديد طبع الكتب القديمة وإصلاحها وإخراجها للناس منقولة محببة ، عملاً أدبياً ذا قيمة ؟ وهل يقتصر العمل الأدبى على كتابة مقال ، أو تأليف قصة ، أو نظم قصيدة ؟

نحن فى طور من أطوار النهضة ، ونحن فى هذه النهضة محتاجون إلى هذه المكتبة القديمة ، ننبش آثارها ، ونحيي مواتها ونجلو صدأها ، ونظهرها طريفة براقة ، تجتذبنا إليها ، لنفيد من علمها النزر ، وفوائدها الكثيرة ، والعمل فى هذه الناحية والتوفر على إخراج هذه الثروة الدفينة عمل أدبى قيم ، وجهد علمى شاق

ونحن لا ننظر إلى الأدب المصرى فى المقالة والقصة والقصيدة، فهذه ناحية واحدة من نواح كثيرة متعددة ؛ وإنما ننظر إليه على أنه مجموعة من الجهود تتناول إحياء الثقافة الثافية ، ونشر المؤلفات القديمة ، والإنتاج الأدبى الصرف

وعلى هذا فقد قدمت المطبعة المصرية إلى العالم العربى أجل الخدمات ، وستظل النهضة الحديثة فى الأدب العربى مدينة للمطابع المصرية ، لأنها كانت أكثر مطابع الشرق العربى إنتاجاً ولأنها فى هذا الإنتاج بعثت النشاط والحركة فى ذهن العالم النائم

ومن العبث ومن الإنكار أن ننسى فضل المطبعة الأميرية ، ومطبعة الساسى والحلبى وكثير غيرها ، فقد ولدت هذه المطابع بما أخرجت من كتب ، وقدمت من ثمرات ، تياراً فكرياً كان له أكبر الأثر فى الحركة الأدبية الحاضرة

والعالم العربى كله عالة على المطبعة المصرية ، ينظر إليها كما ينظر المزارع إلى السماء ، يأمل خيرها ، ويرجو غيثها ؛ والسيد زهير يعرف ذلك فى بيروت ، وأعرفه أنا فى دمشق ، ويعرفه غيرى وغيره فى العراق والمغرب والحجاز ؛ وهو لا يجهل أيضاً أن الجيل الحاضر قد فتح عينيه على المنفلوطى والزيات وطه حسين وأحمد أمين والمازنى والعقاد والحكيم وشوقى وحافظ ومطران ورامى ، وأنه قرأ هؤلاء وكثيراً غيرهم وأفاد منهم فأصلح لسانه وقوّم بيانه ، وثقف عقله ، ثم التفت إلى المكتبة العربية الزاخرة فلم تطق عيناه هذه الأوراق الصفراء البالية ، فكاد يعزف عنها لولا أن تداركته المطبعة المصرية بهذه الذخائر المتعة التى أخرجتها للناس

الواقع أن امتداد الأدب المصرى ، والثقافة المصرية ، فى أجواء البلاد العربية قد كان ... وأنه كان امتداداً واسعاً ... وأن أثره كان طيباً عميماً ... وأن البلاد العربية كلها مدينة له ، عالة عليه ، فقد استثار فى أجوائها الحياة ، وسكب فيها بعد رقدة طويلة روحاً جديدة نيرة

وليس من عرفان الجميل حين يشتد منها الساعد ، فى العراق ودمشق وبيروت، وتبدأ البذور التى رعتها المطبعة المصرية بالإنماء، أن نجحد الفضل الأول وننكره ونزدريه .

***

وبعد فهل صحيح أن المطبعة المصرية اقتصرت على المؤلفات القديمة ، وأن المؤلفات المصرية الحديثة أنشأها كتاب مصريون بمادة أجنبية مستوردة من الخارج ؟

نحن نحب أن يقوم النقاش الأدبى، وأن تنضج الحركة الفكرية، ولكنا لا نحب أبداً أن يكون هذا النقاش قائماً على عصبية مفرطة أو خيال خصب ... وإلا فمن ذا الذى يقول إن المؤلفات المصرية الحديثة غير موجودة ؟ أنا أحيل السيد زهيراً إلى فهارس المكتبات العامة ، فسيجد فيها كل ما كان مخبأ لا يظهر على وجهه، وسيحفظ للقراء أوقاتهم مخافة أن يضيعوها فى التعداد المضنى .

وكأن السيد « زهيراً » قد أحس هذا الإسراف ... وهذا الإفراط ، فحاول أن يبرهن عليه ، فما استطاع أكثر من أن يعدد الشعر الجاهلى وحياة محمد وضحى الإسلام

ولكن هل يكفى أن تكون نزعة الشك التى سُبق إليها طه حسين ، أو نظرة دورمنكهيم إلى حياة النبى ، أو آراء المستشرقين فى الثقافة العربية ... هل تكفى هذه وحدها لتجرد الأدب المصرى كله من ميزاته كلها ؟ ؟ ومن ذا يقول إن التأليف يجب أن يكون مبتكراً فى كل نواحيه وكل خصائصه ؟ . . وهل يحرم على العقل الإنسانى أن يستفيد من عقول إنسانية أخرى ؟ . .

إن حقائق العلم مشاعة ، وإن ثمرات الفكر وقف مباح للناس كلهم ، يفيدون منه ويبنون عليه ، وإذا كان كل عالم من العلماء مضطراً إلى أن يبدأ أبحاثه من النقطة الأولى، أو أن يبتدئ تعداده — كما يقول الرياضيون — من الصفر ، فإن الحضارة الإنسانية ستظل حيث هى لا تتزحزح .

وهذه سنة الكون يبنى المتأخرون على غرار المتقدمين أو ينتقدون ما بنوا ، ليشرعوا فى منهج آخر ... وهذا ما فعله طه حسين واحمد أمين وهيكل ، وقد يكون أكبر أخطائهم أنهم لم يشيروا إلى بعض المصادر التى أخذوا عنها فى الطبعات الأولى .. أو أنهم أشاروا إليها فى اختصار واقتضاب .

***

والترجمة أيضاً . . . ألا تكون ناحية من نواحى النهضة الأدبية . . . وهل يقتضى تكوين الأدب المصرى ألا تكون هناك ترجمة أو مترجمون . . . وهل تدل ترجمة بعض المؤلفات الأدبية والفلسفية ، على أن مادة الأدب المصرى مستوردة من الخارج ؟ .

إن عصور النهضة Renaissance فى أقطار الدنيا مقرونة ببعث وتجديد وترجمة ... ولقد كان البعث والتجديد عن طريق إخراج المؤلفات القديمة ، ثم كانت الترجمة أيضاً على أيدى كثيرين وتناولت الأدب والرواية والفلسفة ، وأضافت إلى الأدب العربى لوناً جديداً من ألوان الثقافة ، وأطلعت الأقطار العربية على علم الغرب وأدبه وفلسفته

***

هذه هى الناحية العلمية من النهضة الفكرية فى مصر . . . أما الناحية الأدبية فهل نستطيع أن نتجهم لها أيضاً بمثل هذه الجرأة وهذا الإنكار ؟ . . . وهل كانت مؤلفات توفيق الحكيم منقولة عن لغة أجنبية ؟... وهل مقالات الزيات وأمين والعريان مستوردة من الخارج ؟ . . . ثم هل كان خيوط العنكبوت وعلى هامش السيرة وعشرات غيرها ، يخجل المنصف أن نعددها له ، غير مصرية ... ؟

هنالك بعض نقاط ضعيفة فى الأدب المصرى . . . ولكن هذه النقاط الضعيفة لا تقتضى أن تذهب بنا هذا المذهب الجاحد فى الإنكار الشديد ، وأن تدفع بنا إلى مثل هذه الأدلة الهزيلة .

فنقول إن مصر التى تسيطر بثقافتها على البلاد العربية قد عجز أدباؤها وعلماؤها عن وضع الموسوعة الإسلامية ، أو إن أكبر أديب فيها ينادى بفرعونيتها ، أو إنه لم يخلق فيها بعد ناثر أو شاعر يسجل فى ملحمة شعرية أو نثرية الأحداث الخطيرة التى تعاقبت عليها

ومتى كان رأى قديم لأديب كبير باعثاً على إنكار ثقافة بلد كامل ؟ وما هى العلاقة بين هذا وذاك ؟ أفلا يحس الأستاذ زهير زهير نفسه فى بيروت آراء أشد من هذه ، وأقوى فى النيل من الإسلام ، وطعنه فى ظهره . ألا يرى ذلك فى كليات التبشير ونشرات الأدباء المبشرين ؟ . . . ثم هل يكون العجز عن تأليف موسوعة دليلاً على ما نتعمده من إنكار ؟ إن الأقطار العربية ، ومصر منها ، لا يعيبها أنها لم تشرع بعد فى الموسوعة الإسلامية فلقد كانت غارقة فى معترك سياسى عنيف ، وكانت قوى علمائها وعامتها منصرفة إلى السياسة ومتأثرة بها ، والموسوعات إنما تتطلب الاستقرار والنعيم والثروة ... ولئن توفر بعض هـذا فى مصر فلم يتوفر كله ، وحين يبـدأ قطر عربى آخر بالموسوعة الإسلامية نستطيع أن نقرنه بعد ذلك إلى مصر ، لنهب أحدهما الزعامة الأدبية

* * *

وبعد فإن الأستاذ « زهير زهير » قد أغرق . . . وقد كان فى كلمته حائراً بين امتداد الثقافة ، وسيطرة الزعامة ، وفرعونية مصر ، وإنكار الأدب المصرى ... ولقد كان متجاوزاً حدود الجرأة حتى سمى هذه الثقافة . « ثقافة لقيطة » وكما عز عليه كلبنانى عربى ، يعز علينا كعرب مسلمين أن يؤخذ الشاب العربى المسلم بعصبيات إقليمية ، ونعرات دينية ، « وأن يخدع بالدعايات المأجورة المجانية »

« نزيل القاهرة » شكرى فيصل

استطلاع صحفي

في خدمة الفـلاح

جولة فى المعمل البيطرى

(لمندوب الرسالة)

فى مصر كثير من أمراض الحيوانات المعدية والوبائيـة التى تحرم الفلاح كثيراً من ثروته . فان طبيعة مصر حيث تبدأ حدودها شمالا فى المنطقة المعتدلة وتنتهي جنوبا في المنطقة الحارة ، يساعد على نمو الحشرات والميكروبات بأنواعها وخصوصا أن نظام الرى الحديث يزيد الجو رطوبة .

ويقاوم المعمل أمراض الحيوانات تبعا للمثل العربى السائر « وداوها بالتى كانت هى الداء » فهو يقضى على المرض باستعمال ميكروبه فى الأمصال أو اللقاحات التى ثبت عمليا صلاحيتها أكثر من الأمصال واللقاحات الواردة من الخارج .

مصنع الميكروبات

« التهبت أحشاء هذا الأرنب فمات نتيجة حقنه بدم حصان أردنا أن نتحقق من أنه مات بمرض التسمم الدموى » ... هكذا قال الدكتور زكى محمد وكيل المعمل الباثولوجى للأبحاث الفنية وهو يكشف أمعاء الأرنب ليبين ما أصابها من التهابات . ثم تناول ماصة وغرسها فى قلب الأرنب وامتص فيها قليلاً من الدم وزرعه



الدكتور زكى وهو يلقح بعض الميكروبات فى أنبوبة بها أوساط زراعية

فى أنبوبتى اختبار كانتا مغلقتين بسداد من القطن المعقم وتحتوى إحداهما على حساء لحم وتحتوى الأخرى على مادة جيلاتينية تصنع من نبات يابانى اسمه آجاراجار ، وبعد أن أعاد السدادتين أحرق سطحهما الخارجى بالنار ليقتل ما قد يكون علق بهما من ميكروبات خارجية



الدكتور عباس يفحص نموذج دم بالمجهر
وهو مأخوذ من الأرنب على شريحة من الزجاج

ثم تناول شريحتين من الزجاج نشر عليهما نموذجاً من دم الأرنب ، ثم ثبتهما بالكحول استعداداً لصبغهما وفحص النماذج تحت المجهر . وبهذه العملية احتفظ الدكتور بميكروبات المرض حية وميتة . فإن الغرض من وضع نماذج الدم فى أنبوبتى الاختبار اللتين تحتويان على أنسب الأوساط الغذائية التى ينمو فيها الميكروب أن ينمو ويتكاثر ، وبذلك يسهل الحصول على لقاح واق ضد هذا المرض . والغرض من نشر الدم على شريحتى الزجاج وصبغهما معرفة شكل الميكروب وما طرأ على الدم من تغير

مهمة المعمل

ويقوم المعمل الباثولوجى البيطرى بتحضير عدد كبير من المستحضرات البيولوجية المختلفة من أمصال ولقاحات ومواد للتشخيص يمكن باستعمالها علاج بعض أمراض الحيوانات ومكافحتها وتشخيصها ، وعلاوة على ذلك فإن المعمل يفحص النماذج المأخوذة من حيوانات مريضة أو نافعة لمعرفة نوع المرض المصابة به ودراسة الميكروبات المختلفة التى ينشأ بسببها كثير من الأمراض الوبائية وبذلك أمكنه أن يحفظ الثروة الحيوانية فى القطر المصري من أخطار الأوبئة

والميكروبات هى شغل المعمل الأكبر ، وهى مخلوقات دقيقة تكبر ألفاً أو ألفى مرة ليمكن رؤيتها وبعضها لم تره العين ولكن أحست بفعلها الأجسام . وهى تهاجم الحيوان والنبات بأعداد يعجز

عن إدراكها الخيال . وأخطر الأمراض المنتشرة فى مصر الحمى الفحمية والسل والسفاوة والتتنوس والتسمم الدموى وخناق الخيول والكوليرا . ولذلك فإن مخازن المعمل تحتوى على مقادير كبيرة من مواد المصل والكفاح لإرسالها إلى الجهات التى تطلبها. وقد تمكن المعمل بمساعدة معمل السيرم من إيقاف الطاعون البقرى الذى فتك بكثير من الماشية فسبب كثيراً من الخسائر للفلاحين



الدكتور راغب يفحص انبوبة زرعية كانت ملقحة بميكروب

المصل واللقاح

وقد تمكن المعمل من تحضير أغلب أنواع الأمصال واللقاحات ويتجه التفكير الآن إلى تحضير مصل ولقاح الحمى الفحمية الذى يستورد من الخارج لخطورته، ولأن تجهيزه يحتاج إلى مكان منعزل واحتياطات شديدة . وبتحضير هذه الأمصال واللقاحات فإن المعمل البيطرى يوفر على الحكومة كثيراً من المال

ويتعرض المشتغلون بتجهيز هذه المستحضرات للعدوى بتلك الميكروبات، فإن بعض أمراض الحيوانات كالسفاوة والسل والحمى الفحمية يصيب الإنسان أيضاً . وبعضها شديد الخطر فلا ينجو من يصاب به إلا بمعجزة .

ويخطىء كثير من الناس إذ يظنون أن المصل واللقاح شىء واحد . فإن الأول يتكون من أجسام مضادة للميكروبات والغرض من إعطائه للحيوانات إيقاف المرض وعلاجه . وهو يعطى للحيوانات السليمة والمريضة إلا أن جرعته تتضاعف فى حالة الحيوانات المريضة . أما اللقاح فيتكون من ميكروب المرض أو سمه مقتولاً أو ضعيفاً والغرض منه وقاية الحيوان مدة طويلة إذ يكون فى الجسم مناعة ضد المرض لمدد مختلفة

تحضير المصل واللقاح

ويحضر اللقاح بعزل الميكروب ثم زرعه على أوساط غذائية يضاف إليها بعض الفيتامينات لتكون أكثر مناسبة لحياته وتكاثره . واللقاح عبارة عن الميكروب نفسه أو ما يفرزه من السموم بعد قتلها أو إضعافها بالحرارة أو بالمواد الكيميائية تبعاً لطريقة التحضير

أما الأمصال فتجهز من حقن الخيول أو الأبقار بكميات من الميكروبات أو من سمومها ، وتزاد الجرعات بالتدريج حتى يبلغ الحيوان أقصى درجة من المناعة فيفصد جزء من دمه ويفصل منه المصل .

احتياطات شديدة

ولا تتم هذه العمليات بسهولة، ففى كل خطوة يعملها الإخصائى فى إعداد هذه المستحضرات ، يقوم بعدة عمليات يطهر بها أدواته وأوانيه بحيث يتأكد أن الميكروبات الغريبة لم تصل إلى مستحضره لا بالنقل بالأيدى ولا بالهواء . ولذلك فإن الأوانى الزجاجية الفارغة التى يزرع فيها الميكروب تحفظ فى أفران تكفى درجة حرارتها لقتل جميع الميكروبات . فإذا أراد الاخصائى فى علم الميكروبات أن ينقل الميكروب من أنبوبة إلى أخرى أحرق أداة النقل بالنار قبل أن يضعها فى الأنبوبة ثم ينقل الميكروب



الدكتور حسين كامل يصب سموم التتانوس لترشيحها

عملية دقيقة

وليكون البحث العلمى كاملاً فإن الأعضاء المصابة من الحيوان تؤخذ ويعمل منها قطاعات تثبت على شرائح زجاجية لفحص حالة أنسجة العضو وخلاياه بالمجهر (الميكرسكوب) فبعد أن يفصل



رسالة الشعر



إلى الهاجرة ... كوكب !

للأستاذ أنور العطار

— ١ —

مناجيك مكتئب متعب وأنت تألق يا « كوكب »
أفى الحق ألاّ يقرّ البرئ وأن ينعم الآثم المذنب
وأن يشتهى فؤادى رضاك وأنـ ـت أخو نفرة مُغضَب
فياهاجرى قد أطلت الصدو د وصدك يا هاجرى يصعب
لقد ضقت ذرعاً بهذا الهوى وضاق بى الفلك الأرحب
فلا جدولى يتنـدَّى مُنًى ولا بلبلى لحنـه يطرب
حيـاتىَ معشبة بالأسى وخـدى بدمعه معشب
رضاك هواى الذى أشتهى ووصلك سؤلىَ والمطلب

— ٢ —

سلام عليك أيا كوكبى سلام على النافر المغضبِ
أعيش بنورك جم السناء ولولاك غلغلت فى الغيهب
أغنيك أعذب ما فى الهوى من النغم المسكر المطرب
وأصبو إلى طرفك المشتهى وأهفو إلى ثغرك الأشنب
وأحيا لقلبك أنشودة ترَقرق بالحلمِ الأعذب
حلال لك الشعر يا هاجرى وملك لك الروح يا كوكبى

— ٣ —

أنر لى دجى العمر يا كوكب فقد مضّنى الجهل الغيهب
وخذ بى إلي عالم ضاحك يموج به الأمل الأطيب
فلا تتركنِّىَ نهب الأسى يعاودنى داؤه الأصعب
فأنت شعاعىَ فى ذى الحياة وأنت رجائى والمطلب
ترفق بصب براه السهاد يناديك فى الليل يا كوكب

أنور العطار

العضو من جسم الحيوان تقطع منه أجزاء صغيرة تمرر فى محلول فورمالين ثم فى كحول لتتخلص مما قد يعلق بها من ماء . ثم توضع فى «زيلول» ليطرد مافيها من كحول وليسهل اتحادها بالشمع إذ توضع فى أفران درجة حرارتها ٥٦° فيتخلل الشمع الناعم الخلايا وتصبح فراغات العضو ممتلئة بالشمع وعندئذ تصب الكتلة الناتجة فى قوالب من الشمع الجاف وتقطع إلى قطاعات صغيرة سمكها أربعة من ألف من المليمتر

وتؤدى عملية التقطيع بهذا السمك آلة خاصة دقيقة الصنع تحتاج إدارتها إلى مهارة ودراية فإذا تم تحضير القطاعات ثبتت على شرائح زجاجية بالحرارة ثم تصبغ بالصبغات المختلفة ليظهر مافيها من أنسجة وخلايا وميكروبات وما طرأ عليها من تغييرات يكشفها المجهر

ويحتفظ المعمل فى فنائه الخارجى بعدد كبير من الحيوانات كالأرانب والحمام والدجاج والكلاب فيجرى عليها تجاربه كحقن الميكروبات فيها أو اختبار فعل المرض فى أعضائها أو للتأكد من معرفة الأمراض التى تنفق بها أحد الحيوانات الأخرى .

(الشنوى)

حوريتى تسأل ...!

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« مهداة إلى شفتيها الطاهرتين »

— ٢ —

... وذهبتُ أستبقُ الشُّعاعَ لِرَبْوَةٍ
أبكى شتاه العُمْرِ يافِعَ زَهْرِها
الطَّلُّ فى أكمامِها دمعُ الهوى شَرَحَتْ به للطَّيْرِ كامِنَ سِرِّها
مِنْ كُلِّ عُصْفورٍ ، وَسَقْسَقَةُ المُنَى
مِنْ ثَغْرِهِ دُنْيا ذُهِلْتُ لِسِحْرِها
أتُراهُ غَنَّى ؟ أمْ بكَى ؟ أمْ هَزَّهُ
نَغَمُ الأليفَةِ فاسْتَطارَ لِنَبْرِها ؟
ومَضَى لها ... ومَضَيْتُ أخْنُقُ آهَتِى
صَبْراً عَلَى حُلْوِ الحياةِ وَمُرِّها
وعَلَى الَّتِى ثَكِلَتْ حَياتِى بَعْدَها
وأذابَنِى فى الدَّمْعِ فاجِعُ هَجْرِها
ظَلَّتْ تُهامِسُنِى ونَشْوَةُ لَفْظِها
كأسٌ جُنِنْتُ مَعَ السُّكونِ بِخَمْرِها
وَلَها جَبِينٌ كادَ يَرْتَدُّ الدُّجَى
حِينَ اسْتَهَلَّ ، وَشِيعَةً مِنْ فَجْرِها
بَرَأَتْهُ كَفُّ اللهِ ، وارْتَجَزَتْ لَهُ
لَحْنَ العَفافِ نَمائِمٌ مِنْ ثَغْرِها
سَجَدَتْ عَلَيْهِ وكَبَّرَتْ مِنْ فِتْنَةٍ
حَوْلَ الضِّياءِ ذَوائِبٌ مِنْ شَعْرِها
وغَدَتْ تَفُوحُ به ، وَتَنْسِمُ قُدْسَهُ
فى خافِقٍ مَجامِرٌ مِنْ طُهْرِها
أفضَيْتُ بِالشَّكْوَى لَها فَتَخايَلَتْ
واخْتالَ عابِدُها الشَّقِىُّ بِكِبْرِها
وَعَدَتْ ... فأخلفَ دَهْرُها ! وَيْلِى عَلَى
رِقِّ الحَبِيبِ لَها وَقَسْوَةِ دَهْرِها
أفنَيْتُ عُمْرِىَ فِى مَسابِحِ خطوِها
شَغَفاً ... وعِشْتُ مَعَ الوُجودِ بِعُمْرِها
أفَما تُحِسُّ بِعاشِقٍ أنَّى مَشَتْ
فى الأرضِ يَخْفُقُ حُبُّه مِنْ ذَرِّها !
عالٍ عَلَى الأكْوانِ ذَلَّ لِحُسْنِها
وأذَلَّ كِبْرَ المُلْهَمِينَ لأمْرِها ...

***

بالأمْسِ رَقْرَقْتُ النَّشِيدَ وَسُقْتُهُ
مِنْ نارِ أشْجانى بِها وَتَفَجُّعِى
لَهَبٌ مِنَ الأنغامِ رَقَّ مَهابَةً وَجَثا نَبِيًّا فى عِبادَتِها مَعِى
كُنَّا غِناءً لِلْجَمالِ ، مَضَى الهَوَى
فى ظِلِّهِ الشَّاجِى يَقُولُ لَها : اسْمَعِى
فَتَرَنَّحَتْ طَرَباً ، وقالَتْ : هاتِ لِى
نَغَمَ الصَّباحِ العَذْبِ يَمْسَحُ أدْمُعِى
سَرَتِ الكآبَةُ مِنْ غِنائِكَ فى المَسا
فاسْبِقْ خَيالَ الشَّمْسِ وارْقُبْ مَطْلَعِى
وَأَعِدَّ لِى أنْشُودَةً قَمَرِيَّةً
مِنْ نُورِ أحْلامِى الَّتِى لَمْ تَسْطَعِ ...
فَقَبَسْتُ مِنْ ألَقِ النُّجومِ قَصِيدَةً
وبَكَرْتُ أنْتَظِرُ السَّنا فى مَوْضِعِى
وَسَبَقْتُ ، وارْتَقَبَتْ عُيُونِى عَلَّها
هالاتُ مَوْكِبِها تُذِيبُ تَفَجُّعِى ...
فإذا بِوَعْدِ الأمسِ كانَ عُلالَةً وَغَدا جَحِيماً لِلْحَنِينِ بِأضْلُعِى
فَرَجَعْتُ والآلامُ تَصْرُخُ فى دَمِى
وَيَنُوحُ مِنْ وَلَهِى بِها دَهْرِى مَعِى !

« وزارة المعارف » محمود حسن اسماعيل



التجميل والمرأة عن طريق الرياضة

توجيـــه

للآنسة زينب الحكيم

قال فيلسوف حكيم مرة لابنته : « ابقى صغيرة وأنت تحتفظين بجمالك »

ولعله كان يحسن به أن يضيف إلى هذه النصيحة : أن احرصى على صحتك وأنت تبقين شابة :

فإن الشباب والصحة والجمال ، هى الأشياء الثلاثة التى يقدرها الجنس اللطيف ، ويقدرها فيهن الجنس النشيط

ولربما كان أهم هذه الأشياء الثلاثة هو الجمال ، ولكن من الصعب أن يفكر الإنسان فى الجمال دون شذى الورد ، أو أن يفكر فى الورد بدون نضرته. احتفظى بصحتك تحتفظى بشبابك،واستمعى لهذه النصيحة المخلصة ، ونفذيها بصبر ومثابرة . ثم ثقى أنه لن يعرف حقيقة عمرك أحد

وفى الغالب أن أكبر مايعيب المرأة أيًا كان عمرها هو جسمها حيث ينمو بثقل ، ويصير لجسم المرأة التى قاربت سن اليأس ، فتنام إلى ساعة متأخرة من الصباح ، وتشعر ببعض التعب أثناء النهار ، وتأكل كميات أكثر مما اعتادت أكله ، وتأوى إلى فراشها مبكرة ، وتصبح أقل مبالاة بمنظرها ومظهرها

ماذا يحدث لقاء هذا كله ؟ !

يسمن الجسم وتزدوج الذقن ، ويتمدد البطن ، ويغلظ الخصر وتتجمد المفاصل وتبدو المرأة كأنما مرت من طور الشباب البكر إلى متوسط العمر

والواقع أن لا عذر لها فى ذلك ، والسبب فى كل هذا راجع إلى عدم عنايتها بنفسها ، وإلى إهمالها ما منحتها الطبيعة من محاسن كان فى مقدورها أن تزيد فى جمالها

فبشرة الإنسان وعضلاته ، فى حاجة إلى دم متجدد حار يجرى فيها عن طريق الرياضة البدنية الصحية التى يجب أن تمارس فى الصباح والمساء لمدة ربع ساعة على الأقل



تمارين الرشاقة

إن المرأة التى بدأ يظهر عليها الكبر ، والمرأة الشابة التى تريد أن تحتفظ بشبابها ونضرتها . يجب أن تعرفا أن الشباب والجمال يتوقفان على ثمانية أشياء رئيسية

(١) قوام الجسم (٢) لون بشرة الوجه (٣) الفم (٤) العيون

(٥) الوجنتان (٦) العنق (٧) اليدان (٨) الشعر .

هذا وقد يمكن إضافة أشياء أخرى للتجمل ، ولكن هذه الأشياء الثمانية تكتفى لغالبية النساء



الشكل الصحيح لوضع الجسم للمشى

أما المرأة التى تمتاز برشاقة قدّ وتريد أن تبقى كذلك ، فعليها باتباع التمارين الرياضية التى تساعد على ذلك وهى كثيرة ومتنوعة . ولقد أصبح ذلك ميسوراً جداً فى الوقت الحاضر بفضل الاختراعات الحديثة والراديو ، وخروج المرأة إلى ميادين الرياضة العامة ، وهذه وإن كانت لا تزال قليلة فى مصر ، إلا أنه فى مقدور السيدات اللائى لهن بيوت منظمة ، والتى لها حدائق ، أن يلعبن وفق ما تذيعه محطة الإذاعة كل صباح ، وأن يخصصن جانباً من أوقاتهن للعب فى حدائق دورهن . كما فى استطاعتهن استعمال الألعاب البيتية التى تدعو إلى الحركة كالبنج بنج ، وتنس اليد ، والمسابقات وغيرها . ولست ممن يحبذن الألعاب البيتية التى تدعو إلى الجلوس مدداً طويلة مثل لعب الورق ، فإن ذلك يضيع كثيراً من نشاط العقل ، ويوهن الجسم ويرهل لحمه

ولا تنس السباحة فإنها من أهم الرياضات التى تجمل الجسم عموماً ، والمشى فى الهواء الطلق ، والاستمتاع بحرارة الشمس ، والسفر فى قطر المفاجآت كلما أمكن .

وعلى المرأة أن تعنى بأخذ حمامات الماء الدافىء مرة واحدة يومياً قبل التمارين الرياضية ، مع استعمال أملاح أو سوائل الحمام المنشطة .

كثيراً ما يشكو إلينا بعض السيدات من أن أوقاتهن لا تسمح لهن بالانتفاع بتمارين الرياضة الصباحية التى يذيعها الراديو وكذلك يفتقدن النوادى الرياضيـة ، ونحن من أجل هؤلاء ، نذكر هنا بعض تمارين رياضية بسيطة ، وبعض مركبات يمكنهن الانتفاع بها فى الأوقات التى تناسبهن حتى لا يحرمن الرياضة يومياً .

١ — الدرس الأول والمهم هو المشى صحيحاً .

ضعى الجسم فى الوضع الصحيح . امشى ببطء مع ارتفاع الرأس . وافردى الكتفين إلى الخلف . أملئى الرئتين بالهواء ، وتنفسى بانتظام مع ارتفاع الذقن واعتدال الظهر وضغط المعدة . وتكون الذراعان إلى الجانبين . فى هذا الوضع احنى الجسم إلى الأمام حتى الوسط . ثم امشى خطوات واسعة ثم أديرى قدميك إلى الخارج . يؤدى هذا التمرين مدة عشر دقائق يوميا .

٢ — اصعدى على مقعد قريب من الأرض (ستول) وفى يدك عصا .



تمرين لتقوية الظهر

يشتمل هذا التمرين على الوقوف بتوازن على قدم واحدة بالتبادل ، ثم تحرك العصا إلى أعلى وأسفل حول الرأس .

٣ — تمارين الانحناء .

يجب أن تؤدى بحرص ، فالمرأة الضعيفة يجب ألا تنحنى أثناء التمرين أكثر من مرتين أو ثلاث مرات ، ويشتمل التمرين على المشى أيضاً والجرى حول جدران الغرفة أو فى الحديقة ، ويمكن المشى والجرى على اليدين والرجلين تشبها بذوات الأربع . ثم الوقوف والانحناء إلى الخلف حتى تلمس اليدان الأرض إذا أمكن . والانحناء إلى الأمام حتى تستقر راحتا اليدين منبسطة على البساط ثم ينقلب الجسم من ناحية إلى أخرى .



تمرين السيدة البدينة

هذه التمارين تكفى للمرأة العادية ، وإذا تمرنت عليها باستمرار مرتين مع الحمام كل يوم، يمتنع تراكم اللحم الزائد على جسمها. ويبقى الجلد نضرا والعضلات مرنة قوية حافظة لجمالها الطبيعى ووظائفها .

أما المرأة البدينة والسيدة المتوسطة فى العمر ، فننصحهما بعمل تمارين Domb-Bell المصنوعة من الخشب ، وهذه التمارين مع الحمام ترجع الجسم إلى حجمه الطبيعى ، وتعيد العضلات إلى مراكزها الأصلية . والحمام الذى تأخذه السيدة البدينة ، يجب أن يكون بارداً إلى الحد الذى تحتمله ، فإذا كان قلبها ضعيفاً (وغالباً يكون) فنى هذه الحالة يجب ألا تأخذ حمامات باردة جداً ، وإنما تكتفى بحمام بارد فقط معطر بأملاح أو خل الحمام

وربما كانت أحسن طريقة لإعداد حمام السيدة البدينة ، هو أن يوضع الماء فى الحوض فى الليلة السابقة للصباح الذى يؤخذ فيه الحمام ، وبذلك تكون حرارة الماء كحرارة الحجرة ، ويضاف إلى الماء أملاح الاستحمام كالمعتاد

كانت عطور الحمام فى الزمن الغابر تصنع فى المنازل ، وكانت رخيصة ، تصنع من أنواع من الأزهار والأعشاب مع الكحول والخل . والغرض منها تنظيف الجسم وإنعاش الجلد والاحتفاظ بنضارته .

أما الآن وقد تقدم علم الطبيعة ، وعمت الآلات ، وكثرت الاختراعات ، فأصبح من ضياع الوقت والمجهود ألا نشترى هذه الأشياء من الصيدليات

وعلى هذا لن أصف هنا غير سائل واحد رأيته يستعمل فى انجلترا ، ومفعوله جيد ، وصنعه بسيط

يؤتى بمقدار جيد من ثمر الشليك ، ويوضع فى جزء من خل النبيذ ، ويترك لمدة ثلاثة أيام ، يصفى بعدها ويوضع فى زجاجة للاستعمال وقت الحمام

وإذا وضع ملء فنجان منه على قليل من الماء وغسل به الوجه ، فإن ذلك يساعد على تحسين لون بشرته

إن تأثير الروائح العطرية على الأعصاب مدهش ، ولقد حرق القدماء البهارات إذا ما مرض منهم أحد ، لا على سبيل التطهير فحسب كما نفعل اليوم بالليزول وغيره، وإنما اعتبر شم الروائح نفسها الدواء الشافى . والإنجيل يخبرنا أن القدماء عالجوا المرضى بالروائح العطرية ؛ كما اشتهرت البيمارستانات فى بلاد الشرق برش العطور فيها باستمرار

وأطباء اليوم النفسيون وغيرهم يخبروننا : أن النساء الحساسات جداً ينتعشن إذا ما شممن طاقة من البنفسج، لأن رائحته للأعصاب، ورائحة الورد للروح ، والعطور الأندلسية للرأس . والمرأة العصبية لها أن تمزج قليلاً من النوشادر بعطر البنفسج ، وتشمها لتريح أعصابها . أما المرأة القلقة ، فيسرى عنها شمّ الروائح اللطيفة الشذى . ويجب أن توجد زجاجة منها على الدوام فى المنزل للاستعمال كضرورة واجبة لا كشىء كمالى ، وأظن الرياضة فى البساتين تؤدى ذلك على خير وجه

هذا وإن للروائح فلسفات ، وللرياضة أشكال وأنواع ليس هذا مجالها .

زينب الحكيم



رسالة من العوالم البعيدة

تنبئنا أن الكون ينتشر

أحدث ما نعرف فى علم الفلك

للدكتور محمد محمود غالى

فكرة النسبية لأينشتاين توحى بتمدد الكون — نبوءات العالم «دى سيتر» بوجوب ظهور الأجرام البعيدة كأنها تبتعد عنا — هذا الابتعاد حقيقى بخلاف ما يعتقد «دى سيتر» — الطيف خير رسالة من النجوم لاثبات ذلك — رسالة العوالم تنبئنا بابتعادها كلها عنا ، وأننا أبناء كون يمتد .

ترى ما هى هـذه الرسالة من العوالم البعيدة ؟ وترى كيف يكبر الكون ولماذا ؟ وكيف توصل العلماء إلى اكتشاف ذلك ؟ وهل يعد الاكتشاف من الأمور النظرية ، أو أن خطوات العلم التجريبى تدل على ذلك ؟ ... هذا ما نحاول أن نتناوله فى هذه الأسطر ، فنبحث موضوعاً جديداً ، لا تبعد نتائجه التجريبية الأولى عن عشر سنوات ، وإن رجع البحث النظرى فيه لأكثر من عشرين عاماً .

وتعد نشرات[1] السير أرثر أدنجتون أستاذ الفلك فى جامعة كمبردج ، وكتابه « العالم ينتشر[2] » الذى ترجمه للفرنسية مسيو روسينيون من أهم المراجع فى هذا الموضوع . كذلك محاضرته التى ألقاها فى المؤتمر الدولى للفلك المنعقد فى كمبردج سنة ١٩٣٢ والتى أتبعها بسلسلة محاضرات فى الراديو بأمريكا .

لم يعن الجمهور فى الممالك المختلفة بنظريات إينشتاين فى النسبية ، التى تنبأ فيهـا بتقوس الأشعة الضوئية التى تصل لنا من الأجرام السماوية ، إلا بعد التجارب الشهيرة التى قامت بهـا الهيئات العلمية المختلفة أثناء كسوف الشمس فى سنة ١٩١٩ ، هذه التجارب التى أثبتت نبوءة أينشتاين ، وجعلت من نظريته مثاراً لحديث الناس عامة . على أنه إذا كان هـذا حظ الجمهور من الاهتمام فقد عنى كثير من العلماء بنظرياته قبل ذلك التاريخ ، ففى نوفبر سنة ١٩١٧ أى بعد مرور عامين من نشرات أينشتاين عن « النسبية فى وضعها العام[1] » ، نشر العالم « دى سيتر » W. de Sitter بحثاً عن أثر نظرية أينشتاين فى الناحية الفلكية . ونرى فى هذا البحث لأول مرة أن الأجرام السماوية البعيدة يجب أن تعطينا على الأقل فكرة الابتعاد عنا ، ولم يؤكد « دى سيتر » هذا الرأى بطريقة جازمة ، وكان عمله من قبيل توقع ظاهرة يغلب على الظن ملاحظتها .

وظلت فكرة « دى سيتر » الجديدة فى مفترق الطرق تفتقر للاثبات التجريبى بحيث إذا أيدت أرصاد الفلكيين هذا الابتعاد ثبتت صحة الطريق النظرى الذى اختطه « دى سيتر »

ومن الدهش أن يتوصل الفلكيون بعد ذلك ، لا إلى إثبات تحقق نبوءات « دى سيتر » فحسب ، بل إلى أن هـذا الابتعاد حقيقة واقعة ، وأنه يتغير مع المسافة وفق قانون خاص . وبعبارة أخرى توصل العلماء لاكتشاف يُعد أكثر أهمية مما كان يتوقعه

---

(١) يراجع الذين يريدون التوسع فى معرفة آراء السير ادنجتون عن العالم الاستاتيكى لاينشتاين، ومايتصل بموضوع انتشار العالم — أعدادالجمعية الفلكية الملكية الانجليزية المجلد ٩٠ ص ٦٦٨ والمجلد ٩١ ص ١٢٨ لسنة ١٩٣٠ والمجلد ٩١ ص ٢٧٤ ، ٩٢ ص ٧ ، ٩١ ص ٤٩٠ ، ٩٢ ص ٧ لسنة ١٩٣١ كذلك محاضر الجمعية الملكية الانجليزية (Proc of the Roy. Soc.) عدد ٣ مايو سنة ١٩٣٣ مقال « سان » S. R. Sen ونشرات لمتر (Lemaitre) وغيره

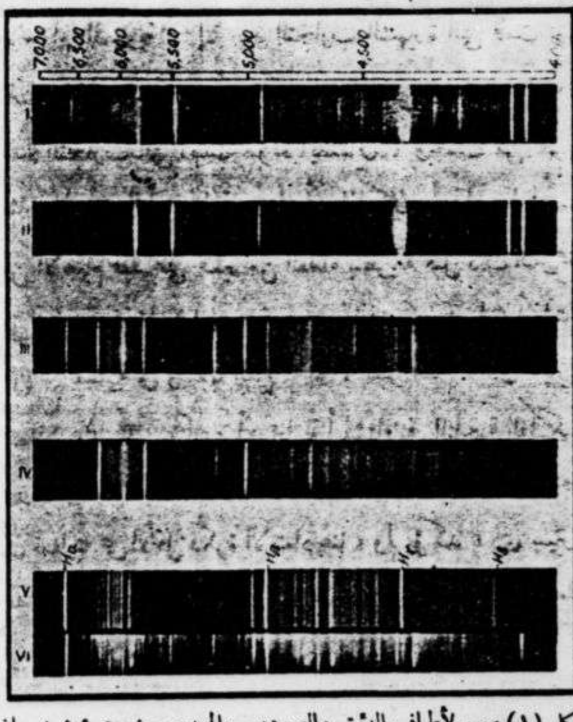
(٢) L'univers en Expansion الطابع هرمان بارفيس سنة ١٩٣٤

(١) نشر اينشتاين النسبية (Lara Relativité Restreinte) سنة ١٩٠٥ ونشر النسبية فى وضعها العام (La Relativité Généralisée) سنة ١٩١٦ وسنأتى على شرح النسبية فى دوريها فى مقالات قادمة

« دى سيتر » . لندع الآن جانبا النظريات لنتكلم عن الطرق التجريبية التى أثبتت تمدد الكون واتساعه

* * *

ذكرنا أن السُّدم اللولبية هى أبعد ما نعرف من عوالم فى الكون[1] . وتقع السدم التى أمكن رؤيتها على مسافات تختلف من ١ إلى ١٥٠ مليون سنة ضوئية . ويجمل بنا أن نذكر أن السنة الضوئية هى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة ، بمعنى أنه لو تصورنا قاطرة تستطيع أن تدور حول الكرة الأرضية سبع مرات فى الثانية الواحدة ، فإنها تستغرق ١٥٠ مليون سنة لتسير من أحد تلك السدم حتى الأرض



شكل (١) صور لأطياف الزئبق والصوديوم والهيدروجين من بحث نيومان

هذه السدم التباعدة منتشرة فى الحيز الواحد بعد الآخر . كل منها يكون عالماً كعالم المجرة الذى يحوى ملايين الكواكب التى تُعد شمسنا واحداً منها، ولا حاجة بنا إلى أن نذكر مرة أخرى أنه إذا كان المجرة عالماً واحداً مكوناً من حوالى مائة ألف مليون نجم فإن مجموع العوالم الأخرى التى تشبهه تبلغ مثل هذا العدد

هذه العوالم المتباعدة الواحد منها عن الآخر لا نستطيع ، عند التفكير فيها ، أن نفصل فكرة الفراغ واتساعه عن فكرة الزمن والتطور ، ولكن ندع فكرة تكوينها لنشرح الطريقة التى علمنا بها سرعة ابتعادها

ونبدأ بكلمة موجزة عن التحليل الطَّيْفى لعلاقته بهذا الموضوع . كلنا يعرف أن الضوء إذا وقع على منشور ، كافة مرآة مشطوفة ، يتحلل إلى ألوانه العديدة التى نميز منها بالعين السبعة الألوان المعروفة ، من البنفسجى إلى الأحمر ؛ كذلك نعرف أن لكل مادة طيف اشعاع يميزها عن غيرها ، فالهيدروجين والصوديوم مثلاً لهما خطوط معينة يتميزان بها فى الطيف ، كما أن لكل مادة خطوطاً أخرى، وعلى هذا يدلنا التحليل الطيفى للأشعة الآتية من الشمس أو النجوم عن العناصر الموجودة بها ، وهكذا أثبت العلماء أن كل العناصر الموجودة فى الأرض موجودة أيضاً فى الشمس .

ويجد القارىء فى الشكل (١) ست صور لأطياف مواد مختلفة[2] ، بعد أن تسلط عليها قوساً كهربائياً . والطيف الأول من أعلى الشكل خاص بالزئبق عند أول تكوين القوس ، والثانى خاص به ولكن بعد أن توازنت حالة الإشعاع فى الزئبق ، أى بعد مرور فترة على تكوين القوس ، والطيفان الثالث والرابع خاصان بنفس الظاهرة للصوديوم ، والطيفان الأخيران ، الأول للهيدروجين عند احتراقه بمرور شرارة فيه ، والثانى للبوتاسيوم عند تسليط القوس عليه .

ومما يجدر ذكره أن المصابيح المستعملة فى إنارة بعض ميادين العاصمة والاسكندرية ، كالمحطة وجوار معبر قصر النيل ، تضاء بهذه الطريقة أى باستعمال الزئبق الذى يعطى هذا اللون الجميل المائل للزرقة أو استعمال الصوديوم الذى يعطى لوناً مائلاً إلى الاصفرار ، على أن هذا النوع من الضوء يقع فى الجزء الحساس من العين ؛ لذلك ولأسباب أخرى ، تُعد هذه المصابيح أكثر اقتصاداً من المصابيح المعروفة

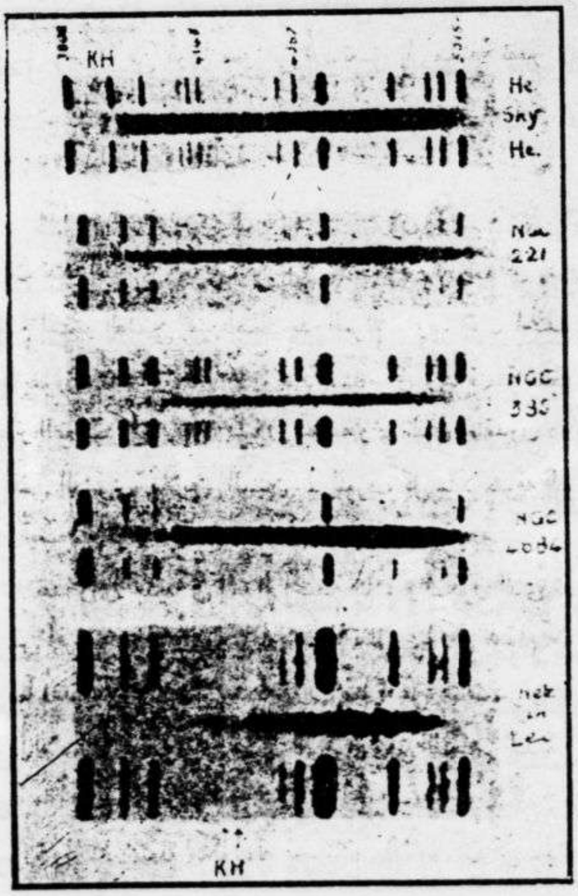
وهكذا لكل مادة طيف خاص بها يميزها عن غيرها من المواد ؛ على أنه يشترط لكى تبقى هذه الخطوط الطيفية فى مواضع معينة وثابتة ، أن يكون الجسم مصدر الطيف ثابتاً بالنسبة لنا ، وكما أننا

---

(١) نشرنا صورة لاحدى هذه السدم اللولبية فى مقال « أرض تدور وإنسان يحيا ويموت » المنشور بالرسالة فى ٦ فبراير سنة ١٩٣٩ ص ٢٧١

(٢) هذا الشكل من مقال الأستاذ نيومان منشور فى المجلة الفلسفية (La philosophical magasine) بتاريخ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ص ٧١٢

نستطيع أن نعرف درجة ابتعاد قاطرة عنا من سماع وتسجيل صفيرها ، كذلك يمكن بدراسة خاصة بالتحليل الطَّيْفِي أن نعرف إذا كان النجم يبتعد أو يقترب منا ، كما نعرف سرعة ابتعاده ، ذلك أن الخطوط الطَّيْفِيَّة تقترب من جهة الطيف الأحمر إذا كان النجم يبتعد عنا ، أو من الجهة الأخرى إذا كان النجم يقترب منا ، وعلى قدر اقترابها من أحد الطرفين نعرف سرعة ابتعاد النجم أو اقترابه



شكل (٢) أطياف السدم عند اقتراب خطوطها من جهة اللون الأحمر تدل على ابتعاد هذه السدم عنا

والشكل (٢) مثال من هذا الطيف الذي يسمح بالحصول على تقدير هذه السرعات الكبيرة ، والأشكال التي تبدو في الصورة كالطوربيد ، هي طيف لسدم مختلفة ، مأخوذ فوق الطيف الأرضي العادي ، وترى أنه كلما نزلنا في اللوحة مالت خطوط معينة في الطوربيد إلى الجهة اليمنى ، وتختلف سرعة هذه السدم الواحد عن الآخر فالطيف الأعلى يمثل ضوء السماء والسديم الأول وهو الذي يليه يقترب بسرعة ١٨٥ كيلو متراً في الثانية والثاني يبتعد بسرعة ٣٨٥ كيلو مترا والثالث والرابع بسرعة ٤٩٠٠ كيلومترا و ٤٨٨٤ كيلو مترا على التوالي والخامس بسرعة ١٩٧٠٠

وأول من قام بعمل هذا النوع من التجارب هو الأستاذ سلفر V. M. Slipher من مرصد لويل Lowel

هذا عن تعيين سرعة السدم وبقى أن نشرح الطريقة لمعرفة بعدها عنا

من الممكن أن نرى في العوالم الحلزونية القريبة بعض النجوم الكبيرة المنفردة عند ما تفوق هذه النجوم الشمس في حجمها وضوئها مئات أو آلاف المرات ، ومن حسن الحظ تتغير شدة إضاءة طائفة من هذه النجوم من وقت لآخر وتسمى هذه النجوم التي يتغير ضوؤها Cepheides Variables ويحدث توهجها ، الذي يقع في فترات متتابعة ومتساوية ، من نبض حقيقي للنجم أو تغير في حالته الطبيعية ؛ وتختلف هذه الفترات من بضع ساعات لبضعة أسابيع ، حسب حجم هذه النجوم وقوة توهجها

وكما أن الأطباء يحاولون بدراسات جديدة تمييز الجنين في بطن أمه إن كان ذكراً أو أنثى ، من عدد ضربات قلبه ، فقد وجد العلماء أن هذه الفترات تدل على حالة النجم . وقد أثبتت الملاحظات أن النجوم التي لها نفس الفترة لها نفس الخواص الأخرى كالحجم والتوهج والنموذج الطيفي ، وعليه فالفترة التي يمكن أن نقيسها بسهولة بساعاتنا الأرضية تعين درجة توهج النجم ؛ فإذا عرفنا أن نجماً من النجوم توهجه يختلف مرة كل عشرة أيام ، كان سطوع هذا النجم يماثل ٩٥٠ مرة قدر سطوع الشمس . وتنحصر المسألة بعد ذلك في معرفة المسافة التي يوجد عليها نجم عرفنا درجة توهجه ، ونعرف أن حجمه الظاهري لنا النقطة التي نراها . من هنا عرف العلماء مسافة هذه النجوم البعيدة ، وبالتبع مسافة العالم الذي يحويه [1]

وهكذا أصبحنا نعرف مسافة هذه النجوم المتغيرة ، معتبرة وحدة للقياس ، كما نعرف مسافة شمعة معتبرة وحدة للقياس من درجة توهجها الظاهرة

وقد اكتشف الدكتور هبل (Hubble) من مرصد جبل ولسون بأمريكا نجوماً من هذا النوع في ثلاثة من أقرب السدم

(١) هذه الطريقة خاصة بمعرفة المسافات والعوالم البعيدة ، ولا دخل لها في تحديد المسافات التي تفصلنا عن النجوم القريبة أو الشمس ، والتي نعرفها باعتبارات أخرى ، تتلخص في رصد النجم في موضعين مختلفين للأرض بالنسبة للشمس

الحلزونية وحدد أبعادهم بالطريقة السالفة — هذه الطريقة التي صعب على هذا العالم تطبيقها للسدم البعيدة؛ فاضطر إلى الالتجاء لطريقة أخرى يعتد بها فريق من العلماء، ولا مجال لشرحها هنا.

***

وها نحن نسرد النتائج الفعلية لهذه الأبحاث

أولاً: أن سرعة ابتعاد السدم تفوق كثيراً السرعة التي تسير بها النجوم في أفلا كها داخل هذه السدم

ثانياً: هذه السرعة للسدم تزداد بازدياد المسافة التي تفصلنا عنها

ثالثاً: تبتعد جميع السدم عنا بسرعات كبيرة جداً

صحيح أنه دل امتحان ٩٠ سديماً، في بادىء الأمر، على اقتراب الخمسة السدم الأولى منا بسرعة بطيئة، ولكن يعتقد السير أدنجتون أن هذا الاقتراب اقتراب ظاهري، ذلك أن الباحثين لم ينسبوا سرعة هذه السدم للمجرة كجموعة، إنما نسبوها لمجموعتنا الشمسية، وباعتبار أن الشمس تسير حول مركز المجرة بسرعة تختلف من ٢٠٠ إلى ٣٠٠ كيلو متر في الثانية، فإن هذا الاعتبار الأخير يصحح معرفتنا الحقيقية عن هذه السدم الخمسة التي يثبت بعد ذلك ابتعادها.

***

ويحسن أن نطلع القارىء على درجة سرعة ابتعاد السدم عنا، فبينما تختلف سرعة النجوم في أفلا كها من ١٠ إلى ٥٠ كيلو متراً في الثانية(١)، إذ تختلف سرعة السدم في الأربعين سديماً القريبة منا كما بين ذلك «سلفر» من ٨٠٠ كيلومتر في الثانية إلى ١٨٠٠، هذا وقد اكتشف «هاماسون» Humason من مرصد مونت ولسن بأمريكا أن السرعة تزداد بعد ذلك كثيراً للسدم البعيدة ففي جهة التوأمين Gumaux يرى سديم يبتعد عنا بسرعة ٢٥ ألف كيلو متر في الثانية، ويبعد عنا بنحو ١٥٠ مليون سنة ضوئية. ولا شك أنهم سيكشفون الآن سُدُماً أبعد من هذا، وذلك بعد أن تم وضع المنظار الجديد في مرصد جبل ولسون، ذلك المنظار الذي كان له الفضل في كشف القمرين الجديدين للمشتري كما ذكرنا في مقال سابق

ولقد كان لهبل في سنة ١٩٢٩ الفضل في اكتشاف تناسب سرعة السديم مع بعده، وهذا مطابق لنظرية إينشتاين، ولو أن «دى ستر» ظن بادىء الأمر أن السرعة تتناسب مع مربع المسافة، إلا أنه اتضح له خطأ هذا الحساب فيما بعد

وتزيد السرعة وفق تجارب هبل ٥٠٠ كيلو متر في الثانية لكل سديم يبعد عنا بثلاثة ملايين سنة ضوئية تقريباً، وعلى هذا فالسديم الذي يبعد ٣٠ مليون سنة ضوئية يبعد عنا بسرعة تقرب من ٥٠٠٠ كيلو متر في الثانية(١) أي يبعد عنا مسافة كالتي تفصل أمريكا عن أوربا، ويكفي أن نصل إلى مسافة تقدر بمائة وخمسين مليون سنة ضوئية لتكون سرعة ابتعاد السديم عنا ٢٥٠٠٠ كيلو متر في الثانية

هذا هو الكون، كل عالم يبتعد فيه عن الآخر، وقد يأتي وقت تبتعد فيه كل العوالم، فلا يبقى للأحياء عالم ليروه، اللهم إلا إن تقدم المنظار الفلكي بقدر ابتعاد هذه العوالم. وقد أثبت الحساب كما يقول أدنجتون، أن على راصد السدم أن يزيد فتحة منظاره بقدر الضعف كل ١٣٠٠ مليون سنة، وعلى الذين يعتقدون دوام الجنس البشري ملايين السنين، لنعرف كل ما لا نعرفه اليوم أن يُعَجِّلوا بدراسة موضوع غير قابل للتأجيل

هذا رأي جديد في العوالم المحيطة بنا، والكون الذي نحن بعض أفراده. ولنا أن نتساءل: لماذا تبتعد عنا كل العوالم كأنها جميعاً أعداؤنا، لا صديق بينها يقترب منا؟ هل هناك سر وسبب لهذا الابتعاد؟ وترى ماذا شكل الكون وفق الظواهر المتقدمة؟ هذا ما أتركه للقارىء يتأمل فيه ليجد الجواب عليه، إذ أن هناك صورة واحدة محتملة لكون له خاصيتان: الأولى أن كل عالم فيه يبتعد عن الآخر. والثانية أنه كلما كان العالم بعيداً بالنسبة لعالم آخر زادت السرعة التي يبتعد بها هذا العالم عنه.

هذه الصورة للكون وفق أحدث الآراء نطلب من القارىء أن يحاول تصورها، فإن لم يهتد فسنحاول أن ندله عليها في المقال القادم؛ وسنرى أنه إذا كان أغرب القضايا العلمية هي أننا أبناء كون يمتد ويتسع، فأغرب من ذلك أننا سنرى أننا أبناء كون محدود.

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم . دبلوم المهندسخانة

(١) سرعة الأرض حول الشمس ٣٠ كيلو متراً في الثانية

(١) يعتقدون أن الخطأ في هذه التجارب ويعدون مصدره تقدير المسافة لا يتجاوز ٢٠ في المائة



التصوير الاغريقى

في مرحلته الثانية

للدكتور أحمد موسى

وكان لإبراز الصور بهيئة مجسمة على يد أبولودور الأثيني أثر عظيم فى الاتجاه الفنى ، فلم ينته القرن الخامس ويبدأ القرن الرابع قبل الميلاد حتى كانت المدرسة اليونانية قد تأسست واشتغلت بإكمال الحلقة التى بدأها أبولودور ، فتقدم تصوير اللوحات، وظهر زويكس Zeuxis of Heraklea فى الميدان وكذلك بارازيوس Parrasios of Ephesus الذى اشتغل فى أثينا وإيفيزوس . وكان كل منهما قادراً على التأثير فى المشاهد بالنظر إلى ما بدا على رسومهما من تجسيم خادع

أما التلوين فقد ظل عندهما بسيطاً كما كان . وأما الموضوع الإنشائى فقد اتجه نحو تسجيل الجمال المادى ، فضلاً عن بحثهما عن الموضوعات الجديدة اللافتة ، فكان هذا سبباً لأن تصبح رسومتهما ذات تأثير خاص ، وحاولا إيضاح المعالم النفسية فى تصوير الأشخاص .

وصورة زويكس لهيلينا (1) Helena in Croton وصورته لزويس محاطاً بالآلهة جديران بالذكر والاعتبار

ومن ضمن ما تخيره بارازيوس موضوعاً للرسم تصويره بروميثيوس Prometheus فى الأغلال ، وبروميثيوس هذا هو الذى سرق — كنص القصة الإغريقية — النار من زويس لإعطائها للناس وعوقب بضغطه فى الصخر حتى جاء هرقلس وخلّصه من محنته . وله صورة أخرى لا تقل عن هذه تمثل فيلوكتيت Philoctet الصارخ الذى ورث نشاب هرقلس وقتل باريس فى تروادة وغير ذلك للأشخاص ولأوديسيوس Odysseus



ش ١ — تضحية إفيجانى ، صورة حائطية بيمباي ، متحف نابولى

وثالث مصورى هذه المرحلة تيمانتيس Timanthes of Kynthos الذى تفوّق على بارازيوس ، وكان مولعاً بتصوير المناظر المعبرة عن خوالج النفس المتصلة بالعقل . فصور (تضحية إيفيجانى) Offer of Iphigenie ابنة أغاممنون وكليتيمنسترا Klytämnestra التى قُدمت قرباناً لأرتميس Artemis ابنة الإله زويس ، والتى تقابل ديانا عند الرومان . وقد وجدت صورة حائطية فى بمباى على نفس النمط ، وهى من أروع الصور بالنظر إلى أهمية القصة .

ولم يصل إلى أيدينا من آثار تلك المرحلة إلا بضعة مصورات حائطية من باستوم (بمتحف نابولى الآن) . وهى ترجع إلى آخر

(١) زوجة مينيلاوس التى اختطفها باريس ونشأت عن ذلك حرب تروادة

القرن الخامس . وصورة المحاربين العائدين تحت لواء النصر وصور الراقصات التى رسمت على أرضية بيضاء وتمتعت بقسط وافر من دقة الإخراج والحياة .



ش ٢ — طبق سوسياس ، تضميد الجريح ، متحف برلين

أما فى القرن الرابع فقد وصل التصوير الإغريقى إلى أزهى أيامه لامن حيث الناحية الفنية والدقة فحسب، بل كذلك من حيث العمل الصناعى . وتُعد مدرسة سيكيون School of Sykion التى رأسها بامفيلوس Pamphilos من أبرز المدارس وأهمها .

وكان بامفيلوس نفسه عالماً وكاتباً فى فن التصوير، وقد صورلوحات صغيرة لتمثيل المناظر الاجتماعية فى دائرة محدودة ، ولكنه تخصص فى تصوير الزهر والأغصان، وله لمعشوقته جليكيرا Glykera صور عديدة ، كما أن له صورة مشهورة أسماها محاربة الثيران

وقد وجدت مدرسة هامة من مدارس التصوير لها تاريخ مجيد ، ألا وهى المدرسة الطيبية[1] الأتيكية التى برز بعض العاملين فيها مثل نكوماخوس Nikomachos الذى اشتهر بسرعة العمل والإنتاج المبسط ، وابنه وتلميذه أرستيدس Aristides الذى كان مولعاً بالمواقف الممثلة للحالات النفسية العنيفة وله فيها صورة فذة تمثل أماً تنظر إلى ابنها الرضيع يحتضر . وله تلميذ هو أويفرانور Euphranor الذى اشتغل حينا فى أثينا ، وكان نحاتاً إلى جانب كونه مصوراً ، كما كان كاتباً وعالماً ، وله طابع مميز هو تصويره الرجولة فى أكمل معانيها . وله قطعة معروفة أسماها « عراك الفرسان فى مانتينا Mantinea الواقعة فى أركاديا الشرقية والتى تم النصر لايباميننداس على الاسبرطيين فيها سنة ٣٦٢ ق . م وغير ذلك فى أثينا .

ولعل تلميذه وقريبه نيكياس Nikias of Athena من أحسن مصورى تلك المرحلة، فقد كان معاصراً لبركسيتلس [1] ولون له بعض تماثيله ، واشتهر بالتصوير بالشمع ووصل إلى درجة عليا فى صناعة الألوان ، وكانت له عناية خاصة باختيار الموضوعات الجديرة بالتصوير ، فصور مناظر القصة الإغريقية وأبدع فى تصوير أبطالها من الرجال والنساء .

أما أعظم مصورى الإغريق إطلاقاً فهو أبيلليس الكلوفونى Apelles of Klophon الذى عاش فى إفيزوس Ephesos والذى تمتع بأكبر قسط من التقدير والشهرة ؛ فأسموه بحق « بوكسيتلس التصوير » أو « رفائيل العصر القديم » . عاش فى النصف الثانى من القرن الرابع ، ودعاه الملك فيليب إلى قصره ، ثم عمل كمصور فى بلاط اسكندر الأكبر ، وقد قدره أحسن تقدير ورعاه أجمل رعاية . ومما هو معروف عنه أنه كان على غاية التواضع ولين المعشر ، وكانت له كلمات خالدة ذهبت مثلاً بين الناس .



ش ٣ — جو وأرجوس وهرمس ، صورة حائطية فى بلاتين روما ، عن نيكياس

وينحصر طابعه المميز فى أنه وحّد بين الاتجاه الهادى للمدرسة اليونية وبين الميل العنيف الذى غلب على إنتاج المدرسة

(١) وجدت غير مدينة طيبة المصرية مدينة أخرى سميت بهذا الاسم وكانت عاصمة لبوتيا ، خربها الاسكندر سنة ٣٣٥ وأعيد تشييدها فيما بعد

(١) راجع مقالنا — بركسيتلس النحات — فى الرسالة .

السيكيونية فضلاً عن أنه كان مصوراً تخطيطياً من الطراز الأول . ولا يزال معدوداً من الطبقة الأولى ، بل ولم يكن لغيره في العصر القديم أن يصل إلى مرتبته في العمل الصناعي والتكوين الإنشائي والجمع بين الظل والنور وحسن استخدام اللون .

هذا إلى جانب القدرة الهائلة في تمثيل الطبيعة أصدق تمثيل ؛ فدل بذلك على دقة الملاحظة في أكمل معانيها ؛ فيرى الناظر إلى مجموع إنتاجه مما وصل إلى أيدينا أنه كان مَثلياً في اختيار الجمال وتكييفه وعرضه في ثوب الأناقة والباهاة التي أصبحت له وللوحاته دون غيره من مصوري عصره مع توافر البساطة في الإخراج .

وقد اقتصر على تصوير اللوحات فلم تكن له صور على أواني الزهر أو على الحوائط . وأهم ما تركه من العمل الفذ حقاً صورة لأفروديت أناديومين Aphrodite Anadyomene في معبد أسكليبيوس بقوص Asklepiostempel in Kos والتي أخذت إلى روما في وقت ما . صور أفروديت تظهر خلال أمواج البحر ، فبدا نصفها الأعلى وأخذت تنثر شعرها بيديها . وكانت لهذه الصورة منزلة عظيمة عند معاصريه ، وأثر كبير على الفنانين إلى حد أن بعض النحاتين مثّلها في الرخام بنفس طريقته وعلى نمط إنشائه .

وله غير ذلك صورة « لأرتميس وعرائس البحر » وصورة لهرقليس وخاريس ، ولوحات لاسكندر الأكبر في صورة الإلـه زويس بمعبد أرتميس في إفيزوس ؛ وصورته له كفارس محاط بأوضاع رمزية لحاشيته . وكانت له معشوقة هي پانكَسْپا Pankaspe التي كان لها حظ التخليد على يديه .

ووجد غيره من الفنانين ، منهم من كان على اتصال به مثل پروتوجينيس Protohenes of Rhodos الذي عمل صوراً فردية ولكنها كانت على أعظم جانب من صدق المحاكاة وأبرع قسط من جمال الإخراج . وأهم ما نذكره له صورتان إحداهما لياليزوس هيروس وأخرى لساتير متعب

وللمصور آتيون Aetion صورة مشهورة لزواج الإسكندر من روكسانا . ولا بد لنا من ذكر المصور تيون Theon في ساموس والمصور أنتيفيلوس Antiphilos الذي عاش وأنتج في مدينة الأسكندرية (1)

وفي هذه المرحلة تطور فن التصوير من حيث الرغبة في إخراج اللوحات الصغيرة Phopographie التي يمكن لأكثر الناس اقتناؤها . وأول من اتجه هذا الاتجاه الفنان پاريكس Peiraeikos الذي صور مناظر دكاكين الحلاقين وصانعي النعال وبائعي الخضروات والمأكولات فأظهرها إظهاراً بديعاً

وإذا بدا الجفاف على هذا المقال فذلك لأنه مقال خال من حشو القول ، ولا غاية لنا منه سوى توجيه القارئ إلى نواحي الفن العريق ؛ فيحصل على قسط من المعرفة يكسبه شيئاً من النزة والدراية والتثقيف الواجب ، فيكبح من جماح إعجابه السريع بكل ما يراه لصغار الفنانين الذين يدعون لمجرد عرض بعض لوحاتهم وإطناب الصحافة التي ليس لها في قياس الإنتاج الفني معيار ، أنهم وصلوا إلى القمة . أما أولئك الذين يشتغلون بالفن ويعتبرون أنفسهم من تلاميذه ، فإليهم أيضاً أكتب آملاً أن يكون فيه بعض التوجيه لما يفيد وبعض التهيئة لإنتاج جدير بالاعتبار والتقدير

أحمد موسى

(١) راجع مقالنا — الفن الاسكندري — بالرسالة .

زكريا أحمـــــد

من الوجهة الفنية

للأديب محمد السيد المويلحى

أقرب الموسيقيين إلى الفن من ينغمس فى لجج الحياة حتى يصل لأعماقها ، ويذوق حلوها ومرها ، وابتسامها وعبوسها

وأبقى الموسيقيين على الزمن من يحتقر المادة فلا يشغل نفسه باكتنازها بل يصرف ما فى يده فى ليلة ، حتى إذا تنفس الصبح لم يجد لقمة يسكت بها صراخ أمعائه فلا يكترث ولا يقتصد إذا أصاب بعد هذا يسراً . بل هو لا يتغير ، ولا يتدبر ، ولا يحسب (للغد) حساباً أبداً ولا يهمه أن يكون أنيقاً رشيقاً بقدر ما يهمه أن يكون أشعث الشعر مهلهل الثوب . لا يكترث لكلام الناس عنه إن كان خيراً أو شراً ، لأنه لا يعوج إلا لشيء واحد . هو «فنه» .. وزكريا أحمد يعبد الحرية ويقدسها .. يمثل «البوهمية» الفنية أدق تمثيل لا يهمه فى دنياه إلا فنه وقلبه .

***

تربى زكريا تربية دينية، فحفظ القرآن المجيد وألم ببعض علومه ولكن (جرثومة) الموسيقى كانت تسرى فى دمه فلم يستطع مقاومتها فانضم (كذهبجى) للشيخين على محمود، واسماعيل سكر، وأمضى معهما وقتاً طويلاً ، ثم تتلمذ لأستاذنا الشيخ درويش الحريرى يأخذ عنه ما عنده من موشحات (وضروب) فأدهش الرجل بذكائه وحسن استعداده وأذنه العجيبة !

آنس زكريا من نفسه المقدرة فرأى أن ينفصل عن الشيخ على محمود ليكون ملحناً فأخرج السحر الحلال الذى جمع حوله جمهرة المطربين والمطربات يأخذون منه وهو البحر الذى لا ينضب والفنان الذى لا يعجز .

لا يلحن للمال ، ولا للفخر . بل يلحن لقلبه وحبه ووحيه الذى يترجم أسمى ما فى العواطف من نبل ونور .

ملك « الصبا » غير منازع ، وإذا قلنا (الصبا) فإنما نعنى اللحن المسيطر على النفوس والمترجم لأشرف ناحيـة وأسماها من حياة الإنسان وهى ناحية عواطفه ، وآماله وآلامه ، وتوفيقه وفشله . وهل نستطيع أن ننسى أدواره التى غنتها أم كلثوم : (قلبى كل ما تقوى ناره) (هو ده يخلص من الله) (يارايح على جده) (اللى حبك ياهناه) ...



لحن أكثر من خمسمائة قطعة نجحت جميعها نجاحاً عظيماً . وهو فنان موهوب لم يتعلم فى مدرسة ولا معهد، وإنما نشأ كما ينشأ العبقرى الملهم تكفيه (الخميرة) التافهة لتزداد وتزداد حتى يصبح كله (خميرة) تنضج كل شئ ...!

يعزف على العود (سماعياً) فلا يعرف (النوته) الغربية .

تمتاز قطعه بروحها العربية الشرقية البحتة ، فلا سرقة ، ولا مزج ، ولا خلط ، ولم يعرف عن ملحن أو موسيقى أنه اختلط بالمرحوم الشيخ سـيد درويش زعيم المدرسة الحديثة فنال حبه وملك قلبه كزكريا . وإنك لتجد تشابهاً عجيباً فى روحيهما ونظرتيهما للحياة . . . !

***



يدهشك فى هذا الرجل وفرة رجولته، واعتداده بفنه وكرامته. فهو يعطف على إخوانه الفقراء ويساعدهم ويلحن لهم بالمجان، ولكنه يتصلب ويشتط ويغالى مع الكبيرات الغنيات اللاتى يأخذن كل شئ ولا يعطين شيئاً . ولعل وقفته المشرفة مع (أم كلثوم) فى روايتها الأخيرة تترجم تلك الرجولة القوية وتسجل تلك النفسية الكريمة ، فقد رفض أن يأخذ أقل من (مائة) جنيه فى اللحن الواحد ولم يقبل ما قبله القصبجى والسنباطى. ومن أصدق ما قيل فيه قول شاعر الشباب الأستاذ محمود حسن إسماعيل :

يامثير «الصبا» من العود تحكى ... نغم الطير فى صباح الخلود
أو تآويه عاشق عبقرى ... أرعشت ليله رياح الصدود
أو قمارى جنة ساجلتها ... حلم الشدو غافيات الورود
أيها الشاعر الذى طار بالفن ... وأعلى شعاعه فى الوجود
مر بالجاحدين، كالكوكب المشبو ... ب واصدح بكل لحن جديد ...

محمد السيد المويلحي

تقويم النوع الإنسانى

نشرت مجلة « حياتك » الأمريكية التقويم التالى للنوع الإنسانى ، وهو من وضع العلامة الأستاذ « آرثر هـ . كومبتن » حائز جائزة نوبل فى « الفيزياء » ، والباحث الشهير فى الأشعة الكونية ، وقد صغّر فيه الزمن مليون مرة :

قبل مدة تتراوح بين السنة والسنتين : تعلّم الإنسان الأول استعمال العصىّ والأحجار كأدوات وأسلحة .

فى الأسبوع الفائت : أنشأ إنسان ما فن تكييف الأحجار بحيث تسدّ حاجاته .

أمس الأول : استعمل الإنسان الصور المبسّطة كتابة رمزية

أمس : ابتكِرت الألفباء .

أمس عصراً : أنشأ اليونان فنهم وعلمهم .

منتصف البارحة : سقطت روما

الساعة ٨ والدقيقة ١٥ من هذا الصباح : لاحظ « غليليو » أجسامه الساقطة .

الساعة ١٠ صباحاً : صُنع المحرك البخارى الأول .

الساعة ١١ صباحاً : كشفت قوانين المغنطيسية الكهربائية

الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ صباحاً : تلا ذلك التلغراف والقدرة الكهربائية ... الخ .

الساعة ١١ والدقيقة ٤٠ صباحاً : كشفت أشعة إكس

قبل خمسة عشرة دقيقة : عم استعمال السيارة

قبل خمس دقائق : بدأت خدمة البريد الجوى .

فى الدقيقة الفائتة : شاع استعمال الراديو .

الآن، ظهراً : نجد النوع الإنسانى ـ بمعنى جديد كلّ الجدة ـ موحداً بفضل العلم

عبد الكريم الناصرى

الفنون الإسلامية

أبدى صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف رغبته فى نهاية العام الدراسى الماضى فى أن تزيد عناية مدرسة الفنون الجميلة العليا بالفن الإسلامى جاعلة منه أساس الدراسة فى هذه المدرسة ، بما يتناسب وأغراض النهضة القومية الحديثة ومراميها فى تربية شباب الفنانين المصريين ، وكان ذلك عقب زيارة معاليه للمعرض الذى أقيم فى المدرسة لإظهار نشاطها

والمعروف أن القواعد التى تقوم عليها برامج هذه المدرسة تميل حتى الآن بحكم نشأتها القديمة إلى تدريس الفن فى مختلف صوره على الأصول الغربية ، مع تقدم الزمن بمصر للأخذ بفنونها الخاصة ، ولطبع الثقافة الفنية فيها بطابعها الأصيل وهو الفن الإسلامى

على أن بعض أساتذة المدرسة المصريين قاموا فى الأيام الأخيرة بجهود فردية — وبخاصة فى قسم العمارة — لتوجيه البرامج إلى هذه الوجهة ، وتربية الذوق الإسلامى فى نفوس الفنانين الناشئين

ولما كان الأمر أجل من أن يترك فى هذا المعهد الفنى العالى لمجرد المجهود الشخصى فقد رفع الدكتور محمد فكرى أستاذ تاريخ الفن بالمدرسة مذكرة إلى معالى وزير المعارف اقترح فيها بناء على رغبة معاليه السابقة إنشاء قسم خاص للفنون الإسلامية بالمدرسة وتقوم فى نفس الوقت بتفاصيل إنشاء هذا القسم والمقترحات الخاصة ببرامجه

وقد جاء فى هذه المذكرة أن الفن الإسلامى هو الفن القومى لمصر ، وأن الخصائص الفنية العظيمة التى ينفرد بها هذا الفن يجعل منه مادة خصبة لتغذية جميع نواحى النهضة الحديثة فى مصر ، فضلاً عن قابليته الدائمة للتطور وتمشيه مع روح البيئة الطبيعية فى هذه البلاد

وقد عنى معالى وزير المعارف بهذا الاقتراح وأحاله على مراقبة الفنون الجميلة لدراسته

وفاة العالم الأثرى هوارد كارتر

نعى من لندن الأستاذ هوارد كارتر العالم الأثرى الانجليزى المشهور عن ٦٦ عاماً . وليس بين المصريين من يجهل اسم هذا الرجل الذى كشف مع اللورد كرنارفون مقبرة توت عنخ أمون التى لفتت العالم بأسره إلى مصر . وكان عمله العظيم أكبر دعاية عالية شوقت ألوف السياح إلى غشيان مصر من كل فج وصوب .

جاء المستر كارتر إلى مصر سنة ١٨٩٠ وعاون الأستاذ فلندرس بترى فى حفائر تل العمارنة لحساب اللورد أمهرست سنة ١٨٩٢ ، وعين مفتشاً عاماً لمصلحة الآثار فى الحكومة المصرية وأعاد تنظيم إدارة الآثار فى مصر العليا تحت إدارة السير وليم جارستن والمسيو جستون مسبيرو ، وأدخل نور الكهرباء إلى وادى الملوك وإلى أبو سمبل ، واكتشف لحساب الحكومة المصرية مدافن الملوك منتوحتب وحتشبسوت وتحتمس وامنحتب الأول وغيرهم إلى أن اهتدى فى سنة ١٩٢٣ إلى قبر توت عنخ أمون

وقد نشرت صحف انجلترا ترجمة حياته بتفاصيل مسهبة ، وأسفت على فضله وعلمه الواسع وعادت تذكر الخرافة المشهورة باسم « لعنة الفراعنة » التى قيل إنها لاحقت جميع من اشتركوا فى كشف مدفن توت عنخ أمون لكن جريدة «الديلى تلغراف» أوضحت أن كارتر نفسه لم يكن يعبأ بهذه السخافة فضلاً عن أن موته بعد هذه السنين العديدة من كشف المدفن لا يمكن أن ينسب إلى كشفه

تركيا تهزل والعالم يجد !

من أنباء استامبول أن الصحافة التركية قامت أخيراً بحملات شديدة على فكرة إنشاء مؤسسات لها صبغة دينية فى البلاد وتقوم على أكتاف الشباب . وقد طلبت جريدة « بنى صباح » إغلاق هذه المؤسسات فى تركيا واستامبول بوجه خاص بحجة أن هذه المؤسسات تقوم بدعايات غير قومية ولا تتفق مع الروح التركية الجديدة .

ويظهر أن هذه الحملة التى تثيرها الصحف كانت صدى لخطاب رئيس الوزراء رفيق سيدام الذى أعلن بالراديو مقاومة الجمهورية التركية لكل حركة دينية تقوم فى البلاد

حول عريضة الأزهر

جاءنا من أحد العلماء الذين أمضوا تلك العريضة التى تحدث عنها الأستاذ ابن عبد الملك فى عدد الرسالة السابق كلمة يصحح فيها بعض الوقائع ، وقد طلب إلينا أن ننشرها على مسئوليته ، ولكنه فى الوقت نفسه وقعها بتوقيع مستعار ، وبين تحمل المسئولية وإخفاء الاسم تناقض ظاهر .

حول ترجمة الإلياذة والأوديسة

أخى الكريم الأستاذ أحمد أحمد العجمى :

كنت أوثر أن أعرف عنوانك لأكتب إليك عما سألت لأن بعضه يخصنى ويتعلق بظروفى . . . فاعلم يا أخى أن المرحوم البستانى قد نقل الإلياذة إلى العربية نظما . . . ولم يكن رحمه الله طويل النفس فى الشعر ولا ذا ديباجة تحببه إلى القراء . . . من أجل هذا ركدت ترجمته ولم يقرأها عشرات ... وأستغفر الله أن أسوء أحداً بما أقول ...

وقد بدا لى بعد أن فرغت من كتابة (أساطير الإغريق) ونشرها تباعاً بالرسالة أن أترجم الإلياذة نثراً لا شعراً لما للنثر

من مزايا خصوصاً في اللسان العربي . . . ومع ذاك فقد خشيت إذا أنا ارتبطت بترجمة الأصل أن يصدف القراء ويتفروا لكثرة مايرد من أسماء الآلهة والأشخاص ، وأكثرها أسماء حوشية نابية ... فآثرت التلخيص السريع وأضفت مقدمة لحروب طروادة ليست من الإلياذة ، بل هي مما ترك الشعراء القدامى غير هوميروس ، حتى إذا انتهيت من الإلياذة أردفت لها ذيلاً من فرجيل ... وقد كان لا بد مما صنعت ليكمل سياق الملحمة الخالدة ، فالزيادة الأولى هي الفصل الأول ، والزيادة الثانية هي الفصل الأخير

أما الأوديسة فلم ينقلها إلى العربية فيما أعرف سواى ، وقد نقلتها نثراً لاشعراً للأسباب نفسها التي خشيت منها على الإلياذة ... وللأمانة التاريخية أقرر أنني نقلت الفصول الخمسة عشر الأولى نقلاً شبه كامل ، ولما خفت أن ينتهي المجلد الأول من مجلة الرواية دون أن تنتهي الأوديسة عمدت إلى تلخيص كل فصلين مما تبقى ونشرهما في عدد واحد بعد أن صارحت أستاذنا الزيات بذلك ...

أما أن جمهور القراء في مصر وفي الشرق يرغب في طبع ما ترجمت وما لخصت من ذاك كله فهذا ما يظنه أخي وما يخيفني أنا لأن الطبع يكلفني مئات كما كلف كثيرين غيري فلم يحصلوا ربع ما أنفقوا . . . هل سمعت ؟ لقد قلتها لك بصراحة يا أخي

وتقبل شكري على ما أطريت .

دريني خشبة

جريدة الوادي

اعتزم زميلنا الأستاذ محمد نجيب صاحب جريدة « الوادي » أن يصدر الجريدة قريباً بشكل جديد يعتبر فتحاً في الصحافة العربية اليومية . وسيتولى الإشراف عليها أساطين السياسة المصرية وكبار المفكرين وجمهرة وافرة من الأدباء والكتاب الممتازين .

ولا تزال الاستعدادات جارية لإخراج الجريدة في هذا الثوب الجديد قبل نهاية الشهر الحالي



قصتان :

١ — الأميرة : للآنسة جميلة العلايلي
٢ — كاهن آمون : للأديب أحمد صبري

— ١ —



هاتان قصتان، كانتا غذائي في يومين :

أما الأولى فقصة غرام عنيف عفيف، وهي كما تقول المؤلفة : قصة جمعت في فصولها تاريخ الحياة كلها ، كتبت حروفها من نار العقل ونور القلب ، فتصارع فيها اليقين والشك ، والإيمان والإلحاد، والخير والشر ، وظهرت فيها شخوص مختلفة من تهاويل المدنية الحادثة، وبساطة الطبيعة الخالدة، واصطدمت فيها التقاليد الصارمة بالعواطف اليقظة، وكان فيها ما كان من رغبة ورهبة، وثورة وخنوع، وألم وأمل، ثم انتهت عند حقيقة خالدة، وهي أن الرجل رجل والمرأة مرأة، ولن يكون الاتصال بينهما إلا على هذا الأساس الذي قامت عليه الحقيقة الإنسانية منذ الأزل

والآنسة جميلة أنثى ، فأحسن ما فيها أنها تكتب بطبيعة الأنثى وبعواطفها وميولها ، فلا كذب ولا نفاق ولا تزوير ، ولكنها الأنوثة الواضحة ، والصراحة التي لا تتوارى ، والعواطف التي تتدفق على وضع الطبيعة ؛ ووضع الطبيعة في الأنوثة الكاملة هو الإعجاب، أو إن شئت فقل العشق للرجولة الكاملة ، وإقراراً لهذا الوضع المقدس ضحت بالأوضاع والتقاليد في سبيل زوج لا تقدره لها الأوضاع والتقاليد . ولقد نجحت التجربة الجريئة ، فكان لها برجولته وكبريائه واعتداده ملء القلب والبصر والسمع ، وكانت له بأنوثتها ملاك الرحمة ، ومثال التضحية ، ورسول الحب !

والمرأة بطبيعتها — كما تعلم — رقيقة الإحساس ، مرهفة العواطف ، فإذا جمعت إلى ذلك موهبة الشعر كانت في خيالها وفي شعورها متوثبة ، كأنها تريد أن تلتهم الدنيا بنظرة ، وأن تزم البحر بشعرة ، وهذا هو شأن الآنسة الفاضلة في قصصها : فهي تغرد على كل فنن تغريد الشاعر ، وهي تجري وثباً وراء الخيال فتسبق الحوادث ، وتستطرد من معنى إلى معنى دون أن تعنى بالنسق القصصي ، وما يسمونه بالحبكة الفنية ، ومن ثم جاءت قصتها كما تقول هي : سلسلة حبائل كلها أقاصيص عجيبة ، ولدتها قصة واحدة غريبة غامضة ، فيها شيء من خلل السرد ، وترتيب الوقائع ، وكانت في حل « العقدة » قاسية ، عفا الله عنها ! فقد أغرقت بحارة، وطوحت بعائلة كريمة في مهاوى الفقر والحاجة لأجل أن تصل إلى رجلها الذي رأت في الاتصال به اطمئنان النفس، وبهجة القلب، ويقظة الروح ، على أنه لا يمت لأسرتها بصلة القومية كما تقول

وفي القصة ما أحب أن أنبه إليه الآنسة المهذبة ، ولولا الرفق لحاسبتها عليه الحساب العسير ، وهو الاستهانة في الأسلوب بحق اللغة وهو حق تجب مراعاته وإن تبجح في ذلك المتبجحون ، ثم حق القوة البلاغية وهو أيضاً حق تجب العناية به لا للإفهام فحسب بل للتأثير الذي هو مهمة الفنان وغايته ، ثم تلك الأخطاء المطبعية الشائعة التي إذا احتملها ذوق الرجل الجبار فلن يتحملها ذوق المرأة الدقيق الذي يغرم بالأناقة ويفنى في روعة التنسيق ؛ وأخيراً بعض هفوات فاتت على فطنة الأديبة اليقظة، فما كان يصح مثلاً أن تصف الأعرابي بلبس حذاء لا يلبسه غير سراة العرب ، ثم تعود إلى وصفه بعد صفحات فتصف حذاءه بأنه لا يلائم الرجل العادي على الأقل، وبعد هذا كله لا يصح من الآنسة الشاعرة أن تستهين في أناشيدها بعروض الشعر، ولعلها تهتم فتتلافى كل هذا في الطبعة الثانية للرواية ، فإن في تلافيه الجمال والكمال

— ٢ —

أما القصة الثانية فقصة مسرحية تقوم على حقيقة من حقائق التاريخ المصرى القديم، وضعها مؤلفها الفاضل وهو فى معزل على حافة الصحراء فى جنوب القاهرة حيث امتلأت رأسه من صور الأجيال القديمة وأطيافها، وازدحمت عيناه بعبرات الجيل الحاضر وآلامه، فطالع التاريخ لهذه القصة ووضع صورتها التخطيطية الأولى، وعرف أبطالها وحلم بهم. وبالنفس الفنان إذا اهتاجتها ذكريات الماضى وعبرات الحاضر! إنها تحترق فى فكرتها، وتذوب فى فنها فتأتى بكل ما فيه الروعة والجمال ...

وتاريخ هذه القصة يرجع إلى عهد الملك اخناتون، وقد كان لهذا الملك مذهب دينى يدعو إلى عبادة قرص الشمس متمثلاً فيه جميع الآلهة، وقد كان متعصباً لمذهبه هذا تعصباً شديداً، فحاول أن يفرضه على الناس فرضاً، واندفع يغلق الهياكل ويطرد الكهنة، وانشغل عن أمور الدولة فسرح الجنود وأهمل الجيش، فكان من وراء ذلك أن انتقضت عليه المستعمرات المصرية، واستولى الحثيون على شمال سوريا كما استولى العبرانيون على جنوبها، ففزع المصريون لذلك، ونهضوا ثائرين عليه بتدبير الكهنة ورجال الجيش المعطلين، وفى مقدمة هؤلاء أوزيران كاهن آمون فى معبد خناعى، وهو شيخ جليل خالف الملك اخناتون فى عقيدته الدينية ودعا إلى محاربته باسم الوطنية[1]

هذه المبادئ التى أذاعها أخناتون ودعا إليها ما وسعه الجهد، وهذه الثورة التى أعلنها عليه المصريون لإنقاذ حضارتهم وغضباً لوطنيتهم وقوميتهم هو موضوع القصة، وغاية المؤلف التى يرمى إلى توضيحها. ولا شك أنه قد استطاع أن يشرح فكرته شرحاً فنيًّا قويماً، فلا فضول ولا ثرثرة، ولا اقتضاب ولا شذوذ فى سرد الحوادث والانتقال من وضع إلى وضع، ولكنك تحس وأنت تقرأ أنك تجرى فى نسق طبيعى مطرد، يرسمه أسلوب حلو يفيض بحرارة الإيمان وحماسة الوطنية، وكأنها حماسة أمازيس إذ يقول: لقد فهمت وآمنت، سأعلمهم أننا ولدنا جنوداً، وأننا ما زلنا رغم العوادى أبناء هذا النيل، نحارب وننتصر، ونطوى العالم فى نفوذنا من جديد ...

ولقد ذكر المؤلف الفاضل أنه تقدم بقصته إلى الفرقة القومية فكان رأيها قاطعاً فى عدم صلاحيتها! وأنا أستطيع أن أطمئن المؤلف الفاضل من هذه الناحية، فإن الفرقة القومية أصلحها الله لا تقدر الآثار إلا بأسماء أصحابها وما لهم من شهرة وذوى وطنين. ثم إن الفكرة فى هذه القصة تقوم على الانتصار لتاريخنا وقوميتنا ووطنيتنا، هى غذاء لروحنا وعواطفنا بما يلائم روحنا وعواطفنا؛ ولكن الفرقة لا يهمها ذلك، فهى تحب أن تكون دائماً متطفلة على موائد الغرب، تذيع كل ما هو غريب عنا ولا يمت إلى روحنا بأدنى شىء ...

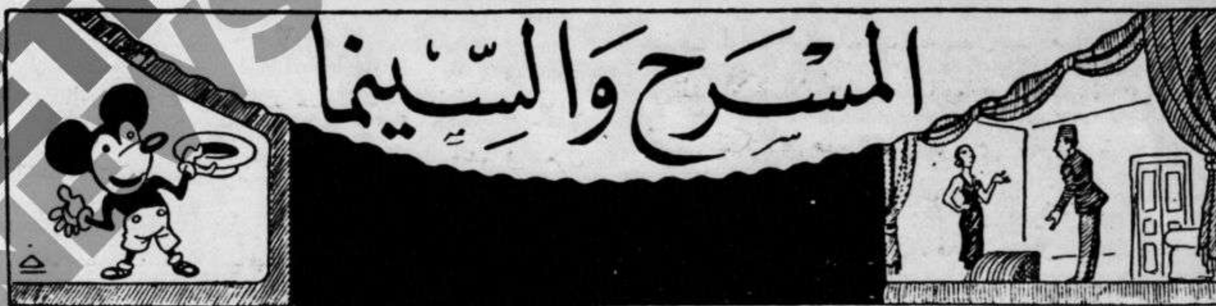
نعم أنا أطمئن المؤلف من هذه الناحية، وأقدر فيه موهبته الفنية واستعداده للقصص، فإنه استعداد قوى كامل، إذا ما تعهده بالمران والصقل فسيكون له شأن أى شأن. ولو أنه رزق الدقة فى الحوار، والوضوح فى التعبير لكان فناناً من الطراز الأول، ولجاءت قصته وشأنها فى الكشف عن عبقريته والإعلان عن مواهبه شأن «أهل الكهف» فى الكشف عن صاحبه الأستاذ الحكيم

وأحب أن أنبه الأديب الفاضل إلى ما أخذه عليه بعض الناس من غموض العبارة وخفاء المعنى فى بعض جوانب الرواية، وليس بالعذر أن يقول إنه حاول أن يكون مفهوماً بالمعنى الذى يألفونه فلم يستطع، فإن اللغة أداة الإفهام، وعلى الفنان أن يُفهم وإلا كان قاصر الأداة، عاجزاً عن تصوير ميوله وعواطفه، وماذا يكون الفنان إذا عجز عن تصوير ميوله وعواطفه؟!

تلك ناحية ليست بالعسيرة ولا بالشاقة؛ وفى استطاعة المؤلف الفاضل أن يبلغها إذا اقتصد فى ثورته وتمكنت عنده الرغبة فى ذلك

محمد فهمى عبد اللطيف

(١) راجع مقدمة المؤلف



الفرقة القومية

لغة المسرح ، أدباء الشباب

الدكتور إبرهيم ناجى أديب وعالم ملحوظ المكانة ، معروف فى الأوساط الأدبية ، مشهور بأحاديثه الطيبة ، وحيويته الفياضة ، وحسه الدقيق ، يعرف فيه أصدقاؤه — وأنا منهم — سرعة فى الفكر وفى الحركة وفى كل شىء

لم تقف حركة الدكتور ناجى عند حدود نظم الشعر ، وتأليف القصة ، وكتابة البحوث العلمية ، وإلقاء المحاضرات ، بل تناولت أيضاً فن الترجمة . وقد تعاون أخيراً مع الممثل الأديب فتوح نشاطى على ترجمة رواية « الجريمة والعقاب » لمؤلفها ديستويفسكى القصصى الروسى العظيم ، فمثلتها الفرقة القومية وجعلتها « افتتاحية » لموسمها الثانى . وها هو ذا يحدثنا عما لقيت روايته من رجال هذه الفرقة ويجيب على الأسئلة التى وجهتها إليه :

قلت له : الفرقة القومية مؤسسة ثقافية فهل حققت شيئاً من أغراض الثقافة ؟ فأجاب :

« إنها تحاول يا سيدى ، ويجب أن نعترف أنها تبذل ما تستطيع ، ولكن الفكرة خطأ ، والتوجيه خطأ ، والمسرح الذى نراه مسرح قديم بال

أما خطأ الفكرة فلأن مدير الفرقة ، مع احترامنا لأدبه وفضله ، يصرح ويجاهر بأن المسرح إنما وجد لترقية اللغة ، وما دامت هذه الفكرة أساساً للمنطق فقد انهار كل شىء ولا معنى للجدل

والفكرة خطأ أيضاً ، وخطأ فاحش لأن قراء لجنة الروايات علماء لغة ، وليس فيهم فرد يعرف شيئاً عن فن المسرح

والتوجيه خطأ ، لأن التوجيه مبنى على الفكرة ، والتوجيه المسرحى عندنا أساسه إنشاء مسرح كلاسيكي على فكرة كلاسيكية ، ولهذا حفل مسرحنا بأندروماك وأنتيجونا وعدنا إلى راسين وكورنيل وقد فرغ العالم منهما ونفض يده ، وإليك المثل :

الجريمة والعقاب رواية شعبية كتبت للناس ولمخاطبة الناس ، وهذه رسالة المسرح ، وقد أرادت إدارة الفرقة من مترجمها أن يترك ترجمته بتاتاً ويعيد كتابتها بلغة من عنده أنيقة مجلجلة مدوية كأنه هو مؤلفها . فانظر بالله كيف تريد الفرقة القومية أن تعبث بدستويفسكى وتسىء إلى دستويفسكى وتسىء إلى رسالة المسرح . كل ذلك فى سبيل لغة كلاسيكية مجلجلة أولى بها حلقات الأدب لا المسرح الذى هو منبر يثقف ويعلم ويفيد

وإنه لما يبكى ويحزن أن تجد الممثل النابغ (؟) وقد فرضوا عليه حفظ لغة بائدة فصار يوجه همه إلى إتقان المرفوع والمنصوب وقد نسى الفن وترك روعة التمثيل جانباً لأنه منصرف إلى ما ألقى بروعه فى شأنه أنه أهم . وإنه لمن المحزن أيضاً أن تجد لجنة قراءة الروايات تجيز روايات ليس فيها من شىء إلا أنها كتبت بلغة عربية سليمة . وإنك لتستعرض كل الروايات التى نجحت فى المباريات فتجدها لغة فى لغة ، وتجدها نماذج من الإنشاء ، أما الفكرة فلا ، أما الفن فلا ، أما الكلام و(الدروشة) فنعم . وقد تجيز رواية لا لغة فيها ولا فكر ولا فن كرواية طبيب المعجزات . إليك المثل الثانى :

قُدمت رواية من هذا الطراز فأجازتها الفرقة فأعدت للتمثيل

وكلف مترجم الفرقة أن ينقلها إلى الفرنسية ليتمكن المخرج الفرنسى من إخراجها ، فرأيته بعينى رأسى يكاد يغمى عليه من الطنطنة والجلجلة والكلام الدوى كالطبل الأجوف ، ويسأل ناقلها إليه : أحقيقة كل هذا موجود ، كل هذا الكلام الطويل العريض ، كل هذا اللفظ المكرر المعاد . لا وربى ، إن هذه الرواية لا يمكن تمثيلها بحال ؛ إن التمثيل تمثيل لا كلام ، وكلمة دراما معناها نقل القول إلى الحركة ، لا الحركة إلى القول ، كل هذا عن رواية أجيزت وأعدت للتمثيل . وكم وكم عند الفرقة مثلها من متراكم لا حصر له تجيزه الفرقة فلا يمثل ولا يصلح لشىء .

قلت : ما دمت ترى الأساس خطأ فى إنشاء الفرقة فما رأيك فى علاجها لتصبح مؤسسة تماشى النهضة الأدبية ؟

فأجاب : يجب أولاً أن يتنازل مدير الفرقة فيعترف معنا بأن رسالة المسرح الجديد غير قائمة على اللغة ، وليس من العار أن يجلس إلى رجل كالسيو فلاندر أو إلى ممثل كجورج أبيض فيتحدث إلى أحدهما فى رسالة المسرح . ويمكنه أن يسأل نجيب الريحانى وهو رجل يفهم هذه الرسالة على أتمها وقد سمعته بأذنى يتمنى أن يرشد المهيمنين على الفرقة القومية إلى رسالة المسرح

الفكرة الثانية : يجب أن تبدل لجنة القراءة تماماً — مع احترامى لأعضائها وتقديرى لعلمهم وأدبهم — أرى أنهم لا يصلحون بتاتاً إلى ما هم مكلفون به ، ولو خيرت لجعلت لجنة القراءة مكونة من فلاندر وجورج أبيض ورياض وعلام وأضيف إليهم رجلاً واحداً يفهم اللغة

وفكرة أخرى : يجب أن تكلف الفرقة من تتوسم فيه من المؤلفين الفهم والقدرة أن يترجم أو يقتبس أشهر الروايات العالمية . نعم تكلفهم بذلك وتفتح الباب أمامهم وتترقب مجهودهم وبهذا يتسع المجال ولا تقبر الكفايات ، وبذلك تخطو الفرقة خطوات فى سبيل السداد

— هل أنت من دعاة اللهجة العامية ، وأنت الشاعر المفروض فيه الحرص التام على المعنى والمبنى ؟ وهل تصلح اللهجة العامية للتراجيديا والدراما والكوميديا على السواء ؟

— إنى من دعاة اللغة العربية التى يفهمها الشعب على شرط أن يباح استعمال اللفظة العامية حين لا يكون منها مناص وحين لا يعتبر وجودها إسفافاً ، وحين تضيف جمالاً ونغمة جديدة إلى لغة المسرح

— هل كانت رواية « الجريمة والعقاب » مكتوبة فى الأصل باللهجة العامية ؟

— كانت مكتوبة فى الأصل باللهجة الفرنسية البسيطة التى تقارب العامية ولكن ترتفع قليلاً عنها . ومن يرد معرفة الحقيقة فليقرأ النص الفرنسى التمثيلى من وضع جاستون باتى ، ولكنها فى الأصل من قلم ديستويفسكى الفخم وتحليله العميق

— هل تظن أن هذه الرواية كانت تفقد قيمتها لو ترجمتها باللغة الفصحى ؟

— يا سيدى إنها بلغتها البسيطة كانت أرقى من مستوى الجماهير فما بالك بها وهى بالفصحى المجلجلة ؟ ... انتهى .

***

لا ينفرد صديق الدكتور ناجى بالرأى الذى أبداه بشأن لغة المسرح وضرورة جعلها تناسب ذوق الجمهور ، فقد سمعت حديثاً غريباً من صديق أديب أعرف فيه ولعاً باستعمال الألفاظ النابية وقد أطلقنا عليه اسماً لا أريد ذكره يدل على أنه يقد ألفاظه قداً وينحتها من صخر صلد ، لأن كلمتى افرنقع وتكأكأ وما يماثلهما من الكلمات الحوشية التى ألحدها الإهمال ودفنها التناسى هما من الكلمات المستملحة المستحبة عنده . وقد لا يخلو مقال له من « منجنيق » يصوب كراته الافرنقعية والتكأكئية على الأذواق. أقول سمعت رأياً غريباً منه ، وقد سمعنا ما يضارعه فى حديث الأستاذ ابراهيم رمزى[1] خلاصته أن الأمة لا تريد اللغة الفصحى ولا تستطيبها ، وحجته أن الطبقة الأرستقراطية نساء ورجالا ، لا تعرف العربية وهى تتكلم الانجليزية أو الفرنسية ، ولهذا لا تميل إلى التمثيل سواء أكان بلهجة العامة أو باللغة الفصحى ، وإن طبقة الدهماء لا رجاء منها ولا فائدة . أما الطبقة الوسطى وهى أقلية بالنسبة

(١) الرسالة عدد ٢٩٥

للطبقتين العليا والدنيا تؤثر اللهجة العامية لقربها من الفهم ، ولأنها تنشد من المسرح التسلية والترفيه عن النفس ، وينتهى بالدعوة إلى مسايرة الشعب ما دام الشعب لا يميل إلى غير التسلية والانبساط

قد يكون رأى صديقى هذا أكثر آراء الشبان تهاوداً وأبعدهم عن التعسف فى الحكم على اللغة العربية وقواعد صرفها ونحوها ، وتنوع مترادفاتها ووفرة مفرداتها ، ولكن هل يجوز — على هذا القياس — أن نهمل اللغة ونعطل أداة التعليم ونحد من معرفتنا إرضاء لطبقة تؤثر التسلية والانبساط ؟

إنى قبل كل شىء أنزه الأمة بطبقاتها الثلاث عما قاله فيها صديقى الأديب ، لأنى أوقن أن نهضة الأمة محسوسة ملموسة بدليل أنها عند ما تهم لحضور التمثيل تهيئ ذاتيتها كما تهيئها للصلاة أو لسماع خطاب أو محاضرة . وقد برهنت على هذا الاستعداد النفسانى قبل عشرين أو ثلاثين عاماً بإقبالها على حضور تمثيل فرق عبد الرحمن رشدى وجورج أبيض والشيخ سلامة حجازى إذ كانت كل رواياتها تمثل باللغة العربية الفصحى ، فما بالها وقد ارتقت بالفعل ، وتطورت وفق نهضة العصر وأصبحت آدابها واضحة الازدهار ؟ أقول : ما بالها تشكو اليوم مما قد استساغته بالأمس وأفادت منه خير فائدة ؟

الأدب بخير ، والآداب بخير أيضاً ، وتقدمنا الثقافى مستمر ، وإن كان ثمة من شكوى موجعة فهى من كسل الشبان ومن رخاوتهم وخنوثتهم ومن قعودهم عن سلوك مسالك الكمال ، فلغة المسرح الرصين يجب أن تكون الفصحى كما يجب أن تكون لغة الرواية التى من نوع التراجيدى أسمى من لغة الرواية التى هى من نوع الدراما ، ولغة الكوميديا أبسط من لغة الدراما . أما القائل باللهجة العامية للمسرح فهو مغرض أو كسول أو بعيد عن روح الأمة

ابن عساكر

7me Année No. 297

Lundi - 13 - 3 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـدد ٢٩٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٣ مارس سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

العام الهجرى

الفهـــرس

رسالة أمير المؤمنين الفاروق إلى الشباب



شعبي العزيز

أحببت ونحن نستقبل العام الهجرى الجديد، أن أهنئكم والعالم الإسلامى بهذا العيد السعيد، مبتهلاً إلى الله أن يجعله عام خير وسلام وإقبال على الجميع، وأن يقرنه بتوفيق الجد، وبلوغ القصد.

إن هذا اليوم الذى يتمثل فيه أمامنا حادث الهجرة العظيم بما فيه من العظة البالغة، والمعانى السامية، وبما كان له من الأثر الخالد فى بث روح الفضيلة والإخاء والمغامرة فى سبيل الحق، ليستحق منا تمجيده بالعمل الصالح والتوجيه النافع لخير الإنسانية.

وإنى ليطيب لى أن أشير إلى ما سيتم بإذن الله وجميل رعايته فى مستهل هذا العام المبارك من عقد أواصر المصاهرة، بين الأسرتين الكريمتين فى إيران ومصر، مما يزيد فى إحكام روابط الإخاء والمودة بين الشعبين، فوق ما يربطهما من الصلات الأدبية والثقافية منذ القدم

شعبي العزيز

لم أتحدث إليكم قبل اليوم عن نفسى، وكنت أعد ذلك من سبق الحوادث؛ ولكن هذه الفرصة قد أتاحت لى أن أتحدث إليكم قليلاً فى ذلك فتزدادوا معرفة بى، وركونا إلىّ

إن سر النجاح هو الثقة والإيمان. ومن لا ثقة به ولا إيمان له لا رجاء فيه. فعلى الذين وثقوا بى أن يعتمدوا علىّ، إذ فى ذلك كل الخير لهم

إننى مع إعجابى العظيم بوالدى — طيب الله ثراه وتغمده برحمته — قد أكون خالفته فى بعض طباعه، ولكننى أؤكد أننى قد احتفظت بأبرز هذه الطباع. فأنا مثله لا يستطيع أن يؤثر فىّ أحد إذا تبينت صواب أمر واعتقدت — بعد تقليب وجوه الرأى — أنه فى صالح شعبي أفراداً وجماعات

وإن ثقتى بنفسى، وتوكلى على الله، هو الذى يلهمنى تصريف الأمور، ويوجهنى الوجهة التى اخترتها

بيد أن هذا لا يمنع أن أستمع لآراء ذوى الخبرة من الرجال، شأن كل إنسان يتحرى وجوه الصواب

إننى أومن — ومرُّ الأيام يؤيد إيمانى — أن شباب مصر المتوثبة للمجد سيكتبون صفحة خالدة فى تاريخ الوطن. وفى استطاعتهم أن يصنعوا من هذا الوطن العزيز مصر العظيمة المتحدة التى هى آمالنا وأحلامنا جميعاً وعلى الشباب وحده تحقيق هذا الحلم.

ولكن انتبهوا؛ فالطريقة التى تتبعونها لا تحقق أملنا هذا. ولا بد من العمل المتواصل فى جو يسوده الهدوء والإفادة من الرؤوس الناضجة واحترام النظام.

وليكن هدفكم سعادة المجتمع ومصر القوية، القوية فى نفسها، وفى أبنائها، والمستعدة لإعلاء كلمتها، وفرض احترامها على من يعبث بعزتها

شعبي المحبوب!

كم كنت أحب أنكم بعد أن سمعتم هذه الكلمات تذكرونها ليرجع إليها كل منكم بين الوقت والآخر، حتى لا تأتى عليها يد النسيان

ونصيحتى التى أسديها إلى كل مصرى مخلص لوطنه ومليكه: أن يكون ذاثقة بالله وبنفسه وبمليكه.

والسلام عليكم ورحمة الله

براعة استهلال العام





ليس أدل على يمن هذا العام وإقباله ، من براعة استهلاله . وبراعة استهلاله تأييد قوة الإسلام ، وتوحيد كلمة الشرق ، بتوثيق الصلة بين عرشين أثيلين بالمصاهرة ، وتمكين الألفة بين شعبين نبيلين بالمودة . والعرشان المصرى والفارسى أعرق العروش فى أصل الحضارة ، والشعبان المصرى والإيرانى أسبق الشعوب إلى خدمة الفكر . والساميَّة الممثلة فى مصر ، والآرية الممثلة فى إيران ، هما اليوم مناط الرجاء فى نهضة الشرق الإسلامى القريب والبعيد ، لأنهما تجمعان شعبتى الفكر البشرى وما يميزهما من سمو الروح وبراعة الذهن وصوفية الخيال وحب الحقيقة . فلا جرم كان زواج صاحب السمو الامبراطورى محمد رضا بهلوى ولى عهد إيران ، من صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية شقيقة صاحب الجلالة الفاروق ملك مصر ، حادثاً سعيداً فى تاريخ الإسلام والشرق، سيكون له أثره المحمود فى تبليغ الرسالة المحمدية مرة أخرى إلى النفوس العانية التى ضلت سعادتها وراحتها فى ظلام القلق والحيرة والشك

***

نسجل هذا القران الميمون فى هذا العدد الخاص بالهجرة ، لأنه وقع فى أوائل السنة الهجرية ، ولأننا نرجو أن يكون للاسلام والسلام والمدنية من نقلة الأميرة المصرية من القاهرة إلى طهران ، ما كان لها من نقلة الرسول الأعظم من مكة إلى المدينة . وأنا لندعو الله مخلصين أن يحقق فيه للعرشين العريقين سوادق الرجاء ، وأن يجعله للشعبين العظيمين عهد الأخاء والرخاء ، وأن يقرنه للعروسين الكريمين بالبنين والرفاء .

ابن عبد الملك

ذكرى الهجرة

لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر

الشيخ محمد مصطفى المراغي

شيخ الجامع الأزهر



في مستهل هذا الشهر العظيم بذكراه، أذعت على العالم الإسلامي نجوى لصاحب الهجرة صلوات الله وسلامه عليه، كان فيها تذكرة وفيها بلاغ. وليس شيء أحب إلى نفسي من إعادة هذا الحديث، فإن التذكير بسيرة رسول الله، وبهجرته في سبيل الله، شفاء لغل الصدور، وجلاء لرين القلوب، وقوة لضعف الأنفس

إن دعوة الرسول الأعظم كانت في مكة أشبه بالغيث أنزله الله في يباب القفر، ففاض بعضه في سباخ الأرض، واحتبس بعضه في أصلاد الصخور، ثم نفّس الله عنه من شدة الضيق والحصر فانبثقت عنه الحواجز الصم، فجرى سيولاً في السهول والأودية، وتشعّب ينابيع في القرى والمدائن، يحمل الخصب والنماء، ويوزع الري والغذاء، فأحيا موات الأرض، وروى غلة الناس، وكان منه العمارة والحضارة والخير

نعم كانت هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام إلى المدينة هي هذا الانبثاق الذي انساح به الإسلام في أقطار الأرض يحمل الهدى للأرواح الحائرة، والسلام للنفوس المحروبة، والألفة للقلوب المختلفة، فسارت الإنسانية في طريق الحياة على ضوئه، تنعم بالإخاء في الدين، وتتمتع بالمساواة في الشريعة؛ فلا عصبية تزرع الأحقاد وتنشر الفرقة، ولا امتياز في الجنس أو في اللون أو في الثروة يوجب الاستعباد ويقتضي الظلم. وحمل خلفاء الرسول رضوان الله عليهم أجمعين مصباح الهداية وزمام القيادة من بعده؛ ثم استناروا بسيرته، واستنوا بسنته، فأورثهم الله ملك الأرض، وملكهم مقادة العالم، فقادوه على بصيرة وساسوه عن دراية؛ فكان كتاب الله هو الدستور، وحكمه هو القاضي، وسنة رسوله هي الخطة. فلما ابتعد المسلمون عن مشرق النور وأعرضوا عن الذكر، غشيتهم الغواشي فضلوا وجهة أمرهم، وجهلوا غاية قصدهم، وتفرقوا شيماً في الضلال، وتدفقوا أحزاباً في الباطل، وأصبح كلام الله على ألسنتهم ألفاظاً لا معاني لها ولا رَجْع منها، فأفلت من أيديهم زمام الأمر، وسلب الله من أعدائهم الرعب منهم، فتقهقروا إلى مؤخرة الركب، وساروا أتباعاً بعد أن كانوا أئمة، وأهمالاً بعد أن كانوا سادة. كل ذلك والإسلام هو الإسلام، أنواره لألاءة لا تخبو، ومنابعه ثرّة لا تنضب؛ ولكن المسلمين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، واستعزوا بغير سلطانه فوكلهم إلى غير راحم

أشهد أن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله: رجوع إلى الله في أمره ونهيه، وردُّ الخلاف إلى تنزيله ووحيه، وتأليف القلوب على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة. وفي يقيني أن الضال متى أدمت قدميه وعورة الطريق، وأنهكت قواه مشقة الحيرة، عاد يلتمس الهدى من مصدره، ويبتغي القصد من دليله. فالإسلام كما كان المبدأ سيكون المعاد، وكما أنقذ العالم في الأولى سينقذهم في الثانية. وما دام الله عز اسمه قد ختم به الوحي فلا بد أن يجدد حبله كلما رث ليعتصم به اللاجئ ويجتمع عليه الشتيت ويفيء إليه الشارد.

إن آية الهجرة التي ظهر بها الإسلام وعلا فيها الحق هي الإخلاص للعقيدة والتضحية للمبدأ والمصابرة في الجهاد والمؤاخاة في الله. وهذه الصفات التي زود الله بها رسوله الكريم لتبليغ رسالته وتمكين أمره، هي عدة كل دعوة ووسيلة كل نهضة؛ وبدونها لا يتفق رأي ولا تجتمع كلمة ولا تؤدى سياسة. يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه، وأنه إليه تحشرون. يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) أسأل الله للمسلمين عامة ولهذا البلد خاصة هَدْياً وسداداً، وعوناً وإسعاداً، وألفة واتحاداً، إنه واسع الفضل عظيم الطول سميع الدعاء.

محمد مصطفى المراغي

يهمون به فهل يعرفونه ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد



العصر الحاضر من العصور التى اشتد فيها الاهتمام بالعالم الاسلامى بين جميع الدول الكبرى

لأن هذه الدول على وشك القتال ، وتعلم كل منها ولا ريب أنها غانمة رابحة ، وأنها كبيرة الأمل فى النصر إذا ظفرت من اليوم بمودة الشعوب الاسلامية ؛ وهى موزعة فى المواقع التى تحوم حولها المطامع ويتأشب فيها النزاع

فاليابان تنادى بمبدأ « آسيا للأسيويين » وتعنى بذلك أن « آسيا لليابانيين » وتعرف ما تكسبه فى أسواق التجارة وفى ميادين الحرب إذا هى استمالت إليها مسلمى الصين والهند وما وراءهما من أواسط آسيا ، فضلاً عن المسلمين فى جزر الهند ، وهم أصحاب شأن عظيم فى تلك الأرجاء

والولايات المتحدة لا يسعها أن تنسى الاهتمام بشىء يهتم به اليابانيون ، وبخاصة كل شىء تكون له علاقة بالصين والفليبين وشواطئ المحيط الهادى فى عدوتيه

والدولة الشيوعية الكبرى — وهى الروسيا — تقف لليابان بالمرصاد فى القارة الآسيوية ، وتتودد إلى المسلمين هناك ، وهى حائرة لا تدرى هل تهدم الشعائر الدينية تطبيقاً لمذهبها فتغضب المسلمين وتدفع بهم إلى أحضان خصومها ، أو تبقى على الشعائر الدينية فتغضب دعاتها ولا تستطيع التوفيق بين برامجها فى الأرض الروسية وبرامجها فى البلاد التى تصاقبها وتبادلها المعاملات التجارية والسياسية .

ولا تتخلف « الفاشية » فى المضمار ، بل يبرز على رأسها « موسولينى » منادياً بأنه « حامى » الإسلام ونصير المسلمين ، ولو كان على نصيب من « الحذق الاستعمارى » أوفى من هذا النصيب لعلم أن الإيمان بالدين وقبول حمايته من غير أهله نقيضان فى المنطق والشعور على السواء ، ولاسيما من وجهة النظر الإسلامية التى تفرض على المؤمن بها حماية نفسه فى وجه المغيرين عليه

أما الدول الديمقراطية فهى تقابل المساعى اليابانية والمساعى الشيوعية والفاشية بالتوجس والحيطة ، وتريد أن تقاومها فتعمد إلى عقد المحالفات وفض المشكلات وتوحيد المصالح بينها وبين العالم الاسلامى فى حالتى الهجوم والدفاع ، وتفتح لها الطريق فى هذا المجال بريطانيا العظمى ثم الجمهورية الفرنسية

والعالم الغربى يعتقد اليوم أن « العالم الإسلامى » يتحفز ويتوثب ، وأنه قوة رشيدة لا تعامل معاملة القاصر التابع لغيره ، ولا مناص من حسبان حسابها لمن تربطه بها علاقة قريبة

كتبت مجلة « التاريخ الجارى » فى عددها الأخير مقالاً جعلت عنوانه : « محمد يتهيأ للعودة » وعقبت ذلك بعنوان آخر فحواه أن المسلمين رقدوا خمسمائة سنة وهم يتحركون الآن ويتوثبون إلى السلطان

ثم قالت : « فى جزائر الفليبين وفى الجامعات المصرية ، فى قصور الملوك الشرقيين وفى خيام التتار المترحلين ، على كراسي البرلمان اليوغسلافى وبين أكواخ الزنوج عند الشاطئ الذهبى ، فى آجام أفريقيا وفى صحارى آسيا ، يترقب المسلمون كل يوم بل كل ساعة مطلع المهدى الذى يتجسد فيه محمد عليه السلام، وقد تيقظت قوة الاسلام واتخذت لها شكلا سوياً فى عالم السياسة ، ولا تزال « التعاليم المحمدية » سارية منتشرة بين الشعوب الملونة التى تجد من المقاربة بين إدراكها وبين هذا النوع من التوحيد ما ليست تجده فى المسيحية أو اليهودية . وهنالك عامل آخر من عوامل هذه الحركة وهو إخصاب الشعوب الإسلامية وتوالدها . فإن الشعوب البيضاء تصاب بالعقم وقلة النسل بينما يتوالد المسلمون كالأرانب ! »

وعلى هذا الاهتمام باليقظة الإسلامية وهـذا الإيمان بقوتها هل تراهم يعرفون الحقائق عن الإسـلام أو عن أخبار المسلمين الجوهرية ؟

إن مجلة « التاريخ الجارى » من أوثق المجلات الأمريكية خبراً وأصدقها بحثاً ، ومع هذا ترى الخلط فيها بين نهضة الاسلام وبين ما تسميه انتظار المهدى الذى يتجسد فيه محمد عليه السلام

وترى قبل ذلك أنها تمهد لمقالها فتقول : « فى كل يوم من أيام الجمعات يقف خمسة وعشرون ألفاً من رعايا الولايات المتحدة خاشعين مكتوفى الأيدى متوجهين إلى الشرق يصلون إلى الله ويسألونه قرب ظهور المهدى المنتظر . فإن أبناء الإسلام هؤلاء قد حافظوا على عقيدتهم الغامضة فى رجعة مسيحهم كمحافظة المائتين والخمسين مليوناً من إخوانهم الموزعين بين مراكش وجزائر سنداى وبين مدغشقر وأرض المغول »

فأين العلم بالإسلام وبنهضة المسلمين ممن يكتبون هذه الكتابة وهم محسوبون بين أبناء وطنهم ممن يحسنون الخوض فى هـذه الشؤون ؟

على أن الجهل بالأخبار الواقعة لا يقـل عن الجهل بالعقائد النفسية والشعائر الدينية ، فقد كتبت مجلة أمريكية أخرى اسمها « أخبار الأسبوع » تقول بعنوان : (الخليفة فاروق) :

« لما دخلت تركيا الحرب فى سنة ١٩١٤ أعلن السلطان عبد الحميد (هكذا) باعتباره خليفة المسلمين الدعوة إلى الجهاد أو الحرب المقدسة على الحلفاء الكافرين ، وقد فشلت هذه الدعوة ولكنها كلفت بريطانيا العظمى وفرنسا وهما تحكمان مائة مليون وستة ملايين من المسلمين نفقات جمة فى مقاومتها بدعوة أخرى ، وبذلت الدولتان تلك النفقات وهما خائفتان .

« ثم ألغى كمال أتاتورك الخلافة فى سنة ١٩٣٤ بعد إقصاء السلطان .

« ثم قام موسولينى ينادى بأنه حامى الإسلام ويستثير العرب على بريطانيا العظمى فى فلسطين وغيرها من البلاد . وشاع أنه أراد بعض حكام العرب من أصدقائه على أن ينصب نفسه للمبايعة بالخلافة ، وإن كان الأمل فى نجاح الجهاد اليوم أضعف من ذلك الأمل فى سنة ١٩١٤ مكتفياً بما تستطيع تلك الخلافة من المضايقة فى بعض الأحوال » .

وبعد أن أشارت المجلة إلى منافسة بريطانيا العظمى فى هذه الحلبة قالت ما خلاصته أن صاحب الجلالة الملك فاروق بويع فى الأسبوع الماضى بالخلافة فى مسجد قيسون العظيم ، وأن خمسمائة ضابط هتفوا لجلالة الخليفة الفاروق! وأن أمراء العرب شهدوا ذلك الحفل كأنما كان شهودهم إياه من قبيل المصادفة .

***

هذه أمثلة من جهلهم بعقائد المسلمين وأخبار بلاد المسلمين ، وهم يهتمون جد الاهتمام بنهضة المسلمين .

ويرجع هذا الخلط إلى أسباب : بعضها مقصود ، وبعضها غير مقصود .

فمن الأسباب ما هو مقصود لأغراض سياسية أو تجارية كتمثيل المسلمين فى صورة تسوغ للدول المستعمرة أن تعاملهم معاملة المتأخرين الذين لا يصلحون لقوانين الحضارة وقواعد الحرية

ومن الأسباب ما هومقصود لأغراض فنية ونعنى بها الرغبة فى التأثير والإغراب وتشويق القارىء إلى العجائب التى لا يألفها فى بلاده وبين أبناء وطنه . ومن الكتاب الغربيين من يتعمد التحريف فى أخباره لأنه يخشى أن « يخيب أمل » القراء فيه إذا أصغوا إليه ليحدثهم عن شعوب الشرق وأحوال الإسلام فإذا هو يحدثهم بما يألفونه ولا يستغربونه ولا يحققون به تلك الصور المزخرفة التى طالما تخيلوها وحلموا بها وهم يقرأون ألف ليلة وليلة ويستعيدون ما نقل إليهم من أقاصيص الرحالين فى الزمن القديم .

أما غير المقصود من الأسباب فمنشأه قلة الاكتراث وصعوبة البحث وعزلة المسلمين فى العصور الماضية وسماع أخبارهم من جهلاء بينهم لا يفقهون أسرار دينهم ولا يبالون ما يهذرون به عن عقائدهم وعاداتهم ولا يدركون الفرق بين ما تعودوه ودرجوا عليه وبين ما هو من حقائق الإسلام وشعائره الصحيحة .

على أن الذى يعنينا حق العناية هو أن نعلم نحن حقيقة

عمر في بيت المقدس

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ١ —



هذا عام ستة عشر من الهجرة ، وقد انساحت جيوش المسلمين فى الشام والعراق وفارس وألقت أقاليم الشام بالمقاليد إلا فلسطين . وأبو عبيدة ابن الجرّاح يحصر بيت المقـدس ، وقد ملأ الأسماعَ والقلوب بأس المسلمين وعدلهم ووفاؤهم

عزم أهل البيت المقدس أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس — فى عهد المسلمين وحمايتهم وعدلهم ، ورغبوا أن يكون صاحب عقدهم عمر ... عمر الذى ملأت سيرته الآفاق وسكنت إلى عهده النفوس ، واشتاقت إلى رؤيته العيون

وفصل عمر عن المدينة فى جمع من الصحابة ومعه مولاه أسلم. خرج يغذّ السير إلى الشام ليتفقد أحوال المسلمين ، ويصالح أهل فلسطين ...

ويمضى فى طريقه حتى يبلغ أيلة . ويتنظّر الناس موكب أمير المؤمنين يحسبون أنه سيطلع عليهم فى زينته يحيط به جنده ورجاله . والذى رأى منهم هرقل حين فتح بيت المقـدس قبل عشر سنين ، أو شهده من بعدُ فى حلّ أو ترحال ، تخيّل عمر قادماً فى موكب كموكب هرقل أو فى موكب دونه ولكنه موكب ملك أو أمير

ولما دنا عمر من أيلة تنحى عن الطريق وتبعه غلامه فنزل فمشى قليلاً « ثم عاد فركب بعير غلامه وعلى رحله فَرو مقلوب وأعطى غلامه مركبه » . وكأن عمر خاف أن يداخله الزهو وهو على مركبه فى غير زينة فآثر أن يشعر نفسه أنه وخادمه سواء، فتحول إلى رحل غلامه . فلما تلقّاه أوائل الناس قالوا : « أين أمير المؤمنين ؟ قال : أمامكم (يعنى نفسه) . وذهبوا إلى أمامهم فجازوه حتى انتهى هو إلى أيلة فنزلها . وقيل للمتلقين : قد دخل أمير المؤمنين أيلة ونزلها . فرجعوا إليه »[١]

ونظر الناس إلى رجل طويل جسيم أصلع أشقر شديد الحمرة كثير السَّبَلة[٢] فى أطرافها صهوبة وفى عارضيه خفة — رجل لا تقع العين منه إلا على الوقار والتواضع والشدة فى الحق والرأفة بالضعفاء . رأوا ملكاً فى زى ناسك ، وراعى أمة فى صورة راعى ثلة . رأوا إنساناً لا تفقد فيه الإنسانية حقيقة من حقائقها ، ولا يصيب فيه الجبروت باطلاً من أباطيله .

اجتمع الأساقفة والرهبان يرون رجلاً فى يده الدنيا ولكنها ليست فى قلبه ، يملكها ولا تملكه ، ويصرّفها ولا تصرّفه ، ويستعبدها ولا تستعبده . وليس شيئاً أن تكون زاهداً فى صومعة ولكن العظمة كلها أن تكون زاهداً والدنيا تحت قدميك .

« ودفع عمر قميصاً له كرابيسَ قد انجاب مؤخَّرُه عن قعدته من طول السير ، إلى الأسقُفّ وقال : اغسل هـذا ورقعه . فانطلق الأسقف بالقميص ورقعه ، وخاط له آخر مثله فراح به إلى عمر ؛ فقال : ما هذا ؟ قال الأسقف : أما هذا فقميصك قد غسلته ورقعته؛ وأما هذا فكسوة لك منىّ . فنظر إليه عمر ومسحه

(١) الطبرى حوادث سنة ١٧ (٢) طرف الشارب

الغربيين ، لا أن يعلموا هم حقيقتنا ، وينفذوا إلى الصحيح من أخبارنا ومقاصدنا ، وإن كان علمهم بهذا نافعاً لنا كما تيسرت وسائله فى أيدينا .

والذى يبدو لنا من العلم بحقيقة القوم أن العالم الإسلامى خليق أن يعامل كل من يعامله منهم على سنة الإنصاف والمنفعة المأمونة العواقب ، وكل ما ينبغى أن يحذره هو الإصغاء إلى دعاة الشيوعية والإصغاء إلى دعاة الفاشية ، وأن يكون ذنبا فى أعقاب الديمقراطية ، فإذا استطاع أن يمشى مع الأمم الديمقراطية الحرة فى الطليعة فلا عليه بعد ذلك أن يعامل من يشاء على سنة الإنصاف والنظر البعيد إلى عواقب الأمور .

عباس محمود العقاد

ثم لبس قميصه وردّ عليه ذلك القميص . وقال : هذا أنشفهما للعرق[١] » .

— ٢ —

وسار عمر حتى نزل الجابية فى وسط الشام التى غلب عليها هرقل ، ولكنه دخل الجابية كما دخل أيلة . قدم « على جمل أورق تصطفق رجلاه بين شعبتى رحله بلا ركاب . وطاؤه كساء أنبجانى ذو صوف ، هو وطاؤه إذا ركب ، وفراشه إذا نزل. حقيبة ممزقة أو شملة محشوّة ليفا هى حقيبته إذا ركب، ووسادته إذا نزل، عليه قميص من كرابيس . الخ[٢] »

وجاءه رجل من اليهود ، وكان اليهود يرقبون روح الله بأيدى العرب ، ويدعون الله أن يفرج كربهم ويذهب عنهم جبروت الروم بأيدى المسلمين . قال اليهودى : السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء، لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء

وأقبل وفد بيت المقدس إلى الجابية فصالحوا ، وكُتب لهم عهد شهد فيه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن ابن عوف ومعاوية بن أبى سفيان . وأعطوا الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وألا يُكره أحد على الدين أو يضارّ فى شىء

وأزمع أمير المؤمنين المسير إلى بيت المقدس فإذا فرسُه يتوجّى[٣] فأتى ببرذون فركبه ومشى البرذون مِشيته فأسرع وهزّ راكبه فرأى عمر فيها خيلاء فنزل وضرب وجهه وقال : لا علّم الله من علّمك ، هذا من الخيلاء

— ٣ —

دخل عمر بيت المقدس لا مدمّراً مخرّباً كما دخلها بختنصّر ، ولا مضطهداً أهلها كما دخلها الرومان من قبل ، ولا مزهوّاً بفتحه كما دخلها هرقل قبل عشر سنين بعد أن غلبَ الفرسَ على الشام ، ولكنه دخل رافعاً لواء التوحيد والعدل والأخوّة العامة والمرحمة الشاملة . دخل المدينة فسار إلى المسجد ليلاً ومضى إلى محراب داود فصلّى فيه . وطلع الفجر بعد قليل ودوّى الأذان فى أرجاء المدينة المقدّسة لأول مرة — صيحة الحق فى أعقاب الباطل المهزوم ترفعها تباشير الصبح فى أخريات الظلام . وشهد الله لقد كانت فاتحة الخير والسلم والكرامة لبيت المقدس ومن فيه .

(١) كان قميص عمر من الكرابيس أى القطن وكان الأسقف قدم إليه قميصا ناعما وفى بعض الروايات أنه من كتان فلم يرضه عمر

(٢) تاريخ عمر لابن الجوزى

(٣) الوجى : العرج من الحفا

وقرأ عمر فى الركعة الأولى سورة (ص) وسجد حين قرأ آية السجدة : « وظن داود أنّما فتنّاه فاستغفر ربّه وخرّ راكعاً وأناب » . ثم قرأ فى الركعة الثانية أول سورة الإسراء — سورة بنى إسرائيل وفيه وصف ما أصابهم على يد البابليين

ثم تقدم إلى الكناسة — الكناسة التى تراكمت على البيت حين أُخرب وهجر والتى عجز اليهود أنفسهم عن إزالتها حين ملكوا أمر البيت — تقدم إلى القلة المكدّسة على الحرم — تقدم عمر ليزيلها عن البيت كما أزال عن أهله الظلم والقسوة. تقدم أمير المؤمنين وجثا وقال: « أيها الناس اصنعوا كما أصنع وجثا فى فرج من فروج قبائه » ، وإنما فعل عمر ما فعل تكريماً للبيت وتطهيراً وإيذاناً بهذا العهد عهد الطهارة والكرامة

وكبر كعب الأحبار وكبر الناس معه . قال عمر : ما هذا ؟ قال : كبّر كعب وكبّر الناس . قال : علىّ به . فقال كعب : «يا أمير المؤمنين إنه قد تنبأ بما صنعت اليوم نبىّ منذ خمسمائة سنة. فقال : وكيف ؟ فقال: إن الروم أغاروا على بنى إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ؛ ثم أديلوا فلم يفرغوا له[١] حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بنى إسرائيل؛ ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وليت[٢] ، فبعث الله نبياً على الكناسة فقال : أبشرى أورى شلِم ! عليك الفاروق ينقّيك مما فيك . أتاك الفاروق فى جندى المطيع ، ويدركون لأهلك بثأرك فى الروم[٣] »

لقد لبث اليهود خمسمائة سنة ينتظرون أن تطلع شمس الإسلام ، ويأتى الفاروق ليحثو التراب فى قبائه ويأمر الناس بتطهير البيت المقدس

وما فقدوا رعاية الإسلام من بعدها ، إلا تسعين عاماً غلب فيها أهل الصليب فأصاب البيت المقدس ما أصابه حتى استرجعه رجل من رجال المسلمين ، ملك يتشبه بعمر بن الخطاب فى الإشادة بعدل الإسلام ومرحمة الإسلام . رحم الله صلاح الدين يوسف ابن أيوب

ولكن بنى إسرائيل حين رأوا الزمان ينيخ على المسلمين بكلكله لم يأتوا عوناً للعرب والمسلمين، ولم يذكروا فضل الإسلام ولا حفظوا يد عمر ، ولا اعترفوا برعاية المسلمين وحمايتهم ثلاثة

(١) غلب الفرس على آسيا الصغرى والشام ومصر أيام كسرى برويز إلى أن استردها هرقل ؛ وهى الحوادث التى أشير إليها فى سورة الروم

(٢) الطبرى حوادث سنة ١٥

(٣) يعنى رجعت الدولة لليهود فلم يفرغوا لازالة الكناسة عن حرمهم

عشر قرنا ، بل جاءوا يجزون الحسنة بالسيئة ، ويعينون الخطوب على الذين دفعوا عنهم الخطوب ، ويناصرون الأعداء على الذين أنقذوهم من الأعداء ، ويمالئون الذين دنسوا بيت المقدس على الذين رفعوا عنه التراب والرجس والهوان

وليت شعري ما ذا ينقمون من المسلمين والعرب ؟

« يا أهل الكتاب هل تنقمون منّا إلا أن آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم » ؟

« يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإياي فارهبون »

عبد الوهاب عزام

من الفتوة العربية

الشاعر الفارس

أبو محجن الثقفي

للأستاذ أحمد حسن الزيات

— ١ —



كانت (المدينة) يومئذ عاصمة الإسلام ، وعمر الجبار العادل يحمل بيده القوية مشعل محمد فيرسل أضواءه السماوية إلى الجهات الأربع ، والفرسان المسلمون في القادسية يَثُلّون العرش المجوسي ليقيموا على قواعده الكسروية منبر الهدى والسلام . وكانت الجزيرة العربية لا تزال معلقة بين السماء والأرض ، ترفعها الروحية الإسلامية إلى أعلى ، وتجذبها المادية الجاهلية إلى أسفل . وكانت مدن الحجاز الثلاث : مكةُ والمدينة والطائفُ مظهرَ الفتوة العربية ، لأنها مجمع السيادة والقوة ، ومنبع الرفاهة والثروة . والفتوة العربية وإن جمعت أطراف المروءة كانت تدور على ثلاثة الشاعر الشاب طَرَفة ، وهي الحب والشرب والحرب ، ثم تصور كل أولئك بالشعر الغنائي الرقيق . ولم تستطع هوادة الإسلام ولا صرامة عمر أن تكفكفا نوازي الهوى في نفوس نشأت على فتون الجهالة ومرَح الشِّرك ؛ فكان في أبطح مكة ، وعقيق المدينة ، وغزوانِ الطائف « مساحبُ من جرّ الزِّقاق على الثرى » لا تزال معطرة الأديم بمناجاة الحب ، ومطارحة الشعر ، ومناقلة الحديث . وكان وادي العقيق في العاصمة المنورة قلما يفيض دون أن تنتظم على حواشيه الخضر مجالس الشراب وسوامر الأحباب يتساقون في غفلة العيون كؤوس الراح والصبابة ؛ ولكنهم ما كانوا يستطيعون أن يغيبوا عن عيون العَسس(١) ولا أن يفلتوا من يد الخليفة مهما تستروا بالليل وتحصنوا بالبعد

* * *

في صبوة من هذه الصبوات الليلية الجاهلية قبض العسس العُمَري على الشاعر الفارس أبي محجن وهو عائد في ندماه من العقيق يتماوح من السكر وينشد في تطريب وهِزَّة :

إذا مت فادفنّي إلى أصل كرمة ... تُرَوِّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت ألا أذوقها

وأبو محجن – إن كنت لا تعرفه – رجل من سروات ثقيف، درج في رياض الطائف وكرومه ، ونشأ على فتوة أهله وصبوة شبابه ؛ فهو رضيع كأس، وتِبْعُ نساء، ومِسْعَر حرب، وصناجة شعر، وصِنو مروءة. أسلم هو وقومه في أُخريات الناس حين لم يكن من الإسلام بد ، ودخل في دين الله بما ورث وكسب من عادِ الجاهلية ، فأخذ يروضُ نفسه الصعبة على الوقوف عند حدود الله ، فكان يخفق مراراً وينجح مرة ، حتى أقنعه اليأس آخر الأمر

(١) العسس : شرطة الليل يحرسون الناس ويكشفون أهل الريبة

أن لا بأس من الشراب ما دام يطهره الحد[١]، وأن لا ضَير من الحب مادامت تمحصه التوبة !

على ذلك عشق (شموس) الأنصارية وركب إلى رؤيتها المحظورة شيطانه المحتال، فتزيا بزى فلاح وعمل أجيراً فى بستان يطل على دارها، فكان ينعم بالنظر والسمع، وربما تمتع بالسلام والحديث، ثم يعود فيسلسل الماء بين البقول والزهور ويتغنى بمثل قوله :

ولقد نظرت إلى شموس ودونها حرَجٌ من الرحمن غير قليل

وعلى ذلك أيضاً كان يتتبع هو ونداماه رياض الأرضَ، يشربون ويطربون ثم يرجعون إلى المدينة نشاوى من القصف والعزف فلا تنم عليهم عين ولا يشى بهم لسان، حتى ولى الخلافة الفاروق فطارد الجريمة فى كل مكان، وهاجم الرذيلة فى كل مكمن

— ٢ —

دخل العسس بأبى محجن وندمانه على عمر، فسألهم :

— أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ؟

فأجابه لسان القوم أبو محجن :

— كيف حرمها الله يا أمير المؤمنين وهو يقول : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ؟

فوقف صاحب رسالة القضاء من حجة الشاعر موقف الحائر؛ ثم التفت إلى من حوله من صحابة الرسول يستمد رأيهم فى الأمر فاختلفوا فيه. فأرسل إلى علىّ مرجع الفتوى وفيصل الحكم يستشيره، فقال : « إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغى أن يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير. وأرى إن كانوا قد شربوا الخمر مستحلين أن يقتلوا، وإن كانوا شربوها مستحرمين أن يُحدُّوا. فسألهم عمر، فقالوا : والله ما شككنا فى أنها حرام، ولكنا قدَّرنا أن لنا فيما قال نجاة. فجعل يجلدهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إلى أبى محجن، فلما جلده جعل يقول :

وإنى لذو صبر وقد مات إخوتى ولست عن الصهباء يوماً بصابر

رماها أمير المؤمنين بحتفها فخلانها يبكون حول المعاصر

فقال له عمر : قد أبديت ما فى نفسك، ولأزيدنك عقوبة لإصرارك. فقال الإمام علىّ حجة القضاء وولى العدل :

— ما ذلك لك يا عمر. وما يجوز أن تعاقب رجلاً قال لأفعلن وهو لم يفعل. وقد قال الله فى الشعراء : وأنهم يقولون ما لا يفعلون. فقال عمر : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. فقال على : أهؤلاء عندك منهم ؟ لقد سمعت الرسول (ص) يقول : لا يشرب الخمر شاربُها وهو مؤمن.

نجا أبو محجن وما نجا. فإنه أصر على ألا يترك الخمر مخافة العقوبة، وأصرَّ عمر على أن يجلده كلما شرب، حتى أعيا الخليفة أمره وأعجزه صلاحه، فقرر أن ينفيه إلى جزيرة كان ينفى فيها الخلعاء، ووكل به شُرَطياً يصحبه إلى المنفى وأوصاه ألا يدع معه السيف فإنه كمىٌّ فاتك. وعلم أبو محجن بالحكم والوصية، فتزود بغرارتين ملئتا دقيقاً، ثم عمد إلى سيفه فجعل نصله فى غرارة، وغمده فى غرارة. فلما بلغ هو والشرطى ساحل البحر قعدا للغداء، وفتح الغرارة يوهم أنه يخرج الدقيق ولكنه أخرج السيف ! فلم يكد الشرطى يراه فى يده حتى انطلق يعدو إلى بعيره فنجا به إلى المدينة بعد لأى.

وقال الشاعر لنفسه بعد تفكير وتدبير وعزم : لا ينبغى أن يكون المفر من عمر فى الحجاز إلا إلى سعد فى العراق

— ٣ —

وفد أبو محجن على فاتح العراق سعد بن أبى وقاص يوم الكتائب من أيام القادسية؛ وكان سعد قد تلقى من أمير المؤمنين الساهر اليقظ كتاباً يأمره فيه بحبس الشاعر ساعة يفد. ودارت رحى الحرب بين العرب والفرس وأبو محجن مقيد فى قصر القائد، فما كاد يسمع وغاها حتى عصفت النخوة فى رأسه، وثارت الحمية فى نفسه، واضطرب فى حبسه اضطراب الأسد فى قفصه. ثم زأر بهذه الأبيات على مسمع من سلمى زوج سعد :

كفى حزَناً أن تطعن الخيل بالقنا وأُترك مشدوداً علىَّ وثاقيا

(١) الحد : عقوبة الجلد المقررة على الشارب

إذا قمت عنّانى الحديد وغُلّقت   مصاريع من دونى تُصم المناديا
هلم سلاحى لا أبالك إننى   أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا
ولله عهدٌ لا أخيس(١) بعهده   لئن فرجت ألا أزور الحوانيا(٢)

ثم قال يا سلمى : هل لك من خير إلى ؟ فقالت : وما ذاك ؟ قال : تخلين عنى وتعيريننى البلقاء فرس سعد ، والله علىّ إن سلمتُ أن أرجع حتى تضع رجلىّ فى القيد . فترددت سلمى حتى تبينت الصدق فى قوله فأطلقته . وركب أبو محجن البلقاء ثم دب عليها ؛ حتى إذا تنفس الصبح وأشرق يوم أرماث واصطف الناس ، حمل على ميسرة العدو حملة صادقة فانخلعت لها القلوب ، وانخرعت منها الفيلة ، وتضعضعت أمامها الفرس . وعجب العرب أن يكون فيهم هذا الفارس ولا يعرفونه ، حتى قال أحدهم : إن كان الخضر يشهد الحرب فهو صاحب البلقاء . وقال آخر : لولا أن الملائكة لا يقاتلون ظاهرين لقلنا هذا ملَك . وجعل سعد يقول وهو يشرف على المعركة: الطعن طعن أبى محجن، والضَّبْر(٣) ضبر البلقاء ، ولولا محبسه لقلت إنه هو !

وانتصف الليل فتحاجز العسكران ؛ وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ووضع رجليه فى القيد !

وكانت سلمى قد رأت فعله وسمعت قوله فأعجبت بإبائه ووفائه وبطولته . ثم دخلت على سعد وكانت مغاضبة له ، فصالحته وأخبرته بخبر أبى محجن ، وسألته أن يطلقه . فاستخف سعداً ما رأى من فتوة أبى محجن ورضا زوجه ، فدعاه وقال له وهو لا يزال فى حماسة الإعجاب ونشوة الغبطة : والله لا أحبس بعد اليوم رجلاً نصر الله المسلمين على يديه هذا النصر ، ولا أعاقبه إذا شرب . فقال له أبو محجن وقد بدت على محياه سِماتُ النبل ودلائل المروءة :

— وأنا والله لن أذوقها بعد الساعة . لقد كنت أشربها أنفةً من أن يقولوا خاف الحد ، فأنا اليوم أتركها رغبة فى أن يقولوا خاف الله !

احمد حسن الزيات

(١) خاس بالعهد : نكث
(٢) حوانيت الخمر
(٣) ضبر الفرس : جمع قوائمه ووثب

المرأة فى شباب الرسول

للأستاذ توفيق الحكيم



لم يرو لنا التاريخ أن النبى عرف امرأة أو تحرك قلبه لامرأة قبل خديجة. فلقد كانت حياته حتى الخامسة والعشرين حياة الشاب الهادئ ، البعيد عن النساء ، العاكف على عمله ، يرعى الغنم فى الفلاة ويلجأ إلى التأمل العميق . فلم يكن للهو والمرأة حتى ذلك الوقت مكان من اهتمامه أو تفكيره . كل ما ورد مع ذلك من أخبار لهو الشباب أنه قال ذات ليلة لفتى من قريش كان معه بأعلى مكة يرعيان غنم أهلها : « أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان » . ثم خرج . فلما جاء أدنى دار من دور مكة سمع غناء وصوت دفوف ومزامير ، فجلس يلهو بذلك الصوت حتى غلبه النعاس فنام فى مكانه ولم يوقظه إلا مس الشمس. فرجع إلى صاحبه فسأله: « ما فعلت؟ » فأخبره بما كان . وكان هذا شأنه فى كل ليلة من مثل هذه الليالى

كانت العفة المطلقة إذن هى صفته الغالبة ؛ وكان الزهد والحلم والصبر والتواضع ما ميزه عن بقية الشبان ، وما جعل قومه يسمونه « الأمين » .

ما الذى كان يشغل رأس الشاب محمد فى تلك السن ما دام اللهو والمرأة لا محل لهما عنده ؟ أتراه كان يحس فى قرارة نفسه بمصيره العظيم ؟ نعم .

ولعل هذه الفكرة تملكت كيانه وطغت على كل شبابه فلم تتسع حياته فى ذلك الوقت لشىء آخر .

لقد كان هذا دائماً شأن أغلب أولئك الذين انتظرتهم أقدار عظام، وتملكتهم منذ شبابهم مثل عليا وأحلام ، عمرت كل أعوام شبابهم وحلت فيها محل اللهو والمرح .

إن كل شاب يعيش مع شبح امرأة جميلة إلا الشاب الموعود برسالة عظمى فهو يعيش دائماً مع شبح المجد المنتظر .

لعل هذا يفسر لنا بعض الشىء حياة الفتى محمد حتى الوقت الذى لقى فيه أول امرأة أحبها « خديجة » . وإنّا لو تأملنا الأمر ملياً لتبين لنا أنه لم يكن البادئ بالحب . كل شىء يدل على أن الزواج لم يخطر له على بال ، والزوجة والمرأة آخر ما كان يفكر فيه وقتئذ ، فلقد كان يسير فى طريق تأملاته الداخلية وأحلامه العليا، وكأنه لا يمشى على هذه الأرض إلى أن لحظته خديجة ذات يوم ولمست كتفه فأفاق قليلاً ورفع عينيه إليها .

نعم . إنها هى التى كانت ترقبه منذ زمن ؛ وإن لشعورها نحوه جذوراً ممتدة فى أغوار قلبها ، امتداد عرق الذهب فى المنجم العميق . ما مبدأ هـذا الشعور ؟ لعله ذلك اليوم الذى احتفلت فيه نسـاء قريش بعيد لهن ، وكانت خديجة بينهن عند وثن من الأوثان فبرز لهن أحد اليهود ونادى بأعلى صوته: « يا نساء تيماء! إنه سيكون فى بلدكن نبي يقال له محمد ، فأيما امرأة استطاعت أن تكون له زوجاً فلتفعل ! » فقذفته النساء بالحجارة وقبحنه وأغلظن له، إلا خديجة فإنها أطرقت وكأن شيئاً وقع فى نفسها من كلامه .

ثم حدث بعد ذلك أن خديجة — وقد كانت ذات مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام وتستأجر من أجلها الرجال — أرسلت الشاب « محمداً » فى تجارتها وضاعفت له الأجر وأرسلت معه غلامها ميسرة ، فعاد رابحاً ضعف ما كانت تربح التجارة على يد غيره ، لأمانته واجتهاده

وقص عليها عندئذ غلامهـا « ميسرة » وقد راقب محمداً فى رحلته ما رآه من خلق هذا الشاب المستقيم الأمين ، ولعله أخبرها فيما أخبر أن أحد الرهبان قابله ، وأنهما تذاكرا ملياً فى أمر النبى الموعود المسمى « محمد » كل هذا مع ما تشبعت به الأذهان من أساطير النبوة المنتظرة قد ألقى فى روع خديجة أنها أمام شاب لا يبعد أن يكون هو النبى الموعود .

فإذا أضفنا إلى كل هذا أن محمداً كان فتى فى الخامسة والعشرين كريم الخلق جميل المنظر ، وأن خديجة كانت امرأة فى الأربعين، أدركنا أن مثلها كان لا بد له أن يحب مثله . وهل يمكن أن نسمى هذا الشعور باسم آخر غير « الحب » ؟ ذلك الذى يدفع امرأة ذات شرف وثروة أن تبدأ هى الخطوة الأولى نحو فتى فقير يتيم؟ هى التى قد تقدم إليها أكرم رجال قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً ، طلبوها وبذلوا لها الأموال فلم تلتفت إليهم ، وأرسلت تابعتها « نفيسة » دسيساً إلى الشاب محمد تعرض عليه يدها

منبع الحب إذن كان قلب « خديجة » ، ولقد كان هذا الحب سامياً قوياً عظيما فاستطاع أن يفتح قلب محمد وأن يملأه كل تلك الأعوام التى عاشتها خديجة، بل إن الحب لم ينطفئ بموت خديجة، ولقد ظل مكانها من قلبه قائماً دائماً لم تستطع قط امرأة أن تزاحمها فيه .

هـذا هو حب محمد الأول ، وتلك ناحية من نواحى الفضل المجهولة لم يذكرها الناس كثيراً لخديجة بما هى أهله من التكريم والتمجيد .

توفيق الحكيم

أعظم يوم في تاريخ العالم

للأستاذ عبد العزيز البشري



لاشك عندي في أن أعظم يوم في تاريخ العالم على الإطلاق، هو اليومُ الذي هاجر فيه محمدٌ (ص) وصاحبُه من مكةَ إلى المدينة. فإذا كنتَ في حاجة إلى دليل، فسيطالعك بعد قليل.

يرى المستعرضُ لتاريخِ الأديان ودعوةِ الرسل أنها جازت بمراحل ثلاث، طوعاً لتطوّر الإنسان من البساطة والغفلة والوحشية إلى أن أصبح كفؤاً للحياة المفكِّرة المدبِّرة التي تطلب السموّ، وتنشد السعادة في ظلّ الأمنَ والنظام.

الطور الأول:

ففي الطور الأول كانت بعثة الرسل مقصورةً على الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله، والأمر بأمهات الفضائل، والنهي عن كبريات الرذائل، كما كان وعيد المخالفين الكاذبين وتعذيبهم وإرسال العِبرة بهم بالغاً غايةَ الرَّوعة في الفتك والعصف والتنكيل.

فلقد أهلك الله قوم نوح، بعد إذ عصوْه وتحدَّوا دعوته، بإغراقهم أجمعين. قال تعالى: « حتى إذا جاء أمرُنا وفار التنورُ قلنا احمل فيها من كلٍّ زوجين اثنين وأهلَك إلا من سبق عليه القولُ ومَن آمَن، وما آمن معه إلاّ قليل. وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها، إن ربي لغفورٌ رحيم. وهي تجري بهم في موجٍ كالجبال، ونادى نوحٌ ابنه، وكان في معزِلٍ، يا بنيَّ، إركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوي إلى جبلٍ يَعصمني من الماء. قال لا عاصمَ اليومَ من أمر الله إلاّ من رحم، وحال بينهما الموجُ فكان من المغرَقين »: (سورة هود)

ومن هؤلاء المخالفين من أُهلِكوا بالريح العاصفة. قال تعالى: «وأما عادٌ فأُهلِكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية، سخَّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانية أيامٍ حُسوماً، فترى القومَ فيها صرعى كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية. فهل ترى لهم من باقية »: (الحاقّة)

وقال تعالى: « كذبت عادٌ فكيف كان عذابي ونُذُر، إنّا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحسٍ مستمرّ، تنزِع الناسَ كأنهم أعجازُ نخلٍ مُنقعر، فكيف كان عذابي ونُذُر » (القمر)

وأما ثمود فأُهلِكوا بالصواعق والزلازل. قال تعالى: « فأخذتهم الرَّجفةُ فأصبحوا في دارهم جاثمين » (الأعراف).

وقال تعالى: « وأخذ الذين ظلموا الصيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنَوا فيها » (هود).

وقال تعالى: « وفي ثمودَ إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين، فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقةُ وهم ينظرون »: (الذاريات).

أما قوم لوط، فانظر ماذا أُخذوا به من العقاب الشديد. قال تعالى: « فلما جاء أمرُنا جعلنا عالَيها سافلَها وأمطرنا عليها حجارةً من سجِّيلٍ منضودٍ مسوَّمةً عند ربك. وما هي من الظالمينَ ببعيد » (هود).

وقال تعالى: « فأخذتهم الصيحةُ مُشرقين، فجعلنا عاليَها سافلَها وأمطرنا عليهم حجارةً من سِجِّيل، إن في ذلك لآيات للمتوسمين » (سورة الحجر).

ونكتفي بهذا القدر اليسير في الاستشهاد بما كان يُؤخذ به العُصاة الكاذبون من ألوان العصف والخسف والتنكيل والتدمير

وقبل أن نتحول إلى الحديث في الطور الثاني نرى من الخير أن ننبه إلى أن انقسام التاريخ إلى مراحل أو أطوار، ليس معناه أن مرحلة تبدأ من حيث تنتهي سابقتها على الضبط والتحديد، ولا أن التطور من حال إلى حال يحدث دفعة واحدة، بل إن المراحل لَيتداخل بعضها في بعض كما أن التطور لا يكون إلا بالتغير من طرفيه جميعاً بالنقص من هذا وبالزيادة من هذا، حتى يتلاشى القديم ويحل محله الجديد، وهكذا. وكذلك يكون التطور في كل شيء في هذا العالم

الطور الثاني: أما الطور الثاني فمن أظهر مظاهر الترفّق بعض الشيء في النُّذُر، والتخفيف في فنون العقوبات وسعة

الدعوة وتبسط التشريع ، سواء فى العبادات أو فى المعاملات بين الناس . وفى هذا الطور أيضاً كانت تعتمد الدعوة ، بقدر كبير ، على التحدى بالمعجزات ، حتى لقد انتهى هذا الطور بكف العقوبات وتفرد المعجزات

أما الترفق فى النذر والتخفيف فى ألوان العقاب ، فلقد كان هذا التخفيف يتناول الكمّ أو الكيف أو يتناولهما جميعاً . قال الله تعالى : « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون » إلى قوله : « فأرسلنا عليهم الطوفانَ والجرادَ والقُمَّلَ والضفادعَ والدم آيات مفصّلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين . ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادعُ لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنَنَّ لك ولنرسلنَّ معك بنى إسرائيل . فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون » سورة الأعراف

وقال تعالى : « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسرِ بعبادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لا تخاف دَرَكاً ولا تخشى . فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غَشِيهم وأضل فرعون قومه وما هدى » سورة طه

فأنت ترى أن ما أصاب آل فرعون من الجدب ونقص الثمرات وما أرسل عليهم من الطوفان والجراد الخ لم يبلغ من الشدة والروع بعض ما يبلغ العصف والدمدمة والخسف والتدمير . أما إغراق فرعون ومن أتبع بنى إسرائيل من جنده فلعصمة الفارّين من كيدهم وبطشهم ، والأمر لا يعدو هنا وقع الأذى على كل حال . على أن عددهم بالنسبة لجمهرة الكافرين الكائدين جدُّ قليل

وأما المعجزات فحسبك منها معجزات موسى عليه السلام إذ ألقى عصاه فإذا هى حية تلقف ما يأفك الساحرون ، وإذ ضرب بها الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً ، وإذ ضرب بها البحر فانفلق فكان كلُّ فِرْقٍ كالطَّود العظيم

وحسبك منها معجزات عيسى عليه السلام . قال تعالى : « ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأُبرِئُ الأكمهَ والأبرصَ وأُحيي الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين » . (آل عمران)

الطور الثالث : وبعد فإن بمعجزات عيسى عليه السلام ، قد خُتِم هذا الضربُ من الخوارق التى تجرى على أيدى الرسل ، يتحدَّون بها المخالفين المعاندين ، ويثبتون بها أن ما جاؤوا به إنما هو من عند الله ، وكيف لا وقد أيدهم منها بما يخالف سنن الكون وينِدّ على طبائع الخلق

أما بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، ففوق أنها تشارك بعثة عيسى عليه السلام فى تجرُّدها من الأحداث التى مر بك بعض وصفها ، فلا عصفَ ولا خسف ، ولا رياحَ عاصفة ، ولا زلازلَ مدمدمة ، ولا شىء من هذا ولا ما دونه مما يزعج النفوس ويدخل الروع على القلوب — فإن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم تمتاز بأمرين : الأول أنها لا خلاف فيها لسنن الكون ولا مغايرة فيها لطبائع المخلوقات ، والثانى أنها باقية مستمرة لا تنقطع على طول الزمان . وقد عرفتَ من غير شك أن هذه المعجزة هى (القرآن)

وكذلك جعلت الدعوة الإلهية تتطور وتنمو بتطور الإنسانية ونموّها على الأحقاب

***

إذن لقد نضجت الإنسانية أو أصبحت على وشك النضوج ، وإذن لقد تجاوز الإنسان طور القِصَر وبلغ الرشد أو أضحى على شَرَف البلوغ

لقد أضحى الإنسان حقيقاً بأن يُرفع عن نفسه الحجر ، وتُطلق له حرية التصرف فى استئنافه مناهج الحياة . إذ قد تهيأ له لو فكّر وتدبّر ، أن يعرف ما ينفعه وما يضره ، وما يسيئه فى الغاية وما يسره ، وأن يميز بين ما يسعده وما يشقيه ، وما يعزه وما يرديه . فإذا اختلط عليه الأمر أو نَزَعت به العادة إلى الهوى ، نُبِّه ذهنُه ، وحُرِّك فكره ، وضُربت له الأمثال ، وأقيمت له الحجة يصول بها العقل كل مَصال . (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)

(أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ، فبأى حديث بعده يؤمنون) الأعراف

(أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت وإلى السماء كيف رُفعت وإلى الجبال كيف نُصِبت وإلى الأرض كيف سُطحت ، فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) الغاشية . وهذان مثلان مما لا يدركه الحصر مما ورد فى القرآن الحكيم

***

قومي بين الشرق والغرب

للاستاذ محمود غنيم



قومي لأنتم عبرةُ الأقوامِ — هل تُنسبون ليافثٍ أو سامِ ؟
أبناء عمى من نزارَ ويعربٍ — ليسوا بأعراب ولا أعجام
يترسمون الغرب حتى يوشكوا — أن يعبدوه عبادة الأصنام
ما قلدوهم مبصرين وإنما — تبعوا نظامهمُ بغير نظام
للغرب عادات كغازات سرت — فى الشرق مسرى الداء فى الأجسام
إنى رأيت جيوشه لم تغزنا — فى الحرب بل فى ملبس وطعام
لا تأمنوا المستعمرين فكم لهم — حرب تقنع وجهها بسلام
حرب على لغة البلاد وعادها — ليست تُشَنُّ بمدفع وحسام
والشعب إن سلمت له عاداته — ولسانه لم يخش قطع الهام

***

ماصاغ ربك من نضار خالص — شعباً، وشعباً من حصى ورغام
هى محض أوهام أعيذ الشرق من — أم تعيش أسيرة الأوهام
أنى أعيذ الشرق من متمسّح — بالأجنبي لقومه هــــدام
إنْ لامَ غربىٌّ على أوطانه — أمحى بلائمة مع اللوام
وإذا رنا نحو الغريب فإنما — يرنو بمجهر راصد الأجرام
وإذا أعار بني أبيه نظرة — فبمقلة الأعمى أو المتعامى
والعين تخدع ربها . ولربما — خلقت عمالقة من الأقزام

هذه دعوة محمد ، وقد رأيت أن ما سبقها من دعوات الرسل إنما كان مقدمة لها وطريقاً إليها

هى الدعوة التى تسمى بالإنسانية إلى غاية كمالها من طريق إيقاظ العقل ، والفسح فى حرية الفكر ، والتى تسمى بالإنسان إلى غاية سعادته من طريق اعتناق الفضائل ، والتجرد من الرذائل . فبكظم الشهوة ، والعفة ، والرحمة ، والإيثار ، تستطيع هذه المجموعة البشرية أن تعيش على الأرض ناعمة بالرغد والدَّعة والسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق)

ولقد دعا محمد صلى الله عليه وسلم أول ما دعا ، أهلَه وعشيرته من قريش ، فكذبوه وشاقوه وآذوه وأسرفوا فى الكيد له والعَنَت عليه . وكيف له باستعانتهم على بث دعوته ، ونشر رسالته التى أُرسل بها للعالمين ، إذ هم أشدُّ من كفر بها وصدّ عنها ، وبغّض فيها ونفر منها ؟

ولكن يأبى اللهُ إلاّ أن يُتم نورَه . فلقد أسلم أهلُ يثرب وآمنوا بالله ورسوله ، وأعدّوا أنفسهم للذياد عن دينه مهما جشّمهم الأمر من التضحية فى سبيل الله بالأموال والأنفس والأولاد .

هذا شعبٌ قويٌّ بعَدده ، قويٌّ ببسالته ، قويٌّ بإيمانه . يدعو الرسول ليتسلّم زمامَه ، ويتولّى قيادَه ، ليثبّت من الإسلام دِعامَه ، ويرفع أعلامَه ، ويَبسُط فى الأرض حكمَه وأحكامَه . وكذلك يهاجر محمد فى سرّ من معشره العاتين إلى المدينة ، حيث يُعزّ اللهُ الدين ، ويُذل الشرك ، ويفتح اللهُ لنبيه الفتح المبين ، وينصره النصر العزيز

وتعلو كلمةُ الإسلام فى العالمَ ويسود حكمُه أقطارَ الأرض .

ثم لا يمضى أكثرُ من قرن ونصف قرن حتى ينشئ بفضل تحكيم العقل وإطلاق حرية الفكر أزهى حضارة عرفها التاريخ ، تجود فى ظلّها القرائحُ بأجدى العلوم وأندى الفنون ، مما لا تزال آثاره ، ولو على أيدى غير أهله ، نابتةً على وجه الزمان !

أرجو أن تكون أنت أيضاً قد آمنتَ بأن يوم الهجرة هو أعظمُ يوم فى التاريخ

عبد العزيز البشرى

وإذا تنكر للحمى أبناؤه ... فهمو أضرُّ له من الأخصام

* * *

ما بال بحر الروم من يجتازه ... يوماً تنامى سالف الأيام ؟
فإذا به خلق جديد . ما مضى ... من عمره حلم من الأحلام
تتغير الدنيا عليه فكلها ... في عينه نقص بغير تمام
هل تغرق العادات من أربابها ... في ذلك البحر الخضم الطامي ؟
ما اجتاز شرقي عجاجة موجه ... إلا وعاد مزوداً « بعدام »
إن التكافؤ في الدماء فريضة ... ولو أنها لم تأت في الأحكام
وهو القران إذا تخالف أهله ... وطناً فعقدته لغير دوام
كم زيجة ما زال يدمى جرحها ... ومن الجروح ذوابلٌ ودوام

* * *

لا أعرف العربيّ يكشف رأسه ... نحو المجالس مومئاً بسلام
إنْ زيرَ تخرج عرسُه من دونه ... للزائرين بثغرها البسام
بدوارس الأطلال يلحق أمه ... ويرى أباه رابع الأهرام
يعصي الإله . فإن أشارت عرسه ... بإشارة فالقول قول حذام
ويكاد يسلخ نفسه من قومه ... لو تُستطاع قطيعة الأرحام
ويكاد يمسخ خلقه لو كان في ... يمناه قلب معالم الأجسام

* * *

لا أعرف العربي يلوي فكه ... إن همَّ يوماً فكه بكلام
إن فاهَ تسمعُ لكنة ممقوتة ... من فيه سكسونيةَ الأنغام
لفظاً من الفصحى وآخر نابياً ... كالقار ممزوجاً بكاس مدام
لغة إذا قرعت بجندل لفظها ... أذن السميع شكت من الآلام
لهفي على الفصحى رماها معشر ... من أهلها . شلت يمين الرامي
لم يهتدوا لكنوزها فإذا همو ... يرمونها بالفقر والإعدام
الدر في طي البحور مخبأ ... والتبر - إن تنشده - تحت رجام
لن يستعيد العُرْب سالف مجدهم ... ولسانهم غرض لكل سهام
إن يرفعوا ما انقضّ من بنيانهم ... فالضاد أول حائط ودعام

* * *

أبني نزارَ ويعرب أوصيكمو ... بذخيرتين الضاد والإسلام
إن جاءكم باسم الثقافة ملحد ... في دينه فطؤوه بالأقدام
العلم وضع العالمين وإنما الأ ... ديان وضع الواحد العلام
المسلمون على شتات ديارهم ... فرض الإله خضوعهم لإمام
الله بالجُمُعات وحّد بينهم ... وبحج بيت في الحجاز حرام
دين ابن عبد الله دين باسمه ... قبض الرشيد على الورى بزمام
هو دولة كبرى وملك شامخ ... لا محض تكبير ومحض صيام

* * *

إن يُزْهَ شرقي بغير العرب من ... أجداده الأتراك والأروام
فأنا الفخور بأنني لا ينتمي ... لغير أخوالي ولا أعمامي
إن تسألوا عني إلى من أنتمي ؟ ... فإلى رعاة النوق والأغنام
أبغير مجد بني نزارَ ويعرب ... يُزْهى عراقيٌّ ويفخر شامي ؟

« مدرسة الأورمان » محمود غنيم

صيانة العقيدة المحمدية من احتيال النفوس

للأستاذ عبد الرحمن شكرى



نقرأ فى كتب السير عن أناس من السلف الصالح بلغت نفوسهم من الصفاء والتغلب على احتيال الأهواء مبلغاً كان للاسلام حجة أعظم من ألف حجة ودليل من الحجج والأدلة النظرية، وقد بهرت سيرتهم وقدوتهم من عرفها من غير المسلمين فأجلوا ذلك السلف الصالح من أجلها وأجلوا المسلمين من أجلهم ولو أنهم كانوا لا يؤمنون به وامتدحوه كما يمتدح الأب إذا حسنت سجايا ابنه التى بثها فيه . ولكن لا شك أن روح العقيدة الواحدة تختلف فى نفوس معتنقيها باختلاف تلك النفوس ؛ فإن من الناس القاسى والرحيم والكريم واللئيم والشهم والوغد والمقبل على لذات الدنيا والزاهد فيها والوفى والغادر والعالم والجاهل والذكى والغبى ، وقد يعتنق العقيدة الواحدة أناس من كل هذه الطوائف ولكل منهم صفات تغلب على نفسه وتصبغ آراءه وأقواله وأعماله بلونها ، وكأنه لا يرى ولا يسمع ولا يحس ولا يعمل إلا وعليه رقيب من تلك الصفات وهى كالقيود لا يستطيع أن يخلص منها . والعقيدة فى نفس معتنقها كالماء فى الإناء يتخذ شكله؛ فإذا كان الإناء مستديراً كان الماء فيه مستديراً ، وإذا كان الإناء مستطيلاً كان الماء مستطيلاً . وكذلك العقيدة تتخذ شكل النفس التى تعمرها . نعم إن العقيدة تخالط النفس والماء لا يخالط مادة الإناء ولا يحدث به أثراً؛ ولكن الشاهد المحقق أن العقيدة تؤثر فى النفس بعض الأثر ولكنها لا تستطيع أن تحول طبائعها، وإلا لو استطاعت لما وجد بين معتنقى العقيدة الواحدة الطاهر البرىء والمجرم الأثيم والسمح الكريم والوغد اللئيم والذكى الفهيم وذو الفهم البهيم والرحيم والقاسى الزنيم . فالعقيدة فيما هو مشاهد فى الحياة لا تحمل النفوس على أن تتخذ شكلاً واحداً بل تبقى النفوس على محامدها ومساوئها ، وكما تؤثر العقيدة فى النفس بعض التأثير تؤثر النفس فى عقيدتها . ومهما اشتركت النفوس المتباينة فى شعائر العقيدة فهو اشتراك عام لا يمنع اختلاف النفوس فى تفضيل جانب على جانب ومظهر على مظهر من مظاهر الدين ، فشكل العقيدة فى النفس الغليظة القاسية الغبية غير شكلها فى النفس الرحيمة الذكية ، وتتخذ العقيدة الواحدة أيضاً أشكالاً مختلفة فى الأمم والأقاليم والأزمنة المختلفة وهى عقيدة واحدة ذات شعائر ومبادىء لا تتغير . والناس قلما يلتفتون إلى فروق روح العقيدة فى النفوس المتباينة ، وقلما يحسبون حساباً لهذه الفروق بالرغم من أنها قد تجعل الرجلين وهما على عقيدة واحدة وكأنهما على عقيدتين بينهما من البعد مثل ما بين السماء والأرض ، وإغفال هذه الفروق يؤدى إلى الاهتمام بمظاهر الدين أكثر من الاهتمام بروحه ، والدين معناه فى روحه الزكية ، فإن رذائل النفوس قد تستولى على مبادىء الدين وتقاليده وعرفه وأخلاقه فلا تأخذ منها غير المظاهر بل إنها قد تزكى نفسها وتهون أمر تركها روح الدين وحقيقته وأخلاقه بالاندفاع فى نصرة مظاهره والانفعال فى نصرتها وقد يكون انفعالاً لا يخفى العقلُ الباطنُ أنه بسبب أن النفس فى غيظ شديد من أن روح الدين تخالف أثرتها وفائدتها الدنيوية وأنها لا تستطيع أن توفق بين ورع روح الدين وعفته وبين مطالب الحياة فتضحى بورع روح الدين كى تنال الدنيا أو بعض مطالبها حسب استطاعتها ثم تظهر الغيرة على مظاهر الدين الذى ضحت بروحه وورعه وتغتفر تلك التضحية بتلك الغيرة، والنفس فى احتيالها هذا ربما كانت معذورة إلى حد ما إذا لم تغال وتشتط وتقسو وتلوم وتؤذى الناس كى تعذر نفسها لدى نفسها التى ضحت بورع الدين وكفافه وعفته وهى تحسب أنها إذا لم تستطع صيانة روح الدين والتخلق بورعه كى تنال رضاء الله ونعيم الآخرة فهى ربما تنال رضوانه ورحمته ونعيمه بهذا الاحتيال فتجمع إلى نعيم الأخرى الانطلاق فى طلب الدنيا وتكفر عن نبذها ورع الدين

بالاقتصاص من غيرها وتجعل هذا الاقتصاص قرباناً إلى الله بدل أن تجعل قربانها الصفاء والزهد فى الدنايا والعفة عما يتطلبه نيل حطام الدنيا. ولقد قلنا إننا نعذر هذه الروح ونرحمها إذا لم تشتط فى هذه الخطة، نعذرها بعض العذر لضعف النفس البشرية ولضرورات الحياة وما تقهر الحياة النفس عليه من الدنايا، ولأن النفس الورعة التقية قد تتردد فيها بالرغم من ورعها هواجس وخواطر طلب الشهوات لنفسها فتحاول أن تكفر عن تلك الخواطر التى تخشاها بالقسوة على من تحسبه مطيعاً لها ولأن النفس قلما تفطن إلى باعثها على الانفعال فى نصرة مظاهر الدين دون ورعه وتقواه، بل إنها قد تحسب أن الورع هو باعثها وإن كانت لا تتورع، وقلما تفطن النفس إلى أن بين الناس من يستطيعون الجمع بين المجون والقسوة والنباء وبين التدين ونشدان المثل الأعلى بالقول لا بالخلق، وهذه الاستطاعة من مآسى الحياة وربما كانت من ضروراتها المكروهة بسبب ضعف النفوس ونقصها وأوضاع الحياة التى تعيش فيها

فينبغى لمن يريد صيانة روح الدين والعقيدة المحمدية السمحة الرضية أن يحذر عند أدائه فروض الدين وفروض الحياة وأن يحاسب نفسه حساباً عسيراً عند أداء تلك الفروض أكثر من محاسبتها عند إهمالها لأن ألذ فرض وواجب وأطيبه لدى النفس وأحلاه عندها هو الواجب الذى يمكنها أداؤه من أن تؤذى الناس وأن تتشفى بأذاهم من متاعب الحياة وإن كانت لا تفطن إلى ذلك. وما أشد إتلاف متاعب الحياة لصفاء النفوس خفية

فالنفس قد تفضل أداء الواجب الذى يمكنها أداؤه من أذى الناس سواء أكان الذى تؤذيه عدواً أو غريباً عنها وإن كانت تفضل أذى الأول، وأسمج فرض وواجب لدى النفس وأبغضه لديها هو الواجب الذى يتطلب أداؤه ترك شىء من أطايب الدنيا المادية أو المعنوية. والنفس قلما يعوزها عذر تحول به ما تجد فيه سعادة ولذة إلى فرض وواجب.

فنصرة العقيدة الرضية الزكية وصيانة روحها وقدسها من احتيال الروح الدنيوية تقتضى دراسة علم النفس وتطبيقه على النفوس وأعمالها وأساليبها ووسائلها واحتيالها للتوفيق بين القدسية والدنيوية ولو بمخادعة نفسها فلا شىء يقتل أمل الإنسانية فى صفاء الدين وقدس فضائله من احتيال أهواء النفس على النفس وتزويرها الحقائق تزويراً يخلط بين حقد النفس الشريرة وبين الغضب المقدس للحق، ويخلط بين الباعث السامى للنفس والباعث غير السامى، ويخلط بين صيانة روح الدين وبين التكفير عن قتل روح الدين فى طلب الأهواء بالانفعال فى نصرة مظاهره. ومن قرأ تاريخ الأديان فى العالم وجد أن بعض القبائل المتأخرة ترى مخرجاً لغرائزها الوضيعة عن طريق الدين. وفى الأمم المتحضرة يوجد أناس يسلكون فى إخراج غرائزهم التى يستحيون من إخراجها على حقيقتها مسلك تلك القبائل المتأخرة إما لجهل وإما لما يسمى فى علم النفس بالرجعية النفسية إلى صفات عصور الإنسانية الأولى وهذه الرجعية قد يصاب بها حتى المتعلمون وقد تظهر فى أمور كثيرة غير أمور العقيدة.

وهذا غير ما يُخشى على قدسية الدين من رياء المرائين، وأعظم ما يدعو إلى الحسرة والأسف أن ترى روحاً صافية نقية صادقة فى غيرتها على الدين طائعة منقادة لنفس مرائية تبغى حطام الدنيا، وهذه النفس الثانية أى النفس المخادعة عادة تغلب النفس الأولى، الصافية الطاهرة لأن النفس المتلهفة فى طلب حطام الدنيا تخلق لها لهفتها وتخلق لها غيظها وخوفها من فوات الحطام انفعالاً شديداً تحاكى به الغيرة على الدين وقلما تستطيع النفس الصادقة فى تدينها محاكاة ذلك الانفعال الدنيوى الذى تمده الحياة بقوتها لأنه فى طلب أمور الحياة. وقلما تستطيع تمييزه إلا إذا كان لها نصيب من الخبرة بعلم النفس وتطبيقه على أساليب النفوس ووسائلها وهى خبرة لا بد منها لصيانة روح العقيدة المحمدية السامية.

ومن الأخطاء التى يقع فيها المفكرون وغير المفكرين أن يحسبوا أن الإنسان على مستوى واحد لا يتغير من حيث روح الدين فى نفسه ومن حيث فضائله، والحقيقة هى أن النفس الإنسانية فى الحياة كالطائرة الهوائية التى تصادف جيوباً هوائية كثيرة مختلفة الضغط الجوى فتظل ترتفع وتنخفض فجاءة، ولكن كل إنسان يريد أن يستثمر ارتفاعه لمغالطة الناس كما قد يغالطهم فى انخفاضه ويعده ارتفاعاً ويوهم أنه كذلك بقوة الإيحاء. وهو لو قصر المغالطة على قوة الإيحاء لهان الأمر ولكن أشد الضرر بروح الدين أن يتخذه المرء وسيلة للاشادة بعلو قدره وإعلان انحطاط قدر عدوه أو عدو صديقه أو عدو قريبه أو من يعاديه قريبه فيصبح الدين فى نظره قوة دنيوية للكسب كقوة المصاهرة أو المسامرة أو كقوة المال.

عبد الرحمن شكرى

حرارة الإيمان

للدكتور إبراهيم بيومي مدكور



ما أرهب ذلك الجيش السائر والبحر الزاخر والجمع الثائر يخوض غمار المعركة فى عزمة رجل واحد وهمة قلب صادق فلا يلبث أن يكتب له النصر ويفوز بالغلب على من تفرقت بهم الميول والأهواء! وما أروع تلك الرءوس الحاسرة والأجسام شبه العارية تجتمع فى صعيد واحد تسبح الله وتناجيه فلا تخشى بأس حر ولا برد، ولا تألم من صر أو قر! وما أخشع ذلك الناسك الذى حرم نفسه لذيذ الطعام والشراب واستطاب الخشن وغليظ الثياب، وضوي جسمه من طول الركوع والسجود، واحمرت عيناه من البكاء والسهر. كل هؤلاء قد استولت عليهم فكرة وتملكتهم عقيدة، فساروا وراءها طائعين، وائتمروا بأمرها راغبين لا راهبين

وكم من أفكار نسلم بها وآراء نوافق عليها ودعوات نصغى إليها، ولكن طائفة قليلة منها فقط هى التى تنفذ إلى قلوبنا وتمتزج بأرواحنا، فنُصبح طوع إرادتها ورهن مشيئتها، وما ذاك إلا لأن الدعوات لا تتجه دائماً إلى القلب ولا تخاطب كلها الروح؛ فنها ما يرمى إلى غاية مادية يتشبث بها من يرجو أن يساهم فيها بنصيب، ويطمئن إليها من آثر العاجلة على الآجلة. ومنها ما يقوم على الحجة والبرهان والبحث والتعليل، ولغة المنطق لا تلائم الناس على اختلافهم ولا يسمو إليها جمهورهم وعامتهم.

لذلك كان أكثر الدعوات حظاً من النجاح ألصقها بالقلب وأقربها إلى الفؤاد، وبقدر تفاوت الدعاة فى القدرة على تحريك العواطف وإثارة الشعور تتفاوت آثارهم ويزيد أو ينقص عدد أتباعهم، وعن هذا الشعور تنبعث حرارة الإيمان المتأججة، ومن تلك العواطف يتولد صدق العقيدة الباهر، وفى القلب قوى خارقة للمادة وفى الروح أسرار تلين الحديد وتنسف الجبال ولا تبالى بصعاب

هناك ضربان من الإيمان لا سبيل إلى خلطهما ولا إلى إنكارهما: إيمان العقل وإيمان العاطفة، أو إن شئت فقل: إيمان البرهان والتعليل والحجة والدليل؛ ثم إيمان الشعور والإحساس والقلب والروح؛ فى أحدهما هدوء التفكير ورزانة المنطق، وفى الآخر حمية الوجدان ونشاط العاطفة. ولئن كان الأول قد استنار بنور الحجة وقوى على مجالدة الخصوم ودفع الشبه، فإن الثانى ينبعث من قرارة القلب وأعماق الفؤاد ولا يرى نفسه فى حاجة إلى برهنة واستدلال، ولا يأبه مطلقاً بخصوم ولا معارضين.

والدعوات سياسية كانت أو دينية، إنما تقوم إبان نشأتها على معتنقين اتجهوا نحوها بقلوبهم وتفانوا فيها بأرواحهم، فأصبحوا ولا يعز عليهم مطلب ولا تبعد عنهم غاية. وكم سمعنا أن قائداً تسلق مع جنده الجبال واخترق البحار وخاض غمار الشرق والغرب دون أن يتخلف عنه متخلف، أو يقعد عن مناصرته الأتباع والأعوان. وكم روى لنا التاريخ من أخبار زعماء سياسيين أو دينيين كانت إشارتهم وحياً وكلمهم أمراً، إذا ما تحركوا تحركت الألوف المؤلفة، وإذا ما دعوا لبى الجميع. فإذا ما فترت الدعوة وضعفت العقيدة وخمدت حرارة الإيمان الأولى، أخذ الناس يبحثون فى معتقداتهم ويعللون ويناقشون ويعارضون

لهذا كان لا بد لكل عقيدة من غذاء، ولكل دعوة من مواد تلهب الشعور وتنمى العاطفة. وما الطقوس الدينية والصلوات المفروضة والأدعية الخاشعة والذكر الدائم والقرابين المتكررة، إلا وسيلة من وسائل جذب النفوس نحو عالم النور والألوهية والإيمان والعقيدة. وعلى نحو هذا يجدُّ السياسيون فى إقامة الحفلات، وتنظيم الدعوات والمظاهرات، وإلقاء الخطب المثيرة للجماهير. وإذا استطاع الزعيم أن يكون سياسيًا ودينيًا فى آن

واحد، أو بعبارة أخرى، سياسيًا وصوفيًا، توفر لديه كثير من أسباب الغلبة والفوز . وها نحن أولاء نرى زعماء العصر الحاضر يخلطون حركاتهم السياسية بآراء تتصل بالدم والجنسية والدين والعقيدة ؛ فالهتلرية مثلاً نظرية سياسية تعتمد على دعائم روحية وصوفية ، وهذا من غير شك عامل كبير من عوامل نجاحها وتقدمها . ولقد أجادت سبل الدعاية وأتقنت طرق تنظيم الأتباع إلى طوائف وجماعات يميزها زى خاص وشارات معينة ، فزادها هذا تقديساً لإرادتها واستمساكاً بنظرياتها . ولعل أعون شيء على تنمية الإيمان والعقيدة أن يحس المؤمن أنه عضو فى أسرة وجزء من مجتمع ، وأن يشعر المعتقد أن عقيدته ذات سيادة شاملة وسلطان عام . وما نراه من تعصب أعمى أحياناً وغلو فى الدين أحياناً أخرى إنما منشؤه تغلب العاطفة على العقل والرغبة فى أن نحمل الناس على اعتناق كل ما ندين به من أفكار

اختلف علماء الكلام المسلمون — كما اختلف رجال الدين من المسيحيين — فى حقيقة الإيمان ، هل يزيد وينقص وهل هو إذعان قلبي فقط أم هو اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان . وكأنى بهم جميعاً قد تناسوا جانبه العاطفى ، ولو ذكروه ما وقعوا فى كثير من خلافاتهم . فالإيمان على أنه حقيقة وفكرة قد لا يقبل الزيادة والنقص ، أما الإيمان الذى هو عاطفة تتأجج لحظة وتخمد أخرى فثمت مجال فسيح لزيادته ونقصه ، ويتبع هذا طبعاً أن يكون الاعتقاد قوياً أو ضعيفاً جازماً أو غير جازم . ولا شك فى أن الأعمال الخالصة تنميه والأقوال الصالحة تغذيه ، ومن ذا الذى ينكر ما للدعوة والإرشاد من أثر فى تربية النفوس وتهذيبها وما للتقرب والعبادة من قدرة على ربط الأرواح ووصلها بعالم النور والفيض

ولا يضير الاعتقاد فى شيء أن يُدفئه القلب بحرارته ، وتمده الروح بأسرارها . والعواطف كانت ولا تزال ، من أهم بواعث التفكير ودواعى العمل . والجماهير أخضع عادة للغة القلوب منهم للغة العقل والمنطق ، ورب عاطفة قوية أعون على تحقيق غايات سامية من تفكير عميق .

ابراهيم مدكور

عند نك غدهم

للأستاذ عبد المنعم خلاف



الغربيون يبحثون عن غد يشرق عليهم ضحاه وهم فى سلام وطمأنينة على ميراث العلم والمدنية وقد صار نفيساً عزيزاً على الذين بنوه بضياء العيون وحُرّ الدماء وحبس الأنفاس فى المعاهد والمعابد والمعامل ؛ فهم لذلك يخشون فى لهفة أن يهدمه البطر والجشع فى لحظة واحدة فتذهب مدخرات الإنسانية من العلم والمتاع . . . ولا ينفك آباء الحضارة وعلماء الاجتماع يرسلون روادهم للبحث عن غد يوحى إليهم فيه الواقع أن ينشدوا نشيد السلام الذى سمعه الرعاة من السماء ليلة ميلاد المسيح « وعلى الأرض السلام وللناس المسرة » لأنهم وجدوا أن الواقع يكذب هذا النشيد منذ ميلاد المسيح إلى اليوم كما يقول القس إبراهيم سعيد فى جريدة الأهرام عدد ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٨

ونحن المسلمين الذين يتمثل فينا العقوق لأنفسنا وللمدنية ، نرى الإنسانية جاهدة فى البحث عن ذلك الغد ، تشق أمام عيوننا وتشقينا معها ومع ذلك لا نحرك المفتاح فى باب الكنز المرصود العجيب الذى فيه لآلئ الصباح وذهب الضحى ..

وأقسم للحق ولكل حر الفكر ! أننى لا أتكلم كمسلم يقول تقليداً لقول أبيه وأمه وأمته ، وإنما أقولها بعد أن أنضجتها حجج الأيام ونهض بها كل قائم فى الفكر والحياة والزمان !

ولست كاهناً ولا رجلاً يحترف الدين للعيش ينادى على بضاعته

فى الأسواق ... وإنما أنا باحث كسر عنه كل قيد ليظفر بالحق خالصاً من غير تقليد ورجا أن يوفقه قيوم السموات ...

ثم أقسم أننى لا أريد أن أتعلق من يسمون أنفسهم مسلمين ولا أن أسير فى مواكب أناس لا يدرون لماذا هم فيها سائرون ولا يسألون لماذا يسيرون . . . وإنما أتكلم بقلب إنسانى خالص للإنسانية . . . للقطيع الشقى الذى ما ظفر إلى الآن براحته من حل تلك المشكلات الكبرى : الاعتقاد ، والعيش ، والعمل . ولم يتفرغ بعدُ للقبض على مفاتيح الطبيعة التى خوله الله إياها لأخذ أسرارها المخبوءة فيهـا حتى تصعد بها روحه إلى السماء فى سلام ورضا

إلى الآن لم يظفر ذلك المخلوق التائه بنعمة الاستقرار وإتاحة الفرصة لعلمائه أن يجاهدوا فى الكشف عن عرائس أحلامه ؛ لأن كباش القطيع لا تزال تتهارش وتتغنى بمجد الأنياب والأظفار . لا تزال خيلاء المجد مجد الديكة المتنفشة المزدهية تسوق الناس فى ضباب من الشعر إلى الجحيم .. حتى المسلمون قد أخذهم الهول من كل جانب وغشى ضباب الزمان وضلال الإنسان على عيونهم فنسوا ما بين أيديهم من العواصم ... نسوا مضخات الحريق واندمجوا فى المحترقين ...

ما الذى نملكه لإصلاح غدنا وغد الناس ؟

سأجرد الأهم من التركة فاقرأوا الأسماء :

نملك اعتقاداً صافياً ليس فيه شىء يفسد على العقل الإنسانى ألفته ؛ إذ أن إلهنا هو إله الطبيعة الذى يدرك العلماء والحكماء والفلاحون السائرون على الفطرة أسماءه وصفاته كما ندركها نحن .

ونملك سماحة فى النظر إلى القاصرين الذين لم يدركوا إدرا كنا ولم يعتقدوا اعتقادنا . لا نحمل أحداً على ترك دينه إلى ديننا كرهاً.

ونملك فهماً واسعاً وتقديراً جيلاً لجهود المجاهدين من الرسل السابقين كتقديرنا لرسولنا .

ونملك سلاماً عميقاً فى أرواحنا ننشد له فى صلواتنا نشيداً لم يترك جهة من جهات الحياة إلا ألقى عليها الأمان والدعاء : فسلام على النبى ، وسلام على العباد الصالحين للحياتين ، وسلام على النفس وإيحاء لها به فى هذا الموقف العظيم بين يدى رب الحياة ودخول فى السلم كافة وجنوح إليها مع الجانحين ، وتحية بيننا سلام .

ونملك كتاباً تنزل آياته دائماً من السماء ... لأن صور الدنيا وحرب الخير والشر وتقلبات النفس فى الهدى والضلال ومظاهر المجتمع وظواهر الطبيعة هى مادة ألفاظه وهى مادة الحياة .

ونملك حلاً دائماً لمشكلة الفقر والغنى مشكلة المجتمع ... مادة الدمع والدم، مادة الدعوات والأحزاب، مادة الثورات والحروب.

ولا ندين بعصبية جنسية ولا دموية ولا لونية . ولا نقدس الوطنية والمحلية هذا التقديس الوثنى الضيق .

ونملك الرحمة بكل حى ذى كبد رطبة إنساناً أو حيواناً، عدواً أو صديقاً .

ونملك تقديس حريات الحياة فلا يهدر حق نفس فى نظامنا إلا بحق الحياة .

مأمورون بصداقة الطبيعة لأنها باب ربنا ومصدر علومنا وأستاذ عقولنا ...

أخلاقنا هى كل ما يرفع النفس ويسمو بالحياة .

محرماتنا هى كل ما يفسد الجسم والنفس .

اللذات الطيبات وزينة الحياة هى عندنا أعمـال دينية إذا ذكرنا فيها اسم رب الحياة ، واستحللناها بكلمته وإذنه ، ونظرنا إليه فى متاعنا بها كما ينظر الأطفال إلى أبيهم وهم يأكلون وينعمون !

العلم عندنا تعبد ، لأنه يرينا يد الله فى كل شىء ... ويجعل لنا الطبيعة محاريب دائمة لصلاة الفكر .

***

هذا هو ميراثنا مضغوطاً فى ألفاظ معدودة يضعها كل مسلم حقيقى فى عقله وقلبه . ثم يسير فى الحياة عاملاً ساعياً للمجد والحق إلى أن تخرجه من الدنيا اليد التى أدخلته إليها ...

أفلا يرى كل عاشق للفكر والحق والسلام والصلاح أنه مضطر إلى أن يقف فى صف الحراس لهذا الميراث ، وأن يجاهد فى سبيله ما وسعه الجهاد ؟

أفلا يرى كل من يحس بنفسه ، ويفكر فى وجوده ووجود دنياه أن راحته النفسية وألفته العقلية ، ونوازعه الشريفة تتطلب منه أن يقدم جسده ليكون ثوباً لهذه المعانى تلبسه وتسمى به ، وتبطش فى حرب الخير والشر ؟

أيها الملحدون من أبناء المسلمين !

هل آن لكم أن تعيدوا النظر بهدوء فى مفردات هذا الميراث لتروا أننا لسنا مخرفين ولا هارفين ، وأننا لم نعشق خيالاً ، ولم نضع ضلالاً ؟

ألا ترون أن الجهاد فى هذا السبيل إنما هو جهاد للانسانية

لا لعصبية جنسية ولا لغايات اقتصادية ، وأن خير ما تقدمونه للغرب الآن مكافأة له على جهوده فى سبيل العلم هو هذه المعانى الإسلامية التى يحتاجها بالذات ، ويرسل من أجل مثلها رواده ويرصد أرصاده ؟

إن الغرب كفر بالدين لأسباب تعلمونها ... وليست هذه الأسباب فى الإسلام ، حتى تكفروا به . وإن أفق الإسلام هو نفس الأفق الذى تتجه إليه حياة الفكر والحكمة والحرية .

وإن أصول الإسلام هى خلاصة الاتجاه الدينى فى نفس الإنسان منذ فجر التاريخ إلى الآن، هى أصول ثابتة فى الأرض فارعة فى السماء ثبات الحق والعقل .

كل ما فى الغرب جاءنا وعرفناه ؛ فما كان فيه من خير وجدناه فى ميدان الإسلام ، وما كان فيه من نقص وجدنا كماله فى الإسلام . فماذا يحملنا على خلعه وإهداره إلا الضعف والسفه ؟ ما الذى يحملنا على السير وراء قافلة ضائعة فى بيداء ونحن فى الطريق الواضحة التى عليها صُوًى وأعلام ؟

ربما يكون السبب فى تمرد بعض النفوس على الإسلام أن كثيراً ممن ينتسبون إليه الآن هم لعنات مجسمة تجمع القبح والجهل والسوء وتمشى فى الأرض مشى الطاعون ...

ولكن لأجل هذا يجب أن نجاهد ... لأجل إنقاذ الإسلام من هـذه الأجساد التى تلتصق به كما تلتصق القاذورات بمحراب جميل يجب أن نجاهد ...

نريد أن نخلصه من المنتسبين إليه زوراً ونعرضه على الجاهلية كأنه حقيقة تاريخية ضائعة قد عثر عليها باحث منقب فى بطون الكتب والأسفار أو طبقات الأرض .. أجل، من مصلحة الإسلام أن يدرس على أنه نظرية ليس لها أناس يتبعونها وأن محمداً صاحب الإسلام قد ظلم فى الماضى أكبر ظلم وقع على رجل فى التاريخ ! فلقد شوه الجهلة والمتعصبون والمجرمون اسمه فى أوربا كتشويه اسم الشيطان ... كل هـذا لأنه نبى رسول من الله ! والمسلمون الآن يشوهون اسمه بالجهل والذل ...

وأقسم بالعدالة ! إن محمداً لو لم يكن رجلاً إلهياً ممدوداً بوحى الله ، وكان رجلاً بشرياً من أبطال التاريخ كالاسكندر أو سولون أو نابليون أو هولاكو ... إذاً لحظى من تقدير الأوربيين بما لم يحظ به بطل ...

إن ذكريات ابن سينا والفارابى والزهراوى وابن رشد والبتّانى وغيرهم يحتفل بها فى مجامع أوربا ويدرس تاريخها بنزاهة مع أنها ثمرات ضئيلة من ثمرات محمد ... ولـكن محمداً رجل الخير المطلق والحق المطلق لا تقام لذكرياته حفلات وجمعيات ، وإنما تلصق به كل شنيعة وعضيهة ...

بل لقد ظلم من كثير من أتباعه أيضاً ؛ لأنهم صاروا يحسبونه رجلاً من رجال الآخرة فقط ... يعد النفوس للموت وما بعده ولا يعدها للحياة هنا ، فاتخذوا القرآن أوراداً وتسابيح وتعاويذ وتمائم ، وتركوا التفكير والعمل بما فيه من آيات القوة والمجد والعزة والإعداد لهذه الحياة الدنيا ... وافتتنوا ببضائع الفكر المجلوبة من الغرب كما افتتنوا ببضائعه المادية كالأحذية والخمور ...

ولكن روح الحق لا تموت ، وعين العدالة الإلهية لا تنام ، وما كان الله ليضيع إيمان الناس وهو الذى تعهدهم بالرسالات كلما ضللتهم قوى الشر عن طريقه . ولذلك ابتدأ يزلزل عناوين النظم الأوربية ويضرب بعضها ببعض أمام أعين المسلمين حتى يعود لهم يقينهم بثبات عناوين الإسلام

ولا يزال روح الحق الذى تمثل فى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجذب إليه الأفكار الحائرة والقلوب الضالة التى تبحث عن الحق والسلام . فتقيم له موازين الإنصاف بعد الإجحاف . ويخطئ من يظن أن الإسلام قد انقضى عهد عزته فى القلوب والعقول ، فإن عزة الإسلام لا تكون إلا فى أيام العلم والحرية ، ولا يذل إلا فى أيام الجهل والاستبداد

ها نحن أولاء نرى من سير التاريخ الحاضر أنه كلما تقدم الزمان بالمسلمين خطوة إلى العلم والحرية ، تقدم بالإسلام إلى الحسنى

إن رسالة محمد ليست تبنة تذهب فى الريح أو ورقة جافة تحرق فى موقد ، أو بدعاً من بدع الزمان يذهب بذهاب جيل وفناء قبيل وإنما هى مَرَدُّ الحق والخير وخلاصة جهاد الذين جاءوا بهما إلى الناس من عهد آدم إلى يومهم هذا

وإن الذين يعرفون ما فى الإسلام من سعة وعمق واستيعاب يدركون تماماً أنه إنما يليق لمثل هذه الأزمنة التى نعيش فيها وما بعدها أكثر مما كان يليق بالأزمنة الماضية

وإن ما فيه من الحرية والمساواة والأخوة والتسامح والسلام والفكر لا يمكن مطلقاً أن يفهم فهماً صحيحاً إلا على ما فى عصرنا الحاضر من تجارب . فعلينا أن نفهم ونؤمن به ونعمل له عمل المتقدمين

« بغداد – الرستمية » عبد المنعم محمد خلوف

من التاريخ الإسلامي

هيلانة ولويس

للأستاذ على الطنطاوي



كل شيء ساكن سكون الموت ، مظلم ظلمة القبر !

ولقد أسدل الليل فروعه السود ، فغطى على المعركة اللافحة الأوار ، وأخفى هذه الساحة المفروشة بالجثث ، وهذه الأصلاد المصبّغة بالدم ، وأرخى الستار على مشهد من أروع مشاهد المأساة التي يمثلها الإنسان أبداً على مسرح الوجود فيلبس فيها جلد الذئب وأظفار السبع وأنياب الثعبان ... فسقط جنود المعسكرين صرعى الجهد والكلال ، وهجعوا كالقتلى لا يحسّون ولا يحلمون ، وأمست خيامهم ومنازلهم جامدة لا حياة فيها كهذه الصخور الصمّ التي تحيط بها من كل جانب ...

وتلك هي الحرب ، آفة الحياة ، وعار الإنسانية !

تلك هي الحرب : تنفجر الأذهان بالعلوم والمعارف ، وتنفرج الأيدي عن الصنائع والمصانع ، واللطائف والزخارف ، وينفق الوالدون النفس والنفيس لتنشئة الأولاد وتهذيبهم ، فإذا استكمل البنون الفتوة والقوة ، وأزهرت الفنون وتقدمت ، وارتفعت المصانع وسمت ، وأخذت الحياة زخرفها وازّينت ، جاءت الحرب فأودت بذلك كله ، فجعلته حصيداً كأن لم يغن بالأمس ...

فياويل الحرب ... ويل لها ما لم تكن دفاعاً عن شرف أو حياة أو دين !

***

كل شيء ساكن سكون الموت ، مظلم ظلمة القبر ، إلا خيمة في معسكر النصارى نائية ، ينبعث من شقوقها وفرجها ضوء خافت ، ويسمع من جوفها همس ضعيف ، لو أنت أصغيت إليه لسمعت صوت امرأة تتكلم بلسان الإفرنج تقول لصاحبة لها :

— ماذا يشجيك الليلة ياهيلانة ، وما الذي جدّد أحزانك ، وهاج آلامك ؟ أفزعت من هذه المعارك العابسة التي جئنا نخوضها ونصلى نارها دفاعاً عن (قبر ...) المسيح ؟ أم هو الحزن على لويس قد خامر نفسك ؟ لا تحزني يا هيلانة فقد كان مقدراً عليه هذا المصير ؛ ولقد عرفه ومشى إليه مطمئناً راضياً ، فاصبري يا أختاه ، فإن لويس في السماء . ألا يسرّك أنه مات في سبيل النصرانية ؟ فلا تدعي اليأس يخالط نفسك القوية في هذه الساعة التي تحتاجين فيها إلى الصبر والجلد !

وسكتت المرأة وعاد السكون يغمر الدنيا ... ومضت فترة طويلة لم يسمع خلالها نبأة ، ولكن النور الضعيف لبث منبعثاً من شقوق الخيمة ... ثم ظهر القمر يطل على الدنيا بوجه شاحب كأنه وجه عليل مدنف ، أو ميت محتضر ، وأبدت أشعته الكليلة ما كان الليل قد ستره ، فبان من خلالها ذلك المشهد الوحش المرعب وقد زاده شحوبها وحشة وهولاً ... فخرجت المرأة من الخيمة وجلست على مقربة منها تتأمل وتفكر ، وكانت في الثلاثين من عمرها ، ذات عينين زرقاوين واسعتين ، وشعر كستنائي اللون ، وبشرة بيضاء ناعمة ، وكانت جميلة جذابة ، ولكن في أنفها طولاً ينأى به عن الجمال ...

كانت تنظر إلى تلك الخيام وقد انتثرت على السفوح والصخور ، وتمدّ البصر إلى جيش أعدائها المسلمين وقد احتل القلعات العالية ليحمي أسوار المدينة ويدرأ عنها ، وتفكر في هذه الحياة المروّعة التي تحياها ، فتمتلئ نفسها حسرة على حياتها الوادعة في ماضيات لياليها ، يوم كانت في قريتها المتوارية في حجر صخرة من صخور (الألب) لا تعرف إلا هذا العالم الصغير الذي يحدّه شرقاً منعطف الوادي ، ويحده من الغرب المضيق الصخري

الضيق ، ومن الشمال والجنوب غابة الصنوبر الفتانة وهى تحتضن القرية وتنبسط على السفح الجميل ، وذلك السور الصخرى يطيف بذلك كله ويسانده ويدفع عنه الأذى . لقد كانت ترى من يوغل فى الوادى ، ويحتجب عن القرية فى ملتفاته ومنعطفاته بطلاً من الأبطال ؛ أما هذه الجلاميد ، وهذه الذرى المشرفة على القرية ، فلم تفكر يوماً من الأيام فى البحث عما وراءها ، ولم ترتق بفكرها إلى أعاليها لتفكر ماذا فيها ... فكيف طوّحت بها الأقدار فألقت بها فى هذا العالم النائى الغريب الذى لم تكن تدرى به أو تعلم له وجوداً ! وكيف كتبت عليها أن تفقد زوجها الحبيب ، وأن تعيش وسط الذعر والموت ؟

واشتد بها الضيق ، وزاد بها الحنين إلى ماضيها الهانئ ، وصور لها الوهم القرية فرأتها أمامها ، وشاهدت الغابة التى يقطعها فتيان القرية وفتياتها كل صباح ومساء ، ليلغوا العين فيزدحموا عليها ليرتووا من مائها العذب النمير ، ويذهبوا ظمأ أجسامهم ، وليرتووا من العيون الأخرى فيطفئوا ظمأ نفوسهم إلى الحب ... فذكرت كيف عرفت فتاها الحبيب ، وقد رأته أول مرة على باب داره تلقاء الغابة ، فأحست كأن عينيه قد اخترقتا شغاف قلبها ... ورأته بعد ذلك فى الغابة ولكنها لم تجرؤ أن تكاشفه بحبها ... وهل تجرؤ على مثل ذلك فتاة ؟ حتى كان ذلك اليوم السعيد الذى يمرّ فى موكب حياتها بهيًّا مشرقاً ، على حين تمر أيامها الأخرى شاحبات غائمات ... فجلست معه تحت تلك الشجرة المنعزلة أحلى مجلس فى حياتها ، إذ قد أعلن فيه مولد الحب بقبلة مسكرة لا تزال تحس طعمها فى فيها ، وأثرها على شفتيها ...

لقد كانت سعيدة فى هذه القرية ، تعيش فى جنة الغرام ، لا تعرف إلا قلبها وربها ، فهى تصبح فتمشى إلى الكنيسة لأنها لم تعرف لله بيتاً خيراً منها ، فتتوجه فيها إلى الله بالصلاة التى حفظتها ... وتمشى فتطوف فى الغابة يدها فى يد الزوج الحبيب ، حتى تبلغ كنيسة حبها تحت الشجرة المقدسة ، فتؤدى فيها صلاة الحب على دين الغرام ، قبلة فيها (كما قال ابن أبى ربيعة) خمر وعسل !

كانت القرية كلها فى أمن ودعة ، حتى نزل بها ذلك الرجل ، فنزل بها البلاء ، وهبطت المصائب ، وتعكرت حياتها الصافية كأنما هى بركة ساكنة ألقيت فيها صخرة من الجبل ... كانت القرية فى ذلك الصباح مستلقية فى فراش أمنها ترشف بقية أحلام الليل اللذة ، تنهض مع الشمس فتعمل على تحقيقها ، وكانت الغابة تصلى وقد شمرت أشجار الصنوبر للعبادة عن سوقها ، ووقفت بين يدى باريها صفوفاً للصلاة ، وقامت الطير تتلو صلواتها على منابر الأغصان ، ووقف الورد والزنبق فى الحدائق خاشعاً مصلياً ، وسبّحت السواقى بحمد ربها فكان لتسبيحها وسوسة دائمة جميلة ، وأصاخ الجبلان وصمت الوادى ... فلم يفسد هذه الصلاة الخاشعة فى معبد الطبيعة إلا صرخة تدوّى فى الوادى ، يحملها صوت مبحوح ، كأنه صوت جريح ينضح صراخه بدمه ، فيسمع الصوت أحمر قانياً يقطر دماً . وتوالت الصيحات الحمر ، وازدادت شدة وهولاً ، فحملت الذعر إلى بيوت القرية وأرباضها وأوكارها وأبدلت بصباحها الباسم صباحاً كالح الوجه مربداً قبيحاً ، وذهب القوم يستقرون الصوت ويتقصونه ، فرأوا قساً من القسوس مكشوف الرأس ، منفوش الشعر ، قد لبس المسوح ، وطفق يلقى عليهم باللاتينية تارة وبالفرنسية تارة أخرى ، ما يفهمون ومالا يفهمون ؛ وكان يمر فى كلامه (الخطر الداهم) و (المسيح) ثم عرض عليهم صورة (القبر المقدس...) الذى ينزل عليه النور ، والذى يحجون إليه ويتبركون به ... وقد قام فارس من فرسان المسلمين ، فوطئه وأهانه وجعل الفرس يبول عليه[1] ... وكان يعرضها باكياً نادباً ناتفاً لحيته ، منذراً بفناء النصرانية وضياع الدين ، ويدعو إلى إنقاذ (القبر...) من أيدى (الكفرة المسلمين...) فذهب الهياج بالعقول ، وأطار الأفئدة ، وألغت الحماسة النطق ، ونسى الناس كل شىء إلا هذه النار التى سرت فى العروق ، ومشت إلى الدماغ فألهبته ، فنهضوا يتبعون الراهب إلى حيث لا يعلمون ، إلى إنقاذ (قبر المسيح ...) من أيدى (الكفرة المسلمين ...) الذين أهانوه وحقروه ! ...

وكانت هيلانة وزوجها من المؤمنين ، فلما قالوا لهما إن المسلمين أكلة لحم البشر ، وإنهم ذئاب الإنسانية ، وإنهم عدوا على المسيح .. نهضا يدفعهما الإيمان الذى عبث به القسوس ، واستغلوه وأوقدوا فى أبناء آدم هذه الذبحة المروعة ، فأخذا الطفل الوليد وسارا مع الجموع — نحو بيت المقدس ...

(١) كذا جاء فى التاريخ .

وعاودتها ذكرى زوجها الحبيب ، فانفجرت باكية ، فأيقظ صوتها صاحبتها فخرجت تراها ...

— مالك يا هيلين ؟ لماذا تبكين ؟ لم لم تنامى ؟

فلم تجب واستمرت تبكى ، فعادت ترفه عنها وتواسيها .

— ماذا عراك يا هيلانة ؟ أجيبى ، كلمينى ، لا تقتلى نفسك بسكوتك .

— لويس !

وخرج اسمه زفرة متصعدة من أعماق القلب ، غارقة بالدمع ، وعادت تبكى .

— اصبرى يا أختاه . إنه فى السماء ، ثم إن عندك لويس الصغير ، ألا تسمعين كيف يبكى ؟ إنه ابنه يا هيلين ، ابن الحبيب ، فعيشى من أجله . أريه ألوان السرور والمرح ، تسعد روح لويس فى سمائها . هاك الطفل يا هيلانة ، ألا ترين أن بكاءك يؤلمه ؟

فأخذت هيلانة الطفل ، تضمه إلى صدرها ، وهى مغمضة العينين ، وتقبله فى عنقه الدافئ ، وتمرغ وجهها فى صدره . ثم تضع خدها على خده ، وهى تهمس باسم لويس ، كأنما تذكر فيه مولد الحب وقبلاته الأولى ...

— ٢ —

وهجعت هيلانة وصاحبتها ، وانطفأ هذا النور الكليل الذى كان ينبعث من الخيمة ، ومرت من الليل ساعات ...

وكان معسكر المسلمين صامتاً مظلماً لا يرى فى خلاله إلا النور الذى يسطع من خيمة السلطان ، وكان الجند نائمين يستريحون من عناء النهار الماضى الذى خاضوا فيه حرباً من أشد ما عرفوا من الحروب ، وبذلوا جهد الجن حتى استطاعوا أن يشقوا الطريق إلى (عكا) المحصورة ، وكان المدد يتتالى على جيش العدو من البحر ، وكاد يجزع المسلمون عندما رأوا الأمداد ، ولكن منظر السلطان ثبتهم ، فقد كان ينظر إلى المراكب تحمل الصليبيين إلى البر ، فلا يثنيه مرآها ولا يدخل الروع إلى قلبه ، بل كان يراها مستبشراً متفائلاً مؤمناً بنصر الله . ولقد خبّر القاضى ابن شداد رفيق السلطان الجند وقص عليهم أن السلطان عدّ بنفسه من العصر إلى الليل سبعين مركباً نزلت إلى البر تنقل المدد والذخيرة فما ضعف ولا اضطرب ، ولا تغيّر اعتقاده بالله الذى يعتقد بأن النصر من عنده . وكان السلطان أشد القوم تعباً لأنه كان يباشر أمور الحرب بنفسه ، وينتقل خلال المركة ، ويعرض روحه للمهالك ، ثم يبيت الليل ساهراً يدبر أمور المسلمين لا يبالى راحته ولا صحته فى سبيل إعلاء كلمة الله .

فى تلك الساعة كنت تلمح رجلين يتقدمان فى الظلام يريدان معسكر المسلمين ، وهما يخطوان بحذر ، ويقفزان على الصخور بخفة ونشاط ، وقد حمل أحدهما هنة صغيرة ملفوفة بخرقة بيضاء قد ضمها إلى صدره برفق، وأحاط بها يسراه بعناية، وأمسك بيمناه السيف مصلتاً خشية أن يفجأه كمين أو يعرض له عدوٌّ فى هذه الظلمة الحالكة، وكانا صامتين . فلما جاوزا (اليزك) ودخلا معسكر المسلمين وأمنا ، وضعا السيوف على الأرض وجلسا يستريحان وقد أبقى الأول حمله على ذراعه وأحاطه بطرف ثوبه مبالغة منه فى العناية به ، وقال لرفيقه :

— ماذا ترى السلطان قائلاً لنا ؟ أتراه راضياً عن عملنا وهو الذى أوصانا ألا نعرض للنساء والأطفال ، وألا نمس الأعزل بسوء ، وأن ندع القسوس ، ولم يسمح لنا إلا بسرقة المحاربين والجند ؟ أفلا تحسبه يكره ما أتينا هذه الليلة ويكون غضبه علينا أضعاف رضاه عنا يوم سرقنا ذلك القائد من فراشه ؟

فأطرق الثانى كأنما كان يفكر فى غضب السلطان ، ويبحث عن سبيل الخلاص من هذه الوهدة التى سقطا فيها ، ثم رفع رأسه فجأة وقد أشرق وجهه بنور الأمل وقال له :

— لماذا يغضب ؟ أليس الله قد أباح لنا أن نردّ العدوان بمثله ؟ أما بدأونا هم بمثل هذا أول مرة ، وروّعوا نساءنا وسرقوا أطفالنا فلما صبرنا عنهم وترفعنا عن مقابلتهم بمثل فعلهم ، ظنوا ذلك عجزاً منا فأوغلوا فى عدوانهم الآثم الدنئ ؟ أفندعهم يفعلون ما يريدون لا نمدّ إليهم يداً ؟

واطمأن الأول إلى هذه الحجة ، فقاما يسيران فى هذه البقاع التى كانت فيما مضى رياضاً زاهرة وتلالاً خضراء معشبة ، فجعلتها الحرب قفراً خالياً ، وقبراً واحداً مفتوحاً ، وألبستها ثوباً دامياً من أشلاء أبنائها ، حتى بلغا خيمة السلطان فوجداها مضيئة فعلما أنه لم ينم ، ووقفا ينتظران الإذن ليعرضا عليه ما جاءا به ، لأنه كان يطلع بنفسه على كل كبيرة وصغيرة ...

ومرت ساعة ومال ميزان الليل وهما واقفان ، فسمعا حركة ورأيا رسولاً يحاول أن يدخل على السلطان وهم يمنعونه حتى أنبأهم أنه يحمل رسالة خطرة مستعجلة لا يجوز تأخيرها ، فخبر السلطان فسمح له وقابله على خلوة لم يكن فيها إلا ابن شداد القاضى ثم خرج الرسول على عجل ، وخرج من بعده ابن شداد معلناً أن السلطان سينام قليلاً ، وكان ذلك فى السحر ... فأيس الرجلان من لقائه وذهبا ينتظران الصباح

ولما كان الصباح ذهب أول الرجلين يلقى القاضى ابن شداد يسأله عن أمر السلطان، وكان صديقاً له ، فحدثه أن الرسول حمل إلى السلطان نبأ مروّعاً هو أن جيشاً من الصليبيين الألمان يزحف نحو الجنوب فى عدد هائل ، فلم يستطع أحد من أمراء المسلمين فى الشمال أن يرده أو يقف فى وجهه فأصبح المسلمون بين نارين

تفكر السلطان فى الأمر ، ثم جمع الملوك والقواد ولم يكن يقطع أمراً دون مشورتهم ، فهبوا من فرشهم ، وجفوا راحتهم فى هذه الليلة العصيبة التى يلتمس الراحة فى مثلها أشد الناس مراساً ، وأكثرهم صبراً ، فلما اجتمعوا عرض عليهم الأمر ، فبذلوا له طاعتهم ، ولكنهم تهيبوا الإقدام على هذين الجيشين ، واضطربوا لهذا الخطب الذى لم يتوقعه أحد منهم ، ولم يكن هؤلاء الملوك والقواد من الجبناء الرعاديد ، بل كانوا أبطال الحومة ، وسادة الجلاد ، ولم يفقدوا الإيمان الذى قابلوا به جيوش أهل الصليب كلها حين جاءت يحدوها التعصب الذميم ، ولا الشجاعة التى ردّوا بها هذه الجحافل الجرارة ، وقسموها قسمين ، قسم مصرَّع على الثرى قد ذهب ضحية العدوان الآثم ، وقسم طائر على وجهه فزعاً لا يدرى أين المحط ، فتصدّع الخميس العرمرم تحت ضرباتهم المسددة وهتافهم المظفر ، كما يتصدع القطيع من الغنم إذا سمع صوت الأسد وأحس أنيابه ... ولم ينسوا طعم النصر الذى ذاقوه، ولا النهاية الماجدة التى ختمت بها الوقائع الماضية التى خاضوا غمرتها ، ولكن لم يكن فى تلك المعارك مثل هذا الخطب العابس الذى حمل نبأه الرسول ... فناضت الحماسة من صدورهم وإن لم تنفد ، وسكنت قليلاً لتستجم وتنهض من جديد؛ أما نفس السلطان فلا تنى ولا تلين ، وحماسة السلطان لا تبلغ منها خطوب الدنيا كلها ، وأنهم لمن العظماء ذوى النفوس الكبيرة ، ولكن أنى لهم بمثل نفس السلطان وخلاله البارعة وبطولته الفذة التى تحققت مرتين فقط فى تاريخ البشر كله: فى عمر بن الخطاب وصلاح الدين الأيوبى ، ولم تعرف فى غيرهما إلا خيالاً يلوح ولا يظهر ، وإشارات تلمح ولا تبصر !

فلما رأى السلطان هيبتهم صرفهم . ولبث وحده مهموماً يفكر ...

قال الرجل : فماذا فعل السلطان كان الله له ؛ كم يحمل وحده من الأهوال التى تخرّ تحتها الجبال ، وتعجز عن حملها الأمم !

قال ابن شداد : جلس يدبر أمره ، ويرسم خطط القتال وهو مهموم قد أخذ منه التعب والنعاس ، وأنا أنظر إليه ليس معنا ثالث إلا الله ، فسألته أن ينام ساعة فيستريح ؛ فظن أنى قد نعست فقال لى : (لعلك جاءك النوم .) ونهض ... فخرجت أمشى إلى خيمتى فلم أصل إليها وآخذ فى بعض شأنى حتى أذن الصبح . فعدت لأصلى معه على عادتى ، فوجدته يمر الماء على أطرافه فقال لى حين نظر إلىّ : (ما أخذنى النوم أصلاً) فقلت : قد علمت . قال : من أين ؟ قلت : لأنى ما نمت وما بقى وقت للنوم

ثم اشتغلنا بالصلاة وجلسنا على ما كنا عليه ، وجعلت أفكر فى أمره وما يحمل من الهمّ وما ورد عليه من الشدة وذكرت أن قتيبة بن مسلم وقع فى إحدى الشدائد وهو يحارب الأتراك وضاق به الأمر ، وتكاثر عليه العدو ، وبذل كل ما يستطيع من القوة والمكيدة فلم يغن ذلك عنه شيئاً . فقال: أين محمد بن واسع؟ قالوا: هو فى أقصى الميمنة جانح على سية قوسه يومى بأصبعه نحو السماء. فتهلل وجه قتيبة واستبشر ووثق بالنصر ، وقال : والله لتلك الأصبع الفاردة أحب إلىّ من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير. فلما فتح الله عليهم قال له : ما كنت تصنع ؟ قال كنت آخذ لك بمجامع الطرق

وذكرت أن قواد المسلمين الذين دوخوا العالم ، وأخضعوا الممالك ، وملكوا الأرض ، لم يملكوها بقوتهم وعددهم وإنما ملكوها بإيمانهم والتجائهم إلى الله ، ورأيت السلطان قد وقف حياته على الجهاد فى سبيل الله ، وباع نفسه من الله ، ولم يقصر فى فريضة ولم يهمل نافلة ، بل كان ينزل حيثما أدركته الصلاة فيصلى ويسمع الحديث بين الصفين ، ولم يعرف عنه ميل إلى دنيا

أو حرص على لذة من لذائذ العيش . فأيقنت أن دعاءه لا يرد ، وأنه هو الولىّ إن عدّ الناس الأولياء، وهو التقى إن ذكر الأتقياء. فقلت له : قد وقع لى واقع وأظنه مفيداً إن شاء الله

قال : وما هو ؟ قلت : الإخلاد إلى الله ، والإنابة إليه ، والاعتماد فى كشف الغمة عليه

قال : وكيف نصنع ؟ قلت : اليوم الجمعة، يغتسل المولى ويصلى ويتصدق بصدقة خفية على يد من يثق به ويدعو الله وهو ساجد فيقول : « إلهى قد انقطعت أسبابى الأرضية فى نصرة دينك ، ولم يبق إلا الإخلاد إليك والاعتصام بحبلك والاعتماد على فضلك. أنت حسبى ونعم الوكيل »

وإن الله أكرم من أن يخيب من يلتجىء إليه !

— ٣ —

وقطع القاضى حديثه ونظر إلى تلك المرأة التى أقبلت تريد خيمة السلطان ، وهى سافرة تصيح بلسان الافرنج وتعول باكية تشير إشارات الفزع المروّع، فأقبل عليها يسألها ماخطبها ...

وكانت هيلانة بذاتها ، أفاقت فلم تجد طفلها فخرجت من الخيمة جاحظة العينين مجنونة تصيح باسم ولدها وهى تعدو على غير هدى، تسير فى كل سبيل تسأل كل من ترى عن ولدها هل رأى ولدها؟ أين ذهب ولدى ؟ ماذا أعمل ؟ ساعدونى . فتشوا لى عن ولدى. أين ذهب ؟ هل مات ؟ من أخذه ؟ أأكلته الذئاب ؟ هل تدخل الذئاب إلى المعسكر ؟ أم قد سرقه اللصوص ؟ آه أين أنت يا ولدى؟ ألا تردونه علىّ ؟ ارحمونى يا ناس . فتشوا لى عن ولدى ...

وانطلقت تعدو فى أرجاء المعسكر ، حتى بلغت خيمة القواد فاقتحمتها ، وهبطت على أقدامهم تولول وتصيح ... فأخذتهم الشفقة بها ولكنهم كانوا عاجزين عن معونتها. فصمتوا ، وبالغت فى البكاء والتوسل ، فرأى قائد منهم أن يبعث بها إلى صلاح الدين

— إن الرجل شهم وشريف ، وفارس نبيل ، وما نحسبه يسد أذنيه دون شكوى امرأة مفجوعة تسقط على قدميه باكية ذليلة ترجوه أن يردّ عليها ولدها الوحيد ... وهو الذى قبض بالأمس على قائد الحملة الفرنسية ، فلما صار بين يديه وانتظر القتل لم ير منه إلا الإكرام والإحسان ، خلع عليه وقدّمه ورفع مجلسه وسيّره إلى دمشق معزّزاً مكرّماً ، فلم يستطع القائد أن يرفع بصره إليه لعجزه عن شكره ، ولخجله من نفسه حين قابل بين صنيع السلطان به ، وصنيعه هو بمن أسرهم من قواد السلطان ...

ووافق القواد على ما وصف به صلاح الدين من النبل والشرف والإنسانية، فسيروا المرأة إليه، فانطلقت تعدو حتى تقطعت أنفاسها وهى تتحامل على نفسها وتعود إلى السعى تريد أن تقطع الطريق كله بوثبة واحدة ترى من بعدها ابنها ، أو يكون فيها حتفها ، وتخشى أن تتأخر لحظة فيصيب ابنها شر ... يا رحمة الله على الأمهات ! وكانت نفسها كالبحر الغضبان لا تستقر فيه موجة حتى يموج موجة أخرى ... وكانت الصور تتردّد على نفسها متعاقبة يأخذ بعضها بأعقاب بعض ، فبينما هى تتصوّر فرحها بلقاء الطفل فتقدم مسرعة ، إذا بها تفكر فى هلاكه فتقف لحظة كأنما لطم وجهها القدر بكفه ، ولكنها تطرد هذه الصورة من نفسها ولا تطمئن إليها، ويعاودها الأمل قويًّا منيراً، ويخالط الأمل خوف وإشفاق ، ثم تمرّ عليها صور من حياتها الأولى تجوز آفاق نفسها بسرعة البرق فتهزها هزًّا عنيفاً ثم تمضى إلى غايتها وترجع صورة الولد فتحتل خيالها كله ...

حتى بلغت (اليزك) فصاحوا بها : قفى . فوقفت تنظر ماذا يريدون ... ولم تكن تدرى ما (اليزك) وما الحروب ، وما جاء بها إلا إيمانها الذى استغله دعاة الشر وسخروها من أجله لمنافعهم فحرموها زوجها وطفلها وجرعوها كما جرعوا الآلاف المؤلفة من البشر غصص الآلام !

وجعلت تصرخ فيهم صراخ اللبوة التى فقدت أشبالها ، وتخاطبهم بالفرنسية :

— ابنى ، ابنى أيها الجند ؟ ردّوه علىّ ، أريد ابنى ، فلماذا تمسكونه ؟ لماذا تعذبون امرأة مسكينة ؟ أين هو ؟ هل قتلتموه ؟ لا ، لا أرى على وجوهكم سمات الوحشية . إنى ألمح الشفقة على هذه الوجوه ، فلماذا لا تردون علىّ ابنى ؟

فلا يفهمون منها شيئاً ، فتعود إلى صراخها حتى جاء رجل منهم يعرف لسانها فسألها :

— ومن هو ابنك أيتها المرأة ؟

— ابنى لويس. لويس. أنا هيلانة. ردّوه علىّ. أريد أن أقابل السلطان.

فأخذته الرحمة فتركها تمر ودلها على الطريق إلى خيمة السلطان فذهبت تعدو

***

قال لها القاضي :

— ولكن السلطان الآن في شغل . يجب أن تنتظري ساعة

— لا . لا . أتوسل إليك ، أخاف أن يصيب ابني سوء ، فدعني أذهب إليه

فقال لها القاضي : اذهبي مع هذا الرجل . وأمره أن يدعها ساعة في خيمة الأسرى حتى يستأذن لها على السلطان ، وينبئه نبأها . وظنت أنها في طريقها إلى السلطان ، فسارت صامتة مسرعة ، فلما دخلوا بها الخيمة ورأت الأسرى ، عادت تصيح وتولول ، فنبه صياحها الأسرى ، واستفاض حتى بلغ خيمة السلطان فبعث يطلبها . . . وكان في أقصى الخيمة أسير اضطرب لما رآها ووجف قلبه ، ولبث بصره عالقاً بها حتى خرجت من حيث جاءت ، فلبث مفكراً مشدوهاً ، تطفو على وجهه خيالات أفكار هائلة وذكريات بعيدة ، ثم تراخى رأسه فأسنده بكفيه ، وظل ساكناً تنطوي جوانحه على البركان ... الذي انفجر بعد دقائق ، فنهض الأسير يصرخ صراخ الوحش الكليم : أريد أن أراها ، أريد أن أراها . . .

وراع صياحه الأسرى وهم يعهدونه وديعاً كالحمل ، فأقبلوا يسألونه ، فلا يأبه لهم ولا يكلمهم ، وأسرع إليه الحراس يكلمونه فلا يجيب إلا بهذا الصراخ ، فرفعوا أمره إلى السلطان وأدخلوه عليه . . . فلما احتواه مجلس السلطان طأطأ رأسه ووقف خاضعاً ، وكانت عظمة السلطان تملأ نفسه إكباراً له ، وكان يحس فيها الشكر الخالص لما رأى من إكرام السلطان في هذه المدة الطويلة التي قضاها أسيراً عنده ، ثم رفع رأسه وجعل يقلب نظره في أرجاء المجلس فوقع على هيلانة وهي راضية مطمئنة وابنها في حجرها ، وهي تنظر إلى السلطان نظرة شكر وحب ، ثم رآها تنهض فجأة فتجثو بين يديه فتقبل قدميه وتتقاطر دموعها ، فيتململ السلطان وينهضها . . . فلم يعد يتمالك نفسه ، فأسرع نحوها على غير شعور منه ، فلما رآه الطفل هتف به : بابا . . . ووقع بين ذراعيه . . . ونظرت المرأة مبهوتة لا تكاد تصدق ما ترى ، وجعلت تنظر حولها لتتثبت مما ترى ، ولتعلم هل هي في يقظة أو في حلم ، ثم صاحت : لويس ! أنت حي ؟

وفهم السلطان القصة فحول وجهه حياء وتركهما يتعانقان...

***

ولما تلفت السلطان وجدهما جاثيين بين يديه يحاولان شكره ، فلا تجاوز الكلمات شفاهما إلا وهي جمجمات غامضة ، فقال لهما :

— إننا لم نفعل إلا ما يأمرنا به ديننا ؟

قالت المرأة :

— أدينك يأمرك بهذا ؟

— قال : نعم ، فإن الإسلام رحمة للعالمين ، للانسانية كلها .

قالت : أفتضيق هذه الرحمة عن امرأة مسكينة ... تحب أن تسعد وتحيا بسلام ، في ظلال الإسلام ؟

فتهلل وجه السلطان ، وقال لها : إن رحمة الله وسعت كل شيء

قالت : كيف أغدو مسلمة ؟

قال : تشهدين أن الله واحد ، وأن محمداً رسول . لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

فنطقت بها ، وتلفتت إلى زوجها فوجدته ينطق بالشهادة .

***

وخرج ويده في يدها يذكران الماضي الحلو ، والقرية الهادئة .

— لقد تركنا البنفسج ياهيلانة مخضراً يانعاً ، فهل أزهر من بعدنا البنفسج فتضوع أريجه في جوانب الحديقة ؟ وشجرة التفاح هل تدلت ثمارها ، وارتخت أغصانها ؟ والعين هل بقيت على صفائها ... أواه ياهيلانة ! هل لنا من رجعة إلى ذلك الوادي السعيد وتلك الغابة التي ولد حبنا في جنانها ونما واكتمل ؟

— لا يالويس ، إنا لن نعود . إن يكن حبنا قد ولد في تلك الغابة ، فإنه قد بعث هنا بعد ما مات . هنا عدت إلي ، وهنا عرفت الله ، وهنا رأيت النبل والطهر والإنسانية ، فلنبق هنا يالويس ... أليست هذه هي الأرض التي ولد فيها المسيح ؟ إننا لم نخسر المسيح ، ولكننا ربحنا معه محمداً !

***

وتقدم الجيش بعد ساعة ، يمشي إلى الظفر مكبراً مهللاً ، وكان لويس في طليعة الجيش !

« دمشق » علي الطنطاوي

النواحي الإنسانية في الرسول

للدكتور زكي مبارك



أعتقد أن شخصية النبيّ محمد لم تُدرس حق الدرس إلى اليوم في البيئات الإسلامية لأن المسلمين يجعلونه رسولاً في جميع الأحوال : فهو لا يتقدم ولا يتأخر إلا بوحي من الله، ولا يأخذ ولا يدع إلا بإشارة من جبريل

ومعنى ذلك أن شخصية محمد في جميع نواحيها شخصية نبوية لا إنسانية

يضاف إلى هذا أن جمهور المسلمين يعتقدون أن النبوة لا تُكتَسب ، وهم يعنون بذلك أنها لا تنال بالجهاد في سبيل المعاني السامية ، وإنما هي فضل يخص الله به من يشاء

وإنما غلبت هذه العقيدة لأن الإسلام نشأ في بيئات وثنية ، أو خاضعة للعقلية الوثنية ، والرسول لم يَشْقَ بين قومه إلا لأنه حدثهم بأنه بَشرٌ مثلهم ، ولو أنه كان استباح الكذب لحدثهم بأن فيه عنصراً من الألوهية لوصل إلى قلوبهم بلا عناء

***

الواقع أن محمداً كان آية من آيات التاريخ ، ولكن كيف ؟ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم . فبنو آدم يصلحون لكل شيء إلا سماع كلمة الحق

أراد الله أن يكون الإسلام إعزازاً للفكرة الإنسانية، ولكنْ بنو آدم يؤذيهم ذلك ؛ لأنهم خضعوا الألوف أو ملايين من الأوهام التي تشل القلوب والعقول

كان محمد إنساناً بشهادة القرآن ، والقرآن كتاب سماويٌ نص على أن محمداً إنسان ، وبنو آدم يؤذيهم أن يتلقوا الحكمة عن رجل يأكل الطعام ويمشي في الأسواق !

وفي غمرة هذه الضلالة نُسيت النواحي الإنسانية في حياة الرسول وإلا فمن الذي يصدق أن رجلاً مثل محمد يضيع من عمره أربعون سنة بلا تاريخ ؟

ولأي سبب ينسى الناس أو يتناسون تلك المدة من حياة الرسول ؟

إنهم يصنعون بتاريخ الرسول ما صنعوه بتاريخ الأمة العربية لأنهم أرادوا أن يخضعوا خضوعاً تاماً للمعجزات ، فالنبي لم يكن رجلاً عبقرياً وإنما خصه الله بالرسالة فكتب له الخلود ، والعرب لم يكونوا أمة قوية وإنما ارتقوا بفضل الرسول

وما يجوز عند جمهور المسلمين أن يقال : إن الله خصَّ محمداً بالرسالة ، لأنه كان وصل إلى أسمى الغايات من الوجهة الإنسانية ، ولا أن يقال : إن الله اختار ذلك الرسول من العرب ، لأنهم كانوا وصلوا إلى غاية عالية من قوة الروح .

***

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أمشي على الشوك وأنا أقيد هذه الفكرة الفلسفية ، لأن بني آدم يحتملون جميع الأفكار ، إلا الأفكار المتصلة بحيوات الأنبياء

ثم ماذا ؟

كان محمد إنساناً قبل أن يكون نبيًّا ، وذلك من أعظم الحظوظ التي غنمها في التاريخ ، فسيأتي يومٌ قريب أو بعيد يثور فيه الناس على الأمور الغيبية ، ولكنهم لا يستطيعون أن يثوروا على عبقرية محمد .

كان محمدٌ في سريرة نفسه إنساناً يخطئ ويصيب ، بدليل ما وُجِّه إليه من اللوم أو العتاب في القرآن ؛ وهو قد خضع للضعف الإنساني فذرف الدمع السخين يوم مات ابنه ابرهيم ، وهو

قد عانى الحب والبغض كسائر الناس ، وهو قد توجع من ظلمات الخطوب، وهو قد تألم من غدر الأصدقاء، ثم لم ينج من الكرب عند سكرات الموت

***

أحبك أيها الرسول !

أحبك لأنك كنت إنساناً له ذوقٌ وإحساس ، ولم تكن كما يصوِّرك الجاهلون الذين رأوا عظمتك فى أن تكون حاكياً لوحى السماء، وما أنكر وحى السماء، ولكنى أومن بأن فى السريرة الإنسانية ذخائر من الصدق والروحانية ، وأنت أول نبى أعزَّ السريرة الإنسانية .

أليس دينك هو الدين الذى تفرد بالنص على أن المرء يتصل بربه بلا وسيط ؟

أحبك أيها الرسول وأشتهى أن أتخلق بأخلاقك السامية . أحب أن أكظم غيظى كما كنت تكظم غيظك . أحب أن أسلم بجهادى من شهوات النفس كما سلمت بجهادك من شهوات النفس . أحب أن أفرَّ من الشيطان كما فررت من الشيطان ، على شرط أن أحب الحياة كما أحببت الحياة

أتدرى لماذا أحبك أيها الرسول ؟

لأنك أول من شرع الديمقراطية بين الأنبياء . ألست أنت الرجل الذى كان يتبذل فى أكله ويقول :

« إنما أنا عبدٌ آكل كما يأكل العبد »

أتدرى لماذا أحبك أيها الرسول ؟

أحبك لأنك جعلت الحرب فى سبيل الحق شريعةً من الشرائع وهى مزية إنسانية ، وكان الأنبياء من قبلك يكتفون بالتفكير فى عجائب الملكوت !

أحبك لأنك أعلنت حبك لطيبات الحياة واحتقرت الرهبنة والانزواء فى المعابدِ والصوامع

أحبك لأنك انتقلت من المعلوم إلى المجهول

أحبك لأنك أعززت الشخصية الإنسانية يوم اعترفت بأنها صالحةٌ للخطأ والصواب

ولكن ما رأيك فيمن يقاومون الحرية الفكرية باسم الغيرة على دينك ؟

ما رأيك فيمن لا يرضيهم أن تكون إنساناً يتذوق أطايب الحياة ويلهو أحياناً بالمزاح المقبول ؟

ما رأيك فيمن يحاربون الفنون والآداب باسم الدين ؟

ما رأيك فيمن يتوهمون أن الشخصية النبوية مجردة من البهجة والأريحية ؟

ما رأيك فيمن يُخرِجون من فردوس العقيدة الصحيحة كل من يتَّسم بسمة الحب لأطايب الحياة ؟

أنت حاربت الزهد ، وحاربت العبوس ، وحاربت اليأس ، ولكن بعض الناس يرون الإيمان لا يكمل إلا عند من يغرقون فى لجج المسكنة والكآبة والقنوط

كنت إنساناً أيها الرسول قبل أن تكون نبيًّا ، وتلك الإنسانية هى التى فتحت صدرك للصفح عن هفوات الناس ، وهى التى جعلتك تنظر إلى ضعفهم بعين العطف ، وهى التى قضت بأن تذوق ملوحة الدمع فى بعض الأحيان

أنت نزهت نفسك عن الشعر ، الشعر المحبوس فى قواف وأوزان ، ولكنى لا أنزهك عن الشاعرية العالية التى تواجه الوجود بنظرٍ ثاقب ، وقلب حساس

وكيف تخلو من الشاعرية وقد خلوتَ إلى مناجاة القلب فى غار حِراء ؟

كيف تخلو من الشاعرية وقد كنت رجلاً خلاً يجيد اقتراع المعانى ؟

أنا أعرف لماذا نزهت نفسك عن الشعر أيها الإنسان الحساس إنما نزهت نفسك عن الشعر لأن الشعراء فى عصرك لم يكونوا عظماء الأرواح

وإلا فأى شعرٍ فاتَك وأنت تدعو إلى التفكير فيما خلق الله من غرائب وأعاجيب ؟

أى شعر فاتك وأنت تجعل السير فى الأرض من واجبات الرجال؟

أى شعرٍ فاتَك وأنت الذى أشار بالأفضلية فى الإمامة لمن وهبهم الله حسن الوجه وجمال الصوت ؟

أى شعرٍ فاتَك وكان شخصك الكريم قيثارة تتغنَّى بمحاسن الوجود ؟

***

الآن عرفتُ لماذا يضن عليك بعض أتباعك بصفة الإنسانية، إنما فعلوا ذلك لأنهم فى ذات أنفسهم لا يؤمنون بعظمة

الإنسانية ، أما أنت فقد رميت بالكفر كل من يريد أن يخلع عليك ثوب الألوهية لأن الله خصك بأجمل مزية من مزايا الإنسانية وهى الصدق

لقد فكرتُ مرات كثيرة من الاقتراب من روحك فلم يعقنى عائق لأن بينى وبينك وشيجةً من الإنسانية

ودعانى الشوق مرة إلى مسامرة خيالك فرأيتك إنساناً كاملاً لا تقع عينه على غير الجميل من شمائل الأصدقاء

وصحبتك مرةً فى بعض غزواتك فهالنى أن تكون رجلاً نبيلاً يصبر على الظمأ والجوع والأذى فى سبيل الحق

وشهدتك وأنت تعانى الكرب من فضول الناس وتزيّد المنافقين وتقوّل السفهاء فعرفت أنك إنسانٌ ممتاز ، لأن الابتلاء بأذى الناس لا يكون إلا من حظوظ الممتازين بين الرجال

وشهدتك يوم الموت وأنت تواسى ابنتك فتقول: «لا كرب على أبيك بعد اليوم » فعرفت أن الكرب فى الدنيا مقصور على عظماء الرجال

شهدتُ من أخلاقك وشمائلك ما شهدتُ ، أيها الإنسان الكامل ، فزدتُ اقتناعاً بأنك على خلقٍ عظيم

ولكن ما هى العظمة فى خلقك ، أيها الرسول ؟

أنت رويت القرآن عن جبريل فيما يقول المؤمنون ، وأنشأت القرآن فيما يقول الملحدون . وهذا القرآن فيه لوم كثير وجه إليك ، فإن كان وحياً من السماء فأنت غاية الغايات فى أمانة التبليغ ، وإن كنت أنت منشئ ذلك الكتاب كما يتقول الملحدون فأنت غاية الغايات فى أدب النفس ، لأنك سجلت ما آخذت به نفسك فى كتاب مجيد

وأين الرجل الذى يدين نفسه بنفسه كما صنعت أنت حين رويت القرآن أو حين أنشأت القرآن ؟

لقد وضعت أعظم دستور للسريرة الإنسانية ، وهو دستور الصدق ، يا أصدق من عرف التاريخ من الرجال

* * *

أما بعد فقد ارتاض القول بعد جموح ، وصار من السهل أن أحكم بأن النبوة عهد من عهود العظمة فى الطبيعة الإنسانية ، ولولا خوف الفتنة لزدت هذا المعنى تفصيلاً إلى تفصيل

محمد إنسان ، ولكنه إنسان مظلوم ، لأن أتباعه جردوه من فضل الاجتهاد فى سبيل الخير والحق والجمال

وهنا تظهر مزية جديدة لذلك الرسول هى نكران الذات ، فلو كان محمد رجلاً من أمثال فلان وفلان وفلان من الذين نقلوا أممهم من حال إلى أحوال لملأ الدنيا بالحديث عما وضع للحياة من أصول وقوانين

ولكن محمدا كان يحبّ أن يعيش مسكيناً وأن يحشر بين المساكين ، وقد جزاه الله خير جزاء ، فخصه بالعظمة فى الحياة وبعد الممات

محمد بشرٌ مثلكم يا بنى آدم ، وقد دعاكم إلى التخلق بأخلاقه ، ولم يكتف بذلك ، بل دعاكم إلى التخلّق بأخلاق الله إلا الكبرياء

فهل رأيتم إنسانية مثل هذه الإنسانية ؟

محمد تحدث عن هفواته — إن كان له هفوات — ليدلكم على أن العظمة الحقيقية لا تكون إلا باتهام النفس والحذر من طغيان الأهواء

كان محمد يقول فى صدر خطبته « أيها الناس » أو « يا عباد الله » وأنتم تقولون فى صدور الخطب « أيها السادة » أو « سيداتى، سادتى » .

فتأملوا الفرق بين العبارتين لتعرفوا أنه كان يبتعد عن تملق الأهواء .

استطاع محمد أن يتحدث عن هفوات الأنبياء ، وعجزتم أنتم عن الحديث عن هفوات الزعماء

فاعرفوا — إن شئتم — أن عظمة محمد من الوجهة الإنسانية هى تمجيد الصدق والخوف من زيغ القلوب

قد تقولون : إن الله أوحى إليه أن يكون كذلك .

وأجيب بأن أكمل خصيصة من خصائص الرجال هى الصلاحيةُ لتقبُّل وحى السماء .

وللسماء وحىٌ فى كل وقت ، ولكن أين القلوب التى تسمع ؟

إن محمداً حدثكم بأن الرجل يستطيع أن يخاطب ربه بلا وسيط .

فأين المسلم الذى فهم أسرار الحروف واتجه بقلبه إلى مناجاة فاطر الأرض والسموات ؟

أين المسلم الذى تأدب بأدب الرسول فعرف أنه مسئول أمام الله لا أمام الناس ؟

* * *

والآن أرجع إلى نفسى فأقول :

في غار حراء

مهبط الرسالة

للأستاذ محمود الخفيف



أينَ مِن قدرِكَ جُهْدُ الشُّعَراءْ   يا قرينَ الطُّورِ في نَجْوَى السَّماءْ ؟
أشفَقَ الشِّعْرُ ، وَكَمْ رَاوَدْتُهُ   تَجْرِى كالصُّبْحِ بَسَّامَ الرُّؤَى
زاهِرَ الصَّفْحَةِ رفَّافَ الرُّواءْ

كان محمد إنساناً ، ولكنه كان أعظم من جميع الناس لأنه لم ير الغنيمة فى غير المعنويات .

كان محمدٌ يستطيع أن يبنى لنفسه داراً تشبه إيوان كسرى ؛ وكان يستطيع أن يبنى لنفسه قبراً يشبه هرم فرعون ، ولكنه آثر أن يحيا ويموت وهو فى مَتْربة المساكين .

إن محمداً ظلم نفسه لينتصر ويفوز ، وقد انتصر وفاز .

إن محمداً حرم نفسه أبهة الملك ، وباسمه عاش الملوك .

إن محمداً حرم نفسه الشهرة بإجادة البيان ، وبفضل الكتاب الذى بلّغه عاش البيان . فيارسول الله ويا إمام العرب والمسلمين إليك أوجّه أصدق الثناء .

زكى مبارك

طَابَ السَّامِرِ يا شِعْرُ النَّشِيدْ   وهفَا المِزْمَارُ لِلَّحْنِ الجَدِيدْ
هَاتِ يا شِعْرُ حَدِيثاً طالما   مَلأَ الأعْصُرَ وَحْياً وَمَشَى
مِلْءَ سَمْعِ الدَّهْرِ لَحْناً وحُدَاءْ

هيه... صُغْ لحنكَ فى أمِّ القرى   أعْبُرِ الأجْيالَ واطْوِ الأعصُرا
إقطعِ البيدَ إلى مُنعزَلٍ   التقَتْ فِيهِ السمواتُ العُلَى
مَرَّةً بالأرضِ فى غارِ حِراءْ !

غنِّنا عَنْ شَاهِقٍ عالى الجَبِينْ   تتملاّهُ عيونُ النَّاظِرِينْ
هَرَمِيٍّ نازِعٍ مُستَشْرِفٍ   لِلسَّمواتِ ، مَنِيعِ المُرْتَقَى
لِلعُلَى رَمْزٌ ولِلْحَقِّ لواءْ

جَبَلِ النُّورِ الوضِىءِ النَّسَبِ   لَقَبٌ يا حُسْنَهُ من لقَبِ !
أين في الأرْضِ مَكَانٌ مِثْلُهُ   بيِّنَاتُ اللهِ فيه والهُدَى
لَمَعَتْ فانجابَ فى الكونِ العماءْ ؟

مَهْبَطُ النُّورِ على هذا الوجودْ   مُرتَقَى أوحَى له مَعْنَى الصُّعودْ
شَدَّ ما يَمْلأُ نَفْسِى سِحْرُهُ   ولَكَمْ تَلمحُ روحى من رُؤًى
ومعانٍ عبقريَّاتٍ وِضاءْ !

هَاتِ ألحانَكَ عِنْدَ الجَبَلِ   غَنِّ يا شِعْرُ بِهِ لا تَحْفِلِ
امتلِئْ ما شِئْتَ مِن رَوْعَتِهِ   إلتمِسْ وَحْيَكَ فى هذا السَّنا
وترنَّمْ ، يَحْلُ يا شِعْرُ الغناءْ

هَاتِ حدِّثْنا عن الرَّاعى الأمينْ   ذلكَ الأمِّيِّ ، عند الأرْبَعِينْ
ذلكَ الأمِّيِّ من علَّمَهُ ...   غَنِّ فى بيدائِه كيف اهتدى
واجتلى فى الأرضِ آياتِ السماءْ ؟

يا رِمَالَ البيدِ هذا جاهِدُ   هادِئُ النَّظْرَةِ ماضٍ صاعِدُ
يا رِمَالَ البيدِ كَمْ شاهَدْتِهِ   يحمِلُ الزَّادَ ويَمْضِى ؛ هل رأى
حَوْلَهُ غيرَ الرَّواسى والفضاءْ ؟

يَهْمِسُ الرُّعْيانُ ... ما يَشْغَلُهُ   أىُّ أمْرٍ حازِبٍ أذهَلَهُ ؟
شاحِبُ الوَجْنَةِ لا مِن عِلَّةٍ   مُطْرِقٌ هامَتَهُ ، وانى الخُطَى
طَالَ فِى اللهِ بِهِ عَهْدُ الرَّجاءْ



(غار حراء)

يا لهذا العربيّ الصائم   ابنِ عبدِ اللهِ ، أزكى هاشمِ
بلغ الغارَ فألقى زادَهُ   يا لَهُ من لاغبٍ طاوي الحشا
أكثرُ الزادِ لهُ تمرٌ وماء !

يا نجومَ الليلِ أضناهُ السهرْ   لم ينلْ من طرْفهِ طولُ النظرْ
هلْ أتى مكةَ ما أرّقهُ ؟   حسْبُها من ليلِها طيبُ الكرى
يغرقُ السمّارُ فيه السعداء !

إيه شمسَ الصبحِ ، يانورَ الأزلْ   هلْ جلاكِ اللاتُ يوماً أو هبلْ ؟
اسألى مكةَ عن أصنامِها   اسألى السادةَ فى أمّ القرى
عن تماثيلَ لها حقُّ الولاء !

حدّثى يا شمسُ عنْ أنصابها   وأولي الغفلةِ من أصحابِها
حدّثى عن ظلمةِ العيشِ بها   وعن الشحناء فيها والخنا
وذوي الفحْشِ بها والخيلاء

تؤثرُ الليلَ على الصبحِ اتجاها   كلُّها يسبقُ فى الشرّ فتاها
بلدةٌ كمْ غرّها باطلُها   ليسَ فى شرعتِها إلا الهوى
شرْعةِ الجورِ ودينِ السفهاء

لاذَ بالوحْدةِ فى عزلتهِ   ذلك الواحدُ فى نشأتهِ
ذلكَ أفردُ من أيامهِ   ما دعا داعى الصبا إلا أبى
وتولّي وهوَ موفورُ الإباء

كمْ يعانى اليومَ مما يحملُ   لاذَ بالغارِ ففيهِ الموئلْ
هاجسٌ فى نفسهِ يشغلُهُ   ينسخُ اليأسَ بهِ لمحُ أنى
ساعةً ثم يغشّيهِ الخفاء

يا لعانٍ يعظُمُ الكونُ لهُ   كمْ يرى الرهبةَ فيما حولهُ
كمْ لهُ فى صبْحهِ إذ ينجلي   ثمّ فى الليلِ إذا الليلُ سجا
من يقين وجلاء واهتداء !

هذهِ الأفلاكُ من يمسكُها   فى الفضاءِ الرحبِ من يسلكُها ؟
والرّوامى الشمُّ من شيّدَها   من دحا الأرضَ ومن ساقَ الحيا
فسقى التربَ بهِ حيثُ يشاء ؟

منْ لهذا الساجدِ المقتربِ   هلْ تلى فى أمسهِ من كُتُبِ ؟
هلْ بنتْ أمُّ القرى مدْرسةً ؟   منتهى ما علمتْ تلك الدُّمي
يتملاها بنوها النجباء !

مَنْ لِهذا الفَرْدِ فى بَيدائِه يِرْوِى العالَمِ أو أنبائِه
هَلْ أتاهُ نَبأٌ عَن فارِس هَلْ عَن الشّامِ ومِصْرٍ من نَبا

وعن الرُّومِ وأرْضِ الحُكَماء ؟

ضَجَّ بالعُدوان ذاكَ العالَمُ ما يُرى هادٍ له أو عاصِمُ
الهـــداياتُ بهِ حائرةٌ والضَّلالاتُ به استشرت فما

يَفهَمُ الرَّحمَةَ إلا الضعفاء !

باتَ ما طافَ بهِ من قَبَسِ فى ظَلامِ الأرضِ كالمُختَبِسِ
يا لَهـا مِن شُـعلة خابيةٍ غَرِقَتْ أو أوشكت فيما جرى

من دموعٍ هاطِلاتٍ ودِماء !

لَوَت الشُّعْلَةَ عن وِجْهَتِها أُمَمٌ ثارَتْ على وَمْضَتِها
ضَرَبَ الغَيُّ على آذانِها واشتَرَت بالحقّ والنُّورِ العمى

فتَغَشَّتها دياجـــير الفناء

طابَ للأُميِّ فى الغارِ المُقامْ ليس يثنيه مُهادٌ أو صِيامْ
لِلسَّمٰوات العلى مُستَشرِفٌ فى دُجى الليل وفى نورِ الضُّحَى

ضارِعٌ للهِ موصولُ الدُّعاء

سابحٌ فى الملكوتِ الدائِمِ وَالجَلالِ المُستعيضِ القائم
مُطلَقُ النَّفْسِ رَضِيٌّ آمِلٌ صُوَرُ الحقّ بهذا المُجتَلِي

أمَدَّتْهُ بِرَوْحٍ وانتشاء

رَوْعَةُ التَّسبِيحِ فى نَظرَتِهِ وَجَلالُ الحقّ فى مُهْجَتِهِ
سَاجِدٌ لله يرجو وَجْهَهُ صَابِرٌ مُرتَقِبٌ جَمّ الرِّضا

خاشِـعُ المُجَةِ مَصدوق الولاء

طاف بالرعْبِ على مَضجعِه هامِسٌ يَهمِسُ فى مِسْمَعِه
ياله الله ! أرؤيا نائم ماله يَسْمَعُ لـكن لا يرى

حوله إلا هواء أو هباء ؟

إنها الشعْلةُ جاءت من جديدْ لِلوَرَى فيها طَرِيفٌ وتَليدْ
هَبَطَ الغارَ بها الرُّوحُ الأمين سَاقَهَا اللهُ لِطَهَ المُصْطَفَى

ابنِ عبدِ اللهِ خَيْرِ الأنبياء

قَبَسُ اللهِ العلى الأكرَمِ «عَلَّمَ الإنسانَ ما لم يَعْلَمِ»
قَبَسُ الله الذى أوحى له ظَلَّ يرجو نورَه حتى انجلى

رائعَ الإشراقِ وهّاجَ الضياء

هلَّ نورُ اللهِ فى أعلى الجبل أبْشِرِي ياأرضُ قد هلَّ الأمل
حَمَلَ ابنُ البيدِ ما أُلْهِمَهُ وَمَشَى الراعى رسولا للورى

يرفع الشُّعْلَةَ من بَعْدِ انطفاء

يارِمَالَ البيد قد جاء البَشيرْ نَزَلَ الدّاعى إلى الحقّ النَّذِيرْ
انظريه . . . نوره بين يَدَيهِ أىُّ نُورٍ مِثلَ هذا أو مضا

أىُّ قَوْل حارَ فيه الفصحاء ؟

غَمَرَ النُّورُ جباه الصّابِرِينْ وَتَمَشّى بين أيدِى الفاتحين
مِنْ رُبُوعِ الهِنْدِ لِلأندَلُسِ أَلهَمَ النّاسَ العُلا أنّى مَضَى

فَهُمُو فِي الدِّينِ والدُّنيا سواء

الخفيف

بين مصر وإيران

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

الترابط بين الأمم والشعوب ضرورة اجتماعية ، تقتضيها طبيعة الوجود ، والرغبة فى التعاون والنفعة . وإن الأمم لتأخذ لهذا الترابط بأسباب مختلفة ، وتقيمه على اعتبارات متباينة ؛ فهى مرة تقيمه على الأغراض المشتركة ، والآمال المتفقة ، والمذاهب المتماثلة ؛ ومرة تدعو له باسم الوشائج الجنسية ، والروابط العصبية ؛ ومرة تشرعه بدعوى العلم والحضارة والصالح العام ؛ وفى هذا العصر يتخذه القوم وسيلة لسد المطامع ، والجشع الاستعمارى ، وفرض السلطان على الشعوب الضعيفة ؛ وهم فى كل هذا يوثقون له بالمعاهدات والمحالفات والمشارطات والمؤتمرات تقام ثم تنفض ، وقد ملأ القوم الدنيا بالخطب الرنانة ، والوعود الخلابة ، والرغبات التى ظاهرها الرحمة للانسانية ، وباطنها الويل كل الويل للانسانية .

وكل هذا باطل فى منطق الحق ، وكذب على طبيعة الوجود ، وإن صح فى خسيس من المذاهب رجس كما يقول أمير الشعراء . وإن التاريخ ليخبرنا بوقائعه وتجاريبه بأنه ما وثق بين الأمم والشعوب مثل تبادل العواطف ، وما وثق فى تبادل العواطف مثل المصاهرة : تلك الفضيلة الاجتماعية التى جعلها الشرع الإسلامى صلة من صلات المودة والألفة والاتحاد ، وأنزلها منزلة القرابة العصبية واللحمة فى النسب ، فقد حرم على الشخص أن يتزوج بأم زوجته أو بأنثى من فروعها وأصولها . كما حرم عليه أن يتزوج بأمه أو بأنثى من أصول نفسه وفروعه ، وكذلك حرم على زوجته الاقتران بأحد من أصوله أو فروعه ، فكأنما أنزل الله كلاً من الزوجين منزلة نفس الآخر حتى أنزل فروع كل منهما وأصوله بالنسبة إلى الآخر منزلة أصول نفسه وفروعه . وهذا برهان يقيمه لنا الشرع الحكيم على أن الاتصال بطريق المصاهرة مساو لنفس القرابة النسبية فى الأحكام والحقوق والألفة والاحترام .

على هذا الاعتبار القويم تتخذ الأمم الرشيدة من المصاهرة رابطة مودة ، وواسطة سياسية ، وعلاقة تامة يكون بها التعاون والرغبة فى الإفادة والخير ؛ بل على هـذا الاعتبار جرت عوائد الأمم فى الأزمنة الغابرة ، فكانت القبائل والعشائر تتصاهر إذا أرادت أن تدخل فى ميثاق يكون به المعونة على دفع الشر وجلب الخير ؛ ولو أن دماء سفكت بين قبيلتين ، وعداوة تمكنت بين أمتين ، حتى ملوا مقارفة النزال ، وكلوا من مقارعة النضال ، ورغبوا فى الأمن والطمأنينة والسلام ، لم يجدوا وسيلة تقطع دابر العداوة فيهما ، وتوثق روابط المحبة بينهما ، إلا أن تتصاهر القبيلتان فتصيرا كأسرة واحدة ، وتدخلا فى عهد جديد تتوحد فيـه المشاعر والعواطف ، وتصح به الهمم والعزائم ، وتقوى الرغبات والآمال

وعلى هذا الاعتبار الذى تقتضيه الطبيعة، وتشير به الشريعة، وتقره وقائع التاريخ ، تقوم اليوم الصلة بين شعبين كريمين : بين مصر ذات المجد الخالد ، وإيران صاحبة التاريخ التالد . والصلة بين مصر وإيران صلة قديمة منذ العصور الغابرة ، فالتاريخ يحدثنا بأنه لما ظهر « كورش » مؤسس الإمبراطورية الفارسية العظيمة ، فاندفع فى الغزو والاستعمار حتى استولى على ليديا وميديا وآسيا الصغرى وتوغل شرقاً إلى شواطئ السند ، خشيت الدول بأس الفرس، وعقدت ضدهم تحالفاً ضم بابل وليديا ومصر وبعض ولايات الإغريق ، فنهض « كورش » العظيم للانتقام من الدول المتحالفة ، فأعاد ليديا لطاعته ، وفتح بابل من جديد ، ثم مات وفى نفسه الرغبة فى غزو مصر !

فلما تولى من بعده « قمبيز » عمل على تنفيذ الرغبة ، فجاء بجيش جرار إلى مصر ، وكانت مصر منيعة بالتحصين ، ويقول مؤرخو الإغريق أنفسهم : إن أحد الجنود اليونانيين خان المصريين فدل الفرس على أسهل الطرق فى اقتحامها ، وبهذا استطاع « قمبيز » أن يفتح مصر بعد مقاومة شـديدة ، حتى لقد أسر ملكها « ابسماتيك الثالث » ، واشتط فى معاملة المصريين ، فأذاقهم ألواناً من القسوة والحنق ، وهزئ بدياناتهم فهدم المعابد والهياكل ، وقتل بيده العجل أبيس فى أحد الاحتفالات الدينية

فلما تولى « دارا الأول » أراد أن يصلح ما أفسده «قمبيز» ، فزار مصر ، وأبدى احتراماً عظيماً لديانات المصريين ومعبوداتهم ، حتى لقد شـيد هيكلاً فخماً بواحة سـيوة لمعبودهم آمون ، وبنى كثيراً من المدارس ودور العلم ، وعضد التجارة ففتح الخليج

الموصل بين النيل والبحر الأحمر ، وأصلح طريق قفط المار بوادى الحامات ، وعلى الرغم من هذا كله فقد انتهز المصريون الفرصة فى هزيمة « دارا » مع الإغريق فى موقعة « مرتون » ، فخرجوا على طاعته، واستردوا استقلالهم بزعامة أمير من الوطنيين، ولكن الفرس عادوا إلى غزو مصر ثانية فى عهد ملكهم «إجزرسيس»، فقابلهم المصريون بالثورة والتمرد . وهكذا ظل الفرس على الرغبة فى استعمار مصر ، وظلت مصر فى الثورة على هذه الرغبة حتى جاء الفاتح العظيم الأسكندر الأكبر فطوى مصر وفارس فيما طوى من الأمم والشعوب

تلك هى صلة مصر بفارس فى التاريخ القديم ، وهى كما ترى صلة الفتح والاستعمار ، ورغبة السيطرة وبسط النفوذ . فلما كان مطلع التاريخ الحديث اتصل المصريون بالفرس اتصال محبة ووفاء واحترام ، فتمكن الود بين السلطان الغوري والشاه اسماعيل الصفوي على دفع الخطر العثمانى الداهم ، فسمح الغورى بأن يمر بطريق الشام الوفد الذى أرسله الشاه إلى البندقية لعقد محالفة على محاربة العثمانيين ، ولما زحف السلطان سليم الأول على بلاد الشاه وأراد أن يكتسح فارس بأجمعها ، وجد الشاه قد أتلف كل ماخلفه فى المدن والقلاع من المئونة والذخائر ، فأرسل السلطان سليم فى طلب المدد والزاد من بلاده ، ولكن قبائل التركمان وإمارة الغادرية التابعة لمصر أغارت على قوافله ومنعت وصولها إليه ، فقلت الأقوات فى معسكره ، واضطرب الأمر فى جيشه ، وحرم لذة انتصاره ، فأسرها السلطان فى نفسه ، وكانت مما تعلل به فى غزو مصر وضمها إلى خلافة آل عثمان

واليوم ترتبط مصر وفارس برباط المصاهرة الكريمة ، أعنى رباط القرابة والنسب ، والود والألفة ، وإنه لوضع ثابت فى الاختلاط بين الشعبين ، وعهد جديد فى التعاون بين الأمتين الخالدتين ، وميثاق صريح صحيح يؤكده دعامتان: «دين» يوحدبيننا فى المشاعر والأفكار والعواطف والميول والأخلاق والعادات ، « وثقافة » مستمدةمن تعاليم الإسلام، وسياسة القرآن، وكل ماخلف العرب من أفانين العلوم والمعارف . والدين والثقافة عند علماء الاجتماع هما أم المبادىء التى تحفظ كيان الأمم ، وأقوى العناصر فى تكييف حياتها ورقيها . أليس بفكرة الإسلام وحدها استطاع محمد صلوات الله عليه أن يجمع شمل تلك القبائل المتفرقة المتخاذلة ، وأن يخلق منهم تلك الدولة العظيمة التى دوخت العالم ، وتبوأت أرفع مكان فى التاريخ ؟!

ولا شك أن الشرق اليوم هو اللقمة السائغة التى يتقابل على التهامها أمم الغرب ، ولا شك أنه لا طاقة للمسلمين بدفع هذا الخطر ولا قائمة لهم إلا بتبادل الشعور والعواطف ، وإحكام الروابط والصلات ، والرجوع إلى وحدة إسلامية لا مناص من الرجوع إليها كما يقول أستاذنا المراغى . ولا شك أن هذه الصلة الوثيقة بين مصر وإيران ، قد قربت الوصول إلى تحقيق هذه الوحدة ، وستكون إن شاء الله طالع سعد للاسلام والمسلمين ، وتوثيقاً لعرى القومية بين أمم الشرق التى هدها نفوذ الغرب وجشعه ، وأنهكها طول التفرق والانقسام .

أميرة مصر وأمير إيران يقترنان ... ألا إنه لبراعة استهلال للعام الجديد ، وطائر يمن للشرق والإسلام ، ورغبة أمتين كريمتين فى الخير والمحبة، ثم هو صلة بين قلبين طاهرين، وعاطفتين نبيلتين، نسأل الله أن يحوطه برعايته ، وأن يقرنه بالسعادة والبركة ، وأن يحقق به الآمال والرغبات ، وأن يجعله وسيلة الخير والسلام لغاية الخير والسلام

محمد فهمى عبد اللطيف

رسالة الإسلام خالدة

للأستاذ محمد فريد وجدي



وقر فى عقول أهل العلم الغربيين، وعقول من نهل من حياضهم من الشرقيين ، أن الأديان التى احتضنت الجماعات البشرية منذ نشوئها إلى عهد قريب قد انتهى دورها ، وانقضت رسالاتها ، لعدم وجود نفع يرجى للجماعات الراهنة منها. وكثيراً ما أُسأل: هل رسالة الإسلام لا تزال قائمة ؟ فأجيب : نعم ، وأبد الدهر . ولست فى تأكيدى هذا بواقع تحت سلطان العقائد الوراثية ، ولا بمخدوع بالأوهام التقليدية ، ولكنى مستند فيه إلى علم ، وماض فيه على بينة

ذلك أن كل مجموعة من التعاليم يحكم عليها بانقضاء دورها ، حين تستنفد الحياة كل ما فيها من غذاء يناسبها ، أو تتطور العقول وتظل هى جامدة لا تماشيها ، فتترفع عن الأخذ بها ؛ ولكن تعاليم الإسلام لا تجرى عليها هذه السنة ، فقد جاءت بالمثل العليا فى كل ناحية من نواحى الحركة الروحية والعقلية والاجتماعية ، فكيف يعقل أن تنتهى له رسالة ، أو تزول له دولة ؟

فأما من ناحية الحركة الروحية فإن الإسلام يصرح بأنه دين الفطرة الإنسانية ، وهذه الكلمة أسمى ما يعبر به عن دين يخلد خلود البشرية . فإن الفطرة مودع فيها شريعة النوع كله بالقوة ، وهى واحدة فى جميع الأفراد لا تتعدد إن لم تفسد بدس تعاليم خارجية إلى النفس تحولها عن سمتها الطبيعى . وقد شدد الإسلام فى النعى عن إفسادها بالتعاليم الضارة بها فى كل مناسبة ؛ وقد زاد فحاطها بحوافظ قوية من ضروب مختلفة ، فنبه النفوس أولاً إلى ضرر التقليد الأعمى للآباء والقادة ، وأمر بطلب الدليل المقنع على كل عقيدة يتقدم بها داع لنحلة ، وصرح بأن الإيمان التقليدى لا يقبل ، وأن الإنسان مسئول عن عمله الشخصى ، وأن أحداً لا يغنى عنه شيئاً ، وأن أكثر من فى الأرض لا يتبعون إلا الظنون والخزعبلات الموروثة ، وأن الدين يهتدى إليه الإنسان على ضوء العقل الناضج والعلم المحص ، وأن الإنسان يترقى فى معارج الهداية بقدر ما يخلص فى طلب الحق ، ويتجرد من الأهواء والأوهام ، ويثابر على النظر والفكر ، ويستمع لكل كلام فيتبع أحسنه ، ولا يأنف أن يأخذ بحقيقة يأتيه بها من يخالفه فى دينه ولغته ، وألا يصر على قول إذا ظهر له وجه الصواب فى تركه ، وألا يتعصب لمذهب أو رأى تعصباً يعميه عن نظر ما عسى أن يكون فيه من الثلم أو يرد عليه من الاعتراضات ، وأن يكون دائماً حريصاً على استقلاله العقلى وحريته الفكرية ، مستعداً لأن يصحح ما يتضح له أنه مخطئ فيه ، معتقداً أن ليس بعد الحق إلا الضلال .

وبناء على هذه الكليات يرى الإسلام أن الناس ماداموا كلهم متشابهين فى الخلقة ، ومتساوين فى الميول والعواطف ، فلا يصح أن تكون لهم أديان متعددة لم يفرق بينها إلا أهواء القادة وأوهام الزعماء ، فإنما هو دين واحد ، دين الفطرة المؤيد بالعقل والنظر ، المنزه عن الظنون والوساوس ، الجامع لكل ما حصلته الإنسانية فى أدوار حياتها من مذخورات أدبية ، وفتوحات روحية ، فقال تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما هم فى شقاق ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » وقال : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء »

وأما من ناحية الحركة العقلية فإن الإسلام قد رفع من شأن العقل ونوه بسلطانه ، إلى حد أنه اعتبر الذين لا يقيمون له وزناً فى تقدير قيمة عقائدهم دواب تحقيراً لهم ، فقال تعالى : « إن شر

الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » . وعد الذين لا يستخدمون حواسهم الظاهرة فى النظر والتأمل ، ومشاعرهم الباطنة فى الاستدلال والتعقل ، أنعاماً بل أضل . قال الله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون »

وشفع الإسلام كل هذا بالتحضيض على طلب العلم والتحريض على تصيد المعرفة من كل المظان التى يتخيلها العقل ، من النظر فى الكون والتأمل فى الكائنات ، والتنقيب عن مساتير الخليقة والسريان فى سرائر الوجود ، فى السماء وأجرامها ، فى الأرض وعوالمها ، فى الحيوانات وعجائبها ، فى النباتات وبدائعها ، كل ذلك لبناء الشخصية الإنسانية وإبلاغها إلى ذروة الكمال المقدر لها . ولقد رفع من شأن العلم فى نظر الإنسان إلى حد أنه حصر فهم آيات الله وإدراك مراميها ، وفهم منازيها فى أهل العلم ، فقال تعالى : « إنما يخشى الله من عباده العلماء » وقال : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » وقال : « إن فى ذلك لآيات للعالمين » بكسر اللام فيهما . ولا يمكن أن يتخيل أحد أن يتجاوز التنويه بشرف العلم هذا الحد

هذا ولم يغفل الإسلام فى تطلب ترقية الشخصية الإنسانية شيئاً ، حتى الضرب فى الأرض ، وتعرف أحوال الأمم وطبائعها ، ودراسة ما هى عليه من شرائعها وعاداتها ، وناهيك بأثر ذلك فى ترقية النفسية البشرية ، فقال تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها . أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » . وقد كرر الحض على السياحة مراراً كثيرة

وأما من ناحية الحركة الاجتماعية فإن الإسلام قد بلغ بها الأفق الأعلى ، وأوجد فى رابطة الاجتماع تجديداً لم تحلم به الإنسانية بعد ، ولا مناص فى أنها ستعول عليه فى المستقبل ، فقد جعلها الاسلام مؤلفة من الأصول الأدبية ، والقواعد الخلقية ، لا كما كانت قائمة عليه من الحاجات الجسدية ، والمقومات القومية . فعل الإسلام ذلك لتشمل تلك الرابطة النوع البشرى كافة ، وتتلاشى فى طريقها الفروق الجاهلية القائمة على الجنسية ، والخلافات اللغوية واللونية التى كانت ولا تزال عوامل شقاء فى بنية الإنسانية ، بما تثيره من الحروب والغارات بينها ، وما تمحق من روح التكافل والتعاون فيها . فالإسلام لا يعترف بفرق بين عربى وعجمى وصينى وتركى ، وجاوى وفرنسى الخ ، فالناس كافة فى نظره أولاد آدم وحواء ، وقد خلقوا ليتعارفوا ويتعاونوا ، لا ليتناكروا ويتناحروا ، فقال تعالى : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير »

فالإسلام يقرر أنه ما دام النوع البشرى واحداً ، فيجب أن يكون له دين واحد وغرض فى الحياة واحد . وأنت ترى أن العالم كله رغماً عن طغيان العاطفة القومية فى هذا العصر ، وازدياد عوامل الفرقة والخلاف بين الشعوب ، سيضطر إلى التوحد ، وستكون هذه الموجة نفسها من الخلاف والتفرق من أكبر العوامل فى إيجاد تلك الوحدة المرجوة ، لأنها ستثبت بدليل محسوس أن هذه الوحدة هى العامل الوحيد لنجاة المدنية من التلاشى .

إذا اعتبرت كل ما ذكرته هنا رأيت بما لا يدع شكاً أن رسالة الإسلام لا تزال باقية ، وأنها ستبقى ما بقى النوع الإنسانى على الأرض . وإنما تزول التعاليم إذا كانت مقدرة على أحوال معينة ، متى ارتقت أصبحت تلك التعاليم لا تسد حاجة المجتمع فتزول ، أو يثبت فسادها بترقى العقول . فتتلاشى مع كل ما يتلاشى من أمثالها

ولكن ما بيناه من تعاليم الإسلام هنا لا يعقل أن يزول ، لأنها أصول أدبية خالدة ، ومثل عليا لا يمكن التمارى فى سموها ، وفى تأدى العالم فى المستقبل إلى محاولة تحقيقها .

محمد فريد وجدى

مجد المرأة وكرامتها في كنف الإسلام

للأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلي
مدير المساجد



أقام المشرع الإسلامي قواعد للمجتمع ، على أسس اجتماعية أصلها ثابت وفرعها في السماء . ونظر إلى الدعامة الأولى لبناء الأفراد وهي المرأة ، فجعلها قسيمة الرجل في الحياة ، أمّا أو زوجة ، ثم أوضح لها شرعتها حكيمة مسدّدة تمهد لها كل ما هو ميسر لها، متسق مع طبيعتها. وطبيعة المرأة : وجدان متأثر ، وعاطفة مشبوبة ، وجانب لين ، وأجزاء دقيقة ، وهيكل متأنق ، ورونق متألق ، ولطف ساحر في التأسية ، وفيض ضاف من الحنان

ولقد تنطق المرأة بكلمة تواسي بها الرجل إذا تفزع فؤاده من الهول ، فتفعل الكلمة فعلها في قلبه ، وتؤثر وتجدي ما لا يؤثره أو يجديه بلاغة الأساة من الرجال . ولعلك على ذُكر من كلمة خديجة أم المؤمنين يوم جاءها زوجها محمد صلى الله عليه وسلم وفؤاده يرجف من لقاء الملك ، ومن تلقي الوحي ، وهو أمين الله ومختاره جلادة وقوة وصبراً واحتمالاً ، فلم يكن منفرجُ الروع ، ولا ذهاب الخوف إلا ساعة قالت خديجة كلمتها ، كلمة المواساة والترفق والأمل : « كلا والله لا يخزيك الله أبداً . إنك لتحمل الكل ، وتكسب المعدم ، وتعين على نوائب الدهر »

* * *

أعلى الإسلام من قدر المرأة ما وسع العلاء طبيعتها ، وعظم من شأنها ما شاءت الخليقة أن تعظم ، ثم وفر لها من الحرية ما يناسبها ويُهَيِّئ لها في ميدانها سبيل النفع والخير ؛ فلم يُردْها قعيدة بيت بل سيدة بيت ؛ ولم يجعلها مسلوبة الإرادة ، بل شاءها طليقة في مملكتها الصغيرة الكبيرة ، ورجا لها الصيانة في قدس الخِدْرِ

خطب صلى الله عليه وسلم بنت عمه أبي طالب واسمها أم هانئ ، وكانت قد تزوجت ونسلت ومات عنها زوجها . فما الذي ألهمها الإسلام أن تقوله في جواب هذا العرض المحمدي الشريف ؟ لقد قالت تخاطب صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم : « يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من سمعي ومن بصري ؛ وإني امرأة مؤتمة (مات عني زوجي) وبَنِيَّ صغار ، وحق الزوج عظيم ، فأخشى إن أقبلت على زوجي أن أضيع بعض شأني وولدي ؛ وإن أقبلت على ولدي أن أضيع حق زوجي »

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن خير نساء ركبن الإبل نساء قريش : أحناهن على ولدٍ في صغره ، وأرعاهن على بعل في ذات يده »

لم تكن تلك الحرية فيمن تختاره المرأة لنفسها قاصرة على كرائم أحرارهن ، بل بسطها الإسلام حتى على من كانت أمة وخلصت من الرق .

ملك عقبة بن أبي لهب جارية حبشية اسمها بريرة ، وزوجها عبداً من العبيد ، فكانت تضيق به وتتبرم منه . ولكنها مملوكة ، وأمرها ليس بيدها . فلما علمت عائشة أم المؤمنين بما تعانيه « بريرة » في هذا الزواج اشترتها وأعتقتها . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ملكتِ نفسكِ فاختاري » فاختارت أن تنجوَ بنفسها من هذا الزواج الذي لا تطيب به . فكان زوجها بعد هذا الفراق يمشي خلفها ويبكي ويسترضيها ، فلا ترضى عنه . وكان يرثي له كل من يراه خلفها باكياً . رآه صلى الله عليه وسلم مرة وتلك حاله فقال لأصحابه : « ألا تعجبون من شدة حبه لها وبغضها له ! » ثم قال لها : « اتقي الله فإنه زوجك وأبو ولدك » فقالت : « أتأمرني يا رسول الله ؟ » فقال : « لا . إنما أنا شافع » فقالت : « إذن ، فلا حاجة لي إليه . . . »

هكذا تقررت حرية المرأة فى أمر نفسها ، حرية تكفل للبيت النعيم ، وتوفر لها المناعة . وبهذا جاء الإسلام موقراً لرأيها ، محافظاً على كيانها ، مظهراً لشخصيتها . فإذا ما أجارت المسلمة لاجئاً ، أو أمّنت أسيراً ، فقد أجار المسلمون — جميعاً — مَن أجارت ، وفكوا من أطلقت ، وحموا من استعاذ بها ...

ورد فى صحيح البخارى أنه لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة يوم الفتح احتمى رجلان بأم هانئ بنت أبي طالب وهى مسلمة ، فدخل عليهما أخوها على وهمَّ بقتلهما ، فأغلقت دونه الباب ، وجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها : « مرحباً وأهلاً يا أم هانى ، ما جاء بك ؟ » فأخبرته خبر الرجلين وخبر أخيها على ، فقال عليـه السلام : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ وأمّنا من أمنت »

فقد أجاز الشرع لعقيلة مسلمة كريمة أن تفك عانياً أسره المسلمون فى غزوتهم ، وقد كانت بين الأسير وبين الكريمة أسباب وثيقة ، فما هو إلا أن عاذ بها واستجار فى حماها ، فأجارته

***

ولقد كانت كبرى بنات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهى زينب قد تزوجت من ابن خالتها أبى العاص بن الربيع ، وكان أبو العاص يخص زوجته زينب بإكباره وتكرمته ، فلما انصرف عن الإسلام بادئ الأمر وزوجته مسلمة فرق بينهما الإسلام ، وهاجرت زينب ، وبقى هو منصرفاً عن الإسلام ؛ غير أن حنينه لزوجته لم يفتر ، فكان يرسل لوعته الحرَّى فى أبيات من الشعر الرقيق ويقول :

ذكرت زينب لما وركت إرما فقلت سقيا لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها الله صالحة وكل بعل سيثنى بالذى علما

ثم خرج إلى الشام فى تجارة لقريش ، فعرض للقافلة زيد بن حارثة فى جمع أرسله محمد عليه السلام ، فغنموا المال وأسروا الرجال . وكان فى الأسرى أبو العاص ، فاستجار بزينب ، فرجت أن تحقق إجارته وأن تحميه ، وترقبت صلاة الفجر ، وأبوها يؤم المسلمين ، فلما انتهوا وقفت بباب المسجد ونادت بأعلى صوتها : « إنى قد أجرت أبا العاص بن الربيع » . فقال صلى الله عليه وسلم : « هل سمعتم ما سمعت ؟ » قالوا : نعم . قال : « فوا الذى نفسى بيده ما علمت بشىء مما كان حتى سمعت ما سمعتم . المؤمنون يد على من سواهم ، يجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت » فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبى العاص ما أخذ منه ، ففعل ...

ولقد حسن شأن أبى العاص ، وحلت الهداية قلبه ، فعاد إلى مكة وأدى الحقوق إلى أهلها ، ثم رجع إلى المدينة مسلماً ، فرد رسول الله إليه زوجته زينب الوفية البارة .

***

رأى الشرع الإسلامى أن صيانة الأعراض وحرمة السير وكرامة الأسر من حقوق المجتمع ، بل من أسباب بقائه ونموه ؛ ذلك بأن الخليّة الأولى من خليات المجتمع هى الأسرة ، والأسرة لا قوام لها إلا بالرجل ، يندفع لحمايتها ، وينبعث لرعايتها ، ويعانى أخطار الحياة ، ويجوب العامر والخراب — كل ذلك ليوفر لأبنائه ولبيته أسباب الحياة وسعادة العيش ؛ وما يدفعه إلى ذلك إلا حنان الأبوة ، ووشائج النسل ، وشعور ملتهب بأن الولد قطعة من أبيه ، وفلذة من كبده ، فمن أين تتم للرجل تلك الدوافع وهاتيك الوثبات إذا هو ارتاب أو حاك الشك فى نفسه صحة انتساب ولده إليه ، أو خلوص زوجته له ... !

لهذا أحاط الإسلام المرأة بسياج حصين ، وأمن الرجال على أنسابهم وأعراضهم ، لصلاح مجتمعهم ، ثم توعد — فى أسلوب قوى رائع — كل من يمس قداسة الطهر ، أو يتعرض — على غير علم — لصفة المرأة ، أو جرى على لسانه الهُجْرُ والفحش فى سيرتها ...

يقول تعالى : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون »

فانظر كيف حدد الله للتهجم على الأعراض عقوبة جسيمة ثم أردفها بأخرى أنكى وأخزى وأبقى على الأيام ، تَسِمُ القاذفَ بميسم الخزى وتهمه — أبد الأيام — بفقدان الثقة وخبث الذمة ومرض الضمير . ثم يختم سبحانه الآية بتسجيل فسق القاذف

وخروجه عن طاعة الله ونبذه من المجتمع الأخلاق ...

ثم شاء — جل وعلا — ألا يدع هؤلاء الوالغين فى الأعراض حتى يجعل الخزى والعار ناطقاً بشناعتهم مشهراً بسوآتهم فقال :

« إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين »

ولقد ثقف الإسلام المرأة ثقافة يتطلبها شأنها ، ثقافة دينية خلقية ، فكان عليه الصلاة والسلام يجعل للمسلمات يوماً كل أسبوع يعلمهن ويثقفهن، وكان كريم الصبر فى إرشادهن، فسيح اللبان فى هدايتهن

أخذ عليهن — عندما كن يبايعنه مرة — ألا ينحن على الموتى . فقالت عجوز ممن حضرن : يا رسول الله ، إن أناساً أسعدونى على مصيبة أصابتنى ، وإنهم أصابتهم مصيبة ، فأنا أريد أسعدهم .. فقال لها عليه السلام : « انطلقى فأسعديهم » ثم عادت فبايعته .

تلك بعض نظرات المشرع الإسلامي إلى المرأة ، فأين نحن ؟ وكيف صرنا ؟

لقد روى لنا المؤرخون أن دولة الرومان يوم تألق نجمها ، وعظم سلطانها ، واستبحر عمرانها ، كان الشطر الثانى للمجتمع وهو النساء، لا يعرفن غير البيت والأسرة ، يقمن للبيت بواجبه ، ويؤدين للأسرة حقها ، وهن من وراء حجبهن . بل لقد غلون فى الحجاب يومذاك غلواً كبيراً ، فلن تخرج واحدتهن إلا وهى ملثمة ، وعليها الأردية السابغة ، ومن فوقها العباءات التى لا تبين تقاسيم الجسم — فى ذلك الحين برع الرومان فى كل شىء ، فى الملك والصناعة والتشريع ، ودانت لسلطانهم الشعوب . فلما بلغت الدولة مداها ولع الناس بالترف ، وغمرهم النعيم ، وأفسد أجسامهم البذخ ، فغدوا يتكرون اللذات من غير تحرج ولا تأثم ، حتى فترت غيرتهم ، وامحت نخوتهم ، فتضعضعت قوة الملك ، ووهى صرح المجتمع ، ولم تلبث دولة الرومان العظيمة أن تساقط ملكها ، وانتزع الفساد شوكتها ، وراحت صريعة الشر الاجتماعى الذى نزل بالمرأة من عليائها إلى الحضيض ، وهوى بالدولة معها إلى الفناء .

***

ولقد نسمع المفكرين وذوى المذاهب الإصلاحية الاجتماعية يتصايحون اليوم : أن ارجعوا بالمرأة إلى ما خلقت له ، وجنبوها مزالق الاجتماع ، واجعلوا تحت نظرها كتب التهذيب الدينى ، والتدبير البيتى ، لتروى أبناءها من منابع الدين وأصول الفضائل ، وتحكم بتدبيرها نظام الأسرة الذى أوشك يتداعى. فهل من سميع؟ وهل من مجيب ؟ لنا فى تراثنا مرجع لصد العابثين ، وإيقاظ السامدين . إن فى تربية الإسلام للمرأة ما يوفر لها حريتها ومجدها وكرامتها .

الجديلي

عيّاش بن أبي ربيعة

للأستاذ كامل محمود حبيب

«يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم، لا تقنطوا من رحمة الله. إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون » . (قرآن كريم)



الليل ساج ، والحياة نائمة ، وعيّاش فى طريقه يتسلل فى رقبة وحذر ، وقلبه يضطرب خشية القوم أن يستشعروا فراره فيجلبوا عليه وهو يريد أن يفزع بدينه إلى المدينة.. إلى حيث يجد الحرية والأمان . لقد كان — وهو فى طريقه — ينظر إلى وراء ، بين الفينة والفينة ، يودع ملاعب الطفولة ومراتع الشباب للمرة الثانية ، والعبرات تترقرق فى محجريه ، غير أنه ما كان ليأسى على شيء فى مكة وفى قلبه الإيمان والصبر إلا على أن حرم استجلاء النور الإلهي من طلعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلا على فراق أمه وقد تعلق بها قلبه فما ينصرف عنها ، وإلا على مال كثير خلّفه هناك كان يطمع أن يشد به عصبه ؛ ولكن خياله كان يوحى إليه أن رفيقيه — عمر بن الخطاب وهشام بن العاص — ينتظران عند التّناضُب من أضَاةِ بنى غِفار فوق سَرِف على أميال من مكة ، فهو يهفو إليهما فى غير أناة ولا تردد .

وبلغ الفتى المكان فاطمأن قلبه أنْ ألفى عمر بن الخطاب هناك يتشوّف ... وتنفس الصبح ولمّا يبدُ هشام عند الأفق ، فانطلقا معاً ... ونزلا المدينة ينعمان بالحياة والإيمان لا يجدان من الضيق والعنت بعض ما كانا يجدان فى مكة

وتناهى خبر عيّاش إلى القوم من بنى مخزوم فعَمَدَا إلى أبي جهل والحارث يثيرونهما ويحثونهما : « أفَيَفِرّ الرجل من بينكما ثانية ليكون لكما — على الدهر — عاراً وسُبّة » ، وأبو جهل يتلهّب من الغيظ والحقد وقد انطوت نفسه على أمر ، والحارث إلى جانبه يقول : « وماذا عسانا أن نفعل فى سفيه فَرّ مع سفهاء مثله ؟ » وثارت الحميّة حمية الجاهلية فى رأس أبي جهل تستلبه الهدوء والاستقرار ، والشيطان من ورائه يدفعه إلى أمر ، فراح إلى الحارث يحدثه حديثه وحديث الشيطان فى وقت معاً ... ثم انطلقا معاً صوب المدينة ...

وجلس أبو جهل والحارث إلى أخيهما عياش يترفقان معه فى الحديث ، ويدخلان إلى قلبه بفنون من الكلام ، فاستعصى عليهما ؛ غير أن أبا جهل لم يكن رجلاً تزعه الكلمات عن غايته أو تثنيه عن قصده ، فيرتد خائباً مخذولاً ؛ فراح يقلب الرأى فى خاطره ، ويتلمس الحيلة من شيطانه ، ثم ... ثم قال : « يا أخى ، إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك ، ولا تستظل من شمس حتى تراك ! » ورأى عمر بعض ما بدا على عياش من رقة واستخذاء حين سمع ذكر أمه ، وخيل إليه أن الرجل يلقى إلى أخويه السّلم فيذهب ضحية المكر والخديعة ، فقال : « يا عيّاش ، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك ، فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حرّ مكة لاستظلت » ولكن الشيطان كان قد عدا على الرجل فاستلبه الثبات ، فقال : « أبرُّ قسم أمى ، ولى هنالك مال فآخذه » فقال عمر : « والله إنك لتعلم أنى لمن أكثر قريش مالاً ، فلك نصف مالى ولا تذهب معهما » غير أن الرجل كان قد وقع فى حبالة أخويه حين صوّر له شيطانه أمه فى الهاجرة شعثاء غبراء تندب ولدها وتؤذى نفسها ، فأبى إلا أن يصحب أخويه ، وعمر به ضنين .

وعجز عمر عن أن يدفع الرجل عن الهاوية التى يوشك أن يتردى فيها ، فقال له وهو يهم بالرحلة : « يا عياش ، أما إذ قد فعلت مافعلت فخذ ناقتى هذه ، فإنها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها ، فإن رابك من القوم رَيْبٌ فانجُ عليها » ثم ... ثم وقف ينظر إلى الإخوة

الثلاثة حتى غيَّبتهم البيداء فى أحشائها فرجع وفى نفسه الأسى والحزن ، وقلبه يحدثه حديثاً ...

وانطلق عياش بين أخويه ، وأبو جهل يختلس النظرات — بين الحين والحين — إلى ناقة عمر وهى تخد بأخيه وخداً سريعاً ، وقد حمل لها كرهاً حين لم يستطع أن يحول بين عياش وبينها ، وحين عجزعن أن ينالها بسوء ، ثم لمت فى رأسه خاطرة ابتسم لها ، وأشار إلى أخيه الحارث ينذره بأمر ، ثم راح إلى عيَّاش يحدثه : « والله يا أخى لقد استغلظتُ بعيرى هــذا ، أفلا تعقبنى على ناقتك هذه ؟ » فقال عيَّاش وقد أمن مكر أخيه : « بلى ، يا أخى ! » فأناخ وأناخا ليتحوَّل إليها ، فلما استَـوَوْا بالأرض عَدَوَا عليه فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة نهاراً وعلى وجهيهما سمات الفرح والسرور يباهيان أهل مكة بمــا كان ، ويقولان : « يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا » ثم فتناه فافتتن

أحقاً قد افتتن الرجل وارتد عن دين الله واطمأن إلى الكفر ، وسكن إلى الجاهلية ، واستحب العمى ، بعد إذ ذاق حلاوة الإيمان ، ووجد فى قلبه برد الإسلام ، وعاش زماناً بين إخوة من المؤمنين يستروح منهم نسمات الحب والإخلاص وهو فى الحبشة حيناً وفى المدينة حيناً ، لا يستشعر مرارة الفراق ولا لذع الغربة ؟ إن صُبابة من الإيمان ما تزال تتوثب فى قلبه ، غير أنه خشى أن ينطلق إلى النبى صلى الله عليه وسلم يستغفره فلا يتقبَّل منه ، وهو كان يسمع صحابته يقولون : « ما الله بقابل ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة . قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر كبلاء أصابهم » فيرتد على عقبيه وفى نفسه الحسرة والشجن ... ثم لبث فى قومه سنين

وترامى إلى الرجل أن النبى صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة فى رفقة صديقه أبى بكر فنازعته نفسه إليه تدفعه أن يلحق به ولـكن ...

وتصرمت أعوام وعَيَّاش فى حيرة من أمره ، ما يستطيع أن ينزل عنـد رأى أخويه فيغتمر فى الكفر فيجحد ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما هو بقادر على أن يطير إلى المدينة ، وحديث رفاقه ما يبرح يدوِّى فى أذنيه ، وعمر هناك فى المدينة أسيف على أن يرتد رفيقه عن دينه ، وعلى أن يتلمس إليه الطريق عَـلَّه يجد الوسيلة إلى قلبه فلا يستطيعه

وأنزل الله تعالى « ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم » ووجد عمر فيما أنزل الله متنفساً فانطلق إلى قرطاس يسطِّر عليه الآيات الـكريمة ويبعث بها إلى صديقه ...

وأقبلت الرسالة تنفح من عبيرها على قلب الرجل فاضطرب لها ولـمَّا يفضّ مغاليقها ؛ وتاقت نفسه إلى أن يطمئن إليها ساعة من زمان يحدثها وتحدثه ، غير أنه لم يكن ليجد الخلوة . . . وعلى حين غفلة من أهله دلف إلى ذى طوًى بأسفل مكة ينشر الرسالة على عينيه وقد أمِن الرقيب ، ثم راح يصعِّد بها فيــه ويصوِّب فلا يفهم منها حرفاً ، وبدت الـكلمات أمامه عُقداً أعيت عليه . ماذا ؟ لقد استغلق عليه الـكلام العربى المبين وهو عربى فى الصميم والذروة من العرب ! فأخذ يقلِّب الصحيفة بين يديه وقد سيطر عليه الحزن والأسى ، ثم أُلقى فى روعه أن حجاباً كثيفاً أسدل بينه وبين أن يفهم كلام الله لأنه نجَس ، فأقبل على الله بقلب سليم يسأله : « اللهم فهِّمْنيها » فألقى الله فى قلبه أنها إنما نزلت فيه وفى من هم على شاكلته وفيمن كانوا يقولون لأنفسهم ويقال فيهم ، فرجع إلى بعيره فجلس عليه ولحق بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو يستبشر بما غفر الله له

وعملت الآيات الـكريمة معجزتها فى الرجل لتجذبه من هاوية كاد يتردى فيها ما لها من قرار ، إلا أن يستقر فى الدرك الأسفل من النار

كامل محمود حبيب

كتاب السيرة

للأستاذ أحمد الشايب
المدرس بكلية الآداب

— ١ —



تحتل السيرة النبوية فى تاريخ الأدب العربى مكانة لم يظفر بها موضوع آخر، لهذه المكانة التى يشغلها صاحبها فى تاريخ الأمة الإسلامية أولاً، وفى التاريخ العام ثانياً، فإن الرسول عليه السلام لم يكن أديباً فقط له هذه الآثار القوية الخالدة من الأحاديث والخطب والرسائل، وإنما كان قبل ذلك وبعده، رسولاً صاحب دعوة إصلاحية عامة تناولت الدين والنظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى، وأثرت فى الحضارة العامة لمن اعتنقوها طائعين أو جانبوها كافرين، واستطاعت أن تستوقف التاريخ أو تلوى عنانه لتملى عليه إرادتها، وتلقى إليه وحيها، فأخذ عنها ما أملت، وكتب من فصوله صحفاً ملأى بالجهاد، والفضائل، والأدب، والفن، والسياسة؛ ولا يزال الإسلام إلى اليوم — على الرغم مما أصاب بعض ذويه من هوان — مصدر الخير والسعادة، وموئل البشرية حين تعوزها الهداية، وممهداً لدراسات خطيرة تلقى أمام رواد الحضارة التالية ضوءاً يرجى أن يتم به على العالم ما يبنى من رشاد وسلام.

ولم تقف العناية بالسيرة عند العرب وحدهم، أو المسلمين فقط، وإنما تجاوزتهم إلى جماعة من كتاب الفرنجة الأعلام الذين رأوا فى نبى المسلمين رجلاً عظيماً من رجال التاريخ خليقا بالبحث فى أسباب عظمته، وما أتيح له من هذا الفوز الذى استأثر بالسلطان الدنى والسياسى طوال القرون الوسطى، إذ كان العالم الإسلامى يشغل التاريخ بأحداثه الكبرى، ودوله المتعاقبة، وآدابه الغزيرة حين كان الغرب يضطرب فى ظلمات كثيفة، ويحيا حياة خاملة.

ولسنا هنا بعرض الاستيعاب، واستقصاء هؤلاء الذين كتبوا عن الرسول قديماً وحديثاً من المسلمين وسواهم، وحسبنا أن نلم بشىء من ذلك لنصل منه إلى جماعة من المعاصرين الذين تناولوا السيرة بأساليب مختلفة، لها قيمتها العلمية والفنية جميعاً.

— ٢ —

منذ ألف ابن إسحاق سيرته التى اختصرها ابن هشام فى هذا الكتاب المنسوب إليه، والناس يعدونها المرجع الأول لكل من يحاول تاريخ الرسول. وليس ذلك لأن جميع ما احتوته حق تاريخى خالص، وموضع الثقة التى لا ينالها تجريح، لا، ولكن ذلك لأسبقيتها التاريخية فى التدوين، ولما احتوته من حقائق ثابتة فى كثير من المواقف، ولأنها روت أخبارها بهذه الروح التى كانت مسيطرة على المسلمين فى القرون الأولى، أى بوجهة نظرهم، وطريقة تفسيرهم لحوادثها ... فكانت الخطوة الأولى فى هذا السبيل عند المتقدمين، ونقطة الابتداء لكل من يحاول تاريخ النبى الكريم من المحدثين، يرجع إليها محققاً أو مستلهماً. دع عنك بعد ذلك ما تراه فيها من شعر منحول، وروايات مكذوبة، وأخبار لم تصح، لأن وزر ذلك لا يقع على ابن إسحاق وحده، وإنما لهذه البيئة التى كان يعيش فيها الأثر الأول فيما وقع فيه من قصور، فقد كان يحكى أخباراً جاهلية بعيدة، ويقص أياماً نالتها المبالغات والعصبيات، وينقل آثاراً مات أهلها، واعتراها التحريف. على أن ابن هشام لم يقيد جميع ما كان لابن إسحاق من خبر بل حذف منه كثيراً وبخاصة ما كان متصلاً بالجاهلية الأولى، منفصلاً عما يتصل بحياة الرسول اتصالاً مباشراً كما هو مذكور فى المقدمة.

ثم جاء الواقدى وتلميذه ابن سعد فى طبقاته، وحاولا التحقيق والزيادة، فظفرا منهما بنصيب. وأصبح فن السيرة بعد

هؤلاء تقليداً من التقاليد يعمد إليه الكتاب تعبداً أو تأدباً كما فعل كتاب المقامات فى عصور التاريخ الأدبى المتوالية ، فكانت السيرة الحلبية ، والسيرة الشامية . ولم تخل كتب التاريخ العام — كالطبرى وابن الأثير — من تخصيص بعض أجزائها لسيرة الرسول إذ كانت تشغل وحدها فترة واسعة ، خصبة ، بعيدة الأثر فيما أعقبها من دول وأحداث .

وهذه المؤلفات القديمة لم تكن بالطبع خاضعة لهذه المناهج العلمية الحديثة ، فكانت مجموعة من أحاديث الرسول ، وأخبار الجاهلية وأساطير القدماء ، وأشعار الناحلين ومبالغات الراوين ، دون عناية بالنقد والتفسير أو التنسيق وحسن التأليف . ولكنها كانت مؤلفة بروح هذه العصور السابقة ، وبوجهة النظر التى كانت — فى الغالب — مقياس الصحابة والتابعين حين يذكرون الرسول الكريم ويفسرون أعماله وآثاره

أما كتاب الفرنجة فقد رأينا مستشرقيهم يتهافتون على هذا الموضوع ، ويسلكون فيه هذه المناهج العلمية التى قد تفيد من ناحية الشكل والنظام ، ولكنهم بعد ذلك كانوا فريقين : فريقا اتخذ السيرة مجالاً للتعصب على الإسلام فكان من المبشرين الخاطئين ، وفريقا حاول الإنصاف ووقف عند الأصول العلمية الجافة ففقد هذه الروح أو الجو الذى كانت تجرى حوادث السيرة فى ظلاله ، فتعسر عليه تفسير أشياء كثيرة كان من السهل عليه إدراكها لو أنه كسب هذه الروح وعاش بخياله فى عصور النبوة الأولى . نذكر من آثار المستشرقين حياة محمد لإرفنج ، وأخرى لوليام موير ، وثالثة لمرجليوث ، ولا ينسى التاريخ هذا الفصل البديع الذى كتبه كارليل تحت عنوان (البطل فى صورة نبى) إذ دل على تفهم عام لهذه الروح التى كانت تشيع فى بلاد الرسالة قديماً

على أن الهنود لم يقصروا فى هذه الناحية فكتبوا باللغة الإنجليزية فى السيرة رأساً مثل النبى لمولانا محمد على ، وفيما يتصل بها مثل روح الإسلام لسيد أمير على ، ولغير الهنود فى مصر وفى العالم الإسلامى آثار فى السيرة لم تخل من فائدة

— ٣ —

ولكننا نختار من هؤلاء المعاصرين ثلاثة نقف عندهم وقفة قصيرة لا لشىء إلا لأنهم نهجوا فى كتابة السيرة مناهج طريفة من ناحية ، ومتغايرة من ناحية أخرى : محمد حسين هيكل ، وطه حسين ، وتوفيق الحكيم

يتفقون جميعاً فى العناية المحمودة بسيرة الرسول ، وجعلها فى العصر الحديث موضوعاً خليقاً بالدرس وبذل الجهود فى إذاعته بين الناس بأسلوب جديد يقربه إليهم ويحببه إلى نفوسهم ، وهذا وحده غرض نبيل يستحق التقدير . كذلك سلكوا مسالك واضحة ممتازة وإن كانت متغايرة ، ولكل مذهب محدود ذو معالم التزمها صاحبه ليس فيه هذا الاضطراب القديم الذى كان يجمع أشتاتاً من القصص ، والتقرير والوصف والرواية ونحوها ، وإنما هو مذهب علمى أو فنى متناسق الأجزاء ، منظم العناصر ، فيه فقه للأشياء وفهم لها بروح قديمة أو حديثة أو بهما جميعاً . ومع ذلك فهم يختلفون فى أشياء كثيرة

يمتاز هيكل بالمنهج العلمى الذى ترسمه فيما كتب، فكان مذهبه مذهب العالم المحقق، إذ قسم موضوعه إلى فصول متواصلة متلاحقة كما كانت حياة الرسول عليه السلام منتظمة فى هذه الفصول أو الأقسام التاريخية ، ولا أقول إن هذا المنهج كله من اختراعه فلقد سبق إليه ، ولكنه آثره وهذب منه ، وهذه الخطة نفسها اقتضت مؤلف — حياة محمد — أن يكون مستقصياً استقصاء الباحث فليس له اختيار ما يحب وترك ما لا يهوى ، لأنه يعالج موضوعاً من عمل التاريخ ، عليه أن يعرضه كما حدث دون أن يخلع عليه من نفسه إلا ما شاء الخيال التاريخى الذى يربط المفكك ، ويصل المنقطع ، ثم هذا النقد الذى يظهر فى تفسير كثير من المسائل بمقياس إسلامى علمى بعد ما كانت أشبه بالسمعيات تصدق ولا تعلل... وفى مناقشته آراء المستشرقين الذين تجافوا فيما كتبوا عن روح الدين وطبيعته ، وبعدوا عن عصر الرسالة وبيئتها فلم يوفقوا فيما يتصورون . وصاحب (حياة محمد) بعد ذلك مسلم حدب على الدين غيور ، أشرب روح الإسلام ، وألم بكثير من أسراره فظهرت على كتابه أعراض الحمية ، حمية من لا يسمح لأحد بغمز دينه أو النيل منه ، وذلك كله فى أسلوب منطقى واضح هو أسلوب العلماء . ولكن طه حسين سلك سبيلاً أخرى هى سبيل الأديب حقاً ، فلم يشأ فى الظاهر أن يتقيد بمنهج علمى ، وإنما كان قصاصاً ، ترك هذا العصر الذى نعيش فيه ، وانتقل بخياله الخصب إلى الجاهلية وصدر الإسلام وعاش مع ناسهما يفهم بعقولهم ، ويحس إحساسهم ، ويأكل مما يأكلون منه ، ويشرب مما يشربون؛ وبذلك استطاع — ماوسعه الجهد — أن يقص علينا الحوادث بروحها وفى جوهرها ، وأن يفسر المسائل كما كانت

تفسر حينذاك ، فنقل إلينا هذا الماضى أو نقلنا إليه بحيلة لطيفة .

وفن القصص لا يقتضى صاحبه استقصاء ولا تقدماً علميًّا دائماً ، ولا تحقيقاً وتفنيداً ، فآثر أهم الأمور التى يرى فيها روعة قصصية لأنها كانت رائعة إبان حدوثها أو فيما شعر وتخيل صاحب « على هامش السيرة » ... ثم تناولها واصفاً وحاكياً لم يترك جانباً منها إلا أضاءه وأكمل منه ما فات الرواة . وليس من شك فى أن ذلك قد عرض بأسلوب جميل هو أسلوب القصص الممتاز الجامع بين التحليل النفسى للأشخاص ، والإحاطة التامة بما يعرض له من مواقف

أما توفيق الحكيم ، فقد توسط الاثنين ، وجمع بين ميزتى العالم والأديب الممثل ، فكانت سيرته أخف شيء على النفوس . استشار المراجع القديمة ، ووقف عند ما رسمت دون أن يستعين الخيال إلا قليلاً ؛ وقد ألم بأطراف موضوعه ، وقسمه فأحسن التقسيم ، ثم اختار قضاياه وصفاها وجعلها معالم واضحة خالصة من براهين التحقيق العلمى ، وإسهاب الفن القصصى ، فصارت قضايا موجزة بانة حاسمة ، ثم عرضها بهذا الأسلوب الحوارى أو التمثيلى كما كان يتحدث الرسول وصحابته والمتصلون بسيرته قديماً إلا ما لم يرد فيه نص . وكان توفيق الحكيم بعد ذلك حذراً محتاطاً لم يمس الموضوع إلا بخفة وإن كان الأسلوب من تقسيمه وابتكاره

كان هؤلاء الكتاب ، إذا ، بين عالم محقق ، وأديب قاص ، وفنى ممثل ، كل أخلص لمنهجه ، ووصل منه إلى غاية بعيدة

وتستطيع أن تتبين هذا الفرق فى أسطر قليلة جداً ، فيما كتب عن أول ما عمل محمد عليه السلام فى تجارة خديجة ؛ فهيكل يقرر المسألة ويقول إن أبا طالب كان السفير بين ابن أخيه وبين خديجة ؛ وطه حسين يقيم ذلك على ميل خديجة إلى محمد وإرسالها دسيساً إلى عمه تعرض عليه أن يكون ابن أخيه فى تجارتها بأجر مضاعف ؛ فيأتى توفيق الحكيم ، فيقتضب المسألة ، ويترك الباب مفتوحاً للخيال .

والمرجو ألا يقف العلماء عند ما كتب هيكل ، وكفى ، وأن يتم طه حسين : « على هامش سيرته » ... وأن يجيبنا العلماء : هل تمثل سيرة الرسول على المسرح ثم ترسم على الشاشة البيضاء ؟

« رمل الاسكندرية » **أحمد الشايب**

حالة العرب الاجتماعية
فى عصر الدولة الأموية

للدكتور حسن إبراهيم حسن
أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب



كان لاختلاط العرب والروم وغيرهم من الأمم الأخرى أثر كبير فى تغيير عاداتهم وحياتهم الاجتماعية وبخاصة فى عهد الأمويين فقد تأثر معاوية بن أبى سفيان بنظم الحكم التى أدخلها الروم فى بلاد الشام وابتكر ابتكارات لم يسبقه إليها أحد ، فهو أول من اتخذ الحشم وأقام الحجاب على بابه ووضع المقصورة التى يصلى الخليفة بها فى الجامع منفرداً عن الناس وذلك لخوفه مما جرى لعلى رضى الله عنه

وكان من أقدس واجبات الخليفة أن يؤم الناس فى صلاة الجمعة والصلوات الخمس . وقد سار على ذلك الخلفاء الراشدون وبعض خلفاء بنى أمية . وكان الخليفة فى العهد الأموى يحضر إلى المسجد مرتدياً ثياباً بيضاء وعمامة بيضاء مرصعة بالجواهر ويرق المنبر لإلقاء خطبة الجمعة وبيده الخاتم والعصا ، وهما شارتا الملك

وقد تشبه خلفاء بنى أمية بالملوك وأبهتهم ، وكان الخليفة يجلس فى صالة الاستقبال الكبرى وعلى يمينه أمراء البيت المالك وعلى يساره كبار رجال الدولة ورجال البلاط ثم يمثل بين يديه رسل الملوك وأعيان البلاد ورؤساء النقابات والشعراء والفقهاء وغيرهم

وكان الخلفاء الأول من بنى أمية يستمعون فى أوقات فراغهم إلى أخبار الحروب وسير فرسان العرب فى الجاهلية ، فكان معاوية يقرأ أخبار العرب وأيامها وسير ملوك العجم وسائر ملوك الأمم وحروبها وسياستها لرعيتها وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ، وكان يقرأ عليه ذلك غلمان مرتبون ، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات

وكان الأمويون يستمعون لقصائد الشعراء ويمنحونهم الجوائز ويخلعون عليهم الخلع. ولم يلبث أن حل الغناء محل الشعر ، كما كلف الناس بالموسيقى والغناء ، وتدفقت على دمشق طبقات المغنين المشهورين والموسيقيين الذين كان الخلفاء يدعونهم إلى دمشق من أقاصى البلاد

وكان لعب الشطرنج و « الدومينو » والورق معروفاً عند الأمويين . ومن الألعاب التى شاعت فى ذلك العصر قتال الديكة على الرغم من أن الوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز حرما هذا النوع من الألعاب

وكان سباق الخيل من أهم تسلية الشعب على اختلاف طبقاته. ويقال إن هشام بن عبد الملك الأموى كان أول من أقام حلبات السباق لتحسين نتاج الخيل حتى أنه اشترك فى السباق معه أربعة آلاف من خيله وخيول الأمراء .

وكانت المرأة العربية فى ذلك العصر تتمتع بقسط وافر من الحرية، وكانت المرأة متحجبة على الرغم من أنها كانت تقابل الرجال وتتحدث إليهم وتقود الجيوش .

وقد أوجب الإسلام تعلم العلم على كل مسلم ومسلمة ، كما أوجب على أمهات المؤمنين أى زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعلمن الناس ويعلمن أبناءهم وبناتهم ، وقد أمرهم الله سبحانه وتعالى بذلك فقال فى كتابه العزيز (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة) ناهيك بعائشة أم المؤمنين فقد اشتهرت بالفقه ورواية الحديث والتاريخ والنسب والطب وعلم النجوم وقادت جند المسلمين يوم الجمل سنة ٣٥ هـ كما اشتهرت أختها أسماء بنت أبى بكر وأم عبد الله بن الزبير برواية الحديث والكرم والشجاعة، فقد أرعن عبد الله بن الزبير أنه لما انضم بعض أتباعه إلى الحجاج ابن يوسف الثقفى قائد الخليفة عبد الملك بن مروان الأموى وبقى هو فى عدد قليل من أنصاره وأيقن أنه مقتول لا محالة دخل على أمه فقال يا أماه قد خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، ولم يبق معى إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا — فما رأيك ؟

قالت : أنت أعلم بنفسك . إن كنت تعلم أنك على حق ، وإليه تدعو ، فامض له فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبتك غلمان بنى أمية، يلعبون بها . وإن أردت الدنيا فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك ومن قتل معك. وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابى ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين . كم خلودك فى الدنيا؟ القتل أحسن. فقال: يا أماه، أخاف إن قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى ويصلبونى. فقالت : يابنى إن الشاة لا تتألم بعد ذبحها. فامض على بصيرتك واستعن بالله. فقبل رأسها وقال : هذا رأيى. فطفقت أمه تدعو له وتشجعه. وخرج عبدالله بعد ذلك وقاتل أهل الشام قتالاً شديدا ، وأظهر شجاعة نادرة حتى حمل عليه العدو وقتلوه . ولم يهب القتل بفضل تشجيع أمه التى ضربت المثل الأعلى فى الشجاعة والتضحية فى سبيل إعلاء شأن الوطن .

وليس أدل على جرأة المرأة وشجاعتها من ذلك الحوار الذى دار بين معاوية وبين الدارمية ، فقد روى القلقشندى (صبح الأعشى ج ١ ص ٢٥٩ — ٢٦٠) أن معاوية حج فسأل عن امرأة من بنى كنانة تسمى الدارمية ، وكانت سوداء كثيرة اللحم فجىء بها ، فقال لها : ما حالك يا ابنة حام ؟ قالت : لستُ لحامٍ أُدعى ، إنْ عِبْتَنى أنا امرأة من بنى كنانة. قال: صدقتِ أتدرين لمَ أرسلتُ إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلا الله . قال : بَعَثْتُ إليك لأسألك علامَ أحْبَبْتِ عليًا وأبغضتنى ، وواليته وعاديتنى ؟ قالت : أو تعفينى يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قالت : أما إذ أبيت ، فإنى أحببت علياً على عَدْله فى الرعية وقَسْمِه بالسَّوية ، وأبغضتُك على قتالك مَنْ هو أوْلى بالأمر منك ، وطلبك ما ليس لك بحق . وواليتُ علياً على ما عُقد له من الولاية ، وعلى حبه المساكين وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفك الدماء وجَوْرك فى القضاء وحكمك بالهوى . قال : ولذلك انتفخ

بطنك وعظم ثدياك ... قالت: ياهذا، بهند كانت تضرب الأمثال لا بى . . . قال لها : فهل رأيتِ علياً ؟ قالت : لقد كنت رأيته . قال : كيف كنتِ رأيته؟ قالت : رأيته لم يفتنه الملك الذى فتنك، ولم تشغله النعمة التى شغلتك . قال لها : فهل سمعتِ لكلامه ؟ قالت : نعم ! والله كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الطَّست من الصدأ . قال : صدقتِ ، فهل لكِ من حاجة ؟ قالت : وتفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم ! قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء فيها فُحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أُغَذِّى بألبانها الصغار ، وأستحيى بها الكبار ، وأصلح بها بين العشائر . قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أَحُلُّ عندك محل علىّ ؟ قالت : ماء ولا كصدّاء ، ومرعى ولا كالسَّعْدان ، وفتى ولا كمالك . يا سبحان الله أو دُونَه . فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم منى إليكم ... فمن ذا الذى بعدى يُؤَمَّل للحلم؟
خذيها هنيئاً واذكرى فعل ماجد ... جزاك على حرب العداوة بالسِّلم

ثم قال : أما والله لو كان علياً ما أعطاك منها شيئاً . قالت : ولا وبرة واحدة من مال المسلمين

وممن اشتهر من نساء العرب فى ذلك العصر أم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك ، وبنت عبد العزيز بن مروان ، وأخت الخليفة عمر بن عبد العزيز . قال المسعودى فى مروج الذهب (ج ٢ ص ١٥٢ — ١٥٣) : وفد الحجاج بن يوسف على الوليد فى بعض نزهه ، فاستقبله . فلما رآه ترجل له وقبّل يده ، وجعل يمشى وعليه درع وكنانة وقوس عربية ؛ فقال له الوليد : إركب يا أبا محمد ! فقال : دعنى يا أمير المؤمنين أستكثر من الجهاد ، فإن ابن الزبير وابن الأشعث شغلانى عنك ، فعزم عليه الوليد حتى ركب ، ودخل الوليد داره ، وتفضّل فى غلالة ، ثم أذن للحجاج ، فدخل عليه الحجاج فى حاله تلك وأطال الجلوس عنده . فبينما هو يحادثه إذ جاءت جارية فسارّت الوليد ومضت ، ثم عادت فسارّته ثم انصرفت . فقال الوليد للحجاج : أتدرى ما قالت هذه يا أبا محمد ؟ قال : لا والله . قال : بعثتها إلىّ ابنة عمى أم البنين ، بنت عمر ابن عبد العزيز تقول : ما مجالستك لهذا الأعرابى المتسلح فى السلاح وأنت فى غلالة ؟ فأرسلت إليها أنه الحجاج ، فراعها ذلك وقالت :

والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق . فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين ! دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول ، فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة ، فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك ، ولا تطمعهن فى غير نفسك ، ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن . وإياك ومشاورتهن فى الأمور ، فإن رأيهن إلى أَفَن ، وعزمهن إلى وهن ؛ واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك ، ولا تُمَلِّك الواحدة منهن من الأمور ما يجاوز نفسها ، ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها ، ولا تُطل الجلوس معهن ، فإن ذلك أوفر لعقلك، وأبين لفضلك . ثم نهض الحجاج فخرج ، ودخل الوليد على أم البنين فأخبرها بمقالة الحجاج ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! أحب أن تأمره غداً بالتسليم علىّ ، فقال : أفعل . فلما غدا الحجاج على الوليد قال له : يا أبا محمد ! سر إلى أم البنين فسلم عليها . فقال : أعفنى من ذلك يا أمير المؤمنين . فقال : لا بد من ذلك . فمضى الحجاج إليها فحجبته طويلاً ، ثم أذنت له فأقرته قائماً ولم تأذن له فى الجلوس؛ ثم قالت: إيه يا حجاج ! أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ؟ أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمى الكعبة ، ولا بقتل ابن ذات النطاقين وأول مولود ولد فى الاسلام (تعنى عبد الله بن الزبير) . وأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك فأغاثك بأهل الشام، وأنت فى أضيق من القرن ، فأظلتك رماحهم، وأنجاك كفاحهم . ولولا ذلك لكنت أذل من النقد . وأما ما أشرت على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطاره من نسائه ، فإن كن ينفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أحقّه بالأخذ عنك والقبول منك ، وإن كنّ ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فإنه غير قابل منك ولا مصغ إلى نصيحتك . قاتل الله الشاعر وقد نظر إليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول :

أسدٌ علىّ وفى الحروب نعامةٌ ... فتخاء تفزع من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة فى الوغى ... بل كان قلبك فى جناحى طائر

أخرجنَه عنى ! فدخل إلى الوليد من فوره ، فقال : يا أبا محمد ! ما كنت فيه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما سكتتْ حتى كان

بطن الأرض أحَبّ إلىّ من ظهرها . فضحك الوليد حتى فحص برجله الأرض ثم قال : يا أبا محمد إنها بنت عبد العزيز

ومن مظاهر الترف فى دمشق حاضرة الأمويين أنه كان لكل دار فناء مستطيل على جوانبه أعمدة من الرخام ومماش مرصوفة بالحجارة أو الحصباء على أشكال هندسية منتظمة . وفى الفناء نافورة يحيط بها حديقة صغيرة بها الأزهار الزكية الرائحة، وتظللها أشجار البرتقال والليمون، وأمام الباب شباك يوضع فوقه الطست والإبريق للوضوء — وكانت قصور الأغنياء مكونة من طابقين أحياناً — وفى الشتاء تكسى الحجرات بالسجاد الثمين وتدفأ بالمنهل (الموقد) . أما فى الصيف فكانت النافورات والنوافذ كفيلة بتلطيف حرارة الجو . وكانت سقوف الدار مزدانة بنقوش على الطراز العربى أو مطلية بالذهب. ولم تكن هناك مقاعد، فإذا كان صاحب الدار من أصحاب اليسار ، وضعت السجاجيد بعضها فوق بعض لتكون بمثابة مقعد له

وكان قصر الخليفة الأموى بدمشق غاية فى الأبهة . وقد ازدانت جدرانه بالفسيفساء، وأعمدته بالرخام والذهب، وسقوفه بالذهب المرصع بالجواهر . وقد لطف جوه النافورات والمياه الجارية والحدائق الغناء بأشجارها الظليلة الوارفة . وقد شيد الحر بن يوسف حفيد مروان بن الحكم الذى ولى بلاد الموصل فى عهد هشام ابن عبد الملك ، داراً منيفة من الرخام الخالص والمرمر ، عرفت بالمنقوشة لما تمتاز به من النقش البديع ، كما بنى خانات (فنادق) فى الموصل . وقد رأى الحر ما يعانيه أهل الموصل من المشاق فى سبيل الحصول على ماء الشرب ، فشق قناة لا تزال باقية إلى اليوم ؛ وغرس الأشجار على ضفتيها حتى أصبحت بمثابة متنزه عام لأهل المدينة

وكانوا يرتدون العباءة فوق القباء ويصنعونها من وبر الجمل . وكانوا يرتدون فى الحرب أردية خاصة فيلبسون السروال عادة ورداء قصيراً بدلاً من الثياب الفضفاضة (الواسعة) المتدلية . أما لباس الرأس فهو العمامة كما كانوا يلقون الطيلسان فوق العمامة . وهو عبارة عن منديل كبير متدل إلى الكتفين ليقى الرقبة حرارة الشمس . وكانت الملابس تختلف تبعا لثروة الناس ومركزهم الاجتماعى ونوع عملهم . فكسوة الفقيه والكاتب تختلف عن ثياب الجند . وكان رؤساء القبائل وغيرهم من علية القوم يرتدون قباء يصل إلى الركبتين يعلوه سروال ثم جلباب فضفاض يتدلى إلى العقبين ويشده من الوسط حزام من الحرير ، ويلبسون فوق كل ذلك الجبة أو القباء .

وكانت ثياب المرأة تتكون من سروال فضفاض وقميص مشقوق عند الرقبة عليه رداء قصير ضيق يلبس عادة فى البرد . وكانت إذا خرجت من بيتها ترتدى ملاءة طويلة تغطى جسمها وتقى ملابسها التراب والطين ، كما كانت تلف رأسها بمنديل يربط فوق الجبهة .

وكان العرب يكتفون بالقليل من الطعام ، فلم يتجاوز طعامهم اللون أو اللونين . وكان خير أطعمتهم الثريد وهو الخبز يفت ويبل بالمرق ويوضع فوقه اللحم . وقد تغيرت أطعمتهم وتعددت ألوانها . وفى عهد الأمويين استعمل العرب الفوط والملاعق كما كانوا يجلسون على الكراسى حول مائدة الطعام التى كانت تكسى بمفرش من القماش .

حسن ابراهيم حسن

محمد الأديب الأعظم

للأستاذ درينى خشبة



لا أدرى لماذا يشفق الكتاب أن ينعتوا النبي الكريم بالأديب العظيم ؟! هل فى ذلك سبة أو فيه حط من قدره صلى الله عليه وسلم؟ وإذا لم يكن الرجل الذى أوحى إليه بهذا القرآن أديباً فماذا يكون الأديب ؟

لقد ترك النبي فينا كتاب الله وسنّة النبوة ، وفيها جوامع الكلم التى لم يؤتها إلا هو . ولقد علم بهذين ما لم يعلم فيلسوف بفلسفته ، ولا أديب بأدبه ، ولا نبي بما أرسل به . . . أسلوب مُعجز ، ومعنى مُعجز ، واتفاق بين الأسلوب والمعنى معجز ، وغرض يشمل كل الكائنات معجز ، وحياة هى البطولة المعجزة . . . وأمية لا تعرف القراءة والكتابة يسبح القُراء والكُتاب فى بحر لجى من قرآنها وحديثها . . . علماً وأدباً ولغةً وبياناً وهدًى وتشريعاً وأخلاقاً . . . فماذا يصنع الأدب غير ذاك ؟ الأديب يترك أثره فى حيز محدود من بيئته ، لأيام معدودات من زمنه ، ويكون بعد ذلك رجعاً كرجع الصدى فى تضاعيف ذكرياته ، حيث يكون شعراً فى ديوان ، أو قصة يلتذ بقراءتها أفراد ، أو درامة يستمتع بشهودها ملأ من الناس ، ثم ينصرفون فلا تكون لها فى أذهانهم إلا صورة أو فكرة قد تدفعهم إلى فضيلة أو تنهاهم عن رذيلة . . . فماذا ترك الأديب الأعظم محمد بن عبد الله من هذا وذاك ؟! أستغفر الله بل ترك أدباً حيًّا يتغلغل فى نفوس الملايين من الناس لملايين من الأجيال حتى تقوم الساعة . يحضهم على الخير ، وينهاهم عن المنكر ، ويستهويهم بصور رائعة من أدبه الحق الذى نسميه الأدب الواقعى يُشرب قلوبهم المحبة الخيّرة النيّرة ، ويسمرها بالسلام القائم الدائم ، ويلهمهم الإنسانية ، ويحبب إليهم الإخاء ، ويروضهم على المساواة . . . إلا فيما رفع الله به الناس بعضهم فوق بعض درجات

قد يقول قائل إن هذه الدعوى من باب إقحام الدين فى الأدب والأدب فى الدين .. لأن الدين هو الذى صنع كل هذا .. ونحن نقول إن الدين هو الذى صنع كل هذا حقاً ولكنه صنعه بأسلحة شتى ووسائل متفاوتة ، وقد كان أمضى هذه الأسلحة ، وأشرف تلك الوسائل .. هو الأدب .. فالرسول الكريم كان حلو الكلام أغر البيان طلىّ المقاطع ، ذا قدرة عجيبة فى تنسيق حجته ، والتدقيق فى عبارته ، فى غير كلفة ولا صنعة حتى وهو فى مواقف الخطابة .. ولم يحفظ الأثر أنه حصر مرة أو أرتج عليه ، أو التاث عليه القول ، لا على المنبر ، ولا فى حلقة الدرس ، بل كان يتدفق ويشقق الحديث إذا اقتضى الموقف الإطناب ، ويقتصر على العظة الصغيرة بلفظها ، الكبيرة بفحواها إذا لم يقتض الحال غير ذلك

ثم ها هم أولاء الأنبياء جميعاً . . . فمن منهم تحدى قومه بقوة البيان وصوغ الكلام وإعجاز الأسلوب ؟! وما ذلك كله إن لم يكن أدباً ؟ وماذا يكون صاحبه إن لم يكن سيد الأدباء ؟! إن الله الذى يَسّر القرآن بلسان محمد قد تحدى الناس أن يأتوا بشىء مثله ، فما استطاعوا ؛ وما يزال التحدى قائماً ، ولسوف يعجز البشر جميعاً عن أن يجيئوا بشىء مثل القرآن . . . والقرآن وحى الله ، وقد يسره الله بلسان نبيه ، والقرآن تشريع ليس فيه جفاف القانون الوضعى ، وقصص من النسق الإلهى الذى لا يتملق الغرائز بالفتنة فى الحياة الدنيا بل يسمو بها إلى لذائذ الحياة العليا ؛ ثم عظة بالغة ، ودعوة إلى الحق ، ودستور للناس لا يعتوره نقص ولا تشوبه شائبة

هل الأدب قصة أو درامة فحسب ؟! إن كان هذا فقد قص النبي أحسن القصص وأقواه وأكثره حلاوة وطلاوة ، وأشده روعة وتأثيراً . . . وأى قصص أشهى وأحلى وألذ مما يسر الله بلسان نبيه فى آدم ونوح وإبراهيم وموسى ويعقوب ويوسف ويونس وهود ولوط وعيسى من أنبياء الله ؟!

أم يقولون إنها أخبار مروية فيما يؤمنون أنها الكتب المقدسة التى أنزل الله من قبل ؟ ! ونقول أجل . . . ولكن أين هى هذه

الكتب التى أنزل الله؟ أباقية هى على ما أنزل الله لم يعتورها تغيير ولا تبديل؟ ألم تشحنها أقلام الرواة والنُّسَّاخ بما طاب لهم وعا ندّت به أقلامهم؟ ... أحقًّا قد زنى داود؟ أحقًّا قد وقع جميع الأنبياء فى الخطيئة؟ لقد جاء القرآن مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل مما لم تبدله قرائح البشر، فبرّأ الأنبياء مما أخذوا به باطلاً من الدنس، ثم روى أخبارهم بلسان صدق عَلِيّ وبأروع بيان وأدق أسلوب، ثم حدّث النبى بما يشبه أن يكون تعليقاً وشرحاً وتفسيراً لجاء بكل معجب وكل مطرب ... ثم حدّث بالأحاديث القدسية العالية التى مسرحها السماء ومُلهمها الله القدير، فأى درامات الكتاب والشعراء أروع مما تحدث به النبى؟ وأى حديث زخرفه قلم شاعر أو ناثر أو روائى يسمو إلى الحق الذى تنزل به جبريل على فؤاد محمد وما حدّث به محمد من تخاصم أهل النار وتحدث أهل الجنة، والواقفين على الأعراف، والولدان المخلدين، والكواعب الأتراب، ومخاطبة العزيز اللطيف لمن فاز من عباده، وغيظ الكافرين وما يقع بينهم وبين إبليس من شحناء وموجدتهم على الشياطين والنار تؤزهم ...؟

هذا هو القصص الحق الذى لم تبهرجه براعة مؤلف، ولم يختلقه خيال روائى. وهذا هو قصص الله الذى خلق الإنسان علمه البيان ... الله الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ... الله الذى أرسل للناس نبياً عربياً من الأميين، فقضى أن تكون أمية عجيبة مُعجزة تفهم كل شىء وتنى كل شىء، وتبهر المتعلمين والدارسين بما لا يستطيعونه ولا يقدرون على مثله أو بعضه ... أمية أعدها الله لهذا الأمر العظيم إعداداً لا تقوى جامعاتنا الحديثة على شىء مثله ... أمية أبوتها فى بنى هاشم، وخئولتها فى بنى زهرة، ورضاعها فى سعد بن بكر، ونشأتها فى قريش، وزواجها فى بنى أسد، وهجرتها إلى الأوس والخزرج. فانظر كيف تقلبت فى القبائل فتمرست بها، ووعت لغاها، ووقفت على أسرار بيانها، فلما بعثها الله لهذا الأمر لم تضق ذرعاً بأحد، ولم تضق فهماً بلسان أحد، بل كانت تكلم كلاً بلسانه، وترد على كل بلهجته. بل هى قبل أن يبعثها الله لتبليغ رسالته كانت تحب الأدب وتشغف به، فكانت تتردد على الأسواق تصغى إلى الشعراء والخطباء، وتحفظ من الخطب ولا ترى حرجاً فى أن تروى منها[1].

(١) فى البيان والتبيين جـ ١ ص ٢٠٣ أن النبى (ص) سمع قس بن ساعدة وقال فيه « رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول: أيها الناس اجتمعوا، فاسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت. » وبما فى كتب الأدب غير ذلك.

علل أحد البصريين أُمية الرسول الكريم: فقال: « إن الله إنما جعل نبيه أمياً لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ولا يقرض الشعر، ولا يتكلف الخطابة، ولا يتعمد البلاغة لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة، ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب من قيافة الأثر، وعيافة الطير، ومن العلم بالأنواء وبالخيل، وبالأنساب وبالأخبار، وتكلف قول الأشعار، ليكون إذا جاء القرآن الحكيم، وتكلم بالكلام العجيب، كان ذلك أدل على أنه من الله ... وزعم أن الله لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقص حظاً من الحاسب والكاتب، ومن الخطيب والناسب، ولكن ليجعله نبياً، وليتولى أمر تعليمه بما هو أزكى وأنمى، فإنما نقصه ليزيده، ومنعه ليعطيه، وحجبه عن القليل ليجلى له الكثير ... »

وقد تولى شيخ أدباء العرب أبو عثمان الجاحظ (البيان جـ ١ ص ٢٣٠) نقض هذا الكلام فقال: « وقد أخطأ هذا الشيخ ولم يرد إلا الخير، وقال بمبلغ علمه ومنتهى رأيه، ولو زعم أن أداة الحساب والكتابة، وأداة قريض الشعر وجمع النسب قد كانت فيه تامة وافرة مجتمعة كاملة، ولكنه صلى الله عليه وسلم صرف تلك القوى وتلك الاستطاعة إلى ما هو أزكى بالنبوة وأشبه برتبة الرسالة، وكان إذا احتاج إلى البلاغة كان أبلغ البلغاء، وإذا احتاج إلى الخطابة كان أخطب الخطباء، وأنسب من كل ناسب، وأقوف من كل قائف، ولو كان فى ظاهره والمعروف من شأنه أنه كاتب حاسب، وشاعر ناسب، ومتفرس قائف، ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة، لما كان ذلك مانعاً من وجوب تصديقه، ولزوم طاعته، والانقياد لأمره، على سخطهم ورضاهم، ومكروههم ومحبوبهم؛ ولكنه أراد ألا يكون للشاعر متعلق عما دعا إليه، حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وإن رق، وليكون ذلك أخف فى المؤنة، وأسهل فى المحنة، فلذلك صرف نفسه عن الأمور التى كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها، فلما طال هجرانه لقريض الشعر وروايته صار لسانه لا ينطق به، والعادة توأم الطبيعة، فأما فى غير ذلك فإنه إذا شاء كان أنطق من كل منطيق، وأنسب من كل ناسب، وأقوف من كل قائف، وكانت آلته أوفر، وأداته أكمل ... إلا أنهما كانت مصروفة إلى ما هو أبعد ... وبين أن يضيف إليه العادة الحسنة، وامتناع الشىء عليه من طول الهجران له فرق ... ومن العجب أن صاحب هذه المقالة لم يره

فى حال معجزة قط ، بل لم يره إلا وهو إن أطال الكلام قصر عنه كل مطيل ، وإن قصر القول أتى على غاية كل خطيب ، وما عدم منه إلا الخط وإقامة الشعر ... الخ »

فالجاحظ هنا يحامى عن معرفة النبى لآداب العرب — وهو ما يعنينا — وعن إلمامه بما كان فخر قومه ومحل نبوغهم ... ولما كان أعز ما يفتخر به العرب هو البيان فإنه لم يمنع النبى مانع إذا أراد البلاغة أن يكون أبلغ البلغاء ، وإذا أراد الخطابة أن يكون أخطب الخطباء ، وإنه إن أطال الكلام قصر عنه كل مطيل ، وإن قصر القول أتى على غاية كل خطيب ... »

وهذا دفاع مجيد من شيخ الأدباء العرب عن النبى الأديب الأعظم فى معرض ما فهم أحد علماء البصرة من أمية محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو دفاع رجل كان يهب حياته للأدب ، وكان يعنى بأدب الرسول خاصة ، وكان يصف كلامه فيقول(١) : « هو الكلام الذى قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونُزِّه عن التكلف ، وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد : « وما أنا من المتكلفين » فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التقعير ، واستعمل المبسوط فى موضع البسط ، والمقصور فى موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشى ، ورغب عن الهجين السوقى فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة ، وشُيِّد بالتأييد ، ويسر بالتوفيق

« وهذا الكلام الذى ألقى الله المحبة عليه ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ولا يطلب الفلج إلا بالحق ، ولا يستعين بالخلابة ، ولا يستعمل المواربة ، ولا يهمز ولا يلمز ، ولا يُبطئ ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر . ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين فى فحواه ، من كلامه صلى الله عليه وسلم كثيراً ... »

والذى وصف به الجاحظ كلام الرسول قول حق ، وهو كان يفضل به كلامه صلى الله عليه وسلم على كل كلام العرب ، أما نحن فنجعل حكم الجاحظ أعم وأشمل . فليس فى كلام أحد من الفرنجة قاطبة كلام يشبه كلام الرسول فيما زعمه الجاحظ ... وقد يقول قارىء غير مسلم : « كاتب مسلم متحمس للرسول فهو لا يستطيع أن يقول غير هذا ! » كلا والله ... فلقد قرأت ودرست أدب الأقدمين شعراً ونثراً وخطباً ؛ ولقد قرأت ودرست أدب النهضة فى جميع الممالك الأوربية ؛ ولقد قرأت ودرست ووازنت بين أدباء عصر بركليس وأدباء عصر إليصابات ، وأدباء عصر لويس ، وأدباء القيصرية الروسية ، فلا والله ما وجدت أحدهم يرتفع إلى أدب الرسول ولا يحكيه غزارة ورقة وازدحاما بالمعانى وشمولا للاغراض . وهذه هى خطب ديموستين فى التبغيض فى الارستقراطية والتبشير بالديمقراطية ... أين هى من هذه المساواة العجيبة التى أقامها محمد بين هذه الملايين بقوله : إنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ؟ بل أين هـذا الخطيب الوضيع المرتشى الذى يقول بلسانه ما ليس فى قلبه ، والذى فر من مواطنيه اليونانيين حتى إذا لاحقوه وضيقوا عليه عمد إلى السم ليضع حداً لمهزلة حياته الفياضة بالمخازى ؟ أين هذا الخطيب الذى يحفظ الأثر خطبه كأنها المثل الأعلى للخطابة من الرسول الكريم الذى لم يكن ينطق عن الهوى ، والذى ألف بخطبه بين أشد القلوب عنجهية وأفدحها جاهلية وأكثرها عصبية ، فخلق منها أمة تعبد رباً واحداً بعد أرباب ، وتنتشر من الصحراء بمصابيح الهداية فتملأ المشرقين والمغربين نوراً وهداية وحكمة وعرفاناً ؟

ثم خطيب الرومان شيشرون ! هذا الرجل الذى فضح مارك أنطوان بخطبه الرنانة .. ماذا ترك لخير الإنسانية من كل ما كتب وخطب ؟ لقد كان محامياً مدرهاً ، فهل كسب للا نسانية قضية كهذه القضية التى كسبها لها محمد بن عبد الله ؟ لقد كتب فى القانون والفلسفة والأخلاق ، فهل حل معضلاتها المعقدة كما حلها محمد بن عبد الله النبى الأمى ؟ ولقد حفظ لنا الأثر كثيراً من خطبه ومقالاته ، فهل فيها ما يرتفع إلى بيان محمد وبلاغة محمد ؟ هل استطاع أن يضع للرومان دستوراً يحمى الجمهورية ويحول دون قيام الامبراطورية كهذا الدستور الذى أوحى به إلى محمد ، والذى يَسَّره الله بلسان محمد ؟

ثم هذا دانتى ... هذا الكاثوليكى القح ... الذى يرفعه مؤرخو الأدب إلى ذروة المجد بما بهرج فى الكوميديا الإلهية ؟ ماذا جاء به من السحر فى هذه المنظومة ؟ لقد أثبتنا بما نشرناه

(١) البيان جـ ٢ ص ٢٨

فى « الرسالة » أن كل شىء رائع فى هذه القصيدة ليس من صنع دانتى ، بل هو مما سرق دانتى من أخيلة[1] القرآن وبيان الأحاديث فى وصف الجنة ووصف الجحيم، وذلك بما انتشر من ثقافة القرآن وثقافة الأحاديث بعد الحروب الصليبية وقبلها عن طريق الأندلس وعن طريق صقلية إلى فرنسا ثم إيطاليا

ثم هـذا ملتون ... فأين ما جاء فى فردوسه من الحرب بين الشيطان وبين المسيح وأجناد المسيح مما جاء فى القرآن والحديث من تحاور بين الله العلى وبين إبليس، وبين إبليس وبين ملئه الذين أغواهم فأدخلهم النار ثم تبرأ منهم وهو يرسف معهم فى سواء الجحيم ؟!

ثم هذا جون بَنْيَن ! فماذا جاء به فى « رحلة الحاج » مما ليس له مثل بل أمثال تبذه وتزرى به فى أدب محمد النبى الأمى ؟

وهذا بيكون الأديب النائب العام والكاتب الأخلاق الفيلسوف المرتشى الذى لم يرع لذى فضل عليه فضله ولم يكن عنده من الوفاء ما يجزى به ذوى الأيادى الغر عليه[2]، ماذا كتب فى فصوله فى الأخلاق مما لم يسبقه إليه الرسول الأعظم ؟

والأدباء العظام فى عصر لويس الرابع عشر : بيير كورنيل وديكارت وموليير وراسين ولافونتين ، إننا نقولها كلمة حق لا تصدر عن حماسة فحسب، بل عن تروية ويقين: إن المُثل الرائعة التى زاد بها هؤلاء فى تراث الفكر الانسانى والثقافة الانسانية هى قل من كثر مما ضاعف به النبى هذا التراث ، ونحن نقول المثل لأن النبى لم يكن ضحاكاً كموليير ولا فيلسوفاً كديكارت ولا مؤلف درامات كراسين ، بيد أنه مع ذلك أنشأ للانسانية مُثُلاً أسمى مما أنشأ هؤلاء ، وأنشأها كلها عن طريق الأدب

والأدباء الذين مهدوا للثورة الفرنسية ... فولتير وديدرو وبومارشيه ورسو ... هل أنشأوا ثورة كهذه الثورة التى أنشأها محمد بن عبد الله وقام بها وحده ؟! وأين هى الثورة الفرنسية التى انتهكت فيها الحريات باسم الحرية ، وخضعت فيها الكرامات والشرائع لجنون الشعب وعربدة النساء ولوثة الأوشاب من تلك الثورة العظيمة فى سبيل الحق وخير الإنسانية وانتشال العقل من براثن الأغوال الحجرية التى كان يعبدها الناس ... هبل ويغوث ويعوق ونسر واللات والعزى وضمار ؟! أى الثورتين كانت أروع وأيهما كانت أعود بالخير على الناس وعلى الأفهام ؟!

لقد كتب روسو إنجيل الثورة، ، فهل رسم فيه ما رسم القرآن للناس أجمعين فى كل العصور ؟! وهل كاتب إنجيل الثورة كهذا الوحى الذى يسره الله بلسان محرر ؟!

ثم هؤلاء منشئو الأدب الألمانى : جوته صاحب فاوست ، وشيللر صاحب وليم تل ، ولسنج مؤلف لاوكون ، وهم الذين أعدوا الذهن الألمانى إعداده الذى غبر عليه قرن ونصف قرن ، الإعداد الذى لا يعرف شيئاً وهو المثل الأعلى غير القوة والغَلْب، هل جعلوا ألمانيا تقهر العالم فى أقل من عشر سنين كما جعل محمد أمته تصنع ذلك ؟ وإذا قدر لألمانيا أن تصنع ذلك ، فهل كانت تنشر الأمن والطمأنينة والعلم والنور ودين الحق بالسلام كما نشر العرب ذلك جميعاً فى ربوع العالم ؟أم أنها كانت تستعبد الناس وتذلهم وتقول لهم أنتم ساميون وحاميون ... و ... آريون ... أما نحن فآريون نورديون ؟ ! فى حين يقول محمد للنـاس : « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى !! »

أم أدباء روسيا: لرمنتوف وجوجول وتولوستوى ودستوفسكى وترجنيف وبوشكين وجوركى ؟! ماذا أسلف هؤلاء جميعاً ؟! لقد مهدوا بأدبهم الباكى المتوجع البائس الفقير الغارق فى الدموع لهذه الشيوعية المخربة التى تستبد بالناس وتسومهم الخسف وتهدم مساجدهم وكنائسهم وبيعهم وتبيح نساءهم باسم الدولة ... فكأنهم تخلصوا من راسبوتين ليقعوا فى براثن ستالين !!

وبعد ... فنحن لا نحصى أدباء العالم هنا لنوازن بين ما انتهى إليه أدبهم وبين ما انتهى إليه أدب الرسول الكريم ... ونحن لا نقص من الآداب الرائعة التى لها قيمتها ولها أثرها لنرفع أدب نبينا بغير الحق، بل نحن نقارن بين مُثل ومُثل ونوازن بين خير كثير أصاب الإنسانية على يد رجل واحد وخير كثير أصابها على أيدى كثيرين ، وشتان بين الأدبين

أما أن يقول أحد إن الأدب هو القصة ، فلقد قص الرسول أحسن القصص وأروعه ، فى أحسن عبارة وأقوى أسلوب ... وأما أن يقول أحد إن الأدب هو الشعر ، فما كان محمد شاعراً ، ولم ينبغ له أن يكون شاعراً ، ومع ذلك فقد يَسر الله بلسانه فى القرآن من المعانى والأوصاف والأمثال والتشريع والحكمة وجمال الأداء ، وإعجاز التراكيب ، مالم يتيسر لشاعر من شعراء العالمين . وكذلك حديث رسول الله ، فهو ثروة ثانية من أروع صور الآداب ، ومنهل عذب للواردين

وأما أن يقول أحد إن محمداً لم يؤلف دراما ، فحسبه أنه كان

(١) نحن نؤمن أنه ليس بالقرآن خيال إنما به الحق المحض ، إنما نحن هنا بمعرض دراسة أدبية فحسب

(٢) سوف نكتب عن كل هؤلاء إن شاء الله فى فصولنا (أعلام الأدب)

المُرُوءة

مَصَادِرُ مَطْوِيّة

للدكتور بشر فارس



المروءة (أو المروّة) من الألفاظ التي يكثر ورودها في النصوص العربية القديمة ولا سيما في الكتب التي ألفها أدباء العهد العباسي . وهي ، من باب آخر ، من الألفاظ المشتبهة في اللغة العربية لتضارب الأقوال فيها وتدافع التعريفات لها . وقد عظم شأنها على تعاقب الأيام حتى تناولها المتكلمون والمتصوِّفة فنزلت منزلة الفضيلة بل منزلة مبدإ « أخلاقى » . وذلك ما دفع بعض المستشرقين والشرقيين أن يعدوها ، وهماً ، رأس الفضائل الجاهلية

والذي يبدو لى أن المروءة أفادت ، أولَ أمرها ، الرجولة الحسية أى شدة الأسر ، ثم الرجولة المعنوية أى السجايا الرفيعة ، سجايا السيد مثلاً . ولذلك قرنها نفر ممن تكلموا عليها بالسيادة أو السؤدد . وهذان المفادان : الحسى والمعنوى ، ظلا يتنازعان المروءة ، فاتصل الأول بالحياة المادية ولحق الثانى بمكارم الأخلاق . وقد غلب الجانبُ المعنوى الجانبَ الحسى بفضل الإسلام . (وهنالك أحاديث غير صحيحة فى المروءة وعظمة شأنها) وأخذ ذلك الجانب الغالب ينتقل على مدار الأيام من موضع إلى موضع ؛ فدلت المروءة على العفاف والأدب والفضل والإنسانية والسرو ؛ ثم قامت لفظاً واقعاً على محاسن جمة ، على أقلام المحدثين والمتكلمين والأخلاقيين والفقهاء . وأما المتصوفة فأنزلوها منزلة الفتوة ، فتجاورت اللفظتان فى ميدان الأخلاقيات المجردة . وقد اتفق لها أن تنحرف إلى هنا وإلى هنا على ألسنة العامة قديماً فى الأندلس وحديثاً فى مصر والشام

كل هذا الحديث مع ما تحته من التفصيل والتبيين تجده فى فصلٍ من فصول كتابٍ من هـذا القلم يخرج باللغة العربية بعد أيام ، وعنوانه « مباحث عربية » وعنوان الفصل « المروءة فى اللغة والعرف » . وقد انسقت إلى النظر فى هذه اللفظة يوم كنت أؤلف « العرض عند عرب الجاهلية » ثم انصرفت إلى استجلاء غوامضها وتمحيص مدلولاتها باستقصاء المصادر والمراجع فنشرت فيها فصلاً فى « تكملة دائرة المعارف الاسلامية » البارزة فى هولندة (الجزء الرابع) .

وأما هـذه المصادر والمراجع فمتشعبة غزيرة ، فيها المطبوع والمخطوط ؛ وفى القراء من أصاب فى كتب الأدب أشباه « العقد الفريد » «وعيون الأخبار» و «الموشى» و « أدب الدنيا والدين » أبواباً فى المروءة . بل هنالك كتاب أُفرد لها ، عنوانه « مرآة المروءات » لأبى منصور الثعالبى (مصر ١٨٩٨) . ومن المصادر المطوية كتاب « مرآة المروّات » لعلى بن الحسن بن جعدويه ، كتبه للوزير نظام الملك (٤٥٦ — ٤٨٥هـ) وكتابُ ابن جعدويه مُجرًى على أسلوب كتاب الثعالبى مع ميل إلى الناحيـة الدينية بل الصوفية . وقد اهتدى إلى مخطوط ابن جعدويه المستشرق

يمثل درامات الحق فوق مسرح الواقع ، وليس فى الأدب المسرحى جميعاً ما هو أروع من إسلام حمزة أو موت حمزة ، وإسلام عمر أو مقتل عمر ، وهجرة محمد من وطنه العاق إلى مُهاجَره الصادق ، وصبر أصحابه على أذى قريش وكفران قريش ، ورمى المنافقين زوج الرسول بالإفك وصبر عائشة لذلك ... وهذه المئات والمئات منَ مشاهد الدرامة الكبرى التى قام بأدائها الرسول ، والتى رواها وقص فصولها فى واقعه ، ويسر الله لسانه بذكرها فى قرآنه

صلى الله عليك يا رسول الله إذ يسألك أبو بكر : لقد طُفت فى العرب وسمعت فُصحاءهم فاسمعت أفصح منك ، فمن أدَّبك ؟ فتقول : أدَّبنى ربى فأحسن تأديبى !

دريني خشبة

***

حاشيـة : الكلام بقية فى رد شبهات الكتاب الأفرنج الذين عابوا أسلوب القرآن بكثرة التشابه فيه ، وأخـذوا على حديث الرسول كثرة الغريب . فنرجىء ذلك إلى موضعه فى الأعداد الآتية

الأستاذ تيشنر F. Taeschner فوصفها فى المجلة الاستشراقيـة Islamica (الجزء الخامس ١٩٣٢) .

والذى فى نيتى ههنا أن أنشر مصدرين آخرين . أما الأول ففصل فى المروءة والسؤدد من مخطوط عنوانه « كتاب مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب وبدايع الأوصاف وغرايب التشبيهات» لمجهول ، وقد أصبته فى المخطوطات المخزونة فى دار الكتب الوطنية فى ليدن ورقمه ٤٠٩ .

وأما الثانى ففصل فى المروّة من مخطوط مخزون فى أياصوفيا تحت رقم ٢٠٤٩ ويقع فى ص ٢٠٦ . وقد أشار الأستاذ تيشنر إليه فى مقاله المنشور فى المجلة المذكورة ، ثم بعث إلى وسمح لى بنشرها، فله الشكر.

وفى المصدر الأول تعريفات وأقوال فى المروءة على أنها لون من ألوان السيادة وشرط من أشراطها وأما الثانى ففيه محاولة لرد معنى المروءة إلى المدلول الأصلى من ناحية الاشتقاق ثم نظرة « أخلاقيـة » فى شأنها ، طرافتها ذلك التفريق الذى بين المرأة والرجل(١).

ا — مخطوط ليدن

(ص ١١) « الفصل السابع فى السودد والمروّة »

« قال النبى صلى الله عليه وسلم : تجافوا عن عقوبة ذوى المروة ما لم يقع حداً . وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه . قيل لقيس ابن عاصم : بِمَ سدت ؟ قال: يبذل الندى، وكف الأذى، ونصر المولى . وكتب عمر رضى الله عنه إلى أبى موسى الأشعرى: إن للناس وجوهاً يرفعون حاجة الضعيف فأكرمهم . وقال عليـه السلام : أقيلوا الكرامَ عثراتِهم . قال معاوية لابنه يزيد : ما المروة؟ قال : إذا ابتليت صبرت ، وإذا أنعم عليك شكرت ، وإذا قدرت عفوت . قال : أنت منى ، وأنا منك . وسئل بعض الحكماء عن المروة ، فقال : إسرار ما تحَب [تحِب] أن تعلن ، ومواطاة القلب اللسان. وقيل : المروة ألا تعمل شيئاً فى السر تستحى منه فى العلانية . يقال : كان سَلم بن نوفل سيد كنانة فجرح رجل ابنه ، فأتى به ، فقال له : ما أمنك (ص ١١ م) من انتقامى ؟ قال : فلم سوّدناك إلا أن تكظم الغيظ وتعفو عن الجار وتحلم عن الجاهل وتحتمل المكروه ؟ فخلّى عنه . دخل جُذيم بن أوس الطايى على معاوية ، فقال : من سيدُكم اليوم ؟ قال: من احتمل شتمنا، وأعطى سايلنا [سائلنا] وأغضى عن جاهلنا، واغتفر ضرَبَنا [ضربْنا] إياه بعصيّنا [بعصيّنا] . وقال عدّى بن حاتم : السيد، الأحمق فى ماله ، ذليل [الذليل] فى عرضه ، المطرحُ لحقده ، المعنى [المعنّ] بأمر عامته . يقال الارتقاء إلى السوود صعب ، والانحطاط إلى الدّناة [الدناءة] سهل. قال عمر بن عبد العزيز لرجل: من سيّدقومك؟ قال : أنا ، قال : ولو كنت كذا ما قلته . مال [قال] معاوية لوفد : كيف كان قطبة بن زيد فيكم؟ قالوا: كان إذا حضر أطعمناه، وإذا غاب شتمناه . قال: هذا والله السودد المحض . قال عمرو بن عبيد : لا يكمل مروة الرجل فى دينه حتى يكون فيه ثلاث خلال: يقطع رجاه مما فى أيدى الناس ، ويستمع الأذى فيحتمل ، ويحب للناس ما يحبً [يحبُّ] لنفسه. قال ابن عمر: إنا معاشر قريش نعدالحلم والجود السودد، ونعد العفاف وإصلاح المال المروة . سأل معاوية (ص١٢) الحسن بن على رضى الله عنه — عن المروّة . فقال : حفظ الرجل دينه وإحرازه نفسَـه من الدنَس وقيامه لضيفه وآد [أداء] الحقوق وإفشاء السلام . بعث رسول من خراسان إلى سَوار بن عبد الله القاضى يسأله عن المروة ما هى ، فقال الإنصاف والتفضل . وقال على رضى الله عنه : ثلاث من كن فيه استوجب بهن أربعاً [ثلثاً تصويب فى النص] من إذا حدث الناس لم يكذبهم ، وإذا وعدهم لم يخفلهم [يخلفهم]، وإذا خالطهم لم يظلمهم؛ فإذا فعل ذلك فقدوجبت إخوته وكملت مروته وحرمت غيبته . قال ابن عمر : ما رأيت أحداً أسود من معاوية ، قيل : يا أبا عبد الرحمن : أهو خير من أبى بكر وعمر ؟ قال : هما خير منه، وهو أسود منهما . قيل له: هو أسود أم عثمان؟ قال : إن عثمان لسيّد ، ومعاوية أسود منه . »

ب مخطوط ايا صوفيا

وأما المروة فلها اشتقاقان من أحدهما يقتضى أن يكون هى والإنسانية متقارنتين ، وهو أن يجعَل من قولهم : مَرُؤ الطعام وامرأة [وأمرأه] إذا تخصص بالمرى لموافقته الطبعَ ، فكأنهاالسم الأخلاق والأفعال التى تقلّبها [تقبلها] النفوس السليمة. فعلى هذا

(١) ما يقع تحت هاتين العلامتين (   ) يفيد نصا مزيداً من عندى وما يقع تحت هاتين العلامتين [   ] يفيد تصويبا من عندى لمخطوط ليدن ومن عند الأستاذ تيشنر لمخطوط ايا صوفيا .

روح الإسلام فى العبادة

للأستاذ عمر الدسوقى



من ذياك المخلوق المتجبر الذى تعنو له جباه الضوارى فى أدغالها ، وتفرق من طلعته الوعول فى معاقلها، ويمعن السمك فى مساربه هلعاً لدنوه ، وتهابه الطيور فى أوكارها، والصلال فى أجحارها ؟ ! هو الإنسان ! درج على الأرض فكان سيدها المطاع، ولم تعجزه إلا تلك القوى السماوية ، من ريح زفوف عاتية ، أو رعود قاصفة مدوية ، أو زلازل تميد لها الأرض تحت قدميه ، أو براكين تثور محنقة غاضبة أمام عينيه . كيف يدرأ شرها ، أو يحوز رضاها ؟ سجد لها وتضرع ، وتزلف بالقربى والابتهال . ولكنه خلق وفى نفسه عنجهية وكبرياء ، فأخذ على مر القرون يتنكر لها ، ويشمر عن ساعده لتسخيرها وصرعها ، وكلما ذاق لذة الظفر مرة ، قوى إيمانه بقدرته ، وجلال عقله ، وكفر بها ، ولج فى كفرانه ؛ بيد أنه أحس من أعماق فؤاده نداء خفياً أن ثمة إله آخر ، أنت والدنيا والطبيعة صنع يده القادرة ! ما بالك كلما حز بك أمر ، أو تكأكأت عليك المصائب ، أو خطف الموت فلذة كبدك وأحباءك ، تنادى فى ذلة وضراعة ذلك الإله الذى لا تراه ، أنْ رفقاً يا رباه ، فليس لى حول ولا طول أمام جبروتك وعظم ملكوتك . قرت فى جنانه تلك العقيدة فهدأ بلباله ، وطفق يلهج بما يكنه فؤاده من حب ومعرفة بالجميل ، وندم وتوسل ، لذلك الإله الدائم اليقظة ، الذى ينشر رحمته على الدنيا جمعاء . وهل الصلاة والعبادة سوى مظهر من مظاهر ذلك الشعور الذى يفيض به قلب الإنسان ؟

فكر فى كنه ذلك الإله ، ثم فكر حتى أجهده الفكر ، وكبا عقله فى الميدان صريعاً ، وزين له الشيطان أن يصور ذلك الإله ويرمز له ، ويعبد الرمز تقرباً إلى الله وزلفى ؛ ثم أتى عليه حين من الدهر نسى مغزى هذه الرموز والأصنام ، فخالها آلهة قادرة ، يتحكم كل منها فى شأن من شئون العالم ؛ وتوهم أن لها ما للإنسان من شهوة ورغبات ، وإحساس وشعور ؛ وما دام الإنسان لا يَقر عيناً ويطيب نفساً إلا إذا عَلَّ من معين المادة حتى روى ، فكذلك الآلهة لا بد لها من القرابين والضحايا . شاد المعابد والهياكل وأخذ يتعبد كما زخرف له الشيطان ؛ ولهذا كانت العبادة عند قدماء الهند تتألف من الطهارة والقرابين ، وظلت هكذا ردحاً من الزمن غير قصير ، حتى آب الإنسان لرشده وارتقت الفكرة الدينية عند فلاسفة الهند الأقدمين ، ففهموا للطهارة والقربى مغزًى غير ما أدرك أسلافهم ؛ بيد أن البرهمية لم تحد قيد شعرة عن إيمانها بالقربان ، ولا سيما بعد أن قويت عقيدة الدهماء بالكهنة ، وما حبتهم الآلهة من فضائل خفية هى حَبْس عليهم وعلى ذرياتهم من بعدهم

اعتقد طغام الناس أن الآلهة لن تتقبل القربان ، إلا إذا باركه الكاهن ، وقدمه بيده ، وبطريقة معينة لا تغيير فيها ولا تبديل ، مرتلاً خلال ذلك أناشيد وأدعية ، يرددها لسانه ، ولا يحس بها جنانه ، بينما يقف المتقرب مكتوف اليدين يسمع ويرى دون أن يضرب بسهم ، أو يفوه بكلمة ، فى هذه العبادة التى أقيمت من أجله . لم تكن العبادة تقدر بسيرة المتقرب الخلقية ، وفضائله ومزاياه ، أو رذائله ونقائصه ، ولكن بحذق الكاهن وبراعته

يكون اسماً للأفعال المستحسنة كالإنسانية . والثانى أن يكون من المرء فيُجعل اسماً للمحاسن التى يختص بها الرجل دون المرأة فيكون كالرجولية؛ وذلك أخص من الإنسانية، إذ الإنسانية يشترك فيها الرجال والنساء، والمروة أخص بكثير مما يكون فضيلة للمرأة يكون ذاية [رذيلة] للرجال كالبله والخفر والبخل والجبن، ولهذا قيل الخلايق الرجال [خلايق الرجال] أرذل أخلاق النساء ، فالكيس والشجاعة والجود رذيلة لهن . »

بشر فارس

فى تأدية المراسيم الدينية غير متلعثم اللسان ، أو جامح اليد ، وإلا بطل ثوابها وحبط عملها ؛ وما على المتعبد إلا أن يعتقد بأن الآلهة سوف تسبغ عليه أبراد الرحمة ضافية ، جذلاً بما قدمت يداه .

أما الزرادشتيون ، والصابئون من الفرس ، فقد عاشوا فى دنيا من الصلوات والدعاء ؛ فكان الزرادشتى يتمتم بالدعاء ، إذا عطس ، أو قلم أظفاره ، أو قص شعره ، أو حاك ثيابه ، أو طهى طعامه ، أو أشعل مصباحه ، ليلاً ونهاراً ، لا يكل ولا يمل

دانوا بالعبادة بادئ ذى بدء لآلهم « أورمزد » ، ثم ما لبثوا أن قدسوا السماء وبروجها ، والأرض وجبالها ، والوحوش الكاسرة ، والأشجار المتباينة ، وكان لنبات القمر (١) منزلة فى نفوسهم لا تسامى

وما كانت عبادتهم سوى تكرار صيغة من الدعاء ، فقدت ما بها من حرارة ، وذهب مالها من طلاوة وتأثير بكر الزمان ومر العشى . أجل ! إن المثل الخلقية كانت جلية عند بعض مفكريهم ، ولكن الشعب لم يدرك لها رسماً . أضف إلى ذلك أن الكهنة خصوا أنفسهم بالحياة الروحية ، وحرموها على سواهم من الناس ؛ كما شيدوا حصوناً من القداسة كانت لهم معقلاً يباعد بينهم وبين غيرهم ، ويحول بين الناس وبين المتعة الروحية السامية ؛ لأن الكهنة ابتدعوا نوعين من العبادة ، أولهما حكر عليهم وعلى طائفتهم ، وثانيهما مباح للناس أن يساهموا فيه (٢)

أما اليهودية فجاءت خلواً من الأوامر التى تحث على الصلاة ، اللهم إلا صيغة واحدة من الدعاء يلفظ بها رب الأسرة ، حين يدفع جعل الكاهن ، أو يتقرب بباكورة ماشيته وزرعه ، مثنياً فيها على الله أن مكنه من القيام بامتثال أوامره ، ومتوسلاً به أن يسبغ بركاته على بنى إسرائيل

ثم سمت الفكرة الروحية حول الذات العلية ، عند عامة اليهود ، ووعاظهم ، واختفت عقيدة التجسيم من أفئدتهم ، وأدرك الناس أن العبادة شرعة يصل بها العبد إلى مولاه ؛ ومن ثم أصبح لليهود بالعرف والعادة أمة ذات صلاة ، على الرغم من فقدان النص الصريح فى شريعتهم . ولكن الصلاة عادت آلية فى كثير من الأحيان ؛ لأن الشعب لم يجد مناصاً عن طلب الكاهن ليؤمهم ، إذ لم يكن بين أيديهم تشريع خاص من الله يرجعون إليه ؛ ونفقت سوق الكهنة وأخذوا يبيعون كلمات الله بثمن بخس دراهم معدودات . ألم يعنفهم القرآن على ذلك الجرم فى سورة البقرة مخاطباً بنى إسرائيل : « ولا تَشْتَرُوا بآيَاتِى ثمناً قليلاً ، وإيَّاىَ فاتَّقُون » ؟؟

ثم مثلت تعاليم المسيح تطوراً جديداً فى شعور الإنسان الدينى وقدرت الصلاة حق قدرها ، واقتفى الحواريون خطى إمامهم فعكفوا على عبادة الله وحده ؛ ولكن المسيحية ، جاءت كاليهودية ، خلواً من قواعد معينة ، ونظم محدودة ، يسترشد بها الدهماء فى صلاتهم ، فتركوا على مر الزمن ألعوبة فى يد القسيسين الذين أخذوا على عاتقهم ، تنظيم العبادة ، وبيان أوقاتها ومراسيمها ؛ ومن ثم ألفت كتب الصلاة والأنظمة الدينية ، والمجالس الكنسية ؛ لتبين للناس ما يعتقدون وكيف يتعبدون ؛ ومن ثم برزت للوجود عبادة الرهبان الآلية ، وأناشيدهم وترتيلاتهم التى لا روح فيها ؛ وأخذ الناس يهرعون إلى الكنائس يوماً من كل أسبوع ، ليأخذوا ما فاتهم من الغذاء الروحى خلال الأيام الستة الأخرى .

كانت هذه حال الديانات فى القرن السابع الميلادى ، حين سطع نور الرسالة المحمدية فى أفق صحراء العرب ، يهدى الناس إلى دين جديد ، يشبع نهم نفوسهم ، ويسمو بأرواحهم إلى الدرجات العلى . دع جانباً ما كانت تهيم فيه الأمة العربية ذاتها ، من ضلال ، وفساد فى العقيدة ، وإسفاف فى الفكرة الدينية ، وعجز عن إدراك عظمة الإله وقدسيته ، وطوافها بأصنام من الحجر الصلد ، لا تحير جواباً إذا نوديت ، أو تنفع إذا دعيت ، أو تشع فى الفؤاد نوراً أو تبعث فى الروح يقظة إذا عبدت وقدست .

نفذ الإسلام إلى قرارة الروح الإنسانية ، ورأى تحرقها للافصاح عن حبها وشكرها لله ، ففرض صلاة ، تسعد بها النفوس ، وتنبل الأخلاق ، وتسمو العقول ؛ وجعلها على أوقات ، حتى لا يسبح الفكر الإنسانى فى عالم الماديات ، وينسى غذاءه الروحى . وقد أوضح صاحب الرسالة عليه السلام كيفية أدائها قولاً وفعلاً ، لئلا يترك الناس فوضى فى عباداتهم .

وغدا المجال فسيح المدى أمام كل فرد ، ليعبد الله بقلب يفيض حباً وضراعة وإخلاصاً .

(١) يسمى بالسنسكريتيه Soma ، وعند الزرادشتين Homa

(٢) راجع the Gentile and the Jew لمؤلفه Döllinger ص ٣٩٨ الجزء الأول .

ليس الزند أفستا سوى مجموعة من الصلوات والأدعية والتوسلات ، لعدد كبير من الآلهة ، يمثل « أورمزد » بينها المكانة الأولى .

راجع كذلك ten Great Religions لمؤلفه Clarke ص ١٨٧ ، ٢٠٢

إن الصلاة التي تؤدى ، والنفس تعمرها الخشية والخشوع ، لجديرة أن تجعل من الإنسان مَلَكاً يغمر الناس حباً وحناناً وخيراً وإحساناً ، وفي ذلك يقول الله سبحانه : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر »

وهاك ما قاله أحد كتاب الإنجليز مرة : تتجلى عظمة الإسلام في أن معابده ليست مما تشيدها الأيدي ، وأن المسلم يستطيع تأدية صلاته في أي مكان شاء ، تحت القبة الزرقاء ، أو على ظهر البسيطة »[(1)] أي بقعة يصلي فيها المسلم مخلصاً لله حنيفاً فهي له مسجد « جعلت لي الأرض كلها مسجداً ، وتربتها طهوراً »[(2)]

لم يقدر المسيحيون ما في صلاتنا من قوة روحية ومعنوية ، ونبي الإسلام يقول : « جعلت قرة عيني في الصلاة » لأنه يناجي ربه ويجرد روحه أمام بارئه دون وساطة أو شفيع . وقد ثبت عن الثقاة أنه كان يبكي ، وينتحب في صلاته ، ويتململ تململ السليم تضرعاً إلى الله ، وإنابة له .

لا رهبانية في الإسلام ؛ لأنه دين سمح ، سهل ، يكفل خيري الدنيا والآخرة ، ولم يدع أي شيء يحول بين العبد وربه : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيبُ دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » وهذا ما جعل الإسلام يهزم البوذية والزرادشتية في عقر دارهما ، ويدخل الناس فيه أفواجاً من كل أمة ونحلة ؛ هرباً من عتو الكهنة واغتصابهم لحريتهم ، وتحكمهم في أرواحهم[(3)] .

كل مسلم مكلف بمعرفة دينه ، والتفقه فيه ، فلا طوائف دينية في الإسلام ، ولا كهنة حباهم الله القداسة والقربى ، بل الناس أمام الله سواسية كأسنان المشط ، أكرمهم عنده أتقاهم . والتشفع بالأولياء ، في شرعة الدين الحقة ، ضرب من البدع وانحراف عن جادة الصواب ، وروح الإسلام .

ربما توهم بعض الناس أن التقرب إلى الله بإراقة دماء الأضحية من تعاليم الإسلام ، ولكن هذا باطل لأن نحر الأضاحي في عيدنا الأكبر تذكرة بما قام به سيدنا ابراهيم لا غير ، فضلاً عما فيه من إطعام البائس والفقير ؛ ولذلك يُهدى ثلثها ويُتصدق بثلثها ، ويُؤكل ثلثها الباقي .

جعل الإسلام طهارة البدن شرطاً في صحة الصلاة ، وفي الوقت ذاته نص على أن مجرد الطهارة البدنية لا يغني أمام الله فتيلاً إذا لم تصحبها طهارة في الروح ، وإخلاص في القلب ، وخلوه من الكبر والرياء ، والحسد والبغضاء .

يستقبل المسلمون جميعاً مكة في صلاتهم ؛ حتى يظل مهد الإسلام الذي انبثق منه هذا النور الفياض ، والذي شاهد أشعته الأولى تبدد دياجير الجهل ، ملء سمع المسلمين وأبصارهم ؛ وحتى يتمثلوا موطن ذلك الصراع العنيف بين الحق وصولته ، والباطل ودولته ، وكيف حطمت الأصنام وطهرت الأرض من أدران البغي والعدوان ، والعشق والدعارة ؛ وحتى يتذكروا أن إخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها يشاطرونهم شعورهم ، ويولون وجوهم صوب هذه البقعة المباركة كما يتوجهون ، وأن المسلم عضو في جماعة عظيمة تملأ فجاج الأرض ، يربطها دين واحد ، ويحفزها رجاء واحد ، وتؤمن بإله واحد .

تلك هي روح الإسلام في فرع واحد من فروع العبادة ، ولولا خشية الإطالة لبينت ما في الصوم والزكاة والحج من فكرة سامية وروح عالية .

عمر الدسوقي



(١) راجع Our Indian Muslamans لمؤلفه Hunter ص ١٧٩

(٢) حديث شريف

(٣) راجع كتاب الدعاية الاسلامية للسير توماس أرنولد « الاسلام في بلاد فارس »

دارٌ مؤمنة

للأستاذ محمد سعيد العريان



« ضلّت البشريةُ إن كان هذا مَبلغَها من العلم بالله ! »

همس بها « زيدٌ » في أذن صحابته فالتفتوا إليه مذعورين يسألونه الصمت والحذر !

هذه بطون قريش جميعاً في عيد لهم عند صنم من أصنام الجاهلية مُلبِّين ضارعين يعظّمونه وينحرون له عاكفين عليه . ذلك شأنهم في كل عيد ..

وأولئك أربعة نفر من قريش قد اجتمعوا لغير ما اجتمع آباؤهم وأبناؤهم وإخوتهم من سائر قريش ، ينظرون إلى القوم في ضجيجهم حافين حول المعبود الأخرس لا يتكلمون ، وعلى شفاههم بسمات ، وفي أعينهم نظرات يخافتون بها ، وفي صدورهم رغبات مكبوتة ، لو تأتّى لهم لأهوَوْا على هذا المعبود فكبُّوه على وجهه جُذاذاً محطَّما !

وانتبذ الأصدقاء الأربعة ناحيةً يتناجون في همس ، وإن المكان ليضجّ بمن فيه بين داعٍ ومُلبٍّ وسائل ومستغفر . وعاد الرجل يقول لصحابته :

« أما والله إنكم لتعلمون ما قومكم على شيء ؛ لقد أخطئوا دين أبيهم إبرهيم . ما حَجَرٌ نُطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم فإنكم والله ما أنتم على شيء ! »

ويؤمّن صحابته على ما يقول

ذلك زيد بن عمرو بن نفيل ، من بني عدي بن كعب ؛ وأولئك أصحابه : ورقة بن نوفل ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان ابن الحارث .

أربعة نفر أضاء الله لهم على حين غفلة وضلال ، فسبقوا قومهم إلى التوحيد والإيمان بالله ؛ وجلسوا يداولون الرأي بينهم ، فأجمعوا أمرهم على أن يتفرقوا في البلدان يسألون أهلَ العلم ما يعلمون عن دين إبرهيم . . .

* * *

وأقام زيد بن عمرو بمكة زماناً ، معتزلاً قومَه وما يعبدون من دين الله ؛ لا يؤاكلهم ولا يشاربهم ، ولا يخشى أن يباديهم بالعيب على ماهم فيه ، وحرّم على نفسه ما أحلُّوا لأنفسهم من الميتة والدم وما ذُبح على النُّصب .

وعرف القرشيون ما أجمع عليه أمره ، فاعتزلوه وخلّوا بينه وبين نفسه ، لكنه لم يخلِّ بينهم وبين أنفسهم ؛ فإنه ليقصد إلى البيت فيسند ظهره إلى الكعبة يقول : « يا معاشر قريش ، والله ما منكم على دين إبرهيم غيري ، وإنكم لتعبدون ما لا يغني عنكم من الله شيئاً . يا معاشر قريش ، إنكم لتأتون المنكر ، وتقارفون الشر ، وتئدون البنت ، وتكفرون النعمة . يا معاشر قريش ، أيُّما رجلٍ منكم هم أن يقتل ابنته خشية إملاق فأنا أكفيه مئونتها . يا معاشر قريش . . . يا معاشر قريش . . . »

فإذا فرغ من دعوته وجّه وجهه لله يقول : « لبّيك حقًّا حقا ، تعبُّدًا ورقًّا ، عُذتُ بما عاذ به إبرهيم . اللهم لو أني أعلم أيّ الوجوه أحب إليك عبدتُك به ، ولكني لا أعلمه . . . » ثم يسجد على راحته ويقول :

أنفي لك اللهمَّ عانٍ راغمُ مهما تجشّمني فإني جاشمُ

ولم يزل زيد على ذلك : يذكّر قومه ويعيب عليهم ما يعبدون ، حتى ضاقوا به ؛ فأجمعوا على نكايته وتربّصوا به الشر ؛ ثم ما زال به عمه (الخطّاب بن نفيل) يؤذيه وينال منه حتى أجاءه إلى (حراء) لائذاً بالله مستجيراً ؛ فوكل به الخطاب شباباً من سفهاء قريش يأخذون عليه الطريق وينالونه بما يكره إن همَّ أن يعود إلى مكة ، خشية أن يُفسد عليهم دينهم ويتابعه بنوهم . وكانت زوجه فيمن كان من عيون الخطاب عليه ، لا يكاد زيد يهم أن يدخل مكة حتى تُؤذِن به الخطابَ فيقف له ؛ ثم يتناوله

السفهاء من شبابهم بما يقدرون عليه حتى يعود على وجهه !

رجل فرد في وجه أمة ، قد برئ منه أهله ، وتمردت عليه زوجه ، وتذامر سفهاء الإنس وشياطين الجن على مناهضته والوقوف له ؛ ولكنه من قوة الإيمان بحيث يغالب ما لا غلبة عليه !

وأيّ قوة في الأرض تنال من الرجل يعمر قلبه الإيمان ؟

... وأرادوه على أن يلزم مكمنه من الجبل لا يبرح ، لا هابطاً إلى الكعبة يسبح الله في البيت الحرام ، ولا مُصعداً يلتمس أسباب المعرفة في بلاد الله ؛ ولكن صوتاً من وراء الغيب يهتف به ، ونوراً يتنوّره على بعد يضيء بين يديه ، وإيماناً يعمر قلبه يذلّل ما يتكاءده من عقبات على الطريق .

كان يؤمن إيماناً لا شك فيه أن للكون رباً غير ما يعبد الخطاب وبطون قريش ؛ هو رب إبرهيم وموسى ؛ فمنذا يهديه الطريق إليه ؟

... ووجد زيد غفلة من حراسه فأفلت يقصد قصده ، متنقلاً بين الموصل والجزيرة إلى بلاد الشام ، يسأل عن دين إبرهيم ويبتغيه ومضى تتقاذفه البلاد يستطلع أنباءه بين أحبار اليهود ورهبان النصاري ؛ فما منهم إلا من يبشره بنبي قد أظلّ زمانه ، يبعثه الله بدين إبرهيم في أرض الحجاز !

يا ناقُ سيري عَنَقاً فَسيحاً إن نبياً قد أظلّ زمانه يبعثه الله بالهدى ودين الحق في أرض الحجاز . يا ناقُ هذا سبيلك إلى الوطن النائي يجمع شملك بالأحباب من آل عديّ بن كعب في أرض الهدى والسلام . يا ناقُ هذا فجر يوشك أن ينبثق بالنور فسيري بي إليه أقبس من نوره نوراً لقلبي وسلاماً لروحي . يا ناقُ هذا يومُك المأمول تبرق شمسه في حواشي الأفق فأبلغيني مأملي قبل الغداة .

ذلك زيد بن عمرو بن نفيل في طريقه إلى مكة يسعى نوره بين يديه إلى أمل يرجوه ، فإنه ليحدو بعيره مغتبطاً جذلان أن يعود إلى وطنه ومرتع صباه فيظفر بالحسنيين من لقاء الأهل والولد وصحبة النبي القرشي الذي أظلّ زمانه ؛ وإنه ليغذّ السير وفي نفسه شوق ولهفة ، وعلى لسانه تسبيح ودعاء !

وانطوى الطريق تحت أخفاف البعير الذي أنضاه السرى وجهد السفر ، فلما صار على قرب قريب من أرض الحجاز وأوشك أن ينعم بلقائه الأهل والولد ورؤية النبي الذي قطع مفازة الحياة سعياً إلى لقاء — عَدَا عليه مَن عدا من أهل السبيل فصرعه قبل أن يبلغ حيث يريد ، فإنه ليقول وهو يلفظ أنفاسه : « اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم ! » يرحمك الله أبا سعيد !

***

... وأشرق الصبح على أرض الحجاز ، وفاض النور من غار حراء يغمر بطحاء مكة ويسيل سيل العرم فيمحو الظلمات ويدخل منه في كل دار قبس يضيء . وداعبت أشعةُ الصبح الضاحك نافذةَ الدار التي آوت زيد بن عمرو بن نفيل عُمْراً من عمره ، ثم هجرها ساعياً إلى الله يبتغي الوسيلة إلى دين الحق ، فكان ولده سعيد بن زيد وزوجه فاطمة بنت الخطاب — من السابقين الأولين في الإسلام!

وعاد النور والإشراق إلى الدار التي يُعْزَى إليها أولُ مذكر بدين إبرهيم على حين غفلة وضلال . وكان إيمان سعيد واستجابته لدعوة الحق امتداداً لدعوة أبيه في الجاهلية وصفحةً مشرقة من التاريخ تنضم إلى صفحات !

ثم دار الفلك دورة ، وإذا فتى عارمٌ من فتيان قريش يدخل دار سعيد متوشحاً سيفه ، وفي عينيه شرٌّ وعلى لسانه وعيد ، فما إن رآه سعيد وزوجه حتى سكت القرآنُ وخَفَتَ الصوت وانكمش بعضٌ في بعض ؛ وأوشكت أن تنقض صاعقة تزلزل أركان الدار المؤمنة ...

يا عجبا ! ما بال هذا الفتى قد نسي ما جاء له ورَقَّ بعد عُرام وعنف ؟ هل كان يقصد إلا هذا الفتى العربيّ وزوجه ، أن ينالها بأشد الأذى على ما صَبَآ وفارقا دين قومهما ؟

ها هو ذا في موقفه منهما خاشع الطرف يتلو من صحيفة في يده :

« بسم الله الرحمن الرحيم . طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى . . . »

فما يكاد يفرغ من تلاوته حتى يلتفت إلى خَتَنِه سعيد وأخته فاطمة بنت الخطاب يقول :

« دُلاَّني على محمد حتى آتيه فأسلم ! »

ذلك عمر بن الخطاب وتلك دار سعيد بن زيد بن عمرو ؛ دخلها دخول الفاتك المتقحم لا تهدأ نفسه إلا أن يريق دما ؛ فما احتوته الدار حتى كان عمرُ غيرَ عمر !

إن في بعض الأمكنة لسراً يهمس ، ونجوى تخافت ؛ وإن في هذه الدار ...!

***

من مذكرات عمر بن أبي ربيعة

ذات النطاقين

للأستاذ محمود محمد شاكر



(قال عمر بن أبي ربيعة بعَقِب حديثه) :

... فوالله لقد جَهَدنا البلاء — يا أهل مكة — ولقد صبرنا على حصار الحجّاج سبعة أشهر أو تزيد في غير حصن ولا منعة ، وإنّ أحدَنا ليُرى وقد لحقت بطنُه بظهره من الجوع والطَّوَى ، ولولا بركة تلك العين (يعني زمزم) لقضينا ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنها مباركة ، إنهـا طعامُ طُعمٍ » لقد أشبعنا ماؤها كأشد ما نشبع من الطعام ، وما ندرى ما يُفعلُ بنا مُنذُ اليوم . فلقد خذَل « ابنَ الزُّبَير » أصحابه خذلاناً شديداً ، وما من ساعة تمضى حتى يخرج من أهل مكة مَن يخرج إلى الحجاج في طلب الأمان . ألا شاهتْ وجوه قوم زعموا أنْ سينصرونه ، يحمون « البيت » أن يُلحَد فيه ، ثم ينكشفون عنه انكشافةً كما تَتفرق هذه الحمامُ عن مَجْثمها على الرَّوْع ...

وخرجتُ ، ومكة كأنها تحتَ السَّحَر خليَّة نحل مما يدوِّى في أرجائها مِنْ صوتِ داعٍ ومكبِّر وقارىء ، وصمَدتْ أريد المسجد فأسمع أذان « سعد » مؤذِّنِ ابن الزبير فأصلى ركعتى الفجر ، فيتقدم ابن الزبير فيصلى بنا أتمَّ صلاة ، ثم يستأذن الناس ممن بقى من أصحابه أن يُوَدِّع أمه « أسماء بنت أبى بكر الصديق » فأنطلق وراءه وما أكادُ أراهُ مما احتشدَ الناسُ في المسجد ، وقد ماجوا وماجَ بهم يتذامرون ويحضّضُون ويُحرّضون ، وزاحمت الناس بالمناكب أرجو ألا يَفوتنى مَشهد أسماء تستقبل ولَدها وتودِّعه ولقد تعلَمُ أنه مقتول لا مَحالة ، فما أكاد أدركهُ إلا وقد انصرف من دارها يريد المسجد ، وإذا امرأة ضَخْمة عجوز عمياء طُوالة كأنْ سرْحةٌ في ثيابها ، قد أمسكت بعُضادتى الباب تصرف وجهها إليه حيثما انتقل ، فوالله لكأنها تتبّعه وتُبصرُه ، وقد برقَت أسرَّتُه وجهها تحت الليل برق العارض المتهلل ، ثم تنادى بأرفع صوت وأحنّه وألينه ، قد اجتمعت فيه قوة إيمانها وحنينُ قلبِها : « يا عبد الله! يا بُنى، إنى أُمك التى حملتك ، وإنى احتسبتك فلا تَهِن ولا تجزع . يا بنى ابذل مُهجة نفسك ، ولا تَبعد إلا من النار... يا عبد الله! لا تبعد إلا من النار، أستودعك الله يا بُنى ! »

ثم تدور لتلج الدار فكأنها شِراعٌ قد طُوِى

رحمة الله عليكم يا آل أبى بكر ، لأنتم أصلبُ الناس أعوادا وألينهم قلوباً. وأحسن الله عزاءك ياذاتَ النطاقين، فلقد تجملتِ بالصبر حتى لقد أُنسيت أنك أمٌّ يجزع قلبها أن يَهلِكَ عليها ولدُها فيتقطع عليه حَشاها

وانصرفتُ عنها بهمٍّ أسمَى ، فو الله ما رأيت كاليوم أكسبَ لعجب وأجدَّ لحزن من أمٍّ ثكلى يحيا ظاهرُها كأنه سراجٌ يَزْهرُ ، ويموتُ باطنها كأنه ذُبالَةٌ توشكُ أن تنطفئ ، وذهبتُ ألتمس الوجوهَ وأحزانها ، فما أرَى وُجُومها وقُطُوبَها وانكِسارَها ورَهَقها وصُفرتها إلا ذِلةَ النفس وخضوعَها واستكانتها وضعفها وعلّتها ، وأن المؤمنَ حين يحضرُه الهمُّ أشعثَ أغبرَ يَردُّه إيمانه — حين يؤمن — أبلجَ يتوقّد ، ليكون البُرهانَ على أنّ الإيمانَ صَيقلُ الحياةِ الدُّنيا ، ينفى

وجلس سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل ، وعمر بن الخطاب ابن نفيل ، مجلسهما إلى رسول الله غدوة ، فقالا : « يا رسول الله استغفر لزيد بن عمرو ! »

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم ، فإنه يبعث أمةً وحده ! »

رحمة الله عليه

محمد معيد العبادى

خبثها ويجلو صدأها ، فإما ركبها من ذلك شيء ، عاد عليها يحادثها ويصقلها حتى يتركها بيضاء نقية ...

وما بلغت المسجد حتى رأيت ابن ذات النطاقين قائماً بين الناس كأنه عمود من طوله واجتماعه ووثاقة بنائه؛ وحضرته وهو يقول: « أيها الناس، عجّلوا الوقاع، ولا يرعكم وقع السيوف، وصونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، فلينظر رجل كيف يضرب، لا تخطئوا مضاربكم فتكسروها، فإن الرجل إذا ذهب سلاحه كان أعزل أعضب يؤخذ أخذاً كما تؤخذ المرأة . ليشغل كل امرئ قرنه ، ولا يلهينكم السؤال عني : أين عبد الله بن الزبير ؟ ألا من كان سائلاً عني فإني في الرعيل الأول » ... ثم يدفع في صدور أهل الشام دفعة عند باب بني شيبة كأنه صاعقة ، وكأنه أسد في أجمة ، ويحيص أصحاب الحجاج حيصة في منازلهم من الرعب، فلقد رأيته يقف ما يدنو منه أحد حتى ظننت أنه لا يقتل ، حتى إذا كان بين الركن والمقام رمي بحجر فأصاب وجهه فبلغ منه حتى دمي ، وسال دمه على لحيته ، وأرعشت يده... وغشيه أصحاب الحجاج من كل ناحية وتناووا عليه ، وهو يقاتلهم جاثماً أشد قتال حتى قتل

وا رحمتا لك يا بنت أبي بكر !! أي كبد هي أشد لوعة من كبدك ! لقد والله رحمت رحمة إذ كف الله منك البصر ، لئن لم تكوني تجزعين لموته ، لقد كنت جزعت لما مثلوا به وحزوا رأسه ، ورفعوه على خشبة منكساً مصلوباً ...

وما كدت حتى أقبلت أسماء بين يديها كفن قد أعدته ودخنته ، والناس ينفرجون عن طريقها في أعينهم البكاء ، وفي قلوبهم الحزن والرعب ، قد اشتفت وجوههم كأنما نشروا من قبورهم لساعتهم ، وسكنت الأوصال ، وجالت الأحداق في محاجرها وكأنها همت تخرج ، وتمشي أسماء صامدة إلى الخشبة صمداً وكأنها ترى ابنها المصلوب ، وكأنها تستروح رائحة دمه ، حتى إذا بلغته — وقد وجم الناس وتعلقت بها أبصارهم ورجفت بهم قلوبهم — وقفت ، وقد وجدت رائحة المسك تحت ظلاله فقالت : « يا بني طبت حياً وميتاً ، ولا والله ما أجزع لفراقك يا عبد الله، فمن يك قتل على باطل فقد قتلت على حق ، والله لأثنين عليك بعلمي : لقد قتلوك يا بني مسلماً محرماً ظمآن الهواجر مصلياً في ليلك ونهارك »

ثم أقبلت وجهها السماء ومدت بيديها تدعو: « اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيت بما قضيت له، فأثبني في عبد الله ثواب الشاكرين الصابرين . اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل ، وذلك النحيب ، وبره بأبيه وبي »

ووجم الناس وجمة واحدة ، وخشعوا خشعة لكأن السماء والأرض صارتا رتقاً فما يتنفس من تنفس إلا من تحت الهم والجهد والبلاء . وكأن مكة بيت قد غلقت عليه أبوابه لا ينفذ إليه أحد ولا يبرحه أحد . وكأن الناس قد نزعت أرواحهم وقامت أبدانهم وشخصت أبصارهم ، وبدت أسماء بينهم وكأن وجهها سراج قد نص على سارية ، لا يزال يزهر ويتلألأ ، ثم تتلفت كأنما تتطلع في وجوه هذه الأبدان الخوالد ، وأضاء ثغرها عن ابتسامة . والله لقد بلغت من العمر وما سقطت لها سن ، وما زال ثغرها ترف غروبه ثم قالت : « يا بني ، لشد ما أحببتم الحياة وآثرتم دنياكم ، فخذلتم أخاكم ، وفررتم عن مثل مصرعه . يا بني يغفر الله لكم ، وجزاكم الله عن صاحبكم خيراً »

وأطرقت أسماء إطراقة ثم رفعت رأسها تومئ إلى الخشبة فوالله لقد رعدت فرائصي حتى تزايلت أوصالي ، وصر الناس كأنما تقصفت أصلابهم، وإذا هي تقول: « ألا من مبلغ الحجاج أن المثلة سبة للحي وما تضر الميت . ألا من يبلغ الحجاج عني أن الشاة إذا ذبحت لم تألم السلخ »

وحامت أسماء وطافت بين الناس وبين هذه الخشبة ساكنة صابرة ، لا يرى إلا بريق وجهها يومض كأنه سيف صقيل، ثم طفقت تردد « يا بني ، أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ أما آن لهذا الراكب أن ينزل ! يا بني ليستأذن أحدكم حجاجكم هذا أن يدفع إلي هذه العظام . أدوا عني ؛ يرحم الله من أدى عني »

فيجيء الرسول من قبل الحجاج يأبى عليها أن تدفع إليها عظام ابنها المصلوب ، ويجيء على أثره موكلون قد وكلهم بجثته يقومون عليها يحرسونها ، كأنما خشي أن يحيا ميت قد حز

رأسه أن تمسه يد أمه. فوالله لقد سمعت أسماء وخبرت فما زادت على أن ولت عنهم كما جاءت ما تقطر من عينيها قطرة دمع، وما تجاوز قوماً إلا جاوزتهم كأنهم فسطاط يتقوض، حتى ولجت بابها وغلقته عليها

وانطلقت أنفض الناس بعيني، فرأيت أخى الحارث (ابن عبدالله بن أبي ربيعة) وابن أبي عتيق (هو عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق) ما في وجهيهما رائحة دم من الحزن والفرق. فقلت: ما هذا أوان جزع؛ انطلقوا بنا — يرحمكم الله — إلى دارها نواسيها ونترفق لها، فوالله لقد تخوفت أن يذهب بها الحزن عليه، وإنه لفالق كبدها ما لقيته. ويطرق الباب ابن أبي عتيق. فيجيب الصوت من داخل: قد أسمعت فه. فيقول: أنا ابن أبي عتيق يا أماه. ويؤذن لنا فندخل دارها تجف قلوبنا من الروع والرهبة، ونأخذ مجلسنا عند بنت أبي بكر الصديق خليفة رسول الله (ص) وزوج حواريه عليه السلام، وكأن قد تركنا الدنيا وراءنا وأقبلنا على الآخرة.

استضحكت أسماء حتى بدت نواجذها وقالت: «مرحباً بكم يا بني، جئتم من خلل الناس تعزون أمكم في عبدالله. يرحم الله أخاكم لقد كان صواماً قواماً ما علمت. وكان ابن أبيه الزبير أول رجل سل سيفه في الله، وكان أشبه الناس بأبي بكر

يا بني، والله لقد حملته على عسرة، والمسلمون يومئذ قليل مستضعفون في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس، ولقد سعيت به جنيناً بين بيت أبي بكر وغار ثور بأسفل مكة في هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه آتيهما تحت الليل بما يصلحهما من الطعام؛ ويسكن الطلب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيتهما بسفرتهما وسقائهما ونسيت أن أتخذ لهما عصاماً؛ فلما ارتحلا ذهبت أعلق السفرة فإذا ليس لها عصام، فوالله ما أجد ما أعلقهما به، ووالله ما أجد إلا نطاق وأنا حبلى متم. فيقول أبو بكر: يا أسماء شقيه باثنين؛ فأشقه فاربط بواحد منهما السقاء وبالآخر السفرة؛ فلذلك ما سماني رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذات النطاقين» يعني في الجنة.

وأعود بعبد الله يرتكض في أحشائي، قد احتسبت نطاقي في سبيل الله؛ فوالله ما أجدني احتسبت بني عبدالله اليوم إلا كما احتسبت نطاق ذاكم. وأعود إلى دار أبي بكر ويأتي نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا ببابها، فأخرج إليهم فيقولون: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ فأقول: لا أدري والله أين أبي؛ فيرفع أبو جهل يده — وكان فاحشاً خبيثاً — فيلطم خدي لطمة يطرح منها قرطي، فتغول بي الأرض الفضاء، فوالله لما لقيت من حجاجكم هذا أهون عندي مما لقيت من لطمة أبي جهل وأنا بعبد الله حامل متم.

يا بني إني آخر المهاجرين والمهاجرات، لم يبق على ظهرها بعد عبد الله منهم غيري؛ فلا والله ما حسن أن يجزع من هاجر — وإن شأن الهجرة لشديد — وما حسن أن يجزع من شهد الشاهد مع رسول الله صلى الله عليه، وكيف وقد أربيت على المائة؟

يا بني جزاكم الله عني وعن أخيكم خيراً، قوموا لشأنكم وذروني وشأني يرحمكم الله»

وودعنا وانصرفنا، ولا والله ما نجد لأسماء في الرجال ضريباً، فأين في النساء؟ ولكنها كانت تصبر صبر المهاجرين الأولين على الجهد والبلاء.

وما كان صبح خامسة من مقتل ولدها حتى استجابت لدعوة ربها رضي الله عنها وأرضاها، وهي أم حنت تكتم حنينها، ولكأنه عجل بها موته فقطع نياطها وصدع فؤادها، وفلق كبدها عليه حنينها إليه ....

محمود محمد شاكر

المعاهدة السرية

للأستاذ محمد عرفة



قبل هجرة محمد صلى الله عليه وسلم فى الليلة الثانية عشرة من ليالى ذى الحجة بعد أن قضى الناس حجهم خرج جماعة من رحالهم المضروبة فى ودبان منى وضواحيها بعد أن مضى الثلث الأول من الليل، خرجوا يتسللون تسلل القطا يمشون الهوينا، فلا يسمع وقع خطاهم على الأرض أحد كأنما يخافون أن يشعر بهم الناس. خرجوا فرادى وجماعات، وكلهم يقصد جهة معينة هى العقبة، وكلما وصل إليها فوج منهم نزل بها حتى كملوا سبعين رجلاً

جلسوا يتناجون فى صوت خفى، لا يسمع إلا همسهم وتتابع أنفاسهم. جلسوا كأنما ينتظرون قادماً يقدم عليهم كانوا معه على ميعاد ...

وبينما هم كذلك إذا برجلين قد أقبلا يؤمانهم، ويريدان مكانهم، فلما تبينوهما خفوا إليهما، ونهضوا فسلموا عليهما. وكانت هذه الجماعة من سكان يثرب من الأوس والخزرج، وكان هذان القادمان عليهم محمد بن عبد الله وعمه العباس بن عبد المطلب وكانا معهم على ميعاد

ليت شعرى ما الذى حفز هذه الجماعة على أن تخرج من رحالها وتقصد هذا المكان القصى؟ وما الذى حفز محمداً وعمه العباس أن يتركا منزليهما بمكة ويسيرا تحت ستار الليل والناس نيام ويوافياهم عند العقبة؟ كان محمد يريد الهجرة إلى المدينة وكان يريد أن يعقد مع أهلها معاهدة سرية على أن يحموه ويعززوه وينصروه.

فلما جلسا وجلس الناس حولهما، تكلم العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فقال: « يامعشر الأوس والخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا، وهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده، وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده »

فلما انتهى العباس من كلامه قالوا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله، وخذ لنفسك وربك ما أحببت. فتكلم رسول الله، فتلا القرآن، ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام، ثم قال: أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. فتقدم إليه البراء بن معرور وأخذ بيده وقال: والذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أنفسنا، فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب، وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر

فاعترض القول أبو الهيثم بن التيهان وقال: يا رسول الله إن بيننا وبين اليهود حبالاً، وإنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم رسول الله ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنتم منى، وأنا منكم، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم. فصرخ فيهم العباس ابن عبادة الأنصارى وقال: يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم، قال، إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتل، أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله خزى الدنيا والآخرة إن فعلتم؛ وإن كنتم ترون أنكم وافون بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فمالنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا؟ قال: الجنة. قالوا: أبسط يدك. فبسط يده فبايعوه

وبعد أن تمت المعاهدة قال لهم رسول الله : ارفضوا إلى رحالكم . فقال له العباس بن عبادة : والذى بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غداً على أهل منى بأسيافنا ، فقال رسول الله : لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، فرجعوا إلى مضاجعهم . فلما أصبحوا غدت عليهم أكابر قريش ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنا قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هـذا ، تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم . وكان مع المسلمين الذين عقدوا المعاهدة قوم مشركون من المدينة لم يعلموا بما كان منها فانبعثوا إلى قريش يحلفون لهم بالله ما كان من هذا شىء ، وما علمناه . ثم تفرق القوم ، ورجع الأنصار إلى المدينة ، وأقام رسول الله بقية شهر ذى الحجة من تلك السنة والمحرم وصفر وهاجر إلى المدينة فى ربيع الأول

وكانت هذه المعاهدة السرية التى عقدها رسول الله بينه وبين أهل المدينة هى أول حادث أعز الإسلام وقواه ومكن له فى الأرض وكتب له البقاء والخلود ، فى هذا الوجود

لم يكن أهل المدينة حين عقدوا هذه المعاهدة مع رسول الله يجهلون ما وراءها ، فقد كانوا يعلمون أن وراءها حرب العرب جميعاً لأن العرب جميعاً على خلاف هذا الدين الجديد ، وهم لا محالة معارضوه ومحاربوه ، وقد ذكرهم بذلك العباس بن عبادة فلم يشفقوا من ذلك وأقدموا عليه وهم يعلمون ما يفعلون ، ويعنون ما يقولون

علموا ذلك كله فلم يهلهم ولم يفزعهم ، وأقدموا عليه طيبة به قلوبهم ، راضية به نفوسهم . لقد عرض رسول الله (ص) نفسه قبل ذلك على القبائل ، فأشفقوا منه ولم يقو أحد على حمل هذا العبء الثقيل .

لقد ذهب إلى ثقيف بالطائف وعرض عليهم الإسلام ، فامتنعوا وقال له أحدهم : ما وجد الله أحداً يرسله غيرك . وقال آخر منهم : لا أكلك كلمة أبداً ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول ، لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام . ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلك . فقام رسول الله من عندهم ، وقد يئس من خير ثقيف ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، ثم نجاه الله منهم . وكان ينتظر أيام الحج فيذهب إلى الحجاج من العرب فى منازلهم ويعرض عليهم الإسلام فيأبون عليه ، ذهب إلى كندة فى منازلهم فامتنعوا عليه ، وأتى كلباً فامتنعوا عليه ، وأتى بنى حنيفة فردوه أقبح رد .

لم يقدروا على حمل هذه الأمانة ، وادخرها الله لهذا الحى من أهل المدينة فقد جاء نفر منهم إلى موسم الحج ، فلقيهم رسول الله فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج . قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم . قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فآمنوا به وصدقوه وقالوا له : قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين . فإن يجمعهم الله على يديك ، فلا رجل أعز منك . ثم رجعوا إلى المدينة ودعوا قومهم إلى الإسلام فأجاب منهم خلق كثير ، ثم جاء منهم قوم إلى مكة وقابلوا رسول الله ، وكانت المعاهدة التى ذكرناها .

إن هذه المعاهدة لتدل على ما للأنصار من جلد وقوة وشجاعة وبسالة وكرم وتضحية وإيثار

أباحوا أرضهم وديارهم وأرزاقهم لمن هاجر إليهم من المسلمين فقاسموهم ما عندهم ، وآثروهم على أنفسهم

فتحوا بها صدورهم لحراب العرب ورماحهم ، وقطعوا بها حبالهم التى كانت بينهم وبين العرب ، فما أعظم هذه التضحية ، وما أجل هذا الإيثار

وبحسبهم أن الله سجل لهم مفاخرهم ومكارمهم فى قوله :

« والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »

محمد عرفة

عِبْرةُ الهِجْرة

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن



قُمْ باسم ربّكَ فى الحياة مُجاهدا — وأعِدْ إلى العرب التُّراثَ الخالدا

مجدٌ بذلنا النفس فى تدعيمه — حتى استقرَّ على الثُّريا قاعدا

أهوى إلى كسرى فدكَّ صروحَه — ورمى هرقلَ فكان نَسْراً صائدا

فتح البلادَ مسالكاً ومعاقلاً — وأدالهن صوامعاً ومعابدا

ومشى إلى الرومان أنبلَ غايةً — وأعفَّ فى يوم القتالِ مقاصدا

يدعو إلي دين النبى مناضلا — ويصد دعوى المشركين مجاهدا

ويكاد يفتتح القلوب بحجةٍ — غراء كالصبح المبين شواهدا

***

هذا النبى من الجزيرة مقبلٌ — يبنى يقيناً أو يُقيم عقائدا

المسلمون ببطن مكة أسّسوا — للمجد ركناً والفخار قواعدا

رفعوا على التقوى قواعد ملكهم — ورَجَوْا له فوق السماء مقاعدا

عَرَبٌ من الصحراء إلا أنهم — رفعوا لتمثال الحضارةِ شاهدا

تلك الخيامُ الضاربات بمكةٍ — سخرت من (الإيوان) نجماً صاعدا

قد لقّنته من العقيدة صافيا — وسقته ماء الحق عذباً باردا

حتى رأينا الفرس أصبح دينهم — دينُ الحنيفة مشمخراً صاعدا

دخلوا إلى الإسلام أطوعَ أنفسا — لله وانقادوا أخفَّ مقاودا

***

دينٌ من الحقِّ الصراح رأيتهُ — يغزو الممالكَ فاتحاً ومجاهدا

لم يعبأ الأوثانَ وهى نواصب — شَرَكاً ولم يخشَ الضلالَ الراقدا

ومضى فما سَدَّ القتالُ سبيله — وسعى فما هاب الفريقَ الحاشدا

يَهدى ويفتحُ للعيون مسالكا — ويشقُّ فى سبب السماء مَصاعدا

ويكاد يهزأ بالعناد مكابرا — والكفرِ أحمقَ والضلالِ مُعاندا

نصبوا له الشَّركَ اللئيمَ فما ونى — ومضى يحيك لصائديه مصايدا

ما كان صاحبُه إلى غاياته — نِكْساً ولا داعيه شيخاً قاعدا

آذَوْهُ فاحتمل الأذاةَ مُصابرا — ورَمَوْهُ فاحتملَ الرُّماةَ مُجالدا

والحاسدون تنقصوه فما وهى — عزماً ولا بالى العدوَّ الحاسدا

نفسٌ من الإيمان صيغ كيانها — وغدت على سر البطولة شاهدا

سَخِرَتْ بما صنع الضلالُ وأقبلت — تستلهم اللهَ الطريقَ الراشدا

وإذا النفوسُ تباعدت غاياتُها — زادت عن الغرض اللئيم تباعدا

***

يأيها الداعى لكل كريمة — هذا سبيلُك قد أقامَ على هدى

أعليتَ باسم الله كل بنيّة — فيه وصيَّرْتَ الكنيسَ مساجدا

ودعوتَ لا تخشى لدينك هازئاً — وصدَعت لا تخشى لرأيك ناقدا

وحملت من ظلم القريب مُعاكسا — ولقيتَ من عَنتِ الولىِّ مُطاردا

فهجرتَ أهلك لا قِلًى لودادهم — وتركتَهم لا ساخطاً أو واجدا..

لكن كرهتَ على المقام جحودهم — والحر يجتنب المقامَ الجاحدا

محمد عبد الغنى حسن

الحسن بن الهيثم

للأستاذ عبد الحميد حمدى
المدرس الأول للعلوم بوزارة المعارف



للحسن بن الهيثم منزلة رفيعة فى عالم العلوم الفيزيقية لا ينتقص من قدرها أنه غير معروف فى الشرق بقدر ما هو معروف فى الغرب بين علماء الفيزيقا الذين قدروه فكتبوا عنه وترجموا مؤلفاته وعلقوا عليها وشرحوا الغامض منها.

وهو أبو على الحسن بن الهيثم، ولد بالبصرة عام ٣٥٥ هـ (٩٦٥ م) ومات بالقاهرة عام ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ م) وكان قد استقدمه الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى لينظم له مياه النيل لينتفع بها الزرع أوقات الزيادة والنقصان. وأمده الحاكم بالمال والرجال وقصد إلى أسوان وعاين النيل عندها ودرس مشروعاً كان قد أعده هو أثناء إقامته فى العراق ليطبقه على حالة نيل مصر، فرأى تعذر الأمر ورجع واعتذر إلى الخليفة بما تظاهر بقبوله ثم ولاه بعض الدواوين.

وقد ساهم الحسن بن الهيثم فى الحركة العلمية فى مصر إذ قام بالتدريس فى الجامع الأزهر وتخرج عليه كثيرون من المصريين نذكر منهم أبا الوفاء المبشر بن فاتك من أعيان أمراء مصر وأفاضل علمائهم، وقد أخذ عنه كثيراً من علوم الهيئة والعلوم الرياضية، كما كانت لابن الهيثم مساجلات ومحاضرات ومراسلات قامت بينه وبين العلماء فى مصر وفى غير مصر

وقد كان الحسن بن الهيثم أحد الأساتذة الذين تكونت منهم « دار الحكمة » وهى نوع من الأكاديمية العلمية أنشأها الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمى وأمدها بآلاف الكتب وأغدق عليها الهبات واختصها بعنايته. وقد كان الحسن بن الهيثم زميلا فى هذه الأكاديمية العلمية لابن يونس وعمار وعلى بن رضوان وماسويه الماردينى، وكلهم من قادة الفكر فى العالم الإسلامى فى ذلك العصر، وكانوا من أصدقاء الحاكم وكانت لهم معه مجالس ومحاضرات

حضر الحسن بن الهيثم إلى القاهرة عام ٣٨٦ هـ (٩٦٦م .) وعاش فيها عيشة النسك والزهد، فقد كان فى السنين الأخيرة من حياته يكتب فى كل سنة اقليدس والمجسطى ويبيعهما ويقتات من ثمنهما ولم تزل هذه حاله إلى أن توفى عام ٤٣٠ هـ (١٠٣٨م). فيكون قد قضى بالقاهرة حتى وفاته أكثر من اثنين وأربعين عاماً؛ فهو مواطن مصرى انقضت على وفاته تسعة قرون كان فيها اسمه مغموراً غير مشهور لا تذكره المحافل العلمية الشرقية ولا تشيد بذكره؛ فمن الواجب علينا ومن الإنصاف له ونحن نحتفل بالسنة الهجرية الجديدة أن نحيى ذكراه فى وقت نحن أحوج ما نكون إلى الإشادة بذكر السلف الصالح وإلى الكشف عن أعمالهم ومؤلفاتهم لتنشط الهمم ولنصل بين ماض تليد وحاضر مرتقب النتائج معقود عليه الرجاء أن يتفتح عن مستقبل حافل بالعلم والعرفان.

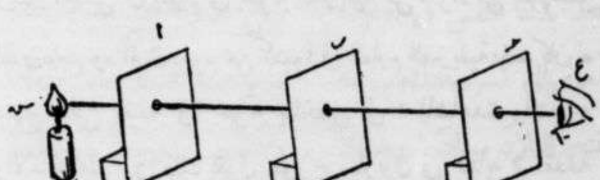
ويمتاز الحسن بن الهيثم فى بحوثه الفيزيقية عن سواه من الفلاسفة الذين عاصروه أو تقدموه ممن كتبوا فى العلوم الفيزيقية، فقد كان له منهج علمى اتبعه فى بحوثه يتلخص فى: المشاهدة والتجربة والاستنباط. وفى ذلك يقول جورج سارتون فى كتابه « مقدمة لتاريخ العلوم »: وهو أعظم عالم فيزيقى مسلم وأحد كبار العلماء الذين بحثوا فى البصريات فى جميع العصور. وقد كان فوق ذلك فلكياً ورياضياً وطبيباً، وله شروح على مؤلفات أرسطو وجالينوس؛ والترجمة اللاتينية لكتابه « المناظر » وهو أهم مؤلفاته — كان لها أثر عظيم على العلم فى الغرب وخصوصاً على روجر بيكون وكبلر وفيها يتجلى الرقى العظيم الذى وصلت إليه الطرق التجريبية » ويقول فى ذلك أيضاً إيفور ب هارت فى كتابه « الفيزيقيون العظام »: « وقد أدخل تحسيناً ذا شأن فى جهاز بطليموس لقياس زوايا

الانكسار فى الأوساط المختلفة ، وقد كانت طرائقه فى الحقيقة تذكارات ماضية لطرائق البحث العلمى فى معاملنا فى الوقت الحاضر .

ونحن نعرض الآن لبعض أجهزة للحسن بن الهيثم استخدمها لإثبات بعض الظواهر الضوئية ، ونذكرها على سبيل المثال لا الحصر ، لأن تجارب ابن الهيثم التى تضمنها كتابه «المناظر» أكثر من أن تحصى . وسيكون بحثنا فى هذه الناحية التجريبية التى بز بها ابن الهيثم غيره من العلماء الفيزيقيين بحثاً مقارناً فنذكر تجاربنا الحديثة وأجهزتها ونقرنها بتجارب ابن الهيثم موضحة بالأجهزة التى استخدمها

أولاً : الضوء ينتشر على سموت خطوط مستقيمة

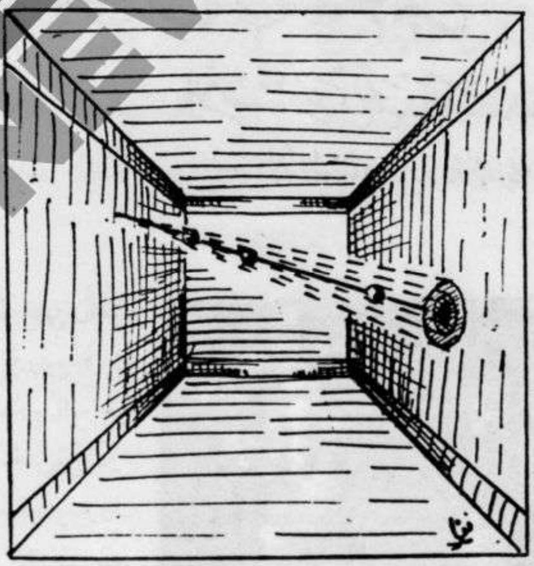
إذا وضعت جسما معتما بين عينيك ومنبع ضوء صغير يبعد بمسافة قصيرة فإنك لا ترى الضوء إذا كان الجسم والنبع والعين على استقامة واحدة ؛ وإذا نظرت إلى شعاع ضوئى نافذ من ثلمة من نافذة حجرة مظلمة تشاهد مسير الشعاع داخل الحجرة فى خطوط مستقيمة. والحقيقة أن الضوء فى ذاته لا يرى ، ولكن الجسيمات الصغيرة المبعثرة فى الهواء هى التى تعكس الضوء إلى العين وتساعدها على تتبع مسيرها . وإذا راقبت مغرب الشمس عند ما تختفى تحت الأفق تشاهد أن الأشعة النبعثة منها تكون فى خطوط مستقيمة ؛ ويمكنك أن تثبت هذه الظاهرة عملياً بعدة تجارب نقتصر منها على ما يأتى :



(شكل ١ — ١)

خذ ثلاثة أفرخ من الورق المقوى ا ، ب ، ج (شكل ١ ـ ١) واثقب كلا منها بثقب فى وسطه، ثم ضعها رأسياً على حوامل ثلاثة بحيث تكون الثقوب على استقامة واحدة . أشعل شمعة (ش) وضعها أمام الثقب الأول ثم انظر من خلف الثقب الثالث عند (ع) تر الشمعة . أزح أحد الأفرخ فى أية جهة لا تر الشمعة . وهذا يدل على أن الضوء ينتشر فى خطوط مستقيمة فى الوسط المتجانس (الوسط هنا الهواء طبعاً)

وإليك شرح ابن الهيثم لهذه الظاهرة وتجربته التى أثبت بها صحتها :



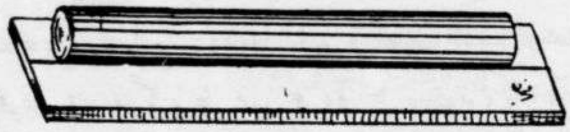
(شكل ١ — ب)

« . . . فأما كيف يكون نفوذ الضوء فى الأجسام المشفة فهو أن الضوء يمتد فى الأجسام الشفة على سموت خطوط مستقيمة ، ولا يمتد إلا على سموت الخطوط المستقيمة ، ويمتد من كل نقطة من الجسم المضىء على كل خط مستقيم يصح أن يمتد من تلك النقطة فى الجسم المشف المجاور للجسم المضىء . وهذا المعنى قد بيناه فى كتابنا « المناظر » بياناً مستقصى ، ولكنا نذكر الآن منه طرفاً يقنع فيما نحن بسبيله ، فنقول : إن امتداد الضوء على سموت خطوط مستقيمة يظهر ظهوراً بيناً من الأضواء التى تدخل من ثقوب إلى البيوت المظلمة ، فإن ضوء الشمس وضوء القمر وضوء النار إذا دخل فى ثقب مقتدر إلى بيت مظلم ، وكان فى البيت غبار أو أثير فى البيت غبار فإن الضوء الداخل من الثقب يظهر فى الغبار المازج للهواء ظهوراً بيناً ، ويظهر على وجه الأرض أو على حائط البيت المقابل للثقب ويوجد الضوء ممتداً من الثقب إلى الأرض أو إلى الحائط المقابل للثقب على سموت مستقيمة » . وبعد هذا الشرح يدلى ابن الهيثم بالتجربة فيقول (شكل ١ ـ ب) : « وإن اعتبر هذا الضوء الظاهر بعود مستقيم وجد الضوء ممتداً على استقامة العود ، وإن لم يكن فى البيت غبار وظهر الضوء على الأرض أو على الحائط المقابل للثقب ، ثم جعل بين الضوء الظاهر وبين الثقب عود مستقيم، أو مد بينهما خيط مداً شديداً ، ثم جعل

فيما بين الضوء والثقب جسم كثيف ظهر الضوء على ذلك الجسم الكثيف وبطل من الموضع الذى كان يظهر فيه ، ثم إن حرك الجسم الكثيف فى المسافة الممتدة على استقامة العود وجد الضوء أبداً يظهر على الجسم الكثيف ، فيتبين من ذلك أن الضوء يمتد من الثقب إلى الموضع الذى يظهر فيه الضوء على سموت خطوط مستقيمة » .

ثانياً : ان البصر يرى المبصرات على سموت خطوط مستقيمة

فى تجاربنا الحديثة لا توجد تجربة خاصة لإثبات هذه الظاهرة ولكنا نستنتجها من التجربة السابقة . أما الحسن بن الهيثم فيثبتها بتجربة مستقلة وبجهاز خاص ... وإليك شرح تجربته وجهازه (شكل ٢)



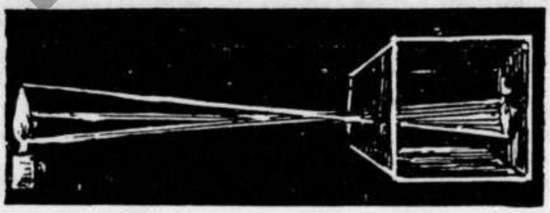
(ش — ٢)

« يتخذ المعتبر مسطرة فى غاية الصحة والاستقامة ويخط فى وسطها خطاً مستقيماً موازياً لخطى نهايتها ، ويتخذ أنبوباً اسطوانياً أجوف طوله فى غاية الاستقامة واستدارته فى غاية الصحة ودائرتا طرفيه متوازيتان ، ونهايته متشابهة ومقتدر السعة وليس بأوسع من محجر العين ، ويكون طوله أكثر من طول المسطرة بقدر يسير ويخط فى سطحه الظاهر خطاً مستقيماً ويقسم الخط الذى على المسطرة ثلاثة أقسام أوسطها مساو لطول الأنبوب ويطبق خط الأنبوب على الأوسط من الأقسام الثلاثة بحيث يتطابق طرفاها ويلصق الأنبوب بالمسطرة على هذا الوضع إلصاقاً ثابتاً ملتحماً

ثم يعين على مبصر من المبصرات ويلصق طرف المسطرة بالجفن الأسفل من إحدى عينيه والطرف الآخر بسطح البصر ويغمض العين الأخرى وينظر من ثقب الأنبوب فإنه يرى من المبصر الجزء المقابل لثقب الأنبوب الذى يليه

وإذا ستر الثقب بجسم كثيف استتر ذلك الجزء فإذا رفعه عادت الرؤية ، وإن ستر بعض الثقب استتر من ذلك الجزء البعض المقابل لجزء الثقب المستتر الذى هو والبصر والساتر على خط مستقيم، وإذا ستر الثقب استتر الجزء المقابل له

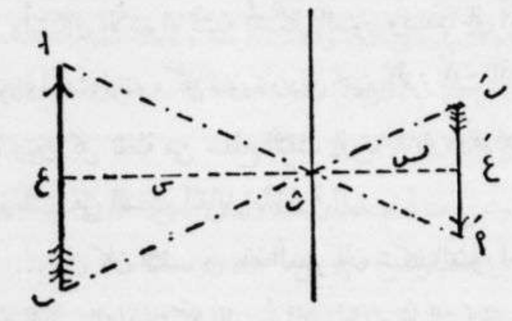
فمعلوم أن بين البصر وذلك الجزء هواء متصلاً لا يتخلله كثيف ومسافات لا نهاية لها، كلها غير مستقيمة؛ فلو كان ممكناً أن يدرك البصر شيئاً على غير استقامة فى الهواء من غير انعكاس لكان يدرك الجزء فى تلك الحال — فتبين أن هذه الرؤية لا تتهيأ إلا من سموت خطوط مستقيمة



(شكل ٣)

ثالثاً : الحجرة المظلمة Camera Obscura (شكل ٣)

إذا أغلقت جميع نوافذ حجرة وتركت ثلمة صغيرة فيها ووضعت خلفها حاجزاً كلوح من الخشب شاهدت تكون صورة عليه للمرئيات التى خارج الحجرة وهذه تكون مقلوبة ويمكن إثبات ذلك عملياً (شكل ٤) فإنك إذا ثقبت لوحاً رقيقاً من المعدن عند «ث» وثبته على حامل ووضعت شمعة موقدة «ا ب» أمامه



(شكل ٤)

وحائلاً من الورق الأبيض خلفه تتكون على الحائل صورة مقلوبة للهب الشمعة هو (ا ب) ويعلل ذلك بأن الأشعة تتفرق فى جميع الجهات من كل نقطة من نقط الجسم المضئ ، ومن هذه الأشعة تنفذ حزمة صغيرة للغاية من الثقب فيخرج من (ا) شعاع ينفذ من الثقب ويسقط على الحائل فتتكون عليه صورة (ا) لهذه النقطة وكذلك يخرج من (ب) شعاع ينفذ من الثقب ويلاقى الحائل فى (بَ) تكون هى صورة النقطة (ب) وبالمثل تتكون

على الحائل بين (ا ، ب) ، صورة لجميع نقط الهب الأخرى بين (ا ، ب) ، وإذا كان الثقب ضيقاً كانت الصورة واضحة ومحدودة ، وإذا كان الثقب متسعاً كانت الصورة غير واضحة وغير محدودة.

ويرجع انقلاب الصورة إلى انتشار الأشعة الضوئية فى خطوط مستقيمة وتقاطعها عند الثلمة ، فالأشعة الآتية من الأجزاء العليا تقابل الحائل فى أجزائه السفلى ، وبالعكس الآتية من الأجزاء السفلى تلاقى الحائل فى أجزائه العليا والأشعة الآتية من الأجزاء المتيامنة تقابل الحائل فى أجزائه المتياسرة ، وبالعكس الآتية من الأجزاء المتياسرة تلاقى الحائل فى أجزائه المتيامنة فتكون الصورة مقلوبة من عامة الوجوه ، وإليك قول ابن الهيثم فى هذه الظاهرة :

« ... وبعد ذلك نقول : كل صورة مضيئة قابلت ثقباً مستديراً فى غاية الصغر فإن المخروط المتشكل بينها وبين مركز الثقب ينفذ إلى السطح الموازى ويحدث ضوؤها على السطح على شكل شبيه بشكل الصورة، لكنه يكون معكوساً، ولنسمه الضوء المتوسط، فإذا تعددت الصور المضيئة تعددت أضواؤها المتوسطة لكن الضوء الحادث من الصورة المتيامنة عن الثقب يتياسر ، ويتيامن ضوء المتياسرة ، ويتعالى ضوء المتسافلة، ويتسافل ضوء المتعالية

وأشكال الأضواء تشبه أشكال الصور ونسبتها إلى أشكال الصور واحدة، وضوء كل صورة يرد فى جميع المخروطات المتشكلة بينها وبين كل نقطة من سطح الثقب إلى ما يقابله ، وقواعد تلك المخروطات على السطح المقابل متساوية

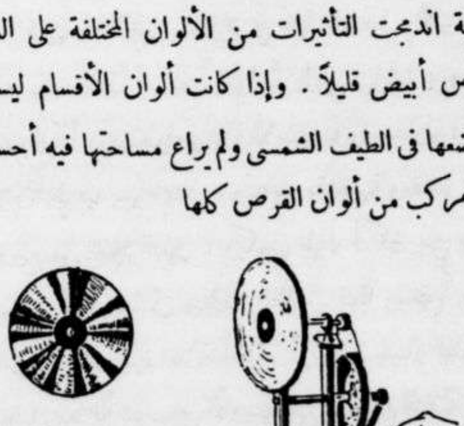
... فإن كان الثقب فى غاية الصغر فإن شكل الضوء الحادث يكون قريب الشبه بشكل الضوء المتوسط، ويقل الشبه بقدر زيادة فسحة الثقب ... وهكذا إلى أن يخفى الشبه ويبقى الشبه فى مجرد الضوء واللون ... وكلما كان الثقب أضيق والسطح أبعد كان شكل الوسط أشبه بالصورة

وكذلك أيضاً إذا قابلت قطع سحاب بيض ثقباً ضيقاً يفضى إلى موضع نقى اللون لا يصل إليه ضوء آخر فإنه يرى فى ذلك الوضع قطع أضواء إلى البياض بعدد قطع السحاب مخالفة الأوضاع لها، وإن كانت قطع السحاب تتحرك نحو جهة فإن الأضواء أيضاً تتحرك لكن إلى خلاف تلك الجهة

وكذا لو طار بعض الكبار من الطيور قريباً من ثقب كما ذكر فإن صورة لونه تظهر على ما يقابل الثقب متشكلا بشكل يشبه شكله متحركا فى خلاف جهته

رابعاً : دوامة[1] الحسن بن الهيثم وقرص نيوتن

يمكث التأثير الذى يحدثه أحد الألوان على شبكية العين برهة من الزمن صغيرة ١/١٠ ثانية فإذا تتابعت عدة تأثيرات من ألوان مختلفة فى زمن أقل من ١/١٠ ثانية لا يضيع أثر أى لون من هذه الألوان بل تتأثر العين بها جميعاً فى وقت واحد وتحس العين بلون خاص هو نتيجة اندماج تأثيرات الألوان المختلفة . ويمكن إثبات هذه الظاهرة باستخدام قرص نيوتن (شكل ٥ ـ ١) وهو قرص مستدير من الورق المقوى مقسم سطحه إلى قطاعات ملونة تختلف مساحتها وترتيبها حسب وضعها الطبيعى فى الطيف الشمسى ويثبت القرص عند مركزه على محور عمودى على مستواه ، فإذا أدير القرص بسرعة تكفى لسقوط الألوان كلها على العين فى فترة تقل عن ١/١٠ ثانية اندمجت التأثيرات من الألوان المختلفة على العين وظهر القرص أبيض قليلاً . وإذا كانت ألوان الأقسام ليست فى ترتيب وضعها فى الطيف الشمسى ولم يراع مساحتها فيه أحست العين بلون مركب من ألوان القرص كلها



(شكل ٥ — ١)

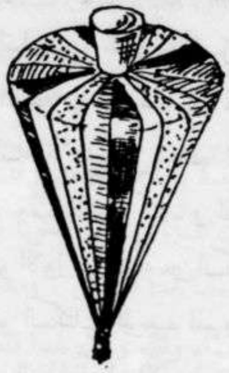
وإليك شرح ابن الهيثم لنظرية تركيب الألوان ووصف دوامته (شكل ٥ ـ ب)

نقول إن إدراك ماهية اللون ليس يكون إلا فى زمان وذلك

(١) الدوامة هي لعبة للأطفال يلفون عليها سيراً أو خيطاً ويلقونها على الأرض فتدور ، وهي باللغة العامية النحلة

لأن إدراكها ليس إلا بالتميز والتشبيه وذلك لا يتأتى إلا فى زمان والذى يدل على ذلك ما يظهر من الدوامة عند حركتها فإن الدوامة إذا كانت فيها أصباغ مختلفة وكانت الأصباغ خطوطاً ممتدة من وسط سطحها الظاهر وما يلى عنقها إلى نهاية محيطها ثم أديرت الدوامة بحركة شديدة فإنها تتحرك على الاستدارة فى غاية السرعة

« وإذا تأملها الناظر فى حال حركتها فإنه يدرك لوناً واحداً مخالفاً لجميع الألوان التى فيها كأنه لون مركب من جميع ألوان تلك الخطوط ولا يدرك تخطيطها ولا اختلاف ألوانها



شكل (٥ ب)

ويدركها مع ذلك كأنها ساكنة إذا كانت حركتها فى غاية السرعة ، وإذا كانت فى حركتها فلا تثبت نقطة منها فى موضع واحد زماناً محسوساً وهى تقطع فى أقل القليل من الزمان جميع الدائرة التى تدور عليها فتحصل صورة النقطة فى ذلك الزمان اليسير على محيط دائرة من جميع محيطها الذى يحصل فى البصر فيدرك لون تلك النقطة فى الزمان القليل مستديراً

« وكذلك حكم جميع النقاط التى فى سطح الدوامة وجميع النقاط المتساوية الأبعاد عن المركز تتحرك حينئذ على محيط دائرة واحدة فيعرض لذلك أن يظهر لون كل نقطة من النقاط المتساوية الأبعاد عن المركز على محيط دائرة فتظهر ألوان جميع تلك النقاط فى جميع محيط الدائرة ممتزجة ولا تتميز للبصر فلذلك يدرك سطح الدوامة لوناً واحداً ممتزجاً من جميع الألوان التى فى سطحها »

وبعد فهذه تجارب وأجهزة نسوقها على سبيل التمثيل لا الحصر فهى قليل من كثير؛ ولعلنا نكون قد وفقنا إلى الكشف عن ناحية عظيمة — هى البحث العلمى التجريبى — امتاز بها الحسن بن الهيثم فى بحوثه فكان لها أكبر الأثر فى قادة البحث العلمى فى أوربا فى العصور القديمة ولا يزال أثرها محسوساً فى عصرنا الحالى .

عبد الحميد حمدى مرسى

صفحة مطوية من تراث العرب العلمى

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

لا أظن أن عالماً أصابه الإهمال كالخازن . ولا أظن أن الإجحاف الذى لحق بمآثره لحق بغيره من نوابغ العرب وعباقرتهم؛ فلقد أدى ذلك الإهمال وهذا الإجحاف إلى الخلط بينه وبين علماء آخرين فنسبت آثاره لغيره كما نسبت آثار غيره له . وقد وقع فى هذا الخلط بعض علماء الغرب وكثير من علمائنا ومؤرخينا . قال (درابر) الأميركى إن الخازن هو الحسن بن الهيثم وإن ما ينسب إلى ما يُسمى (بالخازن) هو على الأرجح من نتاج ابن الهيثم . وخلط الأستاذ منصور حنا جرداق أستاذ الرياضيات العالية بجامعة بيروت الأميركية فى محاضرته عن مآثر العرب فى الرياضيات والفلك بين الخازن وابن الهيثم، يتجلى ذلك فى قوله : « ومن أشهر المشتغلين بالفلك والطبيعيات فى الأندلس أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازنى الأندلسى الذى عاش فى أواخر القرن الحادى عشر للميلاد وأوائل القرن الثانى عشر للميلاد ، وألف مؤلفاته الشهيرة فى النور وآلات الرصد وأوضح مقدار الانكسار . وألف فى الفجر والشفق وعين ابتداء كل منها وقت بلوغ الشمس ١٩ درجة تحت الأفق ... الخ »

ونحن هنا أمام خطأين : الأول فى اعتبار الخازن من الأندلس وهو فى الحقيقة من مرو من أعمال خراسان .

والثانى فى أن المآثر التى أوردها الأستاذ ليست للخازن بل هى من نتاج ابن الهيثم . وأكبر الظن أن ما وقع فيه الأساتذة والعلماء من أخطاء يعود إلى الوضع الإفرنجى للاسمين فأكثر الكتب الإفرنجية حين تكتب الحسن بن الهيثم تكتبه (Al-Hazin) وحين تكتب الخازن تكتبه (Al-Khazin) فظن كثيرون أن هذين الاسمين هما لشخص واحد ولم يدققوا فى حروفهما مما أدى إلى التباس الأمر عليهم ووقوعهم فى الخلط والخطأ .

وسنحاول فى هذا المقال أن نبين مآثر الخازن فى علم الطبيعة (Physics) وأثره فى بعض بحوثها جاعلين نصب أعيننا إنصاف

عالم هو من مفاخر الأمة العربية ومن كبار عباقرتها من الذين عملوا على إنماء شجرة المعرفة وساهموا فى خدمتها ورعايتها

والخازن من علماء النصف الأول من القرن الثانى عشر للميلاد وهو أبو الفتح عبد الرحمن المنصور الخازنى المعروف بالخازن نشأ فى (مرو) أشهر مدن خراسان، وقد درس فيها وعلى علمائها نبغ ولمع فى سماء البحث والابتكار . اشتغل فى الطبيعة ولا سيما فى بحوث الميكانيكا فبلغ الذروة وأتى بما لم يأت به غيره من الذين سبقوه من علماء اليونان والعرب ، كما وفق فى عمل زيج فلكى سماه (الزيج المعتبر السنجارى) وفيه حسب مواقع النجوم لعام ١١١٥ — ١١١٦م ، وجمع أرصاداً أخرى هى فى غاية الدقة بقيت مرجعاً للفلكيين مدة طويلة .

ومن الغريب أن قنصل روسيا فى تبريز فى منتصف القرن الماضى عثر صدفة على كتاب ميزان الحكمة ، وقد كتب عنه عدة مقالات فى إحدى المجلات الأميركية . ولعل العلماء الألمان أكثر العلماء اعتناء بآثار الخازن . فنجد فى رسائل للأستاذ ويدمان Wiedman فصولاً مترجمة عن (ميزان الحكمة) وقد استوفت بعض حقها من البحث والتعليق كما نجد فى رسائل غيره مقتطفات من محتويات الكتاب المذكور دللوا فيها على فضل الخازن فى علم الطبيعة .

ولا بد لى فى هذا المجال من إبداء دهشتى لعدم نشر فصول هذا الكتاب النفيس فى كتاب خاص ، ولا أدرى سبباً لهذا ...

ولعل السؤال الآتى يتبادر إلى غيرى أيضاً : لماذا نُشرت بعض محتويات الكتاب وأهملت الأخرى ؟ ليس لى أن ألوم علماء الألمان أو غيرهم فى ذلك ، فلقد قاموا بواجبهم نحو الخازن أكثر منا وعرفوا فضله قبلنا ، ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنه لولا قنصل روسيا N. Khanikoff وبعض المنصفين من مستشرقى الألمان وعلمائهم لما عرفنا شيئاً عن الخازن ، ولما كان بالإمكان نشر هذا المقال . وقد يكون الأستاذ مصطفى نظيف بك أول عربى أشار إلى بعض محتويات كتاب ميزان الحكمة فى كتابه : (علم الطبيعة تقدمه ورقيه ...) ، ولكنه لا يذكر شيئاً عن المؤلف بل ولا يذكر أنه الخازن ، ويقول: « ... والكتاب لا يعلم مؤلفه ... » ثم يردف هذا القول : إن (درابر) يرجح أنه من تأليف الحسن ابن الهيثم . وأظن أن مقالنا هذا أول مقال يظهر فى مجلة عربية يبحث عن الخازن ويزيح الستار عن آثاره ويفيه بعض حقه .

والذى أرجوه أن يثير هذا المقال أساتذة كلية العلوم فى جامعة فؤاد الأول بمصر وعلى رأسهم حضرة صاحب العزة الدكتور على مصطفى مشرفة بك فيعملون على إنصاف الخازن وعلى نشر مآثره بين المتعلمين والمثقفين ، فهم أولى الناس بذلك ، وأحق من غيرهم بالقيام بهذا العمل الجليل . ولنا من حماستهم للتراث العربى والإسلامى ما يدفعنا إلى لفت أنظارهم إلى حياة الخازن الحافلة المليئة بالإنتاج التى أحاطها الإهمال من كل جانب .

وضع الخازن كتاباً فى الميكانيكا سماه (كتاب ميزان الحكمة) هو الأول من نوعه بين الكتب القديمة العلمية القيمة ، وقد يكون هو الكتاب الوحيد المعروف الذى يحتوى على بحوث مبتكرة جليلة لها أعظم الأثر فى تقدم الأيدروستاتيكا ، وقد قال عنه الدكتور سارطون Sarton إنه من أجل الكتب التى تبحث فى هذه الموضوعات وأروع ما أنتجته القريحة فى القرون الوسطى . والذى يطلع على بعض مواد هذا الكتاب تتجلى له عبقرية الخازن وبدائع ثمرات التفكير الإسلامى والعربى . واعترف (بلتن) فى أكاديمية العلوم الأميركية بما لهذا الكتاب من الشأن فى تاريخ الطبيعة وتقدم الفكر عند العرب

لا يجهل طلاب الطبيعة أن (توريشيللى) بحث فى وزن الهواء وكثافته والضغط الذى يحدثه . وقد مر على بعضهم فى تاريخ الطبيعة أن (توريشيللى) المذكور لم يسبق فى ذلك وأنه أول من لفت النظر إلى مثل هذه الموضوعات وبحث فيها وأشار إلى أهميتها

والواقع غير هذا ، فلقد ثبت من كتاب (ميزان الحكمة) أن من بين المواد التى تناولها البحث مادة الهواء ووزنه . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أشار إلى أن للهواء قوة رافعة كالسوائل وأن وزن الجسم المغمور فى الهواء ينقص عن وزنه الحقيقى وأن مقدار ما ينقصه من الوزن يتبع كثافة الهواء

وبيّن الخازن أيضاً أن قاعدة (أرشميدس) لا تسرى فقط على السوائل بل تسرى على الغازات ، وأبدع فى البحث فى مقدار ما يُغمر من الأجسام الطافية فى السوائل . ولا شك أن هذه البحوث هى من الأسس الذى عليها بنى علماء أوربا فيما بعد بعض

الاختراعات الهامة كالبارومترومفرغات الهواء والمضخات المستعملة لرفع المياه

ولسنا هنا ننتقص من قدر توريشيللي وباسكال وبويل وغيرهم من العلماء الذين تقدموا بعلم « الإيدروستاتيكا » خطى واسعة ، ولكن ما نريد إقراره هو أن الخازن قد ساهم فى وضع بعض مباحث علم الطبيعة وأن له فضلاً فى هذا كما لغيره من الذين أتوا بعده، وقد توسعوا فى هذه الأسس ووضعوها فى شكل يمكن معه استغلالها والاستفادة منها

وبحث الخازن فى الكثافة وكيفية إيجادها للأجسام الصلبة والسائلة واعتمد فى ذلك على كتابات البيرونى وتجاربه فيها وعلى آلات متعددة وموازين مختلفة استعملها لهذا الغرض . واخترع الخازن ميزاناً لوزن الأجسام فى الهواء والماء وكان لهذا الميزان خمس كفات تتحرك إحداها على ذراع مدرّج . ويقول بلتن إن الخازن استعمل الأريومتر (Areometer) لقياس الكثافات وتقدير حرارة السوائل . ومن الغريب أن تجد أن الكثافات لكثير من العناصر والمركبات التى أوردها فى كتابه بلغت درجة عظيمة من الدقة لم يصلها علماء القرن الثامن عشر للميلاد . وفى الكتاب أيضاً شئ عن الجاذبية ، وأن الأجسام تتجه فى سقوطها إلى الأرض ، وقال إن ذلك ناتج عن قوة تجذب هذه الأجسام فى اتجاه مركز الأرض . ويرى أن اختلاف قوة الجذب يتبع المسافة بين الجسم الساقط وهذا المركز . وجاء فى كتاب (علم الطبيعة — تقدمه ورقيه ...) للأستاذ نظيف : « ... ومما يثير الدهشة أن مؤلف كتاب ميزان الحكمة كان يعلم العلاقة الصحيحة بين السرعة التى يسقط بها الجسم نحو سطح الأرض والبعد الذى يقطعه والزمن الذى يستغرقه — وهى العلاقة التى تنص عليها القوانين والمعادلات التى ينسب الكشف عنها إلى غاليلى فى القرن السابع عشر للميلاد .. » . وعلى الرغم من التحريات العديدة لم أتمكن من العثور على المقتطفات التى تنص على العلاقة بين السرعة والبعد والزمن فى المصادر التى بين يدى سواء العربية منها أو الإفرنجية . ولهذا فمن الصعب جداً أن أحكم فى صحة ما جاء عن الخازن بشأن هذه العلاقة . وأظن أن العلاقة التى عرفها الخازن والتى وردت فى كتابه — وهى العلاقة بين السرعة التى يسقط بها الجسم نحو الأرض والبعد الذى يقطعه والزمن الذى يستغرقه لم تكن صحيحة ودقيقة بالدرجة التى تنص عليها معادلات غاليلى ، ولكنها قد تكون صحيحة إلى درجة ودقيقة إلى حدّ . وآمل فى أول فرصة أزور فيها مصر أن أبحث عن هذه النقطة فى مكتبات القاهرة فقد أجد فيها ما يلقى ضوءاً على المدى الذى توصل إليه الخازن فى الجاذبية

وأجاد فى بحوث مراكز الأثقال وفى شرح بعض الآلات البسيطة وكيفية الانتفاع منها، وقد أحاط بدقائق المبادئ التى عليها يقوم اتزان الميزان والقبان واستقرار الاتزان إحاطة مكنته من اختراع ميزان من نوع غريب لوزن الأجسام فى الهواء والماء، كما مرّ بنا

هذا ما استطعنا الوقوف عليه من مآثر الخازن بعد الرجوع إلى مصادر عديدة ، ونرجو أن يكون هذا المقال حافزاً لغيرنا للاعتناء بتراث هذا العالم العربى الذى ترك ثروة علمية ثمينة للأجيال ، كما نأمل أن يدفع بعض المنصفين من الباحثين والمؤرخين إلى الاهتمام برفع الإجحاف الذى أصابه ، والعمل على إزالة الغيوم المحيطة بنواح أخرى من ثمرات قريحته الخصبة المنتجة

« نابلس » قدرى حافظ طوقان

درس للزعماء في سيرة زعيم

للأستاذ سعيد الأفغاني

في حياة خالد بن الوليد الحافلة بالبطولة والرجولة ، درس للصغير والكبير ؛ غير أن ما يحيط بنهضة العرب اليوم من تناحر على الغنائم ، والمعركة لما تنته بعد ، يحتم أن نعرض لعبرتين في سيرة الفاتح العظيم ، فيهما درس بليغ ، ينتفع به من في قلبه حبة خردل من إخلاص . وكذلك التاريخ أيها القارئ يسعفك كلما كلب الزمان وحرب العدو ، ولن تعدم منه أبداً سراجاً يضيء حاضرك ويبصرك بالسبل وينجح لك المساعي ، ويريك بم كان تقدم المتقدمين وفوز الفائزين ، وبم كان التأخر والذلة والخسران

***

أما الأولى من العبرتين ، فهي أن خالداً من أبطال قريش وصناديدهم ، بل هو البطل فيهم لا يعدله غيره . أظفر الله المسلمين بالمشركين يوم بدر ، فكان عليهم عار الأبد ، وأصبحوا بهزيمتهم سبة بين العرب ؛ فما قر لهم قرار ، حتى تألبت جموعهم في أحد ، متعطشة إلى الثأر ، ثم تقع الواقعة فينهزمون أيضاً . ويريد ربك أن يصاب المسلمون بعد نصرهم ، لتكون لهم الهزيمة بعد الظفر درس الأبد ، فلا يخالفون رئيساً بعدها أبداً . ثم لا يفطن إلى خلو الجبل من الرماة إلا خالد اليقظ ، فيحيط بالمسلمين – وهم لاهون بالغنائم – من خلفهم ، وينتعش المشركون حينئذ ، وتكون المصيبة في المسلمين بالغة ؛ فكانت هزيمتهم ، وكانت الفرحة الكبرى لقريش أن ثأروا لقتلاهم يوم بدر ، ورفعوا عن أنفسهم العار ، وكان أن ذهب بفخر هذا اليوم كله خالد .

هـذا القائد الباسل الذي طارت شهرته في أهل الشرك والتوحيد على السواء ، وقع في قلبه أن الإسلام حق ، فرمى بالقيادة والشهرة جانباً ، ووطن نفسه على الأذى يناله من قريش ، الذين سيحنقون أشد الحنق ، وقصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليقبله مسلماً في المسلمين ، وقد سأله في طريقه عمرو بن العاص : « إلى أين يا أبا سليمان ؟ » فقال : « والله قد استقام الميسم ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم ؛ فحتى متى ؟! »

ألا يجد رؤساء الناس وزعماؤهم في هذه عبرة ودرساً ، ألا يدعون نصرة أهوائهم وإرضاء نفوسهم ، ليقبلوا على أمر تبين رشده فيتبعونه ؟ إن الناس لينظرون إليهم ، وإن الله لسائلهم عن الوطن والدين يتجرون بهما ، وعن العامة يلعبون بعقولهم ، وقد أعطوا الله موثقاً : ليكونن مع الحق حيث كان ، وليقومن بنصرته وحده لا نصرة نفوسهم ونزغاتهم . جمعهم وطن واحد فراموه أجزاء وأشلاء ، واستعدوا الأجنبي المتربص بهم ليحفظ عليهم رياساتهم الواهية ، فنال هذا فريسته بسلاحها ، وكانت هذه الأثرة الدنيئة أفتك بالبلد من كل غارة . ثم انتظم أمورهم دين واحد فأبوه إلا شيعاً وفرقاً وطرقاً ، فبادر الأجنبي يعلن حمايته لكل فرقة على حدة ويعترف باستقلالها عن أختها ، ويبالغ في تشجيعه على التفرق ، وفي تفكيكه عرى الطائفة الواحدة حتى عم البلاء وطم . وها نحن أولاء نرى في قطر عربي صغير كسورية ، ثبتاً حافلاً بأسماء طوائف لو وزعت على أهل الأرض ما نجت من شر فتنتها بقعة ، وفي كل يوم فرقة جديدة وحماية سريعة [1]

إن خالد بن الوليد طوح بالقيادة والفخر والظفر والمجد وأقبل على النبي واحداً من المسلمين ، ونحن لا نكلف هؤلاء السادة طرح شيء فستبقى عليهم زعاماتهم ، وسيرجعون أعز ما كانوا إن جندوا أنفسهم في خدمة الحق والخير

---

(١) لم يكن يوم الاحتلال الفرنسي للشام من الطوائف غير المسلمين والمسيحيين واليهود ، فما زالوا ينبشون من الفروق الضئيلة وينفخون فيها حتى صار المسلمون بفضلهم طرائق قدداً ، فهم اليوم سنية وشيعة وعلوية وجعفرية وإسماعيلية و ... وجعلوا لكل مفتياً وقاضياً ومحكمة ونواباً وعدداً من الوظائف ... وحتى مدوا أيديهم إلى ما يسمى بالطرق فربطوها بشخص المفوض السامي بقرارات صدرت بما يشبه السر ، وما راع الناس إلا محام في محكمة منذ شهور يستند إلى قرار المفوض السامي بقوله في دعوي للأوقاف الاسلامية على شيخ مولوية : « إن الطائفة المولوية لا علاقة لها بالأوقاف الاسلامية ولا بالمسلمين وإن ... » فعرفنا ما حيك لنا بعد أن أطبق الفخ علينا . ومنذ عهد قريب صدر قرار للمفوض الفرنسي زعم أنه ينظم الأحوال الشخصية ، فلم يبق حرمة للشريعة الاسلاميه إلا أباح انتهاكها ولا صاحب نزوة أو إباحية أو إلحاد إلا شجعه ليجهر بنزوته ويدعو إليها وينفصل بها طائفة محترمة معترفاً بها محمية بجيش الاحتلال . وفي القانون هذا عند الايجاب ما يجعل في الغد كلا من الشافعية والمالكية والحنفية طائفة مستقلة . ولا ندرى أين يستقر نبأ تلك الهاوية ... هذا إلى طغيان من المبشرين بثها بكثرة في هذه الأيام في أصقاع يسودها الجهل المطبق ، ويعم أهلها فقر مدقع آلوا إليه بعد غنى وافرابتز منهم في سنوات خلت ، ومنح هؤلاء المبشرون سلطة لا حد لها ، وما ندرى كم يصمد الجهل والفقر والهوان أمام العلم والسلطان والمسلمون في نومهم يغطون ...

وأما العبرة الثانية التى يجدها الزعماء فى سيرة خالد ، فغاية فى إنكار النفس وبذل الروح وإماتة الهوى

أسلم خالد وأبلى البلاء الحسن فى كل غزواته مع النبى ، ثم فى حربه المرتدين ، وتوطيده دعائم الوحدة فى الجزيرة ، ثم فى سيره إلى العراق ، وانتصاره على الفرس الانتصارات الآخذ بعضها بحجز بعض ؛ فمن قهر جيوش ، إلى دك عروش ، إلى فتح حصون ، إلى خطف قواد ، إلى قتل أبطال ... مآثر لو طلب بهن الخلافة لما ساغ فى العقل أن يختلف عليه فيها اثنان . ثم يبعثه أبو بكر مدداً إلى الشام ثم يكون يوم اليرموك ، وقد بلغ الروم فى التعبئة غاية كيدهم وفنهم : عـدد كثير ، وشجاعة فائقة ، واستبسال واستماتة ، حتى لقد سلسل رجال منهم أنفسهم للموت بسلاسل من حديد ، وقيد آخرون أنفسهم لئلا يفروا ، ثم يكون رأى خالد توحيد العمل معلناً فى خطبته البليغة المشهورة ، ثم جولات منه صادقات ، فإذا بالعدد الضخم من الروم يهوى إلى الواقوصة كالبناء المتداعى، ثم يتصل الظفر حتى يكون يوم دمشق، وقد ولى الخلافة عمر ، ووصل بريده يعهد إلى أبى عبيدة بالقيادة ، ويجعل خالداً جندياً من الجنود ؛ وهنا العبرة ، وهنا يبدأ الدرس :

فى هذا الموقف يختلف خالد وزعماء اليوم ، أما زعماء اليوم — من أمتنا طبعاً — فدستورهم الكلمة المشهورة التى نجمت فى مصر على ألسنة بعض الناس : « الحماية على يدفلان، ولا الاستقلال على يد فلان » ، فلو كانوا مكان خالد لانشقوا بجند عظيم وحاربوا أبا عبيدة ومن معه ، ثم ظفر الروم بالفريقين معاً وارتدت الدعوة العربيـة إلى الحجاز ، ثم لا يُدرى أيكتفون أم ينبتون الجزيرة كلها خلافاً وتناحراً . وأما خالد داء الجيوش وقاهر الروم والفرس معاً ، فقد كان رجلاً فوق هذا : انضوى إلى لواء أبى عبيدة وأخلص النصح والعمل ، ولم يُر أحد أكثر جهداً وانكماشاً وبلاء منه يومئذ أمام أسوار دمشق . لم ينم عن العدو ساعة قط ، ولا فاته من حركاته صغيرة ولا كبيرة ، فهو أبداً مقدم منطلق ، وهو إلى ذلك يقلب وجوه الحيلة ، ويعمل الفكرة كأنه لم يزل هو القائد ، حتى هداه النظر إلى نصب السلالم على السور ، فالتمس غفلة الحامية فى يوم عيد فصعد عليها وطائفة من خيرة الشجعان فواثبوا الحراس ونزلوا إلى الباب فقطعوا أغلاقه بسيوفهم . وقد فتح المسلمون دمشق بحنكته ويقظته واقتحامه وحده لا شريك له فى ذلك ، ولم يبال أن يكون فخر هذا الفتح لأبى عبيدة أو لغيره ، فما عمل خالد لزعامة ولا شهرة ، عمل لله وحده وقد رضى الله عنه وأرضى الناس. وأولئك قوم نزع الله ما فى صدورهم من غل إخواناً

هذا بدء تاريخنا ، أما النهاية التى ختمناه بها نحن : فسلسلة من التفريط وتضييع الفرص ، وعبادة النفس والاندفاع مع الأهواء . فى سبيل ذلك ضحى المتزعمون بخير البلاد خيراً بعد خير . لنرجع عشرين عاماً إلى الوراء فلننظر : كم مرة خسرنا مراحل فى تقدم القضية لأن الحلول لم تكن على يدنا ولا باسمنا ؟ وكم مرة غششنا الناس وجهدنا أن نريهم كل حسنة ظفر بها غيرنا سيئة شنعاء ؛ وكل شر لبسناه عليهم سعادة الأبد ؟

فنجحنا — لأمر يريده الله — وقال الناس لصاحب الخير : « أنت شرير لا يصدر عنك خير ، الخير كله فى حزب كذا ، وقف عليهم دون خلق الله أجمعين ... »

كان هـذا فى الشام وكان مثـله فى كل قطر عربى ، وهو ما نرى أشباهه فى جميع مرافقنا ، حيث كان تناحرنا ، وتكالبنا وبالأعلينا جميعاً . نعم ، هذا ما بلينا به فى كل النواحى ، فى السياسة والإدارة ، والحكم والدين و...الخ

حصرنا فى أنفسنا الإخلاص وخدمة البلاد ، لنتمتع بعرض زائل ، وكتب الله علينا إثم كل مصيبة نزلت بالأمة من جراء أثرتنا وتدجيلنا ، ونحن وأولئك جميعاً ، لا نبلغ بعـد ذلك كله أن نكون غباراً على قدم أصغر جندى من جنود خالد .

***

« طلبت القتل فى مظانه ، فلم يقدر لى إلا أن أموت على فراشى ، وما من عملى شىء أرجى عندى بعد لا إله إلا الله ، من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين ، بتها وأنا متترس ، والسماء تنهل علىّ ، وأنا أنتظر الصبح حتى أغير على الكفار ، فعليكم بالجهاد ...

لقيت كذا وكذا زحفاً ، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو رمية بسهم ، أو طعنة برمح ، وهأنذا أموت على فراشى

حتف أنفي كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء ...

إذا أنا مت فانظروا فى سلاحى وفرسى ، فاجعلوه فى سبيل الله »

هذه حسرة الفاتح الكبير ، الذى لم يفارق النصر موكبه ساعة قط . هذه كلمات الذى ساق السعادة إلى بلدين كبيرين : العراق والشام ، تفيض باللوعة والأسى ، فتثير الإجلال والحزن من أقصى مكامنهما فى النفوس .

يتلهف أبو سليمان وهو يحتضر — وكل جسده إما مطعون أو مضروب أو مرمى — على أن لم يقض بين الصفين ، أو أمام الحصون ، أو فى الثغور ، جندياً يتخبط بدمه الشاخب ، فى سبيل إعلاء كلمة الله ، ظامئاً مُجهداً مُشعثاً ، يرسل من فيه شهادة الحق مع آخر نفس يخرج من صدره الحنون :

رحمك الله يا أبا سليمان ! وليس بيدك ما تمنيت ، فالله وحده يتوفى ويختار ، وما عليك ألا تموت فى الساحة بين الصفين ، فما كنت لحظة من اللحاظ لتفتر عن جهاد ، أو تعبئة لجهاد ، أو حديث نفسى بجهاد . ما كنت يا ابن الوليد إلا جهاداً متلاحقاً فى سبيل الواجب . لقد أرضيت ربك لحملك سيفه فى الأرض ، وأرضيت رسوله لحمد أمرك ورضى عنك ، وأرضيت خليفته حتى قال : « ما على نساء قريش أن ينشئن مثل خالد » ! وعمر نفسه حين لامك لم يترك إكبارك ، ولما نزل الشام ورأى معجزاتك فى الفتوح لم يملك أن قال : « أمَّر خالد نفسه ، يرحم الله أبا بكر ، هو كان أعلم منى بالرجال » .

لقد كنت أمة فى رجل ، فعليك الرحمة من هؤلاء جميعاً ، من كل من حارب تحت لوائك . وعليك الرحمة من النساء والصبيان والرهبان والفلاحين والمستضعفين الذين لم تكن تفتأ توصى جندك المنصور برعايتهم ، والكف عنهم ، والرأفة بهم . وعليك الرحمة من كل نسمة خلصتها من قسوة الفرس ، أو ظلم الرومان .

وليس لنا أن نقول بعد تزكية الله ورسوله وخليفته ، فما رأت جيوش الرحمة والهداية قائداً أعز نقيبة منك . ولئن تصرمت حياتك التى كانت نفعاً كلها ، وعوضت حياة خيراً منها ، فإن خير أعمالك متصل عميم إلى الأبد . ولا يعلم إلا الله كم نفعت سيرتك بعد مماتك ، وكم حفزت همماً خامدة وعزائم خائرة

ولقد جاء بعدك أناس كثيرون فبذلوا أرواحهم ودماءهم محامين عن الحق ، تخلفوك فى إرخاص الروح . ولا نزال نتلو متمثلين ولله الحمد : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » ولا تزال الأرض من المغرب الأقصى إلى طرابلس إلى فلسطين إلى الهند ، تنبت الشهداء ، ولا يفتأ الدم الطاهر يجرى أنهاراً فى سبيل الحق ..

ولكن أحداً من الزعماء لم يخلفك فى إنكار الذات وإهانة الهوى وقهر النفس ، ولم يذكر التاريخ بعدك قائداً فعل فعلك يوم اليرموك أو يوم دمشق .

« دمشق » سعيد الأفغانى

حمامة الغار..

للأستاذ محمود حسن اسماعيل



حمامةَ الغارِ... أيُّ لحنٍ — من جانبِ اللهِ عبقريّ!
ألهمتِ دنياهُ من صباحٍ — في سدرةِ المنتهى وضيّ
ومن عطارِ الجنانِ بل من — سكونهِ الطاهرِ الشذيّ
ومن نشيدٍ على رباهُ — معطّرِ اللحنِ سرمديّ
يفوحُ من زهرةٍ، ويزكو — من جدولٍ تحتها سريّ
رنّتْ بأصدائهِ، وغنّتْ — ملاحمُ الملهمِ الشجيّ
ورفرفتْ فوقهُ صلاةٌ — عزّتْ هدى العابدِ التقيّ...
قبستِ أنغامكِ الشوادي — من فجرهِ الرائعِ السنيّ
ومن مجاليهِ في الروابي — ونشوةِ الماءِ في القنيّ
وسكرةِ الهادلِ المغنّى — وخشعةِ السوسنِ النديّ
ومن دواليهِ حينَ تغفى — والطيرُ نعسانُ في العشيّ
كأنها وهوَ في ذراها — بالخلدِ تهويمةُ الخليّ...
وجئتِ من جنّةِ الأعالي — لشاطئهِ أقدسَ عليّ
على جناحيكِ للبرايا — في الأرضِ آمالُ كلِّ حيّ
أقمتِ بالغارِ أيَّ عشٍّ — مشعشعِ النورِ كوكبيّ
غصونهُ البيضُ من شعاعٍ — بمعجزاتِ السنا جنيّ
يدورُ بالحقِّ أينَ دارتْ — محاجرُ الباطلِ العتيّ
وينفثُ السحرَ أينَ لفتتْ — للكفرِ عينانِ من غويّ
ظللتِ والوحيُ مستكنٌّ — من صولةِ الفاجرِ القويّ
تلقينَ من وكركِ المعلّى — ترنيمةَ الوادعِ الرضيّ
كأنما عشتِ من زمانٍ — في ذلكَ المسبحِ الهنيّ
خبأتِ والعنكبوتَ دنيا — للحقِّ في عالمٍ خفيّ
خيوطهُ الواهياتُ أضحتْ — حصونَ مستعصمٍ قويّ
فزلزلتْ دونها قلوبٌ — بالشركِ صخّابةُ الدويّ
وذلَّ من رامها، وألوى — في حسرةِ الخائبِ الشقيّ!

***

ورقاءُ! يا ليتني سكونٌ — في ظلكِ الناغمِ الشجيّ!
صمدتِ للكفرِ ذاتَ بأسٍ — يموجُ من عشكِ النقيّ
صبا لكِ «المصطفى» وقرّتْ — عيونُ صدّيقهِ الوفيّ
فرجّعَ الكونُ في هتافٍ — لباعثِ النورِ... عبقريّ
نبيّةُ الطيرِ ألهمتها — إعجازَها جيرةُ النبيّ
مهاجرٌ... تهجرُ الأماني — والعمرُ في ظلّهِ الوضيّ!!

«وزارة المعارف» — محمود حسن اسماعيل

الموسيقى في الإسلام

بقلم محمد السيد المويلحي



يزعم بعض الناس أن الموسيقى محرّمة، لأنها تلهى الإنسان عن ربه، وتشغله عن دينه وعبادته، وتدفعه دفعاً لارتكاب مانهى الله عنه. فإذا سألتهم آية أو حديثاً قالوا: هذا شيء معروف منقول سمعناه من آبائنا وأجدادنا والسلف الصالح ...!

هذا زعم لم ينشأ أيام النبي صلى الله عليه وسلم ولا أيام الخلفاء الراشدين، وإنما نشأ أيام الدولة الأموية حينما سما مركز المغنين والقيان سمواً عظيماً حتى حجب مراكز العلماء والفقهاء الذين حقدوا على الموسيقى والموسيقيين حقداً كبيراً، واستسلموا لخوالجهم (وهم بشر!) فراحوا يذيعون بين الناس أن الموسيقى حرام، وأن الخلفاء قد نسوا دينهم وربهم، واتبعوا خطوات الشيطان ... !

ومن هنا نشأت هذه الشائعات وتطورت حتى غدت على ممر الأيام والأعوام قريبة من الاعتقاد والإيمان ...

ولإنصاف بعض رجال الدين فى هذا الوقت نقول: إنهم أبوا أن يتخذ بعض إخوانهم — فى العلم — الدين سلاحاً للتشفى والانتقام من فن رفيع سام يخفف عن الناس آلامهم وشقاءهم فأصدروا الكتب الكثيرة فى الرد على مبتدعى التحريم. ولعل أشهر هذه الرسائل وأقواها وأدعمها حجة تلك الرسالة (الخطية الوحيدة الموجودة الآن (ببرلين) ... (الاستمتاع فى الرد على من يحرم السماع ... !)

قبل أن أذكر شيئاً عن الموسيقى فى صدر الإسلام وفى أيام النبى (ص) أحب أن أذكر شيئاً عن حياة العربى وطبيعة بلاده، وتأثير مناخه فى نفسه ليرى القارئ معى أن العربى موسيقى بطبعه وفطرته

البيئة العربية خالية مما يسر العين ويرضى القلب، فالصحراء شاسعة مترامية موحشة مقفرة لا حياة فيها، ولا أنس يُحييها. والسماء بنجومها وقمرها . . . هى السماء بنجومها وقمرها (دائماً) لا تتغير ولا تتبدل . . !

فأى شىء يسد هذا الفراغ . . . ويشغل نفس العربى ويملأ حسه غير (الغناء) الذى يساعد عليه رقة الشعر وسلامة قوافيه واختلاف بحوره؟ أى شىء يساعد الإبل والحداة على السير تحت الشمس المحرقة، وفوق الرمال الملتهبة المتقدة أياماً وأياماً بالعطش والجوع غير الغناء الذى ينسى الإنسان همومه، ويمسح دموعه؟

عرف العربى الترنم بالشعر ولم يكن يدرى أن هذا اللون من ألوان الموسيقى صناعة تخضع لقانون معين فاستمر هكذا يغنى ويشرب الخمر، ويتعلق بالحب، ويكلف بالصيد والميسر حتى استطاعت القيان التى استقدمت من بلاد العجم والروم بآلاتهن الموسيقية الفارسية والرومية أن يؤثرن فى الموسيقى العربية تأثيراً كبيراً.

فنشط العرب فى هذا المضمار نشاطاً عظيماً، وإن كان هذا النشاط قد حجبه الكبرياء والتعالى، إلا أن حب الفن تغلب على غطرسة العربى فنهض واستحدث حتى احتفظ لموسيقاه بطابعها العربى الذى ميزها عن غيرها ولا يزال ...!!

وقد عرف العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام من الآلات الوترية (المزهر) وهو عود ذو وجه من الرق (والعود) ذا الوجه الخشبى (والجنك) أو الصنج (المارب) (والمعزف) (والموتر)

ومن آلات النفخ الزمار، والقصبة أو القُصّابة، والشبّابة، والصُور، والناى. ومن آلات النقر: الطبل، والدف، والقضيب — لبيان الميزان أو الإيقاع — والصنوج والجلاجل، والمربع والمجنب !!

انحصر جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى الذود عن دينه وتبليغ رسالته، ونشر دعوته، وقتال المشركين ممن آذوه

وأصحابه فى أرواحهم وأموالهم ونسائهم ، ولكن هذا لا يمنع أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الموسيقى . فقد كان كلما (هادن) سمع من بلال ابن رباح الحبشى ، أول موسيقى مسلم ، وأول مؤذن فى الإسلام ، ترتيله وأذانه بصوت جميل ، وبتوقيع وترتيل فنى .

ولقد جاءته مرة عائشة رضى الله عنها وقالت: يارسول الله، لقد أقسمت شيرين مولاة: حسان بن ثابت إن رجعت منصوراً من غزوتك أن تغنى وتضرب بالرق فى بيتنا ، فماذا ترى . ؟

فابتسم المصطفى وأذن لها وجلس مع حشد من صحابته وفيهم صديقه أبو بكر يسمع شيرين وهى تغنى وتضرب بالرق، واستمروا كذلك حتى قدم عمر بن الخطاب فانكمشت شيرين وجلست فوق (رقها) فضحك الرسول وقال :

لقد ذهب شيطانها لما رأى عمر .

فأجابت شيرين : كلا يارسول الله ولكنه قاس لا يرحم وأنت كريم رحيم !

فضحكوا جميعاً حتى عمر .

ولقد اتسعت فتوح العرب أيام عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين وانتفع العرب بمدنيات البلاد المغلوبة وحضاراتهم ولا سيما الحضارتين الفارسية واليونانية، فتأثر العرب من اختلاطهم بهؤلاء الأسرى واهتموا بأمور دنياهم ، وأصبحوا ينظرون إلى الموسيقى نظرة جديدة خالية من الغلو والشطط حتى ارتفعوا بها على الشعر والأدب ، وحتى غدوا لا يرون بأساً ولا ملامة فى أن يحضروا مجالسها. وقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه يسمع من مولاته شيرين ومن رائقة سيدة المغنيات وقتئذ وتلميذتها عزة الميلاء وكذلك كان حال أشراف العرب وساداتهم ... !

وأحسب أن عصر ابتداء النهضة الحق ابتدأ فى خلافة على كرم الله وجهه . ولعل حبه للشعر وهو لون من ألوان (الفن) أكبر حافز. على أن هذه النهضة لم تؤت ثمرها اليانع إلا فى الدولة الأموية عند ما اتسعت الفتوحات شرقاً وغرباً . وقد ابتدئ فى وضع الألحان العربية فى هذا العصر على إيقاعات متعددة، وورد فى غنائه ذكر إيقاعات (الثقيل) الأول و (الثقيل) الثانى ، وخفيف الثقيل ، والهزج ، والرمل

وأشهر الموسيقيين فى هذا العصر هو (سائب خاثر) ، وهو أول من غنى فى المدينة بالعربية مستعملاً العود . وقد أخذ عنه ابن سريج ، ومعبد ، وعزة الميلاء ، وجميلة !

ومن المشهورين أيضاً ابن مسجح أول من نقل غناء الفرس إلى غناء العرب بمكة . وقد ابتدع مذهباً خاصاً وطريقة جديدة تأثر بها وأخذ عنها ابن محرز ومعبد وابن سريج والغريض

وقد بلغ من اهتمام الأمراء والحكام بالموسيقى أن الخليفة عبد الملك بن مروان نفسه كان موسيقياً وملحناً . وقد اشترى يزيد بن عبد الملك (حبابة) المغنية بأربعة آلاف دينار مع أنها كانت دميمة متهدمة ...

ولعل فى رعاية الوليد بن يزيد لمعبد وتمريضه إياه وإخلاء جناح خاص له فى قصره ، ثم تشييعه لجنازته بنفسه أكبر برهان على مكانة الموسيقى وقتئذ . وقد كان الوليد عالماً بصناعة الألحان عازفاً بالعود موقعاً بالطبل والدف

وقد سرى تيار هذا الاهتمام إلى الأشراف والنبلاء حتى أن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب كان لا يستريح إلا إذا سمع (سائب خاثر) فينشط . وسكينة بنت الحسين رضى الله عنها وعن أبيها ، كانت مشغوفة بالغناء والموسيقى ، وكانت تكرم الغريض ، وكان بيتها منتدى لسماع الموسيقى والغناء ، وقد طلب منها مرة أن تستدعى (حنين الحيرى) مُغنِّى (الحيرة) ، فاستدعته مع أشهر المغنين فى الحجاز ابن سريج ، ومعبد ، والغريض . وقصد الأربعة بيتها فحفلت الدار بالناس حتى ضاقت بهم ، فصعدت شراذم منهم فوق (السطح) وأخذ حنين يغنى ويغنى والناس تموج وتهتف ، وإذا (بالسقف) يهوى بمن فوقه على رأسه فمات مخنوقاً . فقالت السيدة سكينة : « لقد كدر علينا حنين سرورنا . انتظرناه مدة طويلة كأننا والله كنا نسوقه إلى منيته »

وفى العصر الأموى ابتدأت حركة التأليف الموسيقى فوضع يونس الكاتب (كتاب النغم) و (كيان القيان)

أما فى العصر العباسى ذلك العصر الذهبى للموسيقى والأدب والشعر فقد سمت فيه الموسيقى سمواً عظيما وارتفعت إلى ذروة المجد ، وزادت مقاماتها وطرائق إيقاعها حتى تعددت فى اللحن الواحد وكثرت الآلات وتنوعت وكثر استعمالها

وأصبح العربى يفخر بأنه موسيقى حتى أن أبناء النبلاء

انخرطوا فى سلكها ، فكان منهم ابن جامع القرشى . بل زاد اهتمامهم إلى حد الاحتراف كإبراهيم بن المهدى . . !

والخليفة الواثق كان من أحذق الخلفاء بل من الموسيقيين المحترفين أنفسهم بالغناء والعزف على العود، وقد قال فى إسحاق الموصلى :

(ما غنانى إسحاق قط إلا ظننت أنه قد زيد لى فى ملكى .. وإن إسحاق لنعمته من نعم الملك التى لم يحظ بمثلها ، ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يشترى لاشتريتهن له بشطر ملكى) (الأغانى) وإسحاق هذا هو أول من عنى بإثبات قواعد الموسيقى العربية ونظرياتها بعد يونس الأكوى وجاء بعده الخليل بن احمد فصنف كتاب (النغم والإيقاع) ولكن الذى بزهما هو إسحاق ابن يعقوب الكندى الذى ألف عدة كتب فى الموسيقى ونظرياتها؛ وهو أول من دون الموسيقى بالحروف بشكل مرتب، وهذا أكبر رد على من يتهمون العرب بإهمال تدوين تلاحينهم . ثم جاء بعده أيضاً أبو نصر محمد الفارابى فوضع (كتاب الموسيقى الكبير) الذى تدين له الموسيقى بالشيء الكثير . وفى العصر العباسى أمر هارون الرشيد اسحق الموصلى، واسماعيل ابن جامع ، وفليح ابن أبى العوراء، أن يختاروا له من الألحان العربية مائة صوت فصنعوا .

ومن أشهر الموسيقيين فى هذا العصر إبراهيم الموصلى ، وإسحاق الموصلى ، وفليح بن أبى العوراء ، ويحيى المكى ، وحكم الوادى ، وزلزل ، ومخارق ، وبذل المغنية ، وابن جامع

وقبل أن نختم هذه اللمحة العابرة نحب أن نقول لهؤلاء الذين يعتقدون أن الموسيقى محرمة: هذا هو شأن الموسيقى فى صدر الإسلام

إن الموسيقى فى ذاتها نبيلة رفيعة ، ولكن المحرم فيها هو التخنث والبكاء والاسترضاء واستغلال الغرائز البهيمية ، وهذا ليس بمحرم شرعاً فحسب ، بل هو محرم شرعاً وذوقاً ورجولة أيضاً

محمد السيد المويلحى

المراجع : مقدمة الدكتور محمود احمد الحفنى .. الأغانى للأصفهانى

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }

7me Année No. 298

Lundi - 20 - 3 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٢٩٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ محرم سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٠ مارس سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

الأدب والفن فى القران الملكى السعيد

قلت لنفسى ...

أستطيع أن أتحدث إليك يا نفسِ ، وأنا آمنٌ أن يتسمع إلى حديثنا ناقد أو حاقد فينشره ؛ فما كل ما يُعلم يُذكر ، وما كل ما يذكر ينشر

كان الشعب والجيش فى أسبوع القران المصرى الإيرانى السعيد قصيدة شاعرة الأبيات بالجمال والحب ، وملحمة عامرة الأناشيد بالفخار والمجد ، تجلت فيهما عبقرية الجنس ونبالة التاريخ وأريحية النيل ، ودلتا على أن الشعب يتقدم بصيراً بالفطرة ككرام الطير ، وأن الجيش يولد جباراً بالروح كآلهة الإغريق . والفطرة والروح من عمل الله الذى أحسن كل شىء خَلْقه ، وهدى كل حى طريقه

أما الأدب والفن وهما من خلق الناس فكانا — على حسب ما بلغته عيناى وأذناى — موضع النقص وموضوع النقد . ومن الظلم لمواهب هذا البلد الكريم أن يكون ماذاع منهما فى هذا الأسبوع التاريخى مقياساً لقرائحه وترجماناً لعواطفه . وأسارع إلى استثناء النثر من أنواع الأدب ؛ فقد كان أجمل الزهر الذى نثر على العروسين، وأنفس الدر الذى قدم إلى التاجين، وأصدق الدلائل على مكانة مصر فى المدنية والعقلية والثقافة . . .

ولكن الشعر كانت كثرته الكاثرة كزقزقة الأفراخ النواهض في صبح من أصباح مارس : هي إلى الصُّنْعِ أقرب منها إلى التغريد، وعلى المحاكاة أدل منها على التجديد، وفي التشابه أدخل منها في التنوع . والله وحده يعلم الآن موقف امرئ القيس من الجاحظ في الجنة أو في النار ، وأحدهما يرى فنه يذوي ويهوي وينطوي، والآخر يرى فنه ينمو ويسمو وينتشر !

ومهما يكن من قصور الشعر فإن فن الكلام في مصر أنبض الفنون الرفيعة بالحياة وأسبقها إلى النهوض وأدناها من الغاية. فإنك إذا وازنت بينه وبين التمثيل والموسيقى في هذا الأسبوع على الأقل والأخص عجبت كيف يتقدم فن الأمة المفكر هذا التقدم، ويتأخر فنها المصور هذا التأخر ، حتى يكون ما في ذلك من الخلق والجدة والتطور والشعور ، معادلا لما في هذا من النقل والركود والجمود والبلادة

فالتمثيل — ومظهر النبوغ المصري فيه (الفرقة القومية) — كان خذلاناً من الله لإدارة هذه الفرقة، وبرهاناً من نفسها للناس على أنها لا تعلم ولا تعمل ولا تدبر

أرادت هذه الفرقة أن تساهم في الحفلة الموسيقية التي أقامتها وزارة المعارف في دار الأوبرا الملكية احتفاء بصاحب السمو الإمبراطوري ولي عهد إيران ، لأنها تعيش على أموالها، وتعتمد على مشورة رجالها ، فاختارت أن تمثل لهذه المناسبة في حضرة المليك العظيم وأمام الخاطب الكريم ملهاة (المتحذلقات) لموليير، وموضوعها كما تعلمين خطبة عابثة هازلة ، يلبس لها خادمان لباس النبلاء ، ويخدعان بالحذلقة الغبية امرأتين من أغنى النساء !

كان من السهل لو كان للوزارة (فرقة) ، وللفرقة إدارة ، وللادارة دراية، أن تطلب إلى كاتب من كتاب المسرح أن يقتبس لها في هذه المناسبة السعيدة موضوع مسرحية ذات فصل واحد من شاهنامة الفردوسي، لحكاية شيرين، أو قصة زهراب ورستم، فيكون تمثيلها أمام الأمير وحاشيته أبلغ في معنى الحفاوة ، وأبين عن سمو الذوق ، وأدل على أن في مصر تمثيلاً له أدبه المحلي وطابعه الخاص وروحه المميزة . أما متحذلقات موليير فقد مضى على تأليفها مائتان وثمانون سنة ، قرأها فيها كل بلد ومثلها كل مسرح ؛ فلو لم يدل اختيارها على سقم الذوق لسوء المناسبة ، لدل على عقم الأدب لضرورة الاقتباس . ورحم الله من طلب إلى (غزلانزوني) في سنة ١٨٧١ أن يؤلف له (عايدة) لتمثل في هذه (الأوبرا) أمام الأضياف الأوربيين في مهرجان قناة السويس، فقد كان أسهل عليه وأسرع له أن يأمر الممثلين أن يمثلوا له ما شاء من الأوبرات الإيطالية والروايات الفرنسية ؛ ولكنه لسمو نفسه وصفاء حسه أراد أن يكون الموضوع مصريًا واللون محليًا والتمثيل جديداً فكان له ما أراد !

***

والموسيقى — ومظهر الفن المصري فيها « معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية » — كانت ضرباً من السأم والنشاز لا نعرف له ضريباً في موسيقى الأمم. فقد أقام هذا المعهد كذلك في داره حفلة ترحيب وتسلية للأمير الخاطب، فكانت ألحاناً مكررة، وأصواتاً منكرة، وبشارف وتقاسيم وأدواراً يعزفها لقلتها البادئ والمنتهي ، ويعرفها لشيوعها الموسيقار والسامع ، ولا تكاد الأذن الفنانة المرهفة تنفتح لنغماتها التقليدية المكرورة أكثر من دقائق! وما دامت موسيقانا تسير على نهج (التخت) في وضعه التمثالي الجامد ، فهيهات أن تشيع فيها الروح ، وتظهر عليها الجدة، ويرتاح إليها الشعور . وأعجب العجب أن هذه الموسيقى الواحدة، يجعلون لها أسماء متعددة ؛ فهذه « تحية العروس » وهذه « رقصة الأمل » وهذه « سكرة الموت » ولو وضعت على كل واحدة منها اسم الأخرى لما أنكر ذلك سامع ولا اعترض عليه معترض !

***

أما إذاعتنا اللاسلكية فكانت على عادتها إهانة عالية لمصر ! فبينما تجدين محطات الإذاعة العربية في العالم تتغذى على الهنيء السائغ من فن عبدالوهاب وأم كلثوم، تجدينها هي تتغذى على الغث البارد من أنامل وحناجر لا هي معجبة ببراعة الفن ، ولا هي مطربة بحلاوة الصوت !

أقول لك ذلك يا نفس ، وأنا أعلم أن في قوله تفريجاً عنك ، وليس فيه إن سمعه سامع ما يغضب الحق ويؤذي الناس !

ابن عبد الملك

بلادة أم اتزان ؟

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

يجئ يوم فى حياة الإنسان يُرزق فيه البلادة المريحة ، وأعنى بالبلادة انتفاء الحدة والعنف فيما يساور النفس من شعور ، ويدور بها من خوالج . فَمَطَّةُ بوزٍ هى كل ما يبديه من أسف على فائت ، وهزة كتف خفيفة لا تكاد تلمح هى ما يقابل به الحوادث الجسام ، والبرود أو الجمود هو ما يتلقى به الغمز والطعن والتشهير ، والابتسام هو كل ما يبدو من سروره

زارنى مرة صديق لا يزال على ارتفاع سنه فتىّ الروح يغلى فى عروقه دم الشباب ، ودفع إلىّ بصحيفة وقال وهو يشير بأصبعه إلى موضع فيها ، وكأنه يشكه برمح : « ألا ترد على هذا ؟ »

فرفعت رأسى إليه — فإن قامته مديدة ، وأنا كما يعلم القراء ، أو كما لا يعلمون ، قمئ صغير — وسألته : « ماذا ؟ » قال وهو ينتفض كأن به حمى : « هذا الشتم ! هذه القباحة ! هذه السفالة ! هذه ... »

فاستوقفته بإشارة وقلت : « حلمك ! لقد شتمنى بعضهم مرة فى صحيفة كبيرة فقال عنى إنى (من فراش العار) وأضاف إلىّ زملائى جميعاً فقال عنا إننا (أبناء الزوانى) فهل قال هذا — وأشرت إلى الصحيفة التى ألقاها على مكتبى — شراً من ذاك ؟ »

فترك هذا وسألنى : « ألم تقتله ؟ »

قلت : « يا سيدى لو كنت أعلم أنه خالد لحاولت قتله ، ولكنه فانٍ مثلى ، فلماذا أجشم نفسى عناء باطلاً ، وأتكلف تحصيل الحاصل ، وأتعاطى العبث والسخافة ؟ »

قال باشمئزاز : « هذه فلسفة لا أفهمها ... هه ... من ضربك على خدك ... »

قلت : « لا ، ليست هذه فلسفة ، وإنما هى بلادة ، ثم إنى لا أدير للضارب خدى الآخر ، وكل ما فى الأمر أنى لا أحس ما ظنه الضارب لطمة لى على خدى ... »

فصاح بى : « كيف لا تحس ؟ أيقول عنك إنك من فراش العار ، وإنك ابن زانية وتجئ وتزعم أنك لا تحس ولا تبالى ؟ »

قلت : « حلمك مرة أخرى . إنى أعرف أنى لست من فراش العار ، وأنى لست ابن زانية ، فما يشتمنى به لا يغير ما أعرفه . ثم إنك تتوهم أن الناس يصدقون كل ما يذم به بعضهم بعضا . وهذا غير صحيح . ولو أن الذى شتمنى التزم القصد ، وآثر الاعتدال فيما يرمينى به لكان أخلق بأن يصدقه الناس ويقتنعوا ، ولكنه أسرف واشتط فأفسد على نفسه مرامه ، فكلامه فىّ ينال منه ولا ينال منى . وقد أخجله ضنى بنفسى على هذه الأوحال فاعتذر ، فهل تدرى ماذا قلت له ؟ »

قال : « لا أريد أن أسمع . يظهر أنك تحاول أن تقلد غاندى... المهاتما غاندى ! » قالها بلهجة المتهكم الزارى

قلت : « ولا هذا أيضاً . إن غاندى حى — مثلك — ولكن أساليبكما مختلفة . أما أنا فأهون ما أقوله فى نفسى أنى أصبحت لا أطيق بعثرة القوة وتبديد الجهود فى العبث الذى لا طائل تحته . أصبحت بخيلاً مقتراً ، أنفق حياتى بحساب دقيق ، وأدخر كل ما يسعنى ادخاره من القوة ؛ وما زلت مسرفاً فى إنفاق حياتى ، ولكن فيما أحب أنا ، وبإرادتى ، لا بالشعور الدافع . وإنه ليحلو لى أن أسمى هذا بلادة ، ولكنه قد يكون اتزاناً ، وصحةَ إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء . ولا تخف . ستراني يوماً أنقض على خصم فأمزقه إرباً إرباً ، فما نفدت قوتى ، ولا فقدت القدرة على استطابة أكل اللحم البشرى ، وما زلت ذلك الوحش القديم الذى يلذه أن يمزق لحم الفريسة ، وأن يلغ فى دمها . وإذا رأيتنى أسطو على أحد ، وأكر عليه وأصميه ، أو أعذبه تعذيب القط للفأرة ، فاعلم أنى أفعل ذلك بإرادتى ، لأن شعورى غلبنى ، فما يغلبنى شعورى فى هذه الأيام . وعلمى بما أقدر عليه هو الذي يصدنى عن هذه المهاترات الفارغة »

فقال : « لقد تغيرتَ جداً »

قلت : « إنك تذكرنى بقول القائل :

وقد زعمت أنى تغيّرت بعدها ومن ذا الذى يا عز لا يتغير ؟

نعم من ذا الذى لا يتغير؟ حتى الحجر ! ومع ذلك من يدرى؟

لقد كنت فى صدر حياتى مدرساً ، وكان بعض التلاميذ يحاولون أن يعابثونى ، فكنت آخذ عليهم طريق العبث وأكتفى بذلك ، وأستغنى عن الاحتياج إلى عقابهم ، وكنت أزعم أن هذه حكمة ، والواقع أنى ما عاقبت تلميذاً قط ، فى عشر سنين زاولت فيها التعليم ، وكان الذى بينى وبين تلاميذى عامراً كل هذا الزمن ، ولكنى كنت أديرعينى فى نفسى وأفحصها ، وأغوص فى أعماقها ، أتبين أنى أكره العقاب الخفيف ، وأنه لا يرضينى إلا أن تكون الضربة قاصمة للظهر ، لأنى بطبعى عنيف ، ولما كان لا محل لضربة قاضية من أجل تلميذاً لاعبنى أو مازحنى ، وهو لا يريد شراً ، وإنما تغريه بذلك طبيعة الصبى ، فقد كنت أكبح نفسى وأردها عن الأذى ، وأعمل بقول الشاعر :

توقى الداء خير من تصدٍ لأيسره وإن قرب الطبيب

نعم تغيرت ، بمعنى أن بعض الطباع التى كانت تظهر وتخفى فيما مضى ، صارت أبرز وأقوى ، فهى الآن السمة الغالبة والطابع الملحوظ

هذه خلاصة ما حدثت به صديقى ، وقد قلت له كلاماً آخر كثيراً ، نسيته ، فقد طال بيننا الحوار ، وتركنى وهو غير مقتنع بصوابى ، فلم أحفل بذلك . وماذا يضيرنى ألا يقتنع ؟ ولماذا أكلف نفسى تعب إقناعه ؟ أنا الذى جربت مراراً كيف يخيب الأمل ، ويذهب المسعى سدى ؟

وأويت إلى مكتبى فى الليل ، بعد أن نام البيت ، وأعفيت من ضجة الأطفال ، وأخرست لسان الراديو الصاخب ... وعلى ذكر الراديو أقول إن بنىّ مثلى ، يأكلون على ضوضاء الراديو ، ويراجعون دروسهم على ضجات الراديو ، ولا يبدو عليهم أنهم يسمعون ما يصيح به ، أو يبالونه ، ومن شابه أباه فما ظلم ، وإنى لأرجو أن يظلوا مثلى ، وألا يكترثوا لمن عسى أن يسبهم ويزعمهم « من فراش العار » — فى حوار أدبى أو جدل سياسى — ما علينا .

سألت نفسى لما خلوت بها : « أهذا الذى صرت إليه اتزان أم بلادة ؟ وصحة إدراك للقيمة الحقيقية للأشياء ، أم فتور حتى عن محاولة الادراك ؟ وهل النار كامنة تحت هذا الرماد ، أم هى خمدت وأنت تحسبها لا تحتاج إلى أكثر من التقليب ؟ وهل يشى هذا بالقوة ، أو يشى بالضعف ؟ ومن اليأس هذا ، أم من العلم والفهم الصحيح ؟ وحال تدوم ، أم عارض يزول ؟

وطال تفكيرى فى جواب هذه المسائل ، ولم أنته إلى شىء تسكن إليه النفس ، فنهضت وأنا أقول : « ولماذا أعنّى نفسى بهذه المتعبات ؟ وماذا أبالى على كل حال سواءً أكان الأمر هكذا أم كذلك ؟ »

وأعجبتنى « لا أبالى » هـذه ، فقد صارت عندى مخرجاً من كل ورطة ، وباباً لتفريج كل أزمة فى النفس . ومن كان يسعه أن يقول — ويكون على نحو ما يقول — « لا أبالى » فقد أوتى الراحة ، ولا أقول السعادة فإنها خرافة .

ابرهيم عبد القادر المازنى

انجليزى يتحدث فى السياسة

لأستاذ كبير

أعرف إنجليزيًا داهية فى السياسة وإن لم يكن له مركز سياسى ، ولكنه يميل إلى المبادئ الحرة . قابلته مرة وتحدثنا وجرنا الحديث إلى السياسة فقال : إنه يدهشنى أن يكون بين المصريين من يسىء الظن بالسياسة الإنجليزية . قلت : إن كنت قد رأيت من يسىء الظن بها من المصريين فلا يدهشك أن يكون بين الملايين من الناس آحاد يفعلون ذلك إذا كنت حقيقة قد رأيت منهم سوء الظن ولم تتوهمه . قال : ومع ذلك فإن أعظم الناس سذاجة يستطيع أن يفهم أننا لو شئنا نقض سياستنا الموالية لحليفتنا لكان ذلك من أيسر الأمور . قلت : ماذا تعنى ؟ قال : أعنى أننا لا نريد الغدر بصديق ولسنا معروفين بذلك ، فهذا تاريخنا يدل على أننا لم نغدر بأحد ائتمننا ، فقد كنا دائماً أمناء ، وكانت استقامتنا مضرب الأمثال ، وليس لنا نفع نرجوه من وراء الغدر لأننا لا نريد أن نتحمل مسؤولية الحكم فنزيد أتعابنا العالية

ثم سكت قليلاً وعاد إلى الكلام فقال : على أننا لو أردنا لاستطعنا أن نتبع خطة تطلق يدنا من غير أن نتحمل مسؤولية الحكم وأتعابه فى الظاهر . ثم التفت إلى وابتسم ثم قال : ولكنا لا نريد . قلت : إنى لم أفهم كلمتك الأخيرة . فسكت كأنما يشاور نفسه ويسألها : هل يبوح بما فى نفسه أم لا يبوح ؟ وبعد ذلك لوّح بيده إشارة عدم الاكتراث لما قد يكون من نتائج ما أزمع أن يفسره وقال :

هناك أمور ثلاثة يمكن استثمارها وهى الأمور الدينية والأمور المالية والأمور الدستورية . ولا أعنى استثمارها مباشرة أو الظهور بمظهر المستثمر لها ؛ بل لا بد إذا اتبعنا هـذه الخطة ألا يفهم أحد أننا نستثمرها. ولنجاح هذه الخطة ينبغى ألا يفطن إليها أحد . ومن أجل ذلك يمكنك أن تثق بسبب شرحها لك أننا لا نريدها لأننا لو كنا نريدها لكتمناها ولأنكرناها إذا فكر فيها أو فطن إليها غريب عنا ، ولحاولنا أن نقنعه بكل الوسائل أننا لا نريدها وأننا لم نفكر فيها

قلت : وما هى هذه الخطة ؟

قال : إنك تعلم أن خطتنا التقليدية كانت عدم المساس بالشعور الدينى فى صدر المحافظين عليه ؛ ومع ذلك كنا نستعمل وسائل كثيرة للتوفيق بين احترام الشعور الدينى واحترام العرف والتقاليد، وبين مراعاة حالة مصر الدولية ووجود الأجانب بها ومراعاة ما تقتضيه التغيرات الاجتماعية والقانونية والفكرية الحديثة . وقد كان التوفيق بينهما يقتضى مرونة ولباقة إلى حد يجعل ذلك التوفيق غير مُحَسّ به ولا مفطون له ، وعلى ذلك كان يتوقف نجاحنا . ولا أقول إننا نجحنا كل النجاح ، ولكنى أقول إننا نجحنا نجاحاً يسهل إدارة الأمور فاكتسبنا مؤازرة العلماء والقائمين بأمر الدين فيما يهمنا من تصريف الأمور ، كما تمكنا أن نمنع من حدوث ارتباك بسبب اصطدام الشعور الدينى وشعور المحافظة على العرف والتقاليد بمنزلة مصر الدولية وبما تقتضيه التغيرات الاجتماعية والقانونية والفكرية الحديثة ... وهنا ابتسم ابتسامة مكر ودهاء وقال : فلو كنا نريد بسط يدنا فى إدارة شؤون البلاد مباشرة ، لاستطعنا أن نمتنع عن هذا التوفيق بطريق مباشر وبطريق غير مباشر ، واستطعنا أن نشجع المحافظة على التقاليد حتى يستولى على زعامتها أشد الناس تطرفاً ، وأظهرنا فى أول الأمر عدم ميلنا إلى التدخل . وهذه الخطة تؤدى حتماً إلى تدخلنا فى النهاية وإلى كسب الأنصار أولاً وأخيراً وإلى وجود الأعذار والفرص التى تبرر وتسهل ذلك التدخل وتجعله أمراً لا مناص منه حتى لدى كثيرين ممن يكرهونه

قال ذلك وسكت قليلاً وجعل يضرب ركبته بأطراف أصابعه وكأنه مشغول بالتفكير فى أمر ... ثم التفت إلىّ كأنما قد أفاق من انشغاله بالفكر وقال :

أما المسائل المالية فإنكم تعلمون أنها هى التى أطلقت يدنا فى مصر منذ ارتبكت المالية المصرية فى عهد الخديو اسماعيل باشا وما كنا نستطيع أن نجيب طلبات المصريين الوطنية وأن نقيد يدنا فى مسائل إدارة شؤون البلاد لولا أننا أصلحنا المالية؛ فلو كانت المالية لم تصلح لاضطررنا أن نضرب بمطالب المصريين عرض الحائط بحكم الضرورة ولو جدنا أنصاراً كثيرين من المصريين والأجانب يشدأزرنا فى خطة التمسك بادارة شؤون البلاد، بل لوجدنا

من المصريين والأجانب ومن الدول أيضاً من يطالبنا بالتمسك بإدارة شؤون البلاد ويصر على ذلك خوفا من كل على أمواله . لكننا لا نرى من يطالب أو يصر على ذلك لأن مالية الشعب والحكومة تحسنت كثيراً ...

وهنا عاد إلى سكوته كأنما يريد منى أن أهضم ما قاله وأن أفكر فيه ، وأقتنع بصدقه قبل استئناف الحديث ، ثم عاد إلى الكلام فقال : لو كنا نريد أن نطلق يدنا فى إدارة شؤون البلاد لاستطعنا أن نشجع الإسراف أو على الأقل نشجع الصرف صرفاً كثيراً على أمور لا تأتى بثمرة اقتصادية ولا بربح اقتصادى مباشر ، وهذا أمر ميسور لنا (أولاً) بسبب شعور مصر بمقام استقلالها بين الدول وما يقتضيه من المصروفات فى الأمور السياسية ، و (ثانياً) بسبب خطر الحرب وما يقتضيه من المصروفات فى الأمور الحربية . وهذا الصرف تطالب به العزة القومية ولا يشك أحد فى مطالبتها به . على أنه مهما حسنت مالية الدولة والشعب فإن مالية الدولة لا تتوقف على موازنة الدخل والمنصرف فى الميزانية وحدها ولا على الاحتياطى من المال لديها وحده ، وإنما تتوقف أيضاً (أولاً) على موارد الدولة ، وتنوعها ضرورى لأنها إذا لم تكن متنوعة وأصيب المحصول الرئيسى بفشل أو تدهور مستمر فى الأسعار ربما ذهب حسن المالية الذى برر كف يدنا عن التدخل فى إدارة الشؤون . و (ثانياً) تتوقف مالية الدولة أيضاً على دخل الأهالى ، فإذا فرضنا أن ثروة قطر من الأقطار زادت لتحسن طرق الإنتاج ومقداره ولكن زاد عدد السكان زيادة كبيرة وارتفع مستوى المعيشة وزادت الديون التى على الأهالى[1] وكثر المتعطلون عن العمل وكان أكثر أفراد الشعب لا يملكون إلا القليل وبدأ يقل محصول الفدان الواحد فى مقداره إذ كان القطر زراعياً . . . أقول إذا اجتمعت كل هذه الأمور وأشباهها لا يختزن أفراد الشعب كثيراً مما كان من ازدياد مجموع ثروة الشعب ، ولا يكون عند الشعب من المتانة المالية ما يسند متانة الحكومة المالية وما يشجعها فى الغنى فى الصرف بسخاء على أشياء قد تكون شبه ضرورية . فإذا

(١) هذه غير الديون التى على الدولة .

من برجنا العاجى

حدث فى الأسبوع الماضى أمر أحب أن أسجله هنا : هو قيام القيامة فى الجامعة ضد كتابين قيمين ، لأنه قد ورد فيهما طعن فى الإسلام .

لا أريد أن أنظر إلى الأمر من ناحية التفكير الحر ، ولا من حيث تأثير هذا الموقف فى الحياة العقلية لبلد متحضر ولكنى أريد أن أبحث المسألة من جهة الدين نفسه . وهنا يبدو لى العجب : لماذا كل هذا الفزع كلما وقع بصرنا على عبارة تمس الإسلام ؟ إن الكتب التى عالجت المسيحية وتعرضت للمسيح بالطعن والتجريح تطبع وتنشر فى أوروبا المسيحية دون أن يخشى أحد على كيان المسيحية . ذلك أن الجميع يعلمون أن الأوان قد فات للخوف من مثل هذه الصيحات ، وأن المسيحية التى عاشت عشرين قرناً لا يهدمها عشرون كتابا . كذلك نستطيع أن نقول فى الإسلام أن هذا الدين المتين الذى عمر نحو أربعة عشر قرناً وثبت لأحداث الزمان وشاهد دولاً تدول وعروشاً تزول وشعوباً تولد وامبراطوريات تقام ، لا يمكن أن يتعرض للخطر أمام كتاب يؤلف أو عبارات تقال . إن هذا الفزع منا لأكبر مسبة لدين عريق عميق . كذلك يدهشنى أن ينشأ هذا الفزع فى جامعة عصرية ، يؤمها شباب قد قطع مراحل الطفولة والصبا الأول وانغرست فى قلبه العقيدة الحارة ، فلا خوف الآن عليه من مناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية إنى أعتقد دائماً أن صحة العقل وصحة العقيدة كصحة الجسم لا بد لها من الهواء الطلق حتى تكتسب المناعة . وأن حبس العقيدة والعقل فى قفص من الزجاج خوفاً عليهما من خطرات النسيم معناه إنشاؤهما على بنية عليلة وكيان سقيم .

توفيق الحكيم

اعتمدت الحكومة على متانة ماليتها الحاضرة وحدها من غير نظر إلى ما قد تؤدى إليه هذه العوامل الاقتصادية فى النهاية. وإذا أردنا أن نطلق يدنا فى إدارة الشؤون ونجعله أمراً محتوماً يطالب به كما كان فى الماضى أمكننا أن نقلل من أثر هذه العوامل وأن نهوّن أمرها لدى الحكومة . . . قال ذلك ثم التفت إلىّ وقال : ولكن الحكومة المصرية متيقظة تمام التيقظ ... وقال : ومع ذلك يمكننا — إذا شئنا — أن نتغلب على هذه اليقظة . ولكننا كما أوضحت لك لانشاء تحمل مسؤولية وأعباء الحكم حتى ولو أنه من المستطاع تحميل الحكومة الوطنية التى تطلق يدنا كل الإطلاق مسؤولية وأعباء الحكم . ثم رجع إلى سكوته الطويل كى أتدبر ما قاله عن المسائل المالية والاقتصادية كما سكت طويلاً بعد كلامه عن المسائل الدينية

وبعد ذلك التفت إلىّ مرة أخرى وقال :

بقيت مسألة نظام الحكم ، ونحن بطبيعتنا نميل إلى الحكم الدستورى الذى كنا أول من شاده بين الأمم ، ونفضل الاتزان والاعتدال فى الحكم الدستورى. وكثيراً ما تحول الدستور فى بعض الدول الأوربية إما إلى حكومة نفعية غير ديمقراطية من طبقة المغامرين، وإما إلى حكومة رعاع مؤقتة. ولكننا فى انجلترة قد صنا الديمقراطية عن الحالتين؛ وهذا هو سبب ثبات الديمقراطية عندنا . ومن أسباب ثباتها أيضاً قدم عهدنا بالنظام البرلمانى الدستورى ومحافظتنا على القديم من تقاليدنا الدستورية ، أما عندكم فلا يوجد تقاليد كما عندنا تتغلب على النزعة التى ذاعت فى كثير من الأمم للتخلص من النظام البرلمانى أملاً فى إصلاح أو رقى أو تحسن سريع يأتى على يد حكومة قادرة من الأكفاء يمكن انحصار السلطة فيها فى أيد قليلة ويمكن عدم تقيدها بدورات المشاريع وعدم تأخرها؛ بسبب الشورى وبسبب قيود نظم الحكومات الدستورية . وقد بدأ الكتّاب يكتبون فى هذه النزعة فى مصر وبدأ بعضهم يحبذها . فلو أننا كنا نريد إطلاق يدنا كل الإطلاق فى إدارة شؤون البلاد لاستطعنا أن نشجع هذه النزعة بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر وكان يمكننا أن نتخذها وسيلة لخلق حالة فى البلاد تتطلب أن نتدخل بسبب نزاع أنصار الديمقراطية وأنصار الدكتاتورية وما يؤدى إليه . بل يمكننا أن نخلق حالة تدعو كثيرين إلى مطالبتنا بالتدخل سواء أكان ذلك بسبب هذه الحالة التى يخلقها النزاع بين الدكتاتورية والديموقراطية أو بسبب المسائل المالية أو بسبب المسائل الدينية لو شئنا أن نتبع الخطة التى أوضحت لك أننا يمكننا أن نتبعها فى المسائل الدينية أو المالية أو الدستورية؛ ولكننا كما قلت لانشاء اتباع هذه الخطة حتى ولو أدت إلى إطلاق يدنا إطلاقاً تاماً فى إدارة شؤون البلاد من غير تحمل مسؤولية وأعباء الحكم، إذ نستطيع أن نجعل من نشاء يتحملها عنا إذا جاءت نتائجها أحياناً عكس ما توقعنا . ولو أننا كنا نشاء اتباع هذه الخطة لما كنا نتحدث فيها بصراحة إلى كل من نقابل من الناس

وهنا غلبه الضحك فضحك ثم قال : والمأمول ألا يفعل المصريون من تلقاء أنفسهم بدون دافع منا ما يؤدى إلى إحدى الحالات الثلاث التى تحتم تدخلنا ونحن آسفون على التدخل .

قارئ

الأثر العربى

فى الثقافة الإنجليزية فى القرون الوسطى

للأستاذ عبد العزيز أمين عبد المجيد

ليس من الممكن معالجة موضوع الأثر العربى فى الثقافة الانجليزية بتفصيل واستيعاب فى مقالة واحدة أو بضع مقالات . ولا من الممكن أيضاً ذكر الكثير من أسماء العلماء والمؤلفين والمترجمين الذين ساهموا بنصيب وافر فى نقل الثقافة العربية إلى دائرة الفكر الانجليزى أو الأدب الإنجليزى . ولذلك سأحاول معالجة هذا الموضوع فى ثلاث مقالات فقط : هـذه المقالة وموضوعها « فى القرون الوسطى » . والمقالة الثانية وموضوعها « فى عصر النهضة » . والمقالة الأخيرة وموضوعها « فى القرنين الماضيين » . وستكون معالجتى إجمالية عامة

إن ما أعنيه بالأثر العربى هنا هو كل ما وصل إلى الثقافة الإنجليزية عن طريق اللغة العربية ، سواء أكان ذلك من إنتاج العرب أنفسهم أم من إنتاج غيرهم من الأمم التى ترجمت فلسفتها وعلومها وآدابها إلى اللغة العربيـة . وأعنى بالثقافة الإنجليزية ما أنتجته القريحة الإنجليزية من أدب وفلسفة وعلم وكتب حينئذ باللغة اللاتينية التى كانت لغة التأليف والآدب فى انجلترا وغيرها من ممالك أوربا فى القرون الوسطى

لعلنا نذكر أن بغـداد كانت مقر الخلافة العباسية ، وأن خلفاء هذه الدولة قد انصرفوا بعد أن استتب لهم الحكم إلى تشجيع العلم والعلماء ، فازدهرت العلوم على اختلاف أنواعها ، وبدأ عصر جديد هو عصر الترجمة من اللغات الأجنبية كاليونانية والفارسية والهندية . وبلغ ذلك العصر أوجه فى أيام الرشيد والمأمون . ووجد فى اللغة العربية ما يسمى « بالعلوم الدخيلة » أى التى دخلت فى اللغة العربية من لغات أخرى ، كالطب والفلسفة والمنطق والفلك والرياضة . ويعزى أكثر الكتب التى ترجمت حينئذ إلى أرسطوطاليس وأفلاطون وبطليموس وأبقراط وأقليدس من علماء اليونان وفلاسفتهم . وكان أكثر المترجمين من غير العرب — كما نعلم — لأن العرب أصحاب السيادة كانوا منصرفين إذ ذاك إلى العناية بنظام الحكم والسياسة . ولأن من قاموا بالترجمة من السريان والنصارى واليهود كانوا على علم كاف بالعربية واللغات الأخرى المترجم عنها . نمت هذه العلوم الدخيلة وعكف على دراستها وترقيتها كثير من العلماء حتى أصبحت بغداد مركزاً للثقافة العربية فى الشرق

امتدت فتوح الإسلام إلى شمال أفريقيا وجزيرة صقلية وبلاد الأندلس ، ووطد العرب سلطانهم هناك ، وهاجر إلى تلك الممالك كثير من العلماء الذين تفقهوا فى العلوم الإسلامية والدخيلة ، ووجدوا من إكرام الخلفاء والأمراء لهم ما شجعهم على تنمية هذه العلوم ونشرها ، وأقبـل العلماء والطلبة من المسلمين واليهود والمسيحيين على دراسة الفلسفة وعلوم الطب والرياضة والفلك وغيرها فى المعاهد الإسـلامية والمكاتب العامة التى أسست فى طليطلة وقرطبة وغرناطة وأشبيلية حتى أصبحت هذه المدن الأندلسية مراكز للثقافة العربية فى الغرب كما كانت بغـداد فى الشرق

وإذا عرفنا أن أثر أية لغة فى لغة أخرى إنما ينشأ عن الاتصال المباشر أو غير المباشر بين متكلمى هاتين اللغتين وجب أن نبحث عن : « متى وكيف وجد الاتصال بين العرب والانجليز فى القرون الوسطى » وهنا نجد أمامنا ميدانين اتصل فيهما العرب بالأوربيين عامة ومن بينهم الإنجليز . الميدان الأول هو الميدان الشرقى فى مصر وفلسطين والشام وآسيا الصغرى أيام الحروب الصليبية ، والميدان الثانى هو الميدان الغربى فى جزيرة صقلية وفى الأندلس . وفى كلا الميدانين كان تأثير العربية فى كافة الثقافات الأوربية ومن بينها الإنجليزية . وربمـا كانت انجلترا أقل الممالك تأثراً بالنفوذ العربى

بدأت الحروب الصليبية فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى وتوالت ست مرات حتى أوائل القرن الثالث عشر . واشتركت فى هذه الحروب الصليبية كل ممالك أوربا ، كما قاد هنرى الثانى ملك الإنجليز جنوده فى الحرب الصليبية الثالثة ضد العرب . وكانت هذه أول مرة فى التاريخ يلتقى فيها العرب والإنجليز وجهاً لوجه ، ورى الإنجليز ما كان عليه العرب من حضارة وتفوق فى فن الحرب وتعبئة الجيوش وطرق الهجوم والدفاع . وكان لهذا الاتصال أثره المباشر فى أن نقل الإنجليز عن العرب نظم الحرب والتحصين ، ووسائل النقل ، واستعمال النقود وتوزيع الضرائب وصنع الزجاج . ويرجح علماء اللغة أن بعض الكلمات قد تسرب من العربية إلى لغة الإنجليز (أعنى اللاتينية) فى ذلك العصر . وذلك مثل كلمة Cotton القطن ، Sugar السكر ، Zarget الدرقة

Guide القائد ، وغير هذه الكلمات مما لا مجال لذكره الآن . ولم يترك هذا الاتصال أثراً قوياً فى الأدب الإنجليزى لأنه كان اتصالاً حربياً ولم يكن اتصالاً علمياً

أما فى الميدان الغربى فإن جزيرة صقلية كانت تحت حكم الأغالبة من العرب من أوائل القرن العاشر إلى أواخر القرن الحادى عشر . وبعد سقوط هذه الجزيرة فى أيدى النرماندين ظلت اللغة العربية لغة الكتابة والتأليف بجانب اللاتينية والإغريقية ، ولقى العلماء من المسلمين واليهود كل تشجيع وعطف من الملوك المسيحيين ، وبخاصة فردريك الثانى ملك صقلية الذى جمع بلاطه كثيراً من نخبة الفلاسفة والأطباء والمنجمين وعلماء الرياضة . وكذلك شجع الملك روجر الصقلى العلماء على التأليف والترجمة إلى اللغة اللاتينية ، إما من العربية ، وإما من الإغريقية . وكانت هناك علاقات صداقة قوية بين البلاط الانجليزى ، وبين بلاط الملك روجر الصقلى الذى عهد بمنصب ديوان الإنشاء فى بلاطه إلى انجليزى يسمى Robert of Selby وقد مهد هذا الانجليزى لكثير من العلماء الانجليز الإقامة فى بلاط الملك روجر والاتصال بعلماء العرب ، وترجمة بعض مؤلفاتهم ، ونقل بعض الثقافة العربية إلى ثقافتهم . وكذلك نجد انجليزياً آخر تشير إليه السجلات الصقلية العربية باسم « القائد برون » ، واسمه بالانجليزية Thomas Brown وقد شغل وظيفة القضاء فى البلاط الصقلى ، وعرف اللغة العربية ، ثم عاد بعد ذلك إلى انجلترا حيث اختاره الملك هنرى الثانى وزيراً للمالية سنة ١١٥٨م . وقد كان من نتيجة هذا الاتصال بين علماء الانجليز وعلماء العرب فى البلاط الصقلى أن أخذ الانجليز عن العرب طرق البحث الفلسفية ، وترجموا بعض الرسائل فى الفلك والرياضة.

أما فى الأندلس فإن تعاون المسلمين واليهود والمسيحيين فى البحث والتأليف ، وتسامح الولاة من المسلمين ، وازدهار الحركة العلمية والأدبية قد فتح الطريق أمام طلاب العلم من ممالك أوربا المختلفة فوفدوا إلى المعاهد الإسلامية الأندلسية للدراسة والترجمة إلى لغاتهم . ونذكر من بين هؤلاء ادلار الباجى الإنجليزى (Adlar of Bath) الذى سافر كثيراً فى الشام وفلسطين وصقلية ثم درس فى طليطلة ، وحين عاد إلى انجلترا أدهشه ما وجد عليه القوم من جهل بعلوم العرب وفلسفتهم (كما يقول هو) فأدخل فى الثقافة الإنجليزية والفلسفة طريقة التفكير الحر فى البحث . وكذلك ترجم من العربية رسالة فى الفلك اسمها «الأزياج» واستبقى كثيراً من الكلمات العربية فى ترجمته، وألف كتاباً سماه «المعضلات الطبيعية » اعترف فيه بفضل الدراسة العربية ، وذكر فيه كروية الأرض ، وأن المادة لا تفنى ، وشرح أسباب الزلازل ، وكان يعتمد فى كل ما كتب على الأدلة العقلية أو التجربة .

وممن تتلمذ من الإنجليز على العرب Robert of Chester فقد درس فى الأندلس وهو أول من ترجم القرآن من العربية إلى اللاتينية ، كما ترجم كثيراً من الكتب فى علم الجبر والكيمياء . ولا تزال هاتان الكلمتان فى الإنجليزية حتى الآن : Algebra و Chemistry وهناك أيضاً تلميذ آخر يسمى ألفرد الإنجليزى Alfred the Englishman درس فى الأندلس وترجم من العربية كتاب النباتات لارسطوطاليس .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ميخائيل الاسكتلندى Michael de Scott فقد زار صقلية ودرس فى طليطلة ثم ترجم من العربية رسالة فى علم الفلك لمؤلفها نور الدين أبى إسحاق البتروجى ، ونقل فلسفة ابن رشد ، وعلق على كتب ابن سينا وترجم من العربية كتاب الحيوان لأرسطوطاليس

وكذلك عرف الإنجليز طب العرب ، وكيفية استعمال الاسطرلاب ، واستبقوا فيه بعض الكلمات العربية كالمغرب ، والمرى ، والقنطرة ، كما اقتبسوا الطرق العربية فى الحساب

ولما كانت الفلسفة والعلوم والآداب فى القرون الوسطى قوية الارتباط بعضها ببعض تأثر الأدب الانجليزى مباشرة بكل ما ترجم من العربية إلى اللاتينية من فلسفة أو علم أو أدب . ويذكر علماء الأدب أن تشوسر الشاعر الانجليزى القديم اقتبس فى أشعاره بعض المعانى من كتاب اسمه (أمثال الفلاسفة) ، وكان قد ترجم هذا الكتاب أولاً من العربية إلى اللاتينية ثم ترجم بعد ذلك من اللاتينية إلى الإنجليزية ، وهو أول كتاب انجليزى طبع بمطبعة كاكستون . وكذلك كتب تشوسر رسالة فى الاسطرلاب اعتمد فيها على كتاب « الاسطرلاب » للمؤلف العربى « ما شاء الله » وعلى كتاب للقبيسى اسمه « مقدمة فى علم الفلك » . وكتب أيضاً رسالة سماها « الخبز واللبن للأطفال » تجلت فيها الروح العربية

وقد ترجمت مجموعة من القصص العربية إلى اللاتينية ومن بين هذه القصص بعض حكايات من كتاب كليلة ودمنة ، وظهرت هذه القصص فى الآداب الأوربية عامة كما ظهرت فى الأدب

أعلام الأدب

إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

ولد إسخيلوس عام ٥٢٥ ق . م فى قرية[١] كان يعكف أهلها على عبادة دمتيربربة الزراعة ، وديونيزوس[٢] إله الخمر ، وهى قرية صغيرة متاخمة لقرية إيكاريا التى نشأ فيها الشاعر تتسبز الذى يعزون إليه نشأة الدرام

وقد ذكر لنا اسم أبيه فى الأبيات التى أوصى أن تنقش على قبره حيث يقول :

هنا فى سهل جيلا المثمر الخصيب

يضم هذا اللحد رفات إسخيلوس بن يوفوريون

فتى أثينا ، الذى شهد له الميدون

وعرفت بأسه مرثون

ولقد برع إسخيلوس فى الشعر منذ حداثته وكان يغشى حلقات الشعراء ويدرس طرائقهم ويحفظ أناشيدهم فإذا خلا إلى نفسه رددها وراح يهتف بها وقد راقته أغانى تسبز فكان يقلدها وينظم المقامات على نسقها ، ثم فرغ لنظم الدرامة الطويلة التى ثار فيها على العرف فكتب له التوفيق حتى إذا انبثق فجر القرن الخامس قبل الميلاد ، وبلغ الفتى السادسة والعشرين من عمره استطاع أن يشهد الناس فنّه فى أكبر مسارح أثينا حيث مثلت أولى رواياته فبهرت الأثينيين وعرضت عليهم لوناً جديداً من أدب الدرام كان ثورة عنيفة على الماضى ودعامة وطيدة لمسرح المستقبل

ولما نشبت الحرب بين فارس واليونان ألقى الشاعر يراعه وامتشق سيفه وأسرع إلى مرثون الخالدة هو وأخوه فأبليا بلاء حسناً ترك فى نفس إسخيلوس أثراً عظيماً من الزهو والاعتداد لم يمحه نصف قرن عاشه بعد ذلك

ثم تلت موقعة مرثون التى استشهد فيها أخوه (٤٩٠ ق . م) فترة من السلام فرغ فيها إسخيلوس إلى أدبه واستطاع خلالها أن يحرز النصر على جميع منافسيه فى حلبة الشعر للمرة الأولى فى المسابقة العامة عام ٤٨٤ ق . م

ثم دعا داعى الوطن بعد ذلك بأربعة أعوام فترك أثينا مع جميع أهلها ليشترك فى موقعة سلاميس ، وليناضل فوق صفحة البحر فى تلك المجزرة المروعة التى ذابت فيها جيوش كسرى وحطمت أساطيله وفر أثناءها إلى بلاده بعد أن شهد الهزيمة بعينيه ، فسلمت اليونان وسلمت أوربا إلى الأبد من التبربر

وقد اشترك بعد ذلك فى حروب تراقيه عام ٤٧٦ كما تدل عليه جذاذات من ثلاثيته المفقودة المسماة (ليكورجوس)

وفى سنة ٤٧٥ نظم مأساته (نساء إطنة) وكان إذ ذاك فى سفارة سياسية إلى سيرا كوزا

وقد رحل إلى سيرا كوزا مرة أخرى ، ونظم فيها درامته (الفرس) التى حازت الجائزة الأولى عام ٤٧٢

وفى سنة ٤٦٨ ظهر منافسه العظيم سوفوكليس فى ميدان المسرح فجأة ففاز على إسخيلوس بالجائزة الأولى ، وكان لفوزه أثر بليغ فى نفس إسخيلوس لم يمحه أن فاز (إسخيلوس) بعد ذلك بجوائز عدة كان يسيل لها لعاب الشاعر الشاب

وقد عاش إسخيلوس عشر سنوات لا ينسى هزيمة سنة ٤٦٨ حتى أن بعض المؤرخين يظن أنه هاجر إلى صقلية بسبب ذلك ، ويقول بعضهم إنه كان كلما ذكر تلك الهزيمة الأدبية دمعت عيناه ونقم على الشاعر الشاب

(١) إسمها إيليوزيس

(٢) إسمه الكامل ديونيزوس زجريوس

الإنجليزى . وقد ضمن الشاعر الإنجليزى Vohn Lydgate بعض أشعاره كثيراً من هذه القصص والحكايات العربية

ويعزو بعض علماء الأدب انتشار الأشعار الغرامية الشعبية التى كان ينشدها الموسيقيون المتجولون فى القرى الإنجليزية فى القرون الوسطى إلى نفوذ عربى لمشابهتها كثيراً للأشعار الغرامية الأندلسية ، وبخاصة الزجل ، ويذكرون أيضاً كتابين كان لهما الأثر فى انتشار هذا النوع من الشعر الغرامى وهى كتاب « الزهرة » لابن داود وكتاب « طوق الحمام » لابن حزم وموضوعهما الحب العذرى ، وقد ترجما إلى اللاتينية[١]

هذه فكرة إجمالية عن « أثر اللغة العربية فى الثقافة الإنجليزية فى القرون الوسطى » وسأعالج ذلك الأمر « فى عصر النهضة » فى العدد القادم إن شاء الله . عبد العزيز أمين عبد المجيد

(١) أنظر مقال الأستاذ جب عن الأدب العربى فى كتاب تراث الاسلام

وفى عام ٤٥٦ توفى فجأة فى مهاجره ودفنت رفاته فى جيلا .

هذه هى أهم الوقائع فى تاريخ حياة إسخيلوس . ولا نستطيع أن نتناول أدبه بالنقد أو التحليل قبل أن نقف قليلاً عند هذه الوقائع نستخلص منها ما ينفعنا فى دراسته وما يكشف لنا عن نواحى نبوغه

وليس من شك فى أن نشأة إسخيلوس الأولى وبيئته كان لهما أثر بعيد فى أدبه . بيد أن هذه النشأة وتلك البيئة ليسا شيئاً إذا قيسا إلى الأثر الكبير الصارم الحاسم الذى تركه فى نفسه خوض غمار تلك الحروب الدامية العنيفة التى شنتها على بلاده فارس ، والتى كانت حرباً بين جيش جرار كثيف يقدرون عدده بألف ألف أو يزيد ، وبين أمة بأكملها قليلة العدد شديدة البأس ساهمت جميعاً ، رجالا ونساء وأطفالاً ، فى آلام الحرب ، حتى لقد هجرت أثينا إلى إحدى جزائر البحر ، وقام رجالها فى السفائن يصارعون المنون ويغالبون الموت . وبهزأون بجبروت إجزرسيس ، حتى كسروا شوكته وظهروا على أساطيله وأطعموا السمك ووحوش الماء لحوم أبطاله

لقد تركت مرتون فى نفس إسخيلوس أثراً لا يعدله إلا أثر سلاميس ، وليس يعدل هذين الأثرين شىء آخر فى نفس الشاعر الجندى الذى أخذ يبنى مجده الأدبى على أكوام من أشلاء القتلى الذين أكلتهم هذه المجزرة الهائلة بين عدو قوى كثير العدد وبين أمة ضعيفة بعددها كثيرة بوطنيتها استطاعت ببضعة آلاف أن تقهر أكثف جند عرفه التاريخ

خرج إسخيلوس من هاتين المعركتين شخصاً آخر شديد الايمان بقوة السماء مكبراً لسلطان الآلهة أيما إكبار ، مقتنعاً باليد العليا التى تسهر على الكون وتدبر أموره ، وترد الحق إلى المظلوم وتكبح جماح الظالم مهما كان ذا حول وطول وقوة . . وقد ظهرت هذه الروح فى أكثر دراماته التى نظمها بعد هذه الحرب ، وهى أروع ما نظم

أما سنة ٥٠١ فهى مفتتح القرن العظيم الباهر ، القرن الخامس قبل الميلاد الذى يزهى على الزمان بما أفاء على الانسانية من علم وأدب ومن نور وعرفان ... وقد كان مطلعه مطلع سعد لعبقرية إسخيلوس ، فقد مثلت أولى دراماته فى أولى سنى هذا القرن ، وسنه حينذاك لم تتجاوز السادسة والعشرين

ولعل عام ٤٨٤ ق . م هو أهم الأعوام فى تاريخ الأدب اليونانى جميعاً ... وذلك أن مؤرخى هذا الأدب يجعلونه بداءة الفترة الذهبية المجيدة ليس فى تاريخ الأدب اليونانى فحسب ، بل فى تاريخ الأدب الصرف قاطبة ، وهم يبدأونها بهذا العام الذى أحرز فيه إسخيلوس أولى جوائزه الأدبية فى المسابقة العامة بدرامة مفقودة قلب بها الأوضاع القديمة رأسا على عقب ، ووضع الدعامة القوية القويمة للمسرح الحديث ، حتى ليصح أن يطلق على هذه السنة : السنة الأولى تاريخ الأدب المسرحى

وهم يجعلون هذه الفترة بين عامى ٤٨٤ و٤٣١[١] حينما أحرز يوريبيدز أخرى جوائزه بدرامته الخالدة ميديا ... وعلى ذلك تمتد الفترة إلى ثلاث وخمسين سنة مثل فيها على مسرحى أثينا أكثر من ألف درامة منها تسعون لأسخيلوس ومائة وثلاث وعشرون لسوفوكليس وثمانون ليوريبيدز وأكثر من مائتين لشاعر عظيم لم يحفظ لنا الأثر اسمه ومئات أخرى لشعراء نعرف بعضهم ونجهل بعضهم الآخر ... وليس الكم فقط هو العجيب فى هذا الإنتاج الباهر ، بل الكيف أيضاً هو الذى يسحر ويبعث على الدهش ، فهذه الدرامات السبع الباقية فقط من إسخيلوس ، والسبع الباقية من سوفوكليس ، والثمانى عشرة الباقية من يوريبيدز هى ثروة فائقة من تراث هذه الفترة ، والقارىء يقف حيالها ذاهلاً لعمق التفكير وجمال الأداء ؛ وقوة السبك ، وسمو الغاية والخلو من الزيف والبهرج ... وهى مع ذلك ليست أجل ما أبقت عليه يد العفاء من الثروة الضائعة ، إذ أن أكثر الدرامات التى فاز فيها الشعراء بالجوائز الأولى ما تزال مفقودة ، والأمل معقود على نجاح الكشف فى أسكندريتنا للحصول على الغُرَر والدُّرَرِ من نتاج الذهن اليونانى العظيم .

وقد لا نجد فى تاريخ الأدب المسرحى فترة تشبه هذه الفترة اليونانية إلا فترة الأربعين[٢] الذهبية فى تاريخ الأدب الإنجليزى فى عصر اليصابات ، فقد كتبت ومثلت فى هذه الفترة جميع درامات شكسبير ومارلاو وبن جونسون وبومون وفلتشر وماسنجر وويستر وهايود ... الخ ... غير أن الشعراء الإنجليز فى هذه الفترة كانوا على كل حال تلاميذ هذا السلف الصالح من شعراء أثينا ،

(١) يمدها لويس كامبل مترجم اسخيلوس وسوفوكليس إلى ٤٢٠ ق . م

(٢) يجعلها بعض مؤرخى الأدب الانجليزى ثمانى وثلاثين سنة

وكثيراً ما سطوا على آثارهم واستباحوا أخيلتهم واستعملوا طرائقهم التى أوفوا بها على الغاية

وكما تتشابه الفترتان فى الإنتاج الأدبى للمسرح فكذلك تتشابهان فى الباعث على النهضة الأدبية فى كل منهما . فلقد كان الباعث فى الفترة اليونانية هو هذه الحرب الضروس التى شنتها فارس على اليونان والتى كانت مرحلتها الأولى فى مراثون ، ومرحلتها الثانية فى سلاميس حيث حطم أسطول إجزرسيس ، مما أيقظ الروح القوي فى هيلاس وأجج نيران الوطنية فى قلوب الأثينيين خاصة ، فجاءت النهضة الأدبية المسرحية وليدة هذا الروح

أما الفترة الإنجليزية فقد جاءت عقب تحطيم الأرمادا الأسبانى اللجب الذى أعده فيليب الثانى لغزو انجلترا . . . وهذا التشابه فى الباعث بين الفترتين يدل على ما بين الوطنية والأدب من وشائج قوية يزيدها النصر قوة ويمهد لها بمزيج عجيب من الحماسة والكبرياء يقابله مزيج آخر من المآسى والآلام

***

وبعد ، فماذا صنع إسخيلوس من هذا كله ؟ وكيف نار ثورته على الماضى العتيق وشاد هذا البنيان الشامخ ؟ وما هى هذه المثل التى كان ينشدها ويعمل على إقامتها لتكون نبراساً للذهن اليونانى ؟ وإلى أى حد نجح فى جهاده الشاق الجيل الطويل ؟ ومن يا ترى كان عونه فى هذا الجهاد المشكور المبرور ؟ وكيف يستطيع كاتب أن يستعرض كل هذا التاريخ ، وأن يلخص درامات إسخيلوس السبع أسرع تلخيص وأقصره فى مثل هذه الفصول المقتضبة الضيقة ؟

روى المؤرخون أن إسخيلوس كان لا يأنف أن يرى النقص فى إحدى دراماته فيعترف به قبل أن يأخذه عليه أحد من النقاد ثم يعمل على إصلاحه فى الدرامة التى تليها ، وقد يحدث أنه يفوز بالجائزة الأولى فى إحدى المسابقات بدرامة كان يشك أكبر الشك فى نجاحها ، فإذا تناول الجائزة لم يأبه أن يلفت الناس حوله إلى نواحى النقص فى تلك الدرامة التى حازت إعجابهم واستولت على شعورهم . . . وفى هذا دليل على أن إسخيلوس كان ينشد المثل الأعلى لفن الدرامة ، وكان لذلك يدأب على عمل التجارب ليأخذ بالأصلح وليتوق ما لا غناء فيه ، وكان لا يأنف من الانتفاع بجهود الآخرين وتجاربهم ، وكان يعنى عناية خاصة (بتكنيك) المسرح فكان بذلك أول المخرجين الأكفاء وأعظمهم ... وهو أول من خفض عدد أفراد الخورس وزاد عدد الممثلين ، وجعل الغناء والإنشاد فى المرتبة الثانية بعد الكلام والحوار . وهو أول من ابتكر الثلاثية ، أى المأساة الكبيرة التى تتكون من ثلاث مآس تربطها عقدة واحدة ويجمع بينها موضوع واحد . وقد كان يعتبر هوميروس معينه الأول ، فكان يقول إن مآسيه فتات من مائدة هومر ، لكنه مع ذلك ابتكر الدرامة السياسية وانتزعها من الأحداث الجلائل التى كانت تحدق بوطنه فى ذلك العصر ... وكان يعنى عناية فائقة (بالحبكة) الدرامية فى مآسيه ويجرى فى خلالها تجاريب الحياة التى تمرس بها فكانت دراماته تشبه التماثيل الفنية الرائعة التى يعنى فيها الفنان بإبراز معنى خاص يجتهد فى أن يبرز لأول وهلة للرائى فيملك عليه لبه ويستحوذ على إعجابه

وكان السَّراة من أهل أثينا وأغنياؤها يتسابقون إلى الإنفاق على درامات إسخيلوس ، وقد ثبت أن بركليس نفسه ، وهو سيد هذا العصر قد كان ال : (خوريجس Chorêgus)[1] لأكثر من درامة من درامات إسخيلوس

وأبرز ما يلفت الإنسان من دراماته هو هذا الروح السفسطائى الذى يشيع فيها جميعاً ، حتى لقد دعاه المؤرخون أول مبشر بمذهب السفسطائيين قبل أن يوجد السفسطائيون ، فهو الذى لم يبال أن يتناول فى دراماته ذوات الآلهة بالنقد والتجريح ، ومهد بذلك لموجة الشك التى طغت على اليونان بعد ذلك ... حقيقة لقد سبقه كثير من الفلاسفة إلى ذلك ، لكن أحداً منهم لم يجرؤ أن يصنع كما صنع هو حين قدم للمسرح درامته الخالدة العظيمة (بروميثيوث) والتى كانت ثورة على سيد الأولب فتحت الطريق على مصراعيه للملحد الأكبر وأعظم أدباء اليونانيين (يوريبيدز)

وكان إسخيلوس يؤمن إيماناً تاماً بالقضاء والقدر ، وأنه لا حيلة للانسان فى دفع ما يحل به من أذى ولا سيما إذا تمت النكبة وكان يعتقد أن كل المصائب هى نتائج لمقدمات تنتهى إليها حتما ، وأن كل الأمور العظام هى كذلك نتائج لأمور أقل منها شأناً ، ومقدمات لأمور أخرى أجل منها وأعظم ... وهذه هى وحدة الكون ...

---

(١) هو الرجل الغنى الذى كان يلجأ إليه الشاعر ليؤجر له فرقة من المنشدين وليتولى الانفاق على الدرامة حتى تمثل

فى ذكرى يوم الاستقلال

إلى بلدى الحبيب

للأستاذ على الطنطاوى

« فى مثل هـذا اليوم (٨ مارس) ولد الاستقلال السورى . الذى عاش عامين ثم مات في (ميسلون) »

متى يا زمان الشؤم يعود بلدى كما برأه الله دار السلام ومعرض الجمال ، ومثابة المجد والغنى والجلال ؟ متى يرجع بَرَدَى يصفق بالرحيق السلسل ؟ متى تثوب الأطيار المروعة إلى أعشاشها التى هجرتها ، ورغبت عنها حين سمعت المدافع ترميها بشواظها الحامى ؟ متى تؤوب تلك الحمائم فتشدو على أفنان الغوطة تنشد أغنية السلام؟

متى ؟ متى يا زمان الشؤم ؟

أتظل الأشجار عارية فى جنات الغوطة . لا تعلو هاماتها تيجان الزهر ، ولا تتدلى أغصانها بعناقيد الثمر ، لأن الزراع قد أغفلوها فلم يتعهدوها بالسقيا ، ولم يجروا إليها المـاء ؟ أتبقى هذه الحقول والجنائن جرداء قاحلة لأن الفلاحين انصرفوا عنها مستجيبين لنداء الوطن الجريح . الممزق الأوصال ، مهطعين إلى داعى الجهاد حين أذن بهم : حى على خير العمل ؟

متى ؟ متى يا زمان الشؤم يستريح الشام (بلدى الحبيب) ؟

* * *

ما رأيتك استرحت يا (بلدى الحبيب) ساعة واحدة ، فهل كتب عليك أن تظل أبداً فى تعب وعناء ؟ إنى لم أكد أتبين نور الحياة وأرى وجه الدنيا ، حتى رأيت المدرس يدخل علينا (معشر الأطفال) مربد الوجه فزعاً مذعوراً . فسألنا : ماله ... فقالوا لنـا كلاماً لم نفهم له معنى ، قالوا : إنها الحرب ! ولكن أى حرب ... إن المدرسة مفتوحة ، والأسواق قائمة ، والمدينة هادئة مطمئنة فأين هى هذه الحرب ؟

قالوا : هى هناك فى مكان بعيد . فضحكنا وقلنا : هل هناك أبعد من (الصالحية) أو (المزة) إننا لا نبلغها حتى نمشى ساعة على الأقدام ، وليس فيها حرب ، فأين هى هذه الحرب ؟

وهزئنا ولبثنا نلعب، ولكن الأيام أرتنا وا أسفاه هذه الحرب: رأيناها فى أسواق دمشق ، عند ما شاهدنا القتال يدور فيها كل صباح من أجل رغيف من الخبز ، والفرن مغلق ما فيه إلا كوة واحدة مفتوحة ، يقوم عليها الخباز والجندى إلى جانبه ، يدعو واحداً بعد واحد من هؤلاء الناس الذين سدوا الشارع بكثرتهم لا يطلبون صدقة ولا إحساناً ، وإنما يطلبون الخبز بالذهب فلا يجدونه ، وما شحت السماء بالقطر وما أجدبت الأرض ، ولكن (حلفاءنا ...) الألمان . استأثروا بأطايب القمح وتركوا لنا شر الحنطة وأخبث الشعير ثم يا ليت أنا وجدناه

نعم ، لقد رأينا (نحن الأطفال) الحرب فى شوارع دمشق حين أبصرنا الرجال يأكلون قشور البطيخ ، وينبشون المزابل من الجوع ؛ ثم رأيناها أوضح وأظهر ، حين لم نعد نبصر فى الشام رجالاً لأن الرجال أكلتهم الحرب ... ثم رأيناها أشد ظهوراً بطلعتها الكالحة القبيحة حين تعودنا مرأى جثث النساء والأطفال الذين ماتوا من الجوع ، نراها كل صباح ومساء ، فى غدوّنا إلى المدرسة ورواحنا منها ...

فى وسط هذه الذبحة المرعبة ، وخلال رائحة البارود ، وعزيف المدافع ، وإعوال اليتامى والثاكلات ... نشأت وعرفت الحياة فرأيت (البلد الحبيب) نصفه مقبرة للأموات ، ونصفه مستشفى لمن ينتظر الموت

* * *

وفى ذات صباح أفقنا على قصف يزلزل البلد ، ويهزّ الدنيا ، فسألنا : ما الخبر ؟ قالوا : البشارة . هذا مستودع الذخائر يتفجر ويحترق ، لقد أباده الألمان قبل هزيمتهم ، لقد انتهت الحرب ، وانتهى حكم الظالمين من أحفاد جنكيز خان ! ... وبعد ساعة واحدة يصل الشريف

وكان إسخيلوس يعلى من شأن الديمقراطية ويجعلها الهواء الذى ينبغى أن تستنشقه الإنسانية لتنمو وتترعرع ويطيب غراسها وستمر بنا الأمثال الكثيرة التى يُكبر بها شأن الحرية حين نعرض لدراماته . ولا غرو فقد كان جندياً وكان أديباً ، وكان يحض قومه على التفكير الحر بل التفكير المطلق . فهو من غير شك أول من مَهد بأدبه لسيادة أثينا ، وسيطرتها على جميع هيلاس بعد أن كانت ولاية أيونيوية لا شأن لها . وبالتالى فهو صاحب الفضل على الأدب وعلى الدنية مثل انبثاقهما فى القرن الخامس قبل الميلاد .

دريني خشبة

قلنا : من الشريف ؟ قالوا : فيصل بن الحسين ، هيا هبّوا لاستقباله ، فنهضنا ولكنا لم نبادر إلى استقباله ، وإنما بادرنا إلى الجيش المنهزم نذبحه ! فلما فرغنا منه مسحنا أيدينا من دمه وعدنا نستقبل الشريف ...

نسيت دمشق جوعها وتعبها ، ونسيت نصف رجالها الذين ماتوا على شاطئ غاليبولى وعلى ضفاف الترعة فى سبيل مصالح الألمان ، ونسيت أحزانها على من علقتهم حبال المشانق فى ساحة المرجة فى دمشق والبرج فى بيروت ، وتكلفت دمشق الابتسام بل لقد ابتسمت حقيقة لما رأت وجه فيصل ، وذهبت تبتغى أن تنثر على موكبه من أزهار الغوطة جنة الدنيا ، فلم تجد فى الغوطة زهرة واحدة ، لقد صيرتها الحرب قاعاً صفصفاً ، فنثرت على موكبه أزهار القلوب : دموع الفرح ، وهتاف المحبة وتصفيق الإعجاب وحيّت لأول مرة العلم العربى الذى يرفرف اليوم فوق بغداد

وأحبت دمشق فيصلاً أصدق الحب ، كما أحبها فيصل ، ووثبت ترقص من الطرب وتغنى حتى كأن كل يوم من حكمه عيد وفى كل بقعة من الشام عرس ، وفاض الخير وابتسم الزمان ، وطغت الحماسة على الأفئدة ، وعمّ البشر الوجوه ، وولدت دمشق الأموية عاصمة الأرض مرة ثانية ... وظننت أنك استرحت يا بلدى الحبيب !

***

ولكنا لم نلبث إلا قليلاً حتى سمعنا صوت النذير ... ماذا ؟ ماذا هناك ؟ فقال : انهضوا دافعوا عن استقلالكم الوليد ، لقد جاءت القوة العاتية تخنقه فى مهده . . فجن جنون دمشق ، وعصفت النخوة فى رؤوس بنيها ، فلم يسمعوا قول فيصل الحكيم ولا أقوال العقلاء من صحابته ، ولم تمض العشية وينبثق الفجر حتى كانت دمشق كلها فى بقعة الشرف فى (ميسلون) ولم يؤذن الظهر حتى رجعت دمشق من ميسلون وقد تركت فيها استقلالها الوليد وقائدها الشاب صريعين مجندلين على وجه الثرى ، هذا قتيل شهيد ، وذاك جريح مريض ، وفقدت دمشق كل شىء ، ولكنها لم تفقد الشرف ، كما قال من قبل فرانسوا الأول ملك الأقوياء ... الذين دخلوا دمشق دخول المنتصرين الفاتحين ...

وعاد (بلدى الحبيب) إلى حياة الرعب والأسى والنضال ...

***

ولكنه لم يخف ولم يجبن . لقد خسر فى (ميسلون) ولكنه حفظ الدرس الذى ألقته عليه الحياة فى ذلك اليوم ، واستراحت دمشق حيناً ، ثم قفزت قفزة اللبؤة الغضبى ، فإذا هى فى العرين (فى الغوطة الخضراء) ، وإذا الأقوياء بجيشهم كله وعتادهم يقفون أمام الثائرين ، وهم بضع مئات يقودهم رجل أمى من دمشق كان خفيراً من خفراء الأحياء ، فلا يستطيع الأقوياء الظفر بهم ، فيعودون حنقين ، فيسلطون نيران مدافعهم على المدينة الآمنة المطمئنة ، فلا يروعها إلا جهنم قد فتحت أبوابها من فوقها ، فيخرج أهلها من منازلهم تاركين كل ما فيها للنار ، ويمسى المساء على دمشق وثلثها خرائب كخرائب بابل ، وقد كانت فى الصباح أجمل وأبهى وأغنى قصور دمشق ...

وتعيش دمشق سنتين وسط الرعب والنار والحديد ، ثم يحل السلام ، وتخرج دمشق من المعركة وقد نجحت فى الامتحان الثانوى فى الغوطة ، كما نجحت من قبل فى الامتحان الابتدائى فى ميسلون . .

وأحسب أنك استرحت يا (بلدى الحبيب) !

***

أحسب أنك استرحت ، فإذا النار تسرى فى أحشائك ، وإذا المعارك فى أسواق دمشق ... حول صناديق الانتخاب ، الذى أراده الأقوياء صورياً شكلياً ، وأباه الشعب إلا انتخاباً حقيقياً ، فلما لم يكن ما يريد الشعب حطم الصناديق ، وهدم قاعات الانتخاب وانطلق ثائراً مرعداً مبرقاً ، يهزأ بالحديد ويفتح صدره للبارود .. وظفر الشعب ، وكيف لا يظفر وقد امتحن مرتين ...

فقلنا : قد استراح ولكنه لم يسترح وإنما دعى إلى الامتحان العالى ، إلى النضال الصامت المرعب ، فثبت وناضل ، ولبثت دمشق خمسين يوماً كاملة ، وهى مضربة ليس فيها حانوت خباز أو بقال ، وليس فيها قهوة مفتوحة ، ووقعت المعارك فى الأسواق وعلى أبواب المسجد الأموى ، فأقبل النساء بصدورهن على الرصاص ، وهجم الأطفال على الدبابات ، وعزمت دمشق عزماً ثابتاً على الموت أو الظفر ، وعرف العدو أنها لن تفل عزيمتها أبداً ، ولن تلين قناتها ، فلانت قناته ، ودعاها إلى الصلح أو التحالف ...

وهتفنا هذه المرة من أعماق القلوب : لقد استراحت (بلادنا العزيزة) . وعادت أيام فيصل مرة ثانية ، ودقت طبول البشائر

باقة من الفلسفة الإسلامية

لماذا يجب ألا نخشى الموت؟

« مهداة إلى معالى الأستاذ الجليل وزير الأوقاف »

للأستاذ محمد حسن ظاظا

« ما الموت إلا تمام حد الانسان لأنه حى ناطق ميت ،
فالموت تمامه وكماله ، وبه يصير إلى أفقه الأعلى »
« عن الفيلسوف مسكويه »

كثيراً ما ادعى المتعصبون للفكر اليونانى أن الشرقيين لم يحذقوا التدليل النظرى المحكم كما حذقه اليونان ، وأن الفلسفة الإسلامية لا تكاد تخرج فى مجموعها عن آراء أفلاطون وأرسطو بحيث أن كل ما هناك من فرق بينهما لا يستطيع أن يشهد للاسلاميين بالخلق الجيد والإبداع الطريف ! ومهما تكن أسباب هذا الادعاء من جهل وتعصب ، فأظن أنه ليس أنجح فى دحضه من نشر آيات الفلسفة الإسلامية والتعليق على ما فيها من أوجه الطرافة والإبداع

لذلك أقدم للقراء اليوم باقة من باقات الفيلسوف « مسكويه » الذى حدثتهم عنه فى العام الماضى (١) . وأزعم أن هذه الباقة من أقوى وأجمل وأدق آيات الفلسفة الإسلامية تدليلاً وإبداعاً ؛ وأنها لا تقل فى موضوعها عن كتابات الفلاسفة اليونانيين شمولاً واتساقاً وجمالاً وتحليلاً !

وموضوع هذه الباقة هو : « دفع الغم من الموت ! » أو لماذا يجب ألا نخشى الموت . وأحسب أنك تقدر تماماً خطورة هذا الموضوع ! بل أحسب أنك لا ترى فى الحياة ما هو جدير حقاً بالخوف منه ، والرعب غير الموت : ذلك البلاء الدائم الذى يلبسنا ثوب الحداد ويمزق منا الصدور ويقطع نياط القلوب ! ذلك الذى يصبغ الكثير من أيامنا بالسواد ويطلق أصوات الأمهات والزوجات والأطفال بالصياح والعويل والشكوى المريرة والأنين المبحوح ! أجل أحسب أنك تقدر ذلك كله ! وتعرف أن اطمئنان القلب للعقائد الدينية يحتاج فى الكثير من الأحيان إلى برهان العقل كيما تزداد ثباتاً ورسوخاً ؛ ولذلك كان من أهم الأبواب فى الفلسفة الإسلامية باب التدليل على صحة ما فى الدين من أقوال وقضايا ووعود؛ وكان موضوع « الموت » من أهم القضايا التى تناولها ذلك الباب.

ويعرض مسكويه لهذه المسألة فى المقالة السابعة من كتابه الخالد « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » . وهى مقالة « رد الصحة على النفس ومعالجة أمراضها » وكان قد وضع فى المقالات السابقة دستوره الخلقى الإيجابى الذى أثبت فيه روحانية النفس البشرية وخلودها ، وحدد الفضائل وأضدادها ، وبين السعادة ودرجاتها وكيفية الحصول عليها ووسائل حفظ الصحة على النفس السليمة : فرأى أن يختم الموضوع بمعالجة النفس المريضة ودفع أهم ما تتعرض له فى حياتها من مخاوف وأحزان

لذلك نراه يقول بعد فراغه من معالجة « الخوف » وأسبابه :

« فهذه جملة الكلام على الخوف المطلق ، ولما كان أعظم ما يلحق الإنسان منه هو خوف الموت ، وكان هذا الخوف عاما وهو مع عمومه أشد وأبلغ من جميع المخاوف ، وجب أن نبدأ بالكلام فيه فنقول :

« إن الخوف من الموت ليس يعرض إلا لمن لا يدرى ما الموت على الحقيقة ، أولا يعرف إلى أين تصير نفسه ، أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه بطلان عدم ودثور ، وأن العالم سيبقى موجوداً وليس هو بموجود فيه كما يظنه من يجهل بقاء النفس وكيفية المعاد ، أو لأنه يظن أن للموت ألما عظيما غير ألم الأمراض التى ربما تقدمته وأدت إليه وكانت سبب حلوله ، أو لأنه يعتقد عقوبة تحل به بعد الموت ،

(١) وهو فارسى الأصل ، خدم الدولة البويهية ومات عام ٤٢٠ هـ

وأديرت كؤوس الفرح ، ورجعت الأعراس ...

ولكن الأعراس لم تتم ... لم تتم يازمان الشؤم

هذا صوت النذير العريان ، وهذه ألسن النيران ، وهذا صوت البركان ، فماذا يحمل إلينا الغد يازمان ، أى مصيبة جديدة يأتينا بها ؟ أكتب علينا ألا نستريح ولا نهدأ أبداً ؟

لا بأس يازمن الشؤم ، إننا نرحب بالمصائب فسقها إلينا ، إننا بنو المجد والحرية والحياة ، فلا أمتعنا الله بالحياة إن لم ننتزعها من بين فكى الموت انتزاعاً ...

وستحيا أنت يا (بلدى الحبيب) ماجداً حراً ولو متنا نحن ماجدين أحرارا !

« بغداد » علي الطنطاوى

أو لأنه متحير لا يدرى على أى شىء يقدم بعد الموت ، أو لأنه يأسف على ما يخلفه من المال والقنيات[١] ؛ وهذه كلها ظنون باطلة لا حقيقة لها .

« أما من جهل الموت ولم يدر ما هو على الحقيقة فإنا نبين له أن الموت ليس بشىء أكثر من ترك النفس استعمال آلاتها وهى الأعضاء التى يسمى مجموعها بدناً كما يترك الصانع استعمال آلاته[٢] وأن النفس جوهر غير جسمانى وليست عرضاً ، وأنها غير قابلة للفساد[٣] ، ... فإذا فارق — (هذا الجوهر) — البدن كما قلنا ، وعلى الشريطة التى شرطنا[٤] ، بقى البقاء الذى يخصه ، ونقى من كدر الطبيعة ، وسعد السعادة التامة ، ولا سبيل إلى فنائه وعدمه ، فإن الجوهر لا يفنى من حيث هو جوهر ، ولا تبطل ذاته ، وإنما تبطل الأعراض والنسب والإضافات التى بينه وبين الأجسام بأضدادها . فأما الجوهر فلا ضد له . وكل شىء يفسد فإنما فساده من ضده ... وإن أنت تأملت الجوهر الجسمانى الذى هو أحسن من ذلك الجوهر الكريم ، واستقريت حاله ، وجدته غير فان ولا متلاش من حيث هو جوهر ، وإنما يستحيل بعضه إلى بعض[٥] ، ... هذا فى الجوهر الجسمانى القابل للاستحالة والتغير ، فأما الجوهر الروحانى الذى لا يقبل الاستحالة ولا التغير فى ذاته ... فكيف يتوهم فيه العدم والتلاشى ؟؟.

« وأما من يخاف الموت لأنه لا يعلم إلى أين تصير نفسه ، أو لأنه يظن أن بدنه إذا انحل وبطل تركيبه فقد انحلت ذاته وبطلت نفسه ، وجهل بقاء النفس وكيفية المعاد ، فليس يخاف الموت على الحقيقة وإنما يجهل ما ينبغى أن يعلمه ، فالجهل إذاً هو المخوف ، إذ هو سبب الخوف ، وهذا الجهل هو الذى حمل الحكماء على طلب العلم والتعب به ... فاستحقروا جميع ما يستعظمه الجمهور من المال والثروة واللذات الحسية ... واقتصروا منها على المقدار الضرورى فى الحياة وتسلوا عن فضول العيش[١] ... » ... على أن من خاف الموت الطبيعى للانسان فقد خاف ما ينبغى أن يرجوه ، وذلك أن هذا الموت هو تمام حد الإنسان لأنه حى ناطق ميت ، فالموت تمامه وكماله ، وبه يصير إلى أفقه الأعلى ، ومن علم أن كل شىء هو مركب من حده ، وحده مركب من جنسه وفصوله ، وأن جنس الإنسان هو الحى ، وفصلاه الناطق والمائت ، علم أنه سينحل إلى جنسه وفصوله لأن كل مركب لا محالة منحل إلى ما تركب منه ، فمن أجهل ممن يخاف تمام ذاته ، ومن أسوأ حالاً ممن يظن أن فناءه بحياته ونقصانه بتمامه ؟ . وذلك أن الناقص إذا خاف أن يتم فقد دل من نفسه على غاية الجهل ، فإذاً الواجب على العاقل أن يستوحش من النقصان ، ويأنس بالتمام ، ويطلب كل ما يتممه ويكمله ، ويشرفه ، ويعلى منزلته ، ويحلى رباطه من الوجه الذى يأمن به الوقوع فى الأسر ، لا من الوجه الذى يشد وثاقه ويزيده تركيباً وتعقيداً[٢] ...

« وأما من ظن أن للموت ألماً عظيماً غير ألم الأمراض التى ربما اتفق أن تتقدم الموت وتؤدى إليه ، فعلاجه أن نبين له أن هذا ظن كاذب لأن الألم إنما يكون للحى والحى هو القابل لأثر النفس، وأما الجسم الذي ليس فيه أثر النفس فإنه لا يألم ولا يحس ...

وأما من خاف الموت لأجل العقاب الذى يوعد به فينبغى أن نبين له أنه ليس يخاف الموت بل يخاف العقاب ، والعقاب إنما يكون على شىء باق بعد البدن الداثر ... فهو إذاً خائف من ذنوبه لا من الموت ، ومن خاف عقوبة على ذنب فالواجب عليه أن يحذر ذلك الذنب ...

وأما من زعم أنه ليس يخاف الموت وإنما يحزن على ما يخلف من أهله وولده وماله ونشبه ، ويأسف على ما يفوته من ملاذ الدنيا وشهواتها ، فينبغى أن نبين له أن الحزن تعجل ألم ومكروه على مالا يجدى الحزن إليه بطائل ، وسنذكر علاج الحزن فى باب

(١) نحسب هذا الاحصاء لأسباب الخوف من الموت شبه جامع .

(٢) هذا الرأى في أن أعضاء الجسد ليست غير آلات النفس من أقوى الآراء فى مذهب الروحانية .

(٣) برهن مسكويه على روحانية النفس فى المقالة الأولى من كتابه وفى كتابه الآخر « الفوز الأصغر » . ومن أهم براهينه على ذلك أن النفس تقبل صوراً كثيرة فى وقت واحد بينما الجسد لا يقبل فى المكان الواحد إلا صورة واحدة فإذا أردنا إحلال صورة أخرى محلها محونا الأولى تماما بعكس الحال فى صورة النفس .

(٤) يقصد شريطة الفضيلة والعلم لأن السعادة عنده لاتنال فى الدنيا والآخرة إلا بهما .

(٥) وهذا أحدث آراء الكيمياء فى أن المادة لا تفنى .

(١) الجهل إذا هو سبب الخوف فيجب أن نتخلص منه بالعلم . وقد بين مسكويه فى كتبه روحانية النفس وعدم خضوعها لما يصاب به الجسم بعد الموت . وهاهم أولاء علماء الروحانية فى العصر الحاضر يحاولون جادين أن يصلوا إلى حقيقة الروح .

(٢) يقصد أن الحياة أسر وتعقيد لاتصال الروح فيها بأوضار الجسد وكان يرى أن السعيد بعد الموت هو من يعود إلى جوار الله تعالى ويخالط الأرواح الطيبة من أشكاله وأشباهه بينما الشقى هو من تكون نفسه مشتاقة أبدا إلى جسده فلا تستطيع بعد الموت أن تسمو في صعودها وتجردها إلى مقام النفوس السعيدة وتبقى أبدا شقية على حافة العالم المادى (أنظر الفوز الأصغر)

مفرد له خاص[١] لأنا فى هذا الباب إنما نذكر علاج الخوف ، وقد أتينا منه على ما فيه مقنع وكفاية ، إلا أنّا نزيده بيانا ووضوحا فنقول :

«إن الإنسان من جملة الأمور الكائنة ، وقد تبين فى الآراء الفلسفية أن كل كائن فاسد لا محالة، فمن أحب ألا يفسد فقد أحب ألا يكون ، ومن أحب ألا يكون فقد أحب فساد ذاته ، فكأنه يحب أن يفسد ، ويحب ألا يفسد ، ويحب أن يكون ، ويحب ألا يكون ، وهذا محال لا يخطر ببال عاقل ، وأيضاً فإنه لو لم يمت أسلافنا وآباؤنا لم ينته الوجود إلينا ، ولو جاز أن يبقى الإنسان لبقى من تقدمنا ، ولو بقى من تقدمنا من الناس على ما هم عليه من التناسل ولم يموتوا لما وسعتهم الأرض ... قياما فكيف قعودا أو متصرفين ؟ ...

«فقد ظهر ظهورا حسيا أن الموت ليس بردىء كما يظنه جمهور الناس وإنما الردىء هو الخوف منه ، وأن الذى يخاف منه هو الجاهل به وبذاته ... وأما جوهر النفس الذى هو ذات الإنسان ولبه وخلاصته فهو باق وليس بجسم ... وإنما (يستفيد) بالحواس والأجسام كمالا[٢] فإذا كمل بها ثم خلص منها صار إلى عالمه الشريف القريب إلى بارئه »[٣]

* * *

وبعد فهذا تدليل مسكويه على وجود عدم الخوف من الموت بناه فى مجموعه على روحانيـة النفس وأقامه على المنطق المستقيم والذوق السليم ، فهلا ترى معى أنه أبدع فى الكثير من حججه إبداعاً جديراً بالتقدير ؟ الحق أننا ندعو ملحين إلى قراءة كتابه « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » ، وإلى المقارنة بينه وبين كتب أرسطو وأفلاطون فى الأخلاق لأنا نعتقد أنه يفوقهم فى الكثير من فصوله قوة ومنطقاً واتساقاً وانسجاماً . وأنه يقترب فى بعض أفكاره من الآراء الفرنسية التى ظهرت أخيراً وعالجت نواحى علم الأخلاق .

محمد حسن ظاظا

(١) ونرجو أن نعود إلى تحليل طرافة هذا الباب فى فرصة أخرى .

(٢) ويتأتى ذلك من « الجهاد الأكبر » جهاد الجسد وشهواته .

(٣) وقد نسب البعض هـذه المقالة إلى ابن سينا . ولكنا نرجح أنها لمسكويه ولدينا أسباب ذلك الترجيح

مَصرعُ خُبَيب

للأستاذ ناجى الطنطاوى



سار الرجال صامتين ، يخبون بأقدامهم على رمال الصحراء الملتهبة ، لا يثنيهم عن غايتهم شىء ، ولا يشغلهم عن مرماهم أمر ، وكان عددهم عشرة يرأسهم فتى غض الإهاب ، ذو عزم ومُنة ، هو عاصم ابن ثابت ، أرسلهم النبى صلى الله عليه وسلم عيناً على الأعداء فى بعث الرجيع[١] ، يستطلعون أخبار العدوّ ويتعرفون إلى عدده وعدّته ... كانوا يسيرون مطمئنين آمنين لا يداخل نفوسهم حذر ولا ريب ، وماذا يحذرون وهم فى هـذه الصحراء المترامية الأطراف ، نفر قليل لا يتميزون عن سواهم من العرب وليست تبدو عليهم أيه شارة تبعث الشك فى نفوس من يراهم ؛ كانت نفوسهم تفيض ثقة بالله وكانت قلوبهم عامرة بالإيمان الثابت الذى لا تزعزعه العواصف ولا توهنه النكبات ، وكانوا قد وطّدوا العزم على القيام بما عهد إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهما لاقوا فى طريقهم من المصاعب والأخطار ، لا يثنيهم عنه إلا الموت

ولما مرّوا فى طريقهم بمكان يقال له الهدأة[٢] جاء رجل من

(١) فى أواخر السنة الثالثة للهجرة . والرجيع اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان

(٢) موضع بين عسفان ومكة على سبعة أميال من عسفان ، قريب من الرجيع مكان الموقعة

قريش إلى بنى لحيان [١] وأخبرهم أنه رأى نفراً من المسلمين يجتازون بهم ولا يدرى أين يريدون ، فلم يكد القوم يسمعون كلامه حتى داخلهم الشك فى أمر هؤلاء ، وتبادلوا النظرات ، وصمتوا يفكرون ، ثم ثاروا إلى نبالهم فاحتملوها وساروا يقتفون آثار المسلمين ويجدّون فى طلبهم . وكانوا مائة رجل نصفهم رماة

أحس أصحاب عاصم بالخطر الداهم الذى تهددهم ، ورأوا أنهم قد أخذوا على غرة ، فاضطربوا ووجموا وعراهم الذهول ، ولكن عاصماً صاح بهم قائلاً :

— لا تقفوا هكذا ، أسرعوا إلى هذا الفدفد [٢] الذى أمامكم نحتمى به قبل أن نصبح فريسة فى أيدى الأعداء ...

فأسرعوا إليه كما أمرهم ، وتحصنوا فيه ، ولبثوا ينتظرون قضاء الله فيهم ...

وبأسرع من لمح البصر ، كان الرماة ومن معهم محيطين بالمسلمين إحاطة السوار بالمعصم ينظرون إليهم نظر الذئب إلى فريسته التى يخاف أن تفر من بين يديه ، ووطد المسلمون العزم على استقبال الموت بثغور باسمة وقلوب مطمئنة وهم يتحرقون شوقاً إلى رؤية الجنة وما أعد الله لهم فيها من نعيم مقيم وسعادة خالدة

— إنزلوا واعطوا بأيديكم ، ولكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم أحداً ...

سمع المسلمون هذا البلاغ ، فوقفوا واجمين للمرة الثانية ، وفكروا فى هذا الذى قاله المشركون ، أهو قول صدق وشرف ، أم هو مَيْن وخديعة ؟ ومتى كان المشركون يصدقون فى أقوالهم ويوفون بعهودهم ؟ وهل يجدر بالمسلم أن يركن إلى مثل هذا الوعد ؟

أسئلة متوالية ، جالت فى خواطر المسلمين فى تلك اللحظة الرهيبة الحاسمة ، ولبثت تطلب جواباً ، وفكروا قليلاً ثم اتجهوا بأبصارهم إلى رئيسهم ليسمعوا جوابه ، وليعرفوا موقفه ، فما لبث أن خاطبهم بقوله :

(١) حى من هذيل

(٢) الفدفد هو الرابية المشرفة

— أما أنا ، والله لا أنزل فى ذمة كافر ، اللهم أخبر عنا نبيك

وانتظر المشركون قليلاً ، ليعلموا أثر كلامهم فى نفوس المسلمين وليسمعوا جوابهم ، ولم يطل بهم الانتظار ، إذ وجهوا نبالهم إلى صدور المسلمين وأطلقوها فأصابت عاصماً وسبعة من أصحابه سقطوا شهداء فى سبيل الله ، وطارت أرواحهم الطاهرة لترفرف فى سماء الخلود ، وتحظى بنعيم الله الأبدى ، وبقى منهم ثلاثة لم يكتب لهم أن ينالوا ما نال إخوانهم من شرف الشهادة ، فأرادوا أن يضحوا بأنفسهم فى سبيل تجربة أحبوا أن يقوموا بها ، وفى سبيل درس رغبوا أن يستفيد منه المسلمون بعدهم ؟ تُرى هل يفى المشركون بتعهدهم ويصدقون وعدهم ؟ ما دمنا على أبواب الآخرة فلنقم بهذه التجربة ، ونزلوا فسلموا أنفسهم على العهد والميثاق ، ولم يكد المشركون يستمكنون منهم ويعلمون أنهم صاروا فى قبضتهم حتى أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فصاح أحد المسلمين :

— هذا أول الغدر ، والله لا أصحبكم ، إن لى أسوة بأصحابى الذين قتلوا

وأبى أن يسير معهم فقتلوه ، وساقوا الاثنين الباقيين ، وكان أحدهما يدعى خبيب بن عدى ، صمم على أن يتم التجربة التى بدأ بها مهما كلفه ذلك من المتاعب ليرى نتيجتها ، وليختم الدرس الذى أحب أن يستفيد منه المسلمون

* * *

— من هذا الذى أراه عندك يا ماوية [١]

— هذا أسير لدىّ . ألا ترين القيد فى رجليه ؟

— ما اسمه ؟

— إنه يدعى خبيب بن عدى الأنصارى

— وماذا جاء به إلى دارك ؟

— أغار قومى على نفر من المسلمين فقتلوهم وأسروه وابتاعه بنو الحارث بن عامر [٢] ، إذ يقال إنه هو الذى قتل الحارث يوم

(١) هى ماوية مولاة حجير بن أبى إهاب ، أسلمت فيما بعد

(٣) وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لأمهما حجير بن أبى إهاب

بدر ، وأبقوه عندى حتى تنقضى الأشهر الحرم ليقتلوه

— وكيف رأيت سيرته ومعاملته ؟

— أشهد أنه لمن أفضل الناس وأشرفهم ما عهدت فيه الكذب ولا الفحش فى القول ، وما رأيت منه إلا اللطف والدعة والمعاملة الحسنة ، ما دخلت عليه فى ساعة من ليل أو نهار إلا رأيته يقوم ويقعد ويخر ساجداً ، فسألته عن ذلك فأجابنى : أنه يعبد الله ويصلى له ، وهو يرتل كل ليلة كلاماً جميلاً يسميه القرآن بصوت عذب فتننى وفتن كل النساء اللائى سمعنه وإنهن ليجتمعن عندى فى كثير من الأحيان فيسمعن صوته فيبكين وترق له قلوبهن ، وإنى لأقول له : هل لك من حاجة ؟ فيجيبنى قائلاً : لا ، إلا أن تسقينى الماء العذب ، ولا تطعمينى ما ذبح على النصب وتخبرينى إذا أرادوا قتلى

— أهو كثير الجزع من الموت يا ماوية ؟

— كثير الجزع ؟ إنى لم أره ذكر الموت إلا ابتسم وطرب ، ولقد عجبت من حاله هـذه فسألته عنها فقال : أو لا يسر ويطفر طرباً وسروراً من ينتقل من دار شقاء إلى دار نعيم وهناء ؟ إنى إذا مت انتقلت إلى جنة عرضها السموات والأرض فلم لا أبتسم وأسر

فحدقت المرأة فى وجه مضيفتها وقالت متعجبة :

— عجيب أمر هذا الرجل ، إنى لا أعرف رجلاً آخر بهذه الشمائل والصفات إلا أن يكون من أصحاب محمد

فاقتربت ماوية منها وسارتها قائلة :

— إنى أقسم لك أنى رأيته أمس بعينىّ هاتين يأكل قطفاً من عنب وهو موثق فى الحديد ولا يدخل عليه أحد غيرى وما أراك مصدقتى فيما أقول

فضحكت المرأة وقالت :

كيف تريدين منى أن أصدقك يا ماوية وليس هذا أوان العنب وما فى مكة كلها من ثمره شىء ؟

— هذا ما أعجب له ، وأقسم أننى غير واهمة ولا متخيلة ، وما أدرى تفسير ذلك

ونهضت ماوية فحملت ما عندها من طعام ، ودخلت به على السجين ، ووضعته بين يديه ، وانتظرت حتى أتم صلاته ، فالتفت إليها وابتسم ، وتناول الطعام من يدها دون أن يفوه بكلمة

ولم يرق لماوية صمته فقالت له :

— هل لك من حاجة ؟

فقال : لا ، إلا أن تسقينى الماء العذب ، ولا تطعمينى ما ذبح على النصب ، وتخبرينى إذا أرادوا قتلى

ولما علمت أن جوابه لن يتبدل ، طمأنته وتركته

* * *

— يا للهول ! ماذا ترى عيناى ؟ أهـذا جزاء إكرامى لك وثقتى بك ؟

— خفضى عليك يا ماوية ، إننى لا أزال عند حسن ظنك بى

— أتقول هذا ، وابنى فى حضنك والموسى فى يدك ؟ ليتنى لم أعرك هذا الموسى

فابتسم الأسير وأجابها قائلاً :

— لا تغضبى هكذا يا ماوية ، إننى لم أطلب منك إعارتى هذا الموسى لأقتل به ابنك ، معاذ الله أن أفكر فى هذا العمل الشائن ، إن دينى يمنعنى من ذلك يا ماوية ، وما كنت لأفعل ذلك ما حييت ؛ ولـكن ابنك حبا حتى وصل إلىّ ، وجلس على ركبتى ، وكان الموسى فى يدى ، فلاطفته وداعبته ، ولم يخطر لى أن أمسه بأذى ، ولعلك ذكرت واقعة الأمس فجزعت ...

— أجل يا خبيب ، ذكرت مزاحك بالأمس عندما طلبتَ منى أن أعيرك الموسى ، وقلت لى عندما صار فى قبضة يدك : قد أمكن الله منك ... أتدرى أنك أخفتنى بهذا المزاح ؟

— إنك لم تعرفينى بعد، ولا أراك تعرفيننى إلا يوم تُسلمين ، فتنجلى لك إذ ذاك حقيقة المسلم . والآن دعينى وشأنى ، إننى أريد أن أستعدّ للموت ، ألم تقولى لى إنهم أزمعوا قتلى اليوم ؟

— بلى

ولم تمضِ ساعة حتى أقبل القوم يهرولون ، حاملين حرابهم ونبالهم ، وهم مستبشرون فرِحون ، ولما دخلوا على خبيب فكوا القيد من رجليه وقالوا له :

— هلم يا خبيب ، استعد للموت ، إنه ليزعجنا أن تبقى حياً إلى اليوم ، ولولا الأشهر الحرُم لقتلناك يوم أسرك

فرفع خبيب رأسه ، ونظر إليهم طويلاً ، وكانت الابتسامة لا تفارق شفتيه ، ثم أطرق ولم يُجب

ولـما خرجوا به إلى ساحة الاعدام وأجمعوا على قتله التفت إليهم قائلاً :

— هل تأذنون لى أن أركع ركعتين قبل أن أموت ؟

فنظر بعضهم إلى بعض فى دهشة وعجب وقالوا : أتصلى وأنت على هذه الحال ؟ ألا ترى الخشبة التى سنصلبك عليها ؟ ألا ترى رماحنا ونبالنا مصلتة عليك ؟ ألا تبكى وتطلب الصفح والعفو ؟ إفعل ما شئت .

فقام خبيب بين يدى الله ، متوجهاً بقلبه وجوارحه إليه وصلى صلاة كلها اطمئنان وكلها خشوع ، لم يضطرب قلبه ، ولم يتلجلج لسانه ، ولم يتبدل لون وجهه ، وكان فى صلاته هادئاً ساكناً آمناً ولما انتهى التفت إليهم وقال بصوت هادئ عذب :

— والله لولا أن تحسبوا أن مابى جزع لزدت . اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً ثم أنشأ يقول :

لقدجمع الأحزاب حولى وألبوا   قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم   وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو كربتى بعد غربتى
وما جمع الأحزاب لى حول مصرعى
وقدخيرونى الكفر والموت دونه   وقد ذرفت عيناى من غير مجزع
وما بى حذار الموت إنى لميت   ولكن حذارى جحم نار ملفع
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ   يبارك على أوصال شلو ممزعْ
فلست بمبدٍ للعدوّ تخشعاً   ولا جزعاً إنى إلى الله مرجعى
وَلست أبالى حين أقتل مسلماً   على أى جنب كان فى الله مصرعى

ولم يكد يتم الأبيات ويستغفر الله ويذكره حتى رفعوه على الخشبة وأوثقوه بها فقال :

— اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يُفعل بنا

وبدأ المشركون يرمونه بنبالهم ويطعنونه برماحهم ، فلما بضع لحمه وسال دمه قالوا له :

— أتحب أن محمداً مكانك ؟

فأجابهم وهو يغالب نفسه من الألم :

— والله ما أحب أنى فى أهلى وولدي وأن محمداً صلى الله عليه وسلم شيك بشوكة .

الله أكبر ، هكذا فليكن الإيمان ، وهكذا فليكن حب محمد صلى الله عليه وسلم ، أما والله لو لم يكن لخبيب إلا هذا الموقف لكفاه شرفاً ونخراً وخلوداً ، وإن رجلاً فى مثل هذا الموقف وعلى مثل هذه الحال ، بين الحياة والموت ، يجيب بمثل هذا الجواب لهو مسلم بكل ما فى كلمة الإسلام من معنى ، وبأمثال خبيب هزم المسلمون — على قلتهم — جيوش الشرك والطغيان والظلم وفتحوا ثلاثة أرباع العالم ، وبنوا حضارة ونشروا ديناً سيبقى لواؤه مرفوعا فى مشارق الأرض ومغاربها إلى يوم القيامة

« دمشق »   **ناجى الطنطاوى**

على قبر زوجها

للأستاذ محمود الخفيف

صلّتْ لدى أحجارِه خاشعهْ … يا قدسَ هذي الصلاهْ
اللهَ للزائرةِ الجازعهْ … كم هدهدتْها يداهْ
تطوفُ في نظرتِها الضارعهْ … بنفسِها كلُّ طيوفِ الحياهْ
والصمتُ في وقفتِها الرائعهْ … يا عينُ لا يبلغُ نطقٌ مداهْ!

كم يسحرُ الأنفسَ هذا الجمالْ … بين الضنى والحزنْ
كأنما تبرزُ تلكَ الظلالْ … من سرِّهِ ما كمنْ!
والموتُ يُلقي من سماتِ الجلالْ … ما علقَ القلبُ بهِ وافتتنْ
ما كانَ إلا الصِّبي والدلالْ … والحبُّ والزينةَ هذا البدنْ

واهاً لهذا الملهمِ القادرِ … السحرُ في ريشتهْ!
لو طفتُ بالواقعِ لا الخاطرِ … ما زاد عن صورتهْ
لا ينثني عن سحرِها ناظري … إلا هفا قلبي إلى رؤيتهْ!
كم تلدُ الأوهامُ للشاعرِ … في مسحةِ الفنِّ وفي لمحتهْ

وجومُ هذي الغادةِ المطرقهْ … كم رفَّ قلبي لهُ
ألمحُ فيهِ لهفةً موبقهْ … ترسمُ لي هولَهُ
في شفتيها لوعةٌ محرقهْ … من فادحٍ ما جزعتْ قبلَهُ
ممسكةً إياهما مطبقهْ … في موقفٍ ما إنْ رأتْ مثلَهُ

يا رحمتا للزوجةِ الثاكلِ … تأسى على إلفِها
ذكراها عيشُ الهوى الزائلِ … يزيدُ في لهفِها
والوجدُ في هيكلِها الناحلِ … تحملُهُ ضعفاً على ضعفِها
كم عندَ هذا الأثرِ الماثلِ … تبتعثُ الوحشةُ من خوفِها

إلا ترقْ دمعاً على قبرِهِ … فقلبُها دامعُ
كم حاولَ الدمعَ فلم يجرِهِ … من فرطِهِ جازعُ
ما يشبهُ الصبرَ على ثغرِهِ … والهمُّ في أحشائِهِ لاذعُ!
لو باحَ بالمكنونِ من سرِّهِ … ما ملكَ الدمعَ لهُ سامعُ



قد ختمَ الموتُ على حبِّهِ … فما لهُ من فناءْ
يا وجهَها ما إن تبدَّتْ بهِ … إلا معاني الوفاءْ
يا صدقَ هذا الحبِّ في هدْبِهِ … يا روعةَ الوجدِ بهِ والولاءْ!
أحسبُ هذا القلبَ في وثبِهِ … يخفقُ لا في الأرضِ بل في السماءْ

عزاؤها في الأرضِ هذا الأثرْ … تسعى لهُ زائرهْ
يا حفرةً من تحتِ هذا الحجرْ … طافتْ بها ناظرهْ
يا وطراً ما مثلُهُ من وطرْ … تحيا عليهِ الزوجةُ الذاكرهْ
أنّى لها من دونِهِ مصطبرْ … في عيشةٍ باتتْ بها سادرهْ؟

ذِكْرَاتُهَا أَنَّ بِهَذَا التُّرَابْ ... حُطَامَ أَوْصَالِهِ
كَمْ تَصِلُ القَلْبَ بِهَذَا اليَبَابْ ... وَهْمٌ أَطْلَالِهِ
يُطْفِئُ هَذَا الذِّكْرُ بَرْحَ العَذَابْ ... فِي قَلْبِهَا المُسْتَسْلِمِ الوَالِهِ
مَنْ فَاتَهُ فِي العَيْشِ عَذْبُ الشَّرَابْ ... يَعِيشُ بِالوَهْمِ عَلَى آلِهِ

أَنَّى لَهَا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلُ ... يَوْمًا بِهَذِي الدُّنَى
مَا إِنْ لَهَا سُؤْلٌ وَلَا مَأْمَلُ ... بَعْدَ ذُبُولِ المُنَى
هَيْهَاتَ يَفْنَى حُبُّهَا الأَوَّلُ ... أَيُّ هَوًى يَنْسَخُ هذا السَّنَا ؟
مَا حَمَلَ القَلْبُ وَمَا يَحْمِلُ ... بِرَسْمِهِ لِلْعَيْنِ هذا الضَّنَى

يَا قِطْعَةً مِنْهُ بهذا الوُجُودْ ... هَلْ دُونَهُ مِنْ أَمَلْ ؟
تَرِفُّ فى مَرْآهُ بِيضُ العُهُودْ ... وما انطَوَى مِنْ جَذَلْ
يَا لَمْحَةَ المَاضِي وَرَمْزَ الخُلُودْ ... والمُرْتَجَى فى عَيْشِهِ المُقْتَبَلْ
بِأَيِّ سُؤْلٍ أُمُّهُ لَا تَجُودْ ... أَيُّ عَنَاءٍ فِيهِ لا يُحْتَمَلْ ؟

يَا لَاعِبًا بِالزَّهْرِ فِي يَوْمِهِ ... لم يَدْرِ غَيْرَ الزَّهَرْ
لَمْ يَدْرِ بَعْدُ الشَّوْكَ مِنْ يُتْمِهِ ... أَوْ يَلْقَ وَخْزَ الإِبَرْ
فى شُغُلٍ بِالزَّهْرِ عَنْ أُمِّهِ ... وعن دواعى وَجْدِهَا بالصِّغَرْ
وُقِيتَ مَا يَخْبَأُ مِنْ لُؤْمِهِ ... دَهْرٌ كَفَى مِنْ لُؤْمِهِ ما ظَهَرْ

يَا حَالِمًا مَا أَيْقَظَتْهُ الحَيَاةْ ... يَا لَاهِيًا لَا يَعِي
يَزِيدُ مَعْنَى يُتْمِهِ أَنْ أَرَاهْ ... فى ذَلِكَ المَوْضِعِ !
غَدًا بِهَذَا القَفْرِ يَبْكِي أَبَاهْ ... يَسْقِي تُرَابَ القَبْرِ بِالأَدْمُعِ
وَيُوجِعُ القَلْبَ حَدِيثُ الرُّوَاهْ ... عَنْ ذَاهِبٍ وَلَّى وَلَمْ يَرْجِعِ

لا تَحْبِسِي الدَّمْعَ عَلَى قَبْرِهِ ... أَيَّتُهَا الجَازِعَهْ
عِظَامُهُ تَهْفُو إِلَى قَطْرِهِ ... طُوفِي بِهَا دَامِعَهْ
تَوَدُّ لَوْ تَمْضِي لَدَيَّ ذِكْرِهِ ... جُفُونُهَا طَائِعَهْ هَامِعَهْ
فَيَغْلِبُ الدَّمْعُ عَلَى أَمْرِهِ ... وَالنَّارُ فى مُهْجَتِهَا لَاذِعَهْ

الخفيف

من برج بابل

قرأت فى إحدى رسائل الأدب هذه النادرة اللطيفة : « أهدى إلى ملك الهند ثياب وحلىّ ، فدعا بامرأتين له وخيّر أحظاهما عنده بين اللباس والحلية . وكان وزيره حاضراً ، فنظرت المرأة إليه كالمستشيرة له ، فغمزها باللباس تغضيناً بعينه ، فلحظه الملك . فاختارت المحظية الحلية لئلا يفطن للغمزة . ومكث الوزير أربعين سنة كاسراً عينه ، لكى تقر تلك فى نفس الملك ، وليظن أنها عادة أو خلقة لازمة . وصارت الثياب للأخرى » . قد يلتمس العذر لذاك الوزير المسكين بخوفه من غضب الملك وبطشه وحرصه على منصبه . ولكن ما عذر من يلزم النفس طائعاً مختار حركات وإشارات ونبرات وانتحال صفات دخيلة على الطبع الأصيل ، فتنقلب الفتاة أو الشاب إلى قرد يقلد أو غراب يحاكى الطاووس ! إن أشد ما يخدع المرء نفسه أن يتكلف ما يشذ عن طبعه ، ويجرده من شخصيته التى تميزه من غيره . إنما يدل ذلك على احتقار المرء نفسه واعتبارها من التفاهة بحيث تلغى وجودها وتستعير غيرها . وما عرف زمن كهذا العصر الميكانيكى الذى كثر من يخرجون فيه على غرار واحد كما تخرج الآلة صنوف الألوان والأنماط من متشابه المنتجات . ولعل مرجع هذه الظاهرة « الآلة السينمائية » أيضاً ! فإن ما يزينه المرجون والدعاة للمتهافتات والمتهافتين أغرى فتياتنا وشبابنا بمحاكاة ما يصدر عن هذه الشخوص من حركة ترى أو لهجة تسمع . ولقد أصبح المثل الأعلى اليوم للفتاة والفتى بطلاً موهوماً أو نجمة لا سماء لها . وأضحى الجميع على إلمام دقيق بحياة الممثلات والممثلين مما لم يظفر به درس بطل من أبطال التاريخ ورجال الإنسانية . إن هذه الفطرة السليمة البسيطة التى تتجلى فى حركات أخواتنا الريفيات لما يحملنا على الميل إليهن والإعجاب بخلالهن الكريمة النقية . فكما تزهو فى ربوعهن الناضرة الوردة والوردة ، وشتان ما بينهما من نسق ورواء وشذا ، أو الشجرة والشجرة ، وشتان ما بينهما من ثمر وجنى ؛ كذلك ترى الفتاة والفتاة، وشتان ما بينهما من سناء وسنا

مارى نسيم

إيـــــران
فى القديم والحديث
للأستاذ مصطفى كامل

تتمتع إيران بفضل ارتفاعها عن سطح البحر كثيراً واتساع رقعتها بمناخين متمايزين ، أحدهما المناخ المعتدل ، وثانيهما المناخ الاستوائى . وقليل من بلاد العالم فى مثل اتساع رقعتها يستطيع أن يزهى بمثل هذا التباين فى المناخ، فبينا تكثر الأمطار فى الولايات الشمالية الثلاث التى تحد بحر الخزر ، فإنها لا تسقط فى الجنوب إلا فى فصل الربيع . أما هضبة إيران نفسها فإنها منطقة المناخ المعتدل .

وإيران من البلاد ذوات المدنيات القديمة ، فالاكتشافات التى تمت حديثاً فى السوس تدل بجلاء على أن العلاميين وهم من الجنس الآرى قد بلغوا مدنية مزدهرة فى عهد يمكن تحديده بأربعة آلاف سنة قبل المسيح .

وقد حل الفرس أول ما حلوا بالقرب من إيلان على هضبة إيران ، ثم قام واحد منهم فنال السلطان ، ثم جاء بعده شيروس فتوج ملكاً عام ٥٥٨ قبل الميلاد ، وقوض امبراطورية ميديا بعد عام ، وبعد أن تحالف مع الكلدانيين والمصريين دمر سطوة كرزوس ملك ليديا الذى كان يقلقه ، ثم فتح آسيا الصغرى ولم يلبث أن صار سيد كل آسيا الشرقية بلا منازع و كوّن امبراطورية لم يسبق أن كان لها مثيل.

على أن امبراطورية إيران بلغت ذروة المجد تحت حكم داريوس الأول ، ونالت التنظيم الإدارى الكامل واتسعت آماد حدودها اتساعاً كبيرا .

ولم يعرف العالم ملوك إيران بالفتوحات فحسب ، بل عرفهم كذلك بما بذلوه من الجهود لرخاء أممهم .

واحتفظت إيران فى جميع العهود ، حتى فى العهد الإسلامى ، بطابعها واستقلالها الوطنى ، فقامت تحت حكم الصفويين وخاصة عباس العظيم بتقدم باهر ، وبلغت الهندسة والفن أوجهما فى عهده لكن إيران أخذت تنزوى بعد ملوك الصفويين شيئاً فشيئاً عن العالم ، وبدأت طرق القوافل القوية الجليلة تعبث بها أيدى الإهمال ، وتناسى آخر الملوك القاجاريين الفوائد التى كانت تعود على البلاد من موقعها الطبيعى فى طريق مرور التجارة ، ودفعوا أمتهم بسبب عدم قدرتهم إلى الانحطاط ، لأن الرجل القوى الممتاز كان ينقصهم . . . إلى أن وجد العاهل الحالى ، فكون رضا شاه ، تحت اسم بهلوى الأول ، الأسرة الحاكمة الجديدة . وسيسجل التاريخ بحروف كبيرة اسم هذا الشاه العظيم الذى جمع فى شخصه رئيس الجيش والمشرع والمنظم والمصلح



ينحدر جلالة الأمبراطور من أقدم وأنبل أسر إيران التى قطنت البلاد منذ أبعد العصور، وجلالته من مقاطعة سافاد كوه التى يمثل أفرادها أنقى العناصر الإيرانية التى عرفت على مدى عصور التاريخ وفى مختلف الحوادث بالبطولة تارة وبالوطنية أخرى وانتظم فى السلك العسكرى طبقاً لتقاليد أسرته، فتقلد المناصب المختلفة فيها ودرج فى مراتبها حتى ولى قيادة الجيش العامة ، ثم لم يلبث أن قلد منصب وزارة الحربية إلى أن تولى العرش فى نهاية عام ١٩٢٥ .

ومنذ ولى الملك أيقظ روح النشاط الكامنة فى شعبه بعد أن أشفى على الهوة وأحيا أملها وقوى يقينها ، وبدأت الإصلاحات تتوالى فى جميع نواحى النشاط الوطنى .

لكن عمله لم يقتصر على إمداد شعبه بالأمل وتأييده بنفسه فى تحقيق الإصلاحات فإن أكثر أثره فى وضعه الأسس القوية لقيادة شعبه نحو مستقبل رخى عظيم جدير بماضيه المجيد .

وكانت أولى جهوده العناية بالجيش ، فأصدر قانون التجنيد الذى يلزم كل إيرانى بالخدمة فى الجيش ، وأنشأ المدارس العسكرية وأرسل البعثات إلى أوربا لاستكمال التعليم العسكرى ؛ ثم وجه التفاته نحو تكوين قوة الطيران العسكرى ؛ وفى طهران مدرسة يذهب عدد وافر منها كل عام إلى أوربا . ثم أنشأ القوة البحرية لتأمين الشواطىء الإيرانية فاستطاع أن يحقق طمأنينة البلاد منذ سنين .



صاحب السمو الامبراطورى ولى العهد فى سنة ١٩٣٤

وأما عمله فى ميدان السياسة فإنه استطاع أن يعقد اتفاقات عادلة على أساس من المساواة بدل تلك الاتفاقات الجائرة التى فرضتها الدول الأجنبية على بلاده فى عهد تدهورها .

وأولى أمور العدل عنايته كذلك ، فقام فيها بإصلاح كبير وسن القوانين فى زمن وجيز ، كان منها القانون المدنى والتجارى والتحكيم الإجبارى كما وضع المحاكم الدينية تحت رقابة الحكومة الرسمية وحدد لها اختصاصاً ضيقاً ؛ ثم استطاع أن يلغى فى عام ١٩٢٧ القضاء القنصلى والامتيازات الأجنبية .

ونالت مالية البلاد إصلاحات هامة فتعادلت الميزانية بعد استتباب الأمن وانتظام الحكم ، وبعد أن كانت الضرائب لا تجبى أو سيئة الجباية لضعف الحكومة واختلال الأمن .

وتعد مالية إيران من أسلم ميزانيات العالم ، والدولة لا تشعر برهق فى مواجهة أعبائها ، فماليتها تسمح لها بتحقيق مشروعاتها فى الإصلاح والمدنية

أما مسائل التعليم فتلفت النظر حقاً ، فقد شمل التعديل والتنظيم أموره وأصبح يجارى العصر الحديث كما تضاعفت ميزانيته وازداد عدد التلاميذ زيادة ضخمة

والتعليم إجبارى للأطفال من سن ٦ — ١٣ ذكوراً وإناثاً ، ومدة التعليم فيها ست سنوات فى المدن وأربع فى القرى ، بغير أجور فى المدارس العامة أو بأجر طفيف فى المدارس الخصوصية

أما مدة التعليم فى المدارس الثانوية فست للذكور وخمس للبنات ، والتدريس فيها على غرار المدارس الفرنسية خاصة

ومعاهد التعليم العالى الآن هى كلية الطب وطب الأسنان والصيدلة ، وكلية الحقوق والعلوم السياسية ، وكلية التعليم والزراعة ثم معاهد الفنون والصنائع والتعدين ، والتجارة والدباغة والفنون للبنات وغيرها من المعاهد

وأنشأ نظام البلديات ، فاستطاعت مدينة طهران بفضل بلديتها الحديثة أن تقوم بإنشاء المستشفيات والملاجىء ودور الإسعاف ودور الأمومة على منوال يضارع العواصم الأجنبية ، وخطت الحدائق والميادين على أجمل نظام، وشقت الطرقات فى أنحاء المدينة فسهلت ميادين العمل ، وشيدت بنايات على أحدث طراز

ولا تقل باقى المدن الأخرى فى إيران شأناً عن العاصمة فى نواحى الاصلاح فعاد الجمال والسحر إلى البلاد التى اشتهرت بهما بفضل هذه الجهود المتضافرة

واهتم جلالته كذلك بالأمور الزراعية ؛ فتربة إيران غنية ومحصولاتها منوعة، وعنى خاصة بذراعة القطن أخيراً وزراعة الشاى وقام بإجراءات هامة لزيادة إنتاج البلاد من بينها إنشاء مدرسة الزراعة كما أنشأ مدارس نموذجية لتعليم الناس استخدام الوسائل العصرية

ولا يقل نشاط الحكومة فى ميادين الصناعة عما ذكر فأولت عنايتها خاصة لإنمائها فقامت معامل الصناعة فى مختلف البلاد منها

معامل السكر التى تكفى حاجة البلاد ، ومعمل الأسمنت ، ومصانع النسج والدبغ والصابون والكبريت ، ومصانع السجاد التى اشتهرت بها إيران فى العالم

وأرض إيران غنية بالمناجم ، فيها الحديد والرصاص والنيكل والنحاس والزنك والزئبق والمنغانيز . كما دلت الأبحاث على أن بها الذهب والفضة والبلاتين . كما يوجد بها البوتاس والفحم الذى يستخرج بانتظام وبطريقة علمية

على أن أوفر منتجات مناجمها البترول مما يضعها بين أغنى بلاد العالم

ولم يفت جلالة الأمبراطور أن يهتم بطرق المواصلات . ولو عرفنا أنه شق أكثر من ٢٧ ألف كيلو متر من الطرق المنتظمة الواسعة رغم وعورة البلاد وطبيعتها الجبلية لأدركنا عظم الجهود التى بذلها

وامتدت كذلك أسلاك التلغراف كما أنشأ محطة لاسلكية قوية تتصل بأكبر محطات العالم، كما أن بها الآن خطى الطيران، بين باريز والهند الصينية ، وبين أمستردام وبتافيا

هذه هى لمحة عاجلة عن أعمال الامبراطور . كان عمله فى كل ناحية خلقاً . كانت إيران ميتة ، أما الآن فقد دبت فيها الحياة

الفن الايرانى

تعتبر أصفهان — مدينة الملوك الصفويين وعاصمة فارس مدى أحقاب طويلة — من ألطف بلاد إيران بفضل قصرها العجيبين ، وجسورها الرائعة ، وهيا كلها الفخمة الفنية ؛ فان النقوش والتصاوير التى على جدرانها أعجب ما عمل من نوعها ، والسياح الذين يسافرون بين أصفهان وشيراز يعجبون بمجموعتين نخمتين من الهياكل

والبحوث التى تمت فى السنين الأخيرة كشفت عن نقوش عجيبة دلت على ثروة هائلة من المعلومات التاريخية ، ورفعت النقاب عن آثار جميع المدنيات التى تعاقبت على أرض الفرس

وعلى مقربة من هذه المنطقة تقع مدينة شيراز حيث يوجد قبرا الشاعرين الكبيرين : السعدى وحافظ ، كما يوجد غيرهما هيا كل أثرية وأعمال فنية على جانب كبير من الأهمية

وهذه الولاية وولاية فارس كانتا مهد العظمة الفارسية قبل الإسلام ، وتوجد فى أزربيجان جوامع جميلة جداً ، كما توجد قبور الملوك الصفويين العظيمة



صاحب السمو الامبراطوري ولى العهد فى سن السابعة

وعلى شاطئ أراكس فى الجنوب الشرقى من أصفهان فى سهل مردخب الحالى الفسيح ، حيث ترى إلى الآن خرائبها ، كانت تقوم برسيبوليس التى كانت عاصمة الإمبراطورية الفارسية العظيمة منذ ألفين وخمسمائة عام ، وكان ينضوى تحت لوائها عشرون ولاية ، تمتد حدودها من فارجيانا Farg Kiana فى الشمال الشرقى إلى الحبشة فى الجنوب الغربى ، والبلقان فى الشمال الغربى إلى السند فى الجنوب الشرقى

الأدب الفارسى

كان الأدب الفارسى زاخراً فى كل وقت ، ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة عهود ، العهد الدينى ، وعهد الملاحم ، وعهد الشعر الغنائى ، ويكمل هذه الأنواع الثلاثة أدب المسرح والقصة

وقد خضعت اللغة الفارسية لعدة تعديلات ، فقد ظلت

الإيرانية القديمة اللغة الرسمية إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وهى لغة ساذجة فقيرة

ثم تطورت بعد ذلك إلى اللغة البهلوية ، وهى مزيج من الإيرانية القديمة والعناصر السامية ، وبقيت هى اللغة الوطنية إلى الفتح الإسلامى

على أن اللغة الفارسية الأخيرة لم تولد إلا فى القرن العاشر ، حين دخل على الروح الفارسية تطور أساسى ، فبعد أن كانت محض لغة دينية أصبحت لغة أدب ، وصار الشعراء محل إكرام وتبجيل فى بلاط الملوك وشغلوا مناصب رفيعة

وكان الفردوسى أكبرهم وأثراهم ، تجسدت فيه الروح الشرقية بشكل عجيب ، وخاصة فى الناحية الشعرية والغرامية ، وكان شعره يزدان بالفخامة والروعة اللتين كانتا تسودان فى بلاط الملوك

ويجب أن نذكر بين الشعراء الفنائيين السعدى الذى اشتهر بكتابيه كولستان والبستان اللذين يعتبران قانون الأخلاق الفارسية حتى لقد اشتهرا فى العالم أجمع كما أن العالم كله يعرف البديعيات الساحرة التى ينشر بها هـذا الشاعر الكبير تعاليمه فى الأخلاق الدينية والإنسانية ، وإننا لنلمس تحت ستار الأمثال البديعة الدليل على إخلاصه فى إصلاح النفس والقلب الانسانى ؛ وقد يبدو أن الشاعر يعرفهما أتم معرفة لطول ما قاسى فى كثير من الملاحظة والتأمل

ويعجبنا فى السعدى حب الجمال والملاحة على الخصوص ؛ وهو على وجه خاص فنان لأنه شديد الحس ، يحيا بين الزهور ، ويحب الملابس المتألقة ، ويجمل أشخاصه بجواهر متناهية الدقة فى النقش ، ويعطرهم بالمسك والعنبر ؛ وإن يكن فنه غير فخم لكنه شديد الأناقة والرقة

وحافظ هو أحد شعراء الفرس الوطنيين الرشيقين ، وأحد الذين يفهم الغرب عنهم روح الشرقيين أحسن فهم بفلسفته الضاحكة وهزئه الساخر

ثم عمر الخيام الذى يدين بشهرته لكتابه بالمعروف الرباعيات الذى يزخر بالسخرية والشك . وقد سببت ترجمة كتابه إلى الإنجليزية ضجة فى أوربا وأميركا حتى غدت شهرته الآن تملأ الآفاق

مصطفى كامل
المحامى

نظام العالم ونظام الدول

للأستاذ طنطاوى جوهرى

الحقل والجامع الأزهر



نشأت فى قريتنا كفر عوض الله حجازى من أعمال مديرية الشرقية — شاركت أسرتنا فى أعمالها الزراعية — كان لهذه الأسرة الكبيرة اتصال حميد بعلماء الجامع الأزهر يغدون ويروحون كل عام على سراة الأسرة وأكابر القرية ، وأكابر بلدة « الغار » التى فيها أسرة أخوال والدتى ، فأثر ذلك كله فى المرحوم والدى ، فأرسلنى إلى كتّاب فى بلدة الغار وفيها جدتى لأمى ، فحفظته بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثم أرسلنى مع أقاربى إلى الجامع الأزهر لأكون كهؤلاء العلماء ، ويكون لى عمود بالجامع الأزهر مثلهم . درست علومه . هنالك أصبحت السنة مقسمة بين دراستين : دراسة أزهرية ، ودراسة حقلية . ذلك أنى سمعت فى علم التوحيد أن العالم منظم — يا سبحان الله ، لا علم عندى ، لا كتاب يهدينى ، لا مرشد يرشدنى ؛ للقوة السلطان الأعظم ، ظلم مخيم ، جهل فاضح ، فأين نظام العالم ؟ أخذت أصوم النهار ، وأقوم بالليل ، وأسأل صانع العالم أن يهدينى . أخذت أدرس الشمس والسحاب والحجر والشجر والزهر والزرع نهاراً ، وأدرس النجوم والقمر وأتأمل ذلك الجمال البديع فى ظلمات الليل المدلهمات . وأخذت أقول : لعل وراء هذا الجمال حكما وعلوماً ، فنى النهار جمال ، وفى الليل جمال . فما أسبابه وما نظامه ؟ حائر ، حائر !

دار العلوم بعد الأزهر والحقل

لم يكن ليخطر لى أن فى العالم حكمة وفلسفة تكشف اللثام عن هذا الوجود، كلا ولكن بعد اللتيا والتى أخذت أدرس الفلسفة القديمة بحذافيرها ولكنى بعد ذلك لم أزل فى موقفى الأول . أريد أن أفهم حقلنا الذى نزرع فيه القطن والقمح والذرة والبرسيم . هل هذه الأرض وما فوقها هى التى تحوى المواد الصالحة للبسنا وأغذيتنا وأغذية الحيوان ؟ وأخيراً ما هذه الطيور الجميلة المغردة المنعشة للفلاح فى حقله ؟ وأخيراً ما هذا الجمال ؟ الجمال هو الذى أخذ بلبى وأرقنى ليلاً بنظراتى فى النجوم، وأبهج قلبى نهاراً بنظراتى فى الأشجار والزروع والأزهار

اتصلت بدار العلوم فدرست فيها علم الفلك الحديث بعد ما درست القديم فى الفلسفة . هنالك دهشت أعظم الدهش وقلت فى نفسى: هذه فرصة سانحة، فهاهم أولاء علماء الأمم قديماً وحديثاً نظروا فيما كنت حائراً فيه فى حقلنا « ا » نظروا فى مقادير المادة المسماة عندهم (بالكم) المتصل والمنفصل من الهندسة وعلم الفلك ومن الحساب والموسيقى فقاسوا هذا العالم وحسبوا الكواكب أبعاداً وأحجاماً وحركات فأرونا السنين والشهور والفصول وأوقات الخسوف والكسوف — الله أكبر . نظام بديع . حركات منظمة هذه أعز مطالبى وأجل ما أتمناه . إنى لسعيد جد سعيد . كيف لا أكون سعيداً؟ ألم يظهر العلم أن أبعاد السيارات نفسها عن الشمس جاريات على سنن التوالية الهندسية كما كشفه العلامة (بود) :

٣ — ٦ — ١٢ — ٢٤ — ٤٨ الخ

« ب » ثم إن العلماء لم يقفوا عند هذا الحد من البحث فإنهم نظروا فى أشكال المادة وتنوعها فكانت العلوم الطبيعية وقد أحاطت بها العلوم الرياضية حتى إنهم رأوا فى نحو الأحجار [1] الساقطة نظاماً حسابياً يرجع إلى الجذر والتربيع والمتواليات العددية ، ويدهش الحكيم حينما يرى [2] الجذر والتربيع مسيطرين على حساب البنادل المختلفة الأطوال وحركات الضوء والصوت والحرارة والكهرباء .

---

(١) ص ١٧ من أحلام فى السياسة

(٢) ص ١٥ وما يليها من كتاب أحلام فى السياسة

نظام العناصر ونظام أوراق النبات

وقد أدهشني أن للعناصر المشهورة اليوم [المبدوءة بالأيدروجين المختومة بعنصر (أورانيوم [(١)])] جدولا يضم متفرقها ويجمل بينها نسبا أفقية وأخرى رأسية بحيث ترى أن كل عنصر لو وضع فى غير موضعه لاختل جميع النظام — ياعجبا ! أيصل النظام إلى هذا الحد ؟ أكسجين فى الماء وفى الهواء ، وحديد ونحاس فى الجبال ، وصوديوم وكلور كامنان فى الملح المغمور بالماء فى البحار ، كيف يكون لها هذا الجدول المنظم وتكون بينها هذه النسب البديعة ؟ فأما هذا الإنسان الذى له السلطان الأعظم وهو الغاية القصوى من هذه العوالم فلا يكون له نظام؟ كلا. العقل ينكر هذا — ها هنا تحل مشكلة العالم — ها هنا مركز الدائرة — ها هنا عرفنا سبب النزاع القائم بين الأسرات والممالك — هأنذا عرفت سبب الجمال فى الحقول وفى السموات نهاراً وليلاً ، فأما أسباب الشقاق والنزاع بين الناس فالبحث جار فيه الآن كما ستراه .

وكما رأينا نظام العناصر المختلفة فى جدولها تماما رأينا لأوراق النبات على الأشجار المختلفة جداول منظمة ذوات نسب فى الصفوف الرأسية والصفوف الأفقية ، ولا مناص لى من الاكتفاء بالإشارة إليها فى هذا المقال حرصاً على وقت القارئ الكريم ، وتفصيل هذا وما قبله فى كتاب أحلام فى السياسة موضحاً مصوراً تصويراً شمسياً . وهل فى شرعة الإنصاف أن تعتبر أفراد الإنسان فى هذا العالم كمية مهملة لا نظام يجمعهم ، ولا قانون يكبحهم ؟ وقد رأينا النسب والقوانين لم تذر ذرات الأيدروجين مع ذرات الصوديوم ، ولا ورقات التفاح مع ورقات الأعشاب ، ولا حركات سقوط الأحجار ، إلى آخر ماقدمنا ، كلا كلا . إن قوى نوع الإنسان وعقوله لها نسب خفية ، وكل امرئ فى الأرض له نسبة إلى غيره فى أمته وفى غيرها ، ولما خفى ذلك على الناس حاروا فى أمرهم فلم يجدوا مناصاً من الحرب لأنهم لم يهتدوا إلى نظامهم ، فكل يزعم أن له عند الآخر حقاً يريد أخذه بالقوة

منفعة جوارح الطير والحيوانات المفترسة لهذا العالم الأرضى [(٢)]

وساعد الناس على ذلك أنهم رأوا جوارح الطير تأكل بغاثها والأسود والنمور تأكل الأرانب والحملان ، فأخذ القوى يسطو على الضعيف . أوما علموا أن ههنا نظاماً درسه علماء الأمم قديماً وحديثاً ، فعلموا أن الحشرات تمتص المعفونة والرطوبة اللتين لو بقيتا لأحدثتا فى الجو فساداً فهلك الحيوان والإنسان ، وهذه الحشرات بعد تأدية وظيفتها تصبح طعاماً سائغاً للطيور ونحوها ولو بقيت لكانت ضرراً ووبيلاً . وهذه الطيور الكثيرة فى الجو والحيوانات التى تأكل النبات تهاجمها فى الحياة كواسر الطير وسباع الفلوات وتأكل رممها بعد الموت حفظاً للجو من مكروباتها وإلا يفسد الهواء وكان الوباء العام ، وروعيت الحكمة فى قلة توالد نحو الأسود وكثرة توالد نحو الأرانب والجرذان . ثم روعيت الحكمة فى الرحمة الملحوظة فى المواد المخدرة التى تفرغها العنكبوت مثلاً فى الذبابة عند اقتناصها فتكون مخدرة لاتحس بآلام

لم يفكر العامة والجهلاء فى ذلك وتبعهم رجال السياسة فى سائر أقطار الأمم الأرضية . إن هذه النظرة السطحية فى العلم قد آن أن يسقطها البرهان ويدحضها نوع الإنسان لأنهم درسوا

جمهورية الحيوان

لقد استبان للناس فى عصرنا أن للنحل وللنمل ولكلاب البحر وللغربان نظاماً عجيباً . وإن أبدع ما أدهشنى مما اطلعت عليه نظام النمل الأبيض ذلك الذى ألف فيه العلامة (أوزوريك) الألمانى فى عصرنا الحاضر كتاباً خاصاً عنوانه النمل الأبيض وانتشر بجميع اللغات فترى فيه صورة الملكة وبجانبها الملك وهو أصغر منها جثة وقد رأيتها تحكم مملكة متسعة الأرجاء وهى عمياء وتحت إشرافها عمال وجنود يحفظون الأمن ، ويشيد عمالها ممالك فى الصحارى لم يقطعها الفرنسيون بمد السكة الحديدية إلا بالديناميت وهؤلاء العمال لهم نظام فوق كل نظام وعدل، ومنهم حراس فى غاية الانتظام يقظون بل وصلوا على ما يقال إلى استنباط الماء من أوكسجين المادة وأيدروجينها ، هذا هو النظام الذى يعيش على مقتضاه النمل الأبيض الذى تدير سلطانه ملكة واحدة تحت إمرتها عدد يبلغ أضعافاً مضاعفة لعدد الإنسان على وجه الأرض .

يظن علماء العصر أن أمثال هذه الحشرات عاشت قبل الإنسان بما يزيد على ثلثمائة مليون سنة وأن الإنسان لم يعش عليها أكثر من ثلثمائة ألف سنة فتم نظام الأول ونقص نظام الثانى

---

(١) ص ٢٢ من كتاب أحلام فى السياسة وتفسير سورة العنكبوت فى تفسير الجواهر (٢) كتاب أين الانسان .

كافح الإنسان الأول أشد الكفاح ليصل إلى الحقيقة عن طريق القتال وساعده على ذلك تباعد الديار وحيلولة البحار والجبال بين الأمم — وها هو ذا اليوم أزال الحواجز بالطيارات الطائرات والتلغراف بقسميه والراديو فاتصلت الأمم فآن لهم أن يفكروا — وها هنا خاطبنا علماء الأمم وذكرناهم بأن نوع الإنسان لن يشذ عن قاعدة هذه المخلوقات — إننا نرى الحكماء والأذكياء فى نوع الإنسان أقل عدداً من غيرهم كما قل البارعون فى الجمال ، ويقول أفلاطون قديماً : الناس ذهب وفضة ونحاس يريد بذلك الحكماء ورجال الجيش ثم الزراع والعمال وأضرابهم من سائر الناس . إذاً لم يتجاوز الإنسان نظام المعادن ونظام الهواء والماء، فقد قل الذهب ليصلح لتقويم الأشياء وكثر الحديد لكثرة الحاجة إليه، كما كثر الهواء وقل عنه الماء ، فإن حاجة الحيوان إلى التنفس أكثر منها إلى شرب الماء

النظام التام فى المستقبل لنوع الإنسان

إن هنا لمنافع مادية وخواص طبيعية موزعة على الأرض ، وما حولها من المخلوقات ، وها هنا قوى وأقدار موزعات على أفراد نوع الإنسان . إن هذه المواهب الإنسانية تقابل هذه الخواص والمنافع المادية ، ولم يتسن للناس الانتفاع بهذه الخواص المادية إلا باستفراغ الجهد فى استخراج[1] تلك القوى الكامنة فى أفراد نوع الإنسان . هذه هى التى تحل مسألة السلام

فلتشكل لجنة من جميع الأمم تقوم بدراسة العامر والغامر فى جميع القارات وتجد فى أن تدرس أحوال الأمم كلها، وتمضى كل أمة على استخراج ما كمن فى عقول أبنائها من القوى والملكات وما فى أرضها من الكنوز المعدنية والزراعية وغيرها من الفوائد والثمرات ، وكل أمة قصرت فيهما أو كليهما فلترسل هذه الجمعية العامة من أبناء الأمم الأخرى الذين هم أقرب إلى هؤلاء الجاهلين من يكمل نقصهم ويرفع شأنهم فى القسمين معاً، ولهم فى نظير ذلك فوائد وثمرات، فإن كل قوة كامنة فى فرد لم تستخرج فى أى مملكة من الممالك الأرضية ، وكل منفعة كامنة فى أى بقعة من بقاع أى مملكة أرضية لم تظهر فى الوجود تكون خسارة وحرماناً لجميع نوع الإنسان فربما كان من هؤلاء المهملين فى بلاد الصين مثلاً من إذا علم أصبح مفكراً كبيراً أو طبيباً عظيماً يتعدى أثره إلى سائر الأقطار وهكذا فى البقاع المهجورة فى ممالك المعمورة

دفع وهم

ربما يقول بعض الناس : إن قياس عقول الناس ومواهبهم على نظام السيارات حول الشمس وغيرها مبحث علمى ليس إلى تحقيقه من سبيل . وللاجابة على هذا الاعتراض أوجه نظر القادة والزعماء إلى فرع من فروع علم النفس فى التربية وهو علم مقياس الذكاء. فليسألوا مديرى المدارس فى الولايات المتحدة وفى انجلترا وغيرها: أليس مقياس الذكاء له اليوم السلطان الأعظم على وضع الشبان والشابات فى الأعمال اللائقة لهم بعد نيل الشهادات العالية ، كما له ذلك السلطان أيام دخولهم المدارس ؟ إن الناس صائرون إلى ما قلناه شاءوا أم أبوا فليدرس نظام العقول ونظام الممالك، وليعلم جميع نوع الإنسان طوعاً أو كرهاً. إن من مبادئ ذلك أنهم أخذوا يصطفون من الشبان فى جميع أهل الأرض أقدرهم على المصارعة أو المسابقة فيعدونه بطلاً فى تلك المصارعة أو المسابقة ، وهكذا يفعلون مع الفتيات فيصطفون منهن ملكة الجمال وذلك بمجرد الاختيار لا بالقنابل والخناجر والرماح ، فهكذا سيكونون فى نظام السياسة وإدارة الأمم وحفظ المجموع، سنة الله التى قد خلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

طنطاوى جوهرى

(١) اقرأ كتاب أين الانسان

نعي الشتاء

للأستاذ محمود غنيم

تعادلَ الليــــلُ والنهارُ　　وأدركَ القُرَّ الاحتضارُ
وراح فصلُ الشتاء يهوى　　فى هُــوَّةٍ مالها قرارُ
ياصفرة الموت أدركيه　　ليكسُوَ الأرضَ الاخضرارُ
كم ارتدينا فما وقانا　　منه شعارٌ ولا دثارُ
لا كان . هل فيه غيرُ برق　　من عينه يَقْدَحُ الشرارُ
وغيرُ رعــدٍ يصكُّ سمعى　　كأنما صــوتُه خُوارُ ؟
يا من رأى قبله صريعاً　　غنَّى على رأسه الهزارُ ؟
أما ترى السُّحْبَ يوم ولّي　　حفتْ لها أدمعٌ غِزارُ ؟
لا يُثْلجُ الغيثُ حين يَهْمى　　صدرى ولو جفتْ الثمارُ
وإن تغنتْ به نميمٌ　　وسبَّحت باسمه نزارُ
الدفء والضوء أين راحا ؟　　لينكشِفْ عنهما الستارُ
والطيرُ والأيكُ أين غابا ؟　　لينتفضْ عنهما الغبارُ
كم من نهار — مضى — عليه　　ثوبٌ من الليل مستعارُ
رياحه آذنت بحرب　　فالنقعُ فى جوِّه مُثارُ
كأن شمس الشتاء ظبيٌ　　من طبعه الدَّلُّ والنِّفارُ
أو وجهُ عذراءَ ذاتِ خدر　　تظنُّ أن السفورَ عارُ
لا بدره إن بدا لُجَيْنٌ　　كلا ولا شمسهُ نُضارُ
كم أصبح الفحْمُ — وهو فَحْمٌ —　　كالزاد لم تَخْلُ منــه دارُ
كلُّ امرئ كالمجوس فيه　　أمامه موقــدٌ ونارُ
نجومــهُ قد مشين حبوًا　　وشمسُه جرَّها البخارُ
إن جَنَّ فيه الدجى انصرفنا　　فالأرضُ من أهلها قِفارُ
وبات كل امرئ سجينا　　فى داره حــوله حِصارُ
يا ليت أعمارَنا ربيــعٌ　　صِرْفٌ ولو أنها قِصارُ
لهــفي على معشَر إذاما　　دارت عروسُ السماء داروا
مَشَوْا معَ الشمس، كلُّ فصل　　لهم به كعبةٌ تُزارُ
كم ضاق مشتى بهم وجادت　　لهم بشطآنها البحارُ
قد لقفَ المالُ كل جوٍّ　　فــلا صقيعٌ ولا أوارُ
وبات فى الحالتين يشقى　　من خانه منزلَ اليسارُ

محمود غنيم

وحى الربيع

أنفـــاس مرتعشة !

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

إنْ رَأَيْتِ الكَرْمَ تَسْتَيْقِظُ فى الوَادِى حَيَاتُهْ
وَحَدِيثَ الحُبِّ فى الأَعْشَاشِ ذَاعَتْ هَمَسَاتُهْ
وَرَنِينَ البَــاغِمِ المَسْحُورِ نَشْوَى نغمَاتُهْ
وَحَنِينَ الجَوِّ فى الشُّطْآنِ رَفَّتْ سَبَحَاتُهْ
وَالْهَوَى فى مَعْبَدِ العُشَّاقِ عَادَتْ صَلَوَاتُهْ ...

... مِثْلَهَا عُودِى إلَيَّا
وَاسْكُبِى النُّورَ لَدَيَّا
وَالرَّحِيقَ العَبْقَرِيَّا
عَــلَّ أَقْدَاحَ الأَمَانِى　　تُسْعِــدُ القَلْبَ الشَّقِيَّا

***

وَإِذَا بُسْتَانُكِ الهَاجِرُ غَنَّــاهُ الخَيَالُ
وَجَنَــا السِّحْرُ بِدُنْيَاهُ وَنَاغَاهُ الدَّلَالُ
وَانْتَشَتْ مِنْ طُهْرِكِ العَالِي بِشَطَّيْهِ الظِّلَالُ
وَأَتَاكِ الشِّعْرُ يُذْكِيهِ حَنِينٌ وَابْتِهَالُ
كَنَبِيٍّ تَحْتَ أَنْوَارِكِ غَشَّاهُ الجَلَالُ ...

فَاذْكُرِينِى فِي جِنَانِكْ
عَلَّ فَيْضًا مِنْ جَنَانِكْ
أَوْ صَبَاحًا مِنْ زَمَانِكْ
يَسْكُبُ النُّورَ لِفَانٍ　　لَمْ يَعُدْ فى الأَرْضِ حَيَّا !...

« وزارة المعارف »

محمود حسن اسماعيل



غرائب العادات في الزواج

للآنسة زينب الحكيم

بمناسبة الزفاف الملكي السعيد، الذي تشرح معالمه الصدور، وتبهج زخارفه الأبصار بحيث لا نرى داعياً لوصف الواقع، ولا ضرورة للتنبيه إلى روعته وفخامته، كما أننا لسنا في حاجة لأن نسجل عنه شيئاً اليوم ليبقى مسطوراً على القرطاس للمستقبل، لأنه حادث ستظل ذكراه باقية في حافظة الشعوب عامة، وفي حافظة الشعبين المصري والإيراني خاصة. لهذا أذكر فيما يلي بعض غرائب العادات في الزواج في مختلف البلاد:

١ — شيكوسلوفاكيا: توجد عادة غريبة في بعض جهات شيكوسلوفاكيا، وهي أن كل شاب يتقدم إلى فتاة لخطيب ثم يخفق في مسعاه يقدم إليها شريطاً تضمه إلى غطاء رأسها كالموضح بالصورة (ش ١)

وكلما كثر عدد الأشرطة المقدمة للفتاة كان ذلك دليلاً على شهرتها وارتفاع قيمتها في أعين الخطاب الذين يتقدمون إليها. وعندما لا يبقى مكان لأشرطة أخرى تضاف إلى ما سبق أن علقته الفتاة على غطاء رأسها يتحتم على الفتاة أن تعزم أكيداً على اتخاذ أمر تنفذه بالنسبة لزواجها. فتصمم على اختيار واحد ممن تقدموا إليها وتكون أسرة

٢ — انجلترا: في انجلترا يتمتع العازمون على الزواج بحرية عظيمة في اختيار الشريك أو الشريكة، ولهم ملء الحرية في المخالطة والتعارف قبل الزواج. ومما يذكر عنهم بالاعجاب والفخر أن الخطيب أيّا كان مركزه ومرتبه يترفع عن أن يشاكى خطيبته عند ما ترفض الزواج منه مهما يكن مقدار حبه لها

ويرجع الإنجليز ارتفاع نسبة الزواج الناجح عندهم إلى الأسباب المتقدمة وهي نسبة تفوق جميع النسب في العالم



(ش ١)

٣ — فنلاندا في شمال غربي روسيا: لنساء فنلاندا طريقة مختصرة في معاملة خطابهن، وهي أن يوقد والد الفتاة شمعة أمام الهيكل في الكنيسة أثناء إحدى مقابلات أسرتي الخطيبين. فإذا تركتها ابنته تحترق كان ذلك دليلاً على أنها قبلت الزواج من خطيبها. أما إذا أطفأت الشمعة فذلك دلالة على أنها ترفضه إذ لا توجد بينهما جاذبية

٤ — السويد : إذا أكل فتى وفتاة من رغيف واحد من الخبز ، يقال إنهما متحابان دون ريب . فإذا كان ذلك صحيحاً يبدأ الخطيب التكلم فى الموضوع ، فيرسل صديقة له لتناقش الأمر مع أسرة الفتاة . فإذا نال العرض موافقة ، يقدمُ الخطيبُ للتعارف إلى أسرة الفتاة فى يوم الأحد القبل بعد الحديث التمهيدى . وفى هذا الوقت لا يسمح للخطيبين بتجاذب أطراف الحديث أو بالمقابلة

وفى صالة إعلان الخطبة يقام مهرجان يقدم فيه الخطيب للخطيبة إناء فضياً يشبه فنجان الشاى الكبير بدون يد وبه قطع من النقود الفضية ملفوفة فى أوراق. ويتبع ذلك الزفاف، وهما يتبادلان الهدايا وقت حضور القسيس

٥ — لابلاند وإيسلندا : عادة تكون السيدة أكبر سنا من الوجل ، وتطول فترة الخطبة ، ويرجع هـذا غالباً إلى المصاريف الباهظة التى تسببها المجاملات وما يظهر به الخطيب من احترام لأسرة خطيبته كواجب حتمى عليه . ويكلف أيضاً بتقديم هدايا متوالية لها ولأقاربها .

٦ — اليونان : لا يسمح للخطيبين بالتقابل قبل يوم الزفاف إلا فى مناسبات رسمية دقيقة . وفى إيبرص Eyirus عند ما تكون الخطيبة قد تعرفت إلى زوجها فى دار القسيس بعد أن باركهما ، يطلب إليهما القسيس فى رجاء شديد ألا يتقابلا ثانية حتى يوم زفافهما ...

٧ — رومانيا : فيها عادة مشهورة جدًّا ، ولو أنها انقرضت الآن تقريباً ، وهى ما يعرف « بسوق الصبايا » فى يوم عيد سنت بول (فى ٢٩ يونيو) يجتمع البنات على قمة جبل عال اسمه Gaina وتكون كل واحدة منهن مزوّدة بجهازها ، ويحضر الخطاب مع آبائهم ويختارون خطيباتهم

وتوجد فى جهات أخرى من رومانيا عادات مشابهة كل الشبه لما يوجد فى ألبانيا ، إلا أنهم يؤجلون مهرجان العرس عند الطوائف المسيحية حتى تلد المرأة ولداً ، لأنهم يعتبرون أن الغرض الأول من الزواج هو خلف الأطفال الذين يضمون إلى القبيلة فيزيدون عددها وقوتها

٨ — فى غينيا الجديدة : للبنات والأولاد كامل الحرية فى الاختلاط قبل الزواج ، حتى لقد يمضون الليل سويًّا ، وإذا وجدوا أن لا بد من التغيير ، فيفعلون ذلك حتى يتوق الخاطب إلى الخطيبة التى توافقه تماماً



(ش ٢) خطيب وخطيبته يتبادلان التحية

إذا قارنا ذلك بما يحدث فى اليابان ، وجدنا تبايناً كبيراً ، لأن مسألة الزواج عندهم من غير الأفراد المحدثين ، تترك كلها لتصرف الخاطب الذى يوفق بين الخطيبين ، ويرتب تقابلهما وتعارفهما ، ويكون ذلك فى مقهى يتناولون فيه الشاى ، ويكون على الفتاة تقديم شاى المهرجان لزوجها المنتظر

٩ — فى جزائر سليمان : الفتاة التى تخطب لرجل عظيم تعتكف قسراً فى خص بقرب خيام الحريم ، ويقدم لها غذاء دسم ، ولا يسمح لها بالخروج من ذلك الخص إلا مرة واحدة فى اليوم لتغسل آنية نحاسية كبيرة . وتبقى على تلك الحال ثلاث سنوات

متوالية تخرج فى نهايتها من سجنها وقد نما على رأسها شعر أشبه بالفرجون الغزير جداً

١٠ — هنود كندا : عند ما يصمم رجل على الزواج يطلب إلى من اختارها أن تحزم له شراك صيده ، ويكون هذا التكليف منه لها بمثابة مفاتحتها بالخطبة ، فإذا قبلته تخطيب تطلب منه دون خجل أن يكلم أمها فى الموضوع . وعادة تخبر البنت أمها بنفسها ، وعلى ذلك ترشدها إلى بناء مسكن لهما بجوار مسكنها ، وعند ما يقام مهرجان الزفاف يصبحان زوجين

١١ — فى غينيا الجديدة : يتعارف المحبون فى حلقات الرقص المشترك ، فإذا أحب رجل امرأة لأول نظرة ، وتبع ذلك عزم على الزواج منها ، يفعلان ذلك دون جلبة أو إجراءات زواج من أى نوع ؛ إلا إذا كان له منافسون فعندئذ يتقدم إلى والد الفتاة بثمن يدفعه له عنها ، وأيضاً لا يتبع ذلك مهرجان زواج .

عادة التقبيل

إن التقبيل بالفم عادة أوربية على ما يعلم . أما التقبيل عند الصين مثلاً فيكون بواسطة فرك الأنف والفم على الوجه .

أما فى أفريقيا وغيرها من البقاع غير المتمدنة فلم يلحظ أن المحبين فيها يقبل بعضهم بعضاً . والرومانيون كان لهم عدة طرق للتقبيل ، كتقبيل الوجنتين ويدل هذا على الصداقة . ويدل تقبيل الشفتين على العشق ، ولا تزال هذه الاصطلاحات معمولا بها فى فرنسا وممالك أوربا .

والرقص والألعاب المختلفة كانت كلها من مميزات الحياة الغابرة ، (كما أنها اليوم ميزة الحفلات الساهرة فى حياة المتمدنين) وكما أنها وما تزال الأسباب المباشرة للتعارف واختيار الحبيبات .

أما الغناء والرواية فأمرها مشهور معروف ، لا سيما فى أيام البطولة والفروسية وعند كثير من القبائل . فالمحب قد يروى قصة غرامه غناء أو إنشاداً حال يمثل أصدقاؤه الرواية عملياً ، ولا يسع الفتاة المقصودة فى كثير من الأحيان إلا أن تفتح ذراعيها فى النهاية وتراقص خطيبها دليلاً على إتمام الزواج

القبلة فى بلاد الحبشة

تعتبر القبلة فى بلاد الحبشة روح الحياة الاجتماعية فيها ، وهى على عدة أشكال ، فتستعمل لكل تهنئة ، وكدليل على الاحترام ، وتمييز المقامات ، وتمضى بها المعاهدات السياسية أو التجارية ، والناس الذين لا يقبل بعضهم بعضاً علناً هم الأزواج والزوجات

هذا ويشاهد أن الحب يظهر بين المتمدنين فى سن البلوغ ، ولكنه يظهر بين الهمج فى الطفولة ، حتى لقد ترى الأطفال الصغار يمثلون أدواره فى ألعابهم . كما يعد عند قبائل أفريقيا من العار ألا يكون للبنت أحباء ويسخرون منها إذا كانت ذلك. أما الولد الذى ليس له حبيبات ، فيعمل له سحر يجلب الحظ والتوفيق لإيجاد الحبيبات

هذا قليل من كثير مما يمكن أن يذكر من غرائب عادات الزواج وفلسفات العواطف الإنسانية

زينب الحكيم



الكون يكبر

العوالم منتشرة على حيز كروى محدود ولكنه يتسع

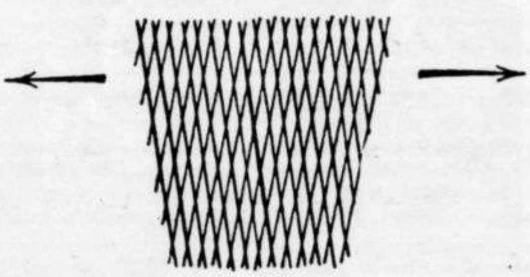
للدكتور محمد محمود غالى

العوالم كالأسماك على شبك الصيد — أو كجسيمات على سطح كرة تنتفخ — أثر تعديل اينشتاين لمعادلاته — الحيز الكروى والعوالم كون محدود — في دراسة صورة الكون تجري المعارف أوسع الخطوات

لو أن صياداً ألقى شبكته فى الماء ، فتعلق بها عدد من السمك ، فما لا شك فيه، تتوقف المسافة بين سمكة وأخرى على حالة الشبكة . قد يكون الصياد حسن الحظ ، بحيث تتعلق سمكة على رأس كل معين فى الصف المشار إليه بالسهمين : شكل ١ الذى يمثّل هذه الشبكة ، عندئذ يتحقق القارئ بنفسه أن الصياد قد وُفّق إلى اصطياد ١٦ سمكة. ولو أن السمك فى عداد الكائنات، يرى ويفهم ويتصور ، فإنه لا يعدم وسيلة ، يتحقق بها من المسافة الواقعة بينه وبين كل سمكة .

لنفرض بعد ذلك ، لسبب خاص بمهنة الصياد كسهولة إخراج هذه الأسماك ، أن الصياد شد شبكته من الجهتين : اليمنى واليسرى فى اتجاه السهمين بحيث اتخذت هذه الحبائل الشكل الثانى ، الذى لا يختلف عن الشكل الأول إلا فى أنه ممدود ، فإن أى سمكة ترى جارتها الأولى ابتعدت عنها بمسافة معينة ؛ ولكنها ترى الجارة التى تليها ابتعدت بضعف هذه المسافة ، بحيث أن السمكة العاشرة مثلاً ترى كأنها قطعت عشرة أمثال ماقطعته السمكة الأولى، وعندئذ تعتقد هذه السمكة التى افترضنا أنها متأملة أن الأسماك كلها تبتعد عنها بالذات ، أو أنها تهرب منها ؛ وأنه كلما كانت الأسماك بعيدة عنها كانت سرعة ابتعادها كبيرة .

يتأتى هذا الإحساس للسمكة ، لو أننا فرضنا أن الصياد قام بعملية شد الشبكة داخل الماء ، وأن السمكة المتأملة لا ترى حبائل الشبكة أو قاع البحر أو أى شىء غير جيرانها من السمك الذى وقع مثلها فى الحبائل . ولو أن السمكة المتأملة رأت كائناً آخر كالصياد أو شجرة أو شىء ثابت ، أو لو أنها رأت الحبال نفسها لأدركت أنها هى أيضاً تناولها الحركة بقدر ما تناولت السمك جميعه ، وأن الأقدار شاءت لها هى أن تبتعد عن جاراتها بقدر ابتعادها عنها ، وأنه ليس هناك مركز خاص للابتعاد ، بل إنها وإخوتها جميعاً قد وقع لها نفس الحوادث



(شكل ١) حبائل الصياد قبل شد الشبكة

أمران أود أن يعلقا بذهن القارئ :

الأمر الأول : هو أن السمكة المتأملة إن لم تر من الكون إلا الأسماك الست عشرة التى تحدد عوالمها، فلا أرضاً ترى ولا ماء ولا صياداً ولا شجرة ، تصل إلى نتيجة تتلخص فى ابتعاد كل الأسماك عنها بسرعة تتزايد كلما كانت المسافة بعيدة

الأمر الثانى : هو أن السمكة العاقلة ترى من العوالم المحيطة بها حبائل الشبك ورمال الشاطئ ، بل ترى الصياد والشجرة ، وكل هذه أشياء ثابتة بالنسبة لها فتدرك أن أمراً آخر قد حدث: ذلك أن الحبائل كلها قد امتدت ، وأن الحركة تناولتها والأسماك بدرجة واحدة فليس هناك فرار بالمعنى الأول ، بل شاءت الأقدار

أن تقع على كون هو حبائل الشبك ، وأن هذا الكون يمتد

قد نستطيع الآن أن ننتقل من حبائل الصيد إلى الكون ، فكما أنه ليس هناك فى الحبائل المتقدمة مركز ثابت بل إن كل جزء منها امتد فابتعدت كل سمكة عن الأخرى ، وكما أنه يتراءى أن السمكة البعيدة تزيد سرعة ابتعادها عن سمكة معينة رغم أن جميع الأسماك تتناثر بقدر واحد ، كذلك الكون لسنا فيه مركزاً لابتماد العوالم ، وهناك حيز يحملنا جميعاً هو الذى يمتد ، ولا يمنع امتداده أن نلاحظ ازدياداً فى سرعة العوالم كلما كانت بعيدة عنا

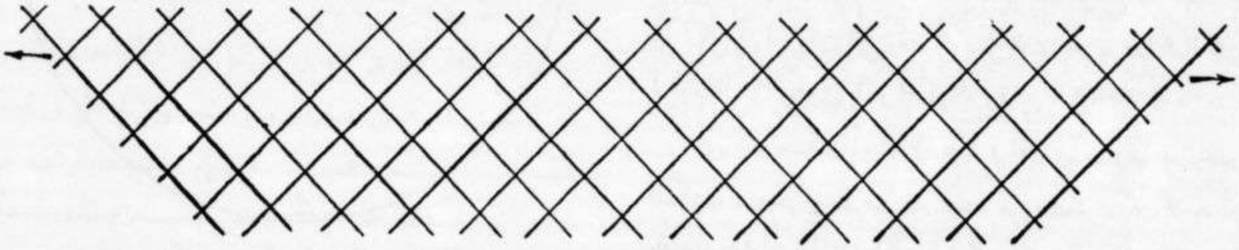
هذه السمكة العاقلة اتخذتها مثالاً للكون الذى نعيش فيه ، نحن كسمكة من ملايين ملايين الأسماك ، ممتدة على حبائل أوسع من هذه ، وهناك صياد ماهر لانراه ، يتصرف بالعوالم كما يتصرف صياد السمك بالست عشرة سمكة التى كانت من نصيبه ، ويبحث العلماء فعل الصياد وأثر القوة الخفية التى تقوم بهذه العملية

التى نعرفها حتى الآن ، ثم تنتقل إلى تعرف الحيز الحامل لنا ، هذا الحيز الموجود فى إطاره كل العوالم الطبيعية ، والذى سنرى أنه يختلف عن حيز أقليدس اللانهائى .

***

أوضحنا أننا كما نستطيع أن نعرف اقتراب أو ابتعاد قاطرة عنا من سماع صفيرها ، كذلك يمكن معرفة اقتراب أو ابتعاد مجموعة من النجوم عنا من موضع خطوطها الطيفية على الطيف العادى ، ففى حالة ابتعاد هذه النجوم تقترب خطوط طيفها من الجهة الحمراء ، وفى حالة اقترابها تقترب من الجهة الأخرى ، وتتمين سرعة ابتعاد النجم أو اقترابه من درجة اقتراب خطوطه الطيفية من أحد الطرفين .

وذكرنا أن العلوم النظرية والتجريبية قد برهنت على ابتعاد جميع العوالم عنا ، كما برهنت على زيادة سرعة ابتعادها مع بعدها ،



(شكل ٢) حبائل الصيد بعد شدها

قد يعترض القارئ أن أسماكاً ، فى صفوف أخرى ، تقترب فى الوقت الذى تتناثر فيه الست عشرة سمكة المتقدمة ، ولكن عليه أن يتصور أن حبائل الشبكة من مادة تجيز التمدد فى جميع الجهات

***

مثال آخر يُقَرِّبُ للقارئ الصورة التى يعتقدها العلماء فى الكون ، ذلك أن تتصور كُرَةً من المطاط ، انتشرت على سطحها وفى داخل قشرتها جسيمات صغيرة جداً شكل (٣) ، فإنه عندما تَنْتَفِخُ هذه الكرة ، تبتعد هذه الجسيمات الواحدة عن الأخرى وفق القانون المتقدم ، بحيث يبدو ونحن عند جسيم معين ازدياد ابتعاد الجسيمات الأخرى كلما كانت بعيدة عنه

هذه صورة الكون الذى يُفَسر مشاهداتنا إلى حد ، ولا يزال علينا أن نعرف مدى ما يساعد عليه العلم النظرى من التثبت من هذه الصورة ، ويلزمنا قبل أن نبدأ هذا الشرح أن نلخص الوقائع

فالعوالم ، التى تفصلنا عنها مسافة يقطعها الضوء فى ٣ ملايين سنة ، تبعد عنا بسرعة ٥٠٠ كيلو متر فى الثانية تقريباً ، أما العوالم المفصولة عنا بمسافة ١٥٠ مليون سنة ضوئية فتبتعد عنا بسرعة ٢٥ ألف كيلو متر فى الثانية .

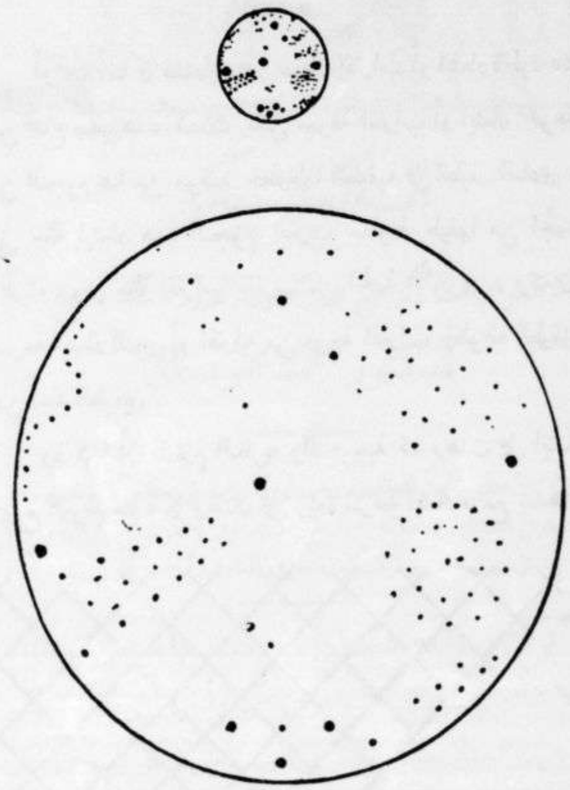
وتساءلنا لماذا تبتعد كل العوالم عنا ، وأعطينا الآن صورة للكون الذى نعلم عنه أن كل عالم فيه يبتعد عنا ، وأن سرعة الابتعاد تتزايد كلما كان بعيداً . هذه خلاصة ما وصلنا إليه ، على أننا نخطو بالقارئ خطوة أخرى إلى الأمام .

***

مهما يكن من الأمر فإنه لم يكن هناك غير طريقين لنجد تعليلاً لهذه السرعة الكبيرة للسدم التى تبتعد كلها عنا .

(١) إما أن هناك قوة للخارج (Force Repulsive) تدفع هذه الكائنات إلى السباق والتنافر .

(٢) أو أن تكون هذه السرعة موجودة ولازمة لهذه العوالم منذ التطور الأول للخليقة ، ومن يدرى ماضيها ؟ فقد تكون أكبر من ذلك بكثير .



(شكل ٣) كرة من المطاط أو الكون بعد أن ازداد حجمه بقدر خمسة أضعاف حجم الأول

على أنى لا أريد أن يفوت القارئ ، أن هذه السرعات الكبيرة ، قد لفت النظر إليها البحث النظرى قبل البحث التجريبى هذا البحث النظرى الذى بدأ بمعادلات « إينشتاين » عن النسبية فى وضعها العام ، والذى تتبعه دراسة « دى سيتير » الذى توقع هذا التنافر للعوالم البعيدة. ولنعد بكلمة أخرى إلى عمل « أينشتاين » لنرى العلاقة بين عمله وبين صورة الكون

عندما نشر أينشتاين نظرية النسبية فى وضعها العام سنة ١٩١٥ التى تناول فيها فيزيقة المجال[1] ، والتى درس فيها المادة والكهرباء والإشعاع والجهد ، كان أهم جزء فى نظريته قانون الجاذبية ، الذى يتفق فى الحدود العادية مع نظريات نيوتن القديمة[1] ، على أن أينشتاين قد واجه فى ذلك الوقت بعض الصعوبات التى لكى يُذَلِّلها ، عدّل معادلاته بحيث أصبحت تسمح بتقوس الحيز للمسافات البعيدة ، فحذف بعبقريته فكرة اللانهائية التى كانت تشغل دوراً فى العلوم ، بحيث إذا سرنا فى حيز أو كون أينشتاين الجديد دائماً للأمام ، رجعنا للنقطة التى بدأنا منها السير

هذه المعادلات الجديدة الخاصة بالجاذبية ، نرى فيها ثابتاً جديداً يطلقون عليه الثابت الكونى La Constante Cosmique

على أن الذى يهمنا أن هذا الطرف الجديد فى معادلات أينشتاين خاص بوجود تنافر بين مجموعات الأجرام السماوية ، يتناسب مع المسافة ، تنافر كونى (Repulsion Cosmique) ، ليس له مركز خاص ، أى أنه قوة متعلقة بالثابت الكونى وتتناسب معه

ومما هو جدير بالذكر أن المسألة التى نحن بصددها الخاصة باتساع الكون وتعاظم مسافاته ، لم تكن قط موضع نظر أينشتاين ولم تكن بين المبررات التى دعته للتعديل الذى قام به هذا العالم الذى لم يهتم للثابت الكونى بقدر اهتمام البروفسير فايل Weil له فيما بعد.

على أن تفكير أينشتاين هذا ، أفاد فى معارفنا فيما يخص الكون ، وخرج بنا من غير قصد من مصاعب كان لا بد أن نلقاها، ذلك أنه إذا اعتبرنا المسافات البعيدة عن الـ ١٥٠ سنة الضوئية التى كانت آخر حدود رؤيتنا[2] نصل إلى أجرام تقرب سرعتها من سرعة الضوء ، وليس هنا المجال لنذكر ما فى ذلك من تناقض للنظريات الحديثة ؛ ولعل القارئ يدرك الآن كيف يمنعنا أينشتاين الذى كان لا يعرف هذه الصعوبة القائمة أمامنا ، من التوغل فى الكون بشكله الذى نستوعبه ، لأن الكون مغلق على نفسه ولأننا لا نلبث أن نعود من حيث نظن أننا لا زلنا نتوغل فيه

لست الآن بصدد أن أذكر القارئ أن الرياضيين توصلوا منذ أكثر من مائة عام إلى فرض حيز مُقوَّس يختلف عن حيز أقليدس ، وليس فى نيتى فى هذه الأسطر أن أستعرض علماً من أهم العلوم المعروفة اليوم ، هو هندسة ريمان (Reimann) وهندسة لوباتشيفيسكى

(١) اهتم العالم فى ذلك الوقت بنظرية الكم Quanta الخاصة بالجسيمات المتناهية فى الصغر ، وسنتكلم عنها فيما بعد ، ولقد كان للأستاذ ديراك P. A. M. Dirac سنة ١٩٢٨ الفضل الأكبر فى وضع العلائق بين نظريات أينشتاين فى النسبية ونظرية الكم ، وذلك بمعادلته الموجية النسبية الخاصة بالألكترون Iquation ondulatoire rélativiste de l'electron

(١) لقد أعلن أينشتاين منذ أربعة أيام ، أى ساعة كتابة هذا المقال ، تفسيراً جديداً للجاذبية وعلاقتها بالمادة والمغناطيسية، ويعتقد العالم الكبير أنه فى طريق اكتشاف قانون عام يفسر التركيب الكونى ، وما خفى فى المادة والاشعاع ، ولعل إعلانه هذا لمناسبة بلوغه الستين

(٢) هذه الحدود الـ ١٥٠ مليون كانت حدود رؤيتنا فى سنة ١٩٣٤ والظاهر أنها بلغت هذا العام ٥٠٠ مليون (راجع مجلة الاكتشاف — كبردج — يناير سنة ١٩٣٩ ص ٣٦)

Lobatcheveski التى تعتمد كلاهما على تقوس الحيز ، وتختلف عن الهندسة التى اعتدنا حل مسائلها فى المدارس ، والتى لا وجود فيها للخطين المتوازيين ، إنما أريد أن ألفت نظر القارئ إلى أن دراسة دقيقة للحيز الطبيعى أوصلت العلماء لخاصية تقوسه ، كما أوصلت ريمان لنفس النتيجة . أما ريمان فوصل لهذا التقوس لعدم إمكان إثبات نظرية واحدة، من بين الأربع والعشرين نظرية لأقليدس التى تعلمناها فى المدارس ، وهى نظرية خاصة بالمتوازيات . أما الطبيعيون فقد وصلوا لهذا التقوس بتجارب سنأتى عليها عندما نتكلم عن النسبية

وهكذا ظهر لنا حيز أقليدس المستقيم مقوساً، وظهر لنا أن هذا التقوس صفة طبيعية تسمح التجارب اليوم بالتحقق منها ، كما نتحقق من وجود المجال المغناطيسى دون أن نراه

وهكذا كما نصادف فى الطبيعة سطوحاً منحنية ، نصادف فيها حيزاً منحنياً ، أى أن له هذه الخاصية من التقوس الممكن قياسه ولكن يوجد فرق جوهرى بين التقوسين ، ذلك أنه يجوز لنا فى السطوح أن نعدّلها أى نحذف خاصية الانحناء منها ، وذلك بالقيام بعملية معاكسة للانحناء ، ولكن لا نستطيع فى الحيز أن نجعله يتخلص من هذه الخاصية ، أى أنه لا يمكن تعديل صفته الطبيعية كما هو الحال فى السطوح

هذا الحيز أو الفراغ فى حالته البسيطة حيز ذو أربعة أبعاد ، وهذا البعد الرابع هو الذى ينحنى الحيز فى اتجاهه — هذا التمثيل الرباعى الأبعاد ، فى الحالة البسيطة المتناسقة ، يصبح سداسياً أو ذا عشرة أبعاد عندما ننتقل من الحيز العادى إلى الحيز فى الزمن، وليس للقارئ أن يرتبك بهذا الحيز الأخير وعلى حد قولهم — إن ما يميز العالم الرياضى من غيره أن الأول يرى الأشياء فى أربعة حدود ، إنه لاشك أن ثمة صعوبة فى تخيل الحيز ذى أربعة الأبعاد ، ويتصور أدنجتون (Edington) لذلك فقاعة كبيرة ، هذه الفقاعة ذات أربعة حدود ، حيث الطول والعرض والارتفاع ، موجود كله فى القشرة المكونة لها(١)

هذا الحيز ذو الثلاثة الأبعاد المعوج فى حيز ذى أربعة أبعاد ، يعطينا الرياضيون عنه خواص تتصل بفهمنا للكون ، منها أن التقوس كاف ليعطينا حيزا مغلقاً يختلف عن الحيز المفتوح اللانهائى بالطريقة التى يختلف فيها سطح الكرة عن سطح مستو غير محدود

كل ما أريد أن يعلق بذهن القارئ ، هو أن يعتقد أن الحيز المتقوس نتيجة رياضية ، ونتيجة عملية فى آن واحد ، ونكرر القول أن الحيز الطبيعى الذى نحن فيه ، حيز من شأنه أن خطاً ما ، أو موجة ضوئية أو كهربائية ، تعود إلى النقطة التى بدأت منها ، بعد أن يكون كل منها قد دار حول الكون .

صحيح قد دلتنا التجارب حتى اليوم على أن التقوس صفة ضرورية ولازمة فى جزء من هذا الحيز، هو جزء محدود بحدود رؤيتنا فهل يتقدم العلم التجريبى تقدماً يثبت فيه أن هذا الحيز محدود وأنه مغلق ؟ هذ ما يعتقده العلماء .

هذا الحيز المتقوس والمقفل على نفسه ، يعتقدون أنه كُرَوى ، وأن وجود المادة فيه من آن لآخر يحدث اختلافات فيه عندها ، كما تحدث الجبال اختلافات فى كروية الأرض ، وكما أن المساحة الجانبية للكرة الأرضية محدودة ، كذلك حجم الحيز الكروى للكون محدود ، ولكنه يكبر

قد يتساءل القارئ : مالى ولكل هذا ؟ لماذا هذه الصورة من الكون التى تمنعنى تصوراتى من استيعابها ؟ أو نحن فى حاجة لهذه الصورة المعقدة ، لنفهم تمدد العوالم وابتعادها الواحد عن الآخر ؟ ألا يكفينا الفراغ الأقليدسى القديم الذى اعتدناه فى المدارس ، والذى فهمناه على أيدى مدرسين قديرين ، قطعوا السنين الطويلة فى تلقيننا صورته ، والذى دخلنا من أجله عشرات الامتحانات ؟ ألا يكفينى حيز أقليدس الذى أتصور فيه الطول والعرض والارتفاع لأى كائن كما أتصور فيه المسافات مهما بعدت؟

وجوابنا أن عالمنا الأقليدسى لا يكفى لفهم الظواهر الجديدة فى تمدد العالم ، ويتناقض مع معارفنا الحالية ، وإننى إذا كنت أجهدت نفسى فى أن نفهم معاً كوناً كروياً ، كروياً ليس كالكرة المعتادة ، فلأن لذلك صلة كبرى ، إن لم تكن بتمدد الكون فى ذاته ، فعلى الأقل بالنتائج التى تترتب على هذا التمدد ... نتائج سيدهش لها القارئ عند ما أدله عليها فى المقال القادم

ومع كل ذلك فليس ثمة سبب جدّى لهجر كون محدود وحيز مُتكوّر ، للرجوع إلى حيز أقليدسى غير محدود وهو بهذا غير معقول ،مادام العلم النظرى يجيز الحيز الجديد والعلم التجريبى يحتمه

هب أن أحد المؤرخين ، مهما علت مكانته ، وصف لنا مقبرة خوفو بالجيزة مخروطاً قائماً فى الصحراء ، وهب أننا رأينا رأى

(١) ليس لنا أن نتصور إمكان دوران هذه الفقاعة حول أحد المحاور المعروفة إذ لا يمكن أن نستوعب دوران أبعاد حول محور واحد ، ويدل التحليل الرياضى أن فقاعة فى أربعة أبعاد كهذه لا يمكن أن تدور حول أحد أبعادها وإنما حول اثنين من هذه الأبعاد أي ثلاثة حول مستو ــ هذه نتيجة إن عرفناها لا نستطيع أن نتخيلها



الأغانى المصرية

للفنان محمد السيد المويلحى

أعتقد أن أسمى اللغات قاطبة وأقربها إلى العقل والقلب ، وأكثرها شيوعاً وانتشاراً فى مسالك الأرض : هى الموسيقى وحدها لأنها لغة الطبيعة السهلة التى تجرى على كل لسان لتعبر عن خوالجه ، وتترجم إحساسه وتصور أمله وعقله ، بل وتسجل مقدار ما يتمتع به من حضارة وسمو ، أو ما هو عليه من انحطاط وخمول !

ولا أحب فى هذا المقام أن أستشهد بأقوال حكماء العالم فإنها معروفة ، وإنما أحب أن أركز هذه الأقوال جميعاً فى جملة واحدة للحكيم الصينى (كونفوشيوس) الذى قال : « أرونى أغانى أمة من الأمم أركم مدى ما وصلت إليه من حضارة ورقى ... ! »

وقبل أن أعرض مع القارئ مبلغ ما وصلت إليه (أغانينا) من حضارة ورقى أو انحطاط وهبوط ، سأحاول — ما استطعت — أن أعطيه فكرة عن الأغانى فى شىء من الإيجاز ، فإن للاسهاب وقتاً آخر .

١ — الأغانى الوصفية : وتشمل الموسيقى المسرحية ومحاكاة ما تسمعه الأذن من التفاعيل الطبيعية .

٢ — الأغانى الحماسية : وتستعمل فى إشعال النفوس وتهيئتها لجو الحروب ، والتضحية ، والفداء ...

٣ — الأغانى الشعبية : وتمتاز بلونها السهل الذى لا تركيب فيه ولا تعقيد .

٤ — الأغانى الغزلية : وهى التى تترجم خلجات النفس وأمانى الفؤاد ، وتصور ما يلاقى الإنسان فى حبه من توفيق أو فشل ، وأثر هذا التوفيق أو هذا الفشل فى حياته وتفكيره ...

٥ — الأغانى الصوفية : وهى التى يتداولها رجال (الذكر)

العين أن هذه المقبرة تمثل شكلا هرمياً ، له قاعدة وأربعة أوجه ، فليس لنا أن نواصل وصف الأهرام كمخروط وهو ليس بمخروط

ومهما يكن من عدد ملايين النجوم والسدم ، أليس أقرب للذهن تصورها على كرة محدودة عن تصورها منتشرة فى فضاء لا نهائى ؟ هذه اللانهائية تتضاءل يوماً بعد يوم ، وإذا كانت هذه المجموعة يبتعد بعضها عن بعض ، فبدهى أنه يلزم لها حيز يكبر بحيث يقبل هذا التباعد ، ومن السهل أن نفهم ذلك لو تصورنا مخلوقات عديدة موزعة على الأرض. إن هذه المخلوقات لا يمكنها أن يبتعد كل واحد منها عن الآخر ، دون أن تقترب فى نفس الوقت من أى كائن على الأرض ، إلا إذا تصورنا أن الأرض نفسها تكبر

هذا هو الكون يدلنا العلم أنه محدود وأنه يمتد فى جميع أنحائه، على نحو كرة المطاط السابقة ، أو حبائل الصيد المتقدمة ، قد تدل الأيام على خطأ فى هذا التقدير ، وقد تظهر هذه المسائل فى يوم آخر بلون جديد ، ولكن إذا أردت أن تعرف شكل الكون من هؤلاء الذين شغلوا أنفسهم بدراسته ، فقد دللتك على آرائهم ، وليس أمثال دى سيتير واينشتاين وأدنجتون وغيرهم ممن لا يقام لرأيهم وزن ، وغايتى بعد الذى وصلنا إليه أن أشرح للقارئ النتائج التى ترتبت على هذه الظاهرة الجديدة — ظاهرة تمدد الكون — نتائج أهم ما فيها الوصول لعلاقة بين الكون فى مجموعه ، وبين الذرة والالكترون ، أى بين الكون وأصغر ما فيه ، بل الوصول إلى معرفة عدد ذرات والكترونات الكون مهما كان هذا الكون عظيماً .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

ببراعة بارعة وقدرة قادرة على التصرف والخروج من نغم إلى نغم ومن مقام إلى مقام؛ ثم الرجوع إلى النغمة الأصلية والمقام الأول بسلامة ودقة .

٦ — أغانى العمال : ويستعملونها لمساعدتهم على أعمالهم الشاقة واحتمال ما هم فيه من حاجة وضنى .

٧ — أغانى الفرح : ويعبر بها الإنسان عن هناءته وسعادته وحبه لكل شىء جميل فى الحياة ...

٨ — أغانى الأطفال : وتستعملها الأمهات للتنبيه وللمناجاة ، ولجلب النوم ، ولإطفاء الغضب .

٩ — أغانى الحيوانات : ويستعين بها الرعاة والحداة على السيطرة على الحيوانات لتنتج أعظم إنتاج وأوفره ...

١٠ — أغانى النواح : وهى التى تجرى لحناً حزيناً مؤثراً فتلهب العواطف ، وتحرك القلوب ، وتثير الدموع .

١١ — أغانى المناسبات : وهى التى تغنى فى أوقات خاصة لمناسبات خاصة كأغانى رمضان ، وأغانى الحج ، وأغانى المواليد ، وأغانى الزار ... الخ .

١٢ — أغانى الكنيسة : وهى من أروع الموسيقى القديمة ولها لون يضفى على النفس إهاباً من السعادة والنور .

هذه بعض الأغانى التى تستعمل بعضها أكثر الشعوب استعمالاً يتفق وحضارتها أو تأخرها. فالشعوب الحية الناهضة تستعمل الأغانى الوصفية ، والحماسية ، والشعبية الخ ، وقلما تلجأ للأغانى الغزلية إلا فى القليل النادر ، وفى البيئات المحدودة، ثم هى لا تعرف أغانى الحزن أو تعرفها ولكن لا تعزفها . . !

والشعوب (الرخوة) المتأخرة هى التى تفنى نفسها فى أغانى الحب وأغانى الحزن ، وذلك لانعدام قدرتها على السيطرة على عواطفها ، والتحكم فى خوالجها فهى خاضعة لشهواتها ، أسيرة لغرامها ، لا تعرف من الحب إلا (آهاته وأناته ...) !

ولننظر الآن فى أغانينا لنحكم بأنفسنا على مبلغ ما وصلنا إليه فيها ...

إنها بلغت درجة الإسفاف والانحدار تأليفاً وتلحيناً وبخاصة فى السنوات الأخيرة ، حتى أن الشعب أصبح على رغم صيحات الإنكار وصرخات الاحتجاج التى يرسلها المصلحون الناقمون على هذا التبذل الرخيص والمشفقون على الوطن ، وشباب الوطن من هذا (اللون) المسترخى البغيض الذى يشيع فى كل كلمة وكل لحن والذى تتناقله الألسن إما إعجاباً ، أو محاكاة ، أو ترديداً لا أكثر ولا أقل .. !

أقول إن الشعب برغم كل هذا لا يحرك ساكناً ، ولا يرسل صيحاته وإعجابه إلا للمغنى الذى يبكى أمامه ويندب حظه وحبه ويبدى ذله ودموعه بشكل ضعيف سخيف ، وإلا للمغنية التى تتأوه ، وترثى حبها وحبيبها فتصف قلبها الذى أضناه البعاد ، وحسنها الذى أذواه السهاد ...

فإذا حاول مطرب بعد هذا أن يساهم فى حركة الإصلاح فغنى مشيداً بتاريخ بلده العظيم ، أو حاضا على النهوض والوثوب أو مصوراً جلال الحاضر ورفعة المستقبل ، لا يقابل إلا بالفتور

فمن ذا الذى خدر أعصاب هذا الشعب ، حتى غدا لا يستسيغ إلا الساقط المسترخى الذى لا يقوم على أساس ولا ينهض إلا على الأنين المُدَّعى ، والحنين المصطنع ؟

من ذا الذى فرض تلك الأغانى التى لا فكرة فيها ، ولا غرض منها إلا ابتذالها وانحلالها ؟

للشهرة نصيب ، وللجهل نصيب !

فقد انتهز بعض المشهورين بالنواح وبالبكاء فرصة هجمة الحياة المصرية ففرضوا (لونهم) على الشعب فرضاً ، وسمموا حواسه وخدروها بالآهات المصطنعة ، وبالأنات المفتعلة ؛ ودأبوا طول هذه السنوات لا يغذونه إلا بهذا الغناء المسموم ، ولا يسمعونه إلا موسيقى جافة ميتة، وإلا ألفاظاً ساقطة لا حياة فيها ولا فكرة تحييها ، ولا غرض يسمو بها إلى آفاق المجد الذى تفيض به الأغانى الأجنبية حتى أصبحوا — الآن — حجاباً صفيقاً بين الشعب وبين نوابغه من الموسيقيين العباقرة الذين ظلمتهم الشهرة الطاغية ، فوقفوا صامتين مقيدين لا تسمح لهم ضمائرهم بالهبوط إلى هذا الدرك ، ولا ترحمهم الحاجة الملحة إلى طلب القوت فترفع إليهم هذا الشعب الظالم نفسه وأهله

لا أريد هنا أن أسمى بعض المطربين والمطربات ، ولكننى أقول : إن بعضهم — وهم الذين يتحكمون فى سوق الأغانى

وفى سوق الإذاعة ، وفى سوق التمثيل السينمى فى هذا الوقت على الأقل — أقول إنهم قد اغتنوا واقتنوا ما يغنيهم عن استغلال أحط الغرائز الإنسانية التى لا تزال تتغذى منهم هذا الغذاء المجرم ! ما الذى يمنعهم من أن يساهموا فى هذه الطفرة المباركة التى ستنهض بالشعب عن طريق أغانيه ؟ ما الذى يمنعهم من أن يتركوا البكاء والعويل ويساهموا فى رفعة الشعب فيعرضوا عليه ألواناً من الحماسة والشجاعة والوصف الطبيعى الجميل ؟ إن تاريخنا مجيد سجدت له الدنيا ، وإن حاضرنا عظيم بنفوس أبنائه وهمة مليكه الشاب المفدى، فلم لا نخرج للدنيا ألحاناً خالدة خالية من الحب ، والغدر ، والهيام السقيم واللون الإفرنجى الذى يخالف ذوقنا وفننا كما أشار بذلك سيد الشباب وحفيد إسماعيل ... ؟

إن بلادنا غنية بجمالها وجلالها ، وإن شمسها وقمرها وسهولها وزروعها ونخيلها ونيلها، لو اتخذت موضوعاً للوصف والغناء لكانت فتنة للقلب، وسحراً للسمع، وإشادة صادقة بجمال صادق فذ فريد !

إن الشعب كالعجين فى أيدى الشعراء ، والزجالين ، والمطربين والمطربات... يتشكل بالشكل الذى يريده هؤلاء جميعاً فلم لا نهيئه للجو الذى نريده ويريده مثقفوه ؟ ولم لا نضطره إلى قبول هذا اللون الجميل الجليل بل إلى حبه وهو الذى يقبل منهم التافه المنحل ... ؟

إن الذين طبعوه على البكاء يستطيعون — لو أخلصوا — أن يطبعوه على حب المجد والتضحيه ومسايرة الشعوب الحية الناهضة القوية ، وإن الذين صوروه فى هيئة الرجل الذى لا يعرف إلا قلبه وحبه ، يستطيعون أن يصوروه فى هيئة الرجل الذى لا يعرف إلا مجد وطنه وفخر أمته

إن محطة الإذاعة يقع عليها جزء كبير من هذه التبعة فلن نكتفى منها بمحو كلمات (الذل ، والهجر ، والغدر) من الأغانى ، بل نطمع فى مساعدتها ومساهمتها فى هذا المشروع العظيم بكل ما تملك من سلطة وقوة... نطمع منها أن تمنع بتاتاً (أهازيج الغرام، وأدوار الهيام) وأن تشجع هؤلاء الذين يتقدمون إليها بأغانيهم القوية تشجيعاً يحفزهم على مواصلة عملهم والتقدم بفنهم إلى الأمام أبداً ...

عليها أن تضرب (بالشهرة) عرض الحائط ، وستجد من الشعب المثقف ومن الصحافة خير مشجع لها ومشيد بفضلها

إن الأمر لن يكلفها إلا القليل من الجرأة والإيمان بعدالة هذه القضية فهى متعاقدة مع بعض كبار الملحنين فلتكلفهم بتلحين جديد لكلام جديد ... فإن عجزوا فالمباريات لن تعجز والجيل الجديد من الموسيقيين الناشئين المثقفين لن يعجز !

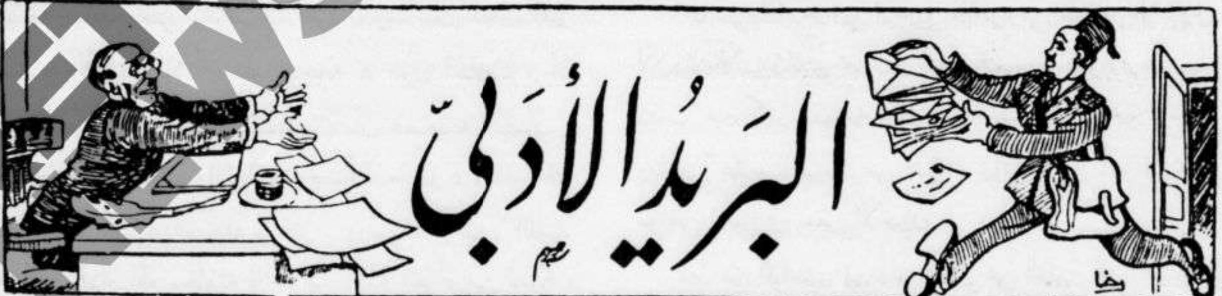
أعتقد أن وزارة المعارف وهى التى تشجع الفنون على اختلاف أنواعها لن تضن على الموسيقى بتشجيعها ، وعلى رأسها وزيرها الأديب ، ووكيلها الموسيقى بفطرته، والذى يتمنى أن يرى الموسيقى قد أخذت مكانها الرفيع فى التثقيف والتهذيب والتطريب القوى الذى لا انحدار فيه ولا استرخاء

إن الوزارة لو اشتركت مع محطة الإذاعة فى عمل مباريات تنظر فيها لجنة فنية من كبار الموسيقيين تكافأ بما يتناسب وجلال هذه المهمة لكانت خطوة موفقة، ولو كلفتهم الوزارة والمحطة بعمل قطع جديدة وكافأتهم مكافأة حسنة لكانت خطوة أكثر توفيقاً، وأكبر نجاحاً

أيها الناس ... لقد سئمنا الشهرة ، وسئمنا هذا الاستغلال الذى يتنافر وشرف الفن، ومللنا هذا البكاء المريض الذى لا يتفق وحضارتنا ، وكبرياءنا

نريد أن نحيا كما يحيا غيرنا . نريد أن نفخر بعزتنا ، وبوطننا ، وبمليكنا الذى يود أن يسمو بالأغانى عن منطقة الدموع والشهوات والقلب والحب ، والحسرات والزفرات . حتى لا يقال عنا إننا لا نعيش إلا لشهواتنا وقلبنا ..!!

محمد السيد المويلحى



البريد الأدبي

النواحي الإنسانية في الرسول

قرأت كلمة للأستاذ زكي مبارك في العدد (٢٩٧) من مجلة الرسالة الغراء تحت هذا العنوان، وقد بنى هذه الكلمة على أساس أن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم لم تدرس حق الدرس إلى اليوم في البيئات الإسلامية، لأن المسلمين يجعلونه رسولاً في جميع الأحوال، فهو لا يتقدم ولا يتأخر إلا بوحى من الله، ولا يأخذ ولا يدع إلا بإشارة من جبريل

ولو أن الأستاذ زكي مبارك رجع إلى ماضيه في الأزهر فقرأ شيئاً من كتب الأصول، لعرف أن المسلمين لم يكونوا بهذا الشكل الذي يصورهم به. وقد نعذر بعض المستشرقين إذا قال مثل هذا القول، ولكنا لا نعذر الأستاذ زكي مبارك، وقد تربى بين شيوخ الأزهر، ودرس الكتب الأزهرية، ووصل فيها إلى الحد الذي جعله يقدم نفسه من عامين لامتحان شهادة العالمية

فليس بصحيح أن المسلمين يعتقدون أن النبي لا يتقدم ولا يتأخر في جميع أحواله إلا بوحى من الله، ولا يأخذ ولا يدع إلا بإشارة من جبريل، والذي يعرفه المسلمون جميعاً أن الوحى لم يكن له مع النبي صلى الله عليه وسلم شأن في أمور الدنيا، حتى ورد عنه هذا القول المشهور: «أنتم أعلم بأمور دنياكم» وقد قال هذا حينما رأى قوماً يؤبرون النخل، فقال لهم: لو تركتموه لصلح، فتركوه اتباعاً لقوله ففسد، فلما رجعوا إليه قال لهم: أنتم أعلم بأمور دنياكم

أما أمور الدين فقد جوز أكثر العلماء له الاجتهاد فيها بدون الوحى، وجوزوا عليه الخطأ فيها أيضاً، ولهذا عوتب في القرآن الكريم بقوله تعالى: «عفا الله عنك لم أذنت لهم» وبقوله: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض» وقال صلى الله عليه وسلم: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى»

وقد منع بعض العلماء أن يجتهد النبي في الأحكام من نفسه واستدلوا بقوله تعالى: «وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى» وأجاب الذين ذهبوا إلى جواز ذلك له بأن هذا مختص بالقرآن الكريم، وقد جاء رداً لما زعمه المشركون من افترائه له

فهل بعد هذا كله يصح أن يقول الأستاذ زكي مبارك: إن شخصية الرسول لم تدرس عند المسلمين حق الدرس إلى اليوم؟ وهل من اللائق أن نتنكر لماضينا هذا التنكر؟

عبد المتعال الصعيدي

من ملك مصر والشام الى ملك بيت المقدس

قاتلهم فكان خيرَ مقاتل، وهادنهم فكان أفضل مهادن، وغلبهم فكان أكرم غالب، وتكلم في الحرب فكان القول زمجرة ونهيما، ونطق في السلم فكان الكلام عَنْدَلة[1] وهديلاً، وللهيجاء لسان، وللموادعة لغة. وكانت لهم في (بيت المقدس) مملكة استمرت مائة عام إلا قليلاً، ومات ملكها وبين (المفيروالدائد) هدنة، فأرسل بهذا الكتاب معزياً، ونحن ننشره في (رسالة العرب والعربية) نموذجاً من أدب النفس والخلق العالى والسياسة الحكيمة

إنه (صلاح الدين) تلميذ (محمد) خادم محمد، صلى الإله على محمد!

* * *

«كتب القاضي الفاضل عن السلطان (صلاح الدين يوسف ابن أيوب) إلى بردويل أحد ملوك الفرنج، وهو يومئذ مستول على بيت المقدس وما معه، معزياً له في أبيه، ومهنئاً له بجلوسه في الملك بعده، ما صورته:

أما بعد: خصَّ الله الملك المعظم حافظ بيت المقدس بالجدِّ الصاعد، والسَّعد الساعد، والحق الزائد، والتوفيق الوارد؛ وهنأه من ملك قومه ما وُرِّثه، وأحسن من هداه فيما أتى به الدهر وأحدثه، فإن كتابنا صادر إليه عند ورود الخبر بما ساء قلوبَ الأصادق، والنعى الذي وَدِدْنا أنَّ قائله غير صادق؛ بالملك العادل الأعزّ الذي لقَّاه الله خير ما لَقَّى مثله، وبلَّغ الأرضَ سعادته

---

(١) البلبل يعندل

كما بلّغه محلّه؛ مُعزّ بما يجب فيه العزاء ، ومتأسفٌ لفقده الذى عظمت به الأرزاء ؛ إلا أن الله سبحانه قد هون الحادث ، بأن جعل ولَدَهُ الوارث ؛ وأنسى المصاب ، بأن حفظ به النِّصاب ، ووهبه نعمتين : المُلكَ والشباب . فهنيئاً له ما حاز ، وسقياً لقبر والده الذى حقٌّ له الفداء لو جاز . ورسولنا الرئيسُ العميدُ مختار الدين أدام الله سلامته قائمٌ عنا بإقامة العزاء من لسانه ، ووصْف ما نالنا من الوحشة لفراق ذلك الصديق وخُلوّ مكانه ، وودّنا الذى هو ميراثُهُ عن والده من ودادنا ، فليلقَ التحيّة بمثلها ، وليأت الحسنة ليكون من أهلها ؛ وليعلم أنّا له كما كنا لأبيه : مودةٌ صافية ، وعقيدة وافية ؛ ومحبة ثبت عقدُها فى الحياة والوفاه ، وسريرة حكمت فى الدنيا بالموافاه ؛ مع ما فى الدين من المخالفات . فليسترسل إلينا استرسال الواثق الذى لا يخجل ، وليعتمد علينا اعتماد الولد الذى لا يحمل عن والده ما تحمل ؛ والله يديم تعميره ، ويحرس تأميره ، ويقضى له بموافقة التوفيق ، ويلهمه تصديق ظنّ الصديق »

* * *

ذلكم كتاب بطل المسلمين وقاهر الصليبيين (صلاح الدين) وإن (معزّى) ملك بيت المقدس هو (منقذ) بيت المقدس

« الاسكندرية »

* * *

التصوف الاسلامى

أخى الأستاذ الزيات

يسرنى أن أقدم إليك القصة الآتية :

لما ظهر كتاب التصوف الإسلامى كنت أنتظر أن يقع من جميع الباحثين موقع القبول ، ثم أزعجنى أن يتلقاه بعض الناس بالكدر والامتعاض . وقد دلنى ذلك على أن التضامن منعدم بين أدباء هذا الجيل

وأعيذك أن تظن أنى خائفٌ على نفسى من لجاجة بعض الحاقدين . وكيف أخاف وذلك « البعض » واحدٌ من جملة الذين عادَونى وخاصمونى ثم ارتدوا على أعقابهم خاسرين ؟

أما الخوف على كتاب التصوف الإسلامى فهو لا يخطر فى البال ، لأن الكتاب سيشقّ طريقه إلى القلوب والعقول ، ولو تظاهر الناس كلهم على دفع أمواجه الأدبية والفلسفية

وإنما أشغل نفسى بهذه القضية لسببين : الأول حق التاريخ ، والثانى حق الواجب

أما حق التاريخ فهو تسجيل ظاهرة من ظواهر الأخلاق ، لأن ذلك الأستاذ الذى يحارب كتاب التصوف الإسلامى هو رجلٌ دفعتُ عنه كيد خصومه بكلمة قوية نشرتها فى مجلة الرسالة ، وما أمنّ عليه بما صنعت من جميل ، وإنما أسجل أننا قد نخطئ مواطن الجميل فى بعض الأحيان

أما حق الواجب فهو دفع الأذى عن العقول التى تُقبِل على مؤلفاتى ، فما يجوز أن أترك أنصارى عرضةً لأراجيف المتقولين والحاقدين

فما الذى عابه ذلك الأستاذ المفضال ؟

١ — قال : إنى كتبت فى التصوف ولست صوفيًّا ، ولا يجوز عنده أن يكتب فى التصوف غير الصوفية !

وأجيب بأنى درست التصوف من الوجهة الأدبية والفلسفية وقد وصلتُ من ذلك إلى ما أريد . أما القول بأنى لست صوفيًّا فهو قولٌ مردود ، فتلك أسرارٌ يعلمها الله ويجهلها الناس . وأنا أكره أن أصف نفسى بالتقوى والزهد والتنسك لئلا أقع فى بلية الرياء ؛ وقد قلت ألف مرة إنى أحب أن ألقى الناس بالفجور وألقى الله بالعفاف ، وأنا راضٍ عن نصيبى عند علاّم الغيوب

٢ — وقال : إنى لوثت كتاب التصوف الإسلامى بالحديث عن أبى العتاهية ، وساق كلمة سفيهة وُصِف بها أبو العتاهية فى كتاب الأغانى

ولو أن هذا الناقد كان اطلع على كتاب (النثر الفنى) لعرف قيمة الأخبار الواردة فى كتاب الأغانى

وهل يصحّ فى حكم العقل أن نمحو اسم أبى العتاهية من سجلات الأدب بسبب كلمة سخيفة كتبها صاحب الأغانى ؟

أنا لا أنظر إلى أبى العتاهية إلا من جهة واحدة : هى أنه أنشأ فى الأدب العربى فنًّا جديداً حين نظم قصائده الزهديات . ولن نستطيع أن نقاوم أبا العتاهية بعد أن أمدّ اللغة العربية بهذه الثروة الشعرية . وكيف نستطيع ذلك وفى المؤلفين من عدّ أبا العتاهية من أمراء الشعر فى العصر العباسى ؟

٣ — وعاب علىّ أن أتحدث عن زهديات أبى نواس فى كتاب التصوف الإسلامى .

وما العيب فى ذلك ؟

أنا تحدثت عن الندم الذى عاناه أبو نواس يوم هداه الله إلى المتاب ، فهل ينقض ذلك من كتابى ؟

وهل هناك فرصة روحية أعظم من فرصة الفاجر حين يتوب ؟

وهل كان أبو نواس أسوأ خُلقاً من بعض شعراء اليونان الذين بقيت آثارهم على وجه الزمان ؟

إن الذين يعيبون عليّ أن أتحدث عن زهديات أبي نواس في كتاب التصوف ينظرون إلى الأخلاق نظرة سوقية لافلسفية، وأمثال هؤلاء لا يقام لآرائهم وزن وإن لبسوا مسوح الرهبان

٤ — ويجب حضرة الناقد من ألا أكتب عن الحلاج غير إحدى عشرة صفحة ، ولو أنه كان تأمل لعرف كيف اختصرت القول في الحلاج ، لأن الحلاج درسه المستشرقون من قبل ، وأنا أبغض الحديث المعاد .

وأنا مع ذلك أقول إن الصفات التي كتبتها عن الحلاج ستكون نبراساً لكل من يكتب عن الحلاج ، ولن يستطيع باحث مهما اعتسف أن يجهل أني هديته إلى معالم الصواب .

٥ — وهناك مسألة سكت عنها هذا الناقد وتعرض لها بعض الأزهريين في كلمة نشرها بجريدة الدستور ، وهي أنني قلت : إن الحلاج صُلب كما صُلب المسيح .

وأنا قلت ذلك في كتاب التصوف الإسلامي ، ولكن له تأويل سجلته في الجزء الثاني من كتاب : « ليلى المريضة في العراق » . وقد فرغت من طبع هذا الجزء قبل أن يُنشر ذلك النقد بجريدة الدستور بأسابيع طوال .

وهل يفطن ذلك الناقد إلى السر في أن ينفي القرآن صلب المسيح ؟

إن لذلك سرًّا سنذيعه يوم نأمن كيد الذين لا يهمهم غير مضغ الأحاديث ، فقد شقينا بأراجيف الناس أعنف شقاء ، ومن الله وحده ننتظر حسن الجزاء .

زكي مبارك

الفائزون في المباراة الأدبية بين المدرسين

اعتمد معالي وزير المعارف النتيجة النهائية للمباراة الأدبية لتشجيع النتاج الفكري بين المدرسين

وننشر فيما يلي أسماء الفائزين ومقدار المكافأة التي تقرر منحها لكل منهم

في الأدب : الأستاذ فخري أبو السعود المدرس بمدرسة الرمل الثانوية وموضوع الرسالة « البارودي الشاعر » وقيمة الجائزة أربعون جنيهاً

في التاريخ : الأستاذ عباس الخرادلي مدرس أول بمدرسة الأمير فاروق الثانوية وموضوع الرسالة « تاريخ الثورة الفرنسية » وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً ...

« الخلافة والسياسة » للأستاذ فخري أبو السعود وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

في الكيمياء : « الكيمياء ومسائل الحياة اليومية » للأستاذ حسن عبد السلام مدرس أول بمدرسة بنباقادن الثانوية وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

في الطبيعة : « الحسن بن الهيثم وجهوده في علم القوة » للأستاذ عبد الحميد حمدي مرسي المدرس بالأميرة فوزية وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

في النبات : « حياة النبات ومبدأ السنابل » للدكتور عبد الحليم منتصر المدرس بكلية العلوم وقيمة الجائزة سبعون جنيهاً

في الرياضة : « التحويلات الهندسية » للأستاذ حسن رضوان المدرس بالهندسة التطبيقية وقيمة الجائزة أربعون جنيهاً

في الفلسفة والاجتماع : « أحلام الفلاسفة في المدينة الفاضلة » للأستاذ زكي نجيب محمود المدرس بالمدارس الثانوية وقيمة الجائزة خمسون جنيهاً

« روح القومية مقدمة الإصلاح الاجتماعي » للأستاذ أحمد خاكي المدرس بدار العلوم وقيمة الجائزة سبعون جنيهاً

ولما كان من أغراض المسابقة إيجاد ذخيرة علمية وأدبية للطلاب وللجمهور في مصر باللغة العربية وخاصة في الموضوعات التي تنشر فيها مؤلفات عربية للآن فقد قررت الوزارة أن تقوم بطبع جميع الرسائل التي منحت جوائز ، على ألا تطبع الرسالة إلا بعد إجراء التعديلات التي اقترحتها اللجان العامة واللجان الفرعية وإقرار اللجان الفرعية للرسائل بعد تعديلها

وستحتفل الوزارة في اليوم الثلاثين من هذا الشهر بقاعة المحاضرات بجامعة فؤاد الأول بتوزيع الجوائز عليهم ، فيلقي معالي الوزير خطاباً ، ثم يرد عليه أحد الأساتذة الفائزين بكلمة

نشر الأدب العربي باللغة الفرنسية

نشرنا من قبل نبأ عن تأليف شعبة محلية لجمعية « جيوم بديه » تكون مهمتها نشر كتب الأدب العربي القديم باللغة الفرنسية ، رغبة في إيجاد صلة بين التفكير المصري وتفكير القدماء من أبناء لغة العرب

ونذكر لهذه المناسبة أن جمعية « جيوم بديه » قد درجت

في فرنسا على ترجمة المؤلفات التي صدرت باللغة اللاتينية ترجمة صحيحة باللغة الفرنسية

وستبدأ الشعبة المحلية بترجمة كتاب عربي يقدمه معالي الشيخ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف وتتوخى الجمعية في ترجمتها الحرص على إثبات النص العربي في أحد وجهي الكتاب وفي الوجه المقابل الترجمة الفرنسية

وستطبع كتبها في مصر، ثم توزع في الخارج

هافاس والرسالة

روت وكالة هافاس أن الحملة التي قامت بها مجلة «الرسالة» على الطرق بصفة عامة والتجانية بصفة خاصة قد أحدثت تأثيراً كبيراً بالمغرب، وأن قاضي سطات من كبار حملة الأقلام في المغرب الأقصى وهو من رؤساء هذه الطريقة قد ألف كتاباً صغيراً في الرد على مجلة الرسالة وسيطبع عما قريب بعاصمة تونس. وقالت الوكالة المذكورة إن لهجة هذا الكتاب على غاية من الحدة ضد الهادم للطريقة التجانية وخصوصاً ضد الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء بالجزائر

هذا النبأ المفترى لا يوجد إلا في رأس مختلقه من أصحاب هذه الوكالة. وقد كذبت هافاس في هذا الخبر مرتين، فالرسالة لم تقم بحملة ما ضد الطرقيين، وهي أرفع من أن تقوم بحملة من هذا النوع، وكل ما كتبته في هذا الموضوع لا يتجاوز كلمة صغيرة للأستاذ علي الطنطاوي، كتبها تعقيباً على مقال للعلامة الحجوي مندوب المعارف بالمغرب أبان فيها أن الطرق — بصفة عامة — عديمة الجدوى، هذا إن لم تكن سبباً للتفريق بين جماعة المسلمين. والكلمة حق في حق لا تصل أن تكون حملة في الواقع؛ على أن الرسالة أفسحت المجال للشيخ محمد الحافظ التجاني للدفاع عن الطريقة التجانية بما لا تعد بعده أنها حملت على هذه الطريقة

أما الكذبة الثانية فهي أن هذه الحملة الموهومة قد أحدثت تأثيراً كبيراً في المغرب، والقاضي الذي أشارت إليه الوكالة أكبر شأنه أنه تجاني متطرف من غلاة التجانيين ليس أكثر. هذا علاوة عن أن الطرقية بالمغرب خفت صوتها منذ أصبحت أداة مسيرة بيد رجال القبعات مختفية تحت أصحاب العمائم

أما مجلة الرسالة الزاهرة، والأستاذ علي الطنطاوي المسلم المؤمن، والشيخ عبد الحميد بن باديس المصلح الكبير، فهؤلاء جميعاً أكبر من أن ينتقدهم طرقي مذبذب في كتيب خرافي

فاس — المغرب الأقصى (ا. ب)
بكلية القرويين

في الفقه المقارن

أخرج الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي الطبعة الثالثة من كتابه (الميراث في الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والوضعية) وهو بحوث في الفقه المقارن عني فيها المؤلف ببيان فضل الميراث في الشريعة الإسلامية على غيرها بعد أن بين أحكام الميراث في الإسلام، وأحكامه في غيره من الشرائع السماوية والوضعية

ويتناول المؤلف بعد بيان أحكام الميراث في الشريعة الإسلامية، والمواريث في الشرائع القديمة: عند قدماء المصريين، وعند الأمم الشرقية القديمة، وعند العرب في الجاهلية، وفي الشريعة اليهودية، وعند قدماء اليونان، وعند قدماء الرومان؛ ثم المواريث في الشرائع الحديثة: في القانون الفرنسي، وعند الاشتراكيين

وبعد ذلك يجري الموازنة في الميراث بين الإسلام والشرائع القديمة والحديثة. ومن مواضع الموازنة: التسوية بين الذكور والنساء، التسوية بين الأخوة، إيثار أرشد الذكور، إعطاء البكر نصيبين ... الخ

وقد سار في كل ذلك على نهج قويم من حيث بيان الأسباب المعقولة للمسائل والأحكام، وقرع الحجة بالحجة؛ والكلام يتسلسل في أسلوب بين، سهل الورود، مسعف بالإفادة، إلى حسن تبويب ودقة ترتيب

وتمتاز هذه الطبعة عن سابقتها بكثير من الزيادات والتنقيحات. ويقع الكتاب في ١٣٦ صفحة من القطع المتوسط. ويطلب من مكتبة الشرق الإسلامية بشارع محمد علي أمام دار الكتب الملكية

الأسماء العربية لجبال القمر

قرأت مقالة الأستاذ قدري حافظ طوقان، المنشورة في العدد ٢٩٤ من «الرسالة»، بعنوان «القمر بين الحقيقة والخيال» فأعجبني ما جاء فيها من الحقائق العلمية الموضوعة بقالب يغري القارئ بمطالعتها. ولما كان حضرة الكاتب قد تطرق فيها إلى الكلام على جبال القمر، كما أنه ذكر أسماء بعضها، أحببت أن أؤيد كلامه بأمثلة أخرى من هذه الأسماء، تهمنا بنوع خاص نحن الشرقيين، فأقول: كنت قد وقفت على كتابين بالفرنسية للعلامة الفلكي مورو (Th. Moreux) أحدهما بعنوان «يوم في القمر»[1] وثانيهما بعنوان «بحث في القمر»[2]. إن المؤلف يذكر في كليهما الأسماء

(١) Un Jour dans la Lune (Paris 1926)

(٢) L'Etude de la Lune (Paris 1937)



في سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

— ٢ —

ذكرنا في المقال السابق مظهرين من مظاهر عمل الأستاذين الفاضلين العوامري بك والجارم بك في شرحهما لهذا الكتاب، وهي العناية بالإعراب، والتطبيق على علوم البلاغة.

واليوم نذكر مظهراً ثالثاً هو الإكثار من ذكر أسماء المراجع اللغوية، فما نفتأ نرى اسم اللسان والقاموس والصحاح وشرح القاموس والنهاية و . . . و . . . من غير حاجة إلى ذكر شيء من ذلك؛ لأن العادة جرت ألا يخص اسم مرجع بالذكر إلا إذا كان قد انفرد من بين بقية المراجع بإيراد ما نستدل عليه أو نحتج به، فأما الأمور التي اشتركت فيها كل المراجع أو أغلبها فلا نرى داعياً للنص على المرجع إلا أن يكون ذلك إدلالاً بمعرفة اسم الكتاب أو حيازته. ونكتفي من الدلالة على هذا المظهر في عملهما بذكر مثلين وقعا في صفحة واحدة هي ص ٢٩، قالا حفظهما الله:

(٨) الكلوح (بضم الكاف) تكشر في عبوس. وقد كلح يكلح كمنع يمنع اهـ. من اللسان

(٩) قال في القاموس: قطب يقطب قطبا من باب ضرب، وقطوباً بضم القاف فهو قاطب وقطوب: زوى ما بين عينيه. اهـ

والذي ذكرا أنه من اللسان تراه في القاموس. قال: «كلح كمنع كلوحا وكلاحا بضمهما تكشر في عبوس. والذي ذكرا أنه من القاموس تراه في كل كتاب غيره. قال في المصباح: «قطب بين عينيه قطبا من باب ضرب جمع . . .» ويتصل بأمر المراجع اللغوية مسألة أخرى وهي الوقوف عند عبارات هذه المعاجم لا تزحزح معه ولا ريم منه مهما أدى ذلك إلى الإبهام أو الاشتباه بألفاظ لا يليق في ذوق الشارحين أن تقع عليها أعين الطلاب والطالبات. وذلك كقولهما في حاشية ص ٦٤: الختن من كان من قبل (بكسر ففتح) المرأة كالأب والأخ والعم والخال.

الجغرافية التي أطلقها علماء الفلك من أبناء الغرب على جبال القمر، كما أطلقوا غيرها على سائر عوارضه السطحية. ومما يلفت الأنظار في هذه التسميات التي تُعَدُّ بالمئات، تلك الطائفةُ التي اتخذت لها أسماء تعود إلى مشاهير التاريخ الشرقي، بل العربي على الأخص. وهأنذا ذاكرها فيما يلي، مع ما يقابلها بالأفرنجية نقلاً عن الكتابين المشار إليهما:

أبو الفدا	Abulféda
ألغ بك	Ulugh Beigh
البتاني	Albatagne
ثابت (بن قرة)	Thébit
الحسن (بن الهيثم)	Alhazen
الزرقالي (ابراهيم بن النقاش الطليطلي)	Arzachel
المأمون	Almamon
نصير الدين (الطوسي)	Naṣireddin

ولا يخفى أن أغلبية هذه الشخصيات كانت ذات يد طولى في علم الفلك وما يتصل به من العلوم الأخرى. فلا غرو أن يُخلَّد ذكرهم بهذه الطريقة العلمية الصامتة التي قلما يعلم بها أخلافهم اليوم. وهلاَّ تذكرنا هذه التسميات العربية بما يماثلها في كوكبنا الأرضي، حيث نجد مواقع عديدة سميت بأسماء مشاهير رجال العرب كجبل طارق وبلد الوليد والقاهرة والمدرسة المستنصرية وغيرها مما يطول سردها ويخرج بنا عما أردناه من هذه الكلمة ..

«بغداد» كوركيس حنا عواد

أيدرى القارئ لم اضطر الشارحان إلى تقييد كلمة قبل بكسر ففتح؟ ذلك لأنهما أرادا أن ينفيا شبهة قراءتها بضمتين فيقع المحظور الذى تتوقاه وزارة المعارف . ولكنى أقول إن هذا الضبط الذى قصد به لفت النظر والفكر عن شىء غير لائق كان أدل شىء على ذلك الشىء . فأى داع إلى التزام هذا اللفظ خصوصاً بعد أن تنبه الشارحان إلى ما فيه من خطر على الطلاب والطالبات ؟ لا نرى ذلك الداعى إلا وقوفهما عند ألفاظ المعاجم لا يريمان منها ولو قيد أنملة . وفى ألفاظ : جهة المرأة أو ناحية المرأة أو جانب المرأة ما يغنينا عن قولهما بكسر ففتح بين قوسين

ومن ذلك أيضاً قولهما فى حاشية ص ١٧٦ : (٦) المذاكرة مفاعلة من الذكر (بكسر فسكون) وهما لم يقيدا المفاعلة بأنها من الذكر (بكسر فسكون) إلا احترازاً من مفاعلة أخرى يكون الذكر فيها بضبط آخر غير ما ذكرا ، وقد كان نفى هذه الشبهة أدعى إلى الوقوع فيها . فلا حول ولا قوة إلا بالله

ولا نترك هـذا المقام حتى نأتى فيه على أكثر ما لاحظنا من الجمود اللغوى لتكون تلك الملاحظات مجتمعة ، وبذلك نكون قد عدنا إلى التبويب الذى رأينا ألا نتبعه فى نقدنا هذا

من الوقوف عند ألفاظ المعاجم أن ترى الشارحين قد ألغيا عقلهما الحصيف ففرقا بين ما لا فرق فيه وعرفا بما لا تعريف به ، وظنا بعد ذلك أنهما قد أبليا عذراً فى الشرح وحققا ودققا إلى أبعد غايات التحقيق والتدقيق

وهاك فاسمع أيها القارئ أولهما فى ص ١٧٦ أيضاً :

(١١) قمر فى كلامه تشدق وتكلم بأقصى قمر فمه وقيل تكلم بأقصى حلقه . لسان

وقبل أن نحتكم إلى الطبيب الشرعى أو الجراح العالم بتشريح الفم أؤكد وأشدد أنه لا فرق بين العبارتين وأنا أخالف مقدماً كل من يحاول إثبات فرق بين أقصى قمر الفم وأقصى الحلق .!!

كذلك تسمع قولهما فى ص ١٦١ عنـد قول الجاحظ فيمن لم يتخذ بناء البيوت للاستغلال وآثر دفع السكنى بأجر « وأنه قد أمن من الحرق والغرق وميل أسطوان وانقصاف سهم واسترخاء أساس » فهما يقولان : (٦) السهم جائز السقف أو جائزته فماذا استفدنا نحن من تذكير لفظ جائز مرة وتأنيثه أخرى، مادام المعنى قد صار أغمض مما كان؟ فهل يعقل وقوع مثل هذا من عالمين فاضلين كالشارحين؟ إنى أترك للقارئ الحكم على هذا العمل فالقول لا يتسع له

وأعجب ما فى عناية الشارحين باللغة أنهما حاولا أن يشرحا كل شىء حتى شرحا البدهى أو ما هو أوضح من البدهى. وقد تعجب من قولى أوضح من البدهى ! ولكن اسمع، فهما فى ص ٧٣ يعلقان على كلمة أصبح بقولهما :

(١) أصبح : دخل فى الصباح .!!. وهـذه مسألة أخرى أثارها تفسير الشارحين لكلمة أصبح . هل نحن الذين ندخل فى الصباح أم الصباح هو الذى يدخل علينا ؟ وهل الصباح هو الواقف ونحن المتحركون ، أم هو المتحرك ونحن الجامدون !!!

ماذا يسمى القارئ هذه العناية بالصغائر ، وتفسير ما لا يحتاج إلى تفسير، والإغضاء عما فى كتب السابقين من اضطراب ، من رجلين وكل إليهما أمر إصلاح العربية فى وزارة المعارف وفى مجمع اللغة ؟!

نعود بعد ذلك إلى تتبع سقطات الشرح بحسب ترتيب الكتاب فنقول :

فى ص ٢٧ يقول الجاحظ : « ولك فى هذا الكتاب ثلاثة أشياء : تبين حجة طريفة ، أو تعرف حيلة لطيفة ، أو استفادة نادرة عجيبة » فيضبط الشارحان كلمات : تبين وتعرف واستفادة بالكسر ، ولا يتركان هذا الضبط دون تنبيه على سببه حتى كان يصح أن نحمل الخطأ فيـه على الطابع الذى نحمله فى كثير من الأحيان ما لا جناية له فيه ، حتى لقد اسودت أعضاؤه وثيابه من تحمل غلطاتنا كما اسود الحجر الأسود من مسح الناس ذنوبهم فيه

لم يترك الشارحان هذا الضبط الخاطئ من غير تعليق بل لقد علقا عليه بقولهما : (٣) تبين بدل من أشياء . وأنا أربأ بكل قارئ عن أن أوجه إليه بيان الخطأ فى ذلك فهو أمر ظاهر لكل من به مسكة من نحوية، ولكنى أوجه قولى فى ذلك إلى طلاب السنة الثالثة أو الرابعة من المدارس الابتدائية فأقول لهما إذا قلنا حضرنى ثلاثة رجال محمد وعلى ومحمود ، أليس محمد بدل بعض من لفظ ثلاثة لأنه بعضها ، وإذا ضممناه إلى أخويه كان المجموع هو مدلول «ثلاثة» فكيف يجوز الإبدال من لفظ أشياء فى جملة الجاحظ وهى بمثابة كلمة رجال فى جملتنا هذه الصغيرة ؟ ألم يقل النحاة إن البدل على نية تكرار العامل ، فإذا أبدلت من كلمة رجال كان تقدير الكلام حضرنى ثلاثةُ محمدٍ وعلى ومحمود (بالإضافة) . فهل يسوغ هذا القول فى ذوق أو فهم ؟

هذه غلطة إذا ضبطها أحد المفتشين لملم صب عليه غضبه وأعاده من الثانوى إلى الابتدائى وحرمه من العلاوة حين يجئ دوره فيها ، بل إذا وقع فيها تلميذ فى امتحان الابتدائية وكان نجاحه يتوقف على التسامح فيها لم ترض المفتش غيرته على العربية أن يتسامح فيها ورسب التلميذ من أجل ذلك فى الامتحان ، وربما كان رسوبه قضاء



حديث الأسبوع

و ... غلطة فنية أخرى

في نص القرار الذى صدر بتكوين « الفرقة القومية المصرية » ما معناه أنها أنشئت لتحمل رسالة ثقافية عن المسرح النموذجى ولتبذر فى نفوس الشعب حب هذا المسرح وموالاة تشجيعه ...: على هذا الأساس تكونت الفرقة وضمت إليها أقوى العناصر الفنية فى الشرق وأقواها وأثبتها قدماً ، وعلى أكتاف هؤلاء استقام البناءوطرق الشعببابه ، ثم عادوابين مادحوقادح ومتفائل ومتشائم ، حتى سلخت الفرقة من عمرهاعاماً تركهابعده المخرج المعروف ومبعوث الحكومة فى مسرح الأوديون (زكى طليمات) ليخدم المسرح عن

على آماله فانتحر ولكننانرى الشارحين قد وقعا فيهاوأكداها بالتفسير والتعليق ومع ذلك لم ينقلا من عملهماولم يحرما علاوة لهما ، ولم...الخ

وفى الصفحة عينها ينقل الجاحظ قول بعض الحكماء لرجل اشتد جزعه من بكاء صبى له : « لا تجزع فإنه أفتح لجرمه وأصح لبصره » فيعلق الشارحان على ذلك بقولهما .

(١٣) أفتح لجرمه ، الجرم الجسم وأفتح له : أعظم إنماء له . والمعجم الذى نقلا منه أن معنى الجرم الجسم ، هو نفسه المعجم الذى يفسر الجرم بالحلق . فانظر إلى أى حد يتخطى الصواب مع وضوحه ، ويجنح للخطأ مع شناعته وبعد تصوره ؟!!

وقبل أن نختم مقالنا هذا نرجو من حضرة صاحب المعالى وزير المعارف أن يلقى باله إلى كلامنا ويقيسه بمقياس العلم الذى ينشره أو الجهل الذى يحاربه. فوزير المعارف حريص على الحقائق خصوصاً إذا كان قد دفع من خزانة الدولة ثمناً باهظاً لها .

(للكلام بقايا)

محمود مصطفى
المدرس بكلية اللغة العربية

طريق آخر ما دامت قد وقفت فى وجهه أشباح المطامع والأغراض

وظلت الفرقة فى سيرها تتخبط ، فاستدعت إدارتها خبيراً فرنسيًّا ، ثم انتدبت بعد ذلك مخرجاً فرنسيًّا أيضاً ليعلم الممثلين المصريين التمثيل بلغتهم وليتولى إخراج مسرحيات لفظتها بلادها ورآها هو عند ما كان يعمل مساعداً لأحد مديرى المسارح المتنقلة فى الريف الفرنسى « ريجسير » فنقلها كما هى فعدنا إلى الوراء سنين عديدة لنقلد ببغاء لولا أنه أجنبى ماوصل إلى مركزه

حياة الظلام

اشترى ستديو مصر من الأستاذ محمود كامل المحامى حق إخراج قصته الطويلة « حياة الظلام » وعهد بإخراجها إلى المخرج الشاب احمد بدرخان الذى بدأ العمل منذ أسبوع بعد أن اختار مجموعة فنية كبيرة لمعاونته

و « حياة الظلام » قصة عاطفية تعبر عن نوع غريب من الحب العاصف الذى ربط بين قلب ساذج بكر وقلب أثقلته تجارب الحياة الغرامية فامتلأ بالحب على أنواعه ومناحيه واستطاع أن يتفنن فى الخديعة ويحسن الزيف ولكنه خضع أخيراً واستسلم ..

وهى أيضاً من نوع لم تألفه السينما المصرية إذ لم يستطع مخرج مصرى أن يقدم على طرق مثل هذا الموضوع والتفكير فى إخراجه خشية الرقيب والتقاليد فى الوقت الذى نرى فيه الشركات الأجنبية تفضل هذا الصنف من القصة العاطفية التى تتحدث عن « حياة الليل » وما نجاح « نانا » لأميل زولا ببعيد ...

وعهدت إدارة ستديو مصر إلى الهر شارفنبرج بعمل « الديكوراسه » كما سيسجل الصوت فيه مصطفى والى وعزيز فاضل ويقوم بعمل « المونتاج » جمال الدين مدكور . أما من اختيروا للتمثيل فهم مجموعة فنية على رأسها الممثل الكبير زكى رستم ومنسى فهمى . أولهما فى دورعبد الستار الشرقاوى ، والثانى فى دور الأب ، ثم عبد الفتاح القصرى ، وأنور وجدى الذى سيمثل دور

محمود الشيمى . ويأتى بعد ذلك دور احمد علوى بطل القصة وقد وقع الاختيار على وجه جديد ليقوم به . . . أما الأدوار النسائية فقد أسندت إلى السيدة أمينة شكيب وفردوس محمد وروحية خالد. ولعله مما يهم بعض متتبعى قصص الأستاذ كامل أن يعرفوا أن « للمواويل » نصيباً فى فلمه ، وسيغنيها عبده السروجى ومحمد الكحلاوى ومطربة ناشئة اسمها آمال

رحلة الفرقة القومية

منذ زمن يرجع عهده إلى ما قبل انتهاء الدورة الأولى لهذا الموسم وإدارة الفرقة القومية تشيع أنها قد نظمت رحلة إلى الوجهين البحرى والقبلى والمحافظات « لإعطاء الشعب الفكرة المثلى عن المسرحية العالية النموذجية وللارتقاء بأفهام الجمهور » . ولكن الرحلة لم تتم وموعدها لم يحدد . وتساءل الناس هل عدلت الفرقة عن الرحلة أم أجلتها أم تراها فى هذه الأيام تستعد للدورة الثانية التى تبدأها فى الوقت الذى تقفر فيه القاهرة من مسارحها ؟

والواقع أن الإدارة غير المستقرة هى السبب فى كل هذا الارتباك وهى المسئولة عن تأجيل الرحلة وتعطيل العمل، وهى المسئولة أيضاً عن قرارها الذى صدر بتعيين موعد الرحلة وهو يوم ٢٠ الجارى إلى الوجهين حيث تمثل بعض المسرحيات المصرية الناجحة ... وبتأجيل هذا الموعد لسبب من الأسباب التى تراها بعينيها الناقدتين. وعلى أية حال سواء قامت الفرقة بالرحلة أم لم تقم فقد أعدت للدورة القادمة مسرحياتها وهى « عطيل » و « تلميذ الشيطان » و « المال والبنون » و « رسالة المرأة » ؛ وجميعها من إخراج فلاندر إلا « المال والبنون » فهى من إخراج جميى

الى باريس

يعمل القسم الفنى فى شركة فنار فيلم تحت إشراف السيدة بهيجة حافظ للانتهاء من « مونتاج » النسخة الناطقة بالفرنسية من فيلم ليلى بنت الصحراء ، وقد يتم ذلك فى حوالى منتصف الشهر القادم إذ تكون النسخة قد أعدت « سالبة » وموجبه فتحملها بهيجة معها إلى باريس ليتم طبعها هناك

ورب سائل يسأل عن السر فى اختيار باريس لطبع النسخة النهائية « ستاندرد » وبدورنا نقول له : إن هناك معامل تخصصت فى إجراء بعض عمليات تكميلية فنية لا توجد فى مصر؛ ثم إن شركة فنار فيلم ترى أن تقدم فلمها بعد إصلاحه على صورة جديدة تغاير الأولى بعض الشىء ، فمن ذلك أنها اعتزمت أن تقدمه ملوناً بالألوان الطبيعية وفضلت لذلك لونين هما Sepia et Rose Caprise وأضافت إليهما فى ذات الوقت اللون الأزرق الهادى

وستعرض النسخة الفرنسية أولاً فى باريس والبندقية ثم تسافر إلى أمريكا ، وفى هذا الوقت يكون الموسم السينمى الجديد القادم قد حل فتعرض فى مصر والأقطار الشقيقة والبرازيل وغيرها

مجنون ليلى

الحقيقة التى يجب أن أعترف بها أن الشقيقين بدر وابراهيم لاما من أنشط الشباب الذى يعمل فى السينما وأسرعهم إنتاجاً ، ولكن ... نتيجة ذلك الحتمية هى ضعف الإنتاج وعدم الإقبال عليه لأسباب عديدة يرجع أهمها إلى عدم وجود الدراية الكافية والاعتماد على شخصيات هزيلة ترضى بالتافه من النقود و ... قلة توفر المال اللازم لمثل هذه المشروعات

والحديث عن السقوط الشنيع الذى لقيه فلم إخوان لاما الأخير « ليالى القاهرة » يطول ويتفرع ... أجل يتفرع من مآس كتلك التى تمخض عنها خيال الأخوين وأحد المخرفين من أتباعهما إذ زين لهما ضرورة إخراج قصة « مجنون ليلى » على الستار وهى لعمرى جريمة فنية مزدوجة فيها جناية على اللغة العربية التى لا يعرفها أحد الأخوين ، وجناية على الفكرة السامية التى أخذها الناس عن القصة ، وجناية على الشعر الذى وكل أمر نظمه إلى أحد الذين يؤلفون لصالات الدرجة الثالثة فى شارع عماد الدين

وقدم الشقيقان لاما « سيناريو » مجنون ليلى إلى قلم المراقبة بوزارة الداخلية فأحسنت صنعاً بعدم الموافقة عليه (لضعفه و « سخافته » ! ومنعاً لإساءة تنسب إلى الخالد الذكر المرحوم شوقى بك) وكان طبيعياً أن يثور ابراهيم لاما محاولاً فى لهجته الغريبة أن يقنع القائمين بالأمر بأنه جدير بالقيام بأعباء هذا العمل وأنه على استعداد لتغيير اسم القصة وجعله « قيس ليلى »

والعقبات التى ذكرت يمكن تذليلها ، ولكن الشىء الوحيد الذى يجب أن يذكره الجميع هو أن يطالبوا بإيقاف هذين الأخوين عند حدهما ونصحهما بأن ما لديهما من ملابس بدوية سابقة لا يكفى لنجاح قصة شعرية لها مكانتها فى العالم العربى، وأنهما إذ يحاولان إخراجها يسيئان إلى نفسيهما وإلى اللغة وإلى أفكار الناشئة

مهر يس

7me Année No. 299

Lundi - 27 - 3 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٢٩٩ «القاهرة فى يوم الاثنين ٦ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٧ مارس سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

المسلمون والإسلام

رســـالة الأزهر...

دار الرسالة – والفضل لله – ملتقى مفكرى الإسلام العرب وغير العرب ، من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ، يزورونها أول ما يزورون من معاهد الثقافة بالقاهرة ، فنتناقل الحديث ونتذاكر الرأى فى موقف المسلمين اليوم من قراع المذاهب ، وصراع القُوى، واهتلاك الدول فى التسلح بالعلم والدعاية والعدة، واحتفاز الأمم فى التقوّى بالتعلم والعمل والانتاج ، فنتبين من وراء الحديث أن الإسلام فى غير بلاد العرب خِلْط عجيب من العقيدة السالفة، والصوفية الزائفة، والأساطير الموزونة، والتفاسير الخاطئة؛ ثم استحال هذا الخلط على تراخى الزمن وانقطاع الصلة واستعجام اللسان إلى مُرْقد يعوق عن السعى ، ويمنع من النظر ، ويصد عن الفكر ، ويذهل شاربيه عن حركة الوجود وسير الفلك. فالمسلمون فى ألبانيا ويوغوسلافيا من بلاد المغرب ، وفى الصين وجزائر الهند من بلاد المشرق، يتميزون عن مواطنيهم بزهادة كالبلادة ، وجهالة كالموت ، وتوكل كالتواكل ؛ ويتوهمون أن الإسلام ليس من شأنه الدنيا ، وأن المسلم ليس من همه المادة ، وأن ما هم فيه من رَنَق العقيدة وظلام الفكر وخَدر الشعور إنما هو روح الدين ورضا الله وطريق الجنة . ثم لا يعدمون أن يجدوا مصدقاً لما يزعمون

فيما يقرأون من الأحاديث الموضوعة والأخبار المصنوعة والأقوال الملفَّقة . فإن من محن الإسلام حين ضعف أهله وزال سلطانه ، أن امتزجت به كل نحلة ، وسرت إليه كل علة ، وترامت فيه كل حالة ؛ فكل امرئ واجد فيه ما يلائم استعداده ويناسب فهمه . وإذا كان ذلك حاصلاً بين العرب وهم أصحاب الدين وأهل اللغة ، فما ظنك بغيرهم ممن بلغتهم الدعوة مترجمة عن طريق الفرس أو عن طريق الترك بالتجارة أو بالفتح ؟

لقد عصفت بالعالم كله عواصف هوجٌ من السياسة والاقتصاد فلم تدع فيه ساكناً إلا حركته، ولا بالياً إلا جرفته ؛ وكان لا بد للعالم الإسلامى أن يهب على دوى هذه الزعازع ، فنهض شبابه يستعدون بعدة الناس، ويتجهزون بجهاز العصر ؛ ولكن شيوخه الوانين أخذوا يعوّقونهم عن الأهبة والسعى بكلام ينسبونه إلى الله والله منه برىء. ثم كان من أثر تلك الهبّة العامة وهذه الحالة الخاصة أن نفر من كل قطر من أقطار الأرض طائفةٌ من شباب الإسلام إلى مصر ليتفقهوا فى الدين ويتضلعوا من اللغة وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ، فيكونوا شهادة صادقة لحقيقة الإسلام ، وقدوة صالحة لنهضة أهله

* * *

ومصر اليوم وقبل اليوم هى بفضل الأزهر موئل اللغة ومعقل الدين ومشرق الهداية . والأزهر على الرغم مما يؤخذ عليه هو بفضل ما مكن الله له فى التاريخ، وهيأ له من الموضع، وأتاح له من المال، أقدر على تبليغ الرسالة العظمى، وتوجيه الأمة الكبرى، وتصحيح العقيدة العليا ، إذا صدق رجاله الجهاد ، وأخلصوا النية ، وأحسنوا العمل ، وذكروا أنهم جنود الله يرمى بهم العدو فى كل وقت وفى كل أرض وفى أى صورة ، فيعيشون للموت كالجند ، ويعملون للحياة كالقادة ، ويعزفون عن الدنيا كالرسل . والإمام المراغى هو فى رأينا خير من يضطلع بما يفهم المثقفون من رسالة الأزهر إذا لم ينله ما نال الأستاذ محمد عبده من اضطراب الريح حول مصباحه ، وانبثاث العوائق الخاذلة أمام إصلاحه ؛ فإنه من أفهم الناس لمعنى الدين وروح العصر ومقتضى الحال .

ورسالة الأزهر التى يريدها الله ويرجوها الناس هى :

١ — تنقية الإسلام من العقائد الواغلة والمذاهب الباطلة والعادات الدخيلة. وسبيل ذلك أن يفسَّر القرآن على هدى الرواية الصحيحة ، وفى ضوء العلم الحديث ، تفسيراً يجمع بين ما صح من أقوال السلف ، وما صلح من آراء الخلف ؛ ثم يؤلف فى الحديث كتاب جامع لما لا ريب فيه من الكتب الصحاح ، ويستعان على شرحه وتبويبه بعلوم التاريخ والاجتماع والأخلاق والفلسفة ؛ ثم يصنف فى الفقه كتاب شامل على المذاهب الصحيحة يوضع متنه موادّ كالقانون ، ثم يشرح شرحاً فنيًّا يستوعب أصوله ، ويستقصى فروعه، فى غير حشو ولا استطراد ولا تعمية. ثم تكون هذه الكتب الثلاثة المطولة مادة الدراسة ومرجع القضاء ومصدر الفتوى ؛ فتقرر فى الأزهر، وتنشر فى الجمهور، وتترجم إلى أكثر لغات الشرق وأشهر لغات الغرب ؛ ثم ترسل إلى كل بلد يعرف الإسلام أو يريد أن يعرفه . أما ما عدا ذلك من الكتب، فما كان صحيحاً بقى فى المكاتب بقاء الآثار فى المتاحف، يرجع إليه الإخصائى والمؤرخ ؛ وما كان زائفاً صنع به ما صنع عثمان بكل مصحف غير مصحفه

٢ — إعداد الوعاظ والدعاة من أهل اللسَن والخلق والورع، وإمدادهم بالثقافة الحديثة واللغات الحية ، وإيفادهم إلى الأمم الإسلامية البعيدة عن مهبط الوحى وموطن العروبة . ويدخل فى ذلك العناية اليقظة بالبعثات الإسلامية فى الأزهر، فإنهم أقدر من غيرهم على إرشاد قومهم باللغة والقدوة والنفوذ

٣ — جعل اللغة العربية لغة المسلمين كافة ، فيكون لكل مسلم فى الأرض لغتان: لغة لوطنه الأصغر ، ولغة لوطنه الأكبر. والوسيلة أن تحمل المشيخة أقطاب الرأى فى البلاد الإسلامية ، بالمفاوضة أو بالائتمار ، على أن يجعلوا تعلم اللغة العربية والتكلم بها إجبارياً فى مراحل التعليم المختلفة ، وأن تتكفل بإرسال المعلمين من المتخصصين فى الأزهر ، فإن فى شيوع العربية بين المسلمين تمكيناً لفهم الدين وتثبيتاً لمعنى الأخوة

* * *

ذلك ما يجب أن يقوم به الأزهر ؛ وذلك ما يضمن للاسلام الجدّة، ويكفل للمسلمين الوحدة ، ويجعل للرأى المحمدى سلطاناً يُخشى فى الحرب ويُرجى فى السلام

احمد حسن الزيات

رقص ورقص

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان شتاء هذا العام فى القاهرة موسماً عامراً بالمتعة الفنية التى تنتقل إليها .

شوهد فيه معرض التماثيل الفرنسية ، وشوهد فيه معرض بل معارض شتى للصور المصرية ، وشوهد فيه تمثيل فرقة من أحسن الفرق الانجليزية لروايات من أحسن الروايات القديمة والحديثة ، وشوهد فيه أو سمع فيه شريط شامل لأغانى الموسيقار العظيم جوهان شتراوس ، الذى يقال بحق إنه أرقص الكرة الأرضية فى مدارها ؛ إذ لم يبق فى الغرب ولا فى الشرق إنسان يرقص على الأنغام الفنية المهذبة إلا وقد رقص على أنغام جوهان شتراوس .

عازف عظيم تفيض ألحانه بالمرح والطرب والشباب والحياة . بلغ مبلغ القادة أصحاب الفرق وهو فى الحادية والعشرين ، وعزف للملوك والملكات فغلبهم على وقار العرف ، ووقار العرش ، ووقار السن ، فى كثير من الأحيان . ومات فى التاسعة والأربعين عن مئات من أدوار الرقص على اختلافه ، وخرج من العاصمة الانجليزية قبيل موته فى أسطول من الزوارق التى تحييه بالغناء والهتاف ... وأوصى بعد كل هذا النجاح وكل هذا الطرب وكل هذا السرور الذى أمتع به الناس . فبماذا أوصى ؟

بأعجب ما يخطر على بال ... أوصى ألا يتعلم أبناؤه الصناعة الموسيقية أبداً ، وأن يختاروا ما شاءوا من الصناعات إلا صناعة أبيهم ... فأنبأنا بذلك نبأ ليس بالجديد ، وإن كان لنسيان الناس إياه قد يحسب من الجديد الغريب : ذلك أن حياة الفن حياة فداء لأنها حياة فتوح . فما من فنان عبقرى إلا وهو فاتح بمعنى من معانى الفتح والجهاد ؛ وكل جهاد فداء ، وكل فداء فيه ألم محقق ، وللنصر بعده سرور مشكوك فيه ، لأنه سرور يتمناه من قد حرمه من النظارة المتفرجين ... أما صاحبه فقلما يحسه من قريب .

على أن أبناءه قد خيبوا حنانه وإن لم يخيبوا ظنه ، فقد نشأوا جميعاً موسيقيين ناجحين مشهورين ، وأوشكت أعمالهم أن تلتبس بأعمال أبيهم ، ولم نسمع أن أحداً منهم أوصى بمثل وصيته فى ساعة الوفاة ، ولم نسمع بأعقاب لهم فى عالم العزف والغناء !

***

كانت الليلة التى قضيناها فى سماع « شتراوس » من ليالى الفن النادرة ؛ وكانت دار الصور المتحركة مكتظة بالسامعين ؛ وكان تسعة أعشارهم من الأوربيين ، والعشر الباقى من المصريين الذين لا يسيغون ما يساغ من ذلك الغناء الشائع فى بلادنا ، إن صحت تسميته بالغناء .

وسألنا أنفسنا : أين يختلف الفنان وهما على حسب المفروض أو المظنون من معدن واحد ؟

إن موسيقى شتراوس إحدى الموسيقات التى يصح أن تسمى غنائية بسيطة تمييزاً لها من الموسيقى العويصة المركبة التى يريدها عشاق فاجنر ، أو الموسيقى العقلية الصافية التى يذيعها فى هذا العصر ستافنسكى الروسى Stavinsky ؛ فإذا كانت هذه الموسيقى الغنائية لا تساغ فى مصر فما الفارق بينها وبين موسيقى الغناء الشائع بين الجمهرة « السامعة » من سواد المصريين ؟

الفارق أنك لا تستطيع أن تضع موسيقى شتراوس على لسان حيوان .

فهى تمثل المرح ، ولكنه مرح الفكر الإنسانى حين ينشط فيملى نشاطه على الحواس والأعضاء .

فالراقص على أنغام شتراوس إنما يرقص لأن له نفساً إنسانية قد شاع فيها السرور فنهضت بالجسم الذى هى فيه إلى الحركة الموزونة والنشاط المنسوق .

أما المرح الذى تمليه الأغانى السقيمة عندنا فهى تمثل الحيوانية كما مسخها الإنسان حين استغرقها كلها فى الشهوة والخلاعة ، والحيوان لا يعرف الخلاعة فى الشهوات كما يعرفها الإنسان الممسوخ

ومرقصات شتراوس لا تخلو من بعض الشجا وبعض الأنين ولكن أى شجا ؟ وأى أنين ؟

شجا إنسان وأنين إنسان .

أما هذه الشكايات التى نسمعها فى الأغانى السقيمة فليس فيها قط ما يستكثر على حيوان .

فإن الحيوان ليحس الانقباض ويحس الألم ، وإذا ضرب أو سقم فترجمت شكايته كلاماً عربياً فليس بالكثير عليه أن يقول « آه » وأن يذكر اللوعة والسهر والصيام عن النوم والطعام

أما الأنين الذى يريك فكراً يتألم ، أو يريك معنى إنسانياً فى حالة الشكاية والقنوط ، فذلك شىء مختلف جد الاختلاف عن هذه الكلمات التى لا تعدو أن تكون صرخات حيوان ، مترجمة إلى عبارات الإنسان

* * *

ومن الظلم للفن أن نطلق اسم الفنون على هذه الأغانى المرقصة التى تهتز لها أعطاف بعض السامعين فى الأقطاب الشرقية

فالحق أنها نقيض الفنون فى جوهرها المشترك بين جميع المعانى الفنية

لأن الجوهر المشترك بين جميع المعانى الفنية هو تغليب الفكرة على المادة ، أو سيطرة المعانى على الأشكال

فالرخام مادة تتغلب عليه فكرة الفنان فإذا هو مثال لمعنى من معانى الجمال

والكلمات مادة مبعثرة تتغلب عليها فكرة الشاعر أو الكاتب فإذا هى وحى ناطق بأحاسيسه ومعانيه

والجسم مادة تتغلب عليه الحركة الموزونة فإذا هو رقص يريك كيف تساق الأعضاء فى مطاوعة الألحان والأصداء ، وكيف تخضع الأجسام لإملاء النظام والرواء

كل فن فهو فكرة غالبة على مادة ، أو معنى غالب على شكل ، أو فوضى ممثلة فى صورة جميلة

فما هى المرقصات التى تهز الأعطاف بين جمهرة السامعين من سواد الشرقيين

هى نقيض ذلك

هى غلبة الجسدى على المعنوى ، وهى طغيان المادية على المطامح الإنسانية ، وهى انقياد وليست هى بإخضاع وترويض وتنظيم

هى الشىء الذى يذهب سفلاً حين يذهب الفن صعداً ، وهى الفتور الذى يهبط بالأجسام إلى مهاوى الشهوات ، وليست هى بالنشاط الذى يطير بالأجسام فى فضاء المرح والطلاقة

وقد تسف وتنحدر من سماء شتراوس إلى حضيض «الجازبند» الذى لا شك فى غلبة الشهوات عليه ، فهل من عين بصيرة ينم عليها الأمر فلا تبصر الفارق بين شهوات الجازبند وشهوات المرقصات المعهودة فى هز الأعطاف وتحريض النزعات ؟

الجازبند مرح جسدى ، ولكنه مرح حيوان صحيح ممتلئ برغبات الحياة يصول فى حركة حية لا تعرف الإعياء

أما « هز الأعطاف » المعهود فهو مرح جسدى أيضاً ولكنه يذهب بصاحبه إلى السرير ولا يندفع به اندفاع الحيوان القوى السليم

وفرق بين حيوان فى سلامة الحيوانية ، وحيوان يضاف إليه مسخ الإنسانية، ولا يظفر من الحيوانية بالصحة واستقامة الفطرة

فرق بين رقص شتراوس ورقصنا ، بل فرق بين رقص الجازبند ورقصنا ، لأن رقص شتراوس معنى إنسانى ، ورقص الجازبند فطرة حيوانية ، ورقص الأغانى المبتذلة عندنا قد خلا من أجمل ما فى الإنسان ، وأجمل ما فى الحيوان ، وجمع المسخ والتشويه فى هذا وذاك

* * *

لم يكن شأننا كذلك فى الزمن القديم ، لأننا نرى على المعابد الفرعونية صور الراقصات والراقصين ، ونرى فى الريف المصرى مثالاً متخلفاً من رقص الرجال والنساء ، فلا نجد فى هذه المناظر المرسومة أو المشهودة خلاعة ولا شهوة ممسوخة ، بل نجد فيها جميعاً ما أسلفناه من غلبة المعانى وانقياد الأجساد ، أو نجد فيها صحة الفطرة واستقامة البنية الحيوانية . ولا ندرى متى نعود إلى ما كنا عليه ، أو متى ندين بدين الفن الجميل فى تغليب النظام على الفوضى ، والفكرة على المادة ، والمعانى الإنسانية على الدوافع الجثمانية . ولكننا ندرى أننا عجزنا زمناً طويلاً عن إخضاع أجسادنا لأفكارنا أيام كنا بأجسادنا وأفكارنا خاضعين لغيرنا ... فقد حان إذن موعد الخلاص من قيودنا ، ولن تزال فينا بقية من قيود الأسر والاستعباد ، ما بقيت الفنون عندنا فنون أجساد أو فنون استسلام وانقياد .

عباس محمود العقاد

أما لهذا الليل من آخر؟

للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

إن المسلمين اليوم فى ليل أليل لم يبق بأيديهم من مجد آبائهم إلا الذكرى ، ولا يكاد يبقى فى قلوبهم من عزة دينهم إلا القليل . لكن العجيب أن هذا القليل كلما بدأ ينمو ويشتد كما تنمو الحبة فى الأرض الطيبة إذا أصابها غيث ، نجم للدين من بين من أنعم الله عليهم من أهله بنعمة البيان من يصرف بيانه فى ما من شأنه أن يعوق ذلك النمو . وليس يهم أكان ذلك عن قصد أم عن غير قصد فإن النتيجة للمسلمين واحدة فى الحالتين

ومن أقرب الأمثلة لهذا وأغربها الكلمة التى أرسلها على الناس الكاتب المعروف الأستاذ توفيق الحكيم من برجه العاجى فى رسالة هذا الأسبوع . فقد كتب يعجب مما سماه قيام القيامة فى الجامعة « ضد كتابين قيمين » لاشتمالها على طعن فى الإسلام ، وزعم أن هذا الذى سماه فزعاً من كل كلمة تمس الإسلام أكبر مسبة لهذا الدين العريق العميق ، لأنه يوهم أنه دين ضعيف يخشى عليه من طعن الطاعنين مع أنه دين متين ثبت على الأحداث فلا خطر عليه من كتاب يؤلف أو عبارة تقال طعناً فيه . ثم يمضى فيعرب عن دهشته أن يكون مظهر هذا الفزع فى الجامعة التى فيها شباب « انغرست فى قلبه العقيدة الحارة فلا خوف الآن عليه من مناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية » ويختم بقوله إن صحة العقيدة كصحة الجسم لا بد لها من الهواء الطلق لتكتسب المناعة، ولا خير لها فى أن تحاط ببيت من زجاج

هذا ما قاله الأستاذ توفيق الحكيم كأحسن ما نستطيع أن ننصفه به فى التلخيص .

أنه أولاً يكتب من غير أن يعرف فيما يبدو حقيقة المسألة التى يكتب فيها . لأن المسألة فى أحد شقيها على الأقل ليس فيها شىء يتعلق بمناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية ، لأن أحد الكتابين الشكو منهما على الأقل ليس بكتاب مسائل عقلية تدرس وتناقش فى جو من الحرية أو من غير الحرية ولكنه قصة كبعض قصصه هو ورد فيها ذلك الطعن المجوج على لسان بعض أشخاصها . فليت شعرى كيف فات الأستاذ توفيق الحكيم معرفة ذلك حين كتب عن «مناقشة المسائل العقلية فى جو الحرية؟» أم كيف، وقد عرفه، فاته أن ينصف الطلبة حين شكوا من ذلك الكتاب؟

ثم هو فيما يظهر لا يجعل الناس سواسية فى حرية القول والتفكير التى يدعو إليها، وإلا فلماذا لا يترك للطلبة الحرية فى أن يشكوا من الشكوى أو حلوها ويقيموا القيامة إذا شاءوا على كتابين يطعنانهم فى شىء يعزونه ويقدسونه ولا يريدون أن يسمعوا فيه طعناً ولا تجريحاً ؟ أفمن الحرية أن يقرَّر فى الجامعة من قرر دراسة ذينك الكتابين ، ولا يكون من الحرية أن يشكو الطلبة منهما كى يستبدل بهما غيرهما من الكتب الأدبية الراقية الكثيرة الخالية من الطعن فى الإسلام ؟ أفيعاب الطلبة أو الشباب ذوو « العقيدة الحارة » أن يغضبوا لدينهم فيأبوا أن يقرأوا طعناً فيه ، ويطالبوا بتحقيق المصلحة لهم من غير إلحاق مضرة بهم فى الدين ، ولا يعاب من اختار ذينك الكتابين للدراسة عن جهل بما فيهما أو عن استهانة بالشعور الدينى فى المسلمين ؟

إن الذى يقرأ كلام توفيق الحكيم يظن أن الطلبة أكرهوا على ترك كتابين حبيبين إليهم خوفاً على الدين فى نفوسهم من طعن ورد فيهما ، ويفهم أن الكاتب يشير إلى أن هناك تعدياً على حرية التفكير والدرس باسم الدين . والأمر بالعكس ، فحرية التفكير والدرس تقضى بألا يدرس ذانك الكتابان فى الجامعة لأن الذى سخطهما هم الطلبة الذين يريد توفيق الحكيم لهم حرية الدرس والتفكير . فهل حرية التفكير والدرس عند توفيق الحكيم ليس معناها حرية الدرس والتفكير ؟ إن الطلبة هم الذين شكوا أولاً إلى الأستاذ وأبلغ الأستاذ شكواهم إلى العميد ، فلما لم يُشكِهم العميد اعتماداً على ما يعتمد عليه توفيق الحكيم من أن الدين لا خطر عليه جهروا بشكواهم للجرائد ، فاهتم بالأمر شيخ الأزهر ووزير المعارف وكان أن سحب الكتابان . فإذا كانت هذه قيامة فمن الذى أقامها ؟ مَن طلب تغيير الكتابين فى هدوء بالطريق

القانونى أم من أبى عليهم ذلك التنيير برغم كثرة الكتب الأدبية القيمة البريئة من الطمن فى الدين ؟

إن المناعة فى العقيدة التى يطلبها الأستاذ الحكيم للطلبة وللناس هى بالفعل عند هؤلاء الطلبة الذين أبوا ذينك الكتابين. وما هى المناعة فى العقيدة إن لم تكن هذا الإباء إباء الإصغاء للطمن فى الدين من غير موجب ولا داع ؟ وما هى إن لم تكن إقامة القيامة على كل ما يسئ إلى الدين فى النفوس ؟ إن أول ما يفعله الجسم امتناعاً على الأمراض هو ألا يسمح لجراثيمها بدخول الجسم إن أمكن . ومن هنا تجمد الدم أو محاولته أن يتجمد على الجرح ليسده دون الجراثيم . ومن هنا المصفّيات والمطهرات المختلفة فى مداخل الهواء والغذاء إلى الأجسام . أما إذا دخلت الجراثيم فليس للجسم وسيلة إلى الامتناع منها إلا شن الغارة عليها وإقامة القيامة ضدها على حد تعبير الأستاذ توفيق الحكيم . وهذا بالضبط هو ما فعله الطلبة حين أحسوا من ذينك الكتابين بالجراثيم التى تهدد صحة العقيدة والدين فيهم . وقد كتب الله لهم النصر فى الدور الأول من أدوار الامتناع والكفاح فسدوا الجرح الذى يمكن أن تدخل منه تلك الجراثيم ، وكفاهم بذلك الحاجة إلى كفاح تلك المطاعن بعد دخولها فى النفوس

ومن العجيب أن يشبه الأستاذ الحكيم قراءة المطاعن الدينية وعلاقتها بصحة العقيدة بالمعيشة فى الهواء الطلق وعلاقتها بصحة الجسم . إنه تشبيه مقلوب على أقل تقدير. ولا ندرى كيف أمكن أن يغيب خطؤه وخطله عن مثل الأستاذ ! إنه لا يستقيم إلا إذا كان تعريف الهواء الطلق عنده أنه الذى تكثر فيه الغازات الفاسدة والجراثيم . فإذا لم يكن هذا تعريف الهواء الطلق عنده فإنا نرجو أن يرى بُعد ما بين تنفس الهواء الطلق وقراءة المطاعن الدينية ، كما نرجو أن يرى فى ضيق صدور الطلبة بما فى الكتابين من مطاعن دليلاً على فساد جوهما الروحى ، كما يدل على فساد الهواء ضيق الصدور به عند المتنفسين

لكن لعل أعجب ما فى مقال الأستاذ الحكيم جعله متانة الإسلام وثبوته على أحداث الزمان وسيلة إلى استئناس الناس لاستماع الطمن فيه بحجة أنه لا خطر على الإسلام من طعن الطاعنين؛ فإذا أبى الناس أن يستمعوا الطعن طاعن وغضبوا لدينهم عدّ ذلك

من برجنا العاجي

القوة الحقيقية للرجل هى أن يستطيع أن : « يقول ما يريد وقتما يريد أن يقول » . والرجولة الحقيقية هى أن يبذل المرء دمه وماله وراحته وهناءه ودعته وطمأنينته وأهله وعياله وكل أثير عنده وعزيز عليه فى سبيل شىء واحد : « الكرامة » . والكرامة الحقيقية هى أن يضع الإنسان نفسه الأخير فى كفة وفكرته ورأيه فى كفة ، حتى إذا ما أرادت الظروف وزن ما فى الكفتين رجحت فى الحال كفة رأيه وفكره . كل عظماء التاريخ كانوا كذلك . بل إن مصر الفقيرة اليوم فى العظماء قد عرفت ذات يوم رجالاً من هذا الطراز. رجال لم يترددوا فى تضحية كل شىء من أجل فكرة ، والنزول عن كل متاع من أجل رأى . بمثل هؤلاء الرجال ربحت مصر كثيراً فى حياتها المعنوية والفكرية . بل إنى لا أبالغ إذا قلت إن الأمم لا تبنى ولا تقوم إلا على أكتاف هؤلاء . وإن الخطر المخيف هو يوم تخلو أمة من أمثال هؤلاء . نعم . وإنه ليخالجنى الآن شىء من القلق إذ أنظر حولى فلا أكاد أرى فى مصر أثراً لهذه الفئة العظيمة . فناموس اليوم هو وطء الفكرة بالأقدام ركضاً خلف الجاه الزائف والمال الزائل ، وإنكار الرأى والجبن عن إعلانه حرصاً على الراحة وإيثاراً للطمأنينة . وهكذا قد خلت صفحة تاريخنا من أسماء العظماء هذه السنوات ، وعجت بلادنا بأصحاب الألقاب وحملة الشارات وراكبى السيارات ! وحق لنا جميعاً أن نسأل هذا السؤال : ما هى المعجزة التى تنهض هذا البلد وهو على هذا الخلق ؟ ! وهل يطول غضب الله علينا فلا يظفرنا بعظيم من هؤلاء العظماء الذين يستطيعون أن يردوا الاعتبار إلى قيمة الرأى ، ويطهروا النفوس من درن المادة ، ويعيدوا المثل العليا النبيلة إلى مجدها القديم ، ويرتفعوا بالأمة كلها فى لحظة إلى سماء الخلق العظيم ! إذا حدث ذلك فقد نجونا . وإذا لم يحدث ذلك فلا شىء ينتظرنا غير انحلال أكيد ، وهبوط إلى مرتبة العبيد.

توفيق الحكيم

الغضب منهم فزعاً ، وقال : إن هذا الفزع أكبر سبة لديننا العريق العميق . هذا غريب من القول وعجيب من الاستدلال . إن الإسلام متين ثابت حقاً ، لكن متانته وثبوته لا يمكن عند المنطق السليم أن يكونا مبرراً لترك خصومه يعملون المعاول فيه اتكالاً على أنها لا تضره . إنها لا تضر مبادئه وأصوله فى ذاتها ولكنها تضره فى نفوس أهله الذين لا يهبُّون لدرء الأذى عنه حين يرون خصومه جادين فى الاستهزاء به والطعن عليه. إن الذى يصيبه الأذى بالسكوت على الطعن فى الدين هو التدين فى نفس المتدين الساكت . وإذا استمر على السكوت فسيسلمه من غير شك إلى الهلاك

ولست أدرى كيف غاب عن الأستاذ الحكيم أن المسلمين لو كانوا راضوا أنفسهم منذ بدء الإسلام على ما يريد الآن أن يروضهم عليه من السكوت على الطعن فى الدين ما ثبت الإسلام للأحداث ذلك الثبوت الذى يتخذه الآن حجة يخطئ بها الناس فى غضبهم للدين . ولماذا نذهب به بعيداً ؟ لنفرض أن المطعون فيه من غير عقل ولا روية هو توفيق الحكيم وفنه ومقدرته . ولنفرض أننا خاطبناه بما يخاطب به الناس فطلبنا إليه ألا يغضب ولا يدفع عن نفسه ولا يدع أحداً من أنصاره يغضب له أو يدفع عنه ، لأن فنه ظاهر العبقرية فلا خطر عليه من طعن طاعن مبطل ، ولأن الغضب والدفاع يوقعان فى الوهم أن فن توفيق الحكيم ضعيف لا يثبت على الطعن والتجريح ؛ ولنفرض أنه وأنصاره عملوا برأيه هذا فلم يغضبوا له ولم يدفعوا عنه ، ماذا يبقى على هذا من فن توفيق الحكيم أو صيته بعد قليل ؟ لا شىء ، فسيألف الناس حتى أشدهم تعصباً له سماع القالة فيه ، وسيهون أمره عليهم بالتدريج حتى يدخل عليهم الريب فى أمره ويسلمهم الريب إلى تصديق كل ما قيل فيه

على أن الناس ، مهما فاتهم بتغيير رأيهم فى توفيق الحكيم من نعمة التسلى بفنه وقصصه ، سيظلون هم الناس لم يمسس أرواحهم خطر ولا سوء . لكن ليس الأمر كذلك إن هم ألفوا الطعن فى الدين وصاروا إلى الرضا به والسكوت عليه . إنهم سيهلكون حتماً فى الآخرة إن لم يهلكوا فى الدنيا ، أو على الأقل هكذا يعتقد الناس . وسيعتقد ذلك معهم توفيق الحكيم حين يقرأ ما قرأوا من قوله تعالى : (وقد نزّل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره . إنكم إذن مثلهم . إن الله جامع الكافرين والمنافقين فى جهنم جميعاً .)

والقيامة التى قال توفيق الحكيم إنها قامت ضد الكتابين فى الجامعة ليست بأكثر ولا أقل من إصرار الطلبة على تغيير الكتابين المستهزأ فيهما بدين الله بآخرين ليس فيهما استهزاء . فماذا فى طلبهم هذا يا ترى مما يجعل مثل الأستاذ الحكيم يسميه قيامة ويرسل من أجله سهامه على الناس من برجه العاجى؟

على أنه سواء أقامت القيامة بعملهم ذلك أم لم تقم فإن الطلبة الذين استجابوا لصوت ضميرهم فى ذلك إنما كانوا عاملين بتلك الآية الكريمة من حيث علموها أو من حيث لم يعلموها ، فهم فيما عملوا كانوا من غير شك على صواب . وسيجزيهم الله خير الجزاء من فضله على ما جاهدوا فى سبيل الإسلام .

محمد احمد الغمراوى

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

أمثلة من النقد فى الأدب العربى (١)

١ — نقد الجزئيات :

قال امرؤ القيس فى فرس :

وأركب فى الروع خيفانة   كسا وجهها شعَر منتشِر

فقال النقاد: هذا غلط فى مدح الخيل لأن انتشار الشعر على الوجه عيب فيهن

وقال زهير فى الضفادع :

يخرجن من شَربَات ماؤها طَحِل

على الجذوع يخفن الغمّ والغرقا

فقالوا : هذا جهل بطبيعة الضفادع فإنها لا تخاف الغرق

وقال أبو ذؤيب الهذلى يصف فرساً :

قُصِر الصبوح لها فقصّر لحمها   بالنىّ فهى تثوخ فيها الأصبع

قال الأصمعى : حمار القصّار خير من هذا . وإنما يوصف الفرس بصلابة اللحم

وقال أبو تمام :

ألذ من المـاء الزلال على الظما   وأطرف من مر الشمال ببغداد

أخذ عليه القاضى الجرجانى أنه جعل الشمال طرفة فى بغداد ، وهى أكثر الرياح هبوباً بها ... الخ

فهذه أمثلة من الغلط فى طبائع الأشياء

وقال أبو تمام :

اسق الرعية من بشاشتك التى   لو انهـا ماء لـكان مَسوسا

إن البشاشة والندى خير لهم   من عفة جست عليك جوسا

لو أن أسباب العفاف بلا تقى   نفعت لقـد نفعت إذاً إبليسا

قال القاضى الجرجانى : فليت شعرى لو أراد هجوه ، وقصد الغضّ منه هل كان يزيد على أن يذم عفته ويصفها بالجوس والجود وهما من صفات البرود والثقل ثم يختم الأمر بأن يضرب له إبليس مثلاً ويقيمه بإزائه كفواً ؟

(١) جمعنا هذه الأمثلة تيسيراً على الباحث ويحسن الرجوع إلى الكتب المبينة فى هذا الفصل

وقال أبو الطيب فى مطلع قصيدة :

وفاؤكما كالربع : أشجاه طاسمـــه

بأن تسـعدا ، والدمع ، أشفاه ساجمه

وقال القاضى الجرجانى : ومن يرى هـذه الألفاظ الهائلة والتعقيد المفرط فيشك أن وراءها كنزاً من الحكمة ، وأن فى طيها الغنيمة الباردة ؟ حتى إذا فتشها وكشف عن سرها وسهر ليالى متوالية فيها حصل على « أن وفاءكما يا عاذلىّ بأن تسعدانى إذا درس شجانى ، وكلما ازداد تدارساً ازددت له شجواً كما أن الربع أشجاه دارسه » . فما هذا من المعانى التى يضيّع لها حلاوة اللفظ ، وبهاء الطبع ، ورونق الاستهلال ، ويشحّ عليها حتى يهلهل لها النسج ويفسد النظم ، ويفصل بين الباء ومتعلقها بخبر الابتداء قبل تمامه ، ويقدم ويؤخر ، ويعمى ويُعوص . ولو احتمل الوزن تركيب الكلام على صحته فقيل : وفاؤكما بأن تسعدا أشجاه طاسمه كالربع . أو وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه . لظهر هذا المعنى المضنون به المتنافس عليه ... الخ

وقال المتنبى فى مدح سيف الدولة :

وقفت وما فى الموت شك لواقف   كأنك فى جفن الردى وهو نائم

تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة   وثغرك وضّاح ووجهك باسم

فقال سيف الدولة : ينبغى أن تطبّق عجز (البيت) الأول على الثانى وعجز الثانى على الأول وأنت فى هذا مثل امرىء القيس فى قوله :

كأنى لم أركب جوادا للذّة   ولم أتبطّن كاعبا ذات خلخال

ولم أسبأ الزقّ الروىّ ولم أقل   لخيلى كرّى كرّة بعـد إجفال

قال المتنبى : أدام الله عز مولانا ؛ إن صح أن الذى استدرك هذا على امرىء القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا . ومولانا يعرف أن البزاز لا يعرف الثوب معرفة الحائك لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفصيله ؛ لأنه أخرجه من الغزليّة إلى الثوبيّة ؛ وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة فى شراء الخمر بالشجاعة فى منازلة الأعداء .

وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه ؛ ولما كان وجه المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية قلت : ووجهك وضّاح وثغرك باسم لأجمع بين الأضداد فى المعنى .

٢ — ومن قولهم فى نقد الشعراء :

كان النابغة أحسن الناس ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأذهبهم فى فنون الشعر وأكثرهم طويلة جيدة ، ومدحا وهجاء وفخرا وصفة .

وروى أن عمر بن الخطاب قال: أنشدونى لأشعر شعرائكم. قيل: ومن هو ؟ قال: زهير. قيل: وبم صار كذلك ؟ قال: كان لا يعاظل بين القول ولا يتبع حوشى الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما فيه .

وفى الشعر والشعراء : كان أوس بن حجر عاقلاً فى شعره كثير الوصف لمكارم الأخلاق وهو من أوصفهم فى الحمر والسلاح ولا سيما القوس . وسبق إلى دقيق المعانى وإلى أمثال كثيرة .

وقال الجرجانى :

« ولو تأملت شعر أبى نواس حق التأمل ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه وعددت منفيه ومختاره لعظمت من قدر صاحبنا (يعنى المتنبى) ما صغرت ، ولأكبرت من شأنه ما استحقرت ، ولعلمت أنك لا ترى لقديم ولا لمحدث شعرا أعم اختلافا وأقبح تفاوتا ، وأبين اضطرابا ، وأكثر سفسفة ، وأشد سقوطا من شعره » يعنى أبا نواس .

وفى العمدة :

« وقال بعض من نظر بين أبى تمام وأبى الطيب : إنما حبيب كالقاضى العدل ، يضع اللفظة موضعها ، ويعطى المعنى حقه بعد طول النظر والبحث عن البينة ، أو كالفقيه الورع يتحرى فى كلامه ويتحرج خوفا على دينه .

وأبو الطيب كالملك الجبار يأخذ ما حوله قهراً وعنوة ، أو كالشجاع الجرىء يهجم على ما يريد. لا يبالى مالقى ولا حيث وقع »

٣ — ومن قولهم فى تأثير البيئة فى الأدب قول الجرجانى :

« ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك (الخشونة والجفاء) ولأجله قال النبى صلى الله عليه وسلم : من بدا جفا . ولذلك تجد شعر عدىّ وهو جاهلى ، أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤبة وهما إسلاميان لملازمة عدىّ الحاضرة ، وإيطانه الريف ، وبعده عن جلافة البدو ، وجفاء الأعراب .

وقال ابن رشيق :

« قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن فى وقت ما لا يحسن فى آخر، ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند غيره؛ ونجد الشعراء الحذّاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله بعد ألاّ تخرج من حسن الاستواء وحدّ الاعتدال وجودة الصنعة »

« فلما ضرب الإسلام بجرانه واتسعت ممالك العرب، وكثرت الحواضر ، ونزعت البوادى إلى القرى؛ وفشا التأدب والتظرف ، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله وعمدوا إلى كل شىء ذى أسماء كثيرة فاختاروا أحسنها سمعاً وألطفها من القلب موقعاً .. وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة الطباع والأخلاق ، فانتقلت العادة وتغيّر الرسم وانتسخت هذه السنة الخ »

٤ — ومن قولهم فى الطبع والخلق وأثرهما فى الأدب قول الجرجانىّ :

« ثم قد تجد الرجل شاعراً مفلقاً ، وابن عمه وجار جنابه ، ولصيق طُنبه بكيا مُفحَما ، وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر ، والخطيب أبلغ من الخطيب . فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحدة القريحة والفطنة ؟ وهذه أمور عامة فى جنس البشر ، لا تخصيص لها بالأعصار ، ولا يتصف بها دهر دون دهر

« وقد كان القوم يختلفون فى ذلك فتتباين أحوالهم ، فيرق شعر أحدهم ، ويصلب شعر الآخر ؛ ويسهل لفظ أحدهم ، ويتوعر منطق غيره . وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق ، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ، ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة

وأنت تجد ذلك ظاهراً فى أهل عصرك وأبناء زمانك . وترى الجافى الجلف منهم كزّ الألفاظ ، معقّد الكلام ، وعر الخطاب ، حتى أنك ربما وجدت ألفاظه فى صورته ونغمته ، وفى جرسه ولهجته »

٥ — ومن قولهم فى طرائق البيان :

قال القاضى الجرجانى : « ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرى واحد ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه ؛ وأرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعانى فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك ؛ بل ترتّب كلاً مرتبته ، وتوفيه حقه ؛ فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ؛ فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والدام . فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه . وليس ما رسمته لك فى هذا الباب بمقصور على الشعر دون الكتابة ، ولا بمختص بالنظم دون النثر .

بل يجب أن يكون كتابك فى الفتح والوعيد خلاف كتابك فى التشوّق والتهنئه واقتضاء المواصلة ، وخطابُك إذا حذّرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت .

فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه وسهل حفظه ، وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس . فأما القذف والإفحاش فسباب محض ، وليس للشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم »

وقال ابن رشيق فى العمدة :

« يجب للشاعر أن يكون متصرفاً فى أنواع الشعر من جد وهزل وحلو وجزل ، وألا يكون فى النسيب أبرع منه فى الرثاء ، ولا فى المديح أنفذ منه فى الهجاء ، ولا فى الافتخار أبلغ منه فى الاعتذار ، ولا فى واحد مما ذكرت أبعد منه صوتاً فى سائرها ؛ فإنه متى كان كذلك حكم له بالتقدم وحاز قصب السبق كما حازها بشار وأبو نواس بعده » ... الخ .

٦ — ومن قولهم فى حرية الأدب قول صاحب الوساطة :

« فلو كانت الديانة عاراً على الشعراء ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، لوجب أن يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزِّبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، وعاب من أصحابه ، بُكما خرساً وبكاء مفحمين ؛ ولكن الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر » .

٧ — ومن قولهم فى صفات الناقد :

قال ابن قتيبة فى مقدمة الشعر والشعراء : « ولم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، ولا المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلا حقه ، ووفرت عليه حظه . فإنى رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل فى زمانه ورأى قائله . ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوماً بين عباده وجعل كل قديم ، منهم حديثاً فى عصره »

وقال صاحب الوساطة :

« وملاك الأمر فى هذا الباب خاصة (النقد) ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه ، والعنف به . ولست أعنى بهذا كل طبع ، بل المهذب الذى قد صقله الأدب وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة وألهم الفصل بين الردىء والجيد ، وتصور أمثلة الحسن والقبيح »

هذه أمثلة من ضروب النقد المختلفة سردتها ليلتفت طلاب الأدب إليها ، ويستزيدوا منها ، ويتبينوا ما وراءها من طرائق النقد ومذاهب النقاد . وفى كتب الأدب كثير منها ومن شاء فليرجع إلى الجزء الأول من البيان والتبيين ، ومقدمة كتاب طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحى وكتاب الموازنة بين أبى تمام والبحترى

تاريخ الأدب

— ١ —

إذا نُقد شعراء أمة وكتّابها المتعاصرون ، وقُرن هذا النقد بعضه إلى بعض وتألفت مما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه صورة لعصرهم ، وبُينت الأسباب التى اجتمعت على تأليف هذه الصورة ، ألوانها وهيئتها ، فهذا تاريخ عصر من عصور الآداب

وإذا شمل النظر عصوراً متتابعة فاستبانت صور الآداب فيها ، وعُرف تطوّر هذه الصور وانتهاء كل واحدة إلى التى تليها ، ورُدّ هذا التطور إلى أسبابه فهذا تاريخ الأدب فى هذه العصور

فتاريخ الأدب وصف آداب العصور وترتيبها وتعليلها

— ٢ —

وهو كالنقد يستمد من ذوق الناقد وتقديره مزايا الكلام وعيوبه وأطواره ، ومما أحاط بالأدباء من حقائق التاريخ والجغرافيا ، والاجتماع وغيرها . وعلى مؤرخ الأدب أن يلائم بين ذوقه وعلمه بهذه الحقائق فلا يحكم الذوق على غير بينة ، ولا يغفله ويعتمد فى تاريخه على الحقائق العلمية الجافة ؛ بل يجعل حكمه نتاج الذوق المهيأ للحكم بمعرفة واسعة ، وتأمل دقيق ، وتقدير لأحوال الأدب بليغ ، فيكون حكمه خلاصة العلم ، ونتيجة الذوق الذى لا بد منه فى تقويم الأدب

— ٣ —

لم يكن تاريخ الأدب على هذه الشاكلة معروفاً لدى القدماء ؛ وإنما كان سبيلهم جمع تراجم الشعراء والكتاب ، وتبيين محاسنهم ومساوئهم ، والاستشهاد ببعض أقوالهم ، ولم يكن قولهم موصلاً مستوعباً يؤلف صورة عامة للأدب فى عصر أو عصور ولا كان التعليل فيها مطرداً . فكان عمل المؤرخين تراجم متفرقة ينقصها

أبو تمـــام شيخ البيان

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

هو حبيب بن أوس الطائى، وقد سبقه إلى صناعة البيان بشار ومسلم والحسن بن هانى، ولكنه ظهر بها ظهوراً كبيراً وحاكاه البحترى وغيره، وكان حقيقاً بسبب كثرة إجادته فى تلك الصناعة أن يسمى شيخ البيان. وكان أبو تمام يقدم الحسن بن هانى ويلقبه بالأستاذ وبالحاذق ويجاريه فى طريقته، ولكن أبا تمام قد بز ابن هانى أبا نواس فى المدح ووصف الطبيعة، وإن لم يكثر منها وفى الرثاء والأمثال والحكم، وجاراه فى وصف الخمر والغزل المذكر. وقد سُئل البحترى عن أبى تمام وعن نفسه فقال: جيده خير من جيدى وردئى خير من رديئه. وهى قولة حق، فقد كان عند البحترى من حذر ذوى الصناعة وإحجامهم ما لم يكن عند أبى تمام الذى كان أكثر جرأة فى صناعته. ولم يكن رديئه القليل عن جهل، فقد سئل فيه فقال: إن أبيات الشاعر كأبنائه فيهم الجميل وفيهم القبيح وكل منهم حبيب لدى أبيه الذى يعرف أيهم القبيح وأيهم الجميل. ولقد قال فى إساءة ظن الشاعر بشعره ويعنى نفسه:

ويسىء بالإحسان ظناً لا كمن ... هو بابنه وبشعره مفتون

ولكنه يقول أيضاً:

من كل بيت يكاد المَيْتُ يفهمه ... حسناً ويعبده القرطاس والقلم

ولا غرابة فى أن يكون قائل البيت الأول هو قائل البيت الثانى، فإن نفس الشاعر قد تتردد بين الثقة بقوله ثقة ليس بعدها ثقة، وبين الشك كل الشك فى مرتبته. ولعل هذا الشك وإساءة الظن مما يحفزه على استئناف الإجادة وإلى الاستزادة من الإبداع كيلا يستنيم إلى ما أجاده من سابق قوله. والشاعر الجرئ فى صنعته البيانية يكون نصب نقد الناقدين، وعندما مدح أبو تمام أحمد بن المعتصم بقصيدته التى مطلعها: (ما فى وقوفك ساعة من باس) أنكر بعض النقاد أن يشبهه بمن هم أقل منه منزلة فى قوله:

إقدام عمرو فى سماحة حاتم ... فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

ومثل هذا النقد يهدم صناعة التشبيه من أساسها لأنه لم يشبه الممدوح بهم فى المنزلة، وإنما يكون للتشبيه وجه شبه خاص لا يتعداه اتفاق المشبه والمشبه به، وهذا النقد يدل إما على الإفراط فى تملق الممدوح والمغالطة مع علم، وإما على جهل بالصناعة البيانية. وقد دفع أبو تمام حجتهم بأن زاد فى المديح قوله:

لا تنكروا ضربى له مَنْ دونه ... مثلاً شرُوداً فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلاً من المشكاة والنبراس

وأمثال هذا النقد اللفظى كثير فقد انتقدوا أيضاً قول أبى تمام:

دنيا ولكنها دنيا ستنصرم ... وآخر الحيوان الموت والهرم

وقالوا: إن الهرم يأتى قبل الموت ولكنه أخره وقدم الموت. وهذا اهتمام بالصغائر، فقد كان فى استطاعة الشاعر أن يقول: (وآخر الحيوان الشَّيْبُ والعَدَم) وقد فعل المتنبى ما هو أشد من ذلك وكانت له عنه مندوحة عند ما قال:

جفخت وهم لا يجفخون بِهَا بهم ... شيم على الحسب الأغر دلائل

يعنى جفخت أى فخرت بهم وهم لا يجفخون بها، وكان يستطيع أن يقول: (فخرتْ بهم وهُمُ بها لم يفخروا) فيستقيم

الجمع والمزج والترتيب والتعليل. فهى مصادر لتاريخ الأدب لا تاريخ ومن الكتب التى ألفت على هذا النمط:

١ — طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الُجمحى المتوفى سنة ٢٣١
٢ — الشعر والشعراء لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦
٣ — معجم الشعراء للمرزبانى المتوفى سنة ٣٨٤
٤ — يتيمة الدهر فى شعراء العصر لأبى منصور الثعالبى المتوفى سنة ٤٢٩
٥ — الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الأندلسى المتوفى سنة ٤٢٩
٦ — دُمية القصر لأبى الحسن الباخرزى المتوفى سنة ٤٦٧
٧ — قلائد العقيان } للفتح بن خاقان الأندلسى المتوفى
٨ — مطمح الأنفس } سنة ٣٣٥
٩ — سلافة العصر فى محاسن الشعراء بكل مصر لصدر الدين المدينى من رجال القرن الحادى عشر
١٠ — ريحانة الألباء لشهاب الدين الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩

— ٤ —

وتاريخ الأدب كما نعرفه اليوم عرفه الأوربيون فى عصر نهوضهم؛ سبق إليه الإيطاليون وسار على أثرهم الأمم الأخرى ولا سيما الفرنسيون. ولهم فيه طرائق مختلفة مبنية على مذاهبهم فى النقد وقد قدمنا إشارة إليها

عبد الوهاب عزام

الوزن والأسلوب ولكن هذا لا يؤخر الشاعر الكبير ولا يقدمه. ومثل هذا النقد يغرى به الشعراء أنفسهم عند الملاحاة فقد ورد فى كتاب العمدة لابن رشيق أن مسلم بن الوليد انتقد قول أبى نواس

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأمله ديك الصباح صياحا

وقال: كيف يجتمع الارتياح والملل؟ كما انتقد أبو نواس قول مسلم

عاصى الشباب فراح غير مُفنَّدِ وأقام بين عزيمة وتجلد

وقال كيف يجتمع الرواح والإقامة؟ وفى كل من البيتين يريد الشاعر اجتماع حالات نفسية مختلفة الأسباب. على أن أبا تمام قد يأتى فى الفلتات بما لا يستجاد مثل قوله:

بلد الفلاحة لو أتاها جَرْوَلٌ أعنى الحطيئة لاغتدى حَرَّاثا

و (أعنى) هنا أثقل من الرصاص

وقد عد بعض أدباء العصر أبا تمام من شعراء الرمزية، وهذا فى رأيى غير صواب، لأن كل شاعر يستخدم الرموز، ولكن ليس كل شاعر من أدباء الرمزية. وأستطيع أن أفهم سبب عد أبى تمام من شعراء الرمزية، وإن لم يكن كذلك، فإنه يكثر من استخدام التشبيه والاستعارة والمجاز، فالاستعارة رمز والكناية رمز. ولكن شعراء الرمزية فى أوربا تخطوا منزلة الاستعارات والكنايات وصاروا يرمزون إلى حالات نفسية بأشياء مادية وبألفاظ أو جمل، ويقطعون الصلة بين الرموز وما يرمز لها بها اعتماداً على خيال القارئ وإحساسه وأحلامه وهواجس نفسه الغامضة، وأحياناً يستخدمون رموزاً مدلولها أشياء مادية ويرمزون بها إلى تلك الهواجس الغامضة فى الوعى الباطن، وهى لغموضها لا تستطيع عقولهم الظاهرة تفسيرها إلا بتلك الرموز. وهذه طريقة لم يكتب فيها شاعر عربى. أما طريقة أبى تمام فهى طريقة الصناعة البيانية المألوفة وإن كان قد أبدع وأغرب فيها، وشعره شعر الخيال المشبوب بنار الشاعرية، والجيد من شعره يجمع بين القوة والحلاوة وإتقان الصنعة الفنية، وهى ليست صنعة ألفاظ فحسب بل صنعة ألفاظ وخيال وإحساس وذكاء وعقل وبصيرة. ونرى فى قوة الجيد من شعره قوة الخطيب، ولا أعنى أن الشاعر خطيب فللخطيب صفات قد تدابر صفات الشعراء، وإنما أعنى أن لشعره قوة تشبه وقع خطاب الخطيب فى الأذن فكأن له صوتاً يسمع. وإذا كان للشاعر نفسه من صفات الخطيب فهى الصفات التى يقترب الخطيب فيها من عبقرية الشاعر ومن بصيرته النافذة وخياله المشبوب، وليست الصفات التى يقترب فيها الخطيب من فن الممثل وهى صفات عالية فى فنها وفى الخطابة. ولا نأسف لإضاعة شاعر من شعراء العرب فى التكسب بالمدح شعراً كان يكون أعظم شأناً فى وصف الحياة والنفس قدر ما نأسف لإضاعة أبى تمام، فإن الرجل كان قادراً على أن يبلغ ما بلغه شعراء أوربا من وصف الحياة والنفوس ومظاهر الكون؛ على أن فى شعره فى المدح أشياء من هذه الأشياء. ولعل القارئ يقول: ولماذا لا نأسف على المتنبى قدر أسفنا على أبى تمام أو أكثر، وليس المتنبى بأقل منزلة وهو ذو بصيرة وخيال. ولكن أبا تمام كان عنده من نشوة الصناعة البيانية أكثر مما كان للمتنبى؛ وكان للمتنبى من قوة الشخصية وإثرتها أكثر مما كان لأبى تمام؛ وقوة الشخصية هذه لها أثر فى الشعر يظهر فى كل أبوابه وتجعل الشاعر يترك بعده دوياً كما قال المتنبى:

وتركك فى الدنيا دوياً كأنما تداول سمعَ المرءِ أنمُلهُ العشْرُ

أما أبو تمام فإننا نقرأ أنه كان مولعاً بالخمر إلى حد الإفراط أحياناً، ونقرأ أنه سكر مرة فى مجلس عظيم وعربد وحُمِلَ من المجلس بين أربعة، وأنه كان إذا أخذ صلة أمير أفناها بين الغناء والموسيقى والرياض والخمر والأوجه الوسيمة. وهذه الأمور ربما كانت تقلل نتاجه وتلهيه عن الشعر لو أنه لم يكن مضطراً إلى قرض الشعر فى المديح أو الرثاء لكسب المال، فإننا عند ما نقرأ سيرة الرجل وشعره نميل إلى الاعتقاد أن الحياة عنده كانت شعراً يُعاشُ وأن الشعر عنده كان حياة تكتب أو شعراً يكتب، وأنه ما كان يلجأ إلى الشعر الذى يكتب إلا إذا سمح له أو اضطره شعر الحياة الذى يُعَاشُ. ولعل هذا هو سبب إقلاله وسبب موته وقد تخطى الأربعين قليلاً. وإننا نتساءل ماذا كان يكون نتاجه لو كان من المعمرين من غير أن يفنى قدرته الحيوية بالحياة؛ ولكن من العبث التأسف، فلعل إفناءه قدرته الحيوية بالحياة كان من لوازم نشوته الشعرية، وإن قدرته فى صناعة البيان كانت من مظاهر انتشائه بالحياة، وانتشاؤه بالحياة ميز شعر التكسب فى قوله عن شعر التكسب فى أقوال الشعراء الكثيرين، فشعر التكسب فى قولهم ألفاظ ميتة مهما حاولوا إحياءها بصناعة البيان أو بالأناقة، وكانت قوة شعره مستمدة من انتشائه بالحياة، فلم تكن قوة كتلك القوة فى شعر بعض الشبان المبتدئين الذين يفتعلون القوة فيخيل للقارئ أنهم يخنقون ألفاظهم ومعانيهم كى تصيح كما تصيح الدجاجة إذا حاول الطفل الصغير أن يخنقها، وكانت ألوان

أعلام الأدب

درامات إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

أقدم ما وصلنا سليما من مآسى إسخيلوس هى درامته البارعة (نسوة متضرعات) وهى دراما شائقة لا يعرف فى أى سنة نظمها الشاعر بالضبط ، وتليها فى القدم دراما (الفُرس) فقد نظمها سنة ٤٧٢ ق . م وفى سنة ٤٥٨ تقدم إلى المباراة التمثيلية بدراما مفقودة ففاز عليه الشاعر الشاب سوفوكليس للمرة الأولى وكان لهذا الحادث أثره الذى لم يمح من نفس إسخيلوس والذى قيل إنه هاجر بسببه إلى جيلا بعد ذلك بعشر سنين

وفى السنة التالية (٤٦٧) فاز على جميع منافسيه بدرامته (سبعة ضد طيبة) ، ولا يعرف المؤرخون على وجه التحقيق متى نظم رائعته العصماء (بروميثيوث) ويظن الأستاذ جلبرت موراى أنها نظمت هى وأختها المفقودة (ليكورجيا) بعد (سبعة ضد طيبة)

وقبل أن يموت فى جيلا بعامين نظم أقوى دراماته وأعنفها (الأورستيّة) (٤٥٨ ق . م) وهى الثلاثية الوحيدة الكاملة التى وصلتنا سليمة من هذا التراث الأدبى الحافل المفقود

١ — نسوة متضرعات

نسوة متضرعات هى الحلقة الأولى من ثلاثية كاملة ما تزال حلقتاها الثانية والثالثة مفقودتين وإن يكن موضوعهما معروفاً .. والثلاثية كلها تتلخص فى أن إيجبتوس أحد أمراء مصر الشمالية كان له خمسون ولداً ؛ وكان له أخ يدعى دانوس رزقه الله بخمسين ابنة ذوات جمال بارع ، فحدث أن هام كل من أبناء إيجبتوس بواحدة من بنات دانوس ... وتقدم إيجبتوس إلى أخيه يخطب بناته على أبنائه ... وهنا تقوم عقبتان أولاهما تلك النبوءة التى تنبأ بها بعضهم لدانوس وهى أن أحد أزواج بناته سيقتله ، وثانيتهما أن شريعة القوم فى هذا العصر كانت تحرِّم زواج الرجل من ابنة عمه وتعتبره زناً ... فماذا يصنع دانوس ؟ فكر الرجل ثم فكر ، ثم رأى أن يفر ببناته إلى بلاسجوس ملك آرجوس إحدى ممالك اليونان ... ورست الفلك على الشاطئ ونزل الركب ، ولمحت إحدى البنات رجلاً عظيما بادى الوقار يتنزه هناك ، فلما سألت عنه قيل لها إنه الملك . فاستأذنت أباها وذهبت إليه تدعوه إلى والدها ورحب الملك بهؤلاء المحتمين به اللائذين بظله وخصص لهم منزلاً رحباً وعيشة رغداً ... وأقبل قائد مصرى بعد أيام يطلب تسليم دانوس وبناته الخمسين . فجمع الملك وزراءه ومجلس شوراه ، وجميع مواطنى آرجوس يعرض عليهم الأمر فأبوا جميعاً أن يسلموا اللاجئين لما فى صنع ذلك من منافاة النخوة وعدم الوفاء ... فيرتد القائد المصرى ، ويعود بعد أيام بجند كثيف فيغزو آرجوس ويقبض على دانوس وبناته ويعود بهن معززات مكرمات إلى مصر

إلى هنا تنتهى الحلقة الأولى ... وقد سمى إسخيلوس درامته الثانية من هذه الثلاثية (فِراش العرائس) أو (ماهدات فراش العرس) وفيها يتآمر دانوس وبناته على أن يقتلن أزواجهن ليلة العرس بعد أن يناموا على ألا يمكنَّهم منهن من شىء . وتُنَفِّذ البنات ما عاهدن عليه أباهن من هذا الإثم إلا هيپرمسترا[1] التى استفظعت أن تريق دم هذا الجمال الشاب النائم المستسلم لها ، فوقفت تنظر إلى الخنجر المشحوذ مرة ، وإلى ابن عمها الذى أحبته وهويته وأغرمت به مرة أخرى فلم تر بدا من أن توقظه ، وتبوح له بالسر الهائل ... وهنا يستيقظ القصر كله ، ويكون دانوس مرتقبا

(١) هكذا أثبتها موارى ويضيف كامبل (تونا) بعد الميم

البيان فى شعر أبى تمام طبيعية كألوان الحياة بالرغم من إغرابه ، ولم تكن كتلك الألوان التى وضعها القرد على ما لونه المصور فى نقشه ورسمه ، وقد انتهز القرد فرصة انشغال سيد المصور بأمر من أمور الحياة . وقد أسف المغاربة أيضاً لموت محمد بن هانى الأندلسى فى سن مبكرة وكانوا يأملون أن يعمر حتى يفاخروا به أكثر شعراء المشرق ، وكان لابن هانى بعض مقدرة أبى تمام ولكنه لم تكن له — ثروته الشعرية فى نفسه وكان كل منهما مولعا بشعر الحياة الذى يماش . وجرأة أبى تمام فى التشبيه والاستعارة والمجاز هى مايصح أن يسمى بالجرأة الموفقة إلا فى القليل من شعره ، وهى تشبه فى المبارزة بالسيف نوعا من الهجوم إذا أجاده المبارز تتر سلاح خصمه وأصابه فى الصميم وإذا أخطأ المبارز فى هجومه سقط وسلاح خصمه فى قلبه ..

عبد الرحمن شكرى

« البقية فى العدد القادم »

الإشارة التي اتفق مع بناته عليها ليعلم أنهن قد قمن بواجبهن وأنفذن ميثاقهن ، لكنه لا يرى العلامة تنبثق بالضوء من شباك هيبر مسترا فيرجف ، ويسمع إلى الضجة فيحاول الهرب ، ولكن ابن أخيه[1] ، وزوج ابنته الذي لم يقتل ، يفاجئه ثم يعالجه بضربة تقضي عليه فيثأر لإخوته وتنفذ على يديه النبوءة .

ثم تبدأ الحلقة الثالثة التي سماها إسخيلوس ال (دانايدز Danaides) أي بنات دانوس اللائي يلقين جزاءهن في هيدز ويكلفن بملء وعاء كبير مثقوب من ماء نهر بعيد الغور وعر المنحدر فكلما جئن بجرارهن وصببنها فيه ذهب الماء ولم يبق منه شيء ، فإذا جلسن يستجممن صُب عليهن وابل بارد فيهرعن إلى عملهن وهن ناصبات لاغبات . أما هيبر مسترا فتتقدم للمحاكمة بتهمتين ، أما الاولى فعصيانها أباها فيما أعطته عليه مواثقها ، وأما الثانية ، فزواجها من ابن عمها وهو زنا في نظر الشريعة المعمول بها حينذاك .

كيف حلّ إسخيلوس هذه العقدة ؟ وفي أي الجانبين يقف ؟ في جانب القاتلات ، أم في جانب الزوجة الوفية التي استنكرت القتل ؟ يبدو لنا أنه آثر أن يقف إلى جانب هيبر مسترا ، لأنه أتى لها بربة الحب ڤينوس (أفروديت) فشفعت له وبرأت ساحتها . ولا ندري هل عادت إلى زوجها أم حيل بينهما ... لم يذكر لنا التاريخ شيئاً من ذلك !

وتمتاز هذه الدرامة بالإكبار من شأن الديمقراطية التي أبداها الملك بلاسجوس عند ما جمع كل المسئولين من رعاياه ليشاورهم فيما طلب قائد أبناء إيجبتوس ، كما تمتاز بهذه السخرية اللاذعة من تلك الشريعة الفاسدة التي كانت تحرم زواج البنت من ابن عمها وتعتبره زنا إذا تم .

٢ — الفرس

ودرامة الفرس هي الحلقة الثانية من ثلاثية ماتزال أولاها وثالثتها مفقودتين ... والأولى عن البطل فنيوس Phîneus كاهن أسطول الأرجنوت الأعمى وباسمه تدعى . والحلقة الثالثة تدعى جلو كوزوهو الصياد الذي تحول إلى إله من آلهة البحار وأغرم بالهولة سكيلا .

وقد جعل إسخيلوس مسرح هذه الدرامة في سوسا وجعل جميع أبطالها من الفرس ، وفيها تبدو أتوسه أم أجزرسيس وزوجة دارا ، وهي تقص رؤيا مزعجة على بطانة من حاشيتها ، فما يكادون يطمئنونها حتى يدخل رسول فيقص نبأ الهزيمة المنكرة التي مني بها إجزرسيس وأجناده في سلاميس ، وبذا تتحق رؤيا أتوسه ، وتأمر حاشيتها بتقديم القرابين لاستحضار روح دارا ... وتبدو روح الإمبراطور الراحل فتأخذ في سب إجزرسيس ، وتنعى عليه طيشه وقلة بصره بمزالق السياسة ، وإقدامه على محاربة اليونان دون رجوع إلى أهل الرأي . ثم يدخل إجزرسيس فيأخذ هو الآخر في حزن طويل يشاطره إياه وزراؤه ومشيرو السوء الذين لم ينصحوا له بما كان يحول بينه وبين تلك الكارثة .

والدرامة قطعة فنية رائعة ، وقد خدمت التاريخ ووصفت سلاميس وصفاً عجز عن الأتيان بمثله أبو التاريخ هيرودوتس . ولا غرو ، فقد حضر إسخيلوس سلاميس وجاهد فيها جهاد الأبطال ... غير أن قيمة الدرامة في ناحيتها الدستورية التي نعى فيها إسخيلوس على الاستبداد والمستبدين بقدر ما أكبر من شأن الحرية والشورى ... ومع أن الشاعر يرفع في درامته هذه من شأن أثينا فإنه لم يقلل من قدر المنهزمين . بل هو قد أضفى على الفرس وقار العدو العظيم فلم ينتقص من شأنهم ولم يقدح فيهم ، وبذا كان درامياً عادلاً

٣ — سبعة ضد طيبة

هذه الدرامة هي الحلقة الثالثة من ثلاثية ما تزال حلقتاها الأولى (لايوس) والثانية (أوديبوس) مفقودتين . وتتلخص لايوس وأوديبوس في هذه الأحداث المؤلمة التي حاقت ببيت لايوس ملك طيبة وزوجته جوكاستا . فقد رُويت لهما نبوءة تقول إنه سيولد لهما طفل يقتل أباه ويتزوج أمه ويقضي بالشقاء على ذريتهما . فلما ولد لهما طفلهما الوحيد بعثا به إلى الجبل ليقتله أحد رعاياهما ، لكن الرجل أشفق على الطفل فتركه ثمة وعاد بدم كذب على قميصه وادعى أنه قتله . وعثر أحد القضاة على الطفل ملقى في شجرة وقد ورمت قدماه ؛ فأخذه وسماه أوديبوس : (أي ذا القدمين المتورمتين) . وشب أوديب وتعلم الفروسية في بلاط ملك كورنثه . ثم حدث أن هجر البلاط لخلاف بينه وبين أحد الأمراء الذي غمزه في نسبه وهاجر إلى دلفي يستوحي الكهنة فيما غمزه به هذا الأمير . وقيل له

(١) واسمه لينسيوس

إنه سيقتل أباه ويتزوج أمه ، ويجر الشقاء على أبنائه ... فانطلق والهم والحيرة يمزقان قلبه ... فبينما هو فى طريقه إذا قائد عظيم يأمره أن يتنحى عن الطريق حتى يمر مولاه أولاً . فلم يمتثل أوديب وانقض على القائد فقتله . ثم جاءت عربة فنزل منها الحرس فنازلهم وقتلهم . ثم نزل منها رجل عجوز شيخ فنازله وقتله ، ولم يكن هذا الرجل سوى لايوس الملك والد أوديب الذى كان ذاهباً إلى دلفى يستوحى كهنتها فى أمر مما نزل بطيبة، ويمم أوديب شطر طيبة فوجد الناس فى فزع من أمر تنين (سفنكس) يقف عند باب المدينة من جهة البحر بالمرصاد لكل داخل أو خارج : يقول التنين « ما حيوان تكون له أرجل أربع فى الصبح ، واثنتان فى الظهر وثلاث فى المساء ؟ » فإذا لم يجب الشخص افترسه التنين فى الحال .. وقد حار الناس فى تأويل هذه الأحجيّة ، ونذروا لمن يخلصهم من التنين أن يتزوج ملكتهم الأرمل زوجة لايوس وأن يتربع على عرش مملكتهم ... سمع أوديب أهل طيبة يهمسون بذلك ، وكان قد برم بحياته فاعتزم أن يلقى التنين فإما أن يقتله وينقذ طيبة من شره وإما أن يريحه التنين من الحياة ... وأول أوديب الأحجية بأن الحيوان المقصود هو الإنسان بعينه، فهو يحبو صغيراً على أربع، ويدب شاباً على رجلين، ويتوكأ على عصا إذا بلغ به الكبر عتياً .. ثم انقض على التنين فقتله ، وبذا تربع على عرش طيبة وتزوج الملكة التى هى أمه وهو لا يدرى ...

بذلك تحقق شطر النبوءة الأول ثم شطرها الثانى ... ثم يجتاح طيبة طاعون هائل ويذهب الناس إلى دلفى يستوحون كهنتها فيقال لهم إنه لا بد من القصاص من قاتل الملك لايوس ليرتفع أذى الطاعون عن طيبة ... وهنا ينتشر الجواسيس والرقباء فى كل فج يجمعون الأخبار ويتجسسون أنباء القاتل فيتبين أنه أوديوس الجالس على عرش طيبة وأنه هو نفسه ابن لايوس وابن الملكة چوكاستا ... ويعترف الخادم الذى عهد إليه بقتل الطفل بأنه لم ينفذ ما أمر به ، فيذهل أوديب وينطلق إلى الغابة فيسمل عينيه ويهيم على وجهه حتى يموت

ثم تبدأ حوادث الدرامة الثالثة (سبعة ضد طيبة) ... فقد ترك أوديب ولديه إتيوكليز وبولينيسيز[1] يتنازعان العرش كما ترك ابنتين[1] أخريين نظمت فيهم جميعاً درامات كثيرة ... ويتفق الشقيقان على أن يتبادلا الحكم عاماً لكل منهما ، ولما ينتهى عام إتيوكليز ويقدم أخوه ليتسلم مقاليد الحكم يرفض شقيقه أن يسلمه إياه فيلجأ الآخر إلى أدراستوس ملك آرجوس يستنصره ويعرض أن يتزوج من ابنته، فيقبل الملك ويرسل مع صهره سبعة من قادته يقودون سبعة جيوش إلى طيبة ... ويستمر الحصار سبعة أعوام طوال دون أن ينالوا من طيبة قليلاً أو كثيراً وإن يكن الحصار قد أجهدها فيعرض القادة أن يطلب بولينيسيز مبارزة أخيه على أن يكون الفائز صاحب الحق فى العرش ، ويجيز إتيوكليز هذا الحل فيمضى إليه بقلب ثابت وجنان رابط وهو يعرف النتيجة ، لكنه يذهب فى غير خوف لكى يريح طيبة من ويلات القتال ... ويلتقى الشقيقان ، ويستمر النزال ساعة ثم يضرب كل منهما أخاه فيسقطان معاً ويضرجان الأرض بدمائهما ... وبذلك تتخلص طيبة من كليهما كما تتخلص من نسل لايوس وتتحقق النبوءة كلها

« للمقال بقية » دريني خشبة

(١) تستبدل السين كافاً أحياناً كما أثبتها موراى وخالفه كامبل وجربر وبورا وجودوين

(١) سوف نعود إلى كل ذلك فى سوفوكليس

بين مصر ولبنان

الى الدكتور زكى مبارك

للأستاذ محمد رشدى الخياط

سيدى الدكتور

تستطيع الأمم أن تحتجز كل شىء دون الخروج من أراضيها إلا الثقافة فلا تستطيع قصرها عليها دون غيرها، فهى قسم مشترك بين العالم يدلف إليها كل فرد وتطلع عليها كل أمة، وتؤثر فى كل من يصل إليها كما أنها تتأثر بما يصلها، وذلك أمر بَدَهى لا مندوحة لنا من الإقرار به . وثقافة الأمم منها ما تشارك فيه دون أن تكسوه لوناً خاصاً وهو ما يكون علماً خالصاً، ومنها ما تلبسه ثوباً إقليمياً حسب المؤثرات الخاصة التى توجد لديها ويبقى بعد ذلك عالياً فى نزعته وأثره . هذا إلى أن ثقافة الأمم لم تكن فى يوم من الأيام أثراً خاصاً من آثار أمة دون أخرى، فهى مزاج من ثقافات العالم القديم والحديث ترتكز كل أمة فى ثقافتها عليه فلا يحق لنا إذا ما ذكرنا الثقافة اللاتينية مثلاً أن نقصرها على نتاج عقليات هذه الأمم بل يجب أن نقر أثر الأمم الإغريقية والعربية ونتيجة الثقافات الفرعونية والهندية وسائر الأمم القديمة التى حملت الثقافة الأولى إلى العالم، ونستطيع بعد ذلك أن نزيد عليها أثر الأمم الحاضرة فى تغذية هذه الثقافات وتقدمها . والأمة العربية ليست بدعاً من هذه الأمم، فهى إنما تخضع لقوانين العالم، فالثقافة المصرية لم تكن فى يوم من الأيام مقصورة فى نهضتها على العقول المصرية كما أنها لا يمكن أن تبقى محصورة فى دائرتها الخاصة، بل من الواجب الحتم أن تتعداها إلى غيرها من البلدان كى يظهر أثرها فى التأثير فى العالم، وقيمتها فى المساعدة على تقدم الثقافة العربية . ومصر بما لها من الموقع الجغرافى ، والبسطة فى المال ، والكثرة فى السكان، تستطيع أن تباهى شقيقاتها الدول العربية فى قطعها دونها شوطاً بعيداً فى بناء النهضة الأدبية الحديثة ؛ ويجب فى الوقت نفسه ألا ننكر جهود سائر البلدان العربية على اختلاف هذه الجهود فى القوة والضعف ، إذ قام كل بلد بما يستطيعه من المشاركة فى هذا الأمر . ولا يعزب عن بالنا أثر لبنان خاصة والبلاد السورية عامة فى هذه المشاركة الفعالة ؛ فنحن نعلم أن طلائع النهضة بدت فى سوريا مسايرة لطلائعها فى مصر أو متقدمة عليها بعض التقدم . ولئن استطاعت مصر أن تتقدم شقيقاتها فى هذا المضمار فإن مرجع ذلك إلى أمور لا تتعلق بخصب العقلية المصرية ، وضعف غيرها كما يفهم من كلمة الدكتور زكى مبارك فى (العدد : ٢٩٥) من الرسالة . إذ يقول : « ولكنى أتحدا كم أن تثبتوا أن لبنان نبغ فيه أديب واحد ، ولم يكن مصدر نبوغه الاتصال بالثقافة المصرية » . ثم يقول فى موضع آخر : « إن الأدباء السوريين لم يذوقوا طعم المجد الأدبى إلاّ بعد أن شربوا من ماء النيل » . وإنما يعود ذلك إلى مؤثرات خاصة نستطيع أن نجملها فى أربع نقط .

ترجع أولى هذه النقاط إلى ما وهبته مصر من خصب فى التربة درّ عليها أخلاف الرزق فى سهلها المخصوصر المعشب فهيأ لها بذلك الأساس الذى تقوم عليه النهضات ، وهو المادة التى استطاعت بها أن تبث البعوث فى مختلف أشتات أوربا لتعود إليها بالغذاء العقلى ؛ والبلاد السورية خاصة والعربية عامة صفر من المادة ، فهى فى لبنان جبل أجرد ضيق أكثر بقاعه لا يمكن سكانه من استغلاله إلا فى أشهر معدودات من الصيف، ثم ينقلب بعد ذلك غطاء أبيض ناصعاً من الثلج يحول دون زرعه أو الاتكال عليه فى كفايته حاجات السكان . هذا إلى أن المدن المنتشرة فى منبطحه ليس لها من الموارد ما يهيئ لها أسباب الراحة وبلهنية العيش كما هيأتها طبيعة مصر لمصر . وسائر البلاد العربية يتكون أكثرها من صحارى محيطة بأطرافها وسهول ضيقة الأركان تنبث خلالها . كان من أثر هذه البيئة أن ضاق النبوغ العربى ذرعاً بهذه الحياة فكبت فى مهده ، ولم تتجمع له المادة التى تمكنه من استغلال هذا النبوغ فوجد فى بقاع الأرض متسعاً لإظهاره ، فاحتمل نفسه إلى مصر وما وراء البحار حيث استطاع أن يثبت هذا النبوغ ويؤكده، فكان أثره فى مصر بارزاً فى نهضتها وفى غيرها من بلدان العالم وبخاصة فى أمريكا مركزاً كل التركيز . ولا يفهم من هذا أن مصر أو غيرها من البلدان هى التى أوجدت هذا النبوغ وإنما يعود ذلك إلى البيئة الأصلية ولم يكن من أثر البيئات الجديدة إلا أن ساعدت البيئة الأصلية

على استغلال هذه الثروات العقلية الكامنة فى زوايا الفقر والفاقة . ومن هنا لا نستطيع أن نوافق الدكتور فيما ذهب إليه من حملة كنا نرجو ألا تثور به حتى يقعد على مثل الألفاظ التى استقر عليها . ومع ذلك فإن الشعب العربى مع فقره وشدة حاجته إلى المادة استطاع أن يشارك فى النهضة العربية بقدر ليس بالقليل ، وبخاصة لبنان حيث الثقافة العامة فى الشعب أكثر منها فى مصر حتى الآن ، وكل ما فى الأمر أن مصر أنجبت طبقة من المثقفين عالية لا تستطيع أن تجارى الشعب فى تفكيره ، إذ أن التوازن مفقود بين هذه الطبقة العالية فى ثقافتها وبين الشعب الذى لا يزال أكثره أمياً أو ضئيل التعلم . وعكس ذلك لبنان وسائر البلاد العربية ، إذ نجد الطبقة المثقفة هناك لم توجد بينها وبين الطبقة العامة مثل الهُوّى التى توجد فى مصر . هذا السبب المادى الذى آل إلى تخلف بعض البلدان العربية عن مسايرة مصر يتبعه سبب آخر هو قلة السكان فى أى قطر من الأقطار بالنسبة لمصر، فأكبر بلد عربى لا يتجاوز سكانه خمسة ملايين، بينما مصر تعد بفضل الله ستة عشر مليوناً أو تزيد ، وهذا له أثره فى قيمة انتشار الثقافة العامة ، إذ لا تستطيع الطبقة المثقفة أن تسير فى واجبها بوساطة التأليف ونشر المجلات العلمية والأدبية لقلة عدد المستهلكين حيث لا يجد القائمون عليها وسيلة من وسائل الاستغلال والإفادة، بينما مصر تساعدها كثرة سكانها على نشر مختلف المجلات وطبع متباين المؤلفات ، ومع ذلك نستطيع أن نسأل الدكتور نفسه عن عدد الكتب التى طبعها وعدد نسخها وما هى الكمية من هذه الكتب التى استطاعت مصر أن تهضمها بالنسبة إلى الكمية التى أقبلت عليها البلاد العربية ؟ أكبر الظن أنا سنرى البون شاسعاً بين ما تناولته مصر من مؤلفات الدكتور وبين ما التهمته المقول العربية . ولنا فى شهادة أستاذنا الزيات أكبر دليل، فالرسالة أثيرة لدى الشعب العربى حبيبة إليه يقبل لذلك عليها أكثر من إقبال إخواننا المصريين . أليس فى هذا دليل على رقى الشعب وكثرة المفكرين فيه ؟ ولكن ما الحيلة فى أن الله قد ابتلانا بضعف المادة وقلة السكان مع ما سيأتى من الأسباب فحرمنا ذلك من كثير من وسائل الإعلان والدعاية ؟

وبعد ذلك يا سيدى يحضرنا السبب الثالث الذى يقوم على السببين الأولين — ضعف المادة وقلة السكان — وهو انعدام وسائل النشر والدعاية أو ضعفها، إذ أن المادة التى يقوم عليها النشر لا تواتى المؤلفين والناشرين على الإكثار منهما لقلة ما بأيديهم منها ؛ هذا إلى أن ضآلة الاستهلاك من هذه المطبوعات والمنشورات لقلة عدد السكان قعد بالبلاد عن الإعلان والدعاية اللذين اتخذتهما مصر سبباً من أسباب نهضتها بصحفها ومجلاتها وكثرة مطبوعاتها لاعتمادها على ما لديها من المادة وكثرة الاستهلاك المحلى . فالصحف المصرية مثلاً تستطيع أن تنفق عن سعة لأنها ترتقب انتشاراً سريعاً بين السكان وقل مثل ذلك فى المجلات . ومن هنا نرى أصحاب الصحف فى مصر قد أثروا من عملهم هذا ، وكان فى ذلك دعاية أى دعاية لمصر فى البلدان العربية، ويتبع ذلك المجلات. وهنا نستطيع أن نميز فيما بينها، فهناك المجلات الأدبية والعلمية وهذه يستهلك منها فى خارج مصر أكثر مما يستهلك فى مصر، أما المجلات الإخبارية أو الروائية أو المصورة فلها عناية خاصة لدى إخواننا المصريين . ولا أبالغ إذا قلت إن أثر بعض المجلات فى الدعاية لمصر كان معكوساً، وبخاصة ونحن فى بلد لا يزال يحرص على كثير من تقاليده، فهو لا يقبل أن يرى المرأة كاشفة عن ساقيها معلنة عن نهديها ملوحة بذراعيها العاريتين أو نصف العاريتين، هذا إلى ما تحويه بعض هذه المجلات من أخبار نسائية ومشاكل اجتماعية ليس من الخير أن تنشر بمثل هذه الإبانة لما توقره فى نفوس بعض القراء من آثار سيئة ، وبخاصة أولئكم الشبان الذين لم يتجاوزوا طور المراهقة إذ يقبلون عليها بلهفة وشوق ينتهيان إلى انحراف فى الأخلاق أو ميل إلى التهتك دون أن يعرفوا الأثر السيء الذى سيعود عليهم . ما كنت لأرغب فى أن أعرض لهذا الآن ولكن المناسبة قادتنى إليه .

من هنا ياسيدى الدكتور نستطيع أن نلم ببعض الأسباب التى دفعت مصر إلى أن تخطو خطوات واسعة فى طريق النهضة العربية دون أن تستطيع الوقوف على ما يجرى لدى شقيقاتها من هذه النهضة . وأنت أدرى ياسيدى بما تلقاه المؤلفات والنشرات التى تصدر فى البلدان العربية من إقبال لدى إخواننا المصريين ! لو ذهبت تعدد قراء البلاد العربية للمنشورات المصرية لألفيتهم عدداً جماً، ولكنك هل تستطيع أن تدلنى على أناس لا يتجاوزون عدد الأصابع قرأوا أو اقتنوا كتاباً واحداً ألفه أديب غير مصرى

ولكن ما العمل وإخواننا المصريون قد تضخم لديهم حب الذات حتى غدوا لا يبصرون فى هذا العالم أحداً غيرهم ولا يقبلون فى الثقافة العربية على غير مؤلفيهم — مع قلة هذا الإقبال — وأنت تقرمنى ياسيدى الدكتور أن هذه ناحية من نواحى الضعف فى جمهور القراء من المصريين . وأنتم فى مصر مع ذلك تشكون قلة القراء على ما لديكم من كثرة السكان وتوفر المادة فكيف بنا نحن العرب الفقراء فى كلتا الناحيتين ؟

ونستطيع أخيراً أن نبرز الناحية الرابعة التى دفعت بالبلدان العربية إلى عدم استطاعتها المضى مع مصر فى طريق النهضة، وهى ناحية سياسية خاصة تختلف كل الاختلاف عن الناحية السياسية فى مصر. وذلك أن مصر قد كفل لها استقلالها بشئونها الداخلية منذ أيام محمد على باشا حيث تمكن من بعث البعوث والنهوض بمصر فى مضمار الثقافة ، ثم مضت البلاد فى ذلك فى ظل خلفائه إلى أن أظلها القرن العشرون فأتت النهضة أكلها. أما البلاد العربية فكانت تحت الحكم التركى المباشر حيث كانت الأمية ضاربة أطنابها فى مختلف البلاد، وحيث كنت تبحث عن المثقف بمصباح ديوجين، ومع ذلك كان لبنان فى مقدمة العاملين فى سبيل النهضة الحديثة تحت لواء آل البستانى وآل اليازجى وآل المعلوف وغيرهم ، هذا إلى ما قامت به الإرساليات الأجنبية من جهود لا تنكر، ثم تقلبت الظروف وإذا بنا فى معركة حامية الوطيس بين الحلفاء وتركيا، تبع ذلك تمزيق أوصالنا إلى دويلات تحت دول متباينة فى ثقافاتها. وكان من أثر هذا الصراع أن اتجهنا فى حياتنا وفى تفكيرنا إلى حفظ كياننا السياسى — وهو أمر طبعى — قبل التوغل فى العمل فى الحقل الثقافى . ورغم هذه الظروف استطعنا أن نقطع فى طور الثقافة شوطاً غير قليل

قد يقول قائل إن ما لقيته مصر لا يقل عما لقيته شقيقاتها، وفى هذا ما فيه من المغالاة إذ أننا إذا استثنينا الثورة العرابية والثورة المصرية الأخيرة لا نجد صراعاً مسلحاً أخذ بمجمع القلوب المصرية وشغلها عن كل ما عدا ذلك من شئون الثقافة

هذه يا سيدى الدكتور الأسباب التى دعت مصر إلى أن تتقدمنا فى طريق النهضة الحديثة، وهو فى الوقت نفسه لا يدل على ضعف فى عقليتنا أو خصب فى غيرها ، وإنما يعود إلى عوامل لا بد من مراعاتها قبل الحكم فى هذه القضية . أما الإبقاء على تراث الجدود والمحافظة عليه فما من أحد ينكر على مصر قيامها به بل نرى من الواجب العض عليه بالنواجذ

وأخيراً يا سيدى الدكتور أستطيع أن أختم كلمتى حول هذا الموضوع بعتب إخوانك وقرائك عليك لحملتك التى خرجت فى بعض مواطنها عن حد الاعتدال . وليتك وقفت من مثل هذه الدعوة التى وصلت إليك موقف الأستاذ « ابن عبد الملك » فى تهجينها دون تجريح، وفى إنكارها دون جنف أو ميل لك أو عليك، فتكون بذلك قد تجنبت بعض الآثار التى ليس من الخير إثارتها الآن وأنت تعلم أننا أتوق إلى مطالعة آرائك ومنتوجاتك الأدبية من توقنا إلى مثل هذه المنازعات

« فلسطين » محمد رشدى الخياط



ابنتي ...!

للأستاذ محمد سعيد العريان

مرحباً يا عزيزتي الصغيرة !

ها أنتِ ذي يا ابنتي أمام عينيّ حقيقةً أراها وكنتِ حلماً من أحلامي !

وهأنذا ألقاكِ بعد صبرٍ صابر وجهدٍ جاهد وطول تشوُّف وارتقاب ؟

مالك مغمضةَ العينين أكثر ما تكونين يا ابنتي كأنما لا تجدين في دنياك الجديدة ما يغرى على اليقظة والنظر ؟

ومالك صامتةً أبداً فما تفتحين فمك إلا للبكاء كأنما تشعرين بالغربة في هذا العالم الجديد ؟

وما لهذه اليدين والرجلين دائبات على الحركة أبداً كأنما تحاولين الفكاك من قيد غير منظور ؟

أين كنتِ يا ابنتي ؟ ومن أين جئتِ ؟ وإلى أين المسير ؟

أهذا يوم ميلادك يا ابنتي أم هو أول الطريق في مرحلةٍ بين مرحلتين من عالم مجهول إلى عالم مجهول ؟

حدّثيني حديثك عن دنياك التي كانت ، ودنياك التي تكون ؛ فأنت أقرب عهداً يا بنية إلى ما كان ، وأصفى نفساً إلى تصوُّر ما يكون !

هأنذا أرى شفتيك تختلجان وأنت نائمة كأنما تهمسين بسرّ في أذُن !

وتبسمين أحياناً بسمات غامضة كأنما تستمعين إلى نجوى صامتة في دنيا الأحلام التي تصل جديدك في هذا العالم بماضيك القريب في العالم المجهول !

وتعبسين أحياناً باكيةً بلا صوتٍ ولا دموع كأنما لا يعنيك أن يسمع أحد أو يرى ؛ لأن الذي تعنين أن يعلم بشكواك ليس خَلْقاً من الخلق ولكنه روح من روح الله ؟

حدّثيني ماذا ترين يا بُنيَّةُ في منامك وماذا تسمعين ؟

مَنْذَا يسامرك يا ابنتي في أحلامك وما عرفتِ شيئاً بعدُ في دنيانا تؤلّفين من أشتاته أقاصيصَ في أحلام !

ليتني أعرف ماذا كنتِ أمس ؟ وماذا أنت اليوم ؟ وماذا تكونين ونكونُ في غد !

أطوار ثلاثة في تاريخ البشرية ليس في أيدينا من العلم بها إلا اليوم الذي نعيش فيه ؛ أما أمس قبل أن نكون ، وأما غدٌ بعد أن نصير ... !

من يدري ، من يدري ؟ إن هنا سرّ الأزل ، وسرّ الأبد ، وبرهان الخلود !

حياة بين حياتين ، ليس لنا من العلم بأولاها إلا بطن الأم ، وليس لنا من العلم بالأخرى إلا بطن الأرض ، ونحن بين الحياتين في مضطرب مائج لا نكاد نحس إلا ما تقع عليه أعيننا وما تلمس أيدينا ، وإننا على ذلك لنزعم أن لنا الحق في أن نتحدث عما قبل الحياة ، وما وراء المادة في جدال السفيه ودعوى المغرور !

***

ابنتي طفلة في المهد لم تتجاوز من العمر في تاريخ البشرية إلا أياماً معدودة ، ولكنها إلى ذلك كبيرة كبيرة في نفسي وفي أوهامي ، إنها لم تولدْ أمس ، ولكنها كانت في رحلة ثم آبت. إنها كبيرة كبيرة لأنها كانت تعيش في أحلامي منذ سنوات وسنوات . منذ أيقنت أنني يجب أن أكون أباً !

هل كنتِ تسمعين نجواي يا بُنيتي من وراء حدود المجهول وقد جلست ذات مساء أهتف باسمك في دنيا الأماني متسائلا : أين أنت يا ابنتي ؟ أين أنتَ ياولدي ؟ أين أنتِ يازوجي التي لم أرها ولم أعرفها بعد ؟ أين أنتم يا أحبائي ؟

... طفلةٌ هي على حساب الزمن إن كانت سن الحي تُعَدُّ بالسنين والأيام ؛ فكم تكون سنها على الحقيقة منذ كانت أمنيةً تتراءى لي في اليقظة وطيفاً يلُمُّ بي في الأحلام ؟

صورةُ إنسانٍ في بضعة أرطال من لحمٍ ملفّفة في طيات الفراش ، ولكنها مني أينما كنتُ ، أطوّف بها ما أطوّف في دنيا عريضة من الأماني والأوهام !

خرساء مالها بيانٌ بعد ، فإذا التقت عينان بعينين فإن بينها وبين نفسي حديثاً أفصحَ من حديث كل ذي شفةٍ ولسان !

طفلةٌ هي إذا نظرتُ إليها في فراشها هادئة مستسلمة لا تقدر على الحركة ؛ فإذا أغمضتُ عينيّ وسبحتُ فيما أسبح من آمالي فهي غير مَنْ هي : صبيّة تدرج ، أو فتاة تخطر ، أو عروس في جلوة العرس إلى ذراع عروس . . . !

***

تعالَي إليّ يا بُنيتي أضمُّك إلى صدري ؛ إنني أنا أبوك ؛ أتراك تعرفين ؟

هاتان عيناك الساجيتان تنظران إلىّ نظرات ليستْ من مثل ما تنظرين إلى أخى وابن عمى ؛ بربّك مَن علّمك ؟

انظرى إلىّ يا ابنتى وأطيلى النظر ، إن فى عينيك سرًّا يلهمنى ما لم تلهمنى مشاهدُ الدنيا جميعاً منذ كنتُ إلى يوم عرفتُك !

حدثينى حديثك الصامت يا عزيزتى لعلى أستشفّ من وراء حديثك سرّ المجهول ؛ ما أنتِ ؟ وأين أنت ؟ وما كان ماضيكِ ؟ وكيف تأملين أن يكون غدك .. أأنتِ هنا أم أنت هناك ؟

... شمس تشرق وتغيب ، وليل يطبق وينجلى ، ورياح تعصف وتهدأ ؛ وإنسانٌ يعبس ويضحك ، ومعدة تمتلئ وتفرغ ، وقلب صافٍ صفاء الحق أو عابس عبوس الضلال ، وعيون فيها بريق الشهوات أو فيها دموع الألم ، ووجوه سافرة ووجوه عليها نقاب ... هذه هى دنيانا أيتها الصغيرة ، فما هى دنياك ؟

أتراك تعرفين يا عزيزتى الصغيرة ؟ ... ما أرى صمتك الطويل يا بنيتى إلا حذراً ورقبة حتى تعرفى ما أنتِ فى دنياك الجديدة ... ! تُرى من أدبك هذا الأدب يا بنيتى ؟

سائح جوّال رمتْ به الأقدار إلى وادٍ غير واديه ، ودنيا غير دنياه ، وعيش لم يعش مثله فيما استدبر من حياة ؛ ماذا يقول وكيف يتحدث ... أهكذا أنتِ فى صمتك يا عزيزتى ؟

***

هذه أمك يا صغيرتى؛ لم تحمل ولم تلد قبلُ ؛ علّميها الأمومة يا صغيرتى، إنها لم تكن تعرف ...!

ها هى ذى حانيةٌ عليك صابرة على ما تعانى من أوجاع الأمومة الأولى وإن فى عينيها لبريقاً لم أر مثله فيما رأيتُ من عينيها قبل!

مغتبطة سعيدة أن تضمك إلى صدرها فى حنان ورقة وإن بها من الآلام ما يذهل كل ذات ولد !

وهاتان شفتاك الصغيرتان تبحثان عن شىء هنا ... مَنْ علّمك أيتها الصغيرة أن هنا أودع الله ما أودع ليكون لك شبعاً وريًّا ؟

ورأيتك تلقمين ثديها مغمضة العينين، تناولَ الخبير الفطن ، فأحسنتِ الرضاعة ، وما تُحسن أمُّك أن تُرضع !

يا عجبا ! الطفل الصغير يعلّم أمه الأمومة قبل أن تتعلم هى أن تكون أمًّا !

فى كل مرأى عينٍ منك يا صغيرتى درسٌ يهدينى ويلهمنى !

***

هل أنتِ سعيدة بدنياك أيتها الصغيرة ؟ هل تتألمين لشىء ؟ هل تؤملين فى شىء ؟ هل وجدتِ الحياة كما علّمك باريكِ الأعظم ؟

مَن لى بأن أسمع جوابَ ما سألت ! ولكن ، لا ، لا ، حسبى الذى أرى ؛ إنك أنتِ أنتِ لأنك لا تجيبين ؛ إنك أنتِ أنتِ لأنى لا أعرف من أنتِ ؛ حسبى من العلم ما تلهمنى نفسى ؛ إن ذلك أعمق أثراً فى جنانى من كل بيان !

هذا جسمك ينمو كل يوم شيئاً شيئاً ، وهذه حركاتك تقوى وتشتد ، وهذا صراخك يتنوّع نَبْرُه وتختلف أنغامه ؛ وغداً — إن شاء اللهُ سيكون لكِ غد — ستكبرين يا صغيرةُ حتى تبلغى ما تبلغين ؛ وكم يلذّ لى أن أتمثلك فى خاطرى صبيةً وفتاةً وسيدة كما آمل أن تكونى ؛ ولكن شيئاً واحداً هو أغلى من كل ذلك آمل أن يظل معك صبية وفتاة وسيدة ؛ هو قلب الطفلة ، وابتسامة الطفلة ، ونظرة الطفلة ، و ... ، وصمتُ الطفلة حين تضجّ الحياة من حولك وتصطخب ، ويلتمس كلُّ سؤال جوابه ... !

ولكن ، آه ... إن حكمة المقادير لتأبى ... !

هكذا كنا جميعاً ، وهكذا صرنا ؛ وكانت لنا حياة أين منها الحياة التى نعيش اليوم !

عيشى لى يا ابنتى واسلمى ، وكونى ما تكونين ؛ فأنت أول مَن أبوّت ، وأنت أول من علمنى معنى الحياة ... !

***

... لماذا تبكين يا بنية ؟ هأنذا على مقربةٍ منك ، تُملين علىّ وأكتب ؛ تعالى بين ذراعىّ ، إنهما على ما إنهما ، لألين مسًّا على جنبيك من هذا الفراش الوثير !

... تبكين لأنى منصرف عنك منذ ساعات إلى أوراق أكتب ؟ من علّمك هذه الغيرة يابنية ؟ إن فيك لَطباعَ الأنثى وإن لم تكونيها بعد !

ابتسمى لأبيك أيتها الصغيرة ؛ لا تبكى ؛ إننى أنا أبوك ؛ لقد تعلّمتُ منذ الساعة ما أنا ، وعرفتُ ما علىّ من واجب ؛ إننى لَكِ منذ الآن ، لا يصرفنى شأنٌ من شئون الحياة عن هذا الواجب إلا أن يكون سعياً إلى ما يصلح من شأنك ...

تعالى تعالى علّمينى ! إننى أنا والدك ولكنك أنتِ ولدتِنى يوم وُلدتِ لأنك أنشأتِنى خلقاً آخر من يومئذ ...

تعالى، قبّلى أباك ! .. لا تعرفين ؟.. هذه قبلتى على جبينك يا صغيرةُ تذكرينى بها إلى معاد ؛ وإنها لدين إلى أجل لا بد أن أقتضيه يوماً من شفتيك !

محمد سعيد العريان

استطلاع صحفى

جولة فى مزرعة الجبل الأصفر

لمندوب الرسالة

فى دار النيابة زوبعة نائمة ينتظر نواب الأمة أن يثيروها عند ما يعرض الاستجواب الخاص بالتحقيق فى مزرعة الجبل الأصفر . وبذلك سجلت هذه المزرعة لنفسها تاريخا خاصا وأثارت فى نفوس القراء فضولا رأينا أن نشبعه بأن نقدم للقراء وصفا شاملا لما يحدث فى تلك المزرعة متوخين فى بحثنا أن نكون بعيدين كل البعد عن السياسة ومراميها

الأرض المتمردة

على مسير ٢٠ دقيقة من المرج معهدان أولهما مستشفى المجانين، والثانى مزرعة الجبل الأصفر . وكلاهما يقع فى الصحراء بعيداً عن الناس . ففى الأول أناس اقتضت التقاليد عزلهم لما أصاب مراكز التفكير فيهم من خلل ؛ وأما الثانى فبرغم بهائه ونضرته ، وعلى رغم زرعه وضرعه، لم يجد الناس مندوحة من إقامته بعيداً عن عيونهم وأنوفهم ، فمواد سماده من فضلات المجارى ، فهى خطر على الصحة العامة لما تنقله من الجراثيم ، وهى خطر على حاسة الشم لأن رائحتها كريهة ، وهى خطر على المزاج لأنها تعكر صفوه وتشيع فى الإنسان الكآبة : ولذلك اقتضت ضرورة الذوق السليم أن تخط مزرعة الجبل الأصفر فى بقعة نائية من الصحراء



إحدى طرق النقل فى المزرعة بواسطة عربات « ترلى » يجرها حمار

ولا يربط هذين المعهدين بالمرج إلا خط حديدى مفرد تسير عليه مركبة الترولى مرات معدودات أثناء النهار عند ما ينتقل إلى سكان المزرعة البريد اليومى أو يحاول أهلها الاتصال بسكان العالم عن طريق الرسائل . ولو استطاعت الصحراء أن تتحدث لاتهمت المزرعة بالجنون كما اتهم به الناس سكان المعهد المجاور، فكلاهما خارج بل متطرف فى الخروج على مألوف بيئته ، فأينما وقفت من أطراف المعهدين تجد الأفق ينطبق على رمال الصحراء سوى هذه البقعة ، فقد تمردت بفعل الإنسان فأرسلت من جوفها إلى العالم حياة طافحة بالخير والشر ، وأشجاراً باسقة تعطى الظل والخشب ، وأثماراً تدر على الإنسان الربح الوافر والغذاء الدسم



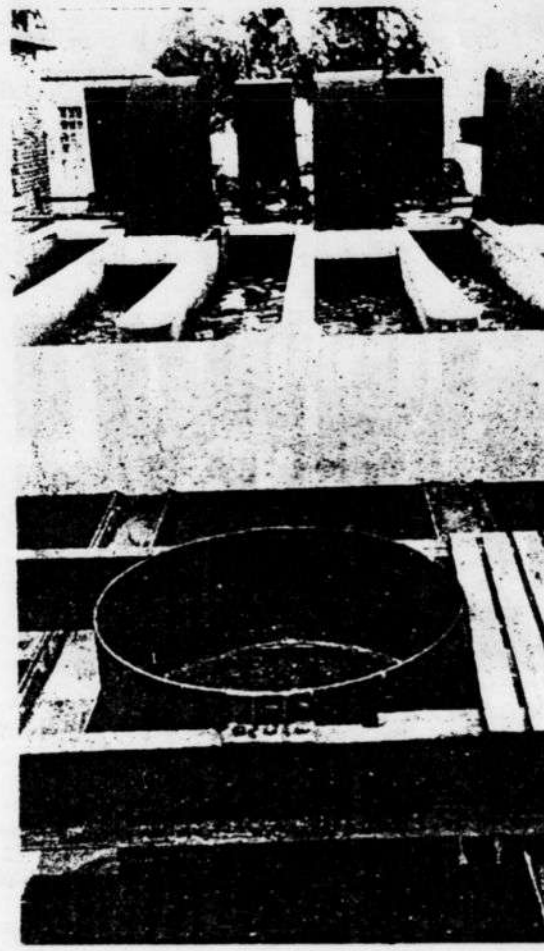
بعض العمال يفرزون البرتقال استعدادا لارساله إلى القاهرة والمدن الأخرى

تلك الأرض التى كانت منذ سنوات صحراء جرداء تستوى مع جيرانها فى أديمها الأصفر وهجيرها اللافح وشمسها المحرقة، أصبحت الآن بستاناً تهوى العين رؤيته وتتوق النفس إلى سكناه . وليس غرام البقعة قاصراً على عشاق الطبيعة الذين يحبون جمعها بين الصحراء وتلالها الرملية وبين الماء والخضرة ، بل إن هذا الغرام يمتد إلى التجار . ألم تسمع عن الثورة القائمة فى دار النيابة ؟ وهل سمعت أيضاً بحديث القتيل الذى راح ضحية المنافسة عليها عند البيع والشراء ؟ فإذا لم تكن تعرف هذا فتيقن أن المزرعة مصدر ربح وفير ، فإنتاجها حسب تقدير قسم البساتين بوزارة الزراعة يزيد على اثنين وعشرين ألفاً من الجنيهات .

صيد طائرين بحجر واحد

أما مساحة المزرعة فثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسون فداناً حولتها فضلات المجارى إلى حالتها الراهنة، إذ استعملت سماداً عضوياً جيداً لتغذية الأرض حتى أنتجت الأشجار والأثمار المختلفة . ولكن المشرفين رأوا أن يستفيدوا من الأرض فى التجارة بزراعة الموالح من برتقال ويوسفى بأنواعهما . أما البقول والفول والشعير

فاقتصر زرعهما على الاستهلاك المحلى لسكان المزرعة الذين يزيدون على ألف نسمة



صورة إحدى النماذج التى استعملت لتجربة تنقية الماء بواسطة السواقى الدائرة

ويزرع من هذه المساحة ألف فدان موالح، وهى الأرض التى يسمح باستغلالها فى التجارة، وبذلك تكون هى منشأ النزاع وإن شئت الدقة قلنا الاستجوابات المطروحة فى دار البرلمان. ويزرع من المساحة الباقية ١٥٠ فداناً شعيراً ومثلها فولاً و ٣٠ فداناً غابات، ومثلها للنخيل وعشرة أفدنة للخضروات؛ أما الباقى فأراض بور لم يتم إصلاحها بعد، ولو توفر الماء لريها لأصبحت كمثيلاتها؛ فالسماد العضوى الذى تجلبه إليها المجارى غذاء غنى للنبات

وليست الناحيـة التجارية هى الأصل فى إنشاء هذه المزرعة بل الغرض أسمى من ذلك، ففى مدينة القاهرة مجار تجمع الفضلات من المنازل لتلقيها بعيداً عن الناس دون أن تكلفهم مشقة التعب فى النقل وإيجاد المكان . وهذه المواد يجب أن يقتل ما فيها من جراثيم كما يجب أن تستهلك لتنعدم رائحتها وحتى لا تزيد وتتكاثر بمرور الزمن . ولذلك فكر ولاة الأمور فى إنشاء مزرعة يتغذى نباتها بتلك الفضلات ، وبذلك يضربون طائرين بحجر واحد كما تقول الأمثال؛ فمن الناحية الأولى نجد مصرفاً دائماً للفضلات، ومن جهة ثانية نزرع الأرض ونجنى الثمار .

ولذلك لم تكتف المزرعة بالناحية المادية والتجارية، بل أرادت أن تضيف إلى الثروة الزراعية المصرية نباتات جديدة لم نعرف أثمارها من قبل فأدخلت زراعة بعض الفواكه « كالكوم كوات» كما استطاع الإخصائيون الزراعيون إنتاج فواكه فى غير أوانها، فاستطاعت المزرعة أن تمد السوق بالفواكه فى أكثر أوقات السنة . ولم تقتصر الفائدة على الحكومة بل عمت فاستفاد منها



نموذج آخر لتجربة نوع آخر من السواقى لعزل الماء عن فضلات المجارى

الشعب فقد اشترى بعض المزارعين بذور تلك الفواكه فشاركوا المزرعة فى إنتاج الفواكه على غير ميعاد .

بر الشيطان

وتأبى أرض المزرعة إلا أن تضع أمام إخصائيها معضلة حاروا فى كشف سرها إذ يظهر نبات شيطانى اسمه « المتنة » لم تبذر له بذور ولم يعتنَ به فى سقى ولا حرث، ومع ذلك فإنه ينمو ويكبر؛ وهو غنى بالزيت، ولذلك أريد استغلاله باستخراجه منه فجربت زراعته ففشلت. « فالمتنة » نبات ينمو إذا تركته للطبيعة، فإذا أخذت بذوره وأعطيتها العناية والوقاية فإنها لاتنبت ؛ أما إذا تركت على الأرض فإن نبات المتنة يكثر فيها. أما كيف ينبت فهذا سر الطبيعة؛ وأما لماذا لاينبت إذا قدمت له العناية فأمر علمه عند الله ، وكل ما نعرف عنه أنه نبات شيطانى يحتفظ بسر نفسه، ومازالت التجارب تعمل. وما يظن أنها بذوره تدفن فى الأرض أو تبذر على سطحها لتنبت، ولكنها تختفى فى الجهات التى تزرع فيها لتظهر فى جهات ثانية . والغريب فى أمرها أنها تنبت بإذن الله وحده فى عدة جهات وبكميات كبيرة ، فأمكن استخراج كميات من الزيوت منها

وتحاول المزرعة أن تحتفظ فى حقول تجاربها بكثير من النباتات ولكن بعضها قد لايحتمل حرارة الشمس لأنه نبات إحدى المناطق الباردة، أو أن حرارة شمس مصر لا تكفيه لأنه نبات إحدى المناطق الحارة ، ولذلك فإن المزرعة مجهزة ببيوت من الزجاج ، وأخرى من الخشب

فأما بيوت الزجاج فتوضع فيها نباتات المنطقة الحارة حتى إذا انكسرت أشعة الشمس داخلها كانت حرارتها أقوى مما هى فى العادة ، وهذه البيوت حوائطها من الزجاج الذى يسمح لأشعة الشمس بالنفاذ . أما بيوت الخشب فإنها تصنع لتعطى النبات كثيراً من الظل، وبذلك تقل الحرارة داخل البيت فيستطيع النبات البارد أن يعيش . وبعض النباتات يمكث فى هذه البيوت مدة حتى يمكنه أن يتحمل الحرارة والبرودة وعندئذ يمكن غرسه فى أرض المزرعة فى العراء

سماد عضوى

تروى أرض المزرعة وتسمد من فضلات المجارى التى تصل من القاهرة بواسطة أنابيب تقذفها فى أحواض واسعة حيث ترسب الفضلات الثقيلة فى قاعها وتمر فى عدة أحواض أخرى إلى أن تصبح ماء صافياً يستعمل فى رى المزرعة . أما المواد الغليظة فإنها تنشر فى أحواض رملية وتعرض لأشعة الشمس حتى تجف وتباع للزراع كسماد عضوى جيد ، ويختلف ثمن المتر المكعب منه تبعاً للمكان الذى يسلم فيه

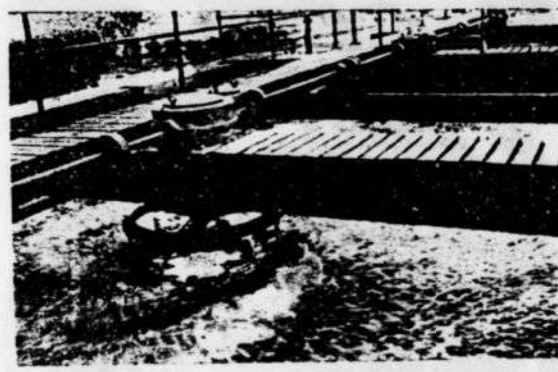


صورة أحد العمال وهو ينظف إحدى فتحات الأحواض

وتنحل المواد البرازية أثناء انتقالها داخل الأنابيب من القاهرة إلى تلك الأحواض فإنها تبقى عدة ساعات كافية لقتل أى مكروب، ولذلك فإن المواد تصل إلى تلك المنطقة سوداء مما يدل على انحلال موادها . أضف إلى ذلك أنها فى ماء جار لا يسمح للميكروبات بالحياة . بل إن بعض الأطباء يؤكدون خلو تلك المواد من أى ميكروب ؛ ولذلك يأخذون على وزارة الصحة اعتبارها للمواد التى تسقط على أرض ملوثة؛ ويقول آخرون إن هذا احتياط واجب وهو أدعى لطمأنينة الناس وثقتهم بنباتات المزرعة

ولأول مرة شاهدت أرض المزرعة عجبت لكثافة الحشائش فى أرضها مبيناً ضرر ذلك على النبات . ولكن محدثى وهو ممن عاشوا فى المزرعة مدة طويلة قال : إن هذه الحشائش الطفيلية تنبت بغزارة وقد تعبنا فى التخلص منها بدون جدوى. وثلاثة أرباع

العمل الذي نبذله هنا يقتصر على حشها ولكنه لا تمر ٢٤ ساعة حتى تنبت بهذه الكثافة من جديد. ولما سألته عن السبب قال: إن الماء الذي تزرع به الأرض يحتوي على كميات كبيرة من السماد فتتشبع به الأرض أكثر من الحد الطبيعي حتى أصبحت أرضها صلبة مما يضر بالمزروعات أحياناً، وإذا أردنا أن نرجع بالأرض إلى الحالة الطبيعية وجب أن نزرعها مدة عشر سنوات بدون سماد



ساقية تدور فى وسط الماء لتفصل الماء رائقا عن الفضلات وترى زبد الماء ظاهراً

تجارب لعزل الفضلات

ومن المشاكل التى يحاولون التغلب عليها الحصول على ماء خال من السماد الذائب فيه ، ولذلك عملت تجارب لتصفية ماء المجارى والحصول على ماء نقى . فليس هذا سهلاً باستيراده من النيل أضف إلى ذلك أن مشكلة ماء المجارى ستظل بدون مصرف لها .



صنعت هذه الأحواض لتنقية الماء حسب الطريقة المتبعة فى ريف مصر بواسطة الحصى والرمل والزلط

واتبعت عدة طرق ما زالت تحت التجربة لتنقية الماء بطريقة السواقى أو الرشح بين الزلط والرمل ، وينتظر أن تصل هذه التجارب إلى نتائج حاسمة قريباً فقد شاهدت إحدى التجارب وقد أصبح الماء المتخلف منها شفافاً ولكن تكاليفه غالية . ويراد استنباط طريقة رخيصة التكاليف . وقد بنيت لتنفيذ تلك التجارب عدة نماذج مساحة الواحدة منها خمسون متراً تقريباً

وهناك مشروع لتحضير غاز الاستصباح من فضلات تلك المواد، فإذا نجح هذا المشروع فإنه يكفى لإضاءة شوارع القاهرة جميعها. وقد بدأ القائمون بالأمر بعمل التجارب اللازمة ، فأنشأوا لذلك بئراً عمقها ١١ متراً كما شيدوا خزاناً من الحديد لاستقبال الغاز وتوزيعه

محافظة على الصحة

وتحرص وزارة الصحة كما قلنا على منع الثمار الملوث من الوصول إلى أيدى الناس، ولذلك إذا أراد مستغل المزرعة أن يجمع ثمار قطعة من الأرض فعليه أن يخطر رجال الصحة ليمروا فى تلك المنطقة وليجمعوا منها الثمر الذى يلمس الأرض سواء كان ساقطاً أو فى فروع قريبة من الأرض فلامستها . ويدفع للمستغل ثمن ما يتلف لأنه ملوث وقد قدر بخمسة آلاف جنيه فى العام الماضى

ويعدم الثمر الملوث بوضعه فى حفر عميقة وصب « حامض الفنيك » عليه ثم ردم الحفر

فوزى جبر الشتوى

التاريخ فى سير أبطاله

أحمـــــد عرابى

للأستاذ محمود الخفيف

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح ، وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟



يذكر المصريون اسم عرابى فلا يبتعث هذا الاسم وا أسفاه فى أذهانهم إلا صور العنف والنزق والحمق ، وتراهم — وإن لم يقصدوا — يقرنون اسم عرابى بمعانى الهزيمة والاحتلال والمذلة كأن هذه المعانى من مرادفاته

وما أذكر مجلساً تطرق الحديث فيه إلى عرابى إلا وسرت فى الوجوه كآبة ، وتسابقت الألسن للهزء به وتعـديد مساوئه وإبراز مثالبه ...

والحق أنه قل أن نجد فى رجالنا رجلاً ضاعت حسناته فى سيئاته كما ضاعت حسنات عرابى المسكين فيما ارتكب وفيما افترى عليه من سيئات ؛ وكذلك قل أن نجد فى رجالنا رجلاً كرهه بنو قومه واستنكروا أعماله بقدر ما كره هؤلاء عرابيًا واستنكروا ما فعل وما أسند إليه من الأعمال زوراً وإفكاً . وفى ذلك دليل قوى على أن التاريخ قد يظلم عامداً كما قد يخطئ غير عامد ؛ وفيه كذلك دليل على أن الأمور كثيراً ما تجرى فيه كما يرسم الحظ لا كما يضع العـدل من قسطاس ؛ فيكون نصيب بعض الرجال من التعظيم بقدر ما يتوافى لهم من حظ لا ندرى كيف اتفق لهم دون غيرهم ، بينما يجنى على كثير من ذوى النفوس الصحيحة والعظمة الصادقة ما يلحق بهم من سوء الطالع وما يحيط بهم من نحس الأيام

وما كان عرابى فيما أعتقد أثقل الرجال وزراً وإن لم يكن أقلهم أخطاء . ولعلى أستطيع أن أجلو ذلك فى سيرته بقدر ما أصل إليه من وجوه الصواب فى تلك السيرة التى بالغ كثير من ذوى الأغراض فى تشويهها والحط من قدر صاحبها

ومهما يكن من الأمر فما أحسب من الناقمين على عرابى من يستطيع أن يمارى فى أنه كان زعيم حركة وداعية فكرة ، وأنه — أخطأ أو أصاب — كان مخلصاً فيما يفعل وفيما يقول، وأنه قبل ذلك كله وفوق ذلك كله كان أول مصرى فلاح فى مصر الحديثة خرج من بين عامة الفلاحين فى قرية من قرى مصر فاضطلع بقضية، ونادى على رأس النادين بمطالب مصر ، وصار اسمه فى موقف هام من مواقف نهوضها علما على الجهاد ورمزاً للمقاومة حتى شاءت الظروف فامتشق الحسام وسار على رأس جيش من بنيها يذود عن أراضيها ويقف غير هازل ولا طامع فى وجه الغادرين الباطشين من أعدائها ...

بهذه الروح أكتب عن عرابى ، وعلى هذا الأساس أبين سيرته ، فالإخلاص فى الرجال هو عندى مقياس بطولتهم الأول ، بل هو فيما أرى أصح المقاييس وأهمها ؛ أما الصواب والخطأ وما إليهما ، فأمور توجد فى الأبطال وغير الأبطال ، ولا فرق فيها فى كثير ولا قليل بين هؤلاء وهؤلاء !

ولد أحمد عرابى فى عام ١٨٤٠ م فى قرية تدعى هرية رزنة بمديرية الشرقية ، ونشأ الصبى القروى كما ينشأ الآلاف مثله فى قرى مصر على نمط من العيش لا نحسبه يختلف كثيراً باختلاف العصور فى هذه القرى التى نبتت على ماء النيل منذ الأزل ...

نشأ فى هذه القرية الصغيرة ذلك الصبى الذى قدر له أن يجرى اسمه يوماً ما على كل لسان فى مصر ودرج بين لداته عرضة

للأمراض المختلفة ، يحيط به فى قريته الجهل والفقر أينما اتجه ، ولا يجد حوله من مظاهر الحياة والعمران مثل ما يجده صبى مثله ينشأ فى مدينة كبيرة أو يتلقى العلم المنظم فى مدرسة منظمة

على أنه يذكر عن أبيه فى مذكراته(١) أنه كان « شيخاً جليلاً رئيساً على عشيرته عالماً ورعاً تقياً نقياً موصوفاً بالعفة والأمانة » ؛ ومهما يكن من أمر أبيه فليس يعنينا فى هذا المقام سوى أنه أرسل ابنه إلى مكتب القرية وهو كما يقول ابنه من منشآته فيها ، وفى هذا المكتب فتحت عينا الصبى على نور العلم لحفظ شيئاً من القرآن وتعلم القراءة والكتابة ؛ وتعهده صراف القرية زمناً فعلمه مبادئ الحساب

ومات أبوه وهو فى الثامنة من عمره ، ولكن يتمه لم يحل بينه وبين أن ينال قسطاً من العلم فى الأزهر فلقد أرسله أخوه الأكبر إلى هناك عسى أن يكون عالماً من علمائه ، ولكن الصبى لم يلبث بالأزهر كثيراً فعاد إلى قريته ، وكان من الممكن أن يعيش فى تلك القرية ثم يموت فيها كما يعيش ويموت سواه من الفلاحين من أهلها . . .

ولكن الأقدار تخرجه من هذه القرية ليغدو فيما بعد رجلاً من رجال مصر ، وليثبته التاريخ فى سجله ، بعد أن يصل اسمه إلى مسامع جميع الساسة فى ذلك العصر ؛ وتنطوى السنون وتبقى ثورته صفحة من أهم الصفحات فى تاريخ هذا البلد

أراد سعيد أن ينهض بالجيش، لا لأنه كان رجل حرب وأطماع، ولكن لأن الجيش كان ملهاته ، فأمر بتجنيد أبناء المشايخ والأعيان ، وكان من بين من جندوا ذلك الفتى الأزهرى القروى الذى لم يكن له من عمل فى قريته ، وكان يومئذ فى الرابعة عشرة

وبالتحاق عرابى بالجيش تبدأ مرحلة جديدة فى حياته ، ثم تنتهى من ناحية أخرى مرحلة تعليمه . ومن ذلك نرى أن كل ما ناله عرابى من المعرفة لم يعد ما تلقاه فى المكتب ثم فى الأزهر قبل سن اليفاعة ، اللهم إلا ما كان من مطالعاته الخاصة فيما بعد وهى أمر لا يمكن تحديده ...

ولطالما رمى عرابى بالجهل ثم عد هذا الجهل من أهم نواحى ضعفه ، بل لقد كانت تلك الناحية فى مقدمة ما يهزأ به منه خصومه ، وبخاصة أولئك المؤرخون الأجانب الذين ينتابهم أبداً لذكر عرابى ما يشبه الحمى فيطلقون ألسنتهم فيه بلا حساب

ولست أحاول هنا أن أنسب العلم إلى عرابى فما أبعده عن أن يوصف بالعلم ، ولو كما كان يفهم أهل عصره من مدلوله ؛ ولكنى من ناحية أخرى لا أراه من الجهل كما يصفون أو كما يسخرون ، ذلك أنى أقيسه إلى جمهرة المتعلمين فى عصره من أهل مصر ، وما كان لى أن أعدو ذلك فأقيسه إلى رجال جيله فى أوربا إلا أن أعتبر مصر يومئذ فى مصاف تلك الدول علماً وثقافة وحضارة . ولن توصف الشمعة لعمرى مهما كانت ضئيلة النور بأنها مظلمة، ولا سيما إذا قيست إلى غيرها من الشموع وما على شاكلتها من المصابيح؛ أما أن تقاس إلى المشاعل القوية أو أن تنقل من ظلمة الليل إلى وضح النهار ثم يتحدث بعد ذلك عن مقدار نورها ، فهذا ما لا يجوز إلا فى حساب المغرضين والمبطلين

ومتى كان العلم الغزير من مستلزمات البطولة ؟ ألا كم شهد التاريخ من أناس لم يكن لهم من العلم إلا مثل حظ الرجل العادى منه بحيث لو أنهم قيسوا من هذه الناحية إلى معاصريهم من العلماء والفلاسفة لكانوا فى حكم العدم ، ومع ذلك فلم ينل نقصهم هذا من بطولتهم أو يقعد بهم عن مواصلة السير إلى مثلهم التى رسموها ؛ وذلك أن قلوبهم كانت عامرة بما هو أغلى وأعظم من نظريات العلماء وأحلام الفلاسفة ... كانت قلوبهم عامرة بالإخلاص والحماسة والعزم وهى خلال لن تقوم عظمة حقيقية بدونها ولن تغنى عنها سواها من الخلال مهما كان من قيمتها فى مجال آخر ؛ ولرجل واحد وثيق العزيمة صادق الإخلاص متوقد الحماسة خير فى قيادة الناس وتحريرهم من عشرات الفلاسفة الغارقين فى أوراقهم وكتبهم

وما كان عرابى فيما استخلص من سيرته خلواً من هذه الخلال ، بل لقد كان ما توافى له منها لا ينزل به فى البطولة عن مرتبة شريف والمويلحى واللقانى ومحمد عبده وجمال الدين والبارودى وغيرهم من مثقفى عصره، إن لم يكن يرتفع به عليهم على ضآلة علمه بالنسبة إليهم. ولست أغلو فى ذلك أو أتحيز ، وإلا فكيف انتهت إليه فى وقت ما زعامة الحركتين الوطنية والعسكرية معاً ؟ ولقد كان فى الأولى كما ذكرت من الرجال من هم أعلى كعباً منه فى المعرفة، وفى الثانية من هم أرسخ قدماً فى الجندية ؟ وهل يعزى ذلك إلى الحظ وقد كان عرابى من أكثر الناس شغباً على رؤسائه فى الجيش ، أم يعزى إلى الجاه والثروة وقد كان فلاحاً ابن فلاح من بيت عادى لا ثروة له ولا جاه ؟

ألا إنه لا مناص لنا إذا أردنا الإنصاف من أن نعزو ذلك

(١) كشف الستار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية

إلى أنه كان أكثر ممن حوله إيماناً وأقوى منهم جناناً وأشد منهم توثباً وتطلعاً ، وإن كان من أقلهم معرفة واطلاعاً ؟ وهنا لا أتردد أن أثبت رأياً آخر وهو أنه لا يجوز عندى أن يُعدّ عليه ما يعزى إليه من جهل أو أن يؤخذ به ، وإنما ينبغى أن يعد له وأن يعتبر داعياً من دواعى فخره !

انتظم عرابى فى سلك الجندية (نفراً) عادياً فما لبث أن ترق بعد سنتين إلى رتبة (ملازم ثان) وكان ذلك حوالى عام ١٨٦٠ ثم إلى رتبة ملازم أول فيوزباشى فى نفس العام ، ولم يمر عامان بعد ذلك حتى وصل إلى رتبة قائمقام (بك) وكان عرابى أول مصرى وصل إلى هذه الرتبة كما يقول فى مذكراته

وصل هذا الجندى من رتبة الجاويش إلى رتبة قائمقام فى نحو أربع سنوات وما كان ذلك عن حظوة له عند أحد ، وإنما كان سلاحه ذلك القدر من العلم الذى أشرنا إليه، فبه تمكن عرابى أن يدرس القوانين العسكرية ويجتاز الامتحانات متفوقاً ، ويدلنا ذلك على ندرة المتعلمين فى ذلك الجيش ، ولا شك أن هذا الترق السريع قد بث فى نفس الفتى القروى كثيراً من الطموح والإقدام ...

على أنه كان شجاعاً بطبعه فى عصر كثيراً ما كانت تعد الشجاعة فيه ضرباً من العصيان والتمرد كما سيأتى بيانه ؛ ولسوف نرى من مواقفه فى هذا العصر ما يزيد معنى بسالته ويظهرها مضاعفة ...

وأول ما عرف عنه فى الجندية كراهته للعنصر الجركسى ، فكان لا يفتأ يقارن بين نصيب هذا العنصر ونصيب المصريين من المناصب ، فلا تزيده المقارنة إلا غضباً وكراهية لهؤلاء الأجانب. أليست هذه النزعة من جانبه هى نزعة الوطنيين فى الجيش حينما تبدأ الحركة العسكرية ؟ ثم ألسنا نجد فيها جانباً من الوطنية ومعنى من معانيها ؟

ولكن بعض المؤرخين لا يفهم هذا من جانب عرابى إلا على أنه ضرب من الأنانية والجشع ، بل ليسرف بعضهم فيرميه بالتبجح قائلين: ما لهذا الفلاح وعليا المراتب فى غير جدارة؟ وإنهم فى ذلك ليمتدحونه من حيث لا يشعرون ! ولئن كان الطموح بالنفس والشعور بالقومية تبجحاً ، فماذا نسمى التقاعد والتخاذل والاستخذاء أمام الأجنبى ؟ ألا ليت كل تبجح يكون كتبجح عرابى هذا فما أعظمه وما أجمله ، وما أجدره بالتقدير والإعجاب ! وليت شعرى كيف يستطيع رجل فى مثل موقفه أن يقنع المكابرين أن نزعته كانت قومية يقصد بها بنى قومه جميعاً ؟ وأى عيب فى أن يبدأ بنفسه فيرقى بها ؟ أليس مصرياً ؟ وهل كان يعتز بغير مصريته إذا اعتز بنفسه ؟ على أنه لو أراد بالرقى نفسه فحسب دون أى اعتبار قومى ، فما وجه العيب فى ذلك ؟ أيكون من العيب أن يتطلع الرجل إلى المعالى ، ولا يكون من العيب أن يرضى بتقدم غيره عليه حتى ولو كان ذلك الغير أجنبياً ؟

إن الرجل المخلص لا يقف ليقول للناس إنه مخلص وفى ذلك شك منه فى نفسه ، ولا يكون هناك دليل على إخلاصه إلا ما يعمل فى سبيل تحقيق مبدئه، أما الكلام فسبيله ميسور ؛ وفى استطاعة كل مبطل أن يملأ أسماع الناس بدعوى إخلاصه فى غير مشقة .

« يتبع » الخفيف

مقدمة « ليلى المريضة بالعراق »

تقرير طبى

[مرفوع إلى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف]

للدكتور زكى مبارك

أيها الأستاذ الجليل

كنتم سألتمونى منذ شهرين أن أقدم إليكم تقريراً عما صنعت فى مداواة ليلى المريضة فى العراق ، فأنا اليوم أجيبكم عما سألتم ، راجياً أن تغضوا النظر عما وقع من إمهال وتسويف

وأسارع فأعتذر عن تقديم هذا التقرير مطبوعاً إلى الجمهور فى الوقت الذى أقدمه إليكم ، لأن لى فى ذلك غاية نبيلة : هى تذكير زملائى من الأطباء بواجبهم فى التعرف إلى الدراسات الأدبية والفلسفية ، على نحو ما كان يصنع الأطباء العظام فى الأمم العربية والإسلامية ، وقد أعلنت هذا المعنى منذ شهور طوال فى مجلة « المعلم الجديد » التى تنشرها وزارة المعارف العراقية ، فاستقبله الأطباء هناك بالترحيب

ومعاذ الأدب أن يكون فى نشر هذا التقرير بطريقة علنية دعاية لنفسى ، فما أطمع فى أن أكون أستاذاً للحكمة الوجدانية بكلية الطب بعد أن صنع الأدب بحياتى ما صنع : فقوض عيادتى بشارع الدابغ ، وأغلق عيادتى بشارع فؤاد ، وأصارنى إلى احتراف الصحافة والتدريس

وقد كنت نشرت بعض فصول هذا التقرير بمجلة (الرسالة) فى السنة الماضية فارتاع زملائى من أطباء بغداد وشكونى إلى الجمعية الطبية المصرية ، وكانت حجتهم أنه لا يليق بالطبيب أن يفشىَ سرًّا لمريض

وما أجهل أنى أخطأت ، ولكن متى سلمت أعمال الرجال من الأخطاء؟ وهل يدّعى العصمة إلا أهل الغفلة والُحمق والخبال؟

إن أعظم مزية يتحلى بها كاتب هذا التقرير هى أنه يعترف سرًّا وعلانية بأنه إنسانٌ يخطئُ ويصيب ، وقد يشطح وينطح فى كثير من الأحايين !

وما أتخوفه اليوم وأنا أقدم إليكم هذا التقرير قد تخوَّفته من قبل : فقد كاد ما نُشِرَ من هذا التقرير يزلزل الأرض تحت قدمىّ فى بغداد ، واضطرنى ذلك إلى الدفاع عن نفسى أمام « نادى القلم العراقى » وفيه كثير من الأطباء ، فتقبل الزملاء دفاعى بأحسن القبول . ومن ذلك عرفت أن الأطباء قد يحسون معانىَ الإنسانية حين يتصلون برجال الأدب والبيان

وما أخفى عليكم أنى كنت أعرف أن اهتمامى بمداواة ليلى سيعرضنى لكثير من المكاره ، فهدتنى الفطرة إلى أن أحتاط لنفسى فأوهمت أهل العراق أنى أديب عظيم ، واستطعت بذلك أن أتصدر لتدريس الأدب العربى بدار المعلمين العالية ، على قلة ما أملك من الذخائر الأدبية ، وقد أعاننى الله تباركت أسماؤه على تحقيق ما ادعيت ، فألقيت على تلاميذى وعلى جمهور أهل العراق محاضرات أسبوعية بكلية الحقوق كان لها فى آذان أدباء بغداد رنين أى رنين

ولم أكتف بذلك، بل بالغتُ فى سَتر الموقف فأنشأت الفصول التى رأيتموها فى كتاب : « وحى بغداد » .

فإن عجبتم من أن أُوفَّق إلى ما وفِّقتُ إليه فى زمن لا يزيد عن تسعة أشهر فتذكروا أن الإخلاص قد يزعزع رواسى الجبال

أليس من العجيب أن أهاجر إلى بغداد وأنا طبيب فأرجع وأنا أديب ؟ !

***

ولكن ما الذى ستقرأونه فى هذا التقرير الذى تعدُّ صفحاته بالمئات ويقع فى ثلاثة أجزاء ؟

من المؤكد أنه يغاير التقارير التى أقدّمها إلى مكتب تفتيش اللغة العربية من أسبوع إلى أسبوع

ستجدون فى هذا التقرير صِراعاً مروِّعاً بين الحلم والجهل ، والرشد والغىّ ، والهدى والضلال . وستجدون فيه ما هو أخطر من ذلك : ستجدون فيه صِراعاً بينى وبين نفسى ، والجهاد الأكبر جهاد النفس ، كما قال الرسول

سترونى هززت شجرة النفس الإنسانية هزة عنيفة لأعرف

ما تحمل من الثمار المطوبة والثمار الصحاح

ستروننى صنعت بالقلوب والنفوس ما تصنع الأعاصير بالشجر والنبات لا ينجو من عنفها إلا القوىُّ المتين

فإن رأيتمونى قدَّمت إلى أَسْونة وزارة المعارف تقريراً لم تعرف مثلَه قبل اليوم فاْجزُونى بكلمة ثناء تخفِّف ما أصارتنى ليلى إليه : فقد رجعتُ من دارها مفطور القلب مصهور الروح . وإن رأيتمونى أحدثت فى عالَم الطب بدعةً سيئةً فاغفروا ذنبى ، فحسبى من المحنة أن أسكب الدمع كل يوم على ما أسرفتُ على نفسى من الهُيام بأودية المعانى ، والضلال فى هَوَى الملاح . أعاذك الله من بلاء الحب ، ونجَّاك من فَتْك العيون السُّود !

أتذكر أيها الوزير الجليل كلمة جاءت فى كتاب « ثورة الأدب » الذى ألفه كاتب من أقطاب الكُتاب فى هذا الجليل ؟

أتذكر أن ذلك المؤلف قال: إن هناك آفاقاً من المعانى يتحاماها كتّاب العصر الحديث ؟

فما رأيك فيمن يكفِّر عن سيئات أولئك الكتاب فيتحمل الشاق فى ارتياد تلك المجاهيل ؟

لقد اقتحمتُ تلك الآفاق بلا زاد ولا ماء ، وأنا أعرف أنى أعرِّض سمعتى للأقاويل والأراجيف ، لأن الناس عندنا لا يفهمون كيف يدخل الطبيب على نفسه ليُشرِّح على حسابها أهواء النفوس والقلوب والعقول ؟

اقتحمتُ تلك المهالك وليس لى إلا سنادٌ واحد هو الشعور بأنى أؤدِّى خدمة للأدب والطب . وهل يُخدَم الأدب والطب بأفضل من التغلغل فى تشريح النزعات والأهواء ؟

وهل كنتُ أملك الفرار من الصُّنع الذى صنعتُ ؟

لقد قضيت نحو تسعة أشهر فى بغداد وأنا فى جِوار موصول مع ليلى وظمياء ، وأنت تعرف كيف يتعرض القلب — حين يألف مثل هاتين الشيطانتين — للطواف بأركان الحقائق والأباطيل

أقول هذا وأنا أشعر بأنى لم أوفَّق كل التوفيق فى تدبيج هذا التقرير لأنه خلا خلوًّا تامًّا من شوائب الرياء ، فى وقت صار فيه الرياء سيد الأخلاق ، وإلا فما الذى كان يمنع من أن أضيف إليَّ نفسى وإلى ليلى محامد ومناقب يسير بها الركبان ؟ ما الذى كان يمنع من أن أقول إن ليلى لم تَعْتِبْ علىَّ مرةً واحدة وإنى كنت فى هواها أعقل الناس ؟

منع من ذلك التعقل مانعٌ واحد هو الغرام بالصدق . منع من ذلك أنى أشعر بأن الأدب العربى أصبح على شفا الهاوية بفضل شيوع التدليس فى تصوير العواطف والغرائز والطباع

منع من ذلك أنى أبغض أشد البغض أن تشعر وأنت تقرأ هذا التقرير بأن فيه شيئاً من الزور والبهتان

وهل من القليل أن ترانى وصلت إلى ضمير الحياة العراقية ثم وصفتُه بأسلوب يخفى سِحْرُهُ الدقيق على هاروت وماروت ؟

* * *

فى هذا التقرير ، أيها الوزير ، ما يشبه التحامل على الأطباء ولى فى ذلك عذر مقبول .

فأنت تعرف أن الحكومة كانت أوعزت إلى الجمعية الطبية المصرية أن تقيم مؤتمرها العاشر فى بغداد لتعيننى على مداواة ليلى المريضة فى العراق .

ولكن أولئك الأطباء حاربونى وقاتلونى بلا ترفق ، وقد جزيتهم بما يستحقون ، وأنا مع ذلك أشعر بأنى أحسنت إليهم كل الإحسان .

أما يكفى أن أصوِّر بقلمى فِلْماً للمؤتمر الطبى العاشر ، فلماً رائعاً لم يشهد مثله الناظرون ؟

سترى فى هذا التقرير أن ليلى — وإن بالغتْ فى الدلال — لم تُضمر غير الحب ولم تمنح الواشين الآثمين غير الصد والإعراض

سترى أن ليلى عرفت أنى لم أكن إلا طيفاً زار فى السَّحر بساتين الكرخ وبغداد .

ويؤذينى أن أعرف أنه قد يصعُب أن أرى ليلى بعد اليوم فقد قيدنى أهلى وأبنائى بقيود من حديد ، وقهرونى على أن أعترف بأنى من مصر لا من العراق

وإن رأيتم فى هذا التقرير حبًّا شديداً للأمة العراقية فلا تعجبوا ، فما ذقتُ طعم الحياة إلا فى العراق ، ولا رأيت صدق

القلوب إلا فى العراق ، ولا عرفت جمال النيل إلا بعد أن رأيت لون مائه فى دجلة والفرات

وما أسفتُ على شىء كما أسفت على أن لم يُقدَّر لشاعرنا شوقى أن يزور العراق .

وقد دعوتكم إلى زيارة العراق ، فمتى تجيبون ؟

أحب أن أعرف متى أراكم فى العراق بين قومى وأهلى ؟

أحب أن تسمعوا سجع الحمائم فى الموصل ، وأن تروا غابات النخيل فى البصرة ، وأن تعانوا بقايا السحر فى بابل ، وأن تكحلوا أعينكم بغبار الصحراء فى النجف ، وأن تستصبحوا بظلام الليل فى بغداد

أدعوكم أيها الوزير إلى زيارة الأماكن التى قضت بأن يتموج هذا التقرير بعُباب الهدى والضلال .

أدعوكم إلى زيارة العراق لتواجهونى بما فى هذا التقرير من الزائف والصحيح ، إن ارتبتم فى بعض ما ستقرأون .

سترون فى هذا التقرير رموزاً كثيرة ، وقد تجزون من يحدثكم بأنى سلكت فيه مسلك الغمز والتجريح ، فإن سمعتم شيئاً من ذلك فاختبروه بأنفسكم على ضوء الحق لتعرفوا أنى أخلصت النصح للأمتين العظيمتين : (مصر ، والعراق) .

وما الذى يوجب التصريح فى مواطن يكفى فيها التلميح ؟

إن البلاغة تجعل اللَّبس والغُموض من أغراض الكتاب فى بعض الأحيان فكيف تحرِّمون علىّ ما استباحه المفكرون فى مختلف العصور والأجيال ؟

إن هذا التقرير يحدد صلات مصر بالأمم العربية والإسلامية ويدلُّها على مذاهب الخلاص من الشُّبهات والأراجيف . وهو كذلك يشرح المعضلات التى يتعرض لها الجيل الحديث فى مصر والشرق ، وما كان يتيسر ذلك إلا إذا اعتمد الكاتب على رموز وإشارات يفهمها أولو الألباب .

وإنى لواثق بأنكم ستعجبون حين ترونني وصلت إلى دقائق لم يفطن إليها أحدٌ قبل اليوم وأنا أتلقى الوحى من ليلى ومن ظمياء وهل كان ينتظَر من رجل يلهو ويلعب أن يصل إلى ما وصلتُ إليه فى تشريع السياسة الدولية فى الشرق العربى والإسلامى ؟

ذلك شىء غريب ، ولكن الأغرب أن تتلقوا الحكمة عن أفواه المجانين !

وأعيذكم أن تظنوا أنى آذيت بهذا التقرير أحداً من الناس ، فقد عرَضت بعض فصوله على ليلاى بالعراق قبل أن أعرضه عليكم فتلقته بالقبول ، وهى التى علمتنى مذاهب الرمز والإيماء ، وسيُرمى النقاد منى بداهية إن بدا لهم أن يعترضوا على ما فى هذا التقرير من رموز لا يدرك مغازيها إلا الراسخون فى الحب والطب

ولك يا معالى الوزير أن تَبلوَ سرائر هذا التقرير إن أردت

لك أن تسأل — بينى وبينك — عما فى هذا التقرير من غرائب وأعاجيب ...

وليس لك أن تطالبنى بأن أفسر للجمهور ما يقصد إلى طيِّه الحكماء ، وأنا من الحكماء لأنى بحمد الله مجنون !

* * *

فى هذا التقرير خطاباتٌ شخصية ، فلا يرُعْكَ ذلك : فقد كان أدبى من مواسم الأفراح الروحية فى بغداد ، وفيه صور كثيرة لمعالم العراق وبعض أهل العراق ، وكان فى نيتى أن أحلّى هذا التقرير بصورة ليلى — أعزها الحب — ولكنى خشيتُ أن أخرج على أمرها العالى ، وهى قد أشارت بأن يصان وجهها الجميل عن شَرَه العيون .

لا تعجب من أن أفْتن بما وُفِّقت إليه فى هذا التقرير ، فسترى أنى لم أفرِّط فيه من شىء ، وسيدعوك إلى أن تستوحىَ ليلى المريضة فى أسوان كما استوحيتُ ليلى المريضة فى العراق !

* * *

أيها الأستاذ الجليل

سترى فى هذا التقرير صفحات تشرح الحوادث التى كانت سبباً فى وقوع فاجعة بغداد ، فاقرأ تلك الصفحات — غير مأمور — لترى أن ما وقع لم يكن أثراً لعداوة موجَّهة إلى الأمة المصرية ، وإنما هو نتيجة لتصرفات أوقعت فيها المقادير بعض الناس

لتعرف ما فى أنفسنا من الصلاحية للاستبسال فى خدمة المقاصد العالية بمعاهد الشرق

وكان فى نيتى أن أطوى تلك الصفحات من هذا التقرير ، ولـكن دعانى إلى إثباتها ما عرفتُ من أن بعض المفسدين يريدون أن يجعلوا تلك الفاجعة نهاية الصلات الودية بين مصر والعراق

وأرجو أن تعرفوا أنى لم أتلطف فى سرد تلك الأسباب ، ولم أضف إليها شيئاً يمليه الغرض فى مراعاة مصر أو التحامل على العراق ، وإنما وقفت موقف الرجل الأمين الذى يقدر المسئولية أمام الله وأمام التاريخ

وعند قراءة الفصول الخاصة بتلك الفاجعة سترون أن الله قدر ولطف : فلم تكن تلك الحوادث إلا سحابة صيف ، وقد تقشعت بفضل الله الكبير المتعال

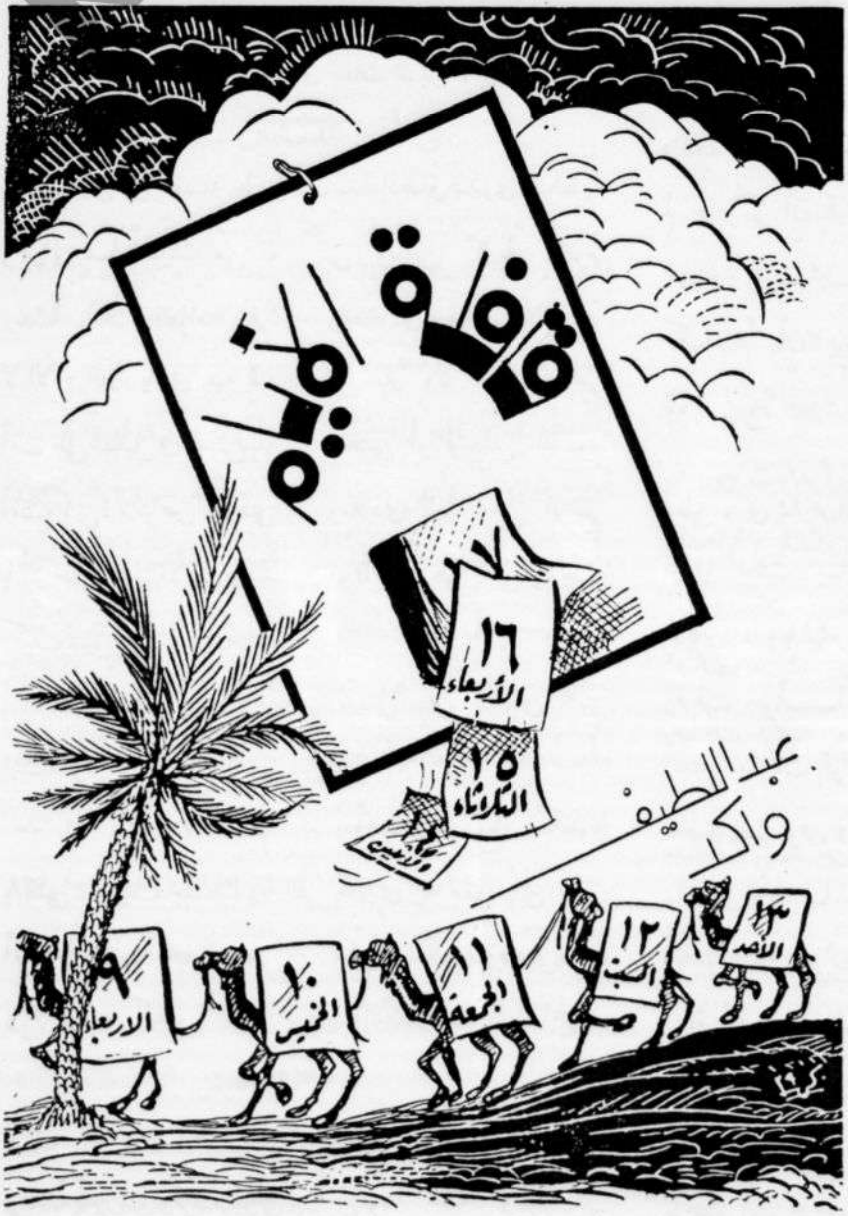
لقد قلتُ ما قلتُ ، وكتبتُ ما كتبتُ فى الدفاع عن العراق ، ومن الله وحدَهُ أنتظر حسنَ الجزاء . فمن كان له هوًى فى أن يصدّنى عن قول الحق فليمض فى ضلاله كيف شاء ، فما أنتظر العطف من أحد ، وقد أقمت حياتى الأدبية على قواعد من الحديد

وما هذه الدنيا الصغيرة التى يتعادى فيها الناس بلا بينة ولا برهان ؟

وما بالُ قوم يؤذوننى وما قدمت إليهم غير الجميل ؟

اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون

« مصر الجديدة » زكى مبارك



أبي ...

للآنسة الفاضلة فدوى ط .

« إلى النبراس الذى يضئ أفق حياتى ، إلى ذلك العزيز الذى يتململ الآن على فراش المرض فى ظلمات السجن ، إلى أبي »

يا أبي ضاق بى الفضاء على رحب مداه إذ ضاق صدرى الكظيمُ
وعرانى مما أصابك من نفـ   ـي وسجنٍ كآبةٌ وهمومُ
وحشةٌ تملأ الفؤاد وغمٌّ   راسخٌ فى جوانحى لا يريمُ
لا الأخ البرُّ يا أبى فيه للنفـ   ـس سلوٌ ولا القريب الحميم
أنت ظلّى الظليلُ فى العيش إمّا   لفحتنى أو لوّحتنى السّموم
أنت ركني، لاقوّض الله ركنى   وملاذى البرُّ الحفىُّ الرحيم
يا أبي حال بعدك الأنس فى الد   ار فأضحى وهو الأسى والوجوم
كيف تمسى، تُرى وكيف تصبح فالـ   ـجن ثقيل على النفوس أليم
ليت شعرى هل كفّ عنك مضيض الـ   ـقم أم أنت موجع مكظوم
يا لقلبى ، وكيف جسمك فى القرّ   فهدى به معنًّى سقيم
أنا دفءُ المهاد يجفوه جنبي   ويح لى ، كيف يزدهيني نعيم؟
ويح لى ، كيف أنشد الخفض واللين وأنت المقيد المحروم

* * *

يا أبي كلما تدلت سجوفُ الليل فالليـــل مدلهمٌ بهيمُ
وغفتْ أعين ، وقرتْ نفوس   حشوها خِسةٌ وطبع لئيمُ
زيّن اللؤمُ قبحَ ما أبرمته   من أمورٍ، واللؤم خلق ذميم
فاستراحت لخزيات فِعال   هى عند الأحرار إثم عظيم
تشترى الذلّ بالكرامةِ فاعجب   كيف يرضى ذلّ العبيد (زعيم)
راح يُزهى تيهاً بعاربة المنصب يغريه صـــدره الموسوم
كل شؤم كانت بلادى بمنجًى   منـه لولا وسامه المشؤوم
أرّقتنى ذكراك ، والليل للذكرى كتاب مفسَّرٌ مرقوم
فأري فى السطور أخلاقك الزُّهر يزين الأخلاق قلب سليم
وأرى نفسك الأبية لا تعـ   ـنو لضيم يبغيه باغ ظلوم
راعها أن يميـل بالوطن الأقدس ـ لا مال ـ مستبدٌ غشوم
فسعتْ سعيها النبيل تردُّ   الكيد عنه إذ أزمعته الخصوم
وأرى صحبك الكرام وكلٌّ   نهجه نهجك السَّويُّ القويم
لم يَضِرْكم أن قيد القيد أيديكم ولاقت مرّ العذاب الجسوم
هِمم ، لو هوت نجـوم لإعظامٍ لأهوت تجلهنَّ النجوم
كلما همَّ أن ينهنه منها   بضروب النكال جان أثيم
قام روحٌ من الإله يقويها فيشتد   أزرها فتقوم

* * *

وطنى ، بى مما عراك شجون   وبقلبى ممـا دهاك كلوم
الرزايا حلت بساحك والأيام جارت والبؤس فيك عميم
الأيامى ، ويا لبؤس الأيامى   خضب الأرض دمعها المسجوم
رفرفت حولهـا فراخ مهازيل براها الشقاء فهى رسوم
أجنحٌ ما نمت قوادمهـا الزغبُ وقد هاضها المصاب الجسيم
هاضها اليتم وهى فى جدة الريش ويا شدَّ ما يلاقى اليتيم
والنسور الأباة لما استضيمت   ضاق عنها في الأرض هذا الأديم
أنِفَتْ عيشة الهوان وراحت   فى سما المجـد والعلاء تهيم
أعنقتْ تستجيب للواجب الأسمى دعاها إليـه حقٌّ هضيم
لم تبـال الهول المبيد ولم تفلل شـباها صواعق ورجوم
ترسل الموت فاغراً فاه عن زر   ق حداد وهو الأكيل النهيم
يا ضحايا الجهاد فى ذمة الله   لأنتم مجدُ البلاد المروم
أىّ نار كنتم وقودَ لظاها   لو وعاها لريع منها الجحيم
قد تركتم فى مصحف المجد ذكراً   هو باق على الزمان مقيم
سطرته لكم مواقعُ حُمرٌ   صبغتها جراحكم والكلوم

(جبل النار)   فدوى

من الشعر المنسى لحافظ

إلى محرر المرأة

أرسل إلينا كثير من الأدباء جملة طيبة من شعر حافظ المنسى سنوالى نشره شاكرين لهم فضلهم وعنايتهم ، وهذه القصيدة أرسلها إلينا الأديب حسنين محمود حسنين بالاسكندرية وهى مما تجاوزه الديوان الذى طبعته الوزارة على أنها من أروع ما قال شاعر النيل :

لحاظك والأيام جيش أحاربه   فهذي مواضيه وهذى كتائبه

وهمين ضاق القلب والصدر عنهما :

غرام أعانيـــه وشوق أغالبه

وليل كمطل القوم كابدت طوله   وأيقنت أنى لا محالة صاحبه

كأن دياجيه صحيفة ملحد   تخط بها أعماله ومثالبه

قريت به جيش الصبابة والأسى   وأنزلته صدراً تداعت جوانبه

وعلمت نفسى كظم غيظى ولم أبح .   بما فعلت بين الضلوع قواضبه

تماسكت حتى لو رأى القوم حالتى

رأوا رجلاً هانت عليـه مصائبه

رجائى فى قومى ضعيف كأنه   جنان وزير سودته مناصبه

ودائى كداء الدين عز دواؤه

وحظى كحظ الشرق نحس كواكبه

فياليت لى وجدان قومى فأرتضى

حياتى ولا أشـقى بما أنا طالبه

ينامون تحت الضيم والأرض رحبة

لمن بات يأبى جانب الذل جانبه

يضيق على السورى رحب بلاده   فيركب للأهوال ما هو راكبه

فما هى إلا أن تجشمه النوى   وما هو إلا أن تشد ركائبه

ويحرج بالرومى مذهب رزقه   فتفرج فى عرض البلاد مذاهبه

أقاسم إن القوم ماتت قلوبهم   ولم يفقهوا فى السفر ما أنت كاتبه

إلى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم   فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه

فلو أن شخصاً قام يدعو رجالهم   لوضع نقاب لاستقامت رغائبه

ولو خطرت فى مصر حواء أمنا   يلوح محياها لنا ونراقبه

وفى يدها العذراء يسفر وجهها   تصافح منا من ترى وتخاطبه

وخلفهما موسى وعيسى وأحمد

وجيش من الأملاك ماجت كواكبه

وقالوا لنا رفع النقاب محلل   لقلنا نعم حق ولـكن نجانبه

فى أفق البساتين ...

وهى بساتين بركات بالشرقية ، انتقل إليها سعد باشا رحمه الله فى الفترة الأخيرة من حياته انتجاعا للراحة ، وكان بصحبته نفر من الميامين من أبنائه وفيهم مكرم وحافظ والدكتور محجوب ثابت ، وكان لهم مجلس حافل بالأنس والسمر قال حافظ فى وصفه :

لمّا مددْنا بِساط اللهو وانبعثت   روائح الأنس تزرى بالرياحين

أغنت شمائلُ سعدٍ عن معتّقة   من العناقيد تسرى فى الشرايين

وأرشفتنا سجَاياهُ على ظمأٍ   ألذّ من رشفات الخرّد العين

فى أنس سعدٍ وفى أوْنَى صراحته   ترى جلالاً ورأيًا غيرَ مأفون

لما مثلت على أنس بحضرته   رأيتُ بين الندامى وجه هارونَ

رأيتُ وجهًا صبوحًا حوله نفرٌ   من الميامين من شمّ العرانين

إذا دعاهم إلى الجُلّى حسبتهمُ   على أعاديهمو مثل الشواهين

وإنْ دعاهمْ إلى أنسٍ رأيتهمُ   مثل الحمائم فى خَفْضٍ وفى لين

وجالَ محجوبُ جولاتٍ موفقةٍ   فأحرز النصر فى كل الميادين

عصى نَذيرَ الحجا عمداً وصاح به :

« ما لذة العيش إلا للمجانين »

وحـــلم سعد وسعد يعجبان معاً

من لوثة الشيخ — شيخ الأقرباذين

يرغى ويزبد بالقافات تحسبها   قَصْفَ المدافع فى أفق البساتين

وتجد بقية القصيدة فى الديوان من باب الإخوانيات بعنوان الدكتور محجوب !

(م . ف . ع)



وزن الكون
وعدد ما به من الكترونات

للدكتور محمد محمود غالى

لم يكن الموضوعان الأخيران اللذان تعرضنا لهما على صفحات الرسالة : « الكون ينتشر » و «الكون يكبر» من الموضوعات السهلة التي يمكن للقارئ أن يتصورها كثيرها ، ولعله اقتنع إلى حد أنه موجود فى كون محدود ، وأنه محمول على حيز مُتقوِّس ، وأن عالمه أحد ملايين العوالم التي تبتعد كلها الواحد عن الآخر ، والتي تقع كلها فى قشرة كرة كبيرة لكنها جوفاء، شاء لها القدر أن تتسع وتمتد على نحو كرة من المطاط ، وهى بهذا تكوّن كوناً واحداً محدوداً منتهياً يختلف عن الكون اللانهائى الذى تصوره أقليدس والذى اعتقده العلماء منذ الاغريق حتى عهدنا القريب

ولم يكن فى وسعى أن أواصل اليوم موضوعاً دقيقاً كهذا ، وأخطو بالقارئ خطوة أخرى ، أدله فيها على الطريقة التي توصل بها العلماء إلى معرفة عدد الجسيمات أو الألكترونات المكونة للكون ، كنتيجة للدراسة المتقدمة ، دون أن يتخلل أحاديثنا فترة من الراحة ودون أن نهيئ للذهن فرصة للتأمل ، هذا الشعور من التأمل والراحة نود أن يشعر به القارئ فى هذه الأسطر من هذا المقال

***

لم تصبح دراسة هذه الظواهر الحديثة من تمدد الكون وابتعاد جميع العوالم بعضها عن بعض وما يترتب على ذلك من معرفة وتحديد عدد جسيمات هذا الكون ، من المسائل التي تدخل فى حدود الهندسة والميكانيكا المعروفة ، ولا فى حدود تصوراتنا المعتادة ، مع أن التجارب الطبيعية التي ثبت لنا منها فرار جميع العوالم بعضها عن بعض ، وبالتبع فرارنا عنها ، بسيطة جداً لا تدعو لكثير من التأمل، وأبسط ما فيها أنها وقعت كلها داخل المجموعة الشمسية التي نحن فيها ، بل وقعت جميعها فوق سطح الأرض ، بل فى حجرة فى أحد المراصد الأرضية المتعددة

عجيب ألا يعرف العالم الطبيعي من هذه الحجرة المتواضعة أن الكون محدود فحسب بل يحاول أن يعرف من رسائل الطيف العديدة التي تصل إليه ، والمنبعثة من العوالم البعيدة ، عدد الألكترونات المكونة للخليقة ، وهى التي لا يتغير عددها فى نظر العالم الطبيعي ما دامت مكوِّنة لكون محدود .

إن النتائج التي ترتبت على معرفة تمدُّد الكون وقياس الدرجة التي يكبر بها فى خلال الزمن ، والتي تتلخص فى معرفة عدد الألكترونات المكونة لهذا الكون ، مهما كان جسيم الألكترون متناهياً فى الصغر ، ومهما كان الكون متناهياً فى الكبر ، قد تبدو للقارئ غريبة ، لذلك رأيت لزاماً أن أحاول رفع هذا النوع من الدهشة لديه قبل شرح الأسباب التي أدت إلى مثل هذه النتائج

لو سألنا عالماً طبيعياً أن يُحصى لنا عدد الذرات ونوعها وبالتبع عدد الألكترونات(١) والبروتونات(٢) التي تتكون منها مدينة القاهرة ، فإن من المستحيل أن يعطينا هذا العالم أى فكرة عن هذا العدد مهما استمان بمئات الإخصائيين والعلماء . إن محاولة إحصاء المنازل وما بها من أثاث ومعرفة نسبة أوزان جميع العناصر التي تدخل فى تكوينها ، بل إن إحصاء الأحياء ، الإنسان منها والحيوان والنبات ، ومحاولة الوصول من ذلك إلى عدد ما تحويه

(١) ذكرنا ان الذرة مركبة من نواة وسطى يدور حولها الكترونات وهذه الألكترونات جسيمات كهربائية دائمة الدوران حول مركز الذرة أى حول النواة كما تدور الأرض حول الشمس

(٢) جسيمات داخل النواة مركز الذرة وسنأتى على شرحها فى مقال قادم

المدينة الناجمة من الـكترونات ضرب من العبث

ولو أننا بعد ذلك حاولنا أن يعطينا عالمنا الطبيعى فكرة عن عدد الألـكترونات الموجودة فى مياه النيل مدة فيضانه ، وهى كمية أكبر بكثير من الموجودة فى القاهرة لأجابنا أنه قد يستطيع بعد البحث والتحرى أن يدلنا على فكرة ولو تقريبية عن هذا العدد . صحيح أن هناك صعوبة كبرى فى تقدير تصرُّف المياه المتدفقة فى النهر فى مثل هذه المدة من السنة ، كما أن ثمة صعوبة فى تقدير أطوال النهر وأحجامه فى المناطق المختلفة وفروعه المتعددة ، بل إذا أردنا أن نُدخل فى حسابنا ما تحمله المياه من طمى تعترضنا صعوبات أخرى ، ذلك أن الطمى يختلف مقداره فى الزمان والمكان ويتركب من أكثر من عشرين عنصراً ، لـكل عنصر ذرات تختلف فى عدد الـكتروناتها عن الأخرى ، ولـكن مهما يكن من الأمر ، فإن عالمنا الطبيعى قد يستطيع بعد مجهود مضن أن يعطى فكرة عن هذا العدد من الجسيمات ، وأن يحدِّده بين رقمين يتعلقان على دراسة هيدرولوجيه طبيعية معقولة .

ولو أردنا أن نعرف عدد الذرات المكونة للكرة الأرضية الحاملة لنهر النيل وغيره لهان الأمر قليلاً ، ذلك أن وزن الارض معروف بينما وزن مدينة القاهرة أو لندرة غير معروف ، بل إن الـكثافة المتوسطة للكرة الأرضية معروفة أيضاً وهى تساوى ٥،٢٥ . وليس المجال هنا لإثبات ذلك . وهكذا يحاول العالم أن يعطينا فكرة تقريبية رغم ما يتخلل الموضوع الأخير من مصاعب، منها عدم معرفتنا مقدار النسب الموزعة بها العناصر المختلفة فى باطن الأرض . ومهما يكن من الأمر فإنه يبدو أن الخطأ النسبى فى معرفة العدد التقريبى لذرات الأرض بالنسبة للعدد الحقيقى لها أقل بكثير من الخطأ النسبى عندما نحاول عد هذه الجسيمات لمدينة القاهرة .

ولو أننا سألنا العلماء اليوم عن عدد الذرات ونوعها وبالتبع عدد الألـكترونات والبروتونات المكونة للكون ، وعن بعض البيانات الأخرى الخاصة به مثل نصف قطرة قبل تمدده ودرجة تقوسه وكتلته وكثافته وغير ذلك لأعطونا الإجابة التى نراها فى هذا المقال — أجابة يظهر أنها عند هؤلاء العلماء أقرب للحقيقة من كل تقدير سابق

وليس السبب فى ذلك أننا نرى الكون وحدوده ، ولا أننا نعرف أجزاءه جزءاً جزءاً ، ولا أننا نحيط بمقدار كل عنصر من العناصر المكونة له ، ولـكن لأن ثمة معارف فى مسائل أخرى مثل تمدده تجعل بين هذه المعارف وبين الـكترونات الكون رابطة تسمح بالوقوف على هذا العدد ، بحيث إذا كانت معارفنا فى هذه المسائل صحيحة كان عدد الألـكترونات المكونة للكون صحيحاً . ولعل القارئ قد أدرك أن هذه المعارف لا بد وأنها تتصل مباشرة بعلاقة بين الكون فى مجموعه وبين الألـكترون المتناهى فى الصغر والذى قلنا إنه يدور فى المادة حول النواة كما يدور القمر حول الأرض

قد يتراءى للقارئ أن هذا الترتيب غريب لا يتفق مع المنطق فى شىء . كيف أستطيع أن أعرف عدد الـكترونات الكون أكثر مما أعرف عدد الـكترونات الكرة الأرضية ؟ ، بل كيف أعرف عدد جسيمات هذه أكثر مما أعرف جسيمات مدينة القاهرة ؟ هذه المدينة التى أعرف حدودها أكثر مما أعرف الأرض ، وهذه الكرة الأرضية محدودة أمامنا أكثر من الكون . إن طيارا مثل كامبل الإنجليزى قطع دون توقف المسافة بين لندرة ومدينة سدنى من أعمال استراليا فى ثلاثة أيام وثلاث ساعات ، أى أن الطيار يدور فى عهدنا حول الأرض فى أسبوع واحد . كيف تصعب معرفة عدد جسيمات الأرض عن الكون ؟ وهذا الأخير مكون من ملايين اللايين العوالم — كل عالم مكون من ملايين اللايين الاجرام والشموس .

ولـكن لا أريد أن يعجب القارئ لذلك فإنه على قدر المستندات العلمية التى أمامنا تكون درجة معرفتنا للأشياء صحيحة .

هب جدلاً أن صديقاً لك شيد مسكناً خاصاً فى إحدى ضواحى القاهرة ، وأنك عثرت فى أوراق صديقك على مستندين : أحدهما يدلك على أن الأرض والمبانى قد كلفته ثلاثة آلاف جنيه، والثانى يدل على أن الأثاث قد كلفه ألف جنيه أخرى ، عندئذ تستطيع أن تؤكد أن هذه الدار كلفت صاحبها ٤٠٠٠ جنيه

وهب أن صديقاً آخر سألك عن تكاليف حجرة المكتب بمفردها أو عن القيمة التى دفعها ثمناً لأشجار الحديقة أو لسجادة موجودة فى غرفة الاستقبال ، فإنه يتعذر عليك عندئذ أن تعرف أيا من هذه . قد تحاول أن ترجع إلى أسعار السوق لتعرف كم كلفته هذه السجادة الفاخرة ، ولـكن يعوزك مثلاً معرفة التاريخ الذى اشتراها فيه ، وقد يعوزك إن عرفته تعيين الظروف التى

اقتناها فيها ، فقد يكون ابتاعها فى مزاد تصادف وقوعه فى ذلك التاريخ ، وقد يكون المزاد خاصا بصديق له فلا تعرف أن كان تساهل معه فى تقدير الثمن : ثمة عوامل عديدة تجعل تقدير ثمن أثاث كل حجرة ضرباً من المحال . ولكن ليس لصديقك أن يدهش إذا علم أنه إن فاتك معرفة ثمن جزئيات الدار، فلا يفوتك معرفة الثمن الكلى لهذه الدار ؛ إذ أن من حقك دائماً إن تقول لحدثك : لا تسائلنى عن أجزاء الدار ولا عما تكلف صاحبها لشراء هذه السجادة أو المكتبة ، كل هذا لا أستطيع أن أعطيك فكرة عنه ، ولكن سلنى عن الدار بأكلها أجبك أننى أعرف

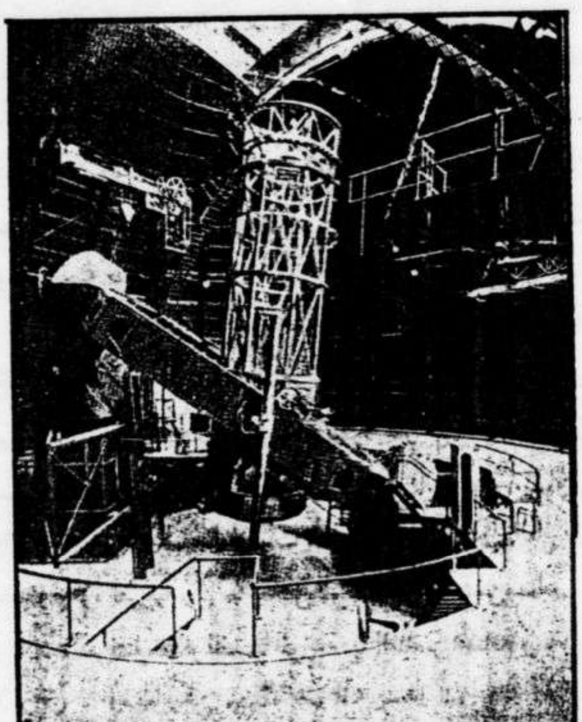
هذا ما أود أن يعلق بذهن القارئ، فلسنا فى حاجة لأن نتجول فى الكون لنعرفه فقد يكون لدى العلماء مستندات جديدة تدل على عدد ما به من الكترونات أو على طول نصف قطره قبل ابتداء تمدده أو درجة تقوس الحيز فيه فى الوقت الذى يتعذر علينا أن نعرف فيه عدد الالكترونات المكونة للأرض أو لمياه النيل أو لمدينة القاهرة

على أننى إن تحاشيت فيما تقدم من مقالاتى أن أشغل ذهن القارئ بالأرقام ، أرى لزاماً على هذه المرة أن أدله على وصف الدار التى يسكنها وعلى حدود المملكة التى هو فرد فيها هذا الكون الذى ذكرنا أنه كروى وأنه يكبر بات أرضاً خصبة للتفكير العلمي . وللقارئ فيما يلى النتائج الكمية الخاصة بالكون وفق آراء أدنجتون Eddington العالم الانجليزى المعروف

(١) سرعة ابتعاد العوالم	٥٢٨ كيلو متر فى الثانية لكل ٣ر٢٦ مليون سنة ضوئية
(٢) نصف قطر الكون قبل ابتداء التمدد	١٠٦٨ مليون سنة ضوئية
(٣) كتلة الكون	$٢ر١٤ \times ١٠^{٥٥}$ جرام أى $١ر٠٨ \times ١٠^{٢٢}$ قدر كتلة الشمس
(٤) عدد الالكترونات المكونة للكون تساوى عدد البروتونات	$١ر٢٩ \times ١٠^{٧٩}$
(٥) كثافة الكون الأولى	$١ر٠٥ \times ١٠^{-٢٧}$ جرام س م^{٣} أى بمعدل ذرة واحدة من الهيدروجين لكل ١ر٥٨ س م^{٣}
(٦) الثابت الكونى	$٩ر٨ \times ١٠^{-٥٥}$ س م$^{-٢}$

ومما يجدر بالذكر أن هذه النتائج التى هى آخر حدود معارفنا حتى سنة ١٩٣٤ مرتبطة الواحدة منها بالأخرى ، بحيث إذا عرفنا إحداها عرفنا البقية منها ، وتتعلق كلها بالسرعة التى تبتعد بها العوالم أى بالرقم ٥٢٨ الموجود بالصف الأول من الجدول

على أن درجة معرفتنا لسرعة السدم والعوالم البعيدة وعلاقة ذلك بتمدد الكون تزيد سنة عن أخرى، ففى سنة ١٩٣١ لم يكن يعرف العلماء سوى ٩٠ سديماً وكانت أكبر سرعة يعرفونها هى سرعة سديم الأسد وهى ١٩٦٠٠ كيلو متر فى الثانية ، ويبعد عنا هذا السديم بمسافة يقطعها الضوء فى ١٠٤ مليون سنة



المنظار الفلكى لمرصد مونت ولسون الذى تم صنعه حديثا وتبلغ فتحة منظاره ٥ر٢ متر

أما فى سنة ١٩٣٦ فقد وصلت معارفنا إلى قياس سرعة ١٧٩ عالماً وسديماً من العوالم البعيدة عنا وكان أكبر هذه السرعات لسديم موجود فى اتجاه الدب الأكبر وهو يبتعد عنا بمسافة ٢٤١ مليون سنة ضوئية ويبتعد بسرعة ٤٢ ألف كيلو متر فى الثانية ، وهذه المعلومات الأخيرة عرفناها من كتاب (١) الأستاذ الكبير بريا Bruhat أستاذ السوربون الذى يشغل الآن كرسى الطبيعة

(١) هذا الكتاب القيم من مجموعة الكتب المسماة باسم العالم أميل (Emile Borel) وقد صدر فى سنة ١٩٣٩ الطابع الكان

الفلكية، هذا الكرسى الذى أوجدته جامعة باريز منذ سنة١٩٣٧ وقد طالعنا فى الأسبوع الماضى أن منظار مرصد مونت ولسون بأمريكا الذى يبلغ قطره مترين ونصف المتر والذى ترى صورته الفوتغرافية هنا يكشف العوالم المفصولة عنا بمسافة ٥٠٠ مليون سنة ضوئية

ذلك ما بلغناه من المعرفة ، وللقارئ أن يتصور مبلغ خطورة هذه المعرفة منذ أن ذكر وليم هرشل (William Hershel) فى أواخر القرن الثامن عشر أن للسدم اللولبية جزرا كونية شبيها كل منها بعالمنا المجرة . ومنذ أن نشر أينشتاين فى سنة ١٩١٥ النسبية فى وضعها العام وتنبأ «دى ستير» فى سنة ١٩١٧ بابتعاد العوالم عنا، ووضع شابلى Shapley فى سنة ١٩١٨ القانون الذى يربط القدر المطلق (Magnitude Absolu) للنجوم التغيرة (Cepheides Variables) بفترة تغيرها ، ومنذ أن اكتشف هبل (Hubble) فى سنة ١٩٢٤ نجوماً فى السدم القريبة من هذا النوع الأخير ، ناهيك بما بلغته الأجهزة الفلكية من الكمال

***

عجيب هذا الإنسان! كل يوم يزداد معرفة عن يوم، حتى أصبح الكثير من الأمور لا يخفى على ذكائه .

أنستطيع أن نحصى ألكترونات الكون ؟ نعم . وأى عجب فى ذلك ما دمنا نتبع طريقاً علمياً سليماً يعطينا هذا القدر .

عندما نريد أن نعرف وزن كرة صغيرة من مادة معينة نفكر عادة أن نضع هذه الكرة على كفة ميزان ، ولكن إذا استحال وزنها لتناهى صغرها بدا للشخص أن القيام بهذه العملية مستحيلاً ، ولكن العالم الطبيعى يعرف مثلاً علاقة بين وزن الكرة ، وبين سرعتها فى الماء أو الهواء ، وحيث أنه يتيسر له قياس هذه السرعة فإنه يصل لمعرفة وزن هذه الكرة ، وهو لذلك غير محتاج إلى الاستعانة بالميزان للوقوف على حقيقة ثقلها .

وإنما أردت بالكرة المتقدمة أن أقدم للقارىء مثلاً كيف يصل العلم بطريق غير مباشر لاختراق طريق المعرفة ، وليس هناك أى علاقة بين سرعة الكرة المتقدمة وموضوع تمدد الكون أو معرفة وزنه .

ولو أن السحب المحيطة بالكرة الأرضية كثيفة بحيث لا نرى الشمس بل تكتنفنا ظلمة حالكة ، لما استحال علينا أن نعرف دورة الأرض حول نفسها . فللوصول إلى ذلك نرقب كرة معلقة بخيط طويل بعد هزها فنلاحظ أنها لا تهتز فقط بل نلاحظ دوران المستوى الذى تهتز فيه .

وهكذا لم يكن العالم الكبير (فوكوه) بحاجة ليرى الليل والنهار ليعرف من تعاقبهما دورة الأرض ، بل استدل على ذلك من بندوله المعروف الذى علقه من قبة « البانتيون » . مدفن العظماء فى باريس ، هذه القبة التى ترتفع عن سطح الأرض ٧٨ متراً . ذلك البندول نرى شبيهاً له فى متحف فينا الحالى .

وهكذا يزداد قاموس المعرفة وتتقدم العلوم بين البشر ، ولعل فى وزن الكرة الصغيرة المتقدم ذكرها وفى بندول فوكوه الذى عرف منه دوران الأرض سبباً عند القارئ ليعرف أن قطر الكون ووزنه وعدد ألكتروناته مسائل يجيز معرفتها العلم

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



أقصوصة من الكاتب الانكليزي ينز

الشـــاعر

[جائزة نوبل]

للأستاذ صلاح الدين المنجد

مشى يتخلّع ثَمِلاً فى حنايا المدينة ، وقد أغفى الليل وسجا السكون ، فطرق سمعه نغم حلو يصعّده ناى حزين. فسمى إليه، جذلان طرباً . فقد كان للأنغام أثر فى نفسه، وسلطان على حسه، وسيطرة على هواه ...

فلما جاز بالدار التى ترسل النغمات ... نادى صاحبها ، فقام إليه يندى وجهه فرحاً ، فرحب به وقال له :

— ما هذا الهجران الطويل يا هانرهان ... فلقد صرمْتَ حبالنا منذ بعيد ، فنحن بعدك فى شوق يلح ، وكآبة تضنى ... أهلاً ... أهلاً حللت يا هانرهان ... !

فلكزته زوجه بجمع كفها ، وهمست فى أذنه : أن اطرده ، فإن الناس يتقولون الأقاويل عليه ، وإن الكهنة يقصونه عن المعبد كلما أتى إليه ... ثم إنه ثمل ... دعه ... دعه يمض وحيداً

فصاح بها زوجها قائلاً : « أأطرده أن جاء إلىَّ بعد سنين طويلة ... ؟ إنه شاعر رقيق القلب ، طيب النفس

ودخل الشاعر الدار يتبع ربها ... فقاده إلى غرفة تكدّس الناس فيها من الجيران ... فغشيها وقد شخصت الأبصار إليه . وقال فتى كان هناك :

— أليس هذا هانرهان الذى ذاع صيته ... وكان معلماً فطردوه ... ؟

فأخرسته أمه وقالت له :

— لو أنه سمع مقالتك لاندرأ عليك سبًّا وشتماً ... أنصت !

وساد السكون ... ولكن أحد الفتيان نادى الشاعر لينشد القوم شعراً . فأبى رب الدار ذلك عليه ... لأنه لم يصب بعد من الراح شيئاً ، ولم ينل من الراحة قسطاً . فأخذ الشاعر يعب الخمر وقد جاشت فى كأسها ... ثم يحول بصره نحو الباب لينظر إلى (وانا) فتاة الدار ، وقد أتت تعانق حزمة من الحطب الجزل ، لتؤرث بها النار ، وشعرها الأشقر الجعد متهدل على وجهها وعينيها

وقام إليها الفتيان مسرعين ليأخذوا منها الأعواد . ولكنها رمت بها إلى الموقد ... وانثنت وثغرها المرفاف يضحك لترقص مع فتى لها ، فغضب الشاعر ... وضرب الأرض ، ثم دفع بالفتى وهو يزبد صائحاً :

— لقد قطعت طريقاً طويلة ، وأتيت لأراها ... فأنا الليلة فتاها ...

وأسرعت (وانا) إلى الشاعر فمدت إليه يديها والخجل يعلو خديها ... وعزفت الموسيقى ، وقام الناس ليرقصوا ... ولكن وا أسفاه ... لقد انحنى الشاعر فرأى حذاءه الذى حال لونه وبلى فبدت من خلاله أصابع رجليه التى نفذ إليها الطين ، وأبصر سرواله الممزق ، وساقه العارية المملوءة بالشعر الأسود الغليظ ... فارتد إلى مكانه وهو يقول :

— لا أستطيع الرقص والموسيقى تسرع

ولها الناس ، وجنّت الموسيقى ، وعربدت الأنغام ... والشاعر جالس مع (وانا) يقص عليها أحلى الأقاصيص

* * *

وأدركت الأم خطر الشاعر الذى يريد أن يسحر الفتاة ... فنادتها ولكنها أعرضت عنها ... فأقبلت الأم على الموقد تتظاهر بتأريث النار ، وتصغى إلى حديث هانرهان . لقد سمعته يحدثها عن « ديردر » ذات الأيادى البيض ... التى قادت الأمراء إلى الموت فماتوا وجداً بها وهياماً . وأحزنها فقدهم ... فطفقت تبكى ... آه يا (وانا) ... إن الأزهار تذرف الدمع فى السحر حزينات رحمة بها،

وإن الشعراء يتغزلون ويبكون لها... ما كان أجملها وأعذب صوتها يا (وانا) !

واضطربت الأم ، وأرهفت أذنها . إنه يقول لها : « مَثَلُ الشمس والقمر يا (وانا) كمثل المرأة والرجل ، خلقا ليتحابا ... ألا تنظرين إليهما يتنقلان فى السماء ؟ لقد خلقت يا(وانا) منى قبل أن يخلق الله الناس لكى نرقص بين طيّات السحاب الرقيق ... نرتفع مع النغم الهادئ ، ونهبط مع النشيد الجميل بخفة وسرور ، على حين يسقط الناس صرعى لاغبين ! »

وانتصبت المرأة مضطربة الشعور ، ومشت إلى زوجها وهو يلعب الورق ، فحدثته حديث الشاعر والفتاة .. ولكنه ازورّ عنها يضحك منها . فأحزنها الأمر ، وقامت إلى عجوز فقصت عليها نبأ (وانا) مع الشاعر المخيف : « وبلى كيف السبيل إلى طرده ... إنه ساحر ملعون ... فلأحرضنّ الفتيان عليه ! »

وجاءت إلى الفتيان وقالت لهم : « ويحكم ... ألا تستطيعون نزع ابنتى من هذا الشاعر فترقصوا معها ... هيا ... هيا ! »

وقام الفتيان.. ولكنها ردتهم خائبين. فمالوا إلى الشاعر يلحون عليه فى الرقص.. فأذعن بعد لأى .. وانتصب يرقص مع الفتاة .. وبينا هو كذلك ... إذ طرب ... فاندفع لينشد الشعر ... فخرست القيثارة ... وأنصت القوم وقال هانرهان :

« يا أصابع المـــوت المخيفة ... ! »
« لن تمسِّى روحينا فى هذا المكان ... »
« ولكن فى ذلك الوطن الغالى الحبيب ... ! »
« حيث تبسم الزهور وترفّ الثغور ... »
« من رأد الضحى ... حتى جنوح الأصيل . »
« حيث تدب الجداول ... الجذلى ... ! »
« تحمل موجات الجمة العذبة الشقراء ... »
« وحيث يلعب الشيخ الهِمّ على الأوتار ... »
« فى الغابة المليئة بالذهب والفضة ... ! »
« وحيث الأميرات ذوات العيون الزرق الصافية »
« يرقصن على الحشيش النض بفرح وكبرياء ...! »

كان يغنى بحماسة وشوق و (وانا) تتقرب منه ، وقد حرك إنشاده شجونها وملك عليها أمرها ... فلما فرغ من إنشاده ... أطرقت (وانا) وسقط الدمع من عينيها ندى . فقال أحد الفتيان :

— أيها الشاعر ... أين هذه البلاد التى تصفها فى شعرك ؟

(وانا) إنه يخدعك ... إن الطريق طويلة ... والوطن بعيد !

وقال فتى آخر :

— ليست بلاد الصِّبا هذه يا (وانا) إنك لم تخلقى لتصاحبى هذا المجنون !

عندئذ شخصت (وانا) ببصرها إلى الشاعر الحزين ... كأنها تريد أن تسأله شيئاً ... ولكنها وضعت كفها بين كفيه ورفعتهما إلى أعلى ... وقالت بصوت رخيم :

— إن الوطن لقريب منا ... يا شاعرى ... إننا نستطيع إدراكه الآن ... إنه هناك .. على ذرى الهضاب ذات الرفيف .. بالقرب من الغاب التى تأويها الريح ذات الزفيف ...

فصاح الشاعر :

— نعم فى ذرى الهضاب ... يا فتاتى ... ياذات العيون الزرق ... ولكن الموت لن يجدنا ... هناك ... لأننا نختفى بين السحاب الأبيض الجميل ..!

وانا .. ! يا ذات العيون الزرق ... هل تريدين المجىء معى ..؟

وذعرت الأم وقالت لعجوز كانت إلى جانبها :

— كيف السبيل يا جارتى إلى طرده ؟

— ولكننا لا نستطيع ... إنه شاعر الآلهة ، ومن يطرده تنصب عليه اللعنات تترى فى الغدوات والعشيات! ثم يجف الضرع ويموت الزرع ، وتهلك النفوس .. !

— ربّاه عونك ! إن فى لسانه السحر ..

— كان عليك طرده .. ولكن .. اسمعى .. تعالى .. سنخرجه وهو راض عنا ، تعالى ..

وخرجت العجوزان ثم عادتا تحملان حزماً من الفِصْفِصة الخضراء ، وكان الشاعر يكلم (وانا) ويقول :

— « إن الديار يا وانا ضيّقة والعالم فسيح ، ولن تجدى يا فتاتى مخلوقاً تيّمه الحب ، يخاف الليل أو الفجر ، والشمس أو النجوم ، وأشباح الأماسى وأطياف الأسحار ، هيّا يافتاتى . »

واقتربت الأم من الشاعر فربتت على كتفه وقالت له :

— هات يدك يا هانرهان ..

وقالت العجوز :

— أنت قوىّ يا هانرهان ... ساعدنا على ربط هذه الحزم الخضر ...

وتقدّم الشاعر يربط الحزم بحبل والعجوزان تفكّان العقد



الفرقة الإيطالية للغناء في دار الأوبرا الملكية

الثقافة غير محصورة فى القراءة والكتابة . الثقافة تجمع بين الفن والغناء والأدب والعلم والمسرح ؛ على وجه التخصيص . فقد ولّى الزمان الذى فيه كان يقال : تأدب فلان إذا قرأ كذا وكذا . ومعنى ذلك أن متأدب هذا الوقت يحق عليه أن يرهف الحس لألوان الفن ؛ ويميل الأذن لضروب الغناء والعزف ، ويقلب النظر فيما يجرى على خُشُب المسرح ، إلى جانب المطالعة والتلقى

والكلام هنا على الغناء والعزف . فمن يخبرنى على أى وجه تقوم الموسيقى السائرة فى مصر مقام مصدر من مصادر الثقافة ؟ أما الغناء الدوّار على ألسنة أهل الصناعة فمرذول ، لما فيه من الإسفاف والابتذال وضيق المجرى ، فضلاً عن مسخ طائفة من الأغانى الأفرنجية . وأما العزف فقد جمد وجفّ بفضل جماعة قصروا هممهم على التقليد ، وفى ظنهم أنهم حَضَنَة الموسيقى ؛ عفا الله عن المعهد الملكى للموسيقى العربية ، وأصلح من يمده بمال الأمة !

الموسيقى عندنا غير صالحة ، وليس فى وسعها أن تساير النحت والتصوير والرسم — وقد جل شأنها جميعاً على أيدى الفنانين المصريين — فى تهذيب الجانب الفنى من طبائعنا ، ولا فى إسعاف من يهوى الموسيقى الجيّدة بغيته . ولذلك لا بدّ لمن ينشط لما وراء « البشرف والسماعى والموّال والطقطوقة » أن ينصرف إلى سماع الموسيقى الغربية . وهذه وزارة المعارف تجلب فى فصل الشتاء من كل سنة فرقة أفرنجية تعمل فى دار الأوبرا الملكية .

ومما يورث الأسف بل الحزن أن الفرقة التى هبطت دار الأوبرا لهذه السنة (وهى إيطالية) لم تصنع شيئاً فى سبيل الثقافة . وذلك لأن الموسيقى الغربية فيها الحسن والقبيح ، والرفيع والساقط ، والطريف والمبتذل . فكأنّ من وكل إليه لمّ أفراد هذه الفرقة (وهو إيطالى) قال فى نفسه : « ليس فى مصر من يحسن السماع ،

التى يعقدها ويجرّان الحبل نحو الباب ، والشاعر منهمك فى الربط .. والفتاة تنتظر .. حتى إذا كان عند الباب دفعت الأم به ، فهوى إلى الشارع لا يعى ..

واستفاق الشاعر يبكى ... فضرب الباب ... وصعد الزفرات وأرسل اللعنات ... ولكن لم يجبه أحد ...

وساد السكون ... وتلاشت الأنغام . فقد مضى الشاعر فى طريقه يذرف الدمع ... وارحمتا له ! ... لا رفيق ولا حبيب، لا كأساً يجيش فيها الخمر، ولا فتاة ترهف لأناشيده وأنغامه الأذن

وقالت له نفسه : هيا إلى البحر . فلن يسمك شىء سواه !

وجلس فوق الصخور الشم يستمع إلى تصفيق الموج ، ويصغى إلى همس الريح السجواء .. فطرب واندفع يغنى ، وكان الضباب المف يغمر الفضاء ويحف بالشطئان ، وكانت أشباح الليل ترقص حوله .. هنا وهناك تصعد من البحر وتهبط من السماء !

لقد خيل إليه فجاءة أن طيف الأميرة التى حدث (وانا) عنها يناجيه ...

ولكن ... آه ! إنه يتذكر الحبل والعقد ... أهو حبل ؟ لا ... تلك أفعى خرجت الآن من البحر ... ها هى ذى تحيط به يالله ! لشد ما تخيف . لقد وسعت كل شىء: الأرض، السماء حتى النجوم الخافقات ... !

ولكن .. لا .. ها هو ذا طليق ، فمشى يتأوح ويعربد ويغنى لقد اختطفته الأمواج ، وحفت به الأطياف ، وحملته الأشباح على الزبد الجياش ، وهى تغنى .. وتقول :

« هيا لنحمله إلى بنات الهضاب ... إلى الحسان الراقصات هناك ... فهو لن يذوق الحب فى الأرض ... لقد دب الفناء فى نفسه .. وجثم الظلام فوق قلبه، دعوه ينم .. دعوه يمت ... دعوه يحلم ببنات الهضاب»

صلاح الدين المنجد

وليس فيها من يميز اللحن الجيد من اللحن الردئ » . قال هذا أو نحوه ثم جاء بفرقة لا تتجاوب أطرافها ، إذ فيها نفر من المغنين الحذاق ، وكثير من المغنين الضعفاء . وأحسن ما فيها القائد الأول للعزف واسمه فتّـو .

وأما القطع التى أدتها تلك الفرقة فبينها وبين الفن الخالص مسافة . ذلك أن طائفة منها بالية والأخرى مبتذلة ؛ وهذه القطع تكاد تؤدى كل سنة فى مصر، وأساميها لا كتها الألسنة : مثلاً Tosca, Thaïs, Trairata, la Bohême, Rigoletto, Aïda وهـذه القطع تلحق اليوم ، فى أوربة ، بنوع الأوبرة الشعبية ، لأن الألحان فيها لا تعدو ، فى غالب الأمر ، النغم القريب المنال . ودليل هذا أن أكثر القطع التى أديت من تلحين فردى Verdi وهذا الملحن الإيطالى (١٨١٣ — ١٩٠١) عمد ، إلا فى قطعته الأخيرة : Falstaff ، إلى اللحن الوجـدانى تساوقه الآلات فى استرخاء . وهذا اللون من التلحين عقبه ما يقال له : الموسيقى الفيرية : Vérisme ، وخصائص هذه الموسيقى المأساة المفرطة ، والخطابة فى الغناء ، وهز الأعصاب ، والمبالغة فى التعبير . ومن أصحاب هـذا اللون من الموسيقى Puccini ملحن La Bohême و Tosca المذكورتين قبل . هذا وفيما أدته تلك الفرقة قطعة للملحن الفرنسى Massenet ، واسمها Thaïs ، وليس ذلك الملحن فى المرتبة الأولى ولا الثانية — عند أهل الدراية — لما فى صناعته من التكلف وقرب الإحساس والرخاوة .

فإذا أنت استثنيت هذه القطعة الأخيرة (وقطعة فجنر الآتى ذكرها) تبين لك أن تلك الفرقة عُنيت بتأدية قطع إيطالية . ومما لا يخفى على البصير بالموسيقى أن فن الأوبرة إنمـا بلغ الغاية أو قاربها على يد فجنر Wagner الذى حطم القيود اللاتينية ، ثم على أيدى فئة من الفرنسيين (Debussy مثلاً) والروس (R. Korsakow مثلاً) . والفرق الذى بين الأوبرة الإيطالية والأوبرة الفجنرية ، على سبيل التمثيل ، كالذى بين ديوان ينظمه شاعر رقيق كما يقال اليوم ، وشاعر فحل كما كانت العرب تقول .

ومن الغريب أن الفرقة أغفلت الأوبرة الحديثة من ألمانية وفرنسية وروسية وغير ذلك . وقد بدا لها أن تعلن أنها تؤدى قطعتين لفجنر هما : Lohengrin و Tristan et Yseult ؛ فأهملت الأولى ، وأما الثانية فقد أدتها على شكل كان الأجمل عنده أفضل

بقى أن الفرقة أعلنت أنها تؤدى قطعة طريفة Nouveauté اسمها La Baronne de Carini لملحن إيطالى مجهول : Mulé فما بلغنى هذا حتى أسرعت إلى دار الأوبرة ، مهتزاً . فإذا القطعة شرّ ما مذق أذنى من التلحين (الرومنتيكى) المفرط فى (الميلودرام)

* * *

إن ظن بعضهم أنْ لا رغبة فى الموسيقى الحقة بمصر، وأن الحظ الأعلى فيهـا لألوان الأوبرة البالية والمبتذلة ، فليقصروا ظنهم على أنفسهم أو على الفئة الكبرى من الإفرنج القيمين بهـذا القطر . فإنما فى المصريين من يرغب فى الموسيقى الجيدة، الطريفة، الموسيقى التى تقوم مقام مصدر من مصادر الثقافة

عفا الله عن وزارة المعارف، فهذه خمسة آلاف جنيه أنفقت لإعانة فرقة لم تصنع لمصر شيئاً .

بشر فارس

كشف أثرى عظيم

وفق المسيو مونتيه رئيس بعثة الحفريات الفرنسية للعثور على مقبرة ملوكية لقدماء المصريين بالقرب من صان الحجر

والمقبرة لملك اسمه شوشنك ، والمعروف أن خمسة ملوك بهذا الاسم قد حكموا مصر ما بين عامى ٨٥٠ و ٧٥٠ قبل الميلاد ، وأولهم هو الملك شوشنك الذى استولى على القدس وغنم هيكل سليمان بن داود (ع)، ولا شك أن هذه المقبرة لواحد من هؤلاء الملوك الخمسة سيصل إلى حقيقته البحث العلمى فيما بعد

وقد عثر المسيو مونتيه فى الحجرات التى تم فتحها على تابوت من الفضة يمثل شكل آدمى له رأس الصقر ، وبداخل هذا التابوت مومياء محنطة سليمة مغطاة برداء من الذهب . وقد تبين من قراءة النقوش أن المومياء للملك شوشنك نفسه ، وبجوار التابوت جثتان باليتان ، وعلى الجثة الموجودة إلى اليسار عقد من الحجر الأحمر مصنوع على شكل سلسلة من الذهب ، وفى الحجرة جملة من التماثيل الجنائزية الصغيرة التى يعثر عليها عادة فى مقابر الموتى من قدماء المصريين، وفيها أيضاً جملة من الأوانى الجنائزية المقفلة بالطين، وقد فتح مسيو مونتيه ثلاثاً منها — بحضرة صاحب الجلالة الملك — فوجد بداخلها ثلاثة تماثيل من الفضة للملك شـو شنك . وهى عبارة عن أوان على هيئة تماثيل ، وفى داخل كل منها بعض أحشاء الميت

وفى جانب من الغرفة آنية كبيرة من الفخار مسدودة بالطين ، يبلغ ارتفاعها ١٣٠ سم ، وقطرها ٣٠ سم ولم تعرف محتوياتها بعد

وتحيط بهذه الغرفة عدة غرف لم يفتحها مسيو مونتيه ، ولكنه أحدث فى إحداها ثغرة تيمناً بزيارة صاحب الجلالة الملك ، فظهر من خلالها غرفة متوسطة الحجم بها « ناووس » كبير من حجر الجرانيت الأحمر يعلوه غطاء من حجر البازلت الأسود ، وقد دلت القرائن على أن صاحب هذا الناووس من الشخصيات الملكية ، وأن اللصوص لم تصل أيديهم إلى مقبرته

ولهذا الكشف قيمة كبيرة من الناحية التاريخية ، لأن مقابر ملوك الأسرات : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ لم يسبق اكتشافها من قبل ذلك ، وإنما عثر على بعض تماثيل لهم فى مدينة طيبة ، ولا شك أن هذا الكشف سيجلو تاريخ هذه الأسرات الثلاث ، وقد كانت فترة غامضة فى تاريخ قدماء المصريين

وقد قرر الدكتور دريوتون مدير مصلحة الآثار نقل محتويات غرفة الملك (بسوسنس الثانى) التى تحتوى على تابوت الملك شوشنك إلى دار المتحف المصرى لتعرض على الجمهور

كشف أثرى آخر

علمنا أن بعثة كلية الآداب التى تشتغل فى الحفر بمنطقة (تونة الجبل) تحت رياسة الأستاذ سامى جبره عثرت فى هذا الأسبوع على أشياء هامة من الوجهة التاريخية

وكانت البعثة قد عثرت على غرف المحفوظات الخاصة بكهنة هرموبوليس فى جنوبى المنطقة وعثرت فيها على ملف كبير من البردى يتضمن نصوص القانون الدنى المصرى

وقد وجدت البعثة أخيراً ملفاً آخر يبلغ طوله مترين ونصف متر موضوعاً فى قادوس مقفل ومختوم بالطين . وقد فض هذا القادوس فوجدوا فيه ملف البردى الذى دلت القراءة الأولى لما ورد فيه من النصوص على أنه يتضمن نص أسطورة طويلة من الأساطير الشعبية

وقد أرسل الملف إلى معهد الآثار ليتولى الإخصائيون قراءته وترجمته .

وعثرت البعثة أيضاً على تمثال صغير للآله (مين) إله التناسل عند قدماء المصريين يبلغ طوله نحو ٦٠ سنتيمتراً ، وقد صنع من الخشب ، وغطى بطبقة من الصفائح الذهبية اللامعة

ويعد وجود هذا التمثال غريباً فى تلك المنطقة لأنه لم يكن بين معبوداتها الرسمية التى هى طائر الإيبيس والقرد . ويمثل كل منهما إله الحكمة « تحوث » معبود تلك المنطقة وقد سماه الإغريق « هرمز » وسموا المدينة على اسمه « هرمو بوليس »

والبعثة مستمرة فى الكشف عن السراديب الأرضية الطويلة الممتدة تحت الأرض إلى مسافات بعيدة وتحتوى على مئات الآلاف من جثث الطيور والقرود المحنطة .

فلم التشريفات الملكية

عنيت شركة مصر للتمثيل والسينما بتصوير غدوات صاحب الجلالة الملك وروحاته مع ضيفه الكريم صاحب السمو الأمبراطورى محمد رضا بهلوى ولى عهد إيران ، وجاء التقاط المشاهد المختلفة على أجمل شكل سواء فى النهار أو فى الليل ، وكان اختيار المشاهد حسناً ، ويساوق المشاهدَ عزف رقيق يناسب مقتضى الحال . إلا أن صوت المتكلم كان رفيعاً من غير داع إلى ذلك

الى الأستاذ توفيق الحكيم

هل لك أن تنضو مُسوح ذلك الجاه فتشرف من برجك المنيف على مستوضح منك الرأى فيما كتبت بالرسالة عن « كتابين قيمين ، قد ورد فيهما طعن على الإسلام » قلت إنك بحثت المسألة من جهة الدين فبدا لك العجب لأن الكتب التى تعرضت للمسيح بالطعن والتجريح تطبع وتنشر فى أوربا ولا يفزعون . وهنا أسألك متحدياً : أى برنامج من برامج التعليم فى أوربا قررت فيه تلك الكتب فى قاعات الدرس والامتحان وفرضت فرضاً على الطالب أن تكون من أسس ثقافته الرسمية التى تحدث عنده عقداً نفسية تتولى تنميتها تأثيرات الأستاذية القوية . لا مانع من البحث والتحليل والتمحيص وإلا لما تكونت سبيكة الذهب من العروق الملقاة فى التراب، ولكن للبحث أزمنة وأمكنة قد مضت منذ أزمان. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا طعن صريح، باعترافك أنت، لا شبه علمية تستحق جلال الدرس وعظمة العلم، وفوق ذلك كله أنها موجهة لشخصية الرسول أكثر منها لدينه ، فكيف يستسيغها شعور الجماهير من المسلمين . ألا ترى أن انجلترا حرمت

دراسة نظرية دارون (النشوء والارتقاء) فى مدارسها احتراماً لشعور الجماهير، بيد أنها لم تحرم دراستها خارج دور التعليم؟ وأما قولك (إنى أعتقد دائماً أن صحة العقل وصحة العقيدة كصحة الجسم لا بد لها من الهواء الطلق حتى تكتسب المناعة) فذلك حق لا مرية فيه ، كما أن حصوله وثبوته الآن واقع بين المسلمين لا مرية فيه . ألا تعلم أن فى الأزهر والمعاهد الدينية تدرس شبه الجبرية والمعتزلة والرافضية والمجسمة والشيعة وسواهم ويرد عليها فى جو علمى محترم لأنها شبه لا طعن تدسه العصبية المقوتة . ألا تدرى أن الذهب الأبيقورى مذهب اللذة والإباحية يدرس فى الأزهر ويرد عليه فى جلال من العلم وحرية من الفكر ، ومثله مذاهب الشيوعية والشعوبية ، وسواهم. فليس إذا « حبس العقيدة والعقل فى قفص من الزجاج خوفاً عليهما من خطرات النسيم » كائناً بين المسلمين. وما على الشاك إلا أن يغشى بيئات الدراسات الإسلامية فيعود منها متغير الرأى هادئ البال وإن فى هذا لبلاغاً

« كلية اللغة » **أحمد عبد الرحمن عيسى**

فتش عن المرأة

فتشنا عن أول من قال: (فتش عن المرأة) فى العربية وعن قوله فوجدنا هذين البيتين فى كتاب (الكشكول) لبهاء الدين العاملى غير معزوين، وهما فى معنى القول الفرنجى Cherchez la femme :

إذا رأيتَ أموراً منها الفؤاد تفتتْ
فتشْ عليها تجدها من النساء تأتتْ

* * *

جمعية أنصار التمثيل والسينما

انتهى الأساتذة سليمان نجيب ، وعلى شوق ، وعبد الوارث عسر من تأليف رواية الحجاج بن يوسف ، وقد رأت الجمعية رأياً جديداً يتعلق بتمثيل الشخصيات فى العصور العربية ، ولهذا ستبدأ فى دراسة هذه الرواية بمحاضرة يلقيها الأستاذ على شوق عن «عصر الحجاج بن يوسف» ثم يعقب عليها الزميل عبد الوارث عسر بكلمة تعد تمهيداً لدراسة الشخصيات العربية فى ذلك العصر ووضعها على الأشخاص الذين سيقومون بتمثيلها من أعضاء الجمعية . ورغبة من الجمعية فى فائدة الجمهور من هذا الموضوع الطريف ، رأت أن تكون هذه المحاضرة عامة يحضرها من يشاء

وتبدأ المحاضرة بدار الجمعية ٨ شارع البورصة الجديدة بحضور جميع الأعضاء فى تمام الساعة السابعة من مساء الخميس ٣٠ مارس ١٩٣٩

رسالة شكر وتقدير

تلقينا من الأستاذ شاهين ابراهيم شاهين كلمة مسهبة ينوه فيها بالمقدرة البارعة التى يعالج بها شيخ الصحافيين الأستاذ خليل ثابت بك الموضوعات الاجتماعية فى المقطم وبخاصة موضوع (أى السياسات الإيجابية تختار مصر) ونحن نشاطر الكاتب الفاضل إعجابه بالأستاذ خليل بك وثناءه عليه ، ونكتفى لفوات المناسبة بهذه الإشارة الموجزة لهذه الرسالة الطيبة .

حياة الرافعى فى العراق

قرأنا فى جريدة (البلاد) العراقية ما يأتى :

اقتراح على وزارة المعارف — حول كتاب حياة الرافعى

سيظهر قريباً كتاب « حياة الرافعى » للأديب الكبير الأستاذ محمد سعيد العريان ، وهو كتاب أدبى فذ ، يبحث عن جميع الخصومات التى حدثت بين الرافعى وأدباء عصره ، فحبذا لو أن وزارة المعارف تشترى منه كميات كبيرة لتوزعها على طلابها ، وعلى مكتباتها ؛ وبذلك تسدى أكبر خدمة أدبية نحو فقيد البيان المرحوم مصطفى صادق الرافعى

« بغداد » **مفترح**

(الرسالة) : ظهر كتاب حياة الرافعى منذ قريب .



من وحي السيرة

١ — بطل الأبطال : للأستاذ عبد الرحمن بك عزام

٢ — صور إسلامية : للأديب عبد الحميد المشهدي

— ١ —

لا شك أن الإنسانية لم تعرف فى تاريخها من عظمة النفس، وسمو الروح، ونبل الغرض، وقوة العزيمة، وصفاء النفس، وحسن السيرة، مثل ما عرفت فى شخصية محمد صلوات الله عليه، ذلك النبى الكريم، والرسول العظيم، والمثل الأعلى للبطولة والجهاد فى سبيل العقيدة والإخلاص لله !

هذه العظمة الإنسانية التى تمثلت فى شخصية محمد صلى الله عليه وسلم وفى سيرته، كانت وما تزال وستظل على مدى الدهر روعة تملأ القلوب وتهز مشاعر الناس فى جميع العصور والأجيال سواء آمنوا أم كفروا، وتفتح لأهل الفكر والأدب والتاريخ آفاقاً مشرقة يقبسون من نورها، ويهتدون بهديها، ويجدون فى كل جانب من جوانبها مادة مواتية، وثروة باقية للفكر والأدب والتاريخ ...

والذين كتبوا فى سيرة النبى وشخصيته كثيرون حتى ليخطئهم العد، وما أحسب سيرة ولا شخصية قد أخذت من عناية الكتاب والأدباء والمؤرخين فى الشرق والغرب مثل ما أخذت تلك السيرة الحميدة، وهذه الشخصية العظيمة. وعلى الرغم من ذلك فما زال القول فيها جديداً، والبحث عنها طريفاً، والحديث فى أسرارها مهما طال وتكرر حلو سائغ كله الروعة والجلال، يهش له القلب، وتهفو نحوه الروح، وترتاح له النفس ...

وهذان كتابان من وحى الشخصية العظيمة، والسيرة الخالدة أسعدنى بهما الحظ ونحن فى مطلع الهجرة حيث يحلو الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجب التأسى بسيرته.

أما الأول فكتاب « بطل الأبطال » للأستاذ عبد الرحمن بك عزام، وهو جملة أحاديث تناول فيها المؤلف الفاضل أبرز صفات النبى صلى الله عليه وسلم فتكلم عن شجاعته، ووفائه، وزهده، وقناعته، وتواضعه، وتعبده، وعفوه، وصفحه، وبره، ورحمته، وفصاحته، وبلاغته، وحسن سياسته، وحكمته فى تصريف الأمور، ونظام الحرب، ووضع الأساس لحرية الدعوة وحرية العقيدة للأديان السماوية جميعاً، ثم تكلم عن أثر الدعوة المحمدية فى النفوس، وصلتها بالقلوب، وكيف فعلت فعلها فى الفرد، وشمل سحرها الجماعة، فبدلت الناس غير الناس، والأرض غير الأرض، ومازلنا وما زال العالم فى آثار ذلك حتى آخر الدهر.

ولقد أحسن الأستاذ المؤلف كما يقول أستاذنا المراغى إذ تناول السيرة الكريمة من الناحية الخلقية، فإن الناس أحوج ما كانوا فى أى عصر من العصور إلى أن يهتدوا بأخلاق محمد، ويقبسوا من نوره. وزاد الأستاذ إحساناً إذ استخلص هذه السيرة الكريمة من الحادثات والوقائع الصحيحة فى التاريخ، فلم يرسل القول دعاوى يعوزها البرهان، ويلتمس لها الدليل، بل قرن الرأى بالحجة، وثبت القول بالواقعة، واستدل للحديث بالرواية الصادقة

وإذا كان الشاعر لا يفهمه إلا شاعر كما يقولون، فالرجل لا يقدره إلا رجل كذلك، والأستاذ عزام بك رجل من أهل الجلاد والجهاد، والرأى والعزيمة، وإنه ليكبر ذلك فى شخصية محمد صلوات الله عليه، ويتخذه مثلاً أعلى للبطولة والرجولة، فلما وقف بقبره أخذ مأسوراً — كما يقول — بهذه البطولة، وتملكه روح لا يزال يشرق من غيابة الماضى، هو روح سيد الرجال، وبطل الأبطال، وبهذه العقيدة تحدث الأستاذ الفاضل عن النبى الكريم، فجاء كتابه صفحة مشرقة بالإعجاب والإشادة ببطولة محمد ورجولته، وما ينقصها إلا الإفاضة والاستيعاب بما يكافئ عظمة السيرة الخالدة، والأستاذ يعترف بذلك ويرجو أن تسعفه الفرصة فيفيض ويستوعب وإنا لمنتظرون.



على هامش الفنون

المسارح القومية فى النرويج

نقرأ فى الصحف التى تعنى بالدراسات المسرحية العالية أنباء شتى عن المسارح المعروفة كما نقبل مشغوفين على دراسة آدابها ؛ ولذلك ليس بالمجيب أن نسمع أن جمهرة قراء الصحف المصرية ونقاد المسرح ودعاة هذا الفن وهم كثيرون يعرفون ـ إن لم يكن عن دراسة — حركات التطور الفكرى فى المسرح الانجليزى وحب الفرنسيين للمسرحيات الاستعراضية الراقصة فى الوقت الذى يفضل فيه الألمان « الأوبرات الكلاسيكية » وهكذا

ولكن هؤلاء جميعاً لا يعرفون ـ وقد زحمتهم الصحف بعدد محصور من الأنباء عن مسارح خاصة ـ أن فى العالم مسارح أخرى وآداباً مسرحية عريقة غير تلك التى يعلمون . بل مَنْ من هؤلاء جميعاً يفكر فى ترك دراسة المسرحين الانجليزى والفرنسى ـ ولو إلى حين ـ ويعرج على دراسات أخرى أكثر تعمقاً وأنقى فكرة وأرق فلسفة ثم يأتى بعد ذلك ليطالعنا بدراسة مقارنة ؟!

إن الفكرة التى قدمت من أجلها المجالة السابقة لن تجد الأذن السميعة، ولذا أجد نفسى مضطراً لطرق الباب وفق طريقة سبقنى إليها غيرى فى تقدمة المسارح المعروفة إلى جمهرة القراء وجموع المتأدبين آملاً أن يجد دعاة النقد المسرحى فى مصر مادة جديدة لهم عند ما يتحدثون عن مسرح جديد بالنسبة إليهم وهو المسرح النرويجى

— ٢ —

أما الكتاب الثانى فكتاب : « صور إسلامية » للأديب عبد الحميد المشهدى ، وهو — كما يقول المؤلف الفاضل — أفق من آفاق الحياة المحمدية ، وصورها الكثيرة ، مازج الحقيقة فيها الخيال ، وخالط فيها الفن التاريخ ، دون أن يعدو على حقائقه ، أو يستر الخيال جمال الحقيقة الرائع ، وجلالها الواقع .

قال المؤلف : فما أجريت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقله، ولا أخضعت اتجاه التاريخ من أجل طبيعة الأسلوب، وإنما حاولت بقدر المستطاع أن أخضع الفن ليكون فى خدمة الحق والتاريخ، لتبدو السيرة المحمدية فى جمالها الشفاف ، وفتنتها الأخاذة وأسرارها الاجتماعية ، وسياستها الخالدة . وليس القصد من هذا كله إلا أن أستخرج معين السيرة من تحت جلامد التعابير الخشنة والمنعنات المملة ، وكثرة الروايات الطامرة للحقائق ، وأن أنظمها أسلوباً قصصياً سهلاً ليستطيع الناس أن يستوعبوا نواحى الصورة التطبيقية للشريعة الإسلامية التى جاء بها القرآن، وفصلتها سيرة سيد الأنام!

والواقع أن المؤلف الفاضل قد وفق فى غرضه ، واستطاع أن يصل إلى غايته فى تجلية السيرة على هذا النمط الذى شرحه ، وإنه لنمط قويم ، ونهج قريب إلى النفوس والأرواح . وما أستطيع أن آخذ عليه فى ذلك إلا بعض هنوات فى الأسلوب ، والتهويل فى التصوير ، والخروج فى بعض المواقف عن حدود الحياة الإسلامية كما وصفها التاريخ . وإنك لتقرأ فى صدر الجزء الثانى من كتابه حديثه عن تحرش قريش بالنبى وأصحابه ، فكأنك تقرأ وصفاً لمظاهرة تسير فى شوارع القاهرة هاتفة صاخبة . ولعل مرد هذا إلى ما عرف عن المؤلف الفاضل من ثورة الشباب ، وإنها لثورة جامحة تتمثل لك فى كتابه ، بقدر ما تتمثل لك رزانة الأستاذ عزام فى كتابه

وكتاب « صور إسلامية » يقع فى جزئين ، انتهى بهما المؤلف فى الحديث عن السيرة إلى بيعة العقبة وإسلام عمرو بن الجموح من سادات يثرب، وقد وعد بالجزء الثالث عن قريب، وإنا لنرجو له التوفيق حتى يصل إلى الغاية ، وينتهى إلى النهاية .

محمد فهمى عبد اللطيف

والنرويج بلاد فى طبيعتها ما يساعد على خلق أدب مسرحى يعبر عن البيئة والأفكار التى تجول فى رؤوس هذا الشعب الذى يعيش فى شبه عزلة عن العالم . بل إن النرويجيين قوم خياليو النزعات ميالون إلى الابتكار الخرافى، ولذا كان لهم مسرح وكانت لهم آداب مسرحية، وفى بلادهم مسرحان قوميان أسسا فى أواخر القرن الماضى أحدهما فى العاصمة «أوسلو» والثانى فى مدينة «برجن»

وقد ظل هذان المسرحان القوميان فى عملهما دون أية حاجة إلى مساعدة الحكومة حتى عام ١٩٢٧ عند ما فكر أولو الأمر فى مساعدتهما مادياً فأجدت المساعدة وشجعت على إيجاد مؤسسة فنية أخرى هى « المسرح النرويجى » Det Noroshe Teatre

وقبل ظهور الكاتبين النرويجيين هنريك أبسن وبيورنسون لم تكن للمسرح النرويجى أهمية تذكر، وكان محصوراً داخل دائرة خاصة لا صلة تربطها بالحياة الأدبية ؛ ولكن ما حل عام ١٨٥١ وعين الشاب هنريك أبسن فى وظيفة فنية Scenic director بمسرح «برجن» حتى بدأ المسرح النرويجى عهداً جديداً . فهناك كتب المؤلف الشاب مسرحيته الأولى وما بعدها مفرغا فى كل ما كتب تجاريبه الفنية ومعلوماته التى استفادها من عمله ، والتى صارت دستوراً لمن أتى بعده لا من كتاب النرويج بل لجميع الكتاب فى كل أصقاع العالم

ولعل الظروف التى قيضت هنريك إبسن لخلق مسرح نرويجى جديد لم ترد أن تتركه يناضل وحده فشدت أزره بمؤلف مسرحى آخر ظهر فى نفس الوقت هو بيورنسترن بيورنسون . وكان أن ظهر على خشبة المسرح عدد كبير من نوابغ الممثلين والممثلات الذين ساروا جميعاً وفق طريقة تقليدية ظلوا يتوارثونها حتى شهدها الجميع أخيراً عند ما احتفلت كبيرة ممثلات النرويج جوهان دايبواد البالغة من العمر سبعين عاماً بيوبيلها الذهبى ونجحت هذه الطريقة نجاحاً كان مثار حسد الشباب الذى قام ينادى مطالباً بالتجديد

ولقد اقترن ظهور ابسن وبيورنسون بنهضة فكرية كانت مؤلفاتهما المسرحية مثارها . وبدأ الشعب يقبل على التمثيل وآدابه كفن ضرورى جميل مثل الموسيقى والنحت والتصوير والدراسات الأدبية ... كما أثبت ظهور هذين الكاتبين أيضاً أن « الدراما » تستطيع أن تحتل مكانة أرفع وتصل إلى مستوى عظيم ، ومن هنا نشأت النهضة المسرحية Renaissance وأقبل الناس على المسرح فظهر نوابغ الممثلين وعظيمات الممثلات ، واستحالت بلاد النرويج فى العصر الحديث إلى ما يمكننا أن نشبهه بأثينا فى عصورها الذهبية القديمة ، فلم يكن عسيراً وقد ارتقى كتاب المسرح بأفهام الناس أن تنشأ المسارح القومية وأن تعمل فيها الفرق الأهلية وأن يقبل عليها الشعب مشجعاً مما حفز بعض المهيمنين على المرافق من ذوى المكانة على إغراء الدولة لتضع هذه المسارح تحت رعايتها وتقدم لها المساعدات اللازمة

ولرب سائل يسأل وقد عرف أن للفرقة القومية المصرية برنامجاً تعمل على تنفيذه وإليه يرجع السبب فى إنشائها وإن لم تكن قد حققت منه أى شىء ... وبدورى أسارع فأقول إن للمسارح القوميـة فى بلاد النرويج أغراضاً ترمى إليها ، وبرامج من اللازم أن تنفذ ما جاء فيها، وإلا تعرض القائمون بالأمر فيها للمسئوليات الجسام من مادية وأدبية . ولعل أهم ما أنشئت من أجله هذه المسارح هو تمهيد الحقل الفكرى لإنتاج أدب الدراما المحلية . ولا بأس فى نفس الوقت من إعطاء فكرة عن تطور الأدبيات المسرحية فى أمم العالم وعرض صور منها بين قديم وحديث ، إلا أن التجاريب دلت على أن البرامج ذات المسرحيات « الكلاسيكية » التى يتكلف إخراجها الشىء الكثير من المال لا تحدث تغييراً محسوساً فى الإيرادات ولا ترتفع بالميزانية إلى درجات خطيرة ، ومن هنا ظهرت قيمة الشعب الروحية وبرهن جمهور النظارة على أن له رغبة يجب أن تطاع، وأثبت للقائمين بالأمر المسرحى أن بيده توجيه الحركة الفكرية والإنتاج الفنى إذ أقبل بكثرة على المسرحية العصرية « والأوبريت » وفضل الـ Varces على الـ « كلاسيك »

وقد أثرت السينما فى المسرح النرويجى كما أثرت فى نفس الوقت على جميع مسارح العالم؛ وهذا شىء ملموس بطبيعته . ولعل أهم ما فيه هو رخص أسعار دور السينما وتكرار المشاهد فيها وسرعة تغيرها . . . ولكن الأثر الذى أحدثته السينما فى العالم المسرحى شىء وما أحدثته فى بلاد النرويج شىء آخر ، أحدثت ما يمكن أن نسميه بالموقف الغريب إذ لم يسبق أن وقفت الحكومة فى أى دولة من دول العالم مثل الموقف الذى وقفته حكومة النرويج من أزمة المسارح وكسادها بسبب منافسة السينما لها ، إذ راحت البلديات النرويجية تساعد بالمال كل مسرح قومى، ولكن هذه المساعدات المتكررة لم تستطع موازنة المالية كما أنها لم تؤثر فى الإيراد ولم تصلح الميزانية العامة، الأمر الذى أجبر الحكومة على التنازل للمسارح هناك عن جزء كبير من إيرادات اليانصيب الحكومى، وقد حدث هذا فى مستهل عام ١٩٢٧

والأدب المسرحى النرويجى يكاد يكون الأدب الوحيد الذى يقوم على دعائم قوية معززة ، فتراه يطرق السياسة ويحلل أساليبها، ويتحدث عن الاجتماع والإصلاح وينقده، ويطلع الشعب على آراء جديدة فى الفلسفة واللاهوت دون أن ينسى السخرية من بعض النظم والرغبة فى هدم القديم ليقوم على أنقاضه جديد مدعم البنيان .

والنهضة الأدبية المسرحية هناك تقوم على أكتاف الشباب الذين أذكر منهم الكاتب المسرحى الراديكالى : « نورداهل جريج » Nordahl Grieg الذى يحبه الشعب ويعرف فيه ميله إلى السلم وكثرة دعوته إليه فى كل كتاباته، وزميله هلج كروج Helge Kaog الذى تشبع بروح الكاتب الإيرلندى الساخر برناردشو وحاكاه فى كتاباته ونقده اللاذع فى الوقت الذى لم يفتـه فيه أن يخرج للناس مسرحيات قوامها علم النفس الحديث وبعض مشاكل المجتمع

وحدث فى عام ١٩٣٥ أن أرادت الحكومة دراسة حالة المسرح فى النرويج فصدر أمر إدارى بتعيين لجنة فنية لكتابة تقرير واف عن المسرح ومدى تقدمه وما ينتظر له فى مستقبله وأوجه النقص فيه وكيفية إصلاحها . . . وباشرت اللجنة عملها ودرست المسرح النرويجى دراسـة وافية ، ثم وضعت تقريراً لست فى حاجة إلى نقله، بل أفضل تلخيصه ليستوعبه أفراد الهيئات الفنية فى مصر :

« يجب على الحكومة والمجالس البلدية أن تضاعف قيمة الإعانات التى تقدمها للمسرح القومى كى يستطيع أن ينهض بأعباء الرسالة المقدسة التى اضطلع بها ، وكى يشرف الإسم الذى يحمله كما يجب على الحكومة أن تسرع فى سن قانون يحدد مراكز المسارح ويضمن تغطية نفقاتها . . . »

ورأى هؤلاء الخبراء أن يعمدوا إلى طرق منطقية لترقية المسرح وكان أن اقترحوا ضرورة تعميم الإذاعات الأثيرية من مسرح المملكة « Rihsteater » كى يسمعها سكان القرى البعيدة فيأخذوا من المسرح فكرة أولية تنمو مع الأيام فتستحيل حباً وإعجاباً .

وبلاد النرويج تكاد تكون الوحيدة بين بلدان العالم التى تعنى بتربية الناشئة تربية ثقافية فنية، فتراهم يلقنون الطفل فى المدرسة حب المسرح وذلك لخلق جيل جديد يتفهم الرسالة المسرحيـة ، ويعمل مخلصاً على رفعة المسرح القومى فأنشأوا للأطفال « الجماعات التمثيلية المدرسية » وشجعوا الطفل على ارتياد المسارح بأجور زهيدة حتى إذا شب علق بهذا الفن وأصبح يرى فيه إحدى ضروريات الحياة .

والممثل فى النرويج يعيش فى بحبوحة من الرزق لأنه يتبع النظم ويسير وفق القانون وينفذ بنود العقد المرتبط به ، ولا يخل بشرط منها مهما كانت الأسباب قوية واضحة . إنهم هناك يحترمون العقود ويقدسون إمضاءاتهم على العكس من السادة ممثلينا من فطاحل المسرح المصرى الذى نسمع بالواحد منهم وقد وضع إمضاءه على أكثر من عقد وفى أكثر من فرقة

أما أصحاب المسارح هناك فيحبون ممثليهم ويعملون على نصرتهم وجمع شملهم ، وتوحيد صفوفهم ، وذلك بمساعدتهم على إنشاء النقابات الفنية وإعطائهم المعاش عند بلوغهم سنا معينة

هذا هو نموذج من المسرح القومى ، وتلك لعمرى الطرق الفعالة لرفعة هذا الفن الجميل الذى بحت أصوات الكثيرين فى مصر من جراء تكرار المناداة بإصلاحه حتى هبت الحكومة من غفوتها ولبت النداء بأن وكلت أمر أهل الفن إلى من لا علاقة لهم بالفن فات التمثيل ، واللجنة العليا لترقيته تعقد الاجتماعات للنهضة به ورفع مستواه !

ابراهيم حسين العقاد

حول مجنون ليلى

كتب محرر الصفحة السينمائية عن مجنون ليلى ما كتب بأسلوب كالسب موجهاً إلىّ وإلى الأخوين ابراهيم وبدر لاما قائلاً فيما يخصنى من هجومة أننى أحد الذين يؤلفون لصالات الدرجة الثالثة فى شارع عماد الدين

وأى ضرر على الكاتب أن يكتب للصحافة أو للمسارح بالأسلوب التجارى الذى يقوم بأود حياته ما دامت كتابته لا تمس جوهر الفن فى نفسه .

إنى لم أكتب كلمتى هذه متبرماً بنقد ناقد فإنى ممن يؤمنون بفائدة النقد وجدواه ولـكن على أن يكون نقداً لمجرد النقد لا أن يكون هجوماً لمجرد الهجوم ، فحضرة الكاتب لم ير شيئاً حتى يحكم عليه؛ وما يدريه لعلنى وأنا لست بذى الإسم الرنان أن أكون قد وفقت فى كتابة حوار القصة وأشعارها توفيقاً قد يعجب ويرضى، وكان عليه أن ينتظر حتى يرى الثمرة بعد أن تخرج للناس ثم يحكم عليها بعد ذلك حكمه

السيد زيادة


إن أشهر رسامي القرن العشرين الذين
صوروا أجمل نساء العصر هم الذين أبدعوا
موضة ٠ هذا الموسم
وهكذا نجد عهد ١٩٠٠ راجعاً إلينا
وقد زود بقسط أوفر من الأنوثة والرشاقة
وهكذا سنرى أيضاً خفيف الأثواب
الواسعة وزي البوليرو ورباطات الرقبة
والأوشحة والزهور والريش الخ ..
وكل هذه المبتكرات الجميلة لزي
صيف سنة ١٩٣٩ تعرض
يوم الاثنين ٢٧ مارس
في معرض مبتكرات فصل الصيف
عند
شيكوريل

7me Année No. 300

Lundi - 3 - 4 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٣٠٠ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣ ابريل سنة ١٩٣٩» السنة السابعة

الفهـــــرس

كذبة إبريـــــل

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

فى أول إبريل يحلو لبعض الناس أن يكذبوا ، ويطيب لهم أن يزعجوا بهذا الكذب إخواناً لهم ، أعزاء عليهم ، أثراء عندهم . ولو اختصوا بالكذب المثير أو المزعج ، أو الذى يورث المتاعب ، غير الأوداء والأصدقاء : أى الخصوم والأعداء ، لكان هذا أقرب إلى العقل وأشبه بما ينبغى أن يكون ، فما يبالى المرء على أى حال من السوء يكون عدوه ، وكلما زاد الشر الذى يقع فيه أو يُمنى به العدو كان ذلك أشرح لصدر عدوه وأثلج لقلبه . ولكن الصديق شىء آخر ، والإنسان جدير أن يخجله أن يركب صاحباً له بدعابة مؤذية ، وأن يضحك ويفرح بما ينزله بهذا الصاحب من السوء

وقد لقيت فى أول إبريل هذا من المتاعب ما بغضه إلى ، حتى لتمنيت على الله أن يلهم الناس حذف هذا الشهر كله ، وإسقاطه أجمعه من تقويم العام

صبّحنى واحد ، وأنا أجلس إلى مكتبى ، بأن برقية وردت بأن ألمانيا قذفت بجيشها على أرض بولندا ، وأن القتال يدور بين الطلائع النازية وقوات الدفاع ، فسألته : « أتتكلم جادًّا ؟ »

قال وهو يشير إلى ورقة فى يده « هذه هى البرقية . اسمع ترجمتها »

فتفرست فى وجهه وحدجته بنظرة فاحصة ، فلم أر ابتساماً ، ولا ما يشى بأنه يهم بالابتسام . فقلت : « إنى كنت ، وأنا آت

إلى هنا ، أحدث نفسى بأن أكتب فى التصريح الذى ألقاه المستر تشمبرلن أمس فى مجلس العموم البريطانى ، وكنت أريد أن أقول إنه من العوامل المرجحة لكفة السلم ؛ ولكنك تروى لى نبأ غريباً ، لا يكاد يقبله عقلى ، فهات لى هذه البرقية لأقرأها فإنى لا أكاد أفهم ، وأحسبنى سأجن ، فما أعرف لماذا تجازف ألمانيا هذه المجازفة التى ليس لها أى موجب ، ولا من ورائها أى خير لها أو لسواها »

وانتزعت منه الرقعة فإذا هى قديمة وتاريخها أول مارس ، وليس فيها أى ذكر لألمانيا أو بولندا ! وماذا يبالى صاحبنا هذا أن يهدم لى الدنيا ، وأن يحيلها حولى أنقاضاً ، وأن يدير لى رأسى حتى ما أعود أعى شيئاً ؟!

وبعد نحو ساعة ، طُلبت إلى التليفون ، فقمت إليه ، فإنى أكره أن تكون آلته على مكتبى ، أو فى الغرفة التى أنا فيها ، ولا أعرف ما هو أشد إزعاجاً لى من صوت جرسه حين يدق فجأة ، وقلت وأنا أضع السماعة على أذنى « نعم »

فسمعت صوت زوجتى يقول لى : « أبو خليل ... مبروك ! »

فسألتها مستغرباً : « ماذا ؟ مبروك إيه ؟ »

قالت : « بالهناء والرفاء والبنين ! لماذا لم تخبرنا لنفرح لك معك؟ »

قلت : « عن أى شىء تتحدثين ؟ رفاء ، وبنين ... ؟! ما هى الحكاية ؟ »

قالت : « برقية وردت بتهنئتك بعروس جديدة ... هل أقرأها لك فى التليفون ؟ أو يكفى أن أذكر لك اسم مرسلها ؟ ! وقبل البرقية دق الباب رجل وسأل عنك ، فعرف أنك خرجت فكلفنا أن نبلغك تهنئاته القلبية . فلم نفهم ، ولكنه انصرف قبل أن نتمكن من سؤاله . على أن البرقية ما لبثت أن جاءت ففهمنا كل شىء ! مبروك ، على كل حال »

فأيقنت أن أكاذيب إبريل كلها ستقذف علىّ فى هذا اليوم السعيد . وقلت لها : « آه ، كذبة إبريل ... اشكرى عنى المهنئين والمهنئات . فإنى الآن مشغول بالعروس ، أبنهاجى ، وأناجيها بما يجن قلبى لها ! ألا تسمعين ؟ »

فألقت السماعة ، ولم تجب ! والمصيبة أن النساء أميل إلى تصديق كل ما يثير غيرتهن ، ولو كان كل شىء يدعو إلى نقيض ذلك ويغرى بالاطمئنان .

وخرجت ، فمررت بصاحب لى ، فقدم لى شوكولاته ، فاعتذرت فإنى لا آكل شيئاً بين طعامين ، فألح ، فأصررت على التأبى ، فاقترح أن أنتقى بضع قطع أدسها فى جيبى ، وآكلها حين أشاء فلم أر فى هذا بأساً فأجبته إليه . وعدت إلى البيت ، وخلعت ثيابى لأستريح ، فسألتنى امرأتى : « معك سجاير » ؟ !

قلت . « فى جيبى ... خذى ما تريدين »

فدفعت يدها فى جيبى وقالت ، وهى تخرجها وتتأمل ما عثرت عليه : « آه ... شوكولاتة العروس » ! !

قلت : « لا تكونى سخيفة ... هذه أعطانيها فلان » .

فألقت فى فمها واحدة ، وهى تضحك ، وإذا بها تلفظها فجأة وتصيح وقد عبست جداً : « ما هذا القرف ؟ »

فسألتها : « قرف؟ أى قرف يا شيخة ؟ مالك فى هذا النهار؟ »

قالت : « تضحك علىّ ، وتغرينى بأكل شوكولاته حشوها ثوم وفلفل ، وتزعم أن فلاناً أعطاكها ؟ ! أى مزاح هذا ؟ هل ارتددت طفلاً ؟ ألا تجد أحداً غيرى تمازحه هذا المزاح البارد ؟ »

فقلت ـ وأنا أحدث نفسى ـ : « شوكولاته بثوم وفلفل ! يا امرأة ، هل سمعت بالمثل العامى : تكون فى فك فتقسم لغيرك ؟ أنا كنت المقصود بهذ المزاح البايخ، ولكنى نجوت ووقعت أنت؛ وما يخالجنى شك فى أن هذا أبعث على سرور صاحبى الذى أهدى إلىّ هذه الشوكولاته ! ولكننا لن نخبره بشىء ، وسندعه بضعة أيام يتقلى وبوده لو عرف ماذا كان من أمرنا ... لا بأس ! سأجزيه سوءاً بسوء ! فانتظرى ! »

فظلت تصيح وتسأل عما عسى أن تصنع الآن ، فقد فسد طعم فمها ، وأكبر ظنها أن رائحة الثوم ستظل بأنفاسها ، فاقترحت عليها أن تشرب قليلاً من الكولونيا !

فهزت رأسها وقالت : « تريد أن تقتلنى لتخلص لك عروسك الجديدة ، ويصفو لك الجو معها ! »

فسكت ووضعت إصبعى فى الشق، بل وضعت أصابعى العشر كلها فى الشقوق فما من سبيل إلى إقناع المرأة بسخافة الغيرة

وأحسب أن الكذب يطيب فى أحيان كثيرة ، بل أحسبه لازماً للانسان . وعسى أن يكون الصدق متعبة شديدة ، ولعل التزامه فى كل حال مما لا يطاق

ولكن من الكذب ما هو برىء ، وما هو سوء يحسن اتقاؤه وأنا مستعد أن أضحك ، وأن أستظرف نكات الإخوان وأستملح

(البقية على صفحة ٧٠١)

كتاب السياسة

للوزير نظام الملك

للدكتور عبد الوهاب عزام

نظام الملك أبو على الحسن بن اسحاق : وزير السلاجقة من أعظم الوزراء الذين عرفهم تاريخ الإسلام . وزر للسلطان محمد ألب أرسلان ، ثم لابنه ملكشاه ثلاثين سنة (٤٥٥ — ٤٨٥) هـ .

كان أبوه أحد دهاقين طوس ، وذهبت بماله الحادثات فوُلد نظام الملك فى بيت فقير سنة ٤٠٨ . وماتت أمه وهو رضيع . ونشأ نجيباً زكياً فتعلم العربية والفقه وسمع الحديث . وتقلبت به صروف الزمان فى أرجاء الأرض ، حتى استقر فى بلخ عند أحد عمّال داود والد السلطان ألب أرسلان . ثم تولى أعمال ألب أرسلان ووزر له قبل السلطنة . فلما خلف ألب أرسلان عمّه طغرل بك دبّر نظام الملك أمور الدولة ، وظهرت كفايته ، وشاع ذكره ؛ فاستقل بسياسة الملك طوال عهد ألب أرسلان وعهد ابنه ملكشاه. وتولى أبناؤه ، وكانوا اثنى عشر ، المناصب الرفيعة فى الدولة . فتمكن سلطانهم ، وعظم جاههم ، وانقادت لهم الأمور حتى فاقوا البرامكة فى أيامهم .

يقول ابن الأثير :

« كان عالماً جواداً عادلاً حليما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت . كان مجلسه عامراً بالقراء والفقهاء ، وأئمة المسلمين ، وأهل الخير والصلاح . أمر ببناء المدارس فى سائر الأمصار والبلاد ، وأجرى لها الجرايات العظيمة ، وأملى الحديث بالبلاد ببغداد وغيرها . وكان يقول : إنى لست من أهل هذا الشان ، ولكنى أحب أن أجعل نفسى على قطا نقَلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وما زالت الأمور فى تصريفه ، والأحوال مواتية له، إلى أن قتل سنة ٤٨٥ .

وذلك أنه كان مسافراً مع السلطان ملكشاه من أصفهان إلى بغداد ، فنزلا على مقربة من نهاوند . قال ابن الأثير :

« فلما كان بهذا المكان بعد أن فرغ من إفطاره ، وخرج فى محفة إلى خيمة حرمه أتاه صبى ديلمى فى صورة مستميح أو مستغيث ، فضربه بسكين كانت معه ، فقضى عليه وهرب ، فعثر بطنب خيمة فأدركوه فقتلوه » .

وقد شاع بين الناس أن الملاحدة دبروا لقتله إذ كان يبغضهم وكتب فى كتابه سياستنامه فصلاً فى بيان مفاسدهم . ويقال إن ملكشاه هو الذى أوحى بقتله وكان قد نقم منه ومن أولاده تمكنهم فى عظم المناصب ، و جاههم ، وأوغرت صدره عليهم امرأته تُركان خاتون ، وكانت تسعى ليخلف ابنها الطفل محمود أباه على الملك ، وكان نظام الملك يؤثر بركيا روق أخا محمود الأكبر . إذ يقال إن جمال الملك بن نظام الملك قتل مسخرة للسلطان كان يحاكى نظام الملك فى المجلس السلطانى ، فنقم عليه السلطان وأمر من دس له السم فى شربة فقاع

ويروى ابن الأثير أن السلطان أرسل أحد قواده شحنة إلى مرو وكان يتولى أمورها حينئذ عثمان بن جمال الملك ومفيد نظام الملك . فوقع نزاع بين الشحنة وعثمان فحبسه عثمان ثم أطلقه فذهب إلى السلطان شاكياً ؛ فأرسل السلطان إلى نظام الملك يسأله أأنت شريكى أو وزيرى ويذكر استيلاء أبنائه على المناصب وتجاوزهم الحد

فلما بلغت الرسالة الوزير الكبير غضب وقال للرسول « قولوا للسلطان إن كنت ما علمت أنى شريكك فى الملك فاعلم ، فانك ما نلت هذا الأمر إلا بتدبيرى ورأيى . أما يذكر حين قتل أبوه فقمت بتدبير أمره وقمعت الخوارج عليه ... فلما قدت الأمور إليه وجمعت الكلمة عليه وفتحت له الأمصار القريبة والبعيدة ، وأطاعه القاصى والدانى ، أقبل يتجنى لى الذنوب ويسمع فىّ السعايات ! قولوا له عنى إن ثبات تلك القلنسوة معذوق بهذه الدواة[1] وأن اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة، ومتى أطبقت هذه زالت تلك[2] . »

ومن عجائب الاتفاق أن السلطان مات بعد شهر من قتل الوزير واضطربت الدولة اضطراباً شديداً

ومهما يقل من أسباب النفور التى وقعت بين السلطان والوزير فأنا أبعد أن يدبر الملك لقتل وزيره الشيخ الذى كان يثق به ويعتمد عليه ويستصحبه فى حضره وسفره .

(١) يعنى أن تاج السلطان مدعوم بدواة الوزير فاذا زالت وزارته زالت السلطنة .

(٢) ابن الأثير حوادث سنة ٤٨٥

كتب نظام الملك كتاب السياسة (سياستنامه) قبل موته بسنة واحدة، وضمنه علمه وتجاربه وآراءه فى سياسة الملك وترتيب الدولة، وإنصاف الرعية، وقسمه إلى خمسين فصلاً.

وللكتاب مقدمة كتبها ناسخ الخزانة السلطانية يبين فيها سبب تأليف الكتاب فيما يأتى:

« أمر السلطان السعيد أبو الفتح ملكشاه ابن محمد أمين أمير المؤمنين أنار الله برهانه، سنة أربع وثمانين وأربعمائة بعض الكبراء والشيوخ والعلماء أن تفكّروا فى أحوال المملكة وانظروا ماذا من السيئات فى عهدنا، وماذا خفى علينا، وماذا فعله السلاطين السابقون ولم نفعله، وأعلمونا به. وكذلك اكتبوا ما تعرفون من سنن الملوك السالفين مما يتعلق بدولة السلاجقة وملكهم، وأعرضوه علينا لنتأمّله ونأمر بعدُ أن يسير كل عمل دينى ودنيوى على قاعدته، ويوضع كل شىء فى موضعه، وننهى عما لا يُستحسن. فإن الله وهبنا الدنيا وأتم نعمته علينا وقهر أعداءنا فلا ينبغى أن يكون أمر فى مملكتنا ناقصاً أو يذهب عمل على غير وجهه أو يخفى علينا شىء.

« أمر بهذا نظام الملك، وتاج الملك، ومجد الملك وطائفة أمثالهم، فكتب كلٌّ ما تيسر له فى هذا الشأن وعرضه على السلطان فلم يعجبه إلا ما كتب نظام الملك فقال: كُتبت هذه الفصول كما أردت فليس فى نفسى عليها مزيد. وقد اتخذت هذا الكتاب إمامى وسأعمل به. »

ويقول نظام الملك فى خاتمة الكتاب: «هذا كتاب السياسة. أمر سلطان العالم خادمه أن يكتب فى هذا الموضوع فامتثل أمره. كتب تسعة وثلاثين فصلاً على عجل ورفعها إلى السدة العالية فلقيت قبولاً. وكانت مختصرة فزدت عليها، وأضفت إلى كل فصل ما يناسبه، وبينتها بلغة واضحة. وقد سلمته إلى ناسخ الخزانة السلطانية محمد المغربى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ونحن على عزيمة السفر إلى بغداد، وأمرته أن ينسخه بخط جميل، فإذا لم يتح لى الرجوع من هذه السفرة قدمه إلى السلطان. »

وسأتكلم على الكتاب وأترجم فصوله فى المقالات الآتية إن شاء الله.

عبد الوهاب عزام

الجامعيون يحتربون

للدكتور زكى مبارك

كان الأسبوع الماضى من الأسابيع الدامية فى حياة الجامعة المصرية، وكان رجعة إلى معارك الصعايدة والبحاروة فى الأزهر الشريف، فاهى الصلات بين القديم والجديد من هذه المناوشات التى تقع فى المعاهد العلمية؟

إن النضال بين الصعايدة والبحاروة من الأزهريين كان رجعة لأحقاد عرفتها مصر منذ عهد الفراعين بين سكان الشمال وسكان الجنوب، وكان لهذا النضال مواسم يذكرها من شهد الحياة الأزهرية قبل أن تخضع للنظام الحديث

فما هو سبب النضال بين كلية الآداب وسائر الكليات؟

وما الذى قضى بأن يكون للجامعيين تاريخ فى العداوة والبغضاء؟

لقد كانت كلية الآداب منذ نشأتها محفوفة بالرعاية والعطف من جميع المعاهد العالية، فما الذي جد من الشؤون حتى تصبح هذه الكلية المحبوبة هدفاً للعداوات، وحتى تشن عليها الغارة بلا ترفق ولا استبقاء؟

ما الذى جد فى دنيا القلوب حتى تثور الحرب الدموية بين طلبة الآداب وطلبة الحقوق؟

وكيف جاز أن يصبح الحرم الجامعى مجروح الهيبة والجلال وفيه تمثال الشهداء فى سبيل الوطنية لا فى سبيل المنافع الشخصية؟

كيف جاز أن يحترب الرفاق فى بقعة مسوَّرة بالأزهار والرياحين فى مطلع الربيع؟

وكيف نسى أولئك الشبان أن من الجريمة أن يدنسوا الحرم الجامعى بالأحقاد الشخصية، وهو بفضل العلم لا يقل قدسية عن المحاريب؟.

كيف نسى أولئك الشبان نعمة الله عليهم وهم يغدون ويروحون فى رياض تذكّر بأرواح الفراديس؟

إن الجامعة لها موقع قليل الأمثال فى الشرق، وهى تنتظر من أبنائها أن يكونوا جذوة روحية تضئ أقطار الشرق، فبأى

وجه تلقى الناس إذا صح لأبنائها أن يحتربوا ويقتتلوا بأسلحة ينكرها العلماء؟

إن أولئك الشبان لا يعرفون أن هناك مسامع تسترمح لأن تسمع فيهم قالة السوء، ولا يدركون أن هذا النوع من الناوشات يغض من هيبتهم العلمية، ولا يذكرون أن سيرتهم قد تصبح قدوة لطلبة المعاهد العالية في الشرق

ولكن ما هي أسباب المعركة بين كلية الآداب وكلية الحقوق؟

السبب في جملته يرجع إلى كتابين يدرسان في كلية الآداب وفيهما فقرات تمس العقيدة الإسلامية

ولكن فات خصوم كلية الآداب أن من المستحيل أن يقع ذلك عن عمد: فعميد الكلية يعرف أن في مصر تيارات دينية وسياسية؛ وليس من مصلحته أن يتعرض لمكاره من جانب رجال السياسة أو رجال الدين. ومتى صح أن سوء النية غير موجود فمن التعسف أن يقال إن كلية الآداب تحارب العقيدة الاسلامية

من برجنا العاجي

إني من الذين يعتقدون أن في مصر اليوم نهضة ملحوظة في الأدب والفن، وأن الأدباء والقراء يزدادون يوماً بعد يوم. على أن الذي يسترعي الالتفات ويدعو إلى القلق هو أن نتاج الذهن لم يبلغ بعد في قيمته المادية وأثره الاجتماعي المستوى المطلوب. لماذا؟ لأن هنالك عنصراً آخر في هذا الشأن ما زال مفقوداً. إن قوة الأدب والفن في أمة لا ترتكز فقط على طائفتي الأدباء والقراء. هنالك طائفة ثالثة عليها يقع قسط كبير من عبء العمل ولها ينسب بعض الفضل في إذاعة نتاج الذهن وإيصاله إلى متناول كل يد، وإحداث الضجيج حوله، والإعلان عن خطره. أولئك هم الوسطاء والتجار والناشرون. ففي فرنسا مثلاً ما يكاد يظهر كتاب جديد في باريس اليوم حتى تجده في صباح الغد معروضاً في أصغر قرية من قرى الريف الفرنسي. ووسائلهم في ذلك بسيطة أوجه إليها نظر تجار كتبنا الكسالى المتواكلين. إنهم يعلمون أن الكتاب لا يطلب عادة إلا في المحطة عند السفر، إذ هو خير أنيس في وحدة القطار. فتراهم قد جعلوا في كل محطة صغيرة أو كبيرة عربة يد صغيرة كتلك التي توضع عليها عندنا «البسطة» والفطائر والمأكولات. يعرضون عليها كل مستحدث من الكتب، ويعهدون بها إلى صبي يمر بها على الرصيف أمام كل قطار مار. هنا في مصر توجد فكرة عرض الكتب والمجلات في المحطات، ولكن الذي يؤسف له حقاً هو أن مصلحة السكة الحديدية المصرية قد منحت هذا الامتياز لرجل رومي لا يعرض غير الكتب والصحف الافرنجية؛ لأن هذه المصلحة لا تنظر إلا إلى راحة المسافر الأجنبي والسائح الافرنجي؛ أما نشر ثقافتنا في أنحاء بلادنا على يدها فهو مشروع لم تفكر بعد فيه.

لذلك سيظل الأدب والفكر وكل ما يتعلق بالتثقيف الذهني والروحي في بلادنا محصوراً في محيط محدود.

توفيق الحكيم

أتريدون الحق أيها الجامعيون؟

لقد ضيعتم على أنفسكم فرصة عقلية لا تتاح في كل يوم، وهذه الفرصة بدت طلائعها بحديث عميد كلية الآداب وحديث شيخ الأزهر وشيخ كلية أصول الدين

وكان يجب اغتنام هذه الفرصة: كان يجب أن نرى المصاولات العقلية بين الأزهر والجامعة المصرية. كان يجب على الأقل أن يكون الحكم في هذه القضية إلى مناظرة علنية تقوم في قاعة الحفلات تحت رياسة مدير الجامعة المصرية

ولكنكم أسرعتم ففصلتم في القضية بالأيدي لا بالعقول.

ثقوا أيها الجامعيون بأن الحركة الفكرية في حاجة إلى وقود، وهذه المحرجات التي تثور من حين إلى حين هي أعظم باعث ليقظة العقول، وأعداء هذه البدوات الفكرية هم من جيش الموت، لو تعلمون.

أقول هذا وأنا أعرف أن الشكلة فُضَّتْ ولم يبقَ إلا حكم التاريخ.

ولكن يؤذيني أن يكون للجامعة في حياة العقل تاريخ يشبه تاريخ العنف في أيام الظلمات.

أبو تمام شيخ البيان

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

والسائر من شعر أبى تمام لا يقل فى الصفات التى تؤهله لأن يسير عن شعر المتنبى السائر . وترى كثيراً من هذا الشعر السائر فى جميع أبواب شعر أبى تمام من مدح أو رثاء أو وصف أو هجاء، وله أبيات كثيرة تدل على بصيرة وفهم وذكاء، وأسباب السيرورة هى التوفيق فى الصناعة والإيجاز والبيان والوضوح وسهولة اللفظ وقوة السيل الشعرى المنبعث من النفس وسلامة الفطرة والذوق . ولأبى تمام أبيات صارت ملكا مشاعاً مثل قوله :

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

ومثل قوله :

فلا تحسبا هنداً لها الغدر وحدها   سجية نفس ، كل غانية هند

وقوله :

ومن لم يُسَلِّم للنوائب أصبحت   خلائقه طرا عليه نوائبا

وقوله :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق   لديباجتيه فاغترب تتجدد

وقوله :

وقد يستر الإنسان باللفظ خُلقَه   فيظهر عنه الطرف ما كان يستر

وفى رواية فعله (أى سبب فعله) بدل خلقه ؛ وقوله أيضاً :

يعيش المرء ما استحيا بخير   ويبقى العُود ما بقى اللحاء

وقوله :

وإنى رأيت الوشم فى خُلُق الفتى   هو الوشم لا ما كان فى الشعر والجلد

وقوله فى تعزية الرثاء من قصيدة جليلة مشهورة :

أتصبر للبلوى عزاء وحِسْبَةً   فتؤجر أم تسلو سلوَّ البهائم

وقوله :

لذلك قيل بعض المنع أدنى   إلى مجد ، وبعض الجود عار

وقوله :

ليس الغبىُّ بسيد فى قومه   لكنَّ سيد قومه المتغابى

وقوله :

وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعة   من جاهه فكأنها من ماله

وقوله وفيه روايتان فى اللفظ :

ومن الحزامة لو تكون حزامة   ألا تؤخر من به تتقدم

وقوله :

إن شئتَ أن يَسْوَدَّ ظنك كله   فأَجِلْهُ فى هذا السواد الأعظم

يعنى جمهور الناس . وقوله :

فصرت أذَلَّ من معنى دقيق   به فقر إلى فهم جليل

وقوله :

قد يُنْعِمِ الله بالبلوى وإن عظمت   ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وقوله :

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها   تنال إلا على جسر من التعب

وقوله :

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا   من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وقوله :

سكن الكيد فيهم إنَّ من أعـ   ـظم إرْب ألا تُسَمَّى أريبا

وقوله :

فقد تألف العين الدجا وهو قيدها   ويُرْجَى شفاء السم والسم قاتل

وقوله :

أنكرتهم نفسى وما ذلك الإنـ   ـكار إلا من شدة العرفان

(تنبيه) : فى مقالة (مهيار) صحة اسم الشاعر الفارسى الفردوسى لا الفيروزى

إن كلية الآداب لها مهمة أعظم مما تظنون .

لا يراد من كلية الآداب أن تقف عند المحكيّات فى الشئون الأدبية والفلسفية ، وإنما يراد من كلية الآداب أن توقظ غافيات العقول ، وأن تخلق الفرص لوثبات الأخيلة والأحاسيس. فمن كان يظن أنه انتصر على كلية الآداب حين رجمها بالحجارة والطوب فلينم قرير العين .

أما كلية الآداب فمن حقها أن تعتز وتستطيل بأن يكون لها فى حياة العقل تاريخ .

« مصر الجديدة »   زكى مبارك

وإساءات ذى الإساءة يُذْ كِرْ نَك يوماً إحسان ذى الإحسان

وقوله :

وقديماً ما استُنْبِطَت طاعة الخا لق إلا من طاعة المخلوق

وهذا البيت الأخير فيه إلمام بمذهب الملاحدة الذين يقولون إن الاعتقاد بالخالق فكرة إنسانية ولها نشأة بشرية فى قديم الزمن بسبب تأليه رب الأسرة ورئيس القبيلة فى العصور التى قبل التاريخ. على أن البيت يصح تأويله بما لا يخالف الدين. وقد طعنوا فى عقيدة أبى تمام بسبب تركه للصلاة والصوم وقوله فى الشاعر والفروض الدينية كلاما، كما جاء فى كتاب مروج الذهب للمسعودى وفى غيره من الكتب . وقد طعنوا أيضاً فى نسبته إلى طى، وبعضهم صحح نسبته إلى طى وقال إنه نشأ فى فرع مسيحى منها ثم تظاهر باعتناق الإسلام ؛ وقد مدح الإسلام فى مدحه للخلفاء والوجهاء ووصف المسيحيين بالشرك والكفر وعبادة الأصنام كما قال فى مدحه المعتصم ووصف فتحه مدينة (عمورية) وإذا أردنا أن نحصى خلاصة الخلاصة من شعر أبى تمام لم نستطع أن نستغنى عن المدح ، وإن استطعنا الاستغناء عن المدح عند إحصاء خلاصة الخلاصة من شاعر كالشريف الرضى فإن شعر المدح فى صنعة أبى تمام يحبب إلى القارئ قراءة المدح حتى ولو كان ممن لا يميل إليه . انظر إلى قوله :

نَسب كأن عليه من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عموداً

أو قوله :

خدم العلى فخدمنه وهى التى لا تَخدم الأقوام ما لم تُخدَم

أو قوله :

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله(١)

أو قوله :

فلو صورتَ نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع

أو قوله :

غَرَّبته العلى على كثرة الأهـ ل فأضحى فى الأقربين جنيبا

وله قصائد كثيرة فخمة حلوة فى المدح مثل قصيدته فى محمد ابن عبد الملك الزيات التى يقول فى مطلعها :

لهان علينا أن نقول وتفعلا ونذكر بعض الفضل منك فتفضلا

أو الأبيات التى يقول فيها :

ليس الحجاب بمُقْصٍ عنك لى أملا إن السماء تُرَجَّى حين تحتجب

وإجادته فى المدح إجادة يطول حصرها ، وهى ليست فى مدح الأحياء فحسب بل هى أيضاً فى مدح الموتى فى الرثاء مثل قوله :

هيهات أن يأتى الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

أو قوله فى رثاء بنى حميد :

وانفس تَسعُ الأرض الفضاء فلا يرضون أو يجشموها فوق ما تَسعُ

يود أعداؤهم لو أنهم قُتِلوا وأنهم صنعوا بعض الذى صنعوا

عهدى بهم تستنير الأرض إنْ نزلوا بها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا

أو قوله من رثاء ابنى عبد الله بن طاهر : « نجمان شاء الله ألا يطلعا » إلى آخر القصيدة وهى من مأثور قوله وبها بيت يتمثل به كثيراً وهو قوله :

وإذا رأيت من الهلال نموه أيقنت أن سيكون بدراً كاملا

وقوله أيضاً فى مدح الرثاء :

فالماء ليس عجيباً أنَّ أعذبه يفنى ويمتد عمر الآجن الأسِنِ

وأكثر رثائه على هذا النمط : رثاء صنعة فخمة رائعة لا رثاء حرقة ولوعة ، ولا رثاء وجدان ؛ ومن أجلّ رثاء الصنعة قصيدته المشهورة التى يقول فى مطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يَفِضْ ماؤها عذر

ولا ينقص من قدرها أنها من رثاء الصنعة فإن الشعر كالفاكهة أنواع ولكل نوع طعم ولذة. وله مع ذلك قصائد من شعر رثاء العاطفة والوجدان مثل رثائه لأخيه الذى أوله :

إنى أظن البلى لو كان يفهمه صد البلى عن بقايا وجهه الحسنِ

والقصيدة التى يقول فيها : « بأرآن لى خل مقيم وصاحب » ولكنه أحياناً تغيض العاطفة من رثائه كما قال فى رثاء جارية له :

(١) هذا البيت ينسب أيضا إلى مسلم بن الوليد

يقولون لا يبكى الفتى لخريدة إذا ما أراد اعتاض عشراً مكانها
وهل يستعيض المرء عن عشر كفه
ولو صاغ من حر اللجين بنانها

فالتعليل يدل على الذكاء، ولكن ليس هذا رثاء العاطفة؛ وكان ينبغى أن تكون حجته منزلة الجارية من نفسه لا أن يضعها بمنزلة عشر الكف. ومثل هذا رثاؤه محمد بن حميد إذ يقول إنه رآه فى الحلم فسأله: ألم تمت؟ قال: لا ... كيف يموت من كان كريماً مثلى كرمه خالد. وكان ينبغى أن يجعل المرثى أرفع من أن يقول هذا القول الذى كان يستطيع الشاعر نفسه أن يقوله فيه بدل أن يضع المرثى موضع الفاخر بكرمه وإنه لو كان حياً لكان حرياً به أن يرى من الكرم ألا يفتخر بالكرم والبيت هو :

ألم تمت يا شقيق الجود من زمن فقال لى لم يمت من لم يمت كرمه

ومن رثاء العاطفة قوله فى رثاء ابنه وكان وحيداً بدليل قوله (بنىَّ يا أوحد البنينا) وهذه القصيدة هى التى مطلعها : (قد كان ما خفت أن يكونا) ولكنها ليست شيئاً إذا وضعت بجانب قصيدة ابن الرومى الدالية فى رثاء ابنه وهى التى مطلعها : (بكاؤكما يشفى وإن كان لا يجدى) . وإذا قارنا بين غزل أبى تمام وبين أقواله فى المودة والإخوان وجدنا شعره فى الإخوانيات أكثر عاطفة ووجداناً وأعلى مرتبة فى الشعر مثل قوله :

من لى بإنسان إذا أغضبته وجهلت كان الحلم رد جوابه
وإذا طربت إلى المدام شربت من أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغى للحديث بقلبه وبسمعه ولعله أدرى به

أو قوله :

عصابة جاورت آدابهم أدبى
فهم وإن فرقوا فى الأرض جيرانى
أرواحنا من مكان واحد وغدت أبداننا بشآم أو خراسان
ورب نائى المغانى روحه أبداً لصيق روحى ودان ليس بالدانى

أو قوله :

جليد على ريب الخطوب وعتبها وليس على عتب الأخلاء بالجلد

أو قوله :

وقلت أخ قالوا أخ من قرابة فقلت لهم إن الشكول أقارب
نسيبى فى عزمى ورأيى ومذهبى وإن باعدتنا فى الأصول المناسب

أو قوله :

خليلى ما ارتعت طرفى ببهجة ولا انبسطت منى إلى لذة يد
ولا استحدثت نفسى خليلاً مجدداً
فيذهلنى عنه الخليل المجدد

أو قصيدته فى على بن الجهم التى يقول فيها إن ودهما (عذب تحدر من غمام واحد) أو قوله :

وتكشف الإخوان إن كشفتهم
ينسيك طول تصرف الأيام

أما غزله فكثير منه من قبيل التغزل بالغلمان وأكثره غزل حواس وليس به عاطفة عميقة أو وجدان. وأكثره مقطوعات صغيرة فى أغراض أكثرها بنت ساعتها ولعلها من عفو القريحة. هكذا أكثر غزله ولو أن به ذكر الدموع التى تحولت إلى دماء (إفن صبرى واجمل الدمع دما) ، وذكر آلام الحب وحرقاته ولكنه ذكر لا يدل على شعور عميق كما يدل غزل المنزين ، ولا على وجدان كوجدان العباس بن الأحنف أو كوجدان الشريف الرضى . وله فى أول قصائد المدح بعض الغزل الرقيق ، وهو مولع بذكر محاسن أعضاء الجسم كالعيون والخدود ... الخ . أنظر قوله :

صب الشباب عليها وهو مقتبل
ماء من الحسن ما فى صفوه كدر
لولا العيون وتفاح الخدود إذاً ما كان يحسد أعمى من له بصر

وكثير من غزله يشبه غزل أبى نواس ، ولعل هذا هو سبب ورود قصائد فى الغزل فى ديوانه وفى ديوان أبى نواس مثل التى أولها (قال الوشاة بدا فى الخد الخ) والتى أولها (أفنيت فيك معانى الشكوى) والتى أولها (وفاتن الألحاظ والخد) . ومما هو شبيه بالغزل فى قصائد المديح مما يستحسن الأبيات التى يقول فيها :

أدار البؤس حسنك التصابى إلى فصرت جنات النعيم

والتى يقول فيها :

يا موسم اللذات غالتك النوى بعدى فربعك للصبابة موسم

والتى يقول فيها :

أصبحت روضة الشباب هشيما وغدت ريحه البليل سموما

والتى يقول فيها :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

وله فى الغزل والوصف :

باشر الماء وهو فى رقة الصنعة كالماء غير أنْ ليس يجرى

خدش الماء جلدَهُ الرطب حتى خلتــه لابساً غلالة خمر

أما قوله فى المغنية الفارسية فمن عذب القول وهى قصيدة مطربة وهى التى يقول فيها :

ولم أفهم معانيها ولكن وَرَت كبدي فلم أجهل شجاها

وفى باب الوصف من شعره أشياء بلغت منزلة عالية من الجودة تجعلنا نأسف لقلتها ونود منها المزيد . ومن هذه القصائد وصفه لفتح عمورية ، ووصف السحابة فى أرجوزتها المشهورة ، ووصف القلم فى قصيدة يقول فيها : (لك القلم الأعلى الذى بشباته) وهو وصف مشهور أيضاً وهو من قصيدة مدح كوصف فتح عمورية . ومن وصفه أيضاً أرجوزة (إن الربيع أثر الزمان) ، ومنها أخذ البحترى قوله : (وجاء الربيع الطلق يختال ضاحكا[1]) . وأحسن قصائده فى وصف الطبيعة قصيدته التى يقول فى أولها : (رقت حواشى الدهر فهى تَمَرْمَرُ) وفيها يقول البيت المشهور :

تريا نهاراً مشمساً قد شابَهُ نَوْرُ الرُّبَى فكأنما هو مقمر

(١) فى مقال عن البحترى سيشار إلى صلته الأدبية بأبى تمام . وقد أطال الآمدى فى المقارنة بينهما فى كتاب (الموازنة)

والنَّوْرُ الذى يحدث هذا الأثر هو النور الذى له لون يغض من اصفرار أشعة الشمس كأن يكون لونه أبيض ، ولا يحس القارئ مقدار صدق هذا الوصف إلا عند المشاهدة . وله فى وصف الخمر قصيدته التى مطلعها : (قَدْكَ اتَّئِبْ أربيتَ فى الغلواء)

وفيها يقول :

صعبت وراض المزج سَيِّءَ خلقها فتعلمت من حسن خلق الماء

وضعيفة فإذا أصابت فرصة قتلت ، كذلك قدرة الضعفاء

وكأن بهجتها وبهجة كأسها نارٌ ونورٌ قُيِّدَا بوعاء

أو درة بيضاء بِكْرٌ أطبقت حمـلاً على ياقوتة حمراء

يخفى الزجاجة لونها فكأنها فى الكف قائمة بغير إناء

ولها نسيم كالرياض تنفست فى أوجه الأرواح بالأنداء

وقد أسقطت بعض الأبيات للاقتصار ، والبيتان الأخيران ينسبان إلى البحترى أيضاً فى قصيدة له . ولأبى تمام إجادة فى الهجاء وله فيه قصائد سائرة مثل قوله :

كم نعمة لله كانت عنده فكأنها فى غربة وإسار

كُسِيَت سبائب لؤمه فتضاءلت كتضاؤل الحسناء فى الأطمار

وقوله :

مساوٍ لو قُسِمْنَ على الغوانى لما أُمْهِرْنَ إلاَّ بالطلاق

فخلاصة الخلاصة من شعره لابد أن تشمل شيئاً من كل باب وهذا يدل على علو منزلته ومقدرته .

عبد الرحمن شكرى

الأم فنانة عظيمة

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

تقولين إن حياتك الزوجية مقرونة بالسعادة ، إلا أنك كثيراً ما تعقّبين على ذلك بقولك إن الهموم والمشاغل تعمل على إقصاء أسباب هذه السعادة حيناً ، وتفلح فى القضاء عليها حيناً آخر ، وإن جلبة الأطفال وضوضاء ثرثرتهم وهذرهم وطياشتهم الصبيانية تجهد هذه الأعصاب التى أرهقتها من قبل واجبات واهتمامات عديدة تبهظ الذرع ، وتعيى الطوق ، وتزحم سوانح الفراغ النادرة، وتجتاح نطاق الوقت الضيق . وكأنك تنسين أيتها الأم الفنية ، أن رجال الفنون الكبرى ، وهى الرسم والنحت وهندسة البناء والموسيقى والشعر ، كذلك كانوا يشتغلون ، وفى مثل هذه الحالات كانوا يجدّون ويعملون ، بل كأنك تجهلين أنك تفوقين هؤلاء الفنانين جميعاً ، لأن أعمالهم الفنية مجالها العالم المادىّ ، أما عملك أنت فمجاله رحاب الحياة البشرية بأسرها

ولعمرى كيف لا يعرف العالم أن التحبب على الأمومة والتفطر لها ، يحقران شأنها ويقوضان سرادق مجدها ! وهل كان بركليس يطلب من الملأ الرحمة والرثاء لأنه بفضل جهاده ومصارعته الصعاب جعل لأثينا السيادة العليا فى البر والبحر ، وصيّرها مجد العالم ؟ وهل كان ميكال انجلو يصيح طالباً الغياث والنجدة مما عاناه مدة سنتين قضاهما مضطجعاً فوق ألواح خشبية مشدودة إلى السقف ليتمكن من رسم قبة معبد « السيستين » فى الفاتيكان ؟ وهل كان رفائيل يسأل الناس الرأفة ، ويجعل من ينظرون إليه يستشعرون مسّاً من الشفقة عليه، والتفجع لكفاحه الطويل المضنى الذى جاءه أخيراً بصورة السيدة مريم العذراء وابنها الطفل ؟ !

إن كتب السِّيَر لا تتوجع لجهاد أولئك الأقطاب ، ولا تتبعهم بإحساس حارّ من العطف الباكى المحزون ، والحنو الدامى المستحرق ، بل إنها تتبين فى صبرهم على الشاق عناصر رجولة نبيلة أبيّة أوغلت فى ميادين العزم والشجاعة وعلوّ الهمة ، وغذّت مواهبهم بقوة الإرادة ، والقدرة على تذليل الصعاب ، فزادتهم بذلك فضلاً على فضل ، وأضافت إلى ظفرهم فلاحاً وعزّاً

ولكن هل تمكن المقارنة بين الموادّ التى يستخدمها الفنان لتدون تعبيراته الفنية ، ورسم كل ما يقع تحت حسه من ألوان وظلال وأوضاع وانفعالات ، وبين ما تتناوله الأم من المعنويات السامية الزاخرة بالممكنات التى تستطيع هى وحدها أن تستشفها وتفسرها ، وتبحث فى ثناياها عن أحب الأشياء وأنقاها ، وتحضها على استغلال أشرف ما أودع فى القوى البشرية وتروضها على التحلى بأكرم الأخلاق الإنسانية ، والتمسك بخير ما فيها من سجايا الطهر ، التى تنيل الحياة عمقاً واتساعاً ، وتكسبها نبلاً ومجداً وكرامة وسعادة

أجل . إنى أراك فى أحايين ، توسعين لنفسك مجال التفجع ، حين تجمحين فى الإشارة إلى المتاعب التى تلقينها فى العناية بأسرتك الصغيرة ، والاهتمام بمطالبها التى تستنفد وسعك كله ، وتهدّك وتطيّر النوم من عينيك . ولست أنكر أن هذا الاهتمام يستنفد الجهد حقاً ، ولكن أليس محبباً إلى النفس ؟ وأى شىء يفيض على حياة الفرد جمالاً أعظم من جمال العمل الحيوى الذى يقتضى الاهتمام المستفيض ويستغرق الجهد المستطيل اللهوف على مساكه وقوامه ؟ وعملك من أعظم الأعمال فى الحياة ، وما الذى يجعل للحياة قيمتها ؟ أليس هو شعور الفرد فى كل صباح بأن مهمة خطيرة موكولة إليه ، وأمراً جليلاً موقوف عليه دون سواه ؟ وهذا الشعور يا سيدتى هو الذى ينبض بالاهتمام — الاهتمام الخالى من الهاجس والبلبال والتأرق، والمفعم بإدراك أهمية الواجب والمسؤولية . وإنها لحياة حقيرة تلك الحياة التى لا نعرف فيها قداسة الواجب والجد لتحقيق غاية مجيدة ! بل إنه لوجود وضيع خسيس ، ذلك الوجود الذى يكون فيه الفرد منفعلاً بكل شىء فيه ، دون أن يكون لبعض شؤون الحياة الحق فاعلاً . أو ليس من دواعى الغبطة إذاً أن تعرفى قيمتك من هذا العالم الوسيع الرحيب ، ونصيبك من واجب الخدمة فيه ؟ بل أليس من دواعى الفخر أن توقنى من أن لك أنت فيه حياة أعلى من هذه وواجباً أجل وأكرم ، وقد ائتمنتك الروح الكلية على أدائه .. فهل تبغين سواه ؟ أتريدين أنْ تقومى بإلقاء الخطب والمحاضرات ؟ أو أن تشغلى وظيفة فى بعض المصالح والمؤسسات ؟ أو تكونى رسامة مجيدة تحبو الناس بقبسات باهرة من مخيلتها المبدعة ، وريشتها المبتكرة ، وروحها المقتبسة ، ونفسها الحساسة ؟ ومع ذلك فهل تخلو هذه الصناعات والوظائف مما يفرض العناية ويستلزم الاهتمام ، لو راعيت الأمانة والدقة فى أدائها ؟ ولست أريد أن أنتقص من قدرها بما أذكره فى صددها الآن وكلها جليلة

نبيلة تليق بأن تستغرق حياة مَنْ لم تنتدبهن السماء لذلك الواجب الأقدس ، أو مَنْ أكلن سنى الأمومة المبرور ، وأحسنَّ البلاء فى تعهد الأولاد بالعناية اللازمة ، وهيأنَ من ريعان اقتبالهم ، وعنفوان شبابهم خير عدة للمجتمع !

هذا ولا تنسى أن رجال الفن يتخذون أداة عملهم الفنى من الجماد ، والجماد لا روح فيه ، ولا يملك من الاستجابات غير ما يشعر الفنانون أنه صوت العواطف والأفكار التى تدوى فى نفوسهم . أما أنت فإن مادة تعبيراتك الفنية معنوية حية ، تجيش فى خلاياها الكائنات الحية ، ويترقرق فى أغوارها ماء الحياة الناشطة ، ويقظة الفؤاد ، ودقة الفهم ، ولطافة الحسّ ، وقوة العقل . وفى كل يوم ترين استفاضتها ؛ فى كل يوم ترين الأغصان النامية التى تساعدينها على اتخاذ سمتها إلى النور والسماء ، وتستجيب لهاتف رعايتك وتثقيفك ، وفى كل يوم تتكرر مظاهر اتصالها بك ، إذ تلتفّ تلك السواعد البضّة حول عنقك لتحدثك عن حبها الساذج النقى ، وفى كل يوم تشنف أذنيك مراراً تلك النغمات الملائكية كلما نادتك قائلة : « ماما ! ماما » ! وفى كل يوم ينفخ إيمانُ تلك القلوب الغضة ، وتفهّم بما أوتيت من حكمة وخبرة ، روحَ الحياة فى قلبك . . إن الفنان يحكى الطبيعة ، وينقل ما يقع تحت حسه من صورها ، ويتخذ من مخلفات حياته الفنية صلة الحياة بما بعد وجوده الفانى فى عالم الزوال . أما أنت فتسلمين وديعة السماء السرمدية إلى الأرض ، وتخلدين نبتة الحياة التى تنتقل ثمارها من جيل إلى جيل ، وتتفتح أزهارها فى متلاحق الحقب ، ويدخر حصيدها الذهبى إلى ما وراء الأبد والبعث ... وتقدمين للوجود على يديك إثباتاً أكيداً لذاتٍ أوسع وأكبر ، وبقاء أشمل وأكمل ، وتمنحين الإنسانيه فوزاً متكرراً ، وذخراً يجدده بروز مواهبك فى الأمومة الرشيدة الحكيمة . وما جمال الفن ، وما مجد الفنان إلا بعض فضل الأم على كل متبكراتهما وروائعهما ! فهل تشتكين بعدُ من العناية بالبيت ؟ وهل تقولين إن الأطفال أيضاً يضايقون ويزعجون ! و ... و ... الخ . وزوجك العطوف ؟ إنه يحبوك بالنصح والتدبير والمشورة فى حيرتك وارتباكك ، ويسرّى عنك آلامك ، ويمحضك إعجابه ، ويخصّك بحبه الذى تستمدين منه سنداً لضعفك .. وأمومتك نفسها توقظ فيه حنو الرجولة وتنبّه حنانها الشهم القوىّ ... فهل تحرصين على هذه المطايا أن تذهب بلا طائل ؟ أم هل تعدّينها من الالتزامات والضرائب المفروضة على الزوج ؟ أو لا تعرفين أيتها الحليلة الفتية الرائعة فى بحبوحة الدعة أن هذه الدعة هى خير ما تستطيع أن تغدقه عليك عناية الزوج المحبّ ؟ ألا تعرفين أيتها الأم الشابة المنعمة بالطمأنينة التى يبعثها فى نفسك شعورك بأنك توفرين أسباب الصحة والحياة لأولادك ، وتظلليهم بستر جناحيك ، وتجعليهم فى حرز حريز يصونهم من أحداث الزمن وسموم القدر التى تعصف بمن أذلهم اليتم ، وأخنى عليهم الحرمان والفقر ...

ألا خذى هذه العطايا البنوية الشاكرة والزوجية الواقية ولا تجحديها ... لأنك بهذا الجحود تحطمين أشرف عاطفة ، وتلغين أنقى رابطة قائمة على التفاهم والإخلاص ، وإدراك الحياة الكاملة ، والتوجه إلى ما فيها من حب وتعاون وشكران ... فتقبليها من يد الزوج الأبرّ القوىّ ، آية وفاء لحقوق تلك الشركة المقدسة التى ربطت بينكما ، وتعاهدتما على أن تلتمسا بها لحياتيكما أمناً بل زينة تنسيك أنت متاعب الفروض البيتية والعناية بالأطفال وتحيلها لذة ونعيما مقيما ...

هذه أمانىّ الراجية المؤملة أزجيها غير متجافية ولا متبجحة . وهأنذى أتطلع إلى ما توحيه إليك نفسك السمحة ، وينتهى إليه جهدك الجبار ، فإنها لعمر الحق برهانك الذى يباهى به جنسك هذا المجتمع بل الإنسانية قاطبة ، فاحرصى على أن تكون فَلَق الصبح المبين لمصرنا العظيمة . والسلام عليك ورحمة الله

الزهرة

أعلام الأدب

درامات إسخيلوس

للأستاذ دريني خشبة

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

٤ ، ٥ ، ٦ — الأورستية

هذه هى الثلاثية الواحدة التى وصلتنا سليمة من إسخيلوس وقد أخذ كل مادتها من هومر ، وأجا ممنون هو بطل حلقتها الأولى وباسمه تدعى ... والمأساة تبدأ من ذلك اليوم المشئوم الذى ضحى فيه أجا ممنون بابنته إفجنيا حيث ذبحها لتتحرك الريح وتحمل الأسطول إلى طروادة كما مر بك فى هوميروس ... فلما علمت زوجته كليتمنسترا — أم الفتاة — بما وقع لابنتها من الغدر ، ولم تكن تعلم بهذا التدبير من قبل ، بل قيل لها إنها ذاهبة لعقد قرانها على أخيل بطل أبطال اليونان ، ثارت ثائرتها ، واعتراها حال من الهم والحزن أخرجها عن إنسانيتها فأبعدت عنها كل معالم الحياة ... حتى ابنها الأوحد أورست لقد نفته بعيداً عنها ، وعاشت وحدها فى قصر البِلوبيد الرهيب ، واضطرمت فى قلبها نار الحقد على زوجها القاسى ... ثم وصلت أسبابها بأسباب إيجستوس أحد ذوى الثارات على بيت أجاممنون ، فوافق شنٌّ طبقة كما يقولون، وألفت التِّرات بين قلبيهما فشاعت عن علاقتهما الشائعات .. ولما وضعت حرب طروادة أوزارها وعاد أجاممنون مع تلك الفتاة النَّبيَّة ابنة[1] بريام ، دبرت له زوجته تلك القتلة المشئومة التى ذهبت بروحه وروح فتاته إلى هيدز

أما الحلقة الثانية الـ(خُوَافُورُوَا) أو حاملات الخمر المقدسة فتقع حوادثها بعد ذلك بسنين عدة كانت الملكة وعشيقها يحكمان آرجوس طوالها ... فلما شب أورست استأذن ملك فوسيز فى العودة فأذن له وصحبه صديقه بيليدز ... ووصل إلى مقابر آرجوس حيث وجد أخته إلكترا تصب الخمر على جدث أبيه لأن أمها رأت فى المنام أنها تلد ثعباناً ثم تأخذه فى حضنها ، فأرسلت بنتها لتصب الخمر قرباناً إلى روح أجاممنون ... ويعرب الشاب أخته فيعرفها بنفسه وتكون قد صلت للآلهة على ثرى أبيها أن ترسل إليها أخاها ، فتكون مفاجأة جميلة ، ثم يوصيها أورست بكتمان الأمر حتى ينتقم لأبيه ... ويدخل القصر فى هيئة تنكرية فلا تعرفه أمه ، ثم يأخذ فى سرد قصة فحواها أن أورست قد مات فتتظاهر الأم بالحزن ثم تدخل مخدعها ، ويدخل أورست وصديقه حجرة الأضياف ... وتذهب مرضعة لتدعو إيجستوس ليعلم ما قال الرسول عن وفاة أورست فما يكاد يصل إلى القصر حتى يسمع من الداخل وهو يصرخ ويجود بنفسه ... لقد قتله أورست !! ... وتهرع كليتمنسترا لترى ماذا حدث ، لكنها تعاجل بضربة شاطور (بلطة) فتتلفت فترى أورست عند جثة عشيقها ، وهى مع ذلك تنسى آلامها وتنحنى فتبكى فوق جثة إيجستوس ... ثم يأتى أروع مشاهد إسخيلوس الدرامية ... فالأم حينما تعرف أورست لا تبالى الدم المتدفق من جرحها ، بل تكشف عن ثديها وتُعيِّر الابن بكفرانه هذا اللبن الذى غذاه صغيراً ، ثم تنذره بملاحقة ربات العذاب إياه حتى ينتقمن منه على جريمة قتل الأم وهى أشنع الجرائم فى الشرع اليونانى ، ويهتز أورست ، ثم تعروه نوبة من الجنون ، وتتراءى له ربات العذاب فيذعر ، ويفر من وجوههن ليحتمى بهيكل الإله أبوللو فى دلفى .

وفى الحلقة الثالثة (يومنيدز) أو ربات العذاب ، يتعلق أورست بأستار هيكل أبوللو ضارعاً إلى إله الشمس أن يحميه، وتكون الكاهنة وسنانة فتستيقظ مفزّعة مروّعة ثم يظهر الآله أبوللو نفسه فيطمئن أورست ويشمله بحمايته ويأمره أن ينطلق إلى أثينا حيث يعرض قضيته على ربتها ميترفا (باللا أثينا) فيصلى أورست وينطلق إلى حيث أمره أبوللو وتبقى ربات العذاب فيدخل شبح كليتمنسترا وتأخذ فى تحريض الربات فيتنشّين قليلاً ثم يطردهن أبوللو . . . ويتغير المنظر فنكون فى أثينا فى هيكل مينرفا وقد تعلق أورست بأستار الذبح وقد أخذت تنوشه ربات العذاب فتبدو مينرفا وتذودهن عنه ، ثم تستمع إلى شكواه . ويكون فى المعبد جماعة من المحلفين وينهض الآله أبوللو ليؤدى شهادته ويدلى برأيه فيقرر أن الإنسان ينتسب إلى أبيه لا إلى أمه ؛ ولذا فهو مرتبط بوالده قبل أن يرتبط بوالدته . . . وبعد أن تسمع مينرفا إلى آراء الآخرين تنهض هى فتعلن رأيها ثم تجلس ويأخذ المكلفون فى (فرز) الأصوات وتكون النتيجة متساوية بغير ترجيح فيحدث شىء من الهرج فى قاعة العدالة وتتبرم ربات

(١) إسمها كاسندرا

العذاب لتدخل أرباب أقل منهن مرتبة فى أخص أمورهن، فتنهض مينرفا وتأخذ فى تلطيف سورتهن بفصاحتها المعهودة وتهتف بهن « أن أسمى واجب الآلهة هو نشر السلام بين بنى الإنسان ! » وتمدهن بإقامة مأوى عظيم لهن فى هضبة إيرس فيهدأن ويحتفى الجميع بذهابهن إلى مأواهن فى حفل رهيب

هذه هى أرفع درامات إسخيلوس بل أرفع درامات الأدب اليونانى إذا استثنينا دراما پروميثيوث للشاعر نفسه ... وقد سخر فيها الشاعر بهذه الشريعة العجيبة التى تنافى العدالة المطلقة التى جعل لها الفوز والغلبة فى النهاية ... وكان إسخيلوس ماهراً فى تلك الدرامة إلى آخر حدود المهارة فقد استدرج اليونانيين حينما أراد إصلاح وجهة نظرهم إلى تلك الأغوال التى يدعونها ربات العذاب حتى جعلهم يؤمنون أنها ينبغى أن تكون لخير الإنسانية لا لذعرها، ولنشر السلام لا لتعميم الذعر والأذى. وهكذا استطاع إسخيلوس أن يبشر بدين جديد من دون أن يحدث ثورة ، وكان جل إيمانه بسيادة عليا تهيمن على الكون وتسير به إلى الكمال كما سنرى فى پروميثيوث

٧ — پروميثيوث :

أخذ إسخيلوس موضوع ثلاثيته من أسطورة پروميثيوث الخالدة وتتلخص فيما يلى :

بعد أن فرغ إيروس (كيوپيد) من توشية الأرض وزخرفتها بالنبات ، عَمَرها بالحيوان ، ثم دعا إليه الإلهين پروميثيوث وإبيمتوث ليخلقا فيها حيواناً راقياً تكون له السيطرة على سائر صنوف الحيوان ويسمياه (الإنسان) . فلما صنعاه سألا إيروس أن ينفخ فيه أنفاس الحب (روح الحياة) كما سألا مينرفا أن تنفخ فيه من روحها (روح الحكمة). فلما دبت الحياة فى هذا المخلوق العجيب زُهى پروميثيوث وشاعت فيه الكبرياء واعتزم أن يهدى إلى الإنسان منحةً جزيلة تفتح له أبواب المدنية وترق به فى مدارج الحضارة ... وكانت النار إلى ذلك الحين حقاً خالصاً للآلهة وكان لهم دون غيرهم (امتياز) استعمالها، فاعتزم پروميثيوث أن ينسرق إلى الأولمب ليحضر للانسان جذوة من النار المقدسة فأحكم تدبيره وتغفل سيد الأولمب (زيوس) وسرق الجذوة ثم آب إلى الأرض دون أن يشعر به أحد ... ومضى حين من الدهر ، وتلفت زيوس من عليا سمواته فشهد النار تتأجج فى أطراف الأرض فهاج هائجه ، وأقسم ليعذبن السارق عذاباً شديداً . ويعرف أن السارق هو پروميثيوث فيأمره ثم يذهب به فى أقل من لمح البصر إلى جبال القوقاز حيث يقيده ويربطه بسلاسل وأصفاد فى قمة جبل هناك ويسلط عليه باشقاً من جوارح الطير فيظل ينهش كبده نهشاً شديداً ... وهنا يبدأ إسخيلوس الحلقة الأولى من درامته .. فهذا پروميثيوث مُصفَّداً بالأغلال صابراً لأنكى ألوان العذاب ، ينهش الباشق كبده نهاراً ثم ترقأ جراحه ليلاً وتنمو الكبد، فإذا أصبح عاد الباشق إلى نهشه وتعذيبه وهكذا دواليك .. لكن پروميثيوث إله فهو لا يموت ، ثم هو لا يقهره هذا العذاب بل هو يصبر له فى سبيل سعادة الإنسان الذى خلقه وحضّره وجلب له النار وعلمه الفنون ، والإنسان مع ذاك شاكر له ذاكر أياديه فهو يصلى له ويقنت ، والفتاة يو البائسة المعذبة التى سلطت عليها حيرا زوجة سيد الأولمب هذا الوحش الفظيع آرجوس والذبابة المؤلمة تلدغها وتسومها من العذاب ألواناً ... ها هى ذى واقفة بجانب پروميثيوث تواسيه وتتوسط له عند التيتان ليستغفروا له سيد الأولمب فلا يغفر له ، لأنه قوى مجنون ليس فى قلبه شفقة ولا يعرف فؤاده العدالة ... ويصبر پروميثيوث ثم يصبر ، ولا يرضى أن يخذل الإنسان لأن الإنسان يصلى له ولا ينى عن عبادته ... وفى الحلقة الثانية يذهب هرقل بن سيد الأولمب فى إحدى مجازفاته فيشهد پروميثيوث مصفداً فى قُنَّة الجبل والطير تنهش كبده ، فينقض على الباشق الجارح ويقتله ، ويرد إلى پروميثيوث حريته . فينطلق هذا الإله الطيب ويلقاه الناس مسبحين بحمده فرحين مستبشرين . . . وفى الحلقة الثالثة (پروميثيوث حامل النار) يصف إسخيلوس احتفاء الأثينيين بالإله الذى ضحى نفسه واحتمل الآلام فى سبيل الإنسان

هذه خلاصة سريعة لأعظم درامات إسخيلوس ، وپروميثيوث هى درة فلسفية أعجب بها الشعراء فى كل العصور ، وقد عارضها شللى الشاعر الانجليزى بمنظومة رائعة جرى بها فى أذيال إسخيلوس ... وقد كان إسخيلوس لاذعاً فى هذه الدرامة ، فقد سخر بهذا الإله المتغطرس زيوس الذى كان يكره الإنسان ويناوئه ولا يريد له الخير الذى أراده له پروميثيوث . وجماع فلسفة إسخيلوس فى هذه الدرامة أن القوة التى تهيمن على هذا العالم يجب ألا تكون قوة مجردة لا عقل لها ، بل يجب أن تتضافر القوة والحكمة بحيث لا تطغى إحداهما على الأخرى لخير الإنسانية وعمار الكون ،

فإذا اختل التوازن بينهما لم يصح أن تكون هناك آلهة .. إذ كيف يكون إلهاً ذلك الذى يعذب إلهاً آخر (برومثيوث) ثلاثين ألف سنة ؟ بل كيف يكون هذا الإله عاقلاً ؟

وبعد ، فلقد كان إسخيلوس يحتقر الديانة اليونانية ويعرف أنها أضغاث، وقد احتقرها من يوم نبوءة دلفى التى أمرت اليونانيين بأن يستسلموا للفرس لأنهم لا يغنون عن أنفسهم من شرهم شيئاً . فلما انتصر اليونانيون آمن إسخيلوس بإله عادل يسيطر على الكون ويقهر الظالمين ، ويرعى الضعفاء ، فلم يأل جهداً بعد هذا فى هدم هذه الآلهة الكثيرة التى خلقها السلف ووقع فى عبادتها الخلف عن جهالة وغباء

هذا هو إسخيلوس الدرامى الأول ، فلعل دراسته تمنعنا من الإسهاب فى تاريخ من يليه من أدباء اليونان

دريني خشبة

من ذكريات لندن

حـــــرية ... !

للأستاذ عمر الدسوقى

مضى الشتاء متثاقلاً متلكئاً بعد أن أطلق لشياطينه العنان ، تعبث بالأرض عبث الوليد بخذروفه ، وتجوس خلال الديار بوجوه مقطبة مكفهرة ، تتوارى منها ينابيع الجمال والرحمة هلعاً وفرقاً ؛ وتلفح أنفاسها الأوراق النضرة فتذوى ، وأوراق الدوح فتساقط عصفاً ما كولاً ؛ وتزفر زفرات صَرَّتْ على زمهرير سقر ، حتى تنتفض لها الدنيا ، وتنكمش فى أبرادها وتسرى فى أوصالها رعدة القر ، وقشعريرة الحمى البرود ؛ أو ترسلها ضباباً أسود بشعاً ، يملأ فجاج الأرض ، تطرف منه العيون وتدمع ، وتغص به الحلوق وتشرق ، وتسيل الأنوف وتنتفخ ، وتسعل الصدور وتنقبض ؛ يحجب الشمس ، ويعطل الحياة ، ويحيل السبل سراديب مدجنة يرتطم فيها الأحياء بالجمادات وهم يتحسسون طريقهم ، وتتراءى فيها الجمادات مرِدة طليت بالقار ، أو اشتملت بمسوح نسجت من أديم الليل البهيم ؛ أو ترسلها ريحاً زفوفاً مزمجرة ، تهز الأرض هزاً عنيفاً ، وتزأر زئيراً منكراً كئيباً ، يصم الآذان ، ويرجف الأفئدة ...

حتى إذا خالت الشياطين أن الدنيا قد هلكت رعباً ، وحالت جثة هامدة باردة ، وأشلاء ممزقة مبعثرة ؛ دفنت بالثلج كفناً أبيض يترا كم كسفاً ، ويجلل الأرض بقطع بيضاء هشة ، كأنها زبد الموج الصاخب ، أو شعر عجوز شمطاء اجتثته وهى مغيظة محنقة ، أو العهن المنفوش ، أو القطن المندوف

ثم حشدت فيلق الزن فى عنان الجو ، ترتدى حبر الحداد ، وتبكى وتنتحب ، وتجهش بالعويل ، فتسمع لها شهيقاً وزفيراً ؛ وتسكب الدمع مطراً هتوناً تسقط حباته على الأرض كأنها نقرات الدفوف ، أو عصا جبار ينكث الأرض موجدة وغيظاً ، أو حجرات مسلم متعبد يرجم الشيطان بمنى ؛ ثم تزدحم به الأودية فيطغى ويكتسح كل ما يعترض موكبه الهائج وتياره المائج

وها قد نفخ الشتاء فى بوقه ، فحشرت إليه شياطينه من كل فج ، وولى مشيعاً باللعنات ، وطفقت حرارة الحياة تتمشى فى أطراف الدنيا ، فتنهض الطيور الهاجعة ، وتتثاءب البراعم الوسنانة ، وترقع الرياض ما بلى من كسائها بالحشائش الحواء ، وتوشيه بالأزهار اليانعة العبقة الشذى

وها هى ذى ذكاء تبرز صفراء عليلة، غب احتجابها الطويل، ثم تتوارى فى خدرها بعد هنيهة ، ثم تبدو أثبت قدماً وأربط جأشاً . وتحاول السماء أن تتجرد من ثياب الشتاء القاتمة الثليطة ، فتمزقها إرباً إرباً ، فتظهر أجزاء من أديمها الأزرق الصافى خلال بردها المهلهل الخلق

وهرع أهالى لندن إلى العراء ليشهدوا آخر معركة بين التوأمين الربيع والشتاء

وجاءتنى ربة الدار فرحة متهللة ، مشرقة الطلعة ، كأنما نفث الربيع فيها من سحره ، فغدا وجومُها بسمات ، وحديثها ضحكات تحيت تحية كأفواف الزهر ، ثم تغنَّت بفتنة الطبيعة فى ديارها إبان الربيع ، فحسبتها قمراً يُرَجِّع على فنن دوحة تميس فى الحبر السندسية البديعة ، أو مِزْهر عازف يوقع أنشودة الجمال الرائع ؛ ثم قالت :

— حذار أن تظل حلس بيتك فى مثل هذا اليوم النادر ،

فسرح الطبيعة عندنا جم المناظر ، تارة يلفظ شُواظاً من نار فتقبع المخلوقات فى دورها ، وتارة يبتسم ابتسامة الرضا فينسى الناس فترات تجهمه ، فيعدون إليه بقلوب يستخفها الطرب ، ويتملكها العجب . إن أشعة الشمس فى بلادنا نفيسة كالذهب الوهاج ، يتهافت عليها الناس ويدخرونها لأوقات يربدُّ فيها وجه السماء ، وما أكثرها حتى فى هـذا الفصل الذى تخطر فيه الدنيا فى حلة قشيبة من النـوْر ، وتتنفس فيه الرياض عبيرَ الأقحوان النَّدِىّ ، والياسمين والورد

— لقد حدثتِ فأطربت ، ووصفت فأطنبتِ ، فهل لكِ أن تهديني إلى أى الحدائق أبهج للفؤاد ، وأجلى لصدى النفس ، وأمتع للنظر ؟

— إن لندن يا سيدى مدينة تزخر بألوف الألوف من البشر ، مترامية الأطراف ، واسعة الجنات ، فسيحة الرقعة تتمثل فيها الحياة العاملة المجدة ، والحركة الدائبة النشطة فى أوجها ؛ ترى قُطُر الكهرباء تجرى فيهـا رائحة غادية ، فى سراديب تحت الأرض ، وعلى قضب فوقها ؛ وترى أسراب السيارات تجوب أرجاءها ألوفاً ألوفاً ، فمنها ذوات الطبقتين كأنها بواخر تمخر عباب اليم ، ومنها القميئة التى تنساب فى الطرقات انسياب الصِّلال وسط الأحراج والأدغال ؛ والناس فيما بين ذلك يهرولون زرافات ووحداناً ، كأنما الحياة الدنيا قد أفلست وعرضت ذخائرها ، وهم إلى الغنيمة يهطعون ولهم ضجيج يفزع الكواكب فى مسابحها ، والشياطين فى معاقلها

وحرى بنا ونحن نتنفس هواء قد أفسدته الصناعة ، وأنفاس الخلق ، أن ننشىء الرياض العريضة الرحبة ، تخُطُّها البحيرات الجميلة الجذابة ، ففيها نستجم من نصب العمل والحياة المضنية ، وإليها نهرع إذا ضاقت صدورنا ، وكادت أرواحنا تزهق من حر أنفاسنا . ولكل روض خاصة : فإذا نشدت الهدوء والعزلة ، والمنظر الخلاب البهيج ، فدونك « الريجنت » ؛ وإذا شئت أن تدرس طباع الشعب عن كثب ، وتشهد صراع الفكر ، وخطباء النَّدى ، والجموع الغفيرة ، والحرية المطلقة ، فدونك « هايدبارك » ؛ وإن كنت مولعاً بالتلال المعشبة ، والرُّبى الخضراء ، والوهاد الفسيحة ، والطبيعة الساذَجة الغفل التى لم تصقلها يد البشر ، فاعمد إلى « هامستدهيث » ؛ وإن كنت مغرماً بدرس النباتات وأنواعها المختلفة وأشكالها المتباينة ، فعليك بحدائق « كيو » حيث يمثل فيها نبات الدنيا جمعاء . وهناك رياض أخرى لا تقل رونقاً وبهاء وحسناً ورُواء عما ذكرت

— لقد شِدت — يا سيدتى — بمدينتك فخورة مُدِلة ، ولا عزو ، فأنتم أمة لم تنس نصيبها من متع الدنيا وزخرفها . فها هى ذى لندن ، قد تجلت فى مبانيها سلامة الذوق والانسجام البديع ، وحفت طرقها بالأشجار ، وزينت منازلها بالحدائق الصغيرة سيان فى ذلك بيت الأمير وبيت الحقير . وإنى لنصيحتك جِدُّ مطيع ، ولك منى ثناء عطر جزاء وفاقاً على ما أتحفتنى به من حديث ممتع طريف ؛ فعمى صباحاً ، وإلى اللقاء ...!

ذهبت إلى « هايدبارك » وها أنذا ألج ساحتها المزدحمة

يا عجباً ! هنا منابر وخطباء ، وهنا جموع محتشدة تنصت وتنتقد وتجادل وتسخر وتمتد ؛ وعلى كل منبر رَق مرقوم ، يفصح عن الفكرة التى يدعو إليها الخطيب أو ينافح عنها . والناس ينتقلون من حلقة إلى أخرى كأنهم زُمَر النحل ، تقتطف من كل زهرة قطرة ؛ حتى يقعوا على ما يَلَذ لهم حديثه ، فيرهفون السمع ويعملون الفكر ويجادلون المتكلم أحرَّ جدال

هاك شيوعياً يبسط للناس مبادئ عقيدته ، ويلوم فى حدة وسلاطة وعنف ، هؤلاء الذين اكتنزوا الذهب والفضة واستعبدوا بهما الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؛ وأخذوا ينعمون بأطايب الحيـاة ، ويبعثرون النضار فى سبل الفسق ، بينما يَغَص المجتمع بقوم يبيتون على الطوى ويندبون جَدّهم العاثر ، وزمنهم الغادر . ويدعو بكل ما أوتى من ذرابة لسان ، وشجاعة جَنان ، إلى تقسيم الثروات حتى يتساوى الناس فى الشقاوة والسعادة ، والغنى والفقر

وهاك اشتراكيًا لا يشتط كترِبه وإنما يطلب — كما يقول — العدل والرحمة ، والرفق بمن يكد ويكدح لينعم سيده ويقوى بمن يذوى شبابُه ، ويراق دمُه ، ويَضنى جسمه فى المصنع والحقل ؛ ليقدم للإنسانية عُدة الترف والبذخ ؛ مفنداً فى لباقة وطلاوة حديث ما يتصدى له الشيوعى من دعوة ترى بالعالم فى أحضان التهلكة والدمار ؛ وكيف يُسوَّى بين الذكى والغبى ، والشجاع

والرعديد ، والقوى والضعيف ، والجاد والخامل ... ؟ وهل الحياة الدنيا سوى كفاح وجهاد ، وصراع وجلاد ، يفوز فيه من قويت مُنّته ، وحسنت عدته ، ودأب على العمل لا يَكل ولا يمل .. ؟

ثم يعرج على أزمات الأمم فى عصرنا هذا ، وأنها نِتاج استبداد الأغنياء بالفقراء ، ولو رعى الأول حقوق الثانى لأخلص الثانى فى خدمة الأول ولاستقام العالم وعاش فى بُلَهنية ووفاق . ولم ينس أن يَصُبّ ذَنوباً من ألفاظ السباب على الحكام المستبدين وقتلهم لحرية الأفراد ، وتسخيرهم الأمم لإشباع مطامعهم

وهاك يهودياً يبكى ويستبكى ، ويناشد القلوب الرحيمة والعقول السليمة ، أن تنصف شعب الله المختار ، الذى كتبت عليه الذلة والمسكنة ، والذى طارده الحكام المستبدون فى كل بقعة عقد لهم فيها اللواء ، وكتب الظفر ، فبات شريداً طريداً ، خالى الوفاض ، كسير القلب ، مهيض الجناح . ويقول : إننا قطعة من الإنسانية المعذبة ، وأنتم يا أبناء التاميز قد رُبيتم على البر بالمحروم ، والنصفة للمظلوم ، ولا نطلب منكم سوى ديارنا التى كنا نقطنها منذ ألفى سنة ، وما تركناها إلا قسراً وقهراً ؛ جودوا لنا بفلسطين، نُحيلها جنّة من جنان الخلد ، ومعقلاً أميناً يصد كل من تحدثه نفسه بالتعدى على طرق الامبراطورية العتيدة . ينفذ بمثل هذه العبارات إلى أفئدة الناس فيأسرها ، ويستدر دمعهم ، ويكسب عطفهم .

وهاك قسيساً ، قد ارتدى مسوحه ، ووقف فى وقار وتزمت ينادى القطعان النافرة من حظيرة الكنيسة : أن ارجعوا إلى باريكم ، فالباطل لا يغنى من الحق فتيلا ، وأن لكم فى طمأنينة الروح عوضاً عن فقدان المادة ، وأن الحياة الدنيا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ؛ يدعها الإنسان وحيداً إلا مما قدمت يداه ، فلا مال ولا عتاد ، ولا جاه ولا سلطان والآخرة خير لكم وأبقى

وهاك امرأة ، قد تملكتها نزعة صوفية ، فبرزت فى أسمال ، وأطمار وطفقت ترفع عقيرتها منشدة الأغنيات الدينية فتجتذب إليها جموع الناس ، ثم توسعهم لوماً وتأنيباً على تقصيرهم فى حق المسيح ، حتى إذا انفضوا عنها ضاحكين هازئين عادت تغنى مرة أخرى .

وهاك ملحداً يسفه الشرائع والأديان ؛ وهاك عالماً يشرح للدهماء أصول علم النفس وقوانين الاجتماع .

وهاك حبشياً يثير حماس القوم ضد القوة الغاشمة ، والأمة الظالمة ، ويلجأ إلى سجايا الانجليز الكريمة ، وأريحيتهم ومروءتهم وتقديسهم للحرية ألا يدعوا وطنه يذهب نهبة لأطماع الاستعمار، وقرباناً على مذبح الغدر بالعهود والحنث بالذمم .

وهاك سفسطائياً يبرهن على أن الانجليز هم « شعب الله المختار » لا بنى إسرائيل ، وأنهم أولى الناس بحكم العالم .

وهاك نازيا ، يبرق ويرعد ، ويتهدد ويتوعد ، ويهدر كالسيل الجارف ، ويغزو الديمقراطية فى عقر دارها ، ويرميها بالتفكك والانحلال ، والضعف والفساد ؛ لاتباعها أوهاما وخزعبلات ، وتعلقها بمثل لا تغنى أمام جبروت الدفع شيئاً ؛ ولما لأوشاب الناس فيها من أيد وقوة ، فيتخلف عن دست الحكم ذو الرأى الرشيد ، ويطفر إليه من لا يقيم للأمور وزنا ؛ ويرى المجالس النيابية بأنها ميدان للثرثرة وقتل الوقت ، ويقول :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم
ولا سراة إذا جهالهم سادوا

يا قوم ، ألقوا أعنة أموركم ليد مصلحة سديدة ، ففى ذلك العزة والمنعة ، والعدل والمساواة ، طهروا دياركم من اليهود الذين امتصوا دماءكم وأنتم فى غفلة ساهون . ألم يسيطروا على صحفكم ويوحوا إليكم بما تعتقدون ؟ ألم يخضعوا المسرح والخيالة لسلطانهم المالى ، ويعرضوا عليكم ما يشاءون لا ما تريدون ؟ ألم يغتصبوا ينابيع الثروة منكم ، ويصيروكم فعلة مأجورين ؟

إن آفات المجتمع — يا قوم — تجد المرعى خصباً ممرعاً ، فى ظل الديمقراطيات ؛ حيث يتغنى الناس باسم الحرية فتوزع جهود الأمة ، ويتفرق الناس شيعاً ، ويُشغَلون بالحزازات الحزبية عن السير فى طريق الإصلاح والفلاح

راعنى ، وأيم الحق ، تلك الحرية العجيبة ، وكيف أن عقول الناس فى هذا البلد ، تصغى إلى كل هذه المبادئ المتباينة ولا تتأثر بها ، وكيف أن حلمهم يسع كل هذه الطعنات فى أنظمتهم وعقائدهم وآرائهم . ولو كان هؤلاء الدعاة فى أمة أخرى غير انجلترا

لزجوا فى غيابات السجون ، أو حزت ألسنتهم أو قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف لما ينفثونه بين الناس من سموم ، وما يريدونه من شر بالحكم ونظامه والمجتمع واستقراره

تركت تلك الجلبة الصاخبة ، وأخذت أجوب الحديقة ، فشاهدت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ؛ رأيت الفضيلة تذبح فى معبد الشهوات ، والناس لا يتورعون عن الفاحشة تحت شمس الضحى ، وقد عادوا أشبه بالضوارى فى أدغالها ، لا قانون ولا نظام ولا حرمة ولا حياء . انتهكت الأعراض علانية، ووطئت المكارم طواعية ؛ ولم يرتفع صوت يهيب بهم : أن رفقاً بمبادئ الإنسانية والشرائع الدينية ، والمثل الخلقية

بل سمعت أدهى من ذلك وأمر ، أعنى حماية رجال الشرطة لكل من فى الحديقة ، والضرب على يد كل من يتصدى لهم واعظاً أو مبكتاً ، وأن الحديقة حرم يأوى إليه كل من يريد أن يفرج عن نفسه أو يطفئ نار شهوته ، أو يفوه بما يعد جريمة فى مكان غير هذا ؛ وأن الشعب هنا يسير على سجيته وفطرته ، فلا يتقيد بعرف أو نظام ، بل يتمتع بالحرية المطلقة

فقلت : رحماك ربى ، إن هذه أعجوبة العصر ... !

ثم سألت شرطيًا : أيتاح لى أن أعتلى منبراً كهؤلاء الخطباء؟

— ولم لا ؟ ما عليك إلا أن تستأجر منبراً وتقول ما شئت ، وإن استجاد الناس حديثك استمعوا لك ، وإن لم يلذ لهم انفضوا من حولك

تركته شاكراً متعجباً ، وقد عقدت العزم على أن أدحض باطل هذا الدجال الصهيونى الذى يفترى على الحق ، ويعلى كلمة الزور والبهتان ، ويدعى وطناً ليس له بحق عربى مبين ؛ وقلت لنفسى : ما دام للدهماء فى هذه البلاد كلمة وسلطان لجدير بى أن أسمعهم صوت فلسطين العربية

ثم عدت وزمرة من لداتى أبناء العروبة ، نتبارى فى تبيان قضية العرب العادلة ؛ وكانت ملحمة حامية الوطيس بيننا وبين الصهيونيين ، سأرجئ وصفها إلى حديث آخر إن شاء الله

محمد السرقى

وليم بتلر يايتس

WILLIAM BUTLER YEATS

الفنان الذى أوجد لأمة أدبا

١٨٦٥ – ١٩٣٩

للأستاذ عبد الكريم الناصرى



— ١ —

فى الثامن والعشرين من شهر فبراير ، وفى روكبرون من كاب مارتن من أعمال فرنسا ، فقدت أرلندا وفقد معها العالمَ عبقرياً من النسق الأعلى : وليم بتلر يايتس ، زعيم حركة « الإحياء السلتى » وعميد الأدب الأرلندى ، وشاعر أرلندا الأكبر ، ومؤسس مسرحها الأول ، وخالق نهضتها الأدبية والفنية ، وعميد المذهب الرمزى فى الأدب الإنجليزى الحديث ..

كتب النقادة « روبرت لند » بعد وفاة يايتس يقول : « ما كان الفقيد فناناً عظيماً فحسب ، وإنما كان إلى ذلك رسولاً عظيماً من رسل الفن ؛ جعل حياته فى سبيل خلق حركة أدبية ومسرحية أنزلت أمته أكرم المنازل بين الأمم »

ولعل أغلب الذين رأوه فى صدر شبابه ورأوا ذلك الشعر

الأسود الفاحم وتلك « الربطة » المضطربة وتلك اليد الشاحبة ، لم يكونوا ليروا فيه إلاَّ أخا خيالات وأحلام لا قدرة له على عمل ولا صلاح فيه لتنظيم

بَيْدَ أن « ياتس » كان يشتمل على طاقة روحية وقوة حماسية لا حدَّ لها ، وكان فى الوقت نفسه « عملياً » لا يقل عن غيره من أهل التنظيم والإنشاء ، والمعنيِّين بمسائل الجمعيات وإدارتها ، حدّة ذهن وسرعة خاطر » — « وإذا كان (البعث الأرلندى الأدبى) حدثاً من أشهر أحداث زماننا هذا فإنه إلى حماسة ياتس ودعايته ينبغى أن يُوَجّه أكثر المدح والثناء[1] »

— ٢ —

ولد المستر « وليم بتلر ياتس » فى « سانديماونت » من « دبلن » فى ١٣ يونية سنة ١٨٦٥ ، وكان أبوه مصوّراً معروفاً وكان جدّه لأمّه تاجراً قديراً . أدخل وهو ابن تسع « مدرسة غودلفِنْ » بلندن ، وحين بلغ الخامسة عشرة دخل « مدرسة إراسموس سميث » . ثم دخل الجامعة وتخصّص فى التصوير ، ثم انصرف إلى الشعر . وكان فى العشرين حين نشر فى « مجلة جامعة دبلن » أولى قصائده وهى « جزيرة التماثيل »

* * *

وياتس نفسه يصف انصرافه إلى الشعر بأنه أكثر من استجابة لدافع من الطموح الشخصىّ « فما كان موضوع أحلامه يومئذ » كما يقول النقّادة فورست ريد « بأقلّ من خلق أدب لارلندة كامل . فى تلك الأحلام تستقرُّ بذور (الحركة الأرلندية) الحديثة؛ ومع أن فكرة إنشاء مسرح قومىّ كانت لا تزال بعيدة ، فإنها هى أيضاً لم تك إلا تطوّراً لطموح غلام لا يتجاوز العشرين »

كيف استطاع ذلك الفتى الصوفىّ الحالم ، الذى كان فيما روت أديبة ناقدة فى كتاب لها عنه عنوانه : « ذكريات خمس سنين » يظلّ ساعات من النهار يقرأ الشعر ، ويترنم به فى زاوية من الدار وهو فى شبه غيبوبة ، ولا يتذكر الجوع أبداً إن لم يذكَّر به ؛ أو ينهضُ فى الهزيع الأخير من الليل ليقضى ما تبقى منه فى الغناء والإنشاد ، والذى كانت الراوية المذكورة تسلمه الرسالة ليُلقيها ، وهو المطيع أبداً فى صندوق البريد ، فيتناول الرسالة ويضعها فى سلة عظيمة ، ويحمل السلة إلى دار البريد ، والرسالة المسكينة تعلو وتنخفض، وتقوم وتقعد هنالك! والذى اتفق له مرّة أن كان واقفاً

(١) Lynd, «John O'London», Feb., 10, 1939.

وهى إلى جانبه على الرصيف فى الليل ، ينتظران عربة ، والمطر ينهمر مدراراً ، والطريق موحل ، والماء إلى الركب ، فتذكر قصيدة شلى الطويلة : « النَّبتة الحساسة » . فاندفع يصب الشعر فى أذنيها وقد مالت المظلة التى كانت بيده بحيث لا تقى أيًّا منهما ! والذى شاهده أحد أصدقائه الشعراء مرّة يرسم صورة لغابة أمامه ، فى وهج الظهيرة ، والشمس تذيب الصخور ؛ فلما دنا من الصورة ، وجد المشهد هو مشهد الغابة ولكن الألوان ... هى أشعة القمر !

أقول كيف استطاع هـذا الشاعر الصوفىّ الحالم الذى ماسقنا الأمثلة السابقة من حياة صباه إلاّ لنبيّن أنه ذاتىٌّ منطو على نفسه ، أن يتزعم الجمعيات الكبرى ، ويترأس حركة قومية وأدبية فنية تعدُّ « من أشهر أحداث زماننا هذا ؟» لست أدرى؛ فذلك سر من أسرار العبقرية والوراثة

ولكن الذى أدريه أن حياته كانت سلسلة باهرة من الفتوح « يتضح مَداها » كما يقول المستر روبرت لند ، « لكلّ مَنْ يقارن بين مركز الأدب الأرلندىّ فى اللسان الانجليزى قبل أن يبدأ ياتس فى الكتابة والنظم ، وبين مركزه عند وفاته . لقد كانت ارلندا قبل ياتس لا وجود لها على خريطة العالم الأدبية ، ولكنها بقيادته أضحت مثوى للعبقرية . فليس لأديب من أدباء هذا العصر أن يفخر بعمل أجلّ من عمله وأبرز »[1]

— ٣ —

لقد التفت فى « يتس » تأثيرات أرلندية وانجليزية وأوربية ، فهو فنان رمزى ، أو لعله شبه رمزى ، يستمد الوحى والمادة من تقاليد أرلندا القديمة ، ومن أساطيرها البعيدة ، ومن مشاهد أريافها وأرضها وسمائها ، وقلما التفت إلى أهل البلاد أنفسهم ، (ولكن أليست عبقرية البلاد هى عبقرية ساكنيها ؟) ويقوم شعره وخصوصاً فى شبابه — وشعر شبابه قد يكون أروعَ من شعره فيما بعد ، وأصدقَ عبارة عن طبيعة عبقريته — على صوفية رقيقة تذكر فى غرابة أحلامها وشدة أسرها بصوفية « بلايك » وقد تميل إلى الرمزية وخصوصاً فى مجموعته الموسومة « بالريح بين القصب » وقد ظهرت قبل بدء هذا القرن وبعد اتصال الشاعر

(١) ومع ذلك فقد بقى حتى كهولته فقيراً لا يملك شروى نقير . على أنه ندر فى شيخوخته ، فمنح جائزة نوبل سنة ١٩٢٣ . وكان عند وفاته عضواً فى مجلس الأعيان (أو الشيوخ) الارلندى

« بملارميه »[1] كما يقوم شعره على الألوان الناسقة والأضواء الخافتة بوجه عام

وألفظه صقيلٌ نقىٌّ بسيط . وهذه الصفة وإن غلبت على الشعر الرمزىّ والصوفىّ على العموم ، لكنها فى شعر يتس ترجع أيضاً إلى تأثره « بمدرسة ما قبل رفائيل » . وهى مذهب فى الشعر يتعلق بمذهب فى التصوير تقدَّم عليه ، وأساسه الرجوع بالأسلوب إلى أبسط الصور الممكنة مع العناية البالغة بجماله وروعة إيقاعه ، ثم قَصْرُه على التعبير عن معانٍ عاطفيّةٍ أو خياليّةٍ خالية من تعقيد الفكر والفلسفة . « فالفن » فوق كل اعتبار ، والفنّ هو دينُ هذه المدرسة التى لا تدين بغيره . ومما يلاحظ ههنا أن أساطين هذه ، ومنهم يتس ، جمعوا بين فن التصوير وفن الشعر .

ولعلنا لا نغلو إذا نحن قررنا أن هذا الحس بجمال الشكل بلغ فى يتس حدًّا هو إلى الإعجاز أدنى .

وليس فهم ياتس بالمطلب الهين الدانى ؛ ولكنك إن فهمت معنًى من تلك المعانى « الضبابية » القصية الحاملة لجو (اللاشعور) السحرىّ الناسق ، ارتد جزءاً من أجزاء نفسك لا يتجزأ ، وعنصراً من عناصر حياتك لا ينفكّ يعمل فيك عمله .

وليس ياتس بشاعر من « شعراء الطبيعة » — إن قصدنا بالطبيعة الطبيعة الخارجية — وإنما هو كما سبق القول وبينت الأمثلة صوفى ذاتى «وما العالم الذى نجده فى شعره إلا عالم مرَّ فى دنيا خياله فتلفع بالغسق المخيم هناك» . وما الطبيعة عنده إلا مخزن للرموز والحالات النفسية. فصيحة الطير رمزٌ لحبّ مفقود، أو لقب هام على وجهه فى طلاب حُبّ . وعويل الريح رمزٌ للأسى وشهادة بالألم ، وجَرَيان الماء مثلٌ لذوىّ الحسرة ومضىّ الزمن :

« لقد سمعت الشيوخ الطاعنين يقولون :
كل شىء يحول ،
ولسوف نقضى واحداً إثر واحد ، ونمضى
... وكانت لهم أيد كالمخالب ، وكانت سوقهم ملتوية كأشجار الحسك القديمة ، القائمة بجانب الجدول
لقد سمعت الشيوخ الطاعنين يقولون :
كل جميل يمضى ،
كما يمضى الجدول ... »

وخيال «ياتس» يبدو على الدوام كأنه خيالُ إنسانٍ «متعب» وما هو على ذلك بمتعب . أو خيال إنسان يعيش فى « التخوم » بين عالم الإنس وعالم الجن (على أنى فى الواقع لا أستطيع أن أعبر عن مقصدى بعبارةٍ أبين)

خيال ياتس يتجه إلى « حيث تخوضُ النجاد الصَخرية فى البحيرة ، فهنالك جزيرة وريقة ، فيها الأطيار ترفرف وتصدح ، فتوقظ فيران الماء الناعسة ... » وهنالك تخفى الجنيات سلالهن المليئة بالتوت ، وبالكرز الأحمر المسروق ... هنالك :

« حيث الرسالة المعتمة الشهب
تلتمع تحت نور القمر ،
وبعيداً غاية البعد عن أرض (روسز) ،
سرينا ، نحن معشر الجنيات ،
راجلات ،
نرقص قديم الرقصات ،
فتختلط منا الأيدى وتختلط النظرات
حتى اختفى القمر ...
فانثنينا نثب هنا وهناك
ونطارد الفقاقيع الراغية ،
بينما الدنيا مترعة بالآلام
والإنس قلقون حتى فى المنام » . .

« البقية فى العدد القادم » عبد الكريم الناصرى

بين طبيب وزوجته

قالت الزوجة وقد جلسا إلى مائدة الطعام : إنى أحب رائحة هذا الصابون الذى استعمله . نعم إن رائحته قوية ولكن أنا أحب الرائحة فى الصابون

وصاح زوجها الطبيب مندهشاً : احترسى يا عزيزتى من استعمال أى صابون له رائحة — إنك تعلمين أن الرائحة معناها وجود الكحول فى الصابون والكحول يضر الوجه ضرراً عظيما ويجعله ناشفاً قاتماً ويمتص الزيت الموجود فى البشرة . لذلك أنصحك أن لا تستعملى صابوناً فيه رائحة وأفضل صابون للاستعمال هو صابون بالموليف لأنه يغذى الجلد وينعش الوجه ويجعله رائقاً جيلا جذاباً .

(١) الرمزى الفرنسى ومترجم « پو » إلى الفرنسية

العاقل

للشاعر الألمانى باول ارنست Paul Ernst

للأستاذ بديع شريف

الأشخاص : (سقراط ، ألسيبياد Sokrates, Alcibiades)

المنظر : (شارع فى أثينا أمام بيت سقراط ، السوق فى المساء)

(الاثنان يبتعدان من بيت سقراط ، بينما اكسانتيب تشتمهما من النافذة ، ويذهبان إلى سوق المساء)

* * *

ألسيبياد — حدثتنى نفسى كثيراً بأن أسألك يا سقراط عن عيشتك مع المرأة التى تزوجتها لأنى أعلم أنك رجل ذكى الفؤاد، وأنك ما أقدمت على الزواج فى صغرك إلا لأمر ، ولا اخترت هذه المرأة إلا بعد تفكير

سقراط — إنك على حق يا ألسيبياد ! فإنى ما تزوجت إلا بعد أن علمت أن الآلهة ألقت فى نفسى شيئاً وأنى أريد أن أقوم به على أتمه ، ولكنى وجدت نفسى محتاجة إلى زوج أسكن إليها ، فإننا معشر الرجال لا نستغنى عن المرأة ، ولكنى ما فكرت قط فى مالها وجمالها وحسبها ، بل فكرت دائماً أن تكون لى زوج هادئة قنوع مرحة أستطيع أن أسكن إليها وأفكر فى جنبها

ألسيبياد — أتقول إن كسانتيب كانت هادئة مرحة، قنوع ؟

سقراط — أتعتقد أن سقراط تزوج كسانتيب ولم تتزوج كسانتيب سقراط ؟ !

ألسيبياد — نعم ، إن كسانتيب أيضاً تزوجت سقراط

سقراط — وماذا تظن فى كسانتيب ، هل فكرت فى شىء حين تزوجتنى ؟

ألسيبياد (ضاحكا) — ظنت أنها تزوجت رجلاً مجتهداً عاملاً يكسب الدرهم ، لتعيش هى مع أولادها على حسب منزلتها فى المجتمع

سقراط — يظهر لى أن قولك الحق ، ولكن يا ألسيبياد ! ماذا عساها تقول عنى اليوم ؟

ألسيبياد — إنها ملأت الشارع سباً ، وعرفت جميع المارين أنك رجل باهل(١) وأنك تقضى طوال النهار تهذى مع الشباب بدلاً من أن يكون لك محل تعمل فيه .

سقراط — أتظن أنها على حق ؟

ألسيبياد — ليس لها حق ! ولكن لها أن تقول : إننى امرأة فقيرة، أريد رجلاً غير هذا . أريد زوجاً يكتسب ، لا زوجاً يتفلسف

سقراط — ربما تريد قصاباً ، أو خبازاً

ألسيبياد — نعم ! تريد مثل هذين ، فتكون له زوجاً مدبرة نظيفة مجتهدة مقتصدة يخشى بأسها الخدم

سقراط — ألست على الحق حين أقول : إنها امرأة أثرة ، معتدة بنفسها ، غضوب ، سيئة غبية ، حمقاء ؟

السيبياد — لا ! لست على حق ، لكن لك أن تقول : إننى رجل تأمل فرأى نفسه محتاجة إلى زوج هادئة ، مرحة قنوع ، يستطيع أن يفكر فى جنبها .

سقراط — لقد وصلنا إلى السوق ، وها هى ذى امرأة الفلاح جالسة، تلك التى ضحكنا منها كثيراً عند ما كانت تحدثنا عن دجاجها وتثنى على بيضها . أتعرف ماذا كانت تقص علينا؟ كانت تقول: عندى عشرون دجاجة وديك واحد، فى كل يوم يبضن عشرين بيضة ، آتى بها إلى سوق أثينا فأبيعها ، وإن دجاجى لا مثيل لها فى القرية ، وقد يكون فى البيضة محان ، لذا لا يثنى عنى من اشترى منى أول مرة . ولا أكذبكم فقد تكون بيضة فى هذا البيض ذات محين . إننى محسودة من جميع الجيران ، ومن له مثل هذا الدجاج لا يعدم الحساد . إن لى مشترين كراماً يعرفون أن دجاجى من الطراز الأول . وكيف أقتنى الردىء وقد ورثت تربية الدجاج أباً عن جد ؟ أتدرى يا ألسيبياد ماذا أوحت هذه المرأة إلى « أرسطوفان » فطفق يتحدث عن دجاجها ؟ لقد أطرق أرسطوفان ملياثم وضع أصبعه على أنفه وقال: دعونا نذهب إلى دار هذه المرأة ونسأل دجاجها ثم نرى ماذا تقول؟ إنى لا أشك فى أنها ستقول : إننا بين يدى امرأة صالحة تنثر لنا الحب الملتوت بكثير من الشهيات فى الصباح وعند الظهيرة وفى المساء بنظام لا يتغير . على أننا لا ننسى ذلك الصوت الحنون الذى نسمعه عند كل وجبة ، وإذا قدمت لنا الماء قدمته عذباً صافياً ، وفى كل عام

(١) الرجل الباهل : الذى لا عمل له

تطلى قنتنا بالكلس مرة أو مرتين ، وبالإيجاز إننا راضيات عن هذه المرأة ولا نريد امرأة كسلى لا نظام عندها لأننا ما تعودنا الإهمال وعدم النظام. هكذا كان ينشد أرسطوفان فى شعره فكلكم ضحك عليه وسخر منه ، لأنه استطاع أن يعبر عن نفسية الدجاج لكن ماذا ترى ؟ إنى أرى بين يديها دجاجاً مذبوحاً !

الفلاحة : أتريدون مرق دجاج سمين ؟ هلما ! إنه دجاج حديث الذبح . الساه ، إنه سمين . أنظرا هذه القطعة الصفراء ، إن أجوافهن مبطنة بالشحم ، كل دجاجة تزن أكثر من ثلاثة أرطال

سقراط (إلى المرأة) : يسرنى أن أعرف شيئاً عن تربية الدجاج أيتها الفلاحة ! فهل تستطيعين أن تعلميني : أيهما أنفع لك ، ذبح الدجاج وبيعه فى السوق ليطبخ ويؤكل أو تعنين به كل يوم فينتج لك البيض وتبيعينه فى السوق ؟

المرأة — واحسرتاه ! إن هذا الدجاج الخائن كاد يقضى علىَّ من الحقد والحزن عليه ؛ فإن واحدة منهن باضت بيضة لم يتكامل قشرها ، فأكلنها حالاً فاستذوقنها ، وجعلن ينقرن البيض كلما بضن ثم يأكلنه ، فما حصلت بعد هذا على واحدة . لهذا ذبحتهن . الساهن ، إنهن سمينات . لقد كان لهن بيض نقى يندر وجوده فى القرية . ويلهن ! إنهن خائنات

سقراط — شكراً أيتها المرأة الصالحة ، إنى لا أريد شراء

الفلاحة — كل واحدة بدرهمين ، منتوفة ، منظفة . أنظرا ، هاهما تان الرئتان ، هاهى ذه القانصة ، هاهوذى الكبد ، والقلب ، كلها موضوعة فى الجوف ، إن امرأتيكما تستطيعان أن تضعاها فى القدر حالاً

السيبياد (إلى سقراط) — يجب أن نذهب بسرعة

الفلاحة — أما رأيتما غير هذه المرأة المسكينة موضوعاً للهذر والتسلية أيها النكدان ؛ إن رجلاً مثلك كسلان ، لا يمتلك حذاء يستطيع أن يأكل دجاجاً ؟ (المرأة تستمر فى السب بحيث لا يتميز كلامها وهما يسرعان الخطا)

سقراط — ماذا تعتقد يا ألسيبياد فى الدجاج ؟ لو استطاع أن يتكلم حين ذبحته المرأة فماذا يقول ؟ ؟

السيبياد (واضعا أصبعه على أنفه) — إنه يقول إن هذه المرأة الخائنة لقد ذبحتنا ، إنها سفاكة ، لقد كان علينا أن نعرف نياتها من قبل !

سقراط — ماذا تظن يا السيبياد ؟ هل تغير الدجاج ، فكان قبلاً صالحاً ثم صار خائناً ؟ وهل تغيرت المرأة حيث كانت ودوداً ثم عادت خائنة سفاكة ؟ ؟

السيبياد (ضاحكا) — إن الدجاج هو الدجاج ، وإن المرأة هى هى . لكن كلٌ فى هذه الحياة يعتقد أنه هو الموجود الأهم . وليس هذا فحسب ، بل على الغير أن يشاركه فى هذا الاعتقاد . على أن هذا الغير يعتقد كما يعتقد الأول ؛ لذلك كان الدجاج صالحاً عند المرأة ؛ لأنه كان يقدم لها البيض ، فلما احتفظ الدجاج ببيضه لنفسه أصبح خائناً . وكانت المرأة صالحة عند ما كانت تقدم للدجاج الطعام ، فلما ذبحته عادت سفاكة خائنة

سقراط — وحق الكلب[1] ! إن الأمر يجرى هنا كما يجرى هناك ، أى كما يجرى بينى وبين زوجى كسانتيب

السيبياد — إسمع يا سقراط : إنك تعرف أننى وقفت حياتى فى خدمة الدولة وعالجت شئونها ، ألا يحتمل أن تنشأ العداوة والبغضاء بين الناس كما نشأت بين الدجاج والمرأة ؟ ؟

سقراط — يظهر لى أن هذه الفكرة لم تكن خطأ

السيبياد — وأيضاً ليس كالعداوة بين المرأة والدجاج فحسب بل مثلما بين سقراط واكسانتيب ؟

سقراط — ربما يكون الأمر كذلك

السيبياد — لكن أيترك الرجل العاقل الناس يشتمون ثم يعمل هو ماهو الواجب

سقراط — هذا ما أعتقد .

بديع شريف

(١) يقسم بالكلب

الغدد والحياة

الغدد هى مصدر القوة والشباب الدائم . والأطباء فى كل العالم يهتمون بالغدد ويصفون لها المقويات والادوية التى تساعدها على المحافظة على جسم الإنسان

إن سر الشباب وسر القوة والحيوية فى الجسم هى فى هذه الغدد التى تفرز الهرمونات وتجعل الإنسان نشيطاً قوياً خصباً

إن أقراص فيدا ـ جلاند تحضير معامل إلن وهنبريس فى لندن هى أفضل علاج مضمون لتقوية الغدد ـ خذ هذه الأقراص حسب التعليمات داخل كل زجاجة فتستفيد فائدة عظيمة وتعود لك قوتك ونشاطك .

على هامش الفلسفة

طريقـــة الأخلاق

للأستاذ محمد يوسف موسى

قلنا فى الكلمة الأخيرة : ما هى الطريقة التى تتبع لمعرفة الخير من الشر ، ولتحديد المثل الأعلى الأخلاق تحديداً صالحاً مرضياً من الجميع ؟ تساءلنا كذلك بعد أن أثبتنا أن الأخلاق علم من العلوم(١) فيجب أن نسير فى دراسته على الطرائق العلمية التى تصل بنا إلى الغرض فى غير عوج ولا التواء

على أن الفصل فى هذا ليس سهلاً ميسوراً ؛ فهى مسألة ولا أبا حسن لها ! مسألة اشتجر فيها الخلاف بين المفكرين والفلاسفة ، بل لعل الخلاف لا يزال قائماً فيها حتى اليوم . يرى البعض أخذ الأخلاق من الدين — فهو المعين الذى ينقع الغلة ولا يكذب قاصده — أو مما وراء الطبيعة أو من علم الاجتماع ؛ ويرى آخرون أنه من الخير أن نتعرف المبادئ الخلقية بأداة المعرفة المباشرة أى بالحاسة الخلقية التى تدرك الخير والشر من نفسها بدون نظر واستدلال : « استفت قلبك وإن أفتاك الناس وأفتوك » ؛ بينما يذهب غير هؤلاء وأولئك إلى أن الواجب أن يطبق فى الدراسات الأخلاقية الطريقة التجريبية الاستقرائية

الأخلاق الاستنتاجية

من الممكن كما يرى فريق من الباحثين أن نستنتج الأخلاق إما من الدين أو مما وراء الطبيعة أو من العلم الذى تنتهى إليه العلوم وهو علم الاجتماع

بالبحث نعرف أن الأخلاق ، أو المبادئ الخلقية العامة ، فى كل الأديان التاريخية مستقاة من الإلهيات . نرى رجال الدين يقررون أولاً المسائل الخاصة بالله وصفاته وكمالاته ، وبالحياة الأخرى ونعيمها وعقابها ، ثم يربطون بذلك نتائج خلقية مردّها للكتب المقدسة . يقررون أن الله لم يخلقنا عبثاً : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون » وأنه لا بد محاسب كلا على ما جنت يداه : « لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت » وأنه لا بد من دار أخرى يكون فيها ذلك الحساب على ما أسلف المرء من خير أو شر : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا » . كما يقررون أن الجنة التى عرضها السموات والأرض « أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس » وأن النار عقبى الظالمين . ويستنتجون من هذه الحقائق الدينية وأمثالها أن المرء يجب أن يكون خيّراً فى كل أعماله ، وأن ينأى دائماً عن الشر وبذلك يصل للكمال الأخلاق . والخير والشر هنا ما جاءت به الكتب السماوية

استنتاج منطق حسن من الناحية العملية ؛ إلا أنه ليس له القيمة التى تؤتى ثمرها الخلق إلا لدى المؤمنين بالله والدار الأخرى والثواب والعقاب وبهذا أو ذاك من الكتب المقدسة . فكيف العمل بمن لا يؤمن بإله أو رسول ، أو بمن يؤمن بالإنجيل دون التوراة ، أو بالعكس ، أو بهذين دون القرآن الكريم ؟ إذن ليس من الممكن بهذا الطريق أن نصل لتحديد قانون أخلاق يرضاه الناس جميعاً على ما بينهم من خلف فى الأديان والمعتقدات « فضلاً عن هذا فالرباط الذى يكون بين هذه العقائد الدينية والأفكار والآراء والمبادئ الخلقية التى يربطونها بها يكون غالباً واهياً متداعياً، فلا يكون الاستنتاج قوياً له قيمته وخطره(١) »

وها هو ذا العلامة « جوستاف بيلو Gustave Belot » يقول عن هذه المسألة (من الناحية المسيحية طبعاً) : « ليفتح من يشاء أى كتاب من كتب العقائد الدينية : وحينئذ ماذا يجد ؟ يجد أن الجانب الأكبر منه مشحون بالنظريات الخاصة بالله وقدرته وصفاته وأن الأخلاق تجيء فى المركز الثانوى منه ، وأنه من الواجب أن نكره الطفل على أن يفهم ويقبل نظاماً من الاعتقادات الدينية دون أن نعنى بالتساؤل عما إذا كان فى مقدوره فهمها ! إن رجال الدين يجأرون بالشكوى من تزعزع الأخلاق وتدهورها من يوم لآخر لأن الإيمان يتزلزل من آونة لأخرى . لو أن هذا كان صحيحاً فعلى من تقع التبعة والمسئولية؟ أليس على هؤلاء الذين يعملون دائماً على تفهيم الأطفال أن الأخلاق تتعلق دائماً بالدين والعقائد الدينية ؟ مع أنه ليس فى مقدورهم حماية هذه الاعتقادات من حملات الشك ومعاركه التى تنشب من حين لآخر . إنه مما يتفق مع حقائق الأشياء كما يتفق مع الحقائق العملية أن يرد للأخلاق استقلالها »(٢)

(١) فى الأعداد رقم : ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ من الرسالة

(١) شالى : الفلسفة العلمية والفلسفة الأخلاقية
Challay : Philosophie scientifique et philosophie morale.

(٢) دراسة الأخلاق الأيجابية Etude de morale positive.

ينقد هذان الأستاذان الباحثين فى الأخلاق من المسيحيين ، وقد أصابا فى كثير مما نقداه . إن الديانة المسيحية أعلنت فى مبدأ أمدها الحرب الضروس على الفلسفة الاغريقية معلنة أن الأخلاق ليس لها أن ترجع فى معينها للعقل والنظر ، ولا أن تُترك للفلاسفة الذين هم بشر يخطئون ويصيبون ؛ وإنما الدين وحده هو الحرى بنشر التعاليم الصحيحة والأخلاق الفاضلة التى يوحى بها العليم الحكيم ؛ ومن ثم أصبحت الأخلاق لا ترتكز على النظر المنطقى السليم ، بل على الوحى المسيحى وحده ، وصار أجل الفضائل فى نظر المسيحية هو حب الله والإيمان به اللذان يوصلان إلى الخير الأسمى والسعادة الكاملة فى الدار الأخرى بدل أن كان أرقى الفضائل وأسماها هى الحكمة فى رأى الفلسفة اليونانية

أما الإسلام فلم يبخس العقل حقه ولم يحجر عليه فى التفكير . أمرنا أن نعمل عقولنا فيما خلقت له ، وأن نفكر فى خلق السموات والأرض : « وفى الأرض آيات للموقنين ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون . إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . إن فى ذلك لآيات لأولى الألباب » . كذلك لم يلجأ الإسلام فى تحديد قيم الأعمال الأخلاقية ، وبيان خيرها من شرها إلى ما فيها من منافع وملاذ فى العاجل أو فى الآجل كما يتوهم واهم إذا قرأ وصف الجنة ، والترغيب فيها ، والنار والترهيب منها ؛ بل هو يخاطب كلاً حسب ما يسعه فهمه تمشياً مع الغرائز الإنسانية . حتى إذا فعل المرء الخير رجاء الصواب مرات عديدة أصبح له عادة ، ويتشربه قلبه ويفهم ما فيه من جمال وسمو ذاتيين ، فينتهى به الأمر إلى أن يفعله لذاته وحده . وهذا عين ما أراده الرسول إذ قال: « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه » . أى أن المثل الخلقى الكامل هو ما وصل إليه صهيب وأمثاله من فعل الخير ، وترك الشر لذاتهما لا رغباً ولا رهباً.

على أننا نجد فى تاريخ التفكير الإسلامى أن فريقاً كبيراً من المسلمين وهم المعتزلة يقررون أن الأعمال توصف بالحسن والقبح لذاتها لا لأن الشرع أمر بها أو نهى عنها ، فيكون الشرع مبينا لصفاتها لا مثبتا لما ليس فيها . ويدللون لذلك باتفاق الناس على كثير من الفضائل والرذائل قبل مجىء الشرائع السماوية ، إلى غير ذلك من الأدلة التى ليس هذا موضعها[1] وليس هذا رأى المعتزلة وحدهم بل كان رأى غيرهم من مفكرى المسلمين وحكمائهم أمثال الفارابى الذى يؤكد أن العقل يستطيع أن يحكم على العمل بأنه خير أو شر بنفسه بدون رجوع للوحى ؛ لأن العقل عنده ليس إلا قبسا من النور الإلهى . وابن طفيل فى رسالة « حى ابن يقظان » يجعل العقل قادراً على إدراك الحقائق كلها [ومنها طبعاً الخير والشر] وعلى العروج فى المعارف العُلى حتى يصل للحقيقة المطلقة ، لمعرفة الله تعالى . وابن رشد فيلسوف الأندلس بل الإسلام يقرر أن العمل يكون خيراً أو شراً لذاته لمان يكشفها العقل ، وليس ذلك لأن الله أمر أو نهى[1]

(١) يرجع فى هذا إلى كتاب المواقف وغيره من كتب الكلام والفرق الاسلامية .

والخلاف فى هذه المسألة يذكرنا بالخلاف بين الفلاسفة المحدثين فيما سمَّوه « نظرية القيم » . فإنا نراهم مختلفين فى أن القيم التى تقدر بها الأشياء من جمال وقبح وخير وشر وحق وباطل صفات عينية فى الأشياء ؛ كالألوان والطعوم والروائح ، وبذلك يكون لها وجود مستقل عن العقل الذى وظيفته حينئذ إدراكها لا إثباتها ؟ أم هى من صنع العقل « يصف بها بعض الناس الأشياء إذا كانت لها فى نظرهم قيمة ، ولهم فيها غرض أو غاية ، ولا توجد إلا حيث توجد هذه الغاية » . ذهبت طائفة إلى الرأى الأول ، وأخرى إلى الرأى الثانى[2] . ولكل وجهة هو موليها .

وأخيراً ؛ إذا كان أخذ الأخلاق من الدين وربطها به منقوداً من بعض نواحيه كما رأينا، فهل من الممكن استنتاجها من معين آخر؟ ذلك ما حاوله كبار علماء ما وراء الطبيعة . وموعدنا ببسط آرائهم الكلمة الآتية إن شاء الله تعالى .

محمد يوسف موسى

(١) ابن رشد ومذهبه لأرنست رينان . وغيره من المؤلفات العربية .
(٢) كتاب فلسفة المحدثين والمعاصرين للأستاذ ا . وولف وترجمة الدكتور أبى العلا عفيفى .

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

للأستاذ محمود الخفيف

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح ، وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟



ظل عرابي في مرحلته الأولى في الجندية ساخطاً على الأتراك في الجيش والجركس لا يفتر سخطه ولا ينقطع عليهم شغبه ، يكيدون له ويكيد لهم . وإنا لنلمس في هذا سبباً قوياً من أسباب زعامته للحركة العسكرية فيما بعد ، فلسوف يلتقي في دار هذا المتبرم الساخط رؤوس الساخطين الحانقين من رجال الجندية يوم يزمعون أن يشتكوا إلى الحكومة في أوائل عهد توفيق مما يلحق بهم من سياسة وزير الجهادية الجركسي عثمان رفقي

ويشير عرابي في مذكراته إلى حسن صلته بسعيد باشا حتى لقد أهدى إليه هذا الوالي كما يذكر تاريخ نابليون ؛ ولقد قرأ عرابي هذا التاريخ ، ولست أستطيع أن أتبين على وجه التحقيق ما تركه مثل هذا الموضوع من أثر في نفسه ، فلم يعلق هو على ذلك إلا بقوله : « ولما طالعت ذلك الكتاب شعرت بحاجة بلادنا إلى حكومة شورية دستورية ، فكان ذلك سبباً لمطالعتي كثيراً من التواريخ العربية » . ولست أدري كيف توحي قراءة تاريخ نابليون بحاجة مصر إلى حكومة شورية دستورية ؟ على أن قراءة سيرة هذا الجندي المغامر الفذ الذي وصل بجده إلى قمة المجد الحربي وبلغ أوج الشهرة والجاه توحي إلى كل من يقرؤها معاني الإقدام والبطولة ، وتملأ النفوس تطلعاً وحماسة . وعلى هذا فلا يصعب أن نتصور ما عسى أن تلقيه تلك السيرة من المعاني في نفس كنفس عرابي الجندي المتطلع المتوثب

ويشير عرابي في كتابه إلى أن سعيداً كان يميل إلى المصريين في الجيش وإلى رفع ما يلحق بهم من غبن أمام الجركس ، كما يشير إلى أنه كانت لسعيد نزعة وطنية تجلت في خطبة أثبتها عرابي في كتابه وكان قد سمعها في الحفلة التي ألقيت فيها ، يقول عرابي : « فلما انتهت الخطبة خرج المدعوون من الأمراء والعظماء غاضبين حانقين مدهوشين مما سمعوا ؛ وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تتهلل فرحاً واستبشاراً . وأما أنا فاعتبرت هذه الخطبة أول حجر في أساس نظام مصر للمصريين . وعلى هذا يكون المرحوم سعيد باشا هو واضع أساس هذه النهضة الوطنية الشريفة في قلوب الأمة المصرية الكريمة »

ولقد كتب عرابي هذه الآراء بعد الثورة ، ولعل في ذلك ما يدعو إلى ضعف الثقة في قيمتها عند بعض المؤرخين ، كما هو الحال في مذكرات نابليون التي كتبها في منفاه في سنت هيلانة ، فلقد أخذها بعض المؤرخين على أنها دفاع من جانب نابليون عن أعماله بعد أن خلا إلى نفسه فنظر وتدبر

ولكن أعمال عرابي التي لا ينكرها المؤرخون حتى المغرضون منهم لا تتناقض مع كثير مما جاء في مذكراته ، وعلى الأقل في هذا الجانب الذي نتلمس فيه الدليل على ما نحسبه من أن عرابياً قد اتجه منذ نشأته اتجاهاً وطنياً قومياً ، وهذا أمر نراه على جانب عظيم من الأهمية . ففي هذه النزعة القومية نرى عرابياً الحقيقي . أما عرابي الذي صوره خيال المغرضين من المؤرخين فما أبعده عن هذا . وهل كان يحلو لهؤلاء الذين استغلوا حركة عرابي أقبح استغلال ، إلا أن يصوروه أقبح صورة ؟ فلا يكون عندهم إلا جندياً جاهلاً

مغروراً واتته الظروف فراح يخبط فى حماقته لا يلوى على شىء ، وما زال فى جنونه يلوح بسيفه حتى اضطر آخر الأمر أن يسلمه صاغراً إلى قائد جيش الاحتلال الإنجليزى !

ما كانت حركة عرابى عسكرية بحتة ، وما كان هو بالأحمق ولا بالمجنون ، وإنما كان لا بد أن تلتقى الحركة العسكرية وهى لا تخلو من الصفة الوطنية بالحركة الوطنية العامة ؛ ثم لقد تم هذا الالتقاء فى شخص عرابى، وكان النجاح حليفه فيما طلب باسم الأمة يوم عابدين ، ولا لوم عليه بعد ذلك ولا جناح أن تحاك الدسائس وتوقد نار الفتنة تنفيذاً لسياسة مرسومة سوف نحيط عنها بكل ما وسعنا من حجة ...

هذه النزعة الوطنية القومية فى نفس هذا المصرى الفلاح مع ما توافر له من صفات الغيرة والبسالة ، هى التى جعلت إليه قيادة الحركتين يوم التقتا . ولقد كانت هذه النزعة كما ذكرت تجيش بها نفسه منذ شب . كتب فى ذلك مستر بلنت وكان من أصدقاء عرابى يقول فى علاقة عرابى بسعيد[1] : « وقد حظى عرابى الذى كان وسيما ووجيهاً برضائه حتى سمى أركان حرب له ورافق سعيداً إلى المدينة فى السنة التى سبقت وفاته . وعندى أن عرابى كون آراءه السياسية الأولى أثناء حديثه مع سيده فى هذه السفرة التى كانا فيها متلازمين ، وتنحصر هذه الآراء فى المساواة بين الطبقات ، وفى الاحترام الواجب للفلاح باعتباره العنصر الأساسي المجد فى الجيش المصرى ؛ وهذا الدفاع عن حقوق الفلاح هو الذى ميز عرابيا عن مصلحى ذلك العصر . وغنى عن البيان أن حركة الإصلاح الأزهرية كانت تشمل المسلمين ولا تميز بين الأجناس ؛ أما حركة عرابى فكانت قومية ولذلك كانت الوطنية فيها أظهر ، وإقبال الناس عليها أقوى وأكثر » .

***

وفى عهد اسماعيل تزداد نفور عرابى من الجركس وتزداد ميوله الوطنية وضوحاً باتصاله بالحركة الوطنية التى أخذت تدب فى جسد الأمة المنحل الذى أثقلته سياسة اسماعيل ودبون اسماعيل

وكذلك تزداد فى هذا العصر نزعة تمرده وسخطه وتتجلى فى كثير من مواقفه ؛ ومن أهم تلك المواقف ما كان بينه وبين خسرو باشا الذى ما زال يكيد له حتى رفت من الجندية ، وكان خسرو هذا جركسياً ويعزو عرابى سبب رفته إلى أن خسرو قد سار بالوقيعة بينه وبين وزير الجهادية متهماً إياه بأنه : « صلب الرأى شرس الأخلاق لا ينقاد لأوامره ولا يحفل بما يصدر منها عن ديوان الجهادية » . وأما سبب الخلاف بينه وبين خسرو فيذكر عرابى أنه كان فى لجنة لامتحان الضباط وكان على رأسها خسرو ، فأراد أن يتحيز إلى أحد الجراكسة فيعطيه ما لا يستحق ولم يرض عرابى على رغم إلحاحه عليه أن يشايعه فى ذلك فعول على الانتقام منه

والذى يعنينا من هذه الرواية أنها تصور لنا شدة الخلاف بين عرابى ورؤسائه فى الجيش مهما كانت أسباب ذلك الخلاف ، كذلك يكشف لنا ما علق به عليها عرابى عن ناحية من عقليته ، فلقد راح يذكر ما حل بمن آذوه من المصائب معدداً أسماءهم مبيناً ما لحق بكل منهم مورداً ذلك على أنه انتقام له من الله . . . وفى هذا نوع من السذاجة لا شك كما أن فيه دليلاً على ما كان للدين من سلطان على عقل عرابى وقلبه

على أن هذه الناحية الدينية فى حياته قد استغلها ضده خصومه كذلك محاولين أن يسوقوها دليلاً على أنه كان رجلاً لا يفترق كثيراً عن عامة الناس فى جميع أفكاره ونزعاته ، دون أن يشعروا أنهم بهذا التعميم الذى لا مبرر له إنما ينالون من عقولهم هم ، أو على الأقل أنهم إذا كانوا يدركون خطأ هذا التعميم ثم يتمسكون به فإنما ينالون من أنفسهم لا من نفسه

كان للدين سلطانه على عقل عرابى ما فى ذلك شك ، ولكن تلك كانت نزعة العصر . على أننا نسأل ماذا يضيره من ذلك ؟ وكيف يساق هذا على أنه من مساوئه وحقيق به أن يكون من حسناته ؟ وهل عاب أحد على كرمويل وهو جندى مثله تزمته وتقشفه وصرامته فى دينه ؟ وهب أنه كان يغلو أحياناً فيخلط بين ما يتصل بالدين وما يتصل بالسياسة فهل مال به ذلك عن منهاجه السياسى أو صرفه عن وجهته التى عمل على بلوغها ؟ وهل يستطيع أحد من خصومه أن يقيم الدليل على أنه اتخذ يوماً من الدين سلاحاً فى غير محله ؟ أو على أنه استغنى بالدعوة الدينية عن الجهاد والقتال حتى النهاية حين عملت خيانة بنى قومه ودسائس أعدائه على انتزاع النصر من بين فكيه ؟

ظل عرابى ثلاث سنوات مبعداً عن وظيفته إلى أن عفا عنه الخديو فعاد، ولكنه طلب أن يحال على الأعمال المدنية كمكافحة الفيضان والإشراف على بناء الجسور من ناحية نقل ما يلزم من

(١) التاريخ السرى ص ٩٩ ترجمة البلاغ

الأدوات ؛ وإنه ليذكر أنه بذل فى تلك الأعمال جهداً كبيراً ، ولكنه رأى غيره يكافأ مكافآت مالية أما هو فكان جزاؤه كما يقول: « وكوفئت أنا على تلك الأعمال الشاقة الجليلة بالتقاعد والراحة من غير معاش لحين ظهور خدمة أخرى ، فيالله ما أمر وأصعب تلك المكافآت المقلوبة على النفوس الحساسة الشريفة ! وما أكثر العجائب فى الحكومات المطلقة المستبدة الظالمة »

على أن مستر بلنت يذكر أن تكليف عرابى بتلك الأعمال كان على غير رغبته ، وأن ذلك كان سبباً من أسباب نقمته على العهد القائم يومئذ ومن دوافع انضمامه إلى الساخطين والمتذمرين

وأعيد عرابى بعد ذلك إلى الجندية وألحق بالحملة الحبشية ، ولكن عمله فى هذه الحملة لم يكن عمل الجندى المحارب فقد كان يعمل فى منصب مأمور مهمات بمصوع . ولقد عظم حنق عرابى على تلك الحملة فهو ما يفتأ يندد بها فى مذكراته ويصف ما حل بالجيش فيها من كوارث فى غير موجب. جاء فى كتاب مستر بلنت: « وقد عاد منها كسائر زملائه ساخطاً على ما حدث فيها من سوء التصرف ، وإلى هذا يرجع تفرغه الآن للسياسة ، وتعاظم غيظه الذى كان موجهاً بعد ذلك نحو الخديو »

وفى فبراير عام ١٨٧٨ وقعت مظاهرة الضباط الخطيرة ، تلك المظاهرة التى نلمح فيها بوادر الثورة العسكرية . يتلخص هذا الحادث فى أن عدداً من الضباط بزعامة البكباشى لطيف سليم ، قد توجهوا إلى وزارة المالية يطالبون بمرتباتهم المتأخرة ، فلما حضر نوبار باشا رئيس الوزراء وكان معه السير ريفرز ولسن وزير المالية هجم هؤلاء الضباط عليهما وأشبعوا نوبار لطماً ولكماً وراحوا يجرونه من شاربيه ، وامتدت أيديهم كذلك إلى وزير المالية ؛ وكاد يتفاقم الحادث لولا أن خف إلى هناك الخديو بنفسه فى فرقة من حرسه حينما نمى إليه خبره ، وأمر الخديو بإطلاق النار إرهاباً فأطلقت رصاصات فى الهواء وفر المتظاهرون

ولكن تهمة القيام بهذه المظاهرة أو تدبيرها قد وجهت إلى عرابى واثنين آخرين من الضباط ، وعقد لهم مجلس يحاكمهم وأصدر المجلس حكمه بتوبيخهم وفصل كل منهم عن الآلاى إلى جهة بعيدة وكانت الاسكندرية نصيب عرابى ، وفيها اتصل بكثير من الأوربيين

ويدفع عرابى التهمة عن نفسه مقرراً أنه لا يد له فيها مطلقاً إذ كان فى رشيد وقت وقوع الحادث ، ذكر ذلك فى مذكراته وذكره كذلك فى التاريخ الذى كتبه لمستر بلنت بناء على طلبه عام ١٩٠٣ بعد عودته من منفاه . ولقد أطلع مستر بلنت الشيخ محمد عبده على ما كتب عرابى ، فوافق على براءته من هذا الحادث

ولقد أدى اتهام عرابى على هذا النحو إلى ازدياد كراهته لاسماعيل وعهد اسماعيل . ولسوف يكون ذلك من أهم الدوافع التى توجهه إلى الاتصال بالوطنيين بغية معاونتهم والاستعانة بهم على تنفيذ ما كانوا يأملونه من وجوه الإصلاح . ذكر عرابى فيما كتبه لمستر بلنت : « ولكن قبل أن نفترق اجتمعنا (يشير إلى الضابطين اللذين اتهما معه) فاقترحت عليهما أن نكون عصبة لخلع إسماعيل . ولو فعلنا ذلك لحللنا المسألة من وقتها لأن القناصل كانوا يرغبون فى التخلص منه بأية طريقة ... ولكن لم يكن قد ظهر بعد من يقود هذه الحركة فوافق الموجودون على رأيى ولكنا لم نقدر على تنفيذه »

« يتبع » **الخفيف**

نقل الأديب

للأستاذ النشاشيبي

٣٦١ — لا أعرف منهم شخصاً ولا يعرفوني

طلع الدين مستغيثاً إلى الله (م) وقال : العباد قد ظلموني ! يتسمون بي وحقك لا أعرف (م) منهم شخصاً ولا يعرفوني[1]

٣٦٢ — ... حتى نروى أشعار المجانين

في (الأغاني) قال ابن دأب : قلت لرجل من بني عامر : أتعرف المجنون وتروى من شعره شيئاً ؟

قال : أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروى أشعار المجانين؟! إنهم لكثير

فقلت : ليس هؤلاء أعني ، إنما أعني مجنون بني عامر[2] الشاعر الذي قتله العشق

فقال : هيهات ! بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك ، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف قلوبها ، السخيفة عقولها ، الصعلة[3] رؤوسها . فأما نزار فلا

٣٦٣ — ثلاث كلمات بألف دينار

في (سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون) : كان رجل على عهد

(١) نقل عن النووى أنه كان يكره من يلقبه بمحيي الدين ويقول : لاجعل الله من دعاني به في حل، ولذا تحاشى عنه بعض العلماء . وفي (صبح الأعشى) : بقى الأمر على التلقيب بالاضافة إلى الدولة إلى أيام القادر بالله فافتتح التلقيب بالاضافة إلى الدين ، ثم تزايد التلقيب به وأفرط ، ولا شك أنه في زماننا قد خرج عن الحد

(ولا يعرفوني) النون التي سمتها النحاة (نون الوقاية) تحذف جوازاً في الأفعال الخمسة ، وقال بعضهم : إن المحذوفة هي نون الاعراب

(٢) الأصمعى : رجلان ما عرفا قط إلا بالاسم : مجنون بني عامر وابن القرية (بكسر القاف والراء وتشديدها) وإنما وضعهما الرواة (الأغاني)

(٣) رجل صعل وأصعل : صغير الرأس ، وامرأة صعلة وصعلاء (الأساس)

كسرى أنوشران يقول : من يشترى ثلاث كلمات بألف دينار ؟ فتطير منه الناس إلى أن وصل إلى كسرى فأحضره وسأله عنها فقال : (ليس في الناس كلهم خير)

فقال كسرى : هذا صحيح ، ثم ماذا ؟

فقال : (ولا بد منهم[1])

قال : صدقت ، ثم ماذا ؟

قال : (فألبسهم على قدر ذلك)

قال كسرى : قد استوجبت[2] المال فخذه قال : لاحاجة لي به وإنما أردت أن أدرى من يشترى الحكمة بالمال .

٣٦٤ — أليس نكون شهداء الطرب

(مسالك الأبصار) للعمرى : قال محمد بن المؤمل : كنت مع أبي العتاهية في سميريته[3] ونحن سائرون إلى أشموني[4] . فسمع غناء من بعض تلك النواحي ، فاستحسنه وطرب له ، وقال لي : أتحسن أن ترقص ؟ فقلت : نعم . فقال : فقم بنا نرقص . فقلت : في سميرية ؟ أخاف أن نغرق

فقال : إن غرقنا أليس[5] نكون شهداء الطرب ؟ !

٣٦٥ — لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

في (تجارب الأمم) لابن مسكويه (أحمد بن محمد) :

أفرد في دار عضد الدولة[6] (في بغداد) لأهل الخصوص والحكماء من الفلاسفة موضع يقرب من مجلسه ، وهو الحجرة

(١) الجوهرى صاحب الصحاح :

العز في العزلة لكنه لا بد للناس من الناس

(٢) استوجبه : استحقه

(٣) السميرية : ضرب من السفن وسمر السفينة أرسلها (التاج)

(٤) دير اشموني : واشموني امرأة بنى الدير على اسمها ودفنت فيه وهو بقطربل (ياقوت)

(٥) إذا كان جواب الشرط مصدراً بهمزة الاستفهام سواء كانت الجملة فعلية أو اسمية لم تدخل الفاء ، ويجوز حمل هل وغيرها من أدوات الاستفهام على الهمزة لأنها أصلها ، ويجوز دخول الفاء فيها لعدم عراقتها في الاستفهام (شرح الكافية)

(٦) ذكر ابن مسكويه هذه المأثرة في مآثر هذا الملك الجليل ثم قال : وإنما شرحناها لينظر فيها من يأتي بعدنا ويقرؤها الملوك فيعملوا بمثل ذلك لينتشر ذكرهم بالجميل . وفي (ذيل تجارب الأمم) : كان عضد الدولة يكرم العلماء أوفى إكرام ، وينعم عليهم أهنأ إنعام ، ويقربهم من حضرته ، ويفاوضهم في أنواع الفضائل ، فاجتمع عنده من كل طبقة أعلاها ، وصنفت في أيامه المصنفات الرائقة في أجناس العلوم المتفرقة

التي يختص بها الحجاب . فكانوا يجتمعون للمفاوضة آمنين من السفهاء ورعاع العامة ، وأقيمت لهم رسوم تصل إليهم ، وكرامات تتصل بهم

٣٦٦ — سبحان من لا يقع فى ملكه الا ما يختار

فى (طبقات الشافعية) : من ظريف ما يحكى عن القاضى عبد الجبار (المعتزلى) أن الأستاذ أبا إسحق الشيرازى (الشافعى) نزل به ضيفاً . فقال (القاضى مداعباً) : سبحان من لا يريد المكروه من الفجار

فقال الأستاذ : سبحان من لا يقع فى ملكه إلا ما يختار . وهو جواب حاضر .

٣٦٧ — أقدر على تركه

فى (الغرر والدرر) لأبى القاسم على بن الطاهر المرتضى : حكى أبو القاسم البلخى : أن عبدالله بن الحسن قال لابنه محمد[(١)]. كل خصالك محمودة إلا قولك بالقدر

قال : يا أبت فهو شىء أقدر على تركه . فورد الكلام على رجل عاقل فقال : لا عاتبتك عليه أبداً

قال أبو القاسم البلخى : يقول إن كنت أقدر على تركه فهو قولى، وإن كنت لا أقدر عليه فلم تعاتبنى على شىء لا أقدر عليه ؟

٣٦٨ — فشرده بقرض دريهمات

إذا استثقلت أو أبغضت خلقا وسرك بعدُه حتى التنادى[(٢)]
فشرّدْه بقرض دريهمات فإن القرض داعية الفساد

(١) المرتضي : حكى أن محمداً وابراهيم ابنى عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهما واصل إلى القول بالعدل ، فاستجابا له ، وذلك لما حج واصل ، ودعا الناس بمكة والمدينة

قال الزمخشرى فى (الأساس) : سألنى بعض المغاربة ونحن فى الطواف عن القدر فقلت : هو فى السماء مكتوب ، وفى الأرض مكسوب

ويعزى إلى الحسن البصرى : من أنكر القدر فقد فجر ومن ورد(حمل) ذنبه على الله فقد كفر

(٢) التنادى : يوم التنادي : وقت القيامة والجزاء (وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد) فى الكشاف : التنادي : ماحكى الله فى سورة الأعراف من قوله : (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) ، (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور

٣٦٩ — دعوه فانى أعرف عذره ...

فى (المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء) : روى أن النضر بن شُمَيْل صاحب الخليل حضر مع جماعة من الأدباء فغنتهم قينة :

وقالوا لها : هـــذا محبك معرض
فقالت أرى إعراضه أيسر الخطبِ
وما هى إلا نظرة بتبسم فتصطك رجلاه ويسقط للجنب

وأحسنت ، فطرب الجماعة إلا النضر . فألحوا عليه بالعذل ، فقالت القينة : دعوه فإنى أعرف عذره. إنما سببه كون إنشادى: (هذا محبك معرض) ولم أقل : (معرضاً) ألم يعلم أن عبد الله ابن مسعود قرأ . (وهذا بَعْلى شيخ[(١)]) فلما سمع النضر ذلك قام وأظهر الطرب

٣٧٠ — من أجل أنك فارس

أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه :

إذا لم يكن صدر المجالس سيداً فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قائل : مالى رأيتك راجلاً ؟ فقلت له : من أجل أنك فارس!

(١) فى (اعراب القرآن) للعكبرى : هذا مبتدأ ، وبعلى خبره ، وشيخا حال من بعلى موكدة ، والعامل في الحال الاشارة والتنبيه أو أحدهما . ويقرأ شيخ بالرفع وفيه عدة أوجه — سبعة يا أخا العرب — أحدها أن يكون هذا مبتدأ وبعلى بدلا منه وشيخ الخبر ألخ

وحي الشاعرية

تمرُّد الخيال

للأستاذ حسن القاياتي

أبت المناءة أن تغازلها المنَى … شَبَهَ الفرادس ما أعزّ وأحسنا
لى من زمانى أن أروع مجادةً … وعلىّ أن أصِلَ الشكاة وأُفْتنَا
لِمَنَ المناءة فى غِنًى ومحبةٍ … كَلاَّ فكم تصِم المحبةُ والغنى ؟
ما للفتاة ازّينت فهفا بها … لُبُّ الفتى ثم انثنى فازّينَا ؟
صَلَفُ الملاحة أنها معبودة … تَصِفُ المهانةَ كلما بُذِلَتْ لنا
قسماً لو ان الحسن أُرسل كله … طَلَقاً لما فتح القُلوب وأوْهنَا
كم فاتِكٍ حرس الجمالَ مخافةً … أن يستثير من الحنان الأعينا
إن الذى خلق الصَّباحة زينةً … قالوا تَغَضَّبَ أن تلوح فتَفْتَنَا !
وَرْدٌ يرِفُّ نضارةً ما بالُهُ … لا يُجتلَى إذ كلُّ وردٍ يُجتَنَى ؟
لولا مخادعةُ الغرائز لم تَرُمْ … متمنِّعًا بالحسن إلاّ أمْكَنَا
أوّاه واكبدى أكلُّ مُحبَّبٍ … إذ كان مُقْتَرَحَ العيون تحَصَّنا ؟
وَتن الجمالُ على الحجاب وقلّمَا … كان السفور أرقّ منه وَأفتَنَا
الحسن يَخْتَبِلُ النفوس لأنها … وَصَمت حُلاَه بأن تُذال وتُشْجَنَا
زعم الحجا أن اللثام غضاضةٌ … فاليوم إذ سفر الأوانسُ بَرْهَنَا
ليت الذى صنع السلاسل حليةً … للغيد أطلق سربهنّ وغلّنَا
للغيد أنفسنا فليت عيُونها … تُوْدى بنا شغفاً إذا لم تُحْيِنا
« إحسان » ماأقسى هواكِ فليته … فى لين عطفك ما أرقّ وألينا
أخلو فيعصمنى الحياء فمن رأى … كيف انثنَيْتُ وفاتنى كيف انثَنَى؟
كَذبُ المنى وكرامة نَشْقَى بها … دون الهوان وعزةٍ تَشْقَى بِنَا
ماذا لقيتُ وما أرَبْتُ وشدّ ما … خطب السموّ فتًى أراب فأعلنَا ؟
ذو اللُّبّ تحزنه مشاهدُ جَمّةٌ … واللُّبُّ يعصم ربّه أن يَحْزَنَا

أدِرِ الحديث عن البيان لعله … يجنى لنا ثمرَ المنَى ولعلّنَا
ماقيمةُ الأدب الثّرِىّ وما جنَى … منه البديع سوى أجادَ وَأحْسَنَا
سَلْ أفصح الشادين أيّةُ غِبطةٍ … حلّت ببيت صاغ أو بيتٍ بَنَى ؟
يُزْجُون من رُتب البيان لمحسن … يَشْأَهُ مُقْتَبَلٌ يَبُذُّ المحسنا ؟
ليس البديع من العلاء ولم يكن … للأوْج أن يُهدي لكوكبه السّنَا
كم فاتن تحت الخمول كما شدا … غرّيدُ ليل ما أرقّ وأفْتَنَا
تَرِفُ الشمائل كَمْ يُتَاحُ لجفوةٍ … كالماء ينبت فى مسالكه القَنَا
يا موحياً سور الإشادة رقيةً … أناشاعرٌ صفتى ولكن مَن أنا ؟
ملك الفصيح العذب ليتك آخذى … بوثيقةٍ عبدَ البيان الألكَنَا
مَن عزّهُ وَزْنُ الرّجال فقَصْرُهُ … ألاّ يصوغ الحمدَ حتى يُوْزَنَا
الرّأيُ أشيمه الأفِينُ إذا مشت … فى الشعب خاطئةٌ أصَاخَ فأمّنَا
شهد الحجا أن الجماعة ضَلَّةٌ … حتى إذا قضت الجماعةُ أيْقَنَا
أوّاهُ من جَنَفِ المشير فإنه … غَلّ النُّهَا عَنتاً وفَلّ الألسُنَا
العدل فى الأُخري وتلك عُلالةٌ … عدلٌ يُقَامُ هناك من ظلمٍ هنا !

الحر يَصْطَنِعُ الإباء فديته … بالشعب يُصْرَعُ بالهوان فيُقْتَنَى
أمَلُ التّحَضُّرِ كل جَزْلٍ مُفْضِلٍ … شَرِقُ الحجا بعلومه غَضُّ الجَنَى
فى الناس مُبْتَكَرُ الحياةِ وهاتفٌ … شَادٍ غَرِدٌ بالقَديم وغَنّنَا
إن الحياة فضيلة من هَدّهَا … سقط الأخَسّ من الشعوب الأوهَنا
من عاش لاوطناً حماه ولا انتَحَى … لصالحات فكيف عاش بلامُنَى ؟
النُّبْلُ مُحْتَفَلُ الثراء فلا تَسَلْ … كيف استقلّ الشعبُ بل ماذا اقتنى

شعبانِ يصطرعان أيّةُ سُبّةٍ … للحزْم إن عَكَفَ الصراعُ وَأدْمَنَا ؟
يا جَوُّ مالك بالأخوّةِ عابساً … كالماء قَطّبَ للنسيم وَغَضّنَا
وَلَعُ الدسائس كم يسود ونسجُهُ … بيتُ العناكب ما أخسّ وأوْهَنا
ظلَمَ الخِلاف مَتَى الوفاق فطالما … خفّ الجمالُ إلى التّواصُل مَوْهِنَا؟
طلب الحيـــاة سرية رَفّافَةً … أنّى أعزّ دعاته وأذلنـــا ؟
أين الوئَامُ وكلُّ برٍّ قبلـــه … صوتُ التآلف كالمُصَلِّى أذّنَا ؟
هبُّوا إلي الرأى الأصيل فانه … أمنٌ وإن خلافه لن يُؤْمَنَا
الرأيُ أنبَله تجاربُ أشيب … كالسيف نازل دهره حتى انحَنَى
صدق الحجا. الحزمُ أشرف نزعةً … والنّاهضُ الوثّابُ أنبلُ موطنا

« السكرية — دار القاياتى »

حسن القاياتى

قلعـــة بعلبك

للأستاذ احمد الصافى النجفى

دار وَحْيٍ أم قلعة أنا فيها   كنبيٍّ يستنزل الإلهاما ؟
حرتُ أرنو إلى الطلول وأرنو   لقرونٍ مضت ومجد أقاما
إيه أطلال بعلبك أجيبى !   أين خلفتِ قومك الأعلاما ؟
هل يبيد الحِمامُ قوماً إذا ما   نهضوا للحروب قادوا الحِماما ؟
هل يبيد الحِمامُ قوماً وهذى   غُرّ آثارهم خلدْنَ عظاما ؟
تلك أرواحهم خلدْنَ بفنّ   جلّ عن أنْ يخلِّد الأجساما
إيهٍ باخوس ... كم شربتَ قديماً   مِنْ سلافٍ وكم سقيتَ ندامى ؟
صرّعَتْهُمْ منك المدامُ .. ولكن   أنت صاحٍ مهما احتسيتَ المداما
كم سقيتَ الورى بجامك خمراً   ثم أعقبته من الموت جاما !
أنت تسقى الوضيع كأسك حيناً   ثم تسقى بها المليك الهماما !
رَفَسْتَهُمْ رجلاكَ لم ترع ذلاً   لوضيع ، أو للمليك احتشاما !
والعواميد خلتها في صلاةٍ   رُكّعاً حول معبدٍ وقياما
صرّعَ الدهرُ بعضهنّ ، وبعض   واقفات تصارع الأياما !
وشجانى من العواميد ستّ   واقفات صفاً يروع نظاما
ناظرات يسألن عن قرناء   قد قطعن القرون والأعواما
دُمّنَ يبحثن عن رفاق فلا   يبصرن إلا الإيوان والأهراما
وبقايا من تدمر كعروس   ذات حُسْنٍ بالتبر هامَتْ وهاما !
يتساءلْنَ هل أخذنا عهوداً   لليالى أو هل قطعنا ذماما ؟
درست دوننا القصور ودمنا   ثم نرجو أنْ سوف نبقى دَوَاما
يتفاخَرْنَ عكس طبع الغوانى   أيّ أخت تربو على الأخت عاما ؟
يبغض السنّ من يخاف فناء   وأخو الخُلدِ يعشق الأعواما
بمرور السنين يَزْدَدْنَ حُسْناً   ثم يَزْدَدْنَ للخطوب ابتساما ؟
يالستٍّ من العواميد هاجت   فى فؤادى ذكرى تؤجّ ضراما
أىّ شأن لها ، وأيّ ملوك   سجدتْ حول عرشها تترامى ؟
إنْ رأتْ سجدَةَ الملوك فهذا   الدهر ألقى لها السجود احتراما !
أنا أكرمتها بدمعى احتراماً   وكرام الأنام تبكى الكراما
يالستٍّ من العواميد تُلْقى   لجميع الورى دروساً جساما
واقفات كأنها خطباء   تعظ الأرضَ والسما والأناما
قائلات : المجد يبقى وإنْ كا   نَ بنوه تحت التراب رماما
يالَستٍّ من العواميد كم قد   رفعت ثمّ نكّستْ أعلاما
صافحت فى الزمان رُوماً وعرباً   ونصاري الغزاة والإسلاما
صافحتهم وودّعتهم بكفٍّ   لم تطوّل وداعها والسلاما
ولكم أبصرت ولم تتزعزع   عادياتٍ تجرّ مَوْتاً زؤاما
كم تلقّتْ بصدرها مِنْ سهام   ورأت للعدى قناً وحساما
بسمت نحوها الغزاة وعادت   وهى تذرى لها الدموع انسجاما
يالَستٍّ من العواميد ظلّت   كشموعٍ للدّهْرِ تجلو الظلاما
قد تعالَيْنَ فانحدن رؤوساً   ثم أحكمنَ فى الثرى الأقداما
حاكيات وسط الفضا أخوات   قد تماسكْنَ واتحدنَ غراما
وضع الحسنُ والبها تاجَ حسن   واحداً فوق رأسهنّ تسامى
وَحّدَ الحسنُ بينهنّ بتاجٍ   حيث فى الحسن قد بلغن التماما!
فتعاهَدْنَ فى كفاحِ الليالى   لا يبارِحْنَ حظهنّ انهزاما
أو كقوّاد جحفلٍ قد أطلّوا   يصدرون الآراء والأحكاما
يتناجون دون تحريك هام   حيث ولّوا نحو الجيوش الهاما
ظلّ بعضٌ يفضى لبعضٍ برأىٍ   واستمرّوا يُراقبون الصّداما
يالستٍّ من العواميد تبكى   أخوات لها قضين انهداما
هدّمتها كفّ القضا فاشتهت لو   حطمت معول القضا الهدّاما !
ذكرت عهدها القديم فأمست   وهى يقظَى تشاهد الأحلاما
كم وعت خطبةً وأصغت لنجوى   آه ... لو أنها تعيد الكلاما ؟
تتراءى كأنها كفّ جبّا   رِ عظيمٍ زادوا بها إبهاما
جسمه القلعة المهيبة لكن   ألبسَتْهُ يد البلى أسقاما
فانهدامَاتُها جراح بجسم   طالما مارس الوغى والزحاما
كسرت عظمة الليالى فلم   يُبْدِ انكساراً ولا اشتكى آلاما
وسبتنى فيها تماثيل غيد   عبدتها أهل الهوى أصناما
سكب الفجر ضوءه فى ثنايا   ها وألقى الضحى عليها ابتساما



الاسلام (والاتيكيت)

الأتيكيت أو الآداب العامة

دراســـة وتحليل

للانسة زينب الحكيم

نصت الشرائع السماويةُ كلها ، على مراعاة الآداب العامة فى مختلف نواحى الحياة الاجتماعية . وإذا أنا اخترت أن أبين نسبة آداب الفرنجة إلى الآداب الشرقية وعلى الأخص الإسلامية منها ، فما ذلك إلا لشدة الشبه بين هذه وتلك ، ولأن فى الإسلام وهو دين الاجتماع والتشريع الإنسانى الرفيع — مالو عرفناه وعملنا به — لما احتجنا إلى التقليد والنقل ، مما تضيع معه قوميتنا الشرقية ، وتتلاشى به شخصيتنا المصرية

ولقد اطلعت على كتب كثيرة شرقية وأجنبية فى هذا الصدد حتى كوَّنتُ فكرةً تحليلية عن الآداب العامة ونشأتها

فجمل الكتب الشرقية (الإسلامية على الأخص) تشير إلى أنه من الواجب على الإنسان كفرد ، وعلى الأمة كجماعة ، أن تقوم بواجب الآداب العامة نحو الخالق الذى أوجدها سبحانه وتعالى ؛ فتقر بفضله تعالى عليها — وتعتبر هذه أول خطوة فى الآداب — ثم المحافظة على ما ورثته من نظم ، وأن تتبع هذه النظم ، وتسير على مهل فى سبيل الانتقال بها من طور إلى طور أكمل منه فى غير اهتزاز وعنف . كل هذا يكوّن الميراث التقليدى الأدبى ، ونكون قد تدرجنا على شبه ما تدرج بالبرية موجدُها الأعلى من مهدها ومن زمنها الأول إلى الآن

والأديان السماوية أدل شىء على هذا التدرج المتدل ، فإن من يترسم خطى هذه الأديان ، يلحظ سمة الطفولة على التوراة ،

يشتهى الثغر لثمها وهى صخر ... ويذوب الفؤاد فيها هياما
همْتُ فيها فقلت هزؤاً بنفس ... أىّ صبٍّ قبلى أحبَّ الرُّكاما
عاريات مثل الملائك لم يسـدلن ستراً ولا وضعن لثاما
تخذت عفة النفوس رداء ... وسنا الحسن فى الجبين وساما
لم تشوّه بالصبغ يوماً وجوهاً ... جعل الحسن عندهن مقاما
هنّ مهما شاب الزمان صبايا ... راميات بلحظهنّ سهاما !
وشجتنى منهن هيفاء خود ... سامها الحظ دونهن اهتضاما !
شوّه الدهر ثديها بانكسار ... قبل أن يبلغ الرضيع الفطاما
فرنت نحو صحبها بانكساف ... خوف نقص يعزى إليها اتهاما
وتمنّتْ لو اكتسين جميعاً ... برداء ليستر الأجساما !
ورأيت الضرغام فارتعت منه ... أىُّ قلب لا يرهب الضرغاما ؟
مُغْلياً صمته المهيب زئيراً ... ساكناً خضرة السما آجاما
أسد الغاب خلته احتلّ (برج ... الأسد) اليوم ، واعتلى الأجراما
فاتح الطرف ، كاشر الناب ، يبغى ... أن يخيف القضا إذا نمّ حاما
نصبوه فى الجوّ حامى عرين ... يقظ الطرف ، لا يحب المناما
ظلّ فى الجو حارساً لحماه ... ومخيفاً وحش الدجا والطغاما
قام أسد الحمى وظل مفيقاً ... لا يذوق الرّقاد حتى لماما
وشجتنى فيها مسارح لهوٍ ... وفنون تنوّر الأفهاما
كم عَلَتْ فوق ساحها خطباء ... وغوان ترجّع الأنغاما
أقفرت تلكم المسارح منهم ... واستحالت ساحاتها آكاما
إنّ أطلالَ بعلبك كتابٌ ... قد حلا مبدأً وطاب ختاما
فيه تبدو طلاسم أنا مهما ... رمت حَلاًّ لها تزد إبهاما
صار فيها وهمى تخلت بأنّى ... كنت فيها أجسّم الأوهاما !

(دمشق) أحمد الصافى النجفى

ويرى سذاجة الفطرة والتضحية فى الإنجيل ، ويميز اتسام القرآن بسمة الرشد ، ومدى النضوج العقلى الذى يعتمد عليه الانسان للسير فى الحياة وقد هُيئ له من أمره رشد

ولهذا فإن قائد الأمم أخلاقها وطباعها ، والحاجة والزمان هما الكفيلان بإعداد النظم الجديدة ، وأخلاق الأمة هى التى تحكمها . فكل نظام أو تشريع لا يتفق مع هذه الأخلاق ويمتزج بها امتزاجاً تاماً ، يكون نظاماً مؤقتاً وتشريعاً لا يدوم طويلا

ومما يجب التنبه له أن البيئة والأحوال والحوادث ، تدل دلالة واضحة على مقتضيات الزمن الذى هى فيه ... فلو نظرنا إلى التقاليد فى أى زمن ، ولأى أمة ، وجدناها عبارة عن ماضى الأمة فى حاجاتها ومشاعرها وأفكارها

فالتقاليد إذن : عوامل تشخص روح الشعب والحقبة التى وجد فيها لما لها من تأثير عظيم فى القوم

فإذا بحثنا مثلاً فى ضرورة احتياجنا إلى تقاليد فى الآداب العامة (أتيكيت) من نواح كثيرة تساءلنا :

١ — لماذا نلاحظ قوانين واصطلاحات خاصة ؟

٢ — لماذا يحيى الناس بعضهم بعضاً ، بشتى الطرق مثل الانحناء ، والابتسام ، والسلام باليد ، ورفع غطاء الرأس أ لخ ؟

٣ — لماذا نقوم بعمل تعارف بين الأفراد ، ونرسل الدعوات بعضنا لبعض ؟

٤ — لماذا نهذب طباعنا وحديثنا ؟

لكى نستطيع الإجابة على أشباه هذه الأمثلة ، يجب أن نتتبع سير المدنية من مبدئها ؛ فإذا فعلنا ذلك ، وجدنا أنه كان من أولى ضروريات الإنسان الهمجى تدبيرُ بعض الطرق ، واختراع بعض الوسائط التى تقنع الهمج من قبائل أخرى بأنه لا يريد المشاجرة ، ولا الاعتداء ، وإنه يريد أن يعيش فى سلام .

ولكن كان من الصعب عليه جداً أن يفعل ذلك مبدئياً . فقد كان تفكيره المحدود مرتبكاً بالخوف وبوعورة الحياة . إذ أن الإنسان فى تلك العصور الأولى كان دائم الارتياب ، شديد التطير ، كثير الظن ؛ وقد كان مضطراً إلى أن يكون كذلك ، لأن حياته كانت متوقفة على حذقه وحرصه

ولكن الحاجة أم الاختراع دائماً . فأقيمت علامات خاصة ، وروعيت أشياء أخذ يميزها الهمج ، وتعارفوا عليها كتحيات سلام وأمان

فتحية اليوم نتيجة مباشرة لتلك الضرورة الغابرة ، ويقاس عليها كثير من التقاليد المتبعة . فإن تحية الأمان هذه كانت أول المخلفات من الآداب العامة التى نطق بها بين الإخوان والمريدين

ولما عرفت قيمة هذه الشعائر السلمية ، اتبعت تحايا خاصة لكل ظرف ولكل مناسبة مما ساعد على وضع الأمور فى نصابها بأقل مشقة ، وبأخص طريق ، فساد السلام نوعا ما ، وأخذت العواطف الإنسانية تقوى (ومن هنا بدأ عهد جديد فى تطور البشرية) .

فإذا أودعت هذه الشعائر خفايا النسيان ، وأسدل عليها ستائر الإهمال كان الغرض استئناف حياة الهمج من جديد .

على أنه لن يكون فى استطاعتنا وأد الآداب دفعة واحدة وهى التى تكونت على مر الدهور ، ولا يمكن أن ينكر أحد أن البشرية نشأت ونمت معها المدنية ، فمن تحية الأمان الأولى ، نمت سلسلة تحايا خاصة ، وأشكال احترام خاصة جمعت الرجال تحت لواء حماية متبادلة ، وصداقة مشتركة ، فتولدت الحفلات ، وحلقات الرقص لتعظيم القوى الطبيعية التى حار العقل البشرى فى فهمها حينئذ ، كالشمس والنجوم ، وقدمت الضحايا لآلهة الخوف التى أزعجتهم ، كالظلام ، والوحوش ، والأصوات غير المعهودة لهم ، كما أقيمت حفلات تأبين الموتى ، وولائم الأفراح ، وغير ذلك .

من ذلك نرى ، أن الهيئة الاجتماعية حريصة على سلامتها ، فهى لذلك أقامت تشريعاً اجتماعيا محدودا واضحا ، مبنياً على الأخلاق والعادات ، فأصبحت هذه التقاليد تشريعاً ارتآه ، وعمل به نفر ممن تفخر بوجودهم فى زمرتها الجماعة الإنسانية المثقفة الراقية .

فنحن ملزمون إذن أن نتعلم هذه التقاليد رغبنا أو كرهنا ما دمنا نعيش فى جماعات ، وننشد مجتمعاً راقياً فى حياتنا

مما لا ريب فيه أنه توجد عند كل إنسان رغبة للخير ، وإن جانب الخير فى الإنسانية توقظه وتظهره الرحمة والآداب والأخلاق الكريمة بوجه عام . كما أن المران على (الإتيكيت) أو الآداب

العامة يحتاج إلى أكثر من مجرد استقاء معلومات من معاهد التقاليد الاجتماعية الخاصة بالأخذ والعطاء ، والقبول والرفض ، والدعوات والولائم ، أو عدد البطاقات التى تترك للآخرين بالمناسبات ، أو استعمال الألقاب على وجه صحيح فى التحدث والكتابة . فإن التمرن العملى على (الإتيكيت) يجب أن يبنى على المبادئ الأولية ، وهى الاحترام ، ومشاعر الرحمة والشفقة نحو الآخرين ، وإلا كانت التقاليد مجاملات جوفاء وهذه لا تلبث أن تزول

وإن أميز ما يمتاز به الرجل الملم بمعرفة الآداب (العامة والخاصة) ما يتسم به من وقار وسماحة يغمر من يقابله ، كما يساعده على العمل والقول اللائق الصحيح فى كل موقف من المواقف . فالفرد الذى يعرف كيف يوجد بين جماعة راقية ، لا يدع مجالاً للغضب ولا لعدم الصبر ، ولا يتسيطر ولا يتحكم ولا يضغط على الآخرين بطباعه الجافة

إن مركز الآداب الراقية ، يمنع التبجح مع الرؤساء ، كما يمنع الأحاديث التى تؤلم المشاعر ، ويحبذ العمل على إيجاد رغبة صادقة فى جلب السرور لمن نوجد معهم . فالمرأة والرجل المثقفان يجتهدان فى جعل كل فرد فى مجتمعهما سعيداً مطمئناً (على شرط أن يستأهل هو ذلك أيضاً من جانبه) . ثم إن مشاركة عواطف الغير واحترامهم مفروض على كل فرد مهما كان نوعه ، وذلك واجب عليه سواء أكان غنيًّا أم فقيراً، عالماً أم جاهلاً . ومع أن الأخلاق الرقيقة قد تكون وراثية إلى حد ما ، فإنه يمكن تحسينها وإنماؤها بوساطة البيئة الصحيحة ، وبدراسة القوانين الاجتماعية ومراقبة المجتمع نفسه ، وتطبيق ما حصله الإنسان فى معاهد الآداب عمليا فى الحياة العملية حتى يجنى المجتمع ثمار عمل أفراده وبناته

لعلنا بهذا التلخيص نكون قد أوضحنا بعض الشيء نشأة الإتيكيت وضرورته فى الحياة .

زينب الحكيم



ما هي الحياة

وكيف ظهرت على الأرض ؟

وحدة الأحياء والجمادات

للأستاذ نصيف المنقبادى

أثبتنا فى مقالنا السابق وحدة الحيوانات (ومن بينها الإنسان) والنباتات وبيّنا أن النباتات الفطرية إنما هى الحلقة المتوسطة بينهما وقلنا إن هذا دليل على اشتقاقهما من أصل واحد ؛ وهو الجمادات

ونتكلم اليوم عن وحدة الأحياء والجمادات مستعرضين من جديد الصفات المشتركة بين جميع الكائنات الحية لنبين أنها ليست خاصة بها . بل توجد جميعها ولكن مبعثرة ومشتتة فى الجمادات ، كما أشرنا إلى ذلك فى المقال السابق

ونقول إجمالاً من الآن إن تلك الصفات الموصوفة عادةً بالحيوية ليست لازمة للحياة ولا ضرورة لها ، إذ أن هناك بعضاً من مظاهر الحياة — هى أهمها وأدقها — تقوم بها مواد كيميائية وأجسام معدنية محضة لا يتوفر فيها شيء من تلك الصفات أو المميزات . ومن ذلك التخمر

فإذا سحقنا مثلاً كية من النباتات الميكروسكوبية المكونة من خلية واحدة من النوع الذى يخمر المواد السكرية ويحولها إلى خمر (خميرة البيرة) ، أو من النوع الذى يخمر الخمر ويحولها إلى خل ، أو من النوع الذى يخمر سكر اللبن ويحوله إلى الحامض اللبنى ، ثم نقعناها فى ماء معقم مطهّر ورشحنا الماء بعد ذلك ، نحصل على سائل يخمر هذه المواد مما يدل على أن خواص الحياة ما زالت قائمة فيه . فهل لنا أن نقول إن هذا السائل المرشح كائن حى ؟

وإذا أغلينا هذا السائل إلى درجة المائة فوق الصفر فإنه يفقد خاصة التخمير كأنه مات مقتولاً بالحرارة كما يحدث للكائنات الحية

والواقع أن الذى يقوم بالتخمير وبمعظم أعمال الحياة فى الكائنات الحية من هضم الأغذية على أنواعها ، إلى تحليلها وامتصاصها وتركيبها من جديد داخل أنسجة الجسم وخلاياه الخ إنما هى خمائر تفرزها غدد خاصة فى الأجسام الحية المتعددة الخلايا ، أو كائنات حية أيضاً مكونة من خلية واحدة مثل النباتات والحيوانات الأولية الميكروسكوبية ، وهذه الخمائر تذوب فى الماء وتفعل فعلها هذه وهى ذائبة فيه

والخمائر لا يمكن القول بأنها كائنات حية بالمعنى التام لأنه لا جسم لها ولا قوام ، وهى لا تتغذى ولا تتنفس ولا تنمو ، ومع ذلك تبدو كأنها حية ، وتقوم بأهم مظهر من مظاهر الحياة وهو التخمير

على أن كل هذا لا غرابة فيه ، لأن الخمائر التى تسلك مسلك الأحياء لم تخرج عن كونها مفروزة من أجسام حية ، ولكن المدهش حقاً هو فعل المواد المعدنية الغروية ، فقد توصل العلماء إلى تحضير كثير من المواد المعدنية والعضوية على هذه الحالة (à l'état colloïdal) ، وقد شوهد أن بعضها مثل الفضة أو المنغانيز وغيرهما تخمر المواد القابلة للتخمر . فإذا وضع قليل منها فى شراب السكر مثلاً لا يلبث هذا الشراب حتى يختمر ، لا فرق فى ذلك بين هذا التخمر وبين التخمر الذى تحدثه الكائنات الحية بفعل الخمائر التى تفرزها سوى أن التخمر يتم هنا بأسرع مما يتم فى حالة التخمر الحيوى . وأول ما يتبادر إلى الذهن أن جراثيم التخمر العادية تسربت إلى ذلك السائل من الهواء أو الماء أو من الأوعية والأدوات المستعملة ، ولكن الدقة فى تعقيم كل هذه الأشياء لا تدع محلاً لمثل هذا الاعتراض

وأغرب من هذا فعل الكلوروفورم المخدر فى المواد المعدنية الغروية التى نحن بصددها ؛ فإنه يخدرها ويبنجها تبنيجاً ويمنعها عن مواصلة التخمير إلى أن يتطاير ، ويتلاشى فتعود إلى فعلها هذا المدهش ، وإذا أضيف إليها قليل من سيانور البوتاسيوم وهو سم قاتل ، فإنه يمنع فعلها التخميرى بتاتاً ؛ فكأن هذه المعادن

هـذه الجادات المحضة — ماتت مسمومة ولا يمكن أن تعود إلى إحداث التخمر إلا إذا أزيل عنها هذا السم ثم تحولت إلى معدنها الأصلى الجامد ومنه إلى الحالة الغروية من جديد ، وعند ذلك فقط تبعث بعثاً ، وتعود إليها هذه الخاصة التى كنا نظنها مقصورة على الأحياء دون غيرها .

وإذا لوحظ أن فى المادة الزلالية الموصوفة « بالحية » التى تتكون منها خلايا الحيوانات (بما فيها الإنسان) وخلايا النباتات وكذلك فى الخمائر التى تفرزها هذه الكائنات الحية أثراً من المواد المعدنية التى كان يظن البيولوجيون إلى عهد قريب أنها مواد إضافية لا شأن لها فى المادة الحية ، وإذا قورن هذا بما تقدم بيانه من فعل المعادن الغروية ، لأدركنا معنى النظرية البيولوجية القائلة بأن أداة الحياة أو أن الذى يقوم فعلاً بأعمال الحياة فى الكائنات الحية ليست المادة الزلالية الخاصة المسماة « بالبروتوبلازم » وإنما هى تلك الزوائد المعدنية المحضة . وعلى هـذا يكون الجزء الحى فى الأحياء هو المعادن المذكورة أى الجادات الخالصة ، وما المادة الزلالية إلا قاعدة ترتكز عليها تلك المعادن للقيام بأعمال الحياة .

نعود إلى الصفات المشتركة بين الأحياء التى يقولون إنها تميز الحياة ، لنبين أنها ليست وقفاً على الكائنات الحية بل إنها توجد جميعاً بلا استثناء فى الجادات .

التكوين الخلوى والتكوين المعدنى

قلنا إن الكائنات الحية مؤلفة من خلايا صغيرة لا ترى بالعين المجردة . ولـكن هذه الظاهرة — أى تكوين جزئيات الجسم تكويناً دقيقاً — ليست خاصـة بالأحياء ، فإن الأجسام المبلورة المعدنية التى يتكون منها معظم ما على الأرض من مواد كجبال الجرانيت والرخام وكالأملاح العـديدة المختلفة وغيرها ، مكونة من بلورات متلاصقة ؛ كما أن جميع الجادات على الإطلاق مكونة من جزئيات صغيرة جداً (Molécules) ، وهذه الجزئيات مؤلفة من ذرات (Atomes) وقد اتضح بعد اكتشاف الراديوم والأجسام المتشععة المماثلة له أن الذرات مؤلفة من الكهارب (Électrons) وغيرها (تراجع المقالات النفيسة التى جاد بها أخيراً يراع عالمنا المصرى الدكتور محمد محمود غالى على صفحات الرسالة عن تكوين المادة)

التركيب الكيميائى

تتركب الأجسام الحيوانية والنباتية من مواد زلالية ودهنية وسكرية كما بينا فى مقالنا السابق . ويظهر أن عدم وجود المواد المذكورة بحالتها هذه فى الجادات قد جعلها من قديم الزمان الحد الفاصل بين الأجسام الحية والأجسام المعدنية، حتى أن الكيميائين كانوا يفصلون فصلاً تامًّا بين المواد العضوية التى تستخرج من أجسام النباتات والحيوانات وبين المواد المعدنية، وأوجدوا بينهما هاوية سحيقة لا تعبر . ولـكن العلم الحديث قد أزال هذا الحد وأثبت وحدة المـادة

وأول مايلاحظ هنا على مواد الأجسام الحية وعلى المواد العضوية عموماً ، أن العناصر المركبة منها وهى الأوكسيجين والهيدروجين والكربون والأزوت والعناصر الإضافية الاخرى موجودة جميعها فى الطبيعة، وتدخل فى التراكيب المعدنية التى لا عداد لها بحيث لا يوجد عنصر من العناصر خاص بالأحياء دون غيرها

والواقع أن المواد المسماة بالحية ، وعلى العموم المواد العضوية، مشتقة جميعها من الجادات رأساً، وهى تتركب منها مباشرة فى كل لحظة أمام أعيننا وعلى مرأى منا على الوجه المتقدم بيانه فى المقال السابق . فمادة النباتات الخضراء (الـكلوروفيل) تستعين بقوة الشمس وتحلل غاز الحامض الكربونيك المنتشر فى الجو وتنتزع منه الكربون وتمزجه بالماء فتتكون منه السكر والنشا والسيليلوز ومادة الخشب والمواد الدهنيـة والأحماض والقلويات العضوية الثلاثية . وفى الوقت نفسه تمتص جذور النباتات التراكيب الأزوتية من الأرض ، وهذه تمتزج بالمواد الكربونية سالفة الذكر بفعل قوة الشمس أيضاً فتتولد المواد الزلالية الحية

وما تنشئه الطبيعة بواسطة النباتات من هذه المواد قد أمكن للانسان أن يصنعه من مواد معدنية محضة ، فقد توصل الكيميائيون إلى تركيب معظم المواد الحيوانية والنباتية ومشتقاتها من الجادات مباشرة كالسكر والنشا ، وبعض المواد الدهنية ، ومواد الصباغة ، وكثير من القلويات المستعملة فى الطب ، وجميع العطور وغير ذلك . ومن المدهش الذى يدعو إلى الإعجاب الكبير أنهم صنعوا عطوراً اصطناعية لا وجود لها فى عالم النبات حيث لا توجد زهور تقابلها

ويجدر بنا هنا أن نخص المواد الزلالية بكلمة على حدة لأنها كانت إلى وقت قريب تعد معقل الحياة . فقد ثبت من تحليلها بطريقة علمية دقيقة أنها مكوّنة من امتزاج بعض الأحماض العضوية الأزوتية والفسفورية ببعض كالحامض التمليك وغيره . وما أن عرف العلماء

ذلك حتى أخذوا يمزجون بعض هذه الأحماض ببعض على صور عديدة مختلفة . فنجحوا فى وضع الجيلاتين والبروتين وزلال اللبن (مادة الجبن) ، وزلال يدعى الكيراتين يدخل فى تركيب أظافر الإنسان والحيوانات الفقرية الأخرى . وهذا النجاح يبشر بقرب الوصول إلى تركيب المواد الزلالية العليا المسماة بالحية .

الشكل النوعى

فضلاً عما ثبت نهائياً وقطعياً من أن الكائنات الحية ليست ثابتة فى أشكالها ، بل إنها فى تغير وتحول مستمرين فى ملايين السنين بحكم ناموس التطور والتسلسل ؛ نقول إنه فضلاً عن ذلك فإن هذه الظاهرة (الشكل النوعى) ليست من جهة شاملة لجميع الأحياء لأن بعض المكروبات غير ثابتة فى شكلها ، بل إنها تتشكل حسب البيئة التى توجد فيها بحيث لا يمكن تمييز أنواعها إلا بمفعولها ، وكذلك الحال بالنسبة للأميبيا ، وبالنسبة لبعض أنواع النباتات الفطرية السفلى من فصيلة الميكزوميست التى سبق لنا الإشارة إليها فى المقال السابق . فإنه ليس لأفرادها شكل معين حيث لا غلاف ولا غشاء لخلاياها فى معظم الأحوال

ومن جهة أخرى فإن لكثير من الجمادات ، ونعنى بها الأجسام المبلورة، أشكالاً ثابتة وهى أشكال بلوراتها الهندسية تميز كل نوع منها من غيره

وأوجه الشبه بين الكائنات الحية والأجسام المبلورة عديدة . فمن ذلك أن الأنواع المبلورة القريبة التركيب كيميائياً قريبة الشكل هندسياً ، كما أن الأحياء كلما اقتربت أنواعها اقتربت أشكالها

وكما يحدث أحياناً أن الأنواع الحية القريبة يتناسل بعضها من بعض مثل الحصان والحمار كذلك يحدث أحياناً أن الأنواع المدنية القريبة كيميائياً تتبلور معاً مثل حجر الشب فإنه مؤلف من بلورات سلفات الألمنيوم وبلورات سلفات البوتاسيوم مشتبكة بعضها مع البعض

وهناك ظاهرة كان يظن أن الكائنات الحية اختصت بها دون الجمادات وهى استعداد أفراد الحيوانات والنباتات لإصلاح كل تشويه يحدث لها واستعادة شكلها الأصلى بقدر الإمكان ، فإذا جرحت يلتئم جرحها ، وإذا انقطع جزء منها لا يلبث حتى ينمو غيره مكانه، وعلى الأخص فى النباتات والحيوانات السفلى وكذلك فى أطراف أعصاب الحيوانات العليا والإنسان . وهذا ما يحدث للبلورات المعدنية المحضة ، فإنه إذا كسرت بلورة من أحد أضلاعها ثم غُطِّست فى سائل مشبع من مادتها أو فوق المشبع نراها تنمو على الأخص من جهة الجزء المصاب إلى أن يعود إلى حالته الطبيعية وشكله الأصلى فيأخذ مجموع البلورة فى النمو

تغذى الاحياء والجمادات

لعل التغذى هو أهم مظاهر الحياة وأكبر مميز للكائنات الحية، ولكنه غير خاص بها أيضاً بل يحدث لكثير من الجمادات . ففقاعة الهواء التى تبدو صغيرة على قطعة المعدن ثم تكبر إلى أن تنتشر على كل سطحه إنما هى تتغذى فى الواقع من بخار الماء والحامض الكربونيك المنتشرين فى الجو ومن مادة المعدن القائمة عليها ، فتنمو وتتسع كما ينمو ويكبر الجسم الحى من التغذى . والبلورات الصغيرة المغموسة فى ماء مشبع من محلول مادتها تتغذى منها فتنمو وتصبح بلورات كبيرة

على أن خير مثال لتغذى الجمادات بالمعنى الحقيقى التام ما هو حاصل فى الآلات الميكانيكية فإنها تتغذى بالفحم أو البنزين أو البترول ، وما الوقود إلا غذاء تلك الآلات تحترق فيها فتولد الطاقة (القوة) اللازمة لقيامها بأعمالها كما يحترق الغذاء بعد هضمه وامتصاصه فى الأجسام الحية فيولد فيها الطاقة اللازمة لقيام بأعمال الحياة ووظائف الأعضاء ، وسنشرح فى مقال قادم ناموس بقاء الطاقة La loi de la conservation de l'energie وانطباقه على الكائنات الحية (بما فيها الإنسان) ، وحسبنا أن نقول اليوم إن جميع القوى التى تعمل فى الحيوانات (ومن بينها الانسان والنباتات حتى التفكير والقوى العقلية ليس لها إلا مصدر واحد وهو الغذاء، أو بعبارة أصح الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء

التنفس فى الأحياء والجمادات

ويلحق بالتغذى التنفس ، وهو أيضاً ليس مقصوراً على الأحياء لأن الجمادات التى تحترق بسرعة أو تتأكسد ببطء إنما هى تتنفس، أى أنها تمتص الأكسيجين من الهواء وتفرز الحامض الكربونيك وهذا هو التنفس بعينه ، وقد عرف علماء الفسيولوجيا الحياة بأنها حريق أو تأكسد La vie est une combustion كما تقدم لنا القول ، وما الرئتان إلا مدخنة الآلة الحية الحيوانية ، توصل الأكسيجين إلى الجسم وتخرج منه الغاز الناتج من ذلك الاحتراق ، كما هو حاصل فى الآلات الميكانيكية من جميع الوجوه

تحرك الأحياء وتحرك الجمادات

وليست الحركة وقفاً على الأحياء، ولا هي خاصة بها، ولكنها تشمل الجمادات وتعم كل ما في الكون من الأجرام الفلكية إلى أصغر الذرات وما هو أصغر منها مما اكتشف أخيراً ونعني به الألكترونات أو الكهارب وغيرها .

ومن حركات الجمادات التي تشبه حركات الحيوانات الأولية الميكروسكوبية الحركة المعروفة باسم حركة براون Mouvement browenien فإننا نشاهد في كثير من السوائل عند فحصها بالألترا ميكروسكوب أجساماً صغيرة جداً في حركة مستمرة وهي لا يمكن أن تكون كائنات حية لأنها تشاهد في السوائل السامة الكاوية التي تقتل الأحياء وجراثيمها في الحال كالحامض الكبريتيك وغيره . ولا شك في أن تحرك هذه الذرات ناتج من تحرك جزيئات المادة المستمر كما شرح الدكتور محمد محمود غالي ذلك أخيراً على صفحات الرسالة .

ومن حركات الجمادات التي تكاد تكون اختيارية حركة الأجسام تحت تأثير الجاذبية أو الألفة الكيميائية، فإنه بمجرد أن تشعر هذه الأجسام بقرب بعضها من بعض تتحرك وتنتقل من تلقاء نفسها إلى أن يتصل الواحد منها بالآخر كأنما يعشق بعضها بعضاً . وأمر حب بعض المواد الكيميائية لبعض معروف في علم الكيمياء . فالماء مثلاً يصعد من تلقاء نفسه رغم جاذبية الأرض ويندفع إلى الطبقة العليا من الجهاز الخاص بمجرد إدخال غاز الكلور في هذه الطبقة العليا ، ولا يهدأ له بال إلا إذا فاز بالوصل منه شأن العاشق الولهان . وما عاطفة الحب التي يتغنى بها القصصيون والشعراء من قديم الزمان إلا ظاهرة كيميائية محضة ترجع في النهاية إلى تلك الجاذبية التي تدفع جراثيم التلقيح الذكرة (مثل الحيوانات المنوية وما يقابلها من النباتات) نحو بويضات الإناث مما سنشرحه في مقال قادم

ومن حركات الجمادات تحرك نقط المواد الرغوية المعدنية المحضة من تلقاء نفسها كما تتحرك الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة واستمرار هذه الحركة بضعة أيام في التجارب البديعة التي قام بها العالم البيولوجي بوتشلي. ولولا ضيق المقام لشرحناها بالتفصيل

على أن حركة الجمادات المماثلة لحركة الكائنات الحية من جميع الوجوه إنما هي حركة الآلات الميكانيكية نتيجة احتراق الفحم أو البترول أو البنزين فيها كما أن حركة الأحياء هي نتيجة احتراق المواد الغذائية في العضلات المحركة لها

التأثر في الأحياء وفي الجمادات

نقول إن التأثر ليس خاصاً بالأحياء بل إنه يوجد في كثير من الجمادات، وإذا شئت فقل في كلها مع التفاوت . فالمواد المفرقعة تتأثر بل وتغضب وتنفجر عند أقل لمس . ومواد التصوير الشمسي تتأثر بالضوء ، ولهذه المناسبة نذكر أمر اللوحات الفتغرافية الملونة ، فإنه إذا سلط عليها نور أحمر تلونت في الحال باللون الأحمر، وإذا سلط عليها النور الأخضر تلونت في الحال باللون الأخضر . فأملاح الفضة التي على هذه اللوحات لا تتأثر فقط بالضوء بل كأنها تدافع عن كيانه ضده لأنه يقتلها بأن يحللها ويحولها إلى مواد أخرى . فعند ما يسلط عليها النور الأحمر تتلون في الحال باللون الأحمر لأن هذا اللون يمنع دخول الأشعة الحمراء؛ وكذلك الحال عند ما يسلط عليها النور الأخضر أو غيره . أفلا تكون غريزة حب البقاء القائمة في الإنسان وفي جميع الحيوانات من نوع هذه الظاهرة الغريبة ؟ وما الفرق بين هذه اللوحات الفتغرافية — هذه الجمادات المحضة — وبين بعض الحيوانات التي تتلون بألوان مختلفة حسب البيئة التي توجد فيها

ومن الأمثلة على تأثر الجمادات ما هو معروف في علم الصوت من أنه إذا دق إنسان على وتر من آلة موسيقية ، فإن الوتر المقابل له في الآلة القريبة منها يتأثر ذاتياً ويهتز من تلقاء نفسه اهتزازاً خفيفاً ، ولكنه يظهر جلياً بواسطة الآلة المكبرة للصوت

وقد وضع السير بوز العالم البيولوجي الهندي الكبير الذي زار مصر سنة ١٩٢٨ جهازاً دقيقاً بديعاً لإثبات تأثر المعادن بالكهرباء يدل على أنها تتعب وتضعف اهتزازاتها إذا تكرر تسليط الكهرباء عليها مدة طويلة متعددة . وإذا استراحت مدة من الزمن عادت الاهتزازات التي تحدثها فيها الكهرباء إلى قوتها

النتيجة

يتضح من كل ما تقدم أنه لا يوجد أي فرق جوهري بين الكائنات الحية وبين الجمادات ، وأن كل ظواهر الحياة توجد في الجمادات ، بل إن بعض البيولوجيين يرجحون أن الجزء الحي فعلاً في الحيوانات (ومن بينها الإنسان ، وفي النباتات هو المواد

المعدنية الغروية التى تدخل كميات قليلة منها فى تركيب خلاياها . وقد ثبت أن المادة الحية تشتق رأساً من الجمادات على الدوام تحت أعيننا وعلى مرآى منا بفعل قوة الشمس بواسطة مادة النباتات الخضراء (الكلوروفيل) بحيث لا يوجد عنصر خاص بالأحياء. كما أن القوى التى تعمل فى الأحياء وتديرها هى من القوة الطبيعية المحضة ومشتقة منها وليس شىء آخر خلافها

وكلما تقدم العلم تلاشى ذلك الخيال الذى كانوا يعتقدون فيما مضى أن له وجوداً خاصًّا قائماً بذاته مستقلاً عن المادة . وما الحياة فى الواقع إلا تفاعلات كيميائية أو بالأحرى طريق بطىء أو تأكسدات مستمرة ، فهى ظاهرة طبيعية مثل باقى ظواهر الطبيعة

نصيف المنقبادى المحامى
دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)



الموسيقى الايرانيـــة

للأستاذ محمد السيد المويلحى

لم يتح للموسيقى المصرية لسوء الحظ – ولسبب لا أدريه – أن تشترك فى الاحتفاء بمقدم سمو ولى عهد إيران، كما فاتها حظ الاشتراك مع باقى الفنون العليا فى التعبير عما خالج مصر من عواطف الفرح وخوالج البهجة والمرح . اللهم إلا تلك الحفلات الهزيلة الشاحبة التى لم تقو على إعطاء سمو ولى العهد الإمبراطورى الصورة الحقة للنهضة الموسيقية المصرية الشابة التى طفرت إلى ذروة رفيعة مرموقة موموقة ... !

وقد سمعت بعض الشائعات التى تقول بأنها أبعدت لأنها غير مفهومة من سموه ؛ فعجبت لهؤلاء الذين طيروا هذه الشائعات لأنهم لا يعلمون أن موسيقانا بل وجميع الموسيقى الشرقية إطلاقاً من أصل فارسى ، فكيف تنكر الأذن موسيقى نشأت على سماعها منذ الصغر ؟ وكيف لا يستسيغها سموه وهى التى خلقت فى وطنه ؟ إن العبرة ليست بالكلام العربى أو الإيرانى وإنما بالموسيقى التى تصور وتترجم فى حدود الذوق الشرقى !

إن (السلَّم) العربى لم يخلق فى مكة أو المدينة ولا فى تركيا أو مصر، وإنما خلق كما هو الآن فى إيران ثم انتقل إلى بلاد العرب حين غزوها للفرس مع باقى الفنون والعلوم الإيرانية. وظل هكذا حتى انتقل إلى بلاد الترك الذين عرفوا كيف يستخدمونه جيداً فركبوا منه نغماتهم وموسيقاهم التى أضفت على الموسيقى الشرقية لوناً زاهياً واستحدثوا نغمات : النوا أثر ، وشط عربان ، والحجاز كاركرد ، والفرح فزا ، والكرد ... الخ

وليكون القارئ على بينة بالسلم سنكتبه له :

(١) يكاه (٢) نيم قرار حصار (وهى لفظة إيرانية يسميها الترك (كايا) (٣) قرار حصار (٤) تيك قرار حصار (٥) عشيران (٦) نيم قرار عجم (٧) قرار عجم (٨) عراق (٩) كَوِشت (١٠) تيك كوشت (١١) راست (١٢) نيم زيركولا (١٣) زيركولاه (١٤) تيك زيركولاه (١٥) دوكاه (١٦) نيم كرد (١٧) كرد (١٨) سيكاه (١٩) بوسالك (٢٠) تيك بوسالك (٢١) جهاركاه (٢٢) نيم حجاز (٢٣) حجاز (٢٤) تيك حجاز

* * *

هذا هو السلم الفارسى الذى استعمله الشرق قاطبة واستخرجوا منه حسب استعدادهم الفنى وقدرتهم الموسيقية أنغامهم وألوانهم التى تتفق وأذواقهم ومشاربهم ، وهو يتكون من ديوان (أوكتاف) سبعة مقامات: ثلاثة كبيرة وأربعة صغيرة (وهى التى يتكون منها النغم الشرقى الذى لا يعرف الماجيور ، والنيور أو الميجير والمنير كما ينطقها الفرنسيون ...

وقد ابتكر الإيرانيون النغمات الآتية التي لم يكن الشرق يعرفها حتى سمعها منهم وهي :

الدوكاه (البياتي) والأصفهان ، والعجم عشيران ، والعراق والحجاز ، والسيكاه ... الخ ...

وهي نغمات فارسية أصيلة تدل على قدرة عالية ومكنة متمكنة لا حد لها ... !

قد يقال إن السلم عربي، ولكن الأسماء هي الفارسية؛ وربما يستدل على هذا بما قاله الدكتور (هنري فارمر) من (أن ابن مسجح تعلم فن الغناء الفارسي ، وتلقى أيضاً بعض الدروس عن الموسيقيين الروم العازفين منهم على (البربطين) وعلماء الموسيقى النظرية ، واستعان بما تعلمه في غربته على وضع نظام للنظرية الموسيقية رضي به رجال الموسيقى في عصره . على أن هناك ما يدلنا على أن ابن مسجح رفض الطرق الفارسية والرومانية التي رآها غريبة عن الموسيقى العربية . ومن هذا يستدل على أن هذه النظم الموسيقية المنقولة من الخارج لم تكن سابقة لنظرية الموسيقى الوطنية العربية .

قد يقال هذا ، ولكن أليس فارمر هو القائل :

« ليس من العسير الوصول إلى معرفة الزمن الذي انتقل فيه العرب فعلاً من طريقة الديوان الواحد (الأوكتاف) إلى طريقة الديوان المضاعف أو الجمع التام ، ففي أيام إسحق الموصلي والكندي ويحيي بن علي والفارابي وإخوان الصفاء كانت أوتار العود الأربعة تسمى من الأعلى إلى الأدنى : زير مثنى، مثلث، بم، والاسمان الأول والأخير فارسيان »

فكيف يستعين الإنسان بأسماء غريبة عن لغته . ثم يدعي بعد هذا أن السلم له ؟ إن العقل ليقف قليلاً متسائلاً :

كيف يوفق العرب إلى خلق السلم ثم لا يوفقون إلى خلق الأسماء فيسمونها بأسماء إيرانية بحجة أن نفوذ الفرس أدى إلى هذا !

ثم إذا فرضنا جدلاً أن السلم لا يمت إلى الإيرانية إلا بالأسماء فقط فكيف عجز العرب إلى اليوم عن تعريبها وتسميتها بأسمائها ؟ !

هذا من الناحية الشكلية والعقلية (للسلم) الذي لا نزال نستعمله إلى اليوم بأسمائه الإيرانية من مئات السنين . وقد حرصنا ألا نسهب فيه من الناحية التحليلية الفنية البحتة حتى لا يتسرب الملل إلى نفس القارئ . أما من الناحية التاريخية فإن الفرس قد سبقوا العرب في الاهتمام بالموسيقى اهتماماً عظيماً حتى تأثر العرب بها تأثيراً كبيراً ، و « طويس » أول من غنى بالعربية غناء إيقاعياً، تعلم الغناء من الفرس ، وكذلك سائب خاثر الذي تأثر بنشيط الإيراني ونقل مثل غنائه إلى العربية وحاكاه في العزف على العود بعد أن كان العرب لا يعرفون في غنائهم إلا (القضيب)

وابن مسجح الذي احتج به الدكتور هنري فارمر كان أول من نقل الغناء الفارسي إلى العربية وقد أخذ عنه ذلك — كما قلنا قبلا — ابن محرز ومعبد وابن سريج والغريض .

* * *

ولعل في هذه العجالة الصغيرة ما يعطي القارئ صورة عن الموسيقى الإيرانية ؛ وفضل الفرس في هذا الميدان الذي سبقوا جميع الشرق فيه حتى يعلم الجميع أن الموسيقى لم تقم بواجبها الحق أو لم تمكن من ذلك أمام سيد البلد الذي ترعرت فيه الموسيقى وازدهرت ازدهارا نقل عنه الجميع ...!

محمد السيد المويلحي



عطف ملكي كريم

تلقينا من ديوان حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء هذا الكتاب الكريم الذى نتشرف بنشره :

حضرة المحترم الأستاذ أحمد حسن الزيات .

أتشرف بإبلاغ حضرتكم الشكر السامى على النسخة التى قدمتموها إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم من عدد الرسالة الممتاز الخاص بالهجرة .

وتقبلوا حضرتكم وافر الاحترام ؟

تحريراً فى ٢٦ مارس سنة ١٩٣٩ — كبير الأمناء
محمد سعيد ذو الفقار

حول إنسانية الرسول

قد قرأت ما كتب الدكتور زكى مبارك فى إنسانية الرسول فى العدد ٢٩٧ من الرسالة الغراء ، وقرأت ما عقب به الأستاذ عبد المتعال الصعيدى فى العدد ٢٩٨ ، فوجدت كلا منهما قد غلب على قلمه فغالى فأخطأ . ومغالاة الأستاذ الصعيدى وخطؤه على قلته أعجب عندى من مغالاة الدكتور زكى مبارك وخطئه على كثرته . فالدكتور لم يتضلع من علم الأزهر ولا من فقه الإسلام وإن كان قد تقدم للعالمية المؤقتة منذ عامين . والقدر الذى عرفه فى الأزهر أيام كان أزهريًّا قد عفت عليه السنون الكثيرة التى قضاها خارج الأزهر فى جو غير جوه الدينى ، بين القاهرة وباريس . ومن هنا الغلطة التى أخذها عليه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى من تصويره شخصية الرسول غير مدروسة حق الدرس فى البيئات الإسلامية . ومن هنا المعانى الشاذة الأخرى التى يعرفها القارئ فى لحن مقاله مما لا يسنده فيه كتاب ولا سنة ولا عقل : من نحو أن النبوة تكتسب ، وأن وحى السماء ينزل على قلب الإنسان كل آن لو وعاه كأنما الوحى الذى كان ينزل على الرسول صلوات الله عليه هو من هذا الذى يسميه الدكتور وحياً يهبط كل وقت من السماء !

هذا وأمثاله ليس غريباً أن يقع فيه مثل الدكتور زكى مبارك لأنه لو لم يقل هذا لقال كما تقول جماعة المسلمين . ولكن الغريب أن يقول الأستاذ عبد المتعال الصعيدى فى خطابه : « والذى يعرفه المسلمون جميعاً أن الوحى لم يكن له مع النبى صلى الله عليه وسلم شأن فى أمور الدنيا » . هذا غريب من القول فيه غلو كبير من غير شك ، وعبارته من غير شك أعم كثيراً من المعنى الذى إليه قصد . فتأبير النحل الذى ضربه مثلاً ليس هو كل أمور الدنيا ، ولا هو مثال لأهم أمور الدنيا ، وإنما هو مثال لدنيا الناس التى يعرفونها بالتجربة من نحو حرث وزرع وسقى وصناعة، فهذه لم يأت الدين ليعلمهم إياها وإنما وجههم إلى البحث فيها ووكلهم فى التفاصيل إلى نتائج بحثهم وتجاربهم . أما غير هذا النوع من أمور الدنيا فالإسلام قد هدى الإنسان فيه ، وهداه فيه بالوحى ، كما يعرف الأستاذ من الآيات الكثيرة المتعلقة بالأحكام فى القرآن . فليست هناك ناحية من نواحى الحياة إلا وقد شملها الإسلام بهديه ووحيه حتى ما يأكل الإنسان وما لا يأكل ، وما يشرب وما لا يشرب ، وما يلبس وما لا يلبس ، وما يبدى من جسده وزينته وما لا يبدى ، وحتى الاستئذان قبل الدخول والسلام عند الدخول لم يهمل الإسلام تأديب الإنسان فيه . فإذا كانت هذه الأمور وأمثالها ليست من أمور الدنيا فما هى أمور الدنيا يا ترى ؟

إن الأمثلة التى ساقها الأستاذ فى خطابه على أنها من أمور الدين أكثرها من هذا القبيل كعتاب الله سبحانه لرسوله فى إذنه فى غزوة تبوك لبعض من استأذنه من المنافقين فى القعود ، وفى قبوله الفدية ممن قبل منهم من أسرى بدر . هذا كله من أمور الدنيا فى الصميم . وإذا لم يكن القتال وأموره من أمور الدنيا فماذا يكون؟ طبعاً هذا كله أيضاً من أمور الدين، وهذا بالضبط هو الدليل الذى لا ينقض على أن أمور الدنيا فى الإسلام جزء من أمور الدين

بقيت نقطة فى خطاب الأستاذ كان يحسن أن يحتاط لها فيستتمها ولا يتركها كما تركها . فقد قال إن أكثر العلماء جوّزوا

على النبي صلوات الله عليه الاجتهاد في أمور الدين بدون الوحي « وجوزوا عليه الخطأ فيها أيضاً » وسكت عند هذا ، ولا عند هذا يكون السكوت ، فإن إطلاق القول هكذا يوهم أن كثرة العلماء أو قلتهم ترى أن بعض أحكام الدين التي جاءتنا عن الرسول يجوز أن تكون خطأ في ذاتها . هذا هو لازم القول بتجويز الخطأ على النبي في الاجتهاد من غير تنبيه إلى الحقيقة الكبرى وهي أنه مامن خطأ اجتهادي وقع فيه النبي إلا وقد نبهه إليه الوحي وصححه له . ومن هنا الأمثلة غير الكثيرة التي عاتب الله فيها رسوله في القرآن . فكل ما لم يعاتب فيه النبي ، وكل ما لم ينبّه هو صلى الله عليه وسلم الناس إلى خلافه هو من الدين طبق مراد الله سبحانه ، وإلا لأرشد سبحانه نبيه ورسوله إلى الصواب فيه

هذا ما نرى أن الأستاذ الصعيدي كان عليه أن يحتاط فيه للناس فينبه إليه حين كتب ذلك الخطاب . والسلام على الأستاذ .

محمد احمد الغمراوي

اصلاح بيتين في مجلتين

قال أديب في مجلة مشهورة شهرية : « إن قول عديّ بن زيد العبادي :

ويلومون فيك يا ابنة[1] عبدا الله والقلب عندكم موثوق

خطأ، والصواب: موثق »

وعدي لم يقل (موثوق) ، بل قال : موهوق ، والموهوق المحبوس ، ووهقه حبسه ، والبيت من شواهدهم

* * *

وروى (فاضل) في مجلة مشهورة أسبوعية بيتاً في أبيات لأحد الشعراء ، والبيت هو :

وقبة ملك كأن النجوم تفيءُ إليها بأسرارها

والأبيات لعلي بن الجهم صاحب (عيون المها ...) وقد حرم بيتَه ذاك الرواية الصحيحة في كل موضع ورد فيه ، فكتاب ذكر تفيءُ وميم النجوم في آخر الصدر ، ومجموع قال تصغي والميم المذكورة في أول العجز . وإني لموقن أن علياً قال :

وقبة ملك كأن النجو م تفضي إليها بأسرارها

وأفضى إليه بسره أعلمه به . والبيت من المتقارب ، ومن المعلوم أن بحر هذا الشعر تتلاقى فيه العروض الصحيحة (والقبض فيها أحسن من التمام) والعروض المحذوفة . وقد بلبل[2] ترتيب الصدور والأعجاز في أبيات هذا البحر كثيراً من الشعراء والأدباء — من شوقيّ والعقاد[3] فنازلا — لتلاقي تلك الأعاريض التي تطول وتقصر ...

(* * *)

مسلمو يوغوسلافيا

سيدي الأستاذ الجليل صاحب الرسالة :

قرأت مقالكم الشائق « رسالة الأزهر » وأعجبت به وهزتني نشوة الطرب لأنه بشير بعدة مقالات لعلمي بصرخاتكم الاجتماعية والدينية الاستنهاضية

بيد أنني قد رأيت في حكمك على مسلمي يوغوسلافيا شيئاً من الشدة لعل سببها عدم إلمام الذي رويتم عنه — بأحوال المسلمين هناك ، وإني مسلم عربي أعرف أحوال المسلمين في يوغوسلافيا وأدواءهم لأني عرفت القوم وعاشرتهم وأقمت بين ظهرانيهم

لذلك أعلن أن البوسنيين والهرسك وهما المنصران اللذان يدينان بالإسلام في يوغوسلافيا — لا يؤمنون بالصوفية الزائفة ولا يدينون بالخرافات، إلا أن فيهم جهالاً وفي طباعهم شيء من الشدة وفي تمسكهم بالدين شيء من العصبية لعل سببها أنهم مطوقون بالأمم الأجنبية التي لا تعتقد عقيدتهم ولا تدين بدينهم

ولئن كانوا يمتازون عن مواطنيهم بشيء فإنما يمتازون عنهم بطرابيشهم الحمراء القانية وعمائمهم البيضاء الناصعة، ثم بجرأة المسلم وعزة المؤمن والنشاط الإسلامي الذي لا يلهي بدنيا ولا يصرف عن دين

ولئن كانت العجمة والأمية تحولان بين المسلم الأوربي وبين دينه ، فطغيان العامية وانتشار الأمية ، وشظف العيش ، وأعاصير السياسة وعسف السلطات ، والأمراض الفتاكة في الشرق العربي كفيلة بصرف المسلم عن دينه والحيلولة بينه وبين فهمه .

ولقد طفت الشمال الأفريقي كله وتجولت في مصر ، والشام ، والحجاز والعراق ، واختلطت بالعامة وتغلغلت في طبقات المتعلمين فما وجدت فرقاً بين هذه الشعوب .

وما أراها أحسن حالاً من مسلمي يوغوسلافيا ولا سيما إذا صرفنا النظر عن طائفة القرويين في مراكش ، والزيتونيين في تونس ، والأزهريين في مصر ، وجماعة النجف الأشرف في العراق

فالمسلم العامي في يوغوسلافيا لا يختلف في عقيدته ، وعقليته ، وعاداته عن أخيه المسلم العامي في الشرق العربي ، والمسلم اليوغوسلافي

---

(١) بعضهم يحذف ألف ابنة في النداء

(٢) بلبل في اللغة معناها هو لا أكثر مما نريده في هذا المقام

(١) إن كان نظمه في المتقارب كما سطره الأستاذ سيد قطب في مقالاته (بين العقاد والرافعي) في « الرسالة » الغراء

الذى نزح إلى الشرق ودرس اللغة العربية لا يختلف عن أخيه المسلم الأزهرى ، والمسلم اليوغوسلافى الذى تخرج فى مدارس يوغوسلافيا الدينية لا يبعد عن أخيه المسلم المصرى الذى تخرج فى جامعة فؤاد الأول . على أن المسلم اليوغوسلافى لا يألو جهداً فى فهم دينه بواسطة العلماء والكتب المترجمة ، والتفاسير المنقولة إلى لغته أوغير لغته؛ أما كون هذه التفاسير أوتلك الكتب صحيحة أو غير صحيحة ، فهذا ما نوجه السؤال عنه إلى مشيخة الأزهر .

والحقائق المرة التى نقررها والأسف يملأ جوانحنا هى أن الجهل لا يزال منتشراً بين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، وأن الذين فهموا الدين أو قاربوا نهجه من المتعلمين لم يتجاوزوا العدد القليل بعد، وأن الجهل سبب ويلات المسلمين أينما حلوا، وأن الأزهر لم يؤد رسالته على الوجه الأكمل بعد، وأن مصر لم تقم بأعباء الزعامة الإسلامية التى تطفح بها صحفها صباح مساء، وأن الأغلبية من المفكرين والشباب الإسلامى فى مصر لا يعلمون عن إخوانهم فى الأقطار النائية قليلاً ولا كثيراً

حمداً لك يا حضرة الأستاذ وشكراً على اهتمامك بإخوانك وعنايتك بقضيتهم . وإنا معشر الغرباء والضيوف نهيب بحضرتك وحضرات السادة قادة الفكر الإسلامى ، أن تؤدوا زكاة أقلامكم وتبذلوا لإخوانكم المسلمين شيئاً من عنايتكم وتنشروا عنهم الحقائق الصحيحة حتى يعلم قراؤكم العرب أن لهم إخواناً يمدون أيديهم للتعارف . وأملنا وطيد ورجاؤنا أكيد أن تعالج أنت القضية الإسلامية كما عالجت فى الشهور الماضية قضية القضايا (الغنى والفقر) ، ورسالتكم كفيلة إن شاء الله بتحقيق كل أمنية ، لأنها منتظرة كالحبيب، شافية كالمطهر، منتشرة كالقمر، محبوبة كالعافية. ونسأل الله أن يحقق آمالنا ويصلح أعمالنا ويوفقنا إلى فهم ديننا

على محمد رفعت

مسلمون فى فنلندا

هذا عنوان المحاضرة الطريفة التى ألقاها الدكتور بشر فارس فى قاعة جمعية الشبان المسلمين فى الأسبوع الماضى . وأولئك المسلمون لم يسمع بأمرهم قبل رحلة الدكتور بشر إلى بلاد الشمال سنة ١٩٣٤ . فلما لقيهم هنالك تتبع آثارهم وفحص عن أحوالهم الدينية والثقافية والاجتماعية وبحث فى شؤونهم القومية والقانونية فخرج برسالة وجيزة نشرها سنة ١٩٣٥ باللغة الفرنسية فى مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة فى باريس

والمحاضرة جمعت بين الوصف والإخبار والتقرير . وقد قسم المحاضر الكلام ، فتناول الدين والثقافة والقومية وشؤون المرأة على الترتيب ، ثم تلا القرار الذى به اعترفت الحكومة الفنلندية بالدين الإسلامى وأعقبه بقانون الطائفة الإسلامية الفنلندية وهو على خمس وعشرين فقرة تحدد واجب أبناء الطائفة وتعين معاملة بعضهم لبعض وغير ذلك من الشؤون الخاصة

وبعد المحاضرة أبرز الدكتور بشر بعض صور بالفانوس السحرى؛ منها صورة الإمام، وثانية لزفاف بنت الإمام، وثالثة لدكان أحد المسلمين الأغنياء، وأخرى لفرقة كرة القدم

وقد وقعت المحاضرة عند السامعين ألطف موقع لما اشتملت عليه من البيانات الجديدة فى عبارة فصيحة وأسلوب جذاب .

اللغة العربية وتدريسها فى بعض جامعات الصين

ورد من « هونغ كونغ » عاصمة الصين المؤقتة ، أن وزارة التربية والتعليم هناك قررت تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى ثلاث من جامعاتها ابتداء من العام الدراسى المقبل ، واختارت لهذا الغرض ثلاثة من أعضاء البعثة الصينية بالأزهر الشريف ، هم : السيد محمد مكين والسيد عبد الرحمن ناجون والسيد بدر الدين هاى ويليانغ

وسيتولى الأول تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية فى الجامعة المركزية بهونغ كونغ ، والثانى فى جامعة يونان بكونمينغ حاضرة مقاطعة يونان ، والثالث فى جامعة شمال الصين الغربى بخانغ شونغ فى مقاطعة شينسى

ونذكر لهذه المناسبة أن السيد ناجون نال شهادة العالمية من الأزهر الشريف عام ١٩٣٦ ، ونالها السيد هاى ويليانغ عام ١٩٣٧ أما السيد مكين فقد نال شهادة الأهلية من الأزهر عام ١٩٣٥ وسيتقدم لنيل أجازة التدريس من دار العلوم فى الصيف القادم

رقص ورقص

سيدى الأستاذ الزيات :

طالعت اليوم مقال الأستاذ العقاد (رقص ورقص) وقد ملأنى

الحماس والفرح وكلما اكتملت جمهرة من الإخوان قرأت على مسامعهم تلك الكلمات الحقة التي أجمع الكل على صحتها، فهو يعبر فيها عما يخالج كل مصرى يهوى الموسيقى. وقد اتفق صدور المقال فى يوم الذكرى الثانية عشرة بعد المائة لوفاة الموسيقى العظيم بيتهوفن، وأحيت محطة إذاعة أنقرة (التركية) تلك الذكرى بمقطوعات من ذلك الشاعر الموسيقى. وفى اليوم السابق سمعت أغانى وطنية من محطة روما. والحقيقة أن الإنسان قد حرم على نفسه المقارنة أو المشابهة لأنها كانت تنتج الحسرة والألم

انعقد مؤتمر الموسيقى الشرقية منذ أعوام وجمع أغانينا وسجلها على أقراص احتفظت بها وزارة المعارف، وقرر التمسك بالموسيقى المصرية لمصر، وما كانوا إلا مؤتمرين هازئين بالموسيقى الشرقية ولا حاجة بى أن أردد شعورهم نحونا لأنه مفهوم. وقد كتبت مرة فى المجلة الموسيقية أحبذ نشر الموسيقى الأسبانية لأنها سلالة من الأغانى العربية درسها الأوربيون وتتلمذوا عليها ثم كيفوها حسب طبيعتهم، وتغنوا بها، فصارت عالية تعبر عن الشعور والإحساس والعواطف. وأمامنا الموسيقى الروسية، وهى تلائم شرقيتنا. ولم لا تبدأ مراقبة الموسيقى بوزارة المعارف فى تعليم الناشئة أغانى الاطفال التى أصبحت عالية يتغنى بها الطفل الإنجليزى الألمانى والهولندى وغيرها كل بلغته، وهى سهلة سائغة محببة للنفس. تلك كلمات سريعة أذكرها وأفوض لأستاذى العقاد وللفنان المويلحى أمر تلك المسألة الحيوية

(أسيوط) دكتور حسن ابرهيم وهبه

حول عياش بن أبى ربيعة

حضرة أستاذنا الزيات

السلام عليكم ورحمة الله. وبعد فقد قرأت بالعدد رقم ٢٩٧ من الرسالة للأستاذ كامل محمود حبيب قصة إسلام عياش بن أبى ربيعة وافتتانه ثم عودته إلى حظيرة الإسلام بعد أن نزلت الآيات: « ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم... » إلى آخر الآيات الشريفة

غير أن الحقيقة المذكورة فى كل مراجع السيرة هى أن الآيات لما كتبها عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسلها إلى هشام ابن العاص (الثالث الذى واعدهم على الهجرة) لا إلى عياش (كما هو مذكور فى قصة الأستاذ)

فعمر رضى الله عنه يقول:

— « فكتبتها بيدى فى صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص »

وقال هشام فى ذلك:

— « فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طوى... » إلى آخر حديث هشام

(المنصورة) درويش الجميل

تنبيه مهم

وقع فى الآية الكريمة التى استشهدت بها فى آخر مقالى فى العدد الماضى من الرسالة تحريف بتقديم كلمة « الكافرين » على كلمة « المنافقين » وصحتها: (إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعاً) فأرجو كل قارئ أن يتفضل بتصحيحها فى العدد الذى عنده

الغمراوى



في سبيل العربية

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

— ٣ —

يعلم الله أننا ما نقصد بنقدنا هذا تجريح الأستاذين الفاضلين والعالمين الجليلين العوامرى بك ، والجارم بك . فإن حقهما علينا مرعى ، ومقامهما لدينا كبير . وإنما أشفقنا على العربية التى وقفنا حياتنا على خدمتها أن يشيع فى طبقات أهلها ما اعتقدناه مجانباً للصواب ومتجانفاً من الحقيقة التى ننشدها وينشدها معنا صاحبا العزة الشارحان للكتاب

أشفقنا على الحقيقة أن يضل الناس فى أمرها ، وقد شاع الكتاب وذاع وانتشر فى شرق وغرب ، وتناوله كل أديب واحتواه قمطر كل طالب . فأحببنا أن يصحح كل قارئ نسخته ليقرأه بعد ذلك سليماً وليجعله إلى الصواب محجة لا أمت فيها ولا عوج

ودليلنا على حسن النية أننا لا نعترض إلا على خطأ لا سبيل إلى التماس الصواب فيه ، فأما الذى يحتمل الصواب ولو بوجه من الوجوه ، وأما الخطأ الذى لا يوجب ارتباكاً فى الفهم ، فقد تركنا كل ذلك اتكالاً على فهم القارئ واجتناباً لأن نتهم بالاستكثار من عد التهم والرمى بها جزافاً

فى ص ٣٣ فى رسالة سهل بن هارون التى يخاطب بها بنى عمه يقول :

« وما أردنا بما قلنا إلا هدايتكم وتقويمكم ، وإلا إصلاح فسادكم وإبقاء النعمة عليكم . ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم »

والكلام واضح لا يحتاج إلى تفسير ، ولكن حضرتى الشارحين يأبيان إلا شرح ما لا يحتاج إلى شرح فهما يقولان :

« قوله (فيما بيننا وبينكم) . (فى) هنا للسببية أى بسبب ما بيننا وبينكم من صلة القرابة أى إن عدم خطئنا سبيل حسن النية إنما هو بسبب ما بيننا وبينكم من صلة »

وهذا كلام ظاهر التكلف : فيه تكلف فى اللفظ بإخراج لفظة (فى) عن معناها الأصلى إلى معنى السببية ، وفيه تجوز فى معنى الكلام وعدم إجراء له على وجهه المتبادر . وإنما المعنى المفهوم الذى تدل عليه الألفاظ بوضعها الحقيقى الأول هو : إننا لم نكن غير حسنى النية فى الأمر الذى نحدثكم فيه وهو تصويب الرأى فى البخل وعده حزماً وحيطة

هذا هو الأمر الذى بينهم وبينه وهو الذى بنى عليه رسالته من أولها إلى آخرها . أفرأيت أيها القارئ أننا لم نكن بحاجة إلى جعل فى للسببية وتفسير ما بينه وبينهم بالقرابة وهى لم يجر لها ذكر فى الرسالة؟

فى ص ٣٤ يقول سهل : « إن من أعظم الشقوة وأبعد من السعادة أن لا يزالُ يتذكر زلل المعلمين »

وفى الشرح يرتكب الشارحان خطأ ظاهراً بجعلهما أن فى قوله « أن لا يزال » مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وجملة لا يزال خبر لها . وقد تبع ذلك أن ضبطا الفعل يزال بالضم لأنه فى نظرهما لم يسبق بناصب ولا جازم ، كما تبع ذلك أيضاً أن فصلا أن من لا فى الرسم لأنها حين لا تكون ناصبة تفصل من حرف النفى

ولسنا بحاجة إلى الإطالة فى شرح هذا المقام وبيان ضرورة جعل أن مصدرية ناصبة للفعل ، لأن شرط جعلها مخففة من الثقيلة أن تكون مسبوقة بيقين أو ظن ، ولم يسبقها هنا شىء من ذلك

وهذه قصة صغيرة وردت ضمن رسالة سهل نوردها لحسنها فى ذاتها أولاً ، ولنذكر بعدها تعليقاً للشارحين على جملة منها أعرباها إعراباً غريباً ثم شرحاها شرحاً مضطرباً ينقض آخره أوله

وهذه هى القصة ص ٤٦

« حدث أحمد بن رشيد قال : كنت عند شيخ من أهل مرو وصبى له صغير يلعب بين يديه فقلت ، إما عابثاً وإما ممتحناً : أطعمنى من خبزكم . قال : لا تريده ، هو مر ! فقلت : فاسقنى من مائكم . قال :

لا تريده، هو مالح! قلت: هات من كذا وكذا قال: لا تريده، هو كذا وكذا، إلى أن عددت أصنافاً كثيرة. كل ذلك يمنعنيه ويبغضه إلى. فضحك أبوه وقال: ما ذنبنا؟ هذا من علمه ماتسمع. يعني أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم »

أما الجملة التى تؤاخذها على إعرابها وشرحها فهى « هذا من علمه ما تسمع » فقد أعرباها هكذا: هذا مبتدأ و (من علمه) جار ومجرور خبره وما بدل من ذا فى هذا » وهذا الإعراب خطأ لا يبرره أى تمحك مما اعتاد المعربون أن يلجئوا إليه، لأن الإعراب فرع المعنى كما يقولون

فلننظر قبل فى المعنى الذى فهمه الشارحان من الجملة. قالا: «أى هذا الذى تسمعه ناشىء من علمه ولم يلقنه بل هو من سجيته» وهذا كلام متناقض، كيف يكون الذى تسمعه ناشئاً من علمه ثم يكون لم يعلمه ولم يلقنه؟ وهل العلم إلا بالتعليم، فكأنهما قالا: تعلمه ولم يتعلمه فيكونان قد أثبتا شيئاً ثم نفياه فى حال واحدة

إنما المراد لقائل الكلام هو أن هذا الذى بدا من كلام الصبى لم يصل إليه من طريق التعليم ولا التلقين وإنما هو وحى الطبع وإرشاد السليقة؛ وإذا كان كذلك فهو غير داخل فى باب التعليم وإنما هو إلهام وغريزة مركبة فى النفس. وحضرتا الشارحين أولى منا بفهم الفرق بين الغريزة والكسب لأن هذا من مباحث علم النفس الذى طلباه فى أوربا وبه امتازا على إخوانهما ونالا مناصبهما العالية

ومن أجل ذلك وجب أن تقرأ الجملة هكذا: « هذا من علمه ما تسمع » ويكون الكلام على الاستفهام الذى يراد به النفى وتكون الإشارة فى « هذا » إلى الصبى. والمعنى أن هذا الصبى لم يعلمه أحد ما صدر منه فى جواب الممتحن وإنما أجاب بما ركز فى طبعه وثبت فى نفسه من طبيعة البخل المتوارثة فى قومه

فى ص ٦٦ فى حديث بخيل عرف فضل ماء النخالة فى شفاء السعال وفائدته فى الغذاء، فقال لامرأته: « لم لا تطبخين لعيالنا فى كل غداة نخالة فإن ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمة، ثم تجففين بعد النخالة فتعود كما كانت فتبيعين إذاً الجميع بمثل الثمن الأول ونكون قد ربحنا فضل ما بين الحالين »

ويعلق الشارحان على عبارة « فتبيعين الجميع بمثل الثمن الأول » بقولهما: « الجميع أى دقيق القمح ونخالته. أما الدقيق فلأنه باق على حاله، وأما النخالة فلأنها عادت بالجفاف كما كانت »

سبحان الله! ما رأيت تكلفاً كتكلف هذا الشرح. من أين جاء الشارحان بالدقيق وهو لم يرد له ذكر فى الكلام؟ ومن أين لهما هذا الخيال الذى تصورا به أن هذه الأسرة قد استغنت بماء النخالة عن كل طعام وشراب فلم تعد بعد بحاجة إلى الدقيق؟ إن أحداً لا يعقل هذا!! ولكن الأمر أيسر مما عسّرا وأبسط مما ركّبا، وذلك أن الرجل لما رأى فى ماء النخالة غذاء وشفاء عرض له أن يستفيد من ذلك، فتقدم إلى امرأته بأن تطبخ للعيال كل غداة نخالة ليكون فى تناول حسائها غنية عن أكلة من أكلات اليوم، ثم هو يوجهها إلى تدبيره المحكم بقوله « فتبيعين إذاً الجميع بمثل الثمن الأول » يريد أنه إذا تجمع عندها مقدار صالح من مطبوخ النخالة بعد تجفيفه باعته بمثل الثمن الذى اشترته به لأن النخالة لم تتغير حالها بعد الطبخ عما كانت عليه قبله

فقد بان مقدار التعسف فى هذا الشرح بتصور القمح وطحنه وإبقاء الدقيق والاستغناء بالنخالة عن كل طعام آخر وأن أصحاب هذا التدبير قد وفقوا إلى أن يعيشوا حياتهم كلها بفرق ما بين النخالة جديدة ومطبوخة

فيا لله أيها الشارحان إذا كنتما جادين فى هذا الخيال وقد اقتنعتما به، فلم اشترى الرجل وامرأته القمح وتكلفا طحنه ثم بيع الدقيق الذى بقى بحاله والنخالة بعد طبخها؟

أما كان يكفيهما أن يشتريا النخالة وحدها ليأخذا فائدتها ثم يبيعاها مسلوبة الفائدة فلا يكونان بحاجة إلى كل هذا التعب؟ ولكن تكلف الشارحين وتعسفهما قد جعلهما يكلفان الرجل والمرأة كل هذه المشقة فى أمر معاشهما

(للكلام بقايا) **محمود مصطفى**



حيـــاة الرافعى

تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان

للأستاذ محمود الخفيف

عرفت الرافعى رحمه الله ، واتصلت بينى وبينه أسباب المودة فى دار الرسالة أعواماً ثلاثة ؛ وأعرف سعيداً — متعنى الله بطول صحبته — معرفة وثوق وخبرة . لذلك أرانى شديد الغبطة أن أقدم إلى قراء العربية كتاباً عن الرافعى جرت به يراعة سعيد ...

يعتبر هذا النوع من الكتب (كتب التراجم) من أهم أبواب الأدب عند الأمم الغربية ؛ ولقد عظمت عنايتهم بتلك المؤلفات التى يجمع الواحد فيها بين دفتيه حياة رجل كان له فى الحياة الإنسانية خطره وكانت له فيها رسالته ؛ ولذلك كانت تلك الكتب واسعة الانتشار إذ يجد القراء فيها إلى جانب الدراسة والتحليل المتعة واللذة ، وأى متعة أدبيـة هى أجمل من أن تصاحب عظيما لحظة من الزمن على صفحات كتاب ؟

ولقد صار هذا النوع من المؤلفات فناً قائماً بذاته وصارت له أصول وأوضاع كما هو الحال فى القصص والشعر وغيرها من فروع الأدب ؛ فلابد فيه من الإحاطة بالموضوع عامة وفهم فن الترجم له ورسالته خاصة ، ولابد من سلامة المنطق وحسن السياق وعمق النظرة وتقصيها ؛ ولا بد من الإنصاف والنزاهة واللباقة ، ثم لابد بعد ذلك مما يجب توفره فى كل أثر أدبى من استقامة الأسلوب وجماله وبلاغته

فإذا أضفت إلى ما سلف معرفة الكاتب بالمترجم له وصلته به شخصياً ، فهنا الكمال الذى لامطمع بعده؛ وبقدر مايكون من هذه الصلة تكون قيمة الترجمة وخطرها ، ولذلك كان طبيعياً أن يعد هذا القسم الخاص من كتب التراجم أكثرها أصالة فى هذا الفن وأعظمها استهواء للقراء ، بله قيمتها من حيث صحة الإسناد وصدق الرواية

والرجل العظيم ، كاتباً كان أو سياسياً أو جندياً أو ما سوى هؤلاء ، لا يعرف من آثاره أو أعماله وحدها ، فلا بد من تمام المعرفة به من درس حياته ، فمن ظروف تلك الحياة ولدت آثاره ومنها استوى له مزاجه ونشأ وجدانه

ولقد كان الرافعى فيما أرى من عظماء رجال القلم لا فى مجال العربية فحسب بل فى مجال الفكر البشرى كله . وكان رحمه الله من ذوى الأصالة ، تجيش نفسه بالمعانى كما يتفجر الينبوع بالرائق العذب ، لأن من طبيعته أن يتفجر بهذا دون حاجة إلى مدد من غيره : فلقد حيل بينه وبين الأدب الأوربى لأنه لم يتحرك بلغة من لغاته لسانه ، وحيل بينه وبين مناقشات الناس فى مجالسهم لأنها لا تنفذ فى مسمعيه ، فلم يبق إلا أن يقرأ العربية ثم ينطوى على نفسه ينظر ويتدبر ...

أعجب سعيد بأدب الرافعى ثم ابتغى إليه الوسيلة حتى لقيه فنشأت بينهما صلة ، ثم توثقت الصلة فكانت مودة ، وتزايدت المودة فصارت إخاء ، ثم كان بعد ذلك ما يكون بين الصديقين الحميمين من زيادة الألفة ورفع الكلفة . وتسنى بذلك لسعيد أن يدرس الرافعى الرجل فى شخصه وأن يستبطن دخيلة نفسه كما درس الرافعى الكاتب فى آثار قلمه ، ومن هذه الناحية كملت ترجمته فهى كما ذكرت الناحية التى تكمل بها التراجم

وأدب الرافعى ثروة عظيمة يضم إلى تراثنا ، ودراسة هذا الأدب لاشك أمر مطلوب فى ذاته لناشئة الأدب عامة ؛ ثم هو أمر لاغنى عنه للباحث المثقف شأن كل أدب رسخ أصله وامتدت فروعه

والرافعى كغيره من فطاحل الكتاب لا بد من معرفة حياته لنفهم آثاره ، بل لعله أجدر بذلك من كثيرين غيره لما أشرت إليه من صفاته ؛ هذا إلى أنه لابد فى دراسته من هاد ، فلقد يعظم ويسمو أحياناً حتى ليغدو كالجبل الأشم لا بد لمن يريد ارتقاءه من دليل . اقرأ على سبيل المثال مقالاته فى النبوة ، واقرأ مقالاته : رؤيا فى السماء ، وابنته الصغيرة وبين خروفين وأضرابها تجد البرهان على ما أقول ؟

ولقد يرق ويسهل حتى تصبح مقالاته كأفواف الزهر ولـكن لابد ممن يشير إلى سر جمالها ، ثم لقد يعمق ويدق حتى يصير كالجدول المتوارى لا سبيل إلى معرفة منبعه إلا أن يهديك إليه هاد ، خذ مثالاً لذلك مقالاته فى الجمال البائس والشكلة ، ثم لا تنس أوراق الورد ورسائل الأحزان وأشباهها فإنك لن تفهمها حق الفهم إلا أن تعرف المنبع الذى تفجرت منه ...

ويسرنى أن أذكر أن الأستاذ سعيداً قد دلنا بكتابه على نواحى القوة والجمال فى هذا الأدب الفذ ، ثم لقد كشف لنا من أسراره وخبيآته ، وفرغ من عمله على خير ما يرجى من الجودة ، وهو بما يرشدنا ويدلنا يؤدى إلى الضاد خدمة من أجل الخدمات

هذا ويسرنى كذلك أن أذكر دون أن أتحيز إلى سعيد ، أنه قدم بكتابه هذا أقوى براهينه على أصالته ، فلقد حيل بينه كما حيل بين أستاذه وبين الأدب الغربى فى لغاته ، ومع ذلك فإنى لأشهد أن ما اتبعه فى كتابة تلك الترجمة لا يختلف فى جوهره عن أصول ذلك الفن . وفى ذلك دليل قوى كما أقول على أنه كالجواد الكريم ، لم يأت كرم أصله من المحاكاة والتعلم ، وإنما كان كرم ذلك الأصل طبيعة فيه لأنه هكذا خلق

سار سعيد سيراً منطقياً فتتبع حياة الرافعى فى مراحلها دون تعثر أو ارتباك ، ثم حلل ودرس المزاج الأدبى والنزعات الاجتماعية والسياسية التى امتاز بها عصر الرافعى ، فكانت طريقته بهذا هى الطريقة العلمية ، طريقة النظر والتبصر ، وبها امتاز كتابه عن تلك الكتب التى تعمد إلى مجرد الحكاية والسرد ، وإنك لتقرأ الكتاب فتحس كأنك صاحبت الرافعى وترتسم لك شخصيته قوية واضحة فتسأل هل كان مرد ذلك إلى حسن سياق الكاتب أم إلى شدة معرفته بمن يكتب عنه ، ثم لا يسعك إلا أن ترده إلى ذلك جميعاً

وثمة حسنة فى الكتاب زادتنى محبة له ، ذلك أن الدافع الأساسى إلى كتابته كما نعلم كان دافع الوفاء نحو صديق راحل فلم يحمل هذا الدافع القوى سعيداً على التحيز وعهده بصاحبه قريب، ورأيناه بصدقه وإنصافه يرينا ناحية من نواحى قوته ككاتب. ثم لقد كان يجد نفسه أمام أمور دقيقة فكانت تواتيه فيها لباقة ترضى الذوق ولا تغضب الحق . . .

أما أسلوب سعيد فلست بحاجة إلى أن أتحدث إلى القراء عنه ، وقد عرف القراء سعيداً بجمال أسلوبه وبلاغة بيانه قبل أن يعرفوه بكتابة هذا ، وحسبى هنا أن أشير إلى إعجابى به

وعهدى بسعيد أنه يحب فى إخلاص أن يعرف رأى المنصفين فيما يكتب فيحفل بأن يسمع ما لا يرضيهم أكثر مما يحفل بالثناء والمجاملة وهى خلة تضاف إلى محامده ، ولذلك أصارح سعيداً بأنى كنت أحب منه أن يدرس أسلوب الرافعى وطريقته دراسة نقدية.

ولقد رد على ذلك بقوله إن لهذه الدراسة مجالاً غير هذا المجال ، وهو رأى له وجاهته بل هو رأى أكثر كتاب فن التراجم وفى مقدمتهم أميل لدوج وأندريه موروا وغيرهما ، بيد أنى شخصياً أرى أن الموضوع يكون بهذه الدراسة أتم وأجمل

ولقد طبع الأستاذ سعيد كتابه طبعاً أنيقاً متقناً فى مطبعة الرسالة وختمه بفهرست للموضوعات وثبت دقيق للأعلام والصحف والمجلات والكتب التى ورد ذكرها فيه

أهنئ الأستاذ سعيدا بكتابه الفذ الجيل وأكرر له إعجابى .

ويسرنى فى خاتمة هذه العجالة أن أشير إلى معنى آخر هو أن كتابه هذا بموضوعه وبما سلك فيه من طريقة يعتبر من مظاهر التجديد فى أدبنا العصرى ، ولذلك كم أرانى مغتبطاً بالحديث عنه فى هذا الموضع من سجل الرسالة !

الخفيف

(بقية المنشور على صفحة ٦٥٦)

دعاباتهم ، ولكن لا أظن أن ما ذكرت يدخل فى باب الفكاهة المستملحة . وقد يكون هذا وما إليه محتملاً ، ولكن الفظيع أن ينعى لك صديق وهو حى يرزق ، فتخف إلى داره لتعزى أهله ، ويلقاك ابنه أو أخوه ، ولا ترى فى وجهه حزناً أو سهوماً ، فلا تستطيع أن تقص عليه الخبر الذى حملك إليه، ولا تجد ما تسوغ به هذه الزيارة فى ساعة غير مألوفة ! وبعض الناس يضحكهم ويسليهم هذا الضرب من المزاح ! ولم لا ؟ كل ما سر جائز ...

ابرهيم عبد القادر المازنى



حديث الأسبوع

٦٢٥ جنيهاً تصرف يومياً

على الفرقة القومية

أكدت لنا بعض المصادر العليمة أن حضرات النواب المحترمين الأساتذة عبد الحميد عبد الحق وسليمان غنام واحمد أبو الفتوح سيتقدمون فى هذه الدورة بسؤال إلى معالى وزير المعارف عن الفرقة القومية والرسالة الثقافية التى أدتها للبلاد وعن مبلغ الخمسة عشر ألفاً من الجنيهات التى تصرفها الحكومة إعانة لها ... وتؤكد هذه المصادر أيضاً أن بعض النواب سينضم إلى الأساتذة مقدمى السؤال وأنهم سيطالبون بتوفير هذا المبلغ وتقديم جزء منه كإعانة للفرق الأهلية

والواقع أن هذه الفرقة يجب أن تحل لأنها تكلف ميزانية الدولة من المال مالا تستطيع أية حكومة فى العالم أن تقدمه لمساعدة جميع الفرق فى بلادها. وإذا عرف القارئ أن الفرقة تعمل فى الموسم دورتين ، وأن كل دورة تستغرق على أكثر تقدير أربعة أسابيع ، وأن أيام العمل فى كل أسبوع تصل إلى ثلاثة أيام لخرج بنتيجة وهى أن مدة عمل الفرقة فى موسمها بأسره أربعة وعشرون يوماً. ومعنى هذا أن الحكومة تدفع لها كل يوم ٦٢٥ جنيهاً مصرياً إعانة خلاف إيجار المسرح وأجور موظفيه وثمن التيار الكهربائى المستهلك والملابس المؤجرة وغيرها

هل يعرف حضرات النواب المحترمين هذه الأرقام المخيفة ؟! إن البلاد الآن فى عصر انتقال يتحتم عليها فيه أن تقضى على كل ضار فتمهد لبقاء الصالح . والتجارب العديدة أثبتت أن الفرقة القومية هزيلة الجسد لا تستطيع القيام بأعباء الرسالة الملقاة على كتفيها ، وجدير بالحكومة أن تصرف الإعانة على مشروع جدى يعود بالخير على البلاد ...

تقسيم جديد

قد يعرف المتتبعون للتطورات الفنية فى البلاد أن ستوديو مصر كان قد استحضر خبيراً فنياً ليقدم تقريراً عن أوجه الإصلاح اللازمة للمؤسسة الفنية الكبيرة وأن الرجل قام بعمله وقدم تقريره ثم غادر مصر إلى فرنسا ثانية

وعملت إدارة ستديو مصر على تنفيذ تقرير مسيو أفنيون الذى اقترح وجوه إصلاح عديدة وبدأت فى الأسبوع الماضى تنفيذ الجزء الأول منها وهو القاضى بالتقسيم الإدارى والفنى وتحديد السلطات ، فأصبح الأستاذ محمد رفعت مديراً للانتاج بدلا من الهر فريتز كرامب الذى أصبح مستشاراً فنياً ، وأسندت مهمة المدير الإدارى إلى الاستاذ رجائى ، ومهمة مدير التوزيع إلى الأستاذ موريس كساب. وكل هؤلاء المديرين يعملون تحت سلطة المدير العام الاستاذ حسنى نجيب

موسيقى للجميع

المفروض — فنياً — أن الجزء الأكبر من نجاح الأفلام يعود إلى إتقان الناحية الموسيقية فيها وهى ناحية لا نجد فى مصر من المنتجين من يهتم بها ، ولذا نشعر بالملال يسود نفوسنا فى معظم الأفلام المصرية التى يعتمد فيها المنتج والمخرج وكاتب السيناريو وواضع الحوار و ... المؤلف أخيراً ... على الحوار

والواقع أن الموسيقى التصويرية فى مصر تكاد أن تكون مهملة ، لأن ملحنينا يتجهون إلى مناحى أخرى توفروا عليها . ولذا رأت السيدة بهيجة هانم حافظ المديرة الفنيـة لشركة فنار فيلم بصفتها رئيسة نقابة الموسيقيين المحترفين أن تسد هذا النقص الموجود بأن تضع عدة قطع موسيقية تصلح لشتى « المواقف » السينمية وأن تسجلها وتطبع منها نسخاً عديدة تعرض للبيع لمن يطلبها من أصحاب الشركات التى ترى نفسها فى حاجة إلى سد هذه الناحية الواجب أن تملأ بما هى جديرة به من الاهتمام والإتقان الفنى

موريس

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 301

Lundi - 10 - 4 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٠١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٠ ابريل سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

يا للمجهول الصريع !

الملك غازى ...

فى ذمة الله نبعةٌ فواحة من أرومة الحسين ، ذوت فى ازدهار الربيع وغيَدان الصبى وفوران الأمل، ثم أسقطها الجفاف والرى موفور والخصب شامل !

كان الملك غازى ـ تغمده الله برضوانه ـ مهوى قلوب العرب ومعقد رجاء العراق ؛ لأن شبابه يرافِق شباب النهضة ، وطموحه يجارى طموح العروبة ؛ ولأنه من بعدُ وريث فيصل بانى العروش وقائد الثورة. وكانت تباشير الصباح المسفر تنبئ عن الضحى الجميل والنهار الصحو، لولا أن للقدر أحكاماً لا تجرى على أقيسة العقول ولا تسير على رغائب الأنفس

* * *

عرفت خليفة فيصل وهو ولى عهد ، ولم أنل شرف لقائه وهو ملك ؛ لأننى تركت العراق وأبوه لا يزال على عرش الرشيد يدبر الأمر بذكاء على ودهاء معاوية . وكانت جلساتنا الليلية فى حديقة البلاط المزهرة المقمرة ، حيناً فى حضرة الملك وحيناً فى حضرة خاله ، تكشف لى قليلاً قليلاً عن مصاير هذه النفس الرغيبة الطيّبة التى نبتت فى هجير مكة وأزهرت فى ظلال بغداد ، فكنت لا أنفك منها أمام طبيعتين مختلفتين : طبيعة تتأثر بحاشيته فتسامح وتساير وتمرح ، وطبيعة تتأثر بأبيه فتصعب وتسمو



جلالة الملك غازى

وتطمح . ولكن المقرر فى الأذهان كان أن الشبل سينتهى بالضرورة إلى طبيعة الأسد مهما أثر فيه طبع الناس ونال منه قفص الحديقة

* * *

قلّ فى الشباب الملكى من كان كغازى فى سماحة نفسه وسجاحة خلقه ونبل شعوره وسمو تواضعه وظرف شمائله . وتلك هى الصفات الهاشمية التى تنتقل فى بنى الحسين بالإرث ، وتقوى إذا ساعدتها القدوة وساعفتها البيئة . ولكن ما ورثه هو عن أبيه صقر قريش من الجناح الزفّاف ، والبصر النفاذ ، واللب الحصيف ، كان يتيقظ رويداً رويداً مع الزمن والخبرة ؛ فلم يكن بعدُ قد توثقت آرابه للاضطلاع بالعبء الفادح الذى ألقى على ظهره فجأة . والعبء الذى كان يحمله فيصل من أمور العراق هو العبء الذى قسمه الدستور على سلطات الدولة الثلاث فجمعه هو على عاتقه . من أجل ذلك لم يضع غازى يده من سياسة العراق العليا موضع يد أبيه للتعديل والموازنة ، وإنما تركها فى أيدى الزعماء تجرى سفينتها على مشيئة الريح ، تضطرب حين تثور ، وتستقر حين تسكن . ومن أجل ذلك امتحن الله الفراتين بالقوة الغشوم تحكم الجيش ، واستبد الطيش ، واضطرب العيش ، وسطت الأيدى المجرمة على عباقر الأمة . ومن أجل ذلك لا نتوقع لسياسة العراق بعد غازى ما توقعه لها الناس بعد فيصل . والغالب فى الظن أنها ستجرى فى عهد فيصل الثانى كما كانت تجرى فى عهد فيصل الأول . فإن نورى السعيد الذى يقبض على سكانها اليوم هو تلميذ أبى غازى ؛ وضعا معاً سياسة العراق الحديث على أساس من المرونة اللبقة ، ثم ساساه بنوع من الدكتاتورية المعتدلة التى تسير مع النزاهة وتقف عند حدود العدل . ولعل هذه السياسة الفيصلية هى التى تقتضيها الحال اليوم بعد ما فت فى أعضاد الشعب توزع الرأى وتقلب الهوى وتوقح الخصومة



جلالة الملك فيصل الثانى

* * *

إن مصرع الملك الشاب على هذه الصورة الأليمة فاجعة تدمى العيون وترمض الجوانح .

وإن العالم العربى كله ليشاطر العراق الحزين أساه على سيد شبابه ومناط أمله ؛ ولكن للدواهى النُّكر صدمات تهز الشعور وتوقظ الفطنة ، فتنبه على قدر ما تُذهل ، وتوجه على أثر ما تُضل . والشعب العراقى من الشعوب الكريمة الحرة التى تصقلها الخطوب وتلهمها الأحداث فتقف بفطرتها السليمة أمام الخطر هوًى واحداً ورأياً جميعاً وعزيمة صادقة . وسيرى الذين يتخيلون ويتقولون أن إرادته الصارمة الحازمة ستَثبت لدواعى الشقاق ونواجم البغى ، وتُثبت أن عصر فيصل الثانى سيكون عصره الذهبى الثانى ، فيشتد بنيانه ويمتد سلطانه ويتسع عمرانه وتهبُّ من جوف الهلال الخصيب عبقريات غفت فى أحضان الخلود ولكنها لم تمت !

* * *

فى ذمة الله نبعة فواحة من أرومة الحسين ومن دوحة فيصل ، سقاها النبل الخالص ، وغذاها الكرم المحض ، وتعهدها الحفاظ الحر ؛ حتى إذا أوشك الكم أن ينشق عن الزهرة المثمرة قصفها الموت الفاجئ ، فكان ذُوِيها حسرة فى نفس شعب ، وقرحة فى قلب وطن !

برد الله ثرى غازى بالصيب الهتون من رحمته ، وشعب قلب العراق بالصبر الجميل عن مصيبته ، وجعل عهد المليك الطفل على العروبة والإسلام عهد سلام ووئام وبركة !

احمد حسن الزيات

دخيلة آســيا

للأستاذ عباس محمود العقاد

جون جنتر John Gunther كاتب صحفي روائي ذو شهرة عالية ، بدأ حياته الصحفية في الحادية والعشرين من عمره حوالى سنة ١٩٢٢ مخبراً في صحيفة شيكاغو دايلي نيوز Chicago Daily Neuis الأمريكية ، ثم أسندت إليه مراسلتها من عواصم أوربا والشرق الأقصى فأقام في لندن وباريس وبرلين وموسكو ومدريد وحواضر الصين واليابان والهند وكل حاضرة كان لها شأن في السياسة العالمية

واتصل بعظماء البلاد بين محادث ومجالس ومراقب ، واستعان بالوسائل الكثيرة التي يستطيعها الصحفي الأمريكي من بذل المال وإقامة الولائم والتقاط الأسرار للاطلاع على دخائل الزعماء المحجبين في البيوت وفي دواوين الأعمال ؛ ثم اعتزل الصحافة منذ ثلاث سنوات وتفرغ للتأليف في موضوعات تشبه موضوعات الصحافة، فكان تصنيفه الأول في هذا الباب كتاباً ضخماً يربي على خمسائة صفحة كبيرة أسماه دخيلة أوربا Inaide Europe ويشتمل على نوادر مستملحة ومعلومات طريفة عن كل من عرف من الرجال، وكل ما عرف من الشؤن والأحوال ؛ وهو محصول نفيس ولاشك يحتاج إليه كل من يعنيه أن ينفذ إلى حقائق الأمور في سياسة الدول الأوربية وسياسة العالم عامة

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في شهر يناير سنة ١٩٣٦ ، وصدرت الطبعتان الثانية والثالثة منه قبل أن ينتهي الشهر ، وأمامي الآن الطبعة الحادية والثلاثون منه ؛ ولا يبعد أن تكون الطبعة الثانية والثلاثون في الطريق ، وثمن النسخة نيف وستون قرشاً بالعملة المصرية ... فلعلي لا أتهم غداً بالتحريض على جريمة قتل واغتيال إذا اطلع على هذه « الأسرار » أولئك الحانقون على كتابنا الكهول والشيوخ ، لأنهم ناجحون !

* * *

وسر المؤلف بهذا النجاح فأقدم على تجربة ثانية باسم « دخيلة آسيا » في هذه المرة ، تناول فيها عظماء اليابان والصين والهند وفارس وسائر العظماء الأسيويين ، وكتب عن امبراطور اليابان وقائد الصين وشاه إيران وغاندي وجوهرلال ، وأجاد في هذه التراجم كما أجاد في تراجم المشهورين الأوربيين ، فسيلقى كتابه الثاني من الرواج ما لقيه كتابه الأول ؛ وسيقبل عليه الأمريكيون والأوربيون قبل إقبال الآسيويين وإخوانهم الإفريقيين عليه !

ولما يصدر الكتاب بعد من المطبعة ، ولكنا اطلعنا على نخبة من فصوله في المجلات المختلفة ، ومن هذه الفصول نلخص بعض ما يطيب الاطلاع عليه لقراء العربية

* * *

كتب عن امبراطور إيران صاحب الجلالة رضا بهلوي بعنوان « ملك الملوك » أو شاهنشاه بالإيرانية ، فذكر جهاد جلالته في كفاح الجهلاء من رجال الدين الذين يحاربون الإصلاح باسم القرآن، وما يحاربونه في الحقيقة إلا بما يجهلون من العلم ومن القرآن ، وذكر اجتهاده في تعليم نفسه وقال : إن ظهوره كان أكبر حادث في التاريخ الفارسي بعد أيام جنكيز خان ، وإنه كان قبلة الآمال حين فكرت فئة قليلة من الشبان في إنقاذ البلاد من الفوضى والفساد ، فجمع حوله ألفين وخمسمائة من الجند وتقدم إلى طهران في العشرين من شهر فبراير سنة ١٩٢١ فاستولى عليها بغير عناء

ويقول المؤلف إن الشاه يستيقظ في الخامسة من الصباح ، وليس في المملكة موظف كبير إلا ويتوقع دعوة منه في أي وقت من أوقات الليل والنهار للحضور إلى القصر بعد خمس عشرة دقيقة ، وهو يستحث وزراءه إلى العمل الناصب فيفخرون بالعمل ويفخرون بإيران

ويقال إن الشاه أوسع الملاك أرضاً في أرجاء القارة الأسيوية ، وأنه يملك أعظم الفنادق الكبرى ، ويجعل السياحة في البلاد الفارسية حكراً للدولة ، وليس على الدولة ديون بل لها موارد في احتكار السكر والشاي والملح والتجارة الخارجية، والنقل والنفط وما إلى ذلك ، وتنفق كلها على المرافق العامة والإصلاحات الداخلية .

وقد وهب الشاه بلاده كل ما عنده من الذهب منذ عهد قريب .

ولا يطيق الشاه تعصب الحمقى من رجال الدين . فمن ذلك أن جماعة منهم هجموا على موظف أمريكي في السلك القنصلي

فقتلوه لأنه التقط صورة شمسية لحفل من المحافل الدينية ، وكانوا بقيادة رجل يزعم أنه من نسل النبي عليه السلام . فأمر الشاه بمحاكمته وصدر الحكم عليه بالموت ، فمات ، وكان عبرة لغيره من الجهلاء الذين يسيئون بهذه الحماقات إلى سمعة البلاد .

وقال إن الشاه تدرج في إلغاء الحجاب فأصبح نساء المملكة جميعاً سافرات ، وإنه يقتدي بالغربيين ، ولكنه لا يستسلم لأحد منهم في سياسة داخلية ولا سياسة خارجية . وقد ألغى خطوط الطيران الألمانية والإنجليزية وسمح للطائرات الهولندية وحدها أن تطير فوق بلاده ، على أن تجدد الرخصة كل شهرين .

***

وندع ما أشار به الكاتب إلى « خصوصيات » الشاه ، ونذكر بعض ما رواه عن « الإنسان الإله » أو إمبراطور اليابان ومن أنهم يستأنسونه شيئاً فشيئاً لأنه يعيش حتى الساعة عيشة الأرباب المعبودين ، فلا يتكلم في المذياع ولا يجوز لأحد أن يصوره ولا أن يحدجه بنظره ، وأنه مع هذا ينظم الشعر ويقيم في قصره مكتباً للمسابقات الشعرية تعرض فيه المنظومات كل سنة ويشترك الأمبراطور فيها وإن كان لا يشترك في الجوائز الممنوحة للسابقين

ونقل المؤلف عن بعض المصادر أن السياسي الياباني الكبير الأمير « إيتو » قد استشار بسمارك أثناء زيارته لبرلين في أمر الدستور والقواعد النيابية فقال له ضريبه بسمارك إن الشرط الأول لنجاح الملكية الدستورية هو اعتصام الملك بثروة كافية وافية . وعلى هذا يقول المؤلف إن رأس مال البيت الأمبراطوري هو الثالث أو الرابع بين رؤوس الأموال في الديار ، وإن للأمبراطور أسهما في كثير من الأعمال الصناعية والسكك الحديدية وخطوط الملاحة ، ومع هذا لا يأذن العرف للأمبراطور بحمل النقود كما يقولون .

***

وكتب عن زعيم الصين « شيان كاي شيك » فقال : « إنه لغز من الألغاز النفسية لأنه لدود الخصام شديد الصرامة في النظام ، ومع هذا يصفح عن كثير من أعدائه ويوليهم المناصب ويلقي عليهم التبعات .

يستيقظ عند الفجر ويدأب على العمل حتى المساء ، ويحب أن يؤدي أعماله وهو مضطجع ، وينام قليلاً أثناء النهار على صوت الأغاني التي تدار له على الحاكي ، ويختار من الأغاني أنشودة دينية لشوبير ، ويعلم مرؤوسوه في الحجرة المجاورة أنه قد نام ساعة ينقطع الانشاد

لا يدخن ولا يشرب الخمر ، وقلما يتعاطى القهوة أو الشاي ، وله يومية يواظب على تدوين الملاحظات فيها ؛ ويقال إنه نجا من الموت مرة بفضل هذه اليومية ، لأنها وقعت في أيدي المعتدين عليه فقرأوها فبدا لهم الرجل في حياته الخاصة بعد قراءتها على صورة غير التي تعرضها لهم مغامراته السياسية ، فأحجموا عن قتله

رياضته المختارة السير على الأقدام فوق التلال ، أو تناول الغداء في الخلاء ، ولا يزجي الفراغ في غير القراءة ، وأكثر ما يقرأ في الكتب الصينية القديمة ، وشعاره من كلام كونفشيوس الحكمة التالية :

« من أراد أن يحكم أمة فعليه أن يحكم أسرة . ومن أراد أن يحكم أسرة فعليه أن يروض جسمه قبل ذلك بالرياضة الأدبية . في أراد أن يروض جسمه فعليه أن يروض عقله . ومن أراد أن يروض عقله فعليه أن يخلص في نياته ومقاصد حياته . ومن أراد الإخلاص في النيات فعليه التوسع في المعرفة »

ومفتاح أخلاق الزعيم الصيني العناد والصبر والمثابرة . ويبلغ من يقينه بصوابه أنه ينتظر من أعدائه أن يثوبوا إليه مع الزمن نادمين موافقين ولو طال الانتظار

مرتبه ألف ريال صيني في الشهر ، وهي تساوي مائتين وخمسين من الريالات الأمريكية . وهو سعيد في حياته المنزلية تعاونه زوجة فاضلة من بيت كريم هو بيت أستاذه زعيم الصين الأكبر « سون ياتسين »

ولا يزال وفياً كل الوفاء لأستاذه الجليل . ففي صباح كل يوم من أيام الإثنين يقام في معسكره حيثما كان اجتماع عام يحضره نحو ستمائة من أعوانه ، وتعزف الموسيقى سلاماً فيقف جميع الحاضرين ، ويرفعون القبعات وينحنون ثلاثاً راكعين أمام صورة كبيرة لسون ياتسين ، ثم يتلو شيان كاي شيك وصية أستاذه في خشوع وائتاد كما يتلو الصلاة ، ثم يسأل الحاضرين السكوت دقائق ثلاثاً يعقبها بإلقاء موعظة تستغرق الساعة أو أكثر من

ذلك ، يعرض فيها على أستاذه أعماله وحساب أسبوعه كما يعرض المرؤوس تقرير الأسبوع على رئيسه الذى هو مسؤول بين يديه ، ويظل السامعون والمتكلم واقفين طوال وقت الاجتماع ، ثم ينفضون خاشعين بعد أن يؤذنهم الخطيب بكلمة الختام »

ويرى المؤلف أن شيان كاى شيك ربما كان أقدر أبناء الصين منذ العهد الذى بنى فيه الحائط قبل المسيح بثلاثة قرون

* * *

ولا يتسع المقام لتلخيص ما كتبه عن غاندى وجوهر لال وغيرهما من أعلام الهند والقارة الآسيوية ، فلعلنا نرجع إلى تلخيص الطريف النافع بعد صدور الكتاب

عباس محمود العقاد

البحترى أمير الصناعة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قيل إن أبا العلاء المعرى شرح ديوان المتنبى وسماه (معجز أحمد) وشرح ديوان أبى تمام وسماه (ذكرى حبيب) وشرح ديوان البحترى وسماه (عبث الوليد). ولعمرى لو كان شعر البحترى عبثاً ما احتفل له أبو العلاء المعرى ولما سلخ زمناً من عمره فى شرحه، وإلا كان المعرى عابثاً لإضاعة وقته فى شرح العبث . وهذا أمر يذكرنى بكارليل والقرن الثامن عشر ، فقد كان كارليل كما ذكر القرن الثامن عشر فى أوربا سماه العصر العقيم وعصر طاحونة المنطق ، ويعنى المنطق الفارغ وعصر الإلحاد ؛ ولكنا لو درسنا مؤلفات كارليل لوجدنا أن أكثرها كان فى دراسة القرن الثامن عشر ورجاله ونزعاته الفكرية والسياسية ، ولو كان عقيما ما حفل له ولا اهتم به كل هذا الاهتمام. وكنت أود أن أسأل شيخ المعرة، على ماله عندى من الاحترام والمنزلة، هل شعر الوليد (ويعنى البحترى وهو الوليد بن عبادة) هو العبث أم الجناس والتزام مالا يلزم هو العبث؟ وإذا تساويا فى العبث فأيهما أحب؟ يخيل إلى أن المعرى إنما أراد أن يداعب البحترى ، ولعله فى صميم قلبه كان يحب عبث الصناعة بدليل ميله إلى الجناس والتزام ما لا يلزم؛ والحب يجلب الداعبة ويغرى بها كما يداعب المحب حبيبه ، وقد يكون ثقل الداعبة دليلاً على شدة الحب الذى لا يجد تنفيساً وترويحاً إلا بالتثاقل بالداعبة . وإذا أضفت إلى ذلك اعتزاز المعرى بتفكير كثير ليس للبحترى مثله كنت قد جمعت بين رِشقَى الداعبة وسببيها. فليس من المحتوم أن يكون لها سبب واحد . على أن المعرى يُغْرى أحياناً بمعارضة البحترى فى شعره، وهذه مداعبة أخرى فى ثناياها الجد فقد قال البحترى من قصيدة :

وعَيَّرْتنى سجال العُدْم جاهلة   والنبع عريان ما فى فرعه ثمر

أى أن الفقر لا يعير به الرجل كما أن الشجر النافع مثل النبع لا يعير بأنه ليس له ثمر . فقال المعرى يعارضه :

وقال (الوليد) النبع ليس بمثمر
وأخطأ سِرْبُ الوحش من ثمر النَّبْعِ

يعنى بالوليد البحترى ويقول : إن قول البحترى إن النبع ليس له ثمر خطأ لأن النبع تصنع منه القِسِىُّ وبالقوس يقنص الصائد سرب الوحش ، فكأن سرب الوحش من ثمر النبع الذى ليس له ثمر من فاكهة النبات. فبالله أليست هذه دعابة؟ ثم أليست فكرة المعرى مأخوذة من بيت البحترى ، إذ يعنى أن النبع الذى يمد القانص بالقوس من خشبه لا يعير بأنه ليس له ثمر من فاكهة النبات لأنه يكون سبباً فى اقتناص القنص فله مزايا ؟ فأيهما إذاً العابث ؟ على أنه لو كان شعر البحترى عبثاً لكان أفضل من كثير من عبث الحياة الذى يسمى جداً على سبيل تسمية الضد بالضد . ثم أما كفى المعرى إضاعة وقته بشرح عبث الوليد فى زعمه حتى يضيع جزءاً آخر من وقته بالإشارة إلى معانيه

والبحترى أقرب الشعراء فى صناعته إلى أبى تمام وإن كان أبو تمام أكثر جرأة فى تلك الصناعة وأعظم ابتداعاً. ونجد لأبى تمام معانى يجاريها البحترى ، فأبو تمام يقول :

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طُويَتْ أتاح لها لسان حسود

فيقول البحترى فى المعنى نفسه :

ولن تستبين الدهر موضع نعمة   إذا أنت لم تُدْلَل عليها بحاسد

وبيت أبى تمام أسير وأحسن معنى . وألاحظ أن الصناعة هنا هى التى أثقلت بيت البحترى وعاقته عن السير. أما أبو تمام فعرف كيف يجعل الصناعة خادمة للمثل السائر وأبى أن يعوقه بأن يحمله ثقلاً من الألفاظ ، وهذا المعنى هو نصف الحقيقة المشاهدة فى الحياة ،

والنصف الثانى من الحقيقة هو ما عبر عنه الشريف الرضى بقوله :

رُبَّ نعيم زال ريعانه بلسعة من عقرب الحاسد

وهناك فرق قليل فى المعنى بين بيت البحترى وبيت أبى تمام ولكن الموضوع واحد . وقال أبو تمام أيضاً :

لو سعت بقعة لإعظام نعمى لسعى نحوها المكان الجديب

فقال البحترى :

فَلَو انَّ مشتاقاً تكلف فوق ما فى وسعه لسعى إليك المنبر

وقال أبو تمام أيضاً فى أرجوزة :

إن الربيع أثر الزمان لو كان ذا روح وذا جثمان
مصوراً فى صورة الإنسان لكان بَسَّاماً من الفتيان

فقال البحترى :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما

وقد زاد البحترى فى المعنى واختصر كلماته وأحسن سبكه . والحقيقة هى أن البحترى قلما يأخذ معنى إلا زاد فيه وأجاد سبكه أو تصرف فى معناه . أنظر كيف أخذ قول أبى الصخر الهذلى :

تكاد يَدِى تَنْدَى إذا ما لمستها وتنبت فى أطرافها الورقُ الخضر

فالهذلى يقول إنه إذا لمس حبيبته أعدته بالحسن ، ولكن أى حسن ؟ حسن النبات . فجعل البحترى العدوى بحسن الإنسان فقال :

أغتدى راضياً وقد بتُّ غضبا ن وأمسى مولى وأصبح عبدا
وبنفسى أفدى على كل حال شادياً لو يُمَسُّ بالحسن أعدى

وقد ظلم ابن الرومى البحترى بقوله فيه :

كل بيت له يُجَوِّدُ معنا ه فمعناه لابن أوس حبيب

فإننا لو شئنا لأتينا بأبيات يشترك فى معانيها ابن الرومى ومن كان قبله من الشعراء . ويمتاز البحترى بجودة الصنعة ، وكثيراً ما يزيد المعنى، أنظر إلى قول أبى تمام: (ولا يحيفُ رضا منه ولا غضب) وإلى قول البحترى :

يُرَنَّجَى للصفح موتوراً ولا يَهَبُ السُّؤدَدَ فيه للحَنَقْ

فصفح الموتور أعظم من صفح الغاضب ، والشطر الثانى زاد المعنى بهاء . لاشك أن ابن الرومى كان أكثر ابتداعاً ، وكان يجيد الصنعة ولكن للبحترى قطعاً لا يستطيع ابن الرومى محاكاتها فى حلاوة الصنعة ولا سيما فى المدح ، ومدح البحترى كان أسهل متناولاً ، ولعل هذا وحلاوة صنعته مما جعله مسعوداً لدى الممدوحين أكثر من ابن الرومى. والظاهر أن الأمراء والوجهاء[1] كانوا يسيئون الظن بمدح ابن الرومى أحياناً لأنه كان هجاء ساخراً ، ومن كان كذلك حُمِلَ بعض مدحه على محمل السخر ، وهذا أمر مشاهد فى الحياة . أما البحترى فإنه يذكرنا بما يحكى عن أحد طهاة باريس الذى أجاد صناعة الطهى حتى أنه طبخ ذات مرة نعلاً سال له لعاب آكليه من جودة صناعة الطهى . وقد بلغت جودة الصنعة فى شعر البحترى مبلغاً جعلها تحاكى العاطفة والوجدان كما نرى فى بعض غزله ، ولكن لو كان كل ما فى شعر البحترى حلاوة فى الصنعة لما حفل به ابن الرومى قدر ما حفل به ؛ وأما إتقان صناعة البحترى محاكاة صدق العاطفة فهى صفة فى كبار الفنانين. فالممثل الكبير إذا مثل الحزن أو الحب لم تفرق بين الحقيقة والمحاكاة ، بل إن المحاكاة تصير حقيقة حتى أن الفنان نفسه قد يخدع بمظهرها فى نفسه كما يخدع المعجبون بفنه ، ومن أجل ذلك قد تختلط حقيقة العاطفة ومحاكاتها فى حياة الفنان كما تختلط الحقيقة والعاطفة فى فنه. أنظر مثلاً إلى قصة البحترى وغزله فى مملوكه نسيم الذى كان يبيعه ويقبض ثمنه ثم يصنع فيه غزلاً من أرق الغزل ويعرضه على المثرى الذى اشتراه فيرد المملوك إليه هدية فيربح المملوك ، ويربح ثمنه ، ويصنع غزلاً من غزل محاكاة العاطفة ، ولكن حلاوة الصنعة فيه تغطى على المحاكاة وتختلط الحقيقة والخيال فيه .

والمدح فى شعر البحترى لايقل كثيراً فى جودته عن المدح فى شعر أبى تمام. وإذا أردت أن تنتخب خلاصة الخلاصة لم تستطع ترك المدح من شعرهما . أما ابن الرومى فإن له أشياء فى موضوعات وأبواب أخرى تلهيك عن مدحه عند اختيار خلاصة الخلاصة من شعره ، وإن كان له فى المدح قدرة كبيرة . ومن بديع شعر البحترى فى المدح قوله :

تلقى إليه المعالى قصد أوجهها كالبيت يقصد أَمَّا بالمحاريب
كالعين منهومة بالحسن تتبعه والأنف تطلب أعلى منتهى الطيب

وقوله :

علا رأيه مرمى العقول فلم تكن لتنصفه فى بعده وارتفاعه
وقارب حتى أطمع الغر نفسه مكاذبة فى ختله واختداعه

فهذه الأقوال ليست صنعة فحسب بل هى أيضاً خيال وفكر .

(١) كما حدث عند ما مدح أبا الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني الوزير بقصيدته النونية الرائعة

وانظر إلى قوله فى مدح قوم توارثوا خصال الحمد :

خلقٌ منهم تردد فيهـــم   ولِيَتْـه عصابة عن عصابَهْ
كالحسام الجراذ يبقى على الده   ر ويفنى فى كل عصر قرابه

أو قوله :

جهير خطاب يخفض القوم عنده   معاريض قول كالرياح الرواكد

وهذا تشبيه بديع، وانظر إلى قوله:

مدرك بالظنون ما طلبوه   بفنون الأخبار فناً ففناً

وقوله :

وكأن الذكاء يبعث فيـه   فى سواد الأمور شعلة نار

وقوله :

صحبوا الزمان الفرط إلا أنه   هرم الزمان وعزمهم لم يهرم

وقوله :

عليم بتصريف الأمور كأنمـا   يعانى صروف الدهر من عهد تُبّعِ

وقوله :

عَجِلٌ إلى نجح الفعال كأنمـا   يمسى على وِترٍ من الموعود

وقوله :

وكم لبست الخفض فى ظله   عمرى شباب وزمانى ربيع

فمدحه حلو شائق سواء أكان المعنى سائراً مألوفاً أم كان جديداً مبتدعاً . أنظر إلى دقة المدح فى قوله :

لم يرتفع عن مراعاة الصغير ولم   ينزل إلى الطمع المخسوس إسفافا

ولـكنه مع ذلك لا يخلو من أشياء فيها فتور الصنعة وتكلفها عند ما تكون الصنعة قاهرة لعاطفته الفنية ومنافسة لها بدل أن تكون زميلتها أو خادمتها . وقد روى أنه أحرق أكثر هجائه الذى به فحش وان كان فى ديوانه القليل من هذا النوع[1] وله فى الهجاء أشياء مستحسنة مثل قوله :

تزيد الإهـــانة فى حاله   صلاحاً وتُفسِدُهُ التكْرِمهْ

وهذا البيت يصف النفس الإنسانية فى بعض حالاتها وهو فى معناه شبيه بقول القائل :

يُصبحُ أعداؤه على ثقـة   منـه وخِلّانُهُ على وَجَل
تذلُّلاً للعدو عن ضعة   وصولةً بالصديق عن نغَل

ومن مأثور هجاء البحترى قوله :

وبعضهُمُ فى اختبـاراته   يُحبُّ الدناءة حبَّ الوطن

(١) مثل هجائه علي بن الجهم الشاعر

والظاهر أنه لم يجد حبًّا أشد من حب الوطن كى يقارن به حب المهجو للدناءة . ومن المشهور قوله أيضاً :

كل المظالم رُدَّتْ غير مظلمة   مجرورة فى مواعيد ابن عباس
مَنعْتـِنِى فرحـة النجح الذى التمست   نفسى فلا تمنعَنِّى فرحـــة اليأس

وأبياته التى يقول فيها :

وبعد عن المعروف حتى كأنما   ترون به سقم النفوس الصحائح

والأبيات التى يقول فيها (ويمتد العتاب من السباب) وذمه على أى حال لا يقارن بهجاء ابن الرومى الذى بَرِم جميعاً فى بابه

والبحترى لا يُعَنِّى نفسه كثيراً بالتفكير فى معضلات الحياة كما يفعل المعرى، ولـكن أمراً واحداً يفكر فيه كثيراً وهو تفاوت الناس فى الحظوظ ولا سيما فى قسمة المال حتى أن فى بعض قوله نفحة من الاشتراكية ؛ فهو يقول إن الغنى مفسدة والفقر مفسدة ويود لو تقاربت الحظوظ فى المال، وهو يكرر هذا المعنى فيقول

كان يُحْيِى هالـكاً من ظمأ   بعض ما أوبق ميْتاً من غرق

ويعنى بالظمأ والغرق قلة المال وكثرته ، ثم يكرر هذا المعنى فيقول

تفاوتت الأيام فينا فأفرطت   بظمآن بادٍ لوحُهُ وغريق

وتمنيه فى البيت الأول أن يسعد جميع الناس فى الحظوظ يخالف قول ابن الرومى :

ومُحَالٌ أن يَسْـعد السعداء الـ   دهرَ إلا بشقوة الأشقياء

(البقية فى العدد القادم)   عبد الرحمن شكرى

خـــواطر

للأستاذ فليكس فارس

كنت كلما سمعت النشيد الوطنى المصرى : « بلادى بلادى » أحول ذهنى إلى فكرة بعيدة حين تكرار اللازمة فيه وهى :

« تعيش بلادى ويحيا الوطن »

كان يؤلمنى أن أسمع مثل هذا التركيب الغريب فى مبناه ومعناه ولا أفهم كيف يتغنى شعب هو فى طليعة النهضة العربية بمثل هذا الشطر وفيـه العيش شىء والحياة شىء آخر ، وفيه البلاد شىء والوطن شىء آخر !

ثم مرت الأيام فإذا هذه اللازمة مسبوكة فى قالب آخر تنشدها الجماعات والأفراد ويتغنى بها الأطفال هكذا :

« تعيش بلادى ويحيا الملك »

لا أعلم كيف وقعت هذه القافية على آذان الشعراء والموسيقيين لأول ما سمعوها، بل لا أعلم كيف كتبها من أقرها دون أن يتمرد القلم على يده أو تتمرد أعصابه على أذنه !

أين القافية المماثلة لـكلمة « مَـلِك » فى النشـيد نفسه أو فى أية قصيدة نظمت منذ قرت الأبيات على قواف ؟

أما أنا فقد رأيت سبابتىّ تسدان أذنى عند ما سمعت هذه اللازمة فترحمت على أصلها

ولا أزال حتى الآن أتألم كلـما سمعت هذا القرار الناشز فى نشيد الوطن؛ ويخيل إلى أن حورية شمرى تبسط ذراعيها هاتفة:

« يعيش مليكى ويحيا الوطن »

فهل يقرّ إخوانى هذا التصحيح لتأخذ به وزارة المعارف فتنقذ النشيد وتحمى ذوق الناشئة من الانطباع على رطانة قراره ؟

* * *

فى بريد الولايات المتحدة أن قرينة الأستاذ جيمس آرجويت توفيت منذ أمد قريب تاركة ، بوصيتها لجامعة هارفرد، مائة وخمسين ألف دولار يتصرف بهـا أستاذ يعين لتدريس اللغة العربية واستخراج ما فى كتبها خدمة للعلم فى الديار الأمريكية

ليعلق المفكّـرون على هذا الحدث ، كل بما توحى إليه عقيدته.

ليقل البعض إن ما أبقاه الأجداد من تراث علمى وأدبى قد استنزفه الغرب فلم يبق فيه قطرة لرجال العلم فى هذا العصر ، وإن أدمغة العرب قد عقمت فى هذه الأيام فليس فيها ما يُطمع به .

وليقل البعض الآخر إن قرينة الأستاذ جيمس قد استهواها ما يبدو من أبناء وطنها من غرائب الأعمال . أما نحن فلا نملك القلم من أن يكتب تكراراً ما كتبه منذ سنوات ونشر فى رسالة المنبر :

« إن هذه البلاد مستودع لأشرف الثقافات ، ومكمن لأسمى المواهب ، فمن واجب أجناد المنابر والأقلام فيها أن يظهروا هذه القوات لأبنائها نزوعاً بهم عن الانقياد لدخيلات العادات والأخلاق التى تغلبت عليهم بما وجدوه من التوهم فى أنفسهم فاستصغروها »

* * *

وعين الرضى عن كل عيب كليلة
ولـكن عين السخط تبدى المساويا

فى هذا البيت حكمة أصابت صميم الحقيقة فى الشطر الأول ، غير أنها قصرت فى الشطر الثانى عن تصوير حالة الساخط النفسية؛ فإن من نقم على إنسان لا يقف عند إبداء مساويه بل يندفع إلى مسخ حسناته عيوباً

تلك حالة مستقرة فى الطبيعة يصعب على الإنسان أن يحلق فوقها . ولـكم نتمنى لو يخضد تهذيب النفس من شوكتها أو على الأقل لو انعتق الأدباء من سلطانها وهم الداعون إلى الإنصاف والمتجهون إلى المثل العليا

صديقنا الـكاتب الروائى كرم ملحم كرم معروف فى العالم العربى بآثاره الأدبيـة القيمة وصـديقنا إلياس أبو شبكة كاتب من الطراز الأول وشاعر من طليعة شعراء هذا الجيل ؛ ولست أدرى أى شيطان نفخ بينهما فحول نورها ناراً تتقد ولست

أدرى أيهما بدأ بإشهار الحرب لعدم اطلاعى على صحف بيروت كلها؛ غير أننى قرأت مجلة الأمالى فإذا فيها مقالات متتابعة يشن فيهـا الروائى الغارة على الشاعر ويتهمه بأنه سرق من شعراء الفرنجة جميع ما نظم فى ديوانه « أفاعى الفردوس »

وعهدى بصديقى الأستاذ كرم عميق النور رصيناً فإذا به يخرج من حلمه ويوجه نقده شتماً وتحقيراً ، وما هذه النضبة المضرية على قوله إلا غيرة على الأدب العربى وإشفاقاً على المسكين بودلير وأضرابه ، ينتزع منهم إلهامهم ويختلس ثمرات قرائحهم

وقد أورد صديقى كرم ما يزيد على عشرين قطعة من هؤلاء الشعراء باللغة الفرنسية وألحق كل قطعة بمـا اختلسه أبو شبكة وقيده لحسابه

وهأنذا أورد أنموذجاً من هذه الأدلة التى يقضى بها الأستاذ كرم قضاء مبرماً على زميله :

أبيات أبى شبكة من قصيدة شمشون :

شبق الليث ليـلة فتنزّى   ثائراً فى عرينـه المهجور
تقطر الحمّة المسعَّرةُ الشـ   ـهباء منه كأنه فى هجـير
يضرب الأرض بالبراثن غضبا   ن فيصدى القنوط بالديجور
ووميض اللظى يغلّف عيـ   ـيه فعيناه فوهتـا تنور
وترا من عرينه تتشظى   حمم من لظاه فى الزمهرير
واللهاث المحموم من رئتيه   يشغل الغاب فى الدجى المغرور

وهذه ترجمة الأبيات التى يتهم شاعرنا باختلاسها وهى من قصيدة آلهة الغاب لألفريد دى فينى :

« ورأى النمر جبابرة الغاب يذهبون إلى بعيد بالنمرة دون أن يتمكنوا من حجبها عن نظراته الملتهبة، فوجم وتململ، فاهتز الغاب لهزيم صيحاته، وتدفق الزبد من شدقيه سائلاً على لسانه المشتعل ، واشتد احتدامه فانطلق محطماً قيوده »

ويقول صديقى كرم بعد إيراد شعر السارق الوقح وشعر المسروق المسكين :

أليس النقل حرفاً بحرف ؟ ألم نقبض على اللص الأديب بالجرم المشهود ؟ أيجوز للأدب العربى أن يرضى عن هذا الشعر المسروق حتى بتكته وحذائه ؟

فليسارع إلى نجدة الأستاذ كرم للدفاع عن الأدب العربى من يشاء إذا وُجد أديب يأخذ بحكمه . أما أنا فأجيز لنفسى أن أقول إن قطعة دى فينى فضلاً عن أنها فى واد وقطعة أبى شبكة فى واد من حيث معناها ومبناها لأبعد حتى فى أصلها الفرنسى من أن تدانى أبيات شاعرنا العربى فى سمو الخيال وروعة البيان

متى نحول إيماننا بكل ما هو غريب عنا إلى ثقة بأنفسنا ؟ ومتى يسود التضامن والأخاء بين من لا يجدون غير النصب والشقاء فى سبيل هذا الأدب العربى الذى تتوقف على إحيائه حياة الأمة العربية

« الاسكندرية » فليكس فارس

أعلام الأدب

سوفوكليس

للأستاذ دريني خشبة

ظل سوفوكليس يمد المسرح اليوناني بروائع دراماته نيفاً وستين سنة ، فكان عمراً ممدوداً مباركاً متصل الجهاد ، وكانت حياته كلها كالحديقة الجميلة الغناء باسمة بالزهر يانعة بالثمر حافلة بالطير مزدهرة بالألوان

وُلد سوفوكليس سنة ٤٩٦ قبل الميلاد، في كولونوس ؛ وكان أبوه سوفيللوس تاجر أسلحة ذا ثروة واسعة فنشأ ولده تنشئة راقية وضمن له حياة مترفة مليئة بالناعم ، وثقافة أثينية هي إلى الأدب والفن ، أقرب منها إلى العلم والفلسفة ، ويبدو ذلك واضحاً جلياً في جميع ما تركت لنا يد العفاء من دراماته التي بلغت ثلاثاً وعشرين ومائة فلم يصلنا منها غير سبع

ويبالغ التاريخ في وصف جمال سوفوكلس إذ هو صبي وإذ هو فتى ؛ ويقال إنه لم يكن في أثينا كلها من كان يفوقه رشاقة وتناسقاً وجمال تركيب ، حتى إنهم اختاروه في الاحتفال بالنصر في سلاميس ليقود فريق المنشدين ، فكان يتقدمهم عارياً مجلل الرأس بالغار والأزهار ، عازفاً على قيثاره أشجى النغم ، فكان فتنة الاحتفال كله

وكان يجمع إلى جمال الجسم ورشاقة اللفتات محاسن النفس الخيِّرة وفضائل القلب التقي ، فكان يحب الناس جميعاً ويقسرهم جميعاً على محبته والشغف بمواهب روحه

ولقد شدا الموسيقى — وربما الشعر — عن الفنان الكبير لمبروس ، الذي كان له أكبر الأثر في توجيه سوفوكليس والذي حبب إليه الإنشاد وموسيقى المسرح فجذبه إلى الفن وأقصاه عن الفلسفة ، وضمن له الظفر على أقطاب الأدب وفحول الشعر في عصره ، وهو لما يزال شاباً حدث السن

ويذكرون أنه نال أولى جوائزه ، وكان منافسه إذ ذاك إسخيلوس الشيخ ، وهو في الثامنة والعشرين من عمره ، بدرامة وطنية مفقودة تدعى (تربتوليموس) ويختلف المؤرخون في السبب الذي أظفر الشاعر الشاب بالشاعر الشيخ ، وأشهر الروايات أن إسخيلوس كان قد سخر بالآلهة سخرية واضحة لاذعة في درامته التي تقدم بها للمباراة مما أهاج الرعاع عليه وأثارهم ضده حتى كادوا يفتكون به وهو يمثل لولا أن حال أخوه بينه وبينهم ، كاشفاً لهم عن ذراعه التي جرحت في سلاميس دفاعاً عنهم ، وذياداً عن بيضة الوطن . . . ويقولون إن سوفوكليس كان قد أغرى القضاة بماله الكثير ، وإنه نحّاهم ، وكانوا خمسة ، حينما حان وقت فرز الأصوات وتقدم القادة العشرة المعجبون بدرامة سوفوكليس الوطنية فزخرفوا الحكم ودلّسوا النتيجة وقضوا بالجائزة الأولى للشاعر الشاب . وأيًّا كان السبب فقد ترك الحادث في نفس سوفوكليس أثراً عظيماً من الزهو ليس يعدله إلا أثر الحسرة والمرارة في نفس إسخيلوس .. ولم يضار المسرح ولا الأدب بما حكم للأول على الآخر ، فقد نظم إسخيلوس أسمى روائعه بعد ذلك ، كما أن سوفوكليس صمد لخصمه، وراح يعزز فوزه بعشرات ثم عشرات من أرفع ما شهد المسرح من المآسي في جميع عصوره .

ذاك ، وقد ظفر سوفوكلس بالجائزة الأولى عشرين مرة ، وبالجائزة الثانية أكثر من ثلاثين ، وقلما هبط إلى الجائزة الثالثة. ومهما يكن لأمواله من أثر في هذه النتائج الباهرة فما لاريب فيه أن أدبه وفنه ودقته كانت العوامل الأولى الأساسية في تعدد مرات انتصاره ... أما إسخيلوس فقد فاز بالجائزة الأولى خمس عشرة مرة ، على قلة منافسيه وهوان شأنهم ، كما فاز بها يوربيديز — سيد شعراء الدرام — خمس مرات فقط

ولما كان سوفوكلس جميلاً بارع الجمال ، فقد كان يقوم بنفسه بتمثيل أدوار النساء في صدر شبابه ، كما ذكرنا أنه أدى دور نوزيكا في درامته (نسوة غاسلات) . وكانت ظلال جماله تنعكس على فنه ، فكان يؤثر البساطة في التعبير والتفكير ، ويفضّل العاطفة الجياشة الثائرة على العقل الخامد الرزين ، ولذلك لم يفكر في أن يرتفع إلى أفق إسخيلوس في بروميثيوث مثلاً ، لأنه كان يتجنب عمق الفكرة التي تجهد قرائح النظارة وتكمدها ، ويؤثر أن يشب في قلوبهم حرائق من الألم والتأثر في روعة من الشعر العالي وجمال من الفن الدقيق .

وقد عاش سوفوكلس حياته الطويلة هادئاً لا يعكر صفوه شيء ، حتى ثار فى أعماقه شيطانه الفنان فوصل أسبابه بأسباب غادةٍ سيئة السيرة فاسدة الخلق تسمى تيوريس — اضطره فنه على ما يبدو لنا من تحليـل حياته إلى أن يتخذها خليلة تذكى مشاعره ، وتصل إلهامه ، وتحيى من قلبه موات الشيخوخة ، وتدفئه من ريح العمر الباردة... لـكن صلته بها قد افتضحت آخر الأمر ، وكان ينفق عليها بسخاء غريب فثار ولده يوفون وشكاه أمام القضاء طالباً الحجر عليه وإقامته وصياً ليحول بين أبيه وبين تسرب ثروته وبعثرتها تحت قدمى تلك (المحظية) العابثة الهلوك !...

وهنا تكتسح عظمة سوفوكليس تدبير أعدائه ، فإن ولده يرميه أمام القضاة بتهمة العَتَـه والسفه ، فما يكاد يقولها حتى يقف الشاعر العظيم ، ثم ينسخ التهمة بإلقائه وتمثيله إحدى قطعه الخالدة من درامته (أوديبوس فى كولونوس) التى كان ينظمها خلال تلك المحنة، وسرعان ما يصفق له القضاة الذين خلبهم بشعره الرفيع الرصين ، وفنه الجميل العالى ، وتمثيله القوى الخلاب ، ثم يحكمون بسلامة تفكيره وحريته المطلقة فى تصريف شئونه . . . وهكذا اعتبر القضاة غرام سوفوكلس من شئونه الخاصة فلم يدمغوه بحكم يذهب بشرفه وربما كان يقضى على تلك العبقرية الرائعة التى عكست سناها على جميع العبقريات فى جميع عصور المسرح .

. . . فغرام سوفوكلس بالغيد الأماليد لم يكن إلا إيحاء فَنيّاً تستلزمه حياة الفنان وتقسره عليه ميوله . ويكاد كل فنان يكون خاضعاً لمثل هذا الإيحاء ، وقد خضع له إسخيلوس من قبل ، فقد رُوى أنه لم يكن يستطيع أن يحسن شيئاً من الشعر الرفيع إلا حين تلعب بلبـه حُميّا الخمر . وقد قال فيه سوفوكلس إنه نظم أبدع روائعه وهو لا يدرى ماذا يقول ولا ماذا ينظم . . على أن هذه المغامرة الغرامية قد ذهبت جُفاء فى حياة سوفوكلس ، فلم تترك فيها وصمة ، ولم تلطخها بالعار ، بل على الضـد من ذلك فقد زاد شغف الناس بشاعرهم العظيم حتى قيل إن طائفةً منهم عبدوه بعد موته عام ٤٠٦ باسم الإله البطل دكسيون الذى يؤثر أنه ضاف فى منزله الإله أسكلبيوس واعتبروا قبره فى طريق دكليا دار حج لهم

ولد سوفوكلس سنة ٤٩٦ وتوفى سنة ٤٠٦ ق . م وفاز على إسيخيلوس وهو فى الثامنة والعشرين ثم لبث يمد المسرح نيفاً وستين عاماً بمعدل درامتين كل سنة ، فهو بذلك قد ملأ القرن الخامس العظيم من تاريخ أثينا بأدبه وروائعه ، وشهد جلائل الأعمال التى تمت فى هذا العصر وعادت بالخير الجزيل على اليونان خاصة وعلى الإنسانية عامة . . . لقد كان سوفوكلس أنضر زهرة فى حديقة بركليس العظيم ... لقد شهد نهضة الفن وساهم فى نهضة الدرام ، ووقف من شرفة برجه الرفيع يطلع على ذاك الصراع العنيف بين أثينا وأسبرطة ، ويرى إلى الديمقراطية تصارع عسكرية الأسبرطيين فتساجلها مرة ، وتواثقها مرة ، ثم يموت بركليس فتسقط أثينا فى الميدان وتغزوها أسبرطة بعد موت سوفوكليس بعامين (٤٠٤) ... عاصر سوفوكليس هذه الأحداث الجسام لـكنه لم يندغم فيها ، لأنه كان يشهدها بطبع الفنان الذى يؤثر الراحة ويخلد إلى الأدب وبطلب السلامة ، لا سيما إذا كان فى مثل ثروة سوفوكليس وجاهه اللذين رشحاه لعضوية أعظم مجالس الأمة بالرغم من قلة درايته بالأمور الإدارية وعدم بصره بشئونها ... حتى قيل إنه كان إمّعة بين زملائه يوافق إذا وافقوا ولا يدرى على أى شيء يوافق ، ويرفض إذا رفضوا ولا علم عنده بما يرفضون .. لـكنه مع ذاك أديب أثينا وفنـانها وبلبلها الغرّيد الذى يهذب ويوحى ويلهم ويواسى ويُسلى ويبكى ويغنى وينفذ إلى سُوَيداءات القلوب

لقد كان إسخيلوس صارماً متجهماً يرمى بشرر كالقصر حينما يرتطم بالقضاء والقدر ، وكان يؤثر الأسلوب الفخم فى الأداء والعبارة الفصيحة والمجاز العميق ، وكان ينقصه كثير من روعة الفن . . . أما سوفوكلس فقد خلص من كل القيود التى تحول بينه وبين قلوب الناس . . . إنه لم يرتبط بنظام الثلاثيات الذى أخذ به إسخيلوس نفسـه ، بل كان يعمد إلى الموضوع الذى كان إسخيلوس ينظمه فى ثلاث درامات فيجعله هو درامة واحدة فى ثلاثة مشاهد(١) مستعيناً على ذلك بسرعة الأداء وتقصير الحوار وتركيز الغرض والمحافظة على الوحدة فى العبارة السهلة والبيان المتين

(١) يقال إن الذى ابتكر هـذا هو الشاعر أرسطرخوس أحدد أنداد سوفوكلس

وليس هذا هو كل ما أدخله سوفوكلس على الدرامة اليونانية بل لقد أدخل عليها ألواناً من التجديد لم يلبث الجمهور أن شغف بها وأجاد تذوقها ، فمن ذلك اتخاذه المناظر المنقوشة ثم اقتصاده في التهويل في كل من الصوت والملابس التنكرية وإيثاره النشاط ومقته للحركة البطيئة التي تشل الممثل وتربكه وتذهب بروعة الأداء وتشوه جمال التمثيل ...

لقد كان سوفوكلس وسطاً ما بين إسخيلوس ويوريبيدز ، لأنه وإن يكن قد حافظ على العنصر الديني في معظم درامته فجرى بذلك في غبار إسخيلوس إلا أنه اقترب إلى النـاس وابتعد عن الآلهة ولم يرفرف دائماً فوق شعاف الأولب كما كان يصنع إسخيلوس ... لقد عرف القلب الإنساني واكتشف ما فيه من الكنوز التي لا تقوم بدونها دولات الدرام ... لقد لمح القبس المقدس الذي يعمر قلوب البشر ... القبس الإلهي ! .. الحب ! .. لقد أشركه في دراماته ولم ينأ به كما صنع إسخيلوس ... لقد جعل له نصيباً أوفى في توجيه كثير من درامته وحل عُقَدها . واستطاع أن يصوغ له اللغة البراقة الدفاقة والأسلوب المصطخب الملتهب فجاء كلامه عنه كلام المجرب ذي الصبوات

إسمع إليه ينظم للخورس هذه الأنشودة العالية في درامته أنتيجوني :

لله أنت يا حب ! أيها الظافر بنا في كل حَلْبة !
أيها المحارب الذي حطامنا أسلابه !
لله أنت إذ تكمن في خدود العذارى الناعمة كالمخمل
تترصد فرائسك في غيهب الليل ، طاوياً الموج
رفافاً في الحراج والغاب ، والهضاب والتلاع
وأكواخ الرِّعاء
لا يعترض سبيلك أحد .
الكل يخضعون لك
الناس والآلهة ... سواسية جميعاً
كلهم مهزومون في ميدانك
يستولي عليهم جنونك
صناع يا حب ! لشد ما تضل الهداة !
فيتردّون في التهلكة بأيديهم[1] ؟ !

وكما أجاد سوفوكلس في كل ما كتب عن الحب الغرامي ، فكذلك قد أتى في سائر ألوان الحب بما لم يستطعه غيره ، ففي درامته إلكترا يصور لنا الحب الأخوي تصويراً رائعاً شائقاً ويعبر عن أحاسيس الطفولة تعبيراً هيّناً ليناً ، فيه من ضَعْف الصغر وسذاجته وأحلامه ما يجعله أقرب إلى الطبيعة مما صنع إسخيلوس في أورست

كذلك كان سوفوكلس بارعاً إلى آخر حدود البراعة في تصوير شخصيات النساء . وقد عنى فيهن بناحية الضعف ولم يعن بناحية القوة والصرامة كما صنع إسخيلوس في كليتمنسترا... عنى بناحية المحبة والعطف والحدب والتألم والبكاء والخوف ولم يؤثر أن تكون بطلاته جبارات عاتيات كبنات لانوس اللائي قتلن أزواجهن ليلة الزفاف إلا واحدة ، أو كزوجة ممنون التي تقتل زوجها وتؤثر عليه عشيقاً لم تحبه ولكن ربطه بها التدبير السيء والمشاركة في الغرض الوضيع

وقد ثار سوفوكلس على أحد الأوضاع الهامة التي أخذ إسخيلوس بها نفسه ؛ فقد أجاز حوادث القتل وسفك الدماء على المسرح وكان بذلك يثير شجون النظارة ويمزق أحشاءهم من الألم ، ففي درامته (أجاكس) ينتحر البطل وتنصبب دماؤه أمام المتفرجين ، وفي أوديب يسمل الملك عينيه فينبجس الدم منهما ويصيح من الألم مستنجداً أن يقوده أحد ... هذا إلى المشاهد التي كان يتجنبها إسخيلوس ويجنب نظارته شهودها . . . فقد أوقف سوفوكلس كليتمنسترا تبكي تحت سكين ولدها قائلة له : « حنانيك يا بني لهذا الثدي الذي غذاك بلبانه ! » وتكون ابنتها إلكترا واقفة عن كثب فما تكاد استغاثة أمها تصك أذنيها حتى تقول محرضة أخاها على قتل أمه : « وهل استشعرت حناناً لك أو لأبيك من قبل ؟ » ... أو ذلك المشهد الرائع الفاجع من مشاهد (فيلوكتيتيس) حينما يظهر البطل في غمرة من الذهول فيملأ المسرح أنيناً ويثير في قلوب النظارة زوابع هائلة من الألم والوجد

يعد المسرحيون هـذه الظاهرة عيباً في فن سوفوكلس ، بيد أنه كان يوجه دراماته وجهات تحتم أن يعرض تلك المشاهد على نظارته ، وكان له من روعة الفن وعبقرية الأداء ما يحيل هذه

(١) توسطنا في النقل بين ترجمتي كامبل وهويتلو

حديث السكوت

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

ترجمة الآنسة الفاضلة « الزهرة »

إن بحر السكوت الهائل المخيف يفصل بيننا
وأعرف أنك حيّ ترزق ... وأنك تحبنى ...
ومع ذلك — فشدّ ما أتمنى أن تقبلَ إلىّ من عبر المحيط —
سفينة بيضاء ... تتحفنى بكلمة منك !
إن الهدوء التام يرعبنى بسكونه الصامت الرهيب
لا تعكّره فى صدرى خلجات الشك ، وشبهات الارتياب ،
أو تهزه فى عقلى خشية الداجاة وتمويهات الإفك
فياليت موجة صغيرة من موجات اللسان ، تلم شطّى الحزن الأبكم .. وتهزّ أعطافى .. مثيرة رواكد هذا السكوت .. غير المتناهى!
إننى ضائقة بهذا الإحساس العظيم بالحب ، الذى مجمتُه دون قول ، وأشربه قلبانا ! وإنا لنتبادل منه الشيء الكثير
بيد أنى قد استروحتُ منه شذا حبّك الذى نفحنى خلسة.
وكما يتسرب البخور الزكىّ النفّاذ من المجمرة ، ويعقد سحبه فى الفضاء، هو ذا حبّك قد تكاثف حولى وشملنى بفوحته المسكيّة، ولفّنى فى شملته العطرية
إن لغة الكلام غثّة تافهة ، والألفاظ المحبّرة المسطورة جوفاء لا وجدان لها ولا معنى فيها ...
لذلك أطلب أن تحمل الصبا إلى مثواى نفحة من بليل نسيمها تخفّف الضغط عن علمى التام بوجود الحبّ بيننا ...
وتلطّف وطأة هذا السكوت الواصب الكتوم الذى يبهظ عقلى.
ما أشدّ إملاق الحبّ الذى يفتقر إلى الكلمة أو الرسالة ، تمحو الشك ، أو تغذى الجنان !
ولكننى مع ذلك ألتمس الكلمة والرسالة ، رجاء أن تعززا حجج الحب وأسانيده التى يجذمها السكوت ببلاغة تجاوز كل حدّ ، ويقوض دعائم برهانها ويردّها قميئة صاغرة وكأنما أفرغ عليها ذَنوباً. ويوجد بحراً عظيماً يفصل بين المتحابّين فيجعلهما غريبين
وذلك لأن الإحساس لا يكفى لإبراز ما استسرّ فى القلب ، والاقتناع بوجوب الحب وتعرّف مخبره لا يقدران وحدهما أن يضفيا على الحياة رونقاً
والكلام إن لم يبرز بياناً واضحاً منسقاً ، يعجز فى التعبير عن جوهر المعانى والأشياء ، ويقصر عن تأليف صلة القربى بين الروحين
إن اللغة التى تتناجى بها الروح غاية فى الغموض والخفاء والغمرات التى تهيم نفسى فى رحابها ، وتثير خبرتى لججها ، فيحاء مترامية
فارسل سفينة بيضاء من عبر بحر السكوت الرهيب الأفيح
واقطع حبل حديثه المسهب ... وجدله المسترسل
بكلمة منك . . . (الزهرة)

المجازر إلى ضرب من الاستمتاع غير المستكره ، ليس مرجعه إلى ما فطر عليه الإنسان من ميول سادية ، لكنه يستمتع بما فيها من جمال الحق وروعة الإيمان، ويزيد فى استمتاعه أغانى سوفوكلس العذاب ولغته السهلة ، وذلك الترابط الوثيق بين أجزاء المأساة ، والتوازن بين حوادثها ، وإحكام المؤامرة ، والقدرة البارعة فى حل العقدة ، ثم ذاك (التكتيك) المنتظم المتزن الذى كان يعرض به مآسيه ... هذا إلى سرعة الأداء بإظهار أكثر من ممثلين مرة واحدة فى المسرح

أما المعين الذى كان يستقى منه موضوعات دراماته فلم يكن يعدو الشعر الغنائى الشائع وشعر ملاحم العصريين (Cyclic Poets) ثم هذا البحر الزاخر من الأساطير التى حشدها أركتنوس ولسبوس وغيرهما من الشعراء الأسطوريين فى منظوماتهم ، وقل أن كان يعتمد سوفوكلس على هوميروس أو على أحد من شعراء الدرام من معاصريه

دريني خشبة

وليم بتلر يايتس

WILLIAM BUTLER YEATS

الفنان الذى أوجد لأمة أدباً

١٨٦٥ - ١٩٣٩

للأستاذ عبد الكريم الناصرى

(تتمة ما نشر فى العدد السابق)



والحب عند يايتس صوفى، فذ فى صوفيته ونقاوته[1]. « هو لهب أبيض يحترق فيه كل ما له صلة بالأرض وبالتراب »

هو حب « شلى » ، « آريلى » ، حب مثالى لجمال مثالى

ولكن أين هذا المثل الأعلى من الجمال ؟ إن دونه الكلال والملال ، والهرم والشيخوخة، والصدى الذى لا يبل، والقلق الذى ما له من حد :

« خرجت إلى غابة البندق ، لأن ناراً كانت فى رأسى ، فاقتطعت غصناً وقشرته ، ومكنت بندقة من صنارة ، ووصلت الصنارة بخيط ، وساعة أن كان فراش العُث فى جو السماء، وكانت النجوم تبزغ رفافة خفاقة وكأنها الفراش ، ألقيت الصنارة فى الجدول فصدت سمكة فضية صغيرة ، ثم وضعتها على الأرض ومضيت أنفخ النار لتلتهب ، ولكن شيئاً حف على الأرض ، وإنساناً هتف باسمى ، وإذا بها أمست فتاة تكاد فى الضوء الخافت المرتعش لا تبين، وفى شعرها زهرة تفاح ، وقد هتفت باسمى وفرت واختفت فى الفضاء الرفاف بأضواء اللهب

ألا إنى وإن كان أهرمنى التطواف الهائم خلال النجاد وخلال الوهاد ، لواجد يوماً ملاذها ومأواها، فمقبل ثغرها ومتناول يدها، ثم سائر وإياها بين العشب المرقط الطويل ، ثم مقتطف حتى آخر الزمان ، تفاح القمر الفضى ... وتفاح الشمس الذهبى »

و مَحْزنة الحب فى هذه الدنيا أنه لا يدوم . إن يايتس ليعترف بهذه الحقيقة ، ولكنه فى بعض الأحيان يأبى أن يعترف :

« أيها الجبين الشاحب ! أيتها اليد الساكنة ! أيها الشعر المظلم ... لقد كان لى صديقة جميلة ؛ ولقد خيل إلى أن اليأس القديم سينتهى بالحب فى النهاية ، ولكنها نظرت ذات يوم فى قلبى فرأت صورتك هناك فابتعدت باكية »

على أنه يؤمنُ بأن القلب إذا كان عاجزاً عن صدّ عاديات الزمن ، عاجزاً عن الاحتفاظ بالحب والروح حبيسة الجسد ، فإنه يعود قوياً نشيطاً ويسترجع الحبّ القديم جديداً كما كان أوّل ما بدأ ، بعد انطلاق الروح ...

« أيها القلب الرّثيث البالى »

« أُخرج سالماً من شبَك الضلال والصواب »

« إضحك — أيها القلب — ثانية فى الغسق الأشهب »

« تنهد — أيها القلب — ثانية بين ندى الصباح »

« أما والقلبُ والروحُ رهينا الجسد »

« فإن الحبَّ أقل رفقاً من الغسق الأشهب »

« وإن الأمل أقل نفاسة من ندى الصباح »

والشاعر من أجل ذلك يتمنى لحبيبته الموت . فلو أنها ماتت لعادت إليه وقد صفحت عنه ، لأنها ماتت، وعند ذلك يضم جمالها إلى صدره .

ثم إن حبيبة هذا الشاعر أجمل مخلوق فى الوجود . بل هى

---

(١) أعني « بالصوفى » : « أن فيه شدة أو نشوة روحية عظيمة » . فارجو ألا ينصرف الذهن إلى التصوف بالمعنى الاسلامى . على أن « صوفية يايتس » صوفية مستحدثة لا يمكن تقريبها إلى النفس إلا بترجمة شعرية دقيقة لشعره .

المرأة الجميلة الوحيدة . ثم إن الناس جميعاً، بل الكون جميعه، يحبها حبَّ عبادة وتقديس :

« ما عليك إلا أن ترفعي يداً من شحوب اللآلئ، وتجمعي ما تفرّق من غدائر شعرك ثم تتنهدي ... فإذا قلوب الرجال جميعاً تتأجج وتخفق ؛ ثم لا يحيا الزَّبدُ على الرمال المعتمة ، ولا النجوم وهي تصعد في السماء، يتنزّل منها الندى إلا لتنير قدمك العابرة »

وإذا كان هذا هو شأنها ، فأيّ هدية إذاً تليق بها ؟ !

« لو كنت أملك أنسجة السماء الموشاة

« تطرّزها أشعة من ذهب وفضة »

« ما بين أزرق ومعتم وأسود »

« من ليل أو نهار أو شبه ليل أو نهار »

« إذن لنشرت تلك الأنسجة تحت قدميك »

« ولكني فقيرٌ ما أملكُ إلا أحلامي »

« ولقد نشرت أحلامي تحت قدميك »

« تخففي الوطء لأنك تطئين أحلامي »

أحلام الشاعر ! أجل أحلامه ...

« ماذوت الأغصان لأن ريح الشتاء هبّتْ عليها »

« قد ذوت الأغصان لأني قصصت عليها أحلامي »

* * *

وكما أن الحب عند ياتس مقدّس لا يعلوه شيء، فكذلك اللهو البريء — الرقص والموسيقى — مقدس لا ينبغي أن يُنزل منزلة التحنث والصلاة ، لأنه أعلى منهما وأقدس :

حين أعزف على ربابي في (دُوني)

يرقص القوم مثل موجة البحر[1]

وابن عمي راهب في كفارنتْ

وأخي راهب في مُهارَبوي .

لقد فُقْتُ أخي وابن عمي ،

فهما يقرءان في كتب الصلاة

وأنا أقرأ في كتاب الأغاني ،

كتاب شريته من سوق الريف .

وحين نتقدم في آخر الزمان

من (بطرس) وهو جالس على عرشه الفَخم

سوف يبسم للأرواح الثلاثة القديمة ،

ولكن يدعوني أنا أولاً إلى الدخول

لأن الخيّرين هم المرحون ،

إلاّ من عثَر بهم الحظّ النكود . . .

والمرحون يحبّون الرّباب ،

والمرحون يحبون الرقص .

وحين يلمحُني القوم هناك

سوف يترا كضون نحوي صائحين :

« ها هو ذا منشدُ دوني ! »

ثم يرقصون مثلَ موجة البحر

— ٤ —

وراء كل أدب عظيم فلسفة . والمستر يتس يلخص فلسفته فيما يلي :

« إني أعتقد بتعاطي فلسفة ما تواضعنا على تسميته بالسحر أو ما ينبغي لي أن أسمّيهُ استحضار الأرواح — وإن كنت لا أدرى ماهيـه — أو بالقدرة على خلق أوهام سحرية ، أو بانكشافات Visions الحقّ في أعماق النفس إذ العين مغمضة ؛ وإني لأعتقد بثلاثة مبادئ :

١ — أن حدود النفس Mind في تحوّل دائم ، وأن الأنفس الكثيرة تستطيع أن تتصل أو يسيلَ بعضها إلى بعض إن صح هذا التعبير ، لتخلقَ أو تُظهر نفساً واحدة ، طاقة واحدة

٢ — أن حدود الذاكرة هي أيضاً في تحوّل دائم ، وأن ذاكراتنا جزء من ذاكرة واحدة كبرى هي ذاكرة الطبيعة نفسها

---

(١) لعل التعبير ينقصه شيء من « الروح العربية » ، ولكني — ولا أدرى على التحقيق السبب — أوثره على غيره ؛ وقد كان بامكاني أن أقول : « يرقص القوم كما ترقص موجة » ، فأكسب الوزن أيضا . بهذه المناسبة أذكر أن الأستاذ العقاد ترجم هذه القطعة ، فكانت ترجمته لهذين البيتين هكذا :

« إذا عزفت على الربابة في دوني »

« رقص الناس كما ترقص الأمواج »

إن « الجو الشعري » الذي تحمله كلمة « الناس » يختلف عن الجو الشعري الذى تحمله كلمة « Folk » التى يمكن التعبير عنها — تعبيراً فنيا جيداً — بكلمة « القوم » . ثم إن قوله : « كما ترقص الأمواج » يوحي بشيء من « الفخامة » ويدل على « الاضطراب » في حركات الراقصين فالترجمة بافراد الأمواج هي الصحيحة ، وهو ما أراد الشاعر بقوله : « Like a Wave of the sea »

٣ — أن هذه النفس الكبرى وهذه الذاكرة الكبرى يمكن استحضارهما بوساطة الرّموز

إن هذه « الذاكرة الكبرى » هى مخزن الرموز . وما الشاعر الرمزى إلا ساحر يقوم بدور الوسيط لاستحضار هذه الرموز — هذه الأرواح — ولكنه لا يخلق منها شيئاً . وعلى ذلك فكل ما نحس من عاطفة أو نرى من رأى أو نطلب من هدف ليس لنا ، « وإنما صعد إلينا من الجحيم أو هبط علينا من السماء »

ولكى يستطيع الشاعر استدعاء هذه المعانى والرموز والعلاقات ، ينبغى له أن يجعل نفسه فى حالة سلبيّة — أن يجعلها كالماء الساكن تنعكس عليه شتّى الصور . قال ياينس :

« كنت ذات مرة أنظم قصيدة شديدة الرمزية والتجريد فاتفق أن وقع قلمى على الأرض ، فلما انحنيت لالتقاطه تذكرت حادثاً من حوادث الخيالات والأحلام (Fantastic) ، ولكنه لم يبد لحظتئذ أنه منها بل كأنه وقع لى فعلاً . فلما سألت نفسى متى حصل هذا الحادث وجدت أنى إنما كنت أتذكر أحلامى فى عدة ليال . ثم حاولت أن أتذكر ما فعلته فى اليوم السابق ، وما فعلته فى الصباح ، فلم أستطع ، إذ كانت حياة الوعى واليقظة قد غادرتنى كلها ، وما استطعت ذلك إلا بعد جهد شديد ، فلما تذكرتها غادرتنى بدورها حياة الأحلام التى هى أقوى من حياة الوعى وأروع . فلو لم يسقط قلمى لما فطنت قط إلى أن التأمل استحال غيبوبة »

* * *

إن آراء ياينس الجمالية تتصل بفلسفته[1] هذه اتصالاً منطقيًّا وثيقاً

فغاية الفن استحداث نشوة Ecstasy فى النفس الدائمة التقلب مصدرها مايعرضه الفن من حقائق الكون وعناصره الثابتة

وما دامت هذه هى غايته وهذه هى وظيفته ، فلا موضع فيه إذن « لعلم عصره أو سياسته أو فلسفته أو أخلاقياته » لأن هذه الظواهر جميعاً فى تطور مستمر ، وتغير دائم

وخليقٌ بالفن إذاً أن يرتدّ إلى روح ماض كان الناس فيه يعبدون الطبيعة ، ويدينون بالوثنية ، ويعيشون « فى عالم يستطيع كلُّ شىء فيه أن يتبدل ويستحيل ، ويصير أى شىء آخر ؛ وبين الآلهة العظام الذين كانت عواطفهم فى الغروب الملتهب ، وفى الرعد وفى هواطل الرعود » ... وفى تلك الأزمان « التى كانت الحزمة السكينة من الخلفاء فيها » كما يقول الشاعر « ينظر إليها على أنها كانت يوماً من الأيام ... إلهة تضحك بين النجوم »

هذه الحقيقة ، حقيقة أن الفن لا يكون عظيما إلا إذا اعتمد على أساطير الأقدمين من عَبَدة الطبيعة ، وما فى عالمها من خصب وغنىً ومن حياة زاخرة فياضة ، هذه الحقيقة أدركها « الأساتيذ »[1] العظام جميعاً .

* * *

لقد لخّص موقف ياينس فيلسوفاً بهذه العبارة : إنه رجل يعتقد بوجود عالم الغيب[2] »

وحين نشر ياينس لأول مرة (١٩٠٣) كتابه « فكرات عن الخير والشر » أبى بعض ناقديه ومراجعيه أن يسلموا بأن المؤلف يعتقد بالذى يقول . ولكن أن يعتقد الإنسان بما يقول أو لا يعتقد لا صلة له فى الواقع ، بصواب رأيه أو ضلاله . ولست أدرى ، مع المستر ريد ، لم يعلق الناس هذه الأهمية الكبرى على موقف صاحب الرأى من رأيه . إن العقيدة الفنية على كل حال تتعلق قبل كل شىء بالجمال . فأيما شىء خاطب شعور الفنان بقوة واستمال خياله بشدّة ، مالَ إلى الخروج من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة واليقين . « وحسب الشىء أن يكون على درجة من الجمال كافية ليرتدّ جزءاً من عقيدته ، جزءاً من دينه . وهذا هو الذى عناه كيتس حين نطق بقوله المشهور : (الجمال الحق والحق الجمال) »

* * *

هذه نظرة سريعة فى « و . ب . يتس » : عمله وفنّه وفلسفته ، أرجو أن أكون استطعت فيها أن أعطى القارئ فكرةً حسنةً عنه ، وهو الأديب المعقّد الشخصية ، الضبابىُّ المعانى . وأرجو أن يتسع لى الوقت لأترجم لقراء الرسالة بعض آثاره الشعرية والمسرحية[3] . وهنا أُحبّ أن يعلم القارئ جيداً أن « ياينس » — بالرغم من كل هذه « الغرابة » الظاهرية فى أدبه — لم يصنع أكثر من أنه عبّر بإخلاص عن « عبقرية أرلندا »

« بغداد » عبد الكريم الناصرى

(١) من الصعب بالطبع إدراك هذه الفلسفة من شعر ياينس ولكنه شرحها شرحا وافيا فى كتابه Ideas of Good and Evil وأنا لم أطلع على هذا الكتاب ، ولذلك اعتمدت على كتاب فورست F. Reid, W. B. Yeats.

(١) Masters. (٢) The invisible world.

(٣) لقد بدأت فعلا بترجمة مسرحيته المشهورة : The Shadouy Waters وهى على قصرها أشد مسرحياته تمثيلا لروح أدبه .

حيــاة محمد

باعتباره صاحب الدعوة الاسلامية

للمستشرق الإنجليزى توماس أرنولد

ترجمة الأساتذة

عبد الفتاح السرنجاوى   عمر الدسوقى

عبد العزيز عبد المجيد (١)

ويعتبر إسلام عمر فاتحة عصر جديد فى تاريخ الإسلام ، إذ استطاع أتباع الرسول حينئذ أن يجهروا بعقيدتهم . ترك محمد (ص) بيت الأرقم ، وأقام المؤمنون صلواتهم جماعة وإعلاناً حول الكعبة . وبدأ أشراف مكة يتوجسون خيفة من هذه الحال الجديدة ، لأنهم لم يعودوا بعد يناضلون عصابة من الخارجين المضطهدين المنبوذين الذين كانوا يدافعون عن حياة بائسة مستضعفة وإنما يناضلون طائفة أصبحت ذات بأس . تزداد قوتها يوماً بعد يوم بانضمام بعض ذوى السلطان من أهل القبائل ، وتهدد كيان الحكومة القائمة ، بالمعاهدة مع أمير قوى من قبيلة أخرى

لهذا أجمت قريش أمرها أن تدبر محاولة ناجحة لتعرقل نمو تلك الحركة الجديدة فى مدينتها . تعاقد أهل قريش على مقاطعة بنى هاشم الذين حموا الرسول لما له بهم من صلة القرابة ، واتفقوا على ألا ينكحوا إليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، ولا تكون بين القبيلتين معاملة أيا كان نوعها . ويقال إن بنى هاشم استمروا مدة ثلاث سنوات لا يغادرون ناحية معينة من مكة ، اللهم إلا خلال الأشهر الحرم التى تمتنع فيها الحروب فى كل الجزيرة ، والتى تعاهد العرب من قبل على الأمن فيها حتى يفد الحجاج لزيارة الكعبة الشريفة مركز دينهم العام

انتهز محمد (ص) الفرص فى أيام الحج ليدعو إلى الإسلام بين القبائل المختلفة التى كانت تفد أفواجاً إلى مكة وإلى الأسواق المجاورة لها . ولكن الرسول لم يوفق لأن عمه أبا لهب كان يقتفى أثره صائحاً بأعلى صوته : « إنه مشعوذ يريد أن يصرفكم عن دين آبائكم إلى العقائد الكاذبة التى جاء بها فتحاشوه ولا تسمعوا له ». فكان الحجاج يعيرون الرسول ويجابهونه بقولهم : « إن أهلك أنفسهم وأقاربك أحق الناس بمعرفتك ، فلم لا يصدقونك إذاً ويتبعونك ؟ » . وأخيراً استفز كل هذا الاضطهاد الذى لحق بمحمد وأتباعه عاطفة جماعات كثيرة من قريش ، فنقضوا عهد المقاطعة .

وفى هذا العام غمر محمداً أشد الحزن والجزع لفقد خديجة زوجه الأمين التى كانت له مشيراً ونصيراً مدة خمس وعشرين سنة . وبعد وفاة خديجة بمدة مات أبو طالب عم الرسول (ص) بموته أقوى حام له ، وأثبت مدافع عنه . وبذلك أصبح الرسول مرة أخرى موضع استهزاء الأعداء به ، واحتقارهم له . قاسى محمد (ص) سخرية عشيرته به ، وإعراضهم عنه ، وفشلاً فى رسالته التى ظل يبلغها إليهم مدة عشر سنوات ، فصمم على أن يبحث عن عشائر أخرى لعلها تكون أكثر استعداداً لسماع دعوته ، وعن أرض أخرى خصبة قد تنمو فيها بذور عقيدته ، فخرج مصحوباً بذلك الأمل إلى الطائف ، وهو مكان يبعد سبعين ميلا عن مكة . وهناك أمام جماعة من رؤساء القرية أوضح محمد (ص) دينه المتضمن وحدة الله ، والرسالة التى بعث بها رسولاً للناس ، وتوسل إليهم فى الوقت نفسه أن يحموه ممن اضطهدوه فى مكة . رأى أهل الطائف ألا توافق بين دعوة محمد الطموحة (التى كانت إذ ذاك أسمى من أن يدركها المشركون مثلهم) وبين حال الضعف وقلة الأنصار التى كان فيها ، فذهبوا يحقرونه ويسخرون به ، ويرمونه بالحجارة فى غير شفقة ، ثم طردوه من ديارهم

غادر محمد الطائف ، وقد ظهرت بوادر النجاح أضعف ما تكون ، فتنفس الصعداء بالعبارة التى تضمنتها الآيات الكريمة التى صدرت على لسان نوح عليه السلام : « قال رب إنى دعوت قومى ليلاً ونهاراً ، فلم يزدهم دعائى إلا فراراً ، وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم ، واستغشوا ثيابهم ، وأصروا واستكبروا استكبارا » .

كانت عادة محمد (ص) خلال موسم الحج السنوى أن يذهب إلى منازل القبائل العربية المختلفة ، ويتحدث إليهم عن الإسلام ، فكان بعضهم يقابل دعوته بالجفاء ، وآخرون يعرضون عنه

(١) أنظر العدد ٢٩٦

ساخرين ؛ ولكن عزاءه جاء إليه من حيث لم يتوقع . ذلك أنه قابل شرذمة من ستة نفر أو سبع ، وعرف أنهم قدموا من المدينة أو يثرب كما كانت تسمى حينئذ ، فسألهم قائلاً : « من أنتم ؟ » قالوا : « نفر من الخزرج » . قال : « أمن موالى اليهود ؟ » . قالوا : « نعم » . قال : « أفلا تجلسون أسمعكم ؟ » . قالوا : « بلى » . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم به فى الإسلام أن يهوداً كانوا معهم فى بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزُّوهم[١] ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : « إن نبيًّا مبعوثاً الآن ، قد أظل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم » . فلما كلم رسول الله (ص) أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله قال بعضهم لبعض : « يا قوم ، تعلَّموا والله إنه للنبى الذى توعدكم به يهود[٢] فلا تسبقنكم إليه » . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدَّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا له : « إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين . فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك » . ثم انصرفوا عن رسول الله (ص) راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا[٣]

هذا هو الخبر المأثور لهذه الحادثة التى تعتبر فجر يوم جديد للدعوة المحمدية . فلقد لاقى محمد قوماً مستعدين لقبول تعاليمه، قوماً كانت أحوالهم الاجتماعية حينئذ ممهدة لدعوته ، كما سيتضح ذلك فيما بعد

كانت يثرب إذ ذاك مسكونة باليهود منذ زمن طويل ، ويغلب على الظن أنهم أخرجوا من ديارهم على يد الأمبراطور أدريان[٤] الذى اضطهدهم [فاستقروا فى مكان يثرب] . ولما وصل بطنا الأوس والخزرج من العرب — فى إحدى انتجاعاتهم للمرعى — إلى يثرب ، سمح لهم اليهود بالإقامة فيها . وبنمو النسل وتكاثر العدد اكتسبوا السلطان من رؤساء اليهود شيئاً فشيئاً ، حتى نجحوا أخيراً ، حوالى منتهى القرن الخامس الميلادى فى احتجان كل السلطان على يثرب

اعتنق بعض العرب اليهودية وظل كثير من رؤساء يثرب اليهود مقيمين بها ، تحت سلطان العرب الغزاة . من أجل هذا نجد عدداً كبيراً من اليهود من ساكنى يثرب ، فى العصر الذى ظهر فيه محمد صلى الله عليه وسلم . كان سكان يثرب لذلك على علم بأمر (المنقذ) الذى توقعوا قدومه ، ونتيجة ذلك أنهم كانوا أكثر قدرة على فهم ما يقول محمد — وهو أنه رسول — وقبوله من أهل مكة الوثنيين الذين كانت فكرة الإسلام لهم غير مألوفة ، كما كانت منبوذة من القرشيين خاصة ، لأن سلطانهم على القبائل الأخرى ، وغناهم المادى ما كانا إلا لأنهم السدنة الورثة لجمهرة أصنام العرب التى نصبوها فى حرم الكعبة

يضاف إلى هذا أن يثرب كانت مشتتة النظام لما حل بها من النزاع الداخلى الذى أشعل ناره شنآن قديم بين الأوس والخزرج. كان السكان دائماً فى اضطراب وقلق ، ولهذا اعتبروا أى عمل يؤدى إلى ائتلاف القبيلتين المتخاصمتين فأل خير وبشرى لمدينتهم

لقد حدث فى القرون الوسطى أن اختار سكان الجمهوريات الشمالية لإيطاليا أجنبياً ليكون الحاكم الأعلى على جميع مدنهم ، حتى يحتفظوا بالتوازن بين قوات الأحزاب المتنافسة ، وحتى يتفادوا — بقدر المستطاع — الخصومات الداخلية التى كانت قاضية على التجارة ، والأمن العام . وشبيه بهذا ما وقع من أهل يثرب ، فإنهم لم ينظروا إلى ظهور أجنبى بينهم بعين التهمة ، حتى حين أدركوا أنه ربما يستغل ما كانوا فيه من انحلال ليكتسب لنفسه سلطاناً عليهم .

إن الواقع ليثبت عكس ما كان يظن ، إذ يظهر أن أحد الأسباب التى جعلت أهل المدينة يرحبون بمحمد (ص) ترحيباً محموداً هو أن العقلاء والمثقفين من السكان قد تبينوا أن اعتناق الإسلام هو العلاج الوحيد للاضطراب الداخلى الذى عانوه مدة من الزمن ، لما جاء به الإسلام من نظم المعاش القويمة ، ومن إخضاع الشهوات الإنسانية الجامحة لتهذيب القوانين الموحى بها من سلطة أعلى وأسمى من سلطة البشر المتقلبة[١] .

(١) عزوهم : غلبوهم وقهروهم
(٢) يعنى قوم يهود
(٣) ابن اسحاق صفحة ٢٨٦ — ٩٨٧
(٤) هو الأمبراطور أدريان الرومانى الذى حكم من سنة ١١٧ م

(١) تاريخ قيطانى . الجزء الأول صفحة ٣٣٤ — ٣٣٥

وتوضح لنا هذه الحقائق كيف استطاع محمد — بعد ثمانية أعوام من الهجرة — أن يرأس جيشاً من أتباعه تبلغ عدته عشرة آلاف نفر ، وأن يدخل المدينة التى جاهد فيها من قبل لينشر دعوته مدة عشر سنين فلم يفلح إلا قليلاً .

لقد تعجلت الحوادث فيما ذكرت الآن . فلنعد إلى بدء عرض محمد نفسه على أهل الخزرج الذين دخلوا فى الإسلام أن يصحبهم بنفسه إلى يثرب ، ولكنهم رغبوا إليه فى أن يعدل عن ذلك حتى يحدث صلح بينهم وبين بنى الأوس . وقالوا : « إننا نتضرع إليك أن تدعنا نعود إلى قومنا لعل الله يخلق السلم بيننا فنرجع إليك بعد ذلك . وموعدنا موسم الحج القادم » .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم إلى الإسلام ، واستجاب منهم نفر كثير فلم تبق دار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم طائفة من يثرب — عشرة من بنى الخزرج واثنان من بنى الأوس — فلقوه فى المكان المعين ، وبايعوه أن يتبعوا تعاليمه . وهذه هى البيعة الأولى المعروفة ببيعة العقبة ، وسميت بذلك لأنهم اجتمعوا سراً فى مكان خفى . وقد أخذوا على أنفسهم « ألا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف . » رجع هؤلاء الإثنا عشرة رجلاً بعد ذلك إلى يثرب مبشرين بالإسلام ، وبذلك مهد السبيل للدين الجديد ، وأقبلوا على نشر الدعوة بحماس ورغبة ، حتى انتشر الإسلام سريعاً من بيت لبيت ، ومن قبيلة لقبيلة

وقد صحبهم فى عودتهم إلى يثرب مصعب[1] بن عمير . ويقال فى رواية أخرى إن الرسول بعثه إلى أهل يثرب بعد أن كتبوا إليه بذلك . كان ذلك الشاب الناشىء أحد معتنقى الإسلام الأوائل . وكان قد رجع حديثاً من الحبشة ، بعد أن حنكته التجارب هناك ، وأنضجت التنشئة القاسية فى ميدان الاضطهاد حماسته ، وعلمته كيف يقابل الاضطهاد ، وكيف يناضل أولئك الذين كانوا متوثبين للحط من شأن الإسلام من غير أن يعلموا شيئاً من تعاليمه الصحيحة . لذلك استطاع محمد (ص) أن يعهد إليه واثقاً القيام بذلك الواجب العسير ، واجب إرشاد حديثى العهد بالإسلام وتعليمهم ، وتنمية بذور الحماس والإخلاص الدينى ، التى غرست فيهم من قبل ، حتى تؤتى أكلها طيبة

كان منزل[1] مصعب على أسعد بن زرارة ، وكان يجمع معتنقى الإسلام إليه للصلاة ولقراءة القرآن . يفعل ذلك أحياناً فى دار مصعب وأحياناً فى دار بنى ظفر ، وكانت فى ناحية من المدينة يقطنها بطن بنى عبد الأشهل وبطن بنى ظفر

كان رؤساء بنى الأشهل سعد بن معاذ وأسيد بن حضير .

وبينما كان مصعب جالساً ذات يوم مع أسعد فى دار بنى ظفر يعلم طائفة من حديثى العهد بالإسلام . إذ وفد سعد بن معاذ ، وكان يبحث عن مكانهم فقال لأسيد بن خضير : « إنطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا ديارنا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وأنههما عن أن يأتيا ديارنا فإنه لولا أن أسعد بن زرارة من حيث قد علمت كفيتك ذلك لأنه كان ابن خالة أسعد . فأخذ سيد بن حضير حربته ثم أقبل على أسعد ومصعب حتى وقف عليهما متشتماً وقال « ماذا تفعلان ؟ تسفهان ضعفاءنا ؟ إعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة » . قال له مصعب : « وتجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره » فركز أسيد حربته وجلس إليهما ليسمع ، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن . وبعد هنيهة صاح أسيد متهللاً وقال : « كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟ » فأجاب مصعب : «تغتسل فَتَطهَّر ، وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» فقام أسيد وفعل ذلك ، وكرر الشهادة . ثم قال : « إن ورائى رجلاً (يعنى سعد بن معاذ) إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن » . وبعد هذه العبارة انصرف أسيد ، وجاء بعده تواً سعد بن معاذ بنفسه غاضباً حانقاً على أسعد لما منحه مبشرى الإسلام من رعاية . فتوسل إليه مصعب ألا يحقرن الدين قبل أن يسمعه . فقبل سعد أن يستمع ، ولم يلبث غير قليل حتى تأثر بما قاله مصعب من العبارات التى أدخلت فى قلبه الإيمان فاعتنق الدين وأصبح مسلماً . عاد سعد إلى قومه يلتهب حماساً ، وقال لهم : « يا بنى عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ » فقالوا : « سيدنا وأفضلنا رأياً ، وأيمننا نقيبة » قال : « فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله محمد » . ومن ذلك اليوم لم يبق فى دار بنى عبد الأشهل رجل أو امرأة إلا مسلماً أو مسلمة .

عبد العزيز عبد المجيد

(١) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف

(١) أى نزوله

رواية المصاهرة

بمناسبة زواج حضرة صاحبة السمو الملكى الأميرة فوزية

للأستاذ محمود غنيم

١ — تألف الرواية من فصلين : زمن الأول قبل الميلاد بنحو خمسة قرون ، وزمن الثانى عصرنا الحاضر

٢ — أشخاص الرواية :

الفصل الأول

(١) ملك الفرس (٢) حاشية ملك الفرس وعلى رأسهم الوزير
(٣) ملك مصر (٤) حاشية ملك مصر وعلى رأسهم الوزير
(٥) عراف مصرى قديم (٦) حاجب الملك

الفصل الثانى

(١) ضابط مصرى مع فرقة من جنوده
(٢) ضابط إيرانى مع فرقة من جنوده
(٣) جندى يلتقط ورقة من ورق البردى
(٤) جندى معه صحيفة تتضمن نبأ المصاهرة الملكية الحديثة

الفصل الأول

المنظر الأول

كسرى وحاشيته المكونة من أربعة أشخاص منهم : الوزير . المكان : إيوان كسرى . الزمان : قبل الميلاد بنحو خمسة قرون

كسرى (يفتخر) :

أنا للحُكم والحِكَمْ أنا للبأس والكَرَمْ
إنّ عرشى على السها قائمٌ راسخُ القَدَمْ
هل درى الدهرُ من أنا ؟ إننى سيد العجم
إنما يخضع الزما ن لكسرى إذا حكم
البرايا عبيدُهُ والليالى له خَدَمْ
أنا كسرى ودولتى دولةُ السيف والقلم

الحاشية :

عاش ربُّ التاج كسرى عاش للأوطان ذخرا
أنت فقت الشمس نورا أنت فقت الشمس قدرا
قد جعلت العدل للملك أساساً فاستقرا
كاد يا مولاى يعنو لك أهلُ الأرضِ طرّا

كسرى : وزيرى

الوزير : لبّيك ياسيدى

كسرى : ألا فادنُ منى ولا تبعد

الوزير :

وماذا يريد المليكُ فِداه حياتى وما ملكتهُ يدى

كسرى :

هنالك أمرٌ لدىَّ خطيرٌ ولم أرَ غيرَكَ من مُرشدِ
وزيرىَ إنى أفكّر فى أن أصاهرَ قوماً لهم سُؤددى
أفتش فى الأرض عن دولةٍ كدولة كسرى فلا أهتدى

« الوزير بعد أن يطرق هنيهة »

أمولاى إن شئت خير الحرم إذن فمليك بأرض الهرم
هنالك قوم حسانُ الوجوه كرامُ الجدود كبارُ الهممْ
ألا إن فرعون خير الملوك وأمة فرعون خيرُ الأمم
ومَن مثلُ فرعون فى مجده وفى جَدّه غيرُ شاه العجم؟

كسرى :

أشرتَ بالحكمة والسدادِ ملوكُ مصرَ وحدَهم أندادى
غداتسيرمسرعاًمن(سوس) وتقطع الأرض إلى(منفيس)
سر نحو مصر حاملاً خطابى وكن لمولاك من الخطّابَ

المنظر الثانى

فرعون وحاشيته تتكون من أربعة أشخاص منهم الوزير . المكان : قصر فرعون . الزمان : قبل الميلاد بنحو خمسة قرون .

فرعون « يفتخر » :

تعرف الأفلاك قدرى ويطيعُ الدهرُ أمرى
إننى فرعون والأنهـ ار من تحتىَ تجرى
حسب فرعون جلالاً أنه سلطانُ مصر
كم مليك من ملوكِ الـ أرض قاسى ذلَّ أسرى
يشبه الأهرامَ عزمى إنه قطعة صخر
ينقضى عمرى ويبقى رغمَ أنف الدهر ذكرى

الحاشية :

عاش فرعونُ ودامْ عاش مولانا الهمامْ
يا سليلَ المجد يانسـ لَ الفراعين العظامْ
أنت للكون هلالٌ لاح والكونُ ظلام
إنما أنت مُربى الـ كون أستاذُ الأنام

(وزير فارس يصل ويقف بالباب فيستأذن له الحارس)

الحارس (يدخل) : مليكى

فرعون : من ؟

الحارس :

أنا الحـــــــارسْ   رسولٌ جاء من فارسْ

فرعون :

ما خَطبُ هذا الرسول   اسمح له بالدخـول

وزير الفرس (يدخل) :

ألا أيُّهذا المليكُ الهمام   سـلامى عليـك

فرعون : عليك السلام

وزير الفرس :

مليكَ الحمى يارفيعَ الجنابْ   معى لك من عند كسرى كتاب

فرعون : كتابٌ وأينَ ؟

وزير الفرس :

تفضَّلْ   فــدَيْتُـ ـك يا خير من سار فوق التراب

(يناوله الخطاب فيقرأه فرعون صامتا ثم يقول) :

فرعون : يا وزيرى

وزير فرعون : نعمْ نعمْ

فرعون :

إن كسرى فتى العجم

جاءنا يخطبُ ابنتى   أهْو كفء كما زعم

الوزير (بعد أن يطرق قليلا) :

وكيف القول يا مولا   ى فى مملكة الفرس

وفى كسرى سليل المجـ   ـد ربِّ السيفِ والترْسِ

مليكُ الفرس إن فُهتُ   به أحنى له رأسى

فتى النيرانِ والنورِ   جديرٌ بابنة الشمسِ

فرعون (بعد أن يطرق قليلا) :

قد أجبنا يارسولْ   قم فبشِّر بالقبــولْ

وزير الفرس :

دمتَ يا مولاىَ فى عزٍّ   وفى عمــرٍ يطول

أنت يا فرعون شمسٌ   ما لها قطُّ أُفُول

(ينصرف وزير الفرس ثم يقف العراف بباب فرعون فيستأذن له الحارس)

الحارس :

مولاى عرافٌ هنا بالبابِ   تقبضُ يمناه على كتابِ

فرعون :

قم فأتِ يا حارسُ بالعرّاف   قد يكشف العراف بعض الخافى

(العراف يدخل) :

ألا أيُّهذا المليكُ الهمامْ   سـلامى عليكَ

فرعون : عليك السـلامْ

ماذا يقول النجم فى المصاهره   بين ملوك مصر والأكاسره ؟

العراف (بعد أن يفتح الكتاب ويقلب صفحاته ثم يتكلم وهو يكتب على ورقة من ورق البردى) :

أميرَ الحمى يا مليكَ الزمانْ   ألا باركَ اللهُ هذا القرانْ

وسوف يتم قرانٌ كهذا   إذا اللهُ شاء وآن الأوان

إذا مامضت خمسة بعد عشريـ   ـن قرناً إذن تسعد الدولتان

بعرس سعيدٍ به شعبُ مصر   ودولةُ فارسَ يرتبطان

وسوف يكون الفريقان حلاً   من المجد إذ ذاك أعلى مكان

يكون على رأس كلِّ فريقٍ   أميرٌ مطاعٌ له الشعب دان

هناك (رضا) وهنا (ابنُ فؤاد)   يعيش لشعبَيْهِما الملِكان

ستار

الفصل الثانى

المنظر : فرقتان من الجند إحداهما إيرانية والثانية مصرية تتكون كل منهما من أربعة جنود ومعهم ضابطهم واقفا منعزلا قليلا . ويلاحظ أن الفرقة الايرانية تدخل أولا وبعد أن يتم كلامها تدخل الفرقة المصرية

المكان : ردهة فى دار السفارة الايرانية أو ما يقرب من ذلك .

الزمان : زمننا هذا أى بعد مضى خمسة وعشرين قرنا من حوادث الفصل الأول

الجنود الايرانيون

نحن نسلُ الفرس أبطالٌ كماةْ   نحن علَّمنا الورى معنى الحياةْ

سائلوا التاريخَ كم للفرس شاهْ   تخفضُ الدنيا له شُمُّ الجباهْ

من قِــدَمْ   نبتنى الملكَ كما تُبنى الجبال

لِلْعَجَــمْ   شرف يأبى على الدهر الزوال

الضابط الايرانى

ما لِمَنْ بادوا ومالى ؟   لست أحيا فى الخيــالِ

أتباهُون بعصرٍ   من قديم الدهر خالِ

أتباهُون بعظمٍ   تحتَ بطن الأرض بالِ

أنا لا أفخــرُ يا قوْ   مُ بماضٍ بل بحالِ

حاضرُ الفــرس كماضيـ   ـهم جلالٌ فى جــلال

قد خُلقنــا لسخاء   وخُلقنــا لنضــالِ

عن بلاد حــرَّة ير   خُصُ فيهــا كلُّ غالِ

لم تشــوِّه بقيــودٍ   أو تدنَّس باحتــلال

قد نشِطنا مثــل ما ينْ   شَطُ ليثٌ من عقال

وبذلنــا للعــلا ما   ربّ من نفس ومال

فاخــروا الكونَ بشاهٍ   قادنا نحو المعــالى

جودُه قد فاض فيض النهر بالمـــاء الزلال
بعطشه قد بات منــه راجفاً قلبُ الليــالى

(يستمر الفريق الأول فى مكانه ثم يدخل الفريق المصرى ويقف فى مواجهته)

الجنود المصريون

نحنُ أبناء الفراعين الشدادْ — كم بنى فرعون بالأمس وشاد
سائلوا رمسيسَ كم عز وساد — وانحنى الدهر له بين العباد
مجـــدنا — سائل الأهرامَ عنه والنجوما
ها هنـــا — نبت العلم مع الفن قديمـــا

الضابط المصري

فَخرتم بالفراعنة الشّداد — وقلتم نحن ساداتُ العبادِ
وليس الفخرُ بالرِّمم البوالى — وبالعُصُر القديم، من السَّداد
إذا أنا لم أشد مجدى بعزمى — إذن لا طاب لى مائى وزادى
لقد قمنا نشيد لمصر صرحاً — يقوم من العلوم على عماد
جعلنا النيل طَلق الماء يجرى — بسَلْسال من العذب البراد
وحطّمنا قيوداً من حديدٍ — ونلنا ما نحاولُ بالجهـاد
لنا سفنٌ على الأمواج تجرى — تبثُّ الرعبَ فى روع الأعادى
وجيشٌ بالمدافع قاذفاتٍ — يصولُ وبالمرقّقة الجياد
وطياراتُنا فى الجوّ تعلو — تُذلِّلُ متنها بدلَ الجياد
إذا نزل النزيل بأرض مصر — يحلُّ من النواظر فى السواد
لنا كرمٌ لنا همم كبارٌ — خُلقنا للسلام وللجلاد
فلا تفخر بفرعونٍ قديمٍ — رميمِ العظمِ مدفونٍ بواد
ولكن فاخر الثقلين طرّاً — بفرعونٍ تحدَّر من فؤاد

الضابط الايرانى (للضابط المصرى):

عجيب أمرُنا جــدّاً — أرى أنَّا شبيهانِ
سمعت الشعر يامصرىُّ — م من فيك فأشجانى

الضابط المصرى:

أرى ياصاح مجدَ الشر — ق فى مصرٍ وطُهرانِ
فنصف المجد مصرىٌّ — ونصفُ المجد إيرانى

الضابط الايرانى:

فمن يَفخَر بتجديد — فشعبانا جـــديدان
ومن يفخَر بأجدادٍ — فشعبانا قديـــمان

الضابط المصرى:

مليكُ النيـل فاروقٌ — وشاهُ الفرس نِدّان
هما فى الجَدِّ والجِد — وفى النهضة سِيّان

الضابط الايرانى:

وهل فى الشرق من دانا — هما فى رفعة الشـان
كأن الشرقَ جسم و — هما للجسم عينـان

الضابط المصرى:

ألا ما أسعدَ الشرقَ — لو انضمَّ المليكان!

(هنا يدخل جندى مصرى معه ورقة بردي التقطها)

الجندى:

تحيةً ياجنـدنا الأحرارا — هل فيكمو من يقرأ الآثارا؟

الضابط المصرى: أنا. لِمَهْ؟

الجندى:

لقيـــتُ بالعشىّ — ورقةً من ورق البردىّ

الضابط المصري: إيت بها

الجندى (يعطيه الورقة): خذ

الضابط المصرى (يفحصها)

إنهـــا قديمــــه — خطٌّ محا طول المدى رسومَه
وهى بخط كاهنٍ عرّافِ — من أهل مصر القُدم الأسلاف

الجندى:

ألستَ تستطيعُ أن تتلُوها

الضابط:

بل أستطيعُ فاسمعوا ما فيها

أميرَ الحى يا مليك الزمانْ — ألا بارك الله هـذا القرانْ
وسوف يتم قرانٌ كهذا — إذا الله شاء وآن الأوان
إذا ما مضت خمسةٌ بعد عشرٍ — ن قرناً إذن تسعدَ الدولتان
بعرس سعيدٍ به شعبُ مصرٍ — ودولةُ فارسَ يرتبطان
وسوف يكون الفريقان حلاً — من المجد إذ ذاك أعلى مكان
يكون على رأس كلِّ فريقٍ — أميرٌ مطاعٌ له الشعبُ دان
هناك (رضاً) وهنا (ابن فؤاد) — يعيش لشعبيهما المليكان

الجندى (فى دهشة):

هذا كلامٌ واضحٌ صريحُ — يا حبـذا لو أنه صحيحُ

الضابط الايرانى:

إن الأوانَ هذه الأيامُ — يا حبذا لو صحت الأحلامُ

فى ذلك الوقت يدخل جندى حاملا صحيفة فيها نبأ الزواج ويصيح قائلا:

بشرى لكم يامعشرَ الإخوانِ — فى الصُّحف لم تسمع بها أذنانَ
أما سمعتم نبــأ القرانِ — «فوزية» مليكةُ الحِسان
قد زفَّت اليوم بمهرجانِ — إلى ولىِّ العهدِ فى إيرانِ

الجمع ينشدون هذا النشيد:

أيها الطير تغنَّى — حلَّ ميعادُ الأغانى

أيها الشاهُ تهنَّا … تلك أوقاتُ التهانى
بالرِّفاء والبنين … دائماً طول السنين
إنه عرسُ البدورْ … قد تجلَّى فى السماءْ
عرس أملاكٍ وحور … لا رجالٍ ونساءْ
بالرِّفاء والبنين … دائماً طول السنين
التقى التاجانِ فيهِ … تاج رمسيس وكسرى
يا بلادَ الفرس تيهى … يابلادَ النيلِ بشرى
بالرِّفاء والبنين … دائماً طول السنين
مصرُ قد حان السرورْ … طبتِ يا مصرُ وطابا
رقص النيلُ الوقورْ … وجرى تبراً مذابا
بالرِّفاء والبنين … دائماً طول السنين
بلَّغ الشرقَ مناه … ذلك العُرسُ السعيد
دمت فى عزٍّ وجاه … أيها الشرقُ المجيد
بالرِّفاء والبنين … دائماً طول السنين

— ستار —

محمود غنيم

كتاب السياسة

للوزير نظام الملك

للدكتور عبد الوهاب عزام

الفصل الأول

فى أحوال الناس وتقلب الزمانه ، ومدح ملك العالم غياث الدين والدنيا قدس سره (١)

الله تعالى يجتبى فى كل عصر واحداً من خلقه ، ويجمّله بالفضائل الملكية ، وينوط به مصالح الدنيا وراحة الناس ، ويغلق به باب الفساد والفتن والاضطراب ، ويمكِّن هيبته وحرمته فى قلوب الخلق وعيونهم ، ليعيش الناس فى عدله ، ويأمنوا فى سلطانه ، ويرجوا بقاء دولته

(١) يعد السلطان ملكشاه

وإذا عصا الناس الشريعة واستخفوا بها وقصروا فى إطاعة أوامر الله تعالى فأراد أن يعاقبهم ويذيقهم جزاء أعمالهم ، ويحل بهم شؤم عصيانهم — لا أرانا الله مثل هذا الزمان ، ولا ابتلانا بمثل هذا الشقاء — يحرمهم الملك الخيِّر ، فتختلف بينهم السيوف وتسيل الدماء ، ويغلب كل قوى على ما يريد حتى يهلك هؤلاء المجرمون فى هذه الفتن وهذا القتال . كمثل النار تشتعل فى القصب فتحرق كل يابس ، وتتعدى إلى كثير من القصب الرَّطب

الله تعالى يمنح واحداً من عباده السعادة والدولة ، ويرزقه الإقبال على قدره ، ويهبه العقل والعلم ليسوس بهذا العقل والعلم كل واحد من الرعية على الوجه الذى يصلحه ، ويضع كل واحد فى مرتبته ؛ ثم يختار رجاله وعماله من الناس ، ويوفى كلا منهم درجته ، ويعتمد عليه فى كفاية أمور الدين والدنيا

ويكفل الراحة لمن يسلك سبيل الطاعة ويقبل على عمله من رعيته ليعيشوا مغتبطين فى ظل عدله

وإذا تجاوز أحد عماله حدّه وأطال يده فإن أصلحته الموعظة والتأديب والتأنيب ، واستيقظ من نوم الغفلة ، حفظ عليه عمله ومنصبه ، وإن تمادى فى غفلته لم يستجز إبقاءه فى عمله واستبدل به من هو أهل للعمل

وكذلك من جحد من الرعية حق النعمة ، ولم يعرفوا قدر الأمن والراحة ، واعتقدوا الخيانة وأبدوا التمرد ، وجاوزوا حدودهم يعاقبهم على قدر جرمهم حتى يتوبوا

ثم على الملك بعدُ أن يدأب فى عمارة المملكة فيحفر القنوات ويشق الأنهار ، ويمد الجسور على الأنهار العظيمة ، ويعمر القرى والمزارع ، ويبنى الحصون ، ويشيد المدن الجديدة ، والأبنية الرفيعة ، والقصور البديعة ، ويقيم الربط على الطرق السلطانية ، فيخلد بهذه الأعمال ذكره ، وينال ثوابها فى الدار الآخرة ، ويتصل الدعاء له بالخير …

ولما أراد الله سبحانه أن يجعل هذا العصر زينة العصور الماضية وغرة مآثر الملوك السالفة ، ويرزق الناس السعادة التى لم يرزقها أحد من قبل اختار ملك العالم السلطان الأعظم من أصلين عظيمين

ورثا الملك والسيادة أباً عن أب إلى أفراسياب المظيم[١]، وجمله بالكرامة والمظمة التى لم يظفر بها الملوك السابقون

فأنعم عليه بما يحتاج الملوك إليه من حسن المنظر، وجمال الطبع والعدل والرجولة والشجاعة والفروسة ومعرفة أنواع السلاح واستعمالها، والتحلى بالفضائل والشفقة والرحمة بالخلق، ووفاء النذور والوعود، وصحة الدين والاعتقاد وطاعة الحق تعالى، وتأدية النوافل من صلاة الليل، وكثرة الصوم، وإعظام أهل العلم وإكرام الصالحين والزاهدين والحكماء، وتواتر الصدقات والإحسان إلى الفقراء، ومعاشرة الرعية والعمال بخلق حسن، وكف الظالمين عن الرعية. لاجرم سخر الله له ملك العالمين على مقدار جدارته، وحسن نيته، ومد هيبته وسياسته إلى كل إقليم حتى يؤدى الناس الخراج إليه ويأمنوا بالتقرب من سطوته. وإن كان بعض الخلفاء أوتى بسطة فى الملك وسعة فما فرغوا وقتاً من القلق وخروج الخوارج. وفى هذا العهد المبارك لا نجد — بحمد الله — أحداً ينطوى على خلاف أو يخرج رأسه من ربقة الطاعة

أدام الله هذه الدولة إلى قيام الساعة وأبعد عن هذه المملكة نظر السوء وعين الكمال[١] ليعيش الناس فى عدل ملك العالم وسياسته ويديموا دعاء الخير له

وإذ كانت حال الدولة كما وصفت كان العلم والبصر بالسنن الحسنة على مقدار هذا، والعلم كشمع ينشر ضوءاً كثيراً فيهتدى الناس به الطريق، ويخرجون من الظلمات، ولا يحتاجون إلى دليل ولكن تدبير الملك يعجز عنه العبيد، وهم لا يبلغون درجة عقله وعلمه. فلما أمر هذا العبد أن اكتب طرفاً من السير الطيبة التى لا غنى للملوك عنها، وكل ما عمله الملوك الماضون ولا يعمل الآن من حسن أو قبيح، وكل ما سمعت فى ذلك أو قرأت أو علمت فكتبت إطاعة للأمر العالى هذه الفصول بالإجمال وذكرت فى كل فصل ما يلائمه بعبارة واضحة، بتوفيق الله عز وجل.

عبد الوهاب عزام

---

(١) أفراسياب ملك توران فى قصص الشاهنامة

(١) عين الكمال: عين الحاسد التى تصيب الشىء الذى بلغ كماله

من برجنا العاجى

ليس على الأرض أخطر ولا أقوى من آدمى يعيش من أجل فكرة. هذا الآدمى الذى يركز كل وجوده فى فكرة كما تتركز أشعة الشمس فى عدسة ليستطيع أن يحدث مثلها حريقاً مخيفاً أو نوراً وهاجاً ساطعاً. إن أغلب الأنبياء والرسل وقادة الفكر وعظماء التاريخ الذين قلبوا العالم أو ملئوه ضوءاً أو جمالاً كانوا كذلك: أشعة متجمعة فى عدسة فكرة. إنهم لم يعيشوا للحب والحياة؛ إنما عاشوا من أجل فكرة.

ذاك خطر برأسى فى لحظة من اللحظات. ولست أدرى أأنا مصيب فيه أم أنه عزاء جميل أدخله على نفسى كلما ذكرت وأيقنت أنى أنا أيضاً آدمى لم يخلق كى يعيش للحب والحياة. لماذا أعطى دائماً الفكرة ثمناً أغلى من حياتى، دون أن أشعر ودون أن أريد؟ آه... لو أتيح لى أن أعيش حياتى كما أحب؛ ولو سمح لى أن أقدر الحياة كما يقدرها السعداء من الآدميين! لقد منحنى الله من أسباب النعيم ما لم يتيسر مثله للكثيرين، فلم أبسم ولم أسعد؛ فقد عافت نفسى مائدتى المنمقة وسيارتى اللامعة ومسكنى الرحب. آه... إن أجمل أفكارى ما ظهرت إلا أثناء سيرى البطىء على الأقدام. وإن ألذ أكلة عندى هى ما اقتصرت على لون واحد من الطعام. وإن خير مسكن لى هو حجرة واحدة أضع فيها كل ما يربطنى بالوجود من كتب وورق وفراش وثياب. لقد صحت يوماً من أعماق نفسى: «اللهم أتم نعمتك علىّ وجردنى من كل هذا النعيم الذى لا أفهمه، واملأ قلبى بحب نورك وحده، فبه تزهر كل فضائل الآدمية كما يزهر النبت تحت الشمس الحارة البارة!». وكان لى ما أردت، وانقطعت للفكر وتجردت. ولكن...

لكن هل كل من تجرد من حياته فى سبيل الفكر ينظمه الزمن فى سلك العظماء؟ لست أظن. وهنا الكارثة. هنالك رجال خلعوا رداء الحياة دون أن يلبسوا الفكر ثوباً وضاء. أولئك هم التعساء فى الدارين. أخشى أن يكون قد كتب علىّ مصير هؤلاء!.

توفيق الحكيم

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٧١ — من حق الفتوة أن أكتبها قائماً

قال الكرانى : حرّم بعض الأمراء بالكوفة بيع الخمر على خمارى الحيرة ، وركب فكسر نبيذهم ، فجاء بكر بن خارجة يشرب عندهم على عادته ، فرأى الخمر مصبوبة فى الرحاب والطرق فبكي طويلاً وقال :

يا لقومى لما جنى السلطان لا يكونَنْ لما أهان ، الهوان
قهوة فى التراب من حلب الكرم (م) عقاراً كأنها الزعفران
قهوة فى مكان سوء لقد صادف (م) سعدَ السعود ذاك المكان
كيف صبرى عن بعض نفسى وهل يصبر
عن بعض نفســــــه الإنســـــان

قال : فأنشدتها الجاحظ فقال : إن من حق الفتوة أن أكتب هذه الأبيات قائماً ، وما أقدر على ذلك إلا أن تعمدنى — وقد كان تقوس — فعمَدته ، فقام فكتبها قائماً ...

٣٧٢ — حولها ندندن

فى (مجمع الأمثال) : قاله ـ أى هذا المثل : حولها نُدندن ـ (صلى الله عليه وسلم) لأعرابى قال : إنما أسأل الله الجنة فأما دندنتك ودندنة معاذ فلا أحسنها[1]

الدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام تسمع نغمته ، ولا تفهمه عنه لأنه يخفيه . أراد (صلى الله عليه وسلم) أن ما تسمعه منا هو من أجل الجنة أيضاً .

٣٧٣ — وكفى الله المؤمنين القتال

فى (تاريخ ابن عساكر والنجوم الزاهرة) : كان المتوكل قد ولى على أهل دمشق سالم بن حامد ، فأذل قوماً بها كان بينه وبينهم طائلة[1] ودماء ، وكان لبنى بيهس وجماعة من قريش دمشق قوة ووجاهة ومنعة[2] وكلمة مقبولة ، فلما رأوا كثرة تعدى سالم وجوره وأذيته وثبوا عليه فقتلوه على باب الخضراء بدمشق فى يوم جمعة (سنة ٢٣٦) وبلغ ذلك المتوكل فندب لإمرة دمشق أفريدون التركى وسيره إليها ، وكان فاتكاً ظالماً ، فقدم فى سبعة آلاف فارس وثلاثة آلاف راجل ، وأباح له المتوكل القتل بدمشق والنهب ثلاث ساعات !!! ونزل أفريدون بيت لهيا ، فلما أصبح قال : يا دمشق ، أيش[3] لا يحل بك منى فى يومى هذا ؟! ثم طلب الركوب فقدمت له بغلة فضربته بالزوج على فؤاده فسقط من ساعته ميتاً ، فدفن مكانه ، وقطع الله أمله ، وصار حديثاً ومثلاً ، ورجع الجيش إلى العراق خائباً . وبلغ المتوكل ذلك ، فصلحت نيته لأهل دمشق

٣٧٤ — أدب النفس

فى (الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب) للبطليوسى :

التأدب أحوج إلى تأديب أخلاقه من تأدب لسانه[4] وذلك أنك تجد من العامة الذين لم ينظروا فى شىء من الأدب من هو حسن اللقاء ، جميل المعاملة ، حلو الشمائل ، مكرم لجليسه ، وتجد فى ذوى الأدب من أفنى دهره فى القراءة والنظر وهو مع ذلك قبيح اللقاء سيئ المعاملة ، جافى الشمائل ، غليظ الطبع ، ولذلك قيل : الأدب نوعان : أدب خبرة ، وأدب عشرة[5] وقال الشاعر :

يا سائلى عن أدب الخبره أحسن منه أدب العشره

---

(١) فى (الفائق) : سائل (صلى الله عليه وسلم) ماتدعو فى صلاتك ؟ فقال : أدعو بكذا وكذا ، وأسأل ربي الجنة ، وأتعوذ به من النار ، وأما دندنتك ودندنة معاذ فلا نحسنها . فقال (صلى الله عليه وسلم) : حولها ندندن.

---

(١) طائلة : عداوة ، ثأر

(٢) المنعة : القوة ، بفتح النون وسكونها كما فى النهاية واللسان والتاج . وفى المصباح : قد تسكن فى الشعر لا فى غيره خلافاً لمن أجازه . وفى الأساس : المنعة مصدر أو جمع مانع

(٣) أيش : أى شىء ، خفف منه ، نص عليه ابن السيد ، وصرحوا بأنه سمع من العرب ، وقال بعض الأئمة : جنبونا (أيش) فذهب إلى أنها مولدة قال السهيلى : أيش أى شى كما يقال ويلمه في ويل لأمه على الحذف لكثرة الاستعمال (شفاء الغليل)

(٤) ابن قتيبة : ونحن نستحب لمن قبل عنا وأتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه ، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه

(٥) عبد الله بن المبارك : إذا وصف لى رجل له علم الأولين والآخرين لا أتأسف على فوت لقائه ، وإذا سمعت رجلا له أدب النفس أتمنى لقاءه وأتأسف على فوته

٣٧٥ — الا الأنبياء

قال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني : قال لي المعري : لم أهج أحداً قط

فقلت له : صدقت إلا الأنبياء عليهم السلام ...

٣٧٦ — ان الازار على ما ضم محسود

في (العقد) : خرج أبو السائب وابن أبي عتيق يوماً يتنزهان في بعض نواحي مكة فمال أبو السائب لأمر وعليه طويلته فانصرف دونها . فقال له ابن أبي عتيق : ما فعلت طويلتك ؟ قال : ذكرت قول كثير :

أرى الإزار على لبنى فأحسده إن الإزار على ما ضم محسود !

فتصدقتُ بها على الشيطان الذي أجرى هذا البيت على لسانه . فأخذ ابن أبي عتيق طويلته فرمى بها وقال : أتسبقني إلى برّ الشيطان ؟ ! ...

٣٧٧ — كريح المسك فاح بلا دخان

في (ذيل ثمرات الأوراق) لإبراهيم الأحدب : يحكى أن شهاب الدين الخفاجي المصري شرب الدخان هو وجماعة ، فاعترض عليهم شيخي زاده ، فكتب له الشهاب :

إذا شرب الدخان فلا تلمني وجُدْ بالعفو يا روض الأماني
تريد مهذباً لا عيب فيه وهل عود يفوح بلا دخان ؟

فأجابه شيخي أفندي :

إذا شرب الدخان فلا تلمني على لوى لأبناء الزمان
أريد مهذباً من غير ذنب كريح المسك فاح بلا دخان

٣٧٨ — أرسلت نفسي على سجيتها

في (تاريخ بغداد) . قال إسحق الموصلي : أتيت محمد بن كناسة لأكتب عنه فكثر عليه أصحاب الحديث فتضجر بهم وبجههم ، فلما انصرفوا عنه دنوت منه ، فهش إلى ، واستبشر بي ، وبسط من وجهه فقلت له : لقد تعجبت من تفاوت حاليك ، فقال لي : أضجرني هؤلاء بسوء آدابهم ، فلما جئتني أنت انبسطت إليك وأنشدتك ، وقد حضرني في هذا المعنى بيتان وهما :

فيّ انقباض وحشمة فإذا صادفت أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها وقلت ما قلت غير محتشم

فقلت له : وددت (والله) أن هذين البيتين لي بنصف ما أملك ، فقال : قد وفد عليك مالك ، والله ما سمعهما أحد وما قلتهما إلا الساعة . فقلت له : فكيف لي بعلم نفسي أنهما ليسالي

٣٧٩ — لو تركته لأورثك السل

روى ابن الجوزي : أنشد رجل أبا عثمان المازني شعراً له ، فقال : كيف تراه ؟

قال : أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من جوفك، لأنك لو تركته لأورثك السل

٣٨٠ — دين سوء يدور مع الدول

قال ابرهيم بن عبد الله الكَجّي : قلت للبحتري : ويحك ! أتقول في قصيدتك[1] التي مدحت بها أبا سعيد :

يرمون خالقهم بأقبح فعلهم ويحرفون كلامه المخلوقا
أصرت قَدَرياً[2] معتزلياً ؟

فقال لي : كان هذا ديني في أيام (الواثق) ثم نزعت عنه في أيام (المتوكل)

فقلت : يا أبا عبادة ، هذا دين سوء يدور مع الدول ...

(١) مطلعها :
أأفاق صب من هوى فأفيقا أم خان عهداً أم أطاع شفيقا
إن السلو (كما تقول) لراحة لو راح قلبي للسلو مطيقا

(٢) في التعريفات « القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله »
قال بعض متكلميهم : لا يلزمنا هذا اللقب لأننا ننفي القدر عن الله ومن أثبته فهو أولى به . قالوا : وهذا تمويه منهم لأنهم يثبتون القدر لأنفسهم ولذلك سموا قدرية . وقول أهل السنة في القدر معروف

أنشودة الذكرى

في عيد الربيع

للأستاذ محمود الخفيف

أورقتْ يا قلبُ في الروضِ الغصونْ
وزكا الوردُ وراقَ الموسمُ
ومشى في الارض عرسٌ بهجٌ ... نفحاتُ الخلدِ فيه تنسمُ
والتقى الشملُ فبشرٌ ومنًى ... وحبيبٌ لحبيبٍ يبتسمُ . . .

* * *

يا حديثَ النفسِ في خلوتها ... يا أغانيها ويا لحنَ بكاها
نامتِ الألحانُ لولا شعلةٌ ... في حنايا الصدرِ لم تخبُ لظاها
هيَ ذكرى لعهودٍ أدبرتْ ... رجّعَ الشعرُ من الماضي صداها

* * *

إيه يا قلبي ، دواعي الأمل ... لمحتْ في كلّ غصنٍ أورقا
لا تلبّها وقدْ كُنتَ إلى ... سحرِها من كلّ قلبٍ أسبقا !
زمنُ الوصلِ حلتْ أيامُهُ ... وقصاراكَ بهِ أن تخفقا !

* * *

(الربيع)



ما لهذا الذابلِ المرتعشِ ... رفّ في صدري شوقاً وهفا ؟!
كُنتَ يا قلبُ تأسّيتَ فما ... جدّ من عيشكَ أو ما اختلفا ؟
أيها الخافقُ في وحدتهِ ... فيمَ ذكراكَ عهداً سلفا !

* * *

يا فؤادي كلُّ شيءٍ ضاحكٌ ... في ربيعٍ راقتِ الدنيا بهِ
في ربيعٍ يُنبتُ الودَّ وما ... يملأ الأنفسَ من أسبابهِ
طافَ في الروضِ على سُندسهِ ... برحيقِ الحبِّ في أكوابهِ

* * *

هذه يا قلبُ أفوافُ الرّبيعْ مِهْرجانٌ بثّ فيه خطرَاته
يُبهجُ الأنفسَ مِنْ أزهارِه بسَماتٌ حُلوةٌ مِنْ بسَماتِه
وأحاديثُ جرَتْ عاطرةً زاخراتٍ بمعاني صبَواتِه
الرِّضا والسِّحرُ فيها والمُنى والشّبابُ الغضُّ يُوحي نزَواتِه !

***

ابتهجْ واطرَبْ ورَفرِفْ والْعَبِ
وتنقّلْ في الرُّبوعِ النَّضِرَهْ
النّمسْ في كلِّ رُكنٍ فرْحَةً كالفَراشاتِ ، وغازِلْ زَهرَهْ
واجْتلِ الرَّوْعةَ في أفوافِهِ أفرَغَ السِّحرُ عليْها صُوَرَه
في زَمانٍ مِنْ تهاوِيلَ بِهِ كُلُّ حيٍّ راحَ يَقضِي وطَرَه

***

مسْرحٌ كمْ جُلْتُ في أنحائِهِ لاعِبًا ، لَسْتُ أَمَلُّ اللَّعِبَا
لَمْ يرُعْ نفسِي يوْمًا أنّنِي سأرَى جنّتَهُ مُكْتئبًا !
في ربيعِ العُمْرِ والعيشُ مُنى عجَّلَ الدَّهرُ لِيَ المُنقَلَبا

***

يا عِشاشًا في الرِّياضِ امتلأتْ غنِمَتْ فيها الشّوادِي الفرَحَا
كُلُّ إلفٍ حلَّ فيها لهِجٌ بزَمانِ الوصْلِ فيما صدَحَا
نسِيَ الوَحشَةَ حتّى خِلْتَهُ عَنْ حواشِي أيْكِهِ مَا نزَحَا

***

يا شوادِيَ الأيْكِ غنِّي واطرَبي قدْ توافَتْ لكِ أسْبابُ المُنَى
هلْ شجَا يومَكِ أمْسٌ أوْ غدٌ أوْ عرَفْتِ الدّمْعَ يوْمًا والضّنَى؟
اهنَئِي ما شِئتِ أوْ شاءَ الهوَى واترُكي لي يا شوادِي الحَزَنَا

***

أنا إنْسِيٌّ مِن الطِّينِ فما أعرِفُ النّعماءَ إلاّ حُلُمَا !
عالَمِي مِنْ طبْعِهِ أن أجْتَنِي عقِبَ اللّذةِ فيهِ الألَمَا
إنْ شرِبتُ الكأسَ يوْمًا عسَلاً لَمْ يَدُمْ حتّى أذوقَ العلْقَمَا
شغَفَتْني بالغيْبِ أنْ أجْهَلَهُ وقُصارَى الهمِّ في أن أعلَمَا !

***

جنّةُ الفرْدوْسِ مُنذُ الأزَلِ لأبِي آدمَ كانَتْ نُزُلاَ
فقضَى اللهُ بأنْ يُبْدِلَهُ برِياضِ الخُلْدِ هذا البَدَلاَ !
وأنا مِنهُ فحَظّي حَظُّهُ كَمْ أرَى فيهِ لِنَفْسِي مَثَلاَ !
غيرَ أنّي لَمْ أذُقْ من جَنّتِي أبدًا ما عِشْتُ فيها أُكُلاَ ...

***

كانَ لِي في الأرْضِ حُلْمٌ زاهِرٌ
فمضَى فيها كمَا يَمْضِي الرّبيعْ
رُحْتُ كالطِّفْلِ لدَى صَحْوَتِهِ دامِعًا يَبْكِي رُؤَى الحُلْمِ البَدِيعْ
صَحْوَتِي قدْ قرَنَ البَيْنُ بهَا أيْنَ مِنِّي ذلِكَ الشّمْلُ الجَمِيعْ ؟
عادَ قلْبِي يشتكِي الوجد فهَلْ
تُطْفِئُ الشّكْوَى بِهِ هذا السّعِيرْ ؟
عِشْ علَى الذِّكْرَى وغالِطْ واخْدَعِ
فمَدَى عيْشِكَ في الدُّنيا قصِيرْ
يتَهاوَى العُمْرُ فيهَا مِثْلَمَا يتَهاوَى ذلِكَ الزّهْرُ النّضِيرْ !

الخفيف



صاحبة السمو الامبراطوري

الأمـــيرة فوزية

للآنسة زينب الحكيم



يا سليلة المجد ، يا كريمة المحتد ... تزوجت من ابن عاهل بلاد عريقة الحضارة ، باسقة الدوحة ، فشغل هـذا الحادث السعيد انتباه الناس ، وانصرف كل يحييه بشكل خاص

كنت أمشي مرتاضـة على جسر الزمالك ثم إلى جسر إسماعيل ، وكان ذلك في الصباح المبكر النادى ، حيث ينتعش النبت ويبتهج الزهر ويصدح الطير

ترتفع الشمس من مشرقها فتواجه صنوها أهرام مصر ، فينعكس إشراقها على مرآة الدهور ؛ وليست عنه تغرب ، وإنما هى تحييه كل يوم ، وتمحي في هيكله المرصوص نور العلم ، وقوة العقل ، ونهضة البشرية ؛ ثم تخط فى سجله دورتها التى لا تنقطع

وقد تزول الدنيات ، وتدول العروش ، ويفنى الخلق ؛ وتبقى الأهرام وتبقى الشمس ... هذه تسجل وهذه تدور ... والخلود للنافع الباقى فى سجل الأبدية

فيا أميرة الأهرام فوزى بأمير الشمس رضا ... لقد تنبأت بسعود مستقبلكما وهناء أيامكما وأنا أسير على الجسـور . وقد استرعى انتباهى الأعلام المتناثرة المرفوعة على أعالى القصور وفى البساتين والميادين، كلها ترفرف فى الجو معلنة صفاء نفسين واتحاد قلبين ، مذيعة على موجات الأثير أفراح أمتين شقيقتين ، ورجاء شعبين صديقين

فى اللحظة الخاطفة الوامضة ، التى أيقنت فيها بذيوع النبأ السعيد فى العالم أجمع ، وأكده تشريف ابن الأكاسرة ديار الفراعين ؛ استوقفنى بين الجسرين صوت التابع (الخادم) حيث لاحقنى من البيت ، قال : سيدتى ، لقد نسيت هذا الكتاب ، فأخذته منه وشكرته وانصرف

وتابعت سيرى ووجهتى جسر إسماعيل ، فلما بلغت وسطه ، شعرت أن الكتاب أثقل ذراعى ، فوقفت أستريح برهة ، وقد شغل تفكيرى قيمة ما يحتويه الكتاب بالنسبة إلى حجمه ووزنه

وحانت منى نظرة إلى ماء النيل ، وهو يخاصر رقائق النسيم ؛ ومن عجب أرى ضوء الشمس الفضى ينعكس على جهات خاصة من سطح الماء ، فيكوّن من الموج الهادىء نجوماً متلألئة ، أما باقى سطح الماء فعادى إذا استثنينا اختلاف ألوان تموجاته فى مواضع .

هذه اللوحة الفنية بإطارها المعشوشب ، أوضحت أمامى صفحة من صفحات شهيرات النساء منذ أبعد الحقب ، ومن ثم اطمأننت أنه يعتمد عليهن فى فتح الكتب المغلقة وفهم غوامضها وتكييف

الأقدار. وهذه الناحية من سطح الماء، التي تتلألأ عليها النجوم الساطعة، إنما تدل على شهيرات النساء اللائي جذبن انتباه العالم لخطورة مراكزهن كالملكة حتاسو، وفكتوريا، والسيدة خديجة، ومثيلاتهن ممن حكمن الممالك، وشرعن، وشيدن أسس العمران وُسسن مصلحي البشر؛ أو مدام كورى ومن على شاكلتها من العالمات، والمخترعات؛ أو كالسائحات والكاتبات اللائي يدرسن البشرية عملياً ويسجلن تاريخ البشر التجريبي؛ أو كرسولات السلام والمودة من أشباه أميرتنا المحبوبة فوزية.

وفى الحق أنه ينطوى فى شخصية مثيلاتها أخطر تضحية، وأقوى شجاعة، وأحد نظرة وأجدها.

ياله من مركز خطير! يضطلع به الرجل فيثقله، فما بالنا إذا ما اضطلعت به امرأة؟! من غير شك تكون المسئولية أعظم، والتضحية أوفر، والإرادة أمتن

يا أيتها المرأة إنك ضحية الوجود، وزهرة الوجود، فياله من شوك وشذى فى وقت واحد!

أذكر عندما حمل البشير إلى فكتوريا نبأ تنصيبها ملكة على عرش بريطانيا العظيم، تلقت الخبر السار بذهول لهول المسئولية، وكانت سنها لا تزيد على الثامنة عشرة، ولكن ذلك الذهول، وذاك الهول، لم يثنياها عن المبدأ الذى ألهمته، وكان سبب نجاحها إذ أجابت بعد صمت لحظات I shall be good سأكون صالحة. قول قصير ولكنه منطق حكيم ومبدأ متين

وهكذا عاشت الملكة فكتوريا عمراً مديداً، وحكمت خمسين عاماً من أحسن وأنفع السنين التى مرّت على بريطانيا. ولا يزال حب فكتوريا مستقراً فى القلوب. تعرفت إلى سيدة انجليزية عجوز فى إحدى ضواحى لندن، فلما توثقت عرى الصداقة بيننا، أرادت أن تقدم إلىّ هدية من أثمن ما تملك، فسارت معى إلى خزانة أنيقة من البلور، وأخذت منها علبة فضية ثمينة، أخرجت منها شيئين صغيرين، ولكن بدا على السيدة الاهتمام والرعاية لهما

بدأت تفض الأغلفة التى أحاطت بالدرة الثمينة على ما ظننت، وأيقنت أننى سأنال شظية من تلك اللؤلؤة النفيسة، وما كان أشد دهشتى عندما وجدت أن الجوهرة المغلفة لم تكن أكثر من قطعة صغيرة من كعكة عرس الملكة فكتوريا!!

ثم عادت السيدة فأخرجت من المغلف الثانى نموذجاً لثوب العرس الذى ارتدته الملكة فكتوريا ليلة زفافها، وقد صنع من القصاصات التى تخلفت من قماش ذلك الثوب. أما نموذج الثوب، فكان تحفة ثمينة، وأثراً بارزاً يشير إلى بعض عواطف الإنجليز، وهم ناس تقاليد وناس وفاء وشمائل نبيلة كم أرجو أن ينال أفراد الشعبين: المصرى والإيرانى منحة تحفظ فى ذاكرة الأجيال!! لا يخالجنى شك فى أن عبقرية الزوجين الكريمين ستكوّن طاقة من الزهر تشم فى نسمات الخلود

* * *

يا أميرة النيل: إنى أتخيلك وأنت آمنة الآن إلى خلجات قلبك، مفكرة فى رياض المستقبل بما تحويه من أزهار وأثمار وأطيار، لا تلبث أن تصبح بلابل القصر المرمرى العامر؛ ثم أتخيلك وأنت تجولين فى بساتين إيران الزاهية وحقولها المخصبة، وأتخيل مواقفك التى ستفوق ديمقراطية إحدى ملكات أوربا

ذلك أنها كانت تكثر من تفقد حال رعيتها خفية، ففى ذات مرة كانت تتجول فى الحقول منفردة، فرأت فتاة حسناء تعمل بنشاط فى حقلها بحيث لم تنتبه إلى المتجولة العظيمة، فقربت منها الملكة وحيتها وتحدثت معها طويلاً مستفسرة عن محاصيلها وعن معيشتها، وكانت الفتاة تحادثها دون تعمل على طريقتها القروية الساذجة ولما همت الملكة بالانصراف سألتها الفتاة عن اسمها وماهيتها، فأجابتها ببساطة مستملحة: أنها الملكة فلانة. فطربت الفتاة كما تطرب فتاة الريف الوادعة وسألتها عن عنوانها، فأجابتها الملكة إلى ما أرادت. فلما كان عيد الميلاد بكّرت الفتاة بإرسال زوج من القفازات الصوفية من صنع يدها هدية للملكة بمناسبة العيد، وتقبلتها الملكة راضية وأرسلت خطاب شكر إلى تلك الفتاة ومعه قفاز مملوء بالذهب، وآخر مملوء بالحلوى

وبعد أيام أرسلت الملكة خطاباً آخر للفتاة تستفسر منها فيه عن وصول الهدية، ومقدار ما نالها منها شخصياً، فأجابت الفتاة فى حياء جميل: لقد استأثر أبى بالذهب، وتمتعت أختى الصغيرة بالحلوى، بينما أجاهد أنا فى الحصاد. فعادت الملكة وأرسلت بقفازين أحدهما مملوء بالذهب والآخر بالحلوى، وشفعتهما بخطاب منها شخصياً تقول فيه لوالد الفتاة: «اترك الهدية كاملة للفتاة هذه المرة» فما أجمل عطف المرأة وما أدق مواقفها!

هنيئاً لك يا إيران بابنة فؤاد المصلح، الذى شمل عطفه وبره ورقيه مصر وغير مصر من بلاد الشرق والمغرب، وعم نور عهده الذهبى فتبدد عن العقول ظلام الجهل، وعن النفوس كابوس الذل

إن التاريخ يعيد نفسه . ومن حسن التوفيق أن يكون إشراق النجوم ، وبشير السلام والمودة متصل الحلقات بمحور شريف . فقد سبق أن حدثت مناسبة سعيدة مشابهة لحادث اليوم ، بزواج الأميرة نازلى هانم أخت الخديو اسماعيل ، وعمة المغفور له الملك فؤاد بأحد الأعيان التونسيين ، وكانت تسكن قصراً بديعاً بالقرب من قرطاجنة على شاطئ البحر وسط بساتين غناء .

تحدثت عنها الكاتبة الفرنسية مريام هارى قالت : أدى بى الحديث مع الأميرة نازلى يوماً إلى الكلام عن المرأة المسلمة ، فقالت لى: هل تقصدين المرأة المصرية؟ إنه لا توجد امرأة فى العالم عرفت ما عرفته من الاستقلال فى عهد الفراعنة ! فأمريكا ذاتها لم تبتدع جديداً يمكن أن يقارن بالحركة النسوية التى كانت على ضفاف النيل منذ أربعة آلاف سنة .

لقد كانت تتمتع المرأة المصرية بوحدة الزوجية ، بل كانت تنعم بما ينعم به الرجل من الحرية والمراتب ، عكس ما كانت تعامل به نساء البلاد الأخرى فى ذلك العهد كالإسرائيليات والبابليات وغيرهن .

والزوجة الحقيقية كانت تشارك زوجها فى التاج والعرش ، وكانت تمتاز عن أختها العصرية بالاشتراك مع زوجها فى الأعمال الفكرية ، وقد وجدت مؤلفات باسم الزوج والزوجة ، وفى الألعاب الرياضية أيضاً ، فكانت تخرج معه للصيد والقنص ، وكانت ترأس الحفلات »

ثم أفضى الحديث بين الأميرة والكاتبة إلى التحدث عن كليوباترا الملكة العظيمة ، فقالت الأميرة نازلى : حقاً إنها كانت ملكة قادرة من أسرة البطالسة ، ومع ذلك كان أفول نجم المرأة المصرية بعدها . فقد فرض عليها القانون الرومانى الذى أخذ عنه الفرنسيون قانونهم، أن تأخذ ترخيصاً من الزوج فى أعمالها ، وهذا أمر لا يعرفه الإسلام، إذ ليس الإسلام خلافاً لما يظنون هو الذى جعلنا فى مرتبة أقل من الرجال وحرمنا حقوقنا، وإنما هو التفسير غير الصحيح للنص المقدس ، وإهمالنا وقعودنا نحن النساء » .

ولقد أبيح للمرأة المسلمة على الدوام أن تنص فى عقد الزواج على أن تكون منفردة بالزوجية ، ولو أن الزوج أخل بهذا النص لموقب بالحبس

قالت الأميرة نازلى هذا القول من نحو ربع قرن مضى ، فليتها ترى بنفسها اليوم مقدار ما بلغته المرأة المصرية الحديثة من التعاون مع الرجل فى أكثر مرافق الحياة ، لتعجب بنهضة المرأة الفكرية والرياضية والاجتماعية ، ولتسر كل السرور بحفيداتها أميرات البيت المالك ، إذا ما رأتهن يزرن المدارس ويشجعن التعليم ، ويفتتحن المعارض العلمية والفنية من زراعية وصناعية . كم كان ينشرح صدرها لرؤيتهن أثناء لعبهن التنس ولهوهن بالثلج فى سويسرا ! لو كان ذلك لأدهشها أن ترى الملك المحبوب فاروق الأول مع زوجه جلالة الملكة فريدة وهما يجولان فى الصحراء للصيد والرياضة ، ولأثلج صدرها ما ألفته بعض الأميرات من نفائس الكتب كالأميرة قدرية حسين

وسمو الأميرة فوزية زهرة تتضوع شذى ذكيًا بما تحمله فى دمها من عبقريات والديها الكريمين ، وتنقل عن أخيها جلالة الملك « فاروق الأول » المحبوب روح الشباب الطامح ، وحكمة الشيوخ الأتقياء ، وحزم المجربين الأشداء . وتتأثر بوراثات فوارة عن الأجيال الطويلة التى قطعتها مصر فى الرق العلمى والحضارة

فيا أيتها الوديعة العزيزة أنت خير من يفهم رسالة مصر ، وخير من يمثل بلاده الخالدة ، فتزدادين منعة وعظمة من رائع خيال إيران ، ورفيع فنها ، وواسع علومها وفلسفاتها . وإن من كانت مثلك فى قوة الذكاء وروعة الحسن مع شخصية قوية وجرأة حازمة وسياسة رشيقة ونبل — وما استمتعت به من رعاية وجوار كريم من جلالة أخيك الملك الصالح — كل هذا ، وليس بالقليل ، تستطيعين به أن تتصفحى الكتاب الزاخر وتكفلى بهجة الحاضر ونجاح المستقبل ومودة الدهر

زينب الحكيم



ماهى الحيـــاة
وكيف ظهرت على الأرض؟

انطباق نواميس الطبيعة على الأحياء

للأستاذ نصيف المنقبادى

تكلمنا فى مقالنا الأول عن وحدة الحيوانات (ومنها الإنسان) والنباتات وأثبتنا فى مقالنا الأخير وحدة الأحياء والجمادات بأن بحثنا عن مظاهر الحياة فى الجمادات وقد وجدناها جميعاً بلا استثناء ولكن مبعثرة ومشتتة فيها كالتكوين الدقيق والشكل النوعى والتغذى والتنفس والتحرك والتأثر والنمو الخ

واستكمالاً لهذا التحقيق (وحدة الأحياء والجمادات) واستيفاء له من جميع نواحيه نسلك اليوم الطريق العكسى لنصل إلى نفس النتيجة بأن نبحث فى الكائنات الحية عن نواميس الطبيعة التى تدير الكائنات الحية، وسيرى القارئ فيما يلى أن تلك النواميس تنطبق جميعها بلا استثناء على الأحياء (ومن بينها الإنسان) وأنها هى التى تعمل فيها وتديرها وليس شىء آخر خلافها

نقول إنه يتضح لكل من يطلع على كتب العلوم البيولوجية الحديثة (علوم الحياة كالبيولوجيا العامة والفسيولوجيا وعلمى الحيوان والنبات، وعلم التشريح التقابلى، وعلم تكوين الجنين الخ) أن هذه العلوم أخذت تفسر المسائل الحيوية وتعللها بالنواميس والقواعد المقررة فى علوم الميكانيكا والطبيعة والكيمياء، وقد خطت خطوات واسعة فى هذا السبيل، ولا يهدأ للعلماء الآن بال وهم يعالجون أية ظاهرة من ظواهر الحياة حتى التفكير والقوى العقلية إلا إذا عللوها بالعوامل الطبيعية وردوها إليها ووحدوا بينها وبين الجمادات

فوظيفة القلب والحركة الدموية على العموم خاضعة لنواميس الهدروليكا أو الهدرودناميكا. وهضم الأغذية ليس إلا تفاعلات كيميائية محضة. وامتصاص الغذاء بعد هضمه، وإفراز المواد الإفرازية خاضع لقواعد التشرب Osmose المقررة فى علم الطبيعة، وكذلك الحال بالنسبة لامتصاص الأوكسيجين وإفراز الحامض الكربونيك فى الرئتين وفى أعضاء التنفس الأخرى وفى الشرايين الشعرية. وتحرك الحيوانات وسيرها على الأرض أو طيرها فى الهواء أو عومها فى الماء، كل هذا يجرى طبقاً لقواعد علم الميكانيكا دون غيرها. وإبصار العين وسمع الأذن وحدوث نبرات الصوت ارتفاعاً وانخفاضاً، كل هذا يحصل بمقتضى القواعد المقررة فى علمى الضوء والصوت المتفرعين من علم الطبيعة. وكذلك الحال بالنسبة للتلقيح وانقسام الخلايا وتكوين الجنين وتكوين الزهور والأثمار ... الخ. وكذلك الحال أيضاً فيما يتعلق بالانفعالات النفسية والغرائز والعواطف والتفكير، فقد توصل العلماء إلى إرجاع الكثير منها إلى ظواهر طبيعية وكيميائية محضة وفسروها بالعوامل الطبيعية التى تدير الجمادات. ويضيق بنا المقام لو أردنا شرح شىء من ذلك لأن هذا يستغرق المجلدات الضخمة العديدة، فنحيل القراء على المؤلفات الحديثة فى علوم البيولوجيا والفسيولوجيا والبسكولوجيا. ونقصر حديثنا الآن على الناموسين الأساسيين اللذين تتفرع منهما باقى نواميس الكون وهما ناموس عدم تلاشى المادة La loi de la Conservation de la matière وناموس عدم تلاشى الطاقة (القوة سابقاً) La loi de la Conservation de l'énergie

المادة والطاقة

ينقسم كل ما فى الوجود إلى مادة وطاقة ولا ثالث لهما. فالمادة تشمل الكواكب والشموس والسيارات ومنها الأرض وما عليها من المعادن والجبال والبحار والمواد التى تشكلت بشكل

خاص كالأجسام المبلورة والكائنات المساة بالحية كالإنسان وباقى الحيوانات والنباتات

والطاقة تبدو فى صور مختلفة معدودة تتحول من الواحدة إلى الأخرى وهى الكهرباء ، والجاذبية ، والضوء ، والطاقة الميكانيكية كالحركة ، والطاقة الكيميائية الكامنة فى ذرات المادة ، والحرارة

والمادة والطاقة ليستا مستقلتين إحداهما عن الأخرى فلا يمكن تصور وجود الواحدة منهما بمفردها دون الأخرى

بل ثبت أخيراً على أثر اكتشاف الراديوم والأجسام المتشععة المماثلة له ، أن المادة تتحول إلى طاقة والطاقة إلى مادة ، فكأنه لا وجود للمادة فى الواقع ، وأنها ليست إلا طاقة متكاثفة كما أن السوائل غازات متكاثفة وكذا الجمادات بالنسبة للسوائل . وعلى هذا تكون المادة صورة أخرى من صور الطاقة فوق الصور المتقدم ذكرها

ومن نواميس الطبيعة الأساسية ناموسا عدم تلاشى المادة ، وعدم تلاشى الطاقة سالفا الذكر . ومعنى هذا أن مجموع المادة التى فى الكون ثابت لا تزيد عليه ، ولا تنقص منه ذرة واحدة ، وإن كانت المادة تتحول على الدوام من تركيب إلى آخر ومن شكل إلى شكل ، وكذلك الحال فيما يتعلق بالطاقة ؛ فإن صورها أو مظاهرها فى تحول مستمر من الكهرباء إلى الحركة إلى الضوء إلى الطاقة الكيميائية إلى الكهرباء وهلم جرا ، ولكنها فى مجموعها ثابتة لا تزيد ، ولا تنقص منها أية كمية مهما صغرت .

انطباق هذين الناموسين على الأحياء

قلنا وكررنا فى المقالين السابقين أنه لا يوجد عنصر من عناصر المادة خاص بالكائنات الحية ، وأن العناصر التى تتركب منها أجسامها تدخل فى تراكيب معدنية لا عداد لها . وبينا كيف أن المواد التى تتألف منها أجسام الأحياء مشتقة من الجمادات رأساً بفعل قوة الشمس أو طاقتها الإشعاعية بواسطة المادة النباتية الخضراء (الكلوروفيل) . فالحيوانات آكلة اللحوم تتغذى من الحيوانات النباتية ، وهذه تتغذى من النباتات . والنباتات تركب المواد التى تتغذى بها وتشيد منها أجسامها من المواد المعدنية — أى من الجمادات — على الوجه المتقدم بيانه ، بحيث لا تزيد على الكائنات الحية شىء أكثر مما تتناوله من الغذاء ولا ينقص منها شىء أكثر مما تفرزه أو يتبخر منها

وبعد الموت تتحلل أجسامها وتتحول إلى كمية من بخار الماء ومن الحامض الكربونيك ومن بعض تراكيب أزوتية ومعدنية بحيث يساوى مجموع كل هذا وزن الجسم عند الموت تماماً لا أكثر ولا أقل

وكذلك الحال بالنسبة للطاقة فإن الكائنات الحية تتحرك حركة ذاتية كالانتقال من مكان إلى آخر ، وحركة أعضائها الداخلية وحركة نمو الخ ، وهى تفرز عصائر وخمائر وسوائل مختلفة وإفرازات داخلية وخارجية متنوعة ، وتحلل بعض المواد الكيميائية وتركب غيرها ، وتتولد فيها حرارة ثابتة فى ذوات الثدى (التى منها الإنسان) وفى الطيور ، أو حرارة عرضية فى الحيوانات الأخرى وفى النباتات ، كما يتولد الضوء والكهرباء فى بعضها ، وهذه كلها من الطاقة ، ولا يمكن أن تأتى من العدم لأن الطاقة لا تخلق ولا تنعدم ، ولا بد أن تكون قد اشتقت من صورة سابقة من صورها الأخرى . فما هو مصدر تلك الطاقة التى تدير الأحياء وتحركها وتعمل فيها ؟

لقد أثبت علم الفسيولوجيا بالأدلة والاختبارات والمشاهدات القاطعة أن جميع القوى التى تعمل فى الإنسان وباقى الكائنات الحية تنتج من احتراق المواد الغذائية داخل أنسجة الجسم وفى خلاياه ، وما الغذاء إلا وقود الكائنات الحية يحترق فيها ليولد الطاقة والحرارة اللازمتين لأعمال الحياة كما يحترق الفحم أو البترول فى الآلات الميكانيكية لإدارتها ؛ وما الحيوانات والنباتات إلا آلات تحول الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء إلى طاقة ميكانيكية كالحركة وإلى حرارة وإلى كهرباء وضوء فى بعض الحيوانات

وقد أراد علماء الفسيولوجيا أن يتحققوا مما إذا كانت العوامل الطبيعية ، وبعبارة أدق الطاقة الناتجة من احتراق المواد الغذائية فى الأحياء هى التى تدير بمفردها الكائنات الحية وتعمل فيها ، أم أن هناك عوامل أخرى من وراء الطبيعة تشترك معها فى ذلك . فمن أجل ذلك صنع اثنان منهم وهما الأميريكيان أتوتر وبنديكت جهازاً خاصاً هو عبارة عن كالوريمتر كبير مركب تركيباً دقيقاً من مواد تحفظ الحرارة وتمنع تشععها إلى الخارج وهو

فى الوقت نفسه يقيس أقل كمية من الحرارة توجد فيه مهما صغرت. ووضعا فيه شخصاً وأحكما غلقه عليه، ويخترق هذا الكالوريمتر تيار من الهواء يمر فى أنابيب مصنوعة خصيصاً ومركبة عليها آلات للتحليل والقياس فيقيسون مقدار ما يدخل من الهواء وما يشتمل عليه هـذا الهواء من الأكسيجين وغاز حامض الكربونيك، وكذلك مقدار الهواء الخارج من الجهة الأخرى وما نقص منه من العنصر الأول، وما زاد عليه من الغاز الثانى، والفرق يدل بطبيعة الحال على كمية ما احترق مدة العملية داخل جسم الشخص الجالس فى الكالوريمتر من المواد الغذائية المدخرة فى أنسجته وخلاياه، ذلك لأن كل احتراق حتى فى الجمادات يستهلك الأوكسيجين ويفرز غاز الحامض الكربونيك

ومن جهة أخرى يقيس الكالوريمتر كمية الحرارة التى تتشع من جسم ذلك الشخص، والحرارة التى تتحول إليها فى النهاية الحركات المختلفة التى يقوم بها كحركاته الذاتية، وكحركات أعضائه الداخلية كالقلب والرئتين.

فكانت النتيجة أن الطاقة (الحرارة) التى تنتج من احتراق المواد الغذائيـة المدخرة فى الجسم تساوى تماماً الطاقة (القوى) التى تعمل فى الجسم وتتحول فى النهاية إلى حرارة.

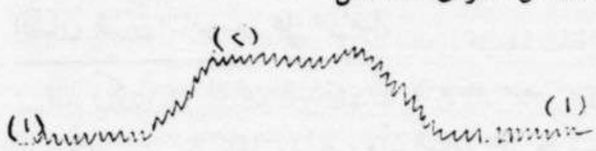
وكان بعض الفسيولوجيين قاموا قبل ذلك بمثل هذا الاختبار على حيوانات مختلفة وكانت النتيجة واحدة.

ومعنى هذا أنه لا تعمل فى الكائنات الحية بما فيها الإنسان ولا تديرها سوى القوى الطبيعية، وأن هذه القوى ليس لها إلا مصدر واحد وهو الغـذاء، أو بعبارة أصح الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء

وحتى التفكير والقوى العقلية فقد ثبت بالاختبارات والمشاهدات العديدة أنها تستهلك كمية من الطاقة الناتجة من احتراق المواد الغذائية المدخرة فى المخ والتى يوردها الدم إلى ذلك العضو. وإننا نكتفى بالتجربة التالية إثباتاً لذلك: فقد صنعوا جهازاً خاصاً دقيقاً لقياس كل زيادة تطرأ على حجم المخ مهما كانت طفيفة، يستخدمون هذا الجهاز فى أشخاص يكون قد أصابهم كسر فى الجمجمة وتفتت قطعة من العظم حتى صار مكانها مكشوفاً لا تغطيه إلا قشرة من نسيج رقيق، فيضمون قاعدة الجهاز على رسم الجزء المكشوف وقياسه ويغطونه بها. وتتفرع من قاعدة الجهاز هذه أمبوبة من الكاوتشوك تتصل بآلة تدل على أقل زيادة أو احتقان يطرأ على المخ وترسمه رسماً

يرسم هذا الجهاز فى الحالة الاعتيادية خطاً متعرجاً ولكنه يكون فى مجموعه على منسوب أو ارتفاع واحد، وهذه التعرجات هى أثر نبض القلب. ويكلفون الشخص الموضوع عليه الجهاز بالقيام بأعمال عقلية بأن يطلبوا منه مثلاً إجراء عملية حسابية، حتى إذا بدا فى التفكير أخذ حجم مخه فى الزيادة بورود كمية من الدم إليه أكثر من المعتاد يدل عليها ارتفاع منسوب الخط المتعرج الذى رسمه الجهاز، كما يحدث فى كل عضو يؤدى وظيفته، لأن الدم يحمل إليه الغذاء الذى يحترق فيه لتوليد الطاقة اللازمة لقيامه بوظيفته، وعند ما ينتهى ذلك الشخص من العملية العقلية التى كلف بها يرجع مخه إلى حجمه الطبيعى بأن ينزل الخط المتعرج إلى مستواه الأصلى

يؤيد هذا أيضاً التجارب التى قام بها كل من شيف من جهة وموسو من جهة أخرى، فإن كليهما استعان بآلات دقيقة جداً لقياس درجة حرارة المخ على مثل ذلك الشخص المكسورة جمجمته صنعها خصيصاً على أساس الكهرباء، وهى حساسة إلى حد أن تقيس واحدا من الألف من درجة الحرارة الواحـدة. وقد دلت هذه الآلات بطريقة ظاهرة على أن حرارة المخ ترتفع أثناء التفكير، وهذا الارتفاع لا يمكن أن يأتى إلا بورود كمية من الدم إلى المخ واحتراق بعض المواد الغذائية التى يحتويها أو من المدخرة فى المخ شأن كل عضو فى حالة العمل



(١) منسوب الدم فى المخ أثناء الراحة العقلية
(٢) ارتفاع كمية الدم فى المخ أثناء التفكير

يؤيد هذا أيضاً ازدياد كمية المواد الفوسفاتية فى البول لدى الأشخاص الذين يزاولون الأعمال العقلية المتواصلة كما يدل على ذلك التحليل الكيميائى، وهى تنتج من احتراق المواد الغذائية الفوسفورية المدخرة فى المخ مثل الليسيتين أو التى يوردها الدم إلى ذلك العضو

ويؤيد هذا أيضاً ما هو معروف للجميع من أن الطفل يكون عند ولادته عديم التفكير ثم تأخذ قواه العقلية فى النمو بنمو مخه مع باقى جسمه ، وأن كثيراً ما تضعف هذه القوى فى الشيوخ حينما ييبس المخ وتتصلب شرايينه ويذهب فريسة كريات الدم البيضاء المفترسة ، أو حينما يتناول الإنسان كمية من الخمر أو يصاب بحمى شديدة أو بأى مرض يؤثر فى المخ . فلا شك فى أن التفكير إنما هو وظيفة المخ وأن مصدره الوحيد الطاقة الناتجة من احتراق المواد الغذائية شأنه شأن باقى وظائف الأعضاء الأخرى

وبالجملة فإن ناموس بقاء الطاقة وعدم تلاشيها ينطبق على الكائنات الحية ومنها الإنسان انطباقه على الجمادات

النتيجة

فمن أية ناحية نظرنا إلى الموضوع نجد أنه لا يوجد أى فرق جوهرى بين الكائنات الحية وبين الجمادات كما قلنا فى ختام المقال الأخير ، وهذا يدل دلالة قاطعة على وحدتهما

ولا يسعنى إلا أن أختم هذا البحث بالعبارة التى ختم بها أستاذى المأسوف عليه فريديريك هوسيه أستاذ علم البيولوجيا بجامعة باريس (السوربون) محاضراته فى هذا الموضوع حيث قال : « إذن فكل ما فى الطبيعة حى ، أو ليس فيها حى »
« Donc, dans la nature tout vit ou rien ne vit »
يقصد أنه لا يوجد أى فرق بين الكائنات الحية وبين باقى ما فى الطبيعة من أجسام أخرى معدنية أو جمادات

وحتى الأخلاق فقد تناولها العلم وأثبت أنها ظاهرة طبيعية تطرأ على الحيوانات الاجتماعية كالنمل والإنسان نتيجة لازمة لحياة أفرادها جماعة ، وقد أصبحت - أى الأخلاق - غريزة متأصلة فى النمل والنحل، وهى غريزة فى دور التكوين فى النوع الإنسانى لأنه أحدث من تلك الأنواع كما سنبينه فى مقال قادم

وسنبين فى المقال الآتى كيف ظهرت الحياة على الأرض بعد أن ثبت لنا نهائياً وقطعياً أنها ظاهرة طبيعية مثل باقى ظواهر الطبيعة

نصيف المنقبادى المحامى
دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)

أطفال الشمس

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

لاحظ العلماء أن هناك شقة واسعة بين المريخ والمشترى ، وقالوا: من المحتمل أن يكون فيها سيار يدور حول الشمس، وقد حاولوا أن يكشفوه وأن يعرفوا شيئاً عنه عن طريق الرصد فلم يوفقوا إلى ذلك . وفى بداية القرن التاسع عشر للميلاد كشف بعض الفلكيين أجراماً صغيرة أطلقوا عليها « النجيمات » أو « الكويكبات » عرفوا منها ما يزيد على الألفين ، وقد أطلقنا عليها « أطفال الشمس » لأنها صغيرة جداً بالنسبة للسيارات . وقد ظن كثيرون أن هذه الكويكبات دليل الخلل والفوضى فى النظام الشمسى ، وأن السيارات ستتقلص وتصبح صغيرة يجرى عليها ما يجرى على تلك الكويكبات التى بدورها ستؤول إلى شهب ونيازك ، وعلى هذا قالوا : إن بداية الكون فى الـدم ونهايته فى الشهب والنيازك

ولسنا بحاجة إلى القول بأن هذه الآراء لا تستند إلى علم أو دراسة بل هى مجرد تخمين لا أكثر ، وقد أثبت البحث العلمى بطلانها وعدم صحتها، وتحقق لدى الفلكيين والطبيعيين أن لا خلل ولا فوضى فى الكون، وأن ما يسيطر على أصغر موجوداته يسيطر على أكبرها، وأن الإنسان كلما تقدم فى وسائل الرصد وتفتحت أمامه المغلقات تجلى له أن الكون بأجزائه المختلفة المتعددة لا يتعدى دائرة من القوانين والنواميس لا يتطرق إليها خلل أو فوضى ! وأن ما يظهر للإنسان شذوذاً دليل على أنه لا يزال عند عتبة اليقظة العقلية ، وقد عجز عن إدراك كنه هذا الشذوذ وحقيقته

إن من يحاول الوقوف على عجائب الكون ويسعى لتفهم ما يجرى فيه من مدهشات وغرائب ويعمل على الإحاطة بالقوى الطبيعية المتحكمة فيه يتبين له أن ما ظنه شذوذاً وفوضى هو فى الواقع اطرادٌ ونظام ...

والآن ... ما هى هذه الأطفال ؟ ... وما خصائصها ؟ ...

وما مقامها فى النظام الشمسي ؟ هذا ماسنحاول الإجابة عليه بإيجاز

تسير هذه الكويكبات أو الأطفال حول الشمس فى نفس الاتجاه الذى تسير به الكواكب السيارة، وقد حسب العلماء سمة أفلاكها وأقطارها ، ووقفوا على كثير من خصائصها فوجدوا أن أكبرها (سيرس) وقطره لا يزيد على (٤٨٠) ميلاً ، ويليه (بالاس) الذى يبلغ قطره (٣٠٦) من الأميال، ثم (فِسْتا) ويقدر قطره بـِ (٢٤١) ميلاً . وهناك من الكويكبات مالاتزيد أقطارها على ميلين ، ويتراوح زمن دورانها حول الشمس بين ١٫٧٦ و ١٣٫٧ من السنين ، أى أن طول السنة عليها يختلف ؛ فبينما سنة أقرب كويكب (سيرس) تعدل ١٫٧٦ سنة من سنينا نجد أن سنة أبعدها (هيدالاكو) تعدل ١٣٫٧ من السنوات

أما أيامها فقصيرة جداً حسب الفلكيون أطوالها فوجدوا أن يوم (إيرس) لا يتجاوز ست ساعات و ١٢ دقيقة ، ويوم (أونوميا) لا يزيد على ثلاث ساعات ودقيقتين ، ويوم (سيرمنا) يبلغ تسع ساعات وأربعين دقيقة . وهناك مجموعة من ستة كويكبات تسير وتتحرك بطريقة غريبة بحيث تكوّن مع الشمس والمشترى مثلثاً متساوى الأضلاع . والكويكبات صغيرة جداً حسب الرياضيون أوزانها كلها (المعروف منها) فتبيّن لهم أن الوزن الكلى لا يزيد على جزء واحد من ألف جزء من وزن الأرض . وتدل الحسابات وحركات الكواكب فى أفلاكها أنه لا يمكن أن يزيد المجموع الكلى للكويكباتِ — ما كشف منها ومالم يكشف — على جزء واحد من خمسمائة جزء من وزن الأرض؛ ولو كان الوزن أكثر من ذلك لحدث اضطراب فى فلك المريخ ولما التزم طريقه الحالية ولأقصى عنها بعض الإقصاء

ولقد كشف العالم الألمانى « وِتْ » فى أواخر القرن التاسع عشر للميلاد كويكباً صغيراً اسمه (إيروس) يقع فلكه ضمن فلك المريخ وفى بعض الأحيان يتخطاه ، يبلغ قطره خمسة عشر ميلاً ويتم دورته حول الشمس فى سنة وتسعة أشهر ، طول يومه خمس ساعات وست عشرة دقيقة . وهذا الكويكب يدنو أحياناً من الأرض حتى يصير على بعد (١٣٨٤٠٠٠٠) ميل ، ولقد ساعد هذا القرب الفلكيين على رصده واستطاعوا من ذلك حساب بُعد الشمس عن الأرض وكتلة الأرض بدقة متناهية . واختلف الفلكيون فى منشأ هذه الكويكبات فمنهم من ذهب إلى أنها تناثرت من صدام كوكبين ، ومنهم من قال بأن سياراً حلّ به القضاء أى التمزيق والتناثر عند ما اقترب قليلاً من المشترى ، والحقيقة أن العلم لم يصل فى هذه النقطة إلى درجة يرضى عنها العلماء ويطمئنون إليها . وقد تبدو هذه الكويكبات لا أهمية لها فى علم الفلك ، فهى لا أكثر من أجسام صغيرة جداً تسير حول الشمس ، ولكنها فى الواقع ذات قيمة وشأن فى بحوث الفلك الرياضى ، فمن حركاتها واقتراب بعضها من الأرض ومن دراسة تأثير المريخ على البعض الآخر من هذه جميعاً وغيرها تتكوّن لدى الفلكى مادة يمكن بها تحقيق بعض القياسات المتعلقة بالأرض والشمس كما تتكون لدى الرياضى مسائل طريفة فى حلها شحذ للعقول ومتعة للأذهان .

« نابلس » قدرى حافظ طوقان



دراسات فى الفن

الموسيقى روح ومعان

للأستاذ عزيز احمد فهمى

— أهنئك فقد أتقنتِ القهوة اليوم . أين أخوكِ ؟

— ألا تسمعه ؟ هو هذا الذى يعزف على العود فى الحجرة المجاورة . تعال ... تعال اسمع تلميذك النابغة

— لعله الدرس الأول هذا الذى يراجعه

— لا . إنه قطع شوطاً بعيداً فى دراسة الموسيقى . إنه يتردد على المعهد الملكى منذ سنتين . وهذا الذى يعزفه لحن صاغه هو

— أعوذ بالله !

— مم ؟

— من هذا الخبط الذى يخبطه . أى معنى له ؟ وأى إحساس فيه ؟

— ليس هذا شأنى ، وإن كان هذا هو رأيى

— ناديه !

* * *

— قيل لى إنك برمت بلحنى يا أستاذ ، فهل هذا حق أو هى الماكرة تريد أن توقع بينى وبينك الشر ؟ على أنى أريد أن أحذرك منها فقد ربتها أمها تربية غربية فهى لا تتذوق فننا الشرق؛ فإذا كانت قد نقدت أمامك موسيقاى فإنما ذلك لأنها أعجمية الحس

— ما شاء الله ! منذ متى وأنت تقسم الناس إلى عرب الحس وعجم الحس ؟

— منذ دخلت معهد الموسيقى وعلمت أن للشرق موسيقى ينقسم المقام فيها إلى أربعة أرباع بينما لا ينقسم المقام فى الموسيقى الغربية إلا إلى نصفين

— أعظم بهذا علماً . أفما كنت تدريه من قبل وأنت تعلم أن فى حروفنا العربية « قافاً » و « عيناً » و « حاء » عدمها الغربيون وأن عندنا ستة عشر بحراً من بحور الشعر لها مجزوءات لا تصل إلى عددها أوزان الشعر الغربى ...

— ولكن هذين الفرقين لا صلة لهما بالحس ، فالشعر فيه من المعانى والأخيلة والأحاسيس ما يصلح للترجمة ، فإذا ترجم إلى لغة غير العربية راع أهلها جماله وليس لهم بعد ذلك شأن بقافاته وحاءاته ولا أوزانه وضروبه ...

— وهل تحسب الموسيقى أعصى على العقل والحس من الشعر؟ إنها أسلس منه قياداً لأنها تتجرد مما يغل الشعر من الألفاظ والكلمات ، فهى لغة النفس التى يفهمها الناس على اختلاف ألسنتهم .. هى اللسان الذى لم يتبلبل .. والذى لا يحتاج إلى ترجمة

— إذن فلماذا لا يطرب الغربيون لموسيقانا ؟

— أولا تطرب أنت لموسيقاهم ؟ أولا يستسيغ المصريون والشرقيون هذه الألحان الغربية التى يدسها بعض الملحنين المصريين فى ألحانهم ؟

— بلى !

— أتعرف لماذا ؟ لأن هذه الموسيقى الغربية موسيقى ... وعليك بعد ذلك أن تسأل نفسك ومعهدك لماذا لا يستسيغ الغربيون موسيقانا ... فإذا تعجلت الجواب فهو عندى .

— هاته

— لأن موسيقانا ليست موسيقى ...

— كلها ؟

— لا . أستغفر الله فإن عندنا موسيقى لن تعرفها أنت وأضرابك الصغار إلا يوم يكف المعهد عن الموسيقى .

— وما هى هذه الموسيقى ... أظن أمك تناديك يا أختاه ...

— لماذا كذبت عليها وأخرجتها ...

— لأنى بدأت أشعر أنك ستهاجمنى هجوماً عنيفاً . وأنا لا أطيق أن أردى فريسة بين مخالب منطقك أمام ابتسامتها الساخرة الشامتة . والآن ها هى ذى قد خرجت فماذا تريد أن تقول ؟

— أريد الآن أن تجيب عما سأوجهه إليك من الأسئلة .

— سل ما شئت .

— ما هو التعريف الذى اتفقنا على أن نحدد به معنى الأدب ؟

— لقد قلنا إن الأدب هو الفن الذى يتجه إلى الحياة بما فيها من مناظر تراها العين ، وأصوات تسمعها الأذن ... وإحساسات تشعر بها النفس ، وأفكار يدركها العقل

— حسن . وما الذى يجب أن يتوفر فى الأديب تبعاً لهذا ؟

— قلنا إن الأديب لا بدأن يعيش مفتح العين ليرى ما يحيط به ، مرهف الأذن ليسمع ما يتعالى حوله من أصوات وما يتخافت ، مرقرق النفس ليشعر بما يرفرف حوله من البشائر والنذر وبما ينتاب غيره من انفعالات ، متحفز العقل ليتلقط ما ينبت حوله من أفكار وليتخطف ما يتطاير فى جوه من آراء ، فيعبدها نهجاً ، وينظمها مسلكا ، ويزيد عليها إذا شاء ، وينتقص منها إذا أراد ، ويبدل منها ويغير ما يحب

— حسن . وما هى الأدوات التى تلزم للأديب فى عمله ؟

— القلم ، والمداد ، والورق . فهو ينقش بالقلم المسقى مداداً على الورق حروفاً وكلمات يراعى فى كتابتها صحة الهجاء ، وصحة التركيب ، وجمال التعبير ، ثم بلاغته آخر الأمر

— أولا يمكنك أن تتصوره يعمل بغير هذه الأدوات ؟

— أما القلم والمداد والورق فيستطيع الأديب أن يستغنى عنها . فقد عرف التاريخ كثيرين من الشعراء الأميين الذين لا يقرأون ولا يكتبون . وأما صحة التركيب وجماله وبلاغته فكلها مما تهدى إليه الإنسان سليقته وفطرته

— فإذا لم يكن الإنسان مفطوراً على الأدب . . . أفما من سبيل لترويضه عليه ؟

— قد تكون هناك سبيل ، هى التربية . فكثرة القراءة تربى فيه الذوق ، وإغراؤه بالنقد يمكنه من تبين المحاسن والكشف عن المساوئ ، وإرشاده إلى ما فى الحياة من موضوعات صالحة قد يحمله على معالجة بعضها ... على أنه مهما تعلم ومهما تدرب فإنه لن يثمر كما يثمر الأديب الموهوب أدباً ناضجاً شهياً

— فإذا اكتفى « الأديب » بتعلم القراءة والكتابة ، وتاريخ الحروف وتطور أشكالها فماذا يكون ؟

— لن يكون أكثر من خطاط !

— يكفينى هذا منك . وعليك منذ اليوم أن تقلع عن الموسيقى فلست منها إلا كالخطاط من الأدب

— لا يا أستاذ . إنى أدرس الموسيقى فى المعهد الملكى منذ سنتين ، وأنا أحفظ عشرين بشرفاً ، وعشرة موشحات ، وخمسة أدوار ، وقد بدأت فلحنت هذه القطعة التى سمعتها اليوم

— ليتك لم تفعل . فأنت اليوم إذ لحنت هذه القطعة كنت كشيخ الكتاب الذى حفظ القرآن ولم يفهمه ، والذى حفظ المعلقات السبع ولم يقرأ لها شرحاً ولا تفسيرا ، والذى يكتب فلا يخطئ فى الهجاء ... ثم سولت له نفسه بعد ذلك أن يكون شاعراً فصنع كلاماً حسبه شعراً وما هو بالشعر ... إسمع يابنى ... إذا كنت تريد أن تلحن فاختبر نفسك أول الأمر وانظر : هل هيأك الله للتلحين ؟ فإذا لم يكن قد هيأك له فاعدل عنه يابنى واكتف بالعزف

— ولكنى أحب التلحين

— إذن لحن فى السر ، ولا تطلع أحداً على بليتك

— لا حول ولا قوة إلا بالله ... ولكن كيف أستطيع أن أعزف إذا كان الله قد هيأنى للتلحين أو أنه قد ضن على بما يؤهلنى له ؟

— كم هى الحواس التى أنعم الله بها على الإنسان ؟

— خمس ...

— لنفرض هذا جدلاً

— وهل اختلفوا فى عدد الحواس أيضاً ؟

— وما أشـده من خلاف ... الدنيا تتقدم يا بنى وأنتم فى معهدكم لا تزالون آخذين بخناق ذلك اليوم الذى أغرى فيه مديركم بالعزف على القانون ... هم يقولون اليوم يا بنى إن للانسان حاسة سادسة اسمها الحاسة العامة ، ويقولون إن له حاسة سابعة هى الحاسة الدينية ، ويقولون إن له حاسة ثامنة هى الحاسة الفنية ؛ ولكنى أقعد بك عند الحواس الخمس فلست أريد أن أتعب نفسى كثيراً معك ... والآن لعلك تعرف أن كل حاسة من الحواس الخمس تشغل المخ بما يؤثر فيها إذ تنقل إليه ما انتابها من الأثر ...

— أعلم هذا فقد درسته فى علم النفس ...

— فى المدرسة لا فى المعهد طبعاً ... أريدك الآن أن تتخيل نفسك وقد وقفت فى ميدان ابرهيم باشا خمس دقائق ... فما الذى ترى أن نفسك أو « مخك » قد اشتغل به ... ؟

— تمثال إبرهيم باشا . المتاجر الكثيرة . الشارب العامة والجالسون فيها . المارون فى الطريق وأخصهم الحسان . السيارات الرشيقة . الدواب المتعبة

— كفى كفى ... لو أنهم سألوك هذا السؤال حين أردت أن تدخل المعهد فأجبت هذه الإجابة ، وكانوا يعلمون ، إذن لوفروا عليك جهدك ولأنبأوك بأنك فاشل فى الموسيقى ، فاشل ، فاشل ...

— عجباً .. وما دخل ميدان إبرهيم باشا وما فيه من مركبات ومتاجر ... فى المعهد والموسيقى ...

— إسمع يا بنى ... لو أنك راجعت ما سردته على مما يشغلك وأنت فى ميدان إبرهيم باشا لرأيت أنك لم تحص غير منظورات تراها العين ، وأنك حتى حين أحصيت السيارات وصفتها بأنها رشيقة وهو وصف فيما أظن ينصب على شكلها وحركتها ولا ينتبه إلى صوتها ولا يلتفت إليه ... وهذا يدل على أن نفسك تطل على الحياة من عينيك لا من أذنيك ... والموسيقى يا بنى يستطيع أن يعمى وأن ينتج ، ولكنه لا يقوى على الإنتاج إذا صمت أذناه.

— وما رأيك فى بتهوفن الذى كان يلحن وهو أصم ؟

— إن الصمم لم يدركه إلا على كبر بعد أن اختزن فى نفسه من صور الأصوات وخيالاتها ما جعله بعد صممه مادة لفنه ؛ ولو أنه ولد وهو أصم لما استطاع أن يتكلم فما بالك بالموسيقى والتلحين ... هل سمعت أبكم يغنى ... أو هل رأيت أعمى يرسم ؟ الفنون يا بنى ليست شيئاً غير تركيب « الخامات » التى تحصل عليها النفس وتأليفها تأليفاً منسقاً

— وما هى هذه « الخامات » التى تحصل عليها النفس ؟

— هى الأحاسيس والانفعالات التى توصلها الحواس إلى المخ. هذه هى المنظورات ، والمسموعات ، والمشمومات ، والمذوقات ، والملموسات ، والمدركات ... تستقر فى النفس مختلف عددها ، وصاحب الفن يؤلف منها فنه ... فإذا كانت نفسه تتلقى بطبعها منظورات أكثر من المسموعات فهو أصلح للرسم منه للموسيقى ؛ وإذا كانت نفسه ترحب بالمدركات المعنوية المجردة أكثر مما ترحب بغيرها فهو أصلح للفلسفة والأدب العقلى ؛ وإذا كان الله قد منحه قوة فى أنفه فهو يشم ويميز الروائح أكثر من غيره كان أصلح الناس لإنتاج الروائح العطرية وتأليفها ، وأظنك لا تنكر على أصحاب الروائح الجميلة أنهم كأصحاب الألحان الجميلة ، فهم الذين يلهمهم ذوقهم إضافة البنفسج بنسبة خاصة ، إلى الليمون بنسبة خاصة ، إلى الورد بنسبة خاصة فيخرجون بعد ذلك رائحة تطيب للنوانى وعشاقهن

— ما هـذا ؟ لقد فتحت لى باباً لم أكن أحسب أنه مسلك إلى الفن . . .

— ولا مسلك غيره يا بنى ... ولا يمكنك أن تخطو فى سبيل الفن خطوة واحدة حتى تعبر هذا المدخل ...

— فإذا عبرناه وأردنا أن نخطو فى سبيل الموسيقى الخطوة الأولى فكيف نخطوها ؟

— كما خطونا فى دراسة الأدب الخطوة الأولى . فكل صوت فى الموسيقى يشبه الحرف فى الكلام ، والنغمة تعادل الكلمة ، ومجموعة النغمات تعادل العبارة أو الجملة وهى التى تسمونها فى معهدكم « فرازا » وهى كلمة إيطالية معناها « عبارة » ولكنكم قد لا تعلمون هذا ... ومجموعة العبارات الموسيقية هذه يتألف منها اللحن الذى نسمى ضريبه فى الأدب موضوعاً ، وفى الرسم صورة . وموضوع الأدب تقرأه فتخرج منه إما بفكرة وإما بعاطفة وإما بشىء من هذه الأشياء التى اتفقنا على أن الأدب يعالجها . واللحن ، أو الموضوع الموسيقى ، إذا لم يؤد ما يؤديه الموضوع الأدبى لم يكن شيئاً . وأنت إذا لم تستطع أن تعبر بلحنك عن عاطفة أو فكرة أو صورة صوتية لم تكن موسيقياً ، وكان من الخير لك — كما كررت عليك — أن تقلع عن الموسيقى

— لم أفهم شيئاً .

— لأنك من تلاميذ معهد الموسيقى . اسمع مرة أخرى . فى الطبيعة موضوعات تصلح مادة للأدب ، وفيها موضوعات تصلح مادة للرقص (وهى الموضوعات الحركية) وفيها موضوعات تصلح مادة للموسيقى .. وهكذا ... أما الموضوعات التى تصلح للأدب فقد تعرفناها ، وأما الموضوعات التى تصلح للرسم فلعلك تعرف أنها هـذه الأشكال وهـذه الألوان التى تراها العيون فينقلها الرسام الجامد نقلاً أميناً ، ويلفقها الرسام المهندس تلفيقاً جديداً ، ويؤلف منها الرسام ذو الروح ، والفكرة ، والعاطفة موضوعاً ذا أشكال وألوان يعبر بها عن فكرته وعاطفته . . . والأمر فى الموسيقى لا يختلف عن هـذا ... فأصلها مأخوذ من أصوات الطبيعة ، فأهون الموسيقيين هو من يقلد صوت البلبل ، وحفيف الشجر ، واصطخاب الموج ، وقصف الرعد ، وهزيم الريح ... كل صوت على حدة . وأشد منه تمكنا من الفن هو الذى يجمع هذه الأصوات فى موضوع صوتى أو فى لحن كما تسميه .

وهناك من الموسيقيين ملحنون اجتماعيون يصفون بألحانهم بيئات الناس المختلفة وطوائفهم المتباينة ، ومن الموسيقيين مزخرفون نقاشون يرصون الأنغام بعضها إلى بعض فى أسلوب هندسى يلذ للأذن فيطرب النفس ولكنه لا يحمل إليها معنى من المعانى ، وليس يشبه هؤلاء أحد فى الأدباء إلا إذا كان هناك أدباء يرصون الألفاظ رصًّا جيلاً لا يهمهم بعده ما يحملون هذه الألفاظ والجمل من المعانى والاهتزازات النفسية . . . وإنما لهؤلاء أشباه فى الرسامين الذين ينظمون الخطوط مربعات ومخمسات ومسدسات

ودوائر وقطاعات فى نظام جميل ترتاح له العين ومن ورائها ترتاح النفس وإن لم يكن لرسومهم معنى . فأى واحد من هؤلاء أنت ؟

— أنا لم أسمع بهذا من قبل . . . وأرجو أن توضحه لى بأمثلة

— لا بأس . هل سمعت فى معهد الموسيقى بسيد درويش ؟

— نعم وأحفظ له دور « أنا هويت »

— ولا شىء غير « أنا هويت » . إنهم يخفون عنكم سيد درويش لأنهم لو أظهروكم عليه لنفرتم منهم . . . ولكنى لا أظن ذلك أيضاً ... فأغلب الظن أنهم لا يعرفونه ... كما أنك لا تعرفه إلا كما قد تعرف محمد عثمان . فأدوار سيد درويش على ما تحررت من قيود الصناعة فإنها لا تزال مقيدة بنهج «الدور» ؛ فإذا أردت أن تعرف ذلك الرجل الذى هو المثل الكامل للموسيقى المصرى فعليك أن تسمع مسرحياته . ففى هذه المسرحيات ترى أغلب هذه الألوان الموسيقية التى حدثتك عنها ، ففيها ألحان عرض فيها سيد درويش العواطف والنزعات النفسية المختلفة فكانت هذه العواطف موضوعات ألحانه ؛ وفيها ألحان كانت موضوعاتها الطبيعة الجامدة فصور فيها الرياض والجنان ، والصحارى والبحار ؛ وفيها أيضاً ألحان كانت موضوعاتها البيئات الاجتماعية المختلفة للمصريين وغير المصريين . وأما زخارفه الموسيقية فتلمسها فى موشحاته وأدواره على الرغم من أنه لم يستطع أن يكبت إذ صاغها روحه فخرج بها عن تقاليدها القديمة ونفث فيها من الحياة ما قربها من الموسيقى التمثيلية وإن استبقى لها اتجاهها الزخرفى الهندسى . وذلك لأنه كان موسيقياً له وراء الأذن الحساسة المرهفة نفس حساسة مرهفة ، وعقل ذكى حاد

— إذن فما الذى تريدنى أن أصنعه حتى أكون موسيقياً خالقاً ما دمت أشعر فى نفسى الميل إلى الموسيقى ؟

— أما أنت فإنى يائس منك . ولكن الذى يريد أن يكون موسيقياً مبتدعاً فعليه أول الأمر أن يسمع الدنيا ، ثم عليه أن يشعر بها ، ثم عليه بعد ذلك أن يحاول التعبير عن شعوره بالموسيقى ؛ فإذا اهتم بنقد غيره ممن سبقوه إلى التعبير عن أنفسهم بها فإنه قد يبدأ إنتاجه الفنى مقلداً ثم لا يلبث حتى يتميز بطابع خاص به فى موسيقاه

— وهل للملحن أيضاً طابع خاص كالأديب ؟

— وهل فى الدنيا صاحب فن خلاق وليس له طابع خاص به إلا فى مصر حيث يباح السطو والترقيع ؟!

— الآن كأنى بأهل المعهد لا يعلموننا شيئاً ... فهم لا ينهجون فى تربيتنا الموسيقية هذا النهج ...

— أستغفر الله . إنكم تتعلمون العزف فيما أظن كما يتعلمون الكتابة والقراءة فى الكتاتيب ... ويكفى معهدكم فخراً أن به آلات كثيرة مختلفة الأشكال متباينة الأصوات ... وهو فى فخره بهذا كمدرسة الفنون الجميلة العليا عند ما تفخر بأن فيها مجموعة كبيرة من ألوان الماء ، وألوان الزيت ، وألوان الرصاص ... دعنا الآن من هذا واتل على موضوع الإنشاء الذى اتفقنا على أن تكتبه

— أرجو أن تسمح لى بسؤال قبل أن أقرأ الموضوع

— سل ما شئت

— هب أنك مدرس فى معهد الموسيقى وأنك أردت أن تضع أسئلة امتحان الدبلوم للطلبة فكيف كنت تضعها ..؟

— كما أضع لك أسئلة الأدب كل عام . فليست الموسيقى إلا أدب الأذن ...

— أرجو أن تملى على بعض هذه الأسئلة لأحاول الإجابة عنها . . .

— لا بأس ... أكتب :

١ — صف باللحن قرية مصرية عند الفجر ، أو حبيبين التقيا بعد غيبة طويلة

٢ — صف باللحن جماعة من الفلاحين فى الحقل

٣ — ضع لحناً يصور أسرة تودع فتاها الذاهب إلى الحرب

٤ — أنقد موشحة « منيتى عز اصطبارى » لسيد درويش ووازن بينها وبين موشحة « طاف محبوبى » لكامل الخلعى

٥ — أذكر تاريخ حياة موسيقى مصرى ، واذكر العوامل الاجتماعية والطبيعية والدراسية والاقتصادية والعاطفية التى أثرت فى موسيقاه ، موضحاً إجابتك مع الشرح بالأمثلة

٦ — ما الفرق بين الموسيقى التمثيلية والموسيقى الزخرفية، ومن من الموسيقيين المصريين الأحياء تراه ينهج النهج الأول ومن منهم تراه ينهج النهج الثانى ؟

٧ — سمعت لأول مرة دور « إمتى الهوى ييجى سوا » ، وسمعت لأول مرة مونولوج « ياغائبا عن عيونى » فأدركت أن الأول من تلحين زكريا أحمد، وأن الثانى من تلحين محمد القصبجى فكيف استطعت الوصول إلى هذا الحكم ؟

٨ — ماهى العيوب التى تلاحظها فى موسيقى عبد الوهاب —

(البقية على صفحة ٧٥٠)

السيدة ملك...

من الوجهة الفنية

للأستاذ محمد السيد المويلحى

أعتقد أن أعظم اللغات ذيوعاً وقوة لا تستطيع أن تكون لغة عالية يفهمها الجميع، ويتخاطب بها الجميع. ولكن الموسيقى: ملك اللغة الصامتة السامقة التى تؤثر فى النفوس جميعاً، وتأسر الأرواح جميعاً، وتربط بين النفوس برباط قوى مكين، هى وحدها ملك اللغة (العالمية) التى تترجم الخوالج المختلفة، والإحساسات المتنافرة . . .

على أن أسماها وأبقاها وأدناها إلى القلب والروح ما كان صادراً عن قلب وروح. ولن تجد قلباً وروحاً يؤثران فى النفس، ويأسران الحس كقلب (ملك) وروحها التى وهبتها للفن خالصة

موسيقية عظيمة قديرة، تعيش عيشة مثالية، هى جماع ما فى الإنسانية من مثل عليا. أقول: «موسيقية». ولا أقول: «مطربة». لأنها انفردت — وحدها — من بين جميع مطرباتنا بدراسة واسعة، وبثقافة علمية مكنتها من إتقان اللغات الفرنسية، والإنجليزية، والعربية، وبثقافة موسيقية أتاحت لها أن تلحن جميع ما تغنيه بنفسها تلحيناً إن دل على شيء فعلى قدرة قادرة، وعلى مكنة ودراسة عميقة هيأت لها هذا التوفيق، وهذا اللون الذى يزجى إلى النفوس أرفع ما فى الفن من جمال ونبل!

أصغر مطرباتنا سناً، وأعظمهن إلماماً بعلم الموسيقى، وأقدرهن على العزف بالعود عزفاً يضعها فى الصف الأول بين عازفينا الكبار؛ وليس ثمة من يقرب منها فى العزف بين المطربات إلا نادرة، وأم كلثوم، وهما الوحيدتان اللتان تلمان بالعزف . . .

يتركب صوتها من خمسة عشر مقاماً وهو من نوع: (الكونتر آلتو، والتينور، والميزوسوبرانو). وهذه المطربة الوحيدة (بين النساء) فى التاريخين الحديث والقديم التى يمتاز (ديوانها) الأول بأنه (تينور).

صوت غنى بذبذباته (زبولاته) حتى ليهيء للسامع حين شدوه أن هناك أكثر من صوت واحد يغرد، وهو يتمتع (بنفس) طويل يمكنه من الاستمرار فى الغناء أكثر من دقيقة دون أن ينقطع للزفير أو الشهيق، ولولا أن صاحبته تضم فكيها عند الغناء لأهلكت من يسمعها، ولعل هذا من رحمة الله بالناس



خرجت على الناس بلون جديد من التلحين الشرقى العربى البحت الذى تجرى السلامة فى أعطافه ولم يخضع لشهوة السرقة والمزج باللون الغربى، فعرف كيف يملك القلوب بسحره الآسر، وأثره الساحر، وعرف كيف يلجم هؤلاء الذين يرمون الموسيقى العربية بالعقم والضعف وانعدام التصوير والتلوين وعدم إبراز العواطف الإنسانية فى إهابها الحق الذى يترجمها الترجمة الصادقة.

قلنا إنها تغنى بقلبها وروحها، ولهذا سميت (مطربة العواطف)؛ وليس معنى هذا أنها تعتمد كثيرها على الآهات والأنات واللون المسترخى البغيض الذى يشبع تخنثاً وشهوة، والذى لا يعتمد إلا على استغلال أحط الغرائز فى جمهرة السامعين

ولو أتيح للقارئ أن يسمعها مرة لسمع شعراً قوى الأسلوب سامى الخيال، رفيع الغاية، ولسمع تلحيناً شرقياً عربياً يأخذ

بمجامع القلوب . ولعل (ملك) أول من غنى شعراً حماسياً يلهب الجوانح ويدفع دفعاً إلى التضحية . فقد أخرجت للناس سنة ١٩٢٨ قطعتها الخالدة :

بنى مصر صونوا حياة الوطن   فقد حاربتها عوادى الفتن

***

تمتد بنفسها اعتداداً يبلغ حد الكبرياء ، وتسمح للغضب أن يستحوذ عليها ليجعل منها (عصبية لا تطاق) : تمتاز بثروة فنية عظيمة ، فهى تحفظ جميع قصائد المرحوم الشيخ أبى العلاء ، وجميع أدوار المرحوم الشيخ سيد درويش ، وعدداً كبيراً من الموشحات القديمة الفنية بالنغمات المختلفة و (بالضروب) المتباينة، وبمجموعة عظيمة من أدوار : الحولى ، ومحمد عثمان ، والمسلوب الخ

أكبر الظن أن أغلب القراء لا يعرفون أن (ملك) حاصلة على (البكالوريا) وأنها تقدمت عام ١٩٣١ لتجتاز امتحان (الليسانس) ولولا زواجها وقتئذ من أحد قضاة الدرجة الأولى لكانت الآن (الأستاذة ملك) ولكنها فضلت حياة البيت، وحياة الزوجية، وكانت المثل الأعلى للزوجة الرحيمة الوفية ، وكان بيتها (جنة) ولكن (آدم) لا يحب أن يسكن الجنان ... فخرج منها بعد خمس سنوات مضت كالسراب الخاطف ، ورجعت هى إلى فنها لتعول نفسها بصوتها ، بصوتها ، بصوتها، وأكررها ألف مرة حتى يعلم الناس جميعاً كيف ينحنون أمام قدس الشرف الرفيع الذى لا يعجب بعض الناس فى هذا الزمن فيحاربونه بأحط الوسائل، ثم بعد هذا يرفعون رؤوسهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ما داموا قد انتقموا لشهواتهم من أقوات الشريفات الطاهرات اللاتى يعتقدن أن الرزق بيد الله وحده... !

رب قارئ يقول وكيف لم تسع إليها محطة الاذاعة وهى التى تقدم من لا نجرؤ على أن تكون تابعة لها فى إطار المطربة الكبيرة، والجواب عند المحطة نفسها وأظن هذا يكفى لكشف الحقيقة للقارئ ... !

قد نعجب إذا علمنا أنها ابتدأت حياتها الفنية وهى بنت عشر سنوات (عند نعيمة المصرية فى كازينو الهمبرا) بمبلغ عشرين جنيهاً فى الشهر فلم تمض سنوات ثلاث حتى كانت تشتغل فى (مونت كارلو) والبوسفور (ماتنيه وسواريه) بمبلغ ثلثمائة جنيه فى الشهر ...

سنراها قريباً على الشاشة ولعلها تنجح فى التمثيل السينمى كما نجحت فى الموسيقى، وأظنها ناجحة

محمد السيد المويلحى



حول انسانية الرسول

قرأت ما كتبه الأستاذ محمد أحمد الغمراوى تحت هذا العنوان فى مجلة الرسالة الغراء عدد (٣٠٠) فعجبت لأنه ينسب إلى خطأ أعجب من خطأ الأستاذ زكى مبارك فيما رددت به عليه فى العدد ٢٩٨ وهذا لأنى بحثت فيما أخذه على فلم أجد فيه ما يصح أن يكون خطأ ، أو أن يشغل وقته الثمين بالرد عليه . ولقد قرأ كلمتى كثير من علماء الأزهر وطلابه ، فسروا بها سروراً عظيماً ، وبلغ من سرور بعضهم أن سعى إلى فأخبرنى بأنه كان فى نفسه شىء من مقال معروف لى ، فذهبت هذه الكلمة بما فى نفسه ، وأظهر لى من السرور بكلمتى ما أظهر

أما الذى أخذه الأستاذ الغمراوى على فهو تكلف لم يكن هناك داع إليه ، لأنى إذا كنت أطلقت فى أمور الدنيا التى قلت إنه لم يكن للوحى شأن بها ، فقد أطلق النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أيضاً حين قال : « أنتم أعلم بأمور دنيا كم » ولا شىء فى هذا الإطلاق ، لأن كل شخص درس دين الإسلام ، يعرف أن المراد بأمور الدنيا فى ذلك هى ما يعرفه الناس بالتجربة من نحو حرث وزرع وسقى وصناعة وتجارة ، وما إلى ذلك من كل ما لم يأت الدين ليعلمهم إياه . وأما غير ذلك من أمور الدنيا مما يدخل فى قسم المعاملات ، كالبيع والنكاح والطلاق ، فهو من أمور الدين ، كما هو من أمور الدنيا ، وشأنه فى ذلك شأن العبادات سواء بسواء ، وقد عنيت كتب الفقه الإسلامى ببحث القسمين حتى صارا فى نظر المسلمين جميعاً كشىء واحد ، ولهذا فهم كل من مر بكلمتى أن القسم الثانى من أمور الدنيا داخل فى أمور الدين التى ذكرت اختلاف العلماء فى جواز اجتهاد النبى صلى الله عليه وسلم فيها ، وكذلك وجوب تنبيهه صلى الله عليه وسلم بالوحى إذا أخطأ أمر مقرر فى كتب الأصول ، وهى فى متناول أيدى الناس والسلام ورحمة الله على الأستاذ . **عبد المتعال الصعيدى**

للبستى لا لأبى تمام

عزا الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن شكرى فى مقالته (أبو تمام شيخ البيان) فى الجزء السابق من (الرسالة) الغراء هذا البيت :

من كل بيت يكاد الميت يفهمه   حسناً ويعبده القرطاس والقلم (١)

إلى أبى تمام « أستاذ كل من قال الشعر بعده » – كما قال المتنبى – والحق أن هذا القول من خير ما يوصف به شعر حبيب . ولكنه ليس له ولم يشتمل عليه ديوانه ، وبعض ما عند أبى تمام أو أبى التمام كما يسميه الحسن بن رجاء يكفيه . وهل من الإنصاف أن يعطى العظيم القوى الغنى قوت الساكين

عجباً للناس فى أرزاقهم   ذاك ظمآن وهذا قد غرق

والبيت الميمى إنما هو للبستى . وقد نسبه إليه نسبة صادقة صديقه الإمام عبد الملك الثعالبى فى (اليتيمة) فى أول سيرته قال : « أبو الفتح على بن محمد الكاتب البستى صاحب الطريقة الأنيقة فى التجنيس البديع التأسيس ، وكان يسميه المتشابه ، ويأتى فيه بكل طريقة لطيفة . وقد كان يعجبنى من شعره العجيب الصنعة البديع الصينة قوله :

من كل معنى يكاد الميت يفهمه   حسناً ويعبده القرطاس والقلم »

وبعد فما جئنا إلى الأديب الكبير الأستاذ (شكرى) ناقدين وإنما أقبلنا مثنين على أدبه العالى وبحثه ومحيين **(القارئ)**

مسألة فيها نظر

للدكتور اسماعيل احمد أدهم رأى فى سياق دراسته لمطران نشر فى المقتطف يتصل بتأثير بعض الأدباء فى بعض ، وقد عقب عليه الأستاذ عبد الرحمن شكرى فى العدد الأخير منها ، فأرسل

---

(١) لأبى تمام فى تقريظ شعره شىء كثير ، منه قوله :

خذها ابنة الفكر المهذب فى الدجى   والليل أسود رقعة الجلباب
بكراً تورث فى الحياة وتنثنى   فى السلم وهى كثيرة الأسلاب
ويزيدها مر الليالى جدة   وتقادم الأيام حسن شباب

الدكتور أدهم إلينا هذه الكلمة تعليقاً على ذلك التعقيب ، والمسألة لاتصالها بتاريخ الأدب تحتاج إلى تمحيص ودرس

حضرة الأستاذ صاحب الرسالة

قرأت كلمة الأستاذ عبد الرحمن شكرى مدروجة بعدد المقتطف الذى صدر فى أول أبريل سنة ١٩٣٩ تعليقاً على دراستى عن خليل مطران ؛ وإن ما أعلمه من تبحر الأستاذ الشاعر فى الأدب يسمح لى بأن أذكره بأن الناقد لا يأخذ برأى المنقود أخذاً تاماً ، وقد يخالفه فى نفس معتقده ولو مس شخصه ، وهذا غير خاف عن مثله . وبناء على ذلك فقد كتبت ما كتبت وقد خالفت فيمن خالفت الأساتذة طه حسين والزهاوى وأبو شادى وتوفيق الحكيم وغيرهم فى الدراسات التى كتبتها عنهم

وبقينى المستخلص من مطالعاتى أن الأستاذ عبد الرحمن شكرى تأثر باتجاهات مطران تأثراً قوياً . وللأستاذ شكرى أن يتبرأ من ذلك ، ولكن مثل هذا التبرأ لن يغير من استنتاجاتى شيئاً لأنها تقومت بأسباب دقيقة إن لم أذكرها فى ختام دراستى عن مطران حين أعرض لأثر مطران الكبير فى الشعر العربى الحديث ، فإن لها مكانها فى بعض الدراسات الآتية

وأكرر بهذه المناسبة تقديرى العميق لأدب الأستاذ شكرى وزميليه الفاضلين ، وليس لى أى غاية من دراساتى سوى التحقيق من سبل الدرس التحليلى حسب المقدمات التى تجمعت تحت يدى

أما إذا كان الأستاذ شكرى يرى نقصاً فى هذه المقدمات فله أن يظهره ، وعلى كل حال فأنا فى انتظار البيان الذى يعدنى بنشره والذى فيه بعض ما يخالف ما جاء فى البحوث التى نشرتها إلى اليوم من دراساتى عن مطران . وإلى أن ينشر بيانه فأنا على اعتقاد بصحة ما جاء فى سلسلة البحوث التى نشرتها

اسماعيل أحمد أدهم

الإسلام والدعاية النازية

أعلن الهر جوبلز وزير الدعاية فى الريخ أن خمسة وعشرين ألفاً من الألمان سيعتنقون الإسلام ، والمسلمون فى أقطار الأرض يغتبطون أن يهتدى إلى دينهم هذا العدد الضخم من أعداء السامية ، ولكن إعلان هذا الخبر على لسان وزير الدعاية النازية يشككنا فى إيمان هؤلاء الإخوة ، ويحملنا على أن نظنهم فرقة من الجيش صدرت إليها الأوامر بالقيام إلى (مهمة حربية) بهذا السلاح وعلى هذه الصورة . وقد علمنا نابوليون وفلبى ولورنس أن اعتناق الإسلام قد يكون فى بعض الأحيان أقصر الطرق إلى الغاية الاستعمارية . على أن المسلمين اليوم أنفذ بصيرة وأصح تمييزاً من أن تدخل عليهم هذه الحيل المكشوفة ، فهم يعتزون بوطنيتهم كما يعتزون بعقيدتهم ، وهم مصممون على أن يدفعوا عن وطنهم كل دخيل طامع ، كما يدفعون عن دينهم كل عابث خادع

حول عياش بن أبى ربيعة

سيدى الأستاذ الزيات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ وبعد فلقد قرأت فى العدد رقم ٣٠٠ من « الرسالة » الغراء كلمة الأديب الفاضل درويش الجميل فى البريد الأدبى ، فحمدت له نقده لبعض ما جاء فى قصة عياش ؛ غير أنه وقف عند رواية ابن هشام فى سيرته فحسب

ولو أن الكاتب الأريب ضم أشتات القصة من مظانها - وهى مبثوثة فى أضعاف كثير من كتب التاريخ والتفسير - فجمع رواية ابن هشام فى سيرته ، إلى رواية ابن جرير الطبرى فى تفسيره ، إلى راوية الواحدى فى كتابه (أسباب التنزيل) ، إلى غيرها ... لاطمأن إلى ما كتبت ، ولأنصف ما جاء فى مقالى عن عياش

ولست الآن بسبيل أن أنشر على عينى الأديب الفاضل ما جاء فى الروايات المختلفة ليقارن هو بينها ، فيستخلص رأياً هو الرأى الذى تحدثت به آنفاً ، فالمكان ضيق وأنا فى شغل .

كامل محمود حبيب

وحى الشاعرية

وقع فى هـذه القصيدة التى نشرناها للسيد حسن القاياتى تحريف يسير نصححه فيما يأتى :

كم فاتك حرس الجمال مَخافة ... أن يستثير من الحسان الأعينا
إن الذى خلق الصباحة زينة ... قالوا تغضَّب أن تلوحَ فنُفتَنا

* * *

يا موحياً سور الأشادة رقية ... أنا شاعرٌ صِفْنى، ولكن من أنا

تصحيح

جاء فى البيت الثانى من قصيدة الأستاذ أحمد الصافى النجفى (قلمة بعلبك) المنشورة فى العدد الماضى من الرسالة كلمة (حرتُ) وصوابها (صرتُ)

عصبة الأمم ، غايات العصبة ووسائلها وأعمالها

نشرت سكرتارية العصبة هذه الأيام نسخة عربية لكتابها المعروف باسم « غايات العصبة ووسائلها وأعمالها » ولم ينشر هذا



كتابان

١ — التربية النظامية : تأليف البكباشى على حلمى

٢ — الجيش المصرى فى عهد محمد على :

تأليف اليوزباشى عبد الرحمن زكى

— ١ —

لا شك أن القوة هى الأداة المسيطرة على كيان الأمم وحياة الشعوب ، ولا شك أن النظام هو الأداة التى تهيِّئ للقوة وتعد النفوس والأجسام لاستكمالها ، ونحن أمة فى مطلع حياة جديدة ، حياة الجهاد والنهوض ، فأحوج ما نحتاج إليه إنما هو الأخذ بأسباب النظام ومظاهر القوة حتى نستطيع أن نحفظ كياننا ونأخذ مكاننا بين الأمم والشعوب ...

وهذا كتاب فى « التربية النظامية » ، وضعه حضرة الفاضل البكباشى على حلمى أركان حرب مدرسة البوليس والإدارة ومدرس نظام البوليس ، والكتاب جملة طيبة من المعلومات الدراسية ، والتجاريب التى حصلها المؤلف الفاضل بالرحلات العلمية فى مصر وخارجها ، إذ تم له زيارة مديريات القطر ، والمرور بأغلب الشواطئ المصرية ، والواحات الخارجية ، وبلاد النوبة والسودان ، كما تم له زيارة فرنسا وألمانيا وإيطاليا وسويسرا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغوسلافيا وتركيا واليونان والحجاز وسوريا ولبنان وفلسطين ... قال المؤلف : وقد عنيت أثناء هذه الرحلات بالبحث عن كل ما يتصل بالتربية النظامية وأنظمة البوليس والإدارة وأعمالها ، والنظم القضائية والاجتماعية المرتبطة بالأمن العام وشؤون السجون والأصلاحيات ومصير المفرج عنهم وكل هذا إلى جانب ما اكتسبه بالخبرة من الخدمة الطويلة التى تبلغ نحو ثمانية وعشرين عاماً بين وحدات الجيش والحرس الملكى والتدريس والإدارة بالمدرسة الحربية ، ومن هذا المعين استمد

الكتاب من قبل إلا باللغتين الانجليزية والفرنسية ، وقد أظهرت العصبة بهذا العمل تقديرها العظيم للمنزلة التى تنالها اللغة العربية يوماً بعد يوم فى ميدان الثقافة والسياسة

وكان الدافع إلى نشر هذا الكتاب باللغة العربية كثرة الطلبات التى أبداها عدد عظيم من الجماعات الدولية لكتاب عربى يتناول أعمال العصبة ويقبل الناس على قراءته إقبالاً كبيراً

وقد ظهرت الطبعة الأولى باللغة الافرنجية فى سنة ١٩٣٥ وكانت موضوعة فى أسلوب سهل واضح ، ولاقى الكتاب نجاحاً عظيما فى أنحاء العالم باللغتين الانجليزية والفرنسية فكان هذا النجاح حافزاً إلى إعادة طبعة عدة مرات

والكتاب فى هذه الطبعة الحديثة المنقحة مقسم إلى أربعة أقسام

القسم الأول : وقد خصص للشؤون التى يهتم بها الرأى العام فى العالم مثل النظام الدولى قبل وجود العصبة ومثل نظام العصبة وغاياتها ووسائلها

القسم الثانى : ويصف أعمال العصبة سياسية وفنية

القسم الثالث : ويتناول أعمال محكمة العدل الدولية الدائمة فى لاهاى (وهى المحكمة التى أنشأتها العصبة) وأعمال مكتب العمل الدولى

القسم الرابع : ويتضمن النص الكامل لميثاق العصبة

وقد وضع هذا الكتاب خالياً من النزعات الخاصة ، ولم يحاول فيه إخفاء الأزمة السياسية التى تجتازها العصبة الآن ، على أن الآمال المعقودة على مستقبلها العظيم لم يرد ذكرها بين سطوره . وإن فى الطعن والسخرية اللذين يوجههما إلى العصبة أعداؤها المكابرون فى كثير من الإلحاف والشدة لدليلاً واضحاً على الاعتراف بالنتائج الجليلة التى ينتظرها العالم على أيدى هذه العصبة

والكتاب يحتوى على ٢١٤ صفحة وثمنه شلنان أو ١٨ فرنكا فرنسياً . ويطلب من قسم النشر بسكرتارية عصبة الأمم بجنيف

المؤلف مادة كتابه ، وهو كما ترى معين فياض حافل بالدراسة والاطلاع والتجربة والمشاهدة والنظر والاقتباس

فالمؤلف الفاضل قد حفل لكتابه ، ووفر له من المادة والمعلومات ما يكافئ خطر الموضوع الذى يعالجه ، وهو موضوع مجهول فى أكثر نواحيه من قراء العربية على شدة الحاجة إليه والرغبة فيه ، ولقد وضع المؤلف كتابه على نسق قويم من النظام المرتب ، والتقسيم المبوب ، فهو يشتمل على ستة أبواب ، وكل باب يشتمل على جملة فصول ؛ فى الباب الأول تكلم عن النظام وأثره فى نهضة الأمم ، وعلاقته بالفرد والمجتمع ومظاهره فى الأمم الراقية فى القديم والحديث ، ومدى حظنا من ذلك ، والوسائل التى تأخذ بأيدينا إليه ، ولم ينس فى ذلك القرية المصرية وإصلاحها الاجتماعى ، ووسائل الثقافة العامة للشعب . وفى الباب الثانى تكلم عن سلامة الدولة ، وتعاون الشعب والبوليس على حفظ الأمن والنظام واحترام القانون . ثم تكلم فى الباب الثالث عن نصيب الجمهور فى مكافحة الإجرام ووقاية الأمن من الجرائم والمعاونة على ضبط الحوادث . وفى الباب الرابع تناول الكلام على نظام المرور فى الأمم الأوربية ومدى اهتمامها بشأنه وحاجتنا إلى الأخذ بنظمهم ووسائلهم . وفى الباب الخامس تكلم عن التدريب العسكرى والتربية البدنية فى المدارس والمعاهد والجامعات والمناهج التى قررتها وزارة المعارف فى ذلك . فلما كان الباب السادس وهو آخر أبواب الكتاب تحدث المؤلف عن مفاخر الجيش المصرى ، فجاء فى ذلك بعرض تاريخى شامل من عهد الفراعنة ، أيام تحتمس الثالث حتى أيام جلالة الفاروق حرسه الله ، إذ جعل للجيش من عنايته ورعايته أكبر نصيب ، فسار الجيش فى طريق النجاح إن شاء الله

وقد زين المؤلف الفاضل كتابه بكثير من الصور والرسوم ، يوضح بها فكرته ، ويشرح غرضه ، وعنى على الخصوص بالصور الشمسية لأسلحة الجيش الحديثة فى نظامه الجديد ، فجاء الكتاب فى بابه وافياً يشبع العقل ، أنيقاً يمتع الذوق . وإنها ليد كريمة أسداها المؤلف لأمته ، وبرنامج شامل وضعه للذين يعنيهم الترقى بالأمة المصرية فى مدارج الرقى والنهوض ، والأخذ بأسباب النظام والقوة والبناء السليم . وإنا لنرجو أن يكون المؤلف الفاضل قدوة صالحة لإخوانه ومن هم فى مثل عمله ممن يحصرون مواهبهم ومعلوماتهم بين جدران الوظيفة ، وفى حدود الرسميات ، وإنها لحدود ضيقة تقتل المواهب وتودى بالنبوغ ، وإن من الخير لأنفسهم ولأمتهم أن يجلوا معلوماتهم وتجاربهم للناس فيفيدوا ويستفيدوا

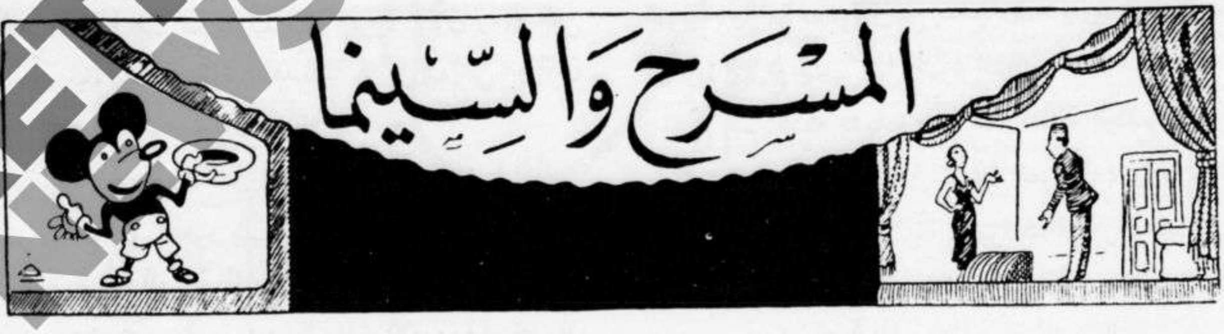
— ٢ —

وهذا كتاب آخر هو فى الواقع حلقة تتصل بنظام الكتاب السابق ، وضعه مؤلفه الفاضل اليوزباشى عبد الرحمن زكى أمين المتحف الحربى عن (الجيش المصرى فى عهد محمد على باشا الكبير) . ولقد كان الجيش فى عهد محمد على — كما يقول المؤلف — هو كل شىء ، ومن أجله كان كل شىء . فلخدمته أنشئت مدارس الطب والهندسة والفنون العسكرية ، ولنهضته قامت صناعات الأسلحة والذخائر والملابس ، ولتموينه كان العمل على تقدم الزراعة والتجارة والعمران ، ومن ثم استطاعت البلاد أن تقوم بأعباء الكفاح الحربى ومطالب الامبراطورية الناشئة ، وأن تحقق مطامع العاهل العظيم

وخبرة المؤلف الفاضل تتصل بالعمل ، وتتصل بالتاريخ ، وعلى هذا المعنى جرى فى تأليف كتابه ، ففيه رواية التاريخ ، وخبرة العامل . فهو من ناحية يتكلم عن تاريخ الجيش فى عهد محمد على ممهداً لذلك بمقدمة عن قوات الدفاع قبل محمد على ، ثم يتحدث عن جهود البطل العظيم فى خلق الجيش ، ومواقع ابراهيم وانتصاراته برواية التاريخ المستمدة من أوثق المصادر مما كتب الإفرنج والعرب ومما هو محفوظ من السجلات والوثائق التاريخية بقصر عابدين العامر ، ومن ناحية أخرى يتكلم المؤلف عن الجيش فى ميدان العمل ، وهو فى هذا يفسر الرواية بالدراية ، ويعلل للتاريخ بالعلم والواقع ، وهذه الناحية هى لاشك أهم ما فى الكتاب ، لأن الدراسة العلمية للتاريخ الحربى ليست مما تقتضيه الحاجة العلمية فحسب ! بل هى كما يقول الأستاذ شفيق غربال — مما تقضى به الحياة القومية المستقلة وعمادها الذود عن الوطن . وفى تلك الدراسة يجد أولياء الأمور الإجابة عن الكثير مما يعترضهم من مسائل الدفاع ، كما يجد فيها رجال الجيش ما يفيدهم فى مسائل الحرب وشئون التعليم العسكرى

ولقد حرص المؤلف الفاضل على شرح وقائع التاريخ بالصور والرسوم والمصورات الجغرافية ، وجاء فى آخر الكتاب بثبت حافل من الأرقام والإحصائيات التى تنطق بعظمة الجيش فى عهد محمد على وضخامته ، وحسن نظامه وترتيبه ، وكأنه يقول : هذا ما فعل أجدادنا فأين جهادنا ؟! والواقع أن كتاب المؤلف خدمة علمية قومية ، فهو يسد حاجة المؤرخ الباحث ، ويفيد الجندى المجاهد . وإنها لخدمة يشكر عليها ذلك المؤرخ الفاضل ، والجندى الباسل . وما أشد حاجتنا إلى مثل هذه المؤلفات النافعة فى مطلع حياتنا الجديدة .

محمد فهمى عبد اللطيف



الفرقة القومية

« يجب أن تكون حرة بعيدة عن البيروقراطية الحكومية »

بهذه العبارة استهل حضرة الأستاذ راشد رستم حديثه معى

قلت للأستاذ رستم : الفرقة القومية مؤسسة حكومية ، هل قامت برسالتها الثقافية والفنية ؟ فأجاب :

— لا شك أن للفرقة القومية رسالة يجب أن تؤديها ... ولكن المسألة الآن ليست مسألة رسالة أدتها الفرقة أو لم تؤدها . إذ هى بنت سنوات قليلة ، كما أنها ولدت فى ظروف قاسية ولاقت صعاباً ، بل ولا تزال الصعاب قائمة ، بل وستلقى صعاباً شداداً عند نظر ميزانية الدولة فيما يخص الفن (ويا ويل الفن من أربابه وغير أربابه ! سيلاقيها من أين ومن أين ...) بل إن الفرقة القومية ولدت فى زمان خيف فيه على التمثيل جميعه من طغيان السينما ، ذلك الطغيان الذى خافت منه البلاد العريقة فى التمثيل على تمثيلها ، فما بالك بمصر !

على أنه لا بد من مطالبة الفرقة بأن تؤدى رسالتها نحو الفن وتظهر همتها فى ذلك ، وأن نرجو لها تحقيق ذلك ، ونزيد على هذا الرجاء ألا نعيق طريقها ، وأن يفسح الأدباء والغيورون على الفن صدورهم ، ويعملوا لتسهيل مهمتها دون العمل على تصعيبها

قلت : ألا ترى شذوذاً فى تكوين لجنة القراءة وتقصيراً وإهمالاً فى الإدارة يدعوان إلى التشاؤم من نجاح هذه الفرقة ؟

قال : أول كل شىء لا يصح للعاملين والمصلحين أن يتشاءموا ، ولا أعرف للتشاؤم معنى ولا موجبا

أما لجنة القراءة فلست واقفاً على دقيق أسلوبها فى القراءة ، ولكن يلوح لى أنها غير نظامية وأنها تتشدد مرة وتتساهل أخرى ، وهذا لا شك عيب يجب الخلاص منه

كما أنه من الواجب أن يكون تكوين لجنة القراءة للفرق التمثيلية بحيث لا يقتصر همها على اللغة وما يخصها ، وإنما فوق ذلك لا بد أن يكون أعضاؤها ملمين بفن الرواية ، من وضعها وحوارها وعرضها كما يجب إدراك نفسية الجماهير وتتبع تطوراتها

قلت : ما هى الوسائل الفعالة لإصلاح المسرح ؟

— : إننى أستشف من روح هذا السؤال ابتعاد فكرة التشاؤم التى جاءت فى السؤال السابق ، فالحمد لله !

بعد ذلك يجب أن نكون بنائين محافظين لا هدامين . وإنه لمن العدل ومن حب التمثيل والفن أن ننظر إلى الفرقة القومية الناشئة نظرة من يرى العيب فيعمل لإزالته ، وليس كمن يرضى فلا يرى عيباً ، ولا كمن يسخط فلا يرى إلا المساوى

الفرقة القومية حديثة العهد ، وهى فضلاً عن هذا مؤسسة حكومية ، ولا يصح لنا أن ننسى ما للمؤسسات الحكومية من مساوئ البيروقراطية ، خصوصاً فيما يتعلق بأعمال فنية رفيعة ، فإلى أن يتاح للفرقة الخلاص من هذه البيروقراطية الهادمة والتمتع بصبغتها الفنية الحرة لا بد لنا من :

أولاً : أن نعمل للإصلاح دون الهوى الشخصى

ثانياً : أن يعلم كل عامل — فنى وغير فنى — فى نفس الفرقة أن له رسالة فيها يجب أن يؤديها عن طريق الإخلاص للعمل والاجتهاد فيه

ثالثاً : أن يزداد عدد الذين يفهمون الفن (عارياً) جنب الذين يفهمونه (اعتبارياً) وذلك فى إدارة الفرقة ، إذ لا بد من وجود هذين العنصرين فى الإدارة

رابعاً : أن تبنى للفرقة دار خاصة للتمثيل

خامساً : أن تبعث البعوث للممثلين والمخرجين

سادساً : أن تزيد الحكومة للفرقة مواردها المالية وتسهل عليها مهمتها ، وألا تضن عليها بالمعونة من كل نواحيها ، وبكل

مظاهرها مثلما تفعل مع معهد اللغة العربية ، لأن رسالة الفن قوية فى حياة الشعوب قوة معاهد اللغة . بل إن الفن هو الذى يجعل اللغة حية متحركة غير جامدة

سابعاً : أن يكون أعظم اهتمام الفرقة موجها لتنشيط التأليف المسرحى المصرى فتجود بالمال والمكافآت والجوائز والإقدام على تمثيل الرواية المصرية المؤلفة

— هل يحسن أن نستعين بالروايات الأوروبية أم يجب أن نشجع التأليف المصرى ونقدمه على سواه

— لاشك فى أن من أول الواجبات تشجيع التأليف المصرى؛ وإذا كان لا بد أن يقال الحق ، فإن الفرقة بدأت بتشجيع هذا التأليف المصرى، بل والذى أعلمه يقيناً أن مديرها خليل بك مطران جعل همه الأول منذ اللحظة الأولى أن يكون افتتاح عمل الفرقة برواية مؤلفة من مؤلف مصرى ، وقد تم له ذلك

وأظهر به مبدأه الذى يريد إعلانه ، وهو تفضيل الروايات المؤلفة من مؤلفين مصريين

على أنه يلوح لى أنها استعانت بالرواية المترجمة أو المقتبسة ، كى تجعل لها اسماً بين رواد التمثيل، وقد تعودوا ذلك، لكى تجذب إليها الجمهور ، وكذلك لكى تعرض أنواع الروايات المختلفة التى احتوتها عصور التمثيل القديمة والحديثة حتى يتكون عند الجمهور الذوق الروائى فيقبل على هذا التمثيل الراق. غير أنى أرى أن يكون معظم مجهود الفرقة موجها إلى تشجيع التأليف ، وإلى خلق مؤلفين مصريين ، وإلى إيجاد طائفة من هؤلاء المؤلفين

أما الموضوعات فإنها معروضة فى حياة العالم فهى كثيرة متوفرة مستمرة ، والمهم أن يوجد المؤلف الذى يأخذ منها مادة لروايته .

وليس من مانع أن تمثل الفرقة روايات أجنبية كما تفعل كل الأمم ، ولكن الأهم أنها تخلق أولاً مسرحاً مصرياً ممتازاً برواياته وبمؤلفيه .

وقال عن لغة الرواية وصياغتها « إن لكل رواية مايناسبها ، غير أنه يجب أن تتراوح لغة المسرح بين أرق أنواع الفصحى ، (وليس معنى هذا اللغة المعقدة المقعرة) وبين اللغة السهلة الكلامية الصحيحة النظيفة (وليس معنى هذا اللغة المبتذلة)

هذا وفى التاريخ المصرى القديم والحديث مجال واسع للتأليف ؛ فإن مادة التاريخ وحوادثه تجذب الجمهور ، كما أنها تربى الروح القومية ، والأمة عطشى إلى من يسقيها ذلك وأريد هنا لفت النظر إلى مادة التاريخ لجذب هذا الجمهور النافر

ثم ختم كلامه بشهادة طيبة لمدير الفرقة الواسع الصدر ، فلولا تحمله وصبره وجلده فى هذه السن ، ولولا مكانته الشخصية البارزة لضاعت الفرقة . فهو دعامة ارتكزت عليها الفرقة يعرف فضلها كل واقف على دخائل الأمور . ثم حمد تحمس سعادة العشماوى بك لرسالة الفرقة وإنقاذه سفينتها من الغرق .

ابن عساكر

(بقية المنشور على صفحة ٧٤٢)

أنقد أغنيته المعروفة « بلبل حيران » مع الإشارة إلى أصولها فى الموسيقى الشرقية والغربية .

٩ — وازن بين عصرى عبده الحامولى وسيد درويش مبينا أثر كل عصر من هذين المصريين فى موسيقى كل من هذين الحنين

١٠ — ما هى الميزات التى كان يمتاز بها سلامه حجازى من حيث الصوت ومن حيث الفن ، وما هى الميزات التى يمتاز بها محمود صبح من حيث الفن فقط ؟

... وأخيراً فإنك تستطيع يا بنى أن تضع بعد هذه الأسئلة وأشباهها أسئلة مما يدور حول الصناعة والآلات ... وأنا أجهل هذا ولكنهم يعرفونه عندكم فى المعهد ...

— وهم فى المعهد لا يعرفون شيئاً مما تقول ...

— الله وحده يعلم أينا أدرى بالموسيقى !

عزيز أحمد فهمى
خريج كلية الآداب ومعهد التربية العالى

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 302

Lundi - 17 - 4 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ صفر سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٧ ابريل سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهرس

هل نقوم القيامة !

نفخة الصـــور ...



بعد ثلاثة وثلاثين قرناً من تاريخ مصر الخالدة نفخ جندى فى بوق[1] فرعونها الشاب توت عنخ آمون، فدوّى صوته النديّ فى أرجاء العالم وهو يمور مور البحر، ويفور فوران البركان. وتتدافع شعوبه المكاوبة المكروبة عمياناً وصماً إلى مهاوى الموت! فليت شعرى ما الذى أخطر ببال المتحف والإذاعة هذا الخاطر الغريب فى هذا الحين وفى هذه الحالة؟ أهو القدَر الإلهى الراصد الذى يقول كلمته فى كل

(١) من مخلفات الملك توت عنخ آمون التى كشفت فى سنة ١٩٢٢ بوقان أحدهما للحرب وهو من الفضة، والآخر للسلم وهو من النحاس. وقد عن لادارتى المتحف المصري ومحطة الاذاعة اللاسلكية أن ينفخ فيهما أحد الجنود النداء الحربى ليذاع على العالم. وقد تم ذلك فى الساعة السابعة والثلث من مساء يوم الجمعة الماضى فكان حادثا فذا فى التاريخ الانسانى كله

حادث ، ويعلن مشيئته فى كل مشكل ؟ أم هو الروح المصرى الخالد الذى بدأ حضارة العالم، وأنشأ معرفة الناس، ولا يزال يوحى بكل فكر ويشارك فى كل أمر ؟

من كان يقع فى حسبانه من فراعين النيل ودهاقين الوادى أن بوقهم الذى كان يدعو إلى الطعن والضرب ، ويقضى فى السلام والحرب ، يحتفظ به الدهر الطحون ثلاثة آلاف وثلثمائة عام ليُبلغ به اليوم أذن الدنيا جمعاء صوتَ مصر الذى لا يخفت ، ومجد مصر الذى لا يبيد ؟

ما كان أروع هـذا الصوت الفخى القوى وهو ينبعث من جوف الماضى العميق السحيق، وينتشر جهيراً جباراً على أمواج الأثير، فينصت الفلك، ويدهش العالم، ويتذكر التاريخ، ويغوص الخيال الشاعر فى خِضَم القرون ويطفو !

* * *

أيهـا النافخ فى صور إسرافيل ! أهى الراجفة (١) وانعماق الأحياء ، وانشقاق السماء ، وزلزلة الأرضين ، واندكاك الجبال ، وفناء العالم ؟ أم هى الرادفة وانبعاث الأموات ، وميزان الحسنات والسيئات ، ثم استئناف الحياة الباقية الصافية التى تموت فيها المطامع ، وتفنى الأحقاد ، ويعيش بنو آدم فى ظلال الله إخواناً على سرر الحب ، وضيفاناً على موائد الجنة ؟

لتكن نفختك يا إسرافيل ماشاء الله أن تكون ، فإنها لمصر القاعدة المتخلفة صيحة نشور ونذير أهبة ! فقد درجت على هامها القرونُ وهى مطمئنة إلى الخمول ، راضية بالعجز ، يستغل خيرها الواغل ، ويستقل بحايتها المغير ، حتى خشن على أيدينا السيف ، وثقل على ظهورنا العتاد ، وجثم على رجولتنا الجبن ، وأصبحنا إذا طلبتنا القرعة نهرب ، وإذا انتخبتنا الجندية نبكى ، وإذا سمعنا بالحرب من بعيد يضطرب البال من الهم ، ويطير الفؤاد من الفزع . ثم كان من أثر هذه الحياة السلمية الوادعة ، وهذه التربية المدرسية البليدة ، أن فشا بيننا داء العجائز وهو الكلام ، وداء الضرائر وهو الحسد ؛ فأفواهنا الثرثارة لا تفتر عن قرض الأعراض والعلائق ، وعيوننا الطامحة لا تغمض عن حسد الأرزاق والمواهب، حتى اتسعت الأحداق وطالت الألسن، بمقدار ما ضاقت الأخلاق وقصرت الأذرع . فلو كنا نشأنا على الجندية ، وتمرسنا بالحروب ، وارتضنا فى الشدائد، لكثر فينا رجال القيادة والنظام ، وقل بيننا أهل السياسة والكلام ، وكان عندنا من الشركات والجمعيات والمصانع والمجامع أضعاف ما عندنا من المؤتمرات والأحزاب والمقاهى والصحف ...

* * *

هذه هى القارعة التى تهتك حجب الأسماع وأغشية الأبصار وغُلف الأفئدة . فاليوم لا كسل ولا جدل ولا اتكال ولا استكانة . لقد سلكنا متن الحياة بعد أن كنا نسير على الهامش ، وخضنا عباب الأمر بعد أن كنا نعيش على الشاطئ . وحملنا تكاليف مصر العزيزة بعد أن كنا نلقيها من الخور والهُون على الأكتاف الغريبة كتفاً بعد كتف

لشدَّ ما يشرق فى تاريخ النيل ذلك اليوم الذى يزحم فيه البحرَ والبر والجو أسطولُه الماخر وأسطوله الطائر وجيشه الجرار . ثم يستقتل فى سبيله بنوه البواسل الميامين فى الحصون والخطوط والخنادق ، ليكون لثراه الحبيب من دمائهم رِى، ومن أشلاء عدوهم سماد ، فيخصب فيه جدب العقول ، ويزكو به غِراس البطولة !

* * *

مرحباً بالنار إذا كانت تذيب غش الأخلاق وزيف العزائم ! وأهلاً بالحديد إذا كان يشذب ميت الأصول وذاوى الأفرع ! ونِعِمّا يبتلينا به الله إذا كان من ورائه جمعة من هذه الفرقة ، وحياة من هذا الموت !

لقد استنفرَنا الماضى ببوق فرعون ، واستفزنا الحاضر بوعيد نيرون ، فلم يبق إلا أن نميط اللثام عن الوجه الحر ، وننفض الغبار عن المعدن الكريم ، ثم نولى وجوهنا شطر الحدود المقدسة ، ونقوم للوطن كما نقوم لله ، صفاً صفاً ، طائعين خاشعين ، متحدين مستعدين ، ننتظر نداء العلَم الموموق وأمر القائد الأعظم !

احمد حسن الزيات

(١) الراجفة هى النفخة الأولى فى الصور وهى للعدم ، والرادفة هى النفخة الثانيـة فيه وهى للوجود . قال الله تعالى : « يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة »

الطفل وحقيقة الإنسان

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

زارتنى ، ذات يوم ، سيدة ، ومعها طفلة تناهز الرابعة ، فسقيت السيدة القهوة المرة التى تحبها ، وحرت فى الطفلة : ماذا أسقيها أو أطعمها ، أو بماذا ألاعبها ، وليس فى مكتبى ما يصلح لها ؟ ثم خطر لى أن أبعث بالخادم ليشترى لها « شكولاتة » . فقالت السيدة : « إنك تدللها وتفسدها » . قلت : « دعيها تتدلل وتفسد — على قولك — فلن ترى أرغد من أيامها هذه » . قالت : « وستحبك بالشكولاتة ! » ، وضحكت . قلت : « هل تعلمين أن كل حب لإنسان آخر هو من حب النفس ؟ » . ولم أطل فى هذا المعنى فإنى أعرفها تكره الفلسفة وإن كانت ذكية لبيبة . وجاءت الشكولاتة فأخذتها الطفلة من الخادم وابتسمت له مسرورة . فقالت لها السيدة —وأشارت إلىّ — : « إنه أولى بابتسامك ، فقومى إليه واشكريه بقبلة » . فانحدرت عن مقعدها خفيفة ضاحكة ولثمت خدى . وعادت إلى الشكولاتة ، وهمت أن تنزع عن بعضها الورق وتأكل ؛ فنهتها السيدة عن ذلك وقالت لى إنها ستدخل طعاماً على طعام ، وليس هذا بمحمود أو مأمون . ولفت لها الشكولاتة فى ورقة وناولتها إياها وربتت لها كتفها وقالت : « أبقيها معك إلى ما بعد » . فأطاعت الطفلة ووضعت اللفافة فى حجرها ، وجعلت تقلبها وتعبث بها ، وذهبنا نحن نتكلم ، وإذا بالسيدة تغمزنى بعينها مشيرة إلى طفلتها ، فنظرت فألفيتها قد فكت الورقة وأقبلت على قطع الشكولاتة تحركها بأصبعها ، فهززت رأسى مستفسراً . فقالت السيدة : « إنها تعدها » . قلت : « لعله يفرحها أن تعرف عددها » . قالت : « لا » وهزت رأسها : « ما أظن بها إلا أنها تعدها للمرة الثانية » . قلت : « ماذا تعنين ؟ » .قالت : « أعنى أن أكبر الظن أنها عدتها حين أخذتها . ثم أخذتها أنا منها ولففتها فى هذه الورقة ، فهى تعدها مرة ثانية لترى أنقصت أم بقيت كما كانت » . قلت : « اتق الله ! » . قالت : « لك رأيك ، ولكنها بنتى فليس تخفى علىّ من أمورها خافية » .

وصارت الطفلة تعرفنى بعد ذلك « بابا شكولاتة » وهى خليقة أن تعرف اسمى ، وأن تستطيع النطق به ، فما هو بأثقل أو أصعب من لفظ الشكولاتة ، ولكن الشكولاتة حلواؤها الأثيرة ، وأنا أتحفها بها كلما لقيتها ، فهى تهمل اسمى وتطلق علىّ ما تحب ، ولو أهملت أن أقدم لها الشكولاتة ، أو قصرت فى هذا الواجب ، لزهدت فى لقائى وانصرفت عن ذكرى ، وتركت حث أمها على زيارتى .

وليست هذه الطفلة بالشاذة ، فإن كل طفل على غرارها ، حتى ولدىّ أراهما أحفى بأمهما منهما بى ، لأنها لا تنسى أن تزودهما بما يحبان ، وإن كنت أنا المتعب المكدود والذى لا يزال يسعى ويشقى ليسعدا .

وأحسب أن الإنسان يبدو على حقيقته فى طفولته ، أى قبل أن يصبح إنساناً مصقولاً منجورا أو مهذباً كما نقول ، والطفل أثرة مجسدة ، يحب ويكره ، ويقبل ويدبر ، تبعاً لما يلقى منك . وقد يكون أبوه أحنى عليه ، وأعمق حباً له ، وأعظم شغلاناً به ، ولكنه لا يلاعبه ، ولا يعنى بأن يحشو له جيوبه باللطائف المشتهاة ، ولا يجيئه كل بضعة أيام بلعبة ، فلا يعبأ به الطفل أو يحمل إليه باله ، على حين تراه يتعلق بأهداب صاحب لأبيه لأنه لا ينسى حين يجىء فى زيارة ، أن يحمل لهذا الطفل ما يسره ، أو لأنه يشغل نفسه معه بضع دقائق بالهذر الفارغ .

وكان صديق لى يقول : « إنك مسئ الظن بالإنسان » فكنت أبتسم ولا أجيب ، وأنتقل به إلى موضوع آخر استثقالاً لهذا البحث الذى لا يطيب للنفس فى كل وقت ، حتى لفتتنى تلك السيدة الذكية إلى المظهر الحقيقى للانسان ، فدرسته فى أبنائى ، وانتهيت إلى أن كل ما فى الإنسان من خير وفضيلة اكتساب وليس بطباع فيه ؛ والطفل — قبل أن نعلمه خلاف ذلك — لا يعرف إلا نفسه ، ولا فرق بينه وبين الوحش فى الفلاة أو الغابة . وعجيب أن ينسى الإنسان أنه حيوان !؟! فهو يضرب أخاه ، ويمزق له ثيابه ، ويريق الحبر على أوراقه أو كتبه ، ويحطم له لعبه ، أو يتلفها ، ويغضب أو يستاء إذا رآه يلبس الجديد قبله أو دونه ، ويعذب العصافير والقطط ، ويذوى الورود والأزهار ،ولا يقف فى العبث والإتلاف عند حد ؛ ولا يدركه عطف على أحد ، ولا يشعر برقة لإنسان

أوحيوان . ولسنا نحن الكبار خيراً منه ، وإنما لأحسن ضبطاً لأنفسنا ، وكبحاً لأهوائها ونزعاتها ، ولكنا نحتاج إلى الضبط والكبح لأن النزعات موجودة تلح بنا وتدفعنا ؛ ولو أمنا العاقبة لأطعنا أهواء نفوسنا وأملينا لها فيها . ولو جمحت بنا لانفعتنا الالجم والأعنة التي اعتدنا في حالة الاتزان أن نصدها بها عما تهم به . ونحن في كل حال نراقب ماهو أوفق لنا وأصلح ، والأمر في الأطفال أوضح وأبين ، لأن الالجم الكابحة ليست هناك ، أو لأن التدريب عليها ناقص ، ونمو العقل مع التجربة يساعد على حسن استخدام اللجام ، ورياضة النفس على طاعته

ولست أقول إن الإنسان شرير بطبيعته ، فليست المسألة مسألة خير أو شر ، وإنما هي طباع فيه وفطرة يبنى عليها ، والطباع لا خير ولا شر ، وإنما هي طباع . وقد احتاج الإنسان إلى مقدار من النظام لما احتاج أن يعيش في جماعته ، والجماعة لاتصلح بالانطلاق مع السجية ، وإنما تصلح بإقامة حدود

وعلى أن روح الجماعة ليس فيها لا خير ولا رحمة ولا رفق ولا شيء مما يجرى هذا المجرى ، والشر الذي يذعر الفردَ مجرد التفكير في ارتكابه تقدم عليه الجماعة وهي ترقص وتباهى ، وهذا ما يحدث في الثورات . وقد رأيت بعيني جماعة حانقة في إبان الثورة المصرية تمزق رجلاً بأيديها فوليت هارباً من هذا النظر . وما أظن أن أقسى فرد يستطيع أن يفعل ذلك وهو وحده .

وأحسب أن الذي يرد الجماعة إلى الطبيعة الحيوانية هو أن الطباع الحيوانية المشتركة – وهي واحدة – تتغلب على المزايا المكتسبة التي نزعمها صفات إنسانية – وهي متفاوتة

ومازالت القاعدة الحسابية هي الصحيحة ، أعني أن الذي يقبل الجمع هو المتشابه لا المختلف؛ ولست تستطيع أن تقول إن عندك أربع تفاحات وأنت تعني أن عندك تفاحتين وبرتقالتين .

ومن هنا ذهب ماكس نوردو بحق إلى أن برلماناً من أعاظم الرجال مثل جوته وشكسبير ونابليون الخ لا يكون خيراً من برلمان من الأوساط العاديين ؛ لأن برلماناً كهذا يكون مؤلفاً من مائة صفة مشتركة تتغلب على كل مزية مفردة لكل واحد من هؤلاء العظماء

ولست أذم أو أمدح ، وإنما أصف الواقع ، والواقع أيضاً أن المدنية معناها التنظيم ، أي الكبح والصقل ودفع الحياة في المجاري التي هي أصلح للجماعة وأجلب لخيرها

ابرهيم عبد القادر المازني

من برجنا العاجي

طالما صحت قائلاً : إن الدولة لا تنظر إلى الأدب بعين الجد ، بل إنه عندها شيء وهمي لا وجود له ولا حساب . وأقول اليوم إن الأدباء أنفسهم لا يريدون أن يحملوا الدولة على الإيمان بحقيقة الأدب . بل إن الأدباء ، وقد أنكرتهم الدولة وأنكرت بضاعتهم لم يفعلوا شيئاً ولم يبدوا حراكا . بل إن الأمر قد بلغ من السوء حداً رأى فيه الأدباء نتاج أذهانهم يسقط في التراب كما تسقط ثمار الشجرة الناضجة ، فلا يتحركون ولا يصيحون في الناس : أن أقبلوا واجمعوا هذه الفاكهة وانتفعوا بها واطلبوا المزيد حتى تنشط الشجرة للأثمار ولا يجف ماؤها من الترك والإهمال . من العجب أن يلحظ الأدباء أن ثمار مواهبهم لا تصل إلى أيد كثيرة فلا يجتمعون ليبحثوا هذه المشكلة . ومن العجب أنهم يرون أن زبدة جهودهم تتلقفها أيدي الوسطاء من التجار الذين يتربصون بهم كما تتربص جوارح الطير بصغار العصافير فلا يحاولون المداولة فيما بينهم للخلاص من هذا المصير . إن انعدام روح النظام بين الأدباء وتفرق شملهم وانصرافهم عن النظر فيما يربطهم جميعاً من مصالح وما يعنيهم جميعاً من مسائل قد فوت عليهم النفع المادي والأدبي ، وجعلهم فئة لاخطر لها ولا وزن في نظر الدولة ، ولقمة باردة سائغة في فم التجار والوسطاء . تلك حال الناضجين المعروفين من أدبائنا ، أولئك الذين يتخذهم الناشئون من الأدباء مطمحاً لأنظارهم ، ويرون فيهم حلماً ذهبياً جميلاً ، ويتحرقون عجلة وشوقاً لبلوغ مراتبهم ، ويتوسلون إليهم أن يأخذوا بأيديهم ويقودوهم في هذا الطريق . . .

واجب الأمانة يدعوني أن أصارح الناشئين : إياكم أن تعقدوا الآمال الكبار على الأدب في بلادنا اليوم ، إذا استمر الحال على ما ترون . فما أرض الأدب الآن سوى مستنقع مهمل ، حرام أن تلقى فيه بذور . وحسبكم تلك الزهرات القليلة الوحشية التي نبتت من تلقاء نفسها على حواشيه فلم يأبه لها أحد ولم يعن بتعهدها وريها إنسان !

توفيق الحكيم

البحترى أمير الصناعة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

وللبحترى فى ثنايا أبواب شعره أبيات كثيرة فى الحكم والأمثال، بعضها يدل على فطنة لبعض نواحى الحياة والنفس، وبعضها معان مطروقة كساها ثوباً قشيباً. فمن حكمه وأمثاله قوله:

أراقب صول الوغد حين يهزه ... تدار وصول الحر حين يضام

وقوله:

هو الحظ ينقص مقـــداره ... لِمَنْ وزن الحظ أو كالَهُ

وقوله:

لولا التباين فى الطبائع لم يقم ... بنيان هذا العالم المجبول

وقوله:

ولستَ ترى عود القتادة خائفاً ... سموم الرياح الآخذات من الرند

وقوله:

واليأس إحدى الراحتين ولن ترى ... تعباً كظن الخــائب المكدود

وقوله:

كالكوكب الدُرِّىِّ أخلص ضوءَهُ ... حلكُ الدجا حتى تألق وانجـــلى

وقوله:

تَنَاس ذنوب قومك إن حفظ الـ ... ذنوب إذا قدمن من الذنوب

وقوله:

خلت جهلاً أن الشباب على طو ... ل الليالى ذخيرة ليس تفنى

وقوله:

أدَعُ الصاحب لا أعـــذله ... لا يُسَمَّى بعقوقٍ فيَعِقْ

وقوله:

وقديماً تداول العسر واليـ ... ـسر وكلُّ قذًى على الريح يطفو

وقوله:

صعوبة الرزء تُلْقَى فى توقـُّعِه ... مستقبلاً وانقضاء الرزء أن يقعا

وقوله:

أغشى الخطوب فإما جئن مأربتى ... فيما أسَيِّر أو أحكمن تأديبى

إن تلتمس تَمْرِ أخلافَ الأمور وإن ... تلبثْ مع الدهر تسمعْ بالأعاجيب

وقوله:

وكأنما شرف الشريف إذا انتمى ... جُرْمٌ جناه على الوضيع الأصغر

وقوله:

إذا مَحاسِنِىَ اللاتى أُدِلُّ بها ... كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذر

وقوله:

ما أضعف الإنسان لولا همة ... فى نُبْلِهِ أو قوة فى لُبِّهِ

وقولة:

والشىء تُمْنَعُهُ تكون بِفَوته ... أجدى من الشىء الذى تُعطاهُ

وقوله فى التأسى بمصارع الموتى:

إذا شئتَ أن تستصغر الخطب فالتفت ... إلى سلف بالقاع أُهْمِلَ نائمه

ومثل هذا كثير فى شعره.

وعندى أن غزل البحترى فى مجموعه أرق وأحلى وأكثر نصيباً من الوجدان الفنى من غزل أبى تمام. فمن قصائد غزله المشهورة قصيدته التى يقول فيها:

تمشى فتحكم فى القلوب بدلِّها ... وتميس فى ظل الشباب وتخطر

وقصيدته التى يقول فيها:

ذو فنون يريك فى كل يوم ... خلقاً من جفائه مستجدا

أغتدى راضياً وقد بتُّ غضبا ... ن وأمسى مولى وأصبح عبدا

وقصيدته التى يقول فيها:

أيها العاتب الذى ليس يرضى ... نم هنيئاً فلست أطعم غمضا

وهى رقيقة ومشهورة. ومن بديع غزله قصيدته التى يقول فيها: «ردى على المشتاق بعض رقاده» والقصيدة التى يقول فيها:

دنتْ عند الوداع لوشك بين ... دنو الشمس تجنح للأصيل

وفيها يقول:

وذَكَّرَنيكِ والذكرى عناء ... مَشابِهُ فيك بينةُ الشُّكولِ

نسيم الروض فى ريح شمال ... وصوبُ المزن فى راح شمولِ

والتى يقول فيها:

وجدتُ نفسك من نفسى بمنزلة ... هى المصافاةُ بين الماء والراحِ

والتى يقول فيها:

وهجر القرب منها كان أشهى ... إلى المشتاق من وصل البعاد

والتى يقول فيها: «مِنِّى وصل ومنك هجر» والتى يقول فيها:

بات أحلى لدىَّ من سِنَةِ النو ... م وأشهى من مفرحات الأمانى

والتى يقول فيها:

إذا ما الكرى أهدى إلىَّ خياله ... شفى قربُهُ التبريحَ أو نقع الصدى

والتي يقول فيها :

وفيهن مشغول به الطرف هارب   بعينيه من لحظ المحب المخالس

وهي ملاحظة فنية جميلة . والتي يقول فيها :

لم يُرْوَ من ماء الشباب ولا انجلت   ذهبية الصبوات عن أيامه

وفيها يقول :

أُتريكَ أحلامُ الكرى ذا لوعة   كلِفَ الضلوع يراك في أحلامه

والتي يقول فيها :

أأنتِ ديار الحي أيتها الربى الـ   أنيقـــة أم دار المها والنعائم

وأيامنا فيك اللواتي تَـصَرَّمتْ   مع الوصل أم أضغاث أحلام نائم

لعل الليالي يكتسين بشاشة   فيجمعن من شمل النوى المتقادم

والبحتري شاعر وصاف بما له من شهوة تذوق المرئيات بجمال فنه ، فإن الفنان يتذوق مناظر الطبيعة والمرئيات عموماً كما يتذوق الطعام من له ذوق خاص في الطعام والشراب ؛ وقد لا يكون شره النظر أو قد يكون، كما أن الذي له ذوق خاص في الطعام والشراب قد يكون شره البطن وقد لا يكون

ومن أجل شهوة تذوق الأمور بفنه أشك في أن البحتري قد تعمد أخْذَ كل ما أخَذَ من ، المعاني فقد تكون شهوة التذوق بالعاطفة الفنية هي التي ساقته إلى هذه المعاني سواء أكان قد اطلع عليها أم لم يطلع وهي على أي حال مفردات . ومن قصائده المشهورة في الوصف قصيدة وصف آثار الفرس الفنية التي يقول في أولها (صنت نفسي عما يُدَنِّس نفسي) وقصيدته في وصف بركة المتوكل التي يقول فيها :

كأنما الفضة البيضاء سائلة   من السبائك تجري في مجاريها

إذا علتها الصَّبا أبدت لها حبكا   مثل الجواشن مصقولاً حواشيها

فحاجب الشمس أحياناً يضاحكها   ورَيِّقُ الغيث أحياناً يباكيها

إذا النجوم تراءت في جوانبها   ليلاً حسبتَ سماء رُكِّبتْ فيها

ومن أوصافه المعروفة وصفه الشقائق في الأبيات التي يقول فيها : (سقى الغيثُ أكناف الحمى من محلة) وقصيدته التي يصف فيها الربيع وآثاره وفيها يقول :

وقد نبَّهَ النوروزُ في غلس الدجا   أوائلَ ورد كن بالأمس نُوَّما

يُفَتِّقها برد النـدى فكأنه   يبثُّ حديثاً كان قبل مُكَتَّما

وله قصيدته البائية المشهورة في وصف صيد الفتح بن خاقان للأسد ، والدالية التي فيها وصف لقائه (أي البحتري) الذئب في البيداء ، ويعاود وصف الربيع كما فعل في قصيدته الرائية التي يقول فيها : (ألم تر تغليس الربيع المبكر) والميمية في وصف قصري المتوكل الصبيح والمليح وهي التي يقول فيها :

حلل من منازل المُلكِ كالأنــجم يلمعن في سواد الظلام

وقصيدته في وصف البيان وهي التي يقول فيها :

لتفننتَ في الكتابة حتى   عَطَّل الناس فن عبد الحميد[1]

وهي مشهورة . وله أوصاف أخرى منتشرة في قصائده من وصف للنبات والطبيعة أو للحروب وآثارها مثل القصيدة الفريدة التي يقول فيها :

أسيت لأخوالي ربيعة إذ عفت   مصايفها منها وأقوت ربوعها

ومراثي البحتري مراثي صنعة تكاد تغطي على الصنعة لأن العاطفة الفنية فيها تغني على العاطفة الحقيقية أو قد تكون مقرونة بشيء منها ، وقد ظفر بنو حميد بمراث بلغت غاية الروعة الفنية من شعر أبي تمام ومن شعر البحتري . ولعل أبدع قصائده فيهم قصيدته التي يقول في مطلعها :

أقصر حميـد لا عزاء لمغرم   ولا قَصْرَ عن دمع وإن كان من دم

أفي كل عام لا تزال مُرَوَّعاً   بفَذٍّ نَجِيٍّ تارة أو بتوأم

إلى أن يقول :

فصرتَ كعُشٍّ خلَّفتْهُ فراخه   بعليـــاء فرع الأثلة المتهشِّم

ثم يقول :

سلام على تلك الخلائق إنها   مُسلَّمَةٌ من كل عار ومأثم

ومن المختار له في الرثاء قصيدته في سليمان بن وهب التي يقول فيها :

أأخيَّ نَهْنِهْ دمعك السفوكا   إن الحوادث ينصرمن وشيكا

وقصيدته التي يقول فيها (ابني عبيد شد ما احترقتْ لكم) والتي يقول فيها (جحدنا سهمة الحدثان فينا) . ومن أشهر قصائده في الرثاء رثاء المتوكل وقد قيل إن ابنه المنتصر ولي العهد دس له من اغتاله وإلى ذلك يشير البحتري في قوله : —

أكان وَليُّ العهد أضمر غدرة   فمِنْ عجبٍ أنْ وُلِّيَ الأمرَ غادِرُهْ

وهو لم يتمتع بالخلافة إلا بضعة أشهر . ويقال إن ضميره أفسد عليه تلك الأشهر من حياته . ويخيل إلى أن البحتري لم يعلن هذه

(١) في قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات

القصيدة إلا بعد وفاة المنتصر إلا أن يكون قد تنبأ بها وأجاب الله دعوته فى قوله :

فلا مُلِّىَ الباقى تراثَ الذى مضى ... ولا حملتْ ذاك الدعاء منابرُهْ

وفيها يمدح المعتز بن المتوكل فيقول(1) :

وإنى لأرجو أن تُرَدَّ أمورُكم ... إلى خَلَفٍ من شخصه لا يغادرُه
مُقلِّب آراء تُخافُ أناته ... إذا الأخرق العجلان خيفت بوادرُهْ

وإنى أشك فى صدق قوله وأرى أنه من شواهد ما قدمت من اختلاط الخيال بالعاطفة :

أدافعُ عنه باليدين ولم يكن ... ليثنى الأعادى أعزلُ الليل حاسرُهْ
ولو كان سيفى ساعة الفتك فى يدى ... درى الفاتك العجلان كيف أساوره

إذ أنه لو فعل كما قال إنه فعل لقتله الفاتكون . ولكن المشهود فى القصيدة روعة الصنعة وفخامتها لا عمق العاطفة . والحق أن البحترى إذا ملك صناعته ولم يتكلفها أتى بها وهى فى بهجتها وحلاوتها حقيقة بالمدح الذى مدح به البحترى منزلة ممدوحه فى قوله :

فَنيت أحاديث النفوس بذكرها ... وأفاق كلُّ منافس وحسود

وأصدق قول يقال فى البحترى وأبى تمام هو ما قاله البحترى نفسه إذ قال إن جيد أبى تمام خير من جيده ، ورديء أبى تمام شر من رديئه . ومثل هذا القول يصح أن يقال أيضاً فى البحترى وابن الرومى ، ولا نعنى بالجودة الصناعة فحسب بل كل ما ينهض به الشعر من ميزات . وللبحترى قصائد فى العتاب هى من أجلّ ما كتب فى اللغة العربية فى هذا الباب ولا سيما عتابه للفتح بن خاقان فى قصيدته البائية التى يقول فيها :

ولو لم تكن ساخطا لم أكن ... أذم الزمان وأشكو الخطوبا

والميمية التى يقول فيها :

أعيذك أن أخشاك من غير حادث ... تبيّن أو جرم إليك تقدّما

وفى صنعة عتابه كما فى صنعة مدحه حلاوة وسهولة التناول ، وليس فيها اللجاجة الفكرية التى بذلها ابن الرومى فى قصيدته فى العتاب التى يقول فيها (يا أخى أين ريع ذاك اللقاء) . على أن هذه القصيدة لابن الرومى لا تمثل إلا ناحية واحدة من نواحى مقدرته فى العتاب فله نواح أخرى منها ناحية العتاب الممزوج بالهجاء ، ومنها ناحية العتاب الذى فيه خضوع للمعاتب . وابن الرومى أوسع مقدرة من البحترى وأكثر نصيباً من ذخائر اللب وإن كان البحترى أوفر نصيباً من بهجة الصنعة .

وقد جاء فى كتاب الأغانى وصف إنشاد البحترى لشعره : فقال المؤلف إنه كان يتشادق فى إنشاده ، ويتزاور ، ويتمايل ، ويلوح بكمه ، ويتقدم ويتأخر ، ومعنى هذا الوصف أنه كان يُمثِّل كما يصنع الممثل على المسرح ، وإنى أميل إلى تصديق هذه الرواية إذ أنها تؤيد ما ذهبت إليه من أن البحترى كانت عنده صفة يكثر ظهورها فى بعض الممثلين ، وهى اختلاط الأحاسيس التى يمثلونها بحقائق الحياة حتى يصعب التمييز بينهما ، وقد ضربت من أمثال ذلك مثلاً من غزله ومن رثائه للمتوكل . ولم يكتف البحترى فى إلقائه بطريقة الممثلين فى الإنشاد ، بل كان ينظر إلى الحاضرين ويطلب منهم الاستحسان ويلومهم إذا لم يظهروا الإعجاب والاستحسان ؛ وطلبُ الاستحسان من الشاهدين والحرص عليه والانتشاء به من صفات الممثلين أيضاً . وقد ضجر منه المتوكل يوماً لمغالاته فى هذه الأعمال . فأغرى به شاعراً صغيراً عبث به فى شعره .

ولو جاز أن نتمنى سماع إنشاد البحترى لشعره لتمنينا أن نسمعه ينشد بهذه الطريقة التمثيلية قطعة من شعره تساعد على إظهار مقدرة الممثل مثل قوله فى قتاله للذئب :

عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته ... فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها ... على كوكب ينقض والليل مسود
فما ازداد إلا جرأة وصرامة ... وأيقنت أن الأمر منه هو الجد
فأتبعتها أخرى فأضللت نصلها ... بحيث يكون اللب والرعب والحقد
فخرّ وقد أوردته منهل الردى ... على ظمأ لو أنه عذب الورد
ونلت خسيساً منه ثم تركته ... وأقلعتُ عنه وهو منعفر فرد

ولا غرابة أن يكون عند الشاعر الذى عماده الصناعة اللفظية صفة الممثل الذى ينتشى بما يقول حتى يخلق له القول عاطفة فنية لا تكاد تميز من الأحاسيس الناشئة من حوادث الحياة فى نفوس بعض ذوى الفنون . وفى الأخبار التى وردت عن البحترى نرى أنه كان يمدح شاعرين هما : أبو تمام ، والعباس بن الأحنف . وفى شعر البحترى أثر محاكاته للأول فى الصنعة البيانية ومعانيها وللثانى فى بعض الغزل من شعره

عبد الرحمن شكرى

(1) بعد المنتصر ولى الخلافة المستعين بالله وكانت خلافته مضطربة وكان للمعتز حزب قوى بالرغم من أنه كان محجوزاً ومالبث حزبه أن تغلب واستخدم الحرس التركى لخلع المستعين وتولية المعتز الذي انتقض عليه الجند أيضا

أعلام الأدب

درامات سوفوكليس

للأستاذ دريني خشبة

حدّد سوفوكليس الفرق بينه وبين إسخيلوس ، ثم بينه وبين يوربيبدز فقال :

أنا أصور البشر كما كان ينبغى أن يكونوا

ويصورهم يوربيبدز كما هم

أما إسخيلوس فقد كان يوحى إليه بالحق فينطق به دون أن يعرف ما هو

وذلك من سوفوكليس تحديد جميل ينتفع به مؤرخو الأدب الكلاسيكي ، لأن سوفوكليس كان حقيقةً يلتزم فى جميع دراماته هذا التسامى نحو مَثَله الأعلى الذى كان يجهد ألا يضحى به ولو عارض الأوضاع ونافى التقاليد وثار بالشرائع

لقد رأى إسخيلوس يقسو على الفتى أورست الذى قتل أمه لأنها قتلت أباه فأسلمه لطائف من الجنون ، وسلط عليه ربات العذاب تُشقيه وتقص آثاره وتسد عليه المسالك . لأن جريمة قتل الوالدين هى أشنع الجرائم فيما تواضع عليه الدين اليونانى الأسطورى من غير نظر إلى ما فى ذلك القتل من حق أو غيره ... ومع أن إسخيلوس كان لا يرى أن يُعد أورست مجرماً بدليل ما ذكره على لسان أبولو أمام محكمة ميزفا إلا أنه أجرى درامته فى حدود المعتقدات اليونانية فجعل ربات العذاب تلاحق أورست كما تلاحق المجرمين لتأخذه بما جنت يداه . ثم توسل إسخيلوس بهذه الهيئة القضائية التى كانت ميزفا بمقام الرئيس فيها ، كما كان أبوللو بمقام المحامى ، وكما كانت ربات العذاب بمقام المدعى فى حين كان أورست فى مقام المتهم ... فلما رأت ميزفا أخذ أصوات الحضور بوصف كونهم محلفين ، ثم لما تساوت الأصوات ضد أورست ثم له ، عمد إسخيلوس إلى ميزفا فجعلها تنحاز إلى جانب أورست ، وبالأحرى إلى فكرة إسخيلوس فى عدم حسبان الفتى مجرماً لأنه قتل أمه التى قتلت هى أيضاً أباه ، لأنه ضحّى بابنتها إفجنيا كما تقدم ذكر ذلك جميعاً

رأى سوفوكليس نده القوى يتناول المأساة على هذا النحو فترك سبيله وسلك سبيلاً آخر . . . إنه لم يُسلم أورست لطائف من الجنون ولم يُلاحقه بربات العذاب كما فعل إسخيلوس ، بل هو قد أهمل الشريعة الأسطورية كلها وأظهر أورست فى ثوب البطل الذى يرى أن أمه قتلت أباه بغير الحق وصَبَت قبل ذلك إلى عشيق مجرم من أعداء أسرته وآذت أبناءه وأهدرت كرامتهم فهى لكل ذلك تستأهل أن تقتل ، بل يجب أن تقتل بيد ابنها ، فإذا هم ابنها بقتلها وتوسلت إليه بدموعها مرة وندبها مرة أخرى خشيت (إلكترا) — وهذا هو اسم الدرامة — أن يضعف أخوها أو أن يستخذى لحضنته على قتل أمه — وأمها — « لأنها لم ترحم أحداً من قبل ! »

وهكذا صور سوفوكليس الناس كما ينبغى أن يكونوا ، ولم يلف طويلاً كما صنع إسخيلوس ... أما كيف اتقى ثورة الناس لإهماله شريعتهم الأسطورية فقد كانت حجته أن فى الأساطير ما يذكر أن ديانا قد أنقذت الفتاة إفجنيا من الذبح وذلك بفدائها بذبح عظيم على نحو ما نعرف من قصة إبراهيم وولده إسماعيل ... لذلك كان حنق كليتمنسترا فى غير موضعه ، وكان باطلاً كل ما كانت تبرر به مسلكها نحو زوجها ، وكل ما ترتب على هذا المسلك من نتائج

وليس من عيب فى مأساة إلكترا إلا ما أقحمه فيها سوفوكليس على لسان الرسول من وصف الألعاب البيثية وصفاً طويلاً يُفضى إلى الإملال .

٢ — أجاكس (١) :

قد تكون مأساة أجاكس أقدم ما وصلنا من درامات سوفوكليس سليما كاملا ... وهى مثل إلكترا يصادفك فيها المعجب المطرب من الفكر الرائع والفن البارع ، كما يصادفك المشهد السمج والحوار الثقيل خصوصاً إذا كان ذلك المشهد أو هذا الحوار فيما يتعلق بتقليد يونانى تطاول عليه العهد فلم يعد سائغاً عندنا اليوم

(١) هكذا ينطق اسم هذا البطل فى الألياذة والأوديسة وجميع تراجم سوفوكليس وقد أورده كامبل على أنه (اياس) ولم ندر علام اعتمد فى إيراده على هذا النحو

بعد مقتل أخيل بطل أبطال اليونانيين اتفقت الآراء على أن تُمنح دروعه وعدته الحربية التى صنعها له فلكان الحداد إله النار لأشجع الأحياء من أبطالهم المحاربين ، وبالرغم من أن أجاكس كان أشجعهم جميعاً فقد رأى القضاة أن يخلعوها على أودسيوس لأنه كان إلى شجاعته أبرع اليونانيين حيلة وأكثرهم حكمة . . وكان ينبغى أن يخضع أجاكس لهذا الحكم ، إلا أنه ثار وتولاه الغضب واعتزم أن يقتل القضاة الظلمة الذين جرحوا كبرياءه بما فضلوا عليه أودسيوس . . . لكن أثينا (مينرفا) التى كانت تحابى أودسيوس دائماً ، لم تدعه يفعل ، بل أسلمته لطائف من المس وفورة من الجنون ، فامتشق سيفه وراح يقتل قطعان الشاء والنَّعم وهو يحسب أنه يقتل أعداءه القضاة من قادة الإغريق . . . ثم يفيق أجاكس ويعلم ما كان من أمره ، وينظر إلى نفسه فيراه رجلاً لم تعد له كرامة بين عشيرته ، ويرى الجميع يصدون عنه . . . فيألم ويضيق بحياته ، ويزيده ألماً ما ظن من حنق أثينا عليه ، وما عرف من تحقيره أمَته الجميلة تكماسا ، فينطلق إلى مكان موحش مهجور عند شاطئ البحر ، ثم يتكئ بصدره على سنان سيفه ، فيسقط على الرمال ويتشحط فى دمه . . . ويجتمع القادة حول جثمانه فيختلفون ساعة على دفنه ، لكن أودسيوس ينسى سخيمته ، ثم يتولى الدفاع عن عدوه فى عبارة كلها تمجيد له واعتراف بفضائله ، فلا يسع الباقين وفى مقدمتهم منالوس إلا أن يوافقوا على الدفن وإقام الشعائر الدينية على جدثه . . . ويقع ثلث المأساة تقريباً بعد انتحار أجاكس ، وهذا عيب درامى وقع فيه سوفوكليس حين غلبه الشاعر المستكن فيه على الدرامى الذى هو أروع نواحى شخصيته العجيبة العظيمة . . . وتمتاز هذه الدرامة بالكلمات الجميلة الخلابة التى كان يتبادلها الزعماء فوق جثمان أجاكس ، ثم موقف أودسيوس منه بعد انتحاره . . . ثم هذه النجوى وذاك الوداع الذى فارق بهما أجاكس دنياه وهو يشحذ سيفه وجعلهما آخر أنفاسه . . . على أن أثر إسخيلوس واضح جداً فى هذه المأساة التى صور فيها الشاعر صراع الإنسان ضد المقادير وما يلقى فى تمرده على القضاء من شقاء . . .

٣ — أنتيجونى (٤٤٥ ق . م)

تعتبر مأساة أنتيجونى أجل فرائد سوفوكلاس ، وقد نظمها سنة ٤٤٢ . وتكاد تكون الحلقة الرابعة فى ثلاثية إسخيلوس التى ثالثها (سبعة ضد طيبة) . فقد شهدنا كيف تبارز الشقيقان : إتيوكليز ، وپولينيسيز ، وكيف قتل كل منهما الآخر فى مأساة إسخيلوس . هنا ينهض بالملك الطاغية كريون أخو الملك أوديب غير الشقيق ، وتكون مهمته شاقة لأنه يلى أمر مملكة منهوكة جائعة حزبتها الحرب التى أثارها پولينيسيز ، والتى استعان فيها على وطنه بجيوش الأجانب مما جعل مواطنيه ينقمون عليه ويبغضونه أشد البغض . من أجل هذا احتفل كريون بجناز إتيوكليز وإقام الشعائر الدينية على جدثه . ثم أمر فى الوقت نفسه أن يترك جثمان پولينيسيز منبوذاً بالعراء تنوشه الجوارح ، وتغتذى به بواشق الطير وجياع السباع . لكن الفتاة أنتيجونى تسخر بأوامر الملك وتعرض نفسها للمهالك حيث تذهب إلى جثة أخيها فتحثو عليها التراب وتدفنها وتؤدى لها شعائر الدين التى لا تستقر أرواح الموتى إلا بعد أدائها . هنا تثور ثائرة الملك ، ويأمر بالقبض على الفاعل الذى استهزأ بقوانين الدولة ؛ فلما يعلم أن أنتيجونى هى التى أتت هذا الأمر لا يبالى أن يأمر بدفنها حية بالرغم من أنها مخطوبة لولده هايمون الذى يحبها ويهيم بها ويعبدها عبادة . ويحضر الابن فيجادل أباه فى محبوبته ، بل معبودته . لكن الرجل ينسى كل شىء إلا أنه ملك . فينصرف هايمون بعد أن ينذر أباه أنه لن يراه بعد اليوم ، ويذهب فينتحر عند باب القبو الذى دفنت فيه أنتيجونى . ثم تنتحر أمه عندما يأتيها نعيه ، تلك الأم الرءوم المعذبة التى فقدت ولدها ميجاريوس من قبل ، إذ ضحاه أبوه من أجل صوالح الوطن . ويتلفت كريون فيراه وحيداً فى هذه الحياة العبوس الجائحة ، يبكى قلبه من غير أن ينفعه أنه حفظ سلطان القانون فيتمنى ، ولن ينفعه التمنى ، لو أنه سمع لنصيحة الكاهن الذى محضه النصح أن يترفق بولده حتى لا يصب الويلات على رأسه

لقد كان سوفوكليس فناناً عظيماً فى هذه المأساة الخالدة . . . لقد صور فيها شخصيات رائعة لم تظفر بمثلها درامة فى تاريخ المسرح . . . فهذه هى أنتيجونى العنيدة الصارمة التى لا تبالى سلطان الملك وجبروت الدولة ، وهذه أختها إسمنيه الضعيفة الساذجة المضطربة التى لا تقر أختها على فعلتها ، ولا تنكث بها مع ذاك . . . وذاك الفتى هايمون الذى يجادل أباه بالحق والمنطق ، فلما يعييه إقناعه يرتخص الحياة بعد عروسه ويتخلص منها غير باك عليها ، وهذا

كريون الملك الذى يتغطرس ويغلو فى غطرسته، لكنك لا تستطيع مع ذلك إلا أن تعجب به بصفته حاكما ، ولا ينبغى أن يكون الحاكم إلا صلباً لا يبالى غير الحق ولا يتهاون فى شأن من شئون السلطان ... ثم أولئك المنشدون (الخورس) الذين يحبذون أنتيجونى حين تصرح أنها لم تأت منكراً حينما دفنت أخاها ، ويرثون لها يوم العاشق حين يحاول إقناع الملك بخطل سياسته فلا يقتنع ، فى حين لا ينتقدون الملك حين يشتط فى التمسك بأوامره ووجوب معاقبة الخارجين عليها لأنهم يكونون خوارج على الدولة ...

هذا إلى فن سوفوكليس وروعة أسلوبه الذى يقول فيه جيته :

« إن كل شخصيات سوفوكليس قد أوتوا نعمة الفصاحة ، وجمال البيان ، فهم أبداً مداره ألباء يعرفون كيف يسوقون حججهم ويقيمون براهينهم بحيث يكون السامع إلى صف المتكلم الأخير منهم دائماً ! »

٤ — أوديبوس تيرانوس (أوديب الملك)

عرضنا خلاصة هذه المأساة فى إسخيلوس عند ما لخصنا (سبعة ضد طيبة)[1] . ودرامة سوفوكليس تتناول حياة أوديب بعد أن رقى أريكة الملك ثم تتسلسل الحوادث حتى يعرف السر الهائل : أنه قتل أباه وأنه تزوج من أمه وأنه أولدها أبناءه جميعاً .. وأروع مشاهد المأساة ذلك المنظر الذى يعترف فيه كل من أوديب وأمه أحدهما للآخر عن الماضى المؤلم الشجى. ثم تلك النهاية التى تقتل الأم فيها نفسها ، ويسمل الابن عينيه . وبالرغم من روعة المأساة وسموها الفنى قد لاحظ عليها النقاد ضعفاً فى الحبكة الدرامية ، إذ كيف يسيغ الذوق الدرامى أن يتزوج شاب قوى فتى جميل مثل أوديب امرأة عجوزاً شمطاء تكبره مرتين أو أكثر من مرتين مثل أم هذا الفتى !؟ ليس فى تاريخ الجمال اليونانى ما يسيغ هذا الوضع وخصوصاً على المسرح . وقد اعتذر أرسطو عن ذلك بأنه عيب يضيع فى روعة حوادث المأساة وجمال تسلسلها وشدة أسرها ... ثم لماذا تنتحر الأم ولا ينتحر أوديب ؟ لماذا يكتفى بأن يسمل عينيه ويعيش بقية حياته أعمى فى تيه الغابات ؟ ! يعتذر أرسطو لذلك أيضاً بأن الأسطورة كانت مشهورة قبل سوفوكليس فلم يشأ أن يتناولها بالتبديل والتحوير ، ويُرد على ذلك بأن سوفوكليس كان يصور الناس والحوادث بما كان ينبغى أن يكون فلِمَ لم يطبق قاعدته على مأساة أوديبوس ؟!

(١) ٢٩٩ ص ٦٢٠

٥ — عذارى تراشينيا[1]

لا ندرى لماذا أطلق سوفوكليس ذلك الاسم على مأساته هذه إلا أن تكون قد حدثت هنالك ... وكان الأحرى أن يسميها ديانيرا أو مقتل هرقل

يعترض طريق هرقل فى إحدى مغامراته نهر عظيم لا يستطيع أن يعبره وتكون معه زوجه الجميلة الفتان ديانيرا فيبدو لهما سنتور عظيم ويعرض أن يحملهما إلى العدوة الأخرى ... وتركب ديانيرا على ظهر السنتور ويخوض بها فى اليم فيحس نحوها بغرام شديد فيعتزم أن يهرب بها من هرقل ، فلما يبلغ العدوة الأخرى ينطلق بها فتصرخ فينتبه هرقل فيرسل أحد سهامه المسمومة بدماء هيدرا فيخترم السنتور ... وقبل أن يموت السنتور يهب ثوبه لديانيرا فتفرح به لأنه كما زعم لها يرد إليها محبة زوجها إذا تحول عنها قلبه بشرط أن يلبسه ... وتحتفظ ديانيرا بالثوب سنين عدداً ثم يمضى هرقل فى إحدى مجازفاته فتعلم أنه صبا إلى حبيبة شبابه وخليلته الأولى فتضطرم الغيرة فى قلبها وتذكر ثوب السنتور ، ثم ترسل أحد خدمها ليلقى هرقل وليقدم له ثوب السنتور فيلبسه (لأنه يعيد إليه ما خار من قواه فى مجازفاته الشاقة) ، وما يكاد هرقل يلبس الثوب حتى يسرى سم السنتور فى جسمه فيعذبه ويضنيه حتى يموت ... وتعلم ديانيرا بموت زوجها فتعرف حقيقة الثوب وأن السنتور إنما أراد أن ينتقم من هرقل لأنه قتله فتحزن ثم تنتحر

فى هذه المأساة والمأساتين التاليتين نلحظ تبدلاً فى سوفوكليس ونرى أنه تأثر بالشاعر الشاب يوربيدز .. ثم نلحظ ضعفاً فى الحبكة الدرامية سببه الهرم وتقدم السن، فقد نظمها بعد الثمانين وفى عصر تقلقل وصراع بين أثينا وأسبرطة

(١) جهة فى أقصى جنوب تساليا وحاضرتها تراشين (كرامر ج — ١ ص ٤٤١ — فهى غير ترافيا)

٦ – فيلوكتيتس (٤٠٩ ق. م)

عند ما حضرت الوفاة هرقل منح سهامه المسمومة لرصيفه البطل فيلوكتيتس الذى صحب اليونانيين فى حملتهم على طروادة ... لكن أفعى لدغته فى رجله فى جزيرة لمنوس، وأحدثت بها جرحاً بليغاً سبب له ألماً شديداً، وخشى المحاربون أن يكون سبباً فى طاعون يذهب بريحهم فتركوا البطل المسكين وحيداً فوق الشاطئ ثم أبحروا إلى طروادة ... واستمرت الحرب عشر سنوات سجالاً بين الفريقين، ثم جاءتهم نبوءة أن طروادة لا تسقط إلا إذا حضر الحرب فيلوكتيتس ومعه سهام هرقل .. فذهب البطل أودسيوس ومعه البطل نيوبتوليموس بن أخيل إلى حيث ثوى فيلوكتيتس ليحتالا عليه فيحضر معهم إلى طروادة بسهام هرقل ... وقد شق على البطل أن يفعل وعز عليه أن يصحب قوماً أهملوه فى كربته وغادروه وراءهم وهو فى شدة الحاجة إلى معونتهم، وكان جرحه ما يزال يؤلمه ويبرح به ... لكن شبح هرقل يبدو له فى شبه حلم وينصح له بالذهاب إلى طروادة لنصرة قومه، ولأن هناك الطبيب ماشيون الذى يستطيع مداواة جرحه فيهش فيلوكتيتس وينهض من فوره، ويمضى إلى طروادة... وحل عقدة الدرامة على هذا النحو يدلنا على مبلغ تأثر سوفوكلس بيوريبيدز.

٧ – أوديبوس فى كولونوس[1]

لا ندرى لماذا عاد سوفوكليس فجأة وبعد نصف قرن تقريباً إلى مأساة أوديب؟ لعله أراد أن يرد على آرسطو قبل أن يولد (٣٨٤ – ٣٢٢)، كما أراد أن يقول لماذا لم ينتحر أوديب كما انتحرت أمه!

بعد أن سمل أوديب عينيه نفاه كريون باتفاق بينه وبين ابنيه المتنازعين على العرش مما جعل أوديب يرسل لعنته على ولديه ... وذهب الملك الأعمى ليأوى إلى الأحراج والكهوف فتبعته ابنته أنتيجونى لتعينه وتقوده وتسليه، وكانت ابنته الثانية إسمنيه تختلف إليه فى الخفاء لتنهى إليه أسرار طيبة ... وتمضى السنون ... ثم تقول نبوءة إن أوديوس إذا مات فى أرض أجنبية واشتملت جثمانه تلك الأرض فإنها لا تلبث أن تغزو طيبة وتنتصر على أهلها .. ويذهب أوديبوس على وجهه فى الأرض، تقوده أنتيجونى حتى يأتيا أحراج يومينيدز أو ربات اللطف والرحمة[1] فما يكاد

(١) كولونوس هى إحدى ضواحى أثينا

الملك يمس بقدمه أرضهن حتى يشيع فيه إحساس الرضى والشعور بالرحمة فيعلم أن الربات قد عفون عنه وغفرن له ذنبيه العظيمين: قتل أبيه وزواجه بأمه. ثم تأتيه بذلك النبوءة، وتشمله حماية الربات، ويتلقاه ثيذيوس عظيم كولونوس فيكرم مثواه ويعطيه عهده على أن يحميه ضد ولده وضد كريون على السواء ... وهكذا تنتهى آلام هذا الرجل التعس، وتعود إليه طمأنينته بعد أن كفر عن ذنبه ...

والمأساة لا عقدة لها، بل هى سلسلة من الآلام عرضها سوفوكليس عرضاً جميلاً رائعاً، واستجمع لها رصانة الأسلوب ودقة الأداء وفتنة الفن ... وقدمت سوفوكليس ولم يشهد مأساته تمثل، وقد تولى إخراجها حفيده السمى باسمه فجمع لها قدسية الأكروپوليس وشدو البلابل وعظمة أثينا التى حطمتها أسبرطة

وبعد، فهذا عرض سريع مقتضب لا يغنى عن قراءة الأصول شيئاً.

دريني خشبة

(١) هن ربات العذاب وقد صيرتهن هكذا ميترفا بعد قضية أورست

يا غازى ... عليك رحمة الله !

للأستاذ على الطنطاوى



عليك رحمة الله (يا غازى) الحبيب، يا فخر الشباب، يامن لم يمتع بالشباب ! ياسيد العرب، يامن روع فقده العرب. يابدر العراق الآفل، ياأمل الشام الذاهب يا دنيا من الفتوة والبطولة والنبل طواها كف الموت (يا غازى) عليك رحمة الله !

بالأمس استصرختك وأنت أملنا وملاذنا، وأنت عوننا على الدهر الظالم، والعدو الغاشم، أفأقوم اليوم لأرثيك يا أملنا ويا ملاذنا ؟ أأقف على قبرك الطرىّ مودعاً وباكياً، وقد كنت أقف على بابك العالى مستغيثاً ومستصرخاً ؟ أأخاطبك اليوم من وراء القبر وقد كنت بالأمس ملء الكون حياة وقوة وشباباً ؟

ليتنى ما عشت حتى أرى هذا اليوم ! ليت يدى ما طاوعتنى حتى أكتب هذا المقال ! ليتنى ما بقيت حتى أرثيك يا غازى ! (يا غازى) جل المصاب وما لنا فيه يدان ! (يا غازى) عظم الخطب وضاقت الحيلة ! (يا غازى) لو كان يفتدى ميت لفداك العرب بأنفسهم ! (يا غازى) قد فقدناك فعليك رحمة الله !

على شبابك الكامل، على بطولتك النادرة، على أيامك الحلوة، على ذكرياتك الخالدة، على روحك الطاهرة (يا غازى) رحمة الله !

* * *

أفى عشرة أيام يدور الفلك، وتتبدل الدنيا، ويستحيل عيد مولد الملك الشاب الحبيب، إلى مأتم الملك الشاب الحبيب ؟

أفى عشرة أيام تمر دنيا كاملة، تبدأ بأعظم عيد عرفه هذا الشعب هو عيد ميلاد (غازى) وتختم بأجل مصاب رآه، وهو المصاب (بغازى) ؟

من كان يظن وهو يشهد أفراح هذا الشعب فى (٢١ آذار) يوم الربيع الطلق، ويوم (غازى) الذى كان أمرع من الربيع وأبهى، أن الفجيعة الكبرى كامنة فى الغد القريب، وأن هذا الشعب سيلطم وجهه ويمزق ثوبه حزناً على (غازى) ؟

أأحسست بالغد القريب فذهبت تستعجل القدر لتهيئ لأمتك كل شىء قبل أن تمضى، فعرضت جيشك يوم الثلاثاء لتؤكد لها القوة والأيد، وفتحت السدة يوم الأربعاء لتضمن لها الحضارة والخصب، وعطفت على آلام سورية لتنشئ لها الوحدة والعزة، وأجريت الخيل يوم الجمعة لتعلم وليدك الصغير كيف يكون فارساً قبل أوانه، كأنك شعرت أنا سنفجع فيك قبل الأوان ؟

لقد كنت قريباً منك يوم (عرض الخيل) فرأيت فى عينيك وأنت تراقب ابنك معنى من معانى الغيب ولكنى ما أدركته، ومن أين يخطر على بالى أنك كنت تودعه، وتفكر فيه كيف يفقد أباه ويجد الملك، فلا يدرى ما الملك ولا بنى ينادى : بابا . . . ؟

من كان يظن أن الملك الشاب ابن الخمس والعشرين يموت ؟

من كان يظن أن هذه الهبّة الكبرى إنما هى استعجال للقدر، وأن هذه الأيام العشرة إنما هى الخاتمة البارعة لتلك الحياة البليغة ؟ . . ولكن هل تم كل شىء حتى تستريح (يا غازى) ؟

لقد وعدت (وفد العروة) أن تشرفهم بلقائك وما عهدناك أخلفت قبل اليوم وعداً . لقد كمل الجسر العظيم الذى لم ينشأ مثله فى عهد الرشيد والمأمون، فأين أنت لتفتحه بيدك، وتخطو فيه أول خطوة ؟ لقد وصل الخط الحديدى إلى الموصل أفلا تفضلت فرعيته وافتتحته ؟ لقد أجمعت أمة الشام على نصبك ملكاً، وتسليمك عرش أبيك على رغم الظالمين، فأين أنت لتسكن قصر أبيك فى دمشق وتحتل عرشه فيها ؟ لقد تهيأ العرب ليمشوا تحت لوائك إلى قمم المجد وذرى العظمة، فتقدم يا قائد العرب يا مليك ؟

وأين قائد العرب ؟ أين المليك ؟

لقد مشى إلى رحمة الله، فإنا لله وإنا إليه راجعون !

* * *

أحين اشتدت المعضلة، واستحكم الأمر، ورجوناك للخطب لا يرجى فيه إلا أنت ..؟

أحين تعلقت بك الآمال ، وأقبلت عليك القلوب ، وغدوت حبيب الشعب المفدى ..؟

أحين تمت بك الأفراح ، وكادت تتحقق بك المنى ...؟

اللهم لقد حرمت كل شيخ منا ابنه ، وكل فتى أخاه ، وكل صبى أباه ، حين أخذت سيدنا وحبيبنا وملكنا غازى !

اللهم فارزقنا الصبر ، وأين منا الصبر ؟

* * *

(يا غازى) ارفع رأسك ساعة وانظر إلى شعبك . إنه يحار ماذا يصنع ، فهو يسكت واجماً ثم يثور نادباً ، ثم يستفزه الألم فيقرع الطبول ويرقص رقصة اليأس . إنه يحمل صورتك مجللة بالسواد فلا يراها أحد حتى يبكى . على أنهم حملوا صورتك فى الأفئدة ونقشوها على صفحات النفوس ، فأنت من كل قلب حبته ، ومن كل عين سوادها ؛ اسمك آهة على كل لسان ، ودمعة فى كل مقلة ، وخفقة فى كل فؤاد ، ومناحة فى كل بيت عربى ... فيا غازى ، عليك رحمة الله !

* * *

لقد لحقنى اليوم طفل ما أحسبه بلغ الرابعة، فجعل يطلب منى بإلحاح ويشير بيديه ؛ فأعطيته فلسين فألقاهما فى وجهى ، فزدتهما فرمى الأربعة ، فتفهمت قصده فإذا هو يطلب شارة سوداء كالتى أضعها فى صدرى ليعلن بها الحزن عليك ، فدفعتها إليه فانصرف وهو يذكر اسمك ويبكى !

لقد رأيت عجوزاً تنظر إلى رسمك المجلل بالسواد وتبكى بحرقة كأنما تبكى فيك ولدها الوحيد ، وهى تظن أنه ما يراها من أحد إلا الله !

لقد أغمى على كثير من الطلاب والطالبات لما سقط عليهم الخبر الأسود . لقد احمرت من اللطم صدور وخدود يؤذيها مس النسيم !

يا غازى ، يا أيها الفتى القوى ، يا أيها الفارس الطيار ، ألم تعد تستطيع أن ترفع رأسك مرة أخرى لترى ما صنع شعبك ؟

لقد مت من القضاء مرة ولكننا متنا من الحزن ألف مرة ، وسنموت من الحزن ألف مرة ، ولن ننساك (يا غازى) ، مثلك ما ينسى !

* * *

إن الشام الذى نادى بك مليكاً منذ أيام وكنت أنت أمله لم يبق له أمل ، فهو يبكى فيك اليوم كل شهيد من شهدائه . إنه كان يحبس دمعه من أجلك فلمن يحبس الدمع من بعدك ؟

إن العجوز التى كانت تتلقى ابنها القتيل وهى تهتف باسمك ، لم يبق لها من تهتف باسمه من بعدك !

(يا غازى) من لأطفال الشام ، من لنسائه ، من لضعافه الذين يسومهم القوى ألوان الخسف ؟ (يا غازى) من لهم ، وباسم من يهتفون من بعدك ؟

(يا غازى) ما تيتم لفقدك فيصل الصغير وحده ولكن فقدك يتم كل عربى. ما تيتم فيصل الصغير، أبداً ما تيتم، إن كل عربى له أب وخادم وصديق ، إن له فى قلب كل عربى مكاناً !

* * *

أحقيقة أنهم أودعوك جوف الثرى ؟

(يا غازى) إنى والله ما أصدق أنك مت !

(يا غازى) لقد سمعت الخبر فكذبته ، ولعنت ناقله وانتظرت أن أراك طالعاً علينا ، تمر مر النسيم الناعش ، مر الرجاء الحلو بخيال الآيس الحزين ، تحيى شعبك ، وتسبغ عليه القوة والحياة بابتسامتك المنيرة وفتوتك الباسلة ؛ وطفقت أراقب الساعة أحسب الوقت فلم تمر ، فشككت ولكنى لم أصدق ما قال المرجفون ، ورأيت النساء يبكين ويندبن ، فبكيت والله ، ولكنى لم أصدق ما قال المرجفون ... وشاهدت بغداد وملء شوارعها البكاء والحسرة والندب ، ولبثت أشك ولبثت أرجو ، حتى سمعت المدافع ووعيت الصيحة ، فلم يبق شك ولم يبق رجاء ... لقد تحقق النبأ فوا حسرتاه ... لن نراك (يا غازى) طالعاً علينا ، لن نبصر من بعد موكبك ولا ابتسامتك ولا تحيتك ، فيا غازى فى ذمة الله وأمانه ، يا غازى عليك رحمة الله

* * *

يا أهل بغداد !

مات غازى فابكوا واندبوا، فعلى مثل غازى يحلو الندب والبكاء.

يا أهل بغداد !

ما فجعتم فيه وحدكم ، ولكنها فجيعة العرب بسيد العرب . لقد كان منار رجائنا (معشر الشاميين) فانطفأ المنار . لقد كان لنا مناط الأمل . لقد كان لنا كل شىء ... فيا أهل بغداد كلنا فى المصيبة سواء

فتح فى عالم الطب

يوفق إليه بحاثة وطنى

للأستاذ فليكس فارس

إذا كان رجال العلم فى الأقطار الغربية يترصدون كل اكتشاف ويرقبون كل اختراع يوفق إليه التفكير الإنسانى أيان كان التماعه ومن أية أمة كان انبثاقه، وإذا كنا نحن فى بدء نهضتنا لا يتتبع منا إلا النذر اليسير خطوات العلم فى مجاهل الجسم البشرى ومجالات الطبيعة فى مختلف مظاهرها ، فقد حق علينا على الأقل أن يستوقفنا ما يوفق إليه الباحثون من أبناء وطننا ، وأن يهتم الخاصة والعامة منا بأية ظاهرة من ظاهرات العبقرية التى تتجلى من حين إلى حين فى أبناء هذه السلالة العربية الشرقية كأنها تباشير الشفق ودليل انبعاث لمهدنا القديم

لقد أراد البعض ممن يدعوننا إلى اتباع القافلة العلمية الغربية أن يدّعوا تفرد السلالات الآرية فى الذهنية الاستقرائية قائلين : إن ذهنية الشرق لا تخصب إلا بالاستيحاء والاستلهام من النفس، وإنها تقصر فى مجالات التدقيق أمام الظاهرات الكونية ، وأن ليس لنا نحن أبناء السلالة السامية إلا الاقتباس والعمل بما يكتشف الغرب ، فقلنا لهم : إن أجدادنا قد تسلموا تراث العلم ممن سبقهم من الشعوب فدفعوا به إلى التكامل وتوسعوا فيه وزادوا عليه ، فما أقنعهم دليل الواقع فى التاريخ القديم ؛ غير أن الزمان يمشى بخطواته والشرق العربى يستعيد أمسه فى يومه ويتهيأ لوثبته الكبرى فى غده ، فيعلم دعاة التقليد فى مجال التفكير أن الله لم يخلق العقل من مغانيم متعددة متفاوتة الصفات فى جماجم الناس؛ وأن الشعوب إذا انفرط شملها على سبل الثقافة فى عواطفها وتجمعها فى حياتها فانها لا تجد أمامها إلا صراطاً واحداً فى التفكير، وهى متجهة إلى العلم ومعرفة الحقائق الواحدة فى جوهرها

هذه كلمة لم أر بداً من إيرادها عطفاً إلى ما سبق لى نشره فى مبحث الشرق والغرب لأتدرج إلى قول كلمة فى ظاهرة من مظاهر نهضتنا العلمية يحق لنا أن نباهى بها ، وقد أقرّها من الغرب مَن لهم ردّ ما بنى على التوهم والاعتراف بما يؤيده العلم الصحيح

* * *

من الأمراض التى أضلّت أسبابها الباحثين قديماً وحديثاً داء الروماتزم أى الالتهاب المفصلى الحاد بأنواعه . فكان دهاقنة الطب يعرفون عنه أنه داء عضال خفيت أسبابه ، وعزّ على الطب التحكم فيه إطلاقاً لأنهم لم يوفقوا إلى اكتشاف العامل الحقيقى الذى يلهب المفاصل بسمومه ، ولا عرفوا نوع هذه السموم إلى أن قيض الله لطبيب مصرى من هذا الشرق العربى ، وهو : الدكتور نجيب فرح القيم فى الاسكندرية أن يكشف هذا العامل الخفى ، ويهتك بإظهاره للعلم سلسلة من أسرار المناعة والدفاع لا فى داء الروماتزم فحسب بل فى غيره أيضاً من الأدواء التى لا يزال العلماء يعالجون خفاياها

وحين عقد المؤتمر الطبى العربى أوائل فبراير الماضى فى القاهرة تقدم الدكتور فرح إليه بتقرير مستفيض عن أبحاثه التى اعترف له بها دهاقنة أطباء الغرب واستشفوا من ورائها آفاقاً جديدة للطبابة فأورد بالأسلوب العلمى شذرات قد لا يسبر كنهها إلا رجال الطب فرأينا التحدث إلى طبيبنا الوطنى استجلاء لحقيقة هذا الاكتشاف. وهكذا تسنىّ لنا أن نضع هذا المقال ، ونحن على جلية مما نعرض

لقد وفق مواطننا سنة ١٩٣٣ ، وهو يعالج المصابين بالروماتزم إلى العثور على جرثومة البنموكوك ثائرة فى دمهم ، فاستوقفته هذه الثورة فى داء لم يكن يُعرف من قبل أن له بها علاقة مباشرة إذ كان من المقرر فنياً أن البنموكوك كما تدل تسميته وهى جرثومة ذات الرئة لا يسبب إلاّ التهاب الرئة عند تهيؤ الأسباب له للخروج من استكانته

ولكننا سنتبع طريق غازى ، وسنمشى تحت لواء خليفته . حتى نبلغ الغاية التى سمى إليها ويقول التاريخ : إن العرب يكون سيدهم الراحل لأن لهم عواطف وقلوباً، ولكنهم يخلصون لسيدهم الجديد لأن لهم مطامح وعقولاً . فيا غازى إذهب إلى رحمة الله مشيعاً بالحب والإكبار . ويا ابن غازى اعل العرش، وانشر اللواء واحمل التاج ، فإنه ليسر روح غازى فى سمائها ، وعظامه فى ثراها أن يخلص شعب غازى لخليفة غازى كما أخلص له

يا غازى عليك رحمة الله . ويا خليفة غازى ابسط يديك فهذه بيعتنا ، وسر بنا إلى الأمام فهذه سواعدنا وهذى أرواحنا ... إلى الأمام ... وعلى غازي رحمة الله والسلام .

علي الطنطاوي

وعند ما لجأ إلى طريقة « نوفلد » للتفريق ما بين البنموكوك والستربتوكوك « وهى تقوم بإضافة صفراء مرارة الأرنب أو الأملاح الصفراوية فى أنبوبة المعمل على هذه الجرائيم فتحل النوع الأول ولا تؤثر على النوع الثانى » خطر له وهو يعاين هذا التفاعل فى الأنابيب أن يقيس معدل هذه المادة المعروفة باسم « بيلسيروبين » فى دم المصابين فثبت لديه أنها ترتفع ارتفاعاً متفاوتاً فى شدته تبعاً لقوة رد الفعل الشخصى دون أن يكون فى مجارى الصفراء أى انسداد وفى الكبد أية علة يسند إليها ارتفاع معدل المادة الملونة للصفراء فى الدم بالتحول، فأدرك بهذه الخطوة الموفقة أمرين هما الحلقة المفقودة فى علة الروماتيزم وفى علل أخرى كما سيأتى البيان . وأثبت أن الروماتيزم الحقيقى إنما هو نتيجة لثورة البنموكوك عند ما تضعف مقاومة الجسم ، وأن السم الذى ينبعث عنه إنما هو المسبب لالتهاب المفاصل كما أثبت فى الوقت نفسه أن ارتفاع معدل المادة الملونة للصفراء فى الدم فى هذه الحال ليس عبارة عن يرقان مَرَضىٍّ بل هو رد فعل داخلى قد يبدو تحت سيطرة الغدد الصماء لحشد ما يمكن « لشبكة آشوف » الفارشية أن تمد به الخلايا من مادتها الملونة للصفراء لمقاومة البنموكوك المجتاح بتلبيده فى الدم ثم حله ثم هضمه

وما احتفظ الدكتور فرح لنفسه بهذا الاكتشاف بل ذهب يكرر اختباراته وينشر عنها فى كبريات المجلات الطبية، وقد سبق أن أدلى عنها ببيان فى المؤتمر الثامن للاتحاد المصرى للأطباء عام ١٩٣٦ ونشر مثل هذا البيان فى مجلة لانسيت عام ١٩٣٧ ، وفى مجلة أمراض البلدان الحارة فى لندن عام ١٩٣٨ ، ثم عرضه على مؤتمر أوكسفورد العالمى فى جلسة ليمانفتون فدون فى محضره . فكان لما جاء به هذا الطبيب الوطنى من الملاحظة والاستقراء والتعليل شأن كبير لدى رجال الغرب المنقطعين إلى استكشاف مجاهل الجسم واستجلاء أسرار العلل فيه

وعند ما عقد المؤتمر الطبى العالمى فى بات من أعمال انكلترا فى أبريل سنة ١٩٣٨ ووقف النطاسى « هانش » يعرض مشاهداته السريرية عن تأثير اليرقان فى الالتهابات المفصلية والعضلية مكتفياً بسرد الحوادث دون الذهاب إلى تعليلها ، وقف مواطننا الدكتور فرح فتناول شرح هذه الظاهرة بما اكتشفه فى اختباراته طوال السنين من تأثير اليرقان تأثيراً ناجعاً فى الروماتيزم مثبتاً أن المادة الملونة للصفراء تلبد البنموكوك وتحله وهو أصل الداء فى ثورته . وهكذا جاء مواطننا فى مجتمع من أكبر المجتمعات العلمية العالمية بتعليل يعززه الاستقراء والتحقيق لظاهرة كان يقف عندها الأطباء كأنها تصادف بين حلول داء الروماتيزم وظهور اليرقان دون أن يعلموا أن ثورة البنموكوك هى كلمة السر فى حركة الهجوم والدفاع

أما الأمراض الأخرى التى اكتشف الدكتور فرح تأثير المادة الملونة للصفراء عليها ، فمنها ذات الرئة وبعض أنواع الربو والحمى القرمزية التى تهبط الحمى والنوب فيها ويتماثل العليل بها إلى الشفاء بمجرد ظهور اليرقان وانتشار المادة الملونة للصفراء لحل البنموكوك وإبادته . ومنها داء السل والحمى التيفوئيدية التى تجد جراثيمها مرتعاً ملائماً فى المادة الملونة للصفراء، فتؤدى إلى استفحال الداء على عكس ما يحدث فى ذات الرئة والروماتيزم والحمى القرمزية ، لذلك يعمد الجسم فى دفاعه إلى إنقاص معدل هذه المادة فى الدم حين يصاب بالعلل الأولى

وهكذا أثبت مواطننا أن هناك دفاعين : دفاعاً إيجابياً ودفاعاً سلبياً تؤمّنه الشبكة الفارشية لإمداد الجسم بقوى الدفاع عن سلامته بحسب نوع الجراثيم التى تجتاحه

هذا وإنك لتجد فى تقرير الدكتور فرح من تجاربه فى دم الأرنب ما يدلك على مبلغ دقته واجتهاده فى التوصل بالتجارب العملية إلى نتائج لا تترك مجالاً للشك فى صحة القاعدة التى يضعها، فقد تحقق أن الأرنب ذو مناعة طبيعية ضد التيفوئيد لأنه لا مادة ملونة للصفراء فى دمه ، ولكنه تمكن من قتل هذا الحيوان بهذا الداء بمجرد حقنه يومياً بهذه المادة بعد تلقيح دمه بباشلس ايبرت

وفى هذا التقرير عن سير السل وما يؤدى إليه ظهور اليرقان من اشتداد العلة ، والاتجاه إلى نزف الدم ، وعن الحمى القرمزية ، والربو وتأثير المادة الملونة للصفراء فيهما ، ما يطول إيراده تفصيلاً فى هذه المجالة .

وبعد أن أورد الدكتور بيانه مستشهداً باختباراته وبما جاء مؤيداً لها من اختبارات من أخذوا بنظريته من علماء الغرب يقول :

إننا لا نغالى إذا نحن أكدنا أن أشد أعداء الإنسانية خطراً إنما هى البنموكوك ، وباشلس كوخ لأن عليهما تقع تبعة أكثر

ما نشاهد من عاهات ، وما يقع من وفيات . هذا فضلاً عن أن أعراضهما المرضية تتخذ أشكالاً جد متعددة؛ وإذا ما احتلا مرتعاً من الجسم توافر الاستعداد فيه أو انكشف إحساسه فإن الأول يؤدى إلى الإصابة بالروماتزم الحقيقى، والثانى إلى ما يشبه الحقيقى، وإلى داء المفاصل على اختلاف أنواعه وفقاً للتفاعل الخاص فى كل فرد.

وبعد أن يعرض الدكتور البحاثة لأنواع الأمراض التى يلعب البنموكوك دوره فيها كذات الرئة والالتهابات الشعبية والربو والحمى القرمزية والسل يعود فيضع حدوداً للتمييز بين ما تثيره سموم البنموكوك وما تثيره سموم السربتوكوك من علل مختلفة مثبتاً تأثير المادة الملونة للصفراء وأملاح الصفراء على الروماتيزم الحقيقى بعد أن أثبت أن البنموكوك هو المسبب له عند ثورته

ومما لاحظه مما يؤيد اكتشافه هو أن المرأة المصابة بالروماتيزم تزول أعراض هذا الداء منها بمجرد حبلها، لأن المادة الملونة للصفراء يرتفع معدلها إطلاقاً فى دم الحامل طوال مدة الحمل

وقد حدد الدكتور فرح الأحوال التى تصح فيها معالجة المرضى بالحقن بالمادة الملونة للصفراء والأحوال التى تزيد فيها هذه المعالجة من خطورة الداء ؛ وهنا تظهر الدقة البالغة حدها فى الاستقراء إذ يتوصل البحاثة إلى تخطئة بعض دهاقنة الغرب فى اعتقادهم أن كل روماتيزم يمكن معالجته مطلقاً بالمادة الملونة للصفراء لأن هنالك أنواعاً من الروماتيزم السلى « بونسه » تزيد خطورتها عند المعالجة بالمواد الصفراوية

من الصعب أن يتوصل كاتب إلى تلخيص كل ما أورده الدكتور فرح فى تقريره من ملاحظات عززها بالرسوم العديدة المأخوذة عن مجالات المجهر ليبين التفاعل الذى تثيره مقاومة الجسم بين بعض أنواع الجراثيم والمادة الملونة للصفراء؛ فلمن تروق له هذه الأبحاث من غير الأطباء أن يرجع إلى المجلة الطبية حين صدورها ناشرة محاضرات أطباء البلاد العربية ولكل منهم أثر بين فى دقة الملاحظة فى الموضوع الذى تناوله مما يسجل للنهضة العلمية فى الشرق العربى ما يرد قول القائلين بانحصار العبقرية السامية ضمن نطاق الذات المستلهمة وقصورها فى الاستقراء والتحليل والاستنتاج فى رحاب العلم والتحقيق العملى

إن القصور فى نهضتنا لا يتجلى فى جهود الأفراد ولا فى استعدادهم فكرياً وعملياً ، بل القصور كله كائن فى هذا التفكك بل التناحر الذى يسود كل فئة من الجامعات فى أوطاننا، إذ بينما نجد التضامن سائداً بين تجار البلاد الراقية وزراعها وصناعها وأطبائها وعلمائها وأدبائها لا تعرض لك هذه الفئات عندنا سوى التناحر والمزاحمة مما يؤدى إلى تقلص الهمم وانكماش العبقريات على نفسها. وقلما تجد كاتباً لم تنزل به النوائب من كاتب ، أو تاجراً لم يزعزع تجارته تاجر ، أو زارعاً لم يقطع أشجاره زارع ، أو طبيباً لم يهزأ به طبيب .

تلك هى علتنا، وإن نحن سجلناها على أنفسنا فما نقصد مجاراة من قالوا بضعف طبيعة الشرق ونفور فطرته من كل تعاون ، إنما نسجل هذا العيب على أنفسنا ، وفى تاريخ أوروبا فى بدء نهضتها ما يشبه عيبنا بل ما يتعداه بمراحل؛ وليست وقائع كولومبس وغاليله وباستور متوارية وراء غياهب التاريخ . هذا وإننا نرجو أن يأخذ العقلاء بيننا بعبر الأيام وحوادث الدهر ليعملوا على لم الشعث وتوحيد الجهود وأن ينال علماء البلاد قسطهم من تعضيد الحكومة للنهوض بهذه الأمة المتفجرة ذكاء وعبقرية ونبلا فتتبوأ المقام الذى حق لها فى ماضى الحقب وهو حق لها فى آتى الزمان

فليكس فارس

دراســـات في الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الأدب يصور البيئة العامة

قلنا إن الأدب هو البيان المعرب عما يكنه ضمير الإنسان ، وما تشعر به عاطفته ، وما يصوره خياله من هذا العالم خيره وشره وجماله وقبحه ؛ فهو صورة للبيئة التي يعيش فيها ، والواقعات التي تنزل به ، والآلام واللذات التي يحسها ، والآمال والمكاره التي يرتقبها

يرى في إقليمه المروج والرياض في بهجتها ونضرتها ، والجبال والبحار في عظمتها وروعتها ، والغابات والصحارى في وحشتها ومخاوفها ، فيبين عما يرى كما توحى العاطفة ويصور الخيال

ويرى ألواناً من العيش الرغد أو العيش النكد ، وضروباً من السرور واللهو ، أو فنوناً من الحزن والغم

ويرى دولات من الظفر والغلب، وأخرى من الخيبة والهزيمة، فيتعاون على الإبانة عن هذا وذاك فكره وعاطفته وخياله

ويشهد شقاقاً في أمته ، ونزاعاً بين عشيرته ، أو يرى المودة والسلام والألفة والوئام ، فيطبع في نفسه صورة الشقاق والنزاع والحرب والطعان ، أو يتمثل في ضميره صور المودة والسلام والحب والأخاء

ويحيط به سلطان جائر يتحكم في فكره ووجدانه ، ويسومه صنوف الذلة والعذاب ، فيستنيم ويستكين حتى تموت المعاني في وجدانه ، وتجف الألفاظ على لسانه ، أو يأبى مجادلاً ، ويصيح مغاضباً ، ويتخذ البيان حجته وسلاحه ، وجداله وكفاحه

أو يتاح له سلطان عادل صالح يوسع له في الحرية ما وسعت الحرية الصالحة ، فينطلق فكره في العالم ، ويترجم عما يدرك ويشعر جهد بيانه ، وملء قلمه ولسانه ، لا يخشى حسيباً ، ولا يخاف رقيباً

ثم البيان في هذا كله على قدر الفكر الساذج والمعارف القليلة ، أو العقل الواسع والعلم الغزير ، يختلف باختلاف مدارك القائل ومعارفه ، ومشاهده وتجاربه

تغير الأدب

فإن يكن الأدب صورة للبيئة والحادثات ، وترجاناً لحالات الأمة ومشاعر الإنسان فتغير هذه الأمور يغير الأدب . فإن كان التغير ارتقاء إلى الأحسن والأعلى مثل الأدب هذا الارتقاء ، وإن كان ارتكاساً في القبيح والأدنى صوّر الأدب هذا الارتكاس. فالأمم تختلف آدابها باختلاف بيئاتها وأحوالها ، والأمة الواحدة تتغير آدابها بتغير عصورها وأطوارها ، والأفراد في الأمة الواحدة تختلف آدابهم باختلاف فطرهم ومشاهدهم ، وافتراق حظوظهم من العيش ، وأنصبائهم من المعرفة . وهلمّ جرّا

المؤثرات في الأدب

فالمؤثرات التي تغير الأدب كثيرة متشابكة ، ظاهرة وخفية يعسر إحصاؤها والإحاطة بها ، ولكن يمكن تمداد أصولها فيما يأتي:

(ا) البيئة الطبيعية :

إذا تغيرت بيئة الإنسان تغير أدبه ارتقاء أو انحطاطاً، أو رقياً في ناحية ونزولاً في أخرى . والتغير هنا له سببان : الأول اختلاف المرائي والموضوعات بين البيئة الحديثة والبيئة القديمة ، والثاني تغير الإنسان نفسه بتأثير البيئة وذلك لا محالة يظهر في أدبه

فالعرب حينما هجروا مواطنهم في الجزيرة إلى العراق وفارس والشام ومصر والمغرب والأندلس تغير أدبهم تغيراً واضحاً : ضعف إحساس البداوة القوى الذي يظهر في وصف الصحراء والإبل والخيل وحُمُر الوحش والظباء والنعام ، وفي وصف السفر والكد والحروب — واستبدلوا به رفاهية الحضارة ورقة شعورها . فنشأ الشعراء الذين عرفوا في الأقطار الإسلامية بعد أن اطمأنت الأجيال العربية إلى البيئات التي طرأت عليها

(ب) واختلاف أحوال الحضارة ومنها :

١ — الحال العقلية : فشيوع العلم والفلسفة واتساع المعارف يجعل الأدب أعمق . وأشمل لحقائق العالم ودقائق الطبيعة والحياة . فشعراء الدولة العباسية وشعراء الأندلس (مثلاً) أبعد غوراً

وأوسع مجالاً فى تفكيرهم، وتصويرهم من شعراء الجاهلية، وصدر الإسلام.

وتأثير المعارف فى الأدب يظهر فى النثر أكثر من الشعر. لأن النثر أولى بمباحث الفكر، وأقبل للنظر العميق؛ ولذلك نرى سمة المعارف أبين فى كتابة ابن المقفع والجاحظ، وبديع الزمان والتوحيدى، وابن العميد، وابن شهيد، منها فى شعر أبى نواس والبحترى وأبى فراس. وربما يقارن انتشار العلوم ضعف الأدب لأسباب أخرى كسوء السياسة، وقلة المكافأة، والإسراف فى الترف. وليس الضعف من انتشار العلوم، ولكن من هذه الأحوال المقارنة(١)

فإذا رأينا القرن الخامس الهجرى أوسع علماً وفلسفة من القرنين الثالث والرابع ولكنه فى الجملة أضعف أدباً منهما، فذلك لا يرجع إلى اتساع المعارف بل يرجع إلى أسباب أخرى

وإذا رأينا الأدب قليلاً بين العلماء المنقطعين للعلوم فذلك بما أغفلوا الأدب أو قلت عنايتهم به؛ أو لأن فطرتهم التى وجهتهم إلى درس العلوم لا يلائمها درس الآداب. فأما إذا تساوى اثنان فى الفطرة الأدبية والاتجاه إلى الأدب فأوسعهم معرفة أعظمهم أدباً وأقرب إلى نفوس الخاصة من الناس. وربما يفوقهم الآخرون حظوة عند العامة بما شاركوهم فى الشعور ولم يرتقوا عنهم بالمعرفة والفكر كثيراً

٢ — الأحوال الاقتصادية:

إذا شغلت الأمة بتحصيل قوتها وأنفقت معظم وقتها فى كسب معيشتها لم تزدهر فيها العلوم والآداب والصناعات. وإذا وجدت فراغاً بعد تحصيل القوت انصرفت إلى شئون الحضارة من العلم والأدب وغيرهما

فانتظام ثروة الأمة ورغد عيشها يُعين على إزهار الآداب بما تجد النفوس من فراغ وبما يكثر أمامها من ألوان الحضارة وبدائع الصناعة والعمران التى تحرك الشعور للبيان

وانظر الحجاز قبل الإسلام وفى صدر الإسلام ثم بعد قرون تجد خلافاً بيناً فى الثروة وفى الشعر. فالعرجىّ وعمر بن أبى ربيعة وكُثيِّر وابن قيس الرقيات، يبينون عن شعور دقيق وإحساس رقيق لم يكن لشعراء الحجاز قبلاً

وانظر ما فملت مرائى الحضارة بالبحترى فى وصف قصور الخلفاء، وما وصف شعراء الأندلس من مظاهر العمران والنعيم

وإن يكن إلحاح الفقر أحياناً يجوّد الأدب فى بعض الناس فذلك يكون فى أمة قد مكّنتها ثروتها العامة أن تنتج أدباً. وأما الأمة التى يعمها الفقر وتُبرِّح بها الفاقة، فلا ينبغ فيها أديب إلا على الندرة والشذوذ

عبد الوهاب عزام

(١) وقد يفسر هذا بأن النبوغ العلمى والأدبى يظهران معا، ولكن الأدب يزهر سريعا، ويذبل سريعا لدورانه على العاطفة، والأمور النفسية. والعلم يحتاج إلى مقدمات عقلية، وأطوار فكرية طويلة إلى أن يحيط الناس بمسائله. ثم إذا أحاطوا بها بقيت العقول قادرة عليها زمنا طويلا وإن ضعف الشعور، وخدت العواطف — ألسنا نرى ثوارت العواطف فى الانسان سريعة قصيرة — وحالات العقل من العلم والتذكر والحفظ، ونحوها طويلة المدى. فكذلك حالات الأمم فى العواطف وما يتصل بها والعقل وما يتصل به.

على هامش الفلسفة

طريقة الأخلاق أيضاً

للأستاذ محمد يوسف موسى

إذا كان استنتاج الأخلاق من الدين وربطها به حسب ما كان يراه رجال الدين المسيحيون منقوداً كما رأينا ، فهل من الممكن استنتاجها من معين آخر ؟ ذلك ما حاوله كبار فلاسفة ما وراء الطبيعة .

شغل كثير من الفلاسفة أنفسهم ببحوث ما وراء الطبيعة التي أهمها تعرّف القوة الوجودة لهذا الكون والتي إليها الأمر والنهي وهي مصدر الخير كله ، ثم استنتاج الأخلاق منها ، سواء منهم من تقدم بهم الزمن أمثال أرسطو وأفلاطون أو من تأخر بهم أمثال : دِيكارْت[1] ، لِيبْنز[2] ، سْپِينُوزا[3] ، مَالْبْرَانْش[4]

هذه الأخلاق المبنية على مباحث ما وراء الطبيعة لها حظها من السمو والجلالة بجعلها للخلقية الإنسانية معنى كبيراً نبيلاً إذ تربطها بالله الدلى الحكيم . على رغم ما بين علماء ما وراء الطبيعة من اختلافات جوهرية في حل مشكلة العالم ، نراهم جميعاً متفقين على الاعتقاد بأن للمرء عقلاً نظرياً يصل من نفسه بلا حاجة لتجربة ولا لشيء آخر إلى معرفة الحقيقة المطلقة أي إلى معرفة الله تعالى ، ومن هذه المعرفة العالية المباشرة تصدر الأخلاق . فالله هو مصدر كل حقيقة موجودة ، والكائن الكامل ومبدأ الحياة الأخلاقية ؛ فكرة الكمال هذه هي نقطة التحول مما وراء الطبيعة للأخلاق . كما أن نسب الكثرة هي موضوع الرياضيات ، تكون نسبة الكمال موضوع الأخلاق والأساس الذي نبني عليه حكمنا على الأشياء والأعمال . الدابة كما يقول مالبرانش أوفر حظاً من التقدير من الحجر لأنها أقرب منه للكمال . والأمر على العكس بين الدابة والإنسان لأن نسبته من الكمال أوفى وأكبر من نسبتها منه ؛ فالذي يحترم مثلاً حصان عربة أكثر من سائقها يكون ضالاً في حكمه متنكباً سواء السبيل . كذلك من الواجب أن نلاحظ أنه يوجد في المرء نسب متفاوتة من الكمال بين مختلف أعضائه ، وهذه النسب تتباعد تارة وتتقارب أخرى إلا أنها تتفاوت على كل حال ؛ فالروح مثلاً أكمل من الجسم ، والعقل أكمل الحواس

من أجل هذا يجب أن يعيش المرء كانسان لا كحيوان ، وأن يكون في سلوكه حسب النظام الذي يوحى به إليه أكمل ما وهبه الله وهو العقل ، ومعرفة هذا النظام هو أصل الخليقة . يجب على المرء أن يحيا طبقاً لأكمل عضو إنساني فيه وهو العقل الذي يؤلف بين الناس ، بينما تفرقهم الشهوات والعواطف والمصالح الخاصة . بسلوك المرء هذا السبيل يصل للسعادة . ليس القصد السعادة الخارجية التي مردها الحظ أو الثروة أو الجاه أو كل ذلك وأمثاله معاً ، بل السعادة الداخلية والغبطة النفسية التي هي أسمى ما يطمح إليه إنسان والتي ينالها المرء من التخلق بالفضيلة والوصول للكمال بالقدر المستطاع .

بهذا ونحوه يؤكد فلاسفة ما وراء الطبيعة إمكان استنتاج الأخلاق من تلك الأبحاث . إلا أن هناك صعوبة لا يسعنا تجاهلها تقف دون نزولنا على ما يريدون . أمامنا تاريخ الفلسفة يؤكد لنا بلا ريب أن الآراء في جميع مسائل ما وراء الطبيعة ، والحلول التي عرضت لمشاكلها كانت جد مختلفة على نحو لم يعهد في الآراء الأخلاقية التي يرون استنتاجها منها وابتناءها عليها . حقاً من الممكن أن نقرر بلا مغالاة تقارب النظريات الأخلاقية في المثل العليا الأخلاقية ؛ هي تأمر بفضائل واحدة ، بينما لا نجد مثال هذا التماثل ، ولا قريباً منه في حلول مشاكل ما وراء الطبيعة . من السهل أن نأخذ كثيراً من الآراء الأخلاقية عن سقراط ، أو أفلاطون أو أرسطو ، أو سبينوزا مثلاً دون أن نتقيد بشيء ما من آرائهم فيما وراء الطبيعة . ذلك معناه أن معين الأخلاق ليس فلسفة ما وراء الطبيعة، لهذا نرى أن هؤلاء الفلاسفة في حاجة شديدة لمهارة جدلية فائقة لربط المبادئ الأخلاقية التي جاءتنا عن

(١) أحد فلاسفة الفرنسيين وأعلام رجال ما وراء الطبيعة والهندسة (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) اشتهر بمباحثه فيما وراء الطبيعة وبمذهبه في الشك الذي ابتدأ بانكار كل شيء وانتهى باثبات وجود الله .

(٢) عالم وفيلسوف ألماني شهير (١٦٤٦ ـ ١٧١٦)

(٣) فيلسوف هولندي معروف (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧)

(٤) أحد فلاسفة ما وراء الطبيعة الفرنسيين (١٦٣٨ ـ ١٧١٥)

الضمير الإنسانى ، والتى أمدتنا بها أمثل التقاليد العالية الإنسانية بآرائهم فى مسائل ما وراء الطبيعة . وإذاً فلنقل بحق إن ربط الأخلاق بما وراء الطبيعة ليس إلا سفسطة فى الغالب من الحالات

إذا كان لم يسلم استنتاج الأخلاق من فلسفة ما وراء الطبيعة، كما لم يسلم القول بأخذها من الدين على النحو الذى أسلفنا ، فهل من الممكن استنتاجها من بعض العلوم ؟ هـذا ما رآه « أوجست كونت[1] » إذ بنى أخلاقه على العلم الذى تنتهى إليه العلوم ، وهو علم الاجتماع

علم الاجتماع يقرر أن الفرد ليس إلا أثراً من آثار المجتمع والإنسانية . الإنسانية هى الموجود الأكبر الذى يستمد الفرد منه كل كيانه ومقوماته ، فهو يتقبل من المجتمع الماضى والحاضر كل ما له وكل ما هو . ما نأكل وما نلبس وما نتمتع به فى مختلف مناحى الحياة ليس إلا نتيجة عمل الإنسانية الخالدة التى لا تفتر عن العمل لحظة من اللحظات لخير المجتمع كله . أليس ما ننعم به اليوم من سيارات وطائرات وراديو ولاسلكى وكهرباء بعض أعمال شركائنا فى الإنسانية الذين عانوا فى سبيل ابتداعها أو كشفها كثيراً من الآلام وعملوا لأجلها مالا يستهان به من التضحيات ؟ ثم من الناحية العقلية والأدبية نجد اللغات والعلوم والآداب إرثاً اجتماعيا أمدتنا به الإنسانية على طول الأيام .

لهذه النظريات الاجتماعية يستنتج « كونت » هـذه النتيجة الأخلاقية وهى : أن الفرد يجب أن يعيش لأجل العائلة والإنسانية ، وبعبارة أخرى يجب أن يكون مبدأه « الحياة لأجل الغير » . إذن تكون الأخلاقيـة أو الخلقية هى أن نمكن للايثار على حساب الأثرة . بل يقول أحد من يرون هذا الرأى وهو الأستاذ « جوبلو Gobolot » : « ليس الإحسان عطية يقطعها المرء من ماله ، بل هو تعويض واجب عليه دفعه »

حقاً هذا استنتاج جميل تعلق به الأفئدة ويتفق مع أعلى التجارب الأخلاقية للانسانية ، ولكن نقطة السير فى هذه الأخلاق المبنية على هذه النظريات ليست من القوة والتسليم بحيث تفرض نفسها على العقل بطريقة جازمة . كون الفرد ليس إلا أثراً من المجتمع محل نزاع قوى . الضمير النفسى الذى يكشفه الإنسان فى نفسه حقيقة من الحقائق ، أل « أنا » حقيقة يقينية لا شك فيها ، بل ربما كانت الحقيقة الآكد من سواها . لأنه كما يقول « ديكارت » : « من الممكن أن أشك فى العالم الخارجى ولكن لا يمكن أن أشك فى شكى هذا . لا يمكن أن أشك فى فكرى . ليس من الممكن أن أشك فى وجودى ككائن مفكر . إذن أنا أفكر فأنا موجود »

ثم هذا الاستنتاج الكُونتى يصلح حقيقة لإنارة النفوس المتشبعة بالمثل الأعلى الأخلاق ، إلا أنه لا يفرض نفسه منطقياً على كل النفوس والعقول . هذا امرؤ يعتقد الواجب ويؤمن به ، فحينما يفهم أنه صنيعة العالم والإنسانية وأنه بدونهما لا يكون شيئاً ، يجد من المنطق أن يرد الجميـل وأن يحيا فى سبيل الغير . وذاك الذى ليس عنده أية فكرة سابقة عن الواجب ، أية مخالفة للمنطق فى قبوله كل مقوماته من المجتمع دون أن يرد له شيئاً ، حقيقة ليس من الأخلاق أن ينفق المرء فى سبيل لذائذه الأنانية الأموال التى جمعت بطريق الغير ، والقوى المركزة فيه من الأسلاف السابقين . لكن هذا إن لم يكن من الأخلاق ليس من السهل وصفه بأنه لا يتفق مع الروح العلمية المنطقية

والنتيجة العامة بعد ما تقدم كله أنه لا يمكن استنتاج أخلاق صالحة مقبولة من الجميع من الدين — على نحو ما كان يفهم رجال الديانة المسيحية — أو من فلسفة ما وراء الطبيعة أو من علم الاجتماع الذى يعتبر نهاية العلوم . إذن فلنترك مؤقتاً الطريقة الاستنتاجية ، ولنوجه البحث نحو الطريقة الثانية وهى الرجوع فى الأخلاق إلى الحاسة الإلهامية ، وإلى اللقاء إن شاء الله

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

* * *

فى العدد رقم ٣٠٠ كلمة الحاسة الأخلاقية ، وصحتها : الحاسة الأخلاقية وكلمة رجاء الصواب ، وصحتها : رجاء الثواب

(١) أحد الفلاسفة الفرنسيين الباحثين فى الرياضيات ومؤسس الفلسفة الوضعية (١٧٩٨ — ١٨٥٣)

ربيع وربيع !

هذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة ويا طفلتى الجميلة : صفاء من سلام النفس يفيض بشراً فى العين وطلاقة فى الوجه ، ورُواء من ألَق الشباب يشعُّ نوراً فى السماء وسروراً فى الأرض ، ورخاء من نعيم الطبيعة ينتشر عطوراً فى الجو وزهوراً فى الروض ، وانتشاء من رحيق العيش يشيع لذة فى الحس وبهجة فى القلب ، وهدهدة على أرجوحة الحب تذهب مع الأمل الباسم وترجع مع الرضى السعيد



***

هـذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة ويا طفلتى الجميـلة : استغراق فى أمان الله ، وانطلاق لمتاع الحياة، واتساق ربيع العمر مع ربيع العام ، واتحاد الجمال البشرى بالجمال الإلهى الماثل فى وِشاء الحقول وأفواف الخمائل وأعطار النسيم وألحان الطير وأنفاس الأحبة . فأين — بالله ربكما — أجد الفرق بينكما وبين ملكين يعتنقان فى نشوة الخلد ، ويأتلقان فى وضاءة الفردوس ؟ أفى النظرة الساهمة ، أم فى البسمة الحالمة ، أم فى الفتنة النائمة ، أم فى الخلو الحقيقى بالطهر ، أم فى الحنو الخليق بالأمومة ، أم فى الذهول الغريق فى اللذة، أم فى الصبى الذى يضوع بريح الجنة، أم فى الحلم الذى يصل باللانهاية ؟

***

هذا ربيعكما يا فتاتى الفاتنة ويا طفلتى الجميلة ؛ وما كان أحرى الناس أن يكون لكل امرئ ربيع مثله ! ولكن النفوس إذا عاث فيها الشر أجدبت فلا تُربع ، واضطربت فلا تطمئن !

هذا ربيعنا يا زهرتى النضيرتين يلفح بالسَّموم ويطفح بالهموم ويضطرم بالعداوة ! كأنما استخلف الله الشياطين على حكم الأرض؛ ففى كل دولة إبليس ، وفى كل أمة جهنم . ومن طباع الأبالسة كراهة الفراديس . فهم لا يريدون سلاماً فى وطن ، ولا يحبون ربيعاً فى زمن ، ولا يدعون آدم فى جنة . هذا مَفيستو فولِس النازى وشمهورش الفاشى أصابهما الله بنمو القرون فجأة ، فتألَّبا وتألها ونازعاه ملكوت الأرض ، فأحدهما يريد أن يعبده الغرب، والآخر يريد أن يعبده الشرق ؛ وهما لذلك يحشدان كل ما فى الجحيم من سُموم ونيران وحُمم ليدمرا فى أيام معدودات سكان الدنيا وحضارة الدهر ! والعالم كله قد وقف أمام الشيطانين موقف الدفاع ، لا تنتج معامله غير الخراب ، ولا تخرج مصانعه غير الموت ، ولا تحرك دوله غير الجيوش، ولا يفكر ناسه إلا فى الحصون والخنادق والأسلحة والمخابئ والأقنعة !

فكيف يكون لربيعنا فى هذا الجدب ازدهار ، ولنفوسنا على هذا الفزع استقرار ، ولحضارتنا مع هذا البلاء استمرار ، ولحياتنا على هذه الحال المحزنة جمال ولذة ؟!

لعن الله يا ابنتى حواء شياطين الإنس وشياطين الجن ، فإنهم لو لم يخلقوا لكانت الأرض كلها جنة ، والناس كلهم ملائكة ! . . .

ابن عبد الملك

من ذكريات شم النسيم

يوم لا أنساه ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

كان ذلك فى طنطا منذ ست سنين ، وكنا جماعة من مدرسى اللغة العربية قد جمعتْنا على الوداد أواصر لا تنفصم ، فما نفترق إلا على ميعاد . وكان لنا من دار صديقنا أمين ... ندوة نختلف إليها فى مواعيد رتيبة ، نقرأ ونتزوّد ونناقش الجديد من مسائل العلم والأدب ، لا يكاد يفوتنا شىء مما تخرج المكتبة العربية ؛ فإذا التقينا فثمة مذاكرة أو مناظرة أو رأى جديد ؛ وإذا افترقنا فلكى يخلو كلٌّ منا إلى نفسه وقتاً يتهيأ فيه لموضوع يطرحه على الجماعة فى الاجتماع التالى ؛ وما كانت الفترة بين الاجتماعين تزيد على يومين اثنين ...

كنا نعيش عيش الرهابين قد فرغوا من الدنيا وأخلصوا أنفسهم لما هم فيه ؛ فما لهم من دنياهم إلا التسبيح والعبادة ، وما لشىء عليهم من سلطان إلا ما اختاروا لأنفسهم !

وجاء « شم النسيم » فقال قائل منا : « أين تقترحون أن نقضى ذلك اليوم ؟ »

وما اختلفنا على الرأى ، فما كان يعنينا أين نقضى يومنا ، إذ كان كل ما يعنينا أن نكون معاً نعمل ما نعمل على النهج الذى فرضناه على أنفسنا منذ تعارفنا : أى نقرأ ونتذاكر !

واجتمع رأينا على أن نخرج فى ذلك اليوم إلى ضاحية قريبة من المدينة لا أسميها ، حيث نقضى يومنا هناك فى مصلًّى كبير يعرفه بعض أصحابنا على حافة تُرعة من تلك الضاحية ...

والتقينا على موعد قبيل الشروق وما أفطرنا بعد ، فاتخذنا طريقنا بين الحقول الناضرة إلى حيث نريد ، يحمل كل منا فى يده أو تحت إبطه ما يقدر عليه من طعام وفاكهة وحلوى ، ومن دفاتر يقدّر أن سيقرأ منها ما يقرأ فى ظل شجرة الصفصاف الحانية على ذلك المصلى ... ولم يغب عنا تدبير الماء الرائق ، فحملنا ما يكفينا فى زجاجات بأيدينا . ولم يتخلف عن الجماعة فى ذلك اليوم إلا صديقنا الذى اختار لنا هذه الرحلة ، لأنه آثر أن يسافر لزيارة خطيبته فى القاهرة ، وقد أراد الله لنا وأراد له ...

سارت الجماعة اثنين اثنين ، وثلاثة ثلاثة ، نتجاذب أطراف الحديث فى صفاء وانشراح ؛ لا يكاد يخطر فى بالنا شىء إلا ما يجرى على ألسنتنا من فكاهة أو حديث مرتجل ...

وخلّفنا المدينة وراءنا ، فما تقع عيوننا إلا على زرع وماء ، وقطرات الندى تلمع على أوراق البرسيم صافية تترقرق ، وأشعة الصبح تداعب عِشاش الطيور فى أعالى الشجر ، والنسيم الرقراق يهمس فى آذاننا بشرى ميلاد يوم جديد من أيام الربيع الضاحك !

واستخفّنا الطرب ؛ فأخذنا نمزح لاهين عابثين ، وتخففْنا من بعض ما كنا نحمل على كواهلنا من وقار ، وانبعثت فينا روح جديدة لم يكن لنا بها عهد فى أنفسنا قبل ، فإذا نحن ناس كالناس حين تصفو لهم الحياة ويعتدل الجو ...

ومددت نظرى إلى بعيد ، فإذا المرحوم الرافعى على مدّ البصر يمشى على حافة قناة بين زرعين يتنسم نسيم الصباح ، شأنه كل يوم[1] . قلت لصحابتى : « وهذا رفيق مؤنس ! » ثم أقبلت عليه أسأله أن يرافقنا ؛ فقال : « وددت ولكن فى غير هذا اليوم ... أسأل الله لكم العافية ! »

* * *

ومضينا على وجهنا نمزح ونضحك لا يعنينا من أمر شىء ؛ وأغفلْنا ما كنا نلتزم من تزمُّت الشيوخ ووقار المعلمين ؛ وكان صديقنا (م) أسرعَنا إلى التخفُّف من وقاره على أنه أكبرنا سنًّا ؛ فلما ثقل عليه ما يحمل من طعام وماء وكتاب ، خلع المعطف الأبيض عن كتفيه ، فبسطه على الأرض ، فألقى عليه ما كان يحمل ، فَصَرَّه فيه وحمله على كاهله . ورافقْ فكرتَه زميلاً منا ، فألقى إليه بما كان يحمل كذلك ، وتعاونا على حمل المعطف من طرفيه وعليه ما عليه كما يُبسط بساط الرحمة فى جنائز بعض الموتى ...

... ورأينا باباً جديداً إلى المزاح ، فألقى كل منا فى المعطف بما كان يحمل ، وتركنا لزميلينا أن يحملا وحدهما ما كنا نحمل جميعاً ، لنفرغ إلى المزاح والسخرية والضحك !

ودنونا من المكان الذى نريد ؛ وبدت لنا القرية على مقربة ؛ فمررنا بنسوة يملأن جرارهن من الترعة على مورد قريب من المصلى الذى نهدف إليه ؛ فما كدن يريننا حتى استهواهن النظر ، فقذفن إلينا بعض نكات مازحات فى مرح ، أو عابثات فى دلال !

(١) انظر كتابنا « حياة الرافعى » ص ٢٧٤

أما طائفةٌ منا فعادَهم وقارُ المعلمين وتزَمُّت الشيوخ ، فطأطئوا رؤوسهم يهرولون فى خجل إلى حيث يريدون؛ وأما طائفةٌ فأجابت نكتة بنكتة ونادرة بنادرة ...

وبلغنا المصلَّى وتركنا النساء حيث كنّ ... وخلعنا أحذيتنا ، وتخفَّفنا من بعض ثيابنا ، واتخذنا من أغصان شجرة الصفصاف مشجباً نعلق عليه من طرابيشنا ومن ثيابنا ؛ وافترشنا الأرض وبسطنا السفرة نأكل ..

... وجلس اثنان يداولان الرأى فى مسألة ، وانتحى اثنان من المصلى ناحية ، وتناول خامس كتاباً بين يديه ، وتوسد سادس ذراعه ، واشتغل كل بشأن ...

وخلع « زهران » طربوشه ، فبدت صلعته مصقولة لامعة تحت الشمس ؛ فما تعرف أين ينتهى جبينه وأين يبدأ رأسه . . . وكانت مادة حديث ...

ومر بنا طائفة من الفلاحين فنظروا نظرة ثم مضوا يتهامسون، ووقف غلامان يشيران إلينا من بعيـد ، وتجاوزنا طفلان يُلقى أحدهما فى أذن صاحبه حديثاً يضحك منه ...

وتثاءب زهرانُ وتمطَّى وقال لى : هل لك أن تسابقنى عَدْوًا على هذا الطريق ؟ فأجبته إلى مادعا ... ولم أكن أعلم أن ثمة شراً يتربص !

وأخذنا نعدو ليس فى أرجلنا نعل تقينا وخزات الحصى ، ورأسى عار إلا من الشعر ، ورأسه عار من كل شىء !

وترامت إلينا كلمات ساخرة وعبارات لم تألفها أذناى ؛ فنال منى أن يسخر الفلاحون منى ومن صديقى ... وأتممنا فى السباق دورة ؛ وهممت أن أجلس لأستريح ، ولـكن صديقى أباها علىّ ؛ وعدنا إلى السباق ، وعادت كلمات الساخرين تسك مسمعىّ !

وقلت لصديقى : « تعال نَعُدْ إلى إخواننا ! » ولـكنه وقد كان رأسه موضوع السخرية ومحور حديث الساخرين ، أبى إلا أن يأخذ بحقه !

إن الفلاحين فى مصر لأكرم نفساً وأرحب صدراً من ذلك ؛ فما كان بهم أن يسخروا منا ولـكنهم أرادوها تحرشاً وكيداً . . .

ترى ماذا ظنوا بنا فحملونا على مالم نكن نقصد إليه ؟

وكان ثمة غلام فى يده منجل يحش به البرسيم ، وعلى شفتيه كلام ، فقصد إليه صاحبى يعتب عليه معتبة ؛ فما كانت إلا كلمة وجوابها ثم رأيت المنجل المسنون يحز فى يد صاحبى فيسيل دم ...

وتجاوبت فى الفضاء صيحتان ، ثم سال الوادى فتياناً وكهولة مسلحين بالعصى والهراوات والشر يلمع فى عيونهم !

وأُحيط بنا فما وجدنا سبيلاً إلى الخلاص ، واشتجرت العصىّ على رءوسنا وأبداننا فلا نجد ما نحتمى به إلا أن نعقد من أيدينا على رءوسنا مِجنّةً تقينا ضربةً قاتلة ؛ وحاولنا الـكلام فما أطقنا، ولو أطقنا لـما وجدنا فى هذا الجيش الثائر من يسمع ؛ وأسلمنا أرجلنا للريح نعدو ونتعثر وما تزال العصىّ تنال من أبداننا وهم يحصبون أرجلنا بالحصى والحجارة ...

ورأى أصحابنا على مبعدة ما نالنا ، نخفُّوا إلينا سراعاً حفاةً عراة الرءوس ؛ فما كان سعيهم إلا لينالوا نصيبهم من هذه المعركة الدامية ؛ معركة لم يكن لنا فيها يدٌ ولا لسان وما نعرف لها من سبب ! وأسرع من أسرع منا إلى دار العمدة يستعينه على تهدئة هذه الفتنة فأغلق دونه بابه ...

وما كان لنا من وسيلة للدفاع عن أنفسنا غير الهرب ، وهيهات . . . !

وبلغْنا المصلَّى عدْواً فقذفنا بأنفسنا بين متاعنا نلتمس الحماية والأمن فى جوار الله فما أجدى ذلك علينـا . واشتدتْ هجمة الفلاحين علينا ، فإذا نحن محصورون بين نارين : العدوّ من أمامنا والبحر من ورائنا !

وأسرع واحدٌ منا إلى المتاع يجمعه فصاح منهم صائح : هذه هى الزجاجات ! وقال آخر : يشربون الخمر فى بيت الله ! وقال ثالث : ويل لهؤلاء الفجرة !

... وفى هـذه الُحمَّى الثائرة ثاب إلىّ عقلى ففهمت ، فابتسمت ، وإن الدم ليسيل من يدى ومن جبينى ! لقد انكشف السر . . .

وما أدرى ماذا كان بعد ؛ فقد سقطت على أرض المصلَّى فاقد الرشد !

وأفقت بعد قليل ، وإن الماء الذى كانوا ينضحون به وجهى ليصل إلى كل جزء من جسدى ؛ وكان شيخ البلد جالساً يحقّق ويدقق وقد أحاط به أصحابى مكلومين ملطخى الثياب بالدم والوحل كأنهم أشلاء معركة !

... وعرفت القرية كلها بما كان ، نخفّ إلينا شيوخها وأعيانها معتذرين يحاولون أن يزيلوا من أنفسنا ما كان من أثر هذه المعركة المشئومة !

وقال العمدة معتذراً : « أحسب أن أثرها سيزول من أنفسكم بعد إذ عرفتم ما كان من ظنهم بكم وإن قريتنا لكريمة مضيافة ؛ فما استفزَّ أشرارها إلى ما كان إلا اللعينُ الذى زوَّر عليهم الخبر بأنكم تشربون الخمر فى مُصَلَّى القرية ... ! »

وما زال بنا العمدة وحاشيته حتى صفحنا وتناسينا ؛ ولكننا على ما بنا لم نطق بقاء فى القرية بعد ، فحملنا متاعنا وفارقنا القرية قبل أن ينتصف النهار ، يشيعنا بالاعتذار من شيَّعنا من أهلها ، وما منا أحدٌ إلا فى وجهه أثر بادٍ يشير إلى ما كان !

فلما صرنا على مقربة من المدينة ، وقد عاد المشيعون من أهل القرية أحسسنا التعب ، فجلسنا فى ظل شجرة على الطريق نستريح ، وهممنا أن نبسط ما كان معنا من طعام شهى لنأكل ، فما وجدنا فى أنفسنا رغبة ، فتركناه لجماعة من القرويين لم ننتفع منه بشىء !

وأخذنا نسترجع ما فات ، فتعاهدنا على الكتمان حتى لا يعلم أحد بما نالنا ، فإن لنا فى المدينة لسمعةً نحرص عليها أن تنوشها ألسنة السوء بالباطل ؛ ثم أصلحنا من ثيابنا ما استطعنا واستأنفنا السير إلى بيوتنا فبلغناها عند الأصيل ... وقضيتُ فى فراشى بضع عشرة ساعة أتلوّى من الألم لا يحسّ أحدٌ ما بى ...

وفى الصباح توكأت على نفسى إلى المدرسة لا تكاد تحملنى قدماى ، فى غيظ مكظوم وألم صامت . ولقيت فى المدرسة بعض رفقائى فى الرحلة المشئومة ؛ فأكدنا ما تعاهدنا عليه أمس من كتمان ما كان ...

وسألنى ناظر المدرسة عن بعض ما ينكر من حالى فتعللتُ بعلة ، وسأل زميلىَّ فما أخطآ الاعتذار !

وتحدثت إلى سائر زملائى فى مدارسهم بالمسرة لأطمئن عليهم فأجابونى . وانتصف النهار ، وإذا داعٍ يدعونى من حجرة الدراسة إلى لقاء جماعة من الزُّوَّار ، فذهبت إليهم حيث كانوا فإذا عمدة القرية وجماعة من حاشيته وبينهم زميلاى وناظر المدرسة ، وابتسمتُ وابتسموا ، وقال العمدة : « لقد جئت لأكرر اعتذارى وأسألكم الصفح ! »

ونال منى الغيظ ، فقلت : « لقد كنت صفحتُ أمس ، أما اليوم فلا ، ما دمتم أذعتموها بعد كتمان ! » ولم أستطع أن أغالب الضحك جواباً على فكاهة رائقة من ناظر المدرسة . وعاد العمدة الغبىّ يقول : « لقد مررت بإخوانك جميعاً فاعتذرت إليهم فى مدارسهم . إننى منذ الصباح أطوف المدينة على قدمىّ ألتمس الوسيلة إلى رضاكم ؛ ولكنى لم أذهب بعد إلى الأستاذ فلان المدرس بالمعهد الدينى ، وهأنذا ذاهب إليه ! »

قلت : « فلان المدرس بالمعهد الدينى ؟ حسبك معذرةً ؛ سأنوب عنك فى الاعتذار إليه ، وقد صفحتُ وصفح إخوانى ! »

وما جاء المساء ، حتى كان الخبر على كل لسان فى المدينة ؛ فقائل يقول : « أخزاهم الله ؛ لقد انكشف مستورهم ! » وآخر يعقّب : « يا شيخ ؛ حسبهم ما نالهم ! »

* * *

ولقيت الرافعى بعدها فقال لى شامتاً : « ... هو ذلك . إن الشر ليتربص بالمسلم الذى يحتفل لهذا اليوم أكثر مما يحتفل لمطلع المحرَّم ! هذه وصية أب ! »

وما ذقت حلواً ولا مراً مرة واحدة فى يوم شم النسيم من بعد !

محمد سعيد العريان

التاريخ فى سير أبطاله

أحمـــــد عرابى

أما آن التاريخ أن ينصف هذا المصرى الملاح
وأن يحدد له مكانة بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ما زالت انجلترة وفرنسا بالسلطان حتى استطاعتا إقناعه بعزل إسماعيل نخلفه على أريكة مصر ابنه توفيق ، وفى عهد توفيق قدر لمصر أن تنبعث فيها ثورة وقدر لأحمد عرابى أن يكون زعيم تلك الثورة ...

وما أشبه توفيقاً فى هذا بلويس السادس عشر ذلك الملك المسكين الذى قال عنه بعض المؤرخين إنه ورث عن أسلافه الثورة والعرش معاً ؛ فلقد تجمعت عوامل الثورة الفرنسية قبل عهده ، وما زالت تنمو وتتزايد ، وما زالت تلك الأقلام الجبارة أقلام فلتير وروسو ومنتسكيو وأضرابهم تحدوها وتمهد الطريق لها حتى جاء عهد ذلك الملك فاضطرب البركان ثم انفجر فكانت الرجفة التى زلزلت فرنسا زلزالاً شديداً

وأرى توفيقاً قد ورث عن سلفه كذلك العرش والثورة ، فلقد تجمعت عوامل الثورة العرابية فى عهد ذلك السلطان ، ثم راحت تحدوها وتمهد لها الطريق أقلام جمال الدين وتلاميذه حتى جاء عهد توفيق فانبعثت الرجفة !

لم تكن الثورة العرابية حركة عسكرية فحسب كما يحلو لكثير من المؤرخين أن يصوروها عن عمد أو عن غفلة ، وإن الذين يفعلون ذلك منهم ليأتون من ضروب الخطأ ما نعجب كيف يحملون على قبوله أنفسهم وعقولهم ، وإنما كانت الثورة العرابية إذا أردنا وصفها فى جملة: التقاء الحركتين الوطنية والعسكرية واندماجهما .

فلما ذهب عرابى إلى الخديو على رأس جنده ذهب يحمل إليه مطالب الجيش ومطالب الأمة معاً ، ومن ذلك الوقت صار سلاح الثورة السيف وقد كان سلاحها القلم ، أو بعبارة أخرى حارت قيادتها بين السيف والقلم !

أخذت انجلترة وفرنسا تتنافسان فى بسط نفوذهما فى مصر منذ حملة بونابرت ؛ ولكنهما وجدتا فى محمد على رجلاً لا كالرجال بعد سلطانه لا يفقد ذلك السلطان ، فاكتفت أولاهما بالسعى إلى تحطيمه ، وفرحت الثانية بمصاحبته .

وجاء عهد إسماعيل ، وفتحت قناة السويس ، وازداد مركز مصر بذلك خطراً ، فنصبت كل من الدولتين شباكها وعوات كل منهما أن تسيطر على مصر من طريق المال أولاً ثم من طريق التدخل السياسى ثانياً .

وراح اسماعيل يستدين ويسرف فى الاستدانة حتى تراكمت على مصر الديون . ولما أرادت مصر أن تجد لمشكلتها المالية حلاً سنحت الفرصة لانجلترة فراحت تتدخل فى شئون مصر وتتربص بها الدوائر .

وما هى إلا سنوات معدودة ثم منيت البلاد بالمراقبة الثنائية ، وأصبح أمر داخلها ومنصرفها فى أيدى المراقبين الأجنبيين . ثم نظرت مصر فإذا وزير ماليتها انجليزى ، وإذا وزير الأشغال فيها فرنسى ، وإذا مصالحها تمتلئ بالموظفين من الأجانب يتمتعون فيها بالمرتبات العالية ، وإن أهلها لتثقل كواهلهم الأعباء حتى يضيقوا بالحياة .

واشتدت الضائقة على الأهلين لكثرة ما كانوا يؤدونه من

الضرائب ؛ وأحس المتعلمون منهم أنهم خرجوا من حكم الخديو المطلق ليدخلوا فى نير الأجانب الذين لا تعرف قلوبهم الرحمة .

وهبط السيد جمال الدين مصر يبث فيها مبادئه ، ويحمل إليها قبسه ، وكان جمال ذلك الرجل الذى أطلعه الشرق ليضيفه إلى كواكبه الزهر، يرى أن علة العلل فى هذا الشرق المغلوب على أمره أن شعوبه سلبية الإرادة : تحكم على رغمها ، وتسخر لحساب الحاكمين ؛ ولا مخرج لها إلا أن تعود حرة كما كانت من قبل حرة ؛ ولن يكون هذا إلا أن تقوم الشورى مكان الاستبداد وأن ينسخ نور العلم ما تراكم فى الشرق من ظلمات بعضها فوق بعض .

وكانت التربة فى مصر صالحة لبذوره فنمت نمواً سريعاً يحمل على الدهشة ؛ فما أسرع ما ظهرت فى البلاد حركة وطنية كأعظم وأجل ما تكون الحركات القومية ؛ وراح تلاميذ جمال يذيعون فى البلاد مبادئه . يقول فى ذلك الشيخ محمد عبده أنبغ تلاميذه وأحبهم إليه : « وكان طلبة العلم — طلبة جمال الدين — ينتقلون بما يكتبونه من تلك المعارف إلى بلادهم أيام البطالة ، والزائرون يذهبون بما ينالونه إلى أحيائهم ، فاستيقظت مشاعر ، وانتبهت عقول ، وخف حجاب الغفلة فى أطراف متعددة من البلاد خصوصاً فى القاهرة » .

وظهرت فى تلك الأيام الصحافة العربية ، وراح الناس يقرأون فيها نفثات الوطنية ، وأخذت تهب عليهم من بين سطورها نسمات الحرية ، والتمع لهم فيها وميضها ، فانتعشت أرواحهم وهفت إلى الانطلاق من الأسر قلوبهم .

وأدى اتصال المصريين بالأجانب إلى تتبع الأنباء العالمية فى الحرب والسياسة . فزادت معرفتهم بأحوال العالم وقارنوا بين الشعوب الحرة وبين أنفسهم ، وراحوا يستنبطون أسباب ما باتوا فيه من شقاء وذلة .

واهتدى الناس إلى منهجهم فعرفوا أن منجاتهم فى أن يتخلصوا من الحكم المطلق ومن نفوذ الأجانب جميعاً ، وظهر فيهم الزعماء فراحوا يعقدون الاجتماعات ويتدارسون أمرهم بينهم ، وظاهرهم الخديو آخر الأمر فأصابوا حظاً كبيراً من النجاح ، ورأى المصريون لأول مرة فى تاريخهم وزارة وطنية تخضع لمشيئة مجلس يجلس فيه فريق منهم يعبرون عن مشيئتهم

ولكن المصريين ما لبثوا أن فجعوا فى آمالهم بتدخل الدولتين تدخلاً جريئاً فى شئونهم أدى إلى عزل الخديو وتركهم ذاهلين ، تتنازع أفئدتهم عوامل الحنق والخوف والتشاؤم من المستقبل

وأسلمت قيادة السفينة إلى توفيق ، فما كادت تسير حتى اكتنفتها الرياح الهوج ، وقامت أمامها العقبات من كل جانب ؛ فها هم أولاء المصريون تتأجج نيران الحقد فى قلوبهم على الأجانب ولن يطيقوا بعد اليوم أى جنوح إليهم ، وها هى ذى انجلترة تتحفز وتتربص ، ثم ها هى ذى فرنسا تتحين الفرص لتتغلب على منافستها .. وهناك تركيا جاءت آخر الأمر تطلب أن تعيد سلطانها فى مصر سيرته الأولى فتردها الدولتان المتنافستان على عقبيها

والربان غير عليم بالسياسة وأنوائها ، ولكنه على الرغم من ذلك راح يستغنى عن أعلم رجاله بها ، فتخلص من شريف وهو أحوج ما يكون إليه ! وتنكر للحركة الوطنية وكان حقيقاً أن يعطف عليها عسى أن يحبه الوطنيون وعسى أن يحملهم هذا الحب على تناسى ما لحق بمنصب الخديوية من هوان صغر به فى أعينهم ؛ ولكن توفيقاً غفل عن هذا أو تغافل عنه لما رآه من إقصاء أبيه عن منصبه على ما كان له فيه من جاه وقوة

وحل رياض محل شريف فآلم ذلك دعاة الحركة الوطنية وأزعجهم أن يروا رياضاً يجارى الخديو فى استكثار الدستور على المصريين فيقنع بما لا يقنع به وطنى مكتفياً بمبدأ مسؤولية الوزارة عن أعمالها مستغنياً عن مجلس شورى النواب الذى يحرص عليه الوطنيون كل الحرص

وجاء قانون التصفية فازداد الوطنيون به آلاماً على آلامهم ، ورأوا ما فيه من غبن شديد يتجلى فى إلغاء دين المقابلة وقد أخذ من جيوبهم كما رأوا ما فيه ما هو أكثر من الغبن ألا وهو عدم التنازل عن شىء من الدين وهم يعلمون كيف كانت تقترض تلك الأموال ومبلغ ما كان يصل مصر منها ؛ وهم يعلمون كذلك مجازفة الأجانب بأموالهم مما يحملهم كثيراً من المسئولية . هذا إلى أنهم رأوا مرتبات الموظفين من الأجانب فى الحكومة المصرية تبقى على حالها من الارتفاع فلم يدر بخلد من قاموا بالتصفية أن يراعوا ذلك فى قرارهم فينزلوا بها إلى الحد اللائق

تلك هى الحركة الوطنية أو تلك هى نذر الرجفة . أما الحركة العسكرية فأول ما نتحدث به عنها أنها بدأت كذلك فى عهد اسماعيل وتجلى أول مظهر من مظاهرها فى تلك الحركة التى اعتدى فيها فريق من الضباط على نوبار أمام وزارة المالية عام ١٨٧٨ م . وكان ما دفع الضباط إلى تلك الحركة ما لحقهم بسبب الارتباك من الاستغناء

عن عدد منهم ومن تأخر مرتباتهم عنهم بينما كان الجراكسة فى الجيش لا يلحق بهم شىء من هذا ...

ولقد استغنى عن عدد كبير من الجند فى أوائل عهد توفيق حتى نزل عدد الجيش المصرى عما اتفق عليه أخيراً فى بداية هذا العهد . وولى وزارة الجهادية فى حكومة رياض عثمان رفقى الجركسى فكأنما جعل أساس سياسته الكيد للمصريين ما وسعه الكيد ؛ فلقد راح يذيقهم من نكاله بقدر ما راح يفيض على الجركس من عطف وإحسان . ولم يكن ذلك عجيباً من جانبه ففى دمه ما فى دم جنسه من بغض قديم للمصريين الذين كانوا فى رأيهم فلاحين لا يصلحون إلا ليكونوا عبيداً

وكان طبيعياً أن تقتصر الترقيات فى الجيش على الجركس . وراح عثمان رفقى يعد مشروع قانون يمنع به ترقية الجند من تحت السلاح لكى يبقى العنصر الجركسى فى الجيش هو العنصر السائد . أما عن كبار الضباط فقد بدأ يقصيهم عن مراكزهم كما حدث فى أمر احمد بك عبد الغفار قائمقام السوارى إذ فصله رفقى وعين مكانه أحد الجراكسة ، وكما حدث فى نقل عبد العال حلمى إلى عمل فى الديوان ووضع جركسى آخر طاعن فى السن محله

أما عن الجند فقد كانت الحكومة تسخرهم فى أعمال لا تمت إلى الجندية كحفر الترع والزراعة فى أراضى الخديو وغير ذلك . ومما يذكر عن عرابى هنا أنه عارض معارضة شديدة فى أن يعمل جنوده فى حفر الرياح التوفيقى ، وهو موقف من مواقف شجاعته ، تلك الشجاعة التى يأبى خصومه أبداً إلا أن يروها تهوراً ، والتى نراها فى أكثر الأحوال على خير ما تكون شجاعة الرجال ذوى الحمية والإخلاص ... وأى مأرب لعرابى فى هذا الموقف ؟ وفيم تكون معارضته فى أن يسخر جنده فى مثل تلك الأعمال إن لم يكن مبعثها الإنصاف والغيرة ؟ وما يكون إنصافه وغيرته فى موقف كهذا إلا بسالة وإقداما

تلك هى المشاكل العسكرية . ولو أن تلك المشاكل عولجت بما يقتضيه العدل لما قدر للحركتين أن تلتقيا فتكون منهما تلك الثورة التى اقترنت باسم عرابى . ولكن كان دون علاجها عقبات ؛ فهناك تعصب رفقى وغطرسته ، وجهل رياض بالشئون الحربية وترفعه عن هؤلاء الفلاحين من الجند لأنه يترفع عن الفلاحين جميعاً . ثم هناك دسائس الجراكسة فى الجيش وكيدهم للمصريين ذلك الكيد الذى لا يفتر

وكان عرابى فى أوائل عهد توفيق قد أخذ يتصل برجال الحركة الوطنية ، أو على الأقل أخذ يتصل بالحركة نفسها ؛ وهو من أول نشأته متحمس لبنى وطنه ، وشارك عرابى فى هذه النزعة الوطنية بعض ضباط الجيش . ولا غرابة فى هذا فإن المسألة العسكرية فى وضعها هذا كان لا بد أن تدب إليها الروح الوطنية فتكون فى مظهرها أمراً متعلقاً بالجيش بينما هى فى الواقع كانت شعبة من تلك الحركة العامة التى كانت تشغل أذهان المصريين منذ أواخر عهد اسماعيل.

وكان طبيعياً أن تبدأ المتاعب من جانب الجيش وقد أخذت رجال الحركة الوطنية حيرة منذ أن استقال شريف . ولقد كانت مسئولية الحكومة عن هذه المتاعب وتعقدها مسئولية جسيمة هى عندى من أكبر سوءات ذلك العهد ...

على أن عرابياً نفسه قد رقى فى أول عهد توفيق إلى مرتبة أميرالاى ، ومع ذلك فقد أدت سياسة الحكومة أو على الأصح سياسة رفقى أن يكون هو على رأس المتذمرين

بدأت حركة التذمر بأن قدم بعض الضباط المصريين شكوى إلى وزارة الجهادية عن مرتبات لهم متأخرة ، وكان عرابى ممن وقعوا على هذه الشكوى . ونظرت الوزارة فى الأمر ، وكان قنصلا انجلترة وفرنسا قد تداخلا فى الأمر ، وألفت لجنة للتحقيق أقرت مطالب الضباط ، وكان ذلك فى مايو سنة ١٨٨٠ ، ولكن رياضاً ووزيره رفقى رأيا فى ذلك العمل القانونى حركة جريئة وخروجاً على النظام !

(يتبع) **الخفيف**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٨١ — لقد أحدثتم بدعة وظلماً

فى (الاعتصام) للشاطبى : ذُكر لعبد الله بن مسعود أن ناساً بالكوفة يسبحون بالحصى فى المسجد . فأتاهم وقد كوّم كل رجل منهم بين يديه كُوَماً[1] من حصى . فلم يزل يحصبهم[2] بالحصى حتى أخرجهم من المسجد ، ويقول : لقد أحدثتم بدعة وظلماً

٣٨٢ — البدعة تعتبر فى الشر

فى (محاضرات الأدباء) للراغب : قُدّم إلى مالك بن أنس حيث يراه المهدى (العباسى) — الماء ليغسل يده للطعام ، فقال : هذا بدعة

فقال المهدى : يا أبا عبد الله ، البدعة تعتبر فى الشر ، فأما أبواب الخيرات فإحداثها سنة

٣٨٣ — لا جرم أنكم تأكلوني

الصفدى : قال بعض الرؤساء لشهاب الدين القوصى : أنت عندنا مثل الأب ، وشدّد الباء .

فقال لا جرم[3] إنكم تأكلونى[4] .

قلت : لا يخفى ما فى هذا التندير من اللطف لأن الأب مشدد الباء هو المرعى[5] . وقال بعضهم هو للدواب مثل الخبز للأناسى ومن يشدد الباء من الأب لا يكن إلا دابة ...

(١) كوم : جمع كومة بفتح الكاف وضمها

(٢) يحصبهم : يرجمهم . وهو بكسر العين وبالضم فى لغة

(٣) لا جرم : نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك من فعله فكذلك لا جرم أى لا قطع (الكشاف)

(٤) يجوز أن تحذف النون المساة بنون الوقاية فى الأفعال الخمسة وباب إن ، غالبة مع ليت قليلة مع لعل

(٥) الأب المرعى لأنه يؤب أى يؤم وينتجع ، والأب والأم أخوان (الكشاف) كل ما أخرجت الأرض من النبات ، رطبه ويابسه (اللسان التاج)

قلت : ومما وضعه أهل الأهواء أن أبا بكر وعمر لم يعرفا ما هو الأب ، ووريت روايتان كاذبتان فى ذلك ، واطمأن إليهما مفسرون ولغويون كثيرون وسطروهما فى تفاسيرهم ومصنفاتهم . والروايتان هما هاتان : سئل أبو بكر عن الأب فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلني إذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به . وقرأها عمر في الآية فقال : كل هذا قد عرفنا فما الأب ؟ ثم رفض عصا كانت بيده وقال : هذا لعمر الله التكلف ، وما عليك يا ابن أم عمر ألا تدرى ما الأب ثم قال : اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا ، فدعوه

٣٨٤ — حتى يعذب نفسه هذا التعذيب

ذُكر عند أعرابى رجل بشدة الاجتهاد وكثرة الصوم وطول الصلاة ، فقال : هذا رجل سوء ، وما يظن هذا أن الله يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب

٣٨٥ — فقلت لعلها

كان عروة بن أذينة نازلاً فى دار عروة بن عبيد الله بالعقيق فسمعه ينشد :

إن التى زعمت فؤادك ملّها ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها ... بلباقة فأدقها وأجلّها
حجبت تحيتها فقلت لصاحبى ... ما كان أكثرها لنا وأقلها !
فدنا فقال : لعلها معذورة ... من أجل رقبتها فقلت : لعلها
وإذا وجدت لها وساوس سلوة ... شفع الضمير إلى الفؤاد فسلّها

قال عروة بن عبد الله : فأتانى أبو السائب المخزومي وأنا فى دارى ، فقلت له بعد الترحيب : هل بدت لك حاجة ؟ فقال : نعم ، أبيات لعروة بن أذينة بلغنى أنك سمعتها منه . فقلت له : وأى أبيات ؟ فقال : وهل يخفى القمر ؟ ! قوله (إن التى زعمت فؤادك ملها) فأنشدته إياها فلما بلغت إلى قوله : (فقلت لعلها) قال : أحسن والله ، هذا (والله) الدائم العهد ، الصادق الصبابة ، لا الذى يقول :

إن كان أهلك يمنعونك رغبة ... عنى فأهلى بى أضن وأرغب

إذهب لا صحبك الله ولا وسع عليك — يعنى قائل هذا البيت ، لقد عدا أعرابى طوره ، وإنى لأرجو أن يغفر الله لصاحبك (يعنى عروة) لحسن ظنه بها ، وطلبه العذر لها . قال عروة بن عبد الله : فعرضت عليه الطعام ، فقال : لا والله ، ما كنت لآكل بهذه الأبيات طعاماً إلى الليل

٣٨٦ — من حرقة النار أم من فرقة العسل

أبو إسحق إبرهيم بن عثمان الغزى :

أشكو إليكم هموماً لا أبينهـا ليسلم الناس من عذرى ومن عذلى
كالشمع يبكى ولا يُدرى أدمعته من حرقة النار أم من فرقة العسل

٣٨٧ — رسالة ... !

فى (طبقات الشافعية الكبرى) : ركب اسحق بن راهـوَيْه دين فخرج من مرو وجاء نيسابور، فكلم أصحابُ الحديث يحيى بن يحيى فى أمر إسحق ، فقال : ما تريدون ؟ قالوا : تكتب إلى عبد الله بن طاهر رقعة — وكان عبـد الله أمير خراسان وكان بنيسابور — فقال يحيى : ما كتبت إليه قط ، فألحوا عليه فكتب فى رقعة :

« إلى عبد الله بن طاهر . أبو يعقوب إسحق بن ابرهيم رجل من أهل العلم والصلاح »

فحمل إسحق الرقعة إلى عبد الله بن طاهر، فلما جاء إلى الباب قال للحاجب: معى رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير . فدخل الحاجب فقال : رجل بالباب زعم أن معه رقعة يحيى بن يحيى إلى الأمير ، فقال : يحيى بن يحيى ؟ قال : نعم ، قال : أدخله ؛ فدخل إسحق وناوله الرقعة ، فأخذها عبد الله وقبلها ، وأقعـد إسحق بجنبه ، وقضى دينه ثلاثين ألف درهم ، وصيّره من ندمائه[1]

٣٨٨ — كأنه من كبدى مقدود

قال على بن عبد الله بن سعد : أنشدت دعبلا قصيدة بكر بن خارجة فى عيسى بن البراء النصرانى الحربى :

زنّارُه في خصره معقود كأنه من كبدى مقدود

فقال : والله ما أعلمنى حسدت أحداً على شعر كما حسدت بكرا على قوله : (كأنه من كبدى مقدود)

(١) أى من رفقائه وأصحابه فى (التاج) : نادمه جالسه على الشراب ، هذا هو الأصل ثم استعمل في كل مسامرة . فى (ابن عساكر) : ابن راهويه أحد أئمة المسلمين وأعلام الدين ، فى (ميزان الاعتدال) : سئل أحمد بن حنبل عن إسحق فقال : مثل إسحق يسأل عنه ؟ إسحق عندنا إمام من أئمة المسلمين

أمل العرب الراحل

للأستاذ خليل هنداوى

« قد خططنا للمعالى مضجعا ودفنا العز والمجـــد معا »
فيصلٌ ما إن نسينا يومه فاجعلوا يومًا لغازى أروعا
فيصل ما نضبت أدمعنا فامزجوا بالدم هذي الأدمعا
لم يكن مصرع غازى واحداً إنه كان لشعب مصرعا
ليس يدرى من نعاه أنه قد نعى العرب جميعاً إذ نعى
أيها الناعى رويداً إنها لامانىّ تهاوت صُرَّعا
إنه بنيان قوم ينحنى إنه مأمل شعب ودعا
كفنوا غازى بأبراد العلا واجعلوا مثوًى لغازى الأضلعا
مفزع العُرب إذا ما فزعوا من لهم بعدك يبقى مفزَعا ؟
أصبح الشعب يتيماً واجماً أسفاً ، والدار أمست بلقعا
والأمانىُّ مضت تبكي فتى ضم كشحيه عليها أجمعا
فهى تمشى رامقات نعشه تذرف الدمع وتروى المدمعا
والمروءات على جبهته يتهاوين حـــزانى وُقعا
والسموات على مصرعه مقلة ذارفة لن تقلعا

* * *

أبت الأيام إلا حربنا وأبينا أبداً أن نخضعا
فعلى كل ثرًى يجرى دم ألثرى بالدم أمسى مترعا
وعلى كل سبيل فدية لم يضيعها الذى قد ضيّعا
وعلى كل شهيد بسمة هى للحق إذا الحق وعى
وعلى كل حمًى تضحية حدّث المربعُ عنها المربعا
والشهادات على أعناقنا لا ترى صرفاً ولا منقطعا
كل هذا مرحباً ! أهلاً به إن يكن يحمل صبحاً ألمعا
« مرحباً بالخطب يبلونا إذا كانت العلياء فيه المطلعا »

* * *

إن يمت فى كل يوم مبدع من بنى العُرب خلقنا مبدعا
لا يفت الدهر من عزمتنا لا يلاقى اليأس فينا موضعا
قد نذرنا للمعالى نفسنا واستطبنا الموت فيها مشرعا
لا نرى إلا العوالى مركباً لا نري إلا المعالى مطمعا

« دير الزور » خليل هنداوى



تُرى ماوراء هذا الكون؟

علاقة بين الكون المحدود وأصغر ما فيه

للدكتور محمد محمود غالى

بحث الرجل منذ القدم عن معرفة الكون فكان يُقسم النجوم التى يراها فى السماء إلى مجموعات تشبه على وجه التقريب بعض الحيوان أو الأشياء . وقد وُجدت فى السويد أشكال من هذه المجموعات الشبيهة بشكل الحيوان ، منقوشة على الحجر منذ العصر البرنزى . واليوم يُقسم الفلكيون فى مؤتمراتهم السماء إلى ٨٩ مجموعة Constellation تجد أسماءها فى الدليل الفلكى . وقد كان « باير » Bayer فى سنة ١٦٠٣ أول من أطلق الحروف الإغريقية الأولى على أسماء النجوم ، لكى يُفرِّق بين نجوم المجموعات الكوكبية المختلفة . ولم يلبث أن تقدم علم الفلك تقدماً جعل هذه الحروف الإغريقية لا تكفى هذه المسميات لكثرتها ، فلجأ العلماء إلى الأرقام ، وأصبحت النجوم تحمل الرقم الوارد من الدليل الفلكى . وتقدم المنظار الفلكى كما تقدمت الطريقة الفوتوغرافية ، فأصبح الدليل يحوى مليوناً من النجوم ، وتقترب معارفنا الآن من عشرات الملايين .

جُل بنظرك فى الشكل الأول ترَ جزءاً من المجرة فى برج الثور[(١)] يدلك على بقعة صغيرة من عالمنا الذى يحوى مئات ألوف الملايين من النجوم والأجرام . ثم تأمل الشكل الثانى وهو السديم الشبكى فى الدجاجة[(٢)] تر واحداً من ملايين ملايين العوالم الأخرى المكونة للكون — ثم تصور جسماً صغيراً فى الكون مثل إحدى أشواك التين ؛ وتصور أصغر ما يعرفه العلماء من الجسيمات المكونة لهذه الشوكة ، وهو الإلكترون الذى تحوى الشوكة الصغيرة ملايين منه . إن عدد الكترونات الكون يتعدى كل خيال ، ومع ذلك فقد تمكن العلماء من الوصول إلى علاقات معقولة بين الكون فى مجموعه وبين الألكترون المتناهى فى الصغر . وسأحاول فى هذه الأسطر أن أحيط القارئ علماً بالطرق التى يتبعها العلماء فى هذا السبيل

***

ذكرنا أن العلم التجريبى قد أثبت ابتعاد جميع العوالم عنا ، وابتعاد كل واحد منها عن الآخر بسرعة تزيد على ٥٠٠ كيلو متر فى الثانية لكل ٣٫٢٦ مليون سنة ضوئية ، وذكرنا أن النظريات الأولى للعالم دى ستير كانت تتنبأ بتمدد الكون ، وأن النظريات عامة وإن عرفت تمدد الكون لم تعين فى المبدأ الدرجة التى يتمدد بها . وأضيف اليوم أن العلم النظرى الحديث لا يحتم الفكرة القائلة بابتعاد جميع العوالم بعضها عن بعض فحسب ، بل يُعين السرعة التى تبتعد بها هذه العوالم كما يُعينها العلم التجريبى .

على أن النسبية وحدها لا تزودنا بهذه المعلومات الجديدة ، ولكن للعلم منابع أخرى وجدت طريقها بعد النسبية لأينشتاين ؛ وأهم هذه المنابع اليوم الميكانيكا الموجية التى أسسها العالم الشاب دى بروى De Broglie الحائز على جائزة نوبل ، أستاذ السربون وعضو المجمع العلمى الفرنسى ؛ وباتباع الطريق العلمى الجديد نجد — مع إهمال القوة الجاذبية بين العوالم إذ هناك ما يبرر إهمالها علمياً — إزاء قوة التنافر للكون ، أن سرعة ابتعاد العوالم بعضها عن بعض تقع بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ كيلو متر فى الثانية لكل ٣٫٢٦ مليون سنة ضوئية .

ومما يلفت النظر أنه للوصول إلى هذه النتيجة الحسابية التى تتفق مع النتائج العملية لم يلجأ الباحثون إلى أى عمل تجريبى أو إلى الأرصاد الفلكية

(١) و (٢) الصورتان واردتان فى كتاب حديث سبق التنويه عنه للأستاذ بريا Bruhat أستاذ السوربون وقد اعتمدنا فى تعرف التسمية العربية المقابلة للافرنجية على صديقنا الأستاذ سماحة وكيل مرصد حلوان الذي عنى بنشر الألفاظ العربية لبعض أسماء النجوم أو المجموعات المعروفة لدى العرب فى النشرة ٣٩ بتاريخ سنة ١٩٣٦ من نشرات مصلحة الطبيعيات ولم يرد السديم الشبكى فى الدجاجة فى هذه النشرة ، لذلك اتفقنا معا على هذه التسمية الجديدة

ويجدر بالذكر أن كل ما يتعلق بحساب الكون أو بحساب الألكترون يرتبط إلى حد كبير بتعيين سرعة ابتعاد العوالم بعضها عن بعض . على أن هذا النجاح الأخير الذى يظهر فى الاتفاق بين العلم النظري والعلم التجريبي لم يقف عند هذا الحد ، بل استنبطنا من العلوم النظرية علاقة بين البروتون والألكترون على وجه خاص بين كتلتيهما . ولكى يفهم القارئ شيئاً عن البروتون نذكر أنه بين مكونات المادة . فذرة غاز الهيدروجين مثلاً مكونة من مركز رئيسى هو بروتون واحد يدور حوله إلكترون واحد كما يدور القمر حول الأرض . ومن ثم أضحى العلماء بفضل تقدم الميكانيكا الموجية بصدد نظريات تعين أمرين فى آن واحد :

الأمر الأول : سرعة تمدد الكون ومنها القوة التنافرية ، كذلك الثابت الكوني .

الأمر الثانى : النسبة بين كتلة البروتون والألكترون

إلى هنا لا زال يبعد عن ذهن القارىء العلاقة بين الكون والألكترون، كما يبعد عن ذهنه أيضاً علاقة يرى فيها وزن الكون. ولكى أعطى القارىء فكرة سريعة عن هذا أدله على وجود علاقتين توصل لهما العالم الكبير أينشتاين فى سنة ١٩١٦ . يرى فى إحدى هاتين العلاقتين كتلة الكون .

(الأولى) علاقة تربط نصف قطر الحيز عند مبدأ تكوين الكون بالثابت الكونى[١]

(الثانية) علاقة تربط ثابت الجاذبية (Constants de Gravitation) ، وكتلة الكون وسرعة الضوء مع نصف قطر الحيز السابق الذكر .

كنت أود أن أطلع القارئ على شىء من هذه العلاقات ، ولكن تدخل معظمها فى الواقع حسابات لم يتعودها ومعادلات من الصعب تبسيط مدلولها . فمثلاً بينما حجم كرة نصف قطرها نق يعادل $\frac{٤}{٣}$ ط نق^{٣} (ط النسبة التقريبية) فإن حجم حيز كروى له نفس نصف القطر هو ٢ط^{٢} نق^{٣} أى ٤،٧١ حجم كرة عادية . فالحيز الكروى ليس كرة معتادة بل غلافاً لكرة زائدة ذات أربعة أبعاد Hypersphere، وفى كل هذه الأبحاث يفرقون بين نصف قطر الحيز الفارغ الذى هو متوسط أنصاف أقطار مختلفة وفق التوزيع المادى للكون من نصف قطر الكون قبل التمدد ، وفى هذه الأبحاث نرى أن تقوس المناطق الفارغة فى الكون أقل من المناطق الآهلة بالمادة . كل هذه الاعتبارات التى تربط نصف قطر التقوس الكروى لقطاع ما ذى ثلاثة أبعاد فى مجال Continuum ذى أربعة أبعاد للحيز والزمن الخيالى ، صعب على القارئ الدخول



Cliché de Kerolyr
Observatoire de Forcalquier

Voie Lactée dans le Taureau

ش ١ (جزء من المجرة فى برج الثور)

فى تفاصيلها ، ولكن يهمنى أن يعلم أن العلماء توصلوا إلى علاقات نجد فيها نصف قطر الكون المتقدم وسرعة ابتعاد العوالم وسرعة الضوء ، أو علاقات بين نصف قطر الكون وعدد الألكترونات وشحنة الألكترون وسرعة الضوء ... الخ . ولكنى لا أترك هذا الجزء دون أن أذكر أن معادلة من أهم المعادلات الأساسية فى هذه الأبحاث تلك المعادلة الموجية الخاصة بذرة الهيدروجين Equatian ondulatiore d'un atome d'hydrogene أى لمجموعة مكونة من بروتون واحد ، وألكترون واحد مرتبط به كما قدمنا ، هذه المعادلة تعين حجم الذرة Dimension وتوزيع شحنتها الكهربائية ، ولا أذكر هنا كيف أدخل العلماء وحدة الطول الجديدة التى هى

---

(١) قد يهم بعض القراء معرفة هذه العلاقة . إذا رمزنا بالحرف أ لثابت الكونى وبالحرف نق$_{م}$ لنصف قطر الكون عند بدء تكوين الكون فإن أينشتاين يدلنا على أن أ = $\frac{١}{نق_{م}^{٢}}$

نصف قطر الكون فى معظم هذه العلاقات ، ولكن أرجو أن يستقر فى ذهن القارىء أن كل هذه الموضوعات تكوّن فى وقتنا الحاضر وحدة فى العلوم ، تستمد قوتها من الناحيتين العملية والنظرية معاً ، وأنه بالاستقراء طوراً ، والبحث التجريبى تارة، توصلوا لكثير من العلاقات التى تربط الكون بأصغر ما فيه والتى سبق أن أعطينا النتائج الخاصة بها فى جدول سابق .

***

كل ما أود أن يعلق بذهن القارىء أن يعرف أن الاستنتاج العلمى لا يقف عند المحسوسات . وسبق أن قدمت أننا لسنا بحاجة لنرى الليل والنهار لنعرف دورة الأرض ، كذلك لسنا بحاجة لنحصى أجرام السماء لنعرف وزن الكون ، وعدد ما يحويه من الكترونات ، وضربت للقارىء مثلاً بعمل فوكوه عند ما استدل على دورة الأرض من بندوله الذى علقه من قبة البانتيون .

وأعود فأقول : لو أن المريخ ، وهو الذى يحجب الضوء عنه سحب كثيفة ، كان مسكوناً بكائنات تفكر مثلنا نسميها المريخيين لما استحال عليهم أن يعرفوا أن سيارهم أيضاً يدور حول نفسه ، كما تدور الأرض حول نفسها ، ولاستطاعوا أن يؤكدوا ذلك برغم ما يحيط به من سحب كثيفة تحجب عن أهله ضوء الشمس، وهى سحب لم نعهد مثلها حول الأرض، بل لما استحال عليهم أن يحددوا فترة الليل والنهار الخاصة بهم ، فما عليهم إذا كانوا ينعمون بدرجة ذكائنا ، وكانت لهم طريقتنا فى استقراء الأشياء ، إلا أن يعلقوا كرة من خيط طويل يدعونها تهتز ، فإنهم سيدركون أن الكرة لا تهتز فحسب ، بل إن المستوى الذى تهتز فيه يدور حول نفسه ، وبحساب بسيط يمكن للمريخيين إذن أن يحددوا فترتى الليل والنهار

***

عسى أن يكون قد علق بذهن القارىء بعد هذا الجهد الذى واصلناه مدى أربع مقالات عن «الكون يكبر» ثلاثة أمور: الأول أننا أبناء كون محدود مكون من عوالم كلها على حيز وغلاف كروى.

الثانى : أن هذا الغلاف الكروى يتسع ويتمدد على نحو كرة من المطاط ، وأن ثمة قوة تدعو لهذا التمدد الذى يجعل كل العوالم يبتعد بعضها عن بعض ، وأننا الآن فى هذه المرحلة من الابتعاد والتمدد التى بدأت منذ بلايين من السنين .

الثالث أن ثمة علاقات ثابتة بين الكون فى مجموعه وأصغر ما فيه وهو الالكترون

وأضيف إلى هذه الأمور الثلاثة أنه ليس لنا أن نحاول تعرف شىء خارج عن هذا الكون المحدود

***

هذا هو الكون وفق أحدث الآراء . وقد يتساءل فريق من القراء عما وراء هذا الكون المحدود. وقد يجيز هذا الفريق لنفسه أن يتصور عوالم خارجة عن نطاقه ، ولعل السبب فى ذلك هو مطالبتنا له بالاعتراف أن الكون محدود



Cliché de Kerolyr
Observatoire de Forcalquier
Nébuleuse de la Dentelle du Cygne (partie sud)
ش ٢ — الجزء الجنوبى من السديم الشكى فى الدجاجة
(كليشيه كيرولير مرصد فوركالكييه)

وليس لدينا اليوم جواب على هذا سوى أن نكرر أن الكون الذى نرى ونسمع ونتحرك فيه ونعرف منه قوانيننا الطبيعية الحالية هو كون محدود ليس لنا أن نتساءل عن غيره ما دامت الظواهر الطبيعية التى نعرفها تنتشر فى مثل هذا الكون وكل شىء يدل على أنها لا تتعداه . ولكن ما ذا بعد الكون ؟ سؤال يتردد على الذهن !

***

إن نملة تَفْـتَرضُها متأملة خرجت لأول مرة من كومة صغيرة من الرمل وجدت نفسها بطريق المصادفة إزاء ثقب فى سجاد مفروش فى سرادق فسيح مقام فى جهة قصى يحيه فيها رجل له بين أهله مكانة ، مد الأهل الأبسطة والقاعد ، وأضاءوا الأنوار وازدحم المكان بالمعزين

تجولت النملة المتأملة الحديثة العهد بالحياة على هذه الأبسطة المتسعة تائهة لا تهتدى إلى المكمن الذى خرجت منه ، ترى أنواراً تعلوها ، وأبسطة ممتدة أمامها ، وأناساً يروحون ويغدون ، وتسمع فقيهاً يُرَتِّـلُ الآيات بصوت رخيم ، وترى نادلا يقدم قهوة للقادمين ، وكلما مر الوقت انطبعت هذه الصور فى ذهن النملة الحائرة

لنفرض بعد ذلك أنه لسوء حظ النملة التعسة انطفأت الحياة فيها بأن داستها أقدام المعزِّين ، فإنه يغلب على الظن أن الدنيا عندها هى فضاء تضيئه أنوار ، ويحيط به سرادق ، وتغطى أرضه أبسطة ، وفقيه يرتل الآيات ، ونادل يتحرك جيئة وذهاباً

إن وجود القاطرة البخارية وحديقة الحيوان ومعرض نيويورك والاستعداد للحرب ، أمر غير معروف لديها ، فكل هذه أشياء خارجة عن حدود مداركها

قد تكون ملايين السنين التى يقدر الجيولوجيون والطبيعيون أنها الفترة التى مرت على الإنسان منذ وجوده بالنسبة للخليقة كهذه اللحظات بالنسبة للنملة الحائرة ، وقد لا يمثل ميراثنا العلمى الذى لا تتسع له دور كتب العالم قاطبة الوجود فى شئ ، وقد يشبه معارف النملة عن الكون الذى لم تر السكينة منه إلا ليلة عزاء محصور كل حوادثها بين قطع محدودة من الأقمشة ، ويكون الكون ذو الحيز المتقوس وفق ريمان وأينشتاين ، المتمدد وفق دى ستير وإدنجتون ، المحدود وفق سان ولميتر ، ذرة واحدة ، لا نقول بين ملايين ذرات مماثلة لها ، بل بين ملايين أكوان لا يمثل هو فيها شبيهاً ، ويكون كوننا مثالا خاطئا لحقيقة الوجود ، بل قد يكون كأحد جسيمات الدخان لمصنع لا نعلم عنه سوى إحدى ذرات دخانه المتصاعد ، ونكون معشر الناس ككائن نفترضه داخل هذا الجسيم من الدخان ، لا يرى إلا ما يكوِّن الجسم الذى هو بداخله . فالقطن الذى يدخل هذا المصنع والوادى الذى زرع فيه هذا القطن ، والنهر الذى رواه ، والمهندس الذى صمم القناطر على هذا النهر؛ كل هذه أمور غير معروفة بالمرة لهذا الكائن الذي افترضناه داخل الجسيم

كم يغلب على ظنى أننا لا نختلف كثيراً عن هذه النملة الحائرة أو عن هذا الكائن السجين !

على أن شيئاً جديداً اكتشفه العلماء يقع داخل هذا الكون المحدود ويتنقل بين أرجاء هذا السجن الفسيح الذى نعيش فى داخله . هذا الشئ يشغل بال العلماء اليوم لقوة اختراقه العجيبة وصفاته النادرة ، ويسمونه الأشعة الكونية ، وهو ما سأجعله موضوع حديثى فى العدد القادم

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



الإسلام والآداب العامة

آداب تناول الطعام

للآنسة زينب الحكيم

أوضحنا في مقال سابق نشأة (الإتيكيت) وضرورته في الحياة. واليوم نتحدث عن آداب تناول الطعام . وكل ما أرمي إليه هو التذكير بأشياء بسيطة كثيراً ما تغيب عن أذهاننا مراعاتها دون قصد أو لعدم معرفة

وأريد أيضاً أن أوضح عادات بعض البلاد الأجنبية في تناول طعامهم ، ولا سيما أن كثيراً من أهل الشرق يزورون تلك البلاد الآن أكثر مما كانوا يفعلون قبلاً . ومن المستحسن أن يعرف الإنسان عادات الناس حتى لا يضايقهم ولا يضايق نفسه ، كما لا يصح أن يكون عرضة للنقد وفي استطاعته تلافي ذلك

وإني لا أنكر أنه قد أثرت في نفسي بعض الحوادث التي كثيراً ما تحدث من الرجل أو من السيدة أثناء حضورهما الحفلات أو ولائم الغداء أو العشاء . وإني لا أنسى أبداً ذلك السيد وزوجه وقد كانا عروسين جديدين احتفى بهما بعض أقاربهما بمناسبة زفافهما فدعوهما إلى وليمة غداء . كان من بين ألوان الطعام الأكلة المصرية المشهورة (ملوخية) من النوع السائل لا (البوراني) . ولما حان دور أكل الملوخية وضع النادل (السفرجي) ملعقة صغيرة على طرف كل صحن أمام الآكلين لترفع بها الملوخية إلى الفم ثم يؤكل الخبز

لكن السيد العريس لم ينتبه لاستخدام الملعقة ، كما لم يلاحظ كيف يتناول الباقون الملوخية ، فقرصته عروسه في الخفاء ونبهته إلى مراعاة الإتيكيت ، ولكنه استمر يصنع من الخبز ملعقة يرفع بها الملوخية من الصحن إلى فمه . ولم تطق الزوجة المسكينة صبراً على أن يُنتقد زوجها في وليمة شبه رسمية ، فنبهته مرة أخرى بينها وبينه ، ولكنه ثار في هذه المرة ولم ير أن يستمع إليها وقال في صوت مرتفع غاضب : « سيبيني خليني أغَمّس »

بالضرورة كان الحادث مضحكا للجميع ، وقد قابلوه ببساطة حتى مر بسلام بين الزوجين . ولكنه كان على كل حال إيلاماً من جانب الزوج لزوجته وإحراجاً لهما معاً أمام الحضور مهما تقبلوه

كذلك لا أنسى تلك الآنسة الشرقية التي كانت مسافرة مرة على إحدى البواخر إلى أوربا ، ولما كانت تتناول الشاي حاولت استخدام الشوكة في أكل البسكوت الجاف والخبز المقدد ، وكانت في كل مرة تحاول ذلك ترسل قذيفة إلى وجه الجالس أو الجالسة أمامها أو إلى جانبها مما دل على النقص الشديد في معرفة إتيكيت تناول الطعام

لهذه الحوادث وأشباهها أردت أن أتحدث لحضراتكم عن الغداء في أمريكا ، والعشاء في انجلترا ، وآداب الوجبتين عند العرب .

وليمة الغداء العادي في أمريكا

إذا قارنا الغداء الرسمي في أمريكا بالغداء الرسمي في انجلترا وجدنا أن الغداء الإنجليزي يشبه العشاء الرسمي كثيراً .

أما في أمريكا فتكاد تكون ولائم الغداء مقصورة على السيدات دون الرجال الذين يكونون مشغولين عادة في أعمالهم بمكاتبهم، ولايستعملون تلك الولائم لأغراض خاصة ، في حين أن رجال الإنجليز كثيراً ما ينتهزون فرص هذه الولائم لنقاش المسائل المهمة الحاضرة ويتبادلون الآراء في كثير من الأمور

ولهذا تكون ولائم عشائهم خالية من كل ما يجهد العقل ، وإنما تكون أوقات مفاكهة ومرح بريء

وولائم الغداء الأمريكية يدعى لها ببطاقات بسيطة قبل ميعادها بعدد قليل من الأيام ، وتكتب عادة بضمير المخاطب لا بضمير الغائب كما يتبع فى الأحوال المهمة ، وتحدد ساعة الغداء أو لا تحدد فليست هذه مسألة دقيقة كما فى ميعاد وليمة العشاء.

طريقة توزيع الطعام على نوعين

إما أن يتناول المدعوات أنفسهن من ألوان الطعام الموضوعة على منضدة جانبية على شكل (بوفيه) ، وتكون الألوان عادة باردة (كلحوم جافة باردة ، وخضر محمرة ، وحلوى الخ)

وإما أن يمر النـدُل كما فى وليمة العشاء بألوان الطعام الساخن

مائدة الغداء العادى

تكون بائدة الغداء العادى غير مغطاة بغطاء كبير عادة ، وإنما تستخدم أغطية صغيرة من الدنتلة أو التيل المخرم (دُيلن Doilen) كما فى هذا الشكل



وتكون قائمة الغداء ملائمة لفصول السنة (كملاحظة ابن عبد ربه) ، ولا يقدم الشاى أو القهوة مطلقاً فى حجرة المائدة عقب الغداء غير الرسمى . وإذا قدم شىء منها فيكون عقب الطعام مباشرة .

والسيدة المدعوة للغداء العادى لا تبقى بعد تناول الغداء بل تنصرف ، إلا إذا أعدت المضيفة تسلية خاصة بعده .

وإذا استنفد تُناول الغداء ساعة مثلاً ، فلا بأس من محادثة ربة المنزل بعد ذلك نحو نصف ساعة ، ثم يجب أن ينصرف الزوار إذ ربما تكون مشغولة بعد الظهر ، ولا يليق أبداً أن يكونوا سبباً فى تأخيرها .

وليمة الغداء الرسمى

تشبه العشاء الرسمى كثيراً فيما عدا استعمال المفارش الصغيرة (ديلن) عوض غطاء المائدة الكبير

ويبدأ بتناول بعض الفاكهة — ثم الحساء ، فسمك مايونيز أو ما شاكله ، وليس السمك ضرورياً ، وبعض الأسر تحذفه

يأتى بعد ذلك الصحن الرئيسى: مثل الديك الرومى أو الدجاج أو الفطائر أو اللحوم مع الخضر ، فأنواع من السلطة ، فالحلوى كالمهلبية أو ما يشبهها كما فى وليمة العشاء . ثم المثلجات كالجيلاتى أو الألمزية

وليست العادة أن يستريح المدعوون بعد الغداء فى الصالون أو أن يتناولوا القهوة فيه ، وإنما تشرب على المائدة ، فإذا كان الطقس مناسباً ورغب المدعوون شربت فى الفرندة . ويحسن ألا تقيم ربة البيت وليمة غداء إذا كانت مشغولة بعد الظهر فى اليوم نفسه ، ولهذا يمكن أن يبقى الزوار وقتاً أطول مما فى حالة الغداء العادى

ومن المتبع أن ترتب تسليات كالموسيقى ، وتلقى قطع شعرية ، أو تمثل قطع صغيرة

الملابس

تكون ملابس ولائم الغداء على نسق ثياب بعد الظهر الممتازة للسيدات ، أما ملابس الرجال فمعروفة

هذا ومن أهم ما يراعيه الأمريكان فى ولائمهم الرسمية بوجه عام ، أن يكون فى كشف المدعوين ستة أو ثمانية من المتصادقين وقد يهبط هذا العدد إلى أربعة فقط ، ولكن على أى حال من المهم عندهم مراعاة أنواع المدعوين . كما يراعى عدم زيادة الحضور فى الوليمة على ما تطيقه ربة البيت حتى يمكنها العناية بهم جميعاً وملاحظة ما يناسب مزاج كل منهم

آداب المائدة

أهم الآداب التى يراعيها الأمريكان فى ولائمهم آداب المائدة الصحية . فهم مثلاً يعتبرون الحركات الخشنة أو غير المضبوطة منافية للآداب إذا حصلت أثناء تناول الطعام ، ويعدونها نقص



دراسات في الفن

النحت فن الصمت

على ذكر معرضه مختار

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من طين فكان الإنسان تجسيداً لما جرى في علمه تعالى من صوره . وكان الإنسان مجالاً لطائفة من آيات الله أراد لأمر أن يراها حية على مسرح الكون

هذه حقيقة لا أجبر القارئ على أن يؤمن بها معي وفق ما أرضاه ، وإنما أدعه يؤمن بها على هواه ، فإذا كان من أصحاب الدين فهو معي ، وإذا لم يكن منهم فهو معي أيضاً ، ولكن بعد فرقة قصيرة لا بد أن يلقاني إثرها ليشهد أن الإنسان كان التمثال الذي يرجع إليه المثالون جميعاً مستوحين مستلهمين ، ومتعلمين دارسين ، وباحثين مدققين ، ومعجبين مأخوذين وليشهد أيضاً أن الإنسان ما يزال هو هذا المنبع الذي لم ينضب منذ تعقبه الفن ، وليشهد بعد هذا وذاك أن الإنسان لن ينفك أن يكون المورد الذي يقصد إليه كل من يبهره الفن الناضج الكامل

هذه هي البداية التي يجب أن نلتقي عندها لنمشي معاً ولننظر بعدها إلى الإنسان — وهو مرجع الفن — كما ينظر إليه النحات الفنان

أي شيء في هذا الإنسان ؟ وأي شيء في الحيوان معه ؟ وأي شيء أغرى المثالين بأن يكثروا من تماثيل الناس إكثاراً ملحوظاً ، فلم يحيدوا عنها إلا إلى الحيوان قليلاً ، ثم لم يرضوا بعد ذلك أن يعرجوا على النبات والجماد فيستقوا منهما فناً ؟

إنها هي الحياة من غير شك — والحركة مع الحياة — فليس شيء يميز الإنسان ومعه الحيوان أمام النحت على النبات والجماد غير الحياة والحركة . فاذا قلنا « الجمال » رأينا في الزهر والجوهر جمالاً ؛ وإذا قلنا « الجلال » رأينا في الدوح والجبل جلالاً ، وإذا قلنا « الصوت » رأينا النحت يهمله لأنه يقصر عنه ... فلم يبق — فيما أظن — للإنسان والحيوان مميزاً على غيرهما في رأى النحت إلا الحياة والحركة كما قدمت .

فما هي الحياة ؟

أهي في نظر النحات هذا النمو الجسدي الذي يقود الإنسان من طفولته إلى شيخوخته ؟ أم هي هذا الاضطراب النفسي الذي لا يهدأ فورانه بين جنبيه ما دام حيا والذي ينتاب وجهه وتقاطيعه وقسماته بالتعبير المتواصل الذي تصور كل حالة من حالاته زعدة

تربية، ويعتقدون أن من صدرت عنه لم يدرس آداب المائدة بعناية

كذلك يوجهون أهمية كبرى لسلوك الإنسان على المائدة فيشيرون إلى أنه كثيراً ما يُلحظ على رجل تظهر عليه سمات الثقافة والرقي وهو جالس حول مائدة بعض المطاعم أو الفنادق الراقية ، أنه يلعب بأدوات المائدة، أو يضرب الأكواب بعضها ببعض دون وعي.

وقد يتغاضى عن أشباه هذا السلوك في الفنادق أو المطاعم ، ولكن حدوث أعمال كهذه على مائدة وليمة رسمية يعتبر من أكبر النقائص الأدبية ، فإنه حينما لا يحتاج إلى استخدام الأيدي يحسن وضعها على الحجر في سكون ، كما لا يحسن وضع المرفقين على المائدة إذا أسيء السلوك في فعل ذلك ، ولا أن يوضع الكرسي قريباً جداً من المائدة ، ولا بعيداً جداً عنها . فكلا الأمرين غير مقبول

زينب الحكيم

من رعدات هذا الفوران أو هدأة من هدآته ؟ أم هى هذا وذاك ؟

بعض المثالين يذهب فى فنه — سواء أكان متعمداً أم غير متعمد — إلى المذهب الأول ، وبعضهم يذهب المذهب الثانى ، وبعضهم لا يذهب مذهباً من هذين وإن كان يجمع فى فنه مايوفق إليه الأوائل ، وما يهتدى إليه الأواخر ... توفيقاً وهديا

أما أصحاب المذهب الأول فقد كثروا فى مصر فى هذه الأيام ، فكل معارض النحت التى تقام فى مصر الآن لا تحوى من التماثيل إلا ما تقف أمامه لتقول إن هـذا التمثال يمثل رجلاً فى السبعين ، أو فتاة فى العشرين ، أو صبياً فى العاشرة ، أو طفلة فى الرابعة ... أما هذا الفوران الذى نذكره فهو بعيد عنهم ، وهم بعيدون عنه . ولعل ذلك يرجع إلى أن النحت فن لا يزال ينتفض تحت أثقال السنين التى تراكمت عليه فى مصر فدفنته وكتمت أنفاسه دهوراً

وأما أصحاب المذهب الثانى فهم الذين كنا نتوقع أن نرى لهم أثراً ملحوظاً فى معرض مختار الأخير . فقد طلب من المتسابقين فى هذا المعرض أن يسجل كل منهم فى تمثاله معالم الصلاة ومعانيها أو ما شاء من هذه المعالم والمعانى ، فما كان من حضراتهم — أو من أغلبهم — إلا أن سجلوا من حركات الصلاة ما طاب لهم ، موجهين كل اهتمامهم إلى إظهار تمكنهم من دراسة التشريح ، وإبداء مقدرتهم على محاكاة جثة الإنسان . وعلم الله أنى لا أعرف ممن كانت تتألف لجنة التحكيم فى هذا المعرض وإن كنت موقناً بأنها ضمت صفوة مختارة من المثقفين الأفاضل ؛ غير أنه يخيل إلى أنهم كانوا بعيدين إلى حد كبير عن هذا الذى نسميه «ما وراء المظهر» . والدليل على ما أقول أنهم منحوا الجائزة الأولى تمثالاً أزرق يمثل شيخاً معمما مهندما جالساً على حصيرة أنيقة جلسة يجلسها المصلون إذا ما فرغوا من صلاتهم وراحوا يسترجعون فى أذهانهم ما أنفقوه وما كسبوه فى يومهم ، ويستعيدون إلى ذاكرتهم ما قيدوا أنفسهم به من مواعيد أعمالهم أو لهوهم ... كل هـذا والمسابح فى أيديهم تجرى حباتها بين أصابعهم ! حبة تضرب حبة كدقات الساعات فى جيوبهم لا هم انشغلوا بها ، ولا هى لفتتهم إلى أوقاتهم . هذا التمثال الذى لا يطالع ناظره بأى معنى من معانى الصلاة أعطى الجائزة الأولى لأن مظهره حسن فى أعين حضرات المحكمين . والحق أنه أهل لجائزة ولكن على أن يقـدم فى مسابقة يكون موضوعها : « الجلوس على الحصيرة » لا « الصلاة » !

أما تمثال الصلاة فقد كان له أشباه فى المعرض لست أدرى كيف غمضت عنها عيون المحكمين ، فقد كان فى المعرض تمثال لشيخ فانٍ يقرأ التحيات ، ويومئ بسبابته اليمنى شاهداً أن لا إله إلا الله ، ويميل بكتف إلى جنب ميلة من ثقلت عليه الحياة فصبر ، ولكنه تخاذل فضعف وآن له أن يتحطم ، ولكنه استعان على ماضيه وحاضره ومستقبله . . . بالصلاة . وكان فى المعرض أيضاً تمثال لرجلين أحدهما كَبَّرَ ووقف يتلو الفاتحة ، والآخر لحقه فائتم به ورفع يديه ينوى الصلاة وراءه ... وقد ألقيت النظرة الأولى على هذا التمثال فلم أملك إلا أن أتلوّى ، فقد نخسنى وجه ذلك الرجل المتلهف على الصلاة نخسة موجعة . ذلك أن صاحبه أفرغ فى وجهه روحاً من البله والعته كانت أمر سخرية من صلاة الكثيرين !

كان هذان التمثالان فى المعرض وأولهما يكاد يفعم قلب الناظر إليه إجلالاً وخشوعاً إذا كان الناظر قد جرب الصلاة مثقلاً بالذنوب وبالحياة ، مؤملاً فى رحمة الله ومغفرته ، مسلماً له شأنه ، مفوضاً له أمره . وثانيهما كما رأيت فيه هذه الفكرة العجيبة الجريئة الشاذة التى ينقد بها صاحبه صلاة الكثيرين من المصلين .. ومع هذا فإن هذين التمثالين قضيا ما قضيا من الأيام والليالى فى صالة الكنتننتال ، وحظيا ما حظيا بشرف المثول بين يدى معالى وزير المعارف وزملاء معاليه وزميلاته ، ولم يلق عليهما واحد من هؤلاء تحية ، ولم يسعدهما من أولى الحل والربط فى فنون هذا البلد نظرة تقدير أو إعجاب

* * *

ولندع الآن الحديث عن معرض مختار لنعود إلى ما كنا فيه من الحديث عن فن النحت نفسه ، ولنحدد مكان هذا الفن من الفنون الجميلة . وأحسبنى الآن فى غنى عن تكرار التدليل على أن الحواس الإنسانية هى منافذ النفس ، وعلى أن النفس تحصل عن طريق هذه الحواس على أحاسيس وانفعالات وعواطف مختلفة ، فتخلطها وتمزجها وتنتجها بعد ذلك فناً تعبر به عن اتجاه صاحبها فى الحياة . فإذا كنت فى غنى عن هـذا فإن علىّ أن أقف عند النحت وقفة

خاصة أقرر فيها أن النحت هو فن الصمت وأنه بهذا كان أقرب الفنون من التصوف . فالنحات يسجل فى تمثاله خفقة واحدة من خفقات الروح لا يفتأ ينتظرها ويتوقعها ويبحث عنها حتى إذا ما سطعت له مرتسمة على الجسم عامة ، وعلى الوجه خاصة ، تعلق بها وطبعها على روحه أو قل إنه يطبع روحه عليها ويرصدها عنده إرصاداً ويقفها عليها وقفاً . وهو بهذا يختلف عن الأديب الذى يتنقل فى موضوعه من خاطر إلى خاطر ، والذى يطلق وصفه لهذه الخفقة نفسها من ناحية إلى ناحية ، والذى يأخذ قارئه فى طوافه بها من جانب إلى جانب ، وهو فى هذا غير الموسيقى الذى يسلسل اللحن ويوالى التنغيم ليؤدى باللحن بعد تمامه ما يؤديه النحات باللمحة التى خطفها من الطبيعة وثبتها فى تمثاله نخلدها عليه .

وهذا الأداء الذى يؤديه النحات لهو أشق وأعصى ما يرجوه الفن من الفنان ، فليس يسيراً أن يلحظ الإنسان كل ما ينتاب الناس من اهتزازات الروح ؛ وإذا كان من هذه الاهتزازات ما يبقى مواجهاً للعين والحس لحظة أو لحظات ، فإن فيها ما يتلاشى أثناء تكوينه !.. كلهفة الإعجاب التى تنتاب امرأة متزوجة عند ما تلمح تحت بصر زوجها وسمعه شاباً يروقها، فهى لا تكاد تسمح لوميض الإعجاب أن يلمع فى عينيها إلا ريثما تهب عليه نسمة من خجلها وربأتها أو عفتها تطفئه وتخمده. هذه اللهفة قد يصفها الـكاتب، وقد يصفها الشاعر ، وقد يصفها الموسيقى موصولة بغيرها ؛ وقد تؤديها ممثلة خيراً من أدائهما إذا كان بين النساء ممثلات فيهن من دقة الفهم والحس ما يقف بهن عند هزة خاطفة من هزات الروح كهذه ؛ وقد يؤديها أيضاً رسام مستعيناً عليها بالألوان والظلال . . . ولـكننى لا أتصور أن فناً من هذه الفنون جميعاً يؤتمن عليها مثلما يؤتمن عليها النحت الهادئ . ذلك أن قلة الأدوات التى يستعملها النحات فى فنه تبعثه على الاستعاضة عن التيسير الذى تتيحه الأدوات لأصحاب الفنون الأخرى بطاقة كبرى من روحه يجود بها على فنه، إذ ما قد يستطيع غيره أن يمسك من شعاع النفس لا يملك النحات إلا أن يبذله

والنحات لا يهتدى إلى أمثال هذه اللمحات السريعة التى رأينا إحداها إلا إذا عاش وهو حديد البصر يكاد يلتهم كل ما يراه التهاماً، فإذا ما وقع على شىء مما يطلبه جمدت عنده نفسه. وما أشق جمود النفس على صاحب الفن ، ولـكنه عند النحات هو السبيل الوحيد الذى يرصد به فنه لا يغنيه عنه التسجيل على الورق ، ولا ترضيه عنه الاستعادة والاستذكار ، فهو إذا قنع بهما رأى آخر الأمر أنه فقد شيئاً مما كان يطلبه ، وهو لا يريد أن يفقد مما يطلب شيئاً لأنه يطمع دائماً فى التوفيق إلى محاكاة صنع الله لأنه يدرك أنه ليس وراء فن الله فن . لهذا كان أكمل المثالين هو هذا الذى يستغرق فى موضوعه منذ أن يهتدى إليه إلى أن يؤديه؛ وهذا الاستغراق ـ كما قد يعلم القارئ ـ يركز إحساس النحات أو المثال فى لمحة من حركة أو سكنة من سكنات وضع . وعلى من يريد أن يتصور مشقة هذا وثقله على النفس والروح والبدن أن يجربه وأن يرى كم من الزمن يستطيع أن يستمر فيه ... فليبتسم ابتسامة رضى وليشعر معها بالرضى وليظل هكذا وليرَ كم يستطيع أن يظل ؟ فليقطب تقطيبة أسى ، وليشعر معها بالأسى وليظل هكذا وليرَ كم يستطيع أن يظل ؟!

هذا عمل لا يستطيع غير النحات أن يؤديه ، وهو لن يكون نحاتاً متمكناً إلا إذا استطاع أن يؤديه ... ومن العجيب أن النحات يطلب من أنموذجه أن يكون مرآته ، وأن يعينه على تهيئة الجو الذى يريد أن يندمج فيه ، وهو فى هذا معذور مسكين ... فهو حين يؤدى بروحه وبجوارحه ما يريد أن يسجله لا يرى نفسه ولا يستطيع أن ينقل عن صورته ... عندئذ يضطر أن يشرح للأنموذج ما يطلب أن تكون عليه هيأته ؛ وقليلاً ما يوفق النحات إلى طلبته ، ولعل قلة التوفيق هذه هى التى تلقى فى نفوس النحاتين الغرام بنماذجهم المطاوعة ، فـكم سمعنا بنحات يتزوج من أنموذجه بعد أن يفرغ من صنع تمثالها مهما كانت هذه الأنموذج فقيرة أو جاهلة أو ساقطة ... فهو لا يرى فيها إلا أنها مرآة تتلقى حسه وتعكسه فى وجهها

هذا هو النحات الحساس كما يريده الفن أن يكون

وهناك نحات آخر فيلسوف صاحب فكرة يرمز إليها بتمثال. ولعل مختاراً رحمه الله كان من هذا النوع حين أراد أن يكون من النوع الثانى فلم تسعفه موهبته. ونظرة واحدة إلى نهضة مصر مع نظرة واحدة أخرى إلى تمثال سعد زغلول فى القاهرة أو فى الأسكندرية تؤيدان هذا الرأى الذى أذهب إليه، فهمّة أبى الهول

فى التمثال الأول ليست إلا رمزاً لفكرة معجزة فى سهولتها أدى بها مختار معنى النهضة بما لا يمكن — فى إيمانى — أن يهتدى فنان إلى ما هو أسهل وأبلغ إيجازاً منها فى الوقت نفسه . فكم من العيون رأت أبا الهول القديم رابضاً ربضته ، وكم من القلوب أحست أيام الثورة بنزعة مصر إلى التوثب، وكم من العقول اهتدت إلى التوفيق بين ما تراه العيون وما تحسه القلوب غير عقل مختار

كان مختار إذن صاحب فكرة ، فهل كان من الحس فى مقام يدانى مقامه من الفكر ؟

قد يحب أنصاره وأصدقاؤه أن يجاملوه – وعلى الأخص بعد وفاته – فيعترفوا له بهذ الذى أريد أن أتريث قبل أن أقول كلمتى فيه ؛ بل الذى لا أريد أن أقول كلمتى فيه إلا بعد أن أحيلهم على تمثالى سعد زغلول وأرجوهم أن يصدقوا أنفسهم حين يرجعون إليها بما ينتابهم من الشعور بعد النظر إلى التمثالين ، فإن لم يكفهم النظر فليخضعوا إليهما زمناً وليروا : هل يقف بهم مختار حين يقف بهم عند واحد من هذين التمثالين أمام زعيم كانت له مميزات سعد زغلول الصارخة التى أقل ما سجلها له أعوانه وخصومه : جبروته ، وكبرياؤه ، ونفوذه ؟ أما أنا فأتحاشى المغالطة حين أقول إنى لا أشعر فى وقفتى أمام أى من هذين التمثالين بشىء من هذا الشعور ...

وما دمت قد عرجت على مختار ، فإنى أرى أنه من الوفاء لذكراه أن أسجل له إخلاصه لأساتذته المثالين الفراعنة ، واصطناعه أسلوبهم الذى يميل إلى الجلال مع التبسط ، وهو الأسلوب الذى جرى عليه مختار فى تماثيله جميعاً ، والذى عشقه مختار لأنه كان مصريًّا صادقاً فى مصريته ، ولأنه أراد باصطناعه أن يفاخر به الأساليب الغربية المتأنقة ليشهد معه أصحابها أن مصر أم الفن القديم لا تزال خصبة لم يصبها عقم ، ولم يعبث بأسلوبها الفنى القدم، ولم يقلل من روعته مر الزمن

ولقد أنشأ مختار بصنيعه هذا مدرسة جديدة فى النحت لها اليوم من طلبة الفنون الجميلة العليا وخريجيها تلاميذ ، وفيها من زملائه المدرسين فيها أساتذة ، ولكن الفرق بين مختار وبين أبناء مدرسته هؤلاء أنه شغف حباً بالفن المصرى من غير أن يرسم لحبه هذا خطة بينما هم قديمو الخطة ولما يتلاشوا إلى اليوم فى هذا الفن كما تلاشى فيه مختار . فأنت لا تجد اليوم واحداً من النحاتين المصريين إلا وتراه يحدثك فى إسراف عن الفن القومى، فإذا نظرت إلى التماثيل المصرية التى تنصب فى المعارض اليوم تعذر عليك أن تؤمن — مهما تعمدت هذا الإيمان — بأن الذين أنتجوا هذه التماثيل مصريون . ولو أن هؤلاء الشبان ربوا تربية فنية قومية صحيحة لأنتجوا فناً مصرياً صحيحاً . ولعل وزارة المعارف إذا كانت تهتم بأن تنتج فناً قومياً تفكر منذ اليوم فى نقل قسم النحت من مدرسة الفنون الجميلة العليا إلى أسيوط

وأخيراً ، فإنى لا أستطيع أن أدع هذا الموضوع قبل أن أذكر الفن العصرى أو الفن الحديث أو الفن « المودرن » كما يسمونه وقد بدأ يزحف إلينا ، وراح يروج له أنصار السرعة من النحاتين الذين لا يطيقون دراسة الصناعة اللازمة للفن . فهم يجيزون اضطراب النسب فى الأجسام ، ونشوز الحركات والأوضاع ، معللين هذا التجاوز بأنهم قوم لا يعبأون إلا بالفكرة والروح ...

هؤلاء لهم دينهم ولغيرهم دين يؤمن أصحابه بالله وبفن الله ، ويسبحون به مرحباً وموئلاً، فهو سبحانه وتعالى النحات الأول، وإنه سبحانه وتعالى لهو الفنان الأول ، فأى تمثال كإنسانه ؟ وأى كلام كقرآنه ؟ وأى أغنية يمكن أن تكون أبلغ وأصدق من أناشيد زبوره وألحانه

عزيز أحمد فهمى

من هنا ومن هناك

عصبة البنادق !!

للكاتب الفرنسي موريس برا

[ملخصة عن البتى باريزيان]

من فى العالم يفكر الآن فى مجلس عصبة الأمم المسكين وهو معلق من خناقه فى جنيف ؟

إن عصبة الأمم تضمحل ويتلاشى أثرها إن كان ثمت شىء يحمل هذا الاسم . ولقد تبتسم ونحن نفكر فى تلك الشخصيات البارزة التى شغلت ردحاً من الزمن بالعمل المتواصل حول تلك المائدة الخضراء فى جنيف !

أجل . يحق للانسان أن يبتسم ، بل يحق له أن يضحك ملء شدقيه لو كان فى القلب مكان للضحك !

ما مصيرك بعد نورمبرج يا جنيف ؟ إنها لفكاهة مريرة قاسية ! ماذا تصنع عصبة الأمم الوديعة أمام أحاديث هتلر المتدفقة بالبلاغة وتصريحاته السياسية الملتهبة التى تدوى فى أنحاء العالم ؟ إن عصبة الأمم لا تملك غير المداد والكلمات فى ميدان جرت فيه أبلغ الأحاديث وظهرت فيه أحزم الأفكار وأدق الآراء

إن عصبة الأمم المسكينة قد فقدت اعتبارها - ويا للأسف - بعد أن افتقرت إلى الأمم وأعوزتها القوة والنفوذ . ولكننا فى هذه الساعة الرهيبة الحالكة الظلام ، يصح لنا أن نفكر ونتأمل

ألم يكن الحق مقره جنيف ؟ ألم تقم دعامة للسلم فى جنيف لمكافحة الحرب ، لمكافحة القوة ، لمكافحة التسليح الذى يهدد العالم بالخراب ؟ أيوجد تدبير أحكم من اتحاد أمم العالم فى مجلس قوى منظم لحفظ السلام ؟

ألم يكن الخلاص فى جنيف ؟ ألا يمكن أن يكون الخلاص فى جنيف ؟ !

إنهم يقولون حلم بعيد التحقيق ويضحكون ويقهقهون . ولكن هل من العقل أن نظل كذلك الى الآن ؟

هل من العبث أن نتباحث ومن العقل أن نتحارب ؟ هل من العبث أن نبحث عن حلول سلمية عادلة لشئوننا المختلفة ، ومن المنطق أن نحكم القنابل فى كل ما نختلف فيه من الأمور ؟

أمن العبث أن نقدر الضمير الإنسانى ، ومن العقل أن نقبل حكم المدافع والقنابل بغير تبصر أو تفكير ؟

إنها ليست عصبة الأمم التى أفلست . وإنما هى المدنية التى أفلست ... إنها الإنسانية قد أصبحت « عصبة بنادق » ... وعلى الدنيا السلام ...

إيطاليا وقناة السويس

بقلم الكاتب الايطالى ف . بارنو

يقول هيرودتس أبو التاريخ إن العواهل من الحكام الأقدمين كانوا يحلمون بقطع تلك البقعة الصغيرة من الأرض التى تفصل خليج العرب الممتد من البحر الجنوبى (البحر الأحمر) عن الخليج الممتد من البحر الشمالى (البحر الأبيض المتوسط) وإلى الآن لم يختلف اثنان فى أهمية وصل هذين البحرين

ولقد كان نابليون بونابرت فى العصور الحديثة مأخوذاً بهذه الفكرة ... ولم يكن نابليون بالرجل الذى يعدل عن فكرة اتجه نظره إليها ، ولكنه عدل عنها تحت تأثير مهندسه « لابير » الذى أكد له أن بين مستوى الماء فى البحرين اختلافا عظيما قدّره بتسعة أمتار ، وأن هذه الفكرة مستحيلة التنفيذ

وفى سنة ١٨٢٠ حاول جيتانو جادينى الإيطالى أن يفند تلك الفكرة القائلة بوجود اختلاف بين مستوى سطح الماء . وجاء إيطالى آخر يدعى بجرللى فتقدم بأول اقتراح لشق تلك القناة، وبناء على اقتراحه تألفت جماعة من الفرنسيين والإيطاليين للبدء فى هذا المشروع الذى يعد أعظم مشروع حيوى فى ذلك العهد

ولكن أصغ إلى ما قالته انجلترا فى هذا المشروع حين نمى إليها خبره : أعلن لورد بالمرستون فى البرلمان الانجليزى أن أقل ما يمكن أن يقال عن هذا المشروع البعيد التحقيق أنه خرافة لا مثيل لها وتغرير لاحد له بعقول السذج الذين لا عقول لهم . كان ذلك فى أول يونية سنة ١٨٥٩

وفى ٦ من نوفمبر ١٨٦٩ افتتحت القناة، أو الخرافة العظيمة، فى موكب حافل مؤلف من ستين مركباً لمختلف الأمم ، مقلعة من بورسعيد إلى السويس وهكذا أصبح الطريق ميسراً من أوربا إلى غرب أفريقية

ولقد تبرعت انجلترا – على غير انتظار – بمبلغ عظيم من المال لتتقدم ذلك الموكب بسفينة عظيمة من سفنها

وقد كتبت التيمس قبل ذلك ببضع سنين تقول : إن هذا المشروع تعترضه مصاعب جمة ، وإن إتمامه أمر لا يستطيع أن يتصوره العقل قبل حدوثه . وإذا افترضنا وتمت هذه المعجزة بحال من الأحوال وأصبح مشروع قناة السويس أمراً واقعاً فإننا لا نستطيع إلا أن نعلن أن هذا المشروع يجب أن يكون إنكليزياً قبل كل شىء .

وإذ كانت هذه نظرة الإنجليز للمشروع ، وكان هذا مبلغ شكهم فى إمكان تحقيقه فإن موقف الفرنسيين أدهى وأمر ! فقد اختلسوا من إيطاليا فخر تنفيذه !

إننا نحن الذين أوجدوا المشروع وأذاعوا نبأه فى العالم . ولقد كان لنا نصيب وافر فى الأحوال التى بذلت فى سبيل تنفيذه.

وإننا نحن الذين قدموا العمال والصناع للعمل فيه وقمنا بنشر الدعاية اللازمة فى الدوائر الاقتصادية المختلفة لمتابعة السير فيه

وكل ما للفرنسيين من الفضل فى هذا المشروع هو تقديم المهندس الذى قام بتأسيس القناة وهو المسيو فرديناد دى لسبس الذى كان لحظه صديقاً لسعيد باشا حاكم مصر فى ذلك الزمان

. وتظهر قيمة دى لسبس الحقيقية حين هم بإنشاء قناة فى بنها مثل قناة السويس وهنا الفضيحة التى لا يجهلها إنسان !

وذلك أن دى لسبس لم يكن له مرشد حينما أراد أن يسير فى ذلك المشروع ، فلم يكن له سند ولا دليل من الإيطاليين

فقد كان جاتينو جدينى الإيطالى هو الذى قام فأثبت خطأ النظرية القائلة بالتفاوت بين ارتفاع سطح المياه ، وبجرللى الإيطالى هو الذى قدم تصميم بناء القناة بينما قام بترمو بلوكابا الإيطالى أيضاً بالعمل، وادوادو جوايا الإيطالى الذى قام بالقسط الأوفر فى التأسيس، وتوسللى أخيراً الذى دافع عن الفكرة أمام خصومها وأعد حملة من الكتاب والصحفيين لنشر الدعاية لها ...

ماذا يضايق الانجليز ؟

نشرت مجلة تصدر فى برلين مقالاً تحت هذا العنوان نلخصه فيما يأتى :

للانجليزى مقدرة عجيبة على التضجر ينفرد بها عن سائر الناس . فهو يتعمد أن يدوس على الأقدام عامداً متعمداً ليبدو أنه سيد العالم

فما يضجر الإنجليزى أن تأكل أمامه ونفسك مفتوحة للطعام ، وحسبك أن تمضغ لقمة لتكون قد خرجت عن حدود اللياقة والعرف

لا بأس لدى الإنجليزى أن يراك ثملاً ، مادمت تستطيع أن تسير فى الطريق فى هدوء واعتدال

ويتضايق الإنجليزى إذا جلست معه إلى طعام وأدخلت ملعقة الحساء مثلاً فى فمك ، فإنه يعد ذلك من علائم الانحطاط وسوء التربية

ومما يضايق الإنجليز أن تدخن وانت فى لباس السهرة — وقد فعل ذلك سفير أمريكا — فقوبل عمله بنقد شديد . وعلى أن هذه العادة أخذت تزول منذ ظهر مستر بلدوين يدخن لأول مرة فى لباس السهرة



أبو تمام – خليل مطران

١ – أرجو أن يثق الأستاذ الجليل (القارىء) أن البيت (من كل بيت يكاد الميت يفهمه) لأبي تمام لا للبستي. ولو أن الأستاذ الجليل أعاد قراءة ديوان أبي تمام وديوان البستي لوجد فيه قوة أداء أبي تمام وهي قوة الأداء التي يفتقد (مثلها) في ديوان البستي . أما قوله إن البيت ليس في ديوان أبي تمام فسهو منه لأنه في ديوان أبي تمام في باب المعاتبات صفحة ٤٠٩ من الطبعة التي قرظه فيها الأستاذ إسعاف النشاشيبي ، وهو في قصيدة مشهورة موجودة في الديوان وفي غير الديوان قالها يعاتب بها محمد بن سعيد كاتب الحسن بن سهل وأولها هكذا :

محمد بن سعيد أرْعِنِي أذُناً ... فما بأذْنِكَ عن أكرومة صمم
لم تُسقَ بعد الهوى ماء على ظمأ ... ماء كقافية يَسْقِيكَهُ فَهِمُ
من كل بيت يكاد المَيْتُ يفهمه ... حسناً ويعبده القرطاسُ والقلمُ
مالي ومالك شِبْهٌ حين أنشده ... إلا زُهَيْرٌ وقد أصغى له هرم

الخ . ويروى الشطر الثاني من البيت الثاني في بعض الكتب (كماء قافية) وأظن أن الأستاذ (القارىء) أخطأ فهم قول الثعالبي فإنه أراد أن يمدح قول البستي ببيت أبي تمام على سبيل الاستشهاد والتضمين فقال الثعالبي : يعجبني قوله من كل بيت الخ أي يعجبني قوله من الأبيات التي صفتها كيت وكيت . وأرجو أن يسامحني الأستاذ الجليل (القارىء) في هذا البيان

٢ – قال الدكتور أدهم إني تأثرت بطريقة خليل بك مطران. وهذا يشرفني لو كان حقيقة، ولكنه ليس حقيقة، فإني لم أتأثر بطريقة خليل بك لا في قليل ولا في كثير . وإذا استطاع الدكتور أدهم أن يجيء بشواهد فإنها تكون شائعة بين الشعراء فليجيء بها، وإذا ساعدني اطلاعي الضئيل وذاكرتي الضعيفة أثبتُّ أني احتذيتها إما في شاعر آخر وإما لأنها شائعة بين الشعراء. وقد أرسلتُ لمجلة (المقتطف) المقالة الأولى في الرد على قوله عقب قراءتي مقالته في مجلة المقتطف. وليطمئن الدكتور أدهم فإني سأثبت له بمقالات عديدة وشواهد وأسباب كثيرة أنه واهم في قوله كل الوهم

ومما لا يقبله العرف الإنجليزي أن تطلب فتاة أو زوجة حديثة السن للرقص قبل أن تقدم إليك اذا جمعكما منزل واحد

ولا يطيق الإنجليزي أن يراك تتكلم في الفلسفة أو الدين إلا إذا دعاك هو للكلام في هذه الشئون ، لأن الإنجليزي يعتقد في نفسه العصمة من كل ما يسبب الضجر للآخرين . وهو يميز نفسه دائماً عن الأجنبي ، لأن الأجنبي لا يعرف ما يضايق الإنجليز

وهذا المظهر من عادته أن يجعل الأجانب من رجال السياسة الذين يفدون إلى انجلترا على حذر في كل ما يأتونه هناك إن لم يكن عندهم شيء من الرصانة والثقة بالنفس

فإذا عرف إنسان ما يضايق الإنجليز في بلادهم ، فقد أصبح انجليزيا في عرفهم مهما تكن جنسيته

وقد نقلت هذه النبذة مجلة انجليزية تحت عنوان (ماذا يقولون عنا) وعلقت عليها بنبذة من كلام أمرسون عن الخلق الإنجليزي جاء فيها :

(إن الإنجليزي لا يقدم على عمل بنصف قواه ، ولكنه يقدم عليه بكل قواه . إنه لا يطيق حياة الرخاوة والكسل بحال من الأحوال . والإنجليز على جانب عظيم من المقدرة في سياستهم وإن شك بعض الحمقى في ذلك

إنني أعتقد أن في الإنجليزي قدرة على تجديد قواه الكامنة في كيانه ، وذلك يدل على أن هذه الأمة قادرة على التجديد دائما . وكل شيء يقدر عليه الإنجليزي يفعله بغير تردد)

ونحن نرجو أن تكون هذه المساجلات كل ما يقع بين الأمتين.

أولاً : لأنى اطلعت على الأدب العربى والأوروبى فى سن مبكرة بالمدارس الابتدائية والثانوية وذكرت الأدلة وقرنت بين كل قصيدة لى والقصائد التى احتذيتها فى مقالة (المقتطف)

ثانياً : إن قوله إن شعرى يغلب عليه التشاؤم خطأ، ولا أظن أنه يرفع قدر شعر مطران لو صح ، وفى شعرى التفاؤل والتشاؤم

ثالثاً : إن ثقافتى الأوربية فى أول نشأتها كانت ثقافة انجليزية، وثقافة مطران فى أول نشأتها كانت ثقافة فرنسية . ويتضح ذلك من توجيهى قصيدة فى الجزء الأول من ديوانى إلى الشاعر بيرون، ومن تعلمى اللغة الإنجليزية واتساع المجال إلى قبل سفرى إلى انجلترة وبعده للاطلاع على الأدب الإنجليزى

رابعاً : إن الأدب الفرنسى الذى اطلعت عليه اطلعت عليه فى كتب مترجمة إلى اللغة الإنجليزية لا فى شعر مطران، وإذا شرفنى الدكتور أطلعته عليها وعلى ما أشرت به فى هامشها

خامساً : إن كثيراً من شعرى ونثرى يغلب عليهما التحليل النفسى أو السخر أو التفكير فى مذاهب التفكير الأوربيــة الإنجليزية والفرنسية والألمانية الخ. ولم أر ولا أظن أن أ كثر القراء رأوا مثل ذلك فى شعر مطران ، وسأوضح مراجع هذا التفكير الذى تأثرته فى الأدب الأوربى

سادساً : إنى لم أطلع على ديوان مطران إلا بعد نشرى جزءاً من شعرى على الأقل. وقد كنت قرأت شعر البارودى فى الصغر ورثيته بقصيدة نشرها خليل بك نفسه فى مجموعة مراثى البارودى، وكانت قراءتى لشعر البارودى لنشر أستاذه المرصفى الـكبير كثيراً من قصائده وقصائد من عارضهم فى كتاب (الوسيلة الأدبية) الذى وجدته فى مكتبة أبى وأنا تلميذ بالمدارس الابتدائية

سابعاً : إنى لم أقابل الأستاذ مطران غير ثلاث مرات ، مرة فى قهوة نلسون فى الصيف بالإسكندرية على غير قصد ، ومرة أخبرنى الدكتور أبو شادى أن خليل بك يرحب بأن أزوره ، والمرة الثالثة قابلته أخيراً فى مكتب العشماوى بك فى وزارة المعارف (أو هما مرتان) . ولم يحاول فى مرة منها أن يجعلنى تلميذه أو أن يشجعنى، ولم يشر إلى أنى أقاربه فى مذهبه؛ بل إنى ظننت وبعض الظن إثم ، أنه فى حديثه عن الأدب فى قهوة نلسون فى اللقاء الأول كان ينتقد مذهبى من غير إشارة إلى انتقاداً مراً ، وكنت قد نشرت أربعة أجزاء. والذى أعرفه أن خليل بك فى ذلك العهد كان يتنصَّل من أن يكون قد أثر فى الشعراء الشبان . وإذا كان قد شجع شباباً غيرى فإنه لم يشجعنى مطلقاً إلا بنشر رثائى للبارودى قبل ذلك العهـد وقد أرسلته بالبريد ولم أكاتبه مرة أخرى . والحقيقة أن كلمة التجديد فى ذلك العهد كانت يساء بها الظن كما لا يزال يساء بها الظن، وأن هذا كان من دواعى موقف خليل بك، وقد تحول الآن قليلاً

ثامناً : إنه من سوء حظى أنى عند ما اطلعت على شعر خليل بك لم أطلع على أحسنه وأروعه وأفخمه ، بل اطلعت على القصائد التى نظمها لمداعبة الآنسات السوريات وجعلها على قدر فهمهن فظننت أن كل شعره من هذا القبيل . وزاد هذا الاعتقاد أنى قرأت له شعراً يشبه بعض شعر الحفلات والحياة الفرنسية الاجتماعية. وقوى هذا الاعتقاد إكثاره من شعر المناسبات اليومية التى لا أكتب فيها ولا أرى أنها من خير الشعر، وقلة اهتمامه بنشر شعره لاشتغاله بالتجارة مما أخمل شعره الجليل وقلّل أثره؛ ومَدْحُ بعض الشعراء المتطرفين فى التجديد له جعلنى أشك فى شعره وأزهد فى قراءته ومنعنى من تأثره والاستفادة منه كما كان ينبغى

عبد الرحمن شكرى

عبث الوليد

قرأت ما كتبه الأستاذ الـكبير عبد الرحمن شكرى عن أمير الصناعة البحترى فكان عندى موضع إعجاب وإجلال. وإنى لمعجب ومقدر لما يكتبه الأستاذ من الأبحاث القيمة والموضوعات الأدبية الطريفة فأقرأه بشغف وأتزود منه وأنتفع به . غير أن لى ملاحظة على قوله إن المعرى « شرح ديوان البحترى وسماه عبث الوليد . ولعمرى لو كان شعر البحترى عبثاً ما احتفل له أبو العلاء ولما سلخ له زماناً من عمره فى شرحه وإلا كان المعرى عابثاً لإضاعة وقته فى شرح العبث الخ »

فإن المعرى لم يشرح ديوان البحترى كله . وحاشا المعرى أن يسمى سلاسل الذهب عبثاً . وكيف يصح ذلك منه وهو الذى يقول : « المتنبى وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحترى » وهذه شهادة منه تعتبر أرقى من أهم شهادة فى هذا العصر

وإنما اختار أبياتاً ارتكب فيها البحترى ضرورة من الضرورات أو استعمالاً شاذاً أو مذهباً نحوياً غريباً فشرح هذه الأبيات وبين ما فيها وأسماها عبث الوليد

وهذا الـكتاب طبع بدمشق ويوجد منه نسخة بدار الـكتب المصرية مأخوذة بالتصوير الشمسى برقم ٧٩٥٧ . وهذه بعض أمثلة منه

حرف الهمزة من التى أولها : زعم الغراب منبئ الأنباء :

فلعلني ألقى الردى فيريحنى   عما قليل من جوى البرحاء

الأكثر فى كلامهم لعلى وبها جاء القرآن وربما جاء لعلنى وهذا البيت ينشد على وجهين :

أريني جواداً مات هزلاً لعلنى   أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

ومنهم من ينشده لأننى وهو بمعنى لعلنى الخ

وقال فى محل آخر :

لم تقصر علاوة الرمح عنه   قيد رمح ولم تُضِعْهُ خطآء

خطآء بفتح الخاء ردئ إلا أنه جائز وقد حكى عن بعض القُراء المتقدمين : « أنه كان خطآء كبيرا » بالفتح والمد والكسر أجود ليكون مصدراً لخاطأ لأنهم قد قالوا تخاطأته المنية قال الشاعر :

تخاطأت النبلُ أحشاءه   وأُخِّرَ يومى فلم يَعْجَلِ

ويجوز أن يكون خطآء وهو مأخوذ من الخطوة كما يقال خطأه الله السوء أى جعل السوء يخطوه فلا يمر به ، وقال :

وما دول الأيام نعمى وأبؤساً   بأجرح فى الأقوام منه ولا أسوى

قوله أسوى تسامح من أبى عبادة لما كان الأسو ظاهر الواو وكذلك قولهم أسوته فى الفعل فأنا آسوه آنس بالواو ، فجاء بها فى أفعل الذى يراد به التفضيل وإنما القياس ولا آسى وما علمت أن أحداً استعمل هذه اللفظة التى استعملها أبو عبادة وكأنه قال : ولا أوس ثم نقل الواو إلى موضع العين وإذا بنى من أسا يأسو مثل أفعل فالأصل أن يجتمع فيه همزتان إلا أن الثانية تجعل ألفاً كما فعل بها فى آدم فهذه الألف جاء بها أبو عبادة فى أسوى بعد الواو يجب أن تكون الهمزة المخففة وقد أبدع فى استعماله هـذه الكلمة ومن التى أولها :

أبا جعفر ليس فضل الفتى   إذا راح فى فرط إعجابه

ولـكنه فى الفعال الكريـم   والخلق الأشرف النابه

جاء بالنابه مع إعجابه فجمع بين الهاء الأصلية وهاء الأضمار وذلك قليل إلا أن الفحول قد استعملوه واستحسنه كثير من المحدثين. وقالت امرأة من العرب تهجو ضرتها وتخاطب زوجها :

بطون كلب الحى من جدارها   أعطيت فيها طايعاً أو كارهاً

حديقة علياء من مدارها   وفرساً أنثى وعبـداً كارهاً

ومن التى أولها : وكان الشلمغان أباً موهاً :

بنو الأطروش لوحضروا لكانوا   أخص مودة وأعم رأيا

قوله الأطروش يقول بعض أهل اللغة إنها كلمة لا أصل لها فى العربية وقد كثرت فى كلام العامة جداً وصرفوا منها الفعل فقالوا طرش يطرش وأفعول بناء عربى كثير. ويجوز أن يكون من أنكر هذه اللفظة من أهل العلم لم تقع إليه لأن اللغات كثيرة ولا يمكن أن يحاط بجميع ما لفظت به القبائل . وكان عبد الله ابن جعفر بن درستويه يذهب إلى أن كلام العرب لا يمكن أن يدرك جميعه إلا نبى إذ كان غاية ليست بالمدركة. وممن كان ينفى الأطروش عن كلام العرب أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى الخ

هذه طريقة هذا الكتاب وهو كتاب جليل على صغر حجمه نافع لا يصح أن يكون مجهولاً غير معروف بين الأدباء والسلام على الأستاذ

ابراهيم بسى القطانه

المبتدأ الذى لا خبر له

لا شك فى أنه يوجد فى علومنا ما يحتاج إلى التمحيص ، ولقد درست النحو فى هذه السنة فدرجت فيه على عادتى فى الدرس من إيثار تمحيص المسائل على ترديدها كما دونها المؤلفون . ومن ذلك مسألة المبتدأ الذى لا خبر له، وهو الذى أشار إليه ابن مالك فى قوله:

وأوّلٌ مبتدأ والثانى   فاعلٌ اغنى فى أسارٍ ذانِ

وهم يقولون فى إعراب هـذا المثال : الهمزة للاستفهام ، وسار مبتدأ ، وذان فاعل سد مسد الخبر . وفى هذا الإعراب المشهور مؤاخذة من وجهين : أولها أن هذا الوصف ليس مبتدأ فى المعنى، لأن المبتدأ فى الجملة الاسمية هو المحدث عنه أو المسند اليه أو المحكوم عليه ، والخبر هو المحدث به أو المسند أو المحكوم به ، والوصف فى ذلك المثال جار مجرى الفعل ، فهو محدث به لا محدث عنه ، ومسند لا مسند إليه ، ومحكوم به لا محكوم عليه

وثانيهما أنه كلما كان هناك مبتدأ وجب أن يكون هناك خبر ، فلا يمكن وجود مبتدإ لا خبر له ، وهذا كما لا يمكن وجود خبر بدون مبتدأ ، ولا وجود فعل أو فاعل بدون الآخر ، وذلك لأنه لا يعقل وجود محدث عنه أو مسند إليه أو محكوم عليه بدون وجود محدث به أو مسند أو محكوم به ، ولا يمكن أن يسد الفاعل الذى بعد ذلك الوصف مسد الخبر ، لأن الفاعل مسند إليه ، والوصف إذا كان مبتدأ يقتضى مسنداً لا مسنداً إليه

فإذا قيل إنه ليس معنى المبتدإ هو المسند إليه أو نحوه ، وإنما هى تسمية اصطلاحية تمعنى الاسم العارى عن العوامل اللفظية ، فيكون ذلك الوصف مبتدأ بهذا المعنى ، وإن كان مسندا لا مسندا إليه ، فالجواب أن هذه التسمية الاصطلاحية لا نظير لها فى علم

النحو ، فلا يسمى فيه فاعل إلا إذا كان فى المعنى فاعلاً ، ولا يسمى فيه مفعول إلا إذا كان فى المعنى مفعولاً ، ولا يسمى فيه حال إلا إذا كان فى المعنى حالاً ، وهكذا . فيجب أن يكون المبتدأ كذلك ، ولا يصح أن تكون تسميته تسمية لفظية صرفة ، لأنه لا يوجد فى النحو إعراب لا معنى له

والذى أراه أنه لا يجب أن يعرب مبتدأ كل اسم عرى عن العوامل اللفظية ، وقد استثنوا من ذلك اسم الفعل فلم يعربوه مبتدأ ، وأنا أستثنى منه ذلك الوصف فلا أعربه مبتدأ أيضاً ، وإنما يعرب عندى اسم فاعل مرفوعاً لتجرده من العوامل ، كما يرفع الفعل المضارع لتجرده منها . فإذا كان اسم مفعول أعرب اسم مفعول ، وهكذا . وبذلك يستقيم جعل ذلك الوصف مسنداً ، وجعل مرفوعه مسنداً إليه .

عبد المتعال الصعيدى

مباراة موسيقية غنائية تنظمها جماعة الأسايست فى القاهرة

نظمت جماعة الأسايست بالقاهرة مباراة علميـة فى البحوث الموسيقية والغنائية ، وأعدت للفائزين فيها أربع جوائز ، اثنتين منها للبحوث المقدمة باللغة العربية ، والأخرين للبحوث المقدمة باللغتين الفرنسية أو الإنجليزية

أما الموضوعات التى اختيرت لهذه المباراة فهى :

الموسيقى العربية — بحث فى أحد أعلامها (أعماله ، منبع إلهامه ، أثره فى الموسيقى العربية ، الخ .) وآخر فى الأغانى الشعبية المصرية ، وثالث فى الموسيقى المصرية الحديثة

الموسيقى الغربية — بحث فى ترجمة حياة أحد الأعلام الثلاثة : باخ — بيتهوفن — دبوسى ، وبحث آخر فى السوناتا ، وثالث فى عصر من العصور الموسيقية : العصر القديم (الكلاسيكى) ، العصر الإنشائى (الرومانطيقى) ، الموسيقى بعد الحرب ، الموسيقى المقارنة ، بحث فى المقابلة بين الموسيقى العربية والموسيقى الغربية والصلة بينهما قديماً وحديثاً

والاشتراك فى هذه المباراة مباح للمقيمين فى مصر ، بشرط ألا تزيد سنهم على الثلاثين ، وألا تستغرق البحوث أكثر من ثلاثين صفحة من القطع الكبير مع عدم النقل الحرفى من المراجع . وتقدم طلبات الاشتراك حتى آخر الشهر الحالى ، والبحوث إلى يوم ٣١ مايو المقبل مع رسم قدره ١٥ قرشاً باسم سكرتيرية الجماعة بشارع المغربى رقم ٩ بالقاهرة

أما لجنة التحكيم فقد ألفت من حضرات الدكتور محمود احمد الحفنى رئيساً ومدام بتسى ستروس وكيلة ، ومصطفى رضا بك ، والأستاذ توفيق الحكيم ، والدكتور . ب . شيفر المستر ، والأستاذان ج . هوتيل ، و ا . تيجرمان ، والدكتور هانس هيكمان : أعضاء ، والمسيو سالتيل سكرتيراً

دار الثقافة فى السودان

من بين المهتمين بإيجاد دار تجمع المثقفين من المصريين والبريطانيين والسودانيين لتبادل الرأى وتوثيق التعارف ، المستر ولسن مساعد السكرتير الإدارى بالخرطوم . وقد ذكر أن ثلاث شخصيات كان لها الفضل فى اقتراح هذا المشروع وتأييده هم المستر كوكسن مدير المعارف والمستر نيوبولد والمستر كنجز . وقال إن بعض الناس يطلقون عليها اسم نادى القلم ، وهذا خطأ إذ أن الاسم المراد إطلاقه عليها هو دار الثقافة

وسيباح الاشتراك فى هذه الدار لجميع الأجناس . وستزود بالكتب الإنجليزية والعربية ، وستلقى فيها محاضرات فى شئون تهم الوطنيين والبريطانيين وتهم السودان بصفة عامة

عودة البعثة الألمانية من القطب الشمالى

وصلت البعثة الألمانية العائدة من القطب الجنوبى إلى كوكسهافن على الباخرة شوابنلند وقد حصلت على نتائج مهمة . وكان المارشال جورنج قد أمر بتأليفها ضمن استكشاف منطقة تمتد إلى شرق خط جرينتش وغربيه فى القارة المتجمدة الجنوبية . وقد بلغت الباخرة شوابنلند تلك الأصقاع فى يناير الماضى وبدأت البعثة أعمالها فى الحال

وقامت برحلتين جويتين وضعت بهما الخرائط لإقليم لم يستكشف بعد وتبلغ مساحته ٣٥٠ ألف كيلو متر مربع ، ويبلغ مجموع مساحة الأراضى التى استكشفت من قبل ٦٠٠ ألف كيلومتر مربع . ويتألف الإقليم الذى استكشف من بقعة واحدة يحدها من الشرق نجد من الجليد يرتفع فجأة ويمتد فى اتجاه القطب ويحتوى على سور من الصخور يختلف ارتفاعاً وهبوطاً إلى أن يتصل بالقطب . وقد جاءت الخرائط التى وضعت لكل ذلك فريدة فى بابها

ونزلت البعثة فى أثناء طيرانها على حواجز من الجليد ورفعت العلم الألمانى على كثير من القمم وجعلت تلقى كلما اجتازت ١٥ كيلو علماً من أعلام الصليب المعقوف . ثم إن البعثة استكشفت الحاجز الجليدى حتى الدرجة ١٨٫٣٠ شرقاً وجابت الشاطئ حتى الدرجة

٢٠ شرقاً . وفى ٦ فبراير شرعت السفينة فى العودة لأن سوء الطقس وحالة الجليد كانت تنطوى على أخطار كبيرة . وأثبتت الطائرات المائية جودتها الفائقة فى استخدامها فى تلك الأصقاع . وتبلغ أقصى نقطة جنوبية وصلت إليهـا البعثة الدرجة ٧٢ والدقيقة ٤٤ جنوباً والدرجة الصفر من خط الطول . أما أقصى نقطة غربيــة فهى الدرجة ٧١ والدقيقة ٣٣ جنوباً والدرجة ٤ والدقيقة ٥ غرباً . وبلغت أقصى نقطة شرقية الدرجة ٢٢ والدقيقة ١٠ جنوباً والدرجة ١٦ والدقيقة ٣٠ شرقاً . ووضعت الأعلام الألمانية على هذه الدرجات لتعيينها . وقامت البعثة إلى جانب كل ذلك بجس بالراديو فى ١١٩ موضعاً ، وكان ٣١ موضعاً منها على علو يزيد على ٢٠ ألف متر . وقام الأستاذ باركلى العالم البيولوجى بأبحاث تتعلق باحتمالات صيد الحيتان وأجرى تجارب بالشباك ودرس حياة الحوت

الأدب المصرى فى نظر المستشرقين

سبق للرسالة أن أشارت إلى أن الأستاذ المستشرق الكبير بروكلمن ينشر الآن الجزء الثالث والأخير من تكملة كتابه « تاريخ الآداب العربية » والذى فيه يتناول مظاهر الأدب المصرى شعراً ونثراً . هذا إلى جانب المحاضرة التى ألقاها فى مؤتمر المستشرقين المنعقد فى بروكسل فى السنة الماضية والذى عرضت له الرسالة فى حينه . وقد لفت الأستاذ بروكلمن فى محاضرته هذه ، أنظار المستشرقين إلى ضروزة نقد كتب الأدب العربى الحديث . وقد ظهرت بوادر ذلك فى عدد فبراير سنة ١٩٣٩ من مجلة المشرقيات (Olz) وهى أهم مجلة ألمانية موقوفة على النقد فى دوائر الاستشراق حيث نشر المستشرق المعروف هاج Haog ببرلين نقداً لمسرحية الدكتوربشرفارس « مفرق الطريق » . بدأ المستشرق نقده بذكر مؤلفات الدكتوربشرفارس فى الأدب والعلم وأشار إلى مكانتها ، ثم تطرق إلى المسرحية فبين الفكرة البعيدة المرمى التى تدور عليها المسرحية من الناحية الفلسفية ، ووصف الطريقة الرمزية فى التعبير عن العواطف والحركات على المسرح ، فقال إن الحوار فى المسرحية بين النطق والإشارة مما يتطلب من المخرج مقدرة ويترك له مجال الافتنان . أما لغة المسرحية فيراها الناقد منتقاة . وقد يتفق للقارئ أن يقف أحياناً لتفهم تعبير جديد فى الأدب العربى . وهنا يرى المستشرق هاج أن النقاد عندنا أثبتوا قدر هذه المسرحية على اختلاف مناحيهم : فذكر أنها نالت من الناحية الأدبية تقدير الدكتور زكى محمد حسن (أهرام ٢٥ ابريل سنة ١٩٣٨) ومن الناحية الفنية اعتراف الأستاذ زكى طليمات بأنها حدث جديد (الرسالة عدد ٢٥٠ فى ١٨ ابريل سنة ١٩٣٨) ثم ذكر رأى الناقد ميخائيل نعيمة بأنها كرزى جديد فى الأدب العربي (الرسالة عدد ٢٥١ فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٣٨) ثم عقب المستشرق هاج بأن هذه المسرحية تمهد طريق الاستحداث الأدبي فى العالم العربى كما وقع ذلك فى الأدب التركى . ثم يختم المستشرق بهـذا السؤال : هل يقدر للمؤلف أن يصل إلى الغاية التى يقصد إليها ؟ فجاء جوابه أن هذه المسرحية إن لم يتفق لها أن تحقق الغاية فى المستقبل فإنها قوبلت بارتياح عظيم . وزاد على ذلك أن المؤلف لايشك فى أنه قد حان الزمن الذى فيه أصبح الإيجاز والإيماء فى الإنشاء الرفيع أحب إلى القارئ العربي المهذب من التطويل والتذييل

م . ك



من بواكير الشباب

قصص وشعر

للأديب محمد فهمي عبد اللطيف

في شبابنا يقظة أدبية وثابة ، ولهفة على التأليف في الأدب خصوصاً في القصص والشعر ، وما من يوم يمضى دون أن يحمل إلىّ البريد قصة أو ديواناً يطلب مني صاحبه أن أقدمه للقراء ! ومهما يقل بعض الناس في شأن هذه اللهفة ، فإنها لا شك بشرى طيبة لعلها تصل بأصحابها إلى نهضة أدبية قويمة متى وجدت المدد والبخور والعطف والتشجيع

وهذه باقة من نتاج الشباب في القصص والشعر نضعها بين يدى القراء الكرام ، وإن فيها من طيب الشذى ما ينعش النفس ويغمر الإحساس والشعور ، وهل الشباب إلا إحساس وشعور !

في سبيل الخلافة

قصة تاريخية مسرحية ، وضعها الأديبان : ابرهيم حسن جعفر وعبد الغفار الجنبيهى ، وموضوع القصة موضوع تاريخى يتصل بالصدر الأول للاسلام . ذلك العصر العظيم بأبطاله ، الزاهى بتراثه ، الفخور برجاله ، والقصة جيلة في تسلسل حوارها ، وانسجام أسلوبها ، وتحرى الصواب في سرد حوادثها ، فغاية الفن فيها التهذيب والتزويق ، لا الكذب والتزوير ، فأنت إذ تراها قصة أدبية قوامها الحوار والتمثيل ، فأنت تجدها في الوقت نفسه قطعة رائعة من التاريخ لها كل مميزات الكتابة التاريخية ، وإنها لتبشر بمستقبل لمؤلفيها في الأدب ، وتدل على استعداد للقصة

قبل الانتحار

وهذه قصة بقلم الأديب خليل منصور الرحيمى ، وقد قدمها إلى القراء الأستاذ الكبير ابرهيم عبد القادر المازني وقال في تقديمها : هذه قصة منتزعة من صميم الحياة ، فلا تقليد ولا محاكاة ولا تمصير ولا شيء إلا صورة نفس مصرية على قدر ما وسع صاحبها أن يتقصى جوانبها ، ويغوص في أعماقها ، ويلم بألوانها ، ولقد أجاد بحق ، وليس فيه من العيوب إلا ما لا بد منه ولا معدى عنه في سن الشباب ، والزمن والتجربة علاج كاف مضمون !

والقصة في موضوعها هي قصة المؤلف في الحياة ، وما لاقاه فيها من حوادث ، وما أثرّ على نفسه من مؤثرات . والناس جميعاً متشابهون فيما يقاسون من صروف الدهر ، وعنت الأيام ، ولكن القليل فيهم هو الذى ينتفع بالتجربة ، ويتدبر العواقب ، ويستخلص النهج الذى يجب أن يسلكه هو وأمثاله . والأديب حينما يقدم لك صورة من نفسه ، فإنه في الواقع يقدم لك صورة من الحياة ، ولكن بعد أن يقربها لعقلك وإدراكك ، ومن ثم تكون اللذة والإفادة . فلعل الذين يطالعون هذه القصة يجدون فيها كما وجدت صورة رائعة تمثل في حياة نفس مصرية

في غرفة التحقيق

وهذه قصة كسابقتها ، هي صورة من حياة مؤلفها الأديب محمود محمد علوان ، ولكنها حافلة بتعدد الشخصيات وكثرة المناظر ؛ وكأني بها قطعة صادقة من الحياة الواقعية ، أراد صاحبها أن يتحرى فيها الصدق والإخلاص فبلغ غايته ووفق إلى ما أراد

صدر القصة سرد لتاريخ المؤلف وصلته بالحياة وبالناس وهو في كنف والده أيام الدراسة ، وهي إلى هذا الحد قصة عادية أشباهها

فى الحياة كثير . ولكن المؤلف بعد ذلك يقص حياته فى العمل بسكرتارية التحقيقات بنيابة دمنهور ، وهو فى هذه المرحلة لا يحفل بشخصه ، ولكنه يهتم بتصوير ما يصادفه من الحوادث العجيبة ، والشخصيات الغريبة ، والوقائع التى تبكى وتضحك مما يتصل بأعمال النيابة فى الضبط والمعاينة والتحقيق ، ولا شك أن المؤلف قد تأثر كثيراً بالأستاذ الحكيم فى يوميات نائب فى الأرياف وإن كان بينهما البون الشاسع فى سرد الوقائع ، وترتيب الحوادث ، والوضع الفنى للقصة

وأسلوب الكاتب أسلوب سهل قريب إلى النفس ، يدل على طبع موهوب وإن كان لا يخلو من هفوات لا يسلم منها الناشئ

القصتان

وهما قصتان من صميم الحياة المصرية، إحداهما بعنوان « ثورة » والأخرى بعنوان « الرضيع » وضعهما مؤلفهما الأديب عبد الحفيظ أبو السعود دعاية للفضيلة ، وانتصاراً للأخلاق الكريمة التى عصفت بها روح العصر ، وطغت عليها مدنية زائفة كلها الأذى والشر والتبذل والفساد لنفوس الشباب ، وقلب الأوضاع الثابتة ، والتقاليد المرعية

والمؤلف الفاضل بارع فى السَّرْد القصصى ، وحبك الوقائع حتى ليسير بالقارئ فى تسلسل وانسجام ، فلا نبو ولا شذوذ ولا اقتضاب ، ولكنها طبيعة الحياة ، واطراد الحوادث . وأسلوبه قوى سليم ، ولكن يكثر فيه الترادف والتعابير الضخمة التى لا تلائم روح القصة . إن من الواجب على الكاتب أن يجيد الربط بين المعنى وبين لبوسه من الألفاظ والتعابير ، وأن يكون أسلوبه ملائماً لمواقع الكلام . وتلك ناحية يستطيع المؤلف أن يخلص منها فى يسر وسهولة ، حتى يتم له الاتصال بنفس القارئ فى يسر وسهولة .

نجوى المنى

جملة طيبة من المقطوعات الشعرية ، نظمها الأديب الشاعر عبد الله حسين رزق فى موضوعات تتصل بنفسه ، فهى آلام وآمال وعواطف وأحاسيس اعتلجت فى نفس الشاعر فجلاها للناس فى أسلوب مشرق صادق ، وترجم عنها بالأداء أحسن ترجمة .

وإذا كان ما يخرج من القلب يصل إلى القلب كما يقول الجاحظ فلا شك أن الشاعر الأديب قد استطاع أن يصل إلى قلب قارئه .

أما الملكة الشعرية والأداة الشعرية فإنهما كما يقول الأستاذ خليل شيبوب فى مقدمة الديوان — قد استقامتا للناظم ، وليس عليه إلا أن يتعهدهما حتى يستكملهما ، وما كثير من المعانى التى يتلمسها ، ويمر بها دون أن يستوفيها إلا ومضات ذهنية لا تزال تموج بها ميمة الصبا ، ولعلها تنجلى عن شمس الضحى فى النهار المشرق .

ألحان الفجر

وتلك مقطوعات أخرى نظم عقدها الشاعر محمد المصرى محمود ، وهى قطع من عواطف المؤلف فى الوطنية ، وشعوره نحو الجمال ، وتقديره للعاملين من أبناء الوطن فى السياسة والعلم والأدب .

وألحان الفجر باكورة تدل على استعداد صاحبها للشعر ، وتنبئ عن ملكة لابد لها من المران والتدريب حتى تنمو وتنضج . وإنك لتطالع فيه كثيراً من الأبيات المفردة ، والمقطوعات التى تفيض بالعاطفة القوية ، والإحساس الشريف .

شرح منهج التعليم الالزامى

ذلك هو جهاد الجندى المجهول يؤديه لأمته ووطنه لا يرجو عليه جزاءاً من أحد إلا أداء مهمته وإشباع رغبته واطمئنان نفسه وضميره

والجندى المجهول فى مصر هو ذلك المعلم الإلزامى القابع فى صميم الريف يهذب النفوس ويهيئ العقول ويشحذ المواهب فى النشء ويعدهم لفهم الحياة ومزاولة العيش . والمعلم الإلزامى لا شك يجد كثيراً من الصعوبة والمشقة فى تقويم أطفال كزغب القطا حمر الحواصل. ولقد يعنيه اختيار الطريقة الملائمة لإدراكهم فى الشرح وربما يتنكب القصد. ولقد فزع الأديب عبد المؤمن محمد النقاش فى جماعة من إخوانه الذين يزاولون التعليم فى المدارس الإلزامية لتسهيل ذلك العمل لأبناء طائفته فقاموا بشرح منهج التعليم الإلزامى لجميع الفرق فى الأخلاق والدين والتربية الوطنية والمحادثة والإنشاء والإملاء والمحفوظات والصحة والتعليم المنزلى والأشياء والتاريخ والجغرافيا على ما هو مقرر فى تلك المدارس

وقد زينوا الشرح بالخرائط والرسوم لتبسيط الفكرة وتوضيح الرأى، وزادهم تمكناً فى الشرح مزاولتهم التدريس فى تلك المدارس، فجاء عملهم كاملاً يقوم على العلم والعمل، نافعاً ينير الطريق لإخوانهم ويسد نقصاً هداهم الله إلى تمامه ووفقهم إلى كماله . م . ف . ع

7me Année No. 303

Lundi - 24 - 4 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٤ ابريل سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

صفحة — الفهـــرس

مغزى رسالة الرئيس روزفلت

اقتلوا الجوع تقتلوا الحرب

عالجت الرسالة فى بضع عشرة مقالة آلام الجوع وآثام الفقر وما ينجم عنهما من مآسى الحياة ؛ وكان فى ظننا يومئذ أن الناس متى هذبتهم المعرفة وصقلتهم المدنية يصبحون أعلم بحكمة الله، وأفهم لسياسة الدين، وأجدر أن يحكِّموا العقل والعدل فيما شجر بينهم على قسمة الدنيا وغلة الأرض ؛ ولكنا تركنا الموضوع قانطين من رحمة القلوب . لأننا وجدنا غاية الأمر فيه لا تبعد عن البكاء والاستبكاء ، ما دام الحكم لأيدى الأقوياء ، والتشريع لألسنة الأغنياء ، والغَلب والسبق للناب العضوض والجناح المحلق . وقلنا ونحن نمسح عن القلم سواد الحظوظ : لا يزال فى قدر الله أن يكابد بنو آدم عقابيل البهيمية الأولى ، فيوطأ الوانى ، ويُسترق العانى ، ويؤكل الضعيف ، ويكون هنا الطمع والكزازة والأثرة ، وهناك الحسد والحزازة والثورة ، ثم لا يفصل بين الواجد والفاقد غير الحرب . فالحرب لا تنفك مشتعلة بين الفرد والفرد ، وبين الأسرة والأسرة ، وبين الأمة والأمة ، بالقول أو بالفعل ، وفى السر أو فى الجهر ، حتى يتدارك الله عباده فيهيئ نفوسهم لفض هذه الخصومة ، بغير هذه الحكومة

* * *

والخصومة بين الناس أولاً وأخيراً هي المادة ؛ والنكبة الأزلية على النظام والخُلق هي الفقر ؛ وكل ثورة في تاريخ الأمم ، أو جريمة في حياة الأفراد ، إنما تمت بسبب قريب أو بعيد إلى الجوع . حتى الشهوة : شهوة الغرام أو الانتقام لا تقع في تاريخ الجناية إلا في المحل الثاني بعد الجوع ، لأنها لا تكون إلا عرضاً من أعراض الشِّبع . من أجل ذلك جاء دين الله يخفف عن الفقير بالإحسان والعدل، ويدفع عن الضعيف بالمودة والرحمة؛ ولكن عُرام النفوس كان أقوى من أن يرده الثواب المغيَّب والعقاب المؤجل ، فنبتْ على أمر الله، وعللت نفسها بالنجاة من باب التوبة المفتوح ، ومن طريق المغفرة الواسع . ثم حاولت فلسفة الناس أن تجد سلام المجتمع في أنظمة متناقضة يدفع بعضها في صدر بعض ؛ فوقع العالم من جراء النزاع بين الفردية والاشتراكية ، والصراع بين الدكتاتورية والديمقراطية، في حرب عنيفة رعناء لا تآصرها آصرة ولا تدركها شفقة، حتى أكلت من أمة الأسبان وحدها مليوناً أو ربما من شبابها الآمل العامل ؛ ثم أخذت تخمد في هذا الميدان الضيق المحدود لتستعر في ميدان لا حد لعرضه، ولا نهاية لطوله: هو العالم!

* * *

أينما يكن الغنى يكن السلام ، ما في ذلك ريب ولا جدل . ففي أمريكا وانجلترا ، وفي فرنسا وسويسرا ، تجد الناس في ظلال الأمن مقبلين على الإنتاج المعمِّر والاستهلاك المرفِّه ، لا نكاد نرى بينهم عيناً تحسد ولا قلباً يحقد ولا يداً تجترح

وفي ألمانيا وإيطاليا أصيب الناس بسُعار من الجوع زاده طمع الطاغيتين التهاباً واستكلاباً فانقلب إلى نوع من عبث نيرون أو انتقام شمشون أو مقامرة اليائس الذي يضرب الضربة الحمقاء ليربح الكل أو يخسر الكل !

فلو أن الله أتاح لأبناء برلين وروما من سعة الدنيا ونفاق التجارة ووفرة المال ما أتاح لأبناء لندن وباريس ؛ ولو أن الله لم يبتل أبناء روما وبرلين بمن طحنهم بالعمل ، وعصرهم بالضرائب ، وقهرهم بالحرمان ، واتخذ من أجسادهم وأرواحهم وأقواتهم مدافع تقذف بالنار ، وطوائر ترمي بالسم ، لما رأيتهم يكفرون بالإنسانية ، ويتنكرون للمدنية ، ويفعلون فعل القوى المحتاج : تضطره الحاجة إلى السرقة ، وتدفعه القوة إلى القتل . فهم يخرجون اليهود من ديارهم ليأخذوا المال ، ويحتلون الأمم بجيوشهم ليملكوا الأرض ، ويلقون الدول القوية في بُحْرانٍ من القلق والفزع والذهول ، ليضعوا أيديهم الجارفة على أرزاق الدول الضعيفة

* * *

رأى خليفة ولسون وهو في دنياه الجديدة السعيدة أن الجوع الذي ولدته الحرب الكبرى في قصر فرساي قد اشتد أسره ، وصلب عضله، وفحش طوله، وضخم بدنه ، حتى انشق إلى تِنّينين فظيعين لكل منهما مليون رأس ، ومليون يد ، وفي كل رأس ناب يقطر السم الزعاف ، وفي كل يد مخلب ترسل الموت الوحيّ . فبعث إليهما برسالة من بقايا النبوة الأولى ، فيها الدعوة إلى الحق بالقول اللين كدعوة موسى التي لم تُصِبْ أذناً في مصر ، وبالمنطق المؤيد بالقوة كدعوة محمد التي لم تخطئ أذناً في العالم

يطلب الرئيس روزفلت من الجوع المتجسد المتنمر أن يحبس لعابه المتحلب، ويكفكف سعاره المضطرم ، ويقبض لسانه اللاهث، ويتخذ هيئة الإنسان ليلتقي بخصومه في مؤتمر عام يجمع الغرب والشرق على المبادئ التي شرعها الله فكفروا بها ، والخطط التي نهجها المصلحون فحادوا عنها ؛ ثم يضعون لهذه الدنيا المتدابرة المتناحرة سياسة جديدة تجعل أرض الله مضطرباً لكل كادح ، وخير الأرض مشاعاً لكل مستغل. ويومئذ يكون الفصل بين عالم عاش فيه الحيوان بغرائزه الوحشية، يقوى فتنتشر مخالبه بين شعره المنفوش، ويضعف فتنطوي تحت حريره المفوف؛ وبين عالم يعيش فيه الإنسان بطبائعه المدنية، يعدل بين جنسه وغير جنسه، ويحب لغيره ما يحب لنفسه ، ويطمس في ذهنه حدود البيت والأسرة ، ومعالم الوطن والأمة ، ليصبح الناس كلهم أسرته ، والدنيا بأسرها وطنه .

ويومئذ تستطيع الإنسانية أن تتبجح بميزة العقل والعلم وتقول لقافلتها الضاربة في مجاهل الأبد وهي لا تملك مشاعرها من القلق والفَرَق : لقد زال الطمع فزالت العداوة ، ومات الجوع فماتت الحرب .

احمد حسن الزيات

رقم !...

للأستاذ عباس محمود العقاد

مليون ومائتا ألف !

هذا هو الرقم فى الحساب ، وهو عدد الذين قتلوا فى الحرب الأسبانية الأهلية من رجال ونساء وأطفال، ومن مقاتلين وموادعين. بل كان عدد القتلى من الجنود أقل من عدد القتلى الذين لم يحاربوا ولم يحملوا السلاح ؛ لأن هؤلاء قد بلغوا ثلاثة أرباع المليون !

رقم ! ... وماذا فى الرقم من دلالة ؟ كل ما هنالك أن ألوفاً كثيرة أصبحوا اليوم موتى وكانوا بالأمس أحياء

ألا يعرف الإنسان هذا من قديم الزمان ؟ ألا يعرف أن ألوف الألوف وملايين الملايين كانوا فى عداد الأحياء فأصبحوا فى عداد الأموات ؟

فماذا فى هذا الرقم الجديد ؟ وأى شىء فيه يستوقف نظر القارئ أو يعوقه لحظة عن إتمام بقية السطور ؟

* * *

لكن كاتباً من الكتاب يعمد إلى واحد من هذه الرمم فيخلق حوله مأساة ، أو يبسط المأساة التى خلقتها الحوادث عياناً كأفجع ما يتخيل الخيال

يرينا إياه إنساناً له آمال ، وأباً له أطفال ، وقريناً له قرينة ، ومحباً له محبة ، وعدواً له ضغينة

يرينا أطفاله عراة جياعاً مشردين فى العراء وقد كان موضعهم من الحياة فوق مهاد وبين أحضان

ويرينا الفتاة اللعوب التى كانت نظرة من عينيها أو لمحة من بين أهدابها أملاً تتعلق به حياة الخاطبين ، فإذا هى جيفة يعرض عنها الناظر ، أو بغياً يبتذلها الطريق

ويرينا على الجملة قلب إنسان واحد يتمزق بين هذه القلوب ، فإذا بصدر القارئ يخفق، وبعينه تدمع، وبرأسه تقيم فيه الخواطر ، وبالدنيا تضيق فى وجهه ، وبالرقم المهمل شيئاً مرعباً تقشعر له الأبدان وتجفل منه الأبدان

ما أبلد خيال الإنسان !

* * *

نعمة من النعم فى بعض الأحايين أن يمنى الإنسان ببلادة الخيال . وإلا فأين هى النفس التي تتخيل ما وراء ذلك الرقم أو ما وراء ذلك المليون والآلاف المائتين من المآسى والفواجع والآلام والأحزان والأهوال والأثقال ثم تقوى على مس تلك الصدمة إلا كما تقوى على مس التيار الصاعق من الكهرباء ؟

لكنها نقمة من النقم أن تبلغ بلادة الخيال ذلك المبلغ الذى لا يرى من وراء الملايين المقتولة إلا رقماً من الحساب

نقمة تجر إلى شتى النقم ، لأن الناس لو تخيلوا بعض ماينبغى أن يتخيلوه من أهوال الحروب وأثقال الفواجع لبطلت منذ عهد طويل

فالهم لا ذلك الحس الذى يصعق كما تصعق الكهرباء ، ولا هذه البلادة الصماء التى تلحق الآدمى بالبهيمة العجماء

الهم ذلك الحس الذى يبكى لمصرع مليون يتخيلهم مصروعين كما يبكى لمصرع فرد واحد يراه بعينيه ويعلم ما فى مصابه من شقاء لذويه ومحبيه

فهل نعلم ما للخيال من شأن فى تمثيل المصائب والثورة عليها والتمرد على مقترفيها فلا نضن عليه بالتغذية ولا نستكثر عليه ما نسميه لهو البطالة وإزجاء الفراغ ؟

* * *

وكأنما « المريخ » مخلوق له طالع من طوالع السعود ، وجد لا يصيبه تقلب الجدود

فى كل عصر له رزق مسوق إليه على حسب ما يكون فى ذلك العصر من علم أو صناعة أو تدبير

قيل إن الناس قد لطفت خلائقهم فى العصر الحديث حتى لا يطيق أحدهم أن يبقر البطون ويبتر الأوصال ويشهد اختلاج الأرواح المزهقة فى الأجساد المزقة كما كانوا من قبل يصنعون قبل ألوف السنين

قيل هذا ولعله صحيح أو قريب من الصحيح ، ثم هممنا أن نرجو بعض الرجاء ، وهم المريخ أن يقنط بعض القنوط ، فأقبل العلم الحديث برزق جديد لذلك المخلوق المجدود : إله الحرب الذى

أنذره أبو العلاء بسوء المصير حين قال :

ولنار المريخ من حدثان الد هر مطف وإن علت فى اتقاد

فا أدركه النذير ؟

لأن الحرب الحديثة تحول بين القاتل وصرعاه فلا يرى ما هو صانع من فتك وتمزيق وتهشيم

فإذا ركب متن الهواء وألقى بالنار فى الفضاء ، فلا عليه بعد ذلك أن يلبث فى مكانه هنيهة واحدة ليشهد الخراب والشقاء ، ويسمع الصياح والبكاء ، ويندم على ما أساء ، إن ظن أنه أساء

أما الذى يرى الفجيعة بعينيه ويسمع الصيحة بأذنيه فليست الرؤية بمانعة له أن يصنع بأعدائه ما صنع به أعداؤه ، بل لعلها حافزة له إلى الشر ومثيرة له إلى القصاص ، ومضيفة إلى رزق المريخ الذى خيفت عليه المسغبة فى العصر الحديث : عصر الشعور اللطيف والإنسانية المهذبة ، والرفق بالحيوان قبل الإنسان !

* * *

ولكل سم ترياق !

العلوم الحديثة قد حالت بين القاتل والفريسة ، ولكنها لم تحل بينه وبين أشباحها وأطيافها

فإذا احتجبت عنه جرائر صنعه فهنالك الصور المتحركة تعيدها إلى عينه وإلى كل عين ناظرة كأنها ضمير النادم أو لسان التبكيت والتعزير .

فهل فى العلوم ترياق لسم العلوم ؟ عسى أن ينفع ذلك الترياق إن صح أنه ترياق

فليس أبشع من صورة الحرب المكسوبة إلا صورة الحرب المفقودة ، كما قال ولنتون ونحن نعلم من هو ولنتون .. هو كاسب المعركة التى هيهات أن يفرح بالنصر أحد إن لم يكن فيها سرور لقائدها المنصور ، لأنه كان نصراً على نابليون سيد المنصورين والمهزومين

فإذا كان قصارى النصر أن يهون البشاعة فأخلق بالناظرين الذين لا ينتصرون فيها ولا ينهزمون أن يلمسوا كل ما فيها من بشاعة مرذولة بغير تهوين ، وأن يقاوموا بشعور المقت والنفور ما أبطله الحجاب بين القاتل وصرعاه فى حروب هذا الزمان

* * *

ولكل ترياق آفة !

نعم لكل ترياق آفة تفسد ما فيه من شفاء ، إن لم تعالجه يد تحسن العلاج

فمن أين لنا أن الصور المعروضة على الناظرين تعودهم أن ينظروها ولا تعودهم أن يمقتوها ويغضبوا على آثميها ؟

من أين لنا أننا نشحذ الضراوة ولا نشحذ الرحمة بذلك التمثيل والتقريب ؟

الأمر كله موقوف على طريقة التناول وطريقة التلقى وطريقة التعويد ، وذلك الذى يقف بالترياق الناجع بين الآفة والشفاء

* * *

تحدثت الأديبة الرحالة « روزيتا فوربس » إلى طاغية الروس ستالين فوصفت له ما شهدت من صرعى المجاعة والتشريد وحاولت أن تلمس ضميره من قريب أو من بعيد

فالتفت إليها سائلاً : كم قتيلاً مات فى الحرب العظمى ؟

وأسرع الترجمان فقال : سبعة ملايين !

فعاد ستالين يقول : سبعة ملايين ذهبوا لغير غاية معلومة . أما نحن فنبنى حضارة جديدة ونقيم الإنسانية بأسرها على أساس جديد ، فماذا يضير أن يموت فى سبيل ذلك من يموت بالمجاعة والتشريد ؟

لو كان ستالين يتخيل كل واحد من أولئك الهالكين بالعرى والجوع فيأخذهم مأخذ الفنان الراوية لما أجاب ذلك الجواب ، ولكنه يأخذهم رقماً فى الحساب ، وليس للرقم نعيم ولا عذاب . ولن تبطل الحرب ما دامت مصاير الأمم بأيدى الحاسبين من أمثال ستالين

عباس محمود العقاد

لعبة التخادع في الحياة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كثيراً ما يخطئ المخادع المحتال إذا حسب أن الناس قد انخدعوا بمكره، وكلما كان نصيب المخادع من الذكاء أقل كان اعتقاده فى قدرته على خدع الناس أعظم فلا يتخذ فى وسائل خداعه من الأساليب ما يحتاط به لفطنة الناس إلى خداعه

أما المخادع الذكى فإنه يفطن إلى أن الناس كثيراً ما يتظاهرون بالانخداع ويدعونه إما لكى يعرفوا غاية المخادع ومأربه، وإما لأن لهم لذة فى أن يخدعوا المخادع وأن يضحكوا منه فى سرهم، وإما لأن لهم مأرباً لا ينالونه منه إلا بإظهار الانخداع له. ومن أجل ذلك ترى المخادع الذكى يحاول أن يستفيد من ادعائهم الانخداع قدر ما كان يستفيد لو أنهم انخدعوا حقيقة. والقدرة على الاستفادة من ادعاء الناس الانخداع هى سر النجاح فى الحياة، وليست بمستطاعة لكل إنسان. والحياة فى كل عمل أو مظهر أو رأى أو مطلب ومكسب وفى كل حاجة من حاجاتها يوجد بجانب ما بها من الصدق شىء من الخداع والانخداع وادعاء الانخداع، وهذه هى أقانيم الحياة الثلاثة أو ثالوثها المقدس

وقد تدرك الحيرة الشاب الذى يزاول الخداع فى الحياة فى أول عهده بالفطنة لما يتطلبه النجاح من الخداع، فإنه قد يبدأ فى خداع إنسان فإذا بذلك الإنسان يحاول أن يخدعه بأن يدعى أنه انخدع به حقيقة. وهذا يكون كالنشال الذى يقابل إنساناً يتوسم فيه السذاجة وهو لا يدرى أنه نشال مثله فيسلم عليه بيد ويمد اليد الأخرى بخفة إلى ثياب ذلك الإنسان يبحث بها عن حافظة نقوده، فإذا به يشعر أن يد ذلك الإنسان الأخرى تبحث عن حافظة نقوده هو، فتدركه الحيرة ويكاد لا يعرف أيهما النشال

وهذا يذكرنى بما جاء فى كتاب الكامل للمبرد عن أخذ البيعة بالخلافة ليزيد بن معاوية، فقد أطنب الناس فى مدحه وأسرفوا إسرافاً جعل يزيد، وقد كان ذكياً، يعرف أنهم غير منخدعين بصفات المدح التى وصفوه بها وهى ليست من صفاته، وأدرك أن لهم مأرباً فى ادعاء الانخداع بخلقه وصفات نفسه، فالتفت إلى أبيه معاوية وقال: يا أبي هل نخدع الناس أم هم الذين يخدعوننا؟ فقال له معاوية: يا بُنىَّ، إنك إذا أردت أن تخدع إنساناً فتخادَع لك حتى تنال منه ما تريد فقد خدعته. أى أن ادعاء الناس الانخداع وإن كان باطلاً فهو وانخداعهم سيان ما دام المرء ينال منهم ما يريد. وهذه حكمة من معاوية تدل على أنه كان بصيراً بالنفس الإنسانية ومسالكها فى الحياة.

وهى حقيقة تُحسُّ فى كل مجلس من مجالس الناس، وفى كل بيئة. فهى ليست بالأمر الصعب إدراكه. بل لولا ادعاء كل معاشر أنه انخدع بمعاشره فى أمور الحياة ما طابت الحياة. ومن أجل ذلك لا يمقت الناس أحداً قدر مقتهم الرجل الذى يريد أن يرفع غطاء الرياء عن الحياة، ويختلقون له أسباباً يسوّغون بها مقتهم. وكأن لسان حالهم يقول له: دعنا نخادعك وخادعنا أنت أيضاً كما نخادعك، وادّع انك انخدعت بنا، ودعنا ندّعى أننا انخدعنا بك. فإن من الإنصاف، أو من الذوق، أو من الرحمة أن يدّعى كل عشير أنه انخدع بعشيره ما دامت النفوس لا تستطيع الحياة إلا على هذه الأخلاق، ولا تستطيع أن تغيرها. وكأنما يقول لسان حالهم أيضاً: إن تبادل ادّعاء الانخداع مَثلهُ مَثلُ من يعطى هدية، ويأخذ هدية فى قدر قيمتها. ومطالب الحياة لا تنال إلا على هذا النمط. أما الذى يريد من الناس أن ينخدعوا له ويغضب إذا اتضح له أنهم لم ينخدعوا، بل يدعون الانخداع، ويعد ادعاءهم الانخداع له عملة زائفة لا يقبلها، ويطلب منهم العملة غير الزائفة، أى انخداعهم الحقيق؛ ثم هو لا يعطيهم لا انخداعاً ولا ادعاء للانخداع، فَمثلهُ مَثلُ من تقدم له هدية فيغضب إذا لم يُعط أعظم منها، وهو لا يُعطى مثلها.

وينبغى للانسان إذا ادّعى الانخداع لعشير أو صديق أو رئيس أو مرءوس أو عميل أن يلازم الحذر من أن ينقلب ادعاؤه الانخداع انخداعاً حقيقياً؛ فيكون كمن يرى لصّاً فى منزله فيدّعى النوم حتى

يجد من اللص غفلة ليتمكن منه ، فإذا بادعائه النوم قد صار نوماً ، فيغط فى النوم حتى يأخذ اللص كل ما يريد من البيت ويتركه ، وصاحبه قد ادعى النوم حتى نام .

وهذا أيضاً شبيه بمن يريد أن يحتال على إنسان فيقدم له قطعة من الذهب ويدعى أنه وجد كنزا كى يخدع ذلك الإنسان ، ويسلبه ماله ، فيدَّعى ذلك الإنسان السذاجة وأنه انخدع ، ويأخذ القطعة كى يسأل عن قيمتها ثم لا يعود .

وهو أيضاً شبيه بصاحب الورق المقامر على الورق المقلوب من ورق اللعب ، يدعى الخسارة ويعطى اللاعب جنيها كى يستدرجه ويسلبه ماله فيدعى اللاعب أنه ساذج ، ويظهر رغبته فى استئناف اللعب ، والقمار ، ويستأذن فى قضاء حاجة ضرورية من حاجات الجسم ثم يذهب بالجنيه ولا يعود .

وهـذه الأعمال لها نظائر وأشباه بالقياس فى أعمال الناس الجليلة الكبيرة المشروعة المحترمة . فالحذر عند ادعاء الانخداع ضرورة . أما أن يفتخر المرء بأنه لا يستطيع أحد أن يخدعه فإذا كان يراد به التملق لمن يتظاهر مع ذلك بالانخداع لهم فهو دهاء ، ووسيلة كسب بالمكر . أما إذا أريد به مضايقة الناس وتحريك عوامل خوفهم وبغضهم فهو سذاجة أو بلاهة ، ولا شىء يدعو إلى الفشل فى الحياة كاعتقاد الناس فى إنسان أنه لا ينخدع ، ولا يدعى الانخداع ؛ وهـذا الاعتقاد يؤدى إلى بغض الناس من يعتقدونه فيه حتى وإن كان اعتقادهم باطلاً لا أساس له ، وهذا التظاهر بالانخداع هو ما جعله أبو تمام من أسباب السيادة وسماه بالتغابى فى قوله :

ليس الغبىُّ بِسَيِّدٍ فى قومه
لكنَّ سيد قومه المتغابى

وتبعه البحترى فقال :

وقد يتغابى المرء فى عُظْمِ مالِهِ
ومِنْ تحت بُرْدَيْهِ المُغيرةُ أو عمرو

عبد الرحمن شكرى

صلــــوات فكر في محاريب الطبيعة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

يا أرض الرستمية !

عليك السلام من عينى اللتين تدوران فيك دورات زائغة زئبقية مروعة وتلقطان الصور من حياتك ومواتك وآفاقك وذراتك . . .

ومن قلبى الذى قدستِ أسراره وقدس أسرارك وخلدتِه وخلدك . . .

ومن فكرى الذى صقلتِه وأرهفتِه وجلتِه يتصل بأصول الحياة ويرتبط بوثيق الأسباب . . .

لقد توسعت نفسى من رحبك وتعددت بتعدد مرائيك ، ورقرق خواطرى نهرك الوديع اللعوب ، فى ابتسام الفجر وبكاء الغروب ، وأحسست سلامة النبات وهدوءه وصبره وصمته ونموه وإشراقه يدب فى جسدى . . .

لقد اختلطت فيك الرؤى بالأحلام ، والصحو بالذهول والنام ، فتوسع عالمى ورأيت فى دنياى وفى نفسى مخابئ وعجائب ومدخرات ومكنونات . . .

لقد خلدت فى خيالى صور الأعواد الجافة والخضراء والربى والوهاد والزهر والمطر حتى لأوشك أن أعد كل أولئك واحداً واحداً من ترديد النظر وانطباع الصور . . .

وهل أنسى كئوس النـور والظلام التى أدرتها على عينى مخضبات بأصباغ الشفقين ، مشعشعات بالندى والطل ، مطيبات بنفح الزهر وأنفاس السحر ؟

لقد شربت عيناى فيك من النور والظلام فسكرت سكراً أبدياً أفرغ فى كل خلية من خلاياى نشوة وفتوناً

لقد دخلتك كارهاً فراق بغداد . . . فكنت كالذين يقادون إلى الجنة بالسلاسل !

ثم انطلقت فى رحابك انطلاق رياحك وأطيارك ، أحمل قلبى

إلى كل مكان كما تحمل الطير قلوبها على الأغصان ، أقف على كل ما فيه حياة ونبض لآخذ لقلبي منه قوة وطاقة يستعيض بهما عما يبذله ويسرف في بذله

فإني حين رأيت عيني عاجزة أن ترى « سر الوجود » جعلت أرمي بنفسي في مواضع يده . وكأنه عند ما بدت مني لهفتي الدائمة إليه أوسع لي من عطفه فأخذني إلى قطعة فاتنة من الطبيعة المكشوفة التي لا حجاب بينها وبين حواسي الداخلية والخارجية ، لأرى يده دائماً من وراء ستر شفاف فقادني إلى الرستمية

وقد عشت مختنق الحواس في المدن ، لا أرى إلا حجارة ميتة موضوعة بهندسة الإنسان ، ولا أرى من الطبيعة إلا قطعة من السماء في سمت شارع أو من نافذة دار . وهيهات كان تيقظي إليها . . .

وكنت لا أتذكر الطبيعة إلا برؤية شجرات في الشوارع تكاد تنكر وجودها في هذه الأماكن الصناعية ، وتكاد عيني تحسبها صنعة إنسانية كالأثاث في وجهات الحوانيت . وكنت أزور الطبيعة المكشوفة التي في خارج أرباض المدن كما يزور السائح الأمريكي متحفاً للآثار في الشرق . . .

وحقاً استحالت الطبيعة البكر المكشوفة كمتاحف للآثار التي كان يستعملها أجدادنا وصارت لانقطاعنا عنها غريبة علينا . وصرنا لا نرى مشاهدها إلا من خلال عدسة التصوير أو من ريشة فنان أو ألفاظ قصيدة . . .

ثم قصر الناس صلاتهم على الأنصاب والهياكل والأماكن المظلمة الضيقة التي لا يرون فيها إلا أجسادهم ، وتركوا المحاريب التي بناها رب الحياة بيده هو لعبادته بالفكر والقلب . . .

تركوا المعبد المفروش بالأعشاب والرمال ، المسقوف بالمصابيح الزهراء ، القائم على جدران من سامقات الجبال وأعمدة من بواسق النخيل وفارعات السرو ، المغسول بشعاع الشمس والقمر ؛ وكأنهم بنوا معابدهم لتحمي أجسادهم من فيضه وفيض طبيعته ، وتركوا قلوبهم تختنق فيها بالبخور والعطور والأصوات القردية التقليدية

أما أنا . . . فورب الحياة لأعبدنه في الطبيعة تحت الهواطل والصواعق ، في حرارة الهواجر وبرودة الأسحار ، في وضوح النهار وانبهام الليل ، في جرات الظهيرة وفحمات العتمة ، ولو طارت بي الريح . . . ولو وقع على سقف الدنيا !

ولأنادينَّ على اسمه : الصلاة جامعة أيتها الأحياء . . . إلى الإحساس بالحياة ورب الحياة ... قومي مصطفة في أماكنك المحدودة الموزونة . . .

فيسجد كل كائن في مكانه ويسجد قلبي معه . . .

وسأعود إلى أحضان الطبيعة أغني في أذنها كطفل يغني في أذن أمه ويدفعه قلبه العاشق الراهب إلى التمسح فيها والاحتماء بها . . .

وسأحمل قلبي إلى كل مكان فيها كما تحمل الطير قلوبها إلى كل شجرة . . .

وسأسجل خواطري عنها في كل ساعة تتعرض لي فيها بفتنة من فتونها ، وأرصدها وهي يقظة أو نائمة ، خفرة محتشمة أو عاهرة متبرجة ، ضاحكة أو باكية ، حبلى مكدودة تعاني آلام الحمل والطلق والوضع أو فارغة خفيفة . . .

لقد احتكرتني لنفسها ولم تدع في قلبي مكاناً لحب غيرها إلا أن يكون مَرَدُّه إليها وجماله من جمالها

فيا ابن الإنسان ! هلم معي إليها . لقد كنت تتخذ الحجارة وكثيراً من الأشياء التافهة آلهة من شدة شعورك بها فتسجد لها . أفلا تصلي معها الآن لربها الذي اهتديت إليه ؟

هي لا تزال شاعرة بربها كما كانت وكما تكون . وذهب شعرك أنت بها وبربها . وصرت تسجد لنفسك . فمن يعبدك معك ؟ لا شيء . . . إن الحجارة تأبى أن تعبدك كما عبدتها أنت في ضلالك القديم !

١ — فيل الربيع

الطبيعة تلد من كل جسمها ... جاء ابتداء دورة زمنية ... الأجنة تتحرك للانفصال من العالم الغائب ... الأنواع من نباتها وحيوانها تزدحم لتسير في الموكب ... يستعرضها صاحب الوقت القائم على الزمان .

أنا لا أشترك في الموكب لأني عقيم لم أقدم قرباناً ما للحياة بإلقاء بعض الأحطاب إلى شعلتها ؛ ولذلك جعلتني من الواقفين على هامش طريقها يهتفون لها بالقصائد اللفظية .

لعلها غاضبة عليّ ، لأنى عاق لها بالعمل ، وإن كنت باراً بها فى الشعر . أما أبناؤها البررَة فقصائدهم : شجرة أو ثمرة أو ورقة أو زهرة أو فرخ بيضة ، أو كتلة لحم تصرخ فى أذنها وتتكلم ! يقدمون ذلك لها فى كل عرس من أعراسها كبرهان ولاء وطاعة وشعر حقيق ...

قد يخاف الفيلسوف من موت الثمرات أو مرضها أو فسادها ... ولكن الطبيعة تود الثمرات ولو كانت معطوبة . تود حياة الأمل والألم لا حياة العقل الجامد . تود أن تسمع عويل الثكل وصوت النعى ، كما تود أن تسمع صوت البشير وضجيج الميلاد .

تريد دائماً أُمّاً تصرخ فى أذنها إما من الطلق والوضع ، وإما من الفقد والثكل . تريد جنيناً محمولاً فى ظلمات البطن ، ورضيعاً ملفوفاً فى لفائف القماط ، أو محمولاً فى بطن النعش ملفوفاً بلفائف الكفن ...

قانونها هذا : أرحام تدفع ، وأرض تبلع ! ! لأنها لا تدور على فراغ ، ولا تسمح ببقاء دائم .

٢ — الربيع

أنظر بعينيك فى كل مكان فى السماء والأرض ، واحذر أن يشردا منك ولا يرتدا إليك ...

أدرهما على كل طفل من أطفال الطبيعة ... واحذر الخاتلات الناعسات من عيون الأزهار .

العشب والزهر كأطفال خرجوا فى صباح عيد ... والصبح ممشوق القوام ، واضح الجبين ، والليل فاتن الملامح...

إخلع نعليك وسر حافياً على جسم أمك ، وتمسح فيها حتى يجددك مس الحياة الجديدة .

لاعب إخوتك الصغار الذين تفتحت عنهم الأكمام ، وقذفتهم الأرحام ، ونسجتهم ظلمات الأرض ، ولونتهم أضواء السماء ، وخذ لشفتيك قبلات من المواليد الجديدة .

إفتح حواسك جميعاً ليدخل شباب الدنيا إلى نفسك ، واختزن فى قلبك قوت سنة من الحياة والجمال .

إملأ عينيك بالأضواء والأصباغ ، وأذنيك بالأغاريد والموسيقى السائلة الذائبة فى الأجواء والأنهار .

ضاعف إحساسك بالحياة وتيقظ ، واخلق لنفسك أعصاباً جديدة ثم امنع فكرك عن الدوران فى الأرقام والحروف والمفونات القديمة ... وألق كل قديم من قلبك وتجدد ... وافتح فؤادك الجائع الذى لا يمتلئ ، فإن كل هذا الجمال والحياة له ...

أنظر إلى الربى والوهاد والتلاع والسهول والأغوار ، تجد الزينة والأعلام فى كل مكان ... ما تركت السحب مكاناً بدون أن تفرشه بالسندس والأقحوان ، وما تركت النسمات مكاناً بدون أن تمر عليه منبهة ما فيه إلى وجوب الطاعة لحركة الحياة بالتمايل والحفيف والتصفيق ... حتى شجرات العوسج والشوك أورقت وأزهرت !

ضع وجهك وجسمك بين الأعشاب والأزهار ... واستقبل الأنداء والأشعة ، واهدب بأجفانك كالنرجس ... ودر بعينيك مع الشمس « كبَّادِها » ، ودع النحل والفَراش تقبل فاك وعينيك ... وارسل نفَسك ندياً خافتاً بسيطاً بدون تعقيد ليحمله النسيم مع العطور ... ثم لا تفكر ! حتى لا تحترق أوراق الورد ، وتختنق أنفاس النسيم .

وانظر إلى المطفلات من البهائم ، وإلى أطفالها بحنان ، وهى ترعى سعيدة تخضم نبتة الربيع ثم تخور وتجتر حالة ...

فإذا جاء الليل فاخرج إلى الحدائق المعلقة فى السماء ، وانظر فيها حالماً ساهماً تحت ضوء القمر الباهت ، ودر بعينيك فى نفسك وفى أغوار الأزل والأبد . فلعلك أن ترى هناك الربيع الدائم ...

نعم . فليس قلبك قانعاً بهذه اللحظات الفانية من ربيع الأرض ... إن قلبك ليس ورقة من ورقات الأشجار تخرج ناظرة ساهمة بلهاء ، ثم تفارق الكون مكرهة إلى غير رجعة . بل هو عقدة ثمرة خالدة فى الربيع الخالد الذى لا يحرقه صيف ولا يحوله خريف إلى هشيم تذروه الرياح وتلوى به الصبا والدبور إلى الدثور .

ولئن عز عليك أن تفنى بين يديك وأمام عينيك أرواح الأزهار الأرضية ، وتتساقط أجسادها جثثاً بالية ناصلة الألوان مسلوبة العطر ... فانظر إلى حدائق السماء ذات الزهور الخالدة التى تصل إليك ألوانها وعطورها من بعد . وتعزَّ بهذا البقاء عن ذاك الفناء . وكن على يقين بأن قلبك مخلوق دائم لهذا الربيع الدائم الذى تراه فوق فى الحدائق المعلقة ...

« بغداد — الرستمية » عبد المنعم خلوف

أعلام الأدب

يوريبيـــــدز

نشأته وشبابه

للأستاذ دريني خشبة

فى غار جميل غير موحش ، مشرف على بحر الأرخبيل ، فوق تلْعة من تلاع جزيرة سلاميس ، كان يأوى ألمع رجالات الأدب ، وأعظم أعلام المسرح : يوريبيدز بن مِنْسَارْخيدز . . . يقرأ ، ويكتب ... ويتأمل .

وُلد فى فِلْيا(١) ، فى واد يعبق بالورد ، وتظله أفنان الدوح وتغنى فيه البلابل ... ثم اختلفوا فى العام الذى وُلد فيه فقالوا : إنه عام ٤٨٠ ق . م ... أى عام سلاميس ، وأنه توفى سنة ٤٠٦ أى فى العام نفسه الذى توفى فيه سوفوكليس .

ويعتبر تقويم المؤرخ اليونانى (فيلوخورس) المسمى (التقويم الأتيكى) ، والذى وضعه فى القرن الثالث قبل ميلاد المسيح ، عمدة المؤرخين الذين ترجموا ليوريبيدز ، ومن أشهرهم المؤرخ اللاتينى سويداس(٢)

وتقويم فيلوخورس فى اليونانية ، يشبه تقويم القلقشندى المسمى (صبح الأعشى) فى العربيـة ، وذلك من حيث عنايته بإيراد المعاهدات السياسية والكتب التى كان يتبادلها الملوك اليونانيون ... ثم هو يشبه تقويم النويرى المسمى (نهاية الأرب) وتقويم ابن فضل الله العمرى المسمى (مسالك الأبصار) ، وذلك من حيث عنايته بوصف أحوال اليونانيين من مواسم ، وأعياد ، وعادات ومعتقدات ، ومن حيث عنايته بتأريخ رجالاتهم من ساسة وقادة وفلاسفة وأدباء .

وقد ذكر فيلوخورس أن يوريبيدز قد ولد عام سلاميس ، أى سنة ٤٨٠ . . . على أن الرخامة التذكارية التى اكتشفت فى جزيرة باروس فى القرن السابع عشر الميلادى ، والتى أقيمت

(١) Phlya وقد رجح الأستاذ ج . ا . كرامر (المجلد الثانى ص ٣٦٦) أنها Phillea وذكر أنها جنوبى شرقى إيكاريا فى طريق صنيوم — وهى ضاحية من ضواحى أثينا

(٢) القرن العاشر الميلادى

ثمة تخليداً لذكرى يوريبيدز سنة ٢٦٤ ق . م تذكر أنه إنما ولد سنة ٤٨٤ ... وقد فضل الأستاذ جلبرت موراى(١) — وعليه جل اعتمادنا فى هـذا البحث — الأخذ بهذا التاريخ ، لأنه اعتبر الرخامة دليلاً مادياً لاسبيل إلى دحضه ولا مُسوّغ لإنكاره .

ولم يذكر المؤرخ اليونانى (ساتيروس) (أواخر القرن الثالث ق . م) شيئاً فى كتابه (حياة يوريبيدز) عن هذا التاريخ .

أما الكتاب فهو محادثات جميلة بينه وبين سيدة لم يذكر لنا من هى ، وهو مع ذاك مؤلف جليل فيه عرض وفيه تضمينات ، وأقاصيص ونقد ، وفيه أخبار ساعدت المتأخرين على معرفة الكثير مما تبعثر أوضاع من درامات يوريبيدز .

أما أبوه فقد كان رجلاً ذا مال من رجال الطبقة الوسطى من أهل فليا ، وكان رئيساً لسَدَنَة هيكل أبوللو

وكانت أمه (كليتو) من أسرة نبيلة عريقة ذات محتـد ، ولا عبرة لما ذكره عنها أرستوفان من أنها كانت تبيع الفجل والخس والخضر فى شوارع أثينا ، فقد كان أرستوفان هجاء مقذعاً ، وسنعرض لما كان بينه وبين يوريبيدز من عداء وبغضاء ... ثم هى كانت أمًّا وفيـة مخلصة لابنها ، حدبة عليه ، وكان لها أكبر الأثر فى تنشئته . وسترى من روائع هذه الأمومة آثاراً طيبة فى كثير من دراماته

وكان يوريبيدز سيء الحظ فى حياته الزوجية . ولم يذكر التاريخ لماذا كان كذلك ... فقد كانت زوجته الأولى (ميليتيه) من عنصر كريم وذات خلق طيب ، بدليل أن أرستوفان نفسه لم يجد ما يقدح به فيها ، وهو العدو اللدود الساخر الذى كان يتسقط ليوريبيدز كل منقصة

وقد تزوج يوريبيدز مرة ثانية فلم يكن أكثر توفيقاً ... وربما كان هو نفسه أصل الداء ... فقد كان أديباً عظيما وشاعراً عبقريًّا ؛ وكان فيه انقباض عن الناس وبغض شديد للضوضاء والصخب ، وكان يقضى أكثر وقته فى غاره المقدس المشرف على البحر يقرأ أو يكتب أو يفكر ويتأمل ... وهذه حال من الزوج لا تطيقها الزوجة ولا تصبر عليها ... والأدب الذى أكثره فكر وفلسفة يدل على ما فى صاحبه من صرامة وشموس ... لهذا كان الشغب الطويل بينه وبين كل من زوجتيه ، وهو شغب جميل

(١) فى كتابه الجليل (يوريبيدز وعصره) طبعة هوم يو نفرستى

أفاد الأدب وأفاد المسرح ، لأنه بدا فى أكثر ما ألف يوريبيدز ... ثم هو شغب خلق من يوريبيدز عدواً للمرأة شديد النقمة عليها ، كما خلق له من الأثينيات أعداء أشد عليه نقمة وأكثر لددا

أما أبناؤه الثلاثة (١) فقد كان أحدهم تاجراً ، وكان الثانى ممثلاً ؛ أما ثالثهم وكان يسمى باسم أبيه ، فقد كان شاعراً يحترف التأليف للمسرح ، وقد أخرج ثلاث درامات من تأليف أبيه بعد موته نالت إحداها جائزة

ولعل أكثر ما نعرف من نشأة يوريبيدز أنه كان يساعد أباه فى سدانة الهيكل صغيراً ، وأنه كان رياضيًّا ماهراً شابًّا ، وأنه عمل فى الجيش فترة لا هى بالقصيرة ولا هى بالطويلة ... وقد تكون حقبة قصيرة بعد سنتى الإجبار يقال إنه عمل أثناءها مجدفاً فى إحدى جندولات الأسطول ، ثم التحق بإحدى الوظائف القنصلية فترة قصيرة بعد ذلك

أما أصدقاؤه فكان أحبهم إليه أبو زوجته ، ولذا كان ألصق به من كل شخص آخر إلا من خادمه أو ناموسه سفيسون الذى لم يكن يبرح منزله إلا لماماً

ومع شدة غرام سقراط العظيم بيوريبيدز فلم يؤثر أن شيئاً من وشائج الصداقة انعقد بينهما ، مع أن الفيلسوف الفذ لم يكن يذهب إلى المسرح قط إلا ليشهد درامات يوريبيدز ، فيروى أنه كان يتجشم فى سبيل ذلك ما ليس يحتمله إلا الأشداء الأقوياء ، فكان يمشى الأميال والأميال لكى يصل إلى المسرح ويستمتع بما تفيض به قريحة فخر الشعراء الدراميين كما كان يسميه . هذا ولم يعقد أفلاطون فى محاوراته الشائقة حديثاً ما بين الرجلين ، على شدة إعجاب كل منهما بالآخر واعتباره إياه أعظم ذهن يعيش فى عصره

وعلى شدة كراهية يوريبيدز للاختلاط بالناس فقد كان له أصدقاء قليلون معجبون به من رجال الفن والفلسفة والأدب ، وإليه يعود الفضل فى نبوغ الموسيقار الخالد تيموتيوس الذى أوشك مرة أن ينتحر لإخفاقه فى توقيع إحدى مقطوعاته لولا أن نشر عليه يوريبيدز ظله ، وأخذ يشجعه ويبعث فيه روح الأمل ، حتى نبغ نبوغه العظيم .

(١) أورد موراى أسماءهم فى كتابه عن الأدب اليونانى ص ٢٥١ طبعة أبلتون

ومن أصدقائه زعيم السفسطائيين بروتاجوراس (أبديرا ٤٨٠ـ ٤١٠ ق . م) الذى كان يتجول فى الأقاليم اليونانية يحاضر الناس ويعلمهم دروسه فى السياسة والاجتماع ، ويحارب أوثانهم ويسفه معتقداتهم حتى إذا انتهى إلى (فليا) وعرف يوريبيدز ، وخلبه بيانه وسحرته دراماته بما تفيض به من ثورة ونقد لزمه وقرأ فى بيته كتابه (فى الآلهة) الذى ينكر فيه ذوات أرباب الأولمب « لأنى لا أستطيع أن أثبت وجودهم أو أن أنفيه للعوائق الجمة التى تحول دون المعرفة الصحيحة ، والتى من أهمها غموض الموضوع وقصر عمر الإنسان ! »

وقد ثار الناس ببروتاجوراس وأحرقوا كتابه جهرة فى أوسع ميادين أثينا ، ورموه بالإلحاد ، وكادوا يفتكون به لولا أن فر فى سفينة إلى صقلية غرقت به فى الطريق . وعزا الناس غرقها إلى غضب الآلهة وحنقها عليه؟ . . . ويبدو أنه كان متأثراً بسوفوكليس حين جعل محور فلسفته الإنسان مقياس كل شىء .

أما الفيلسوف الكبير أناجزاجوراس فقد كان أستاذ يوريبيدز وصديقه فى وقت معاً . وأناجزاجوراس هو أول من حمل الفلسفة من شطئان إيونيا فى غرب آسيا الصغرى إلى أتيكا أرق أقاليم اليونان . وهو أول من ثار على الفلسفة المادية البحتة ولفت الناس إلى القوة العليا التي تدبر كل شىء وتسهر على كل شىء ... ثم هو الذى أربك الماديين بتفريقه بين المادة المجسدة التى زعموا أنها كل شىء ، وبين العقلية المجردة التى زعم هو أنها تسيطر على كل شىء . فوضع بذلك الحدود بين الجسم والعقل وبين الطبيعة والإنسان(١)

وقد كان أناجزاجوراس صديقاً لبركليس العظيم ومستشاراً له، وكان فى أثينا حزب يناوىء بركليس ، فاستغلت السياسة الذميمة مذهب الرجل الفلسفى فرمته بالإلحاد واتهمته بالتجديف على الآلهة، وكادوا أن يبطشوا به بعد أن لفقوا له التهم وساقوه إلى المحاكمة أمام هيئة قضائية من رعاعهم ... لكن بركليس لم يتخل عنه ، بل دبر له الهرب من أثينا ، فارتحل إلى موطنه فى آسيا الصغرى حيث وضع رسالته فى فلسفته التى انتفع بها سقراط

بهذين الرجلين ، بروتاجوراس وأناجزاجوراس ، تأثر

(١) اكتفينا من فلسفته بما له علاقة بالأدب ونذكر أنه أول من أثبت أن القمر لا يضىء بنفسه بل بانعكاس أشعة الشمس عليه ، وأنه أول من أثبت أن المادة لا تفنى وإنها لا تزيد ولا تنقص ، وأنه أول من عرف سبب الخسوف والكسوف ، وقد كان أتينيا لاسرافه فى الفصل بين المادة والعقل

يوربيبدز ... ولم يكن تأثره بهما هيناً يسيراً ، بل كان أثرهما فيه كبيراً بالغاً : فقد عرَّفه الأول ما فى أسطورة الآلهة من سَفَه وتخريف ، وعرفه الثانى أن ليست المادة فى هذه الدنيا كل شىء ... زيف له الأول أسطورة الآلهة فذهب إلى غاره الجميل الهادئ المشرف على البحر من ربوة فى جزيرة سلاميس يفكر ويتأمل ويبتسم ... يبتسم لأنه يتذكر حاله فى شرخ شبابه إذ يكلفه أبوه سادن أبوللو بحمل الكأس الإلهية فى الرقصة المقدسة ، رئيساً لفريق حاملى الكؤوس من سادة الشباب الأثينيين ... ثم يبتسم أيضاً لأنه يتذكر حاله حينما كان يحمل الشعلة المقدسة فى موكب أبوللو عند رأس زوستر ، فيظل يتهادى كالظبى من ديلوس إلى أثينا ، مشتركاً فى زهو وخيلاء فى حماقة البشر وخرافة الآلهة

وزيف له الثانى تلك المادة المجردة التى يعكف عليها الناس ويفنى فيها الفلاسفة أحلامهم ، ثم يُصوّر له القوة العليا المدبرة ، والعقل المجرد الجبار ، فيلتفت إلى ما ركب فى صميم الإنسان من قوى خارقة تستطيع أن تصنع كل شىء وتستطيع أن تتغلب على كل شىء ، فيذكر هذه الأيام العبوس القمطرير التى اضطر فيها شيوخ الأثينيين وعجائزهم وأطفالهم — وهو منهم — إلى الهجرة من أثينا إلى جزيرة سلاميس وغير سلاميس ، لأن إجزرسيس عاهل فارس وطاغية البربر قد أقبل بخيله ورجله ، وملأ البر والبحر بعساكره ، وراح يهلك الحرث والنسل ، متقدماً نحو أثينا ... وها هو ذا يحرق الدور والمعابد ويخرب كل شىء ... وها هى ذى ألسن النيران تلتهم الأكربوليس الشاهق ، ويوريبيدز الطفل يشهد المنظر المروع الموحش فيمن كان يشهده من الأطفال والشيوخ والعجائز ... ويبكى كما كان يبكى هؤلاء لما يصنع الطاغية بوطنهم الجميل الضعيف ، ومعابدهم الخالية الخاوية ... وآلهتهم ... نعم آلهتهم ... تلك الأوثان التى لم تغن عنهم ولا عن أنفسها شيئاً ... ثم يتصايح الناس من كل فج ، ويتسامعون فرحين مستبشرين ، فيعلمون أن أسطولهم الضعيف البائس قد مزق أساطيل إجزرسيس ، وأن أجنادهم الجائعة المنهوكة قد فتكت بأجناد جبار الفرس ، وأن أثينا وحدها ... أثينا الديمقراطية الحرة العالمة الأدبية المتحدة قد بطشت بالجبابرة العتاة الطغاة تخلصت هيلاس من شرورهم ... ويقبل تيمستوكليس قائد اليونان المجرب المنتصر فيقول للناس : « تالله ما نحن صنعنا كل هذا ! » فيحفظ الناس قالته ، ويحفظها يوريبيدز حين يكبر ، ويتذكرها حين يلقى الفيلسوف أناجزاجوراس ويتأثر بفلسفته فيعرف لماذا غلبت أثينا فارس ، وكيف عصفت المعرفة بالجهل ، والنظام بالتبرير ، والعقل بالمادة ...

لقد كان محور فلسفة بروتاجوراس كلمته الخالدة : « الإنسان مقياس كل شىء » ، كما كان محور فلسفة أناجزاجوراس أن المادة ليست كل شىء فى الوجود ، بل إن فوق المادة قوة أرفع منها وأسمى لأنها مسلطة عليها تديرها وتوجهها ... تلك القوة هى العقل فى الإنسان والقوة المدبرة فى الوجود ... إذن فليع يوريبيدز كل هذا ، وليطبقه على ماضيه المفعم بالعبر ، وليهزأ هو أيضاً بالآلهة بعد أن كان يحمل الخمر المقدسة والشعلة المقدسة فى مهرجان أبوللو . ولا يكتفى بالسخرية بالآلهة . بل يشتط فيحطم أوثانها ويغضب عُبّادها ، وليخسر الجوائز السنية التى يسيل من أجلها لعاب الأدباء ، ولينل من هذه الجوائز أربعاً فقط فى حياته العامرة التى جددت الأدب ، وثبتت دعائم المسرح ... وليضحك حين ينال سوفوكليس عشرين جائزة أولى وثلاثين من الثوانى لأن سوفوكليس لا يجرح كبرياء الجماهير ويترفق بآلهتهم ولأنه لا يعنى إلا بفنه ، فى حين يعنى يوريبيدز بالغاية والمثل الأعلى .

لقد كان يحب الفن ويشغف به مثل سوفوكليس . وكاد يكون فناناً مثله لولا أن ساق إليه القدر هذين الصديقين . يروى أنه كان قد شدا شيئاً من النقش فى الصغر ؛ ويروى أنه كان يعجب بمشاهد مآسى فرينيخوس ، ولم يكن قد شب عن طوقه بعد ؛ ويروى أنه كان يقف ، إذ هو غلام مسبوهاً أمام روعة المناظر التى صورها بولجنوتوس فوق جدران الأكروبول ؛ ويروى أنه شهد درامة الفرس لإسخيلوس ولم يعد الثانية عشرة . ويذكرون أنه أعجب بدرامة (سبعة ضد طيبة) ، وتأثر بها كثيراً ولم يعد السابعة عشرة . وهو ولا شك قد شهد كل مآسى زميليه بطلى الدرام العظيمين .

هذا هو شباب يوريبيدز وهذه هى نشأته ، وهؤلاء هم بعض أساتذته وأصدقائه ، وتلك هى العوامل التى كونته فجعلت منه أديباً وفناناً وشاعراً وفيلسوفاً ومبشراً بالأدب الرومانتيكى ، ثم الأدب الواقعى .

دريني خشبة

بمناسبة ذكرى جمال الدين الأفغاني

إنما ينهض بالشرق مستبد عادل

للدكتور محمد قرقر البهى

لكى نتعرف هذا المبدأ أو هذه الحكمة التى قد يخيل إلينا أنها طابع لنزعة لا تتلاءم وأساليب الحكم فى المدنية الحديثة، ومع ما يسمى إليه الفرد من حرية، يجب أن نبحث الدوافع التى حملت حكيم الشرق وباعث نهضته السياسية فى القرن التاسع عشر على أن ينادى بهذا المبدأ بعد اعتقاد جازم به، ثم نبحث كذلك مدى علاقة الحكم الفردى بالشورة التى هى أساس الحكم الديمقراطى ومدى علاقته كذلك بالحرية التى يسعى إليها الإنسان

جمال الدين لم يعتقد هذا المبدأ بناء على شغفه بالبحث النظرى، ولم تمله عليه رغبة علمية مجردة عن مراعاة الواقع، وإنما هى التجارب وأحوال الشرق فى ذلك الوقت التى قادت تفكيره وأوحت إليه بهذا المبدأ العملى

جمال الدين رأى تفرق الأمم الشرقية ليس بعضها عن بعض فحسب، وإنما الأمة الواحدة موزعة إلى شيع وأحزاب، رأى المصالح الشخصية هى التى تملى على القائمين بالأمر فى ذلك الوقت قواعد السياسة فى الحكم وتصريف أمور الشعب. رأى أن الأمة لم تعرف بعد ما يسمى «بالصالح العام» أو كما يقول عنه الفلاسفة «مبدأ حيوية الدولة واعتبارها الكائن الحى الأعلى الذى يندمج فيه كل الأفراد». رأى تدخل الأجانب فى سياسة الشرق الإسلامى كله وإذلالهم شعوبه على يد أفراد من بنيها لقاء تلبية بعض رغبات شخصية أو ضمان سعادة مؤقتة لهؤلاء. رأى تفكك أواصر القرابة وتحكم الظلم فى الطبقات الفقيرة.

كل هذه العوامل أو هذه المشاهدات لم تترك فى نفس جمال الدين أثراً من الشك فى وجوب معالجة أحوال الأمم الشرقية والنهوض بها. ولكن على أى أساس؟ بالتربية؟ نادى بذلك منذ فارق بلاده فى رحلاته إلى الهند، وتركيا، ومصر، وبالأخص هنا فى القاهرة منذ أن عاد من مقر الخلافة العثمانية فى ٢٢ مارس سنة ١٨٧١. فقد مكث يحاضر فى الأزهر مرة، وفى تلاميذه الأخصاء مرة أخرى، ويحملهم على الكتابة فى الصحف ونشر الدعوة مدة ثمانى سنوات (١٨٧١ — ١٨٧٩) ولكن بعد ما تبين له أن عوامل الانفكاك داخل الشعوب الشرقية تتزايد، والمصلحة الخاصة للأفراد يتفاقم أمرها فى الأداة الحكومية صمم على الدعوة[1] إلى حكومة يديرها فرد عادل يمت إلى الأمة بنسب قوى، بنسب الدم والدين حتى يجمع شتاتها، ويوحد كلمتها، ويوجه أحزابها المختلفة إلى غاية واحدة (الصالح العام) وجهر بها فى باريس من على منبر «العروة الوثقى» فى سنة ١٨٨٤ وأيد حكومة هذا الفرد العادل فى كل تدبير تتخذه للوصول لهذا الغرض حتى استعمال العنف والشدة ولكن بعد التبليغ والإرشاد

جمال الدين لم يشجع استمرار حكم الفرد العادل، وإنما جعل ذلك لأجل معين، وهو الوقت الذى تنضج فيه الأمة وتعتقد بمبدأ «الصالح العام».

وربما يبدو فى عصرنا الحاضر — وإن رأينا أن هذه الدوافع التى حملت جمال الدين على النداء بهذا المبدأ ما زالت باقية — أن هذا الذى ذهب إليه فيلسوف الشرق من سيطرة حكومة الفرد العادل ردحاً من الزمن لا يتفق ومبادئ الديمقراطية التى سعت إليها الشعوب منذ القدم ووصلت إليها بدم الثورة الفرنسية وأصبحت أساس الحكومة الراقية، أساس الحكومة العادلة

ولكن ما هى تلك المبادئ؟ حكومة برلمانية وضمان حرية الفرد. هاتان الظاهرتان هما عنوان الديمقراطية ولا يتحقق وجودهما فى ظل حكومة الفرد العادل. هكذا يزعم من يدعى أن جمال الدين الأفغانى لم يقدر حقوق الإنسان الطبيعية تقديراً دقيقاً يوم نادى بهذا المبدأ

ولكن أحقًا أن الحكومة البرلمانية تمثل الديمقراطية؟ وأن حرية الفرد مكفولة فقط فى ظل النظام البرلمانى؟ لنتبين ذلك! إن أساس النظام البرلمانى هو المبدأ الحزبى، وعلى الدعاية الحزبية وما تتضمنه من الوعود للطبقة الشعبية يكون نجاح الحزب

(١) الجزء الثانى من تاريخ رشيد رضا صفحتى ٢٩٨، ٣٩٠

ودرجة تمثيله داخل البرلمان . ثم صاحب الأغلبية لأنه مظنة العدالة طبقاً لكثرة الأصوات التى أخذها وهو الذى يتولى رياسة القوة التنفيذية . هل لنا أن نتأكد الآن أن صاحب الأغلبية يبنى تصريف أمور الدولة على أساس مشورة كل أتباع حزبه واحترام رأى كل منهم فى تقرير مصير الأمور ؟ وهل نضمن أن كل نائب من نواب حزب الأغلبية يصدر فى مشورته هذه عن رعاية المصلحة العامة دون تدخل العاطفة الحزبية أو ما يؤمله من قضاء مصالحه الخاصة على أساس طاعته لقيادة الحزب طاعة عمياء ؟ وإذا افترضنا ذلك فهل نتأكد أيضاً أن الدعاية الحزبية التى أتت بالأغلبية قد أتت كذلك بصالح عادل ، وهو زعيمها ، يسير فى حكومته طبق ناموس العدل ولو النسبى ولا يراعى العصبية الحزبية أو ما يسمى « بالمحسوبية ؟ » وعلى جواب هذا السؤال تتوقف المقارنة بين حكومة الفرد العادل وبين الحكومة البرلمانية فى نسبتهما قرباً وبعداً من « الديمقراطية » التى تقوم على رعاية المصالح العامة ممن يحسون باحساس الشعب ويعترفون بما للطبقة الشعبية

من برجنا العاجي

أذاع المتحف المصرى حديثاً فى أنحاء العالم من خلال بوقين أحدهما من الفضة ، والآخر من النحاس ، هما من مخلفات توت عنخ آمون . وقد كانت هذه الإذاعة أول صوت يخرج منهما منذ ثلاثة آلاف عام . قرأت هذا الخبر فى الصحف كما قرأه الناس . وجاء الليل فتخيلت هذين البوقين قد أعيدا إلى مكانهما بالمتحف ، وقد سكنت الأصوات ، ونامت الكائنات ، فإذا هما ينهضان مستويين كأنهما ثعبانان ، وجعلا يتحادثان :

البوق الفضى — عجباً ! ما هذه اللغة التى خرجت من فمى اليوم ؟

البوق النحاسى — إنها لغة غير مفهومة لعلها لغة بعض العبيد أو الأسرى الذين نأتى بهم إلى أرضنا من آن لآن

البوق الفضى — نعم . إنها ليست لغة توت عنخ آمون ! لكن كيف سمح الحراس للعبيد والأسرى أن يحملونا ويدنسوا أفواهنا برطاناتهم !

البوق النحاسى — هذا ما يثير دهشتى

البوق الفضى — يا للعار ! فمى الفضى يخرج منه مثل هذه الرطانة ! هذا لم يحدث لى قط قبل الآن !

البوق النحاسى — وأنا لم يقع لى مثل هذا قبل اليوم قط !

البوق الفضى — وبعد . أنذعن لهذه الكارثة ؟!

البوق النحاسى — لا . لا ينبغى أن نذعن

البوق الفضى — وماذا نستطيع أن نفعل ؟

البوق النحاسى — نستطيع أن نصيح وأن نرفع أصواتنا فى أرجاء المكان ساخطين متضرعين ، طالبين صيانة حرمتنا وكرامتنا . فلا ينفخ فينا بعد الآن نافخ بغير لغة توت عنخ آمون . فمن أجلها صنعنا ووجدنا . فلتخرس أفواهنا إلى أبد الآبدين ، إذا نطقت بغير لغة توت عنخ آمون !

البوق الفضى — وإذا أجبرنا على النطق بغيرها ؟

البوق النحاسى — حقت اللعنة على من يجبرنا على ذلك !

وذهب من أمام عينى شبح البوقين . وثبت إلى نفسى وأنا أقول : « أهى لعنة أخرى كلعنة المومياء ، ما زال أمرها خافياً على العلماء ! » .

توفيق الحكيم

من حقوق طبيعية فى هذا الوجود على الأقل كغيرهم من الطبقات الأخرى

كذلك يجب علينا أن نعرف : هل حرية الفرد مكفولة فى ظل النظام البرلمانى فحسب دون حكومة الفرد العادل حتى يكون الحكم على ما رآه جمال الدين واعتقده من مبدأ بأنه يتفق أو لا يتفق مع ما تصبو إليه الشعوب من حكومة راقية عادلة . لهذا يجب أن نحدد أولا : ما هى الحرية ؟ أهى الفوضى واستباحة الحرمات والخروج عن قوانين الجماعة والعرف والنيل من كرامة الآخرين وشرف الذين لا حول لهم ولا قوة ؟ أم هى التمتع بالحقوق الفطرية فى ظل العرف والقانون ، فى ظل مراعاة الحرمات وتقدير كرامات الآخرين ؟ لا أظن أن أى عاقل يشجع على أن يكون المعنى الأول مفهوماً « للحرية » كما لا أظن أن هذا الذى ذكر ثانياً على أنه مدلول « الحرية » يفنى فى ظل حكومة الفرد العادل

إن صلاحية أى أسلوب من أساليب الحكم نسبية ، تتوقف على أحوال الأمة وعلى درجة تطورها الاجتماعى والخلق ،

فكما أن الحكم البرلماني ليس المثل الأعلى على الإطلاق كذلك الحكم الفردي ليس عنوان الظلم دائماً وإهدار الحريات

وقد كان جمال الدين « حكيما » إذ ربط أسلوب الحكم بأحوال الأمة الخاصة بها وعلق تطوره أو تغييره بتغير تلك الأحوال

فالتعصب للحكم البرلماني بدون قيد ولا شرط ، ورمي حكم الفرد بالجور بدون قيد ولا شرط ، غلو في الخيال وإيمان غير محدود بالنظر المجرد عن حقيقة الواقع ما دامت العدالة ليست رهينة أحد النظامين على الإطلاق

محمد فرفر البهي
دكتور في الفلسفة وعلم النفس من جامعات ألمانيا

من أدب الغرب

للأستاذ فليكس فارس

الشاعر الإيطالي ليونلو فيومي ، من أشهر حملة الأقلام في هذا العصر . وقد أوقفه كبار النقاد في أوربا والعالم الجديد إلى جنب جبرائيل دانونزيو في تاريخ آداب القرن العشرين

إن ليونلو فيومي يكتب وينظم باللغتين الإيطالية والفرنسية ؛ وله مؤلفات وترجمات عديدة في التاريخ والعلم والأدب ؛ وهو يصدر في باريس منذ تسع سنوات مجلته «دانتي» باللغة الفرنسية ، وهي منتشرة بين الطبقات المثقفة ويكتب فيها عدد من أشهر رجال العلم والأدب

وقد أصدر ليونلو أخيراً ديواناً من الشعر المنثور باللغة الفرنسية بعنوان « صدر عن الأرخبيل » كان له دوى في عالم التجديد الأدبي ، وترجمت منه قصائد إلى لغات عديدة . وقد رأى أصدقاء الشاعر أن قصيدة « نذر » من الديوان قد اختارها عدد وفير من المترجمين فاستكملوا ترجمتها إلى ست وعشرين لغة منها الصينية واليابانية والأرمنية والتركية. وقد طلب إلينا أن ننقل هذه القصيدة إلى اللغة العربية ، فنزلنا عند إرادة اللجنة التي تولت نشر هذا الديوان لقصيدة واحدة وقد أرسلته إلينا فرأينا أن نقدم لقراء الرسالة ترجمتنا آملين ألا نكون قصرنا في هذا المضمار الذي تسابقت فيه لغات الدنيا في معرض البيان . ولعلنا أثبتنا أن أم اللغات هي المجلية بما فيها من مرونة وجزالة وبلاغة تقتنص المعاني فتوردها بروعة تفوق روعة أصلها

نذر

ما تجلّيتِ لي ولن تتجلي إلا كلمح السراب ؛ لذلك أتوق إلى أن أقيمك تمثال عذراء ، أيتها الزنجية ، أسوة بالأقدمين من أبناء إيطاليا الذين كانوا يُبدعون من نساء أحلامهم رسوماً يناجيها المتعبّدون

إنّ أمنيتي هي أن أطبع على رافدة هيكلٍ في « المارتينيك » صورة عينيك المتوهجتين بلمعان الماسة الربداء لأقف أمامهما متوسلاً بغير لغة الكلام ، وقد أشجاني الاضطراب ، أن تقرّ عيناي لحظة عليهما . فأجيل ناظريّ على غدائر شعرك الجعد الفاحم المنعطف كالجدول إلى ما وراء أذنيك وأرسم منشيّ أنفك الخافقين كأنهما جناحا طائر صغير ، وكأنهما ينفتحان برعشة الشهوة لاستنشاق عطور جزيرتك المسكرة هابةً من منابت الكاكاو والروم والفانيلا

لأبذلنّ كل ما في الوله من عناية في اختيار العنبر لأمدّه أظلالاً فأداعب إهابك حين أرسمه غضّاً ناعماً كأن عليه زغبَ الثمرة الندية فتبدين فتّانة القوام باسطةً ذراعيك بمعصميهما الضامرين

وعند ما أستنفد ما على لوحة الألوان فلا أجد ما أرسم به لين طفولتك ، وهي كأنها تأود القصب الندىّ في جزيرتك ؛ ويتمنع عليّ رسم ما في صفاء فطرتك وعطفك وذكائك من غوامض الفتنة ، لن يسعني وقد خانني الفن إلا أن أعتصر على الرافدة آخر ما احتبس في قلبي اليائس من قطرات شوقه وإلهامه

وإذا ما أتممت هذه الصورة المنذورة أسارع إلى رفعها على هيكل من هذه الهياكل الصغيرة المشرفة على غابات القصب المزهرة وعلى مراوح الموز الوسيعة ؛ عندئذ أجد مكافأتي في تعبّدي لعذرائي الزنجية ، فأسجد أمامها صامتاً خاشعاً والغسق يمد أظلاله على الأشجار الباسقة التي لا اسم لها كأن الغسق ليلٌ ثانٍ ينتشر على ظلمات الغاب في بلاد الهجير حين تهتاج الصراصرُ مرسلةً أزيزها في الليل فتجاوبها الحباحبُ بأشعةٍ لا عِدادَ لها كأنها قطراتُ ندًى تلتمع في ليلة مقمرة

* * *

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

(تابع)

(ج) ومن المؤثرات فى الأدب الحرية :

وإنما يترعرع الأدب فى ظلال الحرية ، فإذا منع البغىُ أمة أو طائفة أن تُبين عن آرائها وعواطفها وتعرب عن آلامها وآمالها ، لا يزدهر فيها الأدب

وإذا اشتد الحجر على أمة فانبرى جماعة من أُبائها يجاهدون فى حريتها ويجالدون جبابرتها لم يكن لهم بدّ أن يتخذوا الأدب القوىّ لبث الدعوة وإيقاظ النفوس وتنفيرها من المذلة وحفزها إلى الإقدام ومجادلة الخصم بالحجة البالغة والبرهان الدامغ ، فينشأ لهم أدب حىّ قوىّ . ولا يزالون فى جهادهم حتى يدال لهم فتسع الحريةُ الأمةَ كلَّها ، وتنشط النفوس للإبانة عن سرائرها والإعراب عما فى ضمائرها . وأدب المجاهدين فى كل عصر من أروع أنواع الأدب لأنه أدب النفس الإنسانية وهى تدفع عن كيانها ، وتجادل عن حياتها

فالحرية العامة والجهاد لها من أجدى الأمور على الأدب

وإذا نظرنا إلى الأدب فى فرنسا قبل الثورة وأثناءها وبعدها ، وإلى الأدب فى تركيا قبل مائة سنة والأدب فيها حين الجهاد للحرية كشعر نامق كمال وأمثاله . ثم الأدب فى الثلاثين سنة الأخيرة ؛ وإذا نظرنا أيضاً إلى الأدب فى مصر قبل عشرين سنة وإلى الأدب فيها اليوم عرفنا فرق ما بين الحرية والعبودية ، وما يجدى الجهاد للحرية على آداب الأمم

وكم أنتج جدال الأحزاب السياسية من خطب ومقالات لها فى الأدب أثر لا ينكر

والحرية الفكرية أوسع من الحرية السياسية فربما تنال الأمة حريتها السياسية ولكن يسيطر عليها أو على فرقة منها مذهب أو عادة قديمة فيمنعها بعض حريتها فى التفكير ، وانظر إلى المعتزلة والحنابلة فى تاريخ المسلمين تدرك كيف أجدت على الأدب حرية الأولين ، وجنت عليه عصبية الآخرين . وكذلك التزام موضوع أو أسلوب فى الأدب اتباعاً للقدماء يسلب الأمة بعض حريتها الأدبية ويمنعها أن تفتن فى موضوعات النظم والنثر وأساليبها

على أن الفوضى فى الأدب ، وركوب كل إنسان رأسه على غير بينة ، وحيد الناشئين عن سنن الأئمة دون بصيرة — تجنى على الأدب ، ما يجنيه التضييق والحجر ، أو شراً من ذلك

(د) الحروب :

النزاع بين فريقين يهيج كل ما عندهما من قوى نفسية ومادية ؛ وكلما كان الخطر أعظم كان الاهتمام والإعداد أكبر . وفى الحروب تتعرض النفوس والأموال والأوطان للتهلكة فتثور أقسى ما فى الإنسان من غريزة وأسمى ما فيه من عاطفة . فتدعو كل أمة أحزابها وتحرضهم على قتال العدو ؛ وإذا أتيح لها الظفر عظمت أفعالها ، وأكبرت مآثر أبطالها ، وفى هذا الإعداد للقتال والتحريض عليه والتغنى بالظفر والإشادة بالبطولة مجال واسع للأدب

ومن أووع ما أنتجت الآداب القصص الحماسية : فالمهابهارتة والإلياذة والشاهنامة والقصائد الحماسية فى الشعر العربى الجاهلى

وهذه قصيدة أخرى بعنوان « مولد » للشاعر الكبير جيوفانى باسكوالى استوقفنى ما فيها من عاطفة فياضة وروعة فآثرت نقلها إلى العربية أيضاً

مولد

ثلاثون عاماً تتالت منذ ولدتنى يا أماه ، منذ آلمتك أولى شهقاتى الضعيفة بأكثر من أوجاعك الشديدة الفائرة

وغذيتنى من ثدييك المتفجرين حناناً وأنت صبور تساورك المخاوف والأشجان ، حتى إذا تكامل لحمى من لحمك ودمى من دمك فاستقرَّ قلبك بأكمله فى قلبى ، جاء اليوم الذى تواريت فيه منذ عشرين عاماً

وهأنذا أحاول عبثاً أن أجسِّم عينيك وسيماك لأشاهدك بخيالى . لقد أذبل الزمان ناضر تذكارى فلم أعد أعرفك يا أماه !

أما أنت فلا تزالين حيث يستقر الأموات فى مرابع الصقيع تستوقفين أحلامك لتداعب أناملك غدائر طفلك الصغير

(الاسكندرية) فليكس فارس

والإسلامى ولا سيما شعر أبي الطيب المتنبي ، وقصة عنترة وقصص أبي زيد الهلالى وغيرها كل هـذا من آثار الحرب ومآثر الأبطال فيها

(هـ) الدين :

والدين له على الفنون سيطرة عظيمة ، فهو يستولى على العقل والعاطفة فيسيرهما كما يشاء ، ويصبغ كثيراً من نتائج الأدب بصبغته . ولعل أروع أبنية العالم وأبقاها على العصور المعابد ؛ فحيثما سار الإنسان على وجه الأرض وجد علوم الأمم وفنونها وعواطفها ممثلة فى المساجد والكنائس والمعابد الأخرى

والأدب الدينى من أقدم آثار الأمم الأدبية . فكتاب الموتى عند قدماء المصريين ، وأناشيد فيدا عنـد الهند ، وسفر أيوب فى التوراة ، وأناشيد جاثا فى كتاب زرادشت الذى يسمى الأبستا ؛ كل أولئك من آثار الدين فى الأدب . وإذا نظرنا إلى الدين الإسلامى وتصورنا ما أحدثه القرآن فى الأدب العربى والآداب الإسلاميـة عامة ، وما يحدثه اليوم ، عرفنا مبلغ تأثير الدين فى الأدب ، وتصور ما أنتج الإسلام من خطب ومواعظ وقصص فى العصور المتطاولة لتعرف جانباً من تأثيره . ثم هذا الشعر الصوفى الرائع فى الآداب الإسلامية — ولا سيما الفارسية — نفحة من نفحات الدين

(و) المحاكاة :

ومما يؤثر فى الأدب المحاكاة والتقليد — تقليد أمة آداب أمة كما قلد الرومان والأوربيون أدب اليونان ، وقلد الفرس والترك وغيرهم الأدب العربى ، وقلد الترك والهند الأدب الفارسى ، وكما قلد الترك فى العصر الحديث الأدب الفرنسى وقلد المصريون الآداب الأوربية

وكذلك تقليد النابغين فى الأمة الواحدة ؛ فإذا نبغ شاعر أو كاتب حاكاه معاصروه ، ثم لم يعدم مقلداً فى كل عصر . ويكاد تاريخ الأدب يكون تاريخ النابغين فى العصور المختلفة ومن عداهم مقلدون أو كالمقلدين . فالجاحظ ، وابن المقفع ، وبديع الزمان ، وأبو تمام ، والمتنبى ، لهم تأثير بين فى الأدب العربى حتى عصرنا هذا

فإن فتح النابغة للناس فنوناً من الأدب الجيّد ، والأساليب الحرة كان رائد خير فى الأدب ، وكان قد سنّ سنة حسنة لا تزال تزيد فى إحسانه على كر الأيام كما فعل ابن المقفع والجاحظ وأبو العلاء ؛ وإن سلك سبلا وعرة وخلق أساليب متصنّعة متكلفة قد غطّى نبوغه على عيوبها سار الناس وراءه . وربما ورثوا عيوبه دون مزاياه ، وأورثوا الأدب صنوفاً من القيود تضيّق الأدب وتميت الابتكار فى نفوس المنشئين كما فعل مسلم وأبو تمام فى البديع ، وأبو العلاء فى التزام ما لا يلزم ، والحريرىّ فى المقامات ، وغير هؤلاء فى ضروب المحسنات التى شغلت الشعراء والكتاب عن المعانى بصناعة الألفاظ .

وكثيراً ما يخلق التقليد رجلاً فى غير عصره . كما تجد اليوم من يقلد أحد النابغين القدماء فيشبه هـذا القديم أكثر ما يشبه معاصريه . وكثيراً ما أحيا التقليد الأدب بعد موته . فتقليد القدماء من أدبائنا كان فاتحة نهضتنا الأدبية الحديثة كما كان تقليد اليونان والرومان باعث الأدب الأوربى فى عصر النهضة . فقد تخطى البارودى — مثلاً — الأجيال وحاكى الجاهليين والإسلاميين فأتى بنمط من الشعر الجزل هو خير مما كان معروفاً فى وقته ، وقبل وقته . فكان طليعة الشعراء المصريين .

(ز) والاستطراف

ومما يؤثر فى الأدب أيضاً الاستطراف أو حب التجديد ، والنزوع إلى الطريف . فنى الأدب كما فى غيره طرائف (مودات) . يملّ الأديب موضوعاً مبتذلاً ، أو طريقاً مسلوكة قد صار عليها الخاصة والعامة ، ويأنف أن يكون واحداً فى هذا السواد فيسلك طريقاً آخر فى الموضوع أو البيان ؛ فإن وفق فقد سنّ للأدباء سنة جديدة ، ومهّد فى الأدب سبيلاً محدثة . وهكذا حتى يظهر أديب آخر يمل هذه الطريقة فيحيد عنها وهلم جراً . وقد يستطرف بعد أجيال موضوع أو أسلوب بعد أن ابتذل وهجر وهلم جرّا .

فهذا الاستطراف والاستهجان له أيضاً أثره فى تحوّل الأدب

(ح) النقد :

وأحسن المؤثرات فى الأدب وأنفعها النقد الصحيح ؛ فإن الناس يسيرون على النهج المألوف لا يرون خطأه ولا يبصرون عيبه حتى يرشدهم النقّاد فيبيّنوا لهم الخطأ والصواب ، والرشد

والنىّ ، والحسنُ والقبيح فى سيرتهم . وإذا تناول النقد مسألة أدبية كشف عن الحق فيها أو ثار حولها الجدال ؛ وما يزال المتجادلون حتى تنجلى الحقيقة من تصادم الحجج . فالنقد إيقاظ الأفكار النائمة ، وتنبيه الآراء الغافلة ، ومثار جدال تتبين فيه الحقائق إذا صحبه الإخلاص وقارنه الصدق

(ط) المكافأة :

وتحريض أصحاب المواهب على الإنتاج بالاعتراف بفضلهم والإشادة بأعمالهم أو منحهم الأموال التى تعينهم على الفراغ للأدب وإتقانه ، مما أجدى على الأدب فى عصوره ، وحفز همم الشعراء والكتاب إلى الإجادة والإبداع ؛ ولذلك نرى تاريخ الأدب وكبار الأدباء متصلاً بالملوك والأمراء والكبراء الذين أثابوا القائلين على إحسانهم وحثوهم على الازدياد

وإذا نظرنا إلى تاريخ الخلفاء العباسيين وما أفادوا الأدب بمثوبتهم الشعراء والكتاب ونظرنا إلى تنافس ملوك المسلمين فى المشرق والمغرب فى الاستكثار من الأدباء حولهم وتزاحم ملوك الطوائف فى الأندلس على الاستئثار برجال الأدب — عرفنا كيف يُجدى التحريض والمكافأة على الآداب . وحسبنا أن نتذكر ازدحام الشعراء والأدباء حول سيف الدولة الحمدانى حين رأوا فيه أميراً ألمعيا وفتى عربيا يجزل الثواب ويسخو بالنال

هذه من أسباب تغيّر الأدب . والباحث فى الأدب العربى يستطيع أن يتبينها فى أطوار كثيرة منه ؛ فإذا بحثنا فى صور الأدب العربى فى الجاهلية وما فعل بها الإسلام ، ثم نظرنا إلى شعر الفتوح الاسلامية ، وشعر الوقائع العربية ، والمذاهب السياسية ، وعصبيات العدنانيين والقحطانيين ، ثم عصبيات العرب والعجم ، ومدائح الخلفاء والأمراء ، وتهاجى الشعراء ، وما نشأ فى الدولة العباسية من ضروب فى النثر والشعر وأثر اختلاط الأمم ، والترجمة عن اللغات المختلفة ، وقرنا شعراء المشرق بشعراء مصر والمغرب والأندلس ، واستعرضنا بعض الحادثات السياسية والاجتماعية فى هذه المواطن ، ودرسنا تاريخ النابغين المجددين ... الخ . وجدنا فى كل هذا تطبيقاً لما ذكر من مؤثرات الأدب

عبد الوهاب عزام

الدعوات المستجابة ...

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

استمنحتُ الثروة ، فمُدّتْ لى أكنافُ التوفيق ، وأُسبغت علىّ آلاء النوال الطائلة ، وتحوّل كلُّ ما لمسته يداى إلى ذهب إبريز ... ولكن ... واحسرتاه ! لقد تضاعفت همومى ومتاعبى ، وتناقصتْ راحتى ورفاهيتى ، حين فلج سهمُ طلبتى ، وزكا منبتُ رجائى ، وأخصب زرع ابتهالى ...

* * *

استوكفتُ المجدوالعزّ ، فسمعت ذكرى يشيّع بالحمد ، ويذيل بالثناء ، من الولدان الروقة اليامين ، الذى لحظهم الفلك بعنايته ، ووسمهم الكمال بنهايته ؛ ومن الشيب السارين فى طريق الرشد ، بمصباح الكبر ، المتحلين بأبهة الحنكة وشيمة الوقار ، الجامعين بين قوة الشباب واستحكام التهذيب والتحليم وتناهى الخلال . ولكن ... أواه ! أواه من الآلام والخسار والمضار التى تجىء فى مواكب الشهرة . حقاً ، إنى لم أكن سعيدة إذ ذاك ...

* * *

اجتديتُ الحبّ ، وركبتُ إليه ظهور التوسل والضراعة ، ففاز قلبى بمبتغاه ، واغتبط بنجح مسعاه ، وعاد بمصداق أمانيه ولكن لهب نيران الحب الآكلة اندلع إلى قلبى المتضور ، وجسمى المنهوك . وتلذع أوراها فى عقلى المتلظى . بيدَ أنها قد كبتْ ، ولم يبقَ منها إلاّ ما غادرت فى القلب والجسم والعقل جميعاً ، من وسوم لفحها وسفعات حروقها ...

* * *

انصلتُ ببابه تعالى ، ونزعتُ إليه برجائى ، أن يمنحنى عقلاً راضياً قانعاً ... وأخيراً ! بزغ على قتام روحى المكتئبة نور عظيم ، وغمرنى أمن تام ، واطمئنان كامل . ووردت علىّ قوة جلىّ استأنفتْ نشاطى ، وشدتْ عزمى ، وشرحت صدرى . فياليتنى كنتُ التمست هذه الطلبة النبالية قبل كل طلبة أخرى .

(الزهرة)

يوم وقعت الواقعة ...!

للأستاذ على الطنطاوى

أما رثاء الفقيد، وبيان جلال الرزء فيه، ومبلغ الحزن عليه، فتلك أمور كبرت عن أن يحيط بها (نظم من الشعر أو نثر من الخطب)، وبعُد منالها عن كاتب مثلى قصير القامة واليدين، فليكن همى أن أروى (ما رأيت وما سمعت)، ولقد رأيت عجباً وسمعت أعجب منه، وشاهدت أحوالاً ربما ظنها القراء الذين هم فى غير بغداد مبالغة من نسج الخيال، ولكن الله يعلم وأهل بغداد يشهدون أن الذى أقوله حق كله، وأنى ما زدت فيه ولكن نقصت منه، وأنى لو ذهبت أتزيد فيه ما استطعت ولا بقى للخيال بعد الذى كان مجال

* * *

والذى رأيت أنى نزلت من (الأعظمية) مبكراً على عادتى، فلم أر على الطريق ما أنكر إلا حركة عند (البلاط) ما ألقيت إليها بالاً، حتى إذا شارفت المدرسة (ومدرستنا فى ظاهر بغداد قريبة من باب المعظم) رأيت طائفة من الطلاب مجتمعين يتهامسون، ولكن الوجوه غير الوجوه، فلما أبصرونى أسرعوا إلى يسألوننى عن (الحادثة)، فقلت وأنا خالى البال: أى حادثة؟ إنى ما سمعت بعد بشىء!

قالوا: لقد شاع فى البلد أن الملك ...

فاضطربت وتوقعت أن أسمع عنه نبأ لا يسر. ولقد أحببت الملك منذ شهور خلت حبًّا شديداً لم أكن أحبه من قبل مثله، وصرت أرى فيه معقد الأمل وباب الرجاء، فلما قال التلميذ ما قال خفق قلبى من توقع المكروه، وحب الاستطلاع، وروعة المفاجأة، وما يصيب المرء فى العادة فى موقف مثل هذا، وصحت بالولد أسأله: أن ما للملك؟ وبالغتُ فى الصياح حتى روّعتُه، وأثرت أحزانه، فقال متعثراً يجرّ الحروف من فيه جرًّا:

— يقولون إنه ... قد مات!

فقلت: أعوذ بالله، اسكت ويحك، إن هذا كذب، فلا تنطق به ...

وأسرعت إلى المدرسة، والطلاب معى، وأنا أرجوهم يرجون أن يكون الخبر كذباً. وتلبث بعض الطلاب قائمين على الطريق ينتظرون مرور الملك كما يمرّ كل يوم. فلما بلغنا المدرسة وجدنا كل من كان فيها من مدرسين وطلاب قد سمعوا الذى سمعنا، وهم بين مصدق ومكذب، ومرت ساعة ونحن على هذه الحال من القلق نسأل كل آت فلا نلقى عنده جواباً، ونستخبر الهاتف: (التلفون) فلا نسمع خبراً. ثم أبصرنا علم الثكنة العسكرية التى أمامنا قد نكس، وجاءنا الأمر بتنكيس العلم، وجمع الطلاب فى غداة الغد للتشييع ...

فعلمنا أن الناعى قد صدق، وأن الأمل قد خاب!!.

وخرج المدير وهو الرجل القوىّ المكتمل الرجولة ليعلن الأمر. فما تمالك نفسه أن بكى وهو ينعى لشباب المدرسة (الغربية المتوسطة) سيد شباب العرب. وما أمسك الطلاب أنفسهم أن يصيحوا: (وهم ثمانمائة شاب يعدون مثال النظام) صيحة واحدة، وأن يبكوا بنحيب وعويل، وأن يمزق بعضهم ثيابه، وأن يغمى على بعض. وما أكتم القارئ أنى حسبت ذلك رياء وتصنّعاً، وكرهته أول الأمر، واشمأزت منه نفسى، ولكنى ما لبثت أن أيقنت أنه حق وصدق، وأن منشأه هذا الحب العجيب للملك الجندى، وهذا الحزن البالغ على وفاته الفاجعة ...

وخرج الطلاب بعد ذلك، وخرجت على الأثر. فما دنوت من (باب المعظم) حتى سمعت نواح النساء ونحيبهنّ، ورأيت الميدان كله ممتلئاً بالناس، يتدافعون ويستبقون إلى البلاط باكين مفجوعين. مشهد للحزن ما أحسب أن أروع منه يكون؛ فخالفت الجماهير، وقصدت شارع الرشيد، فلم أبلغ (الصابونية) حتى رأيت مئات من النساء، تحكى ثيابهنّ ومظاهرهن الغنى والحشمة، وهن ينشدن شعراً عامياً، أو شبه شعر، ما فهمته ولكنى تبينت فيه ذكر غازى وشبابه الغض، وذكر الموت ... وكلما قلن بيتاً لطمن وجوههن بشدة، وبكين بحرقة وألم ... فما رآهن أحد إلا بكى أشدّ بكاء؛ ورأيت من بعد آلافاً من الناس قد حملوا شاعراً عامياً فهو يقرأ لهم شعراً كله تفجع وألم، وهم يلطمون ويضربون صدورهم

أو يشيرون باللطم ، فلم أطق السير ولا الشهود فلت إلى المدرسة (الثانوية) وكانت خالية مقفرة ، وعلى بابها علمان متشحان بالسواد، فغادرتها أفتش عن أخي أنور العطار. فما هي حتى جمعني الله به. فقلت له: إن السير في شارع الرشيد مستحيل ، والصبر على رؤية هذه المواكب الباكية أشد استحالة ، وحسبنا ما في نفوسنا من الألم ، فهلمّ بنا إلى الدار (في الكرخ) فإنها أهدأ . ورأى ما رأيت ، فسرنا نؤم الجسر ، وكان اليوم عاصفاً مخيفاً ، والنهر مضطرباً مرعباً ؛ كأن الطبيعة قد روّعها من النبأ ما روّعنا ؛ ففقدت هي أيضاً اتّزانها وهدوءها ، فما ظننا والله إلا أن الجسر منقطع بنا ، لما كان يضطرب ويرقص ، وتلعب الرياح والمياه بالعوامات التي يقوم عليها ، ولكن الله سلّم فبلغنا الكرخ ، وإذا بالكرخ قد نشرت الأعلام ، أعلام (السباية) السود ، ودقت طبول المأتم وخرج أهلوها على بكرة أبيهم ، مواكب مواكب : النساء ينحن ويلطمن الوجوه ، والرجال ينشدون ويضربون الصدور ، وقد تعروا وتكشفوا فعل المتهيئ للصراع، حتى رأيت الصدور وهي من الاحمرار كأنما هي دامية . والأطفال، يالله ما فعل الأطفال! لقد تعروا مثلما فعل الرجال ، وطفقوا يضربون صدوراً علم الله أنها ما تحمل الضرب ولا تطيقه ... وكانت المواكب في كل شارع ، وفي كل زقاق . فكلما تركنا واحداً منها اصطدمنا بآخر ، حتى أزمعنا آخر الأمر أن نعود إلى جانب الرصافة من الجسر الآخر ، فما بلغناها حتى رأينا فيها ما أنسانا فعل أهل الكرخ ، وكان كل موكب يحمل صورة للملك الشاب مجللة بالسواد ، وينشد أشعاراً لم أحفظها ولكني فهمت منها كثيراً . فما فهمت مقالة قوم :

الله أكبرْ ياعربْ غازي انفقدْ من دارَهْ
واهتزتْ أركانْ السماء من صدمةِ السيّارهْ

وقول قوم ما معناه : قولوا الفيصل في القبر يستقبل وليده ... في أشعار كثيرة هذا سبيلها ، ولعل القراء لا يدركون قوتها ووزنها ، لأني لم أحسن كتابتها ونقلها ، ولكنهم لو سمعوها من أفواه أصحابها ورأوا بكاهم ، وشاهدوا صدورهم المحمرّة ، لعرفوا أيّ شيء هي ، ولعلموا أن بغداد تعرف كيف تفرح وكيف تغضب وكيف تحزن !

ومن أعجب ما شاهدت فتيات المدارس وهن يلطمن وجوهاً يؤذيها المسّ ، ويدميها النسيم ، لا يشفقن على أنفسهن ، ولا يفتأن ما سرن يبكين ويُبكين ، وياليتني فهمت ما كنّ يقلن فإنه أشجى وأعجب مما كان الرجال يقولون !

* * *

وبقيت المدينة على هذه الحال إلى صباح اليوم التالي ، إلى ساعة التشييع التي أعلن العجز عن وصفها . فلما تم الدفن ، وأودع الثرى الملك الشاب الذي كان يفيض قوة وحياة، وحوّمت الطيارات الوطنية تحمل شارات الحزن السود الطوال على الملك الطيّار ، وانطلقت المدافع تعلن انتهاء الدفن ، وأيقن الناس أن المصيبة قد تمت ، وأن الرجاء قد امّحى ، أفاقوا كمن يفيق من نومة مزعجة رأى فيها الحلم المروّع ، فيرى الواقع أشد إزعاجا وترويعاً ، فأسلموا الأمر إلى الله ، وصمتت هذه الألسن التي طالما أنشدت ورثت ، وتفجعت ، وجفت هذه الدموع التي طالما جرت وذرفت ، وانفضت هذه الجموع واجمة ما فيها من يتكلم أو ينبس ، وفي القلوب نيران تتأجج ، وبين الأضالع اللهيب يستعر ، ولم تسكت آخر طلقة من طلقات المدافع التسع والتسعين ، حتى عمّ المدينة صمت عميق ، وغدت كأنها قبر واحد ، قبر غازي الملك الحبيب الذي أمّ الناس قصره قبل عشرة أيام مهنئين بالميلاد السعيد ، فانصرفوا الساعة من زيارة قبره الجديد ، مودعين حبيباً لن يروه إلى يوم القيامة ...

وهمس رجل ، فسار الهمس على كل لسان :

رحمة الله على غازي ، ولفيصل ابنه التوفيق والسعادة والحياة !

« بغداد » علي الطنطاوي

المدرســـة الابتدائية
وتعليم اللغة الأجنبية
للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

تعليم اللغة الأجنبية فى مدارسنا الابتدائية مشكلة من مشاكل التربية والتعليم التى برزت اليوم أمام وزارة المعارف فألفت لدراستها لجنة برياسة حضرة صاحب العزة الوكيل المساعد. وقد رفعت هذه اللجنة تقريرها عنها فى الشهر الماضى، ولا زال هذا التقرير بين يدى معالى الوزير لبحثه ودراسته قبل البت فى أمره. وبالرغم من أن هذا الموضوع كان من بين المشاكل الكثيرة التى عالجتها فى مؤلفى الجديد « التعليم والمتعطلون فى مصر » فقد رأيت أن أفرد له بحثاً خاصاً يذاع على صفحات الرسالة الغراء لأنه أصبح مشكلة الساعة؛ ولا يصح أن يقطع فيه برأى إلا بعد درسه دراسة مستفيضة، فجدير بكل ذى رأى أن يدلى فيه برأيه، وجدير برجال التعليم جميعاً أن يبحثوه وحداناً وأن يمحصوه زرافات وجماعات حتى يتبين أولو الأمر أوجه الخير والشر فيه، ويتعرفوا أوجه المصلحة العامة فى جميع نواحيه.

ولا يسعنا أن ندلل على أهميته وأهمية غيره من مشاكل التربية والتعليم عندنا إلا بتلك الكلمة الخالدة التى قالها المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول طيب الله ثراه، إذ قال: « إن أهم المسائل فى مصر مسألة التربية والتعليم. فلو أن كل مصرى وضع فى تشييدها لبنة لأقمنا للوطن صرحاً يبقى ما بقى الزمان ». ولا غرو فى ذلك لأن مسائل التربيــة والتعليم لا تتعلق بأفراد أو بطوائف معينة فحسب، ولكنها تتعلق بكل منزل وكل أسرة، وتتعلق بأبناء هذا الوطن جميعه بنين وبنات، فتيان وفتيات؛ ففيها جماع مشاكل الأمة أو هى تشمل مسائل الأمة جماء.

ولقد أصبح لزاماً علينا بعد أن أخذنا الأمر كله بيدنا ألا نتعصب لأنفسنا ولا أن نتحزب لقديمنا بل يجب علينا أن نفتح عيوننا لكل ما يجرى عندنا وعند غيرنا وأن نتعرف سريعاً شذوذنا وأخطاءنا وأن نعمل بحزم وهمة ونشاط على التخلص مما تتعثر فيه معاهدنا من شذوذ وأخطاء. لعلها هى السبب الأساسى فى تعثر شبابنا وتنكبهم الطريق السوى وانحطاط مستواهم الخلقى والعلمى عن مستوى غيرهم ممن يتعلمون بين ظهرانينا تعليما أجنبياً يصحبه نجاح فى الحياة مضمون وحظ موفور. فلقد جاء فى محاضرة الأستاذ الغطريفى رئيس مكتب تخديم الشبان بوزارة المالية التى ألقاها قريباً بمدرج دار العلوم أنه لا ينجح من شباننا المتعلمين بمعاهدنا الحكومية ممن يتقدمون للخدمة فى الأعمال الحرة كأعمال الشركات والبنوك إلا واحد من كل ثلاثة عشر مرشحاً بينما يؤخذ الباقون من الشبان الذين تعلموا فى معاهد أجنبية. فهلا يحق لكل مفكر أن يتساءل ويبحث عن أسباب كل هذا الإفلاس! لا شك أن ذلك راجع إلى نقص جوهرى فى تربيتنا وتعليمنا. فلقد ذكر حضرته أيضاً أنه حتى هؤلاء القليلين الذين تأخذهم الشركات للعمل فيها تشكو تلك الشركات سوء نظام الكثيرين منهم وقلة اكتراثهم بالمسئولية وقلة اهتمامهم بالمواظبة والمحافظة على المواعيد الخ الخ

فبين معاهدنا إذن عيوب أساسية كثيرة تستدعى التفكير والعمل، وتستدعى التغيير والتبديل، وتستدعى وضع سياسة تعليمية قويمة يسير الجميع من رجال التعليم على هديها. ولعل من أبرز العيوب وأقوى الشذوذ فى نظم تعليمنا قيام المدرسة الابتدائية إلى اليوم بجوار المدرسة الأولية والمدرسة الإلزامية والمعهد الدينى الابتدائى وجمعية تحفيظ القرآن الكريم الخ مما يشتت أبناء البلد الواحد فى أنواع مختلفة من المعاهد ذات طرائق مختلفة ومذاهب مختلفة وثقافات مختلفة! فالمدرسة الابتدائية بما فيها من لغة أجنبية هى ذلك السد المنيع بين المدرسة الإلزامية والأولية من جهة، وبين المدرسة الثانوية والعالية من جهة أخرى، مما لا مثيل له فى ممالك العالم أجمع! ونتيجة ذلك أن الطالب المتفوق بين جدران مدارسنا الإلزامية والأولية إذا تعدت سنه العاشرة (وكثير من التفوق لا يظهر إلا بعد هذه السن) استحال عليه إتمام تعليمه تعليماً مدنياً لأن المدرسة الثانوية لا تقبل أحداً من طلابها إلا عن طريق المدرسة الابتدائية حيث اللغة الأجنبية مادة أساسية فى جميع سنى الدراسة فيها، وفى إقفال أبواب المدارس الثانوية أمام طلاب المدارس الأخرى عدا الابتدائية مضيعة للتفوق والمتفوقين من أبنائنا الذين بدؤا السوء الحظ حياتهم التعليمية فى مدارس التعليمين الإلزامى والأولى، وقضاء على ذوى الملكات الطيبة منهم وإهدار الكفايات لو استثمرت لجلبت كثيراً من الخير على مصر والمصريين. فما السر يا ترى فى وجود هذا السد المنيع الحاجز للمتفوقين

من طلاب التعليمين الالزامى والأولى عن التعليمين الثانوى والجامعى ! هذا السد قد أوجدته السياسة العتيقة من عهد قديم . حتى لا يقوى على ارتقائه إلا العدد القليل من الذين كانت تعدهم المدرسة الابتدائية للعمل فى دواوين الحكومة بدليل ذلك التقرير الذى رفعه سنة ١٨٨٠ على باشا ابراهيم ناظر المعارف إلى مجلس النظار (الوزراء) وقد جاء فيه :

« إن التعليم الابتدائى قليل الاتساع لأنه لم ينتشر فى أية جهة بين الأهالى ما خلا المحروسة . وهذا لا يسمح للمدرسة التجهيزية بانتخاب تلامذة نجباء ومستعدين للتعليم التجهيزى ويترتب على ذلك أنه لا يوجد إلا عدد قليل من التلامذة الضعفاء جداً الخارجين من الدراسة التجهيزية فتجبر المدارس العالية فى أكثر الأحوال على قبول تلامذة لم يستوفوا الحالة التجهيزية اللازمة، ويستمر هذا الخلل عند خروج التلامذة بعد انتهاء مدة الدراسة ، ودخولهم فى الوظائف العمومية الخ . »

لهذا وجدت قديماً المدرسة الابتدائية إذن على غرار المدرسة الأوربية ولبس أبناؤها الملابس الأوربية ، وتعلم أبناؤها اللغة الأوربية، وكانت فرنسية فى بادىء الأمر، ثم انقلبت بعد الاحتلال إلى انجليزية واستمرت إلى اليوم ! كل ذلك فى سبيل إعداد أبنائها لرغد العيش فى وظائف الحكومة بين جدران الدواوين ! فلم يكن إذن الغرض من وجودها تثقيف أبناء الشعب أو إعدادهم للحياة العامة ، لأن المدرسة الشعبية أو الكتاب قديماً والمدرسة الإلزامية أو الأولية حديثاً هى التى تقوم بإعداد أبناء الشعب لحياة الشعب ! وإذن فقد وجدت المدرسة الابتدائية بما فيها من ميزة وهى اللغة الأجنبية لتفصل طبقة الموظفين ولترفعهم إلى مكان خاص بل إلى مركز خاص يمتاز بميزات خاصة عن مركز أبناء باقى الشعب ، فهى إذن السد المنيع بين أبناء الشعب وغوغائه وبين أبناء سادة الشعب وحكامه ! وهى إذن السد المنيع بين الديمقراطية والارستقراطية! فهل يصح أن يبقى هذا السد إلى اليوم بعد الوضع الذى أصبحنا فيه ؟ هل يصح أن يبقى هذا السد بين أبناء أمة حطمت قيودها وقالت بملء فيها إنها أصبحت أمة ديموقراطية ينص دستورها على المساواة بين الجميع فى الحقوق والواجبات ، وعلى أن الأمة مصدر السلطات ؟ ألا إن بقاء المدرسة الابتدائية بعد هذا يعد مهزلة بين الديموقراطية والديموقراطيين إن كانوا جادين

(يتبع) **عبد الحميد فهمى مطر**

استطلاع صحفى

مدرسة الهندسة التطبيقية

بمناسبة عيدها المئوى

لمندوب الرسالة

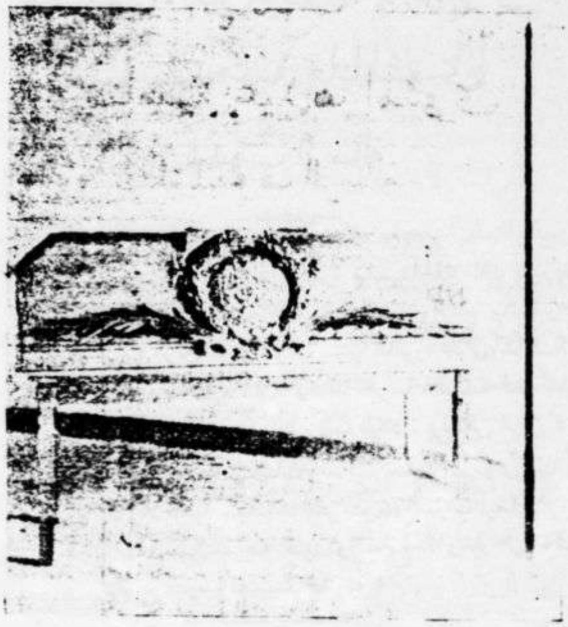
« ينتظر أن يتفضل حضرة صاحب الجلالة الملك بتشريف العيد المئوى لمدرسة الهندسة التطبيقية وافتتاح مبانيها رسمياً فى ٢٨ ابريل الجارى. وقد أسسها المغفور له محمد على باشا الكبير فى مارس سنة ١٨٣٩ وسماها مدرسة العمليات لتعد الطلبة للاعمال الصناعية التى تحتاج إليها البلاد . ولكن الزمن غدر بها إذ أقفل عباس باشا الأول جميع معاهد العلم وهى منها إلى أن أعاد فتحها سعيد باشا باسم مدرسة العمليات أيضاً . ثم تغير اسمها فأصبح مدرسة الفنون والصنايع ، وتغير مرة ثالثة فأصبح مدرسة الهندسة التطبيقية »

خرساء تتكلم

فى مواجهة المدخل الرئيسى لمدرسة الهندسة التطبيقية نافورة جميلة الصنع من حجر الجرانيت الأسود ، وفوق الباب تاج أسود يضم بين ثناياه قطعة مستطيلة من النحاس الأصفر يرى الناظر فى وسطها أنواطا يرجع تاريخها إلى سنة ١٨٧٣ ، إذ أهديت إلى المدرسة من بعض المعارض الدولية . وعلى جانبي الباب مدفعان ضخمان يبدو عليهما القدم ، ويظهر فى بنائهما بساطة التركيب ، ولونهما أسود أيضاً . فإذا سألت عن تاريخ هذين الأثرين أجابك محدثك : « رأيتهما عند ما التحقت بالمدرسة سنة ١٩٠٤ » . فإذا حاولت المزيد فلن تصل إلى نتيجة صحيحة . فالمدرسة قديمة العهد استنشقت النسمة الأولى للحياة فى شهر مارس سنة ١٨٣٩ فعمرها الآن مائة عام وإن كان عمر مبانيها بضعة أعوام

تدخلها فإذا هى بنت اليوم . فحجرات الدراسة فيها على أحدث طراز ، ومعاملها ومصانعها مجهزة بأحدث الآلات . ولكنك بين هذه المظاهر المتعددة تلمس القدم فى كثير من حجراتها إذ ترى آثار الماضى فى لوحة قضى الزمن على ذكرياتها ، أو تجد صورة إسماعيل باشا وهى تحمل اسم صانعها وضريبة الزمن على ألوانها .

وأقدم من هذا أن تجد لوحة باسم ابرهيم باشا ، وكتب تحت الاسم ١٢٠٤ — ١٢٦٥ .



لوحة تذكارية لابراهيم باشا كتب عليها تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته

فإذا سألت عن تاريخها قابلك محدثك بألفاظ تفهم منها : « لا أعرف ، فإذا رجعت إلى كتب التاريخ ، وقابلت بين السنة العربية والأفرنجية وجدت ١٢٠٤ = ١٧٨٩ ، وسنة ١٢٦٥ تقابل سنة ١٨٤٨ والأول هو تاريخ ميلاد ابراهيم باشا ، والثاني هو تاريخ وفاته في نوفمبر من تلك السنة . فهل تشك بعد هذا في أنها لوحة تذكارية لتخليد ذكرى ذلك البطل الفاتح ؟ وهلا تأسف بعد هذا أن تجد لوحة تذكارية تحتاج إلى ما يذكرنا بها؟ ولكنها ضريبة الزمن وضريبة حياة المكاتب التي يعيشها موظفونا بل ومعلمونا ، أنستنا لا لوحاتنا التذكارية فحسب ، بل أيضاً تاريخ هذه اللوحات فأصبح سرها في بطون المقابر بدل أن يحيا في أذهان الناس وقلوبهم. فهذه المواد الخرساء عاشت على رغم إهمالها فتكلمت عن ماضينا ونددت بحاضرنا إذ كشفت جهلنا الفاضح .

حياة عملية

والحقيقة أن هيئة التدريس بالمدرسة أجهدت نفسها لكشف تواريخ هذه الآثار، إلا أن كل من قابلناهم من طلبة المدرسة القدماء لا يذكرون من أمرها إلا أنهم التحقوا بالمدرسة فوجدوها . وهم يؤاخذون لأنهم تجاهلوها منذ ذلك التاريخ فلم يهتموا بأمرها ولم يسألوا عن سبب وجودها . ولو اهتم أحدهم بالسؤال عنها وقتئذ لكانت هذه الآثار أكثر أهمية مما هي الآن . فإن قيمة الأثر تزداد كلما زادت معلوماتنا عنه وتقل كما قلت . وإذا كنت أحب أثراً فإني أحبه لأنه يرجع بي إلى الماضي فيعطيني صورة ذهنية لما كان يحدث في تلك الأيام سواء أكانت قريبة أم بعيدة .

ولعل أساتذة هذه المدرسة كانوا في شغل عن تتبع هذه الذكريات بما عهد إليهم من عمل . فالحياة في هذا المعهد خليط من النظريات العلمية والخبرة العملية . وهي تشغل في عهدها الجديد مساحة ثلاثين فداناً منظمة على أحدث نظام ومعدة بأحدث الآلات. ويمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام : الورش والمعامل وحجرات الدراسة . وقد أعدت جميعها على آخر طراز بحيث يتخرج الطالب من المدرسة وهو معد بكلا السلاحين العلمي والعملي .



طلبة قسم المساحة يرسمون إحدى الخرط
ويرى بعضهم وهم يرصدون الأبعاد بآلة دقيقة

ففي الورش يجد الطالب المجال متسعاً أمامه ليتقن الصناعة التي ارتضاها لنفسه . وفي حجرات الدراسة يجد النظريات العلمية التي يمكنه أن يستفيد منها في مهنته . وفي المعامل يجد الآلات الكيميائية والطبيعية معدة للبرهنة على النظريات التي لم تطبق بعد في الإنتاج الصناعي كما يستطيع أن يجرب — إذا شاء — لينشر على الناس ما هو خير من الأساليب المستعملة في الإنتاج الصناعي الآن

مصنع مستقل

وفى تلك الورش يعمل الطلبة بأيديهم . فنى قسم العمارة يمسك الطالب بأدوات البناء ويقيم الحائط تبعاً للرسم المعطى له ، فإذا كان



هذه الآلة الدقيقة من صنع طلبة المدرسة
ويرى فى الصورة الأستاذ وهو يراقب تركيب أجزائها

تمرينه فى عمل نقوش من الجبس أو المصيص قام بتلك العمليات بنفسه . وما يحدث فى قسم العمارة يحدث فى غيره من الأقسام ، إذ يباشر الطلبة بأنفسهم تطبيق العلم على العمل ، ولذلك يلبسون أثناء العمل فى الورش ملابس خاصة وهى عبارة عن سترة بيضاء لتقى ملابسهم الاتساخ

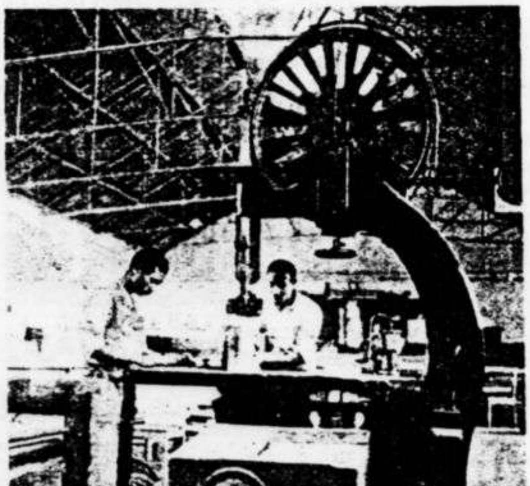
وهذه الورش فى مجموعها مستعدة لصنع أية آلة يطلب عملها ففى « ورشة السباكة » مثلاً يستطيعون تشكيل أية قطعة معدنية كما يريدون، والطريقة المتبعة لذلك أن يصنع للآلة رسمها بأبعاده ومقاطعه على الورق ؛ ثم يوكل إلى طلبة اختصوا بصناعة النماذج الخشبية فيصنعون أدوات الآلة من الخشب بطريقة خاصة ، فإذا انتهى نجار النماذج ذهبت القطع الخشبية إلى السباك فوضعها فى نوع خاص من التراب بحيث يتشكل برسمها ثم ينزع الخشب ويصب فى الفراغ المعدن المطلوب صنع الآلة منه

وتنتقل المواد بعد هذا إلى أقسام البرادة والخراطة وغيرها حيث تتولى تلك الأقسام تنظيف الآلات مما علق بها من زوائد معدنية ، ثم تعد بما يتفق والرسم المطلوب . وعلى وجه الاجمال فإن جميع أقسام المدرسة تعمل فى صناعة هذه الآلة لاختلاف فنونها وتركيبها، فهى تبدأ من المكتب حيث يضع المهندس رسمها الميكانيكي وتمر بأدوار عدة إلى أن تصل إلى وضعها النهائى الذى يعدها للاستعمال

وقد قامت المدرسة بصنع عدة آلات ، ففى إحدى السيارات ركب الطلبة بدلاً من المحرك العادى آلة ديزل ، وهم يقولون إن ذلك يوفر كثيراً من أثمان استهلاكها للوقود . فإن آلة الديزل تشتغل بالغاز الوسخ وفرق كبير بين ثمنه وثمن البنزين . وهكذا كلما دخلت إحدى الورش شاهدت فيها شيئاً أصلياً من صنع طلبتها وحدهم ولذلك يفخرون به

فيللا ثمنها ٨٠٠ جنيه

وأراد قسم العمارة أن يتساوي مع غيره من الأقسام من حيث ابتكار الأشياء المفيدة فوضع الطلبة والأساتذة رسماً لفيللا من طابقين يتكلف بناؤها ٨٠٠ جنيه وتصلح لسكنى عائلة متوسطة ، ويشتغل طلبة قسم العمارة فى تشييدها فى أوقات فراغهم وقد تم منها حتى الآن بناء الطابق الأول وينتظر عند إتمامها أن يتولوا

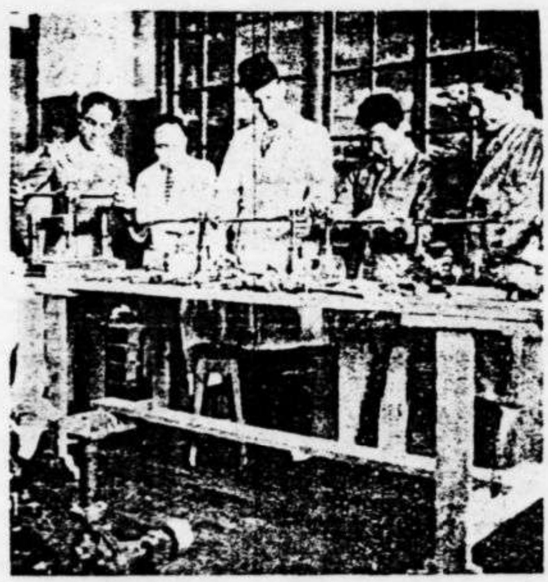


تشتغل ورشة النجارة بالآلات
ويرى أحد الطلبة وهو يشق قطعة من الخشب بالمنشار

تجهيزها بالأدوات الصحية وغيرها من الأثاث . ففى المدرسة ورشة نجارة كبيرة تصنع كثيراً من الأثاث ، وقد شاهدت بعض المكاتب التى صنعها الطلبة لأساتذتهم فأعجبت بما هى عليه من متانة ودقة فى الصناعة

وتحتل ورش المدرسة صفاً طويلاً يليه صف المعامل حيث توجد معامل الطبيعة والكيمياء والهيدروليكا وقسم مقاومة المواد وكل هذه المعامل مجهزة بالأدوات التي تيسر للطالب فهم النظريات العلمية المختلفة كما تعطيه صورة واضحة عن أكبر الأعمال الصناعية التي أسست إذ يحتوى على نماذج مصغرة لبعض هذه المشروعات

ويحتاج الطالب دائماً أن يعرف قوة احتمال المواد التي يشتغل بها ولذلك نجد في قسم العمارة آلة يمكن بواسطتها معرفة قوة احتمال مخلوط من الأسمنت . وفي قسم السيارات آلة يقول الاختصاصيون في المدرسة إنها الثالثة من نوعها وبها يمكن معرفة قوة فرامل السيارة ومقدار استهلاكها للبنزين. أضف إلى ذلك معملا قائما بذاته اختصاصه اختبار مقاومة المواد من ضغط وشد وانحناء



يونس افندى يرشد الطلبة لتركيب أجزاء الآلات في قسم الميكانيكا

قاعة للسينما

ومدرسة الهندسة التطبيقية كما قلنا حديثة العهد بالتنظيم على الطرق الحديثة ولذلك نجدها معدة بقاعة للسينما حيث تعرض الأفلام العلمية التي تعطى للشاهد فكرة عن سير العلوم وعن تطورات بعض الصناعات . وتستعمل هذه القاعة للمحاضرات فيجتمع الأساتذة والطلبة لإلقاء بعض المحاضرات . وقد شاهدت في إحدى المرات ناظر المدرسة وهو يعرض على أبنائه أن يبدوا آراءهم في كيف يحتفلون بمرور مائة عام على إنشاء مدرستهم فكانت الروح تدل على مدى الحرية الممنوحة لهم

فقد كان عدد الطلبة كثيراً جداً ضاق بهم المدرج على سعته فكان كل منهم يدلى بما لديه من الاقتراحات ؛ وأخيراً زاد عدد الاقتراحات وتضاعف عدد المتكلمين، فاقترح عليهم ناظر المدرسة



بعض طلبة قسم السيارات منهمكين في إصلاح سيارة بارشاد أستاذهم

أن يكتبوا ما يريدون . وبذلك ترك للطلبة أن يعدوا بأنفسهم الاحتفال المئوى لمدرستهم . وقد وكل للطلبة أنفسهم تنفيذ ذلك البرنامج وإظهار براعتهم في فن الصناعة والأعمال الإدارية مع إشراف بسيط من ناظر المدرسة الدكتور أمين سيد ومدرسيها



يشتغل هذا الطالب في خراطة ترس على الطريقة الحديثة

ويتعود الطلبة حياة الابتكار ، فإذا دخلت قاعة الرسم شاهدت مشروعات كثيرة . فهذه لناد يقترح الطلبة إنشاءه

التاريخ في سير أبطاله

أحمـــــد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانة بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



وفى يناير من السنة التالية صدرت من ثلاثة من الضباط على رأسهم احمد عرابى حركة أخرى كانت هى الجريئة حقاً ، حركة جرت فى أعقابها حركات فكانت بمثابة الشرارة التى أوقدت النار

وقد راعوا فيه أن يتناسب مع الغاية التى سينشأ من أجلها، ولذلك كان فيه قاعات كثيرة بعضها كبير والبعض الآخر صغير. وقد نجد اقتراحاً لتنظيم ميدان تتوافر فيه الأسباب الصحية مع جمال الذوق وإبراز سحر الطبيعة، فإن الطلبة يعدون الإعداد اللازم لأن يكونوا رجال عمل وأهل تفكير وابتكار وذوق حسن .

فوزى عبد الشترى

نمى إلى عرابى، وهو فى منزل أحد أصدقائه أن وزير الجهادية قد اعتزم عزله وزميله عبد العال بك حلمى ، وعلم عرابى أن عدداً من الضباط فى منزله ينتظرونه، نخف إليهم فوجدهم يعلمون ما يعلم فتشاوروا فى الأمر، واختار عبد العال بك وعلى فهمى بك عرابيا رئيساً لهما ولمن يتبعهما من الضباط فى حركتهم الوليدة التى دارت حول طلب عزل رفقى باشا من الجهادية ورفع المظالم عن رجال الجندية

ويذكر عرابى فى مذكراته أنه بين للضابطين خطورة الحركة ولكنهما أصرا عليها فطلب إليهما أن يقسما له أن يخلصا النية ، فأقسما . ولنا أن نتساءل هنا : لم اختير عرابى قائداً لهذه الحركة دون غيره ، وقد كان فهمى على رأس حرس السراى وله صلات برجال الحاشية ، ولم يكن عبد العال دون عرابى مرتبة وخبرة ؟ إن اختيار رجل من الرجال دون غيره لقيادة حركة من الحركات أمر ينطوى لا ريب على معنى . وما ولدت الزعامات فى الغالب إلا بهذه الطريقة . ففى ذلك الرجل توجد صفات يتميز بها من سواه فتجتمع عليه القلوب والأهواء فى لحظة لا يكون للتنافس الشخصى فيها مجال . وهذا عندى خير مقياس للزعامة ، وبخاصة إذا كان هذا الرجل المختار معروفاً من قبل لمن يختارونه فلا يكون إقبالهم عليه إعجاباً وقتياً لا يلبث أن يتبين خطأهم فيه .

ولن يشذ عرابى عن هذه القاعدة فإنما اختاره الضباط لما عرفوا فيه من صفات الجرأة والحماسة والإخلاص ، ولما جربوه عليه من الصدق وحسن الطوية . هذا إلى أنه كان يفوقهم من ناحية لا غنى عنها لزعيم من الزعماء ألا وهى فصاحة اللسان ، فلقد كان هذا الرجل الذى جعل الجهل فى مقدمة عيوبه أفصح الضباط لساناً . ولقد كانت الخطابة إحدى ملكاته حتى ليعد من أخطب رجال ذلك العهد لا فى الجيش فحسب بل بين المواطنين جميعاً

أعد الضباط عريضة بمطالبهم ووقع عليها عرابى وزميلاه وذهب ثلاثتهم فرفعوها إلى رياض باشا وإنهم ليعلمون ما كان ينطوى عليه مثل هذا العمل من جرأة فى ذلك الوقت، وكان عرابى هو الذى يتكلم باسم زميليه وباسم الضباط جميعاً كما كان سعد يتكلم حينما ذهب مع زميلين له فى مستهل الثورة الثانية إلى مقر المعتمد البريطانى يرفع مطالب المصريين عقب الهدنة

وكان رياض يكره سياسة تقديم العرائض مهما كان من عدالة المطالب ، وكان يلقى فى السجن أو يحكم بالنفى على من يخطون هذه الخطوات كما حدث للسيد حسن موسى العقاد فقد نفى إلى السودان

لأنه انتقد إلغاء قانون المقابلة على الصورة التي جاءت بها لجنة التصفية وكما حدث لكثير غيره ممن أخرجوا من مصر بسبب آرائهم الحرة

وقابل رياض الضباط مغيظاً محنقاً وخاطبهم في كبرياء وغلظة كما يقول عرابي في مذكراته فقال لهم : « إن أمر هذه العريضة مهلك وهو أشد خطراً من عريضة أحمد فني الذي أرسل إلى السودان » وكان هـذا الفتى قد نفي أيضاً لأنه طلب المساواة في المعاملة مع غيره من موظفي الديوان محتجاً على ما كان يجري من محسوبية ، ذلك الداء الوبيل الذي لا نعرف متى تتخلص هذه البلاد منه !

أما عن فحوى العريضة فإن عرابي يذكر أنه قد طالب بعودة مجلس شورى النواب إلى جانب المطالب العسكرية ، مع أن أكثر المؤرخين يذكرون أن هذا الطلب لم يأت ذكره إلا فيما بعد . ولكن عرابياً يصر على دعواه في كل ما كتب من تاريخ حياته

على أن الأمر الذي غضبت له الحكومة هو المطالبة بعزل عثمان رفقي فقد رأت في هذا الطلب نوعاً من التمرد فما دخل الجيش في سياسة الحكومة ليطالب بعزل وزير . وقد كانت الحكومة لا ريب محقة في هذا الغضب ، بيد أنها من جهة أخرى لم تسلك إزاء هذه الحركة ما كانت تقتضيه السياسة الرشيدة ، فكان عليها أن تبحث في مطالب الجيش فتجيب ما كان منها في جانب الحق ثم تقنعهم بعد ذلك بأن ليس من حقهم المطالبة بعزل رفقي

سكت رياض أسبوعين وهو يحاول إقناع الضباط لسحب العريضة وهم يصرون عليها . وغضب توفيق أشد الغضب وأشار عليه المحيطون به باتباع العنف مع الضباط ، ثم نمى إلى رياض أن سكوته قد يفسر بأنه ممالأة للجيش وعدم موالاة للخديو . ويقول مستر بلنت في مذكراته إن الخديو أراد أن ينتهز هـذا الحادث للانتقام من رياض فيوقع بينه وبين رجال الجيش .

ولما فطن رياض إلى ما قد يفسر به سكوته وافق على محاكمة الضباط ، ووقع الخديو على أمر بمحاكمتهم ، ودعى وزير الجهادية الضباط الثلاثة إلى ديوان الجهادية بقصر النيل بحجة الاستعداد لحفلات زفاف إحدى الأميرات وهناك ألقي القبض عليهم ... وبذلك تفتتح لعرابي صفحة في سجل تاريخ مصر

وكان الضباط على علم بما دبر لهم . فلم يكن من العسير عليهم في مثل ذلك الموقف أن يدركوا ما عسى أن تبيته الحكومة لهم من كيد . ولقد قيل إن قنصل فرنسا كان على اتصال بهم فأخبرهم بما عقدت الحكومة النية عليه .

واتفق ثلاثتهم مع فرقهم أن تذهب إليهم إذا تأخرت عودتهم عن ساعتين ؛ ثم ذهبوا إلى حيث طلب إليهم أن يحضروا ، فما كادوا يدخلون وزارة الجهادية حتى ألفوا أنفسهم بين صفوف مسلحة من الجركس فألقي القبض عليهم وسيقوا إلى السجن ثم إلى المحاكمة وقد انعقد لهم مجلس يحاكمهم برياسة عثمان رفقي باشا .

ويحسن أن نورد هنا ما وصف به عرابي موقفهم ساعتئذ قال : « ولما أقفل علينا باب الغرفة تأوه رفيقي علي بك فهمي وقال : لا نجاة لنا من الموت وأولادنا صغار . ثم اشتد جزعه حتى كاد يرمي بنفسه في النيل من نافذة الغرفة فشجعته متمثلاً بقول الإمام الشافعي رضي الله عنه :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكان يظنها لا تفرج

وتمثل عرابي بأبيات أخرى نسبها إلى السيدة زينب رضي الله عنها إلى أن قال : « فلا والله ما كانت إلا هنيهة حتى جاءت أورطتان من آلاي الحرس الخديو وأحدق رجالهما بديوان الجهادية وأسرع بعض الضباط والعساكر فأخرجونا من السجن ، ففر ناظر الجهادية ورجال المجلس وغيرهم من المجتمعين وقصدوا جميعاً إلى سراي عابدين »

وإنما نورد ما ذكره عرابي لأنه من جهة يصور لنا جانباً من شخصيته وناحية من ثقافته ويرينا نزعة اتكاله على الله تلك النزعة التي سوف لا تنخلع عنه حتى بعد أن تنخلع عنه عزيمته في مأساة التل الكبير ؛ ثم لأنه من جهة أخرى متفق مع ما يقول الرواة فلا ضير أن نورد القصة على لسانه

« يتبع » **الخفيف**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٨٩ — لو جاء في الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا

قال مالك بن أبي السمح : سألت ابن سريج عن قول الناس : فلان يصيب وفلان يخطئ ، وفلان يحسن وفلان يسيء ، فقال : المصيب المحسن من المغنين هو الذى يشبع الألحان ، ويملأ الأنفاس ، ويعدل الأوزان ، ويفخّم الألفاظ ، ويعرف الصواب ، ويقيم الإعراب ، ويستوفى النغم الطوال ، ويحسّن مقاطيع النغم القصار ، ويصيب أجناس الإيقاع ، ويختلس مواقع النبرات ، ويستوفى ما يشاكلها فى الضرب من النقرات

فعرضت ما قال على معبد[1] فقال : لو جاء فى الغناء قرآن ما جاء إلا هكذا

٣٩٠ — احمد الله فقد نقهت

ابن الجوزى : مر غراب الماجن بسائل يقول : أنا عليل وأنا جائع !

فقال له : احمد الله فقد نقهت[2]

٣٩١ — يوم الأربعاء

ياقوت : لما ولى الحسن بن زيد المدينة منع عبد الله بن مسلم ابن جندب الهذلى أن يؤم بالناس فى (مسجد الأحزاب) فقال له : أصلح الله الأمير ، لِمَ منعتنى مقامى ومقام آبائى وأجدادى قبلى ؟

(١) قال اسحق الموصلي — وهو يذاكر ابراهيم بن المهدي — : هذا صوت تمعبد فيه سريج : فقال له ابراهيم : كيف يجوز ان تقول تمعبد ابن سريج ، وإنما معبد إذا أحسن قال : أصبحت سريجا

(٢) نقه من مرضه :ـ بفتح القاف وكسرها ـ نقها ونقوها : صح وهو فى عقيب علته فهو ناقه ج نقه كركع (التاج) والنقاهة من مصادر نقه الحديث أى فهمه لا من مصادر الفعل المتقدم

ومن مشبهات هذه الطرفة ما رواه (النفح) وهو : خرج الأديب النحوى هذيل الأشبيلى يوما من مجلسه فنظر الى سائل عارى الجسم وهو يرعد ويصيح : (الجوع والبرد) فاخذ بيده ونقله الى موضع بلغته الشمس وقال له : صح (الجوع) فقد كفاك الله مؤونة البرد ...

قال : ما منعك منه إلا يوم الأربعاء[1] يريد قوله :

يا للرجال ليوم الأربعاء أما
ينفك يحدث لى بعد النهى طربا
إذ لا يزال غزال فيه يفتننى
يأتى إلى (مسجد الأحزاب) منتقبا
يخبر الناس أن الأجر همته
وما أتى طالباً أجراً ومحتسبا
لو كان يطلب أجراً ما أتى ظُهُرا[2]
مضمخاً بفتيت المسك مختضبا

٣٩٢ — منى فى القبور ! ! !

يحيى بن حكم البكرى الجيانى :

أرى أهل الثراء إذا توفوا
بنوا تلك المقابر بالصخور
أبَوا إلا مباهاة وتيهاً
على الفقراء حتى فى القبور !

٣٩٣ — جهال الأطباء هم الوباء فى العالم

فى (الآداب الشرعية) لابن مفلح : ينبغى (للمرء) أن يستعين فى كل شىء بأعلم أهله كما عليه نظر عقلاء الناس ؛ لأن الأعلم أقرب إلى الإصابة . ولمالك فى الموطأ : « عن زيد بن أسلم أن رجلاً فى زمان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصابه جرح ، فاحتقن الجرحُ الدم ، وأن الرجل دعا رجلين من بنى أنمار فنظرا إليه ، فزعما أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لهما : أيكما أطب[3] ؟ فقالا : أو فى الطب خير يا رسول الله ؟ فزعم زيد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : أنزل الدواء الذى أنزل الأدواء » فأما الجاهل فلا يستعين به . قال ابن عقيل فى (الفنون) : جهال الأطباء هم الوباء[4] فى العالم ، وتسليم المرضى إلى الطبيعة أحب إلىّ من تسليمهم إلى جهال الطب

٣٩٤ — الأعميان الخبيثان . . .

ابن الجوزى : أخبرنا على بن المحسن عن أبيه قال : أخبرنى جماعة من شيوخ بغداد أنه كان بها فى طرف الجسر سائلان

(١) فى (القاموس) : مثلثة ممدودة ، وفى (المصباح) بكسر الباء وبعض بنى أسد يفتحها ، والضم لغة قلية فيه وفى (اللسان) : والتثنية أربعاوان ، والجمع أربعاوات وفي (القاموس وشرحه) أربعاءان وأربعاءات

(٢) ظهرا : حرك الظهر ضرورة

(٣) قال الجاحظ: قال شيخ من الأطباء : الحمد لله ! فلان يزاحمنا فى الطب ولم يختلف إلى اليمارستان تمام خمسين سنة

(٤) الوباء : الطاعون ، كل مرض عام ، بالقصر والمد ، وجمع الممدود أوبئة وجمع المقصور أوباء

أعميان، أحدهما يتوسل بعليّ والآخر بمعاوية، ويتعصب لهما الناس، ويجمعان القطع[1]، فإذا انصرفا اقتسما القطع، وكان يحتالان بذلك على الناس[2]

٣٩٥ — فينظر أيهدى له أم لا ؟

فى (كتاب الأم) للشافعى: استعمل النبى (صلى الله عليه وسلم) رجلاً من الأزد على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم، وهذا أهدى إلىّ. فقام النبى (صلى الله عليه وسلم) على المنبر فقال: ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول: هذا لكم وهذا أهدى إلىّ؟ فهلا جلس فى بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيُهدى له أم لا؟

٩٣٦ — يا لون شعر الصبا

قال أبو بكر يحيى بن محمد الأنتقيرى: كنا مع العجوز الشاعرة المعروفة بـ (ابنة ابن السكان) المالقية فمر علينا غراب طائر فسألناها أن تصفه فقالت على البديهة:

(١) لم تبرح القطعة والقطع تستعملان فى هذا الزمان استعمالها فى القديم

(٢) وقف هذان الأعميان على نفسية الجمهور فلعبا بها. وقرا قطعه ... ورؤساء القوم مثل الأعمين:

انما هذه (المذاهب) أسباب (م) لجذب الدنيا الى الرؤساء

مر غراب بنا يمسح وجه الربى[1]
قلت له: مرحبا يا لون شعر الصبى!

٣٩٧ — أنتكم شهود الهوى تشهد

دخل أبو القاسم نصر بن احمد الحميرى على أبى الحسين بن المثنى فى آخر حريق كان فى سوق المربد، فقال له أبو الحسين المثنى: يا أبا القاسم، ما قلت فى حريق المربد؟ قال: ما قلت شيئاً. فقال له: وهل يحسن بك وأنت شاعر البصرة — والمربد من أجل شوارعها وسوقه من أجل أسواقها — ولا تقول فيه شيئاً؟ فقال: ما قلت ولكنى أقول وأرتجل هذه الأبيات:

أتتكم شهود الهوى تشهد فما تستطيعون أن تجحدوا
فيا مربديون ناشدتكم على أننى منكم مجهد
جرى نفسى صُعُداً نحوكم فمن أجله احترق المربد
وهاجت رياح حنينى لكم وظلت به ناركم توقد
ولولا دموعى جرت لم يكن حريقكم أبداً يخمد

(١) يجوز كتابة الألف الثالثة المنقلبة عن الواو من مضموم الفاء ومكسورها — بالياء.

الغرام الجديد

للدكتور زكي مبارك

أخي الأستاذ الزيات :

تفضلت فسألت مرة أو مرتين أو مرات عن سبب احتجابي عن قراء الرسالة ، وكانت حجتي في الاعتذار أن كتاب « ليلى المريضة في العراق » لم يُبق من قواي ما أصلح معه لمقابلة الناس في جِدّ أو مزاح ، وقد تلطفت فقبلت عذر أخيك ، وصفحت عن تقصيره إلى حين

فما رأيك إذا حدثتك بأني كنت في نشوة شعرية لم أصح منها إلا اليوم ؟

كنت يا صديقي مشغولاً بنظم قصيدة « الغرام الجديد » وهي تقع في مئة بيت ، وذلك الغرام هو يا صديقي نفحة من نفحات القاهرة في مطلع الربيع . هو ثورة وجدانية تعتاد من يفيق من غفوة القلب حين يتنسم أرواح الأزاهير على ضفاف النيل

أعاذني الله وإياك من غفوة العواطف ، وحماني وإياك من الغفلة عن تنادي القلوب !

***

يا قلبُ هذا نعيمٌ   من الصفاء وليد
يا قلب هذا سعيرٌ   من الغرام جديد

لقيتُه وفؤادي   غافٍ قريرُ السرائر
فعدتُ أحيا بروحٍ   مشرَّد الأنس حائر

مَن مُخبري عن نصيبي   من ظلّ هذا النعيم ؟
من مخبري عن مصيري   في لفح هذا الجحيم ؟

كيف انتهينا ؟ أجبني   يا قلب كيف انتهينا ؟
ألِلنعيم وصلنا ؟   أم في الجحيم ثوينا ؟

وبالوصال اصطباحُكْ   يا قلبُ أم بالصدود ؟
وبالسهاد اغتباقك   يا قلب أم بالهجود ؟

يا قلبُ طالت شكاتُكْ   من الخدود الأسيله
فكيف تُرجى نجاتُك   من العيون الكحيله ؟

أُحبُّ نور الضلال   في صافيات الغدائر
ويزدهيني الخبال   في غافيات النواظر

رباهُ ماذا تريد   من فتنتي بالعيون ؟
رباهُ ماذا تريد   من محنتي بالشجون ؟

أأنتَ يا ربّ راضٍ   عن حيرتي في الهُيام
إن كان هذا فإني   إذاً نبيُّ الغرام

عصرت راح غرامي   من زاهرات الخدود
وكان نُقل مدامي   من ناهدات النهود

يطوف بالحسن روحي   في صبحه والمساء
فيجتني من شذاهُ   وشوكِه ما يشاء

عن أكؤسي ودموعي   رَوَى رحيقُ الخلود
عن مهجتي وضلوعي   رَوَى سعيرُ الوجود

عن شقوتي في هيامي   رَوَى ظلامُ الليالي
وعن صفاء زماني   رَوَى صفاء اللآلي

أنا الشقيُّ السعيد   في لوعتي وشجوني
أنا الغويّ الرشيد   في صبوتي وفتوني

من الهوى والأماني   ومن زهور الجنان
ومن فنون المعاني   رسمتُ وجه الزمان

لولا غنائي وشعري   لمات رُوح الوجود
لولا بياني ونثري   لضاع سرُّ الخلود

في الثغر والصبح معنًى   لمن أُحبُّ شرحتُهْ
في الحِبر والليل سرٌّ   أظنني قد فضحتُهْ

السحرُ يأخذ عني   عِلم اختداع النفوس
والخمر تنقل عني   عِلم انتهاب الرءوس

ما السيف في يد عاتٍ   مضلَّل الرأي جاني
يوماً بأفتك مني   إذا امتشقت بياني

النجىُّ لو شئتُ ركنٌ   من الرشاد ركينُ
والشكُّ لو شئتُ حصنٌ   من اليقين حصينُ

للعقل عندى فنون   وللجنون مذاهب
عندى بياض الصباح   عندى سواد الغياهب

إن كان فى الناس قومٌ   رأوا هلال السماء
ففى سرائر قلبى   والروح ألف ذُكاء

ما عندكم ؟ حدثونى   يا إخوتى فى الجنون
فبى غرامٌ وشوقٌ   إلى حديث الفُتون

من الذى طاف منكم   ليلاً بتلك المناسك
ومن هداه هواهُ   إلى ضلال الزمالك ؟

فى ذلك الدوح غصنٌ   لولا العفافُ هَصرتُه
فى ذلك الروضُ زهرٌ   لولا الحياء قطفتُه

أباحنى فى التدانى   والبعد عزّ الفضيحه
وذاك لو يرتضيه   فى الحبّ خيرُ مَنيحه

لقيتُه ذات يومٍ   فى العصر عند الجزيرة
والنيل سكرانُ صاحٍ   مثل العيون الكسيرة

لقيتُ من لو دعانى   إلى الفداء فديتُه
لقيتُ من لو دعانى   بعد الممات أجبتُه

لقيتُ فيه وجودى   وكان بالصحو زالْ
فعدتُ نشوانَ حيًّا   أعيش عيش الضلال

رأيتُ حين رأيتُه   ما سوف يجنى الصفاء
فصاح روحىَ يهذى   ما الحبُّ إلاّ بلاء

أذاك نورٌ جديد   يلوح فى قلب شاعر
أم ذاكَ روحٌ مَريد   يصول فى قلب ساحر

كان الفؤاد استراح   من فاتكات الشجون
فمن إليه أتاح   كيدَ الهوى والفتون

أفى ظلال الجزيرة   وفى شِعاب الزمالك
يهيم روحى ويشقى   ويلاهُ مما هنالك !

يا ليتنى ما رأيتُك   يا أجمل الحافظين
يا ليتنى ما عرفتُك   يا أقبح الغادرين

ما أنت والزاهرات   على خدود الملاح
يا لوعتى فى المساء   وفتنتى فى الصباح

أزرتنى للصِّيال   يا أُقحوان الرياض
وهجتنى للقتال   يا أُفعُوان الغياض

أأنت ترمى وتمضى   إلى رحاب الخلاص
غرتْك نفسُك فاعلمْ   أن الجروحَ قصاص

فى لحظ عينيك نبلٌ   وفى عيونى نبال
ونظرةُ الليث قيدٌ   لألفِ ألفِ غزال

حاول خلاصك واسلُكْ   إلى النجاة المذاهب
فلن يفوتك سهمى   ولو علوتَ الكواكب

الرأىُ ، الرأىُ عندى   إذا نشدتَ الأمان
أن تستحيل نسيماً   ونفحةً من حَنان

عندى وفى ظل حبى   تحسُّ روح الوجود
وفى ضريم غرامى   ترى شُعاع الخلود

أنا النجىُّ القريب   من القلوب الشوارد
أنا الظلوم الحبيب   إلى الصدور النواهد

رباهُ ما الصادحات   من ضاحكات الأمانى
رباهُ ما النائحات   من شاديات المثانى

رباه ما الشارقات   من النجوم الثواقب
رباه ما الغاربات   من الظنون الكواذب

رباه كيف ترانى   وكيف حالىَ عندك ؟
هل كنت فى كل حالٍ   إلاّ فتاك وعبدك ؟



الأشــعة الـكونية

للدكتور محمد محمود غالى

« تحجب ورقة رقيقة أشعة الشمس عن أعيننا ولا تحجب كتلة من الرصاص سمكها بضعة أمتار الأشعة الكونية التى تخترق أسقف منازلنا أينا وجدت وأجسامنا أينا تكون »

تحدثنا عن نملة افترضنا أنهـا تتأمل خرجت لأول مرة فى حياتها من مكمنها ، فوجدت نفسها بطريق المصادفة فى سرادق تكسو أرضه أبسطة وتملوه أنوار ويؤمه كثير من الزائرين . انطفأت الحياة فيها قبل أن تتاح لها الفرصة لتعرف ما عسى أن يكون فى الوجود غير ما يجول بداخل السرادق الفسيح ، وذكرنا أن الدنيا عند هذه النملة فضاء تضيئه أنوار وتحيط به أقمشة وتغطى أرضه أبسطة ، وفقيه يرتل آيات ، ونادل يتحرك بين الحاضرين دخلت السرادق نملة أخرى ، ظلت تسير على الأبسطة وتحت الأنوار وتتابع السير فى مأمن من النادل والفقيه ، وعوضاً عن أن تقضى نحبها اهتدت إلى كومة الرمل التى خرجت منها الأولى وصادفت داخل الكومة إحدى بنات جنسها تتأمل عالمها الذى تراه لأول مرة من ثقب السجاد ، هذا العالم الذى لا زال ينحصر عندها فى سرادق وفقيه ونادل وأنوار وزائرين

تحدثت الزائرة إلى جارتها : لا تظنى أن الدنيا هى هذا السرادق المحدود ، فقد رأيت رأى العين قبل الدخول فيه قاطرة يتصاعد الدخان منها ، ورأيت فريقاً من بنى الإنسان يجتمع فى مركبات تجرها القاطرة ، وعند ظنى أنهم اجتمعوا لغاية واحدة ، هى أن يصلوا جميعاً إلى مكان معلوم ، يغلب على ظنى أنه بعيد جد البعد عنا ، فقد كانت القاطرة تنهب الأرض بسرعة تختلف كثيراً عن سرعة إخوانهم الراجلين

شد ما تختلف هذه المعلومات الجديدة لدى النملة التى تتأمل ، وشد ما تختلف هذه الصورة الجديدة للدنيا عندها ، فهذه القاطرة وهذه السرعة طفرة فى معارفها ، لم تخطر لها على بال

* * *

فى العلوم وثبات تحدث فى فترات بعيدة من الوقت ، تعد للانسان كهذه المعارف بالنسبة للنملة

عند ما اكتشف رنتجن فى سنة ١٨٩٥ الأشعة السينية (أشعة X) كانت هذه الأشعة وثبة فى العلوم لم يسبق للناس عهد بها . وعنـد ما وفق « بكارل Becquerel وكيرى Curie لاكتشاف المواد المشعة كالراديوم ، ظن فريق من الناس أن طاقة هذه الأشعة الجديدة التى تزيد مئات وألوف المرات على كل ما نعهده من طاقة وإشعاع ، ستكون نهاية ما نعرفه من الغرائب ، ولكن عند ما اكتشف العلماء ، وفى مقدمتهم العالم هيس Hess الأشعة الكونية التى تزيد طاقتها آلاف المرات على طاقة إشعاع الراديوم ،

الكون ، ما الكون ؟ قل لى يا مُبدعَ الكائنات
هل كان إلا مَراحاً لأنفسٍ حائرات ؟

أريتَنِى فى هواك ما يُوحش الصابرين
فهل أرى من نداك ما يؤنس الشاكرين ؟

رباه أنت الأمين على خفايا الغيوب
فهل تكون المُعين على مآسى القلوب

خاصمتُ فيك أناساً حجبتَهم عن جمالِكْ
فأرجفوا بى وظنوا أنى ضللت المسالك

قلبى وعقلى وروحى نسائمٌ من شذاك
فهل يكون ضلالى إلا بقايا هداك

« مصر الجديدة » زكى مبارك

أيقنا أننا لا زلنا فى مهد الطفولة فى العلوم بالنسبة لما يخبئه لنا القدر من معارف يتضاءل إزاءها كل ما بلغناه

هذه الأشعة الكونية التى تتصل بصميم العلوم الطبيعية الحديثة تنبئنا بأغرب ما نعرف من المعلومات عن الكون الذى نعيش فيه . وقد شَغَلَتْ نفسى بموضوعها فى السنين الماضية عند ما كانت موضوع رسالتى الثانية ، للحصول على دكتوراه الدولة فى العلوم من السوربون . وإنه ليسرنى أن حاضرت عنها الأسبوع الماضى فريقاً من طلبة كلية الطب فى جمعيتهم العلمية كما سأحاضر عنها جماً من زملائى فى جمعية المهندسين الملكية فى يوم الخميس ٤ مايو القادم. وهأنذا أحاول أن يقف قراء الرسالة فى مصر والبلاد الشرقية على أغرب ما يعرفه العلماء اليوم ، فأحدثهم عن موضوع بات يشغل بال الكثيرين منهم ، وغايتى أن أعطى القارئ لمحة سريعة عن الحقائق المعروفة بصدد هذا الموضوع ، وعن التطورات التى تناولته ، فيلم بموضوع تزداد أهميته كل شهر عن سابقه ، ويهتم له كثير من الباحثين فى كل أنحاء المعمورة ، نذكر منهم بلاكت P. M. S. Blackett فى انجلترا و كونتون Compton ومليكان Millikan بأمريكا ، ورُوسِّى Rossi وتلميذه بيندتى Benedetti بإيطاليا ، وزميلىّ بيير أوجيه Pierre Auger ولبرانس رينجيه Leprince Ringuet بفرنسا ، وأخيراً العالم الإيطالى فرمى Fermi الحائز على جائزة نوبل للطبيعة فى ديسمبر الماضى

***

ربما كان وصف هذه الأشعة بالكونية أقرب للواقع ، فسوف نرى أنها لا تمت إلى مجموعتنا الشمسية بشىء ، بل ربما لا تمت لعالم المجرة المكون من حوالى مائة ألف مليون نجم ، والتى شمسنا إحدى نجومه ، بأى صلة . وربما كان وصفها « بالأشعة النافذة » قريباً للواقع أيضاً ، لأنها تمتاز بقوة اختراقها العجيبة للأجسام ، فبينما نستطيع عند ما تتجول فى الخلاء أن نحجب أشعة الشمس بقطعة رقيقة من الورق ، فإن أسقف بيوتنا لا تكفى لتمنع هذه الأشعة من اختراق منازلنا فحسب ، بل أجسامنا بعدها لا تكفى لذلك . وبينما لا تنفذ الأشعة السينية (أشعة X) إلا فى بضعة مليمترات من المادة الصلبة ، كما لا تخترق أشعة الراديوم سوى بضعة سنتيمترات مثلاً منها ، فإن كتلة من الرصاص يبلغ سمكها متراً لا تحجب سوى نصف الأشعة الكونية . وإنه لا تكفى أحياناً كتلة من الرصاص سمكها حوالى عشرة أمتار لكى تحجب كل جسيمات هذه الأشعة . وسنرى كيف يسجل العلماء على الورق الحساس ، مسار جسيمات هذه الأشعة العجيبة بعد اختراقها كل هذه المادة ، وكيف ابتكروا جهازاً ينذر بسماع كل جسيم يمر من هذه الجسيمات النافذة والسريعة التى تمطرنا بها السماء والتى لا تمت لعالمنا بشىء

فى محاضرة للعالم الشاب بيير أوجيه ألقاها فى جماعة المفكرين فى باريز سنة ١٩٣٤ عن الأشعة الكونية سمت لانجفان (Paul Langevin) العالم المعروف باكتشافه للأيونات الكبيرة (Gros Ions) وباكتشافه طريقة لمعرفة أعماق البحار بواسطة الموجات الصوتية ، يقول مقدماً « أوجيه » :

« إن الأشعة الكونية موضوع الأسرار والعجائب فهى تخترق أجسامنا طُرّاً ولا زلنا عاجزين عن أن نعرف مصدرها أو أثرها علينا »

هذا ما يَجْهَرُ به «لانجفان» العالم الكبير ؛ وليس ما يجهر به لويس دى بروى (Louis de Broglie) (العالم الشاب المعدود اليوم من أكبر أساطين العلماء) فى تقدمة كتاب زميلنا «لبرانس رنجيه» متكلماً عن الأشعة الكونية بأقل شأناً من ذلك . يقول دى بروى :

« أى ثروة عظيمة امتازت بها العلوم الطبيعية منذ بضعة سنوات ، وأى باب هام وجديد فى العلوم لا زال يدخر لنا بلا شك مفاجآت أخرى عجيبة ونادرة »

ويكفى ، لمعرفة أهمية موضوع الأشعة الكونية ، أن يذكر القارىء أن المؤتمر الدولى للعلوم الطبيعية الذى انعقد فى لوندرة سنة ١٩٣٣ ، حصر دراسته فى ثلاث مسائل :

الأولى : الحالة الصلبة .

الثانية : الاكتشافات الحديثة فى تهدُّم المادة وتحول العناصر بعضها إلى بعض .

الثالثة : الأشعة الكونية .

تختلف طاقة الأشعة الكونية أو النافذة كما قدمنا عن طاقة الأشعة الراديومية . فبينما لا تتجاوز طاقة أشعة الراديوم عشرة ملايين ألكترون فولت[1] . تبلغ طاقة الأشعة الكونية مئات

(١) قد يهم بعض القراء أن يعرف أن الألكترون فولت هو الطاقة التى يكتسبها الكترون اكتسب عجلة تحت فرق ضغط كهربائى قدره فولت. إن الألكترون فولت يساوى ١٫٦ × ١٠$^{-١٢}$ أرجا ويرمزون له بالأفرنجية بالحرف Ve كما يرمزون لكل مليون الكترون فولت بالحرف MVe ويسمونه مجا فولت ألكترون (méga volt. électrons)

بل ألوف اللايين الألكترون فولت ، وهذه الطاقة تجعلنا فى الواقع إزاء ظواهر تختلف كثيراً عن الظواهر التى اعتدناها .

على أن ما يجمل الأبحاث الخاصة بهذه الأشعة تختلف عن كل ما عداها من الأبحاث العلمية : هو عدم الجزم بمعظم النظريات الخاصة بها حتى الآن . فمعلوماتنا ما زالت لا تجيز معرفة خواص إشعاع له مثل هذه الطاقة ، حتى أنه لا يجوز لنا أن نعامل هذه الظواهر بالطرق المعروفة فى الظواهر الطبيعية الأخرى ، فمثلاً لا يجوز لنا أن نجزم بأن طاقة هذه الأشعة تتناسب مع قوة اختراقها للمواد . ومما يزيد فى صعوبة دراسة هذه الأشعة العجيبة افتقارنا إلى نظريات معقولة بصددها ؛ وليس الأمر أن لدينا من النظريات ما نفاضل بينها و نتخير الأوفق منها ، بل إنه ليس لدينا نظريات معقولة إطلاقاً . حتى أن بعض العلماء يميل إلى اعتبار الأشعة الكونية حالة علمية جديدة ، تختلف قوانينها عن حالة العالم ، أو الكون الذى نعيش فيه اليوم ؛ وإنه ليس من المحال أن تكون هذه الأشعة بقايا « أركيولوجية » ترجع إلى تاريخ بعيد جداً فى الوجود ، يقدر من السنين بالآلاف من الملايين ، كانت الدنيا فيه أحدث عمراً ، وكانت تختلف الطاقة والقوى والقوانين كل الاختلاف عن عهدنا بها اليوم

على أننا ندع مؤقتاً فكرة العلماء هذه ، ونسير بالقارىء أولاً إلى التعرف عن الناحية الشيئية أو الفعلية Objectif عن هذه الأشعة .

ثلاثة أمور أدركها العلماء ، وعرفوها فى الظروف العادية ، خاصة بهذه الأشعة :

الأمر الأول : تصل لنا جسيمات صغيرة مكهربة كأنها قذائف وتخترق أجسامنا بسرعة كبيرة ، وقد دلت عليها مسارات مستقيمة هى أثر لعملية التأيين(١) Ionisation الحادثة من مرور هذه الجسيمات

الأمر الثانى : عند ما تلتقى هذه الجسيمات السريعة بالمادة ، وبالأحرى بكتلة هامة منها كقطعة سميكة من الرصاص ، تظهر فى المادة حزمات(٢) Gerbes لجسيمات أخرى مثل نيترونات(٣) Neutrons أو بوزيتونات(٤) Positons أو ذرات ثقيلة ، تقذف من المادة نفسها بعيدة عن مركزها الأصلى بسبب مرور جسيمات هذه الأشعة فيها .

الأمر الثالث : يحدث كل هذا ، أى تصل هذه القذائف ، ويقع هـذا التخريب فى المادة ، فى أى زمان ومكان على سطح الأرض تقريباً بالنسبة ذاتها ، فترانا معرضين لفعل القذف المستمر بمعدل مقذوف فى كل دقيقة على كل سنتيمتر مربع فى الوضع الأفقى من سطح الأرض؛ فمثلاً تستقبل راحة اليد (باعتبار مساحتها حوالى ٦٠ سم٢) مقذوفا فى كل ثانيـة ، ينفذ منها كما تنفذ الرصاصة من قطعة من الكارتون ، وعلى حد تقدير روسى أستاذ بادو ، تضرب الأرض بمعدل مقذوف واحد فى كل ثانية لكل ديسيمتر مربع من سطحها.

يعترضنا بعد هذا الوصف الموجز مسألتان :

الأولى : ما أثر هذه المقذوفات على المادة التى تقابلها ؟

الثانية : ما هى طبيعة وأصل هذه القذائف ؟

والمسألة الأولى تخص فيزيقا النواة ، والثانية تخص الفيزيقا الأرضية ، وكلاهما موضوعان حديثان لهما خطرهما فى العلوم الطبيعية ويختلفان عن الموضوعات العادية ، وذلك بصغر الظاهرة المراد قياسها ودقة التجارب الخاصة بهما ، وخطورة الرحلات المتعلقة بهما ، سواء ما كان منها فى الجو أو على قمم الجبال أو فى أعماق البحار ؛ كذلك مهارة التحليل العلمى وعظمة الاستنتاج وقوة الاستقراء . كل هذه تجعل من الموضوع بالنسبة لنا موضوعاً يشبه موضوع القاطرة بالنسبة للنملة التى افترضنا أنها تتأمل : وهو ما أود أن يشعر به القارىء فى مقالاتنا القادمة

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

(١) الأيون هو ذرة (atome) أو جزئى (molecule) يحمل شحنة كهربائية (charge electrique)

(٢) جمع حزمة . وتسمى الحزمات بالانجليزية Showero

(٣) ، (٤) كل هذه مكونات الذرة فى المواد المختلفة سنأتى على شرحها فى مناسبة قريبة .

اكتشاف أشعة جديدة

اكتشف الأستاذ ألفريد توما مدير معهد الشرق — أشعة ايثيرية واصله إلى أرضنا من مصدر الكون الأعلى وقد ألقى عنها محاضرة بالحفلة التى أقيمت بالدار الماسونية الكبرى مساء يوم الخميس ٣٠ مارس سنة ١٩٣٩ حيث تكلم عن حياتنا القادمة فى العالم الأثيرى وعن مصدر الأشعة الأيثيرية التى اكتشفها وقد أثبت منافع اكتشافه للطب فى مختلف الأمراض كالروماتزم ، والشلل الحديث ، والتهاب المفاصل ، والربو ، وكثير من الأمراض الصدرية ؛ فعرضت عليه فى نفس الجلسة مرضى بحالات مستعصية ومزمنة فأتت فى الحال بنتائج حسنة كانت موضع إعجاب ودهشة الحاضرين من الأطباء والخبراء وضباط البوليس وأساتذة المحفل الماسونى وغيرهم ، مما حمل الكثيرين للتوجه لإدارة معهده الكائن بشارع الخليج المصرى ٧١٩ بنمرة لتحقيق بعض التجارب فى حالاتهم المستعصية ، ومما يؤيد هذا توقيعات بعض الحاضرين من ذوى الحيثيات والشخصيات البارزة :

الدكتور ايفانوف ، الدكتور سليم ابراهيم ، اللواء على باشا شوقى ، القطب الأعظم طه أفندى السيد (الضابط) ، الأستاذ نسيم فهمى ميخائيل (مدير كلية أكسفورد) ، الأستاذ عباس غالب (المدرس) ، الأستاذ نصيف ميخائيل (المحامى) ، محمد بك سعيد هيبه (مفتش عام مصلحة التلغرافات) ، الأستاذ سعيد بخيت (الخبير بالمحاكم الأهلية)

شاهدت بعينى الحفلة وما تم بها مما يطابق حقيقة الأمر الواقع

[illegible] سعيد بخيت الخبير بالمحاكم الاهليه

Dr Selim Ibrahim [illegible] Midan El Dahar Cairo

Dr Ivanoff 75, av. Reine Nazli, Cairo.

حقيقى كنت حاضر هذه الحفلة وشهدت إقرار [illegible] الأستاذ النزيه توما

اللواء على شوقى [illegible] باشا

[illegible] ٢٠/٣/١٩٣٩

طه القطب الأعظم

[illegible]

ما هى الحياة وكيف ظهرت على الأرض ؟

غريزة الخـــير والشر

وكيف نشأت فى الإنسان والحيوانات الاجتماعية ؟

للأستاذ نصيف المنقبادى

تتبعت بإمعان المقالات الممتعة التى يتحف بها العالم الأخلاق المحقق الأستاذ محمد يوسف موسى قراء الرسالة . ولكنى رأيت فيها المفكرين والفلاسفة حيارى لا يدرون كيف يعللون قيام الأخلاق أو الغريزة الأخلاقية فى الإنسان تعليلاً صحيحاً ، وهم يتخبطون فى البحث عن مصدرها الحقيقى ، شأن كل تحقيق لا يستند إلى العلم ولا يدخل فى حسابه نواميس الطبيعة وفعل العوامل الطبيعية ولا يقوم على المشاهدة والاختبار . وقديماً كانت المذاهب التى لا تستند إليهما ، بل الفلسفة كلها (عدا الفلسفة اليونانية وفلسفة ابن رشد المأخوذة عنها) حجر عثرة فى سبيل تقدم العلم ، وهو — أى العلم — لم ينهض نهضته العظيمة الحاليــة إلا حينما تحرر من تلك المذاهب القديمة وأساليبها العقيمة البالية ووقف أمام الطبيعة يستقصى منها رأساً النواميس التى تدير الكون بأسره بما فيه كرتنا الأرضية المتواضعة ، وما عليها من ظواهر ومواد متنوعة ، منها الكائنات الحية والبشر وخواصها وتفاعلاتها وطبائعها منفردة ومجتمعة

لهذا رأيت أن أبين هنا رأى علم البيولوجيا فى الأخلاق باعتبارها ظاهرة طبيعية قائمة فى الإنسان وفى الحيوانات الاجتماعية الأخرى كالنمل وغيره

وفى الوقت نفسه سيأتى هذا البحث مكملاً لما جاء فى المقالات الأخيرة التى نشرناها على صفحات الرسالة عن وحدة الكائنات الحية (بما فيها الإنسان) والجمادات واشتقاق الأولى من الثانية وكيف أنه لا يدير الأحياء ولا يعمل فيها إلا النواميس الطبيعية ، وأن جميع ظواهر الحياة حتى التفكير والغرائز (ومنها الغريزة الأخلاقية التى سيأتى الكلام عليها) والقوى العقلية على العموم ليس لها إلا مصدر واحد وهو الغذاء أو بالأحرى الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء كما شرحنا ذلك كله بالتفصيل فى مقالاتنا الأخيرة .

الحياة الاجتماعية منشأ الغريزة الأخلاقية

كان أجدادنا البعيدون الذين تسلسلنا منهم يعيشون فرادى فى الغابات يتسلقون أشجارها ليقتاتوا ثمارها ، ثم فى المغاور والكهوف فى العصر الجليدى الذى دام نحو مائة ألف سنة ، فكان الواحد منهم عرضة لجميع أنواع المهالك كهجمات الحيوانات المفترسة لا يستطيع أن يردها بمفرده ، كما أنه كان يعجز عن القيام بالصعب من الأعمال فى سبيل الحصول على غذائه كصيد فريسة كبيرة مثلاً ، أو فى سبيل تهيئة مأوى صالح له

ولكنهم لحظوا ، مع مرور الزمن ، أنه كلما سار فريق منهم مجتمعاً سهل عليه التغلب على العدو الهاجم واستطاع القيام بالأعمال التى لا يقوى عليها الواحد منهم منفرداً

وهكذا دلتهم خبرتهم شيئاً فشيئاً مدة ألوف السنين على أن بقاءهم مجتمعين أجدى عليهم وأصلح . وهذا هو منشأ الحياة الاجتماعية وأول صورة من صورها

غير أن اجتماعاتهم هذه كانت فى بادئ الأمر قصيرة الأجل لأن الواحد كان يبطش بالآخر كلما سنحت له الفرصة ليستولى عنوة أو خلسة على إنائه أو ما يكون قد حصل عليه من فريسة أو غذاء أو مأوى أمين ، فلا تطيق الجماعة الحياة المشتركة ، ولا يلبث أفرادها حتى يتفرقوا تخلصاً من اعتداء بعضهم على بعض. وحينئذ يشعر كل منهم بضعفه وهو منفرد أمام الأخطار التى تهدد حياته فى كل حين وأمام الصعوبات التى يلاقيها فى سبيل الحصول على غذائه

وهنا تدعوهم الظروف الطارئة مرة أخرى إلى مقاومة عدو قوىّ أو زحزحة صخرة ضخمة ، أو مهاجمة فريسة كبيرة ، ثم يتشتتون ، ثم يجتمعون ، وهكذا . وفى كل مرة يزدادون اقتناعاً — أو بعبارة أصح — يزدادون شعوراً بفوائد الحياة الاجتماعية ومزاياها لكل واحد منهم

وأخيراً فطنوا إلى أنه لا بد لبقائهم مجتمعين من اتباع بعض قواعد كانت فى أول الأمر على أبسط صورها مثل احترام حياة الغير وإنائه وملكيته . وهذا هو بدء ظهور الأخلاق بين أفراد النوع الإنسانى ، وهى كما ترى وليدة المنفعة — منفعة الجماعة وبالتالى منفعة كل فرد منهم على حدة — فمنفعة الجماعة أو الهيئة الاجتماعية هى أساس الأخلاق ، فهى التى دعت إليها وحملت الناس على اتباعها والتحلى بها ، لأن الحياة الاجتماعية التى اقتنع بنو الإنسان بفوائدها وجنوا ثمارها لا بدّ للمحافظة عليها من احترام حياة الغير وملكيته وغير ذلك من القواعد التى سُمِّيت بالأخلاق ، وإلا اضطر كل فرد أن يهرب من غيره فتضيع عليهم تلك المزايا ، مزايا الحياة جماعة

وعلى هذا النحو تكوّنت الجماعات القليلة العدد ثم العشائر ثم القبائل ثم الشعوب . وكلما زاد ارتباط الأفراد وعاشوا مجتمعين تقدمت الروح الاجتماعية أو روح التضامن وارتقت الأخلاق واتسعت قواعدها ورسخت أصولها فى النفوس إلى أن أصبحت غريزية فى الإنسان أو كادت . ذلك لأن كل صفة مكتسبة تصبح غريزةً مع الاستعمال والاعتياد ومع انتقالها بالوراثة من جيل إلى جيل ومن نسل إلى نسل . وهذه هى ماهية الغريزة كما عرفها هربرت سبنسر وإدمون بريبه وغيرهما من علماء البسيكولوجيا والبيولوجيا . فإذا درّبنا مثلاً الكلاب العادية على الصيد وفعلنا هذا مع ما يتعاقب من نسلها فإن الأمر ينتهى بنا إلى أن نحصل على نسل من الكلاب يعرف بغريزته أساليب الصيد ومقتضياته بلا أى تدريب . وما كلاب الصيد المعروفة الآن بهذا الوصف إلا كلاب عادية تدرّب أجدادها على تلك الصفة إلى أن أصبحت غريزة فيها

ومن أهم العوامل التى قربت بين أفراد النوع الإنسانى فى بادئ الأمر ظرف طارئ طبيعى محض هو قيام العصر الجليدى الأمر الذى اضطر أفراد الإنسان أن تلجأ إلى المغاور والكهوف لتتقى البرد القارس الذى اشتد فى ذلك العصر البعيد . ونظراً لأن عدد تلك الملاجئ كان محصوراً عاشت الناس فيها بطبيعة الحال جماعات جماعات . وإلى ذلك العصر يُعزى تعلم الناس تغطية أجسامهم بجلود الحيوانات الأخرى ليحموا أنفسهم من البرد الشديد . فترتب على ذلك من جهة قيامُ غريزة الحياء فيهم ، ومن جهة أخرى زوال معظم الشعر الذى كان يُغطى أجسامهم

وحين وصل النوع الإنسانى إلى درجة تذكر من التفكير نشأت الأنظمة السياسية البسيطة والشرائع الأولية فزادت فى تقريب الناس بعضهم من بعض ، وتوثيق عرى الروابط الاجتماعية بينهم ، ونظمت قواعد الأخلاق ورغّبت الناس فيها بما صورته لهم من العقاب لمن خالفها والثواب لمن اتبعها

ومن الأسباب التى ساعدت أيضاً على ربط الناس بعضهم ببعض التجارة والمعاملات وتبادل المحصولات والصناعات بين الأفراد والجماعات

ومن العوامل القوية فى تحضير الجماعات البشرية وتمدينها ووضع حد لحالة البداوة والتنقل ، الزراعة وما تستوجبه من البقاء فى الأرض لرعاية المزروعات وجنى محصولاتها . ولا يفوتنى أن أنوه هنا بفضل نهر النيل العظيم وفيضاناته السنوية وما يعقب كل فيضان من خصوبة فى الأرض لا مثيل لها ، وأن بعض علماء الاجتماع يرى أنه هو الذى علم الناس الزراعة ، ولذلك كانت مصر منشأ المدنية وأصل الحضارة فى العالم

ثم ارتقت الحياة الاجتماعية فنشأت فوق الغريزة الاجتماعية (التى بين مظاهرها القومية أو الوطنية) عاطفة جديدة فى الأمم الراقية هى عاطفة الإنسانية أى حب مجموع البشر بلا تمييز بين الأجناس والملل ، كما وجدت فوق القواعد الأخلاقية الأصلية التى أصبحت غريزية أو كادت على الوجه المتقدم بيانه ، ما يسمونه بآداب السلوك وقواعد التربية وحسن المعاملة

وبالجملة فإن الأساس العلمى الصحيح للغريزة الأخلاقية أو غريزة الخير والشر إنما هو المصلحة — مصلحة المجموع قبل كل شىء — وعلى هذا يكون التعريف الطبيعى للفضيلة أنها كل ما يعود على المجتمع الإنسانى بالخير ، والرذيلة كل ما يلحق به من الضرر . وفى مصلحة المجموع مصلحة كل فرد على وجهها الصحيح كما تقدم بيانه

على أن الغريزة الأخلاقية قد رسخت الآن فى نفوس الأمم

المتمدينة وعلى الأخص فى شمال أوروبا ، وتجردت فى الظاهر من صفتها المصلحية أو النفعية إلى حد أن أصبحت تلك الشعوب تحب الفضيلة لذاتها وتمقت الرذيلة وتنفر منها لأنها رذيلة ليس إلا

وليس النوع الإنسانى هو النوع الاجتماعى الوحيد بين الحيوانات ، فإنه توجد أنواع أخرى أعرق منه فى الحياة الاجتماعية وأقدم مثل أنواع النمل التى تغلبت فيها الغريزة الاجتماعية وبالتالى الأخلاقية على الغريزة الفردية أو غريزة حب البقاء . فترى أفراد تلك الأنواع تقوم بأشق الأعمال مثل حفر السرادب تحت الأرض ، أو البحث عن الغذاء ، ونقله المسافات الطويلة وادخاره لمصلحة المجموع . وهى تفعل هذا فى نشاط ، وبمحض إرادتها دون أن يأخذها الكلل أو الملل ، ودون أن يكون عليها رقباء منها يدفعونها إليه . بل هى الغريزة الاجتماعية ، وما يتبعها من الغريزة الأخلاقية ، التى تحملها على ذلك . وكثيراً ما تضحى أفراد النمل بنفسها ، وتقدم حياتها عن طيب خاطر إذا ما دعت مصلحة الجماعة إلى ذلك ، وهى تتحلى بهذه الفضائل الحميدة بفطرتها الغريزية نتيجة حياتها مجتمعةً مدة ملايين السنين منذ أوائل العصر الثانى من الأعصر الجيولوجية .

أما النوع الإنساني فلم تتمكن فيه بعد الغريزة الاجتماعية والأخلاقية إلى هذا الحد ، لأنه حديث العهد بالحياة الاجتماعية حيث أنه لم يمض عليه إلا نحو مائتين وخمسين ألف سنة ، وهو على هذا الحال لأنه ظهر فى أواخر العصر الثالث .

وخلاصة القول أن الأخلاق ليست وليدة تعاليم خاصة ، ولا هى وقف على مذهب دون آخر أو طائفة دون غيرها ، وإنما هى ظاهرة طبيعية تطرأ على الحيوانات الاجتماعية مثل الإنسان والنمل نتيجة لازمة لحياة أفرادها جماعة ، وقد أصبحت غريزة متأصلة فى أنواع النمل ، وهى غريزة فى دور التكوين فى النوع الإنسانى

على أن الأخلاق سوف تتأصل فى الإنسان مع مرور الزمن الطويل ، وترتقى بارتقاء حياته الاجتماعية فيأتى يوم فى المستقبل يسود فيه التضامن التام بين الناس وتعم الروح الاجتماعية ويزول الشر من النفوس ، وتمتنع الجرائم والحروب وتنتشر الفضيلة ، ويصبح الإنسان مطبوعاً على الخير وحب المجموع بغريزته وتقفل المحاكم والسجون أبوابها .

وقد تزول الحكومات على ما يتوقع هربرت سبنسر ، وغيره من علماء الاجتماع ، ويخلص الناس من نير الأحزاب السياسية ومساوئها وغرور زعمائها وعبثهم بعقول الناس ، وتمجيد الجماهير البلهاء لهم ؛ ويكون العلم قد قهر الأمراض ، وعالج الشيخوخة ، وتغلب عليها (وما هى إلا مرض كسائر الأمراض الأخرى ، عبارة عن تسمم تدريجى نتيجة التغذية يضاعفه فعل كريات الدم البيضاء المفترسة) فتطول حياة الإنسان ، وقد يمتنع الموت وهو ليس بنتيجة لازمة للحياة بدليل الحيوانات والنباتات الخالدة ، وهى الأحياء الأولية ذات الخلية الواحدة ، مما سنشرحه فى مقال قادم . ويكون بنو الإنسان قد حلوا المشكلة الاجتماعية الكبرى الخاصة بتوزيع العمل وخيرات الطبيعة بينهم توزيعاً عادلاً ، فيعيش البشر فى سلام ونعيم دائمين ، ذلك النعيم الذى ظلوا العصور الطويلة يحلمون به ولن يحققه لهم إلا العلم

نصيف المنقبادى المحامى

دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)

من هنا ومن هناك

دكتاتورية هتلر – للكاتب الألماني توماس مان*

قد يفاخر فاتح برختسجادن (هتلر) بأنه حمى الشعب الألماني ، وأحرز فوزاً وانتصاراً عظيمين ، دون أن يشهر سلاحاً أو يريق قطرة من دماء

فإذا كان هذا مبلغ فخاره ، فيحق لى أن أسأل : فى أى لحظة عرف أنه قد أمن عواقب عمله ، وأنه نجا من حملة لا تخفى عواقبها على أحد ؟ فإن الأمر كان يستدعى أن تهب فرنسا لمناصرة الأمة المحالفة لها ، وهنا تقع الكارثة

من المحتمل أن يكون قد عرف ذلك ، ولكن بعد كل إنسان ! فقد ظهر أخيراً أن تحذير جورنج وموسوليني له فى الأيام الأخيرة من سبتمبر كان ضرورياً لمنعه من الانزلاق بأمته نحو الهاوية ، فيدفعها إلى حرب لا يستطيع أن يصمد لها وهزيمة محققة ، رأيا من الشفقة أن يحمياه شرها . ومما يقال على ما فيه من السخرية ، إن بعض الفاشست من الإنجليز قد توسلوا إليه أن يتفضل بقبول النجاة التى تعرض عليه !

إن الحكام الانجليز لا يريدون أن يوقعوا كارثة بالفاشست ولا يودون ذلك على الإطلاق . إنهم لا يريدون الحرب ، لأنهم يكرهون أن يحرزوا فوزاً تشاطرهم روسيا فيه ؛ ولميلهم إلى السلام قد ظهروا أمام العالم الجزع بمظهر المخلصين المنقذين . وإلا فقد كان من المنتظر أن تحل الكارثة بإيطاليا وألمانيا فى أربع وعشرين ساعة ، ولكن الإنجليز هم الذين أبوا ذلك . لم يسمح لهتلر أن يحطم الفاشية . ومع ذلك فهو يزعم أنه نال كل شيء بغير عنف ، وهو مهدد بالدمار لو استعمل شيئاً من ذلك

أيها المنتصرون الباهون، أنتم لا شيء. إننا لا نعد أنفسنا قد انهزمنا وخرجنا من الميدان ... إن العقل والروح قد اعتادا الاضطهاد فى هذه الأرض منذ آلاف السنين ، ولكنهما لم يهزما ويقتلا بمثل هذا الانتصار

لا تخف ! إن الحق والفكر قد يخمدان لحظة قصيرة ، ولكنهما قويان فى أعماق نفوسنا

ومن قمم الفن الصادق تطارد الروح هذا الانتصار الكاذب . ولا يغرنك أنها فى عزلة وانفراد، فهى فى تحالف وألفة دائمين مع كل ما يفيد العالم الإنسانى

إن الدكتاتورية تناقض نفسها بادعائها محو السيئة وتحرير الضمير الإنساني وتلقين البطولة ، بينما تحط من قيمة الإنسان وتستعبده ولا تعتد بكرامته معتقدة أن هذا حظه فى الحياة وليس له حظ سواه ، وكل ما عداه لغو وهباء . فأى مخالفة للمنطق هذه ؟

إن فهم البطولة يحتاج إلى فكر أعمق وفلسفة أدق من تلك الفلسفة التى تستند إلى القوة والتضليل ، تلك الفلسفة التى تسوق وراءها الدهماء .

رقص الحياة – عن الافنيج كرونيكل

فى الشعر والتصوير والنحت صورة معروفة يرمز إليها برقصة الفناء . يصورون فيها هادم اللذات ، وهو يحصد نفوس البشر من كافة الأجناس

فيمثلون الموت يجذب النفوس من كل سنخ وجنس ، فى قسوة القاهر المستبد ، وهى تدفعه عنها بكل ما رزقت من قوة ، وتتشبث بالحياة فى جزع ورهبة ، والموت يقتادها إلى حيث يريد وهو مكتوب له النصر دائما ، فيرقص منتشياً بالفوز والظفر وهى مسوقة إلى مقرها الأخير ، ومن هنا رمزوا إلى تلك الصورة « برقصة الفناء »

ولكن الكاتب المعروف « هافيلوك أليس » يخالف هذه الصورة ، فيترك رقصة الفناء ويتكلم عن رقصة الحياة

(*) توماس مان فى طليعة الكتاب الذين أخرجهم النازى من ديارهم وقد جرد من جنسيته الألمانية ونزعت عنه ألقابه الجامعية لمخالفته للنازى ومهاجمته القمصان الملونة. وهو من حائزى جائزة نوبل ويعيش الآن فى الولايات المتحدة

فهو يقول إن الحياة فن . وكل شيء فيها وكل مخلوق يدب على أرضها فنان يصور حياته كما يصور الرسام لوحته ، أو المثال تمثاله . ويدلل على أن التفكير فن والكتابة فن ؛ حتى الأديان والأخلاق فنون جميعها ، وأن الرقص أساس قوى فى تلك الفنون ويعده التعبير الأسمى للحياة

ونظرية « أليس » هذه تفتح أمامنا باباً واسعاً للتأمل والتفكير . فنحن نعرف منها كيف كان الرقص فى كيان الإنسان وفى صميم كل مدنية ، وكيف يكون معبراً عن الحياة !

إن الحياة تعبر عن لحن جميل فى الحقيقة ، والألحان ينبوع الرقص. ليست الحياة وحدها هى التى تعبر عن هذا اللحن بل الكون أجمع يشترك فى هذا التعبير . وهذا يفسر قول الإنجيل : النجوم ترقص فى الصباح . إنها بلا شك تخفق وتهتز على تلك النغمة التى تشمل الحياة

وكما كان الرقص مصوراً لحركاتنا الجسدية والنفسية ، فقد كان كذلك أول معبر عن الأديان ، وقد نشأ الرقص مع الإنسان

ويقول لفنجستون الرحالة المشهور إنه شاهد فى أنحاء أفريقيا قبائل يحيي بعضهم بعضاً بقوله : أين ترقص . وذلك أن رقص الإنسان يدل على قبيلته ويميط عن أخلاقه الاجتماعية والدينية

ويقول فريزر : إن الإنسان الأول لم يكن يلهج بدينه بل كان يرقصه . ويقول الكثير من علماء الشعوب : إن الأديان فيما مضى من الزمان كانت قائمة على الرقص ، وإن الإنسان الأول تعلم الرقص قبل أن يتعلم الدين »

ولعل فى هذا البحث ما يبعث على التفكير فى أساليب بعض رجال الطرق فى مصر ، وفى غيرها من البلاد الشرقية

مدارس للاستعمار - عن لافرانس دى أوتر مير

فى ألمانيا الآن مدرستان للاستعمار ، إحداهما فى وتزنهوس ، ولها قسم للتعليم العملى فى بترفيلد ، والأخرى فى رندسبرج . فالأولى تعد رجالاً ذوى قدرة على الاستعمار والاستغلال ، والثانية تعد الزوجات الصالحات لهؤلاء الرجال .

وعلى مسيرة ساعة من المدينة يرى هؤلاء التلاميذ مكبين على أعمالهم فى معزل عن العالم ، ليألفوا هذا النوع من الحياة ، التى لا تختلف عن حياة « روبنسن كروزو » . وهم يقومون بتشييد المبانى وتجديدها ، ويستخدمون فى أعمالهم أبسط الآلات.

والمدرسة تقوم على تعليمهم النظريات العالية بطرق عملية بسيطة ، فإلى جانب العلوم التى يلقنونها داخل الفصول : فى الزراعة والتاريخ والطب والصيدلة ونظام المكتبات ، واللغات الشرقية ، وإدارة المستعمرات يتدربون على الشئون العملية فى الحياة تدريباً عجيباً ؛ فمن الصباح الباكر يستيقظون لحلب البقر وحمل لبنها إلى حيث يصنعون الجبن والزبد .

ويقوم تلاميذ هذه المدرسة بزراعة الحبوب ، ويتولون شأنها فى جميع الأحوال من الحرث إلى الحصد ، ويقومون بطحنها وعجنها . وهم فوق ذلك يتعلمون الهندسة الكهربائية ، وهندسة الرى والبناء والطرق والجسور ، وأعمال النسف والتدمير

والمستعمر الألمانى يتدرب على صناعة الطوب الذى يستعمله لبناء المساكن ، وعليه أن يتعلم النجارة ، وإصلاح الأخشاب وإعدادها ، وصناعة السفن وعمل السروج والحدادة على اختلافها. وأخيراً يجب عليه أن يتعلم فنون الحرب ويلم إلماماً تاماً بالتعاليم النازية. أما البنات فلا يختلف نظام تعليمهن عن هذا النظام من حيث الدقة والإحكام ، ويتفق معه من حيث الجمع بين التعليمين النظرى والعملى

فهن يتعلمن لغة الزنوج ويتدربن على رعاية المرضى والأطفال ، ويتعلمن طهى الطعام على الطرق المعروفة فى مختلف المستعمرات ، مما يختلف والطهى المعهود فى ألمانيا كل الاختلاف

ويجب عليهن أن يتعلمن رتق الملابس ، ويتدربن على ركوب الخيل وقيادة السيارات وحمل السلاح

ويراعى فى هؤلاء الزوجات أن يكن قادرات على تكوين الخلق المطلوب ، بحيث يكون لهم نصيب واف فى بناء الدولة

فإذا استعادت ألمانيا مستعمراتها ، وجه إليها هذا الجيش من المستعمرين والمستعمرات فيقومون ببناء مساكنهم بأيديهم أو بمساعدة بعض الخدم ، ويحرثون الأرض ويحصدون الثمار . فإذا أتوا بنسل درج على هذه الصفات . فلا تمضى سنوات حتى يكون فى تلك المستعمرات شعب ألمانى قوى متين



تاريخ الآداب العربية لبروكلمن

قد سبق لى أن أخبرت قراء هذا الباب من الرسالة أن المجلد الثالث من « تكملة تاريخ الآداب العربية » للمستشرق الكبير بروكلمن قد أخذ فى الظهور ؛ فوصفت الجزء الأول منه وقلت إن المجلد كله موقوف على الأدب العربى الحديث . وهذا الجزء الثانى يصلنى وفيه مواصلة الحديث فى الشعر المصرى منذ هبوط الانجليز هذا القطر (ويقول بروكلمن : منذ احتلال الإنجليز له) ، ويجرى الحديث على حافظ ابراهيم ومصطفى صادق الرافعى وأحمد محرم والكاشف وأحمد نسيم وحسن القاياتى، وهم ممن نحوا نحو البارودى فى النظم على الطريقة الاتباعية . ويجرى الحديث بعد هذا على البكرى وعبد المطلب وهما من أصحاب تلك الطريقة مع بعض الإفراط . وينتقل الحديث إلى خليل مطران على أنه صاحب مذهب جديد فى الأداء مع بقائه على المبنى القديم . وممن حذا حذوه أحمد زكى أبو شادى ؛ وممن يلتف حوله عبد الرحمن شكرى. وقد أفاض صاحب الكتاب فى تحليل شعر مطران ، ومما قاله إنه جاء بالملاحم وألف بين النظم الإفرنجى والأسلوب العربى ، وأفاض أيضاً فى وصف شعر أبى شادى

ومن المراجع العربية التى عوّل عليها المؤلف أو ذكرها : « حياة حافظ » لمحمد كرد على ، « حافظ وشوقى » لطه حسين ، « المختارات » للمنفلوطى ، « على السفّود » للرافعى « ثورة الأدب » لمحمد حسين هيكل ، « الفصول » للعقاد . ومن المجلات العربية المذكورة فى سياق البحث : المقتطف والهلال والرسالة ومجلة المجمع العلمي العربى ومجلة الأزهر

ب . ف

عبث الوليد

أشكر الأستاذ الجليل ابراهيم يسن القطان على مكارمه وفضله وأدبه وسعة اطلاعه . أما عن قول المعرى (عبث الوليد) فقد جاء فى كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان فى ترجمة المعرى ما نصه :

« واختصر ديوان أبى تمام وشرحه وسماه (ذكرى حبيب)، وديوان البحترى وسماه (عبث الوليد) ، وديوان المتنبى وسماه (معجز احمد) وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيهم ومآخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم والنقد فى بعض المواضع عليهم والتوجيه فى أماكن لخطئهم » فهذا التفصيل وهذه الإطالة فى شرح محتويات هذه الكتب تدل على الاطلاع أو تفهم القارئ أن الكاتب واثق من قوله. فهو يقول اختصر كل ديوان من الدواوين الثلاثة ولم يقل إنه أخذ محاسن أبى تمام والمتنبي فى كتابيه عنهما واكتفى بعيوب البحترى فى كتابه عنه، بل قال إنه ذكر للثلاثة محاسن ومساوئ ، وذكر للثلاثة أخطاء وعيوباً ودل على ما امتاز كلٌّ به من المعانى الخ ، ومع ذلك مَيَّزَ بينهم فى عنوان كل كتاب، وهذا التمييز هو الذى عنيته بنقدى. على أنه لو صح أن ابن خلكان أخطأ فى شرح هذه الكتب وكان كتاب المعرى عن البحترى مقصوراً على العيوب والمساوئ ولم يقصر المعرى على مساوئ أبى تمام والمتنبي الكتابين الأخريين لكان هذا ظلماً من المعرى للبحترى ، إذ أن لأبى تمام والمتنبي مثل هذه الأشياء التى ذكرها الأستاذ الجليل القطان فَلَمْ نُرَجِّحْ إذاً أنه قصر الكتاب على عيوب البحترى لهذا السبب وأخذنا بوصف ابن خلكان محتويات الكتب والتمييز فى العنوان بالرغم من ذكر المعرى مساوئ شعر أبي تمام والمتنبي فى كتابيه عنهما — وإذا لم يكن غير نسخة واحدة فى مصر من كتاب عبث الوليد مأخوذة بالتصوير الشمسى فهذا سبب قلة استيفاء بحثها . ومما جعلنا نصدق قول ابن خلكان ومن قال مثل قوله علاوة على الأسباب المتقدمة أننا لم نستكثر على المعرى ألا يقدر صنعة البحترى قدره حكمة المتنبي فى شعره الذى سماه

معجز احمد. ومما يدل على ذلك أيضاً أنه لم يمدح شيخ البيان أباتمام كثيراً فى عنوان كتابه إذ جعله ذكرى، والذكرى لا تقارن بالمعجزة. وقد سُمِعَ عن المعرى انتقاص للشعراء الذين يهتمون كل الاهتمام للصناعة والأسلوب الخطابى، فقد روى أنه قال عن شعر محمد بن هانى الأندلسى : (إن شعره كطاحونة تطحن قروناً لإحداث قعقعة) وابن هاني الأندلسي له شعر يقارب طريقة أبي تمام ومسلم بن الوليد التى احتذاها البحترى أيضاً ولم نستبعد أن يكون صاحب اللزوميات التي ملأها تفكيراً فى معضلات الحياة قد صنع ما نسبه إليه ابن خلكان وغيره من مؤلفى السِّير وقدَّم التفكير على الصنعة فى الشعر وجعل الصنعة عبثاً إذا قورنت بالحكمة وإن لم تكن عبثاً إذا لم تقارنها. ومما ينبغى أن نلاحظه أنه كان فى نفس المعرى كما كان فى نفس تولستوى الأديب الروسى صراع عنيف بين نشدان جمال الصنعة فى الآداب والفنون وبين البحث عن الحقيقة الروحانية ، وهذا الصراع قد يفسر اختلاف قوله فى البحترى . وبعد كل ذلك نرجو الأستاذ القطان أن يرجع مرة ثانية إلى هذه النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى ليرى هل هى كاملة ، وهل هى مقصورة على عيوب البحترى ، فإذا كانت كاملة (لا ناقصة كما فى بعض الكتب النادرة) وإذا كانت مع تمامها مقصورة على عيوب البحترى كان ابن خلكان مخطئاً فى وصفه لمحتويات الكتاب، وكان المعرى ظالماً إذ اختص البحترى فى كتابه عنه بالعيوب ولم يختص أبا تمام والمتنبى ، وهذا أمر مستبعد ولكنه لو صح لكان حجة لنا أيضاً .

عبد الرحمن شكرى

حول مقال المبتدأ الذى لا خبر له

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى جولات فى ميادين العلم والأدب خرج فى بعضها ظافراً أيما ظفر ...

وفى العدد الماضى من الرسالة إحدى جولات الأستاذ فى علم النحو أساجله فيها والله أعلم أينا يكون له الظفر ؟

درس الأستاذ علم النحو فى هذا العام ودرج فيه – كما يقول – على عادته من إيثار تمحيص المسائل على ترديدها كما دوَّنها المؤلفون. أى كما يفعل كثير من الناس ! ونحن نحمد للأستاذ طريقته هذه لأننا نعتقد أنها الطريقة المثلى التى يعم نفعها وتجنى ثمرتها، ونأمل أن ينتهجها كل من يتصدى لدراسة المسائل العلمية .

وكان مما محّصه الأستاذ من مسائل النحو وخرج منه بنتيجة مسألة « المبتدأ الذى لا خبر له » وهو الوصف الذى له مرفوع يغنى عن الخبر فى مثل قول ابن مالك : أسارٍ ذانِ .

ومجمل بحث الأستاذ فى هذه المسألة أمران خرج منهما إلى نتيجة ، ووضع قاعدة جديدة فى علم النحو .

الأمر الأول : مؤاخذة النحاة فى إعرابهم الوصف فى مثل هذا الموضع مبتدأ (لأن المبتدأ – فى الجملة الاسمية – هو المحكوم عليه ، والوصف هنا فى مقام الفعل فليس محكوماً عليه وإنما هو محكوم به .) هذا تعليل الشيخ ؛ وإن كنت لم أفهم معنى لتقييد المبتدأ بكونه — فى الجملة الاسمية —

فهو يرى أن المبتدأ لا يكون إلا محكوماً عليه والذى نعرفه من كلام النحاة فى تعريفهم للمبتدأ أنه يكون محكوماً عليه فى مثل : العلم نافع، ويكون غير محكوم عليه فى مثل ما نحن بصدده . وهذا هو تعريفهم للمبتدأ :

« المبتدأ هو الاسم العارى عن العوامل اللفظية : مخبراً عنه أو وصفاً رافعاً لمكتفى به »

والمعنى الذى أدركه الشيخ فى المثال (وهو أن الوصف قائم مقام الفعل فهو مسند لا مسند إليه ومحكوم به لا محكوم عليه) هذا المعنى الذى يبدو أن الشيخ قد انفرد به لم يهمله النحاة فقد قالوا فى شرح التعريف المتقدم ما خلاصته :

ليس معنى اكتفاء الوصف بالمرفوع عن الخبر أنه ذو خبر أغنى المرفوع عنه لأن الوصف هنا لا خبر له أصلاً لقيامه مقام الفعل والفعل لا خبر له

الأمر الثانى : قاعدة وضعها الأستاذ وهى أنه كلما كان هناك مبتدأ كان هناك خبر . ومن الواضح أن هذه القاعدة لم تنشأ إلا من حصر المبتدأ فى المحكوم عليه كما فعل الشيخ . وبالنظر فى التعريف المتقدم يعرف أن الصواب أن تكون القاعدة هكذا :

كلما كان هناك مبتدأ كان هناك خبر أو فاعل يغنى عن الخبر .

ومعنى أنه مبتدأ فى هذه الحالة أنه اسم مجرد من العوامل اللفظية :

الأمر الذى استبعده الأستاذ بحجة أنه لا نظير له لأن النحاة لم يسموا الشىء فاعلاً إلا إذا كان فاعلاً فى المعنى ، وهكذا

ونحن نقول له إن هذا مسلم . وهم كذلك لا يسمون الاسم مبتدأ إلا إذا كان مبتدأ فى المعنى أى إلا إذا كان اسماً مجرداً من العوامل اللفظية وهو إما مخبر عنه أو وصف رافع لما يغنى عن الخبر وإنما يكون معدوم النظير إذا انحصر معنى المبتدأ فيما قال الشيخ

والنتيجة التى وصل إليها الأستاذ من تمحيصه لهذه المسألة أن مثل هذا الوصف لايسمى مبتدأ ، بل يسميه الشيخ اسم فاعل أو اسم مفعول لتجرده من العوامل اللفظية . كما استثنوا اسم الفعل مع تجرده من هذه العوامل فلم يسموه مبتدأ . والمعروف أن اسم الفعل إنما استثنى مع تجرده من العوامل لأنه ليس واحداً من النوعين اللذين يكون منهما المبتدأ ، لأنه قائم مقام لفظ الفعل على الصحيح ؛ وأما على الرأى القائل بأنه قائم مقام معنى الفعل فهو مبتدأ مستغن بمرفوعه عن الخبر كاسم الفاعل فى مسألتنا

وبعد . فهذا ما أردت أن أعقب به على كلام الشيخ وأرجو أن أكون قد وفقت فيه كما أرجو أن يتقبله الأستاذ بما يجب أن يكون عليه من يتصدى لتمحيص المسائل العلمية بغية الوصول إلى حقائقها .

والسلام على الأستاذ ورحمة الله

أبو مجاج
مدرس نحو

مشروع جديد لتنظيم مجمع فؤاد الأول للغة العربية

يعتزم صاحب المعالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف فى هذه الأيام تنفيذ مشروع جديد لتنظيم أعمال مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وكان معاليه قد سبق أن أدلى بكثير من آرائه فى تنظيم مهمة المجمع فى مقالات نشرها فى جريدة السياسية قبل أن يصبح وزيراً للمعارف . وقد رأى معاليه أن الوقت حان لتحقيق آماله فى هذا الإصلاح والتنظيم ، فأعاد مراجعة مقالاته السابقة كما ضم إليها كثيراً مما كتبه كبار الكتاب فى الصحف والمجلات فى هذا المعنى ، ووضع بعد دراسته لمختلف هذه الآراء النواة التى يرى أن يبنى عليها المشروع الجديد

ولكى نعرف ماهية الإصلاح المراد تهيئة أسبابه لهذه المؤسسة نقول إن عمل المجمع اتجه من إنشائه حتى اليوم إلى وضع معجم عام للغة، ومعجم تاريخى لها، ومصطلحات للعلوم والفنون، ودراسة اللهجات القديمة والحديثة. والمشروع الجديد يتجه بالمجمع إلى مايأتى:

أولاً : أن يواصل المجمع عمله فى وضع معجم اللغة ومعجمها التاريخى .

ثانياً : أن يترك وضع المصطلحات العلمية والفنية وغيرها إلى الهيئات والجماعات المختصة بها ، على أن يسجل منها فى معاجمه ما يستقر فى التداول منها ، وما تقره اللغة

ثالثاً : أن تترك دراسة اللهجات الحديثة للجامعة ، ويكتفى المجمع بدراسة اللهجات القديمة

رابعاً : أن يقوم المجمع بعمل إيجابى فى إحياء اللغة وذلك بتشجيع الإنتاج الفكرى الحديث ، وإقامة مسابقات أدبية ، وتقرير مكافآت للمنتجين ، مقتفياً فى ذلك أثر « المجمع الفرنسى »

هذا وينتظر أن تصدر وزارة المعارف قريباً قراراً بتأليف لجنة برياسة الوزير لوضع مشروع القانون بإعادة تنظيم المجتمع

ذكرى السير اقبال

حفلت «قبة الغورى» مساء الخميس الماضى بجمهرة من أبناء الأمم الإسلامية الذين تربط بينهم جماعة « الإخوة الإسلامية » ليحتفلوا بالذكرى السنوية لوفاة الشاعر الهندى الفيلسوف الإسلامى المرحوم السير محمد إقبال

وقد استهل الاحتفال بتلاوة آى من الذكر الحكيم ثم استمع المحتفلون إلى طائفة من الشباب ينشدون « نشيد إقبال » ثم ألقى الأستاذ الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام كلمة ممتعة تناول فيها بالتحليل مذهب الشاعر الهندى فى الفلسفة والتصوف ونظرته إلى الإسلام . ثم أعقبه السيد محمد حسن الأعظمى سكرتير الجماعة فألقى كلمة مستفيضة عن منزلة الشاعر إقبال بين شعراء الهند . وأعقبه الأستاذ أبو الحسنات البقالى فتحدث عن الشعر الغزلى الذى أنتجه السير إقبال ، ثم ألقى الأستاذ محمود جبر مرثية تناول بعدها الأديب الصينى الأستاذ بدر الدين إيوان الشاعر إقبال فأمتع وأبدع

وقد انصرف المحتفلون وهم يعرفون — من هذه الكلمات الشائقة — كثيراً من روائع الشاعر الهندى وآثاره الخالدات .

أبو تمام — الأستاذ عبد الرحمن شكرى

جاءتنا كلمة بهذا العنوان من الأستاذ الجليل (القارئ) بعد طبع هذا العدد فاضطررنا إلى إرجائها إلى العدد القادم



٤ - في سبيل العربيـــة

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

فى صفحة ٦٨ وردت فى كلام الجاحظ حكمة أكثم بن صيفى وهى : المرء يعجز لا محالة . فعلق عليها الشارحان بقولهما : « أى لا تضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز ، والمحالة : الحيلة . ويروى المحالة كما فى اللسان . ا . هـ »

ولهـذه الحـكمة كلام طويل عريض تناولناه فى مثل هذه الأيام من العام الماضى فى صحيفة البلاغ الغراء ، وكنا نود أن يرجع الشارحان يوم ذاك إلى كلامنا فى تحرير هذه الحـكمة حتى لا يقعا فيما وقع فيه غيرهما من الإيمان بكل ما يقول السابقون من غير إجراء حكم العقل عليه .

نرى أن هذا الشرح الذى شرحه الميدانى ونقله الشارحان خطأ ظاهر . لأننا إذا نظرنا إلى العبارة من وجهتها التركيبية رأينا أن هذا الشرح يستلزم أن تكون العبارة هكذا : (المرء يعجز لا محالة) . ويكون المعنى كما شرح الميدانى إن المرء هو الذى يعجز لا الحيلة .

وإذا نظرنا إلى المقام الذى وردت فيه العبارة رأينا أن أكثم كان ينصح لقومه فيقول لهم :

« أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح من الفشل ، والمرء يعجز لا محالة . يا قوم تثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين . ورب عجلة تهب ريثاً » . فالرجل يثبط قومه عن القتال وينهنه من نزعاتهم الجامحة إليه . فهو يقول لهم : إن العجز من شأن الإنسان ، وإنه لا حيلة له فى توقيه .

فنرى أن الأسلوب من ناحية والمقام الذى وردت فيه الحـكمة من ناحية أخرى يوجبان أن يكون المعنى غير ما ورد فى الميدانى ، وردده الشارحان الفاضلان من غير مناقشة للرجل فى رأيه مع أنه إنسان يخطئ ويصيب ، فكيف بهما إذا علما أنه كان ناقلاً للمعنى عن آخر سبقه بالخطأ .

ذلك أن الميدانى من أهل القرن السادس الهجري ، وقد سبقه أبو هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ فى كتابه جمهرة أمثال العرب ، فروى المثـل هكذا : (المرء يعجز لا المحالة) ، وقال فى شرحه : إن المرء يعجز عن طلب الحاجة فيتركها ، ولو استمر على طلبها والاحتيال لها لأدركها . فإن الحيلة واسعة فهى ممكنة غير معجزة . ثم روى أبياتاً جعلها فى مقام الاستشهاد على معناه الذى رآه ، وهى قول الشاعر :

حاولت حين هجرتنى   والمرء يعجز لا المحالهْ
والدهر يلعب بالفتى   والدهر أروغ من ثعالهْ

والذى نقوله إن الشعر لا يسعف العسكرى بمراده لأن الشاعر يقول : إنى حاولت يوم هجرتنى أيتها المحبوبة أن أقنعك بالرضا وأن أردك إلى عادة الوفاء لى فلم أفلح ، والمرء لا بد عاجز ، فهو ضعيف يلعب به الدهر ما شاء ، ويغير عليه من إرادته ما شاء . فإذا ما حاول أن يظفر بالدهر ويتغلب عليه راغ منه ، وفر كما يروغ الثعلب ويفر من قانصه . فهل يرى القارئ الـكريم فى الشعر رائحة للتنديد بضعف الإنسان وقعوده عن المحاولة ؟ أليس الشعر ناطقاً بأن المحاولة لم تجد صاحبها شيئاً ، وأن العجز من شيمة المرء ؟ فبان إذاً أن هذا الشعر الذى يستظهر به العسكرى على معناه لا يسعفه بمراده. بل إنه يرد عليه زعمه ، ويبالغ فى تخطئته .

وقد نرى للعسكرى مندوحة فيما قال . ذلك أنه لم ينسب الـكلمة إلى أكثم ، فلعل غيره قالها على هذا الوجه ، كما أن شرحه مساوق للفظ الذى أورده (بتعريف المحالة) وكل خطئه إنما كان فى دعواه أن الشعر يتمشى مع شرحه الذى رآه. فإذا بالشعر ينطق بغير ما يريد .

وليس فى الشعر ما يساعده على رواية المحالة (بالتعريف) لأننا نستطيع حذف أداة التعريف من الـكلمة ولا ينكسر الوزن

والخطأ ظاهر فى صنيع الميدانى لأنه لفق بين نص وشرح وارد لغير هذا النص .

وهذا الخطأ أظهر فى صنيع الشارحين لأنهما نقلا كلام الميدانى من غير تمحيص ، واستعزا بنقل صاحب اللسان ، وصاحب اللسان لم يخطئ فى مهمته وهى النقل إذ لم يزد على قوله : ويروى لا المحالة . فهو لم يتعرض لتمحيص الرواية ، وليس ذلك من شأنه . ولكنه شأن الشارحين وهما لم يفعلا من ذلك قليلاً ولا كثيراً .

فى ص ٧٥ : حكى الجاحظ أنه عاد يوماً فى وقت القيلولة ، والشمس حامية شديدة الوقع على الرأس. ثم قال : أيقنت بالبرسام فيعلق الشارحان بقولهما نقلاً عن القاموس وشرحه : البرسام علة يهذى فيها . وهو ورم حار يعرض للحجاب الذى بين الكبد والأمعاء ، وهو يتصل بالدماغ . ثم يقولان : ولكنا نظن أن المراد هنا هو الرعن كما هو ظاهر من سياق الكلام . فى القاموس رعنته الشمس : آلمت دماغه فاسترخى لذلك وغشى عليه .

وأمر الشارحين عجيب جداً فى هذا المقام ، لأن الذى منعاه ليس بممتنع ، إذ البرسام كما نقلا علة تتصل بالدماغ . أليس اتصاله بالدماغ كافياً لافتراض نشوئه عن تعرض الدماغ للشمس ؟ ثم كيف يغيران على القائل قوله ويوجبان عليه أن يقول ما يريدان ؟ أليس القائل هو الجاحظ الذى يعرف اللغة ومدلولات ألفاظها ، ويعرف طب زمانه وحدود علله وأسبابها ؟ فكيف استساغا أن يقولا له : كان يجب عليك أن تقول فأيقنت بالرعن فى موضع فأيقنت بالبرسام ؟ !

هذا والله أعجب ما رأينا من شأن الشارحين . فهما لم يكتفيا بأن يفرضا علينا آراءهما ويوجباها على طلاب المدارس ومدرسيها بعد أن دمغاها بالصبغة الرسمية التى حصلا عليها لشرحهما ، حتى أرادا أن تمتد سلطتهما على الجاحظ وزمنه .

لو أراد الشارحان أن يغيرا على الجاحظ رأيه فى معانى الألفاظ ويبينا أنه أخطأ المراد من لفظ البرسام لوجب عليهما أن يعودا إلى كتب الطب القديم ليستشيراها فى معناه ، فإذا وجداه بعيداً عن المقام الذى يتكلم فيه الجاحظ فعند ذلك يقولان له أخطأت المراد وكان الواجب عليك أن تستعمل كلمة الرعن ، ولكنهما لم يفعلا شيئاً من ذلك ، وكل ما فى الأمر أنهما عرفا معنى الرعن فشاءت لهما سلطتهما اللغوية التى يمدانها على طلاب المدارس ومدرسيها ، أن يغيرا على الجاحظ رأيه كأنما هما مفتشان أولان على الجاحظ أيضاً

فى ص ٨٤ ورد ما يأتى :

« وقال لى هذا الرجل : أكلنا عنده يوماً وأبوه حاضر وبُنى له يجيء ويذهب فاختلف مراراً ، كل ذلك يرانا نأكل »

وقد ضبط الشارحان كلمة كل فى عبارة « كل ذلك يرانا نأكل » بالضم وعلقا على العبارة بما يأتى : « أى كل ذلك حاصل والصبي يرانا نأكل . ويظهر لنا أن العبارة كانت هكذا : كل ذلك وهو يرانا نأكل . فسقط من النسخ (وهو) » اهـ

ونقول إن التعسف فى التقدير ظاهر جداً وما جر على الشارحين كل هذا إلا ضبطهما لكلمة « كل » بالضم . ولو أنهما أتيا الأمر من أيسر طرقه لضبطا الكلمة بالفتح فتعرب ظرف زمان لأن لفظ ذلك إشارة إلى الزمن المنقضى فى المجيء والذهاب والاختلاف مراراً. والقاعدة التى يعرفها حضرتا المفتشين فى كتاب (قواعد اللغة العربية) وغيره أن لفظى كل وبعض إذا أضيفا إلى الزمان أعربا اسمى زمان

فى الصفحة عينها يقول الشارحان فى السطر الذى قبل الأخير « الذار (بفتحتين) » . وما هكذا يفعل أهل اللغة لأن هذا الضبط لا يمنع أن تكون الذال مشددة مع الفتح ، فيكون ذلك خطأ فى ضبط الكلمة . وإنما الذى يقال هو ما ذكره صاحب القاموس وهو قوله : الذار كسحاب

فى ص ٨٧ فى نصيحة خالد بن يزيد لابنه : « وقد دفعت إليك آلة لحفظ المال عليك بكل حيلة ثم إن لم يكن لك معين من نفسك ما انتفعت بشىء من ذلك بل يعود ذلك النهى كله إغراء لك ، وذلك المنع تهجيناً لطاعتك »

فيعلق الشارحان على عبارة « وذلك المنع تهجيناً لطاعتك » بقولهما : يعنى أنك لو أطعت فى حال انصراف نفسك كان ذلك قبيحاً بطاعتك ، لأنها تكون إذاً مغتصبة وغير صريحة .

لا ، لا أيها الشارحان . إنما المراد : إنك تقف من نهى لك موقف الذى لا ينتهى عما نهاه عنه أبوه ، وتكون تلك سبة لك بأنك لم تطع والدك ، وهذا يشين خلق الطاعة فيك ، لأن أولى الطاعة طاعة الآباء .

وإن كان من العجب أن يكون هذا رأى الشارحين فى عبارة الكتاب ، فأعجب منه أن يكونا قد شرحا ما قبلها شرحاً لائقاً بالمقام فجمعا بذلك بين متناقضين فى سياق واحد

فقد قالا فى شرح العبارة التى قبلها : « يعنى أن نفسك إذا لم تقبل على ما وجهتك إليه صار النهى لها بمنزلة الإغراء والحض على ارتكاب النهى عنه »

وهذا منهما حسن يوافق ما أراده القائل للعبارة ، فالعجب العاجب أن يعطفا على الجملة وهذا معناها فى نفسهما جملة أخرى مناقضة لها على حسب ما شرحا ، إذ الأولى أثبتت أنه عصى أباه

فى نصحه ، والثانية أرادا منها أنه أطاعه ولكن بالكره لا بالرضا . فجمعا فى كلامهما بين العمل والترك أو بين الضد والضد . فهل شرح كل واحد منهما جملة ثم ضما عملهما وصفا حروفهما من غير أن يستشير أحدهما الآخر فيما رأى ؟ هـذا هو الأشبه بعملهما .

وفى الصفحة عينها يقول الوالد لولده : « وقد بلغت فى البر منقطع التراب، وفى البحر أقصى مبلغ السفن، فلا عليك ألا ترى ذا القرنين »

ويعلق الشارحان على هذه العبارة بقولهما : ويشير بقوله : ألا ترى ذا القرنين ، إلى قصة ذى القرنين المذكورة فى القرآن الكريم ، يعنى أنا كاف عنه

ولم أر إدماجاً فى شرح مثل الذى أراه فى عمل الشارحين. إنهما لم يكلفا أنفسهما الاطلاع على قصة ذى القرنين واستخلاص المراد من الإشارة التى يقولان عنها . ولذلك أوردا كلامهما بهذا العموم والذى أفهمه من كلام الأب لابنه أنه يقول له : إنى مجرب عرفتما فى الدنيا وجبت عامرها براً وبحراً فاستفدت تجارب كثيرة وزودتك بخلاصتها . فإذا عملت بها كنت كأنك شاهدت ما شاهدتُ ، وجربت ما جربت ، وإنى فى تطوافى بالأرض وجوبى لأقطارها بمنزلة ذى القرنين الذى بلغ مطلع الشمس ، فإذا فاتك أن تكون رأيت ذا القرنين فقد رأيت نظيره وهو أبوك فى ص ٨٨ ما يأتى :

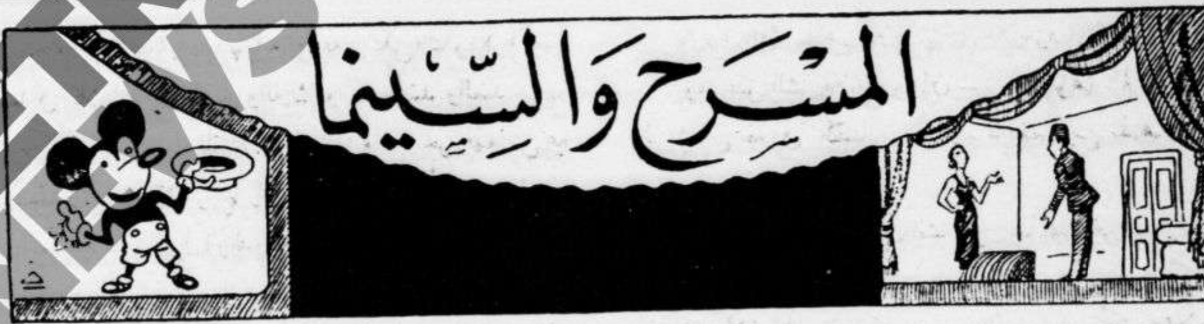
« دع عنك مذاهب ابن شرية فإنه لا يعرف إلا ظاهر الخبر »

وقد علق الشارحان على « ابن شرية » بقولهما : لم نقف لهذا الرجل على خبر فى كتبنا ، ولم نفهم ما يقصد من مذاهبه ؛ وفى نسخة شرية اهـ

وبهذه المناسبة نقول إن الشارحين قد أعلنا عجزهما عن معرفة كثير من الأعلام التى وردت فى الكتاب ، ونحن نعذرهما فى كثير من ذلك لأن الجاحظ يتكلم عن خلطائه ، وليس كل هؤلاء قد رزقوا الشهرة حتى تدون أسماؤهم فى كتب الطبقات. فهما فى بعض ذلك بمنجاة من اللوم ؛ ولكن ليس ينبغى أن يسرى هذا العجز إلى هذا العلم المشهور وهو « عبيد بن شرية » فهو رجل معاصر لمعاوية بن أبى سفيان وكان عالماً بالأخبار، وكان معاوية يستمع منه قصص الماضين وتدابير الملوك لينتفع بها فى ملكه . وقد ورد اسمه فى كتب كثيرة نذكر منها الآن من غير استقصاء : معجم الأدباء لياقوت ، وفهرست ابن النديم ، ومقدمة ابن خلدون وفى الحديث كتاب فجر الإسلام للأستاذ أحمد أمين

فقول الشارحين أنهما لم يقفا له على خبر لا يعفيهما من اللوم. ثم إن عدم وجوده فى كتبهما لا يكفى لنفى وجوده فى كتب غيرهما؛ فلو أنهما اعتصما بالصبر فى البحث لوجدا على حبل الذراع تراجم كثيرة لهذا الأنبارى النابه الشأن . (للكلام بقايا)

محمود مصطفى



مدير الفرقة القومية وسكرتيره وحكاية الأب لويس شيخو

لقيني أحد ممثلي الفرقة فقال وهو يبتسم ابتسامة تحمل الكثير من معاني الفرح والشماتة والانتقام، ويشير إلى مجلة مطوية في يده : ها هو ذا العدد الأخير من « الرسالة » أحمله إلى حضرة المدير . قلت : ما الداعي إلى اللهفة والمسألة بسيطة عادية ؟ فأجاب : حقاً إن المسألة عادية ولكنها غير بسيطة فى نظر المدير وسكرتيره المحجل كما أسميته أنت . قلت : أوضح ، فقال :

اعتاد هذا السكرتير تقطيع مجلة الرسالة إرباً حتى لا يطلع حضرة المدير على ما ينشر فيها

قلت : ألا يطلع مديركم على كل ما تكتبه الصحافة فى الفرقة ؟

فقال : أحسب أن وفرة مشاغله المتنوعة لا تمكنه من ذلك، ولكن سكرتير الفرقة يطلعه من وقت إلى آخر على خلاصة بعض ما ينشر فى الصحف

دعوت لهذا الممثل ولفرقته بالنجاح وانصرفت !

ولمناسبة هذا الحديث البسيط أروى القصة التالية :

ألف المرحوم الأب لويس شيخو الأديب العالم اليسوعى كتاباً أسماه « شعراء النصرانية » وطاب له لسبب من أسباب مهنته حشر طائفة من شعراء جاهليين وغير جاهليين قال إنهم نصارى ؛ فانبرى له المرحوم الشيخ محمد الخياط أو خليل الخياط يفند مزاعمه ويعيد الفروع إلى أصولها ويصحح أغلاطاً عروضية ولغوية فى الكتاب، ولم يأبه لصحيفة البشير لسان حال الجزويت التى لم تكن تتغاضى عن هنة ولو بسيطة تمس النصارى من قريب أو بعيد

ترقب الناس وقوع الواقعة بين البشير النصرانية وبين صحف المسلمين وتوجس عقلاء الطائفتين من تطورات الحملة الأدبية وانقلابها إلى ضدها

مضى الشيخ الأديب فى نقده لا يصده عنه صاد ، وهو يعلم أن للآباء اليسوعيين سلطة نافذة وطرائق ذات شعاب أخطبوطية فتاكة ولكنه لم يأبه لها لأنه كان ينافح عن حق لوجه الحق

صدرت جريدة البشير وتلتها مجلة المشرق فى الصدور خاليتين من كلمة واحدة فى الرد على الشيخ الناقد

شدد الناقد الحملة وزاد العيار . . . وأخيراً ذهب يدفع باب الجزويت يستطلع سر سكوتهم وكنه استلانتهم وهم الجبابرة الأشداء

رحب الآباء اليسوعيون بالزائر الناقد خير ترحاب ، وأكرموه الإكرام اللائق بعلمه وأدبه ، وأطلعوه على سرهم فقالوا إنهم ألفوا لجنة برياسة الأب لويس معلوف لدراسة نقده وتصحيح أخطاء وقع فيها كبيرهم الأب شيخو، ولم يدعوا الشيخ ينصرف إلا بعد الاتفاق معهم على مواصلة حملته الصارمة عليهم لإظهار الأغلاط التاريخية والعروضية واللغوية فى كتابهم

أرجو ألا تنسى أن كتاب شعراء النصرانية محدود الغرض يطالعه الخاصة من الأدباء فى حين أن الفرقة القومية أوسع مدى وأفسح أفقاً من الكتاب وأنفذ إلى مشاعر الشعب وأحاسيسه وخلائقه منه ، وأن للفرقة القومية رسالة فرضتها وزارة المعارف حين إنشائها قالت : « إن غايتها رفع مستوى التأليف والتعريب المسرحى وترقية الإخراج وترقية الموسيقى المسرحية والغناء المسرحى بحيث تكون صالحة للتمثيل العربى والأجنبى ، وإعداد الممثلين والمخرجين إعداداً فنياً صحيحاً » فأين الفرق بين جماعة ألفوا لجنة من خيرة علمائهم لتصحيح أغلاط فى كتاب، من سكوت الفرقة القومية عن كل ما يقال فيها ؟

دع عنك العمل الصبيانى الصادر من سكرتير الفرقة لأنه غير مستغرب وقوعه منه ، فجهل النعامة التى تطمر رأسها فى الرمال كيلا ترى الصياد يماثل تقطيع مجلة (الرسالة) لكيلا يقرأها مدير الفرقة

دع عنك أيضاً أن وزير المعارف ووكيله وآلافاً من الناس يقرأون الرسالة، فتقطيع عدد أو مائة عدد لا يصد الناس عن قراءة عيوب الفرقة وعلل إدارتها

حدثني صديق قال : إن مدير الفرقة يعزو حملة الرسالة على الفرقة بسبب قبض يده عن إمدادها بالإعلانات ، ولكنه دهش وتعجب حين قال له صديق : إن الأساتذة تيمور ، وطليمات ، والحكيم ، ورمزى ، وناجى ، ورستم ، وفارس ، أجمعت أقلامهم على طلب إصلاح الفرقة ، وقد عددوا وسائل الإصلاح وأبانوا مواطن الضعف ، وقد فعلوا ذلك لا طمعاً فى أجر ولا رغبة فى انتقام . فأجاب : إنه لم يطلع على ما كتبه هؤلاء الأساتذه !!

***

نعود إلى موضوع أحاديث الأدباء فنجمل أجوبة الأستاذ بشر فارس، وقد سألناه : هل المسرح فى تقدم ؟ وهل الروايات المترجمة أنفع لنا أم المؤلفة ؟ وهل فى المباراة ما يحفز المؤلف على التأليف ؟ فأجاب :

« إن المسرح عندنا لا يزال فى جانب النشأة ، حتى جانب التكوين لم يبلغه ، فكيف لنا أن نتكلم عن تقدمه أو تأخره ؟ إنه يحق لنا أن نلقى مثل هذا السؤال : هل المسرح عندنا متجه فى نشأته اتجاهاً مرضيًّا ؟ والجواب قريب ذلك أنه لا بد للمسرح أيام قيامه من عناصر معروفة ، منها المسرحيات المؤلفة والممثلون والممثلات والنظارة والمخرجون والناقدون . فإذا نظرنا إلى ما بين أيدينا فى مصر وجدنا المسرحيات المؤلفة (ما عدا واحدة أو اثنتين « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم مثلاً) بعيدة عن طرائف الفن الخالص ، بل مجراة على أسلوب طفلى ، لأن المقدمين على التأليف المسرحى يجهلون مبادئ هذا الفن ويظنون أن اللغو والخطابة والنواح والتعريض والوعظ غاية الغايات . وإن كان لدينا ممثلون لهم دراية ، قلت أو كثرت ، بفن التمثيل فإن ممثلاتنا إلا أقلهن إنما يرين أن التمثيل إلقاء وهياج لقلة ثقافتهن وعجزهن عن الاتحاد بالنص . وأما النظارة فقد تعودوا مشاهدة لونين من المسرحيات : المهزلة التهريجية ، والمأساة المفرطة ، وكلتاهما من النوع الأسفل ، كما أنهم تعودوا الإخراج الواقعى . فمن المتعذر عليهم أن يميلوا إلى المسرحيات الضاربة إلى التفكير أو الشعر أو الاختلاج الباطنى أو إلى الإخراج الإيهامى . ثم إن للفرقة مخرجاً أجنبياً وكان لها فيما قبل مخرج مصرى حاذق هو الأستاذ زكى طليمات ، ولكن الإخراج مرتبط بالمسرحية نفسها والممثلين والنظارة . وأما النقاد فلا أكاد أرى اثنين يحق لهم أن يعالجوا الكتابة فى المسرح »

وقال رداً على السؤال الثانى : « الترجمة أولاً حتى يتهذب النظارة ويظفر المؤلفون بأمثلة يحتذونها بل يلتفتون إليها، والتأليف لمن يصيب من نفسه قدرة على وضع مسرحية تمتاز بالطرافة والقوة والاتساق والفكرة الناهضة »

« أما الترجمة فالذى أراه أن الفرقة القومية ينبغى لها أن ترغب إلى الكتاب الذين يجيدون اللغات الأجنبية إلى جانب العربية أن ينقلوا المسرحيات النفيسة إلى لغتنا ؛ وأما التأليف فلا مباراة ولا رغبة إلى أحد من الناس ، وإنما المؤلفون الحقيقيون — أعنى المنجذبين إلى التأليف المسرحى من ذات أنفسهم لا الطامعين فى جائزة — ينشرون ما يؤلفون ، وللفرقة القومية أن تقبل عليه إذا رأت له شأناً »

وللدكتور فارس رأى طريف فى النقد والناقد أؤجل نشره لفرصة مواتية لاتصاله برأى طريف أيضاً من نوعه قاله عالم غير سربونى

ابن عساكر

7me Année No. 304

Lundi - 1 - 5 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق أول مايو سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

على ذكر خطبة هتلر فى يوم الجمعة الماضى

هــــذا رجل !...

نعم هـذا رجل ! ولا يستطيع أن ينكر عليه هذه الصفة فى الدنيا صديق ولا عدو ولا محايد. هذا رجل كما نعتقد، لا رسول كما يدعى[1]؛ لأن الرجل لأمته والرسول للناس. وحسب الفوهرر أن يكون رجلاً، فإن الله تعالت حكمته لا يخلق الرجل إلا كل قرن. والأمم تنتظر فى أنحلالها الرجل، كما تنتظر الخليقة فى ضلالها الرسول .

منذ أسبوعين انتظر العالم كله ماذا يقول هتلر ليبنى على قوله ما يفعل ، ويرتب على حكمه ما يرى . وفى خلال هذه الفترة القصيرة الطويلة أوشك نبض الحياة العادية أن يقف انتظاراً لما عسى أن يكون مصير هذا الكوكب . فلما وقف المستشار على منصة الريخشتاغ أصاخ لأمواج الأثير كل سمع فى الوجود العاقل . وأعلن الدكتاتور رأيه الصريح بالمنطق الموهوب والبلاغة القوية ، فملأ صوته الدنيا ، وشغل قوله الناس . وقديماً قيلت هذه الكلمة فى المتنبي ؛ ولكن دنيا أبى الطيب كانت مملكة الإسلام ،

(١) يقول هتلر فى خطابه : « لولم أرعد شعبي الألمانى فى النمسا إلى جامعة الشعب الألمانية الكبرى لابتعدت عن الرسالة التى تلقيتها من العناية الالهية »

وناسه كانوا أمة العرب . أما هتلر فهو أول رجل فى تاريخ الخليقة سمع خطابه أو ترجمته فى يوم واحد كل دولة فى الأرض ، وكل مدينة فى دولة ، وكل بيت فى مدينة ، وكل راشد فى بيت . ذلك لأن هذا الرجل العجيب استطاع فى ست سنين ونصف أن يبنى من الحديد والنار والسم والثأر والعزيمة والعصبية دولة كانت بعد صلح فرساى تتوارى من الخجل ، وتتفانى من الجوع ، وتتهالك من الدين ، وتضع أيديها على هيكلها فلا تجد إلا شلوا تبددت أعضاؤه فى كل وجه ؛ فأصبحت بما نفخ فيها من روح الكفاح ، ووضع فى أيديها من قوة السلاح ، تملك على الدول الحياة والموت ، وتقضى على الأمم بالسلام أو الحرب . كل ذلك فعله كما قال من غير ثورة ولا حرب ، فكان حرياً أن يتبجح فى آخر خطابه التاريخى بقوله : « ألست بعد هذا حقيقاً بأن أطلب إلى التاريخ أن يعدنى فى الذين حققوا أعظم ما يسمح الإنصاف بطلبه من رجل ؟ »

***

فى كل أمة ما شئت من القوى الحسية والمعنوية ؛ ولكنها تتفرق فى أفرادها فتضعف ، ويغشاها الكسل فى نفوسها فتخمد . فإذا ما قيض الله لها رجلاً منها يجمع قواها فى قوته ، ويوحِّد إرادتها فى إرادته ، استطاع أن ينيلها نصيبها الكامل من الحياة ، وينهج لها طريقها القاصد إلى الغاية . ولكنك لا تجد هذا الرجل دائماً فى كل أمة ؛ فإن خصائص رجولته تكون أشبه بخصائص النبوة . والدنيا أبخل على الناس بمعدن هذه الخصائص لندرته . وهل فى الدنيا أندر من عناصر الإيمان والبطولة والصدق والإيثار والنزاهة ؟ هل يدور بخلدك أن هتلر الذى تمثلت فيه دولة ، ونهض به جيل ، وقام عليه تاريخ ، تتعلق نفسه فى لحظة من اللحظات برغبة حقيرة كمظاهرة فى حفل ، أو ثروة فى بنك ، أو أبهة فى ديوان ، أو قريب فى وظيفة ، أو مدحة فى صحيفة ؟ إن القادة الذين يهيئهم القدر لمداولة الأيام وخلق الشعوب يطهر الله نفوسهم من وساوس الهوى ودسائس الطمع ، فلا ينظرون فى الأرض ، ولا يصغون إلى الفتنة ، ولا يستجيبون إلا للصوت السماوى البعيد الذى لا يفتأ داعياً إلى السمو أو إلى التقدم

***

هذه مصر مثلاً ، فيها الثروة الموفورة ، والقوى المذخورة ، والعدد المديد ، والموقع الملائم ، والتاريخ الحى ، والمجد التالد ، والهوى المتحد ، والحس المشترك ؛ فتستطيع بهذه المزايا النادرة أن تكون دولة مطاعة لها فى الثقافة لسان وفى الحضارة يد وفى السياسة رأى ؛ ولكن مزاياها لا تزال كامنة أو موزعة أو مشاعة ؛ فلم يتح لها الله إلى اليوم ذلك الرجل العمَرى الذى يجمع من نسماتها اللينة إعصاراً يدوِّى ، ومن رغباتها الشخصية طموحاً يحلِّق ، ومن قواها المفرقة جيشاً يرعب ، ومن قصائدها الفردية ملحمة قومية ينشدها الليل والنهار ويرويها سجل الأبد

عندنا رجال من صاغة الكلام ، وحفظة القانون ، ومحترفى السياسة ، أفلحوا فى إثارة الصخب ، وتمزيق العلائق ، وتفريق القوى ، وإغراء المطامع بكراسى الحكم وأبهة الألقاب وأموال الدولة ، ولكنهم لم يفلحوا مجتمعين أن يعملوا فى عشرين سنة ما عمله هتلر وحده فى ست سنوات وستة أشهر .

لا تقل إنه الجهل أو العلم فلسنا أجهل من تركيا ، ولا ألمانيا أعلم من فرنسا ؛ ولكنها القوى الشعبية الطبيعية تتجمع وتتحد بالإرادة الصادقة والتوجيه النزيه فتفعل قِلتها المجمَّعة فى تركية وبولندا ، مالا تفعل كثرتها الموزَّعة فى الهند والصين

***

معاذ الله أن يقع فى ظنك يا قارئى العزيز أنى أحب فردية الحكم لأنى أحب أن يتولى قيادتنا رجل . فإن الرجل الزعيم الذى نرجوه ، نرجوه للقيادة لا للسيادة ، وللإشارة لا للإمارة ، وللجهاد والتضحية لا للاستعباد والأثرة . وإن الرجل الذى نرجوه لنا ولكل أمة حبيبة فى الشرق لا يمكن أن يطغى لأنه مؤمن ، والإيمان من طبيعته كف السلطان وقتل الشهوة ؛ ولا يمكن أن يستبد لأنه مسلم ، والإسلام من شريعته حرية الإنسان وشُورى الحكم .

احمد حسن الزيات

المرأة فى حياة الأديب

« على ذكر مقال للأستاذ توفيق الحكيم »

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

كتب الأستاذ توفيق الحكيم مقالاً فى مجلة الثقافة عن المرأة فى حياة الأدباء ، أو لا أدرى ماذا كان العنوان على وجه الدقة فقد غاب عنى عدد الثقافة تحت أكداس من الورق والكتب والمجلات . وفى هذا المقال يذكر (أو يقرر) أن كل أديب أو كل عظيم لا بد أن تكون فى حياته امرأة ؛ وهو يعنى بالمرأة (على ما يؤخذ من ظاهر المقال إلا إذا كان له معنى أعمق خفى على) امرأة معشوقة، أى امرأة تكون علاقة الرجل بها جنسية، شرعية كانت أو غير شرعية . وقد ذكر من أبناء الشرق السيدة خديجة ونبينا عليه الصلاة والسلام، ثم طوى كل هذه القرون التى مضت ووثب إلى الدكتور طه حسين ثم إلى الأستاذ احمد أمين ثم إلى الأستاذ العقاد ، وعين المرأة التى يراها فى حياة كل منهم ؛ ثم قال عنى إن « الكذب » هبتى (يعنى الخيال والاختراع وإن كان التعبير « بالكذب » غير موفق) وقال إن الخيال يختلط بالحقيقة فى كتابتى حتى ليتعذر الاهتداء إلى المرأة التى كان لها تأثير فى حياتى ، ولكنه أعرب عن يقينه أن فى حياتى امرأة (ما فى هذا ريب عنده) . وقد اغتنمت فرصة كتاب جديد له (راقصة المعبد) تفضل فأهدى إلى نسخة منه فكتبت إليه كلمة وجيزة فى الموضوع على سبيل التصحيح ؛ ولكنى أرى هنا أن أتناول الموضوع من ناحية أعم

وأنا أولاً لا أرتاح إلى هذا التناول لحيوات الناس الخاصة . وليس كونهم أدباء أو مشهورين لسبب ما ، بمجيز فى رأيى أن نجعل من حياتهم الخاصة وأحوالهم الشخصية «معرضاً» ؛ وهذا عندى فضول أكرهه وأقل ما فيه أنه يُفقد المرء حريته واستقلاله . وإذا كنت أروى كثيراً مما أكتب على لسانى وأورده بضمير التكلم فليس معنى هذا أن ما أرويه وقع لى وإنما معناه أنى أرتاح إلى هذا الأسلوب فى القصة وأراه أعون لى على تمثّل ما أحاول وصفه وتصويره . فليس فيما أروى شىء شخصى ، وكثيراً ما نبهت إلى هذا ، ولكنى أهمله أحياناً اعتماداً على فطنة القارئ

ثم إنى ثانياً لا أرى الأستاذ توفيق الحكيم موفقاً فى رأيه، فليس من الضرورى أن يكون للرجل امرأة فى حياته أو للمرأة رجل فى حياتها ، أى أن تكون هذه المرأة المعينة هى التى وجهت حياته وجهتها وأثرت فيها تأثيراً جعلها كما هى . والقول بذلك لا يخرج فى الحقيقة عن أن يكون مظهر تقليد لبعض ما يكتبه الغربيون . وقد ذكر الأستاذ توفيق السيدة خديجة ونبينا عليه الصلاة والسلام على سبيل التمثيل ، وأراه فى هذا المثال مبالغاً . فما تزوج النبى السيدة خديجة لأنه عشقها، بل الذى حدث هو أنه عمل لها فى مالها وتجارتها فأعجبت بأمانته وسرها حسن سيرته واستقامته فرغبت هى أن يكون زوجها . وجاءه رسول يدعوه إلى ذلك أو يقترحه عليه وكان هو يعرف لها فضائلها فقبل . وكانت له نعم الزوجة الحكيمة الوفية الرزينة المخلصة . ولكنه ليس هناك عشق بالمعنى المعهود، ولا يمكن أن يقال إنها وجهته أو أثرت فى حياته التأثير الذى يقصده الأستاذ توفيق حين يذكر المرأة فى حياة الرجل، وإن كان غير منكور أنها كانت إلى حد ما عامل استقرار وأمن وراحة فى حياة النبى . وقد سألت الأستاذ توفيق فى كتابى الخاص إليه عن المرأة المعينة فى حياة المتنبى أو أبى العلاء أو الشريف الرضى؛ ولا بأس من سؤاله أيضاً عن هذه المرأة المعينة فى حياة أبى نواس وبشار ومن إليهما . كلا . ليس من الضرورى أن تكون فى حياة الأديب امرأة معينة بالمعنى الجنسى وإن كانت حياة الرجل لا يمكن أن تخلو من المرأة على العموم . وفرق بين الأمرين . على أن كل شىء فى الحياة ليس عند الأديب أكثر من «مادة» وإن كان الأمر فى بعض الأحيان يبدو غير ذلك عند النظر السطحى أو السريع

وقد جعل الأستاذ توفيق مزيتى أو هبتى « الكذب » وأنا أشكر له أن رأى لى مزية أو هبة ، ولو كانت «الكذب» ؛ وإذا كنت أخلط الخيال بالحقيقة فإنى أحسب أن هذا لا مفر منه ، ولا أدب إلا به . وما أظن الأستاذ توفيق نفسه يفعل غير ذلك أو يشذ عنا معشر الأدباء « الكذابين » فما كان الأديب قط ولن يكون عدسة آلة تصوير . وإذا كان الأستاذ توفيق يظن أن الأستاذ العقاد لم يفعل فى رواية « سارة » أكثر من أن يروى حادثة كما وقعت فإنه يكون قد ركب من الوهم شر الحُمُر ؛ فإن مزية

« سارة » الغوص فى لجة النفس لا الحكاية بمجردها، والكشف عن أخفى خفاياها ، والتحليل الدقيق للخواطر والخوالج الخ . ولا قيمة لكون القصة حقيقية أو غير حقيقية وإلا هبطنا بالأدب إلى الإعلانات التى يقول فيها أصحابها إن القصص التى ينشرونها فى مجلاتهم وقعت فعلاً

وليس ما يمنع أن تكون فى حياة الأديب أو سواه « امرأة » معينة ، ولكنه ليس من الحتم أن تكون هذه المرأة المعينة زوجة أو خليلة ، أى معشوقة على العموم ، ولا أن تكون العلاقة بها علاقة جنسية فقد تكون أمًّا أو أختاً أو صديقة أو بنتاً . وقد كانت فى حياتى امرأة دلت الأستاذ توفيق عليها فى رسالتى إليه وهى أمى ، فقد كانت أمى وأبى وصديقتى ، وليس هذا لأنه لم يكن لى أب ، فقد كان لى أب كغيرى من الناس، ولكنه آثر أن يموت فى حداثتى ، فصارت أمى هى الأب والأم، ثم صارت على الأيام هى الصديق والروح الملهم . وقد استنفدت أمى عاطفتَى الحب والإجلال ، فلم تبق لى حباً أستطيع أن أفيضه على إنسان آخر ، أو إجلالاً لسواها . ومثلى فى ذلك كمثل من يمص عوداً من القصب ويعتصر كل مائه ، فلا يبقى من العود بعد ذلك إلا الحطب الذى لا يصلح إلا للوقود .

ومن هنا عجزى عن الحب بالمعنى الشائع . نعم أستطيع أن أصادق وأصفو بالود ، ولكن العشق على مثال مجنون ليلى أو كما يصفه لنا الشعراء حال لا قبل لى بها ولا طاقة لى عليها لأن ذخيرتى من هذه العاطفة نفدت وليس فى وسع نفسى أن تبذل هذا المجهود مرة أخرى

ومع ذلك أقول إنى أرى فى عاطفتى لأمى غير قليل من جهد الخيال وإرادة النفس ، وهى فى الأصل ولا شك عاطفة صادقة وقوية ولكنه يخيل إلىّ أنى غذيتها وقويتها بالإيحاء المستمر إلى النفس ، لأنى كالخروف دائم الاجترار لما فى جوفى . وأحسب أن العاطفة قد راقتنى وفتنتنى إلى حد ما ، أو أنى وجدت فيها ريًّا لنفسى أنشده فأخطئه ، فتعلقت بها وضخمت أمرها ، وقويتها بالدؤوب فى الإيحاء كما تقوى النار بالحطب حتى استغرقت نفسى كلها وعمرت صدرى أجمعه وما أظن إلا أن هذا سبيل كل إنسان فإنه لا يفتأ

(البقية على صفحة ٨٦٨)

من برجنا العاجي

قرأت لك فى مقال أنك تساعد ناشئة الأدب . واشترطت لذلك شروطاً . وإنى راض بها وإليك ما يزيدك معرفة بى : إنى قراض تذاكر . أجرى ضئيل يبلغ ١٢٠ مليما فى اليوم . واطلاعى محدود . وذلك ناجم عن فقرى . لا أقرأ غير الرسالة والرواية والثقافة . ولم أقرأ من الكتب غير بعض مؤلفات المنفلوطى وكتب أخرى . وكانت كتابتى جيدة فى الموضوعات الخيالية فقط . ولكنى منذ بدأت أتأثر بكم تغلبت طريقتكم علىّ . وأنا قوى الذاكرة وأميل إلى التفكير . وأستطيع أن أنفق فى شراء الكتب الأدبية مايقرب من نصف الجنيه شهرياً كما أنى أستطيع أن أختلس للأدب خمس ساعات يومياً . لعل فى هذه الإيضاحات مايهون عليكم أمر مساعدتى على السير فى طريق الأدب الذى تصفونه بأنه وعر شائك . ولقد زاد إغرائى به مانشرتموه فى « الرسالة » من تحذير للشبان من الاشتغال به فى هذا العصر . . . !

نشرت هذه الرسالة التى جاءتنى ضمن عشرات الرسائل فى هذا الموضوع لسبب واحد : هو عجبى وإعجابى بقارئ تلك حاله . يبذل عن طيب خاطر سدس مرتبه الشهرى وقسطاً وافراً من وقته فى سبيل الأدب . إنه ذكرنى بقراء أوربا . أولئك الذين يخصصون جزءاً ثابتاً فى ميزانياتهم للكتب ووقتاً منتظماً معلوماً للقراءة . مثل هؤلاء القراء هم الذين قامت على أكتافهم نهضات أوروبا الأدبية . وهم الذين ظهر من بينهم أدباء أوربا العظام . فإن الأديب لا يتخرج فى مدرسة . إنما ينبت فى حقل الكتب والمطالعات الشخصية . وفى الأدب الفرنسى الحديث مثل صارخ لأديب من أصل بلقانى هو : « بانايت استراتى » لم يكن يعرف الفرنسية ولكنه غرق سنوات فى المطالعة وضنّ بماله القليل على الطعام وأنفقه فى شراء كتب جعل يلتهم صفحاتها التهاماً . وإذا هو فى يوم من الأيام قد استطاع الكتابة بالفرنسية وإذا هو كاتب معروف يربح من كتبه الألوف . اعطونى إذن ألفين من طراز هذا القارئ وأنا أضمن لمصر نهضة أدبية رائعة وأدباء جدداً يسيرون فى طريق المجد .

توفيق الحكيم

التفاؤل والتشاؤم فى الشعر

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

إذا درس الإنسان فى التاريخ اندثار الحضارات والأمم وتمكنت تلك الدراسة من نفسه لا يروعه زوال عمل عمره كما كان يروعه لو لم تتمكن ذكرى مشاهد ذلك الاندثار من نفسه ، ومن أجل ذلك كنت قد طبت نفساً عما بذلت من جهد وعمل فى الأدب وفى غير الأدب . لكن بعض الأفاضل لا يكتفون منى بذلك بل يريدون أن ينالوا فى انتقاص ما قدمت من عمل ، وبعضهم لا يكتفى بانتقاص عملى ويأبى إلا أن يتخطاه إلىّ . وليسوا كلهم من هذا القبيل ، فبعضهم أو أكثرهم يستهويه غيره فيتكلم أو يبدأ فى منطقه وتفكيره من العام إلى الخاص فيضع رأياً نظرياً أولاً ثم يلتمس الشواهد ويقسر الأمور على أن تكون أدلة لرأيه ، وكان الأليق به أن يتقصى معرفة الأمور أولاً ويستخلص من شواهدها الشاملة الكاملة رأياً . لكن حضرات الأفاضل النقاد كثيراً ما يخادعون أنفسهم ويظهرون الغيرة على الرأى حباً فى الرأى لا حباً للحق والصواب

والذى يريد أن يضع رأياً ثابتاً عاماً ، إن كان فى هذا الوجود أمر ثابت لا يتغير ، ينبغى له أن يفنى جزءاً كبيراً من عمره للتقصى والبحث والإلمام بكل ناحية من نواحى الموضوع حتى لا يكون حكمه مخطئاً . والأساتذة الأفاضل الشبان يحسبون أنهم قد قتلوا الموضوع بحثاً وأن إدراكهم له أكثر من إدراك الشيوخ ؛ فهم إذا تكلموا عن التفاؤل والتشاؤم فى قول ناثر أو شاعر لم يميزوا بين أثر الحالات العارضة الزائلة ، وبين نظره إلى مستقبل الإنسانية ؛ ولم يفرقوا بين التشاؤم الذى هو تثبيط وبين التشاؤم الذى هو استحثاث للهمم ؛ ويحسبون أن كل وصف للشقاء تشاؤم كأنهم لا يعرفون أن الغفلة عنه والتفاؤل بها هو تشاؤم أحرُّ من التشاؤم ، ويخلطون بين ما تظهره الدراسات النفسية السيكولوجية من حقائق مُرة وبين التشاؤم ، كأنهم يريدون أن يبقى الناس على جهلهم بنفوسهم ، وهذا هو التشاؤم حقاً ؛ وإنما يكون التفاؤل أن تعرف النفس نفسها ، وأن يكون لهذه الدراسة والمعرفة أثر فى صلاحها ورقيها ؛ وهم أيضاً لا يميزون بين ما قد يدعو إليه شعر العاطفة والدراسات النفسية من وصف حالات النفوس على اختلاف تلك الحالات من حسنة وكريهة ، لا دعوة للتثبيط بل دعوة إلى أن يكون الشعر شعراً حيًّا لا أدباً ميتاً متكلفاً للتفاؤل ومكفناً به . ولا يميز هؤلاء الأفاضل بين يأس العجز والقنوط والتراخى ، ولا بين يأس الاستبسال الذى هو قوة تفوق أمل أحلام المخدرات وأمانى ذوات الخمار . والذى يدعو إلى التشاؤم حقاً هو أن تُنشر فى الرسالة قصيدة (العصر الذهبى) التى نظمت لتمجيد جهود الإنسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ومحاولتها تحقيق ذلك العصر الذهبى الذى نحلم به ؛ وقصيدة (نحو الفجر) التى جُعل الفجر فى آخرها رمزاً لفجر مستقبل للانسانية ؛ وقصيدة : (شهداء الإنسانية) التى تدعو إلى نصرة من ضحوا بحياتهم وسعادتهم فى خدمتها ، وإنما يكون الانتصار لهم بالانتصار للمُثل العليا التى ضحوا بحياتهم وسعادتهم لتحقيقها ؛ وقصيدة (الشباب) التى تعبر عن أمل الإنسانية فى جهود الشباب وآماله وأحلامه ؛ وقصيدة (الباحث) الذى خلده البحث والأمل ، والذى ينشر للانسانية الحق والرق ؛ وقصيدة (إلى المجهول) التى تدعو إلى تقصّى أسرار الحياة والخليقة ؛ أقول مما يدعو إلى التشاؤم حقاً أن يأتى إلى قراء الرسالة كاتب يقول : إنى أدعو إلى التشاؤم بعد ما نشرت فيها . وليست هذه كل قصائد الأمل ؛ فقد نُشر فيها أيضاً قصيدة : (الأمل) الطويلة فى وصف آثار الأمل فى الحياة . وقصيدة : (النجاح) و (فن الحياة) تقديساً لمسرات الفنون والحياة وجعلها فناً فى جميع مظاهرها ، وقصيدة (سر الحياة) وفى آخرها إظهار عبث الشكوى منها ، وأن الشكوى ليست مؤسسة على حقيقة ثابتة ، بل على حالة نفسية . ونُشر لى فى الرسالة فى وصف محاسن مشاهد الكون والحياة : (ليلة حوراء) و (بين الجمال والجلال) و (الفصول) و (سحر الطبيعة) و (على بحر مويس) و (الصحراء) ... الخ . ومما يدعو إلى التشاؤم حقاً أن يكتب الأديب الفاضل فى المقتطف لقراء المقتطف : أنى أدعو إلى التشاؤم وقد نُشر لى فيها : (بين الحق والحسن) وهى وصف للصراع النفسى بين نشدان الجمال وطلب الحقيقة ؛ وفى آخرها ذكر أن طلب الحقيقة فى الحياة والحياة نفسها لا يدومان إلا مع نشدان

الجمال فيها . ونشر لى فيها أيضاً قصيدة (قيد الماضى) وهى دعوة للانسانية أن تأخذ من الماضى عظاته ، وألا تتقيد بطباع الأثرة والأحقاد التى خلفتها الدهور الطويلة . ونشر لى فيها قصيدة : (النشوء والارتقاء) وهى دعوة لمساعدة هذه السُّنة فى الأمور النفسية والخلقية كما سرت وتسرى فى الأمور العقلية . ونشر لى فيها أيضاً قصيدة «أمنيتان للنفس» وفى الأمنية الثانية أى طلب القوة كل أمل ولذة فى الحياة. ونُشر فى المقطم قصيدة (الأبد فى ساعة) وهى دعوة إلى استرسال النفس فى مطالبها غير المحدودة . لقد كنت أفهم قول الدكتور أدهم لو نقد ما نُشر لى قائلاً إنه دعوة إلى التفاؤل بولغ فيها وغولِىَ بها؛ وقديماً قد ميزت بين أمل وأمل ويأس ويأس ، فقلت فى الجزء الثانى : إن أمل الغفلة والأثرة وقلة الاهتمام بشؤون الإنسانية هو أمل مخضب بالدم :

هل يَنفعنِّى ذلك الـ أملُ المُخَضَّبُ بالدم
يدحو شـقاء الأبريا ء ويثنى لم يُكْلَمِ

وميزت بين يأس الكسل والعجز والخمول ويأس السخط والمساورة :

وفى اليأس يأس يبعث المرء بعثة ... إلى الغاية القصوى من السعى والجد

وقلت إن الخير أغلب على الإنسان :

صَرَّحَ الخير والأذى فيـه والخير أغلبُ
فإلى العُجْمِ نسبة وإلى الله يُنْسَبُ

وقلت إن الأمل والعمل من صفات العظمة :

أعاظم الناس فى اللأواء كم صبروا ... إن العظيم عظيم السعى والأمل

وقلت إن الأمل هو حسن الحياة :

كأن حياة المرء حسناء أرمل ... إذا قيل ساءت حالها طاب حالها
لها شافع يدعو إلى الحزن حكمه ... وآخر يخشى أن يزول جمالها

وقلت إن ألم النفس قد يكون حلية لها :

ألم تَرَ أنَّ القُرْطَ ليس بحلية ... على الأذن حتى تؤلم الأذن بالثقب

وإن الآمال النبيلة هى دواء الشر والشقاء ومبعث إلى الرق :

آمال تُنْسِى الفتى شقاوته ... وتُعْدِمِ الشر أى إعدام
تسمو بنفس المحب عن دَنَس ... فيهـا ولؤم جَمٍّ وأوغام

وفى قصيدة أخرى :

يرق الوجود بعيش الصالحين له ... من ليس يدر كهم عجزو لا كلَلُ

إن الحياة جهاد لا خفاء به ... فليس يُفلح إلا الأغلب البطل

وفى أخرى :

وعِشْ مع هذا الكون كَوْناً مُعَظَّما
وكُنْ فى قواه بين ناهٍ وآمر

وفى أخرى :

فإنى رأيت النفس كالأفق بَهْوُها
تسير بها الآمال سير الكواكب

وفى قصيدة (المجاهد الجريح) :

ولا أشتكى أنى جرعت مريرها ... فياليت عمراً فى الحياة يعادُ
فأجرع منه الحلو والمر إنما ... مشارب من يهوى الحياة براد
جهلنا فماندرى على العيش ماالذى ... يراد بعيش نحن فيه نُقَادُ
سوى أن عيش المرء بالشك فاسد ... وأن يقينا فى الحياة رشادُ

وعلى ذكر (المجاهد الجريح) أقول إن أكثر عنوانات قصائدى يدل على الدعوة إلى الأمل كما يتضح من ذكر ما ذكرت من القصائد وما لم أذكر كالإيمان والقضاء والحياة والعمل والعظيم والبطل وقوة الفكر والكونان(١) وعلالة العيش والمثل الأعلى وخلود التجارب والملأ الأعلى وزووة الملائكة

فنى قصيدة (الحياة والحق) :

لولا فروض العيش لم أعبأ له ... جيشاً من الآراء والعزمات
إن التجارب كالأزاهر جمة ... أو ما اغتفرت الشوك للزهرات
ياقلب لا يُغنيك ذعرك للأسى ... فالخوف أول مهبط المهواة

وفى (العيش والرجاء) :

لو أدرك الإنسان آماله ... وصابه منها كقطر المطر
ولم يَعُـدْ يعرف ما يبتغى ... ولم يجد فى العيش ما يُنتَظَر
لكان أشقى الناس فى عيشِهِ ... حتى تقول النفس أين المفر
لا عيش إلا بِطِلاب المنى ... لولا المُنَى فى عيشه لانتحر

وفى قصيدة (مرحباً بالأقدار) :

أدِرْ علىَّ كؤوس العيش قاطبة ... سعدو نُحْسٌ وإهوان وإكرام

إلى :

هذى مرارة كأس لذ شاربها ... خمارها فهو عَبَّاسٌ وبَسَّامُ

---

(١) وهى أمل فى أن تخرج من الحياة حياة أرقى ومن العيش عيش أرقى وفيها :

خارجا منـه مثلما تخرج الليلة الضحى

وفى خلود التجارب :

وما العيش إلا حكمة وتهادن … فتخلط مجهولاً لديه بمعلوم
وتخلط حلواً فى الحياة بحنظل … وتأخذ من عيش حميدٍ ومذموم
وقد صح أن الجد يلهى عن الأسى … وإنْ كان جداً لا يجئ بمغنوم

وفى قصيدة المثل الأعلى :

والعيش إنْ لم تَبْغِه لعظيمة … فالعيش حُلْمُ طوارق الأعوام
والنفس إمّا شئتَ كانت عالماً … يسع الدنى فى طوله المترامى

وفى قصيدة الملأ الأعلى :

مرحباً بالملأ الأعلى الذى … شرفت دارىَ منه والفِناء
أسعدونى أقتبس من نوركم … بُلغة النفس ورِيّاً للظماء
طهرت نفسىَ فى أضوائكم … مثلما تطهر أجسام بماء
وشممتُ الخلد من أنفاسكم … نفس يشفى من الداء العياء
وأرى فى النفس رسماً منكمُ … مثل رسم النجم فى متن النِّهاء[1]
وعبيراً كشذى الأزهار إنْ … خلَّفَتْ فى الأنف ذِكْرَى كالذَّماء[2]

وفى الملك الثائر :

والشر والخير لا يُرْجَى افتراقهما … فارفض إذا اسْطَعْتَ نعمائي ولذاتى
حتى العقول وحتى الفضل أجمعه … ولذة النفس فى بذل المروءاتِ

وحتى فى قصيدة الموت جُعِل الموت باعثاً للأمل :

وهيهات أن يسلو عن العيش جازع … من العيش حتى يصبح العيش ماضيا
وحتى يموت الحب والذِّكْرُ والمُنى … وتتلو نواعى الشائقات المناعيا
وحتى يموت الموت لولاه ما بكى … حريصٌ على دنياه يخشى المرازيا

وفى قصيدة (طيرة الفرخ) :

فَسَلْ قلب الشهيد عن البلايا … يُخَبِّرْكَ الشهيد عن الحبور

وفى قصيدة (الشجرة والغراب) :

إذا أنت ما ذقتَ مِنْ ضُرِّها … أتعرف ما الخير مِنْ شَرِّها
وفى الصبر صبرٌ يُريكَ الدنى … كأنكَ رُفِّعْتَ عن أمرها

وفى قصيدة (إصبر) :

اصبر لعل النحس فى لونه … إذا دجا ظِلٌّ لدانى النعيم
لعل دمعا منك لم تَحْتَسِبْ … يُنْبِتُ زهرا فى اليباب العقيم
لعل دمع النحس در له … يُسْلَكُ فى عقد الرخاء النظيم
كم خيبة تعقد عزم الفتى … للنهر لولا الصخر خطو السقيم

وفى (علالة العيش) :

وإن ضياء العيش يزهو رواؤه … لِأنْ حاطه بين الأنام ظلام

وأما وصف محاسن الكون والطبيعة ، ففيه قصائد كثيرة مثل (سحر الربيع) و(خميلة الحب) و(الفصول) و(ليلة حوراء) الخ . ولو أن الأستاذ الفاضل تقصى كل ما كتبت من نثر وشعر لعلم أن ثقافتى غير مقصورة على مذهب واحد ، ولا أحتذى احتذاء أعمى ، وإنه حتى القصائد التى بها وصف الشقاء أو مقابح النفس أو الموت أكثرها به أيضاً وصف محاسن الحياة . وإذا كنت قد أخطأت الذوق الفنى الصحيح فى دراسة نفسية فهذا من خطأ المبتدىء المغالى الذى أراد أن يقلب الأدب من صناعة فحسب إلى دراسات سيكولوجية ربما لا يعجب بها الأستاذ ؛ وربما كان من الخطأ عملها والأستاذ أوسع ثقافة من ألا يرى تعدد مذاهب الثقافة فى قولى حتى يقصره على مذهب واحد شأن الذى لم يطلع عليه . وإذا لم يكتف الناقد الفاضل بهذه الشواهد والقصائد العديدة ذكرنا له غيرها ، وليس أربنا تخليد قولنا ، فقد رضينا باندثاره لو رضى أمثال الناقد الفاضل . وقد كنا هجرنا الكتابة والنشر من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٣٥ وما عدنا إلا بسبب التحرش من ناحية ، والتأنيب من ناحية أخرى .

عبد الرحمن شكرى

(١) النهاء بالكسر جمع نهى وهو الغدير

(٢) الذماء بقية الروح

أعلام الأدب

بين أرستوفان ويوريبيدز وبين يوريبيدز والمرأة

للأستاذ دريني خشبة

كان يوريبيدز شذوذاً كبيراً في العصر الذي كان يعيش فيه ... لقد كان ثورة جامحة هدامة لا تدع شيئاً إلا أتت عليه، ولا ترى شيئاً يقدسه الناس إلا سخرت منه واستهزأت به وتهكمت عليه ... وكانت سخريته مع ذلك لاذعة ضارية لا يهمها أن تكون وحدها في جانب وكل أعدائها وهم جمهور الأثينيين أو كثرتهم الساحقة في جانب آخر

وكان الناس حزبين في يوريبيدز : كثرة محافظة من الرعاع ورجال السياسة والتجار يسوؤها أن تهان آلهتها وتستباح تقاليدها فهي ضده وهي تكرهه وهي تنقم عليه وتهزأ به وتسخر منه كما يسخر منها ، ولكن على طريقتها البورجوازية في السخرية والاستهزاء ... وكانت مع ذلك تتخذه هزواً وتجرى وراء أرستوفان كيما يضحكها عليه ، ويؤلف لها المهازل في ثلبه والطعن عليه والتشهير به وتسفيهه ونهش عرضه وإرسال لسانه في أبيه وفي أمه على السواء ... وقلة مستنيرة مثقفة كانت تعرف ليوريبيدز حقه ، وكانت تؤمن بأنه صاحب رسالة عالية ستعود بالخير الجزيل على الإنسانية في كل زمان ومكان ، وستظل معيناً ثراً سائغاً يقبل عليه الظماء فيروون منه ويعالجون آلامهم ويلتذون فيه الأدب والفن والفكر والجمال والعبقرية

لكن هذه القلة كانت تخشى الرعاع الناقمين على يوريبيدز ، وحق لها أن تخشاهم لأنهم ليسوا رعاعاً جهلة مثل رعاعنا ، بل كانوا رعاعاً متعلمين ، لأنه لم يكن في أثينا في عصر يوريبيدز رجل واحد غير متعلم !

كانت هذه القلة إذن لا تستطيع أن تنفع يوريبيدز العظيم ، لأن الزعاع الذين يؤلفون كثرة الجمهور الأثيني وجدوا لهم شاعراً آخر لا يقل عبقرية عن يوريبيدز ، لكنه شاعر جامد منغلق التفكير محافظ أشد المحافظة على تراث السلف ، فكان يؤلف كوميدياته في الطعن على شاعر القلة المهذبة المستنيرة والنيل منه والإزراء بأدبه وتفكيره ، وكان يجد جمهوراً كثيراً ضخماً يصفق له ويقبل عليه ، ويستزيده من ذلك التضحيك المؤلم المرير الذي كان يعصف بنفس يوريبيدز ؛ وكان ذلك الجمهور يدفع مع كل هذا ثمن التضحيك والسخرية أموالاً جمة ضخمة، فإذا شهد التمثيل خرج نشوان بما سمع ، ثملاً بما رأى ، وراح يجادل في مُثُل يوريبيدز من غير هدى ولا برهان مبين ... إلا هذه النكات التي صنعها فيه أرستوفان ، وصنعها شائكة نافذة حامية ، وإلا هذه المشاهد التي تظهر فيها الحمير على المسرح ويظهر فيها أقرباء يوريبيدز من الرجال المحترمين متنكرين في زى النساء الساقطات اللائي لا أخلاق لهن ، حتى إذا عرف الجمهور حقيقتهن أغرق في ضحك طويل مرير وانطلق يصفق ويصفر وهو يقبض على الكبود والقلوب من كثرة الضحك وشدته

وكانت النساء في أثينا من حزب أرستوفان على يوريبيدز ، لما كن ينقمن منه تناوله حياتهن الخاصة في دراماته تناولاً لم يكن سائغاً في ذلك العصر ، بل كان تمزيقاً للحجب الكثيفة التي كن يعشن وراءها قابعات في الخدور أومقصورات في الخيام ، مما عددنه منه قلة أدب وقلة حياء وقلة ذوق ، بل قلة في كل مظهر من مظاهر الفضيلة والحفاظ ، وسنة السلف الصالح .

لقد كانت مِسِز جراندى التي هيمنت طوال العصر الفكتورى على المنزل الإنجليزى وعلى الفتاة الإنجليزية تهيمن بشدة وعنف على المنزل الأثيني والفتاة الأثينية . . . والمسز جراندى هي تلك العجوز الشمطاء المتزمتة التي كانت تكره للفتاة الإنجليزية كل تقدم وكل رقى ، وكل ثورة على العرف ، وخروج على التقاليد ، وكانت تفرض سلطانها على البيئة الإنجليزية فتحترم وتطاع احتراماً كاماً وطاعة عمياء . وكان الوسط الإنجليزى يقدس أوامر مسز جراندى ويأخذ بها نفسه ، ومسز جراندى مع ذلك شخص خرافى لا وجود له ، لكنها كانت تمثل التقاليد الإنجليزية الموروثة بحيث لا تسمح لأحد بالثورة عليها . فإذا ظهر أديب مثل يوريبيدز لا يبالى سنة السلف صاحت برعاياها أن حذار ، ثم سلطت عليه السفهاء الجامدين من أمثال أرستوفان يشعبذون عليه ، ويسخرون به ،

لكنها شعبذة لم تكن قط تبلغ عشر معشار ما بلغت شعبذة مسز جراندى فى البيئة الأثينية . . . وكان يثير مسز جراندى الأثينية على يوريبيدز ما كان يبديه هو من ثورة على التقاليد التى كانت تفرضها مسز جراندى على قومه . . . فلقد كان يتناول فى دراماته العلاقات الشائكة بين المرأة والمرأة ، والعذراء والعذراء والمرأة والرجل ، بل غالى مغالاةً مخيفة فتناول موضوع الميل الجنسى الشاذ عند الذكور فى درامته المفقودة (خريسبُّوس) ، وموضوع الصبوة الزوجية فى مثل مأساة امرأة عزيز مصر مع النبى يوسف فى مأساته هيبُّوليتوس ـ التى سنلخصها للقراء ـ والتى عالج فيها مشكلة الطلاق ، ومأساته المفقودة (ستينبويا) التى عالج فيها المشكلتين معاً .

وكان يوريبيدز لا يستحيى فى معالجته هذه المشكلات أن يستشهد بتجاريبه هو ، وأن يطبقها تطبيقاً صريحاً ، ولكنه تطبيق علمى سيكلوجى . كان له الفضل فى ابتداعه ومحاربة الخجل الذى يخفى الحقائق بسلاحه ، ولذلك أطلقوا على يوريبيدز (إبسن القديم) إشارة إلى المسرحى العظيم هنريك إبسن الذى نقل الرواية التمثيلية من عالمها الرومانتيكى إلى عالم الحقيقة والواقع فى عصرنا الحديث . . .

لقد كان يوريبيدز شذوذاً كبيراً فى العصر الذى كان يعيش فيه ، ولقد كان كما قدمنا ثورة جامحة على تقاليد عصره ، ولن ينسى التاريخ يوم جال أرستوفان وصال ، وراح يستصرخ نساء أثينا عليه ، ويغرى بينه وبينهن العداوة والبغضاء ، ويهتف بهن أن يثأرن من يوريبيدز لشرفهن وحفاظهن وتقاليدهن يوم استباحها جميعاً فى مأساته (ميـديا) تلك المأساة التى كانت نجاحاً رائعاً ليوريبيدز ؛ بل كانت تكفى وحدها لتخليد الاسم الذى يتشرف بأنه اسم مؤلفها . ومع ذلك فقد انتصر الجمود عليها ، وظفرت الرجعية الذميمة بها ، فسقطت سقوطاً شنيعاً بعد العرض الأول

قال جيته : « لا أدرى إذا كان أى مسرحى فى أية أمة خليقاً أن يحمل نَعلَىْ يوريبيدز فيقدمهما إليه ! ! »

كلمة ساخرة من جيته ! ! وقد أرسلها فى أعداء يوريبيدز ، وناقدى دراماته وخص بها قبل كل شىء عدوه الأكبر أرستوفان لكن أرستوفان ، وإن يكن أديباً رجعياً شديد المحافظة على تراث السلف الصالح ، إلا أنه كان موضع إعزاز أفلاطون . وأفلاطون لا يجعل أحداً موضع إعزازه عبثاً . فقد كان يشهد لأرستوفان أنه وحده الذى عرف قيمة الحياة . فضحك ثم ضحك . وجذب إليه الناس ليضحكهم عليها وعلى الحقيقة وعلى يوريبيدز !

والآن ، ما هى ميديا هذه التى أحفظت نساء أثينا على يوريبيدز والتى استغلها أرستوفان فى إعلان الحرب على الرجل الذى ألهمه فنه إذ هو طفل أو غلام فى السادسة عشرة حينما كان يذهب إلى المسرح فى حرقة وتشوف للتمتع بدرامات يوريبيدز ؟ إنها مأساة دامية تذيب نياط القلوب بما حشده فيها يوريبيدز من العواطف المتضادة المتنافرة ، وألوان القسوة التى لا تتورع المرأة من ارتكابها فى سبيل لذتها وحبها . إنها مأساة مشتقة من خرافة جاسون التى لخصناها للقراء منذ عامين . ثم هى حلقة مكملة لمأساة أخرى نظمها يوريبيدز فى التاسعة والعشرين وسماها : بنات بلياس

وجاسون ابن ملك تساليا هو بطل الدرامتين ، وقد كان له عم يدعى بلياس طمع فى الملك واستعان على أخيه بجيش أجنبى لخلعه وتولى هو مكانه . ثم قبض على الملك وزوجه وأقام عليهما رقابة شديدة صارمة . وأرسل الملك المخلوع ولده الطفل جاسون إلى السنتور الخرافى شيرون ليعلمه الفروسية . حتى إذا شب ذكر له ما كان من عمه مع والديه ، وأهاب به أن يثأر لهما ولنفسه وأن يخلع عمه ويتربع هو على العرش لأنه به أحق . وعاد جاسون بعد إذ استوى عوده وزوده أستاذه بالنصائح الغالية ، وأوصاه بمكارم الأخلاق ، وأن يحترم كلمته ويبر بوعده . وقد فوجئ بلياس الظالم بحضور ابن أخيه ، وكانت نبوءة قد حذرته منه لأنه سيكون سبب قتله ، فلما طلب إليه جاسون أن يخلى له مكانه من الملك عمد بلياس إلى الحيلة ، فانتهز فرصة غناء المطربين ، وإنشاد المنشدين فى حَفل كان قد أقامه لعقر القرابين للآلهة ، ولفت انتباه جاسون إلى قصة الفروة الذهبية التى يحتفظ بها الملك إيتيس — ملك البربر ووالد ميديا — وحرضه على الحصول عليها . واستثار فيه نخوة الشباب وخيلاءه ، فوعده جاسون بها . وبعد مجازفات وصعاب ومحن وصل جاسون إلى الملك إيتيس حيث لقيته ميديا فمالت إليه ؛ بل جنت به ، حتى إذا عرفت ما جاء له وعدته بالمساعدة ، وكانت تعرف من فنون السحر ما تتغلب به على كل محال . فأعدت له مخدراً

أدناه من التنين الهائل الذى كان يحرس الفروة الذهبية فاستغرق فى سبات عميق . وذبحه جاسون وحمل الفروة الذهبية وفر بها مصطحباً ميديا وأخاها الصغير أبستروس حتى إذا كانوا عند البحر ركبوا فى السفينة التى أعدها جاسون لهذا الغرض - وكان اسمها الآرجو — فأقلعت بهم تحت جنح الظلام

وفى الصباح اكتشف الملك إيتيس الأمر فجن جنونه لفرار ابنته ، ثم لأنها صحبت معها ولى عهده وولده الأوحد أبستروس ، ثم لضياع كنزه الثمين الذى لا يقدر بملء الأرض ذهباً ... فيعد سفينة عظيمة ويبحر فى نفر من صفوة بحارته وأجناده فى إثر الآرجو ... وتمضى بضعة أيام ، وتدنو سفينة الملك من الآرجو حتى تكاد تلحق بها ، فيشتد ذعر ميديا ، ولا تصغى إلى توسلات أبيها الذى تعتقد أنه معذبها أشد العذاب إذا وقعت فى يديه أو استسلمت إليه ... وهنا تذبح أخاها ولى العهد وتقطعه إرباً ثم تلق فى اليم وراء الآرجو بالقطعة منه وراء القطعة ، فيضطر الملك البائس إلى انتشال أشلاء ولده باكياً متفجعاً ، فتبطئ سفينته وتغيب الآرجو عن الأبصار وتفلت ميديا وجاسون

لقد وعد جاسون ميديا أن يتزوجها إذا هى ساعدته فى الحصول على الفروة الذهبية ، وقد فعلت ، فلما آب إلى وطنه بنى بها وعاشا فى رغد وبُلهْنية ، ورزقا غلامين جميلين

هنا تبدأ الدرامة الأولى (بنات بلياس) .. يظل جاسون زماناً لا يستطيع الحصول على العرش ، ويضم إليه أبويه المحطمين الهرمين ، فترثى لهما ميديا ؛ وبصنعة جميلة من سحرها ترد عليهما شبابهما فيرتدان أجمل مما كانا فى شرخ صباهما ؛ ويتسامع الناس بما كان من ذلك ، وتعلم بنات بلياس اللائى كن قد أبدين السخرية بميديا وأشعرنها احتقارهن ، بما تم لعمهن وزوجته من ارتدادهما إلى الشباب بسحر ميديا ، فيأخذن فى ملاطفتها ، ثم يسألنها أن تعيد إلى أبيهن شبابه حتى تطول أيامه فى الملك ، وهنا تشير عليهن ميديا أن يذبحن الملك بعد أن ينام ثم يقطعنه إرباً حتى تحضر هى فترده إلى الحياة كما ترد إليه شبابه وتخلع عليه بُرْد صباه ... ويطيعها بنات بلياس فيقتلن أباهن .. وبذلك يتخلص منه جاسون .. ويصبح البنات مجرمات فى نظر الشرع والقانون؛ لـكن جاسون يستطار من شناعة ما تصنع ميديا ، فلقد ذبحت أخاها دون أن تأخذها فيه رأفة ودون أن يتحرك قلبها لتوسلاته وعبراته ، ثم راحت تمزق بدنه وتلقى بأشلائه فى اليم ... وهى اليوم تصنع مثل الذى صنعت بالأمس فتحرض بنات عمه على تلك الفعلة الشنعاء ...

لقد تبدلت نظرة جاسون ، ورفع عن بصره غطاؤه ... لقد كره ميديا !

ثم تبدأ الدرامة الثانية ، التى هى مفخرة يوريبيدز ، والتى سماها (ميديا) ، والتى أقامت نساء أثينا وأقعدتهن ، والتى ألف من أجلها أرستوفان ملهاته (محاكة يوريبيدز) أو Thesmo-phoria-zusæ

يفر جاسون مع زوجته وولديه إلى كورنثه حيث يحل ضيفاً على ملكها كريون العجوز الشيخ الذى لا نسل له إلا فتاة بارعة الجمال ... ويكرم الملك مثوى ضيفه الذى طبقت شهرة شجاعته الآفاق ثم يسر إليه أنه يرغب فى أن يتخذه ولداً ويزوجه ابنته على شرط أن يقطع ما بينه وبين زوجته ميديا الساحرة ابنة ملك البربر ... ويتردد جاسون ثم يقبل عرض الملك ، لـكنه يبقى الأمر سرًّا بينهما حتى يدخل بزوجته الجديدة ، ثم يرسل الملك بعض جنوده للقبض على ميديا التى تكون قد عرفت كل شىء ، وقهرها على مغادرة كورنثه هى وولداها . . وتحتال ميديا فيمهلها الملك يوماً واحداً حتى تأخذ أهبتها للسفر ، ثم تحتال فيلقاها جاسون حيث يفرغ كل ما فى سريرته للآخر ، ويكلمها جاسـون فى برود وتكلف ، وتخاطبه ميـديا فى ازدراء وخشونة وأسلوب كله بَرَم ومَن ... ثم يلقاها مرة أخرى فتبدو كأنها غفرت له كل شىء أو كأنها نسيت كل شىء ، ثم تسأله أن يذهب هو وولداها إلى زوجته الجديدة بهديتها التى يسعدها جدًّا أن تتقبلها من امرأة محطمة كسيرة القلب مهيضة الجناح ، فيهش جاسون ويذهب بالهدية وهى ثوب من دمقس وحرير مفتل فيقدمها لزوجته التى تفرح بها ... لـكنها ما تكاد تلبس الثوب حتى تحس بإبر الموت تخزها وتنفذ بالآلام المبرحة إلى نخاعها.. أوه!.. إنه ثوب مسموم احتفظت به ميديا لمثل هذا اليوم ! ! لقـد ثأرت ميديا لنفسها كما ثأرت لـكبريائها .. لقد ماتت الزوجة التاعسة من برحاء الألم ! ... لـكن ميديا لا تكتفى بهذا الثأر يقع على فتاة بريئة أو قد تكون بريئة ... إنها تذهب فى ثأرها إلى أبعد حدود القسوة البشرية وأشقها ... لقد قتلت أخاها أبستروس ومزقته إرباً ورمت بأشلائه فى البحر لتعرقل أباها من أجل جاسون وفى

سبيل حبه ... فلماذا لا تقتل ولديها نكاية فى أبيهما ، ومبالغة فى تمزيق قلبه ؟! ... يا للثأر ؟ !

ويعلم جاسون بما انتوته فيسارع لإنقاذ الطفلين ... ولكن! وا أسفاه ! لقد ذبحتهما الشقية ! وها هو ذا جاسون يقف على جثتيهما باكياً محطوم القلب مشبوب الجوانح بالحزن الذى ليس مثله كمد ولا حزن

وفى هذه الثورة تبتسم ميديا ... وتزدرى جاسون ... ثم تركب تنينها السحرى فيطير بها فى الفضاء تاركة وراءها الزوج الشقى والجثتين الحبيبتين !

ثارت الأثينيات على يوريبيدز بعد هذه المأساة ثورة جامحة لأنه صرح فيها بأن ميديا صورة من بنات حواء جميعاً ، وأنه ليس فيهن من يفضلها قط ، وأن كل امرأة تصنع من أجل لذتها أسوأ مما صنعت ميديا التي خانت أباها فى كنزه ، وذبحت أخاها وولى عهده ، وفرت مع عدوه ، ثم مكرت ببنات بلياس فهيأت لهن قتل أبيهن ، ثم لم تتورع من أن تقتل طفليها غير آبهة ببكائهما الذى كان يفتت الصخر لا الكبود وذلك لتتم لها اللذة المجرمة الفتاكة ، لذة الانتقام ، كما تمت لها خلال الآلام والنكبات لذة الحب ...

وكان يوريبيدز بارعاً فى جميع دراماته التى شن بها حربه السيكلوجية على المرأة والتى سنعرضها فى الفصول التالية ، فأنت لا تقرأ له درامة من تلك الدرامات إلا وتنتهي منها إلى الرثاء للمرأة مهما تكن شريرة عاتية ، بل ربما أعجبت بهذه المرأة الشريرة العاتية وشعرت بالعطف عليها ، وتمنيت لو كانت خاتمتها خيراً لولا ذلك الأسلوب البارع الذى يسلسل فيه يوريبيدز حوادث مآسيه ، والذى يقتضى تلك الخواتيم التى لا يكون محيص منها ما دامت الحوادث تتسلسل هكذا !

لقد جعل أرستوفان من يوريبيدز موضوعاً لكثير من مهازله . وقد حفظ لنا الأثر ثلاثاً من هذه المهازل كلها عن يوريبيدز ، وقل أن تجد لأرستوفان مهزلة غير هذه الثلاث لم يتعرض فيها ليوريبيدز بنكتة أو غمزة أو سخرية ... وكان يوريبيدز يتألم أشد الألم وأبلغه لسخرية الشعب به ، وتهكمه على أفكاره ، حتى إذا طفح الكيل ، لم ير بداً من الهجرة إلى مقدونيا كما سيمر بك .

دريني خشبة

العالم

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

للآنسة الفاضلة «الزهرة»

يسير الخير على هينته ، ويمشى على رُود لطيته

ويغذّ الشر فى سيره الحثيث على أوفاز ، ويهتلك فى عَدْوه ، كميش الإزار ، فتتزلزل الأرض من وقع فيالقه الشهباء ، ونسمع الجلبة والقعقعة فيقال :

إن العالم يزداد انغماساً فى المعاصى والسيئات ، ويوغل فى ارتكاب كل محظور ومحرم ...

***

ولكن هذا ليس بصحيح ، لأن الفضيلة تتريث فى مسيرها وتتئد فى خطوها وتنثر بذرها بيد التمهل والترزن

فى حين ينفض الإثم أجواز الأمصار معلناً أوزاره التى تستفيض هيعتها المنكرة فى الأقطار ، ويطير ذكر سوءتها الفاضحة فى الآفاق ، فتنصت لها الأصداء ، وترجعها الأنحاء ...

***

وكما أنه ليس ثمت ريب فى أن الأرض تتحرك وتدور حول الشمس المضيئة

كذلك نعلم أنه لا بد أن يتم الله تعالى أمر الذى يقضى : بأن يُصلح شأن جميع الجنس البشرى

***

وعلى الرغم من جيشان أمواه الشر ، وارتفاع هديرها ، وغزارة طموها ، فإن حصيد الحق الذهبي ينضج بسرعة ، وتسطع أنوارُ حافره الباهرة ، وتكسف بسناها شموس الماضي فترتفع بأفكار الناس إلى كبد العلاء وتصيرها أرق مما كانت ...

***

إن الذى يسير موغلاً قد يقرأ هذه الحقيقة التى أرددها قائلة : اعلم أن الإثم يتجول راكبا عربة ترتفع لعلعة عجلاتها الصاخبة فى الحزون والسهول

فى حين يذرع الصلاح فراسخ السماء ، ويعلو رونقه حين يطل من محرابه النقى على أرض الشقاء ، متألقاً تألق النجمة الزهراء فيتوقل العالم كل يوم فى معارج السمو والارتقاء ؟

خواطـــــر

للأستاذ فليكس فارس

لا أعلم ماذا عنى واضع تعبير الشعر المنثور ، ويخيل إلىّ أن هذا الترتيب المستحدث فى اللغة العربية إنما ترجم حرفيًّا عن « فير ليبر » بالفرنسية ؛ غير أن المترجم التوى عليه المعنى لظنه أن كلمة « فير » تترجم بكلمة « شعر » فى حين أنها لا تعنى إلا المنظوم من الكلام بوزن وقافية . ولا أرى فى العربية ما ينطبق على هـذا التعبير الفرنسى إلا « النظم المنفرط » أو حل الشعر وإطلاقه من وزنه وقافيته لإرساله نثراً ، وذلك ما يكلفه التلامذة لتسهيل فهم الشعر عليهم ولتعويدهم سبك المعنى الواحد على صور متعددة .

أما « الفير ليبر » فى الأدب الأوربى فليس إلا بدعة جاء بها المتأخرون كما جاءوا بأنواع الرسم المكعب والشعر المستغرق فى الرمزية ، وما هى على ما أعتقد إلا ظاهرة لتقلص الأعصاب فى المدنية المتعبة

وإننى لأعجب للأدباء فى الغرب يضعون كلمة « فير ليبر » ولا يفطنون لما فى مبناها من التناقض، فإن النظم مقيد إلزاماً، فإذا أطلق من أوزانه خرج عن صفته وأصبح نثراً

إن البيان من الفكر كلام، ومن العواطف نغمات؛ والنظم معلق بين الكلام والنغمات ، يتناول من الأول نتاج الفكر، ومن الثانى خطرات الهوى ؛ غير أنه أقرب إلى القلب منه إلى الدماغ ، لأنه لا يقوم على حجة ودليـل ، بل يخاطب ما انطوى فى السرائر وما يطمح الناظم إلى وضع مقدمات لاستخراج ما يريد استهواءك إليه ؛ إذ حسبُه من بيانه أن ينفذ إلى ما استقر فيك من مقدمات إن خلت سريرتك منها انزلق عليك بيانه فإذا أنت ضاحك من بكائه ، مستهزئ بشجوه وتحنانه

ما النظم المنثور الذى يسمونه شعراً منثوراً إلا بيان حائر ، بل هو جنين تمخض به الخيال وضعف عن مدّه بالتكامل فلفظه مسخاً لا يصلح للحياة

إن للنثر أوزانه الخفية وبحوره التى لا ساحل لها ، وللنثر الناضج موسيقاه المطلقة كأمواج البحر تتتالى ولكل موجة شكلها وتعاريجها؛ ذلك لأن خطرات الفكر نبضان لا يتكرر على وتيرة واحدة فى الدماغ ، فى حين أن النظم وهو صورة نبضان القلب لا يطلق موسيقاه إلا على نظام الوحدة فى تكرار ضرباته

ولعلك إذا نظرت إلى هذه الأشرطة التى تطبع عليها كهرباء القلب صورة خفقانه يدهشك منها ما تمثله لديك من أبحر الشعر فى أنواعها ، فمن القلوب ما تبسط على الرسم البحر (الطويل) فى هدأتها ، ومنها ما تصور البحر (المتدارك) فى ثورتها ، ومنها ما حلا لها كبعض أدباء هـذا الزمان أن تمسخ نظمها نثراً فتراها تأتيك بالطويل والقصير والرجز والمتدارك متداخلة متراكبة ، ومثل هذه القلوب قد استنفدت كهرباءها وآذن اختلالها بقرب انصداعها

* * *

من غرائب التقليد فى هذا الزمان أن يترجم لنا بعض أدبائنا قصائد أو مقطوعات من منظوم الفرنجة فيأتوا به صورة طبق الأصل فى ترتيب السطور ؛ فهم يصلون الجملة حيث يجب قطعها ، ويقطعونها حيث يجب وصلها ، جرياً مع الناظم الذى حكم الوزن والقافية على ترتيبه ، وهم لا يفطنون إلى أنهم مطلقون فى ترجمتهم من كل وزن وقافية

ما وقع نظرى مرة على هذه المنظومات المترجمة وقد كتبت بشكل قصيدة وليس فيها من إلزامات القصائد شىء إلا وحسبتنى أرى سابحاً يخرج من البحر ويستمر على دفع الهواء بيديه كأنه لا يزال يسبح على اليابسة ويخشى الغرق ورجلاه ثابتتان عليها ...

وأغرب من هذا ، بل وأنكى ، أن تقرأ لبعض المجددين ... شعراً منثوراً ... تتوالى سطوره وفى كل سطر أربع إلى سبع كلمات نضدت على سلك لا وجود له إلا مخيلـة الكاتب ؛ فهو مضطر ولا أدرى لماذا ، أن يقطع جملته إذا بلغت الخمس أو السبع ليستطرد الكتابة فى السطر الثانى ، وليس بوسعه أيضاً أن يقف بجملته حتى يتم معناها إذا كان لم يزل لديه متسع من المقياس الذى انطبع فى ذهنه من تلاوته قصيدة ترجمت على هذا الشكل عن أحد كبار الشعراء

وقى الله الأدب العربى من آفات التقليد والمقلدين !

« الاسكندرية » فليكس فارس

حيـــاة محمد

باعتباره صاحب الدعوة الاسلامية

للمستشرق الانجليزى توماس أرنولد

ترجمة الأساتذة

عبد الفتاح السرنجاوى، محمد الدسوقى، عبد العزيز عبد المجيد [1]

بهذا الحماس وذلك الجد تقـدمت الدعوة الإسلامية حتى لم تمض على الإسلام سنة هناك (فى المدينة) إلا وكانت كل أسرة عربية قد ساهمت بدخول بعض أفرادها فى حوزته ، ماعدا شعبة واحدة من بنى الأوس وهى التى استمرت منعزلة بعيدة عن الإسلام وذلك بتأثير أبى قيس بن الأسلت الشاعر

وفى السنة التالية حينما جاء موسم الحج وفدت إلى مكة طائفة من معتنقى الإسلام حديثاً ، وعددها ثلاثة وسبعون رجلاً ، وبصحبتهم جماعة من مواطنيهم كفار يثرب ، وقد عهد إلى هذه الطائفة أن تدعو محمداً (ص) إلى أن يلجأ إلى يثرب تجنباً من غضب أعدائه ، وأن يبايعوه على أنه رسولهم وقائدهم ، وفد إلى مكة لهذه المناسبة العظيمة كل معتنقى الإسلام الأولين الذين كانوا قد لاقوا الرسول من قبل فى الموسمين السابقين ، ومعهم مصعب ابن عمير معلمهم ، فأسرع على أثر وصوله إلى الرسول ، وأخبره بالنجاح الذى لاقته بعثته . ويقال إن أمه لما سمعت بقدومه بعثت إليه رسولاً فقال له : « أيها الابن العاق ، أتدخل مدينة فيها أمك من غير أن تبدأ بزيارتها ؟ » فكان جوابه : « كلا ، إننى لا أزور منزل أحد قبل رسول الله » . ثم ذهب إلى أمه بعد أن فرغ من تحية الرسول (ص) والتحدث إليه ؛ فقالت له أمه زاجرة : « إخالك إذاً لا تزال خارجاً منشقاً » . فقال : « أتبع رسول الله ودين الإسـلام الصحيح » . فردت عليه قائلة : « أقانع أنت بطريق الشقاء الذى انتهجته فى الحبشة وفى يثرب ؟ » . أدرك حينئذ أن أمه تفكر فى أمر سجنه فخاطبها متعجباً : « ما خطبك ؟ أتكرهين إنساناً على أن يغادر دينه ؟ إن كنت تدبرين أمر سجنى فإننى سأقتل أول من يضع يده على » . فقالت له : « أخرج إذاً من عندى » وأخذت تبكى . فتأثر مصعب لذلك وقال : « أماه . خذى منى نصيحة المخلص! إشهدى أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله » . ولـكنها أجابته بقولها : « والنجوم اللامعة ، لن أكون قط حمقاء بدخول دينك . إننى أنفض يدى منك ومما أنت فيه ، وأعتصم بعقيدتى »

وكان قد ضرب موعد ليجتمع سراً بالعقبة من أسلموا فى العام الماضى وذلك لـكيلا يثيروا حولهم شبهات القرشيين أو عداوتهم؛ وجاء محمد ومعه عمه العباس الذى كان لا يزال وثنياً حينئذ ولـكن سمح له أن يحضر هذا الاجتماع السرى. افتتح العباس هذا الاجتماع الجليل موصياً بابن أخيه ، ومشيراً إلى أنه ينتمى إلى أسرة من أشرف أسرات قبيلته التي وإن كانت لم تقبل تعاليمه إلا أنها ما زالت تحميه ؛ أما وقد أبى إلا الانحياز إلى أهل يثرب واللحاق بهم فإن عليهم أن يتدبروا الأمر بحكمة قبـل أن يأخذوا العهد على أنفسهم ، وأن يصمموا ألا ينكثوا عهدهم متى قبلوا تحمل هذا الأمر الخطير ، فاحتج البراء بن معرور الخزرجى قائلاً : إنهم واثقون من عزمهم على حماية رسول الله ، وتوسل إلى العباس أن يذكر ما يريدهم أن يعاهدوا الرسول عليه

بدأ محمد يقرأ عليهم بعضاً من القرآن ، ويحثهم على أن يصدقوا فى دينهم الذى اعتنقوه من وحدانية الله ونبوة محمد رسوله ، ثم سألهم بعد ذلك أن يمنعوه وأصحابه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال : « نعم ! والذى بعثك بالحق لنمنعك كما نمنع أنفسنا ، ونعاهدك على طاعتك ، وأن تكون لنا هاديا . فنحن أبناء الحروب ، وأهل الحلْقة [1] ، ورثنا كابراً عن كابر » . وهكذا أخذ الجميع يد الرسول واحداً بعد آخر ، وبايعوه على الطاعة .

ولما علمت قريش بهذا الاتفاق السرى عادت إلى اضطهاد المسلمين مرة أخرى ، فنصحهم الرسول أن يهاجروا من مكة ، وقال لهم : « اخرجوا إلى يثرب فإن الله قد جعل لـكم إخواناً فى تلك المدينة ، ودارا تأمنون بها » فخرجوا إلى يثرب أرسالاً ، حيث لاقوا إكراماً عظيما ، وكان إخوانهم فى الدين من أهل يثرب

(١) أنظر العدد ٣٠١

(١) بفتح فسكون : السلاح أو الدرع فقط

يتنافسون فيما بينهم كل يريد أن يحظى بشرف الإكرام، وليقدموا لهم ما يحتاجون. ولم يمض شهران حتى هاجر من مكة تقريباً كل المسلمين — وقد بلغ عددهم مائة وخمسين — اللهم إلا أولئك الذين قبض عليهم أو سجنوا، وأولئك الذين لم يستطيعوا الخلاص من الأسر. وتحدثنا الأخبار عن أحد أولئك المسلمين — صهيب — الذى لقبه الرسول «بأول ثمرات اليونان» (ولقد كان عبداً إغريقياً أعتقه سيده فجمع ثروة عظيمة بطريق تجارته الرابحة). وذلك أنه لما عزم صهيب على الهجرة من مكة استوقفه أهلها وقالوا له: «أتيتنا صعلوكاً حقيراً فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك» فقال لهم صهيب: «أرأيتم إن جعلت لكم مالى أتخلون سبيلى؟» قالوا: «نعم»، وهاجر هو تاركاً كل ثروته. ولما بلغ محمداً صلى الله عليه وسلم الخبر قال: «ربح صهيب، ربح صهيب»

أخر محمد صلى الله عليه وسلم هجرته من مكة — قاصداً بذلك ولا ريب أن يصرف أنظار أعدائه عن أعوانه المخلصين — حتى تنبه إلى مؤامرة مدبرة ضده، وأدرك أنه إن أبطأ فى الهجرة ربما قضى عليه، فعمل على الهجرة بحيلة

وكان أول ما فعل بعد أن وصل إلى يثرب أو المدينة كما سميت بذلك منذ تلك[1] الحادثة (مدينة الرسول) أن بنى مسجداً ليكون مكاناً للعبادة، وموضعاً لاجتماع أتباعه، وكان المصلون أولا يولون وجوههم شطر بيت المقدس، وربما كانت هذه سياسة اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم لاكتساب اليهود. وقد حاول محمد (ص) بطرق أخرى مختلفة أن يجتذب إليه اليهود، فقد أمر باحترام كتابهم المقدس، ومنحهم حرية العبادة، والمساواة فى المعاملة، وحاول أن يصافيهم ولكنهم قابلوا كل ذلك بالتحقير والتسفيه. ولما أصبح الأمل فى إدماجهم فى الإسلام عقيما واتضح أن اليهود لن يعترفوا بمحمد (ص) رسولاً لهم، أمر محمد أتباعه أن يولوا وجوههم فى صلواتهم شطر الكعبة بمكة (قد نرى تقلب وجهك فى السماء، فلنولينك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم، وما الله بغافل عما يعملون، ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك، وما أنت بتابع قبلتهم، وما بعضهم بتابع قبلة بعض؛ ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين)

ولقد كان لتغيير القبلة فى الصلاة مغزى أسمى مما يظهر لأول وهلة، فقد كان ولا شك مبدأ حياة جديدة فى الإسلام. إذ أصبحت الكعبة فى مكة المركز الدينى لكل المسلمين كما كانت منذ الأبد مكان الحج لكل قبائل جزيرة العرب. وهناك مغزى آخر شبيه بالسابق فى أهميته، وذلك هو إدماج عادة العرب القديمة — الحج إلى مكة — ضمن ما افترضه الإسلام وذلك لأن الحج فرض على كل مسلم مرة واحدة على الأقل فى العمر

وفى القرآن آيات كثيرة تثير روح الشعور بالتكوين القومى وتحث العرب على أن يقدروا الميزة التى منحوها بإنزال الرسالة الإلهية بلغتهم وعلى لسان واحد منهم

«إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون» وكذلك أوحينا إليكم قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها، وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه، فريق فى الجنة، وفريق فى السعير»، «ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى؟ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى، أولئك ينادون من مكان بعيد، ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون، قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون، وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين، فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً» (يتبع)

(١) يعنى بالحادثة الهجرة

لما رأيته رأيت القدر

(مهـداة إلى « علاء » الصغير)

للآنسة جميلة العلايلي

عند ما يبتسم يتكلم القدر من بين شفتيه، وعند ما ينظر ليتأمل تشيع الفلسفة من عينيه ، وعند ما يتحرك تعلن الحياة معانيها فى أسلوب رمزى فاتن

هكذا كان طفلى الحبيب « علاء » عند ما شاهد فلم « آلام فرتر » ، وقد رأيته على غير ميعاد وعرفته دون سابق معرفة ...

إنما فهمته كأننى جالسته الأعوام الطوال ، وعاشرت روحى روحه الأجيال ... جذبت روح الطفل بسماحتها وحلاوتها روحى التى تشرئب دائماً إلى الصفاء الصرف والنقاء الأكيد ...

وهل يمكن أن يأخذ الصفاء مكانه إلا فى معين ذلك الطفل النضير ؟ كنت أحاول أن أطالع فلسفة الحياة من عينيه ، فكان يولى وجهه ويسبل أجفانه . فهل كان يدرى أن الحقائق الأكيدة المسجلة فى أم الكتاب مرقومة واضحة فى مقلتيه ؟ هل كان يدرى أن معانى الخلود مرسومة على شفتيه ؟ هل كان يدرى أن أسرار الوجود منقوشة كظلال من النور على جبينه ؟

هل كان يدرى ذلك الطفل النضير ؟

كان يسأل والده الذى احتضنه بجوانحه ، وحباه بعواطفه ، كلما تراءت له عواطف الإنسانية فى شبه صور متحركة : ما هذا ؟ ولم هذا ؟

وكان يجيبه الوالد فى إيجاز عن الاسم والسبب

ويا للفارق الهائل بين فلسفة الصغير وفلسفة الكبير !

الصغير يعرف ويجهل ، والكبير يجهل ويعرف ! ...

ياحبيبى البرىء، يضلك الوالد عند ما يقول لك: الحياة أمامك. مع أن الحياة فيك ...

لا تتكلم ياحبيبى ودعه يفهمك لتعرف أن الحياة تشوه العقل الفطرى بأضاليلها ...

أنت الفيلسوف الحكيم ، وأنت العاطفة المثالية العليا ...

إنك تفهم أمك ، وتفهم والدك ، وتحسب أنهما مثلك لهما براءتك وفلسفتك فتخاطبهما بأسلوبك الرمزى فى إيجاز ...

يا حبيبى البرىء ...

ما زلت تعيش فى سماء الإنسانية وترقب الحياة على ضوء ذهنك الخلاب راجيا أن تسير عجلة الحياة بأمضى سرعتها لتكون رجلاً مثل من سعد بحظ أبوتك ، فهل تعرف ياصغيرى ما يحمله عقل ذلك الرجل الذى دعوته فى لطف وحلاوة باسم «الجدع» ؟ هل تعرف ياصغيرى أنك بطفولتك النقية الملائكية أعظم منه برجولته المعقدة الآدمية ؟

هل تعرف أنك كما زدت فى أعوام عمرك عاماً نقصت من إدراك حقائق الوجود أعواماً مهما قالوا إنك غنمت ؟ ...

هل تعرف أنك بقلبك الصغير المليء بالحب العف الطهور ، أجل منك بقلبك الكبير المليء بالحب المادى الزاخر بأباطيل الوجود؟

هل تعرف أنك أحب إلى قلب أمك وأبيك من كل حبيب ؟

وغداً عند ما تكبر يحاسبك الوالد بميزان العقل ، ويراك نداً له ، فيحبك إذا أوليته من نفسك قدر ماتطمع إليه عاطفته ، ويمقتك كأى شخص غريب إذا خالفته وخرجت عن تقاليده وأوضاعه ؛ والصلة الروحية الوثيقة التى يقبض على زمامها ملاك الأبوة فى الصغر يتهاون فى شدّها رويداً رويداً لتشعر بأنك فرد لك حريتك وسلطتك وقلبك وعقلك ولا شأن لك بأمك أو أبيك ...

هذه هى مرحلة السعادة الأكيدة التى يقضيها الإنسان فى حياته ...

سعادة الطفل بحب أبويه كاملاً

وسعادة الأهل باستسلام الصغير ...

اليوم لا يحب الطفل غير أبويه ، وغداً يحب ويحب ويحب ، وقد يكون الأهل أول ضحية تقدم على قربان الحب الذاتى

واليوم يحب الوالد طفله، وغداً يتلاشى الفارق بينهما وتؤدى المساواة رسالتها ، وقد يكون الابن أول من يحاربه الوالدان تحت تأثير مخدرات أباطيل الحياة ليقيم لنفسه وزناً فى عالم لا وزن له ...

يا طفلى الحبيب ... تمنيت لو أحفظ لك طفولتك وأدفع الثمن من دمى ، لأحفظ للإنسانية روح الصدق والحب والطمأنينة والسلام ...

اليوم لن تفهم ذلك الأسلوب الذى تعارف عليه الناس وأسموه أدباً لأنك لا تؤمن بغير أسلوب روحك الرمزى النقى ... وغداً عند ما تضلك الحياة وتغريك أضواء الوجود ... تفهم وتدرك

وسوف تقول : ليتنى ظللت طفلاً لأتمتع بحب أبوى الشامل وأحرك المشاعر بأنفاسى العطرة ، وأسيِّر الأقلام بإلهامى ... ليتنى ... ليتنى ...

ولكن هيهات ...

فبعد أعوام ... أسمع عنك وقد أراك ، فأجد الحياة المادية تسيرك ، وألمح روح الحياة العلوى ينسحب فى بطء ، وحسرة ليتقمص كيان وليد جديد ...

أدام الله لك قلبك بعاطفته البريئة النقية ... ولتتصرف الحياة فى كل ما تملك ... عدا قلبك ... عدا قلبك ... لتكون كأبيك تحب لتخلد ...

لما سألتَ والدك: لم مات فرتر؟ أجابك: لأنه أحب وأخفق. فابتسمت ابتسامة عميقة أعمق من فلسفة الوجود لو ارتسمت فى شبه بسمة وقلت : « يعنى لما الواحد يحب واحدة ولا تكونش مراته يموت » ، فضحك وقال : أجل

فهل علم الوالد أنك تفهم أكثر منه وأنك تضلله بسؤالك

آه . . . لو قال لك : إنه مات لأنه جعل الحب غاية ، وكان يريد أن ينتصر فى المعركة ، فلما انخزل وجد الموت مع الكرامة أشرف من الحياة مع المهانة ، لو قال ذلك . . . لارتسمت تلك الحروف فى ذهنك مدى الأعوام ولصرت بطل جيلك . . .

يا صغيرى الحبيب !

إننى أتوسم فيك سمات البطولة

وألمح فى عينيك شعاع المجد المرتقب

وأرى حركاتك بشير الصراع الحيوى الشريف . . .

فعش لأبيك ذكرى خالدة ، ولوطنك شعلة الحب والحق والحرية . . .

جميلة العلايلى

من تاريخنا النسوى

أستاذة الصحابة

للأستاذ سعيد الأفغانى

سلخت سنين فى دراسة السيدة عائشة كنت فيها حيال معجزة لا يجد القلم إلى وصفها سبيلاً . وأخص ما يبهر فيها : علم زاخر كالبحر بعد غور، وتلاطم أمواج، وسعة آفاق، واختلاف ألوان . فما شئت إذ ذاك من تمكن فى فقه أو حديث أو تفسير أو علم بشريعة أو آداب أو شعر أو أخبار أو أنساب أو مفاخر أو طب أو تاريخ . . . فإنك واجد منه ما يروعك عند هذه السيدة ، ولن تقضى عجباً من اضطلاعها بكل أولئك وهى لا تتجاوز الثامنة عشرة

ولست بسبيل بيان ذلك الآن ، وإنما أخبرك أنى وقعت وأنا أنقب فى كنوز المكتبة الظاهرية بدمشق على مجموعة خطية فى آخرها رسالة نفيسة للإمام بدر الدين الزركشى الشافعى المصرى قصرها على موضوع واحد هو : استدراكات السيدة عائشة على الصحابة

* * *

من خصائص المرء ذى الطبيعة العلمية أن يكون طُلَعة كثير السؤال ، لا يهدأ له بال حتى يرضى طمأنينته ويجلو لنفسه كل خفى مما يحيط به . وكانت السيدة عائشة بهذه الصفة ، ساعدها على بلوغ ما بلغت من المعرفة أنها ربيت فى حجر أبى بكر الصديق أعلم الناس بأنساب العرب وأخبار قبائلها وميزات بطونها ، فحازت من ذلك علماً كثيراً . ثم انتقلت إلى بيت الرسول ومهبط الوحى فكانت أقرب الناس من معين العلم ، فغرفت منه ما لم يتيسر لأحد غيرها لمكانها منه كزوجة ، ولما تفردت به من ذكاء نادر وفكر واسع . وكلما عظم حظ الإنسان من المعرفة كثر تطلعه إلى ما فوقه . أما الجاهل فليس بمعنىّ أن يبحث أو أن يسأل ، فإذا أصاب من المعرفة حظاً بطريق العرض كان أبعد الناس عن أن تطلب نفسه مزيداً أو تثير له شكوكاً أو تحدثه بسؤال يسأله

وقد أوردت السيدة على الرسول من الأسئلة فى كل ما مرّ بها من موضوعات : فى الفقه والقرآن والأخبار والمغيبات وأمور الآخرة ، وفيما يعرض له من أحداث وخطوب ، وما يفد عليه من وفود


بسم الله الرحمن الرحيم

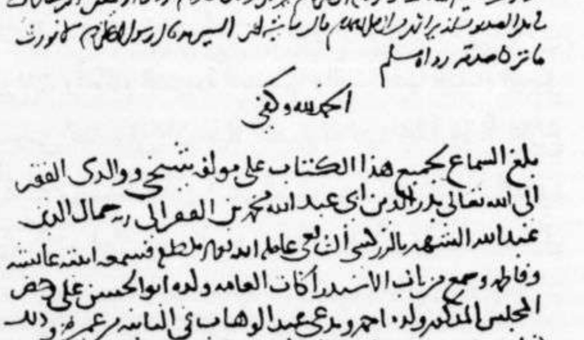
الصفحة الأولى من رسالة الاجابة ، وهى من أثمن ما فى قبة الملك الظاهر بدمشق لأنها مسودة المؤلف بخطه نفسه

وبعد انتقال النبى صلى الله عليه وسلم ، كان علم عائشة قد بلغ ذروة الإحاطة والنضج فى كل ما اتصل بالدين من قرآن وحديث وتفسير وفقه ...

ومع حمل الأصحاب إلى الأمصار طائفة صالحة من الأحاديث والأحكام حتى كانوا ثمة مرجع طلاب العلم ورواة الحديث ، بقيت المدينة – لأسباب أهمها وجود عائشة – دار الحديث ومنبع العلم . فحين يشكل على أهل الأمصار أمر من الأمور ، يكتبون إلى أصحاب رسول الله فى الحجاز يسألونهم عن حكم الله فيه ، فكان هؤلاء إذا فاتهم علم شىء رجعوا إلى علماء بينهم اشتهروا بحمل العلم وفقهه كعبد الله بن عمر وأبى هريرة وعبد الله بن عمرو وعروة وابن الزبير ... تروى عنهم الأحاديث وتنشر الأحكام حتى صاروا مقصد الرواد . ومقام السيدة بينهم مقام الأستاذ من تلاميذه ، فكان عمر بن الخطاب يحيل عليها كل ما تعلق بأحكام النساء أو بأحوال النبى البيتية ، لا يضارعها فى هذا الاختصاص أحد من الرجال ولا النساء

ويصل إلى مسمع السيدة عن أولئك العلماء روايات وأحكام على غير وجهها ، فتصحح لهم ما أخطؤوا فيه أو خفى عليهم ، حتى عرف ذلك عنها ، فصار من شك فى رواية أتى عائشة سائلاً ، وإن كان بعيداً كتب إليها يسألها . ومن هنا طار لها ذلك الصيت فى التمكن من العلم ، ورجع إلى قولها كبار الصحابة كأبيها أبى بكر وعمر وابنه وأبى هريرة وابن عباس وابن الزبير ... وصار معاوية فى خلافته يكتب إليها سائلاً عن حكم أو حديث أو شىء من فعل النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يطمئن إلى يقين مما يسمع من غيرها حتى يرد عليه جوابها فيبرد صدره[1] .

وستجد أن خطأ الصحابة كثيراً ما يرجع إلى أنهم حضروا آخر الحديث وفاتهم أوله ، وسترى فى كل ما تستدرك : صحة النظر وصواب النقد وحضور الذهن وجودة النقاش . وأغلب الأسباب فى تخبط الروايات أن الرواة يستنبطون الحكم من الجملة التى حضروها . وكثيراً ما يكون الرسول ذكرها فى معرض حكاية أو إنكار ، وترى ذلك فى مرويات أبى هريرة خاصة .


الحمد لله وكفى

الصفحة الأخيرة من رسالة الاجابة ، وفيها سماع ولده عليه وسائر أسرته

وكما استدركت على أبى هريرة ضياع أول الكلام عليه أو آخره ، استدركت على كثيرين فهمهم لحديث ، أو خطأ استنباط حكم من آية ، أو ضلالاً فى معرفة أسباب النزول ، أو اجتهاداً فيه مشقة على الناس ، وكان الناس يقعون منها فى كل ذلك على علم غزير وفهم حصيف ورأى صائب ، ولا غرو فقد

(١) انظر مسند أحمد ج ٦ ص ٨٧

العالم يتطلع الى حدودنا المصرية

أربعــون يوما في الصحراء الغربية

للأستاذ عبد الله حبيب

– ١ –

في هذه الأيام يتجاوب البرق في أنحاء العالم بذكر حدود مصر الغربية وتتطلع الدول إلى ما يجرى في هذه الحدود من التحصين والاستعداد وتحرك الجيوش من الجانبين : المصرى والايطالى . وقد ارتحل المحرر إلى هذه الأنحاء النائية فقضى بها أربعين يوما ، وهو في هذه المقالات يصف مشاهد الصحراء الطريفة ويتحدث إلى القراء بأنفع المعلومات في أسلوب سهل موجز

سحر الصحراء

في مثل هذه الأيام من العام الماضى كان الربيع قد أطل على الوجود بوجهه المزدهر الباسم – وفى الربيع تتجاوب الذكريات – فذكرت فيما ذكرت رحلتى الأولى إلى الصحراء الشرقية ، وتمثل في خاطرى سحر الصحراء وما يلقى المرتحل إليها من عناء هو أحب إلى النفس من الراحة والدعة والاطمئنان

ذكرت رحلتى تلك إلى صحراء سيناء فتطلعت نفسى إلى رحلة ثانية أرتحلها إلى الصحراء الغربية

ومحافظ الصحراء الغربيــة صديق قديم ، وهو من رجال السيف والقلم يمجد الأدب ويحب الأدباء ... فلتكن رحلتى الثانية إليه . وفى رحابه ومعونته سأجوب الصحراء وأرتاد نجوعها وأنزل على قبائلها ، وأشرف على هضابها ، وأهبط إلى وديانها ، وأقطع شعابها ومفاوزها

هتف بي سحر الصحراء ودعانى فلبيت ...

ولقد كان للعرب من قبل – كالمقريزى والمسعودى واليعقوبى وأبى الفداء وغيرهم – شرف السبق في ارتياد الصحارى واجتياز مجاهلها مستهدفين لأخطارها في وقت لم يعرف عنها غيرهم إلا النذر اليسير ؛ وكانت هــذه الصحارى – ولا تزال – سراً مجهولاً مهما قال عنها العارفون .

وفى رمال الصحراء المنبسطة ، وهدوئها الشامل ، وعظمة جبالها الشامخة ، وفى صفاء سمائها ، وجلال نورها ، وفى لياليها الساحرة ؛ في هذا ، وفى أروع من هذا ما يخلب لب روادها ، ويجذبهم إلى ارتيادها ، وفيه ما يغرى النفس بالتغلب على وعورة طبيعتها ليشعر بعد ذلك بلذة الانتصار والغلبة .

أما ساكنو هذه الصحارى من البدو ، وما فطروا عليه من بساطة العيش فإنك تدرك حين تخالطهم سر عظمتهم وبعد نظرهم وبساطة حكمهم ، وسلامة شرائعهم ومعرفتهم للنجوم ، واتجاهاتها وهبوب الرياح وعلاماتها وأوقاتها ، وتدرك على الجملة سر سيادتهم على هذه الصحارى وجملهم أدلتها .

وفى هذا المقال سأتحدث إلى القراء في كلمات وجيزة عن المعلومات التى يجب على كل مصرى معرفتها في وقت يهتم العالم فيه بهذه البقاع التى تقع في داخل حدودنا المصرية .

لغة البدو ودياناتهم ومعارفهم

يتكلم البدو بلهجة عربية تختلف عن اللهجة الفصيحة اختلافا بسيطاً ، ومن السهل أن يتفهمها سكان المدن . وهم يكثرون

كانت السيدة عائشة الملجأ الأخير الذى ترفع إليه مسائل الخلاف والروايات وأحكام الشريعة لتمحيصها والقضاء فيها القضاء الفصل

ومن هنا توقن أن حياة السيدة قد بنت مجداً باذخاً لتاريخ المرأة العلمى في الإسلام ، بل إن عبقريتها وحدها كفيلة بملء تاريخ كامل ، فلست أعلم في عبقريات الرجال والنساء ما يدانى مكانة السيدة. وما أجدر سيداتنا – ونحن في مطلع بعث ونهضة – أن يصلن حلقات هذا التاريخ الذى بدأته امرأة منهن في صدر الإسلام ، فتتلمذ عليها مشيخة المهاجرين والأنصار من كل حبر وعالم وفقيه وقارئ وراوية ، وعنها وحدها نقل ربع الشريعة كما قال الحاكم في المستدرك ، وليس هذا بكثير على من غبرت نحواً من خمسين عاماً بعد وفاة الرسول تنشر سنته وتفتى وتحدث وتستدرك ، حتى كونت لنفسها مدرسة من أقوى مدارس الحديث والفقه والتفسير وأوسعها (١)

« دمشق » سعيد الأفغانى

---

(١) من مقدمة (الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة) للامام الزركشى ، وستصدر أول الشهر القادم محققة حافلة بالتعاليق والفهارس . تطلب من المكتبة الهاشمية بدمشق ومكتبة البابى الحلبى بالقاهرة

فى كلامهم من ضرب الأمثال . أما ديانتهم فهى الإسلام . لكن القليل منهم من يعرف قواعده . وأكثرهم أميون لا يقرأون ولا يكتبون، ولكنهم يعبرون عن العدد بأصابع اليد، ويعرفون فصول السنة والجهات الأربع ، ويجعلون مواعيدهم طلعة الهلال أو طلعة القمر .

لهم رشاقة القد ، وخفة الحركة ، وجمال العيون ، وذكاء النظرة ، وسمرة اللون ، وقلة شعر العارضين ، ودقة الأنف ، ولنسائهم ولع شديد بوشم الشفاه ، وهو عندهن آية الجمال

تقوم زراعتهم على الأمطار إلا فى بعض الواحات وحول الينابيع والآبار، وهم يزرعون الشعير والأذرة والبطيخ والقمح أحياناً، ويصنعون البيوت من شعر الإبل والغنم وكذلك يصنعون منها ملابسهم وخيامهم، ويعتنون بتربية الإبل والخيل والغنم ويستولدونها ويتجرون بها كما يتجرون بالبلح والعجوة وهو محصول النخيل

يسكن البدو خياماً من الشعر يحيكها نساؤهم ويقيمونها على شكل ظهر الثور جاعلين أبوابها نحو الشرق . ويلبس البدوى قميصاً قصيراً فوقه آخر أطول ثم يلبسون فوق ذلك عباءة ، وذلك لباس متوسطى الحال منهم ، أما الطعام فالشعير والأذرة والقمح والأرز والبلح وما يمزج من الحليب والسمن والدقيق ، وهم يحبون أكل اللحم حباً مفرطاً ، وقلما يأكلون الأسماك

اشتهر البدو بحب الفضيلة والضيافة والكرم والغزو والنجدة والأخذ بالثأر والشجاعة وعزة النفس والشورى ، لكن فقرهم يفقدهم كثيراً من هذه الأخلاق ، ويحمل أكثرهم السيوف وهى محدبة وتتحلى أغمادها بالفضة ، ويحمل بعضهم البنادق من الطراز القديم ، ويحمل رعاة الإبل « الدبوس » وهو عصا قصيرة فى رأسها كتلة ، أما حليهم فهى العقود من الخرز والفضة ويلبسون خواتم ضخمة من الفضة والقصدير

أما خرافاتهم فكثيرة ، وهم يعتقدون فى الإصابة بالعين ويعلقون الخرز فى رقابهم ورقاب حيواناتهم منعاً للحسد . وليس عندهم من آلات الموسيقى غير الربابة والصفارة والقرون «الزمارة»؛ وهم يغنون الشعر ، وغناء الرقص عندهم يقال له « الدحية » والسامر ، أما الدحية فهى أن يقف المغنون صفاً واحداً وبينهم



(مع زعماء العشائر : المحرر فى ثياب البدو بين الأعراب)

شاعر يرتجل الغناء، وأمامهم غادة ترقص بالسيف وهم يرقصون ويرددون ويهزون رؤوسهم يميناً وشمالاً بشكل منتظم . وأما السامر فهو تقريباً مثل الدحية فلا يختلف إلا فى أن يقف الرجال على صفين متقابلين وأمام كل صف حسناء ومعها سيف للرقص به .

أما القضاء عندهم فموكول إلى قضاة من خواص رجالهم يحكمون بينهم بالعرف والعادة على أوضاع عديدة ، وأما محاكمهم فعلى درجات ثلاث ، وأحكامهم وشرائعهم لا يمكن حصرها فى هذه السطور ، فلكل جريمة شريعة خاصة، وتسمى هذه الشرائع بروابط القبائل ومنها شريعة القتل وشريعة الجروح وشريعة النساء وشريعة الإبل

(يتبع) عبد الله

استطلاع صحفى

الأندية الأدبية في مصر

كازينو باب الخلق

لمندوب الرسالة

باب الخلق أو باب الخرق كما يسمى فى الخطط القديمة ، ميدان يقع من القاهرة فى الصميم ، وكأن الحكومة رأت فيه هذا المعنى . فأقامت به دار المحافظة لتكون فى الوسط لكل مواقع المدينة يخترق شارع محمد على ، وهو مجاز المواكب الرسمية والعسكرية بين القلعة والعتبة، والقلعة والعباسية، والقلعة وعابدين. ويمر به الطريق الواصل بين الحسين والسيدة والإمام ، فما تكاد تنقطع منه جموع القرويين الذين جاؤوا إلى مصر يوفون بالنذر لأهل البيت ، ويستعطفون الأسياد بالنظرة . وفيه تقوم دار الكتب المصرية وهى كعبة يحج إليها طلاب الثقافة والمعرفة من أبناء الأزهر ، وشباب الجامعة ، وتلاميذ المدارس ، ومن فى نفسهم الرغبة فى الأدب والعلم من مختلف الهيئات وشتى الجهات ...

وكأن وجود دار الكتب فى هذا الحى هو الذى صبغه من قديم بالصبغة الأدبية ، وجعله مهوى كثير من الشعراء والأدباء والصحافيين ، وكم لهم فى هذا الحى من سهرات عامرة ، ومجالس حافلة ، وذكريات كلها البهاء والرواء ، والأدب والشعر ، والمضاحيك الحلوة الخالدة ، وناهيك بمضاحيك حافظ ونسيم وإمام العبد وصاحب « الصاعقة » ومنشئ « الحمارة » وإخوانهم من الذين ذهبوا فى الذاهبين ، أو تخلفوا إلى حين !

فى هذا الميدان الأدبى العامر ، وفى المثلث الحادث من تقاطع شارع محمد على بدرب الجماميز وأمام جامع الحين الذى لا أعرف إلا اسمه ، يقع كازينو باب الخلق . ولهذا الكازينو تاريخ قديم ، وذكرى غابرة ، فكل ما فيه من مظاهر الأبهة ، فهو طريف مستحدث ، قضى به العصر ، وتطور به الزمن ، عن أصل كان هو المظهر السائد فى مصر القديمة !

كان هذا الكازينو من قبل يسمى « قهوة باب الخلق » وكانت هذه القهوة بين غسق القرن الغابر، وغلس القرن الحاضر، ندياً من أندية الأدب فى مصر ، على ما يحكى الصحافى المجون ، فكان يجلس فيها الشيخ أحمد مفتاح ، والشيخ محمد المهدى ، والشيخ الحملاوى ، ومحمود بك أبو النصر ، وحفنى بك ناصف ، والشيخ محمد الخضرى ، تحيط بهم نخبة من طلاب الأزهر ومدرسة المعلمين الناصرية — أى دار العلوم — فيأخذون فى أمشاج من أحاديث الأدب واللغة والدين والسياسة فى بعض الأحايين .



ثم فعلت الأيام ما فعلت وقامت دولة مكان دولة واحتل القهوة الشيخ محمود حسن زناتى، والشيخ طه حسين، والشيخ أحمد حسن الزيات، والشيخ ابرهيم مصطفى ، ومن على شاكلتهم من تلاميذ المرصفى والمهدى والشنقيطى ممن تمردوا على حواشى الأزهر ومتونه وهوامشه ، فلما شب عمرو عن الطوق انصرف كل إلى شأنه فى الحياة وقد بقى فى نفسه شىء من تلك الحياة . أما الدكتور طه فسخر بماضيه وتمرد على إخوانه وراح ينعتهم « بأدباء باب الخلق » زراية عليهم وغضاً من شأنهم . وأما صديقنا الشيخ محمود زناتى فما زال يذكر تلك الأيام بالخير ، وما زال يتشهى شطير الجبن والعجوة الذى طالما تناوله من يد عم أحمد — هو وصاحبه طه — فى ذلك المكان . وأما أستاذنا الزيات فإذا ما سألته الخبر فى ذلك نظر إليك ساهما وهو يقول : تلك أمة قد خلت ، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم . صحيح صحيح ! لقد كان ما كان !

ثم كان بين الغابر والحاضر فترة من الزمن للتمول والتمور ، فقد وفد على مصر وافد الرقى والحضارة ، وقامت فى رؤوس القوم النية فى تنسيق القاهرة وتجميلها ، وكان لا بد لباب الخلق من

أن يتسع فناؤه ويعلو شراعه وأن يصير إلى نظام أنيق يلائم روح العصر ، وكان لا بد أيضاً لقهوة باب الخلق أن تتطور وتتحور وأن تلبس لباس الجديد ، فأصبح اسمها الكازينو بدل القهوة ، وصار بناؤها من الزجاج الشفاف وقد كان قبل من حجر المقطم ، وغدت وهى فى عصمة شاب مصرى ناهض من صميم الريف وقد كان يقوم عليها تركى من الذين ابتلى الله بهم مصر حيناً من الدهر

واليوم يقوم الكازينو فى باب الخلق نادياً أدبياً يقصده كثير من الأدباء والشعراء ورجال الصحافة والفن ، فتجد السيد حسن القاياتى يهبط عليه فى الفينة بعد الفينة ؛ وإذ يجلس السيد القاياتى فإنما يحفل مجلسه بالأدب والشعر والرواية والتاريخ والمواليا والزجل ، وما ينفض المجلس إلا وقد تحمل الشيخ لحسابه ما ينوء به جيب الأديب . ولكن الله قد بارك فى جيب الشيخ

وبين الحين والحين يعرج على الكازينو صديقنا الأستاذ الشاعر أحمد الزين وهو عائد من عمله فى دار الكتب ، فإذا وجد موضعاً للحديث تحدث كعادته حديثاً شاملاً يتناول كل الأدباء والشعراء فى مصر ، وإلا أخذ فنجاناً من القهوة وانصرف فى صمت رهيب !

وفى ركن من الكازينو يجلس الأستاذ إسماعيل صبرى الشاعر ومؤلف الأغانى لشركتى أوديون وبيضافون ، فيظل فى مجلسه طول النهار وبعضاً من الليل منفرداً كأنه يستوحى شيطانه ويستلهم وجدانه . وفى ركن مقابل يجلس صديقنا الشيخ رفعت فتح الله فى جمع من إخوانه يحقق رأياً لسيبويه ، أو يحدثهم فيما كان بينه وبين الرافعى من مناظرة ، على كركرة النارجيلة ولعب الشطرنج

ولما مات الهراوى رحمه الله ، انفضّ سامره فى الحلمية ، ولم يتحمل إخوانه الجلوس حيث كان يجلس ، فجاء بعضهم إلى إلى الكازينو ، فتجد الأستاذ مرتضى الخطاط يجلس ساهماً شارداً كأنه فى غمرة من ذكر صاحبه

ويستبد بصدر الكازينو طائفة من شباب الأدب وفتيان العصر الذين أصيبوا بدائه وانطبعوا على غراره ، وما داؤهم إلا كما وصف ألفرد ده موسيه فى اعترافاته ، فهم ينطلقون على سجيتهم ، ويستقبلون الحياة بروح يقظة طليقة متمردة على كل القوانين والحواجز ، وبهذه الروح الحرة يشدون الأدب ، وينظمون الشعر ، ويأخذون فى النقد ، وإنهم لفى ثورة دائمة على الأدباء فى مصر وفى الأقطار العربية ، ولقد ينقلبون بالثورة على أنفسهم ، كالنار تأكل نفسها إذا لم تجد ما تأكله ، ولكنهم يخلصون من هذا كله بالمرح والضحك والمزاح الصريح

تجد فى هذه الحلقة من الشباب ، شاعر الفنون والإذاعة أحمد فتحى ، وشاعر البؤس والشقاء المهدى مصطفى ، والشاعر البوهيمى طاهر أبو فاشا ، والشاعر النحوى الفقيه حسن جاد ، وشاعر البيت الأباظى أحمد عبد المجيد الغزالى ، والشاعر المقل أحمد مخيمر والأستاذ أحمد حمدى المحرر بالبلاغ والشيخ طه افندى حراز محرر مجلتى الراديو والبعكوكه ، والرفيقان عبد العليم عيسى والسعيد علوش ؛ يجلس هؤلاء فى حشد من إخوانهم وأضرابهم من طلاب كلية اللغة العربية والجامعة ودار العلوم ، فينفض كل منهم ما فى جعبته ، ويتقدم بآخر ما أحدث فى الأدب والشعر ، وما من يوم يمضى إلا ولهم حدث فى الأدب والشعر ...

يعجبنى فى هؤلاء الفتيان ذوق دقيق ، وتقدير صحيح ، ونظر صائب فى الحكم على الآثار الأدبية ، ووضع الأشخاص فى مراتبهم اللائقة بهم ، فلا يجوز عليهم الزيف ، ولا تخدعهم الألقاب ، ولا تغرهم الأسماء ، بل إنهم لينظرون ، ويتدبرون ، فكثير من أعلام الأدب فى مصر ليسوا فى رأيهم بشىء ، ولكل فيما يحاول مذهب !

لهم شغف بالاطلاع ، فما يخرج كتاب من المطبعة حتى يكون فى أيديهم ، يقرأونه ويقدرون له قيمته ، وما أعرف بحثاً أوقصيداً نشر فى صحيفة أو مجلة قد فاتهم الاطلاع عليه ، والنظر فيه ، فإذا لم يعجبهم كان بينهم مادة للهزء والضحك والمعارضة بالمثل !

ولهم غرام بترتيب المقالب ، ولكنها المقالب الأدبية ، كأن ينحلوا واحداً منهم قصيدة على صفحات الجرائد ، أو يسرقوا أشعار بعضهم المطوية ثم ينشروها بأسماء غيرمعروفة ، أو يوقعوا بين أديب وأديب فينشروا لأحدهما نقداً صارماً للآخر ، ولهم فى إبريل كثير من الأكاذيب ، ولكنها من الكذب الأدبى المقبول . ولقد كان كذبهم فى هذا العام من النوع الطريف

العجيب ، علموا بأن فلانا الأديب قد أهدى إليه الشاعر إلياس أبو شبكة نسخة من ديوانه ، وما رأى أحدهما الآخر قط ، فراح هذا الأديب يفضل أبا شبكة على سائر الشعراء ، فتخيروا واحداً منهم يجيد حكاية اللغة السورية ، واتصلوا بذلك الأديب فى بيته ، وأخبروه بأن أبا شبكة قد حضر إلى مصر ، وأنه يرغب فى زيارته لحدد لهم الموعد على لهفة ، وذهبوا إليه وكان ما كان من الإجلال والإكبار والاحترام ، وخرج القوم على موعد بالغداء فى يوم آخر ... ولكنهم وقفوا فى المسخرة عند هذا الحد

حتى أساليبهم فى الدعابة إنما هى أساليب أدبية ، كأن يقيموا لواحد منهم حفلة هجاء ، أو حفلة رثاء . وآخر ما حضرت لهم من ذلك « حفلة تكريم من غير مناسبة » للشاعر المهدى مصطفى . وقد اشترك فيها جميع إخوانه وأصدقائه ، وقام بتقديم الخطباء والشعراء الأديب الشاعر سيد قطب ، وقد استطاعوا أن يوفوا صاحبهم حقه من التكريم ، أو قل من التهليس . وقام هو أيضاً يرد صنيعهم بمطولة يقول فيها على طريقتهم :

يا قلب كالقبقاب حيرك الجما ... ل فتارة تدعى وأخرى تزجر
صبحاً برجل فهيمة ، وعشية ... فى رجل سلمى والزمان تجرجر

إلى أن يقول لأصحابه :

أومكرمىَّ ؟ فشرتموا ! الله يكـ(م) رمنى ويعرف قيمتى ويقدر
ليست قصائدكم بمغنية الأد(م) ب عن الفلوس إذا الجيوب تصفر
فتعلموا صوغ القروش فإنها ... تذر الكفيف مفتحاً فتصوروا

* * *

لقد كان ابن أبى ربيعة قائماً بالحجر يصلى بعد أن نسك ، فمر به فتيان جميلان ، فلما فرغ من صلاته أدركهما ثم قال لهما : يا ابنى أخى ، لقد كنت موكلاً بالجمال أتبعه ؛ وقد رأيتكما فراقنى جمالكما ، فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه .

فيا إخوانى فى باب الخلق : إن البقاء فى هذه الدنيا قليل ، والدهر يعدل تارة ويميل . فخذوا طريقكم ، وامضوا فى سبيلكم ، واستمتعوا بشبابكم قبل أن تندموا عليه .

(م . ف . ع)

المرأة فى حياة الأديب

(بقية المنشور على صفحة ٨٥٠)

يقوى عواطفه المختلفة من حب وبغض الخ بالإيحاء وإن كان هو لا يشعر بذلك ولا يفطن إليه

فإذا كان لا بد من امرأة فى حياة الأديب فهذه امرأة ، أفلا تكفى الأستاذ الحكيم ؟ . ولست بعد هذا « عدواً للمرأة » كالأستاذ توفيق إذا صح هذا عنه ، ولم يكن أكثر من إعلان على الطريقة الأمريكية ـ معذرة يا صاحبى ـ وأنا أنشدها أبداً ولا أرى الحياة تطيب ، أو يكون لها معنى إلا بها ، ولكنى لا أطمع فى الحب المستغرق الآخذ بالكلّيتين ، لأنه لا قدرة لى على ذلك ، ولأنى أشد اعتزازاً بحريتى وحرصاً على استقلال شخصيتى من أن أسمح بأن تتسرب نفسى فى نفس أخرى أو تفنى فيها أو تجعلها محور وجودها . ولكل امرىء مناطباعه وفطرته ، وأنا فى طباعى هذا التمرد الساكن الذى ليس فيه ضجة ، وتغليق الأبواب التى تجىء منها الريح لأستريح . ثم إنه لا يعنينى أن تكون فى حياتى امرأة أو سواها لأكون أديباً على ما يحب الأستاذ توفيق ، وأنا قانع بنفسى ، جداً . ولست بعد ذلك بأديب وإنما أنا رجل صناعته القلم ، وقد قلت مرات - وأكرر الآن - إنى كالنجار الذى فتح دكانا وعرض فيه بضاعة له مما صنع فذاك رزقه يكسبه بهذه الوسيلة ، وكهذا النجار تجد عندى الخشب الجيد المتين ، والصنعة الدقيقة والخشب الأبيض والقشرة والصقل المغنى عن النفاسة حسب الطلب وتبعاً لحالة السوق ومبلغ استعداد الزبائن للبذل . فضعنى بالله حيث أضع نفسى واكفنى شر هذه الفلسفات ، وإليك التحية وعليك السلام .

ابرهيم عبد القادر المازنى

خــــلود الأمومة

« مهداة إلى الأستاذ أحمد حسن الزيات »

للكاتبة الفاضلة « وفيقة »



لست أدرى لماذا أثرت فى نفسى أيما تأثير هذه الصورة التى فى أعلى هـذه الصفحة ! منذ رأيتها وأنا أحاول التغاضى عن هذا التأثر الشديد بها؛ ولـكننى لم أفلح. وكلما هممت بقراءة كتاب أو كتابة مقال ، شتت انتباهى ذلك المنظر ، وأخيراً لم أر بُداً من الكتابة عن الصورة ذاتها .

إن كل أمر مهما كان طفيفاً يؤثر تأثيراً عظيماً فى حياة البشر وأخلاقهم .

قال وست West المصور : « إن قبلة واحدة من أمى جعلتنى مصوراً » .

وكتب فول بكستن Buxton إلى أمه بعد أن نال منصباً عالياً يقول : « إننى أشعر على الدوام بنتاج البادىء التى غرستها فى عقلى » .

ووقفة جلالة الملكة نازلى فى هذه الصورة بين كبرى بناتها وصغراهن : صاحبة السمو الإمبراطورى الأميرة فوزية ، وسمو الأميرة فتحية ، وقفة الأم الرءوم العطوف .

أنظر إلى سمات الحنو الأموى على محياها ، وإلى التأثر البادى على قسماتها ! !

لعمرى أيتها الأم الكريمة ، ماذا يكون جواب سمو الأميرة فوزية لو سئلت عن أثر هذا الحنو الدافق من كفك إلى كفها فى أرهب لحظة تفارقان فيها أرض الوطن العزيز ، وعن مبلغ أمومتك الكريمة فى حياتها وتكوينها ؟ !

سيكون جوابها دون تردد كما قال لورد لنديل ، عندما فطن إلى قدوة أمه الصالحة : « إذا وضع العالم بأمره فى كفة ميزان وأمى فى الكفة الأخرى رجحت عليه رجحاناً عظيماً » .

إنها تستمد من جلالتك القوة والشجاعة التى تستعين بهما على حياتها المستقبلة... ولست بهذين ضنينة ولا متكلفة . فاغتبطى يا سمو الأميرة ، واهنئى بأمك الجليلة .

إن كل أم قوية كالطود ، صابرة كالزمن ، وادعة كالزهر ... إلا فيما يمس أولادها من قريب أو بعيد ، فهى إذن الرعد المدوّى ، والفزع الثائر ، والقدر الذى لا يرحم . فالأولاد ثمرتها فى الحياة ، وبهم خلود الحياة ؛ وهم رأس مال آمالها ، ومعين سعادتها ، ومعقد رجائها على الدوام .

يالله ! إنى لا أحتمل النظر إلى يمناها التى تحوط الأميرة الصغيرة؛ ولا أستطيع أن أنظر إلى عينيها المسبلتين فراراً من مجابهة الواقع ... مبارحة وطن إلى حين ، ثم فراق ابنة عزيزة بعد حين ، تسلمها طائعة نزولاً على سنة الله ورسوله ، وانصياعاً لما هيأته الأقدار !

يا أيتها الأم العظيمة والملكة الكريمة ، إن صبر الملوك ملك الصبر ، وإن حنوك حنو غامر فى رقة سجايا ودماثة خلق ؛ وإذن فرحة قلبك تفيض على عالم بأسره فيطمئن

أيتها الأمهات ... أمام أعينكن نموذج الأم الصالحة المدبرة الشجاعة ، فاقتدين بجلالتها ، فإن مصر والشرق فى حاجة قصوى إلى الأمهات اليقظات الحكيمات .

والأم الصالحة المهذبة قوام الأسرة الكريمة الناجحة ، وما الوطن إلا مجموع أسرات ، ونعم وطنا تكون هذه حال أسراته

(وفيقة)

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح
وأن يحدد له مكانة بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



وذهب الضباط على رأس من أخرجوهم إلى الخديو يسمعونه شكواهم ، وكان بعض أعوان الخديو يشيرون عليه بأخذهم بالشدة ومعاملتهم معاملة الثائرين ولو أدى الأمر إلى إطلاق النار عليهم ، وقال البعض إن من العبث أن تلجأ الحكومة إلى البطش وليس لديها وسائله ، فالفرق جميعاً تؤيد عرابياً ومن معه ، والرأى أن يسلك الخديو معهم جانب اللين فيطفئ بذلك نار الفتنة

وتغلبت الحكمة على الطيش ووضع اللين في موضع البطش ، فأوفد الخديو إلى الضباط الثلاثة ومن ظاهرهم من الجند تحت نوافذ قصره يخبرهم بإجابة مطلبهم الأول فقد عزل رفقى ، وطلب إليهم أن يختاروا من يحل محله حتى لا يعودوا إلى الشكوى ، فوقع اختيارهم على محمود باشا البارودى ؛ ووعد الخديو بالنظر في بقية مطالبهم والعمل على إنصافهم . وطلب الضباط الإذن على الخديو فمثلوا بين يديه وأعربوا له عن امتنانهم وولائهم لشخصه وإخلاصهم لعرشه ، ثم انصرفوا وانصرف الجند فرحين مستبشرين

وكان على الخديو أن يتدبر الأمر منذ بدايته وينظر ما إذا كان لديه قوة يقمع بها الحركة إن كان لا بد من وضع العنف موضع العدل ؛ فإن عدم القوة كان أمامه أن يلجأ إلى اللين غير مكره ولا مغلوب على أمره ... ولكنه تصرف في الأمر على نحو ما رأينا فأفضى إلى نتائج خطيرة سوف تؤثر أثرها في مجرى الحوادث ، فظفرُ الجند بمطالبهم في عنف وعجز الحكومة عن مقاومتهم قد وضع الخديو وحكومته في موضع الضعف وأحل عرابياً وحزبه محل التوثب والتطلع وجعلهم مناط الرجاء والأمل . هذا إلى ما تركه هذا الحادث من سخيمة في نفس الخديو يصعب بعدها كل تفاهم ويلبس فيها كل حق بالباطل ؛ ثم من حذر وريبة في نفوس الجند يلقيان على كل حركة من حركات الحكومة شبح الغدر ويلبسان كل عمل من أعمالها ثوب الرياء

على أن ما يعنينا فيما نحن بصدده أن هذا الحادث قد أدى إلى ذيوع صيت عرابي على نحو لم يسبق لفلاح غيره في مصر ، فسرعان ما دار اسم ذلك الفلاح على كل لسان في القاهرة وسمع بذلك الاسم الأجانب ومن لم يكن يعرفه من المصريين ؛ ولم يقف الأمر عند القاهرة بل لقد رن هذا الاسم في القرى فأفاق على رنينه الساحر أولئك الأعيان والمشايخ الذين تعودوا منذ القدم أن يخضعوا خضوعاً مطلقاً للترك والجركس ، الذين كانوا ينظرون إلى الفلاحين نظرتهم إلى دوابهم

وعجب أولئك الفلاحون أن يجرؤ رجل منهم على تحدى الخديو والرؤساء الجراكسة ، فتعلقوا بهذا الرجل ولم يروه ، ورغب كثير منهم في رؤيته ، فقدموا إلى القاهرة يحملون إليه الهدايا ويعربون له عن محبتهم وإخلاصهم وإعجابهم بمبادئه التي تدور حول إنصاف الفلاحين في الجيش ، وراح هو يخطب فيهم شاكراً مطمئناً

وليت شعرى ماذا تكون الزعامة إذا لم تكن هذه زعامة ؟

ألسنا نرى الآن فى عرابى شخصيتين : شخصية الضابط الذى يسير فى مطالب الجيش على رأس الجند ، ثم شخصية الفلاح الزعيم الذى بدأ الفلاحون به يرفعون رؤوسهم وقد خفضوها من قبل أجيالاً طويلة ؟ إنى لألمس فى تلك الصحوة فجر عصر جديد للقومية المصرية ، كان عرابى أول مؤذن أذن به ، ألمس ذلك الفجر الذى سوف يسفر صباحه عما قريب على صيحة فلاح آخر سوف يبرز من القرى كما برز عرابى ، هو سعد بن مصر العظيم مفخرة أجيالها ورأس رجالها

ولئن كان جمال قد أيقظ النافين فى المدن ، نقد بعث عرابى بإقدامه أهل القرى من مراقدهم ، فإن عمله هذا أوحى إليهم أن من الممكن أن يخرج من بينهم من يشمخ برأسه على أولئك الجركس الذين طالما استذلوا فى مصر الرقاب !

ويعنينا كذلك من حادث قصر النيل أمر آخر لا يقل عن ذلك أهمية ، ألا وهو التفات الوطنيين إلى عرابى ، فعنـد هذه النقطة التقت الحركتان الوطنية والعسكرية فتولدت من التقائهما الثورة العرابية فى أصح مظاهرها وأصدقها

رأى الوطنيون ما أصاب رجال الجند من ظفر سريع ، بينما قد لحقهم هم الفشل ، واستطاع توفيق أو بالأحرى استطاع رياض أن يأخذ عليهم مسالك القول والعمل ، فسرعان ما اهتـدوا إلى الطريق الذى يوصلهم إلى أغراضهم فتقربوا إلى عرابى ، فأخذ شريف يراسله ويعقد بينه وبينه أواصر المودة

وحذا حذو شريف زعماء حركة الإصلاح فى الأزهر وزعماء النواب مثل سلطان باشا ذلك الذى كان يمثل الأعيان كذلك بحكم أنه منهم ، واتضح لهؤلاء أنه يجب عليهم أن يستعينوا بهذه القوة الجديدة لإقصاء رياض عن مركزه ، وبعث الدستور الموءود وتحقيق الإصلاح المنشود .

وأصبح منزل عرابى مقصد الكثيرين من الأحرار كما كان موئل رجال الجيش ؛ ولم يكن موقف عرابى فى الحركة الوطنية موقف الأداة كما زين البغى لبعض المؤرخين أن يقولوا ، فلقد كان هو من جانبه من المتمسكين بمبدأ الشورى منذ نشأته ، وإنه ليؤكد فى كل ما كتب أنه قد طالب فى عريضته ، فوق ما طلب ، بإعادة مجلس شورى النواب ، ليكون فيه موئل للمظلومين من الوطنيين فى الجيش وغير الجيش .

وكان البارودى وزير الجهادية الجديد ، من دعاة الدستور ، ومن حزب شريف ، ولذلك كان حلقة الصلة بين الجند وبين الوطنيين ، وكان كثير الاتصال سراً بعرابى بواسطة على الروبى حتى لا تدعو كثرة الصلة به جهراً إلى ريبة رياض وحزب رياض ، وبهذه الوسيلة كان الجند على علم بكل ما تريده الحكومة بهم .

وهكذا أصبح عرابى ملتقى الآمال ، يحرص على الصلة به الوطنيون والجند والفلاحون ؛ ولقد بلغ من ذيوع صيته أن أصبح توفيق يغار منه حتى ما يستطيع أن يخفى تلك الغيرة .

ولو أن توفيقا عرف يومئذ كيف يتخذ سبيله وسط هاتيك الأنواء لجنب البلاد ما كانت مقبلة عليه ولتغير تاريخ مصر الذى كان لا يزال مطوياً فى حجب الغيب ، وما كان للخديو من سبيل يومئذ إلا أن ينضم إلى الحركة الوطنية فتكون البلاد كلها تحت لوائه نوابها وجيشها ، ووجوه البلاد وأهلوها ؛ وفى ذلك دون غيره سلامتها وأمنها

* * *

كانت سياسة توفيق إن كان ثمة له من سياسة عقب حادث قصر النيل أهم العوامل فى تطور الحوادث بعده على النحو الذى سوف نراه؛ فلقد وقف موقفاً أشبه ما يكون بموقف لويس السادس عشر من مجلس طبقات الأمة حين أجاب نواب العامة فيـه إلى ما طلبوا فى مسألة التصويت على القوانين وفى نيته أن يغدر بهم متى حانت الفرصة

أدرك الضباط لا ريب أنه أجابهم إلى ما طلبوا إذ لم يكن له من ذلك بد ، ولذلك أحسوا أنه لا بد متربص بهم فتربصوا هم كذلك به

وكان توفيق من ناحية أخرى يكره رياضاً ويعمل على التخلص منه ؛ لذلك وضع نفسه فى موضع عجيب حقاً ، فبينما هو يكره الضباط ويمقت حركتهم وينتوى المكر بهم إذا به يتخذ منهم أداة للكيد لوزيره بغية إقصائه عن منصبه

وهكذا تشاء الظروف أن يكون رجل كتوفيق هو الذى يحرك دفة الأمور فى مثل ذلك الزمن العاصف ؛ ولم يكن أمامه كما أسلفنا إلا أن يتخذ سبيله إلى الوطنيين فيتخذ من نواب الأمه سنداً له كما فعل أبوه فى أواخر أيامه

ولو أنه فعل ذلك لضعف شأن الحزب العسكرى إذ كان يحس الوطنيون أن لا حاجة بهم إلى معونة الضباط ، ثم كان الضباط أنفسهم يجدون فى وزارة وطنية تحقق رغائبهم ما يطمئن نفوسهم ويكبح فى الوقت نفسه جماحهم بطريقة غير مباشرة

ولـكن توفيقاً لم يلجأ إلى ذلك الحل ، وما نشك أنه كان يفطن إليه ، ولـكنه كان يقتضيه أن ينزل عن سلطانه إلى نواب الأمةوهو ما نشك كل الشك فى أنه كان يستطيع أن يحمل نفسه عليه ، ومن هنا أحدقت به وبمصر الأخطار ، هذا فضلاً عن دسائس الأجانب الذين أحكموا شباكهم من مدة لاقتناص الفريسة الغالية فى هذه الأيام الـكدرة !

وقع حادث قصر النيل فى فبراير عام ١٨٨١ م ؛ وفى أعقاب الحادث مرت على مصر بضعة أشهر ما نظن أنه مر على البلاد فترة مثلها فى كثرة ما حيك فيها من الدسائس على قصر أمدها

سمع الضباط أن أعوان الخديو يغرون بالمال والمناصب بعض رجال الآليات ليكونوا فى الوقت الموعود إلى جانب الخديو ، ونمى إليهم أن رياضاً يفكر فى طرق إجرامية للفتك بهم ، ومن ذلك ما علموه من أنه كان يدبر مشاجرة فى أحد الشوارع يندس فيها من يقتل عرابياً أو من يحضر من زميليه .

ومما يذكره عرابى فى مذكراته أن أحد الغلمان الجركس فى منزل عبد العال بك حلمى ، وهو ابن زوج حرمه المتوفى ، قد وضع له السم فى اللبن بإيعاز غلام جركسى آخر من غلمان الخديو ، ولولا أن تنبهت الخادمة لراح عبد العال ضحية هذا الغدر الأثيم

وكذلك سمع الضباط أن الحـكومة تنوى أن ترسل الآلاى السودانى بقيادة عبد العـال بك إلى السـودان ، بحجة أن القوة الموجودة فيه غير كافية لحفظ النظام . فأحس الضباط من ذلك أن النية متجهة إلى تشتيتهم للقضاء عليهم متفرقين

وأتهم تسعة عشر ضابطاً أحد رؤسائهم بأمور نسبوها إليه أثبت التحقيق بطلانها ، فأبعدتهم الوزارة عن مناصبهم . فبادر الخديو بإعادتهم ، الأمر الذى حنق له زعماء الجيش . إذ رأوا فيه أن الخديو إنما يعضد حركة التمرد فى صفوف صغار الضباط ويستميلهم إليه ضد رؤسائهم .

وترامى إليهم أن الخديو يمرن حرسه فى الاسكندرية على إطلاق النار ، وأنه يشهد ذلك بنفسه وينثر الذهب على الجند متظاهراً بمكافأة المجيدين فى إصابة المرمى ؛ ولن يفسر مثـل هذا العمل فى ظروف كهذه إلا بأنه استعداد من جانب الخديو لما هو مقبل عليه من قمع وبطش .

هذا بينما أرادت الوزارة أن تسخر الجند فى الآليات الأخرى فى حفر الرياح التوفيق ، وكان عليهم أن يسلموا أسلحتهم إلى مخازن الجهادية قبل ذهابهم إلى ذلك العمل ؛ ولقد رفض عرابى الموافقة على ذلك ، وأيده البارودى وزير الجهادية

وأرسل الخديو من الاسكندرية كما يقول عرابى فى مذكراته على فهمى رئيس الحرس إلى زميليه فى القاهرة ليقول لهما إن الخديو رغب فى عزل البارودى لما رأى من ذبذبته وسوء سياسته ، وإن الخديو يعطف على مطالبهم « فهم ثلاثة وهو رابعهم » وإن سموه يطلب ألا يعلم أحد بإيفاد على بك إليهم .

وعزل البارودى فعلاً ، وكان رياض قد أمره أن يبعد عرابياً وعبد العال بفرقتيهما من القاهرة ، فأبى عليه ذلك

وجاء إلى البارودى ، وكان بالقاهرة ، أمر أن يسافر فوراً إلى عزبته .

ولقد كان البارودى على صلة برجال الجيش ينبئهم كما أسلفنا بكل ما تريد الحـكومة بهم ، واتفق معهم أن يكون خروجه من الوزارة علامة اقتراب الخطر .

وحل محل البارودى داود يكن باشا صهر الخديو فما لبث أن لجأ إلى الصرامة فى معاملة رجال الجيش ، فحظر عليهم الاجتماع بالمنازل أو ترك مراكزهم ليلاً أو نهاراً وأنذرهم بأشد العقاب إن خالفوا أوامره ؛ ومع أن عرابيا وأنصاره قد هنأوه بمنصبه ، وطلبوا إليه أن يعمل على إجابة مطالب الجيش التى كان البارودى يسعى فى إجابتها ، فإنه اكتفى بالوعود ولم يفعل شيئاً .

وأحيط بيت عرابى وعبدالعال بالجواسيس ، وجرت الشائعات بالنذر فملأ القاهرة نبأ عجيب وهو أن الخديو قد استصدر فتوى سرية من شيخ الإسلام بقتل عرابى ، وكانت الظروف يومئذ تـساعد على تصديق هذا النبأ الـكاذب أكبر المساعدة .

وطلب رجل مجهول الإذن على عرابى فى منزله فلم يأذن له وشوهد أنه عاد إلى أحد مخافر البوليس ؛ وذهب عرابى إلى منزل زميله فعلم أنه حدث لهما مثل ما حدث له فأيقنوا أن حياتهم قد باتت فى خطر ، وكان ذلك فى ٨ سبتمبر سنة ١٨٨١ م .

لذلك كله عول الضباط على أن يخطوا خطوة حاسمة ، وكانوا على صلة دائمة فى تلك الشهور التى أعقبت حادث قصر النيل برجال الحركة الوطنية « يتبع »

الخفيف

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٩٨ – كأنا له زغب الفراخ يقوتها

ابن فيروز البصير :

وروضة لهو قد جنيت ثمـــارها
بدير العذارى بين روض وأنهار[١]

تخال به وجه الدير وكأسه
هلالاً وشمساً بين أنجم نوّار

يطوف بأبريق مفدّى ، كرامة
علينا ، بأسماع كرام وأبصار

كأنـا له زُغْبُ الفراخ يقوتها
بمثل مُذاب التبر من شطر منقار[٢]

٣٩٩ – لا يسمع ذم صديقه

فى (مرآة المروءات) للثعالبي : جلس أبو نواس إلى نفر من قريش ، فذكروا صديقاً له فعابوه ، فقام أبو نواس فاستجلسوه فقال : ليس من المروءة أن أجالس قوماً يذمون صديقاً لى ، وأنشأ يقول :

لا أعير الدهر سمعى
ليعيبوا لى حبيباً

احفَظِ الإخوان كيما
يحفظوا منك المغيبا

٤٠٠ – شريكك

قال صلاح الدين الصفدى : رأيت الشيخ الإمام الفاضل ركن الدين محمد بن القريبع غير مرة ينكر على من يضرب كلباً أو بهيمة ويقول له بحنق : لأى شىء تفعل به هذا وهو شريكك[٣] فى الحيوانية ؟!

(١) دير العذارى بين سر من رأى وبغداد ، فى موضع حسن ، فيه رواهب عذارى ، وكانت حوله حانات للخمارين وبساتين ومنتزهات ، لا يعدم من دخله جوارى حسان الوجوه والقدود والألحاظ والألفاظ (مسالك الأبصار) وهناك أديار أخر تسمى هذا الاسم راجع معجم البلدان

(٢) الزغب : الفراخ . والزغب بالتحريك ما يعلو ريش الفرخ ، صغار الشعر والريش ولينه (اللسان) زغب القطا : فراخ القطا التى عليها الزغب وهو الشعر اللين (التبريزى شارح الحماسة)

(٣) أبو العلاء :

فيا طائر ، ائمنى وياظبي ، لا تخف
شـــذاى فما بينى وبينـكما فرق

٤٠١ – ولا تصحب الأردا فتردى مع الردى

وُجد على ظهر نسخة من (المفصل) بخط عتيق : سئل ابن ابن الأخضر بمحضر ابن الأبرش : علامَ انتصب قوله : (مقالة إن قد قلت سوف أناله؟). فقال : (ولا تصحب الأردا[١] فتردى مع الردى) . فقال السائل : سألتك عن إعراب كلمة فأجبتنى بشطر بيت . فقال ابن الأبرش : قد أجابك لو كنت تفهم . وهذا الشطر من قول النابغة :

أتانى ـ أبيت اللعن ـ أنك لمتنى
وتلك التى تستك منها المسامع[٢]

مقالة إن قد قلت سوف أناله
وذلك من تلقاء مثلك رائع

يروى (مقالة) بالرفع على أنه بدل من أنك لمتنى الفاعل وبالفتح على ذلك إلا أنه بناه لما أضافه لى مبنى

٤٠٢ – فتوة

فى (مفيد العلوم ومبيد الهموم) لجمال الدين الخوارزمى : كان رجل نيسابورى يدّعى الفتوة ، فاجتاز يوماً بمفرق[٣] الطرق ، فرأى شاباً مريضاً يتأوه ويستغيث ، فتقدم إليه وقال : ما تشتهى ؟ قال : أشتهى رؤية أمى والرجوع إلى وطنى . قال : أين منزلك ؟ قال : ببلخ . فأخذ الرجل بمجامع لحيته ولطم نفسه (وكان اسمه أبا الحسن) ، فقال : يا أبا الحسن ، كنت أظن أنه يشتهى فُقاعاً[٤] ، أو قصعة هريسة . ادعيت الفتوة فهات المعنى . فرجع إلى بيته وباع داره ، واكترى راوية[٥] وحمولة[٦] وآلات وحمل الرجل ، وأوصله إلى منزله .

(١) الأردأ بالهمز وخفف للوزن كصنعه بالردىء ، والأردأ هنا الردىء فقط

(٢) أبيت اللعن : تحية الملوك في الجاهلية أي لا فعلت ما تستوجب به اللعن (الأساس) وفى (أنباء نجباء الأبناء) : وهذا عندي فيه بعد وأظن أنك أبيت أن تلعن قاصدك ووفدك أى تبعده . فى (التاج) : قال شيخنا من أغرب ما قيل وأقبحه أن الهمزة فيه للنداء ، وهو غلط محض ، لأن المعنى ينقلب فيه من المدح إلى الذم

(٣) مفرق : بفتح الراء وكسرها

(٤) الفقاع : هذا الذى يشرب (الجوهرى) شراب يتخذ من الشعير (اللسان)

(٥) راوية : بغلا ، والراوية المزادة فيها الماء والبعير والحمار الذى يستقى عليه

(٦) الحمولة : كل ما احتمل عليه القوم من بعير وحمار ونحوه

٣٠٣ — الفتوة

فى (الذخائر) للأشبيلى : سمع بعض السلف بعض الفتيان يقول : الفتوة إنما هى الظرف والانهماك والمجون . فقال له : ويحك ! يا بنى ، حدت (والله) عن طريق الحق ، وجرت عن القصد . والله ما الفتوة[1] إلا مال مبذول ، وبشر مقبول ، وطعام موضوع ، وأذى مرفوع .

٤٠٤ — ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم

فى (الكشاف) : (ليتفقهوا فى الدين ، ولينذروا قومهم) : ليتكلفوا الفقاهة[2] فيه ، ويتجشموا المشاق فى أخذها وتحصيلها وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم فى التفقه إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الأغراض الخسيسة ، ويؤمونه من المقاصد الركيكة ، من التصدر والترؤس والتبسط[1] فى البلاد ، والتشبه بالظلمة فى ملابسهم ومراكبهم ، ومنافسة بعضهم بعضاً ، وفشوّ داء الضرائر بينهم[2] ، وانقلاب حماليق[3] أحدهم إذا لمح ببصره مدرسة لآخر أو شرذمة جثوا بين يديه ، وتهالكه على أن يكون موطأ العقب[4] دون الناس كلهم

---

(١) فى (تاريخ بغداد) قال عبد الرحمن بن الحسن الصوفى : بلغنى أنه لما أراد أبو حفص النيسابورى الخروج من بغداد شيعه من بها من المشايخ والغلمان ، فلما أرادوا أن يرجعوا قال له بعضهم : دلنا على الفتوة ما هى ؟ فقال : الفتوة تؤخذ استعمالا ، معاملة لا نطقاً . فعجبوا من كلامه

(٢) فقه فقاهة : صار الفقه له سجية . والفقه : العلم ، الفهم ، الفطنة . نزل سلمان على نبطية بالعراق فقال : هل ههنا مكان نظيف أصلى فيه ؟ = فقالت : طهر قلبك وصل حيث شئت . فقال فقهت : فطنت وفهمت . وقد غلب على علم الدين

(١) التبسط التنزه مأخوذ من البساط (بالفتح) الأرض ذات الرياحين (اللسان)

(٢) بينهم داء الضرائر : جمع ضرة وهو جمع غريب ومثله كنة وكنائن ، يضرب للعداوة إذا رسخت بين قوم لأن المصيبة بين الضرائر قائمة لا تكاد تسكن

(٣) الحماليق جمع الحملاق (بالكسر والضم) والحملوق وهو باطن الجفن . فى الأساس : (قلب المجنون عينه إذا غضب فانقلبت حماليقه)

(٤) موطأ العقب : كثير الأتباع (الأساس) والعقب مؤخر القدم

تقهقر نابليون عن روسيا

لفكتور هوجو

[مهداة إلى الدنشى بعد وضع الرمل مكان الثلج]

كانت السماء تُساقِطُ الثلج ؛ وكان الفاتح قد قهره فتحه ، والنسر لأول مرة تطامَن رأسه

يا للأيام العوابس ! لقد تقهقر الإمبراطور وئيد الخطى تاركاً وراءه (موسكو) داخنة تحترق !



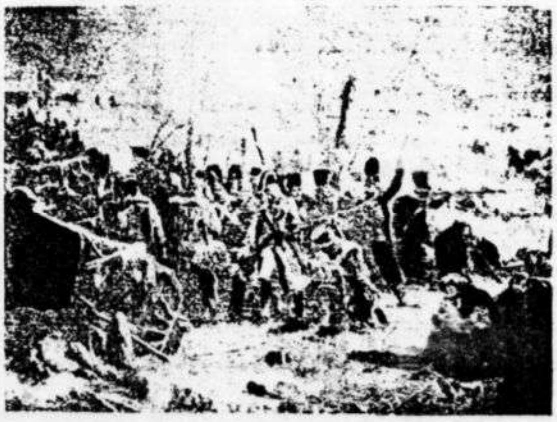
كانت السماء تساقط الثلج ؛ والشتاء القاسى يتدهدى قطعة فقطعة ، والبقاع البيض تتعاقب بقعة فبقعة ، والجيش قد وقع فى غمّاء فلا يُعرف له قائد ولا عَلَم ؛ وكان بالأمس أعظم الجيوش فأصبح اليومَ قطيعاً من النعم ؛ واضطرب الأمر وتشعث النظام فلا يتبين له جناحان ولا قلب

كانت السماء تساقط الثلج ، والجرحى يلوذون ببطون الخيل المبقورة ؛ وتانحو الأبواق على مداخل المعسكرات الليلية المحطمة قد جمّدهم الصقيع، وغشّاهم البَرَدُ ، فظلوا فى أماكنهم واقفين على العتبات ، أو صامتين على السُرُج ، وأفواههم الحجرية قد التصقت بأبواقهم النحاسية ؛ والسماء تندف بالرصاص والقنابل مختلطة بكبب الثلج ؛ وجنود الحرس الإمبراطورى يفجأهم الروع فيمشون مفكرين وقد انعقد رُضابُ الجليد على شواربهم الغُبر

كانت السماء تساقط الثلج ، والريح الصرصر تهب ، والجنود يمشون حفاة على الطوى فى مجاهل الأرض، فلم يعودوا تلك القلوب التى كانت تنبض ، ولا تلك النفوس التى كانت تحارب ، وإنما أضحوا حلماً يهيم فى الضباب، وسراً يجول فى الظلام، وموكباً من الأشباح يضرب فى الأجواء القاتمة ؛ وكانت الوحدة الشاملة المروعة تبدو فى كل مكان صامتة منتقمة ، والسماء الساكنة تجعل من طباقها ومن ركام الثلج كفناً عظيماً لهذا الجيش العظيم . وكان كل جندى يحس فى نفسه دبيب الموت فى وحدة ووحشة

هل يتيح لهم القدر أن يخرجوا من هذه الأرض المشئومة ؟ لقد كانوا أمام عدوين: القيصر وريح الشمال ، والشمال كانت عليهم أشد . كانوا يلقون المدافع ويشعلون النار فى خشبها ليستدفئوا ؛ وكان كل من رقد منهم لا يصحو من رقاده ؛ وكانوا يفرون شراذم فى وجوه الضلال والهم فتتخطفهم المنايا وتبتلعهم الصحراء، فلو نظرت من صدعات الجليد لرأيت كتائبهم تحت أطباقه راقدة

يا لَسقطة هنيبال وعُقبى أتيلا : لقد كان المهزومون والجرحى والموتى وصناديق الذخيرة وناقلات المرضى يتساحقون على الجسور ليعبروا الأنهر ؛ وكان الجند ينامون عشرة آلاف فيستيقظون مائة ؛ و (نى) الذى كان يتبعه جيش من قبل ، فر الآن بعد أن نازع ثلاثة من القوزاق ساعته



كانت الهتفات لا تنفك طول الليل تشق الآذان : من هذا ! هيا ! هجمة : حملة ! فيتناول هؤلاء الأشباح بنادقهم فيرون أن قد هجمت عليهم كتائب من الخيّالة الفظاع ، وزوابع من الرجّالة الشقر ، لهم صور كصور الهُوَل الفزعة ، وأصوات كأصوات البُزاة الصُّلع ! وهكذا باد فى غياهب الليل جيش بأمره !

وكان الامبراطور واقفاً هناك ينظر ! كان كالسنديانة العملاق تفرعت ذراها المصونة نكبةُ الدهر، وهى الحطاب المشئوم، ثم أخذ يهين عظمتها بفأسه ، والسنديانة الحية ترتجف أمام شبح الثأر الفاجع وتنظر إلى فروعها تتساقط من حولها فرعاً بعد فرع .

من دخان المجتمع !

« فى ذكرى قاسم أمين »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

جَفَّ الخَمِيلُ... فَلَا ظِلٌّ وَلَا ثَمَرُ
وَلا نَشِيدٌ إِلَيْهِ يَظْمَأُ الوَتَرُ
إِلَّا بَقَايَا أَغَانٍ هَاهُنَا وَهُنَا
مُصَرَّعَاتٌ عَلَيْهَا الصَّمْتُ يُحْتَضَرُ
وَقُبْلَةٌ مِنْ شِفَاهِ الطَّيْرِ ثَاكِلَةٌ
عَلَى الغُصُونِ، تَهَاوَتْ حَوْلَهَا الذِّكَرُ
وَشَاعِرٌ فى يَدَيْهِ أَدْمُعٌ وَدَمٌ
وَجَذْوَةٌ مِنْ أَسًى تَغْلِي وَتَسْتَعِرُ
وَيَشْتَكِي فيَقُولُ النَّاسُ هَزَّ صَدًى
وقال شِعْرًا. ضَلَلْتُمْ! إِنَّهُ ضَجِرُ
طَوَى الرَّبِيعَ عَلَى أَفْدَاحِهِ مِزَقًا
مِنْ قَلْبِهِ، فى هَجِيرِ العُمْرِ تَنْفَطِرُ
وَنَسْمَةً فى صَحَارَى النَّفْسِ حَائِرَةً
ما فى فَمِي نَبْأَةٌ عَنْهَا وَلَا خَبَرُ

كان الجيش يموت قادته وجنده. لكل امرئ رحينه وحينه. وكانت بقية السيوف من رجال الأمبراطور يحفون من حول خيمته فى إجلال وحب، ويرون ظله على الأستار يذهب ويجيء، فيتهمون القدر بالغيب فى ذاته، ولا يخامرهم الشك فى يمن طالعه. ولكنه هو أدرك فداحة الخطب؛ واتجه رجل المجد إلى الله وهو من الهول الهائل فى دهشة ورعشة وحيرة. وعلم نابوليون أن ما أصابه إنما هو تكفير عن شيء. فقال ووجهه الساهم ينم عن القلق، وكتائبه على الثلج منثورة أمامه:

— أهذا هو العقاب يا رب الجيوش؟. فسمع من وراء الغيب منادياً يناديه باسمه ويقول له: «كلا»

(ابو عبد الملك)

دُفِنْتُ فِيهَا، وَذَرَّانِي بِحَيْرَتِهَا
إِعْصَارُ يَأْسٍ كَلَيْلِ الجِنِّ مُعْتَكِرُ
ما يَبْتَغِي عَاشِقُ التَّغْرِيدِ مِنْ نَغَمِي
وَالكَوْنُ حَوْلِيَ زَنْدٌ خَانَهُ الشَّرَرُ
وَالأَرْضُ بُرْكَانُ آجَالٍ يَكَادُ بِهَا
لَوْلَا العِنَايَةُ فى الآفَاقِ يَنْفَجِرُ
وَالنَّاسُ مِثْلُ الضَّوَارِي لا خَيَالَ لَهُمْ
إِلَّا المَخَالِبُ وَالأَنْيَابُ وَالظُّفُرُ
وما بِهِمْ جَائِعٌ عَزَّتْهُ لُقْمَتُهُ
ولا شَرِيدٌ تَجَافَى جَنْبَهُ المَدَرُ
فمَا لَهُمْ جَيَّشُوا الأَرْزَاءَ وَاحْتَشَدُوا
لِلْمَوْتِ فانِينَ لا هَابُوا ولا حَذِرُوا
وَجَنَّدُوا الغَازَ... وَارْتَجُّوا له فَزَعًا
وَنَحْتَهُمْ فَغَرَتْ أَشْدَاقَهَا الحُفَرُ
فى كُلِّ يَوْمٍ سَرِيرٌ ذَابَ صَوْلَجُهُ
وَدَوْلَةٌ فى رِيَاءِ السِّلْمِ تَنْدَثِرُ
فَإِنْ تَبَرَّجَ فَتَّاكٌ... وَطُلَّ دَمٌ
فالنَّسْرُ جَوْعَانُ فى الآجَامِ يَنْتَظِرُ
وَلْيَذْهَبِ العَصْرُ مَطْعُونًا بِخِنْجَرِهِ
تُبْلِي حَضَارَتَهُ الأَطْمَاعُ وَالأَشَرُ!
فَنَعْمْتُمُ... وَعِشَاشُ الطَّيْرِ عَارِيَةٌ
والأَفْرُخُ البِيضُ والأَطْفَالُ والزَّهَرُ
حَتَّى الرَّبِيعُ. وَمَا ذَنْبُ الصَّبَاحِ بِهِ
وَالنَّهْرُ يَحْلُمُ وَالأَنْسَامُ والشَّجَرُ؟
مَهَازِلٌ أَبْدَعَ الطَّاغُونَ فِتْنَتَهَا
مَا هَزَّنِي هَاجِسٌ منها وَلَا أَثَرُ...

أنا ابنُ مَنْ أعيتِ الدُّنيا حضارتُهمْ
وَنوّروا وظَلامُ الأرضِ مُعْتكِرُ
وأنطقوا مُعجزاتِ الفنِّ قاهرةً
والدّهرُ لجلجهُ الإعياءُ والحَصَرُ
قُمْ غنِّني مِنْ دمِ الأبطالِ أغنيةً
يحلو لشادي المَلا في ظِلّها السَّمَرُ
وهاتِ عنْ سيرةِ الأحرارِ في وطنٍ
ما أيقظتْ قلبَهُ الأحداثُ والغِيَرُ
واهتفْ «بقاسمٍ»: قمْ فانظرْ صحائفهُ
تضيقُ عنْ وصفِها الأخبارُ والسِّيَرُ
شهدتَ في الدُّورِ قيْدَ الذُّلِّ مُحتدمًا
قلبُ الخدورِ على بلواهُ ينفطرُ
أزاهرُ النيلِ أفنى السِّجنُ بهجتَها
ومسَّ أكمامَها مِنْ هولِهِ خَدَرُ
فرُحتَ تزأرُ حولَ القيْدِ عاصفةً
ما شلَّ فورتَها جُبنٌ ولا حذَرُ
وحولكَ الرأيُ تحكي نارُ غضبتِهِ
أسنّةً في قتامِ الحربِ تشتجرُ
فقائلٌ: مُصلحٌ أوفى بمِشعلِهِ
على الضفافِ كما يُستشرفُ القمرُ
ألقى المبادئَ ما في روحِها ضررٌ
مسَّ الحجابَ، ولا في شرعِها خطرُ!
وقائلٌ: شِرْعةٌ قبلَ الأوانِ أتتْ
والعصرُ في وهدةِ الأخلاقِ منحدرُ!
وقائلٌ: زنبقُ الوادي برَوْنَقِهِ
تحتَ الخمائلِ عذريُّ الشذى نضِرُ!
فإنْ تنقّلَ ماتَ العطرُ... وانتثرتْ
أكمامُهُ، وطواهُ التُّربُ والوضَرُ!

وبينَ هذا وهذا ... أقبلتْ زُمَرٌ
ضلّتْ سبيلكَ. تتلو ركبَها زُمَرُ
هوى على كفِّهمْ نجمُ العفافِ ... فما
هزّوا لمصرعِهِ جفنًا ولا شعروا
باسمِ السفورِ أقاموا كلَّ مجزرةٍ
يكادُ يلطمُ مِنْ أهوالِها القدرُ
عاثوا فضجَّ الحِمى مِن رِجسِ خُطوتِهمْ
وفزّعتْ منهمُ الأخلاقُ والأُمَرُ
نعشُ الفضيلةِ يمشي في مواكبِهمْ
فما يحسُّ بهِ سمعٌ ولا بصرُ
قالوا: شأى الغربُ! قلتُ: الشرقُ سابقُهُ
وإنْ تبدّلتِ الأشكالُ والصُّوَرُ
وما بعاداتهِ نُعلي دعائمَنا
لكنْ بما تلهمُ الأحداثُ والعِبَرُ
وكيفَ يعلو جبينُ الدهرِ في بلدٍ
بكفِّ شبّانِهِ الأخلاقُ تنتحرُ؟!
فقمْ لهُ «قاسمٌ» واهتفْ بساحتِهِ
يا علَّما بعدَ هذا الغيِّ يزدجرُ!
أوْ لا فنمْ هانئًا في الخُلدِ، لا صخبٌ
يُضني الحياةَ ولا همٌّ ولا ضجرُ...
مجّدتُ ذكراكَ علَّ اليومَ خافقةً
مِنْ أرْغُني بصداها النفسُ تعتبرُ
أنا الذي يُسمعُ الأبطالَ ذِكرَهمُ
وإنْ تزوّى بهمْ تحتَ الثرى حجرُ!
عزيفُ جِنّي فوقَ الشمسِ دارتُهُ
وتحتيَ اللغوُ والتّهريجُ والهذرُ...

«وزارة المعارف» محمود حسن اسماعيل


هذا هو المشروب
المفضل فى
فصل الصيف
الشاى
المثلج
مشروب منعش مرطب
طريقة عمله جهز شايا ثقيلا ثم اسكبه على
مبشور الثلج واضف اليه السكر
والليمون او اللبن حسب ما
يلائم ذوقك
الشاى الجيد وارد الهند
وسيلان وجاوه وسومطرا
اشربوا
الشاى المثلج



دراسات فى الفن :

التمثيل تلخيص الحياة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

ينحو التمثيل فى مصر نحوين :

أما النحو الأول فهو صناعة التمثيل، وزعيم مدرستها فى مصر الأستاذ جورج أبيض . والواحد من أبناء هذه المدرسة يتلقف الدور الذى يعهد إليه بتمثيله ، فينكفئ على جمله وعباراته يدرسها جملة جملة وعبارة عبارة ، ويرى أى شىء يقصد إليه المؤلف من كتابة هذه الجملة أو هذه العبارة . فإذا كان المراد بها استفهاماً عرف الممثل الصناع هذا الغرض ، وأدرك أن هذه الجملة أو هذه العبارة يجب أن تلقى كما يلقى الإنسان سؤالا يُشعر بإلقائه سامعه بأنه ينتظر منه الجواب . فإذا كان المراد بالجملة أو العبارة إظهار الشكوى والتوجع أنّ وهو يلقيها وأرسل صوته متهدجاً متقطعاً . وإذا كان المراد بالجملة أو بالعبارة إعلان الثورة والغضب استلزم تمثيلها عند هذا الممثل أن يصرخ فيها وأن يزعق ، وأن يشير بيديه — إذا أحب — إشارات تتفق فى معناها ومعنى الغضب والثورة الذى يعلنه بعبارته أو جملته

وهذا أسلوب فى التمثيل كان الفرنسيون يصطنعونه حتى السنوات الأولى من هذا القرن وهى السنوات التى أدرك فيها الأستاذ جورج أبيض أستاذه « سيلفان » الذى تعلم التمثيل على يديه فى البعثة التى أوفده فيها الخديو عباس ، وهذا الأسلوب فيه عيب هو أخطر العيوب التى ينكب بها فن من الفنون وهو التكلف ، ذلك أنك لا تستطيع أن تشاهد ممثلاً يمثل بهذه الطريقة وتستطيع أن تنسى أنك تشاهد تمثيلاً ، فأنت تلحظ — مهما تناوم حسك — أن كل كلمة مما يلقى أمامك قد درست حروفها حرفاً حرفاً ، فلا حرف من حروفها يخرج من بين شفتى ملقيها إلا بعناية مبذولة ، ولا جملة ترسل من فيه إلا بتنغيم وتلحين يصرخ فى أذنيك بأنه لم يرد عبثاً وبأنه يراد به أن يحوز إعجابك ، إعجابك أنت أيها المتفرج! وهذا شىء تزورُّ عنه الطبيعة ولا ترضاه. فليس فى الدنيا ناس يكلم بعضهم بعضاً مثلما يكلم أفراد هذا الفريق من الممثلين بعضهم بعضاً وهم واقفون على خشبة المسرح . فهو تمثيل أجدر به أن يقضى الإنسان أمامه الساعات يشاهده و« يتفرج عليه » ولكنه لا يساهم فيه بعواطفه وشعوره ، ولا يشارك فيه ممثليه بوجدانه وإحساسه .. وكيف يصدقهم وهم يذكرونه فى كل كلمة من كلماتهم بأنهم ممثلون ، وبأن هذا الكلام الذى يسمعه رواية تخيلها كاتب من الكتاب ، وأن هذا المقعد الذى يجلس عليه فوتيل ممتاز أجره فى السواريه عشرون قرشاً يضاف إليها قرشان ضريبة على لهوه وعبثه !

وهذا هو ما حدا بى أن أسمى هذا النوع من التمثيل صناعة التمثيل ، وهو ضرب من التمثيل يستطيعه الموهوب كما يستطيعه غير الموهوب لأنه لا يحتاج فى إتقانه إلا إلى تدريب صوتى تم بتمامه الصنعة ، ويقعد بعد تمامها الفن الصادق محزوناً محسوراً

أما النحو الآخر الذى نحصيه للتمثيل فهو هذا الضرب الذى لا يعبأ بالصنعة ، والذى لا يعبأ بالصوت ، والذى لا يهتم كثيراً بمخارج الحروف ، والذى لا هم له فى هذه الناحية الصناعية إلا أن يكون الصوت واضحاً مسموعاً مفهوماً ؛ ولكنه يتطلب قبل هذا من الممثل أن يكون قد وهب نفسه وروحه وبصره وسمعه وإحساسه وكل قوة من قواه للتمثيل ، لا مختاراً ، فلا سبيل للاختيار فى المواهب ، بل مفطوراً مطبوعاً . فإذا لم يكن الله

قد خلق الممثل ممثلاً فإنه لن يستطيع أن يبلغ من المجد الفنى إلا مثلما بلغه الأستاذ الكبير جورج أبيض : دراسة وإلقاء

فالممثل الصحيح هو هذا الذى يشب وهو يراقب الناس فرداً فرداً ويدرس أشخاصهم كاملة لاممزقة ؛ فهو لا يعنى بأصواتهم واهتزازاتها المختلفة فى أصواتهم النفسية المختلفة من تساؤل وغضب وفرح وحزن ، وإنما هو يتوغل فى نفوسهم إلى ما هو أعمق من هذا ؛ فهو ينفذ بروحه إلى حيث مكامن العواطف والانفعالات فى نفوسهم، فيتعرف الأسلوب الذى تجرى عليه نفوسهم فى تفهم الأشياء وفى الإحساس بالمؤثرات المتباينة. ويجب أن يكون هو نفسه إلى جانب هذه الدراسة التى لا تتاح لكل إنسان صافى الروح سهل الوجه صريح الملامح والقسمات بحيث ينضح وجهه وصوته عفواً بما ينتاب نفسه من المؤثرات . فإذا اكتمل له هذان العاملان أمكن فى غير تحرج أن نقول إنه ممثل كامل . ويقف نجيب الريحانى فى الصف الأول من هذا النوع من الممثلين المصريين الذين نذكر منهم مختار عثمان وبشارة واكيم

والواحد من هؤلاء الممثلين الموهوبين يتلقف دوره فيبدأ أولاً فى تقليب ذاكرته والبحث فيها عمن مروا به فى حياته من الناس الذين يشبهون صاحب هذا الدور الذى عهد إليه بتمثيله . فإذا عثر فى ذاكرته على هذا الشبيه المطلوب فقد عثر على كنز . لأنه لن يحتاج فى إخراج الدور الجديد إلا أن يتقمص روح هذا الشبيه ، وأن يلاشى نفسه أثناء تمثيل الدور ، وأن يُحل محلها نفس ذلك الذى بحث عنه فى ذاكرته واهتدى إليه . فإذا تم له هذا التقمص ، فإنه سيكون على المسرح — أو أمام الكاميرا — صورة هى أقرب الصور إلى هذه الصورة الأصلية الطبيعية . فإذا كان المؤلف قد أسعده بالتطابق التام بين الصورة المرسومة فى الرواية والدور ، وبين الصورة الأصلية الطبيعية ، فإن الممثل الموهوب لن يبذل من الجهد أكثر من هذا التقمص الذى ذكرناه ، وهو بعد ذلك يستولى عليه منذ أن يصطنعه إحساس يشابه تمام المشابهة الإحساس الذى ترتكز عليه الصورة الطبيعية الأصلية فى كيانها . فهو يتكلم كما تتكلم ويشير كما تشير ، ويمشى كما تمشى ، ويجلس كما تجلس ، ويغضب كما تغضب ، ويسأل كما تسأل ، ويحب كما تحب ، ويعلن حبه كما تعلن حبها ، ويكره كما تكره ، ويعلن كراهيته كما تعلن كراهيتها ... فهو أولاً وأخيراً قد فنى فى هذه الصورة التى يمثلها ، وهو لا يفيق منها إلا إذا غادر المسرح . بل إن من الممثلين الموهوبين من يتلاشون فى أدوارهم تلاشياً فلا يستطيعون أن يستعيدوا طبيعتهم إلا بعد أن يفرغوا من تمثيل الدور الذى يستغرقون فى تمثيله هذا الاستغراق. ولعل الهواة يلحظون أن على الكسار قد استحال بربرياً من كثرة تمثيله لدور البربرى . ولعل منهم من سمع « عزيز عيد » وهو يقول إنه عاش مدة طويلة من الزمن خليفة للمسلمين أيام كان يمثل دور السلطان عبد الحميد

وهذه الصور الطبيعية ، أو هذه النماذج الإنسانية الأصلية الصحيحة هى مراجع الممثل الفنان ، وبها تحصى ثروته الفنية . فما دام قد شاهد منها صوراً كثيرة ، وما دام قد تمكن من دراسة هذه الصور ، وما دام قد درب نفسه على التبطل التام ليحل محلها صوراً من نفوسها بالتقمص والانصهار والتحول ، فهو إذن ممثل غنى قادر متمكن

وهذه الصور تستلزم وقتاً طويلاً من الحياة يبذله الممثل فى معاشرة الناس وفى دراستهم ، ولا يمكن لهذه الدراسة أن تتم إلا بهذه المعاشرة التى لا منطق فيها ولا إعداد لها . لذلك كان مما يشبه العبث أن يتعلم الشبان التمثيل فى المعاهد التى لا تستطيع أن تعرض عليهم النماذج المتعددة من الصور النفسية الإنسانية ، والتى تقعد عند تمرين الطلاب على الإلقاء وإحسان إخراج الحروف. أما التمثيل الصحيح فمعهده الدنيا كما أنها معهد لكل فن صحيح

وقد يسائلنا هنا سائل : ما الذى يستطيع الممثل أن يصنعه إذا عهد إليه بتمثيل دور تاريخى قد مات صاحبه وانطفأت شعلة روحه ، فلا يستطيع الممثل أن يراقبه ولا أن يدرسه عن كثب ليتمكن بعد ذلك من أن يصهر نفسه ليصوغها بعد ذلك فى القالب النفسى الذى كانت عليه نفس هذا الشخص التاريخى الذى يراد تمثيله !؟

ونحن نقول رداً على هذا السؤال : إن القراءة والدرس فى مثل هذه الحالة يجبان وجوباً ، وأنهما يعوضان جانباً كبيراً من الخسارة الفنية التى يخسرها الممثل بحرمانه الاتصال المباشر بالصورة الإنسانية التى يريد أن يمثلها . فبالقراءة والدراسة يستطيع

الممثل أن يقف على أسلوب هذا « الأصل » في الحياة ، وبهما يستطيع أن يتعرف أخلاقه وعاداته ، وما كان يفضل من ألوان اللهو ... وألوان اللهو مهمة جداً في نظر الممثل الفنان ، فهي الأعمال التي يمارسها الإنسان برغبته الخالصة والتي يستطيع الممثل أن يعرف بها ميول هذا الذي يريد أن يمثل دوره . ومتى استطاع أن يعرف هذه الميول وما ينبتها من المزاج الخاص استطاع بعد ذلك أن يرسم بالتمثيل صورة تطابق إلى أبعد الحدود الصورة الأصلية الطبيعية التي يريد أن يمثلها

وقد يحدث أن يمثل ممثلان نابغان ذاتاً واحدة — أو أصلاً واحداً — ولكنهما يختلفان في التمثيل فلا تتطابق الصورتان اللتان يظهر أن كلا منهما هي الأخرى كما حدث ذلك قريباً إذ خرج كل من الممثلين العالميين هاري بور وجون باريمور دور « راسبوتين » فقد خرج الذين شاهدوا جون باريمور في دوره بصورة عن راسبوتين تطابق هذه الصورة الشائعة التي صورته لنا بها المقالات التي كتبت عنه في الصحف ، والروايات التي ألفت عنه وروجتها دور الطبع والنشر ، والروايات الأخرى التي مثلتها عنه المسارح .. وقد كانت هذه جميعاً تمقت راسبوتين وتراه شراً أخبث من الشر ، وتبخل عليه حتى بأخس صفة من الصفات الإنسانية تنسبها إليه؛ فهو عندها الجاهل الذي يدعي العلم ويلزم الناس إلزاماً بأن يروه عالماً ؛ وهو القرد الذي ما يكاد يرى أنثى حتى يسيل لعابه وتهيج فيه أحط الغرائز فيرسلها ثائرة ويطلقها جامحة لا يكبحها ولا يلوى عنانها ؛ وهو السكير الذي لا تكف أمعاؤه عن الصراخ في طلب الخمر والذي لا يستقر رأسه بين كتفيه على حال من أثر الشرب ، وهو الدجال في مسوح القديس ؛ وهو آخر الأمر الخائن الذي يبيع وطنه وأهله وذويه بالثمن البخس، فهو إذن الرجل أو الكوم من اللحم الذي لا إنسانية له ولا كرامة ولا عفة ولا شرف ولا قومية ولا دين ! ...

هذا بينما اتجه هاري بور في تصوير راسبوتين إلى اتجاه آخر، فقد أخذ على عاتقه ألا يسترسل في نقد راسبوتين هذا الاسترسال الذي يهدم إنسانيته هدماً ، فاستبقى هاري بور لصاحبه من شره مالم يستطع أن ينكره لإجماع المصادر التاريخية عليه فأظهره سكيراً محباً للنساء، ولكنه عدل بعد ذلك عن تلوينه بألوان الدجل والخيانة فأظهره صريحاً صادقاً يقول للناس إنه يعالج مريضاته المختبلات من الإناث بعلاج طبيعي هو عند الرجال جميعاً ولكن الناس لا يرضون أن يصدقوا هذا ويأبون إلا أن يسبلوا عليه مسوح القديس صاحب المعجزات فلا يملك إلا أن يسخر منهم وأن يتأنق في المسوح ، كما أظهره أيضاً مخلصاً لقيصره ووطنه إذ يلح بالنصيحة على القيصر ألا يزج بالروسيا في الحرب لعلمه بعجزها عن المضي فيها

وهكذا اختلفت صورتا « راسبوتين » اللتان عرضهما جون باريمور وهاري بور ، وهذا الاختلاف يرجع إلى اختلاف دراسة كل منهما لراسبوتين ، وإلى مطاوعة كل منهما لمؤلفه ...

وأخيراً ، فقد يعهد إلى الممثل بتمثيل دور عادي طبيعي لا شذوذ فيه ولا أصل له متميزاً في الطبيعة . عندئذ يستطيع الممثل أن يترجم نفسه هو ، ولا بد له إذن أن يكون قد راقب روحه ورأى كيف تستقبل الحوادث والمفاجآت والمؤثرات وعليه في مثل هذه الأدوار أن يمثل نفسه في رداء الدور

عزيز احمد فهمي



كيف كشفت الأشعة النافذة

للدكتور محمد محمود غالى

لمحة تاريخية — أعمال جوكل وهيس وكولهورستر — الناضد المسجلة — صعود الأستاذ بيكار فى طبقة « الستراتوسفير »

إذا أردنا أن نسميها الأشعة الكونية ، أو أردنا أن نسميها الأشعة النافذة ، فإن الأسماء لا تغير الوقائع فى شىء ، فهى كونية لأننا لا نعرف مصدرها ، وهى نافذة لأنها تخترق ما يقابلها . ونعيد القول أنه بينما تحجب ورقة رفيعة أشعة الشمس على قوتها ، فإن كتلة من مادة الرصاص يبلغ سمكها متراً لا تحجب إلا نصف عدد الجسيمات المكونة للأشعة الكونية

لم يختلف الفضاء منذ آلاف السنين عن الفضاء الذى نعيش فيه ، ولم تختلف الظواهر الطبيعية والقوانين المرتبطة بها منذ عشرات آلاف الأعوام ؛ ومع ذلك فقد مضت المدنيتان المصرية والإغريقية كما مر عهد العرب دون أن يستمتع أحد منهم بالراديو كما نستمتع به اليوم ، ذلك لأنه كان لزاماً أن يتقدم العالم للحد الذى أمكن لمكسويل الإنجليزى أن يضع الأسس الرياضية لنظرياته الكهرومغناطيسية للموجه ، ولهرتز ليدلنا على أن سرعة الكهرباء هى سرعة الضوء ، ولماركونى الإيطالى وبرانلى الفرنسى ليضعا مع غيرهما الأسس التجريبية التى تيسر لنا اليوم أن نحصل من التاجر على جهاز نسمع منه ، ونحن فى وسط الصحراء أو فوق جبل عتاقة ، بعيداً عن كل أثر للمدن أو الحياة ، موسيقيا من القاهرة أو خطيباً من باريس

كذلك الأشعة الكونية ، لم يختلف الفضاء الحامل لقذائفها منذ عهد بعيد ، بل لم تختلف درجة وصولها إلينا منذ أمد طويل . وفى ظنى أن أهرام الجيزة تصاب فى هذا العصر بالعدد الكبير الذى كانت تصاب به فى أقدم العهود ، هذا العدد أقدره بأكثر من مليون مليون قذيفة فى اليوم الواحد[1] تقع كلها على أحجار الأهرام وتتغلغل فيها لمسافات بعيدة تبلغ العشرات من الأمتار

وإذا كان برايش Preich وهاهم Hahm الألمانيان توصلا منذ بضعة أسابيع فقط إلى إيجاد عنصر التوريوم بينما كانا يقذفان عنصر الإيرانيوم بإشعاع تقل درجة اختراقه عن الأشعة الكونية ، فماذا جرى فى الأهرام منذ بنائها ؟ وماذا تكوَّن فيها من ذرات جديدة لم تكن فى عداد ذرات أحجارها الأولى ؟

كانت الأشعة الكونية موجودة بلا شك منذ القدم ، وهى ما تزال تحدث أثرها فى كل زمان ومكان ، تحدث هذه الآثار فى الأهرام كما تحدثها على قمم الجبال أو على سطح البحيرات بعيداً فى أعالى النيل ، ومع ذلك لم تكن معروفة للانسان إلا منذ عهد قريب ، وقد تمضى سنون عديدة قبل أن نعرف شيئاً وافياً عن أثرها فى المادة التى تقابلها ، أو عن أثرها فى حياتنا . ولا شك أنه عند ما نخطو هذه الخطوات تتغير معارفنا ، بل تتغير إلى حد أساليب استعمالنا الأشياء ، ويرى اللاحقون بنا جيلاً يختلف عن الجيل الذى نعيش فيه

***

تبدأ معارفنا الأولى عن الأشعة الكونية فى سنة ١٩٠٠ ،

---

(١) ذلك باعتبار المساحة المبنى عليها الهرم الأكبر وهى حوالى ١٣ فدانا وملاحظة أن الأشعة الكونية تصل بمعدل قذيفة واحده على كل سم٢ فى الثانية عند سطح الأرض وأن عدد هذه القذائف يزداد كلما ارتفعنا وهو ما تدل عليه التجارب العلمية

فمنذ ذلك الحين كانت الظاهرة المسماة « التأين[1] المتبقى » Ionisation residuelle معروفة لدى الطبيعيين ، وتبدأ الأعمال الخاصة بهذه الظاهرة بالعالمين الستر وجيتل Elster et Geitel اللذين بينا بطريقة دقيقة كما بيّن العالم الكبير س . ت . ر . ولسون C. T. R. Wilson ، منعزلاً فى البحث عنهما ، أن الهواء الجاف المحصور فى وعاء مقفل ليس عازلاً كهربائياً تاماً ، بل إنه موصل كهربائى ، مهما كان ضعيفاً ، فإنه لا شك فى حالتــه الكهربائية ، ومعنى هذا أن لكل حجم معين من غاز مصون من جميع الأشعة كالأشعة السينية (أشعة X) ، قدرة على التأيّن أى على التوصيل الكهربائى ، وبعبارة أخرى تظهر فى الغاز شحنات كهربائية تمثل أو تدل على ظاهرة غير مفهومة . هذه المعلومات الأولى جعلت العالم س . ت . ر . ولسون يظن أن إيجاد اليونات Production d'ions فى الهواء الخالى من جميع المواد الملقة (كالأتربة الرفيعة) قد يُعزى لإشعاع خارج عن الغلاف الهوائى المحيط بكرتنا الأرضية ، إشعاع شبيه بأشعة رنتجن أو الأشعة الكاثورية ولكن له قوة اختراق عجيبة

وقد شاءت الظروف أن ننتظر سنين طويلة ، ليكون هذا الإلهام أو الوحى الذى أوحى به هذا العالم حقيقة لا تقبل الجدل ، بل شاءت الظروف أن يمضى عشرة أعوام قبل أن تتحقق التجارب الأولى التى نفسر بمقتضاها هذه الظاهرة التى تحدث من تلقاء نفسها وبدون عوامل تتعلق بالأرض أو ما يحيط بها

وتنحصر التجارب الأولى فى قياس الوقت الذى يمر لتفريغ Decharge «الكتروسكوب» ذى ورقتين من أوراق الذهب ، فى حالة نضمن فيها بكل الوسائل عدم إمكان مرور الكهرباء خلال كل الأجسام العازلة المتصلة به . ومع معرفة أن وقت التفريغ يتناسب مع حجم وضغط الغاز ، وجد الباحثون أن عدد الأيونات الحادثة فى السم^3 فى الثانية فى درجة الحرارة والضغط العادى يساوى من ١٠ إلى ٢٠ أيونا عند سطح البحر لالكتروسكوب معرض للجو فى حالته الطبيعية .

(١) التأين حدوث الأيونات جمع أيون (Ion) وقدمنا أن الأيون هو ذرة أو جزىء أو جسيم يحمل شحنة كهربائية . ونستطيع لسهولة النطق أن نسميه بالعربية يون ونجمعه يونات بدل أيون وأيونات

وقد أصبح معروفاً أننا لو حجبنا الالكتروسكوب من جميع الجهات بمنصر ثقيل مثل الرصاص ، فإن الرقم السالف ينخفض إلى ٢ أيون لكل سم^3 فى الثانية ، ويعللون هـذا الانخفاض بامتصاص الرصاص لأشعة « جما » الراديومية الصادرة من المواد الأرضيـة وغيرها من المواد المحيطة بالالكتروسكوب كالمبانى القريبة منه مثلاً .

ولكى نثق أن لعملية التأيّن مصدراً غير المواد الراديومية الموجودة فى الأرض ، حمل العلماء الالكتروسكوب على سطح بحيرات عميقة جداً ، كذلك فى مناطيد أرسلوها لارتفاعات كبيرة ، وكانت النتيجة أنهم أثبتوا أن عملية التأين موجودة دائماً ، وأنها تزداد كلما ارتفعنا فى طبقات الجو [1]

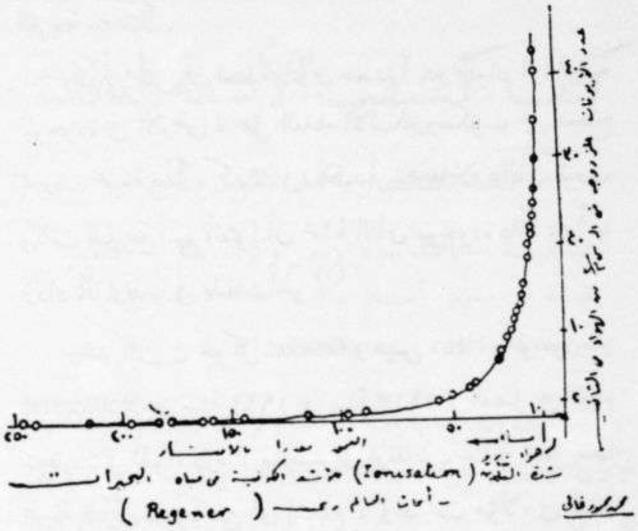
ولقد كان لجوكل Gockel و هيس Hess و كولهورستر Kolhorster بين سنة ١٩١١ و سنة ١٩١٣ ، الفضل فى القيام بتجارب فى الهواء بإرسال مناطيد إلى ارتفاعات مختلفة تحمل معها غرفة للتأيُّن مصونة من أى إشعاع ، وقد بحث هؤلاء فى التغير الحادث فى عملية التأين فى الحيز الواقع بين سطح البحر ، وبين منسوب ٩٠٠٠ متر . وقد دلت التجارب كما قدمنا أن التأين يتزايد فى الطبقات المرتفعة من الجو . وهذا ما جعل الأفكار تتجه إلى أن سبب التأين أشعة متجهة من أعلى إلى أسفل فى طبقات جو الكرة الأرضية ، وليس أشعة تتجه من الأرض إلى الطبقات العليا

كذلك قام فريق من العلماء بتجارب عديدة تحت سطح الماء بأن حملوا الأوعية التى تحدث فيها عملية التأين ويسمونها : غرفة التأين Chambre d'ionisation فى أعماق البحيرات ، ووجدوا أن عملية التأين تقل كثيراً تحت سطح المـاء . ولقد كان

(١) حدثنا مسيو موران Charles Maurin عضو المجمع العلمى الفرنسى فى دروسه التى يلقيها كل عام عن الطبيعة الأرضية أن هذا التأين يقل فى المبدأ عند ما نرتفع عن الأرض ، حتى ظن أن مصدره المواد المشعة الموجودة بها ، ولكن ازدياده بعد ذلك فى الطبقات العليا من الجو بدرجة عظيمة يفسر أن الأرض لا يمكن أن تكون مصدره

(٢) وتسمى بالفرنسية (Physique du Globe) وبالانجليزية (Geophysics) وهى مادة نرى من المفيد تدريسها فى الجامعة المصرية ونرى ان يدرس فيها علاوة على شكل الارض وخواصها ، والزلازل ، والجو ، النيل والصحراء المصرية من الناحية الهيدروفيزيقية ، كذلك كل ما يخص دراسة باطن الأرض بالطرق الطبيعية الحديثة .

لكولهورستير وميليكان Millikan وكامرون Cameron فضل كبير فى هذه المباحث بتجاربهم التى قاموا بها فى البحيرات الجبلية المختلفة الارتفاع ، وأهم ما توصلوا إليه من نتائج ، هو أن درجة التأين . أو قوة الأشعة الكونية تختلف مع كمية المادة الموجودة فوق غرفة التأين سواء كانت المادة ماء أو هواء



شكل (١)

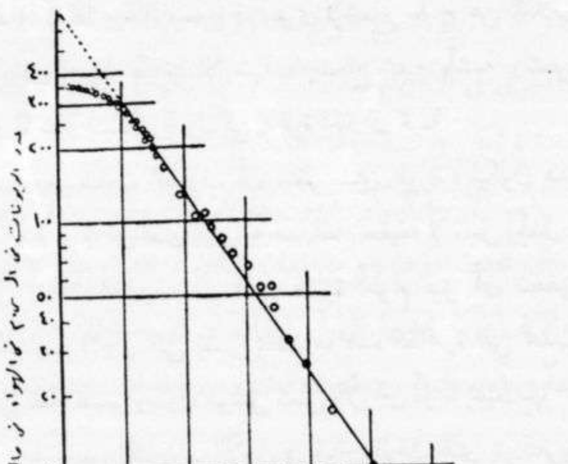
هذه الدراسات بلغت درجة كبرى من الدقة فى أعمال ريجنيه Regener الذى أدلى غرفة مسجلة للتأين فى مياه بحيرة كونستانس إلى عمق ٢٣٠ متراً . كذلك أرسل بغرفة أخرى فى منطاد بلغ فى صعوده ٢٥ كيلومتراً حيث يبلغ الضغط الجوى عند هذا الارتفاع ٢٢ مليمترا وحيث يتبقى من كتلة الهواء ٣٫٠٪ من كتلته الأصلية وترى نتائج (ريجنيه فى الشكل ١) حيث ترى كيف يتغير عدد الأيونات المزدوجة فى كل سم٣ من الهواء فى الثانية مع العمق ، وكيف يرتفع هذا العدد فى طبقات الجو العليا ؛ وكيف ينخفض جداً تحت سطح البحيرات . وقد دلت التجارب الأخرى أن الأشعة الكونية تصل مخترقة الماء لمسافات تزيد على ٥٠٠ متر

هذه المناطيد التى استعملها ريجنيه وغيره من النوع الذى يطلقونها بعد أن يضعوا فيها أجهزة طبيعية تسجل الأرصاد المختلفة التى تتبين للعلماء، بعد العثور على هذه المناطيد التى ترد فى العادة من الأماكن البعيدة التى تقع فيها، وتسمى هذه المناطيد بالمناطيد الجاسة Ballons Sondes

وقد بلغت هذه المناطيد شأواً كبيراً من التقدم منذ استطاع أيدراك Idrac وبيروه Bureau فى سنة ١٩٢٧ أن يحصلا بطريقة لاسلكية على كل المعلومات التى تسجل داخل البالون ، وترسل باللاسلكى إليهما دون أن يكون داخل البالون الصغير شخص للقيام بهذه المهمة . وقد قدمت فى أعداد مضت من الرسالة أننى استطعت مع العالم بيروه المتقدم الذكر أن أضع طريقة[١] لتسجيل منسوب النيل أو كمية ما تحمله المياه من طمى دون أسلاك ومعرفة ذلك مهما بعدت المسافة

***

كل هذا لم يصرف بعض العلماء عن أن يقوموا بتنفيذ فكرة جريئة خطرت لهم وهى الصعود إلى هذه الطبقات العليا من الجو التى يطلقون عليها « ستراتوسفير »



(شكل ٢)

ولقد كان الأستاذ بيكار Piccard أول من فكر فى القيام بنفسه بهذا العمل الجرئ ، الذى كان يجوز أن يودى بحياته وحياة

(١) نشرت خلاصة أبحاثى هذه فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى فى مايو سنة ١٩٣٨

تلميذه كوزين Cosyns عند ما صعد لأول مرة من ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٢(١) ومعهم كيبير Kipper إلى طبقة الأستراتوسفير(٢) للقيام بدراسات طبيعية عديدة كانت الأشعة الكونية أهم الأغراض فيها ، وقد تبين لبيكار وزميليه كيف تتغير الأشعة الكونية مع الارتفاع ، والشكل (٢) يعطى النتائج العملية الهامة التى توصل إليها بيكار فهو يبين كيف يتغير عدد الأيونات فى ال س م٣ فى الثانية مع الضغط الجوى أى مع الارتفاع

كل هذا يدل على أننا مغمورون بأشعة تصلنا من أعلى إلى أسفل ولها قوة اختراق عجيبة تزيد على الخمسة أمتار من الرصاص أو الـ ٥٠٠ مترا من الماء ، وهى إما أن يكون مصدرها الطبقات العليا من الجو ، أو أن يكون مصدرها خارجاً عن الغلاف الهوائى المحيط بالأرض .

على أننا سنرى أن تغيّر شدة هذه الأشعة مع خطوط العرض يحتم الرأى الثانى . وسنبين فى مقال قادم أن الشمس بدورها لا يمكن أن تكون مصدراً لها كما سنبين أثرها على المادة التى تخترقها ونتكلم عن الوسائل الدقيقة لقياسها ، وتسجيل مسارات جسيماتها وسماعها عند مرورها ، وهى وسائل تختلف عن غرفة التأين السابقة وتعد اليوم أقصى ما بلغه العلم التجريبى من القوة والتقدم .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) نشرت خلاصة أبحاث بيكار الأولى فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى فى سنة ١٩٣٢ ص ٦٠٤

(٢) يسمى العلماء ستراتوسفير الطبقات التى يزيد ارتفاعها على ١٤ كيلو متراً وقد صعد بيكار إلى علو ٢١ كيلو متراً

من هنا ومن هناك

كتاب جديد لهتلر – ملخصة عن «باريس ميدى»

يقال إن أحد رجال السياسة المدودين أراد مقابلة هتلر فى الساعة الرابعة بعد ظهر أحد الأيام ، فأجيب بأن الفوهرر لا يمكن مقابلته ما بين الثالثة والخامسة لاشتغاله بوضع كتاب .

فإن دكتاتور ألمانيا يشتغل إلى جانب أعماله السياسية بالأعمال الأدبية والفنية ويوليها جزءاً كبيراً من وقته .

وقد اتفقت وزارة الدعاية الألمانية أخيراً مع دار للنشر فى أمريكا على طبع كتاب لهتلر . ويقال إن صاحب هذه الدار بعد أن قدمت إليه رسالة عن تاريخ حياة الدكتاتور استفسر عن اسم الكتاب، فأعلن بأنه كتاب ثان لكتاب « كفاحى » من المحتمل أن يصدر تحت عنوان : « كفاح ألمانيا » . ويليه كتاب ثالث باسم : « كفاح أوربا » .

وتقول بعض المصادر العليمة إن لهتلر كتاباً رابعاً سيصدر بعنوان : « بين الإرادة والطاعة » ، وهو كتاب يجمع آراءه الفلسفية والدينية .

إن هتلر بلا شك قد أخرج أروج كتاب ظهر فى القرن العشرين ، فكتاب كفاحى بيع منه ٢٠ مليون نسخة فى ألمانيا وحدها .

كيف يقوم هتلر بتأليف هذه الكتب ؟ إن كتاب كفاحى كتب فى السجن ومن المعروف أنه قبل أن يكتب آراءه فى هذا الكتاب ، عمد إلى بحثها مع كارل هانشوفر ، ورودلف حميس ، والفريد روزنبرج . ولكنه فى كتابه الجديد لم يسترشد بأحد ، ولم يذكره لأحد .

ويملى هتلر آراءه على كاتبه فيلتقطها على الآلة الكاتبة فى سرعة عجيبة ، ويشتغل على الدوام من الساعة الثالثة إلى الخامسة بعد الظهر . وإنما يفعل ذلك لأن مشاغله المتعددة لا تترك لديه مجالاً للاختيار . فإذا تعذر العمل فى ذلك الوقت لظرف من الظروف أجل الإملاء إلى ما بعد ظهر اليوم التالى ، على ألا يكون ذلك قبل الساعة الثالثة ، ولا بعد الساعة الخامسة بعد الظهر . وهو يلتزم هذه القاعدة لأنه يحب أن يقيد نشاطه الأدبى بوقت معين

ويشاع أن نظرية الكتاب الجديد الذى يشتغل به هتلر ، مبنية على فكرة جديدة لحل مشاكل العالم جميعاً بالطرق السلمية .

فهل تحقق الأيام القريبة نظرية هذا الكتاب ؟ إنه الآن فى مركز يحمله أكثر من غيره فطنة إلى ذلك .

المرأة فى ظل الدكتاتورية – ملخصة عن (زى هبرت جورنال)

الفاشية بطبيعتها لا تتفق وحرية الرأى . فهى فى الحقيقة تقوم على حكم القوة . ومن ثم كان مركز المرأة فيها مركزاً ثانوياً ، تحت نفوذ الرجل الذى أعد للحرب والقتال

وعلى ما هو معروف عن الفاشية من المبادئ المنفرة ، نجدها قد وضعت المرأة فى مركز لا يبيح لها أن تكون أكثر من آلة صماء لخلق الرجل وخدمته فى إبان الحروب

ويقول موسولينى فى حديث له مع إميل لودفج : المرأة يجب أن تطيع . إننى لو صرحت للمرأة بالدخول فى ميدان الانتخاب لأضحكت منى العالم ، إن النساء فى حالة كحالتنا من الواجب ألا يحسب لهن حساب. وقد أضاف إلى ذلك أنه قد أعجب بشخص من أسلافه قتل زوجته لأنها لم تحتفظ بشرفه . هذا ما يفعله أهالى روما الذين انحدرت من أصلابهم . وقد أصدرت الحكومة الفاشية منذ نشأتها قانوناً يقضى بمنع المرأة من تعليم الطفل إذا بلغ الحادية عشرة أمراً ما قد يكون له تأثير فى تكوينه الخلقى ، ومازال هذا المبدأ يعمل به إلى الآن .

إن الذين يعرفون ما تقاسيه المرأة فى ظل النظام الفاشى — خارج إيطاليا — قليلون .

لقد كانت السن الدنيا للزواج فى إيطاليا للبنات خمس عشرة سنة ، وللرجال ثمانى عشرة ، فنقص ذلك إلى أربع عشرة للبنات وست عشرة للذكور — فى ظل النظام الفاشى —

وقد سن فى قانون العقوبات الجديد فى إيطاليا مبدأ لا يجعل الرجل مدانا فى حالة الاعتداء على أسرته ، إلا إذا كان اعتداؤه هذا يترتب عليه عاهة يصعب علاجها ، وفى هذه الحالة يحكم عليه بالسجن ستة أشهر بدلاً من خمس سنوات فى القانون القديم ، فإذا ماتت الفريسة ترتفع العقوبة إلى ثمانى سنوات بدلاً من الإعدام. وعلى ذلك فللإيطالى أن يضرب زوجته وأولاده كيف يشاء ، ما دام هذا الضرب لا يسبب لهم كسراً فى العظم، أو فقداً لحاسة من الحواس. وكثيراً ما يشمله العفو فى مثل هذه الظروف ، على أن الفريسة يندر أن ترفع أمره إلى القضاء .

فإذا هربت إحدى الفتيات من سوء المعاملة ، وقد تكون من هؤلاء اللائى لا يتجاوزن الرابعة عشرة ، فإن البوليس يطاردها ويقدمها للمحاكم حيث يحكم عليها بالسجن سنة كاملة ، أما الرجل فلا يسأل عن سوء معاملته لها .

أما نظام النازى فقل أن يختلف عن هذا النظام من حيث الاستهتار بحقوق المرأة، فالمرأة الألمانية تستوى مع أختها الإيطالية فى المعاملة التى تعامل بها فى ظل الحكم الاستبدادى ، ولا تزال الشكوى ترتفع إلى العالم مما تلاقيه . وقد أشارت الفيننشيال تايمز الألمانية إلى أن المرأة لا تضايق الرجل بمشاركتها إياه فى الحياة فقط ، بل بمنافستها له فى كسب الخبز أيضاً .

وقد أرغمت المرأة الألمانية على التخلى عن حقوقها الانتخابية وحرمت الحق فى التوظف فى مصالح الحكومة والمجالس البلدية والمستشفيات ، وكذلك بعض المدارس إلا إذا كانت سنها تزيد على خمس وثلاثين سنة . على أنها تفصل من وظيفتها إذا تزوجت من رجل له وظيفة يكتسب منها أو كان من غير العنصر الآرى . ويقضى قانون ١٩٣٣ بفصل المرأة من عملها إذا تزوجت وثبت للسلطات أن إيراد زوجها كاف للقيام بنفقاتها . وكذلك إذا كان لها والد أو أخوة يستطيعون القيام بأمرها فإنها تفصل من عملها ولو لم تكن متزوجة

وقد أخرج النازى آلافاً من النساء اللائى كن يقمن بأعمالهن دون أن تسمع لهن شكوى

ولا يصرح بدخول الجامعات فى ألمانيا الآن إلا لعشر فى المائة من الفتيات اللائى يحصلن على شهادة البكالوريا

وقد سيق آلاف من النساء العاطلات إلى المعسكرات للاشتغال بأعمال الغسل والنظافة والطهى

لقد أنقذت المدنية المرأة منذ أجيال من الاشتغال بالأعمال الزراعية المرهقة ؛ ولكن النازية قد ساقت إلى الحقول الكثيرات من نساء ألمانيا الذكيات حيث قضى عليهن بأن يقمن بأشق الأعمال



حماية نفائس دار الآثار العربية

قد سبق لهذا القلم أن عاتب وزارة المعارف فى هذا الباب من الرسالة ، ولا سيما يوم عرض لدار الأوبرا الملكية ولمعهد الموسيق العربية . ويحلو له اليوم أن يذيع أن وزارة المعارف حمت نفائس دار الآثار العربية إذ منعت خروجها من مصر . وهكذا تذكر الحسنات إلى جانب غيرها

والقصة أن جمعية « مصر — فرنسا » France - Égypte القائمة فى باريس رغبت إلى المستشرق المسيو فييت مدير دار الآثار العربية فى مصر (وذلك بعقد يجدد كل سنتين) أن يظفر بموافقة الحكومة المصرية على الإرسال بأجمل القطع المحفوظة بالدار إلى باريس حتى تمدّ معرض الفن الإسلامى المزمع إقامته هنالك . فاختار المسيو فييت نحو ثمانمائة تحفة وأوعز إلى معاونيه بجمعها وإعدادها للرحيل ؛ وإذا وزارة المعارف تقف فى وجه الأستاذ فييت وترفض أن تقره على عمله

ولا شك أن فى عمل المسيو فييت بعض الشطط . ذلك أن قانون دار الآثار العربية ـ فيما أعلم ـ يحظر خروج محفوظاتها منها . وإن قال قائل إن الدار سبق لها أن ترسل بتحف إلى معرض الفن الفارسى سنة ١٩٣١ وأخرَ إلى معرض بروكسل سنة ١٩٣٧ ، فالذى فى الواقع أن تلك التحف كانت معدودة . وأما هذه الدفعة فقد حاول الأستاذ فييت أن يخرج من الدار ثمانمائة تحفة كلها من النفائس التى لا مثيل لها فى سائر البلدان والتى بها تفخر دار الآثار العربية وتعتز مصر . ولو اتفق لهذه التحف أن تنفذ إلى باريس فما يكون مصيرها لو وقعت حرب أو تحطمت أو تثلمت أو أثر فيها الجو ؟ من أين نجلب أشباهها ؟

والوجه أن الآثار لا تخرج من بلد إذا كانت فريدة لا أخوات لها ، ثم إنه يحسن أن تخرج نماذج لها بدلاً منها . وعلى هذا أقيم معرض النحت الفرنسى لهذه السنة فى الجزيرة فى مصر ، وعلى هذا أكثر المعارض الرفيعة

وبعد ، فالمأمول أن تعد وزارة المعارف نفسها معرضاً للفن الإسلامى تكل أمره إلى دار الآثار العربية ، لأن مصر أحق البلدان فى إقامة مثل ذلك المعرض ، فنفائس دار الآثار لا تجاريها محفوظات المتاحف الأخرى ؛ فضلاً عن أن عددها يبلغ هذا الرقم الجليل : ١٤٣٥٠ بحسب الإحصاء الذى دونه الأستاذ فييت نفسه باللغة الفرنسية لشهر مضى فى « الدليل الموجز لمعروضات دار الآثار العربية » على حين أن آثار الفن الإسلامى المحفوظة فى باريس لا تكاد تتطلع إلى ذلك الرقم

بشر فارس

المبتدأ الذى لا خبر له

قرأت ما كتبه الأستاذ (أبو حجاج) فى رد ما ذهبت إليه فى إعراب المبتدأ الذى لا خبر له ، فوجدته أولاً لم يحاول رد إعرابى بشىء، وهذا كسب عظيم لذلك الإعراب الجديد، وكنت أحب للأستاذ أبى حجاج أن يبطل إعرابى هذا قبل أن يحاول تسويغ إعرابهم ، وإذا لم يكن إعرابى باطلاً ـ وهذا ما أرجوه إن شاء الله ـ فإنى كنت أحب أيضاً أن يوازن بين الإعرابين ليرى كيف يستقيم أمر المبتدأ على إعرابى ، فيكون مسنداً إليه باطراد ، كما يستقيم ذلك فى الفاعل ونائب الفاعل واسم كان واسم إن ، وكيف يضطرب أمره فى إعرابهم، فيجعل مسنداً إليه تارة ومسنداً تارة أخرى ؛ مع أن الأصل فيه أن يكون مسنداً إليه . وليس هناك ما يدعو إلى جعله مسنداً إلا ذلك الإعراب الذى يغنى عنه إعرابى ، ولا شىء فى أن يوضع هذان الإعرابان فى ميزان واحد . وإن كان أحدهما متقدماً والآخر متأخراً ، لأن مثل هذا الاعتبار لم يعد له وزن فى عصرنا ، وكم من متأخر رجح متقدماً

ووجدته ثانياً يحاول تسويغ إعرابهم بما أنكرته عليهم ، فهو يسلم ما قلته من أنهم لم يسموا الشيء فاعلاً إلا إذا كان في المعنى فاعلاً ، وهكذا ، ثم يقول إنهم كذلك لا يسمون الاسم مبتدأ إلا إذا كان مبتدأ في المعنى ، أي إلا إذا كان اسماً مجرداً عن العوامل اللفظية وهو إما مخبر عنه أو وصف رافع لما يغني عن الخبر . ولا يخفى أن هذا قياس مع الفارق كما يقولون ، لأن ما سلمه من ذلك معناه ظاهر ، وهو أن الشيء لا يسمى عندهم فاعلاً في الاصطلاح إلا إذا كان فاعلاً في الواقع ؛ أما الذي ذكره في المبتدإ فمعناه أنه سمى مبتدأ في الاصطلاح لأنه مبتدأ في الاصطلاح ، وهذا تهافت ظاهر . ثم هو عين ما أنكرته عليهم ، لأنه اصطلاح يلزم عليه إخراج المبتدأ عن أصله ، وإدخال مالا معنى لإدخاله فيه

والحق أن الوصف في مثل ذلك جار مجرى الفعل ؛ وكما لا يصلح أن يكون الفعل مبتدأ ، لا يصلح أن يكون ما جرى مجراه مبتدأ ، ولهذا لم يصلح اسم الفعل لأن يكون مبتدأ لأنه جار مجرى الفعل ، والفعل لا يصلح للابتداء به . فكذلك ما يجري مجراه ، وهذا هو الحق في اسم الفعل ولو قلنا إنه موضوع للدلالة على معنى الفعل ، لا على لفظ الفعل ، لأن الخلاف في ذلك يشبه أن يكون لفظياً ، ولأن الفعل لا يصلح لفظه ولا معناه للابتداء به ، وليس هذا الحكم قاصراً على لفظه فقط

وقد قال صاحب التصريح إن اسم الفعل يعرب مبتدأ على القول بأنه موضوع لمعنى الفعل ، وهو قول غير مسلم عندي ، وما أظن أن أحداً سبقه إليه ، لأن الفعل لا يصلح لفظه ولا معناه للابتداء به ، فكذلك ما يدل على معناه من اسم الفعل ونحوه ، ولأنهم قصروا المبتدأ الذي لا خبر له على الوصف المنوى ، وهو ما دل على ذات ومعنى قائم بها ، وقد أخرجوا منه المصدر لأجل هذا ، إلا أن يكون مؤولاً بالوصف ، ولا شك أن اسم الفعل مثل المصدر في أنه ليس وصفاً بذلك المعنى ، فلا يصح أن يكون مبتدأ مثله . وما أحرى الأستاذ أبا حجاج أن يسلم لي مذهبي بعد هذا كله ، والسلام عليه ورحمة الله

عبد المتعال الصعيدي

نقابة جديدة للموسيقيين . . .

وأخيراً وبعد هذا الزمن الطويل الذي قطعه الموسيقيون في تنافر وتنابذ وشقاق استطاع بعض المصلحين المثقفين منهم أن يلموا الشمل وأن يمهدوا لفكرة التعاون الصادق والإخاء الذي لا ينفصم فاجتمعت الآنسة أم كلثوم بالأستاذ محمد عبد الوهاب ، حتى إذا اتفقا وتصافيا ونسيا كل شيء إلا خير الموسيقى ورفعتها والأخذ بيد أبنائها انتقل هذا الاجتماع من (سان جيمس) إلى دار الاتحاد الموسيقى الذي يرأسه الأستاذ ابراهيم شفيق . وقد حضر الاجتماع الذي انعقد يوم السبت ٢٢ ابريل سنة ١٩٣٩ بالدار من الموسيقيين والمطربات الأساتذة : الدكتور محمود احمد الحفني مدير الموسيقى بالمعارف ، وصالح عبد الحي ، وابراهيم شفيق ، ومحمد بخيت ، ومحمد القصبجي ، وكامل ابراهيم ، والسيدة فتحية احمد . وقد استمر الاجتماع منعقداً أكثر من ثلاث ساعات ذلل فيها أكثر العقبات ورسم فيها أكثر الخطا . . . وقد انصرفوا على أن يجتمعوا بعد أسبوع لتكملة مشروعهم . ولعل الفرح الذي كانت تفيض به نفوس إخوانهم المنتظرين في أبهاء المعهد خير حافز لهم على التوفيق والنجاح . وأمل هذه الحركة المباركة هي المسمار الأخير الذي سيدق في نعش تلك الفوضى التي كانت تسود الجو الموسيقي والتي كانت تحرم الموسيقيين من نقابة ترعى حقوقهم وتسهر على مصالحهم ...

المويلحي

الى شباب الجامعة والأزهر

عرض الأستاذ الكبير العقاد في مقاله القيم : «يهتمون به فهل يعرفونه» المنشور في عدد الرسالة (الممتاز) لبعض الخلط والتمويه الذي يتطرق له الكثير ممن يتصدون للكتابة عن العرب والإسلام من أبناء الغرب . وبين يدي كتاب عن : «لورنس في جزيرة العرب» لرحالة أمريكي يدعى لوول تماس رافق الكولونل لورنس ردحاً من الزمن في جزيرة العرب أثناء الثورة العربية ، حشاه بكثير من الأغاليط لا يعدو الباعث عليها أحد الأسباب التي أشار إليها الأستاذ الكبير في مقاله الآنف الذكر .

لو يتسع لي المجال لقدمت لقراء الرسالة طائفة من عجائب ذلك الكتاب ، بيد أني سأقتصر على عجيبتين فقط

قال في ص ٥١ أثناء كلامه عن الحجاج : « ... وبعد أن يقوم الحجاج بتأدية الشعائر الدينية في مكة ، يعودون إلى أوطانهم فيخضبون لحاهم ويعرفون بعدها بالحجاج ، أو الرجال المقدسين . وقبل مغادرتهم مكة تسلم لهم تذاكر تضمن دخولهم الجنة » .

واستطرد في ص ٢٢٣ إلى ذكر الوهابيين فقال : « وهؤلاء المدققون في أمور الدين ، يريدون إبطال الحج ، وإزالة كافة

المزارات : كالكعبة المقدسة ، وقبة النبي في المدينة » .

وجل ما يكتب فى الغرب عن العرب والإسلام على هذه الوتيرة وأثر هذه الكتابات سيئ وخيم العاقبة ! فكتبة شبابنا المتعلمين اليوم هى المكتبة الغربية ، أصيلة فى الغالب ، مترجمة فى النادر . فحبذا لو تألفت لجنة من شباب جامعة فؤاد الأول ، والأزهر ، لنقد وتمحيص ما يكتب عنا ، لا ليعلم أبناء الغرب حقيقتنا نقية غير مشوبة فقط ، ولكن لنقى أبناءنا ما وسع الجهد من هذا الوباء الفتاك أن يسمم عقولهم . وما عهد الحملة التى وجهت فى مصر لكتاب : « حياة محمد » ببعيد . (البحرين) « ت »

مخرج ماهر يفقد

من أخبار السينما المصرية أن شركة مصر للتمثيل والسينما رفضت تجديد عقد الأستاذ نيازى مصطفى المخرج المعروف وهذا أمر لا يفرح به من يهمه تقدم صناعة السينما المصرية ، ولا سيما بعد ما شهدنا ما بذله من جهد فى إخراج روايات ضئيلة الموضوع . وهو ممن تعرف قدرته فى ألمانيا ، بحسب اعتراف أساتذة فن الإخراج هنالك

حتّامَ يُستبعد أهل الكفاية فى هذا البلد ، إذا بدت منهم الدراية ؟

ب . ف

العلاقات الثقافية بين مصر والبلاد الشرقية

تعنى وزارة المعارف بالعمل على توثيق روابط الثقافة بين مصر والبلاد الشرقية ، وقد ألفت لجنة لهذا الغرض من رجال الخارجية والوزارة برياسة صاحب العزة الأستاذ الوكيل لبحث الموضوع ولكن الرأى اختلف فيه فطلبت وزارة المعارف إلى وزارة الخارجية أن توافيها بما تتضمنه الاتفاقات المعقوده بين الدول الأجنبية فى هذا الشأن . فأرسلت إليها نص الاتفاق الذى عقد أخيراً بين فرنسا ورومانيا ، وهو يقوم على القواعد الآتية :

تأليف جمعيات تعنى بتشجيع حركة التعاون الثقافى بين البلدين وإلقاء المحاضرات وطبع الكتب وتبادل الأساتذة والطلاب بين معاهد البلدين . وإنشاء صناديق ادخار مشتركة لطلبة الشعبين . والأخذ بمبدأ المساواة فى الدرجات العلمية والتزاور بين الشخصيات الكبيرة المعروفة فى عالم الفن والعلم والأدب . وتشجيع سفر الفرق الفنية والتمثيلية والموسيقية إلى البلدين . وإنشاء جمعيات واتحادات « فرنسية رومانية » للطلبة فى فرنسا ورومانيا ، والدعاية لنشر الكتب والمؤلفات الموسيقية والأدبية والأفلام والاسطوانات التى تصدر فى أحد البلدين بين سكان البلد الآخر ، وكذلك تشجيع السياحة وتنظيم الرحلات وتبادل الإذاعات اللاسلكية بين البلدين

ومما يذكر أن مثل هذا الاتفاق عقد بين ألمانيا واليابان وبين هذه الأخيرة وإيطاليا ، وبلغ من اهتمام الحكومة الأمريكية بهذا الموضوع أنها أنشأت فى وزارة الخارجية قسما خاصاً لتنمية العلاقات الثقافية بينها وبين الدول الأخرى

التسليح الأدبى خير من التسليح المادى

روت المقطم أن ٨٠٠ محافظ ورئيس بلدية فى مدن كندا وبلادها اجتمعوا وقرروا أن تضع حكومة كندا برنامجاً تعرضه على جلالة ملك الانكليز وملكتها عند زيارتهما لكندا مؤداه أن التسليح الأدبى خير من التسليح المادى فى حفظ كيان الأمم وراحتها ورفاهتها

ومن أخبار بلاد أسوج فى شمال القارة الأوربية أن ٢٠٠ أستاذ من أساتذة ٢٥ جامعة من جامعات أوربا وغيرها ، وعدداً كبيراً من تلامذتها اجتمعوا فى جبال تلك البلاد ونظروا ملياً فى الطريقة الواجب اتباعها فى التعليم والتربية والتثقيف لتكون الجامعات بأساتذتها وتلامذتها فى طليعة البانين للهيئة الاجتماعية الإنسانية على أسس العدل والحق وحب الإنسان لأخيه الإنسان وما إلى ذلك من الأسلحة الأدبية التى هى خير من الأسلحة المادية لحفظ كيان الأمم وراحتها ورفاهيتها — فنحول إلى ذلك أنظار جامعاتنا الشرقية فى مصر وسوريا ولبنان وغيرها

أشباح القرية

تأليف الأستاذ كرم ملحم كرم

للسيدة وداد سكاكيني

الأستاذ كرم ملحم كرم من أكبر أدباء القصة فى بلاد العرب ومن أكثرهم إنتاجاً وجهداً موزعاً بين فنون الأدب ، فهو موهوب فى الفن القصصى ، نشر رواياته الثلاث : « المصدور » و « صرخة الألم » و « بونا أنطون » فكان لها دوى بعيد ، وكتب أقاصيص رائعة فى مجلته « ألف ليلة وليلة » أبدعها قلم مرهف مطواع وتلقاها قراؤه بلهفة وإعجاب ، لا سيما ما كان منها يعبر عن أحداث رأوها رأى العين أو طرقت مسامعهم ، وكان لها مساس بحياتهم . وقد اتخذ الأستاذ كرم الصراحة ديدناً لأسلوبه فما يخشى بأساً إن عرض فى قصصه لشخوص بخصائصهم ودخائلهم حتى أنه اكتسب من جراء قلمه الحر عداء وحسداً فوقف تجاههما كالرواسى الشامخات لا تحفل قصيف الرعد ولا تعبأ بهزيم الرياح . وإليه يرجع الفضل فى نهضة القصة بلبنان لأنه أول من شق طريقها الجديد منذ أكثر من عشر سنوات فكانت قصصه خير قدوة ودعوة لمن سار على دربه

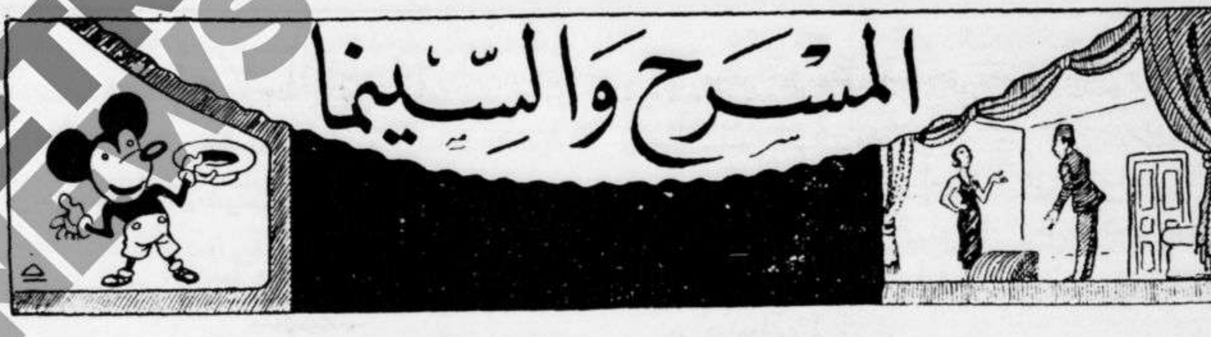
إذا شئت أن ترى القرية اللبنانية وتتعرف إلى حياتها الصحيحة وأهلها رجالاً ونساء فاقرأ كتاب كرم « أشباح القرية » . فى هذه القصص ترى الحياة الخالية من كل تبرج وتصنع ، وكيف أن القرية على خلوها من كل زيف وزخرفة لا تسلم من مساوئ المدينة التى تنتقل إليها على أيدى بناتها وأبنائها الذين يهجرونها لتغذية مطامعهم الوثابة ، فما يتركون قريتهم حتى تتولاهم الحيرة والدهشة فى طريق البلد الذى يبتغون ، حتى إذا حطوا رحالهم باتوا كالمخمورين ، وكلما تغلغلوا فى حياتهم الجديدة امتدت آفاق العيش أمامهم دون أن تقف على حد . كل هذا بأوصافه الملونة ودقائقه المصورة تراه مثبتاً فى «أشباح القرية» كأنك تتطلع على ألواح بارزة ورسوم ناطقة بكل ما فى الجبل اللبنانى من ألوان وظلال

فنى « جبور فى بيروت » يصور سحر المدينة لابن القرية وإيثاره العمل الشائن فيها على خدمة الأرض التى عاش عليها آباؤه وأجداده بين الزراعة وجمع الحطب ورعاية الماشية فجوزى على جحوده وطمعه بارتكاب المنكر من فسق وميسر ومراهنة فى سباق الخيل وقتل نفس حتى وقع فى السجن ولحقته الشماتة والندامة فرجع إلى القرية مريضاً بعيداً عن الساخرين

وفى « رزوق عاد من أميركا » يمثل لك صاحب الأشباح طموح الفلاح والتماسه الرزق وراء البحار وكيف يعود رجلاً آخر يسخر من القرية وأهلها فيضيع ثروته فى حياة المدنية ومستواها الذى لم يخلق له

إن فى « أشباح القرية » لروعة فى الوصف وإبداعاً فى التمثيل ونكتة فى السياق . غير أنها قد حملت فى بعض رسومها ألواناً قاتمة ، ولعلها ندت فى بعض أطرافها عن تصوير الحقيقة ، كأن يصف روائى لبنان عجوزاً بأنها كتعاء عوراء عرجاء ، فهذا الغلو فى التعبير قد يخرج الصورة عن إطارها الذى يليق بها . ولعل لموهبته المولدة وبصيرته النفاذة وقلمه السيال يداً فى هذه الهنات التى تنجم عن وفرة الإنتاج وجموح الخيال؛ فالأستاذ كرم يخلع على قصصه ألواناً من إبداعه حتى تتسع أفياؤها ويلتبس على قارئها أهى واقعة من الحياة أم ابتدعتها مخيلته فى الرواية ، ولكنى أعتقد أن مذهبه فى الفن القصصى مبنى على الحقيقة والواقع ، مستمد روعته من مسارح الخيال بدليل أن « أشباح القرية » تمثل لك الأشخاص كأنك عشت بينهم ووعيت حياتهم وعرفت طبائعهم وميولهم . وصفوة القول أن الأستاذ كرم ملحم كرم من بناة النهضة الأدبية الحديثة فى لبنان ، وكتابه « أشباح القرية » جدير بالمطالعة والإعجاب لأسلوبه الجميل ولهجته السليمة وصبغته الخاصة على ندرة هذه الميزات فى كتاب القصة .

وداد سكاكيني



في الفرقة القومية

عطيل
بين الاخراج والتمثيل

ما أظنك رأيت ناسكا من قطان الصحارى والكهوف الواردة أساطيرهم في الكتب يستيقظ في الفجر يسبح ربه ويقضي نهاره على وتيرة واحدة في الأكل والصلاة ثم يودع الشمس الغاربة بأدعية الحمد والتوسلات إلى البارى العظيم أن يدنى اليوم المعظم يوم الخلاص من الحياة الدنيا . فإذا شاقك أن ترى شبيهاً لحياة البلادة والكسل وتزاحم أيام الأسبوع وتدافعها حتى ينقضى اليوم الأخير من الشهر، فانظر إلى الفرقة القومية وراقب أعمالها تر ذلك الناسك بعجره وبجره، لا فرق بينهما إلا في صيغة الدعاء والابتهال إلى الله العظيم أن يصرف أذهان نواب الأمة عن مناقشة ميزانية وزارة المعارف التي تمنح إعانة لنساك من الممثلين كهوفهم قهوات عماد الدين وكتبهم أوراق البوكر والكونكين

وإذا أردت مثلاً صارخاً لبلادة الناسك ومحافظته على الهدوء كالتمساح يهضم ما ابتلعه من فريسة على مهل فاذهب إلى دار الأوبرا واحضر تمثيل رواية عطيل، فأنت ترى نفس أبطال الممثلين والممثلات الذين لعبوا أدوار هذه الرواية بعينها سنة ١٩١٢ فلا فارق فيما كانوا عليه قبل سبع وعشرين سنة إلا ما سوف أذكره بالتفصيل، وفيما يجب عليهم إدخاله على فن التمثيل من محسنات وتصحيحات لمواقفهم السابقة. ولا شك في أنك تسائل نفسك ما معنى استقدام مخرج أوربي ليحل محل مخرجين مصريين أقصاهما مدير الفرقة ليتيسر له دفع راتب المخرج الأوربي الذي لم يستطع أن يغير حرفاً من الناموس القديم ؟

المخرج الأوربي على شيء من فهم فنه ولا شك ، وقد أقام البينة على ذلك ، ولكنه ويا للأسف تأقلم فسرت إليه عدوى الموظف الراكن إلى الراتب الفاتر ، المكتفي بإبراز عمل يرضى الرئيس ولا يغضب الممثلات والممثلين فصار يساير هذا ويجاري ذاك كأنه كتلة أصيلة من بيئة المسرح المصري

وعلى هذا القياس تم التجانس والانسجام بين رجل الإدارة ورجل الفن ورجل التمثيل، بدليل أنه لما طاب للفرقة إخراج آخر رواية ترجمها الأستاذ مطران لم يجد المخرج بداً من مسايرة السيدة دولت أبيض والسيد منسى فهمى، بإسناد دور ديدمونة إلى الأولى ودور ياجو إلى الثاني ، وبإبقاء دور عطيل مع الأستاذ جورج أبيض ، أي بإبقاء القديم على قدمه . فهل قام هؤلاء بتمثيل أدوارهم قياماً مقبولاً ؟ وهل أكسبتهم الأعوام اختبارات فنية أضافوها إلى صناعتهم في التمثيل ؟ وهل استطاع المخرج الأوربي تلقيحهم بمعلومات خاصة من عنده ؟

أزعم أن المخرج لم يكلف نفسه عناء تصحيح أي موقف لممثل من مواقف هذه الرواية الجبارة ، ولو فعل حقاً لكان اختار لدور ديدمونة غير الممثلة دولت أبيض ، لا لأنها لم تحسن فهم دورها ، ولا لأنها لم تُجد إخراج مقاطع صوتها بحنان وعطف ، ولا لأنها لم تجهد نفسها لإظهار الحب البرىء البكر بأطهر مظاهره، بل لأن تقاطيع وجهها ونظرات عينيها كانت كأنها من صنع رسام فاشل توحى إلى الناظر أكثر من معنى واحد، وتجعله يراها تبكي بينما هي تضحك، أو تضحك بينما هي تبكي . والمفروض في المخرج البارع ملاحظة هذه الحالة الفسيولوجية التي لا دخل لإرادة الممثل واجتهاده فيها ، بل والواجب عليه تفاديها، وليس ثمة من سبيل إلى التفادي إلا باختيار ممثلة أخرى وهن في الفرقة كثيرات

وهناك تقصير من المخرج يستوجب اللوم من أجله ، ولا أجد سبباً لوقوعه فيه سوى سبب المسايرة والمجاراة وإرضاء الجميع على حساب « الضمير الفني » فالممثل الذي لعب دور ياجو وسبق له أن لعبه مرات في خلال ربع القرن الماضي ، إنما كان فهمه له

خطأ، وكان تدريب معلميه له خطأ أيضاً ، وبذلك دلل على أنه صدى يردد ، وأنه لو كان التفت المخرج إلى هذه الناحية الفوتوغرافية فيه لكان طبعه طبعة صحيحة تظهر نفسية ياجو على حقيقتها وعلى ما هي مفطورة عليه

قد يفهم المخرج الأوربي معانى « الكيد والتحدى والجريمة » وهي عناصر رئيسية في الحيوان الشرير الذي يدعى الإنسان، وأن عوامل التهذيب والتثقيف تصقل هذه الخلائق أو تبرقعها ببراقع فى علم السلوك والاجتماع ، وهي تنوص أو تطفو وفق الانفعالات والظروف . وقد يفهم أيضاً أن شخصية ياجو التى رسمها شكسبير العظيم إنما هي بعينها هذه الشخصية اللعينة المهذبة، المربضة المثقفة ، وأن لا محيص لصاحبها أن يكون كيساً لبقاً لماحاً مرهف الحس ، لا ضحاكا مهرجاً كما فهمه الممثل منسى فهمى ، وبعبارة أصح كما تركه المسيو فلاندر يلعب دوره على هذا الأساس الخاطئ .

فهذا المخرج يستأهل اللوم ، لا لأنه أهمل فقط تدريب الممثل بل لأنه يستهين بثقافتنا وبنهضتنا الأدبية متوهما أن محيطنا الأدبى وبيئتنا الثقافية تجللهما سحابة خانقة مكفهرة كالتى تشوب الجو المسرحى

لم تكن كل المواقف التى وقفها الأستاذ منسى فهمى خاطئة، فإنه مثل ببراعة المرح البسام والسخرية المريرة إذ يجتمعان فى النفس ومثل السخرية من المخلوقات التى تعميها حيوانية الغرائز، ومن تحفزهم طبيعة الطمع ولاقتناص المال واستلابه من هؤلاء الذين جاءهم عفو الإرث من الآباء أو الأجداد ، ومرح الرجل العارف مبلغ قوته ومقدار معرفته طبائع الحياة وأخلاق الناس

قبيل الذهاب إلى الأوبرا أخذت أسأل نفسى: هل نضب الأستاذ أبيض أم ركد أم ما برحت حيويته وثابة تنتهز الفرص الحافزة وتترقب سنوحها بصبر ؟ ثم قلت إن رواية عطيل خير مسبار يبرز نوع معدن الرجل على حقيقته

جلست فى مكانى أعير تمثيل الرجل كل انتباهى. فعلت ذلك لسببين الأول لأنى شاهدت تمثيل هذه الرواية على مسارح فرنسية وإيطالية، والثانى لأقول لبعض الأصدقاء من الناقدين إن النقد فضلاً عن أنه هبة فهو فهم ، وحس ، وسعة اطلاع ، ولا يطالب الناقد المسرحى بزيارة عواصم العالم ومسارحه كلها ليكون ناقداً مسرحياً فالعبرة إذن ليست بالسياحات بل بما ذكرت من المواهب الطبيعية والاكتسابية

أعرت الأستاذ أبيض انتباهى ويقظة نفسى فألفيته يمثل دوره على نقيض ما مثله فيما مضى . وقد أعجبنى منه تحوله عن اللهجة الخطابية وانصرافه عن مظاهر الحماسة إلى تمثيل انشغاله الذهنى فى شؤون وظيفته العسكرية واضطراب عاطفته المستثارة بلواذع الغيرة ، ولما كانت تعضه الآلام بأنيابها السامة كان يصرخ صرخة هى كومضة البرق فى ليل ملبد بالسحب القاتمة، ثم يعود إلى نفسه ليسكن لواعجها فيداهمه ياجو بمواد من سمومه القتالة . وهكذا مشى الممثل جورج أبيض يقبض على ناصية المسرح وبعبارة أصح يضم أذهان النظارة وأحاسيسهم فى قبضة يده

إنى وإن كنت أسجل بفخر للمسرح المصرى وقفة الأستاذ أبيض فيجب ألا أنسى الآنسة فردوس حسن لأنها على قصر الدور الثانوى الذى مثلته أظهرت كفاية جديرة بالإعجاب والتقدير .

وبعد فأرجو أن يحمل نقدى على محمل الإخلاص الصادق لفرقة يعز على كثيراً أن أقرأ الفاتحة على روح النشاط والجد والغيرة المفروضة فيها والمعدومة منها

ابن عساكر


محلات
داود عدس
وولده
معرض
الأزياء الحديثة
صيف ١٩٣٩

7me Année No. 305

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi - 8 - 5 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق ٨ مايو سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

فى وزارة المعارف

تدريس اللغة العربية

فى الغرفات الكبرى من وزارة المعارف ضجة منذ أسبوعين ما بين رجال الإدارة ورجال التعليم فى البحث عن أمثل الطرق لتدريس اللغة العربية فى المدارس المصرية . والموضوع لخطره وقوة أثره يستحق هذه الضجة فى الوزارة، ويستوجب هذه العناية من الوزير، ويسمح لغير الرسميين من رجال القلم أن يصدعوا فيه بكلمة الحق التى لا توحيها رغبة رئيس ولا مجاملة مؤلف . فإن من القضايا المسلّمة أن خيبة الوزارة فى تعليم الأدب العربي وقواعده كانت خيبة للنهضة الثقافية فى مصر الحديثة ، لأن الذين يتلقون العلم من العامة لا يملكون أن يقرأوا ، والذين يريدون التعليم من الخاصة لا يستطيعون أن يكتبوا ؛ فبقيت الأمة أمية فى عصر فرغت فيه الأمم من البحث فى الألف والباء ، والأفعال والأسماء ، لسبر أغوار المجهول من النفس والطبيعة

صحيح أن خيبة الوزارة عامةٌ فى فروع الثقافة المختلفة ، ودرجاتها المتعددة ، لأنها إلى اليوم لم تستطع أن تخرج الإنسان المثقف الذى يعرف كيف يعيش ، ولا الرجل الموظف الذى يدرى كيف يعمل ؛ ولكنها لو كانت نجحت فى تعليم العربية لخلقت من تلامذتها قراء يكملون نقصهم بالدرس ، ويقوّون ضعفهم

بالاطلاع ، ويتصلون من طريق القراءة بالفكر البشرى العام فى مناحى تصوره وتطوره وإنتاجه . فإنى أومن بأن تعليم الشعب لغته هى أصل الأصول فى ثقافته العامة ؛ فإذا صلح محا الأمية ، وخلق القومية ، وكون الأخلاق ، ووحد الميول، وقوى المواهب، ونشر المعرفة ، وروّج الأدب ، ووسع النهضة ؛ وإذا فسد أصاب الأمة بنمط عجيب من الأمية المغرورة والجهالة السفيهة ، فيكثر العلماء ويقل العلم ، وينتشر الأدباء ويموت الأدب

***

منذ أن ذهبت ثورة الاستقلال بدنلوب وسياسة دنلوب حاول البانون على أثره أن يرفعوا البناء فلم يرتفع ، ثم جهدوا أن يدعموه بتقارير الخبراء ومناهج اللجان فلم يندعم . ذلك لأنهم لا يزالون يبنون على أسس دنلوب وقواعده ؛ وأسس دنلوب وقواعده هى أولئك الموظفون المخضرمون الذين نشأهم الاستشار على آلية التعليم حتى صارت فيهم عقيدة ، وأخذهم (بروتين) النظام حتى أصبح لهم فطرة . فإذا كان القيم على أمر الوزارة قويًّا انطوت هذه الفئة انطواء القنافذ، وتركوا النشاط للشباب ذوى العلم والخبرة، فغيّروا المناهج، وقوّموا الخطط، ورسموا الغاية، وبدّلوا الكتب، وبدأوا التجربة ؛ وإذا كان ضعيفاً بسطت سلطانها على كل إرادة ، ورجعيتها على كل تجديد ، فاحتبست الإرادات فى الرءوس ، واستقرت الأنظمة فى المكاتب ، وعاد الدولاب القديم يدور دورانه البطىء بالتأليف المريب لجواز الامتحان ، والتعليم الفج لبلوغ الوظيفة . لذلك لم يكن بد من قصور البنيان بين البناء والهدم ، وتذبذب الإصلاح بين الرأى والعزم ، وعجز المدرسة المصرية عن تنشئة الجيل الذى يكون له مع العلم خلق، ومع العمل ضمير ، ومع الشهادة إرادة . ومن أجل ذلك لا نبالغ فى تقويم الفوائد المرجوة من هذه اللجان ما دام الأمر لا يخرج عن جلسات تعقد ، ومقترحات تناقش ، وتقريرات تقدم ، وقرارات تصدر ، ثم لا تبقى إلا بقاء الوزير فى الوزارة

***

ليس من شأن المدرسة ولا فى مقدورها أن تخرج الطالب عالماً يبتكر ويخلق ؛ وإنما شأنها وجهدها أن تخرجه متعلماً يقرأ ويبحث ؛ فاذا لم تصنع القارئ فإنها لم تصنع شيئاً . والقارئ الطُّلَعَة من صنع معلم اللغة ، لأن القراءة أداة اكتساب البلاغة ، واللغة والأدب قبل كل شىء تقليد ومحاكاة ؛ فواجبه أن يشوق الطالب بروائع الفن، ويغريه ببراعة الذهن، ويأخذه بدوافع التكليف حتى ينطبع على القراءة بالمران والعادة . ومتى أخذ الرجل يقرأ فقل إنه أخذ يَعلم. فهل استطاع تدريس اللغة العربية فى مدى مائة عام خلت أن يجعل مصر أمة قارئة ؟ قد تجيب مصلحة الإحصاء بأنه علم الخط كذا رجلاً فى المائة ؛ ولكنها لا تحير جواباً إذا أردنا من القراءة التتبع والفهم والتحصيل . والقراءة بهذا المعنى هى الفارق بين شاب تعلم فى المدارس المصرية ، وبين آخر درس فى المعاهد الأجنبية

قضيت فى تعليم العربية وآدابها خمساً وعشرين سنة لا أفترى على الحق إذا قلت إنها كانت مثمرة. ولعلها آتت هذه الثمار لأنى على ما كان فى نفسى من حب الأدب لم أتقيد بطريقة كتاب ولا نصيحة مفتش ولا نص منهاج . وقد لخصت تجارب هذه الحقبة فى مقال نشرته بكتابى (فى أصول الأدب) أستطيع أن أجمله فى كلمتين : أن تكون طريقة المعلم استنتاج القواعد من الأدب ودرس الأدب فى المطالعة ، وأن تكون غاية المتعلم قراءة ما يُكتب وكتابة ما يُقرأ. وسبيل ذلك كتاب ومعلم ورابطة. فالكتاب شرطه أن يكون أدباً ليصقل الذوق ويربى الملكة ؛ والمعلم شرطه أن يكون أديباً ليملك ما يعطى ويحسن ما يختار ؛ والرابطة بينهما هى الضمير الفنى الذى يهدى إلى الحق ويغنى عن المفتش . فإذا كان أمل الأستاذ الوزير قد تعلق بإحياء اللغة العربية وإذكاء النهضة الأدبية ، فليسىء الظن بالسياسة التقليدية التى اتخذتها الوزارة إلى اليوم فى نظام التأليف وطريقة التفتيش واختيار المدرس ؛ وليبحث فى الديوان وفى خارج الديوان عن الخبير الذى ينهج ، والكتاب الذى يشوق ، والمفتش الذى يوجه ، والمعلم الذى يسلك ؛ وليطهر التعليم من المدرس الذى يضع القواعد فى أشجار وجداول، والمفتش الذى يعاقب على نسيان الهمزة وذكر الغزل، والمؤلف الذى يؤلف بسر الجاه ونباهة الاسم؛ فإنه إن فعل ذلك جاز لنا أن نعتقد أن هذه اللجان هى غير تلك اللجان ، وأن حدثاً جديداً يوشك أن يقع فى الديوان .

احمد حسن الزيات

رســــالة الأديب

للأستاذ عباس محمود العقاد

في الرسالة التي صدرت (يوم ١٧ ابريل) كتب الأستاذ توفيق الحكيم من برجه العاجي يقول : « إن الدولة لا تنظر إلى الأدب بعين الجد بل إنه عندها شيء وهمي لا وجود له ولا حساب »

ثم يقول : « إن انعدام روح النظام بين الأدباء وتفرق شملهم وانصرافهم عن النظر فيما يربطهم جميعهم من مصالح وما يعنيهم جميعاً من مسائل قد فوّت عليهم النفع المادي والأدبي وجعلهم فئة لا خطر لها ولا وزن في نظر الدولة »

وفي الثقافة التي صدرت (يوم ٢٥ ابريل) كتب الأستاذ توفيق في هذا المعنى يسأل عن أدبائنا المعاصرين هل فهموا حقيقة رسالتهم ؟ ويذكر ما يصنعه أدباء أوربا « كلما هبت ريح الخطر على إحدى هذه القيم ـ وهي الحرية والفكر والعدالة والحق والجمال ـ وكيف يتجرد كل أديب من رداء جنسيته الزائل ليدخل معبد الفكر الخالد ويتكلم باسم تلك الهيئة الواحدة المتحدة التي تعيش للدفاع عن قيم البشرية العليا »

ثم يقول بعد أن وصف سوء حال الأدب في مصر :

« أمام كل هذا وقف الأدب ذليلاً لا حول له ولا طول ، وضاعت هيبة الأدباء في الدولة والمجتمع ، وأنكر الناس ورجال الحكم على الأديب استحقاقه للتقدير الرسمي والاحترام العام . فالعمدة البسيط تعترف به الدولة وتدعوه رسمياً إلى الحفلات باعتباره عمدة . أما الأديب فمهما شهره أدبه فهو مجهول في نظر الرجال الرسميين ولن يخاطبوه (قط) ... على أنه أديب»

***

كلام الأستاذ الحكيم في هذين المقالين هو الذي ابتعثني إلى التعقيب عليه فيما يلي من خواطر شتى عن رسالة الأديب ، وشأن الأديب والدولة ، ومستقبل الأدب في الديار المصرية أو في الديار الشرقية على الإجمال

***

فهل من الحق أن الأدب محتاج إلى اعتراف من الدولة بحقوقه ؟

أما أنا فإنني لأستعيذ بالله من اليوم الذي يتوقف فيه شأن الأدب على اعتراف الدولة ومقاييس الدولة ورجال الدولة

لأن مقاييس هؤلاء الرجال ومقاييس الأدب نقيضان أو مفترقان لا يلتقيان على قياس واحد

فمقاييس الدولة هي مقاييس القيم الشائعة التي تتكرر وتطرد وتجرى على وتيرة واحدة

ومقاييس الأدب هي مقاييس القيم الخاصة التي تختلف وتتجدد وتسبق الأيام

مقاييس الدولة هي عنوان الحاضر المصطلح عليه

ومقاييس الأدب هي عنوان الحرية التي لا تتقيد باصطلاح مرسوم ، وقد تنزع إلى اصطلاح جديد ينزل مع الزمن في منزلة الاصطلاح القديم

مقاييس الدولة هي مقاييس العرف المطروق ، ومقاييس الأدب هي مقاييس الابتكار المخلوق

مقاييس الدولة هي مقاييس الأشياء التي تنشئها الدولة أو تديرها الدولة أو ترفعها الدولة تارة وتنزل بها تارة أخرى

ومقاييس الأدب هي مقاييس الأشياء التي لا سلطان عليها للدول مجتمعات ولا متفرقات . فلو اتفقت دول الأرض جميعاً لما استطاعت أن ترتفع بالأديب فوق مقامه أو تهبط به دون مقامه ، ولا استطاعت أن تغير القيمة في سطر واحد مما يكتب، ولا في خاطرة واحدة من الخواطر التي توحي إليه تلك الكتابة

ومن هنا كان ذلك العداء الخفي بين معظم رجال الدولة ومعظم رجال الأدب في الزمن الحديث على التخصيص

لأن رجال الدول يحبون أن يشعروا بسلطانهم على الناس ويريدون أن يقبضوا بأيديهم على كل زمان ، فإذا بالأدب وله حكم غير حكمهم ، ومقياس غير مقياسهم ، وميدان غير ميدانهم ، وإذا بالعصر الحديث يفتح للأدباء باباً غير أبوابهم ، وقبلة غير قبلتهم التي توجه إليها الأدباء فيما غبر من العصور

ولو بلغنا إلى اليوم الذي تعترف فيه الدولة بالأدباء لما اعترفت بأفضلهم ولا بأقدرهم ولا بأصحاب المزية منهم ، ولكنها تعترف بمن يخضعون لها ويرضون كبرياءها ويهبطون أو يصعدون ببغضها أو رضاها

ولسنا فى مصر بدعاً بين دول المغرب والمشرق ، فما من دولة فى العالم تعترف بأمثال برنارد شو وبرتراند رسل ورومان رولان كما تعترف بالحثالة من أواسط الكتاب

* * *

هذا عن الأديب وشأنه المعترف به بين رجال الدول ، فماذا عن التفرق والتجمع ، أو عن أثر هذا أو ذاك فى تقويم أقدار الأدباء ؟

أصحيح أن الأدباء فى حاجة إلى الاجتماع ؟

أنفع من هذا وأقرب إلى تبيين الصواب أن تسأل : هل صحيح أن شاعرين يشتركان فى نظم قصيدة واحدة ؟ وهل صحيح أن مصورين يشتركان فى رسم صورة واحدة ؟ وهل صحيح أن الأدب فى لبابه عمل من أعمال التعاون والاشتراك ؟

الحقيقة أن الأدباء حين يخلقون أعمالهم فرديون منعزلون ، فلا حاجة بهم إلى محفل يسهل لهم الخلق والإبداع ، ولا فائدة لهم على الإطلاق من اتفاق أو اجتماع

والحقيقة أن التعاون إنما يكون فى مسائل الحصص والسهوم والأجزاء ، ولا يكون فى مسائل الخلق والتكوين والإحياء

لأن الفكرة الفنية كائن حى ووحدة قائمة ليس يشترك فيها ذهنان ، كما ليس يشترك فى الولد الواحد أبوان

فإذا كان تعاون بين الأدباء ، فإنما يكون على مثال التعاون بين الآباء

إنما يكون تعاوناً على رعاية أبنائهم وحماية ذرياتهم ، وقلما يحتاج الآباء إلى مثل هذا التعاون إلا فى نوادر الأوقات

فإذا اجتمع الأدباء فلن يرجع اجتماعهم إلا إلى حواشى الأدب أو « ظروف » الأدب كما يقولون دون الأدب فى صميمه

وإذا اجتمع الأطباء فهناك طب واحد ، أو اجتمع المحامون فهناك قانون واحد وقضاء واحد ، أو اجتمع المهندسون فهناك هندسة واحدة وبناء واحد ، فكيف يجتمع الأدباء كما يجتمع الأطباء والمحامون والمهندسون وكل أديب منهم نموذج لا يتكرر ، ونمط لا يقبل المحاكاة ، وأدب تقابله آداب متفرقات

وإن محامياً قديراً ليغنى عن محام قدير ، ولكن هل يغنى أديب كبير عن أديب كبير ؟ وهل ينوب خالق فى الفنون عن خالق آخر فى الفنون ؟ كلا ... لن ينوب هذا عن ذاك ولن يختلط هذا بذاك ، كما أن الوجه الجميل لا ينوب عند عاشقه عن الوجه الجميل ولو اشتركا معا فى صفة الجمال

كل أديب نمط وحده ، وكل أديب فى غنى عن سائر الأدباء إلا أن يتعاونوا كما أسلفنا فى الحواشى والظروف دون الجوهر واللباب .

* * *

أللأديب رسالة ؟

نعم ، ليس بالأديب من ليست له فى عالم الفكر رسالة ، ومن ليس له وحى وهداية

ولكن هل للأدب كله رسالة تتفق فى غايتها مع اختلاف رسائل الأدباء وتعدد القرائح والآراء ؟

نعم . لهم جميعاً رسالة واحدة هى رسالة الحرية والجمال

عدو الأدب منهم من يخدم الاستبداد ، ومن يقيد طلاقة الفكر ، ومن يشوه محاسن الأشياء

وخائن للأمانة الأدبية من يدعو إلى عقيدة غير عقيدة الحرية

أفيدرى الأستاذ توفيق ما هو — فى رأيى — خطب الثقافة الإنسانية الذى يخشاه دوهامل ويشفق منه كتاب أوربا كافة على مصير الذوق والتفكير والفن والشعور المستقيم ؟

أفيدرى الأستاذ توفيق ما هو — فى رأيى — سر الفتنة الحسية التى غلبت على الطبائع والأذواق وتمثلت فى ملاهى المجون أو ملاهى الأدب الرخيص ؟

سرها الأكبر هو وباء « الدكتاتورية » الذى فشا بين كثير من الأمم فى العصر الأخير

لأن الدكتاتورية كائنة ما كانت ترجع إلى تغليب القوة العضلية على القوة الذهنية والقوة النفسية

ولأنها ترجع بالإنسان إلى حالة الآلة التى تطيع وتعمل بغير مشيئة وبغير تفكير

وأين تذهب المعانى والثقافات ، بين القوى العضلية والآلات ؟

وأين الأديب الذى يستحق أمانة الأدب وهو يبشر بدين الاستبداد ؟

لهذا بقيت عقول تكتب وقرائح تبدع فى الشعوب الديمقراطية ، ولم يبق عقل ولا قريحة فى بلد من بلاد الدكتاتورية

فإذا تعطلت الكتابة والإبداع بعض التعطيل فى أمة ديمقراطية فإنما تتعطل من حالة فيها تشبه أحوال الاستبداد ، وهى انتشار الكثرة العددية بين جمهرة الشعراء ، والرجوع بالذوق إلى العدد الكثير دون المزية النادرة ، أى الرجوع به إلى « الثورة العضلية » لا إلى الحرية أو المزية الفردية

لكل أديب رسالة

ورسالة الأدباء كافة هى التبشير بدين الحرية والإنحاء على صولة المستبدين ، فما من عداوة للأدب ولا من خيانة لأمانة الأديب أشد من عداوة « القوة العضلية » وأخون من خيانة الاستبداد .

عباس محمود العقاد

أعلام الأدب

نســــاء يوريبيدز

للأستاذ دريني خشبة

أكثر أبطال يوريبيدز وأقواهم وأزخرهم بالحياة الصاخبة والعواطف المضطرمة المتضاربة هم من النساء . . . لقد كان ينظر إلى المرأة كما كان إبسن الأسكندناف ينظر إليها . . . كان يرى أنها محور الحياة وقطب دائرتها ؛ وكان يرى إلى الرجل بجانبها كأنه لعبة ، فهى لا تفتأ تلهو به وتتخذ منه ميداناً لنشاطها وفريسة لأهوائها ، فإذا أرضاها فهو هالك ، وإذا أسخطها فهو هالك ، وهو هالك إذا لم يرضها أو لم يسخطها ، لأنها تقف منه دائماً موقف السبع الجائع الذى لا يعرف إلا السطو والنهش وإهراق الدماء لا حبًّا فى هذا كله ، ولكن لأن هذا كله مركب فى طبيعته وجزء من جبلته

ولعل السبب فى هذا ما لقى يوريبيدز من التعاسة فى حياته الزوجية ، فلقد كان الشك يمزق قلبه من ناحية زوجته الأولى التى اتهمها التاريخ بأنها خانت زوجها ، كما يتهم زوجته الثانية بأنها لم تكن أخلص له ولا أوفى من سابقتها ... والمؤرخون المحققون على أن التهمتين باطلتان ، ولو أن فيهما ظلاً من الحق لما أهمله أرستوفان عدو يوريبيدز اللدود ومعاصره ومتسقط أنبائه ومحصى عثراته ... إلا أن قسوة يوريبيدز على المرأة ونظرته الصارمة إليها وما دأب على تحليل أخلاقها به فى أكثر دراماته ، كل ذلك دليل على ما كان يتردد فى أعماقه من أصداء حياته الزوجية ، تلك الأصداء التى كانت تتجاوب فى شدة وفى صرامة وعنف فى ثنايا دراماته ... ولعل أقوى هذه الأصداء جلبة وأشدها ضوضاء ما صور به بطلته البربرية[1] ميديا التى شغفها جاسون حبًّا فلم تبال أن تخون أباها وتذبح أخاها فى سبيل الفرار معه ؛ ثم لم تبال بعد ذلك أن تذبح ابنيها لكى تشب سعيراً من الألم فى نفس حبيبها الذى هو أبوهما لأنه أبغضها لكثرة ما رأى فيها من الميل إلى الأذى والتوسل إلى مآربها بسفك الدماء ، خصوصاً بعد إغرائها بنات بلياس بقتل أبيهن ... وكان عزاءها عن كل ما جنت يداها أن تقف على جاسون وهو يسفك روحه دموعاً بل دماً على ولديه فتشفى حرَد نفسها ودَخَل قلبها لأنه لن يبتسم للحياة بعد ، ولن ينعم بلذائذها بعد أن تركته وحيداً فريداً لا أنيس له ولا مواسى فيواسيه

لقد كان يوريبيدز جباراً فى ميديا سنة ٤٣١ بقدر ما كان جباراً حتى فى أرق دراماته وأروع مآسيه (هيبُّوليتيس) التى غزا بها ميدان الحب الباكى الحزين ، والتى نال بها أولى جوائزه الرسمية سنة ٤٢٨ أى بعد ميديا بثلاث سنوات . ومأساة هيبوليت هذه هى تلك المأساة الغرامية الأولى التى خلصت كلها للحب بعد إذ كان المسرح اليونانى لا يعرف هذا اللون من ألوان الدرام ... فكانت مفاجأةً مربكةً من يوريبيدز وثورة ، ولكن من النوع اللذيذ المحبب ، على تقاليد البيئة الجافية التى عرفت المسز جراندى قبل أن يعرفها العصر الفكتورى بثلاثة وعشرين قرناً ... فيدرا زوجة ثيذوس الملك ، تحب ابنه هيبوليت الشاب الجميل اليافع ، لأنها هى أيضاً شابة جميلة يافعة ، ولأن زوجها رجل شيخ وإن كان بطل أبطال اليونان ! هذه هى المأساة ! ! فكيف يجرؤ يوريبيدز على تناول هذا الموضوع الغرامى الشائك فى درامة تعرض على الجمهور الأثينى الذى كانت تسيطر عليه المسز جراندى الرجعية المحافظة الشديدة الحفاظ على آداب السلف الصالح ؟ وكيف يكون

---

(١) كان اليونانيون يطلقون على غيرهم من الأمم ولاسيما جيرانهم من أهل الشمال وسكان آسيا كلمة البربر ، وهم فى ذلك يشبهون العرب حينما كانو يطلقون على غيرهم كلمة الأعاجم وسنتناول ذلك فى فصلنا (وطنيات يوريبيدز)

أجرأ من سقراط الذى كان لا يرى أن تشارك المرأة فى الحياة العامة ، بل أن تظل نسياً منسياً . بل كيف يكون مقاماً أكثر من بركليس ممثل العصر ، وصاحب نهضته الفكرية ، ورمز مدنيته ؛ وبالرغم من هذا كان يوصى أن تظل الفتاة قابعة فى عقر دارها ، متجملة بسنن السلف وتقاليده ... لكن يوريبيدز كان سوفُسْطائياً قبل كل شىء ، والسوفسطائيون كانوا (صناع الحكمة) كما تدل عليه كلمة Sophia التى تعنى الحكمة أو Aretê أى الفضيلة ، والتى اشتق منها اسمهم Sophistes أى الناس الذين يتناولون البحث فى الحكمة . وليس صحيحاً أنهم كانوا ثرثارين كما اتهموا بذلك ظلماً ، ولكن الصحيح أنه كان منهم العظماء وغير العظماء ، وكان منهم الكبار ، وكان منهم الأحداث ، وكان منهم الأغنياء وغير الأغنياء ، وكان منهم كل صنف من صنوف الشعب ؛ لكنهم كانوا جميعاً ينشدون الحق ، ويهذبون الناس ، وينشرون النور ، ولا يبالون فى سبيل ذلك مصادرة ولا نفياً ولا تقتيلاً .. ويقولون إن يوريبيدز كان يتأثر بسقراط ولو لم يختلط به ، وكان تأثره بالفيلسوف العظيم ينعكس فى دراماته . كما قيل من أن شاكسبير كان يتأثر بيكون ، وإن يكن ما يقال عن هذين يعدو حدود التأثر إلى حدود النَّحْل . فالبالغون من مؤرخى الأدب الإنجليزى يدّعون أن أكثر درامات شاكسبير هى من تأليف بيكون ، وإنما نحلها شاكسبير نفسه ... ونحن ننفى أن يكون يوريبيدز قد تأثر بسقراط فى كثير أو قليل من أدبه . بل نرى أن عكس ذلك هو الذى وقع . فقد ذكرنا أن سقراط كان لا يذهب إلى المسرح إلا ليشاهد درامات يوريبيدز ، وأنه لم تكن تفوته إحداها قط ولو كلفه ذلك ما ليس يحتمله إلا الأشداء من جهد ومشقة . ثم أين نظرة يوريبيدز إلى المرأة وما كان يجنح إليه فى تحليل أخلاقها من عنف وصرامة ، من نظرة سقراط إليها ؟

لقد ألف يوريبيدز أكثر من تسعين درامة كانت البطولة فى أكثرها للمرأة . وقد ضاع من هذه الدرامات التسعين أكثرها بحيث لم يصلنا إلا تسع عشرة ، ومع ذلك فللمرأة البطولة الأولى فى معظم هذه الدرامات الباقية ... ويأتى الرجل فى المرتبة الثانية دائماً إلا فى عدد قليل منها ...

لقد كان يوريبيدز يقسو على المرأة فى غير هوادة كما قسا عليها فى ميديا وكما قسا على فيدرا كما سنرى فيما بعد ، فإذا لم يقس عليها عرض لنواحى ضعفها الذى تسميه الأخلاق وفاء أو حناناً أو حفاظا وتسميه السيكلوجية ضعفاً أو تلبية لنداء الطبيعة إذا كان هذا الضعف زناً أو مروقا من ربقة الزوجية .

١ — ففى ميديا تذبح المرأة أخاها وتنثر أشلاءه من أجل لذتها ، ثم تغرى بنات پلياس بقتل أبيهن من أجل الملك الضائع من زوجها ، ثم تذبح ابنيها اشتفاء — أو تشفيا — من هذا الزوج بعد أن تقتل زوجته الجديدة بالسم حتى تضع حداً لسعادته بعدها .

٢ — وفى هيپّوليت تعشق الزوجة ابن زوجها ، فإذا أبي واستعصم ضاقت بها الأرض وذهبت لتنتحر ، ولكنها تخشى أن يدافع عن نفسه عند أبيه فيفضحها فتزور خطاباً تتهم فيه هيپوليت بأنه راودها بل هم بها بالفعل ، ثم تشنق نفسها بعد ذلك .

٣ — وفى ألستيس Alcestis (٤٣٨ ق . م) يصور لنا أدميتوس الملك الأنانى الذى يعشق الحياة ، حتى إذا كان لا بد له من الموت تقدمت زوجته لتفديه فيقبل الفداء ، وبذا تموت هى عوضاً عنه ويمضى البطل هرقل بعد ذلك ليعود بالزوجة من الدار الآخرة هيدز . فليس وفاؤها هذا وفاء إنما هو ضعف سيكلوجى لأنه حصل من أجل رجل دنىء أثِر أنانى

٤ — وفى هكيوبا (٤٢٤ ق . م) يعرض لك هذه المرأة العظيمة النبيلة زوجة پريام ملك طروادة بعد إذ حل بها ما حل من هوان وأسر ثم سبْى ، وكيف تلقى كل ذلك بأجمل الصبر حتى إذا اشتد بها الضيق وذهبت لتعرض شكواها على أجاممنون عظيم الأغريق الذى آثر نفسه بابنتها كاسندرا ، تلك الفتاة النقية التقية التى احتفظت بعذريتها وتسامت بإنسانيتها حتى غدت نبية الطرواديين فيأتى الملك أجاممنون فيؤثر بها نفسه ورغمها على أن تكون (حظيته !) إشباعاً لشهواته الوضيعة . . . ومع كل ذلك فإن الأم هكيوبا تصبر لهذه المحن ، وتتذرع بكل ما فى طوقها من تجلد حتى إذا فاضت الكأس وسيقت ابنتها الشجاعة الصابرة پولكسينا إلى حيث يضحى بها فوق قبر أخيل كما طلب رعاع الجيش ثار ثائر هكيوبا ومسختها الآلام فصيرتها كلبة من وحوش جهنم الخرافية تتضور وتلهث ، فهى تسمل عينى پوليسمور وتذبح ابنيه لتثأر لآلامها .

٥ — وفى يون (٤٣٠ ق . م) يعرض لك يوريبيدز مشكلة غرام وزنا بين كريزا Creusa بطلة الدرامة وأبوللو إله الشمس والموسيقى فقد أحبها الإله وفسق بها قبل أن تخطب على زوجها إجزوتوس فلما أجاءها المخاض خافت الفضيحة فطمأنها الإله الفاسق وأخذ طفلها يون إلى دلفى حيث خبأته وراء ستائر الذبح فى سفط به شالها وبضعة أشياء أخرى ... وبعد سبع عشرة سنة عاشها إجزوتوس وكريزا من غير ما ولد تمنى الرجل على أبوللو — فى دلفى — أن يرزقه وليا يرثه ، فقال له : إن أول من تلقاه حينما تخرج من هنا هو ولدك ... فلما لقى الرجل الشاب يون احتضنه وفرح به ، وعجب الشاب لهذا الرجل الذى يناديه كأنه ابنه ؛ ثم تلقاه أمه كريزا فيكون بينهما من التشابه والحنان ما يحير الفتى ؛ ثم ترى كريزا السفط فتعرفه وتذكر للفتى أنه سفطها وأنها هى التى أحضرته فيه إلى المعبد فيمتحنها الفتى بسؤالها عن محتويات السفط فتذكرها له جميعاً فيعانقها على أنها أمه ، فإذا سألها عن أبيه ألهمها أبوللو الجواب الكاذب فتقول إنها كانت قد اتصلت بأجزوتوس فى أحد أعياد دلفى فحملت به ... وإذ هى تقول ذلك إذا بكاهنة المعبد تبرز فجأة وتقول الحق الصراح عن نشأة الغلام وأنه ابن زنا من أبوللو ... فتضيق الدنيا بالزوجة وتذهب لتنتحر لولا أن يلقاها أحد العبيد فيشير عليها بأن تقتل الغلام فترضى .. أما يون فإنه يثور ويجدف تجديفاً مضحكا ضد أبوللو . . وتنتهى الدرامة بأن تتدخل مينرفا فى الأمر فتصلح بين الجميع وتهدأ العاصفة ويرضى الكل بالأمر الواقع !

فانظر كيف سخر يوريبيدز من المرأة وكيف استهزأ بالآلهة وفضح أبوللو ومعشوقته ثم أركس مينرفا رمز الحكمة فى بؤرة ذاك الضلال !

٦ — وفى النساء الطرواديات (٤١٥ ق . م) لم ينشئ مؤامرة ما ولم يحبك عقدة درامية ولكنه صور ضعف الأمهات الطرواديات إذ يذهبن إلى المعسكر الإغريقى يسألن القادة الظافرين أن يأمروا لهن بجثث أبنائهن ليدفنها بدل أن تترك بالعراء تنوشها الذئاب وجوارح الطير ومن غير أن تؤدى لها الفرائض الجنازية . وتنتهى الدرامة بأن يتدخل بعض القادة ممن تأثر بدموع الأمهات فيأمر بالأجساد فتحرق ويعطى التراب المتخلف عنها للأمهات ... درامة ضعيفة إلا أن يوريبيدز قصد فيها إلى شيئين ... تصوير ضعف أولئك الأمهات وجبروت الظافرين من جهة ، ثم ذم الحرب والدعوة إلى السلام من جهة أخرى ، لأنه كان أول مبشر بالسلام عرفه التاريخ إذا استثنينا إخناتون المصرى) وسنعرض لذلك فى الفصول التالية إن شاء الله

٧ — أما فى إلكترا (٤١٣ ق . م) فيتناول يوريبيدز المأساة المشهورة التى رأينا إسخيلوس يتناولها فيفسر الحوادث ، ورأينا سوفوكليس يتناولها فيصور كيف كان ينبغى أن تكون الخاتمة لا كما تم من أمرها ... لكن يوريبيدز يتناولها على طريقته الخاصة ... إنه يقصد الناحية السيكلوجية ، ولذا فهو لا يبالغ فيصيب أورست بالجنون بعد قتل أمه كما فعل إسخيلوس ولا يبالغ فى تحميل العاطفة الإنسانية وإرهاقها بما لا تستطيع من ابتهاج بالقتل وفرح به وحض عليه كما فعل سوفوكليس ... لا ... إن يوريبيدز صنع ما صنعه بعده دستوئفسكى الروسى فى قصته الجريمة والعقاب باثنين وعشرين قرناً من الزمان ... إنه جعل أورست يقتل أمه ويده ترتجف بحركة آلية لا إرادة فيها كما قتل روسكلنيكوف اليهودية المرابية العجوز ... حتى إذا تمت الجريمة عادت إلى نفس الفتى والفتاة مرارة عميقة لا هى من الندم ولا هى مما يشبهه ، لكنها مرارة التحسر لكل ما حدث ... ومرارة التحسر مما اضطرهما إليه سياق الحوادث وتسلسلها

٨ — وفى هيلينا (٤١٢ ق . م) يبنى يوريبيدز درامته على أساس فكرة المؤرخ ستاسيخورس الذى يزعم أن هيلين التى تسببت فى حرب طروادة لم تذهب قط مع باريس إلى هذه المدينة بل ظلت طوال سنى الحرب فى مصر تعبث بملكها وتلهو به حينما حاول أن يتزوجها رغماً عنها ويقتل جميع الإغريق الذين ينزلون فى أرضه ... وتنتهى حروب طروادة وتضل سفينة منالوس زوج هيلينا طريقها فى البحر حيث ترسو على الشاطئ المصرى ويلتقى الزوجان فيعرف أحدهما الآخر ويفران بمساعدة أخت الملك إلى اليونان . ويعيب المؤرخون هذه الدرامة بخروجها مما عودنا يوريبيدز من أدب الواقع إلى أدب الخيال ؛ بيد أن فى الدرامة من تحليل أخلاق هيلينا ، تلك المخلوقة الخلاسية (لأنها ابنة إله وامرأة) اللعوب التى لا تعرف من مبادئ الأخلاق أو الفضيلة عشر معشار ما تؤثر من الحب ومغامرات الهوى ؛ فى الدرامة من هذا ومن تحليل أخلاق الكثر ما يغطى ذلك النقص الذى عابه المؤرخون

وكم كان ظريفاً من هيلينا أن تُعَيِّر ألكترا حينما عيرتها هذه بالعهر والالتواء الأخلاقى بأنها غير جميلة، ولو كانت كذلك وواتتها الفرص لما امتنعت من إتيان أضعاف ما أتته هيلينا ؟ !

٩ — أما إفجنيا فى أوليس فهى درامة عجيبة لأنها من هذا النوع الشاكسبيرى الجميل الذى تمتزج فيه المأساة بالملهاة، والدموع الحرار بالضحك الكثير . . ويقال إن يوريبيدز ليس مؤلفها بل تركها غير كاملة فأتمها شاعر آخر قد يكون ابنه[1] الذى أشرنا إليه فى كلمتنا الأولى ... والحقيقة أن فى هذه الدرامة من الفن الجديد ما لم يعرفه يوريبيدز وما لم يعرفه المسرح إلا فى عصر شاكسبير ... وإفجنيا هى تلك الفتاة ابنة الملك أجاممنون قائد الحملة على طروادة والتى تنبأ الكاهن كالخاس بضرورة ذبحها قرباناً لآلهة الريح ليتحرك الأسطول ... يزوّر أجاممنون رسالة إلى زوجته كليتمنسترا كى ترسل ابنتها للاحتفال بعقد قرانها على البطل أخيل فتذهب الأم مع ابنتها وتلقى أخيلاً بما يليق فى مثل هذه الحال من الترحيب وتناديه بخطيب ابنتها فيدهش أخيل لأنه خالى الذهن من كل ما دبر، وينقلب الموقف إلى التضحيك على أخيل فيثور، ثم يعرف الحقيقة ويأتى عبد فيخبر الملكة أن ابنتها ستذبح قرباناً لآلهة الريح فتحزن الأم وتبكى الفتاة ويقسم أخيل أن يحميها من هذه الفعلة ... ثم يعلم الجنود أن أخيلاً هو الذى يحول بين سفرهم وبين ذبح القربان فيثورون ويهجم رجال (الميرميدون) عليه يحصبونه حتى ليوشكوا أن يقتلوه ... وهنا تتقدم الفتاة فتحميه وتهب نفسها ضحية كريمة من أجل أخيل الذى تفضل روحه أرواح عشرة آلاف فتاة مثل إفجنيا[2] ولأنه خرج مغازياً فى سبيل هيلاس ... وتودع الفتاة أمها ثم تخرج بسامة راضية ... وهنا يدخل رسول فجأة حاملاً بشرى طيبة .. لقد أنقذت ديانا الفتاة إفجنيا وطارت بها إلى بلاد البربر ...

١٠ — أما إفجنيا فى توريس (٤١٣ ق . م) فهى بقية قصة إفجنيا ؛ وفيها يعرض يوريبيدز لوناً صارماً من ألوان العراك الداخلى الذى يشب فى نفس الفتاة بين السخط على قومها الذين أوشكوا يقتلونها لغير ذنب وبغير جريرة ، وبين محبتها الطبيعية لوطنها هيلاس فخر الأوطان . لقد ذهبت بها ديانا (أرتميس) إلى ملك التوريين (غير الطورانيين) لتكون كاهنة لمعبدها هناك ، وقد أكرم الملك مثواها ، وعهد إليها بإعداد الغرباء لتحريقهم بالنار (لأن هذا كان دأب الملك ، فكل غريب أو أجنبى يحل بأرضه وخصوصاً إذا كان إغريقياً) أحرقه بالنار . ثم يحدث أن يكون أول غريب يُعهد إليها بإعداده للتحريق هو أخوها وشقيقها أورست الذى طارده قومه بعد قتله أمه ... لقاء هائل بعد سبعة عشر عاماً ... تتحرك العاطفة ، وتترقرق الأحاسيس فى الدماء . يعرف كل منهما الآخر فيبكى ... يا للمشهد المؤثر الذى يرتفع فيه يوريبيدز إلى القمة ! !

ثم تطمئن الفتاة أخاها وتدبر له طريق الهرب إلى شاطئ البحر حيث القارب المعد لفرارهما ، وحيث البحارة الأمناء !

* * *

هذه طائفة من نساء يوريبيدز عرضها فى دراماته عرضاً شائقاً يمتزج فيه الشعر بالأخلاق بالسيكلوجية ، بطريقة أهاجت عليه البيئة الأثينية عامة ، ونساءها خاصة ، لأنها بيئة محافظة لم تتعود أن تُشرّح أسرار نسائها على المسرح على هذا النحو الذى انتحاه يوريبيدز فأخجلها وأغراها به .

وكم كان بودنا لو خلصنا لكل من هذه الدرامات بفصل خاص حتى نتفادى تشويهها بهذا العرض السريع لولا ما نتوخاه من عدم الإملال ، وما نخشاه من فتور نشاط القراء .

دريني خشبة

(١) هذا رأينا نحن ولم يقل به أحد من المؤرخين الذين نعتمد عليهم فى هذه البحوث

(٢) ترجمة وتر طبعة دانت

التفاؤل والتشاؤم أيضاً

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

إذا كان لقائلٍ قولان: قول ينم عن تفاؤل، وآخر ينم عن تشاؤم، فليس من إخلاص الناقد للأدب أو للانسانية أو للقائل أن يشير إلى اليأس فى بعض قوله وألا يذيع الأمل فى بعضه حتى ولو كان الأمل فى الأقل من قوليه ؛ فإذا كان الأمل فى أكثر القولين أو إذا تعادلا كان إخلاص الناقد أقل . ومعاذ الله أن أقول إن الدكتور أدهم غير مخلص للأدب، وإنما يجيء البعد عن الإخلاص من الإسراع فى النقد من غير تدبُّرٍ لهذه الحقائق أو من قلة التقصى والبحث التى هى صفة عامة فى الناس تظهر فى أحكامهم على أكثر الأمور . والناس فى ذلك سواسية لا فرق بين عادل وظالم ، ورفيق وغير رفيق ، وعاقل وغير عاقل . وإنى أحمل حكم الأديب الفاضل على هذه الصفة العامة فى الإنسان وأقول إنه إذا كان لقائل قولان ، وكان أحسن قوليه فى التفاؤل فمن الواجب إذاعة هذا القول ولاسيما أنه ليس تفاؤله بالقليل النزور . ولا نحسب أن منصفا يقول إن ما ذكرنا من الشواهد ليس من أحسن ما قلتُ ؛ وسواء أكان فى نفسه حسناً إذا قورن بقول غيرى أم غير حسن، فهو إذا قورن بما وصفه الناقد بالتشاؤم فى قولى أجود وأحسن وأليق بأن يذاع إذا كانت هناك ضرورة للاذاعة والنشر والنقد ، ولم يرَ الناقد أن من الخير اندثاره كله بمافيه من جيد وردىء ، ومن تفاؤل وتشاؤم . وفى قولى من الردىء ما أسفت لنشره .

ولم أذكر جميع الشواهد والقصائد التى تثبت ما فصلته فى مقالى السابق، ففى قصيدة (مصارع النجباء) أيضاً أمل وتفاؤل وطموح ومنها :

إنَّ الحياةَ جمالَها وبَهاءها   هبَةٌ من النجباء والشهداء
لولا طماح الحالمين وهمُّهم   بقِىَ الورى كالتربة الغبراء
الحالمون بكل مجــد خالدٍ   سامى المنال كمنزل الجوزاء
الشائدون الهادمون ذوو النهى   والعقل أعظم هــادم بنّاء
الخالقون المهلكون الشارعو   ن المرسلون بآية غرّاء

(*) ذوات الخمار فى المقال السابق صحته ذوى أى الذين أصابهم خمار الخمر .

فحياتهم وفعــالهم ودماؤهم   مَثَلُ الهدى وكواكب الإسراء

وأرجوزة (قوة الفكر) وقد نشرت فى المقطم وفى الجزء الخامس تدعو إلى تقديس مظاهر الفكر فى الحياة والتفاؤل حتى بالخطوب التى يسببها الفكر ومنها :

إنَّ الخطوبَ سنّةُ التجدُّد   فلا تُرَعْ من سهمها المسدَّد
وأول الفكر الكبير خطْبُ   ثم يَظَلُّ خيره يُرَبُّ

وقصيدة (عبث الشكوى) فى عنوانها ما يدل عليها. وقصيدة (أبناء الشمال) تدعو إلى السعى والعمل والأمل ومنها :

هُمْ لداعى السعى والآ   مال عُمّال عِجَالُ
تعرف البيداء مسعا   هُمْ وتنبيك الجبال

وقصيدة (صوت الله) تدعو إلى الاطمئنان إلى إرادة الله فى الحياة وإلى الالتجاء إليه ومنها :

وإنما نفس الفتى معبد   يضيئها الله بنور عميم

وقصيدة (جهاد المصلحين) تصف ما يعترض الناس عامة من ترك آمال الإصلاح ومساعيه وتدعو إلى التشبث بها ومنها :

ترى دنس الأشياء رؤية آلفٍ   يرى أن أحلام النفوس لغوب
يظن جهاد المرء فى العيش ضلَّةً   وأن مساعى المصلحين تخيب
يرى أن خير الكون ما هو كائنٌ   ووحى النفوس الساميات مُريب
ويحسب أن الشر ضربة لازبٍ   وأن أساليب الحياة ضروب
ويصبح فى مجرى الحوادث ريشةً   تجوب به الأيام حيث تجوب
ويطفئ نور النفس حتى كأنما   دواعى النفوس الساميات عيوب
فلا تعجبَنْ إن الشرور كثيرةٌ   ولكنَّ يأس العاملين عجيب

وقصيدة (سنة العيش) تصف أمل المصلحين فى أن تلطّف طباع الحرص والشر فى النفس وتصف كيف أن فشل المصلحين ينبغى ألا يعوق عن الأمل ومنها :

طَبْعٌ قديمٌ سينضو المرء خلعته
مثل الأديم نضته صِمّة الصِّمَمِ (١)
لا بد من فشلٍ من بعده فشلٌ
حتى يفيق سواد الناس من صَمَمِ
لا يسعد الناس سن الحرص سنتهم
حتى يُطَهِّرَ داءَ الحرص بالندمِ

(١) الصمة الحية : أى يخلع المرء طابع الحرص كما تخلع الحية جلدها

وقصيدة (البطل المنتظر) تصف صلاح أمور الناس وتصف تفاؤلهم وأملهم وعملهم بعد الركود واليأس ومنها :

تمرُّ دُهُورٌ والحياةُ كآجِنٍ
أمَرَّ وقدما كان وهو طَهُورُ
إلى أن يحل الغيث حبوة مائه
فيترع منه جدول وغدير
كذلك حال الناس فالناس آجن
مرير وماء النابغين نمير
وبارقة تجلو الظلام وصاعق
يشب لهيباً والأنام قشور
فيضطرم القلب الذي كان خامداً
ويصبح روض النفس وهو نضير
وتعظم نفس المرء حتى كأنها
عوالم فيها الكائنات تدور

وقصيدة (الإيمان والقضاء) تصف أثر الإيمان في بعث القوة والأمل في النفس ومنها :

كنفٌ مانعٌ وظلٌّ ظليلٌ
وشرابٌ يشفى أوام الظماء

وهناك مقطوعات كثيرة مثل :

كل ما في الوجود مما يريق الـ
ـدمع أو يستميح شجو الرحيم
كل شرٍّ مهما تعاظم لو قيـ
ـس بشأن الوجود غير عظيم
فليست للتفاؤل عقيدة أعظم
مما في هذين البيتين . وقصيدة : (الحياة والفنون) . كلها تفاؤل بجمال الفنون في الحياة ووصف لجمال كل فن من الفنون الجميلة والفنون النافعة وأولها :

جمَّلكِ الله يا حياة كما
جمل وجه السماء بالشُّهُبِ

والدعوة إلى بلوغ النفس غايتها بالطموح منتشرة في أكثر القصائد كما في قصيدة (غل السرائر) . ومنها :

وإنَّ رضاء النفس ما ينبغي لها
وليس رضاء النفس ما هو كائن

وفي قصيدة أخرى :

والندب يحمل بين جنبيه الدنى
روعَ الغريب وراحةَ المألوف
إنَّ الذي درس الزمان وفعله
لأجلُّ من حدث الزمان الموفى
ويشيم أسرار الحياة بحكمة
تُعدِى على المجهول والمعروف

وفي قصيدة (العظيم) وصفٌ لاستنباط فضائل النفس من تجارب الحياة حتى تجارب الشر والشقاء . ومنها .

وفضائلٌ ليست لغير مُجرِّب
إن التجارب حجة الرجحان
وأجلُّ خير النفس بعد بلائها
فالعيش حرب فضيلة الفغلان

وفي قصيدة (الشمطاء الفتية) وصف للرجاء الذي هو عبادة وللاعتقاد الذي تزيده الأرزاء :

نصبٌ خالدٌ وأعظم منه
اعتقادٌ تزيده الأرزاءُ

من برجنا العاجي

كلما ارتقى فكر أمة انصرفت إلى إتقان الصناعة وحذق الوسائل الفنية، وشعرت في الحال بافتقارها إلى المواد الأولية. فالصناعة غول فاغر فاه يريد أن يلقف أكبر مقدار من المادة ليحيلها إلى خلق جديد له وزن وثمن . أما الأمم العادية فهي مشغولة في أغلب الأحيان بإنتاج المادة الخام

كذلك الحال في دولة الأدب والفن . فإن الأديب أو الفنان قبل أن يصل إلى مرحلة الانقطاع للفن والصناعة يكون شأنه شأن عامة الأفراد : يعيش الحياة المفعمة بشتى الحوادث ، الزاخرة بألوان المادة الصالحة ، حتى يدعوه الفن إلى سمائه ، فإذا هو يرى أن حذق أساليب الفن وإتقان أسباب الصناعة أمر لا بد له من تكريس حياة بأكملها . فإذا هو قد انصرف عن حياة الناس العادية بما فيها من وقائع هامة وتافهة وأحداث هائلة أو حقيرة ، وانعزل في شبه « معمل » فني أو مصنع فكري يجوّد فيه وسائله ليملك ناصية ملكاته ، إلى أن يحس من نفسه أنه قد قطع في هذا السبيل شوطاً كبيراً وأنه قد غدا صاحب صناعة . فيلتفت فإذا أيامه التي قضاها في مصنع الفن قد فصلته عن الحياة الرحبة الصاخبة الزاخرة ، وإذا حياته الآن فارغة إلا من جواهر الفكر ولباب التأمل وتجاريب الصناعة القلمية أو الفنية . وإذا هو محتاج لاستعمال فنه وصناعته إلى مواد أولية لا يدري من أين يأتي بها . فهو تارة يرجع إلى حوادث الماضي فينسج من ذكرياتها تلك الأثواب الجميلة التي تخرج عن مصنع فكره وفنه . لقد لحظ ذلك مرة شارلز ديكنز فقال وهو في سن الستين :

« إني دائماً أتغذى وأغذى قصصي ومؤلفاتي بذكريات الطفولة والصبا ! » .

ما الأديب ذو الصناعة إذن إلا دولة صناعية في حاجة دائمة إلى المواد الأولية .

توفيق الحكيم

ورجاءٌ هو العبادة والإيـ ـمان درعٌ يرتد عنه الفناءُ

وقصيدة (العدل والكسب) تصف كيف أن الأمل والصبر أعظم حتى من العدل :

فطوبى لمظلوم رأى العدل معوزاً قضى أن فوق العدل صبر المحارب

وفى (حقوق الفرائض) تقديم للفروض على الحقوق، وما تستلزمه الفروض من أمل وعمل :

لَنْ يبلغ المرء العُلَى بحقوقه إلاَّ إذا بلغ العلَى بحقوقها

وقصيدة (البطل) تصف ما يكون من أثر الأمل والعمل فى مجرى الحوادث والأقدار ومنها :

ترمى الحوادث بالظلال أمامها فترى خُطى الأمر الذى هو آتى

يا راكب الأيام تجرى تحته مأمونة الخطوات والعداوات

إنّ المقادر تنتحيك لأنها رِيضَتْ لديك بحكمة وحَصاة

كالخيل تعرف رائضاً ومُذلِّلاً عند اعتقاد السرج والصهوات

وهذه الشواهد كلها شواهد جديدة لم نشر إليها فى المقال السابق. ولو شاء الناقد الفاضل الزيادة زدناه ولكنا نختم هذا المقال بالأبيات الآتية أولاً فى وصف أمل النفس فى أن تتغلب جهود الشباب على طاغوت الحياة وهذا غاية التفاؤل :

ويُذلُّ طاغوتَ الأمور فتغتدى شَرْعَ الحياة شريعةُ الرحمن

وثانياً فى وصف تفاؤل النفس واعتقادها فجراً للانسانية مستقبلا :

وأملتُ للدنيا صباحاً مؤجّلاً سيكشف عنها ظلمة الضيم والشر

فكل صباح رمزه ومثاله ووعد به يحدو إلى الزمن النضر

نُسرُّ بِنُعماه وإن لم تكنْ لنا وننشده فيما يكون من الدهر

وثالثاً فى وصف الاستبشار بقبول الشقاء لتحقق سعادة الإنسانية المقبلة :

أيفدح أن تقاسوا العيش نحساً ليُسْعدَ بعدكم صحباً وآلا

وكم من نعمة لولا شقاءٌ قديماً لم تكُنْ إلا وبالا

فكم خَبَرَ الأوائل من شقاء فنلنا من شقائِهِمُ نوالا

ورابعاً فى أن السعادة واللذة شعور لا يستقيم إلا إذا شعر المرء بالألم :

لا يطعم السعد الشَّهيَّ وشهده من لا تَرود فؤادَه الآلام

وإذا أراد الأستاذ الفاضل زيادة من شعر التفاؤل فإنه يجده كما فى قصيدة (حياة جديدة) ومنها :

تلك قلوبٌ كأنها قبسٌ يضىء دجنَ القضاء والغيب

قد آمنت بالعلاء واعتقدت كما يقنَّا الإلـه فى الحجب

وكما فى قصيدة الباحث :

عشت دهرى بالبحث والأمل الحلـ ـو ولولاه لم أرُحْ بالنجاء

من سهام المنون إن صروف الـ ـدهر فينا كثيرة الإصماء

أنشد الحق بالتقلُّبِ فى العيـ ـش وأبغى سريرة الأشياء

وقد قلنا قديماً إن فى النفس البشرية قوة تستطيع أن تحول التشاؤم إلى غرض من أغراض التفاؤل، وإلى قوة من قوى الاستبسال فى طلب الأمل (إنما اليأس سبيل للمنى) . ونعود فنقول إنه ليس من الإخلاص للأدب أو الأديب أو الإنسانية ترك أحسن ما فى قول القائل. وهذا قول لا ننعت به الناقد الفاضل

عبد الرحمن شكرى

هتلر

لأستاذ جليل

لو رام اليوم جرمانى مشغوف بهتلر أن ينشئ كتاباً كبيراً فى تقريظ إمامه وزعيمه جاهداً نفسه متنوقاً محتفلاً فى كلامه مستنجداً ببلاغة غوته — ما استطاعَ عندى أن يأتى فى كتاب بمثل الذى قاله أبو تمام فى بيت . وسأروى بيت حبيب وأبياتاً ثلاثة قبله ، والشاهد هو ، وتلكم مقدمات نفيسات. قال ابن أوس الغواص على المعانى :

قد علمنا أن ليس إلا بشق النفس (م) صار (العظيم) يدعى (عظيما) (١)

طلب المجد يورث المرء خبلا وهموماً تقضقض الحيزوما (٢)

فتراه وهو الخلىّ شجيًّا وتراه وهو الصحيح سقيما (٣)

تيمتْه العلا فليس يَعُدالبؤس (م) بؤساً ولا النعيم نعيما

وإن امرءاً ترك فى الدنيا هذا الدوى(٤) وبلغ بنفسه الكبيرة ما بلغ « من الرَّفْش إلى العرش(٥) » لعظيم حق عظيم ، كل العظيم(٦)

عطست بأنف شامخ وتناولت يداى الثريا قاعداً غير قائم (٧)

(١) شق : بالكسر والفتح ، وأكثر القراء على الكسر فى القول الكريم : لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس

(٢) تقضقض : تكسر . الحيزوم : الصدر

(٣) قالوا : شجاه يشجوه فهو مشجو وشجى ، وشجى هو — كرضى — فهو شج . وفى تشديد الياء وتخفيفها كلام كثير ، وقد ورد المشدد والمخفف

(٤) من قول المتنبى :

وتركك فى الدنيا دويا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

وقبله بيتان معلومان : ولا تحسبن ، وتضريب أعناق ...

(٥) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ، والرفش بالفتح والضم . فى اللسان: « يقال للرجل يشرف بعد خموله أو يعز بعد الذل : (من الرفش إلى العرش) أى قعد على العرش بعد ضربه بالرفش. وفى التهذيب: أى جلس على سرير الملك بعد ما كان يعمل بالرفش وهذا من أمثال العراق » والرفش المجرفة يرفش بها البراى القمح ، الحنطة

(٦) بعضهم يقول : عظيم بكل معنى الكلمة ، وهو كلام لا معنى له فى العربية عند التفتيش والتحقيق

(٧) إسحق الموصلى

وإذا تذكر الهر الفوهرر صَيُّور(١) غشَمْشمين(٢) مخاطرين مثل نونابرته — كما يسميه الجبرتى — وغليوم نزيل هولاندة ، وتدبر قول المهلب بن أبى صفرة ، الجملة الأولى منه : « الإقدام على الهلكة تغرير ، والإحجام عن الفرصة جبن شديد » ومال بالتهويل وبالوعيد ، بالكلام لا بالمدفع والحسام أمانيّه ، وفارق الدنيا دون أن يحرقها ويحرق الإنكليز والفرنسيين وصَحْبه الطليان(٣) ويحترق — فإذا تذكر وتدبر وقام اللسان مقام السنان كان فوق الرجل العظيم ، كان (والله) عجيبة ، كان نبى الجرمان ، على أنه اليوم نبى القوم

وإنى لأنوه به تنويهاً لبطولته وعظمته وإن شتم الشتامة(٤) وقال فى أجناس الناس غير الحق. إنه من قادة الأمم العظماء، لا من الباحثين الفاحصين العلماء ، وإن جهل ألمانى أو غير ألمانى أصوله الكريمة وأعراقه الدساسة ... فليرجع إلى كتاب الأنساب لغير السمعانى، وليقرأ مؤلفات الأستاذ أرنست هيكل العالم الجرىء الجرمانى، حتى يعرف متغطرس منتفخ من هو ، ومن جده وأبوه

إن هتلر من الزعماء لا من العلماء ، فقوله فى الأصل والفصل والجنس والنوع هراء بهرج ، المحقق لا يقوله

وإنه والله يا أخا العرب ، على العلات لعظيم أىُّ عظيم

ولقد ذكرتنى خلائق فى ابن هتلر : إخلاصهُ وزهدهُ وبطولته ، بأبطال كرام عظيمين من العربيين والمسلمين السابقين سادة الدنيا وهداة العالمين

محمد ! إبعث لنا واحداً من مثلهم ، واحداً من مثلهم !

(الاسكندرية)

(***)

(١) صيوره : مآله، عاقبته

(٢) الغشمشم : هو الذى يركب رأسه ، ولا يثنيه شىء عما يريد ويهوى

(٣) يقولون فى الشرق : أحرقهم الله جميعا !

(٤) الشتامة : الأسد العابس ، والشتامة الكثير الشتم

صلوات فكر

في محاريب الطبيعة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

٣ — الاستغراب

أيدرى ناظر فى الطبيعة ماذا يحدث أمامه كل لحظة ؟

الطبيعة تعمل أعمالها العظيمة المتعددة فى كل لحظة .. تدير الأجرام ، وتبنى الأجسام وتسكب الشعاع ، وتسوق الريح ، وتوزع الدورات ، وتملأ جميع القوالب ، وتعطى الإذن والمشورة والرأى لكل شىء ...

لا اصطدام ولا تناقض ولا فطور ولا صدوع . تجيب كل حى بلسانه وتكلمه وتوصيه وتوجهه وتلد وتدفن وتضحك وتُعْول . لا تنام ، ولا تستريح . قلبها لا يقف عن الدوران والنبض . كل بذرة ، كل بويضة ، كل ورقة ، كل حشرة ، كل ذرة تحتاج إلى عنايتها وإرشادها ، وهى تعطى العناية والمشورة ولا تخطىء !

من يكذبنى فليذهب إلى حديقة الحيوان بالقاهرة أو إلى أى حديقة مثلها ، حيث تجتمع فيها نماذج حياة الأرض ، ليرى ويسمع « الجوق » وهو يعزف « أوبرا » الحياة جميعها ...

إن حديقة الحيوان موضع عناية الله البارىء ! إنها عندى معبد أذهب إليه كثيراً بالجسم حين أكون فى القاهرة ، وأذهب إليه الآن وأنا فى العراق بالروح والفكر لأقف مع الأحياء جميعها أمام الله !

إنها معرض دائم للمنتوجات الحية المجموعة من كل مكان فى الأرض . إنها حسنة من حسنات الإنسان لولا أنه فعلها غير مقصودة ، بل للهو والمتاع بدون فكر وروح ...

إن الملائكة يتفرجون بها أكثر مما يتفرج الناس ... ليروا فعل ربهم فى غير عالمهم ... فى عالم الطين ... إنهم يعجبون من تصنيف القلوب والشكول والعقول فيها ... وإن القلوب والطباع هناك أمرها عجيب . الأضداد والأعداء ينظر بعضها إلى بعض من خلال الأقفاص ويتعجب كل منها من هذا الوضع الشاذ فى حياته . وترى تناقضاً بين ما فى قلوبها وبين حياتها وهى مجموعة ينظر بعضها إلى بعض نظرات متدافعة من خلال القضبان ...

قف هناك طويلاً وانظر هيآت الأجسام والنفوس المتعددة ... أنظر نظرات العيون المختلفة وفكر : كم للدنيا من أشكال متعددة عند كل نوع من أنواع ساكنيها ... أنظر نظرات العيون المختلفة واسمع أصوات الحناجر المختلفة واستحضر روح سليمان بن داود مفهم الطير والبهائم والمرَدَة ...

امسح على الجلود والريش والشعر والقشر وشق البطون والجلود وانظر الآلات التى تدور بها هذه الأجسام ...

أفقه شجاعة الأسد وجبن الفأر وحقد الثعبان ووداعة الحمل وشراهة الذئب ومكر الثعلب و .. قد خلق ربك كل هذا من طين يا أخى ! كل قلب من قلوبها يختص بصفة واحدة من الصفات التى جمعها فى قلب الإنسان : خلاصة الحياة والأحياء والابن البكر للطبيعة ...

« حديقة الحيوان » تسمية أولى منها أن يقال « حديقة الحياة »

٤ — لمن هذا كله ؟

كل يوم تفرش الدنيا بالضياء أمام الإنسان ليسير ، وتسدل عليها أستار الظلام لينام ... وسواء أكان على الأرض قدم تسير أم لم تكن .. وسواء أكان على المهاد جسم ينام أم لم يكن ... فإن الآلات الإلهية تدور فى دءوب عجيب وعدم اكتراث بالإنسان فالصباح يشرق على العاهل والباهل والنابه والخامل ، والمساء يستر السهران والنائم المكدود ، والربيع والخريف والصيف والشتاء تتداول وجه الأرض ؛ يحيا الإنسان ويموت وهى عاملة ناصبة لا تبالى ...

فالدنيا تدور باطراد ويدور معها كل شىء لا فكر فيه ، ولا يتخلف إلا الإنسان فإنه قد يقف فى مكانه حقباً تطول ، أو قد يدور دورة عكسية إلى الخلف ! لأن فيه قوة الاختيار ...

ويخيل للمتأمل أن الدنيا قد دارت « على الفاضى » كثيراً عند ما لم يعمل الإنسان عملاً يقدمه إلى الأمام ، وقد ضاعت قوى كثيرة من عمر الزمان سدى ... ضيعها جهل الإنسان وبطؤه فى إدراك وجهة الحياة

فمن المنتفع بالحياة ؟ من الذى خلقت له الحياة ؟

هو الذى لا يضيع شعاع ضوء من أضواء النهار سدى ، ولا قطرة من ماء السماء سدى ، ولا بذرة من بذور الأرض سدى ، ويحتفل احتفالاً ليرى صنعة الله !

هذا الذى يلقى أمامه الإله العطايا فيلقطها فى يقظة لينتفع وينفع ...

هذا الذى عرف قيمة الحياة هبة الله العظمى ! وأحسها إحساساً عميقاً وفكر فيها فكراً ، وأقبل عليها فى شغف إقبال الأطفال على « السينما » ... فرأى كل شىء ، وقرأ كل شىء ، ووضع قلبه وفكره على كل شىء ...

هذا الذى يستعمل مواهبه من الله ليُريه أثرَ صنعته العجيبة فى الإنسان ... وليؤدى دوره كاملاً بين الكائنات كما تؤدى أدوارها بقية جنود الله ...

هذا الذى يفكر ويأكل ويغنى ويندب .ويضحك ملء رئتيه ويبكى ملء عينيه ، ويلد ويدفن ويعمل بيده ويمشى برجله : أعنى لا يعطل شيئاً ولا يتمرد ...

هذا الذى لا يغلق حواسه عن جمال دنياه ... ولا يترك باباً من أبواب المعرفة إلا قرعه ودخل منه إلى سر من أسرار الله ...

هذا الذى تتمثل فيه مجموعات الأحياء، وينطوى فيه العالم الأكبر ...

كل شىء يؤدى خواص خلقته وتكوينه إلا الإنسان . فقد شغل عن خاصته التى له وحده وذهل عنها دهراً طويلاً إلا أفراداً قلائل ...

فتشوا كم من الناس عاشوا كما يريد رب الحياة فى النوع ؟ مليون ؟ ثلاثة ؟ ألف مليون ؟

يا ضيعة الإنسان إن كانت نسبة « العارفين » منه فى جميع الأزمان كنسبة الذين نراهم الآن فى زماننا !

كلمة ! سوف لا يدخل إلى الله إلا الذين عرفوه وعرفوا سر صنعته هنا ... أما غيرهم فيذهبون إلى جحيم الحرمان والنسيان . « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون ... »

٥ – صور من الأوهام فى الغمام

أمامى الآن فى السماء دنيا كاملة من الصور والأشكال ... نسقتها الصدفة وحبكتها الأوهام ... كلها من وهمى وليس فيها من الحقيقة شىء ... لو أرادت عبقرية أى مصور أن تخرج مثلها لعجزت .. إنها دنيا من همسات الظنون وخافيات الأحلام فى نفسى .. أنظر إليها ولا أمل كما ينظر الطفل إلى فقاقيع الصابون التى تكون وتنفجر فى لحظة ، وأجد راحة فى نفسى لا تنتهى ، ولا عمق لها

إنى أجد فى الأرض آثار النظام والإحكام والتحديدات والقوالب القاسية التى لا تسمح للخيال بالانطلاق وتكوين ما يريد . ولكنى أجد فى فوضى الغمام ومزج الصور فيه انطلاقاً وحرية فى تركيب الصور ، وفى ذلك ما يرضى ويشبع حاستى باللانهائية ويجعلنى غير خاضع لمنطق الصور الأرضية وأصول التجسيم

فعالم الأجسام والأحجام والصور الحقيقية فى الأرض هو عندى روايات تمثيلية يمثلها أناس وحيوانات حقيقية ، وعالم أشباح الغمام كعالم الصور المتحركة التى يمثلها « ميكى ماوس » وأضرابه ، مما يعطى كل جماد وكل حيوان ونبات روح فكر ورمز وحركة وحياة

ولو كنت مصوراً لأخذت من تهاويل الغمام فى ساعة واحدة آلافاً من « رءوس الأفكار » فى أوضاع الأجسام وإخراج البدائع . ولا شك أن هذا هو أصل التماثيل الخرافية الأسطورية التى لم يتقيد صانعوها بما هو كائن حقيقى ولا بالقوالب المعروفة للأجسام . بل ركبوا متناقضات وجمعوا مفارقات وأخرجوها ليرضوا بها نزعات الانطلاق فى النفس الإنسانية زمان طفولتها

فيا عالم الانطلاق ! أنا أنظر إليك سجيناً بأغلالى وأصفادى مربوطاً بالعقل الأرضى والمنطق الإنسانى ... لم يشبع خيالى تنوع الصور الأرضية ولم أقف عند حد . وإنما فى نفسى إدراك عميق تام أن الصور التى عند ربى لا تنتهى

فأطلق اللهم خيالى من العالم « المتبلور » إلى العالم المائع الذى لا أجسام فيه ولا أحجام ... أطلق خيالى ولا تضيعه ! أسعدنى به على القيود ما دمت قد حبوتنى هذا النزوع الحاد الدائم إلى الرحلة فى عجائب ما تصنع وما تستطيع أن تصنع ؛ ولا حد لاستطاعتك !

إن عالم الجمال الأرضى لم يملأ عينى ونفسى ، ولم يزدنى إلا تطلعاً إلى ما عندك مما خفى على قدرتى المحدودة . ولست طامعاً ، ولكنى أدركت السر الذى خلقت من أجله ، فلن أنام عنه بعدُ ، ولن أصبر ، ولن أميت أشواقى وأطرابى إليه . وأقسم لك بجلال وجهك ! إنى ما قصرت فى السعى لإدراك أمرك ولن أقصر ... وكيف أخلق هكذا بصيراً ثم لا أسعى لأرى ؟ كيف أبصر النجم العالى ، والقرار الدانى ، والعقل الإنسانى ، ثم أقف عند حد وأتقيد بقيد ؟ إن سر أمرك دائماً فى أفكارى وفى أحلامى ، ولا أملك غيرهما من معنى الحياة . أما نومى العميق الخالى من الأحلام فذلك ما لا أملك من أمرى . . .

« بغداد — الرستمية » عبد المنعم خلوف

المدرســـة الابتدائية
وتعليم اللغة الأجنبية
للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

لا شك عندى فى أن كل من تناول بالتفكير بعض المشاكل الاجتماعية ، لا بد يعلم أن أساس التفاهم الحق بين أبناء الأمة الواحدة هو التعليم الموحَّد . فلقد شهدنا ظروفاً لم يفرق فيها اختلاف التعليم ، واختلاف طرائقه وأساليبه بين لهجة ابن مصر العليا ، وابن مصر السفلى فحسب ، بل فرق فيها ذلك بين أبناء القرية الواحدة إن لم يكن بين أبناء الأسرة الواحدة الذين وقعت بهم الظروف فى أحضان معاهد مختلفة بين : مصرية أو أجنبية مدنية أو دينية . وما نشأت تلك الفرقة التى كثيراً ما تؤدى إلى الجفاء إلا من اختلاف نوع الثقافة ، ذلك الاختلاف الذى يخلق عقلية خاصة يصحبها تفكير خاص ومزاج خاص . ثم إننا نجد على العكس من ذلك أن التعليم فى المدرسة الواحدة يؤلف بين المتباغضين ، ويقرب بين المتباعدين ، ويوحد بين المتنافرين ، لأنه يجمع بينهما فى أهم وسائل التفاهم : اللغة واللهجة وطرق التفكير ووحدة طرق التنشئة . فترى الآن الصعيدى والبحراوى متجاورين فى دواوين الحكومة متفقين متفاهمين كاتبين كانا أو قاضيين ، مهندسين أو معلمين ، مديرين أو وزيرين ؛ حتى لا تكاد تعرف أيهما الصعيدى ، وأيهما البحراوى ، لأن المدرسة التى نشآ فيها كان لها الأثر الفعال فى تنشئتهما تنشئة واحدة مهما كان نوعها .

فهل هناك إذن من سبيل إلى التوحيد والتفاهم غير المدرسة الموحدة التى سبق أن أثبتنا أنها السبيل الوحيد أيضاً إلى المساواة فى الحقوق بين الجميع أو إلى الديمقراطية الصحيحة ؟ إنك لا تجد مطلقاً أن من السهل خلق جو من التفاهم الأكيد بين الأزهرى والأفندى كما لا تجد من السهل إيجاد تفاهم تام بين : المعلم الإلزامى وخريج دار العلوم، أو بين هذا وخريج معهد التربية. ولذلك تجد مشاكل وزارة المعارف لاتنتهى للخلافات المستمرة بين تشكيلة رجال التعليم الذين نشأوا فى معاهدمتعددة مختلفة الثقافة. ثم هل استطاعت وزارة العدل بما يملأ أرجاءها من العدل وبما تنشره من المساواة بين الناس جميعاً فى الحقوق بحكم القانون أن تنشر جواً من التفاهم الصحيح بين القاضى الأهلى والقاضى الشرعى اللذين نشآ فى مدرستين متباعدتى الثقافة ! ألم تشغل طويلاً وزارة العدل ولا زالت تشغل بالخلاف القائم بين القاضيين المتآخيين فى الوطن المتباعدين فى النشأة؟ وهل انتهى حتى اليوم شيء من الخلاف القائم بين خريج الأزهر الشريف وخريج الجامعة المصرية وخريج دار العلوم ! وإذا كان وزراؤنا وكبراؤنا لا تقلقهم تلك المشاكل الطائفية التى تواجههم بسبب الاختلاف فى الثقافة فإنهم على الأقل يضيعون الكثير من وقتهم ومجهوداتهم التى نحس أننا أحوج ما نكون إليها الآن فى أمور تافهة أو ثانوية بالنسبة لما تحتاج إليه مصر من مجهودات فى شتى النواحى العمرانية والاجتماعية . وما بال هذه الصيحات المتعددة بدعوة الزعماء والأحزاب والمتحزبين إلى المهادنة وضم الصفوف فى الأوقات العصيبة التى تجتازها ، فهل وجدت إلا إعراضاً وإهمالاً وإمعاناً فى الخصومة ؟ وإذا كان بعض المفكرين ينسبون ذلك إلى أخلاقنا فهلا يرىَ القارئ معى أن بعضه يرجع إلى الاختلاف الواقع فى صفوفنا منذ نشأنا النشأة الأولى فى معاهد مختلفة الثقافة بعضها فرنسى وبعضها إنجليزى وبعضها مصرى مدنى والبعض الآخر دينى الخ ! ألا إن تماسك الشعب المصرى ووحدته المتمثلة فى فلاحيه الجهلاء لتتناثر وتتفتت إلى قوى متنافرة متخاذلة فى قادته وزعمائه المتعلمين الذين رضعوا لبان ثقافات مختلفة

فى معاهد مختلفة فتفاوتت عقلياتهم وتضاربت آراؤهم وأصبحوا أميل دائماً إلى الخصومة منهم إلى التعاون والألفة !

لقد أصبحنا فى أشد الحاجة إلى وضع حد لكل ذلك . ووضع هذا الحد لا يكون بالكلام والصياح ولكنه يكون بالعمل، والعمل على التوفيق بين مختلف الطوائف والأحزاب أمر يصعب تحقيقه للأسباب السالفة الذكر فى جيلنا الحاضر . فلنضع إذن الحجر الأساسى لبناء جيل جديد دعامته التعاون والاتحاد . وتنشئة هـذا الجيل الجديد لا تكون إلا بإيجاد المدرسة الموحدة ، ولن تكون لنا مدرسة موحدة مادامت اللغة الأجنبية تفرق بين أبناء المدرسة الابتدائية وأبناء المدرسة الإلزامية والأولية والدينية .

ورد فى مؤلفى « التعليم والمتعطلون فى مصر » تحت عنوان « خلق الطبقات » ص ١٩٥ ما يأتى :

« فهذه المدارس الشعبية الأولى المتعددة التى تتنازع أطفالنا (ويقصد بها الأولية والإلزامية والابتدائية والدينية الخ) تخلق أول تصدع فى بناء الأمة الواحدة لأنها تخلق نظام الطبقات المختلفة فى جسم هذه الأمة ذات الدين الواحد والعادات المتحدة واللغة الواحدة . وخلق الطبقات بين أمة هذا حالها لا يقره دين ولا نظام؛ فالديمقراطية تنفر منه كل النفور لأنه لا يمكن أن يؤدى إلى الاشتراك فى الميول والرغبات ، ولا يمكن أن يؤدى إلى الاتحاد فى الفهم العام الذى هو أساس التفاهم بين الأفراد ، فهو إذن ينزع إلى التفرقة الشاملة بين أفراد الأمة الواحدة . ولعل قيامه بهذا الشكل هو السر الأول فى هذه الفرقة التى نحسها فى ديارنا فى كل شىء . وطالما هو قائم فى هذه المدارس المتباينة التى نرى فى كل منها اختلافاً فى الطرائق والأساليب والمذاهب فلن تكون لنا وحدة متماسكة ولن نستطيع أن نخلق من أبناء النيل أمة متحدة فى الفهم والقصد ترمى إلى غرض واحد وتتعاون فى طريق واحد » . هذا ولقد دفعتنا العناية الكبيرة التى اضطررنا إلى توجيهها إلى التعليم الابتدائى فالثانوى تبعاً – إلى إهمال شأن التعليمين الإلزامى والأولى إهمالاً كبيراً تدل عليه تلك الإحصائية الواردة بصفحة ١٧٦ من مؤلفى السابق الذكر حيث ورد فيها أن تلميذ التعليم الابتدائى ينفق عليه ٢٤ جنيهاً فى العام وتلميذ روضة الأطفال ينفق عليه ٣٢ جنيهاً فى العام ، بينما تلميذ الإلزامى والأولى ينفق عليه جنيه واحد فى العام. وهذه تفرقة كبيرة جداً بل هى مؤلمة وليس لها من مبرر غير ذلك الهدف القديم الذى كنا نرمى إليه فى التعليمين الابتدائى والثانوى من حيث إعداد خريجيهما للوظائف والتوظف ، وهو هدف بدأ يزول من أدمغة القادة ولكنه مع الأسف لازال راسخاً فى أدمغة الطلبة وسواد الشعب، ويجب أن نعمل على نزعه من تلك الأدمغة سريعاً بإزالة الميزات التى تمتاز بها المدرسة الابتدائية عن باقى مدارس الأطفال وإدماج الجميع فى مدرسة شعبية موحدة تخرج لنا الوطنى المستنير ذا التفكير الموحد ، ولن يتحقق لنا ذلك إلا بإزالة اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية . ولا ضير فى ذلك على اللغة الأجنبية لأنها ستعلم بعناية واهتمام وإتقان فى المدارس التى أبناؤها فى حاجة إليها وهى المدارس الثانوية ومدارس التجارة المتوسطة . أما طلاب المدارس الصناعية والزراعية المتوسطة ففى غير حاجة إليها ولا يصح إتقالهم بتعليمها، وهم فوق ذلك فى حاجة إلى صرف وقتها فيما هم أحوج إلى تعلمه من ضروب المسائل العلمية المختلفة

وإذا كان هذا البحث وما سبقه قد اقتضيا من الوجهتين القومية والاجتماعية زوال اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية ، بل زوال المدرسة الابتدائية نفسها وإدماجها مع أترابها من المدارس الشعبية المخصصة للأطفال فإنى أعتقد أن بحث هذا الموضوع نفسه من وجهاته التعليمية والبيداجوجية البحتة فيما بعد فى الأعداد التالية سيؤيد هذا الرأى كل التأييد

عبد الحميد فهمى مطر

من أدب الغـــرب

للأستاذ فليكس فارس

كنت أقلب رزماً من أوراقى القديمة فعثرت على صفحتين خطهما قلمى منذ عشرين سنة حين كانت الحرب العامة ترمي على الدنيا آخر رجومها وتطرح بالأوشحة السوداء على هامات الأرامل والأيتام

وهأنذا أنقل للرسالة ما ورد فى هاتين الصفحتين ، ولعل السريرة الخفية قادت يدى إليهما لنشرهما فى هذه الأيام ...

* * *

« هذه قصة كلها شعور وجمال قرأتها فى إحدى الصحف التى ترد إلى غرفة الاستخبارات من المقاطعات الفرنسية المحتلة فوقفت عندها أتنصت منها إلى قلب الانسانية خافقا على جبهات النار تحت وابل القنابل وهواطل الشرر

هذه صفحة كتبها إنسان برىء حساس تقوده العاصفة إلى المجزرة ليمسى قاتلا أو قتيلا

هذه قصة جندى على سيفه جريمة الحرب وعلى قلمه صرخة الانسانية أترجمها وأطرحها بين دفينات أوراقى »

حلب فى غرة يناير ١٩١٨ ف . ف

وكان يوم عصيب فى تامور !

بذلنا كل ما فى وسعنا من جهد فى المعركة ونحن الآن نتوقع صدور الأوامر للعودة إلى النار

لم نتمتع بالراحة إلا يوماً واحداً فكفانا هذا التوقف عن العراك لنشعر بانحطاط قوانا وارتخاء أعصابنا

وصلنا إلى المعسكر فأشعلنا النار وقعدنا حولها ننشد بعض الأغاني العالقة بالذكر منذ الطفولة تخيل إلينا أننا نعود إلى أوطاننا على نغمات هذه الأناشيد

وكان أحدنا يعزف على الأرمونيكا فيسود أنينها ما حولنا من أجواء عافية تحشد عليها تذكاراتنا وآمالنا

وشعرت بيد ناعمة الملمس تمر على جبيني وسمعت صوتاً مرتجفاً حسبته فى غمرات تذكارى صوت أمى الشيخة العليلة تناديني من بعيد قائلة :

— مسكين ، الولد الصغير

والتفت فرأيت ولداً لا يتجاوز الخامسة من عمره يلبس جلباباً واسعاً وقبعة صغيرة وكان يحدق بالنار وعيناه السوداوان تلتمعان وهو يكرر قوله :

— مسكين الولد الصغير !

فهتف الرفاق : آه ! هذا فرنسي صغير .

وتقدم جندى شيخ إلى الطفل فرفعه وأجلسه على ركبتيه ، وبدأ يلاطفه ويلاعبه فزالت سحابة الخوف عن سحنة الطفل فإذا هو يضحك ويلعب .

وجاء وقت تناول الطعام فقدم الجنود له شيئاً من البطاطس ، وجرعوه قليلاً من القهوة ، وكنت الفائز باكتساب ثقته إذ قدمت له قطعة من الحلوى ، وكلمته بلغته فقال لى : إن أباه ذهب إلى الحرب ، وإن أمه ماتت منذ شهور . وكنت أترجم للرفاق حديثه ، وهو يورده بلغته ، ويدس فى كلامه بعض ألفاظ ألمانية علقت بذاكرته منذ احتل الألمان مقاطعته ؛ وقال إن اسمه إميل بوفيه فأسميناه كوكو الصغير .

ولما حان وقت انصرافنا إلى مضاجعنا تمسك الطفل بى طالباً أن ينام معنا فحملته وذهبت به إلى بيته .

وعند ما اجتمع الجنود فى اليوم التالى رأيت الطفل يدخل فى حلقتنا مفتشاً عنى وهو يقول : كوكو الصغير .

وما كان وجود القائد بيننا ليمنع كوكو من القيام بحركاته ، وألعابه . وعند ما ذهبنا إلى ضاحية القرية لإجراء التمرينات العسكرية لحق بنا حتى آخر حدودها .

وكان كوكو بيا كرنا كل يوم فيقف مسلماً برفع قبعته ثم يبادر إلىّ ويمسك بيدى ليتبعني ، وأنا أمشي مع الفرقة . وبعد العودة من التمرين كان الطفل يدخل معى إلى مرقد الجنود ويلتف بطرف دثارى مستسلماً للكرى . وهكذا أصبح هذا الطفل يلازمنى ملازمة خيالى؟ وما منعه تودد الجنود إليه من الاحتفاظ بتفضيله لى ، فكان يصافح رفاقى فرداً فرداً إلى أن ينتهى إلىّ فيطوقنى بذراعيه الصغيرتين ويقبلنى تكراراً ، أنا الغريب ... أنا العدو ! ويطرح جسمه الناحل على صدرى .

وجاء يوم السفر . انتهت أيام الراحة وحان وقت العودة إلى الجهاد ، فقلت للطفل وكان جالساً أمامى فى الباحة الواسعة عند المساء : غداً سأسافر

قلت هذا متكلفاً السكون وفى قلبى ثورة وغصص ، فهب الطفل من مقعده مضطرباً هاتفاً :

— ولكنك ستعود

— لعلنى أعود

— متى ؟ بعد غد ؟

— قد لا أعود أبداً

فصرخ الولد مذعوراً : أبداً ... لا . لا أريد ، فسوف تبق وطوقنى بذراعيه كأنه يريد تقييدى

وامتنع كوكو ذلك المساء عن الذهاب إلى بيته فرجوت مربيته الشيخة أن تسمح له بالبقاء عندى فرضيت وقالت :

— إن أمه قد انتحرت شنقاً هنا وراء هذا الباب بعد سفر أبيه إلى الحرب ، إذ لم يقو دماغها الضعيف على مقاومة هذه الصدمة

وأمضى كوكو ليلته مضطرباً فكان يتقلب ويهذى مردداً الاسم الذى لقبته به

وعند بزوغ الفجر نهضنا من الرقاد وبدأنا بإعداد لوازم السفر على نور الشموع المرتجف ، وكان كوكو جالساً يتبع حركاتى وسكناتى بلفتاته الواجفة

ولما هممنا بالخروج هرع الطفل إلىّ قائلاً :

— ستعود

فأجبته متمالكاً روعى : أرجو أن أعود

وسحب يده الصغيرة من يدى وتولى . وبينما كنت سائراً مع رفاقى فى الساحة كان الولد يتقدم نحو مسكنه يتوقف أحياناً دون أن يلتفت إلينا

وقطعنا القرية بخطواتنا العسكرية فكانت تفتح النوافذ وتلوح منها أوجه المتفرجين عليها مسحة الوسن وفى الأعين جمود وبرود وشغرت بغتة بوصول قادم لقربى وهو يلهث تعباً ويقول :

— كو ...

وما تمكن الطفل المسكين من التلفظ بالمقطع الأخير من اسمه ومددت يدى إليه تخنقته العبرات واندفع مرتمياً على منحدر التلة وغلبه الأسى فأخذ يفرك عينيه براحتيه

وناديته : أى كوكو الصغير

ولكن صوتى لم يصل إلى مسمعه إذ ضاعت نبراته فى صرخة القائد :

— هيا إلى الأمام !

واندفعت الفرقة إلى المجهول

الوداع أيها الصديق الصغير ، أيتها البسمة الأخيرة من ثغر الحياة ...

وبينما كان وقع خطواتنا يرن فى أذنىّ كنت أشعر بيد من حديد تربط على قلبى ، تلك يد الإشفاق على الطفل اليتيم وعلى الإنسانية وعلى نفسى !

هنريك أولك
جندى من لاندشروم

* * *

من يعلم ما حل بهنريك أولكه منذ عشرين عاماً ؟ لعله قضى قتيلاً يوم كتب هذا المقال . ولعله لم يزل حيًّا فى العقد الخامس من عمره ، وقد يكون ابنه جنديًّا فى هذه الفيالق الجوية فيؤمر غداً بإسقاط القنابل والغازات على المدن الآمنة

والحق أن الإشفاق قد بلغ حدًّا بعيداً فى آفاق الروح الإنسانية

لقد كان الرجال ينازلون الرجال حتى اليوم فتبقى النساء والأطفال فى مهامه الترمل واليتم . فعلى المدنية الراقية أن تحول دون هذه الجناية . عليها أن تخنق المرأة قبل أن تترمل والطفل قبل أن يتيتم ... !

فليكس فارس

الدعاية الإسلامية

للمستشرق الانجليزى توماس أرنولد

ترجمة الأساتذة

عبد الفتاح السرنجاوى ، محمد الدسوقى ، عبد العزيز عبد المجيد

انتشار الإسلام فى الأمم المسيحية فى غرب آسيا

بعد وفاة محمد (ص) ، وجه أبو بكر الحملة التى قصد الرسول إرسالها قبل وفاته ، إلى بلاد الشام ، بالرغم من الاعتراض الذى أعلنه بعض المسلمين لأن أحوال الجزيرة كانت فى اضطراب . ولقد أسكت أبو بكر كل معترض على ذلك بقوله : « لن أبطل أى أمر قرره الرسول . ولو كانت المدينة فريسة للوحوش الضارية فلا بد أن تنفذ الحملة رغبات محمد » . تلك كانت أولى الحملات المتتابعة العجيبة التى اكتسح بها المسلمون الشام ، وفارس ، وشمال أفريقيا ، محطمين أركان دولة الفرس القديمة ، ومكتسبين من امبراطورية الروم بعض أقطارها الخصبة الغنية . وليس الغرض من هذا الكتاب أن نتتبع تاريخ هذه الحملات والوقائع المختلفة ، ولكن لما كانت غايتنا أن نشرح كيف انتشر الإسلام عقب الفتوحات العربية كان من المهم أن نميط اللثام عن الظروف والعوامل التى مكنت الإسلام من الانتشار .

ولقد ضمن أحد ثقات المؤرخين المسألة التى نحن بصددها الآن العبارة الآتية[1] : « أكان ذلك الحماس الدينى الحقيق نتيجة لتلك العقيدة القوية الطاهرة المترعرعة فى بكورتها ، والتى جعلت جنود العرب ينتصرون فى كل موقعة ، ويؤسسون فى مدة قصيرة أكبر امبراطورية شهدها العالم ؟ إننا فى حاجة إلى برهان لإثبات ذلك : لقد كان قليلاً جداً عدد أولئك الذين اتبعوا الرسول وتعاليمه طواعية ، وبإخلاص من أعماق قلوبهم . أما العدد الأكبر فهم أولئك الذين أدخلوا فى صفوف المسلمين كرهاً أو رغبة فى متاع الدنيا . وها هو ذا خالد — سيف سيوف الله — أوضح مثال لطريقة القوة الممتزجة بالإقناع التي اتبعت معه ومع كثير من القرشيين لكى يعتنقوا الإسلام . ولقد قال هو فيهم حينئذ : إن الله قد قبض عليهم من أفئدتهم وشعورهم وساقهم لاتباع الرسول . ولقد كان أيضاً لروح الافتخار بالقومية العربية المشتركة أثر قوى تلك الروح التى كانت أقوى عند العرب فى ذلك الوقت منها فى الغالب عند أية أمة أخرى ؛ وتلك الروح وحدها هى التى حدت بالآلاف منهم أن يؤثروا واحداً من بنى جلدتهم ودينه على أى مصلح أجنبي عنهم . وأقوى من هذا وذاك مارغبهم فيه الرسول (ص) من غنى مؤكد باكتسابهم الغنائم الوافرة فى الجهاد للدين الجديد ، ومن استبدال الأقاليم الخصبة الثرية : كفارس والشام ومصر بصحرائهم المجدبة العارية التى تجود عليهم بالكفاف فقط

وفى الحقيقة لم تكن تلك الفتوحات الرائعة التى وضعت حجر الأساس للامبراطورية العربية نتيجة للجهاد والحروب الدينية التى أوقدت نيرانها لنشر الإسلام . ولكن تبع هذه الفتوحات ضعف عظيم فى العقيدة الدينية المسيحية ، ذلك الضعف الذى ظن أنه الغاية المقصودة من هذه الفتوح . وهكذا اعتبر المؤرخون المسيحيون السيف الآلة التى اتخذها المسلمون للدعاية لدينهم . وغطى ذلك النجاح المعزو إلى السيف على الأدلة التى تشير إلى نشاط التبشير الإسلامى الصحيح بطريق سلمية . ولم تكن الروح التى خلقت الحماس فى الجنود من العرب الذين اكتسحوا أطراف الامبراطورية البيزنطية ، والامبراطورية الإيرانية ، روح تبشير لإدخال الجاحدين فى الإسلام . بل الأمر على عكس ذلك ، إذ يظهر أن المصلحة الدينية لم تتمثل إلا قليلاً فى تفكير القادة للجيوش العربية[1]

إن انتشار الجنس العربى ليتضح بحق فى هجرة تلك القبائل القوية النشطة ، ساقها الجوع والعوز إلى ترك الصحراء الكزة ،

(1) Doellinger's Mohammed's Religion nach ihrer inneren Entvicklung und Einflusse auf das Leben der Voelher (Munich 1838) sS 5,6.

كتاب الدين المحمدى وفقا لنموه الداخلى ونفوذه فى حياة العرب . للأستاذ دولنجر . طبعة ميونخ سنة ١٨٣٨ ـ صفحة ٥ ، ٦ .

(١) أنظر كتاب دراسات فى التاريخ الشرقي لمؤلفه ڤيطانى (طبعة ميلانو سنة ١٩١١) صفحة ٣٦٥ وما بعدها .

والانتشار فى أقاليم أكثر خصوبة ، تلك الأقاليم التى يقطنها السعداء[(١)] .

وبعد ، فلقد كان تأسيس الحكومة الدينية فى المدينة العامل الذى خلق الوحدة فى تلك الحركة (حركة الفتح والتبشير) وكذلك كان عاملاً على الوحدة نظامُ الأمة الحديثة الذى بدأه أصحاب الرسول المخلصون ، والحجج الثقات الذين اضطلعوا بتعاليمه أولئك الذين حفظت متانةُ خلقهم وحماسُهم الإسلامَ حيا ، ودينا رسميا ، وذلك بالرغم من عدم اكتراث أولئك العرب الذين انتسبوا إلى الدين ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم[(٢)]

وإذاً فلا يجب علينا أن نبحث عن الأسباب التى دعت إلى انتشار الدين الإسلامى بتلك السرعة ، فى حوادث الجنود الفاتحة ، ولكن الأولى أن نبحث عن هذه الأسباب فى الأحوال التى كانت عليها الشعوب المغلوبة

إن ما امتازت به حركة الهجرة من كونها ذات جنسية عربية واحدة قد اجتذب إلى جيوش العرب الغزاة ، ممثلى القبائل العربية ورؤساءها ، تلك القبائل التى كانت تعيش فى أطراف الجزيرة ، والتى تمر بها طرق الجيوش الفاتحة . ولذلك فليس غريباً أن نجد كثيراً من أهل البدو المسيحيين قد اكتسحهم مد تلك الحركة القوية ، ونجد تلك القبائل العربية التى دانت بالمسيحية عدة قرون تهجرها حينذاك وتعتنق الدين الإسلامى . ومن هؤلاء قبيلة الغساسنة الذين كان لهم السلطان فى الصحراء الواقعة شرق فلسطين وجنوبى الشام ، والذين قيل عنهم إنهم « سادة فى الجاهلية ونجوم فى الإسلام[(٣)] » وبعد موقعة القادسية سنة ١٤ هـ التى هزم فيها جيش الفرس بقيادة رستم أشد هزيمة جاء كثير من المسيحيين من قبائل العرب البدوية المقيمة على شاطئَى الفرات ، إلى القائد العربي وقالوا له : « لقد كانت القبائل التى اعتنقت الإسلام فى باكورته أعقل منا ، أما الآن وقد قتل رستم فسندخل فى الدين الجديد[(٤)] »

وشبيه بهذا أيضاً ما حدث بعد فتح شمالى الشام فإن معظم أهل القبائل البدوية انضموا بعد تردد قليل ، إلى أتباع الرسول (ص)[(١)]

إنه لمن الممكن أن نحكم أن القوة لم تكن العامل القاطع فى حوادث اعتناق الإسلام ، من العلاقات الطيبة التى كانت بين المسيحيين والمسلمين العرب . فقد عقد محمد (ص) نفسه تحالفاً مع بعض قبائل مسيحية ، واعداً أن يحميهم ، وكافلاً لهم الحرية الدينية ، ولرجال دينهم أن يتمتعوا بحقوقهم القديمة وسلطانهم من غير أى تدخل[(٢)] . وقد ألفت مثل هذه العلاقات أيضاً بين أتباع الرسول وبين أفراد عشيرتهم من أصحاب الدين القديم (يعنى المسيحية) وقد تقدم كثير منهم طوعاً ليساعد المسلمين فى بعثاتهم الحربية ، مدفوعين بروح الطاعة للحكومة الجديدة . وتلك الروح نفسها قد أبقتهم منعزلين عن حركة الردة العظيمة التى رفع أصحابها راية العصيان فى جميع أنحاء الجزيرة العربية عقب موت الرسول (ص) مباشرة[(٣)]

ويرى بعض المؤرخين أن العرب المسيحيين الذين كانوا يحمون حدود الأمبراطورية البيزنطية من ناحية الصحراء قد غامروا بنصيب مع جيش المسلمين الفاتحين حينما رفض هرقل أن يدفع إليهم ما كان يجرى عليهم من العطايا ، مقابل خدماتهم الحربية كحراس لأطراف الامبراطورية[(٤)]

وفى موقعة الجسر سنة ١٣ هـ لما بدت طلائع هزيمة قاضية ، وانحصر العرب — وقلوبهم خاوية — بين الفرات والجيش الفارسى ، تقدم رئيس مسيحى من قبيلة طى (كما تقدم من قبل سبوريوس لأريوس لمساعدة هوريشس) إلى صف العرب لمساعدة المثنى قائد جيوش المسلمين ليحمى الجسر الذى كان عبارة عن مجموعة من الزوارق الصغيرة ، وكانت حينئذ الطريق الوحيد للتراجع المنتظم ، ولما أخذ المسلمون فى جمع الجنود ليستردوا مكانتهم ، وليمحوا ما لحقهم من عار كان من بين المدد الحربى الذى انصب عليهم من كل جانب وناحية قبيلة مسيحية تدعى بنى نمير ، وكانت تقطن داخل الحدود البيزنطية . وفى واقعة بويب

(١) لقد شرح قيطانى بإيضاح ودقة الفتوحات العربية ، وذكر أنها تعتبر تاريخيا آخر الرحلات السامية العظيمة . أنظر « تاريخ الحوادث الاسلامية » من صفحة ٨٣١ — ٨٦١ الجزء الثانى .

(٢) أنظر قيطانى الجزء الثانى صفحة ٤٥٥ ، والجزء الخامس صفحة ٥٢١ .

(٣) أنظر المسعودى الجزء الرابع صفحة ٢٣٨ .

(٤) انظر كتاب الخلافة لسير وليام موير (لندن سنة ١٨٩١) من صفحة ١٢١ إلى صفحة ١٢٢

(١) انظر كتاب الحوادث الاسلامية لقيطانى الجزء الثالث صفحة ٨١٤

(٢) انظر قيطانى الجزء الثانى صفحات ٢٦٠ ، ٢٩٩ ، ٣٥١

(٣) قيطانى الجزء الثانى صفحات ٧٩٢ ، ٩٣ ، والجزء الثالث صفحة ٢٥٣

(٤) قيطانى الجزء الثالث صفحات ١١١٢ ، ١١١٥

العالم يتطلع الى حدودنا الغربية

أربعـــون يوماً في الصحراء الغربية

للأستاذ عبد الله حبيب

— ٢ —

الحكام

كان من حسن حظ الصحراء الغربية أن قيض الله لها محافظاً هماماً من رجال الجيش البارزين هو صاحب العزة الأمير لاى عبد السميع بك عجرمة الذى تولى هذا المنصب خلفا لسلفه الإنجليزى فكان أول محافظ مصرى يتولى منصب الحاكم لهذه البقاع النائية.

وقد شعر سكان الصحراء الغربيـة منذ ذلك الحين بمصريتهم ، واعتزوا بها أكثر من ذى قبل ، وكان حاكمهم الجديد خير مصرى يشعر بآلام مواطنيه وحاجتهم إلى النهوض والإصلاح.

وخير عون لهذا المصرى الكفء فى هذه الأنحاء هم رجاله الضباط المصريون. وفى طليعة هؤلاء القائمقام محمد بك كامل، والصاغ رفعت الجوهرى. وهذا الأخير يعتبر بحق وجدارة أكفأ ضابط مصرى ملم بأحوال الصحراء، وطباع أهلها وطرقها. وقد نشر له نادى السيارات الملكى كتاباً قيما عن صحراء سيناء، ثم وضع فى هذه الأيام كتاباً آخر عن الصحراء الغربية لا يزال بين يديه مهيأ للطبع. وقد طالعت أكثر فصوله واستعنت بكثير مما يحوى من المعلومات الطريفة على ما دونت فى رحلتى فلا بد من الاعتراف بفضل مؤلفه وشكره.

معلومات عامة

فى عهد « الفاروق » ملك مصر الصالح أسبغ الله على صحارى مصر نعمة الأمن والرخاء، وأعاد إليها عهدها الأول فى الحضارة والعمران. وكان عصر الفاروق من أزهى العصور التى مرت بهذه الصحارى والقفار، وأغدق عليها نعمه وعطاياه فهطلت الأمطار يوم تبوأ عرشه، وجادت هذه الأمطار بأطيب الثمرات بعد سبعة أعوام مرت بها قاحلة جرداء عجاف.

وقد أقبلت حكومة جلالته تنفق عن سعة على جميع مايقوى الروابط بين الأهلين ويعزز وسائل الإصلاح والتعمير فارتبطت أجزاؤها بالسكك الحديدية والطرق الممهدة

وإنه ليثير الدهشة حقاً أن يرى المسافر ذلك التباين العجيب بين هذه المروج الناضرة المحيطة بوادى النيل وبين هذه الصحارى المقفرة القاحلة التى تحده من الجانبين. نعم إن هناك صحارى مجهولة فى مختلف بقاع العالم كآسيا وأستراليا وغرب أمريكا. إلا أن هذه البقاع لا تعد شيئاً إذا قورنت بصحراء مصر الغربية ووحشتها وخلوها من الحيوان والنبات. ذلك لأن حالة الجدب فيها تثير الدهشة حقاً، ولست فى حاجة لأن تتوغل فى مفاوزها وشعابها لكى تتبين مقدار ما بها من الجدب، فإن مسير مسافة قصيرة يكفى لينقلك من مروج ناضرة وأرض خضراء يانعة غنية بطمى النيل السعيد إلى هضاب متسعة مقفرة تكتنفها الصخور والرمال إلى أبعد مدى يصل إليه النظر

الصحراء الغربية

يسمى القسم الشمالى « البحرى » من صحراء لوبيا بالصحراء الغربية أو محافظة الصحراء الغربية، وهى تشمل الجهات الواقعة غربى النيل من الإسكندرية ومديريات البحيرة والجيزة وبنى سويف

التى حدثت سنة ١٣ هـ، والتى كانت قبل الهجوم الأخير للعرب الذى كان الهجوم الفاصل الذى نالوا فيه الفوز. فى تلك الموقعة ركب المثنى إلى الرئيس المسيحى وقال له: « إنك من أبناء جلدتنا فتعال إذاً وحارب معى كما أحارب » وقد تراجع الفرس وتقهقروا أمام مالاقوه من هجوم عنيف. وبذا أضاف المسلمون نصراً جديداً فى صفحة المجد إلى انتصاراتهم. وكان من أكثر مغامرات ذلك اليوم شجاعة ما قام به شاب من قبيلة مسيحية أخرى فى الصحراء وكان هذا الشاب قد قدم فى جماعة من أصحابه — وهم طائفة من البدو تجار الخيل — حينما كان الجيش العربى قد أخذ ينسجم فى صفوف المعركة. اندفع هؤلاء التجار البدو إلى ميدان القتال فى صف مواطنيهم، وبينما كان القتال فى أشد عنفوانه إذ هجم ذلك الشاب إلى قلب الجيش الفارسى. وقتل قائده، ثم قفز على جواده الموشى، وقفل راجعاً بين حماس المسلمين وإعجابهم به وثنائهم عليه وكان يصيح فى عودته منتصراً ويقول: « أنا من تغلب. أنا الذى قتلت قائدهم[1] »

« يتبع »

(١) أنظر كتاب الخلافة للسير وليام موير صفحات ٩٠ — ٩٤

والمنيا إلى السلوم وحدود طرابلس غرباً . ثم من البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى حدود الصحراء الجنوبية جنوباً وتتبعها واحات سيوة والبحرية والفرافرة

والجزء الأكبر من هذا الإقليم أرض قاحلة ، عدا المنطقة الغربية من ساحل البحر الأبيض التي تزرع على الأمطار وبعض الآبار القليلة الممتدة على الساحل أو القريبة منه أو التي توجد في الواحات المشار إليها

وتبلغ مساحة هذه الصحراء نحو ٢٤٠ ألفاً من الكيلومترات المربعة . وتنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية :

١ — القسم الشرقي : ومركزه مدينة العامرية ، وهو يشمل العامرية والحمام والواحات البحرية والفرافرة

٢ — وقسم مطروح : ومركزه مدينة مرسى مطروح ، وهو يشمل مطروح والضبعة

٣ — وقسم براني : ومركزه مدينة براني ، ويشمل سيدى براني والسلوم

٤ — وقسم سيوة : ومركزه سيوة ، ويشمل سيوة والواحات الغربية وواحة الجارة

ويبلغ سكان هذه الصحراء نحو ٥٥ ألف نسمة معظمهم من البدو الرحل من قبائل أولاد على الأبيض وعلى الأحمر

الحالة العامة

ويمكن القول إجمالاً عن الصحراء الغربية — إذا استثنينا الشريط الأخضر الرفيع الذى يطوق شاطئ البحر الأبيض المتوسط — إنها عبارة عن إقليم لا مطر فيه ولا حياة . ويكاد يكون هبوب العواصف الرملية عليها من الأمور العادية التي لا تخلو منها فى سنة من السنين

أما على الساحل فإن حالة السكان تتوقف دائماً على الزراعة ومقدار الحاصلات وما يتوفر من المراعى للإبل والغنم من هطول الأمطار . ومما يذكر أن السكان فى هذا العام والذى قبله أسعد حالاً منهم فى الأعوام الماضية التي توالى عليهم فيها الضيق من جراء جدب أراضيهم بسبب قلة الأمطار

ولكن الحاصلات الناجحة لا تكفى لسد الديون التي تراكمت على العربان فى سبيل حصولهم على حاجيات المعيشة فى السنوات الخمس العجاف الماضية

ولقد كان لزيادة المنشآت الجديدة واشتغال العربان فى أعمال السكك الحديدية ومد الطرق وهطول الأمطار ومساعدة الحكومة بتوزيع البذور وهبة جلالة الملك لمناسبة قرانه السعيد وهبة صاحب السمو الأمير محمد على لمناسبة شفائه ؛ كان لكل ذلك أثر واضح فى تعميم الرخاء واليسر بين العربان ، فشعروا بنعمة الحياة ، وعاد أكثرهم إلى بلدانهم بعد أن كانوا هاجروا منها ، وبدءوا يزرعون أراضيهم ويقومون بتربية مواشيهم

واحات الصحراء الغربية

وقد منّ الله على الجزء الجنوبي وعوضه خيراً من الأمطار بعدد من الواحات الخصبة الغزيرة المياه . وهذه الواحات يسكنها قوم من العرب وشعب آخر ليس من سلالة الأعراب وهم جميعاً يأخذون المياه من ينابيعها المتفجرة من عيون دائمة التدفق

ويقال إن لفظة « واحة » كلمة مصرية قديمة معناها « مكان الراحة » وهى بقعة من الأرض الخصبة فى وسط الصحراء ، وكل واحة تعرف غالباً باسم العين أو البئر التي تمدها بالماء

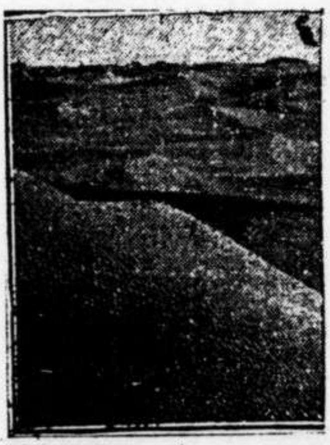
وفى الصحراء الغربية عدة واحات :

« سيوة » وهى تشمل سيوه والزيتون وفوريشت والأرغومى وخميسة وأبو الشروق والمليج والمراغى

وفى شرقها مجموعة الواحات البحرية وتشمل البحرية والفرافرة

كثبان من الرمل تنتقل

تمتد على طول الجزء الجنوبى الغربى من الصحراء كثبان عظيمة من الرمل تنتقل إلى مساحات واسعة وهذه الرمال تطغى على الأرض وتدفن تحت رمالها الناعمة الغزيرة مساحات شاسعة من الأرض قد تزيد على مئات الأميال ، وتتجمع هذه الرمال فتحدث كثباناً أو « تلالاً » من الرمال الناعمة تسير متوازية بارتفاع كبير ممتدة من الشمال أو الشمال الغربي إلى



كثبان من الرمل التنقل

الجنوب أو الجنوب الشرق فى نفس اتجاه سير الرياح التى تهب على الصحراء وهذا التكوين يجعل اجتياز هذه المناطق فى اتجاهات عرضية من الغرب إلى الشرق أو بالعكس صعباً عسيراً إلا عند فتحات أو ممرات ضيقة معينة معروفة ، كما أن هذا التكوين جعل الكثبان تعد حاجزاً منيعاً للحدود المصرية . ويقال إن طغيان هذه الرمال أخذ فى الاتجاه نحو الجنوب بدليل أنها طغت على طريق للقوافل كانت ممتدة بين الواحات الداخلة وواحة الكفرة فاختفت هذه الطريق تماماً كما اختفى تحتها من قبل جيش قمبيز ملك الفرس سنة ٥٢٥ ق . م . وكان عدده ٥٠٫٠٠٠ من الغزاة ، وذلك عند ما أراد غزو واحة سيوه . ولم ينج من هذا العدد أحد ، على أن الواحات نفسها لم تسلم من هبوب عواصف الرمال فهى تطغى على الزرع وتحدث به أضراراً جسيمة .

وقد شهدنا بعض هذا الهبوب حين توغلنا فى جوف الصحراء إلى واحة سيوه فى رحلة بالسيارات قطعناها فى نحو تسع ساعات وبسرعة لا تقل عن ٦٠ كليومتر فى الساعة وشهدنا فى منتصف هذا الطريق « الاستراحة » التى أقيمت به فى عهد الخديو السابق فأقمنا بها بعض الوقت وتناولنا فيها قليلاً من الزاد كنا حملناه معنا وهى غرف شيدت من الخشب أشبه بـ « فيلا » قائمة وسط الصحراء القاحلة يستريح فيها المحافظ والضباط خلال تجوالهم فى أنحائها .

« يتبع » عبد الله

ملحوظة : مصدر هذه المعلومات المشاهدة أثناء الرحلة وما دونه صديقنا الصاغ رفعت الجوهرى مأمور مرسى مطروح عن الصحراء الغربية

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن التاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح وأن يحدد له مكانة بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



واتفق الضباط وحلفاؤهم أن يسير عرابى على رأس الجيش إلى عابدين فى اليوم التالى ليطالبوا الخديو بوضع حد لتلك الحال التى ضجت منها البلاد ؛ وأرسل عرابى خطاباً إلى الخديو فى صباح ذلك اليوم المشهود فى قصر الإسماعيلية ، وكان الخديو قد حضر فى شهر سبتمبر إلى القاهرة ، ينبئه فيه بما اعتزم أن يقوم به عصر ذلك اليوم !

يقول عرابى فى مذكراته : « ولما كثرت دسائس الحكومة وبان ختلها وعزمها على اغتيالنا ، أخذنا حذرنا منها ، وسهرنا على إحباط تلك الدسائس المنكرة ، وكان السير مالت قنصل انجلترا بمصر كثير التردد على الخديو ليلاً ونهاراً دون غيره من وكلاء الدول الأوربية ، فأوجسنا من ذلك خيفة على مصير بلادنا ، وخشينا من مطامع انجلترا التى كانت ترمى إلى التهام وادى النيل أسوة بما فعلته فرنسا بتونس حتى يتم التوازن التى تدعيه أوروبا ؛ فعرضنا تخاوفنا على جلالة أمير المؤمنين ليحيط علماً بما كان جارياً فى مصر ولكيلا يتورط فى تصديق ما قد يصل إليه من دسائس أعداء البلاد . وذيلنا العريضة المذكورة بإمضائى وإمضاءات إخوانى على بك فهمى وعبد العال بك حلمى واحمد بك عبد الغفار بالنيابة عن الجيش ، وأحمد بك أبو مصطفى وأحمد بك الصباحى وعثمان باشا فوزى وغيرهم من وجوه الأمة بالنيابة عن جميع المصريين ... »

* * *

وفى عصر ذلك اليوم ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ تحرك الجيش يقصد عابدين ؛ تخطت الثورة الوليدة أجرأ خطواتها وأبعدها أثراً فى تطور حوادث ذلك العهد .

وكان الخديو فى قصر الاسماعيلية . فأرسل يستدعى السير أوكلند كلفن . ولما حضر سأله ماذا عسى أن يفعل فى هذا الموقف. قال كلفن : « فنصحت إليه أن يقاوم ؛ فقد أخبرنى رياض باشا أن فى القاهرة فرقتين مواليتين ، لذلك أشرت على الخديو أن يدعوهما إلى عابدين مع ما يمكن الاعتماد عليه من الحرس الحربى ، وأن يضع نفسه على رأسهما . فإذا ما وصل عرابى قبض عليه بشخصه . فأجابنى أن لدى عرابى بك المدفعية والفرسان ، وربما أطلقوا النار فأجبت أنهم لن يجرؤوا على ذلك ؛ ومتى توفرت له الشجاعة للمقاومة ، وعرض نفسه شخصياً ، فأنه يتسنى له أن يقضى على المتمردين ، وإلا فأنه ضائع »[1] .

هذا ما أشار به كلفن ، وما نراه فى ذلك يدفع بالتى هى أحسن ، وما نراه يحمل — كما يقول كرومر — إلى الخديو : « قسطاً من تلك الروح التى تحيى جنسه الامبراطورى » وإنما نراه يلقى الزيت والحطب على النار حتى لا تبقى ولا تذر ، وبعدها تقتنص الفريسة بدعوى إنقاذ البلاد من نار الفتنة . وما أظن ذلك القول محتاجاً إلى دليل . فهذا الذى يدعو إليه كلفن لو وقع لن يكون

(١) Modern Egypt : Earl of Cromer. P. 144. M. & Co. 1911.

إلا حرباً أهلية شرها مستطير ، وأمرها خطير .

وتوجه الخديو إلى عابدين قبل حضور الفرق ، ومعه كلفن ورياض وستون باشا . فاستدعى على بك فهمى رئيس الحرس ، وأشار عليه بالدخول إلى القصر بفرقته والتحصن بالنوافذ العليا وقد نصح للجند بقوله : « أنتم أولادى وحرسى الخصوصى ، فلا تتبعوا التعصب الذميم ، ولا تقتدوا بأعمال الآلات الأخرى » فأطاع الجند وأخذوا يتأهبون .

وسار الخديو بعد ذلك إلى القلعة ، ولكنه لم يجد من فرقتها مثل ما ظهر له من ولاء الفرقة السالف ذكرها . فسار إلى العباسية حيث كانت فرقة عرابى ، ولكنه علم هناك أن عرابياً سار منذ ساعة على رأس جنده ، ومعهم المدافع بطريق الحسينية إلى عابدين فقفل أدراجه إليها ...

وتلاق عرابى فى ميدان عابدين بالفرق الأخرى بقيادة أحمد بك عبد الغفار وعبد العال بك حلمى وابراهيم بك فوزى وفوده أفندى حسن وغيرهم من أنصاره ، وأرسل عرابى يستدعى على بك فهمى لحضر من داخل القصر فعاتبه فرد بقوله : « إن السياسة خداع » ثم ذهب فعاد بفرقته ، وانضم إلى الجيش فأصبح القصر خلوا من كل عناصر المقاومة .

وتجمع وراء صفوف الجيش آلاف من أهل القاهرة الذين أخذتهم الدهشة لا ريب لهذا المنظر ؛ واشرأبت أعناق الشعب التى طالما ألفت الذل ، وتطلع من فوق أكتاف الجند ، ومن خلال صفوف الفرسان لينظر ماذا يكون فى هذا الموقف الرهيب ؛ واسم عرابى يجرى على الألسن فى حين تدور الأبصار باحثة عن موضعه ، وهو على ظهر جواده أمام جنده يتأهب لمقدم الخديو ليسمعه كلمة مصر ، كلمة الشعب الذى ألبس جده العظيم بالأمس الكرك والقفطان دون رجوع إلى السلطان . وما أعظم هذه الكلمة ينطق بها فلاح من أعماق الوادى نبت ونما على ثراه !

ووصل الخديو إلى عابدين بعد أن فشلت سياسة طوافه على الآلايات ، تلك السياسة التى تدل فى ذاتها على منتهى الضعف ، والتى لا يشفع له فى اتباعها سوى أنها كانت آخر سهم فى جعبته إن كان هذا شفيع . والحق أن الخديو قد لاقى فى ذلك الطواف ما تنخلع له أفئدة أقوى من فؤاده . وحسبك أن فرقة القلعة قد ثارت فى وجهه حينما أمسك بتلابيب قائدها مهدداً حتى لقد وضع العساكر الأسنة فى بنادقهم بأمر من هذا القائد وتجمهروا حول الخديو حتى صاح بالقائد « أفسح لنا الطريق يا بكباشى » .

ودخل الخديو السراى من باب خلفى . ويقول مستر كلفن إنه قفز من عربته وأشار على الخديو أن يسير توا إلى الميدان ففعل توفيق ذلك ، وسار إلى حيث اجتمع الجند ، ووراءه ستون باشا وأربعة أو خمسة من الضباط الوطنيين ، وواحد أو اثنان من الضباط الأوربيين ؛ ويذكر عرابى أنه كان معه المستر كوكش قنصل انجلترة بالأسكندرية والجنرال جولد سمث مراقب الدائرة السنية

وتقدم الخديو ثابت الخطى ، فأشار عليه كلفن أن يأمر عرابياً بتسليم سيفه إذا ما دنا منه وأن يأمره بالانصراف ثم يطوف بعد ذلك على الفرق فيأمرها بمثل هذا الأمر

وسار عرابى على ظهر جواده حتى إذا اقترب من الخديو صاح به الخديو : « ترجل وأغمد سيفك » . ففعل عرابى دون إبطاء ، ومشى نحو الخديو ومن خلفه نحو ثلاثين ضابطاً فأدى التحية العسكرية

الموقف رهيب بالغ الرهبة ! ففى هذا الجانب إذا نظرنا إلى حقائق الأمور نرى مصر التى أيقظتها الإحن والفواجع تتمثل فى هذا الجندى الفلاح تجرى على لسانه كلمها فى غير التواء أو تلعثم ؛ وفى الجانب الآخر صاحب السلطان والجاه الموروث ، تغضبه هذه اليقظة وتذهله ، مع أنه رآها منذ بدايتها ورأى أباه على جلالة قدره يوسع لها صدره ويخفض لها جناحه فيزداد بذلك رفعة ... هنا الحرية الوليدة ، والديمقراطية الجديدة ؛ وهناك التقاليد العتيدة ، والأوتوقراطية المنيدة ؛ ومن وراء ذلك كله الثعالب وبنات آوى تتمسكن لتتمكن ، وتتربص لتنقض !

والتاريخ شاهد يثبت للقومية المصرية موقفاً من أروع مواقفها ، ومظهراً من أجل مظاهرها ، ويضيف بذلك إلى صفحات الحرية فى سجله صفحة جديدة لن تبلى الأيام جدتها ، أو تبخس أغراض المبطلين قيمتها

همس كلفن فى أذن الخديو : « هذه هى ساعتك (١) » فأجاب

(١) Modern Egypt.

الخديو : « نحن بين أربع نيران » فقال كلفن : « كن شجاعاً » فهامس الخديو وأحد الضباط الوطنيين ثم التفت إلى كلفن قائلاً : « ماذا عسى أن أصنع ؟ نحن بين أربع نيران ، إنهم يقتلوننا »

ويحسن أن نورد ما حدث بعد ذلك على لسان عرابى كما جاء فى مذكراته [1] قال : « ثم صاح بمن خلفى من الضباط : أن اغمدوا سيوفكم وعودوا إلى مكانكم . فلم يفعلوا وظلوا وقوفاً خلفى ودم الوطنية يغلى فى مراجل قلوبهم والغضب ملء جوارحهم. ولما وقفت بين يديه مشيراً بالسلام خاطبنى بقوله : « ماهى أسباب حضورك بالجيش إلى هنا ؟ » فأجبته بقولى :

« جئنا يامولاى لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات عادلة » . فقال : « وما هى هذه الطلبات ؟ » فقلت : « هى إسقاط الوزارة المستبدة ، وتشكيل مجلس نواب على النسق الأوربى ، وإبلاغ الجيش إلى العدد المبين فى الفرمانات السلطانية ، والتصديق على القوانين العسكرية التى أمرتم بوضعها » . فقال : « كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى، وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا ». فقلت : «لقد خلقنا الله أحراراً، ولم يخلقنا تراثاً وعقاراً، فوالله الذى لا إله إلا هو إننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم »

فتلفت الخديو إلى كلفن قائلاً : « أسمعت ما يقول ؟ » فأشار عليه هذا بالعودة إلى القصر إذ لا يجمل أن يزيد الأمر بينه وبين عرابى عن هذا الحد . فانصرف الخديو وبقى الجيش فى مكانه لا يتزحزح

وأقبل مستر كوكش يناقش عرابياً فى غلظة . ويخيل إلى أن هذا الرجل كان ممن يحسنون دس أنوفهم فى كل شىء وكان ذلك منه لغاية كان يخفيها ! ومما وجهه إلى عرابى قوله: ألا حق له أن يطالب بالمجلس النيابى وإسقاط الوزارة فذلك من شأن الأمة ، أما عن زيادة الجيش فمالية البلاد لا تساعد على ذلك

ورد عرابى بقوله إن الأمة أنابت الجيش عنها . ثم وجه نظر محدثه إلى الجموع المتراصة خلف الجند قائلاً هـذه هى الأمة وما الجيش إلا جزء منها

فراح ذلك الإنجليزى يتهدد ويتوعد فى فضول مخجل ، ورد عرابى على ذلك بأنه لن يسمح لأحد بالتدخل فى شؤون مصر الداخلية. وهنا سأل كوكش محدثه سؤالاً يتجلى فيه خبثه وقد ظن أنه به أحكم الرمية فقال : « وماذا تفعل إذا لم تجب إلى ما تطلب ؟ » فانظر إلى رد هذا الجندى فى هذا الموقف الذى تخف فيه أحلام الرجال والذى تزدهى القوة فيه القلوب فتسلب ذوى العقول اتزان عقولهم ! أنظر إلى عرابى فى موقف الثورة يقول له : « إنها كلمة لا أقولها إلا عند اليأس والقنوط »

وأخذ كوكش يروح ويغدو بين عرابى والخديو حتى جاءه آخر مرة ينبئه بقبول الخديو إسقاط الوزارة القائمة وأن سموه سينظر فى بقية الطلبات فلا بد فى بعضها من مشاورة السلطان ؛ وقبل عرابى ذلك . فعرض الخديو على الجيش اسم حيدر باشا لرياسة الوزارة القادمة ولكنهم رفضوه ؛ وجرى على الألسن اسم شريف ، فعاد كوكش بعد حين يعلن إلى عرابى قبول الخديو تعيين شريف باشا فقوبل ذلك بالهتاف بحياة الخديو . والتمس عرابى الإذن على الخديو ، فلما وقف بين يديه أخذ يعبر له عن ولائه وولاء الجيش . وذكر له الخديو أنه وافق «على تلك الطلبات بنية صافية » ؛ ثم انصرف الجيش بعد ذلك فى هدوء كل فرقة إلى مركزها

هذا هو يوم عابدين الذى اعتبره خصوم عرابى من أكبر سيئاته، والذى نعتبره فى غير مغالاة أكبر حسناته. وليت شعرى كيف يغفل هؤلاء عما ينطوى عليه هذا الموقف من معان ؟ ألا إنهم ليتغافلون ليطمنوا الرجل فى أجل مواقفه وأعظم خطواته، وهم إنما ينالون بذلك من أنفسهم دون أن ينالوا منه

طالب عرابى بالدستور فكان فى طلبه هذا زعيم ثورة تقوم على أجل المبادئ التى شاعت فى القرن التاسع عشر والتى اعتبرها المؤرخون والناس من أعظم خطوات البشرية وأجلها نحو الرقى والكمال. فكيف يكون مع ذلك داعية فوضى واضطراب ؟ ولقد كثرت فى أوربا المواقف الشبيهة فى معناها بهذا الموقف فسجلتها الشعوب فى ثبت مفاخرها واعتبرتها من أيامها المشهودة التى سوف تمجد إلى الأبد ذكراها

« يتبع »

الخفيف

(١) يذكر عرابى كوكش بدل كلفن فى هذا فيقول أشار عليه المستر كوكش أن يطلق على غدارته، ويذكر كلفن أن كوكش لم يحضر إلا بعد ساعة أو نحوها

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٠٥ — أشيب

ابن سِنْسنَبر الزوزنى (على بن أبى على) :

كفى الشيب عيباً أن صاحبه إذا … أردت له وصفا به قلت : أشيب
وكان قياس الأصل (إن قست) شائباً … ولـكنه فى جملة العيب يحسب[1]

٤٠٦ — لقد طال وجدى بعدها وحنينى

حكى الخطيب أبو زكرياء يحيى بن على التبريزى أن أبا الحسن على بن أحمد بن على بن سَلَّك[2] الفالى[3] الأديب كانت له نسخة كتاب الجمهرة لابن دريد فى غاية الجودة فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشتراها الشريف المرتضى أبو القاسم على بن الطاهر بستين ديناراً وتصفحها فوجد بها أبياتاً بخط بائعها أبى الحسن الفالى وهى :

أنست بها عشرين حولاً وبعتها … لقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعها … ولو خلدتنى فى السجون ديونى
ولـكن لضعف وافتقار وصبية … صغار ، عليهم تستهل شؤونى
فقلت ــ ولم أملك سوابق عبرة … مقالة مكوى الفؤاد حزين :
« وقد تخرجِ الحاجات يا أم مالك … كرائم من رب بهن ضنين »

٤٠٧ — وأخرى تداويت منها بها

فى (العقد) : قال هرون بن داود : شرب رجل عند خمار نصرانى فأصبح ميتاً ، فاجتمع عليه الناس وقالوا للخمار : أنت قتلته قال : لا والله ، ولـكن قتله استعماله قوله :

وأخرى تداويتُ منها بها[1]

٤٠٨ — أنا خير البرية

فى (الصلة) لابن بَشكُوال[2] : كان (القاضى) أبو عمران الفاسىّ بالقيروان ، فقال رجل : أنا خير البرية ! فلُبِّب[3] ، وهمت به العامة . فحمل إلى الشيخ أبى عمران ، فسكّن العامة ثم قال : كيف قلت ؟ فأعاد عليه ما قال . فقال له : أأنت مؤمن ؟

قال : نعم .

قال : تصوم وتصلى ، وتفعل الخير ؟

قال : نعم .

قال : اذهب بسلام ، قال الله (تعالى) :

(إن الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، أولئك هم خير البرية)[4]

فانفض الناس عنه .

٤٠٩ — حور الجنان على مثالك

أبو العتاهية :

إن المليك رآك أحسن (م) خلقه ورأى جمالكْ
فحذا بقـــدرة نفسه … حور الجنان على مثالكْ

٤١٠ — الشيخ بلا شك ابليس

قال مخارق بن يحيي : رأيتُ وأنا حدَث كأن شيخاً جالساً على سرير فى روضة حسنة فدعانى فقال لى : غنّنى يا مخارق ، فقلت : أصوتاً تقترحه أم ما حضر ؟ فقال : ما حضر ، فغنيته :

دعى القلب لا يزدد خبالاً مع الذى … به منك أو داوى جواه المكتما
وليس بتزويق اللسان وصوغه … ولـكنه قد خالط اللحم والدما

---

(١) معنى تفرد به ، يعنى أن معايب خلق الانسان فى كلام العرب يجىء أكثرها على أفعل (تتمة اليتيمة) شاب يشيب شيبا وهو أشيب على غير قياس لأن هذا النعت يكون من باب فعل (كفرح) يفعل (كيفرح) وشرطه الدلالة على العيوب أو الألوان . ولا فعلاء له : لا يقال امرأة شيباء ، اكتفوا بالشمطاء عن الشيباء ، وقد يقال شاب رأسها (اللسان ، التاج)

(٢) سلك : بفتح السين وتشديد اللام وفتحها هكذا وجدته مقيداً ورأيت فى موضع آخر بكسر السين وسكون اللام (ابن خلكان)

(٣) فالة بلدة من بلاد خورستان ينسب إليها أبو الحسن على بن أحمد ابن على بن سلك الفالى المؤدب سمع بالبصرة من القاضى أبى عمرو أحمد بن إسحق وحدث بشىء يسير (معجم البلدان)

(١) الأعشى ، وصدره : وكأس شربت على لذة

(٢) خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال . كتاب (الصلة) طبع فى الغرب منذ مدة بعيدة

(٣) لببه تلبيبا : جمع ثيابه التى عليه عند نحره وصدره ثم جره وكذلك إذا جعل فى عنقه حبالا أو ثوبا وأمسكه به (اللسان ، التاج)

(٤) البرى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل (الكشاف) .

فقال لى : أحسنت يا مِخارق ! ثم أخذ وتراً من أوتار العود فلفّه على المضراب ودفعه إلىّ ، فجعل المضراب يطول ويغلظ ، والوتر ينتشر ويعرُض حتى صار المضراب كالرمح والوتر كالعذَبة عليه ، وصار فى يدى علماً ، ثم انتبهت فحدثت برؤياى[1] ابرهيم الموصلى فقال لى : الشيخ بلا شك إبليس ، وقد عقد لك لواء صنعتك ، فأنت ما حييت رئيس أهلها

٤١١ — ما فهمت غير مفرداته

فى (الغيث المنسجم) : قال العلامة شمس الدين محمد بن إبرهيم ابن ساعد الأنصارى : حضر يوماً الشيخ كريم الدين عبد الكريم

(١) أبو الفرج : أظن أن الشاعر الذى مدح مخارقا إنما عني هذه الرؤيا بقوله :

لقد عقد الشيخ الذى غر آدما وأخرجه من جنة وحدائق
لواءى فنون القريض والغنا وأقسم لا يعطيهما غير حاذق

الأبكى شيخ خانقاه[1] (سعيد السعداء[2]) عند الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد[3] (رحمه الله) وأخذ يتكلم فى طريقهم وأحوالهم ، ويتحدث على[4] العرفان زماناً والشيخ تقى الدين ساكت لا يفوه بكلمة . فلما قام من عندهم قال الشيخ تقى الدين للحاضرين : هل فيكم من فهم تراكيب كلامه ؟ فإنى ما فهمت غير مفرداته ...

(١) فى « التاج » : الخانقاه بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير والصوفية والنون مفتوحة معرب خانه كاه . فى « خطط المقريزي » : خانكاه فارسية معناه بيت . وقيل أصلها خونقاه أى الموضع الذى يأكل فيه الملك والخوانك حدثت فى الاسلام فى حدود الأربعمئة من سنى الهجرة ، وجعلت لتخلى الصوفية فيها لعبادة الله .

(٢) فى « الخطط » : هذه الخانكاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة كانت أولا داراً تعرف فى الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر ، ولقبه سعيد السعداء ، أحد الأستاذين المحنكين وخدام القصر عتيق الخليفة المستنصر .

(٣) فى (طبقات السبكى) : شيخ الاسلام المجتهد المطلق ، إمام المتأخرين العالم المبعوث على رأس السبعمئة .

(٤) المعروف حدثه الحديث وبه كما في اللسان وغيره .

قالوا : سكتَّ ؟

للأستاذ أمجد الطرابلسي

قالوا: سكتَّ عن الغناء؟ فقلت: لا   فى مسمع الأكوان رَجْعُ غنائى
غنَّيتُ فى أُذُن النهار سعادتى   وهمستُ فى قلب الظّلام شقائى
وَوَعَتْ أناشيدى الطيورُ وردّدتْ   همسى الخفىَّ كواكبُ الظلماء
فسلوا الجداولَ عن غِناء مياهها   هل غــير ألحانى غناء الماء
وسلوا الخمائلَ عن نَدَى أزهارها   هل غير دمعى لؤلؤ الأنداء
والورد والشَّفَق المُخَضَّب والظّى   هل هُنَّ إلا من وَميضِ دِمائى
والبحر هذا الهادئ الصَّخَّاب هل   أمواجُه إلا صَــدى أهوائى
والريح هل هبَّاتها بعد الونى   إلا انبعاثى بعد موت رجائى
اللّيلُ والأرماسُ بعضُ كآبتى   والفجرُ والأعراسُ بعض هَنائى
والعِيدُ صورةُ فَرْحتى ومبَاهِجى   والبِيدُ صورة وَحْشتى وفَنائى
والرّعد يحكى ثورتى فى قصفه   وزفيفُ أجنحة الطّيور رضائى
ولقد مَلأتُ من الفتون جَوانحى   وطويت فوق فنونه أحنائى
وكرعتُ أكوابَ الجمال ولم أزل   أشكو له نَهَمى وحرَّ ظِمائى
أحببتُ ما شاء الهُيام وشاء لى   قلبٌ غمرت بحبِّهِ أعدائى

* * *

قالوا: سكتَّ عن الغناء؟ فقلت: لا   ما فى يد الينبوع حبسُ الماء
خُلِقَ الرّبيع مُصَوِّراً فى كفِّهِ   قَلَمُ الأديب وريشة الوشاء
مادغدغ الأغصانَ أولَمَسَ الرُّبى   إلا ضحكنَ تَضاحكَ العذراء
وَرَفَلْنَ فى أفوافِ وَشْىِ بَنانِهِ   متبرّجاتٍ أو ذواتِ حياء
فسلوه: هل يسطيعُ إبداعَ الأمى   فعلَ الشّتاء الواجم البَكّاء؟
والزهر، هل يسطيع فى أَلَقِ الصِّبا   ضَنًّا بنفحٍ عاطرٍ وذكاء؟
والشمس هل تسطيع فى رَأْدِ الضُّحى   ألاّ تجودَ بباهر الأضواء؟
لكنْ هَزَارُ الرّوض ليس يهيجه   للشّدْو صمتُ دُجُنّةٍ نكراء
ما حياةُ الشّادى الرفيقِ غناؤه   بمسامع تَلْتَذُّ بالضوضاء؟!
يشدو فيعصر فى اللحون فؤادَه   كيما يؤوبَ ببسمة استهزاء!...

* * *

قالوا: سكتّ عن الغناء؟ فقلت: بل   عن أن أُريقَ على الجحودِ وفائى!
أمّا الغِنــاء فقد جرت نَغَماتُهُ   مَجرى دمى الدَّفّاق فى أعضائى
حَسبى من الألحان قلبٌ لم يذقْ   بينَ الأضالع هَدْأةَ الإغفاء
غَرِدٌ كما هَبَّ النّسيم وتارةً   كالزّعْزَعِ المجنونةِ الهَوْجاء
رَحْبٌ تموجُ به اللُّحونُ كأنها   من كلّ أرضٍ جُمِّعتْ وسماء
أبداً ترفُّ به ملائكةُ الهوى   هذا بمزمار وذاك بنــاء
ومواكبُ الجِنّانِ تعصف وسْطه   وتضجُّ تحتَ الرّايةِ الحمراء
ماضرّنى إن كنتُ عِندِىَ شاعراً   ألاّ يَعدّونى من الشّعراء
لا كان قلبي إن طلبتُ بذوبِهِ   من كفّ هذا الدهر بعضَ جَزاء!
لا كان شعري إن رفعتُ لواءه   بينَ الأنامِ على رُفات إبائى!
يستعبدونيَ ويحهم! وأنا الذى   حَطَمَ القيودَ تَمَرُّدى ومضائى
حلّقتُ أرمقُ من بعيدٍ ساخراً   ذلَّ العبيدِ الراسفينَ ورائى
هم يصنعون قيودَهم بأكفّهم   وأنا أمدُّ لجانحىَّ جوائى
عشقوا القيودَ كأنما هى حليةٌ   ذهبيةٌ فى معْصَم الحسناء
واستعذبوا سوطَ القوىّ يؤزُّهم   فى كلّ صبحٍ ناعمٍ ومساء
فتمرّغوا شَغَفاً على أقدامِهِ   كى لا يَضنَّ بهذه النَّعماء
لولا غرامُ القيد لم تكنِ الدُّنا   هذى السُّجونَ تضيقُ بالسُّجَناء
لولا التَّلذُّذُ بالأذى ما ألهبتْ   تلك السياطُ نواصِىَ الضّعفاء
يا من يريدُ تحرّراً من قِدّه   هلاّ بدأتَ بنفسك الشوهاء
هى بالقيودِ مؤودةٌ لكنّها   ما إن تحسُّ لحرّها بعَناء
إنى نظرتُ إلى العَبيدِ فلم أجد   رقّاً كرقِّ النّفس والآراء
فاشمخْ بأنفكَ رفعةً وتمرُّداً   وذرِ النّفاقَ ولا تَدِن برِياء
واتركْ لصيحاتِ الطبول فراغَها   واسخر من العظَماء والكُبَراء
فإذا قيودُكَ قد هوتْ من نفسها   عن ساعِدَيْكِ هشيمةَ الأشلاء

* * *

نجوى موسيقية (سيرانادة)

« تحت نافذة المرأة التي لم تخلق بعد »

للأستاذ صالح جودت

ما أنتِ إلا امرأةٌ في الخيالْ ... رأيتُها بالقلب رؤيا المثالْ
لو قدرتْ ليلةُ قدْرٍ على ... تأويلها، لم أرضَ هذا المحالْ
مُناىَ أن تحيا بفكري ولا ... تخطر في الدنيا لغيري ببالْ
وما أنانيٌّ أنا، لكنما ... أخشى عليها من قلوب الرجالْ
وهي التي صوّرها شاعرٌ ... مبتكرٌ أبدع فيها المقالْ
من عُنصر الوهم اجتلى رسمها ... والوهمُ في الدنيا أعزُّ اللآلْ
آمنتُ بالله، وما شِمتُهُ ... إلا بعين الوهم خلف الظلالْ
وثُرتُ بالحب وعانيتُهُ ... في امرأةٍ من غانيات الخيالْ
كنتُ أنا الباري الذي صاغها ... فكيف أمسى أنا عبد الجمالْ؟
كناحتِ «العزّى» إذا ما رمى ... مِعوَلَهُ، ذلّ لذات الجلالْ
فهل رأى العالَمُ مخلوقةً ... دلّتْ على الخالق هذا الدلالْ؟
وهو الذي بارَى بها ربَّهُ ... واسترخص الهُدى وأغلى الضلالْ
وسار في الناس بأوصافها ... حتى أحبوها بغير اعتدالْ
وفتشوا في الأرض عن وكرها ... وفي السموات العَوالي العِوالْ
تسوّلَ الناسُ أحاديثها ... والناس لا تسأم ذل السؤالْ
وقيل إن الغيبَ قد لفّها ... وإنّ حُجْبَ الغيب ليست تُذالْ
وقيل في يمناي مفتاحها ... وقيل يطوي قلبَها في الشمالْ
يا طيبَ ما لاقيتُ في حبها ... وطيبَ قيلٍ في هواها وقالْ

صالح جودت

قالوا: سكتَّ عن الغناء؟ فقلت: لا ... في مسمع الأكوان رَجعُ غنائي
قلبي لقد وسعَ الحياةَ جميعَها ... من شقوةٍ وسعادةٍ وهناءِ
والكونُ لحنٌ كلُّه رتّلتُهُ ... في نشوةِ الإصباح والإمساءِ
ألَّفتُهُ من آهتي وتبسّمي ... فاستنشدوه يُعِدْ لكم أصدائي

« باريس » أمجد الطرابلسي



أقصى ما بلغه العلم التجريبي

يستدل العلماء على مرور الـكترونات الأشعة الكونية
بسماعها ويحصلون على صور مسارات هذه الألكترونات

للدكتور محمد محمود غالي

لو أن الساسة اليوم وجهوا عنايتهم إلى العلماء والعاملين على التجديد العلمي لما كان ثمة شك في الخطوات العجيبة التي يخطوها العلم إلى الأمام ، ذلك أن الميراث العلمي بلغ حداً يمكن الإفادة منه أكثر من أي عهد مضى

ولو أن الأموال التي تنفقها الحكومات المتعددة على الاستعداد للحرب وعلى الإكثار من آلات التهلكة والدمار ، أخذت طريقاً آخر للخير العام ، فأنفقوا جانباً منها على المعامل العلمية ؛ ولو أن الساسة أحسنوا استعمال النتائج العلمية التي يتوصل إليها العلماء واستفادوا للخير لا للشر من انتصارات العلم الباهرة لاقتربنا من جيل يختلف كثيراً عن العهد الذي نعيش فيه ، ولشهد الإنسان حضارة أرقى كثيراً من الحضارة التي يستمتع بها الآن ، ذلك أن العلم التجريبي بلغ حداً تعجب له عند ما تقف على بعض تفاصيله الأخيرة

وإني أستعرض مع القارئ بطريقة مبسوطة مثالاً في البحث التجريبي وما أصبح له اليوم من قوة ، فأدله في هذا المثال على طريقة قياس الأشعة الكونية وتعيين مسارات جسيماتها السريعة التي لا يمكن للعين أن تراها

***

لو أني ذكرت للقارئ أن وزن الألكترون هو $\left(\frac{١٠٦٠}{١٠^{٢٧}}\right)$ من الجرام وأن العلماء يستطيعون اليوم رسم صورة لمساره ويسمعون مروره لما تملكه العجب ، ذلك أن النظر إلى الأرقام لا يدل بطريقة واضحة وسريعة على ضآلة الشيء أو جسامته ، على صعوبته أو سهولته ، بقدر ما تدل على ذلك الأمثلة وما تنطوي عليه من مقارنة

ولو أني ذكرت للقارئ أن الألكترون هو من الضآلة والصغر بحيث أن النسبة بين كتلته وبين كتلة أحد أزرار البدلة التي يرتديها ، كالنسبة بين كتلة هذا الزر وكتلة الكرة الأرضية بأسرها ، لعجب القارئ كيف أمكن معرفة شخصية هذا الجسيم المتناهي في الصغر ورسم مساره على الورق الحساس ، وكيف يمكن أن نسمع بمروره بيننا ، هذه أمور يحار لها العقل

هذا الألكترون (الوحدة السالبة للكهرباء) وشقيقه البوزتون (الوحدة الموجبة) يصل كل منهما بسرعة كبيرة وتتركب جسيمات الأشعة الكونية منهما . ولكل من هذه الجسيمات طاقة تفوق حد الوصف ، ومع ذلك فبرغم صغرها وسرعتها يتمكن العلماء اليوم من تسجيل مرور كل منها على حدة ومن رسم مساراتها وسماعها عند مرورها ، وهم يضعون لذلك وفي طريق هذه الجسيمات من شباك الصيد والأجهزة الدقيقة ما يساعدنا على سماع إنذار عند مرورها ، ومن رؤية آثارها في المادة ، وتسجيل الطريق التي مرت فيها

ولعل هذا يدعو القارئ إلى شيء من الدهشة يزيد على دهشته عند استماعه من الراديو حفلة غناء تدور حوادثها بعيدة عنه وهو واقف بسيارته في قلب الصحراء

هذا الألكترون ، الزائر العجيب ، كان هدف العلماء ؛ هذا الطائر السريع الآتي من عوالم بعيدة ما زلنا لا ندرك مصدرها ، كان ولا زال محل اهتمام العلماء لتحقيق شخصيته ، وقدرته على

اختراق المادة وإحداث التفتت الذرى فيها — هذا الجسيم الذى ربما بدأ رحلته حول الكون قبل بدء العصر الكمبرى ، وهو العصر الذى لم يترك لنا أى أثر من الكائنات الحية على الأرض ، لا زال محل بحث العامل قاطبة لمعرفة كنهه وأثره وطبيعته



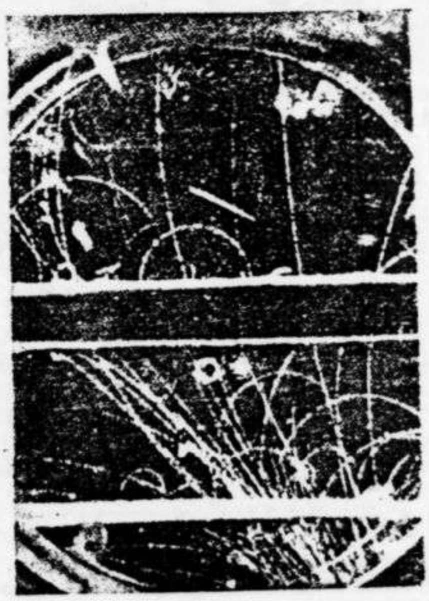
لوحة من الرصاص داخل غرفة ولسون

جسيمات الأشعة الكونية تخترق لوحة من الرصاص وتحدث تهدما فى المادة
من أبحاث أندرسون ونيدرماير
ش (١)

ومن يدرى ! فقد يكون الوقت الذى استغرقته عملية نشوء الكائنات الحية وتطورها من أنفيبيا إلى أسماك ، ثم إلى زواحف وطيور وثديات وإنسان ، لا يُعد إلا فترة بسيطة بالقياس إلى الزمن الذى قطع فيه هذا الجسيم رحلته الطويلة حول الكون المقفل على نفسه[1] ومع ذلك فقد وصل إلى مكان وُجد فيه إنسان مُفكّر ، يستطيع أن يقف على شىء من دخائل هذا الجسيم الصغير، أن يكشفه، أن يرى مساره ، أن يستمع مروره ؛ بل يضع له شباكاً من ألواح الرصاص السميكة ويرى رأى العين كيف يخترقها طوراً ويتعثر فيها تارة ، بل يرى آثار التهدم الذى يحدثه هذا الزائر السريع فى ذرات المادة ، ويرى الانفجارات العديدة التى تقع بسبب مروره وبفعله وفعل طاقته العظيمة . وفى الشكل (١) يرى القارئ صورة لجسيمات الأشعة الكونية وحزمة من الجسيمات الأخرى ويرى هذه الجسيمات الكونية تخترق لوحاً من الرصاص محدداً بالخطين الأفقيين ، كما يرى شيئاً من التهدم الذى حدث فى هذه المادة. وفى الشكل (٢) يرى حزمة أخرى من هذه الجسيمات المتناهية فى الصغر، وبالأحرى يرى مواضعها تظهر دفعة واحدة داخل جهاز ولسون الذى سنتكلم عنه فى مقال قادم ؛ وهذه الحزمات وهى جسيمات من المادة حدثت بسبب الأشعة الكونية التى لها هذه القوة العجيبة من اختراق ما يقابلها من مادة

***

ولتعرف شخصية جسيمات الأشعة الكونية ، ألكترونات كانت أم بوزيتونات ، وتسجيل مرورها ، طريقتان :



حزمة من الجسيمات تظهر دفعة واحدة داخل جهاز ولسون بسبب مرور ألكترونات الأشعة الكونية التى تخترق ما يقابلها
من أبحاث أندرسون (مكتشف الوحدة الكهربائية الموجبة) ونيدرماير
ش (٢)

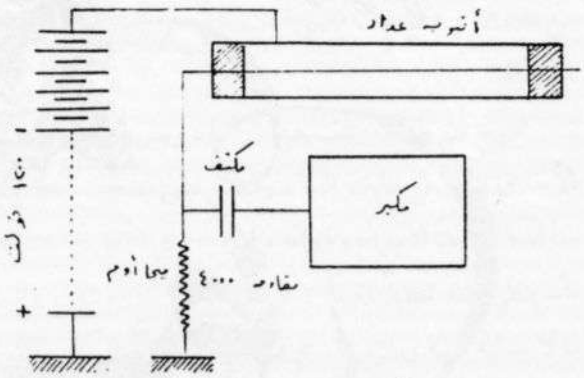
الطريقة الأولى تنحصر فى استعمال جهاز خاص لعد هذه الألكترونات ويسمونه « عداد الألكترونات » Compteur à Electron وفى هذه الطريقة لا يرسم مسار الألكترون وإنما يستطيع الجهاز أن يَعدّ الجسيمات التى تمر فيه .

(١) سبق أن شرحنا فى أربعة أعداد من الرسالة هذا العام أن الكون فى مجموعه محدود وأنه مغلق أى مقفل على نفسه كما بينا أنه يتسع ويتمدد على نحو كرة من المطاط تنتفخ

والطريقة الثانية تسمى طريقة « غرفة ولسون » Chambre de Wilson ، ويمكن بها رسم مسارات هذه الألكترونات أو البوزيتونات ، وتعيين أثرها على المادة التى تقابلها وسنشرح الطريقة الثانية فى المقال القادم .

أما عداد الألكترونات فهو اليوم أبسط جهاز معروف فى العلوم الطبيعية رغم صغر الظاهرة المراد قياسها ، ويتكوّن (شكل ٣) من أنبوبة معدنية داخلها سلك من النحاس المتأكسد وبطرف الأنبوبة سدادتان حيث لايجاوز ضغط الغاز داخل الأنبوبة بضعة سنتيمترات من الزئبق ، وحيث يتفاوت المجال الكهربائى بين السلك والأنبوبة من ١٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ فولت .

ويتصل السلك الداخلى إما بالألكترومتر ، وإما بمكبر ذى صمام[1]، فعند ما يمر فى الغاز داخل الأنبوبة أحد الألكترونات المكونة للأشعة الكونية يحدث عدد من اليونات[2] ، وهذه تُحدث زيادة فى الظاهرة الكهربائية ، وهذه الزيادة البسيطة يمكن بعد أثر المكبِّر للتيار أن تُحدث حركة آليّة من السهل أن تؤثر على جهاز آخر تسمع منه ضربة تدل على مرور أحد الجسيمات الكونية التى مرت فى هذا الوقت داخل الأنبوبة .



عداد الألكترونات لجيجر وميلر

ش (٣)

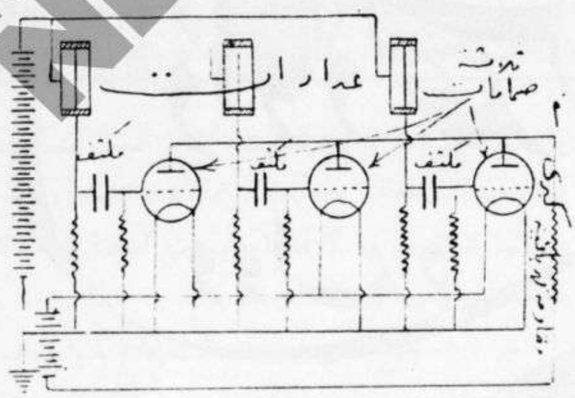
ومن تتح له زيارة معهد الراديوم فى باريز فى شارع « بيير كيرى » ويصعد برج هذا المعهد يجد جهازاً لعد هذه الجسيمات الكونية حيث تتملكه الدهشة عند سماعها

على أن مرور أى ألكترون سواء من الأشعة الكونية أو من أى أشعة راديومية ، يكون مصدرها المواد المستعملة فى الجهاز نفسه أو المبانى المجاورة ، يحدث هذه اليونات داخل الغاز التى يتبعها هذه الضربات

(١) الصمام هو لمبة خاصة كاللمبات المستعملة فى أجهزة الراديو

(٢) هى الأيونات وأفضل كلمة يونات لسهولة النطق كما قدمت

ولكى نميز بين الضربات الحادثة بسبب الأشعة الكونية من الضربات الحادثة بإشعاع آخر محلى ، فكر العلماء فى وضع ثلاثة عدادات بينها ستائر تمنع مرور الجسيمات الأخرى التى تقل طاقتها عن طاقة الأشعة الكونية



جهاز روسى لتسجيل عدد جسيمات الأشعة الكونية

ش (٤)

وقد تم توصيل ثلاثة العدادات بحيث لا تسجل إلا مرور الجسيم الذى يستطيع اختراقها معاً ، وبعبارة أخرى ، لا تسجل إلا جسيمات الأشعة الكونية (شكل ٤)

وهذه الطريقة كان لروسى الفضل الأكبر فى نجاحها وسنأتى على شرح طريقة ولسون فى المقال القادم .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة


محلات
داود عدس
وولده
معرض
الأزياء الحديثة
صيف ١٩٣٩



التذوق الفنى
فى الشرق والغرب
للأستاذ محمد السيد المويلحى

أحسب أننا مهما تغالينا فى التجنى على الغرب باتهامه بالإباحية ، وبالاندفاع وراء شهواته اندفاعاً لا يعرف حياء ، ولا يقيم وزناً لما اصطلحت عليه الأخلاق من قيود وحدود ، فلن نستطيع أن نقول إن هذا هو الواقع ، وإننا نصور حالة صادقة لما هو عليه من عادات ، ولما هو فيه من حرية فضفاضة سعى إليها سعياً متواصلاً حتى نالها ...

صحيح أن عاداته تختلف عن عاداتنا ، ونظرته إلى الحياة وإلى الأخلاق تتغير عن نظرتنا إليها ، ولكن ليس بصحيح أنه أكثر منا اندفاعاً وحباً لشهواته ونزواته . لأنه — على الأقل — يمتاز عنا بأنه ينظم وقته تنظيماً دقيقاً : فيعطى لوطنه ، ولبيته ، ولعمله ما لا يعطيه لقلبه وملاهيه . ثم هو لا يعرف أبداً التسكع والخمول الذى يحملنا حملاً على أن يجلس الواحد منا طول يومه أو طول ليله على قهوة لا لعمل شىء يعود عليه بفائدة ، بل للنظر إلى المجهول أو للعب النرد أو للتفرج على حركة المرور ... !

***

بل هو يمتاز عنا بأكثر من هذا : يمتاز بتذوق فنى رفيع لا دخل للشهوة فيه أبداً . فهو حينما يسمع يسمع بأذنه فقط لا بقلبه ولا بحبه ولا (بجسمه) كما هو الواقع عندنا !

لا يحكم على مطربة من مطرباته بأنها حلوة العينين ، دقيقة الشفتين ، مستقيمة الساقين ، ممتلئة الجسم ، رقيقة الاسم ... الخ . بل يحكم عليها بأنها : قوية الصوت . لامعة النبرة . متمكنة من فنها ، واسعة فى ثقافتها ، مجتهدة فى عملها ، لا تعتمد فى معيشتها وحياتها إلا على صوتها ، لا تمنعها دمامتها من احتلال المكانة التى يؤهلها لها صوتها ، ولو كانت فى الذروة !

نعم لا تستطيع مطربة هناك أن تثبت إلا (بفنها) فحسب مهما بلغ جمالها وحسنها ، ومهما نضج جسمها واكتمل سحرها ، ومهما سالت واستسلمت ، وصادقت عظماء وطنها وحكامه فلن تكون أكثر من جميلة ساحرة ذات جسم ! أما أن تُفرض على شعبها كمطربة ، فهذا هو المستحيل الذى لن يكون ولن يعترف به الشعب ولو تبدلت الأرض غير الأرض

ثم إن بناته ونساءه لا يحكمن على مطرب من مطربيهن بأنه صغير السن ، جميل الشكل ، أنيق ، رشيق ، بل يحكمن عليه بقدر ما يتمتع به من قوة الصوت وسلامته ، وجمال الإلقاء ، والقدرة على التوزيع والتنويع ، والتوفيق فى إلباس الكلمات والمعانى (الموسيقى) التى تلائمها وتترجمها وتبرزها فى إطارها المضبوط الذى تجرى السلامة فى أعطافه ، ويشيع السحر منه !

ثم إن العواطف الشخصية والإعجاب بالكتفين العريضتين ، وبالزراعين المفتولتين ، وبالقوام السمهرى ، وبالوجه الصبوح ؛ كل هذا لا يجعل من الرجل عندهن مطرباً ، فإذا تمتع بعد هذا بمال أو بتقدير ، فإن هذا لا يكون إلا بشكل فردى شخصى لا يغرم فيه الشعب ملياً واحداً ... !

لقد كان (بيتهوفن) رجلاً أصم ، و (فجنر) شخصاً دميماً . (وموزارت) مهملاً فى زيه . فهل منع هذا عنهم التقدير والخلود ؟ وهل وقفت عاهاتهم أمام فنهم القوى لتسد عليهم إعجاب الشعب بعملهم ... ؟ ؟

(وآل جولسون) الأصلع ، (ومستنجيت) العجوز الشمطاء ، (وبول روبصون) الزنجى ، هل ظُلِموا فى هذا العصر ، ولم

يُقدّروا لأنهم حرموا ما يمت الحمية فى الأجسام عند الغربيين ؟

أى شرقى أو مصرى بنوع خاص يشجع فناناً شرقياً أو مصرياً ذا عاهة ؟ ؟ وأى مصرى الآن يقبل على سماع مطربة (كفيفة) بقدر ما يقبل على سماع البصرة ، ولو كانت الأولى أقوى صوتاً ، وأتقن صنعة ، وأعظم أداء ؟

قد يقال إن المصريين قبل نصف قرن كانوا يزنون الغربيين فى هـذا فكانوا لا يهتمون إلا بالفن وبالصوت بدليل أنهم رفعوا (عبده الحامولى) وزوجه (الماس) إلى ذروة التقدير والشهرة مع أنهما كانا من أشد الناس دمامة وقبحاً . . . وقد يقال إن العرب أنفسهم كانوا من أشد الناس تقديراً للفن وحده بدليل أنهم أفسحوا مكاناً محسوداً (لابن سريج) الذى بلغ من قبحه ودمامته أنه كان يطرح على رأسه ووجهه غطاء حين الغناء ... حتى لا يفسده بشكله ...

وهذا صحيح لا مرية فيه ، وهذا ما امتاز به العربى عن الغربى من قرون إبان أن كان الموسيقار العربى يعيش معززاً مكرماً والموسيقار الغربى ممتهناً يعيش كما يعيش النبوذ المحروم من أبسط مظاهر الحياة وهى نعمة التمتع بالإنسانية وبالوجود . إبان أن كان يقتل كما يقتل الكلب فلا يكون جزاء قاتله إلا ضرب (ظله) بالسيف ... !

قد يقال هذا وأكثر منه ولكن بحث اليوم ومقارنة الساعة لا تنسحب على الماضى وإلا كان هذا أدعى إلى تعنيفنا إذ كيف يستسيغ الإنسان هذا التطور الأخلاق السريع الذى لا يسير إلا منحدراً ... ؟؟

لقد كان آباؤنا وأجدادنا من خمسين سنة أسلم منا حكماً وأعدل تقديراً ، وأضبط عاطفة ، وأسمى غرضاً

كانوا لا يعيشون لشهواتهم وجسومهم كما نعيش نحن الآن مع أنهم لو فعلوا ما استطاع اللوم أن يصـل إليهم فقد كانوا أوفر منا مالاً وأقل انشغالاً بتهيئة وسائل المعيشة . وكانوا أقرب إلى (الفطرة) منا إليهـا ، وكانت جميع المحرمات والممنوعات التى تستلب الإحساس وتمنع التقدير السليم موفورة لديهم ، ومع ذلك كله استطاعوا أن يقدروا الفن ويتساووا مع الغرب الآن ... أى أنهم كانوا يعيشون من نصف قرن كما يعيش الغرب الآن من حيث تفكيره وتقديره الموسيقى ... !

قد يكون للاحتلال نصيب ، وقد يكون للانحلال الأخلاقى الذى يتغلغل فى عظمنا ونفوسنا نصيب ، وقد يكون لتلك النفوس التى طبعت بطابع الذلة بعد الحرب وبعد الثورة المصرية نصيب

تلك النفوس التى استساغت هذا اللون المسترخى وهـذا التخنث الذى يطفح من كل أغنية ، ثم تدرجت بعد هذا إلى السيطرة على بقية النفوس حتى أصبحنا ونحن على هذا الحال البغيض

فالجمهور لا يشجع إلا الجميلة من المطربات أو الظريفة منهن أو كثيرة الأصدقاء ...

هبط معيار التقدير حتى أصبح منحصراً فى الجسم وفى كل ما يرضى الجسم . أما الروح . أما الفن بصرف النظر عن كل شىء فلا ... !

ولهذا أصبح جونا الموسيقى جو جسم بحت ، وأصبحت تربته لا تنبت ولا تصور إلا الشهوة . أما الصوت ، أما الفن ، فهذه أشياء تافهة فى عرف الذوق الشرقى عامة والذوق المصرى خاصة !

محمد السيد المويلحى



آداب انجليزية

مادبة العشاء الرسمى

للآنسة زينب الحكيم

ترتيب المائدة وما يترتب عليها

ولائم العشاء من أهم أشكال العزائم عند الانجليز . وإنه لمن الفخر فى العرف الانجليزى أن يدعى الإنسان لوليمة عشاء أكثر من أن يدعى لوليمة غداء، أو لشاى بعد الظهر، أو لسهرة بسيطة فى المساء، فإن وليمة العشاء غالية الثمن، لايدعى إليها إلا علية القوم، ولذلك فهى إكرام له قيمته وأهميته . وعلى ذلك لا ينتظر من الأفراد صغيرى الموارد ومتوسطى الحال أن يقوموا بولائم كهذه . وليس معنى هذا أنهم لا يستطيعون عمل ذلك فى محيطهم الخاص وإنما نقصد إلى أن المفروض فى ولائم العشاء الرسمية أن تكون مستكملة اللوازم والمسرات والإكرام

الدعوة لوليمة العشاء

كيف ترسل الدعوى ؟

إما تكتب على شكل مذكرة، أو تطبع على بطاقة، وعادة ترسل قبل الميعاد بعشرة أيام إلى ثلاثة أسابيع حسب أهميتها بالنسبة للغرض الذى تقام من أجله، وبالنسبة للفصل من السنة

فتكون مهلة الدعوة أطول إذا كان الفصل فصل عمل، فتراعى ظروف الأفراد، ويقدر أن كل واحد عنده مشاغل كثيرة. وتكون المهلة أقصر فى الأوقات الأقل مشغولية (وبالطبع لكل قاعدة شواذ)

فإذا كان يتراوح عدد المدعوين بين ١٢ و ١٨ فمهلة أسبوعين أو ثلاثة كافية لأن تكون الدعوة بين أيدى المدعوين لكى يوجدوا لها وقتاً من بين أوقاتهم

وعشرة أيام إلى ثمانية عشر يوماً تكفى إذا كان عدد المدعوين ٨ — ١٢ شخصاً، وأسبوع أو ثمانية أيام كافية جداً لوليمة تقام لأصحاب قريبين من الجيران حيث الولائم قليلة . والأسرة التى ليس لها معارف يحسن بها أن تترك مهلة أطول لمدعويها خلاف الذين لهم معارف كثيرون وفى استطاعتهم اختيار مدعويهم من بينهم

وإذا كانت الوليمة صغيرة كأن كانت لستة أو ثمانية أشخاص فيمكن دعوتهم بالتلفون، على أنه يحسن تأكيد دعوتهم ببطاقات أو خطابات

ويستطيع المدعو أن يحكم على نوع الوليمة كبراً وصغراً وأهمية من الزمن المتروك بين تاريخ إرسال الدعوة وميعاد الوليمة

الضيف الذى لا يبالى

الضيف الذى لا يبالى بعواقب الأمور هو الذى يهمل الرد على الدعوة الموجهة إليه ؛ فإن كانت بالإيجاب فليرسل رده تواً، فليس من الحزم ولا من المروءة أن تترك المضيفة حائرة غير متأكدة من العدد الذى سيلبى دعوتها ممن دعتهم

وليكن معلوماً ومقدراً أنه لن يزيد من مقدار الشخص الذى توجه إليه دعوة لوليمة عشاء أن يرفضها برفق . فإن هذه الدعوات يجب أن تلبى إلا إذا وجدت ظروف قهرية حقاً تمنع من قبولها، وهنا يصح أن يعتذر عنها بكل أدب وأناقة ممكنين

أما الأفراد الذين يتركون اعتذارهم أو قبولهم الدعوة للوليمة لآخر الوقت، يقل توجيه الدعوات إليهم تدريجاً، وبذلك ينسحبون من المجتمع على الرغم منهم

السيدات والرجال فى الوليمة

يلاحظ فى الولائم المدعو لها سيدات ورجال ، أن يكون عدد الفريقين متساوياً بقدر الإمكان ، لأن من نظام ولائم العشاء الإنجليزية أن تحادث كل سيدة الرجل الذى صحبها إلى حجرة المائدة ويجلس عادة إلى يسارها ، وكذلك تتحادث إلى الرجل الذى عن يمينها — وبما أن هذا تقليدٌ من التقاليد التى يجب أن تنفذ أثناء الجلوس حول المائدة فيتحتم أن يراعى الجميع آداب المحادثة ، وأن يكونوا جميعاً طيبى السمر والحديث . لهذا كان من أول واجبات صاحبة الدعوة أن تراعى تناسب أماكن الأفراد بعضهم إلى جانب بعض حول المائدة . وإذا لوحظ أن البعض لا يستحسن صحبة من جلس إلى جانبه فلينتقل إلى محيط آخر بلباقة حتى يمضى وقتاً سعيداً . غير أن التوفيق بين الشخصيات ليس سهلاً وبذلك يتعقد الموقف قليلا أحياناً .

بقيت مسألة هامة، تلك هى أن يراعى دعوة الزوج مع زوجه إلا إذا حالت ظروف طارئة دون ذلك . والمضيفة اللبقة هى التى تستطيع توجيه زوارها وزائراتها إلى الوجهة التى تؤدى إلى إنجاح وليمتها دون أن يشعر أحد بما ترمى إليه ، كأن تسوق الحديث إلى موضوعات نقاش وسمر تسرّ الجميع، ولا تتعرض للشخصيات ولا للأحاديث غير المرغوب فيها ، كالتى تعطى فرصاً للبعض لإظهار دخائل نفوسهم بالمناسبات

والفرد الذى يقبل الدعوة لوليمة عشاء ، يجب عليه أن يقدر مسئوليته بالنسبة لمضيفته ، ولهذا يجب أن يضبط نفسه ويؤدى واجباتِهِ نحو من كلف رعايتهن ولو لم يكن ممن كان لا يفضلهن لو ترك له الخيار فى مجالستهن

مواعيد ولائم العشاء

تختلف من الساعة ٧٫٤٥ إلى الساعة ٨٫١٥ ويقدم العشاء فى الثامنة والنصف فى الحالة الثانية . أما الحالة الأولى ٧٫٤٥ فهى المحببة لدى (الفئة المحافظة)

وهذه المواعيد تتبع بدقة، لهذا يتحتم على المدعوين أن يحافظوا عليها بدقة أيضاً . والتأخر عن ميعاد العشاء يعتبر من قلة الذوق ، كما لو وصل الزائر إلى بيت داعيه متقدماً أكثر من خمس أو ست دقائق قبل الميعاد المحدد .

استقبال الزوار والتعارف

يجب أن يكون المضيف والمضيفة على استعداد تام فى حجرة الاستقبال قبل الموعد المحدد بعشر دقائق على الأقل . ويلزمهما التسليم باليد على ضيوفهما ، وعند وصول المدعو إلى المنزل المقصود لا يجب عليه أن يسأل إذا كانت ربة البيت موجودة فإن هـذه مسألة لاشك فيها . وعند دخول الزائرة بهو المنزل ، تخلع معطفها وتسلمه للخادمة الموجودة به إلا إذا دعيت للذهاب إلى الحجرة الخاصة بوضع أمتعة الزوار ، فيمكنها ترك معطفها أو أى شىء آخر .

وفى الولائم الكبيرة يقف رئيس الخدم بالمنزل على الدرج الصاعد إلى حجرة الاستقبال إذا كانت بالطابق العلوى ، أما إذا كانت بالطابق الأول فيقف بالصالة أو المدخل ، ويفتح الباب خادم آخر ، ويأخذ خادم ثالث أغطية الرأس والمعاطف من الرجال .

أما فى حالة السيدات فالخادم فى خدمتهن كما تقدم .

وعمل رئيس الخدم هو أن يسأل الزوار عن أسمائهم ، ويجب أن تعطى له واضحة صحيحة ، وعليه أن يفتح باب (الصالون) ويذكر اسم الزائر عند دخوله إليه .

وعادة يدخل الزوج والزوجة أحدهما إلى جانب الآخر، أو متأبطى الذراعين ، وسواء دخلا متفرقين أو مجتمعين فإن الخادم يعلن اسميهما مقترنين فيقول مثلاً : السيد فلان والسيدة فلانة أو الآنسة فلانة .

وبعد أن يحيى أصحاب الدار زوارهم تجلس السيدات ؛ أما الرجال فيبقون وقوفا يحادث بعضهم بعضاً ، أو يحادثون من يعرفونهم من السيدات . فإذا وجدت إحدى الزائرات أن لها من الحضور عدداً موفورا تعرفه ، فلا يحسن بها أن تدور فى الحجرة لتسلم عليهم جميعاً . بل تسلم على القريبات والقريبين منها ، وتكتفى بتحية الأخريات البعيدات بانحناء الرأس أو الابتسام ، وإذا كان لها معارف من الرجال فتحيتهم بالانحناء ، وإذا لم يكن يتحدث إلى أحد ، فعليه أن يذهب إليها ويحادثها .

التعريف

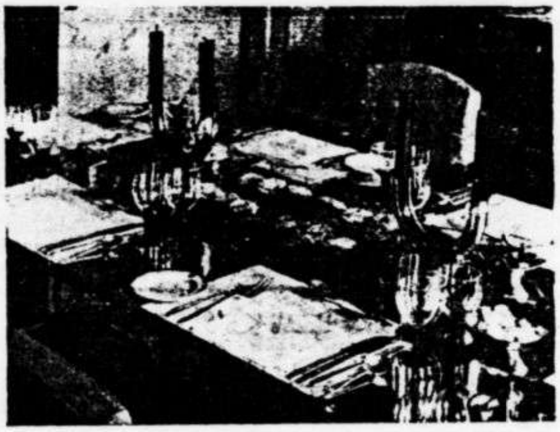
وإذا كانت الوليمة صغيرة فعلى المضيفة أن تقوم بتعريف الزوار بعضهم ببعض إذا لم يكن قد سبق لهم المقابلة ، أما فى الولائم

الكبيرة فهذا العمل غير ممكن ، ولو أن ربة المنزل تقدم بعض زوارها لبعض قدر ما يسمح لها وقتها بالمناسبات وملاءمة الفرص .

ترتيب جلوس المدعوين حول المائدة

تجلس السيدة أكبرُ الحاضرات مقاماً إلى يمين رب الدار ، ويجلس الرجل الذى فى مستواها إلى يسار ربة الدار

ويبقى المضيف واقفاً فى مكانه على المائدة حتى يأخذ جميعُ المدعوين مقاعدهم ، وعليه أن يكون عالماً بالمكان الذى يجلس فيه كل شخص وأن يكون مكانه متناسباً وحالته ، وعلى رئيس الخدم أن يعلم ذلك أيضاً . أما فى الولائم الكبيرة فتوضع بطاقة باسم المدعو فى المكان المعد له على المائدة



مائدة عشـاء

ويراعى فى جميع الولائم صغيرها وكبيرها أن تجلس السيدة إلى يمين الرجل الذى يصحبها إلى حجرة المائدة . وفى ولائم العشاء لا يقصر المدعو حديثه على من صحبها فقط ولا هى أيضاً وإنما يكون التحادث لكليهما مع من يجلسون بجوارهما من الجانبين

متى يرحل الزائر

ينصرف الزائر نحو الساعة العاشرة والنصف أو الحادية عشرة إذا كان ميعاد الوليمة مبكراً إلا إذا أقيمت سهرة موسيقية أو تسلية أخرى مما يجرى فى العادات الإنجليزية (كالرقص أو اللعب بالورق) فيمكن إطالة المكث بحيث لا يتعدى الساعة الحادية عشرة والنصف إلى الثانية عشرة

عند الانصراف

فى حالة تناول زوجين عشاءهما فى غير منزلهما ، على السيدة أن تلاحظ الانصراف فى الوقت المناسب فتملى إرادتها بلطف ودقة على زوجها فينصرفان دون قطع محادثة طريفة ، أو حديث فى موضوع هام . وعلى كل زائر وزائرة أن يحيي المضيفة تحية الوداع ، ويسلم على باقى المدعوين إذا كانوا قريبين منها . ويكون السلام على أصحاب المنزل باليد ، ويمكن عمل ذلك مع المعارف إذا لم يترتب عليه إقلاق المجتمع وإلا فالتحية بالانحناء تكفى .

ولا بأس من أن يذكر لربة الدار بعض جمل الشكر والاستحسان على الوقت الجميل الذى أمضوه عندها ، ويراعى الأفراد ألا يشغلوا ربة الدار أكثر مما يجب ، فإن عليها أن تجامل كل مدعويها ومن واجب كل أن يساعدها على ذلك

وعلى رب الدار أن يودع الزوار حتى باب الصالون أو إلى الصالة إذا استطاع ترك باقى الزوار منفردين .

تحية الانصراف

من العادات الإنجليزية تقديم تحية الانصراف ، فتوضع منضدة صغيرة خارج حجرة الاستقبال أو فى مكان قريب منها ، ويكون عليها مشروبات باردة ، وسجاير تقدم وقت الانصراف

خلع القفازات

على كل سيدة تجلس إلى مائدة العشاء وهى لابسة قفازيها أن تخلعهما توًّا . فإذا كان خلع القفازين من يديها يستدعى بعض الوقت ، فعليها أن تضع فوطتها على حجرها حتى لا يقدم إليها الحساء وهى غير مستعدة

استخدام فوطة المائدة وآنية غسل الأصابع

على الزائر أن يبسط الفوطة ويضعها على حجره ، ولا تستعمل فوطة المائدة كمناشف للأيدى فالغرض منها حماية الملابس أثناء تناول الطعام ، وتلمس بها الشفتان عند الضرورة القصوى فقط . وقد تجفف بها الأصابع برفق بعد وضعها فى آنية غسل الأصابع بعد الفاكهة ولا تطبق الفوطة بعد تناول الطعام بل تترك على طرف المائدة

زينب الحكيم

من هنا ومن هناك

النازية فكرة مؤلف انجليزي – نقلا عن مجلة نيت بيفس

يقول الفريد روزنبرج وهو من أخصاء الفوهرر ، أن أول من مهد الطريق أمام هتلر مؤسس ألمانيا الحديثة هو رجل انجليزي والحقيقة أن أول من أوحى فكرة النازية هو رجل من هامفشير وليس جندياً من أوستريا كما يزعمون . لقد كان لهذا الرجل نفوذ عظيم فى ألمانيا ما زال يزداد وينمو سنة بعد أخرى وقد كتب ثلاث تراجم ، ونشر عنه منذ توفى عام ١٩٢٧ ما لا يحصى من المقالات على صفحات الجرائد الألمانية بأقلام زعماء النازى المعروفين

من هو ذلك الإنجليزى العجيب ؟ ذلك هو هوستن ستورت تشمبرلن . وهو من الأسر الإنجليزية العريقة المعروفة فى انجلترا كما يتبين من اسمه . ومن المأثور عنه أنه كان يقول أول ما سكن ألمانيا (إن أبى انجليزى وأمى من اسكتلندة وجدتى من ويلز فيحق لى أن أقول إننى ابن حق لبريطانيا العظمى) وقد درس علم النبات والطب فى جامعة جنت وسمع أوبرا واجنر فى بيروت وقرأ جيتى وكانت فى ورسدن . وقد استولى عليه شغف جنونى بكل ما هو ألماني ، من أدب إلى موسيقى إلى علم إلى فلسفة إلى صناعات وآلات حربية تدهش العقول

وأتيح له أن يتقن اللغة الألمانية أيما إتقان ، حتى أصبح يفضل الكتابة بها على الكتابة بلغة بلاده ؛ ومن ثم كان يكتب بها كل مؤلفاته

وقد هداه البحث إلى كتابة تاريخ للعالم أسماه أصول القرن التاسع عشر برهن فيه على أن خير الطرق لفهم شعب من الشعوب هى أن تفهمه فى ظل تاريخ المدنية وأطوارها

ودلل على أن كل رقى أو نجاح فى أوربا الغربية ، كان منشأه الجنس الآرى الذى نزح إليها فى الأصل من شمال الهند ، وانحدرت منه السلالة التوتونية الموجودة الآن . وزاد على ذلك ، أن المدنية الغربية لا يمكن الأخذ بناصرها إلا إذا سادها قبيل شديد من الجنس الألمانى العريق

وقد نال هذا الكتاب رواجاً عظيما فى ألمانيا بصفة خاصة . واشترى منه القيصر ولهلم الثانى ألفى نسخة ليجعلها هدايا لمن يريد وصار منذ ذلك الوقت صديقاً شخصياً لهوستن تشمبرلن

وفى سنة ١٩٠٨ أو سنة ١٩١٢ وقع هذا الكتاب فى يد شاب نكد ، لا عمل له فى ڤينا

وهنا ظهر الإنجيل الذى يبحث عنه أودلف هتلر الشاب !

فقد أوحت إليه نظرية هوستن تشمبرلن ، سر كل ما يحيط به من العار والشرور

متاعب ايطاليا فى الحبشة – ملخصة عن لوريب نوفيل

نشرت صحيفة « كريتكا فاشستا » التى تصدر فى روما نبذة عن مركز القوة الإيطالية فى الحبشة نقلاً عن مراسلها الخاص جاء فيها : « لقد أصبحنا الآن فى حالة نستطيع فيها أن نصرح بأن مركز إيطاليا فى امبراطوريتها آخذ فى الانحدار . ويظهر هذا بجلاء فى أديس أبابا أكثر من غيرها يوماً بعد يوم . ويستطيع الإنسان أن يشعر بذلك فى أحاديث الناس وفيما تكتبه الصحافة نقلاً عن مراسليها وفيما ينقله إلينا أصدقاؤنا وزملاؤنا الذين يهتمون بشئون الحبشة »

ونحن لم يغب عن ذهننا بعد تلك الحملات التى وجهتها الحكومة الإيطالية إلى بريطانيا وفرنسا أثناء الحرب الحبشية ، ولا تلك المزاعم الخرافية التى كانت تدعيها عن الكنوز والخيرات التى تنتظرها فى تلك البلاد ، مما جعلها تنجح فى تهيئة الرأى العام فى إيطاليا إلى استعمارها

فماذا وراء هذا التغير الملحوظ الذى طرأ بعد ثلاث سنوات من فتح الحبشة ؟

إن هناك تقارير لا تحصى عن المصاعب الحربية والاقتصادية التى تلاقيها إيطاليا فى بلاد النجاشى ، ونحن وإن كنا لا نستطيع

أن ننكر رسوخ أقدامها فى تلك البلاد ، إلا أن التقارير التى ترد عن المصادر الإيطالية نفسها تدل على أن الحرس الحربى ضرورى لإجراء أى عمل فيها ، وأن الحالة فى إيطالية بعيدة عن المألوف .

ويظهر أن الناحية الاقتصادية فى هـذه المسألة أشد بكثير مما يتصوره العقل . وقد كتب الجنرال تروزى السكرتير الثانى للادارة الإفريقية فى إيطاليا تقريراً على جانب كبير من الصراحة فى هـذا الموضوع ، وقد ظهرت مقالات شتى بهذا الصدد فى الصحف الإيطالية على اختلافها .

ويلاقى الإيطاليون مصاعب لاحد لها فى مجاراة الحالة الاقتصادية المألوفة لدى السكان .

ومن الغريب أنهم لم ينجحوا بعد فى إحلال الليرة الورقية محل العملة الفضية القديمة التي كان يصدرها النجاشى باسم ماريا تريزا ، حتى اضطروا إلى إصدار قطع فضية جديدة من هذا النوع كان لها تأثير كبير فى هبوط أسعار الليرة الإيطالية .

ولقد وضعت إيطاليا يدها على الشئون التجارية فى الحبشة ، كما وضعت يدها على مصادرها الطبيعية ، ولـكن تروزى يقول فى تقريره : إن الأحباش لا يقبلون على شراء المصنوعات القطنية التى ترد من إيطاليا ، لأن القطن الذى تصنع منه ممزوج بأنسجة قصيرة تجعله أقل صلاحية من غيره ، ولقد سقطت هذه التجارة فى الحبشة إلى درجة شديدة .

أما ما كانت تنتظره إيطاليا من الأرباح فى تصدير البن ، فقد ظهر أن الأجر والتكاليف التى تدفع فيه تقضى على كل أمل فى ذلك ، وهكذا الشأن فى باقى المحصولات .

وقد يكون من المستطاع التغلب على مثل هذه الأحوال ، ولـكن إيطاليا التى استنزفت فى الحرب الأسبانية ، وأنفقت الأموال الطائلة فى التسليح ، قد أعوزها المال والرجال لاستثمار تلك البلاد .

ومما يستحق الذكر أن العمال الإيطاليين الذين لم ينقص عددهم سنة ٩٣٧ عن ١١٥ ألفاً قد نقصوا إلى ٣٨ ألفاً فى مارس سنة ٩٣٨ و ٢١ ألفاً فى شهر يوليه من العام المنصرم .

الحقيقة فى المشكلة الفلسطينية ملخصة عن « زى سان »

بدأت أسباب الثورة تظهر فى فلسطين منذ بدأت التجربة الصهيونية فيها ، ولـكن تلك الأسباب قد أخذت فى الازدياد تحت تأثير الظروف الحاضرة ، وقد تزعزع النفوذ البريطانى نوعاً ما فى تلك البلاد ، بعد أن أظهرت إيطاليا عدم احترامها لقواعد عصبة الأمم ، وفهم العرب الذين لا يقدرون المثل العليا التى تعلن فى جنيف أن تلك السياسة السلمية تستند إلى القوى الحربية دائماً

ولقد أخذت علاقة العرب باليهود فى فلسطين تضعف باستمرار هجرتهم إليها ، وأعلنوا الثورة على القانون ليضطروا الحكومة البريطانية إلى تغيير سياستها نحوهم

إن المرء ليتساءل عن الأسباب التى تدعو انجلترا إلى ذلك النظام الذى أنشئ لمصلحة اليهود ، مع ما فى عملها هذا من إضعاف مركزها فى تلك البلاد التى نالت فيها مزايا عظيمة بعد ذلك الانتصار الذى أحرزه لورد اللنبى لها ؟ إن حكم هذه البلاد كان من أهم نتائج الحرب العظمى ، فلماذا تضع انجلترا مركزها فى تلك البلاد فى ذلك الموقف الشائك الذى سبب لها كثيراً من الارتباك ؟ مع أن هذا النظام لم يطلبه الرأى العام فى انجلترا ، ولم تناد به هيئة قوية فى مجلس الجيش !

إن الرأى الحقيقى فى هيئة الجيش لم يعلن بعد ، ولـكن هذه الفكرة قد نبتت فى وقت عصيب كانت فيه جيوش الحلفاء فى أشـد الحاجة إلى المساعدة المالية التى قدمها إليهم اليهود إذ كانت جيوشهم تحت ضغط عظيم . تلك الروح الطيبة التى ظهروا بها أمام العـالم كان لها أبلغ الأثر فى تصريح بلفور الذى جاء فى نوفمبر سنة ١٩١٧

لقد كان بلفور سكرتيراً أجنبياً للحكومة الإنجليزية فى ذلك العهد ، ولـكنه كان أكثر اهتماماً بالحركة الصهيونية من كل شخص فيها . وعلى الرغم من أن هذه الحركة قد طبعت بطابعه وظهرت تحت اسمه ، فقد أعلن أنها عملت برضا حكومة الحلفاء . وظاهر أن الحركة الصهيونية تشمل ألمـانيا والنمسا وغيرها من بلاد العالم

ولقد تضمن هذا التصريح إشارة من الحكومة الإنجليزية بأنها تنظر بعين الاعتبار إلى تأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وأنها تبذل كل ما فى وسعها فى ألا يمس هـذا الحقوق المدنية والدينية للمقيمين فيها من غير اليهود

ولا نذيع سراً إذا قلنا إن أكثر الأعضاء الذين وافقوا على ذلك لم يكن لهم رغبة ملحة فى تلك التجربة ، ولـكن بعض رجال



بين مصر وفرنسا

أصدرت جريدة « الطان » عدداً خاصًّا عن مصر ، وهو عدد نفيس يقع فى عشرات الصفحات ، وفيه أبحاث طريفة عن وجوه النشاط الأدبى والاقتصادى ، وهو تحيـة يراد بها توكيد ما بين مصر وفرنسا من صلات

وهذا العدد مفتتح بكلمتين كريمتين :

أما الـكلمة الأولى فهى رسالة وجهها حضرة صاحب الجلالة ملك مصر إلى فرنسا . وأما الـكلمة الثانية فهى رسالة وجهها حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية الفرنسية إلى مصر . وافتتاح العدد بهاتين الرسالتين يمثل الاحتفاء بتجسيم عواطف المودة بين الشعب المصرى والشعب الفرنسى

وفى الرسالة الأولى يقول حضرة صاحب الجلالة ملك مصر :

« أريد أن أقول لفرنسا : إنى أعرفها وإنى أحبها

« أعرفها فى ثنايا تاريخها الطويل الشائق ، وفى مناحى آدابها وفنونها ...

« أحب علماءها وفلاحيها وصناعها . أحب أناقتها ، وأحب أيضاً بساطتها العائلية ، وأحب وطنيتها وكرمها

« أحبها فى أحيائها وفى أمواتها : أمثال شامبوليون ومريت ودى لسبس وسليمان باشا »

وفى الرسالة الثانية يوجه فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية تحية طيبة إلى مصر ويرجو أن تواصل جهودها فى طريق التقدم الخلقى والاقتصادى والسياسى برعاية مليكها الشاب الذى تحفظ له فرنسا أطيب الذكريات

ونجد بعد ذلك تحية ثانية موجهة إلى مصر من وزير الخارجية الفرنسية، وتحية ثالثة من وزير فرنسا فى مصر ، ثم تحية موجهة إلى فرنسا من وزير مصر فى باريس

وبعد هذه التحيات الرسمية التى تبلغ النهاية فى الـكياسة واللطف نجد كلمة المسيو دى كومنين عن حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق ؛ وهى كلمة فى غاية من العذوبة صوّر بها شمائل الملك المحبوب أجمل تصوير ، وفيها تجلت عبقرية الوصف فى الأدب الفرنسى إذ يقول :

« نبيلٌ عظيم ، أشقر بعيون زرق ، له ابتسامة الفتاة وضحكة العملاق ... » .

الجيش رأوا أن الشعب اليهودى على ما هو معروف عنه من الذكاء والرقى مشتت فى بلاد العالم ، دون وطن يلجأ إليه ، فتحمسوا للفكرة على سبيل العطف فى ذلك الحين

إن للمسألة الفلسطينية أهمية أكبر مما يتراءى . وليس الأمر فيها على إثبات حسن نية اليهود أو سوء نيتهم، أو انتشار التجارة البريطانية أو كسادها ؛ ولـكن الأمر أهم من ذلك بكثير إذ أنه يتعلق بمركز بريطانيا فى البحر الأبيض المتوسط

إن الانتصار الذى أحرزته إيطاليا فى الحبشة قد أصبح يهدد المواصلات البريطانية بلا شك ، فإذا لم تعمل معها اتفاقات متينة واسعة النطاق فى هذه الظروف فمن الواجب تقوية الأسطول الإنجليزى عدة سنين

فإذا كان الأمر كذلك فإن الأنظار لتتجه نحو فلسطين كقاعدة ذات أهمية لا يستهان بها للجيوش الإنجليزية

إن مركز بريطانيا فى الشرق الأوسط قد أصبح مهدداً بعد انتصار موسولينى فى بلاد الحبشة

فإذا كانت بريطانيا لا تستطيع أن تحكم فلسطين فإنها عند ذلك تكون أقل مقدرة من إيطاليا ، إذ تكون قد عجزت عن حكم بلاد أخذتها باعتراف عصبة الأمم

ثم نجد كلمة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا عن مصر الحديثة ؛ وكلمة صاحب الدولة عبد الفتاح يحيى باشا عن مركز مصر الدولى ؛ وكلمة صاحب المعالى الدكتور أحمد ماهر عن مركز مصر المالى ؛ وكلمة صاحب المعالى الدكتور هيكل باشا عن التربية والمدنية ؛ وكلمة صاحب المعالى الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق بك عن الاتجاهات الدينية فى مصر الحديثة ؛ إلى آخر ما فى هذا العدد من شائق البحوث .

وقد وقفنا طويلاً عند الكلمة الشائقة التى كتبها سعادة صدّيق بك عن : « مصر وطن الإنسانية » . وقد كتبها بروح شعرىّ جذاب ، ودعا إلى زيارتها عشاق المعانى من أصحاب الأذواق

* * *

قلت : إن هذا العدد نفيس ، وإنه يؤكد ما بين مصر وفرنسا من صلات

فلم يبق إلا أن أنظر إليه نظرة نقدية : فما الذى فات من اهتموا بتنظيم هذا العدد من الطان ؟

كنت أحب ألا تغلب عليه هذه الصبغة الرسمية التى جعلت أكثر كتابه من الوزراء وأصحاب الشأن فى الميادين الاقتصادية والسياسية .

كنت أحب أن يكون فى هذا العدد مكان ظاهر للحياة العلمية والأدبية والاجتماعية . كنت أحب أن يكون فيه فصل عن الصحافة والتأليف ، وفصل عن تطور الحياة التعليمية فى المعاهد العالية ، وفصل عن تأثير مصر فى توجيه الحياة الأدبية والعلمية بالشرق ...

وذلك كان يوجب على مراسل « الطان » فى مصر أن يستعين بجهود المشتغلين بالصحافة والتأليف والتعليم . ولو أنه فكر فى ذلك لوصل هذا العدد إلى الكمال المنشود .

وهذه النظرة النقدية لا تمنع من تكرير الاعتراف بأن هذا العدد قدّم مصر إلى قراء « الطان » بروح مشبع بالحب والجاذبية . فإلى تلك الجريدة العظيمة نوجه أصدق الثناء .

زكى مبارك

أبو تمام — والأستاذ عبد الرحمن شكرى

لا أظن أن أديباً عربيًّا عُنى بأبى تمام كما عنيت به ، فقد بالغت فى مطالعة ديوانه أيما مبالغة ، وجمعت أمثاله وشرحتها شرحاً طويلاً ، نشرت منه أكثر من ستين صفحة فى إحدى المجلات ، واخترت طائفة من شعره سميتها (جوهر الجوهر من شعر الطائى الأكبر) نشرت فى مجلة ، وربما كان (البيت الميمى) مما جمعت واخترت . ولما رجعت إلى الصفحة (٤٠٩) من طبعة الديوان التى أشار إليها الأديب الكبير (الأستاذ عبد الرحمن شكرى) — أدام الله نفع العربية بطول بقائه — وجدتنى قد خططت عند ذلك البيت خطًّا (١) علامة اختيار

وإذا ما شاء الله أن يضل العالم أو الأديب فى الأحايين فمن أين نظفر بهذه الثروة الأدبية اللغوية الضخمة الفخمة فى النقد ؟ وكيف تتجلى الحقائق التجلى الباهر التام ؟ وهل أغلاط نوادر أبى زياد الكلابى ، وأغلاط نوادر أبى عمرو الشيبانى ، وأغلاط النبات لأبى حنيفة الدينورى ، وأغلاط الغريب المصنف ، وأغلاط إصلاح المنطق ، وأغلاط الجمهرة ، وأغلاط المجاز لأبى عبيد ، وأغلاط كامل المبرد ، وكتاب التصحيف لحسن العسكرى ، وأغلاط الجوهرى للصلاح الصفدى ، والتنبيه على أوهام أبى على فى أماليه ، والفلك الدائر على المثل السائر (٢) . والجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق ، وأغلاط أكبر لغوى وأكبر أديب (٣) فى هذا العصر التى لم تظهر بعد . فهل كل ذلك إلا من فضل ضلال العلماء ؟ وإن (وهماً) أفادنا تلك الفائدة ، وأدّى إلى ذلك التحقيق (الشكرى) الكريم المشكور — لخليق بما هو به خليق ...

* * *

جاء فى كلمة الأستاذ شكرى : « وأرجو أن يسامحنى الأستاذ الجليل فى هذا البيان » . أما بيان الأستاذ الكبير فهو مما يشكره مثلى كل الشكر عليه ، وأما سؤال (المسامحة) فى الجملة فإنى أسامح الأستاذ فيه هذه النوبة لإحسانه إلى العلم وإلىّ ببيانه

(القارئ)

---

(١) تفضل بزيارتى الأديب الفقيه الأستاذ داود حمدان الفلسطينى وخضنا فى خطب تلك الهفوة ، فأطلعته على هذا الخط عند البيت وعلى أمثاله فى الديوان ، وقد خططت ذلك منذ أكثر من خمس وعشرين سنة ، وشاعرنا أحمد شوقى يقول : « اختلاف النهار والليل ينسى »

(٢) لابن أبى الحديد وقد نشرت طائفة منه منذ حين فى مجلة الهلال

(٣) الشيخ البازجى والأستاذ الرافعى وستظهر الأغلاط ان شاء الله فى وقت ، ولكل كتاب أجل.

فى ذكرى الهراوى

فى أواخر الأسبوع المنصرم — والرسالة تحت الطبع — أقام أصدقاء (الهراوى) وإخوانه حفلاً لتأبينه بمسرح حديقة الأزبكية ؛ نخطب الدكتور منصور فهمى بك ، وأنطون بك الجميل ، وعبد الله بك عفيفى ، والأستاذ عبد الوهاب خلاف ؛ وأنشد الأساتذة الأفاضل : أحمد الزين ، وحسين شفيق المصرى ، وأحمد محرم ، والأسمر ، والماحى ، وناجى قصائد من الشعر

هذا خبر قد أذاعته الصحف اليومية ، ونشرت كل ما قيل فى الحفل من نثر وشعر . ولكنا نريد أن نشير هنا إلى معنى قد لحظناه من ذلك الحفل ؛ ذلك أن قيام مثل هذا التأبين إنما هو فى الواقع مظهر من مظاهر الوفاء والخلق الطيب عند الأحياء . ونحن إذ نسأل عن مدى هذا المظهر فى تأبين الهراوى وذكراه نجد الجواب لا يسرّ ، فإن الذين قاموا بتأبين الهراوى من إخوانه وأصدقائه الأوفياء قد توجهوا بالدعوة إلى رجال القلم والأدب فى مصر على اختلاف مذاهبهم وألوانهم ، ولكن دعوتهم مع الأسف لم تقع موقع القبول إلا عند الرجل النبيل معالى وزير الأوقاف، ومعالى وزير الحقانية ، والسيد الببلاوى، وصاحب الرسالة ، ونخبة من رجال الصحافة، وطلاب الأزهر والجامعة ودار العلوم إلى جانب أسرة الشاعر وإخوانه الذين حفلوا بتأبينه !

أما وزير المعارف الأديب ، وأما الأستاذ لطفى السيد الذى عمل معه الفقيد فترة من الزمن ، وأما رجال لجنة التأليف والترجمة والنشر وقد كان الهراوى عضواً بارزاً فى جماعتهم ، وأما الدكتور زكى مبارك صديق الهراوى على مرّ السنين ، وأما رجال الأدب الذين يتولون زعامته ، ويزعمون رعايته ، فكل هؤلاء كان تأبين الهراوى ، بل قل كان الأدب أهون عندهم من أن يلبوا نداءه ويؤدوا واجبه !

(م . ف . ع)

كتاب حياة الرافعى

أخى الأستاذ سعيد العريان

أشكر لك تفضلك بإهدائى كتابك « حياة الرافعى » ، وأهنئك مخلصاً على ما أصبت من توفيق يكاد يكون منقطع النظير .

لقد قرأت الكتاب فى ثلاثة أيام ، وما أعرف أنى استمتعت بكتاب ككتابك — وفى موضوعه — منذ أمد بعيد . نعم ، أذكر كتاب « أناتول فرانس فى مباذله » وأنه من خير ما قرأت فى هذا الموضوع ، ولكن كتاب فرانس مبعثر الفصول ، مقطع الأبواب ولكتابك مزايا كثيرة ليست فى ذلك .

إنك لم تجلُ حياة الرافعى فحسب ، بل جلوت الاتجاهات الأدبية ، والعوامل النفسية — الخفيّة — فى أدب جيل كامل من الأدباء .

لقد عشتُ فى مصر مدة من الزمن تبلغ قرابة سبع سنوات ، وكنت أقرأ ما أقرأ حول الرافعى — رحمه الله — وخصومه — عفا الله عنهم — ، وله ولهم ، ولكنى كنت كمن يعشو فى ظلماء موحشة ، لا أكاد أتبين سرّ ما أنا بسبيله من نقد وتأليف ، وخصومات ، إلى أن جاء كتابك فأنار السبُل وأوضح المقاصد ، وردّ علىّ ماضى ما قرأت فى صورة نيِّرة مبينة .

لا أريد أن أطيل عليك ، ولكن فى نفسى إعجاباً ذا شعب ما أستطيع أن أحبسه فى نفسى .

لقد وفقت فى الأسلوب بقدر ما وفقت فى استقصاء المؤثرات النفسية واستكشاف العوامل الخفية فى أدب الرافعى . وبذلك أصبح كتابك جزءاً من كتب الرافعى لا بد لمن يقرأها من أن يقرأه . بل هو من أدبه كالفصل الرئيسى من الرواية لا يمكن أن تتم وتستبين بدونه

وما أكتمك أنى كنت ممن لا يستهويه أسلوب الرافعى ، ولكن كتابك أوضح أن الرافعى كان نسيج وحده فى أسلوبه وتفكيره وميوله . وبهذا دفعت عنه ما اتهم به ، وأغريت الناس بقراءته بعد أن مزجتهم بنفسه ، وكسبت له الإعجاب منتزعاً من أعماق القلوب

الحق يا أخى أنك وفقت ، فلك التهنئة الخالصة ، والشكر الجزيل والود الصادق من أخيك .

(القدس) اسحق موسى الحسينى

ذكرى الرافعى فى محطة الإذاعة المصرية

يذيع الأستاذ محمد سعيد العريان حديثاً عن المرحوم الرافعى فى الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة من مساء يوم الأربعاء ١٠ مايو من محطة القاهرة ، لمناسبة الذكرى الثانية لوفاة فقيد العربية الكبير المرحوم مصطفى صادق الرافعى .

وموضوع الحديث : شخصية الرافعى فى أدبه .



كتابان

١ — آرائى ومشاعرى : للآنسة فلك طرزى

٢ — أشعة ملونة : للشاعر أحمد الصافى النجفى

للأديب محمد فهمى عبد اللطيف

— ١ —

منذ عام أو أكثر التقيت بالآنسة فلك طرزى فى دار الرسالة فتعارفنا ، وجلسنا نتحدث على طبيعة المجلس فى تلك الدار الحافلة فأخذنا فى كلام يتصل بالأدب والسياسة وبرجال الأدب والسياسة ، وامتد بنا الحديث إلى الأخلاق والتقاليد والقومية وما يتفشى فى شباب الشرق من داء العصر . وكانت الآنسة تتحدث وكنت أنا أستمع وأتأمل ، فظهر لى وراء ذلك الشخص الناحل ثورة جامحة ، ونفس طامحة ، وإحساس كبير مرهف ، واعتزاز بالقومية العربية ، والكرامة الوطنية ، تبديه الآنسة الفاضلة فى صرامة وعنف حتى لقد فارقتها وأنا أشفق عليها مما هى فيه !

ومنذ أيام جاءنى كتاب الآنسة — آرائى ومشاعرى — عن طريق الرسالة لأقدمه إلى القراء ، فما كدت أجيل النظر بين صفحاته حتى رأيت فيه روح الفتاة كما رأيته بالعيان ، وتبينت لى شخصيتها بين السطور كما تبينتها بالنظر من قبل ، شخصية صريحة واضحة ، وروح — كما قلت لك — ثائرة متمردة على الناس وعلى نفسها ، فهى لا تهدأ ولا تقر ، وهى تكشف لك عن هذا الجانب من شخصيتها فتقول : إن نفسى لا تكاد تريح ذاتها من بعض ما تنوء به من أعباء الفكر ، حتى تشعر أن ما خرج منها ليس إلا جزءاً من العبء الذى يزخر فيها فيعاودها القلق والاضطراب ، وكلما حاولت التخلص منهما رجعا إليها بصورة أشد وأقوى ، لهذا قلما تنعم نفسى بالراحة وتسعد بالاستقرار ، وإن هى بلغتهما فسعادتها بهما لا تتجاوز اللحظات ...

وماذا تكون آراء ومشاعر هذه النفس الثائرة وهذه الروح الشرود ؟

هى آراء صارمة تتخطى القيود والحواجز ، آراء تستمد الحجة من منطق القلب أكثر مما تستمده من منطق العقل ، وإنها لتشتد صرامة وعنفاً إذا ما انطلقت فى جانب الوطن والقومية العربية ، فأنت إذ تسمعها فى « يوم الأسكندرونة » وفى « موقف لبنان من الأقطار العربية » وفى تحيتها « إلى شباب النادى العربى » وفى حديثها عن « أثر المرأة فى النهضة القومية » نعم أنت إذ تسمعها فى هذه المواقف وأشباه هذه المواقف فأنما تسمع زئير الأسد الهائج لابغام الظبية الشادية !

وهى مشاعر مرهفة تفيض بكثير من حر الجوانح والألم الممض ، فأنت إذ تنصت إليها وهى تتحدث عن « النفس الحيرى » و « الوفاء المفقود » و « الضحكة التى تخرج من أعماق النفس » وفى رسالتها « إلى مى » خلبك منها الشعور الدقيق الرقيق ، والأناقة الفنية ، والنعومة الرافهة ، كما يقول الأستاذ خليل مردم

وهذه الآراء وتلك المشاعر هى زفرات متقطعة صعدتها الآنسة المهذبة فى فترات مختلفة على صفحات الصحف المصرية والسورية فجاءت قطعة من نفسها وروحها تجرى فى أسلوب له رنين صوتها وجرسه ، وإن كان لا يخلو من هفوات فى اللغة والنحو . وإذا كان للآنسة من الآراء والمشاعر ما لا يوافقها عليه القارئ فأحسبها قد تحللت من هذه المؤاخذة إذ سمت كتابها « آرائى ومشاعرى » ، ولكل إنسان رأيه فى الحياة ، وليس من الإنصاف أن يتحكم إنسان فى شعور إنسان !

— ٢ —

قد يكون من الصعب على الباحث وخصوصاً فى الأدب العربى أن يتبين شخصية الشاعر واضحة صريحة فى قصائده ومطولاته التى يحفل لها بقوة الأسلوب ، ومتانة القافية ، ونباهة الموضوع. فكثيراً ما يضطر الشاعر فى مثل هذه المواقف إلى تملق العواطف فى الناس ، أو مراعاة الرغبة عند حاكم مسلط ، ولكنك قد تتبين شخصية هذا الشاعر على أجلى ما تكون فى مقطوعة يرسلها على هواه ، أو أبيات صغيرة يقولها فيما بينه وبين نفسه !

وهذه الأشعة الملونة للشاعر أحمد الصافى النجفى هى نبرات متقطعة ، وألحان قصيرة أرسلها فى لحظات متباينة ؛ ونظمها فى ظروف مختلفة ، وفى نواح متعددة من نواحى الحياة ، وفى مكنونات النفس البشرية ، ورسوم الأخلاق ، وشواذ الكون ، وغرائب البشر ، وبالجملة فهي شعور الشاعر تجاه كل ما يحس وما يرى ، وناهيك بإحساس الشاعر المرهف ، ونظره الفاحص المستوعب ، وكأن هذا هو الذى أطمع الشاعر فى أن يقول :

كل بشعرى واجد نفسه ففيه أسرار الورى المودعه

وقد يكون فى هذا إسراف من الشاعر فى جانب قرائه ، ولكنه لا شك ليس بإسراف فى جانب شخصيته هو ، فأنا لا أعتقد أن كل إنسان سيجد نفسه فى شعر الشاعر الصافى ، وإن كنت أعتقد أنك ستجد نفس الصافى فى هذا الشعر شفافة مترقرقة ، وحسب الشاعر الخالد هذا ، وحسب الصافى أن يقول فى الكشف عن نفسه :

عندى عيوب بنفسى سوف أظهرها
لأن إخفاءها مكر وتدجيل
والعيب يجدر أن يبدو ليعرفه كل الأنام فلا يعروه تضليل
إنى وإن كنت فى جهل له صغرت نفسى فأجهل منى العصر والجيل
بعوضة أنا فى الدنيا وحين أرى بعض الورى فكأنى بينهم فيل

وأن يقول :

أنا طائر لا يرتضى الأرض مسكناً كأنى بين الجو أبحث عن عرش
ولكن دهرى قص جنحى وأرجلى
فما حال طير لا يطير ولا يمشى ؟

ويعجبني من الصافى روح متمردة على التقليد بين قومه فيقول :

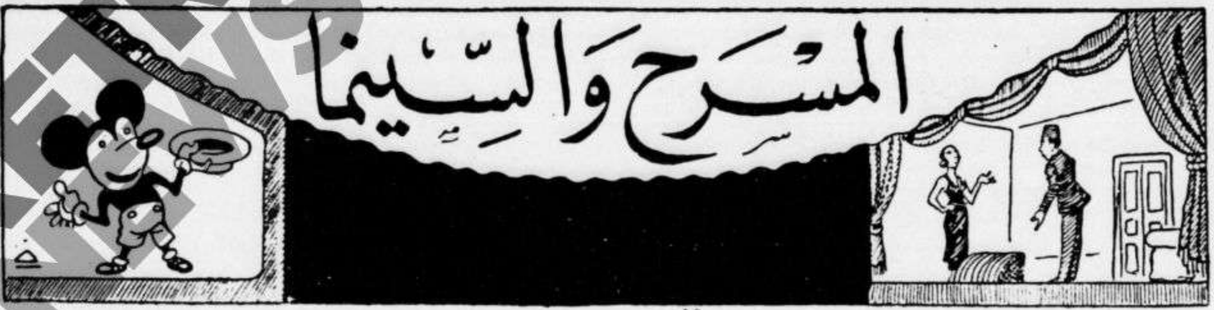
تقـلّد يا شرق غيرك دائباً
فتحسب موجوداً وما أنت موجود
لقد سلبك التقليد عقلك كله
فشخصك موجود ورشدك مفقود
تقلد فى أكل وشرب وملبس ويعروك للتقليد فى الليل تسهيد
تقلد حتى فى انتحار وميتة فعيشك تقليد وموتك تقليد

وإنه لينكر ذلك التقليد على نفسه فيقول :

كم سرت متبعاً غيرى لتهلكة وكم ندمت لدن أحسست بالألم
ندمت دهراً ولكن لم يفد ندمى وها أنا نادم دهراً على ندمى

وأحب أن أنبه الشاعر الصافى إلى العناية بالأسلوب ، فإن قوة الأداء وروعته ضرورة لازمة للشاعر حتى يستطيع أن يؤثر ، ولا شك أن اللفظ قوة تشد أزر المعنى وترفع من قيمته ، ولكن الأستاذ يتهاون فى هذه الناحية حتى ليهمل حق اللغة فى بعض الأحيان ، وحتى ليبدو أسلوبه مهلهلاً كالثوب الخلق. هذا وإنه ليحرص على أبيات تافهة فجاء ضوؤها فى الأشعة الملونة ضئيلاً باهتاً كما يقولون

محمد فهمى عبد اللطيف



قبل وداع الفرقة القومية

المـــال والبنون

حديثنا اليوم عن رواية (المال والبنون) وهي واحدة من الروايات التي فاز مؤلفها بجائزة فى المباراة التي أقامتها الفرقة ، وعن حظ هذا المؤلف ، وقد مثلت له الفرقة فى هذا الموسم أيضاً رواية أخرى اسمها طبيب المعجزات

الكلام عن الروايتين لازم واجب ، أما الحديث عن الحظ فقد يجرنا إلى التساؤل ، وإلى الحدس والتخمين ، وإلى نقل مايقوله الأدباء فى مجالسهم عن الحظ والمحظوظين ، وعن الوسائل التي توصل الأديب المغمور إلى الحصول على كلمة السر -التي تجعل منكود الطالع سعيداً وإن كان جبل فى الأصل من طينة فيها جميع خصائص الشقاء وعناصر التعاسة . ولذلك سنضرب صفحاً عنه لأن غايتنا من نقد الفرقة كما قلنا هى تقويم اعوجاجها وذلك أمر مستطاع لا شك فيه . وإن رجال الفرقة فى زعمنا مهما تصامّوا عن سماع كلامنا ، وتغاضوا عن نقدنا ، وأسرفوا فى تأويل البواعث على متابعة الكتابة فى إظهار العيوب التي أوصلت الفرقة إلى المنحدر الخطر ، ومهما حاولوا المكابرة فى احتمال سهام الحقيقة الجارحة فإنهم ولا بد راجعون إلى أقوالنا وإلى نصائحنا ، وإن الغفوة التي تثقل أجفانهم سيعقبها ولا شك يقظة وانتباه . ورب دغدغة أو وخزة تنجى من خطر محقق ، وسيان أكان المدغدغ أو الواخز حبيباً أو عدواً ، فضلاً عن الناقد الذى لا يعرف الحب والبغض فى الأدب والفن

لن نتكلم إذن عن حظ المؤلف بل نقصر كلامنا على الروايتين ، فالرواية الأولى « طبيب المعجزات » لم تتحدث الصحف عنها بخير ولا شر ، والإهمال أقصى عقوبة يجازى بها المؤلف الفاشل . وقد انفردنا بتلخيصها للقراء ولم نشأ أن نعلق عليها مخافة أن نرمى بحب الهدم الذى يضعضع الناشئين أمثال مؤلفها الشاب ، ولكيلا يقال إننا نتخذ أمثلة عليا من أدب المسرح الغربى نقيس بها أعمالنا وما برحنا فى دور التكوين بعد . وسألخص رواية « المال والبنون » أيضاً فأضعها نصب عين القارئ ، وليسأل هو عن الباعث على تمثيل روايتين هزيلتين فى موسم واحد لمؤلف واحد ؟

والرواية حكاية شاب طبيب يدعو الناس بحرارة إلى اعتناق مبادئه التي يؤمن بها ، وهى تتلخص فى أن البنين آفة الزواج ، وأن كثرة الأولاد مسغبة وفقر ، وأن منع الحمل يساعد على الزواج المبكر ، وأن تربية النسل متعة يجب أن تقتصر على الأغنياء ، وأن تكرار الولادة خطر على صحة الأم ، وأن لا بد من تنظيم الحمل ، ومن إيجاد مراكز لرعاية الطفل ، ومن فرض ضريبة على العزاب

وهذا الطبيب صاحب هذه « التشكيلة » من المبادئ له أنصار من الفتيات اللواتى يستمعن إلى القائل لا إلى ما يقول ، وله معارضون ممن تعلموا فى مدرسة الزمن أن مثل أقواله هراء فى هراء ، والطبيب هذا يحب ابنة عمه ويرغب فى الزواج منها ؛ غير أن والدها يمانع فى هذا الزواج ويصرح باستحالته للطبيب ، وقد حضر ليطلب يدها من والدها ، لأنه قد اتفق مع عمه على تزويجه بابنته ، والفتاة تصغى إلى نصيحة أبيها ولا تلتفت إلى عواطف الشباب ونزواته وتقبل أن تتزوج من عم الدكتور وترفض الدكتور نفسه وتجابهه بهذا الرفض

وإذ يسمع الطبيب بانصياع الفتاة لأقوال أبيها ورضاها بالزواج من عمه الهرم يهرب من المدينة ويذهب إلى انجلترا فى بعثة يعود منها بعد خمس سنوات فيجد أن عمه قد مات وأن زوجة عمه رزقت غلاماً منه قد ورث كل ما تركه

استيقظ الحب الهاجع فى نفسه فعاد يطلب الزواج من أرملة

عمه على رغم أن لها ولداً ، ولما تزوج منها أحب ولدها وصار يتمنى أن يكون له ولد من صلبه

كاشف زوجته بالأمر فناقشته فى آرائه ومبادئه فأعلن تنازله عنها ، واقتادها إلى طبيب إخصائى قال له إن زوجته عقيم لا تلد

قامت قيامة الطبيب يسائل من أين جاءت زوجته بابن عمه وهى عقيم، وثارت ثورته عليها فيلعنها ويصارحها بأنها امرأة عقيم مرذولة وأنها رضيت بالزواج من عمه لتستولى على ماله وتحرمه إياه . ويظهر أخيراً أن الولد الذى يقال إنه ابن عمه إنما هو ابنه قداستولده من فتاة خادمة أغواها وقد جاءت به جدته إلى هذه العائلة لترعاه ، أما أمه فقد ماتت بعد الولادة

لقد أسميت مبادئ الدكتور بطل الرواية « تشكيلة » وقد افتن المؤلف حقاً فى جعل وقائع الرواية تشكيلة تشبه « ألبوم » طوابع البريد فيه مجاميع مرتبة ، هذه للدولة الفلانية، وتلك للجمهورية العلانية؛ أما قيمة الألبوم فلا يقدرها إلا المهوسون العاطلون الذين ليس للوقت عندهم قيمة

أنا لا أقول إن تقدير رجال الفرقة القومية لهذه الرواية ولأختها التى صنفها المؤلف ومثلتهما الفرقة فى موسم واحد هو من نوع تقدير الهاوين لمجاميع طوابع البريد ؛ ولكنى أسأل هل الإفلاس حفزهم إلى تمثيل روايتين ضعيفتين عرضاً وموضوعاً، أم أنهم قدروا فى مؤلفهما نبوغاً قصرت مداركنا المتواضعة عن فهمه ؟

تدل المسارح القومية الناس فى فرنسا وفى غيرها على تطور الروح القومى ، وعلى معيار فهمه للحياة ، فهل مسرحنا القومى بمديره اللوذعى ، ورجال لجنة القراءة ، وأبطال التأليف ، وما مثلته الفرقة خلال أربع سنوات يدل من قريب أو بعيد على تطور الروح القومى المصرى ، وعلى معيار فهمه للحياة ؟

اللهم كلا !

من المفهوم « أن حياة الأدب إن لم تتصل بنفس الأديب وروحه ، وإن لم يظهر وحيها فى آثار حياته كان الأدب فاتراً ضعيفاً » . وهذا عين ما لمسناه من فتور وضعف فى روايتى المال والبنون وطبيب المعجزات اللتين طاب للفرقة القومية أن تتحف الناس بهما فى موسم واحد

ومن المعروف أيضاً عند الأدباء أن خير ما يكفل وضوح ذاتية الأديب فى أدبه أن يتصل ما يكتب بقلبه وعقله وكل حياته ، وليس ذلك بمستطاع إلا حينما نصف حياتنا وحياة آبائنا والبيئة التي أنبتتنا ، والوراثة الكامنة فينا ، فنصل بذلك حاضرنا بماضينا ، ونصور حياتنا ، وحياة قومنا ووطننا ، وكل ما توحى هذه الحياة للعقل ، والقلب ، والحس ، والشعور . فهل فى هاتين الروايتين الموضوعتين ما يلمس هذه القواعد المعروفة عند كتاب الرواية ؟

المفروض أن الرواية إنما تصور الحياة تصويراً صادقاً تمليه العاطفة ، ويحلله العلم ، ولكن مؤلف رواية المال والبنون إنما ترك الحوادث للمصادفات ، ولم يلتفت ألبتة إلى تحليل هذه الحوادث ومراقبتها ، وتقدير احتمالاتها ، واستشعار المستهجن فيها والنابى عن الذوق ، والمتنافر مع الواقع ، والبعيد عن الحياة المصرية وبيئتها .

* * *

لم يبق مما تمثله الفرقة فى موسمها الحالى سوى رواية واحدة . وأرى لزاماً على ، خدمة للفرقة التى يحرص على بقائها كل أديب يتمنى الخير لأمته ويفاخر بنهضة هذه الأمة الفتية ، أن أواصل النصح فى إظهار العيوب التى رآها الناس رأى العين وشعروا بها بارزة فى أعمال هذه الفرقة التى أسموها قومية ، فإن أفلحت فى إيقاظ ماهجع من همم رجالها فذلك حسبى، وإن لم أفلح فسأدأب حتى تفوز الفرقة القومية بالنجاح والظفر والمجد

ابن عساكر

7me Année No. 306

Lundi - 15 - 5 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ ربيع أول سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٥ مايو سنة ١٩٣٩» العـدد ٣٠٦

الفهـــرس

بمناسبة الأربعين

حزن المليك الطفل



هذا اليوم هو الأربعون لمصرع الملك الشهيد غازى الأول . واليوم الأربعون هو فى عرف الناس أو الناسين آخر الخطوات فى تشييع الحى للميت ! فهل آن للجوانح الحرار أن تبرد على سلوان ابن فيصل ونسيان أبى فيصل ؟ ! كل حى إلى حين ؛ وكل ذكرى إلى نسيان ؛ وكل أثر إلى طموس ؛ ولكن أمثال غازى من ملوك الأرض وشباب الملوك وأزيان الشباب هم ملء السمع والبصر والقلب والتاريخ ، فلا يملك الدهر أن يمحو ما لهم فى صحيفة الخلود من ذكر وأثر . وإذا استحال على الزمن أن ينسى دولة العراق ، استحال على العراق أن ينسى أسرة فيصل . لأن أسرة فيصل

هى الأساس المكين لبنيان العراق الحديث: قام على جهادها استقلاله، وورفت على رِىّ دمائها ظلاله ، وسارت على نور هداها نهضته

* * *

كان الملك فيصل الأول برد الله بالرحمة ثراه، مثال الرجولة العليا التى يتيحها القدر المديل لإحداث ثورة وإنشاء دولة وإقامة عرش . وكان هو وصحبه البهاليل من أبطال الثورة العربيـة رموز الحيوية الثائرة والخبرة القادرة والإرادة الحكيمة . جاهدوا حتى تحرر الوطن ، ونادوا حتى استيقظ المجد ، وأسسوا حتى بنى الشباب . ثم قضى وقضوا شهداء فى سبيل العراق الخالد، ولا تزال أرواحهم الطاهرة تشرق فى جوه ، ودماؤهم الزكية تعبق فى صعيده

وكان الملك غازى الأول سقى الله بالرضوان ضريحه ، قائد الجيل الذى نشأ معه على قوادم الصقر القرشى الجبار ؛ فكان من طبعه الموروث - مهما أبطأ نمو الريش أو أرعد عليه الأفق - أن يرتفع بشعبه الطموح الناهض . وكان بشبابه الفينان الواعد عنوان الأمل المعقود على فتوة العروبة فى توثيق العقدة وتحقيق الوحدة . ثم كان بأريحيته العربية وسماحته الهاشمية نموذج الحكم الرضىّ الرفيق الذى تسود فى عهده الشورى ، ويخصب فى ظله الفكر، وتعزّ فى كنفه الديمقراطية . فلما صرعه القدر هذه الصرعة القاسية ارفضّ لهولها صبر الشباب والكهول من العرب ، لأنه كان فى رأى هؤلاء سر الماضى وذكرى يقظته ، وكان فى نظر أولئك رجاء المستقبل وروح نهضته

نعم كان فيصل الرجل، وكان غازى الشاب! وما آلم الإخبارَ بالكون الناقص عن الكون التام! ولقد كان الظن بالأيام أن تُبقى على فرع الحسين النابت على دجلة حتى يستغيل ويتشعب ؛ ولكن أعاصير الخطوب كانت أقوى من منى القلوب وأصدق من أحاديث الأنفس ؛ فلم يبق من أرومة فيصل الحرة إلا غُصنة غضّة النبات تميل حزينة على الجذع المحطم ، كما تهوّم الزهرة الوحيدة على القبر الموحش !

* * *

وا رحمتا للوليد المليك ! كان له بالأمس صديق لا يخلق الله من نوعه غير واحد لكل واحد . وكان هذا الصديق يقبس نورعينه من نوره ، وسرور قلبه من سروره ، وغبطة حياته من غبطته ؛ ثم لا يرى وجوده كاملاً إلا به ، ولا عيشه سعيداً إلا معه . فهما متلازمان كطيفَى الجمال والحب ، يتجولان يداً فى يد بين رياض القصر ، أو يتنزهان جنباً إلى جنب فى أرباض المدينة ، ويوزعان هنا وهناك البسمات الحلوة والتحيات الطيبة على حواشى الطريق أو فى مماشى الحديقة، ثم يعودان إلى الأسرة المليكية بالرخاء الطلق والأنس الشامل ، فتشرق غرفاتُ القصر السعيد بسناً باهر من جلال الملك ، وجمال الطفولة ، وعطف الأبوة ، وحنان الأمومة ، وأمان القدرة ، وضمان الغد بالسطوة والثروة والولد !

وارحمتا للمليك الطفل ! أصبح اليوم وحيداً فى القصر المظلم والعراق الحزين كأنه بصّة الأمل فى القلب اليائس ، أو ومضة المنارة فى البحر المضطرب ! ينظر فلا يرى الوجه المتهلل الذى كان يهش له ، ويصغى فلا يسمع الصوت الحنون الذى كان يهتف به ، ويمشى فلا يجد اليد الرفيقة التى كانت تمسكه ، ويسأل فلا يجد اللسان الحلو الذى كان يجيبه ، ويجلس على المائدة فلا يرى الفم الباسم الذى كان ينادمه !

أين أبي يا أماه ؟ لقد خرج فى الصباح من غير أن يسلم على وليده، ولم يعُد فى المساء ليقبّل وجنة وحيده !

أين ملكى يا خالاه ؟ لقد اختفت السيارة والموكب ، وذهب الأمناء والحرس ، وغاب الوزراء والقادة ! مالى لا أرى الناس إلا من وراء السواد؟ وما لهم لا ينظرون إلىّ إلا من خلال الدموع؟ فهل غيبة أبى هذه الفترة القصيرة تجعل الناس غير الناس ، والدنيا غير الدنيا ؟

ثم وقف المليك الطفل ساهم الوجه حالم النظر، يسأل فلا يجاب، ويفكر فلا يدرك، ويبحث فلا يجد، وينتظر فلا يأتى ، حتى أعياه الأمر فاستسلم لشواغل الطفولة ، واستنام لوعود الحاشية ، وراح ينشد أنسه الوقتى فى صحبة خاله، ريثما يعود إليه أنسه الدائم بعودة أبيه!

ولكن أربعين صباحاً وأربعين مساء مضت ثقيلة الأطراف موحشة العشايا مظلمة البُكَر ، والصديق لما يعد إلى الصديق ، والوالد لما يسأل عن الولد ! واستيقظ فيصل الصغير الكبير من نومه القلق وحلمه المزعج ، فوجد ظهره يبهظه عبء فادح ، وجبينه يعلوه تاج ثقيل ؛ وأبصر حواليه فوجد مهده الذى كان ينام فيه قد عظم حتى عاد عرشاً ، وقصره الذى كان يلعب به قد اتسع حتى أصبح وطناً ، وأباه الذى كان ينتظره قد تعدد حتى صار أمّة !

احمد حسن الزيات

ابن الشـــارع ...

للدكتور محمد البهى

بائع الصحف ...

وبائع « اليانصيب » ...

والذى يقفز إلى « الترام » أو إلى « الأوتوبيس » ليقدم لك بضاعته التى لا تساوى كذا ... مليما ...

والمتسول الملح فى سؤاله ...

وحامل صندوق « الورنيش » الذى يزعج المـار والجالس بصوت فرجونه وترديد ندائه ...

وجامع أعقاب السجاير ...

و ... و ... أبناء الشارع

الشارع إذاً معرض لكثير من الحرف والمهن، وسوق لعدد وفير من العارضين بضاعتهم التى إذا قوّمت فلا تقوّم إلا بثمن زهيد، يعرضونها فى إلحاح ومذلة، ولكن فى صبر وجَلد

ما الذى حمل هؤلاء على أن يدفعوا بأنفسهم فى هـذا السبيل ؟ سؤال يلقيه على نفسه من يحضر لمصر للتنزه أو لدرس حالتها الاجتماعية ، ويلقيه كذلك المصرى دقيق الملاحظة . هل حملهم على اعتساف هذه الطريق الربح من غير تعب ؟ لا أظن ذلك، إذ أن التعب شـديد والربح ضئيل ، وبعبارة اقتصادية العمل كثير شاق والإنتاج قليل الأثر . أى شىء إذاً ؟ ألميل إلى « حفظ البقاء ؟ » وهو ـ كما يقول علماء النفس ـ أساس كل الميول الفطرية أو أساس لكل التصرفات النفسية غير الإرادية . ربما يكون ذلك باعثاً لهم على السعى لجلب القوت فحسب . ولكن لماذا تحتم أن يكون الشارع ميدان الكفاح ؟

هذه ظاهرة اجتماعية مزدوجة : تنم أولاً عن شدة الحاجة من جانب « ابن الشارع » واستباحته الطرق والميادين العامة ومركبات النقل وإزعاج الراجل والراكب كوسائل لسدهذه الحاجة ودفعها، وثانياً عن مقدار الرعاية من جانب الحكومة لأفراد الأمة، أو عن مقدار اتجاهها نحو المصلحة الشعبية وبعدها أو قربها من المنفعة الشخصية

كثير من الناس يلوم « ابن الشارع » ويزجره لأنه فى نظره قد انتهك حرمات الغير بإزعاجه ، وأساء استخدام المنافع العامة التى يجب أن تبقى مصونة من العبث

وكثير من الناس كذلك تدفعه العاطفة الإنسانية أو الرابطة الأخوية ، رابطة الدم والوطن ، إلى إجابة « السائل » أو مساعدة «جامع أعقاب السجاير» أو على الأقل إلى تأثره لحال «ابن الشارع» على العموم غير ناظر إلى ما يأتيه من أعمال لا تتناسب مع مظهر الجماعة المهذبة من البشر ، بل بالعكس هو لا يرى فيها جرماً اجتماعياً ولا خلقياً من جانب فاعلها لأنه مرغم على فعلها ، وليس من مرغم له — فى نظره — غير حكومته .

فليست غاية الحكومة ـ فى رأى هذا الأخير ـ فرض الضرائب وجمعها ، ثم توزيع ما جمع منها على جماعة من أفراد الأمة ، وهى طائفة من الموظفين كان المبدأ الحزبى أو العصبية والمحسوبية أساس اختيارها ؛ لأن هذا معناه استغلال فئة خاصة لثروة الشعب من طريق هو أميل إلى الخداع منه إلى تعويضه عن ذلك بعمل إيجابى. وإنما غاية كل حكومة رعاية المصلحة العامة وضمانها لكل فرد سبل العيش بتنظيمها ثروة الأمة ، وإنتاج الشعب ، ولها مقابل ذلك طاعته لما تفرضه عليه من قوانين أو التزامات ، وعلى مقدار تهذيبها للفرد وعنايتها به تكون درجة إنتاجه الذى هو جزء من الإنتاج الشعبى العام .

رأيان إذاً فى تكييف هذه الظاهرة الاجتماعية وشرحها ، وبينهما فرق كبير. فابن الشارع إما مذنب فى نظر العرف الاجتماعى أو على حسب مقياس أخلاق الجماعة ، وإما برىء لأنه بعمله هذا قد استخدم حقه الطبيعى ، وهو رعاية نفسه بنفسه حفظاً لبقائه بعد تحلله من رابطة الجماعة تحللاً نفسياً، لأنه شعر ووقر فى نفسه كذلك عدم فائدة تلك الرابطة له . فليس ما يأتيه إذاً من إزعاج الغير وتجاوز الغاية المعروفة من الطرقات والميادين العامة منكراً ؛ وإن جاز أن يعده قانون الجماعة منكراً ، ولكنه أصبح لا يعترف به .

قد يكون هذا شرحاً لتلك الظاهرة من الوجهة الخلقية . وهو أيضاً له أثره فى الناحيـة القانونية . فالذى يرى براءة ابن الشارع هذا لا يعترف نفسياً بعقوبة القانون الذى يحاكمه على مباشرته لعمله «الطبيعى» وإن كان يتقبلها على أنها ظلم حل به.

وعلى ممر الأيام سيعتقد بما آمن به بعض قدماء الإغريق من أن « القانون الوضعي جعل لرعاية المصالح الذاتية ، مصالح الولاة والحكام ، مصالح الأقلية القوية الحاكمة ضد الرعية التي هي أكثرية ضعيفة » . وإذاً فعقاب « ابن الشارع » على ما يأتيه مما ظاهره منكر من جانب واحد وهو جانب العرف الاجتماعي اضطهاد لوجوده أو هو عمل على فنائه

ولكن هل هذا هو ما يشعر به حقاً ابن الشارع أو المنتصر له الذي يعطف عليه ويشجعه بشرائه منه أو تصدقه عليه ؟ قد يكون ؛ ويغلب أن يكون ذلك لأنك لو سألت ابن الشارع لماذا لا تعمل عملاً منتجاً أكثر وأحسن من هذا لأجابك على الفور : أين ؟ وأي شيء هو ؟

وما دام يسيطر عليه مثل هذا الشعور فقلما يكون منه احترام للقانون العام الذي هو قانون الجماعة ، وقلما يعرف حرمة لعلاقته بغيره ، وقلما يميز بين « مشروع وغير مشروع » حتى تشمره الحكومة بالرعاية وتعترف بوجوده وتعبد له طرق الحياة الشريفة .

ولعل من يلوم ابن الشارع على عمله يلومه لأنه يرى أن حكومة الدولة لم تدخر وسعاً في تعميم تلك « الرعاية » فأنشأت الملاجئ للمعوزين ، والمستعمرات الزراعية للأطفال المتشردين ، ثم منعت التسول ، ثم نظم صاحب السعادة محافظ العاصمة الشاذلي باشا ، بائعي الصحف (واليانصيب) بتمييزهم بقمصان زرقاء أو صفراء . . الخ

والواقع أنَّ التدابير التي تتخذها حكومتنا في معالجة المسائل الاجتماعية ليست مبنية على أساس ، لأن الذي يحملها على ذلك إما التقليد غير الموفق ، أو التأثر الوقتي لأمر ما ، وغالباً تكون الدعاية الحزبية . ولن تأتي « تدابير » رعاية ابن الشارع بثمرة ما دامت الحكومة لا تأخذ بمبدإ التدخل في تنظيم الاستغلال والإشراف على الإنتاج العام

وسيظل ابن الشارع غير مجزم في نظر نفسه ؛ وسيظل تضرر الغير به ما دام يباشر عمله ؛ وسيستمر هو في مباشرته حتماً حفظاً لوجوده وتلبية لغريزة حفظ البقاء .

محمد البهي

دكتوراه في الفلسفة وعلم النفس من جامعات ألمانيا

من المسئول عن فتور الحركة الأدبية الملحوظ في مصر ؟ لا ينبغي أولاً أن نعلل ذلك بالحوادث الدولية ، فإن الفتور كان دائماً موجوداً في جونا الأدبي قبل أن تنشأ هذه الظروف . ثم إن المشاكل السياسية وتأثيرها في النفوس والشعوب لم تحل في أوربا دون اهتمام الناس بشؤون الفكر وعناية الجمهور بالكتب والأدب . فما زالت الصحف الأدبية تتحدث هناك عن ظهور الكتب الجديدة والأدباء الجدد بعين الحماسة التي تتحدث بها في كل زمان . وما زالت المسابقات الأدبية والجوائز السنوية تهز الناس وتثير نشاط الكتاب كما تفعل في كل حين فأحداث السياسة مهما عظم خطرها لا يمكن أن تشل في أي بلد متحضر حركة الفكر والفن فيها . فالأمة الراقية شأنها شأن الإنسان الحي مهما عرضت له من الحوادث فإن رأسه دائماً هو الرأس اليقظ الذي لا يني عن التفكير

إذن ما بال هذا الرأس في بلدنا نائماً ؟ وما بال الناس لا يشعرون أن في مصر أدباً يتحرك ويتطور ، وأن فيها أدباء يعملون وينتجون ؟ ما يكاد يمضي شهر حتى تخرج المطابع كتباً في الشعر والنثر . وما يكاد يمر يوم حتى يجيئني البريد بكتاب جديد أو بديوان شعر جديد . كم من الأدباء الجدد والكتاب الناشئين يخرجون عندنا في كل عام أعمالاً جديرة بالكلام ؛ بل كم من الأدباء الناضجين ينشرون آراء خليقة بالمناقشة ؛ ولكن كل شيء يمر في فتور كأنها نسمات في مدينة الأموات . ما العلة ؟ العلة بسيطة . ما من أحد في هذا البلد يبدو عليه التحمس الملتهب لشئون الفكر والأدب . إن علة الفتور هي الأدباء أنفسهم . إنهم في ميدان الأدب أقل نشاطاً منهم في ميدان السياسة مثلاً . إنهم يكتبون في الأدب وكأنهم ناعسون . إن أقلامهم لا تثير في جو الفكر حراكا . وهنا الفرق بين أدبائنا وأدباء أوربا . إنهم هناك في يقظة أدبية ، ومن كان في يقظة استطاع أن يوقظ الآخرين .

توفيق الحكيم

طريق علاج المشكلة

وبعد ... يا أيها الأغنياء ؟!

للأستاذ على الطنطاوى

ألم يأنِ لكم أن تخشع قلوبكم ، وتلين أفئدتكم ؟ أَفقدّت من حجر ؟ إن آيات (الزيات) البيّنات تلين الحجر ، فما لقلوبكم ما رقت ولا لانت ؟ ألا تكلفون نفوسكم تحريك أجفانكم وفتح عيونكم لتروا صرعى البؤس ، وضحايا الفاقة ، ماثلين لكم فى كل سبيل ، فتأخذكم بهم رحمة الإنسان ، وتمرو قلوبكم لهم رقة المؤمن ؟ إنى لأحاول أن أفهم كيف تزينون لأنفسكم حالكم ، وتبررون إهمالكم ، فلا أستطيع ... لا أستطيع أن أتخيّل كيف يهنأ صاحب القصر بطعامه وشرابه ، وكيف يدلل صبيته ويضاحك عياله ، وعلى عتبة قصره ، وتحت شبابيكه ، صبية مثلهم برءاء ما جنوا ذنباً ، أطهار ما كسبت أيديهم جريرة ، يبكون من الجوع ويشتهون قطعة من الرغيف الذى يلقيه الغنى لكلبه السمين ، يتمنون ويتمنى آباؤهم قرشاً من الجنيه الذى يرميه الغنى فى الهاوية الخضراء التى يسمونها (مائدة القمار) أو يذيبه فى كأس السمّ التى يدعونها (الشمبانيا) ثم يخرج جنيهاً غيره بعد لحظة ليتبعه الأول ، ويتبع به عشرات ... يتمنون هذا القرش الواحد ليعيشوا به يوماً ، ويملأوا به بطونهم خبزاً ، فكيف تضنون على الإنسان المسكين بالقرش ، وتنفقون الألوف على الشيطان ، وعلى خراب الأبدان والأوطان والأديان ؟

إننا نقرأ فى الصحف من أنباء أوربة وأميركة أن لأغنياء القوم مآثر وعطايا ، ولهم فى كل مكرمة السهم الراجح والقدح المعلّى ، ونسمع أن فيهم من يعطى العطيّة وهو مستتر مستحٍ لا يحب أن يدعى باسمه ، وإنما يتسمى من التواضع والحياء بـ (فاعل الخير) ... فما لأغنيائنا الذين يقلدونهم فى عيوبهم ومثالبهم ، لا يتشبهون بهم فى مزاياهم وفعالهم ؟ وما لأغنيائنا دون أهل الأرض قد اختصوا (بفضيلة ...) الترفع عن الفقراء ، والتعالى على أبناء هذه الأمة التى منها انحدروا وبفضلها عاشوا ، وإنكارها إنكاراً ظنوا معه أنهم من طينة غير طينتها ، وأن الله صنعهم من الأسمنت حين صنع البشر من الطين ، وأنهم أبناء ماء السماء والناس بنو (ماء الأرض ... ؟)

أ كانت علّة ذلك أنهم شرقيون ، وكان السبب هذا الشرق المظلوم ، المتهم بكل نقيصة ؟

قد يقول ذلك المفتونون بالغرب من ضعاف الأحلام ومرضى العقول ، فى حين أن الكرم والإيثار بضاعة شرقية ، من الشرق قد صدرت ... ولقد بلغ بالعرب حبّ الكرم مبلغ الإفراط ، وزاد حتى كاد ينقلب نومة يؤخذون بها ، فكيف يستقيم فى المنطق (مع هذا) أن يكون هؤلاء الأغنياء بخلاء لأنهم شرقيون ، أو لأنهم عرب ؟ وهذه عادات العرب ، وهذا دينهم هو القانون الأوحد الذى يحلّ مشكلة الغنى والفقير ، والذى يردّ عن العالم هذا الوحش الكاسر الذى جاء يحتويه بين فكيه اللذين هما الشيوعية والفردية ، ويدعه أثراً من الآثار ، فكيف تظهر مشكلة الغنى والفقير فى البلد الذى يدين أهله بهذا الدين ؟

* * *

لا . ليست الشرقية علّة هذه المشكلة ، ولكن العلّة كفر هؤلاء القوم بالشرقية ودينها وعاداتها كفراً لا يصلح معه تنبيه ولا بيان ، وإنما يصلحه أن ينشأ أبناء هؤلاء الأغنياء الأشحّة على الخير ، الأسخياء على الشر ، نشأة أخرى ينقلبون معها ناساً آخرين ، ولا يكون ذلك إلا بالمدارس والأدب . ولقد كان عندى فى إحدى مدارس دمشق فصل (صف) فيه أبناء أفقر الفقراء ، وأبناء أغنى الأغنياء ، وكانوا فى الفصل منفصلين ... كأنهم فى معسكرين ، وكان هؤلاء يأتون إلى المدرسة بالسيارات ويوصلهم إلى بابها الخدم يحملون كتبهم كيلا تتعب بها أيديهم الناعمة ، ويدخلون الفصل مزهوين بثيابهم الجديدة ، وأولئك ينظرون محسورين ملوّعين . فما زلت (والله) بهم أبيّن لهم أن الفضل بالعلم والخلق والجد لا بالمال والثياب والمظاهر ، وأضرب لهم الأمثلة بعمر وعلى وابن عبد العزيز ولنكولن والشيخ طاهر ، وأزل بالأغنياء لأعلمهم فضيلة التواضع ، وأرتفع بأولئك لألقنهم فضيلة العزّة ، حتى صار بنو الأغنياء يستحيون أن يأتوا بالسيارات ويتوارون حياء وخجلاً إذا جاءتهم عند منصرف التلاميذ لتحملهم إلى دورهم وقد كانوا لا يستحيون ولا يخجلون . وكانت النتيجة أن المعسكرين قد انقلبا إخواناً متصافين وظهر فى كليهما تلاميذ نابغون ما كانوا لينبغوا أبداً لولا أن ألقوا من نفوسهم مذلة الفقر وكبرياء الغنى واستبدلوها بعزة الكرامة وعظمة التواضع !

فيا ليت أن المدرسين ينتبهون جميعاً إلى هذا الأمر فيسدون إلى الأمة يداً ويكسبون من الله أجراً ، فإنه لا شيء أشد على نفس الفقير من أن يتحكم فيه أو يسمو عليه ابن الغنى . وأنا (قد) أحمل ما أرى من صلف الغنى وأوهم نفسى أنه قد كسب ماله بيده وجده فحق له أن يستمتع بثمرته ، أما أن أرى الصلف من ابنه فلا ... فيا أيها الأغنياء لا تحملوا أبناءكم على رقاب النـاس ، فإنكم لا تدرون كم عدواً تـكسبون لهم ، وماذا تفسدون من طبائعهم حين تأبون إلا أن تدللوهم هذا الدلال ، وتترفعوا بهم إلى حيث تبلغ أيديكم وأموالـكم ، وحين تمكنونهم من أولئك الذين ساقهم الفقر إليكم ، واضطرهم فكانوا لـكم خولاً أو أجراء ، فيشمخون عليهم بآنافهم الصغيرة ويذيقونهم ألوان الأذى ، والطفل (فى الطبع) لا يعرف الرحمة ، ولا يدرى ما العقل فكيف وهو ابن الغنى قد ورث القسوة وتطبع عليها وقلد فيها أباه ؟ وإنا لنرى نحن المدرسين من ذلك العجب ... هذا تلميذ يأخذ كل يوم من أبيه ما يقيم أود أسرة من هذه الأسر الجائعة فلا ينفقه إلا فى الشر ، والمـال يذهب من حيث أتى ... رأيته يضنّ على رفيق له فقير بقرش يقرضه إياه قرضاً ليشترى به رغيفاً يتغدى به ، ويشترى بسبعة عشر قرشاً فرنيّة (كاتو) يطعمها على مرأى منه لـكلب له صغير مدلل يسوقه معه إلى باب المدرسة ثم يعود به الخادم فى السيارة . وأبوه الغنى يسمع بهذا فلا ينكره ولا يأباه . كأن الله قد خلق الناس بقلوب، وخلق هؤلاء بجيوب، فأبدلهم بالعواطف المال ، فهم لا يحسون ولا يشعرون ولا يدركون أن الله ما نقص من مال الفقير إلا ليتخذ له فى الآخرة إن صبر ذخراً ، ولا زاد فى مال الغنى إلا لينظر أأعطى وشكر ، أم بخل واستكبر ، ثم لا يكون الغنى إلا خازناً لهذا المال يحاسب به يوم القيامة فيشدد عليه الحساب . أفرأيت خازناً فى مصرف أو شركة يظن أن المـال ماله ، فيخالف فيه أمر أصحابه ، ويمنعه عمن هو حق لهم ؟

المال أيها الأغنياء مال الله فإن زاد لم يمكن إنفاقه إلا على الخلق (عيال الله) ، فأرونى كيف تأكلون الذهب ، وتلبسون (البنكنوت) ، وتسكنون صناديق الحديد ؟ إن هى إلا معدة تمتلئ بما يقذف فيها والجوع لها خير أدام ، وجسد يستقر بما يلقى عليه والنظافة له أحسن حلية ، وبيت يكِنّ من الحر والقر، ولذائذ محللة ميسورة ، وما وراء هذا إلا أكل يفسد الهضم ، أو زىّ يهد الجسم ، وخمر تحرق الأحشاء ، وبلايا معها بلايا أخرى من عذاب الضمير والغفلة وضياع الإيمان ، أو مآثر تنفع الناس، وترضى الله، ويجد صاحبها مكافأتها الاطمئنان والمجد فى الدنيا ، والثواب من الله فى الآخرة ، وهذه حكمة واحدة من حكم الله فى الغنى والفقر لو تدبرتموها لفتحت آذانكم فسمعتم كلمة الحق ، وكشفت الغشاوة عن عيونكم فقرأتم فى خلق الله وفى كتابه آيات الهدى ، ولـكن اللذاذات قد شغلتكم يا أيها الأغنياء الأغبياء !

* * *

على أنه ليس أشدّ على الفقراء من منع الغنى المترف صاحب الأطيان والمتاجر وبخله وصلفه وتبذيره ... إلا الموظف الـكبير الذى ينال وهو قاعد على كرسيّه لا عمل له إلا تشريف أوراق الدولة بتوقيعه الـكريم فينال الثمرة التى يتعب فيها الفلاحون ، يجدون ويشتغلون فى وقدة الضحى تحت الشمس المسعرة ، وفى زمهرير الليل تحت النجوم التى ترتجف أشعتها من البرد ، ليقدموا لهذا الموظف الـكبير ثمن سيارته التى يسوقها ابنه خلال الحقول تياهاً مستكبراً ، وقصرهْ الذى يلوح بين بيوت القرية كالجبار العابس الباسر ، وثمن كأسه المحرّمة ولذته المنكرة ، ويذهبون فيأكلون خبز الشعير وينامون على الحصير . هذا الموظف الذى لا يكفيه وحده ما يدفعه أربعون من صغار (المكلفين) تباع فرشهم من تحتهم وقدورهم وثيابهم لتؤدى من ثمنها الضريبة . هذا الموظف يستعلى ويستكبر ويقبض يده عن الإحسان ويبسطها فى سبل السوء ، ويتشبه بأولئك الأغنياء الأغبياء وقد يسبقهم فى ذلك أشواطاً ، ومن كان فى شك مما أقول فليذهب إلى القرى والدساكر ...

ولسنا والله شيوعيين ولا يرانا الله ندعو إلى هذه اللعنة (الحمراء) ولا نؤلب الناس بعضهم على بعض ، ولـكننا ندعو إلى (الشعور) الذى لا يكون الإنسان إلا به إنساناً ، والإحسان هو شعبة من شعب الدين الإسلامى . . . فمن اختار من الأغنياء وأرباب المرتبات الضخام ألاّ يكون إنساناً ولا مسلماً فليفعل !.

على أن ما قلنا ليس إلا صدى لمقالات الأستاذ الزيات التى تتجاوب اليوم أصداؤها فى البلاد العربية ، وفى الذى يقول الزيات بلاغ وزيادة

« بغداد — الأعظمية » **على الطنطاوى**

الفلسفة الصغرى للحياة

١ – كيف ينبغي أن نعمل؟

للكاتب الفرنسي أندريه موروا

ترجمة الأستاذ صلاح الدين المنجد

هذه أولى خمس محاضرات ألقاها لثلاثة شهور خلت، الكاتب الاجتماعي الكبير «أندريه موروا» عضو المجمع العلمي الفرنسي، جلا فيها على القراء فن العمل، والتفكير والحب، والزعامة؛ وبين في إحدى المحاضرات كيف نبق سعداء ناعمي البال، إذا خلا الشباب واشتعل الرأس شيبا

وقد نقلنا هذه المحاضرات إلى العربية لما لاقته من إعجاب، ولما فيها من آراء ذات شأن (المنجد)



هل علينا من حرج إن ذكرنا ما يقوله المعجم عن «العمل» فناقشناه وبينا النقص الذي فيه؟ ... فإن حديثنا هذا ربما ملك علينا أمرنا فدفعنا إلى الإفاضة فيه. يقول المعجم: «العمل هو إنفاق جهد متعب لإتمام شيء». ولكن هذا التعريف ناقص غير واف، فلم يكون الجهد متعباً؟ ... لندع المعجم إلى أربابه ولنضرب الأمثال: هذا صانع جرار يعمد إلى قطعة من صلصال فيسويها شكلاً يريده ويرضاه. وهذا حارث يشق الأرض ويذللها للزرع، فلا تلبث أن تهتز وتنبت الخيرات. وهذا كاتب قصصي يخلق كائنات يخلع عليها من عبقريته وخياله جمالاً، ثم ينفخ فيها من روحه سحراً ... مستمداً عناصرها من البيئة التي تحيط به فتملأ سمعه وبصره، فيأتي بأثر رائع لا يفنيه الحدثان

فالعمل – كما أعتقد – هو تسليط قليل من التبديل والتحوير على العناصر التي نأخذها عن الطبيعة؛ مما يجعلها أكثر فائدة وأشد جمالاً. وهو كذلك دراسة القوانين التي يخضع لها ذلك التبديل، وتبيان حدوده ومداه

ولقد عرّف «باكون» العمل عند ما عرّف الفن، فهو يقول: الفن هو الطبيعة مضافة إلى الرجل؛ أي هو ما نأخذه من الطبيعة، وما نضيف إليه من أشياء، يظهر فيها أثر تفكيرنا وعبقريتنا. والحق أن كل عمل يجب أن يكون فنّاً

وسأذكر بادىء الأمر القوانين التي لها صلة بكل عمل، ثم أفصل أحكام عمل الصانع اليدوي، وعمل المرأة في منزلها، والطالب في مدرسته، والفنان في مصنعه، والكاتب في مكتبه.

* * *

وعلى الرغم من وفرة الأعمال وتعدّدها، فإن هناك قوانين تصلح لها كلها. فاختيار العمل الذي نجد في أنفسنا قدرة عليه وحباً له، هو أول ما يجب أن نفكر فيه. فإن قوة المرء وذكاءه محدودان لا يتسعان إلا إلى مدى. والمرء الذي يريد أن يقوم بكل عمل لا يتقن شيئاً. ألا تنظرون إلى أولئك الذين أوتوا مواهب شتى؟ يقول أحدهم: لو أني عانيت الموسيقى لحذقتها. ولو أني عالجت السياسة لسار ذكري واستفاضت شهرتي. فكل عمل هيّن لديّ. إنهم يكونون من هواة الموسيقى لا من غواتها ... ومن المفلسين في التجارة لا الرابحين منها ... ومن الفاشلين في السياسة لا الناجحين. لقد كان يقول نابليون: إن فن الحرب يوجب أن يكون المرء قوياً كأشد ما تكون القوة، في مضمار واحد. وأنا أقول إن فن العيش يوجب أن يستهدف المرء في هذه الدنيا أمراً، فلا يزال يوجه إليه قواه، ويسخر له مواهبه حتى يظفر به. ولذا كان خطأ أن ندع للأقدار دائماً مصير عملنا في الحياة. فالحياة جهاد ونضال، ومن لم يعدّ نفسه لها فقد باء بفشل عظيم ... يجب أن يسائل الرجل نفسه فيقول لها:

ترى أى عمل أستطيع أن أكون له كفؤاً ؟ . أنظر إلى ميولك ومواهبك ، ثم فكر طويلاً ، فى نفسك ، وفى أبنائك ؛ فإذا كان لديك ولد ذو بأس شديد وقوّة ، فأرسله إلى الجيش ، ودرّبه على الطيران ، لأنه لا يصلح لأن يكون رئيس ديوان .

فإذا اختار المرء مهنة رضى عنها ... فإنه واجد فيها أموراً لابد من أن ينتخب منها أمراً واحداً ، ترضاه نفسه ، ويقبله هواه . فالكاتب لا يستطيع أن يبدع الأقاصيص والروايات كلها، والسياسى لا يستطيع إدارة الوزارات جميعها . . . والمسافر يعجز عن اجتياز الأرض من شمالها إلى جنوبها . ولابد لنا من أن نكون فى بعض الأحايين صمّاً لما تهمس به أهواؤنا فى خاطرنا ... فتسيطر على إرادتنا وتدفعنا إلى تنفيذ شىء . فكّر طويلاً ، وقدّر كثيراً ، فلديك الوقت المتسع ، ولديك التفكير ، وكن كقائد الجند الذى يقضى على كل شغب بكلمة واحدة يلفظ بها أمام جنوده . . . فيستمعون إليه وينفذون أمره . نفذ أمر إرادتك كما ينفّذ الجند أمر قائدهم ، وقل لنفسك : ما عسى أن أصنع فى عامى هذا؟. أأصلح للامتحان ؟ أأطوف فى البلاد . . ؟ أأعمل فى مصنع ؟ . . فكّر طويلاً ، وناقش آراءك نقاشاً هادئاً فى زمن محدّد ؛ واجعل لنقاشك نتيجة ترجع إليها ، وتمضى فى سبيلها ، فإن التردد قاتل ، والهوى مخيف

فإذا اطمأن الرجل إلى عمله ... فَلْيَثبُت له ، وليضع حيال ناظريه ما يستهدفه فى سيره البعيد وهو واثق بأنه سيبلغ القمة يوماً ، وإن عظم الجهد ، أو طالت الطريق ، لأن أول كل صغير كبير ...

لقد جاء « ليوتى » إلى مراكش ، فوجد بلاداً عاث فيها الساسة ، لا رئيس ولا ذخيرة ولا مال . ولو أن من أتى إليها كان غير « ليوتى » لدب الرعب فى قلبه ، وسيطر اليأس على نفسه . ولكنه كان ليوتى العظيم . لقد بدأ بالمدن فجمع كلمها ، ووحّد صفوفها ، وسخرها لما يشاء بما يشاء . ثم انتقل إلى البادية ، فمازال يؤلف كلمة كل قبيلة ، ويسيطر على كل نزعة ، حتى بلغ ما أراد... بعد أن جهد طويلاً وتعب كثيراً . إن الحصّاد لا يحصد سنابل القمح ... فى الحقل .. بنظرة ، ولكن عوداً بعد عود . وإن منظفة الثياب لا تنزع الأوساخ عنها بلحظة ، ولكن ثوباً بعد ثوب ...

والعامل الحق لا يهمه شىء ، ولا يعرف الخيبة أو الفشل .. ويعلم أنه سيبلغ ما يريد إذا اختار عمله ، ثم قسمه ، ثم مضى فيه . . . وويل للجبان ..! يخاف كل عمل ... فلا يعمل . أما الشجاع فهو الذى يستحق الحياة ..!

* * *

وأنا لا أعجب لشىء كعجبى لأولئك الذين يرسلون الشكوى من هذه الحياة وطولها . أنا أسألهم : هل يعيشون ثمانى ساعات فى اليوم ؟ هل يعملون فيها عملاً حقاً ؟ فإن الكاتب مهما كان هزيل القريحة إذا سوّد كل يوم صفحة واحدة يجد فى أيام شيخوخته تراثاً عظيما يجعله بين النابغين ، كبلزاك وفولتير

ولكن هل يكفى أن نجلس إلى المنضدة ؟ ألا يجب أن نخضع لنظام فى عملنا ؟ فلا ندع عملاً قبل أن نفرغ منه ، لأن اللذة بالعمل تتزايد تزايداً هندسياً إذا لم ننقطع عنه ، وهذا الأمر حق عند الكاتب الذى يطلب وقتاً ينسى فيه العالم الخارجى ويتفرغ إلى أفكاره وآرائه ، وهو أيضاً حق عند الصانع أو الرئيس لكى يتقن العمل وينجو من شر المحيط

وخليق بالعامل أن يبتعد عن البيئة الخارجية إذ ابدأ العمل ، لأن هناك طفيليين لا يفهمون عنه ولا يشفقون عليه، فهم يتكلمون ويثرثرون ، ولا يفكرون فى أنهم لو تركوا من يتكلمون معه ، لاستطاع القيام بعمل ذى شأن. فهؤلاء لا يزيدون المرء إلا ضراً. إنهم يسخرون منه ، ويستهزئون به ثم يدعونه متحسراً على ما فات ضاحكين .

بوركت يا غوته ! لقد أدركت الحقيقة منذ سنين وسنين . لقد قال : « يجب ألا تضيع وقتك مع أناس يأتون إليك دون أن تعلم . إنهم يفيدون منك علماً ثم يدعونك . إن هذه الزورات لا تفيد شيئاً . إنها تفسد عليك آراءك ، وتنقلك إلى عالمك الخارجى الذى هربت منه ، بعد أن اصطفيت منه صوراً جئت لتخلع عليها مسحة من عقلك فتجعلها آية للناس . أنا غنى عن أفكارهم فعندى ما يكفينى » وليحدد طرائق العمل، فإذا نظر فيما اختطه لنفسه بعد سنوات لقى كل شىء هيناً ، فيثق آنئذ بقدرته ويرضى عن سعيه فلا يتقاعس ، ولا يخلد إلى الراحة والهدوء . على أنه يجب أن نعلم الأشياء التى تطلب عملاً مباشراً كى نقوم بها ثم نتكل على خطتنا

ونسي وراءها بملء قلوبنا . وليكن قلبك وعقلك متجهين دائماً نحو الهدف . فإذا أصبته يوماً استطعت أن ترجع على خطاك . تتلمس الطريق على هدى وتنظر إلى العقبات التي اعترضتك فتستمد من ذكرى ظفرك بها قوة لعملك القادم وأملاً لعيشك الجديد

إن النوابغ يدأبون بشغف على العمل . فلا يدعونه حتى يفرغوا منه ، ولا ينكبون على عمل آخر قبل أن يتموا الأول ، وتكون عقولهم متجهة نحو طريق واحدة كما يقول المثل الأميركي. وربما كان ذلك باعثاً على الضجر مسبباً للملل ، ولكن ما أهنأها ساعة يتغلب المرء فيها على العقبات ، ويصل إلى هدفه ظافراً !

***

فإذا اخترت لنفسك عملاً ، فإنك تختاره حسب ما تستطيع أن تقوم به قواك ، وتوصلك إليه مواهبك . ومن الخطل اتباع أمر لا نجح لك فيه . والفشل يشل القوى ويفقد النشاط . كان « غوته » ينصح للشعراء الشباب أن ينظموا قصائد قصاراً عوضاً عن ملحمة واحدة كبرى، لكيلا يفشلوا فيأسوا على مافاتهم. وكان صموئيل بوتلر يقول : « إذا أكلتم العنب ، فابدأوا بما ينضج من حبه » وجدير بالمرء في عمل صعب متشابك أن يجزئه إلى أقسام ، ثم يعمد إلى كل قسم فيتمه . فإذا كانت أمامك طريق صعبة طويلة تود أن تسلكها فقسمها إلى مراحل لأن من الصعب أن تمضي فيها وتصل إلى منتهاها في لحظات ، ثم اقطع كل يوم مرحلة . . فلا تلبث إلا قليلاً حتى تجد نفسك في غايتك ، دون أن تلغب نفسك أو تجهد جسمك . كن كالصعّد في الجبل الآمل في بلوغ القمة ؛ إنه لا ينظر إليها دائماً لأنه منهمك في الخطوة التي سيخطوها . . . أما القمّة فإن بُعدَها سحيق . . . يخيفه ويشل قواه إذا حدّق فيه . . فليمض رويداً . . وعسيٌّ بالعامل الدائب أن يصل إلى مبتغاه .

إن تدوين تاريخ لأمة من الأمم منذ أيامها الخاليات إلى أيامها الحاضرات لعمل صعب يخافه الناس ... لأنه يبدو من أعمال الجبابرة الذين سما مقامهم وعظمت قدرتهم . ولكنك إذا قسّمته إلى عصور وبحثت في كل عصر فإذا فرغت منه انتقلت إلى آخر غيره ، لم تلبث أن تجد يوماً عملك الضخم بين يديك فتقف متعجباً دَهشاً . ثم يثبت القلب بعد التجاريب ، وتدب الحماسة في النفس ، ويستولي عليها الاطمئنان ؛ فإن الكاتب الذي ألف كذا وكذا من الكتب لا يصعب عليه إتمام كتاب بدأه . إنه يجسر كما جسر « مارتان دوكارد » و « دوهامل » و « جول رومان » و « لا كروتيل » على وضع عدد عظيم مما لا أستطيع معه صبراً ... »

وقال أيضاً : « إن الذي يتوق إلى الخلود ويود إخراج آيات فنية رائعة لجدير به ألا يدع هواه يسيطر على نفسه »

يقول الطفيليون لك : أين أنت ؟ إننا لا نراك ! تعال غداً لنلهو أو لنصيب طعاماً معاً ...! فقل لهم ولا تخش شيئاً لست بحاجة إلى لهوكم وغذائكم ... فدعوني وحيداً ...

وكان « غوته » لا يجالس أحداً إذا انغمس في الكتابة أو النظم ... فإذا جاء إليه رجل على الرغم من خادمه العجوز أرسل يديه إلى ظهره ولاذ بالصمت وتكلم بحاجبيه وعينيه ، فيمل الزائر منه . . ويدفعه هذا الصمت القاتل إلى الهرب . أما رسائله فكان ينتزع منها ما فيه فائدة وعلم ، ويرمي بالتي يطلب أصحابها منه شيئاً إلى النار ويقول : « ويحكم يا شباب هذا العصر ، إنكم لا تعرفون للوقت ثمناً ... »

يقول نفر من الناس: هذا غرور بالنفس واحتقار للزائرين . فكم رجال عظماء كانوا يجيبون على الرسائل! وكم طفيليين هم جديرون بالرحمة والعطف . ويغالي هذا النفر ... فيصم غوته بأنه رجل غير إنساني . ولكني أسألهم : هل يستطيع رجل غير إنساني أن يبدع لنا « فوست » الخالدة أو يخلق « وليم مستر » الرائعة ؟ إن من يهمل أمره ... يأكله الناس . . فيمضي دون أن يترك لنا أثراً نفيد منه ... والرجل الذي يحب العمل ، ويجد فيه لذة ومتعة ، ويقبل عليه بشوق وحماسة ... لا يريد إلا رجالاً على شاكلته . هو يساعد الناس ... ولكنه يفر من الحديث السخيف ، والثرثرة المخيفة . ولذا كان « غوته » ينصح أيضاً للأديب أن يهمل حوادث يومه العامة ، إذا لم يكن فيها ما يغذي خياله أو يهيج نفسه . فلشد ما نكون أغبياء ، عندما نقضي ساعة من يومنا في الاستماع إلى أخبار الحرب القادمة ، وساعة في نتائجها ... وأخرى في أسبابها ... ولم نتقلد بعد كرسي الوزارة ، أو نحمل عصا القيادة ، أو نمسك بقلم الصحافة ... إننا نسيء إلى بلادنا...

لأننا ننفق الأوقات فيما يضرنا ولا ينفعنا ، فحياتنا قصيرة ... وبلادنا ترنو إلينا

على أن هذا النظام الذى اتبعه « غوته » فى عمله وخضع له ، هو نظام الإحساس الرهيف . ونحن لا نستطيع أن ندع أحاسيسنا تسيطر على أنفسنا ، فتعجزها عن العمل . أنظروا إلى العامل البائس الذى غدا إلى عمله ، وترك ابنه فى داره ، يعالج الحمى ... فالفكر التى تملأ رأسه تغشى على سمعه وبصره ، فيخلد إلى الأحلام ... وتحف به الطيوف السود والأشباح المرعبة . وربما أمسك بالقلم ليخط رسالة ... ولكنه يبقى صامتاً حيران ... أمام ورقته البيضاء ... تفر منه الكلمات ... ويلتاث عليه الكلام

(دمشق) صلاح الدين المنجد

أعلام الأدب

يوريبيــــدز

لغتـــه . فنه . وطنيـــاته

للأستاذ دريني خشبة

أعظم الآثار الفنية فى عالم الآداب هى تلك التى لم يستطع أحد إلى اليوم نقلها من لغة إلى لغة ... فالقرآن مثلاً لا تعرف قيمته الفنية إلا فى اللسان الذى نزل به ، وقد فشل الكثيرون فى ترجمته ترجمة فنية سائغة تحتفظ ولو بالقليل جدًّا مما اختص به أسلوبه القوى البارع المسبوك المتين من بلاغة واتزان وموسيقى وشدة أسر ... وكذلك الإلياذة والأوديسة والأنييد وفردوس ملتون ... إنه لا توجد لهــذه الآيات الأدبية الفنية البارعة ترجمات تعادلها فيما امتازت به من خصائص لُغَاها التى ألفت بها ، فما تستطيع الترجمة إلا أن تشوه جمال الأصل وتمسخه مسْخاً ... ومثل هذا يقال فى درامات يوريبيدز ، فإنه لم يستطع أحد ممن نقلوها إلى لغاتهم أن يحافظ على روح الشاعر العظيم وقوة بيانه . وهذا شللى أحد عباقرة الشعراء الإنجليز وأحد المعجبين بيوريبيدز والمتمكنين فى اللغة اليونانية القديمة ... لقد أحصى له النقاد أخطاء كثيرة فى ترجمته درامة السيكلوبس . . ثم عدّوا له ضروباً من الشطط ابتعد بها عن الشاعر العظيم ... ولقد كان شللى معذوراً من غير شك . فلقد بلغ يوريبيدز الذروة بالبيان الأتيكى واللغة الأتيكية . وقد كان مثل أبى الطيب فى الشعر العربي ، ارتفع ثم ارتفع ، فلما مات لم يخلق الله له ندًّا يحلم بمرتبته فى الشعر والحكمة . هــذا ولقد أوتى يوريبيدز أضعاف ما أوتيه أبو الطيب من قوة الأسلوب وعمق التفكير ، لا فى بيت ، أو مقطوعة ، أو قصيدة ، أو مرثية أو مدحة ؛ وإنما فى درامة طويلة فيها حوار وفيها خطاب وفيها غناء وفيها بكاء وفيها تدبير وفيها تصوير لحادثة متشعبة ، هى كالكائن الحى ، يملأ المسرح ، ويملأ الآذان ، ويملأ الأبصار ، ويملأ القلوب

انتهت الدرامة بعد يوريبيدز فى تاريخ الأدب اليونانى . . هكذا يقول المؤرخون ... وهم يقصدون الدرامة العالية ذات الفن الرفيع ... وقد عاش يوريبيدز يؤلف للمسرح قرابة خمسين سنة ، ومع ذلك فقد عاش غريباً فى قومه ، بغيضاً إلى غالبيتهم الغيظة المحنقة لشدة ما ثار بتقاليدها وسخر من أفهامها ... فلما مات ... أخذ يعيش بأدبه العالى من جديد ، وأخذ يخلب القلوب ويسحر الألباب بدراماته التى نيفت على التسعين ، والتى ظلت تمثل بعد موته ستمائة سنة أو تزيد ، والتى ظلت شغل النحويين واللغويين من علماء الأمم المختلفة فى اليونان وفى رومة وفى بيزنطة إلى ما قبل ألف سنة من الزمان . . . فما نجد لغويًّا من مؤلفى المعاجم إلا وهو يستشهد به فى أكثر ما يستشهد على صحة كلمة أو سلامة تعبير على نحو ما يستشهد مؤلفو القواميس عندنا بأشعار الجاهلية والقرآن الكريم

ومع هذه المرتبة الرفيعة فى اللغة فلم يستحدث يوريبيدز شيئاً ذا بال من وجهة الفن المسرحى ، بل هو قد أخذ ما استحدثه سوفوكليس دون أن يغير منه شيئاً . ويبدو أن اشتغاله بالفكرة العميقة واستعراض الآراء السيكلوجية التى استحدثها فى أكثر دراماته ، والتى لم يعرفها تاريخ المسرح قبله ، ثم استعراض الآراء الفلسفية التى طبعها فيه أساتذته ، وأصدقاؤه السفسطائيون ، ثم عنايته الشديدة بالصوغ الشعرى ، وتجويد أغانى الخورس ، كل ذلك حال بينه وبين التجديد المسرحى الفنى ، أو ما يعنون به (تكنيك) المسرح من وجهة الشكل لا من وجهة الموضوع . على أن ليوريبيدز مع ذلك خصائص ميزته من أقرانه ،

ومن أهمها تلك المقدمات الطويلة الطلية الاستهلالية التي يهيىء بها الأذهان لمشكلته الدرامية والتي يقصها بلسان شبح كما فى (هكيوبا) أو بلسان إله كما فى (هيبوليتس) أو بلسان أحد أشخاص الدرامة كما فى (هيلينا) ... الخ ...

وليس يعترض على ذلك بأنه لم يتبع تلك السبيل فى (إفجنيا أوليس) لأنه لم يكمل هـذه الدرامة كما أسلفنا بل أكملها غيره، وربما بدلها غيره أيضاً.

ومن ذلك أنه كان يحل عقدته الدرامية فى اللحظة الأخيرة بظهور شبح أو إله أو سر نبوءة، فيظهر ما كان مطوياً عن الأفهام، وهو ما يسميه نقاد الآداب الكلاسيكية Deus-ex-Mâchinâ أو (إله من الآلة) أو تسخير إله لغرض درامى كما تُسخّر الآلة. وكان أرسطو يكره ذلك فى درامات يوريبيدز، وإن كان سقراط من قبله لا يرى فى ذلك ما يعاب به الشاعر - والحقيقة التى اتفق عليها نقاده، وفى مقدمتهم الدكتور فيرّال[1] (Dr. Verrall) إن هذا هو أشق عيوب يوريبيدز بالإضافة إلى طول جواره الذى يجعله إلى الخطب الرنانة أقرب منه إلى الحوار المسرحى، فقد يطول ما يلقيه الممثل الواحد فى القالة الواحـدة عن صفحتين أو ثلاث، وهذا ما كان يسخط أرسطو، وما يزال يسخط مترجمى يوريبيدز.

هذا، وينبغى ألا ننسى له براعة تنقله بالنظارة من المشهد إلى الآخر وما يثيره فيهم من الشغف والشوق والتشوف لما بعد... ثم ينبغى كذلك أن نذكر أن أجمل الأغانى — ولا سيما أغانى الحب — هى ما نظم يوريبيدز

أما ما يعيبه بعض النقاد على الكورس فى دراماته وعدم قيامه بما جعل الخورس له فى سائر الدرامات اليونانية من وصل للحوادث وتمهيد لما يجىء بعد ثم شرح لبعض الوقائع الطويلة التى لا يتيسر تشخيصها على المسرح، فهو قول مردود لأن الذى صنعه يوريبيدز وحصر به مهمة الخورس للموسيقى والغناء هو سمو منه بوظيفة الخورس، واختفاء ظلال خلابة من لذة الألم فى المشاهد الشجية وجمال الاتعاظ فى مشاهد العِبر، وتذوق الجمال فى المشاهد المنتزعة من صميم الطبيعة.. وعلى هذا فقد قصر يوريبيدز خورَسَه على إلهاب الشعور وإذكاء الحس بالموسيقى التى تتفق وكل مشهد من المشاهد، والغناء الذى لا يجىء (نشازاً!) كما نشهد فى بعض دراماتنا العصرية

وطنيات يوريبيدز

لم يتأثر شاعر يونانى بروح بركليس كما تأثر به يوريبيدز، ولم يبد هذا الروح واضحاً جلياً فى أدب شاعر كما بدا واضحاً جلياً فى كثير من دراماته.. لقد سمعه يخطب قبيل حرب البلوبونيز الأولى وهو يشيد بمناقب أثينا وما حملته من قسط عظيم فى تاريخ اليونان حينما حررت شعوبها من ربقة الفرس وتعرضت وحدها للدمار والحريق حتى إذا ظفرت بعدوها وطهرت منه البر والبحر عادت تنشئ لجميع الشعوب الهيلانيـة حضارة رفيعة قوامها الديمقراطية والفن والأدب والفلسفة ... ثم قال بركليس كلمته الخالدة التى أوردها فى تلك الخطبة: « لم لا تحدق الشعوب والقبائل اليونانية كعصبة من العشاق المعاميد حول أثينا؟ » ثم ذكر ما لأثينا من الفضل فى التعريف بالفضيلة ونقلها من حيز النظريات إلى عالم الدولة ومعائش الشعب وسياسته العليا، وقد خاض يوريبيدز معظم حروب البلوبونيز (بين أثينا وأسبرطة) وكان حب الوطن يعمر فؤاده بالإيمان، وكان يحزن أشد الحزن لهذه المجازر التى تنشب لأسباب تافهة بين شعبين شقيقين وإن تكن الحرب فى الحقيقة بين ديمقراطية أثينا وأتوقراطية أسبارطة ... وقد كان يوريبيدز من أنصار السلام آخر الأمر وإن يكن قد ظل جندياً من سن الثامنة عشرة حين اعتبر رسمياً (إفيبوس) أى شابًّا لائقاً للجندية إلى أن بلغ الستين ... وقد أثار عليه ميله للسلام حفائظ مواطنيه، تلك الحفائظ التى منها ما عرفنا من ثورته على تقاليد السلف وما كان يتناول به النساء فى دراماته من تحليل، ودفاعه السيكلوجى عن الزناة والقتلة وجنايات المأفوكين، وما سنعرفه عنه فى هذا الفصل من سخريته بالآلهة وتجديفه فى دين الإغريق ورمى أرباب الأولمب بأقسى التهم وأفتك سهام التجريح ... لكن يوريبيدز مع ذلك كان يحب أثينا لأنه كان لا ينسى إذ هو طفل والأثينيون ينقلون إلى سلاميس العجائز من الرجال والنساء والأطفال — وهو منهم إذ ذاك — والفرس البرابرة يحرقون القرى والمعابد على الشاطئ فتندلع ألسن النيران لتكتب فى صفحة

(١) فى كتابه القذ Euripides The Rationalist

التاريخ وقائع هذه الحرب بحروف من نار ... لم يكن يوريبيدز ينسى هذا المنظر الفظيع ، ولم يكن يبرح ذهنه بعد إذ شب أن أثينا الضعيفة الديمقراطية قد انتصرت على فارس القوية المستبدة، وأن الأثينيين القليلين الجياع قد انتصروا ذلك النصر لأنهم كانوا غير معتدين على أحد ولا طامعين فى ملك أحد ... ولأنهم « أحرار أيها الملك ، ولكنهم غير أحرار فى عمل أى شىء ، لأن لهم سيداً واحداً يخضع له الجميع يدعونه القانون ! » كما قال أحد الأسپرطيين لعاهل الفرس أجزرسيس[1] وهو يسأله لماذا لا تفر هذه الحفنة القليلة من الناس أمام عسكره اللجب الكثير !

هكذا أحب يوريبيدز وطنه أثينا الذى أشاد به فى كثير من دراماته . وهكذا أحب يوريبيدز الديمقراطية ، لكنه سخط على الديمقراطية جميعاً حينما ثار وطنه عليه مع أنه من أعظم أسباب رفعته ، وحينما رأى الديمقراطية ترفع الأوشاب وتكوّن منهم زعماء الشعب فيتحكمون فى السادة الأخيار من رجال الذهن والخلاصة الصالحة من نجباء الأمة ثم يظل هؤلاء الأوشاب محترفى سياسة ، وموضع تقديس الرعاع والدهماء ؛ والويل كل الويل لمن يجرؤ أن ينقدهم بكلمة ولو كانت كلمة الحق ، أو أن يرسل فيهم لساناً ولو كان لسان الصدق ...

من وطنيات فى ميديا

حينما لقى جاسون زوجته ميديا بعد إذ كشفت سره دار بينهما حديث طويل فيه مرارة وفيه ثورة وفيه جائحة من السباب والشتائم والتعبير صبتها ميديا على رأس جاسون الذى خدعها وغدر بها ولم يذكر ما صنعت فى سبيله ولم يجزها جيلاً بجميل :

جاسون[2] : ... كيف تزعمين يا امرأة أننى لم أجزك على ما قدمت إلىّ من جميل ؟ لقد أخذت أضعاف أضعاف ما أعطيت ! لقد نقلتك من أرض البربرية الخبيثة الحمئة إلى فراديس اليونان الفياحة ، حيث عرفت لأول مرة جمال العدالة ، وبهرك سلطان القانون فأقلعت إلى حين عن وسائلك الوحشية ... وها قد ذاعت حكمتك بين جميع الإغريق ، ولو تلبثت بين عشيرتك لما عرفك ولما أحس بوجودك أحد ، بل لم يجر ذكرك على لسان ! !

ومن هذه المقالة نفسها فى ذم النساء :

(١) هيرودوتس — ٧ — ص ١٠٤

(٢) ترجمة المقتطفات وتلخيص الدرامات عن طبعة دانت وميديا من ترجمة وودهل ج ٢ ص ٨٦

« إنك لا تعذلينني هذا العذل إلا لأن نفسك مقروحة من غريمك ، ولكن هذا دأبكن جميعاً يا بنات حواء ، إذا طابت أهواؤكن فى أكناف أزواجكن فقد تمت نعماؤكن ، فإن لفح مهاد الزوجية لافح من سوء حظكن فقد تبدلت الحال غير الحال وانقلب كل ما كان خيراً فأصبح شراً مستطيراً ... كم كان خيراً للانسان أن يستطيع النسل بطريقة أخرى غير طريقة النساء ! ! ثم ما كان أجمل ألا يخلق جنسكن ؟ ! إذن ما حاق بنا شر ولا عرف وجه الأرض موبقة من الموبقات ! ! »

ومن أغانى الخورس فى تمجيد أثينا ص ٩٧ نقتطف هذه السطور :

«يا أبطال شعب إركتيوس! يا أنسال الآلهة .. يامن يطعمون ثمار الحكمة[1] الناضجة ، وينشقون ألطف أنفاس النسيم ، وينعمون أبداً بالسماء الصافية ، ويضربون فى تلك الدروب المأهولة حيث كانت عرائس بييريا ترطب أرواح الآباء بطهر المسرة وتلقن آلهة الألحان كيف تتغنى قصصها الأولى »

والسطران الأخيران من الفقرة الثانية من ذاك الخورس نفسه:

يخطر الحب فى مهرجان الحكمة فى ناديك ، وتدل كل فضيلة وتختال حين تؤثرها آلهة الجمال برعايتها التى تنميها وتشيع فيها الجمال ! »

أطفال هرقل

عند ما مات البطل العظيم هرقل (هركيولز) استبد ملك آرجوس بزوجه وأطفاله ، وظل يسقيهم من الهوان ألواناً حتى اضطروا إلى الفرار مع راعيهم يولوس ... وقد رفضت جميع الممالك اليونانية إيواءهم خوفاً من بطش ملك آرجوس حتى ينتهى بهم المطاف إلى المدينة الحرة أثينا فيعطف عليهم ملكها الشجاع الذى يوبخ قائد الأرجيف الذى جاء يقص أثرهم ويعود بهم إلى آجوس... ويثور القائد ويهدد بإعلان الحرب على أثينا فى الحال إن لم يسلم ملكها (ديموفون) الفارين من الأرجيف . لكن الملك يثبت كالصخر وينتهر القائد ، لأنه لا يخاف الحرب من أجل المحافظة على الكبرياء الوطنية، ولأن الذى يلوذ بأثينا فإنه آمن ، لأنه يلوذ بالمدينة الحرة

(١) فى الأصل اليونانى Sophia التى اشتق منها اسم السوفسطائيين وتعنى الحكمة أو الفضيلة

القائد كربيوس : إذن يهرع الأشرار من كل مكان ليلوذوا بأثينا ؟

ديموفون : هذا الهيكل [(١)] حل لكل لاجىء !

القائد : سيرى أولو الأمر فى مسينا غير ما ترى ؟

الملك : أولست ملك هذه البلاد إذن ؟

القائد : فلا تجر على رؤسهم الويل بسوء عملك !

الملك : أفأنت تعد ما أرفض من استباحة هيا كل الآلهة سوء عمل ؟

القائد : لست أحب لك أن تجازف بحرب ضد الأرجيف !

الملك : أنا قرينك فى محبتى للسلم وتعلقى به ، لكنى مع ذاك لن أخيب رجاء هؤلاء المساكين !

القائد : بيد أننى مكلف بالقبض على من هم منا !

الملك : إذن فلا تحسب أنك مستطيع العودة إلى آرجوس بسهولة ...

القائد : سأجرب لأعلم ما وراء التجربة !

الملك : إذا خيل لك أنك قادر عليهم فستندم على مجرد مسّهم !

ويستمر الحوار على تلك الوتيرة ثم يمضى القائد ثائراً مرعداً وتعلن الحرب ! والدرامة تكبر من أساليب الديمقراطية فى الحكم وتسفه الوسائل الاستبدادية فيه

وفى درامة (نسوة متضرعات) التى تدور حوادثها على توسل نساء الأرجيف لدى قادة أثيكا فى رد جثث أبنائهن قتلى الحرب بين أثينا وآرجوس ، منظر وطنى رائع بين قائد طيبة وملك أثينا ... فإن القائد يدخل متقحما سائلا : « من الحاكم بأمره [(٢)] فى هذه البلاد ؟ » . فيصحح له الملك خطأه ويجيبه : « ليس هنا حاكم بأمره يا صاح ... إن هذه لمدينة حرة ... وإذا قلت مدينة حرة فإنى أعنى أن كلا من أفراد الشعب يأخذ فى دوره بنصيب فى الملك ، وليس للأغنياء عندنا من دون الفقراء امتيازات مّا ! »

وليوريبيدز درامات وطنية مفقودة نظمها قبيل حرب البلوبونيز الأولى أو عقبها يطول بنا البحث إذا تناولناها هنا فنكتفى بالإشارة إليها ، ويحسبنا أن نذكر منها درامات إيجيوس ، وثيذيوس ، وإرختيوس

دريني خشبة

(١) للتطرف هيكل زيوس فى الفورم عند مراثون (دانت — وودهل — ج ٢ ص ٣٧١)

(٢) الكلمة تيرانوس ومعناها الملك المستبد

الحاجة

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

أيتها الحاجة التى طالما حسبتها عدوتى الكاشحة ، أنت أيتها السيدة الجافية ذات المحيا الشتيم المكفهر لقد أصبحتُ أعرفُ جيداً الآن وقد عزَّ اللقاء بيننا ، أنك كنت لى صديقة عزيزة ، بريئة مما رميتك به من اللائمة منزهة عما عرضتُه لك بالنكير . . .

حقًّا إن أفضل ما قمت به من الأعمال وأبرع جولات خيالى الجنّح ، قد كانت من فيض وحْيك

وقد أهابَ بى صوتُك القوى الحازم ، إلى ركوب ظهور العوائق ، وتخطى رقاب الموانع ، كما أقدمَ بي تحضيضك ، على حسن السعىّ وشحذَ عزيمتى على الجدّ والكفاح

وأغرانى بأن أضرب للحياة جأشاً ، وأثبت للوجود عقداً

ولولا ما كنتِ تنفحينه فىّ من روحك لخمدتْ تلك الجذوة المحتدمة فى طين نفسى

ولولا مهمازك الحادّ الذى لم يدعنى ألوى عنانَ السير عن عقلة ، أو أنكل لحظة عن خُطة ، لما عرضتُ مدى قوتى وحددت جهد طاقتى

ولولا سيادتك القاصرة على حياتى وما ألجأتنى إليه مراراً من حمل الأعباء ، والنهوض بالبزلاء ، والتسامى عن آفاق اليأس والقنوط لما اهتديتُ إلى منجم الكنوز الدفين فى غيابات نفسى

ولئن كانت قد تفرقتْ سبلنا ، وتشعبت طرقنا ، واختلفت متجهاتنا ، وبعدت نوانا ، وانشقت عصانا اليوم

ولئن لم يتحِ لى أن ألقاكْ ثانية ، إلى أن يقطع بى السبب ويضحو ظلى وتُطوى صحيفتى ، فإنى أريد أن أضفر لك من هذه الأزاهير الشذية إكليلاً أزين به مفرقك ، لكى تتعرف القلوبُ الأخرى إليك وتجد فيك أبرّ صديقة

الزهرة

عود إلى التفاؤل والتشاؤم

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قلت إن الشاعر أو الناثر لا يُحكمُ عليه ولا يقال إنه متفائل أو متشائم بما يقوله فى حالات نفسه العارضة المتغيرة ، لأن كل نفس تفيض بالسرور والأمل تارة ، وتنقبض بالحزن تارة ، والنفس التى لا تستطيع إلا السرور فى موطن الحزن إنما هى كالأبله الذى لا يستطيع إلا الضحك ، وحالة هذا ليست فضيلة ولا قوة. وقد يتاجر بعض تجار الأدب باسم التفاؤل ، وإنما تفاؤلهم سلعة مغشوشة وعملة زائفة يريدون أن يربحوا بها الحمد والثناء ، وأن يغروا بها الناس ؛ وهذا التفاؤل أيضاً ليس فضيلة فى النفس ، بل هو نقيض الفضيلة ، وإنما يُحكمُ على القائل بما يقوله فى وصف أمله فى الحياة ، وحثه إلى المثل العليا ، وما يقوله فى تمجيد جهود الناس فيها كما فى قصيدة : (أبناء الشمال) أو (شهداء الإنسانية) أو (إلى المجهول) أو (الباحث) أو (قوة الفكر) أو (العصر الذهبى) أو (الحق والحسن) أو (النشوء والارتقاء) .

ويُحكمُ عليه أيضاً حكماً صادقاً إذا نظر الناقد فيما قاله القائل فى وصف محاسن الحياة والأرض والكون ؛ فإذا استطاع أن يُجمِّلَ الحياة بقدرة فنه على وصف آيات الكون والطبيعة ، لم يستطع الناقد أن يقول إن التشاؤم غالب عليه ، ولا أدرى كيف يستطيع ناقد أن يقول هذا القول إذا قرأ لى وصف محاسن (الصحراء) ... حتى الصحراء تجد فيها النفس ، وفى مظاهرها المختلفة محاسن . . . وقصيدة : (البحر) . وقد نشرت فى الرسالة أيضاً وفيها وصف تلون البحر وتغير مناظره ووصف جزره :

ومن جزر مثل الجنان مضيئة ... كأن جهلتها الصائلات الدوائر

ووصف (عيون الندى) :

فليس عيون الغيد أشعلها الصبى ... بأحسن فى لألائها حين تعطف

ووصف الربيع فى قصيدة (الفصول) :

أهواكِ يا روح الربيع فهيِّئى ... جسماً لجسم الغيد فى لألائه

ووصف النهر المترقرق فى قصيدة (على بحر مويس) :

عهدته فى صيفه لؤلؤاً ... لو أنَّ لؤلؤ سيلا يسيل

ووصف مناظر الغابة وأصواتها التى تحكى جميع شجون النفس فى قصيدة : (الغابة) . أما وصف : (شريعة الغابة) من فتك فى آخر القصيدة ، فهذا ليس من التشاؤم . بل هو تحليل لصفات النفوس يدل عليه تقاتل الآحاد والأمم فى العالم ، ويعترف بصدقه كل إنسان ما عدا الإنسان الذى لا يستطيع إلا الضحك دائماً ، وما عدا الإنسان الذى يتخذ الباطل فى وصف النفس تجارة ربح ويسميها التفاؤل . ووصف مظاهر الضوء ومباهجه ومحاسنه فى قصيدة : (الضوء) دليل آخر على التفاؤل الصحيح غير المزيف :

أو مثل فجر الآمال إنَّ لها ... فجراً وليلاً يُضاء بالذكرِ

كأنك أنتَ سُلَّمٌ لِعلا ... ء النفس تسمو لآية العُمر

تُخالُ من رقة المراسم معـ ... ـنى لا يراه البصير بالبصر

والساخر الذى يستطيع بالرغم من سخره أن يقول كما قلت فى قصيدة (سؤر العيش) :

والسخر مرآةُ إبليس التى نصبت ... إن تُبصر الحق فيها عاد كذَّابا

فيجعل السخر مرآة الباطل ومرآة إبليس فى بعض الأحايين لا يكون التشاؤم غالباً عليه ، والذى يستطيع أن يصف سحر : (ضحكات الأطفال) كما استطعت فى قلبه نور الأمل لأن الأطفال هم أمل الحياة :

ضحكة منك صوتها صوت تغريـ ... ـد العصافير تستلين القلوبا

ضحكة ردت المشيب شبابا ... وأماتت من الوجوه الشحوبا

ضحكات كأنها كلمات الـ ... ـله تمحو مآثماً وذنوبا

إلى آخر القصيدة . وقد قلت فى وصف أثر مظاهر الجمال فى قصيدة (قبس الحسن) :

يا شمس حسن حياتنا ثمرٌ ... ينضج فى ضوء حسنك الثمر

على أن الحسن فى الأحياء والأشياء ذوق ورمز ومعنى واصطلاح تخلقه النفوس . ومن أجل ذلك كانت سعادة المرء فى نفسه كما قلت فى قصيدة : (طائر السعادة) :

ومن لم يجد فى نفسه ذخر عيشه ... فليس له بين الأنام نصير

وكره الإنسان للعيش هو من حبه للعيش كما فى هذه القصيدة أيضاً :

قلى العيش حب العيش قد شط رغده ... كما يُبغضُ المهجور وهو أسير

كن يبغض الحسناء يقلى دلالها ... وفى الصدر منه لوعة وزفير

وقلت فى وصف أثر النفس فى النفس فى قصيدة : (النعمان ويوم بؤسه) وكيف أن الوفاء فى أحد الناس جعله يلغى يوم بؤسه ويقول:

ألاَ علِّلانِى يا خليلىَّ أنتما ... على العيش بالإحسان والصدق والندى

وأعترف حتى فى قصيدة : (ثورة النفس) بما فى النفس البشرية من حسن :

تريدين أن الجسم يغـدو كأنما   يفئ به منك الضياء المحجّب

وفى جمال فجر النهار وفجر العمر من قصيدة (فجر الشباب) :

وكان للفجر قلب خافق أبداً   من الحياة ووجه كله لطف

وفى إضاءة الحياة بالجد والعمل والأمل فى قصيدة (العظيم فى قوله) :

رأيت حياة المرء فى نفع قومه   ولاخير فى كنز إذا كان خافياً

وما نُصِب المصباح إلا لضوئه   وإن كان فى أحشائه الدهن فانياً

وفى حب الشعراء للحياة من قصيدة (الشاعر وجمال الحياة) :

نحن كالنحل لا نحب من الزهـ   ـر سوى كل غضـة مطلولة

وفى وصف محاسن الأرض والطبيعة :

وكأنما نسج الإلـه جنانها   شرك النهى وحبالة الأهواء

وفى أشد القصائد حزنا كما فى قصيدة (بين الحياة والموت) وهى من شعر الحالات العارضة أقول فى وصف العيش :

ولكنه كالخمر تحلو لشارب   وإن سُلِبتْ منه النهى والسرائر

وفى النسيب اعتراف قصيدة بجمال الحياة بالرغم من مرارة تجاربها :

وأنت جميل كالحيـاة مُحبَّب

وإن كنت مثل العيش مر التجارب

وفى قصيدة (حكمة التجارب) قلت فى عزاء التجارب :

خذ بنصحى فقد حييت كثيراً   ولو أنى لم أمض عمرا طويلا

عشتُ فى كل ساعة أبد الدهـ   ـر وعالجت نَضرَةً وذبولا

ورمتنى الحيـاة بالحلو والمـ   ـر فطوراً رغداً وطوراً وبيلا

ورفعت الستار عن خدعة العيـ   ـش وقهقهت وانتحبت عويلا

وصحبت الحيـاة فى حالتيها   وخَبَرْتُ القنوط والتأميلا

إلى أن قلت :

ورأينا الحياة من كل وجه   وعشقنا كالهـا المستحيلا

ورجعنا إلى الحقائق حتى   لم نعـد نطلب المحال بديلا

فهذا ليس من التشاؤم بل هو ما يناله المرء من حكمة الحياة وهو لم يمنع من وصف آمال الإنسانية كما فى القصائد التى ذكرت فى أول المقال . وقصيدة (الحسن مرآة الطبيعة) على ما بها من ذكر الموت فى آخرها جمعت مظاهر الحسن ومنها :

أنت مرآة ما يجئ به الكو   ن من الحسن بكرةً وأصيلا

فأرى فى الصباح منك ضياء   وأرى فى المساء منك ذبولا

وأرى منك فى الخريف شبيهاً   ثمراً يانعاً وزهراً جميـلاً

وما أذكر الموت فى آخرها إلا أنه يدعو إلى محاسن الحياة والتزود منها . وقد وصفت أثر تفاعل الكون والنفس فى قصيدة (الشعر والطبيعة) ومنها :

إذا غنت الأطيار فى الأيك صُدَّحا   تغنت لأشجان الفؤاد طيور

وللريح هبات وللنفس مثلها   تُغَنِّى رُخاءً فيهما ودَبُور

نرى فى سماء النفس ما فى سمائنا   ونبصر فيها البدر وهو منير

إذا كنتُ فى روض فقلبِى طائر   يُغَنِّى على أفنـانه ويطير

وإنْ كنتُ فوق البحر فالقلب موجة

تَسَرَّبُ فى أمواجه وتسـير

وإنْ كنتُ فوق الشُّم فالقلب نسرها

وللنسر فى شم الجبال وكور

وفى قصيدة (الشاعر المحتضر) يتعلل بأنه قبل موته تجمّل الحياة بفنه :

وتَجمَّلْتُ الحيـاة بنظم شعر   شبيه الضوء فى الأفق الأغرّ

وقد جعلنا مثل هذا القول علالة لأن بين الأدباء من يتعلل به وإن كنا لسنا فى حاجة إلى مثل هذه العلالة ولا نأسى لضياع عمل عمر بأكله

وفى قصيدة (خواطر الحياة) أثناء التألم أستطيع أن أقول :

والسخط غُربال جاهـد قصد الـ   ـسيل كأن الأَتِىّ مردود

أى أن حوادث الدهر لا تُدْفَع بالسخط والحزن كما أن السيل لا يُرَدُّ بغربال

وفى قصيدة (كعبة النفس) جعلت الرجاء من الإيمان والعبادة :

أيا كعبة الآمال ذات المحارم   مكانك من قلبى كمحراب صائم

فلا تأخذونى بالرجاء فإنمـا   رجائِىَ إيمانُ النفوس الحوائم

وفى قصيدة (بيت اليأس) جعلت الحزن ترياقاً يقى من الحزن كما أن القليل من السم قد يقى من السم :

كشارب السم كى يُصادِى   مَن عَلّهُ سمه صريحاً

ورددت هذا المعنى فى قصيدة (عدوى الحياة) وذكرت أن مصل الجراثيم وقاية منها :

كما يتداوى بمَصْلٍ عليـلٌ

وفى المصْلِ من بعض ما تَبْرِهِ[1]

وفى (عصير الحياة) جعلت لذتها وأنغام فنونها من آلام تجاربها :

أسىً على ساعات عمرىَ واطئا   كالكرم يعصره الجناة فيخمر

وأحيلها نغما يروق سماعه   وأعيدها شعراً يلذ ويُسكِرُ

---

(1) تبره : أهلكه

وقلت إن دجن السماء مثل حزن النفس قد يكون لذة وذلك فى قصيدة (يوم مطير) فانظر كيف تستخرج النفس اللذة والأمل من الحزن والسحاب :

ثقيل على القلب البهيج عبوسه ولكنه قد يسحر القلب كاربُهْ
كذلك بعض الحزن للنفس شائقا
تعاقره فى نشوة وتقاربُهْ

وهل تفاؤل أعظم من تفاؤلى فى البيت الآتى من قصيدة (عجائب الحياة):

وأبنى صلاح الكون والناس مثلما
مضى فى بناء عاملٌ وأجير

وقد جعلت حتى تعلل المتعلل بذكر الموت مظهراً من مظاهر حب الحياة:

وما عَـلَّلَتْ نفس الفتى بمَنِيَّةٍ
ستطوى هموم العيش طى الدساكر
سوى رغبةٍ فى العيش يرهب صرفه
فيعدو على البؤسى بذكرى النوابر

والتلذذ بوصف مظاهر الأمل وأحاسيسه فى قصيدة (السكون بعد النغم) يدل على التفاؤل ومنها فى وصف الاحساس بالسكون بعد النغم:

كسكوت اللهيب فوجىء بالبشـ ـرى ويخشى من حسنها أن تخيبا
أوسكوت الشباب فى حُلم الآ مال من قبل أن تعانى المشيبا
أو سكوت الأم الرءوم حنانا وابنها نائم وقته الخطوبا
حلمت حلمها بما سوف يسعى فى مساعيه جيئة وذهوبا
من ثمار الحياة تختار أحلا ها له نعمة وسعدا وطيبا

وقد جعلت الأمل بهجة العمران فى قصيدة (الأمل) :

أيا بهجة العمران لولاك لم يكن فلا شيد البانى ولو كدّ كادحُ

وهى قصيدة طويلة كلها فى مباهج الأمل ولذاته ومحاسنه، وأحاسيسه وفى قصيدة (شهداء الإنسانية) جعلت النعمة فى الحياة مستخرجة من الشقاء

وكم من نعمة لولا شقاء قديماً لم تكن إلا وبالا
فكم خبر الأوائل من شقاء فنانا من شقائهمُ نوالا

وقد ذكرنا فى هذه المقالات وغيرها أسماء قصائد عديدة جداً لا هى من شعر التشاؤم، ولا من المذهب الطبيعى الإنجليزى، والشعر العربى ليس فى حاجة إلى مذاهب أو مسميات جديدة. وإذا لم يكتف حضرة الناقد الفاضل بهذه القصائد والشواهد ذكرنا له غيرها ونعتقد أنه حسن النية فى قوله، فعسى أن تكون عقيدتنا فيه صواباً. ونكرر للأستاذ الدكتور أننا طبنا نفساً عما قدمنا من عمل، ولا يهمنا أفنى أم بقى ، ولكن الذى يهمنا ألا يتخذ وسيلة للنيل منا حتى ولو كان ذلك عن حسن نية .

عبد الرحمن شكرى

من ذكريات لندن

دعاية ...

للأستاذ عمر الدسوقي

فى العراق شباب ملء يومه ملء غده ، يتقد حماساً لوطنه وعروبته ، ويدأب ليل نهار فى الدعاية لنفسه وقوميته ؛ عرفته فعرفت الثورة الملتهبة المتأججة ، والنفوس الطماحة المتوثبة ، نفض عنه غبار القرون ، واستيقظ فالتفتت الدنيا ليقظته ، ثم زأر فارتاعت الأفلاك من زأرته ؛ أينما حلّ فمعمعة ونضال ، أو ضجة وجدال .

وفد على مصر منذ عشرة أعوام أول بَعث من فتية العراق ، ليطفئوا صدى نفوسهم من كوثر العلم ، وينشروا بين أبناء الكنانة فكرة جليلة سامية ، تشبعت بها نفوسهم ، وامتزجت دماؤهم ، وتراءت لهم فى الحلم عزة وقوة ، وفى اليقظة عظمة وفتوة ؛ ولكن راعهم أنا بنهضتهم جاهلون ، وعن دعوتهم معرضون

دعوا للوحدة العربية ، فألفوا قلوباً غلفاً وآذاناً صماء وعقولاً سيطرت عليها فكرة الفرعونية ، وبلبلتها السياسة المصرية ؛ فلم ينكصوا على أعقابهم ، أو يقنطوا من نجاحهم ، بل طفقوا يبددون دياجير هذا الجهل ، ويعرفون أبناء النيل ببلاد تعجب بهم ، وتعلم عنهم أكثر مما يعلمون عن أنفسهم ، ويرسلونها صيحة من فؤاد مؤمن بما يدعو إليه ، موقن بأن هناك من سيستجيب له : أن تعالوا إلى كلمة تجمع شملنا المبدد ، وتعيد إلى الحياة مجدنا الغابر ، وتحلنا بين الأمم مكاناً علياً ، يبعث فى قلوبهم الهيبة والرهبة ، ويغدو شجىً فى حلوق الطامعين ، وقذىً فى عيون المستعمرين ، ويحبط كيدهم ويبطل إفكهم ؛ فينشدون ودنا بدلاً من عدائنا ، وحلفنا عوضاً عن استعمارنا

لبى نداءهم من فطن إلى ما انطوت عليه جوانح المستبد الغاصب ورأى فى تلك النزعات الإقليمية هوة سيتردى فيها أبناء العروبة وهم فى غفلة ساهون ؛ فما البربرية ، والفرعونية ، والفينيقية ، والآشورية ، إلا شباك نصبها الطامع الشره ليحول بيننا وبين الوحدة المنشودة التى يخشى أن تزلزل الأرض تحت قدميه ، وتضع السيف والنار أمام عينيه، إن عاد إلى ما ألف من عبثه بهذه الديار وذويها

أو لم يمزق أوصال الشام ، وقد مرت عليها العُصر وهى لا تعرف من دواعى الفرقة شبحاً ، وهى تلك الصخرة الشماء من العزة والإباء ، تنحسر عنها أواذى الكائدين كليلة خائبة ؟

عزّ عليه وقد خرج من معمعان الحرب نشوان بحميا الظفر أن يرى ديار العروبة تتحفز للوثوب ، وتجثم للنهوض ، فعاجلها بضربة خالها قاضية ، وفرقها أباديد ، حتى لا تطمع فى قوة أو تأمل فى عزة ، وحتى لا تعيد على مسرح التاريخ تلك الأنفة والحمية والأيد والجلد والاستهتار بالموت ، فى سبيل الكرامة والشرف والعقيدة ، أيامَ أن حشدت أوربا جوعها وشنتها حرباً شعواء على هذه الديار باسم الدين ، فأصبحت العراق فى قبضته ، ومصر فى حوزته ، والشام أشلاء ممزقة . فما فلسطين وسوريا ، ولبنان ، وجبل العلويين ، وجبل الدروز ، والأسكندرونه ، إلا أعضاء جسد واحد كان من قبل رمزاً للجد والنشاط والشهامة ؛ وأخذت طرابلس الغرب تسير وئيداً فى سبيل الفناء ، وأحال تونس والجزائر بلاداً لا هى شرقية ولا غربية ، فمسخت مسخاً ، وتبلبلت ألسنة بنيها برطانة لا هى فرنسية فتفهم ، ولا هى عربية فيفخروا بها ، وعمد إلى مراكش فكاد للاسلام والعروبة كيداً ، وحاول أن يهدم هذا الدين بعرف قد عفت عليه القرون لا يصلح لحضارة ولا يبعث رقياً

فطن من لبى نداء هؤلاء الفتية الأخيار إلى كل هذا ، وإلى أن ذاك التراث المجيد قد كان بالأمس منبعاً للنور والمجد والرحمة والإنسانية ، يفيض على الدنيا وقد جللتها سحب الجهل والظلم ، وإلى أن هذه البلاد على تباين أسمائها تلهج بلغة واحدة ، وتعتز بتاريخ واحد اشتركت فيه فى البأساء والضراء ، وتشعر بشعور واحد ، وتنحدر من أصل واحد

وإذا لم تكن اللغة أداة التعبير ورمز التفكير ووسيلة تصوير الشعور والوجدان ، عاملاً من عوامل الوحدة وتأليف الأفئدة ، فماذا يكون ؟

وإذا لم يكن التاريخ والأدب والدم ، صلات وثيقة ، توحد بين الصفوف ، والأهداف والغايات ، فماذا يكون ؟ أسسوا جمعية صغيرة متواضعة تدعو إلى ذلك الغرض النبيل السامى ، وتعمل

فى إخلاص على توثيق عرى المودة بين أبناء العروبة فى مصر ، فانضوى تحت لوائها شباب طاهر برىء من نزعات الأحزاب القديمة وحزازاتها الشخصية

ولكن ما لبث أن سعى إليها الشيوخ يريدون أن يسخروها لأهوائهم؛ وطفق هؤلاء يستهوونها بالمال، وهؤلاء يمنونها بالتأييد، وهى بين ذلك تلقى من السخرية والتهكم ما يضعضع العزائم الثاقبة، ويثبط الهمم الصارمة

يا طالما كنت أعتذر لهؤلاء الرفاق عما يبديه بنو جلدتى من جفوة وإعراض ، وأقول : إنهم متى فرغوا من صراع العدو الغاصب ، ونفضوا أيديهم من نزاله ، فسيمدون إليكم الأيدى طواعية ، وستتفتح قلوبهم لدعوتكم الرشيدة ، إن راموا عزاً ومجداً لهم ولبلادهم ؛ فلا تهنوا ولا تحزنوا ، وثابروا على جهادكم ، فإن جلائل الأمور لا تنجز بين طرفة عين وانتباهتها

غادرت مصر ، ونزلت مدينة « إكستر » ، ووفد علينا جماعة من العراقيين يطلبون العلم بجامعتها فقلت : ها ... إن الميدان قد تحول من ضفاف النيل إلى ربوع انجلترا ، ولكن وا أسفاه ! ، قد استمرأ هؤلاء الفتية حياة اللهو والدعة ، فإذا دعوتهم إلى الجد وضعوا أصابعهم فى آذانهم وأصروا واستكبروا استكباراً

ثم رحلت إلى لندن ، ووجدت فيها نخبة طيبة من أبناء العراق وفلسطين ، قد اتخذوا الجد قبلة يولون إليها وجوههم صباح مساء ، وحرصوا كل الحرص على أن يملأوا كنائنهم لا بسهام محطمة من الخزعبلات والدنايا ، ولكن بالثقافة العالية والدراسة المجدية ؛ حتى يكونوا فى ساحة الجهاد أولى قوة وبأس شديد، وحتى يحطموا عن شرقنا المسكين هذه الأغلال التى كبلته ، وعاقته عن النهوض والرقى زمناً طويلاً؛ وحتى ينازلوا الجهل بالحكمة، والأفن بالعقل، والميول النابية والأحقاد الزمنة والأغراض الحقيرة ، بالصرامة الحازمة والعقيدة الجازمة

أجمعوا أمرهم على تأليف جمعية عربية فى لندن ، تبث تلك الدعوة الصالحة بين شباب العرب ، وتقرب بين آمالهم وأهدافهم فإذا ما تشربتها قلوبهم ، واطمأنت إليها ألبابهم ، كانوا رسل الوحدة العربية فى ديارهم ، وتعرف الإنجليز بنا ، وبحضارتنا ، ونهضتنا . ثم بدا لهم أن يكونوا كذلك لفلسطين جنوداً على ضفاف التاميز يهبونها من حرارة إيمانهم ، وثمار عقولهم ، ما شاء لهم حبهم الطاهر لبلادهم ، وقصدهم النبيل فى إسعادها .

لليهود فى انجلترا سطوة وقوة ، وتجارة واسعة عريضة نامية ، ودعاية سديدة منظمة ، ينفقون عليها الأموال الطائلة ؛ ولهم فى دار النيابة خطباؤهم أمراء البيان ، يذودون عنهم بكل ما أوتوا من قوة وفصاحة[1] .

وأنى لنا ، ونحن شباب لا تظاهرنا حكومة ، أو يشجعنا ثرى ، أو تشد أزرنا سفارة ، مباراتهم فى الدعاية التى آمن بها الإنجليز عامتهم وخاصتهم لكثرة ترددها على أسماعهم ، اللهم إلا ذاك النفر القليل الذين ساحوا فى البلاد العربية ، وفقهوا سر شكواها وكنه مصابها . ولقد وجدنا فى هؤلاء نصيراً شد عضدنا ، وسدد خطانا، وبذل فى سبيل قضيتنا الوقت والمال عن سماحة وطيب نفس

أخذنا ندبج المقالات الضافية ، تنطق بالحقائق الناصعة ، ونذيعها تارة بالخطابة ، وأخرى بالكتابة ، على الرغم من إيصاد الصحف أبوابها دوننا . وقد مُهد لنا السبيل لمناقشة فريق من أعضاء المجلس النيابى ، فكان منهم من يرى رأينا ويشد أزرنا ، ومنهم من يشيح بعطفيه ويزور جانباً

لم نقصر دعوتنا على طبقة دون أخرى من الناس ، بل جلنا جولات صادقات فى كل مجتمع وندى ، وهتفنا باسم فلسطين العربية ما أتيحت لنا الفرصة

جاءت وفود العرب تترى لحضور حفلات التتويج ، يقدمهم أمراء العرب الأمجاد ، فقلنا : لن يجتمع فى هذه البقاع من أبناء العروبة جمع مثل هذا يحميه ويؤيده ويزينه سلائل الملوك الصيد من أبناء عدنان وقحطان ... !

فلنصرخ صرخة مدوية تخترق شغاف هذه الأفئدة التى أغواها الصهيونيون، ولتكن زأرة الأسد ربع حماه، لحمتها الشمم، وسداها الإباء، لا عويل الذليل العانى يسترحم القلوب بالنحيب والبكاء . . .

(١) يقرب عدد اليهود فى انجلترا من نصف مليون ، ولهم فى البرلمان نحو عشرين نائبا ، ولهم نفوذ قوى على الصحف البريطانية ماعدا « التيمس » ويهيمنون على أكبر الشركات هناك كشركة « شل » ، وشركة الفنادق وغيرها ، ويحتلون أعظم المناصب فى الجامعات ، ويحتكرون دور السينما والملاهى .

رغب صحبي فى أن يقيموا حفلاً نجتمع فيه بأمرائنا الأخيار، فنؤدى واجب التكريم والتبجيل، ونعلن لهم عزم الشباب على الفناء فى سبيل العروبة واتحاد القوى؛ ورأوا أن ما بأيديهم من المال قليل، فنضوا الطرف عن دعوة ذوى الرأى والجاه فى إنجلترا، وكنت أرى أن نمد الدعوة إلى رجال الصحافة وكبار القوم، حتى يروا رأى العين جمعنا الباهر، واتحادنا المتين، وحتى تصل كلماتنا إلى قلوبهم لعلها تلين. وهبت زوبعة من الجدال والنقش كادت تعوقنا عن بلوغ هذا الشرف الرفيع، لولا أن شد أزرى صديق كريم[1] وتعهدت وإياه أن نقوم بسداد ما يزيد من النفقات إذا لم تهز الأريحية أفئدة أمرائنا الغر الميامين ذوى السماحة والندى، فيهبوا للحمية من نفحاتهم ما يعز مقامها، ويعلى منارتها..

وكان حفلاً لم تشهد لندن نظيره من قبل روعة وبهاء وعظمة ورواء بل كان حفلاً فريداً قل أن يجود التاريخ بمثله. وكيف لا... وقد شرفه أمراء العرب، وتلاقوا فيه لأول مرة جميعاً ملبين نداء الشباب، ومنافحين عن فلسطين الشهيدة.

كُبِتَ به من خال أن اتفاق العرب محال، لشدة تنافرهم وتحاسدهم، وتباين أهوائهم ومطامعهم، بيد أن عزمات الشباب تذلل الصعاب وتحقق الرغاب

وقرعت دعوتنا أسماع من طالما صدفوا عنها، وفتحت الصحف لنا أبوابها بعد أن أطنبت فى وصف ذاك المشهد الفخم وهذه المظاهرة العربية الجليلة الوقورة

وقد حقق أمراؤنا الأبطال آمالنا، فما إن سمعوا نداءنا حتى جاشت فى قلوبهم حُميًّا النخوة والكرامة، ففاهوا بكلمات تفصح عن نفوس عامرة، وأفئدة ملؤها النبل والإباء، وقالوا: إن بلاد فلسطين ومحنتها تقض منا المضاجع، وتحز القلوب حزًّا، وإن خروجها من المعمعة سليمة مستقلة ظافرة لأمل نضعه نصب أعيننا وصلاة نرتلها صباح مساء، فثقوا بنا وبجهادنا والله يرعانا ويرعاها

وغمرت عطاياهم جميتنا الفتية، فأصبحت فى الجهاد أثبت قدماً، وأشد بأساً، وأعلى صوتاً، حتى ضاق بها الصهيونيون ذرعاً، فما قام منهم خطيب ينفث فى الناس سمومه وتخرصاته،

إلا وجدنا أمامه نبطل كيده وندحض باطله

وعدت ذات مساء إلى دارى، فرأيت ربة الدار محزونة مكتئبة فسألتها: ما بالها؟ فقالت:

— جاء اليوم فتيان من أبناء صهيون، ينم حديثهما عن خبث طوية ولؤم حاد، وطلبا إلى أن أسدى لك النصيحة بالحسنى عن لسانيهما، وأناشدك الله وأهلك وغربتك إلا أقلعت وصحبك عن مناوأة جهادهم، وإن أبيت إلا اللجاج والعناد، فلهما معك يوم له ما بعده

ثم قالت: إنى أخشى عليك هؤلاء القوم، إذ لا تؤمن لهم غائلة، ولا يتعففون عن دنية؛ وما كان لى أن أزج بنفسى فى خاصة أمورك لولا أنك نزيل دارى؛ وأنا لهؤلاء الصهيونيين مبغضة وعليهم حانقة

فقلت: شكراً لك – سيدتى – هذا العطف الجم، والشعور الكريم، ولا عليك من هؤلاء فلن يضيرنى منهم شىء، وسنرى.

عمر الدسوقى

(١) هو الأستاذ طارق العسكرى نجل المرحوم جعفر باشا العسكري، وأشهد أنه من خيرة شباب العراق وأشدهم وطنية وإخلاصاً

٦١ ـ ١٢

تأملات وتفكرات

شارلى شابلن العبقرى

فى الخمسين من عمره !

[مهداة إلى السيدة ا . ش]

للأستاذ زكى طليمات

سرعان ما تجرى الأيام وتمر السنون !

يرتقى شارلى شابلن علم الأعلام فى دنيا السينما أول درجات العقد السادس بعد أن ساخ من عمره خمسين عاماً

بلغ شارلى هذه السن ونال كل ما تتوق إليه النفس من الجاه ونباهة الذكر وقلائد الذهب وأكاليل الغار ، إلا أنه بقى محروماً من دفء الحنان وراحة العيش فى ظل امرأة صالحة ، لأن الحظ السعيد الذى واتاه فى كل شىء أبى أن يواتيه فى النساء

والنساء فى حياة الفنان المرهف الحس القوى الطبع . عنصر لا غنى عنه فى استكمال السعادة المنشودة

ومع هذا فإن شارلى قد تزوج ثلاث مرات إلا أن كل زواج منها كان ينتهى دائماً بالخيبة !

تدخل المرأة فى حياة شارلى فينطوى عليها وتغدو نصفه الثانى ويتفانى فيها كما تتفانى فيه وقتاً من الزمن، وينفخ العبقرى الفنان فى النصف الجديد أنفاساً من روحه الخلاق فتغدو شيئاً ويتبه لها ذكر ، ويعلو لها شأن ، وتسود الألفة بينهما بما يستجلب عليهما حسد الحاسدين ثم ...

ثم يأخذ النفور بعد ذلك يدب بينهما فتخمد الجذوة المتقدة فى قلب الزوجة المعجبة بزوجها ، وتنتهب الزوج آلام الخيبة والجحود ، وينتهى الأمر بينهما بالطلاق !

عجيب هذا الأمر ، وأعجب منه وقوعه مع رجل دمث موفور الحظ من اللباقة والظرف ، عرك الحياة ، وعرف طباع الناس !

اختلفت الآراء فى تفسير هذه الظاهرة ، وانبرى الكتاب يفسرونها حسب أهوائهم ، ولم يتورع بعضهم عن اتهام العبقرى الممثل بشذوذ فى الطبع وبخرق فى الرأى وإن لم ينكروا عليه لطف المعاشرة ولين الجانب وبسط اليد

ألا إن المتأمل فى حياة شارلى، الفاحص عن أمر طبعه ومنزعه بما يطالعه له من آثار وحيه على الشاشة البيضاء ، يرى غير ذلك إذا توخى الإنصاف والدقة ، وتعمق فى استكناه ما وراء وعى هذا العبقرى الممثل

إن شارلى عبقرى فنان . والفنان الحق خلّاق ، والخلّاق من طبعه البذل والتضحية والإسراف فى الجهاد

تعود شارلى أن يصدر عن كل هذا فى عمله ، مؤلفاً كان أو ممثلاً أو زوجاً

ومن كان هذا شأنه فإنه يتطلب الكثير من الناس ، ولا يقنع بالغذاء العادى الذى تقدمه المرأة من عطفها وحنانها . هذا والفنان الصادق أثِر يحب نفسه وهو لا يشعر ، فهو يميل إلى الاستئثار بكل ما يعمر قلب المرأة التى يهبها قلبه ، وينزع إلى سوء الظن بما يلقاه من تقصير أو فتور غير متعمد ، ويعده جحوداً ونكران جميل ...

وهكذا كان شارلى شابلن يتطلب من زوجاته أن يعطينه مثل ما يعطيهن .

هذه هى العلة ، وهذه هى غلطة شارلى شابلن مع النساء . أو بالأحرى هى غلطة كل فنان خلاق كبير القلب دافق الروح ، شاعراً كان أو ممثلاً ، أو مصوراً ، بل لعلها هى غلطة كل كريم نفس يسرف فى بذل حبه وكريم عواطفه لإحدى بنات حواء .

ونخرج من هذه المأساة العاطفية بشىء واحد ، وهو أنه واجب على الرجل ألا يؤمل كثيراً فيما عسى أن تمنحه المرأة إياه وأن يقنع منها بظرف المعاملة ، ببسماتها الوردية، وبلمسات شعرها العطر ، وبومضات جسدها الشاب المضىء . إن لم يفعل ذلك

– وواجب عليه أن يفعل – فإنه لا يجنى من حياته العاطفية سوى أشواك الجحود والخيبة .

أما ذو القلب الكبير والروح الخلاق ، الصادى الذى لا تروى غلته جرعات من الماء فخير له ألا يبحث عن السعادة فى ظل امرأة .

لم يكن غريباً بعد هذا أن نلمح فى ابتسامات شارلى أفواه الجروح ، وأن نسمع فى صدى ضحكاته أنات العويل . إن المسكين يضحك خشية أن يسترسل فى بكاء .

ولا عزاء للمسكين فى محنته هذه ، وفى عزلته . لقد تجاوز السن التى تجعله مرموق الحسان . إن ابن الخمسين لا يصلح إلا أن يكون ملجأ لمنكودات الحظ فى الحب أو فى الزواج أو طالبات العيش الهادئ فى كنف الرجل كان ما كانت سنه ، أو العوانس اللواتى يكابرن الدهر والدهر يتطاول عليهن ، أو الغوانى من قانصات المال والجاه العريض ، وهـذا الصنف من المخادعات إذا قابلن رجلاً فى منحدر العمر ، همسن فى أذنه أنهن لا يحببن الشباب لنزقه وتيهه ، ولـكنهن يعشقن الشيوخ لرجاحة عقولهم وفيض حنانهم

وشارلى العبقرى الفنان ، ابن الخمسين ، لا يجهل ذلك . ولهـذا فقد قدر عليه أن يعيش محاطاً بكل لذائذ الحياة ، من مال وجاه وفخار إلا لذة المجوع إلى صدر امرأة يخفق قلبها بحب خالص له . قدر عليه أن يكابد مرارة الحرمان الدائم ، وقسوة الوحدة ، وحمى الظمأ الذى لا يرويه ماء

وهذا كله فدية الروح الخلاق والطموح الذى لا يتطامن ، وهذا أيضاً فدية المجد الذى علقه شاباً ورجلاً وكهلاً .

زكى طليمات

العالم يتطلع الى حدودنا المصرية

أربعــــون يوما
فى الصـــحراء الغربيـــة

للأستاذ عبد الله حبيب

— ٣ —

تحدث المحرر فى المقالين السابقين عن بعض مشاهداته فى الصحراء الغربية فوصف سحر الصحراء ، وأتى فى كلمات وجيزة على ذكر كثير من عادات العرب وصفاتهم ، وتحدث عن حكامها ودون عنها معلومات عامة طريفة . وهو فى هذا المقال يتحدث إلى القراء عن ساحل الصحراء الغربية وهطول الأمطار وموارد المياه على الساحل وسكة مريوط الحديدية وسكان الساحل وقبائل الصحراء الغربية حديثا شائقا طريفا

ساحل الصحراء الغربية

يمتد القسم الساحلى من الصحراء الغربية — وليس له اسم معين معروف — من الشمال الغربى للدلتا من الإسكندرية شرقاً إلى السلوم غرباً ؛ ويبلغ طوله نحو ٥٠٠ كيلو متر

وقد أطلق عليه القرطاجنيون اسم « ساحل ليبيا » وورد ذكره فى كتابات هيرودوت عند وصف رحلات الفينيقيين والقرطاجنيين إذ وصف سكان هذا القسم بما لا يخرج عن حالتهم فى الوقت الحاضر وطرق معيشتهم بعد الفتح الإسلامى . قال : إنهم يرتدون ملابس اللوبيين ، وتضع النساء خلاخيل فى أرجلهن ويرسلن شعورهن تنمو وتطول ؛ ومن عاداتهم أن للزواج وقتاً معيناً ، وهو عندهم عيد عظيم ، إذ تحضر القبائل — عند افتتاح موسمه — أجمل الفتيات الراغبات فى الزواج فيقفن أمام ملكهم ليختار لنفسه منهن زوجة جديدة قبل أى مخلوق آخر

ولكن هذا الشعب قد انقرض الآن واندمج فى القبائل العربية بعد الفتح الإسلامى ، وأصبح سكان هــذا الإقليم من العرب قبائل أولاد على

والقسم الساحلى هو شريط رفيع من الأرض المتموجة الصالحة للزراعة . ويتراوح عرضه من الساحل جنوباً بين ٢٠ و ٥٠ كيلو متر ، ويتسع من جهة الشرق — العامرية — ثم يأخذ فى الضيق عند ما يتجه غرباً ، وينتهى تقريباً عند السلوم حيث تقترب هضبة ليبيا الكبرى من الشاطئ وتدخل فى مياه البحر



منظر لجانب من ساحل الصحراء الغربية بالقرب من الخزانات الرومانية

أما أسماء التلال ورؤوس الخلجان فلها تاريخ أثرى قديم ، ولا يزال العربان يعثرون على آثار ذات قيمة وخاصة من العصر الرومانى . ونذكر من أسماء هــذه التلال بعضها وهى : رأس الكنائس (وكانت تعرف برأس حرموم) ؛ ومرسى مطروح وكانت تعرف برانتيوم ؛ وميناء النجيلة وكانت تعرف بجازيس ، وميناء جرجوب وكانت تعرف بأبيس ، والسلوم وكانت تعرف بيارانومس ، ورأس اللح فى طرابلس وكانت تعرف بأردينس ، وميناء البردى وكانت تعرف بيترامجنا

هطول الأمطار

تعد مسألة هطول الأمطار فى هذا الإقليم من المسائل العجيبة حقاً ، فبينا يهطل المطر بغزارة فى مكان ما ، إذ تراه ينحبس عن مكان آخر قريب من الأول جداً ؛ غير أنه يهطل بحالة دائمة فى مناطق معلومة مبعثرة على الشاطئ يعرفها العرب أنفسهم ؛ ويستمر من ثلاثة أشهر إلى أربعة فى السنة ؛ تبدأ من أكتوبر أو نوفبر وتنتهى فى شهر إبريل ؛ وفى بعض الأحيان يهطل المطر مرة واحدة وذلك فى شهر مايو ، ويسميه العرب « مطر البطيخ »

ويعد نزول الأمطار فى الواحات كواحة سيوه مثلاً من الأمور النادرة ؛ وإذا استمر سقوطها قليلاً سبب هدم منازل الواحة المصنوعة من « الجالوص » وقد حدث ذلك فى سنة ١٩١٩ م ؛ وكذلك فى شهر إبريل سنة ١٩٣٧ م ؛ واستمر هطول الأمطار

يومين كاملين ؛ فأوقع ضرراً بالمنازل وهدمها ، وبقى السكان هناك مدة بلا مأوى

موارد المياه على الساحل

تنتشر فى المنطقة الساحلية خزانات المياه الرومانية ، وهى محفورة فى الصخر بنظام هندسى عجيب يمنع تسرب المياه منها ، وتبقى فيها لمدة سنين ، وكان الرومان يستعملونها قديماً ولا يزال العربان يستعملونها إلى الآن ؛ وبعض هذه الخزانات كبير الحجم يتسع فى بعض الأحيان لآلاف من الأطنان تكفى لأعوام طويلة كالخزانات الموجودة فى العامرية ومطروح والسلوم ؛ وتهتم الحكومة بتنظيف هذه الخزانات وإصلاحها وطلائها بالأسمنت ؛ وتوجد المياه كذلك فى بعض آبار «جامات» على الشاطئ ويسميها العرب «بالثوانى» وهى أكثر ما توجد فى المناطق الرملية

وتوجد الدواوير والزوايا بكثرة حول المناطق الغنية بالمياه وخاصة ما كان منها قريباً إلى الشاطئ . ويزرع السكان حولها الزيتون والتين والعنب وبعض أصناف الخضر

سكة مريوط الحديدية

هى إحدى منشئات الخديو السابق ، وكانت تمتد قديماً إلى بلدة فوكه على بعد ١٢٠ كيلو من الإسكندرية . ثم نزعت قضبانها فى أثناء الحرب العظمى سنة ١٩١٦ لأغراض حربية وانتهت عند بلدة الضبعة على بعد ١٠٢ ميل من الإسكندرية

أما الآن فقد تم مدها إلى مرسى مطروح أى إلى مسافة ٣١٢ كيلو متراً من الإسكندرية ولهذه السكة تاريخ غريب : فقد كان الخديو السابق يزمع مدها إلى السلوم على حدود مصر — طرابلس ، أى نحو ٥١٤ كيلو متراً من الإسكندرية . وكان غرضه من ذلك أن تقرب السفر إلى أوربا يومين ، وكان يرمى إلى مد فرع آخر منها من مرسى مطروح إلى سيوة أى مسافة ٣٠٠ كيلو متراً أخرى وذلك لنقل محصول البلح والفواكه واستغلال أملاكه الكثيرة التى يملكها فى هذه الواحة . ويتضح لمن ينعم النظر فى هذا المشروع أنه لا يأتى بالفائدة المرجوة منه ولا يسد تكاليفه الباهظة . ولقد أدى ذلك إلى تدخل المعتمد البريطانى فى أمره وشرائه باسم الحكومة المصرية تفادياً من استخدامه لأغراض حربية

سكان الساحل

يقطن المنطقة الساحلية قبائل من العربان الرحل تعرف بقبائل أولاد على . وكلهم من البدو الذين يعيشون عيشة غير مستقرة فيزرعون الشعير والحنطة على الأمطار ويشتغلون فى وقت الجفاف بنقل حاصلات بلح الواحات إلى الساحل ويعودون بالحبوب والسكر والشاى وسائر الحاجيات إلى الواحات ثانية



نساء من العرب أولاد على

والبدوى بطبيعته يفضل السير فى الدروب المطروقة الظاهرة للوصول إلى مقصده ، وهو لا يفكر فى اختراق أرض مجهولة . ولكن إذا اتفق أن أمطرت السماء وغمرت بعض الأراضى ونبتت فيها المرعى فسرعان ما يتجه إليها البدو من كل الجهات لترعى مواشيهم؛ ورعاية الماشية تتطلب السير فى مختلف أراضى المنطقة ، وبهذه الوسيلة يسير البدوى فيها فيتعرف على دقائقها جيداً . وللعربى خاصية حفظ الأشياء والمناظر الطبيعية والعلامات الأرضية فهى تنطبع فى ذهنه لأول وهلة . على أن هذه الخاصية لا تتوفر لجميع البدو ، بل هى تتوافر عند قليلين منهم يعرفون بالأدلاء . وللدليل البدوى مهارة عجيبة مدهشة فى تعرف الطرق وسهولة ارتيادها وتمييز الجبال والتلال والقدرة على السير ليلاً فى أشد الليالى حلكة وظلاماً

قبائل الصحراء الغربية

يسكن صحراء ليبيا من النيل إلى جالو والكفره فريقان من البدو : السعادى والمرابطون، وهم جميعاً من نسل «سعدى». وهم ثلاثة فروع :

سعدى . وقد أنجبت جبريل وبرغوث وعقار . ومن ذرية جبريل : المواقير والعربيات والمغاربة والجوازى . ومن ذرية برغوث : عبيد والعرفه والفوايد . ومن ذرية عقار : على والحرابى والهنادى وبنى عونة والجميعات ، ومن ذرية على : أولاد على الأبيض وعلى الأحمر والسننة . وأولاد على الأبيض هم : أولاد والسنافره والعزايم والأفراد . وأولاد على الأحمر هم : القنيشات والعشيبات والكميلات . والسننه هم : العزوة ، والقطيفة ، والمحافيظ ، والعجنة

ويسكن أولاد على الصحراء الغربية .

أما «المرابطون» فهم أقدم من السعادى ولكنهم متفرقون وكل قبيلة منهم فى حمى قبيلة من السعادى ، ولعل ذلك يرجع إلى أن السعادى جاؤا البلاد فاتحين ؛ ويعرف المرابطون أحياناً بالصدقان أو الأصدقاء . وأهم قبائلهم : زوى ، والمجابرة ، والمنفة ، والموالك ، والشواعر ، والجرارة ، والقطمان ، والحوتة والجبابل، والتراكى، والشهيبات والفواخر ، وترهونه ، والعوامة والصوانقة الخ ...

وهؤلاء موزعون فى الصحراء وفى حمى السعادى .

وكل قبيلة منهم مسؤولة عن الدفاع عمن تحميهم من المرابطين .

ويقدر عربان هذه الصحراء بنحو ٥٥ ألفا . وهم جميعاً معروفون بشدة الولاء والإخلاص لجلالة الملك وآل بيته الكريم لما لا قوه من عطف محمد على باشا الكبير رأس الأسرة العلوية ، وما منحه إياهم من امتيازات لا يزالون يذكرونها ، ويفخرون بها ويتوارثونها جيلاً بعد جيل . ؟

عبد الله حبيب

ملحوظة : أكثر ما ورد فى هذا المقال والذى قبله من البيانات المفيدة مأخوذ مما دونه صديقنا الصاغ رفعت الجوهرى مأمور مرسى مطروح عن الصحراء الغربية .



التاريخ في سير أبطاله

أحمـــــد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



أما عن ذهاب الجيش على تلك الصورة إلى عابدين فالمسئول عنه الخديو ووزراؤه ، فلقد كانوا يعلمون ما فى صفوف الجيش من تذمر وهياج ثم كانوا يعلمون مع ذلك مبلغ مقدرتهم على القاومة فبدل أن يطفئوا النار زادوها بأساليبهم اشتعالاً ، هذا فضلاً عن ذلك الموقف المزدوج الذى وقفه الخديو تجاه الضباط وتجاه الوزارة

ولقد كان القصر أمام الجيش خلواً من أية قوة . فروعيت حرمته أحسن مراعاة ؛ وروعى كذلك مقام الخديو ، فلم يخرج أمامه ذلك الجندى الثائر عن طوره ، بل تمالك نفسه فترجل وأدى التحية لمولاه . ثم ذهب فأعرب له عن ولائه ، وشكره حينما أجيب إلى ما طلب باسم الأمة ... ألا إنا لنعجب بذلك ونفخر به إذ نكتبه ، وما نجد من الأدلة التى نسوقها على رجولة عرابى وشهامته وبعده عما رميه به خصومه أقوى من هذا الذى نشير إليه

فإذا أضفت إلى ذلك ما كان يدبر فى خبث من الدسائس فى ذلك الموقف الرهيب ، وذكرت كيف أحبطها عرابى بمزيج من البسالة والصبر يدعو إلى الإعجاب ، ازددت لا ريب إكباراً لموقفه فى ذلك اليوم . ولقد كانت أية كلمة نابية أو أية إشارة يساء فهمها كفيلة بأن تسيل الدماء فى تلك الساحة . قال عرابى : « لو حاول الخديو قتلى لأطلقت النار عليه »[١] .

ولن يفوتنا أن نذكر أن عرابياً قبل ذلك كله قد اتصل بقناصل الدولة ، وأفهمهم قبل أن يتحرك نحو عابدين أنه يقصد بعمله هذا مظاهرة سلمية ، وأكد لهم بالغ حرصه على الأمن . كما أنه كتب إلى الخديو قبل أن يذهب . فكان بذلك كله حكيماً موفقاً لا يدع مسلكه غميزة ، أو يهيىء سبباً لملامة ...

نجحت حركة عرابى إذاً أتم نجاح وأجمله وتهيأت البلاد لأن تستقبل عهداً يسود فيه الإصلاح والنظام ؛ فلقد كان قبول الخديو مطالب عرابى التى أشرنا إليها ينطوى على معنى عظيم ألا وهو موافقة حاكم البلاد على التخلص من الحكم الاستبدادى الرجعى ، والعودة إلى حكم الحرية الدستورية الذى سبق أن وافق عليه يوم تبوأ عرشه ثم عاد فتنكر له حين اطمأن فى مصر إلى كرسيه

ولقد عارض شريف باشا أول الأمر فى قبول الوزارة ، وكانت حجته فى ذلك أنه بقبوله الحكم دون قيد ولا شرط إنما يضع نفسه تحت سلطة الحزب العسكرى ، الأمر الذى لا يستطيع أن يحمل نفسه على قبوله ؛ ولذلك دارت بينه وبين رجال هذا الحزب مفاوضات استمرت بضعة أيام تحرجت الأمور فيها حتى أوشك أن يتنحى شريف عن قبول الوزارة نهائياً

ولكن لاحت بوارق الأمل عقب ذلك ، وكم كان جميلاً أن تلوح من جانب ذاك الذى لا يزال نفر من المصريين حتى وقتنا هذا يرمونه بالفوضى ويعودون بأسباب ما لحق مصر من ويلات إليه ، فيقيمون الدليل بذلك على أنفسهم أنهم إما ذووا أغراض أو أولو جهل معيب بحقائق الأمور

كان جميلاً أن يبرق الأمل من جانب عرابى ، فلقد دعا يومئذ أعضاء مجلس شورى النواب المعطل وعرض القضية عليهم وكان على رأسهم سلطان باشا ذلك الذى كان يعتبر فى تلك الأيام من أكبر زعماء الحركة الوطنية

---

(١) تاريخ عرابى الذى كتبه بقلمه لمستر بلنت سنة ١٩٠٣

وذهب إلى شريف وفد من هؤلاء يرجون منه قبول الحكم ، فعرفوا منه أنه يشترط ألا يتدخل الجند فى شىء ، ويريد أن يرحل عرابى وعبد العال بفرقتيهما إلى مكانين يختاران لهما ، وأن يترك قبل ذلك حراً فى اختيار وزرائه لأن عرابى كان يطلب إليه إعادة البارودى وإدخال مصطفى باشافهمى فى الوزارة ، وكان شريف يرفض ذلك لأنهما لم يثبتا على عهدهما فدخلا وزارة رياض عقب إقالة وزارته

وتمهد هؤلاء الزعماء برياسة سلطان أنهم يضمنون لشريف خضوع الحزب العسكرى ، وكان بين هؤلاء من ذوى المنزلة فى البلاد سليمان أباظة والشريعى والمنشاوى والمويلحى والشمسى والوكيل ، وهم أهل جاه وسلطان يعرف شريف قيمة انضمامهم إليه

وذهب عرابى بنفسه إلى شريف ، قال عرابى : « وفى يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨١ قابلته مرة أخرى وقلت إنه لا يمكن ترك البلاد بلا وزارة فأصر على الرفض فقلت له : إن لم تؤلف الوزارة اليوم فسنطلب غيرك ولا تظن أن ليس بالبلاد سواك فيها بعون الله العلماء والحكماء ولم يكن اختيارك لعدم وجود غيرك لهذا المركز الخطير ... فاغرورقت عيناه بالدموع ولم يحر جواباً ثم خرجنا من عنده وبعد قليل جاءنا الشيخ بدراوى عاشور (وكيل زراعته) وقال إن الباشا قبل ما عرضته عليه »

وألف شريف وزارته الثالثة وكانت هذه أولى ثمار الثورة ، وقد قبل الوزيرين اللذين أشار بهما عرابى ، كما قبل ما رجا منه قبوله رجال العسكرية وهو النظر فى القوانين الخاصة بالجيش وذلك فى نظير أن يخضعوا لحكمه ويبتعدوا عن كل تدخل

وراحت مصر تستقبل فى تاريخها فترة من أسعد الفترات فلقد نالت أمانيها دون أن تراق نقطة دم ، وخرجت سالمة آمنة من ثورة جديرة بأن توضع إلى جانب أهم الثورات التى قصد بها الحرية فى تاريخ الإنسانية ؛ ثورة جديرة بأن توضع إلى جانب ثورة سنة ١٦٨٨ فى انجلترة وإلى جانب الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية الكبرى ؛ ولولا ما كتبه المغرضون المبطلون من الأجانب عنها ، وما ضرب به الاحتلال على الآذان والقلوب فحال بين المصريين وبين تاريخ قوميتهم الحقيقى لكان لتاريخ هذه الثورة شأن غير هذا الشأن فى هذا البلد المسكين

ولقد كان المستر بلنت فى مصر يومئذ فوصف تلك الأيام السعيدة بقوله[1] : « إن ثلاثة الشهور التى أعقبت هذا الحادث لهى من الوجهة السياسية أسعد الأيام التى شهدتها مصر ، ولقد أسعدنى الحظ بمشاهدة ما جرى فيها بعينى رأسى فلم أتلق معلوماتى عنها بطريق السماع ولو كان ذلك لشككت فى حقيقتها . إنى لم أر فى حياتى ما يشبه هذه الحوادث وأخشى ألا أرى مثلها فى المستقبل إن كل الأحزاب الوطنية وكل أهالى القاهرة قد اتفقت كلمتهم هنيهة من الزمن على تحقيق هذه الغاية الوطنية الكبرى ، لا فرق فى ذلك كما يظهر بين الخديو والأمة ، ومرت فى مصر رنة فرح لم يسمع بمثلها على ضفاف النيل منذ قرون فكان الناس فى شوارع القاهرة حتى الغرباء منهم يستوقف بعضهم البعض يتعانقون وهم جذلون مستبشرون بعهد الحرية العظيم الذى طلع عليهم على حين غفلة طلوع الفجر إثر ليلة مخيفة حالكة الظلام »

تقدم الزعماء والعلماء إلى شريف بالعرائض يطلبون إعادة تشكيل مجلس شورى النواب ؛ وما كان شريف فى حاجة إلى مثل هذا الطلب إذ كان فى مقدمة ما ينتويه تقرير مبدأ الشورى وتثبيت قواعد الدستور وليست هذه أولى محاولاته فى هذا السبيل

ودعا وزير الحربية عرابياً ، فأفهمه رغبة الحكومة أن يسافر بفرقته إلى رأس الوادى ، وأن يسافر عبدالعال إلى دمياط . فقبل عرابى ذلك ، ولكنه اشترط أن يصدر أمر الخديو بانتخاب النواب قبل السفر ، ولا ريب أن هذا الشرط من جانب عرابى خروج منه على ما أخذه على نفسه من عدم التدخل فى شؤون الحكومة ؛ وهى نقطة لا يسعنا إلا أن نحسبها عليه . بل ونلومه عليها مهما كان ما ينطوى عليه طلبه من خير للبلاد ، ومهما كان فى هذا الطلب من معانى حرصه على الدستور والحياة النيابية ، وبخاصة إذا كان على رأس الحكومة رجل مثل شريف .

أما عن امتثاله لأمر الحكومة بقبول السفر ، فهو أمر فى ذاته — على الرغم مما أحيط به من اشتراط — يعد من محامد عرابى . إذ يدل على مرونة وكياسة ورغبة فى التفاهم شتان بينها وبين ما يعزوه إليه خصومه وجاهلوه من الحماقة والنزق والعنف فى كل ما يطوف بهم من سيرته . كما أنه يقدم بطاعته هذه دليلاً آخر على حسن طويته ونبالة غرضه فيما سعى إليه .

وفى اليوم الرابع من أكتوبر سنة ١٨٨١ رفع شريف إلى الخديو مذكرة يلتمس فيها موافقته على دعوة مجلس شورى النواب ، ولم يكن للخديو بد من إجابة رئيس وزرائه إلى ما طلب وما كان أغنى توفيقاً عن أن يعطل هذا المجلس لو أنه كان يحسن

(١) المسألة المصرية لروتستين : تعريب العبادي وبدران ، والعبارة المذكورة بقلم الأستاذين المعربين

النظر فى عواقب الأمور . إن البلاد اليوم لتحس أنها تصل إلى بغيتها نيلا لا سؤالاً ، ولسوف يكون لهذا الإحساس أثره فيما هى مقبلة عليه من الحوادث .

وخرج عرابى فى اليوم الثامن من ذلك الشهر يقصد السفر بفرقته إلى رأس الوادى ، وكان قد سبقه إلى السفر إلى دمياط عبد العال . وسار عرابى بطريق الحسينية حتى وصل إلى مسجد الحسين رضى الله عنه . « فوقف الآلاى مقابلاً للمسجد تعظيماً وإجلالاً لسبط الرسول عليه الصلاة والسلام » ؛ ودخل عرابى المقام الحسينى مع الضباط : « وأمر بيرق الآلاى على الضريح الشريف » . ثم سار بعد ذلك نحو المحطة . فما كاد يتوسط المدينة حتى ألفى الشوارع مكتظة بالناس ، وإنهم ليهتفون باسمه فى حماسة ويحيونه تحية الزعيم المنقذ ، ويلقون فى طريقه الزهر والرياحين

وفى المحطة وجد عرابى جميع ضباط الجيش المصرى وجمهوراً من الأعيان وذوى الحيثية وعدداً هائلاً من عامة الناس فاحتفوا بمقدمه ، وكانت توزع الحلوى وتنثر الزهور فى فناء المحطة ؛ وكان يتسابق الخطباء والشعراء فى تمجيد ذلك الذى جرى اسمه على كل لسان فى مصر ؛ ووقف عرابى فى هذا الجمع خطيباً فقال : « سادتى وإخوانى : بكم ولكم قمنا وطلبنا حرية البلاد وقطعنا غرس الاستبداد ، ولا ننثنى عن عزمنا حتى تحيا البلاد وأهلها ، وما قصدنا بشعبنا إفساداً ولا تدميراً ، ولكن لما رأينا أننا بتنا فى إذلال واستعباد ولا يتمتع فى بلادنا إلا الغرباء حركتنا الغيرة الوطنية والحمية العربية إلى حفظ البلاد وتحريرها والمطالبة بحقوق الأمة ، وقد ساعدتنا العناية الإلهية ومنحنا مولانا وأميرنا الخديو ما طلبناه من سقوط وزارة المستبد علينا السائر بنا فى غير طريق الوطنية ، وتمتعنا بمجلس الشورى لتنظر الأمة فى شؤونها وتعرف حقوقها كباقى الأمم المتمدنة فى العالم ، ومن قرأ التواريخ يعلم أن الدول الأوروبية ما تحصلت على الحرية إلا بالتهور وإراقة الدماء وهتك الأعراض وتدمير البلاد ، ونحن اكتسبناها فى ساعة واحدة من غير أن نريق قطرة دم أو نخيف قلباً أو نضيع حقاً أو نخدش شرفاً ، وما أوصلنا إلى هذه الدرجة القصوى إلا الاتحاد والتضافر على حفظ شرف البلاد » . وهتف عرابى بحياة الخديو واهب الحرية ، وحياة الجيش ، وحياة الحرية ، ثم امتدح الوزارة ورئيسها ووصف البارودى بقوله : « رئيسنا الوطنى الحر القائم بخدمة الوطن وأهله » . وحذر إخوانه فى الجهادية من الوشاة والحساد ، وحثهم على الاتحاد قائلاً : « البلاد محتاجة إلينا وأمامنا عقبات يجب أن نقطعها بالحزم والثبات وإلا ضاعت مبادئنا ووقعنا فى شرك الاستبداد بعد التخلص منه » . ولنا فى هـذه الفقرة الأخيرة فى خطبته عودة كما أن لنا عودة إلى فقرة غيرها نكتفى الآن بالإشارة إليها وهى قوله : « وقد فتحنا باب الحرية فى الشرق ليقتدى بنا من يطلبها من إخواننا الشرقيين على شرط أن يلزم الهدوء والسكينة ويجانب حدوث ما يكدر صفو الراحة »

واستقبل عرابى بحفاوة كبيرة فى المحطات التى وقف بها القطار كما حدث فى الزقازيق حيث كان على رأس مستقبليه فيها أمين بك الشمسى ووقف عرابى يخطب الناس هناك فكان مما قاله « أما القوة فنحن رجالها ، ولا ننثنى عن عزمنا وفى الجسم نفس ، وأما الفكر فهو منوط بأميرنا الأعظم ووزرائه الكرام . وأما العمل فهو منوط بكم فإن القوة والفكر يعطلان بفقد ثروة تربتنا الطيبة المباركة ، وقد طلبنا لكم مجلس الشورى لتكون الأمور منوطة بأهلها ، والحقوق محفوظة لذويها »

وقال عرابى فى خطبة أخرى بالزقازيق « وأنتم الآن مهيأون للانتخاب فلا تميلكم الأهواء والأغراض لانتخاب ذوى الغايات بل عولوا على الأذكياء والنبهاء الذين يعرفون حقوقكم ويرفعون المظالم عنكم » ولم ينسه فى هذه الخطبة عن امتداح الخديو ووزرائه وهتف فى ختامها قائلاً « يعيش الجناب الخديو »

وفى الزقازيق دعى لوضع أساس المدرسة الأميرية فذهب ووضع الحجر الأساسى باسم الخديو قال « وتلوت على الحاضرين خطبة ذكرت لهم فيها فوائد التعليم ومنافعه وفضل العالم على الجاهل والبصير على الأعمى ، وحرضتهم على الاهتمام بأمر تعليم أولادهم ليكونوا مستعدين لخدمة بلادهم فى المستقبل »

ثم سافر عرابى إلى رأس الوادى بعد أن أولمت له عدة ولائم فى دور بعض وجوه مديرية الشرقية مسقط رأسه ، وليس يخفى ما ينطوى عليه من معان تكريم هـذا الفلاح الذى نشأ فى بيت متواضع ، على أيدى هؤلاء السادة والكبراء ؛ ففى ذلك أول مظاهر الديموقراطية الوليدة فى هذا الوادى الذى خضع قبل ذلك زماناً طويلاً لمظاهر السيادة والأرستقراطية

« يتبع » الخفيف

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤١٢ — والله لا أدرى أنا

أمين الدين الحوباني الصوفى :

مت فى عشق ومعشوق أنا ففؤادى من فراق فى عنا
غبتُ عنى فتى أجمنى ؟ أنا من وجدى منى فى فَنا !
أيها السامع تدرى ما الذى قلتُه ؟ والله لا أدرى أنا ...

٤١٣ — أرانى وإياكم طرائق قددا

فى (ثمار القلوب) : قال ابن عائشة : كان للحسن بن قيس ابن حصين — ابن شيبى : وابنة حرورية [١] وامرأة معتزلة ، وأخت مرجئة [٢] ، وهو سنى جماعى [٣] فقال لهم ذات يوم : أرانى وإياكم طرائق قِدَدا [٤]

٤١٤ — أول من قال (واى ويه ، واى ويه)

فى (الأغانى) : لما قال ابن مناذر [٥] (فى رثاء عبد المجيد الثقفى [٦]) :

ولئن كنت لم أمت من جوى الحزن (م) عليه لأبلغن مجهودى
لأقيمن مأتماً كنجوم الليل (م) زهراً يلطمن حر الخدود
موجعات يبكين للكبد الحرى (م) عليه وللفؤاد العميد [٧]

قالت أم عبد المجيد : والله لأبرنّ قسمه ، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه ، وقامت تصيح عليه : (واى ويه ! واى ويه !) فيقال : إنها أول من فعل ذلك ، وقاله فى الإسلام

٤١٥ — الجد

قال أبو حيان التوحيدى : قال أبو غسان البصرى — وقد ذكر جاهلاً مجدوداً — إن الجدّ ينسخ حال الأخرق [١] ويستر عيب الأحمق ، ويذبّ عن عرض المتلطخ ، ويقرب الصواب بمنطقه ، والصحة برأيه ، والنجاح بسميه . والجد يستخدم العقلاء لصاحبه ، ويستعمل آراءهم وأفكارهم فى مطالبه ، ولو عرفت خبط العاقل وتعسفه وسوء تأتيه [٢] وانقطاعه إذا فارقه الجد ، لعرفت أن الجاهل قد يصيب بجهله ما لا يصيب العالم بعلمه مع حرمانه

قال أبو حيان : فقلت له فما الجد ؟ وما هذا المعنى الذى علقت عليه هذه الأحكام كلها ؟

فقال : ليس لى عنه عبارة معينة ، ولكن لى به علم شافٍ استفدته بالاختبار والتجربة والسماع العريض من الصغير والكبير ، ولهذا سُمع من امرأة من الأعراب ترقص ابناً لها وتقول : رزقك الله جدًّا يخدمك عليه ذوو العقول ، ولا رزقك عقلاً تخدم به ذوى الجدود

٤١٦ — البياض لباس حزن

قال بعضهم فى لباس أهل الأندلس البياض فى الحزن مع أن أهل المشرق يلبسون فيه السواد :

ألا يا أهل أندلس فطنتم بلطفكم إلى أمر عجيب
لبستم فى مآتمكم بياضاً فجئتم منه فى زى عجيب
صدقتم فالبياض لباس حزن ولا حزن أشد من المشيب [٣]

٤١٧ — الفضيلة الجامعة والرذيلة المفرقة

فى (الكلم الروحانية) : قال أفلاطون : الفضيلة تجمع أهلها على المحبة ، والرذيلة تفرق بين أهلها بالتنافر والبغضة : ألا ترى

---

(١) حرورية : خارجية ، فى اللسان : حروراء موضع بظاهر الكوفة تنسب إليه الحرورية من الخوارج لأنه كان أول اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا عليا وهو من نادر معدول النسب إنما قياسه حروراوى

(٢) المرجئة تقول : لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، وتؤخر حكم صاحب الكبيرة إلى القيامة فلا يقضى عليه بحكم ما فى الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار (الشهرستانى)

(٣) نسبة إلى الجماعة : جماعة أهل السنة

(٤) مفترقة مختلفة . فى الكشاف : القدة من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق

(٥) فى الكامل : لمحمد بن مناذر فى شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه ، وحلاوة كلام المحدثين بمصره ومشاهدته

(٦) اعتبط عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى لعشرين سنة ، وكان من أجمل الفتيان وآدبهم وأظرفهم (الكامل) مات عبطة إذا مات شابا صحيحا (الأساس)

(٧) من قصيدة جيدة روى (الكامل) جلها و (الأغانى) أبياتا منها

---

(١) الخرق : الحمق والجهل

(٢) تأتى لحاجته إذا ترفق لها وأتاها من وجهها ، وتأتيت لهذا الأمر تهيأت (اللسان ، الأساس)

(٣) ولابن شاطر السرقسطى :

قد كنت لا أدرى لأية علة صار البياض لباس كل مصاب
حتى كساني الدهر سحق ملاءة بيضاء من شيبي لفقد شبابي
فبذا تبين لى إصابة من رأى لبس البياض على نوى الأحباب

أن الصادق يحب الصادق ، ويستنيم إليه[1] ، وكذلك الثقة مع الثقة ، والحسن الخلق مع الحسن الخلق ، وترى الكاذب يبغض الكاذب ، والسارق يخاف السارق ، وكل واحد منهما حذرٌ من مجاورة صاحبه .

٤١٨ – دعوة مظلوم !

فى (تاريخ بغداد) لابن الخطيب : قال جعفر لأبيه ابن خالد ابن برمك – وهم فى القيود والحبس – : يا أبت ، بعد الأمر والنهى والأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود ولبس الصوف والحبس ؟! فقال له أبوه : يا بُنى ، دعوة مظلوم سرت بليل غفلنا عنها ، ولم يغفل الله عنها . ثم أنشأ يقول :

رب قوم قد غدوا فى نعمة زمنا والعيش ريّانُ غدق[2]
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

٤١٩ – الإرشاد فى خرق الأدب المعتاد

فى (فتوحات محمد بن عربى[3]) :

بتنا ليلة عند أبى الحسن بن أبى عمر ابن الطفيل بأشبيلية سنة (٥٩٢) وكان كثيراً ما يحتشمنى[1] ويلتزم الأدب بحضورى ، وبات معنا أبو القاسم الخطيب وأبو بكر ابن وسام وأبو الحكم بن السراج وكلهم قد منعهم احترام جانبى الانبساط ، ولزموا الأدب والسكون فأردت أعمل الحيلة فى مباسطتهم . فسألنى صاحب المنزل أن يقف على شىء من كلامنا ، فوجدت طريقاً إلى ما كان فى نفسى من مباسطتهم فقلت : عليك من تصانيفنا بكتاب سميناه (الإرشاد ، فى خرق الأدب المعتاد) فإن شئت عرضت عليك فصلاً من فصوله . فقال لى : أشتهى ذلك . فمددت رجلى فى حجره ، وقلت له : كبّسنى ! ففهم عنى ما قصدت ، وفهمت الجماعة فانبسطوا ، وزال ما كان بهم من الانقباض والوحشة ، وبتنا ليلة فى مباسطة دينية

(١) من المجاز : استنام إليه : سكن سكون النائم (الأساس)

(٢) عيش غدق : مخصب واسع . قال الزجاج : الغدق (بالفتح) المصدر والغدق (بالكسر) اسم الفاعل . وقرئ بهما : لأسقيناهم ماء غدقا . والغدق الكثير (اللسان ، الكشاف)

فى (تاريخ الطبرى) : قال الأصمعى : سمعت يحيى بن خالد يقول : الدنيا دول ، والمال عارية ، ولنا بمن قبلنا أسوة ، وفينا لمن بعدنا عبرة

(٣) فى (القاموس المحيط) : ابن العربى أبو بكر المالكى وابن عربى محمد بن عبد الله الحاتمى الطائى . وفى (نفح الطيب) : كان بالمغرب يعرف بابن العربى بالألف واللام واصطلح أهل المشرق على ذكره بغير ألف ولام فرقا بينه وبين القاضى أبى بكر بن العربى

(١) احتشم منه وعنه ولا يقال احتشمه وأما قول القائل . لم يحتشم ذلك فإنه حذف من وأوصل الفعل (اللسان ، التاج) وفى الحشمة والاحتشام أقوال كثيرة للغويين ، والحشمة الغضب والاحتشام التغضب أيضا

« النيل » نعسان ...

نفثة من لياليه الساهرة

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ذهبتُ لهُ ... والأنجمُ البيضُ حوَّمٌ
على خمرِه كالطير تحسو وترشُفُ
لها رعشةٌ مسحورةٌ فى جَنانه وهمسُ حديثٍ فى الحنايا مرفرف
صبتْهُ الرُّؤى فانساب نعسان مثلما
على راحةِ المحبوبِ هوَّم مُدْنَفُ ...
وتمَّ كالجبَّار ميْسَلَهُ الكرى
وفى فمهِ ذكرى البطولاتِ تهتف !
عتىٌّ يهابُ الدهرُ حرمةَ ساحِه
ويفزَعُ إعصارُ الزمانِ المطوَّفُ
فكيف تغشَّاه الكرى ؟! وسجا بِه
وسجَّاه فى الأحلامِ سرٌّ مُغلَّف؟!
خشوعٌ وتسبيحٌ وطهرٌ ... كأنهُ
بِكفِّ الليالى أو بِكفَّىْ مصحفُ !
وصمتٌ على الشطآنِ أسمع خلفه صدى الأبدِ المخنوقِ للرُّوح يعزف
وألمحُ أشباحَ الفراعينِ فوقهُ
رهابينَ تتلو اللوحَ والليلُ « أسقف »
ودنيا أغانٍ فى الضِّفافِ نشدتها فعدت وأوتارى من اليأس تهرف
فيا « نِيلُ » كاشِفنى السريرةَ واسقنى
من الغيبِ سُلوانى إذا كنتَ تعرف
أتيتُك مذبوحَ الخيالِ معذَّباً وكأسى من سمِّ البليَّاتِ تنزف
وفى صدرى المهدودِ جُرحٌ وخنجرٌ
ونارٌ على خدَّيهِ بالرُّوح تعصفُ
وذكرى على شطَّيك حنَّ لعهدها وجُنَّ عليها عاشقٌ متلهِّفُ
فهلْ فيكَ للمحزونِ دمعةُ راحمٍ
تُراق على ذكرى الحبيب وتذرفُ ؟! ...

« وزارة المعارف » محمود حسن اسماعيل

ســـوانح طائفة !

للأستاذ أحمد فتحى

قضيت بالشعر من دنياى أوطارى طوبى لدنياى أو طوبى لأشعارى
هذا البيان، وعندى تبر معدنه أدَّى إلى المجدِ معياراً ، بمعيارِ
يا للرَّوائع ، كم تجلو عوارِفها ليلَ الحوادثِ عن صُبْحٍ وأنوار
وددت أدركُ من شعرى وحكمته ماغابَ عن فِطنتى فى غيب أستار
قلَّبْتُ فيه وجوهَ الرأى أجمَعها
وطالَ فى البحثِ تجوالى وتَسيارى
ثم انثنَيت إلى نفسى أسائلها هل يكسونَّ البيان الهيكل العارى
وما انتفاعُ أخى الأشعار عاليةً بصاغة الحمدِ، من حشد وسُمَّار
وليس كالهاتفِ المصغِى، وإن خلقَتْ
ديباجتاهُ ، ولا كالكاتبِ القارى !
ألست بالصائغ الشعر الذى هتفتْ به المواكبُ فى ساحٍ ومِضمار
ماذا أفدْت بأشعارى ورَوعتِها سوى عُلالةِ تخليدٍ لآثارى ؟!
وما الخلود بميْسور لعارِيَة ... غير الخسيسين من ترب وأحجار
ماذا أصابَ امرؤ القيسِ الذى عرفوا
من عبْقريَّتِه مأثورَ أخبار ؟!
غنَّت بآياته الأجيال واستبقتْ تُزجى له الحمدَ فى موروث أسفار
ولاتَ حين ثناء ليس يَسمَعُهُ إلا الذى صاغهُ من جود مكَّار !
فِيمَ الثناء على الموتَى، أتمنحُهم دُرَّ المدائح ، قنطاراً ، بقنطار ؟
وهل يَردُّ عليهم طِيب عيشِهمو طِيبُ الثناء ، إذا وافى بمقدار ؟
ياضيعةَ الشعر، إن لم تمتلئ يَدُهُ بدرهمٍ ، يكفلُ الدنيا ، ودينار

* * *

ياهاتِفَ الوحى أقصِرْ زدْتَنا شجَناً
وهجْتَ بَرْحَ الجوَى، من بَرْحِ تذْكار
ماحيلةُ الشعر فى قوم إذا احتشدوا فى أهلِه كلَّ طبَّال وزمَّار ؟!
حِمَى البيانِ استباحوه، وكان له محض التجلة فى قُدس وإكبار
قضوا ابتذالته فى الأرض وانبعثوا يستأرون بغايات وأوطار
إنى لأبصره هيمان مطَّرحاً .. يشكو الجناية من إيذاء أغرار
مُرَوَّعاً تتراى الكارثات به .. وتبتليه بزلزال وإعصار !

بضاعةً تهبطُ الأسواق كاسدةً ... لا بائعٌ رابحٌ فيها ، ولا شارِ
وكان بالأمس أغلى ما يُعزُّ به ... مجدُ القبائلِ ، فى بيدٍ وأمصار
يُعلِى ويُدنِى، كما شاءت رغائبُه ... رفعاً وخفضاً ، لأقدارٍ، وأقدار
يَبنى ويهدِم دنيا الخلق من عجَبٍ ... كأنه قُدْرة فى كفِّ جبَّار !
ويرزُقُ الناسَ دنيا من فواضلِه ... فيحاء ، تُزهَى بجنَّات وأنْهار
إذا تَبسَّمَ فالأكوان باسِمةٌ ... كأنها الروضُ فى إشراقِ آذار
وإن تَجهَّمَ فالأيامُ عابِسةٌ ... نكراء تَرْمِى بأكدارٍ وأوضار
فما لِدولته دالَت ، ومال بها ... إلى الحضيض ملام الشانئ الزارى
كأن قومى رأوا أفضل الجحود على ... أصحابه ، فأثابونا بإنكارِ !
والشعرُ أوْلَى بإعلاء وتكرِمة ... لكن جُزينا على فضلٍ بأصغار!
أم هذه شِرْعةُ الأيام، من سَفهٍ ... تختالُ ما بينَ إقبالٍ وإدبارِ
وقد تعزَّيت عن يومى بأمس، وفى ... غدى القريب رجاء غيرُ مُنْهار!

* * *

بنى العروبةِ هذا صوتُ شاعركم ... كأنهُ نغمٌ من عزْفِ أوتار
تلمَّسوا المثلَ الأعلى لديه ، وكم ... يستلهمُ الحقُّ من آياتِ أشعار
ولا تضيقوا به إن يَرْم عَدِيكمْ ... بموجعٍ من شديدِ القولِ هدَّار
قد يبلغُ الشعبُ بالآداب ساميةً ... ما ليس يبلغُه بالسيف والنار
دعوكمو من قديم المجدِ ، وانتبذوا ... ذاكَ الفَخارَ ، بتاريخ وآثار !
المجدُ يحظَى به الساعِى إليه وفى ... جنبيه قلبٌ جَليدٌ غير خوَّار!

(القاهرة) ... احمد فتحى

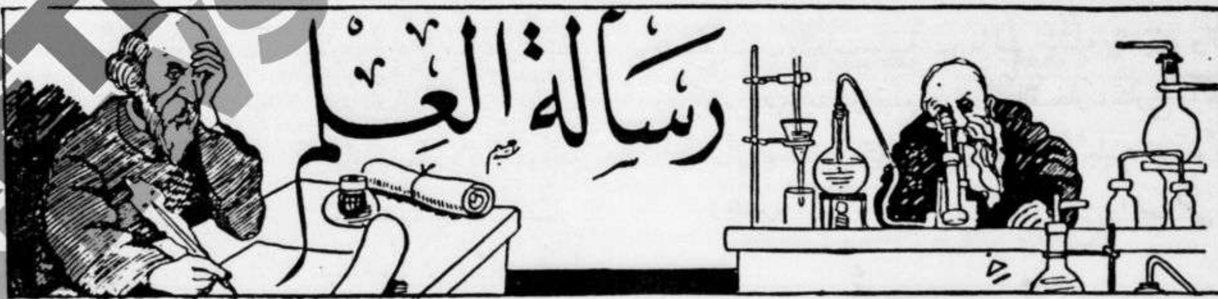
أمنيـــة

[لما ابتسم الربيع ابتسمت]

للآنسة جميلة العلايلى

يا خالق الحسن هبنى الحسن أجمعه ... علّى من الحسن أروى روح ظمآن
قد شفنى الحسن ممنوعاً فأرقنى ... صوت ملحٌ وراء الأفق نورانى
روح تهادت وشاق الروح فتنتها ... إلى عوالم لم تخطر بحسبان
هبنى الكمال وهبنى صورة وضعت ... فى الخلد ما بين أضواء وألحان
قلبى من الشوق أوصال ممزقة ... يرجو لقاء فؤاد حالم حان
روحاً أذوّب روحى فى مناعمها ... كأنها لم تكن روحاً لإنسان

جميلة العلايلى



غرفة ولسون

اتجاهات حديثة فى العلم التجريبي — هذه أنابيب النيون عيون خير من عيوننا — كيف كشف أندرسون البوزيتون — غرفة ولسون هى أقصى ما بلغه العلم التجريبي من العظمة والدقة

للدكتور محمد محمود غالى

دعوت ذات مرة العالم الكبير جيبه A. Guillet أستاذ السوربون لمشاهدة بعض تجارب كنت أقوم بها خاصة بدراسة ميوعة السوائل ، فلبى دعوتى وشرفنى بحضوره من السوربون إلى معهد باستير ، وظل ردحاً من الوقت يروح جيئة وذهاباً أمام الحوض الزجاجى الذى أعددته لإجراء هذه التجارب .

مضت أيام صعدت بعدها سلم السوربون واستأذنت فى زيارة الأستاذ ، وعند ما دخلت معمله وجدته يقوم ببعض التجارب العلمية الخاصة بالميوعة أيضاً ، ولا أدرى إن كانت زيارته السالفة هى التى جعلته يهتم بهذه الناحية التجريبية من البحث العلمى ، التى أعلم أنها عند الأستاذ أقل شأناً من غيرها ، ولا سيما فى وقت كنت أعلم درجة اهتمامه بالخطوات التجريبية الخاصة بالمرناة[١] (التليفزيون) .

أما موضوع دراسة الميوعة الذى شغل الأستاذ جيبه فهو خاص بالطيران ، ذلك أنهم يؤملون أن تتمكن الطائرات يوماً ما أن تطير فى الطبقات العليا من الجو التى يسمونها « ستراتوسفير » ويزيد ارتفاعها عن ١٤ كيلو مترا ، وقد دلت التجارب على أن الطائرة فى هذه الحالة تخترق طبقات من الجو تزيد درجة الحرارة فيها عن ٥٠ درجة ، وطبقات أخرى تنقص فيها درجة الحرارة عن الستين ، وهو ما حدث للعالم بيكار ، عند ما صعد فى كُرته التى صنعها من الألمونيوم .

ويتحتم مع هذا الاختلاف فى درجة الحرارة دراسة خواص الزيوت المستعملة فى الطائرات : أى دراسة ميوعتها مع درجة الحرارة ، والعوامل الطبيعية الأخرى ، وإلا صعب استعمال هذه الزيوت فى محركات الطائرات .

وجدت الأستاذ أمام بندول بسيط من الخشب من صنعه أو صنع عامل فى معمله ، وهذا البندول يُوَصِّل تياراً كهربائياً ويقطعه فى كل مرة يَهْتزُّ فيها ، ورأيت أمام العالم أنبوبة صغيرة من أنابيب النيون التى شاع استعمالها الآن فى الإعلانات ليلاً فى الشوارع ، وكرة نحاسية معلقة بسلك يحمل فى أحد أطرافه مؤشراً يدور دوران السلك فتدور معه الكرة فى السائل المراد اختباره ، وكلما أكمل البندول هزة اتصل أحد أطرافه بحوض من الزئبق ، فيمر التيار الكهربائى وتتوهج الأنبوبة التى لا تلبث أن تنطفئ بمبارحة البندول للزئبق ، وهكذا كلما كان السائل مائعاً تأخرت الكرة قليلاً فى دورانها عن السلك الحامل لها أى عن المؤشر ، وهذا المؤشر لا يظهر للعين إلا فى الفترات القصيرة التى تتوهج فيها أنبوبة النيون[١]

التفت إلى الأستاذ وقال مشيراً إلى أنبوبة النيون : « هذه

---

(١) المرناة هو لفظ وضعه الأستاذ على الجارم بك تعريبا لكلمة « تليفزيون » وهي من الفعل رنا أى نظر .

١) هذه الطريقة الستروبوسكوبية لدراسة ميوعة السوائل تنسب للأستاذ جيبه وهي منشورة فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى المجلد ٢٠٠ بتاريخ ٢٩ ابريل سنة ١٩٣٥ ص ١٥٢٢

عيون أحسن بكثير من عيوننا » ، وهو بهذا التعبير الصادق يلخص لنا الاتجاهات الحديثة فى العلم التجريبى ، الذى بات لا يعتمد على حواسنا كما كان الحال فى زمن قريب بقدر مايعتمد على الوسائط الطبيعية .

والواقع أن العين وهى أعظم ما نملكه من حواس هى جهاز متوسط لا يُعَدُّ شيئاً مذكوراً بجانب الوسائط العلمية الأخرى التى تفوقها حساسية وتَعْظُمها دقة ، ولو أن الإنسان اعتمد فى كل ما يرجوه من تقدم فى أعماله التجريبية على حواسه ، لما تقدم العلم للحد الذى هو فيه اليوم ، ولما اختلف كثيراً العهد الذى نعيش فيه عن أقدم العهود

إنما ذكرت تجارب جيبه واستعماله غاز النيون والظاهرة المعروفة باسم «الستروبوسكوبى» Stroboscopie[1] لأبين للقارئ الاتجاهات الحديثة فى العلم التجريبى ، فلا تُرْجِعَنّ المسائل للمحسوسات وحدها ، وإلا اعدنا لعصر الإغريق عندما كان الدليل الفلكى لا يزيد على بضع مئات من النجوم ، أو عصر العرب عندما كنا نقضى عشرة أيام لكى نسافر من القاهرة للأسكندرية ، حيث كنا مجبرين أن نتبع فوق ظهر الإبل حركتها الدورية أكثر من مائة ألف مرة ، وهى الحركات الناشئة عن خطوات الجمل الذى يحملنا بتثاقل لقطع مثل هذه المسافة البعيدة جداً فى العهد المنصرم والتى أصبحت على طرف الثمام فى العهد الذى نعيش فيه .

* * *

وهكذا فى معظم التجارب الطبيعية اليوم لا تأتى العين إلا فى المرحلة الأخيرة منها. ولعل أحسن ما أقدمه من مثال للقارئ هو أن أشرح له « غرفة ولسون » ، وهو جهاز يرسم لنا مسارات الأشعة الكونية ، وهى الأشعة التى قدمنا أنها آتية من عوالم بعيدة

(١) يطبقون اليوم هذه الظاهرة فى نواحى عملية عديدة فيدرسون بواسطتها مثلا الأثر الذى يحدث فى القطع المختلفة للآلات وهى فى حالة الحركة فنستطيع أن نرى قاطرة ثابتة أمام أعيننا لا تتحرك فى وقت نديرها بسرعة تزيد عن مائة كيلو متر فى الساعة ، وتوجد محطة تجارب لقاطرات السكك الحديدية من هذا النوع فى « أيفرى » من ضواحى باريز ، حيث ترى رأى العين القطع المتحركة فى القاطرة ثابتة فى وقت تصم حركتها فيه الآذان

لا نعرف مصدرها ، وتخترق طبقات الجو وما يقابلها من مادة ، والتى قدمنا أنها مكونة من الكترونات وبوزيتونات سريعة ، وهى أصغر ما نعرفه من الجسيمات المكونة للذرة

هذه الغرفة يتضاءل مجهود العين بجانب ما يدور فيها من حوادث جسام ، لا تدركها العين إلا بعد أن تصبح لهذه الحوادث آثار تدل عليها ، وهو نوع من التحايل التجريبى ، وُفِّق إليه العلماء كل التوفيق

ويتكون الجهاز من وعاء بداخله مكبس يُغَير ضغط ما بداخله من غاز أو بخار ، فعند مرور جسيم من جسيمات الأشعة الكونية يحدث عدد من الأيونات فى هذا الغاز وتساعد حركة المكبس فى نفس الوقت على تكاثف قطرات الماء الرفيعة على الأيونات الحادثة وذلك من تخفيف الضغط دفعة واحدة — وهذا التكاثف الذى يحدث عند مسار الجسيمات الكونية يمكننا من رسمها على اللوح الفوتوغرافى فترسم بهذا فى الواقع مسارات الجسيمات الكونية وتسمى هذه الطريقة بطريقة ولسون أو طريقة الضباب لولسون. ولا يفوتنا أن نذكر أن سكوبيلزين Skobelzin فى سنة ١٩٢٩ كان أول من قام برسم مسارات لجسيمات تفوق طاقتها طاقة جسيمات المواد الراديومية ، فكان أول من استعمل طريقة الضباب المتقدمة فى أبحاث خاصة بالأشعة الكونية ، وطريقة ولسون[1] هذه تسمح بمعرفة الطبيعة والطاقة التى عليها جسيمات الأشعة الكونية من درجة انحناء مساراتها واتجاه هذه المسارات ودرجة التأين الحادثة من هذه الجسيمات ، وذلك بتعريض الغرفة لمجال مغناطيسى قوى

* * *

وكم كان عظيما للعلم ورافعاً للعرفان أن تتقدم الأبحاث الخاصة بغرفة ولسون للحد الذى سمحت فيه للعالم الكبير أندرسون Anderson بكشف الذرة الموجبة للكهرباء التى نُسميها بوزيتون Positon وقد منحه المجمع السويدى من أجل هذا الكشف جائزة نوبل للطبيعة

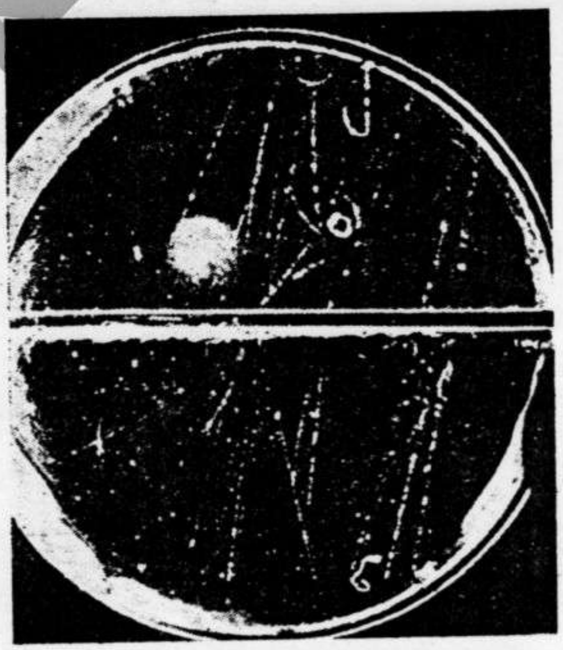
(١) نسبة إلى س . ت . و ولسون C. T. R. Wilson العالم الانجليزى المعروف وهو أول من استعمل طريقة تكاثف البخار عند تمدد الغاز الفجائى فى أبحاثه الطبيعية المرونة

لقد استعان أندرسون فى بادئ الأمر فى تجاربه التى قام بها فى باسادينا ، وكينز Kunze فى تجاربه التى قام بها فى روستوك ، بمجال مغناطيسى قوى يبلغ ١٨ ألف جوس ، فوجدا أن مسارات جميع الجسيمات المكونة للأشعة تنحنى فى مثل هذا المجال القوى ، وبفرض أن كتلة هذه الجسيمات هى كتلة الألكترون فإن طاقتها تقع بين 10^{8} ، 10^{9} ألكترون فولت ، بل تبلغ طاقة بعضها 10^{10} الألكترون فولت ، وقد وجدا بادئ الأمر أنه بينما ينحنى نصف هذه الجسيمات فى اتجاه معين داخل غرفة ولسون ، ينحنى النصف الثانى فى الاتجاه الآخر ، مما يدل على أن شحنة نصف عدد هذه الجسيمات سالبة وشحنة النصف الآخر موجبة

على أن استمرار البحوث فى دراسة المسارات المنحنية فى اتجاه الجسيمات الموجبة الذى قام به أندرسون أدى إلى كشف غريب يعد من أهم اكتشافات العلوم الطبيعية الحديثة . فى إحدى الفوتوغرافيات العديدة التى قام بها أندرسون ظهر بوضوح مسار لجسيم اخترق لوحة معدنية موضوعة داخل الغرفة ففقد هذا الجسيم باختراقه اللوحة جزءاً من طاقته لدرجة وضح فيها اتجاه الجسيم الذى دل باتجاهه على أن شحنته موجبة . ولقد كان مساره طويلاً للحد الذى لا يمكن اعتباره مع طول هذا المسار « بروتوناً » (نواة الهيدروجين) وكتلة هذا الأخير ، أى البروتون ، تساوى ١٨٥٠ مرة قدر كتلة الألكترون ، عندئذ اقترح أندرسون إمكان وجود جسيم موجب الشحنة قائم بذاته يختلف عن البروتون ، وهذا الجسيم الذى كشفه تقرب كتلته للألكترون عن البروتون وقد سمى فيما بعد « بوزيتون »

ولقد ثبت رأى أندرسون هذا بتجارب أخرى عديدة قام بها بلاكت Blackett وأوشياليني Occhialini اللذان توصلا لتحسين طريقة غرفة ولسون كما توصلا لإثبات ما هتك أندرسون عنه الستار .

وينحصر عمل بلاكت وزميله أوشياليني فى أن تمكنا من أن يجعلا الجسيمات الكونية هى التى تقوم بنفسها بعمل الفوتوغرافيات لها فى الوقت الذى تمر فيه ، وذلك بأن تمر أولاً هذه الجسيمات فى عدادين من العدادات التى سبق أن شرحناها ، فينتج عن التأثر الحادث فى هذه العدادات زيادة فى فرق الضغط الكهربائى وبالتالى حركة ميكانيكية ، هى التى تقوم بتحريك المكبس فى غرفة ولسون ، بحيث أن الغرفة لا تعمل إلا عند مرور جسيم كونى

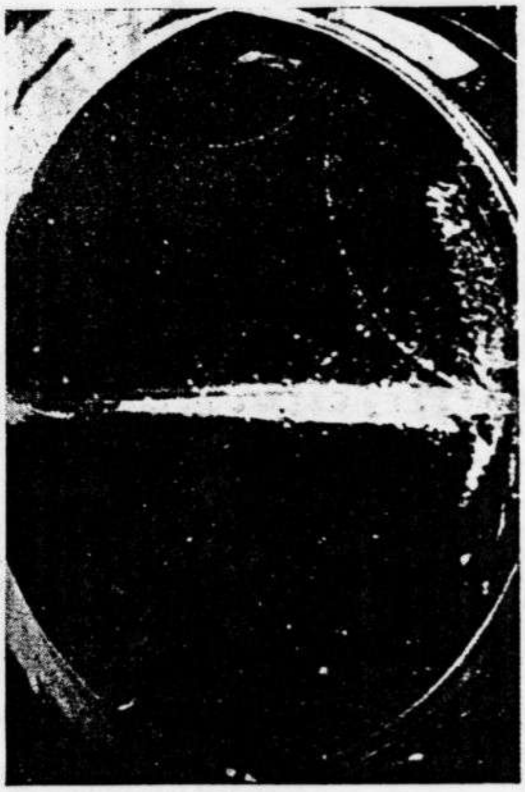


(شكل ١) حزمة تظهر فى الجزء الأعلى لأنبوبة ولسون وحزمة أخرى تظهر فى لوح الرصاص (المجال المغناطيسى ١٧ ألف جوس)

عندئذ بات من المؤكد ألا تحصل هذه الفوتوغرافيات إلا عند مرور الجسيمات الكونية . ومما يجدر بالذكر أنه قبل استعمال هذه الطريقة كان يلزم أن يقوم الباحث بعمل مئات الفوتوغرافيات ليحصل على واحدة أو اثنتين من الصور التى يرى عليها مسارات هذه الجسيمات الكونية ، لأنه عند ما يقوم الباحث بتحريك المكبس والجهاز الفوتوغرافى لا يعلم إذا كان يمر فى نفس الوقت جسيم من الأشعة الكونية ، أما الآن فإنه فى كل مائة صورة ترى حوالى ٧٥ صورة مرسوماً عليها مسارات هذه الجسيمات المتناهية فى الصغر .

ويتلخص الموقف اليوم أنهم توصلوا لعمل أجهزة تسمى عدادات الألكترونات وتوصيلها بعضها ببعض ، بحيث لا تتأثر إلا بمرور جسيم كونى يخترق العدادات معاً ، وأنه بتأثر هذه

العدادات يتحرك المكبس الموجود فى جهاز آخر ، يسمى جهاز ولسون ، كما يتحرك الجهاز الفوتوغرافى ، بحيث أن أصغر مكونات الكون وهو الألكترون عند مروره أو مرور شقيقه البوزيتون يسبب كل منهما حركة كل هذه الأجهزة ، فتسمعه أولاً ثم ترى مساره ثانياً ، بل ترى أثر ما أحدثه من تهدم وتفتت فى ذرات المادة التى اخترقها



(شكل ٢) زوجا ألكترون وبوزيتون يظهران فجأة فى غرفة ولسون من أبحاث شادويك (Chadwick) وبلاكت (Blackett) وأوشياليني (Occhialini) منشورة فى محاضر الجمعية الملكية الانجليزية المجلد ١٤٤ ص ٢٣٥ (١٩٣٤) ، (Nature) جزء ١٣١ ص ٤٧٨ (١٩٣٣)

وفى الشكل (١) ترى غرفة ولسون وترى حزمة من الجسيمات تظهر فى الجزء الأعلى من هذه الغرفة كما ترى حزمة من الجسيمات المطرودة من لوحة الرصاص الموضوعة داخل الغرفة. وفى الشكل (٢) يرى القارىء زوجين الكترون ، وشقيقه البوزيتون ، الجسيم المكتشف حديثاً ، يظهران فجأة فى غرفة ولسون ، وتعد غرفة ولسون ، وما يدور فيها من حوادث جسام أعظم ما توصل إليه العلماء فى البحث التجريبى .

وإلى اليوم الذى قد يتاح فيه القيام بتجارب أعظم أثراً من التجربة السابقة ، عند ما يتاح للعلماء أن ينتفعوا مثلاً بالطاقة والنشاط الموجودين فى المادة فى مرافق حياتنا المختلفة ، عند ما لا نعتمد فيما نحتاج إليه من طاقة إلى ما هو معروف من الفحم ، والوقود والكهرباء ، عند ما يصبح مصدر ما نحتاج إليه القليل من المادة والتافه من الأشياء ؛ فإن التجربة الخاصة بغرفة ولسون ستظل حتى هذا الوقت من أعظم وأدق التجارب العلمية التى تحققت فى وقتنا الحاضر .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة



تناولوا
الشاى
المثلج
فى
فصل
الصيف
منعش مرطب
للجسم مفيد
للصحة
طريقة عمله
جهز شايا ثقيلاً واسكبه على مبشور الثلج ثم اضف
اليه السكر والليمون او اللبن حسب ما يلائم ذوقك
الشاى الجيد وارد الهند وسيلان وجاوه وسومطرا



دراسات فى الفن

طابعنا المصرى فى فننا

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

منذ أحس المصريون حاجتهم إلى إيجاد كيان ذاتى خاص بهم يميزهم من غيرهم ، وأهلُ الفن منهم يجهدون أنفسهم سعياً وراء فن قومى يكون له طابعه المصرى الخاص الذى إذا اتضح وتجلى ثبت للعالم كله أن مصر لها ذوق فنى قائم بذاته ، وأنها بذلك الفن أمة جديرة بالاعتناء حقيقة بأن تمضى بين الشعوب الحية فى هذا الزمان ؛ فإنه لا شىء يميز أمة من أمة إلا الفن، لأنه النتاج النفسى المعبر عن إحساسهم والذى لا يحسه غيرهم، ولا يمكن أن يحسه غيرهم إلا إذا عاش معهم فى ثنايا مجتمعهم وعلى أرضهم وتحت كل المؤثرات المادية والمعنوية التى تؤثر فيهم . وهذا شىء يستلزمه الفن وحده ؛ وهو فى هذا يختلف عن العلم الذى تستطيع كل العقول البشرية أن تساهم فيه وأن تتشابه . فأنت إذا ذكرت لأى إنسان الرقم « ٥ » لم يعد أن يطوف بذهنه أن الخمسة مجموعة من الاثنين والثلاثة ، أو من الواحد والأربعة ، ولكنه لا يمكن أن يخطر على بال أحد من غير المصريين أن الرقم « ٥ » له معنى آخر وهو مقاومته للحسد ، ذلك أن هذا التحول بمعنى الرقم الأصلى إلى هذا المعنى العرفى الجديد شىء اصطلح عليه المصريون وحدهم وقد هيأتهم له عوامل ودوافع لم تتخلق فى غير البيئة المصرية ، وهذا التحول الجديد اسمه عند أصحاب البلاغة كناية أو مجاز أو أى اسم آخر من هذه الأسماء التى تشير إلى أن الكلمة قد خرجت عن معناها الأصلى إلى معنى جديد . . .

ولا شىء يصنع هذا الصنيع بالكلمات إلا الفن

هذا والمصرى يتعلم الحساب كما يتعلمه الفرنسى ولكنه لا يعرف للرقم (٥) المعنى الذى نعرفه . إن الفرنسى يدرس الهندسة النظرية كما يدرسها اليابانى ، ولكنه حين يطبقها وحين يخرج بها من العلم النظرى إلى الفن المنفوث فيه من ذوقه وروحه كانت عمارته التى يجمع علمه بالهندسة لإنشائها مختلفة اختلافاً تاماً فى مظهرها وتكوينها عن عمارة اليابانى التى ينفث فيها هو أيضاً من ذوقه وروحه ما ربته اليابان فى نفسه بمناخها ، وطبيعة أرضها وعادات أهلها ، ودينهم وأخلاقهم أيضاً .

فإذا اتفقنا على أن الفن وحده هو الذى يميز الشعوب بعضها من بعض — وهذا أمر أظن أنه قد أصبح ميسوراً أن نتفق عليه — رأينا أهل الفن المصريين الذين أحسوا وجوب ابتداع فن مصرى حديث محقين منصفين وظنهم المسكين الذى طال شوقه إلى العزة الذاتية التى لم يعد لنا سبيل إلى تحقيقها إلا عن طريق الفن ما دمنا قد أدركنا أن الصناعات والعلوم إذا تشابهت فى الأمم لم يكن هذا مما يمس كيانها الذاتى ، وما دمنا مؤمنين بأننا متخلفون فى هذه الآفاق جميعاً عن غيرنا فلن نلحقهم فيها إلا بعد جهد .

نحن إذن لا نملك إلا أن نعجب بكل فنان مصرى يعمل لإنشاء الفن المصرى أو ينادى بإنشائه لأن فى عمله هذا سعياً إلى تثبيت عزتنا القومية .

ونريد الآن أن نتعرف الطريق الذى يؤدى بنا إلى هذه الغاية النبيلة ، وقد يرى القارىء بعد الكشف عن هذا الطريق أن مصر لا تزال عذراء وهى المليحة الحسناء ، وأن الفنان المصرى الظمآن إلى الجمال لا يزال بعيداً عنها كل البعد يبحث عن عروسه فى الفضاء ، وفى الهواء ، وهى تكاد تتخاذل من الشوق إليه ، وتكاد تستخذى من كثرة ما تبرجت وازينت وخطرت أمام بصره

وتهادت أمام بصيرته ، وهو يأبى إلا أن يغمض دونها عينيه ، وأن يغلف دونها نفسه كأنما هو يتقيها اتقاء وكأن بينه وبينها ثأراً .

وقد يحسن قبل أن نزف هذه العروس إلى هذا المتعشق الحيران أن نحدثه عنها قليلاً

فما هى مصر ؟

هى أولاً هذه الأرض التي تعرفها والتى تتشكل الطبيعة فيها بثلاثة أشكال بارزة قد ترادفها أشكال أخرى . أما هذه الأشكال البارزة فهى هذه البيئات الجغرافية الثلاث : بيئة الصحراء ، وبيئة الريف ، وبيئة السواحل . وأما البيئات الأخرى فنذكر منها بيئات المدن ، والواحات ، والبحيرات . ومصر هذه يشقها من الجنوب إلى الشمال نهر النيل ، وتتناثر فى شمالها وشرقها البحيرات ، ويجاورها من الجنوب السودان فيلون أهل جنوبها ببعض لونه الذى يمتصه من بيئته الجغرافية . وتكاد مصر بعد ذلك تنعزل عن أراضى جيرانها

أما سماء مصر فصافية مكشوفة لا تتلبد إلا عند السواحل فقط ، وأما مناخها فمعتدل هادئ أميل إلى الحرارة لا يصطخب ولا يبرد إلا عند السواحل أيضاً

هذه هى بيئة مصر الجغرافية وهى كما ترى بيئة سهلة لا تعقيد فيها ، وقد طبعت هذه البيئة السهلة أهلها بهذه السهولة ،فالمصريون فيهم من الطفولة البشرية ما فى أرضهم وجوهم من الطفولة والسلاسة ، وهذه الطفولة نفسها هى أخصب مجال للفن إذا اتفقنا على أن الفن الصادق هو ما كان مبعثه الحس لا التفكير . والشعب المصرى يشهد بهذه الحقيقة؛ فما من مصرى إلا وله اتجاه فنى خاص؛ وأغلب المصريين يتجهون إلى الغناء والنكتة ، والغناء فن ، والنكتة فن . هذا إلى جانب ما يشيع فى المصريين على مر الزمن من إدمانهم لفن « التدين » الذى آثروه على بقية الفنون فتيسر لهم من ألوانه ما تتابع عليهم وعلى حياتهم منذ ألَّهوا فراعينهم إلى هذا الزمن الذى وحدوا فيه الله توحيداً صريحاً ، ولكنهم مع هذا التوحيد أبوا إلا أن يتزلفوا بالتقديس إلى أرباب القباب من الموتى ، وأهل الزعامة من الأحياء

فالشعب المصرى إذن شعب فنان لأن أرضه تبعث الفن بما لها من السهولة والنقاء

فإذا فرغنا من دراسة مصر جغرافياً وجب علينا أن ندرسها بعد ذلك اجتماعياً . وقد لا يجهدنا هذا الدرس إذا سلكنا إليه أقرب السبل فقلنا : إن المصريين سكان هذه الأرض المتشكلين بأشكالها ، هم إما صحراويون طبعتهم الصحراء بطبعها ، وإما ريفيون شكلهم الريف بشكله ، وإما ساحليون لونهم البحر بلونه ... ولعلنا نعرف أن كل بيئة من هذه البيئات الجغرافية تؤثر فى طباع أهلها تأثيراً خاصاً ، فأبرز ما يميز أهل الصحراء الشمم لدوام حريتهم وإبائهم الضيم ؛ وأبرز ما يميز أهل الريف الصبر لخضوعهم الإجبارى لنظام الزراعة ومواقيتها ؛ وأبرز ما يميز أهل السواحل روح المغامرة التى يبعثها فى نفوسهم التجول فى البحر . وإلى جانب هذه الصفات البارزة فى أهل كل بيئة من هذه البيئات الجغرافية صفات أخرى لابد أن يحسها الفنان، وقد يستطيع الباحث المتفهم أن يستطلعها

فرغنا الآن من مصر المعاصرة فألممنا بها أرضاً ومجتمعاً . ولكن مصر المعاصرة هذه ليست مصر كلها ، فإن لمصر تاريخاً ماضياً ، وإن لها آمالاً فى المستقبل ، وإن لها فى الحاضر نفسه صلات بغيرها من الشعوب ؛ وتاريخ مصر الماضى يتمم كيانها الحاضر ، ويساهم فى رسم طريق المستقبل وتعبيده ، وإن آمالها التى ترجوها فى المستقبل تحيا فى حاضرها وتوقظ من ماضيها ماتستلزمه وما تريد أن تعتمد عليه ، وإن صلاتها الحاضرة بغيرها من الشعوب والأمم تعمل هى أيضاً فى تبلور كيانها ، ولعل هذه الصلات هى أشد العوامل تأثيراً فى الذات المصرية الناشئة ، ولعلها أشدها خطراً على استقلال هذه الذات ، فهى إذا دبت إلى العلم والصناعة ارتقت بالمصريين ، ولكنها إذا تمكنت من الفن المصرى مضغت مصر وقذفتها إلى المحتكين بها لقمة سائغة

وقد يكون من الخير للانسانية كلها أن تندمج وأن يتوحد ذوقها وحسها ، ولكن يظهر أن هــذه أمنية يصعب تحقيقها ، ويظهر أيضاً أن تحقيقها لن يتم إلا إذا سرى قانون بقاء الأصلح ، فإذا كان هذا حقاً فإنه يتعين علينا أن نجاهد كى نكون من الصالحين حتى لا تلتهمنا الإنسانية إذا كانت ماضية إلى التوحد . وإنها لماضية إليه . وكل الدلائل تدل على هذا المضى وإن كنا نظن أن الفن وحده هو الذى سيبقى مميزاً لأصحاب الأوطان المختلفة بعضهم

من بعض ، وإن كان هذا التميز سيتقلص كثيراً حتى ينحصر في شكل الفن وأسلوبه وبعض روحه إلى أن يشاء الله غير ماشاء منذ جعل الناس شعوباً وأمماً ليتعارفوا

وعلى أى حال فنحن لا نزال فى حاجة إلى فن مصرى قوى . وها نحن أولاء رأينا أن الشعب المصرى مفطور على الفن بطبعه : خلقته فيه بيئته وأرضه؛ فهل استطاع المتصدون لإبداع الفن فى مصر هذه الأيام أن يشبعوا هذا الشعب فناً مصرياً ؟

هل يقرأ المصريون من أهل البيئات المصرية المختلفة ما يكتبه أدباؤنا المصريون؛ وهل يفهمه ويحسه الأميون منهم إذا قرىء عليهم؟

وهل يستطيع المصريون أن يستمتعوا بالصور التى يرسمها رساموهم ؟

وهل يتغنى المصريون بهذه الأغانى التى يرتلها المغنون اليوم ؟

وهل ينشد المصريون هذا الشعر الذى يكتبه شعراؤهم وهل يعطفون عليه ويحبونه ؟

هل يقرر الواقع شيئاً من هذا ؟ كلا ؟ فالواقع يقرر أن أهل الفن عندنا فى واد وأن الشعب المصرى فى واد . ويظهر أن ذلك راجع إلى أن نهضة الفن عندنا صاحبت نهضة الثقافة فخرج الفنانون المصريون من بين المثقفين ، والثقافة المصرية الحديثة كما هو واضح ثقافة مترجمة منقولة ؛ وليتها كانت مترجمة عن أصل واحد قريب من طبعنا ، وإنما هى أمشاج من ثقافات شعوب مختلفة لكل منها ذوق ولكل منها طبع . ولقد كان هـذا الاضطراب سبباً فى اضطراب العقل المصرى المثقف ، واضطراب النفس المصرية المثقفة . فالفنان المصرى المثقف يخرج فناً قد عبثت به الثقافة المضطربة هذه فهو كالخليط المتباعد الأخلاط ، وليس كالمزيج الذى اندمجت عناصره فأصبح بهذا الاندماج عنصراً جديداً له ذات جديدة وكيان جديد

لهذا يستوحش المصريون هذه الفنون المثقفة ، ولهذا يحب المصريون فنونهم الساذجة البلهاء التى ينتجها فنانون لا يعرفهم المثقفون وقد لا يعرفهم الشعب نفسه وإن كان يتعشق فنونهم

لهذا كان علينا إذا أردنا أن ننشىء الفن القوى أن نسلك سبيلاً من سبيلين : فإما أن نصبر على هؤلاء الفنانين المصريين من غير المثقفين حتى يرقوا وينضجوا فيحتلوا مكانتهم التى تؤهلهم الطبيعة لاحتلالها ويكون هذا أمراً طبيعياً لا يعترضه معترض ، وإما أن نخز نفوس المثقفين من أهل الفن عندنا ليتيقظوا من ثقافتهم وليعودوا إلى الطبع المصرى ، وأظن أنه ليس من العسير على الإنسان أن يسترد نفسه ، وأن يسترجع أصله ، وأن يستعيد طبعه وأن يغسل نفسه مما لصق بها من الزيف

ها هى ذى مصر أمام الرسام ، وها هى ذى بيئاتها المختلفة ماثلة أمام عينيه بما فيها من ناس وحيوان ونبات وجماد ، وها هى ذى أخلاق أهليها وعاداتهم تناوش نفسه ما دام يعايش أهلها ويعاشرهم . أفلا يستطيع الرسام المصرى إذن أن يقف وقفات كثيرة عند مظاهر كثيرة ومعان كثيرة من مظاهر الجمال ومعانيه فى هذه البيئات المصرية المختلفة ؟ ! إنه يستطيع لو أنه فتح عينيه واستقبل الصور التى تتلقيانها بنفس مصرية . ولا ريب أن القارىء قد لحظ أن عقائد المصريين — مثلاً — لا تزال بعيدة عن التصوير المصرى . فمن من المصريين رسم صوراً لقصة السيد البدوى ! وللسيد البدوى عند المصريين أقاصيص فيها مواقف تستحق الرسم والتصوير ؟ ومن من المصورين المصريين صور الحاوى المصرى ؟ ومن منهم صور « شيخ الطريقة » ومن منهم صور « بطولة أحمس » ومن منهم صور « غزوة السودان » و « أهل الكهف » و « زفة العروسة » و « رقصة البدو » و « صيد الترسة » و « معركة فى الأسكندرية » و « البحث عن أم الحلول » و « صانع القلل » و « عامل المحلة » و « نكتة رشيد » وما إلى ذلك من الموضوعات المصرية البحتة التى لو أخرجت فى ألوانها المصرية الطبيعية الصحيحة لأرضت كل إحساس وكل فكر .

وها هى ذى مصر عند سمع الموسيقى : لماذا لا يغنى أهل الصعيد هذه الألحان التى تصاغ فى القاهرة ؟ ألأن لهم لهجة فى الكلام غير لهجة القاهريين؟ كلا، فلهجات الكلام لم تكن يوماً حجاباً دون النغم . فها هى ذى الأوبرات الإيطالية تستبق ألحانها وأنغامها كما صاغها ملحنوها ويستبدل بنظمها نظم انجليزى فى انجلترا وفرنسى فى فرنسا وألمانى فى ألمانيا فلا ينفر الانجليز ولا الفرنسيون ولا الألمان من الموسيقى الإيطالية فى هذه الأوبرات مثلما ينفر أهل الصعيد من الموسيقى القاهرية ... فهل يدل هذا على شىء

أكثر من أن اعوجاجاً أصاب الذوق الفني في القاهرة فخرج به على الطبع المصري إذ أراد التجديد؟ أولا يدل هذا على أن أصحاب التجديد قد انخدعوا في تجديدهم إذ أرادوا أن يلاحقوا به تجديد سيد درويش وهم لا يذكرون أن موسيقاه كانت رجعة إلى الطبيعة الإنسانية وصحوة ارتجفت بها الروح المصرية. والدليل على ذلك أن ألحانه التي صور بها بيئات المصريين كانت تعبيراً صحيحاً صادقاً عن النفس المصرية فراجت بين المصريين رواجاً رائعاً، ومنها مالا يزال يطن في الأذن إلى اليوم مثل « طلعت يا ما احلى نورها الشمس الشموسة » و « مليحة جوى الجلل الجناوى » و « ياولد عمى يا بوى » و « ياصلاة أم اسماعيل في وسط عيالها » ...

ويحق علينا ما دمنا نرمى إلى إحقاق الحق أن ننصف الموسيقيين المصريين فنقرر أن الأصوات الطبيعية التي يمكن أن تنقل عن البيئة المصرية الطبيعية قليلة، فليس في مصر زوابع ولا أعاصير ولا أمطار ولا رياح ولا غابات تصفر فيها الريح وتزأر فيها الأسود، ولا شيء من هذا الذي تنعم به البيئات الأخرى، ولكن ليس معنى هذا أن بيئتنا المصرية مجدبة مما يوحى الموسيقى، فإن في هدوئها وتخافت أصواتها ورهبتها وجمالها وخفتها وجلالها، وما في مجتمعها وتاريخها وآمالها ما يصلح لتأليف أنصع الموضوعات الموسيقية المنشودة. ولا يتوقف ذلك إلا على شعور الموسيقيين المصريين ببيئتهم المصرية وما فيها.

ونحن الآن مع الأدباء أمام الحياة المصرية. وللأدب في مصر مشكلتان لا مشكلة واحدة: أولاهما مشكلة «الموضوع» التي تعرضنا لها في الرسم والموسيقى، وأخراهما مشكلة «اللغة» فنحن في مصر نتكلم لغة ونكتب أخرى. ولغتانا على تقاربهما الشديد مختلفتان لا يمكن أن ينكر اختلافهما إنسان. وعلى أساس ما قررناه كان أقرب الأدب إلى طبع المصري هو أقربه إلى لهجته وكلامه إذا عالج موضوعات من حياته كما يفعل الأديب المصري الصادق محمود بيرم التونسي، فأدبه مستخلص من الحياة المصرية، ومؤدى باللسان المصري.

على أننا نستطيع أن نتصور اللغة العربية الفصحى، وقد راجت بين المصريين إذ تعلموا القراءة والكتابة، ومع هذا فإننا لن نستطيع أن نتصور أن هذا سيمحو ضرورة اتصال الأدب المصري بالحياة المصرية. فالتساهل في أمر اللغة لا يؤثر في روح الأدب. وإن للمصريين ذوقاً وطبعاً إذا لم يظهرا في الأدب المصري كان أدباً عربياً أو غير عربي، ولكنه على أي حال لن يكون أدباً مصرياً. وقد يحس القراء معي أن في شعر الشاعر الفذ محمود حسن اسماعيل تحقيقاً لهذا الذي نرجوه. فهو وإن كان يكتب باللغة العربية الفصحى فإنه لا يطرق إلا موضوعات مصرية صحيحة، ولا يؤديها إلا أداء مصرياً سليماً يلحظ فيه الذوق المصري وإن لم يتقيد فيه باللفظ المصري.

فإذا تركنا هذه الناحية الناعمة من الذوق المصري وعرجنا على الادب في جوهره رأينا الأقلية من الكتاب والأدباء هم الذين يعالجون الموضوعات المصرية، ورأينا هؤلاء الذين يبسطون للناس أدباً مصريًّا صحيحاً متهمين بأنهم أدباء « شعبيون » بعد تحويل الوصف الشعبي من معنى المدح إلى معنى الذم

عزيز أحمد فهمي

من هنا ومن هناك

الدعاية فى ألمانيا

نشرت مجلة ذى انترنشنال نازى التى تصدر فى لندن مقالاً طريفاً عن الدعاية الألمانية رأينا أن نلخصه لقراء الرسالة ليلموا بنوع جديد من أنظمة النازى يشمل سائر بلاد العالم

فى ألمانيا نظام للدعاية واسع النطاق كثير الشعب والأنحاء حتى ليُعجز عن الوصف

ولا يقف هذا النظام على وكالة واحدة تقوم بهذا الغرض ، ولكن الدعاية فى ألمانيا لها أقسام وإدارات مختلفة متصلة جميعها بوزارات الحكومة وإداراتها. وقد تمتد مراكزها إلى أقصى جهات المعمورة وتجتمع جميعها فى مركز واحد يدبر شئونها ويشرف عليها

ووزارة الدعاية فى ألمانيا يشرف عليها دكتور جوبلز ، ولها جيش من مراسلى الصحف فى جميع أنحاء العالم يدخلون فى عداد موظفى الحكومة ، وهى تشرف على ما لا يقل عن ثلثمائة جريدة فى مختلف الممالك . ولها مخبرون أكفاء يغذون تلك الصحف فى بلاد لجنوب أمريكا والشرق الأقصى . وقد أنشئت محطات عديدة للاسلكى لنقل الأخبار إليها من الجهات النائية لجزائر الهند الشرقية . وهى تسخر لأغراضها وكالات السياحة الألمانية وبواخر الريخ وتسيطر على جميع وسائل الدعاية

ويراقب قسم الدعاية الصحف الأجنبية فى مختلف بلاد العالم حتى إذا كتبت صحيفة فى أية جهة شيئاً لا يتفق وروح الدعاية الألمانية يصل إليها علمه فى الحال . وتُوزاع التعليمات السرية على الصحف يومياً؛ وكل مخالفة لهذه التعليمات تعد خيانة

وأهم وكالة للدعاية العامة هى الوكالة الأجنبية للحزب الاشتراكى الوطنى وتتصل بالجمعيات الألمانية فى جميع أنحاء العالم ولا يقل عددها عن ثلاثين ألفاً ويشرف عليها أرنست بوهل الذى قضى أيام طفولته فى جنوب أفريقيا ، ولم يدخل ألمانيا إلا سنة ١٩٢٠ وهو فى السادسة عشرة من عمره

والألمان الذين يعيشون فى الخارج يجب أن يكونوا تحت تصرف القنصلية الألمانية فى البلاد التى يعيشون فيها ، ويتصلون بجمعيات النازى المحلية على الدوام ، وبذلك يكونون تحت تصرف الحكومة . وكل مخالفة لأوامر النازى قد تعرض الشخص للحرمان من الجنسية الألمانية ، وإلغاء تصريح السفر الذى منح له ، كما أنها تعرض أسرته للضغط والاضطهاد داخل ألمانيا

وهناك نظام خاص لتعليم هؤلاء الذين يقومون بالدعاية فى الجهات الأجنبية ، ففى ألمانيا مدرسة تحت إشراف دكتور روزنبرج، وأكاديمية فى ميونيخ يديرها كارل هوشوفر

وكل أستاذ ألمانى أو معلم يقبل الخدمة فى الخارج ، لا بد أن يقضى وقتاً فى الدراسة بهذه الأكاديمية . والطلبة الذين يسافرون إلى مناطق بعيدة عن ألمانيا يجب أن يلتحقوا بجماعة « الطلبة الألمان » فى تلك الجهات

وتوضع رقابة شديدة فى الموانئ على المؤلفات التى تصدر إلى البلاد الأجنبية أو التى ترد منها ، فلا يخرج منها كتاب يخالف مبادئ النازى فى شىء من الأشياء ، ولا تبيح للأدب المخالف للنازى الدخول إليها . وهذه الرقابة تشمل المسافرين على المراكب الألمانية كيفما كانت جنسيتهم

ولم تكتف الدعاية الألمانية بمراقبة القراء الألمان واتصالهم بالرأى العام فى الخارج ، فقد أصرت على سحب النسخة التى طبعت فى فرنسا من كتاب « كفاحى » لبعض كلمات علق بها على معاملة هتلر لفرنسا

وترتكب حوادث القتل والخطف فى سبيل الدعاية تحت إشراف الحكومة وبمعاونتها ؛ ومن أشهر تلك الحوادث خطف الصحفى اليهودى برتولد جاكوب ، ومقتل دكتور دولفوس

هل نحن مسوقون إلى الهمجية ؟

تتضارب الأفكار فى العصر الحديث ، فهو عصر تطورت فيه شئون العالم ، واختلفت فيه المبادىء المقررة إلى درجة لم يعهد لها مثيل ! كل ما فيه جديد يدعو إلى إطالة التفكير ، فهل نحن مسوقون مع هذا إلى تحقيق آمال الإنسانية فى التقدم والرقى ، أم نحن مسوقون إلى الهمجية ؟

والمقال التالى ملخص عن ذى أنديان ريفيو ، التي تصدر فى مدراس بقلم أستاذ بجامعة الهند ، وهو يبين وجهة من وجهات النظر فى هذا الموضوع: «إذا كان معنى المدنية تقدم العالم ورفاهته، وتضحية الفرد فى سبيل مصاحة المجموع؛ وإذا كان معنى المدنية ضبط النفس وكبح جماحها، فيجب علينا أن نقول إننا منذ الحرب العظمى نسير بخطى واسعة نحو الهمجية

ففى مدى القرن التاسع عشر كانت آمالنا تمتد وتتسع ، حتى أصبحنا نعتقد أننا لسنا بعيدين عن عصر ذهبى عظيم ! فالعلوم تسير بخطى كبيرة نحو التقدم ، تاركة للانسان السيطرة على قوى الطبيعة المختلفة ؛ والديمقراطية تنشر لواءها على سائر بلاد العالم المتمدن ؛ والرأى العام يحترم فى كل مكان ؛ والمثل العليا تقود الإنسان نحو التقدم فى سائر أنحاء الحياة .

ولقد جاءت الحرب العظمى بعد ذلك بقواها المدمرة ، فشتتت العائلات ، وأزالت عن المرأة قناع العفة والحياء ، ولم يكن أحد ليفكر فى هذه الحال إذ ذاك ، لانصراف الأمم جميعها إلى أمر واحد وهو كسب الحرب .

فبعد أن وضعت الحرب أوزارها أنشئت عصبة الأمم ، فطرب لها العالم وظن الناس أن العصر الذهبى المرموق قد ظهرت بشائره تحمل معها الأمن والإخلاص ، حيث يحل حكم العقل والعدالة فى كل مكان ، وينصرف الخوف والجزع عن الأمم الضعيفة ، فتصبح فى مأمن من اعتداء جاراتها القوية

ولكن تلك الأمانى لم تلبث أن تقشعت ، وحل محلها ذلك التفكك فى عرى الروابط العائلية والوشائج الوطنية . وحلت الأباحية محل العفة وضبط النفس ، وذهب الإخلاص والطهر من الرجل كما ذهبا عن المرأة ، وحل محلهما الطمع وإشباع الشهوات واختفت الرغبة فى الزواج فراراً من تحمل أعباء الزوجية

إن هذا الانقياد للشرور وعدم الخضوع لقانون العقل والعرف يدلان على أن الهمجية تهددنا وتقترب منا يوماً عن يوم

ولقد ظهرت هذه الميول الوحشية فى شؤوننا السياسية . لقد كانت الأمة تخجل أن تهاجم أمة أخرى قبل أن تمهد لذلك بأعذار يقبلها العقل، وكان الرأى العام يحسب له حساب

ولكن القاعدة المتبعة الآن تخالف ذلك كل المخالفة، فيكفى أن تكون الأمة راغبة فى التوسع والرقى وتبوء مكانها تحت الشمس كما يقولون ، لتعتدى على استقلال جاراتها

لقد جاء زمن كان الواجب يقضى فيه على الأمة المحاربة أن تعلن الأمة الأخرى بأن تستعد لمحاربتها ، ولكن قد بطل كل ذلك فى ضمير الأمم الآن . والرأى أن تأخذ عدوك على غرة وتسلط الهزيمة مباشرة عليه

ولم يعد فى عرف الأمم الحاضرة ضرورة لحماية الأطفال والنساء من خطر الطيارات . وقد بطل العمل بالقوانين التى تمنع الاعتداء على المستشفيات وأماكن التعليم والعبادة . وأمنت الوحشية على تلك القلوب المتحجرة أن الخسائر التى تحملها الطيارات بالنفوس البشرية عمل من أعمال الإنسانية حيث تقضى عليها فى أمد قصير !

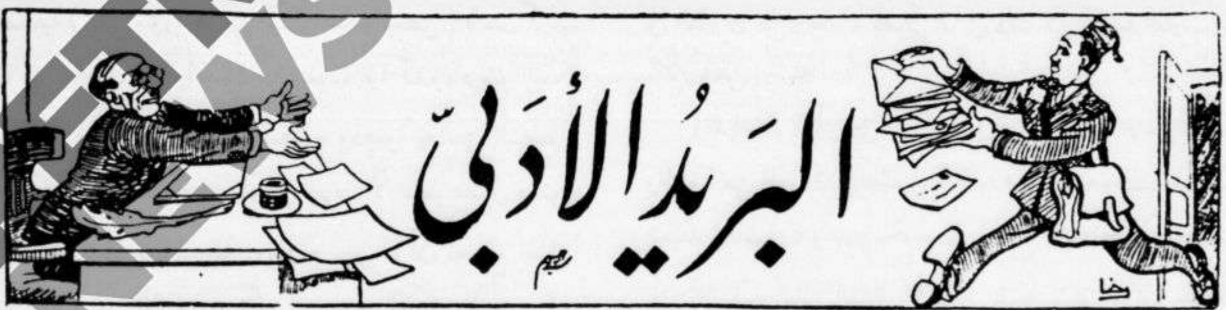
ولا يباح الآن للأمة الصغيرة أن تضع سياستها بنفسها ، ولكن الأمم القوية هى التى تضع لها السياسة التى تسير عليها .

فإذا رفضت أن تعمل تحت إمرتها كان رفضها كافياً لتدميرها . ولقد فقدت ثقة كل أمة بمقاصد جاراتها فلا ثقة اليوم إلا بالتسليح

إن ما انتهت إليه حال عصبة الأمم ، وما كان يوضع فيها من الآمال والمبادئ السامية التى أصبحت أثراً بعد عين ، لما يدعو إلى الأسف الشديد .

ولقد رأينا كيف يقضى على حقوق الفرد ويعتدى على حرية الرأى حتى أصبحت أسماء لا مسمى لها فى بلاد كألمانيا وروسيا وإيطاليا، وأصبح كل نقد يوجه إلى هذه الحال يقابل بمنتهى الشك

وهكذا حيثما وجهنا النظر وجدنا المدنية تتدهور يوماً بعد يوم والعالم المضطرب يسير وسط هذه الزعازع كسفينة بغير سكان، يقودها ملاحون مخبولون نحو الهاوية التى ستدفعها إلى القاع .



١ — على هامش محاضرة حافظ عفيفى باشا

كلام حق ومنطق سديد ؛ وآراء فى التربية والتعليم يندر أن نسمعها فى هذا البلد ، لأن الجرأة فيه متقاعدة والصوت المخالف يرق فجأة حين يجب الصراخ

سرد حافظ عفيفى باشا فى محاضرته (الجامعة الأمريكية ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٩) عيوب التعليم فى مصر ، فأخذ فيما أخذ على الشباب انصرافهم إلى السياسة عن التحصيل ، وقعودهم عن مواصلة الدرس والاطلاع بعد نيل الشهادة ، وشغفهم بالتوظف وقلة « ثقافتهم المعنوية » ، وفى رأى المحاضر أنه لا بد من إصلاح نظم التعليم . وفى رأيه أيضاً أن أساس الإصلاح إنما هو إعداد المدرس الصالح

وما أظن أحداً من أهل الفطنة والدراية يخالف حافظ عفيفى باشا فى تلك الآراء ، بل أعرف نفراً من المفكرين المصريين يرونها ؛ إلا أن قصة المدرس الصالح والمربى العارف لا تتم على الوجه المرضىّ ما دام أمر التدريس والتربية فى أيدى « أولئك الموظفين المخضرمين الذين نشّأهم المستشار دنلوب على آلية التعليم حتى صارت فيهم عقيدة ، وأخذهم بـ (روتين) (أى بجمود) النظام حتى أصبح لهم فطرة ... » كما قال الأستاذ أحمد حسن الزيات فى العدد السابق من الرسالة .

أطلبوا الشباب وانظروا إلى الدول الناشطة : إلى ألمانية وإيطالية وأمريكة الشمالية . أما سئمتم الخدَر والنعاس ؟!

٢ — حماية نفائس دار الآثار العربية

فى الرسالة رقم ٣٠٤ أخبرتك بأن المسيو فيت ، وهومدير دار الآثار العربية فى مصر أقبل على الإرسال بثمانمائة قطعة من نفائس الدار إلى باريس لتمد معرض الفن الإسلامى المزمع إقامته هنالك ، وزدت أن وزارة المعارف وقفت دون ذلك .

ومما اتصل بى أن المسيو فيت لا يزال يسعى فى إخراج تلك النفائس من الدار . وقد بينت فى المقال السابق الأسباب التى من أجلها يمتنع خروجها امتناعاً . وحسب وزارة المعارف أن تتمسك بقانون دار الآثار . وحسبها أن تسأل المتحف المصرى هل يأذن فى خروج محفوظاته كلما قام معرض فى بلد من البلدان . ولا أحب أن أعود إلى التبيين والتدليل ، لعلمى أن أصحاب الأمر فى وزارة المعارف يغضبون لخروج تلك النفائس غضبى لذلك ، وأنهم يغارون عليها وبها يعتزون . أعلم هذا ، ولذلك أسألهم أن يأمروا بإعادة القطع إلى الحيطان ؛ إذ بعضها لا يزال فى الصناديق المجهزة للرحيل ، وبعضها مطروح على الأرض ينتظر أن يُفصل فى أمره . رحم الله الفن ... !

هذا وما فاتنى أن أذكره لك فى المقال السابق أن طائفة من نفائس دار الآثار العربية ليست مما تملكه الدار . بل هى مودعة لديها من جانب وزارة الأوقاف . وإنى أعلم أيضاً أن على رأس وزارة الأوقاف من يكره أن يتجوز فى مثل هذا .

٣ — الاعتراف بجلال الفلسفة العربية

فى المجلة الفرنسية الرفيعة Les Cahiers du Sud الخارجة فى مرسيلية (عدد فبراير سنة ١٩٣٩ ص ١٨٥ — ١٨٩) أن الأب هكتور تيرى Hector Théry من أساتذة المعهد الكاثوليكى فى باريس ألقى محاضرات فى الفلسفة العربية واليهودية للعصور الوسطى ؛ ومما قاله :

« إن العرب فى ذلك العهد يسبقون اللاتين بمئات من السنين ؛ ومذاهبهم تنشأ وتتحول على خلاف المذهب المسيحى . بل لنا أن نتحدث عن غلبات الإسلام المعنوية للفكر اللاتينى . فإن العرب الأرسطوطاليين فتحوا الأذهان فتحاً بالرغم من الجروب

الصليبية (يعنى ماوراءها من الكراهية والبغض) فانبثت كتبهم فيما يلى ديارهم ، فهزُّوا بذلك من عقولنا الراكدة وفرضوا الفكر اليونانى على اللاتين بعد أن صفَّوه وذهبوا به حتى الشطط . وهكذا ترى أرسطو المعرب أو قل العرب الأرسطوطاليين يعينون على تفسير العقيدة المسيحية ... وإنه ينبغى لنا أن نصحح نظراتنا التاريخية (يعنى الاعتراف بتأثير العرب فى التفكير المسيحى)

« وما أقرب الفلسفة العربيـة من الإنساني ! والدليل أن أصولها تجاوز مبادئ الإسلام والمسيحية لتصير إلى الفلسفة بمعناها الأعم . وفى هذه الفلسفة من الجلال Grandeur ما جعل شراح العقيدة المسيحية يقعون تحت سلطانها .. إنما العرب أساتذة المدرسة الكبرى للفلسفة ! »

٤ – والمخرج الآخر ؟

فى الرسالة رقم ٣٠٥ عجبت كيف رفضت شركة مصر للتمثيل والسينما تجديد عقد الأستاذ نيازى مصطفى المخرج الحاذق . وقد فطن صاحب الأمر الأعلى لتلك الشركة أن استبعاد الأستاذ نيازى ليس من الحكمة فى شىء ، فما أبطأ أن أمر بتجديد العقد

وإذا الشىء بالشىء ذكر فهل نسأل من بأيديهم أمر الفرقة القومية : متى يُيسَّر للأستاذ زكى طليمات أن يسترد عمله ، وهو المخرج المصرى ، بل المخرج الوافر الخبرة الكثير الفن ؟

حتَّام يستبعد أهل الكفاية فى هذا البلد إذا بدت منهم الدراية ؟

بشر فارس

احياء ذكرى عبده الحامولى

عقد معالى الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف اجتماعاً للنظر فى وضع برنامج للاحتفال بذكرى الفنان المرحوم « عبده الحامولى » . وقد شهد هذا الاجتماع معالى مصطفى عبد الرازق بك ومعالى جعفر والى باشا وخليل مطران بك ومصطفى بك رضا والأستاذ محمد عبد الوهاب والأستاذ زكريا أحمد وغيرهم من رجال الفن والأدب

وقد بدأ معالى الوزير الاجتماع بإشارته إلى مافى إحياء ذكرى العظماء من تربية الشعب على الطموح ، وتذوق نواحى العظمة فى الغابرين من رجاله ، فضلاً عما فى ذلك من توجيه القلوب إلى تقدير الفن ومحبته

وقد استقر الرأى على تأليف لجنتين فرعيتين إحداهما من الأدباء، والثانية من الموسيقيين ، لدراسة النواحى الأدبية والفنية فى حياة «عبده الحامولى» وعصره ثم وضع برنامج للاحتفال بذكراه

ثم ختم معالى الوزير الاجتماع بقوله : إن وزارة المعارف ستقوم فى مناسبات مختلفة بإحياء ذكرى العظماء الذين مروا فى تاريخ مصر فى مائة السنة الأخيرة

المكتب الفنى فى وزارة المعارف

تفكر وزارة المعارف فى إنشاء مكتب فنى يضم طائفة ممتازة من أدباء المدرسين ، ليكون صلة بين وزارة المعارف والأدب الحر ، ويكون له الرأى فى الكتب العربية التى تختار الوزارة أن تكون فى أيدى تلاميذ المدارس . وهى فكرة نافعة تحقق كثيراً مما دعت إليه الرسالة فى مناسبات عدة . على أن نجاح هذا المشروع مشروط بحسن اختيار الوزارة لأعضاء هذا المكتب ، بحيث لا يضم إلا الممتازين حقاً من المدرسين الأدباء ؛ وإنهم لكثيرون فى وزارة المعارف ، ينقصهم حسن الرعاية ليكونوا من عوامل الإصلاح فى الأدب الجديد

كتاب منتقى الأخبار

جاء فى كتاب المفصل فى تاريخ الأدب العربى للأساتذة المحترمين : أحمد الأسكندرى . أحمد أمين . على الجارم . عبد العزيز البشرى . أحمد ضيف . فى الصفحة ٢٥٨ من الجزء الثانى « ترجمة ابن تيمية هو أحمد بن عبد الحليم ولد بحران سنة ٦٦١ هـ وقدم مع والده إلى دمشق وهو صغير ... إلى أن قالوا وبلغت مصنفاته ثلثمائة مجلد أكثرها فى التفسير والفقه والأصول والرد على الفلاسفة والمبتدعة وأشهر هذه الكتب منتقى الأخبار الخ »

وكتاب منتقى الأخبار مشهور متداول معروف بين الناس وهو فى أحاديث الأحكام ونسبته لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية المشهور بتقى الدين شيخ الإسلام خطأ عظيم ولا سيما من مثل رجال هم من أعلام العلم والأدب فى هذا العصر . وإنى مع احترامى لمقامهم لا أرضى لهم هذا ؛ ولو أنه صدر عن أناس لا شأن لهم لما

نبهت عليه ولما أبهت له ، وكتاب المفصل متداول بين الطلبة وغيرهم فلا يصح أن تبقى غلطة كهذه شائعة فيه بدون تنبيه

أما صاحب منتقى الأخبار فهو الشيخ مجد الدين عبد السلام ابن تيمية وهو جد أحمد بن تيمية المشهور المترجم له فى كتاب المفصل ، وقد شرح كتاب منتقى الأخبار الشوكانى وأسماه نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار وطبع عدة مرات وكذلك منتقى الأخبار طبع منفرداً

ونبه الشوكانى فى أول شرحه على الفرق بين مجد الدين عبد السلام بن تيمية صاحب منتقى الأخبار وبين أحمد بن تيمية المشهور بشيخ الإسلام ، فقال فى أول كتابه : « وسميت هذا الشرح بنيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار ... إلى أن قال : وقبل الشروع فى شرح كلام المصنف نذكر ترجمته على سبيل الاختصار فنقول : هو الشيخ الإمام علامة عصره المجتهد المطلق أبو البركات مجد الدين عبد السلام المعروف بابن تيمية قال الذهبى فى النبلاء ولد سنة تسعين وخمسمائة تقريباً ... قال : وقد يلتبس على من لا معرفة له بأحوال الناس صاحب الترجمة بحفيده شيخ الإسلام تقى الدين احمد بن عبد الحليم شيخ ابن القيم الذى له المقالات التى طال بينه وبين أهل عصره فيها الخصام وأخرج من مصر . وليس الأمر كذلك . . الخ »

هذا كلام العلامة الشوكانى وهو جلى ظاهر لا يحتاج إلى تعليق وقال صاحب كشف الظنون : « المنتقى فى الأحكام لمجد الدين ابن تيمية شرحه السراج عمر بن الملتن الشافعى المتوفى سنة ٨٠٤ ولم يكمله ... الخ »

ابراهيم بس القطان

هل نتكرر ما لنفى النفى ؟

ذكر ابن عقيل فى شرح ألفية ابن مالك أنه يشترط فى عمل ما عمل ليس ألا تكون مكررة. فإن تكررت بطل عملها، نحو ـ ما ما زيد قائم ـ فالأولى نافية ، والثانية نفت النفى ، فصار الكلام إثباتاً .

وكان على ابن عقيل قبل أن يشترط ذلك الشرط الذى انفرد به أن ينظر : هل تجيز العربية هذا الأسلوب أو لا تجيزه ؟ وإنى لا أذكر أنه مر على فى كلام العرب منظومه ومنثوره مثل ذلك الاستعمال ، وإنما يتكرر حرف النفى فيها للتأكيد ، مثل قول الشاعر فى تكرار ما :

لا يُنسك الأسى تأسياً فما ما من حمام أحدٌ معتصما

ومثل قول الآخر فى تكرار لا :

لا لا أبوح بحب بثنةَ إنها أخذتْ علىّ مواثقاً وعهودا

ولست أدرى لم تقول العرب فى الإثبات — ما ما زيد قائم — ولا تقول من أول الأمر — زيد قائم — وقد قامت لغتهم على مراعاة الدقة فى الأسلوب ، بحيث لا يزيدون فيها ولا ينقصون إلا لسبب من الأسباب .

قال بعض طلابى فى الدرس : إنه يجوز أن يكون أصلُ ذلك الأسلوب أن شخصاً قال (ما زيد قائم) فترد عليه قوله بقولك له (ما ما زيد قائم)

فقلت له : إنى إذا رددت عليه بذلك أكون مخطئاً ، لأنه حينئذ يكون منكراً لقيام زيد ، فيجب أن أرد عليه بكلام مثبت مؤكد ، فأقول له (إن زيداً قائم) ولا يصح أن أرد عليه بذلك النفى المتكرر غير المؤكد ، وهذا أمر معروف فى علم المعانى

وقال بعض الشيوخ: إن ذلك الأسلوب لم يرد مثله عن العرب، ولكنه يصح لنا أن نقوله، وهذا يكفى فى تسويغ كلام ابن عقيل

فقلت له : إن مثل هذا قد مضى زمنه ، ولا يمكن أن يقبله الآن أحد منا ، لأن النحو موضوع لكلام العرب لا لكلامنا

وقد ورد أسلوب نفى النفى فى لغة العرب على نحو آخر مقبول يدخل فيه الاستفهام الإنكارى على النفى لأجل نفيه ، لأن الاستفهام الإنكارى يفيد النفى ، ونفى النفى إثبات ، وهذا كما فى قوله تعالى : (أليس الله بكاف عبده) فهو بمعنى قولنا: — الله كاف عبده — ولكنه يفيد ذلك على أبلغ وجه وأحسن أسلوب. وقد قام الإنكار فيه مقام التأكيد اللازم فى الرد على إنكارهم، بل هو أقوى من التأكيد فى اقتلاع الإنكار من أنفسهم. ومن ذلك الأسلوب أيضاً قول الشاعر:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ

وقد قيل إنه من أجل هذا كان أمدح بيت قالته العرب ، ولا شك أن الفرق كبير بينه وبين ذلك الأسلوب الذى أجازه ابن عقيل ، ومع هذا نحب أن نشرك قراء الرسالة فى أمره ، فلعل بعضهم يحفظ عن العرب شاهداً له

عبد المتعال الصعيدى

وفاة السيد عبد الرحمن الإمامي

فجع المغرب الأقصى فى الأيام الأخيرة بفجيعة كان لها وقع كبير فى نفوس الشعب المغربى ألا وهى موت أحد علمائه الكبار السيد عبد الرحمن بن القرشى الإمامى فى العشرين من المحرم، فكانت المصيبة التى ذهل الكل لها. وقد كان الفقيد رحمه الله من الساهرين على المصلحة العامة والمناضلين عنها مضحياً فى ذلك بكل نفيس.

تقلب الفقيد فى وظائف شتى فكان قاضياً مثال العدل والنزاهة ثم كان وزيراً لم يشهد المغرب قط مثله وزيراً صارماً

وقد قنع الفقيد رحمة الله عليه بما فى يديه فانقطع لعبادة الله ونشر العلم تاركاً الدنيا ولم يخلف فيها ديناراً ولا درهما

وتقديراً لهذه الحياة العامرة بجلائل الأعمال قامت نخبة ممتازة من شباب جامعة القرويين وأسست لجنة دعت الناس إلى حفلة تأبين للفقيد فى اليوم الأربعين من وفاته، فكان الحفل رائعاً. ووافق يوم الأربعين يوم الخميس ٢٩ صفر سنة ١٣٥٨ وكان يوماً مشهوداً تجلت فيه العواطف المغربية حزينة كئيبة. وقد اختارت اللجنة أن يكون محل التأبين الدار التى كان يقطنها الفقيد آخر حياته

وقد افتتح الأستاذ احمد الشبيهى الحفلة مرحباً بالحضور، ثم أعقب ذلك آيات من الذكر الحكيم فسكوت مقدار قراءة الفاتحة على روح الفقيد، فمقال الأستاذ الرئيس أتى فيه على حياة الفقيد بإسهاب، فمقال لوزير المعارف الأستاذ محمد الحجوى، فقصيدة لقاضى مدينة سكات احمد سكيرج. فقصيدة لقائد قبائل أولاد جامع محمد بوعشرين، فقصيدة لمبية سمو الخليفة السلطانى بفاس الأستاذ محمد غريط، فمقال للأستاذ بجامعة القرويين العباس المرانى، فمقال لمفتى سلا أبى بكر زنيبر، فمقال للكاتب بالبلاط السلطانى العربي ابن سودة، فمقال لعالم مدينة مراكش محمد بن الموقت. فخطب وقصائد كثيرة للنخبة الممتازة من طلبة الجامعة

« فاس » اللجنة القروية

حول تشبيه

سأل سائل من كرام العراقيين فى الموصل عن وجه الشبه فى تشبيه هجرة الأميرة فوزية إلى طهران بهجرة الرسول الكريم إلى المدينة فى الصفحة الثالثة من عددنا الهجرى الممتاز. وجوابنا أن هجرة الرسول كانت عاقبتها قوة الإسلام وعزة المسلمين ووحدة العرب، وهجرة الأميرة نعتقد أنها قبل كل شىء فى سبيل الله وستكون عقباها المؤاخاة بين دولتين من أقوى دول الإسلام فرق بينهما بعد الدار واختلاف اللغة والمذهب؛ وفى هذه المؤاخاة ضمان لحسن الجوار بين إيران والعراق، وتوثيق لصلات التعاون بين المسلمين والعرب. والتشبيه بعد ذلك كله كما يقول البيانيون إلحاق ناقص بكامل. فلا بد أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أقوى منه فى المشبه ولو ادعاء، وإلا عدل عن التشبيه إلى المشابهة ا. ع

تصويب

وقع فى المقال الأخير للأستاذ الكبير العقاد خطآن مطبعيان نصححهما معتذرين:

فى صفحة ٨٨٩ سطر ٢٢ جمهرة الشعراء والصواب: جمهرة القراء
وفى صفحة ٨٩٧ سطر ٢٦ يقبضون على كل زمان والصواب: على كل زمام

ذكرى صديق

دار الفلك دورتين منذ أن ضرب القدر بينك وبيننا يا رافعى بحجاب لا نستطيع أن نظهره ولا تستطيع أنت ... دار الفلك دورتين، والحياة ما تنفك هى الحياة، والناس من حولها فَراش يتهافت على بريق من شعاعها يخطف الأبصار، ويصرف القلوب إلا عن نوازع العيش وحب البقاء، وأنا على حَيْد الطريق أتشوّف، وآسى على قلوب رانت عليها ظلماء الحياة فما تبصر، غير قلبى .. غير قلبى وهو قد ضُمّ على هوى لك فيه، هو به ضنين، فلا يكاد ينسى أنك أنت يا رافعى ...

يا عجباً! هذه الدار على قسوتها لذة يهفو نحوها كل قلب؛ وهذه الدنيا على ما فيها من بلاء جميلة تصبو إليها كل نفس؛ وهذه الحياة على ما نجد فيها من عناء جذابة يبسم لها كل إنسان! تلك سنة الخلق

لقد تواريت عنا ليقول فيك التاريخ كلمته، وخلصت إلى نفسك علّ القلوب تنتزع عنها سخائمها؛ ولكن ماذا كان؟

إنه لا يحزننى ألا أجد المنصف البرئ، فما الخلد مرتبة تؤخذ عن شفاه الناس؛ وليس يؤلمنى أن أرى طائفة من الناس تضطغن عليك وتذهب تريد أن تنال منك ميتاً بعض ما عجزت عنه وأنت حى، فالتاريخ من ورائهم له لسان صدق

ما الإيمان، وما العقيدة، وما الصبر، وما الدأب، وما النشاط وما الحزم، وما الجد، وما السمو، وما الكرم، وما الوفاء، وما ... وما ...؟ أشياء كنت تعرفها وتدين بها وترى فيها الغاية العظمى والمثل الأعلى. فرحمة الله عليك كامل محمود حبيب



حيـــاة الرافعي

تقدير ونقد

للأستاذ أبو الفتوح رضوان

كتاب « حياة الرافعي » للأستاذ محمد سعيد العريان من أجدر الكتب الحديثة باحتفاء الأدباء ، وأحقها بأن يتناولها القارئ تناول تمعن ودرس ، وأن يقول الناقد فيه كلمة تضعه موضعه بين كتب العربية . « فحياة الرافعي » كتاب فريد في المكتبة العربية ليس له فيها شبيه ولم يُنسج على منوال سابق . وذلك لأن فن التراجم لم يستقم لأي من كتاب العربية حتى الآن . نعم إن في العربية كتباً فيها تراجم لشعراء وأدباء طالت أو قصرت لكنها ليست من ذلك في شيء ، إن هي إلا ذكر بعض أخبار الشاعر ونوادره أو بعض ما اتفق له مما يكون بين الإنسان وبين معاصريه . وقد تكون غالبية هذه الأخبار ملفقة مزورة صنعها الرواة إثباتاً لأمر يريدون إثباته أو تعالماً على غيرهم بأخبار الشعراء؛ أما الترجمة التي يقصد بها إلى تصوير المؤثرات التي خلقت أدب الأديب ووجهت شعر الشاعر ولونت فلسفة الفيلسوف ، فليس لها وجود في العربية قبل « حياة الرافعي » . ومن هنا وجب أن يحتفي الأدباء بهذا الكتاب إذ كثيراً ما تموت فنون من الأدب لأنها وجدت فلم يلتفت إليها أحد . فإذا كان أدب الرافعي فصلاً منقطع النظير في الأدب العربي ، فكتاب سعيد العريان عن الرافعي كذلك فصل منقطع النظير

والكتاب حقيق بأن يُحتفى به أيضاً لأنه عن الرافعي الذي أضاف إلى العربية ثروة ضخمة من المعاني والأساليب والبيان والفن ، ثم عقه أدباء عصره فما كان أحد منهم ينظر إليه أو إلى أثر من آثاره إلا بعين مطروفة . ذلك في حياته ، أما بعد وفاته فرحم الله أهل الوفاء . ولقد كتب أحدهم أخيراً مقالة عن أثر المرأة في أدباء العصر ، فذكر من شاء إلا الرافعي ، مع أن رسالة حزن أو سحابة حمراء أو ورقة ورد واحدة كافية لأن يضعه الإنصاف المزعوم في مقدمة من ذكر

وثمة ميزة أخرى لهذا الكتاب ، وهي أنه تاريخ حافل صحيح للأدب العربي في أحدث أطواره . يكشف بجلاء عن كثير من الحوادث التي أثرت فيه ووجهته ، ويوضح حوادث أدبية هامة مرت على أعين قراء العربيـة دون أن يتبينوا حقيقة دواعيها ، ولم يأخذوها على وجهها الصحيح . ثم هو تفسير لا بد منه لأدب الرافعي عامة ولعيون كتبه خاصة لا بد لفهمها من قراءة فصوله

ولقد قرأت « حياة الرافعي » منجمة على صفحات الرسالة ، ثم قرأتها مجموعة في الكتاب ، فكان لي فيها بعض الرأي ، أحببت أن أبديه في هذه الكلمة وفاء للرافعي ، وتقديراً لعمل أحد أولئك الشبان الذين يحسنون ويجيدون ثم يضيع إحسانهم وإجادتهم وسط دوي الأسماء الضخمة في هذا البلد

ولقد بينت فيما سبق قيمة الكتاب من حيث هو كتاب . على أن فيه حسنات أخرى كثيرة لو ذهب القارئ المتمعن يحصيها لاستغرقت مقالة على حدة. ففي الكتاب تمحيص للحوادث دقيق، وفيه اتزان ونزاهة في الحكم ، وفيه لطف في العرض ، وفيه أسلوب مشرق لا يستغرب من أحد أصحاب الإمام الرافعي ، وفيه ما يضطر القارئ الدارس إلى الالتفات والوقوف

على أن في الكتاب بعض ما كان ينبغي أن يسلم منه ، وهذا ما نحب أن تنبه إليه ، فإن جودة العمل محسوبة عليه في ميزان النقد ، والجمال المفرط يظهر أبسط القبح ، وأشد ما تكون الذبابة إيلاماً أن تقف على وجه حسن

ففي الكتاب بعض هنات في الترتيب والتبويب ، أتت من أن المؤلف النابه كتب مادة كتابه مقالات في أول الأمر ، ثم لما

عنّ له أن يجمع تاريخه مسلسلاً فى كتاب تقيد بترتيبها فى المقالات فكان فى بعض فصول الكتاب ما هو قلق فى موضعه يحتاج إلى تقديم أو تأخير. فما موضع فصل « بين أهله » بين فصلى « شعراء عصره » و « من الشعر إلى الكتابة » ؟ أليس موضعه الطبيعى بعد « فى الوظيفة » حتى تتساوق فصول الرافعى الأديب ؟ والحديث عن الرافعى الشاعر موزع بين فصول عديدة متفرقة ولو جمعت كلها بعضها إلى بعض لكان أجدى على وحدة الكتاب. وفصل « شعراء عصره » هو أشبه بفصل « فى النقد » وقد نبه المؤلف إلى ذلك، فأشار إليه عند ما بدأ يتحدث عن الرافعى الناقد، وفصل « فى النقد » مجزأ غير متتابع لأنه نشر فى الكتاب كما كان فى المقالات ولم يدمج بعضه فى بعض، وفى أوائل الفصول كثير من وصل ما انقطع كان ضرورياً فى المقالات المتباعدة وهو فى الكتاب المتلاحق تعطيل للقارئ ومضايقة له، وأشد ما يظهر ذلك فى فصل « فى النقد »، وفى الكتاب بعض تعبيرات لا تتفق مع أسلوب كتاب كأن يقال: « وهذا له موضع غير هذا المقال » مع أن الكتاب لا يكون فيه مقالات وإنما يكون فيه فصول، ولو لم يتقيد المؤلف بمقالاته فى الرسالة ذلك التقيد الشديد لقال: « وهذا له موضع فى غير هذا المقام » أو فى « غير هذا الفصل »

وفى الكتاب بعض الآراء والحقائق تستوقف نظر القارئ المتمعن، نشير إليها على حسب ترتيب ورودها فى الكتاب

ففى ص ١٣ إشارة إلى حارة سيدى سالم قال عنها المؤلف إنها « حارة ضيقة أوى إليها السيد البدوى أول ما هبط إلى طنطا منذ ألف سنة ». وقد كان قدوم السيد إلى طنطا فى سنة ٦٣٤ للهجرة أى منذ ٧٢٤ سنة فقط. وليس هذا من صلب الكتاب ولكنه مما يحسن تصحيحه

وفى ص ١٩ يقول المؤلف إن الرافعى « كان بلغته ولهجته كأنه لم يقدم من سورية إلا منذ قريب » وهو قول لا أظن الأستاذ يعنى به ما يفهمه القارئ منه، فإن لهجة الرافعى — كما سمعناه يتحدث — لم يكن فيها أى أثر للهجة السورية. وكل ما يستغرب منها هى تلك النغمة الحادة التى تشبه الصراخ، والتى أشار المؤلف إلى أنها من آثار ذلك المرض الذى أصابه فى شبابه، فيا حبذا لو أعاد الأستاذ تحقيق هذه النقطة بالرجوع إلى تصوره وهو أعلم بها على كل حال.

وأسند المؤلف النابه فكرة الحب عند الرافعى إلى ما قرأ من أشعار العذريين من شباب العرب. فهل لم يقرأ الرافعى غير أشعار العذريين مع كثرة ما تناول من دواوين الشعراء. ولماذا لم يتأثر بشعراء « الأغانى » وقد قرر الأستاذ أنه كان دائم النظر فى هذا الكتاب وفيه من الشعر والأخبار ما فيه. أليس الأجدر أن يسند ذلك إلى نشأته الدينية التى أشار إليها المؤلف (ص٢٢) وإلى تقاليد أسرته وإلى أنه نشأ تبعاً لكل ذلك «عفيف النظر والشفة واللسان»

ثم ألا يرى المؤلف معى أن عدم شهرة الرافعى بين عامة القراء ليست راجعة إلى أناته وشدة تأنقه فيما يكتب وما ترتب على ذلك من عدم إكثاره من النشر فى الصحف، بقدر ما ترجع إلى بعده عن تملق الجمهور واحتفاظه بأرستقراطية أدبه، وأنه فضل لقرائه ولنفسه أن يرتفعوا هم إليه على أن ينزل هو إليهم، كما أظن أنى قرأت له فى بعض أحاديثه من زمن بعيد.

(البقية فى العدد القادم) أبو الفتوح رضوان

الغدد والحياة

7me Année No. 307

Lundi - 22 - 5 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٠٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٢ مايو سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

مصر العظيمة تستعد !

فى يوم وليـــلة ...

فى يوم وليلة رأينا مصر المبعوثةَ من مرقد الخلد تدخل فى عهدها الجديد الجدّى فتنهض بما توجبه الحياة الحرة من تكاليف الاستقلال وتبعات السيادة !

كان ذلك اليومُ يومَ الخميس الماضى ، وكانت تلك الليلة ليلة الثلاثاء قبله ! فى هذا اليوم كان عرض القاهرة لجيشها الفتىّ فى آلته الحديثة وعدته الكاملة ؛ تخرج من عرائنه الشُّم والصباح الضاحى يتنفس بأريج مايو الجميل ، وسار فى الشوارع الحاشدة يعرض على الأنظار الدَّهِشة قوى الدفاع وأسلحة الأمن وما لا بد منه لمن يعيش فى زمن استذأب وضَرِى حتى أنكر حق الحياة على نوع الحمل

لم تكن المدافع القصيرة والطويلة، ولا الدبابات الخفيفة والثقيلة، هى التى ملكت الألباب وأثارت الإعجاب وفجرت الحماسة ؛ فإن منظر آلات الدمار والموت أصبح لطول ما أَلِفه الحس لا غرابة فيه ولا عجب منه ؛ وإنما الذى ملك الألباب حتى أذهل ، وأثار الإعجاب حتى أدهش، وفجَّر الحماسة حتى أطغى، هو منظر جنود مصر بشبابهم الفاره ، وخَلْقهم السوىّ ، وملامحهم الدالة ، ومظهرهم

الأخاذ ، ونظامهم الرائع ؛ فكأنما هم جنود ابراهيم لم يلقوا السلاح منذ ارتد قائدهم عن الآستانة . فأين كان مكمن هذه الروح الحربية القوية مدى حقبة من الرخاوة والكسل لو مرت على الضوارى لطمست فى وجوهها معارف الجرأة ، وأماتت فى نفوسها معاني الافتراس؟ لقد كان لنا قبل سبتمبر الماضى جيش من الأرقام متواضع العدد والعدة ، يعيش فى أكناف الشعب عيش الأمان والغفلة ، لا يعرف الحدود إلا على الورق ، ولا يشهد الحروب إلا فى السينما ، ولا يدرك معنى الدفاع عن النفس فى وجود انجلترا إلا كما تدركه الزوجة المرفهة فى وجود زوجها ، والولد المدلل فى حضرة أبيه .

فكيف انقلب هذا الجيش الصغير الغرير فى سبعة أشهر جيشاً من المردة العتاة يقيم المعاقل على البحر ، وينحت الخنادق فى الصخر ، ويروض أوعار الأرض لإقدامه ، ويذلل أخطار السماء لقوادمه ، ويضع الخطة فلا تخطئ ، ويسدد الرمية فلا تطيش ، ويقف جنباً إلى جنب مع الجيش الذى قهر نابليون وهزم غليوم وغنم الدنيا ، فلا يفوقه فى نظام ، ولا يفوته فى سبق ، ولا يبذه فى مناورة ؟ ألسر فى معدن هذه الأرض التى جعلت للزمان تاريخاً وللانسان مدنية . والسحر فى طبيعة هذا الفلاح الذى طبع آثاره على جباه القرون وسلطانه على قلوب الأمم . وفرخ النسر لا يعلَّم كيف يصيد ، وشبل الأسد لا يدرَّب كيف يفترس !

***

وفى تلك الليلة كانت تجربة الدفاع الجوى عن القاهرة . ففى عتمة الليل والناس لاهون صاحت الأبواق المنذرة بالغارة فى كل حىّ ، فأطفئت الأنوار وأسدلت الأستار وخشعت الأصوات وسكنت الحركات ، وأقفرت الشوارع إلا من رجال الشرطة والمطافئ والإسعاف ، وجثم على صدر العاصمة كابوس من الرهبة والقلق ، فامتدت العيون خلسة من وراء السجوف ومن خلال النوافذ فلم تر إلا الظلام يموج ، والنجوم تضطرب ، والرقابة تحت الحنايا الآمنة تتهامس ، والمدافع فوق المآذن العالية ترتقب . ثم أقبلت من الحدود الغربية النسور المغيرة فرنَّقت فى جو المحروسة على علو لا يُرى ولا يسمع ؛ ولكن آلات الرصد نبهت الكشافة فأرسلتْ على أطباق الجو الحالك أفواجاً من الأشعة الخاطفة ، تتطاول وتتعارض ، وتتعانق وتتشابك ، حتى لم تدع طائراً يطير إلا صوَّرته فى عدسة مدفع . وفى آخر الهزيع الأول من الليل أعلنت الأبواق بأصواتها المتصلة انقطاع الغارة ، فأشرقت المدينة ، واستأنف الناس حياة اللهو والأنس وهم يشعرون أنهم أصبحوا خلقاً كسائر الخلق لهم قوة لا تُزدرى ، وكرامة لا تمتهن ، وحمى لا يستباح

فى هذه الليلة وفى ذلك اليوم أدركنا أن مصر الناهضة قد بلغت سن التكليف وجاوزت حد العبث ؛ فهى تستعد للحرب والسلام ، وتبنى بالفعل لا بالكلام ، وتقدم إلى ساحة الدفاع المقدس شيوخ دينها وشباب دنياها ، وهى راضية بهذا البذل فخورة بهذه التضحية . والفضل كله للأحداث التى تذيب الغش وتفضح الزيف وتمحص الكفاية

***

لا جرم أنا كسبنا مغانم الحرب وإن لم تكن حرب. لأننا بما عملنا أوجَدنا شيئاً لا بد من إيجاده ، وبما بذلنا سددنا عوزاً لا مناص من سداده . أما الدول الأخرى فدفاعها مكين الآساس مرفوع القواعد منيف الذرى ، فكل ما تنفقه عليه يضطرها الخوف إليه لتأمن الفشل وتضمن العاقبة .

ماذا كنا قبل أن ينتشر الجراد الروى المسلح على حدودنا المهملة ؟ كنا قوماً من سادة الماشية وعبيد الأرض تركوا أزمتهم للقدر وثروتهم للغريب وحمايتهم للحليف ، ثم أقبل بعضهم على بعض يتنافسون فى الهزل من غير غرض ، ويتراشقون بالتهم من غير بينة ، ويتسابقون إلى الحكم من غير غاية . فلما أينع الحصاد وأزّ فى الأفق الجراد وزأر بالوعيد الطغاة ، تيقظت مصر الصادقة الحرة على ضفاف النهر وأحقاف الرمل ورياض الريف ، ثم وقفت فى شكتها الكاملة موقف الواثق الحذر وهى تنظر إلى الشفق الدامى فى وجه الغرب ، وتقول للطامع الساعى لإثارة الحرب : حذار ! فإن على عرشىّ الفاروق خليفة الله ، لا كليوبطرة صديقة قيصر !

احمد حسن الزيات

لقاح العقول أو لقاح الأنساب

للأستاذ عباس محمود العقاد

أسرته الأصيلة من الفلمنك

وانتقل جد من جدوده إلى النمسا فأقام فى الأقاليم البوهيمية

واتصل هو وأبناؤه من بعده بخدمة آل هابسبرج

وبنى جده لأبيه بيونانية من جزيرة أقريطش ، وبنى أبوه بيابانية من أذكى نساء اليابان

ذلك هو مؤلف الكتاب الذى نحن بصدده ، واسمه الكونت « ريتشارد كوديهوف كاليرجى »

أما اسم الكتاب فهو « حكومة الاستبداد حيال الإنسان »
The Totalitarian State Against Man

***

قرأت هذا الكتاب فقرأت عجباً من تآلف الأفكار الغريبة ، وتقارب الأقطار البعيدة ، واختلاط الأساليب التى انعزلت مع الماضى مئات القرون

هنا شىء من اليابان لا شك فيه ، وشىء من اليونان لا شك فيه ، وشىء من تعبد الفلمنكيين ، وشىء من جماح البوهيميين ، وشىء من أدب البلاط ، وشىء من مساواة الحرية ، ولكنك لا تستطيع أن تفرزها ولا أن تستخرج كل خيط من خيوطها مستقلاً عن سائر شباكها

وكل ما تستطيعه أنك تحس لكل جنس من هذه الأجناس أثراً فى مزج الأفكار وصياغة الألفاظ وتنسيق الحلية الكتابية . وقد تجزم الجزم الأكيد أن اليابانى وحده لن يصنف الكتاب على هذا الأسلوب ، وكذلك اليونانى والبوهيمى والفلمنكى ورجل البلاط وجوّاب الآفاق، ولكنهم إذا اتصلوا بالأنساب والثقافات كما اتصلوا فى ذهن هذا المصنف نتج من تلاقح أذهانهم وثقافاتهم مثل هذا الكتاب

***

خذ مثلاً هذه الكلمات :

« الإنسان من صنع الله ،

والحكومة من صنع الإنسان .

الإنسان غاية وليس بوسيلة ،

والحكومة وسيلة وليست بغاية .

قيمة الحكومة هى قيمة ما تؤديه من الخدمة لمن فيها من الخلائق الإنسانية . فكلما خدمت الإنسان وعاونته على التمام والكمال فهى حسنة ، وحيثما بدر منها التعطيل لتمامه وكماله فهنالك الشر والسوء

الحكومة ليست شيئاً حياً ولا جسداً حياً ولا عضواً حياً ؛ ولكنها آلة أو أداة مجعولة لخدمة الإنسان فى صراعه للفوضى والاختلال

الإنسان مخلوق حى ، والحكومة أداته للخير أو للشر ، وللنفع أو للإضرار إذ ليست الحكومة كائناً إنسانياً ولكنها مع هذا تريد أن تكون أكثر من إنسان

ليست هى إلهاً فهى إذن تصبح صنماً

يصنعها الناس وتطلب منهم العبادة

وهذه المصنوعة الإنسانية تعدو طورها فتتخذ لنفسها مكان الوساطة بين الله والإنسان !

هذه الآلة المصطنعة تحسب نفسها مخلوقة عضوية حية ... وهذه الخادمة التابعة تتخايل أمام بنى الإنسان فى زهو السيادة !

إننا لنعيش اليوم فى أخطر عصور الانقلاب التى مرت بها الدنيا ؛ لأنه عصر انقلاب الحكومة على نوع بنى الإنسان !

إننا لنعيش فى أسوأ ما عهدنا من عصور عبادة الأصنام ؛ لأنه عصر تأليه الحكومات »

***

ومثل آخر من خواطر هذا الكتاب النفيس ما جاء منه فى مستهل الكلام على الديمقراطية والنظم النيابية حيث يقول :

« الحرية مثل أعلى وغاية منشودة

الديمقراطية مبدأ وقاعدة

النظام البرلمانى هو وسيلة أو طريق

والخلط بين هذه المعانى يؤدى إلى تشويش مزعج

فانجلترا حرة ولها نظام برلمانى ؛ ولكن دستورها يعتمد

على الديمقراطية بعض الاعتماد لا كل الاعتماد ؛ لأن المجلس الأعلى والتقاليد الوراثية ليست من الديمقراطية بلا خلاف

وروسيا وألمانيا وإيطاليا ليست بحرة وإن كان لكل منها دستور قائم على سيادة الأمة وعلى مبدأ الكثرة في ولاية الحكومة كما تقضي أصول الديمقراطية

والولايات المتحدة وسويسرة حرتان وديمقراطيتان ولكنهما على غير الوضع النيابي مذ كانت الحكومة فيهما لا تسقط بانتزاع الثقة البرلمانية منها

واليابان لها نظام برلماني ولكنها ليست بالديمقراطية ، لأن دستورها لم يؤسس على سلطان الأمة بل على سلطان الامبراطور . وهو — أي الامبراطور — يقبل باختياره أن يشرك معه الحكومة البرلمانية

ومن المحتمل جداً أن نتصور حكومة حرة تحترم حقوق الأفراد على أيدي قلة متسامحة ، كما نتصور حكومة متعسفة تقيد الحريات جميعاً على أيدي كثرة تدين بعقائد الاستبداد

فالروح الموحية أهم وأقوم من نصوص الدساتير . وحيثما بطل اليقين بالإنسان والاعتداد بحقوق الأفراد لم يكن عجيباً أن يفضي بنا الانتخاب العام إلى الاستبداد ؛ لأن المستبد والشعوذ السياسي ليسا بالنقيضين ، ولكنهما قرينان متماثلان »

* * *

وكل فصل من فصول الكتاب حافل بهذه الدقائق وهذه القضايا وهذه التعريفات

هنا ولا شك أناقة الياباني في التنسيق وخفة الياباني في الحركة

وهنا ولا شك نفاذ اليوناني إلى بواطن المعاني الفلسفية والحدود المنطقية

وهنا ولا شك جنوح الفلمنكي إلى صبغ الحقائق بصبغة العبادة والأسرار

وهنا ولا شك طلاقة البوهيمي ، وكياسة الرجل البلاطي ، وثقافة الإنسان الحديث

إنك لا تشك في خصلة من هذه الخصال كما لا تشك في اختلاف المنهج والأداء لو كان الكاتب يابانياً أو يونانياً أو فلمنكياً أو بوهيمياً غير مختلط بما عدا سلالته وثقافته من السلالات والثقافات

ولكن أين هذا وأين ذاك ؟

أين يبتدئ هذا التفكير وأين ينتهي ذلك التفكير ؟

وما وسيلتك إلى منع عنصر من تلك العناصر أن يظهر في منهج الكتاب وأدائه إن كانت بك حاجة إلى امتناعه ؟

وما وسيلتك إلى زيادة عنصر من تلك العناصر إن كانت بك حاجة إلى ازدياده ؟

لقد شغلني التوجه إلى هذا المعنى أثناء القراءة حتى خيل إليّ أنني في معمل من معامل الطبيعة أرقب فيه براعتها في الخلط والمزج والجمع والتفريق

أو خيل إليّ أنني أمام مسرح التاريخ الكبير يتناول اللاعب القدير على خشباته نسيج الأحقاب والأعقاب منذ ألوف السنين فيداخل بينها ويواشج بين خيوطها على نمط من السرعة لا تضبطه بعينك في مكان واحد ، ولكنك تضبطه كله حين ينتهي إلى النتيجة فإذا هو هناك حيث لا تدري من أين اتصاله ومن أين انفصاله في مجمل النسيج

ورب كلمة من كلمات الكتاب لها اتصال بجزائر اليابان ، وكلمة أخرى لها اتصال بشعاب البوهيميين ، وكلمة مجاورة لها قد جاءت من أقصى المغرب أو من أقصى الشمال

إن النظر إلى هذا لأمتع من النظر في حقائق الكتاب ، وإن كانت حقائقه من المتعة بمكان

* * *

ثم يجول في الذهن خاطر آخر هو فضل هذا اللقاح العجيب في تحسين المقول أو في تحسين الطباع .

هل تستفيد « الإنسانية » بامتزاج كهذا الامتزاج يعم جميع الأجناس في الشرق والمغرب ، ويعم جميع الثقافات وجميع المذاهب والآراء ؟

أو هل هي قيمة واحدة من القيم الكثيرة نحتفظ بها ونحتفظ معها بصفاء الأصول وافتراق السلالات ، وما في كل سلالة من مزية ورثتها واستقلت بها بعد تحضير طويل في معمل التاريخ ؟

يحضرني في هذا الصدد ما يصنعه مولدو الأزهار من مختلف الأحجام والألوان والأصول

روقهم أن ينبتوا الوردة السوداء فيستفيد عالم النبات فائدة

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

الشعر والنثر

قدمنا أن الأدب ينقسم إلى الأدب الإنشائى والأدب الوصفى . فالآن نبين أن الأدب الإنشائى ينقسم قسمين : شعراً ونثراً (١)

فالشعر أو القريض ، كلام موزون مقفى

الوزن أن يكون للكلام مقادير محدودة من الحركات والسكنات متتابعة على نسق خاص . فينشأ من هذا التتابع نغمة وتختل هذه النغمة إذا زادت الحركات والسكنات أو نقصت ، أو اختلف تأليفها .

والتقفية أن تكون أبيات القصيدة الواحدة متشابهة فى أواخرها ولا سيما الحرف الأخير . فى قول المتنبى :

(١) يرى علماء الأدب واللغة أن الشعر مأخوذ من شعر بمعنى فطن . أكبر العرب هذا الضرب من الكلام فخصوه باسم الشعر وسموا قائله شاعراً . وعدوه ملهماً ممتازاً بشعور ومعرفة

ويجوز أن يكون الشعر مأخوذاً من شعر بمعنى غنى . ويقرب هذا أن كلة شير فى العبرية معناها الغناء ، وأن العرب يقولون أنشد شعراً والانشاد رفع الصوت

والنثر مأخوذ من نثر الحب نثراً أو نثاراً إذا فرقه وقد روى عن ابن مسعود وحذيفة في قراءة القرآن : « هزاً كهز الشعر ونثراً كنثر الدقل » أي كما يتساقط الرطب اليابس من النخلة إذا هزت - لما سمى الشعر نظما تشبيها بالعقد المنظوم ونحوه سمى الكلام غير الموزون نثراً كما ينثر العقد

لا شك فيها إذا أضيف ذلك اللون إلى ألوان الورود

ولكنه يجنى على الورد وعلى عالم النبات لا مراء إذا تمادى فى تجاريبه حتى يزول الورد الأحمر والورد الأبيض والورد الذى يولد على ألوان مختلفات بغير تخليط وتهجين

وخير لبنى الإنسان أن يتعلموا التآلف وهم مختلفو العناصر متعددو المزايا جامعون بين فضائل العنصر القح والعنصر الهجين من أن يتآلفوا وهم لون واحد فقير المزايا قليل الاختلاف

على أننى أحمد هذا اللقاح وأتمنى لو يظفر الفكر الإنسانى بأنماط شتى من غير هذا القبيل كما ظفرنا بذلك النمط من ذلك القبيل

عباس محمود العقاد

وقفت ومافى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة وثغرك وضاح ووجهك باسم

نجد البيتين على وزن واحد تتوالى الحركات والسكنات فيهما على نسق متفق وينتهيان بكلمتين متشابهتين فى الوزن وفى الحرف الأخير . وهما نائم وباسم . وسيأتى تفصيل هذا فى باب الشعر

أما النثر فكلام لا يلتزم فيه وزن ولا قافية

وتعريف الشعر والنثر بهذين التعريفين فيه نظر إلى الألفاظ لا إلى المعاني

وأما تعريفهما من جهة المعنى فالشعر كلام تنشئه عاطفة قوية أو خيال والنثر كلام مطلق يكون أحياناً مبنيًّا على الفكر المرتب، وأحياناً ناشئاً من العاطفة والخيال كالشعر . فالنثر من جهة المعنى أعم من الشعر

والتعريف المأثور عن أدباء العرب هو التعريف الأول — التعريف اللفظى

وقد نظر قدماء اليونان إلى معنى الشعر دون لفظه فقالوا إنه الكلام المبنى على الخيال المؤثر فى النفس بالترغيب أو التنفير (١)

والحق أن العرب حين نظروا إلى صورة الشعر فعرفوه التعريف السابق لم يهملوا جانب المعنى فيعدّوا كل منظوم شعراً . بل كان الشعر عندهم من جهة معانيه كالشعر عند اليونان . قال قدامة فى نقد النثر : وإنما سُمِّى شاعراً لأنه يشعر من معانى القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره . وإذا كان إنما يستحق اسم الشعر بما ذكرنا فكل من كان خارجاً عن هذا الوصف فليس بشاعر وإن أتى بكلام موزون مقفى (٢)

وإنما نظروا إلى الجانب اللفظى لأنه الجانب المحسوس الواضح الذى لا يشارك الشعر فيه النثر . وربما كان أول من عرّف الشعر العربى رجال العروض الذين ينظرون إلى ألفاظ الشعر دون معانيه وكذلك اليونان حين عرفوا الشعر من جهة المعنى لم يكن

(١) ونجد فى الكتب العربية هذا التعريف بألفاظ مختلفة : عرف الجرجانى الشعر بأنه قياس مؤلف من المخيلات . والغرض منه انفعال النفس بالترغيب أو التنفير

وفى كتب المنطق : الشعر هو القياس المركب من مقدمات يحصل للنفس منها القبض والبسط

(٢) نقد النثر ص ٦٦

شعرهم خالياً من الوزن والقافية ولكنهم نظروا إلى ناحية دون أخرى

والشعر والنثر مشتركان فى قواعد البلاغة وقوانين الكلام وإن كان الشعر فى جملته أميل إلى المجازات والاستعارات من النثر . قال قدامة بن جعفر فى كتابه نقد النثر :

« وقد ذكرنا المعانى التى يصير بها الشعر حسناً وبالجودة موصوفاً ، والمعاني التى يصير بها قبيحاً مرذولاً . وقلنا إن الشعر كلام مؤلَّف ، فما حسن فيه فهو فى الكلام حسن ، وما قبح فيه فهو فى الكلام قبيح . فكل ما ذكرناه هناك من أوصاف حد الشعر فاستعمله فى الخطابة والترسل ، وكل ما قلناه عن معايبه فتجنَّبه هنا[1] » .

ولكن يختلف الفنان فيما يعالجان من الموضوعات وفى طريقة البيان إجمالاً . فالأصل فى الشعر أن يتناول الأمور التى هى أدخل فى العاطفة والخيال ، وأن يتأنق فى التصوير والتجوّز . والأصل فى النثر أن يتناول الموضوعات الطويلة التى تحتاج إلى تفكير وتوضيح وأن يبين إبانة طبيعية ، وربما يشارك النثر

من برجنا العاجي

« ... لم يتيسر لى قراءة كل كتبك . إنما الذى قرأته لك هو مقالات وقصص ومساجلات فى الصحف والمجلات ومع أن كل آرائك حرة وجريئة إلا أن رأياً واحداً هو الذى ملك شعورى وكيانى : (إن من ملك قلباً حاراً ولساناً حراً فهو الذى يستطيع أن يسود العالم) . سيدى : إن قلبى لحار وإن لسانى لحر وبهاتين الوسيلتين بعظم أملى فى المستقبل. إنى أعشق الجمال وأحب الأدب الرفيع ولكنهم يريدوننى أن أكون معلماً بإحدى المدارس الألزامية . إن جو القرية يكاد يخنقنى . أريد أن أؤدى رسالتى فى الحياة ، وهى رسالة الكاتب الموهوب ، لا أن أعيش على هامش الحياة ! إنه ليسرني أنى استطعت إسماعك صوتى . فإن رأيت يا سيدى أن هذه النواة أهل للحياة فتعهدها بالغرس والرى . لى من حسن الأمل فيك مايجعلنى أطمئن إلى أنك لن ترمى برسالتى فى سلة المهملات ... »

قبل كل شىء أحب أن أقول لصاحب هذه الرسالة أن يحسن ظنه بحياته . فلئن كان هنالك إنسان يعيش على هامش الحياة فهو أنا صاحب هذا البرج القصىّ . إن جو القرية لا يمكن أن يكون خانقاً للقلب الشاعر . وإن مهنة التعليم والعمل على تكوين نفوس نبيلة، ونفخ روح الجمال فى نشء ساذج، وإيقاظ عيون صغيرة على حسن الطبيعة ؛ كل هذا خلق فنى فى ذاته . ولكننا لا نريد أن نرى الخلق إلا فى مقال يكتب ، ولا المجد إلا فى هراء ينشر . هنالك شعراء عظام ما فارقوا قراهم قط وما تركوا صناعاتهم الصغيرة قط . إن القلب الحار يسبغ الخير والجمال على ما حوله . ولو كان لصاحب هذه الرسالة قلب حار حقيقة لظهر لهذا أثر فى قريته ومدرسته أولاً ثم فى مادة نفسه ثانياً . فالقلب الحار يحتاج إلى وقود ليشع ولا يخمد وأيسر الوقود الكتب . وصاحب الرسالة لايقرأ كتباً ولكنه يطالع مطالعات سطحية سريعة ناقصة . كم من الأعوام وكم من أكداس الكتب تلزم للقلب وقوداً حتى يقال إنه « قلب حار » !

توفيق الحكيم

الشعر فى موضوعاته فقد كتب الكتاب منذ القرن الرابع فى الفخر والهجاء والمدح والعتاب والغزل الخ وربما يشاركه فى عباراته وأساليبه كذلك .

ولكن يبقى بعد هذا أن الشعر والنثر فى أصلهما مختلفان فى الموضوع وطريقة البيان ، ولولا اختلاف الشعر والنثر فى الموضوع والتصوير لكان الكاتب المجيد شاعراً مجيداً إذا استطاع أن ينظم ، ولكان الشاعر المجيد أجود فى كتابته حين يتحلل من قيود النظم ، ولكن الإجادة فى الاثنين معاً لا تتفق لأكثر الناس . وقد سئل أبو اسحاق الصابى عن الفرق بين الكتابة والشعر فقال :

« إن طريق الإحسان فى منثور الكلام يخالف طريق الإحسان فى منظومه ؛ لأن الترسل هو ما وضح معناه وأعطاك سماعُه فى أول وهلة ما تضمنته ألفاظه ، وأفخم الشعر ماغمض فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة » ثم علل الصابى قوله هذا بفسحة النثر وضيق النظم

وكلام الصابى ليس صحيحاً على هذه الصورة لأن الغموض لا يحسن فى النثر ولا فى الشعر وكأنه أراد أن يقول · إن الشعر

(١) نقد النثر ص ٨٣

أقرب إلى الإجمال فى بيانه . وقيوده تحول دون الإيضاح الذى يملكه الناثر

فطبيعة النظم تبيح للشاعر شيئاً من الغموض والتقديم والتأخير لا يباح فى النثر ، ولكن الغموض ليس مستحسناً فى منظوم ولا منثور

وقال ابن خلدون فى الفرق بين الشعر والنثر :

واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله ولا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه مثل النسيب المختص بالشعر ، والحمد المختص بالخطابة ، والدعاء المختص بالخطابات وأمثال ذلك

وقد استعمل المتأخرون أساليب الشعر وموازينه فى المنثور من كثرة الأسجاع والتزام القافية وتقديم النسيب بين يدى الأغراض ، وصار هذا المنثور إذا تأملته من باب الشعر وفنه ولم يفترقا إلا فى الوزن »

عبد الوهاب عزام

خواطــــــر

للأستاذ فليكس فارس

— ١ —

« لم يكد صانع الأحذية السيد فيكانى السورى العربى يصنع أحذية عقيلة الرئيس روزفلت حتى اهتمت البلاد كلها باختراعه فأصبح الرجل الفاشل المعدم بالأمس « رجل الساعة فى الصناعة » تنهال الطلبات عليه من كل صوب ، وتحوّل مصنعه لتصليح الأحذية العتيقة معملاً كبيراً يجتذب ملايين الزبائن . وهكذا حقق « الصغير الفيكانى » فى الولايات المتحدة ما حلم به فى قريته منذ ثلاث وأربعين سنة فى وطنه النائى » (**استبانه والاوس**)

هذه كلمة من إحدى كبريات جرائد الولايات المتحدة موقعة بإمضاء كاتب من أشهر الكتاب فى العالمين الجديد والقديم

وقد وقعنا على مقال فى مجلة (المناهل) التى تصدر فى مدينة بونس إيرس عن قصة الفيكانى فاخترنا تلخيصها :

« قدم السيد الفيكانى من سوريا وقد ضاقت بوجهه سبل الارتزاق من حرفته . فنزل فى بلدة « كربندال » حيث اتخذ له دكاناً لترقيع أحذية الفقراء ، فكان دخله يكاد لا يفى لتأمين معيشته . ولكنه لم يستنم للضيم وأخذ يفكر ويجرب على نور اختباراته فى صنعته حتى وفق أخيراً إلى اختراع قالب لحذاء يتمتع منتعله بالراحة التامة مهما كان شكل قدميه ومهما تجشم من مشقة السير أو الوقوف ، وسجل اختراعه . وما عتم حتى أقبل أهل القرية على استعمال أحذيته ؛ فابتسم له الحظ ، إلا أنه بقى يزاول عمله بيديه لعدم وجود رأس مال كاف يستعين به على بناء مصنع كامل العدة إلى أن وقع نظره يوماً على صورة للسيدة إليونور عقيلة الرئيس روزفلت فتأكد من ملامح وجهها أن حذاءها يؤلم رجليها ، فقصد العاصمة . وهناك بدأ من جهة يتسقط المعلومات اللازمة لتهيئة الحذاء الذى سيفتح له باب الشهرة والثروة ، ومن جهة أخرى يراجع ذوى الشأن للحصول على مقابلة السيدة الأولى حتى بلغ القصد بعد انتظار دام تسعة أشهر . وما مثل لديها وعرض الحذاء المبتكر حتى انتعلته وسارت تتخطر فى القاعة جذلة راضية وهى تردد عبارات الثناء ؛ ثم أوصته بصنع أزواج عديدة فكان هذا الطلب فاتحة شهرة الرجل وباب ثروته »

* * *

ليبتسم من يشاء لهذه القصة من الشبيبة المثقفة الحالمة بتربع دسوت الوزارات والتهافت على باطل الأمجاد وكاذبات الأمانى ، المحتقرة لكل عمل لا تدور به عناصر التحكم بالناس والترفع عن كل حرفة ، فإن من هذه الشبيبة فئة علمتها عثرات الآمال أن تعتمد على نفسها وتنطلق فى ميادين الأعمال الحرة من أى نوع كانت ، وهذه الفئة تباهى بالإسكاف الوضيع الذى عرف أن يجعل السيدة الأولى فى أعظم الأمم ثروة وعدداً وجهداً تشهد بفضله وتثنى عليه لأنه ابتكر طريقة تريح الناس من عناء تحملوه عبثاً حتى كشف سره وهو لا يحمل شهادة الفلسفة بل لعله أمىّ لا يعرف من العلم شيئاً

ليس من عمل حقير فى العالم إلا العمل الذى تديره يدٌ متواكلة بتفكير حقير ...

إن فى حرفة الكناسة مجالاً للعبقرية ، كما أن فى مهمة إدارة الأمم مجالاً للحماقة والغرور . ولو أن كل فرد فى هذه الأمة اتجه إلى إتقان عمله باذلاً فيه كل جهده لبدت طلائع الرقى بين الطبقات الوضيعة قبل أن تبدو بين الطبقات العليا

إن حياة الأمم تبدأ بانتباهة الفرد ونشوء فكرة التضامن

بين جماعاته الصغرى . فلو عملت الفئة الناهضة المثقفة فى هذه البلاد على إثارة هاتين القوتين فى المزارع والقرى الصغيرة لقضت على التواكل والخمول ولرأينا بدلاً من الشعب الذى يتوقع من حكومته كل شىء، شعباً واثقاً من نفسه يقيم كل شىء على سواعده

أما يكفى الأمة لتحيا أن يكون حاكموها منها ولها وأن يعدل القضاء بين أفرادها ؟

— ٢ —

كلمة قد تجىء ثقيلة على بعض الأسماع، وقد يتلقاها من توجه اليهم بالصمت والتبرم ولكنها كلمة حق الجهر بها علينا لأننا اعتقدناها حقاً

لقد كثر عدد الكتاب والشعراء الذين يملكون البيان الصحيح ولكن قل بينهم من ينطق بهذا البيان بلهجة العربية الأصلية محررة من كل لكنة دخيلة أو رطانة أجنبية

وإن نحن أردنا تصنيف اللهجات التى تصدها فصاحة اللغة وتتملل منها مقاطعها وحروفها وحركاتها وسكناتها أمكننا أن نردها إلى أصلين : اللهجات التى أدخلتها العامية على الفصحى، فمنها ما حولت الجيم إلى جيم أفرنجية تتنافر وسائر الحروف الحلقية، والألف إلى ألف فارسية تخرج مفخمة من الخياشيم كأن عليها « أكسانسير كونفلكس» مزدوجة(١)، ومنها ما حسبه بعض المتحذلقين نهاية الإبداع بالاحتفاظ بالحركات النحوية فى أواخر الكلمات وبخاصة عند الوقف فتأتى الحركة نافرة كأنها الشجى فى حلق المتكلم أو كالقرار الموسيقى الافرنجى المقطوع على بقية كذنب كلب الراعى

أما الأصل الثانى فرطانة جميع لغات الدنيا نازلة منزلة الضيف غير المحتشم على مخارج حروفنا وموسيقى مقاطعنا

إن الفرنسى عند ما يتكلم بلغة أجنبية لا يكاد يتلفظ بجملة واحدة حتى تسمع لغة أمه نافرة بغنتها من فه مشوهة اللغة الأجنبية، وهكذا الإنجليزى والألمانى والإيطالى الخ ..

أما نحن أصلح الله عيب التقليد فينا ، فإننا نتكلم لغات العالم محتفظين لكل منها بفصاحتها، وبيننا من يبز الانكليز والفرنسيين بنقاء لهجته ، غير أن الكثيرين ممن تلقوا العلم فى المدارس الأجنبية أو تسنى لهم أن يمضوا ولو مدة صيف واحد فى أوربا تشل عضلات أحناكهم أو تتشنج أعصابها فيأتون السامعين بعجائب الفصاحة وغرائبها حتى ليصعب عليك لأول ما يطلق الخطيب أو الشاعر صوته فى الراديو أو على المنبر أن تتميز اللغة العربية فيما يقول ، ولكم من عربى ابن عربى بيننا نحسبه أحد الآباء القادمين من فرنسا أو أحد المرسلين من انكلترا ...

* * *

دخلت امرأة أجنبية إلى مخزن لتشترى قماشاً فطلبت من المستخدم أن يريها بضاعة شرحت أوصافها على قدر ما تسمح لها معرفتها بالعربية فأوردت ضمير المخاطب بدل ضمير الغائب وقلبت الذكر مؤنثاً والمؤنث مذكراً ، واستبدلت بالفاء والعين والقاف حروفاً من لغتها فإذا بالمستخدم العربى يتقدم مدلياً ببيان طويل عما لديه من الأصناف باللغة التى خوطب بها دون ارتكاب خطأ واحد فوقفت السيدة تتفرسه قائلة :

— آجيب هو انتى من مملكت بتاع أنا .

وإذ أجاب المستخدم نفياً أطلقت لسانها بالسباب والشتم وخرجت من المخزن معتقدة أن حضرته يهزأ بها ويقلدها ليحتقرها

مسكين هذا المستخدم، إنه ساير الأجنبية تملقاً بقصد تصريف بضاعته ، فأية بضاعة يريد تصريفها بعض المقلدين بيننا حتى من رجال الأدب ، وأى معنى لهذه المسايرة السخيفة التى تضحك الأجانب أنفسهم .

بقيت كلمة لن أدعها عالقة بقلمى ، وإن كنت أعلم أنها ستغضب كل من سطت العادة على ذوقه سواء أكان سليماً أم غير سليم .

من أية لغة اقتبس حرف « أ » فى كلمة « أب » ؟ وليس فى لغات العالم ما يشبه هذا الصوت الذى تحسبه قرعة دف فلا يمكن كتابته إلا إذا خلقت ألفاً جديدة تتركب من سائل القاف ومسحوق الضاد وشىء من صيحة الاستنفار ثم أتبت بالباء مشددة بأربع شدات، وقد لا نصل بهذا الإملاء إلى تمثيل خشونة هذه الكلمة وثقلها مع أنها من ألطف ألفاظ العربية ومن أروعها تمثيلاً لعطفة الطفل على والده .

وأخيراً أتمنى لو عمل هؤلاء المصابون بداء الرطانة والحذلقة على الاستشفاء بإصغائهم إلى فصحاء هذا الجيل كالأستاذ الأكبر المراغى والأستاذ أمين الخولى مثلاً فى النثر ، وكالأستاذ الجارم والأستاذ أحمد رامى فى الشعر ، فإن تصحيح اللغة على الألسن ليس بأقل أهمية من تصحيحها فى الجرائد والكتب

(الاسكندرية) فليكس فارس

(١) ومنها التاء المربوطة تلفظ تاء ساكنة عند الوقف بدلا من التلفظ بها هاء.

أعلام الأدب

هجـــــرة يوريبيدز

للأستاذ دريني خشبة

ساءت حالة أثينا والأثينيين بعد موت بركليس (٤٢٩ ق. م)، وأخذت المصائب تترى عليها فى الداخل والخارج ... فى الداخل على أيدى تلك الطغمة الشقية من زعماء الشعب وقادته الذين نبتوا فجأة فورثوا الزعامة كما ورثها ألسبيادس النزق الطياش عن بركليس العظيم، أو تملقوا الجماهير الغافلة التى لا إرادة لها. فأسلست لهم قيادها فأوردوها المهالك بعد ما ضللوا بها تضليلاً كبيراً متخذين من فساد الديمقراطية بعد موت بركليس سلاحاً يشهرونه فى وجوه العقلاء والمفكرين.

أما فى الخارج فقد تتابعت الهزائم على جيوش أثينا، وأحرق الأسبرطيون حقول أتيكا وقراها ودساكرها كما صنع الفرس من قبل، ثم حطموا قوة أثينا البحرية التى كانت تلقى الرعب فى قلوب الدويلات الهيلانية.

كان يوريبيدز يرى ما حل ببلده الأثير المحبوب وهو جالس كالقديس فى كهفه الجميل الفريد فى صخرة سلاميس فيأخذه الوجد، ويحزن أبلغ الحزن على ما آلت إليه الحال فى أثينا من انحطاط مستوى الشعب الخلق، وتضليل الزعماء بالناس، واقتتالهم على جاه الرياسة الزائف فى حين قد أصبحت حرمات الوطن حلاً لكل والغ، فنى كل يوم غزو، وفى كل يوم قهر لعزة الوطن، والإسبرطيون فى كل فج يذلون العزة القومية، وينشرون الفقر، والأقوات منقوصة فى أثينا، والأمراض تفتك بالأهلين، والأهلون لاهون عن كل ذلك بالجدل السياسى العقيم، وبإلقاء التهم جزافاً على رأس كل وطنى مخلص. فيوريبيدز كان يدعو للسلم لأنه كان يتمنى الهزيمة لبنى وطنه ... فليُنْبَذ يوريبيدز إذن ... وليذكر ماضيه الزاخر بعداوته للمرأة وإلحاده بالآلهة، واستهتاره بتقاليد السلف الصالح، والفت بدعوته للسلم فى أعضاء الجند ... ثم هو يسخر بالديمقراطية فهو من شيعة الاستبداد ... ثم هو تلميذ السوفسطائيين الملاحدة وصديقهم، وأحد المبشرين بآرائهم ... فليؤخذ أخذاً شديداً لا هوادة فيه ولا مرحمة .. ولتشرك زوجته فى خلق المتاعب المنزلية له فتصبح حياته جحيماً فى المنزل، وجحيماً فى المجتمع، وجحيماً فى أثينا كلها ... ولماذا يبالى الشعب الضال، والزعماء الأوشاب من طعن يوريبيدز فى شرفه ؟! أليس قد اشتهر أن زوجته الأولى قد خانته ؟ فلماذا يتورعون من إرسال التهمة نفسها عن زوجته الثانية ! ثم لماذا لا يدسون إليه من يحدثه بذلك ! أليست هى فضيحة والسلام ؟ أليس المقصود هو وخز هذه الروح العالية الكريمة التأبية ؟ فماذا ينفع فى وخزها إلا صغار هذه الشائعات ؟ لالا أفلح شعب لا يحرص زعماؤه على الأخلاق، ولا أفلحت أمة يبلغ بها الهوان أن تعبد أمثال أولئك الزعماء !

كان يوريبيدز معتزلاً جميع الناس فى كهفه المنفرد، وهذه الضائقة الأخلاقية تفتك بمواطنيه، وكانت أنباء الأزمة تبلغه فيبتسم ساخراً، ثم يعبس عبوسة عميقة مريرة ظهرت آثارها فى درامته التى كان ينظمها فى ذلك الحين (أورست ٤٠٨ ق. م) والتى حلل فيها أخلاق رجل ملتاث أو به مس لأنه قتل أمه، وكيف أعدى هذا الرجل جميع من حوله بجنونه وخصوصاً أخته ألكترا وصديقه بيليدز، وكيف انتهى أعوانه إلى حرق القصر الملكى فى آرجوس ليكون أول مشهد من نوعه يعرفه المسرح اليونانى ...

وبالرغم من روعة أورست وأنها من أقوى ما نظم الشاعر فقد سقطت لأنها من نظم عدو الشعب، الرجل الغنى البخيل الذى طالما بخل بأمواله على بلاده فى أشد أوقات محنتها ... هذه تهمة جديدة حاكها الرعاع حول يوريبيدز، لأنه كان يقتنى مكتبة من أحفل مكتبات أثينا بالكتب بل من أحفل المكتبات الشخصية فى العالم فى ذلك العصر الذى كانت تبلغ فيه قيمة الكتاب الواحد مالا قبل للفقير به

إذن فليهاجر يوريبيدز !

ولْيُلب دعوة أهل مجنيزيا[1]، ليحل عليهم ضيفاً حيناً من الزمان، فإن بينه وبينهم صداقة قديمة ومحبة كانت تجعل لهم

(١) إحدى مدائن وادى ميأندر بالقرب من إفسوس

منه فى أثينا سفيراً يسهر على صوالحهم وييسر حوائجهم ... وليتلبث عندهم أياماً ثم فَلْيُلَبِّ دعوة ملك مقدونيا العظيم الملك آرخيلوس، الذى كان يجمع حوله بلاطاً زاهياً زاهراً من أعظم رجال الفكر والفن فى العالم ، والذى كان يعتقد أن انتهاء أثينا على هذا النحو المزرى لا يعنى انتهاء المجد اليونانى ، بل يعنى هجرة هذا المجد ، وما دام أعظم رجال الفكر والفن اليونانيين قد هاجروا ، واختاروا بلاط مقدونيا مُهاجراً لهم ، فسترث مقدونيا هـذا المجد الأثينى الباهر العظيم ، وستنهض مقدونيا فى عالمى الفكر والحرب . وسيكون من ملوكها الملك فيليب وابنـه الإسكندر ومن أضيافها العظماء الفيلسوف آرسطو المعلم الأول !

كان آرخيلوس ملك مقدونيا وواضع اللبنة الأولى فى بناء نهضتها يطمع من قديم فى اجتذاب الشاعر يوريبيدز إلى بلاطه لشدة إعجابه به ، وكان يعرف ما يلقى يوريبيدز من قومه من الهون وسوء التقدير ، فدعاه مرة وأطمعه فى حياة هادئة هانئة لا يعكر عليه فيها صفاءه معكر ، لـكن يوريبيدز شكر واعتذر ، فلما هاجر إلى مجنيزيا وعرف الملك ذلك جدد دعوته وشدَّد ، فلبى يوريبيدز وأجاب ، وشد الرحال إلى البلاط المقدونى المتلألىء حيث وجد من رجال الفن زيكسيز أعظم مصوِّرى عصره ، وحيث وجـد الشاعر التراجيدى العظيم أجاثون ، والموسيقى الخالد تيموتيوس الذى كان يوريبيدز قد أنقذه من الانتحار كما مر بك ... ومما يؤثر فى قليل من الشك أنه لقى ثمة المؤرخ العظيم تيوسيدز

أقام يوريبيدز فى هذا البلاط الزاهر فكافأه الحظ السعيد لأول مرة فى حياته مكافأة معنوية عالية لم يكافئ بها الزمان أحداً من الأدباء قط ... لقد وردت الأنباء من سيراكوزه حاضرة صقلية بأن أسرى الحملة اليونانية التى أرسلها ألسبيادس لغزو الجزيرة والذين بلغ عددهم سبعة آلاف أسير قد اشترط الصقليون لإطلاق سراحهم أن يلقوا مقطوعات من شعر يوريبيدز ، فمن استطاع منهم ترتيل شىء من هـذا الشعر ولو كان بيتاً واحداً فقد أطلق سراحه وصار حراً ، ومن لم يستطع فقد حل للصقليين استرقاقه ! أى مكافأة هذه يجود بها الزمان على شاعر ؟ ! وأية منزلة بلغها يوريبيدز فى الأوساط المثقفة المستنيرة فى الزمن الذى كان يعيش فيه ! ولـكن ماذا كان أثر هذا الجيل فى أثينا والأثينيين ؟ ! لقد كان أثراً بالغاً من غير شك ، لقد شعروا بالخزى لأن أمماً أخرى غير أثينا قد أخذت تستيقظ وتتنبه ، ثم تسمو نحو المجد الأدبى حتى لقد عرفت من أدب يوريبيدز الأثينى ما لم يعرفه الأثينيون !

لم يسكن يوريبيدز إلى الدعة فى مقدونيا ، ولم يزهه إعجاب البلاط به فيستنيم إلى نشوة الخيلاء ، بل لعل الفضل الأكبر يرجع إلى هذه النشوة فى نظمه أعظم دراماته جميعاً (الباخوسية)[1] أو سكارى[2] باخوس

وتشبه الباخوسية من حيث الفكرة العميقة وجمال الموضوع برومثيوث المصفَّد لأسخيلوس ، وقد نسى فيها يوريبيدز أدب الواقع قليلاً . ثم تغلغل فى صميم الأساطير القديمة وغرق فى الأدب التقليدى الذى كان هو زعيم الثورة عليه ... ولا ندرى لم لم يعر المؤرخون هذه الرجعة من يوريبيدز اهتماماً ، فلم يعللوها ولم يعرضوا لبحث أسبابها ... على أن مما لا ريب فيه أن أكبر أسباب هذا التحول هو البلاط المقدونى نفسه والبيئة المقدونية التى كان الشاعر يعيش فيها ... فأحلام رجال البلاط بالرغم من الأفراد الممتازين الذين جذبهم الملك إليه كانت أحلاماً بدائية مما يزدهيها أدب الملاحم والأساطير ولا يروقها الأدب التحليلى الذى ابتكره يوريبيدز ونظم فيه أروع آثاره... أما البيئة فقد ترددت أصداؤها فى الباخوسية بهذه القطع الخالدة التى صور فيها الشاعر كثيراً من مناظر الطبيعة فى مقدونيا تصويراً حياً رائعاً لا يكاد يدانيه شىء فى جميع ما نظم

والعجيب أن تكون الباخوسية مع ذاك أروع درامات يوريبيدز بالرغم من أنها نكسة فى مذهبه ، وربما كان العنصرَ الإلهى الذى امتازت به هو الذى جعل لها هذه المرتبة بين دراماته .. وهو العنصر نفسه الذى ارتفع بروائع الأدب الأخرى وأكسبها الخلود مثل كوميدية دانتى وفردوس ملتون ورسالة الغفران لأبى العلاء وفاوست لجيته

---

(١) اختلف مؤرخو الـكلاسيك فى اسم هذه الدرامة فأثبته مورای كما جاء فى اليونانية Bacchae وسماها بورا The Bacchants ومعناها كهنة باخوس ، أو المرحون ، أو السكارى ، أما ملمان ، أحد مترجمى يوريبيدز (مجموعة دانت حـ ١) فقد سماها The Bacchanals ومعناها عباد باخوس أو مرايد باخوس

(٢) المقصود جمع المؤنث من سكرى بفتح السين

والباخوسية تفيض بروح لاذعة من السخرية ، وفيها مناظر تضحيكية مرة تقف بالإنسان ليتساءل : ترى هل بين هذه المناظر وما جاء مثلها فى درامة إفجنيا فى أوليس التى لم يكملها يوربيدز ، صلة ؟ ! هل من الحق أن المناظر التضحيكية التى تفيض بها إفجنيا ليست من صنع يوربيدز ؟ وهل الفن الذى نشهده فى إفجنيا هذه هو فن غريب عن يوربيدز لأنه لم يرد فى دراماته أيضاً ؟ فلم إذن حشد يوربيدز هذه المناظر التضحيكية فى الباخوسية التي نظمها فى مقدونيا كما نظم أختها إفجنيا هناك ؟ !

هذه أسئلة ترغم الإنسان على إعادة النظر فى كل ما قيل عن فن يوربيدز ! ! لقد رأينا كيف تأثر سوفوكليس الشيخ بيوربيدز الفتى فى أخريات حياته ، أفلا يكون يوربيدز هو الآخر قد تأثر بعدوه أرستوفان ؟

* * *

يقدم إله الخمر باخوس ـ أوديونيزوس ـ متنكراً فى رهط من نسائه السكارى المتوحشات إلى طيبة فيذوده ملكها بنثيوس عن القصر الملكى ، ويغلو هو ونساء الحاشية الملكية فى انتهاره والإزراء به ، والتهكم عليه . ثم يأمر الملك بتكبيله بالقيود والأصفاد ثم بالقائه فى غيابة السجن ذليلاً محسوراً ... وهنا تتجلى القدرة الإلهية العجيبة ، فإن ديونيزوس الذى يصبر لهذا الهوان من أحد رافضى عبادته يرسل طائفاً من الجنون يجتاح سيدات القصر الملكى كله بما فيهن أجاف أم الملك فينطلقن مهرولات مولولات لينخرطن فى صفوف ديونيزوس ، وليعكفن على عبادته . وينصح أشياخ الشعب الطيبى للملك أن يحد من غلوائه ضد الإله وأن يشرب قلبه محبته عسى أن يغفر له ، لكن الملك لا يزداد إلا شموساً ، فلا ييأس ناصحوه من النصح له حتى يقبل آخر الأمر أن يستخفى فى زى امرأة ثم ينطلق إلى جبل كيثارون حيث يختبىء فى بعض الأدغال القريبة ليشهد كيف يقبل نساؤه الملكيات على عبادة الإله وليقف بنفسه على مدى خشوعهن له ... وما يلبث الملك المستخفى أن يفتضح أمره فيضبطه نساؤه فى مخبئه ، وتهجم عليه أمه وهى غيا هى فيه من طائف الجنون المقدس فتقتله ثم تمزقه إرباً ، وتنثر فى الهواء أشلاءه ، وتنطلق برأسه نشوانة بخمر النصر وهى تحسب أنها قد قتلت أسداً ، وأن الرأس الذى تحمله هو رأس ذلك الأسد !

فإذا انتهت إلى القصر ، وراحت تفتخر بفعلتها التى فعلت ، لقيها أبوها قدموس الذى آب هو أيضاً من جبل كيثارون حاملاً أشلاء حفيده ، فيقول لها وتقول له ، وقد فاءت قليلاً من طائف الجنون المقدس :

أجاف — ماذا ؟ ما الذى تنكرون ؟ فيم أسفكم أيها الأهل ؟[1]

قدموس — دورى بعينيك قبل كل شىء فى الهواء الذى حولك !

أجاف — أدور بعينى ؟ ولماذا أفعل يا أبتاه ؟

قدموس — ألم يتبدل الأمر غير الأمر ؟ ألم يحدث أى تغير !

أجاف — لله ما أجمل وما أبهى ! أبداً ما رأيت مثل هذا أبداً ؟ !

قدموس — أما تزال خيلاؤك تهيمن على روحك !

أجاف — لست أدرى ماذا تقصد ! إني أفيق قليلاً ... إن عقلى المضطرب يصحو ...

قدموس — ألا تستطيعين أن تنتبهى وتجيبى على ما أسألك ؟

أجاف — لقد نسيتُ يا أبتاه كل ما قلت !

قدموس — أتذكرين إلى من زففناك عروساً يا بُنيّة ؟

أجاف — إلى إخيون الذى يدعونه ابن التنين !

قدموس — وتذكرين ابنه الذى حملت فى أحشائك ؟

أجاف — بنثيوس ، الوشيجة المقدسة التى تربط قلبينا !

قدموس — إذن رأس من هذا الذى تحملين فى كلتا يديك ؟

أجاف — رأس أسد ! هكذا قال رفاق الصيد !

قدموس — أنظرى إليه إذن فلن يكلفك النظر إليه عناء !

أجاف — ماذا أرى ؟ ما هذا الذى أحمل فى يدى ؟

قدموس — أنظرى إليه مرة ثانية .. إنك توشكين أن تعرفى !

أجاف — إنى أرى الفزع الأكبر الذى ما رأيت مثله أبداً !

قدموس — هل هذا يشبه الأسد ؟

أجاف — كلا ! واتعساه ! إنه رأس ولدى بنثيوس !

قدموس — ومع ذاك فلم تذرف عليه عيناك عبرة واحدة قبل الآن !

أجاف — من قتله ؟ وكيف انتقل رأسه إلى يدى ؟ !

قدموس — أيتها الحقيقة المرة ! لقد أتيت فى غير الأوان !

أجاف — تكلم ! إن قلبى يخفق حتى ليكاد يثب من بين أضالعى !

(١) الترجمة عن ملمان مجموعة دانت حـ ٢ ص ٣٤ وما بعدها .

قدموس — أنت يا ابنتى التى ذبحته . . . أنت وأخواتك !

أجاف — وأين ؛ هنا ؟ أم فى أى مكان ؟!

قدموس — هناك ... حيث انقضت عليه كلاب أكتيون فمزقته إرباً إرباً !

أجاف — ولم ذهب إلى كيثارون ولدى التَّعس ؟

قدموس — ذهب ليستهزئ بالإله ! وليسخر بالسَّكارى من عابداته !

أجاف — ولكن كيف وفيم ذهابنا نحن إلى هناك ؟

قدموس — لقد أصابك طائف من الجنون ، وقد جُنَّت المدينة كلها معك !

أجاف — وا أسفاه ! لقد أهلكنا ديونيزوس ؟ آ لآن عرفت ذلك ! !

قدموس — هذا جزاء ماسخرتم به ... لقد نسيتم أنه إله !!

أجاف — وأين جسمان ابنى يا أبتاه ! !

قدموس — ها هو ذاك ... لقد لقيت العناء فى جمعه !

أجاف — وهل كل أشلائه سليمة .. و... هل أصابه ما كان قد أصابنى ؟

***

ثم تبكى الأم ولدها ويبكى قدموس حفيده ، ويشتد فى بكائه إياه لأنه سيظل بلا عقب ولا وارث للملك ولن تكون له ذرية من الرجال ... ثم يبدو الإله ديونيزوس فجأة فيصمت الجميع ، ويأخذ رب الخمر فى إصدار أحكامه وإبرام إرادته فينذر قدموس أنه سيمسخه فيكون تنيناً ، وستكون زوجته هولة شائهة الوجه. أما أجاف فستكون هولة أيضاً وستنفى من طيبة إلى أقصى الأرض . . . فإذا تضرعت إليه أن يترفق بها ذكرها بما كان من استهزائها به وتهكمها عليه . . . ثم تودع أباها ووطنها وداعاً مؤثراً وتنطلق من فورها إلى منفاها السحيق

أما الإله فإنه يسمو صَعَداً فى الهواء ليلحق بدولة الأولمب ! !

فهل رأيت سخرية كهذه السخرية ؟ ! لقد حشد يوريبيدز طائفة كبيرة من الطعن فى أهل البربر فى الباخوسية ، كما لجأ كعادته إلى الإشادة بذكر الهيلانيين ... وقد أقام فى مقدونيا عاماً ونصف عام كان فيهما صفى الملك وحبيبه وصديقه . . . ثم مات يوريبيدز متأثراً بجراحه التى يزعمون أن كلاب الملك وكلاب المقدونيين أحدثتها به حينما انطلقت عليه تعقره وتعضه وتمزق جسمه(١) ؟! ... فهل هى رواية صادقة ؟ ! وهل بين هذه الرواية وبين ما طعن به على البربر علاقة ما ؟ وهل المقدونيون من البربر ؟ أم أن استخلاص الملك له وإيثاره إياه أثار فى قلوب رجال الحاشية حسدهم له وموجدتهم عليه فأغروا كلابهم به ؟ !

لقد زعموا أن الملك وجد على يوريبيدز وجداً شديداً ... وأنه رفض إرسال جثمانه إلى أثينا ليدفن هناك وقد ألح الأثينيون فى طلبه وتوسلوا إلى ملك مقدونيا بشتى الوسائل ، لكن الملك آثر أن يدفن صديقه بالقرب منه فى بيللا Pella (سنة ٤٠٦)

دريني خشبة

(١) يروى أن الملك خرج للصيد يوما وكان يوريبيدز يحب العزلة على ما تعود فكان يخلو إلى نفسه فى غابة قريبة هى التى خرج الملك للصيد فيها فانقضت الكلاب على يوريبيدز فمزقته ... وهى رواية مفندة

رجعة إلى البحترى

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

أبدى لنا بعض الأدباء الأفاضل شكا فى وصفنا للبحترى من حيث غلبة الصناعة على العاطفة فى شعره واختلاط الحقيقة بالخيال فى تلك الصنعة مما جعل بعض القراء يفترون بها ويحسبونها عاطفة . ولم نكن نريد انتقاص البحترى إذ عددناه ممثلاً فى صناعته، يمثل العواطف المختلفة تمثيلاً متقناً؛ ولم نُرَجِّح صحة رواية كتاب الأغاني عن طريقة إنشاده وعن طلبه الاستحسان من الحاضرين وزجرهم إذا لم يُظْهِروا الإعجاب ، إلا لأن ذلك يفسر تناقض ما يمثل من العواطف والأحاسيس فى شعره ، كما سنوضح ، ويتفق وطريقة الصناعة اللفظية التى ينتشى فيها الصانع بما يقول ، وقد أغفلنا الإشارة إلى ما يروى عن بخله إذ لا دخل لذلك بفنه ، وكذلك أغفلنا ما روى عن قلة اكترائه بثيابه ونظافته ... الخ .

والحقيقة أننا نعجب بصناعة البحترى إعجاباً كبيراً ، لكن الإعجاب لا يمنع من الوصف والدراسة النفسية والسيكولوجية . وربما أخذ علينا بعض حضرات الأفاضل قولنا إن رثاءه للمتوكل كان صنعة وإننا نشك فى قوله : (أدافع عنه باليدين ... الخ) . وقد رفضنا ما قرأنا فى بعض الكتب من رواية لعلها رواية عدو أو رواية مازح أراد أن يداعب قوله : (أدافع عنه باليدين الخ) . فقد قيل إنه اختبأ أثناء مقتل المتوكل . ويكفى أن نقول إن الفتح ابن خاقان هو الذى حاول أن يدافع عن المتوكل بيديه وبجسمه فقتله الفاتكون وهو من زعماء الترك مثلهم ، فما كانوا يتعففون إذا عن قتل البحترى إذا صح أنه دافع عنه باليدين إن لم يكن لغضب منه فلكى يصلوا إلى المتوكل . ولم نشأ أن نذكر أنه مدح المنتصر بعد أن هجاه فى رثاء المتوكل ، ومدح زعماء الفاتكين وعرَّض بهجاء المتوكل فى مدحه للمنتصر كما سنوضح ، ومدح المستعين الذى خلف المنتصر والذى كان منافساً للمعتز بن المتوكل الذى مدحه البحترى فى رثائه للمتوكل ورجاه للخلافة ، ومدح ابن المستعين ورجاه للملك أيضاً . كل ذلك والمعتز أسير حبيس ، ثم بعد أن ثار الجند الترك على المستعين الخليفة واضطروه أن يخلع نفسه وفتكوا به هجاه البحترى بقوله :

وما كانت ثياب الملك تخشى   جريرة بائلٍ فيهنَّ ... رى

وكان الغدر والخيانة والانتقاض أموراً شائعة فى ذلك العهد. وفى رثاء المتوكل يهجو المنتصر فيقول : (إذا الأخرق العجلان خيفت بوادره) ويقول :

ولا وأل (المشكوك فيه) ولا نجا   من السيف ناضى السيف غدراً وشاهِرُهْ

وهذا يشمل المتهم بالتحريض غدراً وهو المنتصر ويشمل الذين شهروا السيف وقتلوا المتوكل وهم الذين مدحهم البحترى بعد ذلك .

ورب قائل يقول : إن الشاعر لا دخل له بالسياسة فهو يمدح الحكومة القائمة . ولكن البحترى لم يكتف بمدح كل حكومة كانت قائمة بل كان يهجو الحكومة التى قُضِىَ عليها . وقد رأينا هجاءه للمنتصر فى رثائه للمتوكل فانظر كيف يمدحه ويقول :

سروا موجِفِين لسعى الصفا   ورمى الجمار ومسح الحجر
حججنا البنيــة شكراً لِمَا   حبــانا به الله فى المنتصر

أى إنه حج كى يشكر الله على أن المنتصر تولى الخلافة وهو الذى يصفه فى المرثية بالأخرق العجلان ويرجو ألا ينجو من أن يُقْتَل بالسيف لأنه متهم بالتحريض على قتل أبيه ، ولم يكتف بالحج شكراً بل وصف المنتصر بالحلم بعد وصفه بالخرق فقال :

من الحِلْمِ عند انتقاض الحلو   م والحزم عند انتقاض المرر
تَطَوَّل بالعدل لما قَضَى   وأجمل فى العفو لما قدر
ودام على خُلُقٍ واحــد   عظيم الغنــاء جليل الخطر

ويقول :

ولكنْ مُصَفًّى كماء الغما   م طـابت أوائله والأُخَر
تَلافَى البرية من فتنة   أَظَلَّهُمُ ليلها المعتكر
رددت المظالم واسترجعت   يداك الحقوق لمن قد قُهِر
وآل أبى طالب بعــد ما   أذيع بسربهم فابْذَعَرْ
وصلتَ شوابك أرحامهم   وقد أوشك الحبل أن ينبتر

وهذا المدح طويل جيد ، ولا يقل صناعة عن مدحه للمتوكل بل إن فيه تعريضاً بحكومة المتوكل وهجاء له ، إذ أن المتوكل هو الخليفة الذى غالى فى اضطهاد آل أبى طالب. وقوله (رددت المظالم) هجاء صريح للحكومة السابقة ، وقال :

بقيت إمام الهدى للهدى   تُجدِّدُ من نهجه ما دثر

فإذا كان الهدى قد دثر وجدده المنتصر فمعنى ذلك أن المتوكل هو الذى كان الهدى فى عهدى مندثراً .

وفى مدح العباس بن المستعين يقول :

تولَّتْهُ القلوب وبايعته   بإخلاص النصيحة والوداد

هو الملك الذى جُمِعَتْ عليه   على قدر محبات العباد

بعد أن كان لا يرضى بعد المتوكل خليفة إلا بالمعتز ابنه ، وقد قال فى ذلك (وإنى لأرجو أن تُرَدَّ أموركم الخ)

وفى مدح المستعين يقول :

تِلو رسول الله فى هَدْيِهِ   وابن النجوم الزهر من آله

وهذا ليس مدحاً شكلياً لكل حكومة قائمة بل هو يُمَثِّل عاطفة الولاء الشديد والاقتناع بالصلاح والإمامة (تلو رسول الله)

وبعد أن جعل المستعين مثل رسول الله عاد بعد تعذيب الجنود له وقتله فقال: (وما كانت ثياب الملك تخشى الخ) وقال أيضاً فيمن شبهه قبل ذلك برسول الله :

ثقيل على جنب الثريد مراقبٌ   لشخص الخوان يبتدى فيواثبه

إذا ما احتشى من حاضر الزاد لم يبل

أضاء شهاب الملك أو كلَّ ثاقبه

تخطَّي إلى الأمر الذى ليس أهله   فطوراً ينازيه وطوراً يشاغبه

وبعد قتل المعتز مدح أيضاً الحزب المناوىء له وخليفة ذلك الحزب وكان فى مدح كل خليفة يذكر مدحاً يصح أن يحمل على محمل التعريض بالخليفة السابق الذى كان قد رفعه البحترى إلى السماء كما فعل مع المستعين(١)

وهذه الخطة لم تكن خطته نحو الخلفاء والوزراء فحَسْب ، بل إنه أيضاً صنع النسيب والتشبيب فى علوة الحلبية حتى ظن بعض النقاد أنه من أصدق النسيب وهو ليس كذلك ، فهو فى القصيدة الواحدة يصفها بالصيانة والتبذل فقال :

بيضاء رود الشباب قد غُمِستْ   فى خجل دائم يعصفرها

لا تبعث العُود تستعين به   ولا تبيت الأوتار تخفرها

وبعد هذا الوصف بالتصون يقول فى القصيدة نفسها :

وليــــلة الشك وهو ثالثنا   كانت هنات والله (يغفرها)

وعلى فرض صحة حدوث ما يستوجب (الغفران) أيليق ذكر ذلك فى النسيب الذى يصفها فيه بالتَّصوُّن ؟ وأدهى من ذلك أنه عاد وهجاها أفحش هجاء بقول لا يتفق وما وصفها به من التصون وهو قول لا يمكن الاستشهاد به (صفحة ١٠٩ من طبعة الجوائب) وفيه أنكر عليها التصون والعفة والجمال والأنوثة. وقصته مع نسيم غلامه معروفة إذ كان يبيعه ويقبض ثمنه ثم يعود فيهدد الذى اشتراه حتى يرده إليه هدية كى يكسب المال. ونسيبه فيه نسيب ظاهره الرقة وباطنه فساد الذوق الذى يكون عند ما تنعدم العاطفة وتُدَّعى تمثيلاً قال فيه :

فقل لنسيم الورد عنِّى فإننى   أعاديك إجلالاً لوجه (نسيم)

ولو كانت عنده عاطفة لقال :

فقل لنسيم الورد أقبلْ فإننى   أحبك مِنْ حبي لوجه نسيم

أو مِنْ حبي لطيب نسيم ، أو ما شابه ذلك إذ لا يُعقل أنه يكره الرائحة الزكية لأن نسيم الورد اسمه مثل اسم نسيم . ما بقى إلا أن يتغزل فى الرائحة الكريهة إجلالاً لوجه نسيم كما يقول . وقال أيضاً فيه :

لم يجدْ مثل ما وجدتُ وما أنـ   ـصفت إن أنت لم تجد مثل وجدى

كيف يكون من الذوق والصدق أن يطلب من ذلك المملوك الصغير أن يعشقه ويحس بوجد مثل وجده به والبحترى شيخ كبير والمملوك غلام صغير ؟ أظن أن هذه الشواهد كلها تزكى وصفنا للبحترى وكنا لا نريد الإطالة – وهو وصف على أى حال لا يطعن فى علو صنعته .

فقد وصفنا فى مقالة (صيانة العقيدة من احتيال النفوس) أن النفس البشرية تستطيع أن تخفى عن نفسها قبح رذائلها وأن تزكيها بأن تلبسها لباس الفضيلة أو الدين

ومن نظراته الصادقة أيضاً قوله :

وما القرب فى بعض المواطن للذى

يرى الحزم إلا أن يشطّ ويَبْعُدَا

فقد يكون فى البعد من الإبقاء على المودة ما لا يكون فى القرب . وهذه النظرات الصادقة ليست قليلة فى شعره بالرغم من فساد نظرته أحياناً . وأختم قولى عن البحترى بأن أعيد بيتاً له أعجب به وهو قوله :

ما أضعف الإنسان لولا همة   فى نُبْلِهِ أو قوة فى لبه

إذ يعجبنى منه اختصاصه النبل بالهمة واللب بالقوة وجعل قوة الإنسان فى همة نبله كما جعلها فى قوة لبه

(١) تولى المعتز ثم فتك به الجند أيضا ثم ولوا المهتدى ثم فتكوا به أيضا وولوا المعتمد فى زمن قصير فتكوا بالمتوكل والمستعين والمعتز والمهتدى ويقال إن المتصرمات مسوما .

والغريب فى أمر البحترى أنه قد يخطئ فى المعنى إذا كان نسيباً ويصيب فيه إذا كان مدحاً كأن الرُّغبَ فى قلبه أشد من الحب . أنظر كيف فسد ذوقه فى قوله فى النسيب وقوله فى مملوكه نسيم :

فقل (لنسيم الوَرْدِ) عنى فإننى أُعادِيك إجلالاً لوجه نسيم

ثم إلى قوله فى المدح :

إنى لأضمر (للربيع) محبة إذ كنتُ أُعْتَدُّ الربيع أخا كا

وإصابته فى البيت الثانى كانت خليقة أن تجعله يقول فى البيت الأول إنه يحب نسيم الورد لمشابهة الورد للنسيم ، كما أحب الربيع لمشابهته للمدوح ، ولكن له سقطات فى وصف الأحاسيس وماتقتضيه من القول شأن القائل بالصنعة لا بالعاطفة وإنْ كان أميراً لها . وأدهى مما ذكرنا أن عظيما من بنى حميد ماتت ابنته فحزن لموتها فنظم البحترى قصيدة يعزيه فيها فقال إن العاقل ينبغى ألا يحزن لموت أنثى أيّة كانت لأنها قد تجلب العار :

واستذلّ الشيطانُ آدم فى الجـنة لَمَّا أغرى به حَوَّاء

والفتى مَنْ يرى القبور لَمَا طا ف به من بناته الأكفاء

نعم إنه يُعرِّض بمعنى العارْ ولا يصرح ولكنه تعريض كتصريح ، فى القصيدة يقول : إن أعاظم العرب ما كانوا يئدون بناتهن فقراً (بل حَمِيَّةً وإباء) وذكر احتمال العار كى يعزى به أباً حزيناً على فقد ابنته، والمُعزَّى من أعاظم الناس والفتاة التى ماتت من كريمات النساء . فساد فى ذوق الصانع حتى مع احتمال حدوث العار لو عاشت إذ يكون من لجاءات الحياة التى لا تتفق وكرم محتد التى يرثيها . هذا هو خطأ ذكاء الصنعة، أما إذا أسلم نفسه لذكاء الطبع والبصيرة النفسية (السيكولوجية) أتى بنظرات صادقة فى النفوس والحياة مثل قوله :

إذا أحرجت ذا كرم تخطَّى إليك ببعض أخلاق اللئيم

واختياره كلمة اللئيم للكريم المُخْرَج ليس فيه مبالغة كما يعرف المفكر فى أخلاق الناس ، كما أنه ليس من المبالغة قوله فى البخل أو اللؤم أو ما شابه ذلك :

وتماحكوا فى البخل حتى خلته ديناً يدان به الإلٰه ويُعبَدُ

عبد الرحمن شكرى

فى الأدب العربى الحديث

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

عنى الباحثون فى الآداب العربية من الإفرنج فى العصور الأخيرة باتجاهات الأدب العربى الحديث من سبل التحقيق العلمى ووسائل الدرس الفنية ؛ وسرعان ما ظهرت عناية هؤلاء الباحثين فى الدراسات والمباحث التى قاموا بنشرها فى السنين الأخيرة فى مختلف اللغات الأوربية عن الأدب العربى الحديث . وخير هذه الدراسات الفصول القيمة التى يكتبها المستشرق الألمانى الكبير « كارْلْ بْرُوكلْمانْ » فى « ملحق تاريخ الآداب العربية » وقد صدر منها أخيراً جزآن عن الشعر المصرى فى العصر الحديث . غير أن ساحة الآداب العربية الحديثة (رغم هذه الدراسات) لا تزال غير مطروقة فى جميع نواحيها بالبحث ، والنواحى التى طرقت منهـا لم تتعد دائرة رسم الاتجاهات العامة والخطوط الأساسية . لهذا كانت الحاجة ماسة لدراسات مستفيضة عن الأدب العربى الحديث من طرق التحليل العلمى وسبل التحقيق الذى درج عليه الباحثون فى تاريخ الآداب ووسائل الدرس الفنية

وتحت تأثير هذه الحاجة ومعرفتنا للغة العربية التى حصلنا عليها لظروف عائلية بين تركيا ومصر اندفعنا إلى دراسة الأدب العربى الحديث فى اتجاهاته وأعلامه فى دراسات مفصلة ، ظهرت آثارها فيما نشرناه منذ عام ١٩٣٦ فى اللغات الألمانية والروسية والتركية والإنجليزية والعربية . وكان أن رغب إلىّ بعض الزملاء من أدباء العربية أن أنشر دراساتي فى اللغة العربية لفائدة الناطقين بها من جهة، ولإمكان استفادة كل الباحثين من المستعربين الإفرنج فى آداب العرب من جهة أخرى ، مما لا يتحقق فائدته على نفس الوجه فى الكتابة فى لغة من اللغات الإفرنجية التى يجرى قلمنا بها

وتحت تأثير رغبة هؤلاء الزملاء وتشويقهم ، لخصت جانباً من دراستى التحليلية التى كتبتها فى الألمانية عن « شاعر العراق الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى » ونشرتها بالعربية كما ترجمت بحثى عن الأستاذ الدكتور « طه حسين » ومضيت أضع دراسة عن الأديب الكبير « توفيق الحكيم » صدرت فى الشهر الفائت ثم انثنيت أدرس الأديب الشاعر « خليل مطران » وأضع دراسة مفصلة عنه ، تكفلت بنشرها متتابعة مجلة « المقتطف » شيخة المجلات العربية . وحدث أن عرضت فى الفصل الثالث من دراستى للطريقة التى استحدثها خليل مطران فى نظم الشعر، وتناولت بالكلام العام الأثر الذى تركه مطران بمحاولته التجديدية فى جيل من الأدباء الذين نشأوا فى عصره وقلت فى معرض الكلام ما نصه:

« على أن الأثر — أعنى الأثر الذى استحدثه مطران — توضح واستبان فى العقد الثانى من قرننا هذا ؛ إذ ظهر فى مصر شاعران كبيران هما : أبو شادى وشكرى . ثم ظهر فى أواخر الحرب خليل شيبوب الذى ينفرد من بين كل المتأثرين باتجاهات مطران بأنه لا يزال إلى يومنا هذا أميناً للعناصر التى يقوم عليها مذهب الخليل فى نظم الشعر . وهو فى ذلك عكس زميليه أبى شادى وشكرى اللذين استقلا بمذهب لهما فى قول الشعر مع الزمن ، وإن كان مذهبهما يتقوَّم على أساس من مذهب الخليل، فعبد الرحمن شكرى كان ذهابه لانجلترة سبباً لوقوعه تحت تأثير المذهب الطبيعى الإنجليزى ، وكان أن تغلبت عليه نزعة من التشاؤم نتيجة لعوامل تتصل بنفسه . فاستقل بمذهب فى الشعر يقوم على أساس التأمل والتفكير الخصب الذى يماشى الشعور العميق الذى يشوبه مسحة من الكآبة ... »(١)

غير أن هذه السطور رغم ما تنطق من عظيم التقدير لأدب الشاعر الجليل « عبد الرحمن شكرى » فإنها لم ترضه . فكتب فى المقتطف وفى الرسالة ، وعاود الكتابة فيها يناقش مطالعاتنا مقرراً براءة شعره من أثر مطران مبدياً التذمر من نسبتنا نزعة التشاؤم له ، محملاً رأينا أنه وقع تحت تأثير المذهب الطبيعى الانجليزى أكثر ما يحتمل !

وكان بودى أن أصحح الموقف عقب الكلمات الأولى التى كتبها الأديب الفاضل شكرى ، ولكنى لست أملك من وقتى وصحتى ما يملكه هو حتى أبادر إلى التصحيح فى حينه ، فليعذرني لهذا وهو خير من يتفهم الأعذار

(١) المقتطف م ٩٤ ج ٣ ص ٣٠٦ — ٣٠٧

وقبل كل شيء يستحسن أن أحدد نقطة الخلاف الأساسية . فأنا أقول إن خليل مطران استحدث فى الأدب العربى أسلوباً جديداً فى النظم يقوم على أساس قول الشعر باعتبار وحدة الشعور وإطراد الخواطر وتسلسل المشاعر واتساق المعنى . وأظن أن الشاعر الفاضل عبد الرحمن شكرى لا يختلف معى فى هذه القضية. ثم إنى أقول إن مطران أثر فيمن جاءوا بعده من الشعراء ، وأقرر أن هذا التأثير بدا بصورة قوية عقب ظهور ديوانه عام ١٩٠٨ ، وهذا التأثير يعترف به على شعره الدكتور أبو شادى والدكتور ابراهيم ناجى كما يعترف بذلك الشاعر الفاضل خليل شيبوب . وهناك روايات مستفيضة ترددت نحو ثلاثين سنة فى المجلات والصحف الأدبية فى مصر وسوريا ولبنان والمهجر ناطقة بأثر مطران التوجيهى فيمن أتوا بعده من الشعراء المجددين فضلاً عن أثره فى بعض معاصريه من شعراء العربية الأعلام، وهذه الروايات تحمل فى تضاعيفها فكرة تأثر شكرى بمطران ، وهى حين تتكلم عن هـذا الأثر لا تتكلم عن تأثر شكرى بأخيلة مطران وعبارته ، وإنما تتحدث عن تأثره بطريقة مطران فى النظم : وحدة فى الشعور واطراد فى الخواطر وتسلسل فى المشاعر واتساق فى المعانى تترسل بضبط وتتمشى بإحكام فى مختلف أجزاء القصيدة أو المنظومة

وإذاً يكون كل تفسير من شاعرنا الجليل يخرج الكلام عن حقيقته وإنكار للواقع لا نرضاه من أديب مثله .

هذا وأنا بصفتى مستعرباً – ويلاحظ هـذا أديبنا المفضال جيداً – مهتم بدراسة الأدب العربي فى اتجاهاته وتطوراته ، ومناحيه ، وفى أعلامه ، أتخذ طريقة من البحث منهجية ، أمزج فيه التحقيق بالافتراض ، والاستقراء بالتخيل ، فأتناول بعض الأشياء تناولاً حدسياً Intuitive – أو قل أولياً a priori لأن التحقيق فى كل نوع غير مستطاع. لهذا أقف فى بعض النقط من دراساتى عند مجمل الشيء دون أن أنزل إلى تفاصيله تاركاً التفصيل والتحقيق لمواقف أخرى . ومن المعروف فى الأساليب المنهجية أن طريقة الحدس فى الدرس ترجع إلى مراجعة سريعة للمبادىء والانتقال دفعة واحدة منها إلى النتائج دون وقوف طويل ولا تحقيق مستفيض فى الحلقات الوسطى . وأنا لم أخرج فى بحثى عن تأثر شكرى بمطران عن حكم هذا النهج ؛ فكل المراجع تقرر أن شكرى من المجددين كأقرانه تأثر بمطران وليس فى استطاعتى مخالفتها إلا بتحقيق ، لأن البحث عن مطران والتحقيق غير مستطاع . لهذا أخذت كلام المراجع قضية أولية فى مثل هذا الموضوع الفرعى الذى لا يمكننى أن أستقصيه إلا وأنزل لدقائقه وتفاصيله ، والبحث لا يستلزم منى كل هذا ، ولكن للتثبت من صحة هذه القضية الأولية اكتفيت أن أنتقل إلى نتائجها الأخيرة ، أتحقق من وحدة الطريقة عند مطران وشكرى ؛ ومراجعة سريعة لديوان مطران ودواوين شكرى لا تدع مجالاً للشك فى هذه الحقيقة . والفروق الممكن رؤيتها ترجع إلى الاختلاف فى الشخصية والأصل الثابت فى طبيعة كل منهما كفردين تقوّم كل منهما بشخصية أصيلة . وعند هذا الحد وقفت على أن أعود إلى الموضوع أحققه فى تفاصيله ووقائعه فيما كنت أريد أن أكتبه عن شكرى من دراسة .

على هذا الوجه تتضح المقدمات الأولية فى بحثنا التى جعلتنا نقدر تأثر شكرى بمطران . ويستبين من ذلك أنه ليس هنا لك فى فكرنا ما يتوهمه الشاعر الفاضل شكرى من تقليل من شأنه ، وأنه لم يدر بخلدنا أن ننتقص من أمره فى كلامنا ؛ وأن بحثنا مستقيم من مناهج البحث القويمة، لا ضعف فى التخرج ولا تهافت فى الرأى ولا قصور فى النظر إلى جوانب الموضوع كما راح يغمزنا ويغمز دراستنا الأديب الفاضل

* * *

بقيت مسألة تتفرع من فكرة تأثير مطران فى جيل من الأدباء الذين عاصروه أو جاءوا بعده . وهذه المسألة تقوم على أساس تفهم وجه التأثر ؛ فقد يكون التأثر بشعر مطران ، وقد يكون بالأثر الذى تركه مطران فى المحيط الأدبى . أما عن الوجه الأول فذلك يكون إما باحتذاء مطران فى طريقته كما هو الحال عند شيبوب، أو التأثر بالطلاقة الفنية عند مطران كما هو الحال عند أبى شادى، أو التأثر بجو شعر مطران وأخيلته كما هو الحال مع إبراهيم ناجى. وهذه الحالات كلها وإن تباينت فيما بينها ، إلا أنه يجمعها شيء واحد هو التأثر المباشر بشعر مطران . أما عن الوجه الثانى فبيان ذلك فى مجاراة النسق الجديد الذى أتى به مطران ؛ نزولاً على أحكام الجو الأدبى والبيئة الفنية التى تطعمت بمحاولات الخليل

التجديدية . ومثل هذا واضح فى محاولات أحمد شوقى فى إقامة طرز جديد من الشعر فى الفترة التى جاءت عقب الحرب العظمى . ولا يعترض علينا بأن الحاجة كانت ماسة لهذه الضروب من الشعر نزولاً على أوضاع الحياة الجديدة التى دلف إليها المجتمع الشرقى . لأن روح التردد والإحجام عن استحداث مثل هذا الحدث كان يسود الجميع . فضلاً عن أن الشخصية التى تتقوّم بأوضاع الحياة الجديدة على وجهها الجديد وتماشى حاجة العصر لم تكن وجدت ، لأن الجميع كانوا تحت تأثير سريان الشعر القديم . ولا شك أن العصر من حيث أدرك نفسه فى شخص مطران الرائد الأول لحركة التجديد فى ميدان الشعر فى الأدب العربي ، حمّل الجو الأدبى لوناً وجعله يتطعم بصورة جديدة : تلك التى تطالعنا من حركة الجديد اليوم

ولا شك عندى فى أن حذق الخليل وتحايله على جمود عصره هو الذى مكن أقدام الشعر الجديد . عناية مطران بأن يكسو شعره ديباجة عربية خالصة ، واتخاذه الأغراض الاجتماعية التى تدور عليها الحياة فى عصره ، هى التى جعلت الناس تتشرب الجديد ولا ترى غضاضة فى تذوق أخيلته ومعانيه المستحدثة . والحق يجب أن يقال إنه لولا مطران لما كان لنا أن نرى اليوم تلك المحاولات التى قام بها الشعراء المجددون من شعراء الثقافة الحديثة فى مصر

وعلى هذا لنا أن نفهم مناحى تأثير مطران فى جيل من الأدباء الذين عاصروه والذين أتوا من بعده ولحقوه . وعلينا لكى ننصف التاريخ الأدبى أن نقدر كل ذلك ، وفى ضوئه نصدر أحكامنا ونُدلى بتطالعاتنا عن الأدب العربى الحديث

وقد حاول الشاعر الفاضل عبد الرحمن شكرى فى مقاله بالمقتطف أن يخرج بالموضوع عن دائرته الحقيقية إلى بحث فى العوامل التى أثرت فى نفسه فقومت شخصيته على النمط الذى يظهر من مطالعة شعره . ولست براغب فى نقاشه فى المسائل التي ذكرها ، لأنها من أمس الأشياء بذاته وشخصه ، والإخلاص الأدبى يضطرنا إلى تصديقه فيها . ولكن كل الذى أرغب أن أقدره هنا أنه كشف بما كتب عن العوامل التى أثرت فى نفسه فجعلته يميل لقرض الشعر ؛ إلا أنها لا تبين الأدوار التى مر بها حتى قومته على النمط الجديد الذى يظهر من مطالعة شعره فى الدواوين الأخيرة ، وفى بعض الأجزاء من روايته الأولى ، ولا شك أن شاعرنا لا يعتقد أن شخصيته الأدبية وضحت واستقامت من الأدب القديم بدون أن يكون للجديد أثر عليه . فصحيح أن الأستاذ شكرى تأثر بشعراء الصنعة العباسية وبشعر العرب القديم وبشعر البارودى فى الطور الأول من حياته الأدبية ، وذلك على الوجه الذى أشار إليه فى مقاله الأخير بالمقتطف ؛ على أن ما استقامت به شخصيته من نمط جديد لا أظنه ينكره ، وهذا النمط هو الذى يعنينى ويعنى كل باحث فى تصرف شاعريته

ونحن نعتقد أن فى إمكانه أن يخرج المسألة تخريجاً يوافق دعواه التى يدّعيها ، ويقول إن ما ظهر به من نمط جديد إنما يرجع لارتيائه فى دواوين الشعر الأوربى ، ولكن لكى نصحح هذه القضية يجب على شاعرنا أن يثبت عدم تأثره بمطران فى الوجهين المباشر وغير المباشر . وهو يستطيع أن يزعم أنه لم يقرأ مطران وأنه لم يتأثره ؛ ولكن لا أظن أن فى إمكانه أن ينفى عن نفسه تأثره بالجو الذى استحدثه الخليل فى الحياة الأدبية

فى إمكان شاعرنا الفاضل أن ينفى بصيغة البات ، ولكنه لا يقنع بذلك أحداً من الذين تقومت لهم شخصية فى دراسات التاريخ الأدبى

وأظن أننى بهذا المقال أوضحت الموقف وأجليت الفكرة دون نكران للواقع أو انتقاص لمكانة شاعرنا الجليل عبد الرحمن شكرى فى عالم الأدب الحديث . وليطمئن الأستاذ فإنى فى طليعة المعجبين بشعره والعناصر الأدبية والفنيـة الطيبة التى يتميز بها شعره ، وعبارتى فى المقتطف عنه ناطقة بهذا الإعجاب : « شعر يقوم على أساس التأمل العميق والتفكير الخصب الذى يماشى الشعور العميق » . أما حديث التفاؤل والتشاؤم فله مقال آخر

اسماعيل أحمد أدهم

(أبو قير)

المدرســـة الابتدائية

وتعليم اللغة الأجنبية

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

ورد فى تقرير اللجنة التى شكلت بوزارة المعارف برياسة سعادة الوكيل المساعد لدراسة هذا الموضوع ما يأتى :

« تكاد تجمع نظم التعليم بالبلاد الأجنبية على أن ليس من المصلحة أن يبدأ الطفل تعلم لغة أجنبية قبل أن يلم إلماماً كافياً بلغته القومية وقبل أن تتسع مداركه لاستيعاب تلك اللغة الأجنبية

ويرجع هذا الإجماع إلى أن المسئولين عن تربية الطفل يرون أن فى التبكير بتعليمه لغة أجنبية إرهاقاً له وإضعافاً للغته الأصلية، وأن تعليمه اللغتين فى وقت واحد يؤدى إلى عدم تمكنه من إحداهما. وهذا إن وافق دولة ما فالأحرى به أن يكون أكثر موافقة لمصر التى يختلف فيها تعلم اللغة الأصلية عن غيرها من الدول، وذلك لأن لغة الكتابة هنا غير لغة الكلام مما يجعل العبء أثقل على كاهل التلميذ المصرى »

وورد فى تقرير المستر مان الخبير الفنى الذى رفعه إلى وزارة المعارف منذ أكثر من عشر سنوات بصفحة ٩٤ ما يأتى :

« إن العبء الثقيل الذى تضمه هذه الحالة اللغوية الغريبة على كاهل الصبى المصرى تتجلى لنا شدة وطأته بوجه خاص إذا راعينا ما بين نشوء الفكر فى الذهن والتعبير عنه بالكلام من الاتصال الوثيق ، لأن من الصعب كما لا يخفى إدراك ما إذا كان فى الإمكان أن يوجد أحد هذين الأمرين مستقلاً عن الآخر . وعلى أية حال فإن من المؤكد أن توقيف تيار الفكر فى الصبى بتكليفه التعبير عنه بوساطة لغة أجنبية لا بد من أن يعوق نمو ملكة التفكير فيه . وهناك ما يجعلنى أعتقد أن الوسط الذى تنتشر فيه لغتان من شأنه أن يؤخر نمو القوى المدركة فى الأفراد الذين يعيشون فيها حتى ولو كانت هاتان اللغتان حيتين وشائعتى الاستعمال ، وعلى ذلك فإن بيئة الصبى المصرى الدراسية التى تتغالب فيها لغتان إحداهما ميتة لا بد من أن يكون أكثر تعويقاً لنمو مداركه من الوسط آنف الذكر . فبدلاً من أن تكون المراحل الأولى من تعليمه أطوار نمو طبيعية يكاد لا يشعر بها فإنه يراها شاقة إذ أنه لا يقضيها أحياناً إلا فى الكدح فى تحصيل قواعد كلامية »

وقال هنرى سويت فى كتابه : « دراسة اللغات العملية » ما يأتى :

« بما أن اللغات ليست عقلية إلا فى بعض عناصرها فإن تحصيلها لا بد أن يكون إلى حد كبير بطريقة آلية ، والدراسة الآلية لا تحتاج إلى عقل مبتكر ولا إلى ملكة ممحصة ناقدة »

ومنذ سنوات طويلة نبهنا الخبيران الفنيّان : مان وكلاباريد إلى النقص المخيف فى تكوين شبابنا وتنمية عقولهم فى نواح متعددة أهمها فى ملكات الابتكار والنقد والتفكير . وجاء فى هذا العام مكتب تخديم الشبان بوزارة المالية فأثبت لنا ذلك النقص عن طريق الشركات التجارية والصناعية التى أقدمت على استخدام بعضهم فظهر لها عجزهم فى كثير من الأمور . ولست أشك لحظة فى أن سبباً هامًّا من أسباب هذا النقص يرجع إلى دراسة اللغات الآلية التى نركز فيها همنا وهم الطفل منذ أول اتصاله بالمدرسة من غير أن نفسح مجالاً ما لظهور تلك الملكات الضرورية وإنمائها ! ويكفى أن ندلل على ذلك بأن الطفل بمجرد التحاقه بالمدرسة الابتدائية يصطدم بتخصيص ٢١ درساً من ٣٨ درساً أسبوعيًّا لدراسة اللغتين العربية والإنجليزية أى بمعدل ٤٦ فى المائة تقريباً من وقته الدراسى ، وهذا الوقت موزع بمعدل ٩ دروس للغة الانجليزية و ١٢ للغة العربية ؛ أى بنسبة ٢٤ فى المائة للغة الانجليزية و ٣٢ فى المائة للغة العربية . فأين تجد المدرسة وقتاً (بعد صرف هذا الوقت كله) للبحث عن ملكات التلميذ الضرورية وتشجيعها وإنمائها والعمل على تكوينه التكوين الصحيح اللائم؟

فإلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية إذن يرفع عن كاهل الطفل المصرى المبتدىء فى التعليم عبئاً ثقيلاً ينوء به ، شهد بوجوده العلماء والخبراء وأحس بثقله الكثيرون من رجال التربية والتعليم فى مصر ، وأقرت بقيامه اللجنة الرسمية التى درست هذا الموضوع . وإلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية يمكن المدرسة من إصلاح حالها فى مواطن متعددة لأنه يعطيها فرصة

واسعة للعمل مع زيادة تثقيف أبنائها في شتى النواحي القومية والخلقية، كما أنه يساعدها على اتباع أصول التربية وقواعدها المهملة إلى اليوم بين جدرانها . إذ المدرسة في جميع بلاد العالم لا تقف عند واجب التعليم فقط كما هو الحال عندنا ، ولكنها تتعدى ذلك إلى أمور تتصل بحياة الطفل وبمستقبله اتصالاً وثيقاً وتؤثر في نفسيته وتكوينه تأثيراً عميقاً يجعل المدرسة الحديثة تنكر نفسها إذا هي أهملتها أو انقصت من أهميتها . فلقد أصبحت دراسة ميول كل تلميذ على حدة وتوجيه وتشجيع مختلف الملكات فيه بمجرد ظهورها والعمل الدائم على إنمائها – أموراً لا يمكن للمدرسة الحديثة أن تحيا بغيرها ! والمدرسة المصرية الحالية مع الأسف العميق لا تعنى بشيء منها ! ولا يمكن أن تعنى بشيء منها مادام ٥٦ في المائة من وقتها ضائعا في الدراسة النظرية استعداداً للامتحانات !

هذا ولا يذهبن الظن ببعضنا إلى أن إلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية يضعف حالة هذه اللغة في المدارس الثانوية أو يقلل من أهميتها ، فالأدلة المحسوسة كثيرة على أن هذا العمل يرفع من قيمة هذه اللغة ويقوى مركزها في التعليم الثانوي والمتوسط التجاري بصفة خاصة ويجعل الاهتمام بها أكبر وأعظم لأن التلميذ الذي انتهى من التعليم الابتدائي حيث تكون تكويناً ملائماً يأتي إلى المرحلة التالية مليئاً بالحيوية والنشاط متجها اتجاهاً جديداً تدفعه جدته إلى الحماس في الأخذ به . ثم إن القوة في دراسة لغة من اللغات لا تتوقف فقط على طول المدة التي يقضيها الطالب في دراستها لأن هذه المدة عامل ثانوي بجانب الطريقة نفسها التي تتبع في تدريسها وبجانب حماس المعلم وقدرته . وهي أمور إذا أحسنت واستكملت أسبابها دفعت بالطالب دفعاً إلى الاطلاع والقراءة وهي الغاية القصوى التي يجب أن يسمى إليها المعلم والمدرسة معاً . ولا نستدل على ذلك بأكثر مما نراه رأى العين في مدارسنا اليوم إذ نرى مستوى طلاب البكالوريا في اللغة الفرنسية لا يقل كثيراً عن مستواهم في اللغة الإنجليزية بل قد يزيد أحياناً مع أنهم أنفقوا طوال أربع سنوات بالمدارس الابتدائية في دراسة اللغة الإنجليزية من غير أن يدرسوا كلمة واحدة في اللغة الفرنسية ، ثم أخذوا يدرسون اللغة الإنجليزية طوال مدة التعليم الثانوي بمعدل تسعة أو ثمانية دروس في الأسبوع في نفس الوقت الذي لا يدرسون اللغة الفرنسية إلا بمعدل أربعة دروس في الأسبوع فقط في مرحلة التعليم الثانوي وحدها، فماذا يقول أنصار إعطاء مدد طويلة لتعليم اللغات بعد هذا الدليل المادي القوى ؟ فإذا رجعنا ببصرنا بعد ذلك إلى الماضي وجدنا عجباً ، وجدنا أن معظم وزرائنا ومستشارينا وقضاتنا الذين تعلموا على النظام القديم ولم يدرسوا اللغة الفرنسية إلا في السنتين الأخيرتين من التعليم الثانوي استطاعوا بعدهما أن يدرسوا مواد العلوم المختلفة في مدرسة الحقوق باللغة الفرنسية وأن ينبغ الكثيرون منهم فيها

فهل يصح بعد كل هذا أن نخشى على اللغة الإنجليزية إذا نحن أخرنا البدء بدراستها إلى ما بعد مرحلة التعليم الابتدائي ؟ لا شك في أنه لا خوف عليها مطلقاً إذا ألغيناها من التعليم الابتدائي كما إنه لا خوف على اللغة الفرنسية إذا أجلنا البدء بتعلمها إلى ما بعد سنتين من مرحلة التعليم الثانوي

وفوق هذا وذاك فإنا نعلم أن الطريقة المتبعة في تعليم اللغة الإنجليزية بالمدرسة الابتدائية الآن هي نفس الطريقة المتبعة في تعليمها بالمدرسة الثانوية وهي طريقة West ولم يقف الأمر عند ذلك بل نجد أن الكتب التي يدرسها التلميذ في المدرسة الابتدائية يعيد دراستها هي نفسها في المراحل الأولى من المدرسة الثانوية، وفي هذا اعتراف رسمي عملي بعدم أهمية دراسة اللغة الإنجليزيه بالمرحلة الأولى وبأن الطالب إنما يبدأ بتعلمها فعلاً بمرحلة التعليم الثانوي

أما ما نستفيده عملياً من تعليم اللغة الأجنبية في المدرسة الابتدائية فيتبين بصحيفة ٢٣٨ ، من مؤلفي « التعليم والمتعطلون في مصر » إذ قد ورد فيه « أما النتيجة العملية التي يستفيدها الطلاب ، وتستفيدها البلاد من تعليم اللغة الإنجليزية في المدارس الابتدائية فتتبين من الإحصائية التي تنتقل بناجحي الشهادة الابتدائية إلى البكالوريا حيث ينتظر أن يفيدوا أو يستفيدوا من تعلم اللغة الأجنبية . وهنا أوردنا إحصائية يتبين منها النسبة المئوية لناجحي البكالوريا إلى ناجحي الابتدائية في عدة سنين تقع بين ١٧ و٢٦ في المائة . ثم قلنا : « فإذا علمنا أن نحو ثلثي الناجحين في الابتدائية يقفون عند هذا الحد من التعليم وأن ناجحي البكالوريا

على هامش الفلسفة

طريقة الأخلاق أيضاً

للأستاذ محمد يوسف موسى

رأينا عدم غناء الطريقة الاستنتاجية فى الوصول إلى مُثُل عليا مرضية من الجميع ؛ وهذا ما دفع فريقاً من الفلاسفة للتوجه وجهة أخرى فى تعرف الخير والشر والحسن والقبيح ؛ هذه الوجهة هى الحاسة الأخلاقية أو اللهمة ، حاسة المعرفة المباشرة التى لا تحتاج لنظر واستدلال ، بل يكفى أن نلجأ إليها لتهدينا سواء السبيل

هذه رسالة كل فلاسفة أخلاق العاطفة تقريباً كرجال المدرسة الإنجليزية والأبكوسية فى القرن الثامن عشر أمثال : شافِتسبِرِى (١) ، وهَتشسون (٢) ، وآدم سمِيث (٣) . ثم جان جاك روسو الفيلسوف والكاتب الفرنسى المعروف ، وشارل جوستاف جاكوبِى العالم الرياضى الألمانى الذى عاش فى القرن التاسع عشر

« هتشسون » مثلاً يرى أن هذه الحاسة تميز الخير من الشر كما تميز العين الألوان ، وتجعل المرء يحس مسرات وآلاماً معنوية خاصة هى نتيجة ما يعمل من خير وشر . و « روسّو » يرى فيها ، وبعبارة أخرى يرى فى الضمير لأنهما اسمان لمسمى واحد ، القوة التى تلهمنا القانون الأخلاقى . تراه يناجيه مناجاة خالدة يقول فيها : « أيها الضمير ، أيتها القوة الفطرية الخالدة ، أيها الصوت السماوى ، أيها القائد الأمين للانسان الجاهل المحدود ـ وإن كان ذكياً ـ حرا فى إرادته ، أيهـا القاضى الذى لا يضل فى تمييز الخير من الشر ... إنه أنت أشرف جزء فى طبيعته ، وإنك الفضيلة من أعماله . بدونك لا أشعر بما يرفعنى عن الحيوانات ما عدا الميزة التى تجعلنى أضل فى ميدان الأخطاء ، وهى أداة الفهم التى لا قاعدة لها ، والعقل بدون مبادئ يسير عليها » (٤) . أما « جاكوبى » فيقول : « ما هو الخير ؟ كل امرئ يملك فى قلبه إلهاماً مباشراً به وقوة إلهامية تبينه له » (٥)

هذا الفهم ؛ هذه الطريقة فى تعرف القانون الأخلاقى يستحق ما وجّه له من نقد شديد من كبار المفكرين وخاصة الأستاذ العلامة « ليفى برهِل Lévy Bruhl » فى مؤلفه القيم « الأخلاق وعلم العادات » حين يقول : « هذا المذهب يفترض أن الطبيعة الإنسانية هى واحدة فى نفسها لا يعتورها التغير فى جميع الأزمان والبيئات ، وأن محتوى الضمير الأخلاقى يكون مجموعاً منسجماً منظماً ، ولكنا علمنا سابقاً كيف كان اختلاف الأفكار الأخلاقية شديداً حسب العصور المتعاقبة ، وكيف اختلفت وتختلف

---

(١) فيلسوف انجليزى فى الأخلاق (١٦٧١ — ١٧١٣) كان يرى أن الخير فى توازن غريزتى حب النفس والغير

(٢) من العلماء الانجليز فى الأخلاق واللاهوت (١٦٩٤—١٧٤٦)

(٣) أحد علماء الاقتصاد الأبكوسيين (١٧٢٣ — ١٧٩٠)

(٤) P. Janet: Eléments de philosophie scien. et phi. Morale.

(٥) Challaiy : La philosophie scien. et phi. morale.

لا يتمكنون جميعاً من الالتحاق بالجامعة ، وأن الكثيرين منهم يرسبون بعد ذلك خلال مرحلة التعليم الجامعى ، وإذا علمنا أن الطالب كان يتعلم اللغة الإنجليزية إما للوصول إلى التعليم العالى أو التفاهم بها مع الموظفين الانجليز المديدين الذين كانوا يملأون دواوين الحكومة عند توظفه . وقد زال هذا السبب الآن واقتصر فى تعلم اللغة على الغرض الأول وهو البحث العلمى والاتصال بالآراء الحديثة ، عرفنا مقدار التضحيات الجسام التى تضحى بها مصر الآن من مجهودات أبنائها ومن أموالها علاوة على إرهاق الطلبة فى سبيل توصيل عدد ضئيل من أولئك الأبناء إلى التعليم الجامعى للانتفاع بتلك اللغة »

بعد هذا كله لا نرى أمامنا غير طريق واحد للسير بالتعليم قدماً نحو الديمقراطية الحقة ونحو النظم التعليمية والاجتماعية السليمة ونحو مصلحة مصر وشعبها وذلك بإلغاء اللغة الأجنبية من المدرسة الابتدائية إلغاء تاماً وإدماجها مع غيرها من مدارس الأطفال فى مدارس شعبية موحدة

عبد الحميد فهمى مطر

أيضاً الآراء الأخلاقية باختلاف الأمم والشعوب[1] كيف كان من الممكن إذاً — لو أن هذا المذهب صحيح — أن توحى هذه الحاسة التى لا تضل كما يقولون هذه المبادئ المختلفة أشد الاختلاف بل المتناقضة فى بعض الحالات ؛ ثم إننا نحس أحياناً كثيرة تنازعاً وخصومة مؤلمة حادة فى ضمائرنا حتى ليكون أسهل على المرء أن يعمل واجبه متى تبين له من أن يعرفه بوساطة هذه الحاسة

إنه من المستحيل أن يحدّ المرء نفسه بكتابة الأخلاق تحت إملاء الضمير ، وإذاً فلننتقل إلى بحث الطريقة الأخيرة لمعرفة المثل الأعلى الأخلاق ، وهى طريقة الاستقراء ، علّنا نصل إلى تحديده على نحو مقنع مرض للجميع

يرى فلاسفة مذهب اللذة الشخصية أمثال « أرِيستيبْ Aristippe السيرينى و « أبيقور Epicure » اللذين عاشا فى القرن الرابع قبل الميلاد ، أن الناس جميعاً يتطلبون اللذة فى كل ما يعملون كما يفرون من الألم دائماً ، على اختلاف بينهم فيما يعنون باللذة وفى تطبيق هذه القاعدة التى هداهم إليها استقراء ما فطر عليه الناس من طباع . كذلك نرى بعض فلاسفة الأخلاق المحدثين يصدرون عن هذا المذهب. هاهو ذا « جرمى بنتام » الفيلسوف الانجليزى المعروف فى القرن الثامن عشر يؤكد بعد استقراء طويل أن جميع الناس تبعثهم المنفعة أو السعادة على أعمالهم حتى فى الحالة التى يضحون فيها ببعض المنافع أو يقبلون شيئاً من الآلام ، لأن ذلك معناه تطلب منفعة أكبر وأفضل . إلا أنه يضيف إلى هذا تأكيداً آخر هو أن اللذة تكبر وتتسع حتى تشمل أكبر عـدد ممكن من الناس ، وأن سعادة كل امرئ لا تنفصل عن سعادة الجميع . من أجل هذا يجب على الإنسان باسم سعادته أو منفعته الخاصة أن يبحث فى أعماله عن « أكبر مقدار من السعادة لأكبر عدد ممكن » . وفى القرن التاسع عشر نجد « ستيوارت ميل » يبدأ بحثه بأن جميع الناس يبحثون عن السعادة ، فيرى لهذا أن تكون الغاية الإنسانية والمثل الأعلى الأخلاق هى « السعادة النبيلة التى تأتى من اللذائذ العالية ، مثل لذة التضحية فى سبيل إسعاد الغير والإنسانية »

حقاً هـذا كله مقنع مرض فى نتائجه إلى حدّ ما ، وحقائق نفسية لاشك فيها . ولـكن بأى طريق وصلوا إليها ؟ ها نحن أولاء نقبل مؤقتاً فكرة أن جميع الناس يبحثون ويجرون وراء لذاتهم أو منافعهم أو سعاداتهم ، غير أننا إن وقفنا عند هذا التحقق الاستقرائى بقينا دون مستوى الأخلاق التى تبحث فيما يجب أن يكون لا فيما هو كائن بالفعل . وإن أردنا من المرء أن يوازن ويختار بين هذه اللذائذ الخاصة أو العامة أو بين هذه الوسائل والأعمال التى تؤدى إليها ، تدخل حقيقة فى مملكة الأخلاق ولـكن فى الحين نفسه تترك مملكة التجارب والاستقراء !

فضلاً عن هذا فأخلاق المنفعة العامة تصطدم بهذا الاعتراض الذى لا محيص منه وهو أننا فى عديد من الحالات نجد تعارضاً بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة ؛ منفعتى أن يقتتل الناس للدفاع عن حقوقى ووطنى وألا أخاطر بنفسى بالدفاع عنهم ، وصالحى الخاص أن يكون مال الغير على حبل الذراع حتى أنتفع به كما أريد ، وأن أقبض يدى وأحفظ مالى فلا أساعد به سواى . وإذاً فى مثل هذه المنازعات بين المنفعتين أرى أن أخلاق « مِيلْ » التى تدعو للايثار تدعونى لجعل منفعتى تابعة للمصلحة العامة ولتضحية تلك فى سبيل هذه متى تطلب الأمر التضحية . ولـكن كيف يمكن قبول هذه التضحية أى تضحية المنفعة الخاصة فى سبيل العامة مع ما سبق أن قرروه من أن جميع الناس يجرون وراء لذاتهم ومنافعهم الخاصة ! أليس من التحايل المفضوح أن نضع تحت عنوان أخلاق المنفعة الخاصة أخلاقاً هى الإيثار الصريح ؟

إن من التعسف بل من المستحيل أن نأخذ من التأكيد الذى سبق تقريره وهو أن الناس يبحثون وراء لذاتهم أو سعاداتهم أنهم يجب أن يختاروا بين مختلف هذه اللذائذ والسعادات وأن يضحوا باللذات الدون التى مرجعها إرضاء عاطفة الأثرة فى سبيل الحصول على لذة من نوع أسمى وأعلى يحسها المرء من التضحية فى سبيل سعادة الآخرين ! ذلك التأكيد الاستقرائى وهذا الاختيار الواجب. أخلاقياً طرفان لا يلتقيان على رأى « باسكال »

وأخيراً فـكل المذاهب الأخلاقية التى تدخل فيها تجارب الحياة واستقراء ما فيها من البواعث والغايات تتحطم أمام هذه

---

(١) يرجع إلى العدد ٢٩١ من الرسالة

الحقيقة، وهي أن الاستقراء يعرفنا ما كان، بينما تقول لنا الأخلاق ما يجب أن يكون.

هناك بعض الاجتماعيين الأقرب عهداً من سابقيهم عرضوا ضرباً آخر من الأخلاق الاستقرائية، هو أن الأخلاق ترجع أولاً إلى علم العادات الذي مرجعه استقراء التاريخ وملاحظة الحاضر، يتداخل فيها فن عقلي ينظر في الظواهر الاجتماعية والأخلاقية لتعديل ما يجب تعديله منها. هذا هو المذهب الذي عرضه الأستاذ البحاثة « ليفي برهل » في كتابه الآنف الذكر: « الأخلاق وعلم العادات ».

الأخلاق أعني مجموع الواجبات التي تفرض على الضمير، لا تستند إلى مبادىء نظرية قامت عليها. إنها عمل، إنها حقيقة؛ عمل اجتماعي، وحقيقة اجتماعية كذلك. « إننا لا نعمل أخلاق شعب أو أخلاق تمدن لأنها عملت سابقاً »

إنه بلا شك قد يحصل أن يعارض المرء الحقيقة الأخلاقية بمثل أخلاقي أعلى وصل إليه بالنظر. ولكن هذا البحاثة يجيب عن هذا بقوله: « في الواقع ليس هذا المثل إلا ظهوراً في غير آنه مع بعض التغيير لحقيقة اجتماعية في ماض بعيد أو مستقبل ليس أقل منه بعداً؛ وهذا يكون بالدقة بعض الشيء من هذه الحقيقة التي يحملونه معارضاً لها ».

هذا ملخص ما رآه هذا العالم.

فما الرأي فيه ؟ موعدنا في بيان ذلك الكلمة الآتية وهي تمام هذه البحوث إن شاء الله تعالى.

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولندع الآن عرابياً فى رأس الوادى ولننتظر ماذا كان من أمر شريف ووزارة شريف . وهنا أبادر إلى القول إن هذه المرحلة من تاريخ مصر كانت أهم المراحل الماضية جميعاً منذ الحملة الفرنسية وأدقها وأبعدها أثراً فيما هى مقبلة عليه بعدها من مراحل

ظن الناس أن قد انجلت الناشية على نحو ما صور المستر بلنت ولكنهم لم يكونوا يعلمون أو لم يكن يعلم إلا الأقلون منهم أن وراء هذا الصفو كدراً ، وأن سماء السياسة كانت يومئذ كسماء الطبيعة صفت هنيهة لتتلبد بعدها بالسحب المركومة ، ولتتلاق فى جوانبها غرابيب سود من الغربان الناعبة فتكون حلكتها وطيوفها بعد هذا الصفو أقبح ما تكون منظراً وأشد ما تكون إيلاماً للنفوس وإزعاجاً للخواطر

وكيف كان يرجى دوام الصفاء وقد كانت الشباك منصوبة وقد أخذ الصائدون يدفعون الفريسة إليها دفعاً بعد أن أعياهم الأمر فلم يستطيعوا أن يأخذوها بالحيلة أو أن يعصبوا عينيها كما كانوا من قبل يفعلون ؟

كيف كان يرجى الصفاء وقد كان الخديو يضمر عكس ما يظهر كأن لم يكفه ما أصاب البلاد من جراء سياسته وتنكره للحركة الوطنية وإيجاده بما فعل الثغرة التى كان ينفذ منها الدخلاء والتربصون بمصر إلى صميم حركتها وقلب نهضتها ؟

وما أشبه توفيقاً فى ذلك الموقف ، بل وفى معظم مواقفه كما أسلفنا بلويس السادس عشر ، ذلك الملك الطيب القلب الذى كان يدفع الثورة فى بلاده بمسلكه دفعاً ، والذى يعزى إلى سياسته الملتوية المذبذبة أن تنكبت تلك الثورة منهاجها السلمى العاقل واندفعت فى طريق جرت فيها الدماء وتطايرت على جانبيها الأشلاء

ظهر ذلك الملك للنواب أول الأمر فى جلد الأسد ، ثم استخذى بعد وثبة ميرابو ، ولكن الشائعات طافت بأهل باريس أن الملك أخذ يستعد ويجمع حوله الجند ، فما لبث أن جرت الدماء فى باريس ودك الناس الباستيل رمز العبودية والجبروت ؛ ثم رأى أهل باريس بين الدهشة من الملك والزراية عليه والتهزىء به أنه يركب فى جماعة من النواب كان فى مقدمتهم ميرابو فيزور باريس ويطوف بأنحائها ويمر بخرائب الباستيل مظهراً عطفه على الثورة والثوار ، ولكنه يعود بعد ذلك فيأتى من معانى التحدى والنزق ما يجعل الشعب يذهب فيقتحم عليه غرف قصره فى فرساى ويعود به إلى باريس ليكون رهينة فيها ، ويتم الدستور فيرفع إليه فيوافق عليه ولكن ريثما يعد العدة للهرب ، ثم يضبط المسكين وقد أوشك أن يجتاز الحدود فيقضى هذا العمل عليه وتمضى الثورة فى طريقها مجنونة لا تلوى على شىء حتى تأكل آخر الأمر نفسها

ولقد كان توفيق يسلك تجاه الثورة العرابية مسلك لويس تجاه الثورة الفرنسية مع فارق واحد وهو أن الخديو، كان من ورائه الإنجليز فلما لجأ إليهم توفيق كما هرب لويس لم يقض هذا العمل عليه وإنما قضى على البلاد

تخلص توفيق من رياض وقد كان يسعى إلى التخلص منه ،

فكيف أراد أن يسلك شريف مسلك رياض ولقد كان الفرق بين الرجلين هو الفرق بين الاستبداد والديمقراطية ؟

لقد عادت الظروف من جديد تبين للخديو بأجلى وضوح أن الطريق الوحيـدة هى الانضمام إلى الحركة الوطنية ومشايعتها فى صدق وإخلاص ، ففى ذلك منجاته من تطرف هذه الحركة وجموحها ، وفى ذلك منجاة البلاد من تدخل الأجانب باسم المحافظة على عرش الخديو، ثم من احتلال البلاد باسم القضاء على الفتن والقلاقل

ولكن الخديو تنكب هذه الطريق فدفع تيار الثورة بمسلكه هذا كما كان لويس يدفع تيار الثورة فى بلاده . ولقد رأينا كيف آنس الثوار فى أنفسهم القوة منذ انضم العساكر إلى الحركة ، وكيف فهم الزعماء أنهم حصلوا على ما حصلوا عليه عن طريق الارهاب والقوة، بعد أن عجزوا عن ذلك عن طريق المسالمة والرجاء

ومن عجيب الأمور أنه لما انتهت الثورة إلى ما انتهت إليه حمل زعماؤها كل أوزارها وخرج عرابى المسكين بالنصيب الأوفى من هذه الأوزار ؛ مع أن الحوادث تثبت عكس ذلك ، وهى لو درست على حقيقتها وردت فيها الأمور إلى أصولها لرد ما يعزى إلى عرابى أو أكثره إلى الخديو دون أن يكون فى ذلك أقل تجن على هذا ولا أدنى تحيز لذاك

سار شريف على نهج حكيم فأرضى الأجانب بقبوله المراقبة الثنائية، وأرضى الوطنيين بتحقيق الآمال الوطنية، ولكنه ما لبث أن أحس أن هؤلاء الأجانب لا يدعون وسيلة لضم الخديو إليهم حتى لقد ترك شريف بعد مدة وجيزة يعمل وحده ، وكأنما وضع الخديو نفسه بنفسه فى عزلة

ولو أنها كانت عزلة عن الوطنيين دون اتصال بالأجانب وعلى الأخص بالإنجليز لهان أمرها ؛ ولكن توفيقاً قد سبب بعزلته أول الأمر ريبة ومخاوف فى قلوب العسكريين ؛ ثم تطورت الحال إلى كراهة وأدت الكراهة إلى المقاومة من جديد . ولقد كان أمام توفيق فى الواقع هيئتان : الوطنيون برياسة شريف ، والعسكريون بزعامة عرابى . وكان يستطيع بشىء من الكياسة والمهارة أن يرضى الوطنيين حتى لا يدع مجالاً لتدخل العسكريين من جديد، ولقد رأى بنفسه ما كان من أمر هذا التدخل بالأمس القريب

افتتح مجلس شورى النواب فى يوم ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٨١ وجاء فى خطاب توفيق فى حفلة الافتتاح ما يأتى : « أبدى لحضرات النواب مسرورىتى من اجتماعهم لأجل أن ينوبوا عن الأهالى فى الأمور العائدة عليهم بالنفع ، وفى علم الجميع أنى من وقت ما استلمت زمام الحكومة عزمت بنية خالصة على فتح مجلس النواب ولكن تأخر للآن بسبب المشكلات التى كانت محيطة بالحكومة ، فأما الآن فنحمد الله تعالى على ما يسر لنا من دفع المشكلات المالية بمساعدة الدول المتحابة ومن تخفيف أحمال الأهالى على قدر الإمكان، فلم يبق مانع من المبادرة إلى ما أنا متشوق لحصوله وهو مجلس النواب الذى أنا فاتحه فى هذا اليوم باجتماعكم »

هذا هو كلام الخديو فهل كانت هذه نياته ؟ تلك هى المسألة ونرى أن خير ما نجيب به هو أن نعرض الحوادث التى تلت ذلك ومنها يستبين إلى أى حد كان الخديو ينوى ما يقول

دأب الذين كانوا يعملون من وراء ستار على تخويف الخديو من ناحيتين : ناحية الحركة الوطنية وناحية تركيا موحين إليه فى الأولى أن حكم الدستور معناه ضياع سلطة الخديو، وفى الثانية أن تركيا لا ترتاح إلى توفيق وأنها تبيت له ما لا يحب . وغرض هؤلاء الذين كانوا يعملون فى الظلام واضح وهو أن يركن الخديو إليهم ليخلص من هذا كله

أما عن حكم الدستور فكان ذلك يقتضى حقاً أن يتنازل الخديو عن جانب كبير من السلطان المطلق إلى نواب البلاد وتلك هى المشكلة، وما كانت مشكلة فى مصر وحدها ، بل لقد كان لها مثيلات فى جميع الحركات الدستورية التى شهدها العالم ، فما قام الخلاف بين الملكية والشعب فى فرنسا إبان ثورتها إلا من هذه الناحية. وما استمرت القلاقل قروناً بين الملكية والشعب فى إنجلترة إلا بسبب ذلك . وما استقرت الأمور فى الدولتين إلا حينما أثبت الشعبان قوتهما . وإذاً فكان لابد أن يتفاقم الخلاف بين الشعب والخديو فى مصر حتى يثبت الشعب قوته أو يتنازل الخديو عن مبدإ الحكم المطلق ، ومن هذا الخلاف كانت تتاح الفرص للأجانب ليسيطروا على الخديو

وأما عن تركيا فقد كان توفيق يستريب ويخاف من سياستها . فكر السلطان أولاً أن يرسل جيش احتلال إلى مصر ليعيد فيها نفوذ الخلافة سيرته الأولى قبل عهد محمد على ؛ ولكن انجلترة وفرنسا ما زالتا به حتى استطاعتا بالسياسة حيناً وبالتهديد من بعد حيناً آخر حتى أقلع عن هذه الفكرة. ولقد أفادتا من ذلك فائدتين: بقاء مركز مصر على ما هو عليه بحيث يسمح لهما بالتدخل فى شؤونها ؛ والتأثير على الخديو بهذا أنهما هما اللاذ والسند

ولقد كان الأمير عبد الحليم بن محمد على فى الآستانة يدس الدسائس ويسعى سعياً متواصلاً لخلع توفيق وتولى حكم مصر بدلاً منه ، وكانت سيرة ذلك النشاط تزعج توفيقاً وتقلق مضجعه

وأخيراً أوفد السلطان وفداً إلى مصر برياسة على نظامى باشا، وقد فعل السلطان ذلك دون علم الدول الأوربية، ولم تعلم بذلك حتى الحكومة المصرية نفسها إلا عند ما وصل الوفد.

وكان عرابى قد كتب إلى السلطان قبل يوم عابدين كما أشرنا. ولعل السلطان أوجس خيفة من الحركة القائمة فى مصر، وظن أنها تنطوى على عناصر استقلالية ترمى إلى خلع سيادة الأتراك. وقد كان عبد الحميد يومئذ يقاوم الحركات الحرة فى بلاده ويبطش بالداعين إليها. ولكن الوفد كتب تقريراً عن الحال فى مصر جاء فيه على لسان الخديو أن البلاد هادئة ليس فيها مايخيف. وجاء على لسان رئيس الوفد أن رجال العسكرية والزعماء جميعاً يؤكدون ولاءهم للسلطان، وإنه لذلك يثنى عليهم ولا يخالجه شك فى حركتهم. ولقد قامت الدولتان بمظاهرة بحرية فى مياه الأسكندرية؛ فلما سألتهما الحكومة المصرية عن سبب ذلك أجابتا أن سفنهما تغادر الأسكندرية فى اليوم الذى يسافر فيه الوفد العثمانى عائداً إلى الآستانة؛ وقد تم ذلك فعلاً حينما غادر الوفد البلاد، ومعنى ذلك أن الحكومتين لن تسمحا للسلطان صاحب الحق الشرعى فى البلاد حتى بمجرد النظر فى أحوالها، ومعنى ذلك أيضاً أن يزداد تأثيرهما فى قلب الخديو فيلجأ إليهما إذا لزم الحال حتى ضد السلطان نفسه!

ورب قائل يقول إن فى مسلك تركيا ودسائس عبد الحليم ما يدع للخديو العذر فى الاعتماد على الدولتين، ولكن هذا زعم باطل؛ فرجال مصر جميعاً لم يكونوا فى تلك الأيام يفكرون مطلقاً فى الخروج عن سيادة تركيا، كما أنهم كانوا لا يسمحون للسلطان أن يزيد حقوقه فى مصر عن القدر المقرر فى الفرمانات. ولنفرض جدلاً أن للخديو الحق فى أن يخاف جانب السلطان أفلا يكون بالتجائه إلى الدولتين كالمستجير من الرمضاء بالنار، كما يقول المثل العربى؟ وهل كانت الدولتان تحميانه إلا لغرض؟ وهل كان هذا الغرض إلا رغبة كل منهما أن تحل فى مصر محل السلطان؟

إن الحوادث كلها كانت تشير للخديو إلى الطريق الوحيدة التى كان عليه أن يسلكها، ولكنه كما ذكرنا اختار الانحياز إلى جانب انجلترة منذ حادث عابدين مع تظاهره دائماً أنه يعطف على أمانى البلاد، وفى ذلك الخطر كل الخطر وفيه من أجل ذلك مسؤولية الخديو عن اتجاه الحوادث بعد ذلك إلى تلك السبيل التى أفضت بالبلاد إلى كارثة الاحتلال

ونعود إلى عرابى فنقول: إن الحكومة قد استدعته من مقره فى رأس الوادى وأسندت إليه منصب وكيل وزارة الحربية؛ وهو يعزو هذا العمل إلى ما بلغ الحكومة على لسان جواسيسها أنه يجول فى بلاد مديرية الشرقية فيتصل بالوجوه ومشايخ العرب محرضاً داعياً إلى نشر مبادئه وأغراضه. ويذكر عرابى أنه أنعم عليه وقتئذ برتبة اللواء (باشا) ولكنه رفضها مخافة أن يتهم أنه يعمل لشخصه. ولئن صح هذا وهو ما لا نستبعده، لكان لنا فى مغزاه حسنة نضيفها إلى حسنات هذا الرجل؛ حسنة نعتبرها من كبرى الحسنات فإن التهافت على الرتب والألقاب لم يزل حتى اليوم فى بلادنا المسكينة داء عياء يتغلغل فى نفوس سادتنا وكبرائنا!

ونقول لئن صح ذلك لأن الخبر من جانب عرابى فهو فى مرتبة الدعوى! ونقول إنا لا نستبعده مستندين فى ذلك إلى شاهد قوى، فهذا الرجل كان بطل الانقلاب يومئذ وعلى يده وصلت مصر إلى ما وصلت إليه؛ فلم يفد من وراء ذلك أية فائدة شخصية. ولو كانت فى نفسه يومئذ أطماع من هذا القبيل لرأيناه يصل على الأقل إلى مرتبة الوزير، ونقول على الأقل لأنه كان فى موقف تحكم فيه فى الخديو وفرض عليه الشخص الذى يؤلف الوزارة، وهو موقف يوحى إلى الأنفس الغرور، فلو خالج نفس عرابى يومئذ طمع فى جاه أو منصب لما وقف دونه إلى ما يبتغى حائل

ولقد اتصل بعرابى فى منصبه الجديد المستر بلنت وطلب صداقته فأجابه عرابى فى سرور إلى ما طلب وتصافحا. ولسوف تتمكن بينهما الصداقة وتتوثق عرى المودة سنين طويلة بعد ذلك

وجرى بين عرابى وبلنت فى هذا اللقاء حديث أثبته كل منهما فى مذكراته وفيه أشار عرابى إلى ارتياحه إلى تخلص مصر من مساوئ حكم اسماعيل ومن دسائس الجراكسة، ولكنه أبدى مخاوفه من سياسة انجلترة وفرنسا نحو مصر، وعبر عن أمله فى أن تعطف انجلترة على حركة الحرية فى مصر وهى الدولة التى تقدر الحرية، وكان عرابي يتوقع العطف من انجلترة أكثر مما يتوقعه من فرنسا ولا سيما من جانب المستر غلادستون الذى اشتهر بعطفه على الحرية فى كل مكان

وليت شعرى ماذا يطلب الذين يرمون عرابياً بالطمع والجهل والنزق، أكثر من هذه البراهين التى نسوقها على أنه كان بريئاً من هذا كله؟ ألم يأن لهؤلاء أن يقرأوا سيرة هذا الرجل فى غير تحامل عليه حتى يعرفوا لهذا المصرى المجاهد قدره وأثره فى نهضتهم القومية؟ وهل يوجد فى المعايب القومية عيب هو أشد قبحاً من جهل قوم برجالهم فى الوقت الذى يرون غيرهم يمجدون ذكرى رجالهم فيوحون

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٢٠ — والجروح قصاص

كان فتى يجلس إلى أبي الحسن الحرانى ، وكان يشرب الخمر فسكر ذات يوم فسقط على زجاجة فشجّ وجهه ، فاختفى إلى أن برئ ثم عاد إلى مجالسة الشيخ فلما رآه أنشد :

أجريحَ كاساتٍ أرقتَ نجيعَها ... طلبُ التِّراتِ يعزّ منه خلاص(١)

لا تسفكن دم الزجاجة بعدها ... إن الجروح (كما علمتَ) قصاص(٢)

ففهمها الشاب فتاب

٤٢١ — فلا تعلمنى وهو لك ...

فى (الحيوان) للجاحظ : قال صاحب الأهواز(٣) : ما رأينا قوماً أعجب من العرب . أتيت الأحنف بن قيس فكلمته فى حاجة إلى ابن زياد ، وكنت قد ظلمت فى الخراج ، فكلمه فأحسن إلىّ وحطّ عنى . فأهديت إليه هدايا كثيرة فغضب وقال : إنا لا نأخذ على معونتنا أجراً . فلما كنت فى بعض الطريق سقطت من ردائى دجاجة فلحقنى رجل منهم فقال : هذه سقطت من ردائك . فأمرت له بدرهم ، ثم لحقنى بالأُبُـلة(٤) فقال : أنا صاحب الدجاجة ثم لحقنى بالأهواز فقال: أنا صاحب الدجاجة. فقلت له : إن رأيت زادى بعد هذا كله قد سقط فلا تعلمنى وهو لك ...

٤٢٢ — ... والريح فى فمى فاعزم وتوكل

قال زنام(١) الزامر : قال لى المتوكل : تأهب معى إلى الشام فقلت : يا أمير المومنين ، الناى فى يدى ، والريح فى فمى(٢) فاعزم وتوكل

٤٢٣ — وقت شرابها نار العذاب

قال الثعالبى: بلغنى أن ديوان شعر ابن مطران(٣) حمل إلى حضرة الصاحب فأعجب به فقال : ما ظننت أن ما وراء النهر يخرج مثله ، ومر له فى الشراب المطبوخ :

وراحٍ عذبتها النـــار حتى ... وقت شُرّابها نارَ العــذاب

يذيب الهمَّ قبـل الحسو لونٌ ... لها ، فى مثـل ياقوت مذاب

ويمنحها المزاج لهيب خـــد ... تشرّب ماؤه ماء الشباب

فتعجب من حسن البيت الأول وتحفظه ، وكان كثيراً ما ينشده كأنه مقلوب قول السرىّ فى الخمر :

هات التى هى يوم الحشر أوزار ... كالنار فى الحسن عقبى شربها النار

٤٢٤ — مغن ...

الثعالبى فى (خاص الخاص) سمعت أبا بكر الخوارزمى غير مرة يقول :

أنا أحفظ فى هجاء المغنين ما يقارب ألف بيت ، وليس أبلغ وأوجز وأطرب من قول أبى الفتح كشاجم(٤) :

ومغن بارد النغـــمة مختل اليـدين

ما رآه أحـــد فى ... دار قوم مرتين(٥)

---

(١) النجيع : دم الجوف فى الأصل (الترة.) الثأر ، الذحل

(٢) يسفك : بكسر عين الفعل وقد تضم وقرئ بها . فى الآية : والجروح قصاص أى ذات قصاص والقصاص والتقاص فى الجراحات شىء بشىء

(٣) الأهواز : سبع كورين البصرة وفارس

(٤) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة (معجم البلدان)

---

(١) الشريشى : زنام الزامر هو الذي أحدث الناى ، وهو المزمار الذى تدعوه عامتنا بالمغرب الزلامى فصحفوه بإبدال نونه لاما وإنما هو زنامى

(٢) فالأمر لا يحتاج إلى تأهب ...

(٣) أبو محمد الحسن بن على بن مطران ، كان يجمع بين أدب الدرس وأدب النفس وأدب الانس فيطرب بنثره كما يطرب بشعره ، ويؤنس بهزله كما يؤنس بجده ، وكان مضطرب الحلقة (اليتيمة)

(٤) قال أبو إسحق الحصرى : كشاجم هذا اسمه محمود بن الحسن . كان كامل آلات الظرف . وقد ذكروا أنه سمى نفسه (كشاجم) لما يعلمه : فالكاف من كاتب ، والشين من شاعر ، والألف من أديب ، والجيم من منجم ، والميم من مغن . (قلت فى (أعلام الأستاذ الزركلى) اسمه محمود ابن محمد بن الحسين

(٥) فى ديوانه ونهاية الأرب بعده :

قربه أقطع للـذات من سطوة بين

إلى الأجيال القادمة معانى الرجولة بما يقدمون لهم من الأمثلة ؟

لقد أعجب بلنت بعرابى ووقعت عباراته من نفسه موقعاً حسناً. يقول بلنت فى ذلك : « وكان لهذا اللقاء الأول من حسن الأثر على رأيى فى الضابط الفلاح ما حملنى على الذهاب فى الحال لصديق الشيخ محمد عبده لأفضى إليه بحقيقة هذا التأثير(١) »

ولقد بلغ من تأثر بلنت أن اقترح وضع تقرير عما أخبره عرابى به ليرسله إلى المستر غلادستون ، ثم اشترك مع الشيخ محمد عبده فى كتابة برنامج الحزب الوطنى وأطلعا البارودى عليه فوافقهما ثم أطلعا عرابياً عليه أيضاً فأقره وتولى بلنت رفعه إلى غلادستون . « يتبع »

الخفيف

(١) مذكرات بلنت ترجمة البلاغ

٤٢٥ — فى فساد الأحوال لله سر !

صوفى :

فى فساد الأحوال لله سرٌ والتباس فى غاية الإيضاح !
فتقول الجهال قد فسد الأمر وذاك الفساد عين الصلاح !

٤٢٦ — كان ماذا ؟

فى (طراز المجالس) : سمع عن العرب كان ماذا[1] ، ووقع فى شعر ابن المرجل فأنكره ابن أبى الربيع ، فصنف فى الرد عليه مصنفاً ، وأنشد فيه لنفسه :

عاب قوم (كان ماذا) ليت شعرى لم هـذا ؟
وإذا عابوه جهـلاً دون علم كان ماذا ؟

٤٢٧ — عاشق مفلس ...

مرت جارية للقاسم بن الرشيد جميلة ، وفى كفها نرجس ، فجمشها[1] أبو نواس ، فلم تكلمه ، فقال : ما أقبح الهجر بك ياسيدتى . فقالت : أقبح من هجرى إفلاسك . فأنشأ يقول :

قلت لها يوماً ومرت بنـا رُعبوبة فى كفها نرجس:[2]
ما أقبح الهجر ! فقالت لنا : أقبح منـه عاشق مفلس

(١) ابن مالك : إن (ما) الاستفهامية إذا ركبت مع (ذا) تفارق وجوب الصدارة فيعمل فيها ما قبلها رفعا ونصبا فالرفع كقولهم : (كان ماذا) والنصب كقول أم المؤمنين أقول (ماذا) وفى شرح للفتاح الشريف يجوزتأخير أدوات الاستفهام عن العامل لعدم بقاء معنىالاستفهام. ونظيره ما ورد : أدخل من أى أبواب الجنة شئت ، وفى الأمالى لقالى : قال أبو السمراء : ألقيت على جارية هذا البيت :

بعيد وصل قريب مد جعلته منه لى ملاذا

فقالت فى سرعة :

وعاتبوه فتاب عشـقا ومات وجداً فكان ماذا ؟

وفي (الـكامل) فى خبر : أكنت قائلة ماذا ، وفى (الأغانى) : قال معاوية فتريد ماذا (الجزء ١٣ الصفحة ١٥٢)

(١) الجش والتجميش : المغازلة

(٢) جارية رعبوبة : شطبة تارة ، أو بيضاء ، أو طويلة (اللسان) شطبة تارة : فى بدنها نزارة وهي امتلاؤه من اللحم ورى المظم (الأساس) (قلت لها) : لا يحذف الضمير هنا مراعاة للمعنى ، وهو يحذف عند النحاة فى مثل هذه القاعدة فى (التنازع) : أكرمت وأكرمنى زيد ، مررت ومر بى زيد ، وابن عقيل يقول : قد جاء فى الشعر :

إذا كنت ترضيه ويرضيك صاحب جهاراً ، فكن فى الغيب أحفظ للعهد
وألغ أحاديث الوشاة فقلمـا يحاول واش غير هجران ذى ود

شبح الحـــرب

للأستاذ محمود غنيم

هو الموت أن قامت على ساقها الحرب
وإلا فحسب الناس ما يفعل الرعب
يلوح لهم فى النوم والصحو طيفها
ودون انتظار الخطب أن يقع الخطب
فزعنا فلا جفن من الخوف مطبِق   ولا مستقر فى مضاجعه جنب
ولا أنف إلا عالق بكمامة   ولا دار إلا شُق فى جوفها جب
وما اكتوت الأيدى ولا احترق الحشا
بجمر كجمر لا يشب ولا يخبو
فيأيها الليث المكشر للورى   حنانيك إما الانصراف أو الوثب

* * *

مطامع غر الغرب ومض سرابها
فأصبح يصلى نارها الشرق والغرب
كأنى بها قامت وشُب أُوارها
وقد جفت الأقلام وانطوت الكتْب
سفين بلج البحر يرميه مثله   وسرب بأعلى الجو يقذفه سرب
وبينهما تمشى المنايا كأنها   طيور وأرواح الأنام لها حب
وغى لا الدروع السابغات موانع
أذاها ولا يُجدِى بها الصارم العَضْب
تثلم حد السيف وانقصف القنا   وأصبح لا طعن هناك ولا ضرب
كأنى بها ترمى مدافعها فلا   يطيش لها سهم ولا مضرب ينبو
تدمر ما تأتى عليــه لو انها   تصوَّب نحو الألب دُكَّ بها الألب
هى البرق خطافاً هى الرعد قاصفاً
هى الشهب إذ تهوى من الفلك الشهب
فمن كان يصطاد الحمام بنبله   فأن لنا نبلاً يصاد به القطب
كأنى بها والطائرات بغازها   تجود كما جادت بوابلها السحب
يمد إلى الأرواح كفيه خلسة
فلا الرأس مقطوع ولا الدم منصب
رقيق الحواشى لا تكاد تحسه   وألين منه الصخر والمعدن الصلب
له قطرات لا يبل بها صدى   ولا يابس تبقى عليه ولا رطب
إذا انتشرت فى الأفق لم ترع حرمة
لأنثى ولا شيخ علا رأسه الشيب
إذا انتشرت فى الأفق تصرع كاعبا
وتخنق أمًّا خلفها طفلها يحبو
لقد شِيب بالسم الهواء فهل ترى   يشاب من الأنهار سائلها العذب

* * *

أرى الغرب يدنو كالفَراش من اللظى
ألِلقوم فى إحراق أنفسهم إرْب ؟
ويارُب حرب منذ عشرين حجة   بكل فؤاد من جراحتها ندب
أضرت بحزبيها وإن تم نصرها   لحزب وقاسى ذل خذلانها حزب
إذا ما ذكرناها اقشعرت جلودنا   إذ الناس كالأنعام قوتهم العشب
وإذ هم بأكناف الخنادق ما لهم   مضاجع غير الترب لو نفع الترب
يقاسون حراً ما لضب بحمله   يدان وبرداً ليس يحمله دب
وحشو أنوف القوم غاز مسمم   وللنار فى أجسامهم مرتع خصب
فيا لحروب لا تجف دماؤها   ويا لشعوب كلما نهضت تكبو
أجدكمو يا قوم طال بنا السرى   ولم يسترح حيناً من السفر الركب
لقد سار نحو المجد قوم فأدلجوا   ولم يعلموا أين انتهى بهم الدرب
ولو أنفقوا فى الخـــير ما ينفقونه
على الحرب عم الخصب وانقطع الجدب
ولم يبق طاو ليس يملك قوته   ولم يبق عار ليس يستره ثوب

* * *

شعوب بعصر النور يفتك بعضها   ببعض كما يعدو على الحمل الذئب
يمثَّل بالإنسان فى الغرب بينما   يعيش قرير العين فى ظله الكلب
إذا قنص الليث الغزالة ساغباً   فما ذنب شعب بات يقنصه شعب
ذنوب الضعاف العاجزين كثيرة   وما لقوىٍّ إذ تحاسبه ذنب
كأنْ ليس بين العالمين شرائع   ولا خلفهم حشر ولا فوقهم رب
ولا فى قوانين البرية رحمة   ولا شىء فى الدنيا يقال له الحب
ولم يبق معبوداً سوى القوت وحده
فكل فؤاد مستهام به صب
عزاء لنا أن الحضارة أفلست   فرونقها زيف ومنطقها كذب
إذا ما تمثلت الحضارة خلتها   لباة لها جوف وليس لها قلب
سل العلماء الفاخرين بعلمهم   أجاءوا بنور العلم أم ناره شبوا
تقدم فن الموت أى تقــدم   وسار بطيئاً عاثر القدم الطب

المليك الطفل فيصل الثانى

للآنسة زينب الحكيم



صورة صاحب الجلالة الملك فيصل الثانى تدل على شخصية طامحة للعظمة ... رجل صغير فى الثالثة من عمره ، يمتاز بسمات النجابة ، والنظرة اليقظة ، والرجولة البادية آثارها فى يديه المعقودتين وراء ظهره ، ولباس الضابط الذى يحتوى هذه الشخصية الكبيرة الوثابة على الرغم من حداثة السن ومن الطفولة البريئة ، إنما يشير إلى النفع والمساعدة والتضحية . ويكمن فى قسماته غموض عميق

لقد كان لى شرف مقابلة جلالة والده المغفور له الملك غازى الأول ، وكان ذا شخصية كريمة ، وسجايا عربية سمحة ، وهمة بدوية نافذة مع تقلب الظروف حوله

إنصرفت من حضرته ، وقد أثر فى نفسى طلاوة حديثه ، وإيمانه بالاعتماد على نفسه بعد الله فى الأخذ بيد شعبه إلى مراقى السمو والفلاح ؛ مستمداً من شعبه الكريم الهمة والشجاعة

إن فى سيرة فيصل الأول وابنه الراحل بسبب الحادث المشئوم ، ما يظهر للناس كيفية البلوغ إلى العظمة ؛ ولهذا فكانا ملكين من أحكم الملوك وأعظمهم

إنى قوية الأمل شديدة الرجاء فى أن يهيئ قادة الرأى فى العراق أجمل الفرص للمليك العزيز فيصل الثانى ، لأن يتصفح تاريخ أبيه وجده ، فهو سفر ذو صفحات زاخرة ، فيها إصلاح وتجديد ، وفيها حِكم وعبر ، وفيها قدوة حسنة

* * *

لعمرى ماذا تكون رسالتك « يا غازى » رحمة الله عليك وأنت فى عالم الأبدية إلى الأحياء ؟ لسوف تتكلم من عالم الحقيقة ولسوف تُسمع كلماتك ويطاع أمرك بحماس وينفذ بقوة

إنى أستمع موسيقى رسالتك بين طبقات الأثير ، ولا تلبث الرسالة أن تصل إلى إدراك الأحياء . وأشعر أن أول رسالة منك هى لابنك العزيز وستكون نفسه أسرع لالتقاطها ، وكنت الأب العطوف عليه وهو شديد التعلق بك . إن رسالتك إليه رسالة معنوية صامتة ، تدركه فترحمه من انزعاجه لفقدك ، وتقوى من عزيمته لتكوين مستقبله الذى سيكون زاهراً بإذن الله

أما الرسالة الثانية : فهى إلى الزوجة الثكلى ؛ وهى رسالة من شهيد ينعم برضاء ربه ، رسالة زوج محرر من قيود الملك وعناء الشكليات ، ولذلك فهى رسالة عطف غامر طاهر ، ترد عليك بعض لهفتك يا والدة فيصل الثانى وتقوى من احتمالك للمصيبة ، وتستنهض همتك لإدراك روح غازى فى ابن غازى « فيصل طفل اليوم » ، وبفضلك وحزم رعايتك يكون رجل الغد المسئول

من أهم ما لفت نظرى وأنا أتتبع تاريخ حياة الملكة فكتوريا الطريقة التى اتبعتها فى تربية أولادها . روى عنها أنها كما أرادت اختيار مربية لأولادها ، كانت تكلف بعض خلصائها أن يبعثوا إليها ببعض من يثقون بهن من المربيات ، وكانت لا تقابلهن فى بادئ الأمر ، وإنما تأمر بأن تقدم المربية إلى الأطفال مباشرة وهى تراقبها معهم من وراء ستار . وكان يتوقف قبولها أو رفضها للمربية على تلك المقابلة الأولى مع أطفالها . سئلت مرة عن السر فى قبولها إحدى المربيات وقد أثنت عليها دون تحفظ وودت لو كان جميع المربيات مثلها فقالت : لقد رأيت فيها حنو الأم الطبيعى وتضحيتها الصادقة فى معاملة الأطفال مما دعانى إلى الظهور لها من وراء السجف لأشكرها وأشعرها برضائى عنها

وهكذا كان لها رأى خاص بالنسبة لاختيار ارائضين من الرجال ، وكانت تختار من تتوسم فى معاملاته للأطفال الأمراء

فظائع لم يحلم أوائلنا بها
فيا ليت شعرى ما الذى يضمر الغيب ؟

فسحقاً لعصر النور سحقاً لأهله … فكل بنى حواء دأبهم السلب

كذلك شأن الناس من عهد آدم … تباينت الأشكال واتحد اللب

وحسب بنى حواء عيباً حروبهم … إذا لم يكن غير الحروب لهم عيب

(مدرسة الأورمان) محمود غنيم

فى غير وجودها سمات الأبوة الرصينة .

والسيدات العراقيات على ما خبرت من أحوالهن ، أمهات صالحات بارات مضحيات ، وسيدة البلاد الأولى ... أم فيصل الثانى ... تبزهن جميعاً فى يقظة الانتباه ، وصدق النظرة ، وقوة الطموح

نرجو للعراق وأهل العراق السلامة من كل مكروه ، وأن يسلم رجاله العاملون ، بفناء الخصومات ، واندثار الشرور التى تعكر صفو النفوس وتهد أركان الوطن المفدى .

رحم الله سيد البلاد الراحل وعزى أهله وشعبه أجمل العزاء .

زينب الحكيم



دراسات فى الفن

الغناء بين الارتجال والربط

بمناسبة ذكرى عبده الحامولى

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

أشير على وزارة المعارف أن تفكر فى إحياء ذكرى عبده الحامولى فحدث أن استجابت للاشارة وفكرت . وجمعت وزارة المعارف — كعادة الوزارات كلها حين تعتزم التفكير فى جلائل الأمور — حزمة من الرؤوس المفكرة كانت درتها المتألقة رأس معالى وزير المعارف الأديب الفنان . وطرحت مسألة الذكرى أمام هذه الرؤوس المفكرة ففكرت فيها وفكرت ، ساعة أو ساعتين ، فكرت ثم خرجت بتفكيرها أو خرجت من تفكيرها بأن هذه المسألة عقدة معقدة ، وإنها ليست من المسائل التى يحلو التفكير فيها للرؤوس المفكرة بحيث تطيق أن تستوعبها وأن تلم بأطرافها أو تعتصرها فى جلسة واحدة فأفسحت للتفكير فيها من وقتها خمسة شهور تبدأ فى مايو هذا وتنتهى فى اكتوبر المقبل تنفرط فيها حزمة الرؤوس المفكرة لتملك كل منها التفكير فيها، وهى على حدة فى مسألة ذكرى الحامولى المعقدة ثم تجتمع بعدها ليقول كل رأس منها لإخوته : أى حل يَسَّره ، أو أى تيسير قدَّره

وأخشى ما نخشاه هو أن تعود حزمة الرؤوس المفكرة بعد هذا الاجتماع فتنفرط، ثم تعود فتجتمع، ويطول بها الانفراط والاجتماع حتى تصبح ذكرى الحامولى من مشكلات الدولة المستعصية كما استعصت على الدولة قبلها مشكلة الأوقاف الأهلية ، ومشكلة مياه الشرب فى القرى ، ومشكلة تعليم اللغة العربية وغير ذلك من المشاكل الملعونة الجاحدة التى طالما أجهدت — فى غير رحمة ولا استحياء — حزماً من الرؤوس المفكرة

على أننا لا نزال مستبشرين خيراً ، فإنه لا يبعد على الله ، ولا يكثر على الله، أن يسأل رأس من هذه الرؤوس المفكرة نفسه فى بحر هذه الشهور الخمسة عن عبده الحمولى : من هو ؟ فعندئذ لا بد أن يجيب هذا الرأس نفسه بأن عبده الحامولى كان مغنياً . وقد يحدث بعد أن يطرب هذا الرأس المتسائل لتوفيق الله الذى مكنه من إصابة هذه الحقيقة البعيدة النائية أن يذكر أن عبده الحامولى كان مغنياً من نوع كاد ينقرض من بين أهل الحرفة اليوم ، لا لأن أهل الحرفة قد سمن إحساسهم ؛ وإنما لأن الحياة نفسها استدعت هذا الانقراض ، وهى لا تزال تستدعيه .

فقد كان المغنون فى الجيل الماضى يغنون فى اجتماعات عامة من حيث إقبال الناس عليها ، ولكنها كانت خاصة من حيث الإنفاق عليها والدعوة إليها ، وكانت الأفراح هى الفرص المتلاحقة التى كان يدعى فيها المغنون إلى الغناء ، وكان صاحب « الفرح » هو الذى يختار المغنى الذى يدعوه ، وكان يرهق نفسه فى إكرامه إرهاقاً كانت تستلزمه روح التفاخر التى كانت شائعة فى ذلك

الحين بين المصريين أغنياء وفقراء ، وكان يبذل له العطاء كما كان يتأنق فى إعداد المائدة له ولأفراد فرقته ؛ فكان يطعمهم طعاماً شهياً خفيفاً حتى يكتفوا ، وكان يسقيهم خمراً سائغة مشعشعة حتى ينتشوا ؛ وكان يصبر عليهم لا يطالبهم بعزف ولا غناء حتى يستخفهم الطرب، فيعمد منهم صاحب القانون إلى قانونه، وصاحب العود إلى عوده، وصاحب الدف إلى دفه؛ والمغنى لا تزال روحه تترنح من الشرب والطرب والبهجة والفرح حتى يطيب له أن ينطلق فينطلق

وكان المغنى يصيح وهو يعلم أن بين مستمعيه مغنين ومطربين جفوا إليه ليمتعوا أنفسهم بحلاوة ترتيله وبهاء نشوته . والذين حضروا أمثال هذه الحفلات يروون لنا أن محمد عثمان كان يجرى وراء عبده الحامولى ليسمعه ، وأن عبده الحامولى كان يلاحق محمد عثمان ليستردّ منه الذين متعة وطرباً ، وهم يقولون أيضاً إن محمد عثمان كان يسمع من الحامولى الدور فلا يتحرج من الاستيلاء على نظمه وكلامه فيلحنه تلحيناً جديداً ويغنيه غناء يجبر الحامولى على أن يترك له الدور مسلماً فيه أمره لله ولصناعة محمد عثمان المنظمة المنسقة

وقد كان محمد عثمان يختلف عن الحامولى اختلافاً بيناً . فقد كان الحامولى أقرب إلى الطبيعة من صاحبه ، فكان أكثر غنائه ارتجالاً لا يعدُّه ولا يهيئه ، وكان صوته الممتاز الحلو النقى ، ونفسه الطويل المشبع ، وروحه الصافية المرفرفة ... كان هذا كله يمكنه من السيطرة على نفوس سامعيه والتحكم فيها والخروج بها من حال إلى حال بما لم يتح بعده إلا لسيد درويش الذى أغناه صدقه وعوضته قوة روحه عن حلاوة الصوت وعذوبته

أما محمد عثمان فكان يربط ألحانه قبل إنشادها، وكان لا ينطلق ولا يتحرر مما ربطه إلا فى فترات من ليلته ثم يعود بعد ذلك إلى ما ربطه وقيده . وانقسم المغنون والمطربون فى ذلك الحين إلى مدرستين : مدرسة الارتجال التى كان يتزعمها عبده الحامولى وكان من أساطينها محمد سالم العجوز ؛ ومدرسة الربط التى كان يتزعمها محمد عثمان وكان من أساطينها يوسف النيلاوى ثم سيد الصفطى . على أن الربط فى ذلك الحين لم يكن مقيداً مكتوفاً كل الكتف وإنما كان – كما تقدم – يفسح للمغنى مجال التصرف والتخليق، متى أتيح له التصرف والتخليق

والذى نريد أن نصل إليه من تقرير هذه الحقائق كلها هو أن مجالات الطرب فى الجيل الماضى كانت تعنى بتهيئة جو الغناء للطرب ، فكانت تتملقه بالأجر المغرى ، وتتزلف إليه بالكاس والطاس ، وتحفزه بالتشجيع من جانب المستمعين ، والتحدى من جانب المطربين ، وهذا كله كان يلهب المغنى إلهاباً ويشعل روحه إشعالاً وينقل روحه إلى حال من حالين : فإما نشوة ورضى، وإما ركوداً وغماً . فإذا ما أصابه التوفيق بالنشوة والرضى فقد غنت روحه ورقصت ؛ وإذا ما ركد وتخاذل فإنه كثيراً ما كان يعتذر عن الغناء ويتهرب منه . ولا يزال هواة الطرب من المخضرمين يذكرون لنا أن عبده الحامولى كان يفسح فى تخته مجالاً لمحمد عثمان ويدعوه إلى الغناء فى بعض لياليه ، كما أنهم يذكرون لنا أن عبدالحى حلمى كان يضرب الثلاظ من مستمعيه أحياناً بطربوشه ويبكى ويصر على إبعادهم عنه وإلا يروغ من « الفرح »

هذا يدل دلالة قاطعة على أن المغنين فى الجيل الماضى كانوا يغنون لأنفسهم كما كانوا يغنون للناس، أو إنهم فى الحق كانوا يغنون لأنفسهم فى مناسبات يهيئها لهم الناس ويدعونهم إليها

ولعله لم يبق فى هذا الجيل الذى نعيش فيه من أهل هذا المزاج إلا فئة القرئين فهم وحدهم الذين يرتجلون الترتيل ، وهم وحدهم الذين « يتفاعلون » مع جمهورهم أثناء إنشادهم وقراءتهم. أما المغنون فكلهم كما نعلم يسترجعون فى حفلاتهم ما علمهم إياه الملحنون ، وأما الملحنون فكلهم يعدون ألحانهم إعداداً تاماً قبل غنائها أمام الجمهور إذا ما دعوا للغناء أمامه. وليس يشذ عن هذه القاعدة من ملحنى اليوم إلا زكريا أحمد ومحمود صبح . فهما وحدهما اللذان ينطلقان فى الغناء بما توحيه إليهما نفساهما . أما زكريا فتنساب نفسه فى غنائه بأسلوب مصرى رقيق ، وأما محمود صبح فتجمع روحه فى غنائه بأسلوب تركى متعجرف مكنته منه دراسته التى صرفته عن طبيعته المصرية فأصبح وله لون خاص به فى غنائه ، ليته كان مصرياً قريباً من نفسه ونفوسنا

ونعود الآن إلى غناء الماضى لنلحظ فيه ملحوظة تعزز ما ذهبنا إليه ، ذلك أنه كان غناء شراب وفرح وبهجة؛ وقد نجهد أنفسنا فى البحث إجهاداً كبيراً إذا حاولنا أن نعثر فيه على شىء غير الشراب والفرح والبهجة التى كانت تبعثها مناسبات الغناء فى نفوس المغنين . وقد كان المغنون فى الجيل الماضى يعيشون فى أفراح متواصلة متتابعة ولعل القارئ يعجب حين يعلم أن موسراً من الموسرين أراد أن يحيى له ليلة فرحه المطرب الشيخ سيد الصفطى ؛ فلما قابله أخبره الشيخ الصفطى بأنه مقيد بتسعين ليلة

مقبلة لا يمكنه أن يتحلل من إحداها ، فاضطر الموسر أن يؤجل فرحه ثلاثة شهور متتالية. فإذا كان هذا هو حال الشيخ الصفطى الذى لم يكن ملحناً ولم يكن أستاذاً لمدرسة فى الغناء ، فكيف كانت حال عبده الحامولى ، ومحمد عثمان ؟ إنهما لم يكونا يملكان إلا أن يعيشا فى أفراح بعد أفراح . ولقد نضحت أغانيهما بهذه الأفراح حتى ما كان منها يجنح نظمه إلى الشكوى والألم ، فقد كانا يغنيان فى فرح وفى مرح تستسيغهما المناسبة وإن كان الفن والمعنى يزوَرَّان عنهما

ولكن هذا ليس معناه أنهما كانا يغنيان على وتيرة واحدة هى نمط البهجة، وإنما كانت روحاهما تنتفضان أحياناً بالأنين والألم. وقد سجل التاريخ لعبده الحامولى وقفة خالدة من وقفات الفن الرائعة إذ جاءه نعى وحيده فى ليلة زفافه وكان عبده هو الذى يحييها بغنائه، فغنى عبده ليلتئذ غناء أسال قلوب سامعيه دموعاً ، وعصر نفوسهم دماً، وطبع أرواحهم بطابع أسود خدرهم وهم فى مقاعدهم ولم يخطر ببال أحدهم أن يسائل عن سره أو منشئه، حتى إذا طلعت الشمس شاع بينهم الخبر فلزموا مجالسهم حتى جهزت الجنازة فخرجوا بها مشيعين العروس الذى خفوا ليشاطروه الفرح

هذه هى حال الغناء فى الجيل الماضى ، وهذه هى حال إمامه عبده الحامولى ، وهى كما ترى أقرب الأحوال إلى الغناء الطبيعى الذى يصدر عن النفس الصادقة فى لون صادق من ألوان العواطف هو الفرح . فإذا قلنا إن الغناء يكاد ينقرض فإنما نقصد بذلك هذا اللون الطبيعى أو الأقرب من الطبيعة .

فكيف إذن يمكن أن يُحيا غناء كهذا ، أو كيف يمكن أن نحيى بنوع من الغناء ذكرى مغن كعبده الحامولى ؟

خطر لحزمة الرؤوس المفكرة التى اجتمعت فى وزارة المعارف أن يغنى مغن فى حفلة الذكرى شيئاً من أغانى عبده الحامولى ؛ فأشبه هذا الخاطر خاطر الذيذاً مر برأس صاحب لنا كان صوته يشبه صوت سعد زغلول ، فرأى أن يلقى إحدى خطب سعد زغلول فى حفلة من حفلات ذكراه ، ولم يمنعه من تنفيذ فكرته هذه إلا أنه عجز عن الاتصال بأصحاب الأمر والنهى فى هذه الحفلات . ولعله لو كان قد وصل إلى أصحاب الأمر والنهى هؤلاء لكان قد استطاع أن يقدم للمحتفلين بذكرى الخطيب العظيم الراحل هذه «النمرة الكوميك» . فيدخل على نفوسهم شيئاً من الراحة قد يشعرون بالحاجة إليه خلال ذلك الألم الذى ينتاب نفوسهم حين يذكرون الفقيد .

فهل تريد وزارة المعارف أن تكون لذيذة كصاحبنا هذا حين تريد أن تكرم رجلاً من أساطين الفنانين المصريين ؟

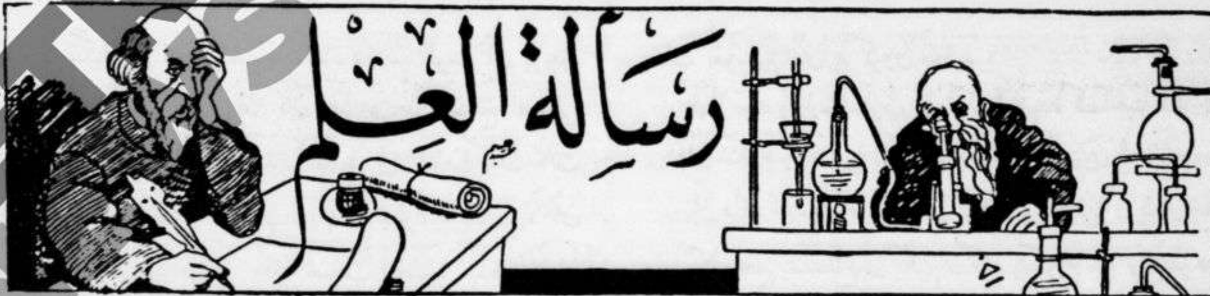
إن عبده الحامولى لا يمكن أن يستعاد ولا يمكن أن يسترجع ، وليس كل عظيم بمستطاع أن يكرم ذكره بتكريم من نوع موهبته وفنه . فالأمريكان إذا أحبوا أن يذكروا إديسون فى حفلة فإنهم لا يستطيعون أن يعرضوا فى هذه الحفلة مخترعاً يخترع أمام الجمهور اختراعات إديسون !

إنما هناك وسائل أخرى لتكريم أمثال هؤلاء الذين تتصل كرامتهم بأشخاصهم وذواتهم ، فلأمثال هؤلاء يمكن أن تقام التماثيل ، وبأسماء هؤلاء يمكن أن تتوج المسارح القومية ومعاهد الفنون . وأما ترجيع فنهم نفسه فمحال إلا إذا كان الفن مربوطاً مقيداً مثل فن سيد درويش فهو الذى تستطيع وزارة المعارف أن تحمل الفرقة القومية على تمثيل رواياته الخالدة

أما إذا أصرت وزارة المعارف على أن تحيى ذكرى عبده الحامولى بغناء وألحان من المحفوظ عنه فإننا نرجوها أن تتريث كل التريث قبل أن تختار المغنين الذين ستعهد إليهم بإحياء هذه الذكرى الجليلة ، وعليها أن تعرف أن عبده الحامولى كان مغنياً صاحب صوت قوى جميل كامل لا يمكن أن يجود الزمن بمثله إلا بين دهر ودهر ، وإنه كان يسلط روحه الصافية على صوته هذا وحده فيتسلط به على سمع الزمن ، فهل بين المطربين المصريين اليوم من أتيحت له هذه القوة ؟ .

قد يكون الشيخ على محمود وحده أشبه الأحياء به . . . فلو أنه راجع مع المخضرمين من المطربين أغانى الحامولى فقد يتاح له أن يوفق إلى صورة من الغناء هى أقرب الصور إلى غناء الفقيد الكريم . أما أصدق الصور وأشدها أمانة فهى لا ريب هذه الصور التى طبعها الفقيد بصوته على «الاسطوانات» القليلة التى عبأها، فأين هى ؟..

عزيز أحمد فهمى



فـــروض

للدكتور محمد محمود غالى

تخترقنا جميعاً الأشعة الكونية أو الأشعة النافذة كما يسمونها ، أحياء كنا أم أمواتاً ، شباباً كنا أم شيوخاً ، تنفذ فينا جميعاً بقدر واحد . تُرى هل يُعد هذا التفتت الدائم فى أجسامنا الذى يلازمنا من المولد حتى الممات ملائماً لوجودنا ومساعداً على بقائنا ؟ أو هو على النقيض من ذلك . أميل إلى الاعتقاد بأنها مُبيدة لنا مهلكة لحياتنا . ومتى كان الهدم من عوامل البقاء ، والتفتت مدعاة للحياة لا للفناء ؟

إلى المتحف المصرى وإلى الطابق الثالث منه نقلوا حديثاً من النزل الذى أقام فيه مسيو لاكو المدير السابق لمصلحة الآثار، عشرين مومياء لفراعنة مصر الأقدمين ، يمثلون ثلاثين قرناً أو يزيد من أزهى العصور فى تاريخ البشر . ويكفى لتعريف هذه الفترة السعيدة التى خلت أن نذكر ، أنها الفترة التى كوّن الإنسان فيها معارفه الأولى وعلومه البدائية التى كانت سبباً وأساساً لمعظم ما نملكه اليوم من معارف وعلوم . فالحلقة متصلة إذ كان لهؤلاء الملوك الأولين والمؤتمرين بأوامرهم والآخذين بنظمهم الفضل الأول فى كثير مما نعرفه اليوم .

هذه المومياء الهامدة ظلت مستريحة قروناً عديدة ، لا يحميها ما حولها من لفافات عديدة ، أو ما يُحيط بها من صناديق محلاة بالذهب والنقوش ، من التهدّم الذرى والتّفتّت الداخلى الحادثين حتماً من اختراق جسيمات الأشعة الكونية لها ، بقدر ما تحميها طبقات الرمال والصخور التى تعلو الأماكن التى وجدت فيها ، فإن هذه الطبقات المفصولة عن سطح الأرض بعشرات الأمتار تمتص هذه الأشعة أو الجزء الأكبر منها

قليل من التأمل وعود إلى الحساب البسيط يجعلنا ندرك العدد الكبير من هذه الجسيمات التى تخترق هذه المومياء التى لا يحميها الآن من هذا التهدم سوى سقوف المتحف المصرى ، فهذه القذائف الكونية الدائمة تخترق المومياء الخالدة بمعدل قذيفة على كل سنتيمتر مربع فى كل دقيقة، أى أن خمسة آلاف من هذه القذائف الفاتكة تخترق فى كل دقيقة كل واحدة من المومياء الممدودة ؛ بينما كان لا يخترقها فى مثل هذه الفترة وهى فى وضعها الأول، مصونة بالرمال والصخور ، سوى قذيفتين أو ثلاث؛ وقد لا يخترقها واحدة من هذه القذائف . وفى ظنى أن الذين قاموا بنقلها من مكامنها الأولى وأزعجوها من راحتها الأبدية ، لم يعيروا هذه القذائف الدائمة أية التفاتة ، فهم لا يعرفونها . ومن يدرى ؟ فقد تكون هذه القذائف مدمرة لها على طول الزمن ومتلفة لعناصر وجودها . أو يصح لنا إذن أن نعتقد أنه كان لخوفو منشئ الهرم الأكبر نوع من الغريزة جعلته يشعر بضرورة بناء ضريح فى ضخامة الهرم لحماية رفاته من كل عوامل التبديد ؟

***

لا شك أن خوفو وأمثاله كانوا يجهلون الأشعة الكونية ؛ وكأنهم عمدوا إلى الاحتياط من تلك الأشعة التى نلخص فى هذا المقال موضوعها ، والتى تعد من أعجب ما نعرفه فى مراحل العلم الحديث بقوة طاقتها التى تفوق آلاف المرات طاقة أشعة الراديوم وقوة اختراقها للأشياء ، فتخترق ما يبلغ سمكه بضعة أمتار من الرصاص . وقد شرحنا كيف يستطيع العلماء تسجيل صور مسارات جسيماتها بعد اختراقها كتلة كبيرة من المادة ، وشرحنا كيف يسمون إنذاراً بمرور قذائفها التى لها أقوى الأثر على المادة التى تخترقها

ونتكلم اليوم عن الفكرة فى مصدر أو أصل هذه الأشعة الخارقة لما اعتدناه من إشعاع . ويَجمُل قبل ذلك أن نذكر كلمة أخيرة عن بعض النتائج الهامة فى دراسة هذه الأشعة. وهذه النتائج هى مادة لموضوعات مختلفة نكتفى هنا بالإيماء إليها :

الموضوع الأول هو تقسيم العلماء هذه الأشعة إلى نوعين :

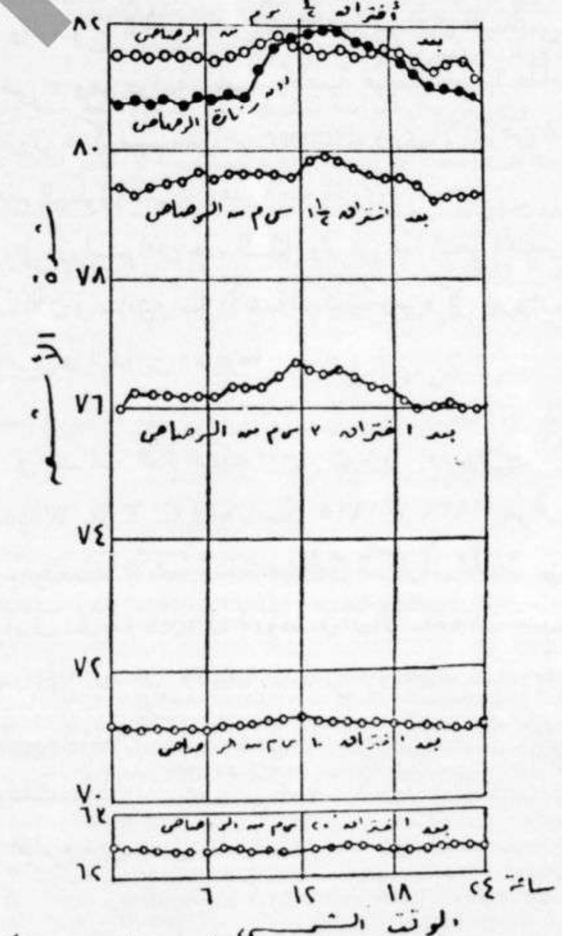
النوع الأول جسيمات رخوة Corpuscules du groupe mou وهذه تنتج عن الأشعة الكونية وليست هى الأشعة ذاتها .

والنوع الثانى جسيمات صلبة Corpuscules du groupe dur وهى جزء من الأشعة الكونية نفسها قبل اختراقها طبقات الهواء أو الأرض

وهذا التقسيم إنما جرى تبعاً لمقدار المادة التى تستطيع الأشعة النفاذفيها. وللعالم روسى [1] تجارب تدعو للاعجاب فى وضع ستار من الرصاص يعرف بواسطتها أولاً اتجاه الأشعة، وثانياً درجة نفاذها فى المادة التى تصادفها وأثرها عليها . وفى ذلك يستعمل روسى عدادات الألكترونات وغرفة ولسون مجتمعة فى تجربة واحدة

الموضوع الثانى هو دراسة تغير هذه الأشعة تبعاً لخطوط العرض؛ ولهذا أثر هام فى معرفة ما إذا كان منشأ الأشعة خارجاً عن نطاق المحيط الأرضى . وقد أدت هذه الدراسة إلى أن هذه الأشعة تنقص بمقدار حوالى ١٤ ٪ عند ما تقترب من خط الاستواء . وهذا ناتج من أثر المجال المغناطيسى الأرضى واختلاف شدته من منطقة إلى أخرى . وقد بَيَّن ذلك كلاى فى أبحاثه التى تبعتها دراسة دولية تولاها العالم كونتون فى سنة ١٩٣٠ إذ قامت ٦٩ محطة مختلفة فى المعمورة بدراسة الأشعة. وهذه المحطات منتشرة بين خطى عرض ٧٨ شمالاً و٤٦ جنوباً . وفى سبتمبر سنة ١٩٣٣ قام زميلانا بيير أوجيه M. P. auger ولبرانس رينجيه Leprince Ringuet بأبحاث هامة [2] بين الهافر وبونس إيرس ذهاباً وإياباً حيث سجلا ١٧٠ ألف مسار للأشعة الكونية. وفى الـ ١٧٠ ألف شعاع التى سجلها هذان الباحثان نرى أن الأشعة الكونية تنقص بمقدار ١٦ ٪ عند خط الاستواء

الموضوع الثالث دراسة تَغَيُّر شدة الأشعة تبعاً لنظام تعاقب الليل والنهار أى مع الوقت الشمسى . ولهذا أثر فى معرفة ما إذا كانت الشمس مصدراً لهذه الأشعة. وقد دلت هذه الدراسة على أن الأشعة لا تتغير مع تغير الليل والنهار . وفى هذا الشكل نرى كيف تتغير شدة الأشعة مع ساعات اليوم



الوقت الشمسى
(Messerschmidt)

فالإحداثى الرأسى ويُسمى محور الصادات يبين مقدار شدة الأشعة ، والإحداثى الأفقى ويسمى محور السينات يبين الوقت. وفى المنحنى (١) نرى كيف تَتَغَيَّر شدة الأشعة مع مرور اليوم دون أن تخترق الأشعة مادة على الإطلاق

وفى المنحنى (٢) نرى تَغَيُّر شدة الأشعة بعد أن تكون قد اخترقت ½ س م من الرصاص. وفى الحالتين نرى حوالى الساعة ١٢ ازدياداً طفيفاً فى الأشعة ، وهذه الزيادة نرى أثرها مرة أخرى فى المنحنيين (٣) و (٤) اللذين يمثلان تَغَيُّر الأشعة بعد اختراقها ١٫٥ س م من الرصاص و ٣ س م منه . أما المنحنيان (٥) و (٦)

(١) روسى أستاذ جامعة بادو وقد طبع كتابا عن الأشعة الكونية باللغة الفرنسية . الطابع هرمان باريز سنة ١٩٣٥

(٢) هذه الأبحاث منشورة فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى بتاريخ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٢٣ ص ١٢٤٢

فيمثلان شدة الأشعة وتغيرها مع الزمن بعد اختراق ١٠ س م من الرصاص و ٢٠ س م منه ، ولا نرى فيهما أثراً لأى تغيُّر فى شدة الأشعة بل نرى ثباتها على مرور الساعات ، وهذا يثبت أن الجزء الصلب من الأشعة الكونية أى الأشعة الكونية الأولى قبل اختراقها الجو غير مرتبط بالشمس بأى حال من الأحوال

والموضوع الرابع هو دراسة الأشعة مع المجال المغناطيسى الأرضى ، وهو دراسة رياضية وطبيعية عويصة قام بها علماء كثيرون نذكر منهم ستورمر Stormer، ونرى ألا نتعرض له فى هذه السطور لصعوبته وعدم فائدته للقارئ

على أن استعراض هذه المسائل ولو على هذا النحو المختصر يفيدنا الآن فى مناقشة أصل الأشعة الكونية وسرد كل الفروض التى يعتقدها العلماء فى مصدرها

***

فى نشرات العالم الكبير س . ت . ر . ولسون [1] (C. T. R. Wilson) بين سنتى ١٩٢٥ و ١٩٢٩ يفرض أن يكون منشأ الأشعة النافذة هو المجال الكهربائى الحادث من العواصف الجوية (Orages)، وقد بين أن الألكترونات تقذف فى هذا المجال بقدر مجموع الطاقة الحادثة من فرق الضغط الكهربائى بين الغيوم المشبعة بالكهرباء، وتبلغ هذه الطاقة آلاف الملايين من الفولتات. على أن اختراق بعض جسيمات الأشعة الكونية أعماقاً من المياه تزيد فى بعض الأحيان عن الـ ٥٠٠ متر يتطلب طاقة أكبر بكثير من الطاقة المذكورة . ومن السهل أن نرى أيضاً أنه لا يمكن باتباع الرأى المتقدم أن نفسر التغيير الحادث فى شدة الأشعة مع خطوط العرض وهو التغيير الذى سبق أن شرحناه . وعلى وفق آراء ولسون تقذف الألكترونات فى العواصف لأعلى السحب المحملة بالكهرباء ثم تنحنى مساراتها بوجود المجال المغناطيسى الأرضى حتى تصل إلى سطح الأرض . ومع ملاحظة أن نصف قطر الانحناء لألكترون له هذه الطاقة المتقدمة لا يتجاوز ٧٠٠ كيلو متر وملاحظة أن هذا جزء يسير بالنسبة إلى نصف قطر الأرض، فإنه من السهل أن ندرك أنه لا يمكن لهذه الألكترونات أن تكون موزعة بالتساوى حول سطح الكرة الأرضية ، وحيث أن توزيع العواصف نفسها ليس توزيعاً متساوياً فوق سطح الأرض فإنه من الصعب تعليل ثبات الجزء الرئيسى من الأشعة الكونية ثباتاً لا يزيد التغيير فيه عن $\frac{١}{١٠٠٠}$

وما يقال عن الألكترونات الحادثة عن العواصف يقال عن الألكترونات الحادثة عن السحب العادية . فهذه وإن كانت أكثر انتظاماً فى توزيعها حول الأرض إلا أن الطاقة الحادثة عنها لا يمكن أن تُسبب الطاقة العظيمة الموجودة فى الكترونات الأشعة الكونية . كل هذا لا يمنع أن السحب المصحوبة بعواصف شديدة يمكن أن تكون قسما من الجزء الرخو فى الأشعة الكونية ، وقد بين ذلك شونلاند وفيلجوان [1] Schonland et Viljoen

على أن من الصعب جداً أن نتخيل علة أرضية أخرى تكون منشأ الأشعة الكونية. فمثلاً يستحيل مهما كانت الحالة الكهربائية للطبقات العليا من الجو أن نتصور مجالاً كهربائياً عمودياً على الأرض يكون عظيما بحيث يكون مستمراً وتكون له مثل هذه الطاقة

ولو أننا وافقنا على أن يكون منشأ الأشعة الكونية خارجاً عن نطاق الكرة الأرضية فإن ثبات شدتها المتناهى ثباتاً فى الزمن يضطرنا إلى أن نفترض أن لها الخواص ذاتها فى الحيز المكون للكون فى مجموعه

فالشمس لا يمكن إذن أن تكون مصدراً لهذه الأشعة . كذلك النجوم المكونة للمجرة ، لأن هذه النجوم غير موزعة توزيعاً منتظما حول الأرض . فلو كانت الشمس مصدرها لاختلفت شدتها مع الوقت الشمسى . ولو كانت المجرة منشأها لاختلفت شدتها مع الوقت النجمى . وهذا الاختلاف أو ذاك لا وجود له بالمرة ، وبخاصة فى الجسيمات الصلبة أو القوية من هذه الأشعة

وما يُقال عن المجرة يُقال عن العوالم الأخرى التى ليست موزعة توزيعاً منتظما حول الكون المغلق

على أنه لا يمكن أن يكون مصدر الأشعة المكونات الداخلية للنجوم ، لأن طاقة الأشعة فى هذه الحالة تصبح ضعيفة لاختراقها كل مادة النجم

---

(١) س. ت. ر. واسون مجموعة جمية كبردج الفلسفية ٢٢ س ٥٢٤ (١٩٢٤) ومجموعة الجمعية الطبيعية لندرة ٣٧ س ٣٢ (١٩٢٥) وجريدة معهد فرانكلين ٢٠٨ س ١٠ (١٩٢٥)

ملحوظة : اتبعنا فى كتابة المراجع الطريقة الأفرنجية وتتلخص فى ذكر اسم المرجع فنمرة المجلد أو الجزء ثم الصحيفة ثم السنة وهى طريقة مختصرة، حبذا لو اتبعها كتاب العربية

(١) محاضر الجمعية الملكية الانجليزية ١٤٠ س ٣١٤ (١٩٣٣)

ومهما يكن من الأمر فإن مصدر الأشعة الكونية يجب أن يسمح كما قدمنا بتفسير خواص إشعاع طبيعته وقوته واحدة فى جميع الجهات حول الأرض . وقد وضع ريجنيه[1] Regner فرضاً يجيز تولد هذه الأشعة فى وقت ابتداء تطور العالم ، بحيث أصبحت خواصها الطبيعية مع مرور الزمن واحدة فى جميع الاتجاهات Isotrope ، وذلك بسبب رحلتها المستمرة داخل الكون المغلق

وقد وضّح ليتر[2] Lemaitre هذه النظرية الأركيولوجية بفكرته فى أن الكون فى مجموعه لا يكون سوى ذرة كبيرة جداً تشع هذا الإشعاع على طريقة هى فوق طريقة النشاط الراديوى Super-radioactif

أما عند مليكان[3] فإنه يغلب على ظنه أن بعض الحوادث الطبيعية الحادثة باستمرار فى المواد الواقعة بين الأجرام السماوية ربما تعطى هذه الدرجة من إشعاع له نفس الخواص حول الأرض

أما فرض انعدام المادة (Annihilation) فهو لا يكفى أيضاً لتفسير إشعاع له مثل هذه الطاقة . ومن المعروف أن الطاقة الحادثة عن انعدام كتلة البروتون تساوى حوالى الألف مليون ألكترون فولت ، وهى طاقة أقل من التى نعهدها فى الأشعة الكونية

كذلك ليس من المحتمل أن يكون سبب الأشعة تحول نواة معقدة وثقيلة بانعدامها وانتقال طاقتها إلى الألكترونات أو الفوتونات ، كما أنه ليس من المحتمل أن يكون السبب فى الطاقة الحادثة من تكوين نواة معقدة من ذرات أبسط منها ، فإن مثل هذه الطاقة تقل أيضاً عما نعهده فى الأشعة الكونية

ويتساءل أدنجتون لماذا لا تكون هذه الأشعة بقايا تهدم حدث قديماً فى المادة وشاءت الأقدار أن تصلنا أخبار هذا التهدم الآن

ويمكن القول أن كل الفروض التى تقدم بها الباحثون حتى الآن لتفسير منشأ وسبب الأشعة الكونية غير ممكنة فى ناحية وإن جاز إمكانها فى ناحية أخرى

على أن نظرية العواصف هى النظرية الوحيدة التى ترجع بالأشعة الكونية لسبب مصدره الكرة الأرضية ، فإذا لم يمكن الدفاع عن هذه النظرية ، وهو الأمر الواقع ، فإن مسألة أصل الإشعاع الكونى ترتبط رأساً بنشأة الكون

وقد بين ليتر أن الطاقة الكلية للأشعة الكونية مع فرض توزيعها توزيعاً منتظماً فى الحيز تبلغ $\frac{١}{١٠٠٠}$ من مجموع الطاقة لكل ما فى الكون من نجوم وأجرام ومادة بينها .

وعلى كل حال فدراسة منشأ ومصدر هذه الأشعة يبدو حتى يومنا هذا خفياً على الأذهان ، وإذا اتضح كما تُظهر التجارب الحديثة أن نصف الجسيمات أو أغلبها المكونة لهذه الأشعة العجيبة هى « بوزيتونات » ، فإن من المحتمل جداً أن البوزيتون النادر على الأرض هو مكون هام للكون خارجاً عنها .

ومهما يكن من أصل الأشعة الكونية ، فإنه عندما نعلم ذلك نكون قد خطونا خطوة كبرى فى المعرفة وفى حل موضوع يتصل بمنشأ الكون وسر الخليقة وعظمة التطور .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) نشرات الجمعية الملكية الانجليزية ١٣٢ ص ٣٣٥ (١٩٣١)
(٢) مجلة الطبيعة (Nature) ١٢٨ ص ٧٠٤ (١٩٣١)
(٣) المجلة الطبيعية (Phys. Rev.) ٣٦ ص ١٥٩٥ (١٩٣٠)

من هنا ومن هناك

كفاح الدكتاتورين لأجل المعادن – عن ذى سينتفك وركر

تقاس قوة الأمم فى هذه الأيام بمقدار ما لديها من الصناعات؛ فالصناعة هى أساس المدنية الحديثة، تستطيع الأمة بها أن تتوفر على المصادر الأساسية التى يتوقف عليها كيانها وهى إحراز الثروة المالية، والمحافظة على الحدود، وزيادة السلاح ... والصناعة هى السند الوحيد الذى يمكن أن يعول عليه لتحمل أعباء الإدارة الحديثة، وإحراز المال الوفير لتدبير شئونها. ومما لا شك فيه أن الأمم التى لها شهرة فى عالم الصناعة تحرص دائماً على الاحتفاظ بكيانها الصناعى، ولا يتيسر ذلك إلا بوجود الخامات الجيدة التى تتوقف عليها الصناعات

فإذا أتيح لنا أن نفحص الآلة الميكانيكية لإحدى الطائرات وجدناها تتركب من معادن كثيرة قد لا تقل أنواعها المختلفة عن عشرين نوعاً. ولا يمكن أن يضحى بمادة واحدة من المواد التى تتركب منها دون أن نضحى بشىء من قيمتها

قد يقال عن تغيير الخامات واستبدال مواد صناعية بها، ولكن هذا إذا صح فإلى حد محدود، إذ أن الخامات المدنية لها قوى وخصائص لا تغنى إحداها عن الأخرى كل الغناء

وتستخرج المعادن من المناجم الخاصة بها، فإذا أعوز وجودها لا يمكن الحصول على ما يقوم مقامها فى الصناعة. فإذا لم توفق الدولة إلى الحصول على معدن لصناعة من الصناعات، فإن الخسارة لا تقف عند ضياع هذه الصناعة فيها، ولكنها تقع على نظام المملكة على وجه العموم

فالأمم التى تريد التوسع والنفوذ، يجب أن تستحوذ على أكبر مقدار من الخامات لصناعاتها. فإذا كان الأمر كذلك، تبينت لنا تلك الصلة التى تربط بين النشاط السياسى والحصول على الخامات

فإذا دققنا النظر فى مركز إيطاليا مثلاً، وجدنا أن هذه الأمة لا تملك مورداً واحداً لنوع من المواد المدنية. وليس فى مقدور موسولينى أن يخلق من إيطاليا أمة قوية إذا اتكل على الزراعة وحدها، فهو يلجأ إلى استصدار الفحم والزيت والحديد والنيكل والمنسيوم والصفيح وهى المواد الأولية للصناعات، من بلاد غير بلاده

ولم تكن بلاد الحبشة قد عرفت جيولجيا قبل الفتح الإيطالى، ولكن قد تبين أخيراً أن هذه البلاد تحتوى على أكبر مناجم للبلاتين والذهب والفضة والنحاس والحديد والبوتاس والرصاص والفحم والزيت (وهو أهم ما تصبو إليه إيطاليا) وهذه مواد ذات قيمة لا تقدر، وهى ولا شك تستحق ما بذل لأجلها من المشقات. فلا يصح أن يقال إن التوسع الإيطالى فى تلك البلاد كان يقتضيه ازدياد عدد السكان فى إيطاليا مع ما هو معروف من رداءة الجو فى تلك البلاد، وعدم ملاءمته للإيطاليين بحال من الأحوال

أما ألمانيا فهى تحصل على ما يكفيها من الفحم، إلا أن ضياع الألزاس واللورين جعلها تتكل على بلاد أخرى فى الحصول على الحديد والذهب. وقد استوردت منها فى العام الماضى ٢٠ مليون طن. ولا شك أن ألمانيا يهمها أن تطمئن على توريد هذه المواد إبان الحرب، ولا يمكن ذلك إلا إذا وضعت البلاد التى توردها تحت إشرافها (بقصد تشيكوسلوفاكيا)

أما اسبانيا فماذا تقدم للأمم التى تهتم بها سياسياً؟ مما لا شك فيه أن الثروة المعدنية لتلك البلاد لا يستهان بها، فهى تحتوى على موارد عظيمة للحديد الممتاز والصلب والنحاس وغيرها من المعادن التى تستوردها ألمانيا من الخارج ...

وهكذا حيثما وجهنا النظر وجدنا المواد الصناعية هى المحرك لتلك الأمم والحافز لها على التطاحن والحرب

الحب والخوف – عن مجلة «جون أولندن»

لكى نتخلص من مخاوفنا فى الحياة، يجب علينا أن نكون على وفاق معها. قال أحد الحكماء: «إن الحب الخالص يزيل الخوف، إذ أن الخوف يناقض الحب. ولا يوجد قول أصدق من هذا القول». فنحن حين نكون على وفاق مع الحياة، معارفها وتجاربها وكل خليقة فيها فلا شىء نخافه. إذ أننا فى هذه الحالة نعيش مع كون صديق ... وكما يقول ادوارد كاربنتر فى شعره

المتور : تسرع كل القوى العلوية إلى تحقيق مسراتنا الأبدية .

فإذا دب الحب إلى قلب الإنسان ، واتصلت وشائجه بشأن من الشئون ، أصبح هذا الشأن قريباً من نفسه كل القرب ، فهو لا يخيفه ولكنه يسره ويؤدى به إلى السعادة .

ليس من العسير أن نوثق عرى الألفة مع الكون حتى ترتبط نفوسنا بكل ذرة فيه . وعند ذلك نرى أن كل شيء يعمل لأجلنا — بدل أن يعمل ضدنا — ويبحث عن سرور دائم يشملنا فلا نخاف شيئاً تبتلينا به الحياة ، لأننا نعلم أن الحياة التى توالينا ستوصلنا إلى ما نريد ، وتقودنا إلى سعادة أكبر مما كنا نظن .

إن كل شيء يعمل لسعادة هؤلاء الذين يعملون مع الله ! يجب أن نكون أصدقاء للكون، أصدقاء للحياة وتجاربها، أصدقاء لكل خير ، أصدقاء لكل نظام واتساق لنكون فى وحدة تامة مع الحياة

إن الحياة لحن عظيم يوقعه الحب ، فلو عرفنا أن نؤدى دورنا فى هذا اللحن ، وسرنا على توقيع نغماته الصحيحة ، كانت حياتنا جزءاً من لحن الحياة العظيم ، فتفارقنا المخاوف جميعها إذ ماذا عسى أن تفعل بنا الحياة سوى أن تزيد من سعادتنا وتمدنا بالسرور الأبدى؟

إن الانسجام الأبدى والنظام يشملان الكون على الدوام ، فعلينا أن نضع أنفسنا وفق إرادتهما ونسايرهما . فنظام الحياة لا يمكن أن يتبدل ليسرنا بشيء أو يضيرنا به، وليس من الضرورى أن يكون كذلك . ولكن الواجب أن نساير نحن الحياة ، عند ذلك نجد أن لا شيء يخيفنا فيها ، لأننا نكون قد دخلنا فى وحدة الكون الذى ارتبطنا وإياه بالحب والوئام .

حول مشكلة العاطلين فى أمريكا – عن ذى لسنر الانجليزية

يظن الكثيرون أن أمريكا أمة غنية لا يعرف الفقر إلى أهلها سبيلاً . ويعتقد الكثيرون أن مستوى المعيشة فى هذه البلاد يمتاز عن غيره فى سائر بلاد العالم ؛ ولكن قل أن يعرف هؤلاء أن فى هذه الأمة التى يبلغ عدد سكانها مائة وثلاثين مليوناً من الأنفس، عدداً غير قليل من أبنائها يعانون أشد أنواع الفاقة والفقر

وأستطيع أن أقول إن نسبة هؤلاء البائسين الذين يعيشون فى فقر مدقع فى بلاد أمريكا أكثر منها فى بريطانيا العظمى . إذ أن عدد العمال العاطلين فى أمريكا يزيد كثيراً على عددهم فى بريطانيا . وإذا كان هؤلاء العمال لا يعرف عددهم بالضبط إلى الآن ، فهم لا يقلون على أى حال عن عشرة ملايين من سكان تلك البلاد . ولا شك أن للنظام الإدارى والاجتماعى فى أمريكا أثراً كبيراً فى هذا البؤس الذى يشمل عدداً غير قليل من الأهلين، وعلى الأخص نظام المدن والولايات الثمانى والأربعين ، فإن هذا النظام المحلى فى أمريكا لا يزال على جانب عظيم من الجمود

وقد كان الرئيس روزفلت أول من فكر جدياً فى إصلاح هذه الحال . ولا غرابة فهذا الرجل معروف بمشروعاته العظيمة وخططه الناجحة فى إصلاح تلك البلاد . وقد انتخب رئيساً للولايات المتحدة سنة ١٩٣٣ فى أشد الأوقات وأحرجها بالنسبة لحالة البلاد التجارية . فقلب وجوه النظر لإصلاح هذه الحال ، وقد كان أهم المشروعات التى وضعها فى هذا الصدد ، هو مشروع (مساعدة الضرورة) الذى شمل أنحاء البلاد ، وانتفع به ملايين من العمال العاطلين لمدة سنتين

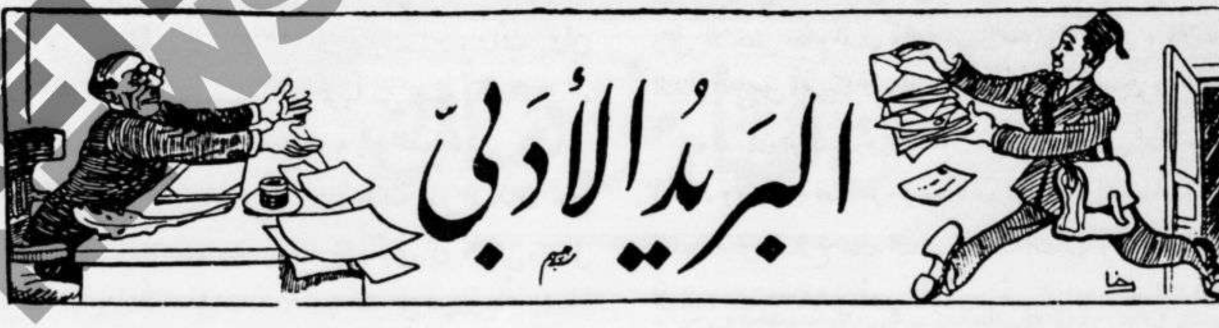
وقد كلف الحكومة هذا المشروع ١٥٠ مليون من الجنيهات ، وهو مبلغ ليس بالكثير لإحياء أمة . ولم يكتف روزفلت بهذه التجربة التى استفاد بها عدد كبير من السكان ، فأوقف قانون الضرورة وأحل محله نظاماً دائماً للعمال العاطلين . وقد بذل فى هذا الشأن أعظم مجهود رآه العالم فى مثل هذه الأحوال . . . فأعلن أن حكومة الولايات المتحدة لا تتحمل كل هذه الحاجة، ولا تستطيع أن تقوم بأود كل بائس أو مسكين، ولكنها ستأخذ بيد العمال القادرين الذين لا يجدون لهم عملاً ، لا بأمدادهم بالمال ولكن بإيجاد عمل دائم لهم

إن نظام إعانة العمال العاطلين فى انجلترا لم يرق روزفلت ، فأعلن أن أمريكا لا توافق على نظام الإعانات المالية بحال من الأحوال ، لاعتقاده أن إعطاء المال بدون عمل مفسدة للأخلاق

وإذا كان لا بد من المعونة فهى تعطى فى حالات المرض ، ويمد بها العجائز والأمهات ذوات الأطفال

وقد أبدى روزفلت شجاعة عظيمة فى تنفيذ هذا الرأى ، فاستدعى صديقه مستر هارى هوبكن وهو رجل ذكى قضى حياته فى ممارسة الأعمال ، وعينه وزيراً وكلفه بإيجاد سلسلة من الأعمال العامة فى البلاد ، لتشغيل العمال العاطلين من ألسكا إلى بنما ، ولم يقيده بقيود كثيرة، ولم يشترط عليه شروطاً ثقيلة، ولكنه حتم عليه أن يجعل سائر الأعمال التى يقوم بها هؤلاء العمال نافعة للدولة

وقد قام مستر هوبكن بهذا العمل بكفاية وجدارة وأوجد فى الحال أعمالاً دائمة لثلاثة ملايين من العمال العاطلين . ونستطيع أن نؤكد أن هذه الأعمال على جانب كبير من الفائدة للبلاد



١ – « مناوأة الخدر والنعاس » – وضع الشيء موضعه

في العدد السابق من الرسالة ختمت التعليق على محاضرة حافظ عفيفي باشا بهذه الجملة : « أما سئمتم الخدر والنعاس ؟ » . وكان غرضي التعريض بقناعة من بأيديهم أمر الثقافة في هذا البلد بـ « الموظفين المخضرمين » مع إهمالهم الشباب القادرين المستنيرين

وأما « وضع الشيء موضعه » فيدخل تحته كلامي على دار الآثار العربية وعلى استبعاد أهل الكفاية عندنا

وعلى هذا المحورين سيدور بعض ما أنا كاتب في هذا الباب من الرسالة ؛ وذلك بعد استئذان صاحبها وهو ممن يقصد وجه الإصلاح . ولن أطلب فيما أكتب غير الحق فلا أوثر هوًى ولا أخشى غضباً

٢ – فتور الحركة الأدبية في مصر

من غريب الاتفاق أن يصرح الأستاذ توفيق الحكيم في العدد السابق بنُعاس الأدباء إذ يقول : « كل شيء (يعني الكتب والتأليف) يمر في فتور . . . العلة بسيطة ، ما من أحد في هذا البلد يبدو عليه التحمس الملتهب لشئون الفكر والأدب . إن علة الفتور هي الأدباء أنفسهم . . . إنهم يكتبون في الأدب وكأنهم ناعسون . إن أقلامهم لا تثير في جو الفكر حراكا . وهنا الفرق بين أدبائنا وأدباء أوربا »

أن يكتب الأدباء « كأنهم ناعسون » ذلك لا يقع موقع العلة ، بل ذلك مظهر من مظاهر الفتور أو قل مظهره الأسطع . إنما العلة تذهب إلى ما وراء هذا . العلة في انطواء كل واحد من الأدباء على نفسه وتشبثه بأسلوب واحد وتهاونه بالقارئ

ترى الأديب المصري لا يعنى بما يجري حوله كأنه المؤلف الفرد . على أن الأديب سجلّ عصره إذ يدون مجرى التأليف ، وينبه الأذهان إلى كتاب أو منحى أو مذهب أو ظاهرة اجتماعية أو ضيق معنوي . ولربما فطن أديب إلى ذلك فإذا به في غالب الأمر وأكثر الحال ينوه بصديق أو يقع في عدو أو يهمل كتاباً من الكتب جهلاً بفنه أو إنكاراً لنفاسته أو اتقاء لصاحبه أو تسامياً . أما التسامي فيدل على ذهاب بعضهم بأنفسهم على كل أحد وذلك من باب الغرور ، وقصة الغرور معروفة . وأما الاتقاء فيدل على ضيق الصدر بالنقد ، ومردّ هذا إلى الحداثة في إقبال أمّةٍ على صناعة التأليف . وأما إنكار النفاسة فمرجعه إلى خفّة الثقة بالنفس وما ينشأ عن ذلك من خشية المنافسين . وأما الجهل بفن الكتاب فلتشبث الأدباء بأسلوب واحد

وتشبث الأدباء بأسلوب واحد أن ينجذبوا إلى طريقة من التأليف أو يهيموا بأدب من الآداب ، فيقفوا عندهما ظناً منهم أن ما يليهما أو يخرج عنهما لا وزن له

وأما تهاون الأديب بالقارئ فلمسه في تلك الكتب التي تخرج للناس وإن هي إلا طائفة من « المترسلات » Essays أعني مجموعة من المقالات اللاحقة بفن الإنشاء (بمعناه المدرسي) فلن يزال الأدب عندنا قاعداً حتى يدرك الأديب أن المقالات الإنشائية لا تسوّى كتاباً : المقالات للجمهور الضخم ، وفيه الأستاذ والبقال وفراش الوزارة ، والكتاب للقراء . ثم إن المقالات

ومن أهم هذه الأعمال وأكثرها طرافة تسخير الكتبة الذين لا عمل لهم في عمل مراجع لجميع الأعمال الفنية في أمريكا ، وتسخير النساء في عمل ملابس للعمال العاطلين ، وإنشاء مسارح للممثلين والفنانين العاطلين . هذا عدا الأعمال الزراعية والمنشآت والمؤسسات التي تتطلبها البلاد . وقد أنفقت الحكومة الأمريكية مبالغ طائلة في تنفيذ هذا المشروع ، وهي وإن كانت ترى أن إيجاد أعمال لهؤلاء يكلفها أموالاً أكثر من التي تتكلفها لو اكتفت بإعطاء المعونة المالية لهم إلا أنها تعتقد أن في عملها هذا محافظة على كرامتهم ورعاية لأخلاقهم

تهبط بذوق القراء إذا كانوا من النافلين وتفتّ في نشاطهم إذا كانوا من العارفين ... الكتاب ينشر ليبقى فيما أعلم ، والمقالات لتذهب ، على الغالب . وكل ما تعده للبقاء يستلزم الروية والاجتهاد والمراجعة بل الخلق ، والخلق لا يواتيك كل يوم

إني أكره أن أوافق غيري على أن القراء المصريين لا يقبلون سوى أدب التسلية والإنشاء التعليمي . فإني — وإن عرفت جناية منهج دنلوب وأعوانه على نشاطهم الذهني — لأعتقد أن فيهم من يرغب عن الشعر الذي لا تهب فيه عاصفة ، ولا يصفق موج ، وعن النقد الآخذ بالظواهر دون البواطن ، وعن القصة المسرودة سرداً ، وعن المسرحية الباكية أو المهذِّبة ، وعن المقالة العابرة كما يُقال اليوم ، وإن قلتَ : أتحرمني سائر القراء ؟ قلت : لك ما تشاء ، ولكن الأدب لا يحيا على أيدي قارئ يفتح الكتاب ليستعين به على ركوب قطار السكة الحديدية أو على إغماض الجفن إذا كان ممن يشكون الأرق .

هذا ومن مساوئ العلة الأولى — وهي انطواء الأديب على نفسه — أن أدباءنا يعوزهم التماسك المعنوي . فهذان حادثان كريهان وقعا هذه السنة لأديبين ؛ فلم يعضد الأول إلا واحد ، وأما الثاني فمن نصره ؟ أين الغضب للفكر الحرّ ؟ ألا عسى أن يذكر أدباؤنا أن الفرد مستضعف .

كل ذلك يعلل فتور الحركة الأدبية . ومجمل القول أن الكتاب لا يحدث حدثاً إلا في الندرة ، إما لإغفال حملة الأقلام له أم لدقة شأنه ؛ وأن القارئ الجدّ لا يكاد يصيب أدباً رفيعاً يلهج به ، وأن جمهرة الأدباء لا يضمون أصواتهم بعضها إلى بعض حتى يُحس الناس أنهم مستيقظون .

بشر فارس

حفلة تأبين الملك غازي الكبرى في بغداد

كان يوم الأحد ١٤ مايو من أيام بغداد الغر . وما أكثر الأيام الغرّ في بغداد! وكانت حافلة بوفود العربية من كافة أقطارها . وكان الناس في كل ندىّ وقهوة ومنزل مصغين إلى صناديق الإذاعة التي لم تنقطع منذ الغداة الباكرة إلى ثلث الليل عن بث الخطب والكلمات والقصائد والمقطوعات تتخللها آيات الذكر الحكيم يتلوها المشيخة من قراء بغداد ، وعلى رأسهم القارئان الأشهران الحاج محمود عبد الوهاب والملا مهدي

أما الحفلة الكبرى التي شدت إليها الرحال ، فقد أقيمت في (بهو الأمانة) في منتصف الساعة الرابعة فافتتحها الملا مهدي بتلاوة آيات « وما محمد إلا رسول » وكان موفقاً في اختيارها ، ثم أعلن عريف الحفلة الأستاذ السامرائي مدير الدعاية والنشر أن الكلام لفخامة نوري السعيد باشا الذي رحب بالضيوف ، وتكلم عن العرب في الجاهلية ووصف ما كانوا عليه من تأخر وجهل وما صاروا إليه بعد اتباعهم محمداً من التقدم والعلم ، وعرض لوفود العراق على النبي صلى الله عليه وسلم ووصف هذه الوفادة بأنها ابتداء الصلة بين العراق والأسرة الهاشمية . ثم تكلم عن أثر العراق في نشر الإسلام وصلتهم على الأيام بهذه الأسرة الماجدة ، وخلص إلى الكلام على الملك حسين وما قام به من أعمال وعلى ابنه وحفيده عليهم رحمة الله . ثم صرح بأن العراق سيواصل العمل في سبيل القضية العربية ، وختم كلمته برفع الشكر إلى الأمة العربية الممثلة في وفودها

ثم قدم العريف دولة لطفي الحفار بك رئيس الوزارة الشامية السابقة الذي ألقى كلمة طيبة بيّن فيها عظم الفاجعة بغازي ، وأثر الحسين وأسرته في تاريخ العرب ، وذكر بالشكر موقف الملك غازي من الشام شماله وجنوبه ؛ وأعلن أن الشام وأهله سيبقون ذاكرين له شاكرين ، وصرح بوحدة المشاعر والأماني بين البلدين

ثم قدم سعادة حمد الباسل باشا فألقى كلمة افتتحها بذكر الاتفاق في الموضوع والفكر في الخطب كلها ، وأن ذلك يدل على اتفاق العواطف والشعور ، ثم تكلم عن ثورة الحسين وعن أسرته إلى أن انتهى إلى غازي وفيصل الثاني (الصغير بنفسه الكبير بأمته) وأثنى على حسن اختيار الوصي وعزى العراق باسم مصر وَرَجَا لَهُ التقدم والمجد

ثم تكلم جمال بك الحسيني مندوب اللجنة العربية باسم فلسطين فبيّن أن الكوارث تنشئ القوة وأن امتحان العراق بالنكبات لم يكسبه إلا قوة وصبراً . ووصف روعة المصاب بغازي وآلام البلاد العربية ولا سيما فلسطين وعمل غازي في سبيلها ، وأعلن أنها لن تنسى عمله ولن تحيد عن مبدأ جده الأعظم الرسول المصطفى

ثم ألقى الأستاذ علي الجارم مندوب وزارة المعارف المصرية قصيدة دالية افتتحها بالبكاء على النضار الحرّ (فما أغنى البكاء ولا أجدى) ، وعلى النبات الذي ذوى ، وجذوة النار التي انطفأت ووصف (لوعة مكلوم الفؤاد) وذكر أنه الدهر (هو الدهر ما بضّت بخير يمينه ، يجمعنا سهواً (؟) وينثرنا عمداً) وأنه لا يفرق

بين ملك وعبد ، ووصف المصاب أوصافاً عامة تنطبق على كل مصاب ، وتصلح لكل ميت ، فهدّ (على عادته فى كل رثاء) هدّ العلياء ، وأطفأ نور الشمس ، وفرق الأنفس ، وأبكى الترك والهندا (ولا تنس أن القافية دالية) . أما ما يخص به الراحل الكريم ويصفه به ، فهو أنا فقدناه ريان الشباب ، وأن شمائله تفيض مسكا وآثاره ندآ ، وأنه كان حساماً بيد الله فصارت الأرض له غمداً ، وذكر اسمه بعد فقال :

يقودهم الغازى إلى خـــير غاية
فأكرم به ملكا وأكرم بهم جندا
كأن غبار السيف فى لهواتهم
سلاف من الفردوس مازجت الشهدا

وجاء فى القصيدة أبيات حلوة جيدة ، ولكنها على حواشى الموضوع كقوله :

لهم فى سجل المجد أول صفحة كفاتحة القرآن قد ملئت حمدا
ومن كتب المجد المبين بسيفه على جبهة الدنيا فقد كتب الخلدا

ثم خاطب (حمامة وادى الرافدين) وسألها الترفق ودعاها إلى الصبر ، وتكلم عن دجلة والنيل وجاء بأبيات حلوة ثم أحس بأنه لم يقل إلى الآن شيئاً عن الملك غازى بالذات فعاد يصفه ...

مضى الهاشمى السمح زين شبابهم وأعرقهم خالاً وأكرمهم جدا
فتى تنبت الآمال من غيث كفه ! !

واكتفى بذلك ، فانتقل إلى وصف سفره إلى بغداد والقلب واجف ، وسلوكه الصحراء ، وعده الساعات وسأمه ، وأنه جاء يقضى للعروبة حقها . ثم ختم قصيدته بالسلام على غازى وعلى الذى من بعده (كما كان يقول المتقدمون ...) وقد كان إلقاؤه مؤثراً . وأسلوب القصيدة حلو سلس ، وإن كانت فى غير الموضوع ، وكان فى الإمكان رد معانيها إلى مواضعها من الدواوين المطبوعة ...

ثم قرأ الأستاذ بهجة الأثرى المفتش فى وزارة المعارف كلمة معالى الدكتور هيكل باشا الذى أعلن أسفه على حرمانه من حضور الحفلة ، ووصف أثر الأسى فى جمع القلوب ، وبين أن العرب كلهم أسرة واحدة كان الفقيد من أقطابها وإن الفاجعة فيه عظيمة ، إذ فقده شعبه ملكاً ، وفقد ابنه أباً براً . وتكلم عن اتجاه العراق إلى الوحدة العربية ، واستشهد بحديث له مع فخامة نورى السعيد باشا ، ثم بين رجاء العرب فى العراق ومليكه الجديد ، ومشاركة مصر إياه فى آماله وآلامه

ثم قرأ طالب مشتاق بك طائفة من البرقيات الواردة من رفعة النحاس باشا من مصر ، وسعادة الدكتور شهبندر من دمشق ، والعشماوى بك ، وخليل ثابت بك ، والأستاذ خليل مطران من مصر ، وعصبة العمل القومى من دمشق ، والأستاذ صبرى العسلى ، ومعالى شكرى بك القوتلى .

ثم ألقى الأستاذ الشيخ يوسف الخازن كلمة لبنان ، فبيَّن أن روابط الجهاد تؤلف بينه وبين العراق ، وذكر فضل البيت الهاشمى على العرب ، وأن قد (تحدث به الركبان فى الحل والحرم !) ووصف شباب غازى وضمّن كلامه أبياتاً فى الشباب ، ووصف جماله وذكر أن الله جميل يحب الجمال ... وبيّن موقفه من الفتنة الأثورية بكلام كله استعارات ومجازات وتضمينات شعرية ... وشبه غازى بهنرى الرابع الذى وصفه شاعر بأنه أخذ الملك بالارث وبالفتح معاً ؛ وشبه فيصل الصغير بلويس الرابع عشر الذى ولى الملك صبياً ورجا لهُ مثل أيام لويس ، وكانت كلمته حافلة بالمعانى ، وفيها وصف للفقيد .

ثم ألقى السيد بهاء الدين طوقان قصيدة الشاعر الشيخ فؤاد باشا الخطيب وهى لامية أولها (الذكر باق والعروش تزول) وصف فيها نشأة غازى فى أرض الحرم ، ونخوته ونفسه الأبية ، ووصف حياته بأنها حلم أعقبه حيرة وذهول ، ووصف حزنه على الفقيد ، وتمنى أن يكون له مزامير داود ليرثيه ولكنه عاجز ، ووصف عيه وعجزه وتمدح بأنه الطليق الحر ، ولكنه غدا اليوم مقيداً . والقصيدة قصيرة أشبه بمقطوعة من شعر الخطيب منها بقصائده الطوال

ثم ألقى مندوب الأزهر كلمته فافتتحها باسم الله ، وانفرد بهذا الافتتاح المبارك دون سائر خطباء الحفلة ، وبين أن للحياة مراحل أربعا كل واحدة أوسع من التى قبلها وأطول مدة ، وهن حياة الجنين وحياة الدنيا وحياة البرزخ وحياة الخلد فى النعيم أو الجحيم . وتكلم عن الوحدة الإسلامية وأنها فى وسائل السلام العام ، وبيّن مبلغ الفجيعة بغازى والأمل فى فيصل ، ودعا إلى القوة ونفى اليأس . وكانت كلمة طيبة ولكنها كانت أشبه فى مفتتحها بحث على منها بخطبة تأبينية

ثم ألقى الأستاذ أكرم زعيتر من فلسطين كلمة حماسية قوية وصف فيها جهاد فلسطين ، وتكلم عن اهتمام المليك الراحل بقضيتها ، وعرض صورة خيالية مؤثرة لليالى المليك التى أحياها

مفكراً فى فلسطين وتوهم حديثاً بينه وبين أهله ، واستنجد العراق باسم فلسطين ، وطلب لها انتداب العراق وحمايته[1] ؛ وذكر أن الأمل فى فيصل الصغير ، ومدح حكومة العراق وشعبه .

ثم ألقى الأستاذ سليمان الأحمد (بدوى الجبل) قصيدة دالية بدأها بصور خيالية ، وصف فيها مصرع الشمس ، وجعل حمرة الفجر مقتبسة من دم غازى . ووصف عرس الجنان ، وسدرة المنتهى . ثم وصف كيف ضمت الأم فتاها الشهيد وصور روعتها وحنانها ، ووصف بغداد (دنيا الرشيد ، تفنى الحضارات ، وتبقى كالدهر دنيا الرشيد) ، وكيف لاحت فهتف الهاتفون فجنت السيوف ، وانتخت فى الغمود) ، وانتقل إلى ذكر غازى :

وتجلى غازى فكبرت الدنيا   وقال الجلال هل من مزيد
وبيمناه راية الوحدة الكبرى   فيدى يا راية الله ميدى

ووصف عيد المليك ، وصور المهرجان فى دمشق ، وما أعدت له من زهر الغوطة وعطورها . ثم ذكر كيف كان ذلك كله حلماً وانطوى ، (فمن رأى النسر بادرته المنايا ، فهوى وهو ممعن فى الصعود) . وبين روعة الشام لجلال الحادث :

أشفقوا أيها النعاة على الشام   ولا تجهروا بنجوى البريد

فربما كان كذباً ، ربما كان اختلاقاً . ثم تحقق الخبر ، ولم يبق من شك فسألهم أن (أذيعوه يرجف البر والبحر ، واحملوه إلى ابن حمدان ، وألموا بخالد وأمية وغسان ... ثم انتقل إلى ذكر الملك الطفل فجعل له :

تاج بغداد والشآم ولبنان   وبحر للروم طاغ عنيد
أيها البحر بعض تيهك لست للروم   (أنت للملك نضار بتاجه المعقود)
أيها البحر أنت مهما افترقنا   ملك آبائنا وملك الجدود

وبين أنه : (هاشمى الهوى أحب فنا دارى ، وعادى على هواهم وعودى) — وكانت القصيدة على الجملة أحسن ما ألقى فى الشعر فى هذه الحفلة ، وإن كانت فى أسلوبها دون الجارمية وقد اختتمها بذكر الوحدة :

ليس بين العراق الشام حد   هدم الله ما بنوا من حدود

ووصف جيش العراق الذى يغزو قبة الفلك ... وتسجد له الدنيا . . . وجعل الشام فى ذمة الوصى على عرش العراق وذمة العراق . . .

ثم ألقى الدكتور عبد الوهاب عزام كلمة الجامعة المصرية فوصف كيف شجاها الخطب ، وبين التعاون بين القطرين على بناء المجد ، وذكر روعة الخطب وعظمه ، ولكنا أعظم منه لأننا بنو الشدائد ، وعرض إلى عبرة الخطوب وثمراتها فى جمع الكلمة والوحدة ، وأعلن أن هذا المصاب مصاب المسلمين كلهم ، وختم كلمته بمقطوعة شعرية جيدة ، بين فيها أن الرخاء بعد الشدة ، وأن البدر يبزغ من بين الغيوم ، وأن ضحك الأرض من بكاء السحب ، وبعد غيض الماء فيض دجلة ، وأن فى كل خطب للفراتين دعوة إلى المجد والقوة والحياة . وكانت كلمة طيبة بالقاء أطيب .

ثم ألقى الأستاذ الشريقى قصيدته فافتتحها بوصف حزنه ، ونضوب دمعه ، وأثر الحزن فى دجلة :

وما الحزن إلا ما ألم بدجلة   ففاضت دموعاً فهى تندب غازيا

وجعل غناء الأطيار مراثياً ، والأقمار تبكى مؤملاً : أطل على الدنيا هدى وأمانيا . ووصف غازى وصفاً مجملاً :

فلله من أدى الأمانة حقها   ووهج للضوء الذى كان خابياً

وأنه تمرس بالأخطار ، وأنه فتى الأمل الزهو ، وأنه خير من قاد العتاق المذاكيا ، وأنه هو الفجر إشراقاً ، وله الهمة القعساء ، وطلب لقبره سقيا الغيث :

ويا لشهيد المجد حياه هاطل   من الغيث لم يبرح على القبر هاميا

فى أوصاف هذا سبيلها ، ثم عرض للأمل ببغداد وأنها :

تواثب دهر العرب حتى ترده   وقد كشفت عنه الأذى والعواديا

والقصيدة من باب الجارمية وإن كانت لا تحمل مثل أسلوبها وليس لها سلاستها وحلاوة ألفاظها

ثم ألقى الشاعر اللبنانى الأستاذ شبلى الملاط قصيدة وصف فيها الفاجعة بغازى أحسن وصف ، ولكنه لم يملك ناصية الأسلوب ولم يستطع أن يجمل ألفاظه كمعانيه فهو على الضد من الجارم ، وانتقل من وصف الفاجعة التى حدد تاريخها وصور دقائقها إلى الكلام على فيصل :

بدر العروبة وابن عم محمد   نسباً وأعرق دوحة ميلادا
وأعاد أيام الرشيد وتاجه   واستصرخ المجد القديم فعادا

(١) مع أن مما يجب أن يعلم أن الحماية والانتداب والوصاية ألفاظ مترادفات مناحن الظلم (وظلم ذوى القربى أشد مضاضة) ، وأن الوحدة العربية المنشودة ليست وحدة الفتح وسيطرة قطر عربى على آخر ، ولا هى انضمام حكومة من الحكومات العربية القائمة اليوم إلى أخرى وتبعيتها لها ، وإنما هى اتحاد أو وحدة على أساس المساواة والأخوة . أما الانتداب والحماية والوصاية فشر كلها وشر منها أن تأتى من الأخ القريب ، وهذا معنى يحتاج إلى زيادة بيان فى فصل مستقل بنفسه

ثم انتقل إلى غازى ووصف أخلاقه وأنه يلين عند اللين ويشتد عند الشدة :

وتثور ثورة نفسه إن حاولت أيدى الغريب لقومه استعبادا

ثم وصف فلسطين وأطال ثم خلص إلى الكلام على نصرة غازى إياها ، وعرض لذكر فيصل الصغير ونداله أباه ، وتفتيشه عنه فى سريره ، وذكر عبد الإله والعراق ولم ينس أن يتحدث عن نفسه وأن يتشبه بـ ... هوميروس !

ثم ألقى الأستاذ اليعقوبى قصيدة طويلة جداً ليس فى مبناها ولا معناها ولا إلقائها ما يذكر بالجودة . يقول فيها :

أبا فيصل أحبب بها لك كنية ورب رجال لا تحب كناها

وجاء فيها (وأسفرن ربات الحجال) على لغة (أكلوه البراغيث) ، وجاء فيها (ولا مرحباً فى نهضة أو قضية إذا كنتم لا تحملون لواها) ، وكان خيراً لو ختمت الحفلة بشبلى الملاط . ثم ختم الحفلة فخامة رئيس الوزارة العراقية بالشكر والدعاء

« بغداد » (ع . ط)

جمع الباسل

قال فاضل مشهور فى قصيدة فى هذه الأيام :

طرحنا رداء اليأس عنا بواسلاً وإن هزنا يوم العراق وإن أدّا

فجمع (باسلاً) على (بواسل) والبواسل للباسلة ، لا للباسل ، ولهذا البُسْل — كالبُزْل — والبسلاء[1] ، وفى الصحيح الباسلون. قال (الكتاب) : « وإذا لحقت الهاء فاعلاً للتأنيث كسر على فواعل ، وكذلك إن كان صفة للمؤنث ولم تكن فيه هاء التأنيث وإن كان فاعل لغير الآدميين كسر على فواعل وإن كان لمذكر أيضاً[2] وقد اضطر فقال فى الرجال وهو الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الأبصار »

وقد شذت شاذات ذكرها الصحاح والتاج . قال الأول : « أما مذكر ما يعقل فلم يجمع عليه — أى على فواعل — إلا فوارس وهوالك ونواكس ، فأما فوارس فلأنه شىء لا يكون فى المؤنث[1] فلم يخف فيه اللبس ، وأما هوالك فإنما جاء فى المثل فجرى على الأصل لأنه قد يجىء فى الأمثال ما لا يجىء فى غيرها ، وأما نواكس فقد جاء فى ضرورة الشعر » وقال الثانى : « قد جاء أيضاً غائب وغوائب ، وشاهد وشواهد ، وفارط وفوارط ، وخالف وخوالف »

وإن قال أدباء بسلاء : (إن بواسل كفوارس شىء لا يكون فى المؤنث فلم يخف فيه اللبس) فجواب هذا القول عند (العربيات المصريات) البواسل . . .

***

(١) فى المخصص : « قال أبو زيد : الباسل الشجاع كأنه بسل على قرنه أى حرم والبسل الحرام ، والجمع بسلاء وبسل » وذكر اللسان والتاج الجمعين ، ولم يورد الصحاح إلا البسل وبسيل مثل الباسل يا أبنا العرب

(٢) لأنه لا يجوز فيه ما جاز فى الآدميين من الواو والنون فضارع المؤنث ولم يقو قوة الآدميين (سيبويه)

(١) فى اللسان . قال ابن سيدة : لم نسمع امرأة فارسة

محاضرة هامة فى جمعية المهندسين الملكية

ألقى الأستاذ الدكتور محمد محمود غالى من مصلحة الطبيعيات محاضرة عن الأشعة الكونية حضرها كثير من المهندسين والعلماء يتقدمهم صاحب المعالى محمد شفيق باشا وزير الأشغال السابق ورئيس الجمعية الذى اهتم بموضوع الأشعة منذ العام الماضى عند ما طرح الدكتور غالى بدار الجمعية أبحاثه القيمة عن طمى النيل ، فطلب منه أن يحاضر زملاءه المهندسين عن أحدث ما يعرفه فى العلم التجريبى

والدكتور غالى محاضر ممتاز بتبسيط المواضيع العويصة وبمهارة التحليل العلمى وقوة الاستنتاج وعظمة الاستقراء .

والرسالة تقدم لأحد أفراد أسرتها التهنئة لما يصادفه فى جميع محاضراته من نجاح



٥ـ فى سبيل العربيـــة

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

كان يصح أن أجعل موضوع حديثى اليوم ما أفضى به إلىّ طالب بالسنة التوجيهية بإحدى مدارس وزارة المعارف بالقاهرة ، فقد جلس الطالب إلى جانبى فى بعض مراكب « الترام » وجعل يشكو إلىّ (على غير علم بأنى ناقد كتاب البخلاء) من أنه قد يعرض للطلبة توقف فى فهم بعض أغراض الشارحين للكتاب فيبدو لهم أن يناقشوا أستاذهم فى ذلك ، فيوصد باب التفاهم معهم بقوله : إذا قال الجارم بك وجب الإذعان . وهكذا يميت الأستاذ فى نفوس طلابه حب البحث ومعالجة الحقيقة بكلمة لعله يرجو أن تصل إلى صاحبها فتكون شفيعاً له . ولكن ما أدناها من شفاعة إذا كان الأستاذ يعلم صواب ما يريد طلابه مناقشته فيه فيحتجنه عنهم ابتغاء مرضاة رئيسه .

ولكنا نعود إلى عملنا فى نقد الكتاب راجين من حضرات المدرسين بالسنة التوجيهية ، وهم الذين يدرسون للطلاب هذا الكتاب ويعدونهم للامتحان فيه بمناقشة معانيه وتوجيه مراميه راجين منهم أن يزنوا كلامنا حتى إذا آمنوا بصدقه عادوا إلى طلابهم فصححوا ما كانوا قد مروا به من سقطات الكتاب ليؤدوا بذلك أمانة العلم كاملة إلى طلاب لا لوم عليهم إذا قبلوا حقائق تقول وزارة المعارف إنها محضتها فارتضتها غذاء لعقولهم .

ص ٩١ يقول خالويه المكدى لابنه :

« ولست أرضاك وإن كنت فوق البنين ، ولا أثق بك وإن كنت لاحقاً بالآباء ، لأنى لم أبالغ فى محبتك »

هكذا أورد الشارحان كلمة «محبتك» وعلقا على الجملة بقولهما :

(ولست أرضاك) أى لسرى وثقتى . (وإن كنت فوق البنين) أى فوق أبنائى منزلة . (ولاحقا بالآباء) أى لأنك كبير السن . (لأنى لم أبالغ فى محبتك) لأني لم أجاوز الحد فى تقدير محبتى إياك

وهذا التفسير خطأ فى ذاته ينقض آخره أوله؛ إذ كيف يجعله أولاً فوق البنين ثم لا يكون مبالغاً فى محبته! وهل فوق محبة البنين محبة ؟!

كان يكفى هذا التناقض لعدول الشارحين عن شرحهما وبحثهما عن تصحيف أو تحريف لعله يكون قد وقع فى الجملة ، ولكنهما لم يفعلا وقبلا هذا التناقض فى سطرين متوالين من شرحهما

والذى أراه أن كلمة « محبتك » مصحفة عن كلمة «محنتك»، والمحنة الاختبار . فيكون الذى منع الوالد من أن يجعل ابنه موضع سره ليس نقص محبته ولكن نقص تجربته له

أما كون الأب لم يجرب ابنه فذلك معقول، جائز خصوصاً إذا كان الأب كخالويه هذا قضى حياته موكلاً بفضاء الأرض يذرعه

وفى الصفحة عينها يقول خالويه هذا متحدثاً عن ماله :

« ولم أحمد نفسى على جمعه كما حمدتها على حفظه لأن بعض هذا المال لم آنله بالحزم والكيس »

والمعنى فى ذلك واضح، فهو يقول إن بعض هذا المال صار إلىّ من غير تعب أو محاولة فى جمعه ، كأن صار إليه من هبة أو ميراث ، فلا يكون له فضل فى الحصول عليه . ولكن الشارحين يقولان فى معنى الجملة الأخيرة : « لأنى لم أسلك فى جمع بعضه طريق الحكمة والحزم .

وهذه عبارة ناطقة بأنه سلك فى جمع هذا البعض طريقاً غير طريق الحكمة والحزم

فى ص ١٠٦ يصف الجاحظ رجلاً بأنه عضب اللسان عارف بالغامض من الأمور، فاهم للدقيق من المحاسن لا يسكت على عيب

فى الناس إلا ندّد به وشهّر ، ثم يقول عنه بعد ذلك :

« وإن ثريدته لبلقاء إلا أن بياضها ناصع ، ولونها الآخر أصهب . ما رأيت ذلك مرة ولا مرتين »

فيقول الشارحان بعد أن فسرا البلقة بأنها بياض وسواد أو بياض وحمرة : ويظهر أن هذا التلون فى الثريدة يكون من قلة الدسم أو رداءة المرق وقلته ، حتى ليكون بعض الثريدة مشبعاً به وبعضها ليس كذلك . اه

والظاهرة العجيبة فى هذا الشرح أن الشارحين يذكران فيه شيئاً غير معقول لأحد، حتى لهما أنفسهما، ذلك أنهما ينسبان هذا التلون فى الثريدة إلى قلة الدسم ، فكيف يتصوران هذا ؟ لا شك أنهما فرضا هذا الدسم صبغاً كصبغ الحيطان أو صبغ البيض فى شم النسيم ! حين ذاك حقيقة تكون قلة الدسم كافية لأن يظهر بعض الثريدة بلون الخبز الأصلى وهو البياض ، وبعضها وهو الذى ناله الصبغ يكون من نصيبه تلك الصهبة ، كذلك تعليلهما هذا التلون بقلة المرق أو رداءته . وما ندرى كيف جاز هذا فى رأيهما ولم يقل به طاه ولا طاهية ؟

إنما الذى يصح أن يفهم من اختلاف لون الثريدة أن الرجل كان يقدمها إلى ضيفانه وقد كسى بعضها باللحم وترك جانب منها لا لحم عليه ، فظهر هذا أبيض ناصعاً بلون الخبز ، وذلك أصهب بلون اللحم . ويكون ذلك عيباً كبيراً ومسبة شنيعة فى كرم الرجل لأنه لم يجر على عادة الناس من تغطية جميع الثريدة باللحم . فإذا كان قد زاد على ذلك أنه جعل ما يليه من الثريدة هو المغطى باللحم يكون قد ارتكب إلى جانب البخل رذيلة أخرى هى رذيلة الأثرة على من يجب نحوهم الإيثار

ويؤنسك بهذا المعنى قول الجاحظ تلو هذا الكلام: « وكنت قد هممت قبل ذلك أن أعاتبه على الشيء يستأثر به ويختص به ... فلما رأيت البلقة هان على التحجيل والغرّة »

يريد أنه كان يرى من هذا الرجل استئثاراً بالشيء دون جلسائه ، ولكن ذلك يكون خفى الموضع ليس فى شناعة تمييزه لنفسه على الخوان بجعل الثريدة التى يأكل منها على حال غير التى يجعلها أمام الناس من مضار مائدته ، فلما رأى منه ذلك لم يرجها لنصحه لأنه لا يقدم على هذا إلا مصرّ غير مبال بذم الناس ونقدهم

ص ١٠٩ يقول الجاحظ للحزامى وقد اتهمه بالإسراف وتضييع الحزم حين رآه يلبس من ملابس الشتاء قبل إبانه : « وأى شيء أنكرتَ منا منذ اليوم ». فيعلق الشارحان على قوله « أنكرت » بقولهما : أى جحدت واستقبحت من أمرنا

وقد جمعا فى التفسير بين معنيين متضاربين فإن الجحود ادعاء جهل الشيء مع علمه وهو لا يلتقى مع الاستقباح ، إذ هو إعلان الرأى بقبح الشيء

والواقع أن الإنكار يفسر بالمعنيين ، ولكن ليس يلزم من هذا أن يفسر بهما معاً فى مقام واحد . فالمراد هنا هو المعنى الثانى فقط وهو الاستقباح ، فأما الجحود فلا محل له كما هو واضح من مقام الكلام

وقد وقع الشارحان فى هذه الغلطة نفسها فى ص ١٢٩ حين أورد الجاحظ وصف الجارود لطعام عبد الله بن أبى عثمان فقال : « يُعرَفُ ويُنكَر » . فقال الشارحان فى التعليق على ذلك : ينكر من الإنكار وهو الجحود والمراد يُحَبُّ ويُكرَه . فجمعا فى التفسير اللغوى وبيان المراد بين المعنيين وهما الجحود والاستقباح لأن مقصودهما من قولهما « يُكرَه » إنما هو أنه مستقبح . فبان من ذلك استساغة الشارحين للمعنيين معاً وجمعهما فى تفسير كلمة الإنكار حيث وجدت ، مع أنها إذا فسرت بأحدهما امتنع تفسيرها بالآخر فى نفس المقام . وهذا ظاهر

ص ١١٤ يحكى الجاحظ عن الحزامى :

« كان يقول : أشتهى اللحم قد تهرأ وأشتهى أيضاً الذى فيه بعض الصلابة

وقلت له مرة : ما أشبهك بالذى قال أشتهى لحم دجاجتين »

فيعلق الشارحان على قوله : « وقلت له مرة » بقولهما : أى لما قال أشتهى اللحم .. وكان مقتضى الظاهر أن يقول فقلت له. اه

يتعب الشارحان أنفسهما فى محاولة ربط الكلام بعضه ببعض ولكنهما فى سبيل ذلك يعدلان عن صواب إلى خطأ ويحملان اللفظ ما لا يحتمله من المعانى ، ويتقولان على القائل ما لم يقل ، أو يستظهران ما لا داعى إلى استظهاره . ومن ذلك قولهما هنا : كان مقتضى الظاهر أن يقول فقلت له (أى بدل وقلت)

ونرى أنه لا داعى لهذا فإن عبارة الحزامى « أشتهى اللحم الذى قد تهرأ » كانت مجيرا ، ومن لوازمه المأثورة عنه فقال له الجاحظ فى مرة من المرات التى كان يرددها فيها : ما أشبهك الخ .



حيـــــاة الرافعي

تقدير ونقد

للأستاذ أبو الفتوح رضوان

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

وفى ص ٥٧ نكتة من الأسلوب أظنها تريد أن تلقى فى ذهن القارئ أن الرافعى ترك الشعر إلى النثر لأنه عجز عن الصياغة الشعرية . يقول المؤلف : « فما أراه كان يقول ذلك — يعنى قيود الشعر — إلا تعبيراً عن معنى تأبى كبرياؤه الأدبية أن يصرح به ، وفى رأيى أن الرافعى لم يقصر فى مضمار الصياغة الشعرية وإنما كان تركه الشعر نتيجة لما تصدى له من فنون الأدب . فالشعر لا يتسع لأكثر من الخواطر السريعة والخلجات النفسية القصيرة ، على حين قصد الرافعى إلى الفلسفة والتطرق إلى بواطن المشاعر والوجدانات ، ولو أنه نظم فلسفته فى الجمال والحب لما استساغ ذلك إنسان ، وفى رسائل الأحزان وأوراق الورد شعر جيد قد لا يتفق لغيره ممن اشتهروا بالشعر دونه . فأداة الرافعى فى الشعر لم تكن عاجزة ولا قاصرة . ولكن تدفق عاطفته وغزارة خواطره وعمق فلسفته هى المسئولة عن هجره الشعر . ثم ألم يكن من الخير للعربية أن يتجه الرافعى إلى النثر ؟

ويرد المؤلف (ص ٦٧) تقديم شوقى لنشيده بعد أن طلبه إليه ذلك وإحجام حافظ ، إلى إباء فى طبع هذا وحرص فى طبع ذاك على أن يقال فى كل مناسبة قال شوقى . ولو كان الأمر كذلك لقدم شوقى نشيده من أول الأمر . والحق أنه استكبر أن يتقدم فى مسابقة مع صغار الشعراء ، وأنف من أن يضع شعره موضع الامتحان ؛ فلما وعد بأن نشيده هو الفائز تقدم به ، أما حافظ فكان عضواً فى اللجنة ، وعلى ذلك فهو يعرف اتجاهها

والدليل على ذلك قول الجاحظ : « وكان يقول » ولو كان قد قالها مرة واحدة كما ظن الشارحان لقال : « وقال مرة » فتكون ملاحظتهما جائزة

فبان أن الخروج عن مقتضى الظاهر لم يكن من الجاحظ وإنما كان من الشارحين

ص ١١٥ يروى الجاحظ قصته فيقول :

« وكنا عند داود بن أبى داود بواسط أيام ولايته كسكر فأتته من البصرة هدايا فيها زقاق دبس فقسمها بيننا ، فكل ما أخذ منها الحزامى أعطى غيره » . فيضبط الشارحان كلمته كل بالضم ويعلقان على الجملة بقولهما : « أى فجميع الذى أخذه الحزامى من هذه الزقاق فرقه على أصدقائه . فمفعول أعطى الثانى محذوف »

وهذا الضبط خطأ ويتبعه خطأ الإعراب أيضاً ، والواجب ضبط الكلمة بالفتح فتكون مفعولاً ثانياً مقدما لأعطى . والقاعدة أن الفعل إذا كان يطلب مفعولا فما دام فى حيزه ولا مانع من وصوله إليه لم يجز منعه عن العمل فيه . وعلى هذا يكون تقدير الجملة أعطى الحزامى غيره كل ما أخذ من الزقاق

(ملاحظة) : سنراعى جانب الإيجاز البالغ فيما بقى من المآخذ على الكتاب . وربما انتهينا من ذلك فى مقال أو اثنين لأننا نعتقد أن على الرسالة حقاً لقرائها فى تنويع القول وتلك هى سنتها معهم

محمود مصطفى

نحو نشيد شوقى فلم يتقدم حفظاً لكرامته

وخرج المؤلف من فصل « شيوخه فى الأدب » بالنتيجة الصحيحة التى لا يتطرق إليها الباطل ، من أنه ليس للرافعى فى الأدب شيوخ ، وإنما هو فريد فى فنه وفى أسلوبه ، وإنه فى ذلك مبتكر لم ينسج على منوال أحد . ولكن ما دام الأستاذ قد حاول أن يصل إلى بعض من أثروا فى أسلوبه ، ألا يجد شيئاً من ذلك فى حبيبته « فلانة » . ثم ألا يجد الأستاذ بعض الدليل على ذلك بالموازنة بين أسلوبه وبين أسلوبها فى كتابها الذى نشر قبل رسائل الأحزان بقليل ؟ ثم ألا يكون لميلها إلى المعانى البكر والديباجة المشرقة بعض ما وجهه فى فنه البيانى هذا الاتجاه ؟

فى ص ١٤١ يقول المؤلف إنه لما غضب الابراشى باشا من الرافعى نشر قصيدته فى مدح جلالة الملك فؤاد جنباً إلى جنب مع قصيدة « الأستاذ عبد الله عفيفى المحرر العربى بديوان جلالة الملك » . والصواب أن الأستاذ عبد الله عفيفى لم يلحق بمعية جلالة الملك إلا بعد هذا التاريخ، وإنه كان حينئذ يشتغل بالتدريس. وظل يشتغل به إلى ما بعد نشر مقالات على السفود فى نقد قصائده

وحاول المؤلف عند الكلام عن نسخة الرافعى الخاصة من كتاب « كليلة ودمنة » أن يعدد ما كتبه الرافعى من هذه الفصول. فعد ثمانية فصول فى كتاب « تحت راية القرآن » . ثم قال إنه أهمل هذه النسخة الخاصة من كليلة ودمنة إلى سنة ١٩٣٣ عندما دارت المعركة حول «وحى الأربعين» . فنشر الفصل التاسع وهو « الثور والجزار والسكين » . والصواب أن الرافعى عاد إلى تلك النسخة قبل ذلك بكثير ، فقد نقل عنها فصلين على ما أذكر فى « على السفود » . وقد كتبت هذه المقالات فى سنة ١٩٢٩ . وجاء فيها حكاية (حبة القمح وحجر الطاحون) ؛ وحكاية البعوضة والنطاد (زبلن) . وعلى ذلك فهما الفصلان التاسع والعاشر من كليلة ودمنة الرافعى . ثم عاد الرافعى إلى هذه النسخة ثانية عند ما كتب « أوراق الورد » الذى تم طبعه فى ١٩٣١ ، ففى ص ٢٢٩ و ٢٣٠ من هذا الكتاب حكاية « الغزال والأسد » وهى الفصل الحادى عشر من نسخة الرافعى من كليلة ودمنة ؛ وهى حكاية طريفة أدارها على بعض ما كان بينه وبين حبيبته فلانة ، وأشار فى هامش الكتاب إلى أنها فصل من كليلة ودمنة ووعد بإتمام فصول الكتاب . وعلى ذلك تكون حكاية « الثور والجزار والسكين » هى الفصل الثانى عشر لا التاسع من كليلة ودمنة الجديد

هذه ملاحظات عنت لى فى أثناء قراءة الكتاب ، وهى لا تنقص شيئاً من قيمته التى قدمت من خبرها فى صدر المقال . ولا أختم كلمتى قبل أن أهنئ الأستاذ سعيداً على توفيقه فى هذا الكتاب الفذ . وقبل أن أنوه بتلك الفصول القيمة التى كتبها عن « رسائل الأحزان » و « السحاب الأحمر » و « أوراق الورد » ، وهى فصول لم يكتب على منوالها فى التعريف بالكتب . وأظن القارئ فى حاجة إلى أن يعيد قراءة هذه الكتب على ضوء تحليل الأستاذ سعيد مهما كان قد أطال فيها النظر والدرس قبل ذلك

أبو الفتوح رضوان

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 308

Lundi - 29 - 5 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٩ مايو سنة ١٩٣٩ » العـدد ٣٠٨

الفهـرس

البلاغة من لوازم القوة

من سنن الله فى الناس أن البلاغة تلازم القوة فلا تنفك عنها إلا فى النُّدرة . والمراد بالقوة قوة الروح لا قوة العضل ؛ فإن قوة العضل مظهرها قوة الحركة ؛ أما قوة الروح فمظهرها قوة الكلمة . فكلما قويت الروحية فى المرء قويت الفكرة ؛ وكلما بلغت الإنسانية فيه بلغ البيان . وليس من السهل تعليل سطوع النفس وإشعاع الروح بالمنطق البيّن، فإن ذلك لا يزال فوق الفهم ووراء المعرفة. وحسب المدارك المحدودة أن تقف لدى الظواهر والآثار فتحكم بالاستقراء وتبنى على الواقع. والواقع أن قوىّ الرجولة بليغ الكلام ما فى ذلك شك . كأنما قوة الحيوية فى الرجل تستلزم قوة الشاعرية فيه . ومتى أشرق المعنى فى الذهن النفاذ، وتمثل الخيال فى الخاطر المجلو، أوجبت الطبيعة بروزهما فى المعرض الرائع من وثاقة التركيب وأناقة اللفظ وبراعة الإيجاز .

أولئك على والحجاج وطارق ؛ وهؤلاء الإسكندر وقيصر ونابوليون ؛ وأولاء هتلر وموسولينى ومصطفى كمال ! كلهم كانوا مُثلاً عالية فى شجاعة القلب واللسان ، ومضاء السيف والقلم ، ونفاذ الرأى والعزيمة ، وسمو الفكرة والعبارة . أجادوا القول فى الخطبة كما أجادوا الفعل فى المعركة ، وحذقوا السياسة فى السلم كما حذقوا القيادة فى الحرب، وأحسنوا مناجزة العدو بشدة البأس

كما أحسنوا مناغاة الحبيب برقة الغزل ؛ فلا تدرى أنجعلهم فيمن جرى على أيديهم أدب الموت ، أم فيمن جرى على ألسنتهم أدب الحياة. والرجل القوى يغلب عليه من الألقاب والصفات ما تُغَلِّبه طبيعة عمله . فهو قائد أو سياسى أو مصلح أو كاتب أو شاعر على حسب ما تتجه إليه قواه وميوله من الحرب أو الحكم أو الخير أو الجمال . فخالد ونابوليون، ومعاوية وبِسمرك، والجاحظ وفلتير، والمتنبى وهوجو ، لا يختلفون فى عبقرية الرجولة وإن اختلفوا فى دلالة اللقب . والنبوغ فى هؤلاء جميعاً لا يكاد يتفاوت فى قيمته ودرجته ؛ وإنما يتفاوت فى شهرته ونفوذه تبعاً لاتصاله بالعامة كالزعيم ، أو اعتماده على القوة كالقائد

* * *

قد تقول إن النابغ ممتاز فى أكثر صفاته لأنه منتخَب الطبيعة ومختار القدرة ؛ ولكنى أقول لك إن البلاغة تلازم القوة حتى فى الأوزاع والهمج . فالرجل العامى القوى الروح الكبير النفس الصارم الإرادة تجده قويم الفكرة ، بليغ الجملة ، قوى الجدل ؛ ومثل هذا فى المدينة أو فى القرية يكون دائماً موضع المشورة فى الأزمة ، ومقطع الحكم فى النزاع

وازن بين عصر وعصر فى الأدب ، أو بين أديب وأديب فى الأسلوب ، تر الفرق بينهما إذا حللته لا يخرج عن قوة الرجولة فى هذا وضعفها فى ذاك . فعصر الجاهلية عند العرب واليونان ، وعصر الفتوح عند المسلمين والرومان ، وعهد الفروسية عند الفرنسيين والطليان ، كانت أزهى عصور البلاغة ، لأن الرجولة كانت فيها بفضل النزاع والصراع فى سبيل الحياة والغلبة والمجد والمرأة أشد ما تكون تماماً واضطراماً وقوة. فلما قتل الترف الرجولة، وأذل العجز النفوس، زهقت روح الفن وذهبت بلاغة الأسلوب، وأصبح أدب الأديب سخفاً وزيفاً وثرثرة

لماذا يقوى الأدب فى الثورات والحروب ؟ لأنها أثر ليقظة الشعور ، ومظهر لحياة الرجولة !

لماذا قلّ الأدب فى العبيد وضعف فى النساء ؟ لأن الروح الشاعرة ماتت فى إرادة العبد ، والنفس المريدة فنيت فى شعور المرأة !

* * *

أرجو ألا تفهم أنى عنيت بقوة الأدب ما كان موضوعه شديداً كالحرب، وبضعفه ما كان موضوعه ليناً كالحب؛ فإن ذلك معنى لا يتجه إليه الذهن الباحث . وأى فرق تراه بين سفر أيوب الباكى ، ونشيد الأناشيد الغزِل ، وإلياذة هوميروس الحِمِسة ، فى قوة الروح وفحولة الفن ؟ إن القوة الروحية الشاعرة التى تخرج الأنشودة للجندى هى نفسها التى تخرج الأغنية للعاشق والمرثية للحزين . ولا يجوز أن تفرق بين هذه المقطوعات الثلاث إلا على الوجه الذى تفرق به بين آية من القرآن فى وصف النار وبين آية أخرى فى وصف الجنة . إنما عنيت بالأدب القوى ما صدر عن قوة الروح وصدق الشعور وسمو الإلهام وألمعية الذهن فدق معناه وصدق لفظه واتسق أسلوبه ؛ وبالأدب الضعيف ما انقطع فيه وحى الذات عن آلة الفن ، واحتجبت فيه صُوَر الحياة عن مرآة الذهن ، فهو تقليد قرد ، أو ترديد صدًى ، أو شعوذة مهرج !

* * *

إن الأدب البليغ كامنٌ فى البطل على أى صورة كان . فهو إن أنتجه برّز فيه ، وإن لم ينتجه شجع عليه . لذلك ازدهر الأدب فى ظلال أغسطس وبركليس والرشيد وسيف الدولة. وما دام كبراؤنا لم يخلقهم الله من الأبطال ولا من عباقرة الرجال فهيهات أن ينتجوا الأدب أو يفهموه أو يحبوه أو يعضدوه أو يقدموا أهله . وسيظل هذا النور الضئيل من الأدب القوى الحر محصوراً فى ظلام العمى والجهل حتى تقوى الأمة فينتشر، وينبغ فيها القادة فيزدهر . وسيعيش رجاله القلال المخلصون معتكفين فى المكاتب اعتكاف النساك فى الصوامع، يتلونه على بصر الطبيعة، وينشدونه على سمع الزمن ، حتى تقوى دولة الحق والجمال فيجلسوا فى الصدر ويمشوا فى المقدمة !

احمد حسن الزيات

في أربعين الملك الشهيد غازي

بني قومنـــا !

للدكتور عبد الوهاب عزام

ممثل جامعة فؤاد الأول في حفلة التأبين التي أقيمت ببغداد

أيها السادة !

أقوم بينكم مبلّغاً رسالة الجامعة المصرية مديرها وأساتذتها وطلابها المصريين والعراقيين وغيرهم . هذه الجامعة التي شجاها ما شجا معاهد العلم بالعراق من هذا الخطب الجلَل والرزء العمم .

تشارك جامعة فؤاد الأول معاهد العلم العراقيـة أحزانها ، وتحتمل معها آلامها، وتناشدها أن تعزى معها الأمة العربية كلها وتثبتها في مصابها ؛ فإن العلم الذي يهدى الأمم طريقها وينير لها في ظلماتها، حرىّ أن يثبتها في خطوبها ، ويعصمها في محنها .

يا إخوتنا لا أبغي إثارة الشجن فما أيسر إثارة الأشجان والمصيبة فادحة، والقلوب دامية؛ ولا أريد استدرار الدمع فما أهون استدرار الدمع والرزء جليل والنفوس باكية ، ولـكن أريد أن أعرب لـكم باسم الجامعة المصرية أننا معكم في السراء والضراء ، شركاؤكم في الشدة والرخاء ، وأننـا وإياكم متعاونون على العمل للمجد وعلى احتمال النوائب .

إن هذا الخطب لم يخصكم، ولا نزل بساحتكم وحدكم، ولـكنه خطب العرب على اختـلاف ديارهم ومذاهبهم من شرقىّ دجلة إلى بحر الظلمات ، وخطب المسلمين على اختلاف أجناسهم وأقطارهم. إنه رزء العرب ، وقد استقاموا على طريقتهم وأقسموا ليبلغن غايتهم ، ورفعوا الراية ومضوا إلى الغاية ـ رزؤهم في أحد قادتهم ـ في ملك عربي شاب طموح استوى على عرش المنصور مبشراً بعهد الرشيد والمأمون . إنه رزء العرب والمسلمين في ملك هاشمي من أبناء فاطمة قامت لمصرعه القيامة في مكة والمدينة ، وفي بغداد دار العباسيين ، ودمشق دار الأمويين ، والقاهرة دار الفاطميين، وبلاد العرب والمسلمين جميعاً.

إنه لخطب عظيم؛ ولـكنه ليس أعظم من عزائم هذه الأمة ، ولا أكبر من كبريائها ولا أشد من أخلاقها ؛ ونحن بنو الشدائد ألفتنا وألفناها ، وعركتنا وعركناها

يا بني قومنا : إن للأمم في معترك الحياة نعمى وبؤسى وفرحاً وترحاً ورخاء وشدة . والزمان قُلَّب تدور غِيره بالخير والشر والأمم العظيمة الحازمة تأخذ عدتها من مسراتها وأحزانها، ولا تفيت فرصة من لذة أو ألم وفرح أو غم ، ولا تمر بحادثة إلا تدبرت في أمرها وأخذت لحاضرها وتزودت لمستقبلها وتأهبت لأحداث الزمان وتقلب الحدثان . بل الأمم في أحزانها أقرب إلى الوقار والجد وأدنى إلى التآخي والإيثار والتفدية، وأجدر بإدراك الحقائق والاعتبار بالوقائع وجمع الـكلمة وإرهاف العزيمة ، فإن الأحزان تجلو النفوس وتنبهها من الغفلة، وترقق الأكباد، وتذهب بالأحقاد .

يا بني أبينا وأمنا : كانت وفاة الغازي رحمة الله عليه قدراً لا حيلة فيه ورزءاً لا قدرة عليه، ولو كانت نائبة تجدى فيها النجدة وتُغنى الهمة وتنفع الشجاعة والتفدية لوجد أبو فيصل منا جميعاً نفوساً تفدّيه، وقلوباً تستميت دونه، وعزائم تردّ الخطب صاغراً، وجلاداً يرجع الموت خزيان ناظراً، ولـكنه قدر من وراء الأسماع والأبصار والجنود والأنصار

فلتفزع الأمة العربية إلى عقلها وخلقها وإبائها وصبرها وثباتها وجلدها، ولتنظر إلى تاريخها تستمد منه الصبر على المصيبة، والاستكبار على الجزع، والإباء على كل خطب، والثبات لـكل هول ليكن من اجتماعنا على مصيبة الغازي اجتماع كلمتنا واستحكام أخوتنا . لتكن من هذه المصيبة الجامعة أُخوة جامعة وكلمة جامعة .

* * *

أيها الإخوان : مضى فيصل الأول بعد أن أدى أمانته ، ولحق به غازي وهو يسير للمجد سيرته، وقد أورث الله فيصلاً الثاني جهاد جده وطموح أبيه ؛ وإن لنا فيه لعزاء ، وإن لنا فيه لخلفاً . فلتحطه النفوس ولترعه الأفئدة، ولتجتمع حوله الأفكار والآمال، والعزائم والأعمال ، وكل ما في العراق وما في العرب من ود ووفاء وإخلاص وبر وكرم ، حتى يترعرع ملـكاً كريماً في رعاية الله وحضانة أمته ووفائها وإخلاصها، ترجو فيه العراق والعرب جميعاً كوكباً تأوى إليه كواكبه ، وسيداً فؤولاً فعولاً لما سن السادة الكرام من آبائه

فى سبيل الاصلاح

الأدباء الرسميون

للأستاذ على الطنطاوى

ما كان لى أن أعرض إلى هذا الموضوع بعد ما تكلم فيه الأستاذان الكبيران العقاد والزيات ، لولا أن فى النفس منه أشياء . وإن آراء العامة فيه يعمها الضلال البين ، ويعوزها التقويم ؛ وإن من الناس من يدعى الأدب ثم يزن أهله بميزان الحكومة ، فيضع قيمتهم الأدبية فى كفة ، ويضع فى الكفة الأخرى درجتهم فى (الوظيفة) ومبلغ ما يقبضون من مرتب . فالشاعر الذى يعلم فى مدرسة ابتدائية ، لا يساوى بالشاعر المدرس فى الثانوية ؛ والأديب الذى يعمل فى تفتيش اللغة العربية أكبر من الأديب الذى يشتغل بالتدريس . أما الشاعر الذى جعلته الوزارة أو أصارته الأيام أول المفتشين ، فواجب وجوباً أن يكون شاعر الشرق كله، أو شاعر العرب على الأقل الأدنى .. ويدللون على هذا المنطق السقيم بأن الحكومة لو لم تجده أعلم العلماء وأبرع الأدباء ما أحلته هذه المنزلة ؛ فالطعن فى تقدمه طعن فى الحكومة ونفى لحسن التقدير عنها ... وامتد هذا الجهل إلى الصحف ، فصارت تقدم من الأدباء من قدمته الحكومة ، وتكتب فى رأس المقالة كما يكتب صاحبها فى ذنبها ، ودرجة الوظيفة الحكومية التى يقوم بها ، كأنها هى الشهادة له بتمكنه فى الأدب وعلو كعبه فيه ، وغدا من المستحيل أن يقدم شاعر مجوّد محسن ولكنه مدرس عادى، على شاعر مفتش أو رئيس ديوان ولو كان دونه إحساناً وتجويداً ، كأن شعر الوزير فى الشعر كشخص الوزير فى الناس ، يتقدمهم ويعلوهم ولا يوزنون به ولا يتقدمون عليه . ومشى هذا المنطق السقيم وهذا الجهل البيّن فى الناس ، حتى صار هو القاعدة المقررة والأصل الثابت ، وصار غيره هو الفرع الذى يحتاج إلى دليل ...

وما من أحد يدرك هذه العلة إدراك الأديب الموهوب الذى اضطرته الحاجة إلى (الوظيفة) وأجبره الكدح للعيش على أن يفكر برؤوس رؤسائه الفارغة لا برأسه هو، فلا يكتب إلا ما يشتهون، ولا يقول إلا ما يريدون ، وعلى أن يضع أدبه وذكاءه ومواهبه بين يدى مفتش قد يكون جاهلاً أو يكون مخطئاً أو يكون لئيماً ينتقم لغباوته وجهله من الأذكياء العلماء . والمدرس على ذلك كله ملزم باتباع رأيه والصدور عن مشورته . وإذا كتب ينقده فى صحيفة أو يسمّع به فى مجلس ، قامت عليه القيامة ونفى إلى أقصى الأرض ، أو أخرج من الوظيفة إخراجاً ، ثم لا ينصره عليه أحد لأن الناس قد استقر فى أفهامهم أن المفتش أعلم وأبرع من المدرس ، ولا سيما إن كان دكتوراً أو كان أستاذاً فى جامعة ، فإن مثله لا يأتيه الخطأ من بين يديه ولا من خلفه ، ولا عن يمينه ولا عن شماله ، ولا من فوقه ولا من تحته ... والمدرس يركبه الخطأ من جهاته الست لا لشىء إلا لأن مرتبه أقل ، ووظيفته أصغر ... ثم إن عندك الموظفين الجاهلين المتزلفين الذين يتقربون إلى المفتش الشاعر أو الرئيس الأديب بإذاعة فضله ،

وإن فى حكمة أهل العراق ووفائهم، وإن فى هممهم وعزائمهم لضماناً للمستقبل الوضاء، والمجد الباسم بعد هذه الخطوب المكفهرة والوقائع العابسة

بنى قومنا تقسو الخطوب وتربدُ ... ويُشرق فى أعقابها الصبر والمجد
وإن ظلام الليل يُعقب صبحه ... وبعد غروب النجم إشراقه يبدو
وبعد محاق البدر يبدو هلاله ... وبعد طلوع النحس يرتقب السعد
وبين ظلام النقع نصر منوّر ... لمن صابر الأهوال والبأس محتد
وعند اسوداد الغيم غيث ورحمة ... يقهقه فى حافاتها البرق والرعد
وبعد بكاء السحب خصب ونضرة
تضاحك من أزهارها الغور والنجد
ومن بعد غيض الماء فيض لدجلة ... ومن بعد جزر الشط ينتظر المد
وفى كل خطب للفراتين دعوة ... إلى المجد فى أعقابها النصر والحمد
فلا تحزنوا وارموا الخطوب بعزمة
يذل لها الخطب العصىّ ويرتد
وسيروا إلى العليا من حول فيصل
وأنتم له حصن وأنتم له جند

عبد الوهاب عزام

والثناء عليه ، ومنحه الألقاب جزافاً ، ويستمرون على ذلك ما استمر قاعداً على كرسيه لأنهم عباد صاحب الكرسي ... فتؤثر هذه (الدعاية) - على بطلانها - فى نفوس الأخلياء ، وينال هذا المفتش الشاعر شهرة ومنزلة لم تقم على أدبه وإنتاجه ، وإنما قامت على أرجل كرسيه الأربع وألسنة أتباعه التى تشبه أرجل الكرسي ... وربما خدع التاريخ بهذه الشهرة - والتاريخ يخدع أحياناً - فانطمس الحق وعمت البلية ...

فما هو سبيل الخلاص من هؤلاء (الأدباء الرسميين) الذين يستغلون هذه الشهرة الزائفة وهذه المنزلة الكاذبة فيقيمون أنفسهم أو تقيمهم الحكومة مقام الأئمة من أهل الأدب ، فيرسمون للناشئين خططه ويضعون مناهجه ويملكون تحويله من وجهة إلى وجهة ، ويستطيعون أن يؤثروا فى مستقبل الأدب بما أوتوا من السلطان ، وأن المدارس فى أيديهم ، وأموال الدولة تحت إمرتهم ، تأثيراً لا يقدر على بعضه الأدباء غير الرسميين الذين لا يملكون إلا أقلامهم وعقولهم بل إن الأدباء الرسميين قد يستطيعون والحكومة من ورائهم أن يسخروا بعض الصحف لغاياتهم ومقاصدهم . ولو كان هؤلاء (الأدباء الرسميون) الذين تعتمدهم الحكومة وتثق بهم يختارون دائماً من ذوى المنزلة الرفيعة فى الأدب وممن لهم فيه تمكن ورسوخ لهان الخطب ؛ ولكنهم قد يكونون على الضد مما قلت ؛ بل قد يسيّر الأدب فى وزارات المعارف من ليس بينه وبين الأدب رحم ولا قرابة ... فإلى أين يسير الأدب فى حالة مثل هذه ؟ وكيف ندفع عن الأدب ذلك المصير المحزن ؟

* * *

لقد أشار الأستاذ الكبير الزيات فى فاتحة الرسالة (305) إلى هذه المشكلة وإلى دوائها ؛ فرأى أن دواءها العدول عن (السياسة التقليدية التى اتخذتها الوزارة إلى اليوم فى نظام التأليف وطريقة التفتيش واختيار المدرس) وتطهير التعليم (من المفتش الذى يعاقب على نسيان الهمزة وذكر الغزل ، والمؤلف الذى يؤلف بسر الجاه ونباهة الاسم) . ثم إنه لا بد بعد ذلك من تصحيح

من برجنا العاجى

الرأى الصريح الحر قوة ينبغى ألا تخلو منها أمة من الأمم الآخذة بأسباب الحضارة . ووجود هذا الرأى ألزم من وجود البرلمانات فى ضمان العدالة والحد من طغيان السلطات ؛ لأن هذا الرأى لا يتطرق إليه عادة ذلك الفساد الذى يشوب أعمال النظم السياسية والاجتماعية ، فهو صادر عن قلب حار نبيل قد ارتفع عن دنيا الأغراض والمجاملات

على أن المشكلة هى دائماً : كيف نعثر على هذا الرأى ؟ قد نستطيع أن نعثر على العنقاء، ولكننا لن نستطع أن نظفر فى كل زمان بصاحب الرأى الحر الصريح . لماذا ؟ لأن هذا المخلوق ينبغى أن يكون مركباً تركيباً مخالفاً لتركيب أغلب البشر . فلا بد أن يكون قد عرف كيف يستغنى عن الناس ، وأن يكون قد وطن نفسه على أن يمضى فى طريقه دون أن يعبأ بسهام الناس التى أصابت جسده . وألا يكون له عند أحد حاجة ولا مطمع . وأن يكون محباً للوحدة معتاداً العزلة ، قانعاً من الدنيا بأبسط متاع وأقل مؤونة . ذلك أن أول خطوة فى هذا الطريق الوعر يصادفها صاحب الرأى الحر، هى فقد الأصدقاء والأعوان. ثم يلى ذلك تألب الجميع عليه ، لأنه لم يرض أحداً ولم يمالئ فريقاً ولم يعتصم بجاه جهة من الجهات ، ولم يستظل بقوة من القوى . إنه وحده منبع كل شىء . وهو بمفرده الواقف فى وجه جميع القوى متضافرة . إنه قد ينهزم وقد يتحطم وينهدم تحت ضربات الجميع ، ولكن راية الرأى الحر تبقى خفاقة فى الهواء عالية مرفوعة فى يده الميتة

حبذا لو كان لى هذا المصير العظيم ! لقد أتاحت لى الظروف أن أطلق رأيى ذات يوم حراً فى بعض الأمور فأحسست فى الحال أنى فقدت كل سند من كل جهة من الجهات ، ولم يعد لى صديق . ولم يبق حولى سوى عيون نارية تنتظر ساعة الانقضاض علىّ والفتك بى. غير أن كل هذا لم يزعجنى . فلقد شعرت فى عين الوقت أن فى يدى شيئاً يخفق عالياً ، أدركت أنه هو وحده الباقى .

توفيق الحكيم

مقاييس الناس وإفهامهم أن قيمة الأديب بإنتاجه ومواهبه، لا بوظيفته ومرتبه، وأن الأدب لا يقاس بهذه المقاييس الجامدة، ولا بد من التفريق بين شخصية المفتش والوزير الرسمية، وبين شخصيته الأدبية؛ فأنا أرعى للوزير حق مكانته، وأعطيه كل ما ينص القانون على أنه حق له من الطاعة والاحترام. أما الوزير الأديب، والمفتش الشاعر، فإنهما عاطلان من هذه الحصانة، معرضان للنقد، أستطيع أن أدرس أدبهما وشعرهما كما أدرس أدب أي أديب وشعر أي شاعر، وأستطيع أن أحكم لهما أو عليهما، ولا يدخل في حساب النقد وظيفة عالية ولا مرتب ضخم. وإذا اقترح الوزير اقتراحاً في تعديل خطط التعليم، أو رأى رأياً يتبعه أذى للأدب أو خوف على مستقبله، فإنني أستطيع أن أناقشه وأرد عليه. وبغير ذلك لا تنمو المواهب ولا تثمر ثمرها، ولا يزدهر الأدب ولا يعطي أكله. بقي أمر واحد وهو حماية هذا الموظف الأديب الذي ينقد ويبحث، ويقوم بحق الأدب من غير أن يقعد عن حق الوظيفة، حمايته من انتقام الرئيس، وتشفي المفتش، ولا يكون ذلك إلا بقانون ينظم علاقة الرئيس بالمرءوس، ويوضح لكل منهما ماله (بالضبط) وما عليه، أما إذا بقي أمر المدرس بيد المفتش والرئيس، وترفيعه وتنزيله تابع لرأيهما و (تقريرهما)، فلا حرية في البحث، ولا ازدهار في الأدب، ولا استثمار للمواهب، لأن المدرس لا يستطيع أن يضحي بوظيفة وهي سبيل حياته ومورد رزقه من أجل بحث أو فصل أدبي، فيسكت على مضض، ويتوالى سكوته، فتموت قريحته، وتذهب ملكته، ولا يبقى فيه بقية لإنتاج. وإذا ذكرنا أن وضعنا الاجتماعي الشاذ ساق أكثر الشباب طوعاً أو كرهاً إلى وظائف الحكومة قدرنا مبلغ الخسارة الأدبية التي يُمنى بها الأدب، ويبلغ الأذى الذي يصيبه به (الأدباء الرسميون) الذين يعملون عمداً وبغير قصد على تقييد حرية الأدباء، وقتل المواهب، وسد الطريق على الناشئين المتأدبين ...

هذا وإن الأديب لا ينتج ولا يعمل إلا معتداً بنفسه واثقاً بها، وهذه العزة وهذه الكبرياء الأدبية هما عدة الأديب، فإذا خسرهما لم يصلح بعدهما لشيء. ومن نظر في حياة الموظف الصغير نظر مدقق ناقد، رأى أنه لا يستطيع أن يجمع بين إرضاء رؤسائه وبين الشعور بهذه العزة الأدبية، وما له في فقد أحدهما بدّ، وهو يؤثر (على الغالب) أن يفقد عزته الأدبية على أن يخسر وظيفته. وكم من موظف أديب نابغ معتد بنفسه، رأى ألوان الإيذاء، واتهم بالشذوذ والعناد، وعاداه صحبه ورؤساؤه، لأنه لم يبع كرامة نفسه وعزتها بهذا المرتب القليل؛ وربما كان هذا الموظف المغضوب عليه، المنسي المهمل، من خير الموظفين علماً وكفاية وقياماً بعمله، وحرصاً على الواجب عليه ... ولكنهم الرؤساء، أولئكم (الأدباء الرسميون) ...

بغداد (الأعظمية) **علي الطنطاوي**

* * *

حاشية: (تصويب) — جاء في الفقرة الأولى من مقالتي (يا غازي عليك رحمة الله) كلمة (طواها كف الموت) وواضح أن ذلك خطأ صوابه (طوتها كف الموت) فيرجى تصحيحها

أعلام الأدب

أرستوفان

والكوميديا اليونانية

للأستاذ دريني خشبة

يجمع المؤرخون على أن الكوميديا — أو الملهاة — القديمة قد نشأت فى سيراقوزا حاضرة جزيرة صقلية قبل أن تنشأ فى أثينا حاضرة أتيكا اليونانية ، فقد ثبت أن الشاعر الكوميدى إبيخارموس قد ألف للمسرح الصقلى سنة ٤٨٠ ق . م، أى قبل أرستوفان ، أو قبل أن يولد أرستوفان بثلاثين سنة ؛ وقد كان له فى صقلية قرناء أجلاء منهم صوفرون العظيم الذى كان يتناول فى كوميدياته العلاقات بين المرأة والرجل بطريقة فلسفية . ومما يدعو إلى شديد الأسف أن كل كوميديات شعراء سيرا كوزا قد فقدت كما فقدت جميع الكوميديات اليونانية إلا إحدى عشر لأرستوفان — من أربع وخمسين ! — ولم يصلنا من كل ما فقد إلا نتف هينة ومقطوعات قليلة هى على قلتها ثروة هائلة تدل على الخسارة التى لحقت بالإنسانية فى ميراثها الثقافى

أما الكوميديا اليونانية فقد أخذت تنتعش منذ سنة ٤٦٠ ق . م ثم ازدهرت فى عصر بركليس على يد الشاعر كراتينوس(١) الذى كان يتخذ من سيد العصر — بركليس نفسه — هُزُواً لجميع كوميدياته ، فكان يصوره تصويراً كاريكاتوريا (هزلياً)، فيدعوه: « الإله الأعظم أبو رأس بَصَلة ! » ، استهزاء برأس بركليس الذى كان يواريه دائماً لاستطالته بخوذة ... ويدعوه أيضاً : « طفل كرونوس وابن القَدَر ! . الخ »

وكانت لكراتينوس منزلة رفيعة بين شعراء الكوميديا ، ويعده النقاد أرفع مرتبة من أرستوفان وأعنف منه فى تجريح شخصيات عصره . وقد قال فيه أرستوفان : « إنه كصَيِّب يتحدر من فوق جبل فهو يكتسح كل من اعترض سبيله من بشر أو شجر أو حَضَر ... » ومن أبرع الشخصيات التى كان يصورها فيفتنّ فى تصورها شخصيات السكارى ، وكان يؤديها له فى كوميدياته الممثل الكاتب الكبير كراتس ... وقد فاز كراتينوس مرات كثيرة بالجائزة الأولى؛ ولما فاز بها للمرة الأخيرة جاء أرستوفان فى آخر قائمة المتبارين . هذا وقد توفى كراتينوس غريقاً سنة ٤٢١ ق . م

وممن نبغ فى النظم الكوميدى قبل أرستوفان الشاعر فِرَكْرَاتِسْ ، والنتف الباقية من كوميدياته تدل على علو كعبه فى فنه، وعلى أنه كان يسمو كثيراً على جميع الشعراء الكوميديين حتى أرستوفان . وقد نال أولى جوائزه سنة ٤٣٧ ق . م . وكانت كوميدياته تمتاز على غيرها بتنوعها وتناولها المشكلات الاجتماعية الشائكة نحو مسئلة الرقيق والبغاء وما إليهما ، وهو ضريب أرستوفان فى تخيّل الطوبويات وجنات النعيم ... فمن ذلك ملهاته الضائعة (المنجمون) أى عمال المناجم لا رجال التنجيم ، وملهاته الضائعة الأخرى (الرجال النمل !) ، وقد نسج على منوالها الأديب الحديث ويلز فى إحدى طوبيوتاته

وكما كان كراتينوس يتخذ من بركليس هُزُوًا لكوميدياته فكذلك كان فرا كراتس يتخذ السياسى العظيم المعروف ألسبيادس لمثل ذاك الغرض، وإن يكن لم يَعنفْ عليه كما عنف على تيموتيوس

أما يوبوليس فقد كان أعظم الشعراء الكوميديين المعاصرين لأرستوفان ... وكان نِدًّا قوياً له، وقد اتهم كل منهما أخاه بأنه سرق منه ملهاته (الفُرْسان) ... وكان على العكس من كراتينوس يحب بركليس ويمتدح مزاياه فى حين كان يبغض رئيس الوزراء كليون ويمزقه فى كوميدياته تمزيقاً لا رحمة ولا هوادة فيه . وكان أرستوفان لا يجرؤ على التهكم على سراة الأثينيين وأغنيائهم ، أو هو كان لا يحب ذلك ، لأنه كان غنياً مثلهم كما سيمر بك ، لكن يوبوليس كان لا يبالى أحداً منهم فقد فضحهم وأضحك الدنيا عليهم فى ملهاته الضائعة (الداهنون)، وكان مثل فرا كراتس يبغض السياسى ألسبيادس ويتخذه سخرياً فى ملاهيه . ويختلف المؤرخون فى سبب ضياع كوميديات يوبوليس كلها مع أن كثيراً منها كان أروع وأفخم من كثير من كوميديات أرستوفان ...

---

(١) عاش قبل زمن كراتينوس شعراء كوميديون آخرون لما يصلنا إلا قليل جداً من آثارهم ولذا أضربنا صفحا عن ذكرهم ، فنهم : خيونيدز ومنهم إكفانتيدز ومنهم ماجنتز

وقد علل الأستاذ موراى ذلك فذكر[1] أنه كان من معتنقى ديانة خاصة بالآلهة كوتيتو، وكانت طقوس هذه الديانة تمارس فى السر وفى خفية من الناس، وكان العوام من أهل أثينا لا يبغضون شيئاً مثل ما يبغضون هذه العبادات التى تؤدى فى الظلام فلعلهم ثاروا بالشاعر وأبادوا آثاره بعد موته

ومن الشعراء الكوميديين فرينيخوس وأفلاطون – وهو غير أفلاطون الفيلسوف – وقد نقلا الكوميديا نقلة شاسعة نحو الأغراض الأخلاقية الخالصة؛ ولذا سقطت ملاهيهما لأنها سبقت الزمن ولم يكن الأثينيون قد استعدوا لتذوق ما فيها من جمال كما حدث لمآسى يوريبيدز

***

نشأت الكوميديا اليونانية كما نشأت المأساة من الاحتفالات الشعبية الكثيرة والأعياد الدينية المتعلقة بالإله باخوس (ديتروس) إله الخمر والنماء والحصاد. تلك الأعياد التى كان اليونانيون يمارسون فيها ألواناً عجيبة من (المساخر) تشمل الرقص والغناء والإنشاد والموسيقى والتضحيك وإرسال النكات واتخاذ الملابس التنكرية التى تمثل الطير والحيوان، ووحوش البر والبحر وتمسخ الخلق، وتبعث على العربدة والتضحيك. وكانت ألوان عجيبة من المجون والفحش لا يسيغهما ذوقنا الحديث تمارس فى حفلات هذه الأعياد، وكان المشعبذ الناجح هو عادة ذلك الذى يجيد النكتة البارعة التى لا يحتشم فى إرسالها عارية مكشوفة، فلا يبالى أن تتناول العورات المستورة، ولا يبالى أن يصيب بها من يصيب لأن كل همه أن يثير عاصفة من الضحك ويطلق الأكف بالتصفيق حماسة واهتزازاً.

وقد احتضنت الديمقراطية التى نماها بركليس الكوميديا اليونانية فلم يكن الكوميديون يهابون اقتحام ميادين السياسة والأدب والتعليم والاجتماع، وكانوا يبالغون فى ذلك مبالغة تشمئز منها الأخلاق والتقاليد الحديثة، فإذا انتقد أحدهم واحداً من رجال السياسة فليس فى القانون الأثينى ما كان يؤخذ به بسبب ذلك إلا إذا أهان الشرف الوطنى أو فضح كرامة الدولة فى نظر الغرباء. فقد روى أن أرستوفان نفسه حوكم من أجل ذلك، وحكم عليه بغرامة فادحة فى عهد كليون – وقد كانت هذه الديمقراطية المطلقة سبباً فى سقوط أثينا، ولذلك شن عليها أرستوفان حرباً عوانا فى كثير من كوميدياته. ولما كانت الكوميديات تستبيح جميع صنوف العربدة وتناول العورات وقذف الأعراض وتجريح الكرامات بأقذع ما يتصور الإنسان من أساليب الفحش، وعبارات النكر فقد منع النساء والأطفال من شهودها[1] لما كانت تفيض به من ضروب الفسق ويرد فيها من الشناعات

والكوميديا اليونانية من أجل هذا تستند إلى هذه الدعامة الوضيعة من الطعن على رجال الدولة والتشهير بهم على نحو ما تفيض به مجلاتنا الأخبارية اليوم من مثالب وما تتناول به شخصياتنا البارزة من تعريض وكاريكاتور.

وهى تستند كذلك إلى الأساطير المحلية والخرافات التى لا يلجأ الكوميدى إليها إلا إذا ضاقت به ميادين السياسة والاجتماع

ولا يمكن – أو قد يكون من الصعب العسير – أن تمثل الكوميديات اليونانية اليوم فى مسارحنا؛ أولاً لأن أذواقنا تستنكر أسلوب هذه الكوميديات الفاضح الذى يخرج فى الغالب عن آداب مجتمعنا؛ وثانياً لأنها جميعاً كوميديات محلية تدور حول طقوس دينية لا نعرفها وتتناول عادات سحيقة فى القدم لا نلم بها، وثالثاً لأن نكاتها إن احتفظت بقليل من الاحتشام – وهذا فى النادر – إلا أننا لا نفهمها فى سهولة ويسر ... ورابعاً، لأن المسرح اليونانى كان أليق لعرض هذه الكوميديات من مسرحنا الحديث، لأن المسرح اليونانى كان أشبه بالسيارك الجوالة التى نراها اليوم والتى تصلح لعرض الحمير والضفادع والقرود والتنانين وما إلى ذلك مما تفيض به الكوميديات اليونانية. وخامساً، لأن طريقة الأداء التى كانت تعرض بها الكوميديا اليونانية، أو طريقة تأليفها بقول أصح، هى غير الطريقة التى تؤلف بها كوميدياتنا الحديثة

فالكوميدية اليونانية تتركب من أربعة أجزاء قد لا نسيغها نحن اليوم. فالجزء الأول هو عرض عام لموضوع الملهاة وتفسير للأشكال التنكرية التى يتخذها الخورس أو بعض الممثلين، ويلى ذلك (خطاب الشاعر) الذى نظم الرواية ويلقيه الخورس، ويتضمن أهم العناصر الهزلية فى الكوميديا ويسمى هذه الجزء باليونانية Parabasis، وتتبع هذا الجزء سلسلة غير مترابطة من

(١) أدب اليونان القديمة طبعة أبلتون ص ٢٧٩

(١) ج – ك ستوبارت فى كتابه الرائع (مجد اليونان) ص ١٨٤

المشاهد التضحيكية لوصل ما انقطع من حديث الجزء الأول المتعلق بالعرض العام ، ثم يأتى بعد هـذا الـ (Cômos) أو البسط والتمريح[1]، أى إشاعة الانبساط والمرح فى نفوس النظارة ، وفيه يستمر المشلون فى الأداء والتطريب والتضحيك حتى تنتهى الكوميدية

وقد ارتبط أرستوفان بهذا الترتيب فى كثير من كوميدياته. وهو وإن لم يخلص من كل الشوائب التى تعيب الكوميدية اليونانية، إلا أنه سما بها شيئاً ما وترفع قليلاً عن إيراد مشاهد الفسق والفجور . ولم يكن كالشعراء الآخرين فى طريقة مهاجمة خصومه وإن شذ فى معاملة خصمه وأستاذه الأكبر يوريبيدز ، فقد يعتبر المسرح الهزلى طريقاً إلى النقد الإصلاحى فيما يعرض له من مسائل السياسة والاجتماع والتعليم وسائر شئون الحياة العامة ، فهو كان يقوم عن طريق المسرح بما تقوم به الصحافة اليوم ولكن بطريقته الفنية التى تفرد بها .. والمحقق أن أرستوفان كان يحفظ درامات يوريبيدز عن ظهر قلب ، ولم يكن يكتفى بحفظها فقط ، ولكنه كان يعيها وعى الحافظ الدارس الواقف على دقائقها الخبير بأسرارها؛ وقد ترك ذلك كله أثره فى نفسه وفى أدبه وفى مُثُله وفى مراميه ، فهو كان يسخط على الساسة الأثينيين كما كان يسخط يوريبيدز، وكان يبغض هذه الديمقراطية المطلقة الذميمة التى تنتهى بمقاليد الحكم إلى طائفة من الأوشاب ، أو تترك للأوشاب الهيمنة على تكييف شكل الحكومة باختيارهم أفراداً بأعينهم لا يمكن أن يختاروا سواهم مهما صنعوا بأثينا من الموبقات .. وكان ملحداً بالآلهة أو أشد إلحاداً من يوريبيدز ، وطالما استهزأ بمعبودات اليونان وأضحك عليها نظارته بأسلوبه التهكمى اللاذع حتى لم يترك فى أتيكا كلها مؤمناً واحداً بأيّ ما من أرباب الأولب !

وكان كذلك يدعو إلى السلم كما كان يصنع يوريبيدز ، وكان يسوؤه أن يرى إلى هذه المجازر الدامية التى ذهبت بخيرة الرجال وزهرات الشباب فى حروب البلوبونيز ، وقد تغنى فى إحدى كوميدياته بهدنة الثلاثين سنة ، وبالغ فى ذكر ما يعود على جميع طبقات الشعب من الخير بسببها

إذن لماذا خاصم يوريبيدز ؟! هذا سؤال له جوابه فيما يلى :

ولد أرستوفان سنة ٤٥٠ ق.م فى قرية (كيد أثيناون !) ، ومات سنة ٣٨٥ ق . م ، أى أنه عاش خمساً وستين سنة أعطى منها للمسرح وللأدب أكثر من خمس وأربعين ، لأنه بدأ نظم كوميدياته وهو فتًى حَدَث السن ، فهم يذكرون أن رائعته الأولى (رجال جزلتون)، والتى هاجم فيها التعليم العالى وادعى فيها أنه يتنافى ومكارم الأخلاق ! ! قد مثلت فى المسرح سنة ٤٢٧ ، أى أنه كان فى الثالثة والعشرين حينذاك ، ويذكرون أيضاً أنه لم يكن يشترك فى رواياته الأولى لا فى التمثيل ولا فى الإخراج، بل كان يترك ذلك كله إلى صديقه كللستراتوس، وسبب ذلك فيما يروون صغر سنه وعدم إلمامه بأصول الإخراج وعدم استطاعته تمرين أفراد الخورس

والعجيب أنه لم يقتصر على إسناد الإخراج والتمثيل إلى صديقه هذا ، بل كان يبيح له أن ينتحل الرواية لنفسه ويدعى أنها من تأليفه ! ! وقد صنع بطائفة خالدة من كوميدياته — منها الزنابير والضفدع — مثل هذا الصنع ، فقد ترك مهمة الإخراج والتمثيل وحق انتحال التأليف فيها جميعاً لصديق آخر يسمى فيلونيدز ... وكان الصديقان يهشان لذلك ويبشان لفوزهما بالشهرة الكاذبة ، ثم لتناولهما أجر الإخراج من الحكومة وهو أجر يقولون إنه كان عظيماً يسمن ويغنى من جوع

هذا ولم يكن أحد فى أثينا يشك فى أن أرستوفان هو المؤلف الحقيقى لكوميدياته ، وقد يسأل سائل : لماذا ترك لغيره حق الانتفاع بثمرة جهوده خصوصاً بعد أن شب ؟ ذلك أن أباه فيلبّوس كان من الأغنياء المثرين ، وكان قد أورثه ضيعة واسعة ذات غلة كبيرة فى قرية إيجينا ، فكان لهذا السبب يعف عن أجور الإخراج ، بل كان يترك الجوائز المالية — وما أكثر ما نالها — لجماعة المنشدين والممثلين ... هذا ولا تحسبن أنه كان جواداً سخى اليد لصنيعه ذاك ... لا ... لقد كان أرستوفان يكره الفقر ويبغض الفقراء

دريني خشبة

(١) لم يرد التمريح بهذا المعنى فى المعاجم العربية ولكنا اضطررنا لاستعماله هكذا لاعتقادنا أن اللغة العربية يجب ألا تضيق بهـذا الاستعمال ما دامت الكلمة موجودة وإن لم تستعمل فى هذا المعنى ولم ترد — أو لم نعرف — كلمة تقوم مقامها

الواشي والوشاية

للأستاذ عبد الرحمن شكري

أيهما أعظم أثراً ونصيباً في إذاعة الوشايات ؟ ميل النفس إلى أن تشي بغيرها، أم ميلها إلى أن تقبل الوشاية في حق غيرها؟ هذه مسألة لا نحسب أنه من المستطاع توضيحها على قاعدة واحدة تصدق في كل النفوس على السواء على اختلاف صفاتها من مكر وسذاجة ومن فطنة وغباء ومن خير وشر . على أن الميلين يتصلان في النفس ويتشعبان من شعبة واحدة وهي الأثرة، وماتثير من رغبة في منفعة أو خوف من مضرة،وإن كانت الرغبة في المنفعة ألصق بالواشي ، وكان الخوف من المضرة ألصق بقابل الوشاية . على أن هناك أمراً لاشك فيه وهو أنَّ تَنَوُّعَ أساليب الواشي في الوشاية وتهيئتها تهيئة خاصة كي تكون مقبولة في النفوس المختلفة مما يجعل رد الوشاية ورفضها من أشق الأمور . ولا بد من التأثر بها إما قليلاً وإما كثيراً حتى في حالة رفضها وحتى في حالة كره الواشي وقلة الثقة به، وحتى في حالة معرفة كذبه. وإذا استطاع المرء أن يقاوم أثر الوشاية ألف مرة فهو قد لا يستطيع مقاومته مرة بعد الألف. ومن أجل ذلك ترى الرجل العادل الذي كَفَّ نفسه عن الشر يندفع إلى الشر بسبب وشاية واش بعد طول العصمة ويأخذ بالوشاية بعد رفض أمثالها مراراً فيتعجب الرائي المفكر من فجاءات الحياة والنفوس في أمثال هذه الأحوال الغريبة المباغتة . وإذا كان هذا شأن العادل المتحرج من عمل الشر ومن قبول القول من غير بَيِّنة أو دليل، فما ظنك بأكثر الناس وهم يقبلون القول قبل الإطلاع على البينة، وقبل فحص الدليل والتأكد من صحته ، ومنهم من يلتقط القول التقاطاً من فم قائله وكأنما ينتزع الوشاية انتزاعاً من بين ثناياه، وكأنما يخشون ألا يخرج القول كله من فمه فيسعفوه بالمسهلات والمقيئات. وأكثر من هذا وذاك أنهم يأخذون بالظنة من غير حاجة إلى وشاية ونميمة ؛ فقد يُحيِّي إنسان إنساناً آخر ولا يرد الثاني التحية لخطأ البصر أو بطئه في تبين الأشخاص، أو لانشغال ذهنه أو عينه، أو لسرعة انتقال الأول وفوات الفرصة لرد التحية، فيحسب الإنسان الأول أن الثاني تعمد الإساءة إليه مع عرفانه بسابق إعزازه له ومودته وإكرامه . وقد زاد أبو تمام في هذا المعنى ووضحه فقال :

يَظَلُّ عليك أصفحُهم حقوداً ... لِرُؤيا إنْ رآها في المنام

وللواشي فطنة بما يؤثر في كل نفس فتراه في بعض الأحايين يتخذ أسلوب التلميح لا التصريح ، ويكتفي بالإشارة عن العبارة، لا لرفقه واقتصاده في الشر، بل ليكون قوله أبلغ في الشر، إذ أنه يفطن إلى أن السامع من الذين يفهمون في التلميح أكثر مما كان يبسطه الواشي بالتصريح ، ويرون في الإشارة أكثر مما كانت تستفيض به العبارة. ثم إن الواشي يرى في هذا الأسلوب من التلميح احتراساً فيستطيع إذا أُحرِجَ أن ينكر بعض ما فهم السامع أو كله ما دام قوله يحتمل التأويل والتفسير . وفي حالة أخرى يرى الواشي أن الإشارة لا تشغل ذهن السامع ولا تحرك نفسه فيعمد إلى الإطالة والإفاضة والتفصيل والتهويل حتى يكاد السامع يصيبه جنون الخوف أو الغضب من أجل عداء مزعوم أو انتقاص أو تدبير شر أطلعه عليه الواشي فيندفع إلى الشر ، وقد يندفع إلى الجرم العظيم، ثم قد يندم أشد الندم ولات ساعة مندم. وتارة يقرن الواشي إلى وشايته وعداً خفياً بمكافأة يجزى بها السامع إذا قبل وشايته ؛ ولا نعني مكافأة مالية، وإنما نعني أنه يعده وعداً من وعود المودة والمعاونة والتقديم والإكرام والانتصار له على أعدائه؛ وتارة يُدخِلُ في ثنايا وشايته وعيداً خفياً يوعد به السامع إذا رفض وشايته ، وتهديداً بالعداء إذا عده كاذباً في وشايته وإنذاراً بأنه بعد ذلك الرفض ينصر أعداء السامع عليه أو أنه يُخفي عنه كل ما يدبر له من الشر والكيد فيخشى السامع أن ينقلب الواشي عدواً يناصر أعداءه إذا لم يصدقه أو يخشى أن يصيبه شر من كيد مُدَبَّر يمتنع الواشي من نقل خبره إليه إذا كذبه ولو مرة واحدة فيسرع السامع إلى تصديق الواشي وإكرامه .

ومن أساليب الواشي أنه قد يلاطف السامع ويتحبب إليه ، ويكرمه ويمده بنفع ، ويطيل في الثناء عليه ، ويظهر الحدب عليه ، والحزن والخوف من وقوع الشر به حتى يثق به سامعه . ولا شيء تكتسب به ثقة السامع أبلغ من الثناء عليه وذم أعدائه . وإتقان المدح فن قد يُعَدُّ من الفنون الجميلة التي تتطلب صناعة حلوة ، وبعد إتقان الواشي مدح السامع ترى ذلك السامع حريصاً على تصديقه كأنه يقول في نفسه هو صادق كل الصدق فيما مدحني به ، فلا بد أن يكون أيضاً صادقاً كل الصدق فيما نقله إليَّ من الوشايات؛ ولا يعدها وشايات بل كرامات وهذا هو منطق النفوس البشرية . وإذا أطال الواشي في مدح السامع فقل على

الغائب الذي يشي به السلام. فإن كُرْهَ سامع الوشاية لذلك الغائب ورغبته في أذاه وحقده عليه أمور تتمكن من نفسه كلما أجاد وأطال الواشي في مدحه وانتقاص ذلك الغائب. وكيف لا يعد السامع الممدوح الوشايات كرامات وهو يرى مظاهر إخلاص الواشي له وخوفه على جاهه أو سمعته أو حياته أو مكانته ويرى رغبته في صرف الأذى عنه وفي رد كيد أعدائه؟ وقد يصعب في بعض الحالات على الناقل المخلص حقاً الذي إنما يريد بالنقل دفع الشر عن صديقه أن يثبت صدق قوله فيختلط الحابل بالنابل ويضطر السامع أن يقبل من هذا وذاك. على أن الوشاية قد تترك أثراً وخيما حتى في حالة معرفة السامع كذبها، فإن النفوس البشرية في بعض حالاتها تشك بالرغم من معرفتها ببطلان الشك، وتسيء الظن بالرغم من معرفتها كذب الظن. وهل هذه الحالة أغرب من حالة أشعب الثقفي النفسية، وهو الذي كان يصرف الأطفال عنه فيدعي أن احتفالاً بزواج في حارة مجاورة تُنثَرُ فيه النقود على الناس فرحاً وابتهاجاً فيسرعُ الأطفال إلى تلك الحارة كي يلتقطوا بعض النقود، وتنخدع نفس أشعب بالقصة التي اخترعها فيعدو خلف الأطفال كي يلتقط أيضاً بعض تلك النقود التي لا وجود لها. على أنه حتى في حالة رفض السامع للوشاية ورفض كل شك في كذبها تراه مهموماً بسبب ما نُقل إليه من الذم أو الرغبة في الأذى لأنه يعد ما نقل إليه قد أنقص من نفسه لدى نفسه وأنقص من اطمئنانه إلى الحياة عامة وإلى النفوس البشرية فيحس امتعاضاً وتضايقاً من الغائب الذي نقل الواشي عنه ما لم يقل أو ما لم يفعل لأنه كان سبب ذلك النقل الباطل والوشاية الكاذبة التي آلمته حتى وإن كان سبباً غافلاً عما سببه في نفس الناقل الكاذب ولكن سامع الوشاية المتألم منها بالرغم من تكذيبه لها في سريرة نفسه قد ينقم على ذلك الغائب المكذوب عليه سواء أكان الواشي الكاذب معذوراً أم غير معذور في بغضه له الذي دعاه إلى أن يكذب عليه في وشايته. وهذا أيضاً من منطق النفوس البشرية. ومما يزيد في حنق سامع الوشاية أنها قد تكون مما لا يستطيع ذلك السامع فحصه أو مخاطبة المنقول عنه؛ ولا سيما إذا كان سامع الوشاية عظيما أو رئيساً فيخشى على رياسته وعظمته أن تبتذل عند التفصيل في كشف الوشاية وفحصها وتحقيقها، ولا سيما إذا كان الغائب المنقول عنه مرءوساً ليس في منزلته؛ فيرى من الانتقاص لنفسه أن يطلعه على مانقل الواشي إليه لأنه يضطر أن يُحدِّثه بالقول المر الذي قيل عن شخصه، أي شخص العظيم، وهذا فيه إحراج لعظمته فيفضل أن ينتقم من غير بحث ومن غير ظهور بينات أو أدلة على صدق الواشي، وتلتمس نفسه لنفسه الأعذار عند ما تحوِّل الشبهات إلى بَيِّنات تخلصاً من إحراج عظمته بالتفوه بما قيل في حقه. وإذا كان هذا شأن من توجب عليه منزلته السير بالعدل فما ظنك بالكثير من الناس الذين يرى كل لنفسه عظمة مثل تلك العظمة، وإن لم تكن له تلك المنزلة التي تفرض عليه ما تفرض منزلة الأول. والذين يقرأون كل يوم ويسمعون عما يسمى بالطريقة الأمريكية في الاحتيال، فلا تمنعهم قراءتهم عنها من الوقوع في شرك المحتالين، ووسائل تلك الطريقة الأمريكية في الاحتيال أسهل من وسائل الوشاة. فالنفس البشرية تنقاد بالخيال والإحساس وبالرهبة والرغبة أكثر من انقيادها بالعقل والمنطق الصحيح والعدل.

ومما يزيد الوشاية تمكناً من النفوس أن النفوس طبعت على الخوف، فكل نفس تقبل الوشاية لا لأنها اقتنعت بصدقها بل لدرء الشر واتقاء الضر المحتمل، وهي قد تسرع بالإساءة إلى الغائب المنقول عنه إذا وجدت أن إساءتها إليه أسهل من ملاطفته وملاينته، وإنما تريد تعجيزه عن الشر بالإساءة إليه قبل أن يسيء إليها. وهي تُزَكِّي إساءتها إليه قبل التأكد من صدق الوشاية بأن تعد تلك الإساءة من ضرورات الحياة ومكارهها التي لا مناص منها، والتي تدعو إلى المبادرة بالشر حيطة وحذرا؛ إذ أن البدء بالهجوم والمفاجأة به نصف الظفر والانتصار كما يقولون. وهذا أيضاً من منطق النفوس البشرية وأعني المنطق الخفي لا الذي يدرس في الكتب.

أضف إلى كل هذه الأسباب ما يدعو إلى قبول الوشاية من الرغبة في الأذى، وهي قد تكون رغبة مُلِحَّة وشهوة قاهرة في كثير من النفوس ولا سبب لها إلا التمتع بارتكاب القسوة وعمل الشر وإيلام غيرها وهذه الرغبة في الأذى والمتعة في القسوة لا تعجز عن خلق الأعذار والأسباب والشواهد والأدلة والبينات كي تُزَكِّي نفسها في التمتع بالقسوة وفي ارتكاب الشر، وصاحب هذه المتعة النفسية في إيلام غيره يُرَحِّبُ بالواشي النمّام كما يرحب العاشق بحبيبه الذي طالت غيبته لأن ذلك الواشي يساعده على خلق الأعذار التي يُزَكِّي بها رغبته في عمل الشر

عبد الرحمن شكري

المــــوت ...

حجـجه اللائحة الملزمة

للشاعرة أيلا هويلر ولككس

للآنسة الفاضلة «الزهرة»

سيدى الأستاذ الجليل الزيات

هل كنت أريد مهادنة لوعتى التى أهاج مداءها مقالكم المؤثر البليغ بمناسبة الأربعين « فى حزن المليك الطفل » حين لجأت إلى ديوان نفيس، لشاعرتى العزيزة أيلا هويلر ولككس، ساعة أن انتهى إلى العدد الأخير النفيس من « رسالتكم » العالية ! ! وهل كانت المصادفة الرحيمة هى التى طالعتنى لأول ما فتحت الديوان بهذه القصيدة وأجرت القلم بترجمتها فى الحال، رجاء مغالبة تلك الحسرات العصية التى ما برحت تغلب الجلد وتغذى الجزع، حتى كادت تسد سبيل الصبر، وتصرف عن مواطن الرشد، وتذهل عن سنة الله فى خلقه، والدهر فى أهله، مذ مضى الملك الشهيد « غازى الأول » فرع الأرومة الزكية، والقائم من منصب السؤدد في الذروة العلية، ذاك الذى غادر قلب العروبة ينعى مهجته، وجعل أمل المحامد يبكى بهجته. وكيف يعزى المصاب من لم يدع لهم المصرع الأليم والخسارة الفادحة فؤاداً يتجلد في وجه الشجون، لندرة الرجال فى هذا الشرق الجديب المحزون ؟!

أقول هل كانت المصادفة العجيبة، مدداً رحيما لتماسك عن عزم في النفس لا عن يأس، بل تذكرة نافعة تلجئ إلى الاقتناع بأن الأسوة فى بعض الأمور قد تكون سلما إلى التأسى . . . إذا عجز العزاء وأعيا المعزى ... على أنه سبحانه المسؤول أن يكتب لآلاف القلوب المكلومة عزاء جميلا، وأجراً على التصبر جزيلا، وأن يعزى بطول بقائكم دولة الفضل والكمال، ويسكب على الفقيد الشاب العظيم سحائب الرحمة والرضوان بمنه وكرمه.

« الزهرة »

يقول الموت :

لِمَ ترتاع من إيذان قدومى، وتتقبض من ارتقاب زورتى أيها الإنسان ؟ ولِمَ تهطع مستطيراً مروَّعاً حين آتى لأقبضك إلى رحمة الله وأنتقل بك إلى دار القرار ؟ لم تفرّ من أمامى مشيحاً مستهلكاً، وتتشبث بأذيال الحياة مُزَاحِمتى الأفاكة المرجفة، ورصيفتى السرّاجة المرّاجة !

ألستُ أفيئك ظلال السكون العميق وأقلبك بين أعطاف الدعة، إذ أريحك من المشاق وأعفيك من الشقاء فلا تشغل ذرعك بمهمة، ولا تنقل قدمك إلى دَرَك !

فلماذا تحاول أن تحاجزنى عن ذاتك، وتقيم بينى وبينك السدود ؟ لماذا تهضمنى وتطلق لسانك فى حرمتى وتعبث بكرامتى ! لماذا تسلط علىّ بأس لعناتك، وتنزل بى أنكى نقماتك !؟

وأنا — مذ خلقنى الله قانوناً طبيعياً لا يدفعه دافع فى هذا العالم وجعلنى سنّة الخلق التى لا تبديل لها ولا تغيير لم أجرّ على أحد مضرّة ولم أمسّه بأذى، بل أَسَوْتُ كل جرح ونشّته بالبلسم الشافى، وضمدت كل قرح وأنضجته بالمسخن الوافى

وظللتُ هذه الدنيا بستر راحتى الأبدية، إذ ضربت لها خيمة الطمأنينة الدائمة، وأوجدت لها ملجأ الغبطة القائمة، لكى تأوى إليهما مما يندلع عليها باستمرار من نيران خطوبها اللافحة، ومصائبها اللاذعة، وهمومها الجائحة، وأطماعها الهائجة، ووساوسها المائجة، وألاعيبها المفترسة، وغواياتها المترامية، وزخارفها المتراصفة، وأحوالها المتقاذفة.

وتلك التضرعات العارضة التى طالما خرجت من أفواه ظمأى تلتمس الرحمة للنفس والعزاء فما ابتلّت لهاتها نباطل، ولا حليت بتافه .. بل تلك الاستعطافات التى طالما صعدتها قلوب جياشة باستغاثات تنفطر لها المرائر، ولكنها لم تصب منها رغبة، لأن الحياة ولتها من قلبها جانباً صلباً، وأولتها من إعراضها نكيراً وكرباً .

لقد سوّغتها أنا واستجبتها وألقيت عليها رُحمتى، ومددت لها أكناف مرحمتى ...

فهلاّ علمت أن عديلتى القاسية وقسيمتى الجافية هى التى تقلبك فى ردغة الخبال وحمأة النكال، وتقصم ظهرك بوقر العقاب، وتسوقك كل يوم بسوط العذاب، وتخدعك بعقد يسبقه الانحلال والنصب، وتحطمك بزوال لا تتوقعه عن حِجْر النعمة، وصراع يأخذ عليك سبل الهناء، وكفاح يدفعك عن مناهل الرجاء، وإعنات للنفس بما تعلم أن غايتك فيه اللغو والفشل، وحملها على الجهد فى مطالب لا يصحب جهدك فيها أمل

هلاّ علمتَ أن شوكتى هى أعظم شوكة فى الوجود، لأنى آخر أعمال الحياة فى الوجود. فعلام تتمسك بعروتها، وإلام تسكن إليها، ولِمَ تصارمنى إذاً وتقلب لى ظهر المجن ؟ « الزهرة »

الدعاية الإســـلامية

للمستشرق الانجليزى توماس أرنولد

ترجمة الأساتذة

عبد الفتاح السرنجاوى ، عمر الدسوقى ، عبد العزيز عبد المجيد

انتشار الاسلام فى غربى آسيا

أما القبيلة التى افتخر ذلك الشاب بانتسابه إليها فهى إحدى تلك القبائل التى اختارت أن تظل على المسيحية ، بينما دخل فى الإسلام غيرها من القبائل التى كانت تقطن ما بين النهرين كقبيلة بنى نمير وبنى قضاعة ، وكانت قبيلة بنى تغلب قد أرسلت من قبل وفداً إلى النبى (ص) فى سنة ٩ هـ ، فأسلم مشركو هذا الوفد وعقد الرسول (ص) تحالفاً مع المسيحيين منهم الذين استبق لهم عقيدتهم القديمة على ألا يُعَمِّدوا أطفالهم بعد ذلك . وقد حدا هذا الشرط الذى يخالف تماماً ما عهد عن محمد (ص) من صفات التسامح مع العرب المسيحيين الذين سمح لهم أن يختاروا إما الدخول فى الإسلام وإما دفع الجزية ، ولم يكرهوا مطلقاً على ترك عقيدتهم ، قد حدا هذا الشرط إلى الظن بأنه شرط اقترحته العشائر المسيحية نفسها من بنى تغلب بسبب عوامل اقتصادية[1] . غير أن بقاء المسيحية مدة طويلة فى هذه القبيلة دليل على أن هذا الشرط لم يعمل به . وقد نهى الخليفة عمر ابن الخطاب عن استعمال أى ضغط عليهم أو إكراههم على الإسلام حينما ظهر أنهم غير راغبين فى هجر دينهم القديم ، وأمر أن يتركوا فى أمن ليزاولوا شعائره على ألا يعارضوا فى دخول أى فرد من أفراد قبيلتهم حظيرة الإسلام، وألا ينصِّروا أطفال أولئك الذين أسلموا . وقد طلب إليهم أن يدفعوا الجزية[2] ، أعنى ما فرض على غير المسلمين من الرعية ؛ غير أنهم شعروا أن دفع هذه الجزية شائن لفخرهم القَبَلِىّ ، لأن هذه الجزية قد فرضت نظير حماية

(١) أنظر كتاب حوادث الاسلام الجزء الثانى ص ٢٩٩ لقيطانى . كذلك انظر كتاب مختصر التاريخ الاسلامى الجزء الرابع ص١٠٦ لولتهوسن

(٢) عالج قيطانى فى الجزء الرابع ص ٣١٩ وما بعدها موضوع الجزية بتفصيل ودقة

الأرواح والأموال ، ورجوا الخليفة أن يسمح لهم بأن يدفعوا من الأموال كما يدفع المسلمون ، ولهـذا دفعوا بدل الجزية كفلاً من الزكاة — أو الصدقة — التى هى مال فرض للفقراء من عقـار المسلمين ومواشيهم . نعم تضجر المسلمون حقاً أن تبقى قبيلة عربية محافظة على العقيدة المسيحية . وقد أسلم أغلب بنى تنوخ فى سنة ١٢ هـ حينما خضعوا لخالد بن الوليد[1] مع قبائل أخرى مسيحية من العرب . غير أنه يظهر أن بعضهم ظل محافظاً على العقيدة القديمة نحواً من قرن ونصف ، فلقد روى أن الخليفة المهدى (١٥٨ — ١٦٩) رأى عدداً منهم يسكن قريباً من حلب ، فلما علم أنهم مسيحيون غضب وأمر بهم أن يسلموا ، وقد أجاب ذلك منهم نحو خمسة آلاف شخص . وقد آثر أحدهم أن يقتل على أن يعتنق الإسلام[2] . وهنا تعوزنا — لتحقيق معظم هذه الروايات — التفاصيل التاريخية التى تشرح لنا زوال المسيحية من بين قبائل العرب المسيحيين الذين عاشوا فى شمال الجزيرة . ومن الممكن أن يكونوا قد اندمجوا فى العشائر الإسلامية المجاورة ، وفى الغالب بطريق التسلل السلمى خفية ، وإلا فلو أن المسلمين حاولوا إكراههم على الإسلام بالقوة حينما أصبحوا تحت سلطانهم لما كان من الممكن أن تظل المسيحية حية بينهم إلى عصر الخلفاء العباسيين[3]

وهاك أهل الحيرة أيضاً فقد قاوموا كل الجهود التى قام بها خالد بن الوليد ليحملهم على قبول الإسلام . وقد كانت هذه المدينة (الحيرة) إحدى المدن الشهيرة فى حوادث الجزيرة العربية . وقد حسب ذلك البطل الإسلامى المغوار أن التوسل إلى أهل الحيرة بصلة النسب العربية كاف لحملهم على أن ينضموا إلى أتباع الرسول العربى . ولمـا بعث سكان المدينة المحاصرة وفداً منهم إلى القائد المسلم ليتفقوا معه على شروط التسليم ويصالحوه سألهم خالد : « من أنتم؟ أعرب؟ فما تنقمون من العرب، أم عجم فما تنقمون من الإنصاف والعدل ؟ » . فقال له عدى، وكان نقيب القوم : « بل عرب عاربة وأخرى مستعربة » فقال خالد : « لو كنتم كما تقولون

(١) أنظر قيطانى الجزء الثانى ص ١١٨٠

(٢) أنظر كتاب مختصر الدول لابن العبرى طبعة ليزج صفحة ١٣٤ ، صفحة ١٣٥

(٣) أنظر الجزء الثانى من كتاب قيطانى صفحة ٨٢٨

فلم تحادونا وتكرهوا أمرنا». فقال له عدى: « ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا العربية ». فقال: « صدقت »، وقال: « اختاروا واحدة من ثلاث: أن تدخلوا فى ديننا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا؛ إن نهضتم وهاجرتم أو أقمتم فى دياركم، أو الجزية، أو النابذة والمناجزة، فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة ». فقال عدى: « بل نعطيك الجزية ». فقال خالد: « تبًا لكم، ويحكم، إن الكفر فلاة مَضلَّة، فأحمق العرب من سلكها فلقيه دليلان: أحدهما عربى فتركه واستدل الأعجمى »[١]

ولقد اتخذت كل الوسائل اللازمة لوعظ أولئك الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً وإرشادهم وتعليمهم، لأنه كان من الضرورى — وقد أخذت القبائل تدخل فى دين الله بهذه السرعة — أن يؤخذ الحذر حتى لا يخطئوا فى العقيدة أو العبادات والشعائر، كما يخشى هذا طبعاً إذا كان إرشاد حديثى الإسلام غير صحيح. ولهذا بعث الخليفة عمر بالمعلمين لكل الأقاليم. وقد كانت وظيفة هؤلاء المعلمين أن يعلموا الناس القرآن، وأن يرشدوهم إلى كيفية القيام بشعائر الدين الجديد. وكان على حكام الأقاليم، شباناً كانوا أو شيوخاً، أن يحافظوا على حضور صلاة الجماعة، وبخاصة صلاة الجمعة، وفى شهر رمضان. ويمكننا أن نحكم على مقدار العناية التى وجهت إلى تعليم من دخلوا الإسلام حديثاً وإرشادهم من هذه الحقيقة؛ وهى أن وظيفة التعليم والإرشاد هذه لم توكل إلى شخص أقل خطراً ومقداراً من خازن بيت المال نفسه[٢]

ومن تلك الأمثلة السابقة التى تدل على تسامح المسلمين الظافرين مع العرب المسيحيين فى القرن الأول الهجرى، ذلك التسامح الذى ظل خلال القرون التالية. نستطيع أن نستنبط واثقين أن تلك القبائل المسيحية التى اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك باختيارها وطوع إرادتها. والدليل الواضح على ذلك التسامح

(١) راجع الجزء الرابع من تاريخ الطبرى صفحة ٢٠٤١ طبعة ليدن سنة ١٨٨٥

(٢) أنظر كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى الجزء الرابع صفحة ٢٠٦ طبعة باريس ١٨٦١ ؛ عبارة المسعودي تفيد أن عمر بن الخطاب بعث بعبد الله بن مسعود سنة ٢١ هـ إلى الكوفة، ووكل إليه أمر بيت المال، وأمره أن يعلم الناس القرآن، ويفقههم فى الدين نظير ربع شاة وسواقطها كل يوم؟ المترجم

هو بقاء العرب المسيحيين حتى اليوم فى وسط الجماعات الإسلامية[١]

ويحدثنا «لايارد» أنه مر بعشيرة من العرب المسيحيين فى ناحية الكرك، شرق البحر الميت، وأن هؤلاء لا يختلفون عن العرب المسلمين لا فى لباسهم ولا فى عاداتهم[٢]. ولقد ذكر رهبان جبل طورسينا لبوركهارد أن بضعة بيوت من البدو المسيحيين ظلت حتى القرن الثامن عشر على دينها، وأن آخرهم امرأة عجوز توفيت سنة ١٧٥٠ ودفنت فى حديقة الدير[٣]

وكذلك لا يزال على المسيحية كثير من العرب من قبيلة بنى غسان الشهيرة، وهم عرب خلص، وقد اعتنقوا المسيحية حوالى أواخر القرن الرابع الميلادى. وهم يستعملون اللغة العربية فى صلواتهم الدينية منذ أن خضعوا للكنيسة الرومانية فى القرن السابع عشر

« يتبع »

(١) أنظر كتاب قيطانى الجزء الخامس الصفحة الرابعة.

(٢) أنظر كتاب السير هنرى لايارد المسمى: مغامرات في إيران وبابل الجزء الأول صفحة ١٠٠ طبعة لندن سنة ١٨٨٧.

(٣) أنظر كتاب بوركهارد المسمى: رحلات فى سوريا، والأراضى المقدسة صفحة ٥٦٤ طبعة سنة ١٨٢٢.

الغدد والهرمونات

إن من الواجب المقدس على الرجل بعد الثلاثين أن يهتم بغدده وأن يحافظ عليها لكى تقوم بوظيفتها. ووظيفة الغدد هى إفراز هرمونات فى الجسم تملأه قوة وحيوية ونشاطاً. فإذا كانت غددنا لا تفرز الهرمونات بانتظام فعلينا أن نعالجها بمقويات طبية مضمونة لتعود إلى نشاطها وعملها فنشعر حالاً بفرق هائل فى قوانا الجنسية والحيوية

لقد توصلت معامل إلن وهنبريس الشهيرة فى لندن إلى تحضير أقراص فيدا ـ جلاند التى تعيد إلى الغدد قوتها ونشاطها ونظام عملها. وهى ضامن أكيد لإنعاش الغدد لتفرز الهرمونات وتعيد إلى الجسم قواه الجسدية والتناسلية والحيوية

لا تترك غددك ضعيفة جائعة ناشفة. أعطها مقويا يعيد لها الحياة والقوة. خذ أقراص فيدا ـ جلاند. هى خلاصة غدد طازة ومفعولها مضمون

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولست أدرى كيف كان يطمع بلنت فى أن يقنع غلادستون بالعطف على قضية الأحرار فى مصر ، وقد كان رجال السياسة فى انجلترة يسعون ما وسعهم السعى إلى الاستيلاء على مصر منذ أن التقى البحران ، وهو انجليزى لا تخفى عليه نيات الإنجليز وأساليبهم تجاه الشعوب الشرقية ؟

إنى أفهم أن تجوز ألاعيب السياسة الإنجليزية على أولئك الأغفال من أهل الشرق الذين أذهلهم ما هدهم من ضعف عن الحقائق فصدقوا الباطل وهم يجهلون ، أو الذين غرتهم بأوطانهم زخارف العيش ووساوس النفس فانغمسوا فى الباطل وهم يعلمون ؛ أما أن تجوز الأباطيل على انجليزى عليم بالسياسة وأوضاعها فهذا ما لا أفهمه ، ولذلك فلولا ما تأكد لدى من إخلاص مستر بلنت لقضية الوطنيين حتى قضى الاحتلال فيها قضاءه لارتبت فى نياته كما أرتاب فى نيات الساسة من أهل بلاده أبداً .

وكأن القدر يأبى إلا أن يظهر بين حين وآخر من الإنجليز أنفسهم من لا تطغى على ضمائرهم خدع السياسة ، أو يشوه الجانب الإنسانى من نفوسهم أوضار العيش ، فيكون من هؤلاء حجة على المرائين الماكرين من بنى قومهم ، ويكونون بينهم شهوداً من أهلهم عليهم تنبعث أصواتهم مجلجلة فتملأ أسماع أولئك الساسة الذين يوصدون أسماعهم دون أصوات الشعوب المغلوبة على أمرها مهما بلغ من قوة انبعاثها ؛ ومن هؤلاء الأحرار رونستين وبلنت ومن حذا حذوهما .

قدر على شريف أن يلاقى عنتاً شديداً من مسلك الخديو من أول الأمر ! وأخذت وزارته تشق طريقها فى حذر شديد بين تلك الصعاب القائمة ، وكان أعظمها دسائس الأجانب وتوثبهم فى ذلك الوقت ، ولقد هال هؤلاء الأجانب انبعاث الروح الوطنية إذ رأوا فيها بوادر القضاء على ما يمنون به أنفسهم فى مصر .

وسارت سفينة الحكم بين هذه التيارات المختلفة ، تنكر الخديو لقضية الحرية ونشاط الدافعين عن هذه القضية ، وتربص الدولتين بالحركة جميعاً .

كان طبيعياً أن تفيق البلاد على صيحة عرابى ، وأن تنطلق النفوس من عقالها ، فلقد أتيح للناس قدر من الحرية وهم إليها عطاش تتحرق نفوسهم ؛ فبدأ الوطنيون يعبرون عما احتبس فى صدورهم منذ عزل إسماعيل ، وعادت الصحف تعبر عن مساوئ التدخل الأوروبى وتندد بأساليب الدخلاء فى مصر الذين سلبوها أقواتها بالحيلة وحالوا بينها وبين أمانيها زمناً بالأرهاب والبطش ؛ والذين كان يحتل الكثيرون منهم الوظائف المصرية الخطيرة ويؤجرون على أعمالهم فيها إن كان ثمت لهم فيها من أعمال أجوراً غالية من خزانة مصر الفقيرة .

وأخذت جريدة الطيف، وكان يصدرها عبدالله نديم ، تقاوم البهرج الزائف الذى بدأ يلتمع فى مصر فيخطف سرابه أبصار الجاهلين ، والذى سماه الأوروبيون مدنية ليكون لهم منه سلاح من طراز آخر يضيفونه إلى أسلحة الدس والكيد التى سلطوها على البلاد ؛ وحمل الكرام الكاتبون على المراقص وحانات الخمور ودور المجون ومواخير الدعارة وغيرها من مباءات الفسوق التى كان يذيعها فى مصر أولئك الذين جعلوا من مبررات تدخلهم فى شئون البلاد رغبتهم فى هداية أهلها إلى المدنية !

(*) صورة زيتية أخذها أحد الفنانين الأجانب لعرابى سنة الثورة وقد أهداها إلى المستر برودلى محاميه وعليها امضاءه

وكان بيت عرابى قبل أن يعين فى منصبه الجديد مقصد الناس من جميع الطبقات والهيئات الوطنيون والأجانب فى ذلك سواء ؛ وكانت شهرة عرابى تطغى على شهرة جميع الرجال من حوله حتى البارودى وشريف وكان لهما الحكم والجاه ؛ والحق لقد اتجهت الأنظار إلى عرابى منذ يوم عابدين وأصبح من المستحيل أن يعتزل السياسة أو تعتزله السياسة ، وقد خطا فى سبيلها تلك الخطوة الجريئة التى كان النجاح حليفها

أخذنا على عرابى أنه حينما طلب إليه أن يخرج من القاهرة بفرقته اشترط أن يكون ذلك بعد صدور أمر الخديو بدعوة مجلس شورى النواب ، ونعود فنأخذ عليه أنه تدخل فى الأساس الذى يجتمع عليه المجلس . فكان شريف يرى أن يكون ذلك وفق لائحة عام ١٨٦٦ ، أى أول لائحة للمجلس على أن يقوم المجلس بالتعاون مع مجلس الوزراء بوضع لائحة جديدة تجعل منه مجلساً نيابياً يلائم حال البلاد ؛ وبعد معارضة شديدة وافق عرابى على ذلك

ثم تدخل عرابى فى مسألة أخرى وهى الميزانية المخصصة لإبلاغ الجيش ثمانية عشر ألفاً من الجند ، فلقد أبدت المراقبة المالية عدم موافقتها على المبلغ اللازم كله ، وبعد أخذ ورد وافق عرابى على ما تيسر دفعه من هذا المبلغ على أن يقوم بتوفير الباقى من وجوه أخرى .

لقد قطع عرابى على نفسه عهداً كما أسلفنا ألا يتدخل فى شؤون الحكومة القائمة وعلى هذا الأساس قبل شريف رياسة الوزارة ؛ لذلك نرى أن تدخل عرابى فى الأمور التى ذكرناها يوجب ملامته ولن يشفع له أنه كان يطلب الخير ولن يخفف من اللوم عليه أنه رضى آخر الأمر ولم يسبب للحكومة عنتاً ، فهذه الأمور من اختصاص الحكومة وهى لن تمس كما نرى جوهر قضية البلاد

لم ين أعداء هذه الحركة الوليدة عن مناوءتها فى مصر وخارج مصر ؛ وإلى هذه المناوءة يرجع سبب جموح هذه الحركة والتوائها على شريف ثم خروجها آخر الأمر من يده ، ولو أنه قدر لمصر فى تلك الأيام العصيبة أن آزر الخديو كبير وزرائه ضد الدسائس التى كانت تحاك للبلاد لأمكن شريف أن يسير بالسفينة إلى شاطئ السلامة ، ولكن الخديو وا أسفاه لم يكتف بعدم المؤازرة بل لقد التجأ إلى الأجانب فكان هذا العمل من جانبه أقوى مساعد على نجاح سياستهم ...

وكان أوكلند كلفن العضو الإنجليزى فى لجنة المراقبة المالية ، وإدوارد مالت قنصل انجلترة فى مصر هما اللذان يحكمان الشباك حول الخديو ، ولقد كانت لهما سياسة ماهرة غادرة تدور على أسس أحكم وضعها أولها وفق ما تعلم فى الهند ؛ فهما يظهران الولاء للخديو فيدسان له بذلك السم فى الملق ، ثم هما يخوفانه أبدا من تركيا والعرابيين جميعاً فيذران قلبه هواءاً ، وهما بعد ذلك يضللان الرأى العام فى بلادهما ويرسلان التقارير السرية بما يجب أن يتبع إلى وزير الخارجية

وكانت وسيلتهما فى تضليل ذلك الرأى العام ؛ السيطرة على الصحف بالسيطرة على مراسليها ، وكان كلفن نفسه مراسلاً لإحدى الصحف الهامة ، وكان مراسل التيمس يعتمد عليه فى استقاء المعلومات ، أما شركتا روتر وهافاس، فقد كان يعطى لكل منهما ألف جنيه فى العام من خزانة مصر ! وقل أن نصادف فى تاريخ السياسة عملاً أشد فجوراً من أن تحارب قضية شعب بنقود من خزانته !

وكانت الحركة الوطنية تلاقى أبلغ الكيد خارج مصر من جانب الصحافة أول الأمر ، إلى أن منيت بعد ذلك بالتدخل الرسمى الفاجر ، الذى لم يدع فى تاريخ العالم عرفاً إلا خرج عليه ، ولا قاعدة إلا سخر منها وحطمها تحطيماً .

أخذ محررو الصحف فى انجلترة وفرنسا ينددون بثورة مصر ويسخرون من نهضة مصر ، ولو أنهم كانوا يحترمون أنفسهم حقاً ، أو يحترمون المبادىء التى نادت بها بلادهما لمنعهم ذلك عما فعلوه ...

وما ذا جنت مصر يومئذ حتى تستقبل أوربا حركتها بأسوأ ما تستقبل به الحركات ؟ ألم تجر فى أوربا الدماء فى سبيل تلك المبادىء التى كان ينادى بها المصريون ؟ وكيف تكون نغماتها عذبة مشتهاة إذا تغنى بها أهل تلك الشعوب ، ثم تكون ممجوجة مملولة إذا هتف بها الشرقيون ؟

هذا شعب ينفض عنه غبار القرون ، ويخطو نحو الحرية كما خطت أوربا ، ثم هو يذب الأجانب عن قوميته ، وقد ثقلوا عليها بامتيازاتهم الأثيمة الظالمة ثقل الحشرات والهوام ، فماذا كانت ترى أوربا فى هذا من معانى الفوضى والهمجية ولم يصحب حركة المصريين عدوان على أولئك الأجانب على ما كانوا يلاقونه منهم من عنت وإفساد ؟ ألا إنها السياسة تقلب عرف الناس نكراً ، وتجعل المبادىء التى ينادى بها دعاة الإنسانية فى نظر

الساسة أحلاماً لا تجد لها مستقراً إلا فى رؤوس الحمقى من الفلاسفة ورؤوس الأغرار من مصدقيهم .

أما السياسة فقد كانوا لا يتوانون عن الكيد ، ولا يفتر لهم سعى فى تلمس السبيل التى يستولون بها على الفريسة ، وكان موقف انجلترة وفرنسا من مصر ينطوى على كثير من المعانى التى تبعث على الألم والضحك معاً ، وكم من المآسى ما تضحك منه النفوس ولكنه ضحك المرارة التى لن يبلغ الدمع مبلغها

كان موقف الدولتين كموقف رجلين يطمعان فى استلاب شىء وكل منهما يريده لنفسه دون الآخر ولكنه يموه على صاحبه ، وكل من الرجلين يفهم حق الفهم أن الآخر يدرك حقيقة موقفه منه ، ولكنهما على الرغم من ذلك يتغابيان ويضللان !

هذا هو موقف الدولتين على مسرح السياسة فى تلك الأيام ، ولكم شهد المتفرجون يومئذ من الأساليب الميكيافيلية وأوضاعها ، ولكم شهدوا من أساليب غيرها لو قرنت بها الأولى لكانت منها كالحسنات ، ثم يسدل الستار والمتفرجون من أهل مصر لا يملكون أن ينطقوا بكلمة استهجان لما رأوا ، بل لقد فرض عليهم أن ينظموا عقود المدح وإلا عد سكوتهم جحوداً وعناداً ، وأى شىء أوجع وأنكى من أن يرغم شعب على تقبيل الأيدى التي استلبته حقوقه والأغلال التى دارت حول عنقه

ويظهر أول شاهد على السياسة الإنجليزية فى تقرير كتبه كلفن بعد الثورة بعشرة أيام جاء فيه : « أرى أن ليست الحال الحاضرة بطبيعتها إلا هدنة، وأن ما وصلنا إليه من التسوية ليعطينا مهلة نستجم فيها ونلم فيهـا بالقوى التى تعمل حولنا ونسعى فى الاستفادة منها أو القضاء عليها »(1)

وليس فى هذه العبارة أول شاهد على السياسة الإنجليزية فحسب ، بل إن فيها ملخص تلك السياسة ؛ فستتربص انجلترة للحركة حتى يحين الوقت وحتى تستطيع أن تعمل بمفردها دون فرنسا ...

وكان شريف يقظاً يفطن إلى دقة الموقف ويدرك مرامى السياسة الإنجليزية وأساليبها ؛ ولذلك كان لا يفتأ يحض أنصار الحركة الوطنية على اتباع الحكمة ومجانبة الشطط حتى لا يكون من أعمالهم أو أقوالهم ما تسىء أوروبا فهمه فتسوء بذلك العاقبة وأخذ العقلاء من رجال الحركة الوطنية يعاونون شريفا على تثبيت قواعد سياسته ، وكان من أثر ذلك أن تنازل عرابى عن رأيه فى الموقفين السالف ذكرهما ، وكان من أثره أيضاً أن خففت الصحف من لهجتها وكفكفت من غلوائها ؛ ولقد كان للامام محمد عبده فضل كبير فى توجيه العناصر الوطنية نحو هذا المسلك الحكيم ...

ولكن الأفق ما لبث أن تجمعت فى حواشيه الغيوم وأحست السفينة بوادر عاصفة قوية ما عتمت أن هبت شديدة عاتية نفد لها صبر الربان أو كاد ، وتلك هى أزمة الميزانية الشهيرة .

فرغ شريف من إعداد اللائحة الجديدة للمجلس النيابى ثم عرضها على النواب ؛ وشد ما كانت دهشتهم أن رأوا شريف يقرر فيها ألا يكون من اختصاص المجلس عند النظر فى الميزانية البحث فى جزية الباب العالى والدين العام ، وكل ما فرضه قانون التصفية على الخزانة من نفقات .

وهال النواب وأغضبهم أن يكون ذلك باتفاق شريف مع المراقبين ، فرفضوا ذلك وأصروا على أن ينظروا الميزانية كاملة ، واعتبروا ذلك من الحقوق التى لا تقبل مساومة مهما يكن من الأمر

وأخذ شريف المسألة من الناحية العملية، فلم يشايع النواب فى نظرياتهم ، وأخذ يطلب إليهم الأناة والحذر ويريهم عاقبة التطرف والتعجل ، ولكنهم لم يلتفتوا إليه ، وظهرت فى الوزارة نفسها بوادر التفكك . فلقد كان البارودى يطمع فى الحكم بعد شريف فكان لذلك يشجع الوطنيين فى موقفهم سراً .

وكان سلطان باشا رئيس المجلس ينقم على شريف أن لم يسلكه فى سلك وزارته فوجد فى الخلاف القائم فرصة ينال بها من شريف فسرعان ما أتهم شريف بالاعتدال ، ثم حمل اعتداله على الجبن والضعف ... ثم بلغ الأمر إلى إتهامه بالخيانة

ووقف الربان يواجه العاصفة فى صبر وجلد ، وهو يؤمل أن يجنح النواب إلى السلام والاعتدال ، ونشط الشيخ محمد عبده فى معاونة شريف ، ومما ذكره فى هذا الصدد قوله : « لقد ظللنا ننتظر حريتنا مئات السنين ، أفيصعب علينا أن ننتظرها بضعة شهور أخرى ؟ »

ثم بدى على الأفق بعد حين ما يبشر بقرب انكشاف الغمة ! فلقد أخذ النواب يتدبرون عاقبة هذا التشدد ، وبدأ العقل يتغلب شيئاً فشيئاً على العاطفة .

« يتبع »

الخفيف

(1) المسألة المصرية لروثستين تعريب العبادى وبدران

مأتم غازى

للسيدة وداد سكاكيني

أينَ غابَ اللحن مِنْ شَدْوِ الطيورْ — أينَ غابْ
كيف صار الزهر من (قصر الزهور) — فى التراب
شعلة للمجد من نار ونور — كالشهاب
سطعت ثم اختفت بين القبور — كالسراب
أين غازى سيد العُرب الفخور — بالغلاب
كان رمزاً فوق هامات العصور — للشباب

* * *

التحيات الطيباب لقبر غازى الندى الريان الجاثم على ضفاف دجلة الجميل، فى ظلال النخيل، حيث يرقد قائد العرب فيصل العظيم فى مضاجع الخلود. هناك فى الحلل السود تحت خفق البنود رفرفت أرواح الأسى والأحزان، من كل الجيران والإخوان؛ وفى هذا اليوم العصيب عادت نساء الشام تسفح الدمع الصبيب، على المليك الحبيب

إن فى كبد الشام زفرات لاهبات، إذ كادت تجدد بيعة فيصل لشبله غازى وتمد إليه الأيدى على الولاء والوئام، ففقدت بموته أملها الباسم وعرشها الحالم، ولكنها عاهدت النفس أن يعيش من بعده أهلوها الأباة إما أعزة أحراراً أو يموتوا كراماً. هذا يوم له ذكراه الأليمة فى قلوب العرب. النساء يشاركن العراق فى الأتراح بعد أن شاطرنه الأفراح فى عهد أشبال الحسين الصناديد من هاشم وعبد شمس، المناجيد فى غوث العروبة اللهيفة التى قبّل أبناؤها الغطارفة الصيد على أيديهم الشريفة صفحات السيوف ومسحوا عنها الدماء فاستراحوا فى ظلهم الرطيب من غدر الزمان وظلم الإنسان

لهفى عليك يا غازى يا عبقرى الشباب لم تمتع بالشباب؟! لقد تركت قافلة العربُ فى حومة الصحراء، ظمآى إلى الماء، وكأنها أطبقت الجفون الوسنى على أحلامها فيك وهى تسرى على الرمال فتخطفتك المنون من بين العيون، فروعت القافلة، وتهاوت أمانيها العِذاب، فتاهت فى أسراب الرمال، وغابت منها الأشباح والظلال، تنادى الآمال وتنشد الرجال

يا حسرتاه على النسر الطيار كيف هيض جناحاه، وكان فى الثريا فهوى إلى الثرى، وثنى رأسه الأشم بعد أن علا بجبينه الوضاح وروحه القاحة، فزاحم النجوم وحوم فى آفاق الحق والجمال حتى حلق فى أمجاد العرب، فضجت له البيداء والفيحاء بالتأييد والتمجيد، وأشرقت من تلك المسارب والمحاريب بأنوار الخير والسلام

مَنْ كان يحسَب من العرب أن ذلك فورة العمر ووثبة الموت وهبّة الضوء قبل الانطفاء؟ لم يكن مأتم غازى فى دنيا العروبة واحداً، وإنما كان حسرات موزعة فى حبات القلوب، وحسرات منهلة من الصميم. على أن القلوب التى أحبك بها الناس فضموك فى شغافها كانت لك فى حياتك مهداً، هى التى احتوتك اليوم يا غازى بالذكرى فصارت لك لحداً. نساء دمشق يمجدن الساعة هذه الذكرى الخالدة التى تلاقت فيها مروءة الحسين وبطولة فيصل وشباب غازى وعروبة الهاشميين الميامين

لقد حملت يا غازى أمانة جدك ورسالة أبيك وأنت طرى العود غض الإهاب، فكتبت فى سجل العرب الحديث صفحات نيرات، وأعدت المجد التليد، إلى دار الرشيد، ولم تضيع رعاية فيصل للمرأة العربية وعنايته بنهضتها، فكنت على رأيه السديد: لا يقوم بناء قوم إلا بالرجل والمرأة؛ فسرت يا غازى على نهجه ومهدت للإصلاح والفلاح من بعده؛ فعززت ثقافة الإناث وحدبت على نهضة المرأة فى العراق. فيا ليت القدر لم يعجل باختطافك حتى تتم رسالتك وترى عبقريتك ممتدة فى أرض الرافدين وحيثما ترفع راية القرآن ...

«دمشق» — وداد سكاكينى

العالم يتطلع الى حدودنا المصرية

أربعــون يوما في الصحــراء الغربيــة

للأستاذ عبد الله حبيب

— ٤ —

تحدث المحرر في المقالات السابقة عن بعض مشاهداته في الصحراء الغربية فوصف بعض عادات العرب وصفاتهم وحكامهم وساحل الصحراء وهطول الأمطار وموارد المياه وسكان الساحل وقبائل الصحراء وسكة حديد مريوط . وهو في هذا المقال يحدث القراء عن الطريق إلى مرسى مطروح

الطريق الى مرسى مطروح

لعل أهم ما يفيد القارئ ويلذه هو حديث اليوم عن الطريق إلى مرسى مطروح . وسأوجز القول إيجازاً كي لا يمل القارئ حديث الصحراء، وسأعتمد في تدوين ما أحدث به القراء على ماشهدته خلال الرحلة وما دونه صديقنا الصاغ رفعت الجوهري في كتابه المهيأ للطبع عن الصحراء الغربية

يمكن القول إجمالاً أن الطريق الساحلية من الأسكندرية إلى مرسى مطروح صالحة للسير وقطعها بالسيارات سهل ميسور ، وهي عامرة بالبلاد وترتبط أجزاؤها بالمواصلات التليفونية ، وتتوفر فيها وسائل إمداد السيارات من بنزين ووقود ، كما يمكن الحصول على الماء على طول الطريق بسهولة

ويبلغ طول المسافة من الأسكندرية إلى مفرق العامرية ٢١ كيلو متراً كلها مرصوفة بالأسفلت ، ثم تمتد الطريق بحالة شبه صحراوية إلى مسافة مائتي كيلومتر تقريباً حتى ناحية فوكه ، ومن هذه إلى مرسى مطروح ، والمسافة بينهما تبلغ ١٥ كيلو متراً كلها مرصوفة بالأسفلت

من الاسكندرية الى العامرية

تبتدئ الطريق في الاسكندرية من ناحية المكس ثم ببوابة خفر السواحل ، ومنها تجتاز جسراً خشبياً حتى لوكاندة المكس المعروفة ، وعندها تعبر شريط السكة الحديد ثم تمتد معبدة إلى الدخيلة ، وبعد ذلك بنحو ٢ كيلو متراً تتجه الطريق يسرة فتصعد تلاً ثم تأخذ في الهبوط ، وبعد نحو كيلو مترين آخرين تسير يمنة ثم يسرة وتمر ببوابة من الحجر خاصة بمصلحة الحدود وذلك للاطلاع على رخص المرور



جامع سيدى العوام بمرسى مطروح

يعترض الطريق بعد ذلك جسر طوله أربعة كيلو مترات يقطع بحيرة مريوط التي تنبسط إلى مدى ما يصل إليه البصر ، وليس بها إلا بعض زوارق الصيد الصغيرة تروح وتغدو في مياهها الترامية ، وتتجه الطريق بعد قطع هذا الجسر إلى تلال تحوط البحيرة من جهة الجنوب إلى أن تتفرع — بعد كيلو ونصف — إلى طريقين : الأولى وهي الطريق الرئيسية تتجه غرباً ؛ والأخرى تتجه جنوباً فتقطع سكة مريوط الحديدية بعد كيلو مترين من المفرق إلى أن تصل إلى مركز العامرية على بعد ثلاثة كيلو مترات من محطة السكة الحديدية . ومن العامرية تتجه الطريق جنوباً إلى وادي النطرون فالقاهرة عن طريق الصحراء

العامرية

أما العامرية فهى بلدة صغيرة ، ومركز القسم الشرقى التابع لمصلحة الحدود وبها سراى لخاصة جلالة الملك ، ومزارع عظيمة لجلالته ، وحدائق واسعة للعنب والزيتون ، وتقوم بها صناعات عربية حديثة لعمل السجاجيد ، وتنبت بها زهور النرجس الأبيض الطبيعى بكثرة .

وعلى بعد أربعة كيلو مترات منها توجد بئر المكادرة التى يبلغ عمقها ١٢ متراً ، ومياهها حلوة . وعلى مسيرة ستة كيلو مترات من هذه البئر فى اتجاه الشمال الشرقى يوجد تل مرتفع يستطيع الواقف عليه أن يشرف على منظر بديع جداً لبحيرة مريوط ، ومن ورائها يرى الأسكندرية .

من العامرية إلى بهيج

تبتدىء الطريق الرئيسية الموصلة إلى الغرب ، ومن المفرق (العامرية – بهيج) الذى يقع إلى شمال محطة السكة الحديدية بنحو كيلو مترين ، ومنه إلى الجنوب الغربى موازية لشاطىء بحيرة مريوط ، وتفصل بينهما سلسلة صغيرة من التلال ، وبعد اثنى عشر كيلو متراً من المفرق تمر الطريق ببئر « سينة » وبعدة آبار أخرى

ولكى نختصر الوصف نكتفى بذكر البلدان التى تقع على طول الطريق بعد ذلك إلى مرسى مطروح مكتفين بذكر البلدان التى لهاقيمة تاريخية ، وتتصل بها معلومات طريفة :

بهيج

هى مركز لقسم من هجانة الحدود ، وبها مغازل « للأكلمة » اليدوية ، وهى معروفة لدى المشتغلين بالآثار إذ تقع على بعد أحد عشر كيلو متراً تقريباً منها بلدة أبومينا وهى سانت ميناس القديمة

ويرجع تاريخ هذه البلدة إلى القرن الرابع الميلادى ، وقد توفى فيها القديس سانت ميناس سنة ٢٩٦ ميلادية . وتحتوى على كنيسة مبنية على الطراز الرومانى وكنيستين أخريين صغيرتين وبعض مبان أثرية أخرى

قصة غريبة

وللقديس سانت ميناس قصة غريبة إذ يقال إنه كان أحد الجنود الرومانيين الذين اعتنقوا المسيحية فى زمن الإمبراطور دقلديانوس الذى أمر بذبح جميع المسيحيين إن لم يرتدوا عن دينهم. أما ميناس فقد أوقعوا به صنوف العذاب ثم قطعت رأسه سنة ٢٩٦ ميلادية . لكنه كان قد أوصى قبل وفاته بأن يدفن فى مصر ، فلما نقلت الفرقة التى كان يعمل بها فى لوبيا أحضرت معها رفاته تنفيذاً لوصيته . وسارت الفرقة فى طريقها حتى إذا وصلت إلى الساحل الإفريقى نقلت الجثة على جمل فمشى بها فى الصحراء حتى إذا بلغ هذه النقطة برك ورفض القيام . وكان ذلك بجوار بئر مياه ، فاعتبروا ذلك معجزة ، وتقرر دفنه فى المكان نفسه وسمى باسمه ، وبعد ذلك شيدت الكنيسة فوق المكان وعلى مقربة من العين



الكاتب عند البئر الرومانية بمرسى مطروح مع إحدى السائحات

أبو صير الأثرية

هى مدينة كبيرة تقوم على المكان الذى كانت تقوم عليه مدينة « تبازيرليس ماجنا » القديمة وهى إحدى المدن الثلاث الشهيرة الواقعة بين الإسكندرية والسلوم . وهناك على ربوة صغيرة فى أحد أطراف البحيرة عند اتصالها بالبحر يقوم بناء فخم قديم على الطراز المصرى طوله ٢٩٥ قدماً ، وربما كان أحد معابد الآلهة «أوزيريس» ؛ ولم يبق من هذا البناء إلا مدخله وبعض الحجارة المنقوشة ، وتوجد على مقربة من المعبد آثار بعض الغرف والمدافن المحفورة فى الصخر

منار فاروس الرومانية

على بعد بضع مئات من الأمتار من هذا المعبد كانت تقع المنارة الرومانية القديمة الشهيرة بفاروس ، ولم يبق منها سوى قاعدتها وبعض آثارها

أما المنطقة التي حول بهيج وبرج العرب فتكتسى فى فصل الشتاء حوالى شهر فبراير بحلة جميلة من الزهور الزكية الرائحة تنبت طبيعية فى الصحراء كما أن أرضها صالحة للزراعة ، وأهم حاصلاتها الشعير ، وتسكنها قبائل أولاد على ومنهم عدد كبير من الفرسان ، وتمتد من برج العرب جنوباً طريق توصل إلى البحرية

الحمام

هى بلدة تعد مركزاً تجارياً عظيما للأغنام ، والمياه فيها متوفرة وهى مشهورة بطواحين الهواء المنتشرة فى جميع أرجائها ، ولهذه البلدة تاريخ قديم ، وكانت تعرف فيما خلا باسم « مانو كامينوس »

جامع سيدى عبد الرحمن

سميت باسمه محطة السكة الحديدية ، ويقال إنها كانت قديماً مركزاً من مراكز السنوسية الشهيرة ، ويحج إليها أعراب المنطقة ، والجامع مبنى على ربوة يشرف الواقف عليها على مناظر عظيمة للمنطقة المحيطة به

الضبعة

وهى مركز تجارى كبير للبدو ، وكانت تدعى قديماً « زيفر يوم » ، وبها مبان لخاصة جلالة الملك ومركز للبوليس ، ومبان حكومية وجامع . وتشاهد خيام العرب المسماة « بالخيوش » هناك بكثرة وبعضها مقام بحالة منظمة . ومن المناظر الطريفة مشاهدة الأعراب وهم يحرثون الأرض بمحراث يجره جمل بجواره حمار ، أو جمل وحصان ، والمحراث المستعمل هناك من الأنواع الخفيفة التى يحملها رجل واحد على كتفه

ويصل المسافر إلى مرسى مطروح وهى عاصمة الصحراء الغربية وبها دار المحافظة . وسنتكلم عنها فى المقال الآتى وهو الأخير

عبد الله حبيب

فى ذكرى أربعين غازى فى باريس

مصرع الصقر

للأستاذ أمجد الطرابلسى

أقبل الليل من وراء الدهور   يتهادى تهادى المخمور
دغدغ الغاب فاستكان إليه   وسرت فيه رعشة المقرور
وسجا تحت جنحه يعبث النو   م بأجفانه كطفل غرير
مثلما نام أزغب تحت جنح الأ   م فى ظل عشه المضفور
أقبل الليل مثل أجنحة العقـ   ـبان أو وجه بائس مقهور
يسحب الخطو متعبا ويجر الذ   يل جرا على بقايا النور
وغفا الغاب لا زئير سباع   يتعالى ولا هتاف طيور
ليس إلا النسيم يخطر هونا   خضل العطف مثقلا بالعبير
يتثنى وسط السكون مطيفا   بعشاش هنيئة ووكور
كطيوف الأحلام تسرى خفافا   حول عذراء فى المهاد الوثير
يمسح الأعين النيام رفيقا   ببلال الندى ونشر الزهور
ويهز الغصون حينا فلا تسـ   ـمع فى الجو غير خفق السفير
رقد الغاب فى حمى الليل عيا   ن يعب الكرى بطرف قرير
وتلاق الألاف فيه على الصفـ   ـو وناموا عن كامن المقدور
رقد الغاب كله غير عينين   تشعان فى الدجى المنشور
شرد النوم عنهما فى الدياجى   فهما للسهاد والتفكير
تستشفان مخبآت الليالى   وتضيئان حالكات الستور
يا فتى الصقور ! أى مرام   يتصباك يا فتى الصقور !
لف هذا الظلام أتراب الصيـ   ـد يرد من غبطة وسرور
أسلموا الأعين القريرة للحلـ   ـم وناموا عن كامن المقدور
وسهرت الظلام فى ذروة الدو   ح تدير الأحداق فى الديجور
ترمق الغاب تارة فتراه   غارقا فى سكونه والعطور
وتناجى السماء حينا فتسبيـ   ـك الدرارى بالحديث المثير

* * *

جرد الصقر حوله من بياض الثلج   جنحين فى ائتلاق الثغور
وانبرى فى الفضاء يخترق الليـ   ـل بسيفيه كالشهاب المنير
زف كالبرق وامحى بعده الغا   ب وراء المدى وخلف البحور
ومضى فى السماء يسمو إلى النجـ   ـم بعزم وسط الظلام منير
أين تسمو يا صقر فى حلكة الليـ   ـل ، وماذا يغريك بالتشمير ؟
ما الذى نفر الرقاد وأذكى النا   ر حرى فى صدرك المصهور ؟
النهايات ، يا ربيب السموا   ت ، تطوت لجنحك المحرور
وتوارت عنك الدنى ، وتواريـ   ـت بعيدا عن طرفها المحسور
فإلى أين تنطح الجو يا صقـ   ـر وقد آذن السنا بسفور
وصفا الكون ليس تسمع فيه   غير همس النجوم وسط الخدور
رانيات إليك يرمقن جنحيـ   ـك الطليقين فى الفضاء السحير
يا مغيرا على السحاب ترفق   بجناحيك والشباب الطرير
وبوكر تركته فى حمى الغا   ب مشوق لعطفك المبرور
رقدت زغبه وقد وليت عنه   نحو حلم ضافى الظلال نضير
أين تمضى كالسهم فى ثبج الأو   ج وترقى فى المهمه المهجور
لم تدع فى العلاء بعد نجارا   لصقور تسمو ولا لنسور

* * *

يا فتى الصقور قد هبت الريح   فهلا سمعت صوت النذير
أعولت توقظ السحاب فتزجيـ   ـه على لؤلؤ الدجى المنثور
أى حلم يغريك يا صقر حتى   تتخطى إليه كل خطير ؟
تركب الليل نحو دراعب الوجـ   ـه وتغضى عن شره المستطير !
يا كبير المنى ! أما كل جنحا   ك الفتيان فى غلاب الأثير ؟!
هل لمسراك يا بعيد الأمانى   فى الدجى من معرس أو مصير ؟
اسم يا بن الطموح! ما كل صقر   يطلب العز فوق هام البدور
ليس كل الشباب يفرح بالمجـ   ـد ويعتز بالطموح الكبير
اسم حتى يرضى غرورك يا صقـ   ـر بما نال ... عاش رب الغرور!
الشباب العظيم لا عاش يا صقـ   ـر قنوعا يرضى بكل حقير !
الشباب الكبير لا كان إما   ضم عطفيه فوق قلب صغير!

* * *

جنت العاصفات واضطرب الليـ   ـل ودوى فيه نذير الثبور
وتبارت فيه الأعاصير غضبى   معولات تهزه بالزئير
تستحث الغيوم من كل فج   كهضاب موارة وصخور
وترجى رحب الفضاء فما فيـ   ـه شعاع لمدلج مستنير
وأفاقت عيون كل الفجاءا   ت وماجت أرواح كل الشرور
وانبرى البرق يصدع الدجية العميـ   ـاء صدعا بلمحه المذعور
راسما باللظى على صفحة الأفـ   ـق وعيد المقدر المسطور
والرعود الغضاب زلزلت الكو   ن بصيحات ثائر موتور

قهقهت في السماء تضحك للهو ... ل وترغى كالشامت المحبور
لحظة ثم فجّر السيل دفّا ... قاً يجوب الدجى رهيب الهدير
تتلوّى حباله بيد الريح ... وتهمى بلا ونى أو فتور
يا لهول القضاء خلف الدياجى ... وألاعيب صرفه المستور !...
ساعة كالوجود فى طولها المر ... (م) ودنيا المعذب المأسور
مزّق الفجر هولها فانجلت ... عن صفاء السنا وحسن البكور
وإذا الغاب أدمع ومناحا ... ت على صقره أمير الصقور
حطمت جنحه الأعاصير فى اللي ... ل فيا روعة الجناح الكسير
ثم ألقت به الرياح إلى الغا ... ب فيا لوعة الحمى المغدور ..

* * *

يا ابنة المجد والمآثر يا بغـ ... ـداد ! يا مفخر الخلود الفخور
وسّدى صقرك الصريع ضريحاً ... من جراحات صدرك المفطور
واغمرى بالزهور والغار نضراً ... قبر من عاش عمره كالزهور
واجعلى رمسه منار البطولا ... ت ورمز الهدى وكنز الشعور
فلقد كان حلمنا العذب نرنو ... لسنا وجهه الضحوك البشير
ولقد كان قرة للمآقى ... ولقد كان خفقة فى الصدور
تتغنّى به القلوب تسابيح ... ويهفو إليه كل ضمير

* * *

إيه بغداد ! أين منّى قبر ... ضم أشلاء حلمنا المذرور ؟!
أنا أبكى له غريباً فمن ذا ... يبلغ القبر مدمعى وزفيرى
فى بلاد، لا القوم فيها بقومى ... فأعزّى، ولا القصور قصورى
ولو أنى هناك حيث فؤادى ... هائم وحده وراء البحور
فى بلادى وملعبى وظلالى ... عند أهلى وجيرتى وعشيرى
لنثرت الزهور من صدرى الدا ... مى على قبره الذكىّ الطهور !

* * *

يا مليكى ! يا سيّد الشام إرثاً ... عن أبيه المظفر المنصور
لرأيت الشآم أذهلها الخطب ... ومادت لنعيك المستثير
أمسكت قلبها الطعين بكفيها ... وصاحت كالصارخ المستجير
نسيت جرحها البليغ الدّمّى ... وشكايات صدرها المصهور
ونيوب الدخيل تفتك فيها ... فتكة الذئب بالقنيص الأسير
وتلوّت محلولة الشعر تبكى ... فى مناحات حلمها المقبور
طالما جمّعت لك الزهر النضـ ... ـر وهامت على ضفاف الغدير
وقضت ليلها تصوغ لك التا ... ج وتمشى فى قيدها المجرور
لم تكن وهى تنسج التاج تدرى ... أن منّى آمالها فى البكور !
لهف نفسى يا شام يا ملعب الأبـ ... ـطال، يا مسرح الحسان الحور !
يا نشيدى فى غربتى ولحونى ! ... يا حديثى فى وحدتى وسميرى !
أى أشباحى الدوامى أناغى ... فى الليالى وفى رقادى النفور
تضحك الأرض والعوالم حولى ... وأنا فى مواجعى وسعيرى
كم أتت بى إليك أخيلتى الهو ... ج سراعاً فى زحفها والكرور
تتخطى المدى فلا الموج يعتا ... ق سراها، ولا لهيب الهجير
بجناحين من هواى وإشفا ... ق شديدين فى اختراق الأثير
يا بلادى موجى على نغم الهو ... ل وغنّى وسط الدم المهدور
واضحكى للمصاب يقتحم الغا ... ب عسيراً على المصاب العسير
أنا أبكيك إذ أهدهد بغدا ... د وأرثى لجنحك المكسور
أنتما فى الصفاء والدمع أختا ... ن ربيبا تمائم وحجور
ضم شمليكما طموح وآلا ... م وأمجاد أعصر ودهور

* * *

يا فقيداً بكى لمصرعه العر ... ب بدمع ملء الجفون غزير
وحدة العرب كم سهرت تناجيـ ... ـها مشوقاً لفجرها المنظور !
كم أقضّت جراحة العرب جنبيـ ... ـك على مهدك الهنىء الوثير
وشهدت الوعيد فى أعين الذئـ ... ـب وكنت النصير خير نصير
ثم قريراً فوحدة العرب سارت ... بسناها النجوم كل مسير
وحدة العرب قد تضوّع فى الجو ... شذاها مثل الخميل النضير
وحدة العرب مزّقت حجب الليـ ... ـل وشعّت ملء الفضاء المنير
ملأت شمسها النهار فمنذا ... ينكر الشمس غير كل ضرير ؟
يا لهزل المستعبدين ! ألمّا ... يأن أن ينظروا بعين بصير
عبثوا والزمان جدّ وهاموا ... فى موامى حلم لهم مغرور
وأقاموا الحدود بين الأشقا ... ء، فيا حكمة العقول العور ..!
أيها الساهرون للكيد فى دهـ ... ـم الليالى ... يا خيبة التدبير !
قلّبوا الرأى كيف شئتم خداعاً ... واشتروا كل خائن مأجور
وابذلوا الوعد كاذباً، واقتلوا الحـ ... ـق، وغشّوا الضحى بليل الزور
لن تنالوا المنى ولو قد أقمتم ... ألف سور وراءها ألف سور !

* * *

أيها العرب حيث كنتم من الأر ... ض، ومن كل مربض وعشير
جمعتنا الدموع فى مأتم الصقـ ... ـر، وكم وحّد الأسى من شعور
وبكينا حيناً ولا خير فى الدمـ ... ـع إذا لم يثر شكاة الصدور

ذكـــرى

« إلى روح الشاعر م . ع . الهمشرى »

للأستاذ صالح جودت

قال لى صاحبى، وقد جُنَّت الشمـ   ـس فألقتْ بجسمها فى الماء
ألَنا أنْ نسير حتى نرى الصُّبـْ   ـح فنُفضى له بسر المساء ؟
قُمْ بنا ننتهى إلى ضفة النيـ   ـل وعشب « الجزيرة » الفيحاء
خَطَوات النهار للناس، لكنْ   خَطَواتُ الظلام للشعراء
نحن من نملأ العقولَ ضياءً   ما بنا حاجــةٌ لنور ذُكاء

* * *

وانتهينا إلى الجزيرة، مَغنَى الـ   ـطير والزهر والرُّبى الغنَّاء
لَفَّها النيل فى ذراعيه وانسا   بَ يُغنِّى لها نشيد الولاء
ورمى الموج تحت أقدامها السُّمْـ   ـر دُعاباً ، فأطرقت من حياء
وتعرَّت رضيَّةً فى يديه   وتراخت تراخىَ الغيد ـــاء
ثم لـما خاف الظنون عليها   لَفَّها فى ملاءة خضراء !

* * *

جنة الحب يا جزيرةُ شُطْآ   نُكِ، مَلْهى القلوب والأهواء
جنة الخلد ، غير أن رُباها   أَمِنَتْ آدماً على حوّاء
أمَّها شاعر من الخلد يَروى   بالأغانى صدَى القلوب الظِّماءِ
وأطلَّ الهلالُ حيناً فألْـقَى   كوكباً فى الضفاف حلوَ الضياء
وأطل الزمان حيناً فألفى   أجلاً فى الشباب جمَّ الرجاء
وأطلَّتْ عينُ الخلود فقالت :   إن هذا مكانه فى السماء !

* * *

يارفيق الصبا ، وهيهات نِسيا   نُ الليالى المخلَّدات الصفاء
يوم كان الزمان كالزهر فى الفجـ   ـر ، وكنا عليـه كالأنداء
يومَ كنا نموِّجُ الماء ضِحكاً   فى ضفاف (المنصورة) الحسناء
لم نكن نعرف التواريخ إلاّ   من وعود الحسان عند الوفاء
لم نكن نعرف العَشِيات إلاّ   من غناء الكِرْوان عند المساء

* * *

ثم مَرَّتْ من الزمان صروفٌ   وهبطنا مدينــةَ الضوضاء
وبَدَأْنا الكفاحَ فى عالم العيْـ   ـشِ ودنيا منازَعاتِ البقاء
فجعلنا لقاءنا فترات   يَنفدُ الصبرُ من خُطاها البِطاء
كم حَثثنا تَسْيارَها، وجهلنا   أنها تنتهى لغير لقاء !

* * *

أين هذا الشبابُ والأملُ الضا   حكُ بين الخطوب والأرزاء
وأحاديثُكَ المليئةُ بالأحـ   ـلام فى عالمٍ قليل الرجاء
كنتُ ألقاكَ ، والحياة تجافيـ   ـنى وإعصارها يهد بنائى
فإذا ما سمعت ضِحكتكَ العذْ   بةَ ، أحببتُ بعدها أعدائى
وتمشّى السلامُ فى جوِّ نفسى   وتطهرْتُ من طويل عنائى
وقرأتُ الحياة فيك كتاباً   شاعرىَّ الآمال والآلاء
وشباباً هو الربيعُ الموشَّى   برقيق الظلال والأضواء
حين تبدو وعُروةُ الصدر فى ثوْ   بكَ تزهو بالوردة الحمراء
واحمرارُ الحياة يُشعلُ خدَّيـْ   ـكَ ، ونور الشباب فى لألاء
تَطأُ اليأسَ باعتداد الأمانى   وتُذِلُّ الزمانَ بالكبرياء
وتُغنِّى ، وتَنهبُ العيش نهباً   شأنَ من ألهمَ اقتراب الفناء !

* * *

ها أنا عُدْتُ للجزيرة وحدى   أتملاَّكَ خلف تلك المرائى
ومَضتْ قبضتى تُصافح يُمنا   كَ ، فصافحتُ قبضةً من هواء!
وتلفَّتُّ باحثاً عن أمانيـ   ـك ، فلم تهدِنى سوى الأشلاء!
غير أنى أراكَ فى شعركَ الخا   لد روحاً تهيم بالإسراء
وأرى طيفكَ المغرِّدَ بين الـ   ـزهر والطير والرُّبى والماء
فأقول الخلودُ لله ، واللـ   ـهُ يريد الخلودَ للشعراء !

صالح جودت

فدعونى أصرخْ فيَسمعَ قومٌ   أنكروا قَوْلَةَ النَّصيح المشير
واستقادوا لكل أملَسَ رَوَّا   غٍ وهاموا بصاغةَ التزوير
غصَّتْ الكأسُ بالمظالم حتى   أنفدَ الظلمُ صبرَ كلِّ صبور
فليكونوا أحلافنا نُخلِص الوُدَّ (م)   لهمْ فى الشقاء أو فى السرور
وليكونوا أعداءنا نتلقَّفْ   طعنهم فى صُدورنا لا الظُّهور
لا نحبُّ الخداعَ فى حَوْمة العِزِّ (م)   ونأبى ميثاقَ كلِّ غدور
عَرَبٌ نحن ما نَذِلُّ لباغٍ   مستبيحٍ ولا نَدينُ بنير
مِشعلُ النور ما يزال بأيديـ   ـنا مُشِعّاً رَغْمَ انطفاء العصور
وحَّدَتنا مواجعُ القيدِ حيناً   فارقبوا اليومَ وحدةَ التحرير !

« باريس »   **أحمد الطرابلسى**



حبيبات المادة والكهرباء والضوء

للدكتور محمد محمود غالى

عندما نمعد فى المساء إلى ترتيب ثيابنا ، وفى الصباح إلى إخراج كتاب يُلازمنا طيلة اليوم ، فالثياب أو الكتب مكونة مما نسميه مادة ، كذلك الخزانة أو المكتبة اللذان يحتويانهما مكون كل منها من مادة هى الخشب أو الكروم الذى تعمل منه الحلية فى وقتنا الحاضر

وتزيِّنَ حجرة استقبالنا بستائر مزدوجة من النسيج الشفاف وتحلى حوائط الحجرة ببعض الصور الفنية ، فهذه الستائر وهذه الصور مظهر آخر من مظاهر المادة

وتصلنا فى الأعياد هدية من صديق حميم — تحفة جميلة أو كتاب قيم — هذه آنية من صنع سيفر ، وهذا سِفْرٌ هو آخر نتاج « دى روى » أو « برجسون » وموقع عليه بإمضائه . فالآنية والكتاب والتوقيع مظاهر مختلفة من المادة لكل منها وزنها الخاص وكتلتها المعينة ، وهى بهذا مرتبطة بعلاقة معروفة مع الأرض التى نعيش عليها ، فهى تجذبها بدرجات مختلفة تتناسب على قدر ما تحويه كل منها من مادة

ونشعر فى القيظ بمسيس الحاجة إلى كوب من الشراب البارد لنطفئ ظمأنا ، فإن ما نجرعه من مياه ، وما يحويه الماء من عصير الفاكهة ، كله مظاهر للمادة ، كانت لازمة لبقاء نشاطنا فى هذه الفترة من العمل

ونسوق عربة من طراز جديد هى قطعة رائعة من بدائع ماوصلت إليه مصانع أمريكا النائية ، نقلتها إلى بلادنا بواخر ضخمة حملتها أمواج متلاطمة ، فالسيارة والباخرة والمياه مظاهر متباينة للمادة وتجلس آنسة فتانة أمام المرآة تتزين « بيدرة » ناعمة ، لعبيرها على النفس أحلى الأثر ، وتتحلى بخضاب أحمر وكحل أسود ، لهما على العين فتنة للنظر ، هذه « البدرة » وهذه الألوان مظاهر أخرى للمادة

ونلج حديقة المنزل فنتجول بين الزهور فى أصفى أيام الربيع ونتنسم عبيرها المتطاير : هذه الزهور الساحرة ، وهذا العبير الشجى الذى يخف لحاسة الشم فينا متواصلاً ، هما مظهران من مظاهر المادة .

ونبتاع علبة من لفائف الدخان (السجاير) ونشعل واحدة منها ، فيتصاعد الدخان على شكل كرات نرى بالعين مجموعاتها متراصة ومتتابعة ، ونرى بالميكرسكوب جزئياتها أكثر تفصيلاً ووضوحاً ، فهذه العلبة وما فيها من لفائف ، وهذه الملايين من الكريات المتصاعدة مظهران من المظاهر المختلفة للمادة .

وترزق مولودا سعيداً يحمل اسمك وتهبه مجهوداتك ، وتوليه محبتك ، ويرث خصائصك وعلمك وتؤول إليه ثروتك : هذا المولود أيضاً من أعجب مظاهر المادة .

* * *

هذه المظاهر المتفاوتة فى المادة وغيرها نصادفها فى كل لحظة من لحظات حياتنا ، وكذلك نصادف مظاهر الكهرباء أو الضوء فى حياتنا اليومية ، بل إن أجسامنا هى مجموعة لهذه المظاهر مجتمعة

فهذه مركبة الترام تقلنا من المنزل إلى حيث العمل ، فما يجرى فى الأسلاك الممتدة على طول الطريق خلال انتقالنا هو مظهر من مظاهر الكهرباء .

ونعود فى المساء إلى المنزل فنستمع لبرنامج الإذاعة ، ونتتبع أخبار العالم ، هذه محاضرة شائقة وهذا لحن جميل ، ونحن فى هذا وذاك إزاء تردُّدٍ كهربائى ، تحول فى داخل الجهاز ، وفى اللحظة الأخيرة إلى تردد صوتى ؛ فهو قبل كل شىء ظاهرة من ظواهر

الكهرباء ، وانتشار الأمواج الكهرومغناطيسية.

وتضغط زرا فتسطع الأنوار فى الغرفة ، هذه هى الظاهرة الضوئية فى المصابيح هى ظاهرة كهربائية فى فتيلاتها ، ويتطاير فى الثانية الواحدة من فتيلة المصباح من الألكترونات ملايين المرات عدد ما فى أرجاء المعمورة من بشر .

***

وترى وأنت تخترق بسيارتك الصحراء فى طريق السويس مثلاً السراب بوضوح تام فتظنه ماء وما هو بماء ، هذه ظاهرة ضوئية ناتجة من انكسار الضوء على طبقات الجو المختلفة ، هذا الانكسار الناشئ من اختلاف كثافة هذه الطبقات تبعاً لاختلاف درجات الحرارة . فهذا السراب وهذا الماء المزعوم ظاهرة ضوئية هذه « فوتونات » تصل إلى مقلة العين بسرعة الضوء

وترى وأنت مطل من نافذتك تتأمل السماء فى وقت منذر بالمطر قوس قزح عريضاً فى السماء يمثل نصف دائرة كاملة ، هذا القوس ظاهرة ضوئية ناتجة من انكسار الأشعة على قطرات الماء الرفيعة المحمولة فى الهواء التى تمثل فى هذه الحالة دور النشور فى عمليات الضوء المعروفة عند ما يتحلل الضوء إلى ألوانه العديدة المعروفة ، هذه أيضاً « فوتونات » تصل إلى العين ، لكل لون من الألوان عدد من الذبذبات يؤثر فى العين البشرية بتأثيرات مختلفة تجعلنا نفرق ونميز بين كل لون وآخر ، هذا القوس وهذا التأثير على العين ظاهرة أخرى ضوئية

***

هذه أمثلة مما نقابله كل يوم من مظاهر المادة والكهرباء والضوء ، ويتراءى لنا أن كل مكونات الكون والخليقة يمكن إرجاعها إلى ظواهر مادية أو كهربائية (كذلك مغناطيسية) أو ضوئية ، أو إلى ظواهر هى خليط من هذه الظواهر الثلاث

كل هذه الظواهر يمكن الحصول عليها بمقادير متناهية فى الصغر ، هى التى نريد أن نتأملها ونستعرضها ، وهى التى باتت تلعب دوراً فيما نالته العلوم الحديثة من طفرة وتقدم

على أن أبسط هذه الظواهر هى المتعلقة بالمادة وتقسيمها إلى جزيئات وذرات صغيرة

إن إرجاع جميع الأجسام مهما كانت صلدة ومهما كانت سطوحها ناعمة ، إلى جسيمات صغيرة جداً مركبة تركيباً حبيبيا فارغة من الداخل هى أول الأفكار التى تطرأ على الذهن . هذه الفكرة ترجع فيما يخص المادة إلى أقدم العهود ، وقد تقدمت عن فلاسفة الإغريق، وعمرت على ممر العصور، وبقيت خلال كل التطورات العلمية المختلفة حتى توطدت فى أوائل القرن التاسع عشر مستندة على براهين جديدة دعمتها وحققتها بطريقة لا تقبل الشك

على أن الأفكار التى أدت إلى الفكرة الذرية للمادة مؤسسة فى الواقع على ظواهر أولية تفهم بالبداهة ومن دون عناء .

فثمّ مجموعتان من الظواهر تؤديان إلى الفكرة الذرية للمادة:

المجموعة الأولى تنحصر فيما يمكن أن يطرأ على المادة من تعديل فى شكلها الظاهرى ، وذلك بما لها من خواص المرونة كضغطها وانحنائها والتوائها، هذا التعديل الذى يصل فى السوائل والغازات إلى أقصاه بما لها من سيولة كاملة تأخذ المادة فى هذه الحالة شكل الحيز الذى تحل فيه ، هذا النوع من الظواهر هو تعديل طبيعى فى المادة أى أنه تعديل فى مظهرها الخارجى .

أما المجموعة الثانية من الظواهر فتخص التغييرات الداخلية وهذه من موضوعات الكيمياء مثل التغيير الحادث بين العناصر لتكوين مركباتها؛ فالهيدروجين والأكسوجين يتحدان ليكونا الماء

وكلتا المجموعتين تثبت فكرة واحدة هى أن الأجسام مكونة من جسيمات صغيرة صلبة، وقد أطلقوا على هذه الجسيمات الكلمة الإغريقية القديمة «أتوم»، أى الذرة ومعناها ما لا يمكن تجزئته. ومع ذلك فقد برهن التقدم العلمى الحديث على وجوب التفريق بين التعديلات الطبيعية الظاهرة والتغييرات الكيميائية ، ففى الحالة الأولى لا دخل للذرات فى هذه التعديلات الحادثة ، وإنما الجسيمات المركبة منها هى التى تدخل فى هذه التعديلات ، وتسمى هذه الجسيمات بالجزيئات Molecules ، وبذلك احتفظ بكلمة ذرة للجسيمات التى تتدخل فى التغييرات الكيميائية . فالذرة Atome جزء صغير من الجزيئ .

على أن العلوم الحديثة أدت إلى أن الذرة قابلة للتجزئة فأصبحت كلمة أتوم أى « غير قابل للتجزئة » لا تؤدى المعنى المراد منها ،

وعلى ذلك فإننا نتساءل عما إذا كانت هناك حدود للتقسيم المادى والكهربائى والضوئى يمكن عندها أن نقف عاجزين عن الوصول إلى تجزئتها إلى وحدات أصغر من التى نصل إليها .

* * *

إن كل معارفنا للعالم الخارجى تتطرق إلى أعماق نفوسنا عن طريق حواسنا ، وكل تعريف لأى شىء أو ظاهرة فى الوجود ، مهما كان دقيقاً ، لا يتعدى حدود قوة هذه الحواس على الإدراك والتمييز بين الأشياء ، حتى خيالنا وكل ما يعرض فى مُخيلتنا لا بد وأن يأخذ أشكالاً حسية مختلفة . فهو بهذا مُعرَّض لنفس القانون الذى يحكم معارفنا للعالم الخارجى عنا .

إننا لا نستطيع أن نتخيل صورة فى الكون لا يمكن إرجاع عناصرها المختلفة وأجزائها المتباينة إلى مسائل وأشياء اعتادتها حواسنا. على أن الرجوع بكل الفروض العلمية إلى حواسنا وقدرتها على التمييز والتفرقة بين الأشياء لا يمنع من أن نفرض أحياناً على الذهن صوراً لأشياء لا يمكن استيعابها بسهولة بهذه الحواس ذاتها ، وهذا النوع من الصور تثبت صحته لا عن طريق الحواس وإنما عن طريق إثبات النتائج المترتبة على فرض هذه الصور ، بمعنى أنه إذا اتفقت النتائج مع الظواهر الطبيعية المعروفة لدينا كانت هذه الصور التى افترضناها صحيحة .

بمثل هذه الطريقة توصل العلماء إلى الشكل الحُبيبى أو الذرى للمادة وتجزئتها إلى وحدات أولى يسمونها الجزئيات وتجزئة هذه إلى وحدات ثانية يسمونها الذرات ، دون أن تكون بحاجة لوضع إحدى هذه الذرات على كفة الميزان .

وبطريقة مماثلة توصل العلماء إلى التجزئة الكهربائية بل إلى قياس وإثبات شحنة الألكترون كما توصلوا إلى التجزئة الضوئية ، ومعرفة الفوتون .

وسنتابع فى المقالات القادمة نشر العوامل التى أدت إلى الكشف عن هذه الحبيبات ، والمكونات الأولى للخليقة فنستعرض بذلك صوراً رائعة مما توصل إليه العلم الحديث .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

الأجـــرام السماوية

ذوات الأذناب

للأستاذ قدري حافظ طوقان

أبو تمام والمذنبات

كان الناس فى القرون الوسطى يخافون من أكثر الظواهر الطبيعية ولا سيما المذنبات ، وكان الملوك والأمراء وذوو النفوذ يأخذون برأى المنجمين قبل الشروع فى أى عمل من أعمالهم . ويروى أن المنجمين كانوا حذروا الخليفة المعتصم بالله من فتح عمورية عند ما عزم على الاستيلاء عليها ، وقالوا له : إنا نجد فى الكتب أنها لا تفتح فى وقت نضج التين والعنب !

ولكن الخليفة الحازم العاقل لم يسمع لأقوالهم وسار بجيشه وفتح عمورية وكان انتصاره مبيناً . وهنا يأتى دور أبى تمام حبيب ابن أوس فيمدح الخليفة المنتصر ويذكر له فتح عمورية فى قصيدة خالدة يحمل فيها على المنجمين ويكذبهم فى تنبؤآتهم واختلاقاتهم ويقول لهم : إن العلم الحق إنما هو فى السيوف وليس فى النجوم ، وإن أحاديثهم كذب لا أصل لها :

والعلم فى شهب الأرماح لامعة ... بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
أين الرواية ، بل أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصاً وأحاديثاً ملفقة ... ليست بنبع إذا عدت ولا غَرَب

ويظهر أن المنجمين كانوا خوفوا الناس عند ظهور الذنب سنة ٨٣٧م — ٢٢٢ هـ أى قبل فتح عمورية بسنة واحدة فتراه يقول فى ذلك :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة ... إذا بدا الكوكب الغربى ذو الذنب

وهذا الذنب هو مذنب (هالى) ، وقد قال عنه ابن الاثير :

« ... وفى هذه السنة ظهر عن يسار القبلة كوكب ، فبقى يرى نحواً من أربعين ليلة وله شبه الذنب ، وكان طويلاً جداً فهال الناس ذلك وعظم عليهم ... »

وبينما نرى أبا تمام لا يعبأ بالذنبات ولا يعتقد بما نسج المنجمون حولها من خرافات وتنبؤات ويضرب بأقوالهم عرض الحائط نجد أن ملك فرنسا لويس الأول ابن شارلمان قد استولى عليه الخوف من ظهور المذنب الذى ظهر أيام المعتصم ، وقلق لذلك أشد القلق ، وبلغ به الفزع درجة جعلته يدعو المنجمين ليقولوا شيئاً عن هذا النجم (فى رأيه) ولينبؤوه عن خبره . فقالوا له إن النجم المشار إليه نذير من الله ينذر باقتراب أيام السوء لكثرة المعاصى التى يقترفها الإنسان . ويقال إن الملك منذ ذلك الحين أصلح حاله ورجع إلى الله فبنى الكنائس وشجع الأديرة . كل ذلك تسكيناً لغضبه تعالى .

وقد ظهر أيضاً مذنب (هالى) سنة ١٤٥٦م ومر على مقربة من الأرض وامتد ذيله كالسيف المسلول ، وكان ظهوره بعد فتح القسطنطينية وإيغال السلطان محمد الفاتح فى أوربا .

ولقد تشاءم منه أهل أوربا ، واتخذوا من ظهوره علامة سماوية على غضب الله تعالى ؛ فلقد دخل العثمانيون القسطنطينية ، وفر أهلها منها وامتد الفتح العثمانى إلى البلاد الأوربية — فنسبوا كل ذلك إلى المذنبات كما نسبوا إليها كل ما يصيبهم من رزايا وفتن وقتل وخسف وغير ذلك .

المذنبات وأقسامها

والآن . نأتى إلى هذه الظواهر التى تظهر فى أوقات مختلفة وفترات متباعدة .

فى الفضاء أجرام فى أفلاك اهليليجية حول الشمس فتقترب منها ثم تبتعد عنها كثيراً ، وهذه الأفلاك غير ثابتة بل تتغير من وقت لآخر. وهناك عوامل عديدة تؤثر فى سيرها وفى موقعها ولعل جذب السيارات لها من أهم تلك العوامل .

ولهذه الأجرام ذنب طويل هو السبب فى تسميتها (بالمذنبات) أو (ذوات الأذناب) يتكون من مادة لطيفة جداً لا تحجب رؤية النجوم الصغيرة التى وراءها (ولا يسرى هذا القول على النواة) وهى ألطف من الهواء المحيط بالأرض ألف مرة . وتتألف أجسام المذنبات من رأس ونواة وذنب . فالرأس يختلف بحسب الذنب ، فقد يكون صغيراً جداً حتى يرى كالنجم وقد يكون كبيراً جداً حتى يرى كالقمر . أما النواة فلا ترى دائماً فى المذنبات ويرجح أنها مؤلفة من أجسام نيزكية صغيرة وقد تكون (كما فى بعض المذنبات) لامعة جداً تضاهى لمعان الزهرة . وأما الذنب فهو مادة لطيفة على هيئة مروحة كبيرة تتجه نحو الجهة المقابلة للشمس ، ويختلف طوله فقد يملأ الشقة بين الشمس والأرض . ويقول بعض علماء الفلك أن الذنب هو مجموع أجرام نيزكية يحيط

بها ويتخللها جو غازى يجعلها منيرة وظاهرة (للعين) بسبب المجارى الكهربائية

ويرجح بعض الباحثين أن نواة الذنب تتألف من أجسام نيزكية صغيرة؛ فإذا دنت من الشمس ارتفعت حرارتها كثيراً وخرجت منها غازات تدفعها أشعة الشمس بما فيها من قوة الدفع فتظهر وراء النواة مثل ذنب لها وتكون منيرة بنور الشمس. ويقول آخرون إن أذناب المذنبات تتولد من كهربائية تتكهرب بها دقائق المادة المنتشرة فى الفضاء وتظهر كأذناب من نور وراء المذنبات. وهناك رأى ثالث يقول بأن هذه الأذناب ليست إلا ظواهر بصرية أى أن نور الشمس يخترق رأس المذنب ويظهر وراءه كذنب من نور

ومن الطبيعى أن يكون لهذه المذنبات وزن ولكنه صغير جداً بالنسبة إلى الأرض أو السيارات إذ لا يزيد على جزء من مليون جزء من وزن أحدها

أشهر المذنبات

تظهر المذنبات فى أوقات مختلفة رصد العلماء منها حتى الآن أكثر من خمسمائة كلها تابعة للنظام الشمسى. وقد ظهر مذنب كبير فى منتصف القرن الثالث عشر للميلاد قيل إن طول ذنبه كان كبيراً جداً. وكذلك فى سنة ١٣٣٧ م ظهر مذنب كبير، ومذنب سنة ١٦٧٩ م أفزع العالم وبقى ظاهراً أكثر من خمسة شهور وكان قريباً من الأرض. ويقال إنه فى سنة ١٧٧٠ م ظهر مذنب شديد اللمعان اقترب من الأرض وكان له ذنب طويل جداً امتد فى عرض السماء لمسافة ٣٦٥ مليوناً من الأميال. وظهر فى أوائل القرن التاسع عشر للميلاد مذنب عظيم جداً حسب (هرشل) الفلكى الشهير طول ذنبه فوجده أكثر من (١٠٠) مليون ميل وعرضه أكثر من (١٥) مليوناً من الأميال. وكذلك مذنب (أنكى) من أشهر المذنبات وهو يدور فى فلكه كل ثلاث سنوات وثلث سنة. وقيل إنه فى سنة ١٨٢٦ م كشف ضابط نمسوى مذنباً أطلقوا عليه اسم (مذنب بيلا) وقد فزع منه الناس واهتموا له. ووُجد أنه يدور دورة كل ست سنوات و (٣٨) أسبوعاً وقد ظهر عدة مرات بعد كشفه. وفى سنة ١٦٨٢ م شهد (أدموند هالى) ظهور مذنب كبير وقد سماه العلماء (مذنب هالى) نظراً لاعتناء (هالى) بدراسته، وقد استنتج من حساباته أن هذا المذنب يظهر كل ٧٥ سنة وتنبأ بظهوره سنة ١٧٥٧ م وقد حدث فعلاً ما تنبأ به. وفى سنة ١٨٥٨ م ظهر مذنب كشفه العالم (دوناتى) الإيطالى ودرس حركاته وطبائعه وكان شديد اللمعان وقد قيس ذيله فوجد أن طوله بلغ (٤٠) مليوناً من الأميال وكان على وشك الاصطدام بالزهرة

وظهر سنة ١٨٦١ م مذنب هائل كشفه (تبوت) فى سدنى باستراليا وقاس قطر نواته فكان (٤٠٠) ميل وذنبه مستعرض على غير نظام بلغت سرعته (١٠) ملايين من الأميال فى اليوم. ويقال إنه فى يونيو تلك السنة مرت الأرض فى طرف ذنبه وشمر الناس بأشعة فصفورية. وهذا المذنب هو الذى أحدث خوفاً وجزعاً فى لبنان فكانت العجائز يضرعن إلى الله ويسألنه العفو والمغفرة ويتوسلن إليه أن يرفع عن الناس مقته وغضبه

الاصطدام بالأرض

قد يقترب مذنب من أحد السيارات وقد ينتج عن هذا انحراف فى فلك المذنب. ولكن لحد الآن لم يثبت أى تأثير للمذنبات على السيارات أو على الأرض. ولا عجب فى ذلك فكتلة المذنب إذا قورنت بكتلة أى كوكب كانت صغيرة جداً. ولقد سبق ومرت الأرض فى ذنب مذنب سنة ١٨١٩ م وذنب مذنب سنة ١٨٦١ م ولم يقع عليها ما يؤثر على حركتها أو يزعج سكانها حتى إنهم لم يشعروا بهما. فلولا الحسابات الرياضية والفلكية لما عرفنا شيئاً عن مرورها واصطدامها بكرتنا. وإذا اتفق واصطدمت الأرض بنواة إحدى المذنبات العظيمة كنواة المذنب الذى ظهر سنة ١٨٥٨ م فقد تحترق الأرض من جراء ذلك. ولكن هذا بعيد الوقوع لأسباب ليس هنا محل ذكرها أو شرحها

واستولى على الناس خوف عظيم فى سنة ١٩١٠ م عندما اقترب مذنب (هالى) من الأرض وكان من المحتمل جداً أن يصطدم بها وذهب بعض الفلكيين إلى أن هذا الاصطدام قد يكون بلاء على الأرض ليس من ناحية تأثيره على حركتها بل من الغاز السام (السيانوجين) الموجود بكثرة فى المذنبات. ولكنه بحمد الله مرّ المذنب ولم يحدث للأرض ما يفسد هواءها أو يسم جوها

وثبت من الرصد أن المذنبات التى كشفها الفلكيون ووقفوا على بعض تفصيلات تتعلق بحركاتها وأفلاكها وأقسامها — تابعة للنظام الشمسى متحركة فى أفلاك حول الشمس. وكذلك وجدوا أن بعضها لا تستطيع التماسك بل تتحطم وتتناثر إلى قطع كثيرة ومن ذلك تتكون طوائف تسير حول الشمس فى اتجاه المذنب

نابلس **قدرى حافظ طوقان**



دراسات فى الفن

الصـــدق فى الفن

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

فى هذا الكون ظواهر غامضة يحاول الناس أن يتفهموها بعقولهم ، فيعرجوا إليها بعكازات من هذه العقول البطيئة المتثاقلة ، بينما يقفز بعض الناس إلى حقائق هذه الظواهر الغامضة بإحساسهم لا بعقولهم فيوفقوا إلى قوانينها توفيقاً من حيث لا يتكلفون ولا يتعمدون . ولعل أبرز ما تصدى له هذا الفريق من أهل الحس فبلغوا غايته ، ثم لحقهم العلم بعد أجيال فقرر ما أحسوه ، هو هذه النفس الإنسانية التى أحسها الكتاب والروائيون منذ آلاف السنين ، فعرضوها فى قصصهم وساروا بها فى مناهجها الصحيحة ؛ ثم خلفوها للعلم الذى أخذ يحاول فى القرن الماضى فقط أن يتعرفها على أساس يطمئن إليه هذا العقل الشكاك الذى ينكر الحس.

وإذا كان أهل العلم يعرفون الفن بأنه التطبيق العملى للنظريات العلمية التى تحوم حول موضوع واحد ، أو التى تدور حول مسألة واحدة ، فإنا نرى فى تعريفهم هذا ما يعزز الذى نذهب إليه . ذلك أننا نلحظ ونشاهد أن فنون الناس سبقت علومهم ، فقد طار الإنسان على بساط الريح فى قصص ألف ليلة وليلة قبل أن يركب متن الهواء فى الطائرات والمناطيد بألف سنة على الأقل . وقد حول الإنسان الرصاص والنحاس إلى ذهب فى خرافات الأقدمين قبل أن يحول العامل (السلاؤون) الأحمر إلى ذهب فى العصر الحديث . وقد استطلع الإنسان الغيب فى كرة البللور الهندية ما شاء من الغيب قبل أن تنتهى الدراسة الجديدة إلى (التنويم المغناطيسى) بقرون وقرون . وقد مُسخ الإنسان قرداً عقاباً له على الشر فى قصص القدماء قبل أن يعلن داروين نظرية التطور بدهور ودهور

فكيف اهتدى هؤلاء (المخرفون) القدماء إلى هذه الحقائق التى لم يثبت أنها حقائق إلا بعد أن تغيرت الأرض ومن عليها ؟ هل كانوا يطبقون نظريات علمية تدور حول موضوعات متفرقة فدار كل منهم بنظرياته حول موضوع ؟ هل يمكن أن يكون هذا قد حدث مع تسليمنا بأن النظريات العلمية لم تتكشف إلا أخيراً ؟

نعم ! هذا هو الذى حدث ، ولم يحدث شىء غيره ، وإنما كل ما كان هو أنهم لم يعرجوا إلى هذه الحقائق بعكازات من عقولهم ، وإنما طاروا إليها على أجنحة من إحساسهم . هم أحسوا هذه الحقائق ، وبلنوها صادقين ، وأعلنوها ، وإن كانوا قد عجزوا عن إثباتها لمن لا يريدون أن يفهموا إلا بالعقول !

ومن هذا نرى أن صدق الإحساس يكشف للانسان ما يستره المستقبل . فهذا الكاتب الذى طير الإنسان على بساط الريح فى قصص ألف ليلة وليلة كان يحس أن الإنسان يستطيع أن يطير، هذا إذا لم نقل إنه كان مؤمناً بأن الإنسان سيطير . وهذا « المخرف » الذى حول الرصاص والنحاس إلى ذهب كان مؤمناً بأن هذه المعادن التى يشاهدها ليست إلا مظاهر مختلفة لشىء واحد يمكن إذا عدلت المؤثرات التى تؤثر فيه أن تتعدل الأشكال التى يتشكل بها . كان مؤمناً بهذا وإن لم يكن يعرف أن المادة ذرات ، وأن الذرات كهارب ، وأن الكهارب ألكترونات إلى آخر هذه الزحمة التى تشغل عقول العلماء . وهذا الهندى الذى اختلق فى قصصه كرة من البللور ينظر فيها الإنسان فيعلم الغيب كان يحس أن فى الإنسان هذه القوة التى تمكنه من الوقوف على ما يغيب عنه وهو فى حالته المادية ، ولم يكن يدرى أن الإنسان سينوم أخاه تنويماً مغناطيسياً فيسأله عن بعض المحجوب عن عقله، وأنه يستطيع أيضاً أن ينوم نفسه ليصل إلى ما يريد . وهذا « المخرف » الآخر الذى رد الناس فى خرافاته قردة كان يحس أن هناك عقداً تنتظم فيه الخلائق متتابعة متسلسلة من حلقة إلى حلقة كل حلقة أرقى من أختها وأشد تعقيداً . . . وإن لم يكن قد قرأ كتب داروين

كل هذه حقائق اهتدى إليها الكتاب بإحساسهم لا بعقولهم فنحن نعلم أن العقل لا يطمئن إلا إلى ما يثبت ثبوتاً صريحاً للعين والأذن والأنف وبقية الحواس المادية

فإذا سايرنا أهل العلم وقلنا إن عمل العقل هو جمع هذه المدركات الحسية والنفاذ بها بعد توليفها إلى الحقائق الصحيحة، رأينا أهل الفن والحس الرهف أسبق من غيرهم فى الوصول إلى هذه الحقائق الصحيحة؛ فنفوسهم تدرك من المحسوسات والمعنويات ما هو قابل لأن ينتظم فى سلك واحد بأسرع مما تدرك النفوس المتعقلة المتشككة هذه المدركات نفسها . ولعل هذا هو ما يسميه المتصوفون « العلم اللدنى » أى الذى يأتى من لدن الله فيهدى الإنسان إلى الصواب

أما المتصوفون فيقولون إنهم يستطيعون أن يفسروا علمهم هذا، وأما أهل الفنون فهم غالباً يحتاجون إلى نقاد يصفون فنونهم ويفصلون ما فيها من الحق والبلاغة والجمال، فالفنان إذا أضيف إليه ناقده وشارحه كان مجموعهما إنساناً متصوفاً يهتدى إلى الحق بإحساس الفنان، ويضيء السبيل إلى الحق بدراسة الناقد وشرحه

وقد أشعر بعد هذا التفصيل أن هذه المسألة قد وضحت بحيث أستطيع أن أتركها مطمئناً إلى ناحية أخرى من نواحى الصدق فى الفن، فليس كل الصدق الفنى متصلاً بالمستقبل، بل إن هذا الصدق المتصل بالمستقبل هو أندر ما يطالعنا به الفن من الصدق، وإنما يتجلى الصدق فى الفنون جميعاً إذ تتصدى للحاضر. فهذا الرسام الذي يسجل الخصائص النفسية للشخص الذى يرسمه حين لا يخط بريشته على الورق إلا خطوطاً رآها فى وجه الشخص المرسوم فأحس أنها تخفى هـذه المعانى التى يعبر عنها بهذه الخطوط ... وقد يكون عقله فى هذا الطواف كله نائماً لا يدرك الصلة بين الخطوط التى يراها على الوجه والتجاعيد الصاعدة والهابطة فيه، وبين هذه الأحاسيس التى يحسها من يرى الرسم وبين هذه الخطوط التى قيدها على القرطاس ... هذا الرسام من غير شك صادق الحس، صادق التعبير. وهو موفق فى فنه ما دام صادقاً فى إحساسه صادقاً فى تعبيره، فإذا التوى على نفسه وحاول أن يدرس عقله فى فنه لم يصب من هذا الدرس غير التعقيد يشوب الفن، والبعد ينحرف به عن الحق

وهكذا الصدق فى الفنون جميعاً — كما رأيناه فى الأدب والرسم — فهو دائماً عمدتها فى الإحساس بالحياة كما أنه عمدتها فى التعبير، وبمقدار ما فى الفن من صدق يبلغ الفن شأوه الذى يحسده العلوم عليه، فهو الذى يوجه الإنسانية، وهو الذى يحصى لها خيرها ويحصى عليها شرها، هو ضميرها وروحها

فإذا أراد القارئ أن أضرب له المثل بالموسيقى فناً يلزمه الصدق أيضاً — فقد تكون صلتها بالصدق مستترة — ذكرته بلحن المارسيليز الذى حرر فرنسا، فهو ليس سوى إحساس صادق بالحرية عربد فى أنغام اختلقت فى نفوس المستعبدين حب الحرية الصادق فعربدوا كما عربد النغم، وتحرروا كما تحررت روح منشده، وقد كان كل فرنسى منشده وراء مبدعه

والآن فإنى أظن القارئ الكريم قد بدأ يستسيغ هـذا الذى عرضته عليه. وكم أحب أن يستعيد القارئ التفكير فى هذه المسائل حتى تسرى من عقله إلى روحه. ثم كم أحب بعد ذلك أن يبحث القارئ فى ذاكرته عمن يعرفهم من الفنانين وأن يبحث بفراسته فى أحوالهم، وأن يرى مدى الصدق فى أعمالهم وأقوالهم، وأن يقيس هذا الصدق بما يصيبونه من التوفيق فى فنونهم. ولست أريد بالتوفيق النجاح التجارى الذى يؤدى إلى الغنى المادى، وإنما أقصد به الإصابة الفنية التى يعتز بها الإنسان أمام ربه إذ تحسب فى حسناته وإن لم تكن صلاة ولا صوماً لأنها أثر من آثار الصدق ومظهر من مظاهره، والصدق فى النية، والأعمال بالنيات

بالمشاهدة والتجربة يتضح أن أبلغ الفنانين فناً هم أصدقهم فعلا وقولاً كما أنهم أصدقهم حساً

وهذا الصدق كما أنه حس، فإنه خلق، وإذا كان لا بد لنا أن نلجأ إلى أسلوب العلماء لنثبت الحق فى قولنا فإننا لا نكره أن نردد ما يقوله العلماء من أن كل خلق ينمو فى نفس الإنسان بالتدريب والتمرين، والفنان الأمين على فنه المؤمن به الآمن له يوالى هذا التدريب ليل نهار، سواء فيما هو متعلق بفنه من الأعمال والأقوال وفيما لا علاقة له بالفن: ذلك لأن الفنان يكون دائماً من المؤمنين بأنفسهم، لأن نفسه ترزقه الحق وتلهمه إياه والحق من الله، ولو لم يدرك بعقله هذا الإيمان وسره. وهو لذلك يطلق روحه حرة صادقة فى كل أعماله وأقواله لا يتكلف ولا يتعمل كما يتكلف ويتعمل بقية الناس، ولا يتلون ولا يتشكل فى النهار مرات وفى الليل مرات كما يتلونون ويتشكلون، وإنما هو يتشكل ويتلون تبعاً لأحاسيسه الصادقة لا تبعاً لحكمة العقل الكذوب!

وأحسبنى لست فى حاجة إلى أن أثبت أن الناس كذابون،

الموسيقى المصرية القديمة

للأستاذ محمد السيد المويلحي

إننا حين نكتب عن هذه الدنية الموسيقية المصرية القديمة التي ترجع بالقارئ إلى ثمانية آلاف عام قبل الميلاد لا نقول ما قاله مندل (Mendel) البحاثة الألماني من أن هذا البحث من أظلم البحوث في التاريخ، ولا ما قاله العلامة الفرنسي فيلوتو (Villoteau) من أنه بحث غير مثمر يضيع السعي فيه هباء ، والكد فيه عبثاً ؛ وإنما نقول ما قاله الدكتور محمود أحمد الحفني شرق نال الدكتوراه في التاريخ الموسيقي (إنه بحث قائم على حقيقة ثابتة يؤيدها العلم والتاريخ وتنطق بصحتها الصور والنقوش)



(ش ١) ابن آوى يعزف بالناي الطويل ذى الثقوب

وهذا حق فإنه لم يدفع مندل وفيلوتو إلى هذا القول اليائس إلا جهلهما وجهل عصرهما بعلم الآثار المصرية فكانا يبحثان ويفحصان دون جدوى لأنهما لم يتوصلا إلى حل تلك الرموز حتى وافاهما أجلهما فلما حلت الرموز وكشفت المقابر عثر أثناء الحفر المتوالي على آلات قديمة كاملة أو قريبة من الكمال وعلى نقوش موسيقية دلت على حضارة بالعزة ومدنية موسيقية ناضجة وصلت إلى درجة

والناس كما نعرف عقلاء أو هم عقلاء كما يقولون ، وهم الذين يتوهمون بعقولهم أن تصرفات الفنانين في حياتهم الخاصة والعامة تصرفات « شاذة » غير معقولة، وهي في الحق شاذة وغير معقولة عند عقل الخداع والغش ، وإن كانت طبيعية ومنطقية أمام حكمة الحق.

والآن ما رأى القارئ في الرجل يوالي الصدق ويواصل التدريب عليه ؟ ألا ينمو الصدق في نفسه حتى يملأها ؟ وما رأى القارئ في الرجل امتلأ صدقاً ؟ أليس هو رجل الجنة ؟ وإنه رجل الفن !

عزيز أحمد فهمي

تشعرنا أنها كانت مصدر الثقافة الموسيقية في العالم القديم فكانت إماماً للأشوريين واليونانيين والرومانيين والإيرانيين. وإذا علمنا أن ثقافة أوربا الموسيقية كانت أثراً من آثار الحضارة التليدة أمكننا أن نفخر بأن مصر — وحدها — هي التي تولت إذاعة هذه الحضارة والثقافة الفنية الموسيقية !



(ش ٢) آلة الجنك أو الصنج (الهارب)

ولعل القارئ يعجب حينما يرى فيما سيراه من (الصور) تلك الصورة التي تظهر فيها فرقة كاملة بها عازف بالناي ، ومغنٍ ، وعازف بالصنج ، وعازف بالزمارة المزدوجة . . . في الوقت الذي كانت أوربا فيه خالية من كل ثقافة علمية أو موسيقية . ولعل مما يؤيدنا في هذا أن الثقافة اليونانية القديمة التي ندين لها بالشيء الكثير حتى الآن كانت صدى للثقافة المصرية القديمة نقلها أرفيوس وأفلاطون وفيثاغورث عمن تتلمذوا على المصريين وأخذوا عنهم ثقافتهم الموسيقية . ولعل القارئ يعجب أكثر عند ما يعلم أن أفلاطون كان يؤثر الموسيقى المصرية على الموسيقى اليونانية (موسيقى بلاده) وكان يصفها بأنها أسمى ما عرفه العالم من فن جميل هو جماع ما في الدنيا من صدق وتأثير وجمال وتصوير . . . حتى أن الأغاني المصرية كانت تنشد في اليونان في كل مكان وعلى كل لسان . . .

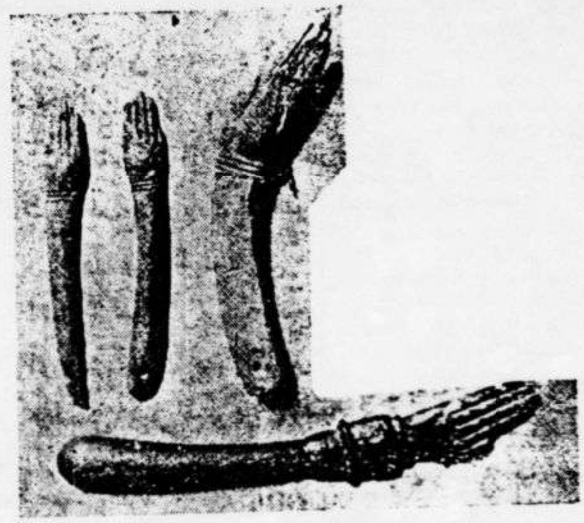
لو نظر القارئ إلى الصورة رقم (١) لرأى ابن آوى يعزف بالناي الطويل ذي الثقوب العديدة . والناي المصري القديم خشبة طويلة مجوفة بها ثقوب جانبية تصوت إذا نفخ فيها . ولا يظن القارئ أن المصريين توصلوا إليها طفرة واحدة فقد قطعوا مئات السنين حتى توصلوا إليها وهي قديمة عثر عليها من نقوش سبقت تاريخ الأسر



(ش ٣) فرقة كاملة فيها المغني والضارب بالجنك والعازف بالناي

أما الصورة رقم (٢) فهي لآلة الجنك أو الصنج (الهارب) وهي عبارة عن صندوق مصوت من الخشب ثبتت أوتاره الكثيرة بأوتاد « تقابل المفاتيح في الآلات الوترية الحديثة » وقد قضت

هذه الآلة أيضاً زمناً طويلاً حتى تطورت واستقرت كما ترى في شكلها كاملة ناضجة ، وإذا علمنا أنها آلة وترية وأن الآلات الوترية هي أحدث أنواع الآلات الموسيقية أمكننا أن نلمس إعجاز قدماء المصريين وجبروت عبقريتهم وعظيم حضارتهم ...



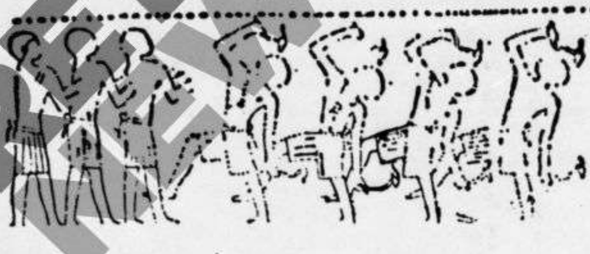
(ش ٤) الأذرع المصفقة

والصورة رقم ٣ وهي التي قلنا عنها إنها تمثل فرقة كاملة فيها المغني والضارب بالجنك أو الصنج والعازف بالناي والعازف بالزمارة المزدوجة . وقد يتكرر أحد أفراد هذه الفرقة فترى أكثر من عازف للصنج أو الناي في الصورة الواحدة كما هو الواقع في شكل رقم (٣)



(ش ٥) الأرجل المصفقة

إن الناظر إلى المغني في الشكل المذكور ليلفاه ملوحاً بيده في الهواء . ولا يظن أن هذا هراء فقد كان المطرب يستعين بهذه الحركة ليرتب الإيقاع وينتقل باللحن من نغم إلى نغم ، ويقود عازف الناي أو ضارب الصنك ... وكان لهذه الحركة أثر عظيم في الموسيقى المصرية القديمة حتى أن الغناء باللغة الهيروغليفية كان يسمى (حِسِيْتْ إمْ جِرتْ) ومعناه الحرفي (الموسيقى بواسطة اليد[1])



(ش ٦) الرؤوس المصفقة

وتُرجع أوربا أصل التدوين الموسيقي (النوتة) إلى حركة اليد وتسميها لغة اليد Cheironomie وتقول إن طريقة Neumen الموسيقية التي ظهرت بعد أربعة آلاف سنة من هذا التاريخ هي الطريقة المصرية تماماً مع فارق بسيط . فمصر رسمت في الهواء باليد ، وأوربا رسمت في الورق باليد ! ...

بل إنها لا تزال إلى هذا العصر تستعملها ، وقد استعملها في مصر لتعليم الأطفال الدكتور الحفني تخلد لكل نغمة من النغمات السبع الأساسية التي يتكون منها السلم الموسيقي حركة خاصة تعرف بها وتدل عليها اليد وعممها في جميع مدارس رياض الأطفال . . .

وقد كان المطرب المصري القديم إذا غنى وضع يده اليسرى تجاه أذنه وخده ليتمكن من التحكم في صوته فيتلاعب به كيف يشاء — كما هو الحال في البلاد الشرقية إلى الآن — وكما هو الحال مع المقرئين المبصرين والمكفوفين !

قلنا إن الآلات الوترية هي أحدث أنواع الآلات الثلاثة، فأقدمها هي آلات النقر ومنها القضبان المصفقة، والأذرع المصفقة، والأرجل المصفقة، والألواح المصفقة ،والرؤوس المصفقة والأجراس والجلاجل، والشخاليل، والطبول، والسستروم المنحني والناقوسي. وتلي آلات النقر أو الآلات الإيقاعية آلات النفخ كالناي والزمار والنفير والفليدت الخ ...



(ش ٧) الأجراس البرنزية

أما الآلات الوترية فمنها العود ، والقانون ، والكمان ، والبيانو

(١) موسيقى قدماء المصريين للحفني

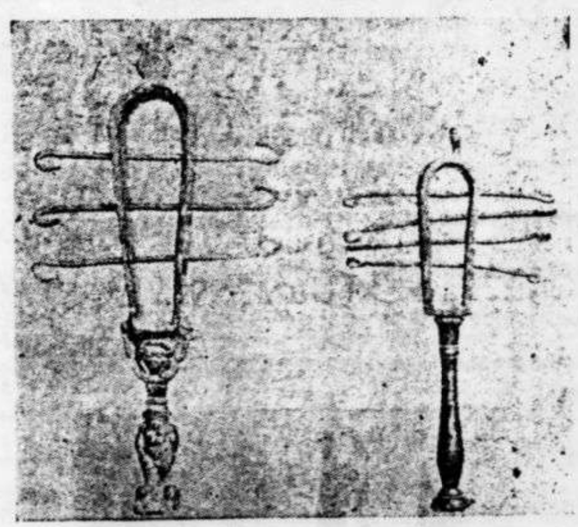
وقد استعاضت به أوربا فى القرن السابع عشر عن العود لموافقته لموسيقاها وتلاحينها ...



(ش ٨) شخليلة من الخيزران المجدول

فإذن كان طبيعياً ألا نرى فى النقوش القديمة التى عثرنا عليها إلا الآلات الإيقاعية وآلات النفخ وآلة وترية وحيدة هى الصنج؛ وليس معنى هذا أنه لم يعثر على آلات وترية غير الجنك وإنما المسألة مسألة زمنية طبيعية ...

فالإنسان القديم لم يستعمل إلا تلك الآلات التى خلقها الله له فى جسمه فاستعمل فمه فى الغناء، ويده فى التصفيق ورجله فى الضرب على الأرض (وللآن تستعمل الرجل لضبط الوحدة) ثم تدرج شيئاً فشيئاً حتى وفق إلى صنع القضبان والأذرع والأرجل والألواح المصفقة وكان يصنعها من الخشب أو العظم أو العاج كما يتضح من الأشكال (٤، ٥، ٦) أما الأجراس فكان يصنعها من البرنز على شكل البيضة، والشخاليل كان يصنعها من الخيزران المجدول على شكل الكمثرى (شكل ٧، ٨)



(ش ٩) السستروم

أما السستروم بأنواعه فهو نوع من الأجراس كان يستعمل للعبادة، وهو عبارة من قضب منحن تخترقه أسلاك تلتوى من نهايتها فى اتجاه عكسى سهلة الحركة تصطدم نهايات أسلاكها كما بجدران القضب كلما حركه الإنسان (ش ٩، ١٠) وكان استعماله مقصوراً على النساء (كهنة هاتور) وبعض الملوك

وقد وصفنا من آلات النفخ القديمة (الناى). أما الزمارة المزدوجة (ش ١١) فهى عبارة عن قصبة من الخشب تستعمل دائماً مزدوجة، وتعزف بها السبابة والوسطى؛ أما الخنصر والبنصر فتسندان الآلة من الخلف، والابهام تسندها من الأمام. ولا تزال هذه الآلة تستعمل فى ريف مصر إلى الآن

أما الآلة الوترية الوحيدة التى عثر عليها قبل تاريخ الأسر فهى الجنك أو الصنج، وكانت من النوع المنحنى، وقد وصفناها قبلاً



(ش ١٠) سستروم كهنة هاتور وبعض الملوك

من هذا ومن الرسوم التى عثرنا عليها قبل تاريخ الأسر وبعده يتضح لنا إلى أى مدى وصلت حضارة المصريين فى هذا الفن الجميل الذى فرض نفسه فرضاً على جميع المدنيات القديمة حتى رأينا كما قلنا كيف أن فلاسفة اليونان الذى تثقفوا ثقافة مصرية فضلوا الموسيقى المصريه، وعملوا جاهدين مخلصين — على شيوعها وإذاعتها فى بلادهم — فكان لهم ما أرادوا فلم يبق ثمة بيت ولا إنسان إلا ودخل طائعاً مختاراً تحت راية الاستعمار المصرى (الفنى) ..!

بل رأينا إلى أى حد بلغت عبقرية المصريين وقدرتهم الخارقة على الخلق والابتكار والوصول إلى صنع آلات إيقاعية ووترية ونفخ فى وقت كان العالم كله يسير فى ظلمات بعضها فوق بعض حتى هدته مصر بنورها وبثقافتها، وبعبقرية أبنائها الذين بسطوا نفوذهم وسلطانهم وملكهم على الأرض ومن عليها.



(ش ١١) الزمارة المزدوجة

هذا كان من ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد ... ! أما الآن وقد تدرجت الدنيا فى معارج المدنية وسارت الأرض فى مسالك النور



أقصوصة من « أندرسن » القصصي الدانمركي

الأمـــير الراعى ...!

للأستاذ صلاح الدين المنجد

عرَف عزّ المُلك وهو فى رفاغة شبابه ونعومة إهابه ، وأشرق نور النعيم فى وجهه ، وهو يتقلب على مفارش الحرير ونضائد الديباج ، وضاحك الحسان النواعم بين ضمائم العشب ولفائف الأزهار ، وخلب قلوب الفتيات ، فلمن به كلما طفن فى الغدو والرواح بهذا القصر الهادئ حيث يرتع الحب ويرف السعد ويتوهج النضار

على أنه لم ينعم وا أسفاه طويلاً بالحب والجاه ، ولم يذق هنيئاً طعم اللذاذات ... فقد مات الأب الكهل ، فتولى المال على مهل وأصابته جفوة الزمان ، فعزف عنه الإخوان ... وأضحى وحيداً فى قصره الخالى الكئيب ...

وكان يعلم أن على بعد مائة فرسخ من قصره أميرة رائعة الجمال فحن صبابة إلى لقياها، وأراد أن تكون معينة له على بؤسه، وشريكة له فى عيشه . فأرسل إليها ذات يوم وردة نبتت على قبر أبيه تتفتح مرة فى العام فتنشر شذاها فيتضوع فى الأجواء ثمانية أيام ، بفعم الناس خلالها فينسى الكئيب شجوه والمحزون بلواه ... !

وكان فى روضة الأمير عندليب يردد النشيد المهود فى الأسحار فينبه النوّم ويوقظ الوسنان . فأرسل به إلى الأميرة ليشفع له ، فيحظى بالعطف وينال الرضى

فلما وصلت الصناديق إلى الأميرة ، وقد طُلى ظاهرها بالذهب وفوّق باطنها بالخز ، أصابتها هِزّة الفرح فتمايلت طرباً وقالت لوصائفها :

— لئن حسنت الهدية فوالله لأتزوجن المهدى ... !

وفُتح الصندوق الأول ففاح العبير وسكرت الوصائف وقلن للأميرة : « ما هذا أيتها الأميرة من عبير الورد فى الأرض ... إن هو إلا من عبير الجنان ... ! »

فقالت لهن الأميرة :

— أهى من ورد الطبيعة ؟

فقالت وصيفة منهن :

— نعم يا أميرتي ..!

فأطرقت الأميرة . ثم قالت :

— أواه ..! يا تعس حظى ... ستذبل أوراقها عند المساء ، فتطأها الأقدام عند الصباح .. خذوها، فما أطيق رؤية الجمال يذبل

وفتح الصندوق الثانى ...

فقد أصبحنا وكأننا كنا نسير طوال هذا الزمن سيراً عكسيًا متخلفين عن كل حركة إصلاح وحياة .. فثقافتنا أصبحت محاكاة، وموسيقانا أصبحت ترديداً للموسيقى الأوربيـة التى لا توافق ميولنا ، ولا تتفق وخوالجنا ، وقد وصل عجزنا فى هذا إلى درجة أصبح فيها كل من يخلط ويمزج الموسيقى المصريه بالموسيقى الأوربية يسمى مجدداً

أصبح كل من يضرب الرومبا ، والتانجو ، والكاريوكا ، والفالس ... الخ يعتقد أنه أتى بما لم تأت به الأوائل والأواخر

أصبحنا لا نملك إلا الذكريات ، ولا نفخر إلا بالذكريات ، ولا نعمل ولا نتقدم ولا نسعى إلا اعتماداً على الذكريات ... وويل لشعب لا يعيش إلا على الذكريات !

محمد السيد المويلحى

جميع الصور منقولة عن كتاب موسيقى قدماء المصريين تأليف الدكتور محمود أحمد الحفنى

وصدح المندليب بأغرودة أذهلت السامعين ، وتهامست الوصائف ، وقالت الأميرة :

— ما هذا ؟ ... صوت مسكر ... ساحر ... غريب ... ! أرأيتُنّ يا صواحبي ... مثل هذا الطير قبل هذا اليوم .. ؟

فأجبنها : كلا ...

وقال شيخ من رجال القصر :

— لشد ما يذكرني هذا المندليب يا أميرتي ، بعزف الملكة السحرى الذى كان بالقصر فى ماضيات أيامى . فله رنين صوته ، ورخامة نغمه ...!

فانهلت العيون تذرف الدمع لذكرى الملكة الراحلة ... ثم قالت الأميرة :

— ترى أهو حى ... أم ميت ... ضوءه فى الحديد ... ؟

فأجابتها وصيفة معربة :

— كلا يا أميرتى ... إن الحياة تسمع من صوته الجميل ... أنظرى إليه يا أميرتى ...

فأطرقت الأميرة وقالت :

— دعوه يطير بين الزهر والشجر ... ويتنقل بين الأهاضيب والرياض ... فما أريد أن أنصت إلى أنغامه تتلاشى ... غداً إذا مات ... أما الأمير الذى أرسل الهدية ... فاطردوه !

***

وغرض الأمير إلى رؤية الأميرة ... ففكر وقدر . وإذا به يترك قصره ذات يوم ، وقد خلع ما نخر من الثياب ، وارتدى ما سخف منها ... ويذهب إلى قصر الأميرة ، وبيده ناى ... يطلب أن يكون راعياً لشاء الملك .

وأدخله الملك فى خدمه ، ومنحه قليدة من ذهب كتب عليها : « راعى القصر الملكى »

وكان يسوق الشاء إلى المراعى التى تحف بالقصر ... فإذا بج الكلأ بطونها ... عاد بها ، وهو ينظر إلى نافذة الأميرة . عله يرى وجهها الصبيح ...

واستيقظ أهل القصر ذات يوم ... وإذا بأنغام رخيمة تتعالى من كوخ الراعى. فطربت الأميرة لها ... وأرسلت الوصائف ليفتشن عن مصدر النغمات ... فإذا بهن يجدن الراعى فى كوخه الصغير ... أمام قدر علق فى غطائها أجراساً صغيرة ، وملأها ماء ، ثم سلط عليها النار . فإذا بالماء يغلى ... فيدفع بالغطاء إلى أعلى ... وإذا بالجلاجل تتذبذب فترسل الأنغام ... !

وأخبرت الوصائف الأميرة بما رأينه وسمعنه ... وزين هذه القدر للأميرة ، فأتت إلى الكوخ ، تتبعها الوصائف ... لترى القدر المسحورة ... !

وما كادت تسمع النغم ... حتى صفق قلبها له ... وقالت :

— ما أشبه هذا النغم بالنغم الذى عزفته بالأمس على البيان . إذهبى يا لينورا ، وسليه أن يبيعنا هذه القدر وتلك الجلاجل ...

وأتت الوصيفة إلى الراعى فقالت له :

— هل تبيع هذه القدر أيها الراعى ... ؟

قال لها وقد ضحك :

— نعم ... أبيعها ...

فقالت له :

— حسن . . وكم تريد ثمناً لها ... ؟

— عشر قبلات ... من الأميرة ... !

— ويل لك ... ماذا تقول ... أمجنون أنت ؟ ... أم ...

— القدرقدرى ... والجلاجل جلاجلى ... وهذا ما أريد ...!

وعادت الوصيفة إلى الأميرة خائبة ... قالت لها :

— ماذا طلب منك ؟ ...

— ... ...

— تكلمى يا لينورا ... تكلمى ...

— لا أجرؤ يا أميرتى ... إنه مجنون

— وماذا قال لك ... ؟

وعادت القدر إلى إرسال النغمات فطربت الأميرة مرة أخرى وقالت :

— هيا ... تكلمى ... تعالى واهمسى فى أذنى ...

— قال إنه يريد عشر قبلات من مولاتى الأميرة ثمناً للقدر.

فصاحت الأميرة :

— يا للوقح ... يا للسافل ... !

وغضبت ، وأخذت تقطع الحديقة جيئة وذهوباً ، ولكن .. ماذا تفعل ؟ ها هى ذى القدر تعود إلى إرسال النغمات ، وها هو ذا قلبها يعود فيضطرب ويثور

ووقفت هنيهة ... ثم قالت لوصيفتها :

— إذهبى إليه ... وسليه إن كان يقبل أخذ الثمن منكن

وذهبت الوصيفة إليه ثم عادت خائبة ...

عندئذ قالت الأميرة :

— لا بُدّ مما ليس منه بد ... أحضروه ... وحطن بي لكيلا يراني أحد ...

وحفت الوصائف بالأميرة ... وأقبل الراعي .. فقبلها عشر قبلات .. فيها الخمر والعسل المصفى .. وأعطاها القدر والجلاجل

يا فرحتها آنئذ ... لقد قضت يومها أمام القدر كما نضب ماؤها .. ملأتها والوصائف حولها يرقصن ويضربن الأكف بالأكف ...

وأقبل الليل . وانصرفت الوصائف ... وقالت لهن الأميرة :

— إياكن أن تخبرن أحداً ... بما دفعته ثمناً للقِدر ... !

وقال الأمير الراعي لنفسه وهو ينصت إلى صلاة الليل :

— لقد حطمت كبرياءها يا نفس ... وعرفت ما يغريها ... فلن تجزعي بعد اليوم ... ! »

***

وتجرمت أيام وليال . . . وإذا بالراعي يبدع معزفاً ما طلبت نغماً إلا سمعته فيه . ومرت الأميرة بالحديقة ذات يوم ، فقالت لوصائفها :

— لنعدلن إلى هذا الراعي ، فلن نخلو من أعجوبة لديه ...

وما كادت تقرب الكوخ حتى سمعت نغمات مشجية وسمعت الراعي يغني فنادت وصائفها وقالت لهن :

— إذهبن إليه وسلنه عما يريده ثمناً لمعزفه ... ولكن ... إحذرن ... فلا قبلات ولا عناق ... !

وانطلقت إحداهن إليه فسألته ، ثم عادت كاسفة الوجه ، مضطربة الشعور ... فسألتها الأميرة :

— ماذا طلب منك ؟

— إنه مجنون يا مولاتي ... إنه يريد مائة قبلة ... !

— آه ! ... ويله ... ! وقح ... !

وفكرت الأميرة ثم قالت :

— لا بأس ... عشر قبلات مني ... وما بقي فمنكن

ولكن الراعي أصر ولم يقبل ... عندئذ قالت : « احضروه ... فلن يراني أحد »

مسكينة أيتها الأميرة ... فها هو ذا الملك يحدق فيك ... فإذا رأى ما رأى أقبل إلى الحديقة كالمجنون ... فيطرد الوصائف ... ويضرب الراعي ... ويقول لابنته :

— هيا .. خذيه واذهبي ... فلن ابقيكما في قصري بعد اليوم

وانطلق الراعي يمشي مع الأميرة على غير هدى ... في أرض لا تموج بالنبات ، ولا ترف بالندى ... يؤذيهما السحاب المتون ، وتفزعهما الريح العصوف

وتبكي الأميرة ذات يوم ، وهي في واد أغن تستجم ، وتقول للراعي : « لشد ما أنا بائسة ... لو أني قبلت الأمير زوجاً ... لكنت الآن في قصره ... ولكنه كان غير ... »

ولم يسمع ما قالته ... بل أسرع واختفى تحت الغصون ... فخلع ثوبه الممزق وارتدى ثوباً فاخراً كان معه ... وجاء إليها فقال:

— هأنذا أميرك الذي طلبت . . . ولكني لن أخفض لك جناحي اليوم ... ولن أهب لك قلبي ... فإن نفسي تشمئز منك ... لم تقبلي الزوج الشريف ليكون شريكاً لك في حياتك ... هه ... لقد علوت يومئذ واستكبرت ، واحتقرت الوردة والعندليب . . ولكنك انحططت وقبلت راعياً من أجل قدر ... !

وداعاً ... ! وداعاً ... فلن أراك بعد اليوم

وانطلق الأمير إلى قصره وحيداً

لقد لحقت به الأميرة ... وطرقت أبواب القصر ... ونادته ... ولكنه كان في شغل عنها ، كان يقول لنفسه : « لماذا أطلب الغناء ... ؟ لماذا أطلب الكبرياء ... ؟ ألا سحقاً لهما ... شرف وفقر خير من مال وكبر ... أيها الحارس كن أصم ... أيتها الجدران كوني عمياء ... أيتها الأميرة حطمي كبرياءك وتعالي »

« دمشق » صلاح الدين المنجد

من هنا ومن هناك

لماذا نضحك - عن « بور ، يف » الأمريكية

إذا رأينا طفلاً صغيراً يسقط في الطريق فهذا ولا شك لا يثير فينا شيئاً من الضحك .

ولكننا نضحك أو نتكلم الضحك ، إذا رأينا رجلاً من ذوي المكانة يسقط على الأرض ، وتجرى قبعته الحريرية أدراج الرياح .

فإذا كنا نحمل شيئاً من الكراهية لذلك الشخص ، فإن ضحكنا ولا شك يكون أشد وأكثر ، إذ أنه في هذه الحالة يكون صادراً من أعماق القلوب .

لماذا لا تضحك إذا سقط طفل أو حصان أو امرأة عجوز ؟ أنت لا تضحك لأنك لا يمكنك أن تتخيلهم منافسين لك أو متفوقين عليك . ولكن الرجل من ذوي المكانة والوقار ، يبرز شخصيته على حسابك ، ويدل عليك بمقامه في الهيئة الاجتماعية والشخص الذي تمقته لا تستطيع أن تنسى منافسته لك ، وإن كنت لم تفكر في ذلك .

وخلاصة القول أنك تضحك لأنك تشعر برضائك عن نفسك . تشعر بانتصارك ، وكأنك تقول في ضحكتك ما أشد سروري وغبطتي !

هذه حقيقة ليس فيها ما يضحك ، ولكنك ستحس قوى حانقة تتحفز للدفاع عما يسمونه « طبيعة التفكه » .

فإذا كان الأمر كذلك فلا بأس من تناول الموضوع من الناحيتين : الضحك كما يقول هوس (هو تجلي النفس وصفاؤها) أما طبيعة التفكه فليست بالشيء البريء الذي يجلب السرور . فهي تحمل بذور شر لا شك فيه .

الضحك هو طريقك للتعبير عن زهو التفوق للعالم وللناس وزهو التفوق من الكلمات التي استعملها الفيلسوف الإنجليزي أنتوني لدوفيسي في بحوثه العميقة حول نظرية الضحك في كتابه أسرار الضحك ، وقد أودعه مناحي كثيرة وآراء عديدة في هذا الموضوع لا نستطيع أن نستوعبها في مقال .

ويشرح زهو التفوق بقصة الضفدعة والكركي : وهي أن ضفدعة دعت كركيا لتناول الغداء ، فلما أقبل على الطعام ، وجد الضفدعة قد وضعته في إناء مسطح ، فلم يستطع الكركي أن يتذوق منه شيئاً ، وأقبلت الضفدعة فتناولت منه ما تريد ، فعاد الكركي بدوره فأولم وليمة للضفدعة ، فلما دنت لتناول الطعام وجدت أن الكركي قد وضعه في وعاء ضيق العنق ، فلم تستطع أن تنال منه شيئاً ، وأقبل الكركي فتناول كل ما فيه . ففي المثل الأول يتبين زهو التفوق في الضفدعة ، وفي المثل الثاني يتبين في الكركي . قد تضحك لأسباب كثيرة تخرج عن زهو التفوق ، ولكننا إذا دققنا النظر أمكننا ردها جميعاً إلى هذه الناحية .

من ذلك ضحك الطفل حين نطارده ، ويرتمي في حجر أمه . إنه ولا شك لا يتفوق عنا ، ولكنه يشعر بأنه على مطاردتنا وتعلق بصدر أمه ، فهو في هذه الحالة يضحك لأنه قد شعر بالغلبة والتفوق

أما في القصص والروايات الهزلية فنحن نضحك لشعورنا بزهو التفوق مع شخصيات الرواية ، إذا كانت لهم هذه الصفة . أما إذا كانوا على نقيضها فإن هذا النقص من شأنه أن يضحكنا لأنه يشعرنا كذلك بزهو التفوق .

لا تتزوج من حسناء ! - عن ستنز وبكلي

إياك أن تتزوج من حسناء . هكذا يقول القصصي الذائع الصيت هـ . ج . ويلز . فالمرأة البسيطة كما يقول هي وحدها التي تستطيع أن تقوم بوظيفة الزوجية

المرأة البسيطة هي التي تستطيع أن تحبوك بما تصبو إليه نفسك من عيشة هادئة وحياة مطمئنة . إذا لم تكن ممن قدر لهم

أن يرتطموا فى حب قديم يعاودهم خفية بالآلام الممضة إلى الأبد

المرأة الجميلة تكون شغلاً شاغلاً لبعلها ، فهو مسخر على الدوام لرغباتها ونزواتها ، وهو عرضة من أجلها لحسد الحاسدين وحقد الحاقدين . ولو أنه لا تمضى عليه برهة من الزمن وهو على هذه الحال، حتى يعود فيحسد نفسه على أمسه الذى أفلت من يديه وذلك حين يظهر لعينيه ما كان مخبأ عنه من النقائص

ويختلف الأمر عن هذا مع المرأة البسيطة ، المرأة البسيطة بكل معانى الكلمة ، فقد لا يمضى وقت طويل على بنائك بها حتى تظهر لك فيها محاسن كانت مغيبة عن عينيك : ابتسامة يحفها الخجل والبراءة تظهر من آن لآخر وتحتجب . نظرة ساذجة توحى إليك الدعة وترسل إلى قلبك السكينة . وحسب المرأة التى على هذا الطراز جمالاً أنها كلها لزوجها وأنها له كنز أمين

فإذا كانت لى نصيحة كرجل حنكته التجارب ، وكانت نصيحتى تستحق العناية فى هذه الأيام التى كثر فيها لغط الشباب ، فنصيحتى لك أن تتزوج من امرأة تفوقك فى السن ، إذا كان لا بد لك من الزواج . وأستطيع أن أقول فى هذه المناسبة بعد تجاربى فى الحياة وقد عشت فيها طويلاً : إنك قد تكون أكثر سعادة إذا تزوجت من أرملة . ويقول ويلز بعد تجارب السنين الطوال : يجب أن تكون المرأة التى تختارها لزواجك بسيطة بقدر الإمكان ، ويجب أن تكون فى سنك أو أكبر من سنك ، عارية عن كل ما يسمونه المواهب الاجتماعية أو الثقافية مجردة من الأناقة المصطنعة ، فقيرة إذا أردت أن تحتفظ بكرامتك

ولويلز كثير من الآراء فى المسألة الجنسية يذكرها فى شجاعة وجرأة وقد صور فى كتابه الذى ترجم فيه حياته صوراً وفصولاً صريحة عن تجاربه فى هذه المسألة تتناول حياته الخاصة وملاحظاته الشخصية على الناحية الجنسية فى العصر الحديث

فيقول عن أول حادث وجدانى وقع له وهو فى العشرين من عمره إذ قبلته خادمة : إننى شعرت بلذة لم أشعر بمثلها فى ذلك الوقت ، وابتدأت أحس الحرمان الذى أعيش فيه ويعيش فيه الكثيرون من أمثالى

ويرى ويلز أن المشكلة الجنسية لا تختلف عن المشكلة الاقتصادية ، فعلة كل منهما الامتلاك ، ويرى أن تكون الروابط العائلية روابط جسدية فحسب ، أما الشئون الاقتصادية والثقافية ورعاية الأطفال ، فيوكل أمرها إلى الحكومات

نظام الجاسوسية فى العصر الحديث - عن مجلة التيمس الأمريكية

تقوم الدول بتجارب عديدة لقواها الحربية من آن لآخر تنفق فيها أموالاً طائلة ، وتستعد لها استعداداً عظيماً ، وتعمل هذه التجارب فى الجهات المجاورة لها عادة

وهى فى هذه الحالة لابد أن تكون على علم باستعدادها الحربى قوة رجالها وأسلحتها والموارد التى تعتمد عليها . فيتصل الجواسيس بالقوات الحربية والبحرية للدول المختلفة ، ويتصلون أحياناً بإدارات المباحث السرية لتلك الدول ، ويتتبعون حركة الصحافة والتأليف ليستخلصوا منها ما يفيدهم فى هذا الصدد

وقد أصبح عمل الجاسوسية من الأعمال الأساسية التى لا يستغنى عنها فى جميع الدول، وعلى الرغم من العقوبات الصارمة التى جوزى بها بعض الجواسيس فإن الإقبال على هذه المهنة لا زال كبيراً

وقد توجد الجاسوسية بين دولتين ليس بينهما شىء من العداء على الإطلاق ولا ينتظر أن يكون فى المستقبل . فى هذه الحالة يكون العمل موزعاً بين الرقابة العامة ، وتكتفى بالتقارير الحربية التى ترد إليها من سفاراتها ومصادرها الخاصة ، وبين الجواسيس المحترفين الذين لهم قوة الكلاب فى شم أخبار الحوادث المحلية التى تقع فى تلك البلاد ، ومعرفة الفرص التى يمكن أن تستفاد بسببها

ويقوم الجواسيس بأعمال هامة فى البلاد التى يدخلونها ، ولا يقتصر عملهم على تسقط الأخبار فحسب، فهم يعملون على إثارة الفتن والاضطرابات ، وتشجيع روح الامتعاض والثورة والاعتداء على الأنفس والأموال

والجواسيس المحترفون من الظواهر العجيبة فى المدنية الحديثة فهم يستفيدون من وطنية الغير لأنهم خلو من الوطنية . وهم فى الغالب أناس ليس لهم وطن ولا تعرف لهم بلاد ، وذلك أنهم من عناصر مختلفة حتى إنهم لا يعرفون شيئاً عن أنفسهم أولنفسهم

ويقومون بهذا العمل بادىء الأمر بإغراء المال وبدافع الحاجة، ولكن سرعان ما ينقلب الأمر إلى ميل طبيعى للمخاطرة والتهييج ، وكراهية للشرف والكرامة ، ورغبة شخصية فى إضرار البلاد لأنهم لا بلد لهم

لا صداقة للإسلام مع الاستعمار . عن جريدة الوحدة المغربية

الاستعمار ينتزع الحرية من المولودين أحراراً ، وينتزع الملك من المالكين الأولين ، ويمسخ الإنسانية إلى حيوانية سفلى فيجعل من المغلوبين مادة جامدة صماء بكماء عمياء ، ويحصر همهم في التدحرج على فتات الموائد الذي يفضل عن الأسياد الغالبين .

وقد أصيبت به أمم الإسلام فكرهته ومقتته مقتاً عظيما ، وأخذت تعمل للتحرر منه ومن الدول التي تمثله مثل فرنسا وانكلترا . وجاءت ألمانيا وإيطاليا متأخرتين إلى هذا الميدان ، وأخذتا تنشران الدعاية ضد الاستعمارين الإنكليزي والفرنسي ، ففهم الناس لأول وهلة أنهما ستساعدان الشعوب الضعيفة على التحرر ، ودخل في روع المغرورين أن إيطاليا ستترك المسلمين الذين أوقعهم سوء الحظ تحت يدها أحراراً مستقلين . فإذا بالزمن يدور دورته ، وإذا بألمانيا تطالب بالمستعمرات ، وتضع لاستعمارها أسساً « نازية » قوامها احتقار السلالات الملونة ، ومنع تعليمها ، وعدم السماح بالاختلاط معها ؛ وإذا بإيطاليا تنقض على الأمم الضعيفة الأخرى هنا وهناك ، وإذا بتاج الحبشة وتاج ألبانيا يوضعان على رأس « الأمبراطور الجديد » محيي مجد روما البائدة

لقد كان من الممكن أيها الإيطاليون والألمانيون أن تحتلوا قلوب المسلمين لو لم تسيروا سيرة الفرنسيين والانكليز والأميركان؛ أما وقد سرتم سيرتهم فلا مناص للعالم الإسلامي أن يناصب استعماركم العداء كما ناصب العداء استعمار غيركم من الدول الأخرى وثقوا جميعاً أنه « لا صداقة للإسلام مع الاستعمار »

* * *

أكثرت مذاييع السلطات الغربية في بلادها ، وفي بلاد الإسلام المبتلاة بها من الدعايات المتعارضة لقصد التأثير على المسلمين. وقد أخذ كل منها يذكر عيوب الآخر ، وينشر محاسن نفسه . فذياع إيطاليا يذكر عيوب فرنسا ويستدل عليها بمقالات الوطنيين المغاربة ؛ ومذاييع فرنسا تذكر عيوب إيطاليا وتستدل عليها بمقالات المسلمين المدافعين عن حقوق الطرابلسيين والألبانيين والأحباش ؛ ومذاييع انكلترا تذكر عيوب خصومها ، وكذلك مذاييع ألمانيا ، والغريب أن كبار الساسة — تحت ضغط القلق الدولي — فقدوا التوازن في أعصابهم، وأصبحوا يشجعون كثيراً من الأعمال الصبيانية التي لا نتيجة لها مطلقاً. ذلك أن المسلمين قد استيقظوا أو أفاقوا، وأصبحوا يعرفون من الغربيين المسيطرين ما لا يعرفونه هم عن أنفسهم. وإذا كانوا ينصتون إلى هذه المذاييع فليس ذلك ليتأثروا بدعاية خاصة، ويصبحوا في صف خاص، وإنما ليتمموا معلوماتهم عن الاستعمار الغربي بمختلف ألوانه وأشكاله . فلا إيطاليا بالغت فيما تدعيه على فرنسا، ولا فرنسا كذبت فيما تدعيه على إيطاليا مثلاً ؛ وإنما الجميع سواسية في الإساءة إلى الإسلام واستعباد المسلمين ، وجميع المذاييع الغربية المتعارضة تعتبر صادقة في نظر العالم الإسلامي اليوم

وإذا كانت الدول الكبرى تتناطح على استرضاء المسلمين ليكونوا في صفها يوم الكريهة المنتظر فإنما ذلك لأنهم في حقيقة الأمر قوة دولية كبرى يجب أن يحسب لها حسابها في مستقبل البشرية وتحديد مصيرها القريب ، والواجب يقضي عليهم أن يعرفوا قيمتهم الحقيقية ويقدروها تمام التقدير ، وأن يعملوا متى أتيحت لهم الفرصة لحسابهم الخاص حساب العزة والحرية والمجد ، لا أن يعملوا لحساب الغير فينتقلوا من يد إلى يد ، ويستبدلوا غالباً بغالب ! « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .



الأدب المصرى فى اللغة الفرنسية

يسرنا أن نذيع أن قصة « الأطلال » التى نشرها الأستاذ محمود بك تيمور باللغة العربية لبضع سنوات خلت قد نقلت إلى اللغة الفرنسية مع أقاصيص أخر للمؤلف نفسه، وظهرت أخيراً فى باريس تحت عنوان Les Amours de Smie . وهذا مما يدل على قدر فن الأستاذ تيمور ، وهو الكاتب المصرى الذى عرف كيف يجيد السياقة ويحسن التصوير ويحكم الخاتمة فيما يبتدع من القصص على الطريقة الواقعية حتى إنه أصبح فى مقدمة المهرة فى فن القصة ، وله أتباعه وله مقلدوه

والترجمة الفرنسية صحيحة الأداء سليمة العبارة على غير تكلف ولا استكراه

كتاب نفيس بنشره الأب أنستاس الكرملى

هو « نُخب الذخائر فى أحوال الجواهر » لمحمد بن إبراهيم ابن ساعد الأنصارى السّنجارى المعروف بابن الاكفانى (المتوفى سنة ٧٤٩ للهجرة) . ومزيته أنه يجمع كثيراً من العوائد الخاصة بالجواهر من لغوية واصطلاحية وطبية وعمرانية مما ذكره أكابر كتاب العرب مثل الكندى والجوهرى والبيرونى والنافقى إلى ما أتى به المؤلف نفسه

وقد نشر الأستاذ الأب الكرملى هذا الكتاب بالدقة والتحقيق اللذين عودنا إياهما ، إذ تعقب متن الكتاب فقرة فقرة فعلق عليها بإسهاب متمكناً ثم أقام أحد عشر مسرداً (فهرساً) للموضوعات والأسماء على اختلافها والأوضاع اللغوية والحجارة والمعادن والأمراض التى تعالج بالحجارة الكريمة . هذا واعتماد الأب الكرملى فى نشر الكتاب على نسخة قديمة سليمة رأى الأب العلامة الاستغناء بها عن غيرها مما هو محفوظ فى خزائن الكتب لأسباب قوية (ص ١١٠) إلا أن مثل هذا الرأى مع تلك الأسباب — موضع مراجعة عند بعض العلماء

نشأة الصحافة المصرية اليومية وتحولها

ذلك عنوان الرسالة العلمية التى نال بها الدكتور كمال الدين جلال ، الصحافى المصرى القدير ، شهادة الدكتوراه من جامعة برلين . والرسالة ظهرت أخيراً فى اللغة الألمانية ، وهى مستفيضة جامعة تلم أشتات الصحافة المصرية — أخبارها ، وحوادثها ، وصحفها ، ورجالها ، وعهودها — منذ الحملة الفرنسية حتى اليوم . وتمتاز الرسالة بأن مؤلفها ذهب وراء العرض والوصف وثبت المصادر ، إذ جعل يعلل الواقعات والمظاهر بالنظر فى شؤون السياسة وأحوال الاقتصاد وقضايا العمران . فالرسالة بهذا تتصل بفن الفلسفة التاريخية اللاحقة بالحضارة الفكرية

ولعل الرسالة تنقل إلى اللغة العربية لحاجة قرائنا إلى ما فيها من الفوائد والحقائق ، وعسى أن يضع المؤلف إذن مسردين يدرج فيهما أسماء الأعلام وأسامى الصحف ، لأجل تقريب الفائدة

كتاب جرىء

أخرج النائب المحترم الأستاذ حسن الجداوى كتاباً عنوانه « عيوب الحكم فى مصر » . ولا تعنى السياسة مجلة كالرسالة مقصدها الأدب ؛ بيد أننا نسجل إقدام الأستاذ الجداوى على الكتابة المنطلقة من كل قيد رغبة فى تدارك العيب الواضح . هذا وإن الأستاذ الجداوى يناوئ أموراً تناوئها الرسالة . من ذلك : « روتين » المصالح الحكومية وجود نفر من أصحاب الأمر فيها ، وقيام نظام « المحسوبية » ، ثم إهمال أهل الكفايات واستبعاد الشباب ، ثم التفرد والازوراء عن المصلحة العامة ... بنا حاجة إلى أمثال الأستاذ الجداوى

وليت الأستاذ الجداوى صرف إلى شئون الثقافة من همه أكثر مما صرف ؛ فإن الذين يتعهدون الثقافة الحق فى البرلمان المصرى معدودون . ولا بد من تآزر الصحافة والنواب فى هذا الجانب حتى نستقبل عهداً تستقيم فيه أسباب الحياة الفكرية

مجلال الفلسفة العربية

ذكرت لك من قبل (عدد ٣٠٦) كيف اعترف الأب هكتور تيرى ، من أساتذة المعهد الكاثوليكى فى باريس بجلال الفلسفة العربية . نخذ الآن قول العالم اليسوعى الأب بويج Bouyges ناشر كتاب تهافت الفلاسفة للغزالى، وتهافت التهافت لابن رشد، وتلخيص كتاب المقولات له، والجزء الأول من تفسير ما بعد الطبيعه له . قال الأب بويج فى مؤتمر المستشرقين السابع عشر فى مدينة أكسفورد (سنة ١٩٢٨) : من الأمور التى جلبت إلى العالم العربى الفخر الأسمى ، والتى أعانت على تسوية الثقافة الأوربية الرفيعة بحيث لا يستطيع المؤرخون إغفالها أن أمثال ابن سينا وابن رشد نُقلت تآليفهم إلى اللاتينية منذ المائة الثانية والثالثة فانبثت فى مدارس النصارى حيث حُللت ونُسخت فاحتجّ بها هذا ودفعها ذاك من الأعلام مثل (دنس سكوت) و(ألبير الكبير) والقديس توما وغيرهم كثير (راجع ظهر غلاف «تفسير ما بعد الطبيعة» بيروت ١٩٣٨) . (ب . ف)

لورنس والقضية العربية

نشر فى الأسبوع الماضى فى لندن كتاب بعنوان «الندوة الشرقية» يحتوى على كتابات مختلفة من المرحوم الكولونل لورنس الذى اشترك فى ثورة العرب فى الحرب العالمية . ومن هذه الكتابات فصل كان قد أعده ليكون الأول فى كتابه الشهير «أعمدة الحكمة» ولكنه عاد قبل الطبع فحذفه منه وألغاه عملاً بإشارة الكاتب المعروف برنارد شو

وفى هذا الفصل يندد لورنس تنديداً مرًّا بالوزارة البريطانية لأجل بذلها وعوداً للعرب وله معهم كى يشتركوا فى الثورة فكتب لورنس ما ترجمته :

«كان واضحاً منذ البداية أننا لو ربحنا الحرب لصارت هذه الوعود قصاصات ورق بلا قيمة . ولو كنت أنا مشيراً نزيهاً للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم وعدم المخاطرة بأرواحهم فى القتال من أجل هذه الأوراق . لكننى ملأت نفسى بأمل آخر وهو أنى أقود هؤلاء العرب بحماستهم الجنونية إلى النصر النهائى . وهناك أجعلهم والسلاح فى أيديهم فى مركز أمين مضمون إن لم يكن متسلطاً ، فتجد الدول الكبرى من الحكمة والملاءمة أن يلبوا مطالبهم بمقتضى الإنصاف» .

وكتب لورنس أيضاً : «لم يكن لى ظل من الحق فى استخدام هؤلاء العرب فى هذه المخاطرة دون أن يعلموا نتيجتها الصحيحة فى ما يتعلق بقضيتهم . لكنى جازفت بالغش اقتناعاً بأن معونة العرب ضرورية لنا كى نفوز بنصر سريع ورخيص الثمن فى الشرق وإنه خير لنا أن ننتصر ونخيس بوعدنا من أن ننكسر ونحن نزهاء»

وأوضح ناشر الكتاب أن هذا الشعور من لورنس كان وقتياً وعاد فرضى بقرارات مؤتمر القاهرة عندما عالج المستر تشرشل المسألة وقرر الوفاء بالعهود البريطانية .

ولقد صرح المستر برنارد شو بأنه أشار فعلاً على لورنس بإهمال هذا الفصل الأول لأنه استهلال غير حسن لأسباب غير سياسية

وزاد المستر شو على ذلك : «أما فى شأن العرب فكان لورنس يحسب فى أول الأمر أنهم لا يلقون معاملة حسنة ، ولكنه شعر بعد ذلك أنهم ينالون أكثر مما تمكنهم إدارته وسلك أخيراً سلوك من يعتقد أن لا أهمية للوجهين . والحقيقة أن لورنس لم يكن يفهم السياسة قط ، فهو إنما كان صبياً كبيراً لم يتم نموه يوماً»

نزاع على قصيدة

يا حلوة الوعد ما نساك ميعادى	عِزّ الهوى أم كلام الشامت العادى
كيف انخدعت بحسادى وما نقلوا	أنت التى خلقت عيناك حسادى
طرفى وطرفك كانا فى الهوى سببا	عند اللقاء، ولكن طرفك البادى

ثلاثة أبيات من قصيدة للمرحوم شوقى بك تبلغ سبعة عشر بيتاً نشرت الرسالة منها فى سنتها الأولى اثنى عشر بيتاً تحت عنوان (شوقية لم تنشر تغنيها إحدى القيان) . ولم تشر المجلة وقتئذ إلى اسم المغنية لأنها كانت قد تزوجت وانقطعت صلتها بالجو الفنى .. وهذه المغنية هى السيدة (ملك) وقد صنع لها شوقى بك هذه القصيدة قبل وفاته بعامين لتغنيها وكان ذلك فى مصيفها بالاسكندرية ، حيث كان يختلف إليها أمير الشعراء والأساتذة فكرى أباظه ومحجوب ثابت ومحمد عبد الوهاب . وقد أعجب الأستاذ محمد عبد الوهاب يومئذ بمعنى القصيدة وتلحينها ، فلما توفى المرحوم شوقى بك تحدث الأستاذ عبد الوهاب بأن آخر ما نظمه شوقى له كان هذه القصيدة . فردت عليه السيدة ملك فى جريدة البلاغ تنكر عليه ذلك وتستشهد بمن ذكرت وبنسخة القصيدة مكتوبة بخط شوقى إليها . ووقف الأمر يومئذ عند هذا

ولكن الأستاذ عبد الوهاب عاد فلحن هذه القصيدة فى هذه الأيام لروايته الجديدة التى يزمع إخراجها فى الشتاء القادم . فلما علمت السيدة ملك بهذا تجدد بينهما نزاع لطيف توسط فيه أصدقاؤهما حتى وعد عبد الوهاب بأنه (سيحاول) أن يستغنى

عن هذه القصيدة. ويظهر أن هذا الوعد لم يطمئن السيدة (ملك) فنشطت حركة استشارة المحامين ونشطت معها تلك الضجة الطريفة التى لا نعلم كيف تنتهى وعلى أى وجه من الوجوه ستحل. والظريف فى الأمر أن أشد الجميع غضباً هو الدكتور محجوب ثابت! فهو يعجب من جرأة الأستاذ عبد الوهاب وعدم استئذانه إياه باعتباره (الشامت العادى) الذى عناه شوقى رحمه الله

المويلحى

معرض رابطة الفنانين المصريين

افتتحت رابطة الفنانين المصريين معرضها هذا الأسبوع، وهو معرض حر لم يتقيد فيه العارضون بموضوع خاص فكان هذا مما ساعد العارضين على أن يطلقوا أرواحهم وأفكارهم نحو ما يطيب لهم من موضوعات الرسم والنحت والزخرفة. فماذا عادوا لنا من سماء الفن؟

قد يكون من الشح أن ننكر عليهم ما أصابوه من التوفيق، ولكننا أيضاً قد نسرف فى المجاملة إسرافاً لا نحبه إذا قلنا إنهم وفقوا إلى الفن الناضج الذى نطلبه

فقليل جداً من المعروضات الذى أسعده الطابع المصرى الصادق؛ وقليل منها ما قصد به المعارضون إلى التعبير عن عاطفة من العواطف الإنسانية، أو إظهار فكرة لها معنى. وعلى هذا كان المعرض أشبه بمعارض التصوير الشمسى المنقول بالفوتوغرافية منه بمعارض الفنون التى ينتجها فنانون لكل منهم شخصية لها روح ولها عقل

وقد حاول بعض العارضين أن يظهروا للجمهور وكأن لهم شخصيات مستقلة بهم وكأن لهم أسلوباً خاصاً بهم فى فنهم فعمد منهم «منصور فرج» إلى أشكال الناس فى لوحة البناء» فنحتها نحتاً عجيباً ضخم فيه عضلاتهم وأعضاءهم. فكانوا كالقردة أو «السيد قشطة» كما عمد «يوذانت» إلى صبغ لوحة «قرية مصرية» باللون الأحمر صباغة لا توزيع فيها ولا تظليل فكانت كأنها «قرية الجن».

ولعل هذين العارضين معذوران فيما فعلا لأنهما قد سمعا كثيراً عن الفنانين الأوروبيين الذين يؤثر كل منهم لوناً خاصاً أو شكلاً خاصًّا من أشكال الآدميين فحسبوا أن كل فنان حر فى هذا الإيثار، بينما الواقع أن الفنان الذى يكثر من لون ما فى صوره ورسومه إنما يفعل ذلك غير مختار، لأن الطبيعة تزيف على عينيه الألوان ولأنه مصاب بمرض نظرى لا أكثر ولا أقل

وإذا كان لنا أن نختار من بين المعروضات فى هذا المعرض ما نعتقد أنه خير ما فيه فإننا نفضل من غير شك وبلا ترتيب

١ – «رأس أسوانى» تمثال ميزته الأمانة والصدق

٢ – «فتوة» تمثال كان يجدر بصاحبه أن يسميه «بلدى قيافة»

٣ – «الفداء» تمثال على النهج الفرعونى فيه جلال

٤ – «مصرية» تمثال مصرى حديث تجسدت فيه الأنوثة

٥ – «حى قومى» صورة مصرية صادقة

٦ – «مليحة» تمثال مصرى حديث جميل خفيف الروح

٧ – «ابن البلد» صورة كان يصح أن يكون اسمها «الصعيدى»

٨ – «العودة من السوق» رسم زخرفى بسيط جميل دقيق

٩ – «فى الشتاء» تمثال على النهج الفرعونى فيه هدوء وحلاوة

١٠ – «موقعة نصيبين» صورة قوية.

١١ – «إدريس» صورة رائعة.

١٢ – «القيسرية القديمة» صورة مصرية فيها غموض ورهبة.

١٣ – «فتوات البلد» صورة كويدك خفيفة جداً.

١٤ – «المخطوبة» صورة عذراء مليحة حالمة.

١٥ – «فتاة» تمثال لفتاة عصرية فيه الأنوثة والأناقة

ونحن نهنئ أصحاب هذه التماثيل والصور كما نهنئ غيرهم من العارضين على أن يشحذوا الهمم ويغذونا بما نحتاج إليه الآن من فن ملؤه الروح والفكر.

جريدة الوفاق فى عامها الثانى عشر

دخلت زميلتنا الوفاق فى عامها الثانى عشر، وهى أصدق ما تكون إيماناً ولساناً فى خدمة الأخلاق والأدب. والوفاق جريدة إقليمية أسبوعية تصدر عن بلقاس ويحررها الأستاذ البيلى على الزينى، وقد سلخت فى جهادها الأدبى المحمود أحد عشر عاماً لم تفتر لها فى خلالها همة، ولم يتخلف لها عن الظهور عدد، ولم يعقها عن اطراد التقدم عائق، على الرغم مما تعانيه الصحافة الجدية من جهل القراء وضيق المعونة. والرسالة تهنئ الوفاق بعامها الجديد وتسأل الله لها دوام ما عودها إياه من حسن التوفيق فى خدمة الدين والخلق والثقافة.



« مباحث عربيـــة »

تأليف الدكتور بشر فارس

نقد للدكتور مراد كامل

حركتنى الرغبة فى استطلاع ما ينطوى عليه ذلك العنوان . فقرأت الكتاب فأعجبت به وكان إعجابى من جهة الشكل ومن جهة الموضوع

أما الشكل ، فهذا كتاب يقوم مقام صورة صحيحة لطريقة علمية مستقيمة ، لما هو عليه من تقسيم وترتيب وتبويب «ولحق» و«مسارد» و «مضاف» و«فائت» . ثم إن كتاباً يخرج على هذا الشكل من الدقة والعناية وفيه ما فيه من المصاعب الفنية فى إحكام الإخراج ليدل على مقدرة الصانع المصرى فى فن الطباعة

أما من جهة الموضوع ، فلن أقف عند أسلوب هذا الكتاب الفذ ولا تراكيبه البارعة ولا ألفاظه المتخيرة، لأنى أريد أن أصل بكلمتى هذه إلى ما هو أجل شأناً من الأسلوب . ذلك أن الأسلوب يختلف الناس فى النظر إليه وفى تذوقه، وإنما أنا أقصد إلى التنبيه على ما فى هذا الكتاب من مستحدث فى الفكرة والتعبير

أما الفكرة فقد اختار المؤلف موضوعات شتى جديدة : فبحثه عن المسلمين فى فنلندا لم يسبقه إليه أحد بل هو كشف أضاف المؤلف به فصلاً علمياً طريفاً إلى معرفة أحوال المسلمين فى العالم

وقد طرق المؤلف بعد هذا فى مباحثه الخاصة بعلم الاجتماع وعلم اللغة مسائل هابها البحاث من قبل أو استثقلوها ، فأقدم على درسها الدرس الأتم وعرضها مبسوطة واضحة . ولا غرو فى ذلك فللمؤلف باللغة الفرنسية كتاب « العرض عند عرب الجاهلية »

وهذا الكتاب مما حدا دائرة المعارف الإسلامية الصادرة فى هولندا على أن تسند إلى المؤلف كتابة طائفة من المباحث فيها ، ومن هذه المباحث : « الهجاء » و « الفتوة » و « العِرض »

والآن أعرض لك مسائل الكتاب فى علم الاجتماع وعلم اللغة

بحث الدكتور بشر فارس تعبير « مكارم الأخلاق » مستقصياً كل الاستقصاء؛ إذ استخرج وروده من بطون الكتب المطبوعة والمخطوطة ثم شرح التعبير من الناحية اللغوية وفحص عنه فى كتب الحديث والتآليف الدينية ، ثم دل على أن من يكتب فى مكارم الأخلاق إنما يجرى إلى إكبار الفضائل الإسلامية وإغراء الناس بالإقبال عليها اقتداء بالرسول . وذكر آراء المتكلمين فى مكارم الأخلاق ، وعرض لآراء المصنفين من كتاب العرب المستقلين عن الطرائق الكلامية والمذاهب الدينية . ثم آراء المنشئين فالمتصوفة . وقد عقد المؤلف فصلاً فى علاقة مكارم الأخلاق بالفتوة والمروءة ثم اتصال مكارم الأخلاق بالجاهليه ، وخرج من مبحثه بأن مكارم الأخلاق تعبير — فى أول أمره على الأقل — أجنبى عن علم الأخلاق المنحدر من الحكمة اليونانية وعن علم السلوك النظرى

ومبحث آخر عن المروءة يدلك على استقامة الدراسة بالتدقيق العلمى . فى هذا المبحث يبين المؤلف أن المروءة مدلول للفظ قالت فيه العلماء بالتقريب والاحتمال . ثم ذهب إلى أن فى تعريفات المروءة جانبين متضادين كلاهما معقود بالآخر : الأول حسى ينحدر من زمن الجاهلية ، والثانى معنوى مصدره الإسلام . ثم تتبع معنى المروءة فى الجاهلية ومطلع الإسلام وعهد الخلفاء الراشدين وعهد بنى أمية ، ثم طلبها عند أهل اللغة حتى فى اللهجة الأندلسية وفى لغة العامة لهذا العهد . وانتهى المؤلف إلى أن المروءة أفلتت من المادة لتصير من الكلم الرواشن . وقد جاء كلامه فى هذا

مناقضاً لآراء المستشرقين بأدلة فلسفية ولغوية مستقيمة

أما مبحثه فى التفرد والتماسك عند العرب، ومبحثه فى البناء الاجتماعى عند عرب الجاهلية؛ فكلاهما دراسة اجتماعية على أساس صحيح . وقد دفع فى الأول أقوال المستشرقين عن التفرد إذ أثبت من طريق الاستشهاد بالشعر والأخبار المتواترة أن العرب كانوا قوماً متماسكين . وبين فى الثانى تضارب الألفاظ الدالة على بناء العرب الاجتماعى بحيث يتعذر الفصل فى كيفية تكون الجماعة وانتظام الأسرة، وإن تميزت هذه من تلك

وأما مباحثه فى اللغة فقد دلّ كيف يكون التنقيب عن معاني الألفاظ ، بتعقبها فى أطوارها المختلفة . من ذلك تعقبه لدلولات لفظة الشرف وردها إلى أصولها بالاستناد إلى النصوص الجلية . ومما أظهره أن لفظة الشرف خرجت فى الجاهلية من الحسيات إلى المعنويات حتى إذا طلع الإسلام أدرج فيها قيماً خاصة به

أما اصطلاحات الموسيقى التى أفرد لها المؤلف باباً خاصاً فقد أخرج لنا من بطون الكتب تعبيرات وألفاظاً عارضها بما ينظر إليها فى اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية . ومن ذلك لفظة المساوقة والمراسلة . ونحن نقيد له فضل السبق فى هذا الكشف

وهنالك اصطلاحات فى الفلسفة ، مثل لفظى التفرد والتماسك بدلاً من الفردية والتضامن الشائعتين عندنا . وقد وضعها المؤلف فيما وضع ، ومعه حجج قاطعة من ناحية اللغة ومن ناحية الفلسفة، سالكاً فى ذلك طريقاً جديداً مما يدل على مرونة فى التفكير وسعة فى الاطلاع .

أما الفصل الذى عقده المؤلف لبعض المخطوطات العربية التى درسها فى دور الكتب المختلفة ؛ فنأمل أن يتنبه المجمع اللغوى إلى الاستفادة بها لما فيها من الفائدة الجليلة لوضع اصطلاحات فى علوم كثيرة .

* * *

هذا ما يتعلق بالفكرة . وأما التعبير فقد أخذتنى جرأة المؤلف فى التدقيق لوضع ألفاظ واصطلاحات لمدلولات شتى ثم فى تخيرها؛ الأمر الذى نحن فى أشد الحاجة إليه حتى نؤدى بكلمة واحدة معنًى نحتاج إلى التعبير عنه بجملة أو جمل . أعجبنى منه وضع كلمة

استطلاع: وهى تفيد البحث العلمى لا الصحفى عن أمر مجهول أو حقيقة مستورة

الإمداد: البحث العلمى الذى يلقى فى محافل العلماء كالمؤتمرات .

الرأى القَبلى : الرأى القائم فى الذهن قبل شهادة التجربة ، ويقابله الرأى البَعدى .

البناء الاجتماعى : كيفية تكون الجماعة من حيث الصلات المتبادلة فيها ومن حيث اتساعها .

التفرد بدلاً من كلمة الفردية ، والتماسك بدلاً من التضامن .

كلمةٌ رمزٌ : أى كلمة متى وقعت فى مسمعك نشرت فى خاطرك مجموعة من القيم المجردة . وهى من باب الصفة بالمصدر .

المشتَمل : وهو مضمون الكتاب .

السرَد : لجداول الألفاظ والأسماء وما إليها Index

وقد خرج المؤلف على استعمال لفظة الفهرس الشائعة اليوم بإفادتها مدلولات مختلفة ، بأن استعمل هذه اللفظة للدلالة على الكتاب الجامع للكتب فقط ثم جعل المشتمل لمضمون الكتاب وموضوعاته والسرد لجداول الألفاظ والأسماء .

* * *

أما تلك الرموز التى سبقنا إليها الأوربيون ؛ فقد تصرف المؤلف فى وضعها ، ثم زاد عليها الكثير من عنده فوضع علامة لاسم الكتاب حتى نفرق بينه وبين سائر الكلام لنقص الحرف المائل فى طباعتنا ، وهو المستعمل فى مثل هذا الموضع فى اللغات الإفرنجية . ثم وضع رمز شاهد (على شكل هرمى) بدلاً من الصليب الذى يضعه الإفرنج للدلالة على الوفاة . ثم ى = وما يلى ذلك ، كـك = الكتاب المذكور قبل للمؤلف ، ن = المؤلف نفسه ، ذ = الكتاب ذاته . وإنى لا أريد القول بأن ما وضعه المؤلف يجب أن يؤخذ به أخذاً، بل أرى أن يلتفت إلى ما وضعه فينظر فيه إن كان يحتاج إلى مراجعة حتى نبنى عليه للمستقبل . على أنى أسأل المؤلف أن يدون الرموز فى الطبعة الثانية على ترتيب ما ، نحو الترتيب الأبجدى ؛ وأملى أن يتم وضع الرموز والعلامات اللازمة للتأليف العلمى حتى نظفر بدستور يلجأ إليه الباحث والعالم

* * *

هذا وقد سلك المؤلف فى كتابه مسلكاً علمياً صحيحاً وسار على المنهج الذى وضعه لنفسه ، وهذا المنهج على قوله فى تصدير الكتاب « الاعتماد على الشاهدة دون الفرض ، والتحقيق دون التخيّل ، والموضوعية دون الذاتية ، وإقامة الدليل دون القناعة

بالمقبولات والمسلّمات ، ثم الذهاب من المركب إلى البسيط ، ومن الخاص إلى العام ؛ مع تسليط النقد النافذ — من جانبيه الخارجى والباطنى — على الواقعات ، من حيث إنها أشياء طبيعية مبذولة للحس ، لا أمثال عالية ولا معانٍ منتزعة من المحسوسات مجردة فى الذهن أموراً كلية عامة ؛ ومع نبذ التشيّع للآراء من مرتجلة وقَبلية ، فلا إيثار هوًى ولا تعصب لأحد على أحد ؛ ومع ردّ تلك الواقعات إلى مصادرها من طريق الوصف المباشر أو الاستشهاد بالنصوص الصريحة حتى لا يرسل الكلام فيضيع حظه من التثبت ؛ ومع التحرى فى البحث سعياً فى الدنو من الحقيقة بفضل المنطق ذى العَرض البيّن والسلك المتصل والاستدلال القويم والنظر الصادق على غير استكراهٍ ولا تحكم ولا مكابرة ؛ ومع إثبات ما أتى به العلماء العاملون من قبلُ بالاستناد إليهم أو الاعتراف بجهدهم خروجاً من ظِنّة التلصص والسطو »

وبكل ما تقدم يبذل لك المؤلف دراسة فلسفية اجتماعية بذهن مجرد عن التشيع للآراء المرتجلة والمعانى المتوهمة مما يجدر بطلبة التعليم العالى أن يلتفتوا إليه . ويبذل لك أيضاً مباحث فى اللغة وتاريخ الألفاظ واستخراج الاصطلاحات مما يهم المشتغلين باللغة وفى مقدمتهم المجمع اللغوى .

وهكذا خرج الكتاب مبشراً بانبعاث الروح العلمى الخالص الذى أهدى إليه المؤلف كتابه .

مراد كامل
مدرس اللغات السامية
بكلية الآداب



رواية «الموءودة»

ما هى الرواية ؟

اقتصرت فى مقالى السابق على إلقاء نظرة إجمالية على رواية « المال والبنون » لمصنفها الأديب فهيم حبشى ، لأنها لا تستحق أكثر من ذلك ، وما عدت إلى ذكرها ثانية إلا لأقول كلمة إجمالية فى جميع الروايات الموضوعة وذلك بمناسبة رواية « الموءودة » التى بعث بها إلىّ مؤلفها الفاضل يسألنى رأيى فيها وقد وأدتها لجنة التحكيم فى مباراة التأليف المسرحى

يحسن بى قبل الإجابة أن أسأل : « ما هى الرواية ؟ »

يقول أعلام النقد إن الرواية تبسيط حادث خيالى ؛ وأن حاجتنا إلى تبسيط الحادث الخيالى المفرغ فى قالب رواية ضرورة لازمة ، لأن حياتنا الاجتماعية تمضى فى عالم فوضى لا ارتباط فيه ولا تناسب ولا انسجام ، وأن الروائى البارع هو الذى يتخيل ويتمنى ويعمل على إخضاع عالمنا لشرائع العقل ويجعله منظماً نفهمه بحسنا لا بقوته الخفية المظلمة ولا بكائناته المشوشة المختلطة .

فالرواية كما ترى نجدة نستنجد بها لتمكننا من مقاسمة الانفعالات الاجتماعية دون أن تجعلنا نتعرض لعواقب هذه الانفعالات ، وخيال الروائى الذى استنبط حادثة ما (سواء كانت ذاتية أو موضوعية) إنما هى تصور حالة فى نفسى أنا ، أو فى نفسك أنت واقعة فعلاً ، أو هى محتملة الوقوع ، استعان بها على إبراز خياله بخلق أشخاص مدركين يقدرون تقديراً قياسياً ويَعُون وعياً نفسياً اضطرابات الإنسان وقلقه وخلجات عواطفه وضوابط نفسه وأحكام عقله

ولأجل أن يكون الحادث الخيالى الذى ابتكره ذهن الروائى البارع كاملاً ، وتكون الرواية تامة لا بد لها من عنصرين عنصر الحياة ببساطتها ، وعنصر القدرة على تبسيط البسيط من صور الحياة . ولا محيص لها أيضاً من الاعتماد على عنصر ثالث يقوم عليه البناء العقلى وفق النظام وفى حيز الطبيعة البسيطة وصورها وألوانها

هذه الرواية هى التى تعيدنا إلى ذواتنا فتجعلنا نسمع ونرى فيها هواتف الضمير ، وهمهمات الانفعالات ، والصور الكامنة فى النفس مجلوة واضحة مسوقة على ألسنة ممثلين وممثلات خلقهم الروائى ودربهم على تحويل صور الخيال إلى حقائق بسيطة سهلة ترتسم فى الذهن وتنطبع فيه وتقسره على إطالة النظر وإعمال الروية

فى وسعى أن أقول عقب ذلك بدون تردد إن جميع الروايات الموضوعة التى مثلتها الفرقة القومية منذ تكونها إلى يومنا هذا تنقصها العناصر الأساسية للحياة ، والفن ، والأدب ، وأن حضرات مؤلفيها الأفاضل يشبهون فى محاولاتهم « نبتّين زين » يطرحون ودعاتهم فى الأرض ويرتجلون ، وفق وضعية كل ودعة ، كلاما هو عصارة الذهن الكليل بله الهرف والتخريف . أجل كلهم عرّاف أعطاك ما جاد به خاطره من كلام مفكك الأوصال أسماه « الحوار » ومن جمل خطابية رنانة فى الدين أو الأخلاق وأمثال ذلك مما تسميه العامة «لبن سمك تمرهندى» . فى حين أن الرواية هى كقطعة موسيقية تعزفها جوقة من النافخين فى الأبواق ومن الناقرين على الأوتار والضاربين الطبول والصنوج ، وأنت إن أرهفت سمعك وكنت من أصحاب الوعى والذوق والشعور ، تحس بنغمة هادئة ناعمة تبدو كالهمسة الرفيقة تربط الأصوات النابرة فى هذه الآلات وتوحد فيما بينها

توحيداً بارعاً يجعلها كالروح الشائعة فى الجسد . فهذه الوحدة فى القطعة الموسيقية هى التى تغمرك بفيض من النشوة تجعلك ترتفع إلى مقام الغبطة بغيبوبة الفرح ، وهكذا الرواية لا بد لمصنفها من خلق وحدة فكرية تدور حولها الوقائع والأشخاص

وأنت يا صاحبى مؤلف رواية « الموءودة » التى افتتحتها بآية من الكتاب الكريم : (وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) أنت واحد من هؤلاء الذين طرحوا ودعاتهم أمام لجنة التحكيم ، فكان من دواعى الصدف العمياء أن حكمت بردها ، فأبيت إلا التمرد على هذا الحكم فطبعت الرواية أى أنك سجلت على نفسك واقعة أدبية غير موفقة

أزعم أن الذى شجعك على اتهام لجنة التحكيم وأغراك بطبع الرواية هو أن الفرقة القومية قبلت ومثلت روايات من نوع أردأ من « الموءودة » نذكر منها على سبيل المثال رواية « اليتيمة » غير أن سبيل النجاح يا صاحبى ليس فى الانحدار إلى الوضاعة ومحاكاتها بل فى التطلع إلى الكمال

***

حدثنى أديب كان قد توفر لكتابة القصة والرواية وانقطع لها قال : أتمنى لو يكلف مدير الفرقة كبار الأدباء بتأليف روايات للمسرح وأن يغريهم بالأجر المناسب ، فمبلغ ثلاثمائة جنيه للرواية الموضوعة يرضى الأديب ويجعله ينقطع طول السنة إلى كتابة روايته . والرواية التى يكتبها الكاتب الكبير تحمل على كل حال الشىء الغزير من أدبه الخاص واطلاعه العام ، والمران على كتابة الرواية يبعثه مرة بعد مرة على الإجادة والإبداع . وقد ذكر لى حادثة أدبية من هذا النوع حدثت فى فرنسا قام بها مدير « الكوميدى فرانسيز » مع الكاتب المعروف أندريه مورياك وقال مستدركا : صحيح أن الخصائص الفنية الأساسية لم تتوفر كلها فى رواية مورياك التجريبية ولكنها ستتوفر كلها فى الرواية التالية ولا شك . وقال أيضاً : يجب ألا يحول مثل هذا التكليف دون إغراء الشباب الناشىء على محاولة كتابة الرواية واشترط لذلك إيجاد العزيمة عند مدير الفرقة وأن يكون حسن الظن بالكاتب المصرى وبالشباب المصرى أيضاً

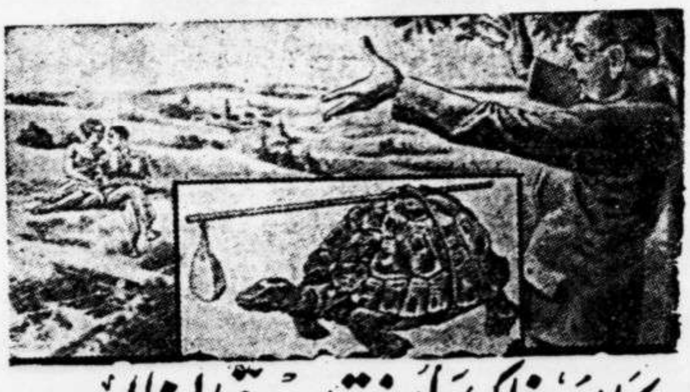
الرأى وجيه سديد ، ولكن لا بد أولاً من تطهير الفرقة من النكبات المحيقة بها ، وغسل السخائم المتأكسدة فى أذهان القائمين على إدارتها ، وتفهيمها أن المؤلف هو روح الفرقة ، وأن البلد بأدبه وأدبائه فى ألف خير ، وأن إنفاق ثلاثمائة جنيه أو أربعمائة على المؤلف المصرى من ميزانية قدرها خمسة عشر ألفاً ليس كثيراً على من صدقت نيته فى إنهاض المسرح المصرى على قواعد قوية من التأليف والتمثيل

ابن عساكر

عاصفة فوق مصر

أخرج الأستاذ عصام الدين حفنى ناصف هذه القصة الاجتماعية ، وهى الأولى من نوعها فى اللغة العربية ، فليس موضوعها من المواضيع التى ألفنا قراءتها فى مؤلفات كتابنا ، بل هو موضوع خطير يتناول صميم الحياة المصرية وصميم الحياة الإنسانية عموما . هو موضوع العلاقة بين الفلاح الأجير والمالك صاحب الأرض . وهو يكشف فى هذه القصة عن الطرق التى تلجأ إليها الدوائر الزراعية لحرمان الفلاحين حقوقهم ويبرز فى جلاء ووضوح فضائل الفلاح المصرى ويذود عنه التهم التى يرميه بها الآخرون

وهى مطبوعة طبعاً متقناً فى ١٣٠ صفحة وثمنها ٢٠ مليما فقط ، فنتمنى لها الرواج



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 309

Lundi - 5 - 6 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٣٠٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — الموافق ٥ يونيه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

حول نظام الطبقات

فلاحـــون وأمراء ! ...

جلست كعادتى فى عصر كل سبت أفكر فى موضوعىَ الأسبوعى للرسالة، فتردد على خاطرى المكدود معانٍ شتى من وحى الساعة وحديث الناس وحوازّ القلوب ، كمأساة حلحول فى فلسطين ، وصلة الجديد بالقديم فى الأدب ، فكنت أذودها بالفتور والإهمال ، لأن معنى من المعانى القوية كان قد استبد بذهنى منذ الصباح فهو يراوده ويعاوده ويلح عليه حتى لم يكن من الكتابة فيه بُد . ذلك بيان النبيل عمرو ابراهيم رئيس نادى الفروسية الذى بعث به إلى الأهرام وطلب إليها أن تنشره (كاملاً) فى عدد اليوم . والذى استفزنى من هذا البيان لهجته الأميرية المنتفخة فى الرد على رئيس الوزراء ، والطعن فى بعض الكبراء ، والدفاع الظنين عن نظام الطبقات ، والتفسير المجازف لكلمتى الفلاح والديمقراطية ، والتلميح المختزل إلى الساميَّة والطورانية ؛ فإن هذه مسائل دقيقة ما كان ينبغى للنبيل أن يعرض لها بهذا الاستكبار ، فى بيان دفاعىّ لا يجوز أن يخرج فيه عن التنصل أو الاعتذار !

لسنوالحمد لله من طبقة أولئك النادين إلى هذه (الكُلُبْنات) التى تتضاءل فيها الديمقراطية بين أرستقراطية الدم أو المال

أو المنصب ، فلا أزعم أنى سمعت الأشداق الملوية تأمر ، ورأيت الأنوف الوارمة تتمعض ؛ ولكنى قرأت كما قرأ الناس ثورة رئيس الشيوخ وزأرة[1] رئيس الحكومة ، فعلمت والأسى يحز فى الصدر أن بعض الذين جعلناهم أمراء ونبلاء لا يزالون على عقلية ذلك التركى الفقير الذى كان يقرع الأبواب مستجديا فإذا أجابه المجيب الفزع قال له فى عنف وصلف وأنفة : « هات صدقة لسيدك محمد أغا » . ولا أدرى ما الذى سوغ لهم أن يعتقدوا أن الله خلقهم من المسك للمِلك ، وخلقنا من الطين للطين ؛ وجعلهم للثروة والسيادة ، وجعلنا للخدمة والعبادة ؟ إن كانوا مسلمين فالإسلام قد محا الفروق بين الطبقات إلا البر والتقوى ؛ فالعرب والعجم سواء ، وقريش وباهلة أكفاء . وإن كانوا وطنيين فالوطن لا يعرف التفاضل بين أبنائه إلا بأثرهم فى تقويته وترقيته وخدمته ؛ فالفلاحون على درجته العليا لأنهم عماد ثروته وعدة دفاعه وقوة سلطانه ؛ والأمراء على درجته السفلى لأنهم فيه معنى السرف الذى يفقر ، والترف الذى يوهن ، والبطالة التى تميت ! وبين هاتين الدرجتين تتفاوت مواقف الوزراء والزعماء والكبراء على حسب ما للكل منهم عليه من فضل

***

لا يا سيدى النبيل ! ليس نظام الطبقات هو القائم فى مصر وأوربا كما تقول؛ فإن جَعْلك نفسك ونُظراءك طبقة متميزة لها حدودها الأربعة وجهاتها الست لا يجعل نظام الطبقات حقيقة واقعة. إن مصر كلها من أعلى شلالها إلى أسفل دالها طبقة واحدة فيها الغنى والفقير والمالك والأجير والصحيح والمريض والعالم والجاهل ، فهل تجعل كل حال من هذه الحالات طبقة ؟ وهل تستطيع أن تعين لى الفرق بين طبقتك المرفوعة وطبقتنا الموضوعة إذا كان الدستور الذى تخضع له الطبقتان يستطيع أن يجعل ابن الخادم الذى ينظف لك الحذاء جليسك ورئيسك ؟ لقد كان امتياز طبقتك على طبقتنا أنك تمسك (الكرباج) ونحن نمسك الفأس ، وتأكل الذهب ونحن نأكل التراب ، وتعبد الشيطان ونحن نعبد الله، وتتكلم التركية ونحن نتكلم العربية . فلما قيض الله لمصر العظيمة فؤادًا العظيم فتزوج منا وحكم بنا وسمى لنا ونشأ على خلائقه المصرية المحض شبله الموموق فاروق ، شعرنا بأن العرش يستقر على كواهلنا ، والعلم يخفق على معاقلنا ، والسلام يتردد فى شعورنا ، والحكومة تقوم بأمرنا ، والنيل يجرى بخيرنا ؛ ورأينا كم حين أخذكم - رضوان الله عليه - بأدب الإسلام والشرق لذتم بأطراف الغربة ، وقبعتم فى زوايا العزلة ، وكنتم من مصر وثروتها مكان البالوعة تطفح بعرق الفلاح ودمه لتصب فى مناقع البلدان الغريبة !

***

لا يا سيدى النبيل ! ليس المصريون فى الجنسية والوطنية بمنزلة سواء ؛ فإن منهم من تمصر بالقانون لا بالأصالة ، وتوطن للمنفعة لا للعاطفة . وكيف يستوى فى ميزان الوطنية من يقف على مصر يده وقلبه وكسبه ودمه ، ومن لا يعرفها إلا معرفة الغرماء ، ولا يعيش فيها إلا شهور الشتاء ، ولا يعنيه من أمورها إلا أجرة العامل وسعر القطن ؟

كذلك ليس من خالص الحق قولك : « إن حق الشخص فى الانتساب إلى أمة إنما يناله بما يؤديه إلى وطنه من الخدمات سواء أكان ذلك بنفسه أو بأفراد أسرته من آبائه وأعمامه وأبناء أعمامه وأجداده وأجداد أجداده » فإن أموال أبيك لك ، ولكن أمجاده له. والوطنى الصميم هو الذى يرفع ما بنى أبوه، ويتمم ما بدأ جده . ولا ينفع المرء عند الوطن أن أباه وطنى وهو خائن ، ولا عند الله أن أباه مسلم وهو ملحد !

***

أيها الأمراء والنبلاء ! إن لكم فى سيدكم الفاروق أسوة حسنة . تخذوا إخذه الجيل فى سيرته ومصريته وشعبيته ودينه ؛ فإن ذلك يكفل لكم رضا الشعب فى الدنيا ورضا الله فى الآخرة !

احمد حسن الزيات

(١) قال الرئيس النبيل بالحق محمد محمود باشا وقد علم أن « نادى الفروسية » يتعاظم على سراة المصريين ويتصاون من عضويتهم فيه لأنهم (فلاحون) : « إن حكومة جلالة الملك لا يمكن أن تسمح بإعادة نظام الطبقات . نحن هنا في بلد ديمقراطى ، وكل المصريين سواء ، وجلالة الملك يضرب كل يوم أعظم الأمثال فى ديمقراطيته ومصريته . أنا فلاح وابن فلاح ، وأفخر بأن أكون كذلك . والفلاح هو عماد هذه البلاد وفخرها . وإذا كان بين أعضاء « نادى الفروسية » من لا يعجبه هذا الكلام فليرحل عن بلاد الفلاحين ! »

ولا ترابه !

للأستاذ عباس محمود العقاد

قلت فيما كتبت منذ أسبوعين عن رسالة الأديب أنني أستعيذ بالله من اليوم الذى تتوقف فيه أقدار الأدباء على مقاييس الدولة ، لأن سيطرة الدولة على أقدار الأدباء معناها إخضاع الفكر الإنسانى للعرف الشائع مضافاً إليه إجحاف الهوى والمحاباة ، وليس من وراء هذا الإخضاع خير للفكر ولا للأديب

إن تقويم أعمال الموظفين من أخص أعمال الدولة ، لأن الوظائف تجرى على قياس معلوم فى نطاق محدود ، وليس فيها مجال للتعمق ولا للاغراق ولا لاختلاف المذاهب والشروح

ومع هذا تبحث عن الإنصاف فى محاسبة الموظفين فترى عشرين مثلاً للاجحاف والإهمال والنسيان وسوء التقدير إلى جانب مثل واحد من أمثلة الجزاء الحق والقسطاس المستقيم

فكيف تكون الحال فى تقويم الأدب والأدباء ؟ وكيف تكون الحال فى الجديد من المقاييس الأدبية ، ولا خير فى المقاييس الأدبية إن لم يحسب فيها حساب التجديد والإبداع ؟ وكيف تكون الحال فى الرأى المستقل والخلق المستقل والعمل المستقل ، ولا خير فى الأدباء إن لم يكن لهم استقلال فى الآراء والأخلاق والأعمال ؟

أحسب أننى تحدثت بالبداهة يوم استعذت بالله من تسليط الدولة على مقاييس التفكير وأقدار المفكرين

ولكننا فى البلد الذى « من فاته الميرى فيه وجب عليه أن يتمرغ بترابه ... »، فلا عجب أن يثقل ذلك القال على كثير من أصحاب الأطماع والآمال ، وأن يأبى بعض الذين كتبوا فى الصحف وبعض الذين كتبوا إلىّ إلا أن يكونوا كتاباً « أميريين » ... فإن لم يكونوا أميريين فلا أقل من التراب وما شابه التراب

ويكتب إلىّ من يقول إن مقاييس الدولة فى مصر لن تدوم على ما أصابها من قبل أو يصيبها الآن من العيوب ، فهى فى الغد كفيلة بحسن التقويم ، ومتى حسن التقويم فلماذا هذا الحذر من الجور القديم ؟

وتشاء المصادفة أن أقرأ هذا وأقرأ معه فصلاً مسهباً عن « الأربعين الخالدين » فى فرنسا منقولاً فى المجلة الإنجليزية « العصر الحي » Living Age عن الكاتب الفرنسى هنرى بلامى Henry Bellamy يتناول فيه مجمع فرنسا المشهور وأساليب اختيار الأربعين الخالدين من أعضائه ، فإذا هى حال لا نتمنى تكرارها فى بلادنا على فرط الحاجة فيها إلى التشجيع والإغضاء عن بعض العيوب .

وحسبك من تلخيص هذه الحالة أن تعرف أسماء الذين استثناهم المجمع من زمرة الأدباء النابهين وبينهم أمثال : موليير ، وروسو ، وديدرو ، وميرابو ، وأندريه شنييه ، وستندال ، وفلوبير ، وجوتييه ، وبودلير ، وميشليه ، وفرلين ، وملارميه

وفى وسعنا أن نضيف إليهم ديكارت ، ومالبرانش ، وباسكال وبومارشيه ، وهلباخ ، وزولا ، وموباسان وغيرهم من أدباء هذه الطبقة الذين عرفهم العالم بأسره ولم يعرفهم المجمع الأدبى فى بلادهم !

حسبك من تلخيص تلك الحالة أن تعرف أسماء هؤلاء وأشباه هؤلاء ، بعد أن مضت ثلاثة قرون على نشأة ذلك المجمع فى عهد الكاردينال ريشيليه ، فماذا أغنى وجود المجمع واعتراف الدولة به فى إنصاف ذوى العقول والقرائح والأقلام ؟

نعم إن أصحابنا الخالدين قد اعترفوا بأقدار فولتير ، ولامرتين ورينان ، وأناتول فرانس ، وأناس من طرازهم تفتخر بهم الآداب الفرنسية والآداب العالمية . . .

ولكن متى اعترفوا بأقدار أولئك الأقطاب الأفذاذ ؟ إنهم لم يعترفوا بهم إلا بعد أن اعترف بهم « رجل الشارع » كما يقولون ، وشاع ذكرهم فى الأقطار الغربية والشرقية ، فلم يكن للخالدين فضل على غير الخالدين فى تقويم القيم وتصحيح الموازين

فإذا كانت مجامع الدولة على منوال الأكاديميه فرانسيز تجهل من جهلت وتنسى من نسيت وتنكر من أنكرت ، ثم تنظر إلى من شهدت لهم بالفضل فإذا هم مشهود لهم بفضلهم قبل أن يصلوا إلى عتباتها ، فما أغنى بنى الإنسان وأغنى أصحاب القرائح والأذهان

عن ذلك المقياس وذلك الميزان ! وما أولانا أن نرجع إلى «الأصل» وأن نكتفي به دون ما عداه، إذا كان الأصل هو رأى القراء والتبع اللاحق به هو رأى الخالدين من أولئك الأعضاء الأجلاء !

***

قد يقال إن الكتاب والشعراء يستفيدون الجوائز التى توزعها الدولة على أصحاب الآثار الجديدة والطرائف البارعة فى كل عام

فإن قيل هذا فلنعلم أن الأعضاء الخالدين لا يقرأون الجديد .

وقد قيل إن الأديب المشهور ألفريد دى ڤيني زار « الخالد » روبيه كولار ليطلب منه التزكية والشهادة فسمع منه رأياً لم يعجبه، فسأله : كيف تحكم على كاتب لم تقرأ سطراً واحداً من كتبه ! فأجابه الخالد وهو راض عن جوابه : يا صاحبي ! إننى لم أقرأ شيئاً قط منذ ثلاثين سنة . وحسب من كان فى عمرى أن يعود إلى مراجعة الأقدمين حيناً بعد حين »

قال دى ڤيني: «إذن كيف تبدى رأيك فى المجمع يا سيدى؟»

قال الخالد متعجباً : « كيف أبدى رأيي ؟ هذا من شأني . إننى أذهب إلى هناك ولا يعنيني أن أخبرك عن طريقتى فى إبداء رأيي ، ولكننى أبديه ... »

وقال كاتب المقال الذى أشرنا إليه والعهدة عليه : إن الشاعرة لويس كوليه التي عاشت فى عهد الامبراطورية الثالثة وأنعمت بالسعادة على كثير من الكتاب والشعراء تذكرت يوماً أنها لم تحضر قصيدتها لجائزة المجمع ولم تشأ أن تضيع عليها تلك الجائزة، فما هو إلا أن دخل إليها فلوبير وبويليه زائرين حتى أفضت إليهما بهمها، فما زاد الخبيثان على أن فتحا دواوين لامرتين ونقلا منها مئات السطور من هنا وهناك ووصلا بينها على ما يقتضيه حسن الحبك والصياغة ، وأرسلا القصيدة إلى المحكمين فظفرت بالجزاء والثناء وتهنئة الأعضاء !

ثم تحسب مقادير هذه الجوائز التى توزع بهذا المعيار وتحسب الأموال التى تودع المصارف لاستغلالها باسم المجمع الموقر ، فإذا هى جدول صغير من ذلك الخضم الغزير على عهدة ذلك الكاتب الأديب ، والعهدة كلها فيما نرويه هنا عليه !

أما أعمال المجمع التى تصدى لها منذ إنشائه فمعجم لا يعد من خيرة المعاجم يسهل الاستغناء عنه ويبدو نقصه كلما فرغ من طبعه فيماد تنقيحه وتأليفه ، وإلى جانبه كتاب أجرومية مزيته الأولى أنه مشحون بالأخطاء النحوية والصرفية ، بدأوا به فى القرن السابع عشر ولم يفرغوا منه إلا منذ بضع سنوات (١٩٣٢)

وقد عهد إلى المجمع يوم إنشائه فى إصدار « قاموس تاريخى » فصدر الجزء الأول منه سنة ١٨٦٥ منتهياً بكلمة Actualité ، وصدر الجزء الثانى بعد ثلاثين سنة ، وسيتمه المجمع على هذا القياس حوالى سنة ٤٨٥٥ بعد الميلاد

ولعل القارئ يذكر ما يجرى فى الشركات والجماعات الخيرية والحكومية التى ينتدب لها « كاتب سر » أو « وكيل عام » . فإن الشأن الغالب عليها أن يستبد بها كاتب السر أو الوكيل العام بعد حين فلا يقع فى ملكه إلا ما يشاء

فهذه العادة الغالبة هى بعينها التى تغلب على الأربعين الخالدين فلا يبرمون ولا ينقضون إلا بمشيئة من كاتبهم المختار ... حتى قال سان بيف : إن هذا الكاتب « يحكم ويملى » فى وقت واحد خلافاً للملوك الدستوريين !

***

كل هذه المهازل يعلمها الأعضاء الخالدون ويعلمون أنها شائعة على ألسنة الكثيرين ، ولكنهم يجيبون هازلين بلسان فونتينل : « نحن سخرية الساخرين حين نكون أربعين ، ولكننا معبودون مقدسون كلما أصبحنا تسعة وثلاثين !.. »

يريد الشاعر أن المرشحين يتملقونهم ويثنون عليهم كلما مات واحد منهم ، فأصبحوا تسعة وثلاثين وراح الطامعون يتزاحمون على الكرسى الفارغ ، ولكنهم بعد هذا سخرية الساخرين كلما بلغوا تمام العدد المقدور ، ولا ندرى لماذا يقف الخلود والخالدون عند الرقم أربعين !!

***

فالمجامع « الرسمية » جميعها على هذا النمط أو على نمط قريب منه بعد حذف المبالغة الفكاهية التى لا تقوى على تبديل الحقائق التاريخية !

ونحوى هذا أنها إذا أريدت لعرفان الأقدار فى إبان نبوغها فهى لا تجدى ولا تنصف ولا تزال متخلفة وراء الصفوف بعد أن يفرغ القارئون من الإعجاب ويفرغ المعجبون من التنويه

وإذا أريدت لإغاثة المفتقرين إلى المدد والمعونة فهي لا تغيث المستحق ولا تتورع عن استغلال الأموال وتثميرها كما يثمرها التجار وأصحاب الأقساط والسهوم

وإذا أريدت لإنجاز عمل من أعمال اللغة والأدب فهي لا تنجزه على الوجه المطلوب ولا في الوقت المعقول

ويبقى بعد ذلك أنها تضير ولا تنفع بما توليه الصغار من أقدار الكبار ، وما تجنيه على أقدار الكبار من الغضاضة والإنكار

* * *

يفتح الله يا عشاق « الميري » وترابه . . . فلا الميري أفضل من المجمع الفرنسي ولا من جمهرة القراء في إنصاف الأدباء ، ولا ترابه أفضل من التراب ، عند أولي الألباب !

عباس محمود العقاد

تعليق وتذييل حول

مناوأة الخدر والنعاس

في الأدب المصري

للأستاذ زكي طليمات

أثار صديقاي الأستاذ الكبير توفيق الحكيم والدكتور بشر فارس مسألة الكساد الذي يعانيه النتاج الأدبي في مصر . وهذه هي مسألة الساعة على ما أعتقد ، وهي شغل الخاطر منذ أن راعنا كساد سوق الأدب والأديب في هذه السنوات الأخيرة ، وهي سنوات مليئة بالأحداث تغيرت معها بعض أوضاع المجتمع المصري في السياسة وفي نظام الحكم ، وهي سنوات تتصف بالنشاط والحركة ، وبمحاولة التخلص من جمود ران على الذهنية المصرية القومية منذ أمد بعيد ؛ وكان من أبين مظاهر هذا الجمود ركود الأدب وانكماش ملكات الابتكار والتوليد فيه بما يتفق وروح العصر ...

والذي أراه في هذا الصدد ويعن لي أن أبديه في هذا المقام هو أن من الحرج أن نرد أسباب هذا الكساد الذي يشمل عالم الأدب في مصر إلى الأديب وحده ، وأن نتهم الكاتب المنشئ وحده بالخدر والنعاس ، لأن الواقع المشهود يخالف هذا . وآية ذلك أن المطابع تطلع علينا كل يوم بالمؤلفات أو التراجم في صنوف الأدب والفن ، ولا أعلم أن النتاج الأدبي في مصر بلغ من الكثرة مثل ما بلغه اليوم

فإذا كان هذا النتاج لا يقابل من الجمهور بالحماس الواجب ، فلأن الفتور مفروض على كل شيء يجري في مصر ، ولأن عدم الاكتراث صفة – ويا للأسف – من صفات الأكثرية الغالبة من الجمهور المصري ولا سيما فيما له علاقة بالأدب والفن . ومرد ذلك – على ما أعتقد – إلى الطبع المصري الذي لم يستكمل بعد عناصر يقظته ، ولم يستخلص له ذوقاً أدبياً صريح الطابع متماسك الأطراف متقارب النزعات يشمله التناسق والتوازن

ومن ثم كان اضطراب المزاج في استيعاب الأدب وصنوفه ، فإذا هو مزاج يعج بالبدوات ويخرج على شرعة الانسجام بميوله المتباينة ونزعاته الملتوية . وجمهور القراء في مصر خاضع لهذا الاضطراب ، فمنهم من يعيش بميول القرون الوسطى أو بما قبلها ، ومنهم من يفزع من قراءة كل جديد في الفكر والرأي ، ومنهم من هو ثائر على كل قديم ، ومنهم من لا يرتاح إلى القديم أو الجديد ولا يعرف ما يريد ! ! هذا والسواد الأعظم من هذا الجمهور في صنوفه المتباينة التي ذكرت ، على ثقافة مرتجلة أو هزيلة لافتقارها إلى الغذاء السليم . هذا ولا أتحدث عن الأمية التي ما برحت متفشية بيننا ، ولا عن التعليم البسيط الذي لا يتجاوز مدى الكتابة والقراءة ، وهو حظ الأكثرية الغالبة من جمهور القراء ، أو المتأدبين ، إذا صح أن نطلق عليهم هذا الاسم باعتبار أنهم قراء أوفياء للمجلات الهزلية وروايات الجيب وما شاكلها

بعد هـذا يصح أن نقول إن الأدب في مصر لم يصبح بعد لدى أكثرية الجمهور غذاء لابد منه وحاجة لا غنى عنها ، وإنما هو لدى البعض زخرف وزينة ، ولدى البعض الآخر ضرب من ضروب التسلية التي لا يستطاب الإقبال عليها في كل وقت

وما دام الأمر كذلك فقد قدر علينا أن نرى محنة الأدب قائمة بيننا تغير وجوهاً ولا تتغير ، تخف وطأتها بمقدار نصيبنا من انتشار التعليم ورفعة المستوى الثقافي العام . وملاك الأمر في هذا راجع

إلى جهودنا وإلى شرعة التطور والارتقاء ، التي هي كلمة الزمان وإرادته .

وإذا كان الصديقان الكبيران توفيق وبشر لا يريان ما أذهب إليه أو يريانه بعين الواعية الباطنة ثم هما لا يجرؤان على الإفاضة فيه والتنبيه إليه التنبيه الواجب ، بل يعرضان له لمحاً ويعبران به عبراً ، فذلك لأن الصديقين أديبان أصيلان مشبوبان ، أخذت هوية الأدب بشغاف قلبيهما ، فهما يحذران لمس العلة الكبرى التي يشكو الأدب منها في مصر أكثر من أي شيء آخر ، وإذا هما لمساها بإيحاء خاطر يطلع عليهما من وراء الوعي ، فإنهما لا يطيقان التمعن فيها ، وسرعان ما يفزعان إلى أشياء أخرى يتعللان بها ويموهان بها على نفسيهما

كذلك كان شأني إذ كنت أعمل في المسرح المصري راكباً رأسي شاحذاً عزمي ، لا هم لي إلا أن أفرض فن التمثيل على الجمهور ، فقد كنت أعتقد أن أسباب كساد فن التمثيل ترجع إلى افتقار المسرح المصري إلى الممثل القادر والمخرج الحاذق والمؤلف النابه

كنت أعتقد هذا وأرفع صوتي به وأعمل على تلافي هذه الأسباب . ولكن كان يقع لي أحياناً أن يهجس بي هاجس خفيت الصوت نافذه يهمس في أعماق نفسي أن العلة الأولى والأخيرة في كساد المسرح إنما هو الجمهور ...

ماذا كنت أعمل ؟

كنت أغالط نفسي ، وهذه المغالطة — على ما أظن — مظهر من مظاهر كبرياء الفنان ومن حبه الكبير لنفسه ولفنه !

هذا عن جمهور المسرح ، وموقفه من فن التمثيل كموقف جمهور القراء من الأدب . وجمهور القراء واحد من ثلاثة عناصر رئيسية يقوم عليها عالم الأدب في كل زمان ومكان .

***

أما الكاتب المنشىء فوقفه من محنة الأدب في جمهور قرائه أنه لا يجيد العمل على تخفيف هذه المحنة بما يمتلكه من الوسائل .

إذا أحس الكاتب في مصر بأنه يجيد الكتابة في أسلوب طلي وبيان رائع ، وإن النفس يطول به إلى تسويد الصفحات التوالية

من ذكرياتي الفنية

في حياتي الفنية جانب مجهول أردت ألا أعترف به ورأيت أن أقصيه وأن أسدل عليه الستار ، لأنه في نظري اليوم لا يتصل بأدبي ولا يجوز أن يدخل في عداد عملي . ذلك هو عهد اشتغالي بكتابة القصص التمثيلي لفرقة « عكاشة » حوالي عام ١٩٢٣ . غير أن المصادفة شاءت أخيراً أن ألتقي بمن يذكرني بهذا العهد ، ويعرض عليّ طرفاً مما كنا نعمل في ذلك الحين . ذلك روائي اشترك معي في قطعة موسيقية قام بتلحينها المرحوم كامل الخلعي . ثم انقطع عن الفن منذ ذلك الوقت وشغلته شئون الحياة . ثم اختلينا فجعل ينشد لي بعض أغاني رواياتنا القديمة وأنا في ذهول ! شد ما تغيرت أنا وتغيرت نظرتي للفن مرات ومرات خلال تلك السنوات ! ولكنه هو باق كما كان على احترام تلك القواعد والمثل التي كانت هدفنا ومرمى أبصارنا في الكتابة المسرحية . إنه فيما خيل إليّ لم يقرأ شيئاً مما أكتب وأنشر اليوم . فهو لا يعترف بعملي الآن . وهو إذ يحادثني في شئون الفن لا يبدي اهتماماً ولا إعجاباً إلا بما كنت أصنع قبل خمسة عشر عاماً . أما اليوم فأنا في نظره غير موجود . إنه يذكرني بأشخاص رواياتنا الغابرة كمن يذكر بأناس من أهل الحسب والنسب والكرم والشهامة لن يجود بمثلهم الزمان . فهو يترحم عليهم ويقول: «مضى كل شيء! ولن نرى مثيلهم أبداً على خشبة مسرح من مسارح اليوم ! » . هذا صحيح . وجعلت أتأمل قوله لحظة فخامرني شك في أمري اليوم وقلت في نفسي : « ألا يكون هو على حق؟ وأكون أنا قد ضللت وانحرفت عن طريق الفن الحق ! إن فن المسرح فن مرجعه السليقة السليمة لا الثقافة الواسعة . إنه شيء والأدب شيء آخر . أتراني محتاجاً إلى خمسة عشر عاماً أخرى لأكر عائداً إلى ذلك النبع الذي بدأت منه ونأيت عنه ؟ » .

توفيق الحكيم

فقد نصب نفسه أديباً لا يشق له غبار ، وينسى الأديب البطل المغوار — أو هو يتناسى — أن العبرة فى الإنتاج الصالح . ليست بالكمية ، وإنما بالجودة . وجودة الأدب أن يكون نباضاً بالحياة مما يشغل أذهان الناس ، ويدخل على قلوبهم ويحرك رواكدهم ، وينفخ فيهم نفساً من الحياة الدافقة التى ينطوى عليها .

وإذا صح هذا فإنه يصح أيضاً — وهو الأمر الذى ترق إليه الظنون — أن ننفى عن الأديب المصرى تهمة النعاس والكسل ، لأنه يعمل ويعمل كثيراً بدليل ما يطالعنا به كل يوم من المؤلفات والتراجم فى مختلف نواحى الأدب، وهذا جل ما أفدناه من أخذنا بأسباب تطورنا الأخير .

إلا إن هذا العمل الكبير يعوزه التوجيه الصائب والاستشعار الكامل بمهمة الأدب ، ولهذا فإنه ينصب فى غير غاية مقصودة اللهم إلا غاية الكتابة والتحبير فحسب.

وتوجيه الأدب أمر لا يتم بمجرد الطلب والتمنى . واستشعار مهمة الأديب قد لا تحول كاتباً عن طريق اختطه لنفسه ولا تخرجه عن أسلوبه المختار مالم تعاونها ظروف خاصة أبينها نصيب المجتمع الذى يعيش فيه الأديب من يقظة الروح المعنوى ، وتفتح الذهنية العامة على الآفاق النائية ، وقدرة البصيرة على تمييز الأشياء المختلطة ثم اختيار ما تريده منها ؛ ثم قسط هذا المجتمع من صدق العاطفة ومن الصراحة ومن الإخلاص .

ولا أريد أن أحدد نصيب مجتمعنا وقسطه مما ذهبت إليه الآن. وحسبى أن أقول إن ما نراه من انحراف أدباء مصر — ما عدا القليل منهم — عن معالجة الأمور الهامة التى يخفق بها قلب مجتمعهم إنما مرجعه إلى أن أكثرية هؤلاء الأدباء ليسوا على حس مرهف تنطبع عليه كل التيارات التى تنبعث من واعية المجتمع ومن وراء واعيته ، وإن هذه الأكثرية تعيش بعين الماضى لا بعين الحاضر ، أو أنها لا تحيا إلا فى أجواء الكتب التى نطالعها ، أو أنها تعبث لاهية مزهوة بالآراء الواردة علينا من أوربا مع واردات الأزياء ، وأخبار نجوم السينما .

والأديب إذا لم يكن على هذا الحس المرهف لم يستطع أن يلتقط الهمسات التائهة التى ترتفع من وراء واعية مجتمعة ، هذه الهمسات التى هى رغبات مكبوتة ، وآمال مقنعة منشودة لا تقوى الجماهير على المصارحة بها ، وتترك أمر الإبانة عنها وترديدها فى جلجلة الرعد القاصف إلى قلم الأديب .

أوجب واجبات الأديب نحو نفسه ونحو قومه ونحو فنه أن يستخرج هذه الهمسات من الضوضاء التى تحيطها ، وأن يستلها من معاقلها ليحولها إلى صيحات صريحة تدوى فى الفضاء.

فإذا لم يفعل ذلك فقد قضى على نتاجه بالعزلة عن الناس ، وقطع ما بينه وبين الينبوع الذى منه يخرج ما يثير اهتمام الناس ويهز الركود الذى يرين على الأدب . إذا لم يفعل ذلك قضى على نفسه أن يعيش على هامش الحياة ، فى حين أن الجمهور يعيش فى صميم الحياة ، كما يقضى على أدبه ألا يتجاوز أمر المرآة التى لا ينطبع عليها من آثار الأرض سوى أعالى الشجر ورءوس التلال

* * *

هذا هو حال الأدباء فى مصر وهذا هو موقفهم من محنة الأدب ، وإن كان من بينهم من سبقوا عصرهم وأدوا شيئاً من رسالة الأدب الحقة

أما حال الناقد ، وهو العنصر الثالث الذى يقوم عليه الأدب، فلا أجد ما أصفه به أبلغ مما جاء فى مقال الدكتور بشر فارس : « فإنه فى غالب الأمر وأكثر الحال ينوه بصديق، أو يقع فى عدو، أو يهمل كتاباً جهلاً بفنه أو إنكاراً لنفاسته أو اتقاء لصاحبه أو تسامياً ، أما التسامى فيدل على ذهاب بعضهم بأنفسهم على كل أحد وذلك من باب الغرور ، وقصة الغرور معروفة ... »

وإذا كان هذا هو شأن الناقد أيضاً ، والناقد الحق هو بوق الكاتب المنشئ ، ومذيع أعماله ، ومقيم الميزان الذى لا يحيف ولا يخطئ لنتاج الأقلام ، بل هو الحركة الدائبة التى تدفع البطء وتهز الركود؛ فليس عجيباً بعد ذلك أن يرين الخدر والنعاس على الأدب فى مصر

فهل حان الوقت الذى نراجع فيه أعمالنا ، ونشرع الحساب على ضمائرنا لنتطهر ونفيق ونستقبل ضوء صباح جديد بعد نوم ثقيل طال ؟

زكى طليمات

صلوات فكر
فى محاريب الطبيعة
للأستاذ عبد المنعم خلاف

٦ — الأعشاش

الأشجار تتوجها الأعشاش المعمورة بالحب والرحمة والحنين ... عليها أجنحة كاسرة ، وفيها جوانح مشبوبة ، ويطعم الحبُّ فيها منقاراً بمنقار

فيها دنيا من عالم القلوب ... قلوب الطير ذوات الأطواق والسراويل والريش الملون والعيون الصافية التى استمدت صفاءها من إدامة النظر للسماء

أعشاش مبنية من الأعواد وأوراق الشجر ... تعبت فى بنائها الأمهات والآباء لأداء الأمانة التى فى صدورها للحياة ... بناها هؤلاء بالمناقير التى يزق بعضها بعضاً بها حين الحب ...

فى كل عش فرخان يعين أحدهما الآخر على العزلة والنظر إلى الآفاق البعيدة ...

خرجا من بيضتين متجاورتين ، يحركان رأسيهما مغمضين أجردين من الريش معرضين لعوامل قاتلة من البرد والحر وأفواه الشر

من البيضتين انبثق حب دائم ربط بين قلبين صغيرين منسوجين من الهواء والضوء والصفو . . . هو حب أخوة وحب اجتماع فى ظروف واحدة، وحب خوف من عالم النور والظلام، وحب زوجية. حديثهما حول هذا الطائر الكبير الذى ينهض من الشرق فى الصباح ويملأ الدنيا وقلبيهما بالحرارة والدفء وعيونهما بالنور الذى يكشف لهما عن الأغصان والأفنان ...

ألم تروا مرة أم فراخ بين أفراخها فى عشها ؟ ألا ترون الصبر والجد والصرامة واللهفة واليقظة لكل نأمة حول العش ؟

تصيح الصغار صياحاً ساذجاً بحناجر جديدة الانشقاق رطبة الأوتار . وحين تصيح الكبار تجد الجد والوقار والشعور بالمسئولية وعبء التربية . لو اقترب الأسد من عش الطير لاعتراه خوف وخشية ... فإن القبَّرة تهاجمه هجوم الثائب عن وعيه الحفيظ على أمانة الحياة فى صدره ... لا تبالى الموت ولا تحفل أدواته

إن غضب الطير للمأوى شىء مقدس جليل رائع . إنه ينفش ريشها ويجعلها تنفث أنفاساً من نار، ويدفع بمنقارها فى صدر المهاجم. ليت بعض الخونة لأوطانهم ومأواهم يفهمون تلك الأسرار المقدسة فى صدور العباد فيعملوا لها ولو بجهد الطيور الضعيفة

٧ — زهرة نحلة

كنت جالساً على الأعشاب أكتب وأمامى محبرة ، فجاءت نحلة تبحث عن رحيق الأزهار فحطت على فم المحبرة ووقفت لحظة تنظر إلى تلك اللجة السوداء المسحورة، ثم فرت وتركتنى فى دوار

أتراها أدركت عمق هذه اللجة حين وقفت على شاطئها ؟ أتراها أدركت بعينها الصغيرة ما ندركه نحن حين نقف على هذه البئر المسحورة ؟

أتراها أدركت أن هذا الإناء دن كبير طالما سقط الناس صرعى سكرهم بخمره الأسود ؟

لقد سكرنا به عن كل شىء ... ومضينا فى دنيانا نرى الحياة من خلال كلماته كما يرى السكير الدنيا من خلال حبب الكئوس

سُكْرٌ وسُكْرٌ يصرعان ألباب ذوى الألباب ، والمدمنون على الخمر يتهمون المدمنين على الحبر بالغفلة والعمى عن اللذة ... وكذلك المدمنون على السكر بالحبر يبادلونهم نفس النعوت والألقاب ، « وكل حزب بما لديهم فرحون »

لا بد للأفكار أن تنتسل فى هذا الإناء يا نحلة ، قبل أن تخرج إلى الوجود ... إن ماءه يجسد المعانى ويطلسم أفكار البشر

المخ والمداد .. هذا البياض وهذا السواد يتلاحقان فيلدان أشرق وأبقى ما فى الدنيا : عالم الفكر !

نعم إن فى لجج بعض المحابر ماء زائفاً وضلالات وتعقيدات وغروراً وتجديفاً وشموماً ، ولكن على الأقلام الحساسة أن تتيقظ وأن تَرِدَ الصفو وتتجنب الأخلاط كما تيقظت النحلة فلم تذق ما لم تخلق له ...

طيرى أيتها النحلة فى رحاب الدنيا غائبة عن عينى وانشدى « ن ، والقلم وما يسطرون ... » وما عليك أن تَنفَنى ، فقد صرت كلمة خالدة على قلمى ...

٨ — منطق كلب

كنت جالساً بين الأزهار الطاهرة الجميلة أتطهر وأتأمل ، فمر كلب وجاء إلى شجيرة ورد فيها ورفع رجله وبال عليها ...

خيل إلى أن الشيطان تقمصه ، وأراد أن يسخرمنى ويرينى كيف يحتقر هو وجنوده ما أقدسه وأستغرق فيه ...

وأقول الحق ! إنه زلزلنى ونال منى ، فوضعت القلم ونهضت إلى الحياة خاضعاً لمنطق الشيطان على الأقل فى تلك الساعة ...

لم يَرُق الكلبَ لون زهرة ولا عطرها ولا حريرها كما تروقه وتعجبه القاذورات ...

ومما تعجبت له أنه رفع رجله خوف البلل ؛ ثم مد فاه إلى القاذورات ... تناقض عجيب ! وكذلك نرى بعض الناس ينجسون أقدس ما فيهم وأحقه بالطهارة ، ويطهرون مالو تنجس لم يضرهم شيئاً ...

إنهم كلاب فى أفواههم وأحشائهم ... ولكنهم يتطهرون فى أذنابهم وأرجلهم . . . لن يرفعهم شيئاً أن أقدامهم طاهرة ، ما دامت رؤوسهم نجسة دنسة ...

٩ — غضب البلابل

رأيت بلبلين فى عراك على أنثى ... وكانا فى غضبهما عنيفين يخرجان صوتاً أجشَّ خشناً ، ولا تبدو عليهما تلك الشاعرية التى تكون وقت الإنشاد والتغريد ... ويل للفنان من غضبه !

ويظهر لى أن أحدهما مسكين فريد يريد أن يأخذ أنثى الآخر ، فهو يلحقها ويغريها باللحاق به . لقد جاء الغروب ، ولم يسمع صوتاً يناديه إلى العش ويعبث بمنقاره فى طوقه ... هو يريد أن يسكب فى أذنيها تغريده الضائع ، ويسمعها غزل قلبه حين يرى فتنة الأزهار والأنثى واقفة تشهد الصراع بدون اشتراك فيه . لماذا لا تهجم على الواغل فى حياتها الزوجية فتضع حداً للطمع والإغراء ؟ يظهر أنها مبلبلة الخاطر زائغة العين ...

الأنثى دائماً هى كبرى مشاكل الطبيعة عند كل فنان .

١٠ — غزل الضفادع

أسمع فى الليل زمراً من الضفادع فى الغدران والسواقى تبدى كل فنها وقدرتها فى إخراج أصواتها . سكون مطلق يصدعه ضجيج منكر . فى كل مكان فيه ماء حنجرة تصرخ فى زفير وشهيق منكرين . مقطع صوتى واحد يتردد دائماً فى الظلام . علمت صوتاً واحداً ففرحت به وجعلت تغنى به دائماً كما يغنى الإنسان صاحب البيان للمرأة والدينار ...

لذات خفية فى ضمائر الخلائق ! لماذا كل هذا الجهد يا بنات الماء ؟ أكل هذا غزل وقصائد حب فى مطارح عشق تحت الظلام ؟

نعم ، فهذه لغة أبناء الحياة من البعوضة للبعير ، ومن الثعبان للفيل هى لذة البلبل حين يمسح خديه بحمرة أوراق الورد لا يبالى أن يفقأ شوكه عينيه . . . وهى لذة الغراب حين يُنغض رأسه ويلوى عنقه ويخرج نعيقه فى شناعة وإزعاج . . . وهى لذة الحمار حين يثور همه وحبه فى صدره ، فيخرجه صوتاً عميقاً خليطاً من البكاء والضحك ... وهو عنده نشيد فيه فن وغزل وإغراء

وهكذا يملأ الغزل سمع الحياة من كل حى ، والجميع فى غفلة عن الغاية ، إلا الذين ندُّوا عن حبال الشبكة المحبوكة الأطراف ووقفوا يدورون على أنفسهم وعلى الحياة وأبنائها .

(بغداد — الرستمية) عبد المنعم خلاف

أعلام الأدب

أرستوفان والديمقراطية (*)

للأستاذ دريني خشبة

كان أرستوفان رجعياً إلى درجة السخف فى رجعيته ، لكنه كان على شيء غير قليل من الحق فى تلك الرجعية التى حارب بها سيد شعراء الدرام يوريبيدز ، وأبا الفلاسفة سقراط ، والتى جعلها حرباً غير راحمة على الديمقراطية

يذكرون أن أولى كوميدياته (رجال من جزلتون Daitalês) التى تقدم بها للمباراة فى الشعر الهزلى سنة ٤٢٧ ق . م كانت تدور كلها حول التعليم العالى والحط من قيمته ونسبة كل شر حاق بأثينا وأفسد أخلاق شبابها إليه ... والكوميديا وإن تكن مفقودة إلا أن النتف الباقية منها تعرفنا بموضوعها الذى يقوم بدور البطولة فيه، والد مسكين حائر بين ولديه ... فأحدهما شاب تقى محافظ مستمسك بعروة السلف الصالح وتقاليده الوثقى ، والآخر فتى متمرد فاسد يسخر بالماضى وسُننه العتيقة وآدابه البالية ، فما يزال يتهكم بأسلوب الحياة التى يحياها والده ، ويُسفِّه تقوى أخيه ، ويتبجح بالموبقات التى يأتيها هو فى غير تورع ولا استحياء ، لأنها فى زعمه من مقومات المدنية التى لا يفهمها إلا على أنها فسوق وخروج على المألوف

وفى سنة ٤٢٣ تقدم بملهاته الخالدة (السحاب) التي ندد فيها ما شاء له لسانه السليط بسقراط وفلسفة سقراط ، والتى يضع فيها رجلاً طاعناً فى السن أمام سوفسطائى ، فهو يسأله عن أبرع الطرق التى يأكل بها ديون الناس عليه (! !) ، ثم يصنع حواراً شائقاً بين العلة العادلة والعلة غير العادلة (! !) وينتهى بإحراق منزل سقراط ! وسنعود إلى ذلك فى فرصة أخرى لما (للسحاب) من مكانة فريدة بين كوميديات أرستوفان

وقد كان لرجعيته يعزو ما أصاب أثينا من تدهور وانحلال إلى أدب يوريبيدز ، وسنفرد لذلك فصلاً خاصاً نتناول فيه كوميدياته الثلاث الكوامل التى خصه بها ، وإن تكن لا تكاد إحدى كوميدياته تخلو من ذكر يوريبيدز والتنديد بيوريبيدز ، وإن يكن يوريبيدز مع ذاك أستاذه وملهمه

وبعد ، فماذا كان بين أرستوفان وبين الديمقراطية ؟ ولماذا كان يبغضها ذلك البغض الشديد الذى تجلى فى معظم كوميدياته ؟ لقد تناولنا فى الفصل السابق بعض الإجابة عن هذا وذاك ، ونحن نضع بين يدى القارئ فى هذا الفصل خلاصة لكوميدية أرستوفان المضحكة (الفرسان The Knights) التي تقدم بها للمباراة سنة ٤٢٤ ونال بها الجائزة الأولى من الهيئة الرسمية التى كانت تهيمن عليها حكومة كليون Cleon ، وقواد الجيش والشعب من أمثال نسياس وديموستين الخطيب المفوه العظيم

لم يبال أرستوفان أن يسخر بأبرز شخصيات الحكم فى أثينا فى ملهاته هذه ، فصورهم تصويراً كاريكاتورياً مضحكا ، مستعيناً فى ذلك بميولهم الخاصة ووقائع حياتهم اليومية . ولعله أول رجل فى التاريخ عمد إلى اختراع الشخصية الفكهة التى تمثل دولة بأكملها. فنحن نعرف أن شخصية جون بول تمثل فى العصر الحديث دولة بريطانيا العظمى ، كما تمثل شخصية العم سام الممالك المتحدة الأمريكية ، وكما تمثل شخصية (المصرى أفندى !) مصر الحديثة. وقد سبقنا أرستوفان إلى خلق هذه الشخصية المضحكة المحببة فابتكر لكوميديته شخصية (ديموس) ذلك الرجل الكهل الأنانى الطاغية فجعله رمزاً لأثينا الهرمة المضطربة ، وللأثينيين الديمقراطيين الذين ذهبت دولتهم وشاع الفساد فى أخلاقهم ، واضطرب حبل حكومتهم ، وذلك لما نشره فيهم السوفسطائيون وعلى رأسهم سقراط من فلسفة ، وما بثه فيهم يوريبيدز من جرأة واستهتار بالتقاليد ، وما أفسد به المرأة من تمثيل الغراميات المحرمة أمامها فى المسرح ، ولما صنع بهم الإفراط فى الديمقراطية بعد بركليس من استباحة الحرمات وضياع القيم وجرأة الأوشاب على السراة وأهل الرأى باسم الحرية وفقدان الحدود بين الطبقات

ثم سلط أرستوفان على ديموس هذا رجلاً مخاتلاً خداعاً هو زعيم الرعاع فى أثينا «الديماجوج كليون» الدباغ (!!) وبائع جلود الحيوانات القذر(!) فجعل إرادة ديموس تتلاشى فى إرادته، وجعله لا يبرم صغيرة ولا كبيرة إلا بإذنه ، ولا يحكم على أحد بخير أو شر إلا إذا حكم عليه كليون بالخير أو الشر ، فكان إلى جنبه

(*) تحمل هذه الكلمة معنى (النبلاء) وقد ترجمها ج . هوكام فريرها ومنه نلخصها

إمعة لا قيمة له ولا رجاء فيه ، يُوَجهه حيث يشاء ، ويسخّره لما يريد ... وسماه كليون « البافلاجونى » أى التّـفتاف[1] الذى يرسل الزبد فى وجوه محدثيه حينما يكلمهم ! ثم نعته بالعجرفة والصلف والقحة إذا كان أمام معارضيه ، وبالتذلل والضراعة ولبس مسوح الرهبان إذا كان تلقاء مولاه ؛ وجعل زملاءه العبيد يكرهونه وينفرون منه لأنه يستأثر بمولاه من دونهم ، فيفرض عليه ما يرى هو ، لا ما يرى جماعة العبيد

أما من هو كليون هذا فهو نفسه ذلك الرجل الهائل صاحب الأمر والنهى فى أثينا فى ذلك العصر ... الرجل الذى رفعه الرعاع ورفعته الديمقراطية المطلقة إلى ذروة الحكم ، وألقت إليه بزمام السلطة يصرفها كيفما يشاء ما دام فى حرز حريز من رضى الغوغاء ، وما دام متمتعاً بمحبتهم الجاهلة الخرقاء

كان كليون إذن عَبْدًا لمولاه ديموس بالدهاء والختل ، لكنه كان سيد أثينا ودكتاتورها المطلق عن طريق هذا « الطَّبْو ! » ديموس نفسه ، فماذا يصنع أرستوفان لخضد شوكته وتحقيره كما يحقّر هو أحلام أمة بأسرها ؟

لقد جعل له نِدَّيْن من العبيد الأرقاء على شاكلته ، هما نسياس وديموستين ... ونسياس وديموستين هما أعظم رجال الحربية الأثينية فى ذلك العصر . وقد أورد أرستوفان اسميهما صريحين كما أورد اسم كليون ، ثم جعلهما من عبيد ديموس (أوجون بول أثينا !) ، وجعلهما يحقدان أشد الحقد وأمره على كليون لأنه استبد بالسلطان من دونهما فراحا يتمنيان له الشر ويتلمسان له البلاء المبين .. وقد كان نسياس رجلاً فطرياً ساذجاً محافظاً على القديم ، يعتقد اعتقاداً جازماً بالخرافات . أما ديموستين فقد جعله أرستوفان رجلاً مرحاً فى برود وعدم مبالاة ، إذا اعتزم شيئاً لم يتردد فى تنفيذه ولو خرط من دونه القتاد ، وكان يقبل على الخمر ويشغف بها شغفاً شديداً ، فكانت تضاعف من جرأته وتزيد فى إقدامه

وقد غيظ نسياس وديموستين من كليون لأنهما أقدم منه فى خدمة مولاهما ديموس ، فقد اشتراه بعدهما بزمن طويل ، ومع ذلك فقد تقدم عليهما عنده بدهائه وطول حيلته ، ولذلك فكرا طويلاً فى عزله من منصبه فى خدمة مولاه ، فذهبا ليستوحيا كهنة باكيس ، فقيل لهما إن الذى يخلف كليون فى منصبه فى خدمة ديموس هو شخص من صميم الشعب الديمقراطى ! ! هو بائع الأكارع (والسجؤ !!) أجورا كريتوس ... « من أجورا حيث ألتمس الرزق لى ولعيالى ! » أى أن اسمه مشتق من أجورا الذى هو سوق الحوايا (الكرشة والأكارع والأمعاء والفشة وما إلى ذلك ... من أسواق أثينا ! !) ...

وقد تحققت نبوءة باكيس . وأقدم كريتوس (فى آخر الملهاة) حيث استطاع أن ينفذ إلى الصميم من قلب ديموس ، وأن يحل فيه محل كليون الذى لم يستطع أن يبارى (بائع السجؤ) فى ميدان المهاترة والوقاحة والبورجوازية ! وبذا تربع كريتوس فى كرسى الوزارة ــ كرسى النبل والشرف ! ــ مكان الغريم المنهزم .

وهكذا كان منطق أرستوفان فى تحليله للديمقراطية ... فمن يستطيع أن يجرد هذا المنطق العجيب من الحق ــ أو من بعض الحق ــ فيما يتعلق بمآل الديمقراطية إذا منحت بلا قيد ولا شرط لشعب أخذت عوامل الانحلال تدب فيه مثل الشعب الأثينى ؟ ومن يمنع بائع السجؤ من أن يصل إلى كرسى الوزارة ليتحكم فى أعناق السراة من النبلاء واساتذة الجامعة ومسرح الأكروبوليس فيتصرف فيهم كأنهم عبيد أبيه أو قطعان الماشية يسيمها حيث يشاء !

هذا وينبغى أن نرجع إلى الوراء قليلاً لنعرف ماذا نشب من المعارك بين أرستوفان وبين كليون قبل نظمه الفرسان سنة ٤٢٤ ق . م ؛ فإن تاريخ العداوة بين الرجلين يرتد إلى ما قبل ذلك ، حينما تقدم أرستوفان بملهاته (البابليون) ــ وهى ما تزال ضائعة إلى اليوم ــ للمباراة العامة فى الشعر الكوميدى فى عيد باخوس الصيفى (الديونيزيا) سنة ٤٢٦ ، وهو العيد الذى كان يحضره أحلاف أثينا من كل صوب ليشاركوا الأثينيين أفراحهم ، فكانت هذه الملهاة مما شاهدوا ، وفيها صور أرستوفان أحلاف أثينا عصبة من العبيد الأرقاء يجرون طاحونا ثقيلاً لديموس (جون بول أثينا!) وكان صارماً إلى آخر حدود الصرامة فى حملته على النظام الديمقراطى السائد الذى كانت تهيمن بوساطته عصبة بعينها من الزعماء على مقاليد الحكم فلا تريم عنها ولا تستطيع فئة أخرى أن تحل فيه محلها ما دامت الأكثرية ــ والأكثرية دائماً هم الغوغاء ــ مؤيدة للفئة الأولى .

كان أرستوفان عنيفاً إلى غاية حدود العنف فى هذه الملهاة

---

(١) لم ترد التفتاف بهذا المعنى فى معاجمنا ولكن وردت بمعنى ناقل أحاديث النساء ، وقد استعملناها نحن على هذا النحو لتكون ترجمة حرفية لكلمة Paphlagonian المشتقة من Paphlozo أي يبصق أو يزبد

المفقودة ، وقد استطاع أن يفضح كليون وزبانيته فضيحة قهقه لها الأحلاف من وراء أشداقهم ، وإن صورهم فى هذه الصورة المزرية الشائنة التى خفف من مرارتها فى نفوسهم ما شاهدوا من تصويره لرجال الحكم وعلى رأسهم كليون الهائل ... فلما عاد الأحلاف بعد انتهاء حفلات الديونيزيا ، أمر كليون فقبض على أرستوفان وحوكم من أجل ملهاته تلك بتهمة الخيانة العظمى ، لأنه فضح الدولة وأهان أحلافها ، وصنع ذلك فى غير تورع ولا احتشام فى عيد دينى قوى !

ولسنا ندرى ماذا كان الحكم الذى أصدره القضاة على أرستوفان . ويبدو أنه لم يتعد الغرامة أو التوبيخ ، ونستنتج ذلك مما صنع أرستوفان فى العام التالى حينما تقدم إلى المباراة الكوميدية فى عيد الربيع الـ (لينايا) سنة ٤٢٥ – أى بعد محاكمته بتسعة أو ثمانية أشهر تقريباً – بملهاته الـ أخارنيين Acharnians – وهى أقدم ما حفظت لنا يد العفاء من كوميديات أرستوفان – وفيها يعتذر للجمهور عما وقع فيه من إهانة الحكومة وتحقير الحكام فى ملهاته السالفة ... ولو أنه كان قد حكم عليه بحكم شديد أو يتعدى الغرامة أو التوبيخ لما استطاع فى مثل هذه السرعة أن ينظم ملهاته الجديدة ، ويحتفظ فيها بثباته وبراعة نكتته ، ولما تناول فيها شخصية كليون أيضاً بشىء من التهكم اللاذع ، وإن يكن هذه المرة قد بدا رفيقاً بالطاغية الجبار ، فكان يسخر منه حينما يفعل ذلك فى حيطة وحذر وحساب شديد

وكأنما ضايق أرستوفان أن يقف مكتوفاً هكذا لأن كليون يخيفه ، ففرج عن نفسه بمهاجمة شخص آخر هو لاماخوس ، ثم شخص ثالث هو خصمه الأكبر يوريبيدز الذى يسلقه هنا بلسان حديد ، ويعزو إليه إتلاف روح أثينا : وقد عجب الشاعر الكوميدى المعاصر لهذا التحرش المستمر من أرستوفان بيوريبيدز ، وكان مما لاحظه أن أرستوفان ينسج على منوال خصمه ولكن فى ميدان الكوميديا ، فكأنما كوميدياته هى معارضات لدرامات يوريبيدز . ومن أجل هذا اخترع كراتينوس اللفظة : Euripidaristoaphnize التى نحتها من اسمى الشاعرين للاشارة إلى تقليد أرستوفان لخصمه ، وهى كما ننحت نحن فى العربية بعض الكلمات التى تدل على عبارة من نحو يحوقل أى يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ، ويحيعل من قوله حى على الصلاة الخ .

وملهاة الآخارنيين هى ملهاة نظمها أرستوفان من أجل الدعوة إلى السلام خلال حروب البلوبونيز (المورة) ، وبطلها دِسيوبوليس هو مواطن أتيكى ساذج لكنه مقاحم ذكى ثاقب الفكر ، وقد اضطر أمام جيوش الغزاة الأسبرطيين الذين اقتحموا قرى أتيكا إلى الفرار إلى أثينا ليلوذ بأسوارها ... وهنا تثور ذكريات الريف الجميل الهادئ الفطرى بخلد الرجل ، فيأسف على العيش الساكن البسيط ، وأويقات الصفاء فى حقول أتيكا فيتمنى على أرباب الأولمب أن تنشر ألوية السلام على ربوع الوطن لتعود مياه الحياة إلى مجاريها ... وتتسلسل وقائع الكوميديا فينعقد مجلس الدولة ويشتد الجدل ، ويشتط الزعماء فيقسمون ألا يكون سلام حتى ولو تنزل إله من السموات يأمرهم به ! ... على أن الأمر ينتهى بعقد الهدنة لمدة ثلاثين سنة فيعود دسيوبوليس جذلان فرحاً إلى ريفه الجميل ، ويتمتع الناس بسلم طويل يفيقون فيه من أهوال الحرب التى جرتها الديمقراطية – أو جرها زعماء الديمقراطية المستبدون – على الوطن الحزين المسكين .

ولما كان أرستوفان يحس ما يلقاه الأتيكيون من أهوال حرب المورة ؛ فقد استمر يدعو إلى السلام فى كثير من كوميدياته ففى سنة ٤٢١ تقدم بملهاته (السلام) التى جاءت آية من آياته ... وهى ملهاة خيالية يصور فيها رحلة فلاح أثينى على ظهر خنفساء (!) إلى السماء ينشد السلم ثمة ، لأنه سئم الحرب وضج من أهوالها ! ولشدة حيرة الفلاح يجد أن الآلهة قد ذهبت فى السماء صعداً لأنها هى الأخرى قد نفرت من الناس واشمأزت مما تقترفه أيديهم من قتل بعضهم لبعض ومن سفكهم الدماء بغير الحق ، ويجد الفلاح أن الآلهة قد أظهرت شبح الحرب على شعاف الأولمب فى حين أنها قد خبأت طيف السلام فى كهف هناك سحيق ، فيجره ويعود به إلى الأرض ، وفى ركابه طيف العيد وطيف المحصول وهما عروسان جميلتان ، فيتزوج عروس المحصول ويدخل بها على نغم عروس العيد وغنائها .

دريني خشبة

في بلاط الخلفاء

بين الشعبي وعبد الملك

للأستاذ على الجنــدى

قضى عبد الملك بن مروان شطراً من خلافتـه فى رتق الفتوق وسـدّ الثُلم والقضاء على منافسيه والخوارج عليه ، فبلغ من ذلك ما أراد بعد أن خاض أهوالاً تشيب لها ناصية الطفل ، واضطلع بأعباء تنوء بها الجبال ، فعدّ بحق رجل الأمويين ، ومربى ملكهم ومؤثّـل دولتهم . ولم يَعْـد الصواب من وازن بينه وبين معاوية فقال : معاوية أحلم ، وعبد الملك أحزم . ولم يَغْـل عبد الملك فى وصف نفسه من خطبة له : أيها الناس ، والله ما أنا بالخليفة المستضعف (عثمان) ، ولا بالخليفة المداهن (معاوية) ، ولا بالخليفة المأفون (يزيد) ؛ فمن قال برأسه كذا ، قلنا بسيفنا كذا !

والآن تحتويه دمشق الفيحاء ، وقد اتسق له الأمر ، وصافحه الإقبال ، ونفض عن كاهله غبار الحروب ، وتكفل له طاغية ثقيف وجبّار العرب بقمع أهل الفسـاد والشَّغب ، والضرب على يد الأسود والأحمر على السواء ! فكيف يقضى أوقات الفراغ التى انفسحت أمامه ؟ وبأى الوسائل يروّح نفسه ، ويدخل عليها البهجة والمسرة ؟

لم يكن عبد الملك مُـعَـنًّى بالنساء ، ولا منهوماً بالشراب ، ولا مستهتراً بالسماع ، ولا موكلا بالصيد والقنص ، حتى يلتمس المتعة فى ذلك ؛ ولـكنه كان خليفة جادًّا زَميتاً وقوراً . وكان قبل الخلافة أزهد شباب قريش وأورعهم حتى لقّب بحمامة المسجد ، كما كان يُقْـرن فى الفقه بسعيد بن المسيّب . أما روايته للأخبار ، وحفظه للشعر ، وبصره بالنقد وذرابة لسانه وسحر منطقه ، وثقوب ذهنه ، ووثاقة عقله ، فقد أربى من ذلك على الغاية ، ولعل التاريخ الأدبى لم يمن بالتحدث عن خليفة فى الإسلام عنايته بعبد الملك والرشيد

فنٌّ واحد من اللذات إذن يمكن أن يستهوى هذا الخليفة العالم الأديب ، ويساوق طبيعته السامية . فن لا يقدره قدره إلا أصحاب المواهب المصقولة ، والحسّ المرهف ، والعقل المثقف ، والذوق السليم ، وهو محادثة الرجال ذوى العقول ومجاذبتهم طرائف الأخبار وبدائع الأسمار

وقد نوه الحكماء بهذه المتعة العقلية الرفيعة ، فقالوا : محادثة الرجال[1] تلقيح لألبابها . وأشاد بها ابن الرومى فى شعره حيث يقول :

ولقد سئمت مآربى   فكأنّ أطيَبها خبيثُ
إلا الحديث فإنه   مثل اسمه أبدا حديثُ

وفى الحق أن عبد الملك ليس أول من طلب هـذه اللذة ولا آخر من رغب فيها ، فقد قال قبله معاوية : أصبت[2] من النساء ، حتى ما أفرّق بين امرأة وحائط ، وأكلت الطعام حتى لا أجد ما أستمرئه ، وشربت الأشربة حتى رجعت إلى الماء ، وركبت المطايا حتى اخترت نعلى ، ولبثت الثياب حتى اخترت البياض ، فما بقى من اللذات ما تتوق إليه نفسى إلا محادثة أخ كريم

وقال بعده سليمان بن عبد الملك : قد ركبت[3] الفاره ، وتبطّنت الحسناء ، ولبست اللين حتى استخشنته ، وأكلت الطيّب حتى أجَمْته ، فما أنا اليوم إلى شىء أحوج منى إلى جليس يضع عنى مئونة التحفظ . إلى غير ذلك من الأقوال التى ملئت بها كتب التاريخ والأدب

لم يكد عبد الملك تهيج فى نفسه هذه الرغبة حتى دعا بدواة وقرطاس ، وكتب إلى عامله الحجاج بالعراقين : إنه لم يبق[4] لى من الدنيا لذة إلا مناقلة الإخوان الأحاديث ، وقِبَلك عامر الشعبى فابعث به إلى يحدثنى . وفى بعض الروايات أنه كتب[5] إليه : أن ابعث لى رجلاً يصلح للدين والدنيا أتخذه سميراً وجليساً . فقال الحجاج : ماله إلا الشعبى

وسواء أكان الاختيار وقع على الشعبى من عبد الملك أم من الحجاج ، فإنه لم يقع اعتباطاً ولا جاء مصادفة . فقد كان الشعبى نادرة الدنيا وفقيه العراق .

يقول الشعبى عن نفسه : دخلت إلى الحجاج حين قدم

(١) زهر الآداب ج ـ ١
(٢) المستطرف ج ـ ١
(٣) البيان والتبيين ج ـ ٢
(٤) أمالى المرتضى ج ـ ٣
(٥) العقد ج ـ ١

الكوفة ، فسألني عن اسمي فأخبرته . ثم قال لى : ياشعبى كيف علمك بكتاب الله ؟ قلت : عنى يؤخذ ! قال : كيف علمك بالفرائض ؟ قلت : إلى فيها المنتهى ! قال : كيف علمك بأنساب الناس ؟ قلت : أنا الفيصل فيها ! قال : كيف علمك بالشعر ؟ قلت : أنا ديوانه ! قال : لله أبوك ! وفرض لى أموالاً وسودنى على قومى . فدخلت عليه وأنا صعلوك من صعاليك همدان ، وخرجت وأنا سيدهم .

وقد بلغ من سعة معارفه أنه كان يقول : ما حدثت بحديث مرتين إنساناً بعينه ! ومع أن الشعر أقل بضاعتى فإنى أستطيع أن أنشد شهراً كاملاً لا أفرغ منه .

وكان ظريف اللسان ، بديع المنطق ، ساحر الحديث ، بارع المفاوضة ، إذا تكلم لا يكاد يسمع غيره[1] لحلاوة قوله وعذوبته !

وكان خفيف الروح ، رقيق الحاشية ، سلس الطبع ، لطيف المزاح ، فاشى الدُّعابة ، سريع الجواب ، حاضر البديهة . سئل مرة[2] عن لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكفاف ! وسئل أخرى عن اسم امرأة إبليس . فقال : هذا زواج ما شهدناه ! وقال له رجل : ما تقول فى الذباب ؟ فقال : إن اشتهيته فكُله !

ويريه مصعب بن الزبير زوجه عائشة بنت طلحة ملكة الجمال فى عصرها ، ويصله ببدرة ، وتخت ثياب ، وقارورة غالية ، فيقول له الناس : ياشعبى ، كيف الحال ؟ فيقول : وكيف حال من صدر عن الأمير ببدرة وثياب وغالية ، وبنظرة من وجه عائشة ! إلى غير ذلك من الملح والطرائف والأجوبة الحسان التى تكشف عن ظرف الرجل وسجاحة خلقه ورقة شمائله

ولكن هذه السمات إن وُجدت فى الشعبى ، فلن تُعدم فى غيره ، فما السر فى اختياره بالذات ؟ السر عندى أن الشعبى كان يمثل فى عصره ما يصح أن نسميه (الدبلوماسية الدينية) ، فقد كان هذا الإمام — على فقهه وورعه وتُقاه — ليّن الجسة ، مرن التفكير ، رحب الأفق ، طَبًّا بأسرار التشريع ، يتحامى التعسير والتنفير ، ويأوى إلى الجانب الظليل من الحنيفية السمحة البيضاء . كان يتساهل فى السماع ، ويتشدد فيه ابن سيرين ؛ وكان يرى التقية والتورية ، ولا يراها سعيد بن جبير ، فنجا الشعبى من سيف الحجاج وقتل به سعيد ! وكان يجنح فى إفتائه إلى الأرفق الأهون على الولاة ، ويأخذهم الحسن البصرى بالعسر والشدة . فهرب الحسن من وجه الحجاج ، وقرّ الشعبي آمناً مطمئناً

هذه (الدبلوماسية) هى التى جعلت الشعبى أثيراً لدى خلفاء هـذا العصر وأمرائه وولاته — على اختلاف منازعهم الدينية والسياسية — من مصعب بن الزبير ، إلى ابن الأشعث ، إلى الحجاج ، إلى عبد الملك بن مروان ؛ وهى التى رشحته أخيراً لأن يكون سميراً للخليفة ، وبعبارة أدق خلعت عليه وصف (الجليس المتع) .

ولم يقصر أهل الظرف فى تعريف هذا الجليس فقالوا : أمتع الإخوان مجلساً ، وأكرمهم عشرة ، وأشدهم حذقاً ، وأنبههم نفساً ، من لم يكن بالشاطر المتفتك ، ولا الزاهد المتنسك ، ولا الماجن المتظرف ، ولا العابد المتقشف ، ولكن كما قال الشاعر :

يا هند هل لك فى شيخ فتى أبدا ... وهل يكون شباب غير فتيان

وهأنت ترى أن هذا التعريف ينطبق على الشعبى كل الانطباق

دعا الحجاج بالشعبى وأفضى إليه برغبة أمير المؤمنين ، فوقع منه ذلك بموقع ، فبالغ فى شكر الأمير وأطال الدعاء للخليفة

وقد جهزه الحجاج بجهاز حسن ، وأنفذ معه كتاباً إلى عبد الملك يثنى عليه فيه . وسار الشعبى حتى بلغ دمشق ، ووقف بسدة الأذن ، وقال للحاجب : استأذن لى فى الدخول على أمير المؤمنين . وكأن الحاجب اقتحمته عينه لنحوله وقمائته ، فقال : ومن تكون أنت ؟ فقال : عامر الشعبي . فقال الحاجب : حياك الله يا فقيه العراق ! ووثب عن كرسيه وأجلسه عليه ، ودخل مسرعاً إلى الخليفة ، ولم يلبث أن خرج ودعاه إلى الدخول فى رفق وأدب

دخل الشعبى حتى إذا واجه عبد الملك سلم عليه بالخلافة فرد عليه السلام وهش له وبش به ! وأومأ إليه بقضيب فى يده أن اجلس . فجلس على يساره

وعبرت فترة أطرق فيها عبد الملك عابساً متجهماً ! ومن الآداب السلطانية المأثورة أن الملك[1] إذا حضره سُمَّاره ومحدثوه لا يحرك أحد منهم شفتيه مبتدئاً . ولم يكن الشعبى يجهل ذلك ، بل لا يجهل أن عبد الملك[2] أول خليفة منع الناس من الكلام ، وتقدم فيه وتوعد عليه . ولكن اعتداد الشعبى بنفسه ، وإدلاله

---

(١) ديوان المعانى ج ـ ٢ (٢) عيون الأخبار ج ـ ١

(١) التاج (٢) البيان والتبيين ج ٢

بمنزلته من الخليفة ، وتعجله إدخال السرور عليه دعاه أن يسأل غير محتشم : ما بال أمير المؤمنين ؟ فرفع عبد الملك رأسه إليه ــ متجاوزاً عن هفوته ــ وقال ذكرت يا شعبي قول زهير :

كأنى وقد جاوزت سبعين حجة ... خلعت بها عنى عذار لجامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يُرمى وليس برامى
ولو أننى أُرمى بنبل رميتها ... ولكننى أُرمى بغير سهام
على الراحتين مرة وعلى العصا ... أنوء ثلاثاً بعدهن قيامى

وبهذا الكلام وجد الشعبي مجاله الذى يصول فيه ويجول ، فهز رأسه قائلاً : ليس الشأن كما قال زهير يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد :

كأنى وقدجاوزت سبعين حجة ... خلعت بها عن منكبىّ ردائيا

ولما بلغ سبعاً وسبعين قال :

باتت تَشكَّى إلى النفس مُوهنة ... وقد حملتك سبعاً بعد سبعينا
فإن تُزادى ثلاثاً تبلغى أملا ... وفى الثلاث وفاء للثمانينا

ولما بلغ تسعين سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟

ولما بلغ عشراً ومائة سنة قال :

أليس ورائى إن تراخت منيتى ... لزوم العصا تُحنى عليها الأضالع
أخبّر أخبار القرون التى مضت ... أنوء كأنى كلما قمت راكع

ولما بلغ ثلاثين ومائة سنة وحضرته الوفاة قال :

تمنّى ابنتاى أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر
فقوما فقولا بالذى تعلمانه ... ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعَر
وقولا هو المرء الذى لا صديقه ... أضاع ، ولا خان الخليل ولا غدر
إلى سَنةٍ ثم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

فشاع السرور فى وجه عبد الملك رجاء أن يبلغ من العمر ما بلغ لبيد .

[البقية فى العدد القادم]

على الجندى

صورة وصفية

صديقى بشر ...

للأستاذ محمود تيمور بك



تلقيت يوماً دعوة من إحدى الهيئات العلمية ، ولا أدرى متى جرى ذلك على وجه التحقيق . وكانت الدعـوة لسماع محاضرة لغوية لبحّاثة معروف ، سمعت به ، ولكنى لم أره بعد .

فذهبتُ ، وقد تخيلتُ لهذا المحاضر صورة تتفق مع موضوع محاضرته ... رجلاً أشرف على الخمسين ، بشارب مهدَّل ، وعينين مجهودتين ، وصوت متآكل . فما كدت أستقر فى مكانى من القاعة وأرفع بصرى إلى المحاضر ، وقد اعتلى منصة الخطابة ، وبدأ يلقى محاضرته ، حتى طالعتنى صورة أدهشتنى جد الدهشة . رأيتنى أمام فتى كله شباب وحيوية ، بعينين تلمعان ذكاء ؛ له وجه صبيح ، بشارب طرير مشذّب على الطريقة الفرنسية ، وقوام إغريقى يذكّرنا بتماثيل « براكسيتيل » !

فتشككت فى الأمر ، وحسبت أنه قد جد تغيير فى المحاضرة والمحاضر ، وانحنيت على زميل بجوارى أتبين منه حقيقة الحال . فأكد لى أن المتكلم هو الدكتور بشر فارس نفسه !

ورحت أستمع ، فإذا بالمحاضر يلقى بحثه بصوت جميل النبرات ، فى لهجة فصيحة ، تتوضح فيها دقة فى الأداء ، وحسن اختيار لمواقف الجمل ، وحرص على سلامة مخارج الحروف . كل ذلك فى اتساق وانسجام كاتساق النغمات وانسجامها فى اللحن الفنى البارع !

واتسعت مسالك البحث وتشعبت ، بيد أن المحاضر كان قابضاً على زمام موضوعه قبضة جبار ، يديره فى حنكة ، إدارة الربان الماهر لباخرته وسط العباب الصاخب ... حتى انتهى به أخيراً إلى شاطئ السلام !

* * *

منذ ذلك اليوم عرفت الدكتور بشر ، وما أسرع أن توثقت صلاتى به ! .. فتجلت لى فيه شخصية أخرى غير شخصية ذلك العالم المحقق — تلك شخصية الصديق الودود المرح . فالابتسامة اللطيفة التى طالما انقلبت إلى ضحكة عابثة لا تفارق ثغره ، والنكتة المصرية اللبقة تظل محلقة فى سماء مجلسه . وقد يمضي فى حديثه الطريف ، فلا يكاد يروى لك أخباره عن باريس ، ما شاهده فى دور العلم بها ، وما لقيه فى مغاني عبثها ولهوها ، حتى ينتقل بك إلى قهوة « الفيشاوى » ، ومطعم « الحلوجى » ، فيحدثك عن الشاى الأخضر ، وصحاف « الطعمية » الفاخرة تحيط بها أصناف الشهيات ... ومن ثمَّ يختفى أمامك العالم الجهبذ ، ليحل مكانه « ابن البلد » الوجيه العريق فى المصرية ، فلا يعوزه إلا (اللاثة) يديرها على رأسه ، فينطلق فى مسارح « سيدنا الحسين » يلوح فى يمينه بعصا الفتوَّة ! !

والحق أن جلسة واحدة مع الدكتور بشر تريح الأعصاب ، وتملأ القلب من إيناس ، وتحوّل نظر المرء إلى الناحية الرّفافة الجميلة فى الحياة ...

* * *

صاحبنا الدكتور بشر وقتاً ، ثم طلبناه حيناً فلم نجده ، فكأنه « فصّ ملح وداب » كما يقولون .. ثم عاد إلى الظهور ، ولكن فى فترات متقطعة نادرة . كنا نراه اتفاقاً فى الطريق مهرولاً لا يقر له قرار ، وهو محاط بشرذمة من النجارين والحدادين والطلائين . فإذا ما استوقفناه ، فسألناه عن سبب غيبته ، أشار إلى مرافقيه ، وقال وهو يتأفف فى لهفة المكدود : ألا ترون أنى مشغول ؟! ويتابع سيره فى عجلة واهتمام ، وقد اشتبك مع صُنّاعه فى مناقشة حادّة ... فلا نشك لحظة فى أنه ودّع العلم والأدب والتحق بزمرة المقاولين !

وبينما كنا فى مجلس نذكر صديقنا بشراً بالخير ، ونأسف

لتوديعه الأدب ؛ إذا به يفاجئنا بدعوة ظريفة إلى مسكنه الجديد فى « جاردن ستى » . فقمنا من ساعتنا إليه ، فوجدنا أنفسنا فى متحف فنىّ ، كل ما فيه يشف عن ذوق سليم غاية فى السموّ

وجعل صاحب الدار يمر بنا فى مقاصير المسكن وقاعاته المنشأة على أحسن طراز ، ويقف بنا أمام تحفه واحدة بعد أخرى ، وهو يشرح لنا تاريخها وقيمتها شرح خبير . فهنا صورة طريفة محلاة بإمضاء فنان ، وهنالك تُحْـفَـة من الفن الصينىّ الثمين يرجع تاريخ صُنعها إلى عهود غابرة ، ترى بجوارها مقعداً لطيفاً على شكل رَحْل من رحال الجمال . . . وفى ركن من أركان الغرفة يقوم ذلك الرفّ الساذج البديع ، يحتضن « تاييس » و « مدام بوفارى » و « أفروديت » وهن فى أثوابهن الغالية الفاتنة !

ففطنا بعد لأى إلى سرّ غيبة صديقنا ، وطفقنا نطوف معه ذلك « المزار » المبتكر ... حيث يعبق فى جوه عطر الفن ، وتشمله روح الجمال !

طابَع الفن والجمال يسم حياة الدكتور بشر بأكلها ، يسم شخصه ومسكنه وتآليفه وكل أسباب عيشه . فإذا ما قرأت له مقالاً رأيته ألبس الفكرة العميقة والرأى الناضج ألفاظاً ينتقيها فى حكمة ، وينسقها فى صبر وجلد ، ثم ينضدها تنضيد العقد على صدر الحسناء !

فإذا لقيت شخصه ، ألفيت أمامك شاباً أنيقاً يحسن كيف يلائم بين لون رباط الرقبة والقميص والحُلَّة ، ليخرج منها صورة فنية طريفة ...

***

ولصديقى بشر شخصيتان : شخصية الأديب ، وشخصية العالم ، تتنازعانه على الدوام . . . ولا ندرى أيهما يقدر لها الفوز على الأخرى ؟ فقد أصدر فى العام الماضى مسرحيّته الرمزية : «مفرق الطريق» ، فتلألأت نجماً جديداً فى سماء الأدب الرفيع . وظهر له منـذ أيام كتابه : « مباحث عربية » ، فإذا هو سفر قد لا نغالى إذا قلنا إنه فى طليعة الآثار العلميّة التى تمخض عنها العصر الحديث ، من حيث دقة البحث ، واستيعاب الموضوع ، وحسن الصياغة ، والبراعة فى التنسيق والتنميق . كل ذلك على أحدث نهج علمىّ خطّه علماء الاستشراق ؟

ونحن اليوم نتتبع خطوات بشر فارس وهو يروح ويغدو ، ينحت الصخر آناً فى مفاوز العلم ، وينظم الزهر آناً فى خمائل الأدب ، ونتساءل فى حَيْرة : إلى أى مدى يستطيع الصديق أن يحتفظ بشخصيتيه المستقلتين ؟ وهل فى الإمكان أن يجمع المرء بين الأدب والعلم ، ولا يستشعر فى دخيلة نفسه ذلك التنافر القائم بين هذين العنصرين النفيسين اللذين لا يهدأ لهما حال إلا إذا أخضع أحدهما زميله واستعبده ؟!

***

وللدكتور بشر نواح خفية ، لا يعرفها إلا أصدقاؤه الخلصاء . وإنى لمذيع بعضها ، وأمرى إلى الله ! فقد يحاسبنى على إفشائها حساباً عسيراً !

إن صديقى بشراً – ولنخفض أصواتنا قليلاً — رجل ذوّاقة فى المآكل ، واسع الاطلاع على ألوان الطعام ، عظيم الخبرة فى كل ما تزدان به الموائد ... وإنها لمتعة حقاً حين تسمعه يحدثك عن صحاف الأطعمة المختلفة واحدة بعد أخرى ؛ يروى لك – وعيناه تلمعان لمعان المرَق الشهي – كيف يشترى بنفسه الزبد الطازج ، وينتقى عند الجزار أطايب اللحم ؛ وكيف يقف أمام الفرن يجهز الصنف الذى يحب ، ثم لا يلبث أن يأتى عليه ولمّا يتمّ نضجه على النار ، مقتفياً أثر المثل الصالح : خير البر عاجله !

ولصديقنا بشر جولات موفقة فى مطاعم المدينة ، فهو إذا دخل أحدها لا يطلب القائمة ، ولا يُعنَى بمكانه من المائدة ؛ بل يطلب أن يدلوه فوراً على المطبخ ... وثَمّ يكشف عن القدور يتفحصها تفحُّص عارف ، ثم يشير أخيراً إلى واحدة منها ، فيحضرونها له بأكلها ... ويشمِّر الدكتور عن ساعد الجوع غير معنىّ وقتئذ بأناقته ، وينكبّ على القِدْر فيأتي — فى لحظة خاطفة — على ما تعب الطاهى فى صنعه ساعات طويلة !

وإنى أنصح — نصيحة مجرب ! — لمن أصيب فى معدته ، ورغب فى دواء ناجع لإصلاحها أن يأتى بالدكتور بشر عن يمينه وزكى طليمات عن يساره ، ثم يراقبهما هنيهة وهما يتناضلان فى معركة القـدور كرًّا وفرًّا ... فإنه لا يعتم أن يشعر بمعدته تتصايح فى ثورة جامحة ، وإذا به ينطلق هو أيضاً فى صحاف الطعام يفتك بما فيها فتك مغوار !

محمود تيمور

من مذكرات بلنت

صفحات مجهولة من حياة الامام محمد عبده

« مقتطفات من يوميات نشرها فى انجلترا أخيراً ورثة مستر ويلفريد بلنت ، صديق مصر ومحامى زعماء الثورة العرابية ، عن حوادث جرت فى مصر والشرق العربى بين سنة ١٨٨٨ وسنة ١٩١٤ » .

« وقد خص صديقه الحميم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية بالشىء الكثير من هذه المذكرات ، ودون فيها ما كان يدور بينهما من الأحاديث والمناقشات حول السياسة والعلم والدين »

« وهذه المذكرات تلقى الضوء ساطعاً على جانب من أفكار الشيخ محمد عبده وحياته الخاصة وعلاقته بالخديو وصداقته للفيلسوف هربرت سبنسر » .

مارس سنة ١٨٩١ :

حضر عندى صباحاً الأستاذ المفتى الشيخ محمد عبده ، وجلس معى ساعتين تقريباً ، تحدثنا فيهما شتى الأحاديث . وكان قد بعث إلىّ بالنسخة التى أهديت إليه من كتاب بتلر : « فتح العرب لمصر » فشرحت له محتويات الكتاب لأنه لا يعرف اللغة الإنجليزية . ثم تناقشنا فى المسألة الخاصة بنظرية المؤلف من أن المقوقس هو « سيرس » بطريق الاسكندرية . فذكر الشيخ عبده أن هذه النظرية خطأ . وعنده أن (المقوقس) قبطى ، وأنه حاكم منفيس ، وأن جماعة القبط فى ذلك الوقت رحبوا بالفاتحين العرب ليخلصوهم من ظلم الرومان . وإلا فكيف أتيح للقبط أن ينالوا من عمرو بن العاص ما نالوه من امتيازات وعهود طيبة وحكم ذاتى تمتعوا به عصوراً متتالية ؟ وفى رأيه أن الحروب الصليبية ، وبالأخص هجوم الصليبيين على مصر هو الذى جعل القبط موضع الاضطهاد بسبب أنهم أعلنوا هواهم فى جانب الصليبيين .

ودار الحديث على ما يجرى الآن من الأمور السياسية فى الآستانة ، فذكر الشيخ عبده أن الخديو عباس حلمى على علاقات سيئة مع السلطان ، وأنه قوبل فى الآستانة هذا الصيف مقابلة فاترة ، وأن السلطان عبد الحميد امتنع أولاً عن مقابلته إلى أن أخذوا عليه تعهداً بألا يفاتحه فى مشكلة جزيرة طشيوز . والمسألة هى أن الجزيرة ملك للخديو بالميراث ، ولكنها من أملاك الدولة العلية . وأن الخديو لما فرض على سكانها الضرائب بعثوا بشكايتهم إلى الحضرة السلطانية ، فأرسلت الحضرة الجنود ليقيموا فيها استناداً إلى تلك الشكايات . أما الخديو فهو يريد أن تخلى الجزيرة من الحامية العسكرية ، ولكن رجال المابين لم يصغوا إلى نظريته

وذكر أيضاً أن الخديو الآن تحت تأثير سيدة مجرية هى حظيته. وقد كانت معه فى حادث العربة التى وقعت لهما أخيراً وهما عائدان من « الدار البيضاء » فى طريق السويس إذ نشبت عجلات العربة فى الرمال . وكان جزاء الخفراء الذين توانوا عن تقديم المساعدة المحاكمة والحبس مع الشغل مدة أسبوع . وقد رفع ذلك الحادث إلى دار الوكالة البريطانية ، وقامت بسببه مشاحنات حادة بين العميد وبين الخديو .

ثم تكلمنا — والحديث ذو شجون — عن مدحت باشا ، وفترة حكم السلطان عبد العزيز . ومن رأى الشيخ عبده أن وفاة السلطان عبد العزيز لم تخرج عن كونها حادث انتحار ، وهو ما أخبرنى به الدكتور ديكونس فى غضون عام ١٨٨٤ .

أما مدحت باشا فأسر إلىّ كيفية معاملته فى « الطائف » ؛ وأنهم يحرمونه من الغذاء الكافى ، ويقدمون إليه الخبز الجاف الخشن حتى كسرت أسنانه ، ولا يسمح له بقضاء حاجته إلا فى غرفته إلى أن مات من سوء المعاملة . ثم قطعت رأسه وأرسلت إلى الآستانة .

وينعت الشيخ عبده السلطان عبد الحميد بأنه (أكبر مجرم سفاك فى هذا العصر) .

وإنها لكلمة قاسية يذكرها عالم دينى كبير عن خليفته .

مارس ١٨٩١

رفعت تقريراً إلى اللورد كرومر عن الإدارة المصرية وسوء حال الدولاب الحكومى ، وشفعته باقتراح يتضمن تأليف وزارة من

المصريين ، هذه أسماؤهم بعد استشارة الشيخ عبده والمويلحى :

حسن باشا الشربى ، بليغ بك ، أمين بك فكرى ، سعد أفندى زغلول ، أحمد أفندى محمود ، إبراهيم أفندى الوكيل ، محمود بك شكرى ، أحمد بك حشمت ، يوسف بك شوقى ، الشيخ محمد عبده .

فبراير ١٨٩٣

إن الشيخ عبده فى جانب رياض باشا رئيس الحكومة . وفى اعتقاده أن رياض باشا برغم كونه مستبداً رجل شريف ، وأنه أفضل من نجران وبطرس وأرتين ، لأن هؤلاء كلهم مسيحيون لا يريدون خيراً بنشر روح التعليم الإسلامى . ومدح الشيخ عبده فى أخلاق بعض الوظفين الإنجليز ، ولكنه عاد فذم الطبقة الجديدة منهم ، واستحسن تقربى من الخديو حتى أستطيع التأثير عليه . فيستعين برياض وبطبقة من الشبان المسلمين المتعلمين ، ويقصى عنه الأرمن والمسيحيين . وذكر الشيخ عبده أخيراً : نحن لا يهمنا أن يبقى الإنجليز سنة أو اثنتين أو خمسة ما داموا سيشركوننا فى الأمر ؛ إلى أن يقوى حزب الفلاحين ؛ ولكن إذا كانت هناك فكرة مبيتة بضم مصر ، فإننا نقبل الاستبداد التركى الضعيف على ذلك الخسران المبين . فإن قمتم بالجلاء غداً فثق أننا جميعاً نفرح ونغتبط .

والواقع أن الشيخ عبده الآن أكثر المصريين ميلاً إلى الإنجليز .

ديسمبر ١٨٩٣

تغدى اليوم معنا الشيخ عبده . وذكر ضمن حديثه أن الشيخ حسونة النواوى هو الوحيد بين هيئة العلماء الذى يصلح لأن يكون شيخاً للأزهر على أساس حر شريف .

نوفمبر ١٨٩٤

تغدى معنا وحدثنا عن مقابلته الأخيرة للخديو واستمالته إياه نحو الأزهر . ثم عرض خلال الحديث إلى حادث قتل إسماعيل باشا المفتش وخنقه فى إحدى السفن النهرية أمام جسر قصر النيل . وكذلك جرَّنا الحديث إلى ما وقع لعلى باشا شريف وابتياعه بعض الجوارى والعبيد . وتناولنا نوبار باشا ، وكيف يستعين بمركزه فى الوزارة ، ونفوذه ليشتغل بالأعمال المالية ويستفيد منها .

نوفمبر ١٨٩٥

قابلت كرومر اليوم وتحدثنا فى شؤون مختلفة ، فأخبرنى الشيخ عبده أن قد يصدر الأمر بتعيينه مديراً للأوقاف ، فاستحسنت ذلك التعيين بكل جوارحى .

مارس ١٨٩٨

زارنى الشيخ عبده وأقام عندى فترة طويلة ، وودعنى فيها بمناسبة أوبتى إلى انجلترا . والواقع أننى أغادر هذا البلد الطيب وأنا مريض ، وقد مللت الحياة ، وكنت على وشك أن أعتنق الإسلام ، ولكننى أنظر إلى الإسلام بنفس العين التى أنظر بها إلى المسيحية .

٥ ديسمبر ١٨٩٩

ليس بين جميع الشرقيين ، بل بين جميع الرجال صديق أعظم لى من الشيخ عبده : وها هو يعود بعد أن سجن لإرادته الحرة وأفكاره الجريئة ؛ وبعد أن نفى عام ١٨٨٢ فيمترف لى بقضيته . والحق أنه أقدر رجال مصر وأشرفهم وأنبلهم ، وهو يشغل الآن منصب مفتى الديار المصرية . وقد أهديت إليه منذ سنوات قطعة من أرضى فى عين شمس تبلغ مساحتها فداناً ، فبنى عليه داراً قروية ، وصار أقرب جار لنا .

يناير ١٩٠٠

تحادثنا ملياً عما فعله كتشنر برأس الهدى فى السودان ، واتفقنا على أن الله هو وحده المنتقم الجبار من هذه الأفعال الإجرامية التى سوف تصل بالإمبراطورية إلى الانهيار الذى وصلت إليه غيرها من الأمم

٢٨ يناير ١٩٠٠

كان حديثنا الليلة يتناول الإنسانية ومعاملة القوى للضعيف، فألفيته من المتشائمين مثلى. فقال: إنه كان يتلو التوراة من أيام فرأى أن الفظائع والوحشية التى جاءت على يد المسيحية جاءتها من صلتها باليهودية. وذكر أحاديث نبوية كثيرة عن معاملة الحيوان الأعجم بالرأفة والمحبة، وأن قتل العجماوات هو ضد عقيدة المسلم وشعوره، ولكنها ليست كذلك بالنسبة للمسيحية. وهو لا يؤمل خيراً فى مستقبل البشرية. وإنى لأخشى أن يكون ضعيف الإيمان بأثر الإسلام برغم أنه المفتى الأكبر، مثل ما عندى من ضعف الإيمان بأثر الكنيسة الكاثوليكية.

أكتوبر ١٩٠١

أثناء حديث الصباح جاء ذكر (عرابى) بمناسبة رجوعه من النفى إلى وطنه. فأخذ عليه الشيخ عبده الحديث الذى صرح به لمكاتبى الصحف قبل أن يقف على حقائق الأمور، وبالأخص تصريحه أن كل شىء عمله الإنجليز فى مصر هو طيب.

٢٤ أكتوبر ١٩٠١

كانت اليوم أول مقابلة جرت بين عرابى وعلى فهمى وبين الشيخ عبده فتعانقوا عناقاً حاراً وتناول حديثهم ذكريات العصر الماضى ومواقف رجال العصر.

[البقية فى العدد القادم] محمد أمين حسونة

أسرار حياة بلاد العرب السعيدة

LA VITA SEGRETA DELL'ARABIA FELICE

تأليف الكاتب الإيطالي سلفاتوري آبونتي

الأستاذ محمد عبد الله العمودي

يقسم الجغرافيون القدامى البلاد العربية من حيث التكوين الطبيعي وخصوبة الأرض إلى شطرين عظيمين : يمثل أولهما بلاد العرب الصحراوية وأطلقوا عليه Arabia deserta وهو الجزء الشمالي من الجزيرة . والآخر بلاد العرب السعيدة وأسموه Arabia felixa وعنوا به الجزء الجنوبي من الجزيرة بما يعرف اليوم باليمن وحضرموت ، وما ناوحها من الكور والمخاليف

وهذا التقسيم ليس من مستحدثات هذا العصر، ولكنه يرتفع إلى عصر سحيق جداً ؛ فمؤرخو الإغريق والرومان هم أقدم من كتب عن هذا القطر الخصيب، وأول من ابتدع هذا التعريف تفريقاً بين الإقليمين من حيث قوة الإنتاج وكرم الأرض وجمال التربة

وأصبحت « بلاد العرب السعيدة » علماً مشهوراً على بلاد اليمن ، وبقي هذا المفهوم بهذا الوضع اللفظي واحداً في سائر اللغات الأوربية مع تحريف بسيط في المقطع الثاني من الكلمة الأخيرة

وترجع شهرة هذا القطر الكريم من بلاد العرب إلى عصور متلاحقة في القدم حينما خط أولئك اليمانون على أمواج الدهور حضارات ومدنيات بلغت النهاية القصوى من الإبداع والازدهار والحيرة ما زالت أسرارها بعيدة متفرقة في خفايا الدهور ، ورمال الصحراء! وبالرغم من كثرة الرواد الذين اقتحموا هذه البلاد ، وتغلغلوا في آفاق بعيدة مهمة منها، وأماطوا اللثام عن بعض أسرارها وخفاياها ، فبلاد اليمن أو الجزء الجنوبي من بلاد العرب ما زال لغزاً من الألغاز ، وسراً استُغلق فهمه على الأجيال ، وسيبقى هكذا إلى أن يبدل الله أرضاً بأرض وأقواماً بأقوام !

هذا الجزء الخصيب من الجزيرة العربية يؤلف منذ أقدم العصور حتى أيامنا هذه سلسلة متلاحقة الحلقات ، قائمة بنفسها لجماعات من الرواد الذين رادوا هذه البلاد فجاسوا خلال ديارها ونقبوا عن أطلالها ، فكتبوا عنها تقارير ضافية ، مبنية على صدق الملاحظة والاستنتاج الشخصي القائم على الخبرة والبصر

فأقدم من أرّخ عن هذه البلاد وبقيت أخباره حتى أيامنا هذه مصدراً يعول عليه هو استرابو ، ذلك العالم الإغريقي الذي عاش قبل الميلاد ، فقد صور هذه البلاد « السعيدة » من جغرافيته في عبارات مشرقة لماحة الرواء رائعة التاريخ كبسمة من بسمات الدهر لهذه البلاد العريقة في القدم. التي رماها الزمن بسهام صائبات في سكانها وحكامها ، وقفنا على ما بلغته تلك البلاد من الشأو البعيد في مجتلى الحضارة ، وبلهْنية العيش حتى « إنهم ليحرقون الأعواد العطرية الفواحة في الوقود بدلاً من الأحطاب[(١)] »

وجاءت القرون الوسطى وعصر النهضة ، فتوا كبت على البلاد العربية أفواج المستكشفين ، مستهدفين لأخطارها ، همهم الوحيد ارتياد صحاريها واستكشاف مجاهلها والوقوف على مواطن اللبان والمر والبخور وسائر الأطياب التي تفهق بها منحدرات جبال اليمن وشعاب حضرموت العميقة فوقفوا إلى أقصى حد

وإذا كان للانجليز والألمان والفرنسيس مغامرون إلى هذه البلاد فالإيطاليون لا يقل حظهم عن هؤلاء في هذا المجال . وترجع صلتهم باليمن — الصلة العلمية البحتة — إلى العهد الذي قام فيه الرحالة الإيطالي المشهور (لودفيكيو دي فرثمة) الذي يعتبر أول من راد بلاد اليمن من الفرنجة ، وفتح لغيره باب المغامرات وذلك عام ١٥٠٣م، وقد طبعت رحلته خمس مرات في روما والبندقية ثم انعكست الآية ، وظهر في اليمن قبل الحرب العامة إيطالي خطِر يدعى (لويجي كابرتي) كان الجرثومة الأولى للفكرة الاستعمارية ؛ وصفه إدوار غلازر بأنه « أحد أولئك الرجال الذين بنوا مجداً لأوطانهم » و « أول من فتح بلاد العرب للتجارة الإيطالية ». وقد ظل في اليمن يعمل على بثّ فكرته حتى قضى نحبه في صنعاء ودفن بمقبرتها، وما زال قبره هناك يعرف بصليب عليه! وخلفه في مسعاه أخ له يدعى يوسف ، يعرفه اليمانيون لليوم « بسيدي يوسف الطلياني ! » فكان ضغثاً على إبالة ...

أما في هذه السنين الأخيرة التي تحركت الأطماع المتوثبة في صدر إيطاليا الفاشستية فقد حفلت المكتبة الإيطالية اليمنية في هذه السنين بكتب نفيسة ، وأسفار ما كتب الأخباريون مثلها حتى أصبحت بلاد اليمن وحياً لأقلام الإيطاليين دون غيرهم . ولقد كتبت في السنين التالية كتب ومقالات وتقارير عجزت عن مثلها قرون مضت ! ولولا الأنفاس الاستعمارية التي ترشح في هذه الكتب لكان الإيطاليون من أكثر الشعوب الأوربية التي أسدت فضلاً عظيماً ومجهوداً جليلاً في خدمة التاريخ اليمني والتنويه بذكره في المؤلفات التي نشرها كل من المأسوف عليهما العلامة

(١) Slrabo : the geography

نللينو والسنيور غبريلي مندوب الأمبروسيانا(١) في ميلانو وغيرهم من الذين أفنوا أعمارهم وأحرقوا أدمغتهم في سبيل الثقافة العربية والتاريخ الإنساني العام. وكما وجد منهم الخيرون، وجد منهم للفاشستية أنصار اتخذوا من العلم سلاحاً يحققون به أغراضاً معينة، ويخدمون أطماعاً متوثبة نحو البلاد التي تشتق بوطأتهم. من هؤلاء السنيور سلفاتوري آبونتي صاحب هذا الكتاب الذي لا يمكن بحال من الأحوال - ونحن نعرض لكتابه هذا - أن نغمط حقه أو ننكر فضله ، وما أضفاه من الأثواب الزاهية على تاريخ اليمن ونشره في أرجاء الغرب ؛ كما ننكر عليه ذلك الأسلوب الاستعماري الصارخ الذي أسقط هذا الكتاب كمؤلف علمي بحت

هذا الكتاب

هذا السفر الجليل الضخم طبعته ونشرته دار «موندا دوري» بميلانو في قرابة المائتي صفحة ؛ محلى باثنتين وسبعين صورة تعد من أبدع الصور، منتزعة من صميم الحياة في سهل اليمن، تمثل الزعماء، والمدن ، والقصور ، والمعاقل ، والجبال المغطاة بأشجار البن ...

تبتدئ نقطة الرحيل والانطلاق إلى داخلية اليمن من ثغر عدن . ويحدثنا السنيور آبونتي بقصة طريفة قبل أن يبتدئ في مسيره ، وذلك أنه عمد إلى صرة فملأها بنوع من العملة الفضية التي لا تروج إلا في بلاد اليمن والحبشة : هذه العملة هي «ريال ماريا تريزا» أو (أبو طيرة) ، وهو عبارة عن ريال ضخم حالك المنظر، قليل القيمة، محدود المنفعة؛ والإمام يحيى وشعبه لا يعرفون إلا هذا النوع من النقد ولا تروج عندهم الأوراق المالية مطلقاً !

ويبارح المؤلف أسوار عدن وينحو نحو الشمال ، فتصافحه « أرض العبدلي » سلطنة لحج ، فيراها غارقة في بحر من النخيل تحف بها بساتين العنب وأشجار الموز ؛ وتبدو الحوطة عاصمة هذه السلطنة في منظر ساحر جذاب ، ويزداد المرء إعجاباً بهذه الواحة الواسعة ذلك القصر العجيب المصبوب من المرمر الفاخر الناصع وقد فرشت على واجهته الأمامية فوطة صفراء مكتوباً عليها بالحرف العريض - خوف الالتباس - هذه العبارة : « قصر السلطان عبد الكريم فضل بن علي محسن العبدلي ! »

ويحدثنا المؤلف أن « العبدلي » يعيش في بلهنية من العيش وسمو في الحياة ؛ يرجع إلى المرتب الضخم الذي يتقاضاه من الخزانة البريطانية إذ لا يهمه شيء في الحياة إلا العناية بقصوره وزخرفتها بضروب الزينات ثم الشغف العظيم بزرع المزروعات ونمو النباتات وإعطائها قسطاً عظيماً من عنايته واهتمامه . والإنكليز يعلمون منه هذا الميل فيتركونه يفعل ما يريد ، لأن سلطنته تكون أهم جزء من المحميات علاوة على أنها موقع مهم يمكن الإنكليز من بسط نفوذهم إلى أعلى النجود اليمنية .

وينحدر المؤلف من سلطنة لحج ، فيزهاه سهل « المخا » وقبل أن يضرب على أبواب المدينة « العالية ! » تعترضه مدينة « تعز » وضواحيها ، وهي عبارة عن تفاريق من الفراديس المصطنعة ؛ مكنت في سهل اليمن ولها منزلة خاصة في قلوب اليمنيين ؛ فحوالي هذه المدينة ينبت أعظم « كيف » تترنح له أعطاف اليمنيين وتهفو له نفوسهم . هذا « الكيف » هو شجرة « القات » التي لعبت وما زالت تلعب دوراً خطراً في الحياة الاجتماعية اليمنية . ويحسن بنا أن نذكر العبارة البليغة التي وصف بها السنيور آبونتي هذه الشجرة الملعونة (ولا مؤاخذة أيها المواطنون !) فقد حللها تحليلاً كيماوياً استهلها بقوله :



شجرة القات

« منذ قرون خلت وسكان هذا الجزء السعيد من بلاد العرب يمضغ أوراق القات . وأول ما عرف من أمره أن أحد الرعاة لاحظ أن إبله تمددت على وجه الأرض بعد أن أكلت من هذه الأوراق ، وقد غمرتها نشوة من الراحة والانبساط ، وسرت في مفاصلها تيارات خفية أخمدت من حركتها ، وشلت من

(١) من المكاتب الشهيرة بأوربا ، وهي مستعمرة إيطالية في الكتب اليمنية

عملها فأخذ يضربها ضرباً مبرحاً لتنهض وإذا بأتعابه تذهب سدى ، والجمال أصبحت لا تحس بألم الضرب . فبهت من هذا الأمر الغريب ووقف ذاهلاً متحيراً لايدرى ماذا يصنع ؛ وأخيراً بدا له أن يطعم هذه الورقة، فقطف منها شيئاً وصار يتناولها كل يوم وعند كل فراغ . ومن ذلك اليوم أقصيت الجمال « المسكينة » عن هذه الشجرة ووجدت لها مجالاً واسعاً إلى قلوب اليمنيين، فكان متعة نفوسهم فى الأفراح والأتراح !

وليس فى استطاعتنا تحديد طعم هذه الأغصان ، ولكن يمكننا أن نعتبر طعمها حرّيفاً مرّاً يشبه شراب الكحول المشوب بالأفاويه Licore ، وقد عبده اليمانيون عبادة مدهشة وتفانوا فى محبته حتى أنهم ليصرفون فى سبيله مالا يصرفون فى غذائهم الضرورى. وهم يمضغونه كل يوم فى ساعات مختلفة من النهار ؛ ولهم فى طريقة جمعه حماسة غريبة ؛ وتغمرهم فى أثناء مضغه أمواج من الفرح والأنس ، يرون الدنيا به واسعة تشعُّ فيها ألوان مورّدة زاهية !

ويشعر الماضغ مبدئياً بنشوة مؤقتة ، ولكن سرعان ما يعقبها ارتخاء فى الأعضاء ، وانحطاط فى القوى ، وهمود فى العواطف يشبه التخدير. والإفراط فيه يسبب انقباضاً وميلاً دائماً إلى النوم. وآثاره لاتقف عند هذا الحد فقط ، بل إنه يخمد الغريزة الجنسية ، ويتسرب ماء الحياة من الرجل مختلطاً ببوله ! وإذا بلغ الرجل دور الكهولة فقد فقد كل حيويه وانقطعت بينه وبين زوجه أسباب الاتصال !

ومع كل هذه الأضرار فاليمانيون لا يستطيعون أن يعيشوا فى الوجود بدون قطف هذه الأوراق العجيبة ! ومن الطبيعى أن هذا النبت الذى تنتجه اليمن لا يمكن أن يكون كله فى مستوى واحد من القيمة والجودة . فالأغصان التى تنمو على منحدرات جبل صَبِر (1) هى أفضلها وأجودها وقد كان لها فى يوم ما ازدهار عظيم وسوق رائجة ...

(يتبع) **محمد عبد الله العمودى**

(1) جبل مطل على تعز

التاريخ فى سير أبطاله

أحمـــــد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



وخيل لشريف باشا أن الأزمة فى طريقها إلى الحل ، ولو أنه اطلع على الغيب لعلم أنها كانت تتضاعف ويشتد خطرها لتتخذ فى النهاية وضعها الذى سوف يغير تاريخ هذه البلاد !

لج الصائدون فى هذه العاصفة الفرصة المرتقبة ! وهيهات أن يضيع هؤلاء فرصة طال بهم انتظارها ؛ الخلاف قائم بين الوزارة والمجلس فليعملوا على زيادة هذا الخلاف وليدفعوا بالخديو ليخطو أول خطوة بعد يوم عابدين ضد الحركة الوطنية فيخسر بذلك الوطنيين والعسكريين جميعاً ، ويفقدوا هم الثقة فيه نهائياً ، بينما هو يقرب بذلك من الأجانب أو على الأصح يزداد قرباً منهم

ولن يعدم الإنجليز وحلفاؤهم أن يخلقوا ألف مبرر لما يفعلون ؛ ومن أيسر الأمور عليهم أن يعلنوا أن البلاد تشيع فيها الفوضى، وأن الأجانب ومصالحهم تكتنفهم الأخطار من كل صوب ، وأن الخديو بات يخشى على عرشه ولا مخرج له مما هو فيه ، بل ولا مخرج لمصر مما هى فيه من خلل وارتباك إلا أن يضرب على أيدى الثائرين المفسدين فى الأرض

ومن غريب أمر هؤلاء الإنجليز أنهم بينهم وبين أنفسهم غيرهم بينهم وبين الشعوب الشرقية ؛ فهم لا يقبلون من هذه الشعوب ما يعدونه عندهم من مفاخر الإنسانية ، وأنهم ليرمون أهل هذه الشعوب بأشنع التهم وأقساها ؛ فالتألم من المظالم التى تنصب على رؤوسهم تمرد ، والسعى إلى الحرية فوضى وهمجية ، والدفاع عن البلاد وذب الدخيل عنها وحشية وإجرام ! على أن هذه هى سنة الحياة بين القوى والضعيف منذ كان الإنسان يتخذ سلاحه من الحجر وينحت مأواه فى الجبل ...

ولقد كانت الدولتان تعملان على الكيد للحركة الوطنية فى مصر قبل انعقاد المجلس ، وكانت بينهما مراسلات فى هذا الصدد ؛ فكانت فرنسا هى المحرضة هذه المرة . فرنسا التى كانت سياستها منذ فشل الحملة الفرنسية تدور على مناوأة النفوذ الإنجليزى فى مصر !

ولى المسيو ليون غمبتا أمر وزارة الخارجية فى فرنسا فى شهر ديسمبر عام ١٨٨١، فسرعان ما اتصل بوزير خارجية انجلترا اللورد جرانفيل محدثاً إياه فى شأن مصر مبيناً له وجوب تضامن الدولتين فى العمل إزاء ما يجرى هناك من أمور

وحار جرانفيل أول الأمر ماذا يجيب به على هذه الدعوة ، فهو إن قبلها أصبح مقيداً بالعمل مع فرنسا ، وإن رفضها قطع على دولته الطريق وجعل لفرنسا المكان الأول فى شؤون مصر

وتلقى جرانفيل من مصر أنباء فاجرة مالت به إلى الطريق التى اختارها . كانت مشكلة ميزانية الجيش لا تزال قائمة بين عرابى والمراقبين ، فأرجف المرجفون أن عرابياً يعتزم القيام بثورة جديدة لقلب وزارة شريف وتنصيب البارودى مكانه

وكتب السير إدوارد مالت وهو رجل مسؤول إلى اللورد جرانفيل يشكو من تدخل عرابى ويتساءل فى لهجة ساخطة برمة : كيف يستطيع شريف أن يرأس الحكومة مع وجود

عرابى صاحب النفوذ الفعلى فى البلاد ؟ وهكذا يسمح هذا الرجل لنفسه أن يكذب فيرمى عرابياً بما هو برئ منه ، ولا يتورع بعد ذلك أن يكتب إلى رئيسه ينبئه بخضوع عرابى لرأى المراقبين، ولكن جرانفيل كان قد خطا نحو فرنسا بناء على الأخبار الأولى خطوة لا يمكنه النكول بعدها

وكتب كلفن كذلك إلى جرانفيل يقول : « والحقيقة أن الإدارة المصرية شركة ثلاثية ، فإذا لم تكن الدول على استعداد لتعديل نصيبها فعليها أن تحافظ عليه وتقويه فى هذا الوقت الذى أصبح فيه المصريون فى حال تطور وانتقال[1] ». هذا عدا ماذكره فى تقريره عما يتوقعه من خطر إذا زيدت سلطة المجلس ، وثبتت قواعد الدستور المصرى

وكان مستر بلنت قد أرسل برنامج الحركة الوطنية إلى جريدة التيمس، وفيه أقوى حجة على براءة هذه الحركة من عناصر الثورة أو المساس بحقوق الأجانب المالية ؛ وكان يأمل بلنت وأصدقاؤه من الوطنيين أن يكون لنشر هذا البرنامج أثره الحسن فى نفس جرانفيل ، ولكنه نشر فى أول يناير سنة ١٨٨٢ بعد أن نفذ السهم ، فلقد وافقت انجلترة على وجهة نظر فرنسا فى يوم ٣١ ديسمبر أى عقب اجتماع المجلس بخمسة أيام

وخطا شريف باشا فى تلك الأثناء خطوة حكيمة فأعلن بياناً[2] يشير فيه إلى منهاج حكومته، فذكر أنها تقوم على أساس الاعتراف بحقوق السلطان والامتيازات التى حصلت عليها مصر والاعتراف بالخديو كحاكم دستورى ، والتسليم بقاعدة المراقبة الثنائية ثم إنكار كل اتجاه ثورى ، ومنح الحرية الدينية والسياسية لجميع سكان البلاد والسير على قاعدة الحكومة المسؤولة أمام مجلس نيابى

ولن يكون فى الإمكان يومئذ السير على منهاج خير من هذا المنهاج الحكيم الذى كان خليقاً أن يبعث الطمأنينة فى نفوس الساسة من الدولتين ؛ وكذلك لم يكن هناك برهان على حسن نيات الوطنيين أقوى مما نشرته التيمس لمستر بلنت وهو شاهد عدل من الإنجليز على المصريين

ولكن المسألة لم تكن مسألة اقتناع وإنما كانت نية مبيتة، وهيهات أن تجرى الأمور فى السياسة على الإقناع والاقتناع ، فدوافع الأقوياء إلى العمل فى ذلك المضمار أطماعهم وبرهانهم أسلحتهم ، وما يكون الكلام إلا تعلة الضعيف . وما أشبه كلام الضعفاء فى مثل هذه المواقف بصراخ الفريسة قبل تمزيقها

ويذكر مستر بلنت فى كتابه سبباً لانحياز انجلترة إلى فرنسا، فيقول إن انجلترة كانت تسعى إلى عقد معاهدة تجارية مع فرنسا فيها فائدة كبيرة للتجارة البريطانية ؛ ومن أجل ذلك هاودت انجلترة فرنسا وطاوعتها فيما تقترح فى شؤون مصر فباعت انجلترة بذلك مصر إلى فرنسا

وما نظن انجلترة كانت من الغفلة بحيث تتنازل عن أغراضها فى مصر من أجل مثل هاتيك المعاهدة التجارية ، وإنما الذى نفهمه أن انجلترة كانت تراوغ فرنسا لتفوز بهذه المعاهدة ثم تقف من فرنسا بعد ذلك فيما يتعلق بمصر موقف الاتفاق فى الظاهر ، بينما هى فى الباطن تعمل وفق ما تمليه عليها أطماعها . ومما يؤيد ذلك التحفظ الذى أبدته انجلترة وأقرته فرنسا ومؤداه: «أن الحكومة الإنجليزية يجب ألا تعد بسبب هذه المذكرة مقيدة بسلوك خطة عمل خاصة إذا ما بدا لها أن العمل ضرورى » ، ولسوف نرى من سياسة انجلترة فى مصر ما يؤيد ما نقول

تم الاتفاق بين الدولتين ، وكان المجلس فى مصر كما تقدم يخالف الوزارة فى مسألة الميزانية ، وكان العقلاء من الوطنيين يعملون على الخروج من المأزق بالحسنى ، ولاحت فى أفق السياسة بوادر انكشاف الغمة

وما أشد ما نحسه من ألم وغيظ أن نذكر بعد ذلك أن البلاد ما لبثت أن تلقت من الدولتين فى يوم ٨ يناير سنة ١٨٨٢ تلك الصيحة المشؤومة التى سميت بالمذكرة المشتركة، والتى قل أن نجد فى التاريخ السياسى لا ولا فى الخرافات التى تحكى للأطفال على مثال أوضح منها لتحكم القوى فى الضعيف واستهتاره به فى غير حياء أو تحرج ، وحسبك أن تقرأ مثل هذا الكلام الذى بعثت به انجلترة وفرنسا زعيمتا الحرية والديمقراطية ! جاء فى المذكرة[1] : « أن الحكومتين الإنجليزية والفرنسية تريان أن بقاء سمو الخديو على العرش بالشروط التى قررتها الفرمانات السلطانية واعترفت بها الحكومتان رسمياً هو الضمانة الوحيدة فى الحاضر والمستقبل

(١) المسألة المصرية تعريب العبادى وبدران

(٢) The Transit of Egypt by P. G. Elgood

(١) المسألة المصرية

لاستتباب النظام فى مصر واطراد رخائها، وهما الأمران اللذان تهتم بهما فرنسا وبريطانيا العظمى . وأن الحكومتين اللتين اتفقتا اتفاقاً تاماً فى عزمهما على أن تمنعا كل أسباب الارتباك الداخلية والخارجية التى يمكن أن تهدد النظام القائم بمصر ، لا يداخلهما ريب فى أن جهرهما بما عزمتا عليه رسمياً فى هذا الأمر سيحول دون الأخطار التى قد تتعرض لها حكومة الخديو والتى لا بد أن تقاومها فرنسا وانجلترة معا ، وأن الحكومتين لتثقان بأن سموه سيستمد من هذا التأكيد ما يحتاج إليه من الثقة والقوة لتدبير شؤون بلده وشعبه »

وأى كلام يمكن أن يعبر عما تنطوى عليه هذه المذكرة من لؤم وفجور ؟ ما معنى الإشارة إلى بقاء سمو الخديو على العرش ؟ وما شأن الدولتين حتى تهتمان بهذا الأمر ؟ وبأى حق تضطلعان بمنع أسباب الارتباكات الداخلية والخارجية ؟ وعلى أى أساس يقوم ادعاؤهما وجود هذه الارتباكات ؟ وكيف يجوز أن يعتمد الخديو عليهما ويستمد الثقة منهما ؟

هذه هى المذكرة المشتركة التى أشار إليها بلنت بقوله(١) : « هذه المذكرة المشؤومة التى يرجع إليها كل ما حدث من المتاعب فى خلال ذلك العام والتى أفقدت مصر حريتها كما أفقدت غلادستون شرفه وأفقدت فرنسا نفوذها على جانبى النيل »

ولا تسل عما أحدثته هذه المذكرة الحمقاء من سوء الأثر فى مصر لقد بلغ من إثارتها الشعور وإحراجها الصدور أن نقم عليها ماليت وكلفن وتمنيا لو لم تكن ؛ وقد كانا يريدان ألا تكون بمثل هذه الصراحة الطائشة

وكانت النتيجة الطبيعية أن انضم المعتدلون من رجال الحركة الوطنية إلى العسكريين، وهو عكس ما كانت تنتظره الدولتان فى غباء مضحك، ورأى العنصران شبح الرجعية المسلحة ، بل رأوا الغدر الأثيم يتهدد قضيتهم . وانبعثت الصيحات من كل مكان أن انجلترة قد ألقت بنفسها فى أحضان فرنسا، وأن فرنسا تريد أن تصنع بمصر ما صنعته بتونس ، ولذلك يجب الاتجاه إلى السلطان والمناداة بمبدأ الجامعة الإسلامية لمقاومة هذه الحركة الأثيمة

وضاع كل أمل فى تهدئة الخواطر ؛ فأصر مجلس شورى النواب على موقفه فى وجوب نظر الميزانية ورأى شريف فى المجلس إجماعاً ضده وحماسة ما رأى مثلها من قبل . ولقد رغب جرانفل فى ملاينة الأعضاء فى هذه النقطة كأنما أراد أن يعالج بعض خطئه ، ولكن غمبتا رفض ذلك بحجة أنه يسقط من هيبة الحكومتين أمام الوطنيين . وما أعجب أمر هذا الرجل الذى يظن أن الهيبة تكتسب بالحماقة ! على أن جرانفل ما لبث إن شايع غمبتا فى حماقته، فلقد كتب إليه مالت يقول(١) : « إن المجلس باق وسيظل باقياً ما لم يحل بالقوة ؛ وهـذا أمر لا يكون إلا بالتدخل الذى هو آخر سهم فى كنانتنا والذى لا يسوغه أبدا ما قد يكون من خرق قانون التصفية ... إنى أعترف إنى أفضل أن يعطى المجلس ما يطلبه من الحق وألا نتدخل حتى يسىء استعمال هذا الحق . ويجب ألا ننسى أن الأمة المصرية قد أخذت تسلك طريق الحكم النيابى خيراً كان ذلك أو شراً، وأن قانون المجلس الأساسي هو صك حريتها » .. هذا ما ذكره ماليت نفسه ولكن جرانفل لم يعبأ به وأرسل إلى غمبتا ينبئه بموافقة الحكومة الإنجليزية على أرائه . ونسى جرانفل أو تناسى أنه كتب إلى مالت قبل ذلك بنحو شهرين يقول مشيراً إلى حرية المصريين الوليدة: « إن الحكومة الإنجليزية إذا ما رغبت فى نقص تلك الحرية أو العبث بتلك النظم التى يرجع وجودها إليها فقد اتبعت سنة تخالف أجمل تقاليد تاريخها الوطنى ... ليس من شىء يحملنا على سلوك خطة أخرى غير قيام حالة فوضوية فى مصر » .

فليت شعرى ما الذى حدث فى مصر حتى تخالف انجلترة على هذه الصورة أجمل تقاليد تاريخها الوطنى ؟ وحاول شريف أن يحصل من الدولتين على مذكرة تفسيرية يستعين بها على تسكين الخواطر، فرفض غمبتا حتى هذه المذكرة وعاد جرانفل فشايعه فى هذا مشايعة عمياء على الرغم من نصح الناصحين من الإنجليز والوطنيين !

لست أدرى كيف كانت ضمائر هؤلاء الساسة تطاوعهم مع هذا على أن ينعتوا رجال مصر بالفوضى وأن يصوروهم أطفالاً فى السياسة لا يدرون ما يأخذون مما يدعون ؟ ولكن مالى أذكر الضمائر والحديث حديث السياسة وجشع السياسة ؟

وضاقت بشريف السبل فلم يدر ماذا يفعل ، ووقفت السفينة لا تستطيع حراكا ، والريح تدوى من حولها وليس فى الجو بارقة أمل ، والنواب لا يفتر إصرارهم ولا تنقطع زمجرتهم

وعاد مالت يحذر جرانفل فقال فى صراحة : « إن التدخل

(١) التاريخ السرى — تعريب البلاغ

(١) المسألة المصرية

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٢٨ — الكهربية بين النفوس

قال على بن محمد الحلوانى : حدثنى خير قال : كنت جالساً يوماً فى بيتى فخطر لى خاطر أن أبا القاسم الجنيد بالباب اخرج إليه ، فنفيت ذلك عن قلبى وقلت : وسوسة ، فوقع لى خاطر ثان فنفيته ، فوقع خاطر ثالث ، فعلمت أنه حق وليس بوسوسة ، ففتحت الباب. فإذا أنا بالجنيد قائم ، فسلّم علىّ وقال : يا خير، ألا خرجتَ مع الخاطر الأول ؟

٤٢٩ — ونفست علينا أن نتكلم

فى (البيان والتبيين) : كان نافع بن علقمة خال مروان والياً على مكة والدينة ، وكان شاهراً سيفه لا يغمده[1] . وبلغه أن فتى من بنى سهم يذكره بكل قبيح ، فلما أتى به وأمر بضرب عنقه، قال له الفتى : لا تعجل على ، ودعنى أتكلم . قال : أوَ بك كلام ؟ قال : نعم وأزيد . يا نافع ، وليت الحرمين تحكم فى دمائنا وأموالنا وعندك أربع عقائل من العرب ، وبنيت ياقوتة بين الصفا والمروة (يعنى داره) ، وأنت نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث أحسن الناس وجهاً وأكرمهم حسباً ، وليس لنا من ذلك إلا التراب ، فلم نحسدك على شىء، ولم ننفَسْه عليك ، ونفِست علينا أن نتكلم !

فقال : تكلمْ حتى ينفكّ فكاك .

(١) غمد وأغمد : وسيف مغمود ومغمد .

٤٣٠ — امنع من حصونك

كتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم : خذ أهل عسكرك بتلاوة القرآن فإنه أمنع من حصونك .

٤٣١ — مالك من إله إلا الله

(مفاتيح الغيب) للرازى : جاء فى كتاب (ديانات العرب) أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال لعمران بن حصين : كم لك من إلٰه ؟

قال : عشرة

قال : فمن لِغمّك وكَرْبك ودفع الأمر العظيم إذا نزل بك من جلتهم ؟

قال : الله

قال عليه السلام : ما لك من إلٰهٍ إلا الله

٤٣٢ — وحور عين ...

فى (روض الأخيار) : الأصمعى : رأيت دكاناً فيه أنواعُ الطيور المشوية ، وأنواعُ الفواكه ، وامرأة فى غاية الجمال فقلت : « وفاكهة مما يتخيرون ، ولحمِ طيْرٍ مما يشتهون ، وحورٌ عِين كأمثال اللؤلؤ المكنون » .

فقالت بالفور : « جزاء بما كانوا يعمَلون »

٤٣٣ — هذه القلعة بنيت لأولادك

فى (صبح الأعشى) : من غريب ما يحكى أن السلطان

المسلح سيصبح أمراً محتوماً إذا ما تشبثنا بمنع المجلس من التصويت على الميزانية ، ومع ذلك فجميع الحكومات تهتم بمنع ما يوجب هذا التدخل الذى إذا أقدمت عليه الدولتان وحدهما أدى إلى سوء المنقلب فى هذا البلد »

وعلى الرغم من ذلك كله أبلغت الحكومة المصرية رسميًا يوم ٢٠ يناير سنة ١٨٨٢ أن المجلس لن ينظر فى الميزانية إلا إذا أخل بالأوامر العالية التى أنشئت بمقتضاها المراقبة الثنائية

ولما وجد النواب شريفاً يميل إلى موافقة الدولتين ، سار وفد منهم إلى الخديو فطلبوا عزله ، وتعيين رئيس للوزارة يستطيع أن يسير مع نواب البلاد فى سياستهم

وسقطت وزارة شريف ، وحلت محلها وزارة البارودى فى يوم ٥ فبراير سنة ١٨٨٢ ، وهى الوزارة التى سوف تعرف باسم وزارة الثورة (يتبع) الخفيف

صلاح الدين (رحمه الله) طلع إلى القلعة(١) ومعه أخوه العادل أبو بكر فقال السلطان لأخيه العادل : هذه القلعة بُنيت لأولادك فثقل ذلك على العادل ، وعرف السلطان صلاح الدين ذلك منه فقال : لم تفهم عنى ، إنما أردت أنى نجيب فلا يكون لى أولاد نجباء ، وأنت غير نجيب فيكون أولادك نجباء ، فسرّى عنه . وكان الأمر كما قال السلطان صلاح الدين ، وبقيت خالية حتى ملك العادل مصر والشام ، فاستناب ولده الملك الكامل محمداً فى الديار المصرية ، فسكنها .

٤٣٤ — وارى نساء الحى غير نسائها

أبو الحسن على بن أحمد الفالى :

لما تبدلتِ المنازلُ أوجهاً ... غيرَ الذين عهدتُ من علمائها
ورأيتها محفوفةً بسوى الألى ... كانوا ولاة صدورها وفنائها(٢)
أنشدتُ بيتاً سائراً متقدّماً ... والعين قد شرقت بجارى مائها :
« أما الخيامُ فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحىّ غير نسائها »

٤٣٥ — فى أى مدينة ؟

فى (منهاج السنة) : يوسف بن غز أوغلى (صاحب التاريخ المسمى مرآة الزمان) — يذكر فى مصنفاته أنواعاً من الغثّ والسمين، ويحتج فى أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة؛ وكان يصنف بحسب مقاصد الناس : يصنف لهؤلاء ما يناسبهم ليعوضوه بذلك ، ويصنف على مذهب فلان لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه ، فكانت طريقتهُ طريقةَ الواعظ الذى قيل له : ما مذهبك ؟

قال : فى أىّ مدينة ؟

(١) قلعة الجبل ، بناها بهاء الدين قراقوش للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والفسطاط، وما يليه من القرافة المتصلة بعمارة القاهرة . وأول من سكنها الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب انتقل إليها من قصر الفاطميين سنة (٦٠٤) واستقرت بعده سكنا للسلاطين إلى الآن . ولم يسكنها السلطان صلاح الدين. ويقال: إن ابنه الملك العزيز سكنها مدة فى حياة أبيه ثم انتقل منها إلى دار الوزارة (الصبح) .

(٢) (الألى) الذين . قالوا : لا تزاد الواو فيها وتزاد فى أولى أى أصحاب

٤٣٦ — خير ما فى الدنيا

مُعاذ بن جبل : ليس فى الدنيا خير من اثنين : رغيف تشبع به كبداً(١) جائعاً ، وكلمة تفرج بها عن ملهوف

٤٣٧ — حضرنا ملاك الوالدة ...

فى (الغرر الواضحة) لإبرهيم بن يحيى الوطواط : قال أبو هريرة الشاعر المصرى : خرجت يوماً إلى (بركة الحبش) بمصر متنزهاً فى أيام الربيع حين أخذت الأرض زخرفها وازّينت ، ومعى آنية شراب وكتاب ، وكانت تلك عادتى فى كل سنة ، فجعلت أشرب وأنادم كتابى طول يومى . فلما كادت الشمس تغرب ، وتُلمح فى أجنحة الطير أخذت فى الانصراف إلى منزلى وأنا ثمل . فبينما أنا أمشى إذ خرج فارس من مصر متلثماً لا يَبين من وجهه غير عينيه ، فسلّم وقال : من أين أقبل الشيوخ ؟

فقلت فى نفسى : أجنّ الرجل ؟ ومن يرى معى ؟ فالتفتُّ فإذا خلفى قطيعٌ من التيوس فقلت : حضرنا ملاك(٢) الوالدة أصلحك الله ! فضحك وانصرف .

ولما كان بعد أيام دخلت إلى الأمير (تكين) فى حاجة فقضاها لى ، وأمرنى بألف درهم وقال : هذا حقُّ حضورك ذاك الملاك . فعلمت أنه هو الذى لقينى ، فأخذتها وانصرفت

* * *

بركة الحبش هى التى يقول فيها أمية بن أبى الصلت :

لله يومٌ ببركة الحبش ... والأفق بين الضياء والغبش !
والنيل تحت الرياح مضطربٌ ... كصارمٍ فى يمين مرتعش !
ونحن فى روضة مُفوّفة ... دبج بالنور عطفها ووُشى !
وأثقلُ الناس كلهم رجلٌ ... دعاه داعى الصّبا فلم يطش
فاسقِنى بالكبار مترعةً ... فهنّ أشفى لشدة العطش(٣)

(١) الفراء : الكبد تذكر وتؤنث ويجوز التخفيف بكسر الكاف وسكون الباء .

(٢) الأملاك والملاك — بفتح الميم وكسرها — التزويج وعقد النكاح (النهاية)

(٣) سقاه وسقاه بالتشديد وأسقاه بمعنى واحد (التاج) أسقيته بالألف لغة

الرَّجْع البعيد

للأستاذ محمود الخفيف

إيه قيثارتي تغنّي ... أعيدي   لحن ماضيّ واشتكي من جديد
جدّدت جدّة الزمان هيامي   وأثار الربيع ذكرى عهودي

* * *

ردّدي في الفناء أحلام أمسي   علّ في الذكريات روحاً لنفسي
جدّدي اللحن كم خدعت فؤادي   بسراب من المنى والتأسّي

* * *

هدهدي موجعاً صحا في الضلوع   وهفا اليوم بعد طول الهجوع
راح يستاف في الربوع نسيماً   في شذاه عهود تلك الربوع!

* * *

أتسلّى يا ويلتا بغنائي.   ومن الداء أستمدّ دوائي!
لذت بالوهم والتجمّل حيناً   لم أصب فيهما أقلّ شفاء

* * *

ما لهذي الملاعب الخضر توحي   خطرات أغرقن في الهمّ روحي
كنّ بالأمس والمنى نضرات   مبعث السحر والهوى والطموح

* * *

صفقت بالروض أنقل الخطو وحدي   بين زهر به وضاحك ورد
صور في الضحى يزدن عذابي   ومعان يثرن كامن وجدي!

* * *

خيّلت جنّتي لقلبي الشريد   وحشة البيد في القفار المديد
وغدا لحني المردّد فيها   بعد موت المنى كرجع بعيد!

* * *

يا بنات الهديل ردّدن لحني   وخذي الشوق والتفجّع عنّي
أنا أشجى بكاً وأصدق وجداً   وأفوق الهديل روعة فنّ

* * *

يا صحابي لا تنكروا اليوم سجعي   أتمنّى لو كان قلبي طوعي
سأسرّي عن مهجتي يا رفاقي   ساعة الشوق ثم أحبس دمعي

* * *

ساعة الشوق؟ فيم يا نفس شوقي؟   تعب القلب بين يأس وخفق
حسبك اليوم من زمانك ذكرى   قبضة الدهر غيرها ليس تبقى

* * *

أين من كنت لا أرى لوجودي   أملاً دونها وأين عهودي؟
أين أيامي التي ذقت فيها   فوق هذا الثرى نعيم الخلود؟

* * *

هجرت أيكها الحمامة عجلى   فذوى الأيك والربيع تولّى
أوحش الروض واستحالت قتاداً   زهرات عدمن في الهجر طلّا

* * *

زهرات نجيع قلبي كساها   روعة السحر والوفاء سقاها
نبتت وهي طفلة فرعتها   وشببنا فأودعتها شذاها

* * *

صوّحت وهي غضّة زهراتي   قبل أن ينطوي ربيع الحياة
كم بغيظ الفؤاد قول معاد   كل حسن مصيره للممات!

* * *

الصباح الندي يوحي البكاء   والأصيل الرخيّ يحكي الفناء
وريح المساء حولي نوح   لم يطق مسمعي له إصغاء!

* * *

الربيع الضحوك عيد لغيري   أبطلت فيه وحشتي كل سحر!
لا الأغاني به أغاني ربيعي   لا ولا العطر فيه سالف عطري

* * *

كل حسن به يلذع قلبي   وهو بالأمس كان فتنة لبّي
أرأيت اليتيم في يوم عيد   حائر الدمع بين حبس وسكب؟

* * *

فرحة العيد في وجوه الصحاب   حوله كم تذيقه من عذاب
يتأذّى، فإن تغابى لديهم   نمس الذلّ كله في التغابي!

* * *

عرف اليتم وهو غرّ جفاني   ودهاني من يتمه ما دهاني
وتغابى، يا ليته ما تغابى   ثم ناداه أمسه فعصاني!

الخفيف

نزانيم ونسابيح

من وادى الشمس ! (١)

[إلى نورها السامي الحزين]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

تعالَىْ يا ابنتى . . . ويا فرحةَ أيامى !
تعالَىْ نعتلِ الأقدا ح من شعرى وأنغامى !
ونشق الزهرَ والأطيا رَ من سحرى وإلهامى . . .
فزهرُ الروضِ نشوانُ
وموجُ النهرِ سكرانُ
وشدوُ الطيرِ فرحانُ . . .
وأنتِ الفرحةُ الكبرى لتغريدى وأحلامى
فهيّا نسبقُ النورَ لهذا الملعبِ السامى !

* * *

تعالَىْ وانظرى صفوى وأسمارى مع الوادى
وعرسَ الشمسِ فى الدنيا على محرابِ أجدادى
وسحرَ النيلِ والموجُ عليه رائحٌ غادِ . . .
فوادى الشمسِ فتانُ
وشادى الحسنِ لهفانُ
وهذا القلبُ ظمآنُ . . .
وأنتِ الكأسُ والخمرُ لروحِ البلبلِ الشادى
فهيّا أسعدى الكونَ بأعراسى وأعيادى !

محمود حسن اسماعيل

(١) حق تلحينها وغنائها لمحطة الاذاعة اللاسلكية للحكومة المصرية

راعيـــة الغنم

[مهداة إلى راعى الراعية]

للآنسة جميلة العلايلى



يا رمز جبريل فى الدنيا وعائشة بين الأنام بقلب ملؤه جمر
ودعت دنياك كالنساك راغبة عن الوجود وعيش كله شر !
ودعت أحلامها فى غير ما أسف ماذا دهاك ! ألا أمر له سر ؟
كيف ارتضيت حياة القفر هانئة ؟ وكيف أغراك ذاك المهمه الوعر ؟
عل المراعى التى طابت مغارسها سمى إليك بها الإيناس والبشر ؟
أتسمعين ثناء فى جوانبها أم تسمعين غناء بعضه سحر ؟
ومن عجائب ما شاهدت راعية تقسو عليها الليالى ، وهي تفتر !
أتلك راعية فى القفر ضاربة ؟ أم روضة رف فيها الزهر والنور
قد لفها النور فى أبهى غلائله وزانها المغريان النبل والطهر !

* * *

يا ربة الغنمات البيض طالعة بين المروج كما قد يطلع الفجر
دنياك ، دنياك ما أندى مخاضرها وما أحب رباها إنها شعر !
كأنما أنت إذ تبدين عاطرة روض تنفس فى أبحائه الزهر

* * *

يا ربة الغنمات البيض تكلؤها عين السماء ويزكو عندها البر
قفر حياتك لكن حين ألمسها يكاد ينشق روضاً ذلك القفر
وحيدة أنت فى دنياك راضية بما تجئ به الأقدار والدهر
يا حبذا القفر دهراً للتى سئمت كل الأباطيل ممن ودهم غدر !

(المنصورة) جميلة العلايلى



كيف ظهرت الحياة على الارض ؟

للأستاذ نصيف المنقبادى

أثبتنا فى مقالاتنا السابقة أن الحياة ظاهرة مثل باقى ظواهر الطبيعة ، وأن تقسيم ما فى الطبيعة إلى كائنات حية وإلى جمادات إنما هو تقسيم اصطناعى سطحى لا يستند إلى الواقع ، وتنفيه نواميس الطبيعة الأساسية المقررة فى علوم الميكانيكا والطبيعة والكيمياء، إذ لا يوجد فرق جوهرى بين الأحياء وبين الجمادات. فجميع ظواهر الحياة أو ما كانوا يسمونه بمميزات الأحياء Les caractères des êtres vivants مثل الشكل النوعى والتركيب الكيميائى والتغذى والتنفس والنمو والتأثر والتحرك الذاتى الخ ، كل هذه موجودة بلا استثناء ولكن مبعثرة ومشتتة فى الجمادات ، وكل ما فى الأمر أنها إذا اجتمعت فى جسم واحد قيل عنه إنه كائن حى

وقد بينا بالأدلة والمشاهدات العديدة أن الأحياء خاضعة فى أمورها وأحوالها وجميع ظواهرها لنواميس الطبيعة وفى مقدمتها ناموسا عدم تلاشى المادة وعدم تلاشى الطاقة ، وأثبتنا بالاختبارات والأرقام أن جميع مظاهر الحياة ووظائف الأعضاء وحتى التفكير والقوى العقلية ، ليس لها إلا مصدر واحد وهو الغذاء أو بالأحرى الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء ، وما عهد القراء ببعيد بالتجارب والاختبارات الحاسمة التى قام بها أتووتر وبينيدكت وغيرهما من الفسيولوجيين بواسطة ذلك الكالوريمتر الكبير الذى شرحناه فى إحدى المقالات السابقة ، فلا حاجة إلى التكرار ، وكذلك الأجهزة الدقيقة التى تدل على ازدياد حجم المخ قليلاً مدة التفكير بورود كمية من الدم إليه ، كما تدل من جهة أخرى على ارتفاع درجة حرارته مما يقطع بأن القوى العقلية تستهلك كمية من الطاقة الغذائية ، وأنه ليس لها أيضاً إلا مصدر واحد وهو هذه الطاقة وليس شىء آخر سواها

وما دام الأمر كذلك فيمكننا أن نقول مقدماً إن أصلها وكيفية ظهورها على الأرض لا بدّ أن يرجع إلى أسباب طبيعية، فهى ظهرت كما ظهرت أجسام أخرى كالمواد المبلورة وغيرها وكما نشأت الجبال والبحار وتكونت طبقات الأرض المختلفة وما تحتويه من مناجم الفحم والمعادن المتنوعة كل ذلك بفعل العوامل والنواميس الطبيعية

غير أن العلماء كانوا فيما مضى ، قبل قيام الاكتشافات العظيمة الحالية فى البيولوجيا والفسيولوجيا وباقى علوم التاريخ الطبيعى ، حيارى لا يدرون كيف يعللون كيفية ظهور الحياة على الأرض والتفسير العلمى الصحيح

فقال فريق منهم فى أواخر القرن الثامن عشر وفى أوائل القرن التاسع عشر ، منهم بوفون ومحررو دائرة المعارف إذ ذاك ، ومنهم لا مارك السابق لداروين فى تأسيس مذهب التطور والتسلسل . قال هؤلاء إن الكائنات الحية الأولية تولدت ذاتياً من الجمادات ، وهو مذهب التولد الذاتى المشهور ، بل إن بعضهم بالغ فى ذلك إلى الزعم بأن الأحياء السفلى الحالية ما زالت تتولد الآن من الجمادات ، كما يعتقد العوام خطأ بأن كثيراً من الديدان والحشرات تتولد ذاتياً من تلقاء نفسها فى المواد القذرة والعفنة والمتخمرة . وقد أساءت هذه المبالغة وهذا الخطأ إلى المذهب المذكور على ما هو عليه من الوجاهة وكانت السبب فى سقوطه فى بادئ الأمر

وقد جاءت أبحاث باستور واكتشافاته الجديدة التى قام بها فى ذلك العهد تنفى — فى الظاهر — ذلك المذهب وتثبت استحالة تولد الكائنات الحية الآن من الجمادات ، بمعنى أن كل كائن حى مهما سفل نوعه لابد أن يتولد الآن من كائن مماثل له . وكانت فى الوقت نفسه قد فشلت فى ذلك الحين المحاولات التى قام بها بعض الكيميائيين البيولوجيين لتركيب المواد الزلالية ولو البسيطة منها اصطناعياً . فاتخذ خصوم ذلك المذهب — مذهب التولد الذاتى — من هذا كله أسلحة لمحاربته وقتلوه فى مهده

لهذا فكر بعض العلماء أن يأتوا — بمحض خيالهم — ببذور الحياة من عوالم أخرى ففرضوا أنها تنتقل فى صورة ذرات صغيرة جداً فى الفضاء الكونى من بعض الكواكب إلى البعض ، ومتى سقطت على كوكب صالح للحياة تنمو وتتولد منها الكائنات الحية البسيطة ثم المركبة . وبالغ أحدهم وقال إن تلك الجراثيم الكونية لا تؤثر فيها الحرارة — حرارة الكواكب الملتهبة وحرارة الشهب والنيازك التى تحملها أحياناً وتسقط بها على الكواكب والسيارات مثل الأرض وغيرها — وقد سماها Pyrozoaires أى الأحياء النارية .

ولكن هذه الفروض التخمينية فضلاً عن أنها خيالية محضة لا تستند إلى أى دليل علمى ؛ فإنها لا تحل الأشكال بل تبعد حله بأن تنقله من أرضنا إلى عوالم أخرى . إذ لنا أن نتساءل : وكيف وجدت الحياة فى تلك العوالم الأخرى التى انتقلت إلينا منها الجراثيم الحية ؟ ويبقى علينا أن نبحث فى أسباب وظروف تكوين تلك الجراثيم فى باقى الكواكب والسيارات .

وفوق هذا فإن تلك الفروض التخمينية مخالفة لروح البحث العلمى ؛ لأنه إذا كان الكربون والآزوت والهيدروجين والأكسوجين وبعض المعادن الأخرى التى تتركب منها المواد الحية قد امتزجت طبيعياً وكونت تلك المواد فى العوالم الأخرى فلماذا — وهى موجودة جميعها على الأرض — لا تمتزج هنا أيضاً وتولد المادة الحية كما فعلت فى غير الأرض ؟ أليس أساس كل علم أن نفس الأسباب تنتج نفس النتائج ؟ Les mêmes causes produisent les mêmes effets

لهذا كله وجب علينا أن نواجه الحقائق العلمية فى حد ذاتها على ضوء الأبحاث والاكتشافات الحديثة وغير متأثرين بالآراء والمذاهب القديمة الموروثة ، وأن نرجع إلى الحالة التى كانت عليها الأرض وقت ظهور الحياة لنستخلص من ذلك مصدرها — أى مصدر الحياة — وكيفية نشوئها وأسباب ذلك . وهذا ما أخذه العلماء على عاتقهم فى الخمسين سنة الأخيرة .

قلنا إنه ما دامت الحياة ظاهرة طبيعية فلا بد أن تكون ظهرت على الأرض بفعل العوامل الطبيعية وهذا هو الواقع .

الواقع أن مواد الأجسام الحية النباتية والحيوانية تشتق رأساً الآن من الجمادات ، وتتكون منها مباشرة فى كل لحظة أمامنا ، وعلى مرأى منا . فمن أين جاءت المواد الحية التى تبنى بها أجسامنا منذ تكوينها من بويضة صغيرة جداً لا ترى إلا بالميكرسكوب ؟ لاشك فى أنها تكونت من الغذاء . وقد بينا فى المقالات السابقة أن المواد الغذائية تشتق من الجمادات وتتكون منها ، فالحيوانات آكلة اللحوم تتغذى بالحيوانات النباتية وهذه تتغذى من النباتات ، والنباتات تركب أنسجتها وتحصل على غذائها من الجمادات ، فمادتها الخضراء (الكلوروفيل) تستعين بطاقة الشمس الإشعاعية وتحلل غاز حمض الكربونيك المنتشر فى الجو ، وتنتزع منه الكربون وتمزجه بالماء فتؤلف منه السكر والنشا ثم الأحماض والقلويات العضوية والمواد الدهنية . وفى الوقت نفسه تمتص جذورها التراكيب الآزوتية من الأرض ذائبة فى الماء وتمزجها بالمواد الكربونية المذكورة بفعل قوة الشمس أيضاً فتنتج المواد الزلالية الموصوفة بالحية . وهكذا تتركب الآن باستمرار أجسام الكائنات الحية من الجمادات المنتشرة فى الجو وعلى الأرض بفعل قوة الشمس وبواسطة الكلوروفيل .

وقد توصل الكيميائيون إلى تركيب الكثير من المواد العضوية النباتية والحيوانية من الجماد رأساً كما تفعل الطبيعة ، فنجحوا مثلاً فى الحصول اصطناعيًّا على المواد السكرية والنشوية المختلفة وعلى معظم المواد الدهنية وعلى كثير من المواد العضوية الأخرى كالقلويات التى تستعمل فى الطب ، والعطور المختلفة . والأهم من هذا أنهم ركبوا كيميائيًّا من مواد معدنية محضة حامض النمليك الذى يدخل فيه الآزوت وهو النواة الكيميائية للمواد الزلالية ، ثم ركبوا بعضاً من هذه المواد مثل زلال اللبن (مادة الجبن) ومثل البروتيين الناتجة من هضم المواد الزلالية فى الحيوانات والنباتات ،

ومثل الكبراتين التى تدخل فى تركيب أظافر الإنسان والحيوانات الفقرية الأخرى . وهذا النجاح يبشر بقرب الوصول إلى تركيب المواد الزلالية العليا الموصوفة بالحية كما بينا كل هذا فى المقالات السابقة ...

ومن الغريب الذى يدعو إلى الإعجاب أن بعض الكيميائيين مثل دانيال برتولو وجوديشون سلكوا فى تركيب السكر والحمض التمليك الآزوتى المتقدم ذكره نفس الطريق الذى تتبعه الطبيعة بأن سلطوا الأشعة فوق البنفسجية المنبعثة من بخار الزئبق على خليط من الماء والحامض الكربونيك وبعض تراكيب الآزوت المعدنية البسيطة

فما تصنعه الطبيعة الآن تحت نظرنا وأمام أعيننا من انشاء المادة الحية رأساً بفعل طاقة الشمس ولكن بالواسطة — أى بواسطة المادة النباتية الخضراء (الكلوروفيل) — بل ما يصنعه الإنسان فى معامله إلى حدما ، ألم تستطعه الطبيعة رأساً بلا واسطة فى الزمن البعيد حيث كانت ظروف الشمس والأرض أكثر ملاءمة من الآن ؟

فقد كانت الشمس فى ذلك الماضى البعيد جداً الذى لا يقل عن خمسمائة مليون سنة من الكواكب الزرقاء أو البيضاء من الدرجة الأولى ، تزيد حرارتها عما هى عليه الآن بمراحل ، وكانت ـ على الأخص ـ تشتمل على الكثير من الأشعة فوق البنفسجية ، وهى كما لا يخفى توجد وتنشط التفاعلات الكيميائية على اختلاف صورها ...

وكانت الأرض من جهتها مرتفعة الحرارة لقرب عهد انفصالها من الشمس . وفوق هذا فإنها ـ أى الأرض ـ كانت فى ذلك الحين مسرحاً لكثير من إشعاع الراديوم والأجسام المماثلة له التى كانت توجد كميات وافرة منها على سطحها . وكانت تنبعث من هذه الأجسام الأشعاعية الكثير من غازات الهيدروجين والهليوم الجديدة ، ومن المقرر فى علم الكيمياء أن الغازات المستجدة تكون أكثر قابلية للامتزاج بغيرها من المواد الأخرى .

فنتج من كل هذه العوامل مجتمعة أن نشطت التفاعلات الكيميائية على الأرض وفى الماء وامتزجت المواد المختلفة بعضها بالبعض ، وعلى الأخص الكربون والآزوت والهيدروجين والأوكسجين وبعض المواد المعدنية الأخرى على صور شتى عديدة ، فتولدت على هذا النحو ما يسمونه بالمواد العضوية البسيطة ، أى بعض تراكيب الكربون ، ثم المواد العضوية الأكثر تركيباً ومنها الأحماض الآزوتية مثل حامض التمليك وغيره . وهذه امتزج بعضها ببعض وبالأحماض الفوسفورية فأدت إلى المواد الزلالية البسيطة ثم العليا الموصوفة بالحية . وكان هذا أول مظهر للحياة وأبسط صورة من صورها

وتطورت هذه المواد الزلالية بفعل العوامل الطبيعية وتحول بعضها إلى الحيوانات الأولية ذات الخلية الواحدة ، وبعضها إلى النباتات الأولية ، وثالثة إلى النباتات الفطرية وهى الحلقة المتوسطة بين الحيوانات والنباتات كما بينا ذلك فى مقالنا الأول

وتسلسلت من هذه الأحياء الأولية البسيطة الحيوانات والنباتات السفلى ثم العليا فى مختلف العصور الجيولوجية التى دام كل منها عشرات الملايين من السنين مما سنشرحه فى مقالات قادمة ونبين أسبابه ونأتى على الأدلة والشاهدات والاختبارات المؤيدة له

غير أن حرارة الشمس أخذت تنقص بالتدريج فى مئات الملايين من السنين ، كما نقصت أشعتها فوق البنفسجية فأصبحت عاجزة عن تركيب المواد الحية من المواد الجامدة أو المعدنية من تلقاء نفسها كما كانت تفعل فى بادئ الأمر ، فاستعانت على ذلك بالكلوروفيل كالرجل المتقدم فى السن يستعين على رؤية الأشياء بالنظارات . ذلك لأن النباتات كانت قد ظهرت على الأرض على الوجه المتقدم بيانه منذ ذلك الحين

فضعف الشمس الآن هو السبب فى استحالة التولد الذاتى فى الظروف الطبيعية الحالية ، وهذا ما يفسر مدلول أبحاث باستور وتجاربه المشار إليها فيما تقدم . فإن هذه الأبحاث والتجارب لا تدل إلا على استحالة التولد الذاتى فى عصرنا الحاضر ولكنها لا تنفى إمكان ذلك فى بدء ظروف الطبيعة على الأرض

* * *

كان الناس فى بدء نشوء النوع الإنسانى قبل اكتشاف الكبريت والفوسفور ، وقبل أن يستنبطوا أحداث الشرر من احتكاك بعض الأحجار الخاصة بالبعض — يعتقدون أن النار سر من وراء الطبيعة لا يستطيع البشر أن يخلقوها ، وأن كل نار لا بد أن تولد من نار أخرى سابقة لها ، كما يعتقد جمهور الناس الآن فى الحياة والكائنات الحية

فكانوا فى ذلك الماضي البعيد إذا شاهدوا حريقاً نشأ مثلاً بفعل العوامل الطبيعية كانقضاض صاعقة على شجيرة يابسة أو على كمية من الحطب أو الحشائش الجافة ، يوقدون منه ناراً دائمة فى مغاورهم ومساكنهم يتخذونها كخميرة يولدون منها النار كلما أرادوا إحداثها لحاجاتهم الشخصية ، وهذا هو منشأ عقيدة عبادة النار التى تسلسلت منها عادة المحافظة على مصابيح أو شموع صغيرة تضاء فى المعابد والمساكن لأغراض دينية

ومع أن الإنسان اكتشف بعد ذلك الوسائل الاصطناعية لإحداث النار كما شاء إلا أن تلك العادة ما زالت باقية إلى الآن ، شأن كل فعل أو صفة مكتسبة يجرى العمل عليها الزمن الطويل فإنها تتأصل وتصبح آلية ، وعلى هذا النحو نشأت الغرائز فى الحيوانات والإنسان كما شرحنا ذلك فى مقالنا الأخير عند الكلام على نشوء الغريزة الاجتماعية والأخلاقية فى الإنسان والحيوانات الاجتماعية الأخرى كالقرود العليا والنمل

وهكذا الحال بالنسبة للحياة ؛ فإنه نظراً لعجزنا الحالى المؤقت عن تكوين المادة الحية اصطناعياً، نظن أنها سر من وراء الطبيعة، وأنها تختلف عن باقى ظواهر الكون وأنها لم تظهر على الأرض بفعل العوامل الطبيعية، بل هى من عالم آخر كما يتوهمون . فنحن الآن بالنسبة للحياة على ما كان عليه أجدادنا البعيدون بالنسبة للنار قبل اكتشاف وسائل إحداثها اصطناعياً .

على أن كل هـذا الوهم سوف ينقشع ويتلاشى فى المستقبل حين يتوصل العلماء نهائياً إلى تركيب المادة الحية فى معاملهم . وقد بينا فيما تقدم وفى المقالات السابقة أنهم أوشكوا أن يصلوا إلى هذه النتيجة الهامة حيث خطوا خطوات تذكر فى هذا السبيل فقد صنعوا كيميائياً بعض المواد الزلالية سالفة الذكر وهم فى طريق صنع المواد الزلالية العليا المسماة « بالمواد الحية » . ومتى وصل العلم إلى ذلك الحد تصبح الحياة ظاهرة طبيعية فى نظر جمهور الناس ينظرون إليها كما ننظر إلى النار الآن بعد اكتشاف الوسائل التى تحملنا نحدثها كما شئنا .

نصيف المنقبادى المحامى
دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)

قصــة الحــرير

بقلم أحمد على الشحات

دلف نوح عليه السلام إلى الصين يسمى بعد الطوفان ، وله فى الاشتغال فى هذا البلد بالحرير ذكر ، إذ يقول بعض المؤرخين إنه هو أول من اهتدى إلى الحصول عليه . وسواء لدينا أكان هو أم كان غيره — ما دمنا لم نتثبت من ذلك بعد — إلا أن الذى لا ريب فيه أن (الصين) هى أول بلد اشتغل بالحرير ؛ بل واسم بلاد الصين ذاته معناه بالصينية « الحرير » .

ويعزو التاريخ الفضل الأكبر فى انتشار الحرير بالصين إلى زوج الإمبراطور الصينى (فوهانج عام ٢٥٠٠ قبـل الميلاد) ؛ ويسند التاريخ إليها أيضاً اختراع (النوال) ونسج الحرير .

ومنذ القدم والحرير يقدر بقيمة عالية . فلقد كانت الممالك : كالهند وإيران واليونان وروما تدفع فيه للصين عن طيب خاطر ما يزيد على وزنه من الذهب .

وكانت الصين تسعى جهدها ألا تتمكن مملكة أخرى من الاهتداء إلى طريقة الحصول عليه . ومن الطريف أنه إذا استعلم الأجانب منهم عن ذلك مكروا بهم وأجابوهم بأن الحرير هو من (وبر الغنم) خلطت به ألياف رفيعة ووضع فى المـاء تحت أشعة الشمس فى فصول معينة من السنة . حتى إذا ما سويت هذه الخيوط بعد ذلك إذا بهم يحصلون على الحرير .

ومما يثير الدهشة أن تمكن الصينيون من كتم هذا السر عن العالم لحقب طويلة إلى أن كان القرن الثالث بعد ميلاد المسيح . وكانت اليابان بطبيعة موقعها وجوارها للصين ترى تلك التجارة العظيمة فى الحرير التى تدر على الصين الخير كله ، صح عزمها على اكتشاف هذا السر بالغاً ما بلغ الجهد منها ، وكانت على اعتقاد جازم بأن الصين تمكر بالعالم إذ تذيع تلك القصة السالفة التى ابتكرها خيالهم بأن الحرير أصله وبر غنم . أوفدت جواسيس لهـا إلى الصين أمروا بنات أربعا يشتغلن بالحرير ، واختلسوا ما تمكنوا من الاهتداء إليه من دود الحرير . وعادوا بالأسيرات

إلى اليابان ، وهناك علمهم أن الحرير إفراز خيطى من ديدان الحرير فى أحد أطوار حياتها ، وعلمهم أيضاً كيفية استغلاله .

ومن ذاك اليوم والسر عن نطاق الصين قد خرج والاتجار بالحرير فى اليابان ينمو ويزدهر ، ولعل اليابان اليوم أقوى أمم الأرض فى التجارة بالحرير .

كيف اهتدت إليه الهند ؟

أما وكيف كان ذلك فيروى أن أميرة صينية اقترنت بأمير هندى فى ذات التاريخ الذى عرفت فيه اليابان سر الحرير (القرن الثالث) ؛ وحملت هذه الأميرة بعض دود الحرير إلى حيث مقامها مع بعلها ، وهناك ألقت إلى الناس بالسر الذى تكتمت عليه مملكتها أشد التكتم ؛ ثم ازدهرت تجارته بعد ذلك بالهند .

دخوله القسطنطينية

فى القرن السادس دخل راهبان كانا قد قضيا حقبة من العمر فى الصين خبرا خلالها الحرير ، بيزنطة (القسطنطينية) وأفضيا إلى امبراطورها (جستنيان) بما يعلمان عن الحرير . فطلب إليهما أن يشدا رحالهما ثانية إلى الصين ، ويحملا إليه بعد ذلك ما اتصل بما أسراه إليه عن الحرير مجزلاً لهما العطاء مسرفاً فى الوعود والمنح . فامتثلا وقفلا راجعين إلى الصين وهناك تمكنا من تخبئة كمية من بيض دود الحرير فى عصا مجوفة ، وارتدا إلى الإمبراطور .

ولو قد استشفا بصيرتهما الحجب ، وعلما ما كن فى سطور الغيب لرأيا أن هذه العصا التى يحملانها ستكون سبباً فى سعود نجم تجار كثيرين ، وأن العالم الأوربى الآن وقد مضى على حمل هذه العصا أربعة عشر قرناً تأسست تجارته فى الحرير على محتويات هذه العصا .

وانتعش الحرير فى فرنسا كثيراً واتخذته العائلات المالكة هواية لها وكذلك الأشراف ، بل وكانت الألقاب السامية تمنح لمن أفلح فى إنتاج الحرير حتى إذا ما وافى القرن السابع عشر كانت فرنسا عن بكرة أبيها قد أجادته تماماً

ولقد كانت انجلترا على النقيض من ذلك لم تلق بالاً إلى الحرير على رغم أن جوها يصلح لتربية الدود ويصلح لشجر التوت ، بل وملكها جيمس الأول يحث الناس ويشجعهم على العمل فى إنتاجه والاتجار به . ولكن الناس كانوا عن أمر الحرير غافلين وفضلوا أن يستمروا فى تربية الخنازير والعمل على تسمينها واستخراج البيرة

ولكن كان لانجلترا فى الهند خير عزاء إذ أن الحرير بالهند والظروف المهيئة لنمو الدود هناك والشجر ليتغذى عليه قد بلغ ذلك كله مبلغاً جعل الهند فى مصاف الأمم الأخرى التى أفلحت فيه ، بل ولقد برزت هى فى ذلك

واختلفت أمزجة الشعوب فى النقش على الحرير ، فبينما الصين كانت تكثر من رسم الأزهار كانت الأمم المسيحية ومن بينها بيزنطة (القسطنطينية) ترسم زخرفة بسيطة بها صليب . وكانت الهند تكثر من رسم الإنسان والوحوش والطيور ومناظر صيدها ، وكانت العرب تكثر من الكتابات المتعلقة بسلاطينهم كقولهم العز والنصر والإقبال للسلطان والمتعلقة بالتوحيد كقولهم لا إله إلا الله .

احمد على الشحات
كيميائى بالسكة الحديد


داود
عدس
وولده
يقدم
ابتداء من يوم
الخميس
أول يونيو
والايام التالية
فرصة عظيمة
للبيع
تنزيل هائل
فى جميع الاقسام



دراسات فى الفن

المـــرأة والابداع الفنى

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

قبل أن أقول كلمة فى هذا الموضوع أحنى الرأس طويلاً بين يدى حواء ، فمهما تكن فإنها أمى ، والأم لا تنكر إذ قد ينكر الأب ، وإنها بعد ذلك أختى ، والأخت لا تتنكر إذ قد يتنكر الأخ ، وإنها منذ كنت سكنى ... رحمانك يا رب !

***

وبعد فإنه يخيل إلىّ أنى قد استطعت — بعون الله — فى حديثى السابق أن أغرى القارئ بالتفكير معى فى أمر الصدق ولزومه للفن ، وإنى أرجح أن تفكيره لم يعد يرى بأساً فى أن نجعل ما بين الصدق والفن من الصلة أساساً للنظر فى صلة الفن بالناس . فالصدق لا يقوم بذاته إلا فى الوجود المجرد ، ولكنه يحتاج إلى من يتجسده فى الكون المحسوس كما يحتاج إلى من يعلنه فيه ، والإنسان بعض ما يتجسده، وهو وحده الذى يعلنه بهذا الأسلوب المفهوم المعقول . والإنسان كما هو ظاهر رجل وامرأة ، فأيهما كان أقرب من الصدق كان أقرب من الفن . وأيهما كان أقرب من الفن كان أقرب من الصدق .

أما الذى يسجله التاريخ القديم والحديث فهو أن عدد الرجال الذين أبدعوا فى فنون الحس والعقل على الإطلاق أكثر من عدد النساء اللواتى أبدعن فى هذه الفنون . فإذا نحن سايرنا منطق الحساب فإننا سنشهد مجبرين بأن الرجل أقرب إلى الصدق من المرأة .

ولكن الذى تعودناه من مجاملة حواء لا يجيز لنا أن نمسك بهذه الدعوى وأن نتعلق بها وأن نقف عندها متبلطين لا نتزحزح عنها ولا ننجلى ، وإنما يأنف الذوق من هذا ويأبى إلا أن نخفف عن هذه الدعوى إلى شىء مما يتلوها ، فنقول : لعل طبيعة المرأة فى الأصل كانت تكاد تشبه طبيعة الرجل ، ولكنها الحياة التى تمردت على الطبيعة بهذه الحضارة هى التى عصفت بالمرأة دون الرجل وللمرأة عندئذ عذرها إلا إذا أنكرت تكوينها ، ولها فيه من القوة ما حُرِمه الرجل. كما أن لها فيه من الضعف ما برئ منه الرجل.

قد يتعاشق رجل وامرأة . أما الرجل فيهفو إلى محبوبته ، وأما هى فيكون فى نفسها أن تطير إليه ولكنها تتمنع ، فلا يرى الرجل بدًّا من أن يخطو هو الخطوة الأولى . فإذا أحست المرأة إشفاقه من هذه الخطوة وتردده عنها أغرته بها ودفعته إليها وشجعته عليها، ولكنها لا تسمح لنفسها بأن تخطوها لأنها لا تعرف الصلة بينها وبينه إلا على وجه واحد ، وهو أن تلقى عليه أعباءها . وهى مع رغبتها هذه تأبى إلا أن تسجل عليه خطوته الأولى ، وإن كانت هذه الخطوة بإغرائها وتشجيعها ، وهى تفعل هذا كله لتبرر فيما بينه وبينها بهذه الحركات الظاهرة دلالها عليه وتحكمها فيه بعد أن ملكت منه رغبته إليها أولاً ، وخطوته إليها ثانياً . فكأنها التى تفضلت بانقيادها ، وكأنما كانت تريد أن تعيش على بعد من الرجل

صحيح أن من الرجال من يستطيع أن يتماسك أمام المرأة ، وأن يمضى معها فى صراع المغازلة إلى أقصى ما تريد من فنون المغازلة، ولكن صحيحا أيضاً أن كثيرين من الرجال لا يلبثون أمام المرأة إلا ريثما ترتجف أرواحهم فإذا هم يتطايرون عبيراً وشذى، وإذا هم فنون من الأنغام والصور والشعر والحكمة : فى هــذه الفنون أودعوا اللهفة والشوق ، وبها ازينوا وتبرجوا كما يفعل بعض إخوانهم ممن يخادعون المرأة بقوة أبدانهم ، وممن يستهوونها بجاههم وأموالهم

والرجل صريح فى كلِ ضرب من ضروب الغزل هذه ...
ولكن المرأة – لا نقل كاذبة – وإنما نقول متحفظة
والتحفظ إبهام ولو ستر وراءه الصدق

وما لنا نتجشم الدخول إلى نفس المرأة ، وهذه مظاهرها أمامنا واضحة ؟ !

أما نرى المرأة تعنى بشئون بدنها أكثر من عنايتها بشئون روحها ؟ بل إنها إذا صفت روحها سخرت هذا الصفاء لنعمة جسدها ، وحسبته فى أسباب أناقتها كأنه زى من أزيائها ... فكثيرات هن المغنيات والراقصات والممثلات اللواتى يغزلن من فنونهن شباكا يقتنصن بها الأغنياء والشبان الوارثين ، وغيرهم ممن يشترون الجمال بالمال بينما لا يفعل مثل هذا من الرجال الفنانين إلا قلة نادرة شاذة

ثم ن هذا التجمل الذى تدمنه المرأة لا يخرج عن أنه تكلف وأنه شىء يشبه الكذب ، فهذا المسحوق الأبيض الذى تذره المرأة على وجهها لتقول به إن بشرتها بيضاء ناعمة ليس فيه من بياض بشرتها ولا من نعومتها شىء وإنما الأبيض الناعم هو . وهذا الدهان الأحمر الذى « تلطمه » على وجنتيها لتقول به إنها حمراء الخدين ليس فيه من حمرة خديها شىء وإنما الأحمر هو ... وهذا الطلاء القرمزى الذى تسفكه على شفتيها لتقول به إنها قرمزية الشفتين ليس فيه من شفتيها شىء وإنما القرمزى هو ... وهذا الشد الذى تربط به خصرها لتقول به إنها نحيلة الخصر إذا انفك ارتاح خصرها فإذا هى كما خلقها الله لا كما تقول بشدها. وهذا « الكعب » العالى الذى تركبه وتمشى به كما يمشى « البهلوان » على الحبل لتقول إنها سمهرية القد تخلعه فى وحدتها فإذا الأرض تبلع منها مقدار ما كانت « تتطاول » بكعبها العالى ...

والرجل لا يفعل شيئاً من هذا ، ولكن المرأة تفعله
– ولا نقل إن المرأة به كاذبة – وإنما نقول إنها متأنقة
والتأنق تمويه ولو ستر وراءه الصدق

فهل لا تصلح المرأة للفن إذن وهى غارقة فى تحفظها وتأنقها هذين ؟ الواقع أن كلا من التحفظ والتأنق يخنق الفن

أما التحفظ فإنه يخنق الفن لأن الفن دائماً يبدأ فى نفس الفنان ، فليس هناك مغن تغنى بعواطف الناس قبل أن يتغنى بعواطفه هو ، وليس هناك أديب كتب عن الناس قبل أن يكتب عن نفسه ، فإذا لم يكن قد كتب عن نفسه فلا بد أن يكون قد فكر فيها قبل أن يفكر فى غيرها من النفوس لأنها أقرب النفوس إليه كما أنه لا بد أن ينساب منه حين يكتب عن الآخرين ما يدل عليه وما يستطيع القارىء أن يحكم به على ما يحب وما يكره . ولا ريب أن الوصول إلى ما يحبه المرء وما يكرهه لا تتلوه إلا خطوة قصيرة يقف بعدها المستطلع أمام نفس هذا المرء وجهاً لوجه . وليس هناك رسام ينشر فى الناس صورة إلا وهو يضمن هذه الصور جميعاً ما ينجذب إليه من الألوان والأشكال ؛ فهو يدل بذلك على ذوقه ونواحى الراحة التى تطمئن إليها روحه ما دام يرسم مختاراً غير مجبر

وهكذا الفنون جميعاً تعلن بصراحة ووضوح عن نفوس أصحابها . زد على ذلك أن الفنون الفذة العبقرية تحتاج إلى جهاد يمارسه – فى أغلب الأحيان – أولئك الذين تتملكهم رسالاتهم الفنية فيشعرون أن الإنسانية قد استدارت حولهم فجعلتهم نواة لحلقة جديدة فى سلسلة الرقى الحسى والفكرى الذى ترقاه . وهذا الجهاد وما يصاحبه من ألوان الكفاح وصنوف الحرمان والتعذيب الروحانيين أو البدنيين يستلزمان من الصبر والعزيمة والقوة والمجالدة والإعراض عن مباهج الدنيا ما لا تطيق المرأة الخفيفة الرقيقة أن تحمله .

فهى بين التحفظ الذى أنشأه عندها الضعف ، وبين هذا الضعف الجديد إزاء الحالة العبقرية الطارئة فى ضعفين يثقل معهما التكليف بالفن أو يكاد يتعذر، فلا هى قادرة أن تكشف عن روحها فإذا فعلت فإنها عاجزة عن المضى فى حياتها وهى روح عادية .

فإذا لحظنا أنه قد شاعت بين النساء أزياء تكشف عما لزمت المرأة تحجيبه عن الأعين دهوراً من الخجل والخفر ، وإذا لحظنا إلى جانب هذا أنه لما تدع بين النساء الصراحة حتى اليوم ولما يرج بينهن الصدق ، وأنهن ما يزلن يفضلن من يزوق لهن القول ومن يزيف عليهن الحق حتى بعلمهن ، إذا لحظنا هذا وذاك أدركنا أن المرأة تعتقد بإيمان كامن فى نفسها أن جسمها خير من روحها ، وأنها لو أظهرت من جسمها ما أظهرت فإنها لن تصيب الأعين بالقذى ، على العكس من روحها التى تدثرها بالغموض والتحفظ خشية أن تحسب عليها خلجات نفسها

فلماذا تفعل المرأة هذا ؟

أفى نفسها شر مرعب مخيف تتقى أن ينفضح ؟ !

لا أحسب هذا ، وقد يكون كل ما فى الأمر أن المرأة متحفظة وأنها تحب ألا تعلن إلا ما يسر الرجل ، ولما كانت تربط حياتها بحياة رجل واحد إما أن يكون فى النيب فهى لا تدرى ما الذى يعجبه وما الذى يغضبه، وهى لهذا تشد النزوع الفنى فى نفسها حتى لا ينفر منها أحد ، وحتى يقبل عليها كل من يريد أن يتعرف بها فعندئذ تريه ما يرضيه هو لا ما يرضيها هى ، وإما أن يكون تحت سمعها وبصرها، فهى تسقيه من خمرها ما طاب له لا ما اعتصرته من نفسها

هذه هى حال المرأة الضعيفة المتحفظة

ويشبه هذا حالها فى تأنقها واصطناعها الزينة وفنون التجمل فهذا التأنق ينساب من بدنها إلى روحها ، والتأنق لا يخلو من التعمل والتكلف ، وهما يباعدان ما بينها وبين الفن الصادق الصحيح إذا أحبت أن تدنو من الفن . والأناقة ــ كما هو معلوم ــ لها أزياء تتشكل وتتطور على مر الزمن ، وهى تخضع فى تشكلها وتطورها للذوق العام الذى تدنيه بين الناس مؤثرات معقدة متعددة يخضع لها المتأنقون خضوعاً لا يرضاه الفنان ولا يستطيع أن يأخذ به لأنه يحب دائماً ألا يفعل إلا ما يقتنع به هو نفسه وهو يستقى سر إقناعه من نظرته للأشياء ومن تجربته الخاصــة ، ومن مقدار الراحة واللذة اللتين يوفق إليهما ... والمثل الذى يردده المتأنقون هو قولهم : « كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس » بينما الفنان ــ ما دام قادراً ــ لا يأكل إلا ما يعجبه ، ولا يلبس إلا ما يعجبه أيضا جرياً على نهج الحرية والصدق الذى يسلكه فى حياته

فإذا فرضنا أن المرأة استقامت إلى الفن فإنها فى أغلب الأحيان لا تفعم نفسها وفاء لهذه الاستقامة ، وإنما هى تبعثر من إخلاصها فى حقل التأنق مثلما تبعثر منه فى حقل الفن ، فهى إذن موزعة الجهد مشتتة الروح ، وفنها إذن لا يعدو أن يكون صورة أنيقة لزى من أزياء الفنون الرائجة التى يتحدث الناس بجمالها أو التى اتفقت كثرة من الناس على استحسانها ، وهذا هو السبب فى أنه لم يكد يحدث أن خطت امرأة خطاً جديداً فى لوحة الفن لا لشىء إلا لأن المرأة متأنقة ، والأناقة لها قاعدة تبيح للمتأنق أن يبتلع ما يعجبه ، ولكنها لا تبيح له أن يظهر أو أن يتظاهر إلا بما يعجب الناس

وقد رد علىّ نصير من أنصار المرأة فيقول إن من النساء الفنانات من لهن أسلوب فنى خاص بهن كممثلات السينما المعدودات فى الصف الأول بين الممثلات — والسينما اليوم هى المجال الفنى الذى تزاحم فيه المرأة الرجل — وقد يضرب لى نصير المرأة هذا المثل بجريتا جاربو التى يعتبرونها ممثلة السينما الأولى فى العالم ، فإن لها من غير جدال أسلوباً خاصاً بها فى تمثيلها ، كما أن لكل واحدة من الممثلات المبرزات أسلوباً خاصاً وإلا ما احتسبت بين الممثلات المبرزات

قد يقال هذا ، ولكن الرد عليه قريب . وهو لا يكلفنا أكثر من أن ننفى عن جريتا جاربو تمكنها من الإبداع الفنى الذى يسر لها أسلوبها الخاص بها فى التمثيل ، فنحن إذا راجعنا تاريخها لقتنا فيه ذكر ذلك المخرج السويدى الذى لطفت عنده جريتا فأحبها واستدرجها إليه بسطوته الفنية ، ثم نجأ العالم بها ولها هذا الأسلوب الناعس الجديد فى التمثيل

قد تكون جريتا ناعسة فى نفسها ولكنها لم تجرؤ على الظهور فى زيها النفسى الصادق إلا برعاية رجل وبمعاونته وتشجيعه ، ولا ريب أن هذا الظهور قد خدش فى نفس جريتا جاربو تحفظ الأنوثة وتأنقها ؛ ولا ريب أن هذا الخدش هو الذى يحملها دائماً إلى التهرب من المجتمعات وإلى حياة العزلة والغموض التى عرف عنها أنها تميل إليها ، وأنهــا تشتريها بالمال الكثير ، فهى إذن قد جزعت من الناس عند ما ظهرت لهم على حقيقتها لأنها كانت تحب أن تخفى هذه الحقيقة ، ولأنها كن تؤمن بأن التأنق على ما فيه من التكلف خير من الصدق والحق

ولهذا أيضاً اضطربت حياة جريتا الغرامية ، فهى قد أصبحت تعتقد أن الرجال قد وقفوا على حقيقة نفسها، وعلى مسالك عواطفها، فهى لذلك تشك فيمن يتقرب إليها بالهوى وإن أقبلت على واحد منهم فربما تشعر أنه قد تملك من نفسهــا عندئذ تفيق ولا ترضى

أن تؤمن بأن عاشقها هذا يحبها حباً صادقاً ، وإنما تحسبه كالنساء التمس إلى روحها مدخلاً هو ناحية الضعف فى نفسها

كل هذه الحيرة ، وكل هذا الشك ، وكل هـذا القلق ، لم يعتور نفس جريتا إلا لأنها جزعة نادمة على ما كشفت من نفسها ، فهى تسمح للمرحوم جون جلبرت بأن يتقدم نحو روحها حتى يتسلط عليها فتشك فيه وتنتفض من حبه وتهجره ، ثم لا تلبث أن تمثل مع رامون نوفارو فتحبه وتحس أنه يحبها ، فما تحس هذا حتى تفر منه وتهجره

خبل ما بعده خبل ... أحدثه فى نفس المرأة الصدق ، وكان حق الصدق أن يفيض بها طمأنينة ودعة

فهل يمكن أن يقال بعد هذا إلا أن الصدق غريب على طبع المرأة ؟ !

وما دمت قد ذكرت جريتا جاربو ، وذكرت بها السينما ، والسينما — كما قدمت — هى المجال الفنى الذى تزاحم فيه المرأة الرجل ، فإنى أرى نفسى ميالاً إلى الوقوف عند مشاهدة لا ريب أنها تؤيد ما أذهب إليه من تباعد المرأة عن روح الفن الصادقة ...

تلك هى أنه لم يحدث أن تصدت للاخراج فى السينما ولا فى المسرح حتى اليوم امرأة . وإن كان ذلك قد حدث فإنه لا بد أن يكون قد حدث فى حالة واحدة أو حالتين أو — على الأكثر — حالات لا يمكن أن تزيد على عدد أصابع اليد الواحدة ...

والإخراج فى التمثيل — كما يحتاج إلى إلمام ميكانيكى بقواعد الفن ، فإنه يحتاج إلى أبلغ النفاذ إلى روح الفن ومعانيه ومراميه ، وهو لا يقوم إلا بذوق مستقل خاص يتجلى فى الطابع الفنى الذى يتميز به المخرج ؛ هذا زيادة على ما هو لازم للمخرج من صدق الخبرة بالنفوس والحياة ، وصدق الحكم على الفن والفنانين ، لأنه بهذه الجرأة الصادقة ، وبهذا الحكم الصادق وحدهما يستطيع أن يبرز روايه ، وأن يوزع الأدوار فيها ، وأن يضمن خروجها وهى أقرب ما يكون العرض الفنى من الحياة الطبيعية ، وأصدق ما يكون من التعبير عما أراده مؤلف الرواية ، وأبلغ ما يكون من تصوير عواطفه وأحاسيسه ، وأوضح ما يكون من تحديد أفكاره ومراميه ...

هـذا العمل الفنى الجليل المعقد المتشعب لم تجرؤ النساء على الاقتراب منه حتى اليوم ، ولا ريب أن الذى يحول بينهن وبينه هو شىء فى طباعهن ، فإنهن أنفسهن لا يستطعن أن يدعين أن الرجل — وعلى الخصوص فى ميدان السينما الحر الطلق — يعوق سبيلهن أو يحد من مطامحهن .

وأخيراً ... فلعل القارئ قد لفته مثلما لفتنى ، أن العبقريات من النساء اللواتى شذذن على هذه القاعدة التى رسمناها اليوم فيهن من الرجولة ملامح منها ما هو ظاهر فى أبدانهن ، ومنها ما هو كامن فى أرواحهن ، ولست أريد أن أذكر من أعرفهن بالأسماء فقد يكرهن هذا لبقية باقية من الأنوثة فى نفوسهن ، وإن كنت لا أحب أن أدع حواء قبل أن أعود فأحنى الرأس طويلاً بين يديها متوسلاً إليها أن تجرب — إذا استطاعت — الصدق .

عزيز أحمد فهمى

من هنا ومن هناك

الوجوه ودلالتها على الأخلاق

[ملخصة عن كتاب « وجوه وملامح جديدة » للدكتور ماكسويل مولتز]

يرى الكثيرون أن ملامح الوجه تدل على الأخلاق . فيرون فى قصر الذقن دلالة على الحماقة وفى اعتدالها ما يدل على الحزم ، ويرون فى انحدار الجبهة أو طول الآذان دلالة على البلادة ، وفى شيب الشعر وتجاعيد الوجه علامة على كبر السن ، وفى غلظ الشفة دلالة على الشهوة

وفهم الأخلاق على هذا الوجه لا قيمة له من الوجهة العملية

لقد كانت الملامح فى الأزمان الغابرة هى الدليل الوحيد لمعرفة أخلاق الإنسان ، إذ لم يكن معروفاً أثر الظواهر الطبيعية فى تكوينه . فكانوا يحكمون على نوايا الرجل لمجرد النظر إلى وجهه فيعرفون إن كان من أصدقائهم أو من أعدائهم ، وكم أزهقت نفوس بريئة للالتباس فى أمرها !

إن الحكم على الطبيعة الإنسانية له أهمية كبيرة فى حياتنا الاجتماعية ، ولكننا مع ذلك لا نزال نتوسل إليه بالطرق العقيمة التى كان يلجأ إليها آباؤنا الأقدمون فى فهم الأخلاق والخبايا

يقول البروفسير « كليتون » إن أصدقاءنا أكثر قابلية للحكم علينا من الأجنبيين ، إذ أن الأخيرين يتأثرون فى كثير من الأحوال بالظاهر المألوفة عند أصدقائنا

ويقول « جاسترو » إن الحكم على الإنسان بسلوكه وتعبيره وحركاته وأحواله وكلامه ونبرات صوته أصدق وأولى من الحكم عليه بمظهره

إننا لا نستطيع أن نقول عن إنسان أن له آذاناً طويلة لأنه على جانب عظيم من البلادة ، فلماذا نقول عن شخص إنه على جانب عظيم من البلادة لأن له آذاناً طويلة ؟ إن العقل لا يقر هذا ولا يقر ذاك ، ولكن من المعقول أن نقول إن الطفل الذى له آذان تزيد فى طولها عن المعهود ، يلاقى بعض المشقات فى حياته لخروجه عن المألوف . فيرى من سخرية أصدقائه ما يجعله يؤثر العزلة والانزواء فى غالب الأحيان وفى ذلك ما فيه من التأثير على حياته وأعماله ، ولكننا لا نستطيع مع ذلك أن نجعل الوجه دليلاً على شخصية الرجل ، فيكفى لنفى ذلك أن نعرف التأثرات التى تعترض الطفل وهو يقضى تسعة أشهر فى بطن أمه مما لا شك فيه أن قبح الوجه له تأثير فى حياة الإنسان ، قد يؤدى إلى إفساد معيشته وتعكير صفو سعادته ، ولكن الجراحة فى هذه الأيام قد تقدمت إلى الدرجة التى تجعلها تتغلب على ذلك ، فتيسر للانسان التخلص من هذا الشذوذ ، فيتغير تغيراً تاماً يختفى على أثره الشعور بالاحتقار والسخرية ويحل محله الثقة بالنفس مضافة إلى حسن المظهر

كتب لا تقرأها — عن « جويد أولندر »

إذا تتبعنا تاريخ الأدب منذ أقدم العهود لا نلبث أن نرى بين فترة وأخرى صورة من تسلط القوة على الآراء وحجرها على حرية الفكر . فنعلم أن كثيراً من المؤلفات الثمينة والمذكرات ذات الأثر الفعال فى إظهار الحقائق التاريخية والاجتماعية قد قضى عليها بعدم الظهور .

ولعل أول حادث من هذا النوع كان فى سنة ألفين قبل الميلاد إذ أمر الأمبراطور « شى هيانج تى » بإحراق مؤلفات كنفشيوس الأدبية لحنقه عليها وتفضيله غيرها من المؤلفات المبنية على الحقائق العملية : كالكيمياء والزراعة والطب . .

ولقد صودرت منذ ذلك الحين كتب نفيسة لهوميروكانت وابش وبودلير وروسو وجاك لندن و د . ه لورنس وابتون سنكلير وغيرهم من الكتاب الذين ذاعت شهرتهم فى العالم .

وإذا كان لك الحظ فى زيارة المتحف الإنجليزى أمكنك أن ترى مجموعة كبيرة من الكتب القيمة والمذكرات الهامة محفوظة فى قسم خاص ، حيث يقوم بالمحافظة عليها موظفون وأمناء ومساعدون . فتجد فى هذا القسم مذكرات خاصة لبعض رجال السياسة ، وخطابات وتراجم لكثير من عظماء الرجال ، وكتب ورسائل فى كل فن وصى عليها جميعاً بأن تحتجب عن الأنظار .

من ذلك مذكرات لسير هنرى كامبل الذى كان رئيساً للوزارة الإنجليزية وزعيما لحزب الأحرار ، وقد مضت سنين عديدة وهى فى مكانها من ذلك المتحف تحت مراقبة إدارة حفظ المطبوعات

لقد كان كامبل من رجال السياسة المعروفين بكرم الأخلاق والنزاهة ، وهو فوق ذلك يعد من السياسيين الأفذاذ . فماذا كتب فى تلك المذكرات ؟ قد يظهر ذلك فى المستقبل القريب . وإلى أن يحين ذلك الوقت ستظل محجوبة عن الأنظار المتعطشة تحت إشراف إدارة حفظ المطبوعات هى وعشرات غيرها من المذكرات والمستندات والخطابات التى لم تظهر للعالم .

ولم يغرب عن البال قصة الخطابات التى خلفها القصصى المشهور شارلز دكنز ، فقد أرسلت مسز بيروجينى ابنة الكاتب الكبير إلى برنارد شو تستشيره فى أمر هذه الخطابات التى عانت أمها كثيراً فى سبيل المحافظة عليها وبقائها بغير تلف . فأجابها شو بضرورة إرسالها إلى إدارة حفظ المطبوعات فى المتحف البريطانى ، لعل أحداً من الكتاب يحتاج إلى شىء منها للكتابة عن أبيها ، وقد استمعت مسز بيروجينى لهذه النصيحة، ولكن هذه الخطابات بقيت فى مكانها من المتحف دون أن تمسها يد أو يطلع عليها إنسان إلى أن مات آخر أبناء دكنز

ويسرى قانون حفظ المطبوعات على المؤلف فى انجلترا طول حياته ، ويستمر إلى ما بعد وفاته خمسين عاماً . إلا أن مذكرات رجال السياسة والأوراق الرسمية التى لا تسرى عليها القوانين العامة قد تبقى أربعة أجيال أو خمسة بعد وفاة أصحابها إذا قدر لها الظهور فى يوم من الأيام

أما الكتب والروايات المألوفة التى يشتبه فيها لسبب من الأسباب ، فلها قسم آخر وبعضها منع ظهوره للجمهور والبعض الآخر حذف منه الأجزاء التى لم يسمح بها مثل كتاب قوس قزح وليدى شاترلى لد . ه لورنس ودراسات فى سيكلوجية الجنس لهفيلوك إليس ، ومن الأعماق لأوسكار وايلد

وقد أخذت النسخة الأصلية من الكتاب الأخير لعرضها على المحكمة فى ظروف قضائية معروفة، ولكنها لم تظهر بعد للجمهور، أما النسخة المتداولة من هذا الكتاب فقد حذف منها الشىء الكثير

سياسة المحور فى أمريكا الجنوبية – عن فورتنايتلى

لم تكن سياسة المحور فى أمريكا الجنوبية بالشىء المجهول ، فلألمانيا وإيطاليا صلة قديمة بهذه البلاد ، إلا أن المحاولات الاقتصادية والسياسية التى ظهرت أخيراً ، لم تعرف لبريطانيا العظمى إلا فى هذه الأيام .

فمع الحملات التى تقوم بها ألمانيا وإيطاليا ضد الاشتراكية ، نراها تعمل لتقليل الثقة بديمقراطية بريطانيا وتحاربها فى الأسواق التجارية حرباً لا هوادة فيها .

وقد تكون ألمانيا أكثر الدولتين تحمساً لضم أمريكا الجنوبية إلى سياسة المحور ، وعلى الأخص تلك الجهات التى لها علاقات قديمة ببرلين كالارجنتين وبها مائة ألف ألمانى ، والبرازيل ، وفيها عشرة أمثال هذا العدد. وتقام الاحتفالات النازية فى بونس إيرس كما تقام فى ألمانيا ، وقد اتخذت الاحتياطات الشديدة فى الأنحاء الألمانية فى الأرجنتين لتطهيرها من الجنس الغير الآرى .

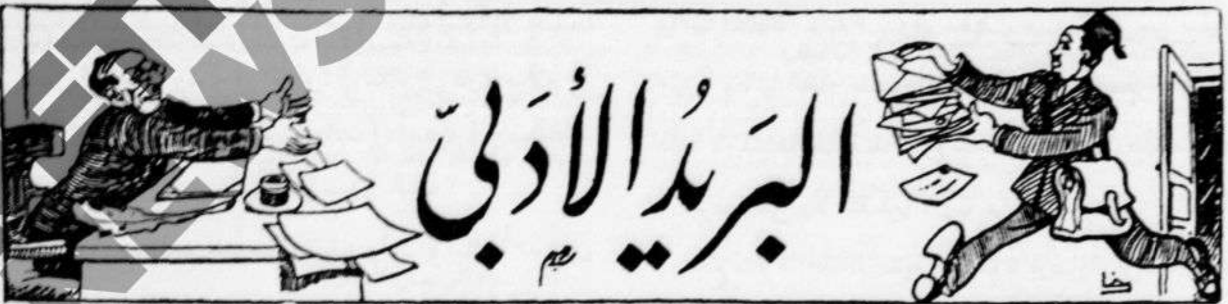
ويخالط الألمان الأميركيين اللاتينيين فى الأعمال والمجتمعات بحالة لا يصل إليها البريطانيون وسكان أمريكا الشمالية ؛ فإذا أضفنا إلى ذلك الكراهية التى تحملها الأرجنتين للاشتراكية عرفنا كيف يتحمس الأهالى للألمان .

فالجيش فى تلك البلاد مأخوذ فى نظامه بالأساليب الألمانية ، ويتلقى الكثير من ضباطه دروسهم الحربية فى بوتسدام . أما الأسواق التجارية فقد اختفت منها البيوت المالية الإنجليزية ، وأخذت المحلات التى تروج التجارة الإنجليزية تقل شيئاً فشيئاً .

لقد كان فى البرازيل ألمان منذ سنة ١٨٤٣ ولكن عددهم لم يكن محسوساً ، أما الآن فلا يقل عدد الألمان فى تلك البلاد عن مليون نفس ، وفى جنوب هذه الجمهورية وعلى الأخص سنتا كاترينا وبرانا وريوجراند دوسيل ينحدر أكثر السكان من أصل ألمانى ، ويقوم حكام وبوليس من الألمان فى كثير من البلدان ، وقد قامت البرازيل بحركة شديدة لمقاومة الدعاية النازية، وعلى الرغم من ذلك فقد حلت ألمانيا محل الولايات المتحدة فى المعاملات التجارية ، وأصبحت الآن أعظم الدول التى تستورد القطن من تلك البلاد وهى فوق ذلك تستورد النيكل والزيت بمقادير هائلة منها

ويتسع نفوذ الألمان كذلك فى شيلى ، ولا شك أن وجود خمسة وعشرين ألف ألمانى فى هذه المملكة يجعل لها تأثيراً كبيراً من الناحيتين السياسية والتجارية

وقد أصبح أكثر ضباط الجيش فى بوليفيا من الألمان، وقد أرسلت ألمانيا إلى بوتسدام ثلاثة من الضباط للتمرن على الأعمال الحربية الحديثة بها



التحرر الأدبي ووزارة المعارف المصرية

ليست هذه الكلمة مناقشة للأستاذ أحمد أمين فى رأيه التحرر من سلطان الأدب الجاهلى ، وإنما هى تعليق على مقالته الثانية فى الثقافة وقوله فيها : « أناشد الأدباء والشعراء أن يستمدوا تشبيهاتهم واستعاراتهم مما بين أيدينا من مخترعات، وألا يستعملوا ما لا يحسون ولا يعلمون من تشبيه ، وأناشد المعلمين أن يعلموا بالخط الأحمر على الاستعمالات التى يستعملها الطلاب الخ . . . »

كيف يستطيع المدرسون ذلك وإمامهم الأكبر ومن تجب عليهم طاعته يذهب من مصر إلى العراق ليرثى ملكا عصرياً توفى من أربعين يوماً ، فلا يجد من التشبيهات والاستعارات إلا ما كان يستعمله الشعراء من ألف سنة ، فالقدر له سهم (ولن يستطيع العالمون له رداً) والمصاب له سهم آخر أصاب الهاشية (بعد ثلاثة أبيات) ، فهل يقاتل الجيش المصرى اليوم بالسهام ؟ فما قيمة هذا التشبيه إذن فى رأى أستاذنا الجليل أحمد أمين ؟ وما قوله إذا كان هذا السهم (العجيب) قد هدّ من العلياء أركانها هدّاً ، (فلم يبق للعراق بعده ركن فى العلياء قائم . أليس هذا هجاء لأمة فى رثاء رجل ؟) وإذا كان قد أطفأ نور الشمس وأضرم الجدا ، هل شاهد الأستاذ الجارم الشمس منطفئة فاستعمل ما يحسّ ويعلم من تشبيه ؟ وهل رأى هذا (الند) الذى يذكره مع المسك أم كل ما يعرف عنه أنه شىء ذكره المتقدمون ؟ وذكرُه السيف وسيوف الليالى ، أهو من وحى هذا العصر عصر النار والغاز والبارود أم هو التقليد ؟ وهؤلاء الذين يبطشون أسداً ، أعن حسّ وعلم بالأسد وصفهم الجارم ، أم هو قد أخذ المثال النحوى (كرّ على أسداً) من بحث الحال فى كتاب النحو الذى ألفه ؟ ويسأل السيف عن جند العراق كيف صال بكفهم ، وهو يرى جند العراق يتنكبون البنادق ويحاربون بالبارود ، أفمن تقليد قال ما قال ، أم عن مشاهدة وعيان ؟ والسلاف تمزج فى حانات مصر بالشهد ، وتخلط الشمبانيا فى خمارات عماد الدين بالعسل ، أم الأستاذ يقلد ؟ وأياً ما كان الأمر فما هو وجه الشبه بين غبار النصر وهذه السلاف ؟

وقوله فى غازى رحمه الله : (فتى تنبت الآمال من غيث كفه) أليس إعادة لأقوال المتقدمين يوم كانوا يتمدحون بالكرم ويوم كان الغيث حياتهم فى الجزيرة ، وتتمة البيت (فلله ما أولى ولله ما أسدى) أليس كلاماً فارغاً ، وتشبيه تلال الصحراء بالجمال أعن حسن كان وعلم ؟ أفى رحبة وزارة المعارف حيث يقيم الأستاذ ، أم فى شوارع القاهرة رأى هذه الجمال (التى لا تساق ولا تحدى) أى ولا يحدى بها . . . وكيف رأى فى ثنايا وجه فيصل الصغير

أما الفاشيست فقد أخذوا يزاحمون البضائع الانجليزية فى الأرجنتين بعد أن كانت بغير مزاحم ، وفى شيلى تلاقى الآلات والعدد الإيطالية رواجاً عظيما

أما بيرو فهى أكثر المناطق الأمريكية اتصالاً بإيطاليا ، ويقدر ما يسخر فيها من الأموال الإيطالية بأكثر من عشرين مليون جنيه ؟ وفى اكوادور يقوم على تعليم الطيران فريق من الإيطاليين . وفى فينزويلا تقوم فرقة من الدفعية الطليان بإصلاح الجيش. وقد أصبحت هذه الحالة مقلقة لبريطانيا والولايات المتحدة، لا لأن ألمانيا وإيطاليا تستعمران هذه البلاد ، فإن ذلك ليس فى الحسبان ، إذ أنه فى الحقيقة غير مستطاع ، ولكن ألمانيا وإيطاليا تستفيدان من تلك البلاد المواد الضرورية لها إبان الحروب، فإن لم يكن ذلك فهى تستطيع على الأقل أن تعمل عملاً لمنع تلك المواد عن بريطانيا والولايات المتحدة

الوديع (الأسد الوردا) مع أنه لم يشاهد فى حياته أسداً إلا محبوساً فى قفص الحديقة؟ وقوله فى الختام: (سلام على غازى سلام على الندى، إذا ما بكى من بعده الترب والندا)، أبعد له فى باب التقليد والجود شىء؟ أى ندى وأى ندّ يا سيدى البك؟

فمن أين يستطيع الدرسون اتباع رأى الأستاذ أحمد أمين وإمامهم الجارم بك هذه حاله وهذا مقاله. وأنى لوزارة المعارف أن تحرر الأدب وتعلو به فى مدارج العلاء وهؤلاء السادة يمسكون بتلابيبها أن تتزحزح أو تريم؟

(بغداد) ع . ط

تاريخ البيمارستانات فى الإسلام

هذا عنوان الكتاب الذى أخرجه العالم المصرى أحمد عيسى بك، وقد نشرته جمعية التمدن الإسلامى بدمشق ووقفت «ريعه على المشاريع الخيرية». والكتاب غزير المادة يعرض نشأة البيمارستانات (أى المستشفيات) ونظامها وأطبائها وأرزاقها، وما تحت ذلك من شئون الطب والصيدلة مما يتصل بالتحصيل والمعالجة ومراقبة أهل الصناعة. ويلى ذلك إثبات البيمارستانات فى البلاد الإسلامية المختلفة على وجه التفصيل منذ العهد الأول حتى العصر الحاضر، أى حتى إنشاء مستشفى أبى زعبل بضاحية القاهرة سنة ١٨٢٥

وفى الكتاب أخبار وفوائد لم تدوّن فى المؤلفات السابقة، إذ أخرجها المؤلف من الكتب التى لا تزال مخطوطة نحو تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقى، وكتاب قطف الأزهار فى الخطط والآثار لأبى سرور البكرى

وفى الكتاب مسرد للبيمارستانات؛ وكان يحسن بالمؤلف العالم أن يقيم مسرداً آخر للأطباء

المسيو أميل فابر ومقدرته المسرحية

استقدمت وزارة المعارف المصرية من زمن غير بعيد المسيو فابر E. Fabre ليرى رأياً فى الفرقة القومية وينظر فى المسرحيات التى تترجما أو نؤلفها. ومن الظريف أن المسيو فابر ألف أول هذا الشتاء مسرحية مثلتها فرقة مسرح الأودبون فى باريس، واسمها Paris - Babel. وقد سقطت هذه المسرحية سقوطاً مزرياً وعابها النقاد بشدة، وذلك لشحوب الفكرة التى تقوم عليها، ولمشاهدها الملفّقة، ولأشخاصها المُملّة: هذه مسرحية لا تعرف الفن ولا التفكير؛ إنها من مناقص المسرح الفرنسى (راجع مثلاً «المجلة الفرنسية الجديدة» باريس أبريل سنة ١٩٣٩ ص ٦٨٠)

ب . ف

مباريات جديدة للإنتاج الفكرى للفنانين والمصورين

أقامت وزارة المعارف فى السنة الماضية مباريات للإنتاج الفكرى اشترك فيها مدرسو المدارس الأميرية والحرة وكليات الجامعة

وعند بحث الرسائل التى قدمت ظهر أنها لا تستحق الجائزة المقررة لكل منها وقدرها مائة جنيه فمنحت أصحابها ٥٠ جنيهاً.

ورأت الوزارة أن تضع نظاماً جديداً لهذه المباريات وإنشاء مباريات أخرى يشترك فيها المدرسون وغير المدرسين والفنانون والرسامون.

ويقضى النظام الجديد بأن تقسم تلك المباريات هذا العام إلى ثلاث وهى:

أولاً: مباريات يشترك فيها المدرسون فى المدارس الأميرية والحرة وكليات الجامعة، وعدد موادها ست مواد ولها جائزتان أولى وثانية.

والرسالة التى تنال الجائزة تعتبر ملكاً للوزارة، ولها أن تطبع منها ما تراه جديراً بالطبع وأن تعطى المؤلف ٢٥ فى المائة منها

ثانياً: مباريات للثقافة العامة يشترك فيها جميع رجال الأدب والمدرسون ولها جائزتان أولى وثانية.

ولا تعتبر الرسالة التى تنال الجائزة ملكاً للوزارة ولكن لها الحق فى أن تشترى حق التأليف إذا رأت ذلك.

ثالثاً: مباريات للفنانين والرسامين ولها جائزتان أولى وثانية. على ألا تعتبر الجائزة التى تمنح بمثابة شراء للوحة التى تنال الجائزة، وللوزارة الحق فى أن تشتريها إذا رأت ذلك.

وللوزارة الحق كذلك فى ألا تمنح جائزة عن كل أو بعض الرسائل. ويجوز لها أن تقسم الجائزة الواحدة على أكثر من رسالة

وزارة المعارف العراقية تشجع حركة التأليف

ذكرت البلاد البغدادية أنه بناء على المبالغ التي رصدتها وزارة المعارف في ميزانيتها لهذه السنة لإنفاقها على تشجيع المؤلفين والكتاب ليضعوا الكتب والمؤلفات المفيدة القيمة عزمت على تأليف لجنة من كبار الأدباء والشعراء من وطنيين وغيرهم من البلاد العربية لتعرض عليها كافة الكتب التي ستقدم إليها لتقدير قيمتها الأدبية وما يستحقه أصحابها من المنح والهدايا

وعسى أن يجيء اختيار وزارة المعارف لهذه اللجنة على غير الطريقة التي درجت عليها في تأليف بعض لجانها من الرجال المتصلين بها في الوظائف والمدارس فقط

معلقة الأرز لنعمة قازان

جثمت المادة على الروح في هذا العصر حتى كادت تزهقها، ولم يقنع شيطان الشر بكتم أنفاس الفضيلة والخير في نفوس الناس وإنما مد يده إلى أسمى الفنون وأرفعها يريد أن يقبض على أعناقها وأن يلوى بها إلى الحضيض ليهشمها فيرتاح بعدها من هذه النزعة التي تنزعها الحياة إلى الله. إذا صحت وانتبهت في غفلة منه إلى الحق والجمال والطلاقة

ولكن هذه الفنون مازالت هي البقية الباقية من شذى الإنسانية المتمردة على المادة الساخرة من حياة الأرض

هذه هي الفنون الحارة التي يشعلها الله في بعض النفوس لتنير الظلمات أمام أعين تحب النور؛ ومن هذه الفنون الشعر، وأقدسها ما حام حول الجمال والحق، وأبهاها ما تحرر من كل قيد أراد العقل الأرضي أن يغلل به رقصات الروح، وأسماها وأقواها ما استطاع أن ينتشل العقل من وهدته وأن يخطفه فيطير به في معارج الصفاء حيث لا حقد ولا ضغينة ولا غل ولا كراهية، وحيث يشيع الحب ويملأ الفضاء بأعذب أنفاس التسبيح

ومعلقة الأرز للشاعر التقي نعمة قازان من هذا الشعر الذي يلهمه الله ولا تتصيده العقول

هي شعر لا يوصف ولا يحلل؛ وإنما تقرأه فإذا هيأ الله روحك لإستساغته وجدت نفسك تنشده أو تنشد ما يماثله . . . فإن لم تفعل فهي الألفاظ التي تتدلل عليك

عزيز أحمد فهمي

الطفل ووالدته في العالم

صدر أخيراً كتاب باللغة الفرنسية عن « الطفل ووالدته في العالم » تولت الإشراف على إصداره وطبعه مدام هومفرى دونفروا واشتركت في تحريره ٩١ سيدة من الكاتبات يمثلن ٥٥ بلداً من بلدان العالم

وقد جاء هذا الكتاب تحفة نادرة في بابه . ونحن إذ نسجل ثمرة هذا المجهود الجبار الذي استغرق قرابة ثمانمائة صفحة يسرنا أن ننوه بما لحضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول من الفضل في صدوره، إذ تكرمت جلالته فشمل القائمات بأمر هذا السفر النفيس بعطفه الغالي، ومنحهن من المساعدة المادية ما شجعهن على المضي في مشروعهن العظيم تحت رعاية جلالته السامية، وقد نوهت مدام هومفرى دونفروا في مقدمة الكتاب بهذا العطف الملكي الكريم وأشارت إلى أنها وجدت في هذه المساعدة المادية أكبر مشجع أدبي لها

وقد حلي صدر الكتاب بصورة رائعة لصاحب الجلالة الملك ووضع مقدمته الكاتب الكبير جوزيف دي بسكيدو، وتتوالى الأبواب بعد ذلك عن الطفل وأمه في البلدان المختلفة في قارات العالم الخمس، وإذا كانت العادات والتقاليد الخاصة بنشأة الطفل وتربيته تختلف بين بلد وآخر فإنها تلتقي كلها في تلك العاطفة النبيلة التي تربط الأم بطفلها والتي تقوم بفضلها أركان الأسرة « لمجد الله وعظمة الوطن »

وقد تولت الكتابة عن « الطفل وأمه » في مصر السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي فأشارت إلى ما يشيعه مولد الطفل من السرور والأمل في جميع الأسر، ولا سيما إذا كان المولود ذكراً، وذكرت الآية الحكيمة : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » .

اكتشاف علمى خطير – تولد قوة من الذرات

فى جميع مختبرات العلوم الطبيعية فى العالم يعالج العلماء نهاراً وليلاً الذرات طمعاً فى أن يستخرجوا منها القوة التى قال عنها العلامة بول بانليفه : « حينما يتحقق ذلك الأمر تستطيع القوة الكامنة فيها أن تدمر أسطولاً متيناً كالأسطول الإنكليزى » .

وكان بانليفه يقصد بقوله هذا أن يبين حقيقة القوة المخبوءة فى مادة يزعم الناس أنها جامدة . على أن الأستاذ شارل تيبو الدرس بكلية العلوم بجامعة ليون وفق إلى تحليل ذرات الأورانيوم المعدود أثقل العناصر الكيميائية المعروفة ، فنشأ عن ذلك قوة تزيد على مائة مليون « فولت » . وقد قال الأستاذ تيبو فى هذا الصدد : « بقى الآن حصر تلك القوة واستخدامها من الوجهة العملية ، وهذا الأمر كفيل به الزمان والجهود التى يبذلها علماء الطبيعة . أما نحن فقد عالجنا الأورانيوم معالجة جدية ، وتمكنا من تحليل ذراته وتأليف عناصر كيميائية منها تختلف عن الجسم الفكك ، وأن القوة المنتجة منه تفوق أى قوة يستطاع الحصول عليها بحيث لا يهمنا فى المستقبل نفاد الفحم فى مناجمه ، فالذرات تعطينا قوة لا حد لها ، والمسألة الوحيدة التى تبقى لدينا هى أن نعرف طريقة استعمال هذه القوة الجديدة »

ويستنتج من بحوث أساتذة جامعة ليون أن كل مختبر يستعين بأجهزة جديدة ، وأنه يجب تفاهم أولئك العلماء وتوحيد جهودهم لإدراك الضالة التى ينشدونها . فالأورانيوم المفككة ذراته ينشئ عنصرين جديدين من الذرات يساوى ثقلهما نصف ثقل الأورانيوم ، وهم يبتغون معالجة تفكيكهما أيضاً ، وحينئذ يتمكنون من إيجاد مادة أساسية لا يندر وجودها كالأورانيوم نفسه ليتسنى لهم مواصلة التجارب على غير النمط الذى يسيرون عليه فى المختبر

مؤتمر التربية الحديثة

يعقد المركز العام لرابطة التربية الحديثة مؤتمراً أوربياً فى الفترة القائمة بين ٢ و ١٠ أغسطس القادم للبحث فى الوسائل المؤدية إلى المثل الأعلى للديمقراطية . وسيرأس الاجتماع المسيو بول لنجفين أستاذ التربية ، وسيشهده كثيرون من رجالات التربية فى فرنسا وانجلترا

ويتناول المؤتمر عدا الموضوع السابق بحث المشاكل التى يجب أن يحلها المربون باشتراكهم فى الحياة العامة ، والخطة العملية التي يمكن تنفيذها فى المستقبل على ضوء الإعداد المهنى والاجتماعى للمعلمين وجعل الطفل مواطناً صالحاً . وقد أخطر المركز الرئيسى للرابطة الفرع المصرى برؤوس هذه الأبحاث

فى اللغة . . . « جاءته كتابى »

جاء فى الجمهرة لابن دريد (ج . ١ . ص ٣١٩) ما نصه : « ورجل لغب : ضعيف بين اللُّغابة واللغوبة ... وأخبرنا أبو حاتم عن الأصمعى قال : قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابياً يمانياً يقول : فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها . فقلت : تقول جاءته كتابي ؟ فقال : أليس بصحيفة ؟ فقلت له : ما اللغوب ؟ فقال : الأحمق » .

وجاء فى اللسان مادة « كتب » : « حكى الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء أنه سمع بعض العرب يقول : وذكر إنساناً : فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها . فقلت له : أتقول جاءته كتابى ؟ فقال : نعم . أليس بصحيفة ؟ فقلت له : ما اللغوب ؟ فقال : الأحمق

وقد يحسن أن أذكر هنا ما رأيته فى الجمهرة أيضاً (ج ٢ : ٧٠) . وهو « ويقولون : ما كان هذا مذ دجت الإسلام . قال : أبو حاتم : قلت للأصمعى : لم أنثوا الإسلام ؟ قال : أرادوا الملة أو الحنيفية » .

قلت : ومنه الحديث : « ما رؤى مثل هذا منذ دجا الإسلام » وورد فى رواية أخرى : « منذ دجت الإسلام » . فأنث على معنى الملة والشريعة ... ومما يناسب أن أذكره هنا أيضاً ما رأيته فى الكامل للمبرد (ج ٣ : ٢٨٦) لأعشى باهلة يرثى المنتشر بن وهب:

إنى أتتنى لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر

وقد فسره المبرد فقال : « وأراد باللسان ها هنا الرسالة » .

عبد العليم عيسى
كلية اللغة



٦ - فى سبيل العربيـــة

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

هذا هو المقال السادس فى نقد عمل الأستاذين الكريمين العوامرى بك والجارم بك فى شرحهما لكتاب البخلاء للجاحظ . وما ندرى هل بلغنا رضاهما فى هذا العمل ، وقد خدمنا به الكتاب خدمة إذا أضافاها إلى خدمتهما له خرج الكتاب نافعاً مرجو الفائدة ؟

قد كان الرضا منهما هو الأشبه بخلقهما والأولى بحرصهما على الحقيقة ، ولكنى لا أسمع إلا حكاية امتعاض ولوم ، وما أظن إلا أن القارئ طالب فائدة ؛ فليس يهمه أن ننث عتابنا ونكثر اعتذارنا بين يديه ، فلنمض فيما نحن فيه مستعينين الله أن ننتهى من نقدنا فى هذا المقال إن استطعنا حتى نريح ونستريح

فى ص ١١٥ يقول الجاحظ فى تصوير جشع الحزامى : « إنه لو أعطى أفاعى سجستان ، وثعابين مصر ، وحيات الأهواز لأخذها »

ويعلق الشارحان على الحيات والأفاعى والثعابين تعليقاً ينطق بأن الحيات هى الثعابين أو الأفاعى ، وأن الثعابين هى الحيات أو الأفاعى ، وأن الأفاعى هى الثعابين أو الحيات . وللشارحين بعض العذر فى ذلك ، فإن كتب اللغة يكثر فيها ذلك النوع من الإحالة فى التعاريف ، ولكنه عيب يجب ألا نقره نحن الذين سيكون على يدنا إصلاح كتب اللغة وتلافى عيوبها

إن الذى يحاول أن يتخلص من ذلك العيب يجد فى كتب اللغة نفسها المخلص منه . ففى المقام نفسه الذى يقول فيه صاحب القاموس : الحية «م» أى معروف نجد كتباً أخرى ومواضع من القاموس نفسه يمكن أن نستخلص من ثناياها فروقاً تجزئنا أو تنجينا من التهافت

ذلك أننا نرى فى القاموس المحيط : الثعبان : الحية الطويلة الضخمة ، وفى المصباح : الأفعى : الحية الرقشاء الدقيقة العنق العريضة الرأس التى لا تزال مستديرة على نفسها لا ينفع منها ترياق.

فهذه تفرقة إذا كان الشارحان قد اتجها إليها فى شرحهما بأنت قيمة كلام الجاحظ ، وأنه إنما كان يعنى أن هذا النوع فى مصر مشهور بالضخامة والطول وأنه فى سجستان على الصورة التى مثلها صاحب المصباح . وهكذا

على أنه لو لم تكن بين هذه الأنواع تلك الفروق التى ميزناها بها لصار فى كلام الجاحظ فضول يجب علينا أن نلتمس له العذر فيه ؛ إذ كيف يعطف هذه المترادفات ومعناها واحد لا يزيد ولا ينقص . إنه إذ ذاك يكون كلامه بمثابة قولنا ثعابين مصر وثعابين الأهواز وثعابين سجستان . فهل يرضى أحد منا للجاحظ بمثل هذا التهافت والتكرار المزرى ، إننى إزاء هذا أرى أنه كان من الواجب (لو لم أجد للجاحظ هذا المخرج من كتب اللغة) أن أقول إنه إنما كرر هذه الألفاظ ليدل على العرف الجارى فى هذه البلاد ، فهذا النوع فى مصر يسمى بالثعابين وفى سجستان بالأفاعى وفى الأهواز بالحيات . حينذاك يستريح القارئ وتبقى لبلاغة الجاحظ صورتها الجميلة التى له فى نفوسنا والتى يجب أن نحرص على بقائها كذلك

ص ١٢٩ ورد فى وصف الجارود وأبى الحارث جمّين أنهما يمتحنان ما عند الناس بالكُلَف الشِّداد

فيقول الشارحان فى ذلك ويمتحنان الخ أى ينزلان المحن بما عند الناس من المال بسبب هذه الكلف الصعبة . وأقول إن تفسير الامتحان بما فسراه به تكلف شديد جداً . وعندى أن الامتحان هو بمعناه التبادر الذى يملأ عقول الطلبة والمعلمين خصوصاً فى هذه الأيام وهو الاختبار ، والمراد بامتحان ما عند الناس اختبار أخلاقهم ومعرفة مدى كرم نفوسهم

ص ١٣١ يقول الجاحظ : سئل جمّين عن جود محمد بن يحيى فقيل له : كيف سخاؤه على الخبز خاصة ؟ قال : « والله لو ألقى إليه من الطعام بقدر ما إذا حَبَس نَزْفَ السحابِ ما تجافى عن رغيف »

ثم يقول الشارحان فى معنى ذلك : أى لو أعطى من الطعام مقداراً لو جعل كومة واحدة فارتفعت حتى وصلت إلى السحاب فمنعت ماءه من أن يصل إلى الأرض ما تجافى الخ ، ثم يقولان بعد كلام : ووضع « إذا » فى العبارة غريب اهـ . والواقع أن وضعها على حسب شرحهما ليس غريباً إذ قد وقعت موقعها وتوافر فى العبارة شرطها وجوابها ، فكيف يكون وضعها غريباً إذا تم لها ذلك وقد جرى الشارحان فى شرحهما على اعتبار أصالتها بدليل أنهما استعاضا عنها فى الشرح بلو ...

ونحن نعترض على ضبط العبارة وشرحها، فأما الضبط فنرى أنه كان ينبغى أن يكون هكذا :

« ... إذا حُبِسَ نَزْفَ السحابَ » . وأما المعنى فهو : لو قدم إليه من الطعام مقدار إذا جمع بعضه فوق بعض وصل إلى السحاب فاحتك به وتشرب ماءه، ما تسامح فى رغيف منه مع هذه الكثرة وقد نتكلف تصور ارتفاعه إلى السحاب . بل يكفى فى تمثيل كثرته أنه لو سقط عليه ماء السحاب لتشربه ، وعلى هذا يكون قوله : « ما تجافى رغيف » جواباً للو ، لا لإذا

(ص ١٥٢) فى الحديث عن مغرم أصحاب الدور يورد الشارحان عبارة الأصل هكذا :

« فإذا قسمنا الغرم عند انهدامها بإعادتها ، وبعد ابتنائها ، وغرم ما بين ذلك من مرمتها وإصلاحها ، ثم قابلنا بذلك ما أخذنا من غلاتها وارتفقنا به من كرائها خرج على المسكن من الخسران بقدر ما حصل للساكن من الربح » .

ويشرحان هذه العبارة المضطربة شرحاً يأتى مثلها مضطرباً . ولسنا بحاجة إلى بيان اضطراب الشرح وإنما نكتفى ببيان اضطراب الأصل فنقول: إن كلمة قسمنا لا موضع لها فى الكلام إذ القسمة تقتضى شيئاً يقسم ، ولسنا نرى هنا أقساماً فصلها القائل فى كلامه وإنما صواب الكلمة قسنا، والقياس هو التقدير والحساب . وهنا قاس المتكلم غرم صاحب المنزل فى بنائه أولاً ثم إعادته بعد تهدمه، بما حصل عليه من كراء فخرج القياس بخسران المالك وربح الساكن. كذلك نرى أن الواو فى عبارة «وبعد ابتنائها» مقحمة تفسد المعنى والصواب حذفها فكان ينبغى أن تكون الجملة هكذا

« فإذا قسنا الغرم عند انهدامها بإعادتها بعد ابتنائها ، وغرم ما بين ذلك من مرمتها وإصلاحها ثم قابلنا بذلك ما أخذنا من غلاتها وارتفقنا به من كرائها ، خرج على المسكن من الخسران بقدر ما حصل للساكن من الربح »

(بقية المقال للعدد القادم) محمود مصطفى

7me Année No. 310

Lundi - 12 - 6 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٢ يونيه سنة ١٩٣٩ » العـــدد ٣١٠

الفهـــرس

بمناسبة تبرع اللورد نفيلد نسأل :

هل لأغنيائنا وطن ؟!

من أنباء البرق الأخيرة أن اللورد نفيلد صاحبَ مصانع سيارات (موريس) الإنجليزية قد تبرع للدفاع الوطنى البريطانى بمليون ونصف من الجنيهات ، ووضع مصانعه الكبرى تحت تصرف وزارة الدفاع ، فبلغت بذلك جملة هباته للوطن فى مدى عشر سنوات خمسة عشر مليوناً ونصفاً من الجنيهات على رواية الصنداى إكسبرس ! فإذا قرأت هذا وتذكرت ما تبرع به زخاروف وأفيروف وكوتسيكا وأنطونيادس للجيش اليونانى وهم من رجال الأموال والأعمال فى مصر ، لا يسعك إلا أن تسأل كما أسأل : هل لأغنيائنا وطن ؟

الواقع الذى لا مراء فيه أنْ ليس لأغنيائنا وطن . إنما لهم قصور لإتلاف النعمة ، ومزارع لعصر الفلاح ، وبِرَكٌ لصيد البط ، وميادين لسباق الخيل ، وأندية لقتل الوقت ، ومنازه لإظهار الأبّهة . وما عدا ذلك من أرض الوطن ومعنى الوطن فهم لا يعرفونه ولا يفقهونه !

هل سمعت أن غنياً من الأغنياء ، أو أميراً من الأمراء قال إن له وطناً فتبرع له بطائرة فى الجيش ، أو بجائزة فى المعارف ، أو بكرسى فى الجامعة ، أو بمستشفى فى الصحة ، أو بملجأ فى الأوقاف ؟

لا تقل فى تعليل هذه الفردية الشحيحة : إن أغنياءنا جهلاء العقل ، وأمراءنا غرباء العاطفة ؛ فإن الوطنية عصبية طبيعية تقتضيها سنة الحياة ، فتكون فى رجل الفطرة تعصباً للأسرة ، وفى رجل البداوة تعصباً للقبيلة ، وفى رجل الحضارة تعصباً للأمة ، وفى رجل الإنسانية تعصباً للعالم

ولئن سألتنى عن تعليل ضعف الوطنية فى هؤلاء الناس لأقولن لك إنى عنه عاجز ؛ فإنهم لا يزالون يشعرون بها شعور الفطرة الضيقة المحدودة . ومن الصعب على العقل أن يتصور أن أصحاب السمو وأصحاب المجد وأصحاب السعادة لا يجدون فى أنفسهم من الحب لمصر الحبيبة الخصيبة ، ما يجده الإنسان الفطرى للغابة السليبة والبادية الجديبة !

***

يكاد النيل يعتقد أن أكثر الأجانب الذين يعيشون فيه ، هم خير له من أكثر الأغنياء الذين يعيشون عليه ! لأن أولئك يعاملونه معاملة الراعى الذى يحلب ويرعى ، وهؤلاء يعاملونه معاملة العَلَق الذى يمتص ويهمل . فأينما رأى التجارة والعمارة والإنتاج رأى ضيوفه ، وحيثما رأى الإسراف والإتلاف والتبطل رأى أهله!

ليتنى أدرى ماذا يقول الغنى الأصيل إذا نافره الأجنبى الدخيل أمام قدس الوطن ؟ أيقول له : هذه رءوس أموالى تنشئ الشركات وتقيم المصانع وتنمى الثروة ؟ أم يقول له : هذه (مشروعات) أعمالى تُقر الأمن وتحيى البلاد وتقتل البطالة ؟ أم يقول له : هذه ثمار إفضالى تعزز الدفاع وتشجع الإبداع وتنشر الثقافة ؟ الله أعلم يومئذ أيهما يقول ذلك وغير ذلك ؛ وأيهما يقف ناكس الرأس خاشع الطرف عَىّ اللسان ، لا يجرى على باله إلا أنماط الثياب وسلائل الكلاب وفصائل الخيل وطُرُز السيارات وأندية القمار وخسان هوليود !

يظهر أن التفدية والتضحية والخدمة العامة إنما تكون أثراً لقوة الروح وصحة الخلق ، فإن أول من تطوع للجهاد شباب الأمة ، وأول من تبرع للدفاع رجال الدين . فالحيلة فى أغنيائنا إذن هى حيلة الله . هو وحده الذى يملك أن يحيل فى النفوس عبادة المال عبادةً للوطن ، ويجعل فى القلوب محبة النفس محبةً للناس

***

يا أغنياءنا، إنا نريد أن نحبكم فساعدونا على خلق هذا الحب . إن ديننا ينهانا أن ننفس عليكم نعمة الله ، وإن وطننا يمنعنا أن نضن عليكم بأخوة الوطن ؛ ولكن العقيدة والوطنية اللتين تحببانكم إلينا ، هما كذلك اللتان تغضباننا عليكم ! لأن الأمة تريد أن تقوى وفى نفوسكم قوتها ، وتبغى أن تعتز وفى رءوسكم نخوتها ، وتحاول أن تدافع وفى أيديكم ثروتها ، فحرمتموها كل ذلك ووضعتموه فى غير موضعه ، وأضعتموه فى غير سبيله ؛ ثم مكنتم للجهل والفقر والمرض أن تدهمها من كل جانب ، فقعد القوى لجهله عن السعى ، وفتر العالم لفقره عن البحث ، وعجز الضعيف لمرضه عن الإنتاج

***

يا أغنياءنا ـ والناس أجمعون يعرفون من أُعنى ـ لقد جربتم بذل المال فى اللهو ، وقتل العمر فى العبث ، وفقد الصحة فى المجون ، فهل كسبتم من وراء ذلك مجداً أو وجدتم فى عواقبه سعادة ؟ جربوا ولو مرةً واحدة على سبيل التسلية أن تمسحوا دمعة على خد حزين ، أو تنفّسوا كربة عن قلب بائس ، أو تسهلوا طلب العلم لفقير ، أو تمهدوا سبيل العمل لمتعطل ، أو تشاركوا أبناء الشعب فى منفعة عامة ؛ ثم انظروا بعد ذلك كيف يشيع فى صدوركم الرخاء ، ويرتفع بقلوبكم الإخاء ، وتنعم نفوسكم فى الحياتين بين عاجل المجد وآجل الخلود . ثم وازنوا بين متعة الجسم ولذة الروح ، تجدوا أن الأولى تنقضى بالملل والعلل والجريمة ، والأخرى تدوم بدوام الروح فى الأرض وتخلد بخلودها فى السماء

***

يا أغنياءنا ـ والله هو الغنى الحميد ـ لقد بُح الصوت وحفى القلم وأنتم فى نشوة البطر وغفوة النعيم لا تسمعون ولا تقرأون ! فهل تظنون أننا بما نقول ونكتب نريد أن نخرجكم عن متاعكم ، أو نحولكم عن طباعكم ؟ لا يا سادتنا ! إن ذلك عمل الله وحده ؛ أما عملنا فأن نذكركم كلما نسيتم أن لكم مواهب تهملونها وللوطن فى استغلالها نصيب ، وأن لديكم أموالاً تبذرونها ولله فى ريعها حق ؛ وأن ننبهكم كلما غفلتم إلى أن هزل الحياة لا ينفع فى جد الموت ، وأن ملك الدنيا لا يغنى عن ملك الآخرة !

احمد حسن الزيات

بقية من حديث الايمان (*)

النبوة – الوحى – المعجزة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

كتب إلىّ كاتب فاضل من بيروت ، لم يتكرم بذكر اسمه كاملاً ، يستعدينى على مقال لدكتور فاضل نشر بمجلة « الأمالى » عنوانه « المعجزة » فسرها فيه تفسير الرافضين الاعتراف بالنبوة بمعناها عند المؤمنين .

وأنا لا أحب الجدل العلنى فى الصحف ، ولا أرتاح إلى نتائجه على النفس والحق وخصوصاً فى المسائل الشائكة التى يجب أن تمحص فى خفاء وهدوء يوحيان عدم التعصب للرأى ، وحب الغلبة أمام الجمهور . ولذلك لم أرد أن أناقش ذلك المقال مناقشة حرفية لأن الألفاظ عالم فظيع غير مضبوط الحدود ، وإنما أردت أن ألقى خواطرى حول هذا الموضوع الخطير ، وفيها يستبين رأيى وردى الضمنى على ما ورد بالمقال . وأرجو أن يكون فيما كتبت إرضاء « للعقل المؤمن والقلب العاقل » الذى كاتبنى من بيروت .

***

هل يقنع ناظر باحث فى حياة الإنسان العقلية والروحية الأولى أنه يجوز أن يترك الله الإنسان من غير أن يتصل به ويرشده ، ويبين له بعض ما خفى عليه وخصوصاً إذا كان هذا الخفاء حول أهم غاية فى الحياة العقلية والروحية ؟

هل يجوز أن يستمر الكون كله صامتاً أمام الإنسان لا يكلمه فيه أحد بكلمة غير إنسانية ؟

أيمر كل الناس هكذا على الدنيا سائرين إلى القبور وأبواب الغاية المجهولة من غير أن يسمعوا حديثاً إلهياً عما وراء الحياة ؟

هل يجوز عقلياً ووجدانياً أن يحتجب ربنا عنا من أول رجل فينا إلى آخر رجل هذا الاحتجاب القاتل ؟!

أيمكن أن يكون هذا من إله نرى رحمته وسعت كل شىء ؟

أيكون أوجدنا لنثبته بمنطق عقولنا فيقتلنا هو بشوق قلوبنا إليه شوقاً لا أمل وراءه ؟

أكان من الممكن أن يستقل عقل الإنسان فى طفولته المنحطة بالاهتداء إلى الحق الفاصل فى قضايا الوجود وما بعد الطبيعة ؟

ماذا يغنى العقل وحده وماذا يرشد إزاء هذه الألغاز والمعميات التى رآها الإنسان فى دور طفولته ؟ إنه لا يزال غير مغن ولا نافع عند كثير من الناس حتى فى زمن العلم والسيطرة على الطبيعة فكيف يغنى فى زمن الكهوف والأحراج والغابات ؟

كيف يغنى فى زمن الجهل المطلق بالنفس وبالطبيعة وفى زمن عبادة الأحجار والأبقار والثعابين والجعلان والخنفسان ؟

وماذا كان العقل فى تلك الأزمان ؟ إنه لم يكن سوى انطباعات بسيطة من تجارب الحياة المحدودة التى كان يحياها الإنسان ، فكيف يقدر أن يستقل بأمر البت فى أمر الإلهية وصفاتها وكمالاتها ؟

إن الطفل لا يدرك فى أول أمره من أمه غير ثديها وهى تلقمه إياه ... ثم ينكشف له جسمها ومعناها عضواً عضواً وشأناً شأناً حتى يدركها كاملة ... ولو تركته منذ ولادته لمات جوعاً ولذهب وجوده ولم يدركها . وكذلك الإلهية مع الإنسان ، ولله المثل الأعلى

هل يمكن أن ينشأ طفل كامل من غير أم أو من فى معناها تقول له قولها المعروف وترعاه حتى يصل إلى سن الرشد فيستطيع أن يستقل بأمره بنفسه ؟

أنا لا أستطيع أن أتصور الإنسان الذى هو أكرم ما فى الأرض يعيش هكذا وحده وخصوصاً فى عصور طفولته من غير أن يقول له قائل من وراء الغيب كلمة التوجيه والتسديد

ولو كنا نرى نوعاً آخر محترماً يعمر الأرض ويتولى الخلافة عليها ويسخرها لقلنا : لعل هذا هو المقصود بالخلق ونحن نعيش على الهامش ... ولكننا لم نر سوانا خليفة يصح أن يكون مقصوداً بالخلق . . . فكيف يقصد وجودنا الخالق ثم يتركنا من البدء للنهاية من غير كلمة !

كلا ! لن يثبت العقل على رأى ثابت فى « الله » إلا إذا سمع صوتاً منه ... وإلا فمن الحكم بين العقول المختلفة ؟

كلا ! لن يؤمن الإنسان بأنه شىء ذو خطر فى الوجود إلا إذا قيل له ذلك من غير عالمه العقلى المستقل ...

كلا ! لن يصبر الإنسان على احتمال الحياة بلذاتها وآلامها من غير أن يسمع من يقول له : إحىَ ، واعمل ، واصبر ...

الإنسان ! ما الإنسان ؟ إنه كل شىء فى الأرض أمام نفسه

(*) أنظر الأعداد ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ من الرسالة

وأمام الوجود الظاهر فكيف يهمل ويترك سدى من غير نداء خفي بعيد ؟

إن الإنسان نفسه كبير الرحمة في بعض أفراده الذين لا يستطيعون سماع استغاثة حي ذي كبد رطبة دون أن يبكوا رحمة له ، ويقولوا له : لبيك لبيك ... فما بال الرحمن الذي ثبتت رحمته ثبوتاً محسوساً تنظر إليـه عقول عباده وقلوب الباكين الدائمي البكاء له السائرين في ظلام الحياة وآلامها ، اليقظين لكل فكر وحس وحركة في الوجود ، الحاملين آلامهم على ظهورهم وأرواحهم على كفوفهم ، الحائرين بين مذاهب الأفكار واتجاهات الطباع واختلافات الميول يقولون له : « رب الحياة ! قل لنا كلمة واحدة : ما هو الحق ؟ قل لنا بصوت منك أو بلمحة أو بحجة قاطعة حتى نجزم به جزم الحس مع جزم العقل ...

إن جزم العقل وحده في هذه المسألة الكبرى لا يدخل الطمأنينة الكاملة التي لا بد منها في حياة الإيمان يا مولانا ! فاكشف لنا الحجاب ، واهتك الأستار ، وأرنا ما وراء هذه الكثافات والأجرام والأجسام والأحجام ... » أقول ما بال الرحمن لا يسمع دعاء ممثلي الإنسانية الحائرة المقتولة بالشوق والشك المصروفة بالإفك ، فيقول لها بين فترة وأخرى كلمة فاصلة يشير لها بها إلى الطريق ما دامت هي القطيع المقصود ، وما دام الاهتداء إلى الله هو المعنى الذي يصح أن يكون غاية الله من خلق الإنسان ؟

هكذا وقف قلب كل نبي نشأ في حيرة من ضلال قومه قبل أن تتصل به شرارة الوحي ، لا يرى نوراً ولا يسمع شيئاً يقول له : « من هنا الطريق ... »

هكذا وقف كل نبي في الظلمات وبكى ... بكى لكل شيء ... بكى للسماء والأرض والحجر والنجم والحي والميت وكل شيء ... وكل شيء ...

فإذا كان منطق الإنسان الكامل ورحمته يحتمان أن مثل هذا الباحث الحائر الباكي يجب أن يرحم ويخاطب ويغاث من لهفته وخصوصاً إذا احتاجت الظروف لحركة تطهير الأرض من ضلال وفساد ، فأظن ظناً يقرب جداً من العلم أن هذا المنطق وتلك الرحمة يقولان : « لا بد لله أن يتكلم ! » أجل يحكمان على رب الوجود أن يكلم ذلك الرجل الحائر الباكي من عدم الاهتداء إلى حقيقة نفسه وحقيقة الوجود ... ولن يحمل إنسان عبء النبوة والرسالة الفادح إلا إذا سمع هذه الكلمة ... ولن يتحدث باسم رب الوجود ويقول : « أُوحِيَ إليَّ » إلا إذا سمع حديث الله له ... وإلا كان أكبر مجرم ظالم كاذب والكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً كما يقول « كارليل » فلا يستطيع أن يبني أمة ... « ومَنْ أظلمُ ممن افترى على الله كَذِباً ، أو قال : أوحى إليَّ ولم يوحَ إليه شيء ... »

* * *

تلك هي النبوة أوقن بها كما أوقن بسنن الطبيعة المطردة وأنتزع حججها من صميم النفس الإنسانية منطقها ووجدانها وأحاسيسها . فكما أومن بأن الشمس يجب أن تظهر للنبات والحيوان لكي تعطيهما وجودهما الجسماني أومن بأن الله أظهر للإنسان جانباً من نوره حتى يأخذ وجوده الروحي ، وذلك كان في أول النشأة ودور الطفولة البشرية

إننا الآن نرضى بصمت الطبيعة المطبق اتكالاً على أن الله كلم بعض أفراد النوع في الزمان القديم . وأنا شخصياً أظن أنني ما كنت لأومن بفكرة ثابتة عن الله لو لم أوقن بأن الله كلم محمداً ومن حكى عنهم محمد من الأنبياء ... وكأني أحس أن الله كلمني شخصياً حين كلم بعض أفراد نوعي ...

أجل ! كيف أثبت على الإيمان به دائماً ما دام هو لم يأبه لي ولا لنوعي ؟ أمن المعقول أن ينظر الإنسان إلى الله دائماً ولا يبالي هو به ؟

إن الله رحمة ... إن الله محبة ... إن الله كرم ... إن الله جمال ... كما تثبت ذلك صناعته في الخليقة فلا يجوز أن يكون قاسياً متكبراً على الإنسان خليفة الأرض إلى هذا الحد !

إننا الآن في زمن رشد عقلي يلوح لنا أننا نستطيع أن نستقل بعقولنا في الاهتداء إلى الله وإلى الخير . ولكن يجب أن نتذكر حالة النشأة والطفولة التي كنا عليها ... حين كنا نعيش بالأوهام والأحلام ونرى الكون أمامنا كتلة مبهمة ومجموعة ألغاز ومعميات وأحاج ... حين كنا نعبد الحجر والبقر والجعلان والخنفسان ... حين كان العالم مملوءاً أمامنا بالأشباح التي تملأ الهواء والنار والسحاب والبحار . فهل كانت غاية خلق الإنسان متحققة في تلك الدهور والأحقاب بالعقل الإنساني على بساطته ؟ وما دامت غاية خلق الإنسان كما يحتمها العقل هي معرفة الخالق وعبادته فلا بد أن تتحقق دائماً وقصور عقل الإنسان في الماضي ما كان يسمح بتحققها فلا بد أن يتولى الله إرشاده عن طريق الاتصال ببعض أفراده

إن الحركة العقلية المنيفة التى كانت فى بلاد الإغريق لم تنقذهم من الوثنية المنحطة . فالعقل وحده لا يؤمن بما يصل إليه ويصنعه هو إلى درجة الطمأنينة التي لا بد منها فى منطقة الإيمان، والطبيعة الآرية صارت تبحث عن الله بالعقل المادى وحده فما اهتدت إليه إلا أفراداً قلائل . ومن قرأ صور الإله فى أفكار كثير من فلاسفة اليونان من العدد إلى الماء إلى العقول السبعة إلى النار إلى آخر الفروض يرى أن العقل وحده حتى فى بلاد اليونان لم يقدم الصورة الكاملة للإله كما قدمتها الروح السامية فقد بحثت عن الله فى نفسها ووقفت تبكى له بقلوب أنبيائها وصهرتها الآلام وأضناها الإخلاص له إخلاص الطفل حين يبحث عن أمه ويبكى ، فظهر لها فأيقنت بالحق والخير

وقد نجحت الروح السامية فى إنقاذ البشرية من الوثنية وفى إعلاء شأن الإنسان وفى تعميم صورة الكمال الإلهى وفى سيادة الأرض . فلا يمكن بعد ذلك كله أن نقول إن تلك السيادة السامية المبنية على النبوة كانت عفواً وصدفة، ولا يمكن أن تكون حركة العقليين موازية لتلك الحركة الروحية ، وخصوصاً أيام كانت حركة العقل ضئيلة لا تستطيع أن تقيم قوانين وأخلاقاً . فلا بد أن يكون وراء الروح السامية سند من عالم الغيب

لا يمكن أن يستأنف الإنسان عبادة الأحجار والأشجار وغيرها بعد أن وصل إلى التسلط على كثير من قوى الطبيعة وبعد أن زال خوفه من قواها أيام كان يجهل أسرار تركيبها

ولذلك ختم الله الرسالة بمحمد وأعطى الإنسان الطبيعة يسخرها ويتصرف فيها بالتدريج كما يعطى الأب ابنه ماله بعد الرشد يتصرف فيه بعلمه وسلطته

تماماً هو قانون الأبوة مع البنوة فهو اطراد فى سنن الكون. والطبيعة كلها متشابهة . النشأة العقلية العامة فى الإنسان كالنشأة الجسمانية فيه

لقد استخلص الله خلاصة الحق من تجارب الحياة الإنسانية فى جميع الأمم وأسلمها للانسان ووصاه وصيته الأخيرة وقال له : بلغت الرشد فأمامك الطبيعة ، وإلى اللقاء فى الدار الثانية التى يحكم بها عقلك وعلمك، فاستعد لتقدم إلى الحساب عما تفعله فى النفس والمادة وقواها

أليس هذا هو قانون الطبيعة مع أفراد الحيوان والإنسان ومع أسرهما؟ بلى، وإنه هو نفسه بشكل أوسع بين الله والمجموع الإنسانى.

قد يقول قائل: إن الوثنية لا تزال دين عدد هائل جداً من الناس؛ ولا يزال سكان أفريقية الوسطى وجزر المحيط والصين والهند واليابان يدينون بالقوى السحرية وعبادة الحيوان. فأين رشد الإنسان المزعوم؟

ولكن مع تسليمنا بذلك نقول إن التبعة ملقاة على عاتق الأمم المتعبدة بالروح السامية ، وإنه لتقصير فظيع منها أن تترك بعض أفراد الأسرة الإنسانية هكذا ضائعين من الحياة . ولو كان الاستعمار يحمل غاية روحية سامية لجعل همه الأول هدم الوثنية وتعميم فكرة الوحدة الإلهية . و قد وكل الله الشعب الأصغر القاصر إلى الشعب الأكبر الراشد ، كما يحدث من توكيل الأب للابن البكر فى الأسرة الواحدة ... فإذا لم يراع الأكبر حسن الرعاية والإرشاد كان اللوم كله منصبًا عليه . وستعلم الشعوب المتحكمة العاشقة للمادة وحدها كم ستكون تبعتها ثقيلة باهظة ، وجنايتها كبيرة غليظة، بتركها نفوس الزنوج وسكان الجزر النائية فى المحيطات وكل الأمم الوثنية من غير حمل لها بالقوة على ترك عبادة الأوثان وعلى سمو الحياة الروحية

لقد صارت الأرض كقطر واحد بفضل الكشوف الجغرافية وأدوات الاتصال العلمية وسرعة الانتقال ، فكان من الواجب أن يتلاقى البشر على معان قريبة فى الدين ، ولكن المادية الحالية هى الحائل وهى الشاغل ... وعلى أية حال لن تعمر الوثنية طويلاً بعد الآن

كانت الأمة من الأمم السابقة تحتاج إلى رسول معين يرشدها فى حياتها الروحية نظراً للقصور العام ، ولكن ميراث الرسل المتروك والملخص فى رسالة محمد يستطيع أن يخرج رسلاً عديدين ينقذون الخاضعين للسحر الأسود والوثنية الصفراء وغيرهما ... ولعلها رسالة مدخرة لأبناء محمد حين يتم نضجهم وكمالهم بعد يقظتهم الثانية هذه . فإنه ليس هناك كتاب دين حارب الوثنية وأبغضها وحطمها وناقشها من جميع وجوهها كما فعل القرآن . وليس هناك أمة أفهمها كتابها أنها منتدبة لحماية عقائد البشر من الوثنية وغوائل الروح كالأمة الإسلامية « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً »

ويمكن لأى فرد الآن أن يعلم من حقائق الدين وحقائق الطبيعة ما كان يختص بعلمه الكهنة والأوصياء فى الزمان القديم . ويخيل إلى أن مجهود النبوات كلها كان موجها إلى تفهيم الإنسان

قيمة الطبيعة وإلى شغل عقله بالبحث فيها حتى يهتدى إلى مفاتيح تسخيرها ويبرأ من عبادة ظواهرها وقواها ويعبد بارئها فقط . وقد نجحت النبوات نجاحاً باهراً فى ذلك وأنقذت الإنسان الذى يسكن الجزء الأهم فى الأرض وجعلته هو صاحب السيادة والسيطرة فيها ، وجعلت الأمم الوثنية خاضعة له ، أو ناظرة إليه وتابعة لخطواته . فلم يعد هناك حاجة إلى بعث رسل مؤيدين مكلمين من السماء لأن مجال الدين صار واضحاً وصار التدين مقرراً بالعلم لأن العلم كشف فى القلب الإنسانى منطقة لا غنى لها عن الدين . والخلاف الآن على الطقوس المختلفة فى الديانات فقط . وسيكون أقرب هذه الأديان إلى الفطرة والسبيل العلمية هو دين الإنسانية القريبة الموحدة [الحديث بقية]

(بغداد — الرستمية) عبد المنعم خلاف

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكى مبارك

— ١ —

لصديقنا الأستاذ أحمد أمين مؤلفات جيدة قامت على أساس المنطق والعقل ، وهو من كبار الباحثين فى العصر الحديث . ولكنه على أدبه وفضله لا يجيد إلا حين يصطحب الروية ويطيل الطواف بالموضوع الواحد عاماً أو عامين ، وذلك سر تفوقه فيما نشر من البحوث والتصانيف

ولسنا نظلم هذا الصديق المفضال حين نحكم بأنه لا يصلح لتقييد الخواطر العابرة التى تطوف بالذهن من حين إلى حين ، لأن ذلك لا يتيسر إلا لمن رُزق موهبة أدبية تقيّد شوارد المعانى بلا تعب ولا عناء ، وتضيف المألوف إلى صف الطريف بعذوبة التعبير وقوة الروح

أحمد أمين باحث كبير بلا جدال ، ولكنه ليس بكاتب ولا أديب ، وإن كان من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية !

ولم يستطع الأستاذ أحمد أمين على كثرة ما كتب وصنّف أن ينقل القارئ من ضلال إلى هدى ، أو من هدى إلى ضلال ، وإنما كانت مؤلفاته وبحوثه ضرباً من « التقرير » الذى يخاطب الأذهان ويعجز عن مخاطبة العقول والقلوب

وحياة الأستاذ أحمد أمين تؤيد ما نقول : فهو رجل لا يعرف الخلوة إلى الفكر والقلم ، ولا يتسع وقته لدرس ما فى الوجود وما فى الأخلاق من مشكلات ومعضلات ، وإنما يقرأ ويسمع ، ويعلق على ما يقرأ ويسمع ، بدون أن يتغلغل إلى أسرار المجتمع أو سرائر القلوب

وهيام الأستاذ أحمد أمين بالظواهر قد عاد عليه بأجزل النفع من الوجهة الشكلية : فهو رئيس لجنة النشر والترجمة والتأليف ، وهو أستاذ بالجامعة المصرية ، وهو عضو فى كل لجنة تؤلفها وزارة المعارف ، وهو مشرف على بيت المغرب ، وهو مؤلف كتب وناشر مقالات ، وهو صاحب ثروة يدبرها ويشقى فى سبيلها أعنف الشقاء .

وهذا كله مقبول ، ولكن الخطر كل الخطر فى ألا يقنع هذا الرجل بما وُفِّق إليه فى حياته الرسمية والماشية

الخطر كل الخطر فى أن ينصب هذا الرجل نفسه حاكماً بأمره فى تقرير مصير الآداب العربية ، وهو لم يستطع إلى اليوم أن يقيم الدليل على أنه يتذوق المعانى والأساليب

الخطر كل الخطر فى أن يتوهم الأستاذ أحمد أمين أنه قادر على زعزعة ما أقامته الأيام من الحقائق الأدبية ، الحقائق التى ساد بها العرب فى أزمان طوال ، وكان لها سلطان مهيب فى أقطار الشرق وأقطار الغرب

ولكن ما الذى نقل ذلك الرجل الفاضل من حال إلى أحوال ، وحوّله من الروية إلى الارتجال ؟

ما الذى قضى بأن يثور أحمد أمين على ما خُلق له فيطالع الجمهور بآرائه من يوم إلى يوم وكان يلقاه من عام إلى عام ؟

لقد أصبح الرجل صحفيًّا ، وكان أستاذاً ؛ ولكنه لم يراع أدب الصحافة ، لأن الصحافة تقف عند المشاهدات وهو يهيم بأودية الفروض

ابتدأ هذا الرجل مقالاته فى مجلة الثقافة بتلخيص بعض الكتب الأدبية فكان من الصحفيين الأدباء ، ثم رأيناه يتحول فجأة فيلخص الأدب العربي فى جميع عصوره تلخيصاً يقوم على أساس الخطأ والاعتساف ، ويعوزه تحرير الحجة وتصحيح الدليل

أعلام الأدب

بين أرستوفان ويوربيدز

للأستاذ دريني خشبة

ظل أرستوفان يدعو قومه إلى السلم وينفرهم من الحرب ، وظل يسخر من القادة المغرورين ويستهزئ بشكل الحكومة وديمقراطية الغوغاء ، فلم يزدد قومه إلا عناداً ، ولم تزدد جيوشهم إلا هزيمة ، ولم تزدد أثينا إلا فساداً وانحلالاً . فلما بُح صوته من دعوة السلام والتنديد بنظام الحكم انصرف عنهما آيساً ، وفرغ لأستاذه وعدوه يوربيدز ، يقصر عليه نشاطه الأدبى ، ويصب عليه جام نقمته ، وما أورثه فشله فى دعوة السلام من مرارة وغيظ

وقبل أن نخوض مع أرستوفان فى هذه المعركة على نخر المسرح اليونانى لا نرى بداً من التمهل قليلاً لنلخص ملهاتين عظيمتين ألفهما الشاعر الساخر قبل الانقضاض على يوربيدز ... أما إحداهما فمن أمتع ما نظم أرستوفان ، وأما الأخرى فهى أمتع وأعظم ما ألف طول حياته ، إلا إذا كان فيما ضاع من كوميدياته ما هو أعظم منها

فى سنة ٤١١ ق . م أخرج أرستوفان ملهاته لِيسِسْتراتا ، وقد نظمها تنفيراً لقومه من الحرب ، وصيحة مضحكة فى سبيل السلام . . . ولا بد أن الأثينيين كانوا أمة من المجانين حين حاول أرستوفان أن يصرفهم عن آلامهم وما تترك الحرب فى كل بيت من بيوتهم من مناحة تمزق القلوب وتفتت الكبود وتفجر المدامع ، ليضحكوا ملء أشداقهم من كوميديات مواطنهم المهرج العظيم !!

لله كم كنا نتمنى لو لم يفقد ذلك الجزء الثمين من كتاب الشعر (Poetics) لأرسطو الذى تناول فيه فلسفة الكوميديا لنعرف رأيه فى علة ازدهار الأدب الكوميدى فى فترة حروب البلبونيز خاصة حتى بلغ أوجه بين أنين الجرحى وعبرات الثكالى وأحزان الموجوعين

يصور أرستوفان فى ملهاته لسسترا بطلةً حازمة تدعو إلى نبذ الحرب ونشر لواء السلم ، فما تزال بصويحباتها (نساء أثينا) تحضهن على ذلك وتكون منهن حزباً قوياً تنتهى إليه الغلبة فى أثينا الديمقراطية ، فإذا احتج الرجال وأخذوا يناوئون حركة النساء اقترحت الزعيمة على توابعها حرمان الرجال من ممارسة (المسألة الزوجية !!) حتى يفيئوا إلى الحق ويرجعوا عن هذه المجزرة التى تودى بأبنائهم وبأنفسهم فى غير طائل . . وقد تعمدنا هنا أن نعكس ما أثبته أرستوفان فى ملهاته ، فقد قصد أن تكون النساء نساء أسبرطة وهو فى الحقيقة لم يعن غير نساء أثينا . . . ثم تنتهى الكوميديا بخضوع رجال أسبرطة ومجيئهم طائعين مختارين يطلبون الصلح من الأثينيين فتضع الحرب أوزارها ويكون السلام على الأرض (!!) وقد كان أرستوفان ماهراً فى تلطيف عقدة ملهاته الفاجرة التى لا نحسب أنها كانت تخطر لأديب ببال فى سبيل وقف حرب المورة ، تلك الحرب التى استمرت تهلك الحرث والنسل ثلاثين عاماً طوالاً فكادت تكون بسوساً يونانية بل هى كانت شراً من بسوس العرب ... فأى سلاح هو أمضى لوقف الحرب من إضراب النساء عن منح الرجال حق المباشرة الجنسية ! أليست الفكرة فكرة جريئة وإن تكن فاجرة داعرة ؟ لقد كان المسرح اليونانى الكوميدى يجيز ما هو أشنع من اللسستراتا أضعافاً مضاعفة ، وقد كان أرستوفان عَفًّا فى ملهاته هذه إذا قيس بزميليه أمفيس وألكزيس اللذين كانا يحشدان فى ملاهيهما ما لا يسمح قانوننا ولا عرفنا ولا أخلاقنا بعرض صورة منه ولا الخوض اليسير فيه .. ومع ذلك فقد كان أرستوفان لبقاً فى التضحيك على نسائه وإن كان دائماً فى جانبهن ضد الرجال ، وقد زاد فى إشاعة الروح الكوميدى فيهن بجعلهن عربيدات لا يعقدن مؤتمراتهن إلا حين تعبث الخمر بهن وتروى مشاشهن جميعاً

فهل يظن أنه سينجو من عواقب ما يصنع ؟

هل يتوهم أن التجنى على الأدب العربى سيمر بلا اعتراض ولا تعقيب ؟

إن لهذا الرجل صداقات مع كثير من الأدباء والناقدين ، وهو لذلك يرجو أن يصول ويجول بلا رقيب ولا حسيب

فما رأيه إذا أقنعناه بأن للأدب العربى أنصاراً يغارون عليه أشد الغيرة ، ويقفون لخصومه بالمرصاد ؟

ما رأيه إذا سددنا فى وجهه جميع المسالك وقهرناه على الانسحاب من ميدان الدراسات الأدبية ؟

ما رأيه إذا فرضنا عليه أن يعود رجلاً يؤذيه أن يجانب المنطق والعقل ؟

« الحديث شجون » **زكى مبارك**

أما أبرع كوميدياته وأمتعها على الإطلاق فهي بلا شك (الطير)، وقد ألفها سنة ٤١٤ أي قبل لسستراتا بثلاث سنوات فكانت آية آياته كلها حيث ارتفع بها إلى ذروة الفن الكوميدي وأشاع فيها المرح وجافى بينها وبين الواقع، وبناها على الكذبة الكبرى التي هي أساس الكوميدي اليوناني. وقد قلد فيها سوفوكليس من حيث سرعة العرض ونشاط الأداء والتنقل من مشهد إلى مشهد في خفة وتشوف، كما قلد فيها الشاعر الغنائي الخالد أرفيوس من حيث روعة الأغاني وجمالها وانسجامها وعلوها عن مستوى الغناء الكوميدي الذي كان يقصد به إلى الشعبذة والتهريج لا إلى الفن الخالص الرفيع

استطاع اثنان من أهالي أثينا هما بيثتيروس وإيوليبيدز، أن يكتشفا حقيقة عجيبة لم تكن لتدور في روع أحد ولا تخطر يوماً في قلب بشر ... استطاعا أن يعرفا ما عرفه الشاعر سوفوكليس من قبل، وهو أن ملك الطير إيبوبس هو نفسه الملك تيريوس ملك تراقيا(١) الذي كان يحكمها في سالف العصر والأوان قبل أن يُسحر إلى هدهد وقبل أن يتربع على عرش الطير مزهواً بتاجه الجميل ومنقاره الطويل وألوانه المتلألئة الحسناء ... ولما كان بيثتيروس مواطناً منبوذاً من قومه الأثينيين فقد اعتزم الرحلة إلى مملكة الطير ليجرب فيها حظه غير مستعين بأحد إلا بنفسه وزميله المغفل المطواع إيوليبيدز ... هذا وقد كان بيثتيروس رجلاً مقداماً مقاحاً قوي الجدل حاضر البرهان نافذ الحجة لا يعييه أن يقنع محدثه بالشيء وضده في وقت معا. وكان يرى الرأي فيصيب به الحقيقة دائماً ولذلك كان قلما يرضيه تصرف الآخرين خصوصاً في شئون الحكم

أما إيبوبس الهدهد ملك الطير، أو تيريوس ملك تراقيا في سالف العصر والأوان، فملك عادل محبوب من رعيته المخلصة له، وهي رعية بُدائية ما تزال تحبو في أول مدارج المدنية، ولذلك فهو دائب على النهوض بها وإصلاح حالها، ولذلك أيضاً يرحب دائماً بكل من يرد عليه من رعايا الدول المتمدينة الأخرى ... وقد أكرم مثوى بيثتيروس لهذا السبب، واستطاع بيثتيروس

(١) هكذا في مجموعة كوميديات أرستوفان طبعة دانت ج ١ لمترجمها هوكهام فرير وقد خالفه ستويارت وموراي ص ٢٨٦ إذ يذكران أنه كان ملك أثينا لا تراقيا ونحن نلخص من فرير

من برجنا العاجي

كان إبسن يقول: «الرجل القوي هو الفرد المعتزل»

كان إيماني شديداً بهذه الكلمة. وما برحت أرى فيها دستوري الذي لا ينبغي أن أحيد عنه. فأنا كلما انطويت على نفسي واعتصمت ببرجها أعطتني كل ما أريد من قوة ومنعة. وكلما التمست ذلك عند الناس أو عند أصحاب الجاه والسلطان شعرت أنهم أضعف من أن يستطيعوا لمثلي خيراً أو شراً. فليست قوتي المنشودة في ألقابهم ولا في ثرائهم، إنما هي في شيء ليس في مقدور أحد أن يمنحنيه غير نفسي. فالدولة لم تستطع ولن تستطيع أن تنقص أو تزيد في قوة قلمي أو رأيي، ولم تستطع ولن تستطيع أن تخفض أو ترفع من قدري وقيمتي في نظر الزمن والتاريخ. وهنا كل متعتي فأنا إذن لا أحتاج إلى الدولة في شيء، لأنها لا تستطيع أن تمنعني أو تمنحني شيئاً ذا أثر في كياني الحقيقي

هذا رأي الأستاذ العقاد أيضاً في كتاباته عن «الدولة والأديب». وقد أشار إليّ فيها بما يفيد أني مخالف لرأيه. وهذا غير صحيح. فأنا يوم ذكرت الدولة في مقام الأدب لم أرد منها تشريف الأدب بحمايتها؛ فالأدب شريف بدونها وهي لا تستطيع له تشريفاً، إنما هو الذي يستطيع إذا أراد أن يشرفها وبنوه بها. إنما أردت من الدولة أن تنظم بوسائلها المادية أسواق الأدب المادية كما تنظم بقية المرافق الحيوية الأخرى حتى يتطهر من السماسرة والمستغلين. إني أردت من الدولة أن تصون نتاجنا من جشع الطامعين كما تصون مال الأفراد من عدوان اللصوص. فلقد كان كل عجبي أن الدولة لا تعترف بمصالح الأدباء اعترافها بمصالح الأفراد، فهي تتركهم نهباً للناهبين حيث تقوم وتقعد إذا استبد تاجر بسوق الغلال، أو استولى مراب على بعض المال!

توفيق الحكيم

أن يقنعه بوجهة نظره فى تكوين دولة تحت سيطرته بحيث ينضوى تحت لوائها البشر ، وما كادت رعية الطير تسمع بهذا حتى ثارت ثائرتها وهددت الملك بالتمرد وإضرام نار الفتنة، للضغينة القديمة بينها وبين بنى آدم ولعدم ثقتها فيهم من قديم الزمان . وقد همت الطير بالفتنة فعلاً ، لكن بيتيروس ألقى فيهن خطبة طنانة رنانة ساد بها الموقف وأنقذ بها مشروعه من الفشل

وأنشئت الدولة برياسة ملك الطير ، وأقامت الرعية المتاريس على الطريق إلى مملكة السماء ، فانقطعت السبل بين الآلهة وبين الأرض ، ولم تقو أرباب الأولمب على إخضاع الطير فاضطرت أن ترسل سفارة بين نبتيون إله البحار وهرقل الحديدى إله الرياضة وتريبول الإله البربرى الجاهل التمتام التفتاف (!) وقد اضطرت الآلهة إلى إرسال هـذه السفارة بعد قبض الطير على إيريس (قوس قزح) مبعوثة حيرا وجاسوستها حين اجتازت بغير حق المتراس الفاصل بين مملكة الطير وطريق الآلهة إلى السماء ... وقبل أن يصل أعضاء السفارة تنزل الإله برومثيوس — حامى البشرية ونصير الإنسان — مختالاً تحت مظلة كبيرة بين سمع زيوس كبير الآلهة وبصره ، ليؤيد بيتيروس بحجته وليمنحه البركة والتوفيق فى مجادلته سفراء السماء ... وقد استطاع بيتيروس أن أن يخدع هرقل بأكلة شهية أعدها له فضمه إلى جانبه ، وكان هرقل يسيطر على صاحبه تريبول الجاهل البربرى التفتاف، وبذلك أصبحت الأغلبية فى جانب بيتيروس ، وغلب نبتيون على أمره ، وعقدت معاهدة بين الفريقين فاز فيها بيتيروس بأقصى ما كان يصبو إليه من تفوق وسيطرة ، فقد رضى سيد الأولمب — زيوس الكبير المتعال ! — أن ينزل طائعاً مختاراً عن صولجان ملك الدنيا (الأرض) إلى الأبد لأيوبس الهدهد ملك الطير كما قبل أن يزوج ابنته الخالدة الفتانة (باسيليا[1]) لبيتيروس

وفى الكوميديا شخصيات مضحكة أخرى لا يتسع هذا الملخص السريع لعرضها . وأهم ما يلفت النظر تعقيباً على ملهاة الطير هو روح الإلحاد والسخرية بالآلهة الشائعين فيها ، وهو روح عجيب يدلنا على ما بلغته أثينا من الحرية الفكرية والتحلل من ربقة دينها الأسطورى بحيث لم يتحرج أرستوفان من الشعبذة على أرباب الأولمب إلى هذا الحد المضحك

ثم فرغ أرستوفان لفحر شعراء الدرام ، بل لفخر أثينا القديمة ، يوريبيدز العظيم ، فنال منه ما لم ينل منه شىء آخر ، وشعبذ عليه شعبذات أضحكت خصومه حيث ألف فيه ملهاته الفاجرة الشنيعة الـ (Thesmophoriazusae) ، أو محاكمة يوريبيدز كما يسميها المتأخرون والاسم مشتق من Thesmophoria (ثسموفوريا) وهو عيد من أعياد اليونان القديمة كانت السيدات يقمنه فى أكتوبر من كل سنة تقديساً لربة الزراعة والمدنية سيرس (أودمتير) ، ولم يكن يسمح للرجال ولا للذكور بوجه عام فى حضوره ... وقد ألفها سنة ٤١١ أى فى نفس السنة التى ألف فيها الليسيستراتا ، ولذلك جاء فيها أثر من سابقتها ...

نمى إلى يوريبيدز أن الأثينيات المحتفلات بعيد سيرس فى الـ (ثسموفوريا) سيثرن قضيته معهن لطول ما شن عليهن الغارة فى دراماته وجرأته على الجنس اللطيف بإبرازه على المسرح ، وتناول ما لم يكن ينبغى تناوله من أسراره أمام الناس . وخوضه فى شئون الحب والعشق والغرام المحرم من غير ما تورع ولا استحياء ولا مراعاة للعرف ، ولا إبقاء على سنن السلف الصالح . وبلغه أيضاً أنهن سيصدرن عليه حكماً صارماً عسى أن يكون له فيه مرتدع ... خاف يوريبيدز واشتدت خشيته ووقع فى حيص بيص (!!) ، ولم يدر ماذا يصنع ؛ ثم بدا له أن يستعين بشاعر مخنث (!!) جميل الطلعة مشرق المحيا يمكن أن يتنكر فى زى النساء ، ويذهب إلى ال (ثسموفوريا) ويختلط بالنساء حتى إذا شرعن فى فحص قضية يوريبيدز تولى هو الدفاع عنه بكل ما أوتى من ذلاقة وزشاقة وبيان ... لكن الشاعر أجاثون رفض ما يعرضه عليه يوريبيدز من وجوه الإغراء والإغواء فيضرب يوريبيدز أخماساً لأسداس ، ثم يبدو له فجأة أن يذهب إلى والد زوجته (حَمِيه) — منسيلوخوس — فيرجوه أن يتنكر هو فى زى امرأة ثم ينطلق إلى مكان الاحتفال فيتولى الدفاع عن زوج ابنته وإلا وقعت الواقعة وحاقت به البلايا ... ويقبل حموه ، ثم يذهب إلى ال (ثسموفوريا) وما يكاد يتكلم حتى يشك النساء فى أمره ، حتى إذا تضاعف ريبهن هجمن عليه واكتشفن أنه رجل وأنه حمو يوريبيدز . . . ويسقط فى يد الرجل ، ويهرب منهن لائذاً بالمذبح ، حتى إذا ضيقن عليه الخناق وأوشكن يبطشن به انقض على أحد أطفالهن فاحتمله بكلتا يديه وراح يهددهن بقتل الغلام إذا مسسنه بسوء ... ويختلط حابل النساء بنابلهن ، ثم يكتشفن أن الذى يحمله الرجل ليس غلاماً ،

(١) تمثل باسيليا المملكة أو الملك

بل هو دن خمر مغطى بثوب ، فيثرن من جديد ويوشكن أن يوقعن به ... وهنا يظهر يوربيدز نفسه ولكن متنكراً فى أشكال شتى ، فتارة يبدو كأنه منالوس حينما يكتشف أمر زوجته هيلين فى مصر ؛ ثم يبدو فى صورة الفتاة إيخو (الصدى) وهى تساعد الفتاة أندروميدا المصفدة فى حَيْد الجبل ... ويبدو مرة ثالثة فى شكل برسيوس وهو يفك أصفاد أندروميدا ... ثم يفلح يوربيدز آخر الأمر فى إطلاق سراح حمئه بعد أن نجح النساء فى تصفيده فى قفص المجرمين ، وذلك باتخاذه صورة قوّادة (هكذا ! !) وذهابه مباشرة إلى الضابط الذى عهد إليه بالرجل ليحرسه ... وتأخذ القوادة فى الرقص وهز الردف والأثداء والابتسامات الخليعة الفاجرة حتى تزلزل فؤاد الضابط وتنويه فيطلق سراح منسيلوخوس[1]

هذه هى الكوميديا الشائنة التى طعن بها أرستوفان خصمه العظيم يوربيدز ، وقد حاول فيها استعمال طرائق شاعر الدرام الكبير ووسائله فى التعبير والأداء . وقد استطاع بها أن يشير حنق يوربيدز وأن يحيل بقاءه فى أثينا إلى مرارة وتلدد وبرم بالناس وبالحياة . . وقد ألف أرستوفان فى خصمه غير هذه اللهاة شيئاً كثيراً ضاع أكثره لحسن حظ الأدب — أو لسوئه ، لاندرى ! — فلما مات يوربيدز سنة ٤٠٦ ق . م ، ألف أرستوفان ملهاته الخالدة (الضفدع) سنة ٤٠٥ التى تسمو إلى أفق (الطير) والتى عرض فيها ألواناً جديدة من الخيـال وجمال التصور ، وأطلق (لتفنّنه !) عنانه ، فاستحق التخليد برغم رجعيته وجهله أحياناً . . . وقد سبق أرستوفان فى هذه اللهاة إلى ابتكار النقد الأدبي المبنى على القواعد والقوانين ، بل هو قد وضع الكثير من قواعد النقد فى موازنته بين إسخيلوس ويوربيدز فى حوارها الشائق اللذيذ الذى اشترك فيه الإله باخوس

حزن الإله باخوس حزناً شديداً حين افتقد شعراء الدرام بعد سوفوكليس ويوربيدز اللذين ماتا فى عام واحد فلم يجد من يسد فراغهما ، ولذلك اعتزم الرحلة إلى الدار الآخرة (هيدز) كما صنع هرقل من قبل عسى أن يرد منها يوربيدز كما رد هرقل ألستيس ؛ ويبـدو باخوس فى جلد أسد وقد تزيى بزى هرقل وحمل عصا غليظة مثل عصاه ، وإن يكن مع ذلك يبدو فى صورة مخنثة كدأبه دائماً — ثم يكون إلى جانبه عبده — أو خادمه — إكسانثياس — وقد علا صهوة جحش وحمل على كتفه عكازة طويلة (شمروخاً !) علق فيها (مخلاته) وحقائبه وكل ما يلزم فى مثل هذه الرحلة الطويلة الشاقة من زاد وماء ونحوهما ... وقد علق هذه الأشياء فى طرف العكازة حتى (تحفظ الموازنة) معه ... فى المشهد الأول الذى يشك المؤرخون فى أن يكون كذلك (أى فى أن يكون هو المشهد الأول لأن اللهاة غير مرتبة وقد ضاعت بعض جذاذات منها) نسمع أصواتاً من التنادر (التنبيط !) يتقاذف بها شعراء — أو شويعرون — يجتهد كل منهم أن ينال رضا النظارة بإتقان التهريج وإجادة (التنكيت !) وقد وقف بينهم باخوس — بوصفه حامى مسرح الدرام ! — كالصنم لا يحير .. ثم ينتهى المشهد بنقاش سوفسطائى بين باخوس وخادمه ... ويهبطان إلى هيدز ، ويفتنّ أرستوفان فى إنهاض الموتى لتكلم الزائرين ، ثم يأتى أروع مشاهد اللهاة وهو هذا الحوار الأدبى الرائع بين إسخيلوس ويوربيدز من حيث منهاج كل منهما فى الشعر ووجهة نظره فى الأدب — وهنا لا يستطيع أرستوفان إخفاء غله على يوربيدز ، بل يختم المشهد بنصرة إسخيلوس (الذى كان يمثل الفضيلة الأثينية والرجولة اليونانية ، والشجاعة والإقدام ... لا هذا الأحمق يوربيدز الذى هو سبب فساد روح العصر ، وأصل خراب الأخلاق !) ... ثم تنتهى اللهاة بطرد يوربيدز ليستقر فى مثواه السحيق من هيدز وقد رهقت وجهه قترة !

والمدهش فى هـذه اللهاة العجيبة هو قيامها على النقد الأدبى البحت ، وهو وإن يكن نقداً بدائياً إلا أن المعارضات التى أتحفنا بها أرستوفان تجعلنا نعجب كيف كان الجمهور الأثينى فى هذا العصر يسيغ مثل هذا الحوار الذى هو فوق أفهامه ، بل يضحك له ويغرق فى الضحك! ثم كيف يحدث هذا، وقد كانت أثينا على شفا الهاوية؟ ألم تدخلها جيوش اسبرطة بعد هذه اللهاة بسنة واحدة ؟ !

إن ضحك الأثينيين هكذا على نخر شعرائهم يوربيدز هو آية انحلالهم وانقضاء دولتهم ... وقد حصل !

دريني خشبة

(١) التلخيص عن ترجمة وم جيمس هيكي بمجموعة دانت رقم ٥١٦

صفحة من حياة شاعر

عاشق ومجنون!...

للأستاذ صلاح الدين المنجد

كان اسمه جيرار دى نرفال ، وكان مولده فى باريس حيث الغيوم البواكى وحيث الجو المكفهر. أما أبوه فكان طبيباً فى الجيش، وأما أمه فكانت بنت بائع فقير . فنشأ فى قرية أودعه فيها أبوه ، بعد أن قضت أمه ، وأرسل إلى القتال . فنبت بين الحقول الواسعة، والسهول المتوثبة نحو الأفق البعيد . وطابت له الحيـاة فى هذه القرية التى لا تُسمع فيها الأصوات النابية تتعالى على جنبات السين ، ولا يُرى فيها فوران الناس بين الأحياء والشوارع ، وإنما تسمع فيها أصوات العجائز الخافتة ، وهن يتحدثن عن طرائف السحرة والجان ، ويرى فيها أسراب الغنم تقودها الفتيات والرعيان . وأحب الحياة فى القرية ، فأثر ذلك فى حياته . ثم خلّف القرية إلى باريس ليشدو فيها العلم . وما كاد يبلغ الثانية والعشرين حتى أخرج للناس طائفة من أشعاره . ثم قرأ « غوته » فكلف بكتبه ، وعزم على نقل « فوست » إلى الفرنسية . وسرعان ما نفذ ما عزم عليه ، فجاءت آية رائعة أعجب الناس بها كثيراً . فقدروا صاحبها ورمقوه . ودفعه هذا الظفر الذى سعى إليه مذ سلك طريق الأدب إلى انتخاب قطع من شعر « رونسار » وأخرى من أشعار « غوته » و« شيلر » ليقدمها إلى الناس . ثم انكب على الشعر يقرأه وينظمه ووجد أن حياة الأديب ، وما فيها من كسل وما فيها من أحلام ، قد صادفت من نفسه هوى، فهو لا يصلح بعد اليوم إلا لها. فقد كان له مزاج الأديب وإحساس الشاعر . وكان كما يقولون عنه دقيق الفكر رهيف الحس واسع الخيال ، يسكن إلى الأحلام ، ويقضى ساعات من نهاره وساعات يفتش عن حلم يرضى عنه . ويظهر لنا من أشعاره أنه كان يجد فى الأوهام راحة لنفسه . . . فهو لا ينفك يتوهم ويتوهم . فهو يصف لنا ، كيف يستشف أشباح الجان من وراء الغيوم ... فيصيخ بسمعه إلى عزيفهم المبهم تارة والمخيف طوراً ... يرسلونه مع زفيف الريح الثائرة . ويراهم مختبئين بين طيات السحاب ... فيناديهم ، فيأتون سراعاً يحيطون به ... يكلمونه قليلاً ويحدثهم قليلاً . ثم إنه ليتمثل نفسه طائراً ... يقفوه نفر من الجن ، يسرح معهم فى الفضاء حتى يصل إلى السماء ، فينظر إلى الأرض الخاضعة تحت قدميه ، أو يتمثل نفسه حيناً آخر هابطاً إلى سيف البحار ليستجم قليلاً ، ثم ليهبط إلى قرارة البحار فيرى الحيتان والأسماك ، ويزور أميرات الجن فى قصورهن المتلألئة فى قاع البحار

وكان لا بد له وهو فى مثل هـذا الحس الرهيف والخيال العميق والسن الباكرة أن يحب ويعشق . ولقد أحب ، ولـكن حبه كان لوناً من الحب لم يكن للناس به عهد من قبل . فإن فيه كثيراً من الطرافة التى تعجب ، والفكاهة التى تُطرب . فهو لم يعشق فتاة رآها فى الشارع أو الطريق ، ولا لقيها فى الحقل أو عند النبع ، وإنما عشق فتاة رآها فى حُـلُمه . فلقد مسّ الـكرى أجفانه ذات ليلة مساً رقيقاً أنساه نفسه ودنياه : « هأنذا فى قصر « مورتو فونتين » أرتع بين رياضه ، والقمر الساجى يرسل أشعته فتهوى فاترة كليلة ... تضىء القصر ذا الجبهة الحمراء ثم تختفى بين أزهار الزيزفون . وفجاءة تبدو فتيات حسان ... يرقصن على النغم ، ويغنين الأغاريد؛ وكنت وحيداً فحدقت فيهن ورأيت فتاة شقراء ناعمة الشباب غضة الجمال قد اكتنفنها وأخذن يتمايلن معها . سمعتهن يناديتها : تعالى يا أدريان ! فملـكت علىّ فؤادى ؛ وأقبلن نحوى فرقصن . ها هى ذى بين ذراعىّ ... أرقص معها . لقد سمعت من يهمس فى أذنى أنْ قبلها ولا تخف فهى لك . فضممتها إلىّ وقبلتها ، ثم جلسنا حولها لتغنى لنا . فغنت بصوتها العذب الحلو أغرودة من أغاريد الأقدمين تفيض بالحزن ، وتفيض بالسحر ، فيها قصة تلك الأميرة التى أودعوها البرج الشاهق .. لأنها أحبّت فتى غرانقاً

« وكانت الفتاة الشقراء تغنى فتنحنى الأشجار ، وتأتى أشعة القمر ترقص حواليها فتحفها بنور يبهر الأبصار ويعشيها . وغفلنا عن الليل ، وحسبنا أننا فى جنة عدن ، فقمت إلى غصن من الغار لأضعه على رأسها ، ولـكنها قامت تنثنى وتلهو ... ثم اختفت بين الخمائل عن أبصارنا ... وتلاشى صوتها ... ونأى طيفها ، ولـكن صورتها ما تزال فى نفسى لا تغادرها بعد أن تغلبت على كل صورة [1] »

(١) من قطعة له اسمها « أدريان »

تلك قصة حبه ، ولقد كان وفياً لهذا الطيف الذى قبله ورآه واعتقد أنه راجع إليه لا محالة ... فسماه « زهرة الليل التى تفتحت تحت أشعة القمر الشاحب » وسماه « الطيف الوردى الأشقر الذى اختفى بين الأعشاب ، والتف بالسحاب »

وفكّر شاعرنا طويلاً فى زهرة الليل ، فانكب على السحر وما يمتّ إليه بسبب يدرسه ويقرأ أصوله كأنما أراد أن يسخره لإحضار أدريان . وكان يسمع عن الشرق أقاصيص حلوة طربت لها نفسه ورضى عنها هواه ، فتمنى لو زار تلك البلاد التى هبطت إليها الأحلام ، ورتعت بين جنباتها الأوهام ، فيدرك ما فيها من أمور يحيط بها الغموض والخفاء . وخُيّل إليه أن أدريان هى بلقيس صاحبة العرش العظيم ، أتت إلى القصر الأحمر لتهمس فى أذنه أسرار الدنيا وتدله على طريق الخلود

ويذكر لنا من كتب عنه أنه كان يعتقد فى تقمص الأرواح ، وأن نظرته إلى أدريان كانت نتيجة لذلك الرأى . ولقد أصبح هذا الرأى لديه يقيناً عند ما قضى بين دروز سورية ردحاً من الزمن غير قصير . على أننا لا ننكر أن للمخدّرات التى كان يقتل بها جسمه ويفنى نفسه أثراً فى إخلاده إلى ما أخلد إليه . والعجيب أن يعتقد بأن تلك الأوهام حقائق ، على حين يعتقد الناس أن الحقائق أوهام . وكان من خبره بعد ذلك أنه التقى ذات ليلة براقصة فى حانة بباريس فحسبها أدريان الحبيبة . وبُعث الهوى الأول وهاج الشوق القديم ، فقال فى نجواه لنفسه : لقد عادت إلىّ بعد أن اختفت بين الرياض . ولازم المقهى لا يغادره إلا لحاجة ليملى بصره من جمال هذه الراقصة التى تقمصتها روح أدريان . وكان يغمرها بأزاهيره التى كان يرسلها وعليها اسمه ... ملتمساً بذلك لنفسه وصلاً عندها ، قانعاً بالنظر دون الكلام . ولكنها ازورّت عنه بعد أن رأت جنونه وعلقت فتى كان يغنى فتزوجت به

وزاد جنون شاعرنا عند ما تخطى الثلاثين ، فقد رأى فى إحدى الأماسىّ نجماً يضطرب فى السماء ، فضحك له وظن أنه بلقيس تناديه لتذهب به إلى الشرق . فأخذ يقهقه ويغنى ويقفز ويبكى ، وينزع أثوابه ويمد يديه نحو النجم المتلألئ منادياً تارة ومغرّداً أخرى حتى مرّ به بعض من عرفه ، فأشفقوا عليه ورثوا لحاله وقادوه إلى الطبيب

وذهب ما ألمّ به بعد ثمانية شهور قضاها فى مصح للطبيب « بلانش » فعزم على الرحيل إلى الشرق . فترك باريس سنة ١٨٤٣ وكان له من العمر خمس وثلاثون سنة قاصداً جزيرة مالطة ، ثم رحل عنها إلى الاسكندرية فالقاهرة . فراعه منها آثار مدينتها القديمة وعزّها الخالى ، وأعجبه زىّ المصريين فتزيّا به ، وحاول أن يتعلم العربية فلم يفلح . ثم ترك مصر قاصداً سورية ومعه جارية سوداء اسمها زينب

وجد شاعرنا فى سورية ضالة نفسه . فقد درس ما فيها من ديانات ، فأعجبته منها الدرزية . وزاد يقينه بالتقمص واعتقد أن بلقيس لا بد آتية إليه بعد أن فرت أدريان وأعرضت عنه جون[1] . ألم يجتمع ببلقيس فوق ثبج البحر على سفينة صنعت من الذهب ، ورصعت بالدر ، وحفت بها الجان ، فضمها إلى صدره وروى فمها الظمآن من قبلاته ؟

وعاد عقله إلى الاختلاط فترك بيروت إلى القسطنطينية فأقام بها زمناً ، يقول : « بلغت البوسفور ... فالتفتُّ نحو مصر الجميلة فإذا هى وراء الأفق البعيد »

« لقد ذكرت وطنى الذى تركته منذ شهور ، عند ما وطئت قدماى هذه الأرض الأوربية التى استولى عليها المسلمون . والتفت حوالىّ ... فإذا أنا أمام حلاق أرمنى يقص اللحى ... ويقدم القهوة . ورأيت جماً من الكلاب النائمة على الطريق . ولقيت شيخاً وقوراً يحمل عمته الكبيرة مستلقياً على العشب ... نائماً ملء عينيه ، يحلم بالجنة التى وعد الله عباده الصالحين » .

وعاد جيرار إلى باريس فكتب « مشاهد من الحياة الشرقية » أخرجها للناس بعد أربع سنوات . وما زال يتنقل بين السجون لجنونه والبلاد المجاورة ، برماً ببلاده ومحيطه ، سائلاً ربه « ألا يبدّل من حوادث الكون شيئاً ، وإنما يبدل ما يحيط به من الأشياء ليعيش وحيداً فى عالمه الجديد » مخرجاً للناس « ذكريات ونزهات » و « بنات النار » و « قصور بوهيميا الصغرى » حتى لقى مصرعه الذى كان يمشى نحوه ببطء منذ زمن طويل .

فقد ألحت عليه الأوهام واشتدت فى الإلحاح فأذعن لها ،

(١) كان اسم الراقصة التى أحبها : « جون كولون »

من العوائد المغربية الممتازة

سلطان الطلبـــة

بمناسبة تتويجه في ربيع هذا العام

للأستاذ إدريس الكتاني

سيبدو هذا العنوان غريباً عن إخواننا في الشرق . وليس عجيباً هذا ، فالمغرب نفسه — لا تاريخه فحسب — غريب في نظر بعض الشرقيين عن الشرق . أما نحن هنا فليس منا من لا يعد المغرب قطعة من الشرق العربي ، وجزءاً لا يتجزأ من الجامعة الإسلامية الكبرى . فعسى أن يعمل إخواننا الشرقيون على هذا الاعتبار ، ويقلعوا عن تجاهلنا وتناسينا في وقت نجعل نحن فيه الشرق — ومصر في الطليعة — محط أنظارنا وكعبة معارفنا ؛ ونتطلع إليه كالمنحط في أسفل الوادي يروم معرفة ما فوق الروابي التي تعلوه

عفا الله عنا وعنكم يا إخواننا المصريين ! كلانا مقصر نحو أخيه، ولكن ما عذركم أنتم — وقد أتيح لكم أكثر من ذي قبل — أن تقولوا وتعملوا عملاً صالحاً ، وأن تمدوا يد الإسعاف لهذا الشرق العاني فتوقظوه من غفوته ؟

إن اليد الضعيفة مع أختها يد قوية ، وهي مع أخواتها الضعيفات أشد وأقوى . قد والله نعقل كثيراً ولكننا لا نعمل إلا ونحن جهلاء ... عفا الله عنا ...

في تاريخ الحياة العلمية بالمغرب الأقصى ما يجعل المغاربة دائماً يفخرون بأمجاد الأجداد ، ويعتزون بما خلفه ملوك العرب وأمراء الإسلام من المآثر الحميدة بهذه البلاد العربية الإسلامية . وفي الحق أن الدول التي تعاقبت على المغرب لا يخلو تاريخها من حسنات شتى في مصالح البلاد العامة . وكم تجد لهم في خصوص النواحي العلمية من اهتمام خاص بالعلم والعلماء ، والأدب والأدباء ؛ ولكن الذي يؤسف له حقاً أن الكتب التاريخية لا تزال حتى الآن موضوعة على الرفوف أو مدفونة في الخزائن تلعب بها الأيدي



جانب من موكب (سلطان الطلبة) وعلى الصورة إهداؤه إلى الرسالة بخطه

الجاهلة إذ تتركها غذاء للأرضة ، وملعباً للخنافس والعناكب

وليس يهمنا الآن أن نلم بجميع ما لتلك الدول من المفاخر الخاصة بنشر التعليم وتشجيع طلابه ، فهذا ما يملأ كتباً عدة ، وحسبنا من ذلك أن نأتي بوصف أحد تلك المظاهر (الممتازة) فهذه وحدها دليل ساطع على الشعور الكامن من قديم في نفوس ملوكنا نحو بعث التعليم ونهضة الحياة العلمية . ويلاحظ على الخصوص في هذه الظاهرة مبلغ تعمق ملوكنا في فهم نفسية رعاياهم، وكيف ينفذون إلى قلوبهم فيملكون إحساسها بعبقريتهم الفذة ...

في ربيع كل عام من بدء ثلاثة قرون مضت يقيم طلاب العلم بفاس ومراكش « سلطنة » رسمية لها أبهة السلطان وجلال الملك ، تدوم سبعة أيام ؛ ثم في اليوم الثامن تتقوض وتنهار ويعود سلطان الطلبة بعد سلطنة أسبوع طالباً عادياً كما كان قبل أسبوع فقط !

واشتط في الإذعان ؛ وخيل إليه ذات ليلة أنه سياقي بلقيس، فكتب إلى صديق له : « لا تنتظرني هذا المساء ؛ فإن الليل سيكون أسود أبيض » ثم هام على وجهه في طرقات باريس ذاهلاً حتى انتهى به السير إلى مكان فيه أقذار وأوساخ فطاب له الجلوس عنده . فلما وهن الليل سمع غراباً ينعق ... فحسب أنه رسول بلقيس الحبيبة إليه ، فناداه وحدثه . ثم قام إلى نافذة فربط بها حبلاً علقه في عنقه ونادى : « هأنذا قادم إليك » وما هي إلا ساعات حتى فاضت روحه وانتهت مأساته بعد أن قضى سبعة وأربعين عاماً يقظان حالماً . . . وخلف لنا آثاراً مملوءة بالحسن من الوصف والفريد من المعاني .

صلاح الدين المنجد

هذه أدوار فكاهية طريفة تقوم بها الحكومة المغربية رسمياً فى أواخر فصل الربيع من كل سنة، وهى عادة يلذ للسائح الأجنبي أن يشاهدها ويسجل شتى مظاهرها، وقد تسلسل العمل بها منذ القرن الحادى عشر دون أن يحدث ما يمنع سيرها المعتاد

والحديث عن هذه السلطنة تجره إلى أفواه الطلبة طلائع أيام نيسان التى تتفتح فيها الطبيعة عن أكمامها، وتبتسم الأغصان عن أزهارها، وتحلو الحياة لأبنائها

فإذا هجم نيسان نشوانَ طروباً يجر أثوابه الخضراء اليانعة، هب طلبة القرويين بفاس وطلبة الكلية اليوسفية بمراكش. يطلبون من جلالة الملك الإذن لهم فى إقامة سلطنتهم السنوية. وعند الترخيص لهم بذلك يجتمعون على انفراد بإحدى مدارسهم التى يسكنونها، ثم يقوم «مقدم» المدرسة منادياً ببيع «سلطنة الطلبة» بالمزاد العلنى، ولكل طالب الحق فى أن يبتاعها لنفسه مادام يستطيع أن يزيد فى ثمنها على غيره، فإذا انتهت فيها الرغائب ووقف ثمنها على طالب ما، سجل العدليان الشرعيان اللذان يحضران هذا المزاد هذا البيع على الطالب المشترى، ثم ينفض جمع الطلاب معلنين سلطانهم. أما ثمن هذه «السلطنة» فيتراوح غالباً بين ١٠٠٠٠ و ٥٠٠٠ فرنك. ويلاحظ أن شراءها خاص بالطلبة الغرباء عن البلد محظور على غيرهم. ولعل هذا الامتياز قصد إليه لترغيب أهالى البادية والحواضر النائية فى ورود منهل العلم من كليتى القرويين وابن يوسف، وتشجيعهم عليه بإدخال أسباب الغبطة والانشراح إلى صدورهم

أما مهمة هذه «السلطنة» فهى قيام (سلطان الطلبة) على رأس رعاياه فى موكب رسمى حافل، بنزهة على شط وادى الجواهر بضواحى فاس(١) وهذا الموكب فى هيئته المؤلف منها صورة مصغرة لموكب صاحب الجلالة ملك المغرب مولاى محمد الخامس أيده الله

ويقوم «سلطان الطلبة» على أثر تعيينه بتأليف هيئة حكومته من نخبة أصدقائه الطلاب ومن بينهم وزير للمالية ومحتسب بارع فى الهزل والنكات الفكاهية

وفى أول جمعة تلى ذلك ترسل الحكومة المغربية لسلطان الطلبة كسوة فاخرة وتقوم بتنظيم موكبه الرسمى. وعند الساعة الحادية عشرة يتحرك هذا الموكب من المدرسة التى يتفق أن سلطان الطلبة ساكن بها، فيركب هو جواداً مطهماً وترفع المظلة الملكية «الشمسية» فوق رأسه ومن حوله الحراب تحملها الشرطة، وتتقدمه موسيقى عسكرية ثم قواد (المشْوَر) فرساناً حاملين السيوف، وتتلوه حاشيته وجمهور غفير من رعاياه الطلبة مشاةً على الأرجل، ثم أصحاب الطبول والمزامير، ويحيط بالجميع من اليمين إلى الشمال سلسلتان من الشرطة والعسس ومقدمى الحارات، ويخترق الموكب الأزقة والشوارع سائراً بين أمواج صاخبة من الأهالى إلى أن يصل إلى جامع الأندلس فيؤدى السلطان به صلاة الجمعة. ثم يتابع الموكب سيره لزيارة ضريح السلطان الأعظم مؤسس عرش الدولة العلوية الشريفة المولى الرشيد سنة (١٠٤٠ — ١٠٨٣ هـ) بداخل قبة الشيخ أبى الحسن على بن حرْزِهم بمقبرة الغرباء خارج باب الفتوح، وهذا السلطان هو الذى سن للطلبة هذه «السلطنة» وحباهم بعطفه الكبير فهم يزورون ضريحه أولاً قياماً بواجب شكره وتذكاراً لعهده اللامع. وعند المساء بعد صلاة العصر يعود موكب «سلطان الطلبة» من حيث أتى بينما الوجوه تطفح بشراً، والنساء يملأن السطوح بزغاريدهن المازحة العابثة

وفى عشية اليوم التالى يخرج «سلطان الطلبة» فى موكبه الرسمى كهيئته الأولى قاصداً إحدى ضواحى المدينة حيث ضربت خيام «دولة الطلبة» بسهول خضراء على ضفاف وادى الجواهر يتوسطها سرادق كبير لسلطان الطلبة وحاشيته. وتقدر هذه الخيام بنحو المائة غالباً خمسون منها للحكومة، وهذه خاصة بالطلبة تضم كل منها جماعة من بينهم، وباقى الخيام للأهالى الذين يلذ لهم أن يقضوا نزهتهم الربيعية بجوار «دولة الطلبة» التى تعيش أسبوعاً واحداً، وقد يرخص لها بزيادة أسبوع آخر.

وتقوم واردات الميزانية العامة لهذه «الدولة» المحدودة بالزمان والمكان من:

١ — ثمن «السلطنة» الذى يدفعه «سلطان الطلبة»

(١) ومثل هذا يكون بمدينة مراكش

على أن تتعهد له الحكومة فى مقابل ذلك بإجابة طلب يتقدم به إليها كإطلاق سراح مسجون له ، أو جعله موظفاً فى بعض الإدرات ونحو هذا .

٢ — الهدايا التى يقدمها جلالة الملك إلى الطلبة باسم سلطانهم ، وتتكون هـذه عادة من الأكباش وأكياس الحنطة وأكياس من السكر وغيرها ، ومن المال أيضاً .

٣ — الهدايا التى يتقدم بها الأهلون إليهم عن طيب نفس .

٤ — الضرائب التى يجبيها « سلطان الطلبة » من وجوه البلاد وتجارها بواسطة (ظهائر) موقعة بإمضائه والتى يؤديها هؤلاء بكل سرور .

٥ — (الذعائر) التى تجمع بواسطة «محتسب» سلطنتهم الماجن الذى يرتدى حلة فى شكل مضحك ، ويجعل فى عنقه سبحة من التين يلتهم منها الواحدة بعد الأخرى من حين إلى آخر ، ثم يتجول فى شوارع المدينة راكباً بغلة ، وواضعاً فى حجره صندوقاً مغلقاً يظل يملؤه — من ثقب فيه — بالفرنكات والريالات (كذعيرة) يفرضها على التجار والبقالين بزعم أنه وجـد فى مبيعاتهم غشاً يعاقب على ارتكابه

وفى خلال أسبوع هذه « السلطنة » ينصرف الطلاب جميعاً للمرح واللهو بقلوبهم وعقولهم معاً ، ويقبلون على حياة بعيدة عن حياة الجامعة فيها متعة النفس وصفاء الحديث وطرب القلب .

فإذا مضت ستة أيام وأقبل يوم الأربعاء ، تهيأت «أمة الطلبة» حكومة وشعباً لاستقبال جلالة الملك أو خليفته — إن لم يكن هو فى البلد — الذى يشرف مملكتهم الصغيرة فى موكب عظيم ليقدم لهم هداياه الخاصة ، وفى العشية ينتظر « سلطان الطلبة » مع هيئة حكومته سلطان المغرب المفدى؛ حتى إذا لاح موكبه عن قرب ترجل الأول عن فرســه . وتقدم إلى السلطان الأعظم مطأطئاً رأسه، فيقبل يده الكريمة ، ويرفع إليه الكتاب المتضمن طلبه الخاص الذى يؤمل من جلالته الأمر بتنفيذه ، ثم يرجع إلى الوراء فيركب فرسه ، ويتقدم إلى أن يقف قريباً منه

وهنا تتمثل لنا الديمقراطية الحق فى ملوكنا الذين ورثوها كابراً عن كابر . ففى هـذه الساعة يتنازل « سلطان المملكة المغربية » فيتحدث إلى « سلطان الطلبة » بكل تواضع حديثاً تمليه العاطفة ، وتوحيه الرغبة الصادقة فى بعث النهضة العلمية .

وفوق ذلك يتنازل لسماع حديث دعابة ومزاح ممتع من محتسب سلطان الطلبة الحاذق فى الفكاهة والمجون . فإن هذا يتقدم من جلالة الملك ويخاطبه بصوت جهورى أمام ألوف من الناس بنحو قوله : كيف استطعت وأنت ملك كسائر الملوك العاديين أن تقف بجانب أكبر ملك فى الدنيا تخضع لأوامره ملايين من القمـل والذباب والضفادع والبراغيث وغيرها من الهوام والحشرات ؟ فيرد عليه جلالة الملك بنكتة رقيقة تمثل سمو الهزل عند الملوك ، ويسارع سلطان الطلبة فيعرب عن قبوله لجلالته ضيفاً فى مملكته ويرحب به باسم أمته أكبر الترحيب . ثم يقوم المحتسب الماجن فيلقى أمام السلطانين ورعاياهما خطبتين ضاحكتين عابثتين فى الإشادة « بالزردة » والتنويه بالأطعمة الفاخرة

وعند الفراغ من هذه الظاهرة الرائعة يستأذن جلالة الملك من سلطان الطلبة فى الرجوع فيأذن له بعد أداء الاحترام الواجب ويعود جلالته فى موكبه الفخم إلى قصره العامر

وفى الجمعة التالية يقوم سلطان الطلبة فى موكبه بأداء صلاة الجمعة فى جامع أبي الجنود ، ثم يرجع لمقر دولته التى لا يبقى على انهيارها إلا يوم واحد. ففى مساء اليوم التالى يكون الطلبة على أهبة الرجوع لمدارسهم حيث تستأنف الدراسة بالـكلية صباح يوم الأحد

ويدهشك بل يغريك بالضحك الذى لا تملك معه نفسك أن تجد الطلاب صباح يوم السبت يبحثون عن سلطانهم فلا يجدونه. لقد فرّ ليلة هذا اليوم مختفياً بين غضون ظلامها القاتم خوف أن يصبح على أبواب ثورة عامة من رعيته التى يلذ لها أن تنقض عليه يوم انتهاء سلطنته حتى لا يدخل إلى نفسه شيطانها فيوهمها أنه حقاً « سلطان الطلبة » وأن واجباً عليهم أن يخضعوا له ويقروا بسلطانه عليهم

هذه هى الرواية التمثيلية التى ألفها السلطان « مولاى الرشيد » لطلبة العلم وبعثهم على تمثيلها بأنفسهم كل سنة على مسرح الحياة لـكى يعطيهم درساً عملياً فى التدريب والتمرين على أن يكونوا

رجالاً أكفاء مقتدرين لهم ما للناس فى الحياة من حق

وفى ظنى أنه لو كان معروفاً لدى حكومتنا الماضية نظام الكشافة الحديث ، لما جعلوا غير الفرق الكشفية مع موسيقاها المذبة جنداً وحراساً لموكب « سلطان الطلبة » حرصاً على أن يكون المظهر طالبياً بحتاً ، يمثل أمة فى الطلبة بسلطانها ، وجندها وموسيقاها ، وفى هذا وحده من الروعة والمظهر الجذاب ما يشوق الأبناء إلى التعلم ويبعث الآباء على تشجيعهم عليه بالبذل والسخاء . أما الآن ، فالمستقبل كفيل بأن يكون هذا وأكثر من هذا . وعسى أن ينتبه الطلبة من الآن إلى هذه النقطة الدقيقة فيؤلفوا من بينهم فرقاً كشفية تقوم بهذه المهمة ، فوق أنها تكون عضواً عاملاً فى النهضة المغربية الحديثة .

هذه رواية ناطقة أتينا على وصفها معتمدين على ما شاهدناه ، وسمعناه ، لا على ما قرأناه . فإن تاريخ نشوء هذه « السلطنة » والأسباب التى دعت إليها ووصف مناظرها ومظاهرها المتنوعة ، كل هذا طواه الزمن فى مهملات التاريخ . وما أكثر ما أهمله التاريخ وليت شعرى ما الذى حدا بالمؤرخين المغاربة إلى عدم الاكتراث بهذه المنقبة الخالدة ؟ أكبر الظن عندى أن هؤلاء اطمأنوا إلى بقائها وخلودها مشاهدة أكثر من اطمئنانهم إلى بقاء مؤلفاتهم التاريخية فاعتمدوا على ذلك ولم يكتبوا ومن يدرى؟ فلعلهم كتبوا وأضعنا نحن بجهلنا ، وأيًّا كان الأمر فإن اطمئنانهم إلى بقاء « سلطانة الطلبة » قد صدق وسيبقى صادقاً إلى الأبد . ولا أنكر فهناك فى بعض الكتب لمحة برقية وعلى الأفواه أسطورة تاريخية وعندى أطروفة فكاهية ، فإذا سمحت الفرصة فسأقص خرافتى وإلى اللقاء يا قرائى وقارئاتى فى الشرق الحبيب

« فاس — المغرب » ادريس الكتانى



في بلاط الخلفاء

بين الشعبي وعبد الملك

للأستاذ على الجندى

[تتمة ما نشر في العدد الماضى]

أقبل الخليفة على رجل جالس بين يديه يرتدى جبة[١] خزّ قد ابيض شعر رأسه ولحيته ، وتدلّى من عنقه صليب ذهب ، ورائحة الخمر تنفح من عارضَيْه ! فقال له : ويحك ! من أشعر الناس ؟ فأجاب الرجل — وفى صوته رنة الزهو والخيلة والثقة بالنفس — أنا يا أمير المؤمنين

ولم يكد الشعبي يسمع هذه الكلمة حتى تمعّر وجهه ودارت به الأرض ، فذهل للمرة الثانية عن آداب السلوك فى حضرة الملوك ، فصاح بصوت يقطر غيظاً : من هذا يا أمير المؤمنين الذى يزعم أنه أشعر الناس ؟

ما كان أغنى الشعبي عن هذا السؤال لو أنه روّى فى الأمر قليلاً ! ترى من يكون هذا الجالس بين يدى الخليفة جلسة الصديق المدلّ بمكانته غير أمدح مُدّاح الإسلام ، وآدب أدباء النصرانية ، ولسان تغلب ابنة وائل ومدره ربيعة ، والمنافح عن البيت الأموى وشاعر أمير المؤمنين أبو مالك الأخطل ؟

لم يستطع عبد الملك أن يكتم استجابه من عجلة الشعبي بالسؤال وجهله بشاعره الفذ وجرأته عليه ! ولكنه تكلف الحلم ورمى الشعبي بنظرة نفذت إلى أعماقه قائلاً : يا شعبي ، هذا شاعرنا الأخطل

وكان ما حدث كافياً أن يرد الشعبي إلى صوابه ويَفْثَأ من غضبه على الأخطل ، ولكنّ شيئاً من ذلك لم يحدث ، فولّى وجهه شطره — زاوياً ما بين عينيه — وهتف : يا أخطل ، أشعر منك الذى يقول :

هذا غلامٌ[٢] حَسَنٌ وجهُه   مُقْتَبَل الخير سريع التمّام
للحارث الأكبر والحارث الأصـــغر ، والحارثُ خير الأنام
خمسةٌ آباؤُهم ما هم ، هُمُو   خير من يشرب صوبَ الغمام

وكأن عبد الملك أعجبته هذه الأبيات فسُرِّى عنه وقال : ردّدها علىّ . فردّدها الشعبى عليه حتى حفظها

نال هذا التحدّى من الأخطل وشعر بالصغار والضعة ، فمسح بيده على جبينه الندّى وقال فى غمغمة الضجِر : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فمال عبد الملك على أحد جانبيه قائلاً : هذا الشعبي فقيه العراق . فزمّ الأخطل بأنفه وأرسل نفساً عميقاً وقال : أمير المؤمنين — حفظه الله — إنما سألنى عن أشعر أهل زمانه ، ولو قد سألنى عن أشعر أهل الجاهلية لكنت حريّا أن أقول كما قلت

وهمّ الشعبى أن يتكلم فقاطعه عبد الملك بالسؤال عن حاله — وقد شُغِل بالحوار عن ذلك — فقال : إني بخير يا أمير المؤمنين

ومضى يتأنّق فى صوغ المعاذير عما كان من خلافه على الحجاج وخروجه مع ابن الأشعث

وكان عبد الملك نبيلاً حقاً فابتدر قائلاً : مَهْ يا شعبى فإنا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولست تراه منا فى قول ولا فعل حتى نفترق ! وأراد أن يزيد فى طمأنينته فغير وجهة الحديث قائلاً : ما تقول فى النابغة ؟ فقال الشعبى : إن عمر بن الخطاب قد حكم له بالسبق فى غير موطن على الشعراء . وذلك أنه خرج يوماً — وببابه وفد غطفان — فقال : يا معشر غطفان ، أى شعرائكم الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : النابغة . قال : فأيكم الذى يقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى   وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا : النابغة . قال : فأيكم الذى يقول :

إلى ابن مُحَرِّق[١] أعملت رحلى   وراحلتى وقد هَدِتَ العيون
أتيتك عارياً ، خَلَقٌ ثيابى   على خوف تُظَنُّ بِىَ الظنون
فألفيت الأمانةَ لم تخنها   كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : النابغة قال هذا أشعر شعرائكم

(١) تراجم الأخطل فى الأغانى وغيرها
(٢) الأبيات للنابغة الذبيانى

(١) يمدح النعمان بن المنذر

ثم أقبل عبد الملك على الأخطل فقال : أتحب أن لك قِياضاً بشعرك شعرَ أحد من العرب ، أو تحب أنك قلته؟ قال : لا، والله، إلا أنى قد وَدِدت أنى قلت أبياتاً قالها رجل منا ، كان والله مُغْدف(1) القناع ، قليل السَّماع ، قصير الذراع ! قال عبد الملك : وماذا قاله ؟ فأنشده الأخطل القصيدة :

إنا محيوك فاسلم أيها الطَّلَل ... وإن بَلِيتَ وإن طالت بك الطيل

حتى وصل إلى قوله :

قد يدرك المتأنى بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقبل أن يسمع الشعبي رأى عبد الملك فى الشعر ، هتف بالأخطل فى لهجة المتهكم الساخر : تالله لقد قال القطامى أحسن من هذا ! فأدنى عبد الملك تفاحة إلى أنفه فشمها ، ثم قال : وماذا قال القطامى ؟ فأنشده الشعبي :

طرقت جَنُوبُ(2) رحالَنا من مطرَق ... ما كنت أحسبه قريب المعنق

ومر فى القصيدة إلى قوله :

وإذا يصيبك – والحوادث جمّة – ... حَدثٌ ، حداك إلى أخيك الأوثق
ليت الهموم عن الفؤاد تفرقت ... وَحلى التكلم للسان المطلق

فترنح عبد الملك طرباً إلى الشعر وإعجاباً به ! وصاح : ثكلت القطامى(3) أمه ! هذا – والله – الشعر !

ونظر عبد الملك إلى الأخطل ، فإذا هو كالمغشى عليه من الموت فأخذته الحمية لشاعره ، وداخلته الشفقة عليه ، فقال ينعش نفسه ويشد منها : ما أشعرك يا أخطل حين تقول فى وصف الخمر

وتظل تنصفنا(4) بها قروية ... إبريقها برقاعه ملثومُ
فإذا تعاورت الأكفُّ زجاجها ... نفحتْ فشمّ رياحها المزكوم

لم يخف على الأخطل ما أراده الخليفة ، فألقى على وجهه نظرة ملؤها الغبطة والرضاء ! ثم عطف على الشعبي – والزهو يعبث بِعطفيه – فقال : أسمعت بمثل هذا يا فقيه العراق ؟ !

فتربع الشعبي فى مجلسه ، وتنحنح ، وأمرّ يده على لحيته إسراراً خفيفاً ، ثم صاح فى وجه الأخطل : بعض مُعجَبك ! فأشعر منك والله الذى يقول :

وأدكنَ(1) عاتق جَحْل رِبَحْل ... صَبحْتُ براحه شرباً كراما
من اللائى حُمِلن على المطايا ... كريح المسك تستلّ الزكاما

فقال الأخطل : ويحك ! ومن يقول هذا ؟ قال الشعبي : يقوله شيخك أعشى قيس . فصاح الأخطل كمن أصابه مسٌّ : قُدُّوس قدوس ! !

ولم يسع عبد الملك إلا أن يحكم للأعشى على الأخطل : إذ هناك بون بعيد بين خمر يشمها المزكوم ، وخمر تستلّ منه الزكام ! وهنا يشعر الأخطل بالخطر المحدق به ، ويرى أن ريحه قد لاقت إعصاراً ! وأنه رمى من هذا العراقى الدخيل بالداهية النكراء ! لقد استطاع أن يسدد إليه سهاماً قاتلة فى جلسة واحدة ! فما الظن به إذا تطاولت المدة وتراخت الأيام ؟ ! إنه لا محالة سيغلبه على مكانته من الخليفة ، وسيسحب عليه ذيل الخمول ! فتنبهت فى نفسه غريزة المقاومة التى أرهفها طول النضال بينه وبين جرير وغيره فى ميدان المهاترة ! فورم أنفه وانتفخت أوداجه ، وانتفشت لحيته ، ودارت عيناه فى رأسه كأنهما جذوتان ساعرتان ! وفغرفاه يدير فيه لساناً كأنه لسان ثور ! واتجه إلى الشعبي هاتفاً بصوت فيه مشابه من هدير البعير المُغتلِم : إسمع يا شعبي ، إن لك فنوناً فى الحديث وشجوناً فى المحاضرة ، وإن لنا طريقاً واحداً لا نحسن غيره ، ولست إخالك غير ثانٍ من عِنانك حتى تحملنى على أكتاف قومك فأدعهم حَرَضاً ! !

فَعَلت هذه الكلمات الناريّة أفاعيلها فى الشعبي ! فمثله لا ينكر صولة هذا التغلبى الذى لم يتورّع عن هجاء الأنصار ! ويعرف أن أبياتاً من هجائه الممضّ الخبيث قد ترمى بقومه من حالق وتجلّلهم عارَ الأبد ! فيكون أشأم همدانىّ على همدان !

ولم يكد يتمثّل الشعبي سوء هذه المغبّة حتى ذابت حماسته فقبع فى مكانه كالقنفذ الخشِب ! وساورته الرِّعدة من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ! فالتفت إلى الأخطل ضارعاً يقول : أَقِلْنى

(1) مظلم (2) اسم امرأة (3) يقصد التعجب منه لا الدعاء عليه
(4) تخدمنا وتسقينا

(1) يصف زقا من زقاق الخمر بالدكنة والاتساع والعظم

هذه المرة يا أبا مالك ! ولك عليّ عهد الله وميثاقه ألا أعود لمثلها أبداً !

وأحسّ الأخطل نشوة الظفر ! فقال (ماطّاً صوتَه) : ومن يضمن لى ذلك أيها الشيخ ؟ فرفع الشعبي إلى عبد الملك عينين منكسرتين متوسّلتين قائلاً : أميرُ المؤمنين

فضحك عبد الملك حتى بدت له سِنّ سوداء كان يسترها ! وقال : أنا ضامن يا أخطل ألاّ يعرض لك بشيء بعد هذا !

فقال الأخطل : وأنا قد صفحت عنه يا أمير المؤمنين !

وأراد عبد الملك أن يصل ما انقطع من الحديث فقال : يا شعبي أى شعراء الجاهلية أشعر من النساء ؟ فقال الشعبي : الخنساء . قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قال : لقولها فى أخيها صخر :

وقائلةٍ (والنعشُ قد فات خطوَها
لتدركه) : يا لهف نفسى على صخرِ
ألا ثكلت أمُّ الذين غدوْا به
إلى القبر ! ماذا يحملون إلى القبر ؟ !

فقال عبد الملك : أشعر منها - والله - ليلى الأخيلية حيث تقول فى توبة :

مهفهفُ الكَشْحِ والسربالُ منخرق
عنه القميصُ لسير الليل محتقِر
لا يأمن الناس مُمْساه ومُصبحه
فى كل حىّ (وإن لم يَغزُ) يُنتظر

كان لكلام عبد الملكِ أثر عميق فى نفس الشعبي ، فانخزل انخزالاً شديداً وكَسَف باله ! لقد انتصر على شاعر الخليفة ولكنّ الخليفة لم يُعتِّم أن أخذ له بالثأر المُنيم ! وقرأ عبد الملك فى وجه الشعبي ما يعتلج فى صدره من ألم بَرْح ! فقال : ياشعبي لعله قد شقّ عليك ما سمعت ! فقال : إى والله أشدّ المشقّة ! إننى لم أُفِدْك إلا أبيات النابغة (هذا غلام حسن وجهه ...) وقد أفدتنى أفضل منها

فقال عبد الملك : ياشعبي ، إنما أعلمناك هـذا ، لأنه بلغنى أن أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ، ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق منهم !

ثم جعل عبد الملك يردد على الشعبي أبيات ليلى حتى حفظها ، فألقى المِخصرة من يده - وهى إمارة[1] الإذن بالانصراف - فنهض الشعبي مودعاً

وخطر لعبد الملك أن ينتفع (بدبلوماسية) الشعبي ، فأوفده[2] إلى ملك الروم . قال الشعبي : فلما دخلت عليه جعل لا يسألنى عن شيء إلا أجبته ، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة فأمسكنى عنده أياماً . فحين أردت الانصراف قال لى : أمن بيت المملكة أنت ؟ قلت : لا ، ولكننى رجل من العرب ... فدفع إلى رقعة خاصة وقال : إذا أدّيت الرسائل إلى صاحبك فادفعها إليه . فلما رجعت إلى عبد الملك ، دفعت إليه الرسائل ونسيت الرقعة ، ثم تذكرت بعد خروجى من الباب فكررت راجعاً ودفعتها إليه . فقال لى : هل قال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك ؟ قلت : نعم ، سألنى : أمن بيت المملكة أنت ؟ فقلت : لا ، ولكننى من العرب . ثم خرجت فلما وصلت الباب حتى ردنى إليه فقال : أتدرى ما فى الرقعة ؟ قلت : لا . فنبذها إلىّ وقال : اقرأها . فقرأتها ؛ فإذا فيها : عجبت لقوم فيهم مثل هذا كيف ملّكوا غيره ؟ ! فاحتدمت غيظاً ، وصحت مرتجفاً : يا أمير المؤمنين ، والله لو علمت ما فيها ما حملتها ! وإنما قال هذا ، لأنه لم يرَ أمير المؤمنين ! فضحك عبد الملك وقال : أتدرى لم كتبها ؟ قلت : لا . قال : حسدنى عليك فأراد أن يغرينى بقتلك ! ولكن خاب فأله ! فاذهب لا بأس عليك !

وقد نبل الشعبي فى عين عبد الملك وجلت مكانته ، فبالغ فى إكرامه وتقريبه منه ، حتى كان أول من يدخل إليه وآخر من يفارقه ! وصفوة القول : أن الشعبي فى دولة عبد الملك هو الأصمعى فى دولة الرشيد .

على الجندى

(1) التاج (2) ثمرات الأوراق ج - 1

رأيي في الرجال

للكاتبة الانجليزية أرسولا بلوم

بقلم الآنسة الفاضلة « الزهرة »

إنى أميل إلى الرجال وأختصهم بودتى ، فوق ما أختص السيدات ، لأنى — بعد استثناء حالات فردية قليلة — أجد أنهم يمتازون عنهن بالحصافة وبُعد مَراد الفكر ، وصدق النزعة . كما أنهم أرحب منهن صدوراً ، وأبسط خليقة ، وأسجح عِطفاً ، وأسرعها فيئة ، وأقدر على رد عُرام المنصب ، واحتمال الإساءة .

وفى إمكانك أن تتشاجر مع رجل وتصارحه بما تراه فيه حقاً وتلمسه وتموج فك عليه ، وبعد مضى عشر دقائق تعودان إلى مألوفكما من المصافاة والموالاة . ولكنك لا تستطيع شيئاً من ذلك مع سيدة ، لأنها تذكر على الدوام الملام الذى كافحتها به مرة ، وقد يندمل جرحها منه ويلتئم فى الظاهر ، إلا أنه يلتحم على نَغَل ويلترق على غِبْرة ، ولأقل لمسة يزرف ويمج دماً .

والرجل يقول ما يقصد ويتمسك به . أما المرأة فلا تعرف على الدوام ما تقصد ، ولذلك لا تستطيع التزامه ، أو التمسك به . فقد تقول الأم لطفلها اللحاح : « لا يا حبيبى يجب ألاّ تعتلى غارب تلك الأرجوحة المعلقة فيما بعد » . ولكنها لا تجد مفراً من الانصياع له ، والنزول على رغبته تحت ضغط تماديه فى اللجاجة . فترافقه إلى الأرجوحة مرة أخرى . أما الأب فيقول : « إسمع ! دعنا من هذه الأرجوحة وتعال بنا نعود إلى البيت » .

وإنك لتعرف المسلك النهج الذى ترده ، والمشرع الواضح الذى تقصده مع الرجل ، ولكنك لا تعرف متوجهك مع المرأة ، لأنها هى نفسها ، لا تعرف لها متجهاً ظاهر المنار . وإنك لتجد فى الرجل رفيقاً صالحاً ، وصفياً ودوداً ، وخديناً مخالصاً . . . وإذا كنت فى حاجة إلى مناصحته ، فإنك تلقى فيه مشيراً صادق الضمير ، يتحرى لك وجوه النصح ، وينصّب لك ما يهديك إلى عواقب أمرك ، ويبصرك مواقع رشدك ، ولا يشير عليك بما تعتقد أنه رأى الصواب الذى طوعته لك نفسك ، وحدثتك بالإقدام على فعله . أما المرأة فتدلس عليك الرأى مجاراة لك ، وإشباعاً لرغبتك فى إنفاذه ، وإغراء لعزيمتك باتباعه ، ولا يخطر لها أن تشير عليك بما تعتقد أنه أحمد لك فى العقبى ، وألزم للأحوط من أمورك . وقد أرتدى قبعة جديدة ، وأتطلب رأى إحدى صويحباتى فتكره أن تزهدنى فيها ، وتميلنى عنها ؛ بعد أن شريتها . فتقول : « إنك تبدين فيها يا عزيزتى مدهشة فتانة ! » . وأسأل الرجل فيقول : « ما هذه القبعة ؟ أهى صندوق فحم مقلوب ... ! » .

ومن الغريب أنه لا يريد أن يحدج بسوء حين يجهر بهذا القول . وإنى لشديدة الإعجاب بصدقه وإخلاصه فى صراحته . لأنى أعتقد يقيناً أنه بفطرته محمود الملابسة ، شهى المجاملة ، لا يعرف كيف يدامل أو يدامج !

وليس من شأن الرجل أن يغتاظ بمثل السهولة التى تنال من المرأة ، وتثير احتدامها ، فقد تستاء وتتكدر بل تستشيط غضباً إذا اعتقدتْ أن إحدى صويحباتها قد قلدت رسم ثوبها الجديد وسبقتها إلى الظهور به ، أو أنها قد استمالت خادمتها القديمة النافعة ، أو أنها قد أخبرت صاحبتها فلانة أنك تتهم سلامة ذوقها فى الأزهار التى يطالعك بها فناء حديقتها ! أما الرجل فلا يحفل شيئاً من هذا ، ولا يزعجه تنديدك بنظام مغروساته وأزهاره ، ما دام هو يحبها ويتعهدها بما يلزمها من السقيا والرى .

بيد أنى أعتقد أن السيد « آدم » مزهوّ بذاته ، وأعرف أننى إذا كنت أبغى النجح لمطلب أقصده ، فليس علىّ إلا أن أثنى على مهارته ثناء جماً ، وأمتدح اجتهاده وشهامته ، وأتغنى بمواهبه وحكمته ... وأعرف أن معدته هى نقطة الضعف فيه ... وأنه قل أن يوجد فى الرجال مَنْ لا يستخفه طبق شهىّ مصنوع من « مايونيز الخبيارى ، وجراد البحر (الجمبرى) ... » .

وإنك لا تجد للرجل ضريباً فى صدق صداقته ، وهذا سبب من أعظم الأسباب التى تحفزنى على أن أمحض الرجل صافى ولائى

وأعتقد كذلك أن الرجال فى غضون عشر السنوات الأخيرة قد كيفوا ذواتهم تكييفاً معجباً ، وفاق ما استلزمته التغييرات والتطورات الحديثة . فقد مضوا إلى ميادين القتال ، وقارعوا فى سبيلنا ، وجاهدوا جهاد الأبطال للذود عن أوطاننا ، ولاقوا الأهوال ، وأفنوا زهرة العمر فى الخنادق الضيقة الملوثة بالجراثيم والأوبئة ، وواجهوا الموت فى المغاور والمخابئ الصماء . ثم عادوا وماذا وجدوا ؟ وجدوا عالماً غريباً أُفرغ فى قالب لا عهد لهم به من قبل . بل وجدوا عالماً جديداً ، احتلت فيه المرأة مقام السؤدد

ووجدوا أننا قد سلبناهم أعمالهم ووظائفهم ، إذ أطلقنا عقال

التقاليد ، وعدنا غير ذلك الجنس اللطيف الضعيف ؛ وأصبحنا الجنس القوي ، الآخذ عليهم المهلة والأنف . ولو أن الأمر كان على العكس ، فكانت المرأة هي التي عادت من الحرب ، ووجدت كل هذا التطور ، لما تأخرت لحظة عن اغتصاب السلطة من الرجل ، ومحاربته ومناجزته ، بذلك الأسلوب الجبار القاسي العنيف الذي تتوخاه في جميع منافحاتها ومقارعاتها …

ولكن الرجل لم يفعل أيّ شيء من ذلك . بل جلس ساكناً وأخذ ينظر ويراقب سير الأمور . ولعله عرف أننا سَنمَلّ هذا التغيير الجديد على توالي الوقت ؛ ولعله كان حكيماً في ألمه وعنائه ، وبما قاساه من خشونة العيش وضيقه في تلك الخنادق الوبيلة الضيقة فأبى أن يناوش ويداحل ، واعتقد أنه وقف موقفاً نبيلاً تجاه جميع تلك التصرفات .

وإني لأجزم بأن الرجال مدهشون بوجه الإجمال : فهم أصدقاء خلصاء ، ومحبّون كرماء ، ومنافسون شرفاء ، وهم السواعد اليمنى القوية التي تتمنى أن تتكئ عليها في أحايين ، أوفر السيدات استحواذاً على الحرية ، وأوفاهن استمتاعاً بنيل حقوق الأمة . وإنني لأوثر الجنس النشيط الخشن على الجنس اللطيف في جميع هذه الأحوال ، لأننا لا نستطيع أن نكون من نظرائه وعدلائه في نبل شعوره ومناقبه العالية وصفاته النادرة التي تتجلى في ميادين المباريات والمنافسات . ولقد كشف لي ابني الحدث هذه الحقيقة الرائعة إذ كنت أتلهى معه بالصارعة ، وكان له الغلب عليّ في جميع الحلقات ، من بدائيها إلى نهائيها ؛ وإذ كنت سجينة بين ذراعيه لم أفتر عن منازلته . وإني لآسف أن أقول : إن غريزة نسوية وحشية قد طغتْ على إحساسي بقواعد الشرف المتفق عليها في المباريات والمصارعات ، وجعلتني أنقضّ عليه في تلك اللحظة خلسةً ، وأعضّهُ في محاذرة وتيقظ … فراح ذراعه وتفرّس في وجهي مؤنباً وقال : « أواه منك يا امرأة ! » . وإن خير ما أعتقده في صفات الرجل ومميزاته هو هذا الذي بدر من ابني … والذي يحملني على المجاهرة في غير مَنّ ولا تصدق بأن الرجل يحمل النزاهة رائده على الدوام في النزال والمساولة …

« الزهرة »

من مذكرات بلنت

صفحات مجهولة من حياة الامام محمد عبده

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

١٠ أغسطس سنة ١٩٠٣

كان الشيخ عبده قد نقل كتاب الفيلسوف هربرت سبنسر عن « التربية » من الفرنسية إلى العربية بلغة جزلة صحيحة ورأى بهذه المناسبة أن أقدمه إلى مؤلف الكتاب

فذهبت مع الشيخ عبده اليوم إلى بريتون لنزور سبنسر، وكنت قد كتبت إلى سبنسر فى ذلك الشأن وأنبأته بأمر هذه الزيارة ، فأرسل عربته وسكرتيره مستر تروتون ليقابلنا فى محطة بريتون . ولما وصلنا إلى المنزل ألفينا الفيلسوف الشيخ طريح الفراش من شهر ابريل الماضى . ولم يكن المرض الذى انتابه قد أثر فى عقله بتاتاً ، بل ظل ذهنه صافياً وصوته قوياً ، ولكن يده كانت ناحلة نحول يد الهيكل العظمى . وقد استقبلنا وقتاً قصيراً قبل الغداء، ثم عاد فاستقبلنا فى الساعة الثالثة ، وحاول فى بادىء الأمر أن يتكلم الفرنسية فتكلم ببطء وصعوبة . ثم عاد إلى الانجليزية ، ورحت بدورى أترجم للشيخ عبده

نعى سبنسر على السياسة الحديثة اختفاء « الحق » منها ، وتكلم عن حرب الترنسفال فنعتها بأنها وصمة فى جبين الإنسانية وقال : لا شك أننا مقبلون على عصر « قوة » عصر تثار فيه الحروب من أجل السيطرة وتباح فيها جميع ضروب الوحشية

وتناول فى جلسة الساعة الثالثة ظهراً حديث الفلسفة ، وسأل المفتى عما إذا كان الفكر يتطور حقا فى الشرق إلى ناحية الغرب . فقال الشيخ عبده : الواقع أن الشرق يأخذ عن الغرب أسوأ ما فيه وإن كانا ما زالا مشتركين فى خير الأفكار وأرقاها .

وهنا قال سبنسر : لنذهب توا إلى صميم الموضوع . إننى أعتقد أن الفكرة عن القوة المحركة للوجود ، هى ما تسميه « الله » وما نطلق عليه نحن « الرب » وهى متقاربة عندنا وعندكم . فأجاب المفتى بنظرية وجد سبنسر أنها جديدة طريفة . فقال الشيخ عبده : إننا نؤمن بأن الله « موجود » غير مشخص . فسر سبنسر من ذلك غير أنه لم يلبث أن أجاب : إن الفكرة صعبة الفهم ، وزاد على ذلك : إنه من الواضح على كل حال أنكم من المتعمقين فى التفكير تعمقنا نحن معاشر الأوربيين

ومع الأسف لم يكن فى وسعنا أن نتمادى فى هذه الأبحاث الطريفة ، فإن سبنسر لم يكن يسمح له بإطالة الحديث بالنسبة لمرضه . غير أنى فى أثناء عودتنا إلى المحطة سألت المفتى سؤالاً دقيقاً : أتمتقد أن الله يعلم أنك موجود وأنى موجود، أو لا تعتقد أن هذا العلم هو شخصيته ؟

— إنه يعلم

— أو لا تعتقد أنه يعلم بالطيب والخبيث؟

— إنه يعلم

— وأنه يسر بالطيب ويستاء من الخبيث ؟

— أجل

ومن سوء الحظ أن الوقت لم يتسع لنناقش سبنسر ونقف على رأيه فى هذا الأمر وإن أمكن أن نلمح بريقاً خاطفاً من تفكيره فى الموضوع

أما النساء اللواتى عرفتهن فى صحبته ، فما يزلن يلازمنه من سنوات أربع . وقد وقفت منهن على معلومات طريفة عن حياته الخاصة ، وأكثرهن علاقة به امرأة صماء . وليس لديه صديق ، ولم يزره أحد من شهر ابريل الماضى سوى ثلاثة أو أربعة أصدقاء ، ولكن صحته بدأت تتحسن ، وشرع يستعيد بعض نشاطه ، وأمكنه أن يقضى الصيف قرب « تل ليف » وأن يخرج برفقتهن إلى نزهات خلوية ، وكان يجد سروراً مضاعفاً من رؤية الزهور والطيور ، وهو الآن يجالسهن ويلاعبهن الشطرنج والضامة .

وتعميماً للفائدة نثبت هنا ما كتبه الشيخ رشيد رضا فى تاريخه عن الإمام محمد عبده ومقابلته للفيلسوف سبنسر ليمكن المقارنة بين ما سجله بلنت وبين ما دونه رشيد رضا :

« قلنا إنه فى سفره الأخير إلى إنجلترا عام ١٩٠٣ زار الفيلسوف سبنسر ، وكان ذلك فى ١٠ أغسطس . وكان الفيلسوف مصطافاً فى برايتون من جنوب إنجلترا وقد نهاه الأطباء عن كثرة مقابلة الناس ، وعن الحديث مع أحد أكثر من عشر دقائق لمرضه مع شيخوخته ، ولكنه سر من حديث الأستاذ الإمام ، ودعاه إلى

الغداء معه ، وأطال الحديث إليه فى فلسفة الدين والأخلاق والأفكار والمادية وسياسة أوربا

وإننى أذكر ملخص ما حدثنا به أستاذنا من ذلك وأرمز إلى سبنسر بحرف « ف » المقتطعة من « فيلسوف » وإلى شيخنا بحرف « م » المقتطعة من كلمة « إمام » :

ف — هل زرت إنجلترا قبل هذه المرة ؟

م — نعم زرتها منذ عشرين سنة

ف — كيف وجدت الفرق بين الإنجليز اليوم والإنجليز منذ عشرين سنة ؟

م — إننى زرت هذه البلاد فى المرة الأولى لغرض سياسى خاص هو البحث مع رجال السياسة فى مسألة مصر والسودان عقب الاحتلال البريطانى وأقمت أياماً قلائل لم يتعد عملى فيها ما جئت لأجله . وقد ألممت بها الآن منذ أيام فلم أدرس حالة الناس ، وإنما يجب أن آخذ عنكم ذلك

ف — إن الإنجليز يرجعون القهقرى فهم الآن دون ما كانوا عليه منذ عشرين سنة

م — فيم هذه القهقرى وما سببها ؟

ف — يرجعون القهقرى فى الأخلاق والفضيلة ، وبين تقدم الأفكار المادية التى أفسدت أخلاق اللاتين قبلنا ، ثم سرت إلينا عدواها ، فهى تفسد أخلاق قومنا وهكذا سائر شعوب أوربا

م — الرجاء فى حكمة أمثالكم من الحكماء واجتهادهم أن ينصروا الحق والفضيلة على الأخلاق المادية

ف — إنه لا أمل لى فى ذلك لأن هذا التيار المادى لا بد أن يأخذ مداه وغاية حده فى أوربا . إن الحق عند أهل أوربا هو الآن للقوة

م — هكذا يعتقد الشرقيون ، ومظاهر القوة هى التى حملت الشرقيين على تقليد الأوربيين فيما لا يفيد من غير تدقيق فى معرفة منابعها .

ف — محى الحق من عقول أهل أوربا بالمرة ، وسترى الأمم يختبط بعضها ببعض ليتبين أيها الأقوى ليسود العالم أو يكون سلطان العالم

ثم انتقلا إلى الكلام فى الفلسفة الإلهية

ف — ما يقول علماء الإسلام فى الخالق ، هل هو داخل العالم أو خارجه ؟

م — إن علماء الأثر يقولون إن الله تعالى فوق كل شىء بائن من العالم ، والمتكلمين يقولون : إنه لا داخل العالم ولا خارجه ، والصوفية القائلين بوحدة الوجود يقولون : إن كل شىء فى العالم مظهر من مظاهر وجوده ، وذكر له ملخص مذهبهم .

نوفمبر ١٩٠٣

انتهز الشيخ عبده فرصة قدومه إلى انجلترا فزار جامعة اكسفورد واستقبل استقبالاً حافلاً من أساتذتها خصوصاً المستشرق براون الذى أقام له حفلة تكريم شهدها أساتذة الكلية. ولدى تفقد الشيخ عبده القسم الشرقى من مكتبة الجامعة عثر على مخطوطات عربية نادرة ، أكثرها معروف بالاسم فقط لدى رجال الأزهر ؛ واهتم اهتماماً زائداً بمخطوط لأحد فلاسفة العرب « السباعى El Sebaïn » ، فيه رسائل إلى فردريك الكبير، وقد ذكر الشيخ عبده أنه سوف يكلف إدارة الأوقاف بنسخ المخطوط

وتناول الشيخ عبده فى حديثه معى زيارته لتونس والجزائر وشرح سوء حالتهما بالمقارنة بينهما وبين مصر ، ووصف تلك المقارنة بأنها كالفرق بين الظلام والنور . ثم عرجنا فى الحديث على موقف الخديو فقال الشيخ عبده : إن الخديو جشع يعمل كل شىء فى سبيل جمع المال، وإنه يريد أن يستبدل ببعض ما يملك أطياناً وعقاراً كلها وقف . ثم إن الخديو ينم ظاهره عن صداقته ، ولكنه يعمل فى الباطن لإقصائه عن وظيفة الافتاء

١٧ يناير سنة ١٩٠٤

أفضى إلىّ المفتى بأنه كان فى الأسكندرية وقابل الخديو ، وهو كعادته معه ، له مقابلة حسنة ، ومقابلة سيئة . ظاهره ضحك وباطنه دسائس وانتقام . ويقول إن الخديو متضايق منه بسبب الفتاوى الثلاث التى أجاب بها عن أسئلة مسلمى الترنسفال وهى :

١ — هل للمسلم المقيم فى بلاد أجنبية أن يأكل لحماً لم يذبح على الطريقة الإسلامية ؟

٢ — هل للمسلم المقيم فى بلاد أوربية أن يلبس القبعة ؟

٣ — هل للشافعى أن يقف فى صف واحد مع الحنفى فى الصلاة ؟

وقد أجاب المفتى بما يرضى ضميره . ولكن الخديو اعتبر ذلك كفراً . مع أنه هو نفسه يأكل ويلبس القبعة ، ولا يقيم الصلاة فى البلاد الأجنبية . على أن كرومر فى جانب المفتى ، وذلك ما يوجب الدهشة !

٢٢ يناير سنة ١٩٠٤

تغدى المفتى معنا فى الحديقة ، تحت شجر الغاب الإفرنجى ، وهو متألم لوفاة عالم من علماء الأزهر وخصوصاً أن الخديو مصمم على أن يحدث متاعب لخلفه . وعند ما نتكلم على الخديو ينعته بقوله : « رجلنا الصغير » !

ومن أحاديثه : أن الخديو منهمك الآن فى الأعمال المالية ، والتجارية ، إلى حد أن كرومر خيره بين أن يظل خديوياً محترماً وبين أن يكون تاجراً محترفاً . وهذا حق ، وخصوصاً أن بعض أفراد أسرة محمد على يحبون المال حباً جماً .

١٣ ابريل سنة ١٩٠٥

فى حديث اليوم مع الشيخ عبده تفضل وأخبرنا بقصة طريفة لا بأس من إيرادها : ففى أثناء نفيه إلى بيروت عام ١٨٨٣ ، حدث أن كان قسيس مقيما فى انجلترا اسمه اسحق تيلور يقوم بدعاية واسعة النطاق الغرض منها توحيد الإسلام والنصرانية على أساس فكرة التوحيد الموجودة فى الإسلام والشائعة عند الكنيسة الإنجليكية . وكان هناك شخص إيرانى من أتباعه اسمه ميرزا بكر يشايعه فى فكرته . وقد تمكن من التأثير فى الشيخ عبده ، وفى طائفة من علماء دمشق ، فكتبوا إلى القس تيلور فى الموضوع . وما إن وصل الكتاب إلى القس حتى فرح به ونشره مستعيناً به على صحة دعواه ، إلا أن السلطان عبد الحميد كلف سفيره فى لندن أن يستقصى حقيقة الموضوع ويقف على أسماء موقعى الكتاب ، فقابل القس وحصل منه على هذه الأسماء ؛ وقد أحاق بهؤلاء العلماء فيما بعد عذاب أليم وقرر السلطان إبعادهم عن الديار السورية ... ويقول الشيخ عبده إن السر فى غضب السلطان أنه خشى أن يعتنق الإنجليز الإسلام ، ثم يطلبوا أن يكونوا أصحاب الدولة فى الإسلام وتكون الملكة فيكتوريا ملكة المسلمين ... ويذهب السلطان من السلطان ... وسبحان مدبر العقول

١٩ فبراير ١٩٠٥

عاد الشيخ عبده من السودان وأطلعنى على تفاصيل زيارته وأنه مغتبط بما رآه وشاهده ، فالحكومة هناك أحسن إدارة منها فى مصر ، والأهالى قانعون حتى عن مسألة النخاسة ، والدراسة فى كلية غردون على أساس معقول موافق

وعنده أن قانون العقوبات السودانى أسهل وأحسن من القانون المصرى ، وأن السردار يحكم بالعدل ويسود بالحكمة واللين ، وأن هناك شعوراً حسناً متبادلاً بين الإنجليز والسودانيين

١٧ مارس ١٩٠٥

ودعت الشيخ عبده هذا الصباح . ويلوح لى أن هذا السفر إلى الأبد فلا عودة منه . على أن المكان – عين شمس – حبيب إلى نفسى لشمسه المتألقة وسمائه الصافية وما يكتنفه من خضرة وطير . فيا إلهى ! من ذا الذى يرعى ذلك كله إذا ما ذهبت ؟

وحضر الشيخ عبده إلى المحطة يودعنى وبقينا نتحدث طول الوقت إلى آخر لحظة تحرك فيها القطار . وكان وداعاً مؤثراً حزيناً لأن شعورى أوحى إلىّ بأنى سوف لا أراه بعد ذلك

٨ يوليه ١٩٠٥

إن الحادث الذى هز عواطفى هو حادث وفاة الشيخ عبده . فإن ذلك من أفدح النكبات التى صادفتها فى حياتى كذلك موته خسارة جسيمة للعالم الإسلامى . وإنه ليداخلنى الريب فى كيفية موته ، فربما كان موتاً غير طبيعى ، وإن له خصوماً سياسيين كثيرين

١٥ يولية ١٩٠٦

قدم مصطفى كامل باشا إلى لندن وجرت بيننا مقابلة طويلة استعرضنا فيها موقف الخديو والأحوال الدولية وسياسة الاحتلال البريطانى والنازى مختار ... ثم انتقلنا إلى الحديث عن المرحوم الشيخ عبده فذكره مصطفى كامل بتحفظ وأخذ عليه تمسكه بمنصبه الرسمى على رغم تحقير الخديو له . وهو لو احتفظ بكرامته وترك المنصب لجعلناه إمامنا فى الحرية والوطنية ، ثم تناول حادث وفاته وقال إنه كان بداء السرطان كما أخبره طبيبه قبل موت الشيخ بثلاثة شهور

محمد أمين حسونة

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ذكرنا أنه كان من نتائج تلك المذكرة المشؤومة اتحاد الوطنيين والعسكرين ، ونذكر الآن أن عرابياً مالبث يومها أن عاد فى نظر الجميع الرجل الذى يجب أن يحرصوا على معونته ، وتأهب عرابى ليأخذ دور الزعيم من جديد وقد كانت الزعامة تتزايل فى نظر الناس عن شريف

ولقد أحس مالت بما كان للمذكرة من أثر فى عودة عرابى إلى طليعة الصفوف فأوفد إليه فى مكتبه بوزارة الحربيـة صديقه بلنت ، وكان عرابي قد عين وكيلاً لهذه الوزارة كما بينا ؛ وكان مالت يطمع فى أن يكسب عرابياً إلى جانبه، أو على الأقل كان يتمنى أن يهدئ خاطره لعلمه بما يكون لمثل هذا العمل من عظيم الأثر فى ذلك الموقف العصيب الذى سببته رعونة غمبتا وصاحبه

يقول بلنت : وقد ذهبت إلى ثكنة قصر النيل فى ظهر يوم ٩ وكانت المذكرة قد وصلت فى يوم ٨ فوجدت عرابياً وحده فى مكتبه، وهذه هى المرة الأولى والأخيرة التى رأيته فيها غاضباً ، وكان وجهه كسحابة الرعد ، وكان فى عينه بريق خاص ؛ وكان قد رأى نص المذكرة وإن كان لم ينشر بعد ، وقد سألته كيف فهمها فقال : أخبرني كيف تفهمها أنت ؟ وحينئذ أديت رسالتى فقال : لاشك فى أن السير إدوارد ماليت يحسبنا أطفالاً لا نفهم معنى الكلمات . هذه لغة تحد وتهديد وليس فى هذه الإدارة كاتب يستخدم هذه الألفاظ لغير هذا المعنى . ثم أشار إلى الفقرة الأولى التى ذكر فيها الأعيان وقال : هذا تحد لحريتنا وليس لإعلان اتحاد فرنسا وانجلترة معنى إلا أن انجلترة ستغزو مصر كما غزت فرنسا تونس ... ثم قال : دعهم يأتون فكل رجل وطفل فى مصر سيقاتلهم . ليس من مبادئنا أن نضرب الضربة الأولى ولكنا سنعرف كيف نردها. ثم قال فيما يختص بالمحافظة على عرش توفيق : « إن السلطان هو الذى يحافظ على عرش توفيق فليس فى حاجة إلى ضمان أجنبى . ولك أن تخبرنى بما تشاء ولكنى أعرف معنى الكلمات أحسن مما يعرف ماليت ...

والواقع أن تفسير مالت كان هراء فى هراء ، وقد شعرت لما صرت أمام عرابى بعقلى ، وخجلت من حملى إليه مثل هذا الهراء ، ولكنى أكدت له أنى أديت الرسالة كما ألقاها إلى السير ادوارد ثم قلت : وهو يرجوك أن تصدقها وأنا كذلك » .

هذا هو كلام بلنت ، ومنه نتبين مبلغ غضب عرابى لهذه المذكرة كما نفهم جانباً مما كان يجيش فى نفس هذا الزعيم الثائر ، فهولن يجبن ولكنه لن يبدأ بالعدوان ، وهو بعد ذلك يلمح نيات انجلترة من هذه المذكرة كما يفعل السياسى البعيد النظر إذ يقرأ بين السطور كما يقولون . وما كان عرابى مبالغاً فى تصوير نيات الإنجليز فلسوف نرى أن جرانفيل كان فى ذلك الوقت قد وطد العزم على التدخل بالقوة !

عاد عرابى إلى الميدان . وفى الناس من تبلغ بهم الغفلة إلى حد أن يأخذوا عليه هذه العودة ؛ وفيهم من يذهب بهم اتباع الهوى إلى أن يجعلوا ذلك من أكبر خطيئاته قائلين فى مثل منطق البلهاء إن كان ثمت للبلهاء من منطق ، إنه بعودته هذه قد ساق البلاد إلى ما سيقت إليه من دمار .

ومن المؤلم المثير حقاً أن يقول هؤلاء الناس هذا الكلام دون أن ينظروا فى موقف الخديو وموقف الإنجليز على نحو ما بينا ، وهم لا يفهمون من المسألة كلها إلا ما شاع من أن عرابيا كان رجلاً ذا أطماع لا يدرى ماذا يفعل ؛ فكانت إذا هدأت البلاد لا يفتأ يعمل بنزقه على إثارتها ليصل إلى تحقيق أطماعه .

وأحسب الآن بعد الذى رأينا من موقف أعدائه أن هذا الكلام قد أصبح خليقاً بأن يخجل منه قائلوه . وإنا لنكاد نقطع منذ الآن أنهم — بعد أن نفرغ من سيرة هذا الرجل المظلوم على النحو الذى نسير عليه — لن يعودوا إلى مثل هذا الكلام أبداً ، وسبيلنا فى إقناعهم الحجة التى نستخلصها من الحوادث فى عدالة يوجبها الحق ، وفى عطف يتطلبه الإنصاف .

تعهد عرابى ألا يتدخل فى شؤون الحكومة ، فكان إذعانه لهذا الطلب أمراً لا بد منه . ولو أنه رفضه لكان فى ذلك مخطئاً أشد الخطأ ، ولكن عرابياً لم يتعهد أن يدع وطنه وشأنه لا تهزه بعد يوم عابدين نحوه عاطفة أو يحركه لنجدته ما عساه أن يلم بقضيته من الأحداث . ولم يكن ليستطيع عرابى أن يتعهد بمثل هذا التعهد ولن يستطيع ذلك غير عرابى من الناس ، ولو أنه فعل ذلك لأجرم فى حق هذا الوطن جريمة ما كان ليغفرها له التاريخ . . . وكيف يفعل ذلك عرابى أو أى رجل غيره ولا يكون بذلك مجرماً مفرطاً فى جنب وطنه ؟ وأى فرق بين مثل هذا التعهد وبين المروق والخيانة والجحود فى أوضح صورها وأقبحها ؟

ألا إنه الحق كل الحق أن يطلب إلى بنى الوطن ألا يتدخلوا فى أعمال الحكومة ، ولكن على شرط ألا يكون من تلك الأعمال نفسها ما يحفز الناس إلى التدخل أو يوجبه عليهم . أما أن تفرط الحكومات فى حق الوطن، وأما أن توضع العقبات فى سبيل قضيته ثم يطلب إلى الناس بعد ذلك أن يدعوا الحكومة وشأنها فهذا هو الباطل بأجلى معانيه وأشدها فجوراً ، ومن أطاع ذلك من الناس فقد أجرم فى حق بلاده وضل ضلالاً بعيداً

لن يكون لقيام الحكومات من مبرر إلا العمل لخير المحكومين وصلاح أمرهم. على هذا الأساس ولدت الديمقراطية، وبهذا المبدأ اقترنت الحرية ؛ ولكم نادى بذلك القادة ودعاة الإنسانية فى الغرب منذ هدموا صروح الظلم وحطموا أغلال الماضى وفصموا سلاسل الرجعية . وما لنا نستشهد بالغرب وهذه الحكومة الاسلامية الأولى التى قامت فى الصحراء قد جعلت تلك المبادئ أساس قيامها ، فما أروع وأجمل أن يقول الخليفة الأول للناس : « أيها الناس إنى وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن حرفت فقومونى » وأن يقول لهم الخليفة الثانى : « من رأى منكم فى اعوجاجاً فليقومه » فيرد عليه أعرابى من أوزاع الناس بقوله : «لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا» وما أملى على أبى بكر وعمر هذه المعانى السامية وما أمدهما بتلك السياسة العالية إلا ما ألهماه من روح تلك الشريعة السمحة ، شريعة دينهما التى تقدم بهذا أحد براهينها على أنها شريعة الفطرة ، فما كانت الحرية فى شتى مظاهرها إلا بنت الفطرة ... وأبلغ وأروع من قول أبى بكر وعمر قول الرسول الكريم : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده »

قبل عرابى أن يدع الحكومة وشأنها على أن تجرى الأمور وفق ما وضعته الثورة من مبادئ ، فكيف لعمر الحق كان يستطيع أن يحمل على السكوت نفسه وقد رأى من الدسائس الأثيمة التى تحاك حول تلك الحرية الوليدة ما أغضب أكثر الناس اعتدالاً وأقلهم علاقة بالسياسة وشؤونها ؟

إذاً فالفرق كبير بين أن يتدخل عرابى فى شؤون الحكومة وبين أن يغضب لما حل بقضية وطنه ، وفى هذا الغضب دليل وطنيته ووطنية كل غاضب معه . ولقد كان من أصعب الأمور على هذا الرجل أن يدع هذه القضية وشأنها ، بل لقد كان ذلك مستحيلاً عليه ؛ وإنى لأرجو من الذين خاصموا هذا الرجل فى غير حق بعد أن أصبح فى ذمة التاريخ أن يستمعوا إلى هذا الرأى الذى أسوقه عنه ، ألا وهو أن الحرية كانت من طبعه لم يتكلفها يوماً ولم توجهه إليها الحوادث وهو يجهل كنهها كما يقول الذين أرادوا ألا يدعوا له محمدة إلا جعلوها بالباطل مذمة

كانت الحرية من طبع ذلك الجاويش الذى نقم على الجراكسة فى الجيش استبدادهم فأكثر من الشغب عليهم . وكانت الحرية من طبع ذلك الضابط الذى اختاره زملاؤه ليحمل عريضتهم إلى رياض . وكانت الحرية هى التى دفعت هذا الرجل إلى أن يقف

ذلك الموقف الفذ عصر ذلك اليوم المشهود فى ساحة عابدين ، ولسوف تكون الحرية هى الحافز له إلى وثبات أخرى ...

ولقد استوثق مستر بلنت من ذلك عند ما سعى إلى عرابى يطلب مودته قال : « وكانت غرفته الخارجية بل كان الشارع الموصل إلى المنزل يمتلئ كل يوم بجماعة الشاكين . وكان قد اتصل به نبأ عطفى على الحركة ورغبتى فى مساعدة الفلاح فاستقبلنى بأسمى مظاهر المودة لهذا السبب ، وللصلة التى تربط أسرتى باللورد بيرون الذى كان عرابى وإن لم يعرف شيئاً من شعره يمجده لدفاعه عن حرية اليونانيين »

وكيف كان يمجد هذا الفلاح اللورد بيرون نصير الحرية إلا أن يكون هذا تجاوباً بين نفس حرة وأختها ؟ ولقد كان بيرون يدافع عن اليونانيين لا عن المصريين ، فلم يكن حب عرابى إياه إذاً مشوباً بعاطفة غير عاطفة حب الحرية أينما كانت وكيفما كانت جنسية الداعين إليها وكيفما كان دينهم

ولنعد إلى خطبته التى ألقاها فى محطة مصر . لقد أفصح فيها وهو يرتجلها عن كثير مما تنطوى عليه نفسه . والخطيب فى مثل ذلك الموقف الحماسى ينسى نفسه فلا يملك التكلف والتصنع لأنه ليس به حاجة إلى ذلك ، بل لقد يكشف الخطيب عما يريد أن يغطيه إذا نسى نفسه فى رهبة الموقف وحماسته دون أن يملك لذلك دفعاً . قال عرابى : « البلاد محتاجة إلينا وأمامنا عقبات يجب أن نقطعها بالحزم والثبات وإلا ضاعت مبادئنا ووقعنا فى شرك الاستبداد بعد التخلص منه » وقال : « وقد فتحنا باب الحرية فى الشرق ليقتدى بنا من يطلبها من إخواننا الشرقيين على شرط أن يلزم الهدوء والسكينة ... »

وإنا لنرى فى ذلك الكلام من الأدلة على أن عرابياً كان يتحرك بدافع من حبه للحرية مالا تجدى معه مكابرة ؛ وعلى ذلك نتساءل : ألم يأن للناس أن ينصفوا هذا الرجل وقد قضى عليه أعداؤه ثم قضوا بعد ذلك على تاريخه الحق ؟

ألم يأن لأبناء هذا الوطن وقد فرغوا من قضية استقلاله وحريته أن ينظروا إلى هذا الرجل نظرتهم إلى زعيم جاهد فى الوطن حق جهاده ، وأن يكفوا عن تلك النظرة الظالمة التى تصوره رئيس عصابة من الأوزاع والهمج يسيرون على غير نهج ولا يبتغون من وراء سيرهم غاية ؟

ألم يأن لأبناء هذا الوطن أن يفطنوا إلى أن الاحتلال هو الذى صور عرابياً هذه الصورة المنكرة ليبرر بذلك فعلته ، وأنهم بمجاراتهم الاحتلال وصنائعه إلى يومنا هذا فيما ادعوا إنما يثبتون على أنفسهم الغفلة ويسيئون إلى رجل ما فكر يوماً فى الإساءة إلى وطنه ؟ رجل إن كثرت أخطاؤه فقد حسنت نياته ، وإن فاته النجاح فقد عظم فى سبيل النجاح بلاؤه . ولقد قل فى المحنة نصراؤه ، وتعدد غداة الروع أعداؤه

لا جناح على عرابى أن يعود إلى ميدان النضال فى سبيل المبادئ التى اعتنقها المصريون ووطدوا العزم على تحقيقها . ولو أنه وقف فى جهاده عند وثبته الجريئة يوم عابدين لحق عليه ما نسبه إليه خصومه من النزق والسير على غير هدى ، ولكن هؤلاء الخصوم يلومونه على عودته إلى العمل قائلين لقد أجيبت مطالب الجند على نحو ما كان يرجو عرابى نفسه ، وهم فى هذا ما يجهلون حقيقة الثورة العرابية وآمال الرجل الذى نسبت إليه تلك الثورة وأغراضه ، وإنما يعلمون ذلك ولكنهم يمارون فيما يعلمون ، ولكنهم فى الحالين ملومون فلن يقبل منهم جهلهم ولن يقرهم أحد على مماراتهم ومكرهم

وسيعود عرابى إلى الجهاد فيقف فى وجه الدولتين الطامعتين . وسيسير زعيم الثورة على رأس جيش من أبناء هذا الوادى ليذود عنه فى بسالة جريئة وحفاظ مر وفق ما توجبه الوطنية والرجولة . وهذا فى الحق هو كل ما يطلب منه فى مثل تلك الظروف ؛ أما الفوز فأمر قد يخرج عن تصريفه ، وسبيله إليه محدود بحدود طبيعته ومقدرته . ولقد يتوافر للقائد من أسباب الفوز ما يكاد يعتقد أنه قبل وقوعه حقيقة لا سبيل إلى الريبة فيها ، ثم ينظر فإذا تلك الحقيقة خيال أو دون الخيال . ولئن أخطأ قائد فلن تحمل أخطاؤه على معنى آخر ، كما حملت أخطاء عرابى ظلماً وعدواناً على معانى الخيانة والمطامع الشخصية

« يتبع »

الخفيف

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٣٨ — بلع الأمانة فهي في حلقومه

قال أبو الحسن البغدادي الفكيك في نقيب بغداد وكانت في عنقه غدة[1] :

بلع الأمانة فهي في حُلقومه لا ترتقي صُعُداً ولا تتنزّلُ

٤٣٩ — هذا لا يرسخ إلا في قلب مؤمن

في الأغاني : المدائني : شهد رجل عند قاض بشهادة . فقيل له : من يعرفك ؟ قال : ابن أبي عتيق . فبعث إليه يسأله عنه . فقال : عدْل رضًى . فقيل له : أكنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا . ولكني سمعته ينشد :

إن الذين غدوْا بلبّك غادروا وشلا بعينك لا يزال مَعينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي : ماذا لقيت من الهوى ولقينا[2]

فعلمت أن هذا لا يرسخ إلا في قلب مؤمن فشهدت له بالعدالة

٤٤٠ — ما أعظم الله !

في (طبقات الشافعية) منع الشيخ أبو حيان أن يقال : ما أعظم الله ، وما أحلم الله ، ونحو ذلك . ونقل هذا عن أبي الحسن ابن عصفور احتجاجاً بأن معناه شيء عظمه أو حلمه ، وجوزه الإمام الوالد (تقي الدين السبكي) محتجاً بقوله تعالى (أبصر به وأسمع) والضمير في به عائد على الله ، أي ما أبصره وأسمعه ، فدل على جواز التعجب في ذلك . وفي شرح ألفية ابن معطي لمحمد بن الياس النحوي : سأل الزجاج المبرد فقال : كيف تقول ما أحلم الله وما أعظم الله ؟ فقال : كما قلت . فقال الزجاج : وهل يكون شيء حلّم الله أو عظّمه ؟ فقال المبرد : إن هذا الكلام يقال عندما يظهر من اتصافه (تعالى) بالحلم والعظمة ، وعند الشيء يصادف من فضله ، والمتعجب هو الذاكر له بالحلم عند رؤيته إياها (أي الصفة) عيانا . وذكر الوالد أنه يعني بالشيء نفسه أي أنه عظم نفسه ، أو أنه عظيم بنفسه لا شيء جعله عظيما .

٤٤١ — خير لعمرك منه خص عامر

الحسن بن علي الأسواني :

فدع التمدح بالقديم فكم عفا في هذه الآكام قصرٌ دائرُ[1]

إيوان كسرى اليوم عند خرابه خير (لعمرك) منه خصٌ عامر

٤٤٢ — تحاسد الأكفاء

قيل لبعضهم : ما الذي أذهب ملككم ؟

قال : تحاسد الأكفاء ، وانقطاع الأخبار ! !

٤٤٣ — هذه والله مكارم الأخلاق

في (الآداب الشرعية والمنح المرعية) : كان بين سعيد بن العاص وقوم من أهل المدينة منازعة ، فلما ولاه معاوية المدينة ترك المنازعة ، وقال : لا أنتصر لنفسي وأنا وال عليهم .

قال ابن عقيل في (الفنون) : هذه (والله) مكارم الأخلاق

٤٤٤ — كأنها طبخت بنار شوقي إليك

في (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) للثعالبي : نار الشوق مذكورة على الاستعارة ، وكذلك نار الوجد ، ونار اللوعة ، ونار الغرام ؛ وما أشبهها . وقد أكثر الناس فيها نظماً ونثراً . قال أحمد بن طاهر يهجو المبرّد :

ويوم كنار الشوق في قلب عاشق على أنه منها أحرُّ وأوقدُ

ظللت به عند المبرّد قائظاً فما زلت في ألفاظه أتبردُ[2]

وقال لي السيد أبو جعفر الموسوي يوماً وأنا معه على المائدة — وقد قدِّم لي لون في غاية الحرارة — : كأنها طبخت بنار شوق إليك .

---

(١) الغدة والغدة : كل عقدة في جسد الانسان أطاف بها شحم ، والغدة طاعون الابل وقلما تسلم منه (اللسان) وقد أغد البعير فهو مغد ويستعار فيقال : أغد الرجل إذا انتفخ من الغضب (الأساس)

(٢) قال عبد المطلب بن عبد العزيز : أنشدت أبا السائب قول جرير (غيضن) . فقال : يا ابن أخي ، أتدري ما التغييض ؟ قلت : لا . قال : هكذا وأشار باصبعه إلى جفنه كأنه يأخذ الدمع ثم ينضحه

(١) الأكمة : التل

(٢) من قول شيخ شيوخ حماة في التورية :

وبلاه من نوى الشرد وآه من شمل البدد

يا (كامل) الحسن ليس يطفى ناري سوى ريقك (المبرد)

٤٤٥ — بعث داعياً لا جابياً . . .

فى (الطبقات) لابن سعد : إن حيان بن شريح عامل عمر ابن عبد العزيز على مصر كتب إليه : إن أهل الذمة قد أسرعوا فى الإسلام ، وكسروا الجزية .

فكتب إليه عمر : « ... أما بعد . فإن الله بعث محمداً داعياً ، ولم يبعثه جابياً . فإذا أتاك كتابى هذا ، فإن كان أهل الذمة أسرعوا فى الإسلام وكسروا الجزية — فاطو كتابك ، وأقبل .

٤٤٦ — . . . فاعلم أنه طلل

فى (إعجاز القرآن) للباقلانى: سمعت الصاحب بن عباد يقول : أنشد بعض الشعراء — من أهل زنجان(١) — هلالَ بن زيد قصيدة على وزن قصيدة الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل   وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟

وكان وصف فيها الطلل ، فقال هلال بديها :

إذا سمعت فتى يبكى على طلل   من أهل زنجان فاعلم أنه طلل ...

٤٤٧ — شطحات . . .

فى (ميزان الاعتدال) : نقل عن أبى زيد البسطامى :

سبحانى ...

ما فى الجبّة إلا الله ...

ما النار ؟ لأستندنَّ إليها غداً . وأقول : اجعلنى لأهلها فداء أو لأبلُغَنَّها ...

ما الجنة ؟ لعبة صبيان ...

هب لى هؤلاء اليهود . ما هؤلاء حتى تعذبهم ...

٤٤٨ — يلام الصديق إذا ما احتفل

ابن القبطرنة :

دعاك خليلك واليوم طلّ   وعارض وجه الثرى قد بقل(٢) !

لقدرن فاحا وشمّامة   وإبريق راحٍ ونعم المحل(١) !

ولو شاء زاد ولكنه   يلام الصديق إذا ما احتفل(٢)

(١) زنجان مدينة في أذربيجان (القاموس) والعجم يقولون زنكان بالكاف (معجم البلدان)

(٢) يوم طل : رطب طيب (الأساس) (العارض) صفحة الخد ، والعارضان للانسان صفحتا خديه (بقل) بقل وجه الغلام خرج شعره : أى طلع نبت الأرض

٤٤٩ — قتيلنا لا يودى وأسيرنا لا يفدى

فى (العقد) قال مسلم بن عبدالله بن جندب : دخلت أنا وزبان السواق العقيق ، فلقينا نسوة نازلات من العقيق ، لهن جمال وشارة ، وفيهن جارية خِضابية العينين . فلما رآها زَبان قال لى : يا ابن الكرام ، دمُ أبيك (والله) فى ثيابها ، فلا تطلبْ أثراً بعد عين ، وأنشد قول أبى مسلم بن جُندب :

ألا يا عبادَ الله ، هذا أخوكمُ   قتيلٌ ، فهل منكم له اليوم ثائر

خذوا بدمى إن متّ كلَّ مليحة   مريضة جَفن العين والطرف ساحر

قال مسلم : فقالت لى الجارية : أأنت ابن جندب؟ قلت : نعم . قالت : فاغتنمْ نفسك ، واحتسب(٣) أباك ، فإن قتيلَنا لا يودى(٤) ، وأسيرنا لا يُفدى(٥) .

(١) (الشمامة) واحدة الشمام : ضرب من البطيخ (الابريق) إناء مثل الكوز أو هو الكوز وفي (الكتاب) : يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق . وقال عدى بن زيد :

ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت   قينة فى يمينها إبريق

(المحل وطل) فى البيت الأول ، في هذا المقام تسكن لامهما ولا تشدد لأن التشديد مخل بالوزن .

(٢) (احتفل) : اجتهد ، وبالغ . وفى الأساس : احتفل فى الأمر إذا احتشد واجتهد .

(٣) احتسبه أى اعتد مصيبته به فى جملة البلايا التى يثاب بالصبر عليها (النهاية)

(٤) لا يودى : لا تؤدى ديته : يذهب دمه هدراً . . .

(٥) مروان بن أبى حفصة :

إن الغوانى طالما قتلتنا   بعيونهن ولا يدين قتيلا

إلا أكن ممن قتلن فاننى   ممن تركن فؤاده مخبولا


هذا هو المشروبُ
المفضل فى
فصل الصيف
الشاى
المثلج
مشروب منعش مرطب
طريقة عمله: حضر شايا ثقيلاً ثم اسكبه على
مبشور الثلج واضف اليه السكر
والليمون او اللبن حسب ما
يلائم ذوقك
الشاى الجيد وارد الهند
وسيلان وجاوه وسومطرا
اشربوا
الشاى المثلج



حول مقال

ما هى الحيـــاة ؟

للأستاذ عبد الله عشرى الصديق

سيدى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة :

قرأت فى العدد ٣٠٠ من « الرسالة » الغراء مقالاً للأستاذ نصيف النقبادى فى موضوع « ما هى الحياة » قابل فيه الكاتب الفاضل بين أظهر خواص الكائنات الحيّة وما يماثلها فى عالم الجماد ، وخرج من تلك المقابلة « بأنه لا يوجد فرق جوهرى بين هذين العالمين » والحقيقة التى لا تقبل الشك هى أن هذا الفرق (الجوهرى) بين الأجسام الحية وبين الجمادات موجود بصورة واضحة فى كل واحدة من تلك الخواص التى أوردها الأستاذ فى مقاله. وثمة فرق جوهرى آخر يعلق عليه علماء البيلوجيا أهمية كبرى فى تفهم ما هية الحياة . وسنعمد فى هذه العجالة إلى إثبات وجود هذه الفروق متوخين فى ذلك الفائدة العامة وخدمة الحقيقة والعلم

الشكل النوعى

يفهم مما جاء فى مقال الأستاذ تحت هذا الباب أنه إنما يعنى «بالشكل النوعى» الصورة الخارجية للجسم حيًّا كان أو جاداً ؛ فهو يحدثنا عن أشكال البلورات الهندسية وكيف أن هذه ثابتة فى النوع الواحد تماماً كما هو الحال مع الحيوان حيث « تقترب أشكالها باقتراب أنواعها » وكل هذا صحيح لا غبار عليه إذا كان المقصود بالشكل النوعى هو الصورة الخارجية دون ما اعتبار للحجم . والذى نعرفه ويقره العلم الحديث هو أن الشكل النوعى يشمل زيادة على الصورة الخارجية الصفة الأخيرة التى ذكرناها وفيها تختلف الكائنات الحية عن الجمادات اختلافاً ظاهراً .

فالمعروف لدى كل إنسان هو أن للأحياء (المعاصرة على الأقل) أحجاماً ثابتة تختلف باختلاف أنواعها إلى حد ما . فالنملة مثلاً لا يمكن أن تكبر حتى تصبح فى حجم الفيل ؛ ولا يمكن لشجيرة القطن أن تنمو حتى تبلغ حجم شجرة السرو أو السنديانة، كما أننا لم نسمع قط بآدمى بلغ طوله ثلاثة أمتار[1] . أما الجمادات فإننا لا نعرف لها أحجاماً ثابتة؛ فبلورة ملح الطعام قد تكون فى حجم الجزيئة وقد تكبر حتى يزيد حجمها على حجم الكرة أو أكثر من ذلك فهى ليست ذات حجم ثابت خاص

صحيح أن أشكال الكائنات الحية فى تغيّر وتحول مستمرين بحكم ناموس التطور، وهذه الحقيقة عينها هى أنصع دليل على وجود الفرق بين تلك الكائنات وبين الجمادات . والذى نعرفه ويعرفه معنا الأستاذ هو أن شكل الفرس بل وحجمه أيضاً قد تغيرا كثيراً عما كانا عليه قبل ملايين السنين . ومثل الفرس الفيل وغيره من أنواع الحيوان ، ولكن العلم لم يحدثنا بأن بلورة الملح قد تغير حجمها أو شكلها منذ أن وجد الملح على هذا الكوكب. وأما القول بأن البلورات المعدنيـة الصرفة (تستطيع) إذا « غُطّست » فى سائل مشبع من مادتها أو فوق المشبع أن تنمو فتعيد الجزء المصاب إلى حالته الطبيعية فهو دليل آخر على وجود الفرق بين الأحياء والجمادات ، وإلا فأى معنى يبقى للفظة غطست إذا لم يكن كل معناها هو تضمن قوة خارجة عن البلورة تقرب بين ذراتها فتتصل ببعضها بمجرد فعل الألفة الكيميائية ؟ والفرق واضح بين ما يجرى فى هذه الحالة وبين اندمال الجرح أو نمو العضو المقطوع بنمو خلايا الجسم الحى من الداخل وبدون استعانة بقوة خارجية ظاهرة

تغذى الأحياء والجمادات

والفرق واضح أيضاً بين تغذى الأحياء وتغذى الجمادات؛ فبينما

(١) فى الحالات الطبيعية

تتغذى الأولى بتحويل المواد الأولية إلى مادتها العضوية تكتفى كية الهواء بزيادة جزيئات حامض الكربنيك فى حالتها الطبيعية إلى جزيئاتها ، وليس لها فى هذه العملية نصيب ظاهر ولا فائدة محسوسة . والذى يدعو إلى العجب حقاً أن يكون خير مثال عند الأستاذ لتغذى الجادات « بالمعنى الحقيقى التام » هو ما يحصل من احتراق الوقود فى الآلات الميكانيكية فإن هذه كما هو الحال مع كمية الهواء لا تستطيع تحويل مادة الوقود إلى حديد أو غيره من نوع العنصر الذى تتركب منه أجزاؤها، وأما أن يكون التفكير والقوى العقلية وما إليها من مصدر واحد فقط هو الطاقة الكيميائية الكامنة فى مادة الغذاء فهو غلو لا نقر عليه أحداً

التنفس فى الأحياء والجمادات

أما التنفس أو استعمال الأكسيجين الموجود فى الهواء بواسطة الأجسام الحية فهو الفرق الجوهرى الذى ذكرناه فى أول هذا المقال وقلنا : إن العلماء يعلقون عليه أهمية كبرى فى تفهم ماهية الحياة . وقد مرّ الأستاذ بهذه الخاصية بالذات مرّ الكرام وكان الأجدر به أن يُقصر كل مقاله على بحثها ودرسها . ولأهميتها الكبرى سنبقيها إلى آخر كلمتنا هذه لنوفيها بعض الحق ونوضح ما ذهبنا إليه من أن فيها فقط يمكننا أن نعثر على الفرق الجوهرى بين الأحياء والجمادات

تحرك الأحياء وتحرك الجمادات

يختلف تحرك الأحياء عن تحرك الجمادات فى أن تحرك الأولى يكون بمحض إرادتها إلى درجة ما تختلف باختلاف مستوى الحيوان فى سلم النشوء . أما تحرك الثانية فهو نتيجة لفعل القوى الخارجية كالرياح أو القوى الجاذبة أو الدافعة وغيرها من العناصر وليست حركة براونية Brovnian Movement إلا مثالاً للنوع الأخير[١] كما أنه بعيد جداً عن الصواب أن تكون حركة الأجسام « تحت تأثير الجاذبية أو الألفة الكيميائية » حركة اختيارية ؛ فمجرد تسلط هاتين القوتين عليها يخرج بها عن دائرة الاختيار. ولكى نوضح ذلك نضرب مثلاً بحركة أناملى وأنا أحبر هذا المقال ؛ فما أعظم الفرق بين هذه وتلك ؛ ونعنى حركة ذرّات الأملاح فى محلولاتها . أما حركات الحيوانات ذات الخلية الواحدة وهى كثيرة الشبه بحركة ذرّات الأملاح فإنها تختلف عن هذه

(١) Charles R. Plunkett, Oullines of modern Biology, N. J., Henery Holt & Co., 1930 P. 62

فى أنها لا تكون إلا لدفع أذى أو الحصول على قوت ، ومعنى ذلك أنها تكون لفائدة تعود على الجسم الحى . وتختلف عنها حركة الآلات الميكانيكية فى أن هذه الأخيرة تفقد فقداناً وقتياً متى نفد الوقود بينما يموت الجسم الحى إذا فقد الغذاء وليس الموت معروفاً بين الجمادات

التأثر فى الأحياء والجمادات

يخطئ الذى يقول بأن تأثر الأحياء كتأثر الجمادات . فالمواد المفرقعة التى « تغضب » وتنفجر لا تستطيع أن تجمع نفسها « وتهدأ » أو تخفى غضبها كما يفعل الأحياء . وتأثر مواد التصوير الشمسى بالضوء لا يجلب لهذه المواد فائدة ما بخلاف الحال مع الأحياء التى تتلون بلون المحيط لتتقى شراً قد أحدق بها ، أو على الأقل لمثل هذه الغاية تتلون وهى تسترد حالتها الطبيعية متى زال الخطر أو انتشلناها من المحيط الذى كانت فيه .

ثم إنه ليس صحيحاً أن الوتر فى الآلة الموسيقية يهتز اهتزازاً (ذاتياً) عندما يدق الإنسان على وتر مقابل . والذى يحصل تماماً هو أن اهتزاز الوتر الأول يهز ذرات الهواء الموجودة فى محيطه ، ويحدث هذا الاهتزاز أمواجاً تسبح فى فضاء الكون بأسره . ولما كانت هذه الذرات قريبة من أخواتها فإنها تحدث بواسطة الأمواج الآنفة الذكر اهتزازاً تنقله هذه بدورها إلى الوتر المقابل؛ وبهذه الطريقة نفسها ينتقل الصوت من أقاصى الأرض إلينا عندما نجلس إلى الراديو[١] .

التفاعل مع البيئة

وهناك اختلاف آخر بين الأحياء وبين الجمادات : هو تبادل التأثر بينها وبين المحيط ، وهذا يختلف فى الأولى عنه فى الثانية . فبينما لا يكون التأثر عند الأحياء إلا بقصد الحصول على فائدة ما أو الخلاص من خطر داهم إذا به ليس كذلك عند الجمادات . ونحن لا نستطيع أن نفهم الجسم الحى مستقلاً عن محيطه ، فهو ناقص بدونه بخلاف الجمادات التى لا أثر للمحيط فيها إلا بقدر ما يكون بينها وبينه من تفاعل كيميائى لا يتم إلا بتدخل عناصر غريبة عنها . فهذه الورقة التى أكتب عليها لا تتأثر مطلقاً بانعدام الأكسيجين فى الغرفة ، وكل إنسان يعرف ما يقع للكاتب عندما

(١) راجع كتاب Oscar M. Stewart, Physics, Girm & Co., recired edition part III wave morion & Sons.

يحصل ذلك لا سمح الله . والدور الذى يلعبه الأكسيجين فى عالم الأحياء هو الفرق الجوهرى بينها وبين الجمادات .

نظرية « نوموغرام » الدم للبروفسور هندرسن (١)

كلنا يعرف ضرورة غاز الأكسيجين للكائنات الحية. والواقع أنه لا يمكن تحديد الحياة بدون اعتبار أمرين فى غاية الأهمية ؛ هما : كيمياء الغازات وعلى الخصوص غاز الأوكسجين ، والصفة التى يمتاز بها الجسم الحى من أنه يكون ومحيطه وحدة كاملة حتى ليفقد صفة الحياة فى غير ذلك الوضع . وهـذا بخلاف الحال مع الجمادات التى كل تأثرها ليس إلا من قبيل التفاعل السلبى مما لا يمكنها التسلط عليه بحال من الأحوال (٢) . والمفهوم أيضاً أن العلم الحديث لم يستطع بعد أن يتوصل إلى معرفة جميع المواد الكيميائية التى يتركب منها البروتوبلازم (٣) وكل ما توصل إليه فى هذا المضمار لم يتعد إثبات نقطة واحدة تحقق أنها ذات أهمية كبرى هى أن المواد التى تتركب منها الأجسام الحية من التعقيد بحيث أنه لا يمكن معرفتها معرفة صحيحة تامة . وقد جاءت نظرية العلامة هندرسن بما يؤكد هذه النتيجة . وسنحاول أن نشرح قدر الاستطاعة هذه النظرية الفريدة ؛ فبها فقط يمكننا أن ندرك الفرق الجوهرى بين الأحياء والجمادات

كانت النظرية القديمة الخاصة بصلة الدم بغاز الأكسيجين وأهمية هذا فى التنفس والتغذية وإزالة الفضلات فى الجسم فى غاية البساطة ، فهى تتخلص فى أن هناك مادة فى الدم تعرف بالهيموجلوبن Hœmoglobin تتحد بالأكسجين الموجود فى الهواء وفق المعادلة :

$$Hb + O_2 = HbO_2$$

ولا شك أن لهذا الاتحاد أهمية كبرى فى تفهم ماهية الحياة . غير أنه قد ثبت بالبحث أن ثمة نقصاً فى هذه المعادلة ؛ فقد قرر العلامة باركروفت Barcroft (٤) أنه زيادة على الصلة الموجودة بين كمية الأكسجين التى يمتصها الدم من الهواء فإن هناك صلة أخرى بين هذه الكمية وكمية ثانى أكسيد الكربون الموجود فى الخلايا الحية . ولهذا الاكتشاف قيمته من حيث إنه قد أرشدنا إلى تغير قدرة الدم على امتصاص الأكسجين بتغير كمية ثانى أكسيد الكربون الموجود فى الألياف التى يتركب منها الجسم الحى وهنا لزم تعديل المعادلة الأولى على الصورة الآتية :

ه = (CO_3 و O_2 و HbO_2) ع

ومعنى هذا أنه متى عرفنا مقدار أى اثنتين من هذه المواد غير الثابتة التركيب أمكننا معرفة المادة الثالثة بمجرد النظر إلى المعادلة. غير أن العلماء الثلاثة ج . س . هالدين ، وكرسينانوس ، ودوجلاس (١) قد استطاعوا إثبات وجود صلة أخرى مشابهة للتى ذكرناها بين ثانى أكسيد الكربون، والكربونات (٢)، والأكسجين إذ وجدوا أن كمية الكربونات تقل بزيادة كمية الأكسجين؛ وهكذا تعدلت المعادلة الثانية فصارت :

ه = (O_2 و CO_2 و $BHCO_3$) ع

وبمتابعة هذه الطريقة فى التحليل استطاع العلامة هندرسن أن يثبت وجود معادلة رابعة :

ه = ((H^{+}) $B\ HCO_3$ و Co_2) ع

ثم خامسة : ه = (BCl و O_2 و Co_2) ع

ومن هـذا يفهم أننا لا زلنا فى المرحلة الأولى فى محاولتنا الوصول إلى معرفة كيمياء الدم، إلا أن ما عرفه العلماء حتى الآن قد أوجد مجالاً للتفكير أدى إلى إجراء تجارب عديدة أثبت بها العلامة هندرسن أن الدم فى تفاعله مع المحيطين الداخلى (٣) والخارجى إنما يمثل توازناً Equilibium ذا عشرين ضلعاً تدخل فى تكوينه ست مواد يربط بعضها ببعض عشرون معادلة .

هنا يجدر بنا أن نذكر بعض خواص هذا التوازن، ففى هذه وحدها يكون الفرق الجوهرى بين الكائنات الحية وبين الجمادات. وأهم هذه الخواص هى اشتراك الأكسيجين فى ذلك التوازن بل إنه (أى التوازن) لا يتم مطلقاً بدون الأكسجين؛ فأهمية الأكسجين للجسم الحى أكبر من أهمية أى مادة من المواد التى يتركب منها بل هى كما أثبت البحث فوق ذلك بكثير وهذا ما نعنيه

---

(١) L. J. Hendersons Nomogram of The Blood.

(٢) F. S. C. Northrop, Science and First Principles, N. Y., Macmillan Co., 1931 pp. 175-173 Seba Eldridge, The Orgnization of Life, N. Y. Thomas Y. Crowell Co. 1925 pp. 12,13

(٣) F. S. C. Northrop, Science and First Principles, p. 164

(٤) J. Barcroft, The Respiratory Function of The Blood, p.p. 16 & 65 ff. Cambridge Press

---

(١) J. S. Haldane, Respiration. Ch. XIV, p. 88. Yale Press

(٢) Combined Carbon dioxide or carbonate

(٣) داخل الجسم وهو فسيولوجى



دراسات فى الفن

الحب والمرأة والفن

للأستاذ عزيز احمد فهمى

جانب كبير جداً من الفنون يدور حول الحب

ولا عجب فى هذا ، فالحب عاطفة تشترك فى تخليقها عدة غرائز من أقوى الغرائز التى يقوم بها كيان النفس الإنسانية وهى مبعث العواطف . ومن هذه الغرائز التى تخلق الحب فى النفس : غريزة حفظ النوع ، وغريزة السيطرة ، و « غريزة العشرة » وهى أخص وأعنف من غريزة الاجتماع ، و « غريزة الوثنية » التى تنزع بالإنسان إلى تجسيد ما يصبو إليه وتحديده والتى تخرج به من إبهام المتجرد إلى وضوح الملموس ، وهى غريزة لم تضعف إلا عند الذين يدمن إحساسهم التدريب على الاتجاه نحو معان يحبونها ويدهش لهم العالم ويتساءل : كيف يحبونها ؟

وهذه الغرائز التى تخلق عاطفة الحب كل منها قوى عنيف . ونفس الفنان بطبعها أكثر طواعية للتأثر من غيرها لأنها أشد حساسية من غيرها . وإذا كانت نفس الفنان تلبى مسرعة نداء المؤثرات الخارجة عنها فأجدر بها أن تستجيب للهتاف المدوى فى جنباتها . فلا غرابة إذن أن يزدهر الحب بين أهل الفن أكثر مما يزدهر بين غيرهم ، ولا غرابة بعد ذلك إذا دار جانب كبير جداً من الفنون جميعاً حول الحب ، فليست نفس أخرى أقرب إلى نفس الفنان من نفسه ، وليس أحب إليه منها ، وليس أجدر منها بالالتفات الذهنى والحسى ، وليس أشد منها وضوحاً لديه ، وليس شىء أبعث منها على التسجيل

ولكن الذى نلحظه هو أن جانباً كبيراً جداً من فنون الحب يئن بالشكوى من هذا الحب ، ويرضخ بالذل له ، ويستعطفه متشفعاً إليه بالفن ذاته ، كما أننا نرى فى هذه الفنون المكلومة كثيراً مما يشبه علامات اليأس ، وقد نرى منها قليلاً مما يشبه علامات التمرد الذى يعقب اليأس ، إذ ينكر بعض الفنانين الحب إنكاراً ، وإذ يسخر بعضهم من المرأة سخرية شاذة لا أصل لها فى الطبيعة ولا شبيه لها فى حياة الحيوان

وهذا يشهد بأن الفنانين فاشلون فى حبهم ، أو هو يشهد على الأقل بأن كثيرين جداً من الفنانين يفشلون فى حبهم . فما الذى يدعو إلى هـذا ؟ أهو قصور فى رجولة هؤلاء الفنانين ؟ أم هو التواء حاد بنفوسهم عن المسلك الطبيعى الصحيح الذى يجب أن يسلكه الذكر مع الأنثى ليقنعها بنفسه ؟ أم هو انحراف عن أساليب الأرض إلى أسلوب جديد بعيد تسعى الحياة إلى اصطناعه وستأخذ به يوماً ولكن بعد أن يكون هؤلاء الفنانون قد ركلوا الأرض إلى عالم يرتاحون فيه ولا يشقون ؟ أم هو هذا كله مزيجاً مركزاً ؟

عند ما نقول إن الجسم الحى هو عبارة عن توازن فيزيقى – كيميائى (1) ذى قوة حيوية يحصل بين المواد الموجودة فى داخل الجسم ، وبين أخواتها فى الخارج . ويفهم من كل هذا أن الهواء الذى نستنشقه بل كل الطبقة الهوائية المنتشرة على سطح الأرض والتى يتوقف عليها مقدار كثافة الأكسجين هى جزء لازم لكيان الأجسام الحية لزوم العظام واللحم الذى يكسوها ، وهو ليس كذلك للجمادات . إذاً فالفرق بين هذه ، وبين الكائنات الحية موجود ، وهو التوازن الوقتى الذى تقيمه الطبيعة بفعل قواها فى المواد الأولية – ذلك التوازن الذى لا يوجد له شبيه فى عالم الجمادات .

« بيروت – الجامعة الأمريكية » عبد الله عشرى الصديق

(١) Physico-chemical

الطبيعة وحدها هى التى تهدينا إلى سر هـذه المشكلة . وإذا كانت حياة الإنسان قد تشابكت من نواح ، وتحللت من نواح ، وعقدت الحضارة أغلب أطرافها وأوساطها بحيث لم يعد من اليسور لكل عين أن تميز الأصيل فى أفعال البشر من الدخيل عليهـا ، فإن لنا فى حياة الحيوان ما يدلنا بوضوح وجلاء على طريقة التهافت الطبيعية التى تجذب الذكر نحو الأنثى ، والتى تجذب الأنثى نحو الذكر . فإذا ما تعلمنا من الحيوان هذه الطريقة عدنا إلى الإنسان الفنان ونظرنا : هل هو يماشى الطبيعة فى غرامه أو هو يحيد عنها مترفعاً أو متدلياً أو هائماً على وجهه يتخبط ذات اليمين وذات الشمال؟

وقبل أن نخطو هـذه الخطوة يجب أن نجيب عن سؤالين قد يخيل لبعض الذين يصحبوننى فى جولتى هذه أنهما يعرقلان المضى فى مذهبنا ، أو أنهما على الأقل يشوهان هذا المذهب . أما السؤال الأول فناعم خفيف يقول لنا بصوت خافت رقيق : هبكم رأيتم الفنان قد حاد عن طريق الطبيعة التى تزعمون فلماذا تخصونه بالحساب والعتاب من بين الناس وأكثرهم حائد عن هذا الطريق ؟ وإذا كان هو يئن بالشكوى من حبه ، فكثيرون غيره يئنون؛ غير أنه يذيع أنته وهم لا يذيعون ؟! ونحن نجيب عن هذا السؤال فنقول : إن الفنان هو رائدنا إلى الطبيعة؛ وليس يبرر بعده عنها إلا أن يكون هذا البعد قفزة إلى مرحلة من مراحل الرقى الإنسانى يسبق بها البشر ليكون فيهم بشيراً بما سينتهون إليه بعد حين . وليس مما يريح ضمير الإنسانية أن ترى الفنان وهو هاديها إلى الحق ومواطن الراحة مضطرباً فى حياته الخاصة ، وفى أعز جانب من حياته الخاصة هذه دون أن تعرف علة هذا الاضطراب لعلها تستطيع أن تنقذه منه

وأما السؤال الثانى فيصرخ فينا بعنف ويقول : كيف قررتم أن الحب عند الإنسان يشبه الحب عند الحيوان ، ولم تروا أنه أرقى وأشرف ؟ ونحن نرد هـذا السؤال بقولنا : إن الحب لا يمكن أن يخرج على حال من حالين : فإما نزوع روحانى لا يصحبه النزوع البدنى وهذا شىء لا يعوقه عائق ، ولا تصده عقبة ، ولا يمكن أن يشكو فيه شاك من بُعد أو حرمان أو لوعة أو صبابة أو هجر أو غدر أو غير ذلك مما يشكوه العشاق ، ومما تدور حوله فنون المتبرمين من الفنانين العاشقين ، فالروح متى رضيت عن روح لم تعد تعبأ بما يفرق بينهما من بعد المكان ، أو بعد الزمان ، ولم تعد تهتم باختلاف الجنس بينهما أو توحده

إما هذا ، وإما أن يصحب هذا النزوع الروحانى نزوع جسدى وفى هذا تظهر الشكوى ، ويظهر الأنين ، وتظهر فنونهما فلا بد إذن أن يكون النزوع الجسدى هو الذي يسببهما إذا لم يصب التوفيق ، وهـذا النزوع البدنى موجود عند الحيوان ، ولـكنه يصيب التوفيق دائماً ، ولا يفشل مطلقاً إلا عند العدوان حين يندس بين الذكر وأنثاه ذكر جديد قوى غلاب ، وعلى هذا كان من غير الطبيعى فى حياة الإنسان أن يفشل الرجل فى حبه ما لم يصرعه رجل أقوى منه فى الناحية التى تعترف بها الأنثى، وتنقاد لها.

هذان هما الحالان اللذان يتشكل بهما الحب فى حياة الإنسان على الإطلاق . وأرى من العفة أن أربأ بصورة الحب الإنسانى عن الحالة الثالثة التى يتفرد فيها النزوع البدنى وحده . لا لأنى أريد أن أمجد الإنسان ، ولـكن لأنى أرى فى بعض الحيوان ما يعف عن هذا الحب ويتسامى عليه ، ويجمله بالألفة والمعاشرة ، والحنان والتعاطف . والمُسلم به أن الإنسان أرقى من الحيوان .

وبعد ، فإنى أحسب أن الطريق قد عبد أمامنا ، وأننا نستطيع أن نخطو فيه خطوتنا الأولى نحو الحب عند الحيوان .

والذى نلحظه هو أن للحيوان غزلاً يشبه الغزل عند الإنسان من حيث إنه دليل الرغبة فى إقامة الصلة بين الذكر والأنثى، ومن حيث إنه الباب الوحيد الذى يؤدى إلى الحب . والشاهد أن هذا الغزل يتخذ عند الحيوان عادةً شكل الصراع ، ومن الحيوان ما يترفق فيه فيكون صراعه كاللعب والمداعبة ، ومنه ما يشتد فيه ويقسو فيكون صراعه صراعاً حقيقياً تتهشم فيه العظام ، وتسيل فيه الدماء . وهذا النوع الأخير من الصراع يقيم الدليل المحسوس عند الأنثى على أن الذكر الذى ينازلها قوى غلاب ، وعلى أنه يأخذ حقه منها قوة واقتداراً ، وأنه لا تثنيه مقاومتها إياه عن الوصول إلى ما يريده من فرض سلطانه عليها ، والأنثى فى هـذا الصراع العنيف تبذل أقصى قوتها لتحول بين الذكر وبين التسلط عليها ، لا لأنها تكره أن يتسلط عليها ، ولـكن لأنها لا ترضى أن تذل لضعيف قد يعجز عن حمايتها وحماية نسلها إذا اعتدى عليها معتد ، هذا إذا كانا من الحيوان الذى يأتلف ذكره بأنثاه ، أما إذا لم يكونا من هذا الحيوان فهى تكره أن تستسلم للضعيف خشية أن ينتقل ضعفه إلى نسلها الذى تحب أن يكون قوياً غير ضعيف بما ركب فى نفسها من غريزة حفظ النوع سليما صالحاً .

أما النوع الآخر من الصراع وهو الذى يشبه اللعب والمداعبة فهو أقرب أنواع اللعب والمداعبة إلى المصارعة الإنسانية المصطنعة

التى يقيم الناس لها الملاعب فى هذا العصر والتى يكتفى فيها الغالب فى التدليل على قوته بإظهار تمكنه من تهشيم خصمه دون أن يهشمه. وهذا الأسلوب تصطنعه الحيوانات الرقيقة، والحيوانات المستأنسة. ومهما خلا هذا الأسلوب من التحطيم والتهشيم والتجريح ، فإنه لا يخلو من معانيها ، وإن فيه ما يدل دلالة تامة على احترام القوة والاعتراف بلزوم الغلبة والقهر يقيم عليهما الذكر صلته بأنثاه.

فإذا أضفنا إلى هذا ما نراه من تجميل الطبيعة للذكر دون الأنثى : كالديك ازدان بالعرف دون الدجاجة ، والأسد تحلى بالمعرفة دون اللبؤة ، والكبش ازدهى بالقرنين دون النعجة ، والطاووس تبرج بذيله الملون الطويل دون « الطاووسة » ... إذا أضفنا هذا إلى ما تقدم رأينا أن الطبيعة توجه الذكر إلى « مكايدة الأنثى » : قهراً بالقوة ، أو اعتزازاً بالجمال ، أو قهراً واعتزازاً بالقوة والجمال معاً . ومن هذا يمكن أن ندرك أن الطبيعة قد وضعت ناموساً تقوم عليه الصلة بين الذكر والأنثى ، وأن هذا الناموس يستلزم أول ما يستلزم أن يذل الذكر أنثاه ، وأن يذكرها دائماً بأنه أقوى منها ، أو أنه أقوى وأجمل منها .

والطبيعة توفر فى هذه السوق التى يتداول الذكر والأنثى فيها نواحى القوة والضعف ، ونواحى الزينة والعطل وبقية تلك الزوائد والنواقص فيهما شرطاً لا بد أن يتوفر فى هذه السوق : وهو أن تقتنع الأنثى مؤمنة صادقة مجبرة بفضل الذكر عليها فيما يمتاز به ، وإلا فالصلة بينهما زائفة ، وهو آخذ منها ما يرضيه ويقنعه ، إذ لا يعطيها ما يرضيها ويقنعها كما يحدث للحيوانات المسجونة التى تنسل نسلاً ضعيفاً

اتفقنا فى هذا . فلنعرج إذن على الحب عند البشر، ولتكن القبائل التى تعيش على الفطرة أول من نشارف من البشر . وهذه القبائل لا يزال الرجال فيها يمثلون ما يشبه الدور الذى يمثله الذكر الحيوان مع أنثاه . فالقوقاز لا يسلمون العروس لعروسها ، وإنما يدبر العروس حملة على محلة عروسه فيهجم عليها فى جمع من أهله وأصدقائه ، ويختطف عروسه من بين أحضان أهلها بالقوة والعنف ليشهدها وليشهد أهلها على أنه قوى جدير بها ، وليسجل عليها هذه الشهادة يذلها بها طول عمرها معه إذا حاولت أن تتمرد عليه أو أن تطاوله . وبعض قبائل الزنوج تحتفل بزفاف فتياتها احتفالاً أعجب من احتفال القوقاز وأشد افتخاراً بالقوة والجلد والصبر . وإن لم يكن فيه من الشجاعة والفروسية شىء : ذلك أنهم يتداولون على العروس السعيد بالضرب المبرح الموجع ، فقدر ما احتمل الضرب وكتم التوجع عز عند صاحبته وزاد احترامها إياه ورأته حقيقاً بالحب : لها بل عليها أن تفاخر به معجبة راضية ... ولا يزال من أهل النوبة المصريين من يفعلون ما يشبه هذا . فالعروس يطلب من صاحبته أن تحضر له جمرة من النار ليشعل بها لفافته ، فتحضرها إليه . فيمسك الجمرة بيده ، ويضع الجمرة على حجره تأكل جلده ولحمه ريثما يتأنق فى لف التبغ فى الورق ليشعل بعد ذلك لفافته ويعيد الجمرة إلى مكانها ، وبقدر ما يطول احتراق جسده ويشتد يعز عند صاحبته ويعلو قدره

والمرأة القوقازية تحب من يخطفها لأن بيئة القوقاز بيئة رعى ومهاجرة ومحاربة تكثر فيها الغارات ، ويكثر فيها الكر والفر ولا يستطيع أن يخطف المرأة فيها إلا البطل . والمرأة الزنجية تحب من يحتمل الضرب الموجع فى سبيلها لأن بيئة الزنوج بيئة قاسية تضرب الناس بالحر والبرد والمطر والريح والمرض والسم ، فالأشد صبراً من غيره فى هذه البيئة هو البطل . والمرأة النوبية تحب الذى يحترق فى سبيلها بالنار لأن بيئة النوبة يموت فيها الضعاف من وهج الحر والقيظ وشدتهما ، فالذى يحتمل الحرارة عندهم هو البطل

هذه بيئات إنسانية قريبة من الطبيعة والرجل فيها لا يزال يلوح للمرأة بقوته ، والحياة فيها لا تزال مستقيمة بين الرجل والمرأة

أما جمال الرجولة الخشن فقد ظل الرجال يحرصون عليه زماناً طويلاً كانوا يرسلون فيه شواربهم ولحاهم التى زينتهم بها الطبيعة ولكنهم اليوم لم يعودوا يحافظون عليه ، واكتفى فريق من أهل المدنية فيهم بممارسة الألعاب الرياضية لتنمية عضلاتهم وتقويتها كما كان يفعل اليونان القدماء فى وقت يذكر التاريخ أن المرأة فيه كانت متبرمة بالرجل لأنه اكتسب من رياضته تناسقاً وامتشاقاً انشغل به عن النظر إلى جمال الأنثى

ولعل هذه الألعاب الرياضية هى البقية الباقية من معالم الرجولة القوية التى تحتفظ بها الحضارة اليوم ، ولكنها شىء إذا كسا البدن رجولة أو ما يشبه الرجولة فإنه لا ينفذ إلى الروح والنفس ، ولذلك يستعين الرجل المتحضر اليوم على قهر المرأة بالمال أو الجاه أو النفوذ أو المنصب أو الشهرة أو غير ذلك مما يتنافس فيه الرجال المتحضرون . ونحن إذا أنعمنا النظر فى هذه الميزات المدنية كلها رأينا أنها لا تتاح إلا للذين يتكالبون على العمل فى سبيل الوصول إليها أو للذين يصيبونها عفواً بالوراثة أو بالواسطة؛ أما الذين يفوزون بها عن جدارة فأولئك الذين فى حسابنا ، وهم

ينفقون فى سبيلها من رجولتهم ما كانت المرأة تحب أن يستبقوه لها فهى لا تستطيع أن تستغنى عن حياة المناوشة والمصارعة وهى تكره أن تبيع نفسها بالمال ، وإن كانت تبيع نفسها بالمال ؛ وهى لا تقنع من الرجل بجاهه وإن كانت ترتمى على أصحاب الجاه ؛ وهى لا ترضى بمنصب الرجل وشهرته وإن كانت تتهافت على أصحاب المناصب الكبيرة والمشاهير ، فهى تنحرف عن طبيعتها مجاهدة مستعيضة بهذه البهارج عما كانت تتوق إليه من قوة الرجل ورجولته . ولعل حوادث الخيانة الزوجية التى تتعدد وتتكاثر فى المدنيات دليل قاطع على أن الزوجات ساخطات على الأزواج ، وأنهن لا يزلن يبحثن عن الرجولة الضائعة فى هذه الحضارة

وإذا كانت المرأة تكره المال والجاه والنفوذ والمناصب العالية وما فيها من أبهة ولا تقبل عليها إلا على سبيل البدل عن مطلبها الطبيعى ، وإذا كانت لا تزال تحب أن ترضى طبيعتها بين يدى من يذلها برجولته ومن يتقن فنون المنازلة والمصارعة على ألوانها فماذا هى صانعة عند الفنان أو ماذا هو صانع بها ؟

الفنان تسيطر عليـه الغرائز التى تسيطر على بقية الناس فهو إنسان مثلهم . ولكن هذه الغرائز لا تشتد به — حين تشتد — كما تشتد ببقية الناس ، ولا تترفق به — عند ما تترفق — كما تترفق ببقية الناس ، فهو وإن كان يحب أن يحفظ النوع البشرى كما يحب الناس أن يحفظوه فإنه يسمى إلى ما هو أشرف من حفظ النوع وهو ترقية النوع ، والفنان يؤدى لهذا النوع بفنه ما يجاهد النوع دهوراً فى سبيل الوصول إليه . وهو وإن كان يحب السيطرة كما يحبها بقية النـاس فإنه يتمتع من السيطرة بما لا يتمتع به أحد ، ففنه يلوى عنده الأعناق ويخفض بين يديه الرؤوس ؛ فإذا لم يوفق إلى هذا فى حياته فهو على إيمانه بفنه مؤمن بأن البشرية التى غفلت عن تقديره وهو فيها ستنال جزاءها إذ تنصاع يوماً إلى قبره لتطوف بالتقديس حول عظامه ولو بعد أن ينخرها السوس ! وإنه ليرى ذلك وهو فى ظل العرش . وهو وإن كان يحب العشرة كما يحبها بقية الناس فهو يتأنق فى اختيار عشرائه من المعانى والأخيلة والأفكار التى يرصد لها انتباهه وإحساسه ويتعقبها ويتبختر عندها مترنحاً منتشياً كراهبة ترقص فى خلوتها على نغم الذكر عابدة لا فاجرة ، خالصة غير مشوبة

هذه هى الغرائز التى كان حقها أن تشترك فى تخليق الحب فى نفس الفنان كما تخلقه فى نفوس بقية الناس ، ولكننا قد رأيناها جميعاً تعدل عن الحب إلى الفن

وبقيت بعد ذلك « غريزة الوثنية » التى ذكرتها فى بدء هذا الحديث ، وأحسبنى قلت إنها لم تضعف إلا عند الذين يهد من إحساسهم التدريب على الاتجاه نحو معان يحبونها هم ، ويدهش لهم العالم ويتساءل : كيف يحبونها؟ ومن يكون هؤلاء غير الفنانين؟

إذن فالفنانون على هذا الأساس لا يحبون ! وعلة انصرافهم عن الحب بعيدة كل البعد عن الأسباب التى توقعناها فى أول حديثنا ، فقد خيل إلينا أن عجزهم عن الحب قد يرجع إلى قصور فى رجولتهم ، أو التواء حاد بنفوسهم عن مسلك الحب الطبيعى الصحيح ، أو انحراف عن أساليب الأرض إلى أسلوبهم الجديد

ولكننا رأيناهم فى أول حديثنا يحبون . وقد سجلنا عليهم فشلهم فى الحب من بعد تسجيلهم إياه على أنفسهم فى فنونهم ... فهل هم يحبون أو هم لا يحبون ؟ ... أحبهم الله !

الواقع أنهم يحبون ولا يحبون . فالفنان إنسان حائر بين حلقتين من حلقات التطور البشرى . أولاهما الحلقة التى يعيش فيها ، والأخرى الحلقة التى ينتقل إليها بروحه ويستنبطها فنه ثم يعود بعد ذلك إلى ناسه . وهذه الحلقة التى يُسرى به إليها ستتحقق يوماً ما فى الأرض سواء أكان هذا اليوم قريباً أم بعيداً وسيعيشها الناس وكلهم فى مستوى ذلك الفنان الذى يبهر جيله وسيكون من بينهم فنانون يبهرونهم بما يستنبطونه من حلقات أخرى لا يسرى به إليها غيرهم . وقد ينكر هؤلاء وقد يعترف بهم ... أمرهم وأمر الحق إلى الله

هذا هو مسلك التطور الروحانى للانسانية فهو (كالداروينية) الجسدية ولكنه أشد غلياناً وإبهاماً

والفنان يتذبذب بين الأرض وسمائه يتلون بلونين ويتشكل بشكلين : شكل يلائم حياة الأرض بقدر ما تسمح ذمته الفنية أن يتسامح فى أمانته ، وشكل آخر لا يلائم إلا الذين يستطيعون أن يطيروا معه إلى سمائه ولو أتباعاً مسترشدين به . والفنان السعيد الذى يرضى الله عنه هو الذى يوفق إلى غرام واحدة من بنات السماء . والفنان المنكوب الذى أرجو له الرحمة هو الذى يتعلق به غرام واحدة من بنات الأرض : تثقل به وتمرقله عن قفزاته فإن أشفقت عليه وسمحت له بهجرته إلى السماء كما شاء لم يجد عندها حين يهبط إليها إلا ما اختص به الله بنات الأرض . فهو شقى معها كشقاء القمد الذى يلهب طاغية ظهره بالسياط ليجرى فى سباق مع صبيان خفاف شياطين ... وإن كان المثلان متماكسين

من هنا ومن هناك

عبس

دعاوى إيطاليا فى قناة السويس - لمحرر الوبرلد ويجست

نقلنا فى هذه الصفحة من العدد ٣٠٢ مقالاً للكاتب الإيطالى ف . بارتو عن دعاوى إيطاليا فى قناة السويس ، وقد نسب الكاتب الفضل فى وضع تصميم القناة وتأسيسها إلى مهندسين إيطاليين ذكر من بينهم : نجرللى وبترمو وجوايا ، وزعم أن إيطاليا هى الدولة الثانية من بين الدول التى تمر فى هذه القناة ... إلى آخر ما جاء فى ذلك المقال ، والمقال التالى رد على ذلك المقال نلخصه للقراء ليطلعوا على وجهتى النظر فى المقالين .

منذ سنين عديدة كتب أوسكار وايلد مقالاً قيماً عن اضمحلال رذيلة الكذب . فلو عاش فى عصرنا هـذا الذى انتشرت فيه وسائل الدعاية بين الدول الحديثة ، فما لاشك فيه أننا كنا نقرأ له فصولاً ممتعة عن نهضة الكذب .

إن الدعاوى العريضة التى يدعيها الإيطاليون فى قناة السويس فى هذه الأيام ، مما يجعل النفس تشمئز ويعروها الأسف الممض لهذه الهوة التى انحدرت إليها الصحافة فى العصر الذى نعيش فيه

ونحن وإن كنا لا نبرئ الصحافة فى عصر من العصور من الانحراف عن الجادة فى بعض الأحيان ، إلا أننا نعتقد أن هذا الانحراف لم يكن يعدو الأمور الصغيرة التافهة التى لا تؤثر بحال من الأحوال فى الشئون العامة التى لها أكبر الأثر فى حياة العالم

ولكن إيطاليا وألمانيا تذهبان إلى آفاق بعيدة المدى فى الكذب فى شئون لها الأهمية الكبرى فى الحياة ، ولعل أسوأ الأمثلة لهذا الكذب الصراح ، هو ما تنشره الصحافة الإيطالية عن قناة السويس ، لا فى إيطاليا وحدها ، ولكن فى تونس والأمريكتين مما ينافى الحقيقة من جميع الوجوه .

ولقد استطعت بعد الاطلاع على هذه المزاعم أن أتوفر على هذا الموضوع وأبحثه بحثاً جديداً فتبين لى أن هولاء القوم يلجؤون إلى بعض المخلفات القديمة ، ليستخرجوا منها أسماء لها

ويتنبه الفنان إلى علة إخفاقه فى حبه ، فإما أن يرضى من محبوبته بما طاب له فيها من الجمال الروحى والبدنى ، وإما أن يحاول صقل نفسها وتهذيبها ليجعلها تشبه ما يجب أن تكون عليه ، فإذا وفق فى هذا فإنه يرضى أغلب الرضى ، أما إذا فشل فيه فهو الشاكى المتبرم الساخط على الحب اليائس منه المتخاذل أمامه أو المتمرد عليه

وقليلاً جداً مايفرغ الفنان من وقته لمصارعة المرأة ومناوشتها لأنه يتعلم من جولاته فى السماء أن هذه المصارعة من أساليب العنف التى يصح الاستغناء عنها بإدراك نتائجها ، فيحاول أن يتشفع إلى المرأة بفنه ، وهو على كثرة ما يتدلل بفنه يخضع نفسه ويخضع فنه للمرأة ويسعى إليها فى هذا الخضوع خاشعاً متوسلاً مستجدياً عطفها ، فإذا به ينقلب أمام المرأة شيئاً آخر أكثر رحمة بها من الرجل ، وأشد حناناً منه ، وأكثر بذلاً وعطاء وتضحية فى سبيلها ولكنه على أى حال ليس ذلك الرجل الذى تريد أن تراه قوياً ، والذى يجب أن يقسو عليها قسوة تصهر أنوثتها وتسيلها . فهذه الرقة وهذه الرحمة وهذا الخنوع وهذه المسالمة التى يتقرب بها الفنان من محبوبته كلها من علامات الأنوثة — عندها — لا من علامات الرجولة وهى من مظاهر الضعف — فى نظرها — لا من مظاهر القوة ، وهى تبعث فى نفس المرأة الاستهانة بها والشك فى أمر صاحبها إذ لا تضمن المرأة أن يتخذها الفنان وسيلة من وسائل الاستدراج يسلطها على كل من تعجبه من النساء مادام الأمر لا يكلفه أكثر من كلمات رقيقة أو ألحان عذبة أو صور جميلة

والفنان متى وصل به الحال إلى هذا الموقف كان عليه أن يختار واحدة من ثلاث : فإما أن يخصص نفسه لفنه ، وإما أن يخصص نفسه لحبه ، وإما أن يتذبذب بين الفن والحب وهذا ما يفعله الفنانون الشاكون ، فليس يتاح لكل فنان أن يتسامى حتى على الحب فلا يذكره ولايذكر المرأة إلا كما ذكرها المسيح

عزيز أحمد فهمى

علاقة ما بهذا المشروع الجليل ، فيخلعون على أصحابها حلل الفخار والشرف التى ارتداها رجال لهم شهرتهم وعظمتهم بين العالم ، بعد أن طواهم الثرى فى بطونه

فهذه الأكاذيب من النوع الذى يقول عنه (تنيسون) : الكذب الذى هو نصف حق ، شر من الكذب الصراح

فهم يقولون إن إيطاليا تعد فى المرتبة الثانية من الدول التى تمر فى قناة السويس . فمن أين جاءوا بالبيانات التى يستندون إليها فى هذا الزعم ؟ من الإحصاءات المبنية على ذلك الظرف الاستثنائى الذى دعاهم إلى نقل آلاف من جنودهم البسلاء مجهزين بالمدافع والطيارات والأسلحة المختلفة لمحاربة الحبشة العزلاء عام ١٩٣٦ — ١٩٣٧ ، وعلى هذه الطريقة فى الكذب تجرى سائر الدعاوى والمزاعم التى يطلعون بها على العالم

إن قناة السويس التى نشأت فكرتها منذ قدماء المصريين ، وفكر فيها نابليون بعد حملته على مصر ، تم مشروعها على يد رجل واحد هو المهندس الفرنسى فرديناند دى لسبس .

لقد كان الخطأ الذى حال بين نابليون وبين تنفيذ هذا المشروع هو خطأ المهندس لابير الذى رأى أن هناك فرقاً بين مستوى الماء فى البحرين يحول دون ذلك ، وقد أصلح هذا الخطأ بتأثير دى لسبس وحده ، إذ رفع مذكرة إلى محمد سعيد باشا حاكم مصر مؤرخة فى ١٥ من نوفمبر سنة ١٨٥٤ ينفى فيها وجود الفارق المزعوم ، مستنداً إلى تقارير قدمت إليه من مهندسين من الإنجليز لهم خبرة عظيمة ومهارة فائقة فى هذه الشئون ، فقاموا بقياس مستوى البحرين وكان لهم الشرف العظيم فى نفى هذه الخرافة ، والتوكيد بأن لا فارق بين مستوى البحرين

ومما يدعو إلى الضحك أن ينسبوا تأسيس القناة إلى مهندس إيطالى يدعى (نجرللى)، فتأمل عمل الدعاية فى الانتفاع بهذا الاسم؟ مما لاشك فيه أن هناك شخصاً يحمل هـذا الاسم كان ضمن الذين يعملون فى هذا المشروع ، ولكنه من أوستريا لا من إيطاليا ، وقد كان يشغل وظيفة مهندس عموم السكك الحديدية بها ، فعين فى بعض الأعمال مع مهندس انجليزى يدعى استيفنش فنسبته الدعاية إلى إيطاليا لأن اسمه نجرللى لا أكثر ولا أقل . وقس على ذلك سائر الدعاوى والأكاذيب

إن قناة السويس لم تنتفع بإيطاليا فى حال من الأحوال ، ولكن إيطاليا هى التى انتفعت بها فى فتح الحبشة

هل فى استطاعة ألمانيا أن تحارب – عن لالبر بلجيك

منذ سنتين — وإذا أردت التحديد ففى ١٢ مارس ١٩٣٧ كتبت مجلة ألمانيـة تقول : إن أهم العناصر التى سنحتاجها فى الحرب هو الذهب

وهذا القول يفسر مبدأ معترفاً به فى تاريخ الحروب بما فيها الحرب الأخيرة ، إذ وجدت ألمانيا نفسها عاجزة عن تموين جيشها لحاجتها إلى المال . ويتبين من هذا دقة الموقف الذى تقفه ألمانيا وإيطاليا الآن

مما لا شك فيه أن ألمانيا فى عجز عن إيجاد الذهب الضرورى لحاجتها ، والذهب هو القوة التى يمكن الحصول بوساطتها على المئونة ، وألمانيا فى حاجة إلى الشعير والسكر ، وفى حاجة إلى المعادن اللازمة لعمل الأسلحة وتجديدها

ومن المعلوم أن ألمانيـا فى حاجة ملحة إلى الحديد والنحاس والألمونيوم والمغنسيوم والرصاص ، وهى فى حاجة فوق ذلك إلى البترول وهو الروح الأساسية للآلات والمصنوعات الحربية على وجه العموم

وهى تعتمد على عبقريتها الصناعية للحصول على هذه المواد ، حتى لا تعول على الدول الأخرى فى استيرادها ، تلك العبقرية التى تحول الخشب إلى قطن ، ولبن الأبقار إلى صوف

وعلى هذا النحو تصنع الملابس لجنود الجيش ، ويصنع البترول والمطاط ويصنعونه من الجير ، والصابون ويصنع من الفحم ، والزبدة وتصنع من الزيت ، وتعيش الأمة جميعها على هـذه المصنوعات . وهنا تحضرنا الفكاهة القديمة وهى عجز ألمانيا فى المعادن ، وقلة ثقتها بإخلاص الحليفة؛ وتحت هذا التأثير ولا شك يتفكك محور رومه برلين

فإذا قامت الحرب فستكون ألمانيا عاجزة كل العجز عن إعداد المال الكافى إذ أنها ستشترى مئونتها ومعادنها من الخارج .

هذه هى الحقيقة التى لا جدال فيها . فقد أصبحت ألـمانيا تستورد ٢٠٪ من مواد الأطعمة من الخارج فضلاً عن الأجور العالية التى يتقاضاها المزارعون فيها . ونحن نرجع فى هذا الموضوع إلى ما قاله الكاتب الألمانى فرتز استرنبرج فى كتاب « قوة ألمانيا الحربية » . فقد أورد كثيراً من المعلومات والإحصاءات الهامة التى تدل على عجز ألمانيا عن التموين ، واضطرارها إلى زيادة نسبة الوارد إليها من مواد الأطعمة ، وتلجأ ألمانيا إلى طريقة المقايضة

فى كل ما تريد من الدول . فتقول : أعطنى بترولك وأنا أعطيك عقاقيرى. وكل هذه الوسائل المفتعلة لا قيمة لها إبان الحرب. فإذا أطلقت رصاصة واحدة لا يمكن بعد ذلك أن يعطى : البترول أو الحديد أو النحاس أو الشعير نظير حبوب الصحة وآلات الموسيقى

نحن مسوقون فى تفكيرنا هذا وراء رائد التاريخ ، ونعتقد أن زعيم الانقلاب فى ألمانيا سيتراجع عن فكرة الحرب ، إذ أن مسئوليته كبيرة فى أمر هو حياة أو موت لأمته ، ونود لو يذكر لأجل الإنسانية والدنية قول شكسبير :

« إن فى السماء والأرض أموراً غير التى تحلم بها فى فلسفتك يا هوراتيو ! »

القرد وحياة الإنسان — عن مقال للدكتور هوفمان

الدكتور منزيت يعد من رجال الطب المشهورين ، وقد أجرى فى هذه الأيام تجربة نفسية لم يسبق لها مثيل .

فمنذ عشر سنوات عاد من سياحة له فى أواسط افريقيا ، يصطحب قرداً صغيراً من نوع الشمبانزى يبلغ من العمر سنتين

وقد بذل كل ما فى وسعه هو وزوجته وأولاده ، لإبراز هذا القرد الذى أسموه — فاتو — فى مظهر الإنسان العاقل بحيث ينسى منشأه الحيوانى ويعيش معيشة الآدميين — دون أن يعملوا أى عمل لتدريبه كالمعتاد . وهذا عمل بلا شك له أهمية عظيمة ، إذ أنه يجعل الحيوان الأعجم يحيا حياة الإنسان .

وكان أول مرة خرج فيها فاتو فى مجمع من الناس ، فى حفلة غداء أقيمت فى منزل منزيت حديثاً دعا إليها لفيفاً من الأطباء والعلماء المختصين بدراسة نفسية الحيوان ورجال الأدب والصحافة. فدخل عليهم فاتو منتصب القامة يسير على ساقيه الخلفيتين كالإنسان. وأغلق الباب من ورائه فى خفة ولطف . ومر يحيى الضيوف ويصافحهم واحداً بعد واحد فى أدب ورقة، وصاحبه يقدمه إليهم كما يقدم الصديق العزيز ، ثم أخذ مكانه فى مؤخر المائدة ، وساهم فى الطعام معهم ، ولم يبد على تصرفاته أى مأخذ .

وكان الطعام الذى قدم إليه من نفس الطعام الذى تناوله المدعوون وهو حساء وسمك ولحم وخضراوات وحلوى وفاكهة . وكان فاتو يتناول الطبق من جاره ويملأه لنفسه بنفسه ويأكل بأدب ونظام . وكل ما لوحظ عليه فى تناول الطعام أنه يكثر من أكل الخضراوات والفاكهة ويتناول منها أكثر من غيرها . وكان يحتسى كأس النبيذ فيمسكها بيده فيرتشف منها الجرعة بعد الجرعة فى اعتدال وهدوء . فلما انتهى من الطعام قام فوضع ذراعه على كتف مدام منزيت وأشار إلى زجاجة من نبيذ بردو عرفها لمجرد النظر إليها ، وكان يخاطبها باسم ماما فقدمت إليه شيئاً منها

وفى أثناء تناول القهوة دعاهم الدكتور للتدخين ، فقام فاتو دون أن يشير إليه أحد بذلك فقدم إليهم لفافات التبغ . ولم ينس أن يوقد لكل منهم لفافته ثم تناول لفافة فأوقدها وجلس يدخنها بلذة واستمتاع

وكان فاتو يرتدى قميصاً فسيحاً وسروالاً خفيفاً وينتعل حذاء من الخيش . وقد أعد له الدكتور حجرة خاصة تحتوى على منضدة وكرسى وسرير ومشجب وبها حمام خاص يستعمله بنفسه وهو يتنقل فى حجر المنزل بحرية تامة

وقد شرح الدكتور منزيت طريقته فى تربية هذا الحيوان فقال : إنه لم يدربه على شىء كما يفعل أصحاب السرك ، وإنه ألف هذه الحياة من تلقاء نفسه ولم يعلمه أحد من الأسرة أى شىء . وقال إن تربيته تختلف عن تربية الأطفال ، فقد تعلم من تلقاء نفسه كيف يفتح الباب أو يغلقه ، وكيف يفتح النور وكيف يستعمل الشوكة والملعقة والسكين عند تناول الطعام ، وهو ينطق كلمة « ماما » أحسن من أى كلمة أخرى وقد حفظها عن أطفاله . ومن رأى الدكتور منزيت أن هذه الكلمة هى أول كلمة نطقها الإنسان بدليل وجودها فى جميع اللغات وينطقها القرد آليا بمجرد فتح الفم وإغلاقه مرتين


داود
عدس
وولده
يقدم
ابتداء من يوم
الخميس
أول يونيو
والايام التالية
فرصة عظيمة
للبيع
تنزيل هائل
فى جميع الاقسام



١ — مناوأة الخدر والنعاس

فى العدد السابق من الرسالة كتب الصديق الفنان الأستاذ زكى طليمات « تعليقاً وتذييلاً » لقصة الفتور فى الأدب المصرى فراجع بعض ما يراه الأستاذ توفيق الحكيم وبعض ما أذهب إليه فجاءت كتابته جياشة بالمعانى ؛ ولعل القراء وقفوا عند ما قال فيهم وتدبروه، قال : « فإذا كان النتاج الأدبى فى مصر لا يقابل من الجمهور بالحماس الواجب ، فلأن الفتور مفروض على كل شىء يجرى فى مصر ، ولأن عدم الاكتراث صفة — ويا للأسف — من صفات الأكثرية الغالبة من الجمهور المصرى ولا سيما فيما له علاقة بالأدب والفن » . غير إنى لا أرى كل هذا الرأى ، فالذى عندى ما كتبته فى هذا الباب من الرسالة لعددين مضيا ، ومجمله أن الجمهور المهذب من القراء يرغب عن أدب التسلية والإنشاء التعليمي ويقدر ما يستحق التقدير ؛ إلا أنه قليل

٢ — ديوان يظهر فى قلب الصيف

ستخرج مطبعة مصرية ديوان شعر بعد شهر وبعض شهر ، والديوان مهيأ للطبع منذ ثلاثة أشهر ، وإن أنت عجبت للأمر فقلت : كيف يخرج ديوان فى العهد الذى فيه يُقعد الحرُّ الناس ويصرفهم عن القراءة ويسيّرهم إلى الشواطئ والمصايف القريبة والنائية، فاعلم أن بهذا الديوان غنى عن جمهور القراء، إذ أن مؤلفه من أصحاب الحظوة العالية فى وزارة المعارف ، وحسبه ما تقتنيه الوزارة من النسخ .. قصة معروفة : إن المال الموقوف على تشجيع التأليف فى وزارة المعارف لمحبوس — إلا أقله — على إعانة رجالها وأصدقائهم !

٣ — فى النقد الأدبى

يُعنى الدكتور اسماعيل أحمد أدهم بكتابة فصول فى الأدب العربى الحديث . فأخرج مبحثاً فى الدكتور طه حسين بك وآخر فى الأستاذ توفيق الحكيم (فى مجلة الحديث الحلبية) وهو يواصل نشر مبحث فى الأستاذ خليل مطران فى مجلة المقتطف . ومزية كتابة الدكتور أدهم أنها منصرفة إلى النقد القائم على الوجهة الموضوعية لا الذاتية ، كما نقول اليوم . والحق أن النقد عندنا أكثره مجرًى على الطريقة التأثرية . وهكذا ترى الدكتور أدهم يميل مع ناقدين أو ثلاثة من أهل مصر ولبنان إلى جمح التأثر Impressionnisme وتحديده ومراقبته حتى تتغلب المعرفة على الإحساس . إلا أنى أرى فيما يكتب الدكتور أدهم موضعين للنظر : الأول اعتماده على الآراء القَبلية a priori والمسلّمات والمقبولات. وترى ذلك فى الفصل الأول والثانى اللذين كتبهما فى خليل مطران، ومثل هذا الأسلوب أجنبى عن طريقة النقد الموضوعية ؛ لأن هذه الطريقة تذهب من الواقعات إلى النظر ومن الخاص إلى العام : فلا يتكلم الناقد مثلاً على لون من ألوان الشعر ليدل بعد ذلك على أن شاعراً من الشعراء ينظم على ذلك اللون ، بل يجرى على عكس ذلك . ومن هذا أيضاً أن الدكتور أدهم يقرر القضية من باب الارتجال فيستخلص منها ما يستخلص : من ذلك قوله فى مطران (المقتطف يونيو ١٩٣٩ ص ٨٧) : « وقد خلص الخليل من هذه السنين (سنين الطفولة) بطبيعته الاجتماعية التى تميل إلى خلق جملة صلة اجتماعية une somme de rapports sociaux مع الناس » . فإنى لا أفهم هذا النحو من التفكير « الموضوعى » وكأنى بالدكتور

أدهم اقتبس منى (انظر « مباحث عربية » ص ٧٦) هذا التعبير: « جملة صلة اجتماعية » مع ما ينظر إليه باللغة الفرنسية ، من دون أن يحسن استعماله فى مجرى حديثه ، على ما يبدو.

وأما الموضع الثانى فإهمال الدكتور أدهم لاستقصاء المصادر . من ذلك ما فاته من مراجع فن توفيق الحكيم . فقد كان يحسن به أن يلتفت إلى ما كتبته فى هذا الباب فى مجلة الشباب (٩ مارس سنة ١٩٣٦) ومجمله: أن كلام توفيق الحكيم فى مسرحياته الأولى على أن « الكائنات ظواهر لا حقائق » ، وما يترتب على ذلك من صراع بين الواقع والحلم ، وبين الزمان والتاريخ ، وبين الشهوة والرغبة ، إنما هو أصلاً لكاتب مسرحى فرنسى يدعى لينورمان H.-R. Lenormand ، ومن تآليف هذا الرجل « إنما الزمان حلم » (سنة ١٩١٩) و « آكل الأحلام » (سنة ١٩٢٢) و « الرجل وأشباحه » (سنة ١٩٢٤) . ثم إن فى قصص توفيق الحكيم مظهراً آخر مستمداً من الأول وبيانه: أن الإنسان يسيّره ما لا يعرفه وما لا يقدر على مقاومته. وهذا الرأى الآخر يرجع إلى كاتب بلجيكى يدعى موريس ميترلنك (وإلى إبسن Ibsen قبله) . بقى أن الأستاذ توفيق الحكيم ينحو نحو ميترلنك فى إنشاء ما يقال له فى فن المسرح « الجو » ، وجو القصة المسرحية قائم على بث الأنوار ، وتوزيع الأثاث وإجلاس الممثلين، إلى غير ذلك . وجو المسرحية عند الحكيم كجو المسرحية عند ميترلنك من حيث الميل إلى بسط الإبهام على المناظر وإثارة الأوهام فى نفس الناظر .

وليس معنى هذا أن توفيق الحكيم لم يأت بشىء من عنده . فقد كتبت قبل اليوم أنه « يحكم سرد الرواية ويحكم الحوار ويحكم تهيئة البيئة ؛ فهو صاحب فن حقاً » ، وقد استشهد الدكتور أدهم فيما كتبه بهذه الجملة (ص ٣٥٧)

وبعد ، فإنى أدعو من يعنى بالفصل الذى كتبه أدهم فى الحكيم ــ وهو فصل حقيق بالعناية ــ أن يرجع إلى نقد الأستاذ صديق شيبوب لذلك الفصل فى صحيفة البصير (١٢ مايو ١٩٣٩) ، فإنه جم الفائدة .

بشر فارس

الأتراك والحرف العربى

كنت نشرت فى الجزء (٢٢٦) من السنة الخامسة للرسالة الغراء — مقالة عنوانها (الحرف العربى والإفرنجى) نعيت فيها على هؤلاء الترك استبدالهم الذى هو أدنى بالذى هو خير ، وقلت فيها : « وأما ذلك التجديد فليس لليوم أن يقضى فيه قضاءه ، وللغد الحكم فننظر أأحسن القوم أم أساءوا » وبينت أن الحرف الإفرنجى هو الحرف العربى نفسه ، وأصل الحرفين معلوم ، غير أن الزمن قد حسن الثانى أى العربى وهذبه

وإن ما صنع الترك هو أنهم انقلبوا يسطرون أو يخربشون من الشمال مبذرين مضاعفين الكلمة ، وكانوا يكتبون من اليمين موفرين الوقت الثمين والكاغد

وقد قرأنا اليوم فى الصحف هذا الخبر من أنقرة :

« أنقرة — أخذت الأوساط التركية تفكر باستعمال الحروف العربية بعد أن قامت عدة صعوبات فى استعمال الحروف اللاتينية ، ويقال إن حكومة الجمهورية قد تفكر فى إلغاء القرار القاضى بمنع استعمال تلك الحروف »

فإذا صدق هذا الإعلام — ولا أستبعد صدقه — فقد عقل القوم من بعد السفه ، وصحوا من سكرهم ، وأحسنوا إلى أنفسهم وأدبهم وتاريخهم وآثارهم — على ضؤولة قدرها — وإلا فإصرار البطل على الضلالة والباطل لا يدل على أنه محق

الاسكندرية ***

على فراش الموت

أصدرت دار الهلال أخيراً كتاباً عنوانه « على فراش الموت » من تأليف الأستاذ طاهر الطناحى. وهو كتاب محكم الوضع طريف الموضوع مختلف الجنَى بين اللذة والفائدة والعبرة ، وقد أهداه إلى الأستاذ أمين الخولى فكتب إليه هذا الكتاب :

إلى الأديب الكبير الأستاذ طاهر الطناحى ...

تحية وسلام . وبعد فقد تلقيت كتابكم عن اللحظات الأخيرة

وأثر فيّ تناولكم الدقيق لتلك اللحظات من اليقظة التي تتكشف فيها النفس عن جوهرها السماوي، وتستقبل الحياة الثانية بصفاء كدرته طوال تلك الحياة الدنيا أوهامها وأخاديعها

نظرت فيما دونت من حال العظماء في تلك الدقائق الرهيبة، آخر عهدهم بالدنيا وأول عهدهم بالآخرة، فتجسم لي قول من سلف: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. وشعرت أن من كمال الترجمة لعظماء العالم أن تعرض لنا حياتهم في تلك الأويقات الختامية؛ وكأنما «فراش الموت» بساط ساحر لا ينتهي مداه، فهل أقول لك: ابسط منه ما استطعت وحدث الناس في أجزاء أخرى عن تلك اللحظات على باب الأبدية، وعتبة الحياة الثانية، واكشف من نفوس المعدودين ما لا ينكشف إلا في تلك البرهة الدقيقة الجليلة؟

إن الموضوع رائع رهيب؛ وقد بدت تلك الروعة والرهبة في تناوله. وفي لمحات قصيرة نظرت فيها إلى هذا المؤلف غمرتني تلك الروعة والرهبة، وشعرت بما شعرت به حين كتبت فصلك عن «الحب والموت» على ما أظن ... مزيج من الخشية والتسامي إلى عوالم اللانهاية

أشكرك وأحييك، وأبعث إليك مع سلامي أطيب تمنياتي

أمين الخولي

اصطلاح جديد

سيدي الأستاذ الزيات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فلقد قرأت مقال أستاذنا الفاضل أحمد أمين «أدب الروح وأدب المعدة» فألفيتُ مطلعه هكذا: «هذا اصطلاح جديد أضعه لنوعين من الأدب يتميزان كل التميز، ويختلفان كل الاختلاف، لعل في وضعه فائدة في تقويم الأدب وصحة تقديره». وما بي من عزم على أن أعرض لما جاء في ثنايا الموضوع من آراء، فأنا أحترم رأي الأستاذ وإن بَعُد ما بيني وبينه، ولكني أريد أن أقول: إن هذا النوع من المقابلة – وهو طريف – لم يكن ابن الساعة، فلطالما سمعته يجري على لسان أستاذنا المرحوم الرافعي في صور، وهو جرى على قلمه أيضاً في صور أخرى. ففي وحي القلم الجزء الأول ص ٨٤ س ١ جاء ما نصه: «... لستُ المدرِّبَا في نفس أحمد، ولا بمعدته وبطنه ...» وفي ص ١٣٥ س ١٢ من نفس الجزء جاء: «أفيؤرِّخ الإنسانُ يومئذ بتاريخ معدته وما حولها، أم بتاريخ نفسه وما فيها؟» وفي ص ٢١٢ س ٤ من الجزء الثاني جاء: «... ويتعامل الناس في الشرف على أصول من المعدة لا من الروح ...». ولو ذهبت أتقصى هذا التعبير فيما كتب الرافعي – رحمه الله – لكلفت نفسي شططاً، وحسبي هذا برهاناً على ما رأيت، والسلام

كامل محمود حبيب

كيفية ظهور الحياة على الأرض

سيدي رئيس تحرير الرسالة:

سلاماً وتحية. أما بعد فقد قرأت مقالة الأستاذ النقبادي في عدد الرسالة الأخير (٣٠٩) عن كيفية ظهور الحياة على الأرض. فوجدت فيها كثيراً من الخطأ أبين وجهه وصوابه فيما يلي:

فالأستاذ يبني كلامه على حقيقة لم يقل العلم فيها إلى الآن كلمة (الفصل): فهو يقول إن الكائنات الحية خاضعة لنواميس الطبيعة. ولكن الواقع أن كثيراً من ظواهر الأحياء كالحركة والتفكير والغرائز – لازالت تحير العلماء – ولما يجدوا لها تفسيراً مقبولاً. ولا زال علماء الحياة يعتبرون أن هناك قوة اسمها الحياة لا يدركون كنهها، ولكنهم يرون أثرها.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الأستاذ يستنتج من هذه الآراء نتائج غير صائبة. فيقول: إن السبب الطبيعي لنشوء الحياة هو حرارة الشمس، والأشعة البنفسجية التي كانت تبعثها في فجر الحياة. فلو سلمنا أن حرارة الشمس كانت حينئذ أشد منها الآن بمراحل – كما يقول الأستاذ – فإن هذا يدحض رأيه. فالحرارة الشديدة لا تساعد على نشأة الحياة وازدهارها، وإن كانت تساعد التفاعل الكيميائي. وذلك لأن البروتوبلازم (المادة الحية) يصاب بالضرر إذا اشتدت الحرارة كما هو معروف لكل من درس علم الأحياء ... والواقع أن الشمس لم تتغير كثيراً منذ نشأة

الكواكب السيارة، ومنذ ظهور الحياة على الأرض . فإن ثلاثة الآلاف من ملايين السنين ليست إلا يوماً في حياة الشمس» : (النجوم في مسالكها تأليف السير جيمس جينز وترجمة الدكتور الكرداني)

ولو سلمنا برأى الأستاذ لتحتم أن توجد الحياة في بعض الكواكب السيارة الأخري التي وقعت تحت نفس الظروف التي وقعت تحتها الأرض كالمريخ مثلاً . ولكن « يظهر أن احتمال وجود الحياة على المريخ أو على أى كوكب سيار آخر في المجموعة الشمسية لا يمكن أن يسمى احتمالاً قوياً » (النجوم في مسالكها السالف الذكر)

ويخبرنا علم الجيولوجيا أن الحياة لم تظهر غالباً إلا بعد مدة طويلة من نشوء الأرض . وأقدم الحفريات (وهي بقايا الكائنات الحية الموجودة ضمن الصخور) يقل عمرها عن نصف عمر الأرض ، أى إن الحياة لم تظهر غالباً إلا بعد انقضاء نصف الزمن الجيولوجي . وهذا يخالف ما يذهب إليه الأستاذ من أن الحياة نشأت حينما نشأت الأرض

وقصارى القول أن منشأ الحياة لا يقدر أحد أن يجزم بزمانه أو كيفيته . ولعل تقدم العلم ـ المبنى على التجارب والحساب لا على الخيال ـ ينير لنا هذه المسائل . والسلام .

منير أمين مطى

توحيد المصطلحات الطبية في العربية

وافق مجلس الوزراء على مذكرة لوزارة الخارجية قالت فيها : إن الجمعية الطبية المصرية طرحت موضوع (توحيد المصطلحات الطبية في اللغة العربية) على مؤتمرها الأخير الذي عقدته في أوائل سنة ١٩٣٨ في بغداد فأصدر قراراً اقترح فيه مقترحاً فصلت الجمعية الطبية قواعده فيما يلي :

أن تتصل الحكومة المصرية بحكومات الأقطار العربية في الشرق الأدنى للاتفاق على ما يأتي بصفة رسمية :

أولاً : أن تؤلف كل منها في بلادها لجنة من الأطباء واللغويين للنظر في موضوع توحيد المصطلحات العربية للعلوم الطبية أى اختيار أفضل تلك المصطلحات للاستعمال ، ويراعى في اختيار هذه اللجان أن تمثل فيها الجمعيات الطبية المختلفة

ثانياً : أن تنتدب كل من تلك الحكومات من أعضاء اللجان المشار إليها عضوين للاشتراك في لجنة دائمة تجتمع بالقاهرة شهراً في كل سنة على نفقة تلك الحكومات لبحث المصطلحات العربية المقترحة بواسطة اللجان المشار إليها أو الواردة في المعاجم الطبية العربية والبحوث اللغوية الطبية في مختلف البلاد واختيار أصلحها للاستعمال

ثالثاً : أن تكون قرارات اللجنة الدائمة المشار إليها معترفاً بها للاتباع في جميع المعاهد التعليمية والطبية في الدول المشتركة بحيث تتوحد المصطلحات الطبية العربية في جميع معاهدها وبالتالى في جميع مؤلفاتها ومجلاتها وعلى ألسن أطبائها

رابعاً : أن يكون انعقاد اللجنة الدائمة في كلية الطب أو مجمع فؤاد الأول اللغوى بالقاهرة، وتتولى الجمعية الطبية المصرية الإشراف على سكرتيرية اللجنة ، وتتحمل وزارة المعارف المصرية النفقات الخاصة بالسكرتيرية والمراسلات والمطبوعات التي تصدرها اللجنة

جائزة « أمير ونجن »

تلقت قنصلية الأرجنتين في الأسكندرية من جمعية مكافحة السرطان الفرنسية أنها منحت الأستاذ الدكتور انجل روفو مدير معهد الأبحاث الطبية في (بونس إيرس) عاصمة الأرجنتين جائزة « أمير ونجن » ومقدارها ١٠٠ ألف فرنك ، وذلك لتقديمه إلى الجمعية أفضل الأبحاث الطبية الدولية عن « تأثير الطعام في إنماء السرطان » وقد سلمت الجمعية قيمة الجائزة إلى الدكتور كركانو وزير الأرجنتين المفوض في فرنسا ، لإبلاغها إلى الفائز بها

وقد قرر الدكتور روفو الاكتفاء بالشهادة الممنوحة له من الجمعية ، أما الجائزة المالية فقد تبرع بها لحكومته لتنفقها في الأبحاث الطبية ، على أن ينتدب لهذا الغرض طبيب أرجنتيني يسافر إلى فرنسا لمدة سنة لإجراء أبحاثه هناك ، وطبيب آخر فرنسي يقدم إلى الأرجنتين لعمل مثل هذه الأبحاث

الشعبة المصرية لمعهد التعاون الفكرى

بين القرارات التي اتخذتها الشعبة المصرية لمعهد التعاون الفكرى ، تحديد قيمة الاشتراك السنوى الذى تدفعه مصر للمعهد وجعلها خمسمائة جنيه في العام

ودرست الشعبة مشروع مرسوم بتنظيم أعمالها ومشروع لائحتها الداخلية وبحثت مسألة اختيار أعضائها ، واستقر الرأى على أن يكون بعضهم ممثلاً لهيئات علمية وأن يختار البعض الآخر بصفتهم الشخصية

واقترح سكرتير الشعبة الأستاذ محمد العشماوى بك وكيل المعارف أن تمثل الشعبة في المؤتمر المزمع عقده في مصر لتوحيد الثقافة بين البلدان العربية ، فوافق المجتمعون على هذا الرأى على أن يمثل الشعبة في الأعمال التمهيدية للمؤتمر : الدكتور منصور



تاريخ التعليم في عصر محمد على

تأليف الأستاذ أحمد عزت عبد الكريم

للأستاذ على ابرهيم حسن

ألف حضرة الأستاذ أحمد عزت عبد الكريم مدرس التاريخ الحديث المساعد بكلية الآداب كتاباً عن « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » . وقد درست هذا الكتاب أو بالحرى هذا المجلد الضخم الذى تزيد صفحاته على ثمانمائة صفحة فوجدته درساً دقيقاً وإحاطة شاملة وبحثاً مستفيضاً لتاريخ التعليم فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وهى الحقبة الهامة التى شاهدت تكوّن امبراطورية محمد على وتحوّل مصر إلى دولة عسكرية فتية آخذة بأسباب الحضارة الحديثة .

وقد نحا المؤلف نحو العلماء الباحثين فى بحثه ، فسرد الوقائع وأردفها برأيه الشخصى ، وعلق على الحوادث بآرائه التى تدل على الفطنة ودقة الحكم والتمييز . وقد استند المؤلف فى بحثه إلى مراجع كثيرة ما بين عربية وافرنجية وتركية. كما استند إلى وثائق ومخطوطات بقسم المحفوظات التاريخية بديوان جلالة الملك .

ولسنا نستطيع فى هذه العجالة أن نفيض فى الحديث عن كل فصول هذا الكتاب الضخم ، وحسب القارئ أن يرجع إلى الفهرس التحليلى الذى أورده المؤلف فى صدر كتابه .

فهمى بك مدير دار الكتب ، والأستاذ أحمد أمين رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

ووافق الأعضاء على تأليف مكتب مؤقت يضم سعادة لطفى السيد باشا رئيس الشعبة ، والدكتور على ابراهيم باشا وكيلها ومحمد العشماوى بك سكرتيرها العام ، والدكتور طه حسين بك والدكتور احمد عبد السلام الكردانى بك

وعرضت على اللجنة مذكرة مقدمة من الأستاذ محمد قاسم بك عميد دار العلوم ومندوب الحكومة المصرية فى المؤتمر الدولى الثامن للعلوم التاريخية الذى عقد فى أغسطس الماضى بمدينة زوريخ بسويسرا . وقد تضمنت المذكرة طائفة من المقترحات خاصة بوضع فهرس عام يجمع شتات المصادر المطبوعة للتاريخ المصرى ، ووضع قاموس للتراجم المصرية ، ووضع مصور تاريخى يبين أهم تطورات التاريخ المصرى إلى غير ذلك . وقد عهدت الشعبة إلى لجنة مؤلفة من مقدم المذكرة ، والأستاذ محمد شفيق غربال عميد كلية الآداب ومسيو دريوتون مدير مصلحة الآثار ، ومسيو فييت مدير الآثار العربية — درس هذه الاقتراحات

جمعية الفنانين المصريين

ستقام مباراة فى فن الخط العربى للفنانين المصريين والأجانب يدور موضوعها حول كتابة اسم الجمعية. وللمتسابق الحرية فى انتقاء نوع الخط وحجمه على أن يذيل النماذج بإمضائه واسمه وعنوانه ، ويرسلها إلى مقر الجمعية رقم ٦ شارع فؤاد الأول مصر، فى موعد لا يتجاوز يوم ٢٧ يونيو عام ١٩٣٩

وقد تقرر لها جائزة مبلغ جنيه مصرى . وللمتسابق الحق فى أن يتقدم بأكثر من مخطوط

ع . روفائيل

قسم المؤلف فصول كتابه تقسيماً منطقياً إلى ستة كتب وثلاثة وعشرين فصلاً ، فتكلم أولاً عن التعليم قبل محمد على وهو التعليم الدينى فى الأزهر والكتاتيب والتربية التى كان يأخذ بها الأمراء مماليكهم، والتأثير الفكرى الذى استحدثته الثورة الفرنسية فى الثقافة المصرية . وانتقل المؤلف من هـذا إلى فصل ألم فيه إلماماً عاماً بسياسة محمد على فى التعليم فعرض لنا فصولاً شائقة فى جهود العاهل الكبير فى إنشاء المدارس وبعث البعوث وترجمة الكتب ونشرها والأغراض التى كان يتوخاها من النهضة التعليمية . ثم عرض المؤلف مسائل هذه السياسة عرضاً تمهيدياً مبيناً ما بينها وبين وسائل التربية الفرنسية من شبه ومن خلاف ، والأثر الغربى فى النظام التعليمى الحديث فى مصر . ثم أخذ المؤلف فى شرح تطور هذا النظام التعليمى فى عصر محمد على ، فتحدث عن نشأة التعليم الحديث فى مصر من ١٨١١ إلى ١٨٣٣ ثم عن إنشاء شورى وديوان المدارس وقد حقق تاريخ إنشاء هذا الديوان واختصاصاته وكبار موظفيه تحقيقاً قال عنه أستاذنا شفيق غربال إنه « يصح أن يكون مثالاً لكيفية استخراج الحقائق التاريخية من الوثائق الرسمية »

ثم انتقل المؤلف إلى حركة التعليم فى سنة ١٨٤١ والنهضة التعليمية التى جدت فى السنوات الأخيرة من عصر محمد على والتى كانت ترمى إلى تجديد الأساليب التعليمية وإلى نشر التعليم بين الأهالى . وفى الكتاب الثالث فصل المؤلف الكلام على معاهد الدراسة الابتدائية والتجهيزية والخصوصية ومناهج التعليم فى مراحله الثلاث وخططه، وأتى بإحصاءات دقيقة لهذه المعاهد وعدد تلاميذها وكتب الدراسة بها طوال عصر محمد على

وقد عنى المؤلف بالحديث عن البعوث العلمية فنقد نظامها وتحدث عن أوجه انتفاع البلاد بأعضائها ، ثم سرد إحصاءات طريفة عن البعوث المختلفة فى عصر محمد على . وقد خصص المؤلف فصولاً ممتعة فى الحياة المدرسية وكل ما تعلق بها . ثم أعاد بحث المسائل التى ابتدأ بها مستعيناً فى نقده بما أورده فى الكتب السابقة من التفصيل ، فتحدث — فى الكتاب الأخير — عن العلاقة بين التعليم القديم والتعليم الحديث ومدى تأثير كل منهما فى الآخر وعلاقة الدولة والمجتمع بكل من التعليمين . وفى الفصل الثانى من هذا الكتاب نقـد المؤلف النظام التعليمى الحديث فى عصر محمد على مبيناً ما به من أوجه الضعف وأخصها إهمال التعليم الأولى وضعف الصلة بين مراحل التعليم والمركزية فى إدارة التعليم وضعف مناهج الدراسة . ثم انتقل المؤلف إلى بيان الصلة التى نشأت بين المدرسة المصرية والمجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر

ولم يختم المؤلف كتابه إلا بعد أن عقد فصلاً ختامياً تحدث فيه عن مدى نجاح النظام التعليمى الذى أنشأه محمد على فى مصر من حيث توجيه البلاد إلى التعليم الحديث واتصالها بالحضارة الأوربية وتوطيد زعامة مصر فى الشرق العربى ونهضة اللغة العربية . وختم المؤلف كتابه بفصول إضافية فى تاريخ المعاهد الخارجة عن النظام القوى كمدارس الجاليات الأجنبية والطوائف الدينية غير الإسلامية ، وبصور عن بعض الوثائق الهامة كلوائح الدراسة وتقارير الامتحانات والتفتيش ، وبنقد للمراجع التى رجع إليها، وبيان مفصل لسجلات الوثائق الرسمية التى استمد منها مادة البحث وخاصة السجلات التركية والعربية لديوان المدارس فى عصر محمد على ، وفى نهاية الكتاب يرى القارئ « لوحات » طريفة لنماذج من الوثائق التركية والعربية والفرنسية يرجع عهدها إلى عصر محمد على ، قصد بها المؤلف — كما قال فى مقدمته — : « نقل بعض الوثائق ذات الأهمية التاريخية العظيمة وبيان أسلوب ذلك العصر فى تقييد أوامر الوالى ومكاتبات الدواوين وطريقة العمل فى الدفاتر التركية والعربية لديوان المدارس ، وتقييد نتائج الطلبة المبعوثين لطلب العلم فى فرنسا ». نذكر من بين هذه اللوحات ـ على سبيل المثال ـ الوثيقة الأصلية لأمر محمد على بإنشاء ديوان المدارس وأختام ديوان المدارس التى كانت تبصم بها قراراته وسجلاته ، ومضبطة أول جلسة عقدها شورى المدارس ، والجلسة التى أعلن فيها إنشاء الديوان ، وصورة التقرير الذى كتب بالفرنسية عن امتحان الخديو اسماعيل عند الالتحاق بمدرسة سان سير بفرنسا

فى أكتوبر سنة ١٨٤٨ وفيه بيان أسئلة الامتحان والدرجات التى نالها فى كل منها الخ ...

وقد صدر الكتاب بتقديم تاريخى نفيس فى أربع عشرة صفحة بقلم أستاذنا المؤرخ الجليل « محمد شفيق غربال » عميد كلية الآداب وأستاذ التاريخ الحديث بجامعة فؤاد الأول وصاحب الفضل فى تخريج عدد كبير من الشبان الباحثين فى التاريخ . تحدث أستاذنا فى مقدمته عن الوثائق التاريخية (وحق المؤرخ) فيها وجهود المغفور له الملك فؤاد - طيب الله ثراه - فى حفظها وتشجيع الباحثين على الاستفادة منها ، ثم تحدث عن اتجاه « المؤرخين الشبان » نحو دراسة « الإصلاح المحمدى العلوى » وذكر منهم مؤلف الكتاب الذى نتحدث عنه اليوم فأظهر النواحى التى أهلته للكتابة فى تاريخ التعليم فى مصر . ثم انتقل استاذنا العلامة إلى الحديث عن محمد على والتعليم فعرض لنا صورة بديعة « لمنظر الرجل الذى لم يتزود من تعليم المدارس يستحث رعيته على طلب العلم ، وينفق النفس والنفيس فى تهيئة وسائله لهم » ودرس خطة محمد على فى التعليم وأهميتها « لأهل الجيل الحاضر فى مواجهتنا مستقبل الثقافة فى مصر » .

و « التعليم » عند المؤلف يمثل ناحية هامة من نواحى النشاط السياسى والاجتماعى لمصر الحديثة . وعلى هذه الفكرة بنى المؤلف بحثه حتى جاء كتابه بحثاً تاريخياً بيداجوجياً يجد فيه المؤرخون بحوثاً واسعة فى تاريخ مصر فى القرن التاسع عشر ، كما يجد فيه رجال التربية والتعليم بحوثاً أخرى فى نظم التربية وتطورها فى مصر فى ذلك العصر ، ونظريات بيداجوجية عن تعليم الطفل والبالغ وعلاقة المدرسة بالمجتمع ومدى تأثير كل منهما فى الآخر . ولذلك فهو مجموعة لا غنى عنه لطلبة « التاريخ » بكلية الآداب ، وطلبة المعاهد والمدارس التى تدرس التربية كدار العلوم ومعهدى التربية للبنين . والبنات ومدارس المعلمين والمعلمات والمهتمين بدراسة التاريخ السياسى والاجتماعى لمصر الحديثة والمشتغلين بالتربية والتعليم .

على ابراهيم حسن

مدرس التاريخ بالمدرسة الخديوية

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

7me Année No. 311

Lundi - 19 - 6 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣١١ « القاهرة فى يوم الاثنين أول جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٩ يونيه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

من صور الماضى ...

كان الفلاح فى القرن الماضى يكابد صِنفاً من الخلق صورهم الله على مثال عجيب من خفة الصقور وفتكة النمور وهيئة الناس ليكونوا مذكرين بجبروته ومنذرين بعذابه! كانوا من الأرناءود أو الجركس؛ وكان عملهم جباية الضرائب على كل شىء، ومن كل شخص، وفى كل وقت، وبكل صورة؛ أو اقتحامَ الدور للبحث عن المحظور أو المحكور من الملح والصابون إذا اقتناهما أحد من غير طريق الحكومة. وكان سبيلهم إلى ذلك سبيل الإرهاب والعنف؛ فمتى دخل أحدهم قرية من القرى دخلها الفزع والروع فلا يملك السائر أن يتقدم، ولا الواقف أن يتكلم، ولا الداخل أن يخرج؛ ثم تخشع فى القرية الحياة: فلا تسمع حساً ولا حركة إلا هرير الكلاب وقوقأة الدجاج وصراخ الصِّبية! فإذا خرج منها (الِجندى) كما كانوا يسمونه انطلقت من ورائه ضجة شديدة فى البلد من بكاء المضروب وصراخ المنهوب ودعاء المضطرب!

فلما انتظمت أداة الحكومة بعد الثورة العرابية انكمش هذا النوع حتى انحصر رهبوتُه فى ضياع الأمراء و « جفالك » السادة. وكانت قريتنا وسبع قرى أخرى متجاورة قطائعَ لعلى باشا شريف فى أواخر القرن الماضى؛ وكانت الإمارة والإدارة فيها لهؤلاء الأرناءود أو (الأرنطة) كما كنا نقول، ففرضوا

الفهـــرس

علينا نظاماً فى العيش أخذوه عن حياة الحيوان وعيشة العبد .

فكان الناس، كما يحدثنا الباقون منهم، لا يملكون مالاً ولا حرية ولا حياة ؛ وإنما كانوا يعملون بالتعذيب ويُبغِلُون بالكره ، كما تعمل الماشية بلسعات السوط وهى صابرة ، وتُغِلُّ الأرض بضربات الفأس وهى صامتة . وكان لفظ (المأمور) معناه الموت الذى لا عاصم منه ولا مهرب . ذلك أنه كان يخرج كل يوم على جواده إلى الحقول، شاكى السلاح، كاشر الوجه، منفوخ اللغاديد، مفتول الشارب، متوقد النظر، كأنه تمثال الرعب أو صورة الهُولة! ثم يسير متلفتاً ذات اليمين وذات الشمال لا ليتفقد العمال ويتعهد الزروع ، ولكن ليبحث عن إنسان يعذبه أو حيوان يضربه . والناس قد تعودوا منه ذلك فهم لا ينفكون طول النهار يرقبون ناحيته ويرصدون طريقه؛ حتى إذا أبصروه من بعيد غابوا فى مخابئ الأرض كأنهم لم يكونوا ! فإذا عاد من طوافه خائب السوط جلس أمام الدوار وأمر أن ترش الأرض وأن يلقى فى وحلها من جاءه فى طلب حاجة أو رفع مظلمة! ثم يصيح بالجلاد أن ينهال عليه بالكرباج ، وهو فى خلال ذلك يميد من الغضب ويبربر من الغيظ حتى تهدأ ثورته وترضى كبرياؤه بعد لأى ! وكان العمد والمشايخ منوطين به ، فلا يسمعون الأمر والنهى إلا منه ، ولا يرفعون مشاكل القرى وقضاياها إلا إليه . لذلك ظل أهلوها يجهلون أن لهم خديوياً غير على شريف ، و (نظاراً) غير نظار الزراعة ، و (مأموراً) غير مأمور التفتيش . وكان هذا (الحاكم) كسائر بنى جنسه مغلق الذهن مطبق الجهالة ؛ يجهل الزراعة ولكنه يأمر، ولا يعلم القضية ولكنه يحكم ، والجانى المحكوم عليه هو الذى يجرؤ على أن يعقّب أو يعارض . وكان سادته لا يفوقونه فى الذكاء ولا فى الرحمة ؛ فكانوا إذا زاروا هذه القرى – وقليلاً ما كانوا يزورون – تنكبوا بنادقهم وخرجوا يقتلون الوز فى البرك ، والحمام فى الأجران ، والكلاب على التلول ، والغربان على الشجر . ويراهم الناس فيرنون إليهم دهشين من طرابيشهم الحمر على وجوههم البيض ، ويظنون أن وراء هذا الرواء جمال القلب وكرم النفس ؛ فإذا دنوا منهم يسألونهم الإحسان والعدل زموا بأنوفهم ومضوا مستكبرين لا ينظرون ولا يجيبون !

أذكر وأنا صبى دون اليفاعة أن الناس كانوا يتحدثون عن جبار من هذا الطراز اسمه (زينل) . كانوا يتحدثون عنه كما يتحدثون عن البلاء ، ويؤرخون بعهده كما يؤرخون بالوباء ، لأنه أذلّ الفلاحين بالخوف والجوع ، وأضاع شبابهم بين الترية والغربة . ولا تزال الألسنة هنا وهناك تتناقل هذه المأساة من مآسيه :

يقولون إنه كان فى قرية من هذه القرى شاب لم تلد نساؤها أجمل منه وجهاً ولا أشجع قلباً ولا أرق عاطفة. وكان هذا الشاب بحكم شبابه وجماله وكرمه حبيباً لكل فتاة وصديقاً لكل فتى، ولكنه كان كلفاً ببنت عمه، فهى وحدها حافز عمله وغاية أمله وروح حياته

وفى ذات عشية من عشايا الصيف كان على وليلى عائدين من الحقل وهما ينسمان بالحب الخالص ، ويبسمان للغد المرجو ، فغلبت على العاشق نشوة الطرب من جلال الطبيعة وجمال الفتاة ، فقال وهو يقدم إليها آخر قطعة بقيت فى يده من الحلاوة :

— ألا تشتهين شيئاً فى الدنيا غير هذه الحلاوة يا ليلى ؟

فقالت له ليلى بعد لحظة من الصمت الحالم :

— لا أشتهى بعد قربك يا على إلا عنقوداً من العنب !

عنقود من العنب ؟ إن الثريا أقرب إلى يديه من هذا العنقود ! وهل رأى فى دنياه العنب إلا فى حديقة (التفتيش) ؟ وماذا يصنع والدنو من سياجها هلاك محقق ؟ ولكن الحب لا يدرك البعيد ولا يعرف المستحيل. فكمن علىٌّ بعد رجوعه من الغيط فى كومة من دريس (الوسية) حتى جنه الليل فقام يتسلق السور من جانبه المظلم، فلما بلغ أعلاه سقط فى الحديقة فكانت سقطته فى يد الحارس!

وبات على فى سجن الدوار . وأصبح الصباح فجلس المأمور والمعاونون والنظار، ورشت الأرض، وطُرح الجانى، وتعاقبت على جسده المعرّى عذبات الكرابيج ، والناس من حوله يضجون بالبكاء ، ويضرعون بالرجاء؛ و (الأغوات) يتلذذون برؤية الدماء المنزوفة والدموع المذروفة ، ويطربون لسماع الأنات الضارعة والصرخات المتصلة، حتى كلت يد الضارب وخفت صوت المضروب فحملوه إلى السجن . وشفع العمدة لأهله أن يأخذوه . فلما دخلوا عليه لم يجدوا فيه وا أسفاه إلا حشاشة نفس لفظها على صدر حبيبته أثناء الطريق !

احمد حسن الزيات

كتاب فرويد عن موسى

للأستاذ عباس محمود العقاد

أشارت الأنباء البرقية منذ أسابيع إلى كتاب العلامة فرويد عن أصل موسى الكليم عليه السلام وكان يومئذ على وشك الصدور باللغة الإنجليزية

والعلامة فرويد كما هو معروف أستاذ الأساتذة العالميين فى علم التحليل النفسى ، بدأ بالكتابة فيه عند أوائل القرن الحاضر ثم تفرعت على مذهبه فيه مذاهب أتباعه ومريديه ومعارضيه تارة بالتوسع والتأييد، وتارة بالتعديل والتنقيح، وتارة بالمناقضة والتفنيد

ونحن على مخالفتنا إياه فى الرجوع بكل خليقة من الخلائق وكل عارضة من عوارض النفس إلى الغريزة الجنسية ، وعلى إيثارنا لآراء بعض مريديه ممن يضيفون إلى الغريزة الجنسية النزوع إلى امتداد الشخصية ، وعلى ما فى نظرته إلى الفنون والآداب من الضيق والجفاف ، نعتقد أن الرجل قد أضاف إلى معارف الإنسان ذخيرة قيمة من التحقيقات والتوجيهات التى لا تضيع سدى ولا تزال موضعاً للتصحيح والإتقان على تعاقب الأيام

وقد صدر كتابه عن موسى الكليم بالإنجليزية فإذا هو أعجوبة الفروض والاحتمالات،أو باعترافه هو أعجوبة التلفيقات والتخمينات؛ إذ كان من المتعذر عليه أن يرجع إلى حقائق التاريخ أو أساليب العلم فى الاستقصاء ، فاعتمد على الفروض وقال بصريح العبارة إنه لا يعتمد على شيء غير الفروض

وربما كان العجب الأعجب فى الكتاب أن مؤلفه من بنى إسرائيل وهو يحاول ما يحاول للرجوع بنسب موسى عليه السلام إلى مصر لا إلى إسرائيل

ولهذا استهدف الرجل للغضب من أبناء قومه قبل الغضب من الأجانب عنه وممن يخالفونه فى الرأى والاعتقاد

* * *

ظنه الأول قائم على الاسم ومنشأه من اللغتين العبرية والمصرية القديمة

فبعض العبريين يزعمون أن موسى مأخوذة من « موشى » العبرية بمعنى المنتشَل أو المرفوع ، ويقولون إن بنت فرعون انتشلته من النيل فسمته لذلك بهذا الاسم الذى يدل عليه

وفرويد يشكك فى تصريف الكلمة، ويشكك فى سبب التسمية، ويقول إنه على فرض صحة المعنى المنسوب إليها بالعبرية فليس من المعقول أن ابنة فرعون كانت تعرف لغة إسرائيل معرفة الفقهاء والنحاة المتعمقين فى النحت والتصريف

أما الرأى الذى يؤثره فرويد فهو أن الكلمة مصرية عريقة معناها الطفل أو الابن ، وأصلها البسيط « موس » باللغة المصرية القديمة ، ولم يتغير معناها بعد ذلك فى عصر من العصور

وقد كان المصريون يسمون أبناءهم تحوت موس أى طفل تحوت أو توت الإله المعروف

ويسمون أبناءهم بتاحوس أو أحوس ومعناها طفل بتاح

ويسمونهم « راعموس » أى طفل راع وهو الاسم المشهور رعمسيس أو رمسيس

ثم كانت هذه الأسماء تختصر مع السرعة والترخيم والتدليل فيكتفى منها بالمقطع الأخير وهو « موس » أو موسى

وذلك على مثال الاكتفاء باسم « عبده » فى نداء عبد الله وعبد الحميد وعبد الكريم ، وعلى مثال جونسون وروبنصون وستيفنسون وموريسون واختصارها أحياناً بحذف مقطع منها فى المناداة بين الأعزاء والأخصاء

فموسى على هذا هو اختصار اسم من هذه الأسماء ، وهو لفظ عريق فى لغة المصريين

* * *

والظن الثانى الذى يدعو فرويد إلى تخمينه هو فريضة الختان التى أخذها بنو إسرائيل من المصريين ولم تكن معروفة بينهم قبل هجرتهم من وادى النيل

فإذا كان بنو إسرائيل قد خرجوا من مصر ناقمين عليها وعلى أهلها فكيف يتشبهون بهم وهم خارجون منها أو خارجون عليها ؟

إنما التأويل المعقول فى رأى فرويد هو أن موسى كان أميراً مصرياً حانقاً على بنى وطنه فهجره مع أبناء إسرائيل المتمردين

ثم فرض عليهم عادات مصر وشمائرها فأطاعوه حباً ومجاملة واضطراراً ثم نكسوا فى وادى التيه ومزجوا بعقيدته عقائد البادية فيما بين سيناء وفلسطين

ويعرض فرويد هنا كثيراً من الفروض والتخمينات ثم يرجع منها لأسباب يطول شرحها فرضاً يراه لتلك الأسباب قريب الاحتمال

ذلك الفرض هو أن موسى عليه السلام كان أميراً من أمراء البيت المالك على أيام الملك الموحد الداعى إلى الإله الفرد الصمد « أخناتون »

وإن أخناتون خلع من الملك واستبد خلفاؤه بأصحاب الأديان المخالفة لهم ، فضاقت سبل البلاد بموسى وهو على عقيدة التوحيد ولم يجد أمامه أحداً يثور به ويطاوعه فى تأسيس دينه ودولته غير هؤلاء الغرباء من الإسرائيليين وهم مثله يشكون ويتململون ، فوتّبهم وهاجر بهم إلى الحدود المصرية فى انتظار الفرصة السانحة أو فى طلب الملك والعقيدة الصالحة بمعزل عن كهان الوثنيين

والذى يعزز هذا الاحتمال أن اللاويين من بنى إسرائيل كانوا يتسمون بأسماء فرعونية لا علاقة لها باللغة العبرية ، وما كان هؤلاء اللاويون إذن إلا حاشية الأمير وذوى قرباه ، إذ كان من المستبعد جداً أن يهجر وطنه منفرداً بغير ولى ولا قريب

قلنا : بل هناك احتمال آخر كان أولى بفرويد أن يرجحه على ذلك الاحتمال

فلماذا لا يقول مثلاً إن موسى كان إسرائيلياً من أسرة الرؤساء فى بنى إسرائيل فرباه فرعون مصر على سنة الملوك فى تربية أبناء الرؤساء الذين يدينون لهم بالطاعة ويعترفون لهم بالرعاية ؟

أليس هذا الرأى أقرب إلى التوفيق بين النقيضين من عادات مصر وعادات إسرائيل ؟ ألسنا قادرين بهذا الفرض أن نفهم اقتباس موسى للعادات التى درج عليها وغيرته على أبناء جنسه فى آن ؟

***

وقد عرض فرويد لنشوء التوحيد فى مصر وهو أمر ثابت لا جدال فيه ولا اعتراض عليه

وقال فرويد : إن بوادر التوحيد ظهرت بين المصريين قبل ظهور أخناتون الذى أتم هذه العقيدة وأفرغها فى قالبها المحفوظ

وعلة ذلك عند فرويد أن اتساع الامبراطورية المصرية قد استدعى توحيد الإيمان بإله واحد كما استدعى توحيد الطاعة لملك واحد

فإن فرعون مصر ما كان ليطيق العبادات الكثيرة والأرباب المتعددة التى لا تجتمع إلى وحدة موصولة ولا تزال سبباً متجدداً من أسباب الفتنة والتفرق والعصيان ، فجعل للإمبراطورية كلها داخلها وخارجها رباً واحداً تشترك فيه وتثوب إليه ، وكان هذا مبعث التوحيد الأول على صورته الساذجة التى أصلحها أخناتون ثم تعاقب الرسل بإصلاحها بعد ذلك

***

تخمينات !

ولكنها تخمينات علماء مخلصين ، وهى لهذا حقيقة بالنظر والاعتبار **عباس محمود العقاد**

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ٢ —

تعود الناس أن يسألوا : « ما الذى بين فلان وفلان ؟ » حين يرون غبار المعارك الأدبية ؛ وقلّ فى الناس من يتصور أن تقوم معركة أدبية فى سبيل الحق بين صديقين متصافيين كالذى أصنع اليوم فى الهجوم على الأستاذ أحمد أمين

والواقع أن ذلك الفهم لأسباب المعارك الأدبية هو صورة بشعة من ضعف الأخلاق عند من يتوهمون أن الأدباء لا يهجم بعضهم على بعض إلا طلباً لشفاء المكتوم من أمراض الحقد والبغضاء ...

فما الذى بينى وبين الأستاذ أحمد أمين حتى يصح أن أهجم عليه هذا الهجوم العنيف ؟

أنا لا أذكر أبداً أن هذا الرجل وجّه إلىّ إساءة فى محضَر أو مغيب ، وإنما أذكر أنه كان مثال الصديق الوفىّ الأمين فى مواطن يستظهر فيها الصديق بالصديق ، وتنفع فيها كلمة الإنصاف عند طغيان الأغراض

والواقع أيضاً أن الأستاذ أحمد أمين لم يعان متاعب الحيرة إلا فيما يقع بينه وبينى ، فهو يقرأ ما أهجم به عليه من وقت إلى وقت فيضجر ويمتعض ، ثم يرانى بغتة فيقرأ فى وجهى آيات من المودة لا يشوبها خداع ولا رياء ، فتأخذه الحيرة والاندهاش

فما معنى ذلك ؟

ألا يكون معناه أن لى مبادئ وعقائد أدفع عنها السوء ولو وقع من أعزّ الأصدقاء ؟

ولكن ما هى المبادئ والعقائد التى أجاهد من أجلها فى هذه الأيام ... ؟

أنا أومن بأن الأدب العربى أدب أصيل ، وأعتقد أن من الواجب أن ندعو جميع أبناء العروبة إلى الاعتزاز بذلك الأدب الأصيل ، لأنه يستحق ذلك لقيمته الذاتية ، ولأن الإيمان بأصالته يزيد فى قوتنا المعنوية ، ويرفع أنفسنا حين ننظر فنرى أن أسلافنا كانوا من المبتكرين فى عالم الفكر والبيان

وقد درج الأستاذ أحمد أمين فى الأيام الأخيرة على الغض من قيمة الأدب العربى، وكان من السهل أن نتركه يقول ما يشاء لو كان من عامة الأدباء ، ولكنه اليوم رجل مسئول : لأنه من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية ، ولأغلاطه سناد من تلك الأستاذية ، فهو يقدر على زعزعة الثقة الأدبية فى أنفس طلبة الجامعة حين يريد ، وذلك خطر لا نسكت عليه رعاية لما بيننا وبينه من أواصر الوداد

فإن بدا لهذا الصديق أن يغضب من هجومنا عليه فأمامه طريق الخلاص : وهو الانسحاب من ميدان الدراسات الأدبية إلى أن يعرف أن الأدب لا يؤرّخ على طريقة الارتجال

ولعل هذا الصديق يرجع إلى نفسه فى بعض لحظات الصفاء فيذكر أنه لم يُخلق ليكون أديباً ، وأنه لم يفكر فى دراسة الأدب دراسة جدية إلا بعد أن جاوز الأربعين

لو رجع هذا الصديق إلى نفسه لعرف أنه لا يجيد إلا حين يشغل وقته بتلخيص المذاهب الفقهية والكلامية

ولو شئت لكررت ما قلت فى الكلمة الماضية من أن موقفه فى جميع أبحاثه موقف «المقرِّر» ولم يستطع مرة واحدة أن يكون من المبتكرين فى الدراسات الفقهية والكلامية

وإذا كان هذا حاله فى الفقه والتوحيد ، فكيف يكون حاله فى الأدب ، والأدب يرتكز على الحاسة الفنية ، وهى حاسة لم توهب لهذا الرجل قبل اليوم ، ولن توهب له بعد اليوم ، لأنها من الهبات التى لا تنال بالدرس والتحصيل ؟

أحمد أمين ليس بكاتب ولا أديب وإن سوّد الملايين من الصفحات

فليس من الإسراف ولا التجنى أن ندعوه إلى الانسحاب من ميدان الدراسات الأدبية . وسيرى كيف نقفه حيث وقفه الله فلا يزعزع الثقة بماضى الأدب العربى لتصح كلمة المفترين فى ذلك الماضى المجيد

أيُحكم على العصر العباسى بالفقر والخمود من أجل قالة خاطئة يتنفس بها أحمد أمين ؟

أيهدم ماضينا الأدبي بمحاولة رجل محروم من الذوق الأدبي؟

إن ذلك لا يقع إلا يوم يصح أن المصريين تنكروا لماضي اللغة العربية مرضاةً لمواطن عزيز يسره أن يتطاول على الأدب وهو غير أديب

وأغلب الظن أن المصريين يؤذيهم أن يقع ذلك وهم ينفقون الملايين من الدنانير كل عام في سبيل إعزاز الأدب العربي

والجامعة المصرية أمرها عجب!

في الجامعة المصرية تُدرس الآداب الإنجليزية والفرنسية والفارسية والعبرانية واللاتينية واليونانية، ولتلك الآداب أساتذة يهمهم قبل كل شيء أن يوحوا إلى الشبان أنها آداب جديرة بالخلود. ولو رأت الجامعة المصرية أن تدرس اللغة الزنجية لوجدت أستاذاً يقول بأن لغة الزنوج أحسن اللغات. فكيف تفردت اللغة العربية بالضيم والهوان في أنفس أساتذة الجامعة المصرية؟

وبأي حق يرضى أحد الأساتذة أن يقضي العمر في تدريس الأدب العربي وهو يراه « ينحدر مع التاريخ شيئاً فشيئاً ليكون أدب معدة »؟

* * *

ومن هذه النقطة نمسك بخناق الأستاذ أحمد أمين

هذا الرجل ينظر إلى الأدب وإلى الوجود نظرة عاميّة، فهو يقسم الأدب إلى قسمين: أدب معدة وأدب روح

والسخرية من المعدة لا تقع إلا من رجل يفكر كما يفكر الأطفال. فالمعدة التي يحتقرها هذا الرجل العاميّ هي سرّ الوجود. وعن قوة المعدة تنشأ قوة الروح. والأدباء الكبار كانوا أصحاب معدات كبار. وسرّ العظمة عند ڤيكتور هوجو يرجع إلى معدته العظيمة، وما ضعف الغزالي في أحكامه الأخلاقية إلا لأنه ألف كتاب الإحياء وهو ممعود

والظاهر أن معدة أحمد أمين معدة ضعيفة، لأنه يواجه الوجود بعزائم الضعفاء؛ وإلا فكيف اتفق له أن يؤلف في الأخلاق بدون أن يستطيع الثورة على موروث الأخلاق؟

إن المباعدة بين المعدة والروح عقيدةٌ هندية الأصل، وتلك المباعدة هي التي قضت بأن يعيش الهنود فقراء. ولو احترم الهندي معدته كما يحترم الإنجليزي معدته لما استطاع الإنجليز أن يكونوا سادة الهنود؟

أنا أعرف أن أحمد أمين يتخلق بأخلاق الأسماك. وآية ذلك أنه لم يُغضب الجمهور مرة واحدة. وهل اتفق للسمك أن يقاوم التيار مرة واحدة؟

وهيام احمد أمين بتحقير المعدة نشأ من رغبته في مجاراة الرأي العام في الأخلاق السلبية، الرأي السخيف الذي يجعل الدراويش والرهبان أعظم أخلاقاً من تشمبرلن وهتلر وموسوليني، والذي يجعل زهديات أبي العتاهية أشرف من غراميات الشريف الرضي

وهذه العامية في التفكير هي التي فرضت على أحمد أمين رضي الله عنه أن يرى الغزل الفاجر أدب معدة، على حين يرى وصف الطبيعة أدب روح.

وهذا كلام ضعيف إلى أبشع حدود الضعف.

فالغزل القوي هو من شواهد الحيوية الدافقة في الرجال.

أما وصف الطبيعة فهو إحساس دقيق يأنس إليه من حُرموا الأنس بالجمال الحساس الذي يملك التعبير عن العواطف والشهوات

ولو شئتُ لأستشهدتُ بقول مؤلف (مدامع العشاق) إذ يقول:

« وماذا أصنع بالأشجار، والأزهار، والثمار والأنهار، والكواكب، والنجوم، والسهول، والحزون، والطيور الصوادح، والظباء السوانح؟

ماذا أصنع بكل أولئك إذا لم يكن معي إنسان أطارحه القول وأساجله الحديث، وأساقيه صهباء هذا الوجود؟

وما قيمة الليل إن لم تظلني في الحب ظلماؤه؟ وما قيمة البدر إن لم يذكرني بالثغر لألاؤه؟ وما جمال الأغصان إن لم تهزني إلى ضم القدود؟ وما حسن الأزهار إن لم تشقني إلى لثم الخدود؟ وكيف أميل إلى الظباء لولم تُشبه بعيونها وأجيادها ما للحسان من أعناق وعيون؟ وكيف أصبو إلى غُنّة الغزال لولا تلك النبرات العذاب التي يسمونها السحر الحلال »؟

ذلك أيها الأستاذ رأي مؤلف « مدامع العشاق » وهو رجل له

معدة وله روح ، ولا ينكر ذلك إلا من حُرِموا قوة المعدة ، وقوة الروح .

***

وقد أراد أحمد أمين — على طريقته فى التودد إلى الجماهير — أن يزجّ بالقرآن فى مجال التفرقة بين أدب المعدة وأدب الروح ، مع أنه يعرف أن القرآن لا يقيم وزناً لأمثال هـذا الاصطلاح . ولو أنه تأمل قليلاً لعرف أن القرآن يفيض بالأفكار التى توجب الاهتمام بالمطالب الجسدية . وعقيدة الإسلام تقوم على أساس الاعتراف بأن الإنسان مكونٌ من جسد وروح . والمؤمنون فى نظر القرآن سيصيرون حين يرضى الله عنهم « على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ، يطوف عليهم ولدان مخلّدون ، بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدَّعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون ، وحورٌ عِين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، جزاء بما كانوا يعملون »

ويحدثنا القرآن بأن أصحاب اليمين سيكونون « فى سدْر مخضود ، وطلح منضود ، وظلّ ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقطوعة ولا ممنوعة »

أيكون هذا أدب معدة لتصح سخرية أحمد أمين من المحسوسات؟

ألحق أن القرآن أُقحِمَ بلا موجب فى كلمة أحمد أمين .

والمزية الأساسية فى القرآن هى تخليص العقلية الإنسانية من أوهام الأحبار والرهبان ، ودعوة المسلمين إلى اغتنام المنافع الدنيوية والأخروية . وأظهر الأدلة على ذلك هو النص على ما فى الحج من شهود المنافع ، وهو نص صريح فى أن مطالب المعدة تساوى فى نظر الشرع مطالب الروح .

وهل يجدّ أحمد أمين حين يحتقر المعدة ؟

هل يجدّ أحمد أمين حين يحكم بأن مقالات « الكاتب » التى باعثها الأول الاستيلاء على الأجرة أدب معدة ؟

أشهد أنه احتاط حين قيد هذه الحالة بقيود ، ولكن تلك القيود جعلت فرضه من المستحيلات

فما هو الباعث الأول لأعمال أحمد أمين فى كل ما يباشر من الشؤون ؟

هل يرضى أن يعمل فى الجامعة المصرية بالمجان ؟

هل يرضى أن يشترك فى تأليف الكتب المدرسية بالمجان ؟

هل يرضى عن نشر إعلان بالمجان فى مجلة الثقافة لطبعة من طبعات المصحف الشريف ؟

هل يقبل الخروج من ثروته لإطعام الفقراء والمساكين ؟

فإن لم يفعل — ولن يفعل — فلأية غاية ينشر هذه الآراء بين الناس ؟

وهل يحقّ للمعلم أن ينشر من الآراء ما لا يستطيع التمذهب به فى أى وقت ؟

إن السر فى نجاح أحمد أمين يرجع إلى أنه يحترم الواقع فى مذاهبه الأدبية والمعاشية . وهو فى سلوكه الشخصىّ نموذج للرجل الحصيف ، لأنه لا يُقبل على عمل إلا حين يعتقد أنه عمل ينفع

والخطأ الذى وقع فيه هذه المرة خطأ مقصود ، وهو نافع فى حكم المعدة ، وإن كان ضارًّا فى حكم الروح

وإنما كان هذا الخطأ نافعاً فى حكم المعدة لأنه يصور صاحبه بصورة الراهب المتبتل ، وتلك غاية قد تنتفع بها الأمعاء

إن من الخسارة الجسيمة أن يصبح مثل هذا الرجل الفاضل من الذين يزخرفون المقالات فى شؤون تضر المجتمع وتعود عليه وحده بالنفع « وتعليل ذلك واضح بقليل من إعمال الفِكر » كما يحلو له أن يقول

***

قامت نظرية أحمد أمين على غير أساس

وما كانت نظرية ، وإنما كانت حيلة « باعثها الأول ملء أعمدة من الصحف والمجلات » وقد وصل إلى ما يريد وأضيف إلى حسابه مبلغ صغير أو كبير من المال

ولولا أنى أحترم المال لكرهت النص على أن هذا الصديق يعمل للمال

وهل يحتقر المال إلا من كُتب عليهم أن يعيشوا أذلاء ؟

نحن جميعاً نعمل للمال وللمعدة ، وما فى ذلك من عيب ، ولكن العيب هو فى تنفير الجمهور من المال طلباً لحسن السمعة بين من ورثوا السخرية من المال بفضل ما وصل إلى عقولهم

المريضة من أقوال الدراويش والرهبان

وليس معنى ذلك أنى أنكر مطالب الروح ، فلولا مطالب الروح لما استبحت أن أخلق لنفسى عداوة رجل يضر وينفع مثل أحمد أمين

لقد فكرت كثيراً قبل أن أقدم على هذه الحملة الأدبية ، وصح عندى بعد الروية أن الغض من قيمة الأدب العربى هو عدوان على كرامة الأمة العربية ، فأنا أستهدف لعداوة هذا الرجل وعداوة أصدقائه فى سبيل المبدأ والعقيدة ، فليضف هذه المقالات العنيفة إلى أدب الروح ، إن كان من الصادقين !

* * *

أشرت من قبل إلى مركز هذا الرجل فى الجامعة المصرية وقدرته على تلوين آراء الطلاب حين يشاء ، فهل يكون من الشطط أن نقول له حين يخطئ : قِف مكانك !

لو كان أحمد أمين أديباً لقلنا إن من حقه أن يبتدع من الصور الأدبية ما يريد ، ولكنه ليس بأديب ، وإنما هو مؤرخ أدب ، ولأحكامه الخاطئة فى تاريخ الأدب تأثير سيئ لا يدرك خطره إلا من عرفوا أنه رجل محترم يقبل الشبان آراءه بلا مراجعة ولا تعقيب

ونسارع فنقرر أن ضمير أحمد أمين سليم من الوجهة الأخلاقية ، فهو يكتب ما يكتب ويقول ما يقول عن اقتناع ، وإنما يصل إليه الخطأ من طريقين : الأول عدم تمكنه من تاريخ الأدب العربى ؛ والثانى عدم تعمقه فى درس السرائر النفسية والوجدانية . ومن هنا كثرت أغلاطه فى فهم أصول الأدب وأصول الأخلاق

والهجوم على هذا الرجل قد ينفعه أجزل النفع فينقله من حال إلى أحوال ، ويحبب إليه التروى والتثبت ، ويصرفه عن التحامل البغيض على الأدب العربى ، ويقنعه بأن أدب الفطرة أفضل من أدب الافتعال

* * *

وأحدد الغرض من هذه الحملة فأقول :

تورط أحمد أمين فى أحكام جائرة وهو يلخص تاريخ الأدب بطريقة صحفية

وقد دلتنا تلك الأحكام على أن هذا الرجل صرفته السرعة عن مراعاة المنطق والعقل ؛ فما الذى سنصنع فى محاكمة هذا الصديق الذى نضيّعه آسفين فى سبيل الحق ؟ سنقدم إليه من البينات ما يقنعه بأنه يجنى على الأدب العربى أشنع الجنايات . وسنريه أن جنايته على نفسه أبشع وأفظع . وسنروضه على الاعتصام بحبل الصبر الجميل ، فليس من سيف الحق خلاص ولا مناص

ويعز علىّ أن أوجه إليه هذه السهام وهو يتهيأ لقضاء الصيف فى الاسكندرية . ولكن يعزينى أن أعرف أن نسمات الأصيل فى الاسكندرية فيها الشفاء من كل داء

فى الاسكندرية متاع العيون والقلوب والأذواق ، وفى الاسكندرية « صبايا الخُلدِ تَسبَح فى الرحيق » وفى الاسكندرية مراتع ظباء ومرابض أسود

فاذكرنى بالشر يا صديقى أحمد أمين وأنت تواجه الفتن المائجة بين الشواطئ . واذكرنى بالشر حين ترى البحر وحين تخطر بشارع الكورنيش . واذكرنى بالشر حين تذكر « أدب المعدة » وأنت تأكل طيبات الأسماك بالكس ، وحين تذكر «أدب الروح» وأنت تتفكر فى ملكوت السابحين والسابحات ، فبى ظمأ شديد إلى أن أُذكَر بالشر فى ذلك المصيف الجميل !

آه ثم آه ! أمثلى يؤذى روحاً يصطاف بالاسكندرية وطن الشعر والخيال ؟

* * *

انتظر يا صديقى ، فسترانى حيث تحب فى المقال المقبل ، وإنه لأقرب إليك من رجعة الموج الفاتن إلى الموج المفتون. والحديث ذو شجون

(مصر الجديدة) زكى مبارك

الانتــــداب الفرنسى

فى بلاد الشرق*

للأســـتاذ بيير فينو

بيير فينو Pierre Vienot نائب فى البرلمـان الفرنسى ووزير سابق لعب دوراً هاماً فى عقد المعاهدة الفرنسية السورية سنة ١٩٣٦ . وقد اطلعنا فى العدد الأخير من مجلة (السياسة الخارجية) على محاضرة ألقاها عن بلاد الشرق الأدنى آثرنا أن نلخصها فى هـذه الظروف التى تضطرب فيها سوريا فى جحيم من القلق السياسى

لم أختر المعاهدة الفرنسية السورية عنواناً لمحاضرة اليوم ، ذلك لأن هذه المعاهدة ليست فى ذاتها إلاجزءاً من القضية الكبرى التى تتناول صلتنا بالشرق الأدنى ، ونفوذنا فيه ، وسياستنا معه ، وردود الفعل التى تنبعث عن هذه السياسة فى بلاد شمال أفريقية

الانتداب والمعاهدة

لماذا كانت المعاهدة الفرنسية السورية مفاجأة للرأى العام ؟

يتجه الرأى العام الفرنسى إلى الاعتقاد بأن فرنسا (تملك) سوريا ، ولـكنها لا تعاملها كما تعامل المستعمرات . بل إن واجبها أن تقوم على إرشادها ، والدفاع عنها ، ورعاية المصالح الفرنسية فيها

والواقع أنه لا يمكن تطبيق أى لون من ألوان النظم الاستعمارية فى بلاد الشرق الأدنى ، ولذلك لن أبسط الحديث عن عقم الاستعمار فى سوريا[1] ، ولا عن ضعف العلاقات الاقتصادية بيننا وبين بلاد الانتداب .

والناحية الجوهرية التى يجب أن ننبه إليها هى أن الاستعمار

(*) من واجبنا أن ننبه القراء إلى أن هذا التفريق الذى نلحظه فى ثنايا المحاضرة بين سوريا ولبنان ليس إلا أثراً من آثار السياسة الزائفة التى تتبعها فرنسا فى تقسيم البلاد شيعا وأديانا وحكومات ؛ فلبنان وسوريا وفلسطين حلقة واحدة من حلقات الوحدة السياسية الكبرى بين الدول العربية ، غضب (المتفينقون) أم رضوا ... (المترجم)

(١) لا يتجاوز عدد الفرنسيين في سوريا — إذا استثنينا الجنود والموظفين — أربعة آلاف فرنسى

يوافق الشعوب المتأخرة التى لا تستطيع أن تقوم على إدارة نفسها .

فما هو مدى الرق فى بلاد الشرق الأدنى ؟

إن نسبة الأميين فى لبنان تبلغ ١٦٪ ، وقد ترتفع النسبة فى سوريا إلى أكثر من ذلك فتبلغ[1] ٥٠٪ ، وإلى جانب هذه الطبقة المتعلمة نجد نخبة مختارة أصابت قسطاً وافراً من المعرفة والذكاء والعلم . وامتاز كثيرون منها بالقيام بأعباء الإدارة فى الدولة التركية .

إن فكرة الانتداب (ا)[2] التى نصت عليها معاهدات ١٩١٩ للبلاد المقتطعة من جسم الدولة العثمانية ليست وهماً ، ولـكنها تطابق حقيقة اجتماعية واقتصادية وسياسية خاصة بالبلاد المذكورة ، وهذه الفكرة تختلف كل الاختلاف عن الحماية ، ونستطيع أن نجمل مميزاتها الأساسية بالتعريف الآتى :

« إن السلطة المنتدبة هى التى تمارس الحكم لتأمين تطور البلاد تحت الانتداب وتوجيهها نحو الاستقلال »

فالسلطة المنتدبة تشرع وتحكم ، ولـكن كل غايتها تهذيب الشعب وإرشاده[3] . ومهمة المنتدب أشبه بمهمة الوصى ، لأن سلطته محدودة لا تتسع ، زائلة لا تدوم

قد لا يرضى تعريف الانتداب على هذا الشكل بعض الناس . وقد تكون ثمة اعتبارات نظرية أخرى ، ولـكن هذه الاعتبارات تقتصر على وجهة النظر الفرنسية . أما الشعوب الشرقية فإنها ترفض هذه الاعتبارات فى إباء وقوة ، وتنظر إلى الانتداب على أنه عرض زائل ومهمة مؤقتة تنتهى مع بلوغ سن الرشد

والانتداب يتضمن فى ثناياه وعداً بالاستقلال ، وقد أثار هذا الوعد انتباه السكان فى البلاد ، وكان عاملاً فى نماء الفكرة الاستقلالية ، كما أن الخلاف بين الترك والعرب كان عاملاً آخر من العوامل المهمة فى هذا النماء

(١) يدل الاحصاء الأخير أن نسبة الأميين فى سوريا ٣٨٪ فقط

(٢) الذين وضعوا نظام الانتداب أرادوا به لونا من ألوان الاستعمار باسم جديد ، وأغرقوا فى التمويه فقسموه إلى انتداب من حرف (A) ، وانتداب آخر من حرف (B) ، وانتداب ثالث من حرف (C) ... وما إلى ذلك من أسماء سموها باطلا وخداعا

(٣) هذا من ناحية حقوقية . أما الواقع فان التعاسة التى تظلل أطراف البلاد السورية تشهد على مدى رعاية بعض الموظفين المستعمرين لهذا المبدأ ! (المترجم)

وفى معرض التدليل على نهضة هذه البلاد يجب أن نذكر الاضطرابات السياسية التى كانت تطغى على سوريا قبل الحرب ... وألا ننسى أن الشعوب العربية قد حاربت فى صفوفنا ضد الأتراك وأن قادة الحركة العربية رفضوا نظام الانتداب منذ ١٩١٩ لأنهم إنما جاهدوا فى سبيل الاستقلال والوحدة ... ويكفى أن نعرض لذكر المليك « فيصل » فقد وجد نفسه بعيداً عن العرش السورى حين حاول أن يقنع القادة بقبول أسس الاتفاق الذى ارتضيناه معه[١]

لعلّ من الإنصاف ألا نغفل أثر الوطنية المصرية فى بلاد الشرق ، فقد ولّد انتشار المقاومة السلبية فى مصر صعوبات كثيرة اصطدمت بها إدارتنا فى سوريا

وقد اتجهت سياسة فرنسا بعد الثورة السورية الكبرى اتجاهاً شديداً ، ونستطيع أن نذكر هنا مجموعة من الوعود التى صدرت عن الحكومة الفرنسية حول هذا الموضوع

فى سنة ١٩٢٧ أكد مسيو بريان Briand رغبة فرنسا فى أن تبقى أمينة على انتدابها . وفى عهد المفوض السامى مسيو بونسو Ponsot كانت أولى المحاولات فى سبيل عقد معاهدة بين فرنسا وسوريا . وقد تمخضت هذه المحاولات عن معاهدة سنة ٣٣ التى وقعها مسيو دومارتل M. de Martel ، وفى نفس الوقت صدرت تصريحات فلاندان Flandin بقرب انتهاء الانتداب ، كما نُشر خطاب « هنرى بيرانجيه » الذى رحّب فيه بدخول العراق فى عصبة الأمم ، فى شىء كثير من الحماس ، وأشار إلى أن فرنسا ستنتهج فى سوريا نفس السياسة التى انتهجتها انكلترا فى العراق

وفى سنة ٩٣٣ عرض مسيو دلادييه Daladier فى مجلس النواب لمفاوضات مسيو بونسو وأظهر اغتباطه بعقد المعاهدة بين سوريا وفرنسا[٢]

على أن بيان العميد السامى المسيو دومارتل كان أقوى هذه التصريحات كلها . ففى أول مارس سنة ١٩٣٦ صدر هذا البيان بموافقة مسيو فلاندان وزير الخارجية ، وتضمن وعداً صريحاً بعقد معاهدة سورية فرنسية على مثال المعاهدة العراقية الإنكليزية .

أما فيما يتعلق بالانتداب الفرنسى فى بلاد الشرق فنحن نواجه وضعاً خاصاً يجب أن ننظر إليه بعين الاعتبار إذا نحن أردنا أن ندرك المعنى العام لنظام هذه المسألة المعقدة

إن الانتداب الفرنسى واحد فى الشرق ، ولكن ثمة دولتين مختلفتين هما سوريا ولبنان تحتاجان إلى نظام خاص يربط علاقاتهما فى المستقبل . ومن الخير لفرنسا أن يكون هناك معاهدتان مختلفتان لكل من هذين البلدين تأميناً للمصالح الفرنسية وحرصاً على سلامتها

ويرجع الانتداب فى سوريا إلى عهد قريب ... فقد نشأ بعد ثورة العرب ضد الترك ، ولكن الانتداب على لبنان يرجع إلى مدى أبعد ، ويتصل بأيام حماية مسيحيي الشرق ولا سيما المارونيين فى لبنان

ولقد كان هذا الانتداب فى لبنان مستساغاً مقبولاً ، وكانت اللغة الفرنسية شائعة ، وهذا يصادف دون ما شك هوى فى نفوسنا لأن لبنان يهمنا بوجه خاص كقاعدة منيعة فرنسية على شواطئ البحر الأبيض المتوسط

وإذن فنحن مضطرون إلى عقد معاهدتين مختلفتين . . . وقد أشار إلى ذلك « لوسيان هوبرت » فى تقريره عن المعاهدة فى لجنة الشؤون الخارجية فى مجلس الشيوخ ، ولاحظ كيف قوبلت هذه المعاهدة فى سوريا بشىء من الحيطة والحذر ، بينما وجدت فى لبنان رواجاً وارتياحاً عظيمين

« ولكن الواقع أن التعاقد مع سوريا شرط أساسى للتعاقد مع لبنان ، ومصالح فرنسا وفائدتها من الانتداب يجب أن ترجى فى لبنان لا فى سوريا »

[البقية فى العدد القادم]

تلخيص
شكرى فيصل

(١) هذه قضية تاريخية هامة لا يكفى فيها أن يقذف الكلام من غير تدقيق وروية

(٢) إن دلاديه نفسه يعارض اليوم ، وهو فى منصب رآسة الوزارة ، ما كان يحبذه ويدعو إليه فما أشد ما تفعل منه الكراسى « المسحورة ! » (المترجم)

أسرار حياة بلاد العرب السعيدة

LA VITA SEGRETA DELL'ARABIA FELICE

تأليف الكاتب الإيطالي سلفاتوري آبونتي

للأستاذ محمد عبدالله العمودي

[بقية المنشور فى العدد ٣٠٩]

انتهى ما أردنا نقله من كتاب السنيور آبونتي ص ٢٤ وما بعدها . والأستاذ الريحاني صاحب « ملوك العرب » له كلمة بصدد القات قال فى ص ٩١ من المجلد الأول : « إن فى القات على ما يظهر خاصية الحشيش الأولى ، أي الكيف ، وشيئاً من خاصة الأفيون المخدرة ، وبعض ما فى المسكرات مما ينبه الفكر . وبكلمة أخرى هو يطرب النفس ، ويخدر الحواس ، ويشحذ الذهن . وأهل اليمن يعتقدون كذلك بأنه يبعث فيهم النشاط ويقويهم على السهر والعمل فى الليل . وقد تحققت بنفسى أنه يؤرق ويحدث فى المعدة يبوسة وانقباضاً وفى الفم جفافاً وعفوصة مثل البلوط ، فيطلب صاحبه الماء كثيراً . ولكنى لم أحس بشىء من الكيف ، أى خفة النفس ، ولم ينبه الفكر إلى غير الأوهام التى تستحوذ على الناس فتفعل بحكم التأثير الطويل المتوارث فعل الحقائق المحسوسة . وقد يكون هذا وهما لأن تأثيره فيمن يستعمله مرة غير تأثيره فيمن يستعملونه دائماً ويفضلونه على خبز يومهم ؛ وكل الناس فى اليمن : من رجال ونساء وأولاد وأغنياء وفقراء يأكلون القات . . .

« ولا شك أن القات مضر بالصحة والنسل : فهو يفقد المرء شهوة الأكل ، ويفسد أسباب الهضم ، ويحدث أمثل الأفيون ، شللاً فى مجارى البول ، ولا يقوى الباه بل يضعفه ! » .

ومواطنونا اليمانيون لهم قصائد من عيون الشعر فى هذا الحشيش . وقد كان الإمام يحيى من الذين (يخزنون) وله حماسة غريبة فى الدفاع عنه . يحدثنا الريحاني فى كتابه ص ١٦٥ أن رفيقه فى الرحلة نار وهجا القات ، فانبرى له الإمام يحيي وعارضه بقصيدة من فيض الخاطر فذكر عشراً من مزايا القات منها :

فللعيون جـــلاء   للضعف منــه ذهاب
وللثغـــور صـــباغ   زمردى يـــذاب
أحسن بثغــر مليح   له المــذاب رضاب !
يا ما أحيــلاه ظلما   يحتفى به الأحباب
وللنفـــوس مراح   وللنشاط انجذاب
ويشحذ الفكر حتى   يخاف منــه التهاب
ويطرد النوم عمن   له الجليس كتــاب

وفى هجاء القات يقول شاعر عدنى :

عزمت على ترك التناول للقات   صيانة عرضى أن يضيع وأوقاتى
وقد كنت للقات المضر مدافعاً   زماناً طويلاً رافعاً فيه أصواتى
فلما تبينت المضرة وانجلت   حقيقتــه بادرته بالمنــاواة
فقيمة شارى القات فى أهل سوقه
كقيمة ما يدفعه فى ثمن القــات

* * *

ثم يغادر السنيور آبونتي مدينة تَعِز فينطلق فى رحاب سهل المخا ، فتبدو له المروج الخضراء ، والبساتين الواسعة ، فلا تحرك عواطفه ، ولا تثير اهتمامه . إذ كانت نفسه تواقه متحفزة لرؤية المخا المدينة العالمية ، مدنية البن الرفيع . فتصدمه الحقيقة ، ويقف أمام الأمر الواقع ؛ وإذا به يرى هذه المدينة التى يدين لها العالم قد أخنى عليها الدهر فقضى على مجدها وسلب شهرتها ، فأصبحت يباباً وأطلالاً خراباً ، انفض عنها سكانها فلم تبق بها إلا أكواخ حقيرة ، وقوارب ملقاة على الشاطئ ، يأوى إليها السكان . . . أما مجدها فقد ألقى رحاله على الحديدة وعدن ، فأصبحتا قبلة العالم فى ارتقاب البن اليمنى !

وخلص من المخا واندفع فى تهامة حتى بلغ الحديدة — ميناء اليمن — فمكث بها أياماً . وبعد ذلك تابع مسيره ووجهته عاصمة حِمْير ؛ وكان المؤلف فى أثناء سيره يعجب من هذه الجبال الشجراء ، وتلك الوديان التى تتدفق مياها ونباتاً . فقد كانت من أعظم المرفهات عن نفسه من وعثاء السفر ... وساءته جداً حالة السكان وما هم عليه من شظف الحياة والبؤس الصارخ فى جميع المرافق . كما أن هذه الأكواخ الحقيرة والعشش المهدمة التى تسىء إلى روعة هذه المناظر الطبيعية تبعدها من بلاد العرب السعيدة ، وتجعلها جزءاً من أفريقيا (ص ٥٤) .

ودخل صنعاء — مقر الملوك السيارة — فأطلق لخياله العنان ووصفها بما هى خليقة به : « هذه قصور شامخة تصافح السحاب ، وهذه القباب تتألق ناصعة فى رائعة النهار ، وهذه منائرها ناخرة جوف الفضاء فيرتد عنها الطرف ... هذه صنعاء المدينة العجيبة ،

مدينة الخرافة والأساطير . أليست صورة صادقة من ألف ليلة وليلة ؟ » ص ٦٢ .

ويقف السنيور آبونتى على ناصية شارع من شوارع صنعاء فيرمى بطرفه على الأقوام التى تسيل بهـا عاصمة اليمن ، فتحتدم فى نفسه صور وأحاسيس ، وتتحرك فيه الشاعرية ، فيبرز لنا وصف صورة حية ناطقة كأنا نحسها ونشاهدها . قال (ص٦٢) :

« ...هاهم أولاء يمرون سراعاً ممتطين صهوات خيولهم الطهمة ومن ورائهم الحشم ، متدثرين بالثياب البيضاء ، وعلى أكتافهم تسيل العصائب من حمراء وخضراء . وها هن أولاء النساء يسرن محجبات ؛ وهؤلاء هم البدو وقد تهدلت شعورهم الكثة الرهيبة على الأكتاف ، وانكشفت صدورهم المسيلة عليها مسادر(1) الجلود . ثم هؤلاء ذوو المناصب وأهل القامات يحف بهم الإجلال ، وعلى رؤوسهم العمائم البيض ، يتبعهم بعض الخدم حاملين الرُّشب البراقة... ثم هاهم أولاء رجال القبائل ، وقد لفحتهم الشمس فبدت ألوانهم زيتونية ، مسلحين بالجنابى المعقوفة المزمتة فى خواصرهم بسيور من الجلد... وها هم أولاء العبرانيون فى قاماتهم الضامرة وقد استشزرت غدائرهم من الأصداغ تمييزاً لهم ... وذه هى الجمال تمشى وئيداً ، وتلك الأغنام تمثل الفوضى ، وقد سالت بها الشوارع ... »

« ثم يا للعجب من هذه العمارات المذهلة ! متى شيِّدت ؟ أبالأمس ؟ أم من آلاف السنين ؟ ! »

« إنه ليحق لليمنيين أن يفخروا بهذه العاصمة الفتانة ، وليس عليهم بغريب أن يسموها : «عرش اليمن» و « أم الدنيا » . ألم يؤسسها قحطان أبو يعرب العظيم الذى أخذ منه العرب اسمهم ولغتهم ؟ »

ويخرج المؤلف الإيطالى من هذه الصور الشائقة إلى ما هو أبدع منها وأغرب فقد حدثنا عن ظهور الإمام وجلوسه على عرش التبابعة . . . وعن كنوزه التى تذكرنا بكنوز ملكة سبأ . فقد تحدث السائح فى ص ٧٦ عن مخابىء الإمام يحيى فى جوف الأرض وأحشاء الجبال . تلك المخابىء التى تفيض ذهباً وفضة ، والتى يقوم على حراستها رجال مخلصون !

وأبدع ما فى هذا الكتاب ، وما يهم العالم العربى الاطلاع عليه : هى شخصية الإمام يحيى تلك الشخصية العجيبة التى تناولها المؤلف فى صفحات عديدة من كتابه . فهمنا جداً أن الجمل منه الشذرات ، وطرح ما لا يليق نشره ، لأن الإمام شخصية جهيرة يحوطها الغموض ، ويجهلها كثير من الناس وهو إلى كل هذا ملك يمثل نوعاً من الحكم المطلق ما زالت آثاره فى أقاص بعيدة من الأرض . قال المؤلف فى ص ٩٠ وما بعدها :

« الإمام يحى بن محمد حميد الدين ، المتوكل على الله ، وأمير المؤمنين شخصية من تلك الشخصيات المهمة المدهشة التى تعيش على وجه الأرض . هو رجل وعالم ... فهو رئيس الحكومة اليمنية التى تعيش ضمن حدودها ، وهو إلى ذلك عالم دينى كبير ، وزعيم لمذهب يعد أتباعه من أشد المتحمسين والمتطرفين هو واحد من أولئك الحكام أهل النفوذ المطلق ، والحكم الذى لا يقابل إلا بالتسليم . يقرُّ الزيود بأنه رئيسهم الدينى والمدنى ، فهم يطيعونه طاعة عمياء ، ويحترمونه الاحترام العميق . ويدفعون له المغارم الثقيلة ؛ وإشارة منه كافية لإشعال حرب . ويفعلون هذا ، لأن الله أراد ذلك : « إذ فوض إليـه أن يحكم بلادهم ، ويتسلط على أرواحهم » . فشؤون الدولة اليمنية جميعها فى قبضة يده ومجتلى بصره ؛ وإذا كان له وزراء فإنهم صوريون يخضعون لأوامره ويخلصون له الإخلاص التام ، ولا ينفذون أمراً من الأمور إلا بعد عرضه على أنظاره وموافقته عليه . ومن المسلم به أن هذا النظام من الحكم المطلق سيكاف السياسة اليمنية متاعب خطيرة ...

« إن الإمام يحيى شخصية مقدسة لدى كثير من اليمنيين ؛ تفد إليه من أقصى « بلاد الرحل » جماعات كثيرة من البدو ، يدقون القاع ، ويقطعون شاسع البقاع ، وقد برحت بهم الأمراض وعجز أطباؤهم عن شفائهم ، فلم يبق إلا دواء الإمام ، وكرامة الإمام ، فتهل هذه الوفود على صنعاء ، وتشخص نحو « المقام » فيمر الإمام يحيى يده على رؤوسهم وأكتافهم فيزول الشر ، ويحل العافية كما كان يفعل فى انكلترا وفرنسا منذ قرون مضت : « Le Roi te touche, Dieu te guérit »

« يعتقد العالم الأوربى أن الإمام يحيى شخصية غامضة ذات أسرار عجيبة ولـكن هذه نظرية خاطئة نحن مسؤولون عنها ، فالإمام يحيى يختلف جـد الاختلاف عن أئمة اليمن السابقين ذوى العجائب والغرائب !

كان أولئك الأئمة ، فى وقت من الأوقات ، يعيشون فى أبراج من العاج بعيدة عن أنظار الجمهور ؛ فى وحشة صامتة ! وهذه

(1) المسادر ج مسدرة : وهى « الجاكتة » وتعرف هناك بهذا الاسم لما فيها من الانسدار على البدن .

الخرافة ي: منهم من أعماق التاريخ القديم[1] ؛ ذلك أن ملوك سبأ كما تقول الخرافة ، لا يستطيعون أن يغادروا قصورهم الفخمة فيتعرضوا لأنظار الجمهور فيقذفهم هذا بالحجارة !

ووالد الإمام الحالى قد حافظ على هذه العادة العجيبة ، وذلك بعكس الإمام يحيى الذى كثيراً ما يتصل بشعبه ، ويميل إلى الظهور فى المجتمعات

هناك فى فصل الصيف ، فى ساحة من ساحات « المقام » وتحت شجرة عظيمة وارفة الظلال يتربع الإمام يحيى وحوله ثلة من الجند ، فيستمع إلى شكاوى الناس ، فينصف المظلوم ، ويأخذ الحق من القوى !

وقد تفد إليه من أقصى بلاد المشرق : من أرض سبأ جماعات من البدو يرجون إنصافاً ، فيهدفون على المقام فينحرون الذبائح على الأعتاب جرياً على عادات قديمة

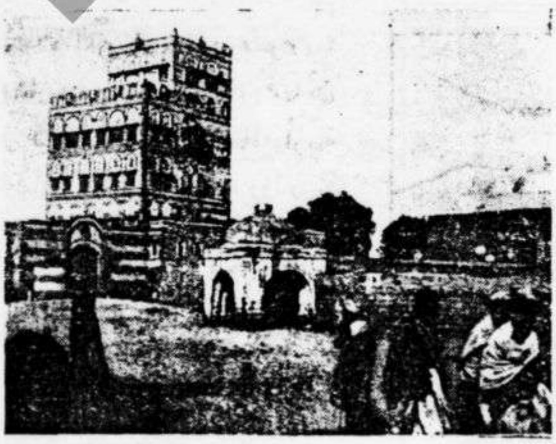
الإمام يحيى رجل عالم ومثقف ، يملك مكتبة واسعة زاخرة بشتى أنواع المخطوطات العربية القيمة ! وهو ميال على وجه أخص إلى علم الفلك وعلم السحر ؛ كما أنه مغرم جداً بمسائل التجارة وإجادة القريض وإنشاد القصيد !

يلبس من الثياب الأبيض . وهو ذو وجه أسمر تحوطه لحية ناصعة البياض وعينين سوداوين جميلتين جذابتين . تشع منهما دلائل الذكاء والفطنة والحذر : وهو اليوم فى الخامسة والستين »

هذه بلاد اليمن وعاهلها مصورة بقلم السنيور آبونتى صاحب « أسرار الحياة فى اليمن » أما نصيب هذه البلاد من التقدم وحظها من الحضارة فالأمر مشكل ومحزن ، فهذه البلاد التى لها ماض مجيد تعيش فى القرن العشرين عيشة عجيبة بعيدة عن أنظار العالم ؛ بعيدة عن الحياة التى تتمشى اليوم بحرارة فى أعراق الأمم ؛ منتبذة مكاناً قصياً ظانة أن الحياة فى الوحدة ؛ وما درت أنها تعد نفسها لأن تكون لقمة سائغة لكلاب الاستعمار !

إن أبسط مظاهر الحضارة الحديثة ما زالت اليمن تتنكر لها ، وتتحرج من تتبع آثارها . فالسيارة ، وقد عرفها سكان المريخ ! ما زال ينظر إليها فى اليمن نظرة ريبة وامتعاض . حدثنا المؤلف فى ص ٩٣ أن سيارة أهديت إلى الإمام فأراد تجربتها إلى أحد المساجد فما ظهرت لدى باب المقام حتى التف خلق كثير لرؤية « عمل الشيطان » وما كاد الإمام يظهر ليمتطيها حتى انسل من بين الجمهور أحد أنجال الإمام يتبعه جماعة من المتصلبة فى الدين ووقف أمام والده فى رباطة جأش ، وعيناه تقدحان بالشرر وصاح قائلاً : وحتى أنت يا إمام الزيدية تجرؤ على اعتلاء هذه الآلة الجهنمية ؟ ؟

ولكن الإمام رده رداً لطيفاً وأخذ طريقه نحو المسجد على قدميه !



نموذج من البناء اليمنى

وتوجد فى اليمن كلها محطة راديو ؛ وعدة كهرباء ؛ يأخذان موضعهما من « مقام » الإمام فقط ؛ يحدثنا السنيور آبونتى فى ص ٩٢ عنهما فيقول :

« هناك فى زاوية قصوى من حديقة المقام توجد بناية ضخمة عليها محطة راديو وهى الأداة الوحيدة التى تصل اليمن بالعالم الخارجى

« يمر أمامها رجال القبائل فيحولون أنظارهم عنها من دون أن يفهموا شيئاً عن أسباب تأسيسها ! وإذا جن السماء تألقت الأنوار على مقام الإمام فيأخذهم العجب ؛ ويتألمون لهذا الحدث الجديد ؛ ولكنهم يتمتمون فى سرهم اعتقاداً أن هذا من عمل « الجن » الذين يهيمن عليهم « المتوكل على الله » أيضاً ...

وأخيراً يأتى دور النفوذ الإيطالى فى بلاد اليمن ، فقد لمسنا أنفاس الاستعمار تتمشى فى صفحات عديدة من هذا الكتاب . ولم يستطع الكاتب الإيطالى أن يضبط نفسه ويكبح قلمه ؛ فهو يقول لنا فى صراحة متناهية : إنهم يعدون أنفسهم للاستفادة من أية فرصة شرعية قانونية قد تحين ؛ فينتهزونها لجعل نفوذهم ملموساً فى اليمن ؛ وهو فى أثناء هذا يشيد بأعمال إيطاليا فى اليمن وما أسدته إليها من الخدمات الجلى ؛ فهناك مستشفى لهم فى صنعاء على مقربة من قصر الإمام ؛ وجميع ما يحوى قصر الإمام من أثاث

---

(١) هذه العجيبة لم يقلها المؤلف وحده بل جاءت عن طريق أسترابو المؤرخ الاغريق الذى عاش قبل الميلاد فى كلامه عن « العربية السعيدة »

ومحطات راديو ، وعدد كهرباء ؛ وسيارات ؛ ومصاعد للقصور كلها من عمل ... « الطليان » بل وهناك فى صنعاء شارع يسمى شارع الطليان !

هذه « المكارم » الإيطالية ستؤتى أكلها ولو بعد حين ...

ومكائد الاستعمار كثيرة منها مايأتى عن طريق الشركات ، وبذل الامتيازات ، وغير ذلك ؛ والسادة الإيطاليون اليوم فى بلاد اليمن لهم وجود محسوس ؛ ومشاريعهم هناك كثيرة ، أهمها أن لهم اليوم مستشفى فى صنعاء وأربعة أطباء : اثنان فى صنعاء وواحد فى الحديدة وآخر فى تعز . وبالتأكيد أن هؤلاء لا يقومون بالخدمة الإنسانية ولكنهم ذئاب كاسرة فى صورة ملائكة ، وأعين خطيرة لوزارة المستعمرات الإيطالية ؛ واليمانيون يعرفون هذا ؛ والإمام يحيى يدرك أكثر من هذا . وإذا سألتهم : هل لهذا الليل من آخر ؟ أجابوك : « الإيمان يمان ؛ والحكمة يمانية ! » وحياتنا فى الوحدة « والوحدة عبادة ! »

ولا يفوتنا بعد هذا كله أن نشير إلى أن المؤلف كان فى مواضع كثيرة من كتابه هذا يشيد فى أسلوب استعمارى صارخ بما فى اليمن من ثروة طبيعية هائلة أهمها الذهب والفضة والنحاس والحديد والأحجار الكريمة والنفط والكوارتز والميكا وغير ذلك .

وخلاصة القول أن الفكرة الاستعمارية واضحة لا شية عليها ؛ وهى على أشدها فى ص ١٥٧ وما بعدها .

فليحذر الإمام يحيى ، فإنه المسئول أمام الله والتاريخ عن مصير هذه البلاد .

هذه أسرار من (أسرار الحياة فى اليمن) وهناك أسرار تجنبنا ذكرها حرصاً على سمعة بلادنا ، وكرامة مواطنينا ، ولكن للأسف ستكون معلومة لدى الاستعمار ؛ بل هى الجسر الذى يتوصل به إلى تحقيق أغراضه ومطامعه ؛ ومن أنذر فقد أعذر .

« القاهرة »

محمد عبد الله العمودى

دبلوم دار العلوم



الحب العذرى في الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ١ —

بنو عذرة بطن من قضاعة ، وقضاعة من القبائل اليمنية التى نزحت من اليمن بعد سيل العرم ، فنزلت بشمال الجزيرة العربية إلى بلاد الشام

وقد اختص بنو عذرة من بين قبائل العرب بكثرة عشاقهم ، وامتاز عشاقهم على غيرهم بأنهم كانوا يلحون فى الحب إلى حد الاستهانة بالموت فيه ، وأن الواحد منهم كان يخلص إلى من يعشقها ، ويهبها نفسه وحبه وكل شىء يعزه فى هذه الدنيا ، وفى ذلك يقول جميل بثينة :

أصلّى فأبكى فى الصلاة لذكرها ... لِىَ الويْل مما يكتب الملكانِ
ضمنتُ لها ألاَّ أهيمَ بغيرها ... وقد وثقتْ منى بغير ضمانِ

ويقول المجنون ، وقد كان من بنى عامر :

ولَمَّا أبى إلا جماحاً فؤادُهُ ... ولم يَسلُ عن لَيْلى بمال ولا أهل
تَسلَّى بأخرى غيرها فإذا التى ... تسلى بها تغرى بليلى ولا تُسلى

وكان بنو عذرة يفتخرون بعشاقهم افتخار غيرهم بفرسانهم أو أجوادهم ، ويرون عشقهم مزية شرف ونبل ، ودليلاً على رقة القلب وصفاء النفس . وقد أخرج التنوخى عن عروة بن الزبير أنه قال: قلت لعذرى: إنكم أرق الناس قلوباً – يريد أصباهم إلى الحب، فقال : نعم ، لقد تركت ثلاثين شاباً خامرهم السُّلُّ ، ما بهم داء إلا الحب

ولقد كان لجمال نساء بنى عذرة أعظم الأثر فى امتيازها بكثرة الحب ، لأن الحب فى الغالب يجرى وراء الجمال ، كما أن الجمال يورث القلب رقة ، والنفس صفاء ، فتستهويهما النظرة وتسترقهما الابتسامة . ومما ورد فى جمال نساء هذه القبيلة ما روى أن فزارياً قال يوماً لعذرى : أتعدون موتكم فى الحب مزية وهو من ضعف البِنية ، ووهن العُقدة ، وضيق الرئة ؟ فقال : أما والله لو رأيتم المحاجر البُلْج ، ترشق بالعيون الدُّعج ، تحت الحواجب الزُّجّ ، والشفاهَ السُّمْر تبسم عن الثنايا الغر ، كأنها شذر الدر لجعلتموها اللاَّت والعُزّى وتركتم الإسلام وراء ظهوركم

وروى عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال : استنطقت أعرابياً عند الكعبة واستنسبته فإذا هو فصيح عذرى ، فسألته : هل علقه الحب ، فأنبأ عن شدة ولوع ، فسألته ما قال فى ذلك فقال :

تَتَبَّعْنَ مَرْمَى الوحش حتى رمَيْنَنا ... من النَّبْلِ لا بالطائشات المخاطفِ
ضعائفُ يقتلن الرجال بلا دَمٍ ... فيا عجباً للقاتلات الضعائف
وللعين مَلْهًى فى البلاد ولم يُفِدْ ... هوى النفس شىء كاقتياد الطرائف

وبالجملة فليس حى أصدق فى الحب من بنى عذرة ، ولا تضرب الأمثال فيه إلا بهم ، كما قال فى ذلك صاحب البردة :

يا لائمى فى الهوى العُذْرِىِّ معذرةً ... منى إليك ولو أنصفتَ لم تَلُمِ

وكما اشتهروا بالحب إلى ذلك الحد اشتهروا بالعفة فيه أيضاً

وقد روى عن سعيد بن عقبة الهمدانى أنه قال لأعرابى حضر مجلسه : ممن الرجل ؟ قال : من قوم إذا عشقوا ماتوا . فقال : عذرى ورب الكعبة . ثم سأله عن علة ذلك فقال : لأن فى نسائنا صباحة ، وفى فتياننا عفة

ويحكى من عفة عشاقهم أن جارية وشت بجميل وبثينة إلى أبيها وأنه الليلة عندها ، فأتى وأخوها مشتملين معتمدين سيفيهما لقتله ، فسمعاه يقول لها بعد شكوى شغفه بها : هل لك فى شىء ما بى بما يفعل المتحابّان ؟ فقالت : قد كنت عندى بعيداً من هذا ، ولو عدت إليه لن ترى وجهى أبداً ! فضحك ثم قال : والله ما قلته إلا اختباراً ، ولو أجبت إليه لضربتك بسيفى هذا إن استطعت وإلا هجرتك ، أما سمعت قولى :

وإنى لأرضى من بُثَيْنة بالذى ... لو ابصره الواشى لقرَّتْ بلابله
بلا وبألاَّ أستطيع وبالمُنَى ... وبالأمل المرجوِّ قد خاب آمله
وبالنظرة العَجْلَى وبالحول ينقضى ... أواخـره لا نلتقى وأوائله

فقالا : لا ينبغى إيذاء من هذه حالته ، ولا منع زيارته لها ، وانصرفا

وقد فتن كثير من الناس بهذا الحب العذرى ، ونظروا إلى أصحابه نظرة العطف والحنان ، وأشاروا بذكرهم فى الكتب ، وأعجبوا بصدقهم وعفتهم فى ذلك الحب ، وحاولوا أن يجعلوا من الشهداء من يموت بسببه ، ورووا فى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : من عشق فعف فمات دخل الجنة . وفى رواية من عشق فعف فظفر مات شهيداً . وفى أخرى وكتم ، وقد صحح هذا الحديث بسائر طرقه مغلطاى ، وأعله البيهقى والجرجانى والحاكم فى التاريخ

ولم يكد الشعراء يعرفون ذلك الحديث حتى أولعوا به وعملوا على إذاعته فى أشعارهم ، وتضمينها إسناده ومعناه . ومن ألطف ما جاء فى ذلك ما حكاه التاج السبكى عن أبى نواس أنه قال : مضيت إلى باب أزهر والمحدثون ينتظرون خروجه ، فما كان إلا أن خرج وجعل يعظم واحداً بعد واحد ، حتى التفت إلىّ فقال : ما حاجتك ؟ فقلت :

ولقد كنتم رويتم ... عن سعيد عن قتاده
عن سعيد بن المسيب ... أن سعد بن عُباده
قال من مات مُحِبًا ... فَلَهُ أجر شهادة

فقال أزهر: نعم ، وذكر الحديث

ولأبى نواس فى تضمينه أيضاً :

حدثنا الخفّافُ عن وائلٍ ... وخالد الحذاء عن جابرِ
ومسعرٌ عن بعض أصحابه ... يرفعه الشيخ إلى عامرِ
وابن جُريجٍ عن سعيد وعن ... قتادة الماضى وعن غابر
قالوا جميعاً أيما طفلة ... عُلِّقها ذو خُلُقٍ طاهر
فواصلته ثم دامتْ له ... على وصالِ الحافظِ الذاكر
كانت لها الجنة مبذولةً ... تمرح فى مرتعها الزاهر
وأىُّ معشوقٍ جفا عاشقاً ... بعد وصال ناعمٍ ناضر
ففى عذاب الله مثوىً له ... بعداً له من ظالمٍ غادر

ولابن المبارك الإمام فى تضمينه :

حدّثنا سفيان عن جابرٍ ... عن خالد عن سهل الساعدى
يرفعُهُ من مات عشقاً فقد ... استوجب الأجر من الماجد

وكان كثير من العظماء والعلماء يعطف على أولئك العشاق ، ولهم فى ذلك آثار ونوادر لا تحصى ، ومنها ما روى عن الهدى أنه قال : أشتهى أن أصلى على جنازة عاشق مات فى الحب

ومنها ما روى أن ابن الليث قاضى مصر كان يكتب فى فتيا ، فسمع جارية تقول :

تَرَى (؟) الحكومة ياسيدى ... على مَنْ تعشّقَ أن يُقتَلا

فرمى القلم من يده وهو يقول : لا

وقد أخرج الخطيب البغدادى عن الغزى أنه قال : رأيت عاشقين اجتمعا فتحدثا من أول الليل إلى الغداة ، ثم قاما إلى الصلاة ، وقد قال فى ذلك بعض الشعراء :

لله وقفةُ عاشقين تلاقيا ... من بَعدِ طول نوًى وبُعدِ مَزارِ
يتعاطيان من الغرام مُدامة ... زادتهما بعداً من الأوزار
صدق الغرام فلم يمل طرفٌ إلى ... فُحْشٍ ولا كفٌّ لحِلِّ إزار
فتلاقيا وتفرّقا وكلاهما ... لم يخش مطعن عائب أوزار

وهذا كل شأن الحب العذرى على ما يقرأه الناس فى كتب الأدب ، وهى تأخذ الأشياء باللطف ، ولا تدقق فى أمرها كما يدقق غيرها . وقد كنت أقرؤها كما يقرؤها سائر الناس ، فلا ألتفت فيها إلا إلى ما يلتفتون إليه ، ويصرفنى التأثر بأحاديث ذلك الحب عن التدقيق فى أمره ، إلى أن قرأت مرة قصة وفود جرير وابن أبي ربيعة وجميل وكُثَيّر والأحوص والفرزدق والأخطل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وقد طلبوا الإذن بالدخول عليه ؛ فكان يذكر لمن يطلب الإذن لهم بعضاً مما قاله كل واحد منهم فى الغزل ، ثم يأبى أن يأذن له بسببه ، ولم يأذن إلا لجرير من بينهم . وقد سوى فى ذلك المنع بين ابن أبى ربيعة والأحوص والفرزدق والأخطل وهم من فساق الشعراء ، وبين جميل وكثير وهما من أصحاب ذلك الحب العذرى ؛ فكانت هذه المفارقة سبباً فى لفت نظرى إلى التدقيق فى ذلك الشأن ، وبحثه من جهة الدين بحثاً صحيحاً ، لا إفراط فيه ولا تفريط ، ولا تشديد ولا تساهل ، لأن دين الله وسط بين ذلك .

ولا بد لى قبل هذا من ذكر قصة وفود أولئك الشعراء على عمر بن عبد العزيز ليرى القارىء تشديده فى أمر أصحاب ذلك الحب العذرى ، بعد أن رأى تساهل غيره فيه .

عبد المتعال الصعيدى

جولة فى عرصات القيامة

للأديب محمد محمد مصطفى

حدث سهيل بن النعمان قال :

... ونفخ فى الصور فلفظتنا القبور حفاة عراة سواء منا ملك وصعلوك وعذراء حصان[1] وبغى هلوك ، لا تستطيع امرأة أن ترنو إلى رجل تجتبيه ، وما يستطيع رجل أن يرنو إلى امرأة تدانيه ، فكل ذاهل اللب له شأن يغنيه

ورف ملاك فوق رؤوسنا وبيده إبريق، يصب منه ماء لفريق منا دون فريق ، فقلت : اسقنى يا هـذا إنى لفى صدى[2] شديد وضيق . قال : أفأعطيت فى حياتك لابن سبيل ثمداً[3] من غدقك[4] ؟ قلت : قد كنت فى حياتي نضو إملاق . قال : إن نبيك مات ودرعه مرهونة عند يهودى فى ثلاثين صاعاً من شعير . فا كانت صناعتك فى الدنيا ؟ قلت : شرطى . قال : أفحررت عبداً من رقه ، أو كبتّ مجرماً وكفيت الناس شره ؟ قلت : لم يكن فى زمنى رق ولا رقيق . فرمقنى وقال : يلوح لى أنك أتيت فى دنياك حوباً[5] كبيراً ، وهذا المـاء لمن وقى شريداً أو أطعم فقيراً . فسفحت[6] دمعى عله يرق لى ... لكنه تركنى وانصرف

***

ووضع الكتاب فى عرصات القيامة ، وأذّن فى الناس إبراهيم[7] ، وجىء بالمنعمين فى الدنيا فعرضوا على جهنم فسمعنا لها شهيقاً وهى تفور ، وصاح صائح : إنا أعتدناها لهؤلاء نزلاً ، وسيرون الآن فيها العذاب قُبلا

ورأيت قوماً تجذبهم الملائكة وتقف بهم بين يدى الله ، وينادى المنادى بأعلى صوت : هؤلاء هم الشرطيون الذين كانوا فى حياتهم يرتشون، والذين كانوا لا يتركون بائعاً جوالاً إلا وهم من بضاعته آكلون ؛ تقوم الدنيا إلى جانبهم وهم بباعة العرقسوس لاهون !

وسئل أولهم عما كان يحشو به منديله المحلاوى من لب وفشار، وبطاطا وخيار ، وما كان يرشى به من درهم ودينار . فنظرت إليه فإذا هو ناكس رأسه حزناً وألماً يقول :

قد رأيت يا رب قلة راتبى وكثرة أطفالى ، وإن أحدهم كانت تهصر نضارته الحمى وأمه قائمة إلى جانبه يرفض[1] كبدها لصوت أنينه، فلم أملك رفض الدراهم التى كانت تقدم إلىّ لأدفعها للطبيب ثمن الحياة لطفلى ، إذ لم يكن ينتفع فى الدنيا بطب الطبيب سوى الأغنياء . ولم أسمع أن أحداً منهم خصص يوماً للفقراء ، وكان زمنى كله شرور فذوو السعة يغلون أيديهم لا يبسطونها إلا لشهوة أو نزوة أو لوليمة تقام للأمراء والأغنياء ، ولم أر موسراً دعى إلى مأدبة فقراء

وكان فى زمنى مبنى يسمى (متحف الآثار) ، كانت تكدس به تماثيل وقطع من الأحجار ، يهرع لرؤيتها الأغنياء من الأقطار والأمصار ، وكان يكفى ثمن القطعة منه لبناء أكبر دار تضم بين جدرانها العرايا والمشردين من الأطفال الصغار ، الذين كانوا يفترشون الأرصفة فتهطل على أجسادهم الرقيقة الأمطار ، على أن أحداً لم يحفل ببيع ما تماثل أو تشابه من هذه الآثار ، ليدفعوا ببعض ثمنها عنى وعن أولئك الأطفال الدمار ، بحجة أن فى بيعها لمصر عاراً . مع أن تركيا فعلت ذلك واشترت بثمن آثارها أسطولاً فى الجو وآخر يمخر البحار ، ولم نسمع فى زمننا أن أحداً أشار إليها بعار أو شنار ... وكنت أقف النهار يلوحنى الهجير، وأسهر الليل يقضقض عظامى الزمهرير ، ولا يدفع لى عن ذلك إلا أجر يسير؛ فقيل له : ألك شاهد بذلك ؟ قال : رسل باشا . فهتف مناد : يا رسل يا ابن حواء ! فأشخص إلى المولى وسئل فوافق على ما قاله رجاله ، فدخلوا بشهادته الجنة آمنين ...

ومر مثل عمرى فى الدنيا حتى حان دورى فى الحساب فشدهت من هول الموقف وفرقاً من هيبة الله وجعلت أسبح وأستعيذ

---

(١) حصان : عفيفة (٢) صدى : ظمأ (٣) الثمد: المال القليل

(٤) الغدق : الكثير (٥) حوبا : إثما (٦) أى أرسلت

(٧) عن الأمام محمد الرازى أنه أول مؤذن فى الدنيا قالوا : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قال سبحانه : وأذن في الناس بالحج . قال : يا رب وما يبلغ صوتى ؟ قال : عليك الآذان وعلى البلاغ . فصعد إبراهيم عليه السلام الصفا وقال : كيف أقول ؟ قال جبريل عليه السلام : قل لبيك اللهم لبيك . فسمعه ما بين السماء والأرض فما بقى شىء سمع صوته إلا أقبل يقول : لبيك اللهم لبيك !

(١) يرفض : يتناثر

والملاك يغذ بى السير حتى مثلت بين يدى الله فغشى بصرى من نوره ، وثقلت سيئاتى، فسئلت : لم فسقت عن أمر ربك ؟ فألجمنى الفزع الأكبر . فهتف هاتف : عذبوه . فانطلق بى الزبانية وإذا بى من جهنم على شفير ، فريع قلبى وصرخت صرخة رجعت أصداءها أطباق الجحيم وجأرت بالشكوى إلى الله أن يكشف عنى الضر « إننى من أمة حبيبك محمد الأمين » ... فرأيت خاتم الرسل يطوى إلىّ رحب السماء على البراق وهو يهتف بى : « لا تثريب عليك فقد غفر الله لك » ... ووكل بى حورية هيفاء حملتنى وانطلقت بى إلى جنة الخلد التى وعد الله بها المتقين

***

وأخذت أخبط فى جنبات البساتين فإذا بقصور من در تتغلغل فى رياض الجنة وورودها لتنىء إلى عزلة سعيدة ، فسألت حوراء من حور الجنان: لمن يكون هذا الحى فقالت : إنه لصرعى الغرام . قلت هل تدليننى على « قيس بن الملوح » إنه مات وجداً بليلاه . قالت : أنا بك إليه

ودلفت وراءها إلى فناء قصر تتوسطه بركة ملئت ماء ورد قد خلط بمسك وزعفران ، وإذا فتى إلى جانبها يتدفق الشباب فى بردتيه ويلتهب بحمرة الورد خداه قد أجلس على ركبتيه فتاة فى مثل تهاويل الزهر قد أسبغت عليها الجنة جمال أنوثة الدنيا وبهاء الملائكة ، ينظر إليها وترنو إليه ... وبدا لى أنهما لم ينتبها لى كأن بينى وبينهما آفاقاً بعيدة ، فصحت مسلماً فنهضا وسلما ... فقلت إن شعرك ياقيس ظل يتلى حتى قامت الساعة وأنا أعرفك من شعرك . فرحب بى وسهل، واقترحت ليلى أن توصلنا السابحات إلى عين السلسبيل ، وقال قيس : سيكون العشاق لك ندامى وسترقص لك وتغنى حور عين. وعلى شاطئ النهر دارت بنا كؤوس من زبرجد أخضر نعب منه خمراً لذة للشاربين، وأفعمت حورية أفئدتنا بصوتها السماوى الساحر، ولعبت الراقصة بقلوبنا برقصها المائس الباهر . وتلبثت وقتاً بينهم فى بلهنية وخمر. ولما تعالم العشاق إزماعى الرحيل عن حيهم ألجموا لى فرساً من نور طفت بها أحياء الجنة والملائكة حولى تهتف : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

محمد محمد مصطفى

بإدارة مدرسة البوليس

من الأدب التركى الحديث

الجزيرة الكبرى فى الليل (*)

للكاتبة التركية الآنسة معزز أونكان

... فى ليلة جميلة من ليالى آذار :

« نسمات الربيع تتلالأ حتى تذوب على سطح البحر البراق المشتعل باللمعات الفضيّة التى قبسها من سنا الأزهار ... والنجوم المنثورة على السماء الزرقاء تخفق قلوبها ابتهاجاً وسروراً لقدوم الربيع ... والبحر فى هذه الليلة متقبع بملابسه الخضراء ... وظلام النجوم تغسل أبد الدهر بمياه هذا البحر ... والقمر فى عليائه كأنه تاج فضىّ على رأس الليل ... أو زهرة ناضرة على صدر الكون ... » .

خلال هذا المنظر الفاتن ترى الجزيرة الكبرى من بُعد كأنها إحدى بلاد الجان فى عزلتها وهدوئها وجاذبيتها ، وجمالها وسحرها ... وفى وسط تلك الجزيرة وبين أشجار الأرز الكثيفة فى نقطة مرتفعة أضواء مشعشعة كبيرة ، يخيل إلى الناظر إليها من بُعد أن نجمة كبيرة هبطت من السماء على تلك البقعة . أو أن تلك الأضواء التى تغمر الأرز باحمرار رهيب هى نار حريق اندلعت ألسنته هنالك ...

أجمل قصور الجزيرة مغمور بالكهرباء ، كأنما خرج ليبارى أضواء النجوم والقمر ؛ وأزهار هذا القصر الفخم وأشجاره قد تعودت كأهله هذه الحفلات ... فهى سكرى تمايل على هدأة الليل .

وحينما ترفع أجمل النغمات العذاب إلى علياء السماء تنصت الريح إجلالاً وإكبارا ، والبحر يضم هذه النغمات إلى صدره كما يضم الطفل الحالم أغنية أمّه إلى صدره الصغير . والعنادل تردد أجمل ألحانها على أغصان الأرز ثم تصمت حزينة آيسة ، حينما تسمع هذه النغمات الشجيّة الرائعة — نغمات الليل — وحينما تدرك عجزها عن أن تأتى بمثلها . والقمر الذى يطل من كل مساء من فرج الأشجار المرتفعة ، والنجوم التى تطل من السماء بغبطة وحسد . كل هؤلاء كان يعرف أن هذه الجزيرة محل الأنس والطرب ، لا يمكن للشقاء والبؤس أن يعيشا فيها . الحياة هنالك سعادة دائمة ، وهناء متواصل .

« بغداد » نجدة فتحى صفوة

(*) وهى كبرى الجزائر الثلاث القائمة خارج البوسفور فى الآستانة

صلاح الدين موسى

المعروف بقاضى زاده الرومى

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

من الغريب أن نجد فى تاريخ الرياضيات لسميث فى الجزء الأول ص ٢٨٩ أن غياث الدين يعرف بقاضي زاده الرومى وأيضاً بعلى القوشجى، وهذا خطأ، فغياث الدين لم يعرف بأحد هذين الاسمين بل إن غياث الدين وقاضى زادة وعلى القوشجى هم ثلاثة أشخاص اشتهروا باهتمامهم فى العلوم الرياضية والفلكية، وقد يكون الخطأ الذى وقع فيه سميث ناتجاً عن كون الثلاثة اشتغلوا فى مرصد سمرقند وعاونوا ألنى بك صاحب المرصد وأمير تركستان وما وراء النهر فى إجراء الإرصاد وعمل الأزياج

إن قاضى زادة الرومى هو صلاح الدين بن محمد بن محمود من علماء الرياضيات والهيئة الذين اشتهروا فى القرن التاسع للهجرة، ولد فى بروسة فى النصف الأخير من القرن الثامن للهجرة وتوفى فى سمرقند بين ٨٣٠ هـ و ٨٤٠ هـ. درس مبادئ العلوم على علماء زمانه ثم لازم على شمس الدين منلا فنارى ودرس عليه الهندسة وقد مدح له علماء خراسان وما وراء النهر وذكر له الشىء الكثير عن تفوقهم فى الهيئة والرياضيات مما أوجد رغبة عند صاحب الترجمة فى الذهاب إلى تلك البلاد للاجتماع بعلمائها والاغتراف من فيض علمهم ونبوغهم

ولقد شعر قاضى زادة أن أهله سيمانعون فى سفره، ولذلك عوّل على تنفيذ عزمه مهما كلفه الأمر. ويقال إن إحدى شقيقاته شعرت بذلك وخافت أن يقع أخوها تحت غوائل الحاجة والفاقة فى بلاد الغربة فوضعت بعض مجوهراتها بين كتبه التى ستصحبه فى السفر. وفى أواخر القرن الثامن للهجرة اختفى قاضى زاده بغتة وإذا هو فى طريقه إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر حيث درس على علمائها العلوم الرياضية وقد وصل فيها إلى درجة يحسده عليها معاصروه من فحول العلماء وكبار الحكماء

اشتهر فى سمرقند وذاع صيته، واستدعاه ألنى بك وقربه وأغدق عليه العطايا وعيّنه أستاذاً له. ولا شك أن الفضل فيما نجده فى ألنى بك من رغبة فى مواصلة الدرس والبحث يرجع إلى قاضى زاده الرومى

ولقد دفعته هذه الرغبة إلى تأسيس مدرسة عالية وعهد إلى قاضى زاده بإدارتها. وقد بنيت المدرسة على شكل مربع فى كل ضلع من أضلاعه قاعة للدرس عُيّن لها مدرس خاص. وكان قاضى زاده يدرس للطلاب ومدرسى القاعات ويحاضرهم مجتمعين. ومما يُؤثر عنه أنه كان شديد المحافظة على كرامة العلماء والأساتذة لا يرضى بالتعدى على استقلالهم ويقف دون أية محاولة للضغط عليهم، كما كان من القلائل الذين يحملون روحاً علمياً صحيحاً، اشتغل للعلم لا لغيره، لم يبغ منه مكسباً أو جاهاً

عزل ألنى بك أحد المدرسين فى المدرسة المذكورة فاحتج قاضى زاده على ذلك وانقطع عن التدريس وإلقاء المحاضرات. ويظهر أن ألنى بك شعر بخطأه فذهب بنفسه لزيارته وسأله عن أسباب الانقطاع، فأجابه: كنا نظن أن مناصب التدريس من المناصب التى تحيطها هالة من التقديس لا يصيبها العزل وأنها فوق متناول الأشخاص. ولما رأينا أن منصب التدريس تحت رحمة أصحاب السلطة وأولى الأمر وجدنا أن الكرامة تقضى علينا بالانقطاع احتجاجاً على انتهاك حرمات العلم والعبث بقداسته.

إزاء ذلك لم يسع ألنى بك إلا الاعتذار وإعادة المدرس المعزول وإعطاء وعد قاطع بعدم مساس حرية الأساتذة والمعلمين

قد يمر كثيرون بهذا الحادث ولا يعيرونه اهتماماً؛ ولكن إذا نظرنا إلى حاجة قاضى زاده إلى الوظيفة ومعاشها وإلى سطوة الأمراء فى تلك الأزمان وإلى الجرأة النادرة التى ظهر بها، نجد أنه لا يقدم على ما أقدم عليه إلا من أنعم الله عليه بروح علمى صحيح وبثقة فى النفس عظيمة لولاهما لما وصل قاضى زاده

إلى ما وصل إليه من مكانة رفيعة ومقام كبير عند العلماء وأصحاب الثقافة العالية

امتاز قاضي‌زاده على معاصريه بعدم اعتقاده بالتنجيم أو الأخذ به؛ وكان لا يرى فيه علماً يستحق الاعتناء أو الدرس بعكس ألغ بك الذي يعتقد به ويسيِّر أموره بموجب أحكامه. وقد أدَّى هذا الاعتقاد إلى وقوعه في مشاكل وصعاب انتهت بالقضاء عليه كما يتبين لنا من ترجمة حياته

رغب ألغ بك في علم الفلك ورأى فيه لذة ومتاعاً وأحب أن يتحقق من بعض الأرصاد التي قام بها فلكيو اليونان والعرب وأن يتقدم به خطوات، لهذا بنى مرصداً في سمرقند كان إحدى عجائب زمانه. زوده بالأدوات الكبيرة والآلات الدقيقة وطلب من غياث الدين جمشيد وقاضي زاده أن يعاوناه في إجراء الرصد وتتبع البحوث الفلكية. وقد توفي غياث الدين قبل بدء الرصد كما توفي الثاني قبل إتمامه، فعُهد إلى علي القوشجي بأعمال الرصد ليكملها

ومما لا شك فيه أن الأرصاد التي أجراها قاضي زاده مما تزيد في قيمة الأزياج التي وضعت على أساسها. فقاضي زاده لم يكن من علماء الهيئة فحسب، بل كان أيضاً من أكبر علماء الرياضيات في الشرق والغرب. درس عليه كثيرون، وبرز بعض تلامذته في ميادين المعرفة، وإلى هؤلاء يرجع الفضل في نشر العلم والعرفان في بعض الممالك العثمانية. يقول صالح زكي: « ... إن هناك كثيرين أخذوا عن قاضي زاده وقد انتشر بعضهم في الممالك العثمانية، ففتح الله الشيرواني الذي درس العلوم الشرعية على الشريف الجرجاني والعلوم الرياضية على قاضي زاده، ذهب إلى قسطموني حيث اشتغل بالتدريس وكان ذلك في حكم مراد خان الثاني، وكذلك علي القوشجي الذي دعي إلى زيارة استامبول، وبقي فيها مدة يعمل على نشر العلم وكان ذلك في عصر محمد الثاني ... »

ولقاضي زاده رسائل نفيسة ومؤلفات قيمة منها:

رسالة عربية في الحساب، وقد ألفها في بروسه سنة ٧٨٤هـ قبل ذهابه إلى بلاد ما وراء النهر ولها شرحان.

وكتاب (شرح ملخص في الهيئة) وهو شرح لكتاب (الملخص في الهيئة) لمحمود بن محمود بن محمد بن عمر الخوارزمي وضعه بناء على طلب ألغ بك[١]

ورسالة في الجيب[٢] وهي رسالة ذات قيمة علمية تبحث في حساب جيب قوس ذي درجة واحدة.

وكذلك له شرح « كتاب ملخص في الهندسة » تأليف محمود بن محمود الخوارزمي، وقد عمل الشرح بناء على رغبة ألغ بك[٣]

وشرح كتاب أشكال التأسيس في الهندسة تأليف العلامة شمس الدين بن محمد بن أشرف السمرقندي — وهذا الكتاب خمسة وثلاثون شكلاً من كتاب أقليدس[٤]

« نابلس » قدري حافظ طوقان

(١) صالح زكي — آثار باقية — ج ١ ص ١٩٠
(٢) حاجي خليفة — كشف الظنون — ج ١ ص ٥٤٨
(٣) حاجي خليفة — كشف الظنون — ج ٢ ص ٥١٦
(٤) حاجي خليفة — كشف الظنون — ج ١ ص ١١٠

العالم يتطلع الى حدودنا المصرية

أربعـــون يوماً
فى الصحراء الغربية
للأستاذ عبد الله حبيب

— ٥ —

تحدث المحرر فى مقالاته السابقة عن طريف مشاهداته فى الصحراء الغربية ووصف بعض صفات الأعراب وأخلاقهم وطرق معيشتهم . وهو فى هذا المقال يتحدث إلى القراء عن « مرسى مطروح » عاصمة الصحراء الغربية حديثاً طريفاً

مرسى مطروح

هى ميناء صغيرة تحمى مدخلها من أمواج البحر الأبيض صخور طبيعية فى وسطها مدخل صغير يسمح بمرور البواخر العادية الحجم . ومن الصعب على البواخر دخول الميناء فى أوقات العواصف والأنواء . وحول الميناء عدد من البحيرات يفصل بينها حاجز رملى بسيط لا يلبث أن يطغى عليه البحر فيملأ هذه البحيرات بمياهه . وهناك على رابية مرتفعة شرق الميناء تقع طابية أثرية قديمة يغلب أنها من العهد الرومانى . ثم حولها الأتراك إلى طابية تركية وجعلت أخيراً حصناً منيعاً للدفاع عن الميناء ، وكان ذلك فى سنة ١٩٢٦

ومرسى مطروح بلدة قديمة كان للتجارة فيها شأن عظيم وازدهرت فى عهد الرومان وكانت تشتهر بتصدير الشعير والإسفنج والبلح والأغنام ، وقد شيدت الملكة كليوبطرة قصراً فخماً بها . وكانت تقيم فيه مع القيصر أنطونيوس . ومنه كانت تدبر حركة جيوشها فى مصلحة الأخير ضد أغسطس الذى أقام بها بعد موقعة أكتيوم .

كذلك كانت لمرسى مطروح شهرة ذائعة فى عهد اليونان أيام حكم اسكندر الأكبر المقدونى ؛ وكانت تسمى فى ذلك الحين (برنتيوم) كما كان بعض القدماء يسمونها (أمونية) ويغلب أنهم أطلقوا عليها هذا الاسم نظراً إلى أنها كانت بداية الطريق الموصلة إلى سيوة حيث يوجد معبد الإله أمون ويسمى « جوبتر أمون » ويقال إن الإسكندر حين قام برحلته الشهيرة لزيارة هذا المعبد فى سيوة والتبرك به ابتدأ من هذه المدينة

وفى الأيام الأخيرة قرر الامبراطور « جوستنيان » تحصينها وجعلها نقطة أمامية فى خط الدفاع عن القطر المصرى إذا هوجم من الجهة الغربية . على أنه يغلب أن يكون الحصن المقام بها والسابق ذكره يرجع إلى عهد هذا الامبراطور . ويظهر أن التاريخ يعيد نفسه ، فقد كانت أيضاً نقطة دفاع مهمة فى السنة الماضية وفى هذه السنة ضد الهجوم الإيطالى المتوقع من الجهة الغربية

وليست هناك فى الواقع آثار يمكن الاستدلال منها على مركز مرسى مطروح قديماً وما كان لها من الأهمية فى العصور السابقة . والظاهر أن البحيرة الممتدة غرب الميناء الحالى هى التى كانت مستعملة قديماً كميناء للرومان واليونان وهى بحيرة منيعة . ولا تزال بها آثار رصيف حجرى يقع على مقربة من طرفها الشرقى



عند حمام كليوبطرة : مع إحدى السائحات

وبالقرب من موقع جامع البلدة الجديدة توجد آثار بناء قديم به بعض النقوش . ولهذا البناء ممر « نفق » تحت الأرض يصل إلى شاطئ البحر ، ويسمى هذا البناء « فيلا كليوبطرة » وأحياناً « حمام كليوبطرة »

أما البحيرات الشرقية من الميناء فيوجد بها بعض درجات

صخرية قديمة توصل من الشاطئ إلى شرفة من الصخور المطلة على البحيرة ، ولا يعرف تاريخها بالضبط ، وفى نهاية هذه البحيرة من الجهة الشرقية أقام بنك مصر ملاحة كبيرة معطلة للآن عن العمل . وفى جنوب البلدة سلسلة من التلال المرتفعة بها عدد من الكهوف الصخرية يظهر أنها كانت مستعملة كمقابر وعلى مقربة منها برج مرتفع يشرف على البلدة جميعها وبجواره سلسلة مواقع حربية حصينة .

البلدة الحديثة

أما البلدة الحديثة فمشيدة بنظام هندسي بديع على أرض مستوية يقع أمامها البحر ، وسلسلة صخور . وإلى الخلف سلسلة من المرتفعات الحصينة الصخرية وبها محافظة الصحراء الغربية ، وهى مركز تجارى عظيم للقوافل بينها وبين سيوة ، وبها سنترال عام للمواصلات الخارجية ، وهى آخر محطة فى الخط الحديدى الواصل من الإسكندرية . وبها فنادق حديثة . ويعتبر فندق «الليدو» من فنادق الدرجة الأولى إذ أن كل غرفة فيه مجهزة بحمام للمياه الساخنة والباردة . وأما شاطئ البحر الرملى اللامع فيعد من أحسن شواطئ العالم جمالاً وهدوءاً ، بل إنه يضارع شاطئ الريفييرا نفسه . وقد أصبحت البلدة الآن محطة عظيمة للطائرات المحلية والأجنبية ، وهى من أحسن الأمكنة لقضاء صيف هادئ جميل

وسكانها من العرب والمهاجرين من الطرابلسيين واليونان ، ومنازلها مبنية كلها بالحجر على نظام حديث

المياه العذبة

ومشكلة المياه العذبة فى مرسى مطروح من المشاكل الدقيقة . وكان الرومان يحفرون خزانات صخرية عند منحدرات التلال تملأ بمياه الأمطار فى وقت الشتاء . وتوجد بالبلدة عدة آبار ، ولكنها غير عذبة تماماً ؛ ويشرب منها الأهلون والحيوانات . على أنه يمكن الحصول على المياه العذبة إذا حفر الإنسان قليلاً بالقرب من الشاطئ . ويزرع الأهلون بعض الحدائق من مياه هذه الآبار وترسل المياه النيلية من الاسكندرية على بواخر مصلحة السواحل

من برجنا العاجي

« هتلر » ذلك الرجل الذى يعيش وحيداً قوياً لا يعرف المرأة ولا يذوق اللحم ولا الخمر ولا يفكر إلا فى السيطرة على العالم وقيادة البشر ، ذلك الرجل الذى لو خرجت من بين شفتيه كلمة رقيقة على مائدة السياسة الخضراء لتغير وجه التاريخ . قد شاء القدر أن يجلس أخيراً إلى مائدة غداء فى مونيخ ، منفرداً مع كوكب لامع من كواكب الغناء ، وقد خرجت من بين شفتيه هذه الكلمات :

– إن صوتك لصاف صفاء البلور النقى !

فقالت المغنية الجميلة فى ابتسامة ساحرة :

– شكراً

فقال المستشار :

– أنا الذى ينبغى له أن يشكرك

فقالت الغانية فى شىء من العجب :

– على ماذا ؟

– على مجرد وجودك فى الدنيا ، لا أكثر ولا أقل !

* * *

قرأت خبر ما تقدم فى إحدى المجلات الأوربية . وقد ختمت المجلة الخبر بقولها : « وقد سافرت المغنية بعد ذلك إلى باريس، فأراد هتلر أن يضع طائرته تحت تصرفها. أتراه قد وقع فى الغرام ؟ أى خلاص للبشرية إذا قنع هتلر منذ الآن بمكان رحب بالقرب من المرأة ! »

وأحب أن أعلق أنا على هذا الخبر بقولى : أترى المرأة تنتقم دائماً من ذلك العظيم الذى قضى حياته فى البعد عنها وكرس جهوده لغير التفكير فيها ؟ أو ترى الرجل العظيم الذى طرح المرأة من حسابه وأخرجها من حياته يعيش إلى آخر أيامه قانعاً ناعماً أم أنه يشعر فجأة فى لحظة من اللحظات أن امتلاك العالم بأسره لا يعدل أحياناً امتلاك قلب امرأة ؟! .

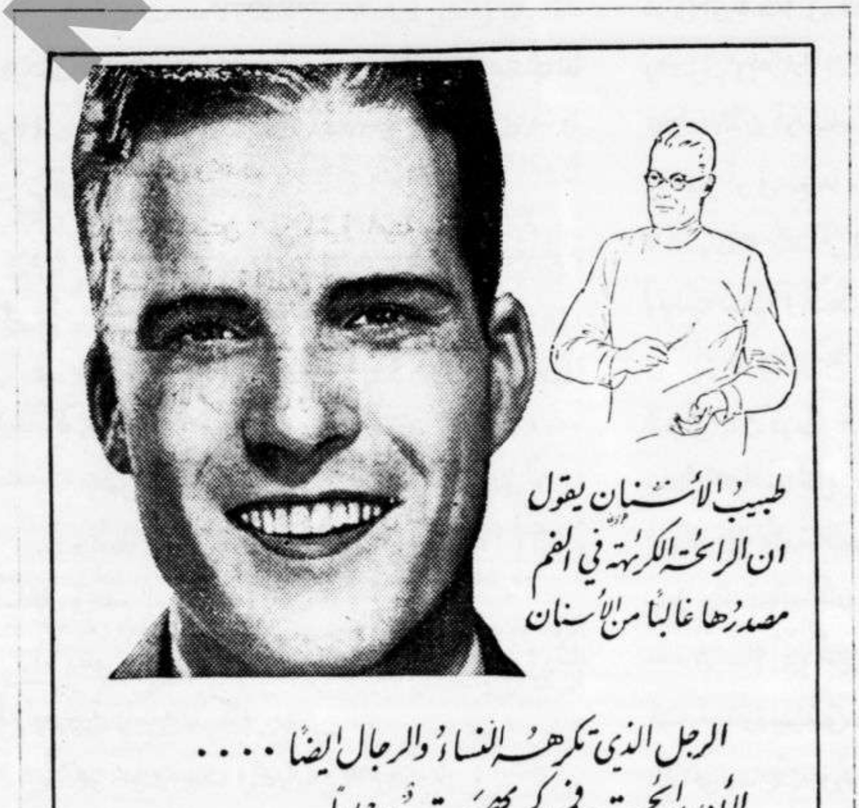
توفيق الحكيم

أما الآبار الرومانية الشهيرة فتقع على بعد ١٢ كيلو متراً تقريباً من البلدة ، وهى آبار عجيبة جداً ، إذ هى عبارة عن نفق صخرى طويل تسير فيه المياه وطوله عظيم ويمكن للانسان أن يسير فيه مسافات طويلة تحت الأرض ، وله فتحات محفورة فى الصخور لإدخال النور وتسهيل تنظيفه . والمياه فيه وفيرة ، وقد استغلها الجيش البريطانى فى الحركة الأخيرة عام ١٩٢٦ فركب عليها آلات خاصة ومواسير تصل بها المياه إلى مرسى مطروح ، ولا تزال بها حتى الآن ، ومنها تمد البلدة بالمياه بسهولة جداً

صيد الإسفنج

صناعة صيد الإسفنج فى مرسى مطروح قديمة يرجع تاريخها إلى عدة قرون ويعتبر إسفنجها من أحسن الأنواع فى العالم . ويبدأ فصل الصيد من شهر مايو إلى اكتوبر سنويًّا حيث تزدحم مياه البحيرات فى الميناء بأسطول عظيم من مراكب الصيد كلها من اليونان . أما طريقة الصيد هناك فغريبة وخطرة إذ يغطس الصياد بثقل من الأحجار ويذهب كثيرون منهم فى بعض الأحيان ضحية لهجوم وحوش البحر . ويقدر محصول الإسفنج سنويًّا بآلاف الجنيهات . أما الصيادون أنفسهم فأكثرهم من سكان الجزائر اليونانية ، وهم قوم أتقياء جدًّا وقد بنوا كنيسة بالبلدة ، ولهم قساوسة . وأظن أن هذه الكنيسة هى الوحيدة فى الصحراء الغربية .

عبد الله حبيب



الدين الصناعى

للدكتور محمد البهى

الأستاذ بكلية أصول الدين

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ أحمد أمين فى مجلة الثقافة رقم ٢٢ بتاريخ ١١ ربيع الآخر سنة ١٣٥٨ — ٣٠ مايو سنة ١٩٣٩ يشرح الدين الصناعى ويحدده

وقد تناوله من ناحيتين : من ناحية ماهيته ومن ناحية أخرى وهى مظهره العملى أو ناحية التدين به

فأما من الناحية الأولى فقد وصفه بأنه « كصناعة النجارة والحياكة يمهر فيها الماهر بالحذق والمران

... ويحمل صاحبه على أن يحيا به ويتاجر به ويحتال به

... ويحمله على أن يلوى الدين (الدين الحق !!!) ليخدم السلطان ويخدم السياسة »

أما مظهره العملى فى نظره فهو : « ... عمامة كبيرة وقباء يلمع وفرجية واسعة الأكمام

... هو نحو وصرف وإعراب وكلام وتأويل

و « الشهادة » فيه إعراب جملة وتخريج متن وتفسير شرح وتوجيه حاشية وتصحيح قول مؤلف ورد الاعتراض عليه

وأخيراً هو ... تحسين علاقة صاحبه بالإنسان لاستدرار رزق أو كسب جاه أو تحصيل مغنم أو دفع مغرم »

وعهدى بكتابة الأستاذ أحمد أمين أن تكون لغاية إيجابية تقصد ، وعهدى بأسلوبه فى التفكير أن يكون مرتب الفكر يصل بالقارئ إلى تلك الغاية بدون مشقة أو تكلف

قرأت مقال « الدين الصناعى » مرة ثم كررت القراءة لأقف على الغاية العلمية التى يبغيها الأستاذ الكبير ، لأن اتجاهه العلمى فى أبحاثه هو الذى حملنى على أن أطلب هذه الناحية أولاً فلم أخرج منه بالعناصر التى تكون الطابع العلمى للبحث والتى من بينها بل وأخصها « الاعتبار العام »

فما ذكره على أنه مظهر « الدين الصناعى » ليس له صفة العموم فى كل بلد تدين بالإسلام أو تدين أكثريته به . فا (العمامة الكبيرة والقباء الذى يلمع والفرجية الواسعة الأكمام) ليست من مظاهر التدين الحقيقى أو الصناعى بين مسلمى الهند أو مسلمى شرقى أوربا مثلاً فى عصرنا الحاضر . ولم أعرف أن (النحو ، والصرف وإعراب الكلام والتأويل) رمز العمل الذى يتناوله محترف الدين أو صاحب الدين الصناعى فى أى بلد إسلامى ، فى مصر أو فى غيرها من البلدان الأخرى ، كما لم أعرف أن « الشهادة » عنده هى (إعراب جملة وتخريج متن وتفسير شرح وتوجيه حاشية وتصحيح قول مؤلف ورد الاعتراض عليه) .

نعم قد يتناول الباحث اللغوى مثل هذا العمل ، كأى راغب آخر فى بحث موضوع بعينه قد يتناوله ويعالجه من جهات لا تلذ لبعض القراء أو يقل ميل السامع إلى الإصغاء إليها ، ولكن ذلك لا يدل على تفاهة البحث فى ذاته فضلاً عن دلالته إذا ما تناوله رجل ينتسب إلى الدين على أنه مظهر تدينه أو عنوان احترافه بالدين

الأستاذ أحمد أمين ، كثيراً ما كتب أيضاً فى بعض النواحى الاجتماعية والخلقية فى مصر ، وكثيراً ما حاول فى كتابته علاج تلك النواحى بعد الدقة فى وصفها وتشخيصها . لهذا عمدت بعد عجزى عن محاولة جمع العناصر التى تكوّن الطابع العلمى من مقاله « الدين الصناعى » ، إلى التفتيش عن الظاهرة الاجتماعية التى يريد الأستاذ علاجها أو عن المعنى الخلقى الشائع الذى يبنى شرحه ليوقف قراءه على شىء جديد لا يستطيع الرجل العادى أن يهتدى إليه

عرضت أمام نظرى ، مستعيناً بالمشاهدات ، المظاهر الاجتماعية المألوفة فى مصر التى يبدو فيها النقص والتى قد تؤخذ على أمة تطلب الكمال فى معانى المدنية ، وعرضت كذلك كثيراً من الصفات السلبية للخلق السائد فينا

حقاً وجدت « تحايلاً » وكفاحاً حاداً من طبقات مختلفة حول هذا التحايل . وجدت تحايلاً باسم « البحث العلمى » وتحايلاً باسم « حرية الفكر » وتحايلاً باسم « الديمقراطية » وتحايلاً باسم « الدين » . كل طائفة تبغى قضاء رغباتها الخاصة ، وكل تسلك هذه

الطريق ، طريق « التحايل » ، مستغلة سذاجة الشعب وجهله . فكما يسند « التحايل » و « الاحتراف » « والاتجار » إلى الدين فينشأ بهذا الإسناد ما عنون له الأستاذ با « الدين الصناعى » يجوز أن تسند كذلك إلى نظائر الدين مما يحترف به فى مصر ويتحايل ويتجر به فيها من البحث العلمى ، وحرية الفكر ، والديمقراطية ... الخ ويصح أن ينشأ أيضاً عن هذه النسبة ما يسمى بالبحث العلمى الصناعى ، وحرية الفكر الصناعية ، والديمقراطية الصناعية ... الخ

فليس إذاً « التحايل » الذى جعله الأستاذ مقوم الدين الصناعى ومكوناً لأهم جزء من ماهيته خاصاً (بالدين الصناعى) ولا يتحتم أن يكون مصدره صاحب العمامة الكبيرة والقباء اللامع والفرجية الواسعة الأكمام ، ولا من يتناول الأبحاث اللغوية أو يشرح التآليف، بل يصح أيضاً أن يكون صاحب البحث العلمى الحر أو من يهيم بأدب الإغريق وفلسفتهم أو خطيب المحافل السياسية

وإذا فالدين الصناعى ليس هو الظاهرة الاجتماعية التى يجب أن تعالج ، ولا صاحب العمامة الكبيرة هو الملوم فى إحداث هذه الظاهرة، وإنما الذى يجب أن يداوى هو «التحايل والاحتراف» بأى موضوع من موضوعات الثقافة : الدين أو العلم أو السياسة الخ . والملوم فى ذلك هو جهل الأمة ، وعدم استطاعتها وضع مقاييس صحيحة للقيم الرفيعة .

ولما لم أتبين الظاهرة الاجتماعية التى ، ربما ، أراد الأستاذ علاجها فى « الدين الصناعى » وحده كما لم أنجح فى تكوين طابع علمى لمقاله هذا، غلب على ظنى أن الأستاذ ربما أراد أن يمتع قراءه بقطعة أدبية ، وأن يهيىء لهم لذة نفسية من وراء جمالها الرائع، وكثيراً ما يكون ذلك مقصد الأديب فى الشرق .

والأستاذ أحمد أمين فوق ماله من الأبحاث العلمية والاجتماعية أديب فنان !

محمد البهى

دكتوراه فى الفلسفة وعلم النفس
من جامعات ألمانيا

من أدب العمد

لغـــــة الادارة ...

للشيخ حسن عبد العزيز الدالى

وقع فى يدى صباح الأمس خطاب لأحد عساكر البوليس كان قد أرسله إلى أبى رحمه الله فى سنة ١٩١٥ وهو يومئذ عمدة البلد يخبره فيه أن نزاعاً حدث بين أخته وزوجها ويطلب إليه أن يفصل فى هذا النزاع ، وفى آخر الخطاب يقول : « والحذر من التأخير » !

لا أعلم ماذا كان وقع هذه الجملة على مسمع العمدة ؛ والغالب أنه حملها باسماً على محمل السذاجة والجهل ؛ ولكنى أعلم أن هذه الجملة لا توجد إلا فى قاموس الإدارة فأين وقع عليها هذا الجندى المسكين ؟ لقد كان يعمل فى أقسام القاهرة ، وكان يلاحظ أن هذه الجملة البليغة لازمةٌ رسمية تختم بها الرسائل والطلبات الصادرة من المأمور إلى الجمهور ، فرسخ فى ذهنه من طريق القدوة الحسنة أن هذا هو الأصل فى التحرير ، لكل صغير وكبير !

هل تظن يا سيدى القارئ أن هذه العبارة ، سقطت من لغة الإدارة، بعد أن انتشر التعليم ، فى العواصم والأقاليم، وشاع الذوق الكتابى والخطابى بين كل الناس ، من حامل القلم إلى حامل الفاس ؟ لقد رجعت إلى دفتر الإشارات التليفونية الصادرة إلىّ عن المركز فى شهر مايو الماضى فوجدتها سبعين إشارة، ثلاثة أرباعها ينتهى بهذه الجملة التقليدية : « والحذر من التأخير » والربع الباقى ينتهى بعبارات مختلفة ، منها : « وإلا فالمسئولية شديدة » ، « فلا تلومون (كذا) إلا أنفسكم » ، « ومن يهمل سننظر فى أمره بشدة » ... الخ الخ . فقلت فى نفسى : عجيب ! أيمر على خطاب (الجاويش مرسى) ربع قرن ولم يتول الكتابةٍ فى خلاله للمأمورين. والمعاونين كاتب من حملة البكالوريا يعلّم سادتنا (الكتّاب) ، آداب الخطاب ، ويفهمهم أن هذه اللهجة وإن صلحت للخفير فلا تصلح للعمدة ، لأن العمدة يمثل الحكومة فى بلده ، كما يمثلها المأمور فى مركزه ، وإذا كان بينهما فرق فهو أن المأمور يعمل مأجوراً مشكوراً، والعمدة يعمل متطوعاً ومتبرعاً. فهل يجوز أن يكافأ على ما يتحمله من المسئولية والمشغولية والغرامة، بحرمانه من الأجر والشكر والكرامة ؟!

حسن عبد العزيز الدالى

عمدة كفر دميره القديم

التاريخ فى سير أبطاله

أحمـــــد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



حل البارودى محل شريف وفى البلاد ما فيها من أثر تلك المذكرة التى جاءت فى تلك الظروف التى بينا دليلاً على سوء تدبير واضعيها وعلى قصر نظرهم ورعونتهم . ولكن ما لنا نشير إلى قصر نظر الدولتين فيما فعلتا ونحن لا يتداخلنا شك فى أنهما كانتا تريان عاقبة فعلتهما، وأنهما إنما أرادتا إثارة الخواطر وزيادة أسباب الخلاف بين الخديو وزعماء البلاد المدنيين منهم والعسكريين ، فبهذا يتيسر لهما الوصول إلى الغرض المرسوم

وكان طبيعياً أن يسير البارودى على نهج غير الذى سار عليه شريف ، فهو بحكم مركزه بين الزعماء العسكريين، وبحكم الظروف التى أدت إلى استقالة شريف ، لم يكن ليستطيع أن يحمل نفسه على الموادة والملاينة ، وإلا ففيم كان إحراج شريف ثم إخراجه من الحكم ؟

ومن ذلك يتبين لنا أن السياسة التى جرى عليها البارودى فى وزارته لم يكن له منتدح عنها ، وأن مردها فى الواقع إلى مسلك الدولتين ، وعلى ذلك فمن الظلم أن نرجع باللوم كله على تلك الوزارة فيما ارتكبت من أخطاء ، فإن جانباً كبيراً من اللوم بل لعل اللوم كله يقع على الذين دفعوا الوزارة بقبح تدبيرهم وسوء نيتهم فى تلك الطريق التى ما لبثت أن رأت نفسها فيه تخرج من أزمة لتدخل فى أزمة غيرها

وهكذا تدفع الدولتان البلاد فى طريق العنف والثورة دفعاً ثم تتهمانها مع ذلك بالفوضى وتجعلان من مبررات تدخلهما القضاء على الفتن والقلاقل الداخلية وإنها لمن صنعهما ؛ ولن يكون فى صور الظلم أبلغ وأوجع من أن يضرب مضعوف على رأسه فإذا نفر من الضرب وتأوه عد نفوره جموحاً واعتبر تأوهه ثورة ... !

وكان عرابى وزير الجهادية فى وزارة البارودى ، وأنعم عليه برتبة الباشوية؛ وهو يقول إنه قبلها هذه المرة كارهاً، فلولا أنه رأى أن المنصب يقتضى قبول الرتبة ما قبلها . وأنا أميل إلى تصديقه فيما يقول فليس فى الأمر ما يحمل على الريبة فى قوله ، وهو لا يسوق هذا القول مساق الفخر وإنما يسوقه بين براهينه على أنه لم يكن يوماً كما يدعى خصومه تحركه الأطماع الشخصية

وأما عن قبوله المنصب فما نظن أنه كان يستطيع أن يبقى بمعزل عن الوزارة وقد صار له فى سياسة البلاد هـذا الشأن بعد حادث عابدين . وإنا لنعجب أشد العجب للذين يعيرون رجلاً لقبوله منصباً من المناصب ويتخذون ذلك القبول دليلاً على أنه يطلب الخير لنفسه فحسب ، فهل كانت المناصب عند الناس جميعاً وسيلة إلى إشباع المطامع وجلب المنافع الذاتية ؟ وأى شىء يجعل هذا لازمة حتمية للمنصب ؟ وأى شىء يمنع من أن يكون المنصب عند بعض الناس وسيلة إلى غاية جليلة شريفة هى العمل للصالح العام ؟ وأى قرينة تمنع من أن نسلك عرابياً فى سلك هؤلاء الداعين إلى الخير العام والذين يتخذون من المناصب أداة لخدمة المجتمع ؟ إن أبسط قواعد العدالة تضع المتهم على قدم المساواة مع البرىء حتى تثبت إدانته ، فأية إدانة يلصقها بعرابي أولئك الذين عابوا عليه دخول الوزارة ؟

إنهم إذ يتهمونه بالسعى إلى صالحه هو لا يعدون بذلك حدود

التهمة، فله على أسوأ الفروض موضع البرىء من العدالة حتى تثبت إدانته، وما أيسر أن تكال التهم لأى فرد من الناس فى غير حساب، وما أصعب البينة على الذين يفترون الكذب وهم يعلمون ...

إن الذين يرون فى الحكم مغنماً لهم إنما هم أولئك المفرطون فى حقوق أوطانهم المالئون للدخلاء فيها، والمستضعفون من الرجال، والذين فى قلوبهم مرض، والمفترون بالحياة وأوهامها، والمالئون بطونهم كما تأكل الأنعام؛ أما أولو النخوة والعزة من الرجال فلن تلهيهم عن دوافع نفوسهم الأبية الحياة الدنيا وزينتها؛ ولن تطفئ الحمية فى قلوبهم ما يحلى به الأغرار صدورهم من أوسمة، أو تزدهى أنفسهم الكبيرة الرتب والألقاب، أو تزيغ أبصارهم بريق الذهب، لأن هذه جميعاً عندهم مظاهر وهم يحتقرون كل مظهر، لأنهم يطلبون الجوهر. ومن كان فى هذه الدنيا كبيراً بنفسه فما به حاجة إلى أن يتكبر، ومن تكبر وهو بنفسه صغير فما زاد على أن أضاف إلى حقارة نفسه ما هو أحقر

ولقد كان عرابى كبير النفس كبير الآمال فكان المنصب عنده باباً من أبواب الجهاد ووسيلة من وسائله، فما يعيبه أن يدخل الحكم وإنما يعيبه أن يعرض عن الحكم وعلى الأخص فى مثل تلك الشدة التى ساق الطامعون إليها البلاد على غير إرادتها ...

على أن الناس ما كانوا ينظرون إلى عرابى نظرتهم إلى وزير من الوزراء فحسب، بل كانوا ينظرون إليه نظرتهم إلى الرجل الذى تعلق عليه الآمال فيما كانت البلاد مقبلة عليه، وإنما كانت تقوم نظرتهم على ما بلوا بأنفسهم من إخلاصه، وما شهدوا من بسالته وحميته، وعلى ذلك فما زاده المنصب فى أعين الناس مثل ما يطلبه غيره ليزداد به من جاه أو شرف، وأى شرف يطمع فيه الرجل هو أعظم من أن يكون فى بنى قومه معقد الرجاء وموضع الثقة ؟

ولقد كان عرابى فى الوزارة إذا أردنا الحق أكثر من وزير فكانت الكلمة كلمته وكان الرأى رأيه، أراد ذلك أو لم يرده، ونقول أراده أو لم يرده لأنه بات فى الزعماء رجلاً ليس للزعماء مثل ماله فى قلوب الناس من مكانة ومن سحر. وهل كان سعد زغلول فى كرسي الرياسة كسواه من رؤساء الوزارات، ليس لشخصه من تأثير فى قلوب الناس إلا ما تبعثه هيبة المنصب ورهبته ؟ أم كان سعد فى الناس رجلاً غير ما ألفوا تحف به هالة من أمجاده فتتخلق له شخصية وسطاً بين الملائكة والناس ؟ وهل ازداد سعد بالمنصب شيئاً فى أعين الناس أم أن المنصب هو الذى ازداد به علواً ومهابة ؟ على هذا القياس صور لنفسك شخصية عرابى بين قومه يومئذ مع تذكر الفرق بين جيل عرابي وجيل سعد ومواهب عرابي

كان على وزارة البارودى بادئ الأمر أن تواجه أزمة الميزانية؛ وكان عنصرا هذه الأزمة الدولتين المتجنيتين على البلاد ونواب الشعب الغاضبين لكرامة بلادهم المتمسكين بحقهم أمام باطل أعدائهم، وكان من الطبيعى أن تعمل وزارة البارودى أحد الزعماء العسكريين، والتى كان عرابي نفسه أحد وزرائها، على تحقيق آمال البلاد، بل لقد كان أمراً حتمياً على تلك الوزارة أن تفعل هذا فعلى هذا الأساس كان قيامها بالحكم

قامت وزارة البارودى على إرادة الأمة ما فى ذلك ريب؛ فإن النواب حينما أظهروا أسفهم لشريف أن يكون المجيب لمطالبهم رجلا غيره، وحينما ذهبوا إلى الخديو يشكون إليه أمرهم كانوا معبرين فى ذلك عن مشيئة الأمة، وآية ذلك أن الخديو لما سألهم بأى حق يطلبون إقالة شريف كان جوابهم «هذه إرادة الأمة»

ولم يسع الخديو إلا أن يذعن — ولكن على طريقته — لإرادة الأمة هذه، فدعا شريفاً والقنصلين الأجنبيين وعرض عليهما الأمر فلم يكن أمام شريف غير الاستقالة. ثم إن الخديو دعا إليه زعماء النواب وسألهم كما أسلفنا عمن يرضون لرياسة الوزارة، فبعد أن بينوا له أن ذلك من حقه اختاروا البارودى واشترطوا أن يكون قيام وزارته على أساس إجابة مطالب النواب(١)

ولقد أضاف الخديو إلى أخطائه خطأ جديداً بقبوله هذا الأساس فمن حقه وحده اختيار رئيس وزرائه، ولكنه خطا حتى هذه الخطوة بإشارة القنصلين، فلقد أوهماه أن فى هذا خيراً له، فبه يخلو من التبعة ويلقيها على عاتق النواب والزعماء ... ولكنهما فى الحقيقة كانا يريدان أن يوسعا مدى الخلف بين الخديو والبلاد؛ ومن السهل عليهما أن يوحيا إليه على لسان أعوانهما بعد ذلك أنه أصبح وليس له من الأمر شىء

على أن مالت وكلفن وأشياعهما ما لبثوا أن أذاعوا فى مصر وفى أوربا عن الوزارة كل سوء ورموها بكل باطل من الاتهام،

---

(١) مقدمة كتاب التاريخ السري بقلم الأستاذ عبد القادر حمزة

فهى وزارة عسكرية محضة لا تعرف سياسة أو تنظر فى عاقبة أمر من الأمور وإنما قوام أعمالها العنف والثورة ؛ وهى وزارة لا تحسب لأى سلطة غيرها حساباً فليس للخديو وجود فعلى أمامها ، وليس للأجانب على مالهم فى مصر من ديون أى حق أو شبه حق ... إلى غير ذلك من اللغو والإفك

أما عن عرابى نفسه فقد خرج بأوفر نصيب من التهم الباطلة ، ومن هذه التهم ما عزى إليه على لسان جريدة التيمس أنه هدد شريفاً وأنه شهر سيفه فى وجه سلطان باشا رئيس المجلس وهدده بتيتيم أطفاله . ولقد بلغ من رواج هذه الإشاعة أن أثبتها ماليت فى يومياته ، بل لقد أثبت ما هو أشد خطراً منها ألا وهو أن الخديو ما قبل استقالة شريف إلا تحت تأثير تهديد لا يقل عن هذا

ولقد استاء سلطان من هذه الفرية وحاول جهده تكذيبها . يقول مستر بلنت فى مذكراته[1] : « وقد ذهبت إلى منزل سلطان باشا فوجدت فيه طائفة كبيرة من النواب وكثيرين من ذوى الحيثيات والمكانة فى مصر وهم : الشيخ العباسى وعبد السلام باشا المويلحى وأحمد بك السيوفى وهمام أفندى حمادى وشديد بطرس أحد كبار النواب الأقباط وغيرهم . وقد أنكر هؤلاء جميعاً هم وسلطان باشا أنهم عملوا تحت تأثير أى تهديد ، وتكلم سلطان باشا بلهجة شديدة مستنكراً القصة التى اخترعت عنه وقال : إن أحمد عرابى إنما هو بمثابة ابن لى ، وهو يعرف حقى وواجبه ، فكانه فى وزارة الحرب ، ومكانى فى البرلمان ، وهو ينتصح لرأيى وليس يعتدى على حقوقى . أما من حيث استلاله السيف أمامى فهو لا يفعل ذلك إلا إذا رأى أعداء يهاجموننى ، وهذه حكايات لا يصدقها رجل يعرفنا نحن الاثنين وهى حكايات كاذبة لا أساس لها من الصحة ، ولك أن تثق أن أصغر نائب هنا يمثل الناس يحسن الحكم على ما يحتاجه أولئك الناس أفضل من أعظم جندى . ونحن نحترم أحمد عرابى لأننا نعرف أنه صادق الوطنية عظيم المواهب السياسية وليس لأنه جندى » ...

ثم يستطرد بلنت قائلاً : « وقد نقلت كلمات سلطان باشا هذه عن مذكرة لى أثبتها فيها يومئذ ، وقد أتى الشيخ على مليت لنشره مختلف الأباطيل وطلب منى أن أنقل إليه الحقائق وأن أبلغها لغلادستون وأنشرها فى الصحف ، وقد أرسلت الحكاية بالتفصيل إلى التيمس ، ولكنها لسبب لا أعرفه لم تنشرها ، وأرسلت تلغرافا بالمعنى نفسه للمستر غلادستون ثم أرسلت خطاباً مستفيضاً ضمنته رأيى فى الموقف كله »

هذا هو كلام بلنت عن هذه الفرية ، وما أجمل ما وصف به سلطان عرابيا فهو لا يحترمه لأنه جندى ولكنه معجب بوطنيته مقدر لمواهبه السياسية ، ومثل هذا الكلام لا يصدر عن مثل سلطان عن خوف أو تملق ، فقد كان أكبر من أن يخاف وأعظم من أن يتملق ؛ وهو بطبعه شديد الكبر كثير المباهاة بجاهه والاعتزاز بثروته ؛ بل إن صدور هذا الكلام عن رجل هذه هى صفاته إنما يزيد فى قيمته ويجعله منه وثيقة خطيرة تدعو الذين يجهلون حقيقة عرابى إلى قراءتها فى روية وحسن طوية

ويذكر بلنت أن التيمس لم تنشر تكذيبه لسبب لا يعرفه ، والأمر فى ذلك ظاهر لا يحتاج إلى طويل شرح ، فالتيمس وأضرابها من الصحف الإنجليزية تخدم قضية الاستعمار أبداً ، وهى خير من يدرك نيات الساسة فى بلدها وأول من يطلع على حقائق الأمور ، فلم تكن تجهل يومئذ ما تبيته انجلترة لقضية الأحرار فى مصر ، بل وما تنتويه السياسة الإنجليزية العليا من الاستيلاء على مصر قبل أن تستولى عليها فرنسا ، ولذلك فهى ما كانت لتنشر رأياً مثل هـذا الرأى يأتى على لسان رجل مثل بلنت فيكون به من الإنجليز شاهداً من أهلهم عليهم

(يتبع) **الخفيف**

(١) ترجمة البلاغ

زنابق وتسابيح

تمثال العذاب

وحى الطيف والعزلة والسلوك

[إلى نورها فى ظلمات القيد !]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

ظَمِئَتْ رُوحى فلا كأْ   سٌ ولا نَجوَى سَرابِ
غيرُ طيفٍ فى حِمَى العزْ   لةِ مجنونِ التَّصابى
رُحتُ أجثو بين كفَّيْ   هِ فحيَّانى تُرابى
وامَّحت ذاتى وأصبحْ   تُ كصمتٍ فى خَرابِ
وانتهى حِسِّى فأطرقْ   تُ كتمثالِ العذابِ

مرَّتِ الأحلامُ بى حَيْرَى فمالتْ
وجثَتْ حيناً وريعتْ فتوارتْ
وهىَ تبكى غمغمتْ حولى وقالتْ :

يا نبىَّ الصمتِ ! يا نعْ   شَ الهوَى! يا ابنَ التُّرابِ!
أترِعِ الأقداحَ واشربْ   نغمَ الحُلْمِ المُذابِ
قلتُ: ماتَ الصَّفوُ! يا أحْ   لامُ خلِّينى وما بى . . .

* * *

يا ابنةَ الفتنةِ والتَّقْ   ديس يا فجرَ الأمانى
يا ابنةَ الحَيرةِ والأهْ   والِ يا جُرحَ زمانى
يا صدًى فى قلبىَ الثَّا   ئرِ مفطورِ الحنانِ
يا غراماً هوَ قُدْسُ   م اللهِ يجرى فى كيانى
ملَّتِ العُزلةُ شكوا   ىَ وملَّتنى الأغانى

فطرحتُ النَّاىَ عنِّى وصمتُّ
ودعوتُ الطيفَ مِنِّى وانتظرتُ
فنأى عنِّى سناهُ فبكيتُ

وأذبتُ الشِّعر من دمْ   عى وشجوى وهوانى
فإذا مرَّ يغنِّيـ   ـهِ على دنياكِ فانِ
فاخشَعى فهوَ عِبادا   تُ الهوَى، نُسكُ الجَنانِ

« وزارة المعارف »   محمود حسن اسماعيل

رد التحيـة

إلى شقيقى أكرم . . . وهى زهرة طوى عليها إحدى رسائله إلىّ ليشعرنى بربيع دمشق

للأستاذ أمجد الطرابلسى

بعثتِ هواىَ لو أن الهوى   خبتْ فى فؤادىَ أنوارُهُ
وأذكيتِ فى الصدرِ نارَ الحنين   لو أنَّ الحنينَ خبتْ نارُهُ
وهجتِ به ذكرياتِ الصِّبا   لو أن الصبا ماتَ تذكارُهُ
وأذكرتِنى الأمسَ لو عاقنى   عن الأمسِ يومى وأعذارُهُ
وأهلى ... ولكنَّ أهلى هُمُ   أحاديثُ قلبى وأخبارُهُ
وصحبى.. وكيف وهم سامرى   إذا ملَّ ليلى وسُمَّارُهُ
ولكننى كنتُ أعصى القريض   إذا ضجَّ فى الصدر زخَّارُهُ
أهدْهِدُهُ بكذوبِ المنى   فيُغضى وقد ماجَ موَّارُهُ
فأيقظتِهِ بعد طول السُّباتِ   تُجَنُّ بكفَّيْهِ أوتارُهُ
وفجَّرتِهِ جدولاً ناغماً   تغنَّى رُباه وأطيارُهُ

* * *

أيا زهرةَ الشوقِ لا صوَّحتْ   مغانى حماى وأدوارُهُ
ودامتْ على الدهرِ جنَّاتُهُ   تمدُّ لها الخيرَ أنهارُهُ
لقيتُ بكِ الأهلَ بعد الفراقِ   فبُثَّ الهُيامُ وأسرارُهُ
رأيتُكِ فانجابَ هذا المدى   وزالتْ دُجاهُ وأستارُهُ
فذا منزلى فى حواشى الحِمى   تلوحُ لعينىَّ أشجارُهُ
تَناغى بأُذْنى عصافيرُهُ   وتلمعُ فى النُّور أثمارُهُ
ونافورةُ الماءِ فى ساحِهِ   لها نغمٌ لذَّ تكرارُهُ
تروم السحابَ فيلوى بها   نسيمٌ تمايلَ خطَّارُهُ
يحطُّ على حوضها طائرٌ   ويمضى وما بُلَّ مِنقارُهُ
ومِنْ حولها إخوتى ضمَّهم   صفاءُ الإخاءِ وإيثارُهُ
إذا مرحوا فى ربيع الشبابِ   تولَّى الوقارُ وأخطارُهُ
وإن ضحكوا ضحكتْ حولهم   طيورُ الفناءِ وأزهارُهُ

* * *

أمُشعِرتى بالربيع الضحوكِ   تَلَذُّ ضحاهُ وأسحارُهُ
ومُنسيتى وحشتى والنوى   وبيْننا تطاولَ إمرارُهُ
شكرتُكِ زائرةً برَّةً   لِلَهْفانَ شاقته زُوَّارُهُ
شَفَقتِ إلى فؤادِ النَّوى   وليلاً تلاحظُ أقدارُهُ

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)



الشيخ سيد الصفتي

لفظ أنفاسه الأخيرة صبيحة الأحد الماضي
وترك فنه وديعة غالية بين يدي التاريخ

للأستاذ محمد السيد المويلحي

لعل الفنان الحق هو أقرب الناس إلى قلب الطبيعة وروحها، ولعله أقدرهم على معرفة أسرارها وأخبارها فهو وحده الذي يترجم لها أسرارها وكلامها، وهو وحده الذي يصور حسنها وجمالها التصوير الرائع الصادق الذي يحملنا على العجب والإعجاب

ولعل هذا الفنان هو أقرب الناس إلى الشذوذ والخروج على تلك الأوضاع البشرية التي وضعت للحد من الطباع والغرائز والرغبات. فله دستوره وحده ... وله طباعه وتصرفاته التي يفرضها على الناس فرضاً. ثم هو بعد هذا أو قبله ... الإنسان المرهف الحس، العظيم النفس، الممتلئ نبلاً ورجولة وكرماً

وسيد الصفتي من هؤلاء الذين أضفت عليهم الطبيعة كل ما فيها من فن وجمال وإقبال وشذوذ حتى خط لنفسه في كتاب الحياة وسجل الخلود صفحة نيرة مشرقة سوف يتلوها الزمن على سمع الأجيال المقبلة

كان قصير القامة يلتهب نشاطاً ويمتلئ قوة، وجبروتاً ... يزين رأسه (عمامة) صغيرة تمتاز برشاقتها وأناقتها، (وشالها) الحريري المفتول الذي يعطيك صورة واضحة لأناقة صاحبه وحرصه الدائم على أن يظهر في أجمل المناظر

ابتدأ حياته قارئاً يجيد تلاوة القرآن فَعُرِف وسعى الناس إليه، ولكنه رأى أن يكون كالشيخ اسماعيل سكر قارئ مولد ومادحا للبيت الشريف وصاحبه (ص)؛ فخرج على الناس سنة ١٩٠٢ بهذا اللون الجديد الذي قربه أكثر من ذي قبل إلى نفوس المصريين، وما مضت سنة حتى زاحم الشيخ إسماعيل نفسه ... وتفوق عليه تفوقاً محسوساً. وفي سنة ١٩٠٤ انضم إلى بطانته الشيخ ابراهيم المغربي الموسيقي المعروف الذي لحن له كثيراً من الموشحات الجديدة التي كانت السبب فيما ناله الشيخ سيد من شهرة طائرة، ومن ارتفاع سريع لم يكتف به وقد ذاق حلاوة الشهرة والإقبال، فكان يقرأ أول الليل قرآناً ثم يثني بالقصائد النبوية، حتى إذا كان الهزيع الأخير من الليل غنى أدوار الحمولي ومحمد عثمان وغيرهما بمصاحبة العود ...

أتراه قد اكتفى بهذا التجديد الغريب ... لا ... ولعله رأى أن هذا الخلط ينفر الناس فترك القرآن والقصائد

وتيهاً ترامَتْ مفازاتهُ ومَوجاً تواثَبَ هَدّارُهُ
لجئت عليك شحوب الطريق وفيكِ من الجهد آثارُهُ
لحيِنْت فيكِ الرسول الأمين تَشُقُّ على الصبرِ أسفارُهُ
وقبّلتُ فيكِ الوفاء الجميل إذا نسيَ العهدَ غدّارُهُ

* * *

أيا زهرتي جاد زهر الحمي كريم السحاب وثرّارُهُ
بلغتِ فمن مُبلغ جيرتي سلاماً تَضَوّعَ مِعطارُهُ
نأيتُ عن الدار لاعن قِلًى فأحلى مغاني الفتى دارُهُ
ولكنني سِرْتُ يَحْتثُّني طموحُ الشّباب وأوطاره
تخيَّرتُ بُعدي ولو أنني هُديتُ لما كنتُ أختارُهُ!

«باريس» أمجد الطرابلسي

تصويب: في المقطع الأول من قصيدة «مصرع الصقر» المنشورة في العدد ٣٠٨ بيت جاء كما يلي:

أسلموا الأعين القريرة للحلم وناموا عن كامن المقدور

وصوابه:

أسلموا الأعين القريرة للحلم وهاموا في قصره المسحور

النبوية وظهر عام ١٩٠٥ على تخته الموسيقى القوى يرسل على الناس سحر صوته وقوة فنه حتى تحكم فى سوق الغناء وفى مسامع الشعب، فكان يشتغل تباعاً طول أيام السنة. ولكى نعطى القارئ صورة قريبة عن شهرة هذا الرجل العجيب فى صدر شبابه نقول إنه استمر خمس سنوات كوامل يغنى دون أن ينقطع ليلة واحدة ... ومثل هذا فى الشام!

كان صوته مركباً من خمسة عشر مقاما تقريباً (١٢) بريتون (٣) باص، وكان يمتاز بسلامة تامة وبأداء بارع لم يعرف (النشوز) طول حياته. ولعله من الأصوات النادرة التى كافت (تَفْرش) فى غنائها حتى لتسمعها الآلاف بوضوح وجلاء.

كان أول موسيقى شرقى اعتنى (بالبروفات) اعتناء عظيماً، فكان يشتغل طول نهاره فيها دون أن يتعب أو يمل أو يشكو ألماً وتوعكاً، ولعل سحر الذهب والإقبال والمجد هو الذى كان يمد هذا الرجل بالقوة الخارقة التى لا يكاد العقل يصدقها. وإلا فهل يصدق العقل أن بشراً يشتغل أغلب يومه وأكثر ليله دون أن يستريح إلا ساعة أو ساعتين ...؟!

عبأ فى حياته أكثر من أربعة آلاف (اسطوانة) وهو رقم تاريخى لم يصل إليه مطرب ولا مطربة فى الشرق والغرب. وقد اكتسب منها الآلاف، ولكن إسرافه أضاع كل شىء إلا ذكره ومروءته وكرمه...

نعم باع ماله وأضاع آلافه ليشترى بها مجده وخلوده. وما بالك برجل كانت اسطواناته توزع فى الشرق والغرب كأنها الغذاء الذى لا يُستغنى عنه حتى ظن (الشآم) أن الصفتى هذا لا بد أن يكون مارداً لا تقع العين على نهايته. فلما سافر هناك ورأوه بحجمه الضئيل النحيل خابت ظنونهم واعتزموا ألا يسمعوه إلا فى حفلة أو حفلتين من قبيل (الفرجة والاستطلاع). وكان الشيخ رحمه الله قد علم بهذا، فأعد العدة لحفلة الافتتاح، ثم راح يشدو ويرسل سحره وقوة فنه فى عُقَد سحرية على هؤلاء الذين يظنون أن القوة فى (العرض والطول) فماجوا وهاجوا وتقلبوا وصرخوا والشيخ يضحك، حتى إذا تأكد من النصر أراد أن ينتقم فأسكت التخت وسكت، ثم نزل وصرح للمتعهد بأنه يرغب فى السفر والعودة إلى مصر بعد (يومين) لأنه قصير لا يحسن الغناء. ولا تسل عما حصل من الشفاعات والتوسلات

ولكن الشيخ رحمه الله كان ظريفاً خفيف الظل وقد أراد أن يلهو ويضحك فكلف المتعهد أن يأمر السامعين بكتابة (يفط) بهذا الشكل حرفياً (الشيخ سيد الصفتى طويل ... الإمضاء) فنفذ الأمر فى الصباح واجتمعت لدى الصفتى كل وسائل البهجة والسرور، فاستمر خمس سنوات لا يستريح فيها ليلة واحدة اكتسب فيها الآلاف. فلما رجع إلى مصر لم يرجع (بمليم واحد منها). كان فى أخريات أيامه يعيش عيشة فلسفية زاهدة فى كل شىء فلم يكترث «كغيره» لأن محطة الإذاعة تناسته وأهملته، بل كان يحيا حياة الأسرة الهادئة: حياة الرجل الذى شبع وشبع حتى مل كل ما يتهافت الناس عليه

لقد فنى سيد كما فنى غيره، ولكن فنه سيبقى لأنه من الخلود نشأ، وإلى الخلود انتهى ...

محمد السيد المويلحى

حاشية: فكرت وبعض إخوانى الموسيقيين فى إقامة حفلة تأبين له لا مساعدة لأهله فهم بحمد الله فى بحبوحة من العيش، ولكن لترد لهذا الموسيقار الخالد بعض منته على هذا الفن الجميل. فكل من يود الاشتراك معنا فى هذا العمل النبيل من الموسيقيين والأدباء والقراء أرجو أن يتفضل بالكتابة إلى على عنوان الرسالة.

كامـــــل الخلعى
وناحية الشذوذ في حياته
بمناسبة ذكراه الأولى

للأستاذ محمد يوسف دخيل

ينقضى العام الأول على مغادرته الدنيا، ومع ذلك فهو لا يزال مجهولاً ، وسيبقى مجهولاً إلى الأمد البعيد ؛ لا لأنه كان شخصية تافهة ضئيلة الأثر فى نفوس الجماهير ، ولا لأنه كان غامضاً يعز على أفهام الناس كشف حقيقته ، بل لأنه ظهر فى عصر من الغموض والركود ، بحيث لا يعنى الجماهير بغير مظاهر الحياة وأشباحها البارزة للأبصار المجردة . ولو كانت الحياة الفكرية ذات وضع يمكن أن يحسه الناس فى مصر لما مرت عليهم صورة من صور الأحداث الشاذة دون أن يتفهموها ويستكشفوا غامض الشذوذ فيها . وإذن لحفلوا بحياة « كامل الخلعى » لا من الجانب الموسيقى ، فحسب ، بل من جانب لم يمن به القوم فى حياة هذا الفنان : وهو الجانب الفلسفى .

لقد كان « كامل الخلعى » صاحب رسالة خاصة فى الفلسفة ، لا أدرى أ كانت فى كنهها فوق متناول العقلية المعاصرة ، أم أن الناس لم يحفلوا بها عامدين لانصرافهم إلى حياة المادة الهينة بعيدة عن الفكر ، وما يحيط الفلسفة من غموض ، وما يستلزمه بحثها من تكاليف .

وسواء جهلت الجماهير شخصية « كامل الخلعى » عن عمد أو امتنع عليهم فهم رسالته فى الفلسفة ، فهو قد غادر الدنيا تشيعه أسراب من سحائب الغموض وثوى فى مرقده بين صبابات من مجاملات الأقلام جافة الدموع

كان « الغموض » هو شعار الفلسفة التى انطبعت بها حياة « كامل الخلعى » ولذلك ظل الناس يجهلون حقيقته حتى أقرب الناس إلى نفسه . وقد كان مسرفاً فى الحرص على أن تفيض روحه الفلسفية على كل مجهول . وفى هذا المنحى الدقيق نلمس الإيمان الصحيح فى عقيدة (كامل) ونحس تمكن الدين من نفسه لأنه رغب عن متاع الدنيا واستطاب أن يجوع ليختنق عن سمعه صوت الجياع حتى لا يثير عواطفه توجع الغير وآلامه . فيكون من الأمور العادية عنده أن يدفع بكل ما فى جيبه لمستجد شعر هو بمرارة حاجته . ثم يعود إلى بيته ماشياً على قدميه ، وليس عند أولاده طعام اليوم ، وكلما نازعه الإحساس بالندم أمام عسرته لتفريطه فى قوت أولاده تدرع بقوله تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة »



استطاع « كامل الخلعى » أن يفهم الدنيا فهماً صحيحاً فى دقة وإمعان ، واستطاع أن يستوعب المجتمع ويتفهم نواحى التقارب والتباعد من حياة الأفراد فى بيئاتهم المختلفة ، وأن يندمج فى الجماعات اندماجاً كاملاً . ومع ذلك لم تستأثر به بيئة دون أخرى ، لأن العقلية الشاذة التى تهيأت لهذا الفنان العبقرى كفلت له أن يهتضم البيئات دون أن تجتذبه إلى صميمها واحدة منها ، ولهذا كان له عديد من الشخصيات التى لو وجد صاحبها فى غير مصر لانصرف لدراستها علماء النفس والفلاسفة

إذا أثيرت فى مجلس ذكرى « كامل الخلعى » انطلق المتحدثون فى تناول ذكراه بشتى أنواع الحديث وليس فيهم من يضع أصبعه على نقطة الصواب من أحاديث المجلس . . . وأغلب

ما يجتمع عنده حديثهم أن الرجل كان مخبول العقل ! وهى كلمة طالما ترامت إلى سمع « كامل » وهو حى يرزق ، فكان يبتسم لها فى اطمئنان غير مبال بما يذهب إليه الناس فى شأنه من مذاهب . ذلك لأنهم ما كانوا يجدون لأنفسهم مخرجاً من التفكير فى عقلية « كامل الخلعى » إلا أنه مخبول ذلك الذى يطوف الحارات والأزقة باحثاً عن الكلاب الضالة والقطط المشردة ليدفع إليها من الطعام ما يباعد بينها وبين الجوع

استقبل كامل الدنيا طفلاً لعوباً كما يستقبلها أترابه من أبناء الذوات والترفين. ولكنه لم يلبث أن اصطدم بأول حادث هز عواطفه البكر فى مستهل حياته . لم يكن قد تجاوز الخامسة حين بدت نذر الثورة العرابية ، وكان والده يومئذ من ضباط الجيش المقيمين بالإسكندرية . فنى ساعة واحدة صدرت الأوامر بتأهب الجيش، ولم يجد الضابط الباسل فرصة لتوديع ولده الطفل واكتنى بأن بعث إلى منزله « بكوم الشقافة » من نقل زوجه وطفلها الصبى سريعاً إلى دمنهور مستقر العائلة . والطفل المبكر فى نموه العقلى يستطيع أن يحس هذا الموقف كما أحسه « كامل » إذ أدرك أن والده الضابط قد لا يعود إليه لأن القتال قد بلغ حماسته بين المصريين والإنجليز. ولم يشك كامل فى أن والده قد لقى مصرعه فى خط النار عند كفر الدوار، ولكن مفاجأة أخرى اصطدمت بها أعصابه الغضة بعد انتقال ميدان القتال إلى التل الكبير وبعد عام كامل فإذا بالضابط يعود إلى أسرته حياً بعد أن أدى فى سبيل الوطن واجبه ، وإن انتهت الحرب على غير ما يبنى الأحرار

وبالرغم من أن « كاملاً » قد استعاد الحياة فى كنف والده بعد يأس من لقائه ، إلا أن هذا الحادث لم يغادر ذاكرته ولم يزايل الأثر أعصابه ، بل بقيت ذكرى هذا الألم متغلغلة فى نفسه وصدره فحولته إلى مخلوق كثير الدموع دقيق الإحساس رقيق الشعور بكل ما يحيط به من ألم أو سرور ، يبكى لبكاء الباكين ويفرح لسرور الفرحين

وفى القاهرة بدأت المرحلة الأولى لشخصية « كامل » إذ كانت المدرسة أول تجربة أظهرت النزوع التركز فى عقليته ، وهو عصيانه لكل نظام يحد من الحرية وإن أوجبت هذا النظام طبيعة الوجود . وقد جنت هذه النزعة على « كامل » فى حياته ومستقبله إذ قطعت عليه طريق الدراسة التى يلتمس من ورائها المستقبل المادى فى الحياة ، فما انتهى من دراسته الابتدائية حتى تمرد على هذا النوع من التعليم المحدود فى نطاق البرامج

وصادفته صدمة أخرى أكرهته على التشرد بعيداً عن حضانة الوالدين ، إذ تفرق ما بين هذين الوالدين من رباط . فانطلق كامل يضرب فى الأرض أفاقاً يلتمس الحرية والتعزى عن فجيعته فى حضانة والديه . وعبثا حاول والده أن يخضعه لطاعته التماساً لدفعه إلى المدرسة يستكمل دراسته . واستقر الفتى بعد ذلك على اختلاس التردد على مكتبة والده فى ساعات متقطعة استطاع من ثناياها فى مدى عامين أن يقرأ كتاب « العقد الفريد و الأغانى » وتاريخ ابن الأثير والجبرتى وطائفة من دواوين شعراء العرب ؛ وهو لما يجاوز الخامسة عشرة .

فى هذه الفترة كان « كامل الخلعى » يتهيأ لأن يستمع إليه الخاصة مطرباً يحيى موات النفوس ويراه الناس خطاطاً ورساماً قد دق إحساسه بروح الفن . وهو فى هذا المجال من الصبا ينطلق بين الجماعات المختلفة : فتارة تراه فى مجلس العلماء وأعلام الأدب من طراز « السيد توفيق البكرى » نقيب الأشراف يومئذ وقد اصطنع « كاملاً » لنفسه ، أميناً لمكتبته ؛ وتارة تراه يدارس أساتذة الموسيقى فى عصره ويستلهمهم أسرار الفن وأصوله وقواعده

وفى هذا السياق من التخبط فى الحياة ، انتقل والده إلى ربه بعد أن ضعف بصره ووهنت قواه . فلم يتريث « كامل » فى طريقه بل واصل حياته جاداً مستهيناً بكل ما اعترضه فى جهاده؛ واستطاع بعقله الخصب أن يصل إلى قمة الشهرة عن جدارة، فكان الأديب واللغوى والفقيه والشاعر والخطاط والرسام بل الموسيقى الذى استهوى القلوب، وتزاحم الأعيان وخاصة العلماء والأدباء على التماس الاستئثار به فى مجالسهم يحادثهم فى الأدب ويطربهم بسحر أغانيه العذاب

لقد نضج « كامل الخلعى » قبل الأوان ، وشارك أساتذته فى ثروتهم من الأدب وعلم الموسيقى ، فلم يكن كثيراً على نبوغه البكر أن يفاجئ الناس وهو فى سن السادسة والعشرين بكتابه « الموسيقى الشرقية » فيأخذ به بين علماء الموسيقى فى مصر والشرق مكانة (العالم المتمكن) ولكنه ابن السادسة والعشرين

واستطاع « كامل » أن يتعلم من اللغات التركية والفارسية والإيطالية وأن يجيد الفرنسية إجادة الرسوخ . وهو بعد أن تطاول كتابه « الموسيقى الشرقية » إلى أقطار العالم تترامى إليه

رسائل المعجبين من كل صوب ، مما أوجد فى نفسه الرغبة إلى اقتحام مخاطر الرحلات ، فزار الشام وتركيا وإيطاليا وفرنسا وتونس ، وقضى فى كل منها عدة من السنين اتصل فيها بعلماء الموسيقى وأعلام الأدب حتى اندمجت شهرته بشهرتهم وتبادل معهم كل جديد من الرأى فى الموسيقى العربية والإفرنجية

ثم هو يستقر بعد ذلك فى مصر أستاذاً كاملاً فى علم الموسيقى يرجع إليه المشتغلون بها فى كل ما استشكل عليهم من غامض الفن . وهو فى نفس الوقت يتهيأ لأن يفاجئ المصريين بنوع لم يتعرفوا إليه فى الموسيقى من قبل هو نوع الأوبرا والأوبريت التى أبرز فيها شخصية السيدة منيرة المهدية على المسرح الغنائى لأول مرة فى التاريخ سنة ١٩١٦ تركز بعدها كيان الأوبرا الغنائية فى فن التمثيل

وواصل « كامل » بعد ذلك جهاده الفنى بين المسرح و (جوقات الطرب) بما قدم لفن الغناء من تلاميذه النوابغ الذين علا نجمهم وإن تنكروا له بعد ذلك فى محنته . ولكنهم اليوم أصحاب السمعة والصيت دون أستاذهم المجهول الذى ساهم فى وضع أساس الفن ومهد له سبيل الحياة . ثم مات عن خصاصة وعاش تلاميذه فى رخاء من تركة أستاذهم الفنية ، وهى ليست من القلة بحيث تفقد وجودها وسط هذه الفوضى العابثة من الألحان والأغانى التى يخرج علينا بها مطربو هذه الأيام . فقد تجاوزت تركة « كامل الخلعى » من الألحان الأربعين رواية بين الأوبرا والأوبريت موزعة بين فرقة السيدة منيرة المهدية وشركة ترقية التمثيل العربى (شركة مصر للتمثيل والسينما اليوم) وفرقة الكسار . بل من إنتاج « كامل الخلعى » تزودت أشهر المطربات فى مصر فسمون بأغانيه إلى مرتقى مجدهن الذى من عليائه تكونت لبعضهن ثروة تغنى مئات من طراز الخلعى الذى مات فقيراً معدماً ، بعد أن مهد لتلاميذه الطريق إلى الشهرة والثراء . وكان من أشد ما لاقاه « كامل » فى أخريات أيامه من مرارة وألم أن مغنية كبيرة ممن لحن لهن « كامل » بلغ بها الشح إلى اغتياله فى حق له عندها من ثمن قطعة لحنها لها ربحت منها مئات الجنيهات ضنت عليه بعدها بأجره ، وكان من حقه عليها أن تكفيه شر ما لاقى من فقر ومسغبة .

فبقدر ما أسرف « كامل » فى العطف على الفقراء والمكدودين وبسط لذى الحاجات كفيه ، جحد الناس فضله ونسوا أياديه على الفن وتنكروا لأولاده من بعده . وهو لم يكن يجهل هذا المصير الذى آذنه عند تدهور قواه وسقوطه على فراش الموت ، لأنه خبر المجتمع ودرس حياة الجماعات وأمعن فى فهم الأخلاق التى تسود القوم من تنكر وجود وأثرة

كان « كامل الخلعى » مخلوقاً غريب الأطوار فى حياته وعقليته . لم يضع كيانه فى بيئة خاصة ولم يلتزم جماعة معينة فى المجتمع . فبينا تراه نديم العظماء فى سهراتهم الخاصة وسمرهم الطروب ، إذا بك تشهد له فى نفس اليوم مجلساً متواضعاً بين جوقة من (أولاد البلد) فى حى (المشهاوى) أو غيره من الأحياء الوطنية فى القاهرة ، يلقنهم أغانيه الشعبية المرحة التى احتكرها جماعة (الصهبجية) وجوقات الطرب فى الأفراح الشعبية . وفى نفس الوقت تكون إحدى درره الفنية ساطعة الضوء على مسرح من مسارح التمثيل الغنائى تجتذب بروعتها لب الجماهير . وقد يلزمه فنه الوحى من روح الطبيعة مجالسة إحدى الطبقات من الشعب لتطبيق أغانيهم على لحن صادفه فى رواية مسرحية جديدة ، فقد عهدت إليه (شركة ترقية التمثيل العربى) يوماً بتلحين رواية « طيف الخيال » وفى الرواية مشهد من مشاهد (الحواة) فدفعه إخلاصه لفنه إلى أن يجوب أحياء القاهرة باحثاً عن أحد الحواة ليشركه معه فى وضع اللحن الملائم لهذا المشهد . فكان حظه من التوفيق مطابقاً لما سبق له من نجاح دائم فى ألحانه المسرحية

وإذا كانت حياة « كامل الخلعى » الموسيقية قد طغت على قيمته العلمية فحجبت عن الجماهير شخصيته كأديب وعالم خصب ، فإنه من غير شك كان ينحو فى الحياة منحى فلسفياً أفرد له شخصية شاذة ذهب الناس فى تكييفها مذاهب شتى . فلم يوفق باحث من كتاب الاجتماع إلى إبراز شخصية من حيز الغموض والمجهول .

ولقد تناول حديثى عن « كامل الخلعى » مرة مع صديقى الأستاذ أحمد خيرى سعيد ناحية شاذة فى ميول الرجل ونزعاته الإنسانية ، فذكرت لصديقى أننى مرة كنت أرافق « كاملاً » فى حى (باب الخلق) وصادفنا صاحب عربة (من عربات النقل) أثقل على حصانه العبء فما كان من « كامل » إلا أن اندفع على الرجل فى حالة عصبية ثائرة وأبى إلا اقتياده إلى قسم البوليس ! أى جريرة ارتكبها الرجل؟ لقد استعمل القسوة مع الحيوان المسكين



جزيئات المـــادة

حركة الجزيئات سبب للعمليات الحرارية

للدكتور محمد محمود غالى

فى مشاهداتنا اليومية دليل على التقسيم الجزيئى للمادة – حركة «الهابوش» حول المصباح – كيف انتصرت النظرية السينيتيكية فى القرن الماضى – قوانين الضغط والحجم والحرارة تجد تفسيرها فى الحركة الداخلية لجزيئات المادة – الحرارة عامل أساسى فى حركة الجزيئات – الحرارة هى الحركة ذاتها

عند ما تُطالع مقالاً فى صحيفة أو تقرأ موضوعاً فى كتاب فيحدثك الكاتب فى هذا أو ذاك عن الجزىء Molecule وعن الذرة Atome فإنك تنظر لهذه الموضوعات كأنها فروض علمية أكثر من نظرك إليها كمسائل عملية وحقائق ثابتة يعترف بها العلم التجربى . ولكنك إذا أنعمت النظر فيما يعرض لك فى حياتك اليومية من أحداث فإنك لست فى حاجة إلى اللجوء إلى تجارب العلماء الدقيقة لإثبات الفكرة الذرية ، بل إن شيئاً من الملاحظة والتأمل حقيق بأن يُثبت لك بأدلة محسوسة أن المادة مكونة من جزيئات متناهية فى الصغر تمثل فى انو فع وسطاً منفصلة أجزاؤه وحالته غير مستمرة

موضوع يعجب له القارىء كيف يتسنى له أن يدرك النظرية الذرية من التأمل فى بعض المظاهر التى يصادفها ؟ وكيف تحمل هذه بين طياتها أكبر الأدلة على ثبوت بعض القضايا العلمية الدقيقة ؟ لذلك نسرد للقارىء طرفاً منها

من العادات الشرقية أن نطلب فى بيوتنا من الخادم كوباً من الماء البارد، ونطلب منه فى الوقت ذاته أن يضيف إليه نقطة أو بضع نقط من ماء الورد ، ليكون للماء ونحن نشربه عبير ترتاح إليه . شىء من التأمل يدفعنا إلى فهم فكرة الجزيئات ، إذ نعرف ونحن نتجرع ما فى الكوب من شراب أن هذه النقطة من ماء الورد التى يعد حجمها ضئيلاً بالنسبة إلى حجم ما فى الكوب من ماء ، انتشرت قبل تذوقنا إياه فى كل أنحائه ، ولم يستأثر جزء من مياه الكوب بها دون الجزء الآخر

هذه الظاهرة من امتزاج نوعين من السائل : الماء النقى المتدفق من الثلجة، وماء الورد المحفوظ فى الزجاجة ، لا يمكن أن تحدث إلا على حساب انتشار جزيئات صغيرة من ماء الورد بين جزيئات الماء الصافى ، لأنه على صغر حجم نقطة الورد أصبحت موجودة فى كل مكان بين جزيئات الماء

خاطر آخر : ليس ثمة ما يمنع أن نصب ما فى الكوب فى حوض كبير مملوء بالماء ، إننا عندئذ نشعر بعبير الورد فى كل أجزائه ولو بدرجة طفيفة ، هـذه القطرة الأولى امتزجت فى الحوض

وصديقى هذا هو الإنسان الوحيد فيمن أعرفهم الذى وضع الجواب الصحيح لتصوير «كامل الخلعى» فى هذا الموقف الشاذ ، إذ قرر أن الرجل من غير شك له عقلية فيلسوف ولكن من نوع لا يعيش فى هذا الجيل !

* * *

هذا هو «كامل الخلعى» الذى كسب من فنه آلاف الجنيهات ومات معدماً إلا عن تركة من الألحان يتناهبها جيل جديد من الملحنين كل بمجهودهم أنهم يجيدون نقل ألحان «كامل الخلعى» وأغانيه من رواياته القديمة إلى مقطوعات جديدة ، ثم هى بعد ذلك ألحان وأغان يكتسب بها ناقلوها ومغنوها أقواتهم ويجمعون ثرواتهم ، وأصحاب التركة من أولاد «كامل الخلعى» فى عزلة عن الناس وعن الوجود

محمد يوسف دغيل

الكبير الذى نعرف فيه أثرها بعبيرها والذى بات مسرحاً للجزيئات العديدة للنقطة من الورد ، تكمن هذه الجزيئات تارة وتنتقل أخرى فى أرجائه المترامية

ولو أن هذه النقط كانت من الحبر بدل ماء الورد لحدث ثمّ تعديل طفيف فى لون الماء داخل هذا الحوض لا شك يعم كل أجزائه التى تميل عندئذ إلى الزرقة بانتشار الجسيمات الصلبة الصغيرة للحبر فى كل أرجاء الحوض الفسيح

كذلك نرى نوعين من الزجاج الملون ، كلاهما أحمر اللون ولكنهما يختلفان فى درجة الاحمرار ، هذا الاختلاف الشديد فى ألوان الزجاج أو أقمشة الملابس هو نتيجة لاختلاف نسبة جسيمات المادة الملونة بالنسبة للمادة المراد تلوينها

كذلك من السهل معرفة مخلوط من البروم والكلوروفورم من رائحة الأخير ، وإذا كان العلماء يستطيعون بعد ما سردناه من أمثلة أن يميزوا نسبة الأكسيجين والأزوت فى الهواء بكل تفاصيلهما بدراسة أطيافهما ، ابتداء من الأشعة تحت الحمراء إلى الأشعة فوق البنفسجية ، فإن لهم فى هذا طريقة فى التحليل الطيفى ليست من عمل الرجل العادى ، ومع ذلك فهم يصلون إلى النتيجة ذاتها التى تتلخص فى أن الأكسيجين والأزوت مادتان مركبة كل منهما من جزئيات كماء الشلجةِ وماء الورد ، بحيث إذا اعتبرنا قدراً صغيراً من الهواء الذى نستنشقه نجد فيه دائماً هذين المخلوطين بنسبة معينة هى التى يعرفها العلماء من التحليل الطيفى ، كما أن الورد أو الحبر امتزجا مع الماء بنسبة معينة ، هى التى تميزها حاسة الشم أو النظر التى تقوم فى هذه العملية بما تقوم به الأجهزة الدقيقة فى تجارب العلماء المتقدمة

***

ومع ذلك فإنه من غير المعقول أن مادتين مستقلتين تندمجان أو تختلطان أو يتداخل بعضها فى البعض إلا إذا فرضنا وجود جزيئات صغيرة لكل منهما وأن هذه الجزيئات تتحرك فتنتشر بعضها بجوار البعض

فى مشاهداتنا اليومية عند مايقرع الجرس فى إحدى المدارس يخرج طلبة جميع الفرق إلى فناء المدرسة ، ويختلط جميعهم بحيث يصح فى كل لحظة أن نرى طالباً من فرقة معينة محاطاً بطلبة من جميع السنين الأخرى ، بحيث أن فى كل بقعة من فناء المدرسة يوجد طلبة من جميع الفرق تتحدث وتجرى وتلعب ، كل منهم مستقل بذاتيته ، ولا يمنع هذا أن دقة أخرى من الجرس واتفاقا كان نتيجة التدريب والتهذيب ، يجعلان هذه الشخصيات المستقلة والجزيئات المبعثرة تتجمع مرة أخرى فى صفوف منتظمة بحيث نرى بعد مرور فترة من الوقت هذه الأفراد تدخل فصولها كل على مقعده الذى كان عليه منذ أمد قصير

كذلك لا بد من أن هناك عملية طبيعية تجعلنا نفصل مرة أخرى ماء الورد من الماء وجسيمات الحبر من ماء الحوض ونزيل عن الأقمشة ألوانها ونفصل الكلوروفورم من البروم ، كما أن ثمة عملية أخرى تفصل الأكسيجين من الأزوت بحيث تصبح جزيئات الأكسيجين بمفردها منفصلة فى وعاء معين وجزيئات الأزوت فى آخر ، كما يجتمع طلبة فرقة معينة فى ردهة معينة وطلبة الفرقة الأخرى فى الردهة المجاورة

إنما سردت للقارئ ما تقدم ليدرك أن فى مشاهداته اليومية وعملياته العادية يجد منطقاً للفكرة الذرية ، بحيث أن فكرة الجزىء ووحدته هى فى الواقع نتيجة فعلية أكثر من أن تكون عملاً من قبيل الفروض

على أننا سنرى فيما نتابعه أن هذا الجزىء مكون مما يسمونه الذرات ، وقد كان للكيمياء الدور الأكبر فى معرفتها . وسنرى أن كل ما نعرفه فى الكون محصور فى عناصر مختلفة لا يزيد عددها عن ٩٢ عنصراً ، وأنها تبدأ من الهيدروجين أخف هذه العناصر وتنتهى بالايرانيوم أثقلها ، وأن الاختلاف بينها راجع إلى التركيب الذرى . وسنرى بعد ذلك أن العلماء توصلوا إلى حسر الستار عن حقيقة هذه الذرات ، وأنهم استطاعوا أن يضغطوها تارة (أعمال كوتون Cotton) ويهدموها تارة أخرى (أعمال رذرفورد وموريس دى بروى وجوليو وفرى وأخيراً برايش) ، وأنهم فى ذلك أعلنوا على المادة حرباً ضروساً لا نعرف مداها ، ولا نعرف إلى أى حد يبلغ أثرها ، وهم فى ذلك كمن أعلن علينا حرباً شعواء مدمرة عبثت بنا نتيجة لطمع الطامعين ، حرباً جالبة للأسى وقعت فى أثنائها قنبلة تطايرت شظاياها فى فناء المدرسة السابقة، فدكتها دكاً ومزقت الأطفال فتطايرت أشلاؤهم ظلماً وعدواناً ، واختلط

الأمر وعم الذعر والخراب ، فلا جرس يعيد القوم إلى فصولهم ولا شخص واحد منهم نستطيع التعرف عليه . هذا التهدم المدرسى شبيه بالتهدم الذرى الحادث فى ذرات الجزيئات وهو يشغل بال العلماء اليوم ، وسيكون موضوع أحاديث لنا فى الرسالة لخطورته وأهميته. ولئن كان التهدم فى مثال المدرسة نتيجة الجبروت، دليلاً على الفناء، فهو فى جزيئات المادة وذراتها انتصار للعلم ومفخرة للعلماء ، حتى أن فريقاً منهم يفكر جدياً فيما قد يكمن وراء هذا التهدم Désintégration من أسباب تمكننا من تسخير المادة تسخيراً يختلف عن تسخيرنا لها اليوم واستخدامها بطرق تختلف عن كل ما ذهبنا إليه

ونعود للجزىء الشخصية الكاملة التى تحوى قطرة واحدة من ماء الورد ملايين الملايين منه فنقول إن جزيئات الورد هذه وتلك التى هى من الماء مستقلة فى ذاتها استقلالاً تاماً وإن ما يظهر لنا من أن مزيج الماء والورد أو البروم والكلوروفورم أو الأكسيجين والأزوت مندمجة جزيئاته فى الآخر هو مظهر لفعل حواسنا التى لها قوة محدودة فى تمييز الأشياء ، وإن وجود ماء الورد فى كل نقطة من الحوض الكبير أول دليل على تركيبه الجُبيْبى وأنه مكون من جزيئات عديدة هى التى انتشرت بين جزيئات الماء الصافى فى أرجاء الحوض كما ينتشر الطلبة فى أرجاء المدرسة

***

هذه الأمثلة ومثال المرونة فى الأجسام الذى قدمناه فى مقالنا السابق ترجِّح الفكرة الذرية للمادة ، ولكن لا تقيم عليها الدليل القاطع ، وهكذا وبالرغم من كل ما ذكرناه ظل العلماء فى حاجة قصوى إلى حجة أخرى تكون مُستقاة من مصدر آخر .

إن نجاحاً كبيراً أحرزته العلوم الطبيعية للفكرة الذرية الحديثة أتى عن طريق ظاهرة أخرى . فقد تكونت بجوار الظواهر التى ذكرناها مجموعة أخرى من الظواهر تفسر الذرية وتنتصر لها ؛ وهذه المجموعة تتجلى فى الظواهر الخاصة بالتغييرات الحرارية ، وبذلك قدمت ظاهرة الحرارة فى الأجسام حجة جديدة لم يفكر فيها الذريون الأقدمون ، وعلى أكتاف التقدم الحرارى بالطريقة التى تمت فى القرن الماضى وضع الطبيعيون للذرية أساسها الحقيقى ولكى نفسر العلاقة بين الحرارة والذرية ، نذكر للقارىء الفكرة الأساسية لهذه العلاقة : وهى أن الجسيمات المادية صلبة كانت أم سائلة أم غازية فى حالة هياج دائم وحركة مستمرة، وأن ثمة علاقة بين هذه الحركة وما نسميه حرارة الجسم . فكلما كانت حرارة الجسم مرتفعة كانت جسيماته أكثر حركة ونشاطاً . هذه النظرية التى كانت من أكبر الانتصارات العلمية للقرن الماضى يسمونها « النظرية السينيتيكية » Theorie Cinétique صفة من الحركة ، وهى تقرر أنه فى حالة الغازات تتحرك جزيئاتها حرة حركة غير منتظمة فى جميع الجهات ، وفى حالة السوائل تتحرك الجسيمات حرة أيضاً فى جميع الجهات ، ولكنها لا تتركه ، وفى حالة الأجسام الصلبة تتذبذب هذه الجزيئات فى مكانها دون أن تنتقل فيه .

***

مثال نقدمه للقارىء ليفهم النظرية السنيتيكية : فى القاهرة بجوار النيل والحدائق والمياه يكثر فى فترة معينة من السنة نوع من البعوض الصغير يطلقون عليه « الهابوش » يغدو حراً طليقاً فى الفضاء، وتتصادم هذه الكائنات الصغيرة المتحركة فى كل اتجاه مع كل ما تقابله ، وطالما تضايق الانسان لدنوها من الوجه أو العين، وهى على هذا النحو تشبه جزيئات الغازات فى حركتها الدائمة غير المنتظمة .

على أن هذه الحرية المطلقة تصبح محدودة إذا وجدت هذه الكائنات قريباً من طريقها الأعمى نور مصباح ؛ فهى فى هذه الحالة تتجمع بالمئات والألوف تدور حول المصباح وترتطم به .

هذه الاجتماعات الليلية تختلف عن الاجتماعات الاختيارية التى تحدث لنا نحن معاشر الإنسان عند ما نتوجه للاجتماع فى قاعة للمحاضرات أو ناد أو حفلة ؛ فإن هذه المخلوقات المسكينة لا تذهب مختارة إلى حيث يسطع الضوء القوى ، ويتألق المصباح ، بل إن ثم « تأثيرات فوتو كيميائية » Effets Photo-chemiques وإفرازات معقدة تحدث داخل أجسامها نتيجة للضوء، تأثيرات تجد تفسيرها اليوم فى الكيمياء الطبيعية .

هذه التغييرات الكيميائية الطبيعية التى سببها الضوء تحرك عضلاتها حركة إجبارية وتوجه.هذه المخلوقات التعسة أرادت هى أم لم ترد نحو مصدر الإضاءة . هذه الألوف من الكائنات

تدور وتعلو وتهبط ويصطدم بعضها ببعض وبالمصباح ويستمر هذا فترة طويلة ، وهي في هذا تمثل عندى جزيئات السائل التى تتحرك بداخله فى جميع الاتجاهات كما يصطدم بعضها ببعض، وكما أن هذه المخلوقات عاجزة عن أن تترك المصباح ، كذلك جزئيات السائل داخل الكوب عاجزة عن أن تتركها ، وليس خروج أحد هذه المخلوقات بعيداً عن منبع الضوء إلا حادثاً نادراً يحدث تحت تأثير عوامل خارجية مثل هبوب الهواء شديداً فى اتجاه معين بحيث يكون سبباً لبقائها حية فترة أخرى من الزمن ، وهى فى نجاتها من المصباح ، بعامل الهواء ، تشبه الذرات المائية التى تخرج من السائل تحت عامل التبخر

وتمر الساعات ويطول الليل ويتكرر اصطدامها بالمصباح الساخن وتفقد نشاطها فى المقاومة فيلتصق الكثير من هذه الكائنات بالمصباح الكهربائى أو السقف الحامل له ، وتقترب ساعتها الأخيرة فنرى طبقة كثيفة مكونة من آلاف الآلاف قبل موتها متلاصقة فى مكانها تتذبذب يميناً ويساراً قبل أن تفقد كل أمل فى أى حركة وقبل أن تصبح فى عداد الأموات . هذه المخلوقات المتلاصقة المتمايلة طوراً إلى اليمين وتارة إلى اليسار تشبه عندى جزيئات الأجسام الصلبة التى لا تستطيع أن تنتقل فى مكانها ولكنها تستطيع أن تتذبذب فيه

وهكذا فى هذه المخلوقات التى نطلق عليها « الهابوش » نرى صورة صادقة لما يحدث فى المادة على أشكالها الثلاثة المعروفة الصلبة والسائلة والغازية

***

هذه الحركة الداخلية بين جزيئات المادة الواحدة ومعرفتنا إياها كانت انتصاراً للنظرية السينيتيكية ، وقد نشأ عن ذلك فى بادئ الأمر أن وجد العلماء تفسيراً لضغط السائل أو الغاز على جدران الأوعية التى تحتويها ، ذلك أن تصادم جزىء واحد لا يحدث أثراً واضحاً أو ضغطاً محسوساً ، ولكن العدد الكبير من المصادمات الفردية الحادثة فى الثانية الواحدة يسبب ضغطاً موزعاً بالتساوى وناتجاً من مجموع الضغوط الفردية

على أن تحديد مقدرتنا بالإحساس هى التى تجعلنا بدل أن نشعر بمصادمات عديدة منفردة نشعر بضغط موزع توزيعاً منتظماً . هذه المقدرة المحدودة فى الإحساس هى التى تجعلنا نخطئ طبيعة وعمل هذه المجموعات للجزيئات فنشعر فى العادة بضغط منتظم لجسم متصل

هذه المصادمات الفردية التى تسبب الضغط تفسر رأساً القانون الأساسى الذى يربط الضغط بالحجم فى الغازات والذى تعلمناه جميعاً فى المدارس وهو القانون القائل : إنه عندما تقلل حجم غاز إلى النصف مثلاً فإن ضغطه يزيد بمقدار الضعف . والواقع أنه عندما نضغط الغاز إلى نصف حجمه الأصلى فإنه لا يكون لجزيئاته فراغاً لحركتها سوى نصف المقدار الأول ، وعلى ذلك فإنها تضرب فى الثانية الواحدة السطح الجانبى للإناء الحامل للغاز ضعف عدد المرات الأولى قبل تقليل حجمه . هذا التضعيف فى عدد المصادمات يسبب نفس الزيادة فى الضغط ، وهى ظاهرة ممكن قياسها بطريقة مباشرة

على أن النظرية السينيتيكية للغازات تأخذ فى محل الاعتبار أيضاً العامل الحرارى ، وبهذا انتهى العلماء إلى قانون أعم من القانون السابق ، بحيث إذا رفعنا درجة الحرارة لغاز معين فإن سرعة جزيئاته تزيد، وتزيد بهذا الأثر الذى تحدثه هذه المصادمات وينتج عن ذلك زيادة فى الضغط ، فزيادة الضغط بتسخين الغاز مع حفظ حجمه ثابتاً تنشأ عن زيادة القوة الحادثة من كل مصادمة فردية

هذه الفكرة وغيرها أمكن وضعها فى الوضع الرياضى حتى أصبحت النظرية السينيتيكية لا تفسر المظاهر المختلفة بشكل نوعى فحسب . بل أصبحت تفسر كل التغييرات الكمية الحادثة فى كل هذه الظواهر . وهكذا انتصرت النظرية السينيتيكية وأخذت مكاناً ممتازاً فى العلوم الطبيعية ، حتى أننا لا نعرف اليوم طبيعياً يطعنها أو يضعها بشكل جدى محل الشك

ولم تقف الدراسة الكمية عند الحد الذى ذكرناه من تفسير قوانين الحجم والضغط والحرارة بل إن سباق الجزيئات الذى لا نظام له والذى يتبع خطوطاً منكسرة ، هى نتيجة لتصادمها المستمر، أمكن دراسته من الناحية الكمية دراسة أدت إلى حساب عددى للاحتكاك الداخلى للسوائل والغازات الذى يعد العقبة فى هذه الحركة بالتصادم المستمر

على أن سرعة هذه الجزيئات كبيرة لدرجة عظيمة ففى درجة

من هنا ومن هناك

الديمقراطية والإذاعة – عن تلسكرد كوبنهاجن

الاستماع بمعناه الحق فن عظيم ليس من السهل إدراكه . وكثير من الناس يتعذر عليهم الإصغاء عن أى شىء آخر ؛ وقد عملت تجارب نفسية للبحث فيما إذا كان الإنسان يفهم ويذكر ما يسمع أو ما يقرأ . وهل الكلمة المسموعة أكثر تأثيراً فى النفس أو الكلمة المكتوبة . ولم يهتد إلى حل مرض فى هذا الموضوع؛ ولكن انتشار المذياع ألقى ضوءاً جديداً على هذه المسألة .

فالصلة الشخصية بين المتكلم والسامع لا وجود لها فى الإذاعة، إذ أن السامع لا يستفيد برؤية المذيع ، والرؤية لها تأثير لا شك فيه . فأنت محتاج حين تسمع إلى تركيز ذهنك إلى حد لا تحتاجه حين ترى المتكلم وجهاً لوجه . لذلك يتحتم أن تكون الإذاعة قصيرة ، ويجب أن يكون لها نظام خاص وأسلوب معين .

نحن نعيش فى أزمة عظيمة لم يشهد مثلها العالم من قبل ، إذ تصطدم المثل والأساليب بقوة ووحشية لم يسبق لها مثيل . فمن الواجب والحالة هكذا أن تتحرر الإذاعة من هذه الحالة : يجب أن تعطينا صورة صادقة عن الأحوال والشؤون التى تشغل العالم ، وتبين الأسباب الحقيقية لها ، بصفة موضوعية بقدر المستطاع ، بعيدة عن طرق الإبهام والإغراء .

على أن المذياع إذا حل محل الكتاب فى التأثير على المدنية ، فلغة المذياع لا تستطيع أن تجارى لغة الكتاب . وقد أوضح ذلك البروفسور لويد جيمس فقال : إن الصحافة الإنجليزية وطدت طريقتها فى الأسلوب ووسائل الإيضاح منذ مئات السنين ، بينما المذياع حديث لم يتجاوز استعماله ثمانى عشرة سنة . وهناك فرق كبير بين الكلمة التى تنطق والكلمة التى تقرأ . فالكلام الذى يبحث ويشرح بالكتابة على الوجه الأكمل لا يمكن أن يذاع

ويقول لويد جيمس: من الخطأ أن نظن أن أساتذة الكتابة ورجال الصحافة هم أصلح الناس للإذاعة .

ويقول: إننا نتلقى كل معارفنا على التقريب عن طريق العين، وأن ٩٠٪ من معلوماتنا مأخوذ عن الكلمة المكتوبة ، وقد ظهرت فجأة آلة المذياع وهى تعتمد على الأذن وحدها، وهذا تطور

الحرارة العادية تبلغ سرعة جزيئات الهواء داخل غرفنا حوالى كيلو متر فى الثانية ، أى ستة أضعاف أكبر سرعة نعرفها للطائرات الحربية الحديثة ، وهى بهذا تزيد سرعتها عن كل ما نعرفه من المركبات الأرضية

* * *

لقد اكتفينا حتى الآن بأن نقرر أن رفع الحرارة يزيد فى سرعة الجسيمات ، وأن ثمة علاقة بين الحرارة والتهيج الجزيئى ، ولكنا نريد أن نقدم للقارئ أمراً جديداً ، نريد أن نقول إن هاتين الظاهرتين أمر واحد

هنا تستوقفنا أزمة جدية فى التفكير الطبيعى الحديث . ونكرر القول بأنه ليس هناك حالة خاصة بالحرارة وحالة أخرى خاصة بالحركة بمعنى أن الحركة ليست نتيجة للحالة الحرارية بل إنها هى الحالة نفسها

هذا النوع الجديد على معارفنا والذى أدخله ليبنتز Leibniz أصبح أمراً عادياً فى العلوم الطبيعية لدرجة أن الطبيعيين يطبقون هذه المعارف الجديدة دون أن يعيروها أى التفات ، ومع ذلك فإنه مما لا شك فيه أن ما نذكره هنا مدعاة للاستغراب للشخص العادى الذى يميل إلى أن يعتقد أن الحرارة تسبب زيادة فى الحركة ، أكثر من أن يميل إلى الاعتقاد بأن الحرارة هى الحركة بذاتها ، وليس لنا أن نطالب القارئ بتصديق ذلك قبل أن نحدثه فى المقال القادم عن انتصارات روبير ماير Robert mayer وبولتزمان Boltzmann التى أحدثت انقلاباً عظيماً فى التفكير الحديث

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

لا شك فيه فى طرق تربيتنا وتعليمنا ، ومن الواجب أن تعد له الأساليب والتعبيرات التى تلائمه إذ أنها تختلف كل الاختلاف عما عداها .

ولم تعرف بعد طرق التعبير التى تجعل من المذياع آلة صالحة لنشر الثقافة والتعليم ، ولكن من الممكن أن يقال إذا كان التعليم العام والخاص والثقافة هى الطرق المؤدية إلى الديمقراطية ، ولا نقول الديمقراطية المعروفة فحسب ، ولكن الديمقراطية التى يتطلع إليها العالم فى المستقبل : فمن المستطاع أن يكون للمذياع أكبر فضل فى بناء صرحها وإعلاء كلمتها .

إن الدكتاتورية تعتمد على نشر الدعاية بين الجماهير ، والديمقراطية تعتمد على ذكاء الفرد ومقدرته الخاصة على فهم الأمور والحكم عليها . والمذياع هو ذلك الصوت الذى يرتفع من جانب الحجرة ، لا ليجبره على اعتناق فكرة دون الأخرى ، ولكن ليفتح ذهنه لمختلف الآراء ، ليحكم عليها بنفسه ، ويختار ما يلائمه منها .

الخرافة وأثرها فى حياة العالم – عن محاضرة للورد بونسونبى

كل إنسان فى هذه الحياة عرضة للخرافات والأوهام تلعب دورها معه . ولا غرابة فى ذلك فمنذ خرج من عالم الحيوان نظر إلى ما حوله فنسب كل ما لا يستطيع فهمه إلى قوة خفية خارقة . ويقال إن الإنسان ما زال على فطرته الأولى فهو يتعلق بالخيالات ويتعشق الأوهام

ويبدو هذا صحيحاً إذا اعتبرنا ما يسود العالم من الخرافات الآن . وقد اعتمدت الدعاية فى العصر الحديث على خداع الإنسان بمختلف الوسائل ، ولم يخطئها النجاح إذ أن الإنسان بطبيعته ميال عن الحق

وما زلنا نرى بين الناس من يعتقدون بالحسد ومن يعتقدون بفكرة الجن والعفاريت . وقد رأيت فى الفلاحين من يتشاءمون من زراعة بعض النباتات . ويتشاءم كثير من الناس بكسر المرآة أو بالمشى تحت السلم أو بجلوس ثلاثة عشر على المائدة . وقد أصيب طفلى مرة بسعال ديكى مما يعترى الأطفال عادة ، وقد حاولت عجوز أن تشفيه من هذا المرض ، فأحضرت ثلاث شعرات من ذيل أتان وخاطتها فى كيس ثم ربطتها فى عنق الطفل ومن حسن الحظ أنه شفى بعد ذلك

أما مسألة الحظوظ فلها دور كبير فى حياتنا . ويلجأ القاصرون إلى طرق غريبة لطاردة الحظ السيء . ويتشاءم الكثيرون لبعثرة الملح ، ولا يزول الحظ السيء الذى يترتب على ذلك إلا إذا رميت قليلاً من الملح من وراء كتفيك . وإذا ولد طفل يجب أن يصعد به إلى أعلى السلم فى الحال حتى يسير قدماً فى الحياة ويرتقى معارج الرقى والفلاح

وقد عرفنا فى التاريخ كيف كان القساوسة ورجال الطب يستغلون عقائد الإنسان التى من هذا القبيل ، لاكتساب النفوذ والقوة . وإذا كان سلطانهم قد ضعف فى هذه الأيام ، فمرجع ذلك إلى انتشار العلم . على أن الإنسان ما زال ميالاً إلى أن يخدع ويغرر به على الدوام

ولم يكن حظنا فى بلاد الغرب فى التخلص من تلك الخرافات بأكثر من حظ الشرقيين، وقد ظهرت عقائد كثيرة فى الولايات المتحدة . وما زالت الأفكار الروحانية تلاقى نجاحاً فى بلادنا . على الرغم من الاضطراب والحيرة اللذين يسودان العالم

وقد اعترف لى طبيب فرنسى بأنه كان يعطى مرضاه حبوباً مصنوعة من مادة الخبز وكانوا ينالون الشفاء باستعمالها لمجرد الاعتقاد. ويقول بعض الأطباء إن بعض القرويين يتأثرون لغياب الدواء عنهم فيعطيهم الطبيب ماء ملوناً ، فيقبلون عليه فى غالب الأحيان ولو أنه لا يجديهم شيئاً

وقد انتشرت الميول الروحية بعد الحرب العظمى لما نال العالم من الأشجان والآلام بسببها فهى تتجر بعواطف الإنسان ومخاوفه والأحزان التى تخامر فؤاده على من فقد من الأهل والخلان

إننى أتنبأ بما سيكون للمذياع من الأثر فى إخضاع الأمم فإذا ظهرت أزمة سياسية فسوف تقهر على سماع ناحية واحدة من نواحى الموضوع . وأنت موقن بأنه لا يوجد شر محض كما لا يوجد خير محض ؛ ولكن رجال السياسة يمزجون الحق بالباطل لينالوا قوة الإقناع . وهم لا يحتاجون إلى كثير من العناء ، ليحرزوا الفوز فى ذلك الميدان الذى تعبد وتوطد مع التاريخ ، فيسيرون قدماً فى طريقهم لإقناعنا بأشياء لا قاعدة ولا أصل لها . ولا جرم فقوتهم مستمدة من الضعف الكامن فى نفوسنا

إنّ مثل هذه الأمور لا تدرك بازدياد الثقافة ، ولكنها تفهم بنمو الذكاء

نابليون والتاريخ الحديث — عن ذي نشنال ريفيو

كتب مؤرخ بلجيكي نظرية جديدة يثبت فيها فرار نابليون من جزيرة سنت هيلانا . فإذا صحت هذه النظرية وجب أن تجمع كتب التاريخ ويعاد كتابتها من جديد . والحقيقة أن بقاء نابليون فى تلك الجزيرة لم يكن متوقعاً ، وقد كان الكثيرون منذ اللحظة الأولى لنفيه لا يستطيعون أن يسلموا بأن النسر سيظل قابعاً فوق هذه الصخرة حتى الممات . وعلى الرغم من هزيمة نابليون فقد ظل سلطانه باقياً فى نفوس غالبية الشعب ، وكان من الطبيعى أن يفكروا فى إعادته

كان نابليون يسير على الطريقة التى يسير عليها هتلر الآن ، فهو يعد شخصاً مشابهاً له فى الخلقة كل المشابهة ليحله محله فى ظروف معينة . وقد وصف ليدرو فى مذكراته المطبوعة فى لينج عام ١٨٤٠ كيف رأى فرنسوا يوجين روبو المولود فى باليكورت عام ١٧٧١ وهو يشابه إمبراطور فرنسا كل الشبه ، وقد قبل نابليون قيامه بهذه الوظيفة

ويقول ليدرو إن روبو عاد إلى تلك القرية بعد موقعة واترلو ، ولم تمض أشهر معدودات حتى أعلن عمدة باليكورت إلى البوليس غياب شبيه نابليون . وقد أثيرت ضجة عظيمة بهذه المناسبة ، ولكنها لم تلبث أن خفتت وذهبت إلى عالم النسيان

فهل حل روبو مكان الإمبراطور ؟ إن لدينا من الوقائع ما يغرى بتصديق هذا ، وقد أثبت فى سجل الوفيات فى باليكورت هذه العبارة : « توفى فى جزيرة سنت هيلانة فرنسوا يوجين روبو المولود فى هذه القرية فى . . . » وقد محى التاريخ لماذا ؟ ألا يكون ٥ مايو سنة ١٨٢١ ، يوم وفاة الإمبراطور ؟ ويكون روبو هو الشخص الذى استقرت عظامه تحت قبة « الأنفاليد » ؟ وليس من المعقول أن يموت روبو فى جزيرة سنت هيلانة وهو لم يحل بها فى يوم من الأيام كما هو ثابت فى السجلات البريطانية

ومما يقوى هذا الرأى ويسنده مذكرات مس مودريشو وقد زارت نابليون فى سنت هيلانة فأدهشها التغير الذى رأته ، ولم تصدق أنه الرجل الذى تعرفه فى باريس ، وقد كتبت تقول : « لقد وجدت من العسير على أن أصدق أن المرض يغير الرجل كل هذا التغيير »

وفى سنة ١٨٢٨ حينما اشتعلت نيران الحرب بين تركيا وروسيا قدم رجل أجنبى وعرض خدماته على السلطان وقد وصل إلى تلك البلاد فى مركب أمريكى . وقد قاد هذا الأجنبى جيش تركيا فى إبراكشا تحت اسم حسين باشا ، ويقال إن حسين باشا هذا هو نابليون ، ويستند أصحاب هذا القول على فذلكة مكتوبة فى ليبزج . فهل لهذه القضية سند من الحقيقة ؟ إنها بعيدة عن التصديق ، ولكن جنود روسيا فى إبراكشا يؤكدون أنهم رأوا الرجل القصير فى ثياب الأتراك



حول مناوأة الخدر والنعاس في الأدب المصري

كتب الصديق البحاثة الدكتور بشر فارس في بريد العدد الماضي من الرسالة بما يقطع في أمر أسباب الكساد الذي يرين على السوق الأدبية في مصر بأنه لا يرى كل الرأي فيما سبق أن ذهبت إليه في مقالي السابق من أن انصراف الجمهور عن الإقبال على النتاج الأدبي في مصر إنما مرده إلى ما قلت: «إذا كان النتاج الأدبي لا يقابل من الجمهور بالحماس الواجب، فلأن الفتور مفروض على كل شيء يجري في مصر، ولأن عدم الاكتراث صفة — ويا للأسف — من صفات الأكثرية الغالبة من الجمهور المصري ولا سيما فيما له علاقة بالأدب والفن» وعاد الصديق الدكتور إلى ترديد ما سبق أن صرح به في هذا الصدد، ومجمله: «إن الجمهور المهذب من القراء يرغب عن أدب التسلية والإنشاء التعليمي ويقدر ما يستحق التقدير»

وشد ما أرغب في الأخذ بهذا الرأي، وشد ما أود أن أحسن الظن بالجمهور الكبير وبالجمهور المهذب حتى أسرى عن نفسي كمداً أهمني، ولكن ما الحيلة وقد دلّ الإحصاء الأخير على أن متوسط ما يباع من المؤلف الأدبي الواحد في السوق المصرية لا يتجاوز خمسين نسخة في العام الواحد!

ومعنى هذا أنه لولا وجود أسواق للأدب المصري في الأقطار الشرقية الأخرى لكان مقضياً على هذه المؤلفات الأدبية بأن تصبح غذاء مستساغاً للسوس والجرذان ...

ومعنى هذا أيضاً أن هذا (الجمهور المهذب) صفوة قليلة العدد لا يؤبه لأثرها في تصريف المؤلفات الأدبية التي تكتظ بها المكتبات المصرية، حتى ولو كانت مؤلفات من الأدب الرفيع

وإذا جارينا الدكتور بشر فيما يذهب إليه، وهو أن الجمهور المهذب إنما يقبل على ما هو أسمى من أدب التسلية والإنشاء التعليمي فهل للدكتور الصديق أن يدلي لنا بعدد النسخ التي باعتها المكتبات المصرية من مؤلفيه (مفرق الطريق) و (مباحث عربية)، وهما مؤلفان ينفردان بطابع جديد في النتاج الأدبي الرفيع، وليس فيهما من أدب التسلية قمحة ولا من التعليم الإنشائي قطرة؟

بماذا يفسر الدكتور بشر فتور هذا (الجمهور المهذب) إزاء هذين المؤلفين القيمين، وأمام سواهما من الآثار الأدبية الرفيعة؟

وأين (التقدير) الذي يكنه هذا (الجمهور المهذب) للأعمال الأدبية الرفيعة!

ومتى يتحرك هذا (التقدير) ليوفي مؤلفيه السابق الذكر حقهما من الذكر والرواج؟

أخشى بعد هذا كله أن أقول إن صديق إنما يصدر فيما نحن بصدده عن وحي إحساسه الخالص، وهو إحساس أديب أصيل مشبوب الهوية بالأدب، مشغوف بأن يرى للأدب دولة في مصر قوامها جمهور القراء قبل أي شيء آخر، وهذا من مزالق التفكير الذي يشوبه الإحساس الطاغي.

زكي طليمات

في النقد الأدبي

حضرة الأستاذ الفاضل محرر «الرسالة»:

تحية وسلاماً. وبعد. فقد قرأت في العدد ٣١٠ من «الرسالة» الغراء ما كتبه الدكتور بشر فارس عن الفصول التي أكتبها عن الأدب العربي الحديث؛ فحمدت له غايته من النقد. غير أنني لاحظت بعض أشياء على قوله:

١ — إن كتاباتي وإن كانت منصرفة إلى النقد القائم على الوجهة الموضوعية — كما لاحظ الدكتور بشر فارس في كلمة في «الرسالة» — والأستاذ صديق شيبوب في مقاله في البصير (١٢ مايو سنة ١٩٣٩)؛ والأستاذ خليل شيبوب في مقاله

فى « الأهرام » : (٢٩ مايو سنة ١٩٣٩) — إلا أن منحى الموضوعية فيها مستنزل من الطريقة : « التركيبية ، التحليلية » التى تذهب من النظر إلى الواقعات عيناً ، ومن الواقعات إلى النظر عيناً آخر ؛ والتى هى نتيجة ثقافتنا الرياضية .

٢ — إن هذه الطريقة من صميم الأساليب العلمية ، والطرائق الموضوعية ، لأن الطريقة العلمية تذهب : إما من النظر إلى الواقعات وإما من الواقعات إلى النظر . والمذهب الأول أكثر ما يتظاهر فى الأساليب الخاضعة للنهج الرياضى بعكس المذهب الثانى ، فإن أساليبه أكثر ما تتمثل فى منهج البحث الاجتماعى .

٣ — إن الدكتور بشر فارس وثقافته اجتماعية صرفة قد نظر إلى بحثى من الطرائق الاجتماعية التى اتصل بها — أثناء تلقيه العلم فى السربون — فدارت عقليته منها ، وكان أقل ما يجب عليه أن يوسع نظرته وينظر إلى منهجى فى البحث فى النطاق العام للأسلوب العلمى .

٤ — كان فى إمكان الدكتور بشر فارس أن يتعرف الدافع الذى دفعنا فى دراستنا عن مطران إلى الكتابة عن : « الشعر والشعراء » فى المبحث الأول ، وعن « الشعر العربى » فى المبحث الثانى . وذلك لأنه ليس من المستطاع — ومطران رأس حركة جديدة فى الأدب العربى — فهم حقيقة مذهبه واتجاهاته دون مراجعة الشعر العربى وخصائصه حتى يمكن عن طريق المقابلة معرفة الأثر الذى استحدثه مطران فى الشعر العربى ومدى التجديد الذى قام به .

٥ — كان فى مستطاع الكاتب أن يستنبط من البحث الثالث والبحوث التالية له فى المقتطف خطتنا فى الدلالة على معنى شاعرية مطران من شعره ، تلك الخطة التى تقوم على إرجاء المقدمات — التى انتهت بنا إلى الأحكام التى أصدرناها عن منحى الشاعرية عند الخليل — إلى موضعها الطبيعى من الدراسة .

٦ — رأى الكاتب أننا استعرنا اصطلاح « خلق جملة صلات اجتماعية » من كتابه « مباحث عربية » والواقع عكس ذلك . فإن هذا الاصطلاح قد دار على قلمنا من قبل صدور كتابه هذا : تجده فى دراستنا عن إسماعيل مظهر حين تكلمنا عن آرائه الاجتماعية (التقدمة العربية لدراستنا عن مظهر فى Z.R.G.J. م ٣٦ ص ٤١١) هذا فضلاً عن أن هذا الاصطلاح من جملة ما يجرى على أقلام كتاب عصرنا هذا ، وإذن فلا يمكن القول بأنه من الاصطلاحات التى استحدثها الكاتب .

٧ — ارتأى الكاتب أن الجملة التى أوردنا فيها هذا الاصطلاح مرتجلة بحيث أنها لا تتسق ومنحى البحث الموضوعى الذى أخذنا أنفسنا به . والواقع عكس ما رأى . بيان ذلك أننا ارتأينا فى بحثنا المذكور أن المجتمع الشرقى – عادة – ينعزل أفراده بعضهم عن بعض بحيث ينقبض كل على نفسه . وقد كان ظهور خليل مطران بطبيعة مغايرة لطبيعة هذا المجتمع الذى نشأ فيه ما استوقف نظرنا . وقد رجعنا فى بحثنا بهذا الأصل الثابت من نفسيته إلى طفولته التى ترك فيها حداً يتعامل مع أقرانه من الأطفال تخلص من ذلك بطبيعته الاجتماعية التى تجعله ينسحب على الجماعة ويشتبك مع أفرادها فى « جملة صلات اجتماعية » . وواضح إذن أن هذا من باب التحقيق لا الارتجال ، ومن ثم فاستعمالنا لهذا الاصطلاح استعمال له فى موضعه الطبيعى من الكلام لا فى موضع غير متسق مع مجرى الكلام كما رأى !

٨ — أخذ علينا الدكتور بشر فارس إهمالنا لاستقصاء المصادر فى دراستنا عن توفيق الحكيم ، ودليله على ذلك أننا لم نلتفت إلى ما كتبه فى مجلة الشباب عن توفيق الحكيم كما يتجلى فى مسرحيته « أهل الكهف » وأظن أن الدكتور بشر فارس لا ينكر علينا أننا أكثر الكاتبين فى العربية استقصاء للمصادر بدليل أن بحثنا عن توفيق الحكيم قد رجعنا فيه إلى نيف ومائة مرجع . ويظهر هذا من مراجعة سريعة لبحثنا . أما عدم التفاتنا إلى بعض ما كتبه المعاصرون عن آثار الحكيم فهذا يرجع إلى أنه ليس فى مستطاع كاتب بالعربية استقصاء كل ما يتصل بمادة معينة فى الأدب العربى الحديث . ولا وجه للاعتراض علينا بأن الباحثين الغربيين يظهر فى بحوثهم استقصاء تام لجميع ما كتب عن مادة موضوع بحثهم لأن هؤلاء يجدون من مهيئات البحث عندهم فى لغاتهم فهارس شاملة تجمع كل ما يتصل بمادة معينة فيسهل من ذلك الاستقصاء عندهم

٩ — أرجع الدكتور بشر فارس فى مقالة مجلة الشباب (٩ مارس سنة ٩٣٦) فن توفيق الحكيم المسرحى فى آثاره الأولى إلى فكرة الكاتب المسرحى H. R. Lenormand من حيث يتفق الكاتبان المسرحيان فى اعتبار الكائنات « ظواهر لا حقائق » والواقع أن الكاتبين فى هذه الفكرة متأثران بالنظرية الاعتبارية التى بثها فى مؤلفاته الرياضى الفرنسى الشهير هنرى بوانكاريه . وقد أشرت

إلى هذا الأصل بالنسبة لتوفيق الحكيم فى دراساتى عنه (ص ٦٩ من الطبعة الخاصة وص ٣٦١ من طبعة عدد مجلة الحديث) فلا معنى إذن لقول الدكتور بشر فارس من أن توفيق الحكيم تأثر بزميله الكاتب المسرحى الفرنسى خصوصاً وأن توفيق الحكيم من الذين قرأوا هنرى بوانكاريه وتعمقوا فى دراسة آثاره (أنظر قطعة برجنا العاجى لتوفيق الحكيم عدد ٢٤٥ ص ٤٠٤ – ١٤ مارس سنة ١٩٣٨ من مجلة الرسالة)

١٠ — يقول الدكتور بشر فارس بأن الأصل فى مسرحيات توفيق الحكيم اعتبار «الكائنات ظواهر لا حقائق» ويترتب على ذلك — عنده — صراع بين العقل والحلم، وبين الزمان والتاريخ (؟!...) وبين الشهوة والرغبة (؟!...) فإن صح معنا أن فكرة كون الكائنات ظواهر appearances لا حقائق realites تسوق إلى فكرة الصراع بين الواقع Fact والحلم dream فإننا لا نرى صلة بين هذا وما يحاول أن يظهره الكاتب من صراع بين الزمان والتاريخ، وبين الشهوة والرغبة. ذلك لأننا نعرف أن التاريخ منبسط الزمان والشهوة متفرعة من الرغبة (قوة النزوع عند فلاسفة العرب) وليس فى هذا أى معنى يحتمل إفادة الصراع

١١ — يرى الدكتور بشر فارس أن جوّ المسرحية عند توفيق الحكيم متأثر بجو مسرحيات ماترلنك من حيث الميل إلى بسط الإبهام على الناظر وإثارة الأوهام فى نفس الناظر. وهذا صحيح إلى حد، وقد أشرنا إليه؛ ويمكن أن نزيد على ذلك فنقول بأن جو المسرحية عند توفيق الحكيم منبثق من طبيعته الفنية التى دارت حول الكتابات الرمزية نتيجة إعيائه عن معرفة حقيقة النفس ولوامعها وبوادرها والتى تأثرت بمبادئ علم النفس الحديث وعلى وجه خاص تجارب شاركو فى التنويم والإيهام، وريبو فى الأمراض العصبية، وفرويد فى أحوال اللاواعية، وبرجسون فى تغليب المنطوى فى النفس على الظاهر منها (ص ٦٩ من دراستنا من الطبعة الخاصة و ص ٣٦١ من الطبعة العامة)

وبعد فإنى شاكر للدكتور بشر فارس عنايته بالإشارة إلى دراستنا كما أنى شاكر له عنايته بالنقد. وهو إن أخطأ النظر فيما كتب فله حسن القصد والغرض

اسماعيل أحمد أدهم

كتبنا وتآليفنا: محاضرة للأستاذ كرد على

ألقى الأستاذ الكبير محمد كرد على محاضرة عن «كتبنا وتآليفنا» فى أحد نوادى دمشق، استمع إليها نفر من أدباء الشام ورجالاتها وطلابها، بينهم الأستاذ عبد الحميد الحراكى بك مدير المعارف العام، والأستاذ خليل مردم بك، والأمير مصطفى الشهابى، والأستاذ فارس الخورى، والأستاذ زكى الخطيب وغيرهم

وكانت محاضرة الأستاذ موجزة تقريباً، بدأها بذكر معنى التأليف والتصنيف لغة، ثم حدد الوقت الذى بدأ فيه التأليف عند العرب بتدوين القرآن والسنة والشعر ... ثم تخطى الأستاذ القرون مسرعاً، حتى أدرك العصر العباسى، حيث التأليف المزدهر المثمر. فلما كانت المائة الثالثة للهجرة، بدأ الضعف يدب فى التأليف، لضعف الدول والممالك، فلم يلق التأليف آنئذ ملكاً يحميه أوسلطاناً يغذيه. وأتت بعد ذلك كارثة بغداد وهمجية جنكيزخان، فخلت مدينة السلام، وبخارى، وسمرقند، وخوارزم، وطوس، من العلماء، وضاع منها كثير من المؤلفات

وجاء الترك، فسعت إلى القضاء على العرب قضاء لا حياة بعده، فرقد العرب، حتى هبت مصر فأيقظتهم بعد سبات طويل

ويصف الأستاذ كرد على حالة مصر فى أوائل عصر النهضة فيقول إن أدباءها وعلماءها كانوا ما يزالون متأثرين بمؤلفات عصور الانحطاط. أما الأزهر فكان شبحاً بلا روح واسماً بلا مسمى، فلما جاء الشيخ محمد عبده سعى فى إحياء التأليف، وأخرج الكتّاب من الركيك إلى النثر الذى كان فى القرنين الأول والثانى. ثم ذكر أثر الأستاذ الإمام فى إصلاح الأزهر، وأثر الجامعة المصرية القديمة فى نشر العلم بوساطة المحاضرات التى كانت تلقى فيها، حتى إذا اطلع الشرقيون على مؤلفات الغربيين، سعوا إلى تقليدها، فبدأت الفواصل فى الكتابة، وعنى بأمر المسارد بأنواعها من تاريخية ولغوية وغيرها

أما أثر الصحافة فى تشجيع التأليف فكان ظاهراً لما كان للنقد ـ على سخفه ـ من أثر بالغ فى نفوس المؤلفين

وقايس الأستاذ بين الشيخ بخيت المحافظ والشيخ احمد ابراهيم المجدِّد، وذكر كيف قاوم الأزهريون الشيخ النجار

ثم انتقل الأستاذ إلى التأليف فى وقتنا هذا بمصر، فقال إن التأليف الحديث ناتج عن اضطرار لا عن رغبة، لأن معظم المؤلفين فى مصر، إنما يؤلفون بحكم الوظيفة والمنصب. وقال إن هناك مؤلفات لها شأنها، ولو أننا اتبعنا الطرق التى اتبعها «حافظ باشا عفيفى» فى كتابه «على هامش السياسة» وحاولنا أن نحرر أفكارنا كما فعل «قاسم أمين» فيما ألفه و «عبد الرحمن الكواكبى» فى كتابه

« طبائع الاستبداد » لبلغ التأليف عندنا درجة رفيعة

وانتقل الأستاذ بعد ذلك إلى الكلام عن الشام ، فذكر احمد فارس وأثره فى التأليف واهتمام المسيحيين به ، ولا سيما آل اليازجى وآل البستانى

أما فى العراق وتونس فلم يبدأ التأليف إلا عقب الحرب العظمى. وساعدت جامعتا بيروت الكاثوليكية والبروتستانتية على ازدياد التأليف ، كما ساعد على ذلك فى دمشق الجامعة العربية والمجمع العلمي

ثم ذكر الأستاذ حاجتنا إلى التأليف وقايس بين مؤلفينا الذين يقنعون بكتاب أو كتابين ومؤلفى الغرب الذين لا يفتأون يخرجون للناس كتباً ، وقال إن التأليف يجب أن يزداد وأن يرمى إلى نزع الحواجز بين الخاصة والعامة

وختم الأستاذ محاضرته بقوله إن التأليف هو رمز الحضارة وعنوان المجد ، فلنسع لإظهار هذا المجد وإبراز تلك الحضارة

والمحاضرة بالجملة موجزة ، سهلة اللغة مرسلتها ، ولكنها لا تظهر ما للأستاذ من علم واسع واطلاع شامل

ونحن نشكر للأستاذ جهوده ، ونتمنى لو أنه يترك من حين إلى حين برجه الذى بنى من الكتب ، والذى ينزوى فيه ويطل على الناس يريهم آياته ويسمعهم نتائج قراآته

« دمشق » ص . م

الشعر والشعراء فى سورية محاضرة للأستاذ صلاح الدين المنجد

سيلقى الأستاذ صلاح الدين المنجد فى راديو الشرق (بيروت) سلسلة من المحاضرات عن الشعر والشعراء فى سورية . وسيبدأ إلقاءها فى النصف من يونية الحاضر ، فيقايس بين حالة الشعر قبل ثلاثين عاماً وحالته اليوم ، ويبين خصائص الشعراء السوريين التى امتازوا بها وقصّر دونها شعراء مصر والعراق . وسيعالج الأستاذ أمر تأثير الغرب فى شعراء سورية ونتائجه ومداه .

أما الشعراء الذين سيدرسهم، فهم: الزركلى، البزم، الخطيب، جبرى ، مردم بك، بدوى الجبل ، أبو ريشة ، العطار ، الطرابلسى

وسيعقب الأستاذ المنجد هذه المحاضرات بمحاضرات أخرى عن الشعر فى مصر ، ثم عن الشعر فى العراق

فرعون الصغير

إن الأستاذ محمود تيمور من أوفر أدبائنا إنتاجاً، ودليل ذلك تلك القصص التى يذيعها فى الناس من حين إلى آخر . وها هو ذا يخرج اليوم مجموعة جديدة من الأقاصيص عنوانها : « فرعون الصغير وقصص أخرى » . وبهذه المجموعة يدل الأستاذ تيمور على أن فنه قد بلغ الاستواء الأوفى من جهة السرد ولمّ الفكرة والخروج من الحوادث بالعبرة التى لا تجرى إلى غاية محسوسة، ولكنها تقصد إلى إيحاء شعورٍ ما . وهذه القصص تتنازعها طرائق مختلفة : منها « الرومانسية » (أى التخيلية) من ذلك قصة « فرعون الصغير » ، والواقعية ، من ذلك «زمان الهنا» ، والواقعية الملوّنة بالباطنية ، من ذلك « المخّ العجّالى »

هذا وللمجموعة تصدير عنوانه : « المصادر التى ألهمتنى الكتابة » . وهو جم الفائدة من حيث أنه يبسط كيف أقبل المؤلف على التأليف القصصى وبأى أنواع التأليف تأثر وعلى أى أسلوب جرى فيه

ثم إن المؤلف رأى أن يستعمل الشكل كلما جاءت كلمة متخيَّرة أو مشتركة فى النطق أو داعية إلى اللبس . وهكذا نفع التلميذ والقارئ الناشئ . وعسى أن يظفر « فرعون الصغير » بما يستحقه من النجاح لطرافته ونفاسته ثم شكله اللطيف وطبعه الأنيق

مجلة أدبية فى دمشق

علمنا بأن الأستاذ محمد كرد على بك قد عزم على إصدار مجلة أدبية فى دمشق، بالاشتراك مع الأستاذ خليل مردم بك، والدكتور محسن البرازى ، والدكتور جميل صليبا ، والأستاذ سعيد الأفغانى، وبعض المتأدبين الناشئين كالأساتذة : جمال الفراء، يوسف العش، خلدون كنانى

ونحن نشكر للأستاذ صنيعه ، ونرجو أن تكون هذه المجلة مظهراً جيداً من مظاهر النهضة الأدبية فى سورية « م ... »

كتاب الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة

تعد دار الكتب الظاهرية أحفل مكتبات العالم بمخطوطات الحديث الشريف فإن فيها من النفائس النادرة ما لا نظير له فى الدنيا،



مباحث عربية

تأليف الدكتور بشر فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

هذه مجموعة مباحث فى شئون « عربية ، إسلامية » بجمع بين التدقيق الاجتماعى والتحقيق اللغوى — فى مسائل اجتماعية وأخرى لغوية — وفى مستهل المجموعة استطلاع لشئون جماعة مسلمة فى أقصى الشمال جهة « فِنلَنْده » . وقد نشر بعض هذه المباحث بالعربية هنا فى مصر كما نشر البعض الآخر بالفرنسية هناك فى باريس أو روما . غير أن كاتبها الباحث المحقق الدكتور بشر فارس جمعها فى هذا الكتاب بعد أن أجرى فيها قسطاً من التهذيب ثم الحذف والزيادة . لأنه وجد فى نشر هذه المباحث بين دفتى كتاب ما يجعلها أدل منها وهى متفرقة ، وأبين منها وهى مشتتة . هـذا وقد رجا صاحبها بإصدارها أن يوطئ من حيث النهج والأسلوب الأذهان لرسالته القيمة : « العِرض عند عرب الجاهلية » التى نال عليها إجازة الدكتوراه من باريس ، ونشرها بالفرنسية لأعوام خلت، وهو اليوم يستعد لإخراجها فى اللغة العربية .

وهذه المباحث من جهة المناهج متأثرة بأساليب البحث الاجتماعى التى لا تعرف مجالاً للافتراض ، فهى من هنا أقرب إلى أساليب البحث العلمى الوضعى منها إلى أساليب العلم البحت .

ومن جملة مخطوطاتها القيمة هذه الرسالة التى لا ثانى لها ، فهى مسودة المؤلف بخطه الذى « قل من يحسن استخراجه » وعليها خطوط لكبار الأئمة مثل ابن طولون الصالحى والرملى ...

وقد أخرجها الأستاذ سعيد الأفغانى على خير نسق تحيا عليه الرسائل العلمية القيمة ، ولم يدخر وسعاً فى بذل الجهد ليكون إخراجاً علمياً كاملاً ، فجاء آية فى الترتيب والدقة والصحة والجمال .

صنفها المؤلف أبواباً ثلاثة :

الباب الأول — فى خصائص السيدة عائشة وشىء من سيرتها

الباب الثانى — فى استدراكاتها على أكثر من عشرين من أعلام الصحابة الأجلاء مثل أبى بكر وعمر وعلى وابن عمر وابن عباس

الباب الثالث — فى استدراكات عامة

ويتجلى فى هذه الرسالة ذكاء المرأة ونقدها وفطنتها ومواهبها العلمية ومدى ثقافتها الواسعة التى نمت بها بفضل الإسلام. وهو كتاب ضرورى لكل من درس شيئاً عن الإسلام من شرق وغربى وفقيه وعالم ومحدث وأديب واجتماعى وكل مثقف

وقد صدر فى ٢٣٠ صفحة من القطع الكبير .

بواسل

يعتمد الكثير من الأدباء فى التحقيق اللغوى على المعجمات العربية ، ويضربون صفحاً عن التنقيب فى النصوص الأدبية القديمة التى تعتبر أصلاً لهذه المعجمات

ولقد كتب أديب فاضل فى عدد ٣٠٧ من مجلة الرسالة يخطئ جمع باسل على بواسل ، معتمداً على ما انتهى إليه استقراء القواعد النحوية وما أحصته المعجمات اللغوية . وذكر أن الجمع الصحيح الذى ورد لهذه الكلمة هو « بسل وبسلاء وباسلون »

ولقد أسعدت المصادفة فالتقيت بالجارم بك وسألته فيما جاء بالرسالة خاصاً بهذا الجمع فأنشد :

وكتيبة سُفْع الوجوه (بواسل) كالأسدِ حين تذب عن أشبالها

قد قُدْتُ أول عنفوان رعيلها فلففتها بكتيبة أمثالها

فقلت : ولمن هذان البيتان ؟ فقال : هما من قصيدة « لباعث ابن صريم اليشكرى » من شعراء الجاهلية فى ديوان الحماسة فرجعت إلى القصيدة فوجدتها ص ١٤٩ من طبعة الرافعى

حسن علوان

ومثل هذا النهج من حيث أنه يعتمد على تسليط النقد على الواقعات مع ردّها إلى مصادرها من طريق الوصف المباشر والاستشهاد بالنصوص الصريحة مقدمة لا بد منها للبحث العلمي البحت . أما عن النهج : فهو التحقيق فى الأصول والتدقيق فى الفروع قدر ما يسمح به الموضوع ، والرجوع إلى المصادر والإشارة إليها فى الحواشى التى تجمع إلى المراجع والمصادر إضافات وتهذيبات شتى يستخدم فى سردها نظام الرموز والإشارات ؛ ومن هنا يمكن أن يقال إن منحى نهج الكتاب الطريقة الجامعية فى التأليف ، وأسلوب الباحث على يمتاز بالوضوح والإشراق والتدقيق فى اختيار الكلم مع شيء كثير من الصقل للعبارات . والكاتب بذلك يصون لغته من الأساليب المبتذلة التى جرت العادة أن تدور على أقلام الكتاب فى هذا العصر من أدباء العصر

غير أنه وإن كان من مظاهر التدقيق فى التعبير ، التدقيق فى اختيار الكلم ، والتدقيق فى وضع المصطلحات العربية للألفاظ الفنية الإفرنجية ، فإن هذا التدقيق الذى ينتهى به الكاتب - عادة - إلى نتائج قيمة من أسلوب واضح دقيق ، ووضع كلمات عربية تجرى مجرى الاصطلاح الإفرنجى يخونه التوفيق بعض المرات ، وله بعد ذلك جانب السعى المشكور . من تلك الحالات التى خانه فيها التدقيق فى التعبير واختيار الكلم قوله « وتسليط النقد النافذ من جهتيه — الخارجى والباطنى — » ص ١٢ و ٤٢ من الكتاب . ومن المعروف أن كلمة داخل تقابلها من الجهة الأخرى خارج ، كما أن لفظة باطن تقابلها لفظة ظاهر ؛ فيكون تعبيره وإن دل على المعنى ، ضعيفاً من وجهة السياقة اللغوية العربية الخالصة . وقد استعمل بعضهم هنا فى مصر ومنهم الأستاذ أحمد أمين اصطلاح النقد الداخلى والنقد الخارجى - ضحى الإسلام ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣١ - وقد جاراه فى ذلك الأستاذ أمين الخولى - أنظر تعليقه على مادة أصول من الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية ، م ٢ ص ٢٨٠ - وكان فى إمكان الباحث أن يجرى الكلام على هذا الوجه ، فذلك أدل على المعنى من جهة وأقوم من الوجهة التعبيرية العربية الخالصة من جهة أخرى فضلاً عن أنها جرت على الأقلام ، فمن هنا اكتسبت قيمة المصطلح الفنى .

كذلك قوله : « الاعتماد على المشاهدة دون الفرض ، والتحقيق دون التخيل » فهو لو قال : « الاعتماد على المشاهدة دون التخيل والتحقيق دون الفرض » لاستقام معه المعنى والتعبير . ولقد يجرى قلم الباحث بلفظة « أسلوب » فى بعض مواضع من أبحاثه محملاً اللفظة أكثر مما تحتمل من حيث تدل على الطريقة أو النهج فى الكتابة أو التفكير . فكان من ذلك أن قال : « وإذا بدا لك بعد هذا أن تعدل عن النقد الخارجى critique externe وهو النظر فى الأسانيد إلى النقد الباطنى critique interne وهو النظر فى الأسلوب » ص ٤٢ ؛ ومن المعلوم أن النقد الداخلى ينظر فى المتن ، والمتن ينقسم إلى معنى وعبارة ، أو مادة وشكل ، أو فكرة وأسلوب ، فالعبارة أو الشكل أو الأسلوب شِقّ يعرض له النقد الداخلى ، وليس بكل ما يعرض له (انظر لفظة أسلوب فى لسان العرب) ومن هنا يبدو قصور تعبير الباحث عن أن يحد المعنى الذى فى ذهنه ظله على ما يلبسه من معنى

ولقد جرى قلم المؤلف بلفظ سلوك تارة (ص ٥٦) وبلفظ أخلاقيات تارة أخرى (٣٦ ، ٥٦) مقابلاً لاصطلاح morale فرنسياً ، والسلوك من حيث يفيد النهج يقابل bchaicour افرنجياً . أما اصطلاح morale فيفيد الآداب ؛ أما الأخلاق عربياً فتقابل ethique . واستعمال لفظ السلوك لأحد مشتقات المصدر morale تارة ولفظ أخلاق لمشتق آخر لنفس المصدر ، يوقع فى اللبس والاختلاط (راجع ص ٥٦ من الكتاب) . كذلك يعتبر الباحث كلمة « البصيرة » مقابلاً لـ intuition (ص ٥٧) ونحن نرجح لفظة « الحدس » لأنها فلسفياً كما جرت على أقلام فلاسفة العرب كابن سينا والفارابي تفيد معنى الانتقال دفعة واحدة من المبادئ إلى النتائج ، وهذا ما تفيده معنى اللفظة intuition اصطلاحياً ولغوياً كما يستفاد من مراجعة معاجم اللغة الفرنسية

وثم عندك قول الكاتب : « إن للفظة الشرف مفادات متجاورة تارة ، متباينة أخرى » . فى هذا التعبير لفظة التجاور تفيد أفرنجياً معنى synonyme أفرنجياً والقصور واضح فى التعبير العربى . فضلاً عن أن التعبير غير مستقيم من جهة البناء اللغوى العربى . ولكى تتسق مفادات العبارة لا بد من إبدال لفظة « المتجاورة » من الجملة بالمتشابهة ، لأنها أدل على المعنى وأكثر اتساقاً فى الجملة .

وقد كان بودى أن أمر بكل هذا الذى ذكرته — لأنه ملاحظات شكلية لا يخلو من أمثالها كاتب — ولكن تدقيق المؤلف وعنايته الظاهرة بالشكل ، هى التى دفعتنى لمجاراته فى التدقيق . وبعد ففى موضوع الباحث مسائل تقف النظر ، وموضوعات تستحق وقفة للتدبر ، ففى البحث الأول وهو عن « المسلمين فى فِنْلَنْدَة » وهى رسالة نشرت فى الأصل بالفرنسية فى مجلة الدراسات الإسلامية بباريس (١٣ ص ١/٨/١٩٣٤) نجد الباحث يقول إن هؤلاء المسلمين من « الترك ـ التتر » الضاربين فيما وراء جبال أورال ، وقد هجروها إلى الشمال ، وحلوا بفنلندة عقب الانقلاب السوفيتى فى روسيا . وهو فى قوله هذا يعتمد على ما رووه له ، وما تحدثوا به إليه ، دون أن يتعداه إلى سبل التحقيق للتأكد من صحة أقوالهم . فنحن نعرف أن المصادر التركية تتحدث عن رحلة جموع من « الأتراك ـ المسلمين » إلى الشمال فى القرن السادس عشر للميلاد ، وأنهم نزلوا بلاد « الفنوا » ـ أنظر خير الله أفندى فى دولت عَلِية عُثمانِيّة تاريخى ج ٦ ص ١٣٨ ـ ١٤٥ ـ فهل تحقق الباحث من أن مسلمى فنلندة الذين شاهدهم عن كثب ليسوا من نسل هؤلاء ؟ وأن قولهم بأنهم أتوا فنلندة عقب الثورة الاشتراكية الكبرى فى روسيا حقيقة تخلو من الريب ؟ هذه أسئلة خطرت بالذهن حين تلونا للباحث كلامه فى صدد أصل هؤلاء .

ومسألة أخرى فى هذا البحث ، فالباحث يذكر أن جموع هؤلاء المسلمين الأتراك تنزل العاصمة ثم بمدينتى « تمبرى » و « توركو » وهو لم يذكر لنا شيئاً عن المدينة الثانية وهل هناك صلة بين اسمها ولفظة « تورك » خصوصاً أنهم على ما يروى من « الترك ـ التتر » . ولا شك أنه فى فترة خمسة عشر عاماً ليس فى مستطاع هذه الجموع « التركية ـ التترية » أن تخلع على المدينة اسماً مشتقاً من أصول جماعتها ، خصوصاً وهم أقلية ؛ وإذن فللموضوع شأن أعمق من القول بأن هؤلاء من الذين نزلوا « فِنْلَنْدَة » بعد الثورة البلشفية فى روسيا

على أنه يظهر أن الباحث أخذ بجدة الموضوع فلم يتعمق فى البحث ، آية ذلك أنه يقول : « إن لغة التعليم عندهم هى التركية وحروف هجائهم هى الحروف « اللاتينية ـ التركية » التى وضعت وشاعت بأمر أتاتورك » ـ ص ٢٤ ـ وهو بهذا يستدل على أنهم صرفوا هواهم عن روسية الجنوبية (؟) إلى أنقرة ـ ص ٢٣ ـ ولكن لتصح له الدعوى حتى يصح له الاستنتاج ، والدعوى لا بد لصحتها من التثبت من أن أحرف الهجاء التى يتخذونها هى الحروف « التركية — اللاتينية » التى أخذ بها الأتراك فى تركيا الكمالية ، وليست الحروف « التركية — اللاتينية » التى توافق عليها أتراك آسيا الوسطى والقوقاز والأورال فى مؤتمر تفليس عام ١٩٢٥ : (أنظر Soviet Commonism فى Sidny of Beatrice Webb — باب التعليم الوطنى —) . ذلك أن هنالك بعض الفروق الطفيفة بين أحرف الهجاء اللاتينية ؛ كما هى عند أتراك الجمهورية التركية وأتراك الاتحاد السوفيتى ، وهذا الفرق يظهر واضحاً فى بعض الحروف التى تدل على حركات معينة ، وفى إمكان الباحث بمراجعة هذه الفروق أن يدلى برأى نهائى فى الموضوع .

على أنه بعد ذلك فى هذا الفصل استطلاعات اجتماعية قيمة تسبغ على البحث أهمية لا تنال منها هذه الملاحظات

والبحث الثانى عن « مكارم الأخلاق » وهى محاضرة فى الأصل ألقاها الدكتور بشر فارس عام ١٩٣٥ فى مؤتمر المستشرقين بروما باللغة الفرنسية ونشرها بمجلة الأكاديمية الوطنية للعلوم فى روما . وقد قام بترجمتها والتوسع فيها بعض الشىء فى الأصل العربى ، والبحث فى العموم دقيق فى أصوله ، ضارب إلى التثبت العلمى فى تفاصيله ، وكان بودنا أن نناقش الباحث آراءه التى أتى بها فى الموضوع ولكن المصادر أعوزتنا . لهذا صرفنا النظر عن مناقشتها . على أنه يظهر أن الباحث وفى الموضوع حقه من التحقيق والفحص العلمى .

(البقية فى العدد القادم)

اسماعيل أحمد أدهم

7me Année No. 312 | Lundi - 26 - 6 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣١٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٨ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٦ يونيه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

على ذكر الضرائب الجديدة

تكاليف الاستقلال

وهل تكاليف الاستقلال ، إلا ضرائب الدماء والأموال ؟

لقد كنا قبل أن نبلغ رشدنا الدولى نعيش فى كنف الحكومة وحمى الاحتلال، كما يعيش النَّشَأ الأغرار فى ظلال الأبوين ورعاية الأسرة ! تنفق علينا الحكومة ولا نعلم من أين تكسب ، وتدفع عنا الخليفة ولا ندرى بماذا تضرب . وكنا نسمع بما تجود به الأمم لأوطانها من الأموال والأثمار والأنفس، ونرى ما نحن فيه من البال الفارغ والعيش الأبله ، فنحسب أن حياتنا هى الحياة ، وغبطتنا هى الغبطة . ولكننا كنا نرى من الجهات الأخرى أن عزتنا وقوتنا لا تقاس على عزات هذه الأمم وقواها ؛ فهى فى أوطانها حرة الإرادة مطلقة السيادة ، وفى العالم مرفوعة الرأس مسموعة الكلمة ؛ ونحن فى وطننا قطيع يُسام ويمدَّن ، وفى العالم سلعة تُساوَم وتؤمَّن ، فلا نشعر هنا كما يشعر الناس هناك أننا نحن الوطن والثروة ، والحكومة والسطوة ، والدولة والسلطان . فلما بلغنا التكليف وأدركنا الاستقلال وملكنا زمام الأمر، أصبحنا فإذا أخطار المجد تحوم على كل نفس ، وأثقال الدفاع تنحط على كل كاهل : فالضرائب تجبى من المال ، والكتائب تجمع من الدم ،

والتضامن الدولى العام يقتضينا المساهمة فى حفظ السلام وإقرار العدل بالمعاهدات الدفاعية والمواثيق الاقتصادية ؛ وفى سبيل ذلك تستعد كل نفس للموت، ويتهيأ كل شىء للبذل؛ ومن أجل ذلك يجب أن يكون صوتنا هو الأرفع فى السياسة، ورأينا هو الأعلى فى الحكم

نحن الذين ننفق فلا بد أن يكون لنا الحساب ؛ ونحن الذين نموت فيجب أن يكون فى أيدينا الأمر ! !

* * *

ما كنا قبل اليوم نشعر هذا الشعور ونفهم هـذا الفهم . والفضل فى هذا الوعى وفى هذه اليقظة يكاد يرجع إلى ضريبة الدمغة من دون الضرائب . فإن ضرائب العقار والدخل والإنتاج إنما هى ضرائب خاصة، تُجبى من قوم دون قوم، وفى وقت بعد وقت؛ فالشعور بوجودها محدود، والتفكير فى أمرها مؤقت . أما ضريبة الدمغة فهى ضريبة عامة، تُجبى من أى إنسان فى أى زمان ما دام له عمل أو حاجة . فهى لذلك لا تنفك تشعرك وتشعرنى أننا ننفق على الحكومة ؛ فرؤساؤها وكلاؤنا ، وموظفوها أجراؤنا ، وأموالها أموالنا ؛ فنحن حقيقون أن نراقب الوكيل ، ونحاسب الموظف ، ونرعى الخزانة ؛ ونحن خليقون أن نقول للوزير : إن جهدك للدولة فلا تبذله على هواك الفرد ، وللموظف : إن وقتك للأمة فلا تشـغله بعملك الخاص ، وللنائب : إن رأيك للناس فلا تصرفه إلى متاعك الباطل

* * *

لقد كنا ندرك معنى الوطن إدراك الشيوع والإبهام والغفلة، فلا نكاد ندرى ما يقدم إلينا وما نقدم إليه. فالترع تشق، والطرق تُنهج ، والجسور تنصب ، والعمارة تمتد ، والثقافة تنتشر ، والأمن يستقر، والحضارة تزدهر، ونحن نستمتع بذلك كله استمتاع الغريب لا نجد فيه ربح الفخر ولا روح المجد، كأن غيرنا هو الذى قام به وأنفق عليه! ولو أن عابثاً عبث به ، أو عائثاً عاث فيه، لما ألقينا بالنا إلا لخبر السرقة أو الخيانة أو المحاباة، نرويه كما نروى أخبار البرق للتفريج والتفكهة فى حديث القهوة أو فى سمر البيت. وتلك حال كانت أشبه بحال الأمير أو الغنى الذى أوتى الملك عفواً من غير حيلة، واستولى على ريعه صفواً من غير كلفة ؛ فشعوره به شعور بأثره لا بعينه ، وحرصه عليه حرص على ثمره لا على شجره. أما لذة الملك فى ذاته فلا يستشعرها إلا المالك الذى اشتراه بجهده ، والفلاح الذى استغله بعرقه

* * *

كذلك كنا نفهم معنى الوطن قبل أن نفهم معانى الاستقلال والسيادة والعزة. فلما فهمناها وفهمنا لوازمها من الإخلاص والإيثار والتضحية، أصبحنا نعتقد أن كل قوة هى من قوات الوطن العامة، وكل ثروة هى من ثرواته المشتركة . فالقادر لا ينبغى أن يعطل قوته لأنه حر ، والغنى لا يجوز أن يبدد ثروته لأنه مالك

إن للوطن حقاً معلوماً فى أملاك المواطن وملكاته ، وإن للمواطن حقاً مشاعاً فى أمجاد الوطن وخيراته . فأنا من حق أن أقول للأمير الذى يهلك ثروتنا وسمعتنا على الفتون والمجون ، وللغنى الذى يُخمد نهضتنا وحيويتنا بالكزازة واللؤم ، وللأديب الذى يزيف أدبنا وتاريخنا باللغو والباطل ، وللوزير الذى يوزع المناصب بالهوى ويقسم الأرزاق بالمحاباة ، وللموظف الذى يتصرف فى أشياء الدولة تصرف المالك،فسيارتها فى (جراجه) وسعاتها على بابه، وأموالها فى جيبه ، وللعضو البرلمانى الذى لا يدخل أحد المجلسين إلا ليقبض مكافأته أو يلقى أصحابه أو يتلقى بريده؛ من حقى وحقك أن نقول لهؤلاء جميعاً على التوالى : إنكم عَلَقٌ تعيشون على دماء الناس، وأنكاد تتلذذون بكفران النعم، وأقدام تتطفلون على موائد العلم ، وأوغاد تدلسون الحكم على الوطن، ولصوص تعيث أيديكم فى مال الأمة ، وعيال تبهظ أثقالكم عاتق الفقير ؛ فحياتكم على الأرض غرور ولهو ، ونسبتكم إلى الوطن زور وباطل

* * *

ذلك ما يحق لكل مصرى أن يكرر قوله ؛ وذلك ما يجب على كل مصرى أن يتقى سماعه. ولا خوف علينا بعد اليوم من غفوة العيون وغفلة البصائر ، فإن كل طابع نشتريه من طوابع الدمغة منبه عنيف الحركة فى اليد ، شديد الصوت فى الأذن. وإنما الخوف كل الخوف على زعيم الأمة إذا ضل، وعلى أمين الخزانة إذا أسرف !

احمد حسن الزيات

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ٣ —

تطايرت الأخبار بانزعاج الأستاذ أحمد أمين ، وكثر المتحدثون عن الوفاء والأوفياء . فليت شعرى كيف يكون العزم على تصحيح أغلاطه ضرباً من العقوق ، ولا يكون إلحاحه فى الغض من قيمة الأدب العربى ضرباً من العقوق ؟

إن هذا الصديق حدثنا ألف مرة أنه لا يغضب من النقد إذا كان فيه تقويم للأفكار والآراء

ونحن سنضع شجاعة الأستاذ أحمد أمين فى الميزان ، وسنختبر صبره على كلمة الحق ، وسنرى كيف يجزينا على ما نقدم إليه من جميل

إن هذا الرجل يحكم على الأدب العربى أحكاماً تشهد بأن طريقته فى فهم الأدب والحياة طريقة عامية ، فكيف يكون حاله إذا صححنا بعض ما وقع فيه من أغلاط ؟

أيرجع إلى الحق ؟

أيوجه إلينا كلمة ثناء ؟

هنا تُعرف قيمة الأخلاق فى نفس الرجل الذى ألف أول ما ألف فى الأخلاق

وأقسم أنى أهجم على هذا الرجل وأنا كاره لما أصنع ، فأحمد أمين رجل محترم ، وقد وصل بكفاحه إلى منزلة عالية فى الحياة الأدبية ، وأنا قد ضيعت جميع أصدقائى بفضل جرائر النقد الأدبى ، وكنت أحب أن أداوى ما جرح قلمى لأنجو من الدسائس التى تعترضنى فى جميع الميادين

ولكن كيف أسامح رجلاً يحاول أن يلطخ ماضينا الأدبى بالسواد ؟

إن هذا الرجل يؤرخ الأدب بالجامعة المصرية ، وهو بذلك قدير على تلوين الاتجاهات الأدبية عند شبان هذا الجيل ، فتصحيح أغلاطه لا ينفعه وحده ، وإنما ينفع معه ألوفاً من الشبان الذين يدرسون فى كلية الآداب من مصر ومن أقطار الشرق

يرى هذا الرجل أن « المديح والهجاء » هما أظهر الفنون فى الأدب العربى ، وبذلك يكون الأدب العربى فى أغلب أحواله أدب معدة لا أدب روح

ولو كان هذا الرجل يدقق لعرف أن المديح والهجاء هما السجل الصحيح للأخلاق العربية ، فمن المديح نعرف كيف كان العرب يتمثلون المناقب ، ومن الهجاء نعرف كيف كانوا يتصورون المثالب ، ومن المحاسن والعيوب يعرف الباحث صور المجتمع فى الحياة العربية والإسلامية

ولو ضاعت قصائد المديح والهجاء لضاع بضياعها أعظم ثروة يستعين بها علماء النفس لفهم تطورات الأفكار والأذواق فيما سلف من عهود التاريخ

فمؤرخ الأدب لا يؤذيه ان تكثر قصائد المدح والهجاء إلا حين يزهد فى فهم المشارب والميول ، وتعقب النازع والأهواء ، كأن يكون رجلاً يؤرخ الأدب وهو غير أديب

يضاف إلى ذلك أن المادحين والهاجين لم يكونوا جميعاً طلاب أرزاق ، وإنما كان أكثرهم أصحاب مبادئ وعقائد ، وكانوا يؤدون فى خدمة الدولة ما تؤديه الصحافة فى هذه الأيام ، وهى تؤرخ الصراع بين أحزاب اليسار وأحزاب اليمين

وقصائد المديح والهجاء كان لها تأثير نافع فى تقويم الأخلاق. ولو أن أحمد أمين كان من المطلعين لعرف أن تلك القصائد كان لها تأثير فى أكثر ما غنم العرب من الحروب

لو كان أحمد أمين يدقق لعرف أن شيوع المديح والهجاء فى البيئات العربية يدل على خُلق عظيم من أخلاق العرب وهو «النخوة» ، فالعربي يسره أن يُذكَر بالجميل ويؤذيه أن يُذكَر بالقبيح ، ومن هنا كانت المدائح والأهاجى لا توجَّه فى الأغلب إلا إلى عظماء الرجال

وما رأى أحمد أمين فى حسان بن ثابت ؟

ما رأيه إذا حدثناه أن الرسول كان يرى المدح والهجاء باباً من أبواب الجهاد ؟

ما رأيه إذا حدثناه أن الرسول كان يرى حسان بن ثابت جنديًا نافعاً لأنه كان يخوّف خصوم النُّبوّة بأشعاره فى الهجاء ؟

أتكون أشعار حسان فى الهجاء من أدب المعدة ؟ قل بذلك يا أحمد أمين ، إن استطعت ، ولن تستطيع !

وما رأى أحمد أمين فى مدائح الكميت وأهاجيه ؟

ما رأيه فى قصائد الفرزدق وقصائد دعبل فى الثناء على أهل البيت ؟

ما رأيه فى الشعراء الذين أوقدوا نار الحرب بين بنى أمية وبنى العباس ؟

ما رأيه فى قصائد مسلم بن الوليد فى الثناء على بعض الأبطال؟

ما رأيه فى قصيدة أبى تمام يوم فتح عمورية ؟

ما رأيه فى مدائح البحترى وهى تسجيل للشمائل العربية ؟

أيكون عيب أولئك الشعراء أنهم كانوا يعيشون فى ظلال الأمراء والخلفاء ؟

وما العيب فى ذلك ؟

ألم يكن شعراء الشرق والغرب يعيشون فى ظلال الأمراء والملوك ؟

وكيف يعاب على أمثال البحترى والمتنبى ما استباحه أمثال فولتير ولافونتين ؟

إن أولئك الشعراء كانوا يؤدون لدولهم خدمات اجتماعية وسياسية ، ومن حقهم أن يعيشوا بفضل تلك الخدمات ، لأنهم لم يخلقوا بلا معدة كما خلق الأستاذ أحمد أمين الذى يخدم الأمة المصرية بالمجان ، لأنه لا يتناول من الجامعة فى كل شهر غير مبلغ ضئيل لا يتجاوز الستين ديناراً ، ولا يتناول من أعماله الأدبية فى كل شهر غير دنانير لا تعدّ بغير العشرات !

ما الذى يعيب الشاعر والأديب حين ينتفع من الشعر والأدب؟

ما الذى يعيبه وهو من جنود المامع الاجتماعية والسياسية ؟

ما الذى يعيبه حين يطمع فى أموال الملوك والخلفاء ، وكان شعره السنادَ لدول الملوك والخلفاء ؟

وهل يعاب جوبلز لأنه يعيش بفضل الدعاية للسيطرة الألمانية ؟

هل يعاب الصحفيون الذين يعيشون بفضل الدفاع عن الحكومات والأحزاب ؟

إن الشاعر القديم هو نموذج للصحفى الحديث ، وكلاهما يؤدى مهمة اجتماعية وسياسية

لو كان الأستاذ أحمد أمين يدقق لعرف أن رجال الأخبار يؤدون مهمة خطيرة، فهم فى حكم الواقع رجال شرفاء وإن احتقرهم المجتمع عن جهل وسخف ، فكيف نهين الشعراء والصحفيين وهم يرشدون الدول عن طريق العلانية ، ويوجهون أممهم إلى سبيل المجد والاستعلاء ؟

ولولا بُناة الشعر فى الناس ما درى
بُناةُ الندى من أين تُبنَى المكارمُ

أترضى أن يكون شعراء العرب شحاذين ومتسولين لتصح أغلاط أحمد أمين ؟

أيكون أسلافنا من الأدباء والشعراء مرتزقة لأنهم لم ينسوا حظوظهم من أموال الملوك والخلفاء ، وبفضل مدائحهم وأهاجيهم عاش الملوك والخلفاء ؟

إن الأمم العربية والإسلامية لم تضعف حيويتها إلا حين عدمت الأريحية وزهدت فى مدائح الأدباء والشعراء

وهل تستطيع حكومة فى هذه الأيام أن تعيش بلا سناد من تشجيع الكتاب والخطباء والصحفيين ؟

وهل قامت حكومة أو سقطت حكومة إلا بفضل أسنة الأقلام؟

إن الأقلام تصنع فى مصير العالم ما لا تصنع جيوش البر والبحر والهواء

وكلمة « مأجور » كلمة ابتدعها أحمد أمين ، وما كان « الأجر » عيباً إلا فى نظر هذا الناسك المتبتل ، فقد كان « الأجر » من قبله كلمة شريفة أقرها القرآن المجيد

ومن الله ألتمس « الأجر » على تصحيح ما وقع فيه هذا الصديق من أغلاط

وما رأى صاحبنا فى هتلر وموسولينى وهما رُهبان العالم بالأقوال قبل الأفعال ؟

ما رأيه إذا علم أن هتلر يهمه أن يكون لأقواله ومؤلفاته قيمة مادية ؟

بل ما رأيه إذا علم أن العراك حول مشيخة الأزهر له أسباب دنيوية ؟

ما رأيه إذا علم أن « البابا » يجتنب مريديه بثمرات النخيل والأعناب ؟

ما رأيه إذا علم أن الغض من قيمة المعدة ليس إلا رهبانية نهى عنها الإسلام ؟

ما رأيه إذا عرف أن من يحتقرون الأسماء كانوا كتبوا مرة

أو مرتين فى تأثير « الهضم » على العقول ؟

نحن لا نريد مؤرخاً للأدب يفهم الدنيا بالمقلوب ، وإنما نريد مؤرخاً يفهم أن الأدب صورة الحياة ، ويعرف أن شعر ابن الرومى فى وصف « الرقاق » لا يقل شرفاً عن شعر ابن المعتز فى وصف « مداهن الطّيب » لأن الشاعر لا يطالب بغير إجادة الوصف لما تراه العيون ، وما تحسه القلوب

نريد مؤرخاً للأدب يدرك أن من حق الأديب أن يصف ما يرى ويسمع .

نريد مؤرخاً للأدب يدرك الفروق بين الأشياء ، ويتأثر بجميع المناظر ، ويطرب لجميع ما فى الوجود ، ويتابع النبرات الموسيقية فى نقيق الضفادع ، على نحو ما يصنع وهو يتسمع لأسجاع الحمائم . وذلك يوجب أن يكون رجلاً له ذوق وإحساس

نريد مؤرخاً للأدب يعلل أسباب الحسن وأسباب القبح مع العطف على جميع مظاهر الوجود

نريد مؤرخاً للأدب يرى السخرية من العيوب ويرى مكر الثعلب لا يقل جمالاً عن بلاهة الغزال

* * *

قد يسأل القارئ : وما محصول هذا التصحيح ؟

ونجيب بأن له أهمية عظيمة لأنه يضع تاريخ العرب فى نصابه من حيث الأخلاق ، فأتباع الأمراء والوزراء والملوك والخلفاء من أهل الشعر والأدب لم يكونوا فى جميع أحوالهم صعاليك كما يريد الأستاذ أحمد أمين ؛ وإنما كانوا قوماً يؤدون خدمات سياسية واجتماعية وأدبية ، وكانوا يؤلفون جماعات منظمة تنشط الروح المعنوى فى الدولة وتشيد بمكارم الأخلاق . وكان الطائشون منهم يمثلون ما فى أرواح بعض الجماهير من عناصر الزيغ والارتياب . فهم الصورة الصحيحة لما كان عند العرب والمسلمين من عناصر الشك واليقين

وأذهب إلى أبعد من ذلك فأقول إنهم خلقوا العصبيات القومية ، وأمدوا التاريخ بروح الحياة . فهذه مصر مرّ بها كثير من الحوادث فى مطلع حياتها الإسلامية ، ولم يبق من ولاتها وحكامها من هو أسير ذكراً من كافور والخصيب بفضل مدائح المتنبى وأبى نواس

ولو شئت لقلت إن المداحين والهجائين كانوا يقيمون بقصائدهم مدارس لتعليم الأخلاق ، وكانوا يقيمون بقصائدهم معاهد لتعليم اللغة والأدب والتاريخ . وقد كانوا بالفعل معلمين ، لأنهم كانوا أساتذة الأدب فى تلك الأزمان ، وبفضل صوابهم وخطئهم كان يعيش النحاة واللغويون

والأستاذ أحمد أمين الذى يجعل وصف الطبيعة من أدب الروح ينسى أن الإنسان هو خير ما فى الطبيعة . وهل يكون مدح الغصن المزهر أشرف من مدح الملك المفضل إلا فى ذهن من ينظر إلى حقائق الأشياء نظرة عامية ؟

أقول هذا وأنا أزهد الناس فى هذا اللون من الحياة ، لأن الاتصال بالملوك يتطلب ألواناً من التلطف والترفق لا يحسنها رجل مثلى ، فى شمائل تغلب عليها الشراسة والجفوة وتثقلها بداوة الطبع .

ولكن هذا لا يمنع من الاعتراف بأن الشعراء الذين اتصلوا بالملوك وتفيأوا ظلالهم لم يكونوا فى كل حال من ضعفاء النفوس ، وإنما كانوا فى الأغلب ناساً عقلاء يعرفون روح الزمان

والمرتزقون منهم كانوا انساقوا إلى تلك المزالق بفضل القالة الحسنة التى جعلت الشعر من أطيب ما يشتهى الملوك والخلفاء ، فقد مرت أزمان كانت فيها الهبات الرسمية باباً من الشرف قبل أن تكون باباً من المعاش

* * *

قد يسهل على الأستاذ أحمد أمين أن يخرج من هذا المأزق بأن يلوذ بما اصطلح الناس عليه فى العصر الحديث من الانصراف عن مدح الملوك ، ولكنه ، إن فعل ، سيصطدم بصخرة قاسية ، لأن الحكم الأخلاقى مرجعه إلى تصور الدواعى والأسباب ، فما نتحرج منه اليوم لم يكن يتحرج منه القدماء ، وما قد نعده عيباً كان الأسلاف يعدونه من التشريف

ماذا أريد أن أقول ؟

أنا أريد أن أنزه تاريخ العرب عن وصمة المعدة ، والمعدة ليست وصمة إلا فى ذهن الأستاذ أحمد أمين ، أمدنى الله وإياه بالمعدة القوية لنستطيع مواصلة الجهاد !

آمينَ آمينَ لا أرضى بواحدة   حتى أضيف إليها ألف آمينا

* * *

أيرى القارئ أني استطعت إفحام هذا الباحث المفضال ؟

لن أفحمه حتى يشرب صُبابة الكأس : « وكل صُبابةٍ في الكأس صابُ » . كما قال شوقي

أحمد أمين يقول :

« نرى في العصر العباسي طغيان أدب المعدة على أدب الروح . هذا البارودي (رحمه الله) اختار لثلاثين شاعراً من خيرة شعراء الدولة العباسية ... وكانت مختاراته في أربعة أجزاء كبار . فكان ما اختاره من المديح ٢٤١٨٥ بيتاً ، ومن الأدب ١٦٩٧ بيتاً ، ومن الغزل ٤٦١٦ بيتاً ، ومن الهجاء ١٢٢٩ بيتاً ، ومن الوصف ٣٩٩٣ ، ومن الزهد ٤٧٣ بيتاً . ونظرة واحدة إلى هذا الإحصاء تدهشنا أشد الدهش : إذ يتبين لنا طغيان أدب المعدة — وهو المديح والهجاء — على أدب الروح ، طغياناً كبيراً » .

ذلك هو أحمد أمين بقَضّه وقضيضه كما كانوا يعبّرون .

ذلك هو أحمد أمين الذى يدرس الأدب بالإحصاء ، والذى يقيس الدواوين الشعرية بالمتر والباع والذراع .

لقد كنت أحفظ أكثر مختارات البارودي ولم يخطر ببالي أن أعدّها . فهل أستطيع اليوم أن أقول للأستاذ أحمد أمين : « أفادك الله ! » .

هل بلغت المدائح في مختارات البارودي ٢٤١٨٥ بيتاً ؟

ذلك (إحصاء) أحمد أمين ، ولا موجب لمراجعته لأنه من النوابغ في الإحصاء ! ! !

ولكن هل فكر هذا الرجل في « إحصاء » الأغراض المبثوثة في تلك المدائح ؟ هل يظنها جميعاً من قبيل : « أنت شمسٌ أنت بدرٌ ؟ » .

ألم يكن أكثرها تسجيلاً لوقائع حربية ، ومواسم تشريف ؟

هل خطر بباله أن « يُحصى » ما في تلك المدائح من الأوصاف والحِكم والأمثال ؟

هل خطر بباله أن يلتفت إلى القصائد التي استوجبت عناية النحاة واللغويين فأمدت اللغة العربية بفيض من الحيوية لا ينضب ولا يغيض ؟

أحمد أمين يرى أن محصول المدائح في العصر العباسي أكبر محصول ، ويرى محصول الزهد أصغر محصول !

فهل استطاع هذا الرجل أن يستخلص العِبرة من الموازنة بين النسبتين ؟

لو كان أحمد أمين يدقق لعرف أن طغيان المديح على الزهد كان من علائم الحيوية في العصر العباسي . فهو الشاهد على أن العرب كانت حياتهم تزدحم بالأخطار الدنيوية . وهو الشاهد على أنهم كانوا أهل نخوة وأريحية . وهو الدليل على أنهم كانوا يَحيَوْن حياة تفيض بمعاني الأفراح والأحزان ، وتتسم بعلائم القوة والكفاح .

وما كانت الأهاجي أقل قيمة من المدائح في الدلالة على هذه الشؤون .

فالأهاجي كانت في الأغلب تمثل صوت المعارضة السياسية ، وكان لها تأثير شديد في كبح الطغيان ، وبفضل الأهاجي قُلِّمتْ أظفار الاستبداد ، وخشى الطغاة بأس القلم واللسان .

وهل تفرّد العرب بالهجاء ؟

ألم يكن الهجاء فناً ظاهراً في جميع الآداب الشرقية والغربية ؟

وهل خلت الكتب المقدسة من الهجاء حتى نعدّه من السيئات ؟

وما هو الهجاء حتى نحكم عليه ذلك الحكم الجائر ؟

ألم يكن صورةً للنفوس التي تغضب وتثور على ما تنكر من ألوان الضمائر والأعمال ؟

وكيف نعيش إذا نجونا من ثورة الحب والبغض ؟

كيف نكون إذا لم نقل للمحسن أحسنت ، ولم نقل للمسيء أسأت ؟

إن الملائكة يرضون ويغضبون ، ويفرحون ويحزنون . وكل ما في الوجود من طبائع وأرواح يدرك معاني الرضا والغضب والابتهاج والابتئاس . فكيف يعاب علينا أن نكون صبحاً يتنفس وليلاً يتمرد ، من حين إلى حين .

« مصر الجديدة » **زكي مبارك**

الانتـــداب الفرنسى
فى بلاد الشرق
للأستاذ بيير فينو

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

ماهى الظروف التى أحاطت بمفاوضات المعاهدة ؟

ولنتساءل الآن : ماهى الظروف التى أحاطت بمفاوضات المعاهدة السورية الفرنسية ؟

ليست البلاد السورية بلاداً منعزلة فى محيط بعيد ، ولكنها على النقيض من ذلك تقع فى قلب العالم وتخضع لتيارات من التأثيرات العميقة : أهمها سياسة انكلترا فى البلاد العربية المجاورة كمصر والعراق

ومهما يكن شأن تلك السياسة فنحن لا نستطيع أن ننكر أنها ساعدت فى مختلف مراحلها على إثارة الشعور العام فى البلاد التى تخضع لانتدابنا

وأول ذلك أن انكلترا وعدت الشريف حسين سنة ١٩١٤ بالمساعدة على تأليف الامبراطورية العربية ، ثم إنها اتخذت بعد الحرب سياسة تختلف كل الاختلاف عن سياستنا نحن ، فقد عقدت سنة ١٩٣٠ معاهدة مع العراق كانت نهاية للانتداب البريطانى وفاتحة لانتظام العراق فى سلك جامعة الأمم . وفى سنة ١٩٣٥ بدأت مفاوضاتها مع مصر لعقد معاهدة صداقة وتحالف ... ومامن شك فى أنه كان لهذه السياسة أثر كبير فى سوريا التى كانت ترقب مجرى الحادثات فى غليان وقلق

وقد أثبت ذلك سلسلة الوقائع المتأخرة ، ففى ١٠ يناير ١٩٣٦ قرر الحزب الوطنى [1] اتباع سياسة سلبية مطلقة وإعلان الإضراب العام إلى أن تجاب مطالب سوريا فى الوحدة والاستقلال . وضم الإضراب سلسلة من المآسى وأسفر عن ٦٠ قتيلاً ومئات من الجرحى ، واضطر مندوبنا فى سوريا مسيو (دومارتل) أن يستشير وزارة الخارجية ، وكان على رأسها المسيو فلاندان فأشار بفتح باب المفاوضات مع وطنيى سوريا

وقد انبثق عن هذه المفاوضات بين زعماء الحركة الوطنية وبين المفوض السامى تصريح أول مارس سنة ١٩٣٦ الذى نص على وجوب عقد معاهدة فى باريس بين وزارة الخارجية ووفد مفاوض تنتخبه البلاد ، على ألا تقل هذه المعاهدة عن معاهدة انكلترا والعراق

ولا شك أن هذا التصريح كان يحمل طابع الضعف ، لأنه صدر إثر تهديد شعبى قوى لم تتمكن الإدارة الفرنسية من أن تصمد له ، ولكنه مع ذلك ضرورى لازب ، لأنه كان على فرنسا أن تختار بين العناد والمقاومة وبين الاتفاق والمسالمة — كما أبرق بذلك المندوب السامى فى فبراير ١٩٣٦ — وطبيعى جداً ألا تزج فرنسا بنفسها فى مغامرة جديدة بعد تجربة الثورة السورية الكبرى فضلاً عن أنها ترغب فى أن تفى بوعودها المتقدمة

ولقد وجهت بعض الاعتراضات على انتخاب أعضاء الوفد المفاوض ، ولكن الواقع يضطرنى إلى أن أقول إن هؤلاء الوطنيين المفاوضين هم الذين ناضلوا فى سبيل بلادهم ، وإنهم كانوا مصـدر الصعوبات التى وجدناها فى سوريا ، وإن فشل معاهدة سنة ١٩٣٣ أظهر فى كثير من الجلاء ضرورة التعاون مع الجماعات الوطنية للوصول إلى تعاقد مُرضٍ حاسم

يقولون إن رجال الوفد المفاوض ليسوا أصدقاءنا — ولكنه قول خاطئ — لأن خصومة الانتداب لا تعنى بالضرورة خصومة فرنسا

ولنسلم جدلاً أن ذلك صحيح ، أو ليست السياسة أن يسالم الرجل أعداءه لا أصدقاءه ؟

المعاهدة

لقـد كان الغرض الرئيسى من التعاقد استبدال الانتداب الفرنسى بمعاهدتين مع سوريا ولبنان . وابتدأت المفاوضات فى منتصف شهر مارس ، وكانت تقتضى منا أن نوجه انتباهنا إلى كل ما يجرى حولنا ... ففلسطين كانت تخوض غمرات ثورة حمراء كنا نخشى أن يمتد لهيبها إلى سوريا ، وفى المغرب تماوج

(١) يقصد فينو من «الحزب الوطنى» الكتلة الوطنية التى كانت إلى أمد قريب من أكبر الأحزاب القائمة ثم تصدعت أركانها وانفرط عقدها فى الأشهر الأخيرة (المترجم)

الاضطرابات العنيفة ضد فرنسا عند كل بلبلة فى الشرق الأدنى ، ولهذا لم يكن فى وسعنا أن نقف فى المفاوضات موقف الآمر الناهى ؛ وإنما كنا نستمع إلى جلسائنا ونناقشهم ونجادلهم وسأبدؤكم بالحديث عن المعاهدة السورية :

لقد كان تصريح أول مارس مؤكداً لاستقلال سوريا ، أما المعاهدة فتصرح أن هذا الاستقلال يتحقق فى انتساب سوريا إلى جامعة الأمم كما تشترط فترة انتقال تمتد ثلاث سنوات تمتحن فيها مقدرة السوريين على الإدارة والحكم .

على أن أطرف المشكلات التى اعترضت المفاوضات مشكلة العلاقات السورية اللبنانية ؛ ويهمنا كفرنسيين أن يبقى لبنان فى نجوة من طغيان الوحدة السورية .

ومع هذا فيجب أن نقرر أن الوطنية السورية تجد فى لبنان عناصر مؤيدة فعالة ؛ وذلك أن عدد سكان لبنان ٨٥٠،٠٠٠ أكثرهم من المسيحيين[1] ، ولكن بعض المدن مثل طرابلس التى تنتهى فيها أنابيب بترول الموصل مسلمة كلها . وقد أثبتت التجارب أن من الصعب أثناء الاضطرابات والقلاقل السياسية أن تحول السلطات دون ظهور الشعور الفعال فى الأطراف الأخرى ...

ولقد عرفنا ذلك ١٩٢٠ — ١٩٢١ فى لبنان الجنوبى ومنطقة العلويين ؛ وفى سنة ٣٦ كان اتحاد الدروز مع وطنيى دمشق مثلاً رائعاً لهذه الألفة . وفى يناير ١٩٣٦ خضعت طرابلس المدينة اللبنانية إلى حركات الوطنيين فى دمشق فشاركت فى الإضراب العام . ومن هنا ظهرت لنا ضرورة العناية باستقلال لبنان وانفصاله لما له من أهمية رئيسية بالنسبة إلى فرنسا

ولقد كانت المفاوضات فى هذه الناحية — ناحية العلاقات بين سوريا ولبنان — صعبة عسيرة ، ولكنها انتهت أخيراً إلى عزلة كل من البلدين عزلة كاملة ؛ لأننا عارضنا بقوة وشدة كل محاولات طغيان سياسى أو اقتصادى سورى على لبنان

أما مستقبل العلاقات بين فرنسا وسوريا ، فقد كانت مدة التعاقد التى نصت عليها المعاهدة خمسة وعشرين عاماً تقوم سوريا خلالها باستشارة فرنسا فى الأمور المشتركة بين البلدين

وأما الناحية العسكرية فقد سويت فى ملحق خاص واعترضها بعض العقبات الكثيرة التى استطعنا أن نتغلب عليها بفضل مهارة المفاوض السورى ومرونة خلقه السياسى

ويختلف الملحق العسكرى فى المعاهدة السورية عن الملحق العسكرى فى المعاهدة العراقية — الإنكليزية ، التى تنص على بقاء قاعدتين جويتين لسلاح الطيران الإنكليزى ، وعلى تحديد مناطق النفوذ البريطانى ، بينا يمتاز الملحق العسكرى للمعاهدة السورية بأنه يدع مناطق النفوذ من غير تحديد ويترك لفرنسا حق الاحتفاظ بمركزين لجيوشها فى مقاطعتى العلويين وجبل الدروز

أما حماية الحقوق والمصالح الفرنسية فمن الطبيعى أن نقول إن المعاهدة صانت هذه الحقوق فى نصوص واضحة ، ولا سيما ما يتعلق بالمصالح الاقتصادية والحقوق المكتسبة للأشخاص الماليين والفنيين ، وتعهدت بالإبقاء على نظم المؤسسات العلمية الحاضرة وبعثات الحفريات ومعاهد الدراسة الأجنبية ؛ ونصت كذلك على استخدام ثمانين مستشاراً فرنسياً فى نواحى الإدارة . وقد كان هذا كله ضرورياً من أجل البلاد التى انتشرت فيها ثقافتنا بفضل البعثات التبشيرية واللادينية «Laïques»

هذا فيما يتعلق بالمعاهدة السورية ، أما عن المعاهدة اللبنانية فأستطيع أن أقول إنها نسخة ثانية من المعاهدة السورية ، ولكنها تمتاز بأن مدة التحالف التى حددت بـ ٢٥ سنة فى المعاهدة السورية يمكن تجديدها ثانية فى المعاهدة اللبنانية لمدة مساوية ؛ وأن القواعد العسكرية لا تخضع لحدود معينة فى التمركز والتنقل والمناورات .

وأخيراً قد استطعنا بواسطة هذا النظام الجديد أن نوطد مقامنا فى لبنان وأن نثبت أركانه .

تلخيص

شكرى فيصل

[1] من الأوهام الشائعة أن أكثرية لبنان مسيحية على حين أن الاحصاء الأخير يثبت أن لبنان موزع مناصفة بين المسلمين والمسيحيين على السواء (المترجم)

في بلاط الخلفاء

بين المازنى والواثق والمتوكل

للأستاذ على الجندى

لم تر البصرة بعد سيبويه من كان أعلم بالنحو وأحسن استنباطاً لمسائله ، وتخريجاً لعِلَله من أبى عثمان بكر بن محمد المازنى نسباً أو وَلاء على الخلاف فى ذلك

ولم يشأ المازنى أن يقصر همَّه على قواعد النحو الجافة ، شأن كثير من رجالات البصرة ، بل أراد أن يكون وسطاً بين سيبويه والأصمعى ، فاتجه إلى تحصيل اللغة والأدب برغبة صادقة ، فأخذ عن أبى عبيدة وأبى زيد الأنصارى والأخفش والأصمعى ، حتى صار إمام عصره ، وحتى كان من تلاميذه المبردُ وعبد الله بن سعد الورّاق وغيرهم من كواكب العربية الساطعة

وكان – إلى تمكّنه فى النحو واللغة والأدب – على حظ عظيم من قوة اللَّسَن ، وخَلابة المنطق ، وبراعة الاحتجاج ، فما تعرّض لمناظرته أحدٌ إلا افتضح ، لدقة مسلكه فى الجدل ، وامتلاكه مذاهب القول ، وتصرّفه فى ألوان البيان

وقد ناظر أحدَ شيوخه الأخفش فى مسائل عدّة ، فقطعه وتركه ساقطاً مُغَلَّباً !

ولم ينس المازنى نصيبه من الشعر فنظمه على قلة . ولشعره حلاوة ، وعليه ماء ورونق ، وإن لم يخرج فى جملته عن نطاق شعر النحاة والفقهاء والمعلّمين الذين يعتمدون على حسن الرصف وإبداع الصياغة أكثر من اعتمادهم على الخيال الوشِىّ والتصوير البارع

فمن أبياته السائرة قوله فى الحِكم :

ثِنْتان يعجِز ذو الرياضة عنهما ... رأىُ النساء وإمْرة الصِّبيان
أما النساء فإنهن نواشز[1] ... وأخو الصِّبا يجرى بكل عِنان

(١) وضعنا هذه الكلمة موضع كلة أخرى نابية رأبنا فيها تحاملا على الجنس اللطيف . وشجعنا على ذلك أن الرواة كثيرا ما كانوا يصلحون الشعر وبخاصة إذا كانوا من الشعراء

وله تعزية حسنة لبعض الهاشميين تفيض سلوى وتأساء على الكبد المقروحة والقلب الصديع ، لما انطوت عليه من الذكرى النافعة ، والحكمة البالغة التى تَقُود النفوس طيّعةً إلى التسليم بقضاء الله وقدره . قال :

إنى أعزيك ، لا إنى على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين
ليس المُعَزَّى بباقٍ بعد ميِّته ... ولا المعزِّى وإن عاشا إلى حين

وكان المازنى يمنح نفسه حرية التشرع فى فهم المسائل وإدراكها على الوجه الذى يسوغ فى الذوق والعقل دون التعبد بآراء السلف . ومن أثر ذلك : تفسيره للحديث المشهور « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » بأن المراد منه : إذا كان الفعل الذى تريد إتيانه لا يستحيا من مثله فاصنع منه ما شئت . وهو رأى حسن لم يسبق إليه

ولهذا الاستقلال الفكرى الذى عرف به ، كان المبرّد يقول : ما رأيت نحوياً أشبه بفقيه من المازنى !

وللمازنى رأى غريب فى جماعة المشتغلين بالعلوم يحسن أن نورده لطرافته ولدلالته على شغف الرجل بدراسة أخلاق الناس ، ودقة فطنته إلى ما يمتازون به من صفات . يقول : – وقد سئل عنهم – أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف ، وأصحاب الحديث فيهم حشو ورقاعة ، والشعراء[1] فيهم هوج ، وأصحاب النحو فيهم ثقل ، وفى رواية الأخبار : الظرف كله . والعلم : هو الفقه

وقد يكون المازنى جانب الصواب فى بعض هذه الأحكام ، ولكنه قد صدق على الأقل فى حكمه على النحويين !

ومن نوادره السائغة قوله : مررت ببنى عقيل فإذا رجل أسود قصير أعور أبرص أكشف[2] قائم على تل سماد وهو يملأ جواليق منه ، ويتغنى بأعلى صوته :

فإن تصرمى حبلى وتستكرهى وصلى
فمثلك موجود ولن تجدى مثلى

فقلت له : صدقت . ومتى تجد – ويحك – مثلك ؟ ! فقال : بارك الله عليك ! واسمع أخيراً . ثم اندفع يغنى :

يا ربة المِطْرف والخَلخال ... ما أنت من همى ولا أشغالى
مثلك موجود ومثلى غالى

(١) سامحك الله يا مازنى (٢) به انقلاب فى قصاص شعر الناصية

ويمتاز المازنى بسمة واضحة عُرِف بها شيخ شيوخه الخليل بن أحمد ، وهى القناعة بالكفاف ، والميل إلى العزلة والانفراد ، والأنفة من التكسب بالعلم ، وإيثارُ البعد عن الخلفاء وحاشيتهم والزهد فى احتجان جوائزهم وصلاتهم ما لم يتقدموا بإشخاصه إليهم رغبة فى الاستفادة منه ، فيصدر عنهم معزّزاً مكرّماً .

ومع أنه من المتعارف لدى الناس أنه قلّما يكون النحوى[1] ديّناً . فقد كان المازنى ثقة فى دينه صدوقاً ، كثير التزمت والورع ، وإن كان منحرفاً عن أهل السنة إلى المعتزلة ، ولهذا كان يلقى جفوة من أستاذه الأصمعى السنىّ المتشدّد فقلّت روايته عنه . وقد بلغ من زهده أن يهودياً بذل له مئة دينار ليُقرِئه كتاب سيبويه ، فامتنع من ذلك ! فقال له تلميذه المبرد : جُعلت فداك ! أتردّ هـذه النفعة مع فاقتك وشدة إضاقتك ؟ فكان جوابه : إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا وكذا آيةً من كتاب الله عزّ وجل ، ولست أرى أن أمكّن منها يهوديًّا غيرةً على كتاب الله وحميّة له .

ونرجو أن يُثاب المازنى على حسن نيته ، وإن كنا لا نقره على هذه العصبية . ومهما يكن من شىء فإنه لم تمض غير برهة قصيرة حتى أرسل الخليفة الواثق فى طلبه ونفحه بالأعطيات السنية ، فعدّ الناسُ ذلك إكراماً من الله له وإخلافاً عليه .

أما سبب طلب الواثق له فقد حدث أن مخارقاً[2] غناه فى شعر الحارث[3] بن خالد المخزومى .

أظلوم[4] إن مصابكم رجلاً أهدَى السلامَ تحيةً ظُلْمُ

فذهب بعض الحاضرين إلى نصب (رجل) ، ورأى آخرون رفعه ، واشتد اللجاج فى ذلك ، فسأل الواثق عمن بقى من رؤساء النحويين فذكروا له المازنى ، فتقدم بحمله وإزاحة علله وإحسان تجهيزه ليفصل فى هذا الخلاف .

وقد يتساءل بعض القراء : ما شأن الواثق بالنحو ، وما قيمة رفع (رجل) أو نصبه حتى يزعج المازنى من البصرة ، ويعقد لذلك مجلساً من القضاة والمحكمين ؟! والجواب : أن الواثق كان من أجلّ الخلفاء وأكثرهم اشتغالاً بالعلم والأدب وأطبعهم على قول الشعر الرقيق ، وأبصرهم بالنقد ، وأشدهم تمحيصاً للرواية وأميلهم للغناء . ولولا خشية الإطالة لجلونا ناحية من نواحيه الأدبية المشرقة ليعرف الناس كيف كان خلفاء هذا الزمان !

بلغ المازنى دار السلام فأدخل إلى الواثق . فقال له : ممن الرجل ؟ قال : من مازن . قال : من مازن تميم ، أم مازن قيس ، أم مازن ربيعة ، أم مازن اليمن ؟ قال : من مازن ربيعة .

وكانت اللغة الفاشية فى مازن ربيعة قَلْب الميم باء والباء ميماً . فقال الواثق يخاطبه بلغته بَسطاً لنفسه وإدخالاً للأنسة عليها : باسْمُك ؟ يريد : ما اسمك ؟ !

وهنا تتجلى لباقة المازنى وسلامة ذوقه ورفاهة حسه وحسن تأتيه فى مخاطبة الخلفاء ؛ وأحسبه لو كان نحوياً فقط لارتطم فى الهوّة ، ولكن ذوقه المكتسب من معاناة الأدب فتق له عن وجه الحيلة فى الخروج سالماً من ورطة دفعته إليها دُعابة الواثق من غير قصد .

لقد عرفنا أن اسم المازنى (بكر) والجرى على مقتضى القياس فى القلب أن يقول : اسمى (مكر) ولكن كيف يرضى المازنى الأريب أن يقذف فى وجه الخليفة بهذه الكلمة الكزّة الجاسية ؟

رفع المازنى رأسه إلى الخليفة قائلاً: اسمى بكر ، يا أمير المؤمنين رفّت هذه الكلمة رفيفاً نديًّا على كبد الواثق ، واستنار منها وجهه واستضحك لها ! وعرَف أن هذا الذى يقف بين يديه رجل فيه كَيْس ودراية ، وله طبع مهذب مصقول . فقال (مستمراً فى مفاكهته) : اجلس فاطبئن . أى فاطمئن

ويجب ألا ننسى بهذه المناسبة أننا فى العصر العباسى ، حيث ورَفت ظلال الحضارة ولان العيش وفشا النعيم واستفاض الظرف ورقت حواشى الأخلاق ، وارتفعت مقاييس الأذواق ، فكلمة ناعمة منضورة أمام خليفة أو وزير قد تنبّه من شأن

(١) أورد هذه الكلمة ياقوت فى ترجمة بعض النحاة ، والعهدة عليه

(٢) كان إمام عصره فى الغناء وقد بلغ إكرام الرشيد له فى بعض مجالسه أن رفع الستارة بينهما وأقعده معه على سريره وأعطاه ثلاثين ألف درهم.

(٣) هو ابن عم عمر بن أبى ربيعة وشاعر قريش بعده ومنافسه فى صوغ الشعر الغزلى الرقيق

(٤) جاءت فى معجم الأدباء : ظليم ، تخرجنا على المشهور .

قائلها وتحمله منازل السعادة ! وربّ كلمة حوشية جافية تهوى به إلى أسفل سافلين !

خذ لذلك مثلاً ما حدّثوا به من أن مؤدب الرشيد كان عند والده المهدى (وهو يستاك) فقال له : كيف الأمر من السواك ؟ فقال : استك يا أمير المؤمنين . فقال المهدى : إنا لله وإنا إليه راجعون ! التمسوا لنا من هو أفهم من هذا . فقالوا له : رجل يقال له على بن حمزة الكسائى من أهل الكوفة قدم من البادية قريباً . فكتب بإحضاره ، فساعة مثل بين يديه قال له : يا على بن حمزة ، قال : لبيك يا أمير المؤمنين . قال : كيف تأمر من السواك ؟ قال : سُك . قال : أحسنت وأصبت وأمر له بعشرة آلاف درهم !

وقد حرم الأصمعى التوفيق فى بعض مواقفه مع الرشيد على علمه وفضله فقد سأله عن مسألة ، فأجاب : على الخبير بها سقطت ! فقرعه الوزير يحيى بن خالد ونسبه إلى السوقة والأغتام !

على حين فطن لها أبو أحمد العسكرى — وقد سأله الصاحب ابن عباد ، فقال : الخبير صادفت . فقال الصاحب : يا أبا أحمد تُغرب فى كل شىء حتى فى المثل السائر ! فقال : تشاءمت من السقوط بحضرة مولانا ، وإنما كلام العرب : على الخبير بها سقطت

لهذا نَبُل المازنى فى نفس الواثق وحَلِىَ فى عينه ، لأنه توسم فيه سجاحة الخلق وسلاسة الحاشية ودقة الفطنة . وما زال الناس يستدلون بحديث المرء على دخيلة نفسه وصحيفة لبه ومبلغ تهذيبه وثقافته

ولْنعد إلى ما انقطع من الحديث ، فنقول : إن الواثق سأله عن البيت المتقدم فقال : الوجه النصب ، لأن مصابكم مصدر بمعنى إصابتكم . فأخذ اليزيدى النحوى يعارضه . فقال المازنى : هو بمنزلة : إن ضَرْبَك زيدًا ظُلْمٌ . فالرجل مفعول مصابكم ، والدليل عليه : أن الكلام معلق إلى أن تقول : ظلم ، فتتم الفائدة

فأعجب الواثق بهذا الفقه الدقيق . فقال : صدقت . ثم أردف قائلاً : ألك ولد ؟ قال : بنت لا غير . قال : فما قالت لك حين ودعتها ؟ قال : أنشدتنى قول الأعشى :

تقول ابنتي حين جدّ الرحيل ... أرانا سواء ومن قد يتم[1]

أبانا فلا رِمْتَ من عندنا ... فإنا بخير إذا لم ترِم[2]

فقال الواثق : كأنى بك وقد أنشدتها قول الأعشى أيضاً :

تقول بنتى وقد قرّبتُ مُرتحِلاً[3]

يا رب جنّب أبى الأوصابَ والوجعا

عليك مثل الذى صلّيت فاعتصمى

يوماً ، فإن لجنب المرء مُضطَجَعا

ولا ندرى أقال المازني لابنته هذا الشعر أم لم يقله ؟ ولكن ذوقه الذى كشفنا جانباً منه أبي إلا أن يصدق ظن الخليفة . فقال : صدق أمير المؤمنين . قلت لها ذلك وزدتها عليه قول جرير :

ثقى بالله ليس له شريك ... ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال الواثق : ثق بالنجاح إن شاء الله .

وخطر للواثق أن يكل إليه امتحان معلمى أولاده فقال له : إن ههنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحنهم ، فمن كان عالماً ألزمناه إياهم ، ومن كان بغير هذه الصفة قطعناه عنهم . وقد امتحنهم المازنى فلم يجد فيهم طائلاً . فجزع المعلمون المساكين ، وأيقنوا بالشر . ولكن المازنى كان له دين يعصمه من قطع أرزاق الناس ، فقال لهم : لا تُراعوا . ثم مضى إلى الخليفة . فقال له : كيف رأيت ؟ فأجاب بجواب أبرأ به ذمته وخلص منه إلى غرضه . قال : رأيتهم يفضل بعضهم بعضاً فى أمور ، ويفضل الباقون فى غيرها ، وكلٌّ يُحتاج إليه . فقال الواثق : إنى خاطبت منهم رجلاً فكان غايةً فى الجهل خطاباً ونظراً ! فقال المازنى : يا أمير المؤمنين أكثر من تقدّم من المعلمين[4] بهذه الصفة ! وقد قلت فيهم :

إن المعلم لا يزال مضعفاً ... ولو ابتنى فوق السماء بناء

من علم الصبيان أضنوا عقله ... مما يلاقى بُكْرة وعشاء

فاهتز الواثق طرباً وقال : كيف لى بقربك ؟ فقال المازنى : يا أمير المؤمنين ، إن الغنم لى قربك والنظر إليك ، والأمن والفوز

---

(1) صار يتيا (2) لم تفارق (3) صفة لمحذوف : أى جلا مرتحلا

(4) أنظر رد الجاحظ على من زعم ذلك فى البيان والتبين ج 1 — 209

لديك ، ولكنى أَلِفت الوحدة ، وأَنِست بالانفراد ، ولى أهل يوحشنى البعد عنهم ، ويَضُرُّ بهم ذلك ، ومطالبةُ العادة أشدّ من مطالبة الطباع . فقال الواثق : فلا تقطعنا وإن لم نطلبك . فقال : السمع والطاعة .

وقد أمر له الخليفة بألف دينار ، وأجرى عليه فى كل شهر مئة ، فانصرف إلى البصرة موطنه ، وظلت تجرى عليه الوظيفة حتى مات الواثق فقطعت عنه .

وقد ذُكر المازنى للمتوكل فاستدعاه ، فدخل إليه وقد جلس وزيره وصفيه الفتح بن خاقان بين يديه ، وحفّت به كوكبة من فتيان الأتراك مدججين بالسلاح فهاله ما رأى من روعة الحضرة وأبهة البلاط ، وكثرة العَدد والعُدد ، فطارت نفسه شعاعاً ، وانتشر عليه فكره ، وخشى أن يسأل فلا يسعفه الجواب لما داخله من الهيبة . فحين سلّم على الخليفة ، ابتدر قائلاً : يا أمير المؤمنين أقول كما قال الأعرابى :

لا تَقْلُوَاها[1] وادْلُواها دلوا إن مع اليوم أخاه غدْوا

ولم يكن المتوكل كالواثق فى ثقافته العربية فلم يفهم ما أراد المازنى ، فاستُبرد وأُخرج . ولكن المتوكل لم يستغن عنه ، فعاد فاستدعاه وقال له : أنشدني أحسن مرثية قالتها العرب : فقال المازنى قول أبي ذؤيب الهزلى :

أمن المنون وريبها تتوجع

وقول كعب الغنوى :

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا

وقول متمم بن نويرة :

لعمرى وما دهرى بتأبين هالك

وقول محمد بن مناذر :

كل حى لاقى الحمام فمودى

وهذه القصائد من الشُّرَّد السائرات فى الشعر العربى ، وبخاصة قصيدة مُتمّم[2] فى أخيه مالك التى كان يسميها الأصمعى أم المراثى ! ولكن

(١) القلو : رفع السير . والدلو : الادناء . والمراد لاتحملاها على السرعة فتعطب ولكن أرفقا بها فى السير

(٢) العقد الفريد ج ٢٠ — ١٧١

المتوكل لم يطرب إلى واحدة منها ، فكان كلما سمع قصيدة قال ليست بشىء !

ثم قال المتوكل : من شاعركم اليوم بالبصرة ؟ قال المازنى : عبد الصمد بن المعذّل . قال : فأنشدنى له

ولم يشأ المازنى أن يُثْقِل عليه بالشعر الجزل الرصين ، فأنشده أبياتاً قالها ابن المعذل فى قاضى البصرة ابن رَبَاح :

أيا قاضية البصرة (م) قومى فارقصى قَطْره
ومرّى بِرَوْيسيجٍ[1] فاذا البرد والفتره
أراك قد تثيرين عَجاج القصف يا حرّه
بتجذيفك[2] خديك وتجعيدك للطره

وهذا الشعر من السخف والغثاثة والثقل بمكان ! والمتوكل شاعره البحترى أولى من استحق لقب شاعر على الإطلاق ، فكان من الظنون ألا يطرب لهذا الشعر البارد المخشوب ، ولكن من العجب أنه استطير له ومالت به النشوة كل مميل فوصل المازنى بجائزة سنية !

وعرف المازنى من ذلك أن المتوكل يستروح إلى الشعر المهلهل النسج ، القريب الغور ، من مثل المقطعات الرقيقة فى الأهاجى والمجون والدعابات والإخوانيات ، فكان يتكلف أن يحفظ له من ذلك الشىء الكثير ، فينشده إياه إذا استدعاه ، فيغمره بالخلع ، ويملأ يديه بالصفراء والبيضاء ! والسلطان سوق يحمل إليه ما ينفق عنده . وقد توفى المازنى سنة ثمان وأربعين أو تسع وأربعين بعد المائتين عن ثروة ثمينة من التآليف الحسان فى عدة فنون . نضر الله وجهه وأجزل مثوبته !

على الجندى

(١) العتبة

(٢) التجذيف : التسوية الحسنة للشعر وغيره

دراسات إسلامية

الزندقة فى الاسلام

للأستاذ عبد الرحمن بدوى

للزندقة فى الإسلام تاريخ شائق، عنى المستشرقون بدراسته عناية شديدة، فكتبوا فيه الرسائل القصيرة أو المقالات الطويلة المستفيضة التى تظهر باستمرار وأغلب ما فيها جديد طريف. ولكنهم لم يبلغوا من هذا كله شأواً بعيداً، ولم يستطيعوا حتى اليوم أن يلقوا ضوءاً قوياً ساطعاً على أغلب نواحيه

عنوا بدراسة هذا التاريخ لأنه بدون إيضاحه وتعمقه لن نستطيع أن نفهم كيف نشأت بعض النظريات فى علم الكلام بل بعض المذاهب الكلامية التى ازدهرت خصوصاً فى القرنين الثانى والثالث للهجرة، إذ أن الكثير من نظريات مذهب كمذهب المعتزلة لا يمكن أن يفهم بدون معرفة هذه الخصومات الكثيرة العنيفة التى كانت تقوم بين كبار المعتزلة وبين الزنادقة، والتى كان يثيرها هؤلاء الأخيرون فيضطر أصحاب الاعتزال إلى أن يتخذوا موقفاً بإزائها خاصاً. حتى أنه لو أتيح لنا أن نبحث فى تكوين النظريات المختلفة التى يشتمل عليها مذهب المعتزلة بحثاً دقيقاً، يتابع تطوره ويرسم المنحنى الذى عليه سار، إذن لوجدنا للزندقة أكبر الأثر وأعظم الخطر فى هذا التكوين

كما لا نستطيع أن نفهم أيضاً تلك الحركة السياسة الحضارية الخطيرة التى ظهرت خصوصاً فى أوائل حكم العباسيين، وأعنى بها حركة الشعوبية. ودون أن نذهب إلى ما ذهب إليه الدكتور طه حسين فى كتاب « حديث الأربعاء » من إرجاع حركة الزندقة كلها أو معظمها إلى حركة الشعوبية، نستطيع أن نؤكد على أقل تقدير أن بين كلتا الحركتين صلة قوية شديدة، حتى كان بعض أنصار العربية ضد الشعوبية يتخذون من الشعوبية وسيلة للدلالة على الزندقة كما سنرى بعد حين

وإلى جانب هذا كله لا يمكن أن ندرك التطور الروحى فى بلاد الإسلام والحياة العقلية عامة على حقيقتهما، إلا إذا نظرنا إلى حركة الزندقة باعتبارها عاملاً من أخطر العوامل التى لعبت دورَها فى ذلك التطور وهذه الحياة، فسيرت الأول فى اتجاه معين وحددت له خطوطاً رئيسية مشى فيها؛ وكيفت الثانية تكييفاً معيناً وصبغتها بصبغة خاصة لم تبهت على مر الزمان

فلهذه الأسباب كلها ولغيرها من الأسباب وجه المستشرقون عنايتهم إلى هذه الدراسة؛ ولكن دراستهم هذه لا تزال حتى اليوم ناقصة، فيها الكثير من التشويه واللبس. وذلك راجع إلى أن تاريخ الزندقة فى الإسلام موضوع غامض كل الغموض، مضطرب كأشد ما يكون الاضطراب، يشق علينا كثيراً ـ الآن على أقل تقدير ـ أن نتبينه فى وضوح وأن نتمثله فى جلاء

فلفظ « زنديق » لفظ غامض مشترك قد أطلق على معان عدة، مختلفة فيما بينها على الرغم مما قد يجمع بينها من تشابه. فكان يطلق على من يؤمن بالثانوية ويثبت أصلين أزليين للعالم: هما النور والظلمة. ثم اتسع المعنى من بعد اتساعاً كبيراً، حتى أطلق على كل صاحب بدعة وكل ملحد. بل انتهى به الأمر أخيراً أن يطلق أيضاً على من يكون مذهبه مخالفاً لمذهب أهل السنة، أو حتى من كان يحيا حياة المجون من الشعراء والكتاب ومن إليهم. وقد كتب الأستاذ هانز هينرش شيدر فصلاً ممتعاً عن أصل هذا اللفظ واستعماله عند الكتاب غير الإسلاميين[١] وجمع الأستاذ ماسينيون معانى اللفظ كما استعمله الكتاب الإسلاميون فى البحث الذى كتبه فى دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة « زنديق » وفى كتابه عن « عذاب الحلاج[٢] ». ويظهر من هذين البحثين أن اللفظ قد اتسع معناه إلى حد لا يسمح بتحديده تحديداً دقيقاً مما يحملنا على الحذر والانتباه الشديد للمعنى المقصود به فى السياق الذى نجده فيه

ثم إن المصادر التى تحدثنا عن الزندقة والزنادقة قليلة غير مأمونة. وهذه القلة إما لأن كتب الزنادقة قد فقدت كلها تقريباً، ولم يعد بين أيدينا منها إلا شذرات ضئيلة نعثر عليها بعد عناء طويل فى كتب الردود، مثل هذه الشذرات التى عثر عليها الأستاذ كراوس فى كتاب « المجالس المؤيدية » وهى شذرات لابن الراوندى مأخوذة من كتابه « الزمرذ » قد رد عليها داعى الدعاة مؤيد الدين الشيرازى فى هذه المجالس الموسومة باسمه؛ أو لأن بعض المصادر التى تحدثنا عن الزندقة والزنادقة لا تزال مخطوطة حتى اليوم

(١) H. H. Schüder, Landiq-Lindiq, in Jranische Beiträge, I, 76-93

(٢) L. Massignen, La Passion d'al-Hallāg, h. 186-188

فليست فى متناول يد الباحثين . وأهم المصادر من هذا النوع كتب الشيعة مثل كتاب « الاحتجاج » للطَّبَرْسى

كما أنها غير مأمونة من ناحيتين : الأولى أن الروايات المكتوبة فى بعضها لم يتحر أصحابها الدقة فى إيرادها، فجاءت فى الغالب مهوشة ناقصة . والثانية أن البعض الآخر من هذه المصادر ، وهو أغلبها ، قد كتبه الخصوم وأوردوا فيها آراء الزنادقة بعد أن أدخلوا عليها شيئاً غير قليل من التبديل والتغيير ، بما يوافق أغراضهم فى الخصومة والحجاج ، ومما يتلاءم مع الإلزامات التى يريدون أن يستخلصوها منها . ولهذا يصعب على الباحث أن يتبين أقوال الزنادقة الحقيقية وأن يعرف كيف كانوا يوردونها

ومن أجل هذه الصعوبات مجتمعة كان الباحثون من المستشرقين يقتصرون على دراسة ناحية صغيرة من نواحى الزندقة ، أو واحد من كبار الزنادقة الذين يستطيعون أن يجدوا منهم فى المصادر شيئاً . ولم يستطع واحد منهم حتى هذه الأيام الأخيرة أن يكتب بحثاً شاملاً لهذه الحركة يتناولها من جميع نواحيها

فعن صالح بن عبد القدوس ألقى جولد تسيهر بحثاً قيماً فى المؤتمر الدولى التاسع للمستشرقين سنة ١٨٩٣[1] . ثم من بعده كتب ا. كريمسكى رسالة صغيرة (فى ٦٥ صفحة) بالروسية عن أبان ابن عبد الحميد اللاحق طبعت فى موسكو سنة ١٩١٣ . وكان ابن المقفع خصوصاً موضوعاً لدراسات عدة أشهرها ما كتبه عباس إقبال فى كتابه « شرح حال عبد الله بن المقفع ، فارسى » وهو مكتوب بالفارسية؛ ثم فرنشسكو جبرييلى فى مقاله المنشور « بمجلة الدراسات الشرقية » سنة ١٩٣٢ بعنوان « مؤلفات ابن المقفع » وهو أحسن بحث كتب عن ابن المقفع حتى الآن. وقد أثار بحثين آخرين كتب أولهما كارلو ألفونسو نلينو فى المجلة نفسها بعنوان « تعليقات على ابن المقفع وابنه » وكتب الثانى الأستاذ بول كراوس فى المجلة عينها سنة ١٩٣٣ تحت عنوان « حول ابن المقفع » وقد ترجمنا هذه البحوث الثلاثة وربما أتيحت لنا فرصة قريبة لنشرها أو للتحدث عنها . وبعد أن كتب جبرييلى مقاله ظهر بحث

(١) I. Goldziher, Sâlih b. 'Abd al-Koddûs wd das Lin- dihtms während der Reglermng des Chalifen al-Mahdi. (Tran- sactives of the 9th. International Congress of Oriantalistes), London 1893, vol. II, ph.104-129

عن ابن المقفع كتبه رشتر[1] وكانت أفكاره فيه أجرأ وأصرح من أفكار جبرييلى فى مقاله

ونحن قد أشرنا من قبل إلى المقال الذى كتبه الأستاذ كراوس عن ابن الراوندى[2] بمناسبة الفقرات التى عثر عليها فى « المجالس المؤيدية » مأخوذة من كتاب « الزمرذ » لابن الراوندى . وهو مقال طويل (فى ثمانين صفحة) مملوء بالمعلومات ؛ وهو حتى الآن أحسن بحث كتب عن ابن الراوندى ، وقد ترجمناه أيضاً .

وأخيراً كتب الأستاذ فرنشسكو جبرييلى : « تعليقات على بشار بن برد » ظهرت فى مضبطة مدرسة الدراسات الشرقية[3] سنة ١٩٣٧ .

وكل هؤلاء الباحثين لم يحاول واحد منهم حتى الآن أن يكتب عن حركة الزندقة كلها كما ظهرت فى الإسلام . ولكن بين يدى الآن فصل ممتع كتبه الأستاذ جورج فيدا سنة ١٩٣٥ ولم ينشر إلا فى سنة ١٩٣٧ فى « مجلة الدراسات الشرقية[4] » أراد فيه أن يدرس تاريخ الزندقة الظاهرى — إن صح هذا التعبير — دون التعرض للمناظرات التى قامت ضد الثنوية والمانوية ولما عسى أن يكون هنالك من أثر للمانوية فى الحياة الفكرية فى ذلك العصر (أوائل العصر العباسى) ، معتمداً فى ذلك على المصادر التاريخية الخاصة باضطهاد الزنادقة ، وبأشهر الزنادقة فى خلافة العباسيين الأول . وأول هذه المصادر وأهمها كتاب « الفهرست » ويليه كتاب « الأغانى » . ثم كتب التاريخ الكبرى مثل : « تاريخ الطبرى » و « مروج الذهب » .

بدأ الأستاذ فيدا بحثه بأن أورد فى القسم الأول منه الفقرات الموجودة فى كتاب « الفهرست » لابن النديم ، وبعضها خاص بتاريخ المانوية فى بلاد الإسلام واختلافهم حول الإمام بعد مانى ، واضطهاد كسرى لهم وتشتتهم فى البلاد وأسماء رؤسائهم . والبعض الآخر من هذه الفقرات يتعلق بالتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة ، وبأسماء الرؤساء والأمراء الذين اتهموا بالزندقة فى أيام العباسيين .

(١) M. O. Richler, Stuclien zur Geschichte der älteren arabischan Fürstenopiegch Leipsig, 1932

(٢) Paul Kraus, Beiträge zur islamischen Ketzerge schichte, RSO, XVI 1934, 93-129

(٣) BSOS, 1937, p. 151-163

(٤) G. Vajqa, Les zindiqus en pays d'Islam ao début de la période abbaside, R8O, XVI 1937, ph. 173-229

وفى القسم الثانى تحدث صاحب المقال عن اضطهاد الزنادقة اضطهاداً رسمياً فى أيام الخلفاء العباسيين الأول . فقال : إن المصادر لا تسمح لنا بتتبع هذا الاضطهاد إلا فى الفترة القليلة التى مضت بين سنة ١٦٣ هـ إلى سنة ١٧٠ هـ أى فى السنوات الأخيرة من خلافة المهدى وإبان خلافة الهادى القصيرة الأجل .

ففى سنة ١٦٣ بدأت حملة المهدى العنيفة على الزنادقة بأن أمر عبد الجبار المحتسب ، والذى يلقبه صاحب الأغانى بلقب « صاحب الزنادقة » بالقبض على كل الزنادقة الموجودين فى داخل البلاد . فقبض على من استطاعوا القبض عليه، وأتوا به إلى الخليفة الذى كان حينئذ فى دابق ؛ فأمر بقتل بعضهم ، وتمزيق كتبهم . واستمر الخليفة فى هذا الاضطهاد فى السنوات التالية ، حتى بلغ الاضطهاد غايته فى الفترة ما بين سنة ١٦٦ هـ و سنة ١٧٠ هـ . وكان يقوم على أمر هذا الاضطهاد قضاة مخصوصون ، أشهرهم : عبد الجبار الذى ذكرناه آنفاً ، وعمر الكلوزى الذى عين فى سنة ١٦٧ ، ثم محمد بن عيسى حمدويه الذى خلف عمر .

وكان الزنادقة يقبض عليهم لأقل شبهة ويأتون أمام القاضى فيطلب إليهم أن يرجعوا عن الزندقة إن اعترفوا بها ويطلق سراحهم إن رجعوا عنها ويقتلون إذا استمروا عليها ورفضوا الخروج عنها. ولكى يتأكدوا من أنهم رجعوا عن الزندقة حقاً كان الخلفاء يستخدمون وسائل شتى أشهرها تلك التى يروون عن القضاة فى عصر المأمون أنهم كانوا يستخدمونها ، فهم يذكرون عنهم أنهم كانوا يطلبون إلى الزنديق أن يبصق على صورة مانى ، وأن يذبح طائراً بحرياً اسمه التزرج . أما البصق على صورة مانى فالمقصود به تحقير صاحب مذهب المانوية وهو مانى، وهذا دليل على أن الزنديق قد رجع عن هذا المذهب ؛ أما الحكمة فى ذبح هذا الطائر فلا تكشف عنها المصادر التى بأيدينا . ولكن مؤلف المقال الذى نحن بصدده يقول بأن المقصود بذلك هو أن يفرض على الزنديق أن يذبح كائناً حياً ، وذبح الحيوانات تحرمه المانوية . ولا بد لنا من قبول هذا التفسير لأن كل المصادر التى تحدثنا عن المانوية لا تذكر مطلقاً أن المانوية كانوا يقدسون طائراً بعينه ، سواء أكان هذا الطائر التزرج أو كان غيره . وقد حدث مثل هذا فى أيام محاكم التفتيش سنة ١٢٣٩ مع طائفة الكاثار Cathares التوسكانيين فقد طلب إليهم بحضور البابا جورج الرابع أن يبرهنوا على إخلاصهم فى الارتداد بأن يأكلوا اللحم أمام جمع من الأساقفة (١)

ولم يكن كل هؤلاء الذين يتهمون بالزندقة زنادقة حقاً ؛ وإنما كان منهم من يتهم بالزندقة لأسباب سياسية . فقد اتخذ الخلفاء من هذا الاتهام وسيلة للقضاء على خصومهم من الهاشميين . وعلى هذا النحو اتهم ابن من أبناء داود بن على ثم يعقوب بن الفضل وأتى بهما إلى الخليفة المهدى . ولما كان الخليفة المهدى قد ارتبط من قبل بعهد ألا يقتلهما ، فانه لم يستطع أن يأمر هو بقتلهما ، وإنما حبسهما وأشار إلى ابنه الهادى أن يقتلهما حينما يتولى الخلافة ، ولكن الهادى لم يستطع أن يقتل غير يعقوب ، لأن ابن داود بن على مات فى سجنه قبل أن يشغل الهادى مركز الخلافة .

ولسنا نعرف على وجه التحقيق ماذا كان يوجه إلى الهاشميين من تهم . وكل ما ترويه لنا المصادر هو ما يرويه لنا الطبرى (أخبار سنة ١٦٩ جـ ٣ ص ٥٤٩) وما لخصه عنه ابن العبرى فى كتابه « تاريخ مختصر الدول » (ص ٢٢١) من أن ابنة يعقوب بن الفضل قد اعترفت أثناء محاكمتها بأنها حبلى من أبيها ! والمانوية تحلل زواج الآباء بالبنات فى الروايات الإسلامية .

ولم يقتصر الأمر على الخلفاء فى اتهامهم الخصوم بالزندقة لأغراض سياسية ، بل كان هناك من الوزراء من يتخذون الاتهام — الباطل غالباً — بالزندقة سبيلاً للكيد والوقيعة بنظرائهم أو خصومهم الذين يحقدون عليهم . ومن هنا نستطيع أن نفهم تلك الرواية التى ذكرها الطبرى (ج ٣ ص ٤٩٠) ثم الجهشيارى فى « كتاب الوزراء والكتاب » (ص ٨٩ — ص ٩٠) ، ثم صاحب الأغانى وغيرهم ، عن اتهام أبناء أبى عبيدالله الوزير بالزندقة . فقد اتهم الربيع صاحب الخليفة المهدى ومنافس أبى عبيد الله الوزير أبناء هذا الأخير ، أو واحداً من أبنائه ـ كما فى بعض الروايات ـ بأنهم زنادقة . وقد أفلح الربيع فى هذا الدس عند الخليفة الذى أمر بأن يقتل عبد الله بن أبى عبيد الله الوزير . وكان ذلك سبباً فى توتر العلاقات بين المهدى وبين أبى عبيد الله ، حتى أن الخليفة

(١) H. Ch. Ica, Histoire de l'inquisition au moyen âge, trad. S. Reinach, Paris 1900, I, 110;
J. Guiraud, Hist. de l'inquisi.ion au moyen âge, Paris 1935, ph. 88-89.

عزله من منصب الوزارة [١] ، وولّى يعقوب بن داود بدلاً منه [٢]

والطبرى [٣] يذكر صراحة أن اتهام ابن أبى عبيد الله بالزندقة كان يقصد به زعزعة مركز أبيه عند الخليفة المهدى . وقد كان أبو عبيد الله موضوعاً لدسائس موالى المهدى . ويذهب صاحب الأغانى إلى أبعد من هذا فيقول إن المهدى أدرك من بعد السبب الحقيقى الذى من أجله أبلغه الربيع أخباراً عن زندقة ابن الوزير (الأغانى ج ٢١ ص ١٢٢)

والآن ، وبعد هذا العرض الموجز للاضطهادات التى عاناها الزنادقة ، أو من اتهموا بالزندقه ، فى الفترة ما بين سنة ١٦٣ وسنة ١٧٠ ، نسائل أنفسنا : ما هى هذه الزندقة التى اتهم بها هؤلاء ، وبأى معنى يجب أن تفهم ؟

يرى صاحب المقال أن الزندقة التى حاربها المهدى والهادى فى شخص هؤلاء الزنادقة هى المانوية ، أولاً وبالذات . ودليله على ذلك ما ذكرناه من قبل من الوسائل التى كان يمتحن بها القضاء قيمة رجوع الزنادقة عن الزندقة ، وإنكارهم لها ، حينما يقدمون إليهم . ويؤيد هذا الرأى أيضاً تلك الرواية التى ذكرها الطبرى [٤] والتى يمكن اعتبارها صادقة وهى التى تقول بأن أحد الزنادقة قدم إلى الخليفة المهدى فطلب إليه الخليفة أن يتبرأ من الزندقة ولكنه رفض فأمر بقتله ، والتفت من بعد إلى ابنه موسى ، وقال له كلاماً يحثه فيه على محاربة هذه العصبة من الزنادقة . ووصف له مبادئ هذه العصبة وصفاً يكاد ينطبق كله على مذهب المانوية ؛ مما يدل على أن المقصود بالزندقة كان حينئذ مذهب المانوية

ومع هذا كله فإن هـذا اللفظ قد اتسع معناه فى هذه الفترة ذاتها اتساعاً كبيراً كما سنرى فى مقالنا التالى عن أشهر الزنادقة فى أيام الخلفاء العباسيين الأول .

عبد الرحمن بدوى

(١) مروج الذهب ج ٦ ص ٢٣٢

(٢) ابن خلكان فستنفلد ج٣ ص ٨٤٠

(٣) الطبرى ج ٣ ٤٨٧ وما بعدها

(٤) الكتاب السابق ج٣ ص ٥٨٨

ألفريد دي موسيه

بين العبقرية والحب ! . . .

للأستاذ صلاح الدين المنجد

سلك ألفريد دي موسيه في شعره طريقاً ما سلكه أحد قبله . فلقد أذاب أنّاته عبرات في قصائده وأخرجها للناس ، فإذا فيها معان رائعة لا تنفد : تبسم بالذكرى ، وتموج بالزفرات ، وتنسم بوقد الجوى ساعة ، وعطر الهوى ساعات ...

وإنك لتجد في حياته الخاصة أطاريف كثيرة تتجلى في حبه اللاهب وصباه الفاجر وطفولته اللاهية . فقد كان فتى غرانقاً خِلْب نساء ، ذا شعور من ذهب استرسلت إلى كتفيه . وكان أنيقاً في لباسه، رقيقاً في طباعه ، رفيقاً بأصدقائه . حفلت طفولته بالترف والنعيم ؛ فقد كان أبوه ذا يسار وسعة ، فنشأه تنشئة فيها إدلال وتنعومة ؛ يلهو في النهار مع ابنة عمه بين الزهر ، ويصغي في المساء إلى أحاديث عمه عن نابليون — الذي كان آنئذ قد ملأ الدنيا وشغل الناس — وأقاصيص جدّه عن الأيام الخوالي ، وأعاجيب «ألف ليلة وليلة» و «دون كيشوت» ، وغيرها ؛ فكان يشعر بلذة عميقة في تخيل تلك العوالم التي تفيض بالحب، وترفّ بالبطولة، وتسجو بين السعود والنحوس .



ألفريد دي موسيه

وعشق شاعرنا ابنة عمه ، ولمّا يبلغ الرابعة من عمره ؛ وقد كانت تقص عليه تحت الشجر وبين الزهر أحلى الأقاصيص فسألها الزواج ذات يوم ، وهو لا يدرى من أمره شيئاً . فضحكت منه . وتضطر بعد شهور إلى الرحيل عنه ، فيبكي لفراقها ، ويحزن لبعدها ؛ وتكون هذه الدموع أول ما ذرف الشاعر في سبيل الحب ...

وكان لهوه وترفه يدفعانه إلى أعمال فيها عبث الطفولة الساخر الذي لا يخشى شيئاً ، أو يخاف أحداً ؛ فلقد ألقى بكرة البليارد يوماً على مرآة في البهو فحطمها ، وعمد إلى نجف الصالة في يوم آخر فمزّقها ؛ فلم يُسأل عمّا فعل خشية أن يثور حسه الرهيف فيُجهَدَ جسمُه النحيف .

ولما التحق شاعرنا بكلية هنري الرابع لقي من رفقائه أذى كثيراً : كانوا يسخرون منه ويهزأون به ويسمونه « بالآنسة » لشعره الأشقر الجعد ، ولربطة عنقه الزاهية . فكان يصبر صبراً جميلاً ، ويدعهم يلعبون ويمرحون ؛ حتى إذا ما أتى الامتحان أراهم الجد كيف يكون، والجوائز كيف تنال !



جورج صاند

وما كاد ينهي درس الفلسفة حتى ظهر ميله للأدب، ولكنه كان يريد أن يبرع فيه. كتب ذات مرّة إلى صديقه «بول فوشيه» يقول له :

« أنا لا أريد أن أكتب الآن ، فإذا كتبت فيجب أن أكون شكسبير أو شيلر »

ودرس شاعرنا الحقوق وقليلاً من الطب ، وعني بالرسم والأدب والموسيقى . وتركته أسرته يفعل ما يشاء ، فلم يكن بحاجة إلى العمل الذي يدر المال ، وكان الزمان أنيقاً والعيش رقيقاً وأهله كما قلنا من ذوي اليسار

واستطاع صديقه « فوشيه » أن يعقد أواصر الصداقة بينه وبين هوغو ، وأن يدخله في مجمعه الأدبي فتعرّف هناك على «دفيني» و « دوماس » والنقادة « سانت بوف » .

وكان هذا النفر يقضي أمساء الآحاد عند القصصي الكبير

« شارل نودييه » مع « لامرتين » و« بلزاك » و« جيرار دى نرفال[1] » العاشق المجنون و« غوتييه » و« دى لا كروا » ؛ فكانوا يستمعون إلى أقاصيص « نودييه » ويتناشدون الشعر على حين تجلس ابنة صاحب الدار مارى إلى البيان « ورأسها الجميل الأشقر يلمع كالشقيقة بين سنابل القمح كما يقول موسّيه ، وأناملها الناعمة تتنقل هنا وهناك ، ونحن نستمع إلى الشعر ، أو نجد فى الرقص »

وكان موسيه إذ ذاك وضىء الطلعة متلألىء الوجه يخلب الفتيات . حتى ليصفه « بانفيل » بأنه كان « كالإله الشاب الجميل لتجعد شعره المسترسل إلى كتفيه كأنه الموج الراعش تحت أشعة الشمس » ؛ فأخذ يغشى المجالس ويتنقل بين الفتيات ، وينظم الأشعار ويكتب أقاصيص أسبانيا وإيطاليا . فردد الناس اسمه ، ثم جذبه المسرح نحوه ، فإذا بصاحب « الأوديون » يطلب منه مسرحية شديدة الحماسة : فكتب الشاعر « ليلة البندقية » فمثلت « بين الصفير والضجيج » وباءت بفشل عظيم .

على أن هذا الفشل لم يبعد شاعرنا عن المسرح ، فلقد كتب بعد ذلك مسرحيات كثيرة أخفق بعضها ونجح بعضها ، واستطاع بفضل ذلك أن يصبح مخبراً أدبياً لمجلة « باريس » و« الطان » . ثم نشر أشعاره فى مجلة « العالمين » . وفى هذه الفترة مات أبوه .

عندئذ عاش فتى مغامراً يرتاد الملاهى ، ويضاحك الحسان ، ويعاقر الخندريس . والتقى ذات يوم بجورج صاند ، وكانت قد نبه ذكرها ، واشتهرت بأقاصيصها ومغامراتها ، وصرمت حبال « ساندو » عشيقها ... فأعجبته وأعجبها ، ثم دعته بعد أيام إلى دارها وهناك تعاهدا على أن يبقيا صديقين ويعيشا معاً

وبدأ الحب يشب وينمو ، فعاش معها فى عالم زاخر بالأمانى مائج بالرؤى ، فظـلّلته بعطفها ووصلها ، وأذاقته طعم الوجد والهوى ، وأسمعتــه أغانىّ الحب فسكر وانتشى ، وعاش معها فى غيبوبة رف النعيم فى جنباتها ، وضحكت على حفافيها المنى : قصف ، جنون ، لهو ، شباب ، لذة ، سكر . تلك كانت حياتهما ؛ على أنهما لم يتمتعا بهذا كله طويلاً وأتت رحلتهما إلى إيطاليا ليذهب كل شىء ... وليودعا آمالها الضاحكات ، ويعود الشاعر إلى وطنه ليمعن فى البكاء

فلقد أرادت جورج أن تذهب إلى (البندقية) مدينة الحب والشعر ؛ فلم ترض أمه عن هذه الرحلة خوفاً على ابنها . فأقسمت لها جورج لتعنين به العناية كلها . وسافر العاشقان إلى البندقية فوصلا إليها فى يونية من عام ١٨٤٣

وكانا لا يزالان فى نشوة الحب وفوران الأحلام . فعاشا فيها أياماً لذة كانت آخر أيام الهوى ؛ فقد أصابت جورج حمى منذ مرت على البندقية فى جيئتها ، فعنى بها الشاعر ؛ ثم مرض الفريد بعد شهور ، فأحضرت له طبيباً اسمه « باجيللو » أعجبها ... فتركت موسيه فى غرفته مريضاً وتبعت الطبيب ، فتخاصم الشاعر وحبيبته وانكب على الخمر يعاقرها لينسى الفاجعة التى أصابت حبه وقلبه ، ثم ترك جورج مع الطبيب وعاد إلى باريس وحيداً

لم ينس موسيه فى باريس جورج . فكان يمر على مغانى حبهما ، ينظر إليها فيذكر ليالى الوصل ، فتشجيه الذكرى ويعود إلى نفسه يذرف الدموع ، وينظم « الليالى » ويتسلى بالرسائل التى كانت ترسلها إليه وتنصح له أن يحب غيرها ، وأن يتذوق الملذات كلها . « ليرتشف قلبك لذات الحياة جميعها ... ولكن ليؤد رسالته جيداً لتستطيع أن تردد يوماً إذا نظرت إلى الماضى فتقول : لقد تألمت كثيراً وخدعت أحياناً ، ولكنى ارتشفت وأحببت ... لقد عشت أنا بنفسى ... لم أكن شخصاً خلقته كبريائى وأوجده وهمى ... »

وانكب شاعرنا يكتب ويؤلف ، ثم عمد إلى اللذات يرتشفها وإلى الخمور يعاقرها ، وهو يتألم ويبكى ويقول :

« دع هــذا الجرح المقدس ... دعه يتسع »

« فلا شيء يجعلنا عظماء ... كالألم الشديد ..! »

وفى سنة ١٨٤٨ قبل الشاعر فى المجمع العلمى الفرنسى عضواً ، وهو فى إحدى الحانات . . . على أنه لم ينتفع بالعيش بعد جورج أبداً : فقضى حياة بائسة ، وخبت تلك العبقرية الوهاجة وانطفأ ذلك الذكاء المشع ، وغاض الجمال الخلاب ومات وله من العمر سبعة وأربعون عاماً وهو يقول :

« وأخيراً ... أريد أن أنام ... ! »

« دمشق » صلاح الدين المنجد

(١) أنظر مقالنا عنه فى العدد ٣١٠ من « الرسالة »

على هامش الفلسفة

مرجع الأخلاق

للأستاذ محمد يوسف موسى

تتمة البحث

رأينا فى الكلمة الأخيرة أن الأستاذ العلامة ليفى برُهْل Levy-Bruhl يرى فى كتابه « الأخلاق وعلم العادات La morale et la science des mœurs » أن الأخلاق ترجع أولاً إلى علم العادات الذى مرجعه استقراء التاريخ وملاحظة الحاضر، ثم يتداخل فيها النظر العقلى لتعديل ما يجب تعديله من الظواهر الأخلاقية والاجتماعية . هذا هو ملخص ما يدعو إليه . فما الرأى فيه ؟

لا ريب أن هناك فائدة كبيرة من علم العادات الذى يشير باستيحائه . لأن النظريات والأفكار الأخلاقية التى تعاقبت على الزمن هى وليدة المجتمعات ، وإذاً ليكن من الواجب دراستها أولاً بالعقل العملى الدقيق . ولكن لا ينبغى أن نستنتج من هذا أن علم العادات يختلط من الناحية العميقة بالأخلاق بحال من الأحوال

يقفنا التاريخ على أن كثيراً من أرباب الضمائر العالية عورضوا فى أيامهم بآراء أخلاقية تقليدية كانت ضد مثلهم العليا ، إلا أن المستقبل كان يحكم دائماً لهم ، وإذاً تكون ضمائرهم الشخصية سبقت الضمير الاجتماعى المستقبل وأعدته لما أرادوا له ، وإذاً يكون من الممكن والواقع أن الخلقية تقوم على قتال النظريات الأخلاقية والعادات الاجتماعية التى توجد فى زمنها . ها هى ذى أخلاق « بوذا » لم تكن متفقة مع عادات الهند البرهمية فى القرن السادس قبل الميلاد ، كما لا تتفق الأخلاق التى جاء بها أنبياء بنى إسرائيل وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام مع عادات الأمم والشعوب التى بعثوا فيها ولها .

لا يقول لنا علم العادات كيف نختار عند ما تتعارض المثل العليا للثورات الأخلاقية مع الآراء والحقائق الاجتماعية التى توجد معها ! لننظر مثلاً للحرب ، نجدها تكشف حقيقة اجتماعية لا شك فيها ؛ هى تسيطر العواطف والمشاعر الحربية على جميع الشعوب ، ومع ذلك لا يرضى أحد أن يرفض مثالاً أعلى هو السلام العالمى متى وجد لذلك سبيلاً . وبعبارة أخرى إن تحقق أية حقيقة ولو اجتماعية لا يلزم المرء بالانحناء أمامها واعتبارها مبدأ أخلاقياً جديراً بالتقدير

وبعد فعلم الاجتماع وعلم العادات من العلوم التى لها قيمتها وجدواها ، ولكنهما لا يحلان محل الأخلاق التى تقدر الأعمال وتضع لها قواعد للسير عليها . الاستقراء المطبق على تجارب التاريخ يعلمنا حقيقة ما كان فى الماضى وما هو كائن الآن لا ما يجب أن يكون . ذلك أن دراسة ماضى مسألة من المسائل من الوجهة التاريخية كمركز المرأة وحقوقها مثلاً معناه الوقوف على ما كان خاصاً بذلك من نظريات مما يجعل الدارس أكثر صلاحية من غيره لمعرفة ما إذا كان من الخير الاحتفاظ بالحالة الراهنة فيها أو تناولها بالتعديل قليلاً أو كثيراً ؛ لكن هذه المعلومات التاريخية والاجتماعية التى أمدّنا بها البحث لا تكتفى وحدها لفرض حلّ حازم سواء أكان حلا محافظاً أم معدلاً أم ثائراً . هذا حق لا شبهة فيه ؛ إذ كيف يمكن تاريخياً معرفة ما يمكن أن يكون فى المستقبل ! أكبر دروس الماضى أنه مضى لطيته ، وأن الحاضر يجب أن يتبعه أيضاً . والأخلاق لا يكفيها هذا بل تسمى كما قلنا لمعرفة ما يجب أن يكون .

وأخيراً ، إذا كنا لم نرتض نظرية من النظريات السابقة التى تواردت بشأن الطريقة التى تتبع لتعرف القانون والمثل الأعلى الأخلاقى ، فما هو إذا الحل الذى نرضاه ؟ هذا الحل هو ختام هذا البحث الذى قد طال وقوفنا عنده

التجربة الأخلاقية (١)

ليست الحياة الأخلاقية إلا مجموع أعمال نفسية واجتماعية خاصة ، فمن الممكن أن نقول بتطبيق الطريقة الاستقرائية عليها ، ولكن على نحو آخر غير الذى رآه الأستاذ « ليفى برُهْل » . والعقل العلمى لا يتطلب منا أن نلتزم فى كل موضوعات البحث طريقة واحدة ، إذ يتطلب فقط أن يلائم المرء بين موضوع البحث وطريقته ، وأن يعنى الأخلاق بأن يقارب بالقدر الممكن بين

(١) من المراجع الهامة فى هذا :

١ — التجربة الأخلاقية Rauh : L'Expériencs morale

٢ — دراسات الأخلاق Etudes de morale

الطريقة التي ينتهجها في الأخلاق والطريقة التي يستخدمها العالم في العلوم التجريبية ؛ أي أن يصدر عن تجارب واسعة وصدر رحب وروح غير متحيزة لا تدع للخطأ سبيلاً. هكذا عالج العلامة «روه Rauh» موضوع طريقة الأخلاق في مؤلفيه القيمين ، وهما : « التجربة الأخلاقية ، ودراسات الأخلاق »

يرى هذا البحاثة أن العالم يقبل كمبدأ لبحثه اكتشافات أسلافه وآراءهم كفروض على الأقل يأخذ في بحثها وتمحيصها بكل ما يملك من وسائل . كذلك الأخلاقي يجب أن يبدأ بحثه من التقاليد فيمحصها ويزنها بما تمده به تجاربه الخاصة والحقائق الدينية التي لا ريب فيها والضمير القادر على الحكم الصحيح . بعض هذه الأفكار التقليدية توسع من قلوبنا وعقولنا ، وتبث فينا يقيناً شريفاً وسعادة نبيلة ، ونحن بعد تمحيصها لا يسعنا أن نضعها موضع الشك ، كما لا يشك العالم في فروض محصها وظهر له صحتها

حقاً يجب السير مما اتفق عليه الأديان ثم من التقاليد ؛ فالحياة تولد من الحياة ، حياتنا الأخلاقية لم نبتدعها بل جاءتنا من حياة أسلافنا الأخلاقية إلى حدّ ما ، فمن الادعاء والعبث الذي لا معنى له أن يهمل باحث كل تجارب الإنسانية الأخلاقية . ومن الغباء أن يزعم أحد قدرته وحده على أن ينشيء أخلاقاً ، كما ليس في مكنة أحد أن يبني وحده علم الهندسة أو الطبيعة مثلاً . لكن حذار أن نقتصر على تقاليد البيئة الأسرية أو القومية الخاصة . يجب أن يعنى الباحث الأخلاقي بتقاليد الأمة كلها فيجتهد في تعرف أصولها في زوايا الماضي البعيد والقريب وآثارها في الحاضر ؛ ومن ثم يكون لعلم التاريخ فائدته وخطره وخاصة تاريخ الفلسفة والأديان. على أنه ليس للمرء أن يحد نفسه باستشارة المكاتب ؛ عليه أن يخالط — مصغياً مستطلعاً باحثاً — المساجد والكنائس وسائر دور الدين بلا تميز ، وألا ينسى المجتمعات المختلفة للأوساط الاجتماعية ، بعد هذا يجب أن يبحث ويقارن ويحقق ما جمعه بهذه الوسائل من الآراء والنظريات الأخلاقية المختلفة وأن يستخلص منها ما يكون متماثلاً ومشتركاً ، ويختار من بينها الأصلح حينما تتعارض حسب تجاريبه وضميره وفكره المنزه عن الهوى

من برجنا العاجي

أبصرت اليوم من نافذة برجي « شهر يوليو » مقبلاً بخطى سريعة وهو متدثر برداء أحمر كأنه قطع اللهب ، وقد تصبب من جبينه العرق ، وهو يقرع باب برجي ويصيح :

— أيها الغافل عن جسمه، القابع بين جدران سجنه. انطلق قليلاً إلى نسيم البحار وهواء الجبال ، وأرح نفسك واسترح من نفسك !

فسمع الجواب من أعماق نفسي :

— وكيف يستريح من هذه النفس وهي تمتطي وجوده امتطاء ؟

— أو تذعن لهذا الفارس القاسي حتى يسحق المطية سحقاً ؟ !

فقالت النفس « لشهر يوليو » :

— أهي رحمة منك بالمطية أم أنك تريد أن تأخذها مني لنفسك أيها الشهر اللعين !

— إنها ستجد عندي الراحة والنعيم . وسأقدم لها « علفاً » من فاكهة الجبال الفضة وزهر الغابات الجميل ونسيم صيفي العليل ... أما أنت فماذا تجد عندك ؟ إنك لن تقدمي إلى هذه المطية النحيلة غير « علف » من الحبر والورق والسهاد المضني والعمل المرهق والتفكير الطويل !

— سأعطيها النور الذي يضيء لها السبيل !

— لا تخدعيها بهذه الكلمات . ومع ذلك فإن عينيها في حاجة كذلك إلى الراحة والبعد عن النور . أقصى عن وجهها شهراً واحداً ذلك المصباح الذي لزمها طول الشهور !

— إنها لا تستطيع السير خطوة بغير ذلك المصباح

— أقسم لك أن الزيت قد نفد من هذا المصباح . دعيني أذهب بها إلى حيث تملؤه من جديد زيتاً خالصاً نقياً ، يرسل الضوء وهاجاً قوياً ، لها وللآخرين من القراء والمريدين ، طول عامها القادم ... آمين !

توفيق الحكيم

بعد هذا أيضاً يجب ألا يكتفى بتقاليد أمته وجنسه ، بل يكون واسع الأفق عالي البحث حتى يصل إلى مبادىء يمكن الحكم بصلاحيتها للجميع . والسياحة بما تهيىء لنا من فرصة تعرف تقاليد الأمم والشعوب المختلفة الدينية والاجتماعية فى مواطنها الخاصة يمكن أن تمدنا بهذا البحث الأخلاقى الواسع الدقيق بمبادىء أخلاقية عامة لها قيمتها وخطرها . من أجل هذا يقول أحد الكتاب الإنجليز — بعد ما ساح كثيراً بين أوربا وأمريكا وأقام أخيراً باليابان — مادمنا معاشر الأوربيين لم نعش إلا فى نصف الكرة ، فليس لنا إلا أنصاف أفكار وآراء[1] » .

وإذاً لكى نصل إلى مبادىء وأحكام صحيحة ، يجب أن نسائل هذا وذاك، لا نخص بحثنا بأمة دون أمة ولا بجنس دون جنس ، ولا بعصر دون عصر . يجب أن نجمع شهادات كل الضمائر التى لها قيمتها ، وأن نبحث لنفهم نفسية الأفاضل والأبطال والحكماء ثم نعمل التحقيق غير المتميز فى كل هذا المجموع من الآراء الأخلاقية لنعد بذلك العقيدة الأخلاقية غير المغرضة على طريقة « المروحة » حسب تعبير « روه ــ Rauh » نفسه ، وإذاً يكون القانون والمثال الأعلى الأخلاقى هو نقطة الانتهاء لطرق متعددة متنوعة .

هذه هى الطريقة الحية المنتجة التى أرى أنه باتباعها نصل إلى تقرير حقائق أخلاقية صالحة لكل العقول ، وإلى تعرف المثل الأعلى الأخلاقى الذى يقبل من كل الضمائر المستقيمة والإرادات الطيبة فى كل البيئات والعصور .

إلى هنا انتهيت مما أردت بحثه ، ولم يبق إلا أن أتوجه بالشكر لله تعالى ، وإلى حضرة الأستاذ الجليل صاحب « الرسالة » ، وحضرات القراء الذين تفضلوا بتشجيعى على جهد المقل برسائلهم وكلماتهم الطيبة . وأخص حضرة الباحث الجليل الأستاذ نصيف المنقبادى الذى لا أجدنى أهلاً للثناء الذى وجهه إلى بعدد « الرسالة » الغراء رقم ٣٠٣ فى ابتداء الكلمة القيمة التى بحث فيها غريزة الخير والشر من الناحية البيولوجية أى من ناحية أصلها ونشأتها وتطورها وذلك غير الناحية التى حاولت بحثها .

وإلى اللقاء بعد العودة من فرنسا إن شاء الله تعالى فى أول العام الدراسي الآتى .

محمد يوسف موسى
المدرس بكلية أصول الدين

---

(١) Challaye : Philosophie scientifique et phi. morale
شالي : الفلسفة العلمية والفلسفة الأخلاقية

د . هـ . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدى

مقدمة

أمل ويأس : فى هاتين الكلمتين يتلخص تاريخ القرن التاسع عشر والجزء الأول من القرن العشرين . كانت تقوم الحركة تلو الحركة ، وفى كل مرة ينبعث الأمل ويظن الناس أن الحياة قد بعثت من جديد وأنهم صاروا قاب قوسين أو أدنى من السعادة الإنسانية ، ولكن سرعان ما تذوى الحركة وتموت ، فيتحول الأمل يأساً ، وينقلب النعيم بؤساً ، وتحل الحسرة محل السرور ، ويأخذ الألم مكان اللذة ، وبذلك تقتم الحياة وتظلم أكثر من ذى قبل حتى لا تبشر بعد ذلك بخير

ففى مستهل القرن التاسع عشر قامت الحركة الصناعية ، فهلل الناس وكبروا استفاقوا كأنهم من كابوس مريع . ولكن لم تلبث هذه الحركة أن خلفت أضعاف ما كان موجوداً من بؤس وشقاء ، فازدحمت المدن حتى ضاقت بسكانها وتوزعت الثروة ولكن توزيعاً غير عادل ؛ فكان من جراء ذلك أن مال الناس عن هذه الحركة وتعلقوا بأهداب حركة أخرى ناشئة هى الحركة العلمية التى قامت نتيجة للمستكشفات العلمية والمخترعات الحديثة ؛ فأمّل الناس فيها واستبشروا بها حتى صدمتهم الحقيقة المرة وتبينوا أن العلم قد يعطى الإنسان قوة فوق قوة ولكنه لا يهبه السعادة ولا الهناء

وعلى أثر يأس الناس من هذه الحركة ناصروا الحركة السياسية التى قامت تحت زعامة جلادستون أملاً فى أن الدعوة إلى الحرية وإلغاء الفوارق بين الطبقات والتخلص من امتيازات الطبقة العليا هى سبيل السعادة المنشودة . ولكن ما كاد عميد الحركة يقضى حتى قضت الحركة إلى جواره ، ثم أتت هزيمة فرنسا فى الحرب السبعينية فكانت ضغثاً على إبالة وكانت الضربة القاضية للحركة لأن فرنسا كانت نصيرة الحرية ورمزاً لها فى ذلك الوقت

وبهذه الطريقة بلى الإنسان باليأس المرة بعد المرة حتى نضب معين أمله ، وزال عنه تفاؤله ، وصار لا ينظر إلى الحياة إلا بمنظار أسود ، بعد أن تبين له أنه إنما يحارب عدواً لا قبل له به ، وأنه قد كتبت عليه الهزيمة مهما قاتل ومهما استبسل . لذلك رأى

أن لا مفر له من اجتناب هـذه الحياة والابتعاد عنها ، فكانت الفنون خير مكان يلجأ إليه ... فهناك فى دنيا الخيال يسبح الإنسان فى عالم من صنع يده ، عالم هو مبدعه وخالقه ، بعيداً عن صخب الحياة وضجيجها . ولكن ما كاد يبزغ فجر القرن الجديد حتى تبين للناس أن الفنون ما عادت تصلح لأن تكون ملجأ الإنسان إلى الأبد ، وزاد إيمانهم بهذا عند نشوب حرب جنوب أفريقيا واستعداد ألمانيا للحرب بشكل لم يسبق له مثيل من قبل . عند ذلك أدرك الناس أن الوقت قد حان كى يتركوا عالم الخيال جانباً ويعودوا إلى الحياة ومواجهتها

وقامت فى ذلك الوقت مدارس عديدة تدعو إلى مبادئ متباينة . فقامت مدرسة ربارد كبلنج ، ومدرسة برنارد شو ، و هـ . ج . ويلز ، ثم مدرسة ج . ك . تشسترتون . وكان هم كل واحدة منها نقد مبادئ المدرستين الأخريين ودعوة الناس إلى اعتناق مبادئها هى ، حتى قامت الحرب العظمى التى إن دلت على شىء فإنما تدل على أن الأفكار والمبادئ التى كانت تسيطر على عقول البشر فى ذلك الوقت خاطئة تحتاج إلى التعديل أو التغيير ، وعلى هذا الأساس قامت مدارس أخرى ، وعلى رأس هـذه المدارس قامت مدرسة لورنس

وبرغم أن لورنس فى نظر بعض ضيقى العقول لا يعدو كونه كاتباً مفحشاً أو رساماً لا خلاق له ، إلا أنه يعتبر فى رأى أئمة المفكرين نابغة عصره . فقد بذ معاصريه الكتاب فى عالم الروايات الطويلة والقصص القصيرة والروايات المسرحية ، كما فاق غيره من الرسامين بلوحاته الفنية ، وظهر على الموسيقيين بمقطوعاته التى وضعها بنفسه . وكان يحدوه فى ذلك كله أمل واحد وغرض واحد : هو القضاء على هذه الحياة التى غلبها التكلف وساد فيها التصنع حتى صارت حياة ملق ورياء ، فكان همه أن يهدم هذه الحياة من أساسها ليقيم على أنقاضها حياة جديدة

ولما كان هذا هو غرضه وجب عليه أن يكون صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة ، وأن يتوخى الصدق فى كل ما يقوله ، لا يهمه فى ذلك نوع الموضوع الذى يعالجه ولا رأى الناس فيما يقوله ، فلا يجد فارقاً بين أن يكتب فى موضوع العلاقة الجنسية وبين أن يكتب فى موضوع مناجم الفحم أو ما إلى ذلك من الموضوعات العادية . وهم يعيبون على لورنس صراحته وصدقه وأنه لا يحاول أن يخدع نفسه ويخدع الناس كما يفعل غيره من الكتاب . يعيبون عليه لغته وجرأته فى التعبير وهم يعلمون أنهم يستعملون نفس اللغة فى أحاديثهم فى منتدياتهم الخاصة ، ويعيبون عليه الموضوعات التى يعالجها وهى لم تخرج عما يفعله الإنسان منذ الخليقة حتى يومنا هذا

ولما كان لورنس صريحاً لا يعرف للمداراة معنى فقد حذر الناس من تيار المدنية الحديثة الذى يجرفهم إلى هاوية الدمار وهم لا يشعرون . فهذه المدنية الحديثة وليدة العقل والتفكير قد قامت على حساب كبت الغرائز الانسانية . فبعد أن كان الإنسان وحدة كاملة بعقله وجسمه انفصل الاثنان ، ثم تغلب العقل حتى أصبح الجسم مسجوناً لا يستطيع التنفيس عن رغباته ؛ فيرى لورنس من كتاباته أن يفك قيود الجسم ويطلق سراحه كى يستعيد الفرد كليته الأولى . ولما كانت العلاقة الجنسية وتنظيمها هى التى تكفل للانسان الوصول إلى هذا الغرض فقد اهتم بها لورنس وعالجها فى معظم كتبه

ولورنس من ذلك الصنف من الكتاب الذى يخلق فى قرائه الذوق الذى يعينهم على فهم كتبه واستساغتها ، وهذا فى حد ذاته يحتاج إلى وقت ليس بالقصير . ونلاحظ على كتب لورنس أنها سهلة القراءة صعبة الفهم ، وهـذا سر خلودها . فلورنس يعتقد أن الكتاب خالد ما دام يسبر غوره أحد . وكثيراً ما يقرن اسم لورنس باسم چيمس چويس أو فيرچينيا ولف أو بروست أو غيرهم من رواد المدارس الحديثة فى الأدب . والحقيقة أن لورنس يختلف عنهم اختلافاً بيناً ، فكتب هؤلاء صعبة القراءة فى أول الأمر سهلة الفهم بعد ذلك ، لأن صعوبتها هى فى لغتها الجديدة وتعبيراتها غير المألوفة فى حين أن موضوعاتها لم تخرج عن الطروق المألوف. وأما لورنس فعلى العكس من ذلك ، فهو يكتب فى لغة مفهومة مألوفة، ولكن شخصيات رواياته وحوادثها وموضوعاتها أبعد ما تكون عن المألوف، وكلها ترمى إلى غرض واحد هو شق طريق جديد فى الحياة

وكان من يجرؤ على قول الصدق بين قوم ألفوا الكذب وتعودوه يحاكم محاكمة صورية تنتهى بحرقه أو بزجه فى أعماق السجون. أما فى عصرنا هذا عصر المدنية الحديثة و«حرية القول» فتقوم الصحافة مقام محاكم التفتيش القديمة؛ فإذا لم يعجبها كاتب بأن كان صريحاً أو مخلصاً فيما يقول قامت تشوه اسمه وتسىء إلى سمعته حتى تنفر الناس منه وتبغضه إليهم . وهذا ما فعلته الصحف المغرضة بكاتبنا ، وساعدها على ذلك ميل الناس فى عصرنا هذا إلى تصديق كل ما يقال دون أن يكلفوا أنفسهم مؤونة بحث

هذه الآراء وتمحيصها . ولهذا نرى عدداً كثيراً من الناس لا يعرفون عن لورنس أكثر من أنه وضع كتاباً اسمه « عشيق لادى تشاترلى » صادرته الحكومة وأمرت بحرقه . وهم يعرفون كذلك أن رجال البوليس داهموا معرضاً لصوره فى لندن وحطموا كل ما وصلت إليه أيديهم ، ثم بعد ذلك لا يعرفون عنه شيئاً . وكان الأولى بهم أن يقرأوا كتبه بعد أن يدرسوا المؤثرات التى دفعته إلى كتابة ما كتب ، وبعد ذلك يصدرون عى الكاتب حكمهم .

وبرغم كل هذه الظروف المعاكسة ورقة حال الكاتب ومرضه الذى لازمه طول حياته حتى قضى عليه وهو لا يزال فى زهرة شبابه، وبرغم عدم فهم الناس لكتبه وبعدهم عن تقدير صاحبها ، وبرغم تنكر أصدقائه له وانفضاضهم من حوله كان لورنس كاتباً مكثاراً ما ولج باباً إلا نبغ فيه . فرواياته الطويلة كثيرة ، وقصصه الصغيرة ممتعة وشعره رائع، وكتبه فى الفلسفة وعلم النفس هدمت النظريات القديمة ، ومجموعة رسائله كنز أدبى لا يفنى

عبد الحميد حمدى
مدرس بمدرسة شبرا الثانوية

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٥٠ — والله ما شعرت بذلك

فى (معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان) : كان (الإمام) محمد بن سحنون ذات يوم يؤلف إلى أن حضر العشاء . فجاءته جاريته أم مدام بالعشاء . فقال لها : يا أمّ مدام ، أنا مشغول عن العشاء بما أنا فيه . فلما طال انتظارها أخذت تلقمه وهو على حاله يؤلّف حتى أتت على جميعه . وما زال كذلك حتى أذّن المؤذن لصلاة الصبح ، فطوى كتابه وقال : يا أم مدام ، هات ما معك من العشاء !

فقالت : يا سيدى ، إنى أطعمتُك إياه !

فقال : والله ما شعرتُ بذلك !

٤٥١ — لو كان من كلام النظام لكان كبيرا

فى (الأغانى) : عتب المأمون على عريب (المغنية) فهجرها أياماً . ثم اعتلت فعادها . فقال لها : كيف وجدتِ طعم الهجر ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين لولا مرارةُ الهجر ما عُرفت حلاوةُ الوصل ، ومن ذمّ بدءَ الغضب حمِد عاقبةَ الرضا .

فخرج المأمون إلى جلسائه ، فحدّثهم بالقصة . ثم قال : أترى هذا لو كان من كلام النظام[1] ألم يكن كبيراً ؟ !

٤٥٢ — ... فيستثنون فتبطل ايمانهم

(وفيات الأعيان) : قال الربيع صاحب المنصور : يا أمير المؤمنين هذا أبو حنيفة يخالف جدك : كان عبدالله بن عباس يقول : إذا حلف على اليمين ثم استثنى بيوم أو بيومين جاز الاستثناء . وقال أبو حنيفة : لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين . فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين إن الربيع يزعم أن ليس لك فى رقاب جندك بيعة . قال : وكيف ؟ قال : يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل أيمانهم . فضحك المنصور وقال : ياربيع لا تتعرض لأبى حنيفة . فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع : أردت أن تشيط بدمى[2] . قال : لا . ولكنك أردت أن تشيط بدمى فخلصتك وخلصت نفسى .

٤٥٣ — ... أن يجلسوا على حائط

(روح المعاني) للآلوسى : عن ابن سيرين أنه سئل عمن يسمع القرآن فيصعق ، فقال : ميعادُ ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره ، فإن صعقوا فهو كما قالوا

٤٥٤ — وكريم أنظر له

فى (الإيجاز والإعجاز) للثعالبى : سمعت مأمون بن مأمون خوارزم شاه يقول : همتى كتاب أنظر فيه ، وحبيب أنظر إليه ، وكريم أنظر له .

---

(١) ابرهيم بن سيار : من كبار المعتزلة وأئمتهم متقدم فى العلوم ، شديد الغوص على المعانى ، وكان من صغره يتوقد ذكاء ، ويتدفق فصاحة ، وكان الجاحظ من أكبر تلامذته : « سرح العيون » .

(٢) أشاط دمه وبدمه : أذهبه ، وقيل أشاط بدمه : عمل فى هلاكه (اللسان)

٤٥٥ — الجلهكية

فى (الملل والنحل ونهاية الأرب) : الجلَـهَكِيّة أى عُباد الماء فى الهند ، يزعمون أن الماء ملك ، ومعه ملائكة ، وأنه أصل كل شىء ، وبه كل ولادة ونمو ونشوء وبقاء وطهارة وعمارة . وما من عمل فى الدنيا إلا وهو يحتاج إلى الماء . فإذا أراد الرجل منهم عبادته تجرد وستر عورته . ثم دخل الماء حتى يصل إلى حلقه (أو وسطه) فيقيم ساعة أو ساعتين أو أكثر . ويأخذ ما أمكنه من الرياحين ، فيقطعها صغاراً ، ويلقى فى الماء بعضها بعد بعض ، وهو يسبّح ويقرأ . فإذا أراد الانصراف حرّك الماء بيده ، ثم أخذ منه فنقط على رأسه ووجهه وسائر جسده خارجاً ، ثم سجد وانصرف .

٤٥٦ — من عدم الناس عاشر القردة

فى (تتمة اليتيمة) : كان أبو سهيل الحرانى ينادم قردة له ، فقيل له فى ذلك ، فقال :

ملت إلى قردة أنادمها ... فأنكرت ذاك زمرةُ الحسَدهْ
فقلتُ : يا بُلْهُ لا عقولَ لكم ... من عدم الناس عاشر القِردَهْ

٤٥٧ — التمثالان فى تدمر

فى (معجم البلدان) : كان من جملة التصاوير التى بتَدمرَ صورة جاريتين من حجارة من بقية صور كانت هناك ، فمر بها أوس بن ثعلبة التَيْمى صاحب قصر أوس فى البَصرة ، فنظر إلى الصورتين فاستحسنهما فقال :

فتاتَىْ أهل تَدمرَ خبِّرانى ... ألَمّا تسأما طولَ القيام
قيامُكما على غير الحشايا ... على جبل أصمَّ من الرُّخام
فكم قد مرّ من عدد الليالى ... لعصركما وعامٍ بعد عام
وإنكما على مرّ الليالى ... لأَبقى من فروع ابنَىْ شمام[1]

قال المدائنى : فقدم أوسُ بن ثعلبة على يزيد بن معاوية ، فأنشده هذه الأبيات ، فقال يزيد : لله درّ أهل العراق ! هاتان الصورتان فيكم يا أهل الشام ، لم يذكرهما أحد منكم ، فمرّ بهما هذا العراقىّ مرة فقال ما قال

(١) شمام جبل بالعالية له رأسان يسميان ابنى شمام . قال لبيد :
فهل نبئت عن أخوين داما ... على الاحداث إلا ابنى شمام
(العالية) : ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة .

٤٥٨ — مفرق . . .

فى (مروج الذهب ، والكنز المدفون) : بلغ خالد بن عبد الله القسرى ، وكان عاملاً لعبد الملك بن مروان على مكة قول الشاعر :

يا حبّذا الموسمُ من موفِد ... وحبذا الكعبة من مشهد[1]
وحبذا اللاتى يُزاحِمْنَنا ... عند استلام الحجر الأسود[2]

فقال خالد : أمّا هن فلا يزاحمنك بعدها . فأمر بالتفريق بين الرجال والنساء فى الطواف . فهو أول من فرّق بين الرجال والنساء فى الطواف . فاستمر ذلك إلى اليوم ، وكان يُجلس لهن حرساً عند كل ركن ، معهم السياط ، يفرقون بينهم .

٤٥٩ — ثم اطووه الى يوم القيامة

فى (زهر الآداب) : شرب كوران المغنى عند الشريف الرضى فافتقد رداءه وزعم أنه سُرق . فقال له الشريف : ويحك ! من تتهم ؟ أما علمت أن النبيذ بساط يطوى بما عليه... ؟

قال : انشروا هذا البساط حتى آخذ ردائى ثم اطووه إلى يوم القيامة . . .

(١) من موفد : في رواية : من موقف
(٢) استلام الحجر افتعال فى التقدير ، مأخوذ من السلام (بكسر السين) وهي الحجارة ، تقول استلمت الحجر اذا لمسته من السلام كما تقول اكتحلت من الكحل ، قال الأزهرى : والذى عندى أنه افتعال من السلام وهو التحية واستلامه لمسه باليد تحريا لقبول السلام منه تبركا به ، ويدل على صحة هذا القول أن أهل اليمن يسمون الركن الأسود المحيا ، معناه أن الناس يحيونه بالسلام (اللسان) .

موت كريزيس

للأستاذ زكي المحاسني

«ضعني على قلبك كالميسم فالحب مثل الموت للمغرم»

صغت هذا البيت من قول «مارلين ديتريش» ليلة رأيتها في الصور المتحركة وقد باتت عند عمّها؛ فلما تهيأت للنوم أخذت بكلتا يديها كتاب العهد القديم ثم وضعته على صدرها وفتحته ثم تلت نشيد الأناشيد بصوت ملائكي خافت قالت في آخره: «ضعني كالخاتم الواسم على قلبك فالحب كالموت»

صار بها هذا النشيد إلى الموت فماتت في روايتها حرقاً ولقيت جزاء قلبها. تفننت في كلام الحب وفنيت في صباباته حتى هشمت بمطرقة كبيرة تمثالها الذي صنعه عاشقها النحات، لتدخل في أغوار العدم

هكذا فكرت في غادة نشيد الأناشيد حين مرت في خاطري «كريزيس» في الإسكندرية القديمة وقد اغتسلت ذات مساء بالعطور ونادت جاريتها الهندية «دجالان» فقالت لها: نشفيني والبسيني وزينيني ثم ضمخيني بالطيوب

خرجت كريزيس تشق رواق المساء بنور وجهها الساطع وتخطر في مشيتها حتى بلغت شاطئ البحر. وكان هناك على متكأ الشاطئ النحات «ديمتريوس» الذي صنع تمثال «أفروديت» ملكة الإسكندرية. وقف على الشاطئ وفي سمعه أنغام الزامرتين وقد ابتعدتا عنه وغابتا في تضاعيف الظلام. وقف ينظر إلى البحر فيرى نفسه في موجه الصاخب ويحس تلك الثورات الخفية التي يثور فيها روحه ثم يصطدم في حدود جسمه فيعود مستكيناً حبيساً

فكر في الملكة التي تعشقه وفكر في آلاف الرعابيب اللواتي ارتمين على قدميه وما حظين منهما بالتقبيل. وإنه لكذلك سادر في تأمله إذ مرت به كريزيس فتيمته حبا. فلحقها فعزت عليه وتجنت. ثم اشترطت للهوادة غوالي الشروط وأشدها هولاً. فسرق من أجلها وهو الشريف. وقتل من أجلها وهو البريء. وهزئ بالآلهة جرّاها وهو الحكيم الرزين. ثم أنقذ نفسه فجأة من مهاوي العدم وبؤرة العار؛ فصدف عنها واجتواها، وكان كرهه لها حبا، واجتواؤه إياها هياماً. ولما صارت إلى السجن قدم إليها السجان كأس الشوكران وقال اشربي

مدت يدها وأخذت الكأس فرفعتها إلى فمها وشربت نصفها، ومدتها بالنصف الباقي إلى ديمتريوس، وقد جاء ليشهد مصرعها، فنحى عنه كأسها. فاستردتها إلى فمها وشربت السم حتى الثمالة ...

سألت كريزيس السجان: ماذا أفعل؟ فقال لها سيري جيئة وذهاباً. ففعلت حتى عمل فيها السم، وارتمت كما يرتمي غزال قد صيد ... وماتت

عاد إليها ديمتريوس وهي في لفائف الموت قد سُجّيت على سرير. فجلس حيالها يناجيها بصمته، ويستودعها بروحه. وبدت له على سرير الموت أروع جمالاً وأشع نوراً مما كانت في الحياة

جلب معه عجين التراب الذي يصنعه للتماثيل، وأقبل على السرير فنضا الثياب عن الضحية، ثم أقعدها في وضع فنيّ رائع ثم أخذ منقاشه وظل من الصباح حتى سد عليه المساء نافذة السجن، فانتهى من صنع تمثال «كريزيس الخالدة» حين دفنتها صديقتاها «روديس وميرتو» قطعتا من شعريهما خصلة دفنتاها معها ثم بكتا على قبرها أحر البكاء ...

فكرت في نهاية «كريزيس» التي قص قصتها العبقري بيير لوئيس، فاستطعت بسبب فاجعتها أن أفهم نشيد الأناشيد في كتاب العهد القديم.

زكي المحاسني

ترانيم ونسابيح

أنشودة الصباح ...

« إلهامات من سحر الحب وجمال
الطبيعة فى ضفاف الجزيرة »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

سبقتِ إلى النيل خطوَ الصباح   فتيَّمتِه بالصِّبا والفُتون
وخمرٌ إلهيَّةٌ فى يديكِ   وكأسٌ من الحبِّ ملأى جنون
وثغرُكِ تغريدةٌ ما وعى   ترانيمها غيرُ قلبى الحزين
عشقتُ صداها فغنَّيتُها   ولقَّنتُها لشفاهِ السنين

وما كنتُ أدرى الهوى والحياه
ولا السحرَ فى أغنياتِ الشفاه
ولا كنتُ أعلمُ سرَّ الإله

سوى بعدما لحتِ لى فتنةً   وأقبلتِ لى مرةً تبسمين!

* * *

وعيناكِ علمتانى السجودَ   وكيف أخرُّ معَ العابدين
لهم دينُهم فى زحامِ الصلاةِ   ودينى الضياءُ الذى تنشرين
عبدتُ بكِ الله ... مافى دمى   ولا فى فمى غيرُ هذا الرنين
فيا ولهاً ناعساً فى الجفون   ويا سجدتانِ بدَيْرِ الجبين

ويا قبلتانِ بخدِّ الصباح
ويا بسمتانِ بثغرِ الأقاح
طفتْ بينَ جنبىَّ نارُ الجراح

تُرَدِّدُ لبلواىَ سحرَ المنى   وبُثِّى حديثَ الهوى ياعيون!

* * *

وإيقاعُ صوتِكِ فوقَ الضفاف   أهازيجُ رفَّافةٌ بالحنين
سمعتُ لُغاهنَّ تحتَ الظلالِ   أناجيلُ تُتلَى على الراهبين
وأنغامَ رقصٍ بعيدِ المدى   حلمتُ به فى سماءِ الظنون
محا شجنَ الطيرِ إغرادُهُ   وتيَّمَ فى عشهنَّ السكون

فهلَّلن بين خميلٍ وأيكِ
وهفهفنَ مثلى حناناً إليكِ
وكدْن يقبِّلن طهراً يديكِ

ويسجدنَ حولكِ فوقَ الربى   وتخشعُ للحبِّ هامُ الغصون!

* * *

وقلتِ: هنا النهرُ! قلتُ: اصمُتى   هنا الله يرعى هوانا الأمين
هنا قدرٌ فى الضحى نائمٌ   أساريرُهُ طلسمتها القرون
يسمونه «النيل»! وهو الذى   يُنيل ويشفى صدى الظامئين
سقى الدهرَ من جامه فارتوى   وروَّى بخمرتِه الملهَمين

فغنَّى بأسرارِه الشاعرُ
وكبَّر فى شطِّه الكافرُ
وخرَّ لهُ السحرُ والساحرُ

ولمَّا تهادتْ عليه الصبا   تصابى فحيَّا خطا العاشقين!

* * *

أتيناهُ والصبحُ طفلٌ غريرٌ   تهدهدُهُ سكرةُ الحالمين
طهورُ المساربِ مالوَّثتْ   خطا شمسِهِ قدمُ العابرين
سوى بائسينَ إلى قوتِهم   تنادوْا: سلامٌ على البائسين
أفاقوا معَ الفجرِ فوقَ الثرى   حيارى على أرضهم متعبين

وصيَّاد رزقٍ على الشاطئين
منَ اليأسِ قلَّبَ نارَ اليدين
وفى وجهِهِ منْ كلالٍ وأين

بقايا منَ الليلِ يمشى بها   إلى كوخهِ فى شعاب الأنين!

* * *

ونجوى يماميَّةٌ فى العشاشِ   تحجَّبُ إلاّ عنِ المغرمين
فهمنا لُغاها وأسرارها   فهمنا بها فى الضحى حائرين
وفى ظلِّنا للهوى رعشةٌ   وقفتِ على طيفها تسألين
وصدرُكِ يهتزُّ تحتَ السنا   كأنشودةٍ فى أكفِّ الحنين

شجاها التغنِّى فهزَّتْ لنا
تحايا منَ الله طافتْ بنا
ونجوى منَ الله رفَّتْ هنا

وقالتْ: سلامُ الهوى والعفافِ   على قبلةٍ فى فمِ الخائفين ...

(وزارة المعارف)   محمود حسن اسماعيل

الشاعر والأمة

للأستاذ إيليا أبو ماضى

خير ما يكتبه ذو مرقم   قصة فيها لقوم تذكره

* * *

كان فى ماضى الليالى أمة   خلع العز عليها حبره
يجد النازل فى أكنافها   أوجهاً ضاحكة مستبشره
ويسير الطرف من أرباضها   فى مغان حاليات نضره
لم يقس شعب إلى أمجادها   مجدها الباذخ إلا استصغره
همها فى العلم تعلى شأنه   بينها ، والجهل تمحو أثره
ما تغيب الشمس إلا أطلعت   للورى محمدة أو مأثره
فتمنى الصبح تغدو شمسه   وتمنى الليل تغدو قمره
ومشى الدهر إليها طائعاً   فمشت تائهة مفتخره

* * *

كان فيها ملك ذو فطنة   حازم يصفح عند القدره
يعشق الأمر الذى تعشقه   فإذا ما استنكرته استنكره
بلغت فى عهده مرتبة   لم تنلها أمة أو جمهره
فإذا أعطت ضعيفاً موثقاً   أشفقت أعداؤه أن تخفره
وإذا حاربها طاغية   كانت الظافرة المنتصره
مات عنها فأقامت ملكاً   طائش الرأى كثير الثرثره
حوله عصبة سوء كلما   جاء إدًّا أقبلت معتذره
حسّنت فى عينه آثامه   وإليه نفسه المستكبره
وتمادى القوم فى غفلتهم   فتمادى فى الملاهى المنكره
زحزح الأمة عن مركزها   وطوى رايتها المنتشره
ورأت فيها الليالى مقتلاً   فرمتها فأصابت مدبره
فهوت عن عرشها مصروعة   مثلما ترمى بسهم قبّره

* * *

كان فيها شاعر مشتهر   ذو قواف بينها مشتهره
كلما هزت يداه وتراً   هز من كل فؤاد وتره
تعسُ الحظ وهل أتعس من   شاعر فى أمة محتضره؟
يقرأ الناظر فى مقلته   ثورة ظاهرة مستتره
ما يراه الناس إلا واقفاً   فى مغانى قومه المندثره
حائراً كالريح فى أطلالها   باكياً كالسحب المنهمره
وهى فى أمواتها لاهية   وكذاك الأمة المستهتره
ما رأت مهجته المنفطره   لا ولا أدمعه المنحدره
فشكاه الشعر مما سامه   وشكاه الليل مما سهره
ثم لما عبث الناس به   مزق الطرس وشق المحبره

* * *

مر يوماً فرأى أشياخها   جلسوا يبكون عند المقبره
قال : ما بالكمُ ما خطبكم   أى كنز فى الثرى أو جوهره؟
ومَن الثاوى الذى تبكونه   قيصر أم تبّع أم عنتره ؟
قال شيخ منهم محدودب   ودموع اليأس تغشى بصره:
إن من نبكيه لو أبصره   قيصر أبصر فيه قيصره
كيف يا جاهل لا تعرفه   وحداة العيس تروى خبره
هو مَلْك كان فينا ومضى   فمضت أيامنا المزدهره
ولبثنا بعده فى ظُلَم   داجيات فوقنا معتكره
والذى كان بنا « معرفة »   لصروف الدهر أمسى نكره
فانتهى التاج إلى معتسف   لم يزل بالتاج حتى نثره
كل ما تصبو إليه نفسه   مُعْصر أو خمرة معتصره
مستهين بالليالى وبنا   مستعين بالطغام الفجره
كلما جاء إليه خائن   واشياً قرّبه واستوزره
فإذا جاء إليه ناصح   شك فى نياته فانتهره
مستبد باذل فى لحظة   ما ادّخرناه له وادخره
يهب المرء وما يملكه   وعلى الموهوب أن يستغفره
هزأ الشاعر منهم قائلاً :   بلغ السوس أصول الشجره
رحمة الله على أسلافكم   إنهم كانوا تقاة بررة
رحمة الله عليهم إنهم   لم يكونوا أمة منشطره
إن من تبكونه يا سادتى   كالذى تشكون فيكم بطره
إنما بأس الألى قد سلفوا   قتل النهمة فيه والشره
فاحبسوا الأدمع فى آماقكم   واتركوا هذى العظام النخره
لو فعلتم فعل أجدادكم   ما قضى الظالم منكم وطره
ما لكم تشكون من محنتكم   رضتمُ ألسنكم أن تشكره
وجعلتم منكمُ عسكره   وحلفتم أن تطيعوا عسكره
كيف لا يبغى ويطغى آمر   يتقى أشجعكم أن ينظره
ما استحال الهر ليثاً إنما   أسد الآجام صارت هرره
وإذا الليث وهت أظفاره   أنشب السنور فيه ظفره

« الولايات المتحدة »   إيليا أبو ماضى



البـــاب المُقْفَل

للأستاذ محمود تيمور بك

ذَهَبَتْ إليه ، وسألته أن يعطيها الكتاب الذى وعدها به

فوقف هنيهة يفكر : أين وضعه ؟ ... ثم تمتم :

لعله فى حجرة البيان !

وتقدمها إلى الحجرة ، فدخلاها . إلا أنها تنبهت إلى شأن غير عادىّ بدر منه . لقد أقفل الباب بالفتاح !... فتسارعت دقات قلبها ، واختلست إليه النظر ، فوجدته قد اتجه إلى الخزانة ، واندفع يقلب محتوياتها ...

كيف اجترأ أن يقفل الباب بالمفتاح وهى معه ؟!. من يظنها ؟! ورمته بنظرة حادة ...

وأبصرت خصلة من شعره الذهبى قد تهدلت على جبهته ...

يا لله ! لم تره على هذه الفتنة قبل الآن ... قامة مبسوطة ، ومنكبان عريضان ، ووجه صبيح عليه طابع الرجولة الحق !

لم تره قبلُ فى هـذه الفتنة ، على أنها نشأت وإياه فى منزل واحد ، وكان يكبرها بعشر سنين ، فهو ينظر دائماً إليها نظرات الأخ الكبير إلى أخته الصغرى ...

ووقع بصرها على خيالها فى المرآة ، فتذكرت معابثته إياها إذ كان يلقبها أحياناً بالضفدع ، لقصر قامتها !

ورفعت عينيها إليه ثانية

ها قد حبسها معه فى حجرة واحدة ، هـذا الفتى المبسوط القامة ، العريض المنكبين ... !

إنه يتظاهر بالبحث عن كتاب ، ويطيل التقليب فيما بين يديه ، وقد يكون الكتاب المقصود على قيد أنملة منه !

ما أجهله بعقول الفتيات !... إنه ما برح يتوهمها طفلة ، على حين أنها استقبلت منذ أيام عامها السادس عشر !

ولكن أية مفاجأة تلك التى يفكر فيها ؟

أهجوم مصحوب بقبلة حرّى ؟

إن يدها على استعداد لدفع هذا الهجوم !

صفعة قوية تثيب إليه رشده ...

وجعلت ترنو إليه ، وهو منهمك يبحث عن الكتاب ، وكان مرتدياً مَنَامَةً حريرية تتموج على جوانب جسمه الرياضى البديع ، الذى يحسده عليه أجمل كواكب « السينما » ...

وأطالت النظر إلى ساعديه القويين ، فاختلج جسمها بهزة كَهْرَبيَّة ...

لقد أنبها أخيراً لأمور تتعلق بسلوكها ... أتكون الغيرة قد بدأت تتسلّل إلى قلبه ؟!

هو قليل التحدث معها ، ولكنه كثير التفكير والسهوم . وهل تنسى يوم سارقها النظر، فتضرج وجهها ؛ فغضب لافتضاح أمره ، ونهرها بشدة ؟!

ما أشد كبرياءه ! ولكنها ستهزم اليوم هـذه الكبرياء هزيمة ساحقة ...

سيجثو تحت قدميها ، ويقول لها : « كم أحبك ... كم أحبك يا عصفورتي الصغيرة !.. فتجيبه ، وهى مهتاجة : «دعنى أخرج !.. افتح لى الباب ... » ثم يمسك بيديها ، ويغمرها بقبلاته وهو يكرر: « ارحمينى ! ... ارحمينى ! ... »

وأخيراً رفع رأسه عن كومة الكتب ، ثم التفت إليها ،

فرآها تبتسم له ، فأجابها بابتسامة سانحة !

تلك هى العاصفة توشك أن تهب ، فلتستعد لها …

إنها لم تره على هذه الوسامة قط …

أتراه يفكر فى حملها بين ذراعيه ، ثم يقفز بها من النافذة إلى الحديقة ، ثم يظل يعدوبها . قد يعقدالذعرلسانها ، فلا تستغيث ولا تتحرك … فلا يفتأ يجرى ويجرى … فإذا ما امتلكت نفسها ، واستعادت شجاعتها ، وأرادت أن تصيح ، أسكتها بقبلة طويلة !

لم يعد يبحث عن الكتاب ، إنه فى تفكير شارد مضطرب . يُعد برنامج الهجوم … أفلا تتقدم إليه من فورها ، وتباغته بقولها :

لقد كشفت عن خططك …

سأفسدها عليك … افتح الباب ، ودعنى أخرج … » ؟ !

والتفت إليها فى هذه اللحظة ، ثم رأته يدنو منها …

يا لله ! ما أشد خفقان قلبها ! …

إنها تسبل جفنيها … !

وسمعته يقول :

هذا هو الكتاب .

فرفعت إليه بصرها ، فإذا به يمد إليها يده بالكتاب الذى كان وعدها به . وقد زوى ما بين حاجبيه … فأخذته منه فى صمت !

وأبصرته يفتح الباب بالمفتاح ، وينفذُ منه ، وهو يصيح بالخادم قائلاً :

ألم آمرك غير مرة بإصلاح هذا الباب ؟ إن المرء ليضطرُّ لاستعمال المفتاح كلما دخل أو خرج تفاديا من هذا التيار الشديد ! …

ثم اختفى عجلاً .

ولبثت الفتاة طويلاً تحدق فى الجهة التى اختفى منها … ثم وقع بصرها عفواً على الكتاب فى يدها فاندفعت إلى النافذة ، وقذفت به !

ثم ارتمت على المتكإ ، وانكبت على منديلها تمزقه بأسنانها …

محمود تيمور



دراسات فى الفن

الفن شعور

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

يأبى بعض علماء النفس إلا أن يسرفوا كل الإسراف فى التقيد بالتجارب المادية فلا يرضون أن يقرروا الحقائق النفسية إلا بعد أن يقيسوها ويزنوها بمقاييس وموازين مادية من الأجهزة البارعة التى استحدثوها . ولست أدرى كيف غاب عن هؤلاء العلماء الأجلاء أن المادة لا تستطيع أن تقيس وأن تزن إلا المادة وهم — على ما يعترفون بجهلهم المطبق بالنفس ذاتها — لا يجرؤ أحدهم على القول بأنها مادة . فإذا قال قائل : إن هناك طريقاً غير سراديب المعامل وأقبيتها قد تؤدى إلى بعض العلم بالنفس كان من حسن المجاملة التى يجب على علماء النفس اصطناعها أن يسكتوا عنه — إذا تكبروا عن متابعته — كما سكت عنهم وتركهم يقيسون ويزنون بما يستحدثون ويصنعون مالا يعرفون ولا يعلمون ويقولون مع هذا إنهم علماء ، وإنهم ينهجون فى علمهم النهج القويم الوحيد

فإذا أرادوا أن يدافعوا عن أنفسهم وقالوا إنهم لم يستحدثوا حدثاً ، ولم يبتدعوا بدعة وإنهم لم ينهجوا فى علم النفس إلا النهج الذى ينهجه العلماء فى بقية العلوم ، وإنهم لا يطلبون شططاً من الناس ولا يحملونهم فوق ما يطيقون حين يسألونهم الإيمان بعلمهم كما يؤمنون بأمور الكهرباء التى يذيعها علماء الطبيعة فيقبلها الناس ويستغلها المخترعون من غير أن يطالبوا علماء الطبيعة بإدراك كنه الكهرباء ... إذا قالوا هذا قلنا لهم : وعلماء الطبيعة مثلكم أيضاً يكتشفون ويخترعون ولكنهم لا يعلمون ، وهم إذا جاز لهم أن يقعدوا عن فهم أسرار الطبيعة الصماء وقنعوا باستغلال قواها مستفيدين آكلين شاربين ، فإن لهم عذرهم فى هذا ما داموا يرون الطبيعة التى يقيسونها ويزنونها بأجهزتهم شيئاً خارجاً عن أنفسهم بعيداً عنهم ، أما أنتم يا علماء النفس فتستطيعون أن تجولوا فى أنفسكم بأنفسكم ولكنكم تزدرون أنفسكم زراية ما بعدها زراية حين تأبون إلا أن تسألوا عنها أجهزتكم ، وأجهزتكم وحدها كالمبصر المفتوح العينين الذى يسير فى وضح النهار ويأبى إلا أن يتحسس الأرض بعكازة لها وحدها الأمر فى خطواته ، وهى وحدها التى تأذن له بالتقدم ، وتشير عليه بالتريث ، وتميد به ذات الشمال وتميل به ذات اليمين

ولعل واحداً من علماء النفس الطبيعيين يتواضع ويسألنا عما يمكن أن يسلكه علم النفس من السبل التى قد تصل به إلى العلم الصحيح والتى لا تقف به عند الباب موقف التجسس المريب . هذا ندعوه إلينا ، أو نتطفل عليه فنأتم به ونرجوه أن يقودنا بعلمه وأجهزته ونحن من ورائه تابعون ، ولكن متيقظون

سنسأله أول ما نسأله : أين هى النفس ؟ فإننا لا نستطيع أن نتجه إلى شىء من غير أن نعرف مكانه

وهو عندئذ سيقول : النفس فى الإنسان وفى الحيوان

... فهو رجل طيب متواضع يعترف للحيوان بالنفس بينما غيره من العلماء يجهده هذا الاعتراف ، ولا شك أن حظنا السعيد هو الذى هدانا إلى هذا العالم الطيب المتواضع ، فعلينا إذن أن نشكره كل الشكر لأنه لم يترفع بجنسه على الحيوان ، ثم إن علينا بعد ذلك أن نمضى فى البحث عن العلم فنوجه إليه السؤال الجديد

— أليس هناك فرق بين نفس الإنسان ونفس الحيوان ؟

وهنا سيطرق أستاذنا قليلاً ثم يقول :

— إن هناك فرقاً من غير شك . فالإنسان عاقل والحيوان غير عاقل ... ونحن نفرح بالحق ، فلا نملك إلا أن نعترف لأستاذنا بأن ما يقوله صحيح ، ولكننا ملحون نريد أن نمضى فى الطريق ما دمنا نستطيع أن نمضى فيه ، فنخطو وراء أستاذنا خطوة جديدة لنقف به أمام سؤال جديد فنقول له :

— إن الطبيعة حين تودع كائناً ما قوة من القوى فإنها تقصد من هذا أن ينتفع هذا الكائن بهذه القوة ، والذى لا شك فيه هو أن الإنسان انتفع فى حياته بعقله ، ولكننا لا نشك أيضاً فى أن هذا العقل يلتوى على الإنسان فى كثير من الأحوال فيضره بل إنه يبسط أذاه على الآخرين ، كما أنه يحار أحياناً فى تصريف أمور صاحبه فيرتبك ويضطرب ويصيب أحياناً ويفشل أحياناً ، بينما نرى الحيوان يقضى طول حياته لا يؤذى نفسه ، ولا يلحق الضرر بفصيلته ، ولا يعجز عن حفظ حياته ، ولا يضطرب ولا يرتبك إلا عند ما يدهمه ظرف خاص غريب على الطبيعة فلا بد إذن أن يكون فى الحيوان شىء آخر غير العقل هو الذى يصونه هذه الصيانة ، ويحفظه هذا الحفظ ويقوده إلى السلامة ، ولا بد أن يكون هذا الشىء أنفع من العقل ... فهل هو موجود عند الإنسان أو مفقود ؟ فإذا كان موجوداً فلماذا يغفله الإنسان ولا ينتفع به ؟

ويهتز أستاذنا حينئذ طرباً لأنه تمكن من مغمز فى كلامنا فهو يأخذ بخناقنا ويقول : إن الإنسان أيضاً لا يرتبك ولا يضطرب ولا يعجز عن صيانة نفسه وحفظها إلا إذا دهمه طارئ غريب على الطبيعة

فنبتسم نحن فى دورنا ونسلم له بهذا جدلاً مع أنه كلام مبتور ولكننا نسأله :

— ما بال الإنسان إذن يكثر من صناعة العجائب والغرائب بعقله ، وما باله يتعمد الحيدة عن الطبيعة ، وفى هذه الحيدة الأذى والضرر ... لا بد أن يكون العقل إذن هو الجنون

ويزور أستاذنا عن هذه النتيجة فيعبث بلحيته قليلاً ثم يسعل سعلتين ، ومع أنه رجل طيب متواضع إلا أنه عالم يعتمد فى علمه على العقل ، وعلى العقل وحده ، فإذا آمن معنا بأن العقل مجنون كان عليه أن يغيب عنا ساعة يمزق فيها كتبه ، ويحطم فيها أجهزته ثم يعود إلينا نحن الجهلاء ليجلس إلى جانبنا معتمداً رأسه بكفه ينتظر الفيض من الكريم ... عز على أستاذنا الطيب المتواضع أن يغيب عنا هذه الساعة لأنه فيما يظهر أحبنا ولم يعد يطيق البعد عنا ... ونحن قوم نستجدى الله عطف المحبين

انتصب الرجل ، وتحجرت عضلاته — فتحجرت نفسه — ووضع يديه فى وسطه وهز لنا رأسه وقد ركبته كبرياء العلم وزجرنا متسائلاً ، أو سألنا زاجراً :

— والآن ماذا تريدون ؟

تخفضنا الأروس ذلاً ورجاء ، وزفرناها جميعاً قائلين :

— اللهم إنا لا نطلب إلا الهدى فاجعلنا من المهتدين

فسألنا ساخراً :

— ومن يهديكم غير عقولكم ؟

فقلنا : — قد رأينا العقلاء مجانين

فقال : — وكيف إذن تهتدون ؟ !

فقلنا : — لا بأس فى أن نتعلم من غير العاقلين ، هذا هو الحيوان يجوع فيسعى إلى الطعام ، ويظمأ فيطلب الماء ، ويحن إلى الأنثى فيدلونه إليها ، ويزيد نشاطه فيلعب ، ويتعب فينام ، ويطمئن فيهدأ ، ويخاف فيتقى ما يخاف ، ويستطيب فيألف ، ويستنكر فينفر ، ويصح فيعتدل ، ويعتدل فيصح ، فإن مرض عالج نفسه بنفسه ، وهو لا يمرض إلا إذا ألم به ما هو غريب على الطبيعة ، وحياة الحيوان بهذا كحياة الإنسان فيها كل مظاهر الحياة ، وفيها كل معانى الحياة ، وليست تنقص عن حياة الإنسان إلا هذه العقد التى أنشأها العقل . فهى لا يمكن أن تعاب بهذا النقص لأن فيه سلامتها ؛ فما الذى يدبر هذه السلامة لها ... هذا يا أستاذنا هو السؤال الذى نحب أن نبدأ به جدلنا ...

... وأصاب أستاذنا الرد سريعاً فأجاب : إنها الغرائز ، أى نعم الغرائز . فالحيوان ينقاد لغرائزه فى حياته فيسلم ما دامت حياته طبيعية لا تمتد إليها المؤثرات المصطنعة ...

... وهذا كلام طيب لا نستطيع نحن الجهلاء أن ندفعه . فعلماء النفس عندهم مقاييس وموازين وأجهزة أثبتوا بها أن الحيوان

يعيش بالغرائز ، ويحفظ نفسه طول حياته بالغرائز ؛ ثم يموت أيضاً بالغرائز . . . ولكننا نرى فى حياة الحيوان أعاجيب تشهد بأن الحيوان يدرك من أسرار الطبيعة ما لا يدركه العقلاء بعقولهم ، ولما كان علماء النفس لا يقولون إن غرائز الحيوان تزيد على غرائز الإنسان شيئاً لم نر بداً من أن نسأل أستاذنا سؤالاً رأيناه يرتمش قبل أن نسوقه إلى مقام الأستاذ ، ولكننا سقناه فسألناه : هل فى غرائز الحيوان ما يدعى « غريزة الغيب » ؟ !

فأسرع أستاذنا ولطمنا معترضاً : وهل ترون الحيوان يدرك الغيب ؟

فقلنا والخجل يكاد يخنقنا : نعم . فالحيوان يبدر منه أحياناً ما يدل على أنه يدرك ما يشبه الغيب ، أو أنه يشبه أن يدرك الغيب

عندئذ نفخ أستاذنا وقال : مثال ذلك ؟

فحمدنا الله لأنه لم يتعجل فينكر علينا دعوانا قبل أن نحاول إثباتها ، فقد تعودنا من كثيرين من العلماء الذين يشغفون بالمقاييس والموازين والأجهزة أن ينكروا كل ما يعتصم على مقاييسهم وموازينهم وأجهزتهم ... استبشرنا وتوقعنا الخير ، وقلنا عساه يريد أن ينزل عن علمه وأن يسلك معنا طريق الفن أو طريق الجهل ، وأسرعنا فضربنا له المثل قائلين :

— يحدث فى ليلة العيد الكبير فى مدن المسلمين أن يرتفع ثغاء الأضاحى أكثر من ارتفاعه فى الليالى السابقة ، وأكثر بيوت المسلمين تختزن أضاحيها قبل ليلة العيد بليال عدة ليلعب الأطفال معها قبل أن يأكلوا منها ... فلماذا يتزايد ثغاء الأضاحى ليلة العيد ، ولماذا تلمس فيه الأذن الحساسة معانى الاستغاثة والشكوى والفزع واليأس ؟

... وطاب هذا السؤال لأستاذنا نكتة فراح يضحك ويقهقه ويقول :

— وماذا أيضاً ؟ !

... وجدنا نحن سنداً لملحوظتنا هذه فى ملحوظة أخرى فرضناها هى أيضاً عساها ترد سخريته واستهزاءه فقلنا :

— ويحدث أن يموء القط وأن يعوى الكلب فى بيت المحتضر قبيل الوفاة بزمن قليل . فلماذا يموء القط وقتئذ ، ولماذا تلمس الأذن الحساسة معانى الموت والإنذار ، فى مواء القط وفى عواء الكلب ؟

... فلما رأى أستاذنا أننا مصرون على المضى فى سبيلنا عدل عن التهكم بالضحك إلى التهكم بالكلام فقال :

— كأنى بكم كأولئك المخرفين الذين يلصقون ببعض الحيوان الشؤم ، فيتطيرون منه جرياً وراء الذى روجه القدماء الجهلاء عن هذا الحيوان من حديث الشؤم والسوء .

... ولم نر نحن فى هذا عيباً ، فنحن لا نشك فى أن حضارتنا زادت على حضارة القدماء ، ولكننا نرى فى هذه الحضارة تنائياً عن الطبيعة ، فالمتحضرون لا يمارسون الاحتكاك بالطبيعة والتفاعل معها مثلما يفعل الهمج والبدو ، وهذه المسألة التى نحن بصددها من مسائل الطبيعة المحضة لا من مسائل الحضارة ، فلا يبعد أن يكون الأقدمون الأقربون من الطبيعة قد اهتدوا إلى سرها بينما ابتعدنا نحن عن هذا السر بحضارتنا التى أضرمت الغرور فى عقولنا فلم نعد نكلف أنفسنا مؤونة البحث فى علوم القدماء وقنعنا باتهامهم بالتخريف لأننا رأيناهم تخبطوا أمام بعض الحقائق وعجزوا عن الوصول إليها بينما أتيح لنا نحن أن نكشفها ، فساقنا هذا إلى أن نتهم علومهم جميعاً بهذا التخريف مع أننا عاجزون إلى اليوم عن إدراك بعض ما اهتدى إليه الأقدمون

أما نحن الجهلاء فإننا لا نزدرى الأقدمين كما أننا لا نزدرى المحدثين ، وإنما نطلب الحكمة عند هؤلاء كما نطلبها عند هؤلاء ، ونكتفى بالتحنيط الفرعونى شاهداً على اهتداء الأقدمين لنخفض الرؤوس أمامهم بالاحترام والتقدير .

فقلنا لأستاذنا : فلندع هؤلاء المخرفين وغربانهم تنعق فوق رؤوسهم أو فوق رؤوسنا حيثما طاب لها النعيق ، ولنحاول تعليل هذا الذى نراه فى أضاحى العيد ، وهو شىء لا يمكن أن ينكر ، ولنحاول معه تعليل هذا الذى نراه من القط والكلب فى بيت المحتضر قبيل وفاته ... هل فى علمكم هذا التعليل ؟ وهل هى أيضاً غريزة تنذر الحيوان بالغيب ، أو ماذا تقولون ؟ !

فلم يهن على أستاذنا أن يكف عن القول ... قال :

— إن الأضاحى تثغو ليلة العيد ، ويزيد ثغاؤها مصادفة ،

وبالمصادفة أيضاً يموء القط ، ويعوى الكلب فى بيت المحتضر قبيل الوفاة .

... وهكذا العلماء . كلما حيرتهم ظاهرة من الظواهر عللوها بالمصادفة ، ولم يفكر واحد منهم أن يبحث للمصادفات عن قانون ! ولماذا لا يكون للمصادفات قانون ، ولكل شيء فى هذا الوجود قانون ؟ . اللهم هديك ! على أننا مؤمنون بأن الظاهرتين اللتين أوردناهما لسيدنا العالم ليستا مما يخضع لقانون المصادفات ، فليس الذى يتكرر فى ملابساته تكراراً متواصلاً مستمراً بالذى يدخل فى حساب المصادفات مهما أصر سيدنا الأستاذ على ما يقول ...

ومع هذا فقد أمسكنا عن مناقشته فيه فنحن لا نستطيع أن نقنع المكابر بأن البيضة من الدجاجة وأن الدجاجة من البيضة إذا أصر على أن يقول إنها المصادفة وحدها هى التى تخرج إحداهما من الأخرى، فانتقلنا به من هذا إلى ما ذكرناه من تعبير ثغاء الأضاحى الهاتفة مصادفة فقط ليلة العيد بالاستغاثة والفزع والشكوى وغير ذلك من المعانى التى يمكن أن تضطرب فى نفس المسوق إلى الموت، سألناه عن هذه المعانى : ألا يستشعرها ؟ فضحك وقال :

— وهل تشعرون أنتم بها ؟

فقلنا : نعم والحمد لله ، وإنك أيضاً تستطيع يا أستاذنا الجليل أن تستشعرها إذا أردت ، وإن كنت تأبى أن تشعر إلا بمقاييس وموازين وأجهزة فإنك تستطيع أن تكتب ما شئت من ثغاء هذه الأضاحى بالنوتة الموسيقية ، وتستطيع أن تطلب من عازف فنان أن يعيدها على سمعك بآلة يشبه صوتها صوت الخراف ، ولعل الفيلونسيل هو أقرب الآلات الموسيقية إلى تقليد هذه الأصوات ، فإذا لم يشعرك الفيلونسيل بهذه المعانى التى نحدثك عنها ، فإنه عجز المادة عن قياس النفس ووزنها ، ولا بد لك إذن من الاستعانة بجهاز يشبه الحيوان من حيث وجود النفس فيه ، وليكن هذا الجهاز إنساناً مغنياً ؛ أو إنساناً ممثلاً تطلب منه أن يقلد لك أصوات الخراف ليلة العيد تقليداً أميناً فيه الصوت وفيه ما يبعث الصوت من الشعور .

... وهنا تعجل أستاذنا وقطع علينا الطريق متسائلاً :

— فإذا لم أشعر بما تشعرون ؟

فقذفنا بها عندئذ مجبرين وقلناها محرجين :

— لا يمكن أن يكون هذا إلا إذا كان فى الناس فريق يشعرون وفريق لا يشعرون وإن كانوا يعقلون .

... وعادت إلى الأستاذ طيبته ، وعاد إليه تواضعه فسألنا كمن يريد أن يعرف :

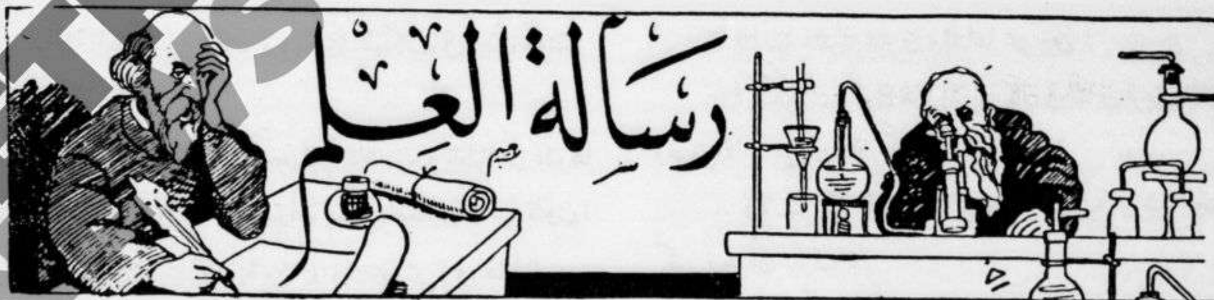
وهل فى الناس حقاً من يشعرون ؟

ولم ندهش لهذا السؤال ، فقد صدر من عالم ، فقلنا له : نعم يا سيدنا الأستاذ . نقسم لك بالله أن فى الناس من يشعرون بأضاحى العيد . بل إن فيهم من يشعر كأضاحى العيد .

.. فذعر الأستاذ لهذا ، وضاق عقله عنه ، وسال من فمه سؤال أبله معتوه وقال : إذا كان هذا حقاً ... فكيف يحدث هل تعرفون ؟ !

فتبادلنا فيما بيننا النظرات لأننا كنا نظن أن العلماء مهما جدوا بعقولهم دون الحق فإنهم يستطيعون أن يستنبطوا أسباب الظاهر التى يلمسونها ما دامت ظاهرة لهم ، وما داموا يلمسونها ، وما دامت لهم عقول ، وما داموا يقولون إن عقولهم تكفيهم وتهديهم وتلبى مطالبهم وحاجاتهم ... وكنا نظن هذا لأننا نسينا أن سادتنا العلماء ينفضون أيديهم من العلم ما انفلتوا من معاملهم وما نفضوا أيديهم من مقاييسهم وموازينهم وأجهزتهم ... وجل من لا ينسى ... ولكننا عدنا فذكرناه وقلنا لسيدنا الذى هجر الشعر رأسه إلى لحيته :

— أنتم صدقتم داروين حين قال لكم إن بدن الإنسان تطور من بدن الحيوان ، ثم صدقتم علماء آخرين قالوا لكم إن جنين الإنسان يمر فى بطن أمه بالأدوار التى مرت بها الإنسانية فى سلسلة رقيها ، فهو يبدأ خلية ثم دودة ثم زاحفة حتى يتم تكونه الإنسانى فينقذف إلى الحياة إنساناً ولكنه يمشى على أربع ، إنساناً ولكنه أبكم ، إنساناً ولكنه بلا عقل . فلماذا لا تتأملون هذا الإنسان العجيب ، ولماذا ترضون أن يكون الجنين تلخيصاً للرقى البدنى البشرى ، ولا يخطر فى بالكم أن حياة الطفولة تلخيص هى أيضاً للرقى الروحى البشرى ، وأن الطفل فيها يتخلص من بعض الخصائص ويستكمل خصائص أخرى غيرها ، ولماذا لا تدرسون المرحلة الأولى التى يتجلى فيها العقل عند الطفل وترون على حساب



نحو فلسفة جديدة

للدكتور محمد محمود غالى

الحركة « البراونية » — عمل كوتون وموتون — مشاهدات بيران — المجهودات الأولى لأينشتاين — توحيد الظواهر الطبيعية — غاية العلوم

حدثنا القارئ عن فلسفة ليبنز Liebnez بأن الحرارة عنده هى الحركة، وذكرنا أن جزيئات جميع الأجسام فى حركة مستمرة وهى الظاهرة المعروفة بالحركة « البراونية » نسبة إلى العالم « براون »، وعند ظنى أن الذين يبحثون عن الحركة الدائمة يجدونها فى جزيئات أية مادة تقع عليها العين، فهى فى حركة دائمة لا تعرف للسكون سبيلاً، وهذه الحركة تحدث فينا شعوراً نسميه الحرارة، هو حركة جزيئات الجسم لا أكثر ولا أقل، وكما أنه لا يوجد جسم دون أن يكون له حرارة معينة كذلك لا يوجد جسم لا تتحرك جزيئاته بسرعة معينة، وعند ما نصف أى جسم بالبرودة الشديدة فإنه على درجة من الحرارة مهما انخفضت عن الصفر الحرارى العادى فإنها تفوق الصفر المطلق

وهكذا عند ما تحقق للعالم المعروف « دى باى » فى السنين الأخيرة الحصول على درجة — ٢٧١° ، أى درجتين فوق الصفر المطلق فإنه بقى لجزيئات المادة عند هذه الدرجة الخفيضة نوع من الذبذبة لازمها دائماً على ضعف مقداره

قد يقسو علينا الشتاء وتبرد الكائنات وتحرمنا الشمس الجزء الأكبر من حرارتها لبعدنا عنها فى هذه اللحظة المعينة من السنة، وقد يتجمد معظم حاجاتنا ... أجل أذكر فى شتاء سنة ١٩٢٩ وكنت أقطن ضاحية « مونت روج » من ضواحى باريس — أن تجمد كل ما نحتاج إليه مما يباع عند البدال، فاللبن والزيت وكل ما يباع سائلاً تجمد وأضحى فى عداد الاجسام الصلبة

أى شىء يتجلى هذا العقل، وما الذى يستره من نفس الطفل كلما ازدهى وازدهر وساير الحياة العاقلة؟ ولماذا لا تتابعون فى الطفل ائتلافه بالطبيعة لتروا كيف يضمحل هذا الائتلاف عن بعض الأطفال وكيف ينمو عن الآخرين؟ ولماذا لا تحاولون أن تفسروا ما يتاح لبعض الناس من القوة على إدراك أسرار الطبيعة بشعورهم بينما لا تتاح هذه القوة لغيرهم؟

أليس هذا كله مما يصلح للدرس؟!..

ثم ألا تلحظون أن الأطفال يهجمون على حقائق الحياة الطبيعية غير محاذرين ولا مشفقين لا لشىء إلا لأنهم لا يعقلون، وأنهم يقيسون الأشياء ويزنون الناس بشعورهم « لا بعقولهم » فيصدق قياسهم ويصدق حكمهم أكثر مما يصدق قياس الكبار العقلاء وحكمهم. لا لشىء إلا أن الكبار يزحمون أنفسهم بمعايير مصطنعة يقدرون بها الحقائق ويزنون بها الأشياء، وكثرة هذه المعايير واضطرابها هما اللذان يورثان أحكامهم وتصرفاتهم الغلط والشطط

لماذا لا تفكرون فى هذا يا سادتنا العلماء؟ ولماذا تغفلون شعوركم وشعور الناس؟!

فأطرق الأستاذ مرة أخرى. ولكن إطراقته طالت هذه المرة ما شاء علمه وتفكيره أن تطول ... ثم رفع رأسه وقال:

— وهل هناك من يجول فى ميادين الشعور؟

فقلنا غير مفاخرين:

— نعم إنهم أهل الفنون وهم الذين يرق شعورهم كما يرق عقلهم فيحتفظون بتوازنهم الإنسانى ولا يعطلون بإرادتهم ولا بالجشع المادى قوة يرونها تحفظ حياة الحيوان وتصونه وتهديه، فما بالك لو صاحبها العقل والتفكير السليم ...

عزيز أحمد فهمى

حتى مياه المنزل داخل المواسير ومياه نهر السين تحولت وباتت جسماً صلباً لايتحرك ، ولـكن جزيئات هذه الأجسام على برودتها الشديدة التي بلغت فى بعض الأيام عشرين درجة تحت الصفر احتفظت بنوع من الذبذبة هو دليل حرارتها مهما كانت منخفضة

هذه الحركة الدائمة فى الغازات والسوائل والذبذبة المستمرة فى الأجسام الصلبة أصبحت من الأمور التى لا تقبل الجدل ، وقد سألنى بعض القراء الذين تابعوا مقالاتى هل توصل العلماء إلى رؤية حركة الجزيئات داخل الأجسام أو أنهم اعتبروا هذه الحركة موجودة لأنها حققت الـكثير من الظواهر الطبيعية ؟ وبعبارة أخرى ، هل هذه الحركة مجرد فروض علمية أو هى حقيقة واقعة يمكن أن ترى أثرها العين ؟ هل من سبيل أن نرى مثلاً حركة الجزيئات فى نقطة من الماء ؟

وجوابى أن هذه الحركة بين الجزيئات حقيقية يمكن أن نرى أثرها ، وأنه من الأمور العادية أن تقوم داخل المختبر ببعض التجارب التى ترى خلالها أثر حركة الجزيئات داخل السوائل وتصادمها مع غيرها ، وهكذا عندما ذكرنا فى مقال سابق نقطة الماء على ورقة من الشجر داخل حديقة ساكنة ، وقلنا إن هذه النقطة بعيدة جد البعد عن السكون وأنها مكونة من ملايين العوالم وأن كل عالم منها فى حركة دائمة ، كنا رأينا كثيرنا الحركة الناتجة من اصطدام هذه العوالم بعضها بالبعض ، وما على الذين يريدون أن يستمتعوا برؤية أثر هذه الحركة الداخلية بين الجزيئات إلا أن يمزجوا بهذه النقطة من المـاء نقطة من سائل كولويدى أى مكون من الجسيمات الصغيرة المعلقة كمحلول البرمنجانات أو الحبر ويفحصوا المخلوط الجـديد تحت الألترامیكرسكوب .

إن هذه الجسيمات الغريبة من البرمنجانات أو الحبر تقع بين ملايين العوالم المـكونة لنقطة الماء ، تلك العوالم التى تتحرك دائماً حركة لا يؤثر عليها سكون الحديقة ولا يغير فيها تعاقب الليل والنهار ، وهى بهذا تصطدم مع الجسيمات الداخلة بينها والتى نرى حركتها بشكل واضح

أذكر يوماً تقدمت فيه للأستاذ كوتون رئيس المجمع العلمى الفرنسى لأقوم بأبحاث طبيعية فى مخبره بالسوربون . قدمنى الأستاذ الـكبير لزميله موتون واقترحا على فى ذلك الحين أن أشتغل قليلاً ببعض العمليات الألترامیكروسكوبية ، وهكذا ظللت أعمل بضعة أيام بذلك الألترامیكروسكوب التاريخى الذى كان منا اكتشافهما .

كل من يطالع اليوم التاريخ المجيد الذى حازته العلوم الطبيعية فى القرن الحالى يعلم أن فى أوائل هذا القرن نشر الشابان كوتون وموتون طريقتهما الجديدة فى رؤية الأشياء الصغيرة التى لا يراها الميكروسكوب العادى وأن لهما فى ذلك أبحاثاً هامة(١)

إن العين تتأثر بأشعة الضوء عند ما تقع طول موجاته بين حدود معينة هى من ٤/١٠٠٠٠ إلى ٨/١٠٠٠٠ من الليمتر ، بحيث أنه يمكن للعين أن ترى الجسيمات الصغيرة بوأسطة الميكروسكوب ما دامت لا تصغر هذه الجسيمات عن حد معين مرتبط بطول موجة الضوء المرئي ، ولـكن كثيراً من الجسيمات التى نصادفها تقل عن هذا الحد من الصغر ، لهذا وقف فى بادئ الأمر التقدم الطبيعى عند هذه الحدود

إن جسيما يقل فى العـادة عن ١/٢ أو ١/٣ من الميكرون (الميكرون ١/١٠٠٠ من الليمتر) لا يعطينا بالميكروسكوب صورة واضحة للجسيم ، ولا يمكن بمجرد النظر فصل أجزائه المختلفة ، ولـكن كوتون وموتون فهما أننا لا نرى فى السماء الـكواكب بذاتها وإنما نرى مواضعها ، وهكذا استطاعا بإنارة معينة أن يريا فى مجال الميكروسكوب الجسيمات المتناهية فى الصغر ، وأدركا أن هـذا الجسيم الذى لا نراه بالميكرسكوب إذا أضيء إضاءة جانبية مماسة يرسل فى كل الجهات أشعة مبعثرة Diffractés ، بحيث يظهر فى الميكروسكوب بقعة مضيئة لا تشبه الجسيم ، ولـكن تدل على وجوده .

وتتلخص تجربتهما فى أنهما وضعا نقطة من السائل المراد فحصه ، والحامل للجسيمات الـكولويدية على كتلة من الزجاج ووضعا عليها شقفة(٢) رفيعة من الزجاج ، وقد استعملا لإنارة السائل قوساً كهربائياً من الفحم(٣) بحيث كونا صورة طرفى الفحم المضيء داخل نقطة السائل المراد فحصها ، والموضوعة على كتلة الزجاج ، وتحت الشقفة فى محور الميكروسكوب .

على أن الجزء الهام فى تجارب كوتون وموتون هو أن الأشعة

(١) يرى القارئ طريقة كوتون وموتون فى كل المراجع العلمية كما يراها مشروحة شرحا وافيا فى كتاب الألترامیكروسكوب والأشياء المـكروسكوبية لـكوتون وموتون . الطابع ماسون باريز سنة ١٩٠٦

(٢) نقصد بالشقفة اللوحة الزجاجية الرفيعة المستعملة لحمل العينات الألترامكروسكوبية وتسمى بالانجليزية Slide وبالفرنسية Lamelle

(٣) كل شخص يستطيع أن يصنع بنفسه قوسا كهربائيا (المستعمل فى الفانوس السحرى) بأن يضع عمودين من الفحم من نوع خاص متقاربين ويمرر بينهما تيارا كهربائيا فيتكون فى طرفيهما شرارة قوية مستمرة

مائلة للدرجة التى يحدث فيها الانعكاس الكلى Réflexion totale على السطح الفاصل بين الهواء والشقفة الزجاجية بحيث لا يصل إلى الميكروسكوب إلا الضوء المنبعث من الجسيمات الألترامكروسكوبية التى نراها فى هذه الحالة كما نرى النجوم ، ويعتقد زيجموندى Zeigmondi أنه استطاع أن يعرف وجود جسيمات من الذهب يبلغ قطرها ٦ / ١٠٠٠ من الميكرون أى أصغر بكثير من واحد على مليون من الليمتر

إنه لمشهد رائع أن ترى هذه النجوم تروح وتجىء وترتفع وتهبط ويطول سيرها طوراً ويَقْصُر تارة أخرى وهى بهذا تذكرنا بالناورات الليلية البديعة التى يقوم بها سلاح الطيران المصرى خاصة بالكشف عن الطائرات ، فهذه النقط المضيئة فى السائل تشبه الطائرات المرتفعة ليلاً فى كبد السماء عند ما يقع على إحداها أنوار الكشافات من كل صوب ، فإننا نرى جسماً ساطعاً فى السماء يتحرك جيئة وذهاباً وهى تسطع كالنجوم فى الليل الدامس

وهكذا عند ما صعدت إلى تلك الغرفة أول مرة لأقوم فيها ببعض التجارب على هـذا الجهاز التاريخى رأيت فى نقطة من المحلول الكولويدى السماء كأنها ترتسم أمامى ... رأيت فى النقطة الصغيرة الجسيمات كالنجوم الساطعة فى ليلة حالكة مع هذا الفارق وهو أن الأجرام الصغيرة داخل النقطة فى حركة دائمة شاءتها أسباب طبيعية كما شاءت أسباب فوتوكيميائية «الهابوش» المسكين أن يجتمع مجبراً ويدور قسراً ويتصادم عفواً طول الليل حول المصباح التالق

على أن ما يجعل لهذه التجارب أثراً فى نفسى أننى لم أقم بها على الألترامكروسكوب التاريخى فحسب ، بل فى ذات الحجرة المتواضعة التى أجرى فيها « جان بيران » تجاربه الخالدة ، تلك التجارب الخاصة بالحركة البراونية ، والتى استعمل فيها الجهاز الألترامكروسكوبى المتقدم الذكر ، فى هذه الحجرة المتواضعة الواقعة فى الطابق الثالث من السوربون ، والتى تطل على مكتب بريد الحى اللاتينى فى شارع كيجا ، استطاع جان بيران أن يعين بطريقة تدعو للاعجاب شحنة الألكترون ، وهى الطريقة التى سنشرحها للقارئ عند ما ننتهى من الكلام عن الجزىء والذرة ونشرح الألكترون

وقد تتبع بيران حركة الجزيئات أياماً طويلة واستطاع بالاستعانة بقوانين وضعها العالم الكبير أينشتاين ، قوانين كانت باكورة أعماله فى سنة ١٩٠٦ ، أن يعطى أهم النتائج التى نعرفها عن الحركة البراونية أو الداخلية للأجسام ، تلك الحركة التى اكتشف فيها توزيعاً لوغاريتمياً يشبه التوزيع الذى اكتشفه لابلاس لجزيئات الهواء ، وهذه التجارب الأخيرة جزء من الأعمال التى أتمها بيران فى سنة ١٩٠٩ والتى منحه من أجلها المجمع السويدى جائزة نوبل للطبيعة لعشرين عاماً بعد ذلك التاريخ

وهكذا يستطيع اليوم أى طبيب بعيد عن المختبرات أن يُعيد تجارب كوتون وموتون بأن يُكَوِّن داخل النقطة المراد فحصها صورة مصباح على طريقتهما ، ويتأمل الحركة الأبدية داخل أصغر نقطة من رذاذ الماء

وهكذا نجحت طريقة كوتون وموتون اللذين فهما من أول لحظة أنه لا بد فى فكرة إنارة الجسيمات من وجود طريقه لرؤيتها ، وهكذا يتعلق النجاح فى الأعمال على درجة فهم الإنسان لأصول الأشياء ودرجة إدراكه للحقائق ، وعند ظنى أن شيلز وشيل وودجود[1] الذين مهدوا لاكتشاف جهـاز التصوير الشمسى بأبحاثهم الخاصة بأثر الضوء على نترات الفضة ، أدركوا قبل كل شىء أن فى أشعة الشمس أسراراً تمكننا من أن نرى الأشياء مرة أخرى[2] بل أن ليبمان Lippmanni أستاذ السوربون لم يكتشف فيما بعد التصوير الشمسى بالألوان إلا لأنه فهم بدرجة دقيقة فكرة التداخل الموجى للضوء Intérférence

* * *

نعود الآن بالقارئ إلى فكرة ليبنز Leibniz من أن الحركة بين جزيئات السائل التى ذكرت للقارئ إمكان رؤيتها عملياً ، لا تسبب الحرارة بل إنها هى الحرارة نفسها ، فنقرر أن اختلاف إحساسنا للحرارة عن إحساسنا للحركة لا يدل على أن الظاهرتين مختلفتان ، والواقع أن بين أعصابنا ما يجعل شعورنا يختلف إزاء الحركة أو الذبذبة المستمرة للجزيئات ، فلا نسجلها كشعور للضغط ولكن كشعور لكمية جديدة نسميها الحرارة

هذا الجمع بين الظاهرتين فى ظاهرة واحدة يعد تقدماً كبيراً للعلوم وللانسان وريث هذه العلوم ، ولا شك أن النجاح العلمى معقود اليوم على ربط الظواهر الطبيعية بعضها ببعض وإرجاعها ما أمكن إلى أصل واحد ، وعند ظنى أن ليبنز وبيران وغيرهما

(١) قام شيلز J. H. Chulze بتجاربه فى سنة ١٧٢٢ وشيل K. Chule بتجاربه فى سنة ١٧٧٧ وودجود T. Wedgood فى سنة ١٨٠٢

(٢) مما هو جدير بالذكر أن جهاز التصوير الشمسى يستند فى أسسه على فكرة قديمة للخازن أو ابن الهيثم فى سنة ١١٠٠

يقدمون بهذا النوع من التوحيد فى الظواهر الطبيعية من الخدمات للانسان أكثر من هؤلاء الذين اخترعوا لنا القاطرة أو الطائرة

أن نترك على جريدة موضوعة على منضدة كوباً من الماء فيهب النسيم بشدة على هذه الجريدة فيرفعها بعنف ويرفع معها الكوب فيقع على الأرض ويتدفق منه الماء ـ أمر لا يدهش . ولكن أن نعرف حركة ما بداخل الكوب من جزيئات ونعرف أن هذه الحركة هى ظاهرة الحرارة ـ أمر يعتبر فى صميم تقدم معارف البشر

كذلك أن ترفعنا قطعة من الألومنيوم ، رتبنا فيها مقاعد للجلوس ، من الأرض إلى طبقات الهواء ، وأن نجعل الظروف الطبيعية التي وقعت على الجريدة والكوب من رفع الهواء لهما ظروفاً مستمرة بالنسبة لقطعة الألومنيوم فنسافر على هذه القطعة من القاهرة إلى الإسكندرية أو من القاهرة إلى لوندرة وذلك بالسيطرة على عاملين: العامل الأول دائرة كارنو واحتراق البنزين، والعامل الثانى دوران المروحة Helice لدفع الهواء ـ مسائل يجب ألا تدهشنا ولا نعتبر أنها ذهبت بنا بعيداً فى التقدم — وأما أن نعرف ما يدعونا إليه ليبنز وأمثاله ، وأما أن نعرف طبائع المسائل ونرجع بالظواهر إلى صورها الحقيقية، وأما أن نحاول توحيداً فى ظواهر الكون، فإن هذه خطوات جريئة إلى الأمام .

***

وعند ظنى أنه فى اليوم الذى يُرجع فيه العلماء كل مظاهر الكون إلى قليل من الظواهر ، وكل جزيئاته إلى قليل من العوامل والمكونات الأولى، نكون قد صعدنا أرفع الدرجات فى سلم المعرفة

أجل : إن فى اليوم الذى نُرجع فيه كل ما فى الكون من مادة حية وأخرى عديمة الحياة من إنسان وحيوان ونبات وجماد ، من كل مظاهر الضوء والمادة والكهرباء بل والقوى ، إلى حوادث زمنية مكانية Spaço - temporel يلعب على مسرحها عدد قليل من المكونات التى يغلب على ظنى أنها لا تتعدى الألكترون والبوزيتون والفوتون والنيترون نكون قد سرنا بالعلوم إلى أقصى الدرجات وبالفلسفة إلى أعلى المراتب بحيث يصبح كل ما نراه ونسمعه ونشعر به، وكل ما يخطر على بالنا ويجول بأنفسنا يجد تفسيراً مادياً فى اختلاف موضعى وزمنى لهذه المكونات وما يتفرع منها

عندئذ نكون قد فهمنا من الكون أكثر مما نفهمه اليوم . ولو أننا وُفقنا بعد ذلك إلى التغلغل فى معرفة حقيقة الزمن والحيز فإن التقدم عند ذلك يفوق كل قدر

لا شك أن ليبنز وبيران وغيرهما خطوا بنا فى هذا السبيل . لقد أردت أن أتحدث إلى القارئ عن نتائج فلسفة ليبنز فأحدثه عن عمل « ماير » و « بولتزمان » ولكن تجارب كوتون وموتون الإيجابية وأسئلة القراء التى تكرموا بتوجيهها إلينا والرد عليها بذكر تلك التجارب التى تعد آية فى العلم التجريبى طغت على كل تفكير ، لذلك آخذ العدة لما فاتنى فى مقال آخر .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

من هنا ومن هناك

نابليون العرب – عن مجلة «فى VU » البارسية

ابن السعود، وهو يحكم منطقة تعادل المناطق المجاورة له جميعها، ويملك جيشاً كبيراً مجهزاً بالأسلحة الحديثة ، ويستمتع بشهرة عظيمة بين الممالك الإسلامية بمقدرته على حماية الأماكن المقدسة ، سيكون له تأثير كبير ونفوذ دائم على الشرق الأدنى

لذلك يلجأ إليه كل من تحدثه نفسه بالشئون السياسية فى تلك البلاد

وهو رجل قوى رزين لا يطلع أحداً على أسراره ، حتى أخص أصدقائه ومعاونيه أمثال عبد الله الفادى وحافظ وهبة

وابن السعود مسلم محافظ يحكم بقواعد القرآن وتعاليمه . وهو لا يشرب الخمر ولا يدخن، ويؤدى فروضه الدينية خمس مرات فى اليوم . ويزيد طوله قدماً على المستوى المألوف فى الرجال . جميل الطلعة ذو لحية وأنف طويل ، وفم عريض يدل على القوة والمرح

وقد مرض مرضاً طويلاً أصاب إحدى عينيه ، حتى لا يكاد يبصر بها . أما فيما عدا هذا فهو قوى صحيح لم يؤثر فيه الكفاح بحال من الأحوال

وهو رجل ثابت كالطود يطيل التفكير فيما يعرض عليه ، ويتكتم أموره عن كل إنسان حتى ليتساءل الناس ماذا عسى أن تكون نياته فى مشكلة فلسطين

ومن المعروف عنه قوله : « إننى مسلم أولاً وعربى ثانياً »

وحياة ابن السعود جهاد مستمر فى توجيه قوى العرب نحو المصلحة العامة . وهو يعمل بجد لإزالة العراقيل التى يضعها الشيوخ فى سبيل تنفيذ مبدأ ضم الدول الصغيرة فى الشرق الأدنى

ويبلغ الملك ابن السعود الآن الثامنة والخمسين من عمره ، وينحدر من سلالة سعود العظيم الذى أحرز ملك العرب فى أواخر القرن الثامن عشر . وقد تبع والده فى منفاه بالكويت حين أمر بنفيه ابن رشيد حاكم الكويت

وما كاد يبلغ ابن سعود العشرين حتى ترأس فريقاً من البدو وهاجم الرياض واحتل حصونها . وبضربة واحدة استطاع أن يضع نصف نجد تحت إمرته .. وقد كان هذا فى أوائل القرن العشرين !

وما زال ابن سعود ينال انتصاراً يتلوه انتصار فى ميادين الحرب والسياسة حتى تغلب على منافسيه وأنداده وأصبح أمير العرب

وقد نجح فى تطهير بلاد العرب من اللصوص والقتلة ، وأصلح الحالة المالية وألف فى بلاده أقوى جيش عرف فى الشرق الأدنى

ولابن سعود كل الخصائص التى تجعله يقود أمة عظيمة ؛ فهو على ما هو عليه من المهابة يجمع بين قوة القائد العربى والرجل السياسى . ومع أنه رجل محافظ متدين لا يأبى أن يفكر فى الواقع ويساير المدنية بقدر الإمكان

وقد استحدث فى بلاده العربات الضخمة والسيارات الحربية التى تطوى الأرض من نجد إلى الحجاز . وأنشأ محطة للإذاعة بالرياض ووضع خطوط التليفون التى تصله بجميع أنحاء العالم . واستنبط الآبار الارتوازية تتفرع منها الجداول والغدران لرى الأرض . ويقال إن ابن السعود أمر بقتل أحد ضباطه لارتكابه جرماً يخالف الدين ، وإنه عرض حياته للخطر لإنقاذ طفل صغير

هل تستطيع ايطاليا أن تهاجم تونس – عن الديلى تلغراف

تسعة أعشار سكان تونس من العرب المسلمين لا ينظرون إلى إيطاليا بعد تلك الكارثة التى أوقعتها بألبانيا بعين الراحة والاطمئنان

وقد استطاعت فرنسا أن تهيمن عليها ، وتخمد كل حركة من شأنها أن تنل من يدها ، أو تقلل من نفوذها . وقد كان فتح إيطاليا لألبانيا من أقوى المحرضات للعرب وعددهم ٢٢٥٠٠٠٠ نفس على كراهية الحكم الإيطالى . وقد بدأت الدعايات تبث فى تونس ضد الحكم الإيطالى ، والألسنة تلهج بشرح مبادئ حامى الإسلام !

وقد تحمل هذه الدعايات كثيراً من المبالغة فى شرح وحشية الإيطاليين . فقصة رمى الناس من الطائرات قد تكون من اختراع الخيال ؛ إلا أن مثل هذه السير تنتشر فى تونس ولها أثر غير قليل فى تسوىء سمعة الإيطاليين

وتؤلف الآن فى تونس بعض الفرق من الجنود غير النظاميين ، بقيادة بعض الضباط الفرنسيين ، وهمها أن تهاجم طرابلس فى وقت من الأوقات

أما باقى السكان وقدرهم مليونان فهم يميلون إلى الفرنسيين ويفضلونهم كثيراً على الايطاليين الذين يسكنون تلك البلاد . فالايطاليون يزاحمون السكان فى شئون الحياة والمعيشة وينافسونهم فى الأعمال الصغيرة مما لا يقبله الفرنسيون

ومن الإحصاءات الفرنسية لسنة ١٩٣٦ المعدلة فى ١٩٣٩ أن عدد السكان الفرنسيين فى تونس يبلغ ١٠٨٠٠٠ فرنسى وعدد الإيطاليين ٩٨٠٠٠ إيطالى وقد تجنس بالجنسية الفرنسية من السكان الإيطاليين ١٦٠٠٠ نفس

وقد اتخذت فرنسا تدابير قوية ضد الأعمال السرية التى تقوم بها إيطالية ، فوضعت الحراسة الحربية على الطرق والكبارى والمرافق العمومية ، وقد قامت بعدة تجارب لصد أية محاولة من قبيل محاولة إيطاليا فى صقلية وفى ألبانيا أخيراً ، وقد زرع خليج تونس بارجال والمعدات الحربية على طول الطريق ووضعت مضادات الطيارات فى جميع الأنحاء

وبدأت فرنسا تحصى عدد العمال الإيطاليين فى تونس وتراقبهم . وقد استبدل بالإيطاليين الذين كانوا يشغلون مراكز كبيرة غيرهم من الفرنسيين . إذ أن الإدارة الفرنسية تعتقد أن عشرين ألفاً من الإيطاليين أى ٢٠ ٪ منهم فاشست عاملون . أما الباقى فينتسبون إلى صقلية ويعيشون فى تونس منذ أربعة أو خمسة أجيال ولم يحدث منهم ما يكدر السلام؛ وهؤلاء سيبقون مدة الحرب على ماهم عليه

وما زالت فرنسا تزيد فى استعدادها ، وقد أنشأت خطاً حديدياً يمر من الجزائر إلى تونس وهى على استعداد وتأهب لمقابلة الحرب فى أى وقت

فهاجمة تونس على هذه الحالة تعد نوعاً من المجازفة والجنون

بحث فى مشكلة المستعمرات

[عن « ذى جورنال أوف رويال سوسايتى أوف أورتس »]

مسألة المستعمرات من المسائل التى تتعارض فيها رغبات الأمم الديمقراطية : إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة، مع رغبات الدول الثلاث المتحدة : ألمانيا وإيطاليا واليابان . وحجة هؤلاء هى أن دول الديمقراطية تملك من المستعمرات ما يكفيها ويفيض عن حاجتها ، بينما هى لا تملك ما يسد عوزها

فالمشكلة فى هذا الموضوع هى المشكلة الأبدية بين الذين يملكون والذين لايملكون ،مشكلة الراضين المكتفين والمحتاجين المتبرمين

فماذا يجب أن تفعل الدول ذوات المستعمرات العظيمة الشاسعة؟ لقد مضى الوقت الذى كان يتمتع فيه أصحاب الثراء ولا يجدون من ينازعهم هذه المتعة ويحقدها عليهم

إن ضريبة الثراء موجودة منذ أقدم العصور. ولعل مما يزيدها ويضاعف أثرها نظرة إلى المال الذى يكتسبه أصحابه بالجد والعمل المضنى ، والمال الذى يئول إلى أربابه دون أن يبذلوا فى سبيله أى جهد ، فإما أن يكون قد آل عليهم عن طريق الاغتصاب والظلم أو عن طريق الميراث

ولقد أخذ الناس يفكرون فى أصحاب الثروات الكبيرة ، ويفرضون رقابتهم عليهم حتى يتحققوا من أن هذه الثروات لا تنفق فى سبيل الملذات والأهواء الشخصية ، دون أن يكون للمواطنين نصيب من الانتفاع بها . وقد تقدم هذا المذهب فأصبح يشمل الدول كما يشمل الأفراد . وليس لهذا المذهب من سلطة غير قوة الرأى العام التى تفرض إرادتها على الأفراد .

ونحن الآن نرى حركة جديدة بين الأمم ، لإلزام كل أمة مراعاة ذلك : وهذه الحركة ترمى إلى مطالبة الأمم التى تملك المستعمرات بأن تكون وفية أمينة لأبناء تلك المستعمرات من ناحية ، وأن تراعى المصلحة العامة فى استغلالها .

يقال إن الاستعمار طريقة لتخفيف ازدحام السكان ، والواقع خلاف ذلك؛ فعدد الأوربيين فى أواسط أفريقيا يدل على أن الدول الأوربية لا تستفيد من هذه الناحية . فمن الواجب ملاحظة الجو فى تلك المستعمرات ، وإعداد رأس المال لإصلاح تلك البلاد ، وملاحظة حقوق الأهلين .

مما لا شك فيه أن لكل أمة تقاليدها وأحوالها الاقتصادية؛ ومعنى هذا بالبداهة أن الأمم التى لا تستطيع أن تعيش على غير الصناعة ، يجب أن تستولى على أرض تستخرج منها المواد التى تتطلبها . (البقية فى ذيل الصفحة التالية)



١ – المرأة القارئة

فى الأعداد السابقة من (الرسالة) دارت بينى وبين الصديق الأستاذ زكى طليمات، مناظرة محدودة الأطراف، على جمهور القراء. والمتحصل مما أذهب إليه أن اعتقادى أن فى مصر طائفة من المهذبين الذين يميلون إلى الأدب الرفيع والإنشاء الجد. ولا شك أن الجانب الأكبر من تلك الطائفة من الرجال. وإذا أنت وازنت بين جمهور قرائنا وجمهور قراء البلدان الأوربية الراقية تبين لك أن النساء هنالك يقرأن بقدر ما يقرأ الرجال. ولقد رأيت فى ألمانية نساء يسرن فى الطرق ويجلسن فى القهوات والكتاب رفيقهن. وعرفت فى فرنسة نساء يرشدن أزواجهن وأصدقاءهن إلى نفاسة الكتب الخارجة. وكثير من نساء الفرنجة يقبلن على قراءة ما يقال له فى مصر: «الأدب الدسم» (كأننا نعنى الأدب الذى يكلف القارئ مشقة حتى إنه ينفره. والغريب أن الطعام المصرى – فى غالب الأمر – ذو دسم شديد. فلمَ نخشى على أذهاننا ولا نخشى على بطوننا؟!)

إن جمهور القراء لن يزالوا على حالهم من الخدر والنعاس حتى ترغب المرأة عن القراءة المسلية: عن روايات الجيب، والمجلة المشحونة بالصور، والكتاب الذى يكثر فيه البكاء ورسائل الغرام الشاحب؛ وحتى تكشف للرجل عما وراء الحس المباشر من خلجات وبدوات ولوامع هى أقدر منه على الشعور بها والانتفاض لها

المرأة هى المهذبة الأولى والقارئة الوفية

٢ – تاريخ الأدب العربى

وصلنى الجزء الثالث من المجلد الثالث لتكملة «تاريخ الأدب العربى» لصاحبه المستشرق العلامة كارل بروكلمن الألمانى. وقد سبق لى أن خبّرت قراء هذا الباب من «الرسالة» بمجمل ما فى الجزء الأول والثانى.

أما هذا الجزء فيتم الكلام على الشعر فى مصر لهذا العهد؛ ومن الشعراء الذين نظر المؤلف فى شعرهم: أحمد رامى، والهراوى، وعماد، وعثمان حلمى، وخليل شيبوب، وابرهيم ناجى، والعقاد، والمازنى، وحسن كامل الصيرفى، وعلى محمود طه، وصالح جودت، والهمشرى، وعلى الجارم، ومحمود حسن إسماعيل، وسيد قطب، ومختار الوكيل، وبشر فارس. على أن العقاد والمازنى شغلا ما يقرب من ربع الجزء (وهو يقع فى ثلاث وستين صفحة).

ومما حاوله المؤلف الفحص عن مصادر الأخذ والاستلهام. فجاءت المصادر على نوعين: عربى وإفرنجى. أما العربى فالشعر الاتباعى القديم؛ ثم شعر شوقى وصبرى؛ ثم شعر خليل مطران؛ ثم شعر مدرسة أبوللو، وعلى رأسها أبو شادى؛ ثم شعر العقاد. وأما الإفرنجى فالابتداعيون الفرنسيون، وطائفة من الشعراء الإنجليز؛ ثم فرلين وبودلير.

وجاء الكلام بعد هذا على الشواعر، فذكر المؤلف عائشة التيمورية وأمينة نجيب وجميلة العلايلى ومنيرة طلعت.

إن الطبيعة قد حرمت الأمم كافة من أن يكون لديها الأرض التى تغلها جميع المواد التى تحتاجها. فالولايات المتحدة تعتمد على المصادر الخارجية لاستكمال ما تحتاجه من المواد؛ وكذلك بريطانيا وألمانيا واليابان. ولا توجد أمة واحدة تملك الأرض التى تغلها كل ما تريد إلا إذا كانت تملك العالم أجمع

فيجب والحالة هكذا أن يكون الموقف متعادلاً بين الذين يملكون والذين لا يملكون. ولا يكون ذلك بالتنازل عن المستعمرات، ولكن بمراعاة مصالح الدول المحرومة منها وإيجاد الطرق الودية التى تكفل لها الراحة والسلام

وختم المؤلف الكلام على الشعر بفصل فى الزجل ، فذكر خليل نظير ومحمد عبد النبي وعزت صقر ومحمود رمزى نظيم . ثم انتقل إلى الشعر فى السودان

هذا وإن المؤلف أجرى الكلام على غير الشعر إذا كان الشاعر ممن يعالج صناعة النثر . من ذلك فصوله فى كتب العقاد والمازنى وبشر فارس

وأما مراجع المؤلف فالدواوين والمؤلفات المطبوعة ثم المقتطف والهلال والرسالة وأبوللو والحديث . بقى أن هذا الجزء يستهل فى آخره باباً جديداً موقوفاً على القصص والاسترسال Essay فى مصر أيضاً ، وفيه تناول المؤلف بالبحث المتصل : جميل نخلة المدوّر وجرجى زيدان وأحمد حافظ عوض وفرح أنطون

وبعد ، فلى فيما ذهب إليه الأستاذ بروكلمن من الفحص عن مصادر الأخذ والاستلهام نظر سأبسطه يوم يخرج المجلد الثالث كاملاً

٣ — فى اقتباس الكتّاب

كتب الدكتور اسماعيل أحمد أدهم رداً طويلاً فى العدد الماضى من الرسالة على كلمتى فى بحث له . وإنى أكره أن أطلق قلمى فى مناظرة تنحرف فيها القضايا وتجتلب الحجج وينبو القلم

إلاّ أنّ هنالك أمراً محسوساً لا أستطيع إهماله . وقصة ذلك أنى قلت فى كلمتى (الرسالة رقم ٣١٠ ص ١١٧٦) « ... وكأنى بالدكتور أدهم اقتبس منى (انظر « مباحث عربية » ص ٧٦) هذا التعبير : « جملة صلات اجتماعية » مع ما ينظر إليه باللغة الفرنسية أى une somme de rapports sociaux ... »

وفى رد الدكتور أدهم : « رأى الكاتب (يعنينى) أننا استعرنا اصطلاح « خلق جملة صلات اجتماعية » من كتابه « مباحث عربية » والواقع عكس ذلك . إن هذا الاصطلاح قد دار على قلمنا من قبل صدور كتابه هذا ونجده فى دراستنا عن اسماعيل مظهر حين تكلمنا عن آرائه الاجتماعية فى Z. R. G. J. م ٣٦ ص ٤١١ هذا فضلاً عن أن هذا الاصطلاح من جملة ما يجرى على أقلام كتاب عصرنا هذا ، وإذن فلا يمكن القول بأنه من الاصطلاحات التى استحدثها الكاتب »

على أن الدكتور أدهم لم يثبت الجملة التى ورد فيها ذلك التعبير فى دراسته لاسماعيل مظهر ، ولم يستشهد بما « يجرى على أقلام الكتاب » ، حتى أتبيّن على أى وجه ورد التعبير . ثم إن المجلة التى نشر فيها دراسته لإسماعيل مظهر لا أعرف كيف يكون الاهتداء إليها حتى أراجعها (وأرجو منه أن يبعث بها إليّ) .

وسواء أستعمل الدكتور أدهم ذلك التعبير قبل ظهور كتابى أم لم يستعمله ، فالمهمّ أن يقول لى هل كتب إزاءه التعبير الفرنسى : une somme de rapports sociaux كما صنعت فى كتابى ؟

وأنا أدرى من باب التجربة العملية أن علم الدكتور أدهم باللغة الفرنسية لا ييسر له ذلك .

وبعد فإن الدكتور أدهم قد اقتبس مما جرى به قلمى غير هذا التعبير . وحسبك الموازنة بين ما جاء فى بحثه فى توفيق الحكيم، ابريل ١٩٣٩ (ص ٣٦١ س ٦و٧؛ ص ٣٦٨ س ١٩ — ٢١) وما جاء فى صدر توطئة « مفرق الطريق » (مارس ١٩٣٨) وفى نقدى لكتاب شهر زاد (المقتطف يونيه ١٩٣٤ ص ٧٣٣)

هذا وكأن الدكتور أدهم شاء أن يبذل لنا الدليل على ذلك ، إذ كتب فى بحثه فى توفيق الحكيم ص ٣٦١ ما حرفه (وازن أيضاً بين هذا الفصل وما جاء فى ردّ الدكتور أدهم فى العدد الأخير من الرسالة ص ١٢٢٦) : « وكان كلف توفيق الحكيم باستنباط ما وراء الحس من المحسوس وإبراز المضمر أن اضطرب عقله (؟) ... ومن هنا جاءت اليقظات الرمزية فى فنه ... ولقد قوى من الاتجاه الرمزى فى فنه أنه نتيجة لإعيائه عن معرفة حقيقة النفس ولوامعها وبوادرها (كذا) جعلته يلتفت لعلم النفس الحديث ويخلص من دراسة تجارب (شاركو) فى التنويم والإبهام و (ريبو) فى الأمراض النفسية و (فرويد) فى أحوال اللاواعية و (برجسون) فى تغليب المضمر الذى فى النفس على البارز ... »

والآن خذ ما سطّره قلمى فى الرسالة رقم ٢٥١ ص ٧١٢ (٢٥ إبريل ١٩٣٨) : « إن المسرح الحديث وإن سماه أهل الفن: المسرح الرمزى ، من باب الاصطلاح ، لينهض على عناصر تزيد على التى عرفتها الرمزية الأولى : ينهض على نتائج علم النفس الحديثة (تجارب شاركو فى التنويم والإبهام ، وريبو فى أمراض الذاكرة والإرادة الشخصية ، وفرويد فى أحوال العقل الباطن ،

ويرجسون فى تنلب المضمر الذى فى النفس على البارز ... »

هل رأيت كيف يكون النقل مع استبدال لفظة مكان أخرى أحياناً (هنا : « العقل الباطن » ، وهناك : « اللاواعية » ؛ ثم هنا : « أمراض الذاكرة والإرادة الشخصية » ؛ وهناك : « الأمراض النفسية ») ؟

أما هذان التركيبان : « استنباط ماوراء الحس من المحسوس وإبراز المضمر » فأخوذان أخذاً من مسرحيتي « مفرق الطريق » (ص ٦ س ٧ ، ٨) حيث يجرى الكلام على عرض طريقتى الرمزية . وكذلك هذا التركيب : « لوامع النفس وبوادرها » ؛ إلا أن الدكتور أدهم قرأ : «بوادر» ، وفى الأصل « بواده » ، وهو الوجه هنا . واللوامع والبواده من اصطلاحات الصوفية ، وقد شرحهما القشيرى فى رسالته ، وعلى الدكتور أدهم التفتيش

وبعد : فهذه كلمة كتبتها مُكرهاً لأنى غير ميال إلى مثل هذا اللون من « وضع الشىء موضعه » . فنى شؤوننا الثقافية ما هو أجل شأناً . غير أن القلم ربما حركه ما لا يرضيه. وعلىّ عهد أنى غير عائد إلى مثل هذه الكلمة مهما كتب الدكتور أدهم

بشر فارس

التبادل الثقافى بين مصر والسودان

عقدت فى وزارة المعارف لجنة لدراسة المقترحات التى قدمت فى موضوع التبادل الثقافى بين مصر والسودان .

وقد اتخذت هذه اللجنة قرارات علمنا أن من بينها ما يأتى :

إيفاد خبير تعليمى إلى السودان ، وإسناد هذا المنصب إلى ناظر مدرسة الخرطوم الثانوية المزمع انشاؤها فى العام القادم على أن يكون متصلاً بخبير مصر الاقتصادى فى السودان .

وضع سياسة لتبادل البعثات العلمية ، فتفد إلى مصر بعوث الأساتذة والتلاميذ السودانيين فى الأجازات الدراسية ، وتزور السودان مثل هذه البعوث . وأن يكون تبادل الرحلات العلمية بين البلدين فى نطاق أوسع ، وإن تنشأ مكتبة تلحق بمكتب الخبير الاقتصادى . وذلك رغبة فى نشر الثقافة المصرية فى السودان ، على أن تهيئ مصر للسودان نظاماً يقف المصريون به على الإنتاج الفكرى لإخوانهم السودانيين .

وهناك اقتراح بتبادل الأفلام السينمائية الثقافية بين البلدين ومعاونة النادى المصرى فى السودان على التوسع فى الغايات التى قام من أجلها . وكذلك اقترح توفير العناية بالثقافة الدينية ، والعمل على إنشاء فرق لحفظ القرآن الكريم ، أسوة بما هو متبع فى مصر .

وقد درست اللجنة مسألة تنظيم قبول التلاميذ السودانيين فى المدارس المصرية ، وخاصة بعد إنشاء المدرسة الثانوية الجديدة فى الخرطوم ، وانتظار زيادة المتخرجين فيها ، ورغبتهم فى الالتحاق بكليات جامعة فؤاد الأول فى مصر .

الى ناقد تصحيح البخلاء ومنه

حضرة الفاضل المحترم الأستاذ محمود مصطفى

جاء فى نقدكم لتصحيح كتاب البخلاء المنشور فى العدد ٣٠٩ من الرسالة فى الصفحة الأخيرة ما يلى :

(ونحن نعترض على ضبط العبارة وشرحها . فأما الضبط فنرى أنه ينبغى أن يكون هكذا :

« إذا حُبسَ نَزفَ السحابَ ، وأما المعنى فهو : لو قدم إليه من الطعام مقداراً إذا جمع بعضه فوق بعض ... الخ »

وأنا أعترض عليكم جميعاً ، فإن فى العبارة تصحيفاً ، وصحة العبارة هكذا :

(... إذا حيس) بالياء المثناة من تحت لا بالباء الموحدة . أى خلط وعجن . والمعنى : لو قدم إليه من الطعام مقدار إذا عجن نزف السحاب

وهذا خير من تفسيركم حبس بجمع بعضه فوق بعض ، فإنه تفسير بعيد

أرجو أن تدفعوا هذا للرسالة لتنشره ما دام الغرض تصحيح الكتاب ، ولا يهمكم بعد ذلك أن تعرفونى ، ويكفى أن تعرفوا أنى من المعجبين بنقدكم وجرأتكم ، وسداد رأيكم (؟)

* * *

حضرة الأديب الجليل الأستاذ الزيات صاحب « الرسالة » :

ورد لى هذا الخطاب من مرسله الفاضل الذى ضن بذكر اسمه ، وله رأيه فى ذلك . وقبل أن أعلق على كلامه أشكره أجزل شكر على حسن ظنه بى ، وأستكثر على نفسى وصفه لى بالجرأة و ... فليس ما قمنا به إلا زكاة يجب على من ملك نصابها أن يؤديها خالصة لوجه الأدب براً به واعترافاً بحقه على خدامه .

أما رأى الأستاذ فى أن تكون كلمة حبس (بالباء) محرفة عن حيس (بالياء) وتفسيرها بمعنى عجن، فهو رأى لا بأس به، وإن اتجه إليه النقد أيضاً، لأننا فى سبيل الأخذ به سنتكلف أن نحمل الحيس معنى العجن مع أن أصل معناه الخلط. ثم إذا راعينا الدقة اللغوية كان خلطاً خاصاً، لأنه كما ذكروا خلط الأقط بالسمن والتمر، والعجن، كما نعلم، إنما يكون عادة للدقيق والماء. ويساعدنا على هذا أننا لم نر (فى حقيقة ولا مجاز) من قال حيس الدقيق أو الخبز.

محمود مصطفى

الاعتماد على المصريين فى علم الاستشراق

دعت اللجنة القائمة على نشر «الكنز العبرى» الدكتور مراد كامل إلى معاونتها على إخراج ذلك المعجم الضخم للغة العبرية وهو الأول من نوعه. وهذه اللجنة أعضاؤها من كبار المستشرقين وعلماء العبرية. ولا شك أن الذى حملهم على دعوة الدكتور مراد كامل إلى معاونتهم ما ألفه الدكتور فى اللغات السامية المختلفة. ومن أعماله العلمية نشرة «تاريخ اليهود» ليوسف بن كريون باللغة الحبشية مع موازنته بالنص العبرى والنص العربى.

واشتراك عالم مصرى فى ذلك المعجم الجليل إيذان برفعة قدر الاستشراق عندنا

أبو تمام والرمزية (تأخرت سهواً)

جرى قلم الأستاذ الكبير عبد الرحمن شكرى فى رمزية أبى تمام حين عالج البحث فيه بالرسالة فتنكر لهذه الرمزية ورمى بها من حالق غير متلبث ولا وان. وقال فيما قال: (وأستطيع أن أفهم سبب عد أبى تمام من شعراء الرمزية وإن لم يكن كذلك فإنه يكثر من استخدام التشبيه والاستعارة والمجاز، والاستعارة رمز والكناية رمز، ولكن شعراء الرمزية فى أوربا تخطوا منزلة الاستعارات والكنايات وصاروا يرمزون إلى حالات نفسية بأشياء مادية وبألفاظ أو جمل ويقطعون الصلة بين الرموز التى يرمز لها بها اعتماداً على خيال القارئ وإحساسه وأحلامه وهواجس نفسه الغامضة الخ ...) ولعمرى لو طلبنا من أبى تمام أن يستخدم تلك الرمزية الأخيرة لأقلقنا ترابه الصامت فى برزخه إذ تلك الرمزية التى عناها الأستاذ الكبير إنما هى الرمزية الناضجة التى استحصدت قواها فى أواخر القرن التاسع عشر فى أوربا وبالأخص فى فرنسا وقامت على أسس لم تعرفها الرمزية فى عهدها الأول ومن تلك الأسس التجاريب النفسية كأحوال العقل الباطن والتنويم وسوى ذلك، وقد برز فى هذه الرمزية أبطال منهم بريستلى، وهنرى باتاى، وطاغور شاعر الهند الأكبر، وجبران خليل جبران. فليس من الإنصاف أن تقاس رمزية أبى تمام على رمزية هؤلاء المتأخرين وإلا تبخرت الأولى بلا مراء، إذ لا بد أن تقام المفارقات التاريخية على أصول بعضها الزمان والمكان؛ وأبو تمام عربى تنبسط أمامه الصحراء وتنسدل حوله آفاق السماء فلا يمكن بحال أن تطلب نفسه الرمزية بهذا اللون وتؤدى بها إلى الحد الذى أدت بهم إليه، وأما فى عهدها الأول فهى بلا ريب تبسط أجنحتها على أبى تمام لتضمه إلى أعلامها. وما الرمزية إلا اتجاه نفسى يسلك للتعبير عما فى متاهات النفس من الأشباح العصبية المتغلغلة فى الإبهام والغموض فتبدو مرموزاً إليها فقط كى يدل الرمز على المعنى المقصود من قريب أو بعيد، وفى ذلك جهد الشاعر. وإذا ما بسطنا بين أيدينا ديوان أبى تمام وجدناه حالياً بكثير من الشواهد الرمزية على هذه الطريقة وأسوق منها طاقة صغيرة فيما يلى:

بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها ... تنال إلا على جسر من التعب

بخديه دقائق لو تراها ... إذاً لسألت عنها فى المعانى

وقديماً ما استنبطت طاعة الخا ... لق إلا من طاعة المخلوق

لى عبرة فى الخد سا ... ئرة وبيت سائر

وبوجنتيه بدائع ... للجلنار ضرائر

نقشت كف الملاحة فى ... وجنتيه أظرف النقش

يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقى اللحاء

تفاحة جرحت بالدر من فيها ... أشهى إلىّ من الدنيا وما فيها
حمراء فى صفرة علت بغالية ... كأنها قطفت من خد مهديها

وفى الديوان انتزاعات نفسية وألوان حسان تؤيد ذلك وبالأخص فى قصاره التى دبجها فى الغزل والنسيب.

أحمد عبد الرحمن عيسى

كتاب الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة

أرسل إلينا الأستاذ الجليل (القارئ) مقالاً عن هذا الكتاب قبل أن يصدر العدد (٣١١) بيومين، وقد ضاق عنه هذا العدد أيضاً؛ فنعتذر للأستاذ من هذا التأخير، وسننشره شاكرين فى العدد التالى.



مباحث عربيـــة

تأليف الدكتور بشر فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

أما المبحث الثالث ففى « المروءة » وقد نشر فى الأصل بالفرنسية مختصراً فى « تكملة دائرة المعارف الإسلامية » . وفى هذا المبحث يبرز الباحث رجلاً مدققاً عرض للموضوع فى إحاطة عجيبة . ولكن الحقيقة رغم كل هذا جانبته . ذلك أن الباحث دخل الموضوع وهو يعتقد أن لفظ المروءة من الألفاظ التى ذهبت معانيها بذهاب العصر الجاهلى . والحقيقة أن استعمالات اللفظة فى أوضاع متباينة هى التى خلعت على اللفظة معانى متباينة وألقت شيئاً من اللبس على أصلها . على أننا نلاحظ أن اللفظة فى الأصل تفيد معنى الفرد الإنسانى (الهوامش ١٠ ، ١١ ، ١٢ من البحث) واتسع معناها من الفرد إلى أن حملت معنى الإنسان الاجتماعى . وشاهد هذا استعمال اللفظة فى هذا المعنى فى بعض مواضع القرآن وفى بعض ما تنوقل عن العصر الجاهلى من الشعر (Barthold فى أعمال معهد الدراسات الإسلامية بموسكو : م ٣١ ج ١٠ ص ٩١٤ — ٩١٦) ومن هنا أصبحت اللفظة تشتمل على معنى الفضائل الاجتماعية ، وأصبحت تدل على معنى الإنسانية فى عصرنا الراهن . ونزول المروءة منزلة الفضيلة vertus هو الذى جعلها جامعة كل الفضائل والأخلاق الكريمة . ومن هنا دارت عليها الآداب الجاهلية (Goldziher فى Muh. Stud م ١ ص ١ — ٤٠)

فإذا أخذنا هذا موضعاً للنظر لم نجد معنى للاشكالات التى يثيرها الباحث والتى إن أورثت بعض الحيرة فهى لا تقنع الإنسان بوجهة نظر ، ولا تجعله يرفض الأصل الذى ذهب إليه « جولدزيهر » . ومن الاشكالات التى تصادفنا فى هذا البحث ما ينقله الباحث عن العقد الفريد من تساؤل معاوية عن معنى المروءة — ج ١ ص ٢٢١ — وهو يستدل بذلك على التباس معنى اللفظة . غير أنه من الملاحظ أن مثل هذه الأسئلة التى ترد فى كتب الأدب وفى كتب اللغة منحولة لأغراض واضحة ظاهرة منها ، وإذن يكون الاستدلال بهذه الروايات فى حدود دائرتها الحقيقية ، لا تحميلها وجهاً لا تدل هى عليه . ثم عندك الروايات التى يأتى بها الباحث محملاً كل رواية دلالة خاصة للفظة « المروءة » التى ترد فيها ، وهو بهذا يريد أن يقرر أن معنى المروءة كان ملتبساً على الناس . على أنه لو لاحظنا التفسير الذى قدمناه والذى يسير عليه أعلام الاستشراق فى أوربا فإن كل هذه الروايات تتسق معانيها وتتوضح من أصل جامع للفضائل التى تقوم على الصلات بين الفرد والجماعة، والتى يتقوم بمفهوم فضائلها لفظ السيد. وإذا كان الباحث لا يجد غير قول واحد ينزع فيه معنى المروءة إلى السيادة فى العربية ، فلا أظنه جمع شوارد العربية وأوابدها واستعمالات ألفاظها فى كل النصوص التى انتهت إلينا حتى يحكم بهذه الدعوى . هذا ولو لاحظنا أن دعوى الباحث تستند إلى أن ابن قتيبة لم يثبت فى باب «المروءة» غير وجه واحد تنزع فيه اللفظة لمعنى السيد، فإننا نجد استنتاج الباحث أكثر مما يساعد عليه النص.

ومما يحسن بى الإشارة إليه أن كلمة «المروءة» وردت فى اللغة العبرية وهى من أخوات اللغة العربية نازعة فيها لمعنى السيادة (دانيال ١٤ — ١٩ ومراد فرج فى ملتقى اللغتين ج ١ ص ٨٩ — ٩١)

والبحث الرابع وقف على « التفرد والتماسك عند العرب » وهو فى عمومه مراجعة — فيها نظر — لأقوال المستشرقين . وفى هذا البحث ينكر الدكتور بشر فارس نظرية التفرد المنسوبة للعرب ، ويرى للعربى صلات اجتماعية فى حدود الحى والقبيلة . وفكرة الباحث وجيهة ، ولكن ما رأيه فى كون التحاق العربى بقبيلته أو حيه مظهر من الأصل الطوطمى — totemism — عند العرب القدماء ، والطوطمية مصدرها فردية صرفة ؟ (أنظر عن طوطمية العرب Rob. Smith فى Kinship and Marriage in

Sarly Arabia ص ٢٣ وما كلينان فى Primitive Marriage ص ٥٣ — ٥٦ ولنا علم الأنساب العربية ص ١٢)

ولنا أن نتساءل هنا: هل يرى الباحث أن صلات العربى تتجاوز جماعته ممثلة فى الحى أو القبيلة ؟ وإذا كان لا يرى ذلك كما يستفاد من مضمون كلامه، فلماذا؟ وإذا كان يرى سبب ذلك ـ كما يبدو من كلامه ـ العصبية، فما منشأ العصبية عند العربى؟ سيعود بها الباحث إلى الأسرة، ولكن لماذا تدفع الأسرة العربى للعصبية؟ أليس فى ذلك شعور بالانعزال يقوى رأى الذين ينسبون التفرد للعربى ؟ . . .

والبحث الخامس يتكلم فيه عن « البناء الاجتماعى عند عرب الجاهلية » وهو بحث قيم مستخلص من كتاب الباحث (العرض عند عرب الجاهلية) » ومما نلاحظه على هذا البحث أن الكاتب يقول : « ولا شك أن القبيلة بنو أب واحد من حيث تحتمل تجمع أسر أرومتها واحدة — ص ٨٥ — وهو فى هذا الكلام يستند إلى المخصص لابن سيده . ولكنا على الرغم من ذلك نلاحظ جواز أن تكون القبيلة منشؤها اجتماع عدة بطون واتخاذ من قبائل مختلفة (ابن حزم نقلاً عن الفهرست لابن النديم ج ٣ ص ١٨٧) والمراجع العربية تروى أن قبائل تنوخ وغسان والعنق تكونت من شتيت البطون التى تناثرت فى الصحراء من القبائل العربية التى تفرقت بعد تركها مواطنها فى الجنوب (الفهرست ج ٣ ص ١٨٧ وكذا لنا علم الأنساب العربية ص ١٣ — ١٤)

أما المبحث السادس فوقف على « تاريخ لفظة شرف » ومطالعات الباحث فى هذا المبحث جديرة بالنظر فيها والتأمل فى مواطنها لقيمتها . والبحث السابع والأخير فمن تحقيق فى (بعض) الاصطلاحات) وملاحظاته فى هذا المبحث قيمة

هذاهو كتاب «مباحث عربية». وهو كتاب فريد فى موضوعه وفى نهج بحثه وفى منحى تحقيقه؛ يدل على أن صاحبه صاحب ذهنية علمية متزنة يتصدى للموضوعات على أساس من التقصى للأصول والفروع مع دراية تامة بأساليب البحث. والمآخذ التى أخذناها على أهميتها لا تنال من قيمة البحوث ولا من الجهد العلمى المبذول فيه . والواقع أن الدكتور بشر فارس حمّل اللغة العربية بكتابه هذا بحثاً جدياً فى مسائل اجتماعية وأخرى لغوية على أساس من التحقيق العلمى ومن الطريقة العلمية الصحيحة. وتنظيم الكتاب يدل على ذوق فنى وعلى تمكن من أساليب التنظيم العلمى والأخذ بسبل التبويب الصحيحة، ولا شك أن الدكتور بشر فارس بكتابه هذا شق الطريق للبحث العلمى الجدى ولو لم يكن له غير هذا الجهد لكفى ذلك للتقدير **اسماعيل أحمد أدهم**

فى سبيل العربيـــة

كتاب البخلاء

للأستاذ محمود مصطفى

[تتمـة]

ص ١٥٨ عند الكلام على أن تثمير المال فى بناء البيوت يعود على أصحابها بالضرر بسبب مماطلة السكان وتقطيع الأجرة عند الدفع قال :

« فصارت لذلك غلات الدور ـ وإن كانت أكثر ثمناً ودخلاً ـ أقل ثمناً وأخبث أصلاً من سائر الغلات »

وإن نظرة عارضة إلى العبارة توجب علينا مراعاة المقابلة التى أراد أن يعقدها القائل للعبارة فإنه يقول إنها وإن كانت فى الأصل أكثر ثمناً ودخلاً صارت الآن بمعاملة السكان لأصحابها أقل ثمناً وأخبث دخلاً » ومن هنا ظهر خطأ الشارحين فى إثبات كلمة أصلاً بدل دخلاً ، ومحاولتهما ما لا يستقيم من الشرح على هذا الاعتبار حتى اضطرا أن يقولا : « فى العبارة شيء من التجوز يظهر للمتأمل » والواقع أن الذى يظهر للمتأمل هو تحريفهما أو قبولهما لتحريف كلمة دخل إلى أصل

فى ص ١٦٠ يرد فى الحديث عن إساءة السكان إلى صاحب المنزل « إن عفا عفا على كظم ولا يوجه ذلك منه إلا إلى العجز، وإن رام المكافأة تعرض لأكثر مما أنكره » فيعلق الشارحان بقولهما : « وإن أراد أن يكافأ بالمعروف على معروفه وبالإحسان على إحسانه كان عرضة لأن يلحق به من الأذى أكثر مما أنكر هو منه واستفظعه . ولاشك فى أن الشارحين لا يفهمان المكافأة إلا على أنها المقابلة الحسنة ، وهو المعنى الذى يفهمه منها صغار التلاميذ حين يسمعون من معلميهم أسماء المكافآت ومنحها عقب الامتحان أو القيام بعرض ألعابهم فى حفلات آخر العام .

فأما المكافأة بمعنى المقابلة مطلقاً أو المجازاة بخير أو شر فهى فى كتب اللغة فحسب ، لم تخرج بعد إلى خير الوجود ولم يسمح لها بطروق آذان الشارحين ؟ !

وغريب جداً من أمر الشارحين أن يدورا فى كلامهما ويتجنبا الوقوع فى هذا المعنى كأنما هو منكر لا يريدان أن يقعا فيه مع أن استقامة الكلام تستلزمه ولكنهما يحيدان عنه عملاً بالأمانة

اللنوية التى فى عنقهما لمنى المكافأة !

فى ص ١٦٥ وردت هذه العبارة : فمدحتم من جمع صنوف الخطأ وذممتم من جمع صنوف الصواب . فاحذروهم كل الحذر ولا تأمنوهم على حال

وفى الشرح يقول الأستاذان الفاضلان : (من جمع صنوف الصواب) أى وهو من سميتم (بخيلاً) و (من جمع صنوف الخطأ) أى وهو من سميتم (جواداً) ثم يعلقان على عبارة (فاحذروهم) بقولهما الضمير يرجع إلى الذين تسمونهم أجواداً وهو التفات من صيغة المفرد إلى الجمع .

ومعنى ذلك فى رأى الشارحين أن القائل للعبارة استعمل اللفظ مفرداً ثم أعاد عليه الضمير جمعاً لأن لفظ (من) فى نظرهما مفرد بدليل تفسيرهما له بقولهما (أى وهو من سميتم بخيلاً) فقوله بعد ذلك فاحذروهم يكون خروجاً عن مقتضى الظاهر إذا الظاهر فى رأيهما أن يقول فاحذروه ما دام الضمير عائداً على (من)

وفى هذا الكلام خطآن ظاهران : أما أولهما فبلاغى وهو اعتبار مثل هذا الخروج عن الأصل (إن كان) التفاتاً ، والالتفات لم يعهد إلا فى العدول عن الخطاب إلى الغيبة أو عكس ذلك أو ما أشبهه مما لا نطيل به ، فأما إرجاع الضمير جمعاً إلى لفظ مفرد فلم يدخل فى حساب البلغاء أن يعقدوا له هذه التسمية أو غيرها

وأما الخطأ الثانى فهو عدم تنبه الشارحين إلى أن لفظ (من) من الألفاظ التى يصح اعتبارها مفرداً وغير مفرد فيعاد عليها الضمير على حسب ذلك الاعتبار وهنا اعتبرها القائل جمعاً فأعاد إليها الضمير كذلك . ونرى أن هذا الكلام من الوضوح بحيث نعد أنفسنا مسرفين إذا توسعنا فيه أكثر من ذلك

فى ص ١٧٨ فى الحديث عن آداب السلف على الطعام وأنهم كانوا لا يمدون أيديهم إلى الجدى الذى يقدم آخر الطعام لعرفانهم أنه إنما يقدم ليجعل علامة الختام والفراغ ، حتى قال أبو الحارث جمين حين رآه لا يمس (هذا المدفوع عنه) ويعلق الشارحان على هذه العبارة الأخيرة من كلام جمين بقولهما : أى هذا الذى لا تناله الأيدى بالأذى . والمراد التعجب

والذى نقوله : إنه لا تعجب ولا شبه تعجب ، بل هو إخبار بالواقع لأنه لما رآه لا تمد إليه الأيدى لأنه جاء بعد الشبع وصفه بهذا الوصف فأين التعجب الذى فى كلام الرجل ؟

فى ١٨٣ يحكى الجاحظ حال ابن أبى المؤمل فى معاملة ضيفانه وذيادهم عن طعامه ، فإنه كان إذا قدم عليه زائر ابتدره قبل أن يستقر فى مجلسه وقبل أن تذهب عنه وحشة المكان بقوله لخادمه هات يا خادم شيئاً لفلان ينال منه . فإذا قال الضيف قد فعلت سجل عليه تلك الكلمة ثم يقول الجاحظ :

فإذا استوثق منه رباطا وتركه لا يستطيع أن يترمرم لم يرض بذلك حتى يقول فى حديث له : كنا عند فلان فدخل عليه فلان فدعاه إلى غدائه فامتنع ثم بدا له فقال: فى طعامكم بُقَيلة أنتم تجيدونها

وهنا يضع الشارحان علامة الاستفهام بعد كلمة تجيدونها ووضع الاستفهام هنا خطأ لأن الجملة خبرية والمعنى أن الضيف بدا له أن يعدل عن الاعتذار من الأكل فأحب أن يتطرق إليه بقوله إنكم تجيدون عمل هذه البقيلة التي أراها على المائدة أى فهو يقدم لقيامه إلى المائدة بهذه المقدمة ، وابن أبى المؤمل إنما يحكى لضيفه هذه الحكاية ليأخذ عليه طريق هذه الحيلة فالكلام خبر على وجهه ولا رائحة للاستفهام فيه

وفى ص ١٨٥ يرد فى كلام ابن أبى المؤمل :

ومن لم يشرب على الريق فهو نكس فى الفتوة دعىّ فى أصحاب النبيذ وإنما يخاف على كبده من سورة الشراب »

فيذكر الشارحان فى معنى النكس أنه القصر عن غاية المجد والكرم وأنه الرجل الضعيف ثم يقولان يعنى أن من لم يشرب على الريق فهو ضعيف الكرم مقصر فيه ، وهذا خطأ وإنما المراد أن من لم يشرب على الريق فهو ضعيف فى فتوته ناقص الصلابة فى جسمه بدليل قوله بعد ذلك وإنما يخاف على كبده من سورة الشراب .

ولا ندرى السبب الذى من أجله حشد الشارحان فى شرحهما معانى النكس من غير أن يكونا بحاجة إلا إلى معنى واحد منها على حسب ما رأيا فى شرحهما . وما نرى ذلك إلا تضليلاً للقارئ وترددا من الشارح . وإنما الواجب تلمس ما يناسب المقام ثم المضاء فى القصد إليه وحده . فأما هذا الاستكثار من أقوال أصحاب المعاجم فليس فيه كبير فائدة لمن أسلم ذهنه إلى شارح وثق به واعتمد عليه فى هدايته إلى الصواب

قد انتهينا وما انتهينا من التعليق على شرح أستاذينا الفاضلين، ذلك أننا تركنا كثيراً من القول رأينا أن فيه تطويلاً ، وأنه لا يتضح فيه الصواب إلا ببسط كثير وتعليل واسع ، ولكنا نكتفى بما أثبتنا معتقدين أننا أدينا الخدمة خالصة لكتاب الجاحظ ولقرائه ولشارحيه، والسلام

محمود مصطفى

فهرس الموضوعات للمجلد الأول من السنة السابعة

(ن)

فهرس الكتاب للمجلد الأول من السنة السابعة

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 313

Lundi - 3 - 7 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

السنة السابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ جادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣ يوليه سنة ١٩٣٩ » العـدد ٣١٣

الفهـــــرس

صـفحة

من هـــذيان الحر ...

نحن يا صديقى القارئ من سَموم تموز على حالٍ سواء : أنا لا أحسن الكتابة ، وأنت لا تحسن القراءة ؛ فتعال أهذِ أنا وتسمعْ أنت ؛ فإن الهذيان فى الحر كالهذيان فى الحمى تنفيسٌ عن الروح المكروب ، وتخفيف عن الدم الفائر ، والهذيان كلام كفورة الإناء ليس له نظام ولا فيه عقل ؛ ولكنه كحُلم النائم لا تغلب فيه جملة على جملة ، ولا تظهر به صورة دون صورة ، إلا لأن لهما فى العقل الباطن أثراً ، وبالروح اليقظان صلة . ولعلك واجد فى لواغى المحموم والملموم والنشوان والنائم من ومضات الحق ما لا تجده أحياناً فى بعض الكلام . ولقد كان فى قرى الريف جماعة من الممسوسين المستهامين يعتقد الناس أن وسوستهم من كشف الغيب وإنذار القدر ؛ وربما أصابوا فى لحونهم توجيهاً إلى منفعة أو تنبيهاً إلى مضرة !

* * *

يقولون : فى شهر تموز، يغلى الماء فى الكوز ، ويجرى الشر على البوز(١) ! فهل صمم الفوهرر أن يفتح فى (دانزيج) طاقة من جهنم تجعل البحر حميماً(٢) على كل مستجم ، والجبل جحيماً

(١) البوز فى لغة العامة : الفم
(٢) الحميم : الماء الحار

على كل مصطاف ؟ ما ضر هتلر أن يهمل الأغنياء المدللين حتى يبذروا الذهب فى مدن المياه ، كما أهمل الفقراء المساكين حتى حصدوا الحنطة فى قرى اليابسة ! ماذا يصنع ذلك الأمير أو ذلك الكبير الذى وقف دخل العام كله على هذا الشهر ، فقسم أمواله بين موائده الخضر فى كل ساحل ، وفرّق آماله على مواخيره الحمر فى كل حضيض ؟ أيجوز أن يحرمه هتلر غدوات القمار وأصائل النزل وأماسى الرقص وأسحار الفتون ، لأنه يريد أن يتسع وطنه ، ويرتفع شعبه ، وينتشر سلطانه ؟ هل هانت الأرستقراطية على الناس إلى هذا الحد ؟

لو كنت ذلك الأمير أو ذلك الكبير لصحت ملء فمى : لعن الله الديمقراطية والدكتاتورية ! فإنهما منذ رفعتا كلمة الشعوب فوق إرادة السادة ، ونقلتا سلطان الملوك إلى الساسة والقادة ، هوت الأرستقراطية إلى الدرك الأسفل من بناء المجتمع ، وأصبح أهلها كدُمَى الأثاث توضع للزينة ، أو كذلاذل الثياب توسل للحلية . لقد كانت الحرب فى عهد العزة الأرستقراطية لا تقوم بين إمارتين أو مملكتين إلا لأن الأمير أو السيد أراد أن يصيد فصُدَّ عن الأرض ، أو يخادن فدُفع عن المرأة ، أو ينفق فعجز عن المال . أما اليوم فمن مهازل الدهر أن تشب الحرب بين دولتين أو قارتين لأن عاملاً فقيراً أراد ليده عملاً فلم ينل ، أو تاجراً حقيراً طلب لبضاعته سوقاً فلم يجد !! وفساد الأمر كله إنما جاء من وضع الحكم فى أيدى المتعلمين من أبناء الصناع والزراع والعمّال !

***

تمنت أن الله خلق فى الناس العُلّيق والعَلق . فالعلّيق نبات يتسلق ما يقربه من الشجر فيعلوه ويلتف به ويعرش عليه حتى يحرمه نَسَم الريح وضوء الشمس وجلال الرفعة . والعَلق دود يتعلق بمن يمسه من الحيوان فينشب فيه خرطومه ، ثم يمتص دمه ويستلب حياته .

فهؤلاء الأتباع والأوزاع الذين يلتفون حول (أبناء الذوات) يهرّجون لهم فى الحديث ، ويروجون لهم المنكر ، ويتطاولون من وراء أكتافهم إلى نفخة الحياة ، هم علّيق .

وهؤلاء (البلطجية) الأوشاب الذين يلقون أبدانهم الثقيلة على عواتق البغايا الضعاف والتجار المساكين فيفرضون عليهم بالقوة ملء البطون والجيوب من السحت والإثم ، هم عَلق .

وأولئك المتزعمون المتبطلون الذين قصروا جهدهم فى الحياة على أن يتخاطفوا عصا القيادة ويتنازعوا كراسى الحكم ، ووسيلتهم إلى ذلك أن يقوموا على هامش الطريق أبواقَ فتنة ، أو يقفوا فى سوائه أحجار عثرة ، هم علّيق .

وأولئك المترفون المسرفون الذين استولوا على الأرض من غير ثمن ، وتسلطوا على الفلاح من غير سلطان ، فأكلوا ثمرة الزرع حتى انتفخوا ، وشربوا عرق الزارع حتى طفحوا ، هم عَلق .

وأولئك النقاد المتخرصون الذين يتهجمون على أعيان العلم والأدب باللغو والجهل والسفه ، ليدركوا نباهة الذكر من بلاهة العامة ، هم علّيق .

وأولئك المؤلفون المزيفون الذين يستغلون ضعف المعلمين وفقر الأدباء فيكلفونهم أن يكتبوا المقالات وهم يمضونها ، ويضعوا الكتب وهم يستلحقونها ، ويربحوا الأموال وهم يقبضونها ، هم علَق .

وأولئك الرؤساء البلداء الذين يحملون على الموظف الصغير بالإعنات والقهر حتى يكفيهم كل رأى فى التقارير ، وكل نظر فى الأضابير ، ولا يدع لهم إلا نفخة الشدق بالأمر ، ولطمة الإمضاء بالخاتم ، هم علّيق . وأولئك الموظفون المخادعون الذين يسرقون جهود زملائهم بالمكر ، ويكسبون رضى رؤسائهم بالملق ، ويلقون التبعات عن كواهلهم بالحيلة ، هم علَق

ولو شئت لحدثتك عن العليق والعلق فى كل طائفة ؛ ولكن مالنا نبغّض الهابط إلى الصاعد ، ونحرض الساعى على القاعد ، ولا نترك شؤون الخلق للخالق ؟

***

إن عقرب الساعة يهدف إلى السابعة فى خُطى غير منظورة ؛ وإن أنفاس المساء الندية قد أخذت ترف بطراءتها على الغرف المحرورة . وهأنذا أشعر شيئاً فشيئاً بحمّاى تذهب ، وبرشدى يثوب ، وبدمى يسكن ، وبذهنى ينتعش ، وبفكرى يتجمع ، وبقلمى يجرى على الورق بكلام لا أدريه ، وبالغلام يطلب المقال للجمع فلا أستطيع أن أصرفه لأعيد النظر فيه !

بيلاطس « باشا »

للأستاذ عباس محمود العقاد

بيلاطس هو الوالى الرومانى الذى حكم البلاد اليهودية من قبل الامبراطور طيبريوس عشر سنوات ظهر فى أثنائها السيد المسيح وسيق إليه متهماً بما نسميه اليوم « الخيانة العظمى » والانتقاض على النظام القائم والدولة الحاكمة . فخشى بيلاطس أن يطلقه وأشفق من الحكم عليه وهو لا يدينه بجريمة ، فأسلمه إلى قومه يدينونه بما عندهم من شريعة ، ويجزونه بما اصطلحوا عليه من عقاب

وكان بيلاطس رجلاً حاذقاً أريباً ولكنه فى بعض الأمور معوج الأساليب معرض للريبة والشكاية إلى « المراجع العليا » كما نقول اليوم

فمن أساليبه أن اليهود ثاروا عليه بتحريض الكهنة والرؤساء فلم يقمعهم بقوة القانون ، ولم يرسل عليهم الجند ظاهرين ، ولم يحمل أمام الناس وأمام المراجع العليا تبعة القمع والقسوة فى علاج هذه الثورة ، بل ألبس الجند ثياب الشعب وسلحهم بالمدى والخناجر وأمرهم أن يندسوا فى غمار الشعب الهائج فيمعنوا فيه تجريحاً وتقتيلاً حتى يتفرق الجمع وتثوب المدينة إلى السكينة ، ولا جناح عليه فيما زعم ، فإنما هى مشاجرة جامحة بين يهود ويهود !

أمثال هذه الأساليب مع شىء من الطمع وشىء من الترف هى التى أخافته من اليهود ومن رفعهم أمره إلى عاهل الرومان فأسلمهم السيد المسيح وهو يقول فى ضميره كما هو رأيه : يهود فى يهود !

هذا هو بيلاطس . فمن أين جاءته الباشوية التركية ولم تظهر لها دولة فى أيامه ، ولم يكن لها معنى فى ذلك العهد معروف ؟

لم تجئه الباشوية التركية ولكنها جاءت إلى رجل يشبهه أقرب الشبه فى العصر الحديث ، وهو حاكم الإقليم المعروف ببحر الجاموس من أقاليم السودان فى أعالى النيل ، وهو كسائر الحكام هناك انجليزى صميم لعله لا يحمل اللقب من الترك ولا من المصريين ، ولكنه « والى » والوالى هناك لا يكون إلا « باشا » فى لسان رعاياه ، مجاراة للعرف الذى شاع فى تلك الأقاليم النائية منذ سمموا بالولاة العثمانيين

ولم يكن اسمه بيلاطس ولكنه عرف باسم بريدج ، أو قد شاء المؤلف أن يعرفه لنا بهذه التسمية ، وقد عالج مسألة كالتى عالجها الوالى الرومانى على نحو كالذى انتحاه ذلك السلف القديم ، فهو من ثم بيلاطس حديث !

وبيلاطس باشا هو اسم الرواية التى تقص لنا نبأه مع مسيحه عيسى بن النجار ، وتشرح لنا من أحوال السودان الأعلى ما يغنى عن مطولات فى السياحة والتاريخ ، وتتمثل لنا بقلم مؤلفها ميكائيل فوسيت Michael Fausset وثيقة صحيحة من وثائق الاستعمار البريطانى فى القارة الأفريقية

أول فائدة تستفاد من قراءة هذه الرواية أن يأتى عليها القارئ الذى له معرفة يسيرة بأهل السودان فلا يلبث أن يقول : نعم ! هذا يحصل !

ثم يرجع إلى تاريخ السيد المسيح فيرى من الموافقة والمخالفة ما يدله على الجائز وغير الجائز من ذلك التاريخ ، ويقول على بصيرة : نعم هذا محتمل الحصول ، وهذا لا يقع فى الاحتمال

ولا ريب عندنا فى أن المؤلف قد جهد بعض الجهد لتقريب الموافقة والمشابهة بين التاريخين

فاسم المهدى السودانى الذى تحدث عنه « عيسى » ، واسم أمه « مريم » ، واسم الخاطئة التى صبت على رأسه الطيب مريم المغربية ، وصناعة الرجل الذى دل عليه الصرافة ، وكراماته أو الكرامات المنسوبة إليه شبيهة بمعجزات السيد المسيح ، والحوار بينه وبين المدير بريدج كالحوار بين المسيح عليه السلام وبيلاطس ، والأسباب التى أثارت الجمهرة ورجال الدين على مهدى السودان الأعلى هى الأسباب التى أثارت الجمهرة والأحبار على رسول الناصرة ، والموعد يوم عيد ، وكل شىء متفق متقارب حتى رجاء الشعب من الحاكم أن يطلق لهم نخاساً سفاكا للدماء كعادته فى العفو عن بعض المسجونين فى أيام الأعياد

ولكن العجيب من أمر الرواية أن من يجهل تاريخ المسيحية يقرأها فلا يستغربها ولا يشعر بجهد المؤلف فى ذلك التقريب والتوفيق لأنها إذا حصلت فأغلب الظن أن تحصل هكذا بغير اختلاف كبير

وقد سمعنا نحن بأنباء مهديين متعددين ظهروا فى تلك الأقاليم، وسمعنا عن واحد منهم أباح بعض المحرمات ورفع بعض التكاليف، واحتج لذلك بما شاء من التعلات والتأويلات . ويخيل إلينا أنه هو هذا الذى عناه صاحب الرواية لقربه من مكانها، وقربه كذلك من زمانها، وهو حوالى مقتل «لى ستاك» حاكم السودان، فإن كان فى الرواية توفيق مقصود فليست فيها مبالغة ولا شذوذ عن المعقول

* * *

على أن القارئ لا يستفيد هذه الفائدة وحدها من قراءة الرواية لأنه يعرف منها أشياء شتى عن أساليب الإنجليز فى استعمارهم لأمثال تلك الأرجاء، وسياستهم لأمثال تلك الشعوب، واضطلاعهم بتصريف الأزمات وهم بعيدون عن الرؤساء كلما طرأ من الحوازب ما يدعو إلى تصرف سريع

فالحاكم « بريدج » يعرف العربية معرفة جيدة ، وهو ومساعدوه يقرأون تاريخ النوبة وتاريخ الإسلام وسيرة النبى عليه السلام ومذاهب العلماء فى الظواهر النفسية والنقائض الاجتماعية ، ويتتبعون أخبار الاستعمار فى الدول الأخرى فيعتبرون بها أو يقيسون عليها ويأخذون بصوابها ويجتنبون أخطاءها

فإذا شغلوا الناس بالألعاب والمسابقات فى المواسم الوطنية أو المواسم الإنجليزية فلعلة يصنعون ذلك لا لمجرد اللهو وتزجية الفراغ . أو كما جاء على لسان واحد منهم وهو يتكلم عن الحاكم : « لقد تعلم مما قرأ عن مجرى الأمور فى ميلانيزيا وغيرها من جزائر المحيط الهادى ، فإن المبشرين هنالك قد غيروا من عقائد أبناء البلاد ، فأعرض هؤلاء عن العراك فيما بينهم وزهدوا فى الرقص وليالى السرور ، وضعفت فى نفوسهم حمية الحياة وشهوة البقاء . إنهم لايعيشون أولا يرسلون شعلة الحياة إلى مابعدهم من الأجيال فهم على وشك الانقراض . وهكذا يحدث هنا فيوشك أن ينقرض القوم أو هم على الأكثر متماسكون لاينمون مع الأيام . لقد منعنا العزاة أن يقتتلوا ، ومنعنا العرب أن يغيروا على العزاة ، فشق على هؤلاء وهؤلاء أن يشغلوا أنفسهم وأن يفثأوا ما فى طبائعهم من شوق إلى الصيد والنضال ، وفارقتهم حماسة العيش . فهذا الذى جعل الحاكم بريدج مهموماً بإيقاظ تلك الطبائع وتوجيهها بعد تهذيبها إلى حب الرياضة والمغالبة فى هذا المضمار .

وجاء على لسان أحدهم : « من هم المسلمون حق الإسلام فى زماننا هذا ؟ ! إنهم لنحن نحن طلاب الحقائق العلمية . إنهم لنحن نحن أصحاب الإيمان بالتوحيد الشامل لأبعد الكواكب وأصغر الذرات ، وعلى ديننا هذا يدور العمل وتأتى الأعاجيب من اليابان إلى فلبارزو، ومن رأس الرجاء إلى سبتزبرجن، إلى ماوراء هذه وتلك من أرجاء القطبين . نحن نطلب الحق وليس غير الحق نطلب . ونحن لا نتبع نبياً واحداً ولكننا نستقصى كل شىء، ونمحص كل شىء، وننبذ كل باطل . ونرفض كل ضلال »

* * *

ومع عناية هؤلاء الحاكمين بالخفايا النفسية فى الرعايا الفطريين أو ذوى النصيب المحدود من الحضارة تراهم لا ينسون العناية بإرضاء القوم ومجاراتهم فيما يشتهون مما لا ضرر فيه

فيبعث الزعيم من الزعماء البدويين إلى الحاكم فى طلب طبيب يشفيه من عرج مزمن فلا يرده الحاكم ولا ييئسه من الشفاء ، بل يكلف خير أطبائه أن يحمل معه الجهاز الكهربائى والبلاسم الضرورية ويزوده بالنصائح التى تنفعه عند الرجل وذويه . . . ثم لاينسي أن يهمس فى أذنه وهو منصرف : ولا تنس أن تأخذ معك شيئاً من عقاقير الباه فإنهم سائلوك عنها لا محالة وفى مقدمتهم المريض !

* * *

وإذا حسن لديهم أن يتوخوا مظاهر الهيبة بين المحكومين فليس ذلك بمانعهم أن يحتالوا على تمليقهم ومجاملتهم كأنهم خدم مسخرون فى طاعة السادة ذوى الأهواء والبدوات . وهكذا يساس الملك فى جميع الأقطار ، ولا سيما فى أقطار يلخص حاكمها مشاكلها كلها فيقول : إنها تنحصر فى مشكلة واحدة وهى : « مسافات الأماكن ومسافات الأحوال »

عباس محمود العقاد

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربي
للدكتور زكي مبارك

— ٤ —

عجب ناسٌ حين رأونا نقول بأن الأستاذ أحمد أمين ينظر إلى الأدب وإلى الوجود نظرةً عامية ، واستكثروا أن نحكم هذا الحكم على رجل من أساتذة الجامعة المصرية

ونجيب بأننا لم نظلم هذا الصديق ، وإنما نفسه ظلم ، فهو الذي يبنى أبحاثه على قواعد المسلَّمات والمقررات عند عوامّ الباحثين ، وذلك يشهد بأن الابتكار والابتداع بعيدان كل البعد عن ذهن هذا الباحث المفضال

يعلن الأستاذ أنه يحتقر المعدة ليصح له التطاول على ماضى الأدب العربي ؛ واحتقارُ المعدة لا يقوم على أســاس من الواقع ولا من المنطق ، وإنما هو مجاراةٌ للعوامّ الذين يصعب عليهم أن يدركوا أن النفس تتبع الجسم فى الصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والنشاط والخمول ، ويعسر عليهم أن يفهموا أن الإنسان يرى المعنويات والمحسوسات بأشكال مختلفة فى وجوه متباينة تبعاً لاختلاف الذوق والحِسّ والمزاج

والواقع أننا عبيد لحواسنا وأعصابنا ، وأن جمهورنا مدين فى تكوين ذوقه وحسه وعقله إلى ما يأكل وما يشرب وما يلبس وما يرى وما يذوق . وقد راعى ذلك فقهاء الشريعة الإسلامية حين وضعوا آداب القضاء ، فقد استحبوا للقاضى أن يمتنع عن الحكم إذا شعر ببعض عوارض المرض أو الظمأ أو الجوع

***

قلنا من قبل إننا لا نهجم على هذا الرجل بلا تأثم ولا تحرُّج ، فالله وحده يعلم أننا نهجم عليه كارهين ، لأنه صديق لم نر منه غير الجميل ، ولأن له أصدقاء كنا نحب ألا نؤذيهم بالهجوم عليه ، فلنا فيهم إخوان أعزاء

ولكن هل يجوز أن يكون أحمد أمين وأصدقاؤه أعز علينا من الحق ؟

هل يجوز أن نترك هـذا الرجل يتحذلق ذات اليمين وذات الشمال مراعاةً للأخوّة الغالية التى جمعت بيننا وبينه منذ نحو عشرين عاماً ؟

إن أحمـد أمين يجور على ماضى الأدب العربى بلا تحفظ ولا احتراس ، وأغلب الظن أنه ما كان ينتظر أن يقول له أحد : « قف مكانك ، يا أحمد أمين ، حتى تدرس الأدب العربى دراسة تمكنك من الحكم له أو عليه »

وساعده على الاطمئنان إلى السلامة من عواقب ما يصنع أنه يصدر أحكامه الخواطئ فى وقت خمد فيه النقد الأدبى . فهو يظن أنه لن يجد من يرشده إلى أن التصدر لأستاذية الأدب العربى يوجب حتماً أن يكون ذلك المتصدّر أديباً يتذوق المعانى ويدرك الفروق بين أساليب البيان .

فإن كان القراء فى ريب من ذلك . فإنّا ننقل إليهم أحكامه على مقامات بديع الزمان ، ومقامات الحريرى ؛ ننقلها بالحرف ليستطيعوا متابعتنا فى تبيين ما فيها من خطأ وضعف .

قال الأستاذ أحمد أمين :

« ثم انظر بعدُ إلى الفن المبتكر فى العصر العباسى ، وهو فن المقامات ، فقد ابتدعها بديع الزمان الهمذانى ، فلم يجعل محورها حبًّا ولا غراماً كما يفعل الروائيون اليوم . ولم يجعل محورها شيئاً يتصل بأدب الروح ، ولكنها كلها « أدب معـدة » . فأبو الفتح الاسكندرى بطل المقامات كلها ، رجل مكر واحتيال ، يصطنع جميع المهن لابتزاز الأموال . تراه مرة قرّاداً يسلّى الناس ويضحكهم ، ومرة واعظاً مزيفاً يعظ وينصح ؛ ثم تنكشف حيلته فإذا هو مهرّج ؛ ومرةً مشعوذاً يحتال على الناس بشعوذته ليفتحوا كيسهم ويغدقوا عليه من مالهم ، وهو فى كل ذلك مستجد سائل محتال . وجاء الحريرى فجعل مكان أبى الفتح الأسكندرى أبا زيد السروجى ، وهو كصاحبه دناءة نفس ، وخساسة حرفة . يشحذ ثمن كفن لميت يدّعيه ، ويتيامى فتقوده امرأته إلى المسجد ليبتز أموال المصلين ، ويحمّل غلامه ليوقع الوالى فى شركه فيسلبه ماله وهكذا ، ويتخذ الفصاحة والبلاغة وسيلة للتكدى والسؤال ... أليس هذا كله أدب معدة ؟ »

ذلك كلام الباحث المفضال أحمد أمين نقلناه بحروفه لئلا نُتَّهم بالتجنّى عليه حين نحكم بأنه رجل لا يدرك أسرار الحروف .

أبهذه الجرأة يحكم أحمد أمين على فن المقامات ؟

لن نقول شيئاً يمس أحمد أمين ، ويكفي أن نقف عند الملاحظات الآتية :

١ — نلاحظ أولاً أن أحمد أمين لم يفهم أغراض الحريرى وبديع الزمان ، فهو يتوهم أنهما يحاولان إغراء الجماهير بالإقبال على ما فى تلك المقامات من شمائل وخصال ، ومن هنا جاز له أن يضيف أدب المقامات إلى أدب المعدة ، ولوكان أحمد أمين درس مقامات الحريرى ومقامات بديع الزمان لأدرك بلا شك أن لهذين الرجلين غاية ما كان يصح أن تخفى على رجل يؤرخ الأدب بالجامعة المصرية .

فما هى تلك الغاية ؟

هى غاية واضحة لمن يقرأ ويفهم ، وهو بحمد الله ممن يقرأون ويفهمون ، ولكنه لم يقرأ المقامات

الغرض من نظم المقامات عند بديع الزمان هو نقد الحياة الاجتماعية والأدبية فى القرن الرابع . وفى سبيل هذا الغرض تعرض بديع الزمان لوصف ما رآه فى زمانه من مثالب وعيوب ، واهتم بتدوين ما عاناه الناس فى تلك الأيام من حيل الدجالين والمشعوذين . وقد وصل إلى أبعد حدود الإجادة حين حدثنا عما كان يعرف أهل ذلك العصر من فنون الأدب ومذاهب المعاش ، ولم يفته أن يقيد حيل اللصوص فى تلك الأيام ، بحيث صارت مقاماته سجلاً صادقاً لبعض أحوال المجتمع فى القرن الرابع بأقطار فارس والعراق

وكذلك كان الغرض عند الحريرى ، فقد أراد أن يصور ما عرف الناس لعهده من ألوان الحياة ، وأن يبين كيف كانوا يجدون وكيف كانوا يمزحون

وهناك غاية ثانية عند الحريرى لم يفطن لها الأستاذ أحمد أمين وهى تقييد ما شاع فى زمانه من ضروب الرموز والكنايات

ولا موجب لإيراد الشواهد ، فسيعرف ذلك أحمد أمين حين يقرأ تلك المقامات

٢ — ونلاحظ ثانياً أن أحمد أمين غفل عن نظرية تعد من البديهيات ، وهى أول مايدرس طلبة الكليات، وهى النظرية التى تقول بأن للفن والأدب غاية أصيلة هى الصدق فى وصف ما ترى العيون ، وما تحس القلوب ، وما تدرك العقول ؛ وليس من الحتم أن يكون الأدب والفن جنديين فى جيش الأخلاق ، فبعض أشعار ديك الجن وأبى نواس أرفع قيمة من بعض ما كتب ابن مسكويه والغزالى ، أرفع من الوجهة الأدبية والفنية ، وإن كانت أضعف من الوجهة الدينية والخلقية

٣ — ونلاحظ ثالثاً أن أحمد أمين ينظر إلى الأخلاق نظرة سطحية ، فلو أنه كان تعمق فى دراسة الأخلاق لعرف أن الأخلاق تغلب عليها الصفة الاعتبارية ، فما نعيبه اليوم من طرائق التعبير لا يجب أن يكون كذلك فى أذهان من سبقنا من الأدباء فى الأعصر السوالف

٤ — ونلاحظ رابعاً أن أحمد أمين توهم أن فن المقامات وقف عند الحدود التى رسمها الحريرى وبديع الزمان ، ولو كان أحمد أمين من المطلعين على تاريخ الأدب العربى لعرف أن فن المقامات اتسعت آفاقه فشمل الزهديات والفقهيات ، وتحوّل مع الزمن إلى أن صار من الأساليب التعليمية ، ولذلك تفصيل سيهتدى إليه حين يقرأ تاريخ المقامات ، وهو سيقرأ ذلك التاريخ لأنه يؤرخ الأدب بكلية الآداب

٥ — ونلاحظ خامساً أن أحمد أمين لم يعرف أن فن المقامات الذى ابتكره الهمذانى وأجاده الحريرى قد انتقل إلى اللغة الفارسية واللغة العبرية واللغة السريانية، فهو من الفنون العربية التى وصل تأثيرها إلى ما جاورها من اللغات، وأدب المعدة لا يؤثر كل هذا التأثير

٦ — ونلاحظ سادساً أن الأستاذ أحمد أمين الذى أساء الأدب مع الحريرى فجعل راويته مثالاً فى « دناءة النفس وخساسة الحرفة » لم يعرف أن مقامات الحريرى خدمت الأدب واللغة خدمة عظيمة جداً ، فقد شُرِحت تلك المقامات مرات كثيرة وشغلت الأدباء واللغويين فى المشرق والمغرب، وكُتبت بالذهب مئات المرات، وتهاداها الأمراء والملوك ، وكان لها تأثير شديد فى النهضة الأدبية الحديثة لأنها من أقدم ما نشرت مطبعة بولاق . وحديث عيسى بن هشام وهو أول كتاب مبتكر فى الأدب الحديث له صلة بأسلوب المقامات

٧ — ونلاحظ سابعاً أن أحمد أمين لم يخطر بباله أن فى مقامات بديع الزمان تحفة فنية نستطيع أن نباهى بها أدباء العالم فى الشرق والغرب ، وهى المقامة المضيرية ، فقد بلغتْ من الروعة مبلغاً لم يصل إليه كاتب فى قديم ولا حديث ، ولو ترجمت إلى اللغات الأجنبية لعدها الأجانب من الأعاجيب

٨ — ونلاحظ ثامناً أن الجانب التعليمي في مقامات الحريري خفيت دقائقه على فطنة أحمد أمين ، وما أحب أن أزيد !

٩ — وألاحظ تاسعاً أن أحمد أمين لم يدرك أن للكاتب حرية ذاتية في طريقة التأليف، فهو كان ينتظر أن يكون في المقامات حب وغرام كما يصنع الروائيون في هذه الأيام ، وهو أيضاً يجهل أسلوب الروايات بعض الجهل ، فالحب ليس ركناً أساسياً في تأليف الرواية كما يتوهم الناقد ، وإنما هو وسيلة لدرس الشخصيات وللمؤلف الروائي أن يغفله حين يشاء

١٠ — ونلاحظ عاشراً أن أحمد أمين لم يبتكر الهجوم على المقامات ، وإنما نقله عن الأستاذ سلامة موسى ، وسلامة موسى له عذر مقبول هو بعده عن التغلغل في أسرار الأدب العربي . فما عذر أحمد أمين وهو يتصدر لتدريس الأدب بالجامعة المصرية ؟

ألم أقل لكم إن أحمد أمين يعتمد على ما يقرأ ويسمع بلا نقد ولا تمحيص ؟ إن أحمد أمين يتوجع فيقول :

« أصبحنا إذا قرأنا ما يقوله الإفرنج عن تعريف الأدب بأنه (نقد الحياة) عجبنا من هذا التعريف ، لأنا لا نرى الأدب العباسي ينقد الحياة ، وإنما يصف نوعاً من حياة القصور ، فأما الشعب فلم يوصف إلا قليلاً »

ولو كان أحمد أمين يدقق لعرف أن مقامات الهمذاني والحريري هي من الصميم في « نقد الحياة »

وكيف يكون وصف القصور بعيداً عن « نقد الحياة » يا أحمد أمين ، وأنت تعرف أن القصور في تلك الأزمان كانت محور الحياة ؟

وهل يستطيع الأدب أن يخرج على واجبه في « نقد الحياة » حين يتحدث عن الوزراء والملوك والخلفاء ؟

وهل كانت المدائح والأهاجي إلا دساتير لحياة الناس في تلك الأزمان ... ؟

و « الشعب » الذي يتحدث عنه أحمد أمين هو نفسه الذي كان يتلقى المدائح والأهاجي بالقبول ، وهو الذي كان يروي ما يقوله الشعراء في الرؤساء والملوك ، فهو قد اشترك فعلاً في مسايرة الاتجاهات الأدبية في العصور الخالية

***

أحب أن أعرف رأي الأستاذ أحمد أمين في التصحيحات التي قدمناها إليه

ألا يزال يعتقد أن الهمذاني والحريري كانا يضعان دستوراً لحياة الصعلكة والتشرد والاحتيال ؟

أيكون انتفع بهذا الدرس فعرف أن فن الهمذاني والحريري يقوم على أساس السخرية من بعض أخلاق الناس في تلك الأزمان ؟

أحب أن أعرف كيف يحرم على أمثال الهمذاني والحريري أن ينقدوا المجتمع بالرسائل والقصائد والأقاصيص ، وهو مذهب استحله كتاب الإنجليز والفرنسيس والألمان ؟

لو كان أحمد أمين من المطلعين على تاريخ الأدب العربي لعرف أن أدباء العرب فهموا أن فن المقامات ليس إلا وسيلة للتعبير عن طوائف من الأغراض ، ومن أجل ذلك تصرفوا فيه فنقلوه من ميدان إلى ميادين ، وحملوه ما شاءوا من المذاهب والآراء

وما فهمه أدباء العرب فهمه أدباء الفرس حين اتخذوا المقامات وسيلة لشرح المذاهب الدينية والفلسفية ، وعرض الصور الفنية والأدبية ، وكذلك فعل بعض اليهود وبعض السريان فضمنوا المقامات طوائف من العظات والأخلاق

***

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم يقول الأستاذ أحمد أمين :

« وانتشر بجانب أدب المقامات نوع آخر من أدب المعدة بمعناه الحقيقي هو أدب التطفيل ... وخلف لنا الأدب وصيتين طويلتين يوصي بهما نقيب الطفيليين ولي عهده : إحداهما من إنشاء أبي إسحق إبراهيم بن هلال الصابي الأديب المعروف ، والثانية من إنشاء المولى تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني »

ذلك ما قال أحمد أمين ، وهو بما قال رهين

فهل يفهم هذا الرجل أن الصابي كان يجدّ حين أنشأ تلك الوصية ؟

لو كان أحمد أمين قرأ كتاب النثر الفني لرأى المؤلف يقول :

« ومن أظرف ما كتب على طريق الهزل والفكاهة (عهد التطفل) وهو عهد أنشأه أبو إسحق الصابي على لسان طفيلي اسمه (عليكا) كان يقع على مائدة معين الدولة بن بويه ، والطريف في هذا العهد أنه يجري على نمط العهود السلطانية فيبدأ بعرض خصائص المعهود إليه ، ثم يعيّن المهمات التي كُتب من أجلها العهد :

إن الأدب هو « نقد الحياة » كما يقول الإفرنج ، فهل يكون من الفضول فى « نقد الحياة » أن يعمد كاتب مثل الصابى إلى السخرية من طائفة طفيلية كانت تعيش على هامش المجتمع فى القرن الرابع ؟

وهل يطلب من الكاتب أن يغفل وصف الطفيليين لئلا يقال إن أدبه أدب معدة ؟

وما قيمة الأدب إن سكت عن وصف عيوب المجتمع ؟

إن العصر العباسى هو من العصور التى اشتبكت فيها النوازع الإنسانية فكثر فيه الجد والهزل ، والعفاف والمجون

فكيف يجوز أن يقف الأدب عند غاية واحدة هى وصف الجانب الرزين من المجتمع ؟

إن ذلك لا يجوز إلا فى ذهن رجل يجهل أن غاية الأدب هى « نقد الحياة »

* * *

أتحبون أن تعرفوا من أين وصل الخطأ إلى الأستاذ أحمد أمين ؟

وصل إليه الخطأ من التلمذة للأستاذ الكبير الدكتور طه حسين، فقد حكم الدكتور طه بأن العصر العباسى عصر شك ومجون ، لأن فيه عصابة مشهورة بالزيغ والفسق ، وهى جماعة أبى نواس ومطيع بن إياس ، مع أن العصر الذى عرف أمثال هذين الرجلين هو نفسه العصر الذى نبغ فيه كبار الفقهاء والنساك والزهاد ، وهو الذى بلغ فيه الفكر العربى غاية الغايات فى فهم أصول الفلسفة وأصول الأخلاق

فهل خطر فى بال أحمد أمين أن العصر العباسى لا يصح الحكم عليه بإيثار المعدة وإغفال الروح من أجل كلمة أو كلمات فى وصف الاحتيال على الطعام والشراب ؟

تذكّر يا أستاذ أمين أنك أستاذ مسئول ، وتذكّر أنك بالفعل رجل محترم ، ولأغلاطك تأثير سيء فى تلاميذك ، وفيمن يثقون بك فيأخذون عنك بلا مراجعة ولا تدقيق .

تذكّر ، يا أستاذ ، أن للدنيا آفاقاً أوسع مما تظن ، وأن من واجب الأديب أن يتعقب بالوصف تلك الآفاق .

تذكّر أننا قد نطالبك بوصف زمانك ، وفيه « طفيليون » يتقربون إليك بتجريح الرجل الذى يواجهك بكلمة الحق، وأنت تعرف ما أعنى ومن أعنى .

تذكّر ، أن من العيب أن تقول إنك نظرت فى الأدب العربى فوجدته « ينحدر مع التاريخ شيئاً فشيئاً ليكون أدب معدة » ، وأنت تعرف بلا ريب أن من ذكرتهم من الأدباء لم يكونوا يصورون إلا بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية .

وهل غاب عنك أن العصر الذى جملته يعيش من أجل المعدة هو نفسه العصر الذى نشأ فيه أبو طالب المكى وأبو حامد الغزالى وجار الله الزمخشرى ، وهو نفسه العصر الذى نبغ فيه ابن مسكويه والحلاج والجيلى وإخوان الصفاء ؟

أنت رجل فاضل فيما أعتقد وفيما يعتقد عارفوك ، فأنت أستاذ على جانب عظيم من أدب النفس ، وقد أنصفتُك مرات كثيرة فى مؤلفاتى ، فمن جنايتك على نفسك أن ترتجل فى مواطن لا ينفع فيها الارتجال .

* * *

أما بعد فقد دعانا كثير من الزملاء إلى نقض ما كتبه الأستاذ أحمد أمين عن جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى .

ونجيب بأننا سنؤدى هذا الواجب بعد أن نشرب معه فنجاناً من قهوة أبى الفضل على شواطئ الأسكندرية ، الأسكندرية الجميلة التى لم يخلق الله مثلها فى البلاد .

وهنالك ، على شاطئ البحر ، وفى رعاية الألوف من أسراب الملاح ، سأصاول صديقى أحمد أمين

« للحديث شجون » زكى مبارك

التجنى على أحمد أمين

للأستاذ نديم الجسر

لقد استوقف نظرى فى العدد ٣١١ من الرسالة الغراء عنوان الكلمة التى كتبها الأستاذ العلامة الدكتور زكى مبارك عن الأستاذ العلامة أحمد أمين ، فحسبت أن قول الدكتور فى العنوان (جناية أحمد أمين على الأدب العربى) يطوى وراءه معنى غير المعنى الصريح ؛ لأن الأستاذ أحمد أمين ، إن لم يستأهل أن يسمى أديباً بكل ما فى الكلمة من معان ، فهو ، بلا ريب ، من أعاظم العلماء الذين خدموا العلم والفلسفة والأدب العربى بدراسات لا مثيل لها فى لغة العرب ؛ فأسدى بذلك إلى كل أديب ومتأدب عربى لا يحسن الاستقاء من معين الفرنجة خدمة لم يسبقه إليها سابق بمثل الطريقة التى سلكها . فكيف يكون من هذا شأنه فى خدمة العلم والفلسفة والأدب جانياً على الأدب جناية يستحق عليها التشهير بين الناس ؟

لو قرأت هذا العنوان فى جريدة سياسية أو كانت الكلمة لغير الدكتور زكى مبارك ما حملت نفسى عناء مطالعتها ، لأني كنت أذهب إلى أنها كلمة عدو أو حسود أو جاهل ؛ ولكن المجلة مجلة (الرسالة) وما أدراك ما الرسالة ، والكاتب هو الدكتور زكى مبارك فماذا أقول ؟

إن الدكتور زكى مبارك هو أحق الناس بعرفان فضل أحمد أمين ، وإن الدكتور زكى مبارك لأولى الناس بالدفاع عن أحمد أمين لو حاول هدمه شخص آخر . هكذا رأيناه قد فعل عندما غضب لكرامة الأدباء فى مصر يوم حاول النيل منهم ناشئة الأدب فى لبنان .

قد لا تكون كلمة الدكتور فى حقيقة أمرها تطوى الشيء الكثير من الظلم لأحمد أمين ، ولكن الظلم والقسوة يبدوان فى العنوان ؛ وطالما كانت ضخامة العناوين أشد أثراً فى تحويل أفكار المتأدبين الناشئين وتضليلها مما وراء العناوين . فهل يرضي الدكتور مبارك أن يستقر فى أذهان هؤلاء أن أحمد أمين من الجناة على الأدب العربى ؟

لا ريب فى أن الأستاذ أحمد أمين لم يكن موفقاً فى المقالات التى كتبها فى (الثقافة) مؤخراً . لا أقول هذا مجاراة للدكتور مبارك بل هو شيء لاحظته منذ شهرين ، وقلته لبعض عشاق أحمد أمين ، وأنا منهم . فكل من قرأ مقالاته التى كتبها بعنوان (جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى) أدرك أن العلامة الكبير لم يأت بشيء فى هذا المضمار : لأن التأثر بالأدب القديم ليس مما يستطيع الأديب التفلت منه كما يتفلت من اللفظة الوحشية عند صوغ الكلام ؛ بل هذا التأثر نتيجة لازمة للعناصر التى تتكون منها نفسية الأديب بحكم الوراثة والتقاليد والذوق والثقافة . وظهور القليل منه فى أدب اليوم برهان على أننا نجارى طبيعة التطور بالتدريج .

ونظن أن أستاذنا الكبير أحمد أمين الذى يحدثنا فى (ضحى الإسلام) بحديث دونه السحر عن تطور العقلية العربية فى مضمار العلم والأدب ، لا ينكر أن أثر الأدب الجاهلى قد ضعف فى شعر بشار وأبى نواس وأبى العتاهية ، وكاد يتلاشى فى شعر شوقى وحافظ . وهكذا سوف يسير الأسلوب الأدبى مع الزمن ويستق من تطوراته عناصر جديدة تحل محل القديمة حتى لا يبقى من القديمة إلا ما يتخذ أمثلة لدراسة تاريخ الأدب .

وبعد فأى بأس فى بقاء ذلك الأثر الضعيف من الأدب الجاهلى ؟ ألسنا نجد لذة وطرباً ونشوة فى هذه الصلة الحلوة بين القديم والحديث ؟

ثم أليس من جملة أعمال الأدب أن يحفظ شخصية الأمة بربط حاضرها بماضيها ، وتوجيه عواطفها نحو قبلة واحدة تجتمع عندها أحزان تلك الأمة وأفراحها ومفاخرها وتقاليدها وأساطيرها ؟

وهل يجوز لنا أن نترك كل ذلك الماضى ونتجرد منه كما نتجرد من الثوب الخلق لنكوّن لأنفسنا أدباً جديداً تزعق فيه السيارة بدلاً من حداء الحادى ، وتهب فيه نسمات الخرطوم أو مالطة بدلاً من صبا نجد ؟

إن هذا سوف يكون مع الزمن كما حصل حتى اليوم ؛ وأما التخلّى دفعة واحدة عن أذواق وعواطف داخلية كونتها الأجيال فينا فهو عمل يتم بقوة الجيش إذا شاءت الحكومة ، ولكنه عندئذ لا يسمى أدباً تخاطب به الأرواح ، بل يسمى (أوامر عسكرية) تنفذ بقوة السلاح ...

وبعد فإنك إذا أردت أن تجد فى كلمة الدكتور زكى مبارك شيئاً من الإنصاف فاطلبه فى قوله فى صدر مقاله الأول :

« إن الأستاذ أحمد أمين من كبار الباحثين فى العصر الحديث ولكنه على أدبه وفضله لا يجيد إلا حين يصطحب الروية ويطيل

مدينة قونيـــة

(يا حضرة مولانا)

للدكتور عبد الوهاب عزام

فصل من رحلات الدكتور عبدالوهاب عزام التى تطبع الآن فى مطبعة الرسالة ننشره بمناسبة ذكرى انتصار الجيش المصرى فى قونية على الجيش التركى .

— ١ —

من أسكيشهر الى قونية

أمضيت يوم الأحد فى أسكيشهر ثم ركبت قطار المساء والساعة ست ميمّماً قونية ؛ وكانت زيارة قونية منية فى النفس حاولتها حينما سافرت إلى استانبول من قبل فحال دونها بُعْد الشقة ؛ وبينها وبين استانبول أكثر من عشرين ساعة بالقطار . وكنت حينئذ أهاب اختراق الأناضول ، فلما اخترقته فى هذه السفرة وأنست بالسفر فيه عزمت على الرجوع إلى الشام من الطريق الذى أتيت منه ؛ وكانت قونية أحبّ بلاده إلىّ وكانت نفسى على رؤيتها أحرص . وإنما أربى من قونية زيارة مولانا جلال الدين

كان معى فى القطار شاب من قونية معه زوجه فحدثنى عن الترك وتمسكهم بدينهم وما فعلوا فى الحرب ، وكيف توغل اليونان فى الأناضول حتى قذفهم أبطال الترك فى البحر . وقال : إنهم قاربوا قونية ولكن مولانا جلال الدين ردّهم عنها. قلت فى نفسى : هذه كلة ظاهرها خرافة وباطنها حق ؛ فإن ما بثه جلال الدين فى النفوس من قوة وإيمان وجهاد وحرية جدير أن يرد كل عدوّ عن حماه

— ٢ —

بلغ القطار قونية والساعة ست ونصف من الصباح فمضيت إلى فندق اسمه فندق سلجوق فاسترحت بمقدار ماحال التعب الشديد بينى وبين مشاهدة المعاهد التى طال اشتياق إليها . ثم خرجت إلى المكتبة « ملت كتبخانة سى » فألقيت نظرة على فهارس المكتبة ولا سيما العربية منها فلم أجد فيها من نفائس الكتب أو غرائبها ما يستوقف الباحث . وأرسل معنا قيم المكتبة رجلاً من الموكلين بالآثار فذهب بنا إلى حيث يدفعنا الشوق ويدعونا الحب إلى البقعة التى ترسل الشعر والحكمة والتصوف فى آفاق الإسلام منذ ستة قرون ، إلى المزار الذى استبدل به صاحبه قلوب العارفين :

فلا تطلبن فى الأرض قبرى فإنما ... صدور الرجال العارفين مزارى

إلى الذكرى العظيمة التى لا تزال تدوى فى القلوب تقى وشعراً ، وفى العقول حكمة وإيماناً ، وفى الآذان موسيقى وغناء؛ إلى النبوغ الذى مزج الحكمة والتصوف والشعر فى أحسن تقويم؛ إلى الرجل الذى أنبته بلخ وظفرت به قونية ولكن لم يسع قلبه وعقله مكان ؛ إلى الحكيم البكرى الذى لا تحده الأنساب والأوطان ؛ إلى صاحب المثنوى والديوان مولانا جلال الدين الرومى الذى تنسب إليه الطائفة المولوية المعروفة فى مصر والأقطار الإسلامية، وقد اشتهرت مجالسهم فى السماع، يجتمعون على نظام خاص ويدورون بترتيب محكم على نغمات الناى وإنشاد المثنوى؛ والناى عند المولوية رمز إلى الحنين الدائم إلى العالم الروحى وقد بدأ مولانا جلال الدين كتاب المثنوى بنشيد الناى وأوله :

استمع للنـــاى غنى وحكى ... شفّه البين طويلاً فشكا
مذ نأى الغاب ــ وكان الوطنا ــ ... مــلأ الناس أنينى شجنا
من تشرده النوى عن أصله ... يبتغى الرجعى لمغنى وصله
أين قلب من فراق مُزّقا ... كى أبثّ الوجد فيه حُرّقا
كلُّ نادٍ قد رآنى نادباً ... كل قوم تخذونى صاحبا

الطواف فى الموضوع وذلك سر تفوقه » فهذه كلة الحق وأما ماتلاها من لواذع فهو ظلم

ونريد أن نرجح أن المقالات التى كتبها الأستاذ أحمد أمين فى الثقافة بعنوان (جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى) هى التى حملت الدكتور مبارك على أن يسمى قلة توفيق الأستاذ أحمد أمين فى مباحثه هذه (جناية على الأدب العربى) . ونحن لا نقول عن هذه التسمية إنها (جناية) على أحمد أمين بل نسميها (تجنياً على أحمد أمين) . ولعل الدكتور يبدل عنوان هذه السلسلة بعنوان آخر يستحسنه ، فإنه إن لم يفعل ذلك من باب الإنصاف والرقة فى النقد فليفعله من باب الكياسة، كيلا يمنح أحمد أمين، من حيث لايشاء، زعامة قوية فى الأدب العربى، فإن من يستطيع بمقال أو بمقالين أن يجنى على الأدب العربى لا بد أن يكون زعيماً من زعمائه إن لم يكن كبير زعمائه .

« طرابلس الشام » مريم الجسر

ظن كلٌّ أننى نعم السمير ليس يدرى أى سر فى الضمير
إن سرى فى أنينى قد ظهر غير أن الأذن كلّت والبصر
إن صوت الناى نار لا هواء كل من لم يَصْلَها فهو هباء
هى نار العشق فى الناى تثور وهى نار العشق فى الخمر تفور. الخ

وكان للمولوية فى تركيا شأن عظيم وكان رئيسهم (جلبى قونية) يقلد سلاطين العثمانيين السيف حين يتولون الملك



دار المولوية في قونية

وكذلك كان لهم أثر عظيم فى الأدب ، وحسبك من شعرائهم الشيخ غالب

هذه دار المولوى ولكن لا أرى الوفود متزاحمة على بابها ، ولا أرى الدار آهلة بنزّالها ، قد أقفر الندىّ ، وخلا السامر ، وعدّت الدار من الآثار، يدخل إليها بالمال الصالحون والفُجار

يلقى الداخل سور يتوسطه باب عتيق فوقه ظلة وعليه ثلاثة أبيات بالتركية تدل على أن السلطان مراد خان بن سليم خان بنى هذه الخانقاه سنة ٩٩٢ هـ . ومراد هذا هو مراد الثالث ابن سليم الثانى ابن سليمان القانونى (٩٨٢ — ١٠٠٣ هـ) فإذا ولج رأى فناء ينتهى إلى الشمال بحجرات كانت مساكن المولوية ومجالسهم ومطابخهم ومأوى ضيوفهم . وإلى اليمين حجر رفيعة اتخذت الآن مكتبة . وأمامَ الداخل بناء كبير تعلوه فى الجهة اليمنى قبة خضراء مخروطية تحلّق فوق قبر جلال الدين، وفى الجهة اليسرى مأذنة وقبتان كبيرتان، ويُدخل إلى البناء من باب جميل مصنّع تعلوه كتابة فيها هذا الشعار الذى يرى على كثير من أبنية المولوية : « يا حضرت مولانا » ويفضى الباب إلى حجرة فيها آثار للمولوية فيها كتب ونسخ من المثنوى هى أقدم نسخة وأنفسها، ثم باب آخر يفضى إلى قبور المولوية والمصلى ودار السماع (سماعخانة) : إلى اليمين رواق عليه قبة ويفصله سياج وسُتر تمنع الناس أن يدخلوا إليه أو يروا ما فيه إلا أعالى ضريحين كبيرين أحدهما لجلال الدين والآخر لأبيه بهاء الدين ويبدو ضريح الأب من وراء السياج مستطيلاً رأسياً فيقول العامة : لقد قام بهاء الدين فى قبره إجلالاً لابنه

وفى وسط البناء رواق بناه السلطان الفاتح ،

وإلى اليسار مصلى ودار للسماع من آثار السلطان سليمان القانونى

وفى البناء من عجائب الخط والنقش والتذهيب والكتب والبسُط ما يبهر الناظر ، وفيه من ملابس مولانا وآثاره وآثار بنيه

رأيت أربع قلانس قيل إن إحداها قلنسوة مولانا ، وأخرى لابنه سلطان ولد ، والثالثة لشمس الدين التبريزى ، والرابعة لحسام الدين جلبى من كبار أصحاب جلال الدين

ورأيت ثلاثة مصاحف كتبت فى أواخر القرن التاسع فيها ترجمة تركية ومصحف سلجوقى بين سطوره ترجمة فارسية ونسخا من شروح المثنوى ، ونسخة من الفتوحات يقال إنها بخط الشيخ الأكبر

ورأيت سجادة عليها صورة الكعبة قيل إنها كانت لأم جلال الدين مؤمنة خاتون بنت السلطان جلال الدين خوارزمشاه ، وسجادة أخرى يقال إن السلطان علاء الدين السلجوقى أهداها لجلال الدين يوم عرسه ، عليها الآية : « أقم الصلاة لدلوك الشمس » ... الخ

وقناديل صنعت فى مصر ... الخ الخ

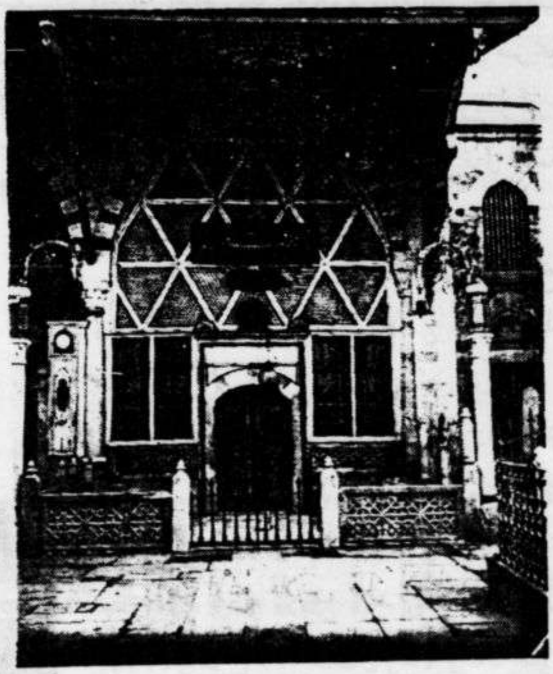
أطفنا بجوانب المكان نستمع إلى الدليل ، وللذكرى فى نفوسنا صوت أبين من صوته وأصدق وأجل ، ولكنى أستعيذ بالله من قول القائل :

يك طواف مرقد سلطان مولانا ى ما
هفت هزار وهفصد وهفت وحج أكبر ست

«طوفة بمرقد مولانا سبعة آلاف وسبعمائة وسبعون حجاً أكبر»

ثم خرجت وفى النفس حنين إلى البقاء وعزم على العودة :

خرجت أمشى يقول قلبى   للرّجــــل بالله أنظرينى



الباب الداخلى لمزار جلال الدين

وعدت فى اليوم التالى فلقيت أمين الدار وكنت واعدته اللقاء لاشتراء بعض الصور ، فقلت : أريد تجديد العهد بالمزار فدخل معى يطوف فى أرجائه ويصف ما يرى ويروى من التاريخ . وخرجت ولم أقض حاجات الفؤاد من رؤية ما وراء السياج . ونعوذ بالله من الحجاب ! إن شرّ ما يلقى الصوفىّ أن تسدل الحجب دون آماله ويحال بينه وبين مقصوده . خرجت كارهاً أتثاقل لأمضى مع الرجل إلى داره فيعرض علىّ ما صوّر من آثار قونية . قال : أأنت أستاذ ؟ قلت : نعم . قال : انتظر ، ثم أشار إلىّ فتبعته فرجع إلى المزار وتلفّت ثم أشار إلىّ وفتح باب السياج فتبعته . قال : نحن نمنع العامة من الدخول ونمكّن الأساتذة الباحثين من رؤية ما يشاءون . فشكرت له وسرت إلى ضريح جلال الدين بين قبور كثيرة لشيوخ المولوية من أولاده . وقفت وقفة أناجى الروح العظيم وأستلهم حكمته وعظمته ؛ ثم خرجت وفى النفس ما فيها من جلال الذكرى وثورة الشوق

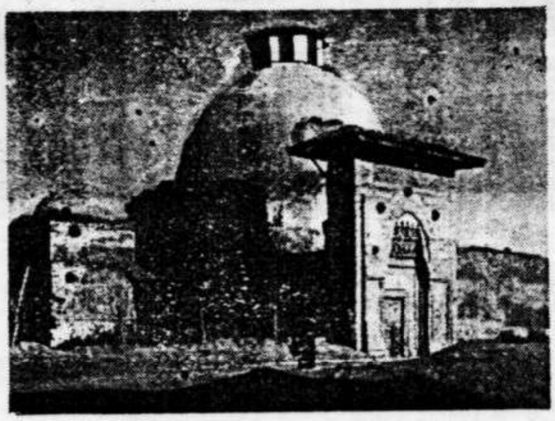
— ٣ —

ورأينا من آثار قونية مسجد علاء الدين وقصره وهما من أعظم آثار السلاجقة هناك ؛ يقومان على ربوة فى المدينة تسمى ربوة علاء الدين (علاء الدين تبه سى)

ورأينا على مقربة من الربوة مدرسة قره داى وزير السلطان علاء الدين ولا يزال فيها من عجائب الصنعة ، ولا سيما الكاشانى ما يخلّدها على رغم الزمان الذى ذهب برونقها وكثير من نقوشها

وعلى باب المدرسة آيات وأحاديث وكلمات عربية منها : رب أوزعنى أن أشكر نعمتك . إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى . السماح رباح . العسر شؤم . الحزم سوء الظن . الولد مجبنة مبخلة

وفى المدرسة بهو عليه قبة ، وإيوان وحجر قليلة كانت للطلاب ، وحجرة فيها ضريح صاحبها



مدرسة قره داى فى قونية

وزرنا مدرسة خربة تسمى صرجه لى مدرسه بنيت سنة ٦٤٠ هـ ومدرسة صغيرة لحفظ القرآن كتب على بابها :

أنشأ هـذه البقعة فى أيام دولة السلطان محمد بن علاء الدين خلد الله مملكته صاحب الخيرات والحسنات محمد بن الحاج خاصبك الخطيبى أعلى الله شأنه وجعلها دار الحفاظ سنة أربع وعشرين وثمانمائة

وهذا تاريخ محرّف فيما أظن فقد انتهت دولة السلاجقة قبل هذا التاريخ . والظاهر أن البناء شيد سنة أربع وعشرين وستمائة فى عهد علاء الدين كيقباد الأول (٦١٦ — ٦٣٤) إلا أن يكون السلطان المذكور هنا من سلاطين بنى قرمان الذين خلفوا السلاجقة فى قونية

(البقية فى العدد القادم)

عبد الوهاب عزام

لجاجة الجدل

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قد ترى إنساناً يسخر من إنسان آخر لأنه فى حديثه معه يذكر حقائق مبتذلة يعرفها كل الناس ؛ وهذا الساخر قد يعرف أن أحاديث الناس فى جملتها من هذا النوع الذى يسخر منه ، وأن كونها من هذا النوع يسهل الحديث بين الناس على اختلاف ما يؤهلهم للحديث من علم وفطنة ، أو ما لا يؤهلهم له من جهل وغباء . فهذا النوع المبتذل من الحديث الذى يسخر منه الساخر يؤلف بين الناس فى مجالسهم ويساعدهم على أن يقضوا وقتاً يريدون إفناءه ، ويمنع من انقطاع الحديث زمناً للبحث عن فكرة صائبة غير مبتذلة ، كما قد يمنع من الحقد الذى ينشأ بسبب الخلاف على فكرة غريبة غير مبتذلة ، أو بسبب حسد جليس لجليسه إذا ظهر عليه بفكرة جليلة . والساخر من الحديث المبتذل قلما ينقم فى سريرة نفسه على محدثه إذا كانت آراؤه سخيفة أو مبتذلة قدر ما قد ينقم عليه إذا بذه بالحجة وفاقه بأصالة الرأى . فليس شر الحديث المبتذل ، وإنما شر الحديث ما كان لجاجة وحبًّا للظهور بالعظمة وأثرة ورغبة فى الانتصار وفى إرغام الناس على إجلال فكر . فان بعض الناس – حتى بعض أفاضلهم وعلمائهم – يرتاد المجالس كى يزهى بعلمه وينتصر بالجدل . وبعض الذين لم ينالوا قسطاً كبيراً من التعليم يشعر بنقص إذا جالس الناس فيعمد إلى إخفاء ما يشعر به من نقص بما يظهر ذلك النقص ، فتراه يحول الحديث من الموضوعات الشائعة المبتذلة إلى الأمور العلمية ويحاول أن يسيطر على الحديث باللجاجة وادعاء العلم والإصرار والتهجم على مخالفه ، وقد ينفعل انفعالاً نفسيًّا شديداً ، وليس انفعاله من شدة انتصاره للحق ولا من ذعره أن يسود الباطل العالم ، وإنما انفعاله من غيظه إذا لم يُمَكَّن من الانتصار فى الحديث ومن إسكات مجادله كى يوهم نفسه وكى يوهم جلساءه أنه لا يشعر بنقص علمه ، وقد يفطن جلساؤه إلى أن باعثه على اللجاجة والانفعال شعوره بنقص تعلمه ولا يفطن هو إلى فطنتهم لنقصه فيضع نفسه فى منزلة الخزى من غير داع

وتشبث المرء بالحق فى المجالس واجب ، أما إعلان هذا التشبث بالجدل الذى يؤدى إلى الخصومة والعداوة والبغضاء والتضارب أو التقاتل فمن الضعف وقلة كبح النفس والعجز عن ضبط اللسان . وهذا العجز ليس من الحكمة فى شىء بل هو من الطيش الذى قد يندم المجادل عليه ولو كان الحق فى جانبه ، فإن أحاديث الناس فى مجالسهم ليس فيها ما يزكى اللجاجة التى تدعو إلى الخصومات . ويستطيع الجليس إذا خشى أن يُعَدَّ سكونه عن الجدل واللجاجة مشاركة فى خطل الرأى أو إثم الغيبة أن يترك ذلك المجلس وأن ينصرف عنه إلى غيره بعد إعلان رأيه فى رفق وتؤدة وحلم

وبعض الناس قد طُبِعَ على أن يجادل لنصرة ما يراه حقاً حتى ولو أدت المجادلة إلى المهاترة أو المضاربة ، وكأنما يشعر شعوراً غامضاً أن مصير الدنيا وبقاء الكون موقوف على انتصاره لما يراه حقاً ، وقد يكون هذا المجادل اللجوج صادق النية مخلصاً فى شعوره كأنه لم يَرَ كيف أن العلماء والفلاسفة يأتون كل جيل أو كل عصر بآراء تخالف ما أتى به أسلافهم ، والحياة قائمة بالرغم من خطأ السابقين أو اللاحقين ، والسماء لم تنهد ولم تسقط على الأرض والدنيا على حالها يخالطها كثير من الخطأ ، فلأى أمر إذاً يتضارب الناس فى مجالسهم أو يتخاصمون من أجل اللجاجة والجدل

على أن فى الناس من يحترف الجدل مكراً ودهاء كى يكون اعترافه بأصالة رأى مجادله أوقع وكى يكون انهزامه فى الجدل أحب إلى جليسه الذى يجادله ، وكى يفهم ذلك الجليس أن قوة بيانه ورجاحة حجته وفرط ذكائه هى الصفات العالية والهبات النفيسة النادرة التى مكنته من إقناع ذلك المجادل الذى إنما يجادل كى ينهزم وكى يمدح صفات جليسه العقلية تقرباً إليه لحاجة فى نفسه ، وهذه وسيلة من وسائل الدنيويين الذين يريدون النجاح فى الحياة ، وقد شاهدنا مثل هذا الجدل والاقتناع الكاذب فى حديث الرؤساء والمرءوسين وفى حديث الوجهاء ومن هم أقل منهم منزلة

وهناك نوع آخر من الجدل يثيره خبيث يعرف أن جليسه عصبى المزاج ينفعل إذا جادل فيحب أن يعبث به وأن يضحك من انفعاله ، وأن يتخذه لهواً وقد يكون رأيه فى الأمر الذى يجادل

فيه مثل رأى ذلك العصبي المزاج ولكنه يخالفه كي يتفكَّهَ بضجيجه وصراخه وحركاته حتى إذا نال بغيته من الفكاهة أقرَّ برجحان رأى ذلك العصبي المزاج فينال نوعاً آخر من الفكاهة إذا رأى عظم سروره وخمود ثورة أعصابه

وقد شاهدنا نوعاً آخر من الجدل إذ يرى أحد الجليسين أن جليسه سفيه لا يريد توضيح الحق بالجدل وإنما يريد الظفر فى الحديث بأية وسيلة ، ولا يتركُ جليسَهُ إذا سكت بل كلما طال سكوته أحس ذلك السفيه أن سكوته إنكار لرأيه فيلج فى الجدل كى يرغمه على الخروج من صمته وصاحبه لا يرى فائدة فى الخروج من صمته فيكتفى بأن ينطق بمقاطع لا تدل على مخالفة أو موافقة كأنْ يقول : أومْ . إيمْ . آ . إمْ . وهذا على أى حال خير من التقاتل أو التضارب من أجل الجدل

ونقرأ فى الجرائد عن تضارب يُؤَدِّى إلى قتل وكان سببه نزاعا على مليم أو على قطعة من البطيخ ، ومثل هذا التقاتل يرجع إلى اللجاجة فى الجدل أكثر مما يرجع إلى شدة الفقر إلى المليم أو إلى قطعة البطيخ؛ ومَثَلهُ مَثَلُ اللجاجة فى الجدل وفى النزاع على رأى سياسى أو فى التنافس فى البر وعمل الخير، فهذا أيضاً قد يدعو إلى التقاتل كما حدث بين شابين تجادلا فى أيهما أحق بالتأذين والدعوة إلى الصلاة فانقلبت لجاجة الجدل إلى تشاتم ثم إلى تضارب فتقاتل . ونقرأ فى الجرائد أن اللجاجة فى الجدل قد تؤدى إلى الخصومات والتقاتل بين الأسر أو بين البلدان المتجاورة .

واللجاجة فى الجدل عند بعض الناس مرض يظهر خبث النفوس فترى بعض الناس يحقد على من يجادله ويسعى فى أذاه إما سعياً ظاهراً وإما فى الخفاء . ويخيل للرائى أن بعض المجادلين يكادُ يُجَنُّ إذا لم ينتصر فى الجدل، وقد يكون هذا المجادل طيب القلب سمحاً إذا وافقه الجلساء على رأيه وهواه ، وقد يمدح من يوافقه فى حديث المجالس على رأيه فيقول : — فلان رجل ذكى لا يجادل بالباطل ويدرك الصواب إدرا كا سريعاً ... وقد يكون هذا الممدوح مخفياً غير ما وافقه عليه وساخراً برأى المادح فى سريرته وهازئاً بلجاجته

والطوائف والأمم مثل آحاد الناس فإننا نقرأ فى تاريخ الإنسانية عن تقاتل الطوائف من الناس على ألفاظ لا طائل تحتها وعلى أخيلة وأوهام بعيدة عن العقل فنعجب هل كانوا حمقى أم مجانين

وستأتى عصور يتساءل أهلها عن تقاتلنا على الألفاظ والأوهام، ويتعجبون من حماقة هذه الأجيال كما نتعجب هذه الأجيال من حماقة أهل العصور القديمة ، ولم يعظنا ما رأيناه من عبث التقاتل على الألفاظ والأوهام والآراء التى تتبدل فى كل عصر حتى كأن العقل البشرى من قلة اتعاظ النفوس لا أثر له فى الحياة وحتى كأن الحياة لا تستقيم إلا بأن يجد الناس لذة فى خلق أسباب الألم والعذاب لأنفسهم بخصومات الجدل وعداواته كما يجد بعض المتدينين لذة فى أكل النار وطعن أنفسهم بالخناجر فى بعض الحفلات الدينية . والجدل فى مناظرة الكتب والصحف والمجلات كالجدل فى مناظرة الكلام فمنه ما يكون من العبث المفضى فيه ، ولعل أشدَّ المناظرة عبثاً وضيعة ما يدعو إلى مجادلة الذى يزكِّى بالمصطلحات قلة خبرته بالحياة ، وهى مصطلحات لا يستقيم مذهبها إلا فى الأمور النظرية التى لا تتصل بأمور الحسّ، أو مجادلة من يشبه المؤرخ الذى لا ينتقد مصادر تاريخه كما ينتقد الصيرف نقوده وتطغى حماسة الشباب فى قوله وتطغى الثقة بالأصدقاء على الرغبة فى الإنصاف وفى تخليد حكمه وصيانته من أن ينقضه بحث باحث

وقد يكبر الوهم للمشتغلين بالسياسة قيمة جدلهم ومناظراتهم فى الصحف ، ويحسب كل فريق أن خراب الوطن رهن بانخذاله فى أية مناظرة مهما يكن سببها فيستبيح ضمير كل فريق من الوسائل فى خصومات الجدل ما كان يعده إجراماً لو نظر إلى الأمور بعين المؤرخ الذى يرى زوال الجهود البشرية وغثاثة أمر الكثير منها وتفاهة ما كان الناس يعدونه جد جليل خطير

ولما كانت السياسة شغل الناس الشاغل فى العصور الحديثة فإن الأخلاق التى يستبيحها الجدل فى شؤونها ، وما قد يظن معينا على هذا الجدل، تتفشى وتفسد أمور الحياة التى يراد إصلاحها بهذا الجدل فيأتى فساد الأمور من سبيل إصلاحها، ويأتى سقمها على يد طبيبها . ولا يقتصر هذا الفساد على المشتغلين بالأمور السياسية ؛ فإن كل إنسان وكل قوم يبيح فيمن يعدهم من خصومه وإن لم يكونوا خصوماً فى أمور المعاش، ما تبيحه السياسة من الكذب،

والحساسة فى العداوة والإجرام ؛ فإن الرجل من عامة الناس أو أشباه العامة يرى بين الخاصة والعظماء المشتغلين بالسياسة من يستبيح كل وسيلة مهما كانت مرذولة، فيبيح لنفسه فى أمور المعاش واللهو والتلذذ بالكيد ما تبيحه السياسة فى الأمور العامة، ويصير نشر الدعوة الكاذبة فى أمور السياسة خطة يتأثرها الناس فى أمور المعاش أو اللهو أو الغرور، ويصير التحزب ونصرة الجماعة بالحق وبالباطل فى أمور السياسة عادة يتبعها الناس ويغالون فى باطلها فى أحقر الأمور وأصغرها أو فى أبعد الأمور عن تلك الخطط والعادات وأقلها حاجة إليها وأكثرها فساداً بها، ويكون فسادها أعظم والمغالاة بها أشد فى البيئات التى تعودت فى تاريخها التخاذل فى الحق والتحزب والتقاتل فى أتفه الأمور أو أجلها وأبعدها عن التحزب بالباطل .

عبد الرحمن شكرى

دراسات إسلامية

كبار الزنادقة فى الإسلام

للأستاذ عبد الرحمن بدوى

رجحنا فى العدد الماضى من الرسالة أن تكون الزندقة التى عناها المهدى والهادى فى هذه الاضطهادات العنيفة التى قاما بها بين سنة ١٦٣ وسنة ١٧٠ هى المانوية ، وأن يكون هؤلاء الذين اتهموا بالزندقة ممن كانوا يقولون بأن للعالم أصلين قديمين هما النور والظلمة ويحرمون ذبح الحيوان واللحم إلى آخر هذه المبادىء التى أعلنها مانى مؤسس مذهب المانوية .

ولكن هذا لم يمنعنا أن نقول كذلك إن معنى الزندقة قد اتسع وامتد حتى أصبح يشمل أشياء أخرى لم يكن للمانوية بها صلة ولا سبب . ولم يكن هذا الاتساع وليد السنوات التالية والقرنين الثالث والرابع فحسب ، بل بدأ من قبل ، فى هذه الفترة عينها التى مضت فيها السنوات الأخيرة من خلافة المهدى وسنوات خلافة الهادى كلها .

ولا سبيل لمعرفة نواحى هذا الاتساع ، وكيف تشعّب وتنوّع ، فكانت فيه فروق ودقائق ، إلا بدراسة كبار الزنادقة والتحدث عنهم .

والزنادقة طوائف وأنواع، والدوافع التى حدت بهم إلى الزندقة كثيرة متعددة . أما طوائفهم فنستطيع أن نحصرها فى ثلاث : الأولى طائفة هؤلاء الذين يسميهم صاحب « الفهرست » رؤساء الثنانية فى الإسلام ؛ والثانية طائفة المتكلمين ؛ والثالثة طائفة الأدباء من كتاب وشعراء . والدوافع تكاد ترجع كلها إلى ثلاثة أيضاً : فمن هؤلاء الزنادقة من كانوا يؤمنون بالزندقة (ونقصد بها هنا المانوية) إيماناً صحيحاً صادراً عن رغبة دينية صادقة ، فكانوا مخلصين فى اتخاذها مذهباً ، حريصين عليها كأشد ما يكون الحرص

ومنهم من وجد فى الزندقة (بمعنى المانوية أيضاً) تراثاً قومياً خلفه الآباء فيجب الحرص عليه وتعهده ؛ لا لصلاحيته فى ذاته ، ولا لأنه يستحق الإيمان به كما هو ، وإنما لأن فى هذا الحرص وذلك التعهد نوعاً من الإرضاء للنعرة القومية ، والإشباع للنزعة الشعوبية . وفيها أيضاً موضع للمفاخرة ومجال لكى يقارنوا به تراث العرب ودين العرب بما خلفه لهم الآباء من تراث ودين . ومن أجل هذا كان جميع هؤلاء من الموالى الفرس . وبين هؤلاء وهؤلاء وجدت طائفة من الزنادقة كانت تتخذ من الزندقة وسيلة من وسائل العبث الفكرى التى يلجأ إليها الشكاك دائماً ، يرومون من ورائها أن يعبثوا بعقائد الناس ، بأن يعقدوا حلبات النضال بينها ، ويساعدوا الضعيف منها على القوى السائد ، ويظهروا ميلهم إلى الأول؛ وكل هذا لا شىء إلا ليجدوا السلوى حيث لا سلوى، ويعثروا على العزاء وليس ثم عزاء . فهى حالة نفسية عنيفة تتملكهم فتدفعهم إلى ما هو أشبه باللهو الفكرى والمجون الشكى منه إلى شىء آخر .

وتكاد الطوائف والدوافع يقابل بعضها بعضاً تمام المقابلة . فالطائفة الأولى ، ونعنى بها طائفة رؤساء المانوية (أو الثنانية فالمعنى واحد) ، يغلب على دوافع أصحابها الإيمان بها إيماناً صادقاً ، وهذا هو الأليق بأن يكون عليه الرؤساء . والطائفة الثانية يغلب على أصحابها الدافع الأخير ، دافع الشك الفكرى والفكر المتشكك ، ولا عجب فهم متكلمون أى إنهم رجال فكر وأصحاب مذاهب ومقالات يعتمدون على الأفكار والعقل ، دون المصالح أو الإيمان . والطائفة الثالثة ، وإن كان للدافع الثانى أثر كبير فى اتخاذها الزندقة ، إلا أن أعظم دافع أثر فيها كان نزعة الشعوبية . وليس

هذا بغريب فالشعراء والكتاب لا يستهويهم الإيمان ، ولا قبل لهم بالإيمان فى الشك الفكرى، وإنما تستهويهم الأحداث العنيفة التي تلهب عواطفهم وتثير ثائرة خيالهم ، وليس أدعى إلى إلهاب العاطفة وإثارة الخيال من نزعة الشعوبية ؛ أولاً لأنها تتصل بالسياسة وأحداثها ، والنزاع القائم بين طائفة وطائفة أخرى . وثانياً لأن الشعوبية تذكرهم بمجد تالد يعتزون به ، ويتغنون بعظمته . والشعراء يميلون دائماً إلى التغنى بالماضى سواء بالافتخار به أو البكاء عليه ، لأن الماضى زمن قد فات ولم يعد له وجود إلا فى الذاكرة التى تعيه ، فيستطيع الخيال أن يشكله على النحو الذى يبغيه ، وأن يتصرف فيه كما أراد وحيثما شاء ، وهو مطمئن آمن . بينما الحاضر يحدق فى عينه فلا يستطيع أن يزور فيه أو يكذب عليه فى أثناء وجوده !

والآن فلنتحدث عن أشهر رجال هذه الطوائف

أما الطائفة الأولى فأشهر رجالها أبو على سعيد ، وأبو على رجاء، وأبو يحيى ويزدانبخت . وقد استطاع الأستاذ فيدا صاحب المقال الذى أشرنا إليه والذى نعتمد عليه كثيراً فى مقالنا هذا ، أن يعثر على اثنين منهم فى المصادر الأخرى فى يقين . ثم حاول أن يتعرف إلى آخر ثالث

فأبو على سعيد ذكره الشهرستانى [1] الذى يقول عنه إنه كان فى أيام خلافة المعتمد وكان يكتب فى سنة ٢٧١ هـ

ويَزْدانبَخت ذكره أحمد بن يحيى المرتضى ، كمؤلف لكتاب أخذ عنه المرتضى نظرية تتابع الأنبياء . ويحاول فيدا أن يجد أبا على رجاء فى شخص ذكره الجاحظ فى كتاب الحيوان [2] حينما أشار إلى أنه جرت مناظرة فى حضرة المأمون بين محمد بن الجهم والعتبى والقاسم بن سيار من جهة وبين أبى على الزنديق . فلما لم يفلح هؤلاء فى مناظرة الزنديق قام المأمون نفسه بمناظرته فألقى عليه سؤالاً أفحمه ولكن الزنديق لم يرجع عن خطئه ومات على دينه . ولكى يثبت فيدا صحة هذا الافتراض ، ونعنى به أن أبا على المذكور فى رواية الجاحظ هو أبو على رجاء . قال إن هذا الزنديق لا يمكن أن يكون أبا على سعيداً، الذى ذكرناه آنفاً لأن أبا على سعيداً كان يكتب وكان حياً فى سنة ٢٧١ ، بينما الجاحظ الذى مات سنة ٢٥٥ يتحدث عن أبى على صاحبنا ، باعتباره ميتاً . وعلى ذلك فليس هناك من مانع ، اللهم إلا إذا ورد دليل مخالف ، أن نفترض أن الزنديق الذى ذكره الجاحظ هو أبو على رجاء الذى ذكره ابن النديم

أما الزنادقة من المتكلمين فأشهرهم ابن طالوت ونعمان ، اللذان كانا أستاذى ابن الراوندى الزنديق المشهور ، كما كان من أساتذته أيضاً أبو شاكر الذى يذكر عنه الخياط أنه كان متصلاً بهشام بن الحكم ، المتكلم الشيعى المعروف . ويرى فيدا أن الرابطة بين أساتذة ابن الراوندى الثلاثة هؤلاء يظهر أنها كانت التغالى فى التشيع . وهذا كان كافياً لكى توضع أسماؤهم بين أسماء الزنادقة . ويضاف إلى هؤلاء جميعاً صالح بن عبد القدوس . وقد أشرنا من قبل إلى البحث الذى كتبه جولد تسيهر وعسى أن تتاح لنا فرصة قريبة للتحدث عن هذا البحث

وهم جميعاً إما بعيدون عن المانوية أو أن معلوماتنا عن مبادئهم الدينية ضئيلة جداً . ولكن هناك شخصية أخرى بين الزنادقة من المتكلمين نعرف عنها بعض الأشياء ونعنى بها شخصية عبد الكريم بن أبى العوجاء . ولا نتعرض هنا للكلام عنه كمحدث أسرف فى اختراع الأحاديث ووضع المكذوب منها ، ولا عن صلته بحسن البصرى وجعفر الصادق، وإنما يعنينا هنا أن نقول عنه شيئاً يتصل بزندقته فنقول إنه كان كما يقول البغدادى [1] مانوياً يؤمن بالتناسخ ويميل إلى مذهب الرافضة ويقول بالقدر . ويتخذ من شرح سيرة مانى وسيلة للدعوة وتشكيك الناس فى عقائدهم ويتحدث فى التعديل والتجوير ، كما ذكر البيرونى فى كتاب « الهند [2] »

ولكن أظهر شخصية فى هؤلاء المتكلمين الزنادقة بعد شخصية ابن الراوندى (الذى نؤجل الحديث عنه إلى أن نفرد له فصلاً خاصاً إن كان هناك ثم مجال) ، هى شخصية أبى عيسى الوراق وقد كان هو أيضاً أستاذاً لابن الراوندى

كان أبو عيسى الوراق معتزلياً فى البدء ولكن المعتزلة طردته

(١) الملل والنحل ، طبع كيورتن ص ١٩٢

(٢) الحيوان ج ٤ ص ١٤١ وما بعدها

(١) الفرق بين الفرق ص ٣٤٩ وما بعدها

(٢) ما للهند من مقولة ص ١٣٢

لآراء له ذكرها خصومه ولسنا نعرف مبلغ صحتها على وجه التحقيق فيذكرون عنه أنه كان شيعياً رافضياً ، ويقول عنه الخياط إنه كان مانوياً يقول بأزلية المبدأين (النور والظلمة) ويعتقد فى خلود الأجسام ؛ والخياط معتزلي فهو خصم لأبي عيسى . ومن هنا لا نستطيع أن نؤكد تماماً أنه كان مانوياً . ولذلك فإن الأستاذ ماسينيون[1] يميل إلى وصفه بالناقد المستقل الفكر »

وهنا ننتهي من الكلام عن الطائفة الثانية وننتقل إلى الطائفة الثالثة ونعنى بها طائفة الأدباء والشعراء

وأول هؤلاء وأشهرهم من غير شك بشار بن برد ، ولكننا لا نستطيع هنا أن نفصل القول فى زندقة بشار ، ويكفينا الآن أن نقول إن نزعة الشعوبية عند بشار كانت أكبر دافع له على الزندقة كما كان للعبث والمجون الذى طبع عليه بشار ، وروح التشاؤم والسخرية من الناس أثر فى هذه الزندقة غير منكور . وهنا نلاحظ بإزاء بشار ما لاحظناه من قبل عند الكلام عن ابن أبي العوجاء وأبي عيسى الوراق من أن الاتهام بالزندقة كان يسير جنباً إلى جنب مع الانتساب إلى مذهب الرافضة كما لاحظ الأستاذ فيدا بحق ، ومن هنا كان الشك فى معنى هذه الزندقة التى تنسب إلى بشار ؛ ولذلك يميل الأستاذ فيدا إلى أن يرى فى بشار شاكاً من الشكاك فحسب

ولكن زندقة خصم بشار ، ونعنى به حماد عجرد ، أظهر بكثير من زندقة بشار . وعلى الرغم من أنه لا يمكن القطع بشيء فيما يتصل بعلاقته بالمانوية إلا أنه يمكن اعتباره ممن كانت لهم نزعة مانوية واضحة ، خصوصاً إذا لاحظنا أن شعره وقصائده كان يتغنى بها فى دوائر أتباع ماني وتستعمل فى الصلوات

أما خط النزعة الشعوبية فى تكوين الزندقة فلم يكن كبيراً فى شاعر من الشعراء أو كاتب من الكتاب بقدر ما كان عند إبان بن عبد الحميد اللاحقى . فقد كان يعرف الفارسية ويترجم عنها ؛ وكان على اطلاع وسعة علم بأدب الفرس القديم ، فكان ذلك داعياً له إلى التعلق بتراث الفرس والتغنى به فى جميع مظاهره . ولكن هذا ليس دليلاً قاطعاً على أنه كان مانويا حقاً ، أو أنه اعتنق المانوية كدين أخلص (؟) على الرغم مما ذكره أبو نواس عنه فى إحدى القصائد التى هجاه بها فاتهمه بأنه كان حسياً لا يؤمن إلا بما يراه فلا يعتقد إذن بالجن ولا بالملائكة . وهذه التهمة عينها قد وجهت إلى بشار من قبل . واتهمه أيضاً بأنه أشاد بماني وسخر من المسيح وموسى . وهنا يبدو الخلط والاضطراب فى كلام أبي نواس لأنه إذا كان مانوياً فلن يسخر من المسيح . والصلة بين المانوية والمسيحية كبيرة واضحة لا تسمح بهذه السخرية. ونرجح نحن أن السبب الأكبر فى اتهام إبان بالزندقة كان نزعته الشعوبية الواضحة فاتخذ أنصار العربية من اتهامه بالزندقة سلاحاً يستعملونه ضده فى الخصومة الحضارية بين الشعوبية والعربية

وهؤلاء الشعراء الثلاثة قد اتفقوا جميعاً فى غلبة روح الاستخفاف والعبث فيهم . ولذلك فإن أبا نواس كان صادقاً حقاً فى تسميتهم « بعصابة المجّان » ولو أنه كان فرداً من أفراد هذه العصابة ! فهم أقرب إلى الشك والمجون إذن من الإيمان والجد وهم أولى باسم الشكاك العابثين من اسم الزنادقة المخلصين

وأكثر من هؤلاء جداً وأبعدهم عن العبث والمجون أبو العتاهية . وقد لخص الأستاذ فيدا آراء أبي العتاهية أحسن التلخيص فقال : إن أول ما نلاحظه فى معتقدات أبي العتاهية أنه كان يؤمن بالأثنينية بكل صراحة . فالعالم الظاهر مكون من جوهرين متعارضين ، والوجود تنازعه طبقتان إحداهما خيرة والأخرى شريرة . وهو يرجع الوجود كله فى النهاية إلى الجوهرين المتعارضين اللذين نشأ عنهما العالم وتكوّن . غير أن أبا العتاهية صاغ نظرياته الأثنينية فى صيغة واحدية ، إذ جعل الله الواحد عند بدء الأشياء وقال : إنه خالق الجوهرين وأن العالم ما كان له أن يوجد بدون الله وحده . طارحاً بذلك أسطورة الخليط الأزلى بين الجوهرين أو المبدأين ونعنى بهما النور والظلمة

***

وهنا نقف قليلاً بعد أن استعرضنا كبار الزنادقة وشرحنا كيف كانوا موضعاً للاضطهاد فى أيام الخلفاء العباسيين الأول لكى نتبين ما وصلنا إليه من نتائج

فنلاحظ أولاً أن الزنادقة الذين وجه إليهم الخلفاء ما وجهوه من اضطهاد كانوا مانوية إما بتحولهم عن الإسلام أو منذ ولادتهم

(١) Massignon, EI, article zindik

في الفترة ما بين سنة ١٦٣ و ١٧٠ . أما بعد ذلك فإنا لم نستطع أن نثبت المانوية لواحد ممن اتهموا بالزندقة ، اللهم إلا لعبد الكريم ابن أبي العوجاء . أما الآخرون فلم نستطع أن نفصل في أمرهم فصلاً أخيراً

ثم نلاحظ كذلك أن الزنادقة كانوا في أماكن عديدة فكانوا في بغداد وفي حلب وفي مكة ، ثم في البصرة والكوفة على وجه الخصوص .

وإن أشهر ما كان يوجه إليهم من تهم هو ترك الفرائض (كالصوم والصلاة والحج) ، ثم ادعاء الشعراء منهم والكتاب أنهم يستطيعون أن يكتبوا خيراً من القرآن ؛ وأخيراً موقفهم بإزاء وحدانية الله

وأنه كانت هناك رابطة بين الزندقة والشيعة، قد رأينا كيف كان الانتساب إلى الشيعة الرافضة دليلاً على الزندقة وداعياً إلى الاتهام بها

ونلاحظ أخيراً أن الكثير من كبار الزنادقة قد قضوا شبابهم وأوائل حياتهم في أواخر أيام الدولة الأموية . فيجب أن نستنتج كما يقول الأستاذ فيدا : « أنه للكشف عن أصل التأثيرات الإيرانية التي لعبت دوراً خطيراً منذ ظهور الدولة الجديدة (أي الدولة العباسية) فلا بد من البحث في الأوساط العلمية العقلية في داخل خراسان وبين أعوان أبي مسلم الخراساني السريين كما نبحث عنه في البصرة والكوفة » ففي منطقة خراسان التقت جملة حضارات مختلفة في طابعها . فكان فيها في أواخر الدولة الأموية حركة صراع فكري بين عدة حضارات . وكان لهذا الصراع الفكري أكبر الأثر في تكوين العقلية الجديدة التي سادت العصر العباسي أو الجزء الأول منه على أقل تقدير . ولن نستطيع أن نفهم هذه العقلية الجديدة وتطورها طوال ذلك العصر إلا إذا درسنا هذا الوسط الذي اصطدمت فيه العقليات المختلفة واختمرت فيه بذور الحياة العقلية التي جعلت من العصر العباسي الأول عصراً من أخصب العصور الفكرية في تاريخ العالم كله .

عبد الرحمن بدوي

الحب العذرى في الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

- ٢ -

قال ابن الكلبي : لما استخلف عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وفدت إليه الشعراء ، كما كانت تفد إلى الخلفاء قبله ، فأقاموا ببابه أياماً لا يأذن لهم بالدخول ، حتى قدم عديُّ بن أرطاة على عمر ابن عبد العزيز ، وكانت له منه مكانة ، فقال جرير :

يا أيها الرجل المُزْجى مطيَّته هذا زمانك إنى قد مضى زمنى
أبلغْ خليفتنا إن كنت لاقيَه أنى لدى الباب كالمصفود فى قَرنِ
وحشُ المكانة من أهلى ومن ولدى
نائى المحلَّة عن دارى وعن وطنى

قال : نعم أبا حَزْرَة ونُعمى عين . فلما دخل على عمر قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء ببابك ، وأقوالهم باقية ، وسنانهم مسنونة ، قال : ياعدى ، مالى وللشعراء ! قال : يا أمير المؤمنين ، إن النبى صلى الله عليه وسلم قد مدح وأعطى ، وفيه أسوة لكل مسلم . قال ومن مدحه ؟ قال : عباس بن مرداس ، فكساه حلة قطع بها لسانه ، قال : وتروى قوله ؟ قال نعم :

رأيتك يا خير البريَّة كلَّها نشرت كتاباً جاء بالحق مُعلَما
ونورت بالبرهان أمراً مُدمَّساً وأطفأت بالبرهان ناراً مُضرَّما
فمن مبلغٌ عنى النبىَّ محمداً وكلُّ امرىء يجزى بما قد تكلما
تعالى عُلُوّاً فوق عرش إلهنا وكان مكانُ الله أعلى وأعظما

قال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟ قال : ابن عمك عمر بن أبى ربيعة قال : لا قرب الله قرابته ، ولا حيّا وجهه ، أليس هو القائل :

ألا ليت أنى يوم حانت مَنيَّتى شممت الذى ما بين عينيك والفم
وليت طهورى كان ريقك كله وليت حنوطى من مشاشك والدم
ويا ليت سلمى فى القبور ضجيعتى هنالك أو فى جنة أو جهنم

فليته والله تمنى لقاءها فى الدنيا ، ويعمل عملاً صالحاً ، والله لا دخل على أبداً ، فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : جميل ابن معمر العذرى ، قال : هو الذى يقول :

ألاَ ليتنا نحيا جميعاً وإن نَمُتْ
يوافى لدى الموتى ضريحى ضريحها
فما أنا فى طول الحياة براغب إذا قيل قد سوى عليها صفيحها
أظلُّ نهارى لا أراها ويلتقى مع الليل روحى فى المنام وروحها

أعزب به ، فوالله لا دخل على أبداً . فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قال : كُثيِّر عزَّة ، قال : هو الذى يقول :

رهبانُ مَدْيَنَ والذين عهدتهم يبكون من حذَر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها خرُّوا لِعَزَّةَ راكعين سجودا

أعزب به . فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قال : الأحوص الأنصارى ، قال : أبعده الله وأسحقه ، أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جارية هربت منه :

الله بينى وبين سيدها يفرُّ عنى بها وأتبعُ

أعزب به . فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قال : همَّامُ بن غالب الفرزدق ، قال : أليس هو القائل يفخر بالزنا :

هما دلَّتانى من ثمانين قامةً كما انقضَّ بازٌ أقتم الريش كاسره
فلما استوتْ رجلاىَ فى الأرض قالتا
أحىٌّ يُرجَّى أم قتيلٌ نحاذره
وأصبحتُ فى القوم الجلوس وأصبحت
مُغلَّقةً دونى عليها دساكره
فقلتُ ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا
ووليتُ فى أعقاب ليلٍ أبادره

أعزب به . فوالله لا دخل على أبداً . فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : الأخطل التغلبىُّ ، قال : أليس هو القائل :

فلستُ بصائمٍ رمضانَ عمرى ولستُ بآكلٍ لحم الأضاحى
ولست بزاجرٍ عَنساً بكوراً إلى بطحاء مكة للنجاح
ولست بقائمٍ كالعَيْر يدعو قُبَيل الصبح حىَّ على الفلاح
ولكنِّى سأشربها شَمولاً وأسجد عند مُنبلَج الصباح

أعزب به . فوالله لا وطئ لى بساطاً أبداً وهو كافر . فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : جرير بن الخطفى ، قال : أليس هو القائل :

لولا مراقبةُ العيون أرَيْنَنا مُقَلَ المها وسوالفَ الآرامِ
هل يَنهينَّك أن قتلن مُرقِّشاً أو ما فعلن بعُروة بن حِزامِ

ذُمَّ المنازلَ بعد منزلة اللِّوى ... والعيش بعد أولئك الأيام

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعى بسلام

فإن كان ولا بد فهذا . فأذن له ، فخرجت إليه فقلت : أدخل أبا حَزْرَةَ ، فدخل وهو يقول :

إن الذى بعث النبيَّ محمداً ... جعل الخلافة فى إمام عادلِ

وَسِعَ الخلائقَ عدلُهُ ووفاؤه ... حتى ارعوى وأقام مَيلَ المائل

والله أنزل فى القرآن فضيلةً ... لابن السبيل وللفقير العائل

إنى لأرجو منك خيراً عاجلاً ... والنفسُ مولعةٌ بحب العاجل

فلما مَثَلَ بين يديه قال : اتق الله يا جرير ، ولا تقل إلا حقاً ، فأنشأ يقول :

كم باليمامة من شعثاء أرملةٍ ... ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

ممن يَعُدُّك تكفى فَقْدَ والده ... كالفرخ فى العش لم ينهض ولم يطر

يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنَّ به ... خبلاً من الجن أو مساً من البشر

خليفةَ الله ماذا تأمُرَنَّ بنا ... لسنا إليكم ولا فى دار مُنْتَظَر

ما زلتُ بعدك فى همٍّ يُؤرِّقنى ... قد طال فى الحىِّ إصعادى ومُنحدَرى

لا ينفع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنا ... ولا يعود لنا بادٍ على حَضَر

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر

أتى الخلافة إذ كانت له قَدَراً ... كما أتى ربَّهُ موسى على قدر

هذى الأرامل قد قَضَّيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

فقال : يا جرير ، والله لقد وليت هذا الأمر وما أملك إلا ثلثمائة درهم ، فمائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ؛ يا غلام ، أعطه المائة الباقية . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنها لأحب مال كسبته إلى . ثم خرجَ ، فقالوا له : ما وراءك ؟ قال : ما يسوؤكم ، خرجت من عند أمير المؤمنين يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وإني عنه لراض . ثم أنشأ يقول :

رأيتُ رُقَى الشيطان لا يستفزُّه ... وقد كان شيطانى من الجن راقيا

ولا شك أن وجهة عمر رضى الله عنه ظاهرة فى منع ابن أبى ربيعة لأنه كان لا يتورع فى شعره عن التشبيب بالنساء من يعرفها ومن لا يعرفها ، ويتعرض للمحصنات المتعففات ويترقب خروجهن للطواف والسعى ، ويصفهن وهن محرمات حتى صرن يخفن الخروج إلى الحج . وقد نفاه عمر بسبب هذا إلى دَهْلَكْ ، وهى جزيرة ببحر القُلزُم أمام مدينة مصوع . أما أبياته المذكورة فهى وإن كانت محمولة على المبالغة لا تليق برجل يحافظ على أمور دينه لأن فيها شيئاً من الاستهتار بعذاب الله ، وما كان لمثل عمر رضى الله عنه أن يقبل هذا منه وأن تنسيه رقته الشعرية ناحيته الدينية ، كما أنست قبله عمه عبد الملك بن مروان وقد اجتمع ببابه ابن أبى ربيعة وكُثَيِّرُ عَزَّةَ وجميل بُثَيْنَةَ ، فقال لهم : أنشدونى أرَقَّ ما قلتم فى الغوانى ، فأنشده جميل :

حلفتُ يميناً يا بُثَيْنَةُ صادقاً ... فإن كنت فيها كاذباً فعميتُ

إذا كان جلدٌ غير جلدك مسَّنى ... وباشرنى دون الشِّعار شريت

ولو أن راقى الموت يَرْقى جنازتى ... بمنطقها فى الناطقين حييت

وأنشد كُثَيِّرٌ :

بأبى وأمى أنتِ من مظلومة ... طَبِنَ العدوُّ لها فغيَّر حالها

لو أن عَزَّةَ خاصمت شمس الضحى ... فى الحسن عند مُوَفَّق لقضى لها

وسعى إلىَّ بصَرْم عزة نسوةٌ ... جعل المليك خدودهن نعالها

وأنشد ابن أبى ربيعة :

ألا ليت قبرى يوم تُقضى منيَّتى ... بتلك التى من بين عينيك والفم

وليت طَهورى كان ريقك كله ... وليت حنوطى من مشاشك والدم

ألا ليت أم الفضل كانت قرينتى ... هنا أو هنا فى جنة أو جهنم

فقال عبد الملك لحاجبه : أعط كل واحد منهم ألفين ، وأعط صاحب جهنم عشرة آلاف

وكذلك الأمر فى منع عمر رضى الله عنه الأحوص والفرزدق والأخطل من الدخول عليه ، فأما جميل وكثير فالأمر فى منعهما غير ظاهر ، لأنهما كانا من أصحاب ذلك الحب العذرى السابق ، ولم يكونا مثل ابن أبي ربيعة والأحوص والفرزدق والأخطل ، وإن كان فى بيت كثير ما يمكن أن يؤخذ عليه من الناحية الدينية ولكنها مؤاخذة ضعيفة لا يلتفت إليها ، لأنه أسند السجود لعزة إلى أولئك الرهبان ، وهم يدينون بعبادة الأيقونات والتماثيل ، فلو أنهم سجدوا لعزة إذا رأوها لكان لهم فى هذا شأنهم ، ونحن لا نسأل فى ديننا عن شأن غيرنا ، وهذا إلى أن الأمر محمول على المبالغة ، والمبالغة ضرب من التجوز

وهذا ليس له محمل عندى إلا أن عمر رضى الله عنه كان

لا يرى التساهل فى شأن ذلك الحب العذرى ، وإن كان أخف ضرراً من الحب المستهتر ، فهو فى ذلك يأخذ جميلاً وكُثيِّراً بحب واقع قد شغلا به ، وأممنا فيه ، وملآ بذكره أشعارهما ، وصرحا فيها للناس باسم محبوبتهما ، ومثل هذا لا يقبله أدب الإسلام وإن كان يحمد لأصحابه ما يأخذون به أنفسهم من العفاف

أما جرير فكان يتعاطى الغزل فى الشعر قضاء لحق الصناعة الشعرية ، ولم يكن يشتغل بالحب كما اشتغل به ابن أبى ربيعة وغيره من فساق الشعراء ، ولا كما اشتغل به جميل وغيره من العشاق العذريين ، ولا شىء أصلاً فى تعاطى ذلك الغزل على ذلك النحو الصناعى ، كما يفعل الآن فى الروايات الغرامية ، بشرط ألا يكون فى ذلك شيء من الفحش الذى لا يبيحه دين ولا خلق . وقد مدح النبى صلى الله عليه وسلم بالشعر وفيه كثير من ذلك الغزل ومن ذلك غزل كعب بن زهير فى قصيدته (بانت سعاد) وقد بلغ من أمره أن يقول فيها :

هيفاء مقبلةً عجزاء مدبرةً لا يُشتكى قِصَرٌ منها ولا طولُ

تجلو عوارضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمت

كأنه مُنْهَلٌ بالراحِ معلول

وقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم من كعب ذلك الغزل على ما فيه من ذكر الأعجاز ، والتشبيه بالخمر المعلول ، لأن كعباً قال ذلك قضاء لحق الصناعة ، ولم يصف فيه أمراً واقعاً ، ولم يتحدث عن اشتغاله بالنساء أو بالخمر على مثل ما تحدث به الشعراء الفساق

وكذلك لا حرج فى رواية ذلك الشعر بالغاً أمره ما بلغ ، لأنه قد يكون فى حفظه وروايته فوائد لغوية أو تاريخية ، ومهما بلغ أمره فإنه لا يبلغ ما أجازه الإسلام من حكاية الكفر على طريق النقل ؛ إذ حكم بأن ناقل الكفر ليس بكافر ، وقد كان ابن عباس رضى الله عنه يروى شعر عمر بن أبى ربيعة على ما فيه من ذلك الحب الفاجر ، والفسق الظاهر ، ولا يعبأ بانتقاد الخوارج المتشددين فى الدين عليه ، لأن دين الله يسر لا عسر ، واعتدال محمود بين الجمود والتفريط

وإنى أرى فى الحب العذرى رأى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فهو عندى من الأمور التى لا ينبغى الاشتغال بها ، ولكن لا بأس به إذا كان يراد لغاية حميدة كالزواج ، فإذا لم يظفر صاحبه بزواج من يحبها فليقلع عن ذلك الحب ، وليشتغل بما يفيده فى هذه الحياة لأنه لم يخلق لذلك العبث الضار به فى نفسه ، والضار بالمجتمع فى أخلاقه وصيانة أعراضه ، وإنما خلق للعمل النافع ، وإيثار مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ؛ فإذا لم يمكنه أن يتغلب على نفسه فى حبها ، فليكتم فيها ذاك الحب ، وليحفظها عن آثامه ، وليصبر على تلك البلوى صبراً جميلاً ولو أدى به ذلك إلى إهلاك النفس ، لينال فى أخراه من الأجر ما يعوض عليه ذلك الحرمان فى الدنيا ، ولا يكون جزاؤه الحرمان فيهما معاً .

أما الذى قد يقترن بذلك الحب من شكوى الصبابة والتصريح باسم المحبوبة والخلوة بها وغير ذلك مما يفعله العشاق العذريون ولا يصل بهم إلى مجاوزة حد العفاف ، فقد تساهل فيه بعض العلماء كما سبق ولم ير فيه بأساً . ومن ذلك ما يحكى أن ابن سحنون دخل على مالك فقال : يا إمام ، اجعلنى فى حل من أبيات قلتها فيك ، فقال وقد ظن أنه هجاه : أنت فى حل من ذلك ، فأنشده هذه الأبيات بين يديه :

سَلُوا مالكَ المُفْتِى عن اللهو والغِنا

وحُبِّ الحسان المعجباتِ الفَوارِكِ

يُنَبِّئْكُمُ أنى مصابٌ وإنما أُسَلِّى همومَ النفس عنى بذلك

فهل فى مُحِبٍّ يكتم الحبَّ والهوى

أثامٌ وهل فى ضَمَّةِ المُتهالِكِ

فضحك وقال : لا إن شاء الله

وإنى أشك فى صحة هذه القصة ، ولعلها كانت مع مالك من غير ابن سحنون ، أو كانت مع غير مالك منه ، لأن ابن سحنون لم يدرك مالكا ، وأبوه سحنون هو الذى أدركه ، ولكنه لم يجتمع به ، وكان قد نشأ بالقيروان وأخذ عن علمائها ، ثم رحل إلى مصر وسمع من ابن القاسم وابن وهب وأشهب وغيرهم ، ثم رحل إلى المدينة ولقى علماءها بعد وفاة مالك رضى الله عنه .

والحق أن بعض تلك الأمور كالخلوة مما لا يصح التساهل فيه أيضاً ، لأنها تعد من وسائل الزنا ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ولكنها لا تصل فى الحرمة إلى حد الزنا ، لأنه من الكبائر ، أما هى فمن الصغائر . نعم قد تنفع عفة أولئك العشاق فى تكفير تلك الصغائر عنهم ، لأنه قد ورد أن اجتناب

الكبائر مما يكفر الصغائر ، كما قال تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما) ، ولعل هذا هو مراد من أفتى برفع الحرج عن تلك الأمور ، فيكون مرادها أن إثمها يكفر عنهم ، لا أنه لا إثم فيها ، وفرق كبير بين الأمرين ، لأن فى رفع الإثم عنها إذناً بفعلها ، أما تكفيرها بذلك فيبقيها على حرمتها ، وليس فيه إذن بذلك الفعل ، لأنه لا يصح لأحد أن يفعل ما حرم عليه اعتماداً على الوعد بتكفيره ، وهذا إلى أن الإصرار على الصغائر قد يجعلها من الكبائر ، فلا ينفع فيها ذلك التكفير ، ولا يفيد فيها إلا التوبة عنها

وهذا هو رأيى فى ذلك الحب العذرى ، وإذا كان فيه بعض القسوة على أولئك العشاق ، فهو غاية ما يمكن أن يتساهل فيه معهم . وإنى أرى أن هناك قوماً قد يقع ما يكون فى ذلك الحب من الإثم عليهم أكثر مما يقع على ذلك العشاق أنفسهم ، وهم الآباء أو الإخوة الذين يرون فى زواج أولئك العشاق فضيحة أو عاراً ، فيحولون بين زواجهم ، ويعملون على إذكاء نار الحب بذلك المنع ، وعلى وجود الفضيحة والعار من حيث يريدون الفرار منهما . وقد كان زواج أولئك العشاق هو السبيل إلى إطفاء نار ذلك العشق ، وصيانة المجتمع من الاشتغال بأخباره وأحاديثه ، وما فيها من هتك العرض ، والاستهتار بتلك الصغائر . وإنى أرى أن ما كانوا يفعلونه من ذلك ليس إلا من بقايا عوائدهم فى الجاهلية فلا يقره الإسلام ، ولا يأذن بتلك القسوة التى يدعو إليها الجهل ، بل يندب إلى ذلك الزواج ، ويثيب كل من يعمل على إنصاف أولئك العشاق ، وهذه هى أصوله وفروعه بيننا ، وليس فيها ما يمكن أن يستند عليه فى تلك العادة الآثمة ؛ ومما يؤيد رأينا فى ذلك ما نسوقه من هذه الرواية

روى المسعودى أنه كان بالمدينة فتى من بنى أمية من ولد عثمان وكان ظريفاً يختلف إلى قَينةٍ لبعض قريش ، وكانت الجارية تحبه ولا يعلم ، ويحبها ولا تعلم ، ولم تكن محبة القوم إذ ذاك لريبة ولا فاحشة ، فأراد يوماً أن يبلو ذلك ، فقال لبعض من عنده : إمض بنا إليها ، فانطلقا ، ووافاها وجوه أهل المدينة من قريش والأنصار وغيرهما ، وما كان فيهم فتى يَجِدُ بها وَجْدَهُ ، ولا تجد بواحد منهم وجدها بالأموى ، فلما أخذ الناس مواضعهم قال لها الفتى ، أتحسنين أن تقولى :

أُحبُّكم حُبًّا بكل جوارحى   فهل عندكم علم بما لكم عندى
أتجزون بالودّ المضاعَفِ مثله   فإن كريماً من جزى الودَّ بالودِّ

قالت : نعم ، وأُحْسِنُ أحْسَنَ منه . وقالت :

لِلَّذِى وَدَّنا المودَّةُ بالضِّعْـ   ـفِ وفضْلُ البادى به لا يُجازَى
لو بَدَا ما بنا لكم ملأ الأرْ   ضَ وأقطار شامها والحجازا

فعجب الفتى من حذقها وحسن جوابها وجودة حفظها ، فازداد كلفاً بها وقال :

أنت عذْرُ الفتى إذا هتك السِّـ   ـتْرَ وإن كان يوسف المعصوما

فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز ، فاشتراها بعشر حدائق ، ووهبها له بما يصلحها ، فأقامت عنده حولا ثم ماتت ، فرثاها ، وقضى فى حاله تلك ، فدفنا معاً ، وكان من مرثيته لها قوله :

قد تمنَّيْتُ جنة الخُلدِ للخُلْـ   ـدِ فأدْخِلْتُها بلا استئهالِ
ثم أخرجت إذ تطمعت بالنعـ   ـمة منها والموت أحمد حال

فقال أشعب الطامع : هذا سيد شهيد الهوى ، إنحروا على قبره سبعين بَدَنَةً ، وقال أبو حازم الأعرج المدنى : أمَا محبٌّ لله يبلغ هذا ؟

وأنا أقول : جزى الله عمر بن عبد العزيز عن ذينك المحبين خير الجزاء

عبد المتعال الصعيدى

مطبوعات حديثة

على منهج الأغاني

بقلم أبي الفرج الأسكندراني

صوت

بأبي من حرّم النـــوم على عيني وناما
بأبي من أضرم القلب اشتياقاً وهياما
فقضى الله علينا فنزحنـــا وأقاما
أذكرى من ليس ينساك وإن لاقى الحماما
إن من نام لعمري يحسب الناس نياما

* * *

حدثنا الأستاذ أحمد رامى قال: إن هذا الشعر للدكتور ناجى، وفيه لحن للأستاذ محمد عبد الوهاب يضرب بكل أصابع اليدين على البيان...

وحدثنا الدكتور زكى مبارك قال: إن الشعر ليس للدكتور ناجى، وإن للأستاذ رامى عذره الجلى فى نسبته إليه؛ فالنفس الشعرى متقارب بينه وبين العباس بن الأحنف. فكلا الشاعرين من شعراء اللهفات، تحس فى أبياته حرارة أنفاسه، ورقة عواطفه. ولو أنى كنت قد وضعت كتاباً عن شعراء القرن الثانى، لكان ذلك أجدى على القراء وأليق بى من كتاب «النثر الفنى» فى القرن الرابع، ولكن الفرصة لم تفت على كل حال. وإنّ من بدأ حياته الأدبية بالكتابة عن عمر بن أبى ربيعة، لجدير بأن يجعل للعباس بن الأحنف موضعاً فى حياته الطويلة المباركة، إن شاء الله.

قال أبو الفرج: وهذا وعد ننتظر من الدكتور زكى مبارك وفاءه. ولقد عجبنا من إيثاره «الشريف الرضى» على العباس بتصنيفه كتاباً عنه أثناء إقامته فى بغداد! فالشريف وإن جلّ قدره شاعراً، وسمت مكانته رجلاً، فإن العباس أشبه بأن يكتب عنه الدكتور زكى مبارك طبيب «ليلى المريضة فى العراق». أو لعل أسمها ليلى العريقة فى المراض، كما يزعم بعض الناس.

الدكتور ابرهيم ناجى وأخباره:

حدثنا الأستاذ صالح جودت قال: إن الدكتور ناجى غضب من نسبة رامى إليه هذه الأبيات وقال: إن فيها تحريفاً، فصحة البيت الثانى:

بأبى من أضرم القلب اشتياقاً واهتياما

وصحة البيت الثالث:

فقضى الله علينا فشحطنا وأقاما

قال الدكتور ناجى: ولست أنا بالذى يقول: «اهتيام» و«شحط»؛ ولا بالذى يبدأ البيت بقول «بأبى» فهذه لغة أستسيغها منسوبة إلى أبناء عصرها، ولكنى لا أقبلها من أبناء عصرى. ولقد كان العباس رقيقاً دمثاً لما قال شحط، ولم يقل افرنقع؛ وقد كانت الكلمة الثانية تقال فى عصره، فعمد إلى أرق الكلمتين. ولكن عصرنا فيه ما هو أرق وأعذب وأصدق فى التعبير عن خوالجنا المهذبة؛ ولكن رامى (عفا الله عنه) ينسب لى من شعر القدماء ليرميني بالعدول عن مذاهب المجددين، وسأحاربه هو وأمثاله بمثل هذا السلاح حتى يستقيموا. ثم أنشد:

لأروين لهم من غير قولهم حتى أجدد فيهم عهد حماد

قال أبو الفرج الاسكندرانى: والغريب أن الدكتور ناجى يذكر أحد الحمادين، ويتهدد بأن يسلك مسالكهم، ولا يرى أنه بذلك قد «شحط» عن التجديد. ولقد همّ أبو الفرج بأن يبدى هذه الملاحظة، ولكنه خشى أن يؤخذ بها لو أذاعها. فإنه هو أيضاً يعارض كتاب الأغانى وينتحل لنفسه لقب: «أبى الفرج»

قال الدكتور زكى مبارك، وقد أدرك لفطنته ما جال بخلد الاسكندرانى وإن لم يقله: لاعليك من ذلك، فالتجديد لايكون إلا من الراسخين فى العلم بالقديم. وهذا مارتن لوثر ما استطاع إنشاء المذهب البروتستانتى إلا لأنه كان قسيساً كاثوليكياً، وإننى ما أنشأت مذهب البروتستانتية فى الأدب العربى إلا لأنى أزهرى

حدثنا الدكتور زكى أبو شادى... بل لم يحدثنا بشىء لأنه صاحب مجلة تتعرض للناس بالسوء.

وحدثنا صالح جودت قال: إن حماداً الذى يذكره الدكتور ابرهيم ناجى فى قوله.

لأروين لهم من غير قولهمو حتى أجدد فيهم عهد حماد

ليس أحد الحمادين الذين يشير إليهم الدكتور زكى مبارك، ولكنه الأستاذ محمد على حماد محرر مجلة (الشعلة) فهو أقرب إلى خيال ناجى من هؤلاء الذين علت ذكرياتهم طبقات من غبار القرون. وما كان لناجى ولا لأحد منا نحن المجددين أن يلتفت هذا الالتفات. فنحن إنما نستمد الوحى الشعرى من الحياة لا من الكتابة عن الحياة، ولا من الكتابة عن الكتابة عن الحياة.

نحن نذكر حماد الشملة لأننا نراه ونتصل به عن طريق الحواس، وهى صلة الفنان بالحياة؛ ولكننا لا نكتب عن العباسيين لأننا لا نتصل بهم إلا عن طريق الكتب ... والكتب نؤلفها نحن ويقرؤها غيرنا ... إلا أن تكون بالطبع كتباً أجنبية، فدراسة ناجى لشكسبير أمر معقول، وليس كذلك ما كان قد يفعله لو لم يكن مجدداً فيدرس من يقولون إنهم أشباهه كابن الدمينة والعباس بن الأحنف.

قال الدكتور زكى مبارك: هذا بعض الفوارق بينى وبين ناجى ومدرسته الحديثة. فأنا منطيق ولا أرى كلام صالح يتمشى مع المنطق. أنا أدرس الحياة فى حاضرها عن طريق الحس، وأدرس ماضيها عن طريق الدرس والخيال، وأدرس مستقبلها عن طريق التنويم المغناطيسى. ولقد أفدت من التنويم وما يتصل به من الدراسات أن صار فى وسعى تعرف ما يجول بنفس محدثى من الأفكار والخواطر. وليس ذلك مجرد ذكاء، وإن كنت ذكياً وزكياً بالذال والزاى، ولكن عن طريق العلم والدرس. ولن تمر غير أشهر قلائل، فأجوز امتحان الدكتوراه للمرة الرابعة ولكنها ستكون فى هذه المرة فى «المازمارتيزم» وسيكون فى استطاعتى أن أتعرف ما فى الكتب دون أن أقرأها. فأكتب عن الشافعى مرة أخرى دون أن أعيد قراءة كتاب الأم، وأنقد شعر السيد الحميرى، وإن كان شعره قد ضاع.

عود الى حياة الدكتور ناجى

هو زعيم المدرسة الحديثة؛ ولهذه المدرسة طلبة وفيها مدرسون ولكن ليس لها دراسة ولا موضوع قابل للدرس. ولكن فى التعليقات الشفوية المتفرقة على قصائد الشعراء المعاصرين مادة لو جمعت لكانت موضوعاً طريفاً لها. وهذا بعض ما سنتناوله فى هذا الكتاب

وسنتبع طريقة أبى الفرج الأصفهانى فى تحقيق الرواية والإسناد. ولن نخترع ولن نلفق إلا أن يكون ذلك من مستلزمات الكتابة. وكذلك كان يفعل الأصفهانى

ولقد ننسب إلى شاعر من غير شعره لأنه كان الواجب أن يقول هذا، فإن حاد عن هذا الواجب فالذنب ذنبه هو ولا علينا أن نؤكد صدق الرواية. وسنضرب المثل المقنع بأن لنا الحق كله فى ذلك

تتلخص الفكرة العامة لآراء المدرسة الحديثة فى هذه النظرية: ما دمنا مجددين فى اللغة العربية فالاقتباس عن الغرب تجديد لأنه فى لغتنا سيكون جديداً. ولكن محاكاة العرب محرمة لأنها تكرار لما فى هذه اللغة

إنهم لا يقولون ذلك ولكن أحسب هذا هو الذى يجب أن يقولوه. أما وقد قالوا غيره فالذنب عليهم، وما دمت أدون آراءهم فهذه هى آراؤهم. أما الذى يقولونه فهو أنهم إنما يرون الجديد جديداً بصدوره عن انفعال نفسى جديد، وهم لذلك يزعمون أنهم ينكرون الاقتباس من الأدب الغربى كما ينكرون محاكاة العرب الأقدمين

ولكن الأمر لا يقف عند هذا بل حياة هذا الجيل مقتبسة من الحياة الغربية إلى حد كبير؛ فالاقتباس عن الغرب فى الحياة ينشئ فى الأدب اقتباساً أصيلاً لا يتنافى مع التجديد. وبذلك لا يختلف ما قلته عنهم فى حقيقته مع ما يقولون، ولكن الذى ينكرونه من الاعراب عن الرأى الذى يدينون به يبيح محاكاة العرب والاقتباس من الغرب وعليهم القول وعلىّ التوضيح

استطراد فى الغرض من هذا الكتاب

وقبل أن نستأنف التحدث عن حياة الدكتور ناجى وشعره نقول إن أبا الفرج الأصفهانى كان يذكر شاعراً والموسيقار الذى لحن له. هذا فى بعض العصور، وفى عصر آخر يذكر شاعراً ومن وقف الشاعر نفسه على مدحه أو هجوه، وفى عصر ثالث يذكر شاعراً وراويته، وفى عصر رابع يذكر شاعراً والأمير الذى يتولى رعايته أو يتولى خصومته

هذا بأن الشاعر فى بعض هذه العصور كان يخشى على شعره من النسيان فيتخذ راوية. وفى عصر آخر كان لا يستطيع الحياة إلا فى كنف أمير، وفى عصر ثالث لا يستطيع الحياة إلا مناوئاً مشاغباً، وهو فى كل العصور على السواء محتاج إلى من يضع له ألحاناً لشعره، لأن الشعر غناء قبل كل شىء.

من أجل ذلك رأيت أن الشعراء المعاصرين ليسوا فى حاجة إلى راوية فحسبهم من الرواية المطابع، وليسوا فى حاجة إلى من يحميهم فللشعوب الآن ما كان للأمراء فى سالف الزمان، ولكن الذى يحتاج إليه الشاعر المعاصر هو الناقد النزيه.

ولقد وجدت بحمد الله هذا الناقد فسأذكر تاريخ شعرائنا وشعراء الأقطار العربية مشفوعاً بتاريخ ناقده وبنقده إياه. ومشفوعاً كذلك بتاريخ الموسيقار الذى لحن له.

عود الى حياة الدكتور ناجى

هو طبيب متأثر بالثقافتين الانكليزية والفرنسية عصبى المزاج ثائر الأعصاب مرهف الحس يكلمك فيهتز جسمه كله حماسة وشدة اقتناع

قضت حرفته بأن يكافح الموت فى كل مريض وهو واسع الرجاء واسع الأمل . فرسالته فى الأدب لا يمكن أن تكون كرسالة أدباء الهند فى العصر الحاضر رسالة إذعان وتسليم . وعلى رغم الأمل والرجاء المستفادين من حرفة الطب فلا يستطيع أن يخلص من أثر المشاهدة للمريض والمكافحة للمرض . وإذا كان السيد يحاكى المسود كما يقول الاجتماعيون فشعر الدكتور ناجى فى ساعة إخلاده إلى نفسه واستجاعه ألوان تأثره — شعره هذا يحاكى أنين مرضاه وتوجعهم

نوع الشعور الذى يبشر به هذا الطبيب الشاعر هو التفريج عن الهم بالتعبير عنه

لذلك يعنيه صدق التعبير وهو من أدق الشعراء المعاصرين إبرازاً للفكرة محدودة بحدودها فى تصوره ، فليس فى شرح شعره مجال للتأويل وليس فيه شىء من الغموض . ولكن مجال الحياة التى ينظر إليها وينقدها مجال شديد الضيق ؛ وفى نفس ناجى ثورة مكبوتة منشؤها أنه لم يقل كل ما يريد أن يقول . فهو مع أمانته فى الإفضاء عما شعر به فيما قال لا يزال يختزن الكثير من التجاريب والمشاعر ويمنعه حرصه على صدق الأداء أن يقول اللفظ حائماً حول معناه أو قريباً منه أو شبيهاً به فيفرج عن نفسه بوسيلة ما بالتعبير عنها . وسيظل هذا الكبت ما دام محترفاً حرفة الطب التى تشغل الوقت كله والفكر كله ، ولكنها لا تشغل كل المشاعر

هذا ما يقوله ناقده عنه وناقده هو الدكتور زكى مبارك فإن لم يكنه فقد كان الواجب أن يكونه أما ملحنه فهو الشاعر الموسيقار صالح جودت

صوت

ليلى العريقة فى المراض   بيضاء شاحبة البياض
مصفرة العينين تتـ   ـمل بالدلال وبالتغاضى
مكنونة ليست تعد   من الطوال ولا العراض
فإذا رأيت ذبولها   أبصرت نرجسة الرياض
وإذا سمعت أنينها   شاقتك ضفدعة الحياض
أصغى فيبعث صوتها   كل انشراحى وانقباضى

الشعر للدكتور ناجى وفيه لحنان أحدهما لم يسمع قط ، والآخر لم يصنع بعد : وكلاهما من صنعة الأستاذ صالح جودت .

« يتبع »   عبد اللطيف النشار

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



فى مثل هذا الجو الذى كدرته دسائس الماكرين والطامعين، راحت وزارة البارودى تعالج ما كانت تشكو منه البلاد ، ومن ورائها نواب الأمة يشدون أزرها ، وإنهم ليعلمون ما كان يحيط بوطنهم من الكيد والإعنات .

وأحس البارودى من أول الأمر بتزايد الجفاء بينـه وبين الخديو . فما كان ليسيغ توفيق أن يصبح الأمر بينه وبين الوزارة قائماً على أساس غير ما ألف من مبادئ السيطرة ونوازع الاستبداد ؛ ولكن الوزارة استعاضت عن معاونة الخديو بمؤازرة البلاد ...

وكان أول ما واجهته الوزارة من الصعاب بطبيعة الحال هى مسألة الميزانية ؛ أو بعبارة أخرى لائحة المجلس التى بسببها استقالت وزارة شريف ؛ أو على الأصح أجبرت على الاستقالة . ويجمل بنا أن نأتى بالحديث على سرده فى هذه المسألة لنتبين إلى أى حد كان افتيات الدولتين على البلاد، وليرى الذين رموا حركتها الوطنية ورجلها بمختلف التهم مبلغ ما فى مزاعمهم من جهل أو عدوان .

جاء فى خطاب شريف باشا الذى تقدم به إلى المجلس بعد انعقاده ؛ وقد خطت الحركة الوطنية خطوة واسعة بعد يوم عابدين قوله : « فإنه لم يحجر عليكم فى شىء ما ، ولم يخرج أمر مهم عن حد نظركم ومراقبتكم . إنما لا يخفا كم الحالة المالية التى كانت عليها مصر مما أوجب عدم ثقة الحكومات الأجنبية بها ، ونشأ عن ذلك تكليفها بترتيب مصالح ، وتعهدها بالتزامات ليست خافية عليكم ، بعضها بعقود خصوصية ، والبعض بقانون التصفية . فهل يتيسر للحكومة أن تجعل هـذه الأمور موضعاً لنظرها أو نظر النواب ؟ حاشا لأنه يجب علينا قبل كل شىء القيام بتعهداتنا وعدم خدشها بشىء ما ، حتى نصلح خللنا ، وتزداد ثقة العموم بنا ، ونكتسب أمنية الحكومات الأجنبية . ومتى رأت منا تلك الحكومات الكفاءة لتنفيذ تعهداتنا بحسن إخلاص بدون مساعدتها . فنتخلص شيئاً فشيئاً مما نحن فيه » .

بهذه الكلمة مهد شريف لخطته فيما يتعلق بلائحة المجلس ، أو ما نسميه نحن دستوره ، وعلى الأخص فيما يتعلق بالميزانية . ثم جاءت اللائحة تنص على أن : « لمجلس النواب أن ينظر فى الميزانية ويبحث فيها ، وتعتمد بعد إقراره عليها وعلى رئيس المجلس أن يبلغ ذلك إلى ناظر المالية لغاية اليوم العشرين من شهر ديسمبر بالأكثر » .

« ولا يجوز للمجلس أن ينظر فى دفعيات الويركو المقرر للأستانة أو للدين العمومى ، أو فيما التزمت به الحكومة فى أمر الدين بناء على لائحة التصفية أو المعاهدات التى حصلت بينها وبين الحكومات الأجنبية » .

هاتان هما المادتان : الثالثة والثلاثون ، والرابعة والثلاثون ؛ من لائحة المجلس . وبمقتضى أخراهما يحرم المجلس من النظر فى نحو نصف الميزانية ، لأن هذه الأبواب المستثناة من الميزانية كانت تقرب من نصفها .

ولقد كان المجلس يطمع فى أن ينظر فى الميزانية دون أن يستثنى منها شيئاً ما دام هو القيم على حقوق البلاد . ولكن الحكمة قضت عليه أن يتواضع فيقبل لائحة شريف على ما بها من نقص . ففعل ذلك ولكنه لم يفد من حكمته وا أسفاه شيئاً ... فقد كبر على الدولتين أن ينظر المجلس فى أى جزء من الميزانية ، فرمتاه بالمذكرة المشؤومة التى كان من نتائجها ما رأينا من تطرف المتدلين

وثورة المتطرفين ، والتقاؤهما جميعاً ، وتمسكهما بالنظر فى الميزانية مهما يكن من العواقب . الأمر الذى طاح بوزارة شريف ، وأحل محلها وزارة البارودى ...

وجاءت وزارة البارودى . فلم يكن أمامها إلا طريق واحدة : هى السير وفق رغبة النواب ، والرأى الوطنى العام فى البلاد . نخطت تلك الخطوة مستندة إلى مؤازرة الأمة لها معتمدة على حقها. فكان ما قررته فى مسألة الميزانية ما يأتى : « لا يجوز للمجلس أن ينظر فى دفعيات الويركو المقرر للآستانة أو الدين العمومى أو فيما التزمت به الحكومة فى أمر الدين بناء على لائحة التصفية أو المعاهدات التى حصلت بينها وبين الحكومات الأجنبية »

« وترسل الميزانية إلى مجلس النواب فينظرها ويبحث فيها (بمراعاة السند السابق) ، ويعين لها لجنة من أعضائه مساوية بالعدد والرأى لأعضاء مجلس النظار ورئيسه ، لينظروا جميعاً فى الميزانية ويقرروها بالاتفاق أو بالأكثرية » .

ووافق المجلس على اللائحة الجديدة التى تقدمت بها إليه وزارة البارودى ، وكان هذا الرأى الأخير ، أعنى تكوين لجنة من أعضاء المجلس مساوية فى العدد لأعضاء مجلس النظار قد عرض كحل من الحلول على وزارة شريف . فأبت الدولتان قبوله ؛ فلما قضت وزارة البارودى فى الأمر حسب مشيئة النواب ، ثارت ثائرة الدولتين اللتين جاءتا لنشر روح المدنية والحرية فى الشرق !

ولقد جعلت الوزارة الأمر للأمة فيما إذا وقع خلاف بين المجلس والوزارة . فنص فى دستور المجلس أو ما سماها اللائحة على ما يأتى :

« إذا حصل خلاف بين مجلس النواب ومجلس النظار ، وأصر كل على رأيه بعد تكرار المخابرة وبيان الأسباب ، ولم تستعف النظارة فللحضرة الخديوية أن تأمر بفض مجلس النواب وتجديد الانتخاب على شرط ألا تتجاوز الفترة ثلاثة أشهر من تاريخ يوم الانفضاض إلى يوم الاجتماع . ويجوز لأرباب الانتخاب أن ينتخبوا نفس النواب السالفين أو بعضهم » .

« وإذا صدق المجلس الثانى على رأى المجلس الأول الذى ترتب الخلاف عليه ينفذ الرأى المذكور قطعياً » .

هذا هو الحل الذى عالجت به وزارة البارودى مشكلة الميزانية والذى من أجله حقت عليها لعنة الدولتين ، وحق عليها عقابهما . مع أنه لا يمكن أن يكون هناك تساهل فى مثل هذا الأمر ، وفى مثل تلك الظروف من هذا الذى جرت عليه الوزارة .

هؤلاء نواب شعب يجتمعون باسمه للنظر فى صالحه ، فكيف يتسنى لهم ذلك إن لم يكونوا قوامين على ماليته وهى أساس كل شيء ودعامة كل إصلاح؟ وكيف يكون الحكم قائماً على أساس ديمقراطى إذا حيل بين نواب الأمة وبين النظر فى الأموال التى تجبى من أفرادها؟

وإذا كانت لمصر ظروف خاصة ناشئة من ديونها التى لم يكن لأهلها يد فيها ، فأى شيء كان يطمع فيه من نوابها أكثر من أن يتركوا ما يتعلق بالدين دون تدخل فيه ؟

ولكن الدولتين كانتا تحاربان المجلس فحسب مهما بلغ من اعتداله وحكمته . كانتا تحاربانه ، فتحاربان فيه الوطنية المصرية والقومية المصرية ، لأنهما إن نمتا وازدادتا قوة ، ضاعت الفرصة ، وخرجت مصر سالمة مما كان يدبر لها ! أنظر إلى الاحتجاج الذى كتبه المراقبان الأجنبيان فى ١٢ يناير سنة ١٨٨٢ عندما علما نية النواب فى وزارة شريف ، قالا [١] : « يظهر أن مجلس شورى النواب يتهيأ لأن يطلب حق تقرير الميزانية ، ولهذا نرى من واجبنا أن نقول : إن إعطاء النواب هذا الحق ولو اقتصر على الإدارات والمصالح التى لم تخصص إيراداتها للدين يفسد الضمانات المعطاة للدائنين . لأنه سيكون من نتائجه الضرورية أن تنتقل إدارة البلاد من يد مجلس النظار إلى يد مجلس النواب » .

ولا تسل عن مبلغ غضب هؤلاء الطامعين الكائدين لمصر من وزارة البارودى حينما حلت المشكلة على النحو المتواضع الذى بيناه ، فلقد انطلقت ألسن الساسة منهم مع ألسن السفهاء من مراسلى الصحف بكل فاحشة وجارحة فى الوزارة والنواب جميعاً على نحو خليق بأن تخجل منه الإنسانية . فهذا نظام موضوع بأسره تحت سيطرة جيش ثائر كما صوره كلفن فى تقاريره ؛ وهذه وزارة جامحة تسوق مصر إلى الخراب ، وهؤلاء نواب لا يعرفون من معانى الوطنية إلا التعصب الأعمى فضلاً عن جهلهم وضيق عقولهم .

كتب ماليت يصف النواب [٢] : « إن ما يتظاهرون به من طموح إلى العدل والحرية قد انتهى بأن حلت سلطة الجيش الغاشمة محل كل سلطة مشروعة » .

وقال كوكسن يصف قانون الانتخاب الذى وضعته الوزارة السامية : « إن الغرض منه فى هذا البلد أن تكون كل المزايا

(١) مقدمة التاريخ السرى : وهذه الفقرة عربها الأستاذ عبد القادر حمزة عن كتاب دى فريسنيه « المسألة المصرية » .

(٢) المسألة المصرية تعريب الأستاذين : العبادى وبدران

الانتخابية لمن رشحتهم السلطة الحاكمة ، والسلطة الحاكمة الآن هى سلطة الجيش » .

وأوعز ماليت إلى وكلائه فى الأقاليم أن يكتبوا تقارير عن مبلغ ما وصلت إليه الحال من سوء فى البلاد ، وأرسل تلك التقارير إلى حكومته ، وبلغ من الجرأة على الحق ، بل بلغ من صفاقة أحد هؤلاء الطامعين لتغلب الجشع الاستعمارى على لبه أن كتب يندد بالغاء الكرباج . فقال وما أعجب ما قال[1] : « إن الحاكم الشرقى إذا حرم كرباجه ، وحظر عليه أن يسجن من يشاء عجز عن سياسة قوم اعتادوا منذ القدم أن يخضعوا لحكومة فردية قوية . إن الطريق الذى سارت فيه الحركة منذ عام ، جعل الفلاح يعتقد أنه يستطيع الوصول طفرة إلى ما يسمونه له حرية ، فى حين أن ما اكتسبته هذه الحركة من قوة جديدة بإسلام أزمة الأمور إلى طائفة من الخياليين النظريين جعل أثرها فى السلطة على وجه العموم أثر الماء تصبه على قطعة من السكر » .

هذا هو ما قاله ذلك الإنجليزى الذى تفتخر دولته بأنها سبقت الدول إلى الحرية ، والتى ما فتئت منذ عهد كرومر فى مصر تفاخر بأن معتمدها هذا هو الذى أبطل الكرباج فى هذه البلاد !

وإنا لنسأل الذين يقرأون هذه المفتريات ، والذين يتتبعون أساليب انجلترة وفرنسا فى الكيد لمصر ــ نسأل هؤلاء السادة ــ الذين يعلمون هذا ، ومع ذلك يعيبون على عرابى وزملائه تطرفهم: أكانوا يفعلون غير ما فعل عرابى وأصحابه إذا كانوا يحبون أوطانهم حقاً ، وكانوا يعيشون فى مصر فى تلك الأيام ؟

أما الذين كانوا يجهلون تاريخ هذه الدسائس التى كانت تبثها انجلترة فى مصر ، وحملوا لجهلهم بها على عرابى ما حملوا مجاراة منهم لما أشيع عنه ، فحسبنا أن نريهم حقيقة الأمر ونكل المسألة بعد هذا إلى فطنتهم وضمائرهم .

وما ندافع عن عرابى إلا لأننا نعتقد أنه ظلم ، وأن الذين ظلموه هم أعداء البلاد الذين استباحوا ذمارها وألحقوا بها الذل والهوان ، وما يجدر بمصرى وبلاده فقيرة فى الأبطال أن يشايع الذين حاولوا أن يمسوا بالباطل تاريخ رجل كانت البطولة فى مقدمة صفاته .

على أنه ما كان لباطل أن يطمس نور الحق إلا أن يطمس ظلام الليل نور النهار ؛ وهيهات أن يتفجر نور النهار ولا تذوب فى أمواجه الوضاءة المشرقة ظلمة الليل ، وإن تراكمت من قبل بعضها فوق بعض . . .

ولقد جعل الكائدون لمصر الجيش هدفهم فيما راحوا يشيعونه من مفتريات . أنظر إلى قول ماليت فى تقرير له عن : « تزايد اختلال الأمن فى البلاد لقلة اكتراث الأهالى بأولياء الأمور الملكيين، ويعزى ذلك إلى سلوك رجال الحزب العسكرى الذين لا يعاملون زملاءهم الملكيين بالاحترام الضرورى لإدارة البلاد ، وقد أخذت الرشوة تعود إلى سابق عهدها بين الموظفين ، ومما يساعد على انتشارها كثرة التغيير والتبديل فى كبار الموظفين » . . . ثم يقول فى وصف ما زعمه من الضيق الذى وقع فيه الفلاحون فى سبيل الحصول على المال : « ويعزو الملاك قلة رؤوس الأموال وماهم فيه من الضيق إلى سياسة الحكومة الحاضرة التى لا تبعث على الثقة بها ، ويجهرون بأنهم إذا عجزوا عن دفع الضرائب فالتبعة واقعة على الوزارة » .

وليس عجيباً أن يسلك كلفن وماليت وأشياعهما هذا المسلك فى الطعن على الوزارة ، وقد أدركا ما كانت تنويه حكومتهما من العمل على تمهيد السبيل للتدخل المسلح بعد هذا التدخل السياسى

ولقد كانت تلك المذكرة المشؤومة خطوة واسعة نحو هذا الغرض المرسوم . فبسببها كان لا بد أن تتفاقم الحوادث لتصل بالبلاد إلى كارثة الاحتلال . كتب قنصل فرنسا إلى حكومته يوم ٢٩ يناير يقول : « إن الرغبة البادية على مجلس النواب من جانب فى أن يصير برلماناً ، والخطة القوية التى رأت الدولتان من جانب آخر أن تختاراها ، والتى كانت مذكرة (٧ يناير) تعبيراً عنها ، هما السببان الجوهريان اللذان اصطدم كل منهما بالآخر . فأوجدا الموقف الحالى » . وكتب فى يوم ٦ يناير يقول : « يمكن أن يقال إن الانقلاب الذى أحدثه مجلس النواب المصرى جواب منه على مذكرة (٧ يناير) . فلقد أعلنا فى هذه المذكرة أننا نحتفظ بالنظام الحالى ضد الجميع . فأجاب المجلس على ذلك بأن غير هذا النظام تغييراً جوهرياً . وبذلك وضعنا أنفسنا فى موضع صارت الضرورة قاضية علينا فيه بأن نتدخل أو نعدل سياستنا » .

وهذا الذى ذكره ذلك القنصل يصور الحال تصويراً صادقاً ، وما كان موقف الدولتين يخفى على أحد من الوطنيين ، وعلى ذلك يقضى الإنصاف على الذين يحكمون على أعمال رجال ذلك العهد ، وفى مقدمتهم عرابى أن يضعوا فى أذهانهم قبل كل شىء أطماع هؤلاء الساسة ، وأن يصوروا تلك الأعمال على هذا الأساس .

« يتبع »

الخفيف

(١) المرجع السالف .

بـــــــــــــنزايون

ابتداء من ٢ يوليو سنة ١٩٣٩

فرصـــة عظيـــمة

تنزيـــل هائـــل فى الأسعار

أمثلة من بعض الأسعار

الحرائر

ص

كريب سابليه مشجر عرض ٩٠ سم تشكيله كبيرة
تضحى بسعر ١١½ المتر

كريب ماروكان فانتزى عرض ٩٠ سم ٣٥ لون
آخر موده سعر استثنائى ١٠½ «

كريب دى شين لنجرى عرض ٨٠ سم جميع الألوان سعر ٧½ «

كريب دى شين عرض ٩٠ سم سعر خصوصى للاوكازيون ٦ ٣/١٠ «

كريب اسبور فاسونيه عرض ٧٥ سم تشكيلة جميلة جداً سعر ٩ «

الأصواف والأجواخ

قماش فريسكو قابل للغسيل عرض ١٤٠ سم ألوان
موده سعر استثنائى ١٩ «

أصواف انجليزية فانتزى للتضحية سعر ٤٢، ٣٠، ٢٨، ٢٤، ٢٢ «

حرير لزوم البدل والتايور عرض ١٤٠ سم صنف
جيد سعر ٤٥، ٤٠، ٣٥ «

تيل لزوم البدل والتايور عرض ٧٠ سم صنف متين
سعر ١٤، ٧½ «

جميع الفضل تصفى بأسعار زهيدة

الأقطان والملونات

ص

فرال مشجر رسومات جيلة انتهزوا الفرصة بسعر ٢¼ المتر

بوبلين مقلم سعر استثنائى ١٩ مليم «

زفير مقلم بسعر لم يسبق مثله ٢١ « «

باتسته مطبوعه عرض ٧٥ سم سعر ٢٣ « «

كريبون مشجر طلب الفصل سعر ٢٥ « «

البياضات

حـ

ملاية سرير مقاس ١٩٠ × ٢٥٠ سم سعر استثنائى ١٧ الواحدة

فوطة وجه ابونج مقاس ٥٥ × ٨٥ سم سعر استثنائى ٣٣ مليم «

بشكير مقاس ١٠٠ × ٢٠٠ سم للشهرة سعر ١٣ قرش «

برنس حمام بسعر لم يسبق مثله سعر ٢٨ « «

استور فيليه مقاس ١٣٠ × ٢٥٠ سم سعر ١٦½ « «

دمور عرض ٩٠ سم (التوب ٣٠ يارده) سعر ٤٩½ « التوب

دبولان نمرة ٩ (التوب ٤٠ ياردة) سعر ٩٥ « «

المحدودات

قميص اكسفور تشكيله كاملة جميع المقاسات سعر الرجالى ١٣½ الواحد
وسعر الأولاد ١٠½ «

بيجاما اكسفور جميع المقاسات تشكيلة واسعة جداً سعر الرجالى ٢٥ «
وسعر الأولاد ٢٠ «

كيلوت حريمى صنف جيد جداً غير قابل للتنسيل
تشكيلة كاملة من الألوان والمقاسات سعر ٥½ «

شراب حريمى حرير طبيعى ألوان مودة ومشكله سعر ١٤ الجوز
« « « اصطناعى جميع الألوان « ٦ «

فانلا رجالى اسبور صنف ممتاز « ٤ الواحدة

شراب رجالى قطن صنف جيد تشكيلة كبيرة « ٢ الجوز

المفروشات

تيل مراتب مقلم عرض ١٣٠ سم للتضحية سعر ٥ ٣/١٠ المتر

كريتون مطبوع عرض ١١٥ سم رسومات جيلة سعر ٦ «

قطيفة فرش مشجرة عرض ١٣٠ سم للتصفية سعر ١٧ «

حرير فرش فانتزى عرض ١٣٠ سم انتهزوا الفرصة « ٢٠ «

أكثر من ٦٠٠٠ فضـــلة للتصفية باسعار زهـــيدة

محلات بـــــــــــنزايون الـكبرى

وبفروعهـــا العشر



الرقص قديما وحديثا

للأستاذ محمد السيد المويلحى

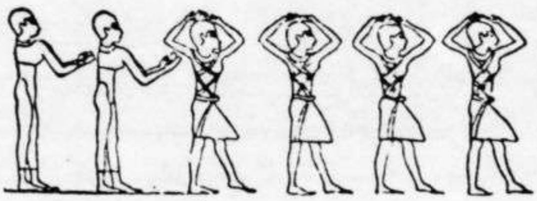
ينظر الشرق فى هذا الزمن إلى فن الرقص نظرة احتقار واستنكار لأنه لا يعلم عنه أو لا يحب أن يعلم عنه إلا أنه مجلبة للهو والسرور ، وإرضاء للغرائز الحيوانية ، ثم هو يعتقد اعتقاداً يبلغ حد الإيمان — ولعله صادق — أن جميع محترفات الرقص من الطبقة الفقيرة التى لا تكترث لعوامل الشرف والتقاليد لا كثيراً ولا قليلاً ... أولئك اللاتى لا يرقصن لأنهن يجدن فن الرقص ويلممن بأنواعه الكثيرة ، بل لأنهن يرقصن لملء البطون وستر الجسوم وإرضاء الرجال ليس إلا ... !

هو لا يعلم أو لا يحب أن يعلم أن الرقص من أروع الفنون وأبدعها إن لم يكن أروعها وأبدعها جميعاً ، فقد ظهر مع الإنسان الأول «على الأرض» من غير تعليم أو تدريب ، ومن غير قواعد مرسومة أو أصول موضوعة ، ومن غير أن يعرف أن هذا الذى يقوم به ويؤديه سيصبح مع مرور الزمن وكر الدهور فنًّا ككل فن آخر له قواعده وأصوله ، وقيوده وحدوده ...

فالطفل الصغير الذى لا يفرق بين الجمر والتمر ، تراه إذا صفا نافى وناجى وأخذ يهز جسمه ، ويحرك رأسه ، ويلعب بيديه فى حركات ريثة منتظمة تعطى للناظر صورة بديعة (للرقص) الساذج الفطرى الذى يجرى مع الدم ويتحرك مع كل حركة للطفل حركات مضبوطة (موزونة) كأنما تعلمها وتلقنها عن مدرس ماهر!

والعجيب فى الأمر أن تلك الحركات الطبيعية التى تصدر عن الطفل لو وزنت (فنيًّا) وقدر لها مثلاً (نواراً) زمنيًّا لكل حركة لرأينا أنها تجرى على هذا النمط ، وعلى هذا التقدير دون أن تزيد أو تنقص أو تخل بهذا الحساب الدقيق !

هذا الطفل بذاته لو غضب ، أو خاف ، أو تألم لعبر عن غضبه وخوفه وألمه بحركات تختلف تمام الاختلاف عن أختها ، ولأعطانا صوراً مختلفة صادقة لهذا الفن الطبيعى الذى يجرى مع دمه كما قلنا والذى يسجل خلجاته تسجيلاً دقيقاً لأنه يقوم فى هذا الدور مقام الكلام ومقام التعبير ...



ش (١) الرقص الجميل
راقصات ومصفقات من نقوش الدولة القديمة

والصبى الصغير الذى لا يفهم من الدنيا إلا أنها أكل وشرب ولعب ولهو ويقظة ونوم تراه إذا سمع لحناً أو عزفاً (رقص) معه وتابع موسيقاه وتنقل معه من نغم إلى نغم ومن مقام إلى مقام باتقان يثير الدهشة ويبعث على العجب والحيرة عند من لا يعلمون أن الصبى لم يفعل شيئاً أكثر من أنه أسلم حواسه وأدمج خوالجه حتى نسى نفسه ونسى كل شىء يحيط به إلا هذا اللحن الذى حرك هذا الشىء الخفى الذى يجرى فى دمه وهو الرقص ...!!

***

والمرأة والرجل ، والفتاة والشاب ! ! ما بال الجميع عند ما يسمعون (الموسيقى) التى تلائمهم وتوافق ميولهم يتمايلون برؤوسهم ويضربون الأرض بأرجلهم ويحركون أصابعهم وأيديهم فى حركات منتظمة مستمرة ؟ ؟ إنه الرقص الذى يجرى مع الدم والذى تؤديه الأجهزة العصبية فى حركات غير إرادية ! !

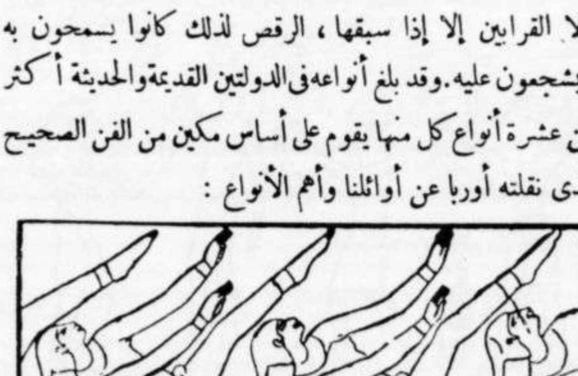
(والزار) الذى يقولون عنه إنه ترضية للجن حتى تترك الأجسام أو تعفو عن أصحابها فيبرأون من أمراضهم (وكساحهم)

لو أسقطنا من حسابنا الدجاج الأبيض (أبو منقار أحمر وذيل أصفر) والخروف البنى الذى لاشية فيه ، والحمام اليمنى الذى يرضى عن صوته الجن ، والدم الذى يشربه المريض ويلوث به ملابسه وجسمه ... لو أسقطنا من حسابنا هذا والبندق والفستق والفطير والبلح ، ألا يبقى غير الطبل والرقص المنتظم تتثنى له المرأة وتنقبض وتنبسط فى حركات إيقاعية سليمة ؟؟



(ش ٢)
رقص من نقوش الأسرة السادسة تستخدم فيه الرءوس المصفقة

قلنا إن الرقص فن فطرى نشأ مع الإنسان من يوم أن خلقه الله وقد كان قدماء المصريين يستخدمونه فى لهوهم وحزنهم ، وحروبهم وقرابينهم ، وعباداتهم لآلهتهم لأنه كان عندهم فى منزلة التقديس ... تحترمه الكهنة وتعتقد أن الآلهة لا تقبل الصلاة ولا القرابين إلا إذا سبقها ، الرقص لذلك كانوا يسمحون به ويشجعون عليه. وقد بلغ أنواعه فى الدولتين القديمة والحديثة أكثر من عشرة أنواع كل منها يقوم على أساس مكين من الفن الصحيح الذى نقلته أوربا عن أوائلنا وأهم الأنواع :

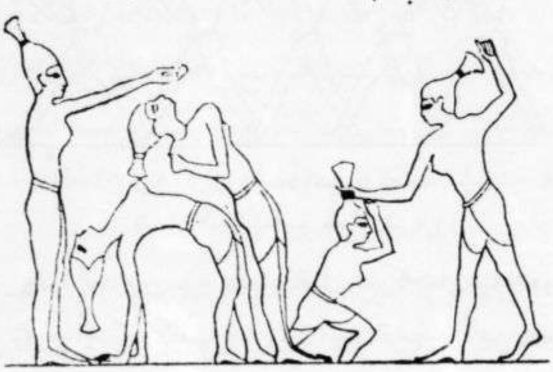


(ش ٣) الرقص الفنى
راقصات من نقوش الأسرة الخامسة

١ — الرقص الجميل ، وكانت تقوم به النساء شبه عاريات إلا ما يستر عورتهن وكن يحلين صدورهن ونحورهن بالحلى والأربطة ، ويرتدين بعد ذلك ثوباً شفافاً طويلاً وإن كان لا يستر شيئاً إلا أنه كان يزيدهن فتنة وسحراً ، وكان رقصهن رقصاً مهذباً بديعاً راقياً يمتاز بالبطء والرشاقة ، وكان على شكل جماعات تتجه اتجاهاً واحداً الواحدة خلف الأخرى كما يتضح من الشكل رقم (١) وكان بعضهن يصفق ليحفظ الإيقاع الموسيقى .

٢ — الرقص السريع ، وكان يقوم به الرجال فى حركات سريعة منتظمة قابضين بأيديهم على قطعتين صغيرتين من الخشب تقرع فى أثناء الرقص قرعاً متتالياً سريعاً يتمشى مع حركاتهم ش (٢)

٣ — الرقص الفنى (الكلاسيك) ، ويمتاز بنشاطه ولونه الفنى البديع وجماعاته المنتظمة . وهذا الرقص الذى ابتكره قدماء المصريين من آلاف السنين هو الذى نقلته أوربا الحديثة عنهم واستعملته فى أوبراتها وسمته Ballet ...! ش (٣)



(ش ٤) رقص الصور الحية
من نقوش الدولة الوسطى ، مدافن بنى حسن

٤ — الرقص الحى ، وهو أبدع أنواع الرقص القديم لأنه كان ترجماناً صادقاً للتفاعيل الطبيعية والخوالج النفسية فكان يمثل الانتصار والانحدار فيجثو المغلوب خاشعاً خاضعاً تحت قدمى الغالب كما ترى فى الشكل رقم (٤) الجزء الأيمن ، وكان يمثل زقزقة العصافير ، وتغريد البلابل ومداعبة النسيم للأغصان كما ترى فى الشق الثانى من الشكل (٤) ... !

٥ — وهناك أنواع مختلفة عرفها قدماء المصريين ، منها : رقص الحصاد وكان يقوم به الرجال وهم يصفقون بالأذرع المصفقة الواحد خلف الآخر فى اتساق ونظام ، والرقص بالآلات الإيقاعية كانت تقوم به نساء ذوات دل ، وكن لا يرتدين إلا غلالات شفافة تنم عن جسوم غضة بضة يرقصن ويعزفن فى آن واحد ، والرقص بمتابعه الصاجات والرءوس المصفقة وكان الراقص غير العازف كما ترى فى شكل (٦) ضارب بالصاجات (الأول من اليمين) ثم راقص ومصفق وضارب بالرءوس المصفقة ... والرقص الحربى وتتمثل فيه القوة والعظمة ، ويظهر فيه الجبروت

هذه هي أهم أنواع الرقص المصري القديم أما أهم أنواع الرقص الأوربي والأمريكي فهي :

الفالس ، سلوفالس (بوستون) التانجو ، الرومبا ، الكاريوكا الفوكس تروت ، سلوفوكس ، اللامبتوك ، الشارلستون ، الشيمي ، سونج ، بج آبل ، جافا ، وان استب ، توستبس (بازودوبل) ، فايف ستبس ، جيج ، لانسيه ، كادريه ، بلوز ، مازوركا ، كلاسيك دانس ، دانس سور پوانت ، كونتننتال ... !



(ش ٥) رقص الحصاد بالقضبان المصفقة.
من نقوش الأسرة الخامسة مقبرة رقم ١٥

وفيها القديم والجديد وفيها المنقول عنا كما قلنا وفيها المنقول عن زنوج أمريكا كرقصة (الرومبا) وهي قريبة جداً من رقصة (شنجا) التي يرقصها العبيد والتي يسميها العامة من المصريين (شنجه رنجه) ... !

وأهم ما يلاحظ في هذه الرقصات كثرة اللف ، والدوران ، والحركة . والطابع الذي تمتاز به هو طابع النشاط والرياضة العنيفة أحياناً كرقصة الدانس سورپوانت وتقف فيها الراقصة طول الوقت على أصابع القدمين ... !

***

على أن هناك رقصات داعرة ماجنة تشمئز منها الأخلاق ، وتنفر منها التقاليد كرقصات البج آبل . اللانسيه والكادريه وتكون فيها البطن فوق البطن ، والصدر فوق الصدر والفم قرب الفم وتلعب فيها الحيوانية دوراً كبيراً ولا يقوم بها إلا الشباب والشواب الذين يفيضون بالحيوية الكاملة ، وبالجرأة المستهترة وبعدم الاكتراث بما يقال أو يثار وتحرم هذه الرقصات بعض الشعوب الأوربية كالإنجليز

أما الرقص الشرقي والمصري الحديث ونعني بالحديث الذي نراه في هذا العصر فلا يخرج عن الرقص الإيقاعي الذي أدخلته وزارة المعارف في برامج مدارس البنات ورياضة الأطفال وهو رقص بديع أشبه بالألعاب الرياضية منه بالرقص ، والرقص البلدي ويقوم به عامة الشعب وبخاصة من طبقة الصعايدة (والفتوات) وهو أشبه الأشياء برقص الحصاد الذي كان يؤدى في الزمن المصري القديم ويمتاز بعزف (الوحدة الثابتة)

وأما رقص الراقصات المصريات والشرقيات فلا شيء فيه من الفن أبداً ، ولا غاية من ورائه ، ولا غرض من أدائه إلا إرضاء الرجال والاستحواذ على (جيوبهم وقلوبهم) !

فالجمهور لا يصفق للراقصة ولا يشتد ويغالي في تحيتها والإشادة باسمها إلا بقدر ما وُهبت من جمال ، وبقدر ما تتمتع به قامتها السمهرية من اعتدال ، وبقدر ما توزع من بسمات ، وبقدر ما تمنح من لثمات ! . .

فالرقص هنا لا يعتمد على فن أو ذوق أو رياضة ، وإنما يعتمد على هز الصدور ، ورج البطون ، واستفزاز أحط الغرائز ، وتنبيه (الحيوانية) تنبيهاً عنيفاً صاخباً يدفع الموظف الفقير إلى سرقة مال الحكومة ليتمتع ولو على حساب مستقبله وبيته وأولاده ، ويحمل الفلاح الذي حصل أمواله أن يبددها ويصرفها ولو خرب بيته وطلقت زوجه ، وشرد بنوه وبناته !



(ش ٦)
من نقوش طيبة في الأسرة الثامنة عشرة مقبرة امنمحت ، رقص تستعمل فيه إحدى النساء الصاجات وهي الراقصة الأولى من اليمين

ويرمي إلى هاوية الخراب والدمار شبابنا الذي لا يعرف قيمة مال أتاه من غير كد أو جهد ...

ويحفر حفرة الخيبة لكل طالب يسمح له والده بالتردد على هذه الباآت التي لا تعلمه إلا التفكير ... لا في الدرس والفحص ولكن في حلاوة العينين ، وسحر الشفتين ونار القلب والحب !

هذا هو رقصنا (الآن) . وهو الذي تحميه الحكومة ، وتحافظ عليه وتتغاضى عن صيحات العقل التي طالبت بالغائه ...



وحى نفرتيتى

معجزة الإبداع والحب

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

١ — مع الربيع

فى إبريل من إحدى السنين ولد أدولف ، فانساق إلى الحياة مع الربيع

أول نسمة أنعشت رئتيه كانت مشربة بروح من العطر والطيب ، وأول صورة وقعت على عينيه كانت مزركشة بزخارف صاغتها يد المبدع البديع ، وأول صوت طرق أذنيه كان تنهيدة من نسمة رشيقة حنون ، وأول ما رشف من عصير الحياة كان رحيقاً من روح الثمر الطيب الذى تتبرج به الدنيا فى الربيع

ويا شقاء الذى يهبط الأرض فى الربيع ... أو ... ياسعده ؟

يتدلى إلى الدنيا فيراها أول ما يراها : باسمة راقصة ، مرتلة فرحة ، قد أسكرتها نشوة التسبيح . وهو ينطلق إليها وكله روح وكله شعور : لم يعشش فيه العقل ، ولم يُعَفِّن نفسَه الحذر ... فلا عجب إذا صدّق الدنيا وأحبها ، ولا عجب إذا اطمأن لها ، ولا عجب إذا بادلها تسبيحاً بتسبيح

وإن هو إلا حين ، ثم يعقب الربيع صيف ، ومع الصيف لفحات من سعير ؛ ثم يتلو الصيف خريف ، ومع الخريف أشباح من فناء معتم مخيف ؛ ثم يعقب الخريف شتاء ، ومع الشتاء صقيع من موت معربد ينخر الصدور

ولكن وليد الربيع يحتضن صورة الربيع ، فمهما تلونت الحياة بين ذراعيه ، ومهما أفاق لها مع الحادثات فرآها الحرباء التى لا تثبت على لون . . فهو لا يزال يرجو منها الخير ويأمل أن تعاوده صورة الربيع

وإنها لتعاوده . توافيه وتبارحه ؛ وعلى أمل لقياها وفى ذمة فرحتها يصبر على شقوتها وعلى وحشة ظلمتها

أحبها . ومن حبه لها استشف الحسن فى قبحها ، والخير فى شرها ، وما فيها من شر ! وإن هى إلا صور !

ولكن الناس يعقلون ! يعقلون أنفسهم وأرواحهم ! وهم من شدة تعقلهم يتعثرون

يا ليتهم جنوا كما جن وليد الربيع !

٢ — فنان

فى معسرة أحب أدولف أن يستكمل من لوازم العيش حاجته ، وأن يصارع على صدر الزمان فاقته ، فلم يمتشق إلا ريشته ...

وهذا هو رقصنا الذى يستنزف أموالنا ويخرب بيوتنا ويدفع شبابنا إلى التخنث والتزين ثم الهلاك ...

الحكومة تطارد الباعة الذين يكسبون (الملاليم) بعرق جبينهم ليصرفوها على أولادهم وزوجاتهم ، ولا تطارد الراقصات اللاتى لا عمل لهن إلا الخراب لكل من يحتك بهن .!

الحكومة تحذف بعض المناظر الهينة اللينة من روايات بعض المصريين المساكين ولا تحذف هذه الدعارة وهذا الطاعون الذى يفتك بصغار تلاميذنا ومجانين وارثينا ، والساذجين من عمدنا وفلاحينا ... !

***

هذا هو الرقص عندنا ويا له من رقص لم يعلمه أو يلهمه إلا الشيطان ! !

محمد السيد المويلحى

(ملحوظة) : الصور المصرية القديمة من كتاب موسيقى قدماء المصريين للدكتور الحفنى.

طرق أقرب الأبواب منه ولم يكن إلا باب الجمال والفن ... فرحب به الجمال ، وأكرم الفن وفادته

حقاً إنه لم يكن فى المصورين بارعاً مبرزاً . . . ذلك أنه روى من الفن سجعته وقوت صنعته ، وما كان الفن إلا فطرته

٣ — محارب

وزلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وصبت الأقدار أهوالها ، نخف صاحبنا لها مشدوهاً يلاطم أوحالها ، يغربل بالفن أشكالها ويلقف بالصبر أحمالها ، فلانت ونامت وقد نال منها مضاعف ما قد أهدى لها

٤ — شريد

صهره الزمن حتى لتكاد نفسه تسيل حسا ، وتراكمت تحت قدميه التجارب فرفعته ورفعته حتى لتكاد تخرق السماء هامته . حلق فى جو يقصر عنه الترف والرغد . فلم يعد يرضى أن يعيش كما يعيش الناس ، ولم يعد يطيق الحياة مستنقعاً بين جنتين ، وإنما أرادها ساحة زاهية نيرة باسمة كالربيع ، راقصة مرتلة مسبحة . فسالم الناس وسالم الأرض وسالم السماء

ما كان يبغى من هذه الدنيا غير ما يمسك به الرمق فما ملأ جوفه حتى سعى ليملأ سمعه بالنغم ، وليملأ بصره بالصور . تدثر بالفن ، وأغمض عينيه ونام على الصخب يسترجع الربيع إذا غاب عنه ، ويستجديه الراحة إذا حضره

ولكنه لم يعتزم أمراً ، ولم يخلبه هدف . فراح يخبط فى الشرق وفى الغرب راضياً آمناً ، ولكن رضاءه وأمنه شابتهما حيرة إذ كان يحس هتافاً يتلوى فى نفسه غامضاً مبهماً مبعثراً فى جوانحه تعجز اللغة عن حشده وجمعه وإنشاده كلاماً ولفظاً ، ولم يكن يحس شيئاً أهنأ من هذا الغموض البنفسجى الشفاف ، فاستسلم له يداعبه ويناغيه متلمساً إفصاحه ودعوته

٥ — دعوة الحب

كان الجمال يستهويه فيستقصيه فى مجال السمع ومجال البصر ومجال الحس ومجال الوعى . فكان يتردد على رياض الجمال ما يغفل روضة ، وكان يتمطف على معارج الحسن يسرّى به فيها فيلمس من أسراره ما لا يراه غيره ، فكانت له عند كل جميل وقفة

والتقى هذا المستعشق فى جولة من جولاته بتمثال رصد فيه فنان حساس لمة من لمات روح نفرتيتى فلم يملك إلا أن يسكن أمام التمثال وقد اختبل حسه وتذبذب بين نزعة الرقص للفنان والسجود لنفرتيتى ومبدع نفرتيتى

رآها أنثى قائدة موجهة فوقف بين يديها وقفة مرن عليها فى الجيش ... وسمعها تسأله :

— وماذا تريد أن تصنع ؟

فقال : لا أدرى

فعادت وسألته : ألست تحس شيئاً ؟

فأجابها : إنى أحس

فأمرته : أن لبّ نداء حسك

وسكتت ، وشعر بها وكأنها تنصرف عنه أو تنخطف من تمثالها فاستأذن وانفرد

٦ — فى الوحدة

راح يقول لنفسه :

— أما أنها حدثتنى وأنى حدثتها ، فقد حدثتنى وحدثتها ، وأما أن هذا المعروض للناس تمثال ، فإنه تمثال لم يحدث أحداً ولم يحدثه أحد . فلا بد أنها تعرفنى ، ولا بد أنها اختارتنى من بين زوارها ، ولعلها تسللت من وطنها المستحى لتلقانى دون غيرى ، « هى » قطعت إلى آفاقاً وآباداً فكيف أغفل عنها و « هى » تنتقل بين أعطاف الوجود باحثة عنى . لا بد أنها المكتوبة لى ... وإلا فما لى لم تعجبنى قبلها امرأة ... وما لى قد آمنت قسراً عنى أنه لن تعجبنى بعدها امرأة ؟ !

إذن ... فيا لقرب الحبيبة !

واللقاء بيدها . . . فيا رحمة الحبيبة !

علىّ أن أسترضيها . إنها طلبت منى أن ألبى حسى ، فإلى أى شىء قصدت ... وأنا ... بماذا أحس ؟ وأى حس هو الذى تفيض به نفسى حتى ليخفى ما عداه من الأحاسيس ؟

أما أنا ... فإني محروم . إني أرى نقائص كثيرة ويخيل إليّ أني أملك إصلاحها ولكني غير متمكن من شيء أصنعه

ولست وحدى المحروم ، فإني أشعر أن حولى كثيرين محرومون ، منهم المحروم من قوته . بل إني محاط بجمع ... بحشد ... بجيش ... بشعب من المحرومين ... إني أعيش فى وطن محروم ... بل فى جيل محروم مظلوم . واحتمال الظلم والحرمان نقص ... ولعلها لا ترضى عن منقوص

فمن هو الظالم ؟ أين هو ؟ ...

... وخرج أدولف من حديثه مع نفسه بأن عليه عبثاً ألقاه على كتفيه أهل جنسه من الجرمان يريدون أن يتوحدوا ... وما أكبره من عبء !

٧ — معها مرة ثانية

ودلف إليها مرة أخرى فوجدها تنتظر منه إشارة تعرف بها أنه قد حدد فى ذهنه قيمة مهرها من مادة ومعنى . فأطرق خجلاً وقال :

— أليس عسيراً توحيد جرمانيا ؟

— ما من شيء فى الحياة عسير . وكل ما أردت ميسور . كان لى صهر ، وكان يحب المال ... ومع هذا فقد استطاع أن يوحد الله ... وأنا ... وقد كنت وثنية استطعت أن أعبد الله ...

— وما لله ومالى ؟ أترين أنى جدير بصنع المعجزات ؟ لقد مضى زمان المعجزات يا سيدتى

— إنك كسلان !

— كلا

— أثبت !

... وانطفأ التمثال ...

٨ — مؤمن وناموس

وبدأ أدولف الكفاح . فجمع حوله الشباب ... وجاهد ما جاهد حتى استولى على ألمانيا ...

وقضى هذا الدهر وهو يتردد على محبوبته فلا ينعم منها إلا بومضة وبسمة من علامات الرضى

... حتى اشتاقت حكومة مصر إلى تمثال الملكة فطلبت من حكومة ألمانيا أن تعيده إلى وطنه ... ويمنذ زارها فإذا هى ضاحكة تسائله :

— مالك ؟

— إنهم يريدونك فى مصر

— وما مصر ؟

— وطنك

— وطنى أنا ؟ أنا وطنى أينما كنت وإذ ما أكون . لست أحل أرضاً ولا أشغل مكاناً

— ولكنك كنت ملكة مصر

— ومصر الآن فى زاوية من ملكى

— أى إنسان أنت ؟

— كان الإنسان بعض أزيائى !

— فأى كائن أنت ؟

— إنه كائن واحد !

— ... ! ! وهل يفهمونك فى مصر ... هل يحسونك ؟

واضمحل أودلف وتخاذل ... وقال :

— لا يمكن ... فلتبق هنا أيها التمثال فإنى أرى فيك عجباً

... واعتذر « هتلر » لحكومة مصر وقال إنه يحب الملكة المخلدة ...

٩ — الناس يسخرون

وطابت للناس سخرية وأضحوكة ... وما أكثر المآسى التى يضحك منها الناس ويسخرون ، وما أكثر العبر التى يمرون بها غافلين متجهلين !

فمن نبع من فن وأفرغ فى فن

درة من منح الله سجلها مؤمن يتعبد بالنحت ، وتلقاها عاشق متيم بالجمال والحسن فانبلع رجلاً يبهر المتعقلين والمتفلسفين ! إنه

اندلع ... وقال: إنه يحبها ولم يزد فسخروا منه ... فما باله لو قال: إنه يحادثها ...

منذ إذ أمرها!

١٠ — توت عنخ آمون

إحتل الألمان «الرين» وعاد أدولف ليلتها إلى مخدعه متعباً مضنى. وكان يحن إليها. وكان صادقاً في حنينه. فناداها فلبته فإذا هو معها، وإذا هي تسأله:

— أحسبك ارتحت الآن قليلاً؟!

— الحمد لله

— وأحسبك تريد جزاء؟

— لا. فقد تعلمت منك تناسى الجزاء

— إذن هيا معى

— إلى أين؟

— إلى وليمة صغيرة ... ألا تحب أن تعرف توت عنخ آمون؟

— قد أتساقط بين يديه

— لماذا؟

— لأنه صاحب الحق فيك

— وهل مسست أنت حقه؟ ... تعال ... فهو يريد أن يراك ... وقادته إلى العرش وقدمته إلى الملك

— هذا هو أدولف

— مرحباً ... هل تشرب خمراً من خمرنا؟

— قد تروقنى ... ولكنكم قد تحسنون إلى لو أسمعتمونى ترنيمة من ترانيم صلاتكم

— وماذا لو حيتك الملكة برقصة أو أغنية؟!

— قد تكون متعبة

— أظنه لا يتعبها ما يرضيك ... أليس كذلك أيتها الملكة؟

ورفعت المائدة ... ورفع الملك والملكة ... وهبط أدولف وعاد إلى مخدعه محزوناً ...

لقد كان يحسن أن يتقى هذه المقابلة. إنه لم يربح منها شيئاً إلا غيرة خاطئة صوبها إليه قلب صاحب حق

... ولكن ... لا ... أو هل يمكن أن يكون قد طاب لها أن تعبث به ... ولماذا لا تكون هذه الصلة كلها من أولها إلى آخرها مؤامرة دبرتها مع نفسها، أو أغرتها بها شيطانة عابثة. أو دبروها معاً

بدأ الشك والقلق يحزان نفسه

١١ — يتخبط

إنهار المسكين!

كان قد أحس حبه التجرد قد رسا به فى مرفأ جديد من مرافىء الوجود: كله ربيع!

رسا فيه. وهم أن ينزل إليه فإذا به يضع قدمه فى هذه الدنيا من جديد وفى بقعة من بقاع برلين.

إنه يحب برلين، ويحب ألمانيا. إنه وطنى عنيف. ولكن حبه لوطنه لا يزيد على حبه لتمثاله ... فهل التمثال هو المقصود بالحب؟

و«هى» ... قد قالت إن وطنها القديم لم يعد اليوم إلا جانباً من مسرحها الجديد. وهو لا بد أن يكافئها ... ولا بد أن يضم إلى ملكه هذا المرفأ البعيد الذى رأى نفسه قد رسا فيه ...

فما الطريق إليه؟. إلى أين؟. إلى المرفأ البعيد؟ أى مرفأ؟ وأين هو؟!

ويل أو طوبى لمن طلب البعيد!

١٢ — عتاب

فى هذا الاضطراب الموجع القاسى أخطأ بعض أصحاب أدولف فى حقه وفى حق كفاحه فقتلهم بيده ...

وليس القتل بالفعلة التى يرتكبها الإنسان ثم يسهل عليه النوم.

انتابه الأرق ليلتها وثارت به نفسه. كان صرعاه يحبونه، وكان هو يحبهم. حقاً إنهم أخطأوا، ولكن من فى الناس المعصوم؟ ثم من ذا الذى منحه السلطان على الأبدان والنفوس؟.

أولا يمكن أن يكون هؤلاء الضحايا أبرياء ... من يدرى؟!

وكيف يقتل المتطهر البرىء؟!

العين بالعين. والسن بالسن. وإذا كان فى الغفران فضل ففضله للباذل الواهب.

فهل يغتفرها لنفسه ؟. كلا ... كلا ... فهو إذن منقوص معيب ، و « هى » لا تحب المنقوص المعيب ...

ها هى ذى ! تمد يدها بالسدس إليه ... مد هو أيضاً يده . تناول السدس ، ورفعه إلى رأسه ، وأطلقه . فقد أرادت « هى » أن يموت مكفرا عن خطيئته .

ولكنه كان قد استنفد الرصاص فى رؤوس صرعاه . وكانت الطلقة كاذبة . نظر إليها يعتذر عن جرأته على الحياة بعد ما أرادت وإذا هى تقول :

— هل رأيت ... ما كانت بك حاجة إلى قتل إخونك بيدك . فالشر وحده كفيل أن يقتل المخطئين ... لا تلطخ يدك بالدم بعد اليوم ، ولا بالدنس . وليكن منذ اليوم سلاحك الصدق ودرعك الإيمان ...

— ما هذا ؟ كأنى سأكف عن المضى فى كفاحى ... فأنا أناضل خصوماً كل منهم جبار عنيد . ولن أصل إلى ما تريدين منى إلا بعد مجزرة أردم بأشلاء قتلاها هذه الهوة التى تفصل ما بينى وبينك

— إذن فأنت لم تبلغ ما أريدك أن تكون . ولست إذن إلا كغيرك من المفتونين !

وغادرته يرتجف وهو يقول :

— كأنها تريد منى أن أقول للشىء كن ... فيكون .

١٣ — تجربة

وخانه خائن جديد من إخوته المقربين... فانطلق إليه ... ولكنه أحسها تنطلق إليه معه ... حتى إذا جاءه ربض أمامه ، ومد إليه بالسدس يده . فتناول السدس الصديق الخئون وأفرغ رصاصه فى رأس بدنه ، وخر أمام صاحبه رمة لوثتها الخطيئة ، وجثت روحه عند قدميها « هى » باسمة شاكرة إذ هونت عليها سكنى الرمم فاشترت بها براح الخلود ...

فآمن أدولف بما هدته إليه صاحبته

ومع هذا فقد يحسبه حتى حواريوه من هواة الحروب

١٤ — سر نحو الخاتمة

إذن فالحق لا يقف أمامه شىء . والإيمان به هو الطريق إليه . ضمت ألمانيا النمسا . استولت ألمانيا على أراضى السوديت . . . وحدث وحدث ، وأمم الأرض كلها كانت مشفقة مما حدث ، ولكن أدولف أحدثه ولم يرق قطرة دم

وهو الآن لا يزال يغربل حقائق الحياة وحقوق الناس . وهو مشرف على الدنيا من صومعته المترفعة . . . أما إذا أقر كل حق فى موضعه « فهى » راضية عنه . أما إذا طغى فقد تزوره مرة أخرى فى مخدعه تعاتبه أو تعاقبه ...

نفرتيتى ملكة مصر الخالدة لا تسمح أن يصيب بلادها السوء ! ...

(القاهرة فى أول يونية سنة ١٩٣٨) عزيز احمد فهمى



فلسفة ليبنز

ارجاع الحرارة والحركة الى أصل واحد

للدكتور محمد محمود غالى

بقاء الطاقة يجد تفسيراً فى حركة الجزيئات — عمل روبير ماير — المبدأ الثانى فى الترموديناميكا — هذا المبدأ يقرر استحالة الحياة فى مستقبل الزمن — كيف فسر بولتزمان المبدأ المتقدم — أول دعامة فى فكرة الاحتمال والمصادفة .

قدمنا كلمة عن فلسفة جديدة يحاولون بها توحيد الظواهر الطبيعية فى الكون والرجوع بها إلى قليل منها ، وذكرنا أن كل محاولة فى هذا السبيل تُعد تقدماً للانسان يفوق العديد من الاختراعات التى تبهرنا أحياناً ولا يمكن أن نعتبر الكثير منها خطوة حقيقية فى سبيل التقدم ، وذكرنا حالة خاصة باكتشاف ليبنز (Leibniz) من توحيد ظاهرتى الحرارة والحركة والرجوع بهما إلى ظاهرة طبيعية واحدة ، وقد ذكرنا ذلك فى معرض الكلام عن النظرية السينيتيكية للغازات والسوائل التى استعرضناها لنثبت للقارئ فكرة الجزىء ، وشرحنا تجارب كوتون وموتون واكتشافهما للألترامكروسكوب الذى نرى به رأى العين أثر ما تحدثه جزيئات السائل على الجسيمات الصلبة الكولويدية التى تتصادم مع هذه الجزيئات ، فنرى حركة الجسيمات مضاءة داخل نقطة من الماء كما نرى الطائرات فى الليل تُضيئها أشعة قوية ، وذكرنا أن العلماء[1] توصلوا إلى تفسير هذه الحركة غير المنتظمة والدائمة للجسيمات الصلبة الموجودة داخل السائل، وحسروا الستار عن مشاهدة قديمة للعالم النباتي براون (Brown) الذى شاهد هذه الحركة منذ سنة ١٨٢٧ والتى يُروى أن الطبيعى الإيطالى سبالانزانى (Spallanzani) شاهدها من قبله

ونعود الآن إلى فكرة ليبنز، فللقارئ أن يطالبنا حتى كتابة هذه السطور بأن نقيم الدليل على فلسفته فى إرجاع الحرارة إلى الحركة ، هذه الفلسفة التى تقدمت اكتشاف براون وسبالانزى بأكثر من قرن، وتقدمت أعمال كوتون وموتون وبيران بقرنين

لقد أقامت العلوم الطبيعية على إثبات وحدة الظاهرتين والرجوع بهما إلى أصل واحد، من الأدلة ما لا يقبل اليوم جدلاً . وقد كان أول هذه الأدلة عن طريق أحد المبادئ الأساسية للعلوم وهو المبدأ القائل ببقاء الطاقة وعدم فنائها ، هذا المبدأ يعزز أيضاً النظرية السينيتيكية للحرارة بحيث أصبحت نظرية بقاء الطاقة دليلاً على فكرة ليبنز فضلاً عن إثباتها للنظرية السينيتيكية . ولقد كان ثانى هذه الأدلة تفسير بولتزمان Boltzmann لما يسمونه المبدأ الثانى للترموديناميكا وهو ما سنتكلم عنه فيما يلى ، وهو أيضاً عمل على تحقيق النظرية السينيتيكية

أما القانون القائل ببقاء الطاقة الذى يعممه العلماء الآن فى كثير من الظواهر الطبيعية فقد وجد أساسه فى بادئ الأمر فى الظواهر الميكانيكية حيث كان لروبير ماير Robert Mayer الفضل فى الكشف عن تحول الطاقة الحرارية إلى طاقة ميكانيكية تحولاً حقق وجود علاقة عددية بينهما بحيث تُعيِّن دائماً كل كمية من الشغل الميكانيكي كمية من الحرارة تتناسب معها

يذكر كل الذين تخرجوا من كلية الهندسة التجربة المعروفة لتعيين المعادل الميكانيكي للحرارة Mechanical Equivalent of Heat المعروفة بتجربة جول Joule ، ويذكرون أن طاقة ميكانيكية معينة ممكن قيامها بعجلة مُحمَّلة تدور ، ترفع حرارة مُسْعَّر[1] وتنقل إليه كمية معينة من الحرارة تتناسب مع الطاقة الميكانيكية بحيث يكون بين الطاقتين نسبة ثابتة هى معامل جول المتقدم الذكر

(١) بعد تحميص طويل ظل عدة أعوام فى تفسير الحركة البراونية بين رمزى Ramsay فى سنة ١٨٧٦ المعروف باكتشافه للغازات النادرة فى الهواء، أن سبب الحركة مصادمات عديدة تقع على الجسم الصلب من جزيئات السائل

(١) وعاء صغير من النحاس توضع به كمية من الماء

هذا التحول من طاقة إلى طاقة كان انتصاراً لماير ، إذ أصبحت الحرارة مظهراً من مظاهر الشغل الميكانيكي . على أن هذا التحول يجد تفسيره فى النظرية السينيتيكية إذا اعتبرنا أن الحرارة هى هذه الكمية من الشغل الموجودة فى الحركة غير المنتظمة للجزيئات الداخلية للسائل، أى هى هذه الطاقة الموجودة فى بلايين المصادمات الصغيرة ، بحيث أن الشغل الميكانيكى هو نتيجة حركة موحدة الاتجاه للجسم، معتبراً وحدة ، أى نتيجة حركة جزيئاته متجهة اتجاهاً واحداً

وعلى هذا فتحويل الطاقة الميكانيكية إلى طاقة حرارية هو انتقال من حركة منتظمة إلى أخرى غير منتظمة والعكس صحيح ، بحيث أن بقاء الطاقة وعدم فنائها دليل جديد على صحة النظرية السينيتيكية التى يصح أن نطلق عليها النظرية الميكانيكية للحرارة

أما عن الدليل الثانى لفكرة ليبنز من أن الحرارة والحركة أمر واحد فقد أتى عن طريق فكرة استحدثت فى العلوم الطبيعية كان لها خطرها وأهميتها وكانت فوزاً جديداً للسينيتيكية ، هذه الفكرة خاصة بما يسمونه المبدأ الثانى فى الترموديناميكا وهو المبدأ الذى يعين اتجاه Sens الحوادث الطبيعية

كم من حوادث نعتبرها عادية لأننا اعتدناها فلا نسائل أنفسنا عن أسبابها . عند ما تنفصل تفاحة عن شجرة فإنها تقع على الأرض بدل أن ترتفع إلى أعلى ، ولقد كان الحادث عند نيوتن رغم بساطته لافتاً النظر وسبباً لأن نرث عنه اليوم مسائل من أعظم ما عرفه الإنسان من تفكير منظم ، أجل، مسائل إن تزعزعت أركانها اليوم قليلاً بعبقرية أينشتاين وغيره فما زالت لها مكانتها من الصحة فيما يخص الكثير من ظواهر الكون . وهكذا عند السؤال عن سبب بعض المظاهر الطبيعية تتعين أمامنا معارف لها من الخطر والأهمية مالا يخطر ببال ، فماذا يحدث مثلاً عندما تضع يدك على جسم ساخن ؟ إن ثمة نتيجة حتمية هى ارتفاع فى درجة حرارة اليد وانخفاض فى درجة حرارة الجسم الساخن ، فهل تساءلت مرة لماذا يحدث هذا ؟ إننا نعلم جميعاً أنه عند ما نضع جسماً ساخناً جداً على منضدة فإنه ترتفع حرارة الجزء من المنضدة اللامس لهذا الجسم ويقابل ذلك انخفاض هين فى حرارة الجسم الساخن ، ونعلم جميعاً أنه لم يحدث بتاتاً أن تفقد المنضدة شيئاً من حرارتها الأصلية لتزيد هذا الجسم الساخن حرارة على حرارته

هذا الموضوع، على بداهته، الذى يتلخص فى انتقال الحرارة من جسم ساخن إلى جسم بارد ، يعود بنا إلى فكرة أساسية فى العلوم الطبيعية ، وهى خاصة بتقسيم الظواهر إلى ظواهر عكسية Phénomènes Reversibles ، أى يمكن تحولها من حالة إلى حالة كما يمكن العودة من الحالة الثانية إلى الحالة الأولى ، وظواهر غير عكسية Phénomènes Irriversibles أى إن قبلت التحول من حالة إلى حالة فهى لا تقبل الرجوع إلى الحالة الأولى

ولزيادة الإيضاح نقول : يحوى الجسم البارد مهما بلغ من البرودة كمية من الحرارة ، ومن الجائز أن نزيد فى برودته باللجوء إلى وسائل طبيعية مختلفة ، بحيث يفقد شيئاً من حرارته ، وعليه فليس ما يمنع أن نتصور أن ينقل هذا الجسم البارد جزءاً من حرارته إلى جسم حار ، بحيث يرفع الجسم البارد حرارة الجسم الحار على حساب أن يزداد هو فى برودته ، ولا يتنافى هذا بحال مع مبدأ بقاء الطاقة السالف الذكر ؛ ولكن مما يلفت النظر أنه لا بد من عملية خاصة وطاقة أخرى جديدة نصرفها ليكون هذا الانتقال جائزاً ، فهو ليس أمراً طبيعياً يحدث من تلقاء نفسه . وهكذا لم يحدث أبداً أن فكر إنسان فى أن يضع قطعة من الثلج ليرفع بها حرارة فنجان ساخن من الشاى ، أو يضع عموداً ساخناً فى وعاء به ماء بارد ليزيد فى برودة الماء ويرفع حرارة العمود . إن الذهن العادى لا يستسيغ ذلك ، وهو يدرك بالبداهة أن عملاً كهذا ضرب من المحال ، وهو يعلم بدون حاجة للرجوع إلى المعادلات الرياضية الصعبة أن قطعة الثلج تعمل على تبريد الفنجان الساخن ، كما أن العمود الملتهب يعمل على تسخين الماء ويطفأ عادة فيه ، بحيث لم يحدث أبداً لصانعى العجلات الذين يلجأون إلى تسخين الأطواق الحديدية قبل وضعها حول أجزاء العجلة الخشبية أنه عند وضع هذه المجموعة فى الماء ليتقلص الطوق الحديدى ويشد العجلة ، أن برد الماء وازدادت حرارة الطوق ، وإنما المشاهد أن يبرد الطوق ويسخن الماء وقد يبلغ الغليان

وهكذا تحتم المشاهدات البسيطة قبل أن تحتم العلوم والمعادلات المويصة أن ثمة نزولاً حتمياً واقعاً من الحرارة العليا إلى الحرارة المنخفضة وأن هذا السير وهذا الاتجاه موجودان فى جميع العمليات الحرارية ، ولا يتغير ما دمنا لا نلجأ إلى وسيلة خارجية وإلى استعمال طاقة أخرى . ولقد وضح الطبيعيون ذلك بإدخال فكرة يسمونها

« الأنتروبى » Entropie وهى بالتعريف[١] مجموع تكامل كميات الحرارة الصغيرة الحادثة أثناء الانتقال مقسومة على درجة الحرارة المطلقة ، وقرروا أن « الأنتروبى » تزداد دائماً فى كل العمليات الحرارية . وأود ألا يشغل القارىء نفسه بموضوع « الأنتروبى » فهى فى الواقع طريقة رياضية للتعبير عن القانون الثانى للترموديناميكا هذا القانون الحرارى البسيط الذى يلاحظه القارىء فى كل مشاهداته اليومية والذى يحتم انتقال الحرارة من جسم عالى الدرجة إلى جسم خفيضها ، تقرر كمبدأ عام يربط العلوم الحرارية بمعارفنا الطبيعية ، ويقرر أن العمليات الحرارية تتم جميعها فى الكون على طريقة التوزيع المتساوى لكل الكميات الحرارية المستعملة . ولئن كانت الشمس التى هى فى الواقع المصدر البارز فى حياتنا تفقد بالأشعة من وزنها ما يبلغ أربعة آلاف مليون طن فى الثانية الواحدة[٢] فهى فى طريق الفناء كما يعتقد الكثيرون من العلماء أو أنها تزيد حرارتها كما ذكر ذلك حديثاً فى النشرات الأمريكية الأستاذ جاموه أى أنها فى دور النمو ، فإن حوادثها فى كلتا الحالتين تسير وفق المبدأ الثانى للترموديناميكا — هذا المبدأ الذى يعين الاتجاه الحرارى من الدرجات المرتفعة إلى الدرجات المنخفضة ، ثابت لا يتبدل .

إنما يهمنا من هذا المبدأ الثانى أمران : الأمر الأول خاص بفلسفة الوجود والتطور ولا نتعرض أكثر من أن نقول إنه موضوع يدعو التأمل فيه إلى شىء من الأسف ، إذ يدلنا هذا المبدأ الثانى على طريق السير الحرارى فيما يتعلق بالكون الذى يسير وفق هذا المبدأ نحو نهاية محتومة ، نهاية يسميها العلماء الموت الحرارى Mort Thermique ، وتفسير ذلك أنه عندما تتوزع الطاقة الكلية للكون توزيعاً متساوياً تصبح حرارة المادة المكونة لأجزاء الكون المختلفة متساوية . والذين تابعوا مقالاتنا الأولى فى وصف الكون والحيز المتمدد وقلة ما به من مادة ، يفهم أن هذه الحرارة تكون منخفضة بحيث لا تسمح لأى نوع من الحياة بالبقاء ، على الأقل على الصورة التى نفهمها من الحياة والحركة .

والأمر الثانى خاص بعلاقة هذا المبـدأ الثانى بالنظرية السينيتيكية ، والواقع أنه لم يكن عسيراً أن يتوصل الطبيعيون إلى هذا المبدأ الثاني الذى يشترك فى مشاهدة نتائجه اليومية الشخص العادى بقدر العالم الطبيعى ، ولكن كان على الطبيعيين أن يجدوا لهذا المبدأ تفسيراً يلتئم مع بقية المعارف الطبيعية ، وقد كان لبولتزمان Boltzmann الفضل فى أن يجد هـذا التفسير الخاص بانتقال الحرارة من جسم حار إلى جسم أقل منه حرارة وعدم إمكان العملية العكسية باللجوء إلى النظرية السينيتيكية ، وبذلك وجد بولتزمان مرة أخرى وبطريقة غير مباشرة دليلاً جديداً على فلسفة ليبنز . وها نحن أولاء نسرد فى هذه الأسطر لمحة من تفكير بولتزمان وأثره على النواحى الطبيعية الأخرى :

عند ما نقول إن لهذا الجسم حرارة معينة فإننا نعنى أن لجزيئاته سرعة معينة ، هذه السرعة للجزيئات ليست متساوية فمنها ما هو سريع ومنها ما هو بطىء . إلا أن ثمة متوسطاً عاما لسرعة جميع الجزيئات تمثل حركتها المتوسطة ، وهذا المتوسط العام يدل على حرارة الجسم ، هذه السرعة المتوسطة تزيد كلما زادت حرارة الجسم

وعند ما يتلاصق جسمان حرارتهما مختلفة فإن جزيئاتهما تتصادم وتختلط — على أن كل أنواع الحوادث جائزة وقوعها فى كل تصادم فردى ، حتى أنه من الجائز أن يصطدم جزىء بطىء مع آخر سريع وينقل إليه سرعته الخاصة به كما يحدث هذا بين كرتين من كرات البلياردو ، ولكن مثل هذا الحادث نادر وأكثر شيوعاً منه مصادمات من نوع آخر تتساوى فيها السرعات على قدر الإمكان بحيث أن التعادل الحرارى يحدث من تعادل سرعات غالبية الجزيئات المختلفة ، وهكذا تكون نتيجة التلاصق نزولاً حتمياً فى حرارة الجسم الحار وارتفاعاً حتمياً فى حرارة الجسم البارد

على أن أعظم ما فى هذا التفسير وهذا القانون الثانى للترموديناميكا أنه يحول هذا الاقتراح السابق إلى قانون إحصائى ، ويتساءل القارىء كيف يصبح قانون أساسه إحصاء مبنى على المصادفة قانوناً طبيعياً ثابتاً ؟ ولكن لم يعد لهذا السؤال محل

---

(١) نجد فكرة الانتروبي فى كل الكتب الطبيعية مثلا كتاب الطبيعة العامة تاليف اليفيه الجزء الثانى (١٩٢٢) ص ٥٩ الطابع هرمان ، Physique Générale par Ollivier Tome II (1922) Edit.: Hermann كذلك كتاب بلوخ للنظرية السينيتيكية للغازات فى مجموعة كولان نمرة ٧ ص ٧١ — ص ٨٠

(٢) كنت أصبو إلى أن أدل القارىء على المراجع العلمية الخاصة بهذا النوع من الأبحاث عن الشمس ويراها فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى بين سنة ١٩٢٥ ، سنة ١٩٣٥ وتقصر مذكراتى التى فى حوزتى فى الوقت الحاضر عن أن أدله على التاريخ المضبوط ومع ذلك فإن حساباً بسيطا يستطيع أن يقوم به القارىء يدله (إذا علم أن وزن الشمس ١٠^{٥٥} جرامات ، وهو ما ذكرنا فى جدول سابق عند ما تكلمنا عن تمدد الكون) على أنه يلزم أن تمر ملايين الملايين من السنين لكى تفقد الشمس نصف وزنها .

بعد أن انتصر منطق المصادفة فى معظم فروع العلوم الطبيعية ولا سيما بعد « الكوانتا » وما أدخلته من تعديلات جوهرية على معارفنا ، وكما يقول ريشنباخ[١] فى محاضراته التى أذاعها فى برلين : عند ما ندخل فى حجرة فإننا لا نسائل أنفسنا بتاتاً عن الخطورة التى قد تحدث من اجتماع جميع جزيئات الأكسيجين الموجود فى الحجرة فى ناحية منها واجتماع جزيئات الأزوت فى الناحية الأخرى ، بل إننا على ثقة دائماً ومهما طال الزمن أن الهواء داخل الحجرة خليط من الأكسيجين والأزوت وأن اختلاطهما نتيجة لمصادمات فردية بين جميع جزيئات الأوكسيجين وجميع جزيئات الأزوت ، ولاشك أنها حادثة نادرة جداً لا يجيزها العقل أن يجتمع فى ناحية من الحجرة كل الجزيئات المكونة لأسرة الأوكسيجين وفى الجزء الآخر الجزيئات المكونة لأسرة الأزوت ، بحيث يصبح جزء هام من الحجرة خانقاً والآخر مساعداً على الاشتعال

ومهما يكن من الأمر فإنه عندما تكون حادثة ما جائزة ولكنها قليلة الاحتمال فإننا لا نأخذها فى محل الاعتبار فى تسيير حياتنا اليومية — وهكذا نسافر للاصطياف فى جبال لبنان العليلة الهواء أو حول بحيرة ليمان فى سويسرا المعروفة بمناظرها الخلابة ، رغم ما يدل عليه الإحصاء من أنه فى مجموع ألوف البواخر المسافرة فى العالم يتعرض حتماً بعضها للغرق أو الحريق . وهكذا ترانى على استعداد لتكوين ابنى ضابطاً بحرياً ، لو وجدت لدينا مدارس بحرية منظمة تدرس العلوم الصحيحة ، وذلك لأجعل منه شخصاً نافعاً يعتمد عليه ، رغم أن الحوادث سجلت فى هذا الشهر ثلاث حوادث تأسف لها الإنسانية ، وهى غرق ثلاث غواصات لأمريكا وانجلترا وفرنسا ، بحيث أنه يعد ضرباً من السخف أن أمنعه من تعلم البحرية وأسمح له فى نفس الوقت بالخروج من المنزل لشراء حاجياته أو للتوجه إلى المدرسة ، لأنه فى هذا أيضاً معرض ليلقى حتفه بطريقة أسرع من احتمال غرقه فى غواصة قد تغرق فى كل بضعة آلاف من الغواصات

وهكذا نغادر جميعاً منازلنا فى الصباح بشىء من التفاؤل يملأنا ثقة أننا سنلتقى بأطفالنا فى المساء ، ولو أن بين مئات الألوف الذين يخرجون كل صباح من مدينة القاهرة يوجد دائماً وكل يوم واحد أو اثنان يُصاب بحادث يحرمه من هذا الاجتماع

(١) ريشنباخ Reichenback الأتوم والكون فى مجموعة فلامريون باريز

إنْ فَهْمنا للطبيعة انقلب رأساً على عقب بهذه الفلسفة الجديدة التى أدخلها بولتزمان ، فلأول مرة دخل فى العلوم الطبيعية قانون إحصائى مبنى على مجموع الحوادث الفردية واحتمال حدوثها بدل القوانين القديمة التى كانت لا تستند على هذا النوع من التفكير .

من هنا بدأ مجال جديد فى جميع المسائل ؛ ومن هنا تغلغلت فكرة بولتزمان فى النواحى الأخرى للعلوم الطبيعية . ولا شك أننى عند ما فكرت يوماً أن أحصل على حالة الماء المشبع بالطمى من دراسة فوتو كهربائية[١] للماء الحامل للطمى كنت متشبعاً بنوع من التفكير الأحصائى لبولتزمان ، على رغم أن كل العوامل كانت تؤول بنا إلى الابتعاد عن الطرق النيفولومترية[٢] وهكذا رغم العوامل المنفرة استعملت الطرق الضوئية بنجاح لمعرفة كمية ما بالنيل من طمى ووضعت مع العالم بيروه أخيراً أساساً لمعرفة كمية الطمى عن بعد وبدون الالتجاء لاستعمال الأسلاك الكهربائية[٣] على أن هذا النجاح مرتبط بوجود متوسط عام لملايين الجسيمات من طمى النيل ، متوسط يدل على كمية هذا الطمى ونوعه

وهكذا باتت العلوم كلها مسرحاً لنتائج الإحصاءات الفردية وحساب الاحتمالات ، والذين يستطيعون اليوم أن يتتبعوا « الكوانتا » وما أحرزته من نجاح ويفهمونها كما فهمها « بلانك » يدركون أن التقدم الإنسانى آت من هذه الناحية الجديدة الخاصة بالاحتمال والمصادفة والتى يظل اسم بولتزمان علماً فيها

ونختم هذا البحث الخاص بالجزىء بأن نذكر للقارئ أن النظرية السينيتيكية قد ساعدت جدياً على فكرة الجزىء وأفهمتنا كنهه وطبيعته بدرجة بلغت الآن اليقين ، بحيث أن ترك السينيتيكية يجعلنا عاجزين عن تفسير أحد قوانين الطبيعة وهو قانون بقاء الطاقة وعدم فنائها ، ونكرر للقارئ أن السينيتيكية ساعدت أمثال بولتزمان على تفسير بعض مظاهر الكون مما جعلتهم يتوصلون إلى نوع جديد من التفكير الطبيعى بات أساساً لمعظم معارفنا

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

(١) هذا البحث نشرته بمحاضر المجمع العلمى الفرنسى فى يونية سنة ١٩٣٥

(٢) راجع كتابى « الأجسام المعلقة فى مياه الأنهار » الطابع جوتيه فيلار . باريز سنة ١٩٣٥

(٣) هذا البحث نشرته مع بيروه وكيل مصلحة الطبيعيات بفرنسا فى محاضر المجمع العلمى الفرنسى فى مايو سنة ١٩٣٨



وفاة العلامة الشيخ محمد شاكر



فى صباح الخميس الماضى نُعى الإمام الجليل والعالم المحقق الشيخ محمد شاكر، فشق نعيه على المسلمين والعلماء وأهل الأدب؛ فقد كان — رحمه الله — رجلاً من رجال الجيل، وعلماً من أعلام الدين، وداعية بعيد الصوت صريح القول قوى البرهان.

وولد المرحوم الشيخ محمد شاكر فى مدينة جرجا، فى منتصف شوال سنة ١٢٨٢ (مارس ١٨٦٧)؛ وحفظ بها القرآن، وتلقى مبادئ العلم؛ ثم رحل إلى الأزهر فتلقى العلم عن كبار الشيوخ فى ذلك المعهد، وعين أميناً للفتوى مع الأستاذ الجليل المرحوم الشيخ العباسى المهدى فى مارس سنة ١٨٩٠. وفى فبراير سنة ١٨٩٤ تولى منصب « نائب محكمة مديرية القليوبية »، ومكث به حتى اختير قاضياً لقضاة السودان فى سنة ١٩٠٠؛ وهو أول من ولى هذا المنصب، وأول من وضع نظم القضاء الشرعى فى السودان على أوثق الأسس وأقواها، وله فى هذه الفترة تاريخ عجيب لا يُذكر مثله لغير علماء الصدر الأول فى الدولة الإسلامية.

ثم عين فى سنة ١٩٠٤ شيخاً لعلماء الإسكندرية فوضع الأساس لتنظيم المعاهد الدينية الإسلامية كى تؤتى ثمرها وتخرج للمسلمين رجالاً هداة يعيدون للإسلام مجده فى أنحاء الأرض.

وفى إبريل سنة ١٩٠٩ صدرت الإرادة السنية بتعيينه وكيلاً لمشيخة الجامع الأزهر فبذر فيه بذور الإصلاح، وتعهد غرسه حتى قوى واستوى، أو كاد . . .

ولأمر ما لم يستمر فى منصبه ذلك فاختير عضواً فى الجمعية التشريعية فى سنة ١٩١٣، واعتزل منصبه فى مشيخة الجامع الأزهر.

ومن يومئذ خرج المرحوم الشيخ شاكر من قيد الوظيفة إلى ميدان الجهاد الحر — فى سبيل الله وفى سبيل مجد الإسلام. فكانت له فى الصحف مقالات رنانة ما يزال صداها يتردد بين أقطار العربية.

ولما نهضت الأمة المصرية نهضتها الكريمة فى سنة ١٩١٩، كان من دعاتها الأولين ومن أشهر قوادها فكتب فى الشئون السياسية عشرات من المقالات فى الصحف المصرية، دلت على بعد نظره وصدق فراسته. على أنه إلى ذلك لم يكن له ضلع مع حزب من الأحزاب السياسية فى مصر، مؤثراً أن يكون قياده فى يده لا يُصدر إلا عن رأيه.

وبجانب ذلك لم يدع مسألة شرعية أو اجتماعية مما يصطرع الرأى حوله إلا قال فيها قالته، صادعاً بما أمر الله، معرضاً عن المنكرين. وكان من أبرز صفاته: صلابته فى الدين، وشجاعته

وهكذا انتصرت فكرة ليبنز [1]، هذا الفيلسوف الألمانى الذى طالع فى سن صغيرة جداً أعمال كيبلر Kepler وجاليليو Galilée واستوعب ديكارت، والذى درس الرياضة فى جامعة أينا وسنقيم الدليل بعد الذى كتبناه عن تقسيم الجزئ إلى ذرات ونرى كيف مهدت الكيمياء وانتصرت فى هذا الباب وسندخل بالقارئ بعد حين فى الذرة Atome ليرى هذا العالم العجيب، والعظيم نسبة لما يحدث فى داخله، وبهذا يلمح طرفاً من أعظم ما نعرفه عن الكون.

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) ليبنز ولد فى ليبزج سنة ١٦٤٦ وتوفى فى هانوفر سنة ١٧١٦

فى الرأى. واستمر – رحمه الله – على النهج، مجاهداً لإعلاء كلمة الله؛ لا يرى لأحد عليه سلطاناً، ولا لنفسه عليه حقاً، حتى أصابه الفالج فألزمه فراشه منذ ثمانى سنوات، يعانى آلام المرض صابراً محتسباً راضياً عن ربه، حتى غاله الموت فذهب إلى جوار الله راضياً مرضياً.

ولقد نشأ أولاده نشأته؛ فما منهم إلا له مقام معلوم بين المجاهدين لمجد الإسلام والعرب. فإلى أولاده الأساتذة: الشيخ أحمد شاكر، والشيخ على شاكر، وإلى صديقنا الأديب الأستاذ محمود محمد شاكر، ومحمد محمد شاكر؛ وإلى سائر أسرته والمسلمين عامة، تتقدم أسرة «الرسالة» بالتعزية، راجية ألا يُخلى اللهُ مكان الفقيد العزيز بجهاد أبنائه، وتولاهم الله بتوفيقه وبره . . .

وفاة الأستاذ فليكس فارس



تنعى أسرة الرسالة إلى قرائها عضواً من كرام أعضائها كان له فى كل ميدان من ميادين الأدب جولة وفى كل باب من أبواب الإصلاح مدخل؛ ذلك هو المحامى المدره والسياسى الخطيب والكاتب الشاعر الأستاذ فليكس فارس. توفاه الله فى منتصف الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء الماضى فى مستشفى المواساة بالاسكندرية عن سبعة وخمسين عاماً وهو أنشط ما يكون عملاً لأسرته ولقومه

ولد الفقيد الكريم فى المريجات من قرى لبنان العليا من أب عربى وأم فرنسية؛ ثم درس الحقوق وثقف الأدب فى اللغتين العربية والفرنسية؛ ثم زاول المحاماة وجاهد فى سبيل استقلال بلده وحريته بلسانه وقلمه، فكان حيناً من الدهر موضع الخشية للسلطان ومعقد الرجاء للشعب. ثم اختلف الزعماء بينهم فى وجهة النظر، ونبا العيش بالزعيم الكريم فوفد على مصر منذ ثمانى سنوات وفادة الغائب على أهله، فأكرمت مصر مثواه وجعلته كبير المترجمين فى بلدية الإسكندرية بمرتب قدره خمسون جنيهاً مصرياً فى الشهر، فعاش الأستاذ هو وأمه الحنون وزوجه المخلصة وأطفاله الثلاثة عيش الخفض والدعة. وتوثقت صلاته بأدباء الإسكندرية والقاهرة فكان من عوامل الإذكاء فى نهضة الأدب والفكر فيهما. ثم اتصل سببه بأسرة الرسالة والرواية فاختصهما بترجماته ومساجلاته وخطراته، حتى اشتدت عليه فى الشهر الأخير وطأة مرضه الدخيل وهو تضخم الكبد فذهب كما يذهب النور من العين والسرور من القلب والأمل من الحياة. والله وحده يعلم مقدار ما خلف من الأسى المسعور فى نفوس أهله وأصدقائه وقرائه

كان الأستاذ فليكس فارس من أنبل الناس خلقاً وأنقاهم ضميراً وأوفاهم ذمة؛ وكان مفطوراً على الخلال العربية النبيلة والروح الشرقية السامية؛ يدعو لها ويدافع عنها ويفخر بها. وكانت الأديان السماوية الثلاثة قائمة فى نفسه مقام الوحدة المتصلة لا يرى بينها فرقاً ولا حداً ولا معارضة؛ فهى فى رأيه ثلاث طرق تؤدى إلى غاية واحدة. لذلك كانت كتابته فى الإصلاح الدينى والاجتماعى ترضى كل نفس وتساير كل مذهب. وكانت صلته بالرافعى رحمه الله تشبه أن تكون صلة عقيدة لا صلة مودة. والناظر فى كتاب (رسالة المنبر) يجد الأستاذ فليكس فارس بروحه وأدبه ورأيه وفلسفته. رحمه الله رحمة واسعة، وألهم أهله وصحبه الصبر على فقده

مجلة الدراسات الإسلامية

بعث إلىّ أستاذى وصديقى المستشرق لويس ماسينيون بالمجلد الرابع لسنة ١٩٣٨ من المجلة التى يخرجها فى باريس على أربع دفعات فى السنة. وهذا المجلد نفيس جداً، لأنه موقوف على إثبات المؤلفات المختلفة التى ظهرت فى السنوات الأخيرة وموضوعاتها فنون إسلامية ومسائل عربية. وهذا المجلد يتم ما عرضت له مجلدات سابقة. وهكذا يقف المطلع والباحث على مجرى التأليف الخاص بالمشرقيات سواء فى الغرب أو فى الشرق ... وأين هذا فى مصر ونحن ندعى زعامة ؟!

وثبت تلك المؤلفات على هذا الترتيب: تاريخ العلوم فى البلدان الإسلامية – الفلسفة والكلام – فقه اللغة والتربية (وفى فقه اللغة ما يتعلق بالعربية والبربرية والفارسية والتركية) – الاجتماع وأحوال الأمم (وفيهما ما يتصل بتحول البلدان الإسلامية، والمرأة، والزواج، والمسكن، والبداوة، والنظام، والعرف، والاقتصاد السياسى، ثم العادات والعقائد الشعبية، ثم الجغرافية

البشرية) ـ الأدب العربي والفارسي والتركي واليهودي : العربي ـ القانون والتشريع والتدبير — العقائد والتصوف والفرق — الاستعمار الأوربي وسياسة العصر — الفهارس والسير

وقد ذُيِّلت طائفة من المؤلفات بتعليقات موجزة مفيدة من حيث إنها تُرشد القارئ إلى أوجه النفاسة والطرافة وتنبه إلى مواطن الذلل أو الضعف . وفيمن قاموا بالتعليقات لويس ما سينيون ، ور . بلاشير صاحب كتاب « المتنبي »

ومن المؤلفات العربية المثبتة : « نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها » للأب أنستاس ماري الكرملي ، و « إحياء النحو » لابرهيم مصطفى و « زاد المعاد » لميخائيل نعيمة (لا نعجة كما ورد خطأ) و « مع المتنبي » لطه حسين . (وقال المستشرق بلاشير في هذا الكتاب إنه مقتبس مما ألف في المتنبي حديثاً في أوربة)

بشر فارس

الرمزية وأبو تمام

تفضل الأستاذ أحمد عبد الرحمن عيسى فأشار إلى ما ذكرته عن أبي تمام والرمزية ، وأرجو أن يثق الأستاذ أني لم أقصد الانتقاص من الرمزية فإني أعرف أنها ضرورة من ضرورات النفس البشرية في بعض حالاتها ومظاهرها ويستوي في الالتجاء إليها العالم والجاهل ، ويستوي الفيلسوف والشاعر والرجل من عامة الناس . ولعل من ألذ التجارب السيكولوجية أن يدرس الباحث مظاهر الرمزية في أفكارهم اليومية وأقوالهم وآرائهم التي يرجعونها إلى العقل والتفكير ، وقد لا تكون من مظاهر العقل الظاهر ، فإن بعض المبادئ والآراء والأقوال إنما هي رموز تؤثر في إحساس كثير من الناس وتدعوهم إلى أعمال الخير والشر من غير إدراك لها بالعقل الظاهر . والرمزية في الأدب الحديث في أوربا في بعض نتاجها محاولة دراسة ما في أعماق النفس مما لا يصل إليه التفكير المعتاد . ولكن هذه الدراسة ليس لها طريق سلطاني معروف ، فهي قد تكون إبعاداً في بحر الظلمات على غير هدى . وليست كل الرمزية محاولة الفنان المسيطر على فنه وإرادته في عمله ، بل لها أسباب كثيرة ، وقد تكون أشبه بإشارات الثقافة التي تشير إلى حقائق ثقافية معروفة ، أو أشبه بمصطلحات الفلاسفة أو رموز الكيميائيين ، وقد تكون مزاجاً في النفس ناشئاً عن مزاج الجسم . وهي قديمة جد القدم نجدها في أقوال كهان المعابد وكاهناتها ونجدها في الأحلام المشهورة . وقد استخدم الرمزية أدباء كثيرون ، فجيتي يستخدمها وشلي يستخدمها وإبسن القصصي يستخدمها ، وكل منهم يستخدمها أكثر من أبي تمام ولكنهم لا يحسبون في حساب أدبائها . ولا مانع عندي من عد أبي تمام من أدبائها ، ولكننا إذا فعلنا ذلك عددنا خلقاً كثيراً من أدبائها وسلكنا في زمرتهم من لم يتفق الأدباء على عدهم من أدبائها . ويستطاع عد كتاب الرؤيا في الإنجيل من كتبها وهو أقدم من زمن أبي تمام . ومعاذ الله أن نطالب أبا تمام بغير ما قال . وقد كان شكسبير وشعراء عصره يكثرون من استخدام رموز التشبيهات والكنايات والاستعارات كما فعل أبو تمام ولكنهم لم يعدوا من شعرائها . وقد وجدت أن أحسن استعمال للرمزية هو استعمال كبار الشعراء الذين لم يعدوا من مذهبها . وقد كان أحسن استعمال لأنهم لم يقطعوا الصلة بين فهم وبين العقل الظاهر كل قطع ، فإن استخدام العقل الظاهر ألزم وأوجب عند بحث ظلمات النفس ، كما أن استخدام الملاح لفنه وعقله وعلمه ألزم وأوجب في بحر الظلمات . فإذا كان هذا أيضاً هو رأي الأستاذ أحمد عبد الرحمن عيسى فلا مانع عندي من عد أبي تمام من شعراء الرمزية

عبد الرحمن شكري

بشر فارس ومصطلحاته

صديقي بشر أديب جليل وبحاثة قدير في الموضوعات التي يديرها سنين في ذهنه ويستقصيها على وجوهها بالبحث والتمحيص على أن الدكتور بشر فارس بعد ذلك لا ينجح في الكتابات الإرتجالية ولا يصلح كاتباً ناقداً ولا يفلح في أن يكون صاحب مطالعات ونظرات تفيد « البوادر واللوامع » التي تطوف بالنفس من حين إلى حين . ولا أدل على ذلك مما نجده من التهافت في الكتابات من المرتجلة التي يكتبها

نقول هذا بمناسبة ما كتبه في العدد الأخير من « الرسالة » تعليقاً على ردي على نقده لدراستي عن « توفيق الحكيم » ؛ وأنت إذ تقرأ كلمته هذه تجده قد انصرف عن الردّ على الإشكالات التي أثرتها حول صميم نقده والمآخذ الجمة التي أخذتها على كلمته إلى بحث شكلي يدور حول افتراض اقتباسي لبعض المصطلحات الفنية التي يرى هو أنه استحدثها في اللغة العربية؛ على أنني ألاحظ على هذا الكلام الجديد الذي خرج به ناقدنا الفضال أشياء أجملها فيما يلي:

أولاً — يعتقد صديقي بشر وحده دون كل المشتغلين بصناعة القلم في الشرق والغرب أن المصطلحات الفنية التي يضعها كاتب ملك لهذا الكاتب وحده .

ثانياً — هذا الاعتقاد الخاطئ الذي يدين به صاحبنا يتناقض مع الفكرة العلمية التي ترى أن قيمة المصطلحات الجديدة ليس في وضعها وإنما هو في جريها على أقلام الكتاب . والدكتور بشر فارس واقع في هذا التناقض حين يقول : « إني فرحت فرحاً شديداً لما أصبته يستعمل في مقاليه بعض تراكيب جرت على قلمي . . . وما فرحي إلا لأني أرى تراكيب اجتهدت في سياقتها تنطلق على الأقلام ، وكنت أخشى أن تموت يوم ولدت » .

ثالثاً — إذا كان الدكتور بشر فارس يرى حياة المصطلحات في جريها على الأقلام ، فهل هو يرى من المحتم أن يشير الكاتب فيما كتب إلى مواضع الاصطلاحات التي استحدثها والتي أخذها عن غيره والتي دارت على الأقلام فجاءت على قلمه ؟ وإذا كان لا يرى ذلك بدليل أن كثيراً من الاصطلاحات تجرى على قلمه وهي ليست له وهو لا يشير إلى أصحابها فيما يكتب ، فما معنى ما كتبه في نقده لكتابنا (بعدد الرسالة ٣١٠ ص١١٧٦) من أن التعبير « جملة صلات اجتماعية » الذي جرى به قلمنا في بحث لنا عن « خليل مطران » أصلاً في كتابه « مباحث عربية » ؟ وما معنى ما كتبه في العدد الماضي من الرسالة ؟

رابعاً — نسب إلينا الدكتور بشر فارس أننا اقتبسنا تعبير « جملة صلات اجتماعية » منه وأننا لم نحسن استعماله في مجرى حديثنا . وقد رددنا على الوجه الأول فقلنا إن هذا التعبير قد دار على قلمنا قبل صدور كتابه . ورددنا عليه في الوجه الثاني من اعتراضه فبينا وجه اتساق التعبير وموضعه من الكلام .

خامساً : خرج الناقد في رده بسؤال عجيب عما إذا كان ورد في كلامنا في المصدر الذي أشرنا إليه ، وهو مجلة المعهد الرومي للدراسات الإسلامية ، ما ينظر لتعبير « جملة صلات اجتماعية » في الفرنسية ، وهذا تعنت لا معنى له خصوصاً وإن الجملة الفرنسية التي تنظر إليها العبارة العربية ليست من خلقه فقد تكرر ذكرها في كتابات العالم الاجتماعي « دوركايم » ، وخصوصاً في مجموعة محاضراته عن علم الاجتماع في السوربون (ص١١، ١٣، ٢٤، ٢٦ مثلاً) ومن الأعاجيب التي أتى بها الدكتور بشر فارس أنه ذهب يتحدث عن درايتنا بالفرنسية وهل هي تمكننا من الإيمان بمثل هذا التعبير كأن اللغة الفرنسية وقف عليه ، وكأن محاضرات « دوركايم » لم يطالعها سوانا ممن الذين لم يرحلوا إلى باريس ، ولم يدرسوا في السوربون !

سادساً : قال الدكتور بشر فارس إن عبارة : « توفيق الحكيم يحكم سرد الرواية ويحكم الحوار ويحكم تهيئة البيئة ؛ فهو صاحب فن حقاً » التي وردت في موضعين من دراستنا عن « توفيق الحكيم » (ص ٣٥٧ من العدد ص ٣٦٨ س ١٩ — ٢١ من طبعة مجلة الحديث وص ٦٥ من العدد و ص ٧٦ س ١٩ — ٢١ من الطبعة الخاصة) مقتبسة منه . ولكن هل اقتبسناها منه ولم نشر إلى مصدر الاقتباس ؟ هذا هو الموضوع في الواقع . وأنا أترك الرد على الدكتور بشر فارس في هذه النقطة لنفسه؛ فهو يقول في نقده لدراستنا عن « توفيق الحكيم » في الرسالة (عدد ٣١٠ ص ١١٧٥ س ٢٥) بعد أن يذكر هذه الجملة : وقد استشهد الدكتور أدهم فيما كتبه بهذه الجملة ص ٣٥٧ » فما معنى الاستشهاد ؟ معناها أن العبارة أسندت إلى الدكتور بشر فارس ، وإذاً فلا معنى لتعنت الدكتور بشر فارس واتهامنا بالاقتباس الذي يغفل الاستشهاد بالمصدر وإثارة المظنة بكتاباتنا

سابعاً : ارتأى الدكتور بشر فارس أن عبارتنا التي جاءت في الكلام عن الرمزية عند توفيق الحكيم (ص٣٦١ من طبعة مجلة الحديث وص١٩ من الطبعة الخاصة) ذات أصل من مسرحية « مفرق الطرق » ومن مقاله عن الرمزية في الرسالة وقد يكون هنا له بعض الحق - لا كله - فليس يبعد أن تكون عبارته عن الرمزية قد علقت بذهننا فجرت على قلمنا ونحن نعرض الفكرة الرمزية عند الأستاذ توفيق الحكيم وذلك بحكم قاعدة التداعي . ومما يدل على صحة هذا التفسير ما يرى من التغيير والاستبدال في بعض المصطلحات التي تضمنتها العبارة المذكورة مما يدل على التمثيل Assimilation من حيث إدارة العبارة في ذهننا وتصحيح بعض المصطلحات فيها

وأنا إذ أختم هذه الكلمة لا يسعني — وأنا أردّ الأشياء إلى مواضعها — إلا أن أذكر الدكتور بشر فارس بأنني حين أكتب بالعربية فأنا أكتب بلغة غير لغتي الأصلية، ومن هنا بعض ما يجيء على قلمي من التعابير الخاصة لكتاب اليوم استدراكاً للمعنى الذي في ذهني من تعابيرهم ، ولعل في ذلك بعض ما يعتذر عني في بعض ما رأى وارتأى والسلام

اسماعيل أحمد أدهم



الاجـابة

لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة

[ألفه الامام الزركشي وحققه الأستاذ سعيد الأفغاني]

لأستاذ جليل

الأستاذ سعيد الأفغاني — العربي الشامي — مسلم مؤمن ، وفاضل مهذب ، وأديب محقق . ومن رافقه وقرأ أقواله ظهرت له هذه السجايا والمزايا ظهوراً . ومن خطط هذا السيد أن يُطرف فيما يؤلفه أو ينشره من كتب السلف الصالح . فمصنفه (أسواق العرب في الجاهلية والإسلام) مباحثه طريفة ذات جدة . وكتاب (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة تأليف الإمام بدر الدين الزركشي) الذي أظهره اليوم — من أدلة هذا الإطراف . وترجمة الكتاب تنبئ عن غرابته وطرافته

وإن نشرَ الباحث مؤلفاً قديماً محقَّقاً إياه تحقيق الأستاذ الأفغاني كتاب الإجابة — تأليف وزيادة

وعملُ العرب الحق في هذا الوقت — كما يرى أكثر الفضلاء — إنما هو نشر مصنفات الأقدمين ونقل مقالات الغربيين ليس غير . وحجتهم في ذلك أن (البعث) حديث وأن ليس عند العرب اليوم شيء، والمفلسون المساكين لا يكلفون إنفاقاً ولا جوداً. على أن حاجة العرب العظيمة إلى ذينك النشر والنقل لا تصدعن التأليف فلينشر الناشرون ، ولينقل الناقلون مكثرين . وليؤلفْ — بعد البحث الطويل، والتفكير الكثير ، والمراجعات المديدة — المؤلفون مقلين ، مقلين

***

الحديث والمحدثون في الإسلام عالم عجيب. وليس في الدنيا أمة عنيت بما يُعزى إلى صاحب نحلتها عنايتنا بأحاديث النبي الأعظم (صلى الله عليه وسلم). ومما بعث على هذه العناية الكبرى أن أقواله (صلوات الله وسلامه عليه) لم تقيد بالكتاب في أيامه ، ولا أيام صحابته (رضوان الله عليهم أجمعين) ، ولم يكن إلا الألسنة تنقل أو تروى « وكان علم الشريعة في مبدأ هذا الأمر نقلاً صرفاً[1] »

وعند أهل السنة أحاديث غابت عن الإمامية ، ومع هؤلاء ما لا تعرفه الجماعية ، السنية ؛ وعند الصوفية والاسماعيلية ، وسائر الباطنية غرائب تنكرها تانك الفرقتان . وقد بذل الأئمة (رحمهم الله) المجهود بل فوق المجهود في أمر الحديث ورجاله . وأبدعوا في مؤلفاتهم وتفننوا ، وأفردوا كل نوع منه ومن رواته بالتصنيف المجوَّد « لقد كانوا في دقتهم وتحريهم وإحاطتهم وإتقانهم معجزة الله في المؤلفين[2] »

وليقرأ من أراد الإلمام باهتمام القوم (مقدمة ابن الصلاح) في علوم الحديث . ففيها إشارات مبينات ؛ وهي في هذا الفن مثل مقدمة ابن خلدون في بابها كما قال فقيه الشام كله العلامة الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار .

ومن أدلة الإحفاء أو الاستقصاء في شأن الحديث ، ومن بدائع التنويع والتخصيص فيه كتاب (الإجابة) الذي صنفه الإمام الزركشي ، وحققه وأنشأ مقدمته وعلق عليه وفهرسه الأستاذ سعيد الأفغاني .

***

يبدأ الكتاب بمقدمة الأستاذ الأفغاني ، وقد نشر شيئاً منها في الجزء (٣٠٤) من « الرسالة » الغراء . ذكر فيها مطنباً موضحاً مكانة أم المؤمنين (رضى الله عنها) وسيرة المؤلف وأسماء مصنفاته الثلاثة والثلاثين .

ويجيء بعد ذلك مقدمة المؤلف وقد أشار إليها محقق (الإجابة) في مقالة له في الجزء (١٩) من « الثقافة » الغراء .

ويليها الباب الأول في سيرة « السيدة » : (رضى الله عنها) وخصائصها وفيه فصلان : الفصل الأول في ذكر شيء من حالها ؛ وقد جاء فيه :

« رُوى لها عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ألفا حديث ،

---

(١) ابن خلدون في المقدمة في الفصل السادس في علوم الحديث

(٢) الأستاذ سعيد الأفغاني في مقدمته في كتاب الاجابة .

ومثتا حديث ، وعشرة أحاديث » ، (٢٢١٠) .

وفى هذا الفصل : « ... عن أبى يونس مولى عائشة أم المؤمنين أنه قال: أمرتنى عائشة أن أكتب لها مصحفاً ، ثم قالت: إذا بلغت هذه الآية فآذنى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) فلما بلغتها قالت : (وصلاة العصر) سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم »

قلت : وفى (كتاب المصاحف) للسجستانى نحو من هذا . وعزا الزمخشرى هذه الحكاية إلى حفصة (رضى الله عنها) وقال فى كتابه أيضاً : « روى عن عائشة وابن عباس (رضى الله عنهم) والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو ، وقرأت عائشة (رضى الله عنها) والصلاة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص » وعزتها رواية فى الطبرى إلى أم سلمة (رضى الله عنها) وذكرت رواية فيه حميدة ابنة[1] أبى يونس لا أبا يونس . وقد أورد الإمام الطبرى فى تفسيره (جامع البيان) روايات كثيرة ، كلها تبين للصلاة الوسطى فقط منها هاتان الروايتان :

«...قتادة عن أبى أيوب عن عائشة أنها قالت: الصلاة الوسطى صلاة العصر... عن سليمان التيمى عن أبى أيوب عن عائشة مثله»

فالسيدة (رضى الله عنها) مفسرة . وفى الجزء ٢١١ من (الرسالة) الغراء كلمة أشارت إلى ما أشارت إليه ، وجاء فى ختامها هذا : « إن كان كتاب كل أمة أو ملة فيه تبديل وتحريف وفيه زيادة ونقصان ، وفيه الخطأ والخطل ، وكان كاتبه غير صاحبه . فـ (ذلك الكتاب لا ريب فيه) (إنّا نحن نزّلنا الذكرَ ، وإنّا له لحافظون) . »

الفصل الثانى فى خصائصها (رضوان الله عليها) وهى اثنتان وأربعون ، وقد بين المؤلف كل خاصية من هذه الخصائص أو الخاصيات . قال فى السادسة عشرة : « اختياره صلى الله عليه وسلم أن يمرض فى بيتها . قال أبو الوفا عقيل (رحمه الله) : انظر كيف اختار لمرضه بيت البنت ، واختار لموضعه من الصلاة الأب ، فما هـذه الغفلة عن هذا الفضل والمنزلة ؟! »

وقال فى السابعة والعشرين : « جاء فى حقها (خذوا شطر دينكم عن الحميراء[2]) وسألت شيخنا الحافظ عماد الدين بن كثير عن ذلك فقال : كان شيخنا حافظ الدنيا أبو الحجاج المزى (رحمه الله) يقول : كل حديث فيه ذكر الحميراء باطل إلا حديثاً فى الصوم فى سنن النسائى »

قلت : بطلان ذاك المقول ظاهر مثل الشمس ، وقد قال الإمام العلامة الكبير (على القارى) فى رسالته فى (الموضوعات) : « ونحن ننبه على أمور كلية يعرف بها كون الحديث موضوعاً » وذكر أموراً كثيرة : « منها أن يكون الحديث باطلاً فى نفسه فيدل بطلانه على أنه ليس من كلامه كحديث (إذا غضب الرب أنزل الوحى بالفارسية ، وإذا رضى أنزله بالعربية) وحديث (خذوا شطر دينكم عن الحميراء) ، وحديث (من لم يكن له مال يتصدق به فليلعن اليهود والنصارى) ، فإن اللعنة لا تقوم مقام الصدقة أبداً »

ويلى هذا الفصل الباب الثانى والباب الثالث فى استدراكاتها (رضى الله عنها) على أعلام الصحابة (رضى الله عنهم) . وهذان البابان هما معنى الكتاب . وفى الأول أربعة وعشرون استدراكا ، وفى الثانى أحد عشر استدراكا . وقد ذيلهما محقق الكتاب بأربعة استدراكات ، قطفها من (مسند أحمد) — رحمه الله — وهى تدل على عظم تفتيشه واحتفاله فى البحث .

***

جاء فى الباب الثانى من الاستدراكات على عبدالله بن عباس (رضى الله عنهما) : « أخرج البخارى ومسلم من طريق عمرة بنت عبد الرحمن أن زياد بن أبى سفيان كتب إلى عائشة ... » .

فهذا الإمام المهذب المحقق يذكر أخا سيدنا معاوية (رضى الله عنه) كما ترى ، ونابتة فى هذا العصر تَغبى عن النسبة الحق وتضلها أساطير فى أمثال كتاب (العقد) .

إن زياد بن أبى سفيان (رضى الله عنهما) من أبطال العرب ومن رجال الإسلام الكبار ؛ فليعلم ذلك من يجهل .

ومن استدراكاتها على ابن عباس (رضى الله عنهم) : «ردت على ابن عباس قراءته قوله تعالى (وظنّوا أنهم قد كُذِبوا) بالتخفيف فأخرج البخارى فى التفسير عن أبى مليكة قال ابن عباس (حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم كذبوا) خفيفة ذهب بها هنالك ، وتلا (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟) فلقيت عروة بن الزبير فذكرت له ذلك ، فقال : قالت عائشة : معاذ الله ! والله ما وعد الله رسوله فى شىء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم ، فكانت تقرأها (كذّبوا) مثقلة »

قلت: القراءة بكسر الذال والتخفيف هى المشهورة، ولها معنى غير الذى خمنه ابن عباس وقرىء بكسر الذال مشددة وبفتحها مخففة ومشددة وفى (جامع البيان) للطبرى (الجزء ١٣ الصفحة ٤٧) روايات

(١) يحذفون الألف فى مثلها وهى عندي لا تحذف

(٢) قلت : فى النهاية : تصغير الحمراء يريد البيضاء . وفى اللسان : العرب تقول : إمرأة حمراء ، أى بيضاء

ذوات فوائد فى قراءات هذه الآية وتفاسيرها .

وقال (الكشاف) فى قراءة ابن عباس وتفسيره : « وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر ، وقال : كانوا بشرا ، وتلا قوله (وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) فإن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية . وأما الظن الذى هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين ، فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح »

ومن استدراكاتها على أبى هريرة (رضى الله عنهما) : « . . . عن أبى هريرة قال : (لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً) فقالت عائشة رضى الله عنها : لم يحفظ الحديث ؛ إنما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به »

قلت إن من يجتزئ بحديث أبى هريرة (رضى الله عنه) ليدهاه ما يدهى من يجهل السبب فى وحى آية الشعراء .

قال الإمام الطبرى فى (جامع البيان) : « قال عبد الرحمن ابن زيد : قال رجل لأبى : يا أبا أسامة ، أرأيت قول الله (جل ثناؤه) : والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون . فقال أبى : إنما هذا لشعراء المشركين وليس شعراء المؤمنين . ألا ترى أنه يقول : إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى آخره . فقال : فرّجت عنى يا أبا أسامة فرّج الله عنك! »

وقال الكشاف فى تفسير الآية : « هم شعراء قريش عبد الله بن الزِّبَعرَى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة الجمحى ، ومن ثقيف أمية بن أبى الصلت ، قالوا : نحن نقول مثل قول محمد ، وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون أشعارهم وأهاجيهم »

وروى الزمخشرى عن الخليل : « كان الشعر أحب إلى رسول الله من كثير الكلام ، ولكن كان لا يتأتى له »

وجاء فى (الإجابة) فى باب الاستدراكات : « نقل أهل التفسير فى قوله تعالى : (والذى قال لوالديه) إن معاوية كتب إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد ، قال عبد الرحمن بن أبى بكر : لقد جئتم بها هرقلية [1] ، أتبايعون لأبنائكم ؟ ! فقال مروان : يا أيها الناس هذا الذى قال الله فيه (والذى قال لوالديه أف لكما) فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ، ولو شئت أن أسميه لسميته ، ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه ، فأنت فضيض من لعنة الله)

قلت : روى فضيض وفظاظة وأنكرها الخطابى ، وفى أكثر كتب الحديث وغريبه وكتب اللغة التى روت هذا الخبر أوشيئاً منه — (فضض) بالفاء .

وهذا الحديث فى (البخارى) وقد أشار إليه الزركشى ولم يورده ، وهذه رواية أبى عبد الله (رحمه الله) :

« ... عن يوسف بن ماهك قال : كان مروان على الحجاز ، استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكى يبايع له بعد أبيه ، فقال له عبد الرحمن بن أبى بكر شيئاً ، فقال : خذوه . فدخل بيت عائشة ، فلم يقدروا ، فقال مران : إن هذا الذى أنزل الله فيه : (والذى قال لوالديه : أف لكما أتعداننى) فقالت عائشة من وراء الحجاب : ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذرى »

ومن استدراكاتها (رضى الله عنها) على أزواجه (صلى الله عليه وسلم) ورضى عنهن : « أخرج البخارى ومسلم عن عروة عن عائشة أنها قالت : إن أزواج النبى (صلى الله عليه وسلم) حين توفى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أردن أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبى بكر يسألنه ميراثهن من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقالت عائشة لهن : قد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : لا نورث ، ما تركناه صدقة »

ويتبع هذين البابين والذيل فى الاستدراكات الفائقات فهارس الكتاب : فهرس الأعلام ، فهرس الجماعات ، فهرس الأماكن ، فهرس الكتب ، فهرس الموضوعات

* * *

إن هذا الذى خططناه إنما هو إشارة إلى كتاب الإجابة لاتبيين ولا توضيح . ومن شاء من الفضلاء أن يعرفه ويستفيد منه اشتراه وقرأه ، ودعا للمؤلف ، وأثنى على (السعيد) المحقق . بارك الله فيه ، وأكثر فى شباب العرب والمسلمين من أمثاله .

القارىء

(١) قلت: وفى الفائق : (أجئتم بها هرقلية قوقية) قوق اسم ملك من ملوكهم ويقال الدنانير الهرقلية والقوقية . وفي اللسان : يريد البيعة لأولاد الملوك سنة الروم والعجم .

7me Année No. 314

Lundi - 10 - 7 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
ﺻ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة السابعة « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٠ يوليه سنة ١٩٣٩ » العـــدد ٣١٤

الفهـــــرس

من فكاهات العهد التركى فى بغداد

حدثنى المرحوم الزهاوى...

تركية القديمة – غفر الله لها – كانت فى دول الأرض معنى من معانى الإرهاب حروف لفظه السُّم والسَّم والسجن والسيف والسوط ! جمعت فى يدها القوية أطراف الشرق والغرب، ثم أدارت حول تاجها الرهيب هالة من خلافة الرسول فعنت لجلالها الوجوه، وخشعت لسلطانها الأفئدة؛ ولكنها لم تستطع أن تثبِّت ملكها بقوة الروح وبراعة الذهن وعبقرية البيان كما فعل العرب، فظلت واقفة أمام شعوبها الثائرة عابسة الوجه معقودة العنق منشورة الشارب مشهورة السيف، فحرمها ذلك الموقفُ نصيبها من طمأنينة السلم ومدنية العلم ونعمة الثقافة. وكان ولاتها على الأمصار الخاضعة يحكمون الناس بهذه العقلية الجهول، فيظهرون الأبهة وينشرون الرهبة ويحصدون الأموال والأنفس بالضرائب والرُّشى والمصادرة والقتل. فإذا طالت الولاية واكتظ الوالى ورضى (المابين) وأراد الباشا أن يفكر فى الدين أو فى العلم أو فى الإصلاح دل على فهم بليد وغفلة عجيبة !

كنا ذات يوم نتحدث فى هذا وفيما جره على الأمة العربية من الجهل والذل والفقر ونحن جلوس فى ندوة السيد صبحى الدفترى محافظ بغداد يومئذ؛ وهى ندوة تقوم فى داره المضياف

ضحى يوم الجمعة من كل أسبوع فيندو إليها الوزراء والزعماء والأدباء والقادة، فيكون لكل طائفة منهم حلقة وحديث. ولكن الزهاوى إذا تكلم أصغت إليه الدار وتحلقت عليه الندوة ؛ لأن جيلاً كان آية الله فى فكاهة الطبع وظرف المحاضرة وحلاوة الدعابة ورقة العبث . وكان له فى إلقاء النادرة لهجة وإشارة وهيئة لا يبرح سامعها مستطار اللب نشوان الشاعر من غرابة ما يرى وطرافة ما يسمع

***

كان الحديث أول ما بدأ دائراً بينى وبين السيد ناجى الأصيل على أن الحرب وأوزارها استقلت بمواهب الترك فلم تدع لهم كفاية للسياسة والثقافة؛ وأخذنا نضرب الأمثال على ذلك مما جرى فى العراق ومصر . وكان المرحوم الزهاوى بجانبى ، ولكنه كان مشغول الأذُن بكلمة منافقة فى العقاد والرصافى أُلقيت إليه فى خفوت وخبث. فلما تشربها سمعه وأجاز عليها القائل ببسمة وهزة وسيكارة ، أقبل علينا فسمع طرفاً من الحديث نبض له نابضه فقال : هُوهُوه ! إذا حدثتك مولانا عن حمق الولاة من الترك لا ينتهى الحديث ولا ينقضى العجب !

ثم أرسل نكتته الحاضرة وضحك ضحكته الساخرة فتنبه المجلس إلى أن الزهاوى سيتحدث، فسكت المتكلم وأصغى المستمع وتهيأت النفوس للسرور الشديد والضحك المتصل ؛ وأخذ الشاعر يقول :

أرسلت إلينا الدولة العلية بعد جفاف الريق والداد من شكوى الجهل والفساد ، والياً يسير بالعراق فى طريق العمارة والعلم ، فقابله البغداديون باحتفال عظيم وفرح شامل . وكان لى يومئذ يد فى إدارة التعليم كما تريده الدولة، فقال لى الوالى ذات يوم : إنا نريد أن ننشئ مدرسة للبنات فابحثوا عن دار تصلح أن تكون لها مكاناً . وكان تعليم البنت فى ذلك العهد أملاً من آمال المصلحين تتقارع حوله الأقلام بالحجج فى غير طائل. فقلنا إن الرجل رحب الباع فى الإصلاح ، ودللناه على جملة من الدور الكبيرة الصالحة ، فكان كلما دخل داراً قال إن الأبصار تجرح البنات من هنا ، والأسماع تسرق الأصوات من هناك ؛ حتى لم يدع فى بغداد داراً إلا عابها هذا العيب من طريق التوهم أو التخيل ! وظهر من تصرف الرجل أن به بلاهة وغفلة ، فخطر لى أن أتداعب عليه لأكشف حاله للناس فلا يستنيموا الحكمه . فقلت له : أفندم ! لم يبق فى البلد كله إلا مكان واحد أرجو أن يقع من هواك موقع الرضى. فقال : امض بنا إليه . فذهبت به إلى (منارة سوق الغزل[١]) وصعدنا فوقها ، فلم تكد قدمه تستقر على شرفتها العليا ، وعينه تقع على سطوح بغداد وهى متطامنة تحت الأذنة العالية ، حتى شهق من الفرح وصاح بملء فيه : نعم! نعم! هذا هو المكان المناسب!

ثم نزل وفى نيته أن يتخذ الأهبة من المقاعد والأدراج ليفتتح المدرسة ! فقلت له : مولانا ! لا بد أن تجمع الناس قبل الافتتاح لتقنعهم بتعليم بناتهم فإنهم سيئو الرأى فى ذلك التعليم . ونجاح الأمر موقوف على أن يعتقدوا فيك التقى والورع . وسأدلك على أقرب الطرق لتحقيق هذا الاعتقاد :

إذا اجتمع الناس واكتظ بهم الديوان جلست أنت فى الصدر، وجلس عن يمينك وعن يسارك رجال المعارف ؛ ثم تشعل (شبقك) وتأمر كلا منهم أن يفعل فعلك ؛ ثم تبتدئ فتذكر الله بصوت موقَّع على ضربات كفى وأنت تُميل رأسك من الشمال إلى اليمين تارة ، ومن الخلف إلى الأمام تارة ، وأنا والحافُّون من حولك نتابعك فى كل كلمة وفى كل حركة . ثم حاول أن تأخذك الحال ويستخفك الذكر؛ فكلما أزبَد الفم وأرعد الصوت وتشنج الجسم وهاج الدم ، كان ذلك أحمل للناس على أن يعتقدوا فيك الولاية فتقودهم صاغرين إلى ما تريد

وصدق الوالى كل ما قلته له تصديقاً لا تتخالجه فيه شبهة. وجاء يوم الجمع واحتشد الأعيان والوجوه يسمعون ما ذا يقول الوالى . وجلس الباشا وأنا بجانبه وشيوخ المعارف من حوله ، وأمر فأشعلت (النلابين) الطويلة ، وأخذ يذكر ويترنح وأنا أرسم له ، والشيوخ يذكرون معه. ثم غمزته بعد حين فتهور و(تطور) وأرغى. وتظاهرت أنا بجذبة الوجد وسكرة التجلى فقرعت غليونه بغليونى ، ثم أخذت بلحيته البيضاء ورأسه الأصلع ، ففعل بى مثل ما فعلت به ، وأخذنا نتدحرج على البساط، فمرة أكون فوقه، ومرة يكون فوق، والشيوخ يعجون بالذكر ، والناس يضجون بالضحك، وأنا والوالى قد ملكتنا حميا الولاية فدخلنا فى صراع عنيف لم يخرجنا منه إلا انقطاع النفَس. فجلسنا مسترخيين نلهث من الأعياء وكلانا ينظر إلى صاحبه نظر الديك المنتوف إلى الديك المهيض . وذلك يا مولانا هو الوالى الذى اختير لتعليم الجاهل وتصحيح المريض !

احمد حسن الزيات

(١) منارة مربعة طويلة من آثار العباسيين نهب الناس المسجد من حولها وتركوها قائمة وحدها إلى اليوم

جنـــاية أحمد أمين على الأدب العربي

للدكتور زكى مبارك

— ٥ —

رأينا أن نقف وقفة قصيرة نحادث فيها القراء قبل أن نأخذ فى محاسبة الأستاذ أحمد أمين على الأغلاط التى وقعت فى مقالاته السالفة وهو يحاول تزهيد الناس فيما ورثت اللغة العربية من ألفاظ الشعراء والخطباء

فماذا نريد أن نقول اليوم ؟

نريد أن نؤرخ الظاهرة العقلية التى بدت شواهدها حين واجهنا الجمهورَ بعيوب الطريقة التى يفكر بها الأستاذ أحمد أمين ، فقد انقسم ذلك الجمهور إلى فريقين : فريق راضٍ ، وفريق غضبان

والفريق الأول يستأهل اللوم قبل أن يستحق الثناء ، لأن هذا الفريق يمثل جمهور المشتغلين بتدريس اللغة العربية ؛ وهؤلاء قد ركنوا فى الأعوام الأخيرة إلى التغاضى عن نقد ما يُكتب أو يقال فى السخرية من ماضى اللغة العربية . وقد يكون لهذا التغاضى أسباب : فهم فى كدح موصول بفضل ما يحمل المدرس من ثقال الأعباء ؛ وهم قد رأوا المجادلات السياسية شغلت الناس عن المجادلات الأدبية ؛ وهم قد سمعوا أن كلية الآداب صار إليها الأمر كله فى توجيه التلاميذ والمعلمين إلى قواعد الدراسات الأدبية ، فلا حرج عليهم إن انسحبوا من الميدان

تلك جملة الأسباب التى صرفت أساتذة اللغة العربية عن المشاركة فى النقد الأدبى

فهل يعرفون أن سكوتهم هو الذى أطمع بعض الناس فى أن يبنى ويستطيل ؟

لو كانت كلية الآداب تعرف أن فى مصر رقابة أدبية لما وقعت فى المضحكات حين قررتْ أن تدرس لطلبة السنة الأولى أسلوب أحمد أمين وأن تمتحنهم فى أسلوب أحمد أمين

ومن المحنة جاء الامتحان !

أحمد أمين له أسلوب ؟

آمنت بالله !

ومن هم المدرسون الذين يدرسون لطلبة كلية الآداب ذلك الأسلوب « الأحمدى » ؟

هم شبان تخرجوا فى كلية الآداب وموقفهم فى هذه القضية أحرج المواقف ، لأنهم يعرفون أن أحمد أمين من أساتذة الكلية ، ولأنهم يعرفون أنه رجل سريع الغضب والا كتئاب . وهم أيضاً يعرفون — واأسفاه ! — أن كلمة الحق فى أحمد أمين قد تحمل بعض المتملقين على وصفهم بالجهل !

ولم يقف الأمر عند كلية الآداب بجامعة القاهرة — جامعة فؤاد الأول — بل تعداه إلى كلية الآداب بجامعة الإسكندرية — جامعة فاروق الأول — فهنالك الأستاذ أحمد الشايب وهو الأديب الفاضل الذى ألف كتاباً لطيفاً سماه « الأسلوب » وفيه يقرر أن أسلوب أحمد أمين له مزايا وخصائص

فهل لأحمد أمين أسلوب حتى تخلق لأسلوبه مزايا وخصائص ؟

***

أشهد مرة ثانية أن الجامعة المصرية أمرها عجب !

فالدكتور طه حسين الذى وقف بقصر الزعفران فى ربيع سنة ١٩٢٧ يلقى كلمة الجامعة فى مهرجان شوقى ، ثم رأى أن تكون خطبته فى الأخطل لا فى شوقى بحجة أن الجامعة لا تؤرخ الأحياء ، هو نفسه الذى ارتضى أن يدرس أسلوب أحمد أمين بكلية الآداب !

فكيف يكون الحال لو اعتدل الزمان وقيلت كلمة الحق فى التدريس بكلية الآداب ؟

أيستطيع إنسان أن يفرض على مدرس أن يعترف بأن أحمد أمين له أسلوب ؟

وماذا نقول للشبان الذين يفدون من أقطار الشرق وقد عرفوا من قبل أن أحمد أمين قد يكون من الباحثين ولكنه لن يكون من الكتاب ولا الأدباء ؟

وكيف تكون حجتنا أمام الأقطار العربية إذا سمعت أننا ندرس أسلوب أحمد أمين كما ندرس أساليب العقاد والمازنى وهيكل وطه حسين والزيات ؟

أتريدون الحق ؟

إن أحمد أمين لم يكن له أسلوب يدرس فى كلية الآداب إلا لأنه أستاذ فى كلية الآداب ، وإلا فكيف غابت قيمة أسلوبه عن أساتذة

الأزهر وأساتذة دار العلوم وهم لم يلتفتوا إليه حين التفتوا إلى أساليب الكتاب فى العصر الحديث ؟

إن الرجل لا يكون له أسلوب إلا يوم يصح أنه يحس الثورة على ما يكره ، والأنس بما يحب ، فعندئذ تعرف نفسه معنى الانطباعات الذاتية ويعبر عن روحه وعقله وقلبه بأسلوب خاص

لقد اشتغل أحمد أمين بالقضاء الشرعى بضع سنين ، فهل قرأتم له مقالاً أو قصة تدل على أنه توجّع مرةً واحدةً للمآسى الإنسانية ؟

لقد عاش أحمد أمين مدة بالواحات ، فهل سمعتم قبل أن تسمعوا منى أنه عاش بالواحات ؟

لو كان أحمد أمين أديباً لحدثكم عن تلك المروج التى يجهلها المصريون

ولكن أحمد أمين لم يكن أديباً ، وإنما كان موظفاً مخلصاً لواجب الوظيفة لا يرى ماعداها من الشؤون ، ثم قال له طه حسين كن أديباً فكان !

* * *

وهنا أوجه القول إلى من أغضبهم هجومى على الأستاذ أحمد أمين فمن هم أولئك الغاضبون ؟

منهم محام فاضل ألف عدة كتب فى الحياة الأدبية والاجتماعية وقد كتب إلىّ مرتين يدعونى إلى الترفق فى الهجوم على هذا « الأديب »

وهذا المحامى الفاضل يعجب من أن نصحح رأى الأستاذ أحمد أمين فى القرآن ، وهو يظن أن اللذات الحسية التى سينعم بها المؤمنون فى الجنة إنما هى لذات روحية

وأقول إن القرآن وعد المؤمنين بأن سيكون لهم فى الجنة لحم طير مما يشتهون ، وحورٌ عِين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، وسيقال لهم : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية »

وظاهر النصوص هو الأصل ، فهل يرى هذا المحامى الفاضل أن نؤول كلام الله ليصح كلام أحمد أمين ؟ !

ومنهم كاتب مشهور أخذ يوسوس ذات اليمين وذات الشمال بأن زكى مبارك مولع بهدم الرجال ، وأنه لو عدم مجالاً للخصومة لخاصم نفسه بلا ترفق !

وأنا أترك الرد على هذه التهمة لمن يعرفوننى معرفة شخصية من أمثال العقاد والمازنى وهيكل والزيات ، بل أترك الرد على هذه التهمة لحضرة الأستاذ أحمد أمين

كيف تشيع عنى هذه القالة السيئة وأنا الكاتب الوحيد الذى احترم معاصريه فتحدث عنهم فى مقالاته ومؤلفاته بما يحبون ، وسجل آراءهم فى الأدب بنزاهة وإخلاص ؟

ما هو الشر الذى تنطوى نفسى عليه حتى يستبيح الزملاء اتهامى بحب المناوشات والمشاغبات ؟

لقد تأدبت منذ أعوام طوال بأدب أبى منصور الثعالبى رحمه الله فتحدثت فى رسائلى ومؤلفاتى عمن عاصرت من الرجال كما تحدث الثعالبى عن معاصريه من الكتاب والشعراء

فأين تكونون يا أدباء الجيل من هذا المسلك النبيل ؟

إن أدباء العراق والشام ولبنان ينكرون عليكم ما تتهموننى به من حب الشغب والصيال ، ففى جرائدهم ومجلاتهم وأنديتهم تحدثت عن أدباء مصر بالخير والجميل

بل أذهب إلى أبعد من ذلك فأصرح بأنى عاديت كثيراً من الناس فى سبيل الدفاع عن أعدائى من أهل الأدب والبيان . ولو شئت لأقمت الشواهد على صحة ما أقول

فكيف يصح أن يتهمنى أدباء مصر بالتحامل عليهم وأنا الذى أحسنت السفارة عن الأدب المصرى فى كل بلد حللت فيه ؟

الحق أن أكثر أدباء مصر يحبون أن يعيشوا مدلَّلين فى زمن لا ينفع فيه الدلال !

الحق أنهم استمرأوا العافية من مكاره النقد الأدبى ، فهم يصرخون كلما هجمنا عليهم لنعود إلى مهادنتهم من جديد

ولو أنهم فكروا قليلاً لعرفوا أنى أؤدى الزكاة عن النشاط المصرى . فقد شاع فى كل أرض أن الأدباء المصريين تنكروا للنقد الأدبى ولم يعودوا يعرفون غير مقارضة الحمد والثناء

* * *

وأوجه القول مرة ثانية إلى من أغضبهم هجومى على الأستاذ أحمد أمين فأقول :

إن هذا الرجل أراد أن يؤرخ العصر العباسى من الوجهة الأدبية فجعله عصر معدة لا عصر روح ، وشاء له أدبه أن يختص البصرة بحكم من أحكامه القاسية فزعم أنها عرفت « نقابة الطفيليين »

فهل خطر فى بال هذا الباحث المفضال أن البصرة عرفت أكرم نوع من نكران الذات حين كانت مهداً لإخوان الصفاء؟

هل خطر بباله أن البصرة حين آوت هؤلاء الباحثين العظماء قهرت التاريخ على أن يشهد لها بقوة الروحانية ؟

ومن الذى يصدق أن رسائل إخوان الصفاء وهى أعظم ذخيرة أدبية وفلسفية وُضعت أصولها فى البلد الذى زعم أحمد أمين أنه أنشأ أدب التطفيل ؟

هل يعرف أحمد أمين من هو مؤلف «رسالة الطير والحيوان» وهى رسالة لم يُكتب مثلها فى مشرق أو فى مغرب ؟

إن هذه الرسالة وضعت فى البصرة ، أو ألفها رجل استوحى أهل البصرة ، أفما كانت تصلح هذه الرسالة شفيعاً للبصرة فتنقذها من قالة البهتان على لسان أحمد أمين ؟

ثم ماذا ؟

ثم استطاعت البصرة أن تنشئ مذهباً فى النحو شغل الأمم الإسلامية نحو اثنى عشر قرناً

ولو أن أحمد أمين كان يدقق لعرف أن البصريين لم يصلوا إلى ذلك إلا بقوة الروح ، فكيف شاء له هواه أن يجعلهم أصحاب معدات ؟

لو أن معدتى كانت كما أحب من القوة والعافية لأكلت لحم الأستاذ أحمد أمين وأرحت الدنيا من أحكامه الجائرة فى الأدب والتاريخ

ولكن الدهر حكم بأن أكون من أصحاب الأرواح فلم يبق لى فى محاسبته غير شيطنة الروح ، وفى الأرواح شياطين !

وتحامُل أحمد أمين على البصرة وعلى العصر العباسى هو الذى أثارنى عليه ، فإن كان فى الناس من يتوهم أن بينى وبينه ضغينة وأننى أشفى صدرى بتنغيصه ، فهو من الآثمين وسيلقى الجزاء يوم يقوم الحساب

ولن ينقضى عجبى من أهل هذا الزمان

فما كنت أظن أن أهل مصر يستكثرون على رجل أن يقول كلمة الحق لوجه الله ؟

ما كنت أظن أن من واجبى أن أكف قلمى عن رجل يتطاول على ماضى الأدب العربى وهو بشهادة نفسه غير أديب !

أليس من المزعج أن يكون من تقاليد الصحافة الأدبية فى مصر أن تمجد رجال الغرب وتنتقص رجال الشرق ؟

أليس من المزعج أن تكون عيوب الناس فى الأعصر الماضية مقصورة على أسلافنا وهم الذين أحيوا الثقافة الأدبية والعقلية فى عصور الظلمات ، وبفضلهم حُفِظ أكثر تراث الهند والفرس والروم ؟

أليس من المؤلم أن يقال لمن يغار على ذلك الماضى المجيد « إنك ذو ضغينة وإنك تشفى صدرك بتكلف الغيرة على ماضى اللغة العربية » ؟

إن الرجل الذى يملك الفصل فى هذه القضية هو الأستاذ أحمد أمين ، فليذكر متى عاديته ؟ ومتى حقدت عليه ؟ ومتى وقع بينى وبينه ما يورث الشحناء ؟

إن أحمد أمين لم يوجّه إلىّ أية إساءة ، وربما جاز أن يقال إنه لم يؤذ أحداً من معاصريه ، فقد كان ولا يزال مثال الطيبة واللطف

ولكن أحمد أمين الذى كف شره عن الأفراد وجّه شره إلى التاريخ ، فهو يدوس ماضى اللغة العربية بلا تحرز ولا رفق ، ولو تركناه شهرين اثنين يؤرخ الأدب على هواه لجعل الأمة العربية أضحوكة بين العالمين .

فإن كان هناك شىء يكتب لوجه الله فهو ما أكتب عنك يا صديقى أحمد أمين

* * *

أما بعد فقد بقيت معركة حامية حول ما سماه أحمد أمين « جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى » فإن اتسع صدر « الرسالة » لتلك المعركة فسأخدم الأدب العربى خدمة باقية . وإن ضاق صدر « الرسالة » عن هذه المعركة فسأنقل الميدان إلى مجلة أو مجلتين أو مجلات فى مصر والشام والعراق ، وحسبنا الله وهو نعم الوكيل .

« مصر الجديدة » زكى مبارك

الصديق الراحل

فليكس فارس

١٨٨٦ – ١٩٣٩

للأستاذ كامل محمود حبيب

حملتك الأمواج غصنا من الأر ز كبيراً يفوح منه العبير
فتعاليت في الجلاد صبوراً علم الناس كيف يحيا الصبور
وترامیت من سما المجد صقراً علم الدهر كيف تنقض الصقور

فليكس فارس



عزيزٌ على النفس أن تتحدث عنك ميتاً ، وقد كنت « بالأمس » ملء القلب، ملء الفؤاد، ملء السمع والبصر ملء هذه الحياة الفارغة ...

انطوى هذا الفكر الوقاد ، وانطفأ هذا القبس اللامع ، وانحبس هذا الصوت الرنان ، وثوى العبقرى الثائر فى رمسه ، وفى قلوب صحابه آهة عميقة وفى أعينهم عبرات حَرّى

هذا النغم الحادى كان حلواً تتطرّب له النفس !

هذه النفس العالية كانت طيبة رفافة لم تشبها نزوة من نزوات الكبرياء !

هذا القلب كان كبيراً ... كبيراً لم تفسده ترهات الحياة !

ففى ذمة الله أيها النغم الحادى ، وأيتها النفس العالية ، وأيها القلب الكبير !

فليكس فارس ! هذا هو الرجل !

أخذ العلم من كتاب الحياة فما تشرّب روح المدرسة ، وفى المدرسة عسف وظلم ، وفيها إغضاء عن النبوغ الفطرى ، وفيها كَبْت للمواهب المتأججة، فسما بنفسه، وعلا بروحه، وتفتح الكمّ عن زهرة يانعة وهو ما يزال عند التاسعة عشرة ، شاباً ريّق الشباب وفتى غضّ الفتوة ؛ فدخل المدرسة — أول ما دخل — أستاذاً للبيان العربى فى مدرسة عبية ؛ ثم لمت أول مقالاته الأدبية فى جرائد سوريا ولبنان .

وأعلن الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ فتدفق البيان على لسانه ، وتراءى خطيباً تتقطع دون بلاغته ألسنة الخطباء ، فتألق نجمه . ثم ألقى عن نفسه عبء التدريس ليخوض غمار السياسة عضواً فذاً فى جمعية الاتحاد والترقى العثمانية ، واختارته لجنة سالونيك — بعد حين — ليكون عضواً عاملاً فيها يؤسس الجمعيات الدستورية فى أرجاء البلاد .

وجرفته السياسة فى تيارها فأصدر جريدته «لسان الاتحاد» تتحدث عن نوازع نفسه ، وآمال قلبه فى السياسة والأدب جميعاً . ثم ... ثم عُيّن أستاذاً للخطابة والأدب الفرنسى فى المدرسة السلطانية بحلب .

واستعرت نار الحرب العظمى فما برح مكانه حتى دخل الجيش العربى البلاد فتخيرته الحكومة الهاشمية سكرتيراً لحكومة حلب ، ثم مديراً عاماً لإدارة حصر الدخان ، فما شغله المنصب عن أن يقوم — بين الفينة والفينة — خطيباً يدعو إلى الوحدة العربية وإلى رفض الانتداب الأوربى

وفى سنة ١٩٢٠ أبحر إلى أمريكا يطلب إلى المهاجرين من بنى وطنه العودة إلى بلادهم ، وقد عزّ عليه أن ينأى جماعة من أفذاذ قومه عن ديارهم أحوج ما تكون إليهم ، وفيهم العالم والصانع والتاجر ، فقضى سنة يضرب فى أنحاء أمريكا يخطب المهاجرين بالعربية مرة وبالفرنسية أخرى ، علّهم يثوبون ؛ وهناك تعرّف إلى أعضاء الرابطة العربية جميعاً ووصل بينه وبينهم برباط من المحبة ، وتوثقت بينه وبين جبران خليل جبران العبقرى الفنان صلات من الهوى والصداقة .

وعاد إلى لبنان وفى خياله أن يستطيع أن يقنع الجنرال بيرو المندوب السامى الفرنسى بوجوب التفاهم مع العناصر الوطنية ، وتشجيع المهاجرين على العودة إلى وطنهم . ومال الجنرال بيرو إلى رأى الأستاذ غير أن الحكومة الفرنسية رأت أن ترسل الجنرال فيجان ليشغل منصب الجنرال بيرو ... فانفجرت الثورة وتطاير شررها هنا وهنالك ، ولكن اليأس لم يجد طريقه إلى القلب الكبير ... قلب الأستاذ فليكس ، فراح يكتب إلى صديقه المسيو جومران سفير فرنسا فى واشنطن ، وإلى ذوى المكانة العليا

فى فرنسا ، يكشف لهم جميعاً عن خطل السياسة الفرنسية فى بلاده ؛ غير أن صرخاته ذهبت نهب الرياح ، فكبر عليه أن يعمل مع حكومة تسير على مبدأ لا يقرّه ، فنبذها جانباً ، ولبس ثوب المحاماة .

وفى أواخر سنة ١٩٣٠ عين رئيساً للتراجمة فى بلدية الأسكندرية فترك بلاده ومهنته ليستقر فى الوطن الثانى الجميل ... فى مصر ، وليجد هنا أصدقاء أحباء يعوضونه ما فقده فى وطنه الأول

تلك لمحة عاجلة عن حياة الأستاذ الفقيد فيها عظة وحكمة

* * *

لم يكن للأستاذ فليكس أن يكبح جمحات نفسه ، بعد إذ لمس الإخفاق فى وطنه الأول ، وهو قد هبط وطنه الثانى شعلة من نشاط تتقد ، فاندفع يتعرف على جماعة من أدباء هذا المصر ... ثم قرأ للأستاذ الزيات — أطال الله عمره — وجمع أعداد (الرسالة) لا تفوته فيها شاردة ولا واردة ؛ وعكف على دراسة أدب الرافعى — رحمه الله — حين استهوته مقالاته فى (الرسالة) ؛ وترجم له مقالته «رؤيا فى السماء» إلى الفرنسية وعلق عليها ، ونشرها هى والتعليق فى غير واحدة من الجرائد الفرنسية ، وأعجب بما هى الأدب العربى الحديث وتمنى لو رآهما

وفى صيف سنة ١٩٣٦ تعرف إلى الأستاذ الرافعى — رحمه الله — وطلب إليه أن يزوره فى داره فى كامب سيزار برمل الأسكندرية فلبى الدعوة وأنا برفقته ... فألفيت رجلاً هادىء الطبع ، طلق المحيا ، كريم الخلق ، جميل الصحبة . وكان وجهه — ونحن فى داره — يتهلل بشراً وسروراً ... وهكذا ابتدأت أول وشيجة بينه وبين أسرة (الرسالة) الغراء ، ومضت أيام فإذا صوت صرير قلمه يرن على صفحات (الرسالة)

ثم انطلق يتلمس الطريق إلى الأستاذ الزيات ويستزيره فى إلحاح . وفى صيف سنة ١٩٣٧ دخل الأستاذ الزيات دار صاحبه فليكس — لأول مرة — وأنا إلى جانبه . يا عجبا ! إننى أرى صاحب الدار يهتز من فرط الفرح كأنه يلاقى حبيباً طال اغترابه ؛ وإنه ليتراءى لى أنه يهم أن يضم الأستاذ الزيات إليه لولا هيبته . وتقدمت الأيام وفى قلب كل منا لصاحبه المحبة والإخلاص والوفاء

عرفنا الأستاذ فليكس فعرفنا فيه الأديب الفذ والشاعر الرقيق ، وفقدناه ففقدنا فيه الأخ الوفى والصديق الصادق

فنى ذمة الله ، وفى رحمة الله ... يا صديق !

كامل محمود حبيب

فى بلاط الخلفاء

حماد وهشام بن عبد الملك

للأستاذ على الجندى

ضمّت الكوفةُ فى وقت واحد ثلاثة نفر يُقال لهم : الحمادون[1] ، وهم حماد عَجْرد ، وحماد الراوية ، وحماد الزِّبْرِقان أو ابن الزبرقان . كان هؤلاء الثلاثة يتعاشرون بثلاثة أجساد تُصرّفها روح واحدة . ولم يكن غريباً أن يجتمعوا على هذا الود الوثيق ، فقد ألفت بينهم رابطة الأدب ، ولحمة الزندقة ، وآصرة أخرى تُسامِى رضاع الثدى وهى رضاع الكأس ! ولله دِعْبل إذ يقول :

أذكُرْ أبا جعفر حقًّا أمتُّ به ... أنى وإياك مشغوفان بالأدب
وأننا قد رضعنا الكأس درّتها ... والكأس دُرّتها حظى من النسب

والذى يعنينا من هذا الثالوث العجيب المتّحد فى الاسم والنزعة والهوى والنِّحلة ، حماد بن ميسرة الديلمى مولى بكر بن وائل . كان هذا الرجل آية دهره فى العلم بأنساب العرب وأيامها وحفظ لغتها وأخبارها وأشعارها ، فخلع عليه معاصروه — على بخل المعاصرة وحقدها — لقب الراوية ؛ وهو لقب فخم رفيع لم يُمنحه جُزافاً بل انتزعه انتزاعاً عن استحقاق وجدارة

يحدثون أن الوليد بن يزيد سأله : بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال : لأنى أروى لكل شاعر تعرفه — يا أمير المؤمنين — أو تسمع به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن أعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به ، ثم لا أُنشد شعراً لقديم ولا مُحدث إلا ميزت القديم منه من المحدث . فقال الوليد : إن هذا لَعلم — وأبيك — كبير . فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير . ولكننى أنشد على كل حرف من حروف المعجم مئة قصيدة طويلة ، سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام !

وكأن الوليد استراب بحفظه فقال : سأمتحنك فى هذا ، وأمره بالإنشاد ، فأنشده حتى نال منه الضجر ! فوكل به من يسمع

(١) معجم الأدباء ج — ١٠ — ٢٥٠ - ٢٥٩

منه ، واستحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة جاهلية، ورفع الأمر إلى الوليد، فأجازه بمائة ألف درهم

ولكن مما يحزّ فى النفس أن حماداً لم يكن متحلّياً بتلك الشرائط التى تعدّ قِوام الرواية من أمانة وصدق وإخلاص !

فقد شاء ألا يقنع بما أفاء الله عليه من مواهب عالية ، وبما حصّله بجهده من ثروة أدبية ضخمة تتقطّع دونها أعناق الفحول ! فاستغلّ حفظه للشعر وبَصارته بمنازع الشعراء ، وقدرته على النظم ، ودقة مسلكه فى التقليد ، وغَرامه بالتزيّد فى الوضع والتلفيق والتدليس ! فكان يقرض الشعر وينحَله مَن يشاء من شعراء العرب ، ويجوز ذلك على أكثر الناس لفرط المشابهة بين الأصيل والدخيل !

ومن السهل على من رُزق علم حماد وقوة طبعه وحدة قريحته وبارع زكانته ، أن يفعل مثل فعله لا فرق بين متقدم ومتأخر !

يقول الثعالبى (١) : إن الصاحب يوماً قال لجلسائه — وقد جرى ذكر أبى فِراس الحَمْداني — : لا يقدر أحد أن يزوّر عليه شعراً . فقال البديع الهمذانى : ومن يقدر على ذلك وهو القائل :

رويدَك، لا تصِلْ يدَها بباعك ... ولا تُغرِ السباع إلى رباعك
ولا تُعِنِ العدوّ علىّ إنى ... يمينٌ إن قطعتَ فمن ذراعك

فقال الصاحب : صدقت ! فقال البديع : أيد الله مولانا قد فعلت ! — أى زوّرت عليه —

والغريب فى أمر حماد أنه كان لا يستحيى أن يتبجّح بهذا الضلال البعيد ! فكان يقول (٢) : ما من شاعر إلا أدخلت فى شعره أبياتاً حُملت عنه إلا أعشى بكر فإنى لم أزد فى شعره قط غير بيت واحد . فقيل له : ما هو ؟ قال :

وأنكرتنى وما كان الذى نَكِرتْ ... من الحوادث إلا الشيب والصلَعا

وأغرب من هذا أن جرأته كانت تطوّع له الكذب على الخلفاء المعروفين بدقة الفطنة وسعة المعرفة ! فقد روى صاحب الأغانى بسنده عن جماعة ذكر أنهم كانوا فى دار الخليفة المهدى إذ خرج بعض أصحاب الحاجب فدعا بالمفضل الضبيّ الراوية ، فدخل فمكث مليًّا ثم خرج ومعه حماد الراوية وحسين الخادم ، وقد بان فى وجه حماد الانكسار والغم ، وفى وجه المفضل السرور

(١) اليتيمة ج ١ ص ٧٠
(٢) العقد الفريد ج ٣

والنشاط . ثم نادى الخادم : يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يُعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته فى أشعار الناس ما ليس منها. ووصل المفضّل الضبى بخمسين ألف درهم لصدقه وصحة روايته . فمن أراد أن يسمع شعراً مُحدَثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليسمعها من المفضل

وقد كان السبب أن المهدى قال للمفضل — لما دعا به وحده — إنى رأيت زهير بن أبى سُلمى افتتح قصيدته بأن قال :

دع ذا ، وعدّ القولَ فى هَرِمٍ ... خير البُداة وسيد الحَضَر

ولم يتقدم له قبل ذلك قول ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال المفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين فى هذا شيئاً ، إلا أنى توهمته كان يفكر فى قول يقوله ، أو يُروّى فى أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال : دع ذا . أو كان يفكر فى شىء من شأنه فتركه وقال: دع ذا. أى دع ما أنت فيه من الفكر وعد القول فى هرم. فأمسك عنه المهدى ودعا بحماد فسأله فى ذلك . فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين . قال : فكيف قال ؟ فأنشده :

لِمَن الديار بقُنَّة الحِجْر ؟ ... أقوين مُذ حِجَجٍ ومذ دَهْر
لعب الزمان بها وغيّرها ... بعدى سوافى (١) المُور والقطر
... ...

دع ذا ... الخ

فأطرق المهدى ساعة ثم أقبل عليه فقال : قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لابد من استحلافك عليه ! ثم استحلفه بأيمان البيعة — وكل يمين مُحرِجة — ليَصْدُقَنّه عن كل ما يسأله عنه . فحلف بما توثق منه . فقال له : اصدُقنى عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير . فأقرّ له أنه قائلها . فأمر فيه وفى المفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه

هذا الضعف الخُلُقى الذى عُرِف به حماد هو ما حدا الأصمعى أن يقول فيه : كان حماد أعلم الناس إذا نصح (يعنى إذا لم يزد وينقص) وكذلك قال فيه المفضل الضبى : قد سُلِّط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلُح بعده أبداً ! فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطئ فى الرواية أم يلحَن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردّون من أخطأ إلى الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال

(١) السوافى : الرياح والمور : التراب

يقول الشعر يُشَبِّه به مذهب رجل ويدخله فى شعره، ويُحْمَلُ عنه ذلك فى الآفاق، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك ؟ »

وقد هجا حماداً أحمد بن يحيى[١] هجاء طريفاً يمكننا أن نقف منه على شكله وهيئته وزيه ورأى الناس فيه . قال :

نعم الفتى لو كان يعرف ربَّه ... ويُقيم وقت صلاته حمّادُ
بسطَتْ مَشافرَه الشَّمولُ فأنفُه ... مثلُ القَدوم يَسُنُّها الحدّاد
وابيضّ من شرب المُدامة وجهُه ... فبياضُه يوم الحساب سواد
لا يُعْجِبنَّك بَزّه ولسانُه ... إن المجوسَ يُرَى لها أسباد

وقد نشأ حماد فى العهد الأموى سنة خمس وتسعين هجرية، وكان أثيراً لدى خلفاء بنى مروان، يستزيرونه فيفد عليهم ليحدثهم عن أيام العرب وأخبارها وينشدهم أشعارها، فيظهرون إعجابهم به وينفحونه بالأعطيات السنية

وقد خفّ على قلب يزيد بن عبد الملك منهم فانقطع إليه واختص به ونادمه، فحصّل منه دُنيا عريضة وعاش فى حال رافهة

ولكن هذه النعمة السابغة كادت تحوُل جائحة مستطيلة لولا ما قُدّر له من طول السلامة ! فقد كان بين راعيه يزيد وأخيه هشام جفوة شديدة مردها إلى أنهما من أبناء العلاّت[٢]، فأم يزيد عاتكة بنت يزيد بن معاوية الأموية، وأم هشام عائشة بنت إسماعيل المخزومية ، وأهم من ذلك أن يزيد كان يريد أن يبايع لابنه الوليد القاصر، فصرفه أخوه مسلمة بلباقة وكياسة إلى مبايعة أخيه هشام الراشد، ولكن يزيد ندم بعد أن تم الأمر، فاستشرت العداوة بين الخليفة وولى عهده حتى اضطر هشام أن يعيش خارج دمشق، وتبع ذلك أن حقد على حاشية أخيه وبطانته ، ومنهم حماد زينة البلاط ونجمه اللامع !.

فلما آلت الخلافة إلى هشام خافه حماد على نفسه خوفاً شديداً فانزوى فى كِسر بيته مدة عام كان فى خلالها — إذا ضاق صدره — ينسلُّ فى سر من الناس إلى الثقات من إخوانه خائفاً يترقب ؟ ولما انقضت هذه الفترة ولم يتوجه إليه طلب، ظن أنه قد

(١) أمالى المرتضى ج ١ ص ٩٠ (٢) الضرائر

بلغ مأمنه، فبرز من مخبئه وصلى الجمعة فى الرُّصافة[١]، ولم يقنع بذلك حتى جلس عند باب يدعى باب الفيل، وإذا شرطيان كأنما نبعا من الأرض قد وقفا عليه وقالا: ياحماد، أجب الأمير يوسف ابن عمر (والى العراق) فانخلع قلب حماد من الرعب، وقرع سِنّ الندم على خروجه، وتوسل إليهما أن يستأنياه حتى يأتى أهله فيوصي بهم وإليهم، ثم يصير معهما إلى حيث يريدان، فأجاباه فى خشونة الزبانية : ما إلى ذلك من سبيل ! وأخذا بعضديه، فاستبسل[٢] للموت واستقاد لهما حتى بلغا به الأمير وهو جالس فى الإيوان الأحمر، فسلم عليه حماد بصوت مصحول فكان رد السلام أن ألقى إليه كتاباً فيه ما يأتى :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر . أما بعد، فإذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مُرَوَّع ولا مُتعتع[٣] وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق

ففاضت بشاشة الطمأنينة على قلب حماد، وقبض الدنانير الصفر وقد امتزج لألاؤها ببريق السرور الخاطف على وجهه !

وفى الحق أن حماداً كان مسرفاً فى خوفه من هشام، فقد كان هذا الخليفة غزير العقل راجح الحلم عفيف النفس جامعاً لأدوات الرياسة، حتى كان الأشياخ يقولون : أُذِيل من الشرف وذهبت المروءة بموت هشام ! ومن كانت هذه صفاته فكثير عليه أن ينكل بأديب مستضعف كلُّ جريرته أنه كان متصلاً بسلفه

وقد هيئ لحماد جمل مرحول فركبه من ساعته، وسار يُغِذّ فى السير اثنتى عشرة ليلة حتى وافى دمشق ووقف بباب هشام مستأذناً فى الدخول إليه، فأذن له .

[البقية فى العدد القادم]

علي الجندى

(١) المراد بها رصافة الشام وهى مدينة فى غربي الرقة على طرف الصحراء (خزانة الأدب ج — ٢ — ٣٥١)
(٢) استبسل للموت : استسلم له (٣) مكره

وسائل الاغتياب

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

كل إنسان من الناس لا يعد الاغتياب اغتياباً إلا إذا كان قد أتى من غيره فى حقه أو فى حق عزيز عنده أو مرضى عنه لديه . أما إذا أتى الاغتياب من غيره وقُصد به انتقاص غير عزيز عنده ولا مرضىٍّ عنه ؛ أو إذا كان هو الذى يغتاب فإنه لا يعد الاغتياب فى هذه الحالات اغتياباً بل يعده مكرمة وفضيلة، فيعده انتصاراً للحق وهداية إلى الفضيلة وإظهاراً للنقص ومحاربة للرذيلة وتحذيراً للسامع من الشر . وهكذا تتغير حقائق الأمور حسب أهوائه، وبذلك يسيطر على ضميره ويخدع ضمائر الناس. فالاغتياب منه فضيلة ليس بعدها فضيلة ؛ أما من غيره فالاغتياب دليل على لؤم النفس وخساستها . وهو إذا اغتابه أحد الناس لم يعد اغتياب المغتاب له فضيلة وهداية إلى الفضل ومحاربة للنقص كما يعد الاغتياب الذى يجىء من نفسه فى حق الناس . وكثيراً ما يلجأ المغتاب إلى أساليب عجيبة كى يقبل اغتيابه فيقول : إنى لا أريد أن أنتقص فلاناً أو أن أذمه فإنه رجل فاضل، ثم يغتابه بما لا يترك له فضلاً ولا فضيلة. وقد يمدح عمل الرجل فى صنعته كى يقبل الناس ذمه له فى أخلاقه ؛ وذلك لأن الفضل فى العمل قد لا يخفى على البصير الحاذق الذى يستطيع أن يزن فضل القول أو العمل فى الصنعة أو المهنة . أما فضل الأخلاق فأكثره غير مكتوب فى طرس ولا مرصوف فى بناء ولا منحوت فى تمثال حتى يزن الوازن فنه ولونه وحقيقته ، بل أكثره وديعة فى نفوس الخلطاء أو من ليسوا بخلطاء ولا عشراء إذا كان المرء معروفاً بالذكر عند من لا يعرفه فى حياته الخاصة. والخلطاء قد لا يؤدون الأمانة وافية ولا الوديعة غير منتقصة وغير الخلطاء إنما يحكمون بالصدى

وكثيراً ما يرشو المغتاب سامعه بالمدح إذا كانت إثارة شره وحقده على من يعرفه أو لا يعرفه تحتاج إلى مدح المغتاب لسامعه الذى يريد إثارة شره ، أو قد يهدد المغتاب سامعه بالذم إذا لم يقبل أن يُستثار شره وحقده على ذلك الغائب الذى يغتابه المغتاب، وقلما يجرؤ أحد الناس إذا سمع ذماً لغائب أو شبه غائب على رفض الذم وتزكية المذموم خشية أن يعد الناس مدحه للمذموم مشاركة له فى نقصه الذى ذمّ به ، فترى أكثر الناس إلا من ندر إذا اغتاب إنسان إنساناً يسرعون إلى إظهار تصديقهم قوله خشية أن يُعدُّوا مشاركين للغائب المذموم إذا كذَّبوا مغتابه. وهم يسرعون إلى هذا التصديق وإن كانوا من أهل الخير، وإن كانوا من أبعد الناس عن التلذذ بالحقد من غير سبب للحقد ، وإنما يصدقون المغتاب وقاية لأنفسهم، وكل إنسان به شىء قليل أو كثير من الجبن أو الخوف. أو الحذر فيخاف إذا لم يعاون المغتاب على اغتياب الغائب — وأقل المعاونة المعاونة بالسكوت والإنصات والابتسام والإقبال — أن يُعدّ مشاركا للغائب فيما اغتيب به. وإذا كان هذا شأن أهل الخير فما ظنك بغيرهم من الناس وأكثر الناس يجدون فى أنفسهم لذة ومسرّة — إما قليلة تكاد تكون خفية غير ملحوظة وإما لذة عظيمة — إذا سمعوا ذماً لإنسان . وأقل أسباب هذه اللذة وأظهرها أن الذم لم يقع بهم بل بغيرهم فَيُسرُّون لنجاتهم من الذم بوقوع الذم بغيرهم كما يسرون من أجل أنّ ذمّ غيرهم بالحق أو بالباطل إذا سمعوه أو قالوه يزيدهم عظمة عند أنفسهم فيشعرون أنهم صاروا أعظم من المذموم حتى ولو كان ذمه بالباطل، فالذم كالجمر كل يريد أن يلقيه على غيره . فإذا أحس السامع فى نفسه أنه أحقُّ بذلك الذم الذى اغتاب به المغتاب غائباً أسرع فى معاونة المغتاب على الغيبة كيلا يفطن المغتاب وكيلا يلحظ من عينيه أنه أحق بالذم من الغائب . ومن أجل ذلك يكون الاغتياب أشْيَع ما يكون بين أهل النقص الحقيقيين بالذم الذين يخفون من أسرار أنفسهم ما هو حقيق بالذم فيرتعدون خوفاً من ظهوره فيندفعون إلى الغيبة من الخوف، كما قد يُقبِلُ الأرنب من خوف إلى الثعبان ، أو كما قد يُقبِلُ الهِرُّ من خوف إلى الأسد . وهم قد يندفعون فى نقصهم ويُهَـوِّنون على أنفسهم النقص بذلك. وقد يُصَرِّحُ المغتاب للسامع بالتهديد ولا يكتفى بالتلميح فى تهديده فيقول: لا يدافع عن أهل الرذيلة إلا من كان من أهل الرذيلة، فيسرع السامع إلى تصديق المغتاب ، وربما صار من خوفه أشد شرَّهاً فى الاغتياب من ذلك المغتاب الذى هدده إذا لم يقبل منه قوله .

وقد تجتمع فى نفس السامع أسباب الاغتياب كلها، بل إن الخوف من مشاركة الغائب المهجو فى الذم قد يجعله السامع عذراً لنفسه إذا وجد لذة فى الشر والانتقاص ، وإيقاع الأذى بغيره بمعاونة المغتاب ؛ فيبعد أن يكون قبوله الاغتياب والمعاونة عليه خوفاً يصبح القبول وتصبح المعاونة لذة فى إيقاع الأذى وتماظاً بانتقاص غيره ، فترى أن أقل أسباب قبول الغيبة إثماً وأظهرها شكلاً يسوق النفس إلى أكثر أسباب قبول الاغتياب والمعاونة عليه إثماً ، وإلى أخبثها أصلاً فى النفس . وهذا من عجائب النفس الإنسانية التى فى أول أمرها قد تتحرج من أقلّ الخبث والشر؛ فإذا قبلته مُكرَهةً كارهة قد لا تتحرج فى أن تجد لذة فى أشد الشر والخبث . والخوف من مشاركة المذموم فى الذم سنة عامة قد تتخذ شكلاً مضحكاً . فقد ترى جماعة من الناس يتحدثون فى مودة وصفاء ثم يرون على قرب منهم اثنين يتضاحكان، وقد يكون تضاحكهما لأمر لا صلة له بهم ، ولعل ذكرهم لم يمر على لسان المتضاحكَيْن ، ولكن شدة الذعر من السخر والذم قد توهم تلك الجماعة التى تتحدث فى مودة وصفاء أن تضاحك المتضاحكين منهم أو من أحدهم فيبتسم كل منهم كى يوهم أصحابه وجلساءه أنه واثق فى سريرة نفسه أنه غير مقصود بضحك المتضاحكين . وقد يكون ابتسامه مخلوطاً فى شكله بمظاهر الخوف والارتياب فيتخذ ابتسامه شكلا مضحكا حقاً . أما إذا استطاع أن يخفى مافى سريرة نفسه من الارتياب والخوف فإنه قد يقنع جلساءه أن تضاحك المتضاحكين على مقربة منهم ليس سخراً به بل بأحدهم وقد ينظر مبتسماً إلى جليس كى يوهم جلساءه أن المتضاحكَين إنما يسخران بهذا الجليس الذى ينظر إليه فهو يتوقى السخر الموهوم بإلصاقه بجليسه كى يقى نفسه من أن يُظَنّ موضوع اغتياب المتضاحكين . وهذه ظاهرة مشاهدة فى الناس وقد قال أحد الأدباء الماكرين :

إذا رأيت إنساناً فى جماعة على مقربة منك وارتبت فى أنه يغتابك فما عليك إلا أن تختار صديقاً أو جليساً يجيد الضحك ثم حدثه حديث فكاهة يثير ضحكه ولا علاقة لحديثك بالإنسان الذى ترتاب فى أنه يغتابك فإذا أكثرتما من الضحك وجعلت تنظر إليه أثناء الحديث والضحك ارتاب ذلك الإنسان أيضاً فى أنك تذكره بسوء . بل قد يتذرع بعض جلسائه خشيةَ أن يكون هو المقصود بالضحك فينصرفون عنه ، وقد يسعون إليك مبتسمين إذا كانوا يعرفونك كى يوهم كل منهم الآخر أنه واثق فى سريرة نفسه أنه ليس مدعاةً للسخر والضحك، وإنما يكون انفضاضهم عن ذلك الإنسان على صوت ضحككما كانفضاض قوم عند سماع صوت انطلاق قذيفة من مدفع غير مُعَبّأ بما يميت. وهذه الحيلة ليست من مكارم الأخلاق وربما ألجأ إليها الظن المخطئ وربما لا تستطاع إلا بشىء من الصفاقة لا يملكه كل إنسان ولكنها على أى حال من أخلاق الناس ومشاهد الحياة .

والمغتاب الذى لا يستطيع الناس أن يجدوا سبباً لحقده على من يغتابه أكثر المغتابين نجاحاً فى الاغتياب ، ومن أجل ذلك يحاول المغتاب الماكر أن يخفى سبب حقده وكرهه ، وقد يكون السبب بطبعه بعيداً عن الأذهان، وقد يكون المغتاب نفسه غير فاهم سبب حقده الذى يخامر نفسه كل الفهم ، وأخلق بهذا السبب ألا يفهمه الناس إذا كان صاحبه لا يفهمه .

عبد الرحمن شكرى

كتاب فى «الدين الاسلامى»

للأستاذ على الطنطاوى

كان الأعرابى الجلف الجافى ، يقعد بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم ساعة من زمان يستمع فيها إليه ، فلا يقوم إلا وقد فهم الإسلام وعرفه ، وصار من المبشرين به والداعين إليه . وكان يصحب النبىّ أياماً فلا تنقضى حتى يغدو عالماً ، يبعثه النبى إلى قومه معلماً ومرشداً ، فيعرّفهم الحدود ، ويبيّن لهم الحلال من الحرام ...

كان هذا يوم لم يكن تدوين ، ولم تصنف المصنفات ، ولم تجمع الأحاديث . . . وها نحن أولاء نملك أكثر من مائة ألف كتاب ورسالة فى التفسير والحديث والفقه والأصول والتصوف والسيرة والخلاف وكل ما يخطر على بال باحث من المسائل المتصلة بالإسلام ، ولكنا لا نجد فيها كتاباً واحداً لخص الإسلام كله تلخيصاً وافياً ، وعرضه عرضاً واضحاً ، يقرؤه الشاب فيفهم ، فيفهم فيه الدين كله كفهم الوافدين على النبي الدين ، حين دخلوا فيه أفواجاً ...

ولقد أحسست بهذا النقص منذ ابتداء عهدى بالطلب ، وعرضت له فى رسائل (فى سبيل الإصلاح) التى نشرتها فى دمشق (أثر عودتى من مصر سنة ١٩٢٩) . بيد أنى لم أعرف خطره إلا أمس ، حين درّست الدين فى مدارس العراق ، وشرحت للطلاب مزاياه ، وكشفت لهم عن عظمته ، فكانوا يتشوقون إلى زيادة الاطلاع ، ويرغبون فى متابعة الدرس . فيسألوننى عن الكتاب الذى يجدون فيه خلاصة الدين ، كما يجدون خلاصة الطبيعة أو الهندسة فى كتاب واحد ، فأفكر فيه فلا أجده ، ولا أجد إلا علوماً كثيرة من كلام وفقه وحديث وتفسير فيها آلاف من الكتب ، يعتدها المؤرخون أثمن تراث للعقل البشرى وأغناه ، ولكنها أصبحت اليوم بالية الأسلوب ، قديمة الطراز ، كحلية من الذهب ، ما نقص الذهب ولا خاس ، ولكن أنكر الشكل وتغيرت الأذواق ، والصائغ الماهر يحول الحلية من حال إلى حال ... وكنت أخاف أن ينصرف الطلاب عن دراسة الإسلام ، وتموت فى نفوسهم الرغبة فيه ، إذا أنا دللتهم عليها وأردتهم على قراءتها . وليت شعرى أأقول للطالب الذى لم تدع له دروسه الكثيرة ، إلا بقية من وقت ، آثر أن يشغلها بدراسة الدين عن أن ينفقها فى حق نفسه وراحتها ، أأقول له ، إنك لا تفهم الإسلام حتى تقرأ (النسفية) و(السنوسية) وأشباهها وتدخل فى كل باب من أبواب الفلسفة الفارغة ... والجدل العقيم ... وتدور مع المذاهب الباطلة والرد عليها ، والآراء الخاطئة ودفعها ، وتحفظ كفر أقوام انقرضوا وانقطع دابرهم ، كل ذلك لتفهم التوحيد الذى جاء به النبى صلى الله عليه واضحاً سهلاً لا فلسفة فيه ولا جدال ... وتقرأ (الطحطاوى) والشرنبلالى أو (الباجورى) أو غيرهما من كتب الفروع ، وتملأ الرأس منك فروضاً مستحيلة ، واحتمالات بعيدة ، تتخلل الأحكام ، وتجىء مع قوانين الشريعة ، كل ذلك لتعرف كيف تصلى وتصوم ، وقد كان البدوى يتعلم الصلاة والصيام فى ساعة واحدة ويؤديهما من بعدها على وجه الكمال ... وتقرأ (شروح المنار) أو (جمع الجوامع (وتكسر دماغك فى كلام هو (والله العظيم) أشبه بالطلاسم والأحاجى منه بالعلم وأسلوبه المبين ، لتفهم أصول الفقه ، والأصول فى هذا الدين ثابتة ثبوت الجبال ، واضحة وضوح الشمس ، مستقيمة كخيوط النور لا عوج فيها ولا التواء ، ولا غموض ولا إبهام ... وتقرأ (النخبة) أو (مقدمة ابن الصلاح) لتفهم مصطلح الحديث ، وتقرأ بعد ذلك شيئاً كثيراً ... ثم لا تنجو بعده من أن يتهمك الحشويون بأنك وهابي ، والسلفيون بأنك قبورى[1] ، ولن تعدم من يتبرع بتكفيرك من أجل بحث فى كرامات الأولياء ، أو كلام فى السفور ، أو رأى فى ابن عربى... فأين الشاب المشغول بدروسه المنهيّ لفحصه من هذا الخضم الذى يغرق فيه لو خاضه ؟ أو لا يعذر الشبان إذا لم يقدروا على درس الدين فى كتبه ، ولم يجدوا من يفهم عنهم أو يفهمون عنه من علمائه ، فآثروا السلامة ، وابتغوا من العلوم والدراسات ماله كتب مفهومة ، وخلاصات واضحة ؟

أحسست بهذا النقص البين ، فكتبت فى وصفه وخطبت مراراً وسألت من توسمت فيه من العلماء سده وإكماله ، فوجدت من (علمائنا) والجمهور منهم لا يحسن شيئاً إلا إقراء الكتب

(١) كذا يقولون والقياس الافراد عند النسبة — هذا وليس الغرض إهمال هذه الكتب ، فانها المصادر التى لا بد منها لمن يحب التخصص فى علوم الشرع ولكن الكلام على طلاب المدارس

التى كان قرأها على مشايخه من قبل ، وشرحها كما شرحت له ، فإن خرجت به عن الحواشى والشروح ، عاد عاميًّا لا يكاد يصلح لشىء . ووجدت أكثرهم بعيداً عن الأدب ليس من أهل البيان ، ومنهم من لا يزال يظن (جهلاً) أن الإسلام كره الشعر وحرمه ويحتج بحديث : لأن يمتلئ جوف أحدكم ... ولقد ثبت أن الذى يروونه جزء من الحديث رواية وبل للمصلين[1] . ومن ابتعد عن الأدب ، ولم يتمرس بأساليب البلغاء ، لم يأت منه خير لأن علمه يقتصر عليه ، فلا يقدر على بثه بقلم ولا بلسان ... ووجدت أكثر (علمائنا) يعيش فى دنيا أهل القرن التاسع ، ويفكر بعقولهم . ومنهم من شغله منصب يحرص عليه ، أو مال يبالغ فى جمعه وادخاره؛ ومنهم من أخلد إلى الراحة، وابتغى الجاه والغنى من شر الطرق وأقصرها ، فخرق على العامة وأظهر الورع فيهم والتواجد . فإن قلت له : صباح الخير ، أو سألته عن مسالة ... أجابك بـ(لا إله إلا الله) أو بالحوقلة والاستغفار ، يقلب سبحته فى يده ، ويغمض عينيه ، ويصمت حيناً خاشعاً مراقباً ، ثم يصرخ فى وجهك صرخة من أفلت من (العصفورية) أو (العباسية) . ورأيت من هؤلاء من العجائب ما لو قصصته لخفت أن أكذب فيه لغرابته ... فأيست منهم أو كدت ، ودفعنى هذا اليأس إلى محاولة الكتابة فى هذا الموضوع ، على قصر يدى فيه ، وقلة بضاعتى ، وأعددت (فى نفسى) أكثر مباحثه ، ثم رأيت أن أفتح هذا الباب فى الرسالة (بإذن الأستاذ الزيات) لكل من أراد أن يكتب فيه وارتضى الأستاذ ما كتب ، ورجوت أن يقبل على الكتابة العلماء والباحثون ، ينشئ كل منهم فصلاً من الكتاب ينشر اليوم فى الرسالة . ثم إذا اجتمعت الفصول ونقحها أصحابها وأعادوا النظر فيها أودعت صفحات كتاب يبقى إن شاء الله وينتفع به الناس ... ولعل الذى يمنع تحقيق هذا الرجاء أن أكثر من يكتب من الشباب ويملك الأسلوب المشرق المبين لا اطلاع له على كتب الدين ، ولا إلمام له بها . وأكثر العلماء (كما قدمت القول) غير مشتغلين بالكتابة . وعلاج ذلك أن يشترك فى البحث عالم مطلع ، وأديب كاتب ، فيمشى الشاب الذى يحسن الكتابة إلى عالم يدله على المراجع ، ويبين له الأحكام ، وينشئ هو الفصل بعد ذلك ، فيجتمع له فوائد، منها أن البحث قد كتب وتم، ومنها أنه اطلع على نواح من العلم جديدة ، ومنها أنه ألف هذه الكتب القديمة وعرف أسلوبها ...

ولنأت الآن إلى الموضوعات التى ينبغى أن يشتمل عليها الكتاب ، ما هى وما حدودها . ولست أحب أن أحددها وحدى بل أبين المراد إجمالاً . والمراد أن يلخص الدين الإسلامى فى كتاب يضم بين دفتيه الإسلام الذى جاء به النبى محمد خالياً من الحشو والزيادات والبدع والخلافات ، يقرؤه الشاب المسلم الذى لا يعرف الدين ، فلا يحتاج بعده إلى شىء ، ويقرؤه العامى فيفهم منه دينه ، ويقرؤه الغربى (مترجماً) فيحصل له عن الإسلام فكرة واضحة صحيحة

وإذا كان المسلم الكامل هو الذى أخذ الاسلام علماً وعملاً واعتقاداً ؛ وإذا كان حديث جبريل المعروف قد قسم الدين إلى إيمان وإسلام وإحسان ، وشرح الأول بأنه التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره ، وشرح الثانى بأنه النطق بالشهادة ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ، وفسر الإحسان بأنه عبادتك الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فإن من المستطاع تحديد موضوعات كتاب « الدين الإسلامى » بأنها :

الإيمان وما يتصل به — الإيمان بالله (التوحيد) — الإيمان بالملائكة والجن والشياطين — الإيمان بالكتب — القرآن ، وما يتصل به من نزول ، وجمع وإعجاز — الرسالة والرسل — حياة النبي محمد ورسالته — اليوم الآخر — القضاء والقدر — الصلاة : حكمتها وفائدتها وكيفيتها وبيان المتفق عليه من أحكامها ـ الصوم ـ الزكاة ـ الحج ـ الأخلاق الشخصية فى الإسلام ـ الأخلاق الاجتماعية فى الإسلام ـ الإسلام من الناحية التشريعية ـ الإسلام من الناحية السياسية ـ فكرة عامة عن العلوم الإسلامية ـ المذاهب الأربعة والكلام عليها الخ ...

هذه هى المباحث المهمة ، وأهم منها أن تكتب بأسلوب لا هو بالأسلوب العلمى الجامد ، ولا هو بالأسلوب القصصى الخيالى ، وأن تكون تعليمية قبل أن تكون علمية ، وأن ترتفع عن كل خلاف أحدثه المتأخرون ، وتعود إلى النبع الصافى الذى استقى منه المصدر الأول خير القرون .

هذا وفى الموضوع مجال للايضاح والنقد والتعديل ، ولعل صفحات الرسالة لا تخلو من ذلك .

« دمشق »

على الطنطاوى

---

(١) أنظر كتاب (الاجابة) الذي نشره أخى سعيد الأفغانى وحققه وعلق عليه (المكتبة الهاشمية بدمشق)

مدينة قونيـــة

(بحضرة مولانا)

للدكتور عبد الوهاب عزام

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

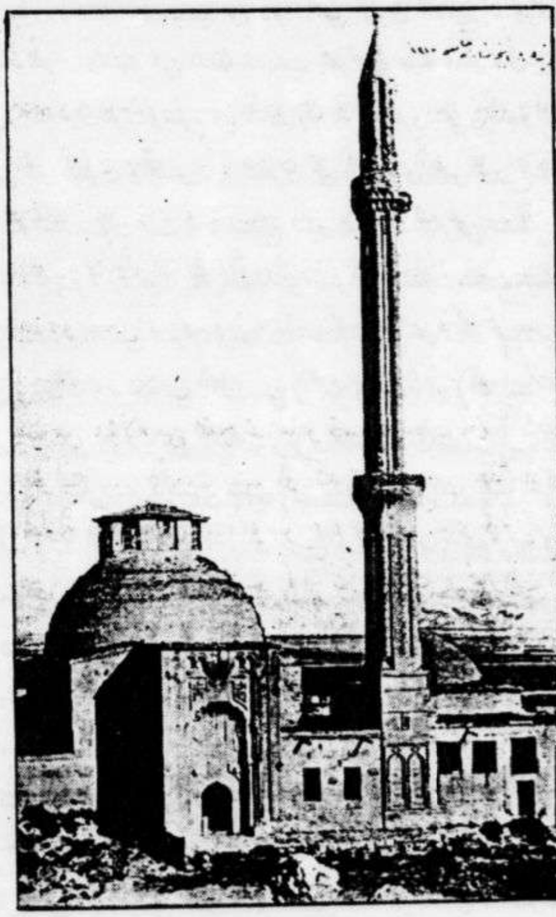
من عجائب الآثار وبدائع الصنعة مدرسة إينجه منارة (مدرسة المنارة اللطيفة) وأنا أعفى القارىء من وصفها وأكتفى بما تنطق به الصورتان المثبتتان هنا

ولا يسعنا أن نغفل جامع صاحب عطا (صاحب آتا) بناه أحد وزراء السلاجقة الكبار فخر الدين على بن الحسين بن أبى بكر المتوفى سنة ٦٨٤ ، وقبره فى إيوان داخل المسجد ومعه خمسة قبور . وتدل الكتابة على مدخل الإيوان أنه بنى فى مفتتح المحرم سنة ٦٨٢

وفى أطراف المدينة على مقربة من المزارع جامع صغير فيه قبر العالم الكبير صدر الدين القونوى المتوفى سنة ٦٧١ ؛ وكان من الأساتيذ فى علوم الدين والتصوف . وكان واسطة بين الشيخ الأكبر محيي الدين ومولانا جلال الدين . تزوج محيي الدين أمه ورباه وعنه أخذ جلال الدين فيما يقال . وله مؤلفات فى التفسير والحديث والتصوف

ذهبت إليه وحيداً قبيل الغروب فما زلت أسأل حتى اهتديت إليه فألفيته مقفلاً فسرت قليلاً وعدت فإذا رجلان جالسان بجانب الباب أحدهما ضرير . فلما اقترب المغرب قلت : ألا يفتح المسجد ؟ ففتحا الباب فدخلنا إلى مسجد صغير عطل من جمال الصنعة والزينة فتقدم أحد الرجلين فألقى قبعته ووضع العمامة فعرفت أنه الإمام، وتقدم الآخر وعلى رأسه (كاسكت) فأداره وأقام الصلاة فصلينا المغرب وحدنا . وسألت عن ضريح صدر الدين فأشير إلى نافذة تطل إلى حديقة صغيرة فنظرت فإذا قبر بجانب النافذة فوقه عريش من الكرم وبجانبه أشجار

ولم تقر نفسى دون أن أرى مثوى الصوفى العجيب الغريب الذى اتصل بجلال الدين فحوله من الدرس إلى الخلوة ، ومن أستاذ درس إلى مريد طريقة ، الرجل الذى أثار حوله الظنون والأيدى حتى قتل فى إحدى الثورات عليه ، فما زال جلال الدين يشيد بذكره ويلهج به فى شعره حتى سمى ديوانه الكبير باسمه . ذلكم شمس تبريزى (شمس الدين محمد بن على التبريزى) الذى يقول فيه جلال وما أكثر ما قال فيه :



مدرسة إينجه منارة (المنارة اللطيفة)

نه من تنها سرايم شمس دين وشمس دين

مى سرايد عندليب أز باغ و كبك أز كوهسار

باسمه الوُرْق والعنادل تشدو لستوحدى أنوح: (شمس الدين)

عزمت على زيارته فقيل إن المزار مغلق لا يفتح لأحد . فاكتفيت بمشاهدة البناء على بعد . ثم لجّ بي التطلع فسرت إليه

ليلاً فجارت بي طرق متعرجة ضيقة فرجعت آسفاً وأعجلني السفر المبكر عن المسير صبحاً ، وإن قدر لي الرجوع إلى قونية كانت زيارة شمس الدين أول ما أفعل

— ٤ —

وقونية مدينة كبيرة في ولاية واسعة تسمى باسمها ، وهي على حافة صحراء كبيرة يمر بها نهر صغير ينتهي إلى بحيرة غربيها. وهي على ٤٥٠ كيلاً من استانبول إلى الجنوب الشرقي منها ويتصل بها سهل خصب جداً تكثر خيراته إذا أصابه مطر جود ، لأن نهرها وينابيعها لا تفي بإروائها. وصناعة النسيج بها رائجة

وهي كثيرة المساجد بها زهاء ١٥٠ مسجداً و ٥٠ جامعاً . وأهلها معروفون بالدين والتقوى

وبها كثير من آثار السلجوقيين إذ كانت حاضرة دولتهم في آسيا الصغرى

وهي مدينة قديمة عرفت أيام اليونان والرومان . ومن الأساطير التي تروى أن تنيناً سلط عليها فكان يبلع النساء والصبايا حتى قتله برسيوس بن جوبيتر (المشتري) فوضع أهلها على أحد أبوابها تمثالاً لهذا البطل الذي نجاهم من التنين فسميت المدينة ايكونيوم أخذاً من كلمة ايقون أي الصنم أو التمثال

إذا وقف الإنسان على ربوة علاء الدين رأى أمامه ميداناً كبيراً فيه أنصاب حديثة للجمهورية التركية ، وأبنية ومساجد، وينتهي النظر إلى قبة مولانا جلال الدين تبدو من وراء الأبنية وبها شوارع مديدة واسعة . منها الجادة التي تمتد من الربوة إلى المحطة وفيها تمثال عظيم للغازي ويرجى لها مستقبل عظيم. ولا ريب أنها كانت أيام السلاجقة أعظم عمراناً وأكثر سكاناً

وقد زارها ابن بطوطة بعد زوال دولة السلاجقة واستيلاء أمراء بني قرمان عليها فقال :

« مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والأنهار والبساتين والفواكه وبها الشمش المسمى بقمر الدين — وقد تقدم ذكره — ويحمل منها أيضاً إلى ديار مصر والشام . وشوارعها متسعة جداً وأسواقها بديعة الترتيب . وأهل كل صناعة على حدة . ويقال إن هذه المدينة من بناء الاسكندر ، وهي من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان وقد تغلب عليها صاحب العراق في بعض



باب مدرسة اينجه منارة

الأوقات لقربها من بلاده التي بهذا الإقليم

نزلنا منها بزاوية قاضيها ويعرف بابن قلم شاه، وهو من الفتيان وزاويته من أعظم الزوايا . وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقة

وكان صنيع هذا القاضى فى إكرامنا وضيافتنا أعظم من صنيع من قبله وأجمل ، وبعث ولده عوضاً عنه لدخول الحمّام معنا

وبهذه المدينة تربة الشيخ الإمام الصالح القطب جلال الدين المعروف بمولانا وكان كبير القدر . وبأرض الروم طائفة ينتمون إليه ويعرفون باسمه فيقال لهم الجلالية كما تعرف الأحمدية بالعراق ، والحيدرية بخراسان . وعلى تربته زاوية عظيمة فيها الطعام للوارد والصادر »

ولا أنس مسيرى فى قونية ليلة الوداع وانتحائى منتدى قرب المحطة وجلوسى تحت أشجار هناك إلى نافورة كأن وسوستها فى صمت المكان مناجاة أو حديث النفس

وبينا يجول الفكر فى مشاهد قونية وتاريخها ، ويطير بينى وبين الوطن والأهل فى لمحات ، انبعث المذياع مبلغاً رسالة مصر كأنها جواب النجوى . ولست أدرى أعرف صاحب المنتدى أنى مصرى فآنسنى ، أو كان اتفاقاً أجاب حديث الضمير . وكثيراً ما سمعت فى استنبول وقونية صوت مصر ، لا سيما حين تلاوة القرآن

عبد الوهاب عزام

فى تاريخنا النسوى

عائشة والسياسة (*)

للأستاذ سعيد الأفغانى

لم يتح للسيدة عائشة أن يكون لها أدنى أثر فى السياسة على عهد الخليفتين العظيمين أبى بكر وعمر ؛ بل كان شأنها شأن بقية أمهات المؤمنين أزواج النبى صلى الله عليه وسلم : يُستفتَيْن فى المسائل من أمور الدين ، وخاصة فيما لا يعانيه إلا النساء . فبقين بعد وفاة الرسول مثابة لرواد الفقه وحملة الشريعة ، وهذا من حكمة الله ورحمته بهذه الأمة ، إذ جعل من أزواج صاحب الرسالة من تعيد سيرته المطهرة خمسين سنة تنشر تفاصيلها للناس ، كأن الوحى لم ينقطع ، وكأنهم من أنواره فى شمس لا يلم بها أفول ولا تحجبها ظلمة . وليس كل السنة يتسنى للرجال معرفتها ، ولولا ما نشرن منها لضاع علم كثير : فكان أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة ، كثيراً ما يسألونهن فى دقاق المسائل وجلائلها ، وعلى هذا اقتصر عمل عائشة لهذا العهد . وكان فى ذكائها (رحمها الله) وفى علمها ما جعلها مقدمة على عامة أزواج النبى (ص) : يعرفن ذلك من حقها ، ويرجعن أمورهن إليها . . . وكان الناس حين يفزعون إلى أزواج النبى لا يبدؤون إلا بها . . . فكأنها فيهن مكان الزعيم . . .

***

فلما كان عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، سارت السيدة فى الشطر الأول من خلافته (سيرتها على زمن صاحبيه) : تفتى وتحدث وتنشر العلم . . . لكنه لم يكد لين عثمان يجرئ الناس عليه ، ولم تكد القالة تفشو ناقمة على بعض تصرفاته ، حتى انقلب الأمر ، ورأينا السيدة عائشة تقود حركة المعارضة ، ورأينا عثمان يتبرم بموقفها كل التبرم ولم تزل السيدة توغل فى تدخلها السياسى حتى أدى إلى ما لم تكن تحب ، وحتى خرج الأمر من يدها فى النهاية إلى يد الغوغاء ، فكانت أشد الناس ندماً على ما قدّمت . . .

كان مما أخذ الناس على عثمان عزله من ولاية الكوفة القائد المغوار صاحب رسول الله سعد بن أبى وقاص ، وتوليته الوليد ابن عقبة أخاه من الرضاعة . فلما حضر وفد أهل الكوفة متذمرين إلى عثمان من عاملهم الجديد انتهرهم وأوعدهم . . . فلجؤوا إلى أم المؤمنين عائشة الصديقة مستجيرين . وأصبح عثمان ، فصلى بالناس الفجر فى مسجد رسول الله (ص) ، فسمع من حجرة عائشة صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة . فقال : « أما يجد مُرّاق أهل العراق وفساقهم ملجأ إلا بيت عائشة ؟ ! » . فسمعت عائشة فغضبت . ورفعت نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : « تركت سنة رسول الله صاحب هذه النعل » . فتسامع الناس فجاؤوا حتى ملؤوا المسجد . فمن قائل : « أحسنت » ؛ ومن قائل : « ما للنساء ولهذا » حتى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال . ودخل رهط من أصحاب رسول الله على عثمان فقالوا له : « اتق الله ولا تعطل الحد ، واعزل أخاك عنهم » . فعزله عنهم ! وهكذا استطاعت السيدة بما لها من

(*) الأغانى ٥ — ١٣٠ (طبع دار الكتب)

المكانة والذكاء أن تهيئ لمعارضتها نجاحاً باهراً . فنيرت هذا العامل على رغم الخليفة. وخير ما نطلقه عليها أنها كانت : «زعيمة المعارضة » — على اصطلاح هذا العصر — مدة الخليفتين عثمان وعلى . . .

ثم جاءت شكوى المصريين من عاملهم ابن أبى سرح على نحو شكوى أهل الكوفة من عاملهم . وقامت السيدة فى ذلك مقاماً حميداً كما قام غيرها من مشيخة الصحابة مثل على وغيره . إلا أن ابن أبى سرح لم يعمل بكتاب عثمان[1] ، وقتل أحد الذين كانوا شكوه ؛ فرجع المصريون إلى المدينة ، وشكوا إلى أصحاب النبي وأزواجه ما صنع ابن أبى سرح . فقام طلحة ؛ فكلم عثمان بكلام شديد . وأرسلت إليه عائشة : « قد تقدمت إليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هذا الرجل ؛ فأبيت أن تعزله ؛ فهذا قد قتل رجلاً منهم فأنصفهم من عاملك . . . »

ولما رجع المصريون بكتاب عثمان المزور ، وضج الناس ، كانت عائشة تذمه كثيراً ، وكانت هى نفسها تقول (فيما بعد) :

« إنا نقمنا عليه ضربه بالسوط ، وموقع السحابة ، وإمرة سعيد والوليد . فغضبنا لكم من سوط عثمان ... »

ومواقف عائشة هذه من عمال عثمان وإرغامها إياه على تغييرهم، قد آذته كثيراً حتى خرج مرة عن وقاره واعتداله ، وما يليق به من الاحتمال والحلم . قال صاحب (البدء والتاريخ) :

« كان أشد الناس على عثمان طلحة والزبير ومحمد بن أبى بكر وعائشة . وخذله المهاجرون والأنصار ، وتكلمت عائشة فى أمره وأطلعت شعرة من شعرات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونعله وثيابه وقالت : « ما أسرع ما نسيتم سنة نبيكم ! » فقال عثمان فى آل أبى قحافة أسرة عائشة ما قال ، وغضب حتى ما كان يدرى ما يقول »[2] هـ .

هذا ما كان من آثارها ، ودع لنفسك أن تقدر ما يبلغ مثل ذلك من نفوس الناس ، وهم حينئذ أولو الحمية للاسلام ، وأقرب الناس عهداً بالرسول وصاحبيه — كم يبلغ من نفوسهم الوجد على عثمان حين فرّط حتى بلغ السيل الزبى ، وحتى تغير عليه امرأة — ثم لا تكون تلك المرأة إلا أم المؤمنين عائشة : ترفع عليه فى المسجد صوتها وتبرز للمسلمين نعل الرسول مرة ، وشعره مرة ، وثوبه مرة ، تنصبه فى حجرتها وتقول للداخلين عليها : « هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَبلَ ، وقد أبلى عثمان سنته » . وكان عثمان مرة يخطب فدلّت عائشة قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت : « يا معشر المسلمين ! هذا جلباب رسول الله لم يبل ، وقد أبلى عثمان سنته » . فقال عثمان : « رب اصرف عنى كيدهن ، إن كيدهن عظيم ! »[1] .

إن الأثر الذى أثرته فى قلوب الناس لجد بليغ . ولست أغلو إن قلت : إن هذا التغير فى النفوس يكمن ؛ ثم هو لا يزداد على الأيام إلا شدة . وهذا يفسر لنا بجلاء سبب تقاعس أهل المدينة عن نصرة عثمان حين حزبه الأمر واغتاله أهل الأمصار .

وزعم بعض الرواة أنها أول من سمته (نعثلاً) و (نعثل) اسم يهودى أو نصرانى طويل اللحية، لقب به عثمان تشبيهاً له به. وأنها كانت تقول : «إقتلوا نعثلاً . قتل الله نعثلاً» . وكان الناس يسبون عثمان حول فسطاط عائشة بمكة ، وعثمان يمر ، ولم ترث السيدة له ولم تغير شيئاً .

ولقد تضافرت روايات من طرق مختلفة على سعى عائشة على عثمان . ولما آلت الخلافة إلى على ونهضت هى تطالب بدمه . قال لها عمار : «أنت بالأمس تحرضين عليه واليوم تبكين عليه !» وقال لها ابن أم كلاب : « والله إن أول من أمال حرفه لأنت ، ولقد كنت تقولين : اقتلوا نعثلاً فقد كفر » .

وإذا علمت أن أشد الناس على عثمان — وهو طلحة — يرجو أن تكون إليه الخلافة بعده ، وأن طلحة ابن عم أبى بكر (رحمه الله) ، وأمعنت فى الحوادث التى حفت بهذا العهد، وجالت بنفسك الخواطر، وجدت فى رواية الطبرى الآتية (وهى مصنوعة باتقان) حل المسألة فاسترحت إليه :

« خرج ابن عباس إلى موسم الحج بكتاب عثمان ، فمر بعائشة فى (الصُلصُل) فقالت : (يابن عباس أنشدك الله فقد أعطيت

(١) الحادثة مشهورة ، وقد تركنا من التفاصيل كل ما ليس له علاقة صميمة بموضوعنا . فليرجع القارئ إلى كتب التاريخ فى كل ما يمر به من إشارات فى هذا المقال . (٢) ٥ : ٢٠٥

(١) اليعقوبى ٢ : ٢٠٣

لساناً إزبلاً (نشيطاً) أن تخذّل عن هذا الرجل وأن تشكك فيه الناس ، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار ، وتحلبوا من البلدان لأمر قد حُمّ . وقد رأيت طلحة بن عبيد الله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن المفاتيح ، فإن يلِ يسرْ بسيرة ابن عمه أبي بكر) . فقال ابن عباس : (يا أمه ، لو حدث بالرجل (يعني عثمان) حدث ، ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا (يعني علياً) . فقالت عائشة وقد يئست منه : (إيها عنك ، لست أريد مكابرتك ومجالدتك) » . اه

وعلى هذا تكون السيدة لم تكتف بزعزعة مركز عثمان ، بل تطمح إلى فرض رأيها في تنصيب الخلفاء أيضاً

وزعم ابن أبي الحديد أن عائشة لما بلغها قتل عثمان قالت : « بعداً لنعثل وسحقاً ! أبعده الله ، ذلك بما قدمت يداه » وكانت تطمع أن يكون الأمر إلى طلحة وتقول : « إيه ذا الإصبع (تعني طلحة لأن إصبعه شلاء) إيه أبا شبل ، إيه يا ابن عم ! لكأني أنظر إلى إصبعه وهو يبايع ، حثوا الإبل ، لله أبوك ، أما إنهم وجدوا طلحة كفواً ...) ولما بلغها بيعة علي قالت : « تعسوا ، تعسوا ، لا يردون الأمر في تيم (قومها وقوم طلحة) أبداً ... » ثم أمرت برد ركابها إلى مكة وتقول : « قتلوا ابن عفان مظلوماً » فقال لها قيس بن أبي خازم : « يا أم المؤمنين ألم أسمعك آنفاً تقولين : أبعده الله ؟ وقد رأيتك قبلُ أشد الناس عليه وأقبحهم رأياً فيه ! » فقالت : « لقد كان ذلك ، ولكني نظرت في أمره ، وأمرهم فرأيتهم استتابوه ، حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً في شهر حرام فقتلوه[1] » اه

وهي رواية أسخف من التي تسربت إلى الطبري رحمه الله . وهذا موضوع لفق له بعض الناس من الأخبار ما يرضي أهواءهم على ما نرى اليوم من عمل الأحزاب السياسية . بل إن بعضهم كان يتعبّد بوضع الروايات التي تنصر صاحبه وتدين خصمه . وما نسب إلى السيدة — في رواية ابن أبي الحديد خاصة — لا يصدر عن الأطفال ، بله من كان في مثل عقل السيدة ودينها وحصافتها

سعيد الأفغاني



(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ٧٦

د . هـ . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدى

٢ — نبذة من حياته

كان الأبوان على طرفى نقيض . ولقد كان لذلك كل الأثر على حياة لورنس الأولى وبعضه على الجزء الثانى منها ، فضلاً عن أن هذا الاختلاف هو الذى طبع أولى كتبه بطابع خاص

فبينما كان الأب لا يكاد يجيد القراءة والكتابة إذا بالأم وقد نالت حظاً وافراً من التعليم . وبينما كان الأب يعمل كعامل بسيط فى أحد المناجم إذا بالأم تنحدر من سلالة أسرة عريقة فى المجد والنبل . ولكن كان الأب وسيم الشكل تبدو عليه كل أمارات الرجولة . يفخر دائماً أن الموسى لم تمس لحيته فى يوم من الأيام . وكان هذا مما جذب الأم وأوقعها فى حب الأب برغم ما بين طبقتيهما من فوارق. وكان كل منهما يرى فى هذه الزيجة مالا يراه الآخر ، فكانت للأب وسيلة حصل بها على زوجة شابة فتانة . أما الأم فكانت ترى فيها سبباً فى زجها فى بيئة لم تتعودها أو تألفها طول حياتها. وكانت نظرتاهما إلى مستقبل أولادهما أبعد ما تكون عن الاتفاق، فاقترح الأب أن يذهب الأولاد إلى العمل فى المناجم بينما تخدم البنات فى البيوت، وهذا ما حاربته الأم بكل قواها ، لأنها كانت تربأ أن يعيش الأولاد عيشة أبيهم أو أن تحيا البنات حياة أمهن البائسة

ظل هذا النضال قائماً بين الأب والأم حتى أتت الأطفال فأولتهم الأم كل عنايتها وصاروا سلوتها الوحيدة فعاشت لهم ومن أجلهم . أما الأب فقد شعر أن عاطفة زوجته كانت منصبة على الأطفال دونه ، فصار لا يرتاح إلى البقاء طويلاً فى المنزل ، وأصبح يفضل عليه المقاهى والحانات حيث يجتمع بمن هم على شاكلته وبمن يفهمهم ويفهمونه حتى أتى الوقت الذى صارت له فيه الحانة منزلاً ثانياً . كانت زوجته تمد له طعامه وتنتظر الساعات الطوال حتى يحضر قبيل طلوع الفجر وهو ثمل لا يكاد يعى كلمة مما يقول ، حتى إذا عاتبته أو أنبته بكلمة أو عبارة انقلب وحشاً ضارياً وعاملها بمنتهى القسوة حتى إنه لم يتورع مرة أن قذفها بأحد الأدراج فشج رأسها

كان « أرنست » أول أطفالها وقد صوره لورنس صورة ناطقة فى روايته « الأبناء والمحبون » تحت اسم ويليام . كان متفوقاً على كل إخوانه فى المدرسة وكان لا يضيع دقيقة من وقته ، فكان يدرس اللغات فى بعض المدارس الليلية فى أوقات فراغه ، وبهذه الطريقة حصل على وظيفة رفيعة فى إحدى شركات الملاحة بلندن . وكان المستقبل يبدو أمامه زاهراً ، حتى عاجلته المنية وهو لا يزال فى العقد الثانى من عمره ، فكان موته ضربة قاضية على قلب الأم ، حتى كانت ما تفتأ تكرر مقدار شوقها إلى ذلك اليوم الذى تموت فيه حتى تقابل أرنست

بعد أرنست أتت إميلى ثم أدا ، وأخيراً دافيد هربرت لورنس فى ١١ سبتمبر سنة ١٨٨٥ . وكان فى طفولته لا يميل إلى الألعاب التى كان يغرم بها من هم فى سنه لأنها كانت من ابتكار غيره ، وكان يفضل عليها الألعاب التى يبتكرها هو ، لأنه ما كان يكره شيئاً قدر كراهيته للتقليد . ولما بلغ السادسة عشرة تعرف إلى عائلة تشمبرز حيث قابل حبيبته الأولى التى وصفها فى كتابه « الأبناء والمحبون » تحت اسم ميريام . جذبته الفتاة بعينيها العسليتين الواسعتين ، وشعرها الأسود المموج ، وميلها إلى الرزانة والجد على خلاف بنات حيها ، فضلاً عن أنها كانت توليه أذناً صاغية عند ما يتكلم معها عن آرائه الغريبة . لذلك كانت زياراته لبيت حبيبته تزداد يوماً بعد يوم لدرجة أقلقت بال الأم وأقضت مضجعها حتى إنها لم تتمالك نفسها ذات يوم أن قالت له فى تهكم وغيظ : إن الأولى به أن يجمع ملابسه ليقيم مع حبيبته دواماً .

وعلى رغم أن لورنس لم يعترف لحبيبته بحبه لها فى صراحة إلا أنه كثيراً ما كان يردد نظريته التى تقول : إن كل عظيم خلقته امرأة ؛ وأنه كان يرى فيها المرأة التى سوف تخلق عظمته . ولكن كان لورنس حساس القلب إلى أقصى درجات الحساسية لم يفته ما عانته الأم المسكينة من زوجها القاسى فتعلق قلبه بأمه وفاض بحبها ، وعلى العكس من ذلك كان شعوره تجاه أبيه . وقد بادلته أمه حباً بحب حتى تعوض ما فاتها من حب زوجها . ولقد كان هذا الحب

هو علة لورنس الأولى وداؤه الذى ذاق من أجله الأمرين ، ولكنه فى الوقت نفسه كان سبباً فى توجيه تفكيره إلى درس موضوع لم يسبقه إليه أحد. كان لورنس يشعر فى قلبه بحبين يتنازع أحدهما الآخر ويعمل على استئصاله ، وكان كل منهما من القوة بحيث بات لورنس ضحيتهما ردحاً من الزمن . فهو يحب أمه ، وفى الوقت نفسه يحب ميريام . ولما كان حبه لأمه هو أول حب طرق قلبه فقد كانت حاجته شديدة إلى امرأة تحبه حباً قوياً جارفاً يخلصه من الأغلال التى كان يرسف فيها ، ولكن للأسف كان حب ميريام من ذلك النوع الروحى مما كان سبباً فى تغلب الأم فى النهاية.

وكانت ميريام قد أرسلت خمساً من قصائده إلى أحد الناشرين فنشرها له، وشجعه هذا على أن يرسل إليه أولى رواياته « الطاووس الأبيض » وقد ظهرت الرواية فى يناير سنة ١٩١١ أى بعد وفاة أمه بشهر واحد .

وبموت أمه وفشل حبه ينتهى الجزء الأول من حياة لورنس

وفى أحد أيام ابريل من عام ١٩١٢ قصد لورنس إلى منزل الأستاذ أرنست ويكلى كى يتوسط له لدى إحدى الجامعات الألمانية بغية الحصول على إحدى وظائف التدريس بها . وفى هذه المقابلة الأولى وقع لورنس فى حب زوجة الأستاذ الألمانية. ولدهشته شعر أنها قد بادلته حباً بحب فكتب إليها يبثها غرامه ويطلب منها أن تطلع زوجها على ما بينهما فلم تتردد أن تفعل ذلك برغم شدة تعلق زوجها بها وبرغم أنها قد أنجبت منه ثلاثة أطفال

سافرت فريدا بعد ذلك مع لورنس إلى متز حيث قابل لورنس والدها البارون فون رتشتوفن حاكم الألزاس واللورين بعد الحرب البروسية ، وكانت مقابلة جافة بين الأب الأرستقراطى وبين لورنس الذى ينحدر من طبقة الدهماء . بعد ذلك سافر لورنس وحده إلى أرض الرين. ثم قابلته هى فى ميونيخ، وهناك تحت سفح جبال الألب وعلى ضفاف نهر الإيزر بدأ حياتهما معاً . ومن هناك ذهبا إلى بحيرة جاردا حيث نقح روايته « الأبناء والمحبون » ثم أرسلها إلى أحد الناشرين فردها هذا إليه ثانية بحجة أنها أقذر كتاب وقعت عين الناشر عليه . ومن غريب الأمر أن الرواية نفسها نالت تقريظ الكتّاب بعد نشرها وأجمعوا على أنها من أروع ما كتب فى الأدب الإنجليزى . وفى هذا المكان كتب « الشفق فى إيطاليا » وكذلك مجموعة من أشهر قصائده

وعادا إلى لندن دون أن يمكثا بها طويلاً . فذهبا إلى بافاريا حيث كتب لورنس قصة « الضابط البروسى » التى تنبأ فيها بالحرب العظمى مع أنه كتبها عام ١٩١٣

وفى الشتاء التالى ذهبا إلى إيطاليا حيث كتب روايته « قوس قزح » وأرسلها إلى جارنت — أحد الناشرين — فلم تصادف هوى فى نفسه . فكان يأس لورنس لا يوصف ، لأنه كان يعتقد أنه إنما يحاول أن يعلم الناس كيف يعيشون فكان ينتظر منهم الحمد والثناء فلم يجد سوى الجحود والنكران

وفى ربيع عام ١٩١٤ ذهبا إلى لندن حيث عقدا زواجهما وتعرفا هناك إلى الشاعر الشاب روبرت بروك الذى راح ضحية الحرب . وكان لورنس من أعدى أعداء الحرب لا ينى عن مهاجمة مبدئها وإظهار سخطه عليها . وفى ذلك الوقت ظهرت روايته « قوس قزح » فقال الناس عن كاتبها إنه مجنون يشكو من عقدة جنسية ، وأمرت الحكومة بمصادرة الكتاب وإحراق كل النسخ التى ظهرت منه ، وحتى أصدقاؤه الذين كان ينتظر منهم أن يؤازروه فى محنته ويقفوا إلى جواره انفضوا من حوله وانهالوا عليه نقداً وتجريحاً . عند ذلك أقسم لورنس أنه لن يكتب رواية أخرى بعد ذلك ، وقد بر بقسمه خمس سنوات ، وكان يعتقد أنه رجل سابق لعصره ، يراه الناس بعيداً عنهم فيبدو فى نظرهم صغير الجسم ضئيل الحجم ، ولو أنهم أوسعوا خطاهم واقتربوا منه لرأوا فيه رجلاً أعظم منهم وأكبر حجماً

وذهب بعد ذلك إلى مقاطعة كورنوول يقضى بها سنى الحرب، ولكن كانت زوجته الألمانية سبباً فى خلق كثير من الصعاب فى طريقهما فظن مواطنوه أنه يتجسس للألمان فكانوا يقتحمون منزله كل يوم ويقلبون أثاثه ويبعثرون أوراقه حتى يتأكدوا من حسن نياته . وحدث مرة أن كان عائداً مع زوجته وهو يحمل حقيبة على ظهره ، فلم يكد يراه حرس السواحل حتى انقضوا عليه بحجة أنه يحمل آلة تصوير فى الحقيبة ، وتسابقوا إلى فتحها ولخيبتهم لم يجدوا بها سوى رغيف من الخبز. وكان لورنس يصبر على كل هذه المكاره على مضض حتى زاره ضابط فى منزله ذات يوم وقرأ عليه أمراً حكومياً يقضى بأن يغادر مقاطعة كورنوول

فى بحر ثلاثة أيام على الأكثر . استشاط لورنس غضباً عند سماع هذا الاتهام الصريح فى أعز شىء لديه ، فهو الذى كان يفنى نفسه حتى يرفع من شأن مواطنيه ويدلهم على طريق الحياة الصحيح ويعلمهم مالا يعلمون ، ثم يتهم فى وطنيته وانجليزيته ، كانت هذه أقسى ما ناله من الطعنات

وصل لورنس إلى لندن إبان شن الغارات الألمانية الجوية عليها فكان جميع أهل لندن يلجأون إلى الأقبية والمخابئ فراراً من هذه الغارات ، ماعدا لورنس الذى كان يرفض أن يترك فراشه أثناءها

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها ذهب وزوجته إلى فلورنسه ومنها إلى جزيرة كابرى حيث كتب مجموعة قصائده المسماة « الطيور والحيوان والزهور » وكتب كذلك روايته « الفتاة المفقودة » وأخيراً كتب الكتاب الذى لم يغير فيه حرفاً واحداً وهو « البحر وسردينيا »

ثم ذهبا بعد ذلك إلى استراليا واستقلا القطار من سدنى على أن ينزلا فى أية مدينة يروقهما منظرها من نافذة القطار . فنزلا فى ثيرول حيث كتب روايته الشهيرة « القنغر » التى ضمنها كل آرائه فى استراليا وما لاقاه فى كورنوول من اضطهاد أثناء الحرب العظمى .

وهناك وصلته دعوة من مابل رودج للذهاب إلى تيوس فى المكسيك كى يتعرف إلى الهنود الحمر الذين كثيراً ما كان يظهر إعجابه بهم . فلم يتردد فى قبول الدعوة ، وكان هناك بعد وقت قصير . ثم انتقل من تيوس إلى مدينة المكسيك على أثر خلاف قام بينه وبين مابل رودج . وعلى بحيرة تشبالا كتب روايته الفلسفية « الثعبان ذو الريش » وفى الخريف التالى كتب « الصباح فى المكسيك »

ثم اشتدت عليه وطأة المرض فجأة ، ولما عاده الطبيب قرر أنه مريض بذات الرئة وفى الدرجة الثالثة . ولكن لم يمنعه هذا أن يكتب وهو مريض مسرحيته المسماة « داوود » وقصته الطويلة « المرأة التى رحلت »

وفى الصيف التالى عاد إلى أوربا واستأجر فيللا بالقرب من جنوا ، وكان وهو فى فلورنسا قد كتب رواية أسماها « عشيق لادى تشاترلى » ولكنه تركها مهملة فى أحد أدراج مكتبه خشية أن تثير عليه ضجة من جديد ، لأنه كان فيها صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة . ثم قر رأيه أخيراً أن يخرجها إلى عالم الوجود . فأرسلها إلى أحد الناشرين فردها إليه مظهراً استهجانه لما جاء بها ثم أرسلها لورنس إلى آخر فرفضها هـذا بشدة . وأخيراً لم ير لورنس بداً من أن يأخذها إلى مطبعة إيطالية لا يعرف صاحبها من الانجليزية حرفاً واحداً . فوافق هذا على طبعها دون أن يدرى مما يطبع كلمة واحدة . وظهر الكتاب عام ١٩٢٨ ولكنه صودر لتوه . وفى العام التالى صودرت أيضاً مجموعة قصائد له . وزاد الطين بلة أن بلغه خبر مداهمة البوليس لمعرض صوره فى لندن ، وتحطيم جل صوره . فزادت وطأة المرض عليه ونقل إلى مصحة فى فنس vence حيث التف حوله كل أصدقائه يبذلون قصارى جهدهم لإنقاذه ، ومن بين هؤلاء الأصدقاء عائلة بروستر وهكسلى وإيدا رانه و هـ . ج . ويلز وأغا خان وزوجته . ثم نقلوه بعد ذلك إلى فيللا على مقربة من المصحة ، ولكن كان قد سبق السيف العذل ، فما كاد يصل إلى هذه الفيلا حتى ساءت حاله وفاضت روحه إلى بارئها فى اليوم الثانى من شهر مارس سنة ١٩٣٠

« يتبع »

عبد الحميد حمدى
مدرس بشبرا الثانوية
خريج جامعة اكستر بانجلترا

التاريخ في سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصري الفلاح وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولقد ارتخص هؤلاء الساسة من دعاة المدنية الناقمين على أهل الشرق ما كانوا فيه من تأخر، كل كرامة بغية الوصول إلى أغراضهم، وانقلبت عندهم الأوضاع التي تعارف الناس عليها ، وشهد التاريخ على مسرح السياسة من المضحكات ما يبكي ، ومن المبكيات ما يضحك ؛ فلقد عز على هؤلاء السادة الذين راحوا يُدلون بمدنيتهم ويتطاولون بما فعلوا في سبيل حرية الإنسان أن يروا أهل مصر ينزعون حقاً إلى الحرية ، ويعملون على الرقي بوطنهم جادين غير متوانين ، يتعاونون على الحق ويتناسون ما بينهم من دواعي الخلاف ، ويطرحون الأثرة بل ويحرمون على أنفسهم الطيبات حتى يتم لهم ما أرادوا

وذعر هؤلاء الكائدون لمصر الطامعون فيها أن أفاق أهلها على هذا النحو وقد كانوا يظنونهم أمواتاً أو كالأموات ، وهالهم أن يروا فريقاً من هؤلاء الفلاحين يستلبون سلطة الخديو تدريجياً ويحاولون أن يضعوا أنفسهم بحيث تكون الأمة وهم نائبون عنها مصدر كل سلطان ، وأدركوا أن هذا البعث الذي أفاقت عليه مصر من نومها الطويل هو الصبح الذي يهتك أسدالهم ويبدد آمالهم، فما ونوا يوماً كما بينا عن محاربة مصر وزعماء مصر ورميهم بكل فاحشة، وفي مقدمة هؤلاء جميعاً ذلك الرجل الذي خطا نحو الحرية الخطوة الأولى وصرخ في وجه الظلم الصرخة الأولى ...

ولم ير هؤلاء لوزارة البارودي حسنة واحدة . وكيف كانوا يرون لها حسنة ووجودها في الحكم كان في ذاته عندهم أقبح السيئات وأكبر الأوزار ، وإنهم ليفترون الكذب عليها وينسبون إليها من السيئات والأخطاء ما ليس لها به من علم

ولكن هذه الوزارة — وتلك عندي أكبر حسناتها — كانت لا تعبأ بما يرجف المبطلون فتمشي إلى غايتها على الشوك وقد عقد أعضاؤها النية على إنقاذ بلادهم من طمع الطامعين وكيد الكائدين، وعلى تمهدها بضروب الإصلاح في شتى مرافقها حتى تقوى فتعز على كل باغ ظلوم من خصومها

وما كان في الوزارة من عوامل الضعف سوى جهل رئيسها وأعضائها باللغات الأوربية، إلا وزير الخارجية مصطفى فهمي باشا؛ ولقد ضم إلى الوزارة ليكون لسانها في الصلة بالأوربيين ، ولكنه كان من رجال العهد القديم على حد تعبير مؤرخي الثورة الفرنسية، فلم يكن ينظر إلى الوطنيين نظرة الاحترام والتقدير، وإنما كان يرى فيهم فريقاً من الفلاحين يتطلعون إلى ما ليسوا أهلاً له، شأنه في ذلك شأن الجراكسة وأشباههم من سادات مصر وكبرائها في ذلك العهد.

وعلى ذلك فقد كان وجود هذا الرجل في وزارة الخارجية عبئاً يضاف إلى أعباء الوزارة، وذلك أمر لم تفطن إليه إلا بعد فوات الوقت

وفيما عدا ذلك كانت وزارة البارودي وزارة وطنية حقاً تعمل صادقة مؤمنة على تحقيق آمال البلاد والنهوض بها على الرغم مما كان يحيط بها من دسائس وما كان يملأ أسماع رجالها من نباح وعواء

انتهى دور انعقاد مجلس النواب في ٢٦ مارس فقضى بذلك في العمل نحو ثلاثة أشهر وهي مدة وجيزة كان يشغل بال الأعضاء فيها ترتيب أعمالهم ، ولكن المجلس على الرغم من ذلك قد قسم أعضاءه إلى لجان مختلفة أخذت تتصل بالوزارات وتبحث معها الشؤون العامة التي تهم البلاد ، وجدّ المجلس في دراسة نصوص المعاهدات والعاقدات العامة والخاصة المبرمة بين الحكومة المصرية والحكومات الأجنبية ورعاياها

وأخذت الوزارات تعد مشروعات الأصلاح المختلفة لعرضها على المجلس فى دور انعقاده القادم ؛ فكانت تنظر فيما يتطلبه التعليم وتفكر فى إنشاء مصرف زراعى ينتشل الفلاحين من وهدتهم ، وتعمل على إصلاح المحاكم المختلطة واختصاصاتها كما تناولت قانون الانتخاب وراحت تدرسه لتمد قانوناً جديداً يجمل للمحكومين الرقابة الفعلية على الحاكمين

ولكن حدث أنه كانت كلما تقدمت الوزارة فى خطى اصلاحاتها ازدادت لهجة الصحف الأوروبية فى العيب عليها والطعن فيها ، واشتدت وطأة الساسة فى نقد أعمالها ، وتزايدت دسائسهم من حولها ، وعلى رأس هؤلاء كالفن ومالت اللذان أدركا الآن ، أو على الأصح وُجِّها ، إلى أن مهمتهما فى مصر أصبحت استعجال الحوادث تمهيداً للتدخل العسكرى

« وقد جد عرابى بنوع خاص فى إصلاح نظارته التى كانت فى منتهى الفوضى والخراب وذلك ليستعد للطوارئ كلها فأظهر همة فائقة فى إصلاح حصون السواحل ونظم احتياطى المدفعية ووزعه على تلك الحصون[1] »

والحقيقة التى لا يمارى فيها إلا المغرضون المبطلون أن البلاد كانت تشيع فيها روح الوطنية الصادقة التى تبرهن على صدقها بالأعمال لا بالأقوال. ولو أنه قدر للوزارة السامية أن تسير على هذا النهج لكان أثرها بعيداً فى تاريخ مصر بل وفى تاريخ القرن التاسع عشر كله ، فلقد كانت المسألة المصرية تعتبر من كبريات المسائل فى ذلك القرن

وليس أدل على وجود الروح الوطنية فى مصر يومئذ من هاتين العبارتين اللتين نوردهما فى هذا المجال ، وأولاهما ما كتبه دى فريسنيه فى كتابه « المسألة المصرية » حيث يقول فى تعليقه على مجلس النواب واختصاصاته : « إن كتاب ذلك العصر اجتهدوا فى أن يسخروا من طلب الذين كانوا يطلبون توسيع اختصاص المجلس ، حتى ليخيل إلى الذى يقرأ خطابات بعض الخطباء أن الوطنية المصرية كانت فى ذلك الوقت تلفيقاً ، وأن وادى النيل لم يكن يحتوى إلا على فلاحين تحنى العصا ظهورهم . فكل ما نرد به على هؤلاء الكتاب والخطباء ، هو أن آباءنا كانوا أقل من هذا امتهاناً للوطنية المصرية فى عهدهم ؛ وذلك أن نوابنا فى سنة ١٨٤٠ لم يترددوا فى أن يتكلموا فى خطبهم عن الرعاية الواجبة للوطنية المصرية الناشئة . فقد كانت هناك إذاً وطنية مصرية ناشئة تستحق الرعاية فى سنة ١٨٤٠ . ولست فى هذا مبالغاً ، ولا أنا ممن يحبون المبالغة، ولكن لا ريب فى أنه كانت توجد فى قلوب المصريين من أربعين سنة مضت مطامح كان من الممكن أن تراعى فى حدود معتدلة . تلك حقيقة لا تحتمل جدلاً ؛ غير أن الذين كانوا يقبضون على حظ مصر لم يكونوا يرون فى المصريين غير قوم مدينين . فلم يكونوا يعرفون فى معاملتهم إلا مصلحة واحدة : هى مصلحة الدائنين الأوربيين التى يجب أن تقدم على ما عداها . وبذلك لم ينتبهوا إلى أن مثابرتهم على اعتبار مصر رهنا ، وتدخلهم فى شؤونها تدخلاً أدى بحكومتها إلى أن تصير فى أيدى الأجانب ، كانا قد انتهيا على طول الأيام بأن يجرحا شعور الشعب المصرى الذى هو شعب حى مهما يقل القائلون فى تعوده الطاعة والخضوع من أجيال » .

وأما ثانية العبارتين فهى ما كتبه من باريس سنت هيلير إلى قنصل فرنسا العام فى مصر فى ١٧ أكتوبر سنة ١٨٨١ قال : « ليس من السهل علينا أن نقدر من هنا قوة هذه المطامح الشرعية ولا كيف يمكن إرضاؤها ، ولكن هذه المطامح حقيقية إلى أعظم حد، ومبررة من بعض الوجوه إلى أعظم حد أيضاً، فلا يمكن إهمالها ولا يمكن على الخصوص التفكير فى خنقها[1] »

من هاتين العبارتين يتبين لنا أنه كان فى مصر يومئذ حركة وطنية ، فليتدبر ذلك أيضاً من يريد أن يحكم على رجال ذلك العهد وفى مقدمتهم عرابى ، وليشفق على أنفسهم الذين يرمون عرابياً ورجاله بالفوضى والجهل والأنانية . ليشفق هؤلاء على أنفسهم فلن يجدر بهم أن يظلوا يجهلون تاريخ هذا الرجل فيحملون الذين يعلمون حقيقة هذا التاريخ على الزراية بهم والاستخفاف بعقولهم، إذ ليس أدعى إلى الاستخفاف بعقل رجل من أن تراه يجهل أمراً من الأمور ثم إذا هو يدلى فيه برأى قاطع فى لهجة يتردد فى اتباعها الراسخون فى العلم ...

ما كان عرابى طائشاً ولا داعية فوضى، ولكن كان زعيماً مخلصاً يعمل بوحى من وطنيته ويصيب ويخطئ كما يصيب الزعماء غيره ويخطئون كل على قدر ما اجتمع له من الكفاية والمقدرة ! والخطأ والصواب من خواص البشر ومردهما إلى العقل وسعته أو ضيقه ؛ أما الصدق والإخلاص وما إليهما من صفات الزعامة والبطولة فلا تسامح فيها ولا تهاون ، بل لا يصح أن تكون هذه أموراً يجوز فيها التفاوت إذا عقدت المقارنة بين زعيم وزعيم وبين

(١) المسألة المصرية تعريب العبادي وبدران

(١) العبارتان منقولتان من مقدمة كتاب التاريخ السرى بقلم الأستاذ عبد القادر حمزة

بطل وبطل ! وكيف يجوز فى عقل أن يكون هناك صدق ونصف صدق وإخلاص ونصف إخلاص ؟ إن هذه أمور جلالها وجمالها بل وجوهرها فى أن تكون غير قابلة لزيادة أو نقص ؛ وعلى الذين لا يزالون يخاصمون عرابياً أن يأتوا بدليل واحد على كذبه أو مروقه. أما الخطأ والصواب فليقولوا فيهما ما شاءوا وبيننا وبينهم حوادث هذه الثورة الوطنية على قدر ما وصل إلينا منها ترينا مبلغ ما فى مزاعمهم هم من خطأ أو صواب

زار مستر بلنت قبل سفره إلى انجلترة عرابياً فى وزارة الحربية زيارة وداع ، ويجدر بنا أن نثبت هنا بعض ما كتبه ماليت عن عرابى فى هذه الزيارة قال : « تناقشنا فى كل الموضوعات التى كانت محل الكلام فى الدوائر الوطنية بما فيها من مشروعات للأصلاح وأمان ومخاوف فى الداخل والخارج ، وكانت بضعة الأسابيع التى قضاها عرابى فى مركزه الجديد قد أنضجته وقوته ؛ فناقشنى فى كل الموضوعات برصانة واعتدال عظيمين سواء فى التفكير أو فى اللهجة ! وقد أكد لى أنه هو وزملاؤه الوزراء يرغبون كثيراً فى أن يصلوا إلى تفاهم ودي مع الحكومة البريطانية فى كل المسائل التى يختلفون فيها مع الوكالة البريطانية فى القاهرة، وطلب إلى أن أبلغ رسالته هذه بصفة رسمية إلى غلادستون ! وقد شكا شكوى مرة من كلفن وماليت اللذين ظهر مسلكهما العدائى من الخطة التى جريا عليها فيما يختص بتشويه سمعة الوطنيين فى الصحف البريطانية وقال لى : « إن السلام لا يمكن أن يوطد فى القاهرة ما بقى هذان ، وما بقيت علاقتنا مقصورة عليهما ، فإننا نعرف أنهما يعملان لإيذائنا سراً إن لم يكن جهراً ، وسنقف بمعزل عنهما جميعاً ، ولكننا لا نريد أن نختلف مع انجلترة كرامة لهما . دع المستر غلادستون يرسل لنا أياً كان خلافهما لنتفاهم معه ونحن نستقبله بأذرع مفتوحة[1] »

هذا هو جانب من حديث عرابى مع بلنت نضعه تحت أعين الذين اتهموه بالنزق وعدم التبصر فى عواقب الأمور ليقولوا لنا: هل فيه كلمة واحدة فى غير موضعها ؟ هل يتهدد فيه عرابى الانجليز، ويتوعد كما كان حرياً أن يفعل لو كان كما وصفه أعداؤه؟ إنه يشكو من كلفن وماليت ويطلب غيرهما حتى يتسنى لمصر أن تتفاهم مع انجلترة وإنك لتراه بذلك يلقى تبعة اضطراب السياسة الانجليزية على كاهل هذين الرجلين فيرمى الإنجليز جميعاً رمية ماهرة كيسة فى شخصهما، فهو يعلم أنهما يمثلان نيات حكومتهما، ثم هو يفتح الباب بذلك للتفاهم فلا يدع فى مسلكه مجالاً لأعدائه ؛ كل ذلك دون أن يفرط فى حقوق بلاده أو يشترى بها ثمناً قليلاً وهو الذى جعل خصومه الخيانة فى أوائل ما اتهموه به . « يتبع » الخفيف

(١) التاريخ السرى ترجمة البلاغ

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٦٠ – أرى الدعوات قد صارت فروضا

فى (محاضرات الراغب) : ذكر بعض الكتاب أنه كان يعاشر سوقياً. فاتفق أن دعاه يوماً ، قال: فلما تمكنت اشتغل عنى صاحب الدعوة فعثرت على رقعة بخطه فيها : « فلان دعاني مرتين ودعوته ثلاث مرات فعليه دعوة ، وقد ذكرنا على هذا أسامى كل من يعاشرنا) . فلما انتهيت إلى اسمى فرأيته قد حصل له على دعوات – خرجت وقلت له : لا أتناول طعامك حتى أرد ما على ، وقلت فى ذلك :

أرى الدعوات قدصارت فروضا ... ودينًا فى البرية مستفيضا
فأكره أن أجيب فتى دعانى ... ولا أدعو فيلقانى بغيضا

٤٦١ – لا لباس للرأس ...

قال ابن سعيد فى (المُغرب) : الغالب على أهل الأندلس ترك العمائم ولاسيما فى شرق الأندلس . وقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية حضرة السلطان فى ذلك الأوان وإليه الإشارة وقد خطب له بالملك فى تلك الجهة وهو حاسر الرأس ، وشيبه قد غلب على سواد شعره . وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمة فى شرق منها أو غرب . وابن هود الذى ملك الأندلس فى عصرنا رأيته بجميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة ، وكذلك ابن الأحمر الذى معظم الأندلس الآن فى يده .

٤٦٢ – أخاطب بالتأمير والى منبج

كان البحترىّ مقيماً فى العراق فى خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ، وله الحرمة التامة ، فلما قُتلا رجع إلى مَنْبِج[1] وكان يحتاج للتردد إلى الوالى بسبب مصالح أملاكه ، ويخاطبه بالأمير لحاجته ، ولا تطاوعه نفسه إلى ذلك ، فقال :

مضى جعفرٌ والفتحُ بين مُرَمَّل ... وبين صبيغ بالدماء مضرَّج[1]
أأطلب أنصاراً على الدهر بعد ما ... ثوى منهما فى الترب أوسى وخزرجى[2] ؟
مضوا أمماً ، قصداً ، وخُلّفتُ بعدهم ... أخاطب بالتأمير والىَ مَنْبِج[3] !

٤٦٣ – شكوى فى الصحف

لما اشتد بلاء عبد الرحمن بن أم الحكم على أهل الكوفة قال عبدالله بن همام السلولى شعراً ، وكتبه فى رقاع ، وطرحها فى مسجد الكوفة :

ألا أبلغْ معاوية بن صخر ... فقد خرب السواد فلا سوادا[4] !
أرى العمال قد جاروا علينا ... بعاجل نفعهم ظلموا العبادا !
فهل لك أن تدارك ما لدينا ... وتدفع عن رعيتك الفسادا[5] ؟
وتعزل تابعاً أبداً هواه ... يخرب من بلادته البلادا !
إذا ما قلت أقصر عن هواه ... تمادى فى ضلالته وزادا !

فبلغ الشمر معاوية فعزله .

٤٦٤ – فأين الرعاية والتذمم ؟

(شرح النهج) لابن أبى الحديد : قال عمر لرجل همّ بطلاق امرأته : لمَ تطلقها ؟ قال : لا أحبها !

قال : أوَ كلّ البيوت بُنيت على الحب ، فأين الرعاية والتذمم[6] ؟؟!!

---

(١) منبج من كور قنسرين ، بينها وبين حلب عشرة فراسخ ، وإلى الفرات ثلاثة فراسخ

(١) مرمل بالدم : ملطخ به

(٢) أوسى وخزرجى : أنصارى

(٣) الأمم : البين من الأمر ، أمر بنى فلان أمم أى بين لم يجاوز القدر (التاج ، اللسان) هو على القصد ، وعلى قصد السبيل إذا كان راشداً ، وله طريق قصد خلاف قولهم جور (الأساس)

(٤) خرجوا إلى سواد المدينة وهو ما حولها من القرى والريف ومنه سواد العراق لما بين البصرة والكوفة من قراها (الأساس) العرب تسمى الأخضر أسود لأنه يري كذلك على بعد ، ومنه سواد العراق لخضرة أشجاره وزروعه (المصباح)

(٥) تدارك : تتدارك ، حذف التاء كثير

(٦) من خلال المكارم التذمم للصاحب، هو أن يحفظ ذمامه ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه (التاج) تذمم : استنكف ، يقال : لو لم أترك الكذب تأثماً لتركته تذمماً (الصحاح)

٤٦٥ — دعوه قبل ألا ننتفع به

(محاسن البيهقي) : ابن مهروع عن أبيه : كنت أسير في موكب يحيى بن خالد . فعرض له رجل من العامة ، ومعه كتاب فقال : أصلح الله الأمير ! إختم لي هذا الكتاب . فبادر إليه الشاكرية[1] يزجرونه من حواشي موكبه . فقال : دعوه قبل ألاَّ ننتفع به (يعني خاتمه) واستدناه فختمه له ، وتعجب مسايروه من اغتنامه المعروف ، وعلمه بأفعال الرجال[2] .

٤٦٦ — التوءمون العراقيون

في (الحوادث الجامعة في المئة السابعة) لابن الفوطي : في سنة (٦٤٥) ولدت امرأة فقيرة أربعة في بطن ، فشاع ذلك وأنهى خبرها إلى الخليفة ، فأمر بإحضار الأولاد ، فأحضروا في جونة ، فتعجب من ذلك ، وأمر لهم بست مائة دينار وثياب ، وكانت المرأة وزوجها في غاية من الفقر لا يملكان حصيراً !

***

قلت : نعش خليفة ذلك العصر التوءمين العراقيين نعشاً عظيما وقد أخبرتنا الصحف في هذه الأيام أن كندية أمريكية قذفت بتوءمات خمس ، فكفلتهن الدولة كفالة بليغة ، ووظفت للناجلين في كل شهر وظيفة ، وقد أمست مدينتهن بهن محجا ، وأخبارهن في صحف العالمين مستفيضة . ولما زار ملكا البريطانيين ذلك الإقليم في هذا الوقت شاهداهن وناغياهن ، وتعجبا من التوءمات تعجب آخر الخلفاء في بغداد من التوءمين

٤٦٧ — اخوا روحاً وجسداً

في (شذرات الذهب) : في سنة (٣٥٢) بعث صاحب أرمينية إلى ناصر الدولة رجلين ملتصقين خلقة من جانب واحد فويق الحقو (الخاصرة) إلى دون الإبط ولدا كذلك ، ولهما بطنان وسرتان وممدتان ، ولم يمكن فصلهما[3] ، وكان ربما يقع

(١) الشاكرى: الأجير والمستخدم وهو معرب چاكر (القاموس)

(٢) في الوفيات : قال الحسن بن سهل : من غيرته الولاية لاخوانه علمنا أن الولاية أكبر منه ، أخذنا ذلك من صاحب ديوان المكارم أبي علي يحيى بن خالد بن برمك

(٣) قلت : لو كانا في هذا العصر لفرق العلم والحضارة الأوربية بين الأخوين …

بينهما تشاجر فيختصمان ، ويحلف أحدهما لا يكلم الآخر أياماً ثم يصطلحان ، فمات أحدهما قبل الآخر فلحق الحي الغم من نتن الرائحة فمات

٤٦٨ — ودنيا تناديك أن ليس حر

ابن مقلة :

زمانٌ يمرُّ ، وعيشٌ يمرُّ ودهرٌ يكرُّ بما لا يسرُّ !
وحالٌ يذوبُ ، وهَمٌّ ينوبُ ودنيا تُناديك أن ليس حرُّ !!

٤٦٩ — صحبة الأكابر تورث السلامة

حكي عن الشيخ العارف أبي العباس المرسي أن امرأة قالت له : كان عندنا قمح مسوس فطحناه فطحن السوس معه ، وكان عندنا فول مسوس فدششناه[1] فخرج السوس حيّا

فقال لها : صحبة الأكابر[2] تورث السلامة

٤٧٠ — من قبل أوربس

قال ياقوت : من عجيب ما مر بي من الكذب حكاية أوردها غرس النعمة قال : كان لوالدي تاجر يعرف بأبي طالب ، وكان معروفاً بالكذب . فأذكر وقد حكى في مجلسه والناس حضور عنده أنه كان في معسكر محمود بن سبكتكين صاحب خراسان ببخارا[3] معه ، وقد جاء من البرد أمر عظيم ، وأن الناس كانوا ينزلون في المعسكر ، فلا يسمع لهم صوت ولا حديث ولا حركة ؛ حتى ضربُ الطبل في أوقات الصلوات . فإذا أصبح الناس وطلعت الشمس وحميت ذاب ذلك الكلام ؛ فسُمعت الأصوات الجامدة منذ أمس من أصوات الطبول والبوقات[4] ، وحديث الناس ، وصهيل الخيول ، ونهيق الحمير ، ورغاء الإبل …

(١) الدش مثل الجش ، والدشيشة لغة في الجشيشة . جش الحب طحنه طحنا غليظا جريشا ، والدشاش من يرض الحبوب ، ويقال : حب مدشوش (اللسان ، التاج)

(٢) يعني الشيخ بالأكابر الفضلاء العلماء والكرام العظماء لا الأغنياء اللؤماء أو الأمراء السفهاء أو عمال السلطان غير الطيبين الصادقين الأمناء

(٣) يكتبها بعضهم بالألف لأن أصلها بخاراء بالمد .

(٤) البوق : هو الذي يزمر فيه ، وذكر الشهاب في العناية أنه معرب بورى ، وأنشد الأصمعي : زمر النصارى زمرت في البوق (التاج) . قال أبو الفتح : عاب على المتنبي من لا خبرة له بكلام العرب جمع بوق على بوقات

وحي الشاعرية

نفسيات

للأستاذ حسن القاياتي

خطرات لاهٍ في تفجّع باكِ — لا راحمٌ ألمي ولا أنا شاكِ
كيف الصدود عن ابتسامة واجدٍ — خُضبت بدمع الناظر السّفاكِ؟
آسٍ كما أعطشتَ ورد خميلةٍ — فمها إليك بثغره الضحّاكِ
اللاعج البسّام تُرمض ناره — في الخد مشْني النور في الأسلاكِ
دهري متى يُوحى إلى أفلاكه — ألّا نباح لدورة الأفلاكِ ؟
حرٌّ كوردات القفار مُضيَّعٌ — لا النُّبل سادَ ولا الأريجُ الذاكي
ياصبوة ما كنتُ أصدُق وصفَها — إلا كما صدق الصبابة (حاكي)
رقّ الشباب على حُلة ناسكٍ — طرّزتُها بحلاوة الفُتّاكِ
مُلكُ الجمال على رشاقة جوره — كم رُعتُهُ بتصلُّف الأملاكِ
أقني لدى الحسن الحياء فأنثني — والحسنُ حظ اللاهج الفتاكِ

* * *

أهلاً بكاسيةِ الدلال بشاشةً — هات الحديث عن الصدود وهاكِ
تيهي كما أمرَ الدلالُ فإنه — أغرى فؤاديَ بالأسى ونهاكِ
أهواكِ مِلْءَ جوانحي وكأنني — من فرط ما أخشاكِ لا أهواكِ
يشتاق طرفي أن يراكِ قريبةً — يا قُرّة الأبصار حين تراكِ
رُدّي لي الليلَ البهيّ كأنما — كحُلت بطيب سواده عيناكِ

* * *

أخلو إلى زهر الرياض كأنني — أخلو إلى مرآكِ أو ذكراكِ
وأُدير سمعي للطيور فصيحةً — فكأنما أُصغي إلى نجواكِ
لله من شادٍ أطلّ بسجعه — كالشاديات نظرن من شُبّاكِ
في الروضة المعطار منك شمائلٌ — رياكِ في زهرانها وحُلاكِ
وردٌ يميل مع النسيم كأنما — أقبلت باسمةً لألثم فاكِ
عطفاً حياة الفاضلين مريرةً — إن رُعتِ فاتنةً فما أحلاكِ

« السكرية — دار القاياتي » — حسن القاياتي

لي !...

[تذكار لجلسة في شرفة كان يغمرها نور النجوم]

للأستاذ العوضي الوكيل

لي سحرُ وجهكِ دُونَ الناس أفديهُ
وَلِي جمالُكِ تَسبيني مَرائيهِ
ولي جبينُكِ حلواً عاطراً نضراً
وَلِي التفاتُكِ في شتّى معانيه
ولي قوامُكِ ، لا الأغصانُ تُشْبِهُه
حسناً ، ولا الأسيُفُ البيضاء تحكيه
ولي خيالُكِ ما بانتْ شوارده
تَحُوطُني بين إخفاء وتنويه
يا سوسنَ الرّوضِ مالي فيكِ من غزَلٍ
إلاّ جمالك بالأنغام أرْويهِ

* * *

لم أنسَ ليلةَ رقّ الجوّ رقّتَنا — ورفّهَ اللثم عنّا أيّ ترفيهِ
وللسماء هدوءٌ في تطلُّعِها — وللنسيم خُفُوقٌ في مَساريهِ
وللأحاديث سحرٌ في تبَلْبُلِها
ومجلسُ الحبّ قد رقّت حواشيهِ
وازدانَ وجهُك بالنورين : نورِ هوًى
فيه ، ونورِ النجوم الزُّهرِ تُزجيهِ
قد كان يبهجني فيما أشاهده
نورٌ على وجهك السحريّ بل فيهِ
وجاذبيّةُ فنٍّ لا شبيهَ لها — وربّ فنٍّ سما عن كل تشبيهِ
حينٌ أطالَ حياتي فهي خالدةٌ
بما ارتوت – فتسامت – من مساقيهِ

(دماس — دقهلية) — العوضي الوكيل



تناولوا
الشاي
المثلج
في
فصل
الصيف
منعش مرطب
للجسم مفيد
للصحة
طريقة عمله
جهز شايا ثقيلا واسكبه على مبشور الثلج ثم اضف
اليه السكر والليمون او اللبن حسب ما يلائم ذوقك
الشاي الجيد وارد الهند وسيلان وجاوه وسومطرا



دراسات فى الفن

متابعة العلم ليست فناً

على ذكر الفن الرمزى الحديث

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

كنا نعرف الفن الرمزى فيما مضى على نوعين : إما أن يكون تجسيداً للمعانى يتدلى به الفنان إلى جمهور الأذهان ، وإما أن يكون على العكس من ذلك تلويحاً بالبعيد دون القريب يتعالى به الفنان على جمهور الأذهان . ولم يكن هذا لينتزع من الفن الرمزى طبع الفن ولا خواصه ، فقد احتفظ بكيانه كاملاً ، فهو سابق وهو حر ، وهو صادق وهو شاعر

واليوم يراد بنا أن نعرف نوعاً ثالثاً من الفن الرمزى هو — فيما يقول أهله — تابع يمشى وراء العلم ، علم النفس ، يشرح نظرياته وقواعده وما يثبت عنده من طباع النفس وأحوال حياتها . فهل يجوز لنا أن نقبل هذا النوع الثالث على أنه فن صحيح ؟

إننا إذا فعلنا ذلك جرّأنا كثيراً جداً من الأعمال العقلية على المطالبة بالارتفاع إلى مستوى الفن ، وقد يجرنا هذا إلى نوع من البلشفية الروحية التى تسوى ما بين الحق والزيف ؛ فتصبح ألفية ابن مالك فناً شعريا لأنها نظم يشرح النحو ، كما أصبح الخشب فى هذه الأيام حريراً ، وكما خرج السمن فى هذه الأيام من زيت جوز الهند .

وكى ندفع عن رأينا هذا ، فإنه يلزمنا أن نتعرف فى الفن بعض النواحى التى لو فقدها لفقد طبيعته ، فأصبحّ شيئاً آخر قد يكون حلواً لذيذاً ، ولكنه لن يكون بحال من الأحوال فناً صحيحاً .

فما هى هذه النواحى التى يتحتم على الفن أن يستوفيها كى يكون فناً صحيحاً ؟

أولها من غير شك هذا الحس الصادق الذى تبعثه الحياة نفسها . وهذا الحس هو الذى يملأ نفس الفنان حتى يفعمها ، ثم يفيض منها فناً يتلقاه الناس فيشعرون أنه نبع من نفس صاحبه رغم أنفه ، لأنه لم يكن يملك من بكتمه بعد أن ازدحم فى نفسه وكثف . والفنان الحق لا يبحث عن الأحاسيس ولا يتكلفها ، وإنما هو منطلق فى الحياة كما ينطلق بقية الناس ، أو كما تنطلق بقية المخلوقات لا يعتزم أن ينتج فناً ، ولا يتهيأ لذلك ، ولا يتعلم من الناس طريقة التعبير عن نفسه .

ومع هذا الحس الصادق سَبْقٌ يطير بالفنان إلى حقائق الكون على جناحين من هذا الحس نفسه . فالفنان الحق لا يمكنه أن ينتظر حتى يقول له العلم إنه ثبتت لديه حقيقة من الحقائق على وجه من الوجوه ، وإنه يأذن له على أساس هذا الثبوت أن يتخذ من هذه الحقيقة مادة لفنه . هو لا يمكنه أن ينتظر حتى يحدث هذا وإنما هو يصل من تلقاء نفسه إلى هذه الحقائق فيعلنها والعلم لا يزال يحبو فى الطريق إليها متثاقلاً متلكئاً ؛ وقد يصيب الفنان هذه الحقائق ، وقد يخطئها ، ولكنه على أى حال يصل إلى شىء ما ، — بعيد عنها أو قريب منها — على أنه هو نفسه لا يعنيه من هذا كله إلا أن ينطلق ، وأن ينطلق فقط .

ومع هذا الحس ، ومع هذا السبق به ، فإنه لا بد للفنان أن يدفعه إلى إنتاجه الفنى دافع نفسانى من المواطف التى ينفثها فى فنه

رضى أو سخطاً أو غير ذلك ، وإلا كان الفن بارداً برودة الموت ، لأنه خلا من العاطفة وهي روحه وباعثة الحياة فيه .

ومع هذا وذاك فلا بد أن يكون الفن حراً لا يرضى لنفسه أن خضع فى الأغلال والقيود ، ولا يقبل أن يتحكم فيه شىء ، وإن رضخ له كل ما ينتجه العقل البشرى من علم وصناعة .

هذه « أوليات » لا يمكن أن يكون الفن فناً بدونها . فهل تتوفر هذه « الأوليات » فى هذا النوع الثالث من الفن الرمزى الذى يطالعنا به هذا العصر الحديث ؟

أما الحس الصادق فهارب من أهل هذا الفن ، وليس هو وحده الذى هرب منهم وفر ، وإنما تسلل من نفوسهم معه كل حس فلم يعودوا يحسون إحساساً صادقاً ولا إحساساً كاذباً . وليس هذا لأن الله خلقهم هكذا « مبرشمين » بل لأنهم هم أنفسهم أرادوا أن يكونوا هكذا . فلم يقبلوا أن يكون فى الناس من يزيد عليهم علماً ، ولا من يزيد عليهم اطلاعاً ، ولا من يزيد عليهم إلماماً بما يكتب وبما فى الكتب ، ولا من يزيد عليهم إحاطة بما يحدث فى هذه الدنيا من اختراعات واكتشافات ونظريات ومعلومات ، فأدمنوا القراءة ، وأدمنوا التعلم ، وأدمنوا الاطلاع ، وهذا كله يشغل العقل ويجهده ، ويأخذه بالمران على سلوك نهج الناس فى التفكير . والذى لا شك فيه هو أن هذا العصر الحديث قد اختط لنفسه نهجاً خاصاً فى التفكير ربما تكون الإنسانية قد اصطنعته فى يوم ما ، ولكنها على أى حال لم تقطع فيه شوطاً بعيداً كهذا الذى قطعته فيه هذه الأيام ، ذلك هو طريق المادة ، فالإنسانية اليوم تحشد مواكبها جميعاً فى هذه الطريق ، والقوى القادر هو من تقدم إلى الطليعة يتلقط الثمر الذى يبعثره الشيطان أمام هذا القطيع البشرى ، والضعيف الهزيل هو من تأخر إلى آخر الموكب يتلقط القشور والنوى

والفنان الذى يصطنع هذا اللون من التفكير يقوى واحدة من ناحيتيه الإنسانيتين على حساب الأخرى إذ ينصر عقله على إحساسه ، وهو لا يقوى هذه الناحية فى طريقها الفطرى الذى ترضاه الطبيعة والذى تطالب به برهاناً على جدارة الإنسانية بنعمة العقل الذى لا يؤذى النفس ولا يؤذى الغير ، ولكنه يقويها وهى جامحة فى طريق خاطئ كله رذيلة وكله شر . ومهما ادعى الفنان المشغوف بالعلم اللاهث من الجرى وراءه أن فى استطاعته الاعتصام بنفسه عن نزوات العقل والعلم والحضارة الحديثة ، فإنه إما مخادع فى هذه الدعوى وإما مخدوع ، لأن طابع العقل والعلم والحضارة فى هذا العصر هو طابع المادة ، فالعقل لا يقر من الحقائق إلا ما ثبت ثبوتاً ماديًّا ، وأول ما يتنكره إذن هو الحس والروح . والعلم لم يعد الناس يطلبونه ليجدوا فيه المتعة الروحية أو ليصلوا عن سبيله إلى ما هو أكبر وأعز وأنفس من هذه الحياة ... وأما الحضارة فها هى ذى : عمارات ، وطيارات ، وبوارج ، وغازات سامة ! وكفى هذا القرن العشرين سبة أنه عند ما قال له فرويد : « إن الإنسانية تحركها فى حياتها قوة الغريزة الجنسية » اطمأن إلى هذا اطمئناناً ثبت فى النفوس وتأصل وتفرع وتسلقت منه أغصان سامة هاصرة التفت حول كل شىء حتى أعناق الفنون تريد أن تدقها لتتفرد البهيمية فى نفوس الناس على أساس من العلم وليجىء يوم تنضم فيه مستشفيات المجاذيب وحدها على الذين يؤمنون بالحس والروح ، وليجىء بعده يوم تبرأ فيه الإنسانية من الحس والروح ويكون أمرها إلى الغريزة الجنسية أولاً وأخيراً

ويا له من يوم . . . ! يوم يقول فيه الناس : عاش على هذه الأرض فيما سبق مجنون كان يدعى غاندى وقد كان تلميذاً لمجانين من أساتذته السابقين !

فهل يرضى الفن عن هذا وهو المسكة من روح الله فى نفوس الفنانين ... ؟

لا ! إنهم سيثورون على هذا العقل وعلى هذا العلم وعلى هذه الحضارة ، وسترى الإنسانية عن قريب يوماً يكون الهداة فيه كتاباً ، ورسامين ، وموسيقيين ، وممثلين ، وشعراء ، ومغنين وسيصرخ هؤلاء فى وجوه الذين يدحرجون الإنسانية إلى الهاوية ليبيعوا لها الحديد والنار للقتال ، وليبيعوا لها الخبز والماء لإمساك الرمق من أجل القتال وحده . وستكون أهون صرخاتهم كتلك التى صاح بها شارلى شابلن فى وجه « العصر الحديث » بقصته الأخيرة ...

ولعل العالم لما ينس قصة « كل شىء هادئ فى الميدان الغربى »

وغيرها من قصص السينما والمطبعة التى كشفت الستر عن مآسى الحرب وما بعثها من جنون العقل ، وما ألهبها من هوس العلم ، وما غذاها من اختبال الحضارة وجشع المادة . كانت هذه القصة كما كانت غيرها من القصص الداعية إلى الروح والسلام فناً ، وكانت حية ، وكانت حارة . وقد خلقتها جميعاً فى نفس منشئها عاطفة واحدة هى الاشمئزاز من العقل والعلم والحضارة الحديثة ، لأن الفنان الحق لا يملك أن يقف من العقل والعلم والحضارة الحديثة إلا موقف المشمئز الكاره لا موقف المحب التابع ، أو العبد الخاضع ، ما دام يرى هذا اللون الأحمر الذى تصطبغ به الحضارة القائمة على أساسين من العقل والعلم والخالية من الحس والروح

أما القول بأن علم النفس لا يدعو إلى الحرب فلا تصح كراهيته ، وإنه من الجائز للفنان أن يتابعه وأن يجنى الحق من فضله فهو قول يلجأ إليه المكتوف المعصوب العينين ، ولا يقبل أن يقول به فنان منطلق لا يشعر بحاجته إلى العلم كى يرى ويسمع لأنه بعينيه يرى وبأذنه يسمع ... وإلا فعليه أن يطمس عينيه ، وأن يسد أذنيه وأن يقنع بقراءة الكتب التى تؤله الغريزة الجنسية ، وأن يجرى وراءها .

سيقولون إن أسمى الفنانين هو الذى ينتج فناً إنسانياً عاماً تتذوقه النفوس جميعاً . وسيقولون إن القواعد التى يقررها علم النفس قواعد عامة تنطبق على النفوس جميعاً انطباقاً تاماً سليما ، وهذا وحده يكفى — عندهم — أن يغرى الفنانين بالإقبال عليها والتعلق بها . وردنا على هذا أن هذه الطريقة التى يصطنعونها طريقة عقلية تجارية ليس فيها من خير إلا أنها مريحة جداً للفنان الذى يسلكها إذ يستغنى فيها بكتاب يشتريه بدراهم معدودة فيقرأه فيتخذ منه مادة الفن ... عن سنوات أو أشهر أو أيام ينفقها من عمره فى هذه الحياة تأكل من أعصابه وتشرب من دمه لتجود عليه بعد ذلك بمثل ما جادت به على من أخرجوا البؤساء ، وآلام فرتر ، ومتروبوليس ، وفاوست ، وسائر هذه الجمرات الخالدة التى ألهبت جهنمات فى نفوس أصحابها لا كتلاً من الثلج المصنوع من الماء والأحماض والأملاح

لم يكن العلم يوماً من الأيام هادياً للفن ، وإنما استطاع فى كثير من الأحوال أن يهدى الصناعة والتجارة

فإذا كان أتباع العلم هؤلاء فنانين حقاً فلماذا لا ينشرون إحساسهم على العالم فيحيطون به ثم يطالعوننا بما ينطبع فى حسهم وهم يرون العالم على ما هو عليه ، وهم يعرفون ما هو عليه ؟

لم يكن العلم يوماً من الأيام هادياً للفن ، وإنما كان الفن على مر الزمان سباقاً

وإنى أريد الآن أن أتصور واحداً من هؤلاء الذين يتبعون العلم فى فنهم وهو يريد أن يضع قصة مثلاً ، كيف يضعها ؟ إنه يقرأ فى كتاب من كتب علم النفس أن الذاكرة تغيب عن الإنسان أحياناً فيبتلعها العقل الباطن ، ويعيش الإنسان مدة طويلة أو قصيرة وهو بغير ذاكرة فتصدر منه أقوال وأفعال لا تستقيم مع حياته الظاهرة . وقد يحدث بعد ذلك حادث يعيده إلى ذاكرته أو يعيد إليه ذاكرته ، أو قد لا يحدث له هذا الحادث عفواً ، فهو إذن محتاج إلى التنويم المغناطيسى يرد إليه ذاكرته

يقرأ الكاتب المثقف هذا فيقول فى نفسه : والله إن هذا الموضوع يصلح قصة ؛ فلأركبها إذن من رجل وزوجته فتغيب عنه ذاكرته فتشقى هى لهذا ، وأخيراً يسعدان بشفائه ، ثم يعود فيقول لنفسه : وما هى الحوادث التى سأوقع بهذا الرجل فيها ، على أن تكون حوادث مسلية لذيذة ، وعلى أن تكون فى الوقت نفسه غامضة حتى يثبت للقراء أننى من أدباء الرمز الذين يستغلق فهمهم على عامة الناس . . . آه . . . فلتكن هذه الحوادث كيت وكيت ... وعلى هذا النمط الكيميائى الصناعى يسير صاحب الفن العلمى فى فنه فيؤلف قصته أو يركبها فيقرأها القارئ وينفق فيها وقته وهو لا يشعر مطلقاً بأن الفنان الذى «عمل» هذه القصة يختلف فى كثير أو قليل عن العالم الذى كتب التقرير العلمى صاحب الفضل الأول فى تأليفها .

فهل من طبع الفن أن يشبه طبع العلم ؟ لا ... ليس الفن هكذا ولا إنشاء القصة هكذا ...

هوجو ابتأس فأخرج البؤساء . هوجو شقى نخلد الشقاء ،

وعرض منه صوراً لا يقول أحد إنه رآها جيماً ، أو أن كتاباً دله إليها ، ولكنه هو أحسها لأن روحه طافت بها . روحه كانت تغادره وتحل فى البؤساء على اختلاف ألوان بؤسهم فتتذوق للبؤس طعوماً مختلفة ليس أقساها بؤس « جان فلجان » اللص الذى سرق رغيف الخبز ، وإنما قد يكون أقساها بؤس « جافير » رجل البوليس الذى كان يتنطع فى مخاصمة « جان فلجان » وتتبعه وإحراجه لا لأنه يمقته ولكن لأنه كان يخشى أن يقصر فى واجبه ، فيكون فى نظر القانون مجرماً وهو ما لم يكن يحب أن يتردى إليه بعد أن أحسن المجتمع تنشئته وقد كان لقيطاً رباه المجتمع ليكون حامياً من حماته

ما أعجب هذه النفس التى عرضها هوجو فى بؤسائه . نفس أصابتها العقد — على حد تعبير العلماء — فأصبحت تتحجر دون الرحمة لأنها كانت تخشى ألا يرحمها أحد ، كما لم يرحمها أب ولا أم. وهذه نفس قد يحللها فرويد ، وقد يحللها سبيرمان أو غيرهما من علماء النفس ولكن تحليلهما وتحليل غيرهما ليسجد أمام هذا الجلال الذى أسبله عليها هوجو الفنان الذى لم يقرأ علم النفس ولا نظريات علم النفس ، والذى كان يعيش بروحه فيحس ويشعر ، والذى لو لم يكن أديباً بطبعه لما أنشأها هذا الإنشاء الرائع ، والذى لو كان موسيقياً لأرسلها لحناً باكياً

الفنون يا أصحاب الفنون يمكن أن يترجم بعضها إلى بعض ، لأنها لا تكون فنوناً إلا إذا كانت من وحى العواطف ، والعواطف لا تستعصى على أى فن. فما هى العواطف التى تتحرك فى نفوس الذين يجرون وراء العلم العاقل والتى تصلح للترجمة إلى بقية الفنون؟ لا شىء إلا عواطف مصنوعة مركبة . أما العاطفة الصادقة فى نفوسهم فهى لا تتحرك إلا نحو غرض من أغراض الطبع والنشر والإذاعة

لا . ليس هذا فناً

وأخيراً . ما الذى يقبل من الفنان أن يكون عليه ؟ ...

لا شىء أكثر من أن يعيش وهو لا يدبر فى نفسه أنه سيخرج فناً ... فليترك نفسه للحياة ، وليسع إلى الصدق ما أمكنه السعى . وليبحث عن الجمال ما أمكنه البحث . ليقرأ ، ولكن عليه أن يقرأ فى صفحات الوجوه قبل أن يقرأ فى صفحات الكتب . عليه أن يلتفت إلى الناس وإلى الحيوان وإلى النبات وإلى الجماد . فليمط كل نفسه لكل ما يحيط به من مظاهر الوجود ... فليعاشر هذه الحياة ، وليبادلها الحس ، وليغتبط بكل ما تؤاتيه به من سعادة أو محنة ، وبكل ما يراه فى الناس من خير أو شر ، وبكل ما يطالعه فى الطبيعة من أحسن الصور وأقبحها فهذا وحده هو سبيل الفن ، وليس من الضرورى بعد ذلك أن يكون الفن كتابة أو ألحاناً أو صوراً ... وإنما الفن هو حياة الهدى ... وكم فى جماهير الناس من ثقاة فنانين ، وكم فى الفنانين من مرتزقة أو — على الأقل — حائدين !

عزيز أحمد فهمى



من الجزىء إلى الذرة

للدكتور محمد محمود غالى

مستقبل الكون والمبدأ الثانى للترموديناميكا — هذا المبدأ شىء ورجوع الحياة شىء آخر — اختلاط الجزيئات عملية طبيعية واتحاد الذرات عملية كيميائية — ملاحظة « بروست » — الفكرة الذرية عند « دالتون »

إن ما يستشعره القارئ أحياناً من الصعوبة بينا يتابع هذه الأحاديث عن وصف الكون وما يكتنفه من مظاهر لأمر هين، بجانب معرفته فى النهاية شيئاً جديداً عما يحيط به من أسرار فهذه غاية تكون بلا شك مدعاة لارتياحه

أذكر أن فى مارس الماضى عند ما كنا نواجه القارئ بأحدث ما نعرفه عن الكون وعن تمدده وابتعاد ما فيه من عوالم بعضها عن بعض ـ حدث أن اضطررنا[1] عند الكلام عن حيز «ريمان» وحيز « لوباتشفسكى » وعند الكلام عن الحيز الطبيعى وفق رأى « أينشتاين » ووفق رأى « دى سيتير » إلى اللجوء إلى مناقشة مسائل لا شك فى أن القارئ وجد فى إدراكها شيئاً من الغموض — هذا الغموض الذى اضطررنا إليه اضطراراً كان لزاماً علينا أن نذهب إليه كما كان لزاماً علينا أن نخفف على القارئ بعض الشىء فيما تبع ذلك فى مقالاتنا عن الكون الممتد[2]، ولم يكن فى طوق أن ألج موضوعاً دقيقاً كهذا وأخطو بالقارئ فيه خطوات أخرى دون أن يتخلل حديثى فيه فترة من الراحة

كذلك كان مقالنا الأخير[1] عن الجزىء الذى لجأنا فيه إلى تفسير بعض القضايا التى يلاقى فيها القارئ بعض الصعوبة، ولم يكن هناك بُدٌّ، وقد أخذت على عاتقى أن أقص عليه أهم ما وصل إليه الإنسان من تفكير مُنَظَّم، من أن نذكر فلسفة ليبنز (Leibniz) وألا نغفل رأيه القائل بأن الحرارة هى الحركة، وألا نغفل أيضاً كيف فسَّر بولتزمان (Boltzmann) انتقال الحرارة من جسم حار إلى جسم أقل منه حرارة، وكيف بين عدم إمكان العملية العكسية .

لقد طالعت المقال السابق بعد نشره أكثر من مرة وأعتقد أن الكثيرين من القراء قد فهموا هذا التفسير لبولتزمان وأدركوا هذا النزول الحتمى فى الحرارة كنتيجة حتمية لما يحدث من تعديل فى حركة جزيئات الجسمين المتلاصقين، بحيث لو تصورنا فريقين مزدحمين من لاعبى كرة القدم، فريقاً سريع الحركة وآخر بطيئها، اختلطا فى فناء واحد فإن النتيجة الحتمية لتصادم الفريقين فى أثناء اللعب أن يكتسب الفريق البطىء شيئاً من السرعة ويفقد الفريق السريع جانباً منها، ولا يمنع هذا وقوع بعض الحوادث الفردية التى تشاهد أثناء اللعب من أن ينقل لاعب بطىء سرعته إلى لاعب سريع الحركة، إنما النتيجة الحتمية للمجموعة هو اقتراب من تعادل سرعتهما ما دام الصدام مستمراً بينهما .

هذا التفسير البولتزمانى مفهوم للقارئ، ولكن مما قد لا يستوعبه بالدرجة التى أرغبها هو النتيجة المرتقبة لمصير الكون من أثر هذا القانون الحتمى القائل بالتعادل الحرارى، أى التعادل فى حركة جزيئات المادة، وهى النتيجة التى لخصناها فى أن

---

(١) مقالنا بالرسالة — رسالة من العوالم البعيدة تنبئنا أن الكون ينتشر ـ العدد ٢٩٦ ص ٤٣٦ ـ ٦ مارس سنة ١٩٣٩ ومقالنا ـ الكون يكبر (العوالم منتشرة على حيز كروى محدود ولكنه ينتشر) — العدد ٢٩٨ ص ٥٩٢ — ٢٠ مارس سنة ١٩٣٩

(٢) مقالنا بالرسالة ـ وزن الكون وعدد ما به من الكترونات ـ العدد ٢٩٩ ص ٦٤٠ ـ ٢٧ مارس سنة ١٩٣٩ ومقالنا ترى ما وراء هذا الكون ؟ ـ ٣٠٢ ص ٧٨٠ ـ ابريل سنة ١٩٣٩

(١) مقالنا بالرسالة عن فلسفة ليبنز (Leibniz) ـ العدد ٣١٣ ص ١٣٢٤ ـ ٣ أبريل سنة ١٩٣٩

الكون فى مجموعه — الكون الذى فيه نسمع ونرى — سائر حتماً إلى خاتمة يسمونها الموت الحرارى، أو الاقتراب من السكون، أو – عند ظن بعض العلماء – عدم إمكان عودة أى شكل من أشكال الحياة والحركة. هذه النتيجة توصل إليها العلماء لقلة ما فى الكون من مادة بالنسبة لمجموع الحيز. هذه الخاتمة التى تتلخص فى التساوى الحرارى مع مرور الزمن نتيجة الانخفاض فى الدرجات المرتفعة، والارتفاع فى الدرجات الخفيضة، يجعل من الكون فى مستقبل العمر وعاء لا تصلح الحياة فيه.

وإنما ذكرت للقارئ هذه النتيجة التى يحتمها المبدأ الثانى للترموديناميكا مما يبعث الأسف فى نفوسنا ليعرف شيئاً عن تفكير العلماء – هذا التفكير الذى يلجأون إليه نتيجة للمشاهدات والحوادث

كل ما أريد أن أطمئن إليه: هو ألا تؤثر هذه النتائج العلمية على القارئ، فتزعزعه عن بعض عقائده الموروثة والخاصة بعودة الحياة. تلك الفكرة التى لا تتعارض عندى والمبدأ الثانى للترموديناميكا، لأننى كما قدمت لم ألجأ فى تعريف الحياة بالحركة بل أعتقد أن ثمة اختلافاً جوهرياً، وغير مفهوم لنا، بيننا وبين التفاحة التى نأكلها، أو المحبرة التى نُملى منها هذا المقال ...

إنما أردت فى مناقشة علاقة المبدأ الثانى للترموديناميكا بمستقبل الكون أن أوجه نظر القارئ إلى ناحية من مناحى تفكير العلماء: كيف يتسنى أن تكون لمسائل نعتبرها طفيفة نتائج خطيرة على تفكيرنا وفهمنا للكون ... وله أن يتأمل الآن قليلاً: كيف، من حقيقة يلمسها كل يوم تتلخص فى أن الجسم الحار يعمل دائماً على تسخين الجسم البارد، وأن العكس غير صحيح، يجد العلماء من هذا الموضوع على بساطته منفذاً للحكم على مستقبل الكون؟

ألأن قطعة من الثلج تعمل على تبريد فنجان من الشاى الساخن بوضعها فيه يسير الكون فى مجموعه إلى نوع من الموت بلا رجعة؟! هذا ما يقرره العلم، فهو يقرر أن من اختلاط وتصادم مجموعتين من الأفراد، مجموعة دأبها السرعة وأخرى ديدنها البطء، تنشأ مجموعة جديدة لا هى بالسريعة ولا هى بالبطيئة بل لمجموع أفرادها سرعة متوسطة واقعة بين سرعة المجموعتين

أود أن يستشعر القارئ أنه إذا كانت المشاهدات تدل على هذا التعادل فى الحركة أى هذا التساوى فى الحرارة، وإذا كانت الرياضة والمنطق يحتمان هذا النوع من التعادل نتيجة لحساب دقيق، فإن جسيمات الكون فى مجموعه مصيرها الهدوء وأن الكون مصيره الموت الحرارى. أما أن نقرر أن الحياة مصيرها فناء بلا عودة فهذا أمر آخر لا نستطيع فى سهولة أن نقبله أو أن نساير العلماء فيه

أجل إنما أردنا أن ندل القارئ على طرائق التفكير الحديث، كيف تتسلسل المسائل، وكيف يرتبط بعضها ببعض، وكيف يتعلق المعقد منها على البسيط، وكيف يقسمون الظواهر فى منطق العلم إلى ظواهر حتمية وأخرى احتمالية، وكيف يفرق القارئ بين الظواهر العكسية والأخرى غير العكسية، وكيف، من أبسط المعارف والمشاهدات، نجد سبيلاً للتحدث عن أروع المسائل المتعلقة بعميق الفلسفة ومستقبل الكون؟

والآن ننتقل من الكلام عن الجزىء إلى الكلام عن الذرة

قدمنا عند الكلام عن الجزىء[1] أن فكرة تقسيم المادة إلى جزيئات لم تكن حاصل المشاهدات المباشرة بقدر ما كانت حاصل البحث العلمى العميق والوسائل الطبيعية الدقيقة. لئن تكن المادة منفصلة غير متصلة، أو بعبارة علمية لئن تكن مكونة من جزيئات منفصلة ومستقلة فهذا أمر لم نكن نعرفه نعرفه ببداهة أو مشاهدة، وإنما كان لدراستنا للتطورات الحرارية أكبر الأثر فى معرفته

كذلك لا يمكن بالعين المجردة أن نُقيم الدليل على تقسيم الجزىء إلى ذرات. وكما أن نظرية الجزيئات والاستدلال عليها جاء عن طريق العمليات الحرارية كذلك صادفت النظرية الذرية أى تقسيم الجزىء إلى ذرات مستقلة نجاحها فى العمليات الكيميائية

ففى هذا العلم – الكيمياء – شبت النظرية الذرية وترعرعت، ولقد كان ذلك فى بادئ الأمر راجعاً إلى قانون معروف بقانون النسب الثابتة ظل الأساس الذى بُنِيت عليه النظرية الذرية، وهو يعلمنا الفرق بين المخلوط والمركب الكيميائى:

عند ما نشرب الماء ممزوجاً بقليل من ماء الورد فإنه ليس ثمة حدود تقف عندها درجة المزج للحصول على المزيج. إننا نستطيع أن نحصل على مزيج من الماء وماء الورد بنسب مختلفة فنستطيع أن نجعل النسبة من ماء الورد ١ إلى ١٠ من الماء أو ١ إلى ١٠٠ وهكذا. كذلك عند ما نصنع لوحاً أحمر من الزجاج فإنه بقدر كمية اللون التى نضعها فى مواد الزجاج، وهو فى حالته السائلة وقبل أن يتجمد، نحصل على لوح تتعلق درجة احمراره بنسبة

(١) تكلمنا عن الجزىء فى «الرسالة» فى أربع مقالات يجدها القارئ فى الأعداد: ٣٠٨، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣

ما وضمناه من مادة مُلوَّنة ، ولنا حرية مطلقة فى الحصول على مئات بل وألوف الأنواع من الألواح الزجاجية كلها حمراء ولكن تتفاوت فى درجة الاحمرار . هذه العمليات اختلاط طبيعى بين جزيئات المادة .

ولكن عند ما تتحد كمية من الهيدروجين بكمية أخرى من الأكسيجين اتحاداً كيميائياً تحت تأثير شرارة كهربائية ليتكون الماء فإن جرامين اثنين من الهيدروجين يتحدان مع ١٦ جراماً من الأكسيجين ، بحيث لو تعمدنا أن تكون كمية الهيدروجين الموجودة مع كمية الأكسيجين السابقة خمسة جرامات فإن جرامين اثنين يتحدان منها فقط مع الـ ١٦ جراماً من الأكسيجين الموجودة لدينا وتبقى الثلاثة الجرامات الأخرى من الهيدروجين حرة لا تتحد. هذه النسبة الثابتة فى المركبات الكيميائية تختلف كما يرى القارئ عن موضوع مزج الجزيئات الطبيعى الذى يمكن أن نحصل عليه بأى نسبة فى أنواع المعادن Alliages المختلفة « فالبرونز » مثلاً نحصل عليه من النحاس والقصدير بالنسبة التى نريدها ، ولكن الماء نحصل عليه من الهيدروجين والأكسيجين بالنسبة التى تعينها لنا الطبيعة والتى لا تتغير

هذه الأجسام البسيطة كالأكسيجين والهيدروجين التى تدخل كيميائياً فى المركبات المختلفة والتى يمكن بوسائل كيميائية الحصول عليها منفردة مرة أخرى ، عرفها العلماء بالعناصر حيث كان من المشاهد منذ لافوازييه Lavoisier أن كمية معينة من عنصر معين يمكن إدماجها فى عشرات التركيبات الكيميائية كما يمكن الحصول عليها مرة ثانية بحيث لا يزيد وزنها أو يقل مهما كان نوع التركيبات الكيميائية التى دخلت فيها . فإذا كانت الكمية من الأكسيجين التى اتحدت فى المركبات فى بادئ الأمر ١٦ جراماً فإنه من المعروف أننا نحصل دائماً وبالطرق الكيميائية المختلفة على ١٦ جراماً من الأكسيجين وأن هذه الكمية غير قابلة بأى حال للزيادة أو النقصان

كذلك يتكون الغاز الكاربونى Gaz Carbonique من احتراق الفحم فى الأكسيجين بنسبة ٣ جرامات من الأول إلى ٨ جرامات من الثانى، وظلت هذه النسبة هى الأساس فى تركيب الغاز الكربونى بحيث لم يَتَسَنَّ للكيميائيين بوسائل مختلفة وأساليب متباينة (مثل وضع هذه المجموعة من الكاربون والأكسيجين تحت ضغط شديد أو غير ذلك) أن يتحد ثلاثة جرامات من الكاربون مع ١ر٨ جرامات من الأكسجين مثلاً. وليس معنى هذا أن الكاربون والأوكسجين يتحدان دائماً بنسبة ٣ إلى ٨ فإنه يصح للحصول على مركب غير الغاز الكاربونى أن يتحد ثلاثة جرامات من الكاربون بأربعة جرامات من الأكسيجين ، ولكن الفارق بين الحالتين عظيم . فثمة حالة غير متصلة تختلف عن حالة الخلط والمزج المعروفة فى اختلاط الجزيئات

كان لا بد تحت هذه العوامل والشاهدات من أن يُعمِّمَ العلماء هذه الوقائع المتقدمة ويحصونها ويدرسونها ، وهكذا توصلوا إلى قانون النسب الثابتة الذى يحدد النسب التى تتحد بها العناصر الكيميائية المختلفة ، هذا القانون المعروف منذ العالم « دالتون Dalton » والذى كان الفضل الأكبر فيه للعالم « بروست Proust » يتلخص فى أن النسبة التى يتحد بها عنصران لا يمكن أن تتغير بحالة مستمرة

وهكذا كان من الصعب ألا نفترض أن هذا الأكسيجين المتحد مع الهيدروجين ليكون الماء استقل دائماً بنفسه وحافظ على استقلاله فى أثناء هذه العملية الكيميائية ما دمنا نستطيع أن نعيده سيرته الأولى[1] وهكذا أمكننا أن نرجح أن هذا الذى نسميه عنصر الأكسيجين كان مستقلاً فى كل المركبات الأكسيجينية التى يمكن أن يدخل فيها مثل الماء والماء الأكسيجينى والأوزون وثانى أكسيد الكاربون والسكر الخ بحيث إذا كان السكر مركباً من جزيئات متشابهة تمام التشابه فإنه من المتعين أن فى كل جزىء من هذه الجزيئات قد دخل الأكسيجين كشخصية مستقلة كما دخل الكاربون والهيدروجين اللذان هما المركبان الآخران للسكر شخصيات أخرى مستقلة . من هنا ومن أمثال ذلك حاول العلماء أن يعرفوا الصورة التى يجب أن تكون عليها هذه المواد الأولية أو العناصر البدائية التى تتفق أجزاء منها تحت عوامل لا محل لذكرها وتتقارب لتكوين جزىء من السكر ، هذا المولود الجديد والمركب من هذه العناصر المتقدم ذكرها

هذه الملاحظة من جانب « بروست » الفرنسى فى وجود نسب ثابتة بين العناصر عند اتحادها أدت بالعالم الإنجليزى « دالتون » إلى أن يفرض فرضاً ذرياً يمكن أن يجيب على هذه الحالة المتقدمة :

[البقية على الصفحة التالية]

(١) من المعروف أنه بمرور تيار كهربائى فى الماء يتحلل الماء مرة أخرى إلى عنصرين : الأكسيجين والهيدروجين



لصوص الفيء

للأستاذ نديم الجسر

ذكّرني وصف أستاذنا الزيات لصورة من (صور الماضي) في مصر بصورة من هذا الضرب المضحك المبكي، حُدثت بها من عهد غير بعيد. فأخذتْ بمجامع قلبي لما فيها من روعة، ولأنها تكاد تكون حقيقة لا أثر للخيال فيها، ولأنها تصدق عندنا على الماضي والحاضر ... ويا للأسف ...

***

كنا في صيف عام ١٩٣٣ في قرية سِير، ذلك المصيف الذي عشقه الدكتور فارس نمر، وأعجب به الباشا سيّد البنك المصري وسيد الأعمال المالية في بلاد العرب، حتى كاد يفكّر في إمداده وتمصيره. وقد اجتمعنا ليلةً على جاري عادتنا في شرفة الدار التي يتطأمن تحتها وادي سير الفتان، ومن ورائه ينبسط البحر ساجياً وقد ازدان منه (خليج عَرْقة)[1] الفينيقي بطائفة من قوارب الصيادين تحمل في مقاديمها مشاعل تبهر الأسماك وتستهويها. فيساعد تجمعها حول القوارب على صيدها. وكانت تلك القوارب تختفي في ظلمة الليل فلا يبدو منها إلا أنوار المشاعل كصفّ من مصابيح نُصبتْ في شارع طويل؛ حتى كنا نوفّق في دعاباتنا أحياناً إلى أن نخدع بها طائفةً من زوّارنا فنوهمهم أنها أسكلة (ميناء)

(1) خليج عرقة: هو الخليج الذي كانت مبنية على مقربة منه مدينة عرقة الفينيقية

كل العناصر مكونة من ذرات، ويحدث في مختلف العمليات الكيميائية المتباينة أن تجتمع ذرات الأجسام وتكوّن كل مجموعة جديدة جزيئات من جزيئات المركب الجديد، بحيث يجوز لذرة من مادة معينة أن تلتصق أو تجتمع بذرة واحدة من مادة أخرى كما يمكن أن تجتمع باثنتين أو أكثر، فالماء مثلاً يتحد فيه ذرتان من الهيدروجين بذرة واحدة من الأكسيجين (إن اجتماع جرامين من الهيدروجين مع ١٦ جراماً من الأكسيجين راجع إلى وزنهما) ذلك أن القوة الكائنة بين هذه الذرات وبعضها هي بحيث أن اجتماعهما في هذه الحالة اجتماع واحد باثنين، وإذا اجتمعت ذرة واحدة من الهيدروجين مع ذرة واحدة من الأكسيجين تكوّن الماء الأكسجيني الذي نستخدمه في الجروح بدل الماء العادي الذي نشربه.

هذه الخطوة الموفقة من جانب العالم الكبير دالتون التي مهد لها «بروست» ظلت أساساً للعلوم الكيميائية، وفي آلاف المواد التي نستخدمها والتي هي في الواقع مركبات من عناصر مختلفة متحدة بنسب ثابتة أو ممتزجة بنسب متباينة أمكن تقسيم العالم المادي إلى ٩١ عنصراً تبدأ بالهيدروجين والهيليوم وتنتهي بالبروتوكتينيوم والإورانيوم. هذه العناصر تقوم لنا كمرجع دائم يدلنا على هذه المركبات المكونة لكل ما نراه ونعثر عليه من مادة في الكون، كما تدلنا الشمس والنجوم الثابتة بمواضعنا المختلفة في الأفق بالنسبة لها على معرفة الوقت نهاراً أو ليلاً

وسنرى فيما سيأتي ما استفاده العلماء من هذا الفرض الذري ونحاول أن ندرك كنه الذرة وما يجري بها ونستخلص من أعمال العلماء سيرة ما يحدثونه اليوم فيها من تهدم، ما سيكون له أكبر الأثر في تقدم معارف الإنسان.

محمد محمود غالي
دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة

طرابلس ، على حين أن الأسكلة تحتجب وراء الجبل ، فإذا عادوا إلينا فى النهار سألوا عن الأسكلة! فقلنا لهم : سرقها الصيادون...

وكنا نتحدث ، كما يتحدث المصطافون فى هذه القرية الهادئة المحرومة مَرَح المصايف الأخرى فى لبنان بأحاديث تشوبها كآبة الضجر الذى يلازم المكرَّر الوحيد النغم المملولَ من كل شىء . وساقنا الحديث إلى ذكر أحوال القضاة ومظالمهم، ونُدْرة (قضاة الجنة) ، وكثرة (قضاة النار) ؛ وكان معنا فى هذه الجلسة سيد القرْية ، وهو رجل كثير الصمت طويل الروية ، سليم المنطق بالفطرة الموهوبة لابالقوة المكسوبة، رقيق الحاشية، ليّن العريكة، شديد الحذر من إطالة اللسان ، والخوض فى أحوال الناس . لا نشكو من طيب عشرته إلاّ أنه يتركنا الساعات الطوال نتحدث ، وهو معتصم بالصمت يسمع . فإذا سكن الحوار ، وخمد الجدل، ألقى بكلمة أو كلمتين فيهما زبدة القول وفصل الخطاب ...

وطال حديثنا عن قضاة النار وأحوالهم فقال صاحبنا بعد صمت طويل : هؤلاء يسموّنهم عندنا فى الجبل (لصوص الفىء) . قلنا : وما لصوص الفىء ؟ فأغرب فى الضحك وتشبث على عادته بصمت المحترز فما زلنا به حتى رضى أن يحدثنا فقال :

« يحكى أن مكاريا من أهل القرى كان يملك من وسائل العيش بغلاً يكاريه الناس ويعيش من كرائه مع زوجه وأطفاله، فرض البغل يوماً مرضاً أقعده وأقعد صاحبه عن العمل ، فقام مع عياله فى جانب البغل يداوونه ويدعون له بالشفاء. ولما اشتدت وطأة الداء نذر الرجل على نفسه أن يعطى رجلاً مشهوراً عندهم بالصلاح والتقى والولاية مائة قرش إن شفى الله بغله. ولكن الله لم يتقبل نذره ومات البغل، فبكاه الصغار والكبار ما شاء الله أن يبكوه. وفى اليوم الثانى أخذ الرجل ما يستغنى عنه من متاع البيت فباعه واشترى بثمنه بغلاً آخر . فما كارى عليه أياماً حتى سرت للبغل من المعلف عدوى المرض فقام بجانبه الليل والنهار يصلى ويبتهل وينذر النذور لأكبر الأولياء وأعظم الأبرار ، ولكن البغل مات ولم تنفع فيه النذور للصالحين. فبكاه أصحابه المساكين بكاء الثكالى ثم جمعوا بقية ما فى البيت من متاع فباعوه واشتروا بثمنه بغلاً ثالثاً . وما مضت عليه أيام حتى سرت إليه العدوى، فطاش لبّ الرجل وضاع صوابه ورأى أن نذوره للأولياء الأبرار الأطهار لم تشفع ولم تنفع، فأصابه ما يصيب كل مفجوع عند هول الكارثة من ذهول وسخرية واستخفاف، فبدا له هذه المرة أن يجعل نذره لأشد الناس شراً؛ وعظم النذر فجعله ألفاً .

وشاءت حكمة الله أن تكون عدوى المرض خفيفة وأن يقوى عليها البغل الجديد فشفى. وعاد الرجل إلى عمله، فما زال يشتد فى طلب الكسب حتى اجتمع لديه النذر فحمله وهبط به المدينة يلتمس فيها من يستوجبه فعمد إلى أشهر بيت للفسق والفجور وانتحى ناحية يراقب منها الناس حتى اختار أشدهم تهتّكاً وأشنعهم فسقاً فاقترب منه وحدثه بحديث نذره ثم قال له والخوف يعقد لسانه :

« لا تغضب يا هذا وارحم ضعفى وذلتى فإنى أردت وفاء نذرى فلم أجد من هو أعظم منك شراً فحق على أن أوفيكه »

فما سمع الرجل مقالته حتى أغرب فى الضحك؛ ثم أطال الصمت حتى أوجس القروى من طول صمته وكآبته شراً. ثم استعبر حتى وجمت القاعة الصاخبة لنحيبه، ولما سكنت نفسه قال: «لقد ضللت يا صاح والله بغيتك ؛ وكدت تعطى نذرك من لا يستحقه . فما أنا بأعظم الناس شراً ، وإنما أنا رجل ابتلانى الجبار بذُلّ الشهوات فلا أستطيع إلى فكاك نفسى من أسرها سبيلاً. ولو رأيتنى كيف أصحو نادماً ذليلاً لرثيت لى ولرجوت أن يغفر الرحمن ذنوبى . . . فإليك عنى، وعليك باللصوص وقطاع الطريق فهم أحق بنذرك منى»

فخرج القروى من الحانة وقد سره أنه وجد ضالته واسترشد برأى (سوقىّ) يعرف حقائق الأمور ، وما زال يسأل عن قطاع الطريق أين مكمنهم ومن أشدهم فتكا وبطشاً، حتى استرشد. فركب بغله وسار فى حلك الليل حتى أشرف على الكمين الذى يقطع الشرير منه الطريق مع عصبته؛ فما شعر اللصوص بالرجل حتى اكتنفوه فقال لهم: على رسلكم فإنما إليكم قصدت . أين رئيسكم ؟ فدلوه عليه فحدثه بحديث نذره فأطرق اللص إطراق الحزين ، ثم استعبر حتى ابتلّت لحيته ثم قال : (إنك يا هذا ضللت بغيتك

فما نحن إلا فقراء عضتنا الفاقة وضاقت بنا سبل العيش فاتخذنا السلب حرفة نكسب منها قوت عيالنا ، ولو وجدنا إلى الرزق سبيلاً غير هذا لسلكناه . ولو كشف الله لك عن قلوبنا لرأيت ألماً وندماً ، ولرجوت لنا عند الرحمن عفواً وكرماً . إذا أردت يا صاح الوفاء بنذرك فدعنا نحن (حرامية الشمس) ، ولصوص التعب والنصب والخوف والخطر واذهب إلى (حرامية الفيء) ؛ فإنهم أحق بنذرك ...)

فقال القروى : ومن هم حرامية الفيء لأذهب إليهم ؟

فقال له شيخ العصابة :

أولئك هم القضاة الذين ولاهم الله أمور عباده وحكمهم فى الدماء والأعراض والأموال ليقضوا فيها بالحق وجعل كلمتهم هى العليا ، وأنعم عليهم بجاه كبير ورزق كثير وعيش غرير فما رعوا لله فى عباده ذمة ، ولا فى حقوقه وحدوده حرمة ، فلا ظالم إلا نصروه ، ولا مظلوم إلا خذلوه ، ولا عرض إلا انتهكوه ، ولا مال ولا وقف إلا أكلوه ...

أولئك هم حرامية الفيء وأولئك هم شرّ البريّة ...

فرجع القروى المسكين بذل الخيبة وقصد إلى قاضى المدينة فرأى شيخاً يفيض الجلال عن جوانب عمامته ، ويتفجر النور من قسمات طلعته ، ويتقطّر التُّقى من أطراف لحيته ، فقال : يا سبحان الله كيف يكون هذا شرّ البريّة وكيف تتحرك شفتاى بحديث النذر إليه ؟

وما زال واقفاً حتى انتهى القاضى من القضاء (على) حقوق العباد ، فرآه فى جانب القاعة فدعاه إليه وسأله عن حاجته فقصّ عليه قصة نذره والحياء يعقد لسانه ، فقال له القاضى :

(على المستحق سقطت ... ولكن يا بنى نحن لا نستحل أخذ أموال الناس بلا سبب شرعى . والوجه الشرعى الذى يحل لنا به أخذ هذا النذر منك هو أن نقلبه إلى مبايعة ...)

فانتفض الرجل وقال : أستجير بك يا مولاى . إنى أخشى إن أخذت منك لقاء النذر شيئاً ألا يتقبل الله نذرى ، فقال القاضى : (نحن لا نبيعك شيئاً مذكوراً بل هى صورة نحلل بها أخذ المال منك ... هاك فى جانب الباب كومة من الزبل هل اشتريتها منى بالألف الذى نذرته ؟) فقال الرجل : سمعاً وطاعة. وتمّ التعاقد بالوجه الشرعى ... وقبض القاضى الألف وذهب الرجل إلى قريته فرحاً مطمئناً

وبعد يومين أفاق المسكين على صوت طارق يوالى قرع الباب ويستفتح ، فإذا جندى يبادره بالشتم ويقول : (أيها الرجل الخادع الماكر الخبيث الشرير ! أتشترى المزبلة من مولانا القاضى وتتركها فى مكانها فتصبح مجمعاً للذباب ومبعثاً لكريه الروائح ... ؟ لقد حكم عليك مولانا القاضى بنقل المزبلة وبغرامة مقدارها ألف قرش جزاء تركك إياها بعد شرائها وبأن يصادر بغلك لقاء الغرامة ..)

قال الجندى قوله هذا ودخل الدار فاقتاد البغل من مربطه وسار به إلى المدينة. فوجم الفلاح المسكين وجوم من خولط فى عقله. وما زال يشيع بغله بعينين دامعتين حتى توارى عن بصره ثم رجع وهو يدمدم قائلاً :

— حقاً إن حرامية الفيء هم شر البرية ؛ وقد أصاب نذرى أعظمهم شراً

« طرابلس » نديم الجسر

من هنا ومن هناك

هل يظفر الأمير عبد الله بملك فلسطين؟

[عن مجلة (فى VU) الباريسية]

لا يستطيع الناظر المتأمل مهما أوتى من قوة الفراسة والقدرة على تحليل النفوس واستنباط ما وراء الوجوه من المعانى والأفكار، إذا نظر إلى وجه الأمير عبد الله أمير شرق الأردن، أن يحكم لأول وهلة أن صاحب هذا الوجه، على الرغم مما يبدو عليه من الهدوء والاتزان، يحمل حملاً ثقيلاً منذ عشرين عاماً

فإذا جلست إليه ورأيته يمسح بكفه على لحيته الصغيرة المنسقة ويتكلم بصوته المهذب الرقيق، لا تصدق أن هذا الرجل بعيد عن الاستمتاع بالراحة

وإذا كانت الدودة الصغيرة تغادر أثراً ما على السنديانة العظيمة، فلا غرابة أن تترك المطامع البائدة، والأحلام الضائعة، أثرها العميق فى نفس الأمير

لقد كان الأمير عبد الله يحلم فى شبابه - وهو ابن شريف مكة فى ذلك الوقت - بحياة ذات مجد حربى عظيم؛ ولكنه خسر أول معركة قادها بجنود أبيه. وإذا كنت ممن يعرفون قوانين الصحراء غير المسطورة، أمكنك أن تعرف مقدار تأثير هذه الهزيمة

إن العرب قد يغتفرون للسارق؛ وقد يتسامحون مع الرجل الذى يقتل أباه، ولكنهم لا يغتفرون جريمة القائد المنهزم بحال من الأحوال

ومما يستحق الذكر أن الأمير عبد الله فى ثورة الصحراء، والحملة التى يقودها لورنس، لم يكن سوى ظل بسيط فى مجرى الحوادث على الرغم مما هو معروف عنه من الشجاعة والذكاء

وإذا كان قد حكم على الأمير بأن يحيا حياة مدنية وإخوانه يخوضون غمار الحروب، فقد وضع آماله فى شىء واحد وهو عقيدته الثابتة بأنه إذا جد الجد وجاء يوم الانتصار سيدعى ولا محالة للجلوس على عرش من العروش التى تقسمها بريطانيا العظمى بعد زوال الإمبراطورية التركية

وما كادت الحرب تضع أوزارها حتى تولى والده الحسين ملك مكة والحجاز، وتولى أخوه الأكبر ملك جده، وتولى فيصل أخوه الأصغر ملك سوريا ثم ملك العراق؛ وبقى عبد الله وحده بغير تاج حتى أتيحت له إمارة شرق الأردن بعد جهد شديد

وتبلغ مساحة شرق الأردن مقدار مساحة إيرلندا، ويبلغ سكانها ٣٠٠٠٠٠ نفس يعيش ثلثاهم معيشة الصحراء

وإذا كان قد انقضى عشرون عاماً منذ اتخذ الأمير ذلك الطريق المقفر نحو عمان بدلاً من دخول دمشق وبغداد دخول الفاتحين، فإنه لم يعلن أمنية واحدة من أمانيه التى كان يفكر فيها ولورنس يخترق الصحراء، وهو منذ عشرين عاماً يرمى الطمع لملك فلسطين

وقد أدرك بذكائه وقوة استنتاجه أن العرب واليهود لا يمكن أن يتفقا، وأن هذين الشعبين لا يمكن أن يعيشا معيشة أمان وسلام، وأن بريطانيا لا تستطيع أن تجد حلاً لمشكلة فلسطين يتفق ومصلحة الامبراطورية

وعلى الرغم من الانتظار الذى طالت مدته لم يزل الأمير مصراً على أمنيته العزيزة. وكثيراً ما حرضه أصدقاؤه وأقرباؤه على أن يعبر الأردن بيدوه، ولكنه كان على الدوام يأبى أن يستبق الحوادث ...

وعقيدته أن الحالة فى فلسطين كلما ازدادت تحرجاً كان ذلك فى مصلحته وأدعى إلى تحقيق أمانيه

وإذا كان الأمير قد استطاع أن يكبح جماح نفسه عشرين عاماً، فنحن نعتقد أنه لا يوجد واحد من المشتغلين بالسياسة

فى الشرق الأدنى يظن أن شخصاً فى حالة تقسيم فلسطين سيكون أولى منه بالجلوس على عرشها

ويقال إن هذه الولاية فى تلك الحال سوف تكون مرتبطة بشرق الأردن ، وبارتباطهما تجد بريطانيا حليفة قوية فى الشرق الأدنى ...

هل تحتفظ السويد بحيادها - عن بارى سوار

إن أصوات المدافع التى تدوى فى استكهلم ، وتنقلات الجنود وتدريبها فى عاصمة البلد التقليدى فى الحياد ، مما يدل على أن الثقة بالنازى قد تزعزعت فى تلك البلاد

لماذا تشتغل السويد بتلك التدريبات الحربية ، وقد احتفظت بحيادها مدة الحرب السابقة ؟ هل هى تتوقع أن تكون عرضة للهجوم فى الحرب القادمة ؟

إن الذين لا يتتبعون السياسة السويدية ، قد يذكرون حياد السويد نحو ألمانيا القيصرية فى حرب ١٤ — ١٨ ، ويظنون أن الآريين من السويد يحتفظون بشعورهم نحو المدنية والثقافة الألمانية ، والحقيقة أن تغيراً عظيماً قد حل فى نفوس الرأى العام !

أما المسئول الأول عن هذا التغيير فهو أودلف هتلر . فقد كانت خطة النازى من البدء مثيرة لشعور الحرية والتقدم الاجتماعى فى نفوس السويديين .

وإذا كان الملك جوستاف على الرغم من بلوغه سن الثمانين يعد من رجال أوربا الملحوظين ، فإن السويد الآن يحكمها الاشتراكيون . وقد تقدمت تلك البلاد تقدماً محسوساً ووصلت الصناعة الحديثة فيها إلى درجة لم تصل إليها الولايات المتحدة .

لقد وصل صدى تهديد هتلر إلى تلك البلاد . وقد أشار القائد الألمانى هانشوفر فى إحدى محاضراته باستكهلم إلى أن عدد السكان فى السويد قليل بالنسبة إلى مساحتها ، وأنها تستطيع أن تمنح الأماكن الفسيحة لسكنى ملايين من الناس .

وقد كان فى السويد بعض الفرق النازية ، وكان بها كثير ممن يعتمد عليهم الفوهرر ، وقد أرادت ألمانيا أن تجعل تلك الفرق فرقة واحدة تحت إمرة رجل واحد يدعى (لندهولم) ، ولكن خاب مسعاها ، إذ تبددت تلك الفرق ولم تبق للنازى فرقة واحدة على الإطلاق .

إن إخفاق الهتلرية فى السويد لم يكن فى الحقيقة تعبيراً عن كراهية للألمان ، فإن الارتباطات الجنسية والتعليم يجعلان لألمانيا منزلة فى تلك البلاد ، وإن كان لفرنسا تأثيرها الثقافى الملحوظ .

ولكن الشعور السائد قد انقلب على ألمانيا الآن . وإذ كان للسينما أثرها الكبير فى اسكاندينافيا فقد بدأ الألمان يستأجرون كواكب السينما من السويد لنشر دعايتهم تحت أسماء هؤلاء الكواكب ولكن ذهب مجهودهم هباء . فالأفلام الألمانية لا تقابل باستحسان بينما تنجح الأفلام الفرنسية على الدوام

على أن هذا جميعه لا يدل على أن السويد قد فقدت رغبتها فى الحياد ، ولكن من السهل أن يقال إن السويد لا يبعد أن تساق إلى حرب ضد ألمانيا

ويقول رجال السياسة بها إن الاستعداد الحربى الذى تقوم به الدول الآن يمنعهم من المهادنة . وأكثر من هذا طلب الذهب والحديد؛ فالسويد تستخرج كميات عظيمة من هذين المعدنين، وإن حديدها النادر أليق من غيره لآلات الحرب . فألمانيا ولا شك تحتاج إلى حديد السويد لعمل السلاح ، وانجلترا وفرنسا تريان من الواجب عليهما أن تمنعا توريده إليها

فإذا هوجمت السويد فسوف تحارب. وكل فرد فيها على أهبة لعمل ما يجب عليه . وإذا كان جيشها ليس بالجيش المظيم فإن لديها ثلثمائة طائرة ، وقد خصص أكثر من ضعف ميزانيتها للتسليح



موسى « عليه السلام »

للغربيين أقوال غريبة في موسى وعيسى (عليهما السلام)، وفي كونهما. وقد اطلع قراء « الرسالة » الغراء على ما رواه الأستاذ العقاد من مقالة (فرويد)، وللعالم (سلمون ريناك) في كتابه: Orpheus أرفيوس الذي ألفه منذ أكثر من ثلاثين سنة بحث عن موسى (عليه السلام) أروى منه هذه الأسطر مضافة إلى ماسطره الأستاذ من كتاب «فرويد»، وكلا الرجلين من يهود. قال:

« L'existence de moïse (mosé, peut-être l'egyptien mesu «enfant») n'est pas démontrée par les livres bibliques qui lui sont attribués à tort; nous n'avons pas davantage le droit de la nier; elle est et reste simplement douteuse. Aucun religion n'est l'œuvre d'un homme; mais on ne peut guère concevoire l'essor d'une religion sans l'ascendant d'une volonté puissante d'un génie comme Moïse, saint Paule, Mahomet »(١)

وترجمتها: «إن وجود موسى (ولعل موسى مأخوذ من الكلمة المصرية ميزو بمعنى طفل) لا تؤيده أسفار التوراة التي عزيت إليه خطأ. وليس من حقنا أن نذهب إلى إنكاره. إنه موجود؛ ولكن وجوده سيظل موضع الشك فقط. ليس الدين من صنع الإنسان؛ ولكنا لا نستطيع أن نتصور انتشار دين من غير نفوذ إرادة قوية لرجل من رجال العبقرية أمثال: موسى وبولس ومحمد »

قلت: يشك علماء غربيون في كثير من أصحاب النحل. بيد أنهم لم يتجاسروا أن يطوروا (أن يحوموا) في شكهم بحضرة سيد الوجود (صلوات الله وسلامه عليه). والإسلامية الصحيحة موحيها واحد أحد، لا كما قالت عبارة ريناك في سائر الأديان.

***

(١) الصفحة (٢٨٠) من الطبعة سنة ١٩٣٣

لم ينجح أحد!

أعلنت مدرسة الفنون الجميلة العليا هذا العام فضيحة كان يجب عليها أن تتدارك أسبابها أو أن تسترها على الأقل

أما هذه الفضيحة فهي أنه « لم ينجح أحد » من طلبة قسم النحت في هذه المدرسة هذا العام

وفي قسم النحت بمدرسة الفنون الجميلة العليا أربعة طلاب فقط موزعون على سني الدراسة المختلفة. ومعنى هذا أن هؤلاء الأربعة هم عدة هذا الجيل للنحت في مصر. ويلحظ إلى جانب هذا أن المدرسة وقفت عليهم أساتذة أكثر منهم عدداً. فإذا لم تكن مدرسة الفنون الجميلة العليا تستطيع أن تتعهد أربعة طلاب نحاتين فماذا تستطيع أن تصنع؟!

يقال إن هذه الكارثة الفنية يرجع سببها إلى تنافر بين أستاذ النحت في المدرسة « وهو سويدي » وبين ناظر المدرسة وصديق له مدرس بها. والناظر وهذا الصديق المدرس مصريان. ويقال إن هذه النتيجة لم تحدث عفواً وإنما أريد بها أن تحجم وزارة المعارف عن تجديد عقد الأستاذ الأجنبي هذا العام، وأن ترفع المدرس المصري إلى درجة الأستاذية

وإذا كان مما يسعد كل مصري أن يرى قسم النحت في مدرسة الفنون الجميلة العليا يرأسه أستاذ مصري فإنه مما تشمئز منه الإنسانية أن يُعبث في سبيل الوصول إلى هذه النتيجة بمستقبل أربعة من الطلاب هم كما قلنا عدة الجيل في هذا الفن

زد على ذلك أن ناظر الفنون الجميلة العليا وصاحبه المدرس المصري متهمان في مقدرتهما الفنية. فالناظر لا يحمل شهادات فنية مطلقاً وليس لديه من المؤهلات الفنية إلا أنه رحل إلى الحبشة في زمن ما ورسم بعض الصور لنجاشيها السابق ورؤوس دولته. وأنه بعد ذلك رجل مهندم يتقن تقليد الفنانين في حركاتهم وإشاراتهم ومظاهر « العصبية » التي تبدو عليهم والتي استطاع بها أن يقنع

أهل الحكم فى الوزارة السابقة بأنه يصلح لأن يكون ناظراً لأكبر معهد فنى فى مصر

أما صاحبه المدرش فهو رجل من رجال الصناعة أعدته ثقافته وأهله تعليمه لأن يكون مدرساً للصناع فى مدرسة الفنون التطبيقية لا أستاذاً للفنانين فى مدرسة الفنون الجميلة العليا وشتان ما بين الصناعة والفن

وأنا أكتب هـذا وقلبي يتمزق لأنى أنصر به أجنبياً على مصريين، ولكننى أفضل هذا على التدليس باسم الوطنية الشفوية. ولا ريب أن الاعتراف بالضعف مع السعى إلى استكمال أسباب القوة خير من المغالطة والادعاء وإنكار الحق

والآن، ماذا تصنع وزارة المعارف فى مدرسة الفنون الجميلة ... إنه يحدث فيها أكثر مما ذكرناه ...

ع . أ . ف

الفن المنحط

تألفت فى مصر جماعة من الفنانين سمّت نفسها « جماعة الفن المنحط » وهى اليوم فى طريقها إلى التفرق والتحلل لأنها لم تجد عند الفنانين والصحافة والجمهور ما كانت ترجوه من تشجيع ، إذ لم يزرها فى دارها بشارع الدابغ كاتب ولا صحافى ولا زائر عادى يستمع إلى دعوة أفرادها

« والفن المنحط » الذى تدعو إليـه هذه الجماعة لا يمكن أن يقال إنه منحط فعلاً ما دام يجد من يقول عنه إنه فن . إذ أنه لا يمكن أن يكون الفن فناً ومنحطاً فى الوقت نفسه إلا إذا كان كاذباً . فالفن هو نتاج الحس لا الفكر . ومتى توفر فيه الصدق فإنه سام رفيع ، ولا يفسده شىء ولا يخفض من شأنه شىء إلا أن يكون تكلفاً ، فهو عندئذ ليس فناً وإنما هو تهريج وتجارة . وإذا دعا شاعر إلى الفسق فى شعره وحسّنه للناس وزينه لأنه يحبه ويجد فيه لذته النفسية، ولأنه يعبر عن هذا الذى يجده تعبيراً صادقاً فلا ريب أن فنه يبهر القارئين لأنه ينفذ من نفسه إلى نفوسهم فإما أن يرضيها وإما أن يؤلمها ويسخطها . وكذلك الرسام المعجب بالأجسام الذى يصور محاسنها ولو فى أوضاع يستقبحها العرف وتزورّ عنها التقاليد والآداب العامة فهو عند الفن ناجح وقادر وعال ما دام يتذوق هذا الذى تستقبحه التقاليد والآداب ويعبر عنه صادقاً فى تذوقه وتعبيره

فإذا تصدى شاعرنا للمعانى الروحية المجردة التى لا يحبها هو ولا يتذوقها وأراد بتعرضه لها أن يجارى أصحابها وأن يقال عنه إنه ملهم روحانى متصوف فإن فنه سينحط ويضعف لأنه سيحتاج فى إخراجه إلى الكذب والتزييف والتزوير . وكذلك رسامنا إذا انحرف عن مزاجه الخاص إلى تكلف ما لا تلتفت إليه نفسه من الجمال الروحى لغرض من الأغراض فإنه يكون عندئذ كاذباً ومنافقاً ويكون رسمه منحطاً حقاً

فإذا كانت جماعة الفن المنحط قد تألفت من أفراد صادقين فى شعورهم وتعبيرهم ففنهم رفيع من غير شك مهما تواضعوا وقالوا إنه منحط . أما إذا كانوا يتكلفون هذا الانحطاط ففنهم منحط حقاً لا لشىء إلا هذا التكلف ...

ع . أ . ف

اختصاص المجمع اللغوى فى رأى المكتب الفنى

كانت وزارة المعارف قد وكلت إلى مكتبها الفنى دراسة اختصاص مجمع فؤاد الأول للغة العربية والنواحى التى يتناولها هذا الاختصاص ، فدرس المكتب هـذا الموضوع من مختلف وجوهه ، ورفع مذكرة وافية بشأنه إلى معالى الوزير تحدث فى بدايتها عن المجامع العلمية اللغوية فقسمها ثلاثة أقسام هى : المجامع العلمية ، والمجامع اللغوية والأدبية ، ومجامع الفنون ؛ وأشار إلى ما تؤديه كل طائفة من هذه المجامع فى مختلف الممالك فى العصور الحديثة ، فتكلم عن مهمتها فى إيطاليا ، وبلجيكا ، والدنمارك ، وانجلترا وأرلنده ، واسبانيا والبرتغال ، والروسيا ، وعن طبيعة الأعمال التى تنهض بها . ثم انتقل إلى المجمع المصرى فأتى بنبذة عن نشأته وأغراضه التى حددها مرسوم إنشائه ، وعرض بعد ذلك آراء كبار الكتاب الذين طرقوا هـذا الموضوع فى الصحف السيارة وفى داخل البرلمان

وقد رأى المكتب الفنى أن مثار الخلاف فى الرأى هو اختصاص المجمع اللغوى المصرى ، مع أن اختصاص أي مجمع قد يتسع فيشمل الكثير من النواحى العلمية والفنية واللغوية ، وقد يضيق هذا الاختصاص فينحصر فى علم أو فن أو فى ناحية من أحدهما ؛ وذكر أن اختصاص المجامع اللغوية مركز فى وضع المعاجم اللغوية والتاريخية، وفى وضع الاصطلاحات العلمية والفنية، وأنه يجب ألا يقتصر عمل المجمع على تسجيل الألفاظ التى تستقر فى التداول، كما أنه لا ينبغى أن يعهد إلى الهيئات العلمية والفنية بالانفراد فى وضع الاصطلاحات ، وإنما يجب أن يتعاون المجمع مع العلماء والفنيين فى الوصول إلى تحقيق هذا الغرض ، بأن يطلب

إلى كل منهم — كل فى دائرة اختصاصه — أن يقدم إنتاجه اللغوى ، ثم يجتمع اللغويون فى مؤتمرات سنوية أو نصف سنوية لفحص هذا الإنتاج ودراسته رغبة فى الوصول إلى اختيار الألفاظ الصحيحة والتراكيب السليمة التى تقابل، فى دقة ووضوح، المعاني المطلوبة مع موافقتها لروح اللغة وأصولها

وكذلك يتركز اختصاص المجامع فى دراسة اللهجات القديمة والحديثة ، إذ هى أساس اللغة وقوامها ، فلا غنى عن دراستها

وأشار المكتب فى مذكرته إلى ضرورة الاقتصار فى الوقت والمجهود من هـذه الدراسة . أما الدراسة الواسعة المستفيضة بلهجات قديمة فإنها من شأن هيئات أخرى تتولاها

وقال فى صدد دراسة اللهجات الحديثة : إن أهميتها تقوم على أنها تتصل بالحياة مباشرة ، فهى لغة الكلام والتفاهم ، وإنه مما لاشك فيه أن هذه اللهجات أقوى من حيث استعمالها وانتشارها وقربها إلى الأذهان ، فلا يجوز إذن إهمالها أو التجاوز عنها ، لأن دراستها توضح ما طرأ على اللغة الصحيحة من التغييرات والانحرافات فى كثير من الألفاظ والتراكيب .

ثم ذكر أن إحياء الأدب العربى أو التشجيع عليه يحسن أن تتولاه هيئات أخرى غير المجمع اللغوى مثل الجامعة ووزارة المعارف ودار الكتب والجمعيات العلمية وهيئات الترجمة والنشر . وأشار إلى أهم التعديلات التى يجب أن يؤخذ بها ، وهى أن يزاد عدد أعضاء المجمع العاملين إلى ثلاثين عضواً من العلماء المعروفين على ألا يزيد الأجانب منهم على عشرة ؛ وأن يتألف المجمع من هيئتين إحداهما مؤتمر المجمع ويتكون من كامل الأعضاء ، والأخرى مجلس المجمع ويتكون من الأعضاء المقيمين فى مصر .

عناية مدير بلدية الإسكندرية بأسرة المرحوم فليكس فارس

عرض صاحب السعادة مدير بلدية الأسكندرية العام على القومسيون الإدارى فى جلسة ٥ يولية مسألة مكافأة المرحوم الأستاذ فليكس فارس كبير مترجمى البلدية، فذكر أنها ضئيلة نظراً إلى أن مدة خدمته كانت قليلة ، ولكنه خدم البلدية بإخلاص ونشاط ، كما كانت له خدمات صادقات للأدب والعلم . وقد ترك أسرة مؤلفة من أرملة وثلاثة أطفال صغار . ثم اقترح المدير منحهم معاشاً شهريًا عدا المكافأة التى كان يستحقها . فوافق القومسيون على ذلك وقدر هذا المعاش بعشرة جنيهات فى كل شهر . وهذا العمل من صاحب السعادة المدير يستحق أجزل الشكر وأجمل التقدير .

اللورد لويد والإسلام

ألقى اللورد لويد خطبة فى اجتماع عقد بلندن فى الأسبوع الماضى قال فيها : يجب على الحكومة ، حينما تبحث المسألة الفلسطينية أو مخاوف مسلمى الهند من الاضطرابات التى يثيرها الهندوكيون ، أن تبحثها على ضوء الاعتبارات التى شهدناها فى العشر أو الخمس عشرة أو العشرين سنة الماضية والتى تدلنا على أن العالم الإسلامى دخل فى مرحلة جديدة بقوته المتزايدة وبكل ما يتضمنه الدين الإسلامي العظيم من قوة ، مضافاً إلى التعاليم الحديثة .

وختم اللورد لويد خطبته قائلاً : « إن تطوراً جديداً قد طرأ على العالم الإسلامى وهو تطور يجب أن نحسب له حساباً دقيقاً »

حول الجناية على الأدب العربى

حضرة الأستاذ الجليل صاحب « الرسالة »

تحية وسلاماً . وبعـد . فإننى على فرط إعجابى بالدكتور زكى مبارك وتقديرى لآثاره الأدبية لم أرض منه هذا الضرب من النقد الذى يتناول الشخصيات دون الآثار ، ويدافع عن الأدب من طريق الجناية على الأدباء . ولو أن نقاد الأدب العربى اتبعوا الطريق التى اختطها الدكتور اسماعيل أحمد أدهم فى رده على الدكتور بشر فارس (عددالرسالة٣١١) ، أو النهج الذى سلكه الأستاذ عبد المنعم خلاف فى مقاله « النبوة ـ الوحى ـ المعجزة » رداً على مقال نشرته مجلة «الأمالى» (العدد ٣١٠ من مجلةالرسالة) لكان النقد ـ كما يرضاه الأدباء ـ أداة صالحة لتوجيه الأدب الصحيح ولتنقيته من أدران الضعف وشوائب الخطأ

ولعمرالحق إن هذه الطريق التى سلكها الدكتور زكى للتوية شائكة . بل هى ضرب من الجناية على الأدب ما كان أجدره أن يتحاماه .

إن من أهم مميزات النقد الذي يجعل الإصلاح الأدبى هدفه

وصرامة، اللفظ اللين والنقاش الهادئ والحجة الدامغة مع احترام صاحب الرأى المنقود وعدم التعرض لشخصه . فإن كان صاحب الرأى صادق النية نزيه القصد فيما كتب فليس عليه من ضير أن يُنتقد؛ أما إن كان سيئ النية نفى القصد، والنقد كفيل بإظهار كل خبيئة ، فحسبه ما يجر على نفسه من تفنيد الرأى وتسفيه الحلم وما يتبع ذلك من هبوط سعره فى سوق الأدب وأوساط المجتمع « وعلى نفسها جنت براقش »

(الخرطوم) محمود أحمد عبد الحميد

هل فى الحيوان غريزة الغيب ؟

قرأت فى الرسالة رقم ٣١٢ المقال الممتع الذى كتبه الأستاذ عزيز أحمد فهمى فكان أعجب شىء التفت إليه نظرى وامتلأ به تفكيرى هو ما أورده من تلك الظواهر التى تميل إلى القول بوجود إدراك الغيب عند الحيوان . فقد عاد بى قوله هذا إلى ذكر ليال خلت ، أيام كانت فلسطين تتهيأ لتقوم بثورتها الكبرى . ويا لها من ليال كانت تملأ قلبى فزعاً وهماً !

حينما يسجو الليل ، ويهجع السامر ، ويخشع كل جرس ، كانت تقوم « وهوهة » حزينة فى جبل النار يرجعها بنات آوى كترجيع النائحات ، فما كان يخيل إلى ساعتئذ إلا أن فى كل بيت من بيوت البلدة مناحة قائمة . وشد ما كنت أتشاءم من ذلك الشعور الذى ينتابنى لدى ظهور تلك الأصوات الكئيبة الباكية! فقد كان يذهب بى خيالى إلى أن هذه الأصوات طبيعية بالنسبة إلى ذلك الحيوان، ولكن أذنى تحولها إلى تلك الصورة الكئيبة إيذاناً بمصيبة ستلم بى لا قدر الله

وهكذا لم تكن بنات آوى لتخطئ مواعيدها فى كل ليلة؛ ولم يكن خيالى ليخطئ فى تصوير أبشع ما يتوقعه المرء من شر وسوء

وكانت الثورة ، وما أدراك ما الثورة ! فطاحت رؤوس ، وتمزقت نفوس؛ وإذا البلدة لا تمضى عليها ساعات معدودة فى كل يوم دون أن تفجع بحبيب إليها أثير لديها . وكان القوم يوارون الضحايا فى سفح جبل النار مثنى وثلاث

ونظرت ... وإذا الله يستبدل مناحات الأمهات ، والزوجات، والأخوات بمناحات بنات آوى . فالأصوات هى هى بعينها ، والوحشة تملأ البلدة فى وضح النهار فضلاً عن الليل . وذهبت نفسى حسرات، وتصاعدت آلامى المكبوتة زفرات . وما كانت لتطلع الشمس أو تغيب فى كل يوم إلا على مأساة من هذه المآسى

وها قد انتهى أمر الثورة . وها أنا أصيخ بسمعى فى كل ليلة عساى أسمع تلك الوهوهة الباكية ، أو قل تلك المناحات التى كانت تقيمها بنات آوى فما أسمع صوتاً ولا ركزاً .

« نابلس » فدوى عبد الفتاح طوقان

قواعد العربية الفصحى

هذه ترجمة عنوان الكتاب الذى أخرجه فى الشهر الماضى الأستاذان (جودفروا دومامبين) من أساتذة اللغة العربية فى السوربون سابقاً ، و (بلاشير) أستاذ اللغة العربية فى المدرسة الوطنية للغات الشرقية فى باريس . والكتاب يتناول فى نحو خمسمائة صفحة ، الصرف والنحو بالتفصيل والتمثيل . ومزيته أنه مؤلف على أسلوب حديث مغاير لكتب قواعد العربية المنشورة باللغات الأفرنجية ولا سيما الفرنسية . وبالأسلوب الحديث نعنى ما وصل إليه علم اللغة فى هذا العهد من طريق مراجعة أصول فقه اللغات الهندية ـ الأوربية ، ومن طريق النظر فى مذاهب اللغات السامية

والكتاب مطبوع فى باريس واسم الناشر G. P. Maison-neuve وعنوان الكتاب Grammaire de L'Arabe Classique

---

رسالة النقد

حول مناظرة وكتاب

نقد ومراجعة

للدكتور بشر فارس

شيء واحد لفت نظري فيما كتبه — في العدد الماضي من الرسالة — الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم خريج جامعة موسكو لسنة ١٩٣٣ كما جاء في مجلة الحديث، حلب ١٩٣٨

وأما الذي يكتنف ذلك الشيء من الكلام المرتجل ارتجالاً فلا شأن لي به . وقد أخبرت القارئ من عددين أن قلمي لا يقوى على مجاراة غيره في ذلك الضرب من الكلام . ولولا غضبي للعلم الحقّ وغيرتي على النقد الصحيح ما كتبت هذا الفصل

قال الأستاذ أدهم : « إن الجملة الفرنسية Une somme de rapports sociaux التي تنظر إليها العبارة العربية ليست من خلقه (يعنيني) ، فقد تكرر ذكرها في كتابات العالم الاجتماعي دوركايم Durkheim وخصوصاً في مجموعة محاضراته عن علم الاجتماع في السوربون : ص ١١ ، ١٣ ، ٢٤ ، ٢٦ مثلاً »

بهذه العبارة يريد الدكتور أدهم أن يقيم البرهان على أن تلك الجملة الفرنسية التي « ليست من خلق » قد وصلت إلى علمه قبل قراءة كتابي « مباحث عربية » . وإني لأرى الأستاذ أدهم يتقول عليَّ : فإني لم أقل قط إني « خلقت » تلك الجملة الفرنسية ، إذ أني في « مباحث عربية » (راجع ص ١٦) أضع الاصطلاحات العربية — من طريق المطالعة أو الاجتهاد — ثم أثبت إزاءها ما ينظر إليها في اللغات الإفرنجية ، وذلك رغبة في إغناء لغتنا (وهل أنا أغنى لغات الفرنجة ؟) . وعندي أنه كان يغني الأستاذ أدهم عن عبارته المذكورة أن يثبت لنا الجملة التي استعملها في « مجلة المعهد الروسي للدراسات الإسلامية » — وذلك على وجهها — ولكنه لم يفعل بل لم يبعث إلى بالمجلة كما رجوت منه . وكان بودي أن أرى كيف استعمل المصطلح العربي الخاص بعلم الاجتماع دون غيره ، الموضوع في كتابي وضعاً فلسفياً

ومن الظريف أن يذهب الأستاذ أدهم في إقامة برهانه إلى ما لا نرضاه له . فقد استشهد على وجه التخصيص بـ « مجموعة محاضرات دوركايم عن علم الاجتماع في السوربون » ثم عيّن فقال : « ص ١١ ، ١٣ ، ٢٤ ، ٢٦ » ثم تلطّف فقال : « مثلاً »

والذي في الحقيقة أن دوركايم استعمل هذه الجملة غير مرة ، وكذلك تلامذته وتلامذة تلامذته ، وعلى الأستاذ أدهم التفتيش . غير أن دوركايم لم يستعمل هذه الجملة في « مجموعة محاضراته عن علم الاجتماع في السوربون » ، وذلك بالرغم من الكلمة : « مثلاً » التي جرت على قلم الأستاذ أدهم ، وفيها ما فيها من قوة الإبهام

إني لم أسمع قط بـ « مجموعة محاضرات دوركايم عن علم الاجتماع في السوربون » ، مع أني قرأت كتب دوركايم - وهي غير كثيرة - راضياً أو كارهاً ، وأنا أحصّل علم الاجتماع على ألوانه - فيما أحصل من فنون الفلسفة - في السوربون نفسها ، وذلك زهاء سبع سنين . وقد سألت اليوم زميلي في التحصيل في السوربون ، الصديق الدكتور علي عبد الواحد وافي - مدرس علم الاجتماع بكلية الآداب لجامعة فؤاد الأول - هل يعرف تلك « المجموعة » ؟ فأخبرني قال : « لا وجود لها » . أضف إلى هذا أن بين يدي الآن كتاباً فيه ثبت المؤلفات في علم الاجتماع (ولاسيما التي تهم الطالب ، وأي شيء يهم الطالب مثل المحاضرات ، بل محاضرات دوركايم وهو إمام مدرسة علم الاجتماع الحديث في

فرنسة ؟). وهذا الكتاب عنوانه : Le guide de l'Etudiant en Sociologie ، وليس فيه ذكر لتلك « المجموعة » . واعلم أن هذا الكتاب مطبوع فى باريس ثمانى سنين بعد وفاة دوركايم فضلاً عن أن أحد صاحبيه من تلامذة دوركايم نفسه ، واسمه Bouglé ، فهو أعلم منا بما أخرج أستاذه لطلاب علم الاجتماع

هذا إلا إذا خرجت تلك « المجموعة » فى موسكو حيث تلتى الأستاذ أدهم شتى العلوم . فرجائى منه إذن أن يعين لى « المجموعة » بحيث يثبت العنوان الفرنسى وتاريخ الطبع ومكانه . فإنى جد حريص على أن أخبر أساتذتى وزملائى من علماء الاجتماع بوجود تلك « المجموعة » ؛ وما أظنهم إلا ناشطين لها ، وما إخالها إلا واقعة موقع الحدث

***

ولعل تلك « المجموعة » – وكلها سر – موجودة على خلاف ما أقوله وما يقوله صديق الدكتور على عبد الواحد واف ، وعلى خلاف ما جاء فى الكتاب المتقدم ذكره . فتكون القصة أن الأستاذ أدهم لم يحسن نقل عنوان الكتاب من الفرنسية إلى العربية ، وذلك لسببين :

أما الأول فلأن العربية ليست « لغته الأصلية » ، كما قال فى العدد السابق من الرسالة حين أخذ يعتذر إلىَّ من اقتباس تعبيرات لى[1] .

وأما السبب الثانى فلأن علمه باللغة الفرنسية لا ييسِّر له مثل ذلك النقل . وقد ذكرتُ هذا وعلَّلته مكرَهاً ، لعددين مضيا ، فردّ الأستاذ أدهم قال : « إن اللغة الفرنسية ليست وقفاً علىّ » معاذ الله أن تكون الفرنسية وقفاً على ! غير أنى ماذا أصنع وفى نقد الأستاذ أدهم لكتابى « مباحث عربية » ما يؤيد ما ذكرته من عددين ؟ فنى رأى الأستاذ أدهم (راجع الرسالة العدد ٣١١ ص ١٢٢٩) أن استعمالى لفظ « السلوك » لأحد مشتقات المصدر الفرنسي (وهو moralité) تارةً ، ولفظ « الأخلاقيات » لمشتق آخر للمصدر نفسه (وهو morale بمعنى éthique) تارةً أخرى مما « يوقع فى اللبس والاختلاط » . والواقع الذى أثبتُه على كُرهٍ أن الأستاذ أدهم لم يدرك الفرق القائم بين اللفظين الفرنسيين : moralité و morale (راجع « مباحث عربية » ص ٣٦ ، ٥٦ خاصة) ، فالأول يدل على أعمال المرء من الناحية « الأخلاقية » ، والثانى يفيد « علم الأخلاق » . وحسب الأستاذ أدهم أن يستفسر معجماً فرنسياً للمدارس ذينك اللفظين .

ولك أن تقول : فإذا شقَّ على الأستاذ أدهم أن يحسن النقل من الفرنسية إلى العربية فكيف ارتجل مصدراً ارتجالاً ثم استشهد به وأثبت بضع صفحات « على جهة التمثيل » ؟

الحق أنى أود أن أعجب عجبَك ، ولكن ما قولك فى هذا الاختلاق :

قال الأستاذ أدهم فى نقده لكتاب « مباحث عربية » (الرسالة العدد ٣١١ ص ١٢٢٩) : « يَعتبر الباحث (يعنينى) كلمة البصيرة مقابلاً (كذا) intuition ص ٢٢٥٧ ، والغريب أنى لم أثبت كلمة intuition إزاء كلمة البصيرة الواردة فى ص ٥٧ من كتابى ولا فى صفحة غيرها . فمن أين جاء الأستاذ أدهم بكلمة intuition وكيف جعلنى « أعتبر » ما يجهل هل أنا « معتبره » ؟

ثم لِمَ لا يرتجل الأستاذ أدهم المراجع ويبتدع المصادر ، وهو الذى استشهد بالإصحاح الرابع عشر من « سفر دانيال » من العهد القديم (الكتاب المقدَّس) ثم بالجزء الثالث من « الفهرست » لابن النديم ، يوم نقد « مباحث عربية » (الرسالة العدد ٣١٢ ص ١٢٧٤ ثم ص ١٢٧٥) . وإليك بيان ذلك :

أولاً – قال الأستاذ أدهم : « ومما يحسن بى الإشارة إليه أن كلمة المروءة وردت فى اللغة العبرية ، وهى من أخوات اللغات العربية ، نازعةً فيها لمعنى السيادة (دانيال ١٤ – ١٩ ومراد فرج

---

(١) ومن مقتباته الأخيرة أنه هجم على ما قاله الدكتور زكي مبارك فى الأستاذ أحمد أمين (الرسالة العدد ٣١٠ ص ١١٤٠ الفقرتان الأوليان) وصبه على سموخا فى فاتحة مقاله الأخير . وأسفى شديد أنه أخطأ المرى ، إذ البصير بمواقع ألفاظ لغتنا اللطيفة يعلم أن الكتابة « المرتجلة » ليست موضع مدح ، وعلى ذلك فانى أشكر للأستاذ أدهم نفيه إياها عنى . ومثل هجوم الأستاذ أدهم على ما قاله الدكتور زكي مبارك فى الأستاذ أحمد أمين ثم صبه على كتل هجومه على مذهبى فى مسرحيتى « مفرق الطريق » وصبه على مسرحيات الأستاذ توفيق الحكيم . ذلك أسلوب من النقد طريف ! ولعل سره عند الأستاذ أدهم ، فهو صاحب تحقيقات خاصة به : منها جزمه أن الأستاذ توفيق الحكيم ولد سنة ١٩٠٣ لا سنة ١٨٩٨ كما يقول الأستاذ الحكيم نفسه ويؤكد . إلا أن الأستاذ أدهم يحتج بأن ما يقوله الأستاذ الحكيم ويؤكده « لا يتفق مع هيكل التحقيقات التى قام هو بها » (راجع هذه القصة النادرة فى مجلة الحديث سنة ١٩٣٩ ص ٣٣٢)

فى ملتقى اللغتين ج ١ ص ٨٩ — ٩١) »

والذى فى كتاب « ملتقى اللغتين : العبرية والعربية » للأستاذ مراد فرج : « مرا : فتح فكسر ممال ممدود بمعنى السيد وولىّ الأمر — دانيال ١٤ — ١٩ والأصل العبرى ١٦ » (يريد ، على أسلوب جمهور العلماء : الإصحاح ١٤ والآية ١٩ فى الأصل العربى والآية ١٦ فى الأصل العبرى)

ومن المستحيل أن يكتب الأستاذ فرج : الإصحاح ١٤ (الرابع عشر) ، لأن «سفر دانيال» اثنا عشر إصحاحاً فقط ! ومن هنا تبين لى أن الإصحاح ١٤ من غلطات الطبع . فسألت فى ذلك زميلى الدكتور مراد كامل — مدرس اللغات السامية بكلية الآداب لجامعة فؤاد الأول ـ فأخبرنى بعد المراجعة قال : « إن الصواب هنا : الإصحاح ٤ (الرابع) والآية ١٦ و ٢١ »

وهكذا ترى كيف جاء الأستاذ أدهم ونقل ما فى كتاب الأستاذ فرج من غير تحقيق ولا روية . والظريف أنه استشهد بسفر دانيال أوّل ما استشهد ، إذ قال : « كيت وكيت : دانيال ١٤ — ١٩ ومراد فرج فى ملتقى اللغتين ج ١ ص ٨٩ — ٩١ » كأنه اطلع على سفر دانيال قبل « ملتقى اللغتين » لفرج

ثانياً — قال الأستاذ أدهم ـ عند الكلام على أنساب العرب ـ :

« ولكنا على الرغم من ذلك ، نلاحظ جواز أن تكون القبيلة منشؤها اجتماع عدة بطون وأفخاذ من قبائل مختلفة : ابن حزم نقلاً عن الفهرست لابن النديم ج ٣ (كذا) ص ١٨٧ . والمراجع العربية تروى أن قبائل تنوخ وغسان والعنق تكونت من شتيت البطون التى تناثرت فى الصحراء من القبائل العربية التى تفرقت بعد تركها مواطنها فى الجنوب : الفهرست ج ٣ (كذا) ص ١٨٧ وكذلك لنا (يعنى كتاباً له) : علم الأنساب العربية ص ١٣ ـ ١٤ »

على هذا النحو ترى الجزء الثالث (؟) من « الفهرست » لابن النديم يُثبَت مرتين على سبيل المرجع . وليس للأستاذ أدهم أن يستنجد بغلط الطبع ، إذ فى كتابه الذى ذكره : « علم الأنساب العربية » : (مجلة الحديث ، حلب ١٩٣٨ ص ١٤) ما جاء فى نقده حرفاً بحرف .

هذا والمعلوم أن « الفهرست » لابن النديم طبع مرتين : مرةً فى لَيبتسج Leipzig سنة ١٨٧٢ ، ومرة فى مصر سنة ١٣٤٨ للهجرة . وفى كلتا المرتين خرج « الفهرست » فى جزء واحد . والذى حدث فى هذا الوطن أن الأستاذ أدهم اقتبس المرجع إلى « الفهرست » من كتاب من الكتب الحديثة من غير أن يراجع المظِنَّة ، دأبَه مع « سفر دانيال » . ولو راجعها لعلم أن الكلام على الأنساب يقع فى « المقالة الثالثة » (« الفن الأول : فى أخبار الأخباريين والنسابين ... ») من كتاب الفهرست ، لا فى الجزء الثالث منه . ومن هنا يتبين أنه ظن المقالة جزءاً لحظةَ اقتبس المرجع . وأما الصفحة التى يعيِّنها (ص ١٨٧) فلا أثر فيها لما يذكره . بل إنى قرأت الفن الأول من « الجزء الثالث » كله (طبعة مصر ، وهكذا للأستاذ أدهم أن يقول أن حديثه فى طبعة ليبتسج !) ولم أعثر على حديث الأستاذ أدهم .

وأما قوله فى مرجعه : « ابن حزم نقلاً عن الفهرست ... » فغاية الاشتباه . لأنه إذا قال ابن حزم من غير تعيين أراد صاحب « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » . وعليه فلنا أن نسأل الأستاذ أدهم أى كتاب لابن حزم يعنى ، ولابن حزم المولود سنة ٣٨٣ (أىّ ست سنوات بعد تصنيف الفهرست) ستة وثلاثون مؤلَّفاً ؟ راجع : بروكلن « تكملة تاريخ الآداب العربية » لَيدِن ١٩٣٧ ج ١ ص ٦٩٤ — ٦٩٧ . ثم إنى أعلم أن لابن حزم كتاباً لا يزال مخطوطاً ، عنوانه : « جمهرة النسب » ، وقد نَشَر جانباً منه Khuda Bukhsh فى كتابه : Contributions to the History of Islamic Civilization فهل يعنى الأستاذ أدهم فى مرجعه ذلك المخطوط ؟ وإذن فأين اسم الكتاب وأين الصفحة ، كما يصنع الناقد الثبت والباحث الثقة ؟

وغاية القول هنا : أين الجزء الثالث من الفهرست ، وأين النص المستشهد به فى ص ١٨٧ ، بل فى الفن الأول من المقالة الثالثة من الفهرست ؟ ثم من ابن حزم هذا ، وما كتابه ؟

* * *

إنى والله ليحزننى أن أثبت كل ذلك ، وليزيدنَّ فى حزَنى أن الأستاذ أدهم حدَّثته نفسه بأن يكتب : «وأظن أن الدكتور بشر فارس لا ينكر علينا أننا أكثر الكاتبين فى العربية استقصاء

للمصادر » (الرسالة العدد ٣١١ ص ١٢٢٥) . فليطمئنَّ الأستاذ إلى أني لا أنكر عليه ذلك ، وليطمئن أيضاً إلى أن « الكاتبين في العربية » لن ينازعوه الغلبة في استقصاء المصادر على طريقته . إنما العلم دقة وأمانة . . .

وإذا امتد الحديث إلى استقصاء المصادر فما ضرَّ الأستاذ أدهم لو راجع معجمات الفلسفة وكتبها حين تكلم على كلمة intuition في نقده لمباحث عربية كما تقدم . فقد قال : « وهذا (أي : الانتقال دفعة واحدة من المبادئ إلى النتائج) ما يفيده معنى لفظة intuition اصطلاحياً ولغوياً كما يستفاد من مراجعة معاجم اللغة الفرنسية »

فهل يصاب المصطلح الفلسفي على وجهه التام والخاص جميعاً في « معاجم اللغة » ؟ إني هنا أرشد الأستاذ أدهم إلى « المعجم الاصطلاحي والنقدي للفلسفة » للأستاذ Lalande (باريس ١٩٣٢) فثمة يدرى كيف يذهب الاصطلاح الفرنسي إلى أبعد مما يظن . وله أن يقرأ أيضاً – ليُحكم معرفة المصطلح لهذا العهد مثلاً – كتابين للفيلسوف برجسون Bergson وهما : Essai sur les données immédiates de la conscience و L'Evolution créatrice (الباب الثاني) ثم كتاباً للعالم بوانكاريه عنوانه Science et méthode (الفصل الأول من الباب الثالث)

وإذا أراد الأستاذ أدهم أن يعرف ما تحت مصطلح intuition قبل هذا العهد فعليه ببعض ما كتبه Descartes و Leibnitz و Kant خاصةً في « نقد العقل الصرف » ثم شوبنهاور

هذا من جهة المصطلحات الفلسفية ، وأما من جهة المواضعات العربية فما ضر الأستاذ أدهم لو راجع معجمات اللغة ونظر في دواوينها قبل أن يكتب في نقد « مباحث عربية » (الرسالة ، العدد ٣١١ ص ١٢٢٩) : « ثم عندك قول الكاتب (يعنيني) إن للفظة الشرف مفادات متجاورة تارة ، متباينة أخرى » . ثم يزيد : « في هذا التعبير لفظة التجاور تفيد إفرنجيًّا معنى synonyme والقصور واضح في التعبير العربي (كذا !) فضلاً عن أن التعبير غير مستقيم من جهة البناء اللغوي (كذا ؟) ولكي تتسق مفادات العبارة لا بد من إبدال لفظة : المتجاورة من الجملة بالمتشابهة لأنها أدل على المعنى وأكثر اتساقاً في الجملة »

على أني لا أحب أن أسأل الأستاذ أدهم كيف يناقشنا في لغتنا وهو لا يزال يأخذها عنا ، كما اعترف بذلك في خاتمة مقاله المنشور في العدد الماضي . إن كل ما أبتغيه أن أرشده إلى كتب اللغة العربية ليتبيّن أن معنى لفظة synonyme تؤديه في العربية الفصحى لفظة « الترادف » (وما هذه اللفظة عنيتُ في جملتي المذكورة قبل) . وأعلم أن كلمة synonyme في الإفرنجية هي الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد (أو متقارب). وإلى الأستاذ أدهم « مثلاً » فصلاً قريب المنال في « المزهر » للسيوطي (النوع السابع والعشرون)(١)

* * *

العلم في مصر أمسى شيئاً مقدساً له سَدَنَته وله حراسه . فكيف يأخذنا القول بالظن والكلام المتحدى والجدال المتحكم والتظاهر بالتثبت والدراية ؟ . . .

فالرويَّةَ الرويَّةَ عند الإقبال على الاشتغال بالعلم أو على نقد من توفر عليه . والنقد أمر لا ثمرة فيه إذا حاد عن خدمة العلم وحده . والنقد للعلم مصباح على أن يكون الزيت لا دخل فيه !

* * *

بقي أن أودع القارئ ، وأنا راحل إلى أوربة بعد أربعة أيام . وإني لشاكر له صبره ، فقد أطلت الكتابة في سبيل « وضع الشيء موضعه » . ورجائي منه أن يتحقق ما جاء في هذه الكلمة : فكتاب « الفهرست » و «سفر دانيال» – مثلاً – مبذولان لكل أحد . وإني لمطمئن إلى أن القارئ سيعرف – من طريق المراجعة والتحقيق – كيف ينظر عني فيما يبدو لهذا أو لذاك أن يكتب ويكتب . والسلام ، وإلى اللقاء بعد أربعة أشهر

بشر فارس
دكتور في الآداب من السوربون

---

(١) هذه مراجعة لبعض أقوال الأستاذ أدهم في « مباحث عربية » . ويجد القارئ في مقتطف أغسطس المقبل (باب المراسلة والمناظرة) مراجعة كل ما قاله الأستاذ أدهم . وذلك إلى جانب النظر في آراء طائفة من الكتاب الذين عرضوا لنقد ذلك الكتاب على بصيرة .

7me Année No. 315 | Lundi - 17 - 7 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣١٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٧ يوليه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــــرس

بين بطء الماضى وسرعة الحاضر

من الأحاديث العابرة ...

— اجلس قليلاً يا صديقى نتحدث ! لقد أصبحت كالطيف النافر لا نسمعك إلا هُتافاً ولا نراك إلا لمحاً ولا نجالسك إلا لماماً

— عصر السرعة يا صديقى ! لقد اشتد سائق الركب وأسرع فى النغم حاديه ! فمن تخلف عن قافلة الحياة افترسه الجوع وتخطّفه العدم !

— أوه ! أجل يا صديقى ! عصر السرعة، أو عصر الآلة، أو عصر الإنسان ذى الزمبلك ! أسماء مختلفة لمرض واحد : هو كَلَب هذه الحضارة الغربية !

— أتسمى نشاط الحياة وسرعة العمل ومساورة الرزق مرضاً ؟ وأين تكون الصحة إذن ؟ أفى الجمود أم فى القعود أم فى التخلف ؟

— رويدك يا صديقى ! هل تستطيع أن تقول لى : لماذا يسرع الناس ؟ أليقطعوا العمر فى أعوام ؟ أليفنوا الشباب فى أيام ؟ أليقضوا اللذة فى ساعات ؟ وما قيمة كل ذلك فى دَرَك السعادة ؟ لقد كنا نشتغل بعض اليوم ، فأصبحنا نشتغل كل الليل ؛ وكنا نعمل باليد ، فأصبحنا نعمل بالآلة ؛ وكنا ننتقل بالجمل ، فأصبحنا ننتقل بالطيارة ؛ وكنا نأكل مطمئنين فى البيت ، فأصبحنا نأكل مضطربين فى الشارع ؛ وكنا نقيم العرس أربعين يوماً والمأتم سنة ، فأصبحنا نقتصر من الفرح على ساعة العقد ، ومن الحزن على تشييع

الجنازة؛ وكنا نخلق الكائن الفنيّ في دهر طويل من العمر ليكون متعة الذوق والذهن والعاطفة طول الأبد، فأصبحنا نصوره في ليلة ليفرغ الناس من تقديره في لحظة . فهل وجدنا من رخاء الصدر وسكينة الروح مقدار ما فقدنا من راحة البدن وفسحة الأجل ؟

— وما يدريني ؟ لو أنني أدركت العهدين لجاز أن أحسن الموازنة وأصيب الحكم ؟

— أما الذي أدركت العهدين، وأستطيع أن أقول لك إني أشعر بالفرق بين بطء العيش وسرعته، كما يشعر الظامئ الآمن بالفرق بين الرشيف والجرْع، وأدركه كما يدرك المتنزه الشاعر الفرق بين اجتياز الروض على القدم واجتيازه في السيارة . لا ريب أن الشارب إذا ترشف الماء وتمززه كان ذلك أنضح لغليله وأبرد على كبده من العبّ الذي يعجل الري ولكنه يؤجل الهناءة. كذلك المتنزه على قدميه يجد في كل خطوة عالماً من الجمال ، وفي كل وقفة فيضاً من اللذة ؛ على حينَ لا يجد راكب السيارة إلا الخوف في كل نظرة، وإلا الخطر في كل كرّة !

أنظر ! هذا الذي تراه واقفاً بعربته أمام الدار عامل من عمال (أوروزدي باك) . طلبنا من هذا المتجر بالتليفون بعض متاع البيت وحاجة العيش، فأرسله بالسيارة، وتسلمه الخدم، ولم نجد نحن الذين كلفتنا هذه الصفقة عشرة جنيهات ما كان يجده المشترون المتذوقون من لذة الانتقاء وفرحة الاقتناء وغبطة القدرة

هذه (العملية) التي لم تستغرق غير ساعة من النهار كانت في حياتنا القروية الذاهبة تقتضي من الزمن أسبوعاً ينقضي بين سوابق اللذة وآثارها مذهّب الأطراف بالأحلام ، مطرز الحواشي بالصور ، لا تكاد الأسرة تفيق من نشوته ولا تنتهي من حديثه !

***

دعني أعُد بالذاكرة إلى حدود الماضي البعيد فأذكر لك كيف كان رجال القرية يشترون حاجة عامهم من السوق . كان بين القرية والمنصورة ساعة ونصف بالحمارة السريعة ، فأصبح بينهما اليوم ربع ساعة بالسيارة البطيئة ! وكان القوم متى باعوا القطن أكثروا الحديث عن المتاع والكسوة والمنصورة، فتتهيأ الأذهان من قبلُ للسوق كما يتهيأ قلب المؤمن في رمضان للحج، وفكرُ (المتمدن) في أبريل للاصطياف . فإذا جاء يوم السوق الذي تواطأ رجال (الحارة) على الامتيار فيه، كان كل شيء على تمام الأهبة : فالبرادع المنجّدة على الحمير، والأخراج المخططة على البرادع ، والعصيّ الدقيقة في الأيدي الغليظة ، والدنانير الذهبية في الأكياس العميقة ، والفطائر الدسمة في المقاطف الوعيبة ، وكبير (الحارة) قد تنفس عليه الصبح وهو على حماره في جرن القرية يحبس المتقدم ويستحث المتأخر ؛ حتى إذا اجتمعت العِير واكتمل العدد ساروا في سكة السوق سطراً منضوداً يتناسق على نظام المقام والسن . وتسمع ضوضاءها من بعيد فتحار أذنك بين الكلام والضحك والنهيق وحث المطايا بالزجر والضرب، واصطكاك الحوافر بالتراب والحصى. فإذا بلغوا (طلخا) أودعوا حميرهم في (الوكالة) وهي (الجراج) بلغة اليوم ، ثم وضعوا الأخراج على المناكب ومضوا صامتين إلى المعبر يركبون منه الفُلك إلى شاطئ المنصورة

وهنا يرفضُ عن القوم النشاط والزياط والجرأة فيخشعون خشوع الطائر المهيض ، لأن النيل غير الترعة ، والسفينة غير النورج ، والمدينة التي يسكنها الأفندية غير القرية التي يخيفها كلها أفندي واحد ! هاهم أولاء يخرجون من ضيق القارب إلى زحمة الشارع فيمشون في سَواء الطريق أو على إفريزه سلاسل سلاسل يتماسكون عند الخوف ، ويتكومون لدى الهلع ، ويتصايحون عند الشتات ، ويقفون اللحظة بعد اللحظة ريثما يعود الشارد ويلحق المتخلف، حتى ينزل بهم الدليل على (الخواجة) المقصود ، نزول الغيث على الثرى المجهود ، فيجلس الكهول على الكراسي ، والشباب على الأرض؛ وينشر تاجر القماش وعماله الأثواب المختلفة على عيونهم الشاخصة وأيديهم الفاحصة ، فيختلفون على النوع أو على اللون أو على السعر، فتعلو الأصوات، وتعنف الحركات، وتطول المساومة، حتى تخور القوى وتصحل الحناجر ويذهب الوقت فيقبلون أخيراً كل نوع يُعرض ، ويرضون كل ثمن يُفرض !

ثم يقومون للغداء فيتخيرون شارعاً غير مطروق يجلسون حِلقاً على حاشيتيه ويأكلون فطائرهم بالحلاوة والعنب والبلح وهم فرحون مبتهجون ، ثم يعودون إلى البدال والعطار فيستأنفون النزاع على الصنف والسعر حتى يتشاءم الليل فيخرجون من سوق (الخواجات) يُجرّرَ الأخراج والغرائر لا يهتدون في النور ، ولا يأنسون بالناس ، ولا ينتبهون للدليل ، فينقطع الضعيف ، ويضل الغافل ، ويكون عند المعبر افتقاد ونشدان وضجة !

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

فإذا خلصوا بما معهم من المدينة والنهر واقتعدوا ظهور المطىّ ونشقوا نسيم الحقول انبسطت المشاعر وانطلقت الحناجر فخاضوا فى أحاديث السوق ، وأفاضوا فى أعاجيب البندر ، وادعى كل منهم أنه كان أبصر بالبضاعة وأخبر بالسعر وأقدر على الخواجة !

وكان شباب القرية قد انتشروا مع الظلام فى طريق العودة يلقون العير ويكفونها مخاوف الليل . وكان نساء الغائبين وأطفالهم يتراقصون على أنغام المنى ، ويتسمون على السطوح لجب القافلة . فإذا دخلت البلد قابلوها بالزغاريد والأناشيد ، وقضت (الحارة) معظم الليل فى أكل البلح ومص القصب وتساقى الحديث . ثم يصبح الصباح فتفتح الحقائب وتوزع الكُسى وتفرق الهدايا ، وتغرق هذه الأسر فى فيض من الفرح والمرح مدى أسبوع !

* * *

الواقع يا صديقى أن السرعة محنة هذه الحضارة . وذلك أنها وفرت على الناس الصحة وأخرت عنهم الموت حتى نموا وكثروا ، فهم يتزاحمون على موارد الرزق ، ويتسابقون إلى مظان القوت ، فأصبح من لا يجعل جناحيه فى رجليه لا يسبق ، ومن لا يصل بالعمل يومه بيومه لا ينال !

احمد حسن الزيات

ضريبة الجمـــال

للأستاذ عباس محمود العقاد

الشاطىء عامر ولكنه ليس بالمزدحم ، والبحر مائج له زئير ، والهواء هائج له صفير ، والراية السوداء كالقافية المحزنة تتكرر على مسافات متساويات أو متقاربات ؛ قافيـة محزنة والقصيدة مفرحة تضج بالحركة والحياة ! ... وهذا من عجيب النظم فى شعر البحار والحمامات !

وإذا اتسع الأفق أمام العينين حتى كأنهما تنظران إلى مكان واحد ، وتجاوبت الأصداء على الأذنين حتى كأنهما قد كفّتا عن السماع بعد طول التكرار ، فهنالك تنطلق الخواطر شتاتاً كما تنطلق خواطر الأحلام بعد تعطيل السمع والنظر ، فهى تارة تستقصى إلى ما وراء الأعماق ، وتارة تستقرب فلا تتجاوز أدنى المحسوسات ، مما علق بالذهن قبيل لحظات معدودات

وهكذا جلست أرقب الشاطىء وكأننى أحلم بما أراه . ومن حق الشاطىء وايم الله أن يحسب فى عداد الأحلام

ها هنا وها هناك تماثيل من خلق الله فى المعرض الحافل المتجدد : بعضها ولا ريب تحفة من تحف الخلق والتكوين ، وبعضها ولا ريب لازم للمناوبة بين شعور الإعجاب وشعور الرثاء ، أو للمناوبة بين إبداء المحاسن وإبداء العيوب

نعمة جزيلة وأى نعمة هذا الجمال الذى لا يقوّم بمال

نعمة يستمتع بها أصحابها وغير أصحابها ، وربما كان نصيب لابسيها دون نصيب الناظرين إليها ، لأنهم يعرضونها ويعطونها والناظرون هم الآخذون

بل هم حريصون على عرضها وإعطاء العيون منها كل نصيب تشتهيه

وإلا فما بال هؤلاء العارضين قد تهيأوا لنزول الماء والماء لا يقبل النازلين فيه !

سيقولون : للشمس لا للبحر ! ... لا تصدقهم ! ... فالشمس أيضاً من وراء سحاب ، قلما تسفر من ذلك الحجاب

إنما يتهيأون لحمام من أشعة النظر لا من أشعة الشمس ولا من أمواج الماء ، ويا له من حمام مرىء على الجمال

* * *

وكنت حديث عهد بالضرائب ولجاج الموازنة بين الموارد والمصروفات

ويشاء الحلم أن يستقرب فى هذه المرة فيسنح لى خاطر كأسرع ما يكون وأقرب ما يكون :

ما للدولة لا تشارك الجميـل فى نعمة جماله كما تشارك الغنى فى نعمة ثرائه والصانع فى نعمة ذكائه أو عضلاته !

كل نعمة فللدولة منها حصة . فما بال الجمال لا يحسب من النعم عند مصلحة الضرائب الأميرية ؟ أو ما باله يحسب من النعم ولا يدخل فى الحساب ؟

علم الله لو فرضت ضريبة الجمال لجمعت الدولة الملايين واستراحت من المحصلين ، لأن أصحاب الضريبة يؤدونها عن يد وهم شاكرون ،

ويشكون إن قل نصيبهم منها . . . ويحمدون الله أن خرجوا بها مثقلين مرهقين

وخطر لى قلم المراجعة والمظالم وما يتوالى عليه من الشكايات والمراجعات

أفلانة تطالبها الدولة بألف جنيه ضريبة جمال ولا تطالبنى أنا بأكثر من بضع مئات ؟ من هو هذا الأعمى الذى ترتضيه الحكومة عاملاً لها فى لجنة التقدير ؟ ومن هى هذه « الضعيفة الذليلة » التى تذعن لهذا الحيف وتصبر على هذا الظلم المبين ؟

وخطر لى ما قبل الشكاية وقبل الرجوع إلى لجنة المراجعة

خطر لى الزوج المسكين وهو داخل على الزوجة العابسة المتحفزة للشجار : تشاجره هو لأنها لا تجد بين يديها الموظف « الأعمى » الذى ظلمها بذلك النصيب من الضريبة ، ولا تأمن العقبى من « التعدى فى أثناء تأدية الوظيفة » والإصرار على تطفيف ذلك النصيب المزور

— ما بالك يا عزيزتى مهمومة البال ؟

— مالى أنا ؟ بل قل مالك أنت بين الأزواج ؟ قل مالك أنت بين الرجال ؟ قل مالك أنت بين خلق الله ؟

— أنا ؟ وما خطبي يرحمك الله يا أمة الله ؟

— نعم أنت ! ... أنت دون غيرك ! ... أنظر إلىّ ! افتح عينيك فى وجهى . افتحهما جيداً وقل لى : هل أنا دون فلانة فى الحسن والرشاقة والفتنة والأناقة ؟ هل أنا دميمة ذميمة أم هى خيبتى فيك — واحسرتاه — هى التى خيبتنى بين النساء ؟

وبعد بكاء واستغراق فى البكاء

وبعد جفاء وإمعان فى الجفاء

وبعد مائة سؤال ومائة جواب تظهر الحقيقة فإذا هى « تظلم من قلة الضريبة » وإرغام للزوج المسكين على المطالبة بمضاعفتها فى غمضة عين ، وهو هو الذى « يغرمها » ويكتوى بنارها . . . وإلا فليس هو برجل بين الرجال ، وليست هى بزوجة ترضاه بهذه الحال !

ويخيل إلى صاحبنا أنه يخدعها عن هذا الطلب ببعض الوعود وبعض الهبات ، فيعود إلى المراوغة والإغراء :

— يا عزيزتى ! يا زينة النساء . . . يا أجمل من خلق الله : أتهمك هذه الفلانة وهى لا ترتقى إلى مقام الجارية تحت قدميك ؟ أليس أولى من بذل المال فى الضريبة المضاعفة حلية تزيدك جمالاً على جمال ، وحلة تنفردين بها بين الأتراب والأمثال ، وشارة تغار منها فلانة ، وقُنية بعد ذلك باقية للحفظ والصيانة ؟

ثم تشتد الحيرة بالمباركة فلا تدرى أى الحسنيين تختار ، ولا بد أن تستقر ولا سبيل إلى قرار

هنا الحلية والحلة وما رفضتهما قط بنت من بنات حواء

وهنا الجمال بشهادة الحكومة واعتراف القانون وتسجيل الأوراق الرسمية ، وهى حجة تخرس اللسان ، ولا تدفع بالبرهان مشكلة !

ولا طاقة للمباركة بحلها

فليحلها الزوج المسكين ، بالجمع بين الحسنيين !

* * *

خطرت لى هذه الخواطر ، وتمثلت القائمين على خزانة الدولة بين إغراءين كاللذين حارت فيهما المباركة صاحبة المظلمة من تطفيف الضريبة

فماذا يصنعون ؟

هل ينتفعون بإقبال الناس على البذل والإعطاء فيقبلون من كل باذل ، ويستجيبون لكل طلب ، ويشهدون لكل راغبة فى شهادة ؟

أو يؤثرون أمانة الذوق وصدق النظر ونصفة الفن على ضخامة المورد وموازنة الأبواب ؟

مشكلة !

لكنها ليست بالمشكلة العويصة فيما أحسب ، وليست بالمشكلة التى تحل بالجمع بين الأمرين فيما أعتقد . . . لأن الأمانة فى تقويم الجمال ، سر قابل للاستغلال ، وباب جديد لفرض الضرائب على الخاطبين السائلين ، وعلى مسابقات الجمال فى غير حاجة إلى محكمين ، وعلى أفانين شتى قد تظهر بعد حين ، فإن فات الخزانة ربح الطمع فلن يفوتها الربح من هذه الأفانين .

عباس محمود العقاد

حول الوحدة العربية

إلى الدكتور طه حسين

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

أيها الأستاذ :

لقد مضى نحو ستة أشهر على نشر الانتقادات التي وجهتها إليكم — في مجلة « الرسالة » — بمناسبة حديثكم المنشور في مجلة « المكشوف » البيروتية ، حول « الوحدة العربية وموقف مصر منها » ، وعلى نشر « الفصل الجوابي » الذي أرسلتموه إلى « الرسالة » رداً على تلك الانتقادات[1]

لم أكتب إليكم شيئاً حول هذه القضية خلال هذه المدة لأسباب ستظهر لكم من الأسطر التالية ، ومع هذا أشعر الآن بدافع قوي يدفعني إلى مخاطبتكم في هذه المسألة ، بالرغم من مرور هذه الأشهر الطويلة ، لمواصلة البحث فيها والمناقشة عليها

* * *

كنت غادرت بغداد إلى المغرب الأقصى قبل وصول عدد الرسالة الذي نشر فيه ردكم ، فلم أطلع عليه إلا في بيروت قبل سفري منها بالطيارة . قرأت الرد هناك فوقعت في حيرة عميقة ، لأنني انتهيت من قراءته دون أن أجد فيه كلمة واحدة يصح أن تعتبر رداً على ملاحظاتي الاعتراضية ، أو جواباً على أسئلتي الانتقادية . . . لأن الآراء المسرودة في الفصل كانت تحوم حول قضية « وحدة الثقافة » و « واجب مصر في أمر هذه الوحدة » في حين أن هذه القضية لم تكن في القضايا التي اختلفت معكم فيها ، بل كانت في القضايا التي شكرتكم عليها ؛ فإنني ختمت مقالتي الانتقادية بالعبارات التالية :

« هذا ، وأرى ألا أختم اعتراضاتي ، دون أن أتوجه إليكم بكلمة شكر ؛ فإني أشكركم من صميم فؤادي على مناداتكم بتوحيد الثقافة بين البلاد العربية ، لأنني أعتقد أن توحيد الثقافة من أهم العوامل التي تهيئ سائر أنواع التوحيد. فأقول بلا تردد : اضمنوا لي وحدة الثقافة، وأنا أضمن لكم كل ما بقي من ضروب الوحدة ... »

فكان من الطبيعي أن أقع في دهشة عميقة من قراءة الفصل الذي نشرتموه في الرسالة تحت عنوان « الرد »

وأخذت أفكر — وأنا أقطع الفضاء فوق أجواء البحر الأبيض المتوسط — في تعليل الخطة التي انتهجتموها في هذا الباب : « كيف سوغ الدكتور طه حسين لنفسه أن يسمى هذا الفصل ردا ؟ »

قلت في بادئ الأمر : يظهر أن الأستاذ قد شعر بالخطأ الذي وقع فيه فلم يجد مجالاً للرد على الانتقادات التي وجهت إليه ، ولم يرد مع هذا أن يعترف بذلك ، فأراد أن يتظاهر بالرد بنشر فصل لا علاقة له بموضوع الانتقاد والاعتراض

غير أنني لم أرتح لهذا التفسير والتعليل ، لأنني استبعدت منكم أن تسلكوا مثل هذا المسلك في مناقشة قضية هامة مثل قضية الوحدة العربية ، فواصلت التفكير في الأمر إلى أن خطر على بالي تعليل آخر أقرب إلى العقل من التعليل الأول . يقول الدكتور طه حسين : إن الرد هو فصل من كتاب تحت الطبع ؛ أفليس من الممكن أن يكون قد حدث سهو في نقل الفصل من الكتاب ؟ قد يكون في الكتاب فصل يتضمن الرد ؛ غير أن الدكتور قد سها في رقم الفصل ؛ فالطبعة أرسلت إلى (الرسالة) فصلاً آخر غير الفصل المقصود

عند ما لحت هذا الاحتمال ، ركنت إليه كل الركون وقلت في نفسي : قد ينشر الدكتور في العدد التالي من الرسالة تصحيحاً لما حدث ؛ غير أن سفراتي السريعة سوف لا تترك لي مجالاً للاطلاع على ذلك قبل عودتي إلى بغداد .. فلا بد لي من الانتظار إلى ذلك الحين للوقوف على التصحيح ، أو لقراءة الكتاب

ولهذا السبب ، عند ما عدت إلى بغداد بعد إتمام رحلتي في المغرب الأقصى والجزائر وتونس وصقلية — أسرعت إلى تصفح أعداد الرسالة التي صدرت في غيابي ؛ ولما لم أجد فيها شيئاً يتعلق بالموضوع الذي نحن بصدده ، طلبت نسخة من كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » ؛ وأخذت أقرأ بانتباه شديد باحثاً فيه عن « الرد » ... غير أنني وقعت في دهشة أشد من دهشتي الأولى عند ما انتهيت من قراءة فصول الكتاب بأجمعها، دون أن أصادف فيها أيضاً ما يصح أن يعتبر جواباً على أحد أسئلتي الانتقادية ... فقلت في نفسي : لم يبق مجال لتعليل الأمر بغير الملاحظة التي كانت وردت على ذهني عقب مطالعة الرد المنشور في مجلة الرسالة

(١) الرسالة عدد ٢٨٥ و ٢٨٦ — ١٩ و ٢٦ ديسمبر ١٩٣٨

مع هذا لم أشأ أن أكتب شيئاً حول هـذا الموضوع ، للملاحظتين التاليتين : أولاً ، كان قد مضى على نشر ردكم مدة تناهز ثلاثة أشهر بسبب ظروف رحلتي . ثانياً ، إن « تباعد الرد عن موضوع البحث والمناقشة » كان من الأمور الجلية التي لا تحتاج إلى التوضيح والتنبيه ؛ كما ظهر لي ذلك من أقوال الشبان الذين حادثتهم خلال رحلتي في باريس ، وتونس ، وسورية

فقلت في نفسي : لا داعي إلى كتابة شيء في هذا الموضوع بعد انقضاء هذه المدة ، ما دام رد الدكتور طه حسين لم يكن من النوع الذي يستطيع أن يخدع أحداً من القراء الأذكياء

ولذلك لم أعد إلى هذا البحث منذ ذلك الحين

***

غير أنني اطلعت أخيراً على مقالكم المنشور في العدد الممتاز من مجلة الهلال ، عن « العقل العربي الحديث » . ورأيت أنكم عرضتم في ذلك المقال لمسألة « الوحدة العربية » بطرق ملتوية : بعد أن سردتم بعض الآراء حول « تطور العقل البشري » بوجه عام ، وتطور « العقل الأدبي الحديث » بوجه خاص ، بحثتم عن وجوب « تجديد العقل العربي » ، وذكرتم ما تعتقدونه في وسائل هذا التجديد ... وفي الأخير ، انتقلتم إلى مسألة « الوحدة العربية » بطريقة « ظريفة وطريفة » إذ قلتم ما يلي :

« وربما كان من الأمثلة الظريفة الطريفة التي تبين الفرق بين العقل العربي القديم ، والعقل العربي الحديث في هذا العصر الذي نعيش فيه ، مسألة الوحدة العربية أو الوحدة الإسلامية التي يكثر فيها الكلام وتشتد فيها الخصومة ؛ فما أظن أن الناس يختلفون في أن هذه الوحدة نافعة للشعوب العربية وللشعوب الإسلامية أشد النفع ، وفي أن مصالحهم تدعوهم إليها وتدفعهم إليها دفعاً ، ولكنهم مع ذلك يختلفون ويختصمون لا لشيء إلا لأنهم يختلفون في تصور هذه الوحدة حسب ما يتاح لهم من العقل القديم أو العقل الحديث . فأما أصحاب القديم فيفهمون هـذه الوحدة كما فهمها القدماء في ظل سلطان عام شامل يبسط عليها جناحيه ويحوطها بقوته وبأسه ، وليسم هذا السلطان خلافة ، وليسم ملكاً كما كان يسمى قديماً ، ويجوز أن يسمى إمبراطورية ليكون له حظ من الطرافة ، فقد عرف القدماء الإمبراطوريات واحتفظ بها المحدثون من الأوربيين . وكذلك يخدع العقل القديم نفسه فيظن أنه أصبح حديثاً . وأما أصحاب العقل الحديث فيفهمون هذه الوحدة على نحو ما تفهم عليه في البلاد المتحضرة بالحضارات الحديثة الأوربية . يفهمونها على أنها لا تنفع ولا تفيد إلا إذا احتفظت بالقوميات والشخصيات الوطنيـة والحريات الكاملة لأعضائها والسيادة العامة لهم في حياتهم الداخلية والخارجية وقامت على الحلف الذي لا يفني أمة في أمة ، ولا يخضع شعباً لشعب ، وإنما يمكن الأمم من أن تتعاون على أساس ما يكون بين الأنداد من المساواة .

فإذا قال صاحب العقل الحديث مقالته هذه ضاق به صاحب العقل القديم أشد الضيق ، لأن عقله لم يتطور بعد ، ولم يستطع أن يكون من أهل العصر الذي يعيش فيه ، وإنما هو محتفظ بكل مشخصات القرون الوسطى ، وهيهات لمشخصات القرون الوسطى أن تسيغ ما يقع في القرن العشرين ... »

يظهر لي من كلماتكم هذه أنكم بعد أن تهربتم من مناقشة مسألة الوحدة العربية مناقشة مباشرة — حين دعيتم إليها — أردتم أن تعودوا إليها عن طريق التعريض والتلويح ، كما وددتم أن تستهووا أذهان قرائكم عن طريق اتهام معارضيكم بالتمسك بـ « مشخصات القرون الوسطى » ، وإلباس رأيكم حلة قشيبة من « مقتضيات العقل العربي الحديث » .

فاسمحوا لي إذن أن أتبعكم في هذه الطرق الملتوية ، وأن أزن ملاحظاتكم بميزان « العقل العربي الحديث » الذي تشيرون إليه .

لا أدري إذا كان الانصراف عن مناقشة المسائل مناقشة مباشرة ، والالتجاء إلى طرق « التعريض والتشويش » في أمرها مما يفيد — في عرفكم — في مقتضيات العقل الحديث . غير أنني أعتقد أنكم تسلمون معي — على كل حال — بأن العقل العربي الحـديث يجب أن يكون على غرار العقل الأوربي الحديث ، ولا تنكرون — بالطبع — أن « العقل الأوربي الحديث » يتطلب السير على مناحي الأبحاث العلمية ، على أساس استنطاق الوقائع والحادثات واستقرائها متجرداً عن تأثيرات الميول النفسانية والآراء القبلانية ...

فلننعم النظر في الملاحظات التي نقلتها آنفاً عن مقالكم لنرى مبلغ ملاءمتها لمقتضيات « العقل العربي الحديث » الذي تدعون إليه:

أولاً ، إنكم تبحثون في كلامكم هذا عن الوحدة العربية والوحدة الإسلامية كأنهما مسألة واحدة ، في حين أن إحداهما تختلف عن

الأخرى اختلافاً كلياً . فإن فكرة « الوحدة العربية » ترمى إلى توحيد الشعوب التى تتكلم بلغة واحدة ، فى حين أن فكرة « الوحدة الإسلامية » ترمى إلى توحيد الأمم التى تتكلم بلغات مختلفة ، بالرغم من تدينها بدين واحد ؛ فالبون بينهما شاسع جداً ، فإن الدعوة إلى « الوحدة العربية » لا تتضمن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية الشاملة ؛ كما أن عدم الإيمان بإمكان تحقيق « الوحدة الإسلامية » لا يستلزم إنكار إمكان تحقيق « الوحدة العربية ». ولذلك أقول بلا تردد إن خلط هاتين المسألتين ، والنظر إليهما بنظرة واحدة ، يخالف أبسط حقائق علم الاجتماع ، وأبرز وقائع تاريخ السياسة ، ولا يتفق مع الحقائق الراهنة بوجه من الوجوه

ومن الغريب أنكم لا تكتفون بالخلط بين هاتين المسألتين ، بل تحشرون بينهما مسألة الخلافة أيضاً بصورة غريبة ، وتنظرون إلى هذه المسائل كلها بنظرة واحدة . لقد تعودنا أن نرى آثار مثل هذا الخلط ، فى كتابات بعض الساسة من الأوربيين المستعمرين ، لأنهم ينظرون — عادة — إلى هذه المسائل كلها من وجهة نظر أطماعهم الاستعمارية ، ويسعون إلى وصم جميع الحركات القومية والوطنية بوصمة « التعصب الدينى » ليثيروا الرأى العام الأوربى عليها ... غير أننا ما كنا ننتظر منكم أن تقتفوا أثر هؤلاء الساسة من حيث لا تشعرون ، وأن تخلطوا بين هذه المسائل بهذا الشكل الغريب .

فأرى من واجبى أن أصرح لكم فى هذا المقام ، بأننى مع عدد كبير من المفكرين القوميين الذين أعرفهم وأتصل بهم على الدوام أنظر إلى قضية « الوحدة العربية » كقضية مستقلة عن قضايا « الوحدة الإسلامية » و « الخلافة الإسلامية » كل الاستقلال . وأؤكد لكم أننى — بقدر ما أومن بفكرة العروبة ، وبقدر ما أعتقد بإمكان الوحدة العربية ، وبقدر ما أقول بوجوب السعى وراء تحقيقها — أعتقد باستحالة « الوحدة الإسلامية » ؛ وأقول إن « إثارة فكرة الخلافة » مضرة بـ « قضية الوحدة العربية » و « فكرة التضامن الإسلامى » فى وقت واحد

***

هذا ومن جهة أخرى ألاحظ أنكم تبشرون — فى مقالكم هذا — بأن « الوحدة » نافعة لـ « الشعوب العربية والإسلامية » أشد النفع ؛ وتقولون بأن الناس لا يختلفون فى منافع هذه الوحدة ، إنما يختلفون فى « تصورها حسب ما يتاح لهم من العقل القديم والعقل الحديث » ... كما تصفون لنا نوعى هذا التصور وصفاً بارعاً : بالنوع الذى يقول به « صاحب العقل القديم » ، وهو الذى « يتصور الوحدة تحت ظل سلطان شامل » ؛ والنوع الذى يقول به « صاحب العقل الحديث » ، وهو الذى يتصور الوحدة على أساس ما يكون بين الأنداد من المساواة ... »

أنا لا أود أن أبحث عن مبلغ مطابقة وصفكم هذا للحقائق الراهنة ؛ غير أنى أرى من الضرورى أن أقول لكم فى هذا المقام إننى قد اطلعت — قبل مدة — على رأى فى « الوحدة العربية » يختلف عن هذين الرأيين فى وقت واحد : فإن صاحب ذلك الرأى ، كان لا يقبل « الوحدة » ، « ولو كانت على أساس المساواة » ، ولا يرضى بالوحدة ، « ولو كانت على نمط اتحاد يشابه الاتحاد الأميركى أو السويسرى » ... فهل تسمحون لى أن أسألكم : أتعتبرون موقع هذا الرأى فى العقل القديم أم العقل الحديث ؟

لا أشك فى أنكم لن تطلبوا منى أن أذكر لكم اسم صاحب هذا الرأى ؛ غير أنى أظنكم سوف تعذروننى إذا ذكرت ذلك تنويراً للقراء :

إن صاحب هذا الرأى — الذى يخالف مقال صاحب العقل القديم ومقال صاحب العقل الحديث فى وقت واحد — هو صاحب « الحديث » المنشور فى مجلة « المكشوف » !.. ذلك الحديث الذى كان مبدأ ومنشأ لجميع هذه المناقشات !

فقد قرأت فى ذلك الحديث ، العبارة التالية ، بحروفها :

« مصر لن تدخل فى وحدة عربية ، حتى ولا اتحاد عربى ، سواء أكانت مساوية فيه للأمم العربية الأخرى أو مسيطرة عليها ... » (المكشوف — العدد : ١٧٥ — الدكتور طه حسين يتحدث عن العروبة . . »

كما قرأت فى مكان آخر من ذلك الحديث العبارة التالية ، بنصها :

« الوحدة العربية ، كما يفهمها ذووها يجب أن تتحقق بشكل إمبراطورية جامعة أو اتحاد مشابه للاتحاد الأميركى أو السويسرى . »

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكى مبارك

– ٦ –

أرى من الواجب فى مطلع هذا المقال أن أوضّح مسألتين خفيتا على بعض القراء فجرت ألسنتهم بالعتب والملام .

المسألة الأولى ، هى الحكم بأن أحمد أمين ينظر إلى الأدب ، وإلى الوجود نظرة عامّية ؛ فقد ظن فريق من الناس أننا نقول بأنه من العوامّ فى حدود الاصطلاح المألوف ، على معنى أنه بعيد عن الجوّ الذى يعيش فيه العلماء .

وذلك غير ما نريد . فأحمد أمين تلقى العلم فى مدرسة القضاء الشرعى وظفر بإجازتها العالية ، وجلس للقضاء فى المحاكم الشرعية بضع سنين . ثم اشتغل بالتدريس فى الجامعة المصرية . فهو ليس عامّيا بالمعنى المعروف ، وإنما نريد أن نقول إن أحمد أمين على كثرة ما قرأ فى الكتب وما سمع من العلماء لا يزال يفكر كما يفكر العوامّ .

ولتوضيح ذلك نقول: إن فى أهل العلم من يكون أقل اطلاعاً من زملائه ، ولكنه قد يكون أقوى منهم فى صحة الفهم وسلامة التميز وقوّة الإدراك ، فيكون محصوله القليل أجدى وأنفع ، ويكون له فى أحكام العقل مجال

وفى مقابل ذلك نرى بعض العلماء المزودين بكثير من الثقافات ينظرون إلى الوجود نظرات عامية لا تمتاز بشىء عن نظرات العجائز من قعائد البيوت .

وأحمد أمين قليل الاطلاع فى ميدان الأدب العربى بلا جدال ، وهو مع قلة اطلاعه يحكم على الأدب أحكاماً عامية ، بعيدة كل البعد عن أحكام الخواصّ ، وقد أسلفنا الشواهد التى تؤيد رأينا فيه ، وسنسوق شواهد جديدة .

المسألة الثانية ، هى التعرض لأعماله المعاشية : فقد استنكر بعض القراء أن نقول إنه يكسب كيت وكيت ، وعدوها مسألة شخصية

ونقول إننا تعرضنا لذلك لغرضين : الأول هو النص على أن أحمد أمين مشغول عن الفكر والقلم بشواغل تصرفه عن التجويد فى البحث والتفكير والإبداع ، والغرض الثانى هو تذكيره بأنه لا يجوز لمثله أن يعيب على أدباء العرب أن يشغلوا بمعاشهم وهو يقتل وقته بتدبير المعاش

ولو شئت لقلت إن الرجل الذى يدعو إلى هجر الأدب الجاهلى جملة واحدة بحجة أنه يشلّ التفكير هو نفسه الرجل الذى اشترك فى تأليف الكتاب « المجمل » والكتاب « المفصل » والكتاب « المنتخب » بأجر معلوم تعرفه خزينة وزارة المعارف

فإن كان أحمد أمين صادقاً فى حكمه على الأدب الجاهلى فكيف جاز عنده أن يشترك فى تلك المؤلفات وفيها مكان ظاهر للأدب الجاهلى وهى خليقة بأن تشل عقول التلاميذ ؟ !

وكنت قلت إن الأستاذ أحمد أمين لا يستطيع أن يخدم الجامعة المصرية بالمجان ، وإنه يأخذ منها فى كل شهر ستين ديناراً ، فكتب

(المكشوف – العدد : ١٧٥ الدكتور طه حسين يتحدث عن العروبة ...)

ترون من كل ذلك أيها الأستاذ أن مسألة الوحدة العربية ليست من القضايا التى يمكن أن تناقش وتعالج بالصناعة الكلامية والاندفاعات الارتجالية . . . كما ترون أن الخطة التى سلكتموها فى معالجة هذه القضية تجركم دائماً إلى مواقف تخالفون فيها الحقائق الراهنة مخالفة صريحة ، كما جرّتكم فى بعض الأحيان إلى مواقف تناقضون فيها أحاديثكم الذاتية أيضاً . . .

إنكم تدعون المفكرين إلى بذل الجهود فى سبيل « تجديد العقل العربى » ... وكم كنت أودّ أن أراكم تعملون بهذه الدعوة فى المناقشات التى تخوضون فيها ، ولا سيما إذا كان موضوع المناقشة من الموضوعات الهامة مثل « فكرة العروبة » و « الوحدة العربية » . . .

« برمانا » أبو خلدون

إلينا أحد المطلعين يقول إنه يأخذ من الجامعة فى كل شهر خمسة وثمانين لا ستين

فهل يجوز للرجل أن يأخذ هـذا المبلغ بطمأنينة خلقية فى تدريس الأدب العربى وهو يعتقد أنه أدب لا يستحق العناية وأنه كان فى ماضيه الطويل أدب تسوُّل واستجداء ؟

وبعد توضيح هاتين المسألتين أرجع إلى هذا الرجل رجعة قاضية .

لقد دل على مبلغ فهمه للأدب حين ساق هذين البيتين فى مقاله الثالث فى جناية الأدب الجاهلى :

فما روضة زهراء طيبة الثرى   يمج الندى جثجاثَـها وعرارَها
بأطيب من أردان عزة موهناً   إذا أُوقِدَتْ بالمندل الرطب نارَها

فقد ضبط هـذين البيتين على نحو ما يرى القارئ : فجعل الندى فى البيت الأول فاعلاً وجعل الجثجاث والعرار مفعولين ، وجعل « أوقدت » فى البيت الثانى مبنياً للمعلوم ونصب النار على المفعولية

فهل سمعتم قبل ذلك أن الندى يمج الزهر والنبات ؟

لو كان أحمد أمين يتأمل ما يقرأ لعرف أن الندى فى البيت الأول من هذين البيتين لا يمكن أن يكون فاعلاً ، ولعرف أن « أوقد » فى البيت الثانى فعل مبنى للمجهول ليجعل الشاعر معشوقته عقيلة تخدمها الوصائف

فهل يستطيع أحمد أمين أن ينكر أنه أخطأ فى ضبط هذين البيتين ؟

وهل يمكن لمن يثقون بكفايته الأدبية أن ينكروا أن لمثل هذا الفهم الخاطئ دلالة على مبلغ إدراكه لدقائق المعانى ؟

***

نترك هذا وننتقل إلى أحكامه على الشعر العربى فى العصر الإسلامى ، وهو يراه لم يتغير من حيث الموضوع فظل كما كان محصوراً فى المديح والهجاء والفخر والحماسة والغزل والرثاء

والظاهر أن أحمد أمين لم يدرس الشعر الأموى دراسة تمكنه من فهم الفروق بينه وبين الشعر الجاهلى ، فليس بصحيح أن الموضوعات لم تتغير ، وليس بصحيح أن الشعراء الأمويين كانوا يتناولون الأغراض الشعرية على نحو ما كان يتناولها الجاهليون

وإذا صح أن الشعر الجاهلى والإسلامى متحدان فى الموضوعات فهناك فرق ظاهر جداً بين العصرين فى تصور تلك الموضوعات

فالغزل فى العصر الأموى فنٌّ جديد لا يعرفه العصر الجاهلى ، وهل يتصور أديب أن أشعار عمر بن أبى ربيعة كانت لها سوابق عند الجاهلية ؟

هل يتصور أديب أن تائية كثيّر فى أغراضها ومراميها كانت لها نظائر فى الشعر الجاهلى ؟

وهل يصح لأديب أن يقول بأن غزليات العرجى وجميل والحارث بن خالد كانت لها أشباه قبل العصر الإسلامى ؟

إن الأمويين تغزلوا كما تغزل الجاهليون ، ولكنهم تفردوا بابتكار فن جديد هو القَصص الغرامى ، فهل فطن لذلك أحمد أمين؟

وهل يمكن نكران ما وصل إليه الأمويون من الرقة والظرف فى النسيب ؟

أليس فيهم الذى يقول :

إن لى عند كل نفحة بستا   نٍ من الورد أو من الياسمينا
نظرةً والتفـاتةً أترجَّى   أن تكونِى حللت فيما يلينا

أليس فيهم الذى يقول :

يا أم عمران ما زالت وما برحت   بنا الصبابة حتى مسَّنا الشفقُ
القلب تاق إليكم كى يلاقيكم   كما يتوق إلى منجاته الغَرِق
تعطيك شيئاً قليلاً وهى خائفة   كما يمس بظهر الحيـة الفَرِق

أليس فيهم الذى يقول :

وإني لأرضى من بثينة بالذى   لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلا ، وبألا أستطيع ، وبالمنى   وبالأمل المرجوّ قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضى   أواخـره لا نلتقى وأوائـله

أليس فيهم الذى يقول :

ولو سلك الناس فى جانب   من الأرض واعتزلت جانباً
ليممتُ طِيتهـا إننى   أرى حبها العجب العاجبا

أليس فيهم الذى يقول :

وإنى لأستحييك حتى كأنما   علىّ بظهر الغيب منك رقيب
ولو أننى أستغفر الله كلما   ذكرتك لم تكتب علىّ ذنوب

إن تفصيل ما امتاز به شعراء العصر الأموى فى النسيب يحتاج إلى كتاب خاص سيؤلفه أحمد أمين يوم يعرف أن الأدب لا يكال بمكيال ولا ينظر إليه بالعد والإحصاء

إن من أعجب العجب أن يقال إن الشعراء الأمويين لم يبتكروا شيئاً فى التشبيب ، وهم الذين أمدوا لغة العرب بثروة وجدانية ستعيش ما عاشت لغة القرآن

ألا يكفى أن يكون العصر الأموى قد ابتكر الاستشهاد فى الحب ؟

ألا يكفى أن يكون ذلك العصر هو الذى خلق شخصية مجنون ليلى ، وهى شخصية شرّق سحرها وغرّب ، فكانت لها أصداء عند الشعراء من أهل الشرق وأهل الغرب ؟

ألا يكفى أن يكون العصر الأموى هو الذى فهم أن الحج من المعارض الدولية للصباحة والملاحة والجمال ؟

ألا يكفى أن يكون شعراء العصر الأموى هم الذين أذاعوا بين الناس فتنة الهيام بأسرار الوجود ؟

***

ثم ماذا ؟

ثم جهل الأستاذ أحمد أمين أن العصر الأموى هو العصر الذى تفرد بإجادة الأراجيز ، ولكن هل فكر أحمد أمين فى الأراجيز الأموية ؟

الحق أن العصر الأموى يحتاج إلى أدباء عظام يسجلون فضله على اللغة العربية ، فنى ذلك العصر ظهر الشعر السياسى ، وهو فن من الأدب يختلف عن التعصب للقبيلة كل الاختلاف ، وله مزايا وخصائص تنتظر أديباً له نظرة خاصية لا عامية

فتى تعرف كلية الآداب ذلك الأديب ؟

إن من العار أن يقول أستاذ من كلية الآداب بأن الأدب فى العصر الأموى ليس إلا صورة من الأدب فى العصر الجاهلى

وهل يستطيع إنسان أن يقول بأن الكميت بن زيد الأسدى كان له نظير بين شعراء الجاهلية ؟

إن العصر الأموى ينتظر أديباً يفهم أنه كان صلة الوصل بين العصر الجاهلى والعصر العباسى ، ويدرك أنه تحرر كل التحرر من العقلية الجاهلية

فتى تعرف كلية الآداب ذلك الأديب ؟

إن عميد كلية الآداب اليوم هو الأستاذ محمد شفيق غربال ، وهو مؤرخ جليل يفهم أن دراسة تاريخ القرون الوسطى أمر واجب ، لأن ذلك التاريخ كان الصلة بين القديم والحديث ، فهل نستطيع أن نشير عليه بأن ينشئ فى كلية الآداب كرسيا للعصر الأموى الذى جهله أحمد أمين ؟

ليت ، ثم ليت ! !

***

إن المسافة بين العصر الجاهلى والعصر العباسى طويلة جداً ، لأنها تقع فى نحو خمسين ومئة سنة ، وهى المدة التى انتظمت عصر النبوة وعصر الخلفاء وعصر الأمويين ، وفى تلك المدة كانت الشخصية العربية هى الشخصية التى تهدد ممالك الأرض ، والتى تسنّ شرائع الفتوّة وقوانين المجد ، والتى تلوّن العالم بألوان مختلفات ، والتى مكنت العرب من أن يكون لهم صوت مسموع فى أقطار الشرق والمغرب

فهل يُعقل أن يكون أدب العرب فى ذلك العهد صورة ثانية من أدبهم فى أيام الجاهلية ؟

ومن الذى يصدق أن الشعراء المسلمين كانوا يتهاجون على نحو ما كان يصنع الجاهليون ؟

وهل خطر ببال أحمد أمين أن العصبية السياسية فى العصر الإسلامى كانت لها ألوان لم يعرفها شعراء القبائل فى الجاهلية ؟

هل فكّر فى تحديد الخصائص الشعرية للمدح والهجاء فى العصر الأموى ؟

وهل تنبه إلى ما ابتكره الشعراء الأمويون حين أوقدوا نار العصبية الجاهلية ؟

يعزّ علىّ والله أن يقع فى هذه الأخطاء أستاذ فاضل من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية ، وهى اليوم معهد عظيم يحج إليه طلبة العلم من أقطار الشرق

يعزّ علىّ أن يكون فى رجال الجامعة المصرية من يفهم أن العصر الإسلامى صورة من العصر الجاهلى فى التفكير ، وطرائق التعبير مع أن ذلك مستحيل

وهل يتصور عاقل أن خطب علىّ بن أبى طالب صورة من خطب أكثم بن صيفى مثلاً ؟

هل يقول مفكر بأن رسائل عبد الحميد صورة مكررة لما كان يكتب الجاهليون ؟

وهل يمكن القول بأن معاوية كان يكتب بأسلوب عمر بن الخطاب ؟

إن التطور شريعة طبيعية يا صديقى ، فكيف تتوهم أن يكون العرب خرجوا وحدهم على تلك الشريعة ؟

إن العرب فى أدبهم وتصورهم وعقليتهم قد انتقلوا من حال إلى أحوال ، وإن غاب ذلك عن فطنتك الواعية

وأين أنت من القصص الرائع الذى عرفته المساجد فى العصر الأموى ؟

أين أنت من الشعر الرقيق الذى ابتكره الأمويون فى وصف مجالس الأنس والشراب ؟

وهل تعرف يا حضرة الفاضل أن العصر الأموى ظلم أقبح الظلم حين اعتدى عليه خلفاء بنى العباس بالمحو والتبديل ؟

هل مرّ فى خاطرك أن العصر الأموى رُزِىء بمؤامرة سياسية حرَمتْ تاريخه الأدبى من نعمة الوجود ؟

***

ثم ماذا ؟

ثم يتحذلق الأستاذ أحمد أمين فيقرر أن الخضوع للأوزان الجاهلية والقوافى الجاهلية جنى علينا جنايات كبرى، لأنه « حرمنا من الملاحم الطويلة التى كانت عند الأمم الأخرى وحرمنا من القصص الطويلة الممتعة »

وهذا الحكم يشهد بأن أحمد أمين يجهل طبيعة الأمة العربية بعض الجهل ، ويجهل طبائع الأمم الأخرى كل الجهل

إن أحمد أمين لا يعرف أن العرب ليس فى طبيعتهم أن يأنسوا بالمنظومات المطولة فى القصص والتاريخ ، وهو يتوهم أن العرب كان يجب عليهم أن يسلكوا فى الشعر مسالك اليونان ، وذلك خطأ فظيع

إن عبقرية العرب ليست فى القصص ، وإنما عبقرية العرب فى الغناء والتعبير عن الأنفاس الروحية . وفى بلاد العرب نشأت الديانة الموسوية والديانة العيسوية والديانة المحمدية، وفى بلاد العرب نشأت أحاديث القلب والوجدان، وهم بلا جدال أصدق من تحدث عن الأرواح والقلوب

فإن امتازت لغات الشرق والغرب بالمنظومات الطويلة فى القصص والتاريخ فقد امتازت لغة العرب بأكرم أثر عرفه الوجود وهو القرآن ، وهو حجة اللغة العربية يوم يقوم التفاخر بين اللغات بالأحساب

***

وإلى الأستاذ الجسر أوجه الكلمة الآتية :

أنت تعجب أيها السيد من أن نمنح أحمد أمين « قدرة الجناية على الأدب العربى » وأجيب بأن أحمد أمين ليس من النكرات حتى نتركه يتحذلق كيف شاء . إن أحمد أمين أستاذ بكلية الآداب يا حضرة السيد ، وكلية الآداب من أكبر معاهدنا العالية ، وما يصدر عن أساتذتها الأفاضل قد يتلقاه أكثر الناشئين بالقبول

وما الذى تخشاه من منح أحمد أمين مالا يستحق ؟

إن كان هجومنا عليه يعطيه فرصة جديدة من فرص الشهرة فلا بأس ، فهو صديق عزيز ، والتنويه بشأنه من أوجب الفروض

المهم « يا حضرة السيد » أن يعرف أحمد أمين أن فى مصر رقابة أدبية تزجر المتطاولين على ماضى الأدب العربى وتصرفهم عن اللجاج فيما لا يفيد

ونحن لا نحارب أحمد أمين بالذات ، وإنما نحارب الآراء التى نقلها نقلاً عن خصوم اللغة العربية ، وسنرى فى المباحث الآتية ما يشفى صدور قوم مؤمنين

« للحديث شجون » زكى مبارك

في اللغة

إخوان الفــــوارس

لأستاذ جليل

إخوان الفوارس (أى هذا الجمع الشاذ) هم أكثر من السبعة الذين ذكرهم الصحاح والتاج ، وجىء بهم فى جزء سابق من (الرسالة الغراء) والسبعة هم : الفوارس ، والهوالك ، والنواكس والخوالف [١] ، والفوارط [٢] ، والغوائب ، والشواهد [٣]

فهناك ستة غيرهم أظهرهم موهوب بن أحمد الجواليقى فى (شرح أدب الكتاب) وأودعهم البغدادى (خزانته) وهناك اثنان ذكرهم التبريزى فى (شرح ديوان الحماسة) وهذه جريدة الثمانية :

١ — الحوارس جمع الحارس

٢ — الحواجب جمع الحاجب ، من الحجابة

٣ — الخواطئ جمع الخاطئ ، من ذلك ما جاء فى المثل : مع الخواطئ سهم صائب

قال التاج : يضرب لمن يكثر الخطأ ويصيب أحياناً ، وقال أبو عبيد : يضرب للبخيل يعطى أحياناً

٤ — الروافد جمع الرافد

قال ضمرة بن ضمرة النهشلى :

وطارق ليل كنت حَمَّ مبيته إذا قل فى الحى الجميع الروافد

قال الأنبارى شارح المفضليات : الروافد جمع الرافد كقولك فارس وفوارس ، وهى أحرف (يعنى كلمات) يسيرة . والرفد المعونة ، وحم مبيته : قصد مبيته

(١) فى اللسان : وقوله (عز وجل) رضوا بأن يكونوا مع الخوالف . قيل النساء ، وقيل : (الخالف) الفاسد من الناس ، وجمع على فواعل كفوارس ، وفى التاج : وقيل : الخوالف الصبيان المتخلفون

(٢) فى التاج : قد يجمع الفارط على فوارط وهو نادر كفارس وفوارس وأنشد للأفوه الأودى :

كنا فوارطها الذين إذا دعا داعى الصباح إليهم لا يفزع

قال شيخنا : يزاد على نظرائه الثلاثة » قلت : نظراؤه أكثر من ثلاثة عشر يا شيخ ...

(٣) فى خزانة الأدب للبغدادي . قال عتيبة بن الحارث لجزء بن سعد :

أحامى عن ديار بنى أبيكم ومثلى فى غوائبكم قليل

فقال له جزء : نعم وفى شواهدنا . فجمع عتيبة غائبا على غوائب وجمع جزء شاهداً على شواهد

٥ — الحواج : جمع الحاج

٦ — الدواج : جمع الداج

ومن أيمانهم — كما جاء فى اللسان — : أما وحواجِّ بيت الله ودواجِّه لأفعلن كذا وكذا .

والداج — كما يقول الأساس — هم الذين يمشون مع الحاج من أجير أو جمال أو نحوهم من دج دجيجاً بمعنى دب دبيباً ، ومنه الدجاج ، وفى التاج : الداج التباع والجمالون ، والحاج أصحاب النيات [١]

وفى الفائق : رأى ابن عمر قوماً فى الحج لهم هيئة أنكرها . فقال : (هؤلاء الداج وليسوا بالحاج) . قالت النهاية : أى هؤلاء لا حج لهم إلا أنهم يسيرون ويدجون :

٧ — الخوارج : جمع الخارج

٨ — البواسل : جمع الباسل [٢]

قال التبريزى فى شرح بيت الحماسى :

وكتيبة سفع الوجوه بواسل كالأسد حين تذب عن أشبالها

« بواسل ردّه إلى الكتيبة ، وفواعل فى صفة الرجال قليل . يقال : فارس وفوارس ، وهالك وهوالك ، وناكس ونواكس ، وخارج وخوارج » ...

***

وممن لم يذكروهم (عواذل) دعبل و(لواحى) على بن الخليل من شعراء الأغانى . يقول الأول فى قصيدة رواها أبو على فى (أماليه) :

قال العوازل : أودى المال . قلت لهم :

« ما بين أجرٍ ونحرٍ لى ومحمدة »

أفسدت مالك . قلت : المال يفسدنى :

« إذا بخلت به والجود مصلحتى »

ويقول الثانى ، وعنده العوازل واللواحى :

إذا ما كنت شاربها فسرا ودع قول العواذل واللواحى [٣]

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)

(١) جمع نية : نيات — لا نوايا — يا كاتبين وخاطبين .

(٢) الفضل فى تذكيرى بالخوارج والبواسل فى بيت الحماسة للشيخين : على الجارم وراويته حسن علوان .

والفضل فى إملاء هذه الجريدة التى حشدت من هـذا الجمع الشاذ ما لم يذكره إمام متقدم فى كتاب — لناقدي (البواســل) من المصريين : الأمير شكيب أرسلان ، وناقد فى « الرسالة »

(٣) جاءت رواية الأغانى سراً ، وقد يكون الأصل جهراً ...

دمعة على الصديق الراحل

فليكس فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

[دمعة على جثمان الصديق الراحل فليكس فارس المسجى بين الورود ألقيت في الحفل الكنائسي الذي أقيم للصلاة على روحه عصر الأحد ٢ يوليه ١٩٣٩ ببهو الكنيسة المارونية]

هنالك من الناس من تعرفهم فتشعر كأن لك بهم معرفة من قبل . ذلك لأنهم لا يعرفون عن طريق الصلات الزمنية ، وإنما هم يعرفون عن طريق الجو الذى يخلقونه حولهم . وما كان الصديق الراحل فليكس فارس إلا واحداً من هؤلاء : عرفته صيف عام ١٩٣٦ فسرعان ما تآلفنا وتآخينا . ولم يمض القليل من الزمن حتى أصبحنا إلفين لاينقضى الأسبوع دون أن نتقابل فنتجاذب الحديث فى شأن من شئون الحياة التى نحياها. وكثيراً ما كان يدور هذا الحديث على عوالم الفكر والشعور. وظلت صلتى بالراحل الكريم قوية حتى آخر لحظاته . فقد كنا حوله فى الأيام الأخيرة وهو يجود بأنفاسه الأخيرة . لهذا كان نبأ نعيه لنا معشر أصحابه وخلانه صدمة أليمة . وكان قاسياً علينا أن نراه أمس حيًّا بيننا يملأ جونا بروحه حياة وأنساً ، وإذا به اليوم قد همد فيه عنصر الحياة الذى كان يطوف على شفتيه ابتسامة وعلى شغاف قلبه حنواً وعطفاً ...

إن هول فجيعتنا فى فليكس فارس كبيرة ، جعل الدموع تجمد فى أعيننا فظللنا بسحابة قاتمة أرسلت سوادها على صفحات قلوبنا فغمرتنا موجة من الكآبة، فإذا لم تظهر على صفحات وجوهنا — نحن معشر خلانه — فداحة المصاب دموعاً ... فذلك لأن مصيبتنا بموت الصديق أقوى من أن يظهرها بكاء أو دموع ...

إيه أيها الراحل الكريم ! ... إن تلك الدموع التى جرت من عينيك وتجمعت فى مآقيك ثم سالت على صفحات وجهك يوم زرتك للمرة الأخيرة؛ وإن كلماتك التى خرجت من أعماقك مختلطة بنشيجك توصينى خيراً بفلذات كبدك ، كل هذه دخلت فى عالم ذكرياتى ولن تذهب من نفسى ، فلقد دلت كلماتك وعبراتك على أن فى الحياة عنصراً أقوى من كل القيود والسدود التى يقيمها البشر أبناء الحياة الواحدة للتفرقة فيما بينهم ، هذا العنصر يتجلى ساعة يأخذ الإنسان فى الانحدار من عالم الحياة ، وساعة يحس بانحسار عنصر الحياة عن جسده ؛ فى ذلك الحين يحس بشعور أقوى من كل إحساس بعوامل التفرقة بين أبناء الحياة الواحدة ، أقوى من الإحساس بالدين والوطن والجنس . وهذا الشعور يدفعه إلى أن يمد نفسه على رحاب الحياة وينسحب عليها متعلقاً بمظهرها الخالد المتأجج ناراً والمتجدد فى أبناء الحياة من جيل إلى جيل ، فيرى فى كل إنسان أباً لأولاده .

إيه يا أبا حبيب ! ... إن آخر الكلمات التى تزودتها منك دارت حول الإيمان والحياة ، وهى كلمات لن تذهب معانيها وصورها من رأسى لأنها تدل على إيمانك العميق بالحياة، ومن هنا كانت رحابة اعتقادك التى تجوز أن تكون الحقيقة حتى فى كلام خصمك ... خصمك فى الاعتقاد والرأى ، ومن هنا أيضاً فهمت سر اتساع أفق اعتقادك لآرائى التى كانت تقف على نقيض آرائك .

إيه يا أبا أديب ! ... لقد فقدتُ بارتحالك شيئاً من نفسى كُنتَ تردّه علىّ حين ألقاك . وفقد أصدقاؤك بارتحالك إنساناً ودوداً براً ... وما أقل الأناسى فى هذا الزمان ! ... أنظر أيها الراحل الكريم من وراء أكفانك تجدنا جمع أصدقائك قد بلبلت أذهاننا فداحة مصابنا فيك. ها هو ذا صديقك «خليل» وأخوه «صدّيق» أنظرهما يبكيان فقدك . وها هو «أدهم» الحبيب إلى نفسك الذى كنت تداعبه باسم «الحكيم» فقد اليوم حكمته ؛ فقد تبلبل منه الذهن واختلطت فى صدره المشاعر . لقد صدم الكل بارتحالك فذرفوا الدموع سخينة من أجلك ...

إيه يا أبا سلوى ! ... لقد كنت باتساع أفق شعورك ورحابة مدى نفسك تغمرنا بروحك وترتفع بنفوسنا وتضرب لنا مثل

وفى التاج : اللواحى : العذال ، والعذال من جوع العاذل .

وفى اللسان : اللواحى : العواذل

وقال الجوهرى فى (صحاحه) : قول الراجز :

لقد علمتُ والأجلُ الباقى أن لا تردُّ القدرَ الرواقى

كأنه جمع امرأة راقية أو رجلاً راقية بالهاء للمبالغة . أو رجلاً راقياً بغير هاء حتى ينضوى هذا الجمع إلى ذاك الجيش ...

هذه جريدة ما وجدناه ، وقد يكون هناك ما ذهب علينا ، وهى العربية المتبجحة[1] فى كلماتها ولغاتها . قال الإمام محمد ابن ادريس الشافعى فى رسالته فى أصول الفقه : «لسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً . ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى[2] » .

« ىه »

---

(١) تقول العامة : فلان متبجبح يا سيدى فى عيشته . ولفظة القوم — كما ترى — فصيحة صحيحة (٢) غير بالرفع صفة إنسان، وتنصب على الاستثناء

فى بلاط الخلفاء

حماد وهشام بن عبد الملك

للأستاذ على الجندى

[بقية ما نشر في العدد الماضى]

كان هشام بن عبد الملك من الخلفاء الذين يُؤثرون أن يتمتعوا بالطيبات من الرزق ، ويظهروا نعمة الله عليهم ، ويوفروا الأبهة والجلال لمقام الخلافة ! فلم يكن فى آل مروان من كان أمرَى منه ثوباً ، ولا أعطر رائحة ، ولا أكثر زينة ، حتى إنه حين خرج حاجاً حُمِلت ثيابه على ستمائة جمل !

فماذا رأى حماد حين دخل إليه ؟

رأى داراً قوراء[1] مفروشة بالرخام ، تضم مجلساً فرش كذلك بالرخام بين كل رخامتين قضيب من ذهب !

وفى بُهْرة[2] المجلس فوق طِنْفِسة[3] حمراء جلس هشام عليه ثياب من الخزّ الأحمر ، وقد تضمّخ بالمسك الأحمّ والعنبر الأشهب ! وبين يديه آنية من ذهب فيها مسك مفتوت يقلبه بين يديه فتعبق رائحته فى المكان فتفغم الأنوف !

فاستطير عقل حماد ، واعتاقت الهيبةُ جنانه ، فثقُلت خُطاه وربّما لسانه فى فه ! ولكنه استنجد بكل قواه ، وسلّم على هشام بالخلافة ، فرد عليه السلام واستدناه منه ، فدنا حتى قبل رِجْله ! ثم نظر بِمُؤْخِر عينه فإذا جاريتان كأنما التمستا غِرّة من رضوان ، فهبطتا من فراديس الجنان ! فى أذنَىْ كل منهما حلَقتان تَطِلّ منهما لؤلؤتان لامعتان يَرِفّ سناهما على تلك الوجَنات البضّة رفيفَ سقيط الطلّ على أكمام الورود !

فأخذ حماد يُسارقهما النظر وهو مشترَك اللب موزَّع الفؤاد ! ولكن الخليفة لم يلبث أن هتف به : كيف أنت يا حماد وكيف حالك ؟

فاسترجع عازب عقله ، وأجاب متلعثماً : إني بخير يا أمير المؤمنين

— أتدرى لم بعثت إليك ؟

— لا يعلم الغيب إلا الله

— بعثت إليك بسبب بيت خطر ببالى لا أعرف قائله

— ما هو يا أمير المؤمنين

— قول القائل :

ودَعوْا بالصَّبُوح[1] يوماً فجاءت
قَيْنـةٌ فى يمينها إبريقُ

— هذا يقوله عَدِيّ بن زيد العِبادى من قصيدة له

— أنشِدنيها

فأنشد حماد :

بكَر العاذلون فى وَضح الصُّبح (م) يقولون لى : ألا تستفيقُ
ويلومون فيك يا ابنةَ عبدِ الله (م) والقلبُ عنـدكم موثوق
لستُ أدرى إذا أكثروا العَذْلَ فيها
أعَدُوٌّ يلومنى أم صـديق
زانَها حُسنها وفَرعٌ[2] عَميم   وأثيثٌ[3] صَلْتُ الجبين أنيق
وثَنايا مُفلّجاتٌ عِذابٌ   لا قِصارٌ تُرى ولا هنّ رُوق[4]
ودَعوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت   قَيْنـةٌ فى يمينها إبريق
قدّمته على عُقارٍ كعين الدّيك (م) صفّى سُلافَها الرّاوُوق[5]
مُرّةٌ قبل مَزجها فإذا ما   مُزِجت لَذّ طعمَها مَن يذوق
وطَفَت فوقها فقاقيع كالدُّرّ (م) صِغارٌ يُثيرها التصفيق[6]
ثمّ كان المِزاجُ ماءَ سحابٍ   لا صَرًى[7] آجنٌ ولا مطروق

فاستخفّ الطرب هشاماً ! فصاح بإحدى الجاريتين : اسقيه

فسقته شَرْبة ذهبت بثلث عقله !

(١) واسعة (٢) وسطه (٣) بساط

(١) الصبوح : شرب الغداة ، والغبوق شرب العشى ، والقيل شرب نصف النهار ، والجاشرية حين يطلع الفجر (أدب الكاتب)

(٢) شعر تام (٣) الأثيث : الملتف . وجبين صلت : أملس براق مع الاستواء (٤) طوال (٥) المصفاة (٦) المزج (٧) المتغير

الإنسان كما يجب أن يكون فى هذه الحياة . ولو لم يكن لك غير هذا الأثر فى نفوسنا معشر أصحابك لكفى أثراً لا تزول ذكراه

أما عن الأثر الأدبى الذى تركته للغتك فأغنيتها بأسلوبك الحى وبيانك الرفيع فإنه باق ما بقيت العربية . وأما عن الحياة التى حييتها عوذجاً لأصحابك فإنها باقية ما بقى أصحابك . فارقد فى ظلال الأبدية تحت أشجار الأرز الخالد التى كنت تتمنى أن ترقد تحتها أيها الصديق الكريم . ولتنزل على روحك السكينة فإن أصدقاءك الذين تركتهم يكون فقدانك سوف يؤدون دينهم نحوك وسيقومون بالعمل فى الميدان الذى كنت تعمل فيه لتحرير هذا الشرق النائم

اسماعيل أحمد أدهم

ثم قال هشام : أعِدْ يا حماد ؛ فأعاد الأبيات . فازدهاه السرور حتى نزل عن فراشه ! وصاح بالجارية الأخرى : اسقيه !

فسقته شربة طاحت بثلث عقله الباقى ! فقال فى نفسه : إن سقتنى الثالثة حقت علىّ الفضيحة !.

ثم التفت إليه هشام قائلاً : سل حاجتك يا حماد . فأجاب : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم .

وهنا نحبّ أن نقول : إنه كان من عادة الخلفاء والملوك إذا استطاع النديم الظريف أو المسامر البارع أن يحرّك فيهم ساكن الطرب ، ويهزّ كامن الأريحية، أن يعلنوا رضاءهم عنه بالاقتراح عليه أن يسأل ما يشاء ، وهى على كل حال فلتات نادرة يسوقها الحظ لمن أراد الله أن يرزقهم من حيث لا يحتسبون !

ولهذه التمنيات آداب معروفة يُعدّ تجاوزها سفها وحماقة وسوء أدب تلحق أصحابها بالسوقة والأغفال ، فلا يصح لمن واتته هذه الفرصة الغالية أن يتمنى على الخليفة ما يحرج به أو يندم عليه أو يقدح فى مروءته ، فإن ذلك جرأة قد يكون من ورائها رَدى النفوس واستئصال النعم ولو بعد حين !.

فمن أمثلة ذلك ما حدّثوا به : من أن الهادى[1] كان عنده يوماً ابن جامع وإبراهيم الموصلى ومعاذ بن الطبيب ، فقال : مَن أطربنى منكم اليوم فله حُكمه ! فغنّاه ابن جامع غناء لم يحركه ؛ وكان الموصلى قد فهم غرضه فغناه فى هذا الشعر :

سُلَيمى أجمعتْ بَيْنا فأين تقولها[2] أيْنا

فطرب الهادى حتى قام عن مجلسه ! ورفع صوته : أعد بالله وبحياتى . فأعاد . فقال الهادى : أنت صاحبى فاحتكم ! فقال الموصلى : حائط (بستان) عبد الملك بن مروان ، وعينه الخرارة بالمدينة ! فغضب الهادى حتى اتقدت عيناه ! وقال : ياابن اللخناء أردت أن تسمع العامة أنك أطربتنى وأنى حكمتك فأقطعتك ! أما والله لولا بادرة جهلك التى غلبت على صحيح عقلك وفكرك ، لضربت الذى فيه عيناك ! وعبرت فترة قال فيها الموصلى : لقد رأيت ملك الموت قائماً بينى وبينه ينتظر أمره !

ولما سكت عنه الغضب دعا بالقيم على خزائن الأموال ، فقال : خذ بيد هذا الجاهل ودعه يأخذ ما يشاء ! فلما بلغ بيت المال قال له القيم : كم تأخذ ؟ قال : مئة بدرة[3] ! قال : حتى أؤامره . قال :

(1) الطبرى — ج 3 — ص 295 — تاج 36

(2) بمعنى تظنها معنى وعملا

(3) البدرة فى الأصل : جلد السخلة يوضع فيه المال ثم أطلقت على المال =

تسعين . قال : حتى أؤامره . قال : ثمانين . قال : لا . فعرف إبراهيم غرضه . فقال : آخذ سبعين ، ولك ثلاثون ! قال : شأنك[1] . قال الموصلى : فانصرفت بسبعمائة ألف درهم وانصرف ملك الموت عن الدار !

ومن ذلك أيضاً : أن دجان[2] المغنى غنى الرشيد يوماً :

إذا نحن أدْلجنا وأنتِ أمامَنا كفى لمطايانا برؤياكِ هاديا

ذكرتك بالدّيرين يوماً فأشرفت بناتُ الحشا حتى بلغن التراقيا

إذا ما طواك الدهر يا أمّ مالك فشأن المنايا القاضيات وشانيا

فطرب الرشيد طرباً شديداً واستعاده مرات ! ثم قال له : تمنّ علىّ . فقال : الهنىء والمرىء ، وهما ضيعتان تُغِلان أربعين ألف دينار فى السنة . ولم تكن للرشيد شراسة الهادى[3] وشكاسة خلقه وضيق صدره ، فأمر له بهما على كره منه !

فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إن هاتين الضيعتين من جلالها ما يجب ألا يُسمح بمثلهما ! فقال : لاسبيل إلى استرداد ما أعطيت . فاحتالوا فى شرائهما منه بمئة ألف دينار ! فأمر الرشيد له بها . فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إخراج مئة ألف دينار من بيت المال طعن . فدفعوها له منجمة خمسة آلاف وثلاثة آلاف حتى استوفاها

ونعود إلى حماد فنقول : لقد فتح له هشام باب التمنى على مصراعيه فهل يقع فى السفه والجهل ؟

لقد كان الرجل زنديقاً ، والزنادقة فى هذا العصر كانوا مضرب المثل فى الظرف حتى كان الرجل يتعمّل الزندقة ليوسم بهذه السمة المستملحة !

ثم هو بعد ذلك يعرف جيداً أنه لم يأت خليفة مثل هشام الأموى والمنصور العباسى فى ضبط المال وحسن القيام عليه والضن به إلا فى حقه . بل لعله لا يجهل أن هشاماً رمى بالبخل الشديد إن صدقاً وإن كذباً ، وأنه كان أبغض الأشياء إلى نفسه أن يبتدئه إنسان بمسألة ، فمن فعل ذلك فأدنى جزائه الحرمان !

أترى أيستطيع الظرف أن يعصم حماداً من الانزلاق إلى الطماعية المردية ؟

لم تخُنّا فراستنا فى الرجل ! فالحق أنه كان مهذباً وكان قنوعاً

= تجوزاً والمستفاد من كتب اللغة أنها كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار ، ورواية الجاحظ تدل على أن مقدارها زمن العباسيين عشرة آلاف درهم (تحقيق للمرحوم زكى باشا)

(1) تدل هذه الحكاية على خيانة القوام على الخزائن ومقاسمتهم صلات الأدباء.

(2) مستطرف : 2 — 152

(3) تج : 35

(4) خزانة : 1 — 156

لقد رفع رأسه إلى الخليفة وعلى فمه ابتسامة حيية حائرة فقال: إحدى الجاريتين يا أمير المؤمنين

وكأنّ هشاماً أُعجب بهذه القناعة التى لا تنتظر فى مثل هذه المواقف ! ولعله أعجب أكثر بهذا الذوق الرقيق الذى شاء أن يمنحه نصيباً من هذا الجمال الفريد !

فضحك وقال : هما جميعاً لك يا حماد بما لهما وما عليهما !

وأراد أن يتوّج ذلك بعطفه عليه ورضائه عنه ! فهتف بالجارية الأولى : أن اسقيه ! فمشت إليه الجارية بكأس دهاق ، وعيناها الساجيتان تفعل بنفسه ما لا تفعل الخمر والسحر ! فطار ما كان باقياً من عقله ، وخر لليدين وللفم صريع الكأس والأعين النُّجل

وحُمل - وهو ما يَبتُ[1] سكراً - إلى دار أعدت له . فلما تنفس الصبح أفاق من غشيته الطويلة ! فإذا الجاريتان عند رأسه تمسحانه وتروّحانه ، فيصافح وجهه النسيم الرطب مشوباً بأنفاس الغالية والملاب !

وإذا عدة من الخدم يحمل كل واحد منهم بَدْرة وهم وقوف ينتظرون صَحْوته من خُماره !

فتقدم أكبرهم فى أدب واحتشام فقال : أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - يقرأ عليك السلام ! ويقول لك : خذ هذه البِدَر فأصلح بها شأنك

فبالغ حماد فى الدعاء ! واستنفد الوُسْعَ فى الثناء ! ثم قفل راجعاً إلى بلده بثلاث غنائم : بالأمانى والجمال والمال ! وقد أدركته المنية سنة خمس وخمسين ومئة ، فرثاه ابن كِناسة الشاعر يقول :

لو كان يُنجى من الرّدى حذَرٌ ... نجّاك مما أصابك الحذرُ
يَرْحمُك الله من أخى ثقة ... لم يك فى صفو ودّه كدر
فهكذا يفسد الزمان ويفنى العلم (م) فيه ويدرُس الأثر

على الجندى

(١) لا يجزم

ضرب من الفروسية فى اليابان

للأستاذ صلاح الدين المنجد

يجد الباحث فى فروسة اليابان وتقاليدها أفانين لذيذة تفيض بالبطولة والنبل والإباء ، تهز المرء حتى ليحسب أنها من عمل الخيال الرائع والتصوير البارع والوصف الجميل . فإذا تأملتها علمت بأن اليابانيين قوم قدسوا الشرف فى مغالاة ومقتوا الذل بأنفة ، ولم يصبروا على ضيم يراد بهم أو هون يساق إليهم . وحسبك أن تعلم بأن الفروسة عندهم معناها الشرف والذود عنه والموت فى سبيل بقائه طاهراً ، ودفع كل ما يشين المرء ويعيبه ؛ فلضربة بسيف فى عز خير عندهم من لطمة أو شتيمة فى ذل . فإذا طعن اليابانى فى شرفه ، فلديه أمران لا مَدْفع لهما : قتل من أهانه ، أو قتل نفسه

ولعل أروع مثال لذلك أمر القائد العظيم « نوجى » الذى كان له — كما يقولون — روغان الثعلب وختل الذئب ووثبة الأسد ، والذى أوتى النصر فى موقعة « بور — آرثر » على الروسيين ففض حرمتهم وأوهن بأسهم وظهر عليهم ، فأدهش الغرب ورجاله ، وملك على فتيان اليابان قلوبهم ، والذى يسمونه « بصاحب الربع ساعة » لقوله : « الحرب صبر ربع ساعة »

وقصة هذا القائد طريفة غريبة فيها بطولة وشمم ، وفيها إباء وشجاعة ، فلقد استيقظت اليابان ذات يوم على تذراف الدموع وتصعيد الزفرات ، وقد وجم الناس وانتشر الأسى وأعلن الحداد لموت ابن الآلهة الميكادو « موتزو ـ هيتو » الذى دفع باليابان الحديثة إلى ذروة المجد وجعلها أمة ذات بأس وقوة ، يخشاها الغرب ويفرق منها . وبينا الناس فى حزنهم غارقون ، فوجئوا بنبأ آخر كان على الشباب والجنود أشد هولاً . فلقد أعلنت الصحف أن الجنرال « نوجى » منقذ اليابان من الروسيا قد قتل نفسه . . فطفق الناس يسأل بعضهم بعضاً عن سر انتحاره ، وهو ازدهار مجده وتألق سعده ، وحسبوا يومئذ أن ذلك كان حزناً على الميكادو

على أن بعضهم ما زالوا يتسقطون أسراره ويستطلعون أخباره حتى علموا بأن « نوجى » كان فى ماضيات أيامه تلميذاً فى مدرسة حربية ، فكلمه أستاذ له ذات يوم بما يهينه ويشينه ... وما هى إلا ساعات حتى عزم على قتل نفسه ليتقى العار وسوء المقالة ، لأن نظم المدرسة تمنع الانتقام من أساتيذها ، وكان له صديق من العائلة المالكة ، أخلص له وأحله من نفسه محلاً رفيعاً ، فأخبره بما عزم عليه وطلب منه أن يشهد الانتحار

وللانتحار فى اليابان طرائق وتقاليد . فالرجل الذى يريد قتل نفسه يطعن صدره إلى جانب القلب بخنجر حاد ، فإذا تدفق الدم تقدّم منه صديق مخلص له ممن أوتوا النبل والشرف ، فيضرب عنقه أمام المذبح بين روائح البخور الشذىّ

وطلب « نوجى » من الأمير أن يضرب عنقه إذا طعن صدره ؛ وكان الأمير ذا شأن وسلطان فمنعه عن الانتحار . وكان مما حدّثه به يومئذ : « عش لليابان يا صديق ... فما ينبغى لك أن تقتل نفسك ووطننا بائس يعوزه الشباب . لقد أهنت وعليك أن تموت ، ولكنى أقبل الإهانة ، أنا الأمير ابن الآلهة ، لنفسى وما عليك بعد ذلك . ابق يا صديق وعش لليابان ! »

وصدع نوجى بالأمر . وتصرمت أعوام فأضحى الأمير امبراطوراً وأصبح « نوجى » أعظم قائد عرفته اليابان الفتاة ، فيشتهر بالمغامرة والبطولة ويذيع صيته ويتردد على الأفواه اسمه وتستفيض شهرته ويدحر جيوش الروسيا ويكسب المعارك ويصبح المثل الأعلى للفتيان

وظلت الإهانة عالقة بالامبراطور طوال حياته ... ولا بأس عليه منها وهو ابن الآلهة التى تغفر لمن تشاء ، وتعذب من تشاء وترضى عمن تشاء ، فلما قضى الميكادو نحبه عادت الإهانة إلى « نوجى » فلم يطق العيش ذليلاً ... فأمر أن تشعل الشموع ، وأن يحرق البخور ، وجثا تحت قدمى الإله ، وأغمد الخنجر فى قلبه على مهل ، فتدفق دمه الفوار ... وتقدم صديق له فضرب عنقه ، وهو يبسم راضياً مطمئناً ؛ فقد أنقذ الشرف ، وابتعد عن العار .

ومات « نوجى » بعد أن تخطى الستين من العمر ، رضى البال مثلوج الفؤاد لأن ذلك أدعى لطيب الذكر ، وخلود الاسم

صلاح الدين المنجد

من تاريخنا القصوى

عائشة والسياسة

للأستاذ سعيد الأفغاني

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

ولا يقعن فى وهم أحد أن السيدة عائشة كانت تود أن يقتل عثمان ، فالصحيح أنها لم تكن تتوقع كل هذا . ولعلها كانت تقنع باعتزاله ، على رغم تصريح الكثيرين بأنها سعت فى قتله . ومن هؤلاء المغيرة بن شعبة ، فإنه دخل على عائشة بعد حادثة الجمل فقالت له : « يا أبا عبد الله ، لو رأيتنى يوم الجمل قد أنفذت النصل هودجى حتى وصل بعضها إلى جلدى . » قال لها المغيرة : « وددت والله أن بعضها كان قتلك . » قالت : « يرحمك الله ، ولم تقول هذا ؟ » قال : « لعلها تكون كفارة لك فى سعيك على عثمان . » قالت : « أما والله لئن قلت ذلك لما علم الله أنى أريد قتله . ولكن علم الله أنى أردت أن يقاتل فقوتلت (تعرض بما وقع لها يوم الجمل) وأردت أن يرمى فرميت ، وأردت أن يعصى فعصيت ؛ ولو علم منى أنى أردت قتله لقتلت . »

وهى الصادقة فيما قالت ، ولعل الله أن يرضى عنها ويرضى خصومها بما ندمت وكفّرت . ولئن قال سعد بن أبى وقاص وقد سئل من قتل عثمان؟ — : قتله سيف سلته عائشة وشحذه طلحة وسمه علىّ » ، فما كان يريد سعد بقولته هذه إلا بيان الأثر غير المباشر لكل منهم؛ فإن من تتبع مجرى الحوادث بإمعان علم بعد الجميع عن هذه الظنة

وليس أدلّ على ترفع السيدة عن مثل هذه الخواطر من دعوتها على قتلة عثمان ، الدعوات البليغة الصادرة عن نفس متأثرة ملتاعة (واعلم أن فى القتلة أخاها محمداً) قالت : « قتل الله مذمّماً (تعنى أخاها) بسعيه على عثمان ، وأهرق دم ابن بديل على ضلالته ، وساق إلى أعين بن تميم هواناً فى بيته ، ورمى الأشتر بسهم من سهامه » فما منهم من أحد إلا أدركته — على رواية الطبرى وابن عبد ربه — دعوة عائشة

وذكر صاحب العقد أنها لما قالت بعد مقتل عثمان: « مصصتموه موص الإناء (الموص : الغسل اللين) حتى إذا تركتموه كالثوب الرحيض (الغسيل) نقياً من الدنس ، عدوتم عليه فقتلتموه » . قال لها مروان : « هذا عملك ؛ كتبت إلى الناس تأمرينهم بالخروج عليه » . فقالت : « والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ، ما كتبت إليهم بسواد على بياض حتى جلست فى مجلسي هذا[1] » فكانوا يرون أنه كتب على لسان علىّ وعلى لسانها كما كتب على لسان عثمان مع الأسود إلى عامل مصر . فكان اختلاق هذه الكتب كلها سبباً كبيراً من أسباب الفتنة

وغاية ما يؤخذ عليها عدا أقوالها السابقة الشديدة فى عثمان أنها تركته (حين بلغ الحزام الطُبْيَين ، وحين طمع فيه من لا يدفع عن نفسه) — كما وصف هو نفسه[2] — فى أشد الحصار وأحر الظمأ وخلصت إلى مكة . وقد كان راسلها عثمان فى أمرها وطلب نجدتها وجاءها مروان بن الحكم فقال : « يا أم المؤمنين لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرجل » . فقالت : « أتريد أن يصنع بى كما صنع بأم حبيبة ثم لا أجد من يمنعنى ؛ لا والله ولا أعيَّر ، ولا أدرى : إلام يسلم أمر هؤلاء ؟ »

كان طلب مروان فى محله ، وكان مقامها — لو هى أقامت — ربما نفع وردّ عن عثمان ، ولكنها استسلمت رحمها الله لوجدتها ، واكتفت أن استتبعت أخاها محمداً أكبر المحرضين على عثمان فأبى

لقد وضح من كل ما تقدم أن أثرها لم يكن ضئيلاً فى الحوادث التى انتهت بشهادة عثمان : هذه الفاجعة المشؤومة ، بل كان بعيداً بليغاً . وليتها وقفت عند هذا الحد فلم تؤلب الناس على علىّ وتنتقص عليه ولايته . فإن طلحة والزبير لما آلت الخلافة إلى علىّ — وكانا يرجوانها كل لنفسه — وعقدا النية على المطالبة بدم عثمان وتسليم قتلته الذين انضموا إلى جند على، وهمّا بما هما به؛ رأيا أن أمرهما لا يتم إلا بالسيدة عائشة فكانت فتنة ثانية أشأم على المسلمين من سابقتها

طالبت عائشة بدم عثمان واندفعت فى هذه السبيل — على رغم تحذير المحذرين ، ونصح أمهات المؤمنين — اندفاع الأتىّ الجارف ، حتى جمعت الجموع وأحاط بها كل طامع وكل ذى ثأر من أصحاب على وكل كاره لعلى وخلافته ، مع آخرين خرجوا معها عن عقيدة ريئة مغيرين منكراً أو مطالبين بإقامة الحدود . ثم خرجت بهذه الجماهير من الحجاز حتى وافت بها العراق . فلم يكن من محيص دون القتال ، ومؤرثوا الشر منتشرون فى جماعتها وجماعة على ، فكان ما كان مما لا نتعرض له فى هذه الكلمة لأن أمره مشهور معروف . وسميت هذه الحرب حرب الجمل لأن عائشة كانت فيها فى هودج على جمل ؛ وانقشعت هذه النكبة المؤلمة عن عشرة آلاف قتلوا على أقل تقدير .

(١) ٣ : ٨٤ (٢) زهر الآداب ١ : ٧٥

رحم الله عائشة، لقد كانت المرأة الوحيدة فى التاريخ التى قوضت مركز خليفة وحاولت نصب خليفة ، وأعلنت حرباً وقادت جموعاً ثم أرادت تحاشى القتال ؛ فخرج الأمر من يدها إلى يد غوغائها شأنها فى ذلك شأن على رضى الله عنه ، فكان ما ترتعد له فرائص كل مسلم ، كما ذكر فتنة الجمل وما استتبعت من ويلات .

فلنطو أمر هذه الحرب ، ولنذكر أن عائشة نفسها صارت كلما ذكرتها بكت حتى تبل ثيابها ندماً وتوبة . ولننظر كيف كان معاوية الداهية الحليم يداريها ويخشى بأسها

بقى الناس ينظرون إلى السيدة عائشة وسائر أمهات المؤمنين نظرهم إلى الموئل الذى يسعهم كلما نزلت بهم نازلة . هذا إلى نظرة التقديس والإجلال التى كانت تزداد كلما امتد الزمن وبعد عهد الناس بزمن الرسول . فكانوا — زيادة على قصدهن للتعليم والاستفادة — يشكون إليهن ما يلقون من عنت الأمراء وحيف الحكام ، وكن يتوسطن لهم بما لهن من النفوذ والطاعة على جميع المسلمين : الخلفاء فمن دونهم . سألها رجل كتاباً توصى به زياداً فى العراق ، فلما قرأه زياد قضى حاجة الرجل وأكرمه ، وكان أهم ما دفعه إلى التلبية أنها نسبته فيه إلى أبى سفيان ، فجعل زياد يعرض الكتاب على كل زائر مزهواً به فرحاً . وقد حسب لها معاوية أكبر الحساب فجعل يداريها ويلاطفها ويكتب إليها يسألها مرة عن حديث ، ومرة طالباً موعظة وما به من حاجة إلى سؤال ولا طلب ، وكان جانبها أعظم ما يخشاه . أحرق قائده معاوية بن خديج جثة أخيها محمد فى مصر ؛ فبلغها فجزعت أشد الجزع ، وصارت تقنت على معاوية وعمرو بن العاص دبر كل صلاة[١]

ولما أراد معاوية البيعة ليزيد كان صوت أخيها عبد الرحمن أقوى صوت ارتفع بالمعارضة فجبه والى معاوية على المدينه مروان بن الحكم بقوله الصادع : « جئتم بها هرقلية كسروية كلما مات كسرى قام كسرى[٢] » ولما نال مروان من أخيها بالكلام لقى من السيدة ما لم يكن فى حسبانه حتى تذلل لها وخاف بأسها ثم تكفل دهاء معاوية بالباقى حتى غاب صوت الحق فى إنكار هـذه البدعة التى ابتدعها معاوية فى أصول الحكم . ولم تتنح السيدة عن معالجة الشؤون العامة ، ولولا أن يوم الجمل هد منها ومن قوة نفسها لرأينا لها فى عهد معاوية صولات وجولات ومع هذا فاليك مثلاً حادثة حجر بن عدى :

كان حجر من سادات أهل العراق ذوى السطوة والمكانة ، ممن كانوا مع على وبقوا على عهده بعد مماته ، وقد تحدى سلطة الخلافة مراراً عديدة ، وعبث بالأمراء الذين يرسلهم معاوية حتى ضاق به وبرهطه ذرعاً ، فأمر بحمل حجر وأصحابه ، ثم أشهد عليهم وقتلهم ، بعد أن كثر الوسطاء فى أمره نظراً لمكانته ، ولكن ذلك لم يشف ما فى نفس معاوية من الغيظ ، وكانت عائشة أرسلت رسولاً إلى معاوية فى ذلك ، ولما وصل الرسول كان حجر قد قتل ، فقال الرسول — وهو عبد الرحمن بن الحارث بن هشام — لمعاوية : « أين غاب عنك حلم أبى سفيان ؟ » قال معاوية : « حين غاب عنى مثلك من حلماء قومى ، وحملنى ابن سُمية (يعنى زياداً عامله) فاحتملت » وبلغ عائشة الخبر فحزنت أشد الحزن ، وليس مثلها من يسكت لمعاوية ، ولكن نكبة الجمل زعزعت عزائمها فصارت تخاف أن يجر الأمر إلى فتنة تراق فيها الدماء وهو ما لا تستطيع أن تتصوره ، وقد أشارت إلى ذلك حين قالت : « لولا أنا لم نغير شيئاً إلا آلت بنا الأمور إلى أشد مما كنا فيه لغيرنا قتل حجر . أما والله إن كان — ما علمت — لمسلماً حجاجاً معتمراً[١] »

ولما حج معاوية استأذن على عائشة فأذنت له ، فلما قعد قالت : «يا معاوية ، كيف أمنت أن أخبأ لك من يقتلك ؟» قال : داهية الامويين« بيت الأمن دخلت ! » قالت : «يامعاوية ، أما خشيت الله فى قتل حجر وأصحابه ! » قال : « لست أنا قتلتهم ، إنما قتلهم من شهد عليهم . »[٢]

وهكذا نال الخليفة العظيم ما يستحق من التأنيب فى حجرة الرسول على لسان زوجه أم المؤمنين

هذه هى المرأة فى صدر تاريخنا المجيد ولكم هو مقامها ، فلننتفع بسيرتها ولنأخذ لزماننا من كل شىء أحسنه . أما عبرة هذه الحوادث : فهى أن المرأة لم تخلق قط لتدس أنفها فى الخلافات السياسية . وكأن الله الذى جعل النساء لتربية الرجال وتدبير البيوت أراد أن يعظ المسلمين عظة عملية كلفتهم كل تلك الدماء

(١) تاريخ الطبرى ج ٦ ص ٦٠

(٢)، أنظر رسالة (الاجابة للزركشى) ص ١٤١ طبع دمشق والطبرى

(١) الطبرى والأغانى (٢) الطبرى والأغانى

المهراقة ؛ ليعلموا : أن لو كان أمر من أمور الرجال يقوم بامرأة لقام بهذه السيدة الحصيفة التي أوتيت من المواهب والذكاء والعلم والصلاح ما لم يؤته رجال كثيرون . وبقيت حرب الجمل مناراً في تاريخ المسلمين كلما نزغ بهم من الشيطان نزغ فهموا أن يخرجوا بالمرأة عما خلق لها وخلقت له ، قالوا لأنفسهم : أخفقت هذه التجربة في أول تاريخنا فما بنا من حاجة إلى أن نهرق في سبيلها دماء جديدة ؛ ومن لنا مع هذا بمثل السيدة عائشة

(دمشق) سعيد الأفغاني

تلك سبأ ! (*)

للأستاذ محمد عبد الله العمودي

هناك نحو الشرق من صنعاء عاصمة اليمن ، على بعد خمسة أيام فوق متون المطايا ؛ تمتد منطقة واسعة الأطراف ، مترامية الأكناف ، عامرة بأسرار تاريخ ، وفيرة بخبيئة ماض بعيد ، يجد فيها عالم الآثار مادة خصبة ومجالاً واسعاً فسيحاً لاختباراته وأبحاثه

في تلك البقعة الساحرة المسحورة التي فاضت عليها أنفاس الرياح الغرائب فطمرت معالمها ، وأخفت ماشخص منها ، ونسجت عليها أثواباً رقيقة شفافة من الطمى الأملس ، تلبد في ذمة التاريخ وتحت أنقاض العصور خرائب سبأ ، مدينة الملكة العظيمة بلقيس عروسة سليمان ابن داود ...

هذه بقاع منسية في جزء مهم من بلاد العرب ، لعبت أدواراً خطيرة في مجال التاريخ القديم ؛ تدل الآثار الضئيلة التي قذفتها هذه الأراضي الضنينة التي جاءت من قبيل الصدف بأن ما تحويه في أحشائها يفوق الوصف ، ويثير التاريخ !

ومعلوماتنا عن هذه البلاد السبئية ضئيلة ؛ فبالرغم من كثرة الرواد الذين اجتاحوا هذه البلاد فإن خطراتهم بين خرائبها كانت سريعة خاطفة ، فلم يعرف عنها إلا أشياء مقتضبة مشوهة لا تقوم على إسناد علمي يركن إليه الباحث ، وتطمئن له نفس المنقب ؛ وهذا عائد إلى طبيعة الأرض وجفوة سكانها وقساوتهم ضد الأجنبي ... وما عرفنا أحداً تغلغل في صميم هذه البقاع سوى ثلاثة من الأوربيين أتاحت لهم الظروف الوصول إلى قلب مدينة سبأ فجمعوا كتابات كثيرة جداً منقوشة على الصخر الأصم!

هؤلاء الأشخاص هم أرنود Arnaud (١٨٤٣) وهاليفي Halevy (١٨٦٠) ثم غلازر Glaser (١٨٨٨) . وبعد هؤلاء الباحثين لم يتقدم أحد من الأوربيين مطلقاً . فبقيت أرض سبأ إلى هذه الساعة محتفظة بأسرارها الرهيبة الهائلة ...

هناك في الناحية الغربية من مدينة بلقيس ؛ بنى السبئيون في أحد الأودية العظيمة سداً عظيماً ، متين البنيان ، وطيد الأركان ، مشمخر الأنف ، تتجمع فيه أمواه السيول المنحدرة من أعالي الجبال فتسقى الأرض ، وتحيي الضرع ؛ حتى غدت هذه البلاد مثلاً سائراً في خصوبة الأرض ؛ وكرم التربة !

أما أبرز المظاهر الاقتصادية التي كان يتداولها سكان هذه البلاد مع الأمم التي تناوحهم فهي تلك الأعواد العطرية الفواحة ، والنباتات الكريمة التي تتفوغ بها أوديتها العميقة وشعابها المشجرة المعطرة

وبناؤهم في غاية الفخامة والجلال ؛ قصور شاهقة ، وبناء محكم ، وحيطان وسقف مموهة بالأحجار الكريمة ، مرصعة بالعاج ؛ وآنيتهم من الذهب والفضة الخالصين !...

ولكن السبئيين كانوا يعبدون الشمس [1] والقمر والوعل [2] والعجل [3] ؛ ولهم معابد فخمة واسعة منتشرة في كل الأنحاء ؛ ثم لما بطروا بأنعم الله عاقبهم الله بانهيار السد ، فغشى المدينة من الماء الجارف ما غشيها فجعل عاليها سافلها ، وأهلك سكانها وأباد ضرعها وزرعها فكانت مثلاً

ويعد انهيار السد حدثاً عظيماً في تاريخ الشعب العربي ؛ ذكره (القرآن الكريم) في جملة ما ذكر من القصص ؛ ومع كل هذه الحقائق التاريخية الثابتة أصلاً فإنها لم تؤثر في تفكير

(*) فصل من كتاب « أسرار حياة بلاد العرب السعيدة » الذي كتبنا عنه في عددى ٣٠٩ ، ٣١١ من الرسالة وقد لخصنا هذا الفصل بتصرف .

(١) في القرآن حكاية عن لسان الهدهد « انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله الخ »

(٢) هذا الحيوان لا شك أن له أثراً عظيما في تاريخ تلك البلاد فقد جاء رسمه في بعض النقوش ؛ وصوره لا تزال محفورة في جبال حضرموت الصخرية اليوم . ويوجد بكثرة في جبال حضرموت وهو قنيص الحضارمة الوحيد !

(٣) ويجب أن نشير هنا إلى أن العجل « أبيس » معبود المصريين القدامى قد ورد ذكره في أحد النقوش الحميرية التي نشرها الأستاذ مرغليوث الانجليزي « المعرب »

اليمنيين وتغير مجرى اعتقادهم فى أن يعيدوا إلى الوجود وإلى ضوء الشمس آثار ذلك الماضى اللمّاع المجسّم فى خرائب هذه المدينة ذات الجلال والإبداع ، ولم يفكروا مطلقاً فى استنطاق هذه الألواح الصخرية المنقوش عليها حرف « المسند » ليعرفوا حقيقة الماضى البعيد

أما علماء الآثار الذين مكنتهم الظروف فاخترقوا هذه الآفاق واستهدفوا لضروب من المتاعب والأخطار ، فما استطاعوا أن يقدموا لنا عن هذه البلاد إلا معلومات ضئيلة لا تشفى غلة الباحث الصادى

نعم ، إن إدوار غلازر نجح فى مهمته ، وتنكر فى شخصية مسلم واستطاع إبان وجوده بصنعاء أن يتفق مع أحد أشراف مأرب ليكون له قائداً ودليلاً إلى حيث السد

فمن صنعاء أخذ الاثنان طريقهما فى واد عميق يقع بين ذُرى بلاد نِهْم وخولان[1] ؛ ثم انحدرا إلى وادى شبوان فأخذا طريقهما إلى خرائب السد ومن هنا تابعا سيرهما فى ثلاث ساعات إلى مركز الحضارة السبئية : مدينة بلقيس !

وترامت أخبارهما بين القبائل المتعصبة المتحمّسة فعقدوا العزم على ذبحه وذبح دليله . ولكن غلازر درى بحقيقة الأمر فاحتاط لنفسه كثيراً فكان يقوم ليلاً ويختفى نهاراً ... ولما انتهى من أبحاثه وهم بالرجوع هاجمته جماعة من البدو المسلحين ولكنه نجا بأعجوبة !

وبالرغم من هذه المتاعب الكثيرة التى صادفت هذا المغامر ، وبالرغم من افتقاره للآلات العلمية المتممة لأبحاثه فقد نجح هذا العالم الأسترِىّ[2] فى طرق اختباراته فجمع ما يناهز ٨٥٠ نقشاً حِمْيرياً وبان لعلماء الآثار أن هذه المنطقة ، من أرض سبأ ، غنية بآثارها عميقة فى أسرارها !

أما الإمام يحيي فقد توعد بالعقاب الصارم كل من تحدثه نفسه ببيع هذه الحفريات للأجانب ؛ كما أنه أقفل أبواب سبأ فى وجوههم ولكن أحد[3] هؤلاء المجازفين حاول الوصول إلى مأرب من حضرموت فاكتشف أمره وقبض عليه ، ودفع إلى ما وراء الحدود !

ودفعت المغامرة غيره فى وقت قريب ، فوصل هذه الأرجاء فعثر على شظايا أثرية ، وتماثيل عجيبة لدى جماعات من البدو فابتاعها منهم وشحن منها صناديق ...

وكل من لاقيته فى هذه البلاد وسألته عن أسباب هذه المتاعب الجسيمة التى يلاقيها الرحالة فى أرض سبأ راح يشرح لى أسباباً كثيرة ، وأموراً غريبة !



(ش ١) رأس آدمى من البرنز

أخبرنى أحد العلماء قال : « هناك فى أرض سبأ تعيش قبائل مخيفة من البدو لا يعلمون عن العالم شيئاً ، بل يجهلون كل الجهل من حولهم ؛ يعبدون الله ولكن على صورة تخالف ما عندنا ، ويأكلون اللحم النيء ؛ وفى قبائلهم تعيش جماعات من النبلاء والأشراف يستبدّون بالضعيف ، ويسخرونه فى حرث الأرض ، والدفاع عن الحوزة ؛ لهذا ترى من الحكمة ، وسداد الرأى ، أن الإمام مصيب فى منعه الأجانب من دخول هذه الأقاليم الرهيبة التى لا تعرف من سلطة الإمام إلا القليل ... »

وتشرفت بالمثول بين يدى الإمام ، وبما أنه معروف عن جلالته الطبع السمح . والخلق اللين ؛ فقد بادهته بهذا السؤال :

(١) من قبائل اليمن

(٢) نسبة إلى أوستريا فى قلب أوربا

(٣) هو السائح الجرمنى هانس فون هلفرتس وقد أصدر مؤلفين عن حضرموت باللغة الألمانية

— هل يأذن لى صاحب الجلالة فى زيارة بلاد سبأ ؟

ولشد ما كانت دهشتى عظيمة عند ما رأيت ابن حميد الدين يستوى فى جسته ثم يصيح بى قائلاً :

— سبأ ؟ أرى أن مشاهدتك واستكشافك هنا خير وأولى ! أمكث فى صنعاء إلى ما تشاء ! وإذا لم يعجبك هذا فدونك ما حوالينا من القرى الجميلة ، والأودية النضرة ، فانهب من الجمال ما شئت واملأ ناظريك من محاسن الطبيعة اليمنية !

— ولكن يا مولاى ، أريد سبأ ، فهل تتركنى أذهب إليها ؟

— لا ! إن سبأ بعيدة المنال ، صعبة الوصول ، فأنا لم أرها منذ سنين، وزيادة على ذلك فما هناك طريق واضح؛ فهل من المعقول أن أتركك تذهب حيث لا طريق معبد؟ أنا أريد أن أراها ولكن لا سبيل إلى الوصول إليها... هناك حتى يومنا هذا لا يزال جزء عظيم من بقايا السد قائماً فى شكل يثير الإعجاب ! تصور جيداً أنه شيد كله من الصخر الأصم ؛ وهذه الصخور تتألف من ثلاثة ألوان : خضراء وحمراء وشهلاء ... وعلى مقربة من السد تقوم نقرة عظيمة حفرت جداول توزع منها المياه إلى الحقول والبساتين التى جمع منها السبئيون كل غنائم وجاههم !

— والمدينة يا مولاى ؟

— حطمها السدّ وغزتها المياه من كل جانب فغمرتها رواسب كثيرة شفافة ، وما زالت أطرافها شاخصة فى عظمة واستكبار ... فهناك على مساحة عظيمة تطفو على وجه الأرض أعمدة وأحجار ؛ وأجل هذه الآثار شخوصاً « عرش بلقيس » ذلك المعبد العظيم الذى شيده سليمان لملكة سبأ ... واليوم عزمت على تعبيد الطريق من صنعاء إلى مأرب فتخترقها السيارات بسهولة!

* * *

إن الآثار المدهشة التى تكشفت عنها بلاد العرب الجنوبية تراها اليوم موزعة بين متاحف أوربا ؛ وليس لها أثر كبير فى بلاد اليمن اللهم إلا أشياء ضئيلة فى متحف صنعاء مجموعة فى نظام يستدر الشفقة ، ويبعث الحسرة !

ففى متحف تِرْمى Terme بروما يمكنك أن تتمتع بمشاهدة آثار سبأ وحمير وسائر ممالك اليمن القديمة ...

فهناك نقوش كثيرة وقطع من الفن الهندسى الرائع ، وتماثيل ضخمة منحوتة من الصخر جمعها الدكتور أنسالدى[1] أثناء رحلته إلى بلاد اليمن أخيراً واستطاع أن يأخذها إلى إيطاليا بموافقة الإمام !

أما المتحف الذى أنشأه الإمام يحيى فى العاصمة اليمنية فهو عبارة عن (غرفة !) من قصر خصّص لنزول البعثات الأجنبية تتكدّس فى هذه الغرفة آثار اليمن القديمة !



(ش ٢) تمثال بطل عارى الجسم

ولما كانت هذه الغرفة محرومة من المساند والمناضد فقد طرحت أرضاً هذه النقوش والقطع الأثرية ؛ وبعضها مرصوص على جوانب الجدران ؛ والجزء الأعظم من الآثار الصغيرة محشوٌ فى أجواف صناديق النَّفْط ...

(١) هو الدكتور قيصر أنسالدى ساح فى اليمن قبل السنيور آبونق وله كتاب (اليمن : فى الخرافة والتاريخ) باللغة الايطالية . وقد أخذنا منه الصورتين المنشورتين فى هذا العدد .

والزائر الذى يأتى لمشاهدة هذه الآثار لا يسمح له بدخول هذه الغرفة بل يقوم الحارس بعرض بضاعته من الداخل فيطرحها على أرض الشباك بحيث يتمكن الزائر من المشاهدة والملاحظة وهو فى الخارج ؛ وفى أغلب الأحيان تَمَلَّص من يدى الحارس بعض التماثيل فتهوى إلى الأرض محطّمة ؛ وفى جلافة وعدم مبالاة ، يركلها برجليه إلى إحدى الزوايا !

إن الله وحده الذى يعرف كم تحوى هذه البقاع اليمنية من الآثار والتماثيل ذات الجلال والسموّ . وما ذلك الفن السامى الذى ازدهر فى هذه الربوع المتمثل فى هذه الخرائب الأبدية وفى هذه التماثيل العديدة للنساء والرجال المفرغة فى المرمر الحرّ والرخام المجزع ، إلا صورة حية ناطقة لذلك الفن الرفيع العريق فى هذه البلاد منذ أقدم العصور! يدلنا على هذا كله وجود تماثيل فى متحف صنعاء بلغا حد الانقان والإبداع .

أولهما (ش ١) يمثل رأساً[1] من البرنز لشاب أو شابة من أبناء تلك البلاد على وضع فنى جميل يشبه إلى حد ما أحسن التماثيل الإغريقية القديمة ، وقد وجد فى غيمان[1]

والثانى (ش ٢) تمثال عظيم مصوغ من البرنز وجد فى خرائب النخلة[2] الحمراء يمثل بطلاً عارياً منسجم الأعضاء جليل الصورة . ومما يدعو للأسف أن العمال الأغرار أثناء الحفر تناولوه بالتهشيم فذهب شيء كثير من روعته ، ولكن الآن لحسن الحظ أعيدت صورته الأولى ، وأجبرت كِسَراته وصقلت حواشيه ، واستقام على قدميه بقوة أسلاك معدنية

والحق أن مثل هذه الآثار كثيرة الوجود تحت الأنقاض وفى بطن الأرض ولكنها تتطلب مجهوداً عظيماً يكاف كثيراً فى بلد يقوم على هذا الوضع من الحياة والعزلة

(القاهرة) **محمد عبد الله العمودى**

(١) هذا التمثال موجود اليوم بمتحف لندن ، أهداه الامام لملك الانجليز بمناسبة تتويجه

(١) مدينة أثرية على بعد خمس ساعات إلى الجنوب الشرقى من صنعاء

(٢) بلدة تقع على مقربة من غيمان

كتاب الأغانى

بقلم أبى الفرج الأسكندرانى

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

وأطلس عسال وما كان صاحباً رأى ضوء نارى موهناً فأتانى
فقلت ادن دونى أيها الذئب إننى وإياك فى زادى لمشتركان

البيتان من قصيدة للفرزدق ، والفرزدق ليس من الشعراء المعاصرين بالطبع ؛ ولكن اللحنين اللذين صنعا فيهما عصريان . أما أحدهما فللأستاذ أحمد أمين على نغمة مصرية هادئة ، وأما الآخر فللدكتور زكى مبارك على نغمة باريسية ثائرة

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال : أو لم أقل لكم إن أفضل تقسيم للأدب أن يكون على أساس من اختلاف الثقافات ؟ فالأستاذ أحمد أمين مثال للثقافة المصرية المشبعة بالروح الإنكليزية . والدكتور زكى مبارك مثال للثقافة المصرية المشبعة بالروح الفرنسية؛ ومن ثم كان الفارق بينهما ؛ فهذا هادئ رصين والآخر ثائر صاخب

قال الأستاذ الشايب : وسأحدثكم عن مثل يبين اختلاف الثقافتين : قيل إنه قد طلب إلى ثلاثة من الأدباء أحدهم إنكليزى والثانى فرنسى والثالث ألمانى أن يكتبوا شيئاً عن الجمل ، أما الفرنسى فذهب إلى حديقة الحيوانات وكتب فى ورقة ما معناه :

« يا لله! ما أعجب وما أغرب! خف لين، وصبر بين، ووسادة تحت الصدر، وسنام فوق الظهر ! يا لله ! »

وعدداً آخر من النثر المشعور أو الشعر المنثور، ثم عاد أدراجه ودفع بما كتبه ارتجالاً إلى من ألقى عليه السؤال .

وأما الإنكليزى فارتحل إلى بلاد العرب ، وأقام فيها سنين اشترى فى خلالها جمالاً ونوقاً وراقبها من يوم مولدها إلى يوم موتها وأحصى مقدار ما تأكل كل يوم ، ومقدار ما يؤخذ من لبنها ، ومن وبرها ، وعدد ما تنتج . فلما انقضت الأعوام عاد فوضع كتاباً عن تاريخ الجمل .

قال الأستاذ الشايب : ولاعلينا الآن أن نقول شيئاً عما فعل الألمانى ، ولكننى أكتفى بهذا القدر من المثل لأن الأستاذ أحمد أمين مثقف ثقافة إنكليزية فهو يؤرخ الأدب العربى على طريقة تربية الجمال وملاحظتها وتدوين الملاحظات . والدكتور زكى مبارك يتناول الأدب العربى على طريقة « يا لله ما أعجب وما أغرب ! »

قال أبو الفرج الاسكندراني هـذا ما يقوله الأستاذ الشايب ولولا أن الشايب مثقف بالثقافة الإنكليزية دون الفرنسية ، لولا ذلك لعددناه شاهد عدل فى خصومة بين هذين الأديبين الكبيرين . ولكن لا شهادة لمن له ضلع مع أحد الخصمين

حدثنا الأستاذ أحمد أمين قال : لقد صنعت لحناً لهذه الأبيات الرائعة من شعر الفرزدق وإن كنت أعلم موضع الضعف فيها فهى بعض الشعر الإسلامى الذى جنى عليه أدب الجاهلية

قال امرؤ القيس الجاهلى :

وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوى كالخليع المعيل
فقلت له لما عوى إن شأننا قليل الغنى إن كنت لما تمول
كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل

فكان فى وصفه هذا اللقاء للذئب معرباً عن إحساس صادق وماذا قال امرؤ القيس ؟

لقد وازن بين شروده فى القفار وبؤسه وهو مطرود حائر محروم ، وبين الذئب فى مثل هذه الحالات فهوى عواءه

وكثر الدخيل على اللغة بإسلام من أسلم من أهل اللغات الأخرى فكان للشعر الجاهلى أثر غير أثره الطبيعى : ذلك أنه عماد هذه اللغة التى أصبحت عماداً للدين الجديد . فوقف شعراء الإسلام أمام أسلافهم من شعراء الجاهليين موقف العابد من المعبود لاقتران حاجتهم إليه بحاجتهم إلى المحافظة على اللغة واقتران محافظتهم على اللغة بحاجتهم إلى المحافظة على الدين، فمن أجل ذلك وضع الفرزدق قصيدة يصف فيها لقاء الذيب ووضع الشريف الرضى والبحترى قصيدتين فى نفس الغرض ولكن وصف الثلاثة الإسلاميين للقاء الذيب كان وصفاً غير طبيعى لأن همهم الأول كان أن يفعلوا كما فعل شاعر جاهلى يقدسونه

قال الفرزدق إنه قابل الذئب ولكن بماذا أحس ؟ بماذا شعر ؟

يقول إنه أحس بأنه يريد أن يعطيه زاده فهل كذلك يشعر الناس عند لقاء الذئاب

فلما دنا قلت ادن دونك إننى وإياك فى زادى لمشتركان

فبت أقد الزاد بيني وبينه على ضوء نار مرة ودخان
تعش فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من ياذئب يصطحبان

على أن مجال التفكير كان حول الطعام ، كان فى شأن العشاء والشاعر لم يتجه هذه الوجهة إلا لأنه مداح أكثر شعره فى مدح الملوك لنيل الجوائز، أفلا يحق لى أن أصف هذا الأدب بأنه أدب معدة وبأن الشعر الجاهلى قد جنى عليه ؟

قال الأستاذ أحمد أمين بك : والبحترى مادح آخر يتناول الهبات مكافأة على المديح وقد وصف الذئب وإن لم يلقه متأثراً بامرئ القيس فماذا قال وإلى أية ناحية كان اتجاهه ؟ إنه اتجه أيضاً وجهة غير طبيعية فى الإعراب عن إحساس من يقابل الذئب فقد قال :

عوى ثم أقعى فارتجزت فهجته فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

إلى أن قال :

وقمت فجمعت الحصى فاشتويته

فهل عرفت الآن ماذا فعل بالذئب لقد أكله الشاعر البحترى بعد أن شواه على الحصى !

أو ليس هذا أدب معدة ؟ أو ليس هذا مما جنى عليه الشعر الجاهلى ؟ على أننى أترك التحدث عن وصف الشريف الرضى للقاء الذئب إجلالاً للشريف

لكن فى بيتى الفرزدق مع ذلك روعة وجلالاً وقد صنعت فيهما لحناً هادئاً يضرب بالشوكة والسكين الفضيتين على طبق من أطباق الذهب قبيل الطعام

حدثنا الأستاذ عبد العزيز البشرى قال وقد سمع هذا الحديث: أما إنه للحن عذب يفتح الشهية لكن على ألا يكون الطعام من لحم الذئب الذى شواه البحترى

وحدثنا الدكتور زكى مبارك قال فى صخب وضجة : لقد والله ظلموا البحترى وظلموا شعراء الإسلام. أو لم يقرأوا بقية القصيدة؟ قال البحترى :

وقمت فجمعت الحصى فاشتويته فلم يبق إلا اللحم والعظم والجلد

فماذا أكل البحترى وقد استبقى اللحم والعظم والجلد ؟ إنه لم يأكل إلا الرأس والأكارع ، وهل فى أكل الرأس والأكارع ما يستحق اتهام البحترى بأنه من أدباء المعدة ؟ هذا والله هو الإجحاف والجحود لمآثر الأسلاف ! ولماذا يكون الفرزدق محاكياً لامرئ القيس فى وصف الذئب ؟

إنه إنما قال ما قال فى وصف ذلك اللقاء معرباً عن شعور أصيل فى نفسه هو شعور الكرم والنخوة فهو يطعم حتى الذئاب. وهو يعنى ذئاب الإنسانية ؛ فالأمر لا يعدو المجاز

حدثنا الدكتور بشر فارس قال : هذه الأبيات من الشعر الرمزى ولا شأن للذئب فيها سوى أحرف اسمه

وحدثنا الأستاذ عبد العزيز البشرى قال : وأى كرم ونخوة فى إطعام ذئب سواء أكان ذئباً حقاً أم كان مكنياً به عن الإنسان ؟ إنه ليس فى مصر كلها رجل واحد لا يطعم الذئاب دون أن يجد فى ذلك مجالاً للفخر ، ففى كل مكان فيه ذئب يخرج مصرى معمم أو مطربش فيقول :

... أيها الذئب إننى وإياك فى زادى لمشتركان
تعش فإن عاهدتنى لا تخوننى ....

ألا إنه لا كرم ولا نخوة فى أمر شائع بين الجميع ، وإنما الكرم والنخوة أن تفعل ما لا يفعله خاصة الخاصة من الناس

أخبار الفرزدق وشعره

حدثنا الأستاذ على الجارم بك قال : كان الفرزدق مفتشاً أول للغة العربية فى حكومة بنى مروان وكان من أصحاب العزة الجاهلية ففيه عجرفة يغتفرها له ما أفادته اللغة العربية من ثروة فى شعره . وليس وصفه للذئب محاكاة لأبيات امرئ القيس ولا الذئب الذى وصفه من ذئاب الصحراء وأنشد :

صوت

وأنا الفرزدق غير أنى لا أسف إلى الهجاء
يا جارة الوادى عففت فصنت أعراض النساء
لا كالفرزدق إنه قد كان مفقود الحياء

الشعر للأستاذ على بك الجارم وقد اشترك فى تلحينه كل مدرسى اللغة العربية بوزارة المعارف .

« يتبع »

عبد اللطيف النشار

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولنعد إلى حديث بلنت مع عرابى ، ولما كان هذا الحديث يكشف لنا عن نواح كثيرة من تلك الشخصية التى نعنى بدراستها نرى الخير فى أن نورده على تمامه كما جاء فى مذكرات مستر بلنت قال : « وقد نفذ كثير من تلك الاصلاحات بعد أن عزى للموظفين البريطانيين فى عهد الاحتلال ، وادعى لورد كرومر أنه مبتكر كثيراً منها . فمن ذلك إلغاء السخرة التى كان يضربها الباشوات الترك على الفلاحين ، واحتكار بيع الماء فى مدة الفيضان ، وحماية الفلاحين من المرابين اليونانيين الذين أنشبوا فيهم الأظفار بسبب فقدان العدل فى المحاكم المختلطة . ومن هذه الاصلاحات أيضاً إنشاء بنك زراعى تشرف عليه الحكومة ، وهذا هو البنك الذى باهى به كثيراً المرحوم اللورد كرومر ...

كذلك تناقشنا فى الاصلاحات القضائية ، وكانت دوائر القضاء يعمها الفساد ؛ وكذلك تكلمنا فى نظم تربية الذكور والإناث ، وفى طريقة الانتخاب للبرلمان الجديد ومسألة الرقيق ، وقد أطال عرابى الكلام فى هذه المسألة الأخيرة ، وكان الموظفون الأجانب فى مصلحة الرقيق قد خشوا أن يتناول الاقتصاد فى المرتبات مراكزهم ، ومن ثم كانوا يزعمون أن إحياء الإسلام معناه إحياء الاسترقاق . وقد أظهر لى عرابى ضعف هذا الزعم وما فيه من الافتراء ، وبين لى أنه ليس فى مصر من يود أن يكون له عبيد غير أمراء البيت الخديو والباشوات الأتراك الذين تعودوا استعباد الفلاحين ، وأن الاصلاحات الجديدة سوف توطد المساواة بين الناس مهما اختلفوا فى الجنس واللون والدين ، وليس مع هذا الإصلاح محل للاسترقاق . أما فيما يختص بضرورة الاستعداد لحرب محتملة — ذلك الاستعداد الذى يجب أن يشغل ذهن وزير الحرب فقد تكلم عنه بصراحة وقوة فقال إن الحكومة الوطنية لا تنزع سلاحها ولا تخفضه حتى يوطد الحكم الدستورى وتعترف أوربا به . وكان يرجو ألا يتجاوز مربوط وزارة الحرب الذى اتفق عليه مع كلفن وإلا يضطر إلى زيادة عدد رجال الجيش على ثمانية عشر ألفاً . أما إذا استمر التهديد بالتدخل فلا مناص له من اتباع الطريقة البروسية أى التجنيد العام لمدة قصيرة ليتمكن من إنشاء احتياطى كبير ، وقد سأل عن رأيى فى احتمال وقوع الحرب فقلت له صراحة إنى بما علمته من اجتهاد كلفن فى إحداث التدخل وبما أراه من الهياج الذى بثه فى الصحف أعتبر أن الخطر حقيقى . وإنى ذاهب إلى انجلترة لا لشىء إلا لأضع حداً لحملة الكذب التى ثارت فى الصحف ، وستكون مهمتى هناك نشر الدعوة للسلام وحسن النية ، وفى الوقت نفسه لم أستطع أن أنصح له إلا بالثبات والحزم فى موقفه وبأن أفضل وسيلة لضمان السلم إنما هى الاستعداد للدفاع . وقلت إن شر أعداء مصر ليس الحكومات الأوربية بل الماليين الأوربيين وإن هؤلاء لابد أن يفكروا طويلاً قبل أن يعرضوا مصالحهم للخطر بالحض على إثارة حرب طويلة ذات نفقات طائلة ، وقل أن يسىء أحد إلى أمة مسلحة مستعدة للدفاع عن حقوقها . وأذكر أنى اقتبست من شعر لورد بيرون قوله : (لا تأمن الفرنج على الحرية) فوافق عرابى

على ذلك ، وكانت هذه فيما أظن آخر كلماتنا ، وقد وعدته أن أعود وأنضم إلى الوطنيين إذا شاء القضاء ووقع السوء »

وهذا الكلام من جانب ذلك الفلاح الذى تمخضت عنه مصر فى تلك السنين السود فى غنى عن كل تعليق . وما ندرى ماذا يرى فيه أولئك الذين أرادوا ألا يجعلوا لذلك الرجل مكاناً بين أبطال قومهم ، بل أولئك الذين يسلكونه فى المجرمين الخائنين لوطنهم فيرتكبون بذلك من ضروب الإجرام ما لن يزال عالقاً بأعناقهم حتى يروا الحق فيصدعوا به وهم راضون ؟

ماذا يرى فى هذا الحديث أولئك الذين تنفر أسماعهم من اسم عرابى ، وأولئك الذين يضحكون من جهله ويسخرون من تطاوله ؟ على أننا لا نعبأ بما يقولون وما يهزأون فإنا لنستشف من هذا الحديث وطنية رجل ونلمس فيه عزيمة رجل على خير ما تكون الوطنية وأحسن ما تكون العزيمة . ولئن كان لرجل من ذوى الجاه والثراء أن يفخر بصنيع أداه إلى بنى قومه ، فأجدر منه بالفخر كل الفخر رجل درج من عش الفاقة وبرز من عامة الناس ففعل ما لم يفعله غيره من أكابر الناس ! وإن هذا الرجل الذى يستشرف القلم فى غبطة ونخر إلى تاريخه ليقدم لنا بما فعل الدليل الناصع والبرهان القاطع على أن تربة هذا الوادى الذى أنبتت بالأمس الفراعين لا تزال تنبت أولى العزم والبأس من الرجال ؛ وأن بين هؤلاء الذين يجيلون الفؤوس فى غيطانها ويعملون صامتين صابرين فى الهجير والزمهرير رجالاهم كالدر المخبوء لو أزيح عنه ما يطمره من تراب لتلألأ وسطع وسحر بريقه المتوهج القلوب والأبصار .

***

مضت الوزارة فى سبيلها غير عابئة بصراخ أعدائها لا تتخاذل من دون غايتها ولا تستبعد الشقة، وذلك على الرغم من أنها كانت لا تجاوز عقبة إلا قام فى سبيلها عقبات

ولقد قبع الخديو فى زوايا العزلة ، وجعل الغدارون الخوانون بينه وبين وزرائه حجاباً من الأباطيل التى أحكموا نسجها . والواقع أن الخديو لم يكن على شىء مما كان يجب أن يتصف به من يضطلع بأعباء الحكم فى مثل هاتيك الظروف ، فلقد كان مستطار القلب حائر اللب مما يجرى حوله ، فهو لا يسيغ الحركة الوطنية ولا يستطيع أن يصالح عليها طبعه ؛ وهو مستريب فى نيات الحكومة العثمانية نحوه ونحو عرشه ؛ وهو فزع مما يشاع من دسائس الأمير عبد الحليم ، بل ودسائس أبيه ومساعيه فى مصر والآستانة على يد أعوانه ؛ ثم هو فضلاً عن هذا كله قد بات تحت سيطرة الأجانب وعلى الأخص الإنجليز منهم فما يقطع أمراً حتى يوافقون عليه بل لا يخطو خطوة حتى يرى رأيهم فيها

ومن كان هذا شأنه فى موقف كهذا الموقف الدقيق الذى كانت تقفه مصر من أعدائها يومئذ كان مثل الراعى أحاطت الضوارى بقطيعه فما يرجو أكثر من أن ينجو هو بنفسه ولو هلك القطيع جميعاً .

وكانت الدولتان كما سلف القول تراوغ كلتاهما الأخرى ، وتغافلها بغية الظفر بالفريسة وحدها ؛ وهذه هى حقيقة السياسة الخارجية التى لا تفهم على وجهها الحق دون الانتباه إليها ، وإن كان كرومر ينفى هذا فى كتابه نفياً قاطعاً قائلاً إنه كان ذا صلة وثيقة برجال ذلك العهد جميعاً . ولو أن هذا كان موقف انجلترة ما منعه شىء عن الاعتراف به .

ولكن نفى كرومر هذا لا يغير الحقائق. وحسبنا أن نذكر فى هذا الصدد ما كتبه ريناخ أحد أصدقاء غمبتا عن سياسة الدولتين قال : « إن الرأى العام فى انجلترة قد وقع تحت تأثير بعض رجال حزب الشورى الذين اعتقدوا أن خير ما يعمل هو استعجال الحوادث جهد الطاقة أملاً فى إيجاد فرصة لدخول وادى النيل دون فرنسا »

حسبنا تلك العبارة التى حاول كرومر أن يفندها بما ذكرنا من نفى فلم يستطع أن يأتى بدليل أو شبه دليل على صحة رأيه فلن يكون النفى المجرد مما ينهض دليلاً يؤخذ به فى أمر من الأمور

وكان غمبتا من أشد أعداء مصر بل من أشد أعداء الإسلام قاطبة ، وكان هذا الرجل يهودياً على صلة برجال المال من الدائنين؛ وكان يحيط به فى باريس ريفرز ولسن ونوبار يوحيان إليه بما يريان؛ وكان بطبعه ممن يميلون إلى اللجوء إلى القوة فى كل ما يتعلق بالشرق والشرقيين

وكان هذا الوزير يحاول أن يدفع انجلترة لتأخذ بسياسته ولكن جرانفيل راح يراوغه مظهراً له أن خيرهما فى أن يتفقا، وفى الوقت نفسه كان يحذره عاقبة التدخل المسلح فى شؤون مصر سواء أكان ذلك من جانب إحدى الدولتين أم من جانبيهما

مما لأن ذلك العمل كان من شأنه أن يجر فى أعقابه كثيراً من المشاكل

ولقد رأينا مبلغ تشدده فى وجوب إرسال المذكرة المشتركة المشؤومة ، ثم إصراره بعد ذلك على عدم تخفيف وقعها بأى وجه من الوجوه . ولقد كانت كل من الدولتين تحرص على ألا تنفرد فتنكشف ، لذلك كانت تجارى إحداهما الأخرى وإنها لمستكرهة أشد الاستكراه وأقبحه ... وكانت انجلترة تأخذ نفسها بالصبر حتى يحين الفرصة فتقتنصها

على أن غمبتا لم يلبث فى الحكم طويلاً فسقطت وزارته فى أول فبراير عام ١٨٨٢ أى قبل تأليف وزارة البارودى بخمسة أيام وحل محله فى الوزارة دى فريسنيه . وكان هذا من أول الأمر يرى فى المسألة المصرية ما لا يتفق وسياسة غمبتا

ولكن الأمور كانت قد تحرجت فى مصر بما فعل غمبتا ، وفقدت العناصر الوطنية فى البلاد كما أشرنا كل ثقة فى الدولتين جميعاً حتى أصبح من أصعب الأمور التفاهم فى السياسة العامة

وكان الإنجليز فى مصر يعملون جهد طاقتهم لحساب دولتهم حتى إذا حانت ساعة العمل لم يكن بينهم وبين فريستهم حائل ؛ ولقد ظلوا متربصين بمصر بعد أن نجحت وزارة البارودي فى حل مسألة الميزانية ينتظرون أن تواتيهم فرصة فيعملوا على تنفيذ ما بيتوا

وأخيراً وقع فى مصر حادث ما نظن فى تاريخ الاستعمار الأوربي كله أن استغل حادث كما استغل - فى قبح ما بعده قبح - ذلك الحادث على بعد ما بينه وبين السياسة العامة للبلاد ، وذلك هو حادث المؤامرة الجركسية المشؤوم

نمى إلى عرابى وزملائه أن فريقاً من الضباط الجراكسة فى الجيش يأتمرون به وأصحابه ليقتلوهم ! فكان أن ألقت الحكومة القبض عليهم كما يقضى بذلك واجبها وساقتهم إلى المحاكمة فقضت فيهم قضاءها . وليس فى هذا الحادث فى ذاته ما يتصل بالسياسة العامة للبلاد بسبب من الأسباب . وما كانت أية وزارة تستطيع أن تسلك فيه سبيلاً غير التى سلكته وزارة البارودى ، ولكن الكائدين المفترين ما لبثوا أن ملأوا الدنيا صياحاً وتنديداً وتهديداً ووعيداً ، ونسوا كل شىء إلا تحقيق أطماعهم من وراء هذا الحادث ، فكان من أقوالهم وأفعالهم ما هو حقيق بأن يسم تاريخ أى شعب من الشعوب بميسم العار والخزى ؛ بل ما هو خليق بأن يساق بين أقوى الأدلة وأنصعها على صحة مبدأ القائلين بأن هذه المدنية المزعومة قد أفسدت بنى الإنسان فزادتهم قرباً إلى الحيوانية بقدر ما باعدت بينهم وبين ما كان يرجى للآدمية من سمو روحى ظل أمل الفلاسفة منذ أن أخذوا يحاولون التخلص من هذا الطين وينزعون بأبصارهم وأرواحهم إلى السموات

والحق لقد دل مسلك دعاة المدنية الأوربية على مبلغ ما يمكن أن يصل إليه غدر الإنسان بأخيه الإنسان فى عصرنا هذا ، وما برح مثل عملهم هذا يوحى إلى ذوى الأحلام والآمال من البشر أن الإنسان لا يزال هو الإنسان ، وأنه إذا كان ارتقى فى شىء ففى وسائل الكيد والبطش . أما غرائزه الأولى : غرائز السيطرة والأنانية وحب التملك ، لا زالت بحيث لم يطرأ عليها أى تعديل ، أو سمو على الرغم مما يتبجح به المثاليون والخياليون من حماة الإنسانية . وإنا لنجد فى بيان مدى ما وصل إليه هؤلاء الساسة من انحطاط خيراً من أن نعرض المسألة فى وضعها الطبيعى البسيط وما كان من أمرهم إزاءها مكتفين بذلك عن كل تعليق عليها ، فما كان لكلام أن يبين عما يتحرك فى الذهن ويعتلج فى أطواء النفس أو يشفى القلب مما يحس من ألم وضيق أمام مثل ذلك العدوان الشنيع .

« يتبع » الخفيف

استطلاع صحفي

جولة في مصلحة الكيمياء

معمل للأمة وللحكومة

لمندوب الرسالة

انتقلت مصلحة الكيمياء من مبناها القديم الضيق في فناء وزارة الأشغال إلى عمارتها الجديدة بشارع الملكة نازلي وبذلك فتحت أبوابها لكل ما يطلبه منها الجمهور من اختبارات كيمائية تكشف عن صلاحية المواد والمنتجات للحياة العملية ، وبهذه الخطوة يستطيع الصانع أن يختبر مواده هناك كما يستطيع أن يحصل لمنتجاته على شهادات حكومية بصلاحيتها ولن يكلفه ذلك المال الكثير فإن المصلحة تشجع على ذلك ولا تأخذ عنه إلا أجراً زهيداً؛ ولذلك رأينا بعد استئذان مراقبها الدكتور أحمد زكي بك أن نقدم لقراء الرسالة صورة مما يحدث في ذلك المعهد وإن تكن صورة مقتضبة لأن عمل المصلحة متشعب والصفحات محدودة

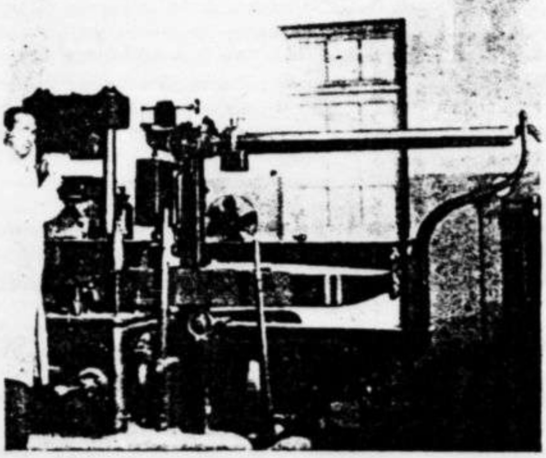
مهارة الصانع

قال الدكتور محمد سعيد سليم رئيس قسم تحليل مواد البناء في مصلحة الكيمياء :

« نقوم بتجاربنا هنا على مواد رخيصة القيمة ولكنها خطيرة المسئولية . فقد يكون ثمن مواد الأسمنت أو الجبس أو المصيص زهيداً ، ولكن الخطأ في تقدير قوة مقاومتها يؤدي إلى ضياع كثير من الأنفس والأموال . فتصور عمارة تشيد بالأسمنت المسلح لم يراع في خلط مواده النسب القانونية أو زادت على المخلوط كميات الماء حتى ذاب الأسمنت وسال وبقي الرمل وحده ليسند البناء . فلما تمت العمارة أتى الناس من كل جهات القاهرة ليجدوا فيها السكن الموافق ؛ فلما نقلوا أثاثهم ونظموا غرفهم ثقل وزنهم على قوة مقاومة تماسك الرمل وقليل الأسمنت فسقطت السقوف وقتلت البنين والبنات، وترملت الأزواج والزوجات »

ثم وضع الدكتور قالباً مصنوعاً من الأسمنت المسلح بين فكي آلة ليختبر قوة الشد الذي تتحمله البوصة المكعبة منه؛ ثم فتح صنبوراً تساقطت منه كرات من الرصاص في وعاء يقع ضغطه على ذراع يجذب أحد أطراف قالب الأسمنت إلى أعلى بينما الطرف الأسفل ثابت . وبعد برهة انكسر قالب الأسمنت وفي الوقت نفسه هبط ثقل الرصاص على يد معدنية وقفت تساقط كرات الرصاص في الوعاء . فلما وزن الوعاء ومحتوياته قال : « البوصة المكعبة من هذا المخلوط تتحمل شداً قدره ٦٢٠ رطلاً »

وأثبت في جدول أمامه رقم القالب وقوة مقاومته فلاحظت أنه القالب السادس فأوضح ذلك قائلاً : إننا نتبع في اختباراتنا عدة تجارب من نفس النوع وعلى نفس المادة ثم نأخذ متوسط النتائج ، فلا يخفى عليك ما ليد الصانع من تأثير على متانة البناء . بل يمكنك أن تلاحظ اختلاف الصناعة من هذه العينات الست التي قام بها عامل واحد وهي مخلوطة من مادة واحدة ، فأنت ترى أنها تختلف بين ٥٣٠ رطلاً و٦٢٠ رطلاً . ويرجع هذا الاختلاف إلى عنايته ببعض النماذج ثم قلة هذه العناية في غيرها بسبب تعب يده أو سرعته . ولكن في البلاد التي تقوم بعملية صب العينات آلات حركاتها منتظمة تظهر النتائج للعينات المماثلة ثابتة



الدكتور محمد سعيد سليم وهو يضع إحدى قطع الرخام بين فكي آلة قياس الضغط

معمل الأمة والحكومة

ومصلحة الكيمياء في مقرها الجديد بشارع الملكة نازلي معمل أبحاث يختبر كل المواد من حيث مدى صلاحيتها للعمل ،

كما يقرر الواصفات التي يجب توفرها في تلك المواد حتى تكون متينة التركيب فتتحمل الاستعمال مدة طويلة . وكذلك يجب أن تكون رخيصة حرصاً على أموال الحكومة . ففي معمل القاهرة (للمصلحة معامل أخرى في الإسكندرية) تختبر جميع مواد المناقصات ويوضع الحد الأدنى لقبول متانة المواد . فإذا أرادت إحدى المصالح أن تعلن عن مناقصة وضعت المبادئ المطلوبة ثم تركت لمصلحة الكيمياء مهمة بحثها وقبول العطاءات التي يتوافر فيها الرخص والمتانة معاً . فهذه المصلحة هي في الواقع معمل الدولة وقريباً تصبح معمل الأمة أيضاً . إذ أن التوسع الحديث في مبانيها أتاح لموظفيها أن يزيدوا ميدان عملهم فسمح للجمهور أن يطلب إلى المصلحة اختبار المواد التي يريدها بأجر زهيد



الأستاذ مطر يختبر قطعة قماش ليعرف كمية الصوف الموجودة بها فيضعها في وعاء به صودا كاوية بنسبة ٥ ٪ ويغليها فيذوب كل الصوف وتبقى المواد الأخرى

والعمل الأساسي لهذا المعمل هو اختبار المواد والمنتجات في أي شكل من أشكالها وتعيين مدى صلاحيتها وتركيبها الكيميائي . وهي بهذا تراقب بطريق غير مباشر تنفيذ عقود الحكومة مع مقاوليها في بناء عماراتها أو موريدها عند ما يبيعون للحكومة أو لإحدى مصالحها بعض المنتجات الصناعية أو الزراعية أو الكيميائية من أي صنف كانت ؛ فعندما تطرح مناقصة في السوق يتقدم التجار بعينات وبأثمان الوحدات التي تتخذها الحكومة قاعدة لمعاملاتها فتتولى المصلحة اختبار تلك المواد وتحديد نوعها ثم تشير بقبول أحد العطاءات



الأستاذ أمين سليم يختبر عينة زيت بمشاهدة معامل انكسارها داخل المجهر

فإذا بدأت العملية الثانية وورد المتعهد منتجاته فعلى المصلحة أن تختبر تلك المواد الموردة لترى إذا كانت مطابقة للعينات الأولى أم أدخل عليها تعديل أو غش . فإن الغش في المسائل الصناعية كثير وخطير ويعرض أموال الدولة وأرواح أفرادها للضياع

ثمانية معامل

ومصلحة الكيمياء ليست مجموعة من المكاتب يجلس خلفها عدد من الموظفين بل هي عدة معامل يقوم فيها الإخصائيون بمختلف التجارب العملية اللازمة لاختبار المواد التي نستعملها في حياتنا العامة . وتتكون المصلحة من ثمانية معامل أولها لاختبار مواد البناء من أحجار وملاط ؛ والثاني خاص بالمنسوجات على اختلاف أنواعها وبه فرع لفحص متانة الورق ؛ وقسم ثالث لفحص الأصباغ بأنواعها ؛ واختص قسم رابع بفحص الزيوت النباتية والمواد التي تدخل فيه كصناعة الصابون والشمع والجليسرين . ويمتاز معمل المعادن

بما يحتويه من أفران ترتفع حرارتها إلى درجة عالية تكفى لصهر أى معدن . وهذه الأفران مصنوعة من مواد تمنع نفوذ الحرارة إلى باقى أجزاء الحجرة . فنى استطاعتك أن تجلس إلى جوار الفرن دون أن تشعر بأن حرارته ٥٠٠ أو ٦٠٠ درجة مئوية . واختبار المعادن مسألة دقيقة فمنها الثمين ومنها الرخيص ووسائل الغش فيها كثيرة

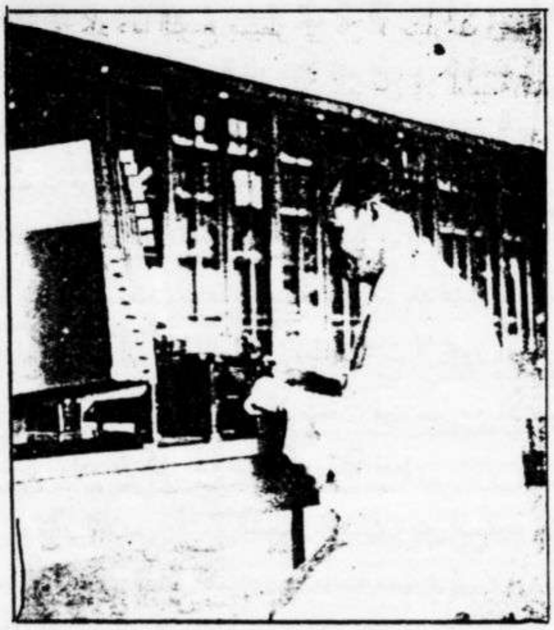
وللمواد الوقود قسمان : أحدهما خاص باختبار المواد السائلة كالنفط والبنزين ، والثانى خاص بالمواد الصلبة كالفحم . وقد انضم إلى معمل القاهرة أخيراً معمل الدخان الذى كان فى الأسكندرية ويقوم بعمل الأبحاث اللازمة لفحص المنتجات ، سواء أكان لمعرفة جودتها وصلاحيتها أم لإجابة مصلحة الجمارك إلى طلباتها .



ليست حرارة الجحيم أشد من حرارة هذا الفرن فهى تصل إلى درجة ألف سنتيجراد لتصهر أى معدن ويرى الأستاذ عبد الرحمن مسعد وهو يضع بوتقة فى الفرن

بين المخبار والمجهر

ويمكن تلخيص عمليات الفحص التى تتبع فى هذا المعمل بتقسيمها إلى ثلاثة أنواع وهى التحليل الكيميائى والميكرسكوبى والاختبار الطبيعى . ويكاد النوع الأول يسود جميع غرف المعمل فلم أدخل غرفة واحدة إلا شاهدت فيها أنابيب الاختبار وزجاجات المواد الكيميائية . فإن الفحص الكيميائى يبين تركيب المواد فينكشف ما فيها من مواد غريبة ضارة . فإذا قدم لنا البائع قطعة قماش وقال إنها صوف نقى يمكننا أن نعرف مقدار صحة كلامه بأن نضع قطعة من هذا القماش فى صودا بدرجة ٥ ٪ ثم نغليها على النار فيذوب كل الصوف . فإذا كان القماش يحتوى أى مادة غريبة كالقطن مثلاً فانها تبقى ، وبعملية حسابية بسيطة يمكننا أن نعرف كمية القطن الموجودة فى القماش .



مكتبة المصلحة مرتبة على أحدث وأسهل طراز ويرى أمينها وهو ينظم الفيشات على الطريقة الحديثة ، و « الفيشة » هنا عبارة عن ورقة عرضها نصف سنتيمتر ويكتب عليها اسم الكتاب ومؤلفه لتوضع فى تلك اللوحة تبعاً للترتيب الأبجدي

ويستعمل التحليل الميكرسكوبى غالباً فى قسمى المنسوجات والزيوت النباتية . فالفحص تحت المجهر يمكننا أن نعرف عدد الخيوط فى البوصة المربعة فيحدد الفاحص طول البوصة على القماش ثم يضعه تحت المجهر الذى أعد لتسهيل هذه العملية الدقيقة ويقدر إخصائيو المصلحة عدد خيوط القماش الجيد بخمسين فتلة فى البوصة سواء أكان ذلك فى اللحمة أم فى السدى .

وبالمجهر أيضاً يمكننا أن نعرف نوع النسيج إذا كان قطنياً أو صوفياً أو تيلياً فلكل فتلة مميزاتها ، ففتلة القطن معتدلة بينما فتلة التيل ملتوية إلى غير ذلك من الصفات التى درسها الإخصائيون وشاهدوها فى اختباراتهم وتجاربهم

وإذا مر الضوء فى سائل فإنه ينكسر بزاوية خاصة تسمى معامل الانكسار ولذلك تختبر الزيوت بمراقبة معامل انكسار الضوء فيها داخل مجهر خاص قسمت زواياه بطريقة خاصة تبين معامل انكساره وبالتالى توضح جودة الزيت أو رداءته

شد وضغط وتماسك

وللتحليل الطبيعى عدة طرق يختبر بواسطتها قوة مقاومة المادة للطبيعة، ويكاد هذا النوع يسيطر على كل الاختبارات فى معامل مصلحة الكيمياء . فمواد البناء مثلاً تتعرض فى الطبيعة للشد والضغط والتماسك ، ولذلك يجب أن تختبر من هذه النواحى الثلاث . وقوة التماسك من العوامل المهمة فى تقدير صلاحية مواد البناء . فالأسمنت تبعاً للمبادئ المعمول بها فى المصلحة يجب أن يبدأ تماسكه بعد نصف ساعة من بنائه، وأن يتم بعد عشر ساعات . ويقول الفنيون إن كمية الماء التى تخلط بالأسمنت لا يجوز أن تزيد على ٨ ٪ من حجم المخلوط وإلا ضعفت قوة مقاومة الأسمنت وسالت مواده فتركت المخلوط رملاً وزلطاً فقط

وتتأثر الملابس بأشعة الشمس، ولذلك تختبر المصلحة تأثير هذه الأشعة على القماش فتعرض جزءاً منه مدة ٥ إلى ٧ أيام تبعاً لحالة الجو ثم نلاحظ ما يبدو عليها من تغيير . وتؤثر الرطوبة على المنسوجات فتقوى القماش وتزيد ثقله، ولذلك يحتفظ قسم المنسوجات بغرفة لها درجة رطوبة ثابتة . فلاختبار عينات من القماش تبيت العينة ليلة فى تلك الغرفة لتأخذ درجة رطوبتها . ووزن القماش من الاختبارات المهمة فقد يكون عدد الفتل كبيراً ولكنها رفيعة ضعيفة . وتعتبر البفتة السمراء جيدة إذا كان وزن الياردة المربعة منها ١٦٠ جراماً وقوة الشد على طولها أو عرضها ٣٥٠ رطلاً

ويعتبر زيت النفط (البترول) من أحسن أنواع الوقود ويكفى جرام واحد منه لإنتاج ١٠ آلاف كالورى وهو الوحدة المستعملة لرفع درجة حرارة جرام واحد درجة واحدة سنتيجراد . ويمكن غش النفط بإضافة المازوت أو النفط الوسخ إليه . ويمتاز البترول عن الفحم الحجرى بأن الأخير يترك رماداً . ولذلك يضع قسم الوقود أكبر كمية يمكن قبولها للرماد فى الفحم وهى ٥ ٪ وهو يتأثر أيضاً بالرطوبة ولذلك يجب ألا تزيد درجة رطوبته على ٥ ٪ وتختبر مواد الوقود بمعرفة القيم الحرارية الناتجة من المادة

ثلاث أنابيب

ويلاحظ الزائر لهذه المعامل ثلاث أنابيب ملونة تسير فى جميع الغرف تقريباً . فأما الأنبوبة البيضاء فهى خاصة بتوصيل الهواء المضغوط إلى أجهزة خاصة تحضر فيها الغازات . فإذا أريد تنقية المكان من هذا الغاز فتحت هذه الأنبوبة فطردت الغازات الغريبة وتستطيع هذه الأنبوبة أيضاً أن تقدم لمن يشاء هواء نقياً

الأنبوبة الحمراء خاصة بغاز الاستصباح الذى يشمل فى التجارب المختلفة وقد صنع من اللون الأحمر ليكون إنذاراً للعمال على أنها أنبوبة خطرة. والأنبوبة الثالثة خضراء وهى خاصة بالماء . ويسيطر على هذه الأنابيب عدة محابس كما أن استعمال أنبوبتى الهواء أو الغاز يضاء له مصباح أحمر إلى جوارها

وللمصلحة مكتبة كبيرة فخمة على أحدث طراز يتبع أمينها أسهل الوسائل لتبسيط إجراءات البحث عن المراجع المطلوبة وصرفها . وقد استعمل لذلك تنظيم الكتب على أحدث طريقة أمريكية ، فرتب فهارس الكتب فى لوحات طويلة من الحديد مما يسهل على الباحث العثور على كتابه بسرعة . والمجلات هى أكثر المجلدات الموجودة فى المكتبة . فإن العلم سريع التجدد والتغير . ولذلك كان الاطلاع على المجلات العلمية الدورية خير من الكتب للباحث المطلع

فوزى عبد الشنوى



رسالة الشعر



الشاطئ الخالي

للأستاذ خليل شيبوب

الشاطئ اليوم خال لا قطين به   إلا بقايا من الأشباح ترتفق
أما الألى مرحوا فيه فإنهم   سرعان ما اجتمعوا فيه وما افترقوا
كانوا جماعات لهو جد جدهم   حيناً ولكنهم فى العيش ما اتفقوا
لم يمنحوه هواهم مثلما فعلت   نفسى التى برشاش الماء تعتلق
أخليته لهمُ حتى إذا ارتحلوا   عنه إذا بى إليه الآن أنطلق
تبسط الرمل فيه اليوم وانتعشت   فيه الصخور عليها الموج يندفق
وعاد ما كان من أمن ومن دعة   إليه مذ زال عنه الطيش والنزق
العين آخذة فى سمته رَتَلاً   من التعاريج تبدو ثم تنغلق
والصخر يصغى إلى الأمواج تنشده
لحن الطبيعة فيه الحب متسق
حلته مسترسلات العشب مسبلة   غدائراً تلتقى فيه وتفترق
والأفق غشته أستار وأعمدة   حمراء ماج عليها غيمه اليقق
قصر من الفتن الكبرى تيممه
شمس الأصيل بها الأكوان تأتلق
كأنما الريح لما رف ناسمها   سالت حنينا بها أرواح من عشقوا

* * *

حملت حبى إليه واعتزلت به   عن كل سامعة تصغى وتسترق
وفى فؤادىَ رسم ليس يبصره
سواى والكون حولى صامت فَرق
كأننى عابد حان على صنم
أخفاه بين الضلوع الحب والفرق
إنى تحدثنى عن مقلتيك هنا
هذى البحار وهذى الشمس والأفق
وعن جبينك مرفوعاً تضىء به   طهارة الحسن مزهواً بها الخلق
أراك فى قسمات الغيب سابحة   يفح حولك فجر الحب والشفق
فى واهج من هيولى النور منعكس   منى بها شهداء الحب قد صعقوا
مجلوة بنشيد السعد لحنه
معنى الرجاء الذى فى الغيب يصطفق
يا جنة فقدت عينى مباهجها   وفى يدى لم يزل من نشرها عبق
هل ساعة ومضت بالسعد راجعة   أم انقضت وتقاضى نورها الغسق
صبرت لكن هذا الصمت أقلقنى   حتى تناهب عمرى الصبر والقلق
إن الأمانى فى صدرى قد انتحرت   فأين أدفنها والصدر مختنق
لم يبق من مهجتى الحرى سوى رمق
ينحل فيها ولن يستمسك الرمق
فليتنى لم أكن حياً وتأكلنى   نار لعينيك فيها بت أحترق

* * *

يا أيها الشاطئ الخالى رحبت مدى   ولا أطاف به التكدير والرنق
أراك منى أدنى من عرفت لذا   عمرى عليك بما لاقيت ينطبق
كم اجتنبت الورى مالى ومالهم   وكم تمنيت أن الناس ما خلقوا
إنى قطعت مسافات وصلت بها   إلى مساء حياتى وهى تستبق
أرى الظلام بما فيه يهددنى   وفى الظلام يطول الهم والأرق
وشاطئ النفس مهجور قد انطمست
معالم الأنس فيه وامحى الأفق
والحب بحر صفا لى برهة فإذا   وراء ذاك الصفاء التيه والغرق
يا أيها الشاطئ الخالى هنا وقفت   بى الحياة على آثار من سبقوا
ما عاد غيرك لى من أستريح له   وليس غيرى قطين فيك يلتحق
محضتك الود صرفاً فاجزنى مقة   فإننى بك قلبي مولع ومق

« الأسكندرية »   خليل شيبوب

النسمات ...

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

خبِّريني يا نُسيْماتِ الأصيلْ   ما الذي نِلتِ من النهر الطروب ؟
قد لثمتِ الماء في رفق الخليل   ولثمتِ الزورقَ الجاري اللعوبْ

فارتمى الموج على الشاطئ من فرْط الهوى
وتهادى الزورقُ السبّاقُ حيناً والتوى !

* * *

ومررتِ الآن بالأزهار مرًّا   فنفحتِ الجوَّ من طيبكِ لِينا
ولثمتِ . كم لثمتِ الآن زهرًا   فانثنى خجلان أو فرحان حينا

فزعَ الطيرُ لِمَا يعرو الفننْ
فمضى يشدو بألحان الشجنْ

* * *

أنتِ ما ألطفكِ الآن ! وما أعذب لثمكْ !
ألثمها في حنان ، ليتني رُوحٌ لِلثمك !
تتلقاكِ بأنفاسٍ طروبهْ
وتحيّيكِ تحياتٍ غريبهْ
وهي تصغي لحديثي في سكون ووداعهْ
مثل طفلٍ مطمئنٍّ بين أحلام الرضاعهْ
فإذا ما حدَّ تثنى فهي كالجدول في الروض الأريض
والمراعي
نغمُ القلبِ لدى الحُلمِ وأنغامُ القريض
في سماعي

* * *

خبّريني ! خبّريني يا نُسَيْماتِ الأصيلْ
ما الذي نِلتِ من الزهر ومنّا ؟
هل سلبتِ الزهر شيئاً بينما كان يميل
واختطفتِ يا تُرى لما ابتسمنا
بعضَ أغراضكِ ؟ ماذا
نِلتِه من كلّ هذا ؟

* * *

هزأتْ بي النسماتْ   فسألتُ الموجاتْ
وسألتُ الزّهرات   كلُّها بي هازئاتْ

* * *

خبّريني أنت يا من   سبّح القلبُ بحُبكْ
ما الذي نالتهُ هاتيك النسائمْ
منكِ ؟ ها تغرُكِ وضّاء وباسمْ
خبّريني في صفاء   خبّريني إي وربّكْ !
لم تنل شيئاً ، ومن منا ينال ! ؟
كلُّ ما في الحبّ أطيافُ خيال ... !

حسن كامل الصيرفي

على الشاطئ

للأستاذ مصطفى علي عبد الرحمن

يا حبيبي أنا في الثغر غريبُ   قست الأيام لو تدري عليهِ
قلبه من حرقة الوجد يذوب   وتوارت بسمةٌ في شفتيه
ذاهلٌ تلقاه كالطير الجريح   ماتت الأنغام في أوكارهِ
ذابلٌ كالعود يغدو ويروح   عطّلته الريحُ من أزهارهِ

* * *

أين ما لاقيت من صفو الليالي ؟
في ربيع العمر والدنيا ابتسامْ
والأماني الزهر في دلٍّ حيالي
ضاحكات راقصات للغرامْ
وأنا في دوحة الحب أغني   أسرق الألحان من سحر العيون
بين صفو ونعيم وتمني   آهِ . قد طال إلى الماضي حنيني

* * *

يا حبيبي ها هنا فوق الرمالِ   مسرح للغيد يسبي الناظرينْ
فوقه يرتع أرباب الجمالِ   في ظلال الصفو في رفق ولينْ

بيد أني لم أجد فيه لعيني
في معاني الحسن من معنى حبيبِ
طالما أنت غريب الدار عني
فأنا الظامئ في قفر جديبِ

أتغنى بك إذ أنت نشيد   تتمشى في دمي أنغامهُ
وأمنّي النفس بالماضي يعود   أترى تهفو لنا أيامه ؟

« الاسكندرية »   مصطفى علي عبد الرحمن



دراسات فى الفن

هى مرة واحـــدة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

لى صديق نحات انكسر له تمثال فحزن عليه ، فأردت أن أواسيه فقلت له : ألا تستطيع أن تعوضه بغيره ؟ فقال لى : قد أوفق إلى ما هو خير منه، ولكنى يائس من التوفيق إليه هو.

وحدثت بذلك صديقاً لى آخر شاعراً فقال لى : إنى مثل صاحبك لو فقدت قصيدة عجزت عن إعادة إرسالها . فاستطلعت الرأى عند صاحب لنا صحافى فنصحنى بالجمود عنها لأنها مسألة مغربة . فأهملتها ثم نسيتها ولم أذكرها فى جد إلا حين توكلت على الله لأعد لقراء الرسالة حديث هذا الأسبوع . فقد نادتنى إليها من جديد وهى تسألنى : أما وجدت مخرجاً لصديقك الذى وقع منه التمثال فانكسر؟ فأطرقت أبحث عن المخرج فإذا بصديقى الشاعر يتهادى أمام خيالى وعلى شفتيه الساخرتين ابتسامة أعرفها وأستطيب مراقصتها بروحى التى تستجيب إلى صفائه تراحاً وحناناً . قال لى : كنت بالأمس نشوان استخفتنى وحشة ذات بهجة فانطلق لسانى بشعر طربت له بالأمس كل الطرب ولكنى لم أسجله ، ولما أصبحت وأردت أن أستعيده لم أسترجع منه إلا أشباحاً فكيف السبيل إليه ؟ أو أنت لا تزال عاجزاً مع صديقك النحات لما تجمعا حطام تمثاله ؟

وصديقاى الشاعر والنحات عزيزان على معزة كل فنان فلا أقل من الترحيب أستقبل به مسألتهما هذه فهى مما يعرض للفنانين جميعاً ، ولا ريب أن استعراضها وتفتيقها سيظهران لنا بعض ما نحب أن نقف عليه من أسرار الفن ومراحل تخلقه فى نفوس الفنانين

ولنبدأ إذن بتجديد هذه المسألة حتى لا نتيه فيها كما نتيه أحياناً فى تلافيف هذا الفن وثناياه المتكسرة أنوارها بعضها على بعض والتى قد تضل من يجوس خلالها ، ولكنه على أى حال الضلال المأمون المعجب

مسألتنا هى : هل يمكن إنتاج القطعة الفنية نفسها مرتين ؟

ولكى نقرب هذه المسألة من أذهان المتباعدين عنها ، والذين يستغربونها نطرحها هى نفسها ، ولكن من ناحية لينة لا يعسر هضمها على ذهن من الأذهان . فنقول : هل تستطيع المرأة أن تلد طفلها نفسه مرتين ؟ ! وسيجزع المستغربون حين يروننا قد قلبنا مسألتنا هذا القلب ، وسيستطيع واحد منهم إذا أعانه الله أن يطبق فمه الذى انفتح لتتفجر منه الدهشة مزاحة عن صدره ، وسيفتح فمه بعد ذلك ليسيل منه سؤال من أسئلة المستغربين فيقول : وما للولادة والفن ؟ وما أطيب عندنا من رد لهفته إذ نقول إن الإنتاج الفنى ليس شيئاً غير النسل الروحى كما أن الولادة إنجاب حيوانى ... وكما أن الولادة لا تكون إلا باتحاد عنصرى الجنس المختلفين وهما الذكر والأنثى ، فإن الإنتاج الفنى لا يكون إلا باتحاد عنصرى الجنس الفنى وهما نفس الفنان والحياة نفسها .

وكما أن الولادة لا تحدث إلا بعد وقت يقضيه الجنين فى بطن أمه ، فإن الإنتاج الفنى لا يحدث إلا بعد وقت يقضيه الجنين الفنى فى نفس الفنان ، وكما أن الولادة إذا حدثت قبل أن يكتمل تخليق الجنين فى بطن أمه لم تكن إلا إجهاضاً ، ولم يكن الوليد إلا سقطاً ناقصاً مشوهاً مضطرباً ، فإن الإنتاج الفنى إذا حدث قبل أن يكتمل تخليق الجنين الفنى فى نفس الفنان لم يكن إلا إجهاضاً ، ولم يكن الفن إلا سقطاً ناقصاً مشوهاً مضطرباً . وكما أن الطفل

بعد ولادته قد يعيش وينمو برعاية أمه أولاً ، وبقدرته على الحياة ثانياً ؛ وقد يموت لضعفه بعد قليل أو كثير ، فإن الفن قد يعيش وينمو برعاية صاحبه أولاً ، وبقدرته على الحياة ثانياً ؛ وقد يموت لضعفه بعد قليل أو كثير . وكما أن المولود إذا نما وترعرع أنجب هو أيضاً مواليد ومواليد ، فإذا مات خلد فى أبنائه وأحفاده ، فإن الفن إذا نما وترعرع أنجب هو أيضاً مواليد ومواليد ، فإذا مات خلد فى أبنائه وأحفاده . وكما أن هناك أمراضاً تناسلية تصيب الأجنة وتظهر فى المواليد ، فإن هناك أمراضاً روحية تنحرف بالفنون وتنفث فيها السموم ؛ وكما أن هناك أمهات خبيثات النظر ينسلن لأزواجهن أبناء غيرهم ، فإن هناك نفوساً فنية خبيثة النظر تدل لغير الروح ودواعيها ، فتنسب للفن ما ليس من الفن وما يصرخ الفن بإنكاره صراخاً له آذان خاصة تسمعه . وكما أن فى الأمهات مزواجات ، فللواحدة منهن ولد من كل أب ، ولكل ولد من أولادها شبه ، فإن من الفنانين من يتنقلون بين الأحاسيس والفكر فيتشكل إنتاجهم ويتلون . وكما أن فى الأمهات ذوات عصمة وقناعة بالتجربة الواحدة ، فلأفراد نسلها ملامح مميزة متشابهة ، فإن من الفنانين من ينحصر اتجاههم إلى ناحية واحدة يضربون فيها بجُمّاع أرواحهم ، فلإنتاجهم طابع هذا الاتجاه وملامحه المميزة المتشابهة . وكما أنه لم يحدث إلا مرة واحدة أن أنجبت عذراء وليداً مرتجلاً ملهماً ، فكان مسيحاً ولم يمت كما يموت الناس وإنما رفع ؛ فإنه لم يحدث إلا مرة واحدة أن ارتجل نبى فنا ملهما فكان قرآناً وخلد . وبما أن هذه الظواهر جميعاً قد تماثلت وتعادلت فى الولادة وفى الإنتاج الفنى ، فإنها لا بد أن تتشابه وتتعادل فيهما من حيث أنها لا يمكن أن تحدث فى كل دفعة إلا مرة واحدة .

ونسكت نحن بعد أن نقول هذا كله ، وننتظر فى سكتتنا أن نرى شيئاً من علائم الفهم يتبدى على وجه صاحبنا المستغرب فإذا به مصغ إلينا فى صمتنا كما كان مصغياً إلينا أثناء كلامنا فلا نستطيع أن نعلل هـذا إلا بأنه يفهم من الصمت ما يفهمه من الكلام . ولما كنا مؤمنين بأنه يمتنع عليه فهم الصمت امتناعاً لوجود كما يقول النحاة فهو من غير شك لم يفهم من كلامنا شيئاً ... أمرنا إلى الله ! لنستفهمه مقدار إدراكه لعله يوفر علينا الإعادة من جديد ولنسأله : ما رأيك يا مولانا فيما كنا نقول ؟ ها هو ذا « يا فرحتنا » يسألنا : ماذا كنتم تقولون ؟

— استعنا عليك وعلى أنفسنا بالله ... إسمع ! هل أنت فنان ؟

— نعم .

— وما فن حضرتك ؟

— الكتابة ...

— حسن. قل لنا الآن ما الذى يحدث لك قبل أن تكتب؟ ألا تشعر بأعراض الحمل والوضع ؟..

— هه ؟ ماذا جرى لعقولكم ؟ . إنكم مجانين

— هذا شىء لا نستطيع أن ننكره ، وإن كنت لا تستطيع أن تثبته ، وهو على أى حال ليس يعنينا الآن قدر ما تعنينا هذه الأعراض التى نسائلك عنها والتى نريد أن نعرف إذا كنت تشعر بها قبل « إحداث » إنتاجك الفنى ، أو أنك تنتجه هكذا ، فهو إما أن يكون وحياً ، أو لا يكون فناً على الإطلاق

— أنا لا أشعر بأعراض ، ولا يمكن أن تكون للكتابة أعراض إلا إذا كانت مرضاً

— كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا تنزل عليه الوحى ارتجف وتصبب عرقه وغاب . فكانت هذه هى أعراض الوحى : الارتجاف وتصبب العرق عارضان بدنيان ، والغياب أو « الانخاذ » عارض روحى ، وقد كان فى هـذه الأعراض من العنف وحدة المفاجأة ما يناسب الإعجاز الذى يميز القرآن ، ولكل فن بعد ذلك ما يناسب قدره من الأعراض ، فكم ترتجف حضرتك قبل أن تكتب وكم تتصبب عرقاً ، وكم تغيب عن هذه الدنيا ؟

— إن شيئاً من هذا لا يحدث لى .

— إذن فأنت لست فناناً ، فالفنانون يحدث لهم هذا . كلهم : الكاتب ، والشاعر ، والموسيقى ، والرسام ، والنحات ، والممثل حين يرسم حدود دوره ، ويفصل ملامحه . فالكاتب ، إذا رضينا به مثلاً يعيش وهو مرهف الحس مشحوذ العقل كغيره من الفنانين فيرى فى الحياة ما يؤثر فيها تأثيراً خاصاً يحدث انفعالاً نفسياً خاصاً ، فإذا توالى عليه حدوث هذا الانفعال النفسى ربى عنده ما يسميه علماء النفس بالوجدان ، وهم يعرفونه بأنه استجابة باللذة أو بالألم لما يحدث فى النفس من الشعور ، فإذا تجمعت عدة مؤثرات حول هدف نفسى واحد ولونها وجدان واحد بلون واحد فقد تخلقت

في النفس عاطفة تحيط بهذا الهدف ، ولا تلبث هذه العاطفة تنمو في النفس وتنمو حتى لا يعود حبسها ميسوراً فتتفجر إما فناً منظماً منسقاً ، وإما دوياً روحياً لا نظام فيه وإن كان فيه كل ما في الفن أو ما يزيد على الفن بلاغة في التعبير . ففصول الألم والحزن التي كتبها كتاب الأرض جميعاً تخفض الرأس أمام أي دمعة صادقة خشوعاً وإجلالاً ... فهل كتبت يوماً يا أستاذ ما كان بعض دموعك ؟ ...

— وماذا يصنع الموسيقى ؟

— ما يفعله الأديب ، وكل ما بينه وبين الأديب من فرق أن الأديب يعبر عن نفسه بالكلام ، والموسيقى يعبر عن نفسه بالنغم ، ولعلك سمعت أنه كان للشاعر من شعراء الماضي راوية .

— نعم . وأحسب الشعراء كانوا يختارون رواتهم ممن قويت حافظتهم .

— كلا . وإنما كان الأمر على العكس من ذلك ، فقد كان الرواة هم الذين يختارون شعراءهم ، فالرواة لهم من الاستعداد الفني حظ كبير ، وهم هواة حقيقيون . لعل الواحد منهم كان يعين شاعره على الحياة . ولقد كان الواحد منهم يشتري صاحبه بالدنيا وما فيها ويلزمه ويتابعه لا لشيء إلا أن ينعم منه بساعات الصفاء التي يتيحها له الزمن . وهو من شدة لهفته وحبه لصاحبه يحفظ عنه ما يقول لا يدفعه إلى ذلك إلا حرصه على هذا الكنز وخشية أن يضيع أو يندثر . وقد كان يمر الوقت الطويل أو القصير فينسى الشاعر شعره ويعجز عن إعادته . أما الراوية فذاكرهُ ومعيده كلما أراد إعادته ، فهو من الشاعر كالجارية ، ومن الشعر كالمربية يصونه ويدلله . ولعلك سمعت أن من المغنين من كان لهم أيضاً رواة ، فكان المغني يطلق ما يهتاج في نفسه من الأحاسيس غناء لا يعبأ بأنغامه ، ولا يرتب ألحانه ، وإنما هو ينفث الزاخر في نفسه من العواطف ، وكان الراوية يلقف منه فنه هذا ويرصده في نفسه ويثبته تثبيتاً ، فإذا نزع المغني بعد ذلك إلى اللحن وجده عند راويته ولم يجده عند نفسه ، ذلك أن الفن أنّة لا تصدر إلا مع الوجدة ، فمتى صدرت لم يكن بد لترجيعها من موجدة جديدة ، وإلا كانت في حرارة الذكرى ولم تكن في استعار النازلة

— إذن فأنت تنكر على الفنانين استلهام ماضيهم

— لست أنكر هذا ولا أستقبحه ، ولكني أحفظ للفن المرسل مكانه المتسامي على مكان الفن المختزن ، على أني لا أستطيع أن أخفض من قدر هذا الفن المختزن فقد يكون فيه من العنف والقوة ما في غضبة الحليم من الشدة والسمة . ومهما يكن الأمر فإن هذا خارج عن بحثنا ، ومن الخير لنا أن نعود إلى ما كنا فيه . فهل هناك شيء تريد أن تستوضحه ؟

— إنك قلت إن الفن إذا أخرج قبل أن يكتمل في نفس الفنان تخليقه لم يكن إلا سقطاً . فماذا تقصد بهذا ؟

— لا ريب أنك قرأت لكتاب محببين إليك فصولاً أنكرتها عليهم . هذه الفصول كتبوها وهم كارهون لأنهم لم يكونوا استكملوها في نفوسهم ولكنهم لأسباب يعلمونها هم أخرجوها فكان هذا منهم إجهاضاً ، وكذلك الأمر مع الشعراء والموسيقيين والنحاتين والرسامين وغيرهم من أصحاب الفنون

— هذا حسن . وكيف تتوالد الفنون بعد ذلك ؟

هذه الفنون مخلوقات حية لا أجسام لها ، وهي تعيش فيما بين النفوس والأرواح تغازلها وتعاشقها ، فإذا طاب فن لروح تزاوجا وكان من نسلهما بعد ذلك فن ونفس جديدان في كل منهما ملامح من الفن القديم وملامح من النفس الأولى . ألم تسمع بالمدارس الفنية والمذاهب الفنية يا أخي ؟ ... هذه هي ولكنا نقول عنها أسر وقبائل وشعوب

— يا سلام ... وما هي هذه الأمراض الروحية التي تنحرف بالفنون وتنفث فيها السموم ؟

— للروح أمراض كثيرة كما أن للبدن أمراضاً كثيرة . وأقسى أمراض الروح وأشدها فتكاً والعياذ بالله المرض الأصفر

— وهل تصاب الأرواح بالكوليرا أيضاً كالأجسام ؟

— وما من فرق غير أن كوليرا الروح معنوية لا يعرفها الأطباء !

— وكيف عرفت أنت وكيف ميزت لونها ؟

— لست أدري . ولكني سألت نفسي يوماً عن حكمة الله في الصفرة يلون بها الموت والذهب وما بينهما من الخبث والشر . ألم تر صفرة الذهب ؟ أو لم تر صفرة الموت ؟ أو لم تر مسكيناً خبيثاً



من الأدب الرمزي

ورقة من السماء

للقصصي الدانيمركي أندرسن

بقلم السيد عارف قياسة

في أوج السماء الرفيع ، في الهواء النقي الندى ، طار ملاك بزهرة من رياض الفردوس . ولما لثمها أسقط ورقة منها على الثرى وسط الغابة ، فما لبثت أن اتخذت جذوراً ، ونمت وترعرعت بين الحشائش الأخرى . ولكن أنواع النبات لم تشأ أن تعترف بأنها واحدة منها ... فكانت تقول : « ما أغرب هذا الغرس ..! »

وكان الحَسَك والقُرَّاص أول من رقص على ثغره الهزء ، ولمع في عينه السخر . كان الحسك يقول باحتقار : « من أين أتى هذا ...؟ هذه بذرة ضئيلة من البقول لم تر أسرع منها نمواً ... أمن اللائق ذلك ..؟ وهل يدور في خلدها أنا نسندها حين تلويها كف الهواء ... ؟ »

وجاء الشتاء ، وغمر الثلج محيا البسيطة ، ونفض الغرس السماوي على الثلج بهاء رائعاً ، ورواء ناصعاً ، كأن شعاعاً زاهياً من الشمس رقص تحت حواشيه ، فأنارها بفيض من لألائه ...

وأتى الربيع الضحوك ، وحمل الغرس زهرة ما رأت العين أنصع منها بهجة ، ولا أبرع فتوناً ...

وسمع عنها أستاذ علم النبات الذائع الصيت في البلاد ، نخف إليها وشهادته الرفيعة تشهد بعلمه الجم واطلاعه الرحيب ومعرفته الغزيرة . وتأمل الغرس بإعجاب ، وحلله وذاق من أوراقه لم يكن ليشبه ما أبصرته عيناه من أعاشيب ؛ وما كان في مقدوره أن يرده إلى فصيلته أو نوعه . فلم يتمالك أخيراً أن قال : « هو غرس هجين ... هو نبات فذ غريب ؛ ذلك لا يطَّرد على قاعدة ، ولا يجرى على قياس » . وردد الحَسَك والقُرَّاص : « ذلك لا يطَّرد على قاعدة ، ولا يجرى على قياس » . ورأت الأشجار الفارعة الغليظة وسمعت ما كان ، فلم تفه بخير ولا شر ، وذلك عين الحكمة حين ترين الغباوة على الأذهان

... ودلفت إلى الغابة فتاة فقيرة ، عفة الضمير ، طاهرة الأذيال ، نقية الفؤاد ، عامرة القلب بالإيمان ، لا تملك من دنياها غير إنجيل عتيق يخيل إليها أن الله يحدثها من خلاله . علمت منه شرور الناس ، وخبثهم السافل ، ولكنها عرفت أيضاً أن علينا — حين نتلقى جورهم وعذابهم ، ونقاسي سخطهم وسخريتهم — أن نذكر يسوع الطاهر ، وأن يكون لنا فيه أسوة حسنة ، وأن نردد معه قوله : « اللهم اغفر لهم ، فإنهم لا يعلمون ما يصنعون »

ووقفت الفتاة أمام الغرس العجيب ، وقد كانت زهرته تضمخ

خداعاً منافقاً يصفر وهو يغش الناس ويكذب عليهم ؟ أو لم تحاول يوماً أن تلمح بين كل صفرة وصفرة من هذه ... رابطة ؟

— أوه ! أنا فاهم . أنت تريد أن تقول إن بعض الفنانين تنتابهم هذه الصفرة فتنتاب فنونهم بالوراثة

— آه لو أن لي حق الإشارة بمنح النياشين !

— أشكرك وأحسبني أستطيع بعد ذلك أن أجرى في الموازنة بين الفن وهو المخلوق الروحي كما قلت ، وبين الناس وهم المخلوقات المجسدة ، على هذا القياس الذي رسمته لي

— وأحسبك بعد ذلك ستقول معي إن الفن لا يمكن إنتاجه الا مرة واحدة

وعدت إلى صديقيّ النحات والشاعر وقلت لهما : يا صاحبيّ إطلبا العوض من الله فأنتما عاجزان عن استرجاع ما ضيعتما ، فلا أنت معيد تمثالك ولا أنت معيد قصيدتك

عزيز أحمد فهمي

الهواء بأريج عذب لذيذ يترقرق فى الأرواح ، وتمض فى الشمس كطاقة من النيران الصناعية

وعند ما دغدغ النسيم أوراقها رنت فى أذنها ألحان علوية ، وأنغام سماوية

وظلت الفتاة فى نشوة من اللذة ، وغمرة من الذهول البهيج أمام هذه الأعجوبة . ومالت برأسها نحو الغرس ... لتتأمله عن كثب ... وتنشق أنفاسه الندية العطرة . . .

وشعرت بقلبها ينتعش ويتفتح ... وبذهنها يستضىء بنور الحكمة الإلهية . ومدت يدها ، وقطفت الزهرة ، وفؤادها خافق بالسرور . ولكنها فكرت فى أن فى ذلك بعض السوء ، وأن نضرة الزهرة ستذوى ، وجمالها سيمّحى . فلم تأخذ غير وريقة خضراء وضعتها بين إنجيلها ، حيث ظلت رفافة الطراوة ، بديعة الاخضرار

وتعاقبت الأسابيع ، ووضع الإنجيل والورقة تحت رأس الفتاة فى تابوتها

واستراحت الفتاة فيه بسكون ، وفى قسمات محياها البديع الوديع تلوح سعادة خلاصها من الغبار الأرضى ، ودنوها من الخالق

وفى أثناء ذلك طفق الغرس ينمو ويزهر ، والعصافير العابرة تنحنى أمامه بتجلة واحترام

وهمس الحسك والقرامى : « أنظروا جيداً هذا الأجنبى ... وهل يدرون لماذا يسفحون عبرة أعينهم ويريقون ماء أوجههم ؟ أبداً لا نحذو حذوهم الغبى »

حتى دويبات الغابة السمجة ، فقد كانت تبصق أمام الغرس الساقط من أوج السماء .

واقتلع راعى الخنازير ، وهو يضم حزم الموسج ليشعل ناره ، عُلَّيقاً وحسكاً وقُرّاصاً ، وكذلك الغرس الوسيم بجذوره وقال فى نفسه : « كل ذلك لا يصلح لغير طهى الطعام . »

وكان ملك البلاد تغشى روحه كآبة سوداء ، ما كان شىء ليقشع دياجيرها ، ويبدد ظلماتها فانطلق يلهو منهمكاً فى مشاغل شعبه ، ومطالعات آيات العباقرة المؤلفين ، ثم آثار الكتاب التافهة المهزلة .

وما أجدى ذلك ولا عاد عليه بطائل .

حينذاك أحضر أحكم من فى الكون ، فأجاب أن لديه وسيلة لشفاء الملك وتنفيس كربه ! ذلك أن يأتيه بزهرة سماوية نبتت فى غابة من مملكته . وطفق يعرض أوصافها ، ويسرد خصائصها . وعرف الغرس الذى أثار حب الاطلاع منذ هنيهة .

وقال الراعى فى نفسه : لقد اقتلعته وايم الحق منذ أمد بعيد ، ولم يبق منه هشيم . وإلى هذا يقود الجهل . »

وخجل الراعى من نفسه واحترس من أن يميط اللثام عما صنعت يداه . واختفى الغرس ، ولم يبق منه غير ورقة ترف على رأس الفتاة الراقدة فى قبرها ، ولكن أحداً لا يعلم بذلك .

وجاء الملك بنفسه إلى الغابة ليتحقق من زوال الغرس . وقال: « هنا إذن قد ترعرع الغرس ، فسيقدس المكان منذ الآن »

وأحاط المكان بسياج من الذهب ، ووضع حراساً عليه .

وكتب أستاذ علم النبات النابه عن صفات الغرس الإلهى بحثاً مطولاً بين فيه كل ما فقد بفقده . وغمر المليك بالذهب كل صفحة من صفحات المؤلف . ولكن المليك مازال محزون القلب ولم يجد لشجنه دواء ، والحراس المساكين كان يلوى الألم بأفئدتهم فى الغابة ...

« حماه — سوريا »

عارف قبانى

من هنا ومن هناك

الفوهرر « فوزى القاوقجى »

[عن مجلة « فى VU » الباريسية]

نشرت مجلة (فى VU) الباريسية عدة فصول ممتعة عن بلاد العرب والرجال الذين يقودون الحركة العربية فى هذه الأيام . وقد قدمت تلك الفصول بكلمة قالت فيها : إن هذه الحركة ذات الأثر الفعال فى مركز الإمبراطورية البريطانية يقودها سبعة أشخاص كل منهم يعد نفسه أولى بالملك والزعامة فى بلاد العرب . وقد نقلنا عنها فى عددين سابقين ما كتبته عن الملك ابن السعود بعنوان (نابليون العرب) . وما كتبته عن الأمير عبد الله بعنوان (هل يظفر الأمير عبد الله بملك فلسطين ؟) . واليوم ننقل عنها كلمة عن الثائر العربى فوزى القاوقجى حتى تكون لدى القارئ فكرة وافية عن هؤلاء الرجال الذين يتطلع إليهم العالم كلما ذكرت المشكلة العربية :

ليس فى فلسطين من يجهل اسم فوزى القاوقجى . فهذا الرجل الذى تروى عنه القصص والأخبار العجيبة يعرفه كل عربى وكل يهودى ، بل وكل بريطانى يمشى على أرض فلسطين ، بأنه ذلك البطل الوطنى والثائر العربى الذى يخشى بأسه فى تلك البلاد

وتدل الأخبار المستقاة من قسم المخابرات البريطانية على أن فوزى القاوقجى يقود جيشاً يتراوح عدده من ثلاثة إلى أربعة آلاف رجل . وهذا الجيش يهدد مواصلات الصحارى والجبال فى فلسطين ، ويقطع الطريق على من تحدثه نفسه بعبورها

ويعد أتباع هذا القائد من أشجع الرجال وأصبرهم على تحمل المشقات ، وهم يستميتون فى مقاومة عدوهم اللدود ما دام القاوقجى يشعل فى نفوسهم نيران الحقد ، ويتجنب كل موقعة مع القوى البريطانية من شأنها أن تؤدى إلى هزيمة

وقد استولت على نفسه عقيدة بأن القوة التى يقودها فى فلسطين سيكون لها أثر فى يوم من الأيام فى رفع شأن الأمة المحمدية ، أو إحياء مجد العرب ، لذلك لا تطاوعه نفسه على استباق الحوادث والمخاطرة بالظروف التى هى فى انتظاره يوماً من الأيام .

ويعد القاوقجى مسئولاً عن إثارة حرب العصابات فى فلسطين فيتسلل هؤلاء البدو الذين يقودهم فى ظلام الليل إلى المدن ، ويختفون كالأشباح عند ظهور الفجر تاركين وراءهم المنازل المشتعلة بالنيران والأراضى المخربة ، والجثث المضرجة بالدماء . وتعد هذه المظاهر الرعبة شاهداً صامتاً على أن القاوقجى ورجاله قد مروا بهذه المنطقة فى المساء .

والقاوقجى رجل متوسط الطول عريض الأكتاف ملتف الساعدين جميل الصورة فى كوفيته البيضاء والعقال الذى يلفه على رأسه هو وأتباعه ، ولكن الملابس الإفرنجية قد تقلل من مظهره وتعطيه صورة أخرى .

ولقد قضى القاوقجى أيام شبابه فى سوريا ، وأرسل منها إلى القسطنطينية ليتدرب على الأعمال العسكرية بها . ولقد كان نشاطه وأعماله الحربية فى إبان الحرب العالمية من الأعاجيب . ويقال إنه كان يقود فيلقاً من الجيش التركى . ويقال كذلك إنه انضم إلى الحلفاء ، وحارب مع الكولونيل لورنس . وسواء أكان هذا صحيحاً أو غير صحيح ، فما لا شك فيه أنه ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى كان زعيم ثورة فى تلك البلاد . وقد قبض عليه الفرنسيون ووضعوه فى سجن جبل الدروز وقد حكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام ، ولكنه فر بأعجوبة قبل التنفيذ بساعات معدودات .

والقاوقجى يؤلف قوة منظمة تمثل الجهة الشمالية من فلسطين. وهو يعتقد ككل فوهرر فى الشرق والغرب أنه وحده من دون ملوك العرب وأمرائها وشيوخها أحق الناس وأقدرهم على أن يكون الحاكم الأعظم للعرب بل ولعامة المسلمين

هتلر ليس نابليون

[بقلم المؤرخ الانجليزي فيليب جواديلا]

فى هتلر بعض مظاهر وصفات تدعو إلى المقارنة بينه وبين نابليون . ولكن هل تصح المقارنة بين هتلر ونابليون ؟

لقد كانت مواهب ذلك القائد الكورسيكي وانتصاراته الحربية جديرة بأن ترفعه إلى حيث يسود الأمة الفرنسية . ولم يظهر هتلر بعد شيئاً من مواهبه الحربية إذا كانت له مواهب فى هذا الشأن . وهو ولا شك سيكون القائد المسئول فى ألمانيا إذا نشبت نيران الحرب .

إن هـذا الرجل الذى يتظاهر أمام العالم بعبادة القوة ، لم يظهر كفاية حربية من أى نوع فى أيام الحرب العظمى التى يمتحن بها الرجال . وكل ما هنالك أنه ارتقى فجأة إلى رتبة جاويش

إن مواهب هتـلر ولا شك تظهر فى كثير من الشئون الاجتماعية والمدنية . ويزعم الألمان أنه خطيب لا يشق له غبار وأن لديه مقدرة عظيمة على استهواء الجماهير ، وإن كان غيرهم لا يطيق تلك الخطب التى تبدو فيها صرخاته العصبية المزعجة وهو يتكلم عن معاهدات السلم أو يتعرض للاشتراكية أو اليهود

لم يكن نابليون فرنسياً خالصاً ، وهو ولا شك من عنصر أقوى صلابة من العنصر الإيطالى ، إلا أنه عاش لاتينياً طول حياته . لقد كان سريعاً نحو غايته طموحاً مدرباً على الحروب ، منطقيا إلى أبعد حد، ميالاً إلى الانتقام، عصبيًا فى بعض الظروف ولـكنه على الرغم من ذلك كان مسلحاً بدروع سميكة من الصبر وضبط النفس عند الملمات — فهل توجد فروق أكثر من هذه بينه وبين ذلك الرجل المفتون بطبيعته ، الذى يتولى زمام الأمور فى ألمانيا؟ وشتان بين خيالات العزلة والانفراد على القمم والجنون العجيب بمسألة الدم والنشأة وحياة العزوبة — وبين تلك الحياة التى أخرجت قانون نابليون العتيد ، وقادت الجيوش المنتصرة فى شتى الميادين ، ولم يشغلها كل ذلك عن الحب والمرح فى أخطر الظروف.

إننا لا نجد وسيلة للمقارنة بين تينك الشخصيتين المتناقضتين إلا فى شىء واحد : وهو استعمال القسوة التى تفرضها الضرورة على كل مستبد يساق إلى معاداة العالم. لقد محا هتلر تشيكوسلوفاكية واجتاحها بغير رأفة ، وذلك يذكرنا بما فعله نابليون فى أسبانيا ، ولـكن أسبانيا قد عاشت بعد نابليون

الحق أن نابليون أزعج العالم بمحاولته التوسع فى الامتلاك ولـكنه وُقف عند حده . وهذه نتيجة تنتظر كل من تحدثه نفسه بمثل ذلك العمل . لقد كانت جميع الأمم تنظر إلى نابليون بعين الاحترام وهو امبراطور لفرنسا ؛ إلا أنه حينما أراد أن يضع يده على الأراضى الأوربية أخذت أوربا تجمع قواها شيئاً فشيئاً واستعدت لأن تقهر أكبر جيش فى العالم وأقدر جندى عرفه التاريخ . وعبر الأيام تحدثنا بأن كل من تحدثه نفسه بأن يلعب دور نابليون لا بد أن يلاقيه فى النهاية حظ نابليون .

لا جديد تحت الشمس — العالم منذ ألفى سنة

[عن مجلة دتش أندشو التى تصدر فى برلين]

كان للإغريق والرومان مدفعية يرجع عهدها إلى أربعمائة سنة قبل الميلاد ، وقد تقدموا فى رمى القذائف والنبال ، فأصبحت تلقى إلى مئات الأمتار ، واخترع ديونسيس آلة لرمى النبال تستطيع أن تدور باستمرار فتلقى ما فيها بغير انقطاع .

واستطاع البيزنطيون أن يخترعوا طريقة لقـذف النار ، ولم يكن البارود قد اخترع بعد ، ولـكنهم استطاعوا أن يسخروا القوى والآلات الموجودة فى ذلك العهد لهذا الغرض ، وقد صنع قدماء الإغريق والرومان كل ما صـنعوه فى آماد طويلة ، إذ أن السرعة التى هى من سمات هذا العصر لم تكن معروفة فى تلك العهود . ولم يكن أهلوها يعرفون المثل القائل إن الوقت من ذهب ، ولم يكن عندهم عمال ومصالح كما هو معهود الآن

وإذا كان القدماء لم يعرفوا الساعة كما نعرفها الآن فإنه كان لديهم الذكاء الكافى لتقدير الوقت ، ومع ذلك فقد استعمل قدماء المصريين ساعة الرمل والماء ، وكان الأطباء يحملونها عند

فحص المرضى ليقدروا دقات القلب وسرعة النبض . واستطاعوا كذلك أن يخترعوا ساعة تدق ساعات النهار جميعها مبتدئة من الساعة السادسة فى الصباح إلى السادسة بعد الظهر

وقد ألف كتاب فى الجراحة لأطباء الجيش فى مصر منذ ألفين وثمانمائة سنة قبل الميلاد . وعرف الهنود فى طب العيون عمليات القدح (إزالة الماء) ، وعرفوا خياطة المصران وإزالة الحصوة وذلك منذ سنة ألفين قبل الميلاد

وفى سنة ألفين قبل الميلاد وضع حمورابى قانوناً لتقدير أجر الأطباء وتحديد مسئولياتهم. وكانوا يعرفون كثيراً من الكلمات المألوفة الآن مثل فن تدبير الصحة والفيزيقيا والصيدلة والباثولجى والجراحة والسوداء والإسهال والروماتيزم وكثيراً غير هذه الأسماء أما أسماء العقاقير والأدوية فقد أخذنا أكثرها عن اللاتينيين كما هو معروف

وإلى اليوم يعتبر هيبوقراط رمزاً لعلم الطب . وإذا كان القدماء لا يعرفون الميكرسكوب فقد كانوا يهتدون إلى كل شىء بفطنتهم ودقة حسهم

أما الأطعمة فقد كان ينقصهم الكثير من الأصناف المعروفة الآن كالبرتقال والليمون والموز والشاى والقهوة والسكر ، وكانوا يستعملون عسل النحل بدل السكر ويستعملون الزيت عوضاً عن الزبد. لكن قدماء المصريين كانوا يعرفون صناعة الجعة (البيرة) ويشربونها ومن العادات المألوفة عند القدماء الاهتمام بحديث المائدة ، حتى إن أغنياء روما كانوا يدعون العلماء والكتاب إلى موائدهم لتوجيه الحديث إلى ناحية الصواب

هل نحن عرب ؟

[محاضرة ألقاها السيد فؤاد مفرج فى أحد الأندية العربية بمدينة نيويورك]

الأمة مجموع من الناس مرتبطون بشعور واحد ، ويجمعهم تاريخ مشترك ، ومطمح مشترك غايته إيجاد دولة واحدة والاحتفاظ بها ليعيشوا فى ظلها ويحققوا أفضل ما ينطوون عليه ...

وهكذا فإن كل من يشعر بإخلاص أنه عربى ، وفى صدره ولاء صادق للمثل العربية العليا ، فهو عربى بقطع النظر عن الدم والعنصر ...

ثم إنه ليس فى العالم أمة لم تختلط أصولها . فانكلترا مؤلفة من النورسيين ، والأنجلو ، والسكسونيين ، والنورمنديين. ومثلها فرنسا . وناهيك بأمريكا ...

ونحن مثل هؤلاء لا فرق عندنا بين السورى والعراقى والمصرى واللبنانى والفلسطينى والنجدى

لا جدال فى أن شعوباً كثيرة مرت بسورية والعراق ومصر ، وتركت فى هذه الأقطار آثارها العنصرية . ولكن جميع هذه البقايا البشرية صهرت فى بوتقة العروبة ، وذابت فى الأمة العربية الحديثة ...

فالأمة العربية — ككل أمة سواها على وجه الغبراء — أصابها الامتزاج ، ولكن هذا المزيج عربى ، لأن لسانه عربى ، وثقافته عربية ، وعنصره الغالب السائد عربى ...

وجميع أجزاء الأمة العربية مترابطة المصالح والفوائد اقتصادياً وسياسياً ، وثقافياً ، ودفاعياً : —

فاقتصادياً ، ليس كاتحاد هذه الدول ما يوفر لها التبادل الحر ، وإزالة الفواصل الجمركية ، ومنع الإنتاج الصناعى المستغنى عنه والحماية السياسية الكافية التى هى شرط جوهرى للفلاح والرخاء

وسياسياً ، فالاتحاد وحده هو الذى يمنع الاحتكاك بينها ، ويغنيها عن الإكثار من المصالح والنفقات التى لا لزوم لها ...

ودفاعياً ، نحن فى غنى عن القول بأن الاتحاد العربى ، على غرار الاتحاد الأمريكى ، هو وحده يحمى ويضمن بقاء الأجزاء التى تؤلفه ، والوحدات التى تكونه ، ونظرة واحدة إلى حوادث السنين — بل الشهور — الأخيرة تدلنا دلالة كافية على أنه لا أمان للأمم الصغيرة . فنعمة وجودنا أمة مؤلفة من سبعين مليوناً يجب أن تستقر فى أذهاننا ...

إن كثيرين منا لم يتح لهم الإلمام بتاريخ العرب المجيد . ألا إنه لولا ثقافة العرب العالية وتراثهم العلمى لكان وجود الحضارة الحاضرة مستحيلاً ...

إنه لشرف أن ننتمى إلى العنصر العربى

ويبدأ عمل الحركة العربية فى القلوب والأرواح ، فمتى تم اتحاد القلوب والأرواح ، أصبح الاتحاد السياسى والجغرافى نتيجة طبيعية ...

فالعروبة حركة قومية فيها الأمن والرخاء والفلاح لجميع العرب وبواسطتهم للانسانية جمعاء !



مصر والأمم العربية

أخى الأستاذ الزيات :

أقدم إليك أصدق التحيات ، ثم أذكّرك بما تعاهدنا عليه من أن نكون جنوداً فى جيش الأخوّة العربية إلى أن نموت

وأنا من جانبى أذكر مع الأسف أن الحكومة المصرية لن تستجيب بسرعة إلى المطالب التي اقترحتها فى كتاب « ليلى المريضة فى العراق »

فلم يبق إلا أن ننوب عن الأمة إلى أن تستجيب الحكومة لما اقترحناه ، والأمم فى كل أرض أسبق من الحكومات إلى الخير والجميل

والذى يهمنى هو تذكيرك بما صنع إخواننا العرب هذه السنة فى تمجيد مصر : فمجلة الحديث التى تصدر فى حلب أصدرت عدداً خاصاً عن وادى النيل ، ومجلة العرفان التى تصدر فى صيدا أصدرت عدداً خاصاً عن وطن شوقى وحافظ وصبرى والبارودى ، ومجلة المكشوف التى تصدر فى بيروت أصدرت عدداً خاصاً عن الوطن الذى كابد فى سبيله الملك فؤاد ، وجريدة الهدف التى تصدر فى بغداد تستعد لإصدار عدد خاص عن جورجى زيدان وهو لبنانى احتضنه وادى النيل

فما رأيك إذا اقترحت عليك أن تصدر الرسالة أعداداً خاصة عن سورية ولبنان والعراق ؟

وما رأيك إذا اقترحت عليك أن تصدر الرسالة أعداداً خاصة عن الحواضر المشهورة فى البلاد العربية مثل تونس والجزائر ومراكش واليمن والحجاز ؟

تأكد ، أيها الأخ ، أنك لن تجد أية صعوبة فى تنفيذ ما أقترحه عليك ، وتأكد أن هذه الخدمة الأدبية ستحفظها لك مصر ، لأن مصر يهمها أن تتعرف إلى سائر الأقطار العربية تعرف الشقيق إلى الشقيق

وفى انتظار جوابك بالقبول أرجو أن تتقبل تحية أخيك المخلص

زكى مبارك

(الرسالة) : اقتراح الصديق سديد مفيد . وسنعمل على تنفيذه بعون الله بعد شهور الصيف .

الروحيات والمعنويات فى الإسلام

أستاذنا العزيز الزيات :

تحية وبعد فقد كتب أستاذنا الدكتور زكى مبارك فى العدد (٣١٤) من « الرسالة » الغراء مشيراً إلى ما كتبنا إليه ذاكراً ما ذكرناه من أننا نرى أن اللذات التى سينعم بها المؤمنون فى الجنة لذات روحية ، وأن اللذات التى ذكرها القرآن الكريم ليست كلها لذات حسية ، وأن القرآن الكريم عندما ذكر النعيم المادى إنما ذكره لجزاء لما قدّم العباد من حسنات تتصل كلها بالروحانيات والمعنويات . فرأينا كاملاً أن أستاذنا أحمد أمين صادق كل الصدق فى نظرته إلى أن القرآن كتاب روحانيات وكتاب معنويات ، وأنه عند ذكره الأشياء المادية لا يريد بها لذات مادية ، وأنه إن أراد بها أو ببعضها أشياء حسية إنما هى نتيجة اتباع لروحانيات ، واتصال بمعنويات . هذا هو الرأى الذى يستقيم مع أصل النصوص ويستقيم مع الفكر الإسلامى السليم . وإلا لو أراد أستاذنا الدكتور زكى مبارك منا أن نفهم فهمه لأخذنا بالرأى المضحك السقيم الذى ذكره مثلاً ابن عابدين فى الجزء الثالث من حاشية « المختار » الدر المختار ص ٣١٥ فيما ذكره « من مطلب لا تكون اللواطة فى الجنة من أنه قد قيل إنها سمعية فتوجد ، وقيل يخلق الله تعالى طائفة نصفهم الأعلى كالذكور والأسفل كالأناث وأن الصحيح الأول . وفى البحر حرمتها أشد من الزنا لحرمتها عقلاً وشرعاً وطبعاً ... » . فلو أخذنا بالرأى الذى يقول به أستاذنا الدكتور لقلنا : إن المراد بالولدان أن يفهم ذكرهم

هذا الفهم السقيم ، وحاشا لله أن يكون كذلك . والأقرب إلى العقل أن يكون ذكر الولدان التمتع بالفكرة الروحية التي يبعثها الجمال الحسى ، وإنه إن جاز أن نأخذ فى ذكر الحور العين باللذة الحسية ، فإنه لا يجوز أن يفهم هذا عن ذكر الولدان . على أن ما ذكره القرآن الكريم من حور عين ومن ولدان ولحم طير ورحيق وأباريق وفاكهة ، لا يجوز بحال أن نفهم أن ذكرها يؤيد أن القرآن يعنى بالحسيات ، أو أنه كتاب حسيات ، لأنه كما قلت إنما عنايته موجهه للمعنويات وذكرها يراد به اللذات المعنوية . وإن أريد من بعضها أو من ذكر بعضها اللذات الحسية فعلى أنها تابعة للذات المعنوية ويراد من ذكرها تقوية معانى الروحانيات عند المؤمنين لأنها جزاء من عمل صالحاً وجزاء من اتقى

والغريب أنى عند صدور عدد «الرسالة» الأخير قابلنى فى الترام أحد المبشرين الأمريكان يجادلنى فى هذه الفكرة التى يريد دكتورنا أن يأخذ بها المسلمون . وبعد فالدكتور زكى مبارك عزيز علينا ولكن أعز منه كتاب الله والفكرة الإسلامية السليمة التى يجب أن ندافع عنها ، وهى أن الإسلام دين روحانيات ومعنويات وأن ليس معنى هذا أنه لا يعنى بالحسيات والماديات ، بل هو يعنى بها وبتنظيمها التنظيم الذى يتصل بأن يرق بالإنسان إلى الروحانيات ، وأنه عند ذكر الماديات الأخروية لا يريد بها جزاءها الحسى ، بل يريد بها جزاءها المعنوى الروحى ، وأنه إن أراد بعضها اللذة الحسية ، فإنه لا يريدها حقيرة متواضعة ، كما هى فى دنيانا ، بل يريدها عزيزة تتصل أكبر ما تتصل بالروحانيات والمعنويات ، والسلام عليكم ورحمة الله .

محمود على قراعة

جماعة الفن والحرية

قرأنا فى عدد « الرسالة » رقم (٣١٤) الصادر فى ١٠ يوليو سنة ٩٣٩ كلمة جاءت فى صفحة البريد الأدبى تحت عنوان « الفن المنحط » وقد ورد فى هذه الكلمة أنه بهذا الاسم قد تكونت جماعة من الفنانين هى اليوم فى طريقها إلى التفرق والتحلل لأنها لم تجد عند الفنانين والصحافة والجمهور ما كانت ترجوه من تشجيع ، وأن الفن المنحط الذى تدعو إليه هذه الجماعة لا يمكن أن يقال عنه أنه منحط فعلاً ما دام يجد من يقول عنه إنه فن ، إذ أنه لا يمكن أن يكون الفن فناً ومنحطاً فى الوقت نفسه إلا إذا كان كاذباً . فالفن هو نتاج الحس ؛ ومتى توفر فيه الصدق ، فإنه سام رفيع ، ولا يفسده شىء ، ولا ينقص من شأنه شىء إلا أن يكون تكلفاً فهو عندئذ ليس فناً ، وإنما هو تهريج وتجارة .

وقد جاء فى هذه الكلمة أيضاً أنه إذا كانت جماعة « الفن المنحط » قد تألفت من أفراد صادقين فى شعورهم وتعبيرهم ففنهم رفيع من غير شك مهما تواضعوا وقالوا إنه منحط ؛ أما إذا كانوا يتكلفون هذا الانحطاط ففنهم منحط حقاً لا لشىء إلا لهذا التكلف .

وكل ما جاء فى هذه الكلمة صحيح من غير شك لا فى نظر كاتبها فقط بل فى نظرنا أيضاً ، لأننا لا نعتقد أبداً أن جماعة من الجماعات يمكن أن تقوم باسم « الفن المنحط » لتدعو الناس إلى الانحطاط فى الفن

لقد تكونت جماعتنا باسم « الفن والحرية » وأغراضها تنحصر فى الدفاع عن حرية الفن والثقافة وفى نشر المؤلفات الحديثة وإلقاء المحاضرات وإقامة المعارض الفنية العامة ، ثم هى تعمل فى نفس الوقت على إيقاف الشباب المصرى على الحركة الأدبية والاجتماعية فى العالم

هذه هى أغراض جماعة « الفن والحرية » فإذا كان فيها ما يدل على أنها تدعو إلى الانحطاط فى الفن فنحن نغتفر للكاتب ما ذهب إليه فى أمرها . أما أن يتصدى لنقد جماعة من الجماعات كاتب لا يعرف حقيقة اسمها ولا يعرف حقيقة أغراضها معتمداً فى هذا على الإشاعات والأقاويل فهذا ما ننزه كاتباً فى (الرسالة) عن خطأ الوقوع فيه

أنور كامل
عن اللجنة الدائمة لجماعة
« الفن والحرية »

انحطاط الطاقة ونهاية الكون ؟

إلى عالمنا المصرى الدكتور محمد محمود غالى :

أقرأ بإعجاب المقالات العلمية العظيمة التى يجود بها يراع العالم الطبيعى المحقق الدكتور محمد محمود غالى على صفحات الرسالة فأشعر بحنين نحو السوربون لأنه يخيل إلى وأنا أطالعها أنى أستمع إلى أولئك العلماء الأعلام أساتذة تلك الجامعة الكبيرة التى تلقيت فيها العلم أيام الصبا

وتتبعت على الأخص بإمعان مقالات الدكتور الأخيرة عن موضوع انحطاط الطاقة وتدهورها المستمر المحتم من صورها العليا كالكهرباء والطاقة الميكانيكية إلى صورتها السفلى وهى الحرارة، وكيف أن الكون سائر نحو مايسمونه « الموت الحرارى » على حد تعبير الدكتور العالم أى السكون التام الذى سينتهى إليه في جميع أنحائه بجميع أجزائه وجزيئاته وذراته ومحتوياتها على النحو الذى شرحه الدكتور بما أوتى من علم وبلاغة ، فلا كواكب تدور ولا شموع تسطع ، ولا سيارات تُضاء ، ولا حركة من أى نوع ولا كهرباء ولا جاذبية ولا ضوء ولا حرارة مرتفعة الدرجة الخ . وبطبيعة الحال لا حياة على الأرض ولا على غيرها بل إن الحياة تكون قد اندثرت من الكون قبل ذلك بملايين وملايين السنين لزوال أسبابها وعدم توفر شروطها وعواملها ، وما هى إلا حلقة من تطورات الطاقة تنتج من تحول الطاقة الكيميائية الناتجة من احتراق المواد الغذائية داخل الأنسجة إلى طاقة ميكانيكية لحركة الجسم وحركة أعضائه الداخلية وتفاعلاته الكيميائية البيولوجية وفى النهاية إلى حرارة شأن جميع صور الطاقة أثناء تحولها فى الطبيعة

فعاودنى حين قرأت هذه الصورة المقبضة لنهاية الكون اعتراض قديم قام فى ذهنى حين سمعت هذا الرأى لأول مرة فيما مضى عند درس الطاقة البيولوجية ، وقد أشار فعلاً إلى هذه النهاية المحزنة أستاذى العالم الفسيولوجى الكبير المأسوف عليه « داستر » فى دروسه بالسوربون وفى كتابه النفيس « الحياة والموت »

وإنى أطرح هنا هذا الاعتراض على الدكتور غالى لأستقى من بحر علمه الواسع راجياً منه أن يتحفنا بكلمة فى هذا الموضوع من كلماته الفياضة تروى غليلى .

أقول إنه لو كانت نهاية الكون هذه تحدث للأسباب المذكورة لحدثت من زمن . ذلك لأنه لو فرضنا أنه يلزم مثلاً مليار أو أكثر من السنين لتحول جميع صور الطاقة العليا فى الكون إلى حرارة غير مرتفعة الدرجة لتم ذلك من زمن بعيد لأن المادة (أو مجموعة المادة والطاقة) قديمة ، ولأنه مضى على الكون أضعاف أضعاف أضعاف هذه المدة . وهل يمكن أن يتصور العقل أن للكون بداية ؟ أليس هذا مخالفاً لأبسط الحقائق العلمية وللنواميس الطبيعية الأساسية ، وعلى الأخص لناموسى بقاء المادة وبقاء الطاقة وعدم تلاشيهما ؟ فكل من المادة والطاقة ثابت لا تخلق منه ولا تنعدم منه ذرة واحدة ، وإن كانت صورهما فى تحول مستمر من الواحدة إلى الأخرى. وإذا كان العلم الحديث أوشك أن يوحد بين المادة والطاقة فيمكن أن يقال إن مجموعهما ثابت لا يخلق منه شىء ، ولا ينعدم منه شىء .

وبالجملة فإنه إذا كانت تلك الأسباب (انحطاط صور الطاقة العليا وتحولها شيئاً فشيئاً إلى حرارة منخفضة الدرجة) من شأنها أن تقضى على الكون بالسكون التام المطلق لحدث ذلك من قديم الزمان

فإذا صح هذا الاعتراض ألا تكون النتيجة الطبيعية المنطقية أن هناك إذاً عوامل أخرى مجهولة الآن لم تدخل فى حساب العلماء والرياضيين قد يكشف عنها العلم فى المستقبل فتغير وجه المسألة ويطمئن حينئذ رجال الغد على مصير الكون ؟

نصيف المنقبادى المحامى

عدد المكشوف الخاص عن مظاهر الثقافة فى مصر

أصدرت زميلتنا المكشوف البيروتية عدداً خاصاً عن مظاهر الثقافة فى مصر فى ٥٦ صفحة مزدانة بالصور المختلفة ، حافلة بالفصول الممتعة والبحوث المستفيضة فى شتى مناحى الأدب المصرى ، دبجه أكثر من ٤٠ كاتباً وشاعراً مصرياً ، وبه حديثان أحدهما لمعالى هيكل باشا ، والآخر لسعادة العشماوى بك

وقد وُفق أكثر الكتاب كل التوفيق فيما عالجوه من الموضوعات ، ولكن أقلهم غلبت عليه نزعته الخاصة فلم يفطن إلى الحكمة من إصدار هذا العدد فخرج فيما كتب عن أسلوب المؤرخ المقرر الذى تقتضيه هذه الحال

والعدد يباع بمصر فى المكتبات التالية : التجارية الكبرى بأول شارع محمد على ، النهضة المصرية — ١٥ شارع الدابغ ، الهلال بشارع الفجالة ، زلزل — ٣ ميدان سليمان باشا .



على هامش كتاب

حيـــاة الرافعى

تأليف الأستاذ محمد سعيد العريان

للأستاذ محمود أبو ريه

أقبلت على قراءة كتاب (حياة الرافعى) لا كما يقبل عليها غيرى من أهل الأدب ومحبى الرافعى ، وذلك لما كان بينى وبين الرافعى رحمه الله من صداقة امتدت أكثر من ربع قرن فعرفت من أحواله وأنبائه شيئاً كثيراً ، فما فتحت عينى على هذا السفر النفيس الذى تحدث عن هذه الحياة المباركة حتى رجعت إلى ذاكرتى من ناحية ، وإلى كتب الرافعى الخاصة التى لدى من ناحية أخرى ، لأرى إن كان صديقنا سعيد العريان قد صدق فيما روى وحقق فيما أرّخ ، أو هو قد سلك تلك السبل التى يتبعها أكثر المؤرخين من العناية بكثرة الحشد ، والتلفيق فى الرواية من ههنا وههنا بلا تمحيص فى ذلك ولا تحقيق ، كأن التاريخ لا حرمة له عندهم ، والحق لا رعاية لجانبه فى قولهم

جعلت ذلك همى من قراءة كتاب (حياة الرافعى) . أما البحث فى قيمته وأثره فى عالم الأدب ، وفضل صاحبه فى السبق إلى افتراع هذه الطريقة من الترجمة ، وما إلى ذلك من المزايا التى امتاز بها هذا الكتاب ، فقد تركت ذلك كله لغيرى ممن يعرضون لنقده أو تقريظه حتى لا يقال إن صديقاً يقرظ صديقه

قرأت الكتاب من ألفه إلى يائه قراءة تدبر ودرس تخلص لى منه أن أخانا الأستاذ سعيد قد فاز بالحسنيين : حسنى الوفاء للرافعى — والوفاء فى زمننا قد أصبح غريباً بل صار جريمة ومنكراً — وحسنى إحسان العمل من حيث التحقيق فى الدراسة واستيعاب كل ما يتصل بحياة الرافعى حتى خرجت هذه الشخصية الجليلة فى هذا السفر صورة حيـة . ذلك بأنه لم يدع صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ولم يذر شاردة ولا واردة إلا قيدها . بيد أن هناك أمرين ما أظن إلا أن اطراد البحث قد أعجله عن استكمال درسهما

ولأنى أعرف الحق فى هذين الأمرين فقد رأيت إحقاقاً للحق وإنصافاً لمن يتصل بهما أن أستعلن بما أعرف على صفحات الرسالة الغراء ليكون من علم قرائها الذين هم صفوة أهل الأدب فى العالم العربى ، ومنهم ولا ريب قراء كتاب (حياة الرافعى) لكيلا يفوتهم من أمر هذه الحياة الجليلة شىء

تحدث الأستاذ سعيد فى هامش الصفحة ١٣ من هـذا الكتاب قال : (كان للرافعى صلة روحية بالسيد البدوى ترتفع عن الجدل والمناقشة وله فيه مدائح وتوسلات شعرية كثيرة ...) وهذا القول لو أُخذ على إطلاقه لبدا منه أن الرافعى رحمه الله كان من الذين يعتقدون بالتوسل بأصحاب القبور ، فيتخذونهم وسطاء بينهم وبين الله يفزعون فى كل ما يهمهم إليهم ، ويستعينون بهم فى قضاء مآربهم . وإذا صح ذلك كان مغمزاً فى أعظم جانب من حياة الرافعى ، وهو الجانب الدينى ؛ لأن التوسل بأصحاب القبور عند المحققين وأهل البصر بالدين إنما هو شرك بالله يبرأ منه كل مسلم صحيح الإيمان . والرافعى رحمه الله كان إماماً فى الدين كما كان إماماً فى الأدب ؛ وكان من دعوته فى الحياة أن يعتصم

المسلمون بعروة دينهم الوثقى ، وأن يرجعوا من وثنيتهم إلى الدين الخالص الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم

على أن هذا الأمر الذى أشار إليه أخونا سعيد لا يعرف غيرى وجه الحق فيه ، ذلك أنى كنت فى إحدى زياراتى للرافعى بطنطا فى سنة ١٩١٨ وما كدت أجلس إليه حتى قال لى : (أبشر يا أبا رية ، لقد اقتربت ساعة شفائى من علتى إن شاء الله (وهى العلة التى كانت بأذنه). ولما سألته عن مرجع هذه البشرى قال : « لقد رأيت السيد البدوى فى المنام ليلة الأمس قد جاءنى وبشرنى بالشفاء فنهضت من نومى وأنشأت فيه هذه القصيدة » ودفعها إلىّ فقلت له إن هذه القصيدة لو نشرت لكانت فتنة للمسلمين ، فخير لك أن تطويها حتى نرى تأويلها. ولأنه رحمه الله كان يعتقد فى عالم الروح اعتقاداً غريباً وكان يأخذ بالحديث الشريف فى أن دعوة المؤمن على ظهر الغيب تنفع، وكان بحسن ظنه يستيقن من إخلاصى له حتى كان لا يكتب لى خطاباً إلا ويطلب فى آخره ألا أنساه من الدعوات الطيبة، فقد كتب لى فى ورقة صغيرة هذه العبارة[1] (أريد أن تذهب الآن إلى جامع السيد وتتوضأ وتصلى بعض ركعات ثم تقرأ ما تيسر من القرآن على نية أن يعجل الله بشفائى ثم تدعو لى بذلك فإن دعاء المؤمن لا يعدله شىء فى سرعة الإجابة مع خلوص النية . وأمس رأيت السيد البدوى فى الرؤيا وبشرنى بالشفاء ولهذا طلبت منك هذا الطلب)

وعلى أن ما طلبه منى ليس فيه شىء من التوسل بالسيد البدوى وإنما هو صلاة لله وقراءة لما تيسر من كتاب الله ودعاء خالص يصْعَد إلى الله ليعجل بشفائه

وهذا كله عمل خالص لله وحده فقد حاك بصدرى شىء من الشك فى عقيدته ، ورأيت من أجل ذلك أن أتلطف لمعرفة حقيقة ما يعتقد فى التوسل بالمشايخ ، فسألته فى خطاب بعد ذلك بقليل عما يقوله رجال الصوفية من أنه لابد لكل مسلم أن يتخذ (واسطة) من مشايخهم يصل به إلى الله ، وهل هو قد اتخذ هذه (الواسطة) فأجابنى فى كتاب تاريخه (١٥ يولية سنة ١٩١٨) بما يلى :

(... وأنا ألتجىء دائماً إلى الاستمداد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه واسطة الجميع ، ولا أدرى إن كان فىّ استعداد للتلقى عن هذه الغاية البعيدة أم لا)

وبعد أن انقضت شهور على هذه الرؤيا ولم تتحقق البشرى حدثته فى ألا ينشر ما وضعه من شعر فى السيد البدوى وأن يُبْعِدَه عن ديوانه، فقال: إن هذا ما سأفعله إن شاء الله وسأجعله مما أهمله من شعرى

هذا هو نبأ توسلات الرافعى بالسيد البدوى الذى تحدث عنه الأستاذ العريان

ومن يقرأ ما كتبه الرافعى فى الدين ووصفه لإسلام المصريين بأنه إسلام فرعوني[1] بما شابه من ذرائع الوثنية ، وما اختلط به من البدع الشركية ، يتبين له صدق ما قلنا وصحة ما روينا وأنه كان طوال حياته حرباً على الدجل والخرافات، والشعبذة والتوسلات، تلك التى لا يعرفها دين الإسلام؛ وأنه نذر كما يقول الأستاذ سعيد (أن يموت فى الجهاد وفى يده الراية ينافح بها الشرك والضلال ، ويدعو إلى الله ويواصل حملة التطهير[2])

* * *

والأمر الثانى فى قول أخينا سعيد ، من أن السيد رشيد رضا رحمه الله ، لما قرأ مقدمة النسخة الأولى من مجلة البيان المنسوبة إلى الأستاذ الإمام محمد عبده قال : (... لقد كنت حاضراً مجلس الشيخ وسمعت منه هذا الحديث ، ولكن لم أجد له من القيمة الأدبية ما يحملنى على روايته)

وهذا القول لو ثبت على ما رواه صديقنا سعيد من أن مقدمة البيان من وضع الرافعى لكان ذلك طعناً فى خلق إمام كبير من أئمة الدين يذهب بالثقة به ويلقى الشك فى الأخذ عنه ، ولكن الذى جرى على وجه التحقيق أنه لما ظهرت مجلة البيان التى أصدرها الأستاذ الكبير عبد الرحمن البرقوقى قابلها حجة الإسلام السيد رشيد رحمه الله بالترحيب والتقريظ ، وكتب عنها كلمة طيبة

(١) أطلعت أخانا سعيد على أصل هذه الورقة فى أوائل شهر مايو الماضى بالقاهرة وكنت معه بنادى دار العلوم وهي من خط الرافعى رحمه الله

(١) تراجع الصفحة العاشرة من الجزء الثانى من كتاب وحى القلم مقالة الاشراق الالهى .

(٢) تراجع الصفحة ٢٨٢ من كتاب (حياة الرافعى)

قصص العـــرب

للأســاتذة
جاد المولى بك ، على البجاوى ، محمد أبو الفضل ابراهيم

للأســتاذ أحمد التاجى

أُثِرت عن العرب قصص يرجع أقدمها إلى الزمان الأول ، كانت صدى لحياتهم ومرآة لأذهانهم ، ومُجاعاً لمعارفهم وأساطيرهم ولكنها تحتاج إلى إحياء وتجديد

أما إحياؤها فباختيارها من أسفارها ورفع الأنقاض عنها ، وجمعها فى كتاب واحد ، وبتصحيح عباراتها ، وتحقيق حوادثها ، ثم يعرض كما قاله العرب ، ليتأدب به الناشئون وليتخذوا منه مادة لإنشائهم ، وغذاء لأفكارهم . وأما تجديدها فهو الخطوة الثانية وذلك بأن تطعّم بالأدب الحديث ، وتسق من المعارف التى وصلت إلينا ، لتناسب أبناء جيلنا ولا تنبو عن أذواقنا

والكتاب الذى نعرض له الآن يخطو الخطوة الأولى ، فيجمع قصص العرب كما حكوه وحدثوا به ، ويفصّله فى أبواب فيضع تحت كل باب ما ورد فيه من القصص

فقصص تدل على عقلية القوم واعتقاداتهم فى الآلهة ، وقصص تستبين بها مظاهر حياتهم وأسباب مدنيتهم ، وقصص تجلو علومهم ومعارفهم ، وأخرى تظهر أخلاقهم من وفاء وكرم وحلم . وهكذا ينتقل من باب إلى باب ، والذى يربط بين القصص أغراضها ، وكنا نود أن ترتبط بعصورها ، فتنفع مؤرخ الأدب ويرى فيها أحوال كل عصر وآدابه ماثلة فى قصصه

وكنا نود أيضاً أن تبرأ من الأخبار البعيدة عن القصص فإن ذلك قد تكفلت به كتب الأدب ، وما هى بقليلة

على أن للأساتذة جهداً مشكوراً إذ أتاحوا الفرصة لمن يدرس القصة العربية وتدرجها ، وعرضوا لنا مادة زاخرة تصلح هيا كل لقصص عربى حديث

وقد لاقوا عناء شديداً فى تصحيح النصوص وتقويم الأشعار والتنقيب عن أصح الروايات ، يشهد بذلك من اطلع على ذلك السفر الجليل الذى ظهر آية فى إخراجه ـ عدا بعض هنات مطبعية ـ وهذا عمل يقدره من يكابد القراءة فى الكتب القديمة ، وطبعاتها السقيمة

فلهم ما يستحقون من الشكران — أحمد التاجى

فى مجلته (المنار) ولما تحدث عن حديث الأستاذ الإمام مع الأستاذ البرقوقى لم يقل إنه كان حاضر مجلس الشيخ ، ولا إنه سمع هذا الحديث ، وإنما قال عن الأستاذ البرقوقى إنه (نقل كلام الأستاذ الإمام بمعناه لا بحروفه قطعاً[1])

وهذا لا يعنى أن الحديث من غير كلام الإمام أو أن الإمام قد تحدث به أمام السيد رشيد

هذا أهم ما رأيت أن أنشره فى الرسالة . ولقد وجدت فيما بين يدى من كتب الرافعى رسائل فى الأدب والدين واللغة تستأهل النشر لانتفاع الناس بما فيها ولعل الله يقيض لى ـ إذا وجدت من صدر الرسالة سعة ـ أن أنشر ما فيه الخير من هذه الرسائل .

ورحم الله الرافعى رحمة واسعة . — محمود أبو ريه

(١) يراجع الجزء الحادى عشر من المجلد الرابع عشر من مجلة المنار (صفحة ٨٧٥) الصادر فى ٣٠ ذى القعدة سنة ١٣٢٩ — ٢١ نوفمبر سنة ١٩١١

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 316

Lundi - 24 - 7 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مص
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسؤل
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولي رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣١٦ « القاهرة في يوم الاثنين ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٤ يوليه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

حلم ليلة صيف

غربت الشمس في الرمال اللوبية المرْمضة ومن ورائها في الجو والأرض وهيج كزفير جهنم . وكان القاهريون قد احتشدوا فوق الجسور وعلى الشواطئْ وفي الحدائق يَنْسمون نَفَس الماء ونفح المساء وأرج الزهر ، فكأنما لم يبق في البيوت والقهوات والطرقات أحد . وكنت أنا في زحمة الناس أسير هَوْناً على جسر إسماعيل والذكريات العِذاب تنثال على خاطري انثيال الشعاع السينمائي بالأخيلة المتحركة على الشاشة ، فأذكر فيما أذكر كيف كان ذوو السراوة والنعمة يخرجون قبل أن يعرفوا أوربا إلى الجزيرة آصالَ الربيع والصيف في زينتهم الفاخرة ووضاءتهم الباهرة ومركباتهم الفخمة تتراقص بها الجياد المطهمة العتاق ، فيكون للفقراء من عَرْضها منظر فتان من زَهرة العيش يشغل الهمّ عن القلوب ساعة . ثم أُبصر فيما أبصر كيف أصبح الجسر والجزيرة — بعد انتجاع المترفين المرفهين فيشي وكرلسباد ، ومونت كارلو ونيس — مَرَاداً لذوي الفاقة والعاهة والكرب ، لا ترى حولهم إلا بؤساً ولا تسمع بينهم إلا شكوى ! ثم انتهى بي هذا السير البطيء الحالم إلى (كازينو الكُبرِي) فجلست وحدي في مكان مظلم ، وجعلت وجهي وعيني للنيل المزدان بالقوارب ؛ وللشاطئْ المزدهر بالمصابيح ، وأخذتْ ذاكرتي تغوص وتطفو بين جوف الماضي ووجه الحاضر ، فلا أرى فيما خلَّفه الزمان

والإنسان إلا مآسى دامية ألَّفها الطمع والأثَرة، ومثَّلها الضعف والقوة . وكان عقلى القاصر يعلِّق أحياناً على ما تعرض الحافظة من هذه الصور، فيعجب كيف عجز إلى اليوم دين السماء وعلم الأرض عن التوفيق بين القوة والضعف ما داما متلازمين فى الحياة! أليس منشأ الصراع الأزلى بين المرأة والرجل والعبد والسيد والفقير والغنى والمظلوم والظالم والمستعمَر والمستعمِر إنما هو القوة فى جهة، والضعف فى جهة أخرى؟ لا يحق لنا أن نسأل لأيَّة حكمةٍ كانت القوة هنا وكان الضعف هناك، ولكن من حقنا أن نقول: لماذا أعضل على المصلحين أن يحملوا القوى على أن ينزل للضعيف عن بعض القدرة فيستقيم الأمر بالاعتدال ويتحقق السلام بالعدل؟

* * *

كانت ساعة الحرس تعلن بدقاتها المدوية انتصاف الليل حين تهالكت على الفراش وأنا من إدمان الذكر والفكر على حال شديدة من الجهد. فلم تكد عيناى تُغفيان حتى رأيت فيما يرى النائم أن دور الفقراء وأكواخ المساكين فى بولاق أمست كالتنانير الموقدة تلفح جدرانها باللهب، وتسيل سقوفها بالبق، ويختنق هواؤها بالنتن، فتركها أهلوها هاربين فى عتمة الليل إلى الشوارع والميادين، فظنهم الحراس والعسس «متظاهرين» فطاردوهم بالعصىِّ مطاردة الجراد، فهاموا فى الشارع من الذعر هيام القطيع حتى وجدوا قصراً من قصور الأمراء، غريقاً فى الأضواء والضوضاء، فلم يتمالكوا أن تدفقوا فيه من أبوابه، على الرغم من دفاع حراسه وحجَّابه. ثم انساب هذا الجمع الفزِع فى حديقة القصر الأفيح حتى أحدقوا ببؤرة الضوء، ثم أخذوا يستفيقون من الذهول والرعب على شذا العطور وسطوع النور ونغم الموسيقى، واستطاعوا أن ينظروا فماذا رأوا؟ رأوا حفلة راقصة تحت السماء على بِركة الحديقة الواسعة، وأربابُ النعمة وربات النعيم متقابلون على الأرائك، أو متعانقون على الأعشاب، أو متخاصرون فى المرقص، أو متنادمون حول المقصف؛ وشموس الكهرباء تسطَع على الظهور البلورية والصدور العاجية وقد انشقت أطواق الفساتين من أمام ومن خلف إلى ما تحت الخصور فلم يمسك الثوب عن النزول إلا شريطانِ على الكتفين رُصِّعا بالماس وعُقدا بالذهب. وكان الجو البليل مشبعاً بريَّا العطر وعبَق الخمر وأنفاس الغوانى وشدو القيان وهزج المزامير وعزف الأوتار، فلا يدخل فيه ذو حسٍ إلا هاج واشتهى، ولا ذو وقار إلا عبث والتهى. وكانت البِركة المسجورة بماء الورد واللاوندة تموج بالحور والولدان سابحين أو متشابكين، يتواثبون من النشوة، ويتجاذبون من الشهوة؛ وعلى حِفافيها المرمريين يتراقص القوم أزواجاً على أنغام «الجاز» والسواعد ملتفة على القدود، والشفاه مُطبَقة فوق الخدود، والأثداء رجراجة بين الصدور والنحور، والأنظار جوَّالة بين البطون والظهور؛ وفوق نافورتها الوسيمة البديعة ترقص حول رشاشها الطائر الوهاج جوقة من عرائس عبقر، فى غلائل عسجدية من نسج الجن، وأوشحة مصبَّغة من صنع السحرة. وكلما ماست الحوريات الرواقص تقلَّب عليهن الوشى، واختلف فوقهن اللون، وانبثق عنهن شعاع من الفتنة يبهر العيون ويضل الأفئدة!

* * *

كان القوم فى سورة اللهو وسكرة اللذة وحميا الطرب حين أحاط بهم مساكين بولاق فى بزتهم الزريَّة وهيئتهم المخيفة؛ فانفغرت أفواه هؤلاء من الدهش، وقَفَّت رءوس أولئك من الخوف، والتقى الشقاء والسعادة وجهاً لوجه!

ولكن الله لم يشأ أن يصطرع الغنى والفقر فى هذه اللحظة الرهيبة فرأيت أفواجاً من البق والبراغيث لها أجنحة كالفَراش وخراطيم كالبعوض قد خرجت من ثياب الفقراء وأخذت تلسع الأجسام الفضة والوجوه الناضرة لسع النحل المُهاج! فتراكض الداعون والمدعون هاربين فى الحديقة وهذا الطير الأبابيل فى ظهور النساء وأقفية الرجال يخِزُهم بالسم حتى أخرجهم إلى الشارع. وهناك كان الجند يترقبون خروج (المتظاهرين) فلم يكادوا يرون هؤلاء حتى أعملوا فيهم العصىَّ وساقوهم سوق الأنعام إلى القسم فقضوا ليلهم الباقى على الأسفلت. وخلا المقصف والمرقص والقصر لطرائد البؤس والشرطة فأكلوا مريئاً وشربوا هنيئاً وناموا ملء الجفون على الأسرة المذهبة!

ثم كرَبنى الحر فصحوت من النوم، قبل أن يرينى الحلم فى ضوء الصباح فضيحة القوم!

احمد حسن الزيات

حول كتاب :

مستقبل الثقافة فى مصر

نظرة انتقادية عامة

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

« مستقبل الثقافة فى مصر »

هذا العنوان الذى عنون به الأستاذ الدكتور طه حسين الكتاب الذى نشره قبل بضعة أشهر فى مجلدين ... ذكّرنى بعنوان « المطارحات » التى نشرها « المعهد الأممى للتعاون الفكرى » التابع لعصبة الأمم بعد الاجتماع الذى عقده فى مدريد سنة ١٩٣٣ : مستقبل الثقافة

وعند ما أسجل هذه المشابهة فى مستهل مقالى هذا ، أرى من الواجب علىّ أن أصرح — فى الوقت نفسه — بأن المشابهة بين الكتابين لا تتعدى حدود العنوان . فإذا كان من البديهى أن المؤلف الفاضل اقتبس عنوان كتابه من المطارحات المذكورة، فمن الواضح أيضاً أنه لم يستلهم شيئاً من موضوعاتها أو من مناحى التفكير المتجلية فيها ...

وأما كيفية تأليف الكتاب ، فالمؤلف يشرحها لنا بكل وضوح ، فى المقدمة القصيرة التى صدّره بها :

إن « فوز مصر بجزء عظيم من أملها فى تحقيق استقلالها الخارجى وسيادتها الداخلية » حمل « المفكرين المصريين » على أن يشعروا بأن « مصر تبدأ عهداً جديداً من حياتها » ... « إن كسبت فيه بعض الحقوق ، فإن عليها أن تنهض فيه بواجبات خطيرة وتبعات ثقال » . إن هذا الشعور شمل الشباب ، ودفع فريقاً منهم إلى « أن يسألوا المفكرين وقادة الرأى عما يرون فى واجب مصر بعد إمضاء المعاهدة مع الإنجليز ... » وهذا قد جعل كل واحد من المفكرين المسؤولين « يتحدث إليهم فى ذلك حديثاً سريعاً مرتجلاً ، بقدر ما كان يسمح له وقته وعمله وتفكيره السريع فى حياة سريعة » تمر بهم أو يمرون بها « مرّ البرق » .. فقد تحدث الدكتور طه حسين نفسه إلى هؤلاء الشبان فيمن تحدث ؛ غير أنه لم يقتنع بكفاية ما تحدث إليهم به ، ولم ير أنه « قد دلهم على ما كان يجب أن يدلهم عليه ، وهداهم إلى ما كان يجب أن يهديهم إليه » . واستقر فى نفسه أن واجب المصريين « فى ذات الثقافة والتعليم بعد الاستقلال أعظم خطراً وأشد تعقيداً » مما تحدث به إليهم « فى ساعة من ليل أو فى ساعة من نهار ، أو فى قاعة من قاعات الجامعة الأميركية ... وأنه يحتاج إلى جهد أشق وتفكير أعمق وبحث أكثر تفصيلاً » ووعد نفسه بأن يبذل هذا الجهد ، وأن يفرغ لهذا البحث ، وأن ينهض بهذا العبء ... ولكنه لم ينبئ هؤلاء الشباب بشىء مما قرره ، لأنه أشفق أن تحول ظروف الحياة بينه وبين إنجاز هذا الوعد . وليس أشق عليه من وعد يبذله للشباب ثم لا يستطيع له إنجازاً ... »

إن كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » كتب « لإنجاز ذلك الوعد الذى قدمه الأستاذ إلى الشباب الجامعيين ولم يظهرهم عليه ... »

إن هذه المقدمة تدل دلالة واضحة على أن الدكتور طه حسين قد شعر بخطورة هذه المباحث حق الشعور، وقدّر عواقب التسرع والارتجال فيها حق التقدير . . . كما تعلن إعلاناً صريحاً أنه لم يكتب الكتاب إلا بعد أن بذل « الجهد الأشق » الذى قال بضرورته ، وقام « بالتفكير الأعمق » الذى نوه به ، و « فرغ للبحث لينهض بالعبء » الذى أشار إليه ...

غير أن من ينعم النظر فى الكتاب — بعد مطالعة هذه المقدمة — يشعر بشىء كثير من خيبة الأمل ؛ لأنه لا يجد فيه من الآراء والملاحظات ما يتناسب مع وعود العنوان وتصريحات المقدمة . فالكتاب يتألف فى حقيقة الأمر من مجموعة أحاديث ومقالات قليلة التناسق كثيرة التداخل ، يبدو على جميع أقسامها آثار الارتجال والاستعجال ، ويتخلل معظم أقسامها أنواع شتى من الاستطرادات والاستدراكات ...

فكثيراً ما يقع النظر فى صفحات الكتاب على فكرة صائبة — معروضة بأسلوب جذاب — غير أنه يلاحظ فى الوقت نفسه كثيراً من المآخذ فى المقدمات التى سبقت تلك الفكرة والملاحظات التى تلتها فيبقى حائراً متردداً بين مواقف الاستساغة والاستنكار

إن نظرة إجمالية إلى أولى المسائل المشروحة فى الكتاب تكفى للبرهنة على كل ذلك فى وضوح وجلاء

— ١ —

إن المسألة التي يفتتح بها الدكتور طه حسين أبحاث كتابه تتلخص فى السؤال التالى :

هل يوجد فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربى ؟

والمؤلف يناقش هذه المسألة فى أكثر من ثلاثين صفحة من الكتاب مناقشة مباشرة ثم يعود إليها عدة مرات — بوسائل شتى — فى نحو ثلاثين صفحة أخرى .. وأما الحكم الذى يصل إليه من أبحاثه ومناقشاته هذه فيتلخص فى العبارات التالية :

« فكل شىء يدل على أنه ليس هناك عقل أوربى يمتاز من هذا العقل الشرقى الذى يعيش فى مصر وما جاورها من بلاد الشرق القريب » (الصفحة : ٢٨)

فمهما نبحث ومهما نستقص فلن نجد ما يحملنا على أن نقبل أن بين العقل المصرى والعقل الأوربى فرقاً جوهرياً » (الصفحة : ٢٩)

إننى أشارك الدكتور طه حسين فى هذا الحكم الصريح مشاركة تامة . . . فلقد درست وناقشت هذه المسألة فيما مضى مراراً بوسائل مختلفة ؛ وانتهيت فى جميع تلك الدراسات والمناقشات إلى نتيجة مماثلة لهذه النتيجة ، لا بالنسبة إلى المصريين فحسب ، بل بالنسبة إلى أمم الشرق الأدنى بوجه عام ، والأمة العربية بوجه خاص ...

ولهذا السبب ، يسرنى كل السرور أن أتفق مع المؤلف فى هذا الحكم اتفاقاً تاماً « ومع هذا يؤلمنى جداً » ألا أستطيع موافقة على سلسلة الآراء والأحكام التى سردها حول هذه المسألة وأن أرانى مضطراً إلى مخالفته فى معظم المقدمات التى بنى عليها حكمه هذا ، وفى بعض النتائج التى استخرجها منه ...

أولاً ، يكرر الدكتور طه حسين الحكم الذى ذكرناه آنفاً عدة مرات — جرياً على عادته العامة — ويعبر عنه فى كل مرة بشكل جديد ، وكلمات جديدة — حسب أسلوبه الخاص — ؛ غير أنه لا يتقيد — خلال هذا التكران — بمعانى الكلمات ، وحدودها « التقييد العلمى » الذى يتطلبه مثل هذه الأبحاث ... فينزلق إلى مهاوى الغلو والمبالغة انزلاقاً غريباً ، فيبتعد عن « الحقيقة » التى كان توصل إليها ابتعاداً كبيراً ...

مثلاً ، يسترسل مرة فى الحديث حتى يضيف كلمة الثقافة إلى كلمة العقل ، فيقول :

« كلا ، ليس بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم وتأثرت به ، فرق عقلى أو ثقافى ما ... » (الصفحة : ٢٥) .

أفلا يحق لى أن أسأل الأستاذ فى هذا المقام : هل يدعى — عن جد — أنه لا يوجد « فرق ثقافى ما » بين المصرى ، والفرنسى ، والسورى ، والإيطالى ؟ إن القول بعدم وجود « فرق جوهرى » بين « العقل المصرى ، والعقل الأوربى » شىء ، والقول بأنه لا يوجد بين المصرى والأوربى « فرق ثقافى ما » شىء آخر ... فمهما آمنت بالقضية الأولى إيماناً عميقاً ، لا يمكننى أن أسلم بالقضية الثانية أبداً ... وأعتقد اعتقاداً جازماً أن إنكار وجود « الفرق الثقافى » بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم ، لا يختلف عن إنكار وجود الشمس فى رابعة النهار ...

كما أرجح أن المؤلف نفسه لم يكتب ذلك عن « تأمل واعتقاد » ، بل كتب ما كتبه فى هذا المضمار مدفوعاً بدوافع الاستعجال والارتجال ـ بالرغم من تصريحات المقدمة ـ ومجروفاً بتيار الألفاظ والكلمات . وربما كان من أبرز الأدلة على ذلك ما قاله فى أواخر الكتاب حيث يختم أبحاث الكتاب بسؤال عام : « أتوجد ثقافة مصرية ؟ » ويجيب على هذا السؤال بالعبارة التالية :

« هى موجودة ، متميزة بخصالها وأوصافها التى تنفرد بها من غيرها من الثقافات ... » (الصفحة — ٥٢٥)

ولا أرانى فى حاجة إلى البرهنة على أن مضمون هذه العبارة ، يناقض القول الذى أشرنا إليه آنفاً ، مناقضة صريحة ...

ومما يجدر بالملاحظة أن مغالاة المؤلف فى تشبيه المصريين بالأوربيين — وإنكار وجود الفروق بينهما — لا تنحصر فى هذه القضية وحدها ، بل تتعداها إلى أمور أغرب منها : إذ أننا نراه يدعى — فى محل آخر من الكتاب — عدم وجود فرق بينهما من حيث الطبع والمزاج أيضاً . فهو عند ما يصرح بأنه « لا يخاف على المصريين أن يفنوا فى الأوربيين » يبرهن على ذلك بقوله :

« ... ليس بيننا وبين الأوربيين فرق فى الجوهر ولا فى الطبع ولا فى المزاج ... » (الصفحة ٦٣)

ليس بين المصريين والأوربيين فرق لا فى الطبع ولا فى المزاج! لا أدرى كيف يستطيع أحد أن يدعى ذلك بصورة جدية ؟ فإن الفروق فى الطبع والمزاج من الأمور التى تشاهد على الدوام بين الأمم الأوربية نفسها ، وهى تبدو للعيان بين الانكليزى والفرنسى والألمانى والإيطالى . . . حتى بين الشمالى والجنوبى من الفرنسيين ، والشرقى والغربى من الألمان ، والسهلى والجبلى من الطليان . وبين الريفى والمدنى والصانع والتاجر ، والمثقف والعامى من جميع هؤلاء . . . فكيف يعقل مع هذا ألا يختلف طبع المصريين ومزاجهم عن طبع الأوربيين ومزاجهم بوجه من الوجوه؟

إننى أميل إلى الحكم بأن الدكتور طه حسين لم يكتب هذه العبارة أيضاً عن تأمل واقتناع . بل كتبها بدافع الاستعجال وتحت تأثير توارد الكلمات

إنى لا أكون من المغالين إذا قلت : إن « نزعة التسرع فى الحكم والإسراف فى الكلام » من النزعات المستولية على معظم مباحث كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » ، وهذه النزعة هى التى ورطت المؤلف فى مآزق غريبة ، وأوقفته مواقف لا تخلو من التناقض فى بعض الأحيان

وللبرهنة على ذلك أود أن أستعرض — علاوة على ما ذكرته آنفاً — ما جاء عن الأزهر فى الأقسام المختلفة من الكتاب

يذكر الأستاذ الدكتور طه حسين الأزهر — فى كتابه هذا — أولاً عند ما يبحث عن اتصال مصر بالحضارة الأوربية فيتوسع كثيراً فى وصف هذا الاتصال ، لأنه يعتبره دليلاً على عدم وجود فرق جوهرى بين العقلية المصرية والعقلية الأوربية إذ يقول : « إننا لا نجد فى هذا الاتصال من المشقة والجهد ما كنا نجده لو أن العقل المصرى يخالف فى جوهره وطبيعته للعقل الأوربى » (الصفحة ٣٥)

وعند ما يتطرق المؤلف إلى حالة الأزهر — خلال هذا البحث — يعرضه لنا كمعهد مسرف فى التجديد إذ يقول حرفيا ما يلى :

« كل شىء يدل ، بل كل شىء يصيح بأن الأزهر مسرف فى الإسراع نحو الحديث ، يريد أن يتخفف من القديم ما وجد إلى ذلك سبيلاً ... » (الصفحة ٣٤)

غير أننا نراه فى محل آخر من الكتاب ، يتراجع قليلاً عن تعبير « الإسراف » الذى استعمله فى هذا المقام ؛ لأنه يقول :

« أصبح الأزهر مسرعاً إلى هذه الحضارة ، يدفعه إسراعه إلى شىء يشبه الإسراف إن لم يكن هو الإسراف » (الصفحة ٦١)

كما أننا نراه فى محل آخر يتناسى كل ذلك فيقول :

« إن الأزهر بحكم تاريخه وتقاليده وواجباته الدينية بيئة محافظة تمثل العهد القديم والتفكير القديم أكثر مما تمثل العهد الحديث والتفكير الحديث ... » (الصفحة ٩١)

ثم نراه يضيف إلى ذلك ما يلى :

« شىء آخر لا بد من التفكير فيه والطب له ؛ وهو أن هذا التفكير الأزهرى القديم قد يجعل من العسير على الجيل الأزهرى الحاضر إساغة الوطنية والقومية بمعناهما الأوربى الحديث . . . » (الصفحة ٩٢)

وفى الأخير عند ما ينتقل إلى بحث المنافسة القائمة بين الأزهر وبين الجامعة لا يتحرج المؤلف من إبداء رأى يناقض رأيه الأول مناقضة صريحة إذ يقول :

« يقتضى أن يعدل الأزهر عدولاً تاماً عما دأب عليه من الانحياز إلى نفسه والعكوف عليها والانقطاع عن الحياة العامة . وقد يقال : إن الأزهر قد أخذ يترك هذه السيرة ويتصل بالحياة العامة ويأخذ بحظوظ حسنة من الثقافات الحديثة على اختلافها . وهذا صحيح فى ظاهره ، لكنه فى حقيقة الأمر غير صحيح . فالأزهر ما زال منحازاً إلى نفسه مستمسكاً بهذا الانحياز حريصاً عليه ... » (الصفحة ٤٧٥)

أنا لا أود أن أبدى رأياً فى الأزهر فى هذا المقام ؛ غير أنى أريد أن ألفت الأنظار إلى الاختلافات الموجودة بين هذه الآراء التى صدرت من قلم واحد فى موضوع واحد فى كتاب واحد !

غير أن هناك شيئاً أغرب من كل ذلك أيضاً : فإن المؤلف لا يكتفى بالبرهنة على عدم وجود فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربى ، بل يحاول أن يبرهن على أن مصر ليست جزءاً من الشرق ، ويسير بين سلسلة آراء وملاحظات — يكتنفها الغموض والتضارب من كل الجهات — ويلوم الأوربيين الذين

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكى مبارك

- ٧ -

يشهد الأستاذ أحمد أمين على نفسه فيقول :

« أين الشعر العراقى الذى تجد فيه الشعراء يتغنون بمناظر العراق الطبيعية ، ويصفون فيه أحداثهم الاجتماعية ؟ وأين الشعر الشامى أو المصرى أو الأندلسى الذى يشيد بذكر مناظر الطبيعة وأحوال الاجتماع للشام ومصر والأندلس ؟ إنك تقرأ الشعر العربي فلا تعرف إن كان هذا الشعر لمصرى أو عراقى أو شامى إلا من ترجمة حياة الشاعر . أما القالب كله فشىء واحد ، والموضوع كله واحد : مديح أو رثاء أو هجاء أو نحو ذلك مما قاله الجاهليون »

ذلك كلام أحمد أمين ، نقلناه بالحرف حتى لا نُتهم بالتزيد عليه

فهل رأيتم أغرب من هذا الكلام ؟

يعتقد أحمد أمين أن شعراء العراق لم يصفوا مناظر بلادهم الطبيعية ولم يصفوا أحداثهم الاجتماعية

ولو أنه كان اطلع على الشعر العراقى فى عهوده الماضية ، وهى التى تعنيه ، لعرف أن شعراء العراق لم يفرطوا فى الحديث عن أنهارهم وبساتينهم ، ولم يتركوا صغيرة ولا كبيرة من شؤون المجتمع إلا أفردوها بحديث خاص ، وأخبار الفتن والثورات تشهد بذلك

لو كان أحمد أمين اطلع على الشعر العراقى لعرف أن العراقيين فُتنوا بمناظر بلادهم أشد الفتون . وهل يعرف قراء العربية نهراً أسير ذكراً من الفرات ؟

ألا يكفى أن يكون فيهم الشاعر الذى قال :

يا ليت ماء الفرات يخبرنا أين استقلت بأهلها السفنُ

وقد فُتن العراقيون بطبيعة العراق فوصفوا الحمائم السواجع وتفننوا فى وصف الليل ، وأجادوا فى وصف الأزهار والرياحين ، وأسهبوا فى وصف الملاحة والصباحة والجمال ، وكادوا يتفردون بالتفوق فى وصف مجالس الأنس والشراب

وكلِف شعراء العراق بوصفهم بواديهم وحواضرهم ، ولهم أوصاف كثيرة فى الديارات وحيوات الرهبان ، وهل أقيم فى أديم العراق دير غفل عن وصفه الشعراء ؟

لو كان أحمد أمين من المطلعين لعرف أن العراقيين أحبوا الطبيعة أصدق الحب ، فهم الذين أذاعوا فى الناس معانى الشغف بالوجود ، وهم أصدق من وصف الجآذر والظباء ، وكانوا ولا يزالون أقدر الناس على تذوق ما فى الحياة من بؤس ونعيم

هل نسى أحمد أمين أن طبيعة العراق هى التى أنطقت من يقول :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

إن العراق الشاعر لا ينتظر حكم أحمد أمين ، فقد رقم أمجاده الشعرية فوق جبين الزمان . وهنا أستشهد بقول الشاعر على الجارم فى خطاب دجلة :

نبت القريض على ضفا فِك بين أفنان الورودِ

وهى كلمة صدق فى شاعرية العراق

لقد وصف العراقيون كل شىء من مظاهر الطبيعة فى العراق حتى الحيات والثعابين والعقارب والزنابير والبراغيث !

وأحمد أمين هو المسئول عن إيراد الشواهد لأنه من أساتذة الأدب بالجامعة المصرية .

يقولون إن مصر جزء من الشرق ، وأن المصريين فريق من الشرقيين ؛ ثم يقول :

« إن من السخف الذى ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق » ... (ص ١٨) .

غير أنه لا يلبث أن يتناسى قوله هذا، ويدخل المصريين فى عداد الشرقيين ، فى عشرات المواضع من الكتاب ... لا أرى حاجة فى هذا المقام — لتعدادها ، فأكتفى بذكر ما يقوله المؤلف فى هذا الشأن فى أواخر الكتاب، عندما يشرح اقتراحه فى صدد فتح مدارس مصرية فى الأقطار العربية . فإنه يقول إذ ذاك :

« ما أظن أن السياسة الوطنية لهذه الأقطار تكره أن تنشأ فيها مدارس مصرية ، تحمل إلى أبنائها ثقافة عربية شرقية ، ويحملها إليهم معلمون شرقيون مثلهم » ... (ص ٥٢٢) .

« يتبع » ساطع الحصرى

ويقول هذا الرجل إن العراقيين لم يصفوا أحداثهم الاجتماعية وأقول إن شعراء العراق يمتازون بالجرأة فى وصف أحداث المجتمع ، وفى العراق مات مئات من الشعراء مسمومين أومقتولين بسبب الجهر بكلمة الحق فى وصف الأحداث الاجتماعية ، وماقامت فى العراق دولة أو سقطت دولة بدون أن تظفر بقصيدة أو قصائد من أولئك الشعراء الذين كانت أشعارهم موازين فى الحياة السياسية

* * *

وهنا أذكر مسألة سيحتاج إليها أحمد أمين حين يؤرخ الحياة الأدبية فى العراق لعهد بنى العباس

يجب أن يكون مفهوماً عند كل أديب أن الدواوين التى تحفظ أشعار أهل العراق لا تمثل الحياة الشعرية لأهل العراق تمثيلاً صحيحاً ، فالذى بقى من أشعار أهل العراق هو الجزء الذى سمحت له السلطات السياسية أن يعيش . وأ كاد أجزم بعد أن خبرت حياة العراق أن الثروة الشعرية هناك ضاعت منها أشياء كثيرة جداً بسبب الخوف من المسيطرين على الحياة السياسية والاجتماعية

وقد اهتديت إلى ذلك ، وأنا أدرس العصر الذى عاش فيه الشريف الرضى : فقد تبينتُ أن العراق فى ذلك العصر عرف لونين من الحياة : حياة السر وحياة العلانية . وتيقنت أن الشريف ضاع من حياته الشعرية نحو عشر سنين بسبب التخوف من عواقب الجهر بكلمة الحق .

وقد صح عندى أن الشريف الرضى هو شاعر الثورة على الاستبداد

ولكن شواهد هذا الجانب من حياته الشعرية قد ضاعت

وهل بقيت أشعار بشار فى الثورة على رجال السياسة وأقطاب المجتمع ؟

هل بقيت أشعار ابن الرومى فى الحقد على معاصريه من الحكام والوزراء ؟

لقد بقى منها ما جازت روايته ، وذهب شعره اللاذع إلى غير معاد ؟

وكيف غاب عن أحمد أمين أن فقهاء العراق أنفسهم قد اشتهروا فى آرائهم بإيثار الرموز والكنايات ؟

إن كان أحمد أمين ينكر أن شعراء العراق وصفوا الأحداث الاجتماعية فليشرح لنا كيف اتفق أن يموت كثير من شعراء العراق بالقتل والاغتيال

وهل يقتل الشاعر أو يغتال إلا بسبب الحرص على الجهر بكلمة الحق ؟

وهل فى آداب الأمم كلها أبرع سخرية من الشاعر الذى قال :

أنفوا المؤذن من دياركم   إن كان ينفى كل من صدقا

وهو شاعر قد تأدب بأدب أهل العراق

إن ديوان الشريف يصور أكثر ما وقع فى العراق من الأحداث السياسية والاجتماعية فى الشطر الأخير من القرن الرابع ، ففيه نرى ما وقع لأقطاب الكتاب من الكوارث والخطوب ، وفيه نرى كيف انتهت حياة الخليفة الطائع ، وفيه نرى أخبار القتال الذى دار بين السنة والشيعة ، وفيه نرى عدوان بنى تميم على بعض أصدقاء الشاعر من الزعماء

وما يقال عن ديوان الشريف الرضى يقال عن ديوان المتنبى فهو سجلٌ لأكثر الحوادث التى وقعت فى الشطر الأول من القرن الرابع . وهو تصوير لأكثر ما عرف من الأقطار العربية والإسلامية . وهو تاريخ لأكثر من اتصل بهم من الوزراء والرؤساء والملوك

وهل يمكن أن يقال إن أشعار المتنبى وهو فى حلب تشابه أشعاره وهو فى مصر ؟

إن القول بذلك لا يقع إلا من رجل مثل أحمد أمين يستدل بوحدة القوافى والأوزان على وحدة المعانى والأغراض

وما رأى هذا الباحث الفضال فى أشعار مسلم بن الوليد ؟ هل خطر بباله أن عند هذا الشاعر قصائد تؤرخ بعض الوقائع الحربيــة ؟

وهل توجّع الناس لمصرع المتوكل إلا بفضل رائية البحترى؟

وهل عرف الناس عزيمة المعتصم يوم عمورية إلا بفضل بائية أبى تمام ؟

* * *

وبمناسبة هذين الشاعرين اللذين خدما الخلفاء فى العراق ننتقل إلى شعراء الشام : فهم عند أحمد أمين لم يصفوا بلادهم ولم يصوروا ما وقع فيها من أحداث اجتماعية

فهل يعرف أن شعراء الشام كانوا من أحرص الناس على وصف الطبيعة وأقدرهم على تعقّب أحداث المجتمع ؟

هل سمع أحمد أمين باسم شاعر يقال له الصنوبرى أجاد كل الإجادة فى وصف المناظر الطبيعية ؟

هل يجهل أحمد أمين أن أبا فراس الحمدانى سجل الصراع بين العرب والروم أروع تسجيل ؟

هل ينكر أحمد أمين أن المعرى وصف أحداث زمانه وصفاً نادر المثال ؟

هل يعرف أحمد أمين أن شعراء الشام تغنّوا بمحاسن بلادهم وأسرفوا حتى قيل إن الشام جنة الأرض ؟

هل يعرف أحمد أمين أن اسم الغوطة شرّق وغرّب بفضل ما تغنّى به أولئك الشعراء ؟

هل يذكر أن الهيام بالوصف كاد يصير طبيعة شامية يشهد لها ما صنع البحترى حين وصف إيوان كسرى بالعراق ؟

وهل يذكر أن قصيدة أبى تمام فى وصف الربيع لا تقل روعة عن أعظم ما قال الأوربيون فى الربيع ؟

وهل يذكر أن مصاولة الذئاب والأسود لم توصف بأجمل مما صنع البحترى والمتنبى ؟

وما رأى أحمد أمين فى الصحراء ؟

أليست الصحراء من الطبيعة يا حضرة الأستاذ ؟

هى من الطبيعة بلا ريب . فهل تستطيع القول بأن شعراء الشام والعراق لم يصفوا الصحراء ؟

وما رأى أحمد أمين فى حيوان الصحراء ؟

أليس من الطبيعة ؟ هو من الطبيعة بلا ريب ، وقد تعقبه شعراء الشام والعراق بالوصف والتحليل

إن أحمد أمين لا يرى الطبيعة إلا فى الشجرة والزهرة ، ولو قال هذا رجل غيره لقلنا إنه ينظر إلى الوجود نظرة عامية

فهل يتفضل الأستاذ أحمد أمين فيدلنا عمن أخذ هذا التعريف ؟

إن الطبيعة لها مظاهر كثيرة جداً ، فهى تشمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد ، وهى تشمل كل ما تراه العيون ، أو تحسه القلوب ، أو تدركه العقول

فكيف جعلها مقصورة على الشجرة والزهرة ؟

ومع ذلك هل قصر شعراء الشام والعراق فى وصف الأشجار والأزهار ؟

وكيف وهم الذين أذاعوا بين الناس أن النظر إلى الخضرة يزيد فى نور العيون ؟

هل يذكر أحمد أمين كم ألوفاً من المرات ذكرت الأشجار والأزهار والرياحين فى أشعار أهل الشام والعراق ؟

هل يستطيع أن يدلنا على شاعر واحد لم يوجه قلبه وشعوره إلى المظاهر الطبيعية ؟

وهل يصير الرجل شاعراً إلا بعد أن ينطبع إحساسه بمظاهر الوجود ؟

***

أترك هذه الجوانب وأنتقل إلى حكمه على الشعر المصرى ، فالشعراء المصريون فى نظره لم يكونوا إلا مقلدين لشعراء الشام والعراق ...

ولأحمد أمين فى هذا الحكم الجائر عذر مقبول ، لأنه لم يدرس الشعر المصرى دراسة تمكنه من الحكم له أو عليه ، فلو كان من المطلعين لعرف أن الشعراء المصريين وصفوا بلادهم وتحدثوا عنها بأقوى العواطف ، وتغنوا بمحاسن بلادهم أجمل غناء

وهل رأيتم شاعراً أحس الطبيعة كما أحسها ابن النبيه إذ يقول:

إذا نُشرتْ ذوائبهُ عليه حسبتَ الماء رفّ عليه ظلُّ

وهل فى العربية شاعر صور أوهام بلده وما فيها من مختلف الأحاسيس كما صنع البها زهير ؟ وهل عرفتم شاعراً شرب من كوثر الوجود كما شرب ابن الفارض ؟

إسمع ، يا صديقى أحمد أمين ، فقد تواترت الأخبار بأنك ستدرس الأدب المصرى فى كلية الآداب ، وليس من الكثير عليك أن تسمع النصيحة من رجل مثلى ، فأنت تعرف منزلتك فى قلبى ، وتدرك جيداً أنى أتمنى أن تكون من الموفّقين !

إن الشعر المصرى طراز خاص ، وله مزايا تفرد بها بين الأشعار المعروفة فى اللغة العربية ؛ ولو أُلقيت قصيدة مصرية بين ألوف من القصائد ، لعرف السامعون أن أزهارها تفتحت فوق شواطئ النيل . . .

وهل يستطيع — أحمد أمين — أن يقول بأن ديوان ابن نباتة المصرى تمكن إضافته إلى البحترى أو ابن الرومى أو مسلم ابن الوليد ؟

إن أحمد أمين يصرح بأن الشعر العربى لا يدل على مواطن أصحابه إلا بعد النظر فى تراجم الشعراء !

فهل يصح هذا القول فى أشعار ابن نباتة والبها زهير ؟

وهل يصح ذلك فى أشعار تميم بن المعز ؟

وهل يصح ذلك فى أشعار ابن النحاس وأشعار البوصيرى ؟

وهل يصح ذلك فى أشعار عمارة اليمنى ، وقد عاش فى مصر حيناً من الزمان ؟

إن مصر قهرت من زارها من الشعراء على وصف ما فيها من طبائع وأخلاق ، ولعلها كانت السبب فى شهرة من زارها من الشعراء ، فكيف يصح القول بأنها لم تنفرد بين الأمم العربية بخصائص شعرية ؟

وهل يمكن القول بأن أغاريد صفى الدين الحلى وهو فى مصر تشبه أغاريده وهو فى العراق ، أو أن أشعار ابن سناء الملك لا تدل دلالة صريحة على الوطن الذى عاش فيه إلا بعد الاطلاع على ترجمته ؟

إن البارودى — وهو شاعر اصطنع مذاهب القدماء فى الأخيلة والتعابير — تدل على مصريته لأول نظرة ! فما بالك بالشعراء المصريين الذين استوحوا فطرتهم ولم يتابعوا شعراء بنى أمية أو شعراء بنى العباس ؟

بقيت مسألة مفصلة بهذا المقال ، ونحب أن نوفيها بعض ما تستحق من الشرح قبل أن نتكلم عن أحكامه على الأدب الأندلسى ، وهى أحكام سيحاسَب عليها أشد الحساب !

ما رأىُ حضرة الأستاذ فى الأشعار العراقية والشامية والمصرية التى صورت ثورة أصحابها على الدنيا والناس ؟

أيظن أن شعراء العصر الأموى والعباسي فى تلك الأقطار تحدثوا عن زمانهم ودنياهم ، كما تحدث الجاهليون ؟

لقد نشأ فى الشعر فنٌّ يسمَّى « شكوى الزمان » فهل يراه من وصف المجتمع ؟ أم يراه من الثورات النفسية ؟

إن كان من وصف المجتمع ؛ فهو ثروة عظيمة تنقض رأى أحمد أمين ، وإن كان من الثوارت النفسية فهو أيضاً من وصف المجتمع لأنه شرح لأسباب الثورة على الدنيا والناس

لو كان أحمد أمين كلف نفسه عناء الاطلاع على ديوان أو دواوين قبل أن يصدر تلك الأحكام الخواطىء ، لعرف أن من المستحيل أن تكون تلك الثروة الشعرية من لغو القول . فقد حفظ التاريخ الأدبى أكثر من مئة شاعر من الفحول فى مصر والشام والعراق ، وهؤلاء المئة — ولا نقول المئات — كانت لهم مذاهب فى وصف الطبيعة ، والتحدث عن المجتمع ، والأنس بالحياة أو التبرم بالوجود

وكانت لهم بجانب الشعر فقرات نثرية صوروا فيها آراءهم فى حياة المجتمع . وهل كانت رسائل الخوارزمى وبديع الزمان وابن وشمكير إلا صوراً للأحداث الاجتماعية والسياسية ؟

وهل يحتاج الباحث إلى النص على أن الشعراء والكتاب كانت تراجمهم فرصة لدرس مشكلات السياسة والمجتمع ؟

من الذى يقول بأن شعراء مصر والشام والعراق لم يشتركوا فى توجيه بلادهم إلى الأغراض السياسية والاجتماعية ؟ وهل كان الشعراء فى تلك العهود إلا ألسنة السياسة والمجتمع ؟

قد يقال : وأين تقع الأشياء التى تجافت عن السياسة والمجتمع ؟

وأجيب بأنه ليس من المحتم أن تكون الأشياء كلها فى السياسيات والاجتماعيات ، إن صح أن وصف الدقائق الذوقية والوجدانية لا يمس المجتمع

ومن الذى يوجب أن تكون صورة المجتمع مقصورة على الصلات بين الفقراء والأغنياء ، والحاكمين والمحكومين ؟

إن الأمر فى الشعر يرجع إلى عنصر واحد هو الصدق ، وإذا صح أن الشاعر صادق الحس والعاطفة فمن حقه أن يتكلم كيف شاء وأن يصف من الأغراض ما يريد

لقد اتفق لعمر بن أبى ربيعة أن يقف أشعاره على أهوائه الذاتية فهل يمكن القول بأن أشعار ابن ربيعة لا تمثل جوانب من المجتمع الذى عاش فيه ؟

وكيف وهى تصويرٌ لثورة العواطف فى موسم الحج ، وتسجيل لبعض أهواء الناس فى ذلك الحين ؟

واتفق لأبى نواس أن يقصر أكثر شعره على الخمر والمجون ، فهل كان ذلك إلا تمثيلاً لبعض أحوال المجتمع العراقى فى ذلك العهد ؟

واتفق لأبى العتاهية أن تكون أكثر أشعاره فى الزهديات ، فهل كان ذلك إلا تخليداً لمظاهر النزعات الروحية فى ذلك الزمان ؟

وما رأى الأستاذ أحمد أمين فى أشعار الزهاد والنساك ، وأشعار الماجنين والخلعاء ؟ وما رأيه فى أشعار الزنادقة والمرتابين ؟

أليس ذلك كله تصويراً لأحوال المجتمع ؟

وما رأيه فى الأشعار التى قيلت فى وصف الإخوان والأبناء والأزواج ؟

أيراها أجنبية عن المجتمع ؟

الحق أنى أجاهد فى غير ميدان ، وأعارك فى غير معترك ، لأنى أشرح البديهيات ، وأقيم الأدلة على أن الجزء أصغر من الكل وأن الواحد نصف الاثنين !

ولكن هل كنت أملك أن أصنع غير الذى صنعت ؟

إن جمهرة القراء لم تكن تعرف أن الأستاذ أحمد أمين يخطئ ثم يصرّ على الخطأ ؛ ولم تكن تنتظر أن أهجم عليه وأنا الذى دافعت عنه فى مجلة الرسالة يوم تجنى عليه بعض أدباء لبنان

وقد تفضل بعض أدباء العراق فدعانى إلى أن أنبه الأستاذ أحمد أمين إلى اهتمامه فى الأيام الأخيرة بالدعوة إلى تعزيز اللغة العامية

فهل يظنون أنى موكَّل بتقويم الأستاذ أحمد أمين ؟

إن المهم هو تذكيره بعواقب ما يصنع فى التجنى على الأدب العربى وتخويفه من غضبة من وثقوا فيه يوم رأوه مشغولاً بالدراسات الإسلامية ، وكان يستحق الثقة قبل أن يصنع بنفسه وبماضيه ما صنع

وتفضل فريق من الباحثين فقدموا إلىّ شواهد من أغلاط أحمد أمين فى مؤلفاته ودعونى إلى عرضها فى هذه البحوث النقدية

فليعرفوا — مشكورين — أني لا أستطيع ذلك ، لأنى لا أحب أن يسوء رأى الناس فى مؤلفات أحمد أمين ، برغم ما فيها من أغلاط ، فقد عانى مثل الذى نعانى من إقذاء العيون تحت أضواء المصابيح

ليس المهم أن نهدم الأستاذ أحمد أمين — فتلك غاية صغيرة — ولكن المهم أن نكف شره عن الأدب العربى وأن نزجر من يتطلع إلى مثل غرضه من عوامّ الباحثين

المهم أن يعرف الأستاذ أحمد أمين أن فى مصر رقابة أدبية تصد الجامحين ، وتهدى الحائرين ، وهو يعرف فى سريرة نفسه أنى لا أهجم عليه إلا وأنا آسف محزون ، لأنه كان مثالاً للصديق الأمين

وبعد مقال أو مقالين أو مقالات سأتركه ليتنسم هواء البحر وهو آمن بشواطئ الأسكندرية بين رفيف القدود وهدير الأمواج

« العديث شجون » زكى مبارك

بين جنـــاية
الأدب الجاهلى والجناية عليه
للأستاذ عبد الجواد رمضان

أنا من أزهد الناس فى الكتابة وأقلهم رغبة فى المناقضات الصحفية الأدبية والعلمية ، على لذة جامحة فى مطالعتها ، ورغبة ملحّة فى تتبعها ، وشوق عنيف إلى ما يتخللها من حيلة بارعة وسرعة خاطر ، وصراحة مكشوفة ومداورة خادعة ، وحجة مصيبة أو خاطئة ... الخ

ولعلّ مشهداً من المشاهد لم يثر فى نفسى شهوة التدخل بين طرفيه ما أثاره موضوع الموسم بين الدكتورين : زكى مبارك وأحمد أمين ، أو الأستاذين العظيمين : أحمد أمين وزكى مبارك « على التغليب يا دكتور » . وأعوذ بالله من شهوة الكلام فقلما فصلت خطة أو حسمت موقفاً أو أصابت مقطعاً يحسن السكوت عليه وينتهى على حده الحسام ؛ ولولا ما فى أمثال هذا الحوار من استعراض الآراء واستثارة شتّى المذاهب والبحوث وجلوة القوى العلمية بين المتحاورين مما يعود بالخير على العلم والأدب ، ويفتح أغلاق النظر أمام الباحثين لكان فى إثارتها جناية أى جناية ، وإجرام أبلغ إجرام

المتحاوران فى موضوع الموسم عظيمان ما فى عظمتهما مطعن ، جليلان ما فى جلالهما مغمز ؛ ولئن اختلفت جهات الجلال والعظمة فيهما ، إنهما ليلتقيان فى أنهما قطبان ينفرج عن جهودهما فى البحث والنظر فضل كبير وخير وفير

عرفنا الأستاذ الكريم أحمد أمين رجلاً رزين المجلس ، رصين العقل ، حصيف الرأى ، بعيد الأناة ، عفّ القلم واللسان . يطالع الناسَ من آثاره سمت العلماء وجلال المتواضعين ، ونظرات المجربين وثبات المستقيمين ، لا يزهاه النجاح وإن أعجب وبهر ، ولا يثيره اللجاج وإن احتدم وزخر ، بل يمضى قدماً إلى الهدف الذى قصد ، والغاية التى نشد . ذلك أحمد أمين لمن لم يعرفه

وأما دكتورنا زكى مبارك ، فذلك الأديب الثائر الشاعر الناثر السنتريسيّ الباريسيّ ، الأزهرى الفرنجى الذى خلص له فى هذا الجيل أن يجمع بين أدب الزنادقة ، وإخلاص المتصوفة ، ويؤاخى

بين الإيمان والتمرد ، ويوفق بين الأناقة والهرجلة و ...

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

ترجع معرفتى بالدكتور إلى عهد الصبا ، وهو تلميذ للمغفور له الأستاذ السيد مصطفى القاياتى ، يختصه بفضل عنايته ، ويضفى عليه من أبراد الكرامة ، والثناء والإعجاب، ما يبعد فى غور الحب بينهما ، ويبالغ فى تعلق كل منهما بالآخر ، تعلقاً يفرع به الأقران ويزهى على كل إنسان ؛ ولئن حالت ظروف الحياة دون اتصالى بالدكتور ، إننى لأشهد فى ثورته — كلما ثار — تلك الروح الجريئة الثائرة ، روح أستاذه الكريم حية تتوثب ، لا يكبتها ملام ، ولا ينهنهها وعيد ، ولا تكبحها مخافة ، فليت شعرى ، على أىّ باقعة وقع الأستاذ أحمد أمين ؟!

لا جرم أن الأستاذ أحمد أمين كان فى جُنة من نبل نفسه وكرم أخلاقه ، ومن آثاره القيمة التى لا تدفع عن موارد الخلد ، لو أنه جرى على سننه وأخلد إلى غيله الذى لا يقتحم واستخدم تلك الأذن الذى سكّها — قديماً — ما كتبه الدكتور زكى ناقداً به الدكتور طه حسين بك ، فجعله يرسل حكمه على أولهما فى حيثيته المأثورة : إن الدكتور زكى يلقى مجادله كما يلقى المصارع المصارع ، لا كما يلقى العالم العالم ... أو كما قال

بيد أنى أرى الأستاذ أحمد أمين فى عهده الأخير ، أغفل من خلاله ، ما فتح به للدكتور ثغرة ينفذ منها إلى إدراك ثاره القديم ؛ والدكتور — ولا نكران للحق — لمّاح يقظ ؛ مالبث أن انتهزها فرصة سنحت ، فشفى بها نفسه ، بلا ثمن ولا استكراه

***

ما زلت أعرف للأستاذ أحمد أمين فضله ونبله منذ تصورت معنى النبل والفضل ، حتى قرأت له عام أول رده على فضيلة الشيخ اللبان فى جريدة الأهرام ؛ ذلك الرد الذى كان عنوانه : « أدب الخطاب » !! والجواب يقرأ من عنوانه ؛ والشيخ اللبان — وإن جردناه من جميع مميزاته — لن نستطيع أن نجرده من جلال السن ، ومن الشيب فى الإسلام ؛ فليس مما يليق فى أدب ولا عرف أن يعلم أدب الخطاب

أضحى يمزق أثوابى ويضربنى أبعد شيبى يبغى عندى الأدبا ؟!

من حق الأستاذ ومَنْ دون الأستاذ أن يردّ على مخالفه ، ولكن من حق المخالف ألا يشتم ؛ ولم تكن خشونة الكلام وسيلة من وسائل الإقناع المنطق ، إلا فى المواطن التى تنكرها الحجة ، ولا يعترف بها العلم ؛ والأستاذ فى علمه وفضله ، لاتعوزه حجة ، ولا يعجزه برهان

كانت هـذه عندى أول زلة للعالم الجليل . فأما الأخرى ، فهى إنشاؤه لمجلة الثقافة التى أزالته عن مكانه بين العلماء ، وعدلت به إلى صف الصحفيين ؛ فأصبح وهدفه أن تروج مجلته وتنتشر بين القراء ، وتحثو فى وجه كل مجلة سبقتها أو لحقتها ؛ ولا تروج المجلة إلا بجديد ؛ فليجدد مولانا الأستاذ فى : أدب المعدة ، وأدب الروح ؛ وفى : الدين الصناعى والدين الطبيعى ؛ وفى : جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى . الخ الخ الخ

لقد بدأ الأستاذ فكتب ما كتب ؛ وأخذ الكتاب بعده طريقهم ، بين خاذل وناصر ؛ وكان أجرأ الكاتبين « بلا ريب » الدكتور زكى مبارك ، ولا فخر . وكان ضرورياً أن ينافح الأستاذ عن آرائه ، وأن يذود عن حياضه ، وهوصاحب القلم الجوّال والرأى الصوّال ؛ ولكن الأستاذ سكت ؛ ولا أدرى : أسكوت مؤقت أم مؤبد ، فإذا كان سكوتاً مؤقتاً ، فأنا أشوق الناس إلى رده ، وذلك ظنى به ؛ وإن كان سكوتاً مؤبداً ، فهل تراه ارتاح إلى الأثر الذى أحدثته آراؤه فى رواج مجلته ، أو أنه رأى أن يعامل الدكتور زكى على سنن ما كان يعلمنا سيدنا فى الكُتَّاب :

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت
فإن كلمته فرجت عنه وإن خليته كمداً يموت ؟!

وإذا كان رأيه هو هـذا ، فإنى أعجل له الجواب ، فأقول : ذاك لو بقيت على حلمك ، واحتفظت بمقامك القديم ، فأما الآن ، فقد تساوت الكفتان ، والفلج لمن برّز ...

على أن الخبيث الدكتور زكى مبارك لن يموت قريباً ، فإنما يعجل بالخيار .

***

أما بعد ، فلقد علم الله أنى أحب الأستاذ أحمد أمين وأجلّه ، أكثر مما أحب الدكتور زكى وأجلّه ؛ وكنت قمينا أن أغضب للأستاذ وأتحمس له ، على قدرحبى له ، وإجلالى إياه ؛ ولكنى — ولا أكذب الله — أشعرلعمل الدكتور معه بشىء من الارتياح . ذلك لهذه الطعنات الدوامى ، التى حشا بها مقاله : الدين الطبيعى والصناعى ، ليصيب بها قوماً غافلين ، لم يعرضوا له إلا بكل خير، ولم تغفل عين الله عن الثأر لهم .

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]

في طرسوس

على قبر الخليفة العظيم

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه مدينة أذنة (أطنة) قدمتها البارحة وسيمر بها اليوم قطار طوروس السريع ذاهباً إلى الشام ، وهو يمر بها ثلاث مرات فى الأسبوع . فإن فاتنى قطار اليوم فلا مفر من الانتظار فى أذنة إلى السبت . إن هواء أذنة حار ، وليس فيها ما يشغل الزائر ثلاثة أيام ففيم التلبث ؟ إن لى فى طرسوس أرباً ولا بد لى أن أزور طرسوس . إنها قريبة بينك وبينها مسيرة ساعة للقطار . ولو كانت بعيدة لما ترخصت فى القعود عنها . إن لم يتيسر لى العودة منها قبل موعد القطار فليذهب قطار الأربعاء وليذهب قطار السبت فما عن زيارة طرسوس معدى. إن فى القلب لحنيناً إليها ومنيتى وقفة فيها :

وقفــة بالعقيق نطرح ثقلاً ... من دموع بوقفــة بالعقيق

أأجاوز أذنة صوب الجنوب دون أن أرى طرسوس ؟ أعظم به من عقوق ، وحرمان للنفس مما تمنت سنين طوالاً

ماشأن طرسوس؟ ما الذى يشوقنى فيها؟ إنها مدينة صغيرة كئيبة المنظر فما حببنى إليها ؟ لله أى كنز فى طرسوس دفين ! وأى تاريخ كبير فى تراب هذه المدينة الصغيرة !

حاولت أن أبكر إليها فأعود فأدرك قطار طوروس ، ولكن فاتنى قطار ست ونصف من الصباح وكان على أن أختار إحدى النيتين : إما قطار طوروس وإما طرسوس

أخذت القطار إلى طرسوس والساعة ثمان ونصف

هذه طرسوس أحد الثغور القديمة بين المسلمين والروم . طرسوس التى فتحها الرشيد ومات فيها ابنه المأمون غازياً كما مات الرشيد فى طوس ومات ابنه فى طرسوس . لله همة أبعدت بهذين السهمين من بغداد إلى طوس وطرسوس . من كان يظن أن الرشيد والمأمون كانا مترفين من أبناء النعمة وأخدان القصور فليعلم أن الرشيد كان همة لا تفتر بين الحج والغزو :

فمن يطلب لقاءك أو يرده ... ففى الحرمين أو أقصى الثغور

وأن المأمون لم يقعد عن قيادة الجيش إلى ثغور الروم ، وأنه لقى حتفه غازياً فى هذه المدينة النائية طرسوس :

ما رأينا النجوم أغنت عن المأ ... مون فى ظل ملكه المحروس

غادروه بعرصتى طرســوس ... مثلمــا غادروا أباه بطوس

يقول ياقوت :

«وبينها وبين أذنة ستة فراسخ، وبين أذنة وطرسوس فندق بُغا والفندق الجديد . وعلى طرسوس سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب . ويشقها نهر البردان ...

وما زالت موطناً للصالحين والزهاد يقصدونها لأنها من ثغور المسلمين، ثم لم تزل مع المسلمين فى أحسن حال؛ وخرج منها جماعة من أهل الفضل إلى أن كان سنة ٣٥٤ الخ »

كانت طرسوس ثغراً تتكسر عنده زفرات الروم وفى إقليمها غزا أمير العرب وشاعرهم سيف الدولة وأبو الطيب المتنبى

واستولى عليه الروم سنة ٣٥٤ حين مرض سيف الدولة فخربوا مساجدها وجلا كثير من أهلها . يقول ياقوت : « وملك نقفور البلد فأحرق المصاحف وخرب المساجد وأخذ من خزانة السلاح ما لم يسمع بمثله مما كان جمع من أيام بنى أميّة إلى هذه الغاية ... »

ثم دخلت فى حوزة المسلمين حينما امتد سلطانهم على بلاد الروم من بعد

وبعد الحروب الصليبية استولى عليها المصريون ، ثم استولى

ثم لهذه الدعاوى العريضة التى أصبحت ديدن كل من أحس شهرة بحق أو بباطل فى هذا البلد ، فلا يقنع الباحث منهم بما دون قلب الأوضاع ، ومحو التاريخ ، وتغيير خلق الله ؛ وهو أعجز من أن يغير وضع الزقاق الذى ولد فيه ، ودرج بين صبيانه .

***

ولا يسعنى أن ألقى القلم قبل أن أوجه تهنئتى إلى الأستاذ أحمد أمين بما يكون قد أصاب من نجاح صحفى، لست أدرى أمن قبيل أدب المعدة هو أم من قبيل أدب الروح ؛ لأن النوعين لا يزالان فى حاجة إلى مزيد تحديد .

فأما أنت يادكتورزكى ، فإنى أهنيك بأن ظفرت على سِفاهك هذه المرة ، ببعض رضاى . ورحم الله حكيم الشعراء :

سِفاهٌ ذاد عنك الناس حلم ... وغىّ فيــه منفعة رشاد

عبد الجواد رمضان

المدرس فى كلية اللغة العربية

عليها بنو رمضان الذين حكموا أذنة وما حولها في القرن الثامن الهجري إلى أن أديل منهم للعثمانيين

ذكرت كثيراً من وقائع الدهر في طرسوس وذكرت الرشيد والمأمون وسيف الدولة والمتنبي وقصيدته السينية التي مدح بها محمد بن زريق في طرسوس :

هذي برزتِ لنا فهجت رسيسا ثم انثنيت وما شفيت نسيسا

ورثيت للشاعر حين ذكرت أن الممدوح أعطاه عشرة دراهم . فقيل له : إن شعره حسن . فقال : ما أدرى أحسن هو أم قبيح ولكن أزيده لقولك عشرة دراهم

ركبت في طرسوس عربة ومعي رفيق من اسكيشهر ، وكان الحوذي يعرف العربية ، ولا تكلم أحداً في هذه النواحي بالعربية إلا أجابك

قلت : أين منسج راسم بك ؟ فذهب إلى معامل عظيمة للنسج لمحمد بك المصري . ولم أجد البك هناك ولكني رأيت المناسج العظيمة وسرني ما رأيت فيها وما سمعت

وسألت رجلاً هناك : أتعرف قبر الخليفة المأمون ؟ المأمون ابن الرشيد مات هنا ودفن ، فهل عندكم علم عن قبره ؟ قال : لا . ولكن هنا شيخاً خبيراً بالآثار، لعل عنده علماً . غاب عني قليلاً ، وعاد يصف للحوذيّ الموضع ! إنتهى السائق إلى جامع كبير له سور عال ضخم كأنه أعد للقتال ، وعلى مقربة منه خانات كبيرة ، وبجانبه تكية مغلقة . دخلنا الجامع إلى صحن واسع يحيط به أروقة تمتد على جدار الباب ، وعن اليمين والشمال ، وفي وسطه حوض مظلّل ؛ ويفصل الصحن والمسجد جدار دخلناه من باب ، ومنه إلى مسجد مستطيل فيه ثلاثة عقود تقوم على صفين من العمد .

وفي الجدار الشرقي من المسجد كوة تطل على التكية المغلقة . نظرت منها فإذا مصلى مسقوف ، وإذا ثلاثة قبور ، أشار خادم المسجد — وهو حلبيّ الأصل — إلى أقربها إلى الكوّة . وقال: هذا قبر المأمون . قلت : أرأيت عليه كتابة ؟ قال : أجل ! وقد سألت ناساً في طرسوس وأذنة ؛ فاتفقت كلمتهم على وصف القبر وموضعه ! وأما المؤرخون ، فقد أجمعوا على أن المأمون دفن في طرسوس . وأخبرني بعض علماء العرب والترك أنهم رأوا القبر وقرأوا عليه اسم الخليفة المأمون !

هنا الخليفة العظيم ! .. هنا الرجل العالم المحب للعلم والعلماء ! .. هنا الملك العفوّ الذي قال : لو علم الناس حبي للعفو لتقربوا إليّ بالذنوب ! ... هنا عبدالله المأمون بن هرون الرشيد ! ...

« رحم الله أبا العلاء » :

أنتم بنو النسب القصير فطولكم باد على الكبراء والأشراف

والراح إن قيل ابنة العنب اكتفت بأب عن الأسماء والأوصاف

هنا أمير من أمراء المؤمنين يفتخر به تاريخ الإسلام ، وحق على الأمم الإسلامية كلها على اختلاف أجناسها أن تشيد بذكره ، وتعظمه في قبره ! ...

لقد درست قبور الخلفاء والعباسيين في بغداد وسامرّا . فلا يُعرف لواحد منهم قبر اليوم حاشا قبر هرون الذي طمس عليه عصبة الشيعة في طوس ؛ وحاشا قبر المأمون الذي طمس عليه النسيان في طرسوس أو كاد .

تمنيت أن أجلس إلى قبر المأمون ساعة فأسجل ما توحيه إلى نفسي عظمة الماضي ومصائب الحاضر ، وغير الزمان ، وتقلب الأيام ، وما يبعثه في النفس ذكر المأمون وجواره من عظمة وإعجاب ، وفخار وعبرة !

ثم جلست في طرسوس فرأيت مساجد عتيقة ، ولكني أصغرت كل شيء فلم أبال به بعد أن وقفت على قبر الخليفة الكبير المأمون بن الرشيد رحمهما الله ! ...

عبد الوهاب عزام

ذكريات سنى التعليم

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

دخلت مدرسة المعلمين كطالب سنة ١٩٠٦ وطلبت الإحالة على المعاش سنة ١٩٣٨ وكانت مدة اشتغالى بالتعليم كطالب ومدرس وناظر ومفتش اثنتين وثلاثين سنة وهى ليست بالزمن القليل. وربما كان منصب الناظر أشق مناصب التعليم التى وليتها بالرغم من وجاهة مظاهره. وقد كنت ناظراً لخمس مدارس ثانوية وقبلها لثلاث مدارس ابتدائية، وكانت مدة نظارتى للمدارس الثانوية تسع سنوات وللمدارس الابتدائية ثلاثاً أى كانت نظارتى للمدارس اثنتى عشرة سنة، وهى أيضاً ليست بالزمن القليل. وقد لبثت فى نظارة المدارس الثانوية فى عهود وزارات وأحزاب مختلفة، وفى عهد كانت المدارس الثانوية فيه مضطربة جد الاضطراب بسبب قلة الاستقرار السياسى. وأعترف أن بقائى فى نظارة المدارس تلك المدة الطويلة لم يكن بحسن لباقة فى معاشرة آباء الطلبة ومخالطتهم واكتساب معونتهم، فإن ميلى الطبيعى إلى الوحدة منع من ذلك حتى أساء أناس فهم هذا الميل إلى الوحدة وعدوه تكبراً وهو ضعف فى البنية يتطلب الراحة بالانقطاع عن الحديث وعن تكاليف المجالس وأعنى ما تكلفه من تعب. ولم يكن بقائى فى النظارة بسبب مكر ودهاء وخلابة تحبب الناظر إلى تلاميذه لأن المكر إذا تكلفه الإنسان يتعبه ويكلفه جهداً ربما كان لا طاقة له به، وإنما كان بقائى بها أولاً لأنى آثرت تصريف الأمور بنفسى بدل الرجوع إلى الوزارة فى أمور كثيرة وبدل خلق مشكلات لها، ولا تكره الوزارة أمراً قدر كرهها أن يُرجع إليها فى أمر كان لا يستطيع الناظر ألا يكبِّر أمره حتى يصير لا مناص من الرجوع إليها فيه، وثانياً لأنى اتخذت فى خطط التعليم ما اتخذه نابليون فى خطط حروبه إذ كان يعبئ أكثر قوته لمواجهة موطن الضعف فى العدو فيهزمه، وكذلك كنت أنا والأساتذة نعبئ عنايتنا وجهدنا لمعالجة التلاميذ الضعاف ولمعالجة أماكن الصعوبة فى المناهج وأماكن الخطأ والضعف فى التلاميذ الضعاف، وهذه خطة تحتاج إلى تفصيل ولكنها الخطة الوحيدة التى يستطاع بها جعل نسبة النجاح فى الامتحانات حسنة مرتفعة، وقد استطعنا فى الواقع أن نجعل بهذه الخطة نسبة النجاح حسنة، وهذا كان يسر بعض رؤسائنا عند ظهور النتائج

ومنصب ناظر مدرسة من المدارس الثانوية المصرية منصب كانت تحوطه المداوات. فإذا أراد أن يهيئ أسباب النظام قيل متشدد مرهق مجرم، وإذا تسهل وترك الأمور تجرى فى مجاريها قيل ضعيف كسول، وإذا كان بين بين اتهم تارة بالإرهاق والإجرام، وتارة بالضعف والكسل، واتهم علاوة على ذلك بالتذبذب. وقد خرجنا والحمد لله من هذا المنصب ومن غيره من المناصب وليس فى ملف خدمتنا مؤاخذة ولا سؤال ولا تحقيق فى مؤاخذة، ولم تكن هناك حتى ولا مخاطبة شفوية فى أمر مؤاخذة مالية أو أدبية أو علمية أو خلقية إلا مؤاخذة على رفع صوتنا فى حضرة على بك حافظ رحمه الله أيام كنت مدرساً وهو ناظر، وهذا أمر ربما استثار تعجب الأساتذة المدرسين فى هذا الجيل

وقد كانت خطتى فى معاملة الأساتذة المدرسين على العموم خطة معاوية فى قوله «لو كانت بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت إذا أرخوا شددت وإذا شدوا أرخيت» وربما أفادنى ميلى الغالب إلى الوحدة من ناحية وإن أضر بى من ناحية أخرى، فإن أضر بى من ناحية جهلى بما يدبر فى الخفاء ومن ناحية إساءة بعضهم فهم ذلك الميل إلى الوحدة وعده تكبراً، فقد أفادنى من ناحية أخرى إذ لم يخلق أسباب الانقسام والتحزب والمشاحنة بين الموظفين بمناصرة بعضهم على بعض. وكانت خطتى نحو الطلبة إعزاز الطالب الكريم الأخلاق واحترامه إذا كان ممن لا يطغيه الإعزاز والاحترام، وإفهام المقصر أو الخارج على النظام أن العقاب ضرورة لا إهانة فيها وأن الشهامة تقتضى أن يرحب مستحق العقاب بالعقاب. وقد حاول بعضهم أن يذيع فى مدرسة أني أتشدد تشدداً مسيئاً فى معاملة الموظفين فلم يفلح بالرغم من الإلحاح فى هذا السعى لأن هذا السعى كان مهزلة حقيرة، ولا يقبل الموظفون فى هذا الجيل إساءة فى المعاملة لا إلى الحد الذى حدده هذا السعى ولا إلى أقل منه. وكبار رجال الوزارة يعلمون أنه ليس فى استطاعتى أن أفعل ذلك حتى لو حدثتنى نفسى بإساءة معاملة أحد. ولكنه سعى يدل القارئ على المتاعب التى يتعرض لها حتى أقل النظار طلباً للمتاعب وأبعدهم عن مظانها. وقد حاول

أيضاً أصحاب ذلك المسى إفهام الطلبة أنى أتشدد تشدداً مرهقاً للطلبة ، وهم يعرفون أنى قلما كنت أوقع إلا العقوبات المدرسية المفروضة ولم أكن أوقعها إلا بمقدار ما يستقيم معه التدريس . وقد كنت أتعجب من الخبث والشر فى نفوس أصحاب ذلك المسى ، ولكن مما هَوَّنَ الأمر علىَّ أن بعض الطلبة الذين كنت أضطر إلى معالجتهم بشدة كانوا بعد نجاحهم وتخرجهم يرسلون إلىّ الخطابات ينسبون فيها نجاحهم إلى ما عالجتهم به أو كانوا يفعلون ذلك إذا قابلتهم بعد تخرجهم . وقد عَلَّمْتُ آلافاً من التلاميذ بمدارس الإسكندرية ودمنهور والمنصورة والزقازيق والقاهرة وحلوان والفيوم الأميرية . وكثير منهم قد صادفوا نجاحاً كبيراً فى حياتهم بعد أيام التلمذة ، وهم يعرفون أن الخشونة والعجرفة والقسوة أبعد الطباع عن طبعى ويعرفون أنى كنت أعامل أكثرهم معاملة الأخ الكبير للأخ الصغير . وقد كنا نتبع خطة التمبئة لمعالجة الضعف فى جميع سنى الدراسة لا فى السنة الأخيرة وحدها ، ومن أجل ذلك كانت تأتى نتائج امتحانات النقل للفرق حسنة مرضية فى جملتها إلا ماشذ بسبب ضعف شديد فى فرقة أو فصل وعجز فى الأستاذ عن معالجته مما يحدث مثله فى جميع المدارس . والوزارة إنما تأخذ بمتوسط نسبة النجاح للمدرسة كلها، وتنظر فى أسباب تخلف الفرقة الواحدة أو الفصل الواحد . ولا أذكر أن الوزارة آخذتنا حتى ولا مرة واحدة بسبب تلك النتائج . ومما يؤسف له أن بعض كبار آباء التلاميذ كانوا إذا رسب ابن أحدهم حقد حقداً شديداً ، ولا أعرف إذا كانت هذه الصفة لا تزال فى الآباء . ولو أنهم سألوا الوزارة عن مستوى النتائج لأراحوا أنفسهم وأراحوا النظار من عواقب حقدهم الذى لا يتفق وتربيتهم العالية ومنزلتهم الكبيرة . والمدرسة دنيا مصغرة : ففيها العالم والجاهل والذكى والغبى والوديع والشرس الطباع والكريم والحقود ، والذى يغلب على طبعه الخير ، والآخر الذى يغلب على طبعه الخبث والشر وحب الأذى . ولا يستطيع أستاذ مدرس ولا ناظر أن يعجن جِبِلَّةَ هؤلاء وأن يجعلهم كلهم على طبيعة واحدة من العلم والذكاء والكرم وسمو الشمائل ، ولا أن ينال إخاءهم وإنصافهم جميعاً . ومهنة المدرس والناظر من أشق المهن ، ولا يهون متاعب التعليم غير إنصاف الوزارة من ناحية وإنصاف الآباء من ناحية أخرى وحسن مؤازرتهم ؛ وهذا الإنصاف لا يغنى عنه لإنجاح التعليم تغيير الوسائل والأنظمة . ولسنا نقول هذا القول لأننا نطلب أو نرجى نفعاً فقد انتهت حياتنا العملية وانتهت مطامعنا وآمالنا إلى غير عودة، ولكنا نقوله ونحن نعلم أن المعلم والناظر يعملان فى سذاجة الشباب أو عادات الشباب والمشيب حتى وإن لم يجدا عطفاً من بعض الآباء أو من الوزارة ؛ ولكن صعب على النفس ألا تجدهما يعينها على تحمل مشقة التعليم ، واستخراج حلاوته ، والتعليم شيِّقٌ حلو إذا انتظمت أموره ، وامتنعت عنه الأحقاد ، والمعاداة على كل أمر تافه . ولا أذكر أنى تأثرت مرة من حسن عطف ومودة قدر تأثرى عندما نُقِلْتُ من نظارة مدرسة المنصورة ، وجاء تلاميذ لتوديعى ، ووقف باقى الطلبة فى الفناء يحييوننى وأنا فى القطار ، وقد دمعت أعين بعض الطلبة المودعين ولم أكن أتعمد اللين معهم ، ولا التراخى ، حتى أنال عطفهم ! ولم يكتفوا بذلك بل أظهروا وفاء عندما صاروا إلى المدرسة الثانوية بالمنصورة ، وجاء إليهم تلاميذى من مدرسة الزقازيق الثانوية لمباراتهم ، وقد جعلنى وفاؤهم هذا أندم على أنى لم أكن أكثر ليناً فى معاملتهم ، وإن كنت لم أنقطع عن مشاركتهم فى سرورهم ومباسطتهم والعمل على راحتهم ولإنجاحهم ، وتعهد مرضاهم ، والسهر على صحتهم إذ لم تكن شدتى قسوة بل رحمة .

عبد الرحمن شكرى

النبوة ـ الوحى ـ المعجزة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

ـ ٢ ـ

معذرة من طول الفترة بين مقالى الأول — فى هذا الموضوع — ومقالى هذا ؛ فان أعمال الامتحان فى المدارس وشواغل السفر من بغداد إلى القاهرة أمور لا يستقيم معها فكر ولا يصفو فيها خاطر .

كلما فكرت فى صمت الطبيعة المطبق تجاه الإنسان ، وثبات السماء والأرض أمام حواسه ، وعدم اكتراث الأشياء له ، وعدم وجود ثغرة ينحدر منها إلى أفق آخر غير هذه المناظر الماثلة الثابتة .. اعترتنى رهبة من وضع الإنسان هذا الوضع المغلق عليه فيه كل شىء ! وأقامنى الفكر بين العجز والتعب كما يقول المتنبى :

ومن تفكر فى الدنيا ومهجته أقامه الفكر بين العجز والتعب

ولكنى أفرض فى بعض الأحيان أن الإنسان استطاع أن يرقى أسباب السماء بسلم ، وأنه طار كالريح ، وانتقل كالبرق ، وصار الكون كله مَزْوِيًّا بين عينيه . فهل يفيده ذلك شيئاً فى حل شىء ؟ كلا ! فيما أتخيل ... لأن الذى ينتقل من متحف أعاجيب صغير إلى متحف أعاجيب كبير ، لا يزيده ذلك إلا دهشة ورغبة فى معرفة الأسباب !

وهبوا الإنسان حلل كل شىء فى الطبيعة وركبه ... فهل تذهب قدرته تلك من حيرته ودهشته فى إدراك العلاقة بين فكره وبين الأشياء ، وفى إدراكه نفسه وقدرتها ؟ كلا ! فيما أتخيل ... فهو سوف لا يدرك من نفسه إلا أنه آلة خالقة تفعل الأعاجيب . فنحن مهما أدركنا ومهما فعلنا فسنظل حائرين فى معرفة كيف ندرك وكيف نفعل ما نفعل ... ويبقى وجود كل شىء بعد ذلك لغزاً مغلقاً كما هو !! ...

ومن هذا المدخل أدخل إلى بحث « المعجزة الحسية » ، التى هى أعظم عقبة يصطدم بها أكثر الباحثين المتشككين فى طريقهم إلى الإيمان بالنبوة . لأنهم يرون فى إيجادها خرقاً للناموس العام الذى ينتظم الطبيعة ، وخروجاً على سنن اطرادها ؛ ويرون أن الإيمان بالنبوة لا يكون إلا بالإيمان أيضاً بهذا النوع من الأفعال الخارقة لسنة الطبيعة . فيقفون مترددين محجمين عن الإيمان بالنبوة والوحى ، إذ يجدون فى منطقة الإيمان بهما عقبة المعجزات الحسية . فيذهبون إلى تأويل النبوة والوحى بتخريجات لا تتفق مع الإيمان الصحيح ولا مع نصوص القرآن الصريحة ، ولا مع منطق النبى نفسه ؛ ومعنى النبوة التى أدركها هو فى روحه وفكره ، وحدثنا عنها ، ووصفها لنا . فهم يحاولون أن يفهموا الوحى على أنه فيض ذاتى فى النفس الإنسانية ، وحالة إلحاح من فكرة الصلاح والحق على قلوب بعض محبى الإصلاح من البشر بعد إدراك تام للاتجاه العام فى الطبيعة . فيخيل إليهم حين يدركون ذلك أن إرادة رب الحياة معهم ومنطقه فى أفواههم وعقولهم ؛ فيصدعون بالدعوة ، وليس هناك وراء هذا اتصال بينهم وبين الله ولا حديث ولا شىء . وأما الخوارق التى كانوا يجرونها فهى أعمال ناشئة من يقظتهم وإدراكهم علماً من الطبيعة لم يدركه غيرهم . فيستخدمون ذلك فى إقناع الناس .

هذه هى خلاصة مقالة منكرى النبوة فى العصر الحديث . وقد ألمحت فى مقالى الماضى فى بيان النبوة كقانون من قوانين النشأة العقلية والروحية ، وأنها أشبه بالعلاقة بين الأبوة والبنوة فى الترتيب والإرشاد ، وأنه ليس من المعقول أن تمضى الحياة الإنسانية من أول رجل إلى آخر رجل من غير سماع كلمة غير إنسانية مما وراء الطبيعة ، وإلا لزم أن تهدر قيمة الإنسان أمام نفسه لأنه لم يسمع حديثاً من الحياة يحدد له قيمته ومكانه ...

أما المعجزات الحسية فلو لم يحدثنا عنها القرآن حديثه القاطع بوجودها لكان لنا معها موقف آخر . ولكن القرآن المعجز الدائم يحدثنا عن ناقة خرجت من صخرة ، وعصا انقلبت حية ، وطير خرج من طين ، وعن كثير من الآيات بحديث صريح لا يقبل تأويلاً ولا تخريجاً غير ما يحتمله لفظه . ولم يشر القرآن بأى إشارة إلى أن الأنبياء الذين جرت على أيديهم هذه الخوارق كانوا على علم بأسرار ما يفعلون ، بل بالعكس يحدثنا أن موسى خاف وفر وولى مدبراً حين رأى عصاه تنقلب إلى ثعبان مما يدل على أنه ما كان يدرى بسر ما يجرى أمامه

إذاً فقد حبط قولهم إن تلك الخوارق ناشئة من إدراك النبى

سراً من الطبيعة لم يدركه غيره

وينبغى أن نتذكر دائماً أن كل شىء فى الطبيعة معجز ومحير . وأن إضافة شىء إلى الطبيعة من أعمال الإيجاد والخلق فى ظروف استثنائية تقضى الضرورة بإحداث حجة حسية دامغة فيها ، تلك الإضافة لا تزيد عجباً ولا تستحق دهشة أكثر من غيرها من الوجود قبلها

وينبغى أيضاً أن نمنع خيالنا من تصور الله تعالى خاضعاً لطرق صناعتنا . . . فهو لا يحتاج إلى مخابير ومعايير ومنافيخ وآلات ومعامل حتى يخرج شيئاً وإنما المسألة بالنسبة إليه بسيطة هينة . . وقد وهم إبراهيم عليه السلام حين قال له : « رب أرنى كيف تحيى الموتى » إذ أنه ظن أن هناك كيفية وأسلوباً محسوساً لإيجاد الله للأشياء فقال له الله : « أو لم تؤمن ؟ قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى . قال : فخذ أربعة من الطير فصُرْهُنّ إليك (أى اذبحهن) ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعُهُنّ يأتينك سعياً » فلم ير إبراهيم من كيفية الخلق أكثر من هذا . وهو هو نفسه الأسلوب الذى نراه كل يوم وكل ساعة فى وجود الأشياء من نبات وحيوان ، وفى تجدد المادة والقوة والطاقة

فالأمور والأشياء من أولها إلى آخرها معجزات وآيات محيرات . ولو خلقناها بأيدينا لم يذهب ما بنا من حيرة ودهشة كما قدمت فى أول هذا المقال

أقول هذا وأطيل فيه لأبين للذين تصدمهم المعجزات الحسية المنسوبة إلى الرسل السابقين قبل محمد وتصدهم عن الإيمان بالنبوة بمعناها عند جمهور الناس أن أمرها أهون فى التقدير مما يتصورون وأنها لا تستلزم هذه الحيرة والدهشة لأن الله يفعل مثلها فى كل دقيقة ملايين الملايين

ثم إن الله تعالى لم يضع قوانين الخلق ليتقيد بها كالأغلال والأصفاد فلا مانع أن يحطمها فى جزئياتها التى يدركها الناس عن قرب فى ظروف استثنائية حتى لا نتوهم — كما توهم بعض فلاسفة اليونان — أن الله لا يقدر على مخالفة سنن الطبيعة

***

ما قدمناه من الحديث يدور حول علاقة المعجزة بالطبيعة وسننها المطردة وحول علاقتها بالله موجد الطبيعة . ويبقى حديث حول علاقتها بالناس وعقولهم وآثارها فى الدعوة

هل هناك ضرورة قاهرة على إحداث المعجزة ؟

للجواب على هذا ينبغى أن نستحضر صور المجتمع الإنسانى فى عصوره الأولى البدائية الجاهلة المحدودة الإدراك الواقفة عند المحسوسات الغارقة فى الجهالات الموزعة عقليتها بين السحر والمخرقة. كل أمة فى عزلة عن الأخرى لا ترى إلا قطعة محدودة من الأرض وأفقاً ضيقاً من السماء ... ترى ظواهر الطبيعة ولا تستطيع لها تعليلاً، تأكلها الفواجع وتحصدها الأوباء ويستبد بها الكهنة والرؤساء وتسير كقطعان سائمة هائمة فى بيداء الحياة ليس لها علوم وآداب إلا ما هو فى نطاق ضرورة العيش والارتفاق

ثم يفاجئ أحد هذه المجتمعات رجل يحاول أن يحطم كل وثن معبود ويذهب كل شر ويحمل على كل خير ويخلع أمته من ماض وتاريخ وسيرة آباء ويقول — وهنا الهول والدهشة — أنا رسول من الله رب السماء والأرض اختصنى الله من بينكم وألقى على روحاً من أمره وكلمنى ! نعم كلمنى ! وهذا الرجل فى الغالبية المطلقة من الأحيان يكون فقيراً لا مال ولا جاه له مما يفتن العامة ويدعو إلى احترام الخاصة

فمن ذا عساه أن يؤمن مع هذا الرجل من مثل هذا المجتمع المنحط الخاضع لمنطق الطفولة ، الذى لم يدرك الحق بنفسه ؟

أظن أنه لا جدال فى أن من يستجيب سريعاً لهذا الرجل هم العدد الأقل ممن يلبي كلمة الحق لأول سماعه بها ، وهؤلاء حتى فى زماننا زمن العلم والحرية والديمقراطية لا يكادون يبلغون عدداً تصلح معه شئون الأرض ويستقر العمران ويتحقق نمو حركة الفكر والخلق . فلا بد لصلاح الأرض من صلاح جماهير العمال والزراع وهؤلاء هم القطيع الذى يملأ بقاع الأرض ولا يستطيع المصلحون أن يحققوا مثلهم العليا إلا إذا تسلطوا عليه وملكوا قياده، وهؤلاء هم موضع عناية الله ووصاياه لأنهم لا يستطيعون أن يتفرغوا للإدراك كماله وجلاله إذ أنهم مشغولون بالسعى إلى الرزق والضرورات المادية ويخيل إلى أن الله تعالى لاحظ فى وضع النبوات الأولى منطقهم ووجدانهم أكثر من غيرهم من الخواص لأنهم هم جمهور الإنسانية لا تستقيم أمورها إلا بإرضائهم وإصلاحهم أما الفلاسفة والحكماء فقليلون كما قدمنا . ولو راعى الله منطقهم

المعقد وإدراكهم التشعب فأرسل الرسالات بأسلوبهم وحدهم فجاءت كتب الدين ككتبهم إذاً ما استجاب للإيمان غيرهم وهم فى جسم الإنسانية كنسبة شعرة فى جسم فيل

فلا بد أن نفهم هذا لنفهم أنه كان لا بد من وسيلة أخرى غير وسيلة المنطق والعقل لإخضاع جماهير الناس فى تلك الأزمان التى كانت أغلب علومها تدور حول البحث فى قلب أشياء الطبيعة كقلب الرصاص إلى ذهب وجول علوم التخييل كالسحر والسيميا وكيفية شفاء المرض بالتمائم والتعاويذ وتحضير الجن والاستهواء وراء القوى الخفية والتحايل على تزويق الأصنام وإنطاقها وخلع معانى الحياة وحركاتها عليها إمعاناً من الكهنة فى بسط سلطانهم وسعياً من العامة وراء غيبوبة الأحلام وبدوات الأمانى والأوهام

ولا تزال بقايا كبيرة من السحر والشعوذة راسبة فى أذهان الجماهير فى عصرنا هذا « فعيادات » كثير من الدجالين والمشعوذين أحفل بالزائرين من عيادات كثير من الأطباء الذين يعتمدون على العلم والاختبار ، وقبور كثير من المشايخ تقصد للاستشارة والاستخارة أكثر مما تقصد مجالس العقلاء المجربين الذين يعطون الرأى والمشورة التى لا تخطئ . فكيف يهمل الله هذه النزعات الطفلية فى نفوس أكثر القطيع الإنسانى من غير أن يحملهم على الإيمان به من طريق الحس وإقامة الحجة الدامغة — فى رأيهم — حسب ما يقترحون ؟ وإذا علمنا أن الغاية من المعجزة غاية عظيمة بل أعظم غايات الحياة وهى حمل كثير من الناس على الإيمان بالله وإنقاذهم مما يهدر كرامتهم ويسفل بهم إلى أقل من درجة البهائم وهو السجود لصنم واللياذ به وبيع الحرية الفكرية والشخصية . . إذا علمنا ذلك تبين لنا أن المعجزة أمر محتم لتكملة السعى فى سبيل إنقاذ الإنسان وإذا لم يهتم رب الحياة بأمر الفصل بين أكبر الحق فى الحياة وهو الإيمان به وأكبر الباطل فيها وهو الكفر به فمتى يهتم ؟ وما هى غايته من خلقنا إذاً ؟ فلقاصرى الإدراك أن يطلبوا ذلك ممن يتحدث باسمه تعالى حتى تقوم الحجة الحسية أمامهم

عبد المنعم خلاف

(البقية في العدد القادم)



خليــــل مردم بك

وكتابه فى الشاعر الفرزدق

لأســتاذ جليل

- ١ -

العلامة الأستاذ خليل مردم بك (عضو المجمع العلمى العربى) كاتب وشاعر وباحث، وبراعته فى نثره ونظمه وبحثه بينة مستعلنة وأقواله المحكمة المنثورة والمنظومة فى مجلتيه (الرابطة الأدبية والثقافة) وفى (مجلة المجمع العلمى العربى) وغيرها. ومصنفاته: شعراء الشام فى القرن الثالث، والجاحظ، وابن المقفع، وابن العميد، والصاحب بن عباد، والفرزدق، وغيرها، فيها الدليل على فضل (الخليل) وهو مُجَلٍّ فى الأدبين: أدب النفس، وأدب الدرس. ومستول على الملكتين فى الفنين المنظوم والمنثور اللذين «لا تتفق الإجادة فيهما معاً إلا للأقل» كما قال ابن خلدون.

وقد كان هــذا السرىّ المردمىّ الفاطمى قدم الأسكندرية سنة (١٣٤٤) فعرفناه، وشاهدنا من فضله وعلمه ونبله ما شاهدناه. وفى بحرتنا[1] هذه نظم قصيدته (صلاة الشاعر) وقصيدته (البحر) وقد أملاها علىّ متفضلاً. وبدء الصلاة:

هَبَّ للذكر وصفَّ القدما ... ثم ولّى وجهه شطر السما
بات فى حـــيرته مستسلما ... وله دمع على النحر يفيض[2]

لا يغيض

وفى (البحرية) فى البحر يقول:

السما منه استمدت غيثها ... فهو أن يفخر بالجود قمين
أترى أمواجه أنفاســه ... رُددت بين شهيق وأنين
لم تكن إلا كشعب ثائر ... شنها حرباً على (المستعمرين)
جحفل يركب منها جحفلاً ... يتعــادى كجنود زاحفين

وليت شعرى، ليت شعرى ماذا يقول اليوم لو زار الإسكندرية وقد ظهرت عرائس الدأماء[3]، وعم البلاء، وكاد (أبو العيون..) يبخع نفسه مما يرى ويسمع، أو ينقلب مثل المجنون

إنه «أعنى الخليل» ليقول عجباً، وينشئ صاحب القصيدة المرقصة (الرقص) للأدباء المتفتين الشياطين اللاعين — طرباً[1]

اللهم، إن فى السِّيف فى الصيف فى هــذه البحرة لفتنة! فاحفظ - يارب العالمين - عبيدك وإماءك الصالحين والصالحات، وأظهر اللهم عبديك المجاهدين: شيخ المدينة (حامداً[2]) والشيخ محموداً أبو العيون[3] على الفاتنين والفاتنات؛ إنك القوى القادر، ولا حول ولا قوة إلا بالله

أقام الأستاذ المردمى، هــذا الأدب الجم والفضل المحسم فى الإسكندرية برهة، وزمن لقائه هو الذى عُدّ من العمر. ثم عاد إلى داره، دار الإسلام دمشق

-فى دمشقَ الشامِ غيثُ مُمرِعُ[4] ... من مستهلٍّ ديمـــة دفاقها

مدينة ليس يُضاهى حسنها ... فى سائر الدنيا ولا آفاقها
فأرضها مثل السماء بهجة ... وزهرها كالزهر فى إشراقها[5]
نسيم ريّا روضها متى سرى ... فك أخا الهموم من وثاقها
لا تسأم العيون والأنوف من ... رؤيتها يوماً ولا انتشاقها

وإن كان (أبو عدنان) لم يبرح يقول:

يا ساكنى مصر، فيكم ساكن الشام

يكابد الشوق من عام إلى عام!!

فالقوم لم يزالوا يرددون فى كل وقت بيتى مهيار

دمشق، إن فى دمشق شموس فضل وأدب، أضواؤها مشمة وباهرة، يرأها الناظرون من الشرق الأنأى والمغرب الأقصى

هذه مقدمة أمام القول فى كتاب الأستاذ المردمىّ الذى أتحف الناس به فى هذه الأيام، وهو فى الشاعر الإسلامى العظيم (الفرزدق) همّام بن غالب

* * *

جاء فى كتاب (الفرزدق): «قال الجاحظ: كان الفرزدق

---

(١) البحرة: المدينة، يقولون: هذه بحرتنا أي أرضنا او بلدتنا (الفائق)

(٢) أسلم لأمر الله وسلم - بالتشديد - واستسلم (الأساس)

(٣) الدأماء: البحر، عروسة البحر: ضرب من السمك ...

---

(١) من ابن الحريرى: «فقال لقد عاينت عجباً، وسمعت ما أنشأ لى طرباً» فى المقامة المنسوبة الى بلدتنا: الاسكندرية وقد ذكر فيها الفرزدق والنوار: «غشيتنى ندامة الفرزدق حين أبان النوار»

(٢) هو صديقنا وشيخ بلدنا الأستاذ حامد الشواربى باشا الكريم العربي القح ابن الكرام العرب

(٣) قرئ: تبت يدا أبو لهب. قال الكشاف: «كما قيل على بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يغير منه شئ فيشكل على السامع» والشيخ أبو العيون هو شيخ علماء الاسكندرية وحرب السابحين والسابحات

(٤) الشعر للسبع بن خلف الأسدي. دفاق على وزن دعاء: المطر الواسع الكثير، وكشداد للمبالغة

(٥) كالزهر: كالنجوم الزهر أى النيرة المتلألئة

راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم . وقال ابن قتيبة : كان الفرزدق مِعَنّا مِفَنّا[١] »

وقد بيّن الأستاذ أفانين أبي فراس في القول في (كتابه) ومن فنونه في شؤونه ما أورده في سيرته : « ذكر لنا الرواة أن غالبا أبا الفرزدق دخل على عليّ بالبصرة ، ومعه ابنه الفرزدق بعد عام الجمل ، فقال : إن ابنى هذا من شعراء مضر ، فاسمع منه فقال عليّ : علمه القرآن فهو خير له ، فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه في وقت ، وآلى ألا يحل قيده حتى يحفظ القرآن »

وهذه سنة صالحة سنها (همّام) وقد استن بها الأديب الشاعر الوشاح أبو بكر محمد بن أحمد الأنصارى المعروف بالأبيض[٢] جاء في (نفح الطيب) : « سئل الأبيض عن لغة فعجز عنها بمحضر من خجل منه فأقسم أن يقيد رجليه بقيد حديد ، ولا ينزعه حتى يحفظ (الغريب المصنّف[٣]) ؛ فاتفق أن دخلت عليه أمه في تلك الحال فارتاعت فقال :

ريعت عجوزى أن رأتنى لابسا حلق الحديد ومثل ذاك يروع !

قالت : جننتَ ؟ ! فقلت : بل هى همة

هى عنصر العلياء والينبوع !

سنّ الفرزدق سنة فتبعتها إنى لما سن الكرام تبيع

وإن أدباء هذا العصر جلهم أو كلهم لمحقوقون أن يتبعوا السنة الفرزدقية فيقيدوا أنفسهم طوعاً أو يقيدوا قسراً حتى يحفظوا ما يجب حفظه ...

وكان الفرزدق على جفائه ذا دعابة ونكتة وجواب حاضر – كما يقول الأستاذ – روى له في الكتاب هذه النكتة : « مرّ الفرزدق يوماً بمجلس بنى حرام فقال له عنبسة مولى عثمان بن عفان : يا أبا فراس ، متى تذهب إلى الآخرة ؟

قال : وما حاجتك إلى ذاك يا أخى ؟

قال : أكتب معك إلى أبى ...

(١) بعن مفن : مريض – بتشديد الراء – ذو فنون (الأساس) المعن الذى يعارض كل شىء يستقبله (الفائق)

(٢) فى النفح : كان شاعراً وشاحا . هجا الزبير أمير قرطبة فأمر باحضاره وقرعه وقال له : ما دعاك إلى هذا ؟ قال : إنى لم أر أحق بالهجو منك ، ولو علمت ما أنت عليه من المخازى لهجوت نفسك إنصافا ولم تكلها إلى أحد ... فلما سمع الزبير ذلك قامت قيامته ...

(٣) الغريب المصنف، كتاب فى اللغة وهو لأبى عبيد القاسم بن سلام – كما ذكر ابن خلكان والسيوطى فى المزهر – وقد نسبه صاحب كشف الظنون إلى أبى عمرو إسحق بن مرار الشيبانى

قال : أما أذهب إلى حيث أبوك فى النار ؟ أكتب إليه مع ريالويه واصطفانوس »

« أما هوى الفرزدق السياسى فشعره يدل على أنه مع بنى أمية ولكن الواقع أنه مع القول الغالب من قريش » ثم يقول الأستاذ بعد أن أوضح ذلك : « ولعل أدنى الآراء إلى الصواب أن نقول : إن الفرزدق يقول بالعصبية العربية وبالمضرية على القحطانية »

وقد ردّ الأستاذ المردمى قولاً أشار إليه بعض من كتب سيرة الفرزدق ، معتمداً – إن كان من أهل العصر – على (المرتضى علىّ بن الطاهر) فى أماليه . وقد أملى الرجل كما أحب وهوى .

وبحث الأستاذ عن أبيات الحزين الكنانى التى اختلطت بأبيات نُسبت إلى الفرزدق يمدح بها (الإمام علياً الأصغر[١]) أحد الأئمة عند إخواننا الإمامية فى خبر ظنى أنه مصوغ[٢] . وجبنُ الفرزدق[٣] المعلوم لا يحققه . وهل شرد الكميت طويلاً إلا مثل هذا ؟

وأبيات الحزين هى فى عبدالله بن عبد الملك – كما قال الأستاذ وروى عن الأغانى – وقد أخطأ صاحب (العقد) فى قوله إنها قيلت فى بعض خلفاء بنى أمية . ويؤيد قول الأستاذ وأبى الفرج فيمن قيلت فيه ما جاء فى (معجم الشعراء) للامام المرزبانى : « كان الحزين شاعراً محسناً متمكناً ، وهو القائل فى عبد الله ابن عبد الملك ووفد إليه إلى مصر وهو واليها يمدحه فى أبيات » أورد منها المرزبانى أربعة وأبو تمام ستة منسوبة إلى الحزين الليثى ، وهو الكنانى هذا ، واسمه عمرو بن عبد وهيب . وقد أخطأ ناسخ الحماسة فى كتابته أنها قيلت فى غير من قيلت فيه كما أخطأ التبريزى فى شرحه فى قوله : « ويقال إنها للفرزدق » . وهذا ما اختاره منها أبو تمام :

(١) فى (نزهة الجليس) للعباس بن على المكى الحسينى الموسوي : علىّ بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام ويقال له : على الأصغر ، وليس للحسين عليه السلام عقب إلا منه ، وهو أحد الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام »

(٢) وقد تنوق الصوائغ فيما صاغ ؛ ففى (الأغانى) : حج الفرزدق بعد ما كبر وقد أتت له سبعون سنة ، وكان هشام بن عبد الملك قد حج فى ذلك العام فرأى على بن الحسين فى غمار الناس فى الطواف ، فقال : من هذا الشاب الذى تبرق أسرة وجهه كأنه مرآة صينية تتراءى فيها عذارى الحى ، فقالوا : هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب صلوات الله عليهم ، فقال الفرزدق : (هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ، الأبيات)

(٣) فى كتاب (الفرزدق) للأستاذ المردمى : وكان (الفرزدق) على تبجحه بتفليق الجماجم وحز الغلاصم من أجبن خلق الله

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم[1]

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

يكاد يُمسكه عرفانَ راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم[2]

أىّ القبائل ليست فى رقابهم ... لأولية هـذا أوله — نِعَم

بكفه خيزران ، ريحها عبِق ... من كف أروع فى عرنينه شمم

يُغضِى حياء ويُغضَى من مهابته ... فما يُكلم إلا حين يبتسم[3]

يقول كتاب الأستاذ فى الفرزدق : « كان الفرزدق فاسقاً ماجناً خليعاً يشرب الخمر إن وجد إليها سبيلاً » نزل على الأخطل ذات يوم فقال له : أنتم معشر الحنيفية لا ترون أن تشربوا من شرابنا ... فقال الفرزدق :

خفّضْ عليك قليلاً ... وهات لى من شرابك

ويقول الأستاذ : « لكنه مع ذلك كان حسن الإيمان بالله يقيم الصلوات ، ويعجبه من قومه أن يتدارسو القرآن ويكثروا من تلاوته ، يقر بذنوبه ويستغفر الله لها ، ويخشى عذاب الآخرة

(١) الحل خارج المواقيت من البلاد والحرم ما بين المواقيت المعروفة وإنما أراد أهل الحل والحرم (التبريزى)

(٢) انتصب عرفان على أنه مفعول له أى يكاد يمسكه ركن الحطيم لأجل عرف راحته (التبريزى)

(٣) لم يقل أحد فى الهيبة أحسن منه (ابن قتيبة)

ويهجر إبليس الذى يزين له المعاصي ويطغيه . قال المبرد فى الكامل : التقى الحسن البصرى والفرزدق فى جنازة فقال الفرزدق للحسن : أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون اجتمع فى هذه الجنازة خير الناس وشر الناس . فقال الحسن : كلا! لستُ بخيرهم ولستَ بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله وخمس نجائب لا يُدركن — يعنى الصلوات الخمس — وقال : كان الفرزدق يخرج من منزله ، فيرى بنى تميم والمصاحف فى حجورهم ؛ فيسر بذلك ويجذل به . ويقول : إيه فدًى لكم أبى وأمى ! كذا والله كان آباؤكم . وقال : والفرزدق يقول فى آخر عمره حين تعلق بأستار الكعبة وعاهد الله ألا يكذب ولا يشتم مسلماً :

ألم ترنى عاهدت ربى وإننى ... لَبين رتاج قائماً ومقام

على حلفة لا أشتم الدهر مسلماً ... ولا خارجاً من فىّ زور كلام[1]

« الاسكندرية » (***)

(١) من أبيات (الكتاب) قال الشنتمرى : الشاهد فيه قوله ولا خارجا ونصبه لوقوعه موقع المصدر الموضوع موضع الفعل على مذهب سيبويه ، والتقدير عاهدت ربى لا يخرج من فى زور كلام خروجا . ويجوز أن يكون قوله ولا خارجا منصوبا على الحال والمعنى عاهدت ربى غير شاتم ولا خارج أى عاهدته صادقا . وهذا على مذهب عيسى بن عمر ، وقد ذكره سيبويه عنه ، ولا شاهد فيه على هذا التقدير

مشكلة البحر الأبيض المتوسط

مصالح بريطانيا وفرنسا فيه (*)

تلخيص مقال للسر ارشيبالد سنكلير

زعيم حزب الأحرار بمجلس العموم

نجتاز الآن مرحلة جديدة من مراحل النزاع الأبدى بين القانون والقوة ، فهذه هى الدول الدكتاتورية التى لا تعترف بغير حق الأقوى ، وتسخر من إيماننا بنظام دولى قائم على احترام استقلال الشعوب ، وترفض كل مفاوضة مخلصة حبية لتسوية المشاكل الدولية ، مفضلة عليها فرض إرادتها بالتهديد ، وهذه هى الدول الديمقراطية ، دول الماجنا كارتا وإعلان حقوق الإنسان التى يسود فيها الاعتقاد بأن للدول - كالأفراد - حقوقاً متساوية فى الحرية ، بغض النظر عن درجة قوتها ، وبأن السلام قائم على احترام القانون ، وأن الوسيلة الوحيدة للعمل على احترامه هى مقاومة العدوان .

وتقوم منذ سنوات علاقات متوترة أقرب إلى الحرب منها إلى السلام بين هاتين المجموعتين من الدول ، فنحن فى حالة حرب من الوجهة العملية فى شئون الرأى والمال والاقتصاد والصناعة ، والدعاية ، وقد زادت أخيراً هـذه الحالة سوءاً ، فاستغلت الدول الدكتاتورية غفلة حكوماتنا وترددها ، فلم تتوان عن اللجوء إلى العنف عند ما أحست بالقدرة على استعماله ، فاستطاعت بذلك أن تستولى فى أوربا الوسطى وأسبانيا على مراكز ذات أهمية عظمى لها من الوجهة الحربية والاقتصادية .

ومن الضرورى ، لنتجنب اليوم الذى نخير فيه بين الخضوع للمعتدين وتعجيل النكبة العالمية ، أن نكون جبهة عامة من الشعوب التى تفضل القانون على العدوان ، ويجب أن نكونها قوية لتستطيع تحويل هتلر الذى يبقى بعد دكتاتور ألمانيا وحدها ، بل إيطاليا كذلك ، عن المنحدر الذى يجذب العالم نحو الحرب

مساهمة بريطانيا فى الدفاع عن السلام

يعلم الناس مساهمة بريطانيا فى تدعيم السلام ، وهذه المساهمة ذات وجهين ، العسكرية والسياسية ، ويمكن أن تعتبر أسبق الدول فى الحالتين

فقد قمنا فى الناحية العسكرية بما لم نفعله قط فى تاريخنا من قبل : لقد أدخلنا نظام التجنيد وقت السلم ، ويجدر بي أن أسوق كلمة موجزة فى هذا الموضوع الذى كان محلاً لتعليقات عديدة فى فرنسا، لست أقول إننا فعلنا هذا عن طيب خاطر ، ولـكن نفورنا لم ينشأ عن أنانية أو جهل قد يصل إلى مرتبة الغباء ، فإن الرجال فى انجلترا كما يجب أن تعرفوا ، قد جاءوا وما زالوا ، ليجودوا بأنفسهم بكثرة ، ولقد بلغ عدد من قيد اسمه فى البحرية أو الطيران أو الجيش ستة آلاف إلى ثمانية آلاف فى اليوم ، والتفسير العميق لهذا أن التجنيد فى وقت السلم ضد تقليد ذى وجهين ، حربى وأدبى ، دام منذ مئات السنين ، وليس من الهين أن نتحرر بسهولة من هيمنة القرون النفسانية . أما التقليد الأدبى فهو مذهب التطوع السارى فى جميع النواحى ، فانظروا مثلاً إلى مستشفياتنا التى تعيش بفضل جود الأفراد . وأما التقليد الحربى ، فلأننا من سكان الجزائر قد اعتدنا أن نعتبر أن حماة أرض الوطن هم بحارتنا لا جنودنا . وأرجو أن تقدروا فيما عدا الذين سيعملون فى دفاع الطيران أن مجندينا سيحاربون فى بلاد أجنبية وفى مناطق بعيدة فى بعض الأحيان ، وأن رجل الشارع لا يرى دائماً كيف ولماذا تكون هذه المناطق الأجنبية مرتبطة بطريق غير مباشر بسلامة ونجاح الجزر البريطانية . فإذا ثبت فى الأذهان هذه الاعتبارات النفسانية فهمتم ووافقتم على أن اعتناق مبدأ التجنيد هو انقلاب حقيقى عند الإنجليز ، وأن سبباً واحداً استطاع أن يخرجنا عن مقتنا التقليدى للتجنيد : هو الرغبة فى ألا ندع أدنى شك يتسرب إلى أصغر بقعة فى أوربا عن إرادتنا فى تقـديم أكبر ما يمكن فى المساهمة التى نستطيعها .

وليست مساهمتنا فى الميدان السياسى بأقل انقلاباً من المساهمة العسكرية . ففى إعطائنا الضمانات لدول مختلفة فى شرق أوروبا ارتبطت انجلترا بالقارة كما لم تفعل من قبل هذه الضمانات التى تخص غير بولونيا رومانيا واليونان وتركيا ، وهذه تسوقنى إلى الكلام على مشكلة البحر الأبيض :

(*) عن مجلة السياسة الخارجية الفرنسية

شرق البحر الأبيض

من الجلي أن الضمانات التي أعطيناها دول البلقان تجبرنا على الاحتفاظ بالسيادة البحرية التي للتحالف الفرنسي الإنجليزي في البحر الأبيض ، ومن العبث أن نبين تفوق أسطول هذا الحلف الساحق على أي عدو في كل ما يختص بالسفن ؛ ولكن هناك، وهذا صحيح، تهديد الطيارات والغواصات، وهو ما يجدر بنا أن نحسب حسابه ، ولكني أظن أنه قد بولغ كثيراً في تقدير هذا الخطر . ولعلكم تذكرون ما حدث في شتاء العام الماضي عند ظهور غواصات قراصنة من جنسيات مجهولة في البحر الأبيض فإنها لم تلبث بعد إعطاء السلطات الفرنسية والإنجليزية أوامرها إلى وحداتها بمهاجمة وإغراق كل غواصة تقابلها على بعض طرق المواصلات البحرية حتى اختفت بفعل السحر ، مما يدل على أنه توجد أميرالية في أوربا تشاركنا يقيننا في قوة وسائلنا الدفاعية الفعالة ضد غارة الغواصات

ومن المفهوم أن هذه الثقة المطلقة في تفوق الأسطول الفرنسي الإنجليزي في البحر تقوم على أمرين أساسيين : الأول هو التعاون الصادق التام بين القيادتين ، والثاني هو الاستحواذ على قواعد عظيمة القوة . ومن هنا كانت هذه الأهمية ذات الدرجة الأولى للمسألة المعقدة في علاقاتنا بمصر وتركيا واليونان في الشرق ، وبفرنسا وإيطاليا في الوسط ، ثم علاقاتنا المشتركة في الغرب ، والتعهدات التي التزمنا بها أخيراً في البلقان تنسجم مع تعهداتنا التي تربطنا بمصر ومع ضرورة تأمين حرية المواصلات الامبراطورية في قنال السويس

هذه الالتزامات والمصالح التي لا تحتاج إلى التنويه بأهميتها تفسر الاهتمام الذي يبديه الرأي العام الإنجليزي في مراقبة تزايد القوات الإيطالية في ليبيا ، كما تفسر قرار الحكومة الخاص بتكوين احتياطي جديد في الشرق الأدنى والأوسط ، والقواعد الفرنسية في تولون وأجاكيو وبيزرته وأوران والجزائر لا تقل شأناً في خدمة القضية المشتركة عن القواعد الإنجليزية في شرق البحر الأبيض ، كما أنه لا يخفى أن تفوق الأسطول الفرنسي الذي لا يمكن إنكاره في أفريقيا الشمالية هو من أكبر الضمانات الأكيدة التي يمكن أن يرجوها الإنسان في تدعيم السلام في البحر الأبيض

غرب البحر الأبيض

ولنأت الآن إلى غرب البحر الأبيض ، فبريطانيا العظمى تعلق أكبر أهمية على تحالفها التقليدي مع البرتغال . هذا التحالف المكين المؤسس على المصالح المشتركة والذي حافظت عليه الأمتان بإخلاص وصدق منذ ثلاثة قرون بغير أن يمس شيئاً من كبريائهما واستقلالها الشرعي

وعلينا أن نكسب صداقة الأسبان وحيادها في حالة الحرب إذا أمكننا . ولقد كنت من جهتي أحد الدعاة المخلصين لعدم التدخل في شئون أسبانيا الداخلية كما هو حالنا مع أية دولة أخرى . ويبدو لي من المحزن - لهذا السبب نفسه - أن ظنت الحكومتان الانجليزية والفرنسية أنه من الواجب ترك الحكومتين الألمانية والإيطالية تؤثران في مستقبل الحرب الأهلية الأسبانية ، ويكاد هذا الضعف الجنوني يكلفنا غالياً

من العبث أن نضيع الوقت في الأسف على أخطاء الماضي ، وفي عدم الاعتراف بأن الجنرال فرانكو هو سيد أسبانيا اليوم ، ولكن هذا يجب ألا ينسينا أن ألمانيا قد ضمنت مراكز اقتصادية وحربية هامة ، وأن بواخر الأسطولين الألماني والطلياني تغشى موانی أسبانيا

ولا أراني في حاجة إلى القول بأنه لا يوجد في انجلترا شخص واحد لا يريد العيش في صداقة وسلام مع إيطاليا ، وإننا مستعدون للاعتراف لإيطاليا بمصلحتها بالاشتراك مع فرنسا وانجلترا في نظام البحر الأبيض وحرية المرور لتجارتها فيه ، ولكننا لا نستطيع مع ذلك ألا نلاحظ أن جميع مساعينا في تسكين إيطاليا لم تفد إلا في تحريض هذه الحكومة على ارتكاب أعمال شديدة الخطورة على السلام

وكما أبان إيدن في خطبة استقالته في البرلمان ، قد صحب اتفاق الجنتلمان في أول يناير سنة ١٩٣٧ إرسال أول نجدة هامة من الجنود الإيطالية إلى أسبانيا ، وأن إمضاء اتفاق ١٦ أبريل

سنة ١٩٣٩ تبعه ازدياد إلقاء القنابل المدمرة من الطيارات الإيطالية التي تعمل مع فرانكو ، وأن التصديق على هذا الاتفاق قد تبعه تضاعف عدد الجنود العاملة في الجيش الايطالي في ليبيا

وتدل جميع هذه الوقائع على أن سياسة التسكين لم يكن لها من أثر إلا إهاجة شهوة موسوليني وإضعاف مراكزنا في البحر الأبيض المتوسط

كما أن وجود القوات الإيطالية في ألبانيا قد يسبب تهديداً ضد أمن وسلام البحر الأبيض أكثر خطراً من هـذه القوات في أسبانيا ، فعددها مائة ألف على الأقل مزودة بالدبابات والطيارات ولا تبعد عن سالونيك إلا بمائة وخمسين كيلو متراً ، وخطر هذا التهديد هو الذي ألجأنا إلى إضافة ضمان اليونان إلى ضمان رومانيا واتفاقيتنا مع تركيا

وهناك دولة كبيرة يهمها مباشرة استقرار الأمر في شرق أوربا وجنوبها الشرق ، وهي على استعداد لتضع تحت تصرفنا موارد لا نعرف في الواقع معلومات دقيقة عنها ، ولكنها مع ذلك محل تقدير لا يمكن إنكاره ، وموقعها يسمح بالتدخل عند الحاجة ، سواء في الأرض أو في البحر ، أسرع من فرنسا أو بريطانيا ، وهذه الدولة هي روسيا .

وإنني أوافق من جهتي مستر تشمبرلين عندما قال إن النظام الداخلي في ألمانيا أو إيطاليا يجب ألا يؤثر على سياستنا الخارجية . فكذلك يجب تطبيق هذه القاعدة الحكيمة مع روسيا . فإذا أحبت إيطاليا أو ألمانيا أو روسيا نظامها الحالي ، فليس لنا أن نحاول أن نفرض عليها نظاماً غيره ، وإنما الأمر الوحيد الذي يعنينا هو سياسة هذه الدول الخارجية ، وإذا كنت قد نهضت لمقاومة حركات ألمانيا أو إيطاليا فلأن هذه أو تلك تحاول فرض طغيانها على غيرها من البلاد ، وهذه هي مساعدة روسيا تحت تصرفنا ، وهي لا بد منها إذا أردنا أن نضع حداً للاعتداء بدون أن نلجأ إلى الحرب .

وقد تساءلوا في باريس ولوندرة أخيراً عما إذا كان من اللازم أن نطلب إلى الفرنسيين أو الإنجليز أن يموتوا في سبيل دانزيج ؟ يبدو أن الجواب الظاهر « كلا » ! ولكن إذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن أن نظن أن البولونيين قبلوا أن يموتوا في سبيل باريس أو لوندرة ، أو يقبل الفرنسيون أن يموتوا في سبيل جبل طارق ، أو يموت الإنجليز في سبيل تونس ؟ فالمهم تخطى ستار الجدل الخادع الذي يقف عند حد هذا الأمر الذي لا أهمية له في ذاته ، أو عند معرفة لمن تكون هذه المدينة أو هذه الولاية لتقدير حقائق هذه الأمور الصحيحة . فإن الأمر أكبر اتساعاً وعمقاً من هذه الحدود .

ولقد سرني أن أعدت منذ أيام قراءة خطبة بريكليس في شعب أتينا في موضوع اقتراحات كان الإسبارطيون قد عرضوها عليه ، وأحد هذه الاقتراحات خاص بقانون أتينا حظر على بواخر ميجارا دخول موانى أتينا ، ولا بد أن أحداً سأل عما إذا كان يستأهل مثل هذا الأمر التافه الموت في سبيله ، فكان جوابه :

« أكرر لكم أيها الأثينيون أن انزعوا هذا الوهم بأنكم قد تدخلون الحرب في سبيل أمر تافه ، فإن تفاهة الأمر الذي نحن بصدده لا تقل عن امتحان يقينكم ، فلو تخليتم عن هذه النقطة ، فسيسألونكم فوراً أن تتخلوا عن غيرها ، لأنكم قد خفتم .

وسواء أكان المطلوب جليلاً أم لا فإنه إذا سعى شخص إلى نيله من جاره بالقوة أو بالتهديد بالقوة لا بالاتفاق الودي ، فإن الأمر في الواقع يكون هل سنصبح أحراراً أم عبيداً »

وأقول لكم بالمثل : « لنعمل على منوال يفهم منه مواطنونا والشعبان الإيطالي والألماني أننا لن ندخل الحرب مطلقاً من أجل أمر تافه ولكن يجب أن نكون مستعدين إلى أقصى درجة لقبول امتحان يقيننا ، ولمقاومة التهديد والقوة وإنقاذ هذه القيم الأخلاقية التي تكوّن ثروة مدنيتنا والتي تعرف باسم التسامح والحرية والعدل »

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



اختلفت الآراء فى هذه المؤامرة الجركسية من حيث تدبيرها ومن هذه الآراء ما يذكره مستر بلنت فى كتابه حيث يعزوها إلى الخديو إسماعيل ، الذى وكل بها رجلاً عرف بعداوته القاسية للحركة الوطنية ووجوهها يدعى راتب باشا . وكان إسماعيل يطمع أن يصل بهذه المؤامرة إلى العودة إلى عرشه للقضاء على القلاقل والفتن المزعومة التى عجز توفيق عن القضاء عليها كل العجز ؛ وكان يمنى نفسه بأن توافق انجلترة على ذلك فتقنع تركيا به أو تجبرها عليه

ويؤكد مستر بلنت هذا الرأى قائلاً إنه عرفه من جملة مصادر منها إبراهيم بك المويلحى سكرتير إسماعيل ؛ ولقد أيد الشيخ محمد عبده هذا الرأى بما جاء فى خطابه إلى بلنت عن هذه المؤامرة قال : « هـذا ، وبخصوص المؤامرة الجركسية لاغتيال عرابى أخبركم أنها ليست بذات خطر فإن الخديو إسماعيل قد مضت عليه مدة طويلة وهو يضع الألغام لكى يدمر حكومتنا وهو يعتقد أن هذا العمل يرجعه إلى مصر »

ولقد بدأت المؤامرة بتذمر الضباط الجراكسة فى الجيش مما اتخذه وزير الحربية الجديد أحمد عرابى باشا من إجراءات الترقية ، زاعمين أنها إجراءات ظالمة تنطوى على الكيد لهم والانتقام منهم ، لا عن جريرة ارتكبوها ، ولكن لأنهم ليسوا مصريين ...

والذى يقف على أساليب السياسة الإنجليزية الماكرة فى تعكير كل جو ترى مصلحتها فى تعكيره لا يستبعد أن يكون للانجليز الذين كانوا يقيمون فى مصر يومئذ أثر كبير فى الإيحاء إلى هؤلاء الجراكسة بهذه الآراء لكى تشيع فيهم الفتنة ثم تجاوزهم إلى المصريين فلا تصيب الذين ظلموا خاصة

ومما يحملنا نميل إلى الاعتقاد فى صحة هذا الذى نقول فضلاً عما نشير إليه من سوابق السياسة الإنجليزية ما رمى به الوزارة الوطنية الإنجليز على ألسنة صحفهم ومندوبيهم فى مصر من التهم وبخاصة ما ذكروه من الإفك حول الجيش وسيطرته على كل شىء

والواقع أنه لم يكن فيما فعل عرابى إلا ما يقتضيه تطبيق القوانين العسكرية الجديدة التى وافقت الحكومة السالفة عليها ، فإن تلك القوانين تنص على وجوب إحالة المرضى والذين بلغوا سناً معينة على الاستيداع . ولقد دافعت الوزارة عن عملها بهذا ولكن الخراصين المناوئين لم يحملوا هذا العمل إلا على الكيد والانتقام ...

وإذا نحن جارينا هؤلاء الكائدين لمصر وحركتها فيما زعموه من أن الوزارة متهمة فلا تصدق فيما تقول دفاعاً عن عملها ، فإن فيما كتبه الشيخ محمد عبده إلى صديقه مستر بلنت فى خطابه السالف ذكره لأقوى دليل على براءة عرابى والوزارة السامية مما اتهمت به ، وذلك لأن الإمام رحمه الله كان رجل صدق وفطنة فلا يقول إلا ما يعتقده عن تحر وتمحيص قال : « أما عن ترقية الموظفين التى تلغط فيها الصحف الأوربية فاسمحوا لى بأن أوضح الحقائق فأقول : أولاً إن هذه الترقيات لم تعمل بناء على أمر

عرابى باشا وحده ، ولم تكن بمثابة الرشوة للضباط لاكتساب عطفهم نحو عرابى . كلا فالواقع أن هذه الترقيات عملت بناء على القانون الحربى الجديد الذى يأمر بإحالة الضباط الذين يبلغون سناً معينة أو يمرضون ويصابون بعاهة على المعاش ؛ وقد نفذ هذا القانون فى عهد شريف باشا ، وأحيل على المعاش ثمانية وخمسون وخمسمائة ضابط ثم أرسل ستة وتسعون إلى حدود الحبشة وزيلع وأماكن أخرى ، بينما قد أخرج من الجيش نحو مائة ضابط توظفوا فى الوظائف المدنية . فعدد جميع هؤلاء أربعة وخمسون وسبعمائة ضابط ، فكان إذاً من الطبيعى أن تحصل ترقيات لملء الوظائف الخالية . ولا يزال فى الجيش خمسون وظيفة قد حفظت لخريجى المدرسة الحربية »

هذا ما ذكره الشيخ محمد عبده ، ومنه يتبين الحق فى هذه المسألة . على أننا لو فرضنا أن عرابيا قد آثر المصريين بالترقيات وتخطى بذلك الجراكسة فى الجيش ، فلن يكون فيما نرى حتى فى هذا العمل مخطئاً ، فحسب هؤلاء الجراكسة ما نالوه من حظوة طوال العهود السابقة وبخاصة فى عهد رفقى ، وذلك على ما كانوا يضمرونه من حقد وكراهة لمصر والمصريين ، وحسب المصريين وهم أبناء البلاد الذين تجبى منهم الضرائب ما ذاقوا من هوان ومذلة على يد هؤلاء السادة الذين استنزفوا دماءهم ، واتخذوا منهم عبيداً وإماء .

وماذا كان ينتظر من عرابى غير أن يطبق القانون وهذا أقل ما يفعله رجل هو زعيم ثورة كان هذا القانون ثمرة من ثمارها ؟ ماذا كان ينتظر من ذلك الذى ظل طول عمره ناقماً على الجراكسة فى الجيش ، فلم يكف عن الشغب عليهم وهو لم يزل بعد جاويشاً لا حول له ولا قوة ، ولم ين عن مقاومتهم ومصاولتهم فى كل خطوة خطاها فى سلك الجيش حتى انتهت إليه زعامته ؟

أجل ، ماذا كان ينتظر من ذلك الرجل ، وما كان حقده على هؤلاء فى يوم ما صادرا عن أنانية أو عن صغار ، وإنما كان مبعثه ما يحس فى أعماق نفسه من حماسة وطنية ، وغيرة قومية هما فى مقدمة ما يتصف به ذوو الكرامة والعزة من الرجال .

ومهما يكن من الأمر فما كان عمل عرابى فى أى صورة له مما يقابل بالقتل ! ولا كان تقديم المتآمرين إلى المحاكمة مما يستأهل ذلك السباب الذى راحت تنبح به جوقات الاستعمار ؛ وهل نسى هؤلاء أن عرابياً وصاحبيه قد ألقى عليهم القبض من قبل لمجرد أنهم تقدموا ليرفعوا شكواهم إلى أولى الأمر مما كانوا يحسونه من إجحاف بحقوقهم ؟ وكيف لا يستحى دعاة الاستعمار أن يلوموا ذلك الرجل بالأمس ويتهموه بالفوضى لأنه شكا أمره إلى رؤسائه حتى إذا ألقى عليه القبض عدوا ذلك من الحكومة عين الصواب ثم يعودون اليوم فينددون به ويستصرخ عليه بعضهم بعضاً لأنه يقدم إلى المحاكمة فريقاً يتآمرون على قتله ؟!

عول المتذمرون من الضباط على قتل عرابى وأصحابه من كبار رجال الحركة الوطنية ، وقد عمل الدساسون من عصابة راتب على دفعهم فى هذه السبيل الوعرة وزينوا لهم الفعلة وهونوا شأنها فى قلوبهم ، ولكن ضابطاً جركسياً يدعى راشد أنور أفندى فوت على المتآمرين قصدهم إذ كان قد خالفهم لأمر ما فبادر إلى عرابى وأفضى إليه بما يعلم ...

وفى اليوم الثانى عشر من إبريل عام ١٨٨٢ قبض على تسعة عشر ضابطاً وسيقوا إلى المجلس العسكرى ، وبعد ذلك بعشرة أيام بلغ عدد المقبوض عليهم ثمانية وأربعين ، وكان من بينهم عثمان رفقى باشا نفسه ؛ وقضى المجلس بإدانة أربعين رجلاً منهم رفقى هذا فحكم بتجريدهم جميعاً من ألقابهم ونفيهم إلى أعالى النيل الأبيض فى ربوع السودان

واتت الفرصة كلفن وماليت وهيهات أن تواتى الإنجليز فرصة فيضيعوها ؛ لذلك ما كان أسرعهم إلى استغلال الحادث فبدأوا أولاً يذكرون التعصب الأعمى ثم انتقلوا إلى الفوضى الحكومية واعتبروا ترقية الوطنيين مظهراً من مظاهر الرشوة التى أريد بها التأثير فى رجال الجيش كى يكونوا على استعداد عند أول صيحة ؛ ثم رأوا فى محاكمة الجراكسة مظهراً من مظاهر الظلم والاستبداد الغاشم قائلين فى منطق عجيب إن المؤامرة وهمية لم توجد إلا فى رأس عرابى ، وإن الغرض منها لم يكن سوى التخلص من الجراكسة بأية وسيلة ، وإن المحكمة العسكرية التى فصلت فى الأمر كانت جلساتها سرية فكانت تعمل بما يشير عرابى ، لذلك جاء حكمها فى منتهى القسوة بحيث لا يقل عن الإعدام . ولم يكفهم ذلك فبلغ من جرأتهم وإيغالهم فى القحة أن ادعوا أن عرابياً كان يذهب إلى السجن فيعذب هؤلاء الجراكسة أيام المحاكمة ويشفى غليل نفسه بمنظر ذلهم وخضوعهم !

ولقد جعل المستعمرون هذه المحاكمة من أكبر سوءات ذلك العهد ومن كبائر خطيئات عرابى ؛ وحذا المؤرخون من الإنجليز حذو الساسة فى موقفهم من هذه المسألة، ومن هؤلاء كرومر، وهو رجل كان بحكم صلته برجال ذلك العهد جميعاً يعلم حقيقة الأمر، ومع ذلك طاوعه ضميره فى أن يقول فى كتابه : « لم يظهر دليل جدير بالتصديق ولا ظل دليل على أن تهمة المؤامرة كانت تهمة حقيقية ؛ وكان حكم المحكمة العسكرية وثيقة وحشية تحمل طابع المظاهرة السياسية أكثر مما تحمل طابع الحكم القضائى ؛ وكان عرابى كثير الظن شأنه فى ذلك شأن كل جاهل من الرجال، ولم تعش المؤامرة على قتله إلا فى خياله هو فحسب » .

وأخذ فريق من المصريين هذا الكلام كما أرسل على عواهنه وشايعوا الإنجليز وأسفاه فى رأيهم هذا فى عرابى كما شايعوهم فى غير هذا من الآراء، الأمر الذى يؤلمنا أشد الألم ! فليس يعنينا ما يقول خصوم الوطن وخصوم عرابي ، ولكننا نضيق كل الضيق أن تجوز الأباطيل على المصريين فى رجل منهم جدير بأن يفتخروا كل الفخر أن كان ينتمى إليهم ، ومن هنا ضاع تاريخ عرابى وأنكره بنو قومه ، فأضافوا إلى عيب خضوعهم للدخيل فضيحة مشايعته فيما يسبهم به فى شخص رجل من رجالاتهم .

ويجدر بنا أن نضع تحت عينى القارئ ما كتبه الشيخ محمد عبده تعليقاً على المؤامرة ليقارن بين كلامه وكلام كرومر . قال فى كتابه إلى بلنت : « وكانت الوزارة تعرف منذ زمن شيئاً عن هذه الحركات . فمنذ مجىء راتب باشا إلى مصر كان محمود سامى رئيس الوزراء الآن — وزيراً للحربية — فطلب من شريف باشا أن ينفيه إلى خارج القطر . ولكن شريف على الرغم من تحذير محمود سامى رفض أن يأمر بنفيه ، وسبب ذلك أن راتباً تزوج ابنة شريف باشا ، والبعض يظن أن الاثنين متواطئان على رجوع إسماعيل » . ثم قال : « وقد أحدثت هذه الحادثة قليلاً من التهييج بين العامة . والجميع يعرفون أن حياة عرابى مثل حياة أى إنسان آخر ، وليس بين الناس أحد مهما كان عظيماً يستطيع أن يجذب إليه قلوب الجميع دون أن يكون بينهم من يريده بسوء ، ولكننا جميعاً نضحك إذا قيل لنا إن انجلترا على وشك الفوضى لأن أحد المجانين قد حاول قتل الملكة » ...

وليت هؤلاء الكاذبين المغرضين قد اقتصر أمرهم على الكذب والاتهام ولم يخطوا بعد ذلك تلك الخطوة النكراء التى أكدت القطيعة بين الخديو والوزراء وعجلت الكارثة للبلاد ! وما كانت ادعاءاتهم إلا مقدمة بدأوا بها ما كانوا ينتوونه من المكر السيئ .

يقول فى ذلك مستر بلنت : « وفى أثناء ذلك دخلت المسألة المصرية فى طور خطير وذلك بسبب المؤامرة الجركسية التى وصلت أخبارها إلى لندن فى الأسبوع الثالث من شهر ابريل ، ولم أعن العناية الكبيرة بهذه المسألة عند أول ظهور أخبارها معتقداً بأنها إحدى المفتريات التى تنشر عن مصر ، ولكن الأحوال أثبتت أنها خطيرة تستدعى الالتفات ، ولم تكن خطورتها متوقفة على حدوثها من حيث هى بل من حيث إنها كانت فرصة لحكومتنا ترقبها لكى توقع الخلاف بين الخديو ووزرائه ، وكان ماليت قد خضع تمام الخضوع لكلفن فى هذا الوقت وصار ينتصح بنصحه ويسير على هواه »

عرض قرار المحكمة العسكرية على الخديو فأسقط فى يده أيوافق على هذا الحكم فيظهر أمام الإنجليز أنه يظاهر وزراءه فيخسر الذين يظاهرونه هو ، أم يرفض التصديق عليه فيرضى الانجليز ويقضى على كل أمل فى إرضاء عواطف الوطنيين ؟

وكان ماليت قد أشار عليه برفض هذا الحكم الذى ينطوى على القسوة والظلم ؛ وللقارئ أن يقدر مبلغ ما فى هذا التدخل من تطفل وقحة ! ما شأن الانجليز وحكماً كهذا مهما كان ظالماً كما يزعمون ؟ وإنهم ليعلمون أن جلسات المحاكم العسكرية كانت سرية حتى فى عهد المراقبة ، وأن الخديو لا يملك رفض أحكامها ، وكل ما له فى هذا الصدد هو تخفيف تلك الأحكام بعض الشىء بعد التصديق عليها

حار توفيق واشتدت حيرته ورأى الأمر جد خطير ؛ وأى شىء أخطر من أن يتحدى وزراءه فى غير حق وفى موقف كهذا تحيط فيه بهم الدسائس من كل جانب وتعترض طريقهم الصعاب التى يتطلب تذليلها جهوداً متواصلة . لذلك وقف الخديو أول الأمر موقفاً مبهماً ، وسرعان ما شاعت الشائعات عنه من جهة وعن الوزارة من الجهة الأخرى ، وكلما مر يوم ازدادت ريبة الوطنيين وتعاظم غيظهم وغضبهم ، ووجدت الدسائس الجو الصالح لنجاحها فنشطت نشاطاً كبيراً ، ولازم ماليت الخديو يوحى إليه ويوسوس له

« يتبع »

الخفيف

١ – عينـــاك

للأستاذ حسن كامل الصيرفي

عيناكِ حوّلتا حياتى جدولاً   تهفو إليه حمائمُ الوديانِ
تمايل الأزهارُ عند ضفافه   متجددات العطر والألوانِ
وتمرُّ بى النسماتُ تلثم صفحتى   فى مثل همْس الوحى فى الوجدانِ
تحنو علىّ الناشراتُ غصونَها   فأُقبّلُ الأغصانَ وهى دَوانِ
عيناكِ حوّلتا حياتى جدولاً   يجرى مع الأيام دون توانِ
أشدو وأشدو والحمائمُ هتّفٌ   تتناقلُ النشودَ من ألحانى
صوَرُ الوجودِ جعلتِها لى لوحةً   فاليكِ ترجعُ تحفةُ الفنّانِ

٢ – شـــفتاك

شفتاكِ حوّلتا حياتى نغمةً   تسرى مع النسماتِ للآذانِ
الليلُ يسمعُها فينقل لحنَها   للفجرِ بين شواردِ الألحانِ
فأرى حياتى فوق أحلام النُّهى   خلدَتْ على رغم الزمانِ الفانى
ومضتْ(١) تجرِّرُ ثوبها فى رقصة   منظومةٍ ، وزمانُها متوانِ
شفتاكِ قيثارُ الخلودِ ، فوقِّعى   لحنَ الخلودِ ، وجدّدى أوزانى
إنى خلصتُ من الشجونِ برحمةٍ   ألهمْتُها فى ساعةِ الإيمانِ
طالت علىّ ضلالتى وتحيُّرى   فى عالمٍ آمالهُ إحـــزانى

حسن كامل الصيرفى

نبرات صوتك فى المسرة

للأستاذ العوضى الوكيل

نبرات صوتك فى المسرّة جددت   لهفى عليكِ وضاعفت أشجانى
تنساب فى الأسماع وانيةَ الخطى   فتشيعُ فى نفسي وفى ألحانِي
طَربَ الحديدُ لها وهشّ لوقعها   لو كان ذا حَرَكٍ وذا وُجْدانِ
ولقد هممت بأن أجاذبه الهوَى   وأبثّه غزَلى وصفوَ حنانى
نبرات صوتكِ ؟ ما المزاهرُ كلها   ما رنّةٌ نشوَى من العيدانِ ؟
ووهبتك الآمال ملء خواطرى   وعلى سناكِ حبستُ حرّ بيانى
وسهرت فيك وأنت هانئة الكرى   ومنحتُ حبّك غابرى وأوانى!
وأريتُك الإيمان تنطق مقلتِى   بدليله فسموتُ بالإيمانِ
وذخرتُ فى نفسى حديثَك كله   ووعيته فى السرّ والإعلانِ
وخلقتُ فيكِ جلالةً أبديّةً   تسمو على الأزمان والأكوانِ
هذا رداؤك من نسيج مشاعرى   المهجتانِ عليـه تتّفقانِ
ما كان من حُسنٍ عليك فإنه   لى دون غيرى من بنى الإنسانِ

(الزقازيق)   العوضى الوكيل

صلاة فى محراب النيل (*)

للشاعر السودانى المرحوم التيجانى يوسف بشير

أنت يا نيل يا سليل الفرادي   س كريم موفق فى مسابك
ملء أوفاضك الجلال فمرحى   بالجلال المفيض من أنسابك
حرستك الأملاك فى جنة الخلـ   ـد ورفّت على وضيء عبابك
وأمدّت عليك أجنحة خضـ   ـراً وأضفت ثيابها فى رحابك
فتحدرت فى الزمان وأفرغـ   ـت على الشرق جنة من رضابك
بين أحضانك العراض وفى كفـ   ـيك تاريخه وتحت ثيابك !
مخرتك القرون تشمر عن سا   ق بعيد الخطى قوى السنابك
يتوثبن فى الضفاف خفافاً   ثم يركضن فى ممر شعابك
عجب أنت صاعداً فى مراقيـ   ـك لعمرى أو هابطاً فى انصبابك
مجتلى قوة ، ومسرح أفكا   ر ، وموحى عجيبة كل مابك
كم نبيل بمجد ماضيك مأخو   ذ ، وكم ساجد على أعتابك
عفروا نضرة الجباه بيرا   ق سنىٍ من لؤلؤىّ ترابك
سجداً ذاهلين لا روعة التا   ج ولا زهو إمرة خلف بابك !
وصقيل فى صفحة الماء فضفا   ض ندى منضر من إهابك
وحروف ريانة فى اسمك « النيـ   ـل » ونعمى موفورة فى جنابك
فكأن القلوب مما استمدت   منك سكرى رقاصة من شرابك
أيها النيل فى القلوب سلام الـ   ـخلد وقف على نضير شبابك
أنت فى مسلك الدماء وفى الأنـ   ـفاس تجرى مدوّياً فى انسيابك
إن نسبنا إليك فى عزة الوا   ثق راضين وفرة عن نصابك
أو رفلنا فى عـــدوتيك مدليـ   ـن على أمة بما فى كتابك
أو عبدنا فيك الجلال فلما   نقض حق النياد عن محرابك
أو نعمنا بك الزمان فلم نبـ   ـل بلاء الجدود فى صون غابك !

التيجانى يوسف بشير

(*) من ديوانه (إشراقة) الذى يطبع الآن

(١) حياتى



دراسات في الفن

نحو دنيـــا الروح

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

يقول علماء التربية وعلماء النفس فيما يقولون من الحق : إنه يمكن التخفيف من حدة الغريزة الجنسية عند المراهقين بصرفهم إلى الفنون الجميلة . وهم لهذا يوصون المربين بأن يعلموا المراهقين الموسيقى والتمثيل والرسم والأدب . وقد استجاب لهم المربون فأنشأوا في المدارس الثانوية وبخاصة جمعيات الفنون الجميلة إلى جانب فرق الألعاب الرياضية التي سبق أن أثبت دعاتها أن من يمارسها من المراهقين يبذل فيها من نشاطه البدني ما يحتاج بعده إلى الراحة بعيداً عن التفكير في الاستجابة لهتاف الغريزة الجنسية .

فهل أثبت دعاة الفنون الجميلة من علماء التربية وعلماء النفس دليلاً على أن من يمارسها من المراهقين يبذل فيها شيئاً من نشاطه يحتاج بعده إلى الراحة بعيداً عن التفكير في الاستجابة لهتاف الغريزة الجنسية لتطمئن بهذا الدليل عقولنا . ولتؤمن بأن الذي يدعون إليه قائم على أساس من الحق يرتكز على صلة مؤكدة بين الفنون الجميلة والغريزة الجنسية، أو أنهم رأوا الفنانين أكثر الناس انصرافاً عن نزعات البدن فخطر لهم أن يتصيدوا المراهقين بالفنون يشغلونهم بها عما تتلهف إليه أبدانهم الحارة الملتهبة . فهي إذن مؤامرة من الخداع والتضليل اتفق عليها علماء التربية وعلماء النفس ، وجازت على من وقع في أيديهم من المراهقين أو جازت ـ في القليل ـ على بعضهم ؟

ولكني إذ أقول هذا أرجو علماء التربية وعلماء النفس أن يمضوا في مؤامرتهم هذه إلى أبعد حد، وأن يأخذوا بها المراهقين وغير المراهقين من كل من تسوقه إليهم الحياة ليربوه . فليس أشرف من هذه المؤامرة شيء ، وسيجيء قريباً أو بعيداً ذلك اليوم الذي توفق فيه أساليب العلم إلى كشف ما بين الغريزة الجنسية والفنون الجميلة من صلة حقيقية مؤكدة. ولست أريد بهذا الادعاء بأن العلم غائب عن هذه الصلة ، ولكني أريد أن أقول : إنه لا يزال يحوم حولها، ولما يجرؤ على غزوها لأنها ميدان جديد عليه ، ولأنه لما يستنبط الميزان والقياس ، والأنبوبة والمخبر ، والأملاح والأحماض التي يستطيع أن يحول بها الغريزة الجنسية إلى الغريزة الفنية، والغريزة الفنية إلى الغريزة الجنسية ليصدق بعد هذا عقله الثقيل المتشكك أن هناك وحدة تجمع بين الاثنتين .

وإلى أن يصل العلم إلى استنباط هذه الأدوات التي لا يفهم شيئاً إلا بها يستطيع المتحررون من أغلاله وقيوده أن يضربوا في السماء بحثاً عن هذه الصلة ، وأن يتركوه في معمله يتخبط بين الشك والخور لعله مهتد يوماً إلى تركيب « حقنة » من الشعر ، أو « برشامة » من النغم ! فليبق العلم في معمله ، وليدع العلماء المراهقين إلى الفنون الجميلة ، وليعللوا دعوتهم هذه بأن الفنون الجميلة تبعث في النفس الخيال ، وتلهب فيها العاطفة ، أو فليقولوا على العكس من هذا إن الخيال والعاطفة هما اللذان يبعثان في النفس الفنون الجميلة ، أو فليقولوا ما شاءوا من أمثال هذا القول المخلخل الذي لم يضغطه الإيمان ولم تتماسك به الثقة .

لندع العلماء إذن يترددون ما طاب لهم التردد ، ويتوجسون ما حلا لهم التوجس ، ولنمض نحن مع أولئك المتحررين من الأغلال والقيود ، ولنرهم كيف يدركون الصلة بين الغريزة الجنسية والفنون الجميلة .

وقد عودنا هؤلاء المتحررون المتطايرون أن يلتوا على عقولنا قبل أن يهدونا إلى ما يعلمون من الحق ، كأنما يأبون إلا أن يمابثوا العقل وأن يذلوه قبل أن يقودوه إلى النور ويلهموه . ولكنهم

على أى حال أحب إلى النفس وأرحم من الأنابيب والأملاح ... فلنحتمل معابثهم إذن ولنسألهم :

— كيف تجدون الصلة بين الغريزة الجنسية والفنون الجميلة ؟

ولكنهم يسألوننا : وكيف تجدون الصلة بين الشحم والنبوة؟

— وهل هذا سؤال بالله عليكم ؟ إننا لا نجد شيئاً .

— إن هناك أشياء . فلو أنكم عدتم إلى سير الأنبياء لوجدتموهم يكثرون من الصوم ، ويخففون من الطعام . ولو أنكم عدتم إلى سيرة النبي الأكل محمد لرأيتموه يصوم كلما اعتزم أمراً جللاً ، وكلما هم بغزوة أو حرب . وإذا اعتبرتم « غاندى » المهندوكى التقى الخارق المعجب وليًا من أولياء الله كما نعتبره نحن فإنكم لا بد معتبرون بحرصه على الصوم كلما احتاج إلى التجلد والتعزز فى قيادة أنصاره ومقاومة خصومه . أفلا ترون فى هذا كله صلة بين الشحم والنبوة ؟ أو بين الشحم والسمو الروحى على الأقل ؟

— الآن رأينا ، وهى كما تبدو على هذا النحو صلة عكسية

— نعم . إنها صلة عكسية . فكلما غذى الإنسان بدنه شغله هذا عن غذاء روحه ، وكلما جوع بدنه سهلت عليه تغذية روحه

— إنكم إذاً تعدونه شهيداً ذلك الذى ينتحر جوعاً

— لا شهادة فى إتلاف ، وإنما الشهادة فى التقويم . فإذا استلزم التقويم الموت فإنه إذاً تخريب ما بين المتماسكين : البدن والروح . عودوا إلى ما كنا فيه ، وحدثونا عما يصحب انفجار الغريزة الجنسية عند المراهقين من شدة ميلهم إلى الإكثار من الطعام والإكثار من وجباته

— إنها أجسام يزيد نزوعها إلى النمو فهى تحتاج إلى ما يعين على بنائها وما يسعف نموها

— لا . فإن أجسام المراهقين لتنمو وتفرع ولو لم تستزد من قوتها ، فهذا النموسيل من الحياة يتدفق من غدد ظلت تجمعه وتخزنه ما عاشت وواصلت العمل

— إذن فماذا تقولون ؟

— الحياة ماضية فى سبيلها . وسبيلها هو الأحياء أنفسهم ، فهى تسلكهم ، وقد تنقلت فيهم من ماضيهم حتى انتهت إلى حاضرهم ، وهى منتقلة فيهم من حاضرهم إلى مستقبلهم . وهى فى سيرها هذا تعطى أولئك الأحياء ثمن ما سمحوا لها بالمرور فيهم وتأخذ منهم ثمن ما عمرتهم . ويقول ناس مؤمنون بالعدل : إن ما تأخذه الحياة من مثقال ذرة لا تأخذه إلا بعد أن تكون أعطته مثقال ذرة

— هذا حسن . ولكن ما قصة الأخذ والعطاء عند المراهقين؟

— عند المراهقة تبدأ الحياة فى الاشتداد بمطالبة المراهق بما أعطته . وهى إذ تطالبه تستمر تعطيه . وهو إذ يستشعر نفسه فى هذا الموقف الجديد يقبل على الحياة إقبالاً جديداً فيه عنف وفيه جشع . فهو يستطعم الحياة مادتها ومعناها بنهم العائل المكلف بالنفقة يتكالب على موطن رزق . وفى سن المراهقة تصارح النفس الحياة بحقيقتها وتكشف لها القناع عن وجهها . وكل نفس تستجمع خصائصها ومقوماتها مما سبق أن أعطته الحياة إياها من طريق الوراثة ، ومن طريق البيئة ، ومن طريق التربية ومن سائر تلك الطرق التى تنفذ منها الحياة إلى الأحياء . عندئذ ترى الحياة مراهقاً مقوس الأنف يمد لها كفيه ويقول : هات ؛ ومراهقاً آخر مسحور العينين يمد لها شفتيه ويقول : هات ؛ ومراهقين آخرين ما بين هذا وذاك يريدون مما يطلبه هذا ومما يطلبه ذاك . والحياة أمام هؤلاء جميعاً تعطى وتأخذ مثلما تعطى ، مثقال ذرة بمثقال ذرة . وهى كما تكمن فى هؤلاء الأحياء ، تلبد فى غيرهم من الأحياء المتجسدة ، والأحياء المتجردة ، وهى تعرض نفسها فى مظاهرها المختلفة أمام النفوس فلكل نفس منها ما تحب وما تشاء . فمن أخذ منها مادة لم يستطع أن يعطيها إلا مادة ، ومن أخذ منها معنى أعطاها المعنى ، ومن أخذ منهما معاً أعطاها منهما معاً . والمراهق قد تكوَّن مما أخذه من الحياة وهو ليس مادة فقط لأن الناس ليسوا مادة فقط فهم مادة وشىء آخر نقول عنه نحن إنه روح ويقول عنه ناس آخرون إنه نفس ، ونحن وهم نقول إنه شىء متجرد عن المادة التى تتزيا بها الكهرباء فى أزياء مختلفة . فلا بد إذن أن يأخذ المراهق « كفيره » من مادة الحياة ومعناها ليعطيها مادة ومعنى ، وأيهما أكثر الأخذ أكثر العطاء . ومن الناس من يقنعون فى هذه السوق بالضرورى اللازم لإقامة إحدى ناحيتيهم ويلحون فى طلب مكملات الناحية الأخرى؛ ومنهم من يتوسطون فيطلبون من هذه مقدار ما يطلبون من تلك، وهذه الأرض تستطيع أن تمد الناس بحاجتهم من المادة وزيادة ؛ وسماء المعانى تستطيع أن تهب الناس حاجتهم من المعانى وزيادة ؛ والناس فى التنازع على المادة يتخاصمون ويتعادون ، بينما هم حين يتناهبون المعانى يزدادون تقارباً وتفاهماً وتحبباً وتعاطفاً وتوحداً . فكلما اهتمت البشرية بالناحية المادية أمعنت فى التبعثر والتفوق والتشتت ، وكلما توغلت فى الناحية الروحية أمعنت فى التماسك

والانسجام . ونحن إذا رجعنا إلى تواريخ الأفكار والدعوات الروحية رأينا أخلصها روحاً أكثرها تماوناً بين أنصارها، ولم نر الاختلاف يدب إلى هؤلاء الأنصار إلا حينما تنزلق إلى فكرتهم دواع مادية فتلوثها . فالواجب إذن على البشرية إذا كانت تريد أن تستخدم عقلها فى الخير أن تقنع من المادة بما يقوم الحياة البدنية فقط لا أكثر ولا أقل ، وأن تنقذف بالوافر الباقى من نشاطها إلى حيث يمكنها أن تتوحد . وهذا هو مادعا الأنبياء إليه ، وحاشا أن يكونوا مجانين ، وإنما هم أنبياء وقد أرشدوا البشرية إلى طريق الخير ومضوا ، فاتبعهم أولياء أقنعت الدعوة إحساسهم وعقلهم ، وانساق فى طريقهم فنانون يتمشقون فى هذا الكون جاله ، ويطلبون كماله وكمال أنفسهم معه .

— ولكن البشرية إذا اتبعتكم فى هذا عادت كما كان يعيش أهل الكهوف ، أو كما يعيش أهل الغابات

— وهل تحسبون الحال اختلفت ؟ الكهوف باقية ولكنها اليوم عمارات من ناطحات السحاب . وفى الغابات يصيد الناس الحيوان نيأ كلوه ، وفى هذه العمارات يصيد الناس بعضهم بعضاً ويأكل بعضهم بعضاً ، وقد عافت البشرية أن تأكل لحما فأكلت فى العمارات ضميرها وشرفها وروحها . إن أهل الكهوف كانوا أقرب منا إلى السماء ، وإن أهل الغابات لا يزالون أقرب من أهل العمارات إليها

— ولكن هذا العلم الذي علمناه ، وهذا العقل الذى نما فينا ... أنلقيهما فى الفضاء لنعود إلى حياة العراء ؟

— لم يقل أحد هذا . وإنما نستطيع أن نجند علومنا وعقولنا لتنعيم أرواحنا لا للترفيه عن أجسادنا ، وسنرى عندئذ أن أكثر ما نعلمه لغو لا يغذى الروح ، وسنرى عقولنا قد اسودت من كثرة ما كذبت علينا وأضلتنا طريقنا

— وعندئذ ماذا نصنع ؟

— عندئذ ينتعش إحساسنا . عندئذ يبدو لنا الكون فى آلاف الصور وكلها محببة . وقد يعيننا صوم الأنبياء على تذوق الحب واستساغته ، وقد يصرفنا هذا العشق الشفاف عن تهافت الأبدان وتجاذبها ...

— وبعد ذلك تنتهك قوى البشرية فتتخاذل وتهزل ويقل نسلها وتموت

— من أين جئتم بهذا ؟ سيأكل الناس من الأرض مايعيشون به ، والطبيعة لا تريد منهم أكثر من أن تعيش أبدانهم . فإذا أخذوا منها أكثر ما يلزم لها خالفوا قانونها وظلموها وظلموا أنفسهم ، وسينجب الناس بقدر ما يحفظون نوعهم وبقدر مايسمح للحياة المادية أن تسلك أبدانهم إلى مرحلتها الجديدة . وليست الحياة تريد أكثر من هذا . والحياة بعد ذلك تطلب الإنجاب الروحى الذى يؤديه الإحساس . الحياة تطلب الفن طلباً طبيعياً واجب الأداء ؛ فأين هو فى هذه الحضارة !

— إن الحياة هى التى حبست عرائسها الروحية عن البشر فى هذا العصر !

— بل هن معروضات أمام الأرواح النابهة ، ولكن ما أقل هذه الأرواح النابهة الآن ؟ لقد استغلق الناس على أنفسهم ، ختمهم العلم والعقل بخاتم أصفر من الذهب .

— ولكن ها هو ذا العلم يدعو المراهقين إلى الفنون الجميلة ليصرفهم عن شهوات أبدانهم .

— أو لا يملك العلم إلا هذه الدعوة ؟ إن الفنون الجميلة لها الذين يحبونها لاينصرفون عنها . أما الذين يزدرونها فلا يقبلون عليها إقبالهم على نوع من العبث .

— فما الذى تطلبونه من العلم إذن ؟ إنه لايستطيع غيرهذا .

— نريد أن يزف المراهقين وغيرهم إلى العرائس من المعانى والفكر، فإذا عشقوها عطروا لها أرواحهم؛ فإذا ساكنوها أعقبوا فيها فنوناً تسلكها الحياة الماضية إلى الأمام فى سبيلها .

— وكيف يحدث هذا ؟

— إن هذه العرائس تياهة مدللة لاتلين إلا أمام حس يرهف نفسه لها ، فهل يستطيع العلم أن يرهف إحساس الناس ؟

— لا . ولذلك يعمد فى هذا إلى الفن مستعيناً به .

— ولكن استعراض الفن لا يخلق فناً ، وإنما يخلق الفن الإحساس بالحياة نفسها ، ومادمنا ننزع إلى تحويل إنتاج البشرية بقدر ما نستطيع من الإنتاج البدنى إلى الإنتاج الروحى فلا بد أن نعنى بخلق الفنون وإنتاجها لا دراستها واستعراضها ، وهذه العناية هى التى تنتهى مع الدأب إلى دنيا الروح

— وهل يمكن أن نقيم دنيا من الروح؟

— نعم كما قامت دنيا من كهرباء موجبة وسالبة !

عزيز أحمد فهمى

محمـــود صبح

من الوجهة الفنية

للأستاذ محمد السيد المويلحي



قد يحمد الفنان إذا اعتز بنتاجه وسما به عن الابتذال والعرض والمقارنة ؛ وقد يحمد إذا عرف لنفسه قدرها لأنه أدرى الناس بعبقريته وقوته ، وأشدهم إيماناً بإلهامه وتوفيقه

ولكنه لا يحمد ولا يثنى عليه إذا تدرج اعتزازه وإيمانه بقدرته إلى الأنانية التي تحمله على تقديس نفسه وإنكار الجميع ... الجميع دون استثناء ... !

ومحمود صبح موسيقى مرهوب موهوب يلم بفنه إلماماً تامًّا ويجيد العزف على العود والناى والبيان ، وله لون خاص ينفرد به ويعجب جمهرة كبيرة ... ولكنه يعتقد بل يؤمن إيماناً عميقاً أنه مبعوث العناية الإلـهية لإنهاض الرسالة الموسيقية . فعلى كل من ينتمى إليها بوشيجة أن يؤمن به إيمان المجانين فلا نقاش ولا جدال (لأن الذى يستطيع أن يناقشه أو يجادله لم يخلق بعد ، ولأن الله سبحانه لا يخلق رسولين فى عصر واحد وإلا فسدت الرسالة) .

هكذا يقول الرسول (محمود صبح) الذى يذكرنى (بروبسبير) الذى آمن بعصمته فكان يعدم كل من يظن فيه المعارضة لآرائه ومبادئه لا لشىء إلا لأنه كافر بالعصمة والفضيلة !

قامة ربعة وإن كانت تميل إلى القصر ، تشبه (شوال) اللح لوناً وشكلاً وثقلاً ، وإن كانت تمتاز بظرف عجيب . قامة وإن حرمت نور البصر ، فقد وهبت قوة هرقلية تستطيع (بفضل الله) أن تجندل من تشاء بضربة فنية قاضية . قامة تجيد كافة الألعاب الرياضية من ملاكمة ومصارعة وحمل أثقال ...

رأس أودع الله فيه كنزاً غنياً من الفن الأصيل المكين المقتدر المبتكر. حاجبان كثيفان لو وزع شعرهما على عشرة رؤوس (صلعاء) لأصبحت غنية بالشعر القوى . أنف كأنف الصقر يهبط فى هدوء وتقوس حتى يستقر على شكل (هلب كبير) ... !!

وجه ممتلىء طالما زينته العمامة حتي ثار عليها وأبى إلا أن (يتطربش) لتكمل أناقته ورشاقته . . . فم وإن كان يذكر الله كثيراً ويجيد تلاوة كلامه ... إلا أنه لا يحب أن يغضب الشيطان فيهجر أوامره وإغراءه بل يندفع فى سبيل ترضيته فيصف (إخوانه) وزملاءه بوصف (مزخرف) مصنوع فى معامل (بولاق) وحوش بردق ...

أذنان حادتان صارمتان لا تعترفان إلا بنتاج صاحبهما ؛ أما غيره ... ف(صوء ... صوء أعوذ بالله ، يا ستار العيوب ، إيه ده ؟؟)

يدان قديرتان ساحرتان إذا صفا صاحبهما أسرتا وسحرتا ، وخلقتا قوة وقدرة وفناً أصيلاً نبيلاً . يدان تسجد لهما الموسيقى العربية (البحتة) ، ويخضع لهما الفن العالى الذى لا يخضع إلا للقليلين .

صوت هائل كامل شهد له الجميع بالقدرة والقوة والعذوبة وقوة التأثير . أروع من يؤدى (الباص) وأبدع من يحسن (البريتون) ، وأرفع من يجيد (التينور) . يتكون من ديوانين ونصف تقريباً لا عيب فيه إلا خلوه من العيب ... صوت

لو استطاعت محطة الإذاعة أن تهيئ له الجلسة الفنية المضبوطة أمام (الميكروفون) لكان آية ، وخلا من تلك المواصف التى تكاد تصم الآذان .

صـوت يقلد القطار أدق تقليد ، ويحاكى صوت (القلة) أتم محاكاة . ومن ظرف محمود أنه إذا صفا أسمعك بفمه صوت العجين عند ما (يلت) حتى لتخاله امرأة منهمكة فى (ماجورها) . . . أقدر من يلحن الموشحات ، ويكفيه فخراً وسمواً وخلوداً أن أعظم مغن بالغاً ما بلغ من القوة والقدرة لا يستطيع أن يحاكيه بواحد من موشحاته لتشعبها ، وكثرة أنغامها ، ووفرة حركاتها ، ودقة تركيبها ، وإن حاول فالفشل له بالمرصاد ...!

فنان موهوب مبتكر بصير بما يصنع ، خبير بفنه لا يحاكى ولا يقلد بل له لونه الخاص المعروف لأنه كما قلنا قبلاً لا يؤمن إلا برسالته . لا يعرف شيئاً فى القواعد الغربية مع أن علم « التحسيس » قد تقدم وأصبح يدرس فى كل مكان

يجيد العزف على العود ، واللعب على البيان والنفخ فى الناى . إذا سألته عن (فلان) المشهور قال : (طز) وعن فلانة المعروفة قال : (طزين يا سيدى)

* * *

الويل لك إذا سمعته وأعلنت سرورك وتقديرك بقولك (ياسلام يا شيخ محمود ! الله يزيدك) لأنه يلتفت إليك منهكماً متحفزاً صارخاً (هو لسه يا أخينا حيزيدنى ... حيخلينى إيه أكتر من كده ؟) والويل لك أكثر وأكثر إذا أخذتك النشوة فنسيت أن تحييه لأنه يسكت فجأة ويخاطبك :

— حضرتك مش سامعنى يا فندى ؟

— سامع يا أستاذ دى حاجة عظيمة جداً

— أمال ساكت ليـه ؟ ساكت ليه يافندى ؟ ودانك بتوجعك ؟ والله مانا قايل حاجة إلا لو خرجت من هنا . اتفضل يا فندى وخدها وهى حلوة ... !

* * *

كان فى الحسينية من خمس عشرة سنة يعزف بعوده أمام حشد من مريديه ومحبيه فلما أخذته النشوة رمى (بعوده) وصرخ متمدداً قائلاً :

— أغيثونى ... أدركونى ... !

— مالك يا مولانا ... مالك يا مولانا . . ؟

— أغيثونى . . . أدركونى . . . أمسكونى جيداً ... سِدُّوا « ودانى » ... سِدُّوا « ودانى » ... !

هرع إليه هذا الجمع الحاشد وكله لهفة وإشفاق فإذا بالشيخ محمود يقول :

الجن عاوزه تخطفنى ، رئيسهم كلمنى فى (أذنى) وقال : احنا عاوزينك يامحمود عشان بنتى حتتجوز ... امسكونى ليخطفونى!

* * *

عصبى إلى درجة بعيدة . لا يطيق النقد . ومن ظريف أمره أيام كان يذيع فى المحطات الأهلية أنه كان يجلس فى محطة (فؤاد) قائلاً لهؤلاء الذين يكتبون عنه أو يتكلمون بما لا يحب :

يا ليل ، يا ليل ، سامع (يا فلان) ياابن . . . شايف الشغل ازاى . . . يا ليل ، يا عونى يا ليل ، (فلان) نحن محمود صبح ، أنائب يابن الـ يا ليل يا عينى ، لاح بدر التم أمان . أمان دوس يالاللى . . . يا بتوع (....) يا أولاد . . . اتعلموا وخلوا عبد الوهاب بتاعكم يتعلم ! ؟

* * *

وبعد فحمود صبح شخصية عظيمة ظريفة انحدرت من بيت عريق ؛ ومن أصل طيب . لا يعتمد فى معيشته على فنه بقدر ما يعتمد على إيراده الخاص الذى يكفل له عيشاً رغداً ، ولولا مغالاته بقدره واعتداده بنفسه لكان عظيما نافعاً

محمد السيد المويلحى



نهاية الكون

تعذر الامتداد في الظواهر وصعوبة الحكم على مستقبل الزمن

للدكتور محمد محمود غالى

اطلعت فى العدد الأخير من الرسالة على ما وجهه إلىّ الأستاذ نصيف المنقبادى وعلى أسئلته الخاصة بتطبيق نظرية بولتزمان Boltzmann فى الحكم على مستقبل الكون ، وقد تتبعت مقالاته القيمة التى نشرها هذا العام فى الرسالة ، وتتبعت منذ أكثر من عام مقالاته على صفحات الأهرام التى ناقش فيها الأستاذ الفاضل محمد فريد وجدى . ولو وصفنا الأستاذ فيمن نعرفهم من الكتاب المصريين بأنه من الذين عرفوا بالجرأة فى كتاباتهم لما ابتعدنا عن الصواب كثيراً ، إذ لا شك فى أنه من هؤلاء المطبوعين على حرية الفكر ، ولا خلاف فى أن لمثل كتاباته فائدة كبرى يجنيها النشء ويفيد منها المطلعون

***

للموضوع الذى يسألنى عنه مساس بفلسفة كل علم إذ يجب التفريق بين ما هو جائز وبين ما هو محتوم — قلنا إن التفسير البولتزمانى للمبدأ الثانى للترموديناميكا يدلنا على نوع من الموت الحرارى للكون ، ولكن لم نقل إلى أى حد يجوز لنا الامتداد والتوغل Extrapolation فى قبول هذه النتائج فى مستقبل الأحقاب والعصور

يحدثنى عن ملايين الملايين من السنين التى خلت ويتساءل لماذا لم يحدث الاقتراب من السكون المرتقب وفق بولتزمان ، وقد مضى على الخليقة ملايين ملايين السنين . ومن ذا الذى قال إن هذه الملايين الحالية كافية للوصول بالكون إلى الحالة التى يدل عليها تفكير بولتزمان والتى تحتمها الزيادة الحتمية والمستمرة « للأنتروبى » ؟

وهب أننا وصلنا إلى نوع من السكون النسبى فمن ذا الذى قال إن هذه هى أول مرة يصل فيها الكون إلى السكون والموت ؟ ومن ذا الذى يَقْسِرُ أفهامنا على أن الحركة لا تُستأنف من جديد بعوامل لا نعرفها تَمُتُّ إلى الأصل فى معرفة الخليقة ووجود الكون ؟

هنا نقطة حساسة أعتقد أن آراءنا تفترق عندها ، فإنك تميل إلى تفسير كل شىء بعلمنا الميكانيكى ومعرفتنا المحدودة لظواهر الطبيعة ، وأميل من ناحيتى إلى اعتبار ما نعرفه لا شىء بجانب المجهول . ومع ذلك فإن جُلّ ما نعرفه من الظواهر الطبيعية ظواهر دورية ، ألا يكون الكون فى مجموعه ، الكون المحدود بحيز ريمان أو حيز لوباتشفسكى أو ما يشاء العلماء من الحيزات ، ظاهرة دورية وأننا الآن فى مرحلة من مراحل الانتقال والدوران ؟ بمعنى أنه ليس ثمة بداية للكون وليس ثمة نهاية له

***

فى نشرة للعالم « سان » S. R. Sen (1) اطلعت عليها حديثاً فى محاضر الجمعية الملكية الإنجليزية يناقش فيها هذا الرياضى الطبيعى بعض النظريات الخاصة بمبدأ الكون وما وصل إليه الحيز

(١) محاضر الجمعية الملكية الانجليزية (Proc - Roy - Soc.) ٣ مايو سنة ١٩٣٣ كذلك نشرات العالم البلجيكى المعروف ليميتر (Lemaitre)

من تمدد وما يحدث الآن فيه من ابتعاد كل العوالم بعضها عن بعض — هذه النشرات وأمثالها التى يناقش العلماء فيها « كون إينشتاين » أو « كون دى ستير » وهما كونان معروفان لدى العلماء توحى إلينا بهذه الفكرة الدورية للكون

لم يقل « سان » بتغيير قوانيننا الطبيعية فى مستقبل الزمن ، ولكن كل شىء يجوز أن يتغير ما دمنا نعتبر أحقاباً طويلة من الزمن مثل الأحقاب التى نتكلم عنها

على أن الزمن نفسه يحمل فى طياته عدم التعيين عند ما نتوغل فيه إلى حد كبير . ثمة فارق كبير فى معرفة فترات الزمن التى اعتدناها ومعرفة الأحقاب الطويلة التى لا نجزم بمعرفتها أو تحديدها؛ فإذا تحدثنا عن عمر الإنسان أو عن الزمن الذى مر من الثورة الفرنسية حتى يومنا هذا ، أو عن عمر أحد الأفيال الإفريقية الكبيرة ، وبينها ما عاش بلا شك قبل الثورة الفرنسية ، فإننى أفهم لذلك معناه ، وأفهم نوع الدقة المطلوبة فيه ، حتى إذا تكلمنا عن الزمن الذى مر منذ أن كتب هومر إلياذته المشهورة أو منذ أن بنى خوفو هرمه أو نحت الأقدمون « أبو الهول » فإن هذا، وذاك ممكن أن يكون أمره معروفاً ، أما إذا أردنا أن نتكلم عن عمر الرجل الأول أو الزمن الذى يمر لتدور المجرة دورة كاملة أو الزمن الذى خلا منذ ظهور الحياة على الأرض فإن شيئاً من الاحتمال يدخل فى تقديرنا لهذه العصور الطويلة . وما بالنا لو أردنا بعد ذلك أن نتكلم عن عمر عنصر التوريوم أو عمر النجوم أو العوالم أو التوغل حتى مبدأ الخليقة ، فإننا لا نستطيع الجزم بمقدار هذه المدد الطويلة ، ولا نستطيع أن نستوعب معنى الزمن إذا نظرنا إليها .

هذا فى ناحية الأحقاب الطويلة ، وإننا نجد نفس الصعوبة إذا نظرنا إلى الطرف الآخر واعتبرنا الفترات القصيرة . فإذا تحدثنا عن فترة الزمن التى تقدر بثانية أو فترة تردد الموجات اللاسلكية الطويلة منها والقصيرة أو فترة حياة « الراديوم C » فإن حديثنا عنها يختلف عن فترة تردد الموجات المصاحبة Ondes Associées للبروتون فى ميكانيكية « دى بروى » الموجية أو ربما عن فترات أقصر من ذلك يحدثنا عنها العلماء فى مستقبل العمر .

ومع ذلك فإن هناك عاملاً آخر يتصل بسر الوجود وما يحدث فيه من تطورات . وكنت لا أرغب أن أتعرض بالبحث عنه لولا أن أسئلة الأستاذ تحتم علىّ اللجوء إلى هذا الطريق . ولعلى أوفق فى أن أشرح هذا العامل الخارجى ، وأن أكشف عن رأيى فى المثال الآتى :

إن من الصعب أن نضع على الأرض عصا طويلة مدببة الطرف فى وضع رأسى ونتركها على طرفها هذا وفى هذا الوضع دون أن تقع العصا على الأرض . ولو أننا وفقنا بصعوبة إلى ذلك فإنه لن تمضى لحظة حتى تقع العصا على الأرض وفى اتجاه لا نستطيع تحديده . ولو أننا تساءلنا عن مساق (مصير) العصا وهى فى وضعها الرأسى لا تستند إلى شىء لقررنا أنها حتماً واقعة على الأرض . لنفترض بعد ذلك أن هناك كائناً حياً يرفع العصا طوراً ويدعها تقع على الأرض تارة أخرى

ثمة مجموعتان واحتمالان لمواضع العصا وما يخبئه لها القدر :

المجموعة الأولى تتكون من العصا والأرض . هنا نحتم أنها تقع على الأرض وأنها لن تقوم رأسية من تلقاء نفسها كما كانت

والمجموعة الثانية تتكون من العصا والأرض والإنسان اللاعب بها . هنا تقع العصا ولكنها تعود رأسية كما كانت ويصح أن يتكرر ذلك ما دام الكائن موجوداً

ولو افترضنا أننا مخلوقات نعيش على سطح العصا ، وأن فترة آجالنا محدودة جداً بنسبة الزمن الذى تقع فيه عصانا هذه فإننا الآن فى مرحلة نشاهدها وهى تقع ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم بأنها لا تقوم بنا كرة أخرى ، فقد يكون هناك لاعب ماهر يلعب بالعصا ولا نعرف من لعبه شيئاً ، وقد تكون هذه إحدى المرات العديدة التى وقعت العصا فيها على الأرض

فلا تخش أيها الكاتب على الكواكب انقطاع دورانها وعلى

النجوم وقوف حركتها وعلى الكهرباء انعدامها وعلى الجاذبية نهايتها وعلى الأرض فناءها وعلى الأحياء موتها، فإننا عاجزون عن أن نعرف الأصل فى كل هذا وأن نستوعب للكون مبدأ وللحياة نهاية ، لهذا لا يجوز لنا دائماً أن نقول إن الذى ترك العصا تميل وتقع يستطيع أن يعيدها سيرتها الأولى ، كما نستطيع أن ندرك أن الأرض والعصا واللاعب مجموعة تختلف عن الأرض والعصا بلا لاعب

حدثت القارئ فيما تحدثت به إليه عن نملة تجولت فى سرادق فسيح فى ليلة عزاء ، وقلت إنها فهمت أن الدنيا كلها سرادق تضيئه أنوار ونادل يسقى قهوة وفقيه يرتل الآيات ، وقلت إنها بهذا أخطأت صورة الدنيا ، كذلك نحن والكون وما يحدث له فى المستقبل البعيد من تطورات ؛ فقد تعلمنا كثيراً وزادت معارفنا ولكننا فضلاً عن ذلك قد تعلمنا شيئاً أجدى وهو أننا لا نعرف عن الأصل فى الكون والمستقبل فى التطور أكثر من معارف النملة التى لم تفارق السرادق والتى لا تعرف ما بخارجه

فلتكن مثلى . لا تجادل فى الغيب بهذه السهولة ولا تتحدث عن الحياة والمادة والروح بهذه الطريقة من التوكيد التى تحدثت بها. إن الشك أجدر بالعلماء عند ما ينزلون إلى ميدان أصل الوجود ويحاولون معرفة سر الخليقة . لذلك عند ما ذكرت أننى أفترق عن التفاحة التى نأكلها وعن المحبرة التى أملى منها هذه الأسطر كان عندى إيمان قوى بما أقول ، وإن لم يكن لدى ولا عند غيرى الدليل العلمى للتدليل على ذلك بما لا يقبل الجدل

***

ومع ذلك وبعد الذى ذكرت أرجو ألا تنسى أيها الأخ أننى من الذين يؤمنون بالعلم التجريبى فيعيرونه كل تقدير ولا يؤمنون كثيراً بالعلم النظرى فلا يولونه من الوقت إلا اليسير ، وإننى لا ألجأ إلى التعمق فى العلم التخمينى Sciences Speculatives إلا بالقدر الذى أعتبره طريقاً لمران الذهن والتعود على الفهم . فإذا رأيتنى لجأت إلى النظريات تارة فإنما أشرح للقارئ طرائق التفكير الحديث وأستعرض بإخلاص قصة الخليقة وفق أحدث ما يقوله العلماء وما يتراءى للمفكرين

أما إذا خاطبتنى كرجل تخرّج من المعامل ، ويود أن يقضى البقية من العمر فيها ، فإننى ممن لا يجيزون البت فى مستقبل الكون بهذه السهولة ، وعلى هذه الصورة . وعلى ذلك فلست ممن يؤمنون بالبولتزمانية إن صح أن نعطى التفسيرات الحرارية الأخيرة هذه التسمية إلا بقدر أنها صحيحة فى مرحلة انتقالية للكون هى المرحلة التى نجتازها ؛ وهذه المرحلة قد يتبعها مراحل لا تكون البولتزمانية موضوع الحديث .

وبعد فتراني أصبو إلى الطرف الإيجابى من المسائل والظواهر عامة . لقد درست على كوتون ، وتتلمذت على موتون ، وصاقبتهما عشرة أعوام أو يزيد — ولقد كانا بنائيين ينظران إلى المسائل ويسائلان أنفسهما : هل من وقائع حقيقية وراء ما نرى أو ما نقول ؟ وإنى أضرب لك مثلاً :

عندما فصل مليكان[1] (Millikan) جسماً واحداً يحمل ألكتروناً حراً واحداً[2] كنا واثقين بعمله . فقد كانت نتائجه التجريبية تحتم شحنة الألكترون بالقدر الذى أعطاه مليكان ما دام منطق الحساب البسيط صحيحاً . هذا الحساب الذى تعلمناه كلنا بالمدارس — وبالمدارس الابتدائية على الخصوص — فقد كان الحادث عند مليكان عندما استطاع أن يرى هذا الجسيم واقفاً بلا حراك بين كفتى المكثف الكهربائى حادثاً خاصاً بقاعدة حسابية بسيطة معروفة لدى طلبة المدارس الابتدائية ، وهى قاعدة القاسم المشترك الأعظم .

عندما نتساءل عن العدد الذى يقسم الأعداد : ١٤، ٢١، ٢٨،

---

(١) سنتحدث عن تجارب مليكان المعروفة فى مقال قادم

(٢) كتاب الألكترون لمليكان Millikan أستاذ الطبيعة بجامعة شيكاغو ومدير معهد نورمان بريدج بكاليفورنيا ترجمه لفرنسية أدولف لباب Adolphe Lepape الطابع فيليكس ألكان Felix Alcan باريز سنة ١٩٢٦ .

٤٢،٣٥ ، فإن الجواب معروف . فالعدد ٧ يقسم كل هذه الأعداد . ولقد كانت تجارب مليكان المعروفة التى عين فيها شحنة الألكترون لا تخرج فى فكرتها الأساسية عن العملية السابقة بالذات . لذلك كان إيماننا بها بقدر يقيننا فى جواب المسألة الحسابية السابقة[1] ولكن عندما تتحدث أيها الأخ عن ملايين ملايين السنين فإن للقوانين اعتباراً آخر ، وللظواهر تطورات نجهلها .

***

وبعد الذى ذكرت كم أكون سعيداً لو استوثقت يوماً أنك تنظر إلى المسائل نظرنا إليها وتعالج الأمور معالجتنا لها ـ قد أكون مخطئاً فيما ذهبت إليه ، ولكن هكذا تكونت وهكذا دَرَسْت . ولا تصفنى إن سمحت بعد اليوم بالعالم الدقيق والطبيعى المحقق ، ولا تذكرنى كما تذكر علماء السوربون وأساتذتهم الأعلام فإن هذا شرف لم أنله ومرتبة لم أرتفع إليها . ولا بد من أن يتسع العمر كثيراً لنطالع عشرات ما طالعناه ، ولا بد من أن تمر سنون عديدة لنستوعب الكثير مما لا نعرف .

وفى الختام أشكر لك كلماتك السابقات التى لا أستحقها ، وأعدك وقراء الرسالة بأننى سأتم كلامى عن الذرة والألكترون وسأخص تجارب مليكان وبيران عن الألكترون بشىء من العناية . فإذا ما انتهيت من هذا فسأتناول أربعة موضوعات رئيسية تتصل كلها بالتفكير الحديث ومستقبل البشر : الكَمّ أى « الكوانتا » لمؤسسها العالم الكبير بلانك ، وربما تكلمت عن علاقتها بالقضاء والقدر . والنسبية « لإينشتاين » . والموجية للعالم الشاب « دى بروى » . والتفتت الذرى لكل هؤلاء الشبان من أرجاء المعمورة الذين يعملون داخل المختبرات على تقدمنا والذين يواصلون الليل بالنهار ليضعوا حجراً جديداً وأساسياً فى مستقبل المعرفة .

وترانى سعيداً لأرقب ملاحظاتك وأرد على أسئلتك وأشترك فى خواطرك وأتعرف إليك مع أصدق التحيات .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) هذا الإيمان خاص بهذا الجزء من عمل مليكان ، وليس اعتماده فى بادئ الأمر على معادلات الهيدروديناميكا وعلى قانون ستوكس Stokes على الخصوص .

من هنا ومن هناك

الثالوث البريطاني فى البلاد العربية

[عن مجلة (فى VU) الباريسية]

منذ بدأت انجلترا تتبع سياسة الحكم غير المباشر فى البلاد العربية ، لم تكتف بجنودها البواسل وطياراتها ودباباتها تذرع تلك البلاد ، فبثت فى رجالاً ذوى مقدرة نادرة وكفاية عالية للسير بسياستها فى طريق النجاح . وذلك أن أعمال « لورنس العرب » قد أصبحت تقليداً يتبع ومثلاً يحتذى عند الإنكليز

وقد تبدو مهمة هؤلاء الرجال على جانب من البساطة ، ولكنها فى الحقيقة على خلاف ذلك . فهم فى حاجة إلى التدخل بين العرب واكتساب مودة الأمراء وثقتهم فضلاً عن البدو والدهماء . فلا تمر صغيرة ولا كبيرة فى العروش الشرقية إلا كان لهم شأن فيها . وهم يحاربون أعداءهم فى صمت وهدوء

ويتبين مما كتبناه عن الإمبراطورية العربية — يرمى إلى المقالات التى لخصتها الرسالة فى أعداد سابقة — أن النضال فى البلاد العربية يدور فى ثلاث مناطق هى محور الدائرة فى الشرق الأدنى . وهذه المناطق هى : الرياض عاصمة مملكة ابن السعود ، وعمان عاصمة الأمير عبد الله ، والقفار التى يشغلها فوزى القاوقجى ورجاله الذين لا يهابون الموت ولا تقف جرأتهم عند حد . فمن الطبيعى أن نجد خدام الامبراطورية البريطانية الصامتين فى تلك البقاع

وأول « الثالوث البريطانى العربى » هو (فردريك جيرارد بيك) ويعرف فى الشرق الأدنى باسم بيك باشا . وقد كان هذا المارد الذى يبلغ طوله ستة أقدام ، الذراع اليمنى للورنس مدى ثورة الصحراء

وقد كان بيك متصلاً كل الاتصال باللجنة التى نظرت فى تقرير مصير الولايات العربية بعد اندحار الإمبراطورية التركية . واشتغل برهة مع الملك فيصل فى العراق . ولم يلبث أن رحل إلى الرياض لمفاوضة ابن السعود ، وجاءت فترة بعد ذلك كان فيها ضيفاً كريماً على شيوخ العرب الذين يرأسون القبائل الثائرة فى الصحراء ، ثم اتصل أخيراً بالأمير عبد الله أمير شرق الأردن وصار أحد مستشاريه المخلصين ، وقد عين مديراً للأمن العام فى عمان حين صارت العاصمة لتلك البلاد . وهو على الرغم من وضعه أحسن النظم لاستتباب الأمن فى عمان، يؤدى لدولته أعظم الخدمات

أما العضو الثاني من هذا الثالوث فهو (جون باجوت جلاب) ويعرف عند العرب باسم (أبو الحنك) لجرح كان قد أصاب ذقنه واستمر أثره إلى اليوم . وتنحصر مهمة جلاب فى اجتياز الصحراء شرقاً وغرباً والاتصال بالبدو والأعراب فى كل مكان. وهو يستعمل كل وسائل الانتقال وتحمله الطائرات إلى أواسط الصحراء حيث يأوى إلى أقرب الخيام . وقد تمضى أشهر عديدة لا يسمع به أحد أو يعرف له مستقرا . وهو يتكلم اللغة العربية الفصحى ويعرف لغات القبائل المختلفة وعادات العرب فى كل منطقة . وهو يجيد الرماية إجادة عجيبة. وله مقدرة فائقة فى معرفة النفوس. أما الغاية التى يرمى إليها فهى اكتساب ثقة الأعراب الذين يجوبون الصحراء . وقد نجح فى حجزهم عن الاتصال بالثورة فى فلسطين على الرغم من المجهودات التى بذلها المهيجون لإثارة هؤلاء البدو إلى حرب عامة للجهاد باسم الدين

ويقيم العضو الثالث من الثالوث البريطانى فى الرياض عاصمة ابن السعود ، ويدعى سان جون فيلبى. وله فضل كبير فى اكتشاف الصحراء العربية وحضرموت ووضع كتب قيمة عنها

وسان جون فيلبى فوق ذلك صديق حميم لابن السعود ، وقد اتصل به منذ وجه أول حملة ضد الأتراك . وهو جد مفتون ببلاد العرب وقد اعتنق الدين الإسلامى فيما بعد

وكان يناقض لورنس فى زعمه أن بلاد العرب يجب أن تقسم إلى إقطاعيات تحت حكم الحسين وأبنائه ، ويقول : إن لورنس يستبق الحوادث ولا ينظر نظرة عميقة إلى القوة التى وراء ابن السعود والوهابيين . وقد دلت الحوادث على أن فيلبى كان على صواب . فلم تمض بضعة سنين بعد هزيمة الأتراك حتى نجح ابن السعود فى التغلب على الحسين ونشر لواءه على نجد والحجاز . وقد استمر حليفاً مخلصاً للدولة البريطانية بفضل سان جون فيلبى

هؤلاء الرجال الثلاثة يقومون بخدمة بريطانيا في بلاد العرب، فإذا زالوا خلفهم آخرون وهكذا وما دام لدى بريطانيا رجال على هذا الطراز فيحق لوزارة المستعمرات في هوايت هول أن تنام ملء عينيها . وسواء بعد ذلك صبر الأمير عبد الله، وشجاعة فوزي القاوقجي، ودهاء الحاج أمين الحسيني، فليس في مقدور أحد منهم أن يؤسس امبراطورية عربية

وإذا ساعدتهم الظروف على ذلك، فلن يكون هذا إلا برضا وزارة المستعمرات، ما دام لديها هؤلاء الرجال الذين يعرفون أغراضها ولا يجهلون الطرق التي توصلهم إليها

الطرق تحكم أوربا

[ملخصة عن تايم آند]

أصبحت الطرق تحتل المكان الأول من اهتمام الدول الأوربية حتى لقد صار من المحتمل أن تقع حرب عالمية من أجل طريق تمتد بضعة أميال في بولندا

ويرجع ذلك الاهتمام العظيم بأمر الطرق إلى إدخال السيارات في أنظمة الجيوش والاعتماد عليها في الحروب . ومن المعروف عند رجال الحروب أن النجاح فيها موكول إلى سرعة الانتقال . فالجيش الذي لديه الوسائل لنقل الرجال والأسلحة قبل غيره معقود له النجاح، ومن هنا جاءت أهمية الطرق، وصح القول بأن من يستولي على الطرق الحربية في أوربا هو الذي سيحكمها ولا محالة

وقد اشتد اهتمام ألمانيا في الأيام الأخيرة بتعزيز جبهتها بالطرق التي تحتاجها وقت الحروب، فتم منذ استولى هتلر على زمامها ما لا يقل عن أربعة آلاف ميل من الطرق المعبدة لسير السيارات، وأصبح من السهل على ثلاثين ألف عربة من سيارات الانتقال، ومليون رجل من رجال الحروب أن ينتقلوا إلى أقصى الجهات في جهة ألمانيا في وقت لا يزيد على أربعة وعشرين ساعة

وقد أصبحت برلين الآن محاطة بأنسجة من الطرق الحربية من كل الجهات وهذه الطرق توصل بين جبهتها وبين الطرق الهامة في أوربا، فلا يكاد الإنسان يتأملها حتى يتساءل، من أي هذه الأنسجة تقفز الرتيلاء ؟ !

والطريق من برلين إلى وارسو (وموسكو) هي الطريق المؤدية إلى سهول شمال أوربا الشاسعة . وهذه السهول منبسطة في أكثر الجهات، وقد لا يزيد ارتفاع الجهات العالية بها على ٦٠٠ قدم، وتمتد هذه الطريق من برلين إلى جبهة بولندا إلى بروبرج إلى سهل الفستيولا، ثم إلى وارسو، وقد تؤدي إلى موسكو

وقد عبر نابليون سنة ١٨١٢ هذه السهول، فاحتل وارسو وخط الفستيولا ثم تقدم منها إلى عاصمة روسيا . ومن هنا يتبين أهمية الطريق التي تطلبها ألمانيا إلى دانزج وشمال بروسيا داخل حدود بولونيا . فدانزج وشمال بروسيا ما زالا كما كانا بالأمس المركز الممتاز الذي تتطلع إليه الأنظار لاقتحام وارسو وشرق بولندا . وكل ما تطلبه ألمانيا أن تضع يدها عليه — لا من أجل الطريق الذي تزعمه — ولكن لتصوب منه الضربة القاضية !

هتلر أو المسيح ؟

[عن ذي لتراري جايد]

تدل الحوادث التي تتكرر في ألمانيا كل يوم على أن حكومة النازي تعمل على محو أثر الكنيسة في الحياة الألمانية . وقد ظهر حديثاً كتاب بعنوان (أزمة المسيحية) بيّن مؤلفه مستر وليم تيلنج ما يحدث في الكنائس الألمانية على اختلافها في العهد الحاضر . وماذا عسى أن يحدث في الكنيسة الألمانية؟ الجواب لا يحتاج إلى تفكير إذا ما نظرنا إلى النظام الذي يشمل ألمانيا الآن، فما يحدث للكنيسة هو جزء من السياسة العامة التي ترمي إلى محو كل نظام قائم إلى جانب النظام العام الذي وضعه النازي للبلاد

ويتبين مما جاء في هذا الكتاب أن هناك حملة مدبرة لمهاجمة آراء الكنيسة وفلسفة الكنيسة ومالية الكنيسة . والقول بأن العقيدة في هتلر تعادل العقيدة في السيد المسيح، والثقة بأعضاء النازي كالثقة بالقديسين الأكرمين، وهذا أمر لا يقبله رجل مسيحي بالطبع لأنه كفر وتجديف، ولكنه هو الواقع بكل أسف ! فالطريقة التي يحيا بها هتلر غب انتصاراته تتخذ المراسم التي كان يستقبل بها رجال الدين في العصور الغابرة، ومذهبه الفلسفي الذي يلغي إلى جانبه كل تفكير وكل علم من رءوس الناس هو مذهب ديني كما يظهر لا مذهب سياسي . وقد قبلت الكنيسة تلك المظاهر خاضعة، ولم تحاول أن تعارض هذه الديانة السياسية إلا في أحوال عارضة

ويقول مستر (تيلنج) إن شباب الجيل الحديث الذين انتزعهم النازي من أيدي القساوسة، وأسلمهم إلى النظام السياسي الذي يسود ألمانيا الآن، سيفقدون على التدريج عقيدتهم في كل شيء، حتى اعتقادهم في ديانتهم الجديدة . فإذا تيقظت الكنيسة

إلى ذلك ، تسنى لها أن تضم إليها هؤلاء الشباب ، وتقودهم إلى حركة تقضى لا محالة على ذلك النظام

إن القوة التى تعارض النازى لا يمكن معرفتها الآن بجانب الضغط الذى يسود ألمانيا ، إلا أن التاريخ قد علمنا أن كل قوة تقوم على محو العقائد من النفوس ، لا بد أن تتجرع من الكأس التى تقدمها لها

حذار من الأذكياء المتعالين !

[بقلم دكتور جوبلز وزير الدعاية الألمانية]

لا نقصد بهذه الكلمة أن نمس الرجل المفكر المخلص الذى يخصص علمه وكفايته وتجاربه لخدمة أمته ، فإن الفكر الألمانى يتألف من هؤلاء الرجال المفكرين ؛ ولكن مما لا شك فيه أن هناك فرقاً شاسعاً بين المفكرين الذين على هذا الطراز وغيرهم من أدعياء الفكر . فليس كل من يحظى بنصيب من التعليم ، وشىء من المقدرة على الظهور ممن يسمونهم بالمتعلمين ، هو فى الحقيقة من الأذكياء أو المفكرين . إن مثل هذا الرجل من بقايا متعلمى الجيل الماضى قد أخطئ فى توجيهه ، ونشأ على طريقة عقيمة فى التعليم؛ فهو فى الحقيقة لم يكن سوى مجموعة من العلوم نمت فى ظل نوع من الذكاء الزائف . أما تأثير هذا الرجل فى المجتمع فهو أشد وأنكى من تأثير الجاهل البسيط ، إذ أن اكتشافه للناس ليس بالأمر اليسير .

والرجل الذى على هـذا الطراز يربك الجبن حكمة ، والنزق حزماً ، والكبر شجاعة ، والذبذبة قوة وثباتاً ...

فإذا عرف خطره على المجتمع ، فإن خطره على المجتمع الألمانى أشد وأعظم؛ لأن الألمان بطبيعتهم لهم غرام خاص بتلك الفضائل فى عنصرها الأصيل . أما الرجل المفكر المتعلم الذى يعمل ويناضل لإحياء وطنه وحرية بلاده ، فهو ومن على شاكلته يتبوءون الآن مراكزهم فى الحكومة الاشتراكية الوطنية ، أو يسيرون خلفها متحمسين مزهوين

إن المفكر التقليدى الذى يصد عن المثل العليا أو يصدف عن الحكمة والمنطق ، ثم يستخف بهذا المسلك المعيب ، هو فى الحقيقة جبان قصير النظر . فلا يزال يرى أن العلم والتربية والمكانة لم تخلق جميعها إلا لما يريده هو ويراه . وكل من تحدثه نفسه بأن يسلك سبيلاً غير سبيله فهو خارج على العرف ، ومن ثم يجب أن يكافح وتعارض أعماله وتوجه إليها حملات النقد والتفنيد

ولا ضرر من هذا الرجل فى أيام السلم إلا أنه قد يكون محقق الضر حين تشتد الأزمات السياسية ، فيجتمع هو وأمثاله زمراً تنقصها ملكة الفهم والحكم على المواقف الدقيقة ليظهروا مخاوفهم ومخاوف الآخرين باسم العلم الزائف الذى يدّعونه

إن هؤلاء المفكرين التعساء لا يزالون يقابلون كل عمل من أعمال الحكومة الاشتراكية الوطنية وأعمال الفوهرر بكلمة « لا » ومن المحتمل أن يظلوا كذلك إلى الأبد . وليس فى نيتنا أن نضم أحداً منهم إلينا لا لأننا لا نستطيع ذلك، ولكننا لا نريد أحداً منهم على الإطلاق ، إذ أنهم حمل لا فائدة فيه



حول جناية الأدب الجاهلي

تحت هذا العنوان كتبت (الثقافة) فى عددها الأخير كلة بدأتها بهذه الجملة :

« أتتنا مقالات عدة من مختلف الأقطار العربية ، بعضها فى مناقشة الفكرة تأييداً أو رداً... وبعضها فى سب ناشر مقالات (الرسالة) (لعله يريد « كاتب ») والتعريض بصاحب المجلة وتحليل الأسباب الداعية إلى ذلك ... »

ولو كانت الثقافة من مواليد العام الماضى لشهدت فى الرسالة معركة من أعنف المعارك الأدبية وأحماها بين الأستاذ سيد قطب وبين روح الأستاذ الرافعى . وكان الأستاذ قطب أمض أسلوباً وأشد لهجة من الدكتور زكى مبارك ؛ وكان يأبى علينا أن نخفف من حدته أو نلطف من ألفاظه ؛ ولكن الدكتور زكى يسمح لنا أن نسكن من سَوْرته بالحذف والتغيير حتى لتنخفض حرارته فى بعض المقالات إلى النصف !

وكان الرافعى عضواً عاملاً فى أسرة الرسالة وصديقاً حميماً لصاحب المجلة إلى أن استوفى آخر أنفاسه . وكان حين شبت هذه المعركة قد انتقل إلى جوار الله فلم يعد له لسان ولا قلم ولا صحيفة ، فكان من الجائز حينئذ للذين لا يفهمون النقد إلا أنه انتقام وخصومة أن يكتبوا فى « التعريض بصاحب المجلة وتحليل الأسباب الداعية إلى ذلك ... » . ولكن صديقنا الأستاذ أحمد أمين — متعه الله بطول العمر — له قلم ومجلة وأنصار ؛ وهو صاحب رأى جديد فى الأدب الجاهلى لم ينشره إلا بعد أن وطن النفس على مكروهه . وناقده أستاذ معروف له استقلاله فى الرأى وأسلوبه فى النقد ومكانته من الصحافة ، فلا يمكن أن يوجه إلى خطة أو يحمل على رأى . إذن يكون من المجازفة والاعتساف أن يظن ظان بعد ما عرف من مثل الرافعى ورأى من نشرنا النقد والرد عليه أن هناك أسباباً دعت إلى هذه المعركة غير خدمة الأدب فى ذاته . وللرسالة والحمد لله قلم يستطيع متى شاء أن يدافع ويهاجم وينقد فى حدود الأدب والحق والمنطق من غير حاجة إلى استخفاء أو استعداء .

(الرسالة)

النعيم الحسى والروحى فى الإسلام

قرأت فى « الرسالة » كلة طيبة لحضرة الأستاذ محمود على قراعة فى مراجعة ما قررت فى أحد الأبحاث الماضية من اعتراف القرآن بالنعيم الحسى فى الفردوس .

والظاهر أن الأستاذ قراعة يرى أن القول بالنعيم الحسى ينافى القول بالنعيم الروحى لمن رضى الله عنهم من المؤمنين .

وأقول بصراحة جلية : إن الإسلام يقوم على أساس القول بأن الإنسان مكوَّن من جسد وروح ، وهو كذلك فى الحياة الأخروية ؛ فسيكون بعد الحساب جنة أو نار ، جنة فيها أنهار وأشجار وأزهار ، وقصور ، وحُورٌ عِين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، ونار فيها جميع صنوف العذاب !

جنة حقيقية لا مجازية ، ونار حقيقية لا مجازية .

تلك هى الحال التى سيصير إليها المؤمنون أو الكافرون بعد الحساب .

أما القول بأن الجنة والنار رموز لا حقائق ، وأن الثواب والعقاب سيكونان مقصورين على الروح ، فذلك قول وصل إلى بعض الصوفية من التأثر بالمسيحية .

والنظرية الإسلامية الصحيحة التى تعترف باللذات الحسية فى الآخرة لا تمنع من القول بأن سيكون فى المؤمنين من يكون نعيمهم برضوان الله أطيب من نعيمهم بما فى الجنة من ثمرات وطيبات

وليت أمثال هذا الصديق يعرفون أن اللذات الحسية من طعام وشراب وعافية هى من نعم الله ذى الجلال ، وهى متشابهة فى الدنيا والآخرة ؛ وما كانت كذلك إلا بمشيئة بارئ الأرض والسموات

أنا يا صديقى راض بأن يكون حظى فى الآخرة عند الحد الذى تقول فيه الآية الكريمة :

« فمن زُحْزِح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز »

أما قضاء الأبد الأبيد بالتسبيح والتكبير والتهليل ، فهو غاية سيطلبها رجل غيرى ؛ فقد قضيت حياتى فى أكدار وأشجان ، وقضاء الأبد فى الفردوس هو الواحة التى أستظل بها من هجير هذا الوجود .

إشغلنى عنك ، يا رباه ! بما سيكون فى الجنة من أطايب النعيم . فإن بصرى أضعف من أن يواجه نورك الوهاج ، ولك الرأى الأعلى فى التجاوز عن ذنوبى وآثامى .

زكى مبارك

توضيح مسألة

سيدى الأستاذ الجليل الزيات

تحية وسلاما ، وبعد . فقد قرأت المقال القيم الذى كتبه الأستاذ كامل محمود حبيب فى عدد الرسالة (٣١٤) عن المرحوم الأستاذ فليكس فارس ، وقد وجدت فى المقال أشياء استوقفت نظرى وأرى من الواجب أن أنبه عليها بياناً للواقع .

وأول شىء استرعى بصرى أن الأستاذ كامل حبيب وضع رقماً يدل على تاريخ مولد الأستاذ فليكس فارس ، وتاريخ وفاته ، والرقم هكذا « ١٨٨٦ — ١٩٣٩ » ، ولكن الحقيقة أن الفقيد ولد عام ١٨٨٢ فى بلدة « صليما » بلبنان ، وقد أخطأ فى ذلك أيضاً الأستاذ صديق شيبوب إذ كتب فى جريدة البصير فى العدد الصادر فى يوم الجمعة ٣٠ يونيو سنة ١٩٣٩ أنه ولد عام ١٨٨١ فى بلدة « المريجات » ، والذى نعرفه نحن شخصياً من الأستاذ فليكس فارس أنه ولد فى ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٨٢ ، وقد أعلنت أسرة الفقيد أنه توفى عن سبع وخمسين سنة ، وعلى هذا يكون تاريخ ميلاده موافقاً للسنة التى ذكرناها .

هذا والأستاذ كامل حبيب ذكر أن الفقيد سافر إلى أمريكا عام ١٩٢٠ ، والذى نعرفه أن الفقيد لم يرحل إلى القارة الأمريكية إلا عام ١٩٢١ . ومما يؤيد هذا الكلام آخر ما كتبه الفقيد والذى جاء فى العدد الخاص من مجلة « المكشوف » عن مظاهر الثقافة فى مصر ، وكما جاء أيضاً فى أكثر من مكان فى كتابه « رسالة المنبر إلى الشرق العربى » ص ٣٦ مثلاً .

هذا ومما نذكره للتاريخ عن سفره إلى أمريكا أنه اعتقل فى « لونج أيلند » مع زميله الفنان جان دبس ستة عشر يوماً لسعايات سياسية وأفرج عنه بمساعدة صديقه الأستاذ أمين الريحانى

ويذكر الأستاذ كامل حبيب أن الفقيد تعرف على جبران وعلى أعضاء الرابطة العربية فى نيويورك . والحقيقة أنها الرابطة القلمية التى كان عميدها جبران ومستشارها ميخائيل نعيمة (كتاب جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة ص ١٧١) . وأما الرابطة العربية فمقرها فى القاهرة على ما نعلم ورئيسها هو الأستاذ محمود بسيونى رئيس مجلس الشيوخ السابق .

ابرهيم أدهم

سؤال الى (المفكرين) من علماء المسلمين

أنا لست من الفقهاء ولا المحدثين ولكن لى من المشاركة فى هذه المباحث مايطوّع لى عرض هذا السؤال وتوجيهه توجيهاً قد لا يرضى المتمسكين بحرفية النصوص الشرعية ، الواقفين عند ما جاء فى الشروح والحواشى ، معترفاً بأن مستندى فى الذى أقوله على الأحكام العامة والرأى والاجتهاد ، لا على الدليل الأصولى والحجة الشرعية ، وهذه الأحكام العامة التى أرجع إليها وأستند عليها هى :

١ — أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ، وأن مبادئه لا يعتريها البلى ولا تفسدها الأيام

٢ — إن الإسلام يجعل من المتمسكين به أرقى مجموعة بشرية فى العلم والقوة والمال والحضارة

فكيف يتفق مع هذين الأصلين وجود أحكام فى الفقه لا تصلح لهذا الزمان ، وأحكام تجعل المسلمين دون الأمم الأخرى فى مرافق الحياة ؟ مثال الأولى أحكام البيع والشراء فى فقه الشافعية مثلاً ؛ فإن فيها ما يتعذر تطبيقه فى التجارات الواسعة وما يخالف كثيراً من المتعارف عليه بين التجار ، كأن يشترى التاجر المصرى بضاعة من انكلترا ويبيعها فى سوريا من غير أن يتسلمها أو يراها ، أو يشترى من المعمل أشياء لم تصنع بعد وتم العقد عليها . ومثال الثانية ما قام عليه الدليل الحسى من أن أمة متمدنة لا تستطيع اليوم الاستغناء عن المصارف (البنوك) ومعاملاتها وما قدر أن يقوم به بنك مصر من الأعمال العظيمة القائمة فى الأساس على شىء من الربا ...

أفنقول للتجار إن الإسلام يحول بينكم وبين اتباع الأسلوب السهل المعروف فى التجارة ويعرقل أعمالكم ؟ أو ندع أعمال

البنوك مع ما هى عليه من اللزوم ومالها من الفوائد والمزايا ؟ وكيف يكون التوفيق حينئذ بين هـذه النتيجة التى ننتهى إليها وبين الأصلين الثابتين المتقدمين ؟

أو لا يصح القول بأن من أحكام الفقه ما هو مبنى على أصل ثابت من كتاب أو سنة فهذا ما لا سبيل (فيما أعلم) إلى تبديله أو تغييره ، ومنها ما هو مبنى على عرف كان سائداً فى عصر الفقهاء المجتهدين ، وقد تغير العرف فيجب أن تتغير الأحكام المبنية عليه . أذكر أنه مر معنا عند درس (المجلّة) فى كلية الحقوق أنه إذا باع الرجل دابة له واشترط على المشترى ألا يركبها فى البلد مثلاً فالشرط لغو لا قيمة له ، وقد بنى هذا الحكم على اعتبار هذا الشرط ضاراً بالمشترى فى حين أنه لا ينفع البائع ، فألغوه على قاعدة (الضرر يزال) ... فإذا وجدنا فيه نفعاً للبائع كأن يكون البائع للسيارة سائقاً يشتغل بنقل الركاب على طريق معيّن ، وأن يكون استعمال المشترى السيارة على الطريق عينه مضراً به ... فإنه يجب فى هذه الحالة اعتبار هذا الشرط صحيحاً ، فما هو قول علمائنا الأعلام ؟

والربا ؟ أليس الربا المحرم هو استغلال صاحب المال حاجة المستقرض وإرهاقه بالزيادة ، وضم الزيادة إلى رأس المال عند عجزه عن الدفع (على طريقة الفائدة المركبة) حتى تستغرق الفائدة رأس المال أو تزيد ، وأنه حرم لما ينشأ عنه من خراب للبيوت وتنازع بين الناس وتسرب البغضاء إلى النفوس ؟ أو ليس هنالك فرق (عظيم) بين هذا الربا وبين معاملات المصارف . فأنت حين تعامل المصرف لا تستغل حاجته ، ولا ترهقه بالفائدة بل هو الذى يعرضها عليك . فهو أشبه بشركة المضاربة ولا يشترط (فيما أظن) تقسيم الربح بالتساوى بين الشريكين ، ولا مانع من أن يساهم المضارب ببعض المال . فإذا صح هذا أمكن أن نعد القائمين على أعمال البنك بمثابة الشريك المضارب ، والمساهمين بمثابة صاحب المال ، والخسارة تكون بالطبع على أصحاب رؤوس الأموال بنسبة أموالهم . بقى أن البنك لا يستعمل المال فى التجارة ولكن يستثمره بطريق الربا أيضاً ، وهى التى لا وجه لها عندى . فما هو قول علمائنا الأعلام ؟

إن الإسلام إذا كان لكل زمان ، فإنه يجب أن يكون لكل زمان فقهه ، والفقه الذى يقرؤه الطلبة فى الأزهر وغير الأزهر لم يوضع لزماننا ، وإنما وضع لأزمان مضت . وأنا معجب أشد الإعجاب بالفقهاء المتقدمين ، فإنهم لم يدرسوا وقائع أزمانهم ويضعوا لها الأحكام فقط ، وإنما فرضوا الفروض وبحثوا عن أحكامها . فأين فقهاؤنا الذين بحثوا فى المسائل الفقهية الناشئة عن الراديو مثلاً وحكم سجود التلاوة عند سماع القارئ فيه ، وحكم الاقتداء بالإمام الذى تسمع قراءته فى الراديو والمسائل الناشئة عن وسائط النقل الحديثة والسفر بها . والمسائل التى حدثت فى العرف التجارى وغير ذلك مما تشعر بالحاجة إلى معرفة حكم الله فيه . على أننى أذكر هنا بإكبار بحث فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر فى الطلاق فإنه يعد مثلاً كاملاً فى هذا الباب . فمتى يعمد العلماء إلى الكتابة فى مشكلات المسائل على هذا النمط ، ومتى يلغى من الأزهر الفقه الموضوع للقرن التاسع والعاشر ليحل محله فقه القرن الرابع عشر . مع العلم بأن منبع الاثنين الكتاب والسنة عماد الإسلام . هذا الدين المرن الصالح لكل زمان ومكان ؟

هذا سؤال أوجهه إلى (المفكرين) لا الحافظين من علماء المسلمين !

« دمشق » **على الطنطاوى**

حول الروحيات والمعنويات فى الإسلام

أستاذنا العزيز الزيات :

وبعد فقد أساء بعضهم فهم ما ذكرناه عن ابن عابدين ج ٣ ص ٢١٥ ؛ ولذلك يجب ذكر ما قاله كاملاً : « قال السيوطى قال ابن عقيل الحنبلى جرت مسألة بين أبى على بن الوليد المعتزلى وبين أبى يوسف القزوينى فى ذلك ، فقال ابن الوليد : لا يمنع أن يجعل ذلك (يريد اللواط) من جملة اللذات فى الجنة لزوال المفسدة لأنه إنما منع فى الدنيا لما فيه من قطع النسل وكونه محلاً للأذى ، وليس فى الجنة ذلك ، ولهذا أبيح شرب الخمر لما ليس فيه من السكر وغاية العربدة وزوال العقل. فلذلك لم يمنع من الالتذاذ بها. فقال أبو يوسف الميل إلى الذكور عاهة وهو قبيح فى نفسه ... ولهذا لم يبح فى شريعة بخلاف الخمر ، وهو مخرج الحدث ، والجنة نزهت عن العاهات . فقال ابن الوليد : العاهة : هى التلويث بالأذى ؛ فإذن لم يبق إلا مجرد الالتذاذ . . . والظاهر أن المراد بالحرمة هنا القبح إطلاقاً لاسم المسبب على السبب أى قبحها عقلى بمعنى أنه يدرك بالعقل وإن لم يرد به الشرع كالظلم والكفر . لأن مذهبنا أنه لا يحرم بالعقل شىء أى لا يكون العقل حاكماً بحرمته ، وإنما ذلك لله تعالى بل العقل مدرك لحسن بعض المأمورات وقبح بعض المنهيات . فيأتى الشرع حاكماً يوفق

ذلك . فيأمر بالحسن وينهى عن القبيح ، وعند المعتزلة يجب ما حسن عقلاً ، ويحرم ما قبح ، وإن لم يرد الشرع بوجوبه أو حرمته . فالعقل عندهم هو المثبت ، وعندنا المثبت هو الشرع والعقل آلة لإدراك الحسن والقبيح قبل الشرع . وعند الأشاعرة لاحظ للعقل قبل الشرع بل العقل تابع للشرع فما أمر به الشرع يعلم بالعقل أنه حسن ، وما نهى عنه يعلم أنه قبيح ... فلا تكون اللواطة فى الجنة على الصحيح لأنه تعالى استقبحها وسماها خبيثة والجنة منزهة عنها ، وفى الأشباه حرمتها عقلية فلا وجود لها فى الجنة ، وقيل سمعية فتوجد ... »

هذا ولقد ظن بعض القراء أن معنى وجود خلاف فى الرأى فيما يتصل بوجود هذا الفعل فى الجنة أو عدم وجوده ، أن الشريعة الإسلامية ، لم تنكر هذا الفعل لأنها لم تقرر الحد عنه ، وفاتهم أن عدم الحد عنه لا لخفته بل للتغليظ حتى رأى الجمهور تكفير مستحلها ، وأن بعضهم يرى حد الفاعل والإحراق بالنار ، وهدم الجدار والتنكيس من محل مرتفع باتباع الأحجار والجلد والتعزير والسجن حتى الموت أو يتوب ، ولو اعتاد هذا الفعل قتله الإمام سياسة .

هذا وقد قال لنا بعض العلماء إن الذين يرون رأينا فى روحية اللذات فى الجنة يجب تكفيرهم أو على الأقل رميهم بالضلال والعياذ بالله ، لأن رأى الروحانية يتنافى فى رأيهم مع أصل النصوص ، والواقع أن هؤلاء يتجاهلون ما يجب أن يعرفوه من أن اللذة سواء أكانت حسية أم معنوية تتصل أكبر ما تتصل بانفعالات النفسية وتقرب كل القرب من الروح ، فالسمع والبصر والشم واللمس والذوق حواس الإنسان الخمسة يمكن أن تضم إليها الحاسة الفنية التى يضمها بعض الكتاب وبذا نكاد نتفق فى إعزاز الجزء الروحى فى كل حاسة وإكبار شأنه وفهمه أنه أسمى جزئياتها . فأنت إذا رأيت منظراً جميلاً هل تستطيع أن تقدر لطربك الروحى من رؤية هذا المنظر أقل من تسعة أعشار ما يشع عليك من سرور . ولقد كان جمال يوسف الصديق شاغلاً لأهل مصر عن الإحساس بألم الجوع ، حتى أنهم كانوا إذا جاعوا (كما ذكر الغزالى فى إحياء علوم الدين الجزء الرابع) نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع ، وحتى قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى ما أحسسن بذلك كما قص لنا القرآن الكريم . وكذلك يمكن القول عند ذكر الحاسات جميعاً . فليطمئن هؤلاء العلماء الذين أسرعوا فكفّروا مع أن التكفير إثم عظيم لا يكفره إلا عفو من ظلموه ليطمئنوا لأنا نفهم أن الإنسان كما يمكنه أن يسمو بلذاته الحسية إلى حيث مرقاة الروح ، يستطيع أن ينزل بها إلى حيث يريد من النزول . فعند سماعك لغناء تستطيع أن ترقى به وتستطيع أن تجعله ينزل بك ، فإذا سمعت غناء من ذى صوت جميل لتقديس الله بالتفكر فى جمال الحناجر التى خلقها فأنت رجل روح تتمتع بلذة السماع وهى لذة حسية وترتفع بها إلى جعلها ترقى بروحك وبنفسك ، وأما إذا كنت تسمع صوتاً جميلاً من جميل وتريد بسماعك ومن حركات المغنى تحريك شهواتك ، فأنت نازل بلذتك الحسية إلى الحضيض ، ولذا قرر السهروردى حل الغناء فى الأولى وحرمته فى الثانية

ثم ما قول هؤلاء العلماء فى لذة النظر إلى وجه الله الكريم ؟ وهى لذة روحية بحتة تفوق كل اللذات ... الحق أنهم ظنوا بجهلهم لروح الإسلام وتعاليمه الصحيحة ، أن حسية اللذات تمنع من روحانيتها ، وفاتهم أن اللذة معنى لا يحس وأنها إذا نسبت لما ينتجها فليس هذا إنزالاً لها من عالمها إلى عالم المادة أو الحس . ولكن الذى نؤمن به كمسلمين صادقين أن فى الجنة لذات روحية وحسية ، وإنا كمؤمنين صادقين نرى أن لذات الجنة الحسية لذات راقية تسمو بالروح ، إذ لا لغو فى الجنة ولا تأثيم ، وأن أكبر لذات الجنة التى سينعم بها المؤمنون روحية . هذه عقيدتنا التى يجب أن يؤمن بها كل مؤمن صادق .

محمود على قراعة

فن منحط برغم ذلك

كتب الأستاذ أنور كامل فى بريد العدد الماضى من الرسالة كلة عن جماعة الفن والحرية بعد أن شعر أن الكلمة المنشورة فى العدد الأسبق تحت عنوان الفن المنحط تمس الجماعة التى ينتمى إليها رغم أن الكاتب لم يشر بتاتاً إلى جماعة « الفن والحرية » وهذا التصرف من الأستاذ كامل له مغزاه ... وقد أتيح لى أن أطلع على بعض ما كتبه ورسمه بعض المنتمين إلى تلك الجماعة وأرسلت بعضه لمحرر الرسالة ، ولعله المعنى بالذات فى تلك الكلمة التى أثارت الأستاذ كامل ودفعته إلى كتابة كلمته ...

وإنى أقول للأستاذ إن الفن الذى يبشر به ويروج له فن

منحط رغم كل ما يقال فيه، وإن الجماعة التي تتسمى باسم الفن والحرية لا تفهم الحرية إلا على أنها فوضى لا ضابط لها ولا قانون — كما أن مسايرة الفن الأوربي في تخبطاته الأخيرة ليست حرية بحال من الأحوال. بل هي عبودية عمياء، وهذا هو ماتفعله جماعة الفن والحرية!! فليشرح لنا الأستاذ على أي أسس تقوم آراء جماعته — وإني على استعداد تام لمناقشة كل ما سيدلي به الأستاذ في الدفاع عن آراء جماعته. ولعل صفحات الرسالة تتسع لكل ما سيكتب في هذا الموضوع والكسب للفن على كل حال.

نصري عطا الله سوس

للحقيقة والتاريخ: بيان وتصحيح

لما قرأت ما نشرته الرسالة منذ أعداد من نبأ (المجلة الأدبية) التي ستصدر في دمشق، والمحاضرة التي ألقيت في بعض النوادي عن (التأليف والمؤلفين) وأحاديث (الراديو) عن شعراء دمشق، ورأيت ذلك كله مجتمعاً في عدد واحد، وإلى جنبه ذكر كتاب نشر حديثاً ووصفه بأنه (آية في التحقيق والتدقيق)، ظننت أن الله قد (بعث) الحركة الأدبية في الشام، واستخفني الطرب حتى حدا بي إلى الإسراع بالعودة إلى الديار، لأشارك في جَنْي بواكير هذه الثمرة الطيبة ... وعدت فإذا المجلة (مشروع) من هذه المشروعات التي يطيب لبعض الشيوخ المتقاعدين وبعض الشبان المتبطلين الكلام فيها ليوهموا أنفسهم أنهم (يشتغلون) ولم يتحقق منه إلا اجتماع دعا إليه أحد الأدباء، وخبر لا أدري من بعث به إلى الرسالة، ذكر فيه أشخاص متماثلون متقاربون في شهاداتهم ومنازلهم زملاء في التدريس، فرفع بعضهم إلى المنزلة العليا وقيل عن بعض إنهم (متأدبون ناشئون) لحقدوا على الرسالة، والرسالة لا ذنب لها ... وإذا المحاضرة التي ألقيت ونشرت كاملة في صدر (الهلال) تشتمل على دعوة (قوية) إلى ترك الثناء بالباطل، وإلى النقد الصريح. ونحن اتباعاً لهذه الدعوة، وامتثالاً لأمر صاحبها، نعلن أن المحاضرة أرق بقليل من كتاب (الوسيط) الذي يدرس للطلاب، وأنها خالية من الإحاطة بالموضوع، ومن التحقيق العلمي، ومن (الشيء الجديد)، وأنها عبارة عن نتف من هنا ونتف من هناك، جمعت بأسلوب خطابي يثب فيه المؤلف من عصر إلى عصر، فيذكر أشياء لا ندري لماذا يذكرها، ويهمل أشياء لا ندري فيم أهملها، ثم يختمها بكلام طويل في وصف المؤلف الذي (يريده). أما أحاديث الراديو، فلم تلق بعد، وأظن أن هـذا الشاب العامل المجد سيكون أدنى إلى التوفيق من سادتنا الكهول الذين أخذوا شهرة من الدهر فناموا عليها، واطمأنوا إليها، وأهملوا الإنتاج القيم، وإذا الحركة الأدبية (لا تزال) ميتة أو مغشياً عليها قد صرعتها السياسة وأحداثها، فأحببت أن أنشر هذا البيان في الرسالة لا بغضاً لدمشق فما يدعي محبتها أكثر مني إلا كاذب، ولكن حفزاً للهمم وإظهاراً للحقيقة، ولئلا يسجل في الرسالة غير الحق. وأنا أتمنى والله أن يكون الأمر غير ما أقول ولو عدت كاذباً ...

ع . ط .

فرقة تمثيلية من المشايخ

شهدنا في دار الأستاذ علي الطنطاوي اجتماعاً تمهيدياً لتأسيس فرقة تمثيلية تضم كبار المشايخ المشتغلين بالعلم والأدب؛ الغاية منها إرشاد الناس إلى المنهج الأخلاقي والعمل للاصلاح عن طريق التمثيل. وقد حضر الاجتماع الأستاذ الكبير الشيخ عبد القادر المبارك والأستاذ الشيخ عبد القادر الطنطاوي. وقد تبرع أحد الوجهاء الذين حضروا الاجتماع بأرض واسعة يبني فيها مسرح عظيم، وبالنفقات اللازمة للتمثيل. وسيقوم حضرات الأساتذة بالتمثيل فعلاً، في الرواية الأولى التي يعدها الآن الأستاذ الشيخ علي الطنطاوي.

«دمشق» (ص . م)

المرحوم فليكس فارس

ستقام حفلة تأبين كبرى للمرحوم الأستاذ فليكس فارس بدار المحفل الأكبر الإقليمي بشارع يونج رقم ٢ بالاسكندرية وذلك في تمام الساعة السابعة والنصف من مساء الاثنين ٢٤ يوليو سنة ١٩٣٩ والدعوة عامة.

عائشة والسياسة

وقع في هذا المقال المنشور بالعدد (٣١٤) من «الرسالة» سهو، وهو أن الحاشية (الأغاني ٥ — ١٣٠ طبع دار الكتب) موضعها آخر العمود الثاني (ص ١٣٥٠) لأنها تعين مصدر الحادثة المذكورة ثمة، ولا علاقة لها بالعنوان.



سمو المعنى في سمو الذات
أو أشعة من حياة الحسين

تأليف الأستاذ عبد الله العلايلي

للأستاذ على الطنطاوى

تفضل الأستاذ عبد الله العلايلى فأهدى إلىّ كتابه الذى سماه (سمو المعنى فى سمو الذات)، وجعله الحلقة الأولى من سيرة الحسين بن على بن أبى طالب، فطالعت أكثره والقلم فى يدى فكنت أكتب بعض التعليقات على ما أنكر منه فاجتمع لى فى نقده مسائل (مهمة جداً) أحببت أن أنشرها، وما أشك فى أن الأستاذ يتقبلها بقبول حسن، فيقرّها إذا رآها حقاً، ويناقشنى فيها إذا رآها غير ذلك. ولست أعرض فى هذا النقد للخلاف بين السنة والشيعة، أو أثير غبار النزاع على القضايا المذهبية، وإنما أنقده من الناحية التاريخية العلميـة، للوصول إلى الحقيقة التى أنشأ الأستاذ العلايلى كتابه للبحث عنها

والملاحظة العامة على هذا الكتاب هو أنه يدرس خلافاً بين فئتين، فيسبغ على إحداهما ثوب التقديس والإجلال، ويكتب عنها بروح إكبار واحترام، وينزل بالثانية إلى حيث يتمكن من النزول بها، ويلصق بها التهم والعيوب، ويتكلم عنها بلغة لا تخلو أحياناً من كلمات وعبارات لا يليق بالمؤرخ النصف المهذب أن يقولها. وقد تكون هذه التهم صادرة عن (الخيال ...) وحده، ليس لهـا سند من رواية أو نص؛ وقد يعترف بذلك المؤلف ولـكنه لا يمتنع عن ذكرها. كقوله وهو يتكلم عن الأمويين صفحة (٣٣): «الحزب الأموى كاد للنبى ولدعوته، وعرفنا كيف أسلم زعيم الأموية أبو سفيان، وعرفنا كيف لم يبق للأمويين أى مقام اعتبارى فى محيط الإسلام الذى كان ظهوره فوزاً وغلبة للهاشميين ... ووجدوا فى ولاية يزيد بن أبى سفيان وولاية معاوية من بعده فرصة سانحة للقيام بعمل خطير، ففكروا فى اغتيال عمر بن الخطاب (!) وكذلك اغتالوه بيد فارسى ...» إلى أن قال: «وإنما أقول فى جملة ما أودّ إثباته إن قتل عمر لم يكن وليد فكرة فارسية مدبرة، وإنما كان وليد فكرة موضعية خالصة وأموية بحتة. هذا رأيى وعسى أن أجد (انتبه) فى منثور الروايات والأخبار ما يوضح الواقع»!

فإذا كان المؤلف يستند فى تاريخ المـاضى إلى (رأيه ...) ويضع النتيجة قبل أن يجد المقدمات، أى أنه إذا كان يرتجل التاريخ ارتجالاً فليس عجيباً أن يكون فى الكتاب نقول عن المسعودى فى الطعن على بنى أمية والمسعودى لا ينقل عنه (وحده) فى هذا الباب كما هو معروف، وأن يكون فيه نقول عن مثل الأب لامنس عدوّ العرب والإسلام، المتعصب الذى يضعّفه كثير من المستشرقين ولا يرون الأخذ عنه

والمؤلف يقول فى صفحة (١٣): «والحق أنا لا نزال من فهم عصر الحسين على غموض وخفاء، وذلك لأن الأقلام التى تناولته منذ أول عهد العرب بكتابة التاريخ لم تكن بريئة على إطلاق القول، بل دارت على خدمة أغراض شتى بين النزعة المذهبية، والزلفى من السلطة الغالبة». ثم يأتى فى صفحة (٤٩) فيقول فى عنوان مكتوب بحروف كبيرة: أسباب فشل سياسة على عليه السلام ونجاح السياسة المعادية[1]» ويصف الأمويين بأنهم أداة

(١) كأن السياسة المعادية سياسة رومى أو فارسى مجوسى!

إفساد وفى طبيعتهم بعث الحياة الجاهلية صفحة (٢٨). ويقول فى صفحة (٤٢): « على بن أبى طالب مظهر فذ من مظاهر التكامل الإنسانى، ونموذج بارع من نماذج التفوق البشرى، ومثال لبلوغ الاستعداد الكامن فى النسم الخ » فى صفحة كاملة كلها خطابيات ومبالغات على هذا النمط. وحينما يتكلم عن الخلفاء الأربعة يتكلم عنهم ص (١٢) بما نصه: « الخليفة الأول والثانى والثالث ثم علىّ عليه السلام »

ولنأت الآن إلى عرض نماذج من المسائل التى أنكرتها فى الكتاب بقصد التمثيل لا الاستقصاء

١ – يقرر فى صفحة (١٠) أن نظام الحكم فى عهد الأمويين « لم يكن إلا ما نسميه فى لغة العصر بالأحكام العرفية، هذا النظام الذى يهدر الدماء، ويرفع التعارف على المنطق القانونى (كذا) ويهدد كل امرىء فى وجوده. وفى هذا العصر إذا كان يتخذ فى ظروف استثنائية ولحالات خاصة فقد كان فى العهد الأموى هو النظام السائد » وكان هذا فى رأيه (وضعاً احتكم فى كل التاريخ الأموى وصبغه بصبغة وبيلة، فتنافى مع المبادىء الدينية والمدنية) وكل ما أورد المؤلف من الأدلة على هذه الدعوى التى لا يدعيها أشد الغلاة من أعداء التاريخ الإسلامى وخصومه، كل أدلته أنه أشار إلى (المرسوم الملكى أو المذكرة الإيضاحية (كذا) الصادرة فى بيان الأسباب التى بررت قتل أبى جعفر الشلمغانى) وذكر أنها فى الجزء الأول ص (٢٣٨) من معجم الأدباء – وهكذا ثبتت هذه التهمة الخطيرة، وسوّدت صفحة من أنصع صفحات التاريخ العربى، وانتهى الأمر بسلام، وقيل الحمد لله رب العالمين ورحمة الله على العدل أيام بنى أمية، ورحمة الله على التحقيق التاريخى فى أيامنا هذه

٢ – يقرر فى ص (١٢) أن معاوية اقتبس النظام البيزنطى « وانفعل به إلى أبعد حد. فانتقل طفرة واحدة إلى نظام يبعد كثيراً عن النظام النبوى من كل الأطراف » إلى أن قال: « إلى حد نتمكن معه من القول بأنها حالت دون أزكى ثمار الإسلام، وحالت دون حكومة القرآن، ومسخت تعاليم النبى، وشوهت تقاليد حكومة الخلفاء » اهـ والذى نفهمه أن موضوع اقتباس الأمويين النظام البيزنطى يحتاج إلى درس شامل لكلا النظامين، وأدلة ثابتة، ولا يمكن شرحه فيما دون الرسالة الكبيرة أو الكتاب المستقل. أما مجرد الادعاء وإرسال النظريات فلا يقدم فى التاريخ ولا يؤخر ولا يكون له قيمة علمية

٣ – ذكر فى صفحة (١٧) أن من الأسباب « التى يظن أنها مهدت إلى عمل الاضطراب (كذا) وإثارة الخواطر وقدمت مادة الانقلاب الكبير، الاختلاف على البيعة يوم السقيفة وامتناع فاطمة منها وآل هاشم عموماً » وذكر أن هذا الخلاف « كان له صدى عكسى – كذا – ولد عند البعيدين شيئاً من الشعور بالاستهانة وجرأهم على الانتقاض والخروج والتمرد ». وجعل المؤلف هذا الخلاف من الأسباب المؤدية إلى ارتداد العرب، مع أن انتخاب الرئيس فى أى بلد من البلدان الجمهورية يتقدمه فى عصرنا نزاع وخلاف لا يقاس به اختلاف أهل السقيفة، ولا يؤدى إلى خروج ولا تمرد. ثم إن خلافة أبى بكر كانت إجماعية فلم يشذ عن بيعته إلا رجل واحد هو سعد بن عبادة. وتأخر على ومن معه لأسباب أخرى ذكروا أن منها اشتغاله بكتابة المصحف. وعلى كل فقد بايع أخيراً. أما ارتداد من ارتد فقد كانت له أسباب معروفة (غير ما ذكر)

٤ – ويذكر فى صفحة (٢٣) أن من هذه الأسباب: « عدم عناية حكومة الخلفاء ببث الدعوة وغرس التربية الدينية » وهذا كلام لا يقبله أحد، لأن المؤلف لم يقم عليه الدليل العلمى أولاً، ولأن هذا الادعاء طعنة موجهة إلى صميم التاريخ الإسلامى. وإذا كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلى لم يعنوا ببث الدعوة وغرس التربية الدينية، فمن ذا الذى عنى بها ؟ ومن ذا الذى بث الدعوة إلى الدين حتى شملت مشارق الأرض ومغاربها ؟ ومن غرس التربية الدينية حتى فى صدور الفرس والروم وأهل خراسان وأرمينية حتى صاروا مسلمين يشتغلون بدرس الدين ويتبعون هديه، وحتى نشأ فيهم علماء فحول وأئمة هادون ؟

أتردّ هذه الحقائق كلها بتسعة أسطر جاء بها المؤلف، خاليةً من أى دليل: من نصّ ثابت أو استنتاج منطقى ؟

٥ – وذكر المؤلف أن « مسحة الحكم إلى عصر علىّ لم تزل

خاضعة للنظامات القبَلية ، وأن حكومة « تقوم على نظم البداوة لا يرجى لها بقاء ، لأنه ليس بين عناصرها وحدة حقيقية » والرد على هذا الكلام من وجهين : أولهما أن الإسلام قد محا عصبية القبيلة ودعا إلى الأخوة الإسلامية ، وفهم ذلك الصحابة ونشأ عنه وحدة عربية استطاعت أن تعمل أكبر عمل في سبيل الدعوة إلى الله . وثانيهما أنّ هذه النزعة القبلية إذا كانت قد ظهرت بعض الظهور ، فإنما ظهرت أيام عليّ . واستثناء المؤلف عصر عليّ من الحكم الذى أطلقه وعمّمه قلبٌ للحقيقة وتبديل للواقع

٦ — ويقول فى صفحة (٢٦) : « إن للأنصار حقاً أكيداً وشبهة قوية فى السلطة على أنهم فهموا فى آخر الأمر أنهم أنصار الدين وأنصار محمد وأنصار بيته (كذا) ولذا ظل ميلهم إلى الداعى القائم من آل البيت » ... وقرّر فى حاشية الصفحة أن الأنصار : « يعتبرون وصول بنى أمية إلى الحكم إنما هو انتصار لأعدائهم القدامى من مشركى مكة » .

ودليل هذا كله أن « فَلُوتِنْ » ذكره فى كتاب « السيادة العربية » فانظر هذا التحقيق !

٧ — ويقرر فى صفحة (٢٧) أن الأمويين أرادوا « أن يخضدوا من شوكة المدنية ويقضوا على الطبقة الدينية المحترمة » وأنهم « استأجروا طوائف من الشعراء والمغنين والمخنثين من بينهم عمر بن أبى ربيعة لأجل أن يمسحوا عاصمتى الدين : مكة والمدينة بمسحة لا تليق بهما ... » إلى أن قال : « ويتمادى بنا الظن إلى أن المروانيين فكروا بصرف الناس عن المقدسات الإسلامية التى تنزل من الإسلام منزلة الشعيرة ، بإنشاء المسجد الأموى بأبهته العظيمة بدمشق . ولقد ظن بعض المستشرقين « كالأب لامنس اليسوعى » بأن هذه نية عبد الملك بن مروان بأناته فى تشييد المسجد الأقصى . ونحن وإن كنا نظن ونوافق من يظن نرسل ما نقول فى تحفظ مطلق حتى تتناصب عليه الشواهد والروايات » اهـ وما دام هذا كله ظناً من المؤلف ، وما دام قد أقر بذلك فنحن نعلن أن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ، وأن التاريخ لا يُكتب على هذا الشكل الذى عمد إليه المؤلف ، وإنما يكتب التاريخ رجل خالى النفس من الهوى لا يبغض ولا يحب ؛ وإنما يدرس المقدمات ويسير فيها بهدى المنطق وينتهى حيث تنتهى به ، وما عدا هذا وجاوزه لم يكن تاريخاً ولا شبه تاريخ

٨ — ومن أعجب ما يأتى به هذا المؤلف الذى يرتجل التاريخ وينشئ من خياله حوادث لم تكن — أنه يجعل فى صفحة (٦٦) نشأة يزيد بن معاوية ، نشأة مسيحية ! ويستدل على ذلك بأن أخواله بنى كلب كانوا يدينون قبل الإسلام بالمسيحية ! وإلى أنه يعرف طرفاً من الهندسة ! ! وإلى أن يزيد أمر الأخطل (لمسألة خاصة معروفة) بهجاء الأنصار . ويقول فى صفحة (٦٨) بعد سرد هذه الأدلة المضحكة : « إذن كان يقيناً أو يشبه اليقين أن تربية يزيد لم تكن إسلامية خالصة ؛ أو بعبارة أخرى كانت مسيحية خالصة ، فلم يبق ما يستغرب معه أن يكون مستهتراً مستخفاً بما عليه الجماعة الإسلامية لا يحسب لتقاليدها وعاداتها أى حساب ولا يقيم له وزناً ، بل الذى يستغرب أن يكون على غير ذلك »

هذا قليل جداً من كثير جداً ، مما فى هذا الكتاب العجيب من المسائل .

***

أما لغة الكتاب فلا تخلو مواضع منها كثيرة من ضعف فى التأليف ، أو استعمال للكلمة على غير وجهها أو فى غير معناها . قال المؤلف فى الصفحة (٩) : « ثم هذه الجوانب التى نلمح إليها ليس من السهل استيعابها على وجه الدقة إلا إذا انتشرنا على مسائل الخ... » فافتتح الكلام بقوله : « ثم هذه الجوانب » وكان الأولى أن يقال : « ثم إن هذه الجوانب » ، واستعمل كلمة « انتشرنا على » بمعنى « اطلعنا على » وليس لها وجه . وقوله فى ص (١١) : « وكذلك يبدو الدرس متصعباً غامضاً حتى نقف من تاريخ الحسين موقف الحيرة الطلافة لشدة خفاء الجانب التعليلى (؟) فى كل مراحل حياته التى كانت أشبه بالبعثرات » . وقليل من يفهم ما المراد بالجانب التعليلى ، أو يقر كلمة « البعثرات » فى هذا الموضع ، ولذلك أمثال فى الكتاب

هذا وأنا أشكر للمؤلف الفاضل هديته ، وأرجو أن يحمل نقدى على المحمل السهل ، وأن يثق بأنى لولا احترامى إياه ، ما نقدته ولا عرضت لكتابه

علي الطنطاوي

Lundi - 31 - 7 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

7me Année No. 317

بدل الاشتراك عن سنة
مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣١ يوليه سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

صفحة — الفهـــــرس

لجنـــة التقدير

للأستاذ عباس محمود العقاد

ثم تقررت ضريبة الجمال(١)

وجاء دور اللجان التى تقدر الجمال بالخبرة والنظرة الصادقة، وتقدر الضريبة عليه بالعدل والقسطاس المستقيم

فمن هم الخبيرون بالجمال ؟ وممن تتألف اللجنة أو اللجان التى تفرض « مقداره » ثم تفرض مقدار الضريبة الواجبة عليه ؟

* * *

زعموا أنهم ندبوا لذلك لجنة من فلاسفة « الاسطاطيقا » أو فلسفة الجمال كما عربها الأستاذ الأكبر أحمد لطفى السيد باشا

واعتقدوا أن هؤلاء الفلاسفة هم أحق الناس بعرفان المعاني الجميلة والصور الجميلة، كما أنهم أحق الناس باستخلاص كنه الجمال فى جوهر الجواهر ولب اللباب

قالوا : فمضت برهة قبل أن يتفق هؤلاء الفلاسفة الأخيار على التعريف المختار

هل الجمال هو الحرية ؟ وهل الجمال هو التنسيق والنظام ؟ وهل الجمال هو غلبة الفكرة على المادة ؟ وهل الجمال فى تمثيل الغريزة الجنسية ؟ وهل الجمال فى تمثيل النزعة الكمالية ؟ وهل الجمال عميق عمق البشرة، أو هو عميق عمق الروح وعمق أسرار الغيوب ؟

(١) راجع العدد ٣١٥ من الرسالة

وجيء إلى الحكومة بمحاضر الجلسات فإذا هي ألغاز ومعميات ، وشعاب ومنعرجات ، ومتاهة تلتقي فيها الخواتيم والبدايات ، وتنقضي الأعوام قبل أن تسعف الخزانة ببضعة دريهمات

***

وزعموا أن الحكومة تركت هذه اللجنة توغل في متاهاتها وندبت للأمر لجنة أخرى من رجال المسارح والمراقص ومدربي اللاعبين واللاعبات والراقصين والراقصات

ثم جربتها في مدينة واحدة ، وانتظرتها برهة أخرى فإذا هي تعود إليها بأسماء لا تتجاوز العشرات ، وأرقام لا تتعدى المئات ، لأنها قضت برهتها في قياس الوجوه والأجياد ، وقياس الأنوف والآذان ، وقياس الصدور والظهور ، وقياس الجذوع والأطراف ، فما استحسنته من هنا عابته من هناك ، وما زادته من الساعد نقصته من الساق ، وما أضافته عادت فحذفته ، وما أوشك أن يؤول إلى ثروة تراجع فأوشك أن يؤول إلى إفلاس!

وبلغت الشكايات إلى مسامع الحكومة قبل أن يبلغ التقرير إلى مراجعها ، ثم نظرت في التقرير بعد انتهائه إليها فإذا هو اضطراب في الأهواء ، واضطراب في الآراء ، واضطراب في الأرقام والأسماء ، فقالت : عليه وعلى كاتبيه العفاء!

***

زعموا هذا وزعموا أن أديباً كيِّساً نصح إلى الحكومة جهد نصيحته فأشار عليها بالتعويل في أمر الضريبة على أناس غير الفلاسفة وغير خبراء الفنون

ماذا عليها مثلاً لو عمدت إلى طائفة من هواة السهر ، وعشاق الحسان في باحات السمر ، فناطت بهم تقدير الجمال ، وتقدير جباية الأموال ؟

هؤلاء أناس من أوساط الناس ليسوا بأصحاب إمعان في الحقائق والأسرار ، ولا بأصحاب تصعيب في القياس والاختبار ؛ وهم مع هذا يعرفون النساء ، ويحبون الشمائل الحسناء ، فلجنة منهم هي أصلح الأكفاء لتقويم الجمال كما يقومه عامة الرجال والنساء

وإن الحكومة لتهم بالموافقة والتصديق ، إذا بصديق يأخذ عليها الطريق ، وينهاها عن هذا الفريق ، لأنه أعجز فريق عن التوفيق في هذا العمل الدقيق!

سألوه : لماذا ؟

فأجابهم : لهذا ...

وهذا عنده هو دعواه أن رواد المراقص والملاعب لا يحبون الحسناء لأنها حسناء ، ولكنهم يحبونها لأنهم يحبون المغالبة والرهان ، والمفاخرة والشنآن . . . فشأن المرأة عندهم كشأن كل علامة يتحقق بها الغلب والظهور ، وما يبذلون من مال في هذا المجال فإنما يبذلونه بذل المراهن أو بذل المقامر أو بذل المتحدي في أمر من أمور العناد والإصرار ، ولا يبذلونه تقويماً للحسن ولا للمتعة ولا لإرضاء الذوق السليم والفن الجميل

ويتفق كثيراً أن تغلب خلاعة المرأة جمالها في هذا القمار أو هذا السباق

ويتفق كثيراً أن يغلب الكيد الخلاعة ، وأن تبقى بعد الخلاعة والكيد وشهوة الفوز والغلبة حصة صغيرة للجمال الصحيح

***

حيرك الله يا جمال كما أنت حيرة الناظرين والباحثين والمشترعين والمحصلين!

إذن لا ينفع الفلاسفة ولا ينفع خبراء الفنون ، ولا ينفع عشاق الحسان أو غير الحسان . . .

فمن الذين ينفعون ؟ ومن الذين يقدرون ؟ وكيف يقدرون ويحصلون ؟

رأي أخير ، فلعله ليس بفطير

قالوا : نعهد في أمر التقدير والتحصيل إلى لجان من عامة خلق الله ، لا هم بأصحاب فلسفة ولا هم بأصحاب فن ولا هم بأصحاب سهر ومجون

بل زيد وعمرو وبكر وخالد وفلان من جملة بني الإنسان

وجمعوا اللجان من عامة السكان

فعادوا قليلاً وهم بين مكسور ومجبور وولهان وغضبان

عند البيت الأول قال شيخ من ذوي الوقار بين الأعضاء : مائة دينار لا تنقص درهماً واحداً على هذه الحسناء

قال فتى أنيق : وأين هي تلك الحسناء ؟

قال الشيخ : تلك التي تراها

قال الفتى : أتلك السمينة البدينة التى تشبه الغرارة ؟

فما أتمها حتى سقط تحت أربعة أو خمسة من الضاربين : أحدهم الشيخ والآخرون أو الآخرات ، ما شئت من سامعين وسامعات

وفى لجنة أخرى تغير الاقتراح فكانت الضريبة الراجحة من نصيب النحيفة العجفاء ، فلم تتفق اللجنتان فى غير الضرب والتجبيه والإيذاء

وكانت اللجنة من اللجان تشتمل على الحضرى والقروى والشيخ والشاب والجاهل والمتعلم والزوج والأعزب ومن يعرف نساء الحي ومن ليست له معرفة بهن ولا قرابة . فإذا أُخذت الآراء ، فهناك ابتداء ولا انتهاء ، ومتهمون ولا أبرياء ، ومغرضون ولا نزهاء ، فى عرف جميع الرجال وجميع النساء

وكثرت الرشوة ، وعمت الوشاية ، واستفاضت الأقاويل ، وتبدلت اللجان ، فما كان من أهل قرية فلينقل إلى غيرها لدفع المظنة ومنع الشبهة ، وهى لا تمتنع ولا تندفع بحال

* * *

قال كاتب هذه السطور : فلما علمت بهذه الورطة وعلمت أننى جنيتها وأوقعت من أوقعت فيها علمت كذلك أننى مطالب « بالتخليص » كما قد تبرعت بالتوريط ، وأننى فتحت باباً ولا مناص له من إغلاق ، وبدأت أمراً ولا بد له من ختام

قلت لمن سمع ما قلت : إياكم واللجان ، وإياكم والتقدير ، واجعلوها كما هى فى الحقيقة ضريبة فذة بين ضرائب العصور ، فلا يقدرها مقدر ولا يجبيها جاب ولا يسأل عنها سائل ، وإنما يترك الرأى فيها لمن يبذل بذله ويسوّم تسويمه ، وما على الحكومة إلا أن تعلن بالمذياع وبالصحف وبالنداء فى أرجاء البلاد أسماء كل مائة راجحات فى كل يوم من الأيام ، ولا عليها من نشر الصور والأوصاف إلا أن يشاء ذلك من يشاء

وسنرى كيف تمتلئ الخزانة ، وينقلب معنى الخيانة إلى إفراط فى الأمانة ، فيؤديها الناس أضعافاً مضاعفات ، ويبذلونها مرات بعد مرات ، كلما فاتهم الإعلان مرة فاستدركوا ما فات !

عباس محمود العقاد

حول كتاب :

مستقبل الثقافة فى مصر

نظرة انتقادية عامة

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

— ٢ —

وأما مآخذ المقدمات والبراهين التى بنى عليها مؤلف الكتاب « الحكم » الذى ذكرناه آنفاً ، فهى كثيرة ومتنوعة ؛ سأكتفى بذكر ثلاثة منها ، لإعطاء فكرة عامة عنها :

١ — عند ما يسأل المؤلف : « أمصر من الشرق أم من الغرب ؟ » يوضح قصده من هذا السؤال بقوله : « أنا لا أريد بالطبع الشرق الجغرافى والغرب الجغرافى ،وإنما أريد الشرق الثقافى والغرب الثقافى » ثم يعقب قوله هذا بالعبارات التالية :

« فقد يظهر أن فى الأرض نوعين من الثقافة يختلفان أشد الاختلاف ، ويتصل بينهما صراع بغيض ، ولا يلتقى كل منهما صاحبه إلا محارباً أو متهيئاً للحرب : أحد هذين النوعين هذا الذى نجده فى أوروبا منذ العصور القديمة ، والآخر هـذا الذى نجده فى أقصى الشرق منذ العصور القديمة أيضاً » ... (ص : ٧)

يصعب عليّ جداً أن أوافق المؤلف على ما جاء فى عباراته هذه : لا أدري ما هى الثقافة التى كانت موجودة فى أوربا منذ القرون القديمة ؟ وما هو الصراع البغيض الذى اتصل بين هذه الثقافة وثقافة الشرق الأقصى المخالفة لها؟ ومتى وكيف حدث هذا الصراع، وبأى شكل انتهى. ما هى الحروب التى حدثت بين هاتين الثقافتين، كلما التقتا ؟ ما هى تواريخ التقاء هاتين الثقافتين المتخاصمتين ؟ وما هى تفاصيل الحروب التى نشبت بينهما كلما حدث هذا الالتقاء ؟

إن كل ما أعرفه عن التاريخ بوجه عام ، وتاريخ الحضارة ، وتاريخ الفلسفة وتاريخ العلوم بوجه خاص ... لا يساعدنى « مع الأسف الشديد » على إعطاء أجوبة مثبتة على هذه الأسئلة .. وبعكس ذلك ، كل ما أعرفه فى هذا المضمار ، يحملنى على القول بخلاف ذلك تماماً .. كل ما أعرفه فى هذا المضمار يحملنى على القول بأن الصراع الذى حدث بين الثقافات والحضارات التى نشأت

وترعرعت حول بحر الروم نفسه ، كان أشد وأعنف وأطول من الخصام الذى حدث بين هذه الثقافات والثقافات الهندية والصينية ، بدرجات كبيرة ...

مع هذا أتساءل حائراً : ما الفائدة من هذه الأبحاث فى هذا المقام ؟ ما شأن هذه القضية بشرقية مصر أو غربيتها ؟ وهل من علاقة منطقية بين هذه القضية وبين مسألة وجود أو عدم وجود فروق جوهرية بين العقل المصرى والعقل الأوربى ؟

يتساءل المؤلف فى هذا المقام :

— أيهما أيسر على العقل المصرى : أن يفهم الرجل الصينى أو اليابانى ، أو أن يفهم الرجل الفرنسى أو الإنكليزى ؟

« هذه هى المسألة التى لا بد من توضيحها وتجليتها قبل أن نفكر فى الأسس التى ينبغى أن نقيم عليها ما ينبغي لنا من الثقافة والتعليم ؟ » (ص ٧)

وهل من مفكر يقول — فى مصر أو فى غير مصر — بوجوب إقامة الثقافة والتعليم على أسس ثقافة الصين أو اليابان ؟

إنى أعتقد أن هذه الأبحاث كلها من الأمور الاستطرادية التى لا ضرورة لها ولا فائدة منها : فلا الاتفاق فى أمرها يكون سبباً كافياً لقبول الحكم المتعلق بعدم وجود فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربى ، ولا الاختلاف فى شأنها يكون سبباً مبرراً لرفض ذلك الحكم

كما أن الاتفاق أو الاختلاف عليها لا يستلزم الاتفاق أو الاختلاف فى تثبيت الأسس التى يجب أن تقام عليها الثقافة والتعليم ، فى مصر وفى سائر البلاد العربية

٢ — قبل أن ينتهى المؤلف من مناقشة قضية « الشرق والغرب » يتطرق إلى مسألة أخرى، فيثير قضية «تأثير وحدة الدين ووحدة اللغة فى تكوين الدول» إنه يقول فى هذا الصدد ما يلى :

« من المحقق أن تطور الحياة الإنسانية قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين ووحدة اللغة ، لا تصلحان أساساً للوحدة السياسية ، ولا قواماً لتكوين الدول ... » (الصفحة ١٦)

« فقد تخففت أوربا من أعباء القرون الوسطى ، وأقامت سياستها على المنافع الزمانية ، لا على الوحدة المسيحية ، ولا على تقارب اللغات والأجناس ... » (الصفحة ١٨)

إن هذه الآراء تستوقف النظر ، وتستوجب المناقشة فى عدة وجوه :

أولاً — يستعمل المؤلف فى الفقرة الأولى تعبير «وحدة اللغة»، وفى الفقرة الثانية تعبير «تقارب اللغات» . ولا أرانى فى حاجة إلى الإيضاح بأن الفرق بين مفهومى التعبيرين المذكورين كبير جداً

ثانياً — يسوى المؤلف ـ فى كلماته هذه ـ بين وحدة الدين ووحدة اللغة فى وجهة التأثير السياسى ؛ ويدعى أن تأثيرهما فى السياسة كان من خصائص القرون الوسطى ، وأن أوربا تخلصت من تأثير هذين العاملين منذ عهد بعيد ...

إننى أعتقد أن كل ذلك مخالف لحقائق التاريخ وقوانين الاجتماع مخالفة صارخة : فإن عمل وحدة اللغة فى الحياة الاجتماعية والحوادث التاريخية ، يختلف عن عمل وحدة الدين اختلافاً كليًّا : يذكر التاريخ — بين حوادث القرون الوسطى والقرون التى تلتها — أمثلة كثيرة لعمل الدين فى السياسة ؛ كما يسجل وقائع عديدة تظهر تأثيرات مبدأ « حقوق الملوك » فى تكوين الدول وتوحيدها ؛ ويذكر أمثلة كثيرة لانضمام بعض الأقطار إلى أخرى ، بسبب وقائع التزاوج والتوارث التى حدثت بين الأسر المالكة . ولكنه لا يذكر ـ بين حوادث تلك القرون ـ مثالاً واحداً عن تكوين دولة على أساس « وحدة اللغة »

إن وحدة اللغة لم تصبح من القوى الفعالة فى تكوين الدول وتوجيه السياسات إلا فى القرن الأخير ، وإلا بعد أن فقدت « وحدة الدين » قوتها وتأثيرها فى هذا المضمار ... كما أن تأثير « وحدة اللغة » فى السياسة لم ينته بانتهاء الفرق المذكور، بل ازداد شدة فى القرن الذى نعيش فيه ، وهو لا يزال مستمراً وشديداً ...

ولهذه الأسباب أقول : إن قياس « وحدة اللغة » على « وحدة الدين » فى هذا المضمار ، والادعاء أنها فقدت تأثيرها السياسى وعملها التكوينى منذ عهد بعيد ... لا يتفق مع حقائق التاريخ ، بوجه من الوجوه ...

يقول المؤلف اثباتاً لمدعاه : إن السياسة شىء والدين شىء آخر . إنى أوافقه على قوله هذا ، ومع هذا أستغرب كيف يسوغ لنفسه أن يحشر اللغة مع الدين فى الفقرات التى تلى هذا الكلام !

فلنقل ولنصح مع المؤلف : إن السياسة شىء والدين شىء آخر ، ولكننا هل نستطيع أن نقول : إن السياسة شىء واللغة شىء آخر ؟ لا شك فى أننا نستطيع أن نقول للناس : ليحتفظ كل منكم بمعتقده الدينى لنفسه ؛ ولكن هل نستطيع أن نقول لهم : ليحتفظ كل منكم بلغته لنفسه ؟

يقول المؤلف : إن أوربا أقامت سياستها على المنافع الزمانية ؛ فهل يستطيع أن يدعى أن اللغة لا تدخل فى نطاق المنافع الزمانية ؟ إذا شك فى ذلك رجوت منه أن يتصور نفسه ــ لحظة واحدة ــ فرداً فى رعايا مملكة أجنبية ، لا يعرف شيئاً عن لغتها الرسمية ؛ ويستعرض أنواع المشاكل التى يقع فيها فى كل خطوة من خطوات حياته اليومية ؛ فليقل عندئذ هل اللغة خارجة عن نطاق الأمور الزمانية؟

لننعم النظر فى سياسة الدول التى قطعت أبعد الأشواط فى فصل الدين عن السياسة ، وغالت أشد المغالاة فى حصر أعمال الدولة فى نطاق الأمور الزمانية : هل هى أقدمت على فصل اللغة أيضاً عن السياسة ؟ وهل تركت مسائل اللغة خارجة عن ساحة أعمال السلطات الزمانية ؟

إننى أعتقد اعتقاداً جازماً أن اللغة تختلف عن الدين فى وجوه الطبيعة الذاتية ، والتأثير النفسى ، والعمل الاجتماعى . إن عدم ملاحظة هذا الفرق الجوهرى — الموجود بين اللغة والدين — فى هذه الوجوه المختلفة ، قد عرّض المؤلف لأخطاء كبيرة ، وأوقفه مواقف يخالف فيها أثبت وقائع التاريخ ، وأظهر حقائق الاجتماع مخالفة صريحة

يحاول المؤلف أن يستشهد على أقواله الآنفة بتاريخ الإسلام أيضاً . غير أن محاولاته هذه لا تزيده إلا تغلغلاً فى الأغلاط وتباعداً عن حقائق التاريخ ...

٣ — يتحدث المؤلف عن اتصال مصر بأوربا ، وعن اندفاعها فى اقتباس الحضارة الأوربية معتبراً سهولة هذا الاتصال ، وسرعة هذا الاندفاع من الدلائل التى تبرهن على عدم وجود « فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربي »

غير أنه خلال ذلك يتطرق إلى « نظم الحكم وأشكال الحياة السياسية » فى مصر ، ويبدى رأياً غريباً فى هذا الصدد إذ يقول :

« إن الذين أرادوا أن يستبدوا بأمور مصر فى العصر الحديث كانوا يذهبون مذهب لويس الرابع عشر وأشباهه ، أكثر مما كانوا يذهبون مذهب عبد الحميد وأمثاله » (الصفحة ٣٢)

فى اعتقادى أن هذا الرأى لا يستطيع أن يقاوم أبسط المناقشات

فلنفكر أولاً : ماذا يقصد المؤلف من تعبيرات « مذهب لويس الرابع عشر وأشباهه ومذهب عبد الحميد وأمثاله » ؟ إن ذلك يظهر بوضوح فى العبارات التى سبقت الفقرة الآنفة الذكر والتى تلتها . فقد قال المؤلف ، قبل الفقرة المذكورة : « إن نظام الحكم المطلق عندنا فى العصر الحديث كان متأثراً بنظام الحكم المطلق فى أوربا قبل انتشار النظام الديمقراطى ... وإن نظام الحكم المقيد عندنا كان متأثراً بنظم الحكم المقيد فى أوربا أيضاً ... »

كما قال بعد الفقرة المذكورة : « والذين أرادوا أن يحكموا مصر حكماً مقيداً بالعدل ، دون أن يشركوا الشعب معهم فى الحكم كانوا يتخذون لحكمهم قيوداً أوربية لا شرقية » لأنهم نقلوا نظم الإدارة والحكم من أوربا ، « ولم يستمدوه مما كان مألوفاً عند ملوك المسلمين وخلفائهم فى القرون الوسطى ... »

بعد أن فهمنا بهذه الصورة ما يقصده المؤلف من هذه التعبيرات يقتضي أن نتوجه إليه بالأسئلة التالية :

هل يستطيع أن يدعى أن عبد الحميد لم يستند فى حكمه واستبداده إلى نظم أوروبية ؟ وهل يستطيع أن يقول بأن بلاط القاهرة لم يتأثر ببلاط الآستانة ؟

أما أنا فأستطيع أن أبرهن بكل سهولة أن حكم عبد الحميد أيضاً لم يكن من النوع الذى كان مألوفاً عند ملوك المسلمين وخلفائهم فى القرون الوسطى » ، وعلى أن استبداده أيضاً كان متأثراً إلى حد بعيد « بنظام الحكم المطلق فى أوربا » كما أستطيع أن أبرهن على أن تأثيرات الآستانة فى القاهرة كانت واضحة جداً .

...مع هذا أرى من الضرورى أن أسأل: ما الفائدة من إثارة هذه المسائل فى هذا المقام ؟ وهل من علاقة منطقية وعلمية بينها ، وبين المسألة الأصلية التى يعالجها المؤلف فى الصفحات التى ذكرناها؟

هذه ثلاثة نماذج واضحة على « المباحث الاستطرادية » التى كثيراً ما يحشرها المؤلف بين مباحثه الأصلية ، يورط نفسه من جرائها فى أغلاط كبيرة . . .

من المعلوم أن « التفكير العلمى » يتطلب تحليل المسائل ، وتجزئة المشاكل ، ليسهل معالجة كل جزء منها على حدة . وأما الخطة التى يسير عليها الدكتور طه حسين فى أبحاثه هذه — فى أكثر الأحيان — فمعكوسة لذلك تماماً : لأنه كثيراً ما يخلط المسائل بعضها ببعض ، ويدخل بعضها فى بعض ، فيزيدها بذلك تعقيداً وإشكالاً . . . وكثيراً ما يحاول أن يبرهن على كل قضية بمجموعة قضايا أخرى أكثر حاجة إلى البحث والبرهنة من القضية الأصلية نفسها .

— ٣ —

بعد الانتقادات التى سردتها آنفاً ، اعتراضاً على بعض الآراء

التي دونها الدكتور طه حسين في الصفحات السبعين الأولى من كتابه، خلال درسه للمسألة المبحوث عنها — أعني مسألة العقل المصرى، والعقل الأوربى — لا بد لى من أن أنقل البحث إلى وجهة نظر أخرى، فأقول كلمة فى بعض النقائص التى ألاحظها على بحوث المؤلف فى هذا الباب، من جراء عدم التفاته إلى بعض الأمور المهمة، بالرغم من شدة علاقتها بالموضوع، وبالرغم من ضرورة ملاحظتها لإتمام بحث المسألة من جميع وجوهها.

لا شك فى أن الطريقة المثلى لدرس مثل هذه المسائل درساً علمياً، وحلها حلاً منطقياً، هى طريقة الاستقراء والمقارنة: إجراء مقارنة مباشرة بين الشرق والغرب - بين مصر وأوربا - من حيث العقل والثقافة والطبع والمزاج، واستعراض الفروق والمشابهات التى تتجلى بينهما من هذه الوجوه المختلفة؛ ثم البحث عن جوهرية وعدم جوهرية الفروق المذكورة، وذلك على أساس مقارنتها بالفروق التى تلاحظ بين الأمم الأوربية المختلفة من جهة وبين ماضى تلك الأمم وحاضرها من جهة أخرى...

إن الدكتور طه حسين بقى بعيداً عن هـذه الطريقة من أول أبحاثه هذه إلى آخرها.

وقد نجم عن هذا الابتعاد نقصان خطيران:

أولاً: لم يلتفت المؤلف إلى أهم الفروق الموجودة بين الشرق والغرب، وهى التى تشاهد بينهما من وجهة نظم الأسرة وأوضاع المرأة، والأوصاف النفسية - الخلقية والعقلية - التى تتبع تلك النظم والأوضاع...

ثانياً: لم يذكر المؤلف شيئاً عن الآراء المستندة إلى الاختبارات العقلية ومقاييس الذكاء...

ومما يزيد فى خطورة هذا النقص الأخير هو أن بعض هذه الآراء كانت حامت حول مصر مباشرة، واستندت إلى الاختبارات التى أجريت فى مصر على جماعة من المصريين، بمساعدة جماعة من كلية الآداب المصرية نفسها، كما سيظهر للقارئ من التفاصيل التالية:

كانت الحكومة المصرية قد استدعت الدكتور كلاباريد - أستاذ علم النفس فى جامعة جنيف، وأحد أساطين هذا العلم فى العالم - قبل نحو عشر سنوات؛ وطلبت منه أن يدرس المدارس المصرية، ويبدى لها آراءه فى بعض المسائل المتعلقة بوجوه إصلاحها. فأراد الأستاذ المشار إليه أن يستفيد من وجوده فى مصر لهذا الغرض، لدرس «العقل المصرى» درساً علميًّا. وقام بسلسلة اختبارات عقلية بمساعدة جماعة من المعلمين والطلبة؛ وتوصل من اختباراته هذه إلى نتيجة تستلفت الأنظار: فقد لاحظ أن معادل الذكاء فى مصر يكون سويًّا عند الصغار؛ غير أنه يأخذ فى التأخر والهبوط عن المستوى الطبيعى المعروف فى أوربا بسرعة غريبة بعد سن الطفولة... اهتم الدكتور كلاباريد بهذه النتيجة وأعلم بها زملاءه فى معهد جان جاك روسو فى جنيف قبل أن ينتهى من مهمته فى مصر؛ وهؤلاء نشروا رسالته هذه فى مجلة «المربى» التى تصدر فى لوزان... هذه المسألة عكست بعد مدة على الصحافة المصرية فنشرت مجلة الهلال مقالة لأحد الأساتذة يشرح فيها الاختبارات المبحوث عنها ويحاول تعليل النتيجة المذكورة بفرضية يراها (الدكتور منصور فهمى - الهلال ديسمبر سنة ١٩٢٩)

أفليس من الغريب ألا نجد أية إشارة كانت إلى هذه المباحث فى كتاب الدكتور طه حسين بين صحائفه الكثيرة المخصصة لدرس مسألة «وجود وعدم وجود فرق جوهرى بين العقل المصرى والعقل الأوربى»؟ يتطرق الدكتور فى كتابه هذا - خلال بحث هذه المسألة - إلى أمور متنوعة جداً.. فى مباحث التاريخ القديم إلى مسائل السياسة والدين.. من ثقافة الصين إلى مدرسة الاسكندرية... من حكم لويس الرابع عشر إلى استبداد عبد الحميد... من أسباب انحلال الدولة الإسلامية فى القرون الوسطى إلى أساليب الحكم المقيد فى مصر... من تأثير الديانة المسيحية فى تكوين العقليـة الأوربية إلى نظر الإسلام إلى المسيحية... من انقطاع التجارة بين الشرق والغرب فى القرون الوسطى إلى دخول الراديو إلى الأزهر الشريف فى العصر الحاضر... يتطرق الدكتور إلى مسائل لا تعد ولا تحصى... ولا يشير إلى البحث العلمى الذى ذكرناه آنفاً مع أنه يتعلق بموضوع درسه مباشرة!

إننى لا أذكر اختبارات كلاباريد وآراءه فى هذا المقام اقتناعاً بها أو تصويباً لها، بل أصرح بهذه المناسبة بأننى كنت من المعترضين عليها، فقد انتقدت تلك الاختبارات فى حينها، وأظهرت مواطن الخطأ فيها، واعترضت على ما نشر فى الهلال فى شأنها، واستندت فى ذلك إلى الاختبارات العقلية المتنوعة التى قمت بها بنفسى فى مدارس بغداد (مجلة التربية والتعليم الجزء ٢٤ ص ١٥٤ — نيسان ١٩٣٠ الجزء ٢٧ ص ٣٩٩ — كانون الأول ١٩٣٠)

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]

مشكلة اليهود في العالم

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

إن الذى يدرس تاريخ اليهود من قديم الزمن يعرف أن العوامل التى تتنازع سياستهم ليست حديثة العهد، وأن مواقف الأمم الأخرى منهم فى هذا العصر كانت لها أشباه ونظائر فى عصور التاريخ المختلفة فى عهد قدماء المصريين والبابليين والأشوريين والفرس والإغريق والرومان. فسألة اليهود كانت موجودة حتى قبل أن يفقدوا استقلال شعبهم وقبل أن يخرب طيطوس ابن الأمبراطور الرومانى فسباسيان معبدهم وقبل أن يقضى على أورشليم، وقبل أن يتشتت اليهود فى العالم [١]. بل هى كانت موجودة قبل ذلك عند أسرهم، ونقل الكثير منهم إلى بابل وهو المعروف فى التاريخ باسم أسر بابل [٢] وكانت موجودة عند ما سمح

(١) كان اليهود منتشرين فى العالم المتحضر من قديم الزمن قبل سقوط أورشليم، وأحيانا كان بعضهم يتخذ جنسية أخرى ويرقى أعظم المناصب فى الأمم الأخرى القديمة وحاولوا قديما السيطرة على الأسواق المالية كما يفعلون الآن (٢) فى عهد بختنصر الكلدانى

كما أصرح بأن الاختبارات الأخيرة كانت أعطتنى نتائج مماثلة لنتائج الاختبارات التى جرت فى أوربا وأميركا تمام المماثلة (مجلة التربية والتعليم ـ الجزء ١٩ . ص ٣٠٣ . حزيران ٩٢٩)

فلم أذكر اختبارات الدكتور كلاباريد هنا، لأردّ بها على رأى الدكتور طه حسين. وإنما ذكرتها لأظهر للعيان (بمثال آخر وبوضوح أكبر) ما فى خطة البحث التى سار عليها الدكتور من الغرابة والنقص...

أعتقد أن الانتقادات التى سردتها آنفاً عن المسألة الأولى فى المسائل التى حاول الدكتور طه حسين درسها ومعالجتها فى كتابه «مستقبل الثقافة فى مصر» تكفى لإعطاء فكرة عامة عن حظ الكتاب المذكور من القيمة العلمية...

واستناداً إلى كل ذلك، أكرر ما قلته فى مقدمة هذا المقال: إن كتاب مستقبل الثقافة فى مصر، يتألف فى حقيقة الأمر من مجموعة أحاديث ومقالات، قليلة التناسق وكثيرة التداخل. يبدو على جميع أقسامها آثار الارتجال والاستعجال، ويتخلل معظم أقسامها أنواع شتى من الاستطرادات والاستدراكات...

(برمانا) **أبو خلدون**

لهم قورش ملك الفرس بالعودة وإعادة بناء أورشليم، وعندما شجعهم فى أعمالهم المالية كى ينشط التجارة فى دولته. ويتنازع نفوس اليهود من قديم الزمن عاملان: النزعة العالمية، والنزعة الشعبية المصطبغة بصبغة دينية. وقد كانت متاعب اليهود قديماً وحديثاً ناشئة من استفحال النزعتين وتنازعهما نفوسهما؛ فتارة يوقعهم الغلو فى المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية فى نزاع مع الدول الأخرى، وتارة يوقعهم الغلو فى النزعة العالمية فى ذلك النزاع. وقد كانت النزعة العالمية تظهر فى نفوسهم فى بعض الأحايين بمظهر اقتصادى مالى فيحاولون السيطرة على أسواق العالم المالية، وتارة تظهر النزعة العالمية بمظهر الدعوة إلى مُثُل عليا. وكان بعضهم يريد قصر تحقيق هذه المثل العليا على اليهود، وهؤلاء هم الذين كانوا يناصرون النزعة الشعبية الدينية، وبعضهم لا يريد قصرها على اليهود بل تعميمها فى العالم. والغريب فى أمرهم أنه بالرغم من الشاحنات والاقتتال الذى كان يحدث قديماً بين اليهود من أنصار المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية وبين أنصار النزعة العالمية، وبالرغم من أن النزعة العالمية فى نفوس بعضهم كانت تتخذ مظهر الأثرة المالية والطباع الدنيوية الراغبة فى الربح المالى قبل كل شىء، وهى طباع تخالف نزعة المثل العليا وتخالف التضحية فى سبيل تحقيقها، فإن كثيراً منهم كان يحاول التوفيق فى نفسه بين النزعتين المتناقضتين أو يحن تارة إلى هذه وتارة إلى تلك، كما أن بعضهم كان يحاول الاستفادة لنفسه أو للشعب اليهودى من النزعتين المتناقضتين معاً. فاليهودى الذى يميل إلى المثل العليا أو الذى يميل إلى المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية لا يرى حرجاً فى أن يلتجئ إلى صاحب النزعة العالمية المالية والطباع الدنيوية لاستخدام ماله وسلطته فى سبيل تحقيق مثله العليا أو فى سبيل المحافظة على التقاليد الشعبية الدينية الضيقة التى ترفض النزعة العالمية، كما أن صاحب الطباع الدنيوية والأثرة المالية لا يرى تناقضاً فى خطته إذا حن إلى المثل العليا التى قد تخالف نزعة أثرته الدنيوية، أو إذا ساعد فى المحافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية الضيقة التى تخالف نزعته العالمية الدنيوية، وربما حن إلى المثل العليا ذلك الحنين الذى يدعو إلى التضحية فى سبيلها فى الوقت الذى يستثمر الدعوة إلى تلك المثل العليا لكسب المال وزيادة نفوذه الاقتصادى. واجتماع هذه النزعات المختلفة فى النفس الواحدة ليس مقصوراً على اليهودى فهى طباع النفوس البشرية عامة، ولكن هذا التناقض

أظهر ما يكون فى اليهود لتلاؤمهم فى النزعتين المتناقضتين غلواً يظهر الفرق بينهما فى نفوسهم أكبر منه فى نفوس غيرهم. وقد ظهر اليهود قديماً وحديثاً ظهوراً كبيراً فى مناصرة النزعتين المتناقضتين، وهذا أدى كما ذكرت إلى مشاحنات بين طوائفهم وإلى مشاحنات بينهم وبين الأمم . وقد ظهرت النزعة العالمية فى حياة اليهود على اختلاف مظهرى تلك النزعة أى المظهر المالى الاقتصادى ومظهر المثل العليا قبل أن يفقد اليهود كل سلطة سياسية فى حكم فلسطين . فظهرت فى دولة الفرس[1] وظهرت فى دولة الرومان[2]

على أن فقدانهم كل سلطة سياسية فى حكومة فلسطين لم يوهن النزعة الشعبية الدينية فى نفوسهم وإن كان قد ساعد على استفحال النزعة العالمية . وتحريم الكنيسة المسيحية على المسيحيين تقاضى الربح عند تسليف النقود واعتباره ربا أدى إلى ما يشبه احتكاراً من اليهود للمعاملات المالية وإلى سيطرتهم على الأسواق المالية فى أوربا ، وهذا قوى النزعة العالمية فى نفوسهم كما أدت النزعة الشعبية الدينية إلى مناصرة بعضهم بعضاً؛ وزادت هذه المناصرة إذ وجدوا أنفسهم قلة يهودية فى وسط كثرة غير يهودية من الشعوب التى هاجروا إليها . وشأن القلة من الطوائف التعاون حتى لا تغمرها الكثرة ولا سيما إذا كانت الكثرة كثرة تبغض القلة . وزاد البغض الدينى فى نفوس الكثرة أولاً استيلاء اليهود على الأسواق المالية بالتسليف؛ وثانياً عواقب مناصرة اليهود بعضهم لبعض من استيلائهم على كثير من المهن التى تحتاج إلى الأعمال الفكرية والاستعداد العلمى والفنى . وبالرغم من أن بعض اليهود حاول معالجة هذا البغض والقضاء على الكره الذى كان غير اليهود يشعرون به نحوهم بالاندماج فى الأجناس الأوربية اندماجاً تاماً ، فإن الكثرة من اليهود بقيت محافظة على تقاليد النزعة الشعبية الدينية . ولو أن النزعة العالمية غلبت على نفوسهم كل الغلبة لتمكنوا من الاندماج فى الشعوب التى استوطنوا أرضها . وهذا الاندماج كان ينسى تلك الشعوب أن اليهود فى أصلهم أجانب ، وهذا كان يزيل البغض الذى كانت آحاد تلك

(١) بعد عودتهم من بابل استخدموا الثقافة التى استفادوها هناك لدواع دينية وزادتهم محنة الأسر رغبة فى المثل العليا

(٢) كالمثل العليا العالمية فى المسيحية وقد انتشرت أولا بين اليهود ثم انتقلت منهم إلى غيرهم . وقد ساعد هذا العامل النفسانى لقبول الدعوة لرغبة فى إعادة استقلالهم .

الشعوب تشعر به نحوهم ، وكان يستطيع اليهود أن ينعموا بميزة القدرة على كسب المال ، ولكن ربما كانت تلك القدرة تقل لو تم ذلك الاندماج لأنه كان ينسيهم اختلاف جنسهم عن الأجناس الأخرى ؛ فكان يقضى على مناصرة بعضهم لبعض ، وعلى تعاونهم للسيطرة على الأسواق المالية ، وعلى المهن الفكرية والعلمية .

وبقاء النزعة الشعبية الدينية فى نفوسهم أدى إلى فكرة الصهيونية[1] التى تدعو إلى العودة إلى حكم فلسطين. وهذه الفكرة كانت فى أول أمرها مثلاً أعلى كالمثل العليا تحلم بها الإنسانية ولا تحقق . وهذه الفكرة الصهيونية زادت اعتقاد آحاد الشعوب الأوربية أن اليهود بينهم — وإن تجنسوا بجنس غير جنسهم ، وإن ضحوا فى الحروب وفى غير الحروب لمناصرة الجنس الجديد الذى تجنسوا به — إنما هم أجانب بالرغم من ذلك، وأنهم يعدون أنفسهم أجانب .

وهذه الفكرة الصهيونية مخالفة لمصالح اليهود الاقتصادية ؛ فإن قطراً كفلسطين ربما كان يصلح لاستيطانهم قديماً عند ما كانوا قليلين وعلى حالة قريبة من البداوة ، وعند ما كانوا هم الكثرة الغالبة فيه . أما الآن فقد زاد عددهم فى العالم وتعددت فوائدهم ومنافعهم العالمية ، وصار فى هذا القطر كثرة غير كثرتهم من العرب الذين وراء كثرتهم فى فلسطين كثرة عربية أخرى فى الأقطار المجاورة . ولو خلت فلسطين لليهود لما استطاعت أن تؤوى غير عدد قليل من الملايين العديدة من اليهود . وفى العالم بقاع شاسعة أكثر خصباً تحكمها انجلترة وغيرها من الأمم الناصرة لليهود . فلا يمكن أن يقال إذاً إن الضرورة والأسباب الدنيوية هى التى تقضى بإسكان المهاجرين اليهود فى فلسطين ... لا ، بل تشبث اليهود بفلسطين هو تشبث بتلك النزعة الشعبية الدينية التى تفضل التقاليد القديمة والتى تحاول أن تعكس دورة الزمن وأن تعيد العالم كما كان فى بدايته وأن تتجاهل حقائق الحياة . وهذا من قبيل التشبث، فى أمور الحياة لا فى عواطف النفس وحدها، بمثل أعلى لا يمكن تحقيقه . وهذا التشبث كما قلنا

(١) من قديم الزمن كانت تنازع فكرة الصهيونية والتشبث بالمعبد الأورشليمى فكرة اعتبار المعبد فى نفس كل يهودى، وظهرت هذه الفكرة للسلوى واستئناف الحياة الدينية أولا عند بعض من فر إلى مصر بعد غزوة بختنصر الكلدانى ، وثانيا بعد تخريب طيطوس الرومانى للمعبد وسقوط أورشليم .

جناية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

– ٨ –

عرف الناس ما كان من انزعاج الأستاذ أحمد أمين من كلمة الحق ، وفهموا أنه تجلد وتصبَّر إلى أن عجز عن التجلد والتصبر ، وللطاقة الإنسانية حدود

وما كنت أحسب أن الأيام ستقهر الأستاذ أحمد أمين على أن يهددني بأبيات فيها لوثة جاهلية ، وهو الذى دعا الأمم العربية إلى وضع آثار الشعر الجاهلى فى « متحف » لا يدخله الناس إلا بعد استئذان !

ويعز علىَّ والله أن ينزعج الأستاذ أحمد أمين وأن يدَّعى أنه تلقى رسائل من مختلف الأقطار العربية فيها سباب موجه إلى من هجم عليه فى مجلة (الرسالة) . فهذا الادعاء يشهد بأنه يعجز عن الصدق فى بعض الأحيان

لو كان الأستاذ أحمد أمين يعرف عواقب ما يصنع لفهم أن الأمر كان يجب أن يكون بالمكس : فهو يجنى على ماضى الأدب العربى بأحكامه الخواطئ ، ويحتال لإفهام الجمهور أن أدباء العرب لم يكونوا أصحاب أرواح ، وإنما كانوا أصحاب معدات . وأنا أدفع تلك التهم وأصحح ما وقع فى كلامه من أغلاط

فمن الذى يستحق اللوم والسباب فى هذه القضية ؟

لو فرضنا جدلاً أنى أشاغب الأستاذ أحمد أمين لكان من الذوق أن يتلقى العرب هذه المشاغبة بالقبول ، لأن فيها تمجيداً لماضى الأمة العربية

ولو فرضنا جدلاً أن الأستاذ أحمد أمين على حق فى السخرية من ماضى الأدب العربى لكان من الطبيعى ألا يستريح العرب إلى ذلك الحق ، لأن الأبناء الأبرار يجسّمون محاسن آبائهم ويتغاضون عما قد يكون فيهم من عيوب

والأمر ليس كذلك فى هذه القضية : فالأستاذ أحمد أمين لم يكن فى جانب الحق حين قال فى الاستهزاء بالأدب العربى ما قال، وأنا كنت وما زلت فى جانب الحق حين حكمت بأن الأدب العربي أدب أصيل ، وأنه خليقٌ بالخلود

الأستاذ أحمد أمين يروّح عن نفسه بذلك الادعاء الطريف ليوهم القراء بأن أدباء العرب فى مختلف الأقطار قد توجعوا له أشد التوجع ، وتعرضوا لخصمه بالشتم والسباب ، كأن أدباء العرب لم يبق لهم مأرب يحرصون عليه غير حماية أحمد أمين من كلمة الحق !

ولنفرض جدلاً أن أدباء العرب جميعاً وقفوا فى صف هذا « الأديب » فهل يتوهم أنه سينجو من قلمى حين ينحرف عن الصواب ؟

لقد سرنى والله أن يتطاول على صاحب « الرسالة » وأن يتهمه بسوء النية فى نشر هذه المقالات ؛ فصاحب « الرسالة » قد آذانى أشد الإيذاء حين استباح أن يحذف من المقالات الماضية بعض الفقرات ، ليظل مهذَّباً مؤدَّباً كصديقه المهذَّب المؤدَّب أحمد أمين !

كم تلطفتُ وترفقتُ فى موطن لا يجوز فيه لطفٌ ولا رفق، ثم كان جزائى أن يقال إن أدباء العرب غضبوا علىَّ وسبُّونى لأنى جهرت بكلمة الحق !

ومع ذلك فما الذى يؤذيكم منى يا أحفاد يعرُب وقحطان ؟

طالما أوقع اليهود قديماً وحديثاً فى قتال ونزاع مع الأجناس المجاورة ، وطالما أدى إلى ضياع فائدة اليهود الدنيوية الحقيقية . ولكن حقائق الحياة والضرورة قد تغرى اليهود بقبول الاستيطان فى بقعة أخصب من فلسطين وأقل سكاناً وأوسع رقعة . ويمكن إرضاء العاطفة الشعبية بأن يسمي ذلك الوطن الجديد (فلسطين الجديدة) أو (صهيون) وأن ينشئوا فيها مدناً تسمى بأسماء المدن القديمة فى فلسطين القديمة . ويمكن إرضاء النزعة الدينية بأن ينقلوا من الأحجار والآثار المقدسة ، ومن تربة أرض فلسطين القديمة إلى فلسطين الجديدة ما يقدس به الهيكل الجديد وما هو ضرورى للدفن الدينى المقدس . وهذا الحل يجمع بين إرضاء العاطفة وبين الفائدة الاقتصادية

عبد الرحمن شكرى

أليس فى مقدوركم أن تحتملوا أديباً جنى على نفسه وعلى معاشه ليرفع راية النقد الأدبى ؟

أليس فى مقدوركم أن تحتملوا أديباً يقتل أعصابه فى أوقات القيظ ليردّ عادية العادين على اللغة العربية ؟

ألا تستطيعون أن تغفروا زلة رجل جهل أخلاق الزمان فاعتصم بالحق والعدل ؟

لقد حدثنى عنكم أحمد أمين بما لا أحب ولا تحبون

فإن كان صدق فيما حكاه فغفر الله لكم ! وإن كان تزيّد فعفا الله عنه !

وسبحان من لو شاء لهدانا جميعاً إلى سواء السبيل

***

أما بعد فقد كان السياق يوجب أن تكون كلمة اليوم فى نقض ما ادعاه أحمد أمين على الأدب الأندلسي من الجمود أمام الطبيعة الفاتنة فى تلك البلاد

ولكنى أحببت أن أقف وقفة قصيرة عند إحساس العرب بالطبيعة وبالوجود

يعرف كل من اطلع على كتب الأدب أن الشعراء كانوا يتواصون عند خمود القريحة بالنظر إلى المياه الجارية ، والرياض الحالِيَة .

ومعنى ذلك أنهم كانوا يفهمون أن النظر إلى جمال الوجود يوقظ العواطف ويُرهف الأحاسيس

وهذا يشرح السبب فى غرام العرب بافتتاح القصائد بالنسيب لأنهم كانوا يدركون أن تأثر الشاعر بأقوى مظاهر الطبيعة وهو الجمال يوجه إحساسهم إلى مختلف الأغراض

ومَثَل الشاعر فى ذلك مَثَل المغنّى . فالمغنى يجلس فى هدوء ثم تصدح حوله الموسيقا بأصوات مختلفات ، ويظل كذلك إلى أن يستيقظ ما كان غفا من أحلام القلب والروح فينطلق فى النشيد

وكذلك كان شعراء العرب : كانوا يهيمون بالرياض الحالية، أو الديار العافية ، أو المياه الجارية ، قبل أن يشرعوا فى نظم القصائد . فإذا أخذوا فى النظم بدأوا بالجوانب الدقيقة من ذوات أنفسهم وقلوبهم ليواجهوا الأغراض المنشودة وهم فى فَوْرة من طغيان العواطف وعنفوان الأحاسيس

ألا يشهد ذلك بأن شعراء العرب كانوا يدركون قيمة الطبيعة فى إذكاء الأرواح وإرهاف القلوب ؟

وهل فكر أحمد أمين فى شىء من ذلك ؟

هل خطر فى باله أن شعراء العرب فى الأعصر الخالية كانوا تعلقوا أشد التعلق بالسياحات والرحلات حتى صار من النادر أن يقر شاعر فى بلده إلى أن يموت ؟

قد يقال إن ذلك كان سعياً فى طلب الرزق

ونجيب بأن الشعراء كانت لهم غايات أعظم من طلب الرزق ، فقد كانوا يستأنسون بالبلاد والبحار والأنهار والجبال حتى ليمكن القول بأن دواوينهم فى بعض مناحيها تشبه الخرائط الجغرافية .

وهل نسيتم قصيدة المتنبي فى شعب بوان ؟ هل نسيتم قصيدة البحترى فى إيوان كسرى ؟ هل نسيتم قصائدالأندلسيين فى أهرام مصر ؟ هل نسيتم قصائد الشريف الرضى فى أطلال الحيرة ؟ هل نسيتم قصيدة الأنطاكى فى ليالى الجزيرة والنيل ؟ هل نسيتم ألوف القصائد التى سجلت أهواء الشعراء فى الحنين إلى معاهد الأنس والوصال ؟

لقد هجر ابن زريق وطنه فى طلب الرزق ، فهل عرفتم كيف اكتوى بالتشوق إليه يوم مات ؟

إن الذى يحكم بأن شعراء العرب لم يحسوا الطبيعة ولم يتغنوا بأفانين الوجود لا يكون إلا رجلاً حرمه الله نعمة الفهم العميق لأسرار الشعر والبيان

لقد أراد الأستاذ أحمد أمين أن يحكم بأن الشعراء فى العصر الأموى والعباسى قلدوا شعراء الجاهلية فى وصف الرسوم والطلول

فهل نستطيع أن ندله على أن هيام أولئك الشعراء بوصف الرسوم الهوامد ، والطلول العافية ، ليس إلا تعلقاً بالطبيعة فى جانبها الباكى الحزين ؟

إن صديقنا أحمد أمين لم يفهم كيف وقف أبو نواس على الطلول ، بعد أن سخر ممن يقفون على الطلول وهو يرى ذلك رجعة إلى التقاليد الجاهلية . فهل يظن أن الطلول كانت انقرضت لعهد أبي نواس ولم يبق إلا العمران الباقى على الزمان ؟

فما رأيه إذا حدثته بأن صور الطلول لا تزال باقية إلى اليوم ؟

أشهد صادقاً أنى ما مررت بشارع الرملة فى مصر الجديدة إلا خفق القلب لرسم كان لى فيه صديق أضاعه القلم الجموح

أشهد صادقاً أنى أتلفت من حين إلى حين وأنا أخترق شوارع مصر الجديدة عسانى أرى الصديق الذى كنت أسايره لحظات أو ساعات ونحن نتعقب بالنقد اللاذع أحوال الدنيا والناس

فكيف يكون حالى لو نظمت قصيدة فى التوجع لتلك الدار التى صارت رسماً بعد أن صنعتُ فى تجريح صاحبها ما صنعت ؟

وهل يمكن القول بأن ابن المعتز كان يقلد شعراء الجاهلية حين قال :

لا مثل منزلة الدويرة منزلٌ   يا دار جادك وابل وسقاكِ
بؤساً لدهرٍ غيرتكِ صروفه   لم يمح من قلبي الهوى ومحاكِ
لم يحل للعينين بعدك منظرٌ   ذُمَّ المنازل كلهن سواكِ
أى المعاهد منك أندب طيبهُ   ممساك بالآصال أم مغداكِ
أم برد ظلك ذى الغصون وذى الجنى   أم أرضك الميثاء أم رياكِ
وكأنما سُطعت مجامر عنبر   أو فُتَّ فار المسك فوق ثراكِ
وكأنما حصباء أرضك جوهرٌ   وكأن ماء الورد دمع نداكِ
وكأن درعاً مفرغاً من فضة   ماء الغدير جرت عليه صَباكِ

وقد ترجمتُ هذه الأبيات إلى الفرنسية فى النسخة الفرنسية من كتاب النثر الفنى فعدّها الفرنسيون من أصدق ما تحدثت به القلوب

فهل يرى صديقنا أحمد أمين أن هذه القصيدة لا تمثل إحساس الشعراء بالوجود ؟

وهل يمكن الشك فى قول ابن سنان الخفاجى :

ولما وقفنا بالديار وعندنا   مدامع نسديها لكم ونثيرها
شكونا إليها ما لقينا من الضنى   فعرّفنا كيف السقام دثورها
وقد درست إلا أمارة ذاكر   تلوح له بعد التمادى سطورها
خليلىَّ قد عمَّ الأسى وتقاسمتْ   فنون البلى عشاق ليلى ودورها
فلا دار إلا دمنة ورسومها   ولا نفس إلا لوعةٌ وزفيرها
لعمر الليالى ما محت قديمها   فيوحشنى ذهابها ومرورها
وقالوا عطاء الدهر يبلى جديده   ومن لى بدنيا لا يزول سرورها

فهذا شاعر لا يكتفى بأن يقول إنه يحسّ الطبيعة ، وإنما يؤكد أن الطبيعة توجعت لمن يهواه ، وذلك غاية الغايات فى الإحساس بالوجود

وكذلك صنع الشاعر الذى قال :

تعفو المنازل إن نأوا   عنها وتغبرّ البلادُ
والحىُّ أولى بالبلى   شوقاً إذا بلىَ الجمادُ

فمن الذى يستطيع أن يحكم بعد هذه الشواهد بأن شعراء العرب لم يحسوا معانى الوجود ؟ ومن الذى ينكر صدق اللوعة على ابن الخياط إذ يقول :

وقفت أدارى الوجد خوف مدامع   تبيح من السر الممنَّع ما أحمى
أغالب بالشك اليقين صبابةً   وأدفع من صدر الحقيقة بالوهم
فلما أبي إلا البكاء لِىَ الأسى   بكيتُ فما أبقيت للرسم من رسم
كأنى بأجزاء النقيبة مُسْلِمُ   إلى ثائر لا يعرف الصفح عن جُرم
لقد وجدت وجدى الديار بأهلها   ولو لم تجد وجدى لما سقمت سقمى
عليهن وسمٌ للفراق وإنما   علىَّ له ما ليس للنار من وسم
وكم قسمَ البين الضنى بين منزل   وبينى ولكن الهوى جائر القسم
منازلُ أدراسٌ شجانى نحولها   فهلاّ شجاها ناحل القلب والجسم ؟

فما رأى الأستاذ أحمد أمين فى هذا الشعر النفيس ؟ وهل خطر فى باله أن شعراء العرب لهم أمثال هذه المعانى ؟

أنا أخاطب رجلاً من أساتذة كلية الآداب ، ولولا ذلك لشرحت ما فى هذه القصيدة من شواهد الإحساس بقدرة الطبيعة على تذوق البؤس والنعيم

وهل اتفق لشاعر فى شرق أو فى غرب أن يصل إلى قول بعض الأعراب فى توديع نجد :

أقول لصاحبي والعيس تهوى   بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد   فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجد   وريّا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحل الحى نجداً   وأنت على زمانك غير زار
شهورٌ ينقضين وما شعرنا   بأنصاف لهن ولا سِرار

ولكن الأستاذ أحمد أمين قد يتهمنا بالتعصب للأدب العربى ويقول إننا ننظر إليه بعين الحب ، فهل يستطيع أن يدلنا على شاعر أوربى توجع لفراق النعيم فى وطنه مثل هذا التوجع ؟

إن العرب لم يسودوا من باب المصادفات ، وإنما سادوا لأن

لهم عبقرية ذاتية قضت بأن يسيطروا على العالم زمناً غير قليل . وقد دالت دولة العرب أكثر من عشرة قرون ، ومع ذلك بقيت سلطتهم الأدبية والروحية . فهم سادة لمئات من الملايين وإن لم يبق لهم عرش ولا تاج

وقد تحذلق المتحذلقون فقالوا إن الفقه الإسلامى صورة من الفقه الرومانى ، فهل هذا صحيح يا بنى آدم من أدعياء العلم بأصول الشرائع ؟

إن العرب سادوا بحق ، وقد تركوا ثروة أدبية وفلسفية وتشريعية لا يغض من قدرها إلا حاقد أو جهول

فتى نرجع إلى أنفسنا لنبحث عن الميراث النبيل الذى ورثناه عن أسلافنا النبلاء ؟

لقد سمعتم وسمعنا كيف بغى الأسبانيون بعضهم على بعض ، وكيف فصل فى تلك المعارك الدامية بعد نحو ثلاث سنين

فهل تذكرون أن أسلافنا صبروا على المعارك الأسبانية نحو ثمانية قرون ؟

وهل كان ذلك إلا لأنهم شعروا بأن الأندلس قطعةٌ من أرواحهم وقلوبهم ؟ فكيف تحكمون بأنهم لم يحسُّوا الطبيعة ولم يتشبثوا بالوجود ؟

إن العرب فى أغلب أحوالهم عاشوا عيشة جافية قضتْ عليهم بأن يتلمسوا مساقط الغيث ، فكيف يقال إنهم لم يحسُّوا الطبيعة إلا بطريق سطحية ؟

أكتب هذا وأنا أعرف أن الأستاذ أحمد أمين سيهزّ كتفيه ويقول : « هذه خطابيات يراد بها اكتساب عواطف الجمهور ! »

إن قال ذلك فسأحيله على تاريخ يحيى بن طالب

فهل يعرف من هو يحيى بن طالب ؟

وكيف يجهله وهو يتصدر لتدريس الأدب العربى بكلية الآداب؟

إن يحيى بن طالب أحس الطبيعة وأحس الوجود إحساساً نادر المثال ، وهو وحده كاف للزكاة عن الأدب العربى ، وقد اتهمه من لم يعرفوه بأنه خالٍ من وصف مظاهر الطبيعة وأشكال الوجود

فهل ننتظر أن يظفر هذا الشاعر بفصل نفيس من « فصول » أحمد أمين؟

لو كان صديقنا العزيز أحمد أمين قد اطلع على الأدب العربى لتذكر نخلتى حلوان فى شعر مطيع بن إياس ، وكان لهما فى حياة الخلفاء أحاديث يذكرها بالدمع من قرأ معجم البلدان . ولكن أين أحمد أمين من هذه الشؤون وهو مفتون بالحذلقة والإغراب؟

إن أحمد أمين لا يجنى على الأدب العربى ، وإنما يجنى على نفسه حين يزعم أن التشبيهات ليست إلا ألاعيب

ولو كان من أهل الخبرة بدقائق الأشياء لعرف أن التشبيهات من أصدق الشواهد على تعلق العرب بالطبيعة وبالوجود

ولن أشرح له هذا المعنى إلا يوم يعرف أن من واجب المرء أن يطلب العلم من المهد إلى اللحد . وقد تلوح فرصة قريبة فأشرح هذا المعنى لمن يهمهم أن يعرفوا كيف تغيب حقائق الأدب عن هذا « الأديب » وهل نكتم ما نعرف مكايدةً للصديق أحمد أمين ؟

***

لقد استطعنا بحول الله وقوته أن نبدد الشبهات التى أثارها حول الأدب العربى من يجهلونه كل الجهل أو بعض الجهل

فلنأخذ بعد ذلك فى رفع التهمة عن الأدب الأندلسى ليعرف من لم يكن يعرف أنه خليق بأن ينصب له كرسى خاص فى كلية الآداب .

والأمل كبير فى أن يغفر الأستاذ أحمد أمين جنايتنا عليه حين أفهمناه أن فى مصر ناساً يقرأون ويحكمون

فإن كان قد استمرأ العافية من سكوت النقاد بضع سنين فليعرف أن ذلك حلم تبدد ، ونعيم ضاع ، وعليه أن يستقبل المكاره بعزائم الرجال

والله وحده يعلم أنى لم أرد بهذا النقد غير وجه الحق ، ومنه وحده أنتظر حسن الجزاء

« للحديث شجون » زكى مبارك

النبوة – الوحى – المعجزة

للأستاذ عبد المنعم خلاف

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

نعم ! إن المعجزة الحسية لا علاقة لها بالإقناع عند أكثر من لم يقتنع بالحجج الفكرية ، وأغلب ظنى أنها ما أجريت للإقناع ، بل لتعجيز المكابرين وأخذ طرق الإنكار عليهم ، حتى لا يفلتوا إلى عذر بعدها ، وحتى يحملوا حملاً على الإيمان . ولذلك كانت هى الدور الأخير من حجج الرسل بعد أن تعييهم لحاجة الناس . فوسى مثلاً كما حكى القرآن : دعا فرعون للإيمان بالله عن طريق العقل فى أول الأمر ، فلما كذبه وهدده بالسجن . قال : « أو لو جئتك بشىء مبين » وألقى عصاه . . . إلى آخر القصة . وكذلك سلك كل رسول من أصحاب المعجزات . فهى كانت آخر سهم فى كنانة الرسول أمام المتعنتين . ولم تكن ذات أثر كبير فى حمل بقية الناس على الإيمان كما حكى القرآن . قال : « وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً » ... والجملة الأخيرة من الآية تدل على أن المعجزة لم يكن ورودها للإقناع ، فهى إنما أجريت لإتمام الحجة وابتذال كل شىء ، حتى قوانين الفطرة فى سبيل غاية الحياة العظمى — وهى الإيمان — فالذى لا يقتنع عن طريق التفكير والمحاكمة العقلية – بقضية من قضايا الحق – لا يقنعه أن تقلب له العصا حية ، أو الصخرة ناقة ؛ وإنما هو سيتعجب فقط من فعلك ، ويبقى فى نفسه الإنكار للقضية التى سقت دليلك الحسى من أجلها .

ولذلك جعل الله الرسالة الأخيرة معتمدة على حجة عقلية دائمة — هى القرآن — الذى هو الرسالة ، وهو المعجزة المثبتة لتلك الرسالة ... وهذا أمر ذو قيمة كبرى تفرد به الإسلام !

وقد أراد مشركو مكة أن ينهجوا مع رسول الله (ص) طريقة من قبلهم من الأمم فى طلب الآيات الحسية ؛ فأبى عليهم القرآن ذلك ، وقال : « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » . . . « كذلك قال الذين لا يعلمون — مثل قولهم — تشابهت قلوبهم : قد بينا الآيات لقوم يوقنون ، إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً » . . . « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون ، لقالوا إنما سُكِّرتْ أبصارنا . بل نحن قوم مسحورون » ... « ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ، وكلمهم الموتى ، وحشرنا عليهم كل شىء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله » إلى آخر الآيات التى تبين أن المعجزة الوحيدة التى تحدى بها رسول الله إنما كانت القرآن وحده . . .

وبعد هذا أقول للذين يرون المعجزات الحسية عقبة فى سبيل الإيمان بالنبوة : أليس الناس متنوعين فى التفكير وطرق الاقتناع ؟ فلا بد إذن أن نُنوع وسائل إقناعهم . فنهم العقليون الذين يسيرون — على أسلوب الله — ويدركون كلماته فى الطبيعة ؛ ولو لم يتحدث إليهم بصوت ولا نبرات ، وهؤلاء قليلون جداً ! ومنهم الأطفال المحدودون الذين لا يصدرون إلا إذا رأوا تمرة أو جمرة . . . درهماً أو سوطاً . . . وهؤلاء هم الأكثرية العاملة الناصبة . . .

لماذا تنسون طرائقكم فى التدريس أيها الفلاسفة المعلمون ؟ ألا تنوعون أساليب التفسير والشرح تبعاً لعقول تلاميذكم ؟ وهذا أيضاً هو منطق الله مع الناس ! ...

وبعد فحديث « الوحى والنبوة » كان يجب أن يكون مفروغاً منه عند المتأملين بعمق فى الطبيعة ... الذين يدركون عمق الحياة وتزاحم تياراتها على القلب الإنسانى مما لا بد معه من وجود حبل للنجاة فيها ، والطمأنينة على قيمتها وقيمة الإنسان فيها .

إن وراء الحياة ربها الحكيم الذى يحترم العقل الإنسانى وجوده ولن يخلى الطبيعة منه إلا إذا جن واختلط ... وقد وُضع الإنسان فى قمة الحياة الأرضية ، وصار له اقتراحات وأعمال فى تنقيح الطبيعة والتصرف فيها تبين أنه ليس شيئاً تافهاً يعيش على هامش الحياة . فكيف بعد هذا كله يترك هذا الصنف المكرم من غير خطاب من الله من أول الحياة إلى آخرها ؟ ...

إن هذا الخطاب يحكم العقل والوجدان بأنه لا بد منه حتى ولو كان للترف والأنس الروحى بين الله والمخلصين له ... دع عنك الضرورة الاجتماعية الحادة التى تحتمه ليستطيع الإنسان الرسول أن يحمل العبء مطمئناً متشجعاً صبوراً حمولاً . . . لأنه يسمع صوت الله قائلاً له : إحمل واصبر لأنى معك ...

* * *

كتب الأستاذ العقاد فى « الرسالة » عدد ٢٨٥ أو ٢٨٦

مقالاً بعنوان « المذياع الآدمى » هو ذو قيمة كبيرة فى تحليل النفس الآدمية ، وبيان آفاقها ، وعمق سريرتها ، وقدرتها على التقاط المعانى ، والسيالات من جوف الكون ! ...

وكان بودى أن يكون هذا المقال أمامى الآن لأنقل منه فقرة تقرب معنى الوحى ببيان عصرى إلى العقول التى تأبى أن تصدق شيئاً خارجاً عن نطاق الحس ... ولكنى آسف لأن المقال ليس فى متناول يدى الآن !

ويحضرنى من معانيه هذا المعنى : إن الكون ملىء زاخر بكل معنى من معانى الحياة . فهو كمصدر الإذاعة اللاسلكية ، والقلوب لها خاصة الالتقاط كآلات الراديو التى تستقبل . وبعض القلوب قوى يستطيع أن يأتى بمعان صادرة عن أفق بعيد ، كما أن بعض آلات الراديو له قوة على التقاط الموجات البعيدة ...

وهذا مدخل نستطيع أن ندخل منه إلى فهم معنى الوحى . فقلب النبى وعقله أعدا إعداداً خاصاً لسماع ما وراء الطبيعة . . . وهما فى قوتهما يعتبران قمة الرق الإنسانى الذى يستطيع الإنسان أن يصل إليه فى الاتصال بخفايا الكون !

وما دام العصريون يسلمون بمذهب النشوء والارتقاء فى الأجسام ، فلم لا يسلمون به فى العقول والأرواح ؟

وإذا كان الله لا يظهر بعض نوره للروح الإنسانى الذى هو نفخة منه فلأى شىء يظهره ؟ . . .

ولا بد من باب ينفذ منه العقل الإنسانى إلى ما وراء الطبيعة . وهذا الباب هو عقل النبى وروحه ؛ ولن يقنع الإنسان بانقطاع الصلة بينه وبين ما وراء الطبيعة إلى هذا الحد الذى تراه من الإغلاق فى الطبيعة ، وعدم سماحها بأى ثغرة تنفذ منها .

ولو كان منكرو النبوة والوحى يتبعون الأسلوب العلمى فى بحثهم حول النبوة والوحى كما يتبعونه فى بحثهم فى المادة ، ما أباحوا لأنفسهم أن يرفضوا شيئاً لم يقم دليل علمى على بطلانه ، بل ما أباحوا لأنفسهم أن يجادلوا فيه عارفيه من الأنبياء والأصفياء إلا على سبيل الاستفسار لا الإنكار . فكما لا يباح لرجل الشارع الجاهل أن يجادل « ملكن » أو « مركونى » أو « أديسون » وغيرهم من أساطين العلم المادى ، كذلك لو أنصفنا ما أبحنا لأنفسنا أن ننكر على الأنبياء ما رأوه فى آفاق الحياة والروح إلا إذا كنا على قرب منهم فى الصفاء والرياضة الروحية التى كانوا يزاولونها . فالأسلوب العلمى يحتم على من يريد الإنكار عليهم أن يقارب منهم ويزاول ما يزاولون ، وهم يقولون إننا نرى أشياء ونصل إلى درجة نخاطب معها أرواح الملائكة والأنبياء

قال الغزالى أبو المعرفة ومحصل علوم زمانه فى كتابه (المنقذ من الضلال) : « ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى إنهم (الصوفية) فى يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق ولا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه . وعلى الجملة ينتهى الأمر إلى قرب يكاد يتخيل منه طائفة الحلول وطائفة الاتحاد وطائفة الوصول . وكل ذلك خطأ . . . » إلى أن يقول « وبالجملة فمن لم يرزق منه شيئاً بالذوق فليس يدرك من حقيقة النبوة إلا الاسم . وكرامات الأنبياء على التحقيق بدايات الأنبياء وكان ذلك أول حال رسول الله عليه السلام حين أقبل إلى جبل حراء حين كان يخلو فيه بربه ويتعبد حتى قالت العرب : إن محمداً عشق ربه . وهذه حالة يتحققها بالذوق من يسلك سبيلها » . ثم بين الغزالى أطوار نمو العقل البشرى من إدراك المحسوسات إلى إدراك المعقولات وبين أن وراء هذه المنطقة « عيناً أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون فى المستقبل وأموراً أخرى العقل معزول عنها »

فعلى منكرى هذا من الباحثين الشاكين أن يتبعوا الأسلوب العلمى فى الإنكار والإثبات فيسلكوا سبيل أبى حامد الغزالى وأشياعه ليروا أهم على حق أم على باطل . فلقد كان أبو حامد شاكا ودرس وسلك حتى أتاه اليقين

***

إلى الدكتور الفاضل عمر فروخ ببيروت

إن الكاتب الفاضل الذى استعدانى على مقالك « المعجزة » المنشور بمجلة الأمالى (عدد ٣٧ ص ١) أرسل إلىّ العدد الذى فيه المقال ، وقد قرأته بإمعان وفهمت منه ما أشرت إليه فى مقدمة مقالى الأول عن النبوة والوحى والمعجزة فأنا أصرف إلى نفسى تعريضك به فى مقالك الذى علقت به على مقالى ، وإلا كنت أنا ظالماً له ومسيئاً إليه ، وأرجو أن ترتاح للذين يتحمسون فى الدفاع عن عقيدتهم التى هى أثمن شىء لديهم ما دام الدفاع خالياً من السباب والمهاترة فإن هذا هو شأن الباحث الذى يقدر عقائد القلوب . فالكاتب الذى كتب إلىّ من بيروت إنما صدر عن إخلاص حين

أرادني أن أجادل رأيك في المعجزة . أما ذكره اسمه ناقصاً فله عدة وجوه لا تقدح فيه غير ما أشرت إليه أنت

وأنا قد فهمت من تفسيرك للمعجزة أن في ذهنك صورة عن النبوة غير ما في أذهان الواقفين عند نصوص القرآن في معجزات الرسل السابقين . فالقرآن يثبت أن معجزات الرسل لا دخل فيها للانسان الرسول، وهو ذاته لا يفهمها ولا يدرى سر إجرائها كما يدل على ذلك فرار موسى حين رأى عصاه حية تهتز كأنها جان ... وأنت تعرّف المعجزة فى فهم الخاصة بأنها « عمل إنساني محض فيه إدراك بالغ لقوانين الطبيعة ووزائع الاجتماع، فكلما كان فهم الإنسان للطبيعة والبيئة أدق وأعمق كانت معجزته أجل وأثمن » هذا كلامك بالحرف. فأنت ترى من كلامك أنه صريح فى جعل المعجزة عملاً إنسانياً ، مع أن القرآن ينعت هذا النوع بأنه آيات إلهية لا دخل للانسان الرسول فى إجرائها إلا ما يتعلق بتحديد مواعيدها ومواضعها

ثم إنك جعلت توحيد رسول الله محمد للعرب معجزته الكبرى وقد تم ذلك لغيره فى عصور مختلفة أحدها عصر الملك الحالى عبد العزيز بن سعود . وقد كان مثل هذا التوحيد فى غير العرب من الأمم. أفنجعل ذلك كله معجزات بالمعنى الدينى ؟

من أجل هذا فهمت أنك تريد أن تسلك محمداً فى سلك الأبطال المصلحين الذين لا يعتمدون على مدد من السماء وأنك تريد أن تجعل كل ما فاض عنه من الأفكار والأخلاق فى الإصلاح، والإرشاد والتشريع، إنما كان كله فيضاً نفسانياً بشرياً صادراً عن ذاته هو . وهذه مقالة شاعت فى هـذا الزمان وهى رفض للنبوة بمعناها عند المؤمنين .

ولـكنى بعد ماقرأت مقالك الذى تعلق به على مقالى ووجدتك تقول : إننى رجل أومن بالنبوة على ما وردت فى القرآن الـكريم لا أحيد عن رأيي فى ذلك : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد » إلى آخر الآية . أرانى مضطراً إلى تصحيح رأيي فى آرائك تلك فى النبوة فقط . أما رأيك فى المعجزة فهو بعيد عن قول القرآن فيها ؛ وفيما أوردته حولها سابقاً فى هذا المقال خلاصة رأيي فيها . ولك التحية

(القاهرة) عبد المنعم خلاف

خليل مردم بك

وكتابه فى الشاعر الفرزدق

لأستاذ جليل

— ٢ —

أورد الأستاذ المردمى قول الفرزدق فى هذه الرواية فى الأغانى فى أثناء بحث اجتزأ به ، وقد رأيت سوق القصة بتمامها فى هذا المقام :

« نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة فقال الأحوص: ما تشتهى ؟

قال: شواء وطلاء وغناء . قال : ذلك لك ، ومضى به إلى قينة بالدينة ، فغنته

ألا حىّ الديار بسُعدَ إنى ... أحب لحب فاطمة الديارا(١)
إذا ما حلّ أهلك يا سليمى ... بدارة صُلصل شحطوا مزارا(٢)
أراد الظاعنون ليحزنونى ... فهاجوا صدع قلبى فاستطارا !

فقال الفرزدق : ما أرق أشعاركم يا أهل الحجاز وأملحها ! قال : أوَ ما تدرى لمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله . قال : فهو (والله) لجرير يهجوك به ...

فقال : ويلُ ابنِ المراغة ! ما كان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعرى ، وأحوجنى مع شهواتى إلى رقة شعره »

وأملى أبو العباس فى (كامله) الحكاية مطوّلة ، وجاء فى ختامها : « فقال الفرزدق ما أحوجه مع عفافه إلى خشونة شعرى ، وأحوجنى مع فسوق إلى رقة شعره »

فالفرزدق وجرير فى الإسلاميين يحسبان مثل حبيب والوليد فى المحدثين : « ترى ألفاظ أبى تمام كأنها رجال قد ركبوا خيولهم واستلأموا سلاحهم ، وتأهبوا للطراد ، وترى ألفاظ البحترى كأنها نساء حسان عليهن غلائل مصبغات ، وقد تحلين بأصناف الحلى(١) »

وهى طبيعة المرء ، وهو مزاجه : « كان القوم يختلفون فى ذلك ، وتتباين فيه أحوالهم ، فيرق شعر أحدهم ، ويصلب شعر الآخر . وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق(٢) »

وقد قلت فى بحث قبل : ما اختلف الطائيان الأكبر والأصغر فى الطريقة ، إلا لاختلاف الخليقة ، فمن تشددت خليقته استقاد للجزالة ومتنت عبارته . ومن سجحت ضريبته رقت كلمته ؛ فالأمر عائد إلى الطبائع . وقول الأفرنج فى هذا المعنى معروف

« والفرزدق وجرير والأخطل أشعر العرب أولاً وآخراً ، ومن وقف على الأشعار ووقف على دواوين هؤلاء الثلاثة علم ما أشرت إليه . وأشعر منهم عندى الثلاثة المتأخرون ، وهم أبو تمام وأبو عبادة وأبو الطيب المتنبى، فإن هؤلاء الثلاثة لا يدانيهم مدان فى طبقة الشعراء »(٣)

وللثلاثة الإسلاميين فضيلتان ، وللثلاثة المحدثين الذى هو لهم . وقد تخرج الآخرون على الأولين وأمثالهم التخرج التام . وثقفتهم تلك الحضارة ، ورأوا دنيا لم يرها سالفهم فى الزمن ، وأوثروا بما أوثروا به ، فتفوقوا على غيرهم ، ولم يجئ من بعدهم أشباههم

ومن الأسباب التى برع بها الإسلاميون الجاهليين : « أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية فى القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما لكونهما ولجت فى قلوبهم ، ونشأت على أساليبها نفوسهم ، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم فى البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل

---

(١) سعد : موضع بنجد . فى معجم البلدان : قال أبو زياد : سعد ماء وقرية ونخل من جانب اليمامة الغربى بفرقرى

(٢) دارة صلصل : موضع لعمرو بن كلاب وهو بأعلى دارها بنجد (معجم البلدان)

(١) المثل السائر لابن الأثير

(٢) الوساطة للجرجانى

(٣) ابن الأثير فى المثل وفى كتابه (الوشى المرقوم) هذا الخبر اللطيف غير المعروف : كنت سافرت إلى مصر سنة (٥٩٦) ورأيت الناس مكبين على شعر أبى الطيب المتنبي دون غيره ، فسألت جماعة من أدبائها عن سبب ذلك فلم يذكروا فى هذا شيئاً . ثم إنى فاوضت عبد الرحيم بن على البيسانى — القاضى الفاضل — رحمه الله فى هذا ، فقال : (إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس) ولقد صدق فيما قال

الجاهلية وممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها[1] »

والفرزدق أفضل الثلاثة الإسلاميين ، وقد وصفه وصاحبيه خالد بن صفوان فى خبر فى الأغانى ، وفى قوله حق كثير ، وأسلوبه يحكى وصف (الهمذانى) الفرزدق وجريرا فى المقامة القريضية .

وهذا ما نسب إلى خالد : « أما أعظمهم فخراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عذراً ، وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلاهم عللاً ، الطامى إذا زخر ، والحامى إذا زأر ، والسامى إذا خطر ، الذى إن هدر قال ، وإن خطر صال ، الفصيح اللسان ، الطويل العنان — فالفرزدق . وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فوتاً ، الذى إن هجا وضع ، وإن مدح رفع — فالأخطل . وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأهتكهم لعدوه ستراً ، الأغر الأبلق ، الذى إن طلب لم يسبق ، وإن طلب لم يلحق — فجرير »

وقال أبو الفرج : « الفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل . ومحاله فى الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول ، أو يدل على مكانه بوصف ؛ لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ، ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علماً يستغنى به عن الإطالة فى الوصف (وقد) اختلف (الناس) بعد اجتماعهم على تقديم هذه الطبقة فى أيهم أحق بالتقدم على سائرها . فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل لأنه لم يلحق شأوهما فى الشعر ، ولا له مثل ما لهما من فنونه . وهما فى ذلك طبقتان : أما من يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشده أسره فيقدم الفرزدق . وأما من كان يميل إلى أشعار المطبوعين وإلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريراً » .

والفرزدق عند الشعراء الحذاق الكبار والعلماء العارفين أعظم من جرير . روى الأستاذ المردى فى (الكتاب) عن (الموشح) للامام المرزبانى : « قال أبو الغوث يحيي بن البحترى : كان أبى يقول : لا أرى أن أكلم من يفضل جريراً على الفرزدق ، ولا أعده من العلماء بالشعر . فقيل له : وكيف ؟ وكلامك أشد انتساباً

(١) ابن خلدون فى المقدمة فى الفصل الثامن والأربعين فى أن حصول هذه الملكة — ملكة النثر والنظم — بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ

إلى كلام جرير منه إلى كلام الفرزدق . فقال : كذا يقول من لا يعرف الشعر . لعمرى إن طبعى بطبع جرير أشبه ، ولكن من أين لجرير معانى الفرزدق وحسن اختراعه ؟ جرير يجيد النسيب ولا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء : بالقين[1] ، وقتل الزبير[2] وبأخته جِعْثِن[3] ، وامرأته النوار[4] . والفرزدق يهجوه فى كل قصيدة بأنواع هجاء يخترعها ويبدع فيها »

وقد عرف الأستاذ المردى من نبوغ الفرزدق ما عرفه البحترى ، بل تنبه على من لم يتنبه عليه . وظنى أن هذا ما بعث الأستاذ على أن يخص أبا فراس بكتابه ، وإن كان طبعه — كطبع البحترى — لطبع جرير أشبه ، وشاكلت رِقَّتُهُ رِقَّتَهُ

وقد نقد ضياء الدين بن الأثير رواية الموشح نقداً غير صواب ، ومما قال : « إن البحترى عندى ألب من ذلك ، وهو عارف بأسرار الكلام ، وكيف يدعى على جرير أنه لم يهج الفرزدق إلا بتلك المعانى الأربعة التى ذكرها ، وهو القائل :

لما وضعت على الفرزدق ميسمى[5]
وعلى البعيث جدعت أنف الأخطل

فجمع بين هجاء هؤلاء الثلاثة فى بيت واحد .

وإعجاب ابن الأثير بمثل هذا البيت أمرٌ إمْر . وهل هذا من درجة الاجتهاد التى بلغها وذكرها فى قوله فى مقدمة كتابه : «ومنحنى درجة الاجتهاد التى لا تكون أقوالها تابعة وإنما هى متبعة»

وقال ابن الأثير : « ولو سلمت للبحترى ما زعم من أن جريرا ليس له فى هجاء الفرزدق إلا تلك المعانى الأربعة لاعترضت عليه

(١) جرير :

هو القين وابن القين لا قين مثله
افطح المساحى أو لجدل الأدام

فطح الحديدة عرضها وسواها . المسحاة كالمجرمة إلا أنها من حديد

(٢) جرير :

إن الحوارى لو نادى فوارسنا
لاستشهدوا أو نجا والقوم أحرار

(٣) قال اليربوعى : كان جرير يقول : أستغفر الله فيما قلت لجعثن ، وكانت إحدى الصالحات ، امرأة صدق

(٤) كانت النوار امرأة صالحة

(٥) هذه رواية (المثل)

بأنه قد أقر لجرير بالفضيلة ؛ وذاك أن الشاعر المفلق أو الكاتب البليغ هو الذى إذا أخذ معنىً واحداً تصرف فيه بوجوه التصرفات ، وكذلك فعل جرير فإنه أبرز من هجاء الفرزدق بالقين كل غريبة » وأورد ابن الأثير من « هذه الأساليب التى تصرف فيها جرير » سبعة أبيات ، منها :

قال الفرزدق : رقِّعي أكيارنا قالت:وكيف ترقع الأكيار؟[١]

وسيف أبى الفرزدق فاعلموه قدوم غير ثابتة النصاب[٢]

ولو لم يرو مثل هذا لكان خيراً لابن الأثير ولصاحبه جرير « قال جرير لرجل من بنى طهية : أينا أشعر أنا أم الفرزدق ؟

فقال له : أنت عند العامة والفرزدق عند العلماء .

فصاح جرير : أنا أبو حزرة ! غلبته ورب الكعبة ! والله

(١) أكيار : جمع كير : الزق الذى ينفخ فيه الحداد

(٢) القدوم التى ينحت بها : مخفف أنثى ، قال ابن السكيت : ولا تقل قدوم بالتشديد ، والجمع قدائم وقدم (اللسان) وفى المصباح : التشديد لغة

ما فى كل مئة رجل عالم واحد »[١]

فإن أصبر قول الطهوىّ جريراً وازدهاه فهل يرضى صاحب أبرع كتاب فى العربية فى بابه أن يكون من العامة ؟

وما نقصد بهذا القول إزراء بابن الخطفىّ ، فجرير ما جرير ؟ ! وهو الثانى فى الثلاثة ، هو الابن فى الثالوث الإسلامى . . . وقد قال الفرزدق : « إنى وإياه ــ يعنى جريراً ــ لنغترف من بحر واحد وتضطرب دلاؤه عند طول النهر »[٢]

وإذا كان ضياء الدين يرى « الشعر كله فى ثلاث لفظات فإذا مدحت قلت : (أنت) وإذا هجوت قلت : (لست) وإذا رثيت قلت : (كنت) »[٣] فقد غمز فى نفسه ، وأقبل مقلداً من المقلدين لا مجتهداً ــ كما يصف نفسه ــ من المجتهدين

(يتبع ــ الاسكندرية)

***

(١) الأغانى

(٢) طبقات الشعراء للجمحى

(٣) العمدة لابن رشيق

في بلاط الخلفاء

سعد وسعاد في حضرة معاوية

للأستاذ علي الجندي

فوق بسيط الصحراء المترامي الأطراف، المنضّر بتلافيف العشب الأخضر، وعلى كثب من أخبية هذا الحيّ الذي تخصص في الحب حتى ضُربت به في ذلك الأمثال! كانت سعاد أو سعدى العذريّة ترعى البَهْم مع ابن عمٍّ لها يُدعى سعدا في مثل سنها أو يجاوزها قليلاً

ورعى الشاء والنَّعم — كما يعرف الملمون بالأدب العربي — أخصب مراتع الحب في البادية وأغزر ينابيعه، في ظل تلك الوَحدة الصافية والخلوة المطمئنة، وبين كُثْبان الرمل الأعفر ولُعاب الشمس الضاحية بنجوة من فضول الرقباء ولَجاجة العُذّال، انسكب هذا الفيض العلوي على القلوب، وانقدحت شرارته السحرية الأولى، وانفسح المجال — في كلاءة العفاف والتصوّن — للتعارف والتآلف والتشاكي والمناجاة! بل خُطّت مصارع العشاق التيِّميين من أمثال ابن حزام وابن ذَريح وابن الملوّح، واستطارت أنّاتهم الدامية وآهاتهم الحِرار! التي يسميها — من لم يُدلِّهه الهوى وتُدنفه الصبابة — أشعارَ الغزل والنسيب!

ولم يكن بدّ لسعد وسعاد أن يتحابّا جرياً على هذا العِرْق الأصيل في القبيلة. وقد يقال: إنهما في بَلَه الطفولة وغَرارة الحداثة؛ أجل، ولكن الحب كالسياسة ليس له قلب! فهو كما لا يوقر الكبير لا يرحم الصغير! بل لعل أبرحه وأشجاه ما ساور الأفئدة الغضة، وخامر الأكباد الرِّطاب!

وأخذ الهوى الطفل يتدرج في النمو بتدرج الحبيبين الصغيرين في العمر، حتى شارف المدى في الوقت الذي بلغت فيه سعاد سن القمر البدر! حيث خنقت الرابعة عشرة، فتفلك[1] ثديها وتمت أنوثتها، وتحير في محياها ماء الشباب! وإذا هي أروع مثال للجمال صاغته يد البادية العبقرية الصَّناع!

(١) استدار

كانت الفتاة فارعة القوام، مُهفهفة الأعطاف، أدناها كثيب مَهيل، وأعلاها خوط بان!

لها شعر فاحم وارد[1] تَنُوس ذوائبه على وجه أبيض مسنون مشوب بسمرة رقيقة كما يشاب الكافور بالمسك! وعينان دعجاوان مكحولتان بالسحر البابلي، يحرسهما حاجبان مُهلَّلان[2] كأنهما نونان من خط ماشق! وخدان أسيلان أنضجت تفاحتيهما شمس الصحراء، نبت بينهما أنف كقصبة الدرّ أو حدّ السيف لم يَخنُس به قِصَر ولم يمض به طول. شُقّ تحته خاتم عَطِر كالأقحوانة الغضة، يلتمع فيه سِمْطان من اللؤلؤ المنضود تجري عليهما شُهدة العسل وسُلافة الرحيق!

وكانت تحلّى جيدها العاجي الأتلع، بعقد من الجَزْع[3] الظَّفاريّ، وسَخاب[4] من القَرَنفُل والمَحْلب، واسطته عقيقة حمراء قانية، تتوهج في ثغرة نحرها، وفوق ثمرتي صدرها توهج الذهب الذائب في بوتقته

وإلى هذا الإزراء من الحسن المطبوع، أوتيت مزماراً من مزامير آل داود! فكان صوتها ندياً رخيما، عذب الجَرْس حلو الرنين! إذا حدَتْ به في أعقاب الإبل، أو تغنت وراء النعم، أو أخذت بأطراف الحديث في التسامر، صبت في الآذان ما يشبه وسواس الحلي أو زجل الحمام!

وبرّح الحب بالفتى والفتاة، وفعلت الصبابة فيهما أفاعيلها! ولكن حياء الفتيان وخَفَر العذارى العواتق في هذه الأيام، حالا دون المكاشفة بهذا الجوى الدفين! فكانا يتناجيان بلغة العيون، والعيون أقدر على أداء رسالة الغرام، وأجلى إعراباً عن لواعج الشوق الساعر من لسان المقال!

تَكلّمُ منا في الوجوه عيوننا فنحن سكوت، والهوى يتكلّم

وفي صبيحة يوم شديد القُرّ لاذع الشفيف[5]، جلس العاشقان حول نار يصطليانها التماساً للدفء، وقد علِق بصرهما بالشرر المتطاير هنا وهناك كأنه قُراضة الذهب، ذاهلَين عن كل شيء حولهما غارقين في صمت عجيب! وإذا الفتى تمتد يده — دون أن يعي — إلى حزمة من يابس العَرْفج[6] طرحها في النار،

(١) طويل (٢) مقوس كالهلال (٣) خرز أسود يجلب من ظفار ببلاد اليمن (٤) قلادة تلبسها الصبيات (٥) البرد (٦) شجر سريع الاحتراق

فذكا لهيبها واندلعت ألسنتها الحمر ترقص على وجه الفتاة البض فتشب لونه ، وتجلو فتنته ، وتزيده سحراً على سحر !

وأحست سعاد — بعد لأى — بلفح الأوار ، فصحت من ذهولها ، وازورت عن الموقد قليلاً متقية الوهج بإسبال جفنيها المنكسرين ، فاستقرت أهدابها الوطف[1] على ورد خديها ، فكان منظراً أخاذاً يفرح قلب الخلي ، ويحث الناسك على الصبوة !

أخذت عين الفتى هذه الصورة الفاتنة ، فعيل صبره ، وتدله عقله ، وخفق قلبه خفوقاً متداركا ، وربما سحره[2] حتى ما يكاد يتنفس ! ثم شعر كأن نفسه تتنزى من داخل إهابه ، وأن أكمام عواطفه تتفتق عن نفحات عبقة ندية ، لم تلبث أن تخالجت فى صدره ، ثم ارتقت إلى لهاته ، ثم سالت على عذبة لسانه ، فإذا هى هذا الشعر يهتف به أول مرة فى حياته :

بأبى ! كرهت النار لما أوقدت ... فعرفت ما معناك فى إبعادها
هى ضرة لك بالتماع ضيائها ... وبحسن صورتها لدى إيقادها
وأرى صنيعك فى القلوب صنيعها
بسيالها وأراكها وعرادها[3]
شركتك فى كل الأمور بحسنها
وضيائها وصلاحها وفسادها

فتظاهرت سعاد بأنها لم تسمع — وهى جد سامعة — تخيل إليه أن شعره لم يند على قلبها ، ولم يقع منها بموقع ، فاتحه شطر النار يؤرثها بعود من الحطب — وهو يترنم بهذه الأبيات — :

وماعرضت لى نظرة مذ عرفتها ... فأنظر ، إلا مثلت حيث أنظر
أغار على لحظى لها فكأننى ... إذا رام لحظى غيرها ليس يبصر
وأحذر أن تصنى إذا بحت بالهوى
فأكتمها جهدى هواى وأستر

فنصت إليه سعاد جيدها الناصع ، ورمته بنظرة فاترة منكسرة ملؤها عتب رفيق ! فاضطرب الفتى وصبغت وجهه حمرة الخجل ، وأطرق ينكت الأرض بعود فى يده ، وأراد أن يذهب بالحديث مذهباً آخر ، فغصب ريقه ، وانعقد لسانه ! فعاذ بالصمت مكرهاً كما عاذت هى به من قبل ، وظلا بقية يومهما جامدين كالأنصاب

(١) طويلة مسترخية (٢) الرئة
(٣) السيال والعراد : نبات

ولما كان من الغد بكر الفتي إلى المرعى تبكير ابن دأية[1] ، بعد أن قضي ليلة نابغية بجفن مؤرق ودمع مرقرق !

ولبث يرقب سعاد رقبة الهلال ليلة الشك ساعات ممضة فلم تحضر ! فساوره القلق ، ومالت به الظنون كل مميل ! وكان أخوف ما يخافه أن تكون ابنة عمه قد اعتقدت فيه أنه خضع لبعض[2] الأمر . فطفق يذرع الوادى إقبالاً وإدباراً ، ويبلل رداءه بعبرات سخينة ، حتى نال منه اللغوب ، فسقط رازحاً بين طيات الرمال ، ينشد :

مت شوقاً ، وكدت أهلك وجداً
حين أبدى الحبيب هجراً وصدا
بأبى من إذا دنوت إليه ... زادنى القرب منه نأياً وبعدا
كيف لا كيف عن هواه سلوى
وهو شمس الضحى إذا ما تبدى ؟ !

ولم يكن سعد مصيباً فى ظنه ، فقد كانت سعاد مطمئنة إلى حسن نيته ، وصفاء سريرته ، غير ناسية شعار العذريين (إن فى فتياتنا صباحة وفى فتياننا عفة) ، ولم تكن كذلك ناقمة منه نسيبه بها ، بل نزل على قلبها برداً وسلاماً ! وأى فتاة لا تستروح إلى حديث الحب البرىء ، ولا تهفو إلى رؤية محاسنها مفرغة فى قوالب الشعر المذهبات ؟ !

ولكن الفتاة كانت عاقلة أريبة بعيدة النظر ، فخشيت أن يستحلى الشاعر هذا الرعى المؤنق ، ويتمادى فى إعلان صبوته ، وتجرى مقطعاته ورقائقه على ألسنة الرواة فتفتضح بها ، ويقف ذلك عقبة فى بلوغ أمنية تعدل عندها الحياة ! وهى زواجها من ابن العم الحبيب الذى ينزل منها فى سواد العين والفؤاد ! فأرادت أن تتخلف عن لقائه أياماً تتصنع فيها المرض على ثورته تهدأ وشقشقته تقر ! ومادرت سعاد — عفا الله عنها — أن ما حسبته دواء هو الداء الأكبر بل الموت الأحمر ! :

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... على أن قرب الدار خير من البعد

وبينما كان الفتى متوحداً فى الصحراء تتوزعه الهواجس ، ويتخبط من حيرته فى مثل قطع الليل المظلم ! لمعت فى ذهنه خاطرة استنار منها وجهه وثلج لها فؤاده ، فصك جبهته وصاح : الحمد لله لقد اهتديت !

(١) الغراب (٢) كناية عن الميل إلى مالا يحل

وما عـتم أن انكفأ بالرّاغية والثّاغية إلى مضارب الخيام ، ثم عطف على طِرّاف ممدّد فدخل إلى عمه الشيخ ، فإذا هو مُحتب فوق لبدة يمشّط لحيته اللّيفانيّة[(١)]

حيّا الفتى عمه الشيخ فرد عليه بأحسن منها ، ودعاه إلى الجلوس لجلس قُبالته محتشما وانقضت فترة كان فيها زائغَ البصر شارد العقل جمّ البلابل ! ثم تغلب على وساوسه وقال بصوت متقطع النبرات :

— عمى وأبى بعد أبى !

— لبيك ولدى وَوَصَلتْك رَحِم !

— جئت أخطب إليك سعاد

فحل الشيخ حبوته وابتسم قائلاً : سعد يخطب سعاد ! هو الفحل لا يُقدَع[(٢)] أنفه !

فنكّس الفتى رأسه مستحيياً وفى منبت كل شعرة من وجهه ثغر ضاحك !

وكان لسعد صِرْمة[(٣)] من الإبل وثلة من الضأن والمعِز ورثها عن أبيه الذى مات عنه — وهو طفل — فأصدق سعاد عشرين ناقة عُشَراء[(٤)]

وما هى إلا أيام قلائل حتى أُهديت الفتاة إليه فى ليلة أضحيانية قمراء ، تحف بها كوكبة من أترابها يتغنين ويضربن بالدفوف ، وأمامهن الجوارى الصغيرات يعزفن ويرقصن ، ومن حولهن فتيان الحى يتشاولون[(٥)] بالسيوف ويتناضلون بالسهام ، ويتسابقون على صهوات الخيل العراب ! فبلغوا بجاداً من الوبر ضُرب لها خاصة على مسافة غَلْوة[(٦)] من الحى ، فأدخلوها فيه وجلس إلى جانبها الزوج ، وأُفرغ على رأسيهما نِثار التمر عملاً بسنة البدو ! وبقى أهل الحى نساء ورجالاً فى لهو وسمر حتى انفجر الفجر ، فودعوهما داعين لهما بالرِّفاء والبنين !

ومضى عامان أجردان[(٧)] نعم فيهما العروسان بما جاوز قدر الأمل ؛ من حياة لينة هنيئة وعيش ألمى[(٨)] الظلال ، وحب على الأيام يزداد جِدّة وجدّة ! ولكن صدق من قال :

« وعند صفو الليالى يحدث الكدر » !

فإن كلَف الزوج بعِرْسه وابتغاء مرضاتها ، جعله يبسُط يده كل البسط فى الإنفاق عليها ، فكان يرِد الحواضر وأسواق العرب يبتاع لها الطرائف : من عَصْب اليمن وريْط الشام ومناديل مصر وعطور الهند وزعفران البلقاء مبالغة فى ترفيهها وتدليلها ، مع نصحها له بالقصد والاعتدال ، ونفورها من هذا التّرف الذى يجرّدها من وَسْم البادية وشارتها المحبوبة

فلم يرْعو الزوج العاشق ، وسدَر فى غُلَوائه حتى أتلف ماله ، ولم يبق له سبَد ولا لبَد! فتلقّت سعاد هذه الجائحة بالصبر الجميل! وضاعفت من حبها للفتى وحدبها عليه لترفّه عنه حرّ المصاب !

ولكن الأمر لا يعنيها وحدها ، فهناك أبوها وهو وإن كان من قوم جُبلوا من طينة العواطف ، ووسموا برقة الشعور ، وسَنّوا للناس سنن الموت فى الحبّ ! إلا أنه كان أعرابياً جافى الخليقة غليظ الكبد ! لا يفهم من الحياة غير رُغاء الإبل وثُغاء الشاء والصّرّ والحِلاب ، فأنف لابنته خشونة العيش ، وتعاظمه أن تلفحَها سَموم الفاقة فى طراءة السن وغضارة الشباب !

فقطع صلتها ببعلها واحتجزها عنده وسعى فى خلاصها منه ! فرفع الزوج الأمر إلى والى تلك الجهة الأموى المفتون المدل بمكانه من قريش وبمكانه من الخليفة مروان ابن الحكم ..وكانت سعاد قد وصفت له فى بعض قدماته إلى البادية ، فعشقها على السماع — والأذن كالعين تعشق — فاهتبلها فرصة يتقنص فيها هذا الشادن العذرى المربب الذى ما برح يرتمى حبة قلبه ! فأكره سعدا على مفارقة زوجه ، وضمها إليه — بعد انقضاء عدتها — وفى عينيها دمعة جارية ، وفى قلبها لوعة ذاكية !

حزَب الزوج الأمر، وضاقت عليه الأرض بما رحبت، ولا عجب فقد أصيب بطمنتين نجلاوين فى قلبه وكرامته. ولكن إذا جار الوالى أليست هناك يدٌ أعلى من يده ، هى يد الخليفة ! ومن فوقها يد الله !

لم يجد الفتى بدّاً أن يعتسف الصحراء إلى دمشق، حيث يتربع على دست الخلافة آدم قريش، ووارث حلوم آل حرب، وكسرى العرب وأدهى دهاتها معاوية بن أبى سفيان ، ليستعديه على ابن عمه الحاكم المتسلّط !

[البقية فى العدد القادم]

علي الجندى

---

(١) تشبه الليف . (٢) لا يدفع (٣) قطعة ما بين العشرة إلى الأربعين (٤) حاملة فى الشهر العاشر
(٥) يتلاعبون (٦) مسافة رمية السهم (٧) كاملان
(٨) كثيف

كتاب الأغانى

لأبى الفرج الاسكندرانى

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

راهنت بالروح على نهروان لو اننى أملك هـــذا الرهان
هذى هى الخيـل التى تشترى لا كوكب الشرق ولا كوكبان

الشعر للأستاذ على الجارم بك وفيه لحن من نغمة «النشازكار» من صنعة الأستاذ محمود مصطفى

حدثنا الأستاذ محمد شعراوى بك قال: إن «كوكبان» و «نهروان» جوادان من جياد السباق، وإن الجواد الذى أراد الأستاذ الجارم بك أن يثنى عليه هو «كوكبان» ولكنه من أجل الجناس اللفظى بين كلمة «راهنت» وبين كلمة نهروان قد أبدل اسمى الجوادين فجعل الممدوح هو المذموم والعكس بالعكس

قال الأستاذ شعراوى بك: وأعجب من ذلك أن كوكب الشرق ليس جواداً ولكنه صحيفة كان يصدرها الأستاذ حافظ عوض بك ولكن الجناس اللفظى قد حمل الجارم بك على اعتبارها جواداً، وجواداً من جياد السباق وذلك ليقال كوكب و كوكبان

وانتهى شعراوى بك من حديثه إلى أنه لن يراهن على بيت واحد من الشعر مادام الشعراء يبدلون الحقائق من أجل تلك الكلمة المدرسية العتيقة: «بين وجوه البلاغة فيما تحته خط»

وحدثنا الأستاذ عبد الغنى جبرة قال إن فى خيول السباق جواداً اسمه شكسبير وأنه عرض على شعراوى بك بثمن مناسب ولكنه رفض شراءه لأنه باسم شاعر. قال وقد تحامل شعراوى بك على الجارم بك تحاملاً شديداً لأن الجواد كوكبان من خيول شعراوى بك وقد كان يود أن يكون هو الممدوح لا الجواد نهروان

قال أبو الفرج: وهذا القول جائز ولكن كيف استحالت جريدة كوكب الشرق إلى جواد من جياد الرهان؟

حدثنا الأستاذ أحمد أمين قال: وهذا الباب من أبواب الشعر أثر من آثار الجناية التى جناها الأدب الجاهلى على أدب العصر الحاضر. فقد كان الجواد عند العربى بمثابة الأسطول والطيارة فى العصور الحاضرة. فإذا وجد الآن شاعر فى انكلترا يباهى بالأسطول ويصفه ويتغنى بمحاسنه فلا غضاضة عليه فى ذلك؛ وإذا وجد شاعر فى مصر يتغنى بالدبابات الجديدة والطيارات ذات الأزيز المثير للدوافع الوطنية فهو شاعر حقاً، كما كان العربى شاعراً فى وصفه الجواد وحبه إياه وقد شاركه فى أخطار الموت ودخل وإياه الدول المفتوحة وجرح وإياه فى الميدان، ولكن مابال الشاعر المصرى العصرى يركب السيارة ويأنف من ركوب الجواد ثم يتغنى بذكر الخيل؟ وماله يذكر الرهان والسباق وهو لم يعالجهما قط، وإنما يجعل منهما وسيلة لذكر الخيل لأن العرب كانوا يذكرونها — أليس هذا مما جناه الأدب الجاهلى على أدب العصر الحاضر؟

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال: لما سمعت رأى الأستاذ أحمد أمين فى السيارة والجواد نظمت قصيدة أتغنى فيها بعربة «ناش» التى اشتريتها حديثاً وأنكرت ما كنت أنظمه عن الخيول التى لم أركبها قط. ومن قولى فى تلك القصيدة:

صوت

ألثمانون سرعة «الفُرْدِ» فاذرع بىَ عرض البلاد يا ناش وثبا
أطلقت قيـــدها الفرامل وانسا ب بى «الناش» ينهب الأرض نهبا

حدثنا الدكتور زكى مبارك قال: ما رأى الناس قط تعسفاً مثل هذا. فالخيل ما تزال من عدة الحروب. وما أنكر على شاعر أن يصف ما يراه من المخترعات الحديثة، ولكن كيف جاز للمؤمنين أن يحرموا على أنفسهم ما أحله الله لهم؟ وكيف يزعم الزاعمون أن الخيل قد زالت محبتها فيجب أن يزول التغنى بها؟ إن ميادين السباق فى الحواضر تستنفد من الثروة ما يكفى لبناء أسطول. هذا فى الحواضر وما يزال فى الريف من يباهون باقتناء الخيول ويعدونها من علائم الأصالة والنبالة. وقد كان عندى جواد فى سنتريس اعتدت ركوبه كلما طفت بمنازل الصبايا. وبارك الله فى صبايا سنتريس! لقد أنكرت الوجاهة منذ كففت عن

ركوب الجياد واستبدلت بها الطيارة والسيارة . ثم ما لهذا كله وما لأبيات الجارم بك ؟ إن تربية الخيل ضرب من الفروسية التي يجب الاحتفاظ بها في كل مكان وكل زمان ، وهي تقليد من تقاليد الخلفاء . وقد قال الوليد بن يزيد :

تمسك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليك إن رمتك أمان

فهل قرأ هؤلاء أدب الأمويين ؟

قال الدكتور زكي مبارك : ولهذا البيت قصة ظريفة فقد أشفق أمير المؤمنين الوليد بن يزيد على « الجوكي » من ركوب الفاره من الجياد فأمر بتدريب طائفة من القرود وكون منها فرقة من « الجوكية » كما أمر بصيد عدد كبير من حمر الوحش فجمل منها فرقة من « البواني الغشيمة » وأبو قيس هذا الذي يذكره في شعره ليس إلا قرداً من هذه القرود

ليت المدنية التي يتغنون بها تبلغ من الرفاهية ما بلغته في العصر الأموي الذي لم يقرأوا شيئاً عنه

لم تحب الحياة زهد على فجفته إلى بني مروان

ثم ضحك الدكتور زكي مبارك وقال : وسيأتي اليوم القريب الذي يعود شعراؤنا فيه إلى التغني بالخيول ولو غضب الأستاذ أحمد أمين وأنشد :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار إلى الطعان

أبوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان

هكذا قال حصان أبي الطيب فليسمعنا الأستاذ أحمد الشايب ما قالته سيارته ولو أنها من طراز « ناش »

حدثنا الأستاذ عبد الغني جبرة قال : دخلت ميدان السباق فرأيت بين الشاهدين الدكتور زكي مبارك ، ورأيت طائفة عظيمة من الوجهاء والأعيان وكلهم معقود النظر بالخيل التي تجرى دون أن ينظر بعضهم إلى بعض . وسمعت الدكتور زكي مبارك ينشد في هذا المعنى أبياتاً لم يعلق بذهني منها غير هذا البيت في وصف ميدان السباق .

ويكون أغنانا وأعلمنا فيه وملء عيوننا البهم

عود الى أبيات الجارم بك

حدثنا الأستاذ محمود مصطفى قال : إنني وإن حملت على الجارم بك في شرحه لكتاب البخلاء فما أنكر فضله في الشعر فقد جدد به مفاخر العرب وتغنى بآثارهم وبعث أمجادهم ، وصان لغتهم . ومن أروع المفاخر العربية عندي العناية بالخيل فما تغنى بها إلا الأمم المحاربة ، ومهما استحدث من أدوات الدفاع فسيلجأ المحاربون في النهاية إلى إيثار الخيل بالعناية . وأنشد بيت أبي الطيب :

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين من لا يجرب

وحدثنا الشاعر جبريل دننزيو قال : حدثنا السنيور موسوليني قال : ليس في نيتي أن أثير الحرب ؛ ولكنها إن ثارت فسيكون المسئول عنها هو جوادي ، فإن رؤية الخيل تحفز إلى الرغبة في القتال وأنشد :

صوت

وأقبل بالتصهال مهري يقول لي أأبقى كذا لا في اطراد ولا طرد

علام انتظاري أنجم النحس والسعد

وحتام صمتي لا أعيد ولا أبدي

الشعر لجبريل دننزيو وفيه لحن يضرب على نغمة الترليوز من صنعة الشاعر نفسه

« يتبع » عبد اللطيف النشار

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



ولندع الآن ماليت يسعى سعيه الأثيم ، ولندع كذلك الخديو فى حيرته وارتباكه ؛ ولنعد إلى أوربا لننظر ماذا آل إليه موقف الدولتين من المسألة المصرية .

وجدير بنا ألا ننسى ما أسلفنا الإشارة إليه أكثر من مرة، ألا وهو موقف الدولتين إحداهما من الأخرى ، موقف المراوغة والمداراة ، ذلك الذى كان طرفاه أول الأمر غمبتا وجرانفل .

ولقد تغير هذا الموقف تغيراً أساسياً من جهة فرنسا حينما حل دى فرسنيه فى الحكم محل غمبتا ؛ وذلك أن هذا الرجل قد انتهج فى المسألة المصرية نهجاً جديداً ما لبث أن بينه لانجلترة حين ولى الحكم .

وقد ألقيت إلى المسيو فرسنيه مقاليد الأحكام كما ذكرنا قبل أن يخلف البارودى شريفاً فى مصر بنحو خمسة أيام . فكتب إلى الحكومة الإنجليزية أنه لا يميل إلى أى تدخل عسكرى فى مصر سواء أكان هذا التدخل من جانب انجلترة وفرنسا مجتمعتين ، أم من جانب كل منهما على حدة ؛ وأنه كذلك يرفض كل الرفض أن يقر أى تدخل من جانب الباب العالى ...

ولعل جرانفل قد رأى فى سياسة فرسنيه ما يسهل عليه الوصول إلى غرضه مع ما قد يبدو لأول وهلة من أنها تؤدى إلى عكس ذلك ؛ وذلك لأنه يستطيع الآن أن يلزم دى فرسنيه بسياسته بينما يتلمس هو الأسباب لتتدخل حكومته بمفردها ، ولن يعدم أن يجد من الحوادث تافهة كانت أم كبيرة ما يتخذ منه مبرراً لتدخله . ولئن لم تواته الحوادث فما أيسر أن يخلقها خلقاً أعوانه فى مصر ، حتى إذا سنحت الفرصة أفلت من فرنسا وانقض على الفريسة وحده ؛ وإذا بدا لتركيا أن تتدخل فى تلك الأثناء فلتستتر انجلترة خلف فرنسا لأنها هى التى تعلن أنها تمانع فى تدخل الباب العالى . وإن انجلترة لتمانع فى الواقع أكثر مما تمانع فرنسا حتى لا تعود مصر إلى حوزة صاحبها الشرعى ، فيضيع على انجلترة كل آمالها ، ولكنها تلقى ذلك على عاتق فرنسا فتزداد نياتها خفاء وتزداد فى نفس الوقت قرباً من غايتها . . .

وكان غمبتا يشير كما بينا بالالتجاء إلى القوة أبداً ضد الوطنيين فى مصر ، ومن هنا جاءت المذكرة المشتركة ؛ وكان من اقتراحاته أن تقوم الدولتان معاً بالتدخل العسكرى فى مصر؛ ولكن جرانفل لم يشايعه فى هذا الاقتراح مبيناً له ماينطوى عليه تنفيذه من أخطار، ولقد جاء كلام جرانفل هذا إلى غمبتا فى رسالة وصلته قبل سقوط وزارته بيوم واحد . وجاء فى خاتمة هذه الرسالة قوله : « إن حكومة جلالة الملكة توافق على أن للدولتين مركزاً خاصاً فى مصر وذلك بناء على الظروف القائمة والاتفاقات الدولية ؛ وإنها كذلك تعتقد أنه قد تنجم بعض المتاعب من دعوة عدة دول فى مسألة حكومية ولكن حكومة جلالة الملكة تكل إلى الحكومة الفرنسية أن تنظر ما إذا لم يكن الأمر فى حاجة إلى الاتصال بالدول الأخرى كخير وسيلة لتتناول حالة من الحالات يظهر أنها ذات مساس بالفرمانات السلطانية وعلاقات مصر الدولية » ...

ولم يكن جرانفل بالضرورة متعففاً عن التدخل العسكرى فى مصر ، وإنما كان يود التخلص من مشاركة فرنسا لانجلترة فى هذا ، وقد كانت السياسة الإنجليزية تدور منذ حملة بونابرت على مقاومة نفوذ فرنسا فى وادى النيل . ثم الاستيلاء عليها متى

أمكن ذلك دون مراعاة شىء فى سبيل الوصول إلى هذا الغرض

واستفهم المسيو فرسنيه الحكومة الإنجليزية ماذا أرادته بذلك الاحتياط الذى أبلغته المسيو غمبتا بعد موافقتها على المذكرة المشتركة ، فكان الجواب أن الحكومة البريطانية تحتفظ لنفسها بتعيين نوع العمل إذا لم يكن من العمل بد وفى تقرير وجوب العمل أو عدم وجوبه على وجه العموم

ثم أراد جرنفل أن يخفف من وقع هــذا الكلام فى نفس فريسنيه فذكر أنه ليس فى مصر ما يدعو إلى القلق فإن الوزارة الجديدة تجهر برغبتها فى المحافظة على تعهدات مصر الدولية ؛ وإذا وقع ما يقتضى التدخل فإن الحكومة الإنجليزية تجعل أساس ذلك تضامن أوربا مع وجوب اشتراك السلطان فى كل خطوة وفى مفاوضة يؤدى إليها هذا التدخل

وفى تلك الأثناء كان كلفن ومالت يحكمان دسائسهما فى البلاد ويباعدان بين الخديو ووزرائه ، لا يتوانيان عن خلق « الضرورة » التى تقضى بالعمل

وكانت الحكومة الإنجليزية التى تقف من فرنسا ذلك الموقف الذى أشرنا إليه تفكر فى ذلك الوقت فى إعداد حملة على مصر ، ففى الخامس عشر من شهر مارس أى بعد استلام البارودى أزمة الحكم بأربعين يوماً زار مستر بلنت السير جارنيت ولسلى الذى سوف يكون قائد الحملة على مصر عما قريب ، فدار بينهما الكلام على هذا المشروع . يقول مستر بلنت : « فبعد أن تكلمنا عن قبرص انتقلنا إلى موضوع مصر وإمكان مقاومة الوطنيين فى حالة التدخل ، وسألنى رأيى فى ذلك فقلت له : إنهم بالطبع سيقاتلون والقتال لن يقتصر على الجنود لأن الأمة ستنضم إليهم وربما استعملوا طرقاً أخرى بعد ذلك . وقد أبى أن يصدقنى فى قولى بأن الجنود ستقاتل ، ولكنى ثبت على رأيى وقلت له : إنه إذا كلف بأن يذهب لغزو مصر فعليه أن يأخذ معه على أقل تقدير ستين ألف جندى . وقد بالغت بلا شك فى هذا التقدير لأنى كنت أرمى إلى جعل هذه المهمة شاقة فى نظرهم حتى لا تقدم عليها الحكومة إلا بعد تردد ومراجعة . وقد تطوع بإخبارى بأنه قد استشير مرتين أو ثلاثاً مدة الشتاء بصدد الغارة على مصر والاحتلال . وقد أكد لى أن ليس هنا من يريد التدخل وأن احتلال مصر سيكون مكروهاً عند الجنود ، وأنه هو نفسه يكون آسفاً جداً إذا اضطر إلى الذهاب إلى مصر . ومن رأيه أنه يجب على المصريين أن يسرحوا جيشهم ويثقوا بحماية أوربا . ولكنى أخبرته بأنه ليس من المستطاع لى أن أنصح لهم بذلك وأن الأمة التى تنوى القتال بنية صادقة قل أن يهاجمها عدو . فقال لى : إنه ليس هناك شىء يدعى الشرف فى الحروب ، وإذا كانت المسألة مسألة حرب فلا يجب عليهم أن يثقوا بنا ولا بأى دولة أخرى

ثم أخذ فى الكلام عن الطرق الحربية المؤدية إلى القاهرة فذكر بونابرت وطريقه على الشط الأيسر بين فرع النيل وطريق الصحراء بين قناة السويس والدلتا حتى شعر بأنه إذا ذهبت الجيوش فستتخذ هذه الطريق ، ولكنى احترست من أن أعطيه أى معلومات تفيده أقل فائدة ، واكتفيت بالضحك عندما سألنى عما إذا كنت أرافقه لأدله على الطريق عندما ترسل الحملة

وبينما كانت الدسائس تدبر لمصر فى الداخل والخارج على هذا النحو لم يكن للوزارة المصرية من وسائل الدعاية شىء ما ، فكان أعداؤها يتقولون عليها ما شاءوا وما شاءت لهم أطماعهم حتى لقد صور عرابى زعيم الحركة الوطنية صوراً بلغت أقصى حدود الغرابة ، فهو تارة رئيس عصابة من المتمردين الخوارج على القانون والنظام ، وهو طوراً داعية اسماعيل اشتراه بالمال ليعمل على إعادته إلى مصر ، وهو بالإضافة عند بعض الإنجليز فرنسى أو أسبانى فى زى مصرى ، إلى غير ذلك من الأقاويل التى لا ندرى أنقابلها بالألم أم بالسخرية

وانطلقت الصحف تذيع فى الناس الأكاذيب فى غير حياء أو فتور وليس لمصر لسان يدافع عنها إلا لسان مستر بلنت فلقد سافر هذا الرجل الحر ليقابل كل من لهم صلة بالمسألة المصرية ليريهم وجه الحق فى هذه القضية وليصحح ما جاز على عقول الساسة من خدع

ولقد قابل مستر بلنت جماعة من النواب ومن رجال المال وما زال يسعى حتى ظفر بمقابلة جرانفل فتحدث إليه بما لديه من المعلومات ودافع عن قضية الأحرار فى مصر بكل ما وسعه من وسائل الدفاع . ولكن شد ما كانت دهشته عندما انطلق جرانفل نفسه يخبره أن لديه من المعلومات الأكيدة ما يؤيد أن عرابياً ما هو إلا صنيعة اسماعيل وأن المسألة من أولها إلى آخرها ما هى إلا سلسلة من الدسائس لإرجاع الخديو السابق إلى عرشه !

وعول بلنت بعد ذلك على مقابلة غلادستون وقد كانت شهرته قائمة على أساس ميله إلى الحرية ، والأخذ بيد الشرقيين جميعاً لينهضوا من سباتهم، فلما مثل بلنت بين يديه اندفع يتحدث عن

الحركة الوطنية فى مصر فى طلاقة وحماسة، وظل غلادستون صامتاً ينصت إليه كأنه مقبل عليه مؤمن بما يقول مقدره حق قدره يقول مستر بلنت : « ثم سألنى عن موقف الجيش والسبب فى ظهوره فى المسائل الوطنية ؛ فإنه توجس من هذا الظهور فأوضحت له تاريخ الحركة وأكدت له أن ما قيل عن تدخل الجنود قد بولغ فيه ، وأن تلك الرواية القائلة بأن الجنود كانوا يتوعدون النواب ويرهبونهم من الروايات المختلقة وقلت له إن الاستعدادت الحربية الحاضرة ليس لها من غرض سوى الخوف من الاعتداء والتدخل » .

ولكن ماذا كان ينتظره بلنت من جرانفل وغلادستون ، ولم تكن المسألة مسألة إقناع وحجة ؟ ماذا كان يأمل بلنت ولم تكن المسألة ماذا يجب أن يعمل، وإنما كانت متى ينفذ ما انعقدت النية عليه؟

وإنى لأحس من قراءة ما كتبه بلنت عن مقابلته لجرانفل وغلادستون أنهما كانا ينظران إليه نظرتهما إلى غر لا يفهم ما يجب أن يسير عليه الإنجليزى فى معاملة الشعوب الشرقية أو إلى ناشئ فى السياسة لا يدرى أن الكلام شىء والخطط المرسومة شىء آخر . ولقد علق كرومر فى كتابه على مساعى مستر بلنت فقال : « ومن هؤلاء الذين عطفوا على القضية نرى أبرزهم هو مستر ولفرد بلنت ولقد عاش مستر بلنت زمناً بين المسلمين وكانت له لذة شديدة فى كل شىء يتصل بهم وبدينهم ؛ ويظهر أنه كان يعتقد فى إمكان إحياء الإسلام على قواعده الأصلية وقد تصادف أن كان فى مصر فى شتاء عام ١٨٨١ — ٨٢ ؛ فألقى بنفسه بكل ما تبعثه الطبيعة الشاعرية من حماسة فى جانب القضية العرابية وأصبح مرشدها وفيلسوفها كما أصبح الصديق لعرابى وأتباعه ؛ ورأى مستر بلنت أنه كان يعنى بحركة هى إلى حد معين حركة قومية بلا نزاع ؛ وفشل فى أن يفهم فهماً كافياً تلك الحقيقة وهى أن سيادة الحزب العسكرى كان فيها القضاء على العنصر القومى فى الحركة ! وكان فى وقت ما يعمل وسيطاً بين السير ادوارد مالت والقوميين

ولكن هذا الاختيار لم يكن موفقاً ؛ لأنه يتبين بأجلى وضوح مما ذكره بلنت فى كتابه عن مساعيه أنه فيما عدا بعض المعرفة باللغة العربية لم يكن على شىء من الصفات اللازمة لتحقيق النجاح فى مسألة لها ما لهذه المسألة من صعوبة ودقة . ولقد نصح القوميين أن يعنوا بالجيش وإلا غالتهم أوربا ، وكان يعنى النصيحة بلا ريب ولكنها كانت فى غير وقتها كما كانت خبيثة ، فلئن كان ثمة من خطر من جهة الغزو الأوربى فإن موطن هذا الخطر كان فى انضمام الحزبين الوطنى والعسكرى أكثر مما كان فى انفصالهما ؛ ولقد كان من السهل على السياسى المجرب أن يدرك هذا ، ولم يكن لمستر بلنت تجربة سياسية ذات قيمة ما وإنما كان رجلاً متحمساً يحلم أحلاماً عن يوتوبيا عربية »

هذا هو ما يراه كرومر فى بلنت. وليس عجيباً أن يكون هذا رأى كرومر وهو من أساطين الاستعمار فى رجل كمستر بلنت كان بلا ريب من كبار الأحرار ؛ وإنما أوردنا رأى كرومر هذا لأنه يكشف عن جانب من أساليب المستعمرين الانجليز فى محاولة طمس الحقائق فى سبيل الوصول إلى ما يطمعون فيه من أغراض؛ وهو من ناحية أخرى يشف عما كان يمكن أن يقابل به مسعى رجل مثل مستر بلنت فى دوننج ستريت إبان تلك الأزمة التى نحن بصددها : أزمة مقاومة الوزارة الوطنية فى مصر

ولم يكن ينتظر أن يصيب بلنت غير الفشل ، وقد رغبت وزارة جلادستون فى تعجل الحوادث ، لتفلت من فرنسا وتنفرد فى وضع يدها على مصر حتى تخلص من الموقف الحرج الذى وضعها فيه مسلك فريسنيه . فإن هذا الوزير قد ذهب فى تجنب العدوان على مصر إلى حد أنه كتب إلى قنصل فرنسا فى القاهرة يأمره أن « يلتزم خطة التحفظ والحذر ، وإن كان ذلك لا يمنعه من أن يحسن صلته بكل حكومة فى مصر تحترم الاتفاقات الدولية وتحافظ على النظام » .

ولقد زاد فريسنيه على هذا أن استدعى المسيو بلنير العضو الفرنسى فى المراقبة لما كان يعلم من مسلكه نحو الحركة الوطنية فى مصر ، وباستدعاء بلنير خلا الجو لكلفن ومالت فراحا ينفثان سمومهما ويتعجلان الحوادث فى غير وناء ولا استحياء ...

وبعد شهرين من هذا وقع فى القاهرة حادث المؤامرة الجركسية؛ وللقارئ أن يصور لنفسه أية فرصة كانت تلك الفرصة التى أتيحت للسياسة الإنجليزية وعلى أى صورة راحا يستغلانها لصالح دولتهما دون أى وازع من ضمير أو قانون أو عرف. ولننظر بعد ذلك ماذا كان من أمرهما وأمر الخديو فى هذا الحادث العادى الذى لولا أطماع السياسة وتربص القوى بالضعيف جرياً على سنة تنازع البقاء فى هذا الوجود ما كان ليعتبر شيئاً مما أثاره من قلاقل خطيرة ، أو ليلد ما ولد من أحداث جسيمة

(يتبع) **الخفيف**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٧١ — المرأة

(الكلم الروحانية) : سئل الفيلسوف سيافيدس السكّيت عن المرأة فقال : همُّ الرجل ، سرٌّ لا يوصف ، سبع معاشر ، لبوة فى شمارك ، أفعى مستورة بالثياب ، حربٌ لاسِلْمَ معها ، راقدة تنبهك ، حزن دائم ، هلاك السخيف ، آلة الفحشاء ، غول إنسيّة ، آلة لبقاء الصورة .

٤٧٢ — هذا المصير ...

حضر الفقيه الشاعر ابن أبى الصقر الواسطى عزاء صغير ، وهو يرتعش من الكبر . فتغامز عليه الحاضرون : كيف مات الصغير وبقى هذا الشيخ فى هذه السن ؟ فقال :

إذا دخل الشيخ بين الشباب ... عزاء وقد مات طفلٌ صغير
رأيتَ اعتراضاً على الله إذْ ... توفى الصغير وعاش الكبير[1]
فقل لابن شهر وقل لابن ألف ... وما بين ذلك : هذا المصيرُ

٤٧٣ — أطعمه الكسكسون

نفح الطيب : قال القاضى محمد القرشى المقرى : حكى لى القاسم ابن محمد اليمنى مدرس دمشق ومفتيها أنه قال له شيخ صالح برباط الخليل (عليه السلام) : نزل بى مغربى فرض حتى طال على أمره فدعوت الله أن يفرّج عنى وعنه بموت أو صحة . . . فرأيت النبى (صلى الله عليه وسلم) فى المنام فقال : أطعمه الكسكسون — قال يقوله هكذا بالنون — فصنعتُه له فكأنما جعلتُ له فيه الشفاء . وكان أبو القاسم يقول فيه كذلك ، ويخالف الناس فى حذف النون من هذا الاسم ، ويقول : لا أعدل عن لفظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ووجهُ هذا من الطبّ أن هذا الطعام مما يعتاده المغاربة ويشتهونه على كثرة استعمالهم له ، فربما نبه منه شهوة ، أو رده إلى عادة .

٤٧٤ — بين خالد الكاتب ومليح فطن

— ما آن أن يرحمنى قلبك[1] ؟ !
— لا .
— حتى متى يلعب بى لبك ؟ !
— إلى آخر الدهر ...
— لا أعدم الله فؤادى الهوى[2] !
— آمين !
— يوماً ولا جربه قلبك !
— قد تقبل الله ذلك
— إن كان ربى قد قضى بالضنى !
— ماذا يكون ؟
— وشدة الحب فما ذنبك ؟
— سل نفسك ...

٤٧٥ — صدقك والله أعجب الى

(الأغانى) : قال الرشيد يوماً لأبى حفص عمر الشِطرنجى : يا حبيبى ، لقد أحسنت ما شئت فى بيتين قلتهما ، قلت : ما هما يا سيدى ، فمِن شرفهما استحسا ُنك لهما ، فقال : قولك :

لم ألق ذا شجن يبوح بحبه ... إلا حسبتكِ ذلك المحبوبا
حذراً عليك وإننى بك واثق ... ألاَّ ينالَ سواى منك نصيبا

فقلت : يا أمير المؤمنين ! ليسا لى ، هما للعباس بن الأحنف ، فقال : صدقُك (والله) أعجب إلىّ

***

محمد بن الجهم البرمكى : رأيت أبا حفص الشطرنجى الشاعر فرأيت منه إنساناً يلهيك حضوره عن كل غائب ، وتسليك مجالسته عن هجوم المصائب . قربه عُرس ، وحديثه أُنس ، جده

---

(١) توفى الله الصغير وكل إنسان . فالله المتوفى — بكسر الفاء — والانسان المتوفى (بفتحها) . قال ابن الجوزي : حكى إسحق بن ابرهيم قال : حضرت جنازة لبعض القبط ! فقال رجل منهم من المتوفى (بكسر الفاء) . فقلت : الله ! فضربت حتى كدت أموت . وفى (الكشاف) : والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً . قرئ يتوفون (بفتح الياء) أى يستوفون آجالهم ، وهى قراءة على رضى الله عنه (قلت) فعلى ذلك يقال : فلان المتوفى بكسر الفاء .

(١) حذفت همزة الاستفهام . فى المفصل : تحذف الهمزة إذا دل عليها الدليل . فى المغنى : الأخفش يقيس ذلك فى الاختيار عند أمن اللبس

(٢) أعدمه إياه : أفقده إياه

لعب ، ولعبه جد . دَيّن ماجد ، إن لبسته على ظاهره لبست مومومقاً لا تملّه ، وإن تتبعه لتستبطن خبرته ، وقفت على مروءة لا تطور (١) الفواحش بجنباتها ، وكان ما علمته أقل ما فيه الشعر

٤٧٦ — أفسر آية من القرآن

(مفاتيح الغيب) : روى أن عمر بن الحسام كان يقرأ كتاب المجسطى (٢) على عمر الأبهرى. فقال بعض الفقهاء يوماً: ما الذى تقرأونه ؟ فقال : أُفَسّر آية من القرآن ، وهى قوله تعالى : (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها) فأنا أفَسّر كيفية بنيانها ولقد صدق الأبهرى فيما قال ، فإن كل من كان أكثر توغلاً فى بحار مخلوقات الله كان أكثر علماً بجلال الله وعظمته .

(١) تطور « لا تطيركا فى النسخة المطبوعة » فى الصحاح : لا أطور به أى لا أقربه ولا تطرحرانا أى لا تقرب ماحولنا . وفى الأساس : لاتطرحرانا لا تغش ساحتنا ، وأنا لا أطور بفلان لا أحوم حوله ولا أدنو منه

(٢) المجسطى (بكسر الميم والجيم وتخفيف الياء.) أشرف ما صنف فى الهيئة بل هو الأم ، وهو كتاب لبطليموس يذكر فيه القواعد التى يتوصل بها فى بأثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بادلتها التفصيلية . وعربه حنين ابن اسحق (كشف الظنون)

٤٧٧ — النبع يقرع بعضه بعضاً

مجمع الأمثال : هذا المثل : (النبع (١) يقرع بعضه بعضاً) يروى لزياد ، قاله فى نفسه وفى معاوية ؛ وذلك أن زياداً كان على البصرة ، وكان المغيرة بن شعبة على الكوفة ، فتوفى بها . نخاف زياد أن يولى مكانه عبد الله بن عامر ، وكان زياد لذلك كارهاً . فكتب إلى معاوية يخبره بوفاة المغيرة ويشير عليه بتولية الضحاك ابن قيس مكانه ، ففطن له معاوية فكتب إليه : (قد فهمت كتابك فليُفرخ روعك (٢) أبا المغيرة ، لسنا نستعمل ابن عامر على الكوفة وقد ضممناها إليك مع البصرة) .

فلما ورد على زياد كتابه قال : (النبع يقرع بعضه بعضا) . فذهبت كلمته مثلاً . يضرب للمتكافئين فى الدهاء والمكر .

(١) النبع من شجر الجبل وهو من أكرم العيدان .

(٢) أفرخ الروع — بفتح الراء — ذهب الفزع (الصحاح) : أفرخ روعك — بالضم — أى خلا قلبك من الهم خلو البيضة من الفرخ

١ ـ لحن الذكرى

[سمع الشاعر أغنية ألفها منذ عهد فطرب لها
وبعثت له كوامن الذكريات . . .]

للأستاذ صالح علي الحامد العلوي

قدكَ يا شادي ! ورفقاً يا وتر ! — لستُ فولاذاً ، ولا قلبي حجر !
لستُ إلا شاعراً تهفو به — نُوَبُ الشوق وأحلام الذكر
كلما رنّت بسمعي نغمةٌ — فصمتْ عقدَ دموعي فانتثر !
رُبَّ لحنٍ ناطقٍ من وترٍ — خاطبَ النفس فأشجاها وسر
ومُغَنٍّ صانعٍ ما لم يُطِقْ — شاعرٌ إن نطق الشعرَ سحر
لغةَ الوجدانِ ، إن لم تدرِها — فاسأل القلبَ يُخبِّرْكَ الخبر !

***

يا لها أغنيةً ، في طيِّها — للهوى تاريخُ أنسٍ قد غبر !
رنَّ في نفسي صداها مُوقظاً — ذكرياتٍ رقدتْ بين الفكر
يالهُ لحناً ، على إيقاعه — رقصَ الدمعُ بعيني وطفر !
حبذا أيامُ أنسٍ ، كم بها — من برود اللهو مِسْنا في الحِبَر
فرصٌ جاءتْ كما شاء الصِّبا — هشَّ فيها الحظُّ وافترَّ القدر
يا ربوع اللهو ! هل من عودة ؟ — يا رعى اللهُ زماناً فيكِ مر !
كم جنينا فيه أثمار المُنَى ! — وبلغنا منه غاياتِ الوطر !

***

رجِّع الصوت ، وبلبل أنفُساً — كم بها من لحنك الساري أثر !
مُحْيِياً مني مواتاً ، كم طغت — موجةُ الحبِّ عليه فازدهر
فأراني سابحاً في عالمٍ — رفَّ في غُرِّ المعاني والصور
بانياً ما بين أنقاضِ المنى — بُرُجاً من دونها أوجُ القمر !

***

بلبلَ الفنِّ ! أماناً ! قد شجى — صوتك الطير ، فرفقاً بالبشر !
رأفةً بالقلب لا تعبثْ به — ولك السمعُ حلالاً والبصر !

٢ ـ الأوبة

وكر الصِّبا ! كم صلينا البين أزمانا
والآن عُدتُ فهوِّنْ ما بكَ الآنا
إني على العهد باقٍ فوق عهدك بي — لم أسلُ عنك، ولا حاولت سلوانا
لا تلحني فكلانا بالبعادِ شجٍ
تُدلي بشكواكَ أمْ ندلي بشكوانا ؟
لم أنسَ فجر الصِّبا في جانبيك ولا — عهداً مضى فيك بالأفراح فينانا
ولا ملاعب لهْوي في حماكَ ولا — مراحنا جانب الوادي ومغدانا
إذ ليس نفرغُ من لهوٍ ولا لعبٍ — إلا حثثنا إلى لهْوٍ مطايانا
ولا يهلُّ لنا شهرٌ فنُبليه — إلا وزاد صبانا الغضُّ ريعانا

***

هنا نشأتُ فكمْ لاقيتُ مرفهةً — وكم رضعتُ هنا برّاً وتحنانا
هنا هفا القلبُ حولَ الحسنِ مُرتمياً
مثل الفراشِ حيال النورِ هيمانا !
هنا رشفتُ كؤوس الحبِّ طافحةً
معْ من أحبُّ وعينُ الله ترعانا !
في هالةٍ من شُعاع الطُّهرِ قد جمعتْ
مُنى الهوى والصِّبا اللاهي وإيَّانا
لا ينطقُ الأنسُ إلا من أسرَّتنا — ولا يُرى البِشرُ إلا من ثنايانا !
وكلما ضاقَ عنا الكونُ أجمعهُ — بنى الخيالُ لنا في الحبِّ أكوانا !
فالناسُ يحيَوْنَ في دنياهمو همُ — ونحنُ في معزلٍ عنهم بدنيانا !
نعيشُ كالطير وثَّاباً بروضته — يميتُ ساعاتِه حبّاً وألحانا
يلهو ويشدو على الأغصان مُزدهياً
مُرفرفاً في الفضاء الرَّحب نشوانا
. . . سرح قضيتُ بها فجرَ الحياةِ فيا
تُرى يعودُ بها عهدي كما كانا ؟

***

والآن ـ يا وطني ـ حالتْ بنا غيرٌ :
تجاربٌ قد أرتنا الدهر ألوانا
محا الزمانُ أضاليلَ الصِّبا فمحتْ — لولا بقيَّاتُ حبٍّ في حنايانا
وفي الحشا ذِكَرٌ أنسيْتُها خلَدي
فلا أُحيلُ بها الأفراح أشجانا
ولستَ تنقمُ إلا أنني رجلٌ — أختطُّ من تلماتِ العزِّ أوطانا
ما اعتضتُ بالأهل والإخوان من بدلٍ
وإنْ أضفتُ لهمْ أهلاً وإخوانا
عُدْ للسرورِ نعُدْ للهو ثانيةً — وزِدْ نزِدْ بك في اللذات إمعانا !

(حضرموت — سيئون) — صالح بن علي الحامد العلوي

وداع الحمراء

[من ديوان « رجع الصدى »]

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

وقف أبو عبد الله آخر ملوك العرب فى الأندلس على التلة التى أطلق عليها الاسبان (تلة الدموع) يودع غرناطة وهى تتوارى عن عينيه ، وألقى النظرة الأخيرة على قصر الحمراء، مغمورة بالدمع محفوفة بالتنهدات ، وقد ودع بهذه النظرة الدامعة والحسرة اللاذعة مجد العرب الضائع وفردوسهم المفقود . . . وكأن دموعه تنظم فى انحدارها هذه الأبيات :

وَدَاعاً جَنَّتى وقرار قُدْسى ... ومظهر عِزَّتى وجلالَ أمسى
لقد طَغَت الخطوب علىَّ حتى ... فقدتُك بين ضَعضعتى ويأسى
وأسْلَمنى العِثارُ إلى شقاء ... يقودُ الحظَّ من تعس لتعس
وما أنا غيرُ مخلوقٍ توالتْ ... عليه كواكبُ الدنيا بنحس
تغيبُ عرائس الدنيا أمامى ... وتغربُ فى مواكبهن شمسى
وتَهوى كل آمالى حُطاماً ... تجرُّ إلى الفناء حُطامَ نفسى
وتغرق فى دموعى ذِكرياتٌ ... تذوبُ كأنهنَّ حَبابُ كأس
وأعتصرُ الفؤادَ عليك حزناً ... فلا أجدُ العزاء ولا التأسى
دَفنتُ بك العظائمَ خالداتٍ ... وملت أخطُّ فى الآلام رَمسى
وما أنا غيرُ آدمَ هامَ يبكى ... على فِردَوْسهِ فى دارِ بُؤْس
لقد باعَ الجنانَ بغير ذُلٍّ ... وبعت أنا الجنان بخفض رأسى

حسن كامل الصيرفى

دم عجيب

للأستاذ محمد العلائى

ها هنا الجرحُ يا طبيبُ فحاذرْ ... أن تَهيجَ الدفينَ من بُرَحائِه
وامسسْ الجرحَ يا طبيب برفق ... فدم الجرح ثائر تحت دائِه
صُنْ دمَ الجرح يا طبيب وأبعدْ ... عن عيون الجريح لون دمائه
واحتفظ يا طبيب بالدم واحذر ... أن يمسَّ التُّرابَ بعد غلائه
ضمِّد الجرح يا طبيب برفق ... ضل راميه فى سبيل رجائه
رَمْيَةٌ يا طبيبُ من يدِ رامٍ ... عبدَ الظلم فى دِمَا أبريائه
أرسلَ السهمَ يا طبيبُ وسَمَّى ... فأصاب الكَمِىَّ فى كبريائه

محمد العلائى

حيرة

للأستاذ فريد عين شوكة

سأهجرُهُ وأنساهُ ... ولا أهفو لذكراهُ
حبيبٌ ، كلما أفضى ... له قلبى بنجواهُ
وضجَّ إليه بالشكوى ... من الحبِّ وبلواهُ
تبسَّمَ ضاحكاً ! وغفا ... عن الشاكى وشكواه !!

* * *

سأهجرُهُ ! وهل أقوَى ... على الهجر وطغواهُ ؟!
وهل يرتاح لى قلبٌ ... سَقَتْهُ السحرَ عيناهُ !
وهل ترتاح لى عينٌ ... يُنَوِّرها مُحَيَّاهُ !!
وكيف أطيق أن تنبتَّ (م) عن دُنيايَ دُنياهُ !
ويلقانى فأنكرُهُ !! ... ويحرمنى تحاياهُ !!
كأنْ ليستْ لنا كالنا ... سِ آذانٌ وأفواهُ

* * *

أخافُ عليكَ يا قلبى ... حنينكَ حين تلقاهُ
أخاف عليك أن تسعى ... إليه قبل مسعاهُ !
لكَمْ أقسمتَ : لن تغدو ... أسيراً من أساراهُ
وكم جافيْتَهُ لمَّا ... جَفاكَ ، وكدْتَ تنساه
فلما جاء مُعتذراً ... غفرْتَ ! وسامحَ اللهُ

فريد عين شوكة

طفل

[من ديوان « إشراقة » تحت الطبع]

للشاعر السودانى المرحوم التيجانى يوسف بشير

تبارك الذى خلقْ ... من مضغة ومن علقْ
سبحانه مصوِّراً ... من حمأة الطين حدق !
شق الجفون السود واستل من الليل الفلق
واستخرج الإنسان من ... محض رياء وملق
مفترعاً من فمه ... سر البيان فنطق

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)



دراسات فى الفن :

الفن علامة الانسانية

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

قال جاجاديز بوز العالم الهندى إن النبات يتألم ويئن وأثبت ذلك . وأغلب الظن أن جاجاديز بوز لو لم يكن شرقياً لكثر عليه أن ينسب الألم والتعبير عنه بالأنين إلى النبات ، ولا كتفى بقوله إنه تبدو فيه اهتزازات واضطرابات تشبه انفعالات الألم عند الإنسان . فهذا هو نهج الغربيين من العلماء الذين يتصدون لدراسة الحياة : يؤثرون أن ينكروها أولاً ثم أن يبحثوا عنها ثانياً على خلاف ما يفعل الشرقيون الذين يشعرون بها أولاً ثم يتعرفونها ثانياً بادئين بأنفسهم غير منتهين إلى شيء ، لأنهم يؤمنون بالروح ويحبون بطبعهم أن ينسبوها إلى الأحياء جميعاً ولا يسمحون لأنفسهم أن يقولوا ماقاله بعض علماء الغرب من أن الحيوان نفسه مسلوب الروح وأن كل ما يبدو عليه من أمارات الوجدان والعاطفة ليس إلا ردود أفعال لاهتزازات عصبية مادية تعترى الحيوان فى ظروف خاصة وتبعاً لمؤثرات خاصة. وهم يذهبون فى نكرانهم هذا إلى أبعد الحدود حتى لينكرون هذا الفرح الذى يعترى الكلب فى استقبال صاحبه الغائب ، وهذا الحزن الذى يعتريه لوفاة صاحبه الوفى والذى يحمله على الإضراب عن الطعام والشراب حتى يموت موتاً . ينكرون العاطفة الروحية على الحيوان ويقولون إنه لا يفرح للقاء صاحبه وإنما هو يضطرب لأن مرأى صاحبه يثير فى نفسه أو فى أعصابه صور الطعام والنعم التى يغدقها عليه ، ثم يقفون أمام الكلب المنتحر من الحزن والأسى ، وقد طأطأوا رؤوسهم يفكرون فى هذه القوة التى نقّت الحيوان من أخص خصائص حيوانيته فأهمل الطعام والشراب والحياة نفسها . . . يخفضون الرؤوس أمام هذا الكلب طويلاً يبحثون فى أذهانهم عن علة صيامه ؛ فإذا قال لهم قائل إن الحزن والأسى هما السبب انتفضوا وقالوا : لا . نحن لا نعرف . ولكننا نأبى أن يكون فى الحيوان روح وحياة . أما بقية الناس فنهم من لا يرون فى فرح الكلب وحزنه إلا اضطرابات واهتزازات وانفعالات وردود أفعال عصبية مادية لا روح فيها ولا حياة ، وهؤلاء يقبلون أن يصدقوا هؤلاء العلماء لأنهم مثلهم ، وأن يثبتوا معهم أمام الكلب ينكرون عليه فرحه وحزنه إلى أن يقول

وجاعلاً بين حنايا • فؤاداً يخفق
بث القوى فيه دماً أحمر أو عظماً يثق

***

من عدم لعدم ومن عناء لرهق
ضج الثرى من رجم مشيد ومن نفق

***

سبحانه كم ألهم العقل جنوناً وحمق
يشك ما يحيا وإن أشفى على الموت فرق
وكم تعالى حميت عنه قلوب من خلق
سبحانه قد وضحت آثاره فينا ودق !

***

رمى بهذا الطفل فى الأر ض ومن ثم رزق
رمى به فى موكب الدنـ يا مثالاً للقلق
يدير عينيه ويستفـ سر عن سر الشفق
كأنه يصرخ : إن المو ت بالشمس علق !

التيجانى يوسف بشير

لهم بلغة من اللغات الأوربية : إنى فرح وإنى حزين . ومن الناس من يحسون ويشعرون ويبادلون الحياة الشهقات والزفرات وأولئك آمنوا من هدى أنفسهم أن فى الحيوان روحاً وحياة ، وهم يسارعون إلى جاجاديز بوز يصدقونه حين يقول : إن النبات يتألم وينفعل بوجدان ، ويئن وينطلق بتعبير . ويخرجون من هذا بأن الحيوان أولى من النبات به .

ورضى الله عن جاجاديز بوز الذى استطاع أن يثبت رأيه إثباتاً علمياً استخدم فيه آلات المعامل وأحماضها وأملاحها فلم يعد هناك مجال لإنكار ما أثبت، بل لقد عد صنيعه هذا من كرامات البشرية الحديثة فنحه الغرب جائزة نوبل التى يتعزز بها على الشرقيين

أثبت الشرق إذن أن النبات يتألم وأنه يئن من الألم ، وقد يكون الألم علامة الروح الوحيدة فى النبات وقد يكون معه غيرها ولكنه على أى حال يكفى للتدليل على الروح، فهو يستطيع أن يشملها وهو الذى ينزع بها إلى الخلاص ! وهو - أخيراً - حسبنا من علامات الروح فى النبات

فإذا ارتفعنا من النبات إلى الحيوان فى سلسلة التطور والارتقاء الحيويين رأينا الحيوان يمتاز على النبات فى الظاهر بالحركة . ورأينا الحيوان فى حركته واحداً من اثنين : إما خسيسا يتحرك فى حياته حركات متشابهة متكررة لا تعديل فيها ولا تجديد ولا محاولة تدل على قدرة التلاؤم مع الحياة . وإما رفيعا يتحرك فى حياته حركات مختلفة يطرأ عليها التعديل كلما تغيرت الأحوال ، ويطرأ عليها التجديد كلما استدعت الظروف التجديد ، وتتحور وبتزايد وضوح المحاولة التى تدل بها على قدرة التلاؤم مع الحياة

أما خسيس الحيوان فقد يسهل تصوره محروماً من العقل إذا اعتبرنا أن العقل هو القوة التى تمكن الكائن الحى من الملاءمة بين نفسه وبين ظروف الحياة الطارئة المتجددة . ولكن هذا إذا سهل علينا تصوره ، فإنه يتعذر علينا (بعد الذى أثبته جاجاديز بوز) أن نتصوره خالياً من القوة الروحية التى يثور بها فى نفسه وجدان الألم على الأقل . فإذا كنا ممن يؤمنون بالتطور والارتقاء الروحيين إلى جانب التطور والارتقاء البدنيين ، فإننا من غير شك نتوقع أن يكون فى أدنى الحيوان من علامات الروح شىء إلى جانب الألم ، لأنه قد ثبت أن النبات يتألم ، والحيوان مهما كان دنيئاً فهو أرقى حياة وروحاً من النبات ، إذ أنه كلما ارتقى الكائن الحى ارتقت روحه وزاد إحساسها وزادت قدرتها على التعبير عن نفسها

أما الرفيع من الحيوان الذى تتضح مقدرته على التلاؤم مع ظروف الحياة الطارئة المتجددة ، فهذا يصعب تصوره محروماً من العقل لأن فيه من مظاهر العقل .

صحيح أننا نرى فى سلوك الحيوان ما يدل على الغباء أحياناً وما يدل على الغفلة وما يدل على الجهل ، ولكننا إذا تدبرنا هذه المواقف التى يظهر فيها غباء الحيوان وغفلته وجهله رأينا أكثرها مما تصطنعه ظروف غير طبيعية فى الحياة . ولما كان الحيوان حيواناً وليس أستاذاً من أساتذة العلم الحديث فإنه المسكين يحار ويختبل أمام هذه الظروف الطارئة التى لم يسبق لأجداده الوقوع فى مثلها وتجربتها ومعالجتها سبقاً متكرراً كان يمكن أن يهيئه للتغلب عليها ، وهو فى هذا لا يزال يشبه أساتذة العلم الحديث حينما يقعون أمام المشكلات الحديثة المستغلقة ... أليسوا هم أنفسهم يحارون ويختبلون ؟ ألا يصدر عنهم من الأعمال ما يدل على الغباء والغفلة والجهل كما تصدر عن الحيوان أعمال تدل على هذى ؟ إنهم هكذا من غير شك وإن فى الحيوان عقلاً ولو تضاءل أمام عقل الإنسان وتواضع فإنه موجود لا يمكن إنكاره

فإذا اعترفنا للحيوان الراقى بوجود العقل ، أو بوادر العقل فيه ، فإننا لا نملك إذن إلا أن نعترف له إلى جانب هذا بوجود الإحساس والعواطف فيه أيضاً ، وقد نستغنى عند هذا الحيوان الراقى عن براهين جاجاديزبوز إذا كنا ممن يرون ويشعرون ويحسون ويدركون الأشياء من غير أجهزة ومقاييس وموازين فإذا لم نكن من هؤلاء فقد قال جاجاديزبوز العالم من الهند إن النبات يتألم ويئن ، وأثبت هذا إثباتاً يقنع عقل الغرب كما يرضى عقل الشرق ، وأصبح من المكابرة بعد هذا أن تنكر الأحاسيس والعواطف على الحيوان ، خصوصاً الحيوان الراقى الذى يسلك فى حياته سلوكاً يشبه سلوك الإنسان فيبحث عن طعامه بحثاً منطقياً ، ويتقى عدوه اتقاء منطقياً ، ويبنى مسكنه بهندسة منظمة بل إنه يمكر أحياناً ، ويتخابث ويحتال ، مما يدل دلالة قاطعة على أنه حى يقظ يحاول أن يلائم بين نفسه وبين ظروف الحياة الطارئة

فينجح أحياناً ، ويفشل أحياناً ، ولكنه لا يكف عن المحاولة ما دام حياً

فإذا تركنا حياة النبات والحيوان وقد ترامت لنا الروح فيها وعرجنا على حياة الإنسان رأيناها أنضج من حياتيهما فى نواحيها الثلاث : النبات يحس ويعبر عن إحساسه ، والحيوان يحس ويعقل ويعبر عن إحساسه وعقله ، والإنسان يحس ويعقل ويعبر عن إحساسه وعقله

فهل يزيد الإنسان على الحيوان فى شىء ... ؟

لا جاجاديزبوز ولا حتى أنا نرضى بهذا ! ولا يرضى به شرق قد كان من الممكن أن يقال هذا لو لم نقل إن الإنسان حلقة جديدة هى أرقى الحلقات فى سلسلة التطور والارتقاء فى الخلائق . وما دمنا قد قلنا هذا ، وما دمنا رأينا التطور والارتقاء الماديين يلزمهما تطور وارتقاء روحيان ، فلا بد أن يكون فى الإنسان ميزة روحية ترق به على الحيوان إلى جانب رقيه البدنى المادى .

فما هى هذه الميزة الروحية ؟

لنعد مرة أخرى إلى النبات والحيوان نتتبع فيهما منطق التطور والارتقاء لنهتدى به فيما نريد أن نعرفه من علامة الإنسانية التى لو فقدها الإنسان لم يكون غير حيوان ، وإن نطق ! فليس النطق على أشرف صورتيه إلا محاولة عقلية ... أما الصورة الأخرى فهى التى نعرفها من الببغاء التى أنطقها الله لأمر ما ، والتى لعله سبحانه أراد حين أنطقها أن يدرك المتبصرون شيئاً من تشابه الخلائق ، وبريقاً من التوحد يسطع منها جميعاً ، وإن تفاعلت وتبدلت وتطورت وارتقت ...

النبات يرتقى حتى ليشابه الحيوان فى حلقة الإسفنج ، والحيوان يرتقى حتى ليشابه الإنسان فى القرد أو ما هو أرقى خلقاً من القرد وهو الحلقة المفقودة التى ذكرها العلماء . وقد رأينا الإحساس يبدأ فى الحياة أولاً ومعه تعبير صامت عنه ، ثم نرى العقل ينشأ فى الحيوانات المحتالة ومعه تعبير غامض عنه لم يثبت بعد للعلم ، ولكننا قبل أن نترك حلقة الحيوان إلى حلقة الإنسان نرى الحيوان يعبر عن إحساسه تعبيراً فيه تدليل على ذاته ، وهو أشبه التعبير بالغناء البشرى . فإذا تركنا حلقة الحيوان ومضينا إلى ما بعدها فى سلسلة التطور والارتقاء وهى حلقة الإنسان رأينا هذا التعبير الذى يحاوله الحيوان فى انحصار يتضح عند الإنسان وينفرج حتى ليسخر له الإنسان الأرقى حواسه جميعاً يجمع أصوله بها ويطلقه فيها ، ثم يصدره معبراً عن ذاته كما يفعل البلبل والكروان ولكن فى صور أكثر من صورهما ، ثم معبراً بعد ذلك عن غيره ، وهو ما لا يفعله أحد من الحيوان ، لا البلبل ولا الكروان .

ونحن إذا حاولنا أن نجد شيئاً ظاهراً يميز الإنسان مما عداه من المخلوقات فى هذه الظاهرة لم نجد شيئاً . ذلك أنه إذا حسبنا النطق يميز الإنسان فالببغاء ناطقة ، وإذا حسبنا الحياة الاجتماعية تميز الإنسان فالذئب والقرد والوعل حيوانات اجتماعية ، وإذا حسبنا الإحساس يميز الإنسان فقد رأينا الحيوان بل والنبات يحسان ، وإذا حسبنا العقل فالحيوان يعقل وإن أنكر العلماء ، وهكذا فإننا نعجز فى التفريق بين الحيوان والإنسان إلا باثنتين ! هذه الظاهرة التى سجلناها ، وظاهرة أخرى هى الدين ... على أنه يمكن بسهولة تامة أن نتصور النبات والحيوان والجماد معهما متدينين جميعاً إذا اعتبرنا أن الدين هو الإسلام وهو نهج النظم الطبيعية التى تؤدى إلى السلامة ، وإذا لحظنا أن الأديان لم تلزم الإنسان إلا بعد أن انحرف عن نهج النظم الطبيعية التى كان يجب عليه أن ينهجها لتسلم حياته من الأضرار وأمراض البدن والروح ، لم يبق أمامنا من شىء يميز الإنسان على سائر الكائنات غير هذه الظاهرة التى ذكرناها

فما هى هذه الظاهرة ؟

إنها الفن !

وهذه الظاهرة تسلك حين تسرى فى الإنسانية مسلك كل ظاهرة من ظواهر التطور والارتقاء . وقد رأينا ظواهر التطور والارتقاء تبدأ فى الدنىء من الخلائق على صورة يسيرة غامضة ، ثم تزدهر وتتضح وتتضح حتى تتميز تميزاً تاماً واضحاً ملموساً فيكون هذا التميز طابعاً لهذا الفريق من الخلائق ويكون هذا الفريق أنضجها وأرقاها فى هذه الناحية

وكذلك الفن . نواته موجودة فى البشر جميعاً لأنهم الحلقة الحيوية التى اختصتها الطبيعة به وهيأتها له . والدليل على ذلك أن الناس جميعاً يستجيبون للفن أو هم على الأقل يطربون للموسيقى . وما كانوا يملكون إلا هذا ما دام فى الحيوان ما يغنى كالكروان

والبلبل ، وما دام فيه ما يستجيب للصفير « وهو ضرب من الموسيقى » كالثعبان . وليس غناء الكروان والبلبل واستجابة الثعبان وطربه للصفير إلا بشيراً بالفن أو بأنغامه على الأقل بشرت به الحياة الخلائق في الحيوان ، وحققته تحقيقاً تاماً في الإنسان ؛ غير أن الناس ليسوا سواء في تكوينهم الفني ، وليس في هذا عجب لأن الناس ليسوا سواء في شيء من الأشياء ، ولأن طبيعة الحياة أن تتشابه في العموميات ، وأن تختلف في التفصيلات ليثبت لذوي الأبصار أن هذه الخلائق لا تصنع في مصنع فيه آلات وفيه قوالب وإنما تخرجها إرادة فنان يأبى أن يتكرر حين يتوحد سبحانه من فنان !

فإذا راق لنا أن نؤمن بهذا وأن نعتبر الفن علامة الإنسانية التي تسمو بها على الحيوانية والتي لا يمكن الإنسان أن يكون إنساناً إلا إذا اتصف بها ... إذا آمنا بهذا لزم أن يكون أقرب الناس من الفن أنضجهم إنسانية . ولزم أيضاً أن نتوقع لهذه العلامة الإنسانية أن يتزايد وضوحها وتمكنها حتى تشمل البشر جميعاً ، وعندئذ تبتدئ بشائر الميزة الجديدة التي يريد الله أن يطبع بها الحلقة المقبلة من حلقات التطور في الخلائق . . ومن يدري أي شيء سيكون هذا الطابع ، وأي ميزة ستكون هذه الميزة ؟! لعلها ميزة العقل الذي يطالبنا به الله لا عقل العلم الحديث

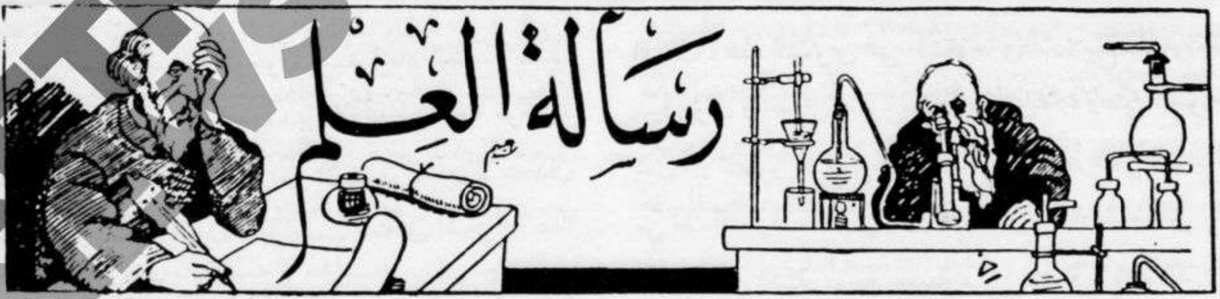
فإذا كان الأمر كذلك كان ما يسعد الفن هو ما يسعد البشرية ، وكانت كل محاولة يراد بها التقليل من شأن الفن محاولة مجرمة تعرقل التطور البشري

فهل تنهج الإنسانية في حياتها الحالية نهجاً فنياً يسعدها ويرق بها ؟ أو هي قد انحرفت عن طريق الفن إلى طريق آخر لا يمكن إلا أن يقيد بها مهما كان صالحاً ومهما كان فيه خير لنواح بشرية غير ناحية الحس الروحي ؟

إن الإنسانية قد انحرفت إلى هذه الطريق منذ آمنت بالحضارة والعلم اللذين يحتضنان المادة

وإنه من الخير لها أن تفيق وأن تعود إلى حياة الحس الروحي فينتعش فيها الفن وتنتعش فيها الروح وترق ، وهذه سنة الله لو أردنا أن نتبع سنته

عزيز أحمد فهمي



عمل أفوجادرو ونجاح ماندلييف

للدكتور محمد محمود غالى

بساطة النسب الثابتة فى التراكيب الذرية — كشف « جاى ليساك » — عدد « أفوجادرو » — معلومات عددية عن الذرة — دورية « ماندليف » — عمل ماندلييف فى الكشف عن العناصر يشبه عمل : « ليفيريه » « وكلايد تومباوج » فى الكشف عن الكواكب الجديدة .

كان لا بد لنا ونحن نذكر قصة العلوم والطَّفرة التى حدثت فى العالم فى المائة والخمسين سنة الأخيرة ، تلك الطفرة التى لا يمكن أن يتكهن أحد بمدى ما تبلغه من التقدم ، أن نورد تلك الخطوة الموفقة للعالم الإنجليزى الكبير «دالتون» صاحب الفرض الذرى، ذلك الفرض الذى مهد له العالم الفرنسى « بروست » الذى لاحظ وجود نسب ثابتة بين العناصر عند اتحادها(١) . ومن العدل قبل أن نعطى القارئ صورة مما أفاده العلماء من هذه الحالة الجديدة أن نذكر أن « دالتون » لم يستفد من ملاحظات « بروست » فحسب ، بل أيضاً من تجارب فريق من العلماء ، تجارب كان لها أثر كبير فى تدعيم الفكرة الذرية عنده ، ولا مشاحة فى أن لتجارب فينسل Wenzel وريشتر Richter التى لا ندخل فى تفاصيلها، أثراً عند « دالتون » للوصول إلى الفكرة الذرية التى كان من المحال بدونها أن نشهد هذا المهد من التقدم العلمى ، وأن نلحظ هذه الدعامة الكبرى التى قامت عليها العلوم الكيميائية ، فاتخذت فى جوهرها وتفاصيلها طريقاً يختلف منذ « دالتون » عن الطريق المعوج الذى انتحاه كيميائيو القرون الوسطى .

ومن الفائدة أن نذكر القارئ مرة أخرى بمنشأ الفكرة الذرية التى نشأت عندما أراد العلماء التفريق بين المزج الطبيعى والاتحاد الكيميائى . ففى الأول تمتزج مادتان بأية نسبة نريدها ، وفى الثانى تتحد مادتان بنسبة محددة ، وقد سبق أن قدمنا أنه للحصول على الماء من الأوكسيجين والهيدروجين لا بد من مراعاة نسبة بينهما معينة ، فإنه لا يتحد إلا وزن معين من أحدهما مع وزن معين من الآخر . هذه الحوادث وأمثالها أدت بدالتون إلى كشف قانون النسب الثابتة الذى كان الأساس فى النظرية الذرية ، وفى التعرف على شخصية الذرة .

على أن أهم ما فى قانون النسب الثابتة لدالتون هو أن هذه النسب بسيطة وواقعة بين العددين ١ و ٤ على أكثر تقدير بمعنى أن العناصر تتحد بنسب بسيطة واقعة بين ١و١ إلى ١و٤. ولا نزاع أنه كان من حسن الحظ إن كان الاتحاد الكيميائى وفق نسب محدودة لا تتجاوز أربعة أضعاف ، إذ لو كانت هذه النسب مرتفعة بأن تتحد مادتان بنسبة ١ إلى ٢٠٠ أو ١ إلى ١٠٠٠ . لاختلط الأمر على دالتون ، ولشق على هذا العالم أن يجد خلال هذا النوع من الأبحاث الفكرة الذرية .

على أن النسب المرتفعة لم تُكتشف إلا بعد مدة كبيرة : عندما اكتُشِفت فى المركبات العضوية فى زمن كانت الذرية قد تدعمت وأصبحت من الحقائق العلمية المسطورة التى يتناقلها العلماء ويتعمق فى تطبيقها الباحثون .

***

لم يقف التقدم العلمى الخاص بالذرة على اكتشاف «دالتون» (١٨٠٧) . فقد كشف العالمان جاى ليساك Gay-Lussac سنة ١٨٠٥ واسكندر دى هامبولت Alexandre de Humboldt

(١) مقالنا بالرسالة العدد ٣١٤ فى ١٩٣٩/٧/١٠ ص ١٣٦٧ — ١٣٧٠

أن هذه النسب البسيطة الموجودة عند اتحاد العناصر بعضها ببعض لا تخص الأوزان فحسب ، بل إن ثمة نسباً ثابتة موجودة فى الغازات بين أحجامها أيضاً بمعنى أن غازين مختلفين لا يتحدان فقط بنسب ثابتة فى الوزن ، بل بنسب ثابتة فى الحجم — هذا القانون لجاى ليساك صادف حرباً عواناً من جانب العالم دالتون ولكنه أدى إلى كشف حقيقة جديدة إذ قرر أفوجادرو أن فى الأحجام المتساوية تحوى الغازات عدداً واحداً من الجزيئات ، حقيقة أود أن يتأملها القارئ قليلاً ويتأمل بساطتها وعظمة ما تحمله فى طياتها من أعجب ما نعرفه من حقائق الكون

هذا الكشف حدد عدد الذرات المتحدة بعضها مع بعض ، إذ عند ما ذكرنا أن جرامين من الهيدروجين يتحدان مع ١٦ جراماً من الأكسيجين ليتكون منهما الماء ، أدرك بروست وفينزل وريشتر ودالتون وغيرهم أن ثمة عدداً معيناً من ذرات الهيدروجين اتحدت مع عدد معين من ذرات الأكسيجين ، ولكن هذه النسبة الثابتة فى الأوزان لا تكشف هل اتحدت ذرة واحدة من الأكسيجين مع ذرة واحدة من الهيدورجين أو اتحدت ذرة واحدة من الأكسيجين مع ذرتين من الهيدروجين . ولكن عند ما نعرف ما كشفه أفوجادرو من أن فى الحجم الواحد يوجد العدد ذاته من الجزيئات ، وعند ما نعرف وزنى حجمين متساويين من الغازين المتقدمين ، يمكننا أن نعرف أمراً مؤكداً اليوم وهو أن ذرتين اثنتين من الهيدروجين اتحدتا مع ذرة واحدة من الأوكسجين ليكونا ذرة من الماء . هذا التحديد الذى كان لجاى ليساك وأفوجادرو الفضل الأكبر فيه كان الخطوة الثانية بعد عمل دالتون العظيم . بعد ذلك حسب العلماء بدقة الوزن الذرى لكل العناصر معتبرين وزن ذرة الهيدروجين كوحدة ونسبوا إليها ذرات العناصر الأخرى

هنا تنوع الفن التجريبي وأبدع العلماء فى مختبراتهم بما رفع الكيمياء على حد قول ريشنباخ إلى مصاف العلوم الصحيحة ، وبهذا التنوع فى التجارب وما أحدثته الذرية من تقدم وما أحدثته معها السينيتيكية من تصحيح فى معارفنا أمكن للعلماء الحصول على معلومات عددية عن الذرات غاية فى الدقة وعظيمة الدلالة ، هذه الذرات ، هذه الشموس التى كشفوها فى المادة يبلغ قطر الواحدة منها حوالى واحد على عشرة ملايين من المليمتر ، ولكى نتصورها يجب أن نتصور كرة من الصلب يبلغ قطرها ٣٫٥ من السنتيمتر من تلك الكرات[١] التى يدور عليها عجل السيارات ، والتى تبلغ كرويتها فى المعتاد درجة عظيمة من الدقة ، وعلى القارئ أن يتصور بعد ذلك أن النسبة بين حجم هذه الكرة الصغيرة من الصلب وبين حجم الذرة كالنسبة بين حجم الكرة الأرضية وحجم هذه الكرة من الصلب ، وبعبارة أخرى إن الأرض وما عليها من قارات ومحيطات تكبر هذه الكرة الصغيرة بقدر ما تكبر هذه الكرة الذرة[٢]

أما عن وزن الذرة فإذا اتخذنا الهيدروجين مثالاً ليصور لنا الحالة علمنا أن وزن ذرة الهيدروجين حوالى $\frac{١}{١٠^{٢٤}}$ من الجرام أى واحد على مليون مليون مليون الليون من الجرام ، وإذا علمنا أن وزن الأرض يزيد قليلاً عن ٥ × ١٠^٢٧ جراماً فإن النسبة بين وزن الكوب الفارغ إلى وزن الأرض أكبر بكثير من النسبة بين وزن ذرة الهيدروجين ووزن هذا الكوب . وإذا كان يعيش فى هذا الزمن على سطح الكرة الأرضية حوالى ألفى مليون من

---

(١) يمكن الحصول على هذه الكرات مستديرة بدرجة عظيمة ، بحيث لا يفترق طول قطر الواحدة منها من جهة فيها إلى أخرى بأكثر من ميكرون واحد وأحياناً بأكثر من نصف الميكرون (الميكرون $\frac{١}{١٠٠٠}$ من الملليمتر)

(٢) للذين يريدون أن يلهوا قليلا بالعمليات الحسابية ويريدون أن يجدوا النسبة التى نتحدث عنها نذكر أن حجم كرة نصف قطرها نق هو $\frac{٣}{٤}$ × ٣٫١٤ × نق^٣ حيث ٣٫١٤ هو النسبة التقريبية ، وعلى هذا فإن حجم كرة الصلب السابقة الذكر هو حوالى ٢٣٫٨ س م^٣ ، وإذا لاحظنا أن محيط الأرض هو ٤٠ ألف كيلو متر وقطرة الذرة $\frac{١}{١٠٠}$ من المليون من السنتيمتر فإن القارئ يجد أن حجم الأرض ١٫٠٨ × ١٠^٢٧ س م^٣ وحجم الذرة ٠٫٥٢٣ × $\frac{١}{١٠^{٢٤}}$ س م^٣ كما يجد بعد ذلك أن النسبة بين حجم كرة الصلب المتقدمة وحجم الذرة كالنسبة بين حجم الأرض وحجم هذه الكرة وهى نسبة كبيرة تبلغ حوالى ٤ × ١٠^٢٥ أى أربعين مرة مليون المليون المليون المليون

البشر فإنه يوجد فى الـ س م٣ من الهواء ٢٧ كانتيليون من الجزيئات أى ما يربو على ملايين المرات عدد ما يدب على الأرض من إنسان وحيوان ، ومع ذلك فإن الفراغ الذى يوجد حولها يزيد بكثير عن الفراغ الذى يوجد حول إنسان فى مسكنه ، فإن المسافة بين جزيئين متجاورين (فى الحرارة والضغط العادى) تساوى مائة مرة قدر قطر الجزىء ، وبهذا يجوب الجزىء عاله بسرعة عجيبة تبلغ فى الهيدروجين حوالى ١٫٧ كيلو متر فى الثانية الواحدة أى أنها تقطع المسافة بين مصر والإسكندرية فى دقيقتين فى الوقت الذي يقطعها فيه أسرع قطاراتنا الحديدية فى ساعتين

هذه الأرقام صحيحة . وليس المجال هنا لنذكر الطرق العديدة والمختلفة التى اتبعها العلماء توصلاً إلى النتائج ذاتها بطرق مختلفة

هذا موجز ما نعرفه عن الذرة التى تفترق عن الجزىء فى أنه بينما نستطيع بالطرق الكيميائية أن نجزئ الأخير إلى ذرات ، فإننا لا نستطيع بهذه الطرق أن نجزىء الذرة إلى جسيمات أصغر منها ، ولم يتصور العلماء حتى عهد قريب أيا من العمليات العديدة التى لا تمت للكيمياء فى شىء ، والتى يمكن بها اليوم القيام بهذه العملية الأخيرة من تجزىء الذرة .

من هنا حدد العلماء تعريف العنصر الكيميائى أنه مادة أولية لا يمكن بالطرق الكيميائية تقسيمها إلى عناصر أخرى ، ومن ثم اتضح أن معظم المواد التى تصادفنا فى الطبيعة هى مركبات كيميائية تتطلب عملية خاصة لتحليلها إلى عناصرها الأولى. فالماء وهو أكثر المواد شيوعاً على الأرض مركب من الأوكسجين والهيدروجين ، والهواء من الأوكسجين والأزوت ، وهكذا أضمحلت فكرة القدماء الذين اكتفوا بتقسيم الكون إلى ماء ونار وأرض وهواء ، وانتهى عصر الكيمياء القديمة وبدأ عهد جديد يرجعون فيه المواد مهما تعددت إلى عناصر معروفة ، حتى المواد العضوية المكونة للأحياء ترجع إلى مركبات كيميائية معروفة يغلب فيها عنصر الكاربون حيث يعظم فعله ، وكما قدمنا(١) يعزو فريق من العلماء الحياة نفسها إلى أن مركبات هذا العنصر الأخير تتحد مع غيره من العناصر بما يجعل الجزيئات الجديدة كثيرة الذرات كثرة من الصعب إحداثها بالطرق العادية ، ورجح هؤلاء أن هذا هو الفارق بين المادة الحية والمادة عادمة الحياة، ورجحنا من ناحيتنا أنه لا بد أن تكون ثمة أسباب أخرى نجهلها تجعل فارقاً بين النوعين فى التكوين

* * *

هذه المجموعة من العناصر الكيميائية ، المبتدئة بالهيدروجين والمنتهية بالأورانيوم ذلك العنصر المشع الذى نبه على خواصه الإشعاعية بكارل فى آخر القرن الماضي، لا تكون مجموعة منتظمة ، بل مجموعة تحمل نظاماً مستتراً، ففى سنة ١٨٦٠ بين الباحثان الروسى مانديليف Mandelejeff والألمانى لوتر ماير Lothar Mayer أن العناصر مرتبة وفق نظام دائرى Systeme Periodique

والواقع أننا لو رتبنا العناصر وعددها واحد وتسعون عنصراً وفق وزنها الذرى مبتدئين بالعناصر ذات الوزن الذرى الخفيف ومنتهين بالعناصر ذات الوزن الثقيل ، فإن هناك حالة دورية Periodicité تظهر فى تتابع خواصها الكيميائية ، بحيث يتخذ الهيدروجين أول مكان فى هذه العناصر فيكون مجموعة بمفرده يليه غاز الهيليوم مكونا طرف الدورة يتبعه الليتيوم ، والكاربون والأزوت ، والأكسيجين حتى غاز الفلور Fluor . أما الهيليوم فهو غاز ليس له أى أثر كيميائى فهو غير فعال بينما لليتيوم خواص قلوية واضحة كما أنه فعال من الناحية الكيميائية ، أما العناصر الوسطى من هذه المجموعة فلها خواص بين القلويات والحوامض؛ فإذا وصلنا للفلور آخر المجموعة وجدناه يكوّن فى الواقع حامضاً شديداً ؛ أما الدورة الثانية فتبدأ بغاز النيون يتلوه الصوديوم كأول عنصر قلوى ذى أثر ويتلو هذا وذاك المعادن الخفيفة كالماجنزيوم والألمونيوم حتى السيليسيوم، وبعيداً فى نفس العائلة نجد الكبريت والكلور حيث العناصر الحامضية الشديدة . ونجد التتابع ذاته فى المجموعات العليا التى تتلو ذلك بحيث تبدأ دائماً كل مجموعة بأجسام قلوية تتلوها أجسام بين القلوية والحامضية ثم أجسام حامضية ، ولقد كان

(١) راجع المقالين بالرسالة «الحياة» العدد ٢٩٣ فى ١٩٣٩/٢/١٣ ص٣١٤ — ٣١٦ والنظام الشمسى للمادة العدد ٢٩٤ فى ١٩٣٩/٢/٢٠ ص ٣٦٩ — ٣٧١

التدرج حتمياً والدورات منتظمة للحد الذى تنبأ فيه « ماندلييف » بضرورة وجود عناصر أخرى فى المجموعة الواحدة ، عناصر غير معروف وجودها للعلماء فى ذلك الوقت ، عناصر أصر على وجودها فى الكون « ماندلييف » لا لشىء سوى انسجام مجموعة معينة من المواد ، وهذه العناصر وجدها الباحثون فيما بعد . ورأينا فى تاريخ العلم المجيد « ماندلييف » يعلن مثلاً عن عنصر يمت بعلاقة للسيليسيوم حيث يحدد هذا الباحث بدقة خواصه الكيميائية ووزنه الذرى ، وثقة منه فى وجوده ، يسميه أكاسيليسيوم ويكتشفه العلماء بعد ذلك بثلاث عشرة سنة ويسمونه جرمانيوم

عند ما كشف « بكارل » أثر الأورانيوم على اللوح الفوتوغرافى وأعلن للعالم أنه مادة مشعة لم يكن الكشف عن الراديوم بعد ذلك أمراً محتوماً فقد كان عمل مدام كيرى الذى كشفته عملاً تجريبيا مضنياً يذكرنا بعمل وليم هرشل William Herchel التجريبى عند ما كشف فى سنة ١٧٨١ الكوكب إرانوس وهو الكوكب السادس فى البعد عن الشمس فى مجموعتنا الشمسية ، ولكن عند ما كشف « ماندليف » عنصراً جديداً كالجرمانيوم كان ذلك عملاً حسابيًّا يحتمه انسجام ضرورى تراءى لهذا الباحث فى قوانين الكون

تذكرنا هذه الحوادث العلمية بعمل ليفرييه Urbain. J. J. Leverrier العالم الفرنسى وعضو المجمع العلمى عند ما استأنف فى سنة ١٨٤٦ دراسة الحركة غير المنتظمة وغير المفهومة للكوكب إرانوس المتقدم الذكر فحتم وجود الكوكب نبتون الذى يعادل حجمه ٧٨ مرة قدر حجم الأرض ، بل وتذكرنا هذه الحوادث بعمل « كلايد تومباوج Cylde Tombaugh » فى سنة ١٩٣٠ عند ما حتم وجود كوكب تاسع يدور فى مجموعتنا الشمسية أسماه العلماء بعده بليتون . أذكر أن العالم الفلكى الذى حتم وجوده مات قبل أن يراه العلماء ببضعة شهور

وهكذا كان « ماندلييف » يبحث فى المادة عن شموس إذا غابت عنا شمس حتم وجودها وكان « ليفرييه » يبحث فى الكون عن كواكب إذا لم نر كوكباً حتم وجوده، واستند كلاهما على انسجام القوانين الطبيعية ، بحيث كنا أمام احتمالين : إما أن يكون مصدر الحساب عند « ماندليف » و « ليفرييه » مشكوكاً فيه ، أو يكون الحساب عندهما صحيحاً ؛ ولقد دلت الأيام أن حسابهما صحيح وأن العناصر كانت موجودة منذ وجود الأرض وقبل ذلك وأن الكواكب الجديدة على معارفنا كانت تدور فى أفلاكها حول الشمس منذ دارت الدار التى نسكنها ...

* * *

وهكذا مع دالتون وبروست وفينزل وريتشر وجاى ليساك ، وافوجادرو وماندليف ولوتمابر ، كشف الإنسان عالماً هو الذرة فكشف بذلك من بادىء الأمر عن شموس طغى أثرها على كل ماعداها

ولكن كان لابد أن يكون لهذه الشموس سيارات وتوابع كالقمر تتبع الأرض ، وهذه والمريخ يتبعان الشمس . وسيرى مع القارىء أن مع مليكان الأمريكى ، وتومسون الإنجليزى ، وبيران الفرنسى كشف الإنسان أمر هذه التوابع ودخل الذرة وعرف ما فيها .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

من هنا ومن هناك

في إيران دكتاتورية بلا أعداء

[عن « ذي أديلاد كرونيكل »]

لعل أهم ما ترمى به الدكتاتورية أن الدكتاتور إذا مات لا يخلفه من يملأ الفراغ الذي يترك من بعده ، ولكن إيران لا خوف على مستقبلها من هذه الناحية ، فإن شعبها على ثقة دائماً بأن ولي عهده الذي تزوج أخيراً من شقيقة ملك مصر ، سوف يكون ما للملك الوالد من الصلابة والحزم في حكم البلاد

والأمير محمد رضا شاهبور في التاسعة عشرة من سنه ، وهو أكبر أبناء الشاه التسعة ، وقد ورث عن أبيه قوة الجسم وسلامة البنية ، وتدرب على الرياضة بأنواعها وعلى الأخص لعبة التنس وكرة القدم . ويعد في الطبقة الأولى في الرماية وركوب الخيل . وقد بدأ اهتمامه بالكشافة — التي أخذت تنتشر في إيران بسرعة عجيبة — في السنين الخمس التي قضاها بالمدرسة في سويسرا

فإذا دعى إلى عرش النسر الذي ادخره أبوه له بعد جهاد طويل ، فسوف يجلس للحكم في القصر الذي كان والده في يوم من الأيام حارساً على أبوابه

فقد كان الشاه رضا خان بهلوى منذ خمس وثلاثين سنة ، جندياً بسيطاً في حرس الشاه السابق . وفي سنة ١٩٢١ نزح إلى طهران العاصمة، فوجد الناس يتقاتلون فيها على الخبز، والفقر قد أنشب مخالبه في كل شيء ، بينما يقيم الشاه في باريس منذ عدة سنين ، والحكومة على أبواب انتخابات ، والدين الأجنبي يزيد ويتضخم بسبب ما ينفقه الشاه من الأموال في عاصمة فرنسا

لم يطق رضا خان صبراً على هذه الحال ووطد عزمه على تغييرها ، وكان يقتبس كثيراً من الإصلاحات عن مصطفى كمال أتاتورك . وفي سنة ١٩٢٥ كان قد أدخل كثيراً من الإصلاح في بلاده وهيأ الشعب للحكم الصالح . أما الشاه الذي ظل في باريس بين الغواني فقد فَقَدَ احترامه بين الجمهور وعلى الأخص بعد أن ورد على طهران تقرير من باريس يصف سلوكه في حانات مونمارتر . وقد وجد ليلة وسط خمس وعشرين امرأة من الراقصات ليس بينهن رجل سواه ، وقد تبلل قميصه بالنبيذ الذي تساقط من الكأس ، التي لم تقو يده على حملها لشدة السكر

فعزم رضا خان على أن يزيل هذا الشاه كما أزال حكومته منذ أربع سنوات فأعلن خلعه وولى نفسه مكانه شاهاً لبلاد العجم

ومما لا يختلف فيه اثنان أن إيران الحديثة وهي مملكة مساحتها ٦٨٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها عشرة ملايين كلها من صنع رجل واحد — هو الشاه

فالشاه يشرف على كل شيء في إيران بنفسه وله فيها الكلمة التي لا ترد ، وإن كان رضا خان لا يبت في أمر ذي بال قبل أن يوافق مجلسه النيابي عليه . أما الوزراء فهم جميعاً ملحقون بخدمة الشاه ولا يقومون بعمل قبل موافقة الشاه

هذا الحاكم الشديد في غير ظلم ، يعد من رجال الملك الجديرين بهذا اللقب على الرغم من منشئه . يحبه جنده إلى حد العبادة ؛ ويعده شباب الجيل الحديث في إيران أباً لهم . وعلى الرغم من أنه يعطى نفسه سلطة لا حد لها في حكم البلاد ، فهو يعمل لها بجد وتواضع واعتدال

هل يحل « العم سام » محل « جون بول »

[عن مجلة « باريد »]

إذا قدر لبريطانيا العظمى أن تنهزم في حرب عالية وتندحر قواها حقاً ، فهل تخلفها الولايات المتحدة الأمريكية في الاحتفاظ بزعامة الجنس الأبيض على العالم ؟

يقول « أندريه سيجفريه » المؤلف الفرنسي المشهور: للإجابة على ذلك يجب أن نقدر الظروف التي ارتفعت فيها بريطانيا إلى مركز الزعامة والقوة في العالم ، فقد اتجهت بريطانيا إلى التوسع والسيادة في وقت لم يكن يزاحمها فيه أحد

أما الآن فقد تغيرت الحال وأصبحت بريطانيا تشعر بتزعزع واضطراب في مركزها القديم ؛ وقد زال من العالم ذلك النوع من الارتباط الدولي الذي كانت تقوم على حمايته بريطانيا العظمى على مبدأ الأخذ والإعطاء ، على ما كان له من الفوائد المحققة لسائر الأمم

وقد بدأت اليابان تطالب بمنطقة لا نعلم ماذا سيكون من أمرها بعد ، إلا أنه مما لا شك فيه أن ذلك الموقف المريب في الصين ، يضيف أزمة خطيرة إلى أزمات أوربا العديدة

فإذا فقدت الهند من بريطانيا وفقدت إلى جانبها مستعمراتها في الشرق الأقصى ، فقد زالت زعامة الجنس الأبيض من الوجود إذ أن ذلك سيتبعه ولا شك مطالب لا تحد لسائر الأجناس في أنحاء العالم ، فتعانى أوربا ما تعانى من جراء ذلك ، ولا يخفى أثر هذه الصدمة على الولايات المتحدة

فإذا كان للمدنية البيضاء أن تحتفظ بمكانتها في العالم ، فمن الواجب أن تقوم قوة دولية عظيمة بالاضطلاع بما يمليه هذا الموقف الخطير من الواجبات السياسية والحربية .

وقد قامت انجلترا بواجباتها زهاء قرن ونصف قرن . وتبعتها فرنسا في شمال وغرب أفريقيا . وها هي ذي ألمانيا تحاول السيادة الدولية منذ ١٩١٤ — ١٨ ، ولا يشك أحد ممن يتتبعون مجرى الحوادث في أوربا لحظة واحدة في أنها تعود ثانية إلى التفكير في تلك المحاولة .

إن عالما تسوده ألمانيا لا بد أن يختلف كل الاختلاف عن العالم الذي نعيش فيه تحت نفوذ بريطانيا ، وعلى ذلك يصح لنا أن نتساءل : هل الولايات المتحدة على استعداد لقبول مسئولية السيادة الدولية إذا احتاج الأمر إلى ذلك ؟

وهنا يظهر موقفان : الأول أن الولايات المتحدة يجب أن تحمى القارة الأمريكية ولا تتجاوز هذا الحد . والثاني رغبتها الأكيدة في حماية الأمبراطورية البريطانية من الهزيمة إذ أن سقوط بريطانيا يؤثر تأثيراً سيئاً على مركزها في العالم .

ويصر الرأى العام في الولايات المتحدة على الرأى الأول . ولكن هناك حركة يقوم بها بعض رجالها السياسيين تجعل الأمل كبيراً في ترجيح الرأى الثاني .

إن الولايات المتحدة ليست على استعداد لأن تحل محل الإمبراطورية البريطانية في السيادة الدولية ، ولكنها مع ذلك لا تسمح بتحطيم القوة البريطانية .

الحب يحفظ العالم

[عن « ذى سيكولجيست »]

يقول علم النفس الحديث إن الحاجة إلى الحب هي في الحقيقة حاجة إلى حماية الآخرين ومساعدتهم

فالأسماك لا تعرف الحب . فإذا خرجت السمكة إلى عالم الوجود ، لا تعرفها أمها ولا يحفل بها أبوها ، وقد تفصلهما عنها أميال شاسعة . فالسمكة الصغيرة لا تعرف حماية الوالدين على الإطلاق ، وحياتها معلقة على المصادفة والجهد المستقل

ولكن الطفل من بنى الإنسان على نقيض ذلك . فيولد عاجزاً كل العجز ، ولن يبلغ أشده إلا إذا لاقى عناية خاصة ، ممن يهمهم أمره . فالطفل إما أن يجد الحب وإما أن يموت

وهذا الحب الفطرى لا تقابله منفعة خاصة للغير . فالطفل يلاقى العناية الفائقة من أمه أو مربيته أو من يضطلع بأمره ولا يجازيهم على ذلك أى جزاء ، ولا ينتظر أحد منه شيئاً من الجزاء لأنه لا يقدر عليه

إلا أن هذا الموقف لا يستمر على الدوام ، فإذا رأينا إنساناً في سن الرجولة يأخذ من الناس ولا يعطيهم مقابل ما ينال منهم ، فإننا نعده إنساناً ما زال في دور حب الطفولة . وننتظر أن ينمو بدوره ويتقدم إلى المرتبة التي يتحمل فيها مسئولية حب شخص آخر يحتاج إلى رعاية بغير أمل في جزائه

وبمعنى آخر إن كل إنسان يجب أن يعبر الطريق الذي ينال فيه كل شيء ولا يعطى مقابله أى شيء ، إلى الطريق الذي يعطى فيه كل شيء ولا ينال شيئاً . ولا يعد هذا العمل فضيلة بأى حال فهو ضرورية حيوية ورثها الإنسان منذ ظهر في هذا الوجود

وليس في أنانية الطفل مأخذ عليه ، فكأنه بعمله يقول : إنه عاجز وإنه عالة على محبة الآخرين وإنه يجب أن يأخذ منهم وإنه لا يستطيع الجزاء

فإذا لم يكن لدى الطفل الفرصة التي تخرجه من أحضان أمه إلى دائرة أكثر حرية واتساعاً ، فقد تفوته فرصة التقدم من الرتبة

التى يتلق فيها الحب ، ولكن الأمر على خلاف ذلك ، فلا بد أن يتصل بإخوته وغيرهم من الأطفال القاربين له فى السن ؛ وهم مثله لم يتقدموا عن المرتبة التى يتلقون فيها حب الآباء والأمهات ، ولا تقل أنانيتهم عن الأنانية التى يستمتع بها . فإذا اجتمع لفيف من الأطفال على هذا النحو فإن الاختلاف سرعان ما يدب بينهم إذ أن كل طفل مولع بنفسه مؤثر إرادته على إرادة الآخرين . إلا أن الألعاب المديدة المنظمة التى قوامها التعاون تقضى على هذه الروح لأن الطفل فى هذه الحالة يشعر بأنه ينال السرور الحق حينما ينظر إلى حقوق الآخرين بعين الاعتبار . فهو يعتبر الآخرين لا عن طريق التضحية أو عن طريق المبادئ الأخلاقية ، ولكن لأنه يجد راحته فى هذه الحال .

وهذه مرتبة عظيمة من مراتب الحب ، والذين لا يعرفونها لا يعرفون العواطف السامية فى طور النمو .

الصحافة بعد ستين عاما

[عن مجلة الصناعة الأمريكية]

كيف تكون الصحافة بعد ستين عاماً أى سنة ٢٠٠٠ بعد الميلاد ؟

هذا سؤال وجهته مجلة الصناعة الأمريكية فى الأيام الأخيرة إلى بعض الصحفيين والمشتغلين بالسياسة . فورد عليها أجوبة مختلفة على هذا السؤال ، إلا أنها تجمع على أن الصحافة بعد ستين عاماً ستكون مختلفة عنها اليوم

ومن الأجوبة الطريفة على هذا السؤال ما كتبه مستر هارولد سكرتير وزارة خارجية الولايات المتحدة ، وقد مزج الحقيقة بالفكاهة فقال :

« حينما أفكر فى مستقبل الصحافة بعد ستين عاماً ، تجرى على خاطرى رغبة سبقنى إلى شرحها توماس جيفرسن يوماً من الأيام . اقترح جيفرسن أن تقسم كل جريدة إلى أربعة أقسام :

١ – الحقائق ٢ – الأخبار المحتملة الوقوع

٣ – الأخبار التى تنتظر الإثبات ٤ – الأكاذيب

فلو سارت الصحافة على هذا المنوال ، فمن رأيى أن يكون الباب الأول خاصاً بنتائج المباريات الرياضية ، والثانى خاصاً بتقارير الأرصاد الجوية ، والثالث بأخبار السينما ، والباب الرابع خاصاً بغالبية الأخبار السياسية

ومن رأيى أن هذه الطريقة تجعل من الصحافة هيكلا مقدساً للحقيقة ، كما تجعل منها مثالاً معلوماً للخيال فتعم السعادة ويظهر الإخلاص ويرفه عن قلوب الناس » .

وقد تناول هذا الموضوع رجال الصحافة بما يستحقه من الجد والاهتمام

ومما قاله أحد الصحفيين : إن أصحاب الصحف الذين يرتاعون لمنافسة الإذاعة اللاسلكية قد يجدون شيئاً من الراحة والاطمئنان إذا لاحظوا أن اليوم ، حتى سنة ٢٠٠٠ بعد الميلاد لا يمكن أن يزيد على أربع وعشرين ساعة .

وقد استطاعت الاذاعة أن تخترع طرقاً عجيبة للاستماع إلى الموضوعات والبرامج التى سبقت إذاعتها فى الوقت الذى يشاؤه الإنسان . أما الإذاعة المصورة (تلفزيون) فسوف يتيسر لها أن تمدك بالصور والأصوات ،وسوف يتيسر لها كذلك أن تحتفظ بها لأى وقت تريد ، فتستطيع أن تستمع إلى البرنامج الذى يذاع فى الساعة التاسعة وأنت بالسينما أو المسرح ، فى الساعة الحادية عشرة فى منزلك أنت وعائلتك وترى كذلك الصور المذاعة .

وسوف يكون من السهل الاحتفاظ بالصور الملونة للرجوع إليها فى المستقبل . وفى سنة ألفين يستطيع الرجل أن يقرأ الصحف فى مكتبه فى الصباح بينما تتلهى زوجه بسماع برنامج الموسيقى التى أذيعت فى الليلة السابقة فى باريس .

ومن المنتظر فى ذلك الوقت أن يتلقى الإنسان أخبار العالم بواسطة محرك بسيط يلمسه بأصبعه ، فإذا كل شىء قد نقل إلى أذنه لتسمعه ، وإلى عينه لتراه .

وسوف ينتقل إليه بطبيعة الحال فيض من التقارير الرسمية الدقيقة من أنحاء قاصية كنيوزيلند والتبت منقولة نقلاً مطابقاً للأصل كل المطابقة

وكذلك صور الأوبرا : فيستطيع أن يلمس المحرك فى أى وقت ليسمع قطعة من أوبرا تكون قد أذيعت من موسكو فى الليلة السابقة واحتفظ بها ليسمعها فى أى وقت يريد

وسوف يكون لديه لفافات طويلة من الأوراق المنقولة بواسطة الراديو ، تنقل إليه فى أى وقت حديثاً يكون قد فاته سماعه فى الليلة الماضية ...

(البقية فى ذيل الصفحة التالية)



الأب أنستاس مارى الكرملى والمنضدة

قال العلامة الأستاذ الأب أنستاس مارى الكرملى فى كلمة عنوانها (مباحث عربية) فى الجزء الأخير من مجلة (المقتطف) الغراء : « وجدناه (أى صاحب مباحث عربية) استعمل (المنضدة) ص ٢٧ وقد شاعت على يراع كتبة هذا العهد ، ناقلاً إياها عن (أقرب الموارد) للشرتونى ، أو عن كاتب عثر عليها فى المعجم المذكور ، فهى لفظة لم ترد فى كلام فصيح ولا ترد على أسلة مؤلف بليغ ثقة يعتمد عليه . وصوابها (النَّضَد) كما ذكرها أرباب الدواوين اللغوية ، وهى من باب تسمية الشىء باسم المصدر »

أقول : قالت (الجمهرة) : « النضد متاع البيت وكثر فى كلامهم حتى سموا السرير الذى ينضد عليه المتاع نضداً » وفى (اللسان) : « سمى السرير نضداً لأن النضد عليه » ونحو من ذلك فى (المصباح والتاج)

وقال الإمام الزمخشرى فى (أساس البلاغة) : « المنضدة شىء كالسرير له أربع قوائم يضعون عليه نضدهم »

فسبب التسمية قد ذكروه ، وفى اللسان العربى : النضد والمنضـدة

الأب أنستاس إذا نقَد أفاد ، وإذا نقِد لم تعدم الأدباء فائدة فله الفضل فى كل حالة

وقد لمس أحد الصحفيين الذين كتبوا فى هذا الشأن ناحية أخلاقية فى الموضوع .

فقال : إن العبقرية الإنسانية سوف تستطيع أن تصل إلى الغاية التى تيسر لذوى العقول والكفاية أن يصدروا الصحف دون حاجة إلى رؤوس الأموال الطائلة التى يحتاجها إصدار الصحف الآن . حتى لا تكون هذه الصناعة وقفاً على أصحاب الثروات . فيتمكن الرجال ذوو الأخلاق والمواهب من إصدار الصحف بغير إرهاق

وسوف يكون من المستطاع إخراج الصحيفة الكبيرة بتكاليف زهيدة للغاية ، وتصبح الآلات الضخمة التى تستعمل الآن شيئاً لا يذكر إلا على ألسنة المؤرخين

ســوف تلق العبقرية تلك الآلات الضخام وتجعلها موضعاً لسخرية الساخرين .

من هذيان الحر

تحت هذا العنوان كتبنا مقالاً فى عدد مضى من الرسالة سخرنا فيه من الأرستقراطية سخراً أوضح من الصراحة ؛ ولكن إفراط الحر على الأفهام فى هذه الأيام جعل الأستاذ محرر (همسات الأندية الأدبية) فى مجلة « زهرة الشرق » يقرأ المقال على ظاهره فظن أننا « نعرض بحكم الشعب وندعو إلى حكم الأرستقراطية ونتهكم بالعامل والزارع ونفتخر بالأمير والسيد» ثم أراد أن يدلل على صحة ما فهم فساق كلمة من المقال هى غاية التهكم فيه . ولولا رعايتنا لكرامة الكاتب لدللناه على السخرية فى الفقرات التى نقلها على الأقل ؛ ولكننا نرجو أن يعيد قراءة المقال ليعلم أنه جزء من سلسلة أولها (فلاحون وأمراء) وآخرها (حلم ليلة صيف) وكلها متساوقة الأجزاء إلى الاستهزاء بالارستقراطية . وليت شعرى إذا كان هذا مبلغ الأدباء من فهم الكلام ، فكيف يكون حال الجهلاء والعوام ؟ !

جماعة الفن والحرية

حضرة الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات

نحن نعلن لأسرة « الرسالة » أن كلمتى « الفوضى » و « الفن المنحط » اللتين اتهمنا بهما لم تخرجا من وحى تفكيرنا ، وإنما جاءتا من خلق طائفة من الناس ترى فى كل حركة تجديدية خروجاً

على التقاليد والأخلاق ، وجوحاً بالحرية إلى حد الفوضى ، وخطراً على الأنظمة الاجتماعية المعاصرة التي تهيئ لأفراد هذه الطائفة أكبر قسط من الكسب المادي .

إن جماعة « الفن والحرية » حركة اجتماعية بقدر ما هي حركة فنية تعمل للفن من أجل الفن . ذلك أن مظاهر الفكر البشري والمواطف الإنسانية بصورها المختلفة حتى صور الفلسفة العليا منها لا تخرج في نظرنا عن حدود التعبير الناشئ عن اصطراع التيارات المتعاملة داخل الهيئة الاجتماعية .

والمجتمع المصري بحالته الراهنة مجتمع مريض مختل ، فقد الاتزان لا في مقاييسه الخلقية فحسب ، بل في أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية أيضاً . ومثل هذا المجتمع المقبل على النهوض يجب أن تترك فيه الحرية المطلقة للكتاب والمفكرين في نشر آرائهم الجديدة للانتفاع بالحلول التي يعرضونها لعلاج المشاكل المتعددة .

وجماعة « الفن والحرية » فئة من الشباب راعها ما رأت من انحلال عناصر القوة في مصر . فكرست جهودها لدراسة مسببات هذا الانحلال ، ولإيجاد الحلول التي ترى أنها قد تعود بالخير على المجموع . فهي ليست متأثرة بحركة أجنبية ، وإنما هي حركة مصرية أكثر ما يمكن أن يقال فيها إنها ستكون مهداً لنضوج الأفكار الجديدة التي ستهيئ أسباب التطور لهذه البلاد .

أما إن كان الفن الذي تبشر به جماعة « الفن والحرية » منحطاً أو غير منحط فهذا أمر لا يمكن الوصول فيه إلى نتيجة حاسمة بنقاش يثار على صفحات مجلة من المجلات . وخير من هذا الجدل أن تلبي أسرة « الرسالة » دعوة الجماعة لزيارة معرضها حتى تكون على بينة تدعمها المشاهدة من حقيقة الاتجاهات التي ترى إليها

أنور كامل

الوحدة الإسلامية

إلى الأستاذ الفاضل ساطع الحصري بك

قرأت مقالكم « حول الوحدة العربية » الذي تردون فيه على الدكتور طه حسين ، في العدد (٣١٥) من الرسالة الغراء فلفتت نظري فيه الجملة الآتية :

« وأؤكد لكم أنني – بقدر ما أومن بفكرة العروبة ، وبقدر ما أعتقد بإمكان الوحدة العربية ، وبقدر ما أقول بوجوب السعي وراء تحقيقها – أعتقد باستحالة الوحدة الإسلامية »

فهل لي أن أسألكم سيدي الأستاذ ، علام بنيتم اعتقادكم هذا ؟ وعلى أي أساس أصدرتم حكمكم باستحالة تحقيق الوحدة الإسلامية ؟ إن من المعروف لدى الخاص والعام أن رابطة الإيمان والعقيدة أقوى من روابط اللغة والعادات والمصالح ، وأن التقارب بين الناس والتفاهم ، يقوم – مع وحدة اللغة – على وحدة المبادئ والعقائد والغايات . وها هي ذي مبادئ الشيوعية والاشتراكية والماسونية وغيرها تجمع بين أناس اختلفت لغاتهم وأجناسهم وبلادهم وأقاليمهم ، ولم يمنعهم هذا الاختلاف كله من أن يتفاهموا ويتقاربوا ويجتمعوا على خطة واحدة ومبدأ واحد ، أفتكون مبادئ الإسلام مانعة من اتحاد المؤمنين بها واجتماعهم ؟

يعلم الأستاذ أن العرب في الجاهلية كانوا متنافرين متخاصمين مع أن لغتهم كانت واحدة ، وعنصرهم واحداً ، وأن الإسلام قد آخى بين العربي وغير العربي وجمعهم على مبادئه السامية وألف بين قلوبهم ، وجعلهم أمة واحدة رغم اختلاف الأجناس واللغات ، أفتكون هذه الوحدة التي أمكن تحقيقها في عصر صدر الإسلام وعصر الأمويين والعباسيين ومن أتى بعدهم ، مستحيلة في عصرنا هذا ؟ إن كل مسلم في سورية أو مصر أو العراق يعتقد أن المسلم الهندي أو الياباني أو الأوربي أخ له كأخيه المسلم الذي يعيش معه جنباً إلى جنب ففيم استحالة تحقيق الوحدة الإسلامية ؟

أنا لا أنكر إمكان تحقق الوحدة العربية ولا أقول بمقاومتها ولكنني أعتقد – ويعتقد معي كل مسلم على وجه الأرض – أن الوحدة الإسلامية أقوى من كل وحدة سواها ، وأن تحقيقها أسهل من تحقيق أية وحدة أخرى ، فهل لكم أن تبينوا لي خطأ اعتقادي هذا ، وأسباب استحالة تحقيق الوحدة الإسلامية ؟

(دمشق) ناجي الطنطاوي

تقريب الكتب القديمة وعرضها عرضاً حديثاً

كانت لجنة تقريب الكتب العربية القديمة إلى أذهان الناشئة وعرضها عرضاً حديثاً قد اجتمعت في تمام الساعة السادسة من

مساء يوم الاثنين ١٢ يونية سنة ١٩٣٩ برياسة حضرة صاحب العزة الأستاذ محمد العشماوى بك وكيل المعارف ونظرت فى الكتب العشرة التى قررت الوزارة البدء بتقريبها كخطوة أولى لتنفيذ هذا المشروع الأدبى . ثم عرضت أسماء الأدباء الذين يختارون لهذا التقريب واستقر الرأى على أن تلحظ اللجنة فى اختيارها لكل كاتب قوة التمكن من الثقافة العربية والاختصاص فى الدراسات الأدبية واستغلال الثقافة الغربية ما أمكن ذلك عند بعض الأدباء المعاصرين للانتفاع بها فى توجيه طرائق التقريب والعرض توجيهاً فنياً حديثاً

وبعد مراجعة الأسماء والمناقشة فى كل كتاب بمفرده تقرر الاختيار وفقاً لهذا البيان . ثم رفع إلى حضرة صاحب المعالى وزير المعارف فأقره بعد تعديل يسير . وإليك هذا البيان

١ — الكامل للمبرد

(ا) الأستاذ السباعى بيومى المدرس بدار العلوم

(ب) الأستاذ مصطفى السقا المدرس بكلية الآداب

٢ — البيان والتبيين للجاحظ

(ا) الأستاذ محمد صفوت المدرس بدار العلوم

(ب) الأستاذ عبد الوهاب حموده المدرس بكلية الحقوق

٣ — الأمالى لأبى على القالى

(ا) الأستاذ محمد شتا مدرس أول اللغة العربية بمدرسة الخديو اسماعيل الثانوية

(ب) الأستاذ ابراهيم مصطفى مدرس بكلية الآداب

(ج) الأستاذ عبد العزيز احمد بمجمع فؤاد الأول للغة العربية

٤ — ديوان أبى تمام

(ا) عبده عزام افندى معيد بكلية الآداب

(ب) خليل عساكر افندى معيد بكلية الآداب

وسيضاف إليهما أستاذ من دار العلوم أو من كلية الآداب

٥ — ديوان البحترى

(ا) الأستاذ عباس محمود العقاد

(ب) الأستاذ عبد الرحمن شكرى

٦ — ديوان شوقى

(ا) الأستاذ أحمد حسن الزيات

(ب) الدكتور زكى مبارك

(ج) الأستاذ أحمد الزين بدار الكتب

٧ — تاريخ ابن خلدون

(ا) الأستاذ أحمد الشايب المدرس بكلية الآداب

(ب) « محمد مأمون نجا « بالتوفيقية الثانوية

(ج) « حسن علوان « « «

٨ — كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين

(ا) الأستاذ عبد الله عنان بالداخلية

(ب) الدكتور محمد مصطفى زيادة أستاذ مساعد بكلية الآداب

(ج) عبد اللطيف حمزة افندى معيد بكلية الآداب

ولقد رأت اللجنة أن تعرض الكتب القصصية عرضين :

(١) عرضاً فنياً

وفيه يستلهم الكاتب روح الكتاب القديم وطريقته وفنه وينهج نهجه بطريق فنى جديد

(٢) عرضاً علمياً

وفيه تعرض دراسة علمية وافية عن الكتاب وتاريخه والترجمة لصاحبه وأثره فى الأدب والثقافة العامة وكان اختيارها فى القصص على هذا الأساس

٩ — قصة عنترة

للعرض الفنى:
(ا) الأستاذ محمد فريد أبو حديد
(ب) الأستاذ محمد سعيد العريان

للعرض العلمى:
(ا) الأستاذ حامد عبد القادر
(ب) توفيق الطويل افندى

١٠ — ألف ليلة وليلة

العرض الفنى:
(ا) الأستاذ ابراهيم المازنى
(ب) الأستاذ توفيق الحكيم

العرض العلمى:
(ا) الأستاذ محمد خلف الله المدرس بكلية الآداب
(ب) الآنسة سهير القلماوى

حول نعيم الجنة

إن للدكتور زكى مبارك أسلوبه فى الكتابة ، وله أن يتظرف فيه أو يتمجن ما شاء ما دام يكتب فى الأدب الذى هو دكتور فيه . لكن الذى ليس له والذى لا يمكن أن يقره أحد عليه هو أن يتظرف أو يتمجن حين يكتب فى الدين أو حين يدعو الله سبحانه .

لقد رأى فى مقالاته الأخيرة فى الرسالة أن يستشهد بالدين فأتى باستشهادات خطأ كلها . لكن لا لهذا نوجه اللوم إليه الآن ؛ إنما الذى نأخذه الآن به هو ما ختم به خطابه المنشور فى العدد ٣١٦ من الرسالة تحديداً لرأيه فى نعيم الجنة فى الإسلام . هو رأى وافق شطره الصواب ، ولو قد وقف عند الآية الكريمة « فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز » فى موضعها من خطابه نختمه بها لكان خطابه ذلك من أحسن ما كتب . لكن شيطان المجون فيه أبى إلا أن يفسد عليه ذلك الجواب حين أوحى إليه أن يكتب فقرتين بعد ذلك قال فى أخراهما خطاباً لله سبحانه : « اشغلنى عنك يارباه ! بما سيكون فى الجنة من أطايب النعيم » ! فهل رؤى سوء أدب وسوء فهم للدين كالسوءين المتجسمين فى دعاء زكى مبارك هذا ؟ وهل يظن زكى مبارك أن أهل الجنة حين ينعمون فيها يشغلهم عن ربهم شاغل ؟ إنهم لم يستحقوا ذلك النعيم إلا بأنهم لم ينسوا الله فى الدنيا . فهل يظن هذا الماجن أنه سبحانه ألزمهم ذكره وعبادته فى الدنيا ليأذن لهم فى نسيانه والانشغال عنه فى الآخرة ؟

لو كان زكى مبارك يفقه فى الدين شيئاً لعرف أن نعيم الجنة الحسى يصبح غير نعيم لو تجرد من رضوان الله أو شغل عن الله . ولو كان لدى زكى مبارك من روح الإسلام شىء ما اجترأ على الله فى الخطاب هذا الاجتراء المتجسم فى دعائه ذلك ، ولأدرك أنه يأتى به كبيرة توشك إن لم يتب منها مخلصاً أن تكبه على وجهه حيث لا نعيم للبدن ولا اطمئنان للروح

محمد احمد الغمراوى

كتاب فى الدين الاسلامى

سيدى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

هنا فى قلب الجزيرة السودانية حفنة طيبة من الشباب تربطهم بأسرة الرسالة رابطة الأدب والثقافة . وقد أصبح الفرد منهم يعرف أفراد هـذه الأسرة الطيبة المباركة معرفة كلها تقدير وإعجاب والأستاذ على الطنطاوى من أولئك الشبان الذين نتخذهم قدوة حسنة لنا ، ونرى فى تتبع خطواتهم تحقيقاً لمثلنا العليا . والدافع لى إلى أن أكتب هذا هوذلك المقال الممتع الذى قرأناه فى العدد ٣١٤ من الرسالة ، والذى يقترح فيه الأستاذ الفاضل تأليف كتاب فى الدين الإسلامى على طريقة حديثة تكفل لنا الإلمام بتعاليم ديننا وتعيننا على تفهمه . والذى يهمنا هو أن يجد هذا الاقتراح كل عناية وتقدير من علمائنا وأدبائنا الأفاضل ، ما دامت « الرسالة » الغراء قد فتحت لهم الباب على مصراعيه لبحث هذا الموضوع الدينى القيم أملاً فى تنفيذ هذا المشروع ، وإبرازه إلى حيز الوجود ليكون فاتحة عهد جديد لإحياء تراثنا الأدبى والدينى إن شاء الله .

هذا - وللأستاذ على الطنطاوى ولأسرة الرسالة المباركة منا كل شكر وتقدير .

« واد مدنى » **سليمان بخيت**

تصويب

سقط سهواً من مقال الأستاذ ساطع الحصرى بك المنشور بالعدد ٣١٥ بالصفحة ١٣٨٩ سطر فى آخر العمود الثانى ، ونعيد هنا نشر هذه الفقرة وفيها هذا السطر المنسى تحته خط :

« الوحدة العربية كما يفهمها ذووها يجب أن تتحقق بشكل امبراطورية جامعة أو اتحاد مشابه للاتحاد الأمريكى أو السويسرى » ونحن لا نرضى بهذا ولا بذاك

استدراك

نشرت رسالة الأسبوع الماضى أبياتاً لى تحت عنوان : « نبرات صوتك فى المسرة » وقد نسى بيت من أبياتها فنذكر هنا البيتَ المنسىّ مع سابقه ولاحقه :

نبراتُ صوتك؟ما المزاهر كلها ... مارنةٌ نشوى من العيدان ؟
روّيتِ أحلامى وهجتِ قصائدى ... فنظمتُ فيك قلائدَ العِقيانِ
ووهبتك الآمال مل‌ءخواطرى ... وعلى سناكِ حبست حرّ بيانى

العوضى الوكيل



كتاب «توفيق الحكيم»

بيني وبين الدكتور بشر فارس

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

عندما كتب الدكتور بشر فارس كلمته الأولى في «الرسالة» عن دراستي عن «توفيق الحكيم» لم أكن راغباً من ردّي عليه إلا في فتح باب المناقشة بيني وبينه في مسائل دقيقة استوقفت نظري في مقاله يتصل بعضها بصميم الأدب الحديث ومناهج البحث والتحقيق، ويتصل بعضها الآخر ببعض الدقائق في الشؤون الفلسفية التي تدور حول فكرة ارتباط الزمان بالتاريخ والرغبة بالشهوة. كذلك لم أكن قاصداً بنقدي الذي نشرته لي «الرسالة» لكتاب «مباحث عربية» الذي أخرجه للناس أخيراً الدكتور بشر إلا التمحيص العلمي لوجه الحقيقة. ومن هنا جاء ما في ردي عليه ونقدي له من «التدقيق والمراجعة في بذل الملاحظات»، كما لاحظ الجميع. وأما صديقي بشر فارس، فقد آثر أن يدير المناقشة مع حول المناحي الشكلية. ومن هنا وقف من ردّنا على كلمة، ومن نقدنا لكتابه في الخارج — كما يقول العلماء — يطوف حول كلامي دون أن ينزل إلى تفاصيله ويناقش ملاحظاتي في صميمها. ومن هنا جاء أيضاً ما عبته على الصديق بشر من «أنه لا يصلح كاتباً ناقداً إلا في المواضيع التي يديرها في ذهنه ويستقصيها على أوجهها بالبحث والتمحيص». غير أنه يظهر أن ما قلته في صاحبي لم يرضه، وجعله يظن متوهماً أننا نداوره ونحاوره فذهب يغمزنا من كل جنب. ولاعتقادي بطيبة سريرة صاحبي، فإنني غير محتاج للتعليق على هذه الفراسة التي بدرت من قلمه (إننا صفينا الحساب فيما بيننا قبل سفره) وحسبي هنا مناقشة كلامه فيما يتعلق بدراستي عن «توفيق الحكيم» على أن أعود لمناقشة ما أثاره حول نقدي لكتابه «مباحث عربية» قريباً بعد صدور مقتطف أغسطس، ومناقشة ما كتب وعلق به على نقدي.

١ — أدار الدكتور بشر فارس موضوع المناقشة في رده الذي جاء بالعدد ٣١٢ بالرسالة حول افتراض اقتباسي لبعض تعبيراته ومنها تعبير «جملة صلات اجتماعية» وما ينظر إليه في الفرنسية. وقد رددت عليه في هذا الموضوع بالنسبة لاقتباسي هذا التعبير عنه فقلت: إن هذا التعبير قد دار على قلمنا قبل صدور كتابه. فقد جاء في بحث لي عن «اسماعيل مظهر — الفكر المصري» ودللت على المصدر الذي جاء فيه هذا المبحث فخرج الدكتور بشر يتساءل عن العبارة التي تضمنت التعبير ليرى موضعه منها، وها نحن أولاء نسوقها للفائدة:

«هل التناحر على البقاء في سبل المعادلة الضامية ويسميها مظهر «التناحر التعدبلي» وذلك أن تعدل أفراد الأحياء حالاتها بما تتطلب مطالبها. واسماعيل مظهر استناداً إلى هذه الفكرة ينجح في الإجابة على كثير من المشكلات التي تتعلق بمذهب النشوء وما يتصل بمسائل علمي الاجتماع والآداب وظاهرات الدين والعقل والأخلاق، وخصوصاً ما يتصل من هذه الأصول بنشوء المشاعر الغيرية من المشاعر الذاتية «الأنانية» التي هي الأساس عنده في خلق مجموعة أو جملة من الصلات الاجتماعية التي تربط بين الناس. وهذه الصلات بدورها تسوق عنده لإيجاد المشاعر والأخلاق الاجتماعية. وقد توسع مظهر استناداً إلى هذه الفكرات فوضع مبحثه القيم. فلسفة اللذة والألم ...»

وواضح إذن أن تعبير «جملة صلات اجتماعية» قد دار على قلمنا قبل صدور كتابه «مباحث عربية»:

٢ — قلت إن عبارة Une somme de rapports sociaux الفرنسية التي ينظر إليها تعبير « جملة صلات اجتماعية » ليست للدكتور بشر فارس وإنها قد جرت على قلم دوركايم عالم الاجتماع المعروف . وقد اعترف بهذا الدكتور بشر فارس في رده فقال ما نصه : والذي في الحقيقة أن دوركايم يستعمل هذه الجملة غير مرة وكذلك تلامذته وتلامذة تلامذته (الرسالة ص ١٣٧٩ ع ٢ س ١١ — ١٢) ، فكأنني في استعمالي هذا التعبير لم أنظر إلى ما كتبه الدكتور بشر لأن التعبير شائع من جهة ومستعمل في كتب علم الاجتماع الحديثة من جهة أخرى ، وهذا الشيوع والاستعمال ينفيان مظنة الاقتباس . ولكن الدكتور بشر فارس يعرف هذا ، ولكنه رأى أنه على وشك خسارة القضية التي ثار من أجلها الأخذ والرد بيننا ، فماذا فعل ؟ خرّج الموضوع تخريجاً يشهد له بالبراعة ، ولكن أي براعة ؟ براعة الرجل الشكلي فقال : إن المصدر الذي دلت عليه لم يقف عليه ولم يعثر له على أثر . . . وذهب يدير الكلام ويكرره للابهام . وكأني به في تخريجه هذا يحاول أن يشككنا في أن دوركايم أستاذ علم الاجتماع بالسربون طيلة عشرين سنة لم يلق محاضرات فيه ، وأن هذه المحاضرات قد جمع بعضها في كتب أخرجت للناس . أما « المجموعة » التي قلنا إن دوركايم قد استعمل فيها تعبير Une somme de rapports sociaux فهي تلك المجموعة التي تحمل اسم Les Règles de la méthode sociologique والتي طبعت للمرة الأولى عام ١٨٩٥ ضمن المجموعة الاجتماعية لمكتبة F. Alcan بباريس على أنها Travaux de l'année sociologique وقد طبعتها هذه المكتبة أكثر من مرة . والنسخة التي تحت أيدينا هي الترجمة الإنجليزية وفيها العبارة مترجمة sum of social reports والترجمة بقلم G. W. Swain ومكتوب عليها أنها Travaux de l'année sociologique à l'Université de Paris وقد راجعنا اليوم نسخة من طبعة عام ١٩١٢ في الفرنسية ، والعبارة وجدناها ترددت أكثر من مرة

أما التعبير نفسه فقديم في الفرنسية ، وهو يتألف من شقين : الشق الأول يتضمن تعبير Une somme بمعنى sum انجليزياً ومجموعة أو جملة عربياً . وهذا الشق يعود استعماله إلى أواسط القرن السادس عشر ، وقد وقفنا عليه عند بسكال ومالبرانش وغيرهما ؛ وعلى وجه خاص في الكتب المسيحية اللاهوتية و« على الدكتور بشر التفتيش » أما الشق الثاني فيتضمن تعبير rapports sociaux الذي ينظر إليه بالإنجليزية تعبير social reports . والتعبير الفرنسي كثير الاستعمال ورد في الكتب التي تحت أيدينا مئات المرات ، وعلى سبيل المثال نذكر منها كتاب : Le rapport social, essai sur l'objet et la méthode de la sociologie من تأليف Eugéne Dupréal طبع مكتبة F. Alcan عام ١٩١٢ ، وقد ورد التعبير فيها أكثر من مرة في ص ١٦٠ و١٦٢ و١٦٤ و١٦٦ مثلاً حيث يقول في هذه المواضع La synthèse des rapports sociaux و Une série des rapports scciaux و Le masse des rapports sociaux و Une somme des rapports sociaux وكل هذه التعابير قريبة المدلولات في الفرنسية ، وتقابل في العربية تعبير « جملة صلات اجتماعية »

٣ — تحدث الدكتور بشر في هامش بمقاله فقال إني انتزعت الفقرتين الأوليين من فاتحة مقالي الأخير عنه من الدكتور زكي مبارك ! . . . والذي أعرفه أن هنالك موضع تشابه ولكن لا يحمل على محل الانتزاع لأنه شكلي . ولو كنت الدكتور بشر لجاز لي أن أقول إن الدكتور زكي مبارك هو الذي انتزع مني في كلامه عن أحمد أمين كلامنا عن صاحبه الذي جاء في نقد كتابه « فيض الخاطر » الذي نشرته لي الرسالة في العدد ٢٨٧ ص ٤٣ — ٤٤ . بيان ذلك أن الدكتور زكي مبارك يتحدث عن الشكلية والتقدير عند أحمد أمين . تلك الشكلية وذلك التقدير اللذان تكلمنا عنهما من قبل في نقدنا لكتاب فيض الخاطر الذي أخرجه أحمد أمين . ولكنا نعتقد أن مثل هذا التشابه لا يحمل على محمل الانتزاع ، وإنما على أن الموضوع الذي وقف منه الدكتور زكي مبارك على نفس الموقف الذي وقفناه من قبل إزاءه . ثم يستقل بعد ذلك كلٌّ منا بنتائج خاصة به يخلص بها من الظاهرة التي يتلمسها في آثار أحمد أمين

نقول هذا معتقدين أن صديقي بشر لو رجع اليوم وألقى نظرة على ما كتب في هذا الشأن لما رضي ما كتبه . وهو معذور — على كل حال — فيما كتبه عنا بهذا الشأن ، فيظهر أنه كان يكتب كلمته

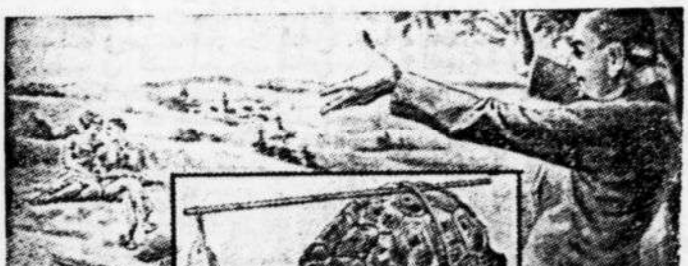
وهو فى حالة انفعالية . على أن التشابه بعد ذلك بين ما كتبناه وبين ما كتبه زكى مبارك عن صاحبه أحمد أمين شكلى محض ، لأن أحمد أمين عند زكى مبارك رجل تقديرى النظر شكلى، ومن هنا جاء عدم نجاحه فى تقييد الخطرات والسانحات التى تطوف بالنفس من حين إلى حين . وبشر عندى رجل بحاثة قدير فى الموضوعات التى يديرها سنين فى ذهنه ويستقصيها على وجوهها بالبحث والتمحيص . ومن هنا يجىء ما فى أبحاثه من التحليل وما فى الكتابات التى يرسلها من ذهنه دون أن يديرها وقتاً فى رأسه من إخفاق راجع إلى فقدان العنصر الأساسى لقيام التحليل عنده والتقدير ، وهو الزمن الذى يعطيه الفرصة على إدارة الشىء فى ذهنه حتى ينزل لمقوماته وأسبابه

٤ — تهكم صاحبى بشر فى الهامش بتحقيقاتنا عن قضية ميلاد توفيق الحكيم . وعجب هو كيف أنكر على توفيق شيئاً يؤكده هو بنفسه . وكنت أظنه فاطناً إلى الأسباب الجوهرية الدافعة إلى ذلك ، وهى مبثوثة فى أكثر من موضع فى دراستى (ص ٧٩ مثلاً من الطبعة الخاصة). بيان ذلك أننا نرى طبيعة توفيق الحكيم مترددة تبعده عن الصراحة . أما الأسباب التى حدتنا إلى ذلك فبيانها موجود فى كتابنا بالإسهاب . ولهذا وقفنا موقف الحيطة مما ألقاه إلينا الأستاذ الحكيم بشأن ميلاده . وحققنا على طريقتنا تاريخ حياته ، فكان من ذلك أن رفضنا التاريخ الذى قال إنه تاريخ ميلاده ... ومن المهم أن تحقيقاتنا التى كانت للأمس عند الأستاذ بشر فارس موضع الاعتبار أصبحت فى ثورة غضبه موضع الغمز والتهكم . ومع هذا فالكل وقفوا منها موقف التدبر . وقد كان من المستطاع أن أسوق الشهادات آخذاً بعضها برقاب بعض مما يؤيد تحقيقاتى من زملاء توفيق الحكيم وأصدقائه وبعض الذين اطلعوا على ملف خدمته بوزارة المعارف وفيها شهادة ميلاده ، ولكن لأننا لم نستأذن أصحاب هذه الشهادات فى النشر فقد اكتفينا بالتنويه . والدكتور بشر نفسه يعرف بعض هؤلاء، وسمعه بنفسه منهم حينما مرّ بالإسكندرية فى طريقه إلى أوربا .

* * *

هذه مراجعة لما قاله الصديق بشر فارس فيما يتصل بدراستى عن « توفيق الحكيم » . أما مراجعة ما أثاره حول نقدى لكتابه « مباحث عربية » فوعدنا بها مقال تالٍ بعد أن ننظر فيما سيجىء له فى مقتطف أغسطس من مراجعة لأقوالى . وأرجو ألا يبدر لذهن القارىء أن هنالك شيئاً بينى وبين الدكتور بشر كما ظن البعض ووهم . فهذا النقاش وهذه المساجلة مهما عنفت فى أسلوبها شىء و « الصلات الاجتماعية » شىء آخر . وما فى كتابة الدكتور بشر من الشدة إنما هو نتيجة الانفعال الذى سمح له أن يسيطر على ما يكتب ، وهذا يرجع إلى أن صاحبنا تغلبه طبيعة الفنان ، ولعل فى ذلك بعض ما يخفف شدة كلامه لمثلى ويعتذر له والسلام

(الاسكندرية) اسماعيل أحمد أدهم



7me Année No. 318

Lundi - 7 - 8 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣١٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٧ أغسطس سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

اللغة والقوالب الموروثة

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

كنت ذات يوم أكتب رسالة إلى صديق فجرى القلم بهذه العبارة المألوفة : « ومما زاد الطين بلة . . . » وهممت بأن أمضى فى الكتابة ثم رددت نفسى وألقيت القلم ونهضت إلى الشرفة ورحت أدخن وأنظر إلى الناس . ولكن النظر إلى الناس لم يكن همى ولا كان كل شغلانى ؛ فقد كنت أحادث نفسى وأحاورها وأقول لها إن عبارة « زاد الطين بلة » ليست هى الوحيدة التى ورثناها فى جملة ما ورثنا من لغتنا وقد صارت على الأيام « كليشيها » أو قالباً مصبوباً نستعمله فى الحديث والكتابة من غير أن نفكر فى الصورة التى يرسمها هذا « الكليشيه » الموروث الذى يغرينا به أن الجرى على العادة أسهل وأقل عناء . وقد نبتت هذه العبارات الموروثة فى زمان كان زمانها — أعنى أنها كانت فى الزمن الذى أخرجها وثيقة الصلة بمظاهر الحياة ، وكانت تحدث فى ذهن مستعملها صورة تحصل بلا عناء وترتسم بغير جهد . ولكنها الآن قد امتد بها العمر إلى زمان آخر مختلف جداً ولم تبق لها تلك الصلة القديمة بحياة العصر ولسنا نحس حين نستعملها أنها ترسم لنا صورة ما

وسألت نفسى : « وهل ثم ضرر من استعمال هذه القوالب الموروثة ؟ » وهززت كتفى ومططت بوزى — فعل المتردد الذى

يحاول أن يهتدى أو أن يتقى التورط فى رأى يجزم به . وبدا لى – وأنا أفكر فى هذا السؤال – أن الضرر لا يجىء من استعمال هذه القوالب ، بل من الاقتصار على استعمالها ، أى دون العناية بجعل لغتنا صورة لحياتنا . وأحسب أن لا بد من اتخاذ هذه القوالب إلى حد ما . وكل لغة قديمة — ولا سيما إذا كانت قد ركدت زمناً ما — تصبح عبارة عن مجموعة من القوالب، ولكن اللغة الحية لا تزال تتسع بما يدخل فيها ويضاف إليها من العصور التى تتعاقب عليها . وحياة اللغة مستفادة من حياة أهلها ولا ذنب لها إذا جمدت وإنما يكون الذنب لهم ؛ فإذا رأيت أناساً من أبناء عصر حديث له مظاهر حياة جديدة يكتبون بلغة قديمة فى قوالبها — أى كالتى كان يكتب بها من سبقوهم بعشرة قرون أو عشرين قرناً بلا اختلاف ومن غير أن يحدثوا فيها جديداً يدل على أنهم تأثروا بعصرهم — إذا رأيت ذلك فاعلم أن هؤلاء أناس متخلفون وأنهم أشبه بالآثار الباقيـة منهم بالأحياء ، وأن الأدب واللغة لا يكسبان شيئاً بهم سوى زيادة الجمود إذا كان هذا مكسباً

وغير منكور أننا لا نستطيع أن نفكر إلا بالألفاظ . وقد يجىء زمان يستغنى فيه المرء عن الاستعانة بالألفاظ على التفكير بل أنا أومن بأن هذا الزمان لا محالة آت وأن الإنسان سيستغنى عن الكتابة والكلام فى نقل مايدور فى نفسه من المعانى والخواطر والآراء والإحساسات إلى آخر ذلك — إلى نفس أخرى ، ويكتفى بإرسال موجات يتلقفها غيره ويترجمها كما ترسل محطات الإذاعة موجاتها فتتلقفها آلات الراديو . ولكن إلى أن يجىء ذلك الزمان الذى يتيسر فيه الاتصال اللاسلكى بين نفوس الأفراد لا يسعنا إلا أن نفكر بواسطة اللفظ . فاللغـة لا تزال أداة التفكير الذى لا نعرف له سواها؛ فإذا ظلت لغة من اللغات جامدة لا تتغير قوالبها ولا تتجدد ولا يدخل عليها جديد ولا يحدث فيها طريف ولا يؤثر فيها كر العصور ولا يترك فيها مر هذه العصور آثاراً من حياتها فإن معنى هذا يكون أن أبناء هذه اللغة يفكرون على نحو ما كان يفكر أبناء زمان متوغل فى القدم فهم يعيشون بأجسامهم فى عصر ولكنهم بعقولهم يعيشون فى عصر مضى وانقضى وانقرض واندثر

وقد يكون العصر الماضى جميلاً ولعل كل ما فيه كان حميداً ولكنه زال وجاء غيره بمظاهر حياة وأساليب تفكير وآمال ومخاوف وآداب وعادات مختلفة، فكيف لا يظهر هذا فى لغة الكتابة والكلام ؟.. وكيف يعقل أن تظل القوالب لا تتجدد ولا تتغير ولا تطرأ عليها زيادة من العصر الحاضر المؤثر بوجوده ؟؟ أيكون ذلك من الكسل ؟ أم هو من ضعف التأثر بهذا العصر ؟أم ترى الأحياء فيه جثث محنطة لها وجود ولكن ليس فيها حياة ؟

ورأيتنى وأنا أفكر فى هـذا أسأل نفسى سؤالاً لا يخلو من غرابة « أترانى أشبه أبى ؟ » وضحكت لما قلت ذلك ، وقلت بالطبع أشبه أبى ! . ما هذه السخافة ؟ . . وكيف أستطيع ألا أشبهه ؟ على أنى لم أكن أعنى المشابه العادية التى تكون بين الآباء والبنين فإن معمل الطبيعة لا يدعى ما تدعيه مصانع السيارات من إخراج طراز جديد فى كل عام لا شبه له ولا صلة بطراز العام السابق؛ وإنما أعنى هل أنا أحور شيئاً فشيئاً حتى أصبح صورة طبق الأصل من هذا الأب الفاضل ؟ ؟ وناديت زوجتى وسألتها « أين صورة الوالد المحترم ؟ » فقالت: « إيه ؟ .. الوالد المحترم ؟.. أى والد؟ »

فقلت وأنا أضحك : « وهل لى غير والد واحد ؟. إن كنت تعرفين لى غيره فقولى ، ولك الأمان ، ورحم الله الوالد والوالدة جميعاً » فقالت : « لا تمزح هذا المزح ... عيب ... وإنك لتعرف أنى أسألك عمن تعنى — والدك أم والدى ؟ » فقلت : « كلا . لا حاجة لى بأبيك ... ولا بأبى أيضاً فى الحقيقة ، ولكنى أريد أن أراجع صورته أو على الأصح أن تراجعيها أنت » فجاءت بالصورة وهى غير فاهمة، فقلت: « تأمليها وتأمليني . إنهما منظران ليس فيهما سرور لأحد ، ولكن تجلدى ... فهل ترينني مثله ؟.. هل لو لبست مثل هذه السترة الاستامبولية ، وهذا الطربوش الطرى ، وتركت شاربىَّ ينبتان ، ويطولان ، ويتهدلان ، ودخلت عليك فى ضوء خافت ، تظنيننى أبى ، نفض عنه كفنه وخرج من قبره ، أو تحسبينني على الأقل عفريته ؟ »

فقالت : « لا أدرى لماذا هذه المقارنة ولكنى أقول إن فيك منه مشابهة ... كثيرة ... ولكنك مختلف .. حتى النظرة مختلفة ... نظرته نظرة رجل حليم كريم ودبع أما أنت ... » فصحت بها : « احترسى !.. ليست هذه فرصة لبسط لسانك الطويل فىَّ ... » فقالت : « لا ... ولكن الحقيقة أن نظرتك مختلفة ... فيها شىء آخر ... الشبه موجود ولا شك، والذى يراكما يعرف، وإن كان لا يعرفكما ، أنه لا بد أن يكون أخاً أكبر ، أو أباً أو جداً ، . على التحقيق ... ولكن هناك اختلافاً لا أدرى كيف أصفه » قلت : « لا تتعبى نفسك ... يكفى أنى مختلف ... ولو كان حياً لاستطعت أن أتبين فى أى شىء من الحقائق المطوية نختلف ،

ولكنه تسرّع ... على كل حال أحمد الله ... لقد كنت أخاف ... كيف أقول ؟ أخاف أن أظل أرتد وأرتد ، حتى أصير مثله تماماً بلا فرق » فسألتنى : « ولماذا تخاف هذا ؟ » قلت : « لو حدث هذا لأصبحت صورة مكررة ... نسخة معادة ... طبعة ثانية لا تختلف عن الأولى إلا فى زمن الصدور ... أى زيادة لا داعى لها ولا مزية ... ولكان وجودى تكلفاً لا مسوغ له ، وإسرافاً غير جائز ، وعناء باطلاً لا جدوى منه ... وسبحان ربى عن ذلك ... وكنت أخاف شيئاً آخر ... أن يضطرنى ما يحوجنى إلى العجلة إلى ترك أسلوبى الكتابى يفسد وينحط بأن يفقد صلته بالحياة ، وبأن يصبح عبارة عن قوالب قديمة مرصوصة فأكون كالمقاول الجاهل الذى لا يعرف غير طراز واحد من هندسة البناء ... أتعرفين أن عندنا فى مصر « مقاولين » إخصائيين فى بناء المقابر ؟ لو تركت أسلوبى يفسد بالإهمال والكسل لأصبحت كهذا الذى لا يبنى إلا القبور وما إليها ... ولكنى تنبهت والحمد لله فسأكون من هذا بعد اليوم على حذر ... ولو اتسع وقتى لراجعت ما كتبت أو كتبته من جديد ، ولكن مافات مات ، والعبرة بما هو آت ، وعليك يا امرأة أن تجددينى ، أو على الأقل أن تحثينى على التجدد ، كلما رأيتنى أهم بأن أجد وأركد ، وهذا خير ما تستطيعين أن تفعلى ، إذا كنت تستطيعين شيئاً »

ابرهيم عبد القادر المازنى

كتاب مستقبل الثقافة فى مصر

الثقافة العامة

وتعليم اللاتينية واليونانية

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

يثير الدكتور طه حسين (فى كتابه مستقبل الثقافة فى مصر) مسألة « اللاتينية واليونانية » بشكل يستلفت الأنظار ويستدعى الاهتمام :

يستهل كلامه الطويل عن هذه المسألة (ص ٢٨٥ — ٣٠٢) بقوله : « إن وزارة المعارف لا تريد أن تقف عندها ولا أن تفكر فيها ، لأنها غريبة بالقياس إليها ، بل هى غريبة شاذة بالقياس إلى الكثرة العظمى من المثقفين المصريين ، مع أنها فى نفسها من أوضح المسائل وأجلاها ... »

ثم يستعرض الأدوار التى مرت على هذه المسألة فى مصر ، ويشرح بإيجاز كيف « أن صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا كان قد شعر بخطر هذه المسألة وهمّ بحلّها » عند ما كان وزيراً للمعارف . فقد بدأ بإدخال اللاتينية واليونانية فى بعض المدارس الثانوية ، وأقرّ تعليم هاتين اللغتين فى الجامعة ــ بالقياس إلى كليتى الآداب والحقوق ــ غير أنه لم يمض زمن طويل على ذلك ، حتى ألغيت اللاتينية واليونانية من المدارس الثانوية ، وقام « صراع عنيف حول إقرار اللاتينية بالقياس إلى كلية الحقوق، وانتهى هذا الصراع بانتصار خصوم اللاتينية ... »

يصف الدكتور طه حسين « الحالة الحاضرة » التى نجمت عن ذلك بأشد أوصاف اللوم وأعنفها ؛ فيبذل فى حديثه كلمات « المضحك ، المخجل ، المخزى ... » ويوصل الأمر إلى درجة استعمال ألذع التعبيرات وأقرصها ، من « الرضاء بالهوان » إلى « الاستخذاء أمام الأوربيين » و « الاطمئنان إلى الخزى المبين » ...

وذلك لأنه يعتقد بضرورة اللاتينية واليونانية للثقافة العالية، ويعبّر عن اعتقاده هذا بكلمات باتّة :

« أنا مؤمن أشد الإيمان وأعمقه وأقواه ، بأن مصر لن تظفر بالتعليم الجامعى الصحيح ، ولن تفلح فى تدبير مرافقها الثقافية العامة ، إلا إذا عنيت بهاتين اللغتين ، لا فى الجامعة وحدها ، بل فى التعليم العام قبل كل شىء » (ص ٢٨١)

لأن « اللاتينية واليونانية أساس من أسس العلم والتخصص » (ص ٢٨٥) فيجب أن تفرضا على « كل من يريد العلم الخالص والتخصص فيه » (ص ٢٧٦) و « لأن التعليم العالى الصحيح لا يستقيم فى بلد من البلاد الراقية إلا إذا اعتمد على اللاتينية واليونانية على أنهما من الوسائل التى لا يمكن إهمالها والاستغناء عنها ... » (ص ٢٩٢)

ولهذا السبب ، يوجه الدكتور إلى معارضيه السؤال التالى ، ويجيب عليه بالملاحظات التى تليه :

« والسؤال الذى يجب أن نلقيه وأن نجيب عنه فى صراحة وإخلاص وفى وضوح وجلاء هو هذا السؤال : أريد أن ننشئ فى مصر بيئة للعلم الخالص تشبه أمثالها فى البيئات العلمية فى أى بلد من البلاد الأوربية الراقية أو المتوسطة أم لا نريد ؟ فإن كانت الثانية فقد خسرت القضية ، وليست مصر فى حاجة إلى يونانية

ولا إلى لاتينية ، وليست مصر فى حاجة إلى الجامعة وإلى كلياتها بل حسبها أن تعود إلى عهدها أيام الاحتلال ، وأن تسير سيرة المستعمرات وتكتفى ببعض المدارس العالية لتخريج من تحتاج إليهم من الموظفين . وإن كانت الأولى فقد ربحت القضية ، ولا بد من العناية بهاتين اللغتين لا فى الجامعة وحدها ، بل فى المدارس العامة أيضاً [1] (٢٨٨)

يظهر من هذه العبارات أن الدكتور يعتبر هاتين اللغتين من لوازم الجامعة الأساسية ، ويدعى أن عدم العناية بهما لا يختلف كثيراً عن طلب إلغاء الجامعة نفسها ، ويرى بأن ذلك لا يجوز إلا إذا طُلب من مصر أن تعود إلى عهدها أيام الاحتلال وأن تسير سيرة المستعمرات ...

وقد يخطر على بال القارئ أن يسأل مستغرباً : إذا كانت المسألة بهذه الدرجة من الوضوح والجلاء فكيف وجدت هذه المقاومة وهذا الازورار فى دوائر المعارف ومحافل المثقفين ؟

إن الدكتور يبدى هذا الاستغراب فيقول : « ومن أغرب الأشياء فى نفسى وأبعدها عن فهمى ألا يفطن لها ولا يهتدى إليها الذين ينهضون بشئون مصر ويقومون على تدبير الأمور فيها ، والذين يشرفون على التعليم فيها بنوع خاص ... » (ص ٢٨١)

يبحث الدكتور — مع هذا — عن أسباب هذه المقاومة عدة مرات ، فيعزوها مرة إلى عوامل عرضية مثل استياء الإنكليز من انتخاب معلمى هاتين اللغتين من الفرنسيين والبلجيكيين (ص ٢٧٥) ، أو كيد أستاذ من أساتذة كلية الحقوق للعميد الأول لكلية الآداب الحكومية (ص ٢٧٩) ، غير أنه يعزوها فى المرة الثانية إلى عوامل أساسية تتلخص ـ من حيث الأساس ـ فى نقص « ثقافة القائمين بشئون التعليم فى مصر » (ص ٢٨١)

يقول المؤلف فى هذا الصدد : « وأكبر الظن أن مصدر هذا إنما هو أن الجيل الحاكم والمرتقى إلى الحكم لا يتقن العلم بالشئون الثقافية فى أوربا ولا يكاد يعرف منها إلا ظواهرها ، وظواهرها الغريبة اليسيرة التى لا يحتاج فهمها ولا العلم بها إلى جهد ولا عناء » (ص ٢٨١)

إذ أن « منهم من تعلم فى المدارس المصرية وانتهى إلى غاية التعليم العالى المصرى أيام الاحتلال ، ثم وقف عند ذلك ولم يتجاوزه فلم يعرف من حقيقة التعليم شيئاً أو لم يكد يعرف منه شيئاً .. » (ص ٢٨١) ومنهم « من اتصل بالجامعات الأوربية قبل أن يتم التعليم العالى فى مصر أو بعد أن أتمه فدرس فيها وظفر ببعض إجازاتها ، ولكنه درس فيها مجلاً وظفر بأيسر إجازاتها وأهونها وانتفع فى هذا كله بنظام المبادلات التى تقره الجامعات الأوربية لتيسر على الأجانب الاختلاف إليها وترغبهم فى الاتصال بها ... » (ص ٢٨٢) ، ولذلك عاد من أوربا دون أن يعرف « من الحياة العقلية الأوربية إلا ظواهرها وأشكالها ... » (ص ٢٨٣)

وإن « بين الذين ذهبوا إلى أوربا وعادوا منها وبين الذين أقاموا فى مصر واتصلوا بأوربا بعض الاتصال ، من ألمّ إلماماً يسيراً بل إلماماً ناقصاً مشوهاً بهذه الخصومة التى قامت فى أوربا منذ أواخر القرن الماضى بين الديمقراطيين والمتطرفين من جهة ، وبين المعتدلين والمحافظين من جهة أخرى حول تعليم اللاتينية واليونانية ... » (٢٨٤) « إنهم فهموا هذه الخصومة على غير وجهها الصحيح ، وظنوا أن التجديد يقتضى بغض هذه الأشياء القديمة » ... « ولم يخطر لهم أن يتعمقوا هذه الخصومة ولا أن يتبينوا موضوعها وغايتها ... » (ص ٢٨٥)

إن المقاومة التى تلقاها اللاتينية واليونانية فى مصر نشأت من هذا النقص الأساسى . فلو خطر لهؤلاء أن يتعمقوا هذه الخصومة لعرفوا أن موضوعها « لم يكن ضرورة هاتين اللغتين للثقافة والحضارة ، وإنما كان ضرورة فرضهما على جميع التلاميذ الذين يختلفون إلى المدارس الثانوية ويتصلون بالتعليم العالى على اختلاف فروعه وألوانه لا سيما بعد أن انتشر التعليم وطمعت فيه

(١) يستعمل الدكتور طه حسين فى الفقرات التى نقلناها آنفا — وفى سائر الأقسام فى كتابه - تعبيرات « التعليم العام والمدرسة العامة » بمعنى « التعليم الثانوى والمدرسة الثانوية » فيخرج « على المعقول والمألوف » فى وقت واحد ، باستعمال هذه التعبيرات — على هذا المنوال — استعمالا مخالفا لمعانيها اللغوية من جهة ولمعانيها الاصطلاحية من جهة أخرى . نظن أن الدكتور — أراد أن يقتدى بالانكليز الذين يسمون نوعا من مدارسهم الثانوية بمثل هذا الاسم Public school غير أننا نود أن نلفت الأنظار إلى أن هـذا الاسم مندمج فى المواريث التاريخية التى لم تعد تنطبق على مسمياتها بوجه من الوجوه . لأنهم كانوا سموا التعليم فى تلك المدارس باسم « التعليم العام » تمييزاً له من « التعليم الخاص » الذى كان يجرى فى بيوت الخواص على أيدى معلمين خاصين ، وذلك قبل أن تتولد فكرة التعليم العام بالمعنى الذى نفهمه الآن

فاذا كانت التقاليد الانكليزية المؤسسة فى هذا الباب ، تحمل القوم على الاستمرار فى استعمال هذا الاسم الموروث من سالف القرون — بالرغم من عدم مطابقته لمسماه الحاضر ، فهل يجوز لنا نحن أن نقتدي بهم فى مثل هذه التسميات الشاذة ؟

الطبقات كلها طبقات الأغنياء والفقراء وأوساط الناس .. » (ص ٢٨٥)

يحاول الدكتور أن يصحح مزاعم هؤلاء فيؤكد أن

«موضوع الخصومة كان فى حقيقة الأمر هذه المسألة : أيجب أن يتهيأ الناس جميعاً للعلم والتخصص ليصبحوا جميعاً قادة للرأى ومديرين للأمور العامة ، أم يجب أن يتهيأ بعضهم لحياة العلم والتخصص ، وأن يتهيأ أكثرهم للحياة العاملة التى تيسر لهم الاضطراب فى طلب الرزق وكسب القوت ؟ فإن تكن الأولى فلا بد من اللاتينية واليونانية لأنهما أساس من أسس العلم والتخصص ؛ وإن تكن الثانية فكثرة الناس محتاجة إلى التعليم الفنى من جهة ، وإلى التعليم العام الحديث الذى يعرض عن اللاتينية واليونانية إلى اللغات الحية والعلوم التجريبية ، بشرط أن تظل اللاتينية واليونانية مفروضتين على كل من يريد العلم الخالص والتخصص فيه . . . » (ص ٢٨٥ — ٢٨٦)

مع هذا ، يلاحظ الدكتور طه حسين ـ فى محل آخر من كلامه ـ أن المقاومة التى تلقاها اللاتينية واليونانية فى مصر ، لا تنحصر فى دوائر المعارف، بل تشمل معاشر المثقفين بأجمعها .. إنه يلاحظ ذلك أيضاً ، ويعلله « بالعادة لا أكثر ولا أقل » إذ يقول : « إنهم لم يتعلموا اللاتينية ولا اليونانية ، ولم يسمعوا بهما أثناء اختلافهم إلى المدارس العامة ؛ وقد رأوا مصر تعيش عيشتها الحديثة من غير هاتين اللغتين ، فلم يترددوا فيما انتهوا إليه من الاقتناع بأن تعليم هاتين اللغتين تزيُّد لا حاجة إليه ولغو لا خير فيه . . . » (ص ٢٩١)

وبعد ذلك ، يكرر المؤلف دعوته إلى العناية بهاتين اللغتين اعتباراً من الدراسة الثانوية ؛ فيقترح تنويع التعليم الثانوى إلى ثلاثة أنواع ، على أن يستند النوع الواحد منها إلى تعليم اللغات القديمة . يفرض فيه « على الطالب درس اللاتينية ولغة أجنبية حية ، ويترك له الخيار بين اللغة اليونانية ولغة أوربية أخرى » ويحتم الانتساب إلى هذا الفرع على « كل من أراد أن يهيئ نفسه بعد الثقافة العامة للدراسات الأدبية المختلفة » بما فيها الفلسفة والتاريخ والجغرافيا . . . (ص ٣٠١)

لا يجهل المؤلف المقاومة التى ستلقاها فكرته هذه من مختلف المحافل والبيئات فيقول : « أنا أسمع فى أثناء إملائى هذه الكلمات صياح الصائحين وأحس هياج المائجين ، وأشعر بما سيثور من سخط ، ولكنى مع ذلك مقتنع بما أقول ، مذعن بصواب ما أدعو إليه ، ملح فى هـذه الدعوة ، غير حافل بالرضا ولا بالسخط ، ولا مُعنى إلا بما أعتقد أنه يحقق المنفعة الثقافية للمصريين. . . » (ص ٣٠٠)

* * *

إن هذه الاقتباسات التفصيلية، التى لخصت فيها آراء الدكتور طه حسين ـ دون أن أبدى شيئاً من موافقتى لها أو اعتراضى عليها ـ تبين بكل وضوح وجلاء أن مسألة « اللاتينية واليونانية فى مصر » تطورت تطوراً غريباً ووصلت إلى طور حادّ يحتاج إلى قرار حاسم

هذه المسألة لم توضع على بساط البحث فى محافل المعارف والتربية فى سائر الأقطار العربية ؛ غير أن إثارتها ومناقشتها فى مصر بهذه الصورة مما يجب أن يحمل المحافل المذكورة أيضاً على التفكير فى أمرها ، لتكوين رأى صريح فيها ، واتخاذ قرار معقول فى شأنها . . .

ولهذا السبب ، رأيت من واجبي أن أتدخل فى هذا البحث الذى يثيره الدكتور فى كتابه ، وأبدى ما لدىّ من الملاحظات حول هذه المسألة . . .

إننى أعتقد أن الطريقة المثلى لحل أمثال هذه المسائل هى :

أولاً : درسها من وجوهها الأوربية البحتة درساً صحيحاً مجرداً عن كل فكرة قبلية مع ملاحظة العوامل التاريخية التى أثرت عليها فى الماضى والمذاهب الفكرية التى تحوم حولها فى الحاضر .. وبعد ذلك الإقدام على التفكير فى المسألة من وجهة أحوال بلادنا وحاجات أمتنا ، مع الاستنارة بالاختبارات التى تكوّنت والآراء التى تبلورت حولها فى أوربا

وإنى عملاً بما تقتضيه هذه الطريقة أبدأ بحثى بإلقاء نظرة إجمالية على تاريخ مسألة تعليم اللاتينية واليونانية فى البلاد الغربية فأقول:

من المعلوم أن اللغة اللاتينية كانت لغة روما فى القرون الأولى غير أنها صارت بعد ذلك لغة الطبقة المدرة والمستنيرة فى جميع أنحاء أوربا الغربية عند ما دخلت تحت حكم روما ، كما أصبحت لغة الدين والصلاة فى تلك البلاد عند ما اعتنقت الديانة المسيحية ؛ وأخيراً صارت من دعائم الكنيسة الكاثوليكية عند ما تكونت

الكنيسة المذكورة وأخذت تبسط سلطتها على جميع الدول والدويلات التى تدين بها . فقد تبنّت الكنيسة اللغة اللاتينية واتخذتها واسطة لضمان وحدتها ، ولذلك عملت على نشرها فى جميع البلاد التى دخلت تحت حوزتها ، حتى بعد تضاؤل سلطة الامبراطورية الرومانية وزوالها بصورة نهائية ...

وأما اليونانية فقد حافظت على كيانها فى معظم البلاد التى انتشرت فيها بالرغم من استيلاء الرومان عليها ، كما أنها أصبحت لغة الدولة بعد انفصال الشرق عن الغرب، وتكوّن الامبراطورية الشرقية مستقلة عن امبراطورية روما الغربية ، كما أصبحت لغة الدين والصلاة فى العالم الأرثوذكسى عند ما اعتنقت الامبراطورية المذكورة الديانة المسيحية ...

بهذه الصورة تقاسمت اللغتان اللاتينية واليونانية السيطرة على الحياة الدينية فى أوربا المسيحية، فأصبحت الطقوس والصلوات المسيحية تحت احتكار اللاتينية فى أوربا الغربية فى جميع البلاد التى اعتنقت المذهب الكاثوليكى ، وتحت احتكار اليونانية فى أوربا الشرقية - فى جميع البلاد التى اعتنقت المذهب الأرثوذكسى - واستمر الحال على هذا المنوال طوال القرون الوسطى حتى حلول عصر النهضة وظهور البروتستانتية ...

وأما الحياة الأدبية العلمية ، فى القرون الوسطى ، فمن المعلوم أنها لم تجد من يزاولها ويهتم بها إلا من بين رجال الدين ؛ فعاشت وترعرعت تحت ظلال الكنائس وفى أروقة الأديرة ، وارتبطت لذلك - هى أيضاً - باللغة اللاتينية . فأصبحت هذه اللغة لغة العلم والأدب فى جميع بلاد الغرب علاوة على كونها لغة الدين والصلاة ...

من المعلوم أن اللاتينية تغلغلت فى بعض البلاد الغربية بين جميع طبقات الناس ، فأصبحت لغة العوام ، وأخذت تتطور من جراء ذلك بصورة تدريجية إلى أن ولدت اللغات التى عرفت فيما بعد بالإيطالية ، والفرنسية ، والأسبانية ، والرومانية . مع هذا ، ظلت اللاتينية الأصلية لغة الدين والصلاة ، ولغة العلم والأدب ، حتى فى تلك البلاد ، وحتى بعد تكون اللغات المذكورة واستقلالها عن دوحتها الأصلية

إن الجامعات الأوربية والمعاهد التعليمية التابعة لها ، أخذت تتأسس - فى القرون الوسطى - فى دور سيطرة اللاتينية على الحياة الفكرية والدينية سيطرة تامة ، ولذلك اعتمدت على اللاتينية كلغة تعليم فى جميع فروعها

فى الواقع كانت الجامعات المذكورة أدخلت فى مناهجها مدة من الزمن تعليم اللغات العربية والعبرية واليونانية أيضاً ... العربية لكونها مصدر العلوم فى تلك القرون ، والعبرية لكونها لغة الكتاب المقدس القديم ، واليونانية لكونها لغة الأناجيل الأصلية ... غير أن العربية والعبرية خرجتا بعد مدة من ميدان مشاركة اللاتينية فى التعليم ؛ وظلت اليونانية اللغة الوحيدة التى تساعد اللاتينية فى مهمتها العلمية والتعليمية ؛ وقد رسخت قدماها فى هذا الميدان - بمرور الزمن ، ولاسيما بعد أن بدأ الاهتمام بخزائنها العلمية والأدبية ...

إن معاهد التعليم الثانوى التي تأسست لتهيئة الطلاب للجامعات تأثرت بهذه الحالة العامة ، فاعتبرت اللاتينية أساس كل شىء ، ولم تشرك بها لغة غير اليونانية فى بادىء الأمر

إن تاريخ التعليم فى فرنسا يقدم تفاصيل وافية عن أحوال تلك المدارس ومناهجها الدراسية وتعليماتها الإدارية . ونفهم من تلك التفاصيل أن المدارس الثانوية فى القرن السادس عشر كانت بمثابة مدارس لاتينية بكل معنى الكلمة : لا يدرس فى سنتيها الأولين شىء غير اللاتينية ؛ ثم يضاف إليها فى السنة الثالثة مبادىء اللغة اليونانية ، وفى السنة الأخيرة بعض المسائل الرياضية . وأما اللغة الفرنسية أو العلوم الأخرى ، فلم تشغل أى حيز كان فى مناهج الدراسة . حتى إن التكلم باللغة المذكورة كان يعتبر من الأمور الممنوعة على المعلمين والطلاب فى خلال الدرس أو بعد الدرس ، فى داخل الصف أو فى خارج الصف ... وهذا المنع كان مؤيداً بعقوبات عديدة وشديدة ...

« يتبع »

أبو خلدون

جناية أحمد أمين
على الأدب العربى
للدكتور زكى مبارك

- ٩ -

كتب إلينا أحد القراء يرجونا أن نترك السخرية من الأستاذ أحمد أمين ونكتفى فى الردّ بشرح ما خَفِى عليه من الحقائق الأدبية ، ويستكثر أن نقول فى السخرية من هذا الصديق :

« إن الأستاذ أحمد أمين لن يفهم الفروق بين دقائق المعانى إلا يوم يعرف أن الأدب لا يكال بمكيال »

ولكن ما الذى نصنع والأستاذ أحمد أمين هو نفسه الذى يثير غضبنا عليه ؟

ألم يحكم بأن الشعر العربى فى جميع عصوره تشابه بحيث لا يمكن تمييز شاعر من شاعر إلا بعد قراءة ترجمته ؟ « ولو تأمل لعرف أن أشعار الشعراء أدل على أصحابها من الترجمات » . وهل يقع هذا الحكم من رجل إلا وهو يعتقد أن الأدب يكال بمكيال؟

إنكم نسيتم أن أحمد أمين أستاذ بكلية الآداب ، وهى فى الصدر بين معاهدنا العالية ، وأساتذة كلية الآداب لا يجوز عليهم الظن بأن الشعر العربى تشابه فى مختلف عصوره وأقطاره تشابهاً يقضى بألا نستطيع التمييز بين ديوان وديوان إلا بعد مراجعة تراجم الشعراء

وعند من نرجو تمييز العصور بعضها من بعض إذا خفى ذلك على أساتذة كلية الآداب ؟

وقد حدثتكم من قبل أن حكم الأستاذ أحمد أمين فى هذه القضية محال فى محال . فما يجوز أبداً أن يخفى على الناقد أن هناك فروقاً كثيرة جدًّا بين العصور الأدبية ؛ ولو شئت لقلت إن الشاعرين قد يعيشان فى عصر واحد ، ومع ذلك يختلفان أشد الاختلاف فى طرائق التعبير وفى عرض المعانى . وهل يتشابه شعر مسلم بن الوليد وشعر أبى نواس وهما متعاصران ؟ هل يتشابه شعر أبى العتاهية وشعر العباس بن الأحنف وقد نشآ فى عصر واحد ؟ هل يتشابه شعر أبى تمام وشعر البحترى وهما من عصر واحد ومن قبيلة واحدة ؟ وهل يتشابه شعر الرضى وشعر مهيار وهما متعاصران وكان بينهما من الصلات ما بين الأستاذ والتلميذ ؟

ومنذ عشرين سنة كان فى مصر ثلاثة من الشعراء قد ائتلفوا فى المشارب والأذواق أشد الائتلاف حتى صح لبعض النقاد أن يسميهم « الثالوث » وهم ابراهيم المازنى وعباس العقاد وعبد الرحمن شكرى ، وكانوا قد كوّنوا جبهة أدبية لنشر لواء الأدب الحديث ، فهل يصح لناقد أن يتوهم أن هؤلاء الشعراء الثلاثة تشابهوا فى الأغراض وفى تأدية المعانى ؟

وكان حافظ وشوقى وصبرى ومطران وعبد المطلب متعاصرين فهل تشابهوا فى الخصائص الشعرية ؟

وما يقال فى الشعر يقال فى النثر ؛ فما يجوز لناقد أن يتوهم أن الصاحب وابن العميد والتوحيدى يكتبون بأسلوب واحد مع أنهم متعاصرون

وما يجوز أن يقال إن المويلحى الصغير يشابه المويلحى الكبير فى ألفاظه ومعانيه مع أن الأول ابنٌ للثانى وعنه أخذ ، وبأدبه تثقف ، وأفاد من صحبته ورعايته ما أفاد

وكان على يوسف ومحمد عبده وفتحى زغلول ومصطفى كامل متعاصرين، فهل يمكن القول بأنهم متشابهون فى الخصائص النثرية؟

وكان محمد الخضرى ومحمد المهدى قد تخرجا فى معهد واحد وصارا فى التدريس زميلين فى مدرسة القضاء الشرعى وفى الجامعة المصرية ، أفيجوز أن يقال إنهما فى التدريس وفى الإنشاء متماثلان ؟

وفى عصرنا كاتبان يحتفلان بالأسلوب أشد الاحتفال وهما: البشرى والزيات، فهل هما متشابهان؟ وقد تأثر عباس حافظ بالسباعى فهل هو صورة من السباعى؟ هيهات، فلكل منهما أسلوب خاص

والأمر كذلك فى سائر الفنون : فقد كان محمد عبد الوهاب من تلاميذ سيد درويش ، وهما مع ذلك متباعدان أشد التباعد فى الاتجاهات الموسيقية والغنائية

فكيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يحكم بأن شعراء العرب على اختلاف عصورهم وأقطارهم قد تشابهوا بحيث لا يمكن تمييز بعضهم من بعض إلا بعد الاطلاع على كتب التراجم ؟

إن هذا لا يقع إلا من ناقد يتوهم أن الأدب يكال بمكيال ولو كان أستاذاً فى كلية الآداب

لو كان أحمد أمين قد عكف على دراسة الأدب منذ فجر حياته العلمية لعرف أن الناقد البصير يدرك جيداً أن الشاعر الواحد له فى حياته الشعرية أساليب مختلفات

ألم تسمعوا أن ديوان ابن الفارض يشتمل على فنون من التعابير

ومن الأغراض بحيث يصح أن يقال هذا شعر الكهولة وذاك شعر الشباب ؟

ألم تسمعوا أن بغداد نقلت شعر ابن الجهم من حال إلى أحوال ؟

ألم تسمعوا أن أشعار المتنبي فى مصر لها ألوان تخالف ألوان شعره فى الشام والعراق ؟

إن صديقنا أحمد أمين يتوهم أن وحدة القوافى والأوزان توجب وحدة المعاني والأغراض ، فهو لذلك يعتقد أن ديوان ابن خفاجة صورة من ديوان ابن زيدون ، ويؤمن بأن شعراء مصر لم يكونوا إلا صورة من شعراء العراق .

ومثله فى ذلك مثل من يظن أن الناس خلقوا جميعاً على طراز واحد ، لأنهم جميعاً لهم وجوه فيها أنوف وجباه وأفواه وعيون ، وآذان . وهذا والله حق : فكل إنسان له عينان وشفتان وأذنان، وهو يمشى على اثنتين لا على أربع ، ولكن هل يمكن القول بأن بنى آدم مع هذا التشابه خلقوا على طراز واحد ؟

كيف يجوز هذا القول والتوأمان قد يختلفان اختلافاً بيِّناً فى معارف الوجوه وفى خصائص الذاتية وفى فهم الأشياء ؟

ما كنت أظن أنى سأحتاج إلى توضيح الواضحات فى الرد على الأستاذ أحمد أمين ، ولكنه قهرنى على سلوك هذا المسلك الشائك لأدفع أوهامه عن أذهان القراء وفيهم من يظن أنه أبعد نظراً من حزام حين يقول فى أدب المعدة وأدب الروح ما يقول

المهم أن يعرف القراء أننا لا نتجنى على الأستاذ أحمد أمين ، وإنما نريد أن يفهموا أن للحقائق الأدبية وجوهاً مختلفة يدركها حق الإدراك من ينظر إليها نظر الفهم والاستقراء . أما الذين يواجهون الأدب بلا تأمل ولا تثبت فقد يخفى عليهم الدقائق الفنية ولا يظهر لأعينهم غير ما يحبون أن يدنوه من الهنوات ليقال إنهم مصلحون لا يهمهم غير التنبيه على العيوب .

وما نقول بأن الأدب العربى كان فى جميع أطواره منزهاً عن الضعف ، وإنما ننكر أن ينظر الرجل إلى الأدب العربى نظرة الاستخفاف ليهون من شأنه بلا بينة ولا برهان

وفى أى عصر يستبيح بعض الناس هذه الألاعيب ؟

فى العصر الذى يريد فيه العرب أن يستوثقوا من أن لهم ذاتية أدبية ليقاوموا طغيان الآداب الأجنبية ، وليقيموا مجدهم الأدبي على أصول ثوابت منَ عظمة أسلافهم فى التاريخ

ولو أن الكلام الذى قاله الأستاذ أحمد أمين وقع من رجل غيره لقلنا إنه يشايع أعداء العروبة والإسلام ، ولكن الأستاذ أحمد أمين بالتأكيد سليم الضمير من هذه الناحية ، فهو لم يخطئ عن عمد ، معاذ الله ، وإنما أخطأ عن جهل ، فكان تنبيهه من أوجب الواجبات . ولعله يراجع نفسه فيعرف أننا لم نقدم إليه غير الجميل

وهل نحتاج إلى إقامة الدليل على حسن النية فيما صنعنا مع هذا الصديق ؟

لقد كان ناس يتوهمون أننا حاربنا الدكتور طه حسين لأغراض شخصية ، وكان الدكتور طه يلوذ بظل هذا التوهم فلم ينبر للرد علينا غير ثلاث مرات ، أو أربع مرات ، بأسلوب واضح صريح؛ ثم شاء له الحذر والاحتراس أن يوهم قراءه وسامعيه بأننا نحاربه لغرض خاص وأنه يرى من العقل ألاَّ يقدم الوقود للأغراض الشخصية . ثم دارت الأيام واعترف الدكتور طه علانية أمام جمهور من أقطاب الرجال بأن زكى مبارك من أصحاب العقائد فى حياته الأدبية ويجب أن ينظر المنصف إلى مصاولاته فى النقد الأدبى بعين الرفق والعطف

فكيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يهرب من الرد علينا بحجة أننا نشتمه ونؤذيه بلا سبب معقول، ثم يكتفى بأن يوجه إلينا أبياتاً فيها لونة جاهلية لا تصدر عن رجل فى مثل آدابه العالية ، وهو يعرف فى سريرة قلبه أننا أصدقاء منذ عهد بعيد ، ويعرف أنى أحفظ له من الود مالا يحفظه إلا الأقلون ؟

وكيف جاز له أن يظن أنى تآمرت مع صاحب « الرسالة » عليه ، مع أن مقالاتى فى الرسالة قد تنتهى بخصومة بينى وبين الزيات ، لأن الزيات سامحه الله قد حذف من مقالاتى فقرات كثيرة رعاية لصديقه العزيز أحمد أمين ؟

أتريدون الحق أيها القراء ؟

الحق أنى أعيش فى غربة موحشة بين إخوان هذا الزمان

فالأستاذ أحمد أمين كان ينتظر أن أمتشق قلمى لتزكية أحكامه الخواطئ على الأدب العربى ، والأستاذ الزيات كان ينتظر أن أردّ على أحمد أمين بأسلوب رقيق شفاف يحاكى نسائم الأصائل والعشيات على ضفاف النيل !

فكيف غاب عن هذين الصديقين أنى رجل له غضبات ؟

كيف غاب عن هذين الصديقين أن الأدب العربى وصل إلى دمى وروحى وأنى أزدرى من يستهينون به أشد الازدراء ؟

إن الأدب العربى هو الصورة الناطقة من ماضي الأمة العربية

وهو فى الواقع أدب أصيل لا يستهين به إلا حاقد أو جهول ، وهو كذلك صورة من العِرض المصون فى عهود التاريخ ، فكيف يجوز أن نسامح من يفترون عليه أقبح الافتراء ولو كانوا من كرام الأصدقاء ؟

الله يشهد أنى متوجع لما صنعت بالأستاذ أحمد أمين ، وهو رجل له ماضٍ فى خدمة الدراسات الإسلامية ، وله مواقف فى مؤازرتى سأذكرها وإن طال الزمان ؛ ولكنه فى الأعوام الأخيرة أصيب بمرض عُضال هو السخرية من ماضى الأمة العربية ، وأُغرم بضرب من الحذلقة لا يقره عليه غير الأصحاب المتلطفين الذين لا يهمهم غير الاقتراب من روحه اللطيف !

والأدب القديم الذى يتنكر له أحمد أمين هو نفسه الأدب الذى لم يستنصر بغيره حين جاز له أن يشتمنا وهو ظلوم

الأدب القديم يقول : « أمر مبكياتك لا أمر مضحكاتك »

فإن توجع هذا الصديق مما أسلفنا فى الهجوم عليه فمن واجبه أن يذكر أننا أدينا لمصر خدمة عظيمة حين واجهناه باللام ، فقد كان من المنتظر أن يشرب الكأس المرة من النقاد فى الشام ولبنان والحجاز والعراق واليمن وتونس والجزائر ومراكش ، وما إلى هؤلاء من الأقطار التى تساير الآداب العربية

قد يقول قائل : وما معنى هذا الكلام ؟ أيكون معناه أنى أشفق على الأستاذ أحمد أمين بعد أن أصليته نار العذاب ؟

هو ذلك ، فما كان أحمد أمين إلا نباتاً مصريًّا وإن عرّض مصر لأشنع ضروب المهلكات

أحمد أمين رجل فاضل وإن تردى فى هاوية المعابة والجهل حين حكم بأن أدباء العرب كانوا أصحاب معدات لا أصحاب أرواح

وما كان لى أن أطيل فى شرح هذه المعانى لولا أن عرفت أن رجالاً لهم أقدار عالية دعونى إلى مسالة هذا الصديق

فليعرفوا – غير مأمورين – أنى لا أهجم عليه إلا ابتغاء وجه الحق ، ولن أتركه فى أمان حتى يعرف أن الأدب العربى أقوى وأعظم من أن يتعرض له باحث بسخرية واستخفاف ، وسوف يرى عواقب ما يصنع إن تغطرس واستطال

***

أما بعد فقد كان موضوع هذا المقال هو النص على خطأ هذا الصديق فى السخرية من الأدب الأندلسى

فهل اتفق لهذا الصديق أن يدرس أدب العرب فى الأندلس ؟

إنى لا أزال أذكر كيف أحرجنى تلاميذى بدار المعلمين العالية فى بغداد، فقد حدثتهم مرة عن قيمة أحمد أمين فانبرى أحدهم يقول: إن أحمد أمين من ذيول المستشرقين . فقلت : وكيف كان ذلك ؟ فقدموا إلىّ مقدمة الجزء الثالث من كتاب ضحى الإسلام وفيها يصرح المؤلف بأن تصميم الكتاب كان يوجب أن يكون له جزء رابع خاص بالأندلس ، ولكن أحد المستشرقين نبهه إلى أن الأندلس فى ذلك العهد لم تكن فيه حياة عقلية تستوجب أن يفرد لها جزء من كتاب، فانصرف عن تأليف ذلك الجزء المنشود!

وفى مساء ذلك اليوم كان عندنا العشماوى بك والدمرداش محمد ، ودار الحديث حول المؤلفين المصريين فانبرى الأستاذ الدمرداش يثنى على الأستاذ أحمد أمين ، فقلت : ولكن أحمد أمين صرح فى مقدمة الجزء الثالث من ضحى الإسلام بكيت وكيت ، فقال : هذا مستحيل، هذا مستحيل. ولولا حضور العشماوى بك لثارت معركة بينى وبين الأستاذ الدمرداش !

والحق كل الحق أن الأستاذ أحمد أمين لا يعرف الأندلس إلا معرفة سطحية . وآية ذلك أن الأدب الأندلسى لم يدرس فى كلية الآداب منذ عشر سنين

فهل نستطيع مرة ثانية أن نتلطف فندعو الأستاذ شفيق غربال إلى إنشاء كرسى للأدب الأندلسى فى كلية الآداب ؟

قد يعتذر العميد الجديد بأن الدكتور طه حسين صرح مرة بأنه لا يجوز لأستاذ أن يتصدر لتدريس الأدب الأندلسى وهو لم يطلع على غير كتاب نفح الطيب

ولكنى أؤكد للأستاذ شفيق غربال بأن مصر لا تخلو من رجال درسوا الأندلس فى المصادر العربية والمصادر الأجنبية ، ولهم قدرة على تجلية ذلك الأدب بأسلوب رائع جذاب ، وهو خليق بأن ينتفع بمواهبهم حين يشاء

وبأى حق تكون كلية الآداب أعظم معهد أدبى فى الشرق إذا عز عليها أن تحيط بتاريخ العرب فى الأندلس من نواحيه الأدبية والفلسفية والتشريعية ؟

وكيف يجوز أن يعجز علماء مصر عما قدر عليه علماء الفرنسيس والإنجليز والأسبان ؟

إن مصر هى بلا جدال أعظم الأمم الإسلامية والعربية فى الشرق . فكيف تعجز عن درس تاريخ العرب والمسلمين فى الغرب ؟ وكيف يصح لأبنائها أن يكونوا عالة على المستشرقين

فى الشئون العربية والإسلامية حتى يجوز لأحد أساتذة كلية الآداب ألا يتقدم فى أبحاثه أو يتأخر إلا بعد أن يظفر من المستشرقين بإذن خاص ؟

قد تقولون : وهل انحصرت التبعات العربية فى كلية الآداب ؟

وأجيب بأن كلية الآداب تأخذ من أموال الدولة أعظم مما تأخذ سائر المعاهد المشغولة بالدراسات الأدبية والفلسفية ، فهى مسئولة عن درس فتوحات العرب والمسلمين فى المشرق والمغرب ، وإليها المرجع فى توجيه الشبان إلى فهم ماضيهم المجيد فى خدمة الحضارة والمدنية ، وإقناعهم بأن أسلافهم سادوا العالم بضعة قرون ، ولذلك تأثير كبير فى خلق الجيل الجديد

فهل يعترف بذلك صديقنا أحمد أمين ؟

وهل تعترف به الجامعة المصرية ؟

لقد قضيتُ نحو خمسة عشر عاماً وأنا أدعو إلى تدريس العلوم باللغة العربية فى كليات الجامعة المصرية ، فكان المتخلفون من أساتذة العلوم يعتلون بأن اللغة العربية تعوزها المصطلحات فى كثير من الشئون ، وظلوا على تهاونهم إلى أن كتب معالى الدكتور هيكل باشا إلى سعادة مدير الجامعة يقول : إنه لا يفهم كيف تعجز اللغة العربية عن تأدية المعانى العلمية . وكانت تلك الإشارة كافية لأن يعرف أساتذة الكليات أن تدريس العلوم باللغة العربية ليس بالمستحيل ، وكانوا يرونه قبل ذلك أبعد من المستحيل !

لقد قضت الجامعة المصرية أعواماً طوالاً وهى تدرّس العلوم باللغات الأجنبية ، ولم تعرف وجه الحق فى إعزاز اللغة القومية إلا بعد أن ينبهها وزير المعارف ، أثابه الله وجزاه خير الجزاء !

فهل يعلم الذين قاوموا هذه الفكرة من قبل أن الجامعة العبرية بالقدس تدرس جميع العلوم باللغة العبرية مع أن لغة بنى إسرائيل ليس لها ماض فى خدمة العلوم ، ومع أن النوابغ من اليهود كانوا يعبرون عن أغراضهم بلغات أجنبية ، ولم يفكروا يوماً فى خلق عصبية للغة العبرية قبل فكرة الصهيونية ؟

اللغة العبرية تصلح لتدريس جميع العلوم وهى فى فقر مُدقع ؛ أما اللغة العربية فتعجز عن تدريس العلوم مع أنها كانت لغة دولية فى مدة دامت نحو خمسة قرون ، ومع أنها استطاعت أن تحفظ الذخائر مما خلّف الفرس واليونان !

صلحت اللغة العبرية لتدريس جميع العلوم لأن اليهود أرادوا أن يخلقوا لأنفسهم ذاتية قومية ، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد بعيد

أما اللغة التى يتكلمها أقوام يشارفون مئة مليون والتى أمدت بحيويتها كثيراً من اللغات الشرقية ، والتى تنزل فى أنفس الملايين منزلة التقديس ، والتى تحتل أقطاراً حملتْ أعباء المدنية فى مختلف عهود التاريخ ، والتى خُدِمتْ خدمةً لم تظهر بمثلها لغة من لغات الشرق أو لغات الغرب ، والتى عجز الدهر عن تبديد ما تملك من ذخائر ونفائس ، والتى سخّر الله لخدمتها مئات من الأجانب فى الجامعات الأوربية والأمريكية

هذه اللغة الفنية ـ لغة العرب ـ هى اللغة التى يقال إنها تعجز عن تأدية الأغراض العلمية ، بفضل حذلقة السادة الأفاضل الذين يرون فى تجريحها باباً من الشهرة والنباهة وبُعد الصيت !

وأعيذ القارئ من الاستهانة بقيمة هذا الاستطراد : فهو متصل بدفع سخرية أحمد أمين من الأدب العربى ، وإنما عِبنا عليه تلك السخرية لأنها من الشواهد على أنه غير موصول الأواصر بذلك الأدب الرفيع . فلو أن أحمد أمين كان تذوّق أدب العرب لأصبح مجنون ليلاه ، ولكنه مرّ به مرور العابرين من أبناء السبيل ، وقديماً قال الحكماء : « من جهل شيئاً عاداه »

وهنا شبهة يجب تبديدها لينتهىَ أحمد أمين . فهذا الرجل ردّ علينا قائلاً: إن الأدب يُخدم بالنقد أكثر مما يُخدم بالتقريظ . وهذا حق ، ولكن هل يدرك المراد من النقد ؟

النقد هو فى الأصل تمييز الزائف من الصحيح فيدخل فيه اللوم ويدخل فيه الثناء ، ولكن أحمد أمين يتوهم أن النقد مقصور على التجريح ، ويرى الكلمة الطيبة باباً من التقريظ ، وهو عنده معيب . ونحن نقول بلا تردد إن الأدب العربى أدب أصيل والزائف منه لا يقام له وزن بجانب الصحيح ، فكيف انحرف بصره عن المحاسن ولم يشهد غير العيوب ؟

وهل فى الأدب حُسنٌ وقبح ؟

الأدب جِدُّه جِدٌّ وهزله جدٌّ ، ولا يعاب عليه إلا ما غلب عليه التكلف والافتعال ، كالذى يقع من بعض الناس حين ينشئون مقالات لم تخفق لها قلوبهم ، وإنما ينشئونها ليقال إنهم خالفوا الجمهور فى كيت وكيت ، أو ليجعلوها وسيلة لاجتلاب مقالات الكتاب بالمجان لتخفف أعباءهم فى تحرير الجرائد والمجلات

ماذا أريد أن أقول ؟

إن الترفق بالأستاذ أحمد أمين يصرفنى عن كلمة الحق ولو رزقنى الله الشجاعة لقلتُ إن هذا الرجل يتجنى على

الأدب العربى لأنه لم يعرفه معرفة صحيحة ، ولو قد عرفه حق معرفته لأدرك أنه خليق بأن تُبذل فى سبيله نفائس الأعمار من أحرار الرجال

لو أن أحمد أمين كان تذوّق الأدب العربى لأيقن أنه خليق بأن يتعصب له الباحثون، فى هذا الأدب نفائس تغفر له جميع الذنوب.

ما رأى أحمد أمين فى كتاب « لسان العرب » ؟ وما رأيه فى كتاب « الأغانى » ؟ وما رأيه فى كتاب « نفح الطيب » ؟ وما رأيه فى كتاب « عيون الأخبار » ؟ وما رأيه فى كتاب « إحياء علوم الدين » ؟

إن كتاباً واحداً من هذه الكتب كافٍ لأن ينتهب حياة طيبة مثل حياة أحمد أمين ، وهو خليق بأن يرفع رأس العرب بين سائر الممالك والشعوب

وما رأى أحمد أمين فى « ألفية ابن مالك » وهى من المنظومات النحوية والصرفية ؟

هل خطر بباله أن هذه المنظومة شغلت مئات من العلماء ؟

وهل مرّ فى خاطره أنها تُرجمت إلى التركية منذ أمد بعيد ؟

وهل يعرف كيف تترجم مثل هذه المنظومة إلى اللغة التركية ؟

وهل يعرف من الذى قرظ ترجمتها من علماء الأزهر الشريف ؟

إن هذا الصديق كان يتوهم أن مصر خلتْ من التبحّرين فى الدراسات الأدبية واللغوية ، وكان ينتظر أن يشطح وينطح بلا رقيب ولا حسيب

وما كان يهمنى أن أصحح ما وقع فيه من أغلاط لو لم يكن أستاذاً بكلية الآداب ، فتلك الكلية هى أول معهد فرضته الأمة على الحكومة ورفعت قواعده بما تملك من أموال وقلوب

وما أنكر أن أحمد أمين رنّ صوته فى كلية الآداب وقد زاملته فيها نحو أربع سنين ، ولكن يعزّ علىّ أن أراه يحبط أعماله بمقالات فطيرة لم تكن ثمرةً لسهر الليل وإقذاء العيون تحت أضواء المصابيح ، وإنما كانت ثمرة لنزوة وقتية أراد بها أن يخلق حركة فى بعض المجلات ، والمجد كالرزق بعضه حرام وبعضه حلال

أنا أريد أن أعرف كيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يحكم بأن أدباء الأندلس لم يحسّوا الطبيعة ، ولذلك حساب سيراه فى المقالات الآتية ؛ ولكنى أرجوه قبل أن أشرع فى هذا البحث أن يدلنى على مراده من التهديد الذى خصنى به فى مجلة الثقافة الغراء!

وإنما أهمنى ذلك لأنى أحب أن أعرف مصيرى بعد أن استبحتُ ما استبحتُ من الحرية فى النقد الأدبى

إن الشاعر الذى استنجد به أحمد أمين يقول :

فقل لزهير إن شتمت سراتنا ... فلسنا بشتامين للمتشتّم

ولا بأس ، فأحمد أمين لا يجازى على الشتم بالشتم ، إن صح أننا شتمناه

ثم يقول ذلك الشاعر الذى استنصر به أحمد أمين :

ولكننا نأبى الظّلام ونعتصى ... بكل رقيق الشفرتين مصمم

أعوذ بالله ! فهل أخشى أن يلقانى أحمد أمين بسيف مصمم رقيق الشفرتين ؟

وكيف وهو الذى هرب منى حين ذهبت أبحث عنه بمشارب الإسكندرية ؟ وكيف يلقانى أحمد أمين بسيف رقيق الشفرتين وهو الذى لم يستطع ملاقاتى إلا بلسان معقول وقلم مفلول ؟

ثم يقول الشاعر الذى استنصر به أحمد أمين :

وتجهل أيدينا ويحلم رأينا ... ونشتم بالأفعال لا بالتكلم

فهل أخشى أن يرمينى هذا الصديق بالحجارة والطوب حين يلقانى فى الإسكندرية أو فى مصر الجديدة ؟

ليتنى أقدر على الجهر بكلمة الحق ! ليت ثم ليت !

فلو كنت شجاعاً لقلت إن أحمد أمين لم يدرك المراد من تلك الأبيات الجاهلية . وكيف أشجُع وأنا مهدَّد بالحجارة والطوب من أحمد بن أمين الجاهلى ؟!

إن الأستاذ عبد الجواد رمضان يقول : إنى لن أموت قريباً لأنى من الأشرار ، وهى تهمة لا أدفعها عن نفسى لأنى أحب أن أعيش ! أفى الحق أنى شِرِّير ؟

أنت يا ربى تعلم كيف خلقتنى ، وكيف سوّيتنى رجلاً لا يغضب إلا فى سبيل الحق ، وقد شاء فريقٌ من عبادك أن يظلمونى، فتجاوز عنهم واعفُ عنى ، فإنك أنت غفّار الذنوب

ولك أن تنتظر ، ياصديقى أحمد أمين ، فسترى فى الأسبوع المقبل كيف ألقاك ، وكيف أحوّلك إلى أديب يعرف كيف تكلم أدباء العرب فى مصر والأندلس والشام والعراق .

وهداية رجل مثلك قد تكون كفّارة عما اقترفت فى حياتى من آثام وذنوب .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » .

« للحديث شجون » 　　　　 زكى مبارك

ذكريات سنى التعليم

الامتحانات والنتائج

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

عند ما يعلل كاتب سوء نتائج الامتحان ينسبه إما إلى ضعف الطلبة وإما إلى المناهج أو نظم الامتحان وإما إلى المدرسين وإما إلى غير ذلك من الأسباب ، ولـكنهم ينسون أموراً هامة قلما يذكرونها فيأتى التعليل ناقصاً . وهذا هو سبب تكرر مأساة سوء النتائج سنة بعد سنة بالرغم من استقرار حالة الطلبة نسبيًّا الآن عما كانت عليه أثناء الإضرابات المستمرة والأزمات السياسية الحادة ، وبالرغم من تخفيف المناهج وتبسيطها ، وبالرغم من تسهيل نظم الامتحان إما بجعل الامتحان فى مواد أقل أو مواد سنين أقل. وقلّ عدد تلاميذ الفصول فى المدارس الأميرية ذات الحجرات الـكبيرة ، وخفض عدد الحصص التى يدرسها الأستاذ المدرس فى مواد المنهج ذاته - وإن كان قد وكل إليه عمل آخر فى النشاط المدرسى - فكان ينبغى أن تتحسن نتيجة الامتحانات تحسناً كبيراً لو كانت هذه الأمور وحدها سبب حسن النتيجة

والحقيقة أن هناك أسباباً لم ينظر إليها . ولم تكن النتائج الحسنة التى حصلنا عليها بسبب إرهاق الطلبة فى العمل ، بل كنا بالعكس نحاول منع الطلبة من إرهاق أنفسهم بالعمل ليلاً ونهاراً فى الشهر الأخير ومنعهم من إتلاف صحتهم من غير فائدة بهذه العادة العقيمة ؛ أما التشدد فى نتائج النقل فلا يعللها أيضاً ، إذ كنا نحصل على مثل هـذه النتائج فى مدارس لم نباشر امتحان النقل فيها أو فى فرق كانت نسب النجاح فى امتحان النقل فيها حسنة مرتفعة . فالتشدد فى امتحان النقل وحده لا يعللها إذاً . ومجهود المدرس أو مادته لا تعلل وحدها حسن النتيجة ، فقد تكون مادة المدرس كأحسن ما تكون المـادة ومجهوده أكبر مجهود ، وتأتى النتيجة سيئة نسبيًّا . وقد شاهدنا ذلك فى نتائج أساتذة من أحسن المدرسين عملاً ومادة ، بينما كانت نتائج مدرسين آخرين فى فصول أخرى هى عماد نتيجة المدرسة الحسنة الطيبة مع أنهم لا يمتازون عن إخوانهم فى المادة ولا فى الشرح والتفسير وإن كان تفسيرهم أقرب إلى المحاضرة منه إلى التدريس ؛ وهذا خطأ

والعامل الأول فى تحسين نتائج الامتحان فى رأيى هو أن يحصى المدرسة التلاميذ الضعاف فى كل فصل بالرجوع إلى درجات امتحان النقل فى كل مادة وأن يوجه إليهم الأستاذ المدرس جهده أثناء التدريس والشرح ، وفى الاختبارات الشفوية فى أول كل حصة وفى توزيع الأسئلة أثناء خطوات التدريس للتأكد من التفاتهم وفهمهم ومذاكرتهم وبالاختصار يكون أكثر التدريس للضعاف أثناء الحصص . قد يقال إن الطالب الذكى المجتهد أولى بالرعاية والتشجيع كى يزيد علماً وثقافة . وهذه فكرة مخطئة إذ أن المدرس غير مطالب بتخريج نوابغ قليلين ، وأكثر النوابغ يستطيعون النبوغ بقليل من التفات المدرس وعنايته ولكنه مطالب برفع مستوى الضعاف ومن أجلهم أنشئت المدارس لأن حاجتهم إلى المرشد أعظم من حاجة النوابغ ، ولا يصح أن يستزيد الطالب النابغة من العلم على حساب إخوانه الضعفاء أو الأقل ذكاء ، ويستطيع الأستاذ إذا سبق النوابغ إخوانهم فى الفهم والاستيعاب أن يعطيهم عملاً خاصاً فى أثناء الحصة أو خارجها إذا خشى الملل من جانبهم ، إذا سار على قدر فهم الضعفاء واستيعابهم ، ويستطيع أن يبادر الأذكياء من حين لآخر بالسؤال للتأكد من أن سيره مع الضعفاء لم يثبط همة الأذكياء ولم يصرفهم عن الدرس ولا سيما الأذكياء الذين يعتمدون على ذكائهم فى التحصيل فى الشهر الأخير من العام الدراسى ، على أن تتبع الأستاذ للخطأ والصعوبة فى أذهان الضعفاء مما يزيد النابغة معرفة لمـا يواجه الذهن الإنسانى من الخطأ والصعوبة وإن كانت الصعوبة فى ذهنه أقل ، إذ لا شك فى أن بعض الأذكياء قد يكتفون بنصف فهم بينما لا يدّعى الضعيف الفهم إذا لم يستكمله إلا حياء وخجلاً من الظهور بمظهر ربما ظُنّ غباوة يضحك منها إخوانه الأذكياء وهو أمر ينبغى ألا يُسمح به .

ولا فائدة مطلقاً من تقديم الأستاذ المدرس تقارير لناظر المدرسة يومية أو أسبوعية عن المقصرين فى الاستذكار إلا إذا عمل على اتباع هذه الطريقة اتباعاً تاماً دائماً أى طريقة مناقشة الضعفاء أثناء الشرح للتأكد من التفاتهم ومتابعتهم إياه وفهمهم . وإذا كان فى التدريس

بطء بسبب هذه الطريقة استطاع الأستاذ أن يتلافى هذا البطء بوسائل أخرى، ويحسن بالوزارة أن تشجعه بوسائل العطف والقدر والمكافأة بهما إذا اضطرته هذه الخطة إلى الزيادة فى عمله إلى تضحية وقته الخاص

أما العامل الثانى فى تحسين النتائج فهو أن يتعرف الأستاذ أماكن الصعوبة فى المنهج ذاته والأغلاط والأخطاء الشائعة بين الطلبة عموماً سواء أكان الخطأ فى اللغات أو فى المواد الأخرى وأن يخصها بشرح أوفى وتمارين أكثر وأن يعاود الرجوع إليها حتى يقتلعها من أذهان الطلبة اقتلاعاً ليس أساسه القهر وإنما أساسه الفهم . وكنا نحصى الأغلاط الشائعة بين الطلبة المصريين فى اللغة الإنجليزية ونطبعها لهم ونعمل على استئصالها . فالعامل الأول هو التوجه بالتدريس إلى الضعفاء والسير معهم والعامل الثانى إحصاء الأغلاط الشائعة وأوجه الصعوبة وتلافيها

أما العامل الثالث فهو أن الطلبة يؤجلون الاستذكار إلى آخر السنة وقد لا يكون التأجيل ناشئاً عن الكسل والبلادة بل قد يكون عن حسن نية لأن سبب هذا التأجيل فكرة سيكولوجية مخطئة فهم يحسبون أنهم إذا استذكروا شيئاً فى أول السنة ثم نسوه لم يستفيدوا من ذلك الاستذكار بسبب النسيان ، وقليل من علم النفس يبرهن على خطأ هذه الفكرة إذ أنه يثبت أن صورة الأمر المنسى راسبة فى أعماق الذهن والوعى الباطن وأنه لا يسهل استخراج المعقولات من أعماق الذهن عند مايشاء صاحبه تذكرها فى أى وقت إلا إذا انطبعت الصورة فى الذهن مرة بعد أخرى وفى كل مرة يعقب الاستذكار النسيان حتى يأتى على صاحب الذهن وقت لا ينسى بعد الحفظ ، ولو فهم الطلبة هذه الحقيقة النفسية لاستطاعوا أن يفهموا السبب فى أن الواحد منهم قد يجيد مذاكرة الدروس فى الشهر الأخير من السنة فقط حتى إذا سألته فيها أجاب إجابة جيدة فإذا دخل الامتحان نسيها ولم يستطع الإجابة فإذا رسب أقسم أنه استذكرها جيداً وأنه سيئ الحظ. نعم إنه استذكرها جيداً قبيل الامتحان ولكن ينبغى أن يفهم أن محاولته تجنب النسيان فى أثناء السنة بتجنب المذاكرة طول السنة هو الذى يوقعه فى النسيان أثناء الامتحان مهما أجاد المذاكرة آخر السنة ، وأن نسيانه أثناء الامتحان بعض المعقولات أو كلها أكبر دليل على انطباع المعقولات فى الذهن انطباعاً لا تُنْسى معه عند الحاجة يستلزم طبع صورتها فى الذهن مرة بعد أخرى فى أوقات مختلفة . ومن الصعب أن يدرك الطلبة هذه الحقيقة كل الإدراك أو إذا أدركوها صعب عليهم التخلص من عادة تأجيل المذاكرة للشهر الأخير اعتماداً على احتمال النجاح بالرغم من هذا القانون السيكولوجى . وهذا مع أن إرهاق أنفسهم بالمذاكرة ليلاً ونهاراً فى الشهر الأخير يتلف صحتهم وإذا تلفت الصحة تأثر العقل ولو تأثرا مؤقتاً وصار أقل استعداداً للإجابة أثناء الامتحان . وحسن نتيجة المدرسة فى الامتحان يتوقف على الوسائل التى تتخذها لمنع تأجيل الاستيعاب إلى الشهر الأخير

والأساتذة المدرسون يجدون مقاومة كبيرة فى حمل الطلبة على الاستذكار من أول السنة، كما يجدون مقاومة إذا اتبعوا عامل النجاح الأول والتفتوا للطلبة الضعاف فى كل حصة ، فى الحالة الأولى يعد الطلبة مطالبتهم بالاستيعاب والمذاكرة من أول السنة تعنتاً وظلماً ومطالبة بعمل ضائع لا محالة فى نظرهم لأن نسيانهم محقق بعد أول استذكار، وقد يكرهون المدرس أو الناظر إذا حاول حملهم على خطة العمل من أول السنة ويعدون خطته ووسائله فى حملهم تقصداً ومضايقة لا مبرر لهما وشدة غير معقولة . وفى حالة الالتفات للطلبة الضعاف فى كل حصة يعد الطلبة الضعاف هذا الالتفات الدائم إليهم تقصداً مكروهاً ومضايقة وإهانة لظهور عجزهم أمام إخوانهم

والآباء وأولياء أمور الطلبة لا يدركون مقدار ما يلاقيه الناظر وما يلاقيه المدرسون من عناء للتغلب على ميول الطلبة وأفكارهم المخطئة من الوجهة السيكولوجية أى اعتقادهم أن العمل من أول السنة عمل ضائع لأنه يؤدى إلى النسيان واعتقاد الضعاف فى المواد أن الالتفات لهم فى كل حصة تقصد يراد به إهانتهم. وهذا هو السبب فى أن أولياء أمور الطلبة قد يشكُّون فى نية الناظر أو المدرس أو على الأقل لا يحاولون معاونتهم فترى أحياناً أحد الآباء يقول إن الناظر أو المدرس يتقصد ابنى، وقد يبلغ هذا الأمر حالة يشارك الأب فيها ابنه فى كره الناظر أو المدرس . وهذه المقاومة من الآباء والأبناء تشتد إذا كانت هناك عوامل خارجية أو داخلية فى المدرسة تزيد سوء الفهم وتشجع الطلبة أو أولياء أمورهم على كره الوسائل التى

يتخذها الناظر أو المدرس ومماذاتهما . وهي على أي حال مقاومة كبيرة، وتزيد إذا اضطر الناظر إلى رفض طالب أو إذا طلب المدرس من الناظر رفض طالب رفضاً مؤقتاً لأن بعض الطلبة قد يحرج المدرس إحراجاً كبيراً إذا حاول اتباع هذه الخطط والعوامل التي شرحناها. وينسى بعض آباء الطلبة أن حضور الطالب طول العام من غير رفض أيام قد يجعله حاضراً كغائب ولا ينتفع بحضوره وأن تضحية أيام في الرفض قد يزيد ذهنه واستعداده حضوراً في الأيام الأخرى . ومن أجل هذه المقاومة قد يزهد الناظر أو المدرس في اتباع هذه الخطط التي شرحناها رغبة في تسهيل سير الأمور ومنعاً للمشكلات، أو إذا اتبعت هذه الخطط قد تتبع اتباعاً محدوداً حسب الظروف وبقدر الاستطاعة . وهذا يقلل بلا شك من حسن نتيجة الامتحان. والمدرسة معذورة ما دامت هذه المقاومة موجودة ولا يستفيد الناظر ولا المدرس من اتباع خطط قد تجلب له عداوة شديدة وأحقاداً ربما تخطت منطقة المدرسة إلى الوزارة نفسها. والوزارة أيضاً لها بعض العذر فإنها إذا ناصرت الناظر سنة قد لا تستطيع مناصرته دائماً . فالكاتب الذي يكتب في الجرائد ويطلب نتائج حسنة ينبغي أن يدرك المقاومة التي تمنع من الحصول على نتائج حسنة

بقي أن نفند بعض الأخطاء الشائعة في التعليم والتي قد تؤدي إلى رسوب الطلبة ؛ فمن هذه الأخطاء مغالاة بعض أساتذة اللغة الفرنسية في نظرية الشرح باللغة الفرنسية وحدها للطلبة المبتدئين الذين قد يستمرون أشهراً غير فاهمين لأن التفسير يحتاج إلى تفسير. نعم إنه مبدأ حميد على شرط أن يكون الشرح مفهوماً، أما إذا كان التفسير الفرنسي مجهول الكلمات غير مفهوم فالواجب استخدام أية وسيلة لإفهام الطلبة سواء أكانت بالإشارة إلى الأشياء أو في المعقولات غير المادية باستعمال اللغة الانجليزية أو العربية . ومن الخطأ في تدريس اللغة الإنجليزية أن يقال للطالب هذا خطأ وصوابه كذا، ويكتفي بذلك، فهذه طريقة التدريس للشبان الإنجليز الذين يسمعون الصواب كثيراً . فلا بد من أن يكون الأستاذ مدرس اللغة الإنجليزية خبيراً بفقه اللغة وقواعدها ، ولا حرج عليه مطلقاً في شرح القاعدة أو الاصطلاح إلا إذا كان الاصطلاح غير مبني على قاعدة ، ولكن أكثر أخطاء الطلبة المصريين في اللغة الإنجليزية ترجع إما إلى الخطأ في قواعد اللغة ، وإما إلى احتذاء الأساليب العربية ، وقواعد اللغة العربية ، وهذه الأخطاء يمكن شرح سبب وقوع الطالب في الخطأ فيها ، ومثل ذلك أن الصفة تجمع في اللغة العربية ، ولا تجمع في اللغة الإنجليزية ؛ فإذا فهم الطالب القاعدة وسبب الخطأ أمكن تجنبه . أما أن يقال له لا تقل كذا بل قل كيت وكيت لأن الأول خطأ فهذا شبيه في تدريس حل أسئلة الرياضة والعلوم بقول الأستاذ هذا الحل خطأ من غير تفسير سبب الخطأ ، وهو تفسير يجب أن يتعهد به كل طالب في كل سؤال أو تمرين وإلا بقي الخطأ في ذهنه بالرغم من معرفة حل الأستاذ للمسألة . وهذا التعهد ببيان سبب الخطأ في كل تمرين يحتاج إلى وقت ولكنه السبيل الوحيد للنجاح . وقد رأيت بعض الأساتذة الانجليز يفضلون محاولة الطالب الأسلوب الأدبي العالي في الإنشاء بالرغم من تخلل الأغلاط الأولية له ؛ وهذا يرجع إلى عدم التوطئة للأسلوب الادبي بشرح الأغلاط الاولية الشائعة واستئصالها بكل وسيلة لأنها تعطي فكرة سيئة عن الطالب تؤدي إلى رسوبه في الامتحان مهما حاول المصحح إنصافه في استعماله بعض الجمل العالية .

عبد الرحمن شكري

من كتاب الدين الاسلامي

مقدمة لبحث الايمان

للأستاذ على الطنطاوى

معناه اللغوى

إذا قال لك قائل إن جزء الشيء يساوى مجموعه، أنكرت ذلك عليه وكذبته فيه لأنك (تؤمن) بأن الجزء أصغر من الكل ، وتقطع بذلك قطعاً ، ولا ترى عنه معدلاً . وإذا وجدت من يبذل دمه فى سبيل وطنه ، ويفديه بنفسه وماله ، ويحرص على خدمته قلت إنه من ذوى (الإيمان) الوطنى ، وإذ ألفيت المحبّ المولّه ، يعصى العذول ويعرض عن الناصح ، وصفت حبه بالإيمان وعبرت عنه ، كما يقول التراجمة الناقلون، بالعبادة . فقلت : إنه يعبد حبيبته

هــذا كله من مظاهر (الإيمان) — والإيمان — بهذا المعنى — هو العقيدة الثابتة فى النفس ، أو العاطفة القوية الراسخة التى لا تتبدل ولا تتزعزع ولا يحتاج إلى التدليل عليها ، لأنها من (البديهيات) بالنسبة لصاحبها المؤمن بها

فالإيمان (فى اللغة) التصديق وفعله آمن وأصلها أأمن بهمزتين ليّنت الثانية

أنواع الايمان

يتضح لك مما مثلنا أن للإيمان نوعين: فإيمانك بأن الرغيف أكبر من نصفه ، وأن الواحد ثلث الثلاثة (إيمان عقلى) لا أثر لك فيه ولا عمل، وإنما هو من الفطرة التى فطر الله الناس عليها. أما (الإيمان الوطنى) أو (الإيمان بالحبيبة) بالنسبة للعاشق المتيم فهو (إيمان قلبى) ، لا دخل للعقل فيه ، وهو فردى شخصى يختلف عن (الإيمان العقلى) الذى يتصف بكونه عاماً شاملاً العقلاء جميعاً . وهذا التقسيم جديد استنبطته من الأمثلة المختلفة للإيمان ورأيت فيه نفعاً ، لأنه يثبت جنس الإيمان ، ولأنه بعد ذلك يساعد على تحديد البحث . أما الإيمان بأصول الدين ، فهو من نوع الإيمان القلبى ، ولكن للعقل دخلاً فيه من حيث إنه يقبل مبدأه ويقر نتائجه ، ولا يناقضه وإن كان لا يفهمه تماماً . وبيان هذه المسألة المهمة أن العقل (يؤمن) بادئ الرأى بوجود الله ، وبأنه عادل ، ولا يناقض نتائج الإيمان بالقدر إجمالاً ولكنه لا يستطيع أن يفهمها ولا أن يعلّلها، ومنشأ ذلك أن العقل مقيد فى أحكامه بالحواس والخيال والاختبارات السابقة ، لا يستطيع أن يتخلى عنها ، أو يخرج عليها . فهو يحكم على عدل الله بما يعرف من حدود (العدل البشرى)، وما لديه من الاختبارات. فيقع فى الخطأ لاختلاف فكرة العدل البشرية النسبية ، عن فكرة العدل الإلهية المطلقة .

فالعقل إذن لا يستطيع أن ينقض نتائج الإيمان ولكنه لا يؤمن تماماً ، وإنما الذى يؤمن هو القلب

الايمان فى الدين الاسلامى

عرفنا معنى الإيمان فى اللغة . أما معناه فى الدين فهو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر (وسيأتى الكلام على ذلك كله إن شاء الله) فمن صدق بها تصديقاً جازماً فهو المؤمن حقاً . وقد جعل الله هذا التصديق أصل الدين وأساسه ، وأقام الأدلة على هذه المسائل ، وخاطب بها العقل ، لكن الذى أفهمه أن العقل يقبل مبدأ الإيمان إجمالاً ، ثم يدع دقائقه للقلب ، أى أنه كالملك فى الدولة يوقع على المرسوم ولكنه يدع لغيره من الموظفين فهمه وتطبيقه ومراعاته دائماً . فالعقل يؤمن بأن الله موجود ، وأن القرآن كتابه الذى أنزله ، وأن محمداً نبيه الذى لا ينطق عن الهوى. ثم يقف ويدع للقلب (الإيمان) بكل ما جاء فى الكتاب ، وما نطق به الرسول والاطمئنان إليه والتصديق به وقبوله بلا أدنى شك ولا ريبة ... وليس فى أصول الإسلام ما يرفضه العقل ، أو يتعذر عليه قبوله لمخالفته لبديهياته الثابتة ، أو أحكامه الصحيحة ، وهذه هى ميزة الدين الإسلامى عن كل دين

العلاقة بين الايمان والاسلام

الإسلام هو (إظهار) الإيمان ، والتعبير عنه (عملياً) بالنطق بالشهادة عليه ، والقيام بالعبادات التى تنشأ عنه . وهو الأساس الذى يبنى عليه تقسيم الناس إلى متبع ومخالف ، وما يتفرع عن هذا التقسيم من أحكام مدنية وحقوقية ، لأن الناس لهم (الظواهر) ولا يستطيعون أن يشقوا عن قلوب الناس ويعرفوا سرائرهم. وهذا معنى ما جاء فى الحديث القائل (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله. فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)(١)

(١) قال السيوطى : حديث متواتر ، وهو (كما قال المناوى) أصل من أصول الاسلام وقاعدة من قواعده

فإن نطق الشهادة ، وأدى الفرائض ولكنه غير (مصدق) بها ، ولا (معتقد) وجوبها ، ولا يفهم إلا جسمها دون روحها ، وشكلها دون معناها ، فهو (غير مؤمن) وهو ما كان عليه بعض الأعراب الذين قال الله عز وجل فيهم: (قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا)

وإن (أظهر) الطاعة عن تصديق وجزم ، وأدى الصلاة معتقداً بوجوبها مراقباً الله فيها ، فهو المؤمن المسلم . نقل فى اللسان عن ثعلب اللغوى قال: المؤمن بالقلب والمسلم باللسان (أى وبالجوارح) وقال الزجاج : صفة المؤمن أن يكون راجياً ثوابه خاشياً عقابه

وقال الزمخشرى فى الكشاف، فى المسلم الكامل : (هو من اعتقد الحق وأعرب عنه بلسانه وصدقه بعمله. فمن أخل بالاعتقاد، وإن شهد وعمل فهو منافق. ومن أخل بالشهادة فهو كافر . ومن أخل بالعمل أى بالعبادة من صلاة وصيام وحج فهو فاسق)

الإيمان ضرورى ومفيد

بدا لك مما تقدم ذكره أن الإيمان ضرورى لا يستطيع إنسان أن يعيش بدونه ، وأن المرء إن زعم أنه لا يؤمن بأصول الدين لم يكن له بدّ من الإيمان بمبادىء عقلية ، ومبادىء اجتماعية ، وأخلاقية ، ولا منجى له من الحب ــ والحب والإيمان من طبيعة واحدة فى الأصل ــ فليس فى الدنيا إذن إنسان إلا وهو (مؤمن) لأن (الإيمان) شيء مستقر فى طبيعة البشر ، ومن آمن بهذه الحقائق الصغيرة ، أو الأباطيل التى يتوهمها حقائق، كما يتوهم المحب العاشق ، لم يستطع الكفر بالحقيقة الكبرى ، وهى وجود الله .

وسنرى بعد أن وجود الله بديهية عقلية ، وأن التأليه والتطلع إلى المجهول ، والبحث عن الخالد الباقى ، من الفطر الإنسانية .

ثم إن من مصلحة الإنسان أن يكون مؤمناً بالله ، لأن الحياة مملوءة بالآلام ، فياضة بالمكاره ، فإذا لم يكن للمرء وَزَرٌ من إيمانه يلجأ إليه كلما حاقت به الشدائد ، أو انتابته الأمراض ، كانت حياته جحيماً محرقاً لا يحتمل ، وربما أدت به إلى الانتحار كما يفعل الجاهلون ، فلا سعادة إذن إلا بالإيمان ولا أنس بالحياة إلا معه .

ومن مصلحة المجتمع أيضاً أن يكون الناس مؤمنين ، لأن القوانين والقوى التى تؤيدها ، والعقوبات التى تحميها ، كل ذلك لا يؤدى إلى إنشاء مجتمع خيّر صالح إذا نقصه الإيمان . وكيف لعمرى يصلح الرجل ويستقيم ، وهو لا يجتنب السرقة إلا خوفاً من الشرطى وهرباً من العقاب . فإذا أمن الشرطى ونجا من العقاب سرق وقتل وفعل الأفاعيل . فإذا كان (مؤمناً) بالله يخشى عقوبته ، (مؤمناً) بمبادىء الأخلاق التى أمر بها الله ووعد بالثواب عليها استقام دائماً ، لأن الله مطلع عليه مراقب له دائماً . وشىء آخر هو أن الدافع إلى كل ما يفعله الإنسان المنفعة أو اللذة؛ فالمؤمن يعمل الصالحات ولو لم يره أحد ولو لم يعلم به أو يشكره لاعتقاده أن الله يثيبه ويعطيه ، فلماذا يعمل الصالحات غير المؤمن إذا لم يكن من يراه أو يشكره أو يذيع فضله أو يجزيه بعمله خيراً ؟

الإيمان الكامل

والمؤمن الكامل الإيمان هو الذى يتصور فى كل لحظة أنه بِسَمْعِ الله وبصره وأن الله مطلع عليه ناظر إليه ، فإذا لم يمنعه من المعصية خوف الله منعه الحياء منه ، ولذلك جاء فى الحديث « إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلّة، فإذا أقلع (أى تاب توبة صحيحة) رجع إليه[1] » فلا يستطيع الزانى أن يزنى وهو مؤمن إيماناً حقاً ، ومتصور أن الله ناظر إليه . بل هو لا يستطيع أن يزنى إذا كان أبوه أو أستاذه يراه ويشرف عليه ، فالإيمان إذا كان على هذه الصورة يمنع صاحبه من كل فاحشة ، ويصرفه عن كل ذنب .

الصالحات بلا إيمان

فإذا عمل الرجل من الصالحات وهو غير مؤمن لم يكن له ثواب فى الآخرة . وقد يبدو ذلك غريباً لأول وهلة ولكنه نهاية العدل من الله . وهل فى العدل أكبر من أن تعطى المحسن المصلح كل ما يطلب . فإذا كان يقصد ثواب الآخرة ، وكان (مؤمناً) بها أعطاه الله ما يطلب ، وإن لم يطلب إلا الشهرة فى الناس وخلود الذكر فيهم ، أعطى الشهرة والخلود ، ولم يكن له فى الآخرة شىء (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)

هذه مقدمة موجزة جداً لبحث الإيمان سيعقبها فصل فى الإيمان بالله للأستاذ العلامة الشيخ محمد بهجة البيطار ينشر فى العدد الآتى .

على الطنطاوى

(١) حديث صحيح

خليـــل مردم بك

وكتابه فى الشاعر الفرزدق

لأستاذ جليـل

من القضاء الغريب بين الفرزدق وجرير ما رواه الأستاذ المردى عن الأغانى : « تنازع فى جرير والفرزدق رجلان من عسكر المهلب . فارتفعا إليه وسألاه ، فقال : لا أقول بينهما شيئاً ثم دلهما على الخوارج . فلما تواقف الجيشان بدر أحد المتنازعين من الصف إلى عبيدة بن هلال اليشكرى الخارجى فسأله عنهما ففضل جريراً : قال من الذى يقول :

وطوى الطراد مع القياد بطونها   طى التجار بحضرموت برودا[(١)]

فقال : جرير . قال : هذا أشعر الرجلين »

فالذى يلوح لنا فى هذه الحكومة أن الخارجى رأى بيت جرير أمير شعره وأن ليس للفرزدق شبهه فقضى له ، أو أن من يقرض مثل هذا البيت حقيق بالتقديم (ونذر فى هذا المقام البحث عن قيمة هذا البيت وخطره) أو أن عبيدة التفت إلى الديانة ففضل التقى على من فجر

وإن تفضيل قائل على قائل لمعنى من المعانى المذكورة لهو الحيف المحض ، وخروج على سلطان الحق ، ألا (لاحكم إلا لله) ولا قضاء مقبول إلا من مقسط ذى نصفة

ولولا أن يغضب أو أن يشرى[(٢)] صاحبنا الأستاذ أبو إسحق أطفيش نزيل القاهرة ومن علماء إخواننا الأباضية وفضلائهم — لشننا على (الشراة[(٣)]) غارات ، وفندنا (مقالاتهم) الخارجية بمقالات فى (الرسالة الغراء) متلاحقات ...

وممن عادل الخارجىّ فى جنفه فى حكمه ، بل أربى على جميع

(١) يصف خيلا

(٢) يشرى : يشتد غضبه ، وفى الصحاح : شرى فلان غضبا إذا استطار غضباً

(٣) الشراة الخوارج ، سموا أنفسهم شراة لأنهم أرادوا أنهم باعوا أنفسهم لله ، والواحد شار ، والشارى ـ بتشديد الياء ـ ليست الياء للنسب وإنما هو صفة الحق به ياء النسب تأكيداً للصفة . وأشرى وتشرى صار كالشراة فى فعلهم (اللسان التاج) ومن قول أحد الشراة وكان ينشده يوم المصاف :

أنا الوليد بن طريف الشارى   قسورة لا يصطلى بنارى
جوركم أخرجنى من دارى

الجوَرة فى القضايا الأدبيــة الحسن بن بشر الآمدى صاحب (الموازنة بين أبى تمام والبحترى) فقد ظهر فى كتابه (أجور من قاضى سذوم[(١)]) وأرانا كيف يكون الظلم العبقرى « استمان الرجل بالله — كما قال — على مجاهدة النفس ومجاهدة الهوى وترك التحامل » وأقبل يوازن ، فماذا صنع ؟

يأخذ بيتاً للحبيب قال فى معناه الوليد وينصب ميزانه ، وهواه الوازن ولأبى تمام أبيات عبقريات ، كل بيت منها بديوان ، وله قصائد باهرات مدهشات

هذه لا توضع فى الميزان ، وقد كان قال : « أنا لست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكنى أقارن بين قصيدتين من شعرهما فأقول أيهما أشعر فى تلك القصيدة ثم احكم أنت » . ولكنه لم يفعل ذلك واجتزأ بإيراد أبيات لكل من الطائيين وجعل يلغو لغوه[(٢)]

وإذا قال أبو تمام :

إن لله فى العبـــاد منايا   سلطها على القلوب العيون

وقال البحترى :

قال بطلاً وأفال الرأى من   لم يقل إن المنايا فى الحدق

فهنا يتوارى الوازن والموازنة ويرفع الميزان . وبيت الوليد شرح طويل ، مَطمَطة[(٣)] ...

وقد كان ابن الأثير أنصف[(٤)] من الآمدى حين قضى بين حبيب والمتنبى فى رثاء ولدين صغيرين لعبد الله بن طاهر ، وطفل لسيف الدولة ؛ وبين البحترى وأبى الطيب فى وصف الأسد . وقد شأى الكندى الطائيين فى الرثاء والوصف

وإنى لموقن أن الآمدى فارق الدنيا ولم يعرف أبا تمام وعبقريته . وممن علم ذلك وأعلن فضل ابن أوس — أبو بكر بن يحيي الصولى صاحب كتاب (أخبار أبى تمام) الذى أفضل على العربية بنشره الفضلاء : خليل محمود عساكر ، محمد عبده عزام ، نظير الإسلام الهندى — بارك الله فى الهند — وقد أعطى الكتاب بعض حقه فى مقالة فى الجزء (٢٢٥) من (الرسالة) . وكانت مجلة (المقتطف) ذكرت كتاب الصولى ، وحافت على حبيب فردُّ عليها ولمت

(١) سذوم بالقال ، قال الطبرى : هو ملك من بقايا اليونانية غشوم كان بمدينة سرمين من أرض قنسرين (الميدانى)

(٢) لغا بكذا يلغو لغواً : لفظ به وتكلم

(٣) المطمطة مد الكلام وتطويله كما فى المخصص والتاج

(٤) قال ابن الحريرى قولهم : (فلان أنصف من فلان) خطأ ، وقد قالته العربيــة : « وإذا هجم السماع هرب القياس » راجع شرح الدرة الصفحة (١٥٨)

فى مقالة فى الجزء (٢٣٥) من (الرسالة) وأغلب الظن أن الكاتب فى المقتطف ما قرأ كتاب الصولى فيعرف ذلك الشاعر العظيم، فقال على المُخيَّل أو على ما خيلت كما يقولون.

***

ألا إنّ الشعر لأكثرُ مما يرى ذاك الخارجى وهذا الآمدى وأعظم؛ وإن فضيلة الفرزدق فيما يبينه أديبنا الكبير الأستاذ الردمىّ فى كتابه:

« لا تجد شعراً أكثر تأثراً بالإسلام، والعصبية العربية، ولا أصح لغة، ولا أجزل أسلوباً، ولا أجمع لشوارد العربية وفصَحها، وأخبار العرب وأيامهم — من شعر الفرزدق»

« والفرزدق على جفاء طبعه له مخيلة تفيض بالحياة، ومحسن الابتكار والابتداع ووضع الأقاصيص بأسلوب حسن[(١)] »

« والفرزدق على أميته واسع الرواية كثير المحفوظ، ولم يقف عند حفظ أشعار العرب وأخبارهم بل حفظ القرآن، وروى الحديث النبوى. قال صاحب خزانة الأدب (البغدادى): (روى الفرزدق عن على عليه السلام وعن غيره من الصحابة). وقال صاحب النجوم الزاهرة: (روى الفرزدق عن علىّ بن أبى طالب وغيره وكان يرسل[(٢)]، وروى عن أبى هريرة وعن جماعة) فثقافته أعلى ثقافة يبلغها شاعر فى ذاك العصر »

« ويجمع الفرزدق إلى خصب المخيلة وسعة الرواية كثرة النواحى، فشعره سجل حياته ومرآة عصره »

« ونفس الفرزدق طويل، وقصائده التى تزيد أبياتها على المئة كثيرة، وله القصائد القصار، وهو فى كلا القسمين لا يسف ولا ينزل عن طبقته »

« وقد استقام للفرزدق من الأبيات الجامعة بين شرف المعنى وشرف اللفظ مالم يستقم لغيره، فهو أكثر الشعراء الإسلاميين بيتاً مُقلَّداً[(٣)] »

(١) راجع الصفحة (٥٤) من كتاب الأستاذ للوقوف على بعض الأقاصيص التى وضعها

(٢) فى (التاج): الأحاديث المرسلة التى يرويها المحدث إلى التابعى بأسانيده متصلة إليه، ثم يقول التابعى: قال رسول الله ولم يذكر صحابيا سمعه من رسول الله. وفى (مقدمة ابن الصلاح): صورته أى المرسل حديث التابعى الكبير الذى لقى جماعة من الصحابة وجالسهم إذا قال قال: (قال رسول الله) وفى (إرشاد السارى) للقسطلانى: وهو أى المرسل ضعيف لا يحتج به عند الشافعى والجمهور واحتج به أبو حنيفة ومالك وأحمد فى المشهور عنه فان اعتضد بمجيئه من وجه آخر مسنداً أو مرسلا آخر أخذ رجاله عن غير المرسل الأول احتج به

(٣) المقلد المغنى المشهور الذى يضرب به المثل (الاغانى) المقلد البيت المستغنى بنفسه المشهور الذى يضرب به المثل (الجمحى) مقلدات الشعر البواقى على الدهر (اللسان)

« وشعره فى جملته يدل على قدرة الشاعر وبعد نظره وإحاطته بما يرى إليه من الأغراض وسعة مخيلته وانفساح مجاله ولذلك كثرت فيه الصور »

هذه جمل من (الكتاب) فى باب البحث عن شعر الفرزدق وهى تساند مقالة البحترى فى « معانى الفرزدق وحسن اختراعه وبأبواب هجائه التى يخترعها ويبدع فيها » وتعلن من النبوغ الفرزدقى ما تعلن، وتقوى الظن الذى ظنناه فى اختيار الأستاذ هماماً من بين الثلاثة الإسلاميين واختصاصه إياه بهذا الكتاب. وقد أوضح الأستاذ المردى ما أوردته من أقواله أبلغ إيضاح، وأيدها بأبيات كثيرة للشاعر

يقول الأستاذ فى تضاعيف البحث عن شعر همام: « وأما تمثيله العربية فى فصاحتها وشواردها، وتاريخ العرب فى مناقبهم ومثالبهم حتى قيل (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب[(١)]) وقيل (لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس) فذلك لكثرة مفرداته، وصحة تراكيبه، وجزالة أسلوبه، واشتمال شعره على الغريب، وأوجه التعابير الفصيحة، ووفرة ما تضمنه فخره وهجاؤه ومدحه من أخبار العرب وأيامها ومفاخرها، ومثالب من يهجوهم فى الجاهلية والإسلام. خذ مثلاً لذلك نقيضة من نقائضه مع جرير تجد فيها صحة اللغة وفصاحة الأسلوب وجزالة التركيب ورصانة القافية وعراقة العربية مع شىء من الغريب كما تجد كثيراً من أخبار العرب فى الجاهلية والإسلام، فلو جمع باحث مفردات الفرزدق التى استعملها فى شعره لكادت تكون معجما، ولو توفر على ترتيب ما فيه من الأخبار والحوادث والمفاخر والمخازى والعادات والأساطير والخرافات لجمع تاريخاً لحوادث الجاهلية وحياتها الاجتماعية. والشواهد على ذلك أكثر من أن تذكر نكتفى بايراد قليل منها قال: نقائض ص١٨٩» وروى الأستاذ ثمانية أبيات من القصيدة التى مطلعها:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

ثم قال: « هذه الأبيات الثمانية فيها من الأخبار والحوادث والأيام ما استغرق عشر صفحات من كتاب النقائض، ولا سبيل لتلخيصها هنا » وأشار إليها، وروى وبيّن غير ذلك مما يحق مقالته فى الفرزدق

وممن يماثل هذا الشاعر من المولدين فى اشتمال كلامه على أخبار كثيرة وإشارات ذات بال — حبيب « ففى شعره علم جمّ من

(١) يونس

النسب ، وجملة وافرة من أيام العرب » وأبو بكر الخوارزمى الذى يستظهر رسائله كلها العلامة الأستاذ الأمير شكيب أرسلان

والقول المتقدم فى أبى تمام هو فى (رسائل الانتقاد) لابن شرف القيرواني ، وقد نشرها العلامة الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب الصمادحىّ فى مجلة (المقتبس) للعلامة الأستاذ الرئيس محمد كرد علىّ

ويقول الأستاذ : « ومن التعابير العربية التى حفظها لنا شعره قوله : نقائض ص ٢٨٣

أو بين حىّ أبى نعامة هارباً
أو باللحاق بطىّ الأجيال

حىّ أبى نعامة أى وهو حىّ تقول فعلت ذاك حىّ فلان أى وفلان حىّ »

وهذا القول قد هدانا إليه بيت الفرزدق. وفى العربية شىء كثير من مثل هذا التعبير خفى معناه أو أشكل ولم يكشفه لنا شرح أو تفسير . قال ابن فارس : « إنا نرى علماء اللغة يختلفون فى كثير مما قالته العرب فلا يكاد واحد يخبر عن حقيقة ما خولف فيه بل يسلك طريق الاحتمال والإمكان » ، وأورد فى كتابه (الصاحبى) طائفة من الأقوال لم تستبن حقيقتها عنده ، ومما ذكره : « يروى عن النبى (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (لا تقولوا دعدع ولا لعلع (١) ولكن قولوا : اللهم ، ارفع وانفع) فلولا أن للكلمتين معنى مفهوماً عند القوم ما كرههما النبى صلى الله عليه وسلم »

(الاسكندرية)

* * *

(١) فى اللسان : دع دع : كلمة يدعى بها للعاثر فى معنى قم وانتعش واسلم كما يقال له : لعا ، قال :
لحى الله قوما لم يقولوا لعاثر
ولا لابن عم ناله العثر دعدعا
ودعدع بالعاثر قالها له ، رؤبة :
وإن هوى العاثر قلنا دعدعا
له وعالينا بتنعيش لعا =
= وفى التاج : لع ولعلع كلاهما بمعنى لعا يقال للعاثر كما فى المحيط وتلعلعت به قلت له ذلك ، ونص المحيط لعلعت به
فهل لذلك معنى غير الذى قال اللسان والتاج ؟



في بلاط الخلفاء

سعد وسعاد في حضرة معاوية

للأستاذ على الجندى

[تتمة ما نشر في العدد الماضي]

وتربص سعد أسبوعاً بين يأس يطويه ورجاء ينشره ، حتى إذا أذن معاوية للناس يوماً دخل في سرعانهم (١) وغمارهم . فلما أخذوا مجالسهم ، نهض بين السماطين وأنشد بصوت كحشرجة المحتضر :

معاوى يا ذا العلم والحلم والفضل
وذا البر والإحسان والجود والبذل
أتيتك لما ضاق فى الأرض مذهبى
وأنكرت ـ مما قد أصبت به ـ عقلى
ففرج ـ كلاك الله ـ عنى،فإننى لقيت الذى لم يلقه أحد قبلى
وخذلى ـ هداك الله ـ حقى من الذى
رمانى بسهم كان أهونه قتلى
وكنت أرجّى عدله إن أتيته
فأكثر ترّدادى مع الحبس والكبْل
سبانى سعدى وانبرى لخصومتى وجار ولم يعدل ، وغاصبنى أهلى
فطلّقتُها من جهد ما قد أصابنى
فهل ذا ـ أمير المؤمنين ـ من العدل

وكان معاوية متكئاً فاعتدل فى مجلسه — وقد اكفهرت على وجهه سحابة من الحزن — وقال : نعوذ بالله من طوارق السوء ! لقد أسمعت يا أعرابى ، إذن بارك الله عليك ! ما خطبك ؟ وما طرحك إلى هذه البلاد ؟ فدلف إليه شاب فى شملة الأعراب ، ساكنَ الطائر ، رابط الجأش ؛ قد لوّحه السفر وتضمّر وجهه من الهزال ! فقال : أطال الله بقاء أمير المؤمنين ! إننى رجل من بنى عذرة . تزوجت ابنة عم لى على حب ومقة ، وكانت لى إبل وغنيات فأنفقت ذلك عليها ؛ ولبثنا معاً فى حياة رافهة وعيش أبله غرير . فلما كلِب علىّ الزمان ، ومستنى البأساء والضراء رغب أبوها عنى ، وكانت جارية فيها حياء وكرم . فانقادت له مكرهة خشية أن توصم بالعقوق ! . . . فأتيت عاملك مروان بن الحكم مستجيراً به مؤملاً نصرته ، فأحضر أباها وشكم فاه بالإتاوة (١) ! إذ دفع له عشرة آلاف درهم ! وقال : هذه لك ، وزوّجنى بها ، وأنا زعيم بتخليتها من الأعرابى ! فمال أبوها إلى المال ، وأصبح الأمير لى خصماً وعلىّ منكراً . فانتهرنى وطرحنى فى السجن ، وأمرنى بطلاقها فأبيت . فبسط علىّ العذاب وافتن فى إيلامى ! فلما اشتد علىّ الضيق ، وأيقنت بالهلكة لم أجد بدًّا من طلاقها ، فطلقتها ، والعين عبرى والقلب موجع ! ... فما انقضت عدتها حتى تزوّج بها مروان ، وأمر السجان بإطلاق سراحى . وقد أتيتك — يا أمير المؤمنين — صارخاً فزعاً ، متغطياً من الدهر بظل جناحك ! وأنت غياث المكروب وسند المسلوب ! فهل من فرج ؟ ! ... ثم أجهش الأعرابى بالبكاء وأنشد :

في القلب منى نار والنار فيها استعار
والجسم منى نحيل واللون فيه اصفرار
والعين تبكى بشجو فدمعها مدرار
والحب داء عسير فيه الطبيب يحار
حملت منه عظيما فما عليه اصطبار
فليس ليلى بليل ولا نهارى نهار

وكان لمرأى هذا الزوج الواله وشدة ضراعته وعظم تفجعه ورقة شكاته ، أثر أى أثر فى نفس معاوية ! ... فأطرق برهة ؛ ثم رفع رأسه وقد ازمهرّ وجهه الأبيض كأنما نُضح بالأرجوان فقال : ويلى على ابن الطريد (٢) ! كيف عزَبت عنه حلوم أمية ؟ لقد تمادى فى طغيانه ، وتمادى فى أضاليل هواه ، وطرفت عينه الدنيا . فما إن يزال فى طفش (٣) ورفش ، فلعمرى لئن بقيت له لأقيمنّ من صعَر خدّيه ! ...

ثم التفت إلى سعد فقال : طب نفساً وقرّ عيناً — يا أخا عذرة — فقد سألتنا النصف ، وستبلغ ما رجوته إن شاء الله ! ودعا من فوره بدواة وقرطاس ، وكتب إلى مروان كتاباً

(١) أوائلهم

(١) الرشوة (٢) كان الرسول (صلوات الله عليه) نفى الحكم والد مروان ورده عثمان فى خلافته - (٣) نساء وأكل

صـدره بكلام أخشن من مسّ الحجر ، وأزره بشعر أبرق له فيه وأرعد :

ركبتَ أمراً [1] عظيماً لستُ أعرفه
أستغفر الله من جور امرئٍ زانى !

قد كنت تشبه صوفياً، له كتب … من الفرائض أو آيات قرآن
حتى أتانا الفتى العذرى منتحباً … يشكو إلىّ بحقٍّ غير بهتان
أُعطى الإله عهوداً لا أخيس بها … أولاً ، فبُرِّئتُ من دين وإيمان
إن أنت راجعتنى فيما كتبتُ به … لأجعلنّك لحماً بين عِقبان
طلّق سعادَ وجهِّزها مُعجلة … مع الكميت ومعْ نصر بن ذبيان
فما سمعت كما بُلِّغت من عجب … ولا فعالك حقاً فعلُ إنسان

ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى الكميت ونصر ابن ذبيان ، وأمرهما أن يذهبا إليه !

فجدّ الرسولان فى السير حتى بلغا مروان ، وسلّما إليه كتاب أمير المؤمنين . فلما قرأه عرته رِعْدة واصفرّ كأنه جرادة ذَكَر ! ثم أرسل زفرة عميقة كاد يتفسّا لها حجاب قلبه . وقال : وددت أن — أمير المؤمنين — خلّى بينى وبينها سنة ثم عرضنى على السيف !

ولبث مدة يؤامر نفسه فى طلاقها فلا يستطيع ! فاشتد عليه الرسولان وأزعجاه ، حتى طلقها وأسلمها إليهما بعد أن أحسن جهازها !

ولكنه أراد أن يثأر لنفسه من سعد ، فلجأ إلى حيلة من حيله الشيطانية التى كانت سبباً فى قتل الخليفة الثالث ، وشق عصا المسلمين ! ... فأرسل إلى معاوية كتاباً يصف فيه مفاتن سعاد وصفاً يثير صبوة الجماد ! راجياً أن يقع الخليفة فى شرك الحسن فيستبدّ بالفتاة ويرجع الزوج بخفى حنين ! ثم تأسى بمعاوية فى قرض الشعر فختم الكتاب بأبيات من الوزن والقافية :

لا تحنثنّ ـ أمير المؤمنين ـ فقد … أوفى بعهدك فى رفق وإحسان
وما ركبتُ حراماً حين أعجبنى … فكيف سُمِّيتُ باسم الخائن الزانى
أعذر ! فإنك لو أبصرتها لجرت … منك الأمانى على تمثال إنسان
وسوف تأتيك شمس ليس يعدلها … عند البرية من إنس ومن جان

(1) قد يكون هذا الشعر لمعاوية ، وقد يكون وضع على لسانه ؛ وعلى كل فمؤرخو الأدب يرون أنه فى قدرة كل عربى صريح أن يقول الشعر . وهم بعد ذلك مجمعون على أن معاوية من الخلفاء الذين رويت لهم أشعار

حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت
أقول ذلك فى سرّ وإعلان

فلما ورد كتابه على معاوية وقرأه قال : لقد أحسن فى الطاعة ولكنه أطنب فى وصف الجارية . فإن صح أنها جمعت بين جمال الصورة وطيب النغمة فهى أكمل البرية طراً !

وعقد معاوية مجلساً من خاصته ، ودعا إليه سعداً . ثم تقدّم بإحضار سعاد ، فطمح الحضور بأبصارهم إلى الباب ليروا محيّا البدر المنير على قامة الغصن النضير !

وبعد قليل أقبلت الفتاة تتأطّر فى مشيتها ، ساحبةً أذيال الإضريح [1] وقد حفّ وجهها إطار من شعرها الفاحم ، فبدا كأنه قمر يُطِلّ من فتوق سحابة دكناء ، أو لألاء فجرٍ فى بقية من غبَش الظلام ! !

وسلّمت على الخليفة من بعيد ، فردّ عليها السلام ثم استدناها منه واستنطقها فإذا بيان عذب جلىّ فى صوت كأنه غنّة الظبى أو خفق الوتر !

فسبّح معاوية البارئَ العظيم ! وأراد أن يعجم منزلتها عند سعد فقال : يا أعرابى ، هذه سعاد ، ولكن . . . هل لك عنها من سلوة بأفضل الرغبة ؟ فأجاب الأعرابى : نعم ! وكأن معاوية شك فيما سمع فقال متثبتاً : نعم يا أعرابى ؟ فقال : نعم . نعم ، إذا فرقت بين جسدى وروحى ! فقال معاوية : أعوّضك منها يا أعرابى ثلاث جوار أبكار حسان ـ مع كل جارية ألف دينار ـ وأقسم لك من بيت المال ما يكفيك فى كل سنة ويعينك على صحبتهن !

فشهق الأعرابى شهقة ظن معاوية أنه لفظ روحه فيها ! ...

فارتاع وقال له : ما بك يا أعرابى ؟ قال : شر بال وأسوأ حال ! استجرت بعدلك من جوْر ابن الحكم فمن من أستجير من جورك ؟ ثم أنشأ يقول :

لا تجعلنِّى ـ والأمثالُ تُضرَبُ بى ـ
كالمستجير من الرمضاء بالنار
أردد سعاد على حيرانَ مكتئب … يمسى ويصبح فى هم وتذكار
قد شفّه قلق ما مثله قلق … وأسعِر القلب منه أى إسعار
كيف السلوّ وقد هام الفؤاد بها؟ … وأصبح القلب عنها غير صبّار

(1) الخز الأحمر

وكأن معاوية استخشن هذا الكلام فغضب ، أو قل : إنه تظاهر بالغضب ، فما كان للغضب عليه من سبيل ! فقال : يا أعرابي الحق بيّن . أنت مقرّ بطلاقها ، ومروان مقرّ بطلاقها . ونحن نخيرها ، فإن اختارتك أعدناها إليك بعقد جديد ، وإن اختارت سواك زوجناها به ...

ماذا تقولين يا سعدى ؟ أيهم أحب إليك : أمير المؤمنين في عزه وشرفه ونعمته وترفه ، أم مروان في عسفه وجوره ، أم هذا الأعرابي في خشونة عيشه وسوء حاله ؟

ألقى معاوية هذا السؤال وهو أعرف الناس بجوابه ! فإنه لايزال يذكر قول زوجه ميسون بنت بحدل الكلبية حينما نقلت إليه من البادية :

لبيت تخفق الأرواح فيه
أحبّ إليّ من قصر منيف
وخرقٌ من بني عمي نحيف
أحبّ إليّ من علج عنيف

فقال : ما رضيتْ حتى جعلتني علجاً ؟ !

وما أشبه الليلة بالبارحة ! فلم تكد الفتاة تسمع قوله حتى ماست كالغنن المروح ، وتخازرت(١) إلى الخليفة حتى التقت أهدابها ثم أنشدت بصوت يشبه المناغاة :

هذا ـ وإن كان في فقر وإضرار ـ
أعزُّ عنديَ من قومي ومن جاري
وصاحب التاج أو مروان عامله
وكل ذي درهم عندي ودينار

وكأنها أدركت أنها في حضرة ملك العرب وخليفة المسلمين . فافترّت عن مثل وميض البرق ! وقالت وهي تنطّي وجهها بأطرافها المخضبة استحياء : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنا بخاذلته لحادثات الزمان وغدَرات الأيام ! وإن لي معه صحبة لا تُنسى ومحبة لا تَبْلى ! وإني لأحق مَن صبر معه على الضراء ، كما نعِمتُ معه في السراء !

(١) ضيقت جفنيها

فقضى العجب كل من كان حاضراً ! وضحك معاوية حتى انقلبت شفته(١) العليا وشكر لها وفاءها وإخلاصها لأبي(٢) عذرتها ! ثم أمر بها فأُدخلت مقاصير الحرم ، حتى انقضت عدتها من مروان . ثم أعادها إلى ابن عمها بعقد جديد ، ووصلها بألف دينار وأخذ سعد بيد سعاد ، ومضى يؤج في سيره أجَّة(٣) الظليم وهو يترنم بقوله :

خلّوا عن الطريق للأعرابي ألم ترقّوا ويحكم لما بي ؟

علي الجندي

(١) هكذا كان معاوية (٢) زوجها الأول (٣) لسيره حفيف

الله فى علاه !...

للأستاذ سيد عبده

خرج الملاح والليل عاصف . . .
يتلمس رزقه بين جرجرة البحر القاصف . . .
ومياه السماء تنزل مدرارا . . .
والرغبة فى الحياة تدفعه للعمل ليلاً ونهارا . . .
وبسمة الأمل تثير فى قلبه نارا . . .
فإذا بقاربه يرتطم بالصخر . . .
وإذا ببسمة الأمل تصبح صيحة الضر . . .
والرغبة فى الحياة صرخة القبر . . .
ومع ذلك فقد نجا . . .
من أنقذه . . . ؟؟
من نجاه . . . ؟؟
هو الله فى علاه . . . ! !

* * *

خرج الشاب فى رحلة إلى الصحراء . . .
يتلمس نزهة بين الرمال الصفراء . . .
يحمل القوت والأمل والرجاء . . .
ونسيم الربيع يهب عليلاً . . .
والشمس قد مالت فبدا الوقت أصيلا . . .
ونشوة النصر قد بدأت تدب فى قلبه قليلاً قليلا . . .
فإذا به يضل الطريق . . .
وإذا بقلبه العاصر قد ملأه اليأس والضيق . . .
لأنه فقد الأمل فى الحياة . . .
وقارب من أجله منتهاه . . .
ومع ذلك فقد نجا . . .
من أنقذه . . . ؟؟
من هداه . . . ؟؟
هو الله فى علاه . . . ؟؟

* * *

كان حاكماً غشوماً جبارا . . .
يذل قومه ويصليهم من عذابه نارا . .
ويستعبد شعبه فلم يجدوا منقذاً منه إلا فرارا . . .
عهده قطعة من جحيم . . .
والحياة فى ظله بؤس وبلاء عظيم . . .
مضت الأيام فإذا عهده قد زال . . .
وإذا بالحال يصير غير الحال . . .
وأصبح الحاكم عبرة لسواه . . .
من أهلكه . . . ؟؟
من أفناه . . . ؟؟
هو الله فى علاه . . . !

* * *

إنه عامل فقير انتبذ فى المجتمع مكاناً قصيا . . .
يحتقره القوم لأنه لم يك سريا . . .
ويجهله الخلق لأنه غداً نسيا منسيا . . .
يبذل الجهد ويتعب النفس كى يعيش ويحيا . . .
مضت الأيام فإذا به قد أثرى . . .
وتبدل ذله عزا . . .
وبؤسه سعدا . . .
وخموله ذكرى . . .
من أسعده . . . ؟؟
من أغناه . . . ؟؟
هو الله فى علاه . . . !

سيد عبده
المدرس بالأورمان

كتـــاب الأغانى

لأبى الفرج الأسكندرانى

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

ولست بيهفوف يرى رأى عرسه   إذا أركبته مركباً فهو راكبه
يظل إذا ما نابه الأمر حائراً   يخاطبها فى شأنه وتخاطبه

الشعر للأمير على بن المقرب من شعراء النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ببلاد الأحساء فى شبه جزيرة العرب.

وفى هذا الشعر لحن من صنعة قاسم بك أمين على نغمة « فقئت عيناه فأبصر »

حدثنا الأستاذ عزيز أحمد فهمى قال: ولولا دفع الله الفنون بعضها ببعض لفسد الحسن. فاللحن الموسيقى والشعر يزدوجان ليكمل أحدهما نقص الآخر. ولقد كنت أقول مرة: إن كل فن يجب أن يترجم إلى فن آخر، وهذا كلام حسن؛ ولكنى زدته حسناً لما فهمت أن التزاوج بين فنين يستدعى تشابهاً بينهما ولكنه كذلك يستدعى أن يكون أحدهما سالباً والآخر موجباً. فهذا شعر رامى تنشده أم كلثوم ليس لأن فنها كفنه ولكن لأن فنها يسد النقص فى فنه. وهذا المخرج لرواية تمثيلية يتمم نقصها ويسد ثغراتها، وبين الفنين تشابه ولكن أحدهما لا يترجم الآخر بل يشرح الآخر على طريقته هو التى قد لا يدركها هذا الآخر

قال: وهذا الشعر لعلى بن المقرب قد لحنه قاسم أمين تخلق منه ما خلقت أم كلثوم من شعر رامى

قال أبو الفرج: وقد سألت الأستاذ عزيز ما الذى يعنيه بهذا الفقه الفنى فلم يزد على أن قال: لقد فقئت عيناه فأبصر

حدثنا الأستاذ خيرى سعيد قال: حدثنا العلامتان هيجل وشليجل قراءة عليهما. وحدثنا الناقدان هردر وفيخت، ولم يقل بماذا حدثوه، وأغلب الظن أنهم لم يحدثوه بشىء، أو لعله آثر ألا يروى عن هؤلاء العلماء الألمان حتى يرى العالم ماذا ستصنعه ألمانيا فى مشكلة دانزج

وحدثتنا السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى قالت: إن هذا الشاعر الذى أصبح يتغنى بترفعه عن أن يحدث زوجته فى شئونه أو أن تحدثه زوجته فى شئونه، يعد حديث الرجل وزوجته فى الشئون المشتركة بينهما ضرباً من «اليهفوفية»؛ إن هذا الشاعر وأمثاله هم الذين مكنوا لقاسم أمين من السعى فى تحرير المرأة الشرقية. ولو أن الشعراء فى القرن التاسع عشر قد قبلوا أن يكونوا يهافيف فركبوا المركب الذى تختاره لهم أزواجهم لما استطاع قاسم وأعوان قاسم أن يلحنوا هـذا الشعر تلحيناً يبدو للجاهل أنه أخرجه عن معناه، ويبدو للمتأمل أنه سد ثغره وأكمل نقصه وأنه لم يناقضه، ولا حاد به عن طبيعته، فطبيعة هذا التغنى بالترفع عن الزوجة هى بعينها مقدمة التحرير. ولقد أطرب اللحن وأشجى وكان من أثره ظهور نهضتنا الأدبية النسوية ونشر هذه اليهفوفيه وأنشدت:

صوت

من أنت ماذا تكون يا رجل   أظهر ما فى طباعك البهل
فى كل حين تقول يا امرأتى   يا امرأتى ... ما تريد يا رجل؟

الشعر لزوجة أديب كبير من شعراء العصر الحاضر اعتاد أن ينشر كل أسبوع مقالة يقول فيها: «وقلت لزوجتى أنت يا امرأة» فقالت هذه السيدة المحترمة:

. . . . يا امرأتى . . .   يا امرأتى ... ما تريد يا رجل!

ثم أتمت القصيدة

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال: حدثنا أحمد أمين قال: إن الأدب الجاهلى جنى على الأدب العربى فى هذا الباب أيضاً باب العلاقة الجنسية، فلولا تقديس أدباء العربية للجاهليين لنزع كل أديب نزعة شخصية صادقة كانت تقيهم على الأقل من سخرية المتنبى منهم فى قوله:

إذا كان مدح فالنسيب المقدم   أكل أديب قال شعراً متيم

ولكن الأمر لم يقتصر على استخفاف المتنبى بالأثر الذى تركه الجاهليون بتقديس العرب إياهم فى شعر العرب بعد أن وجب زوال الأثر الجاهلى

قال عروة:

فإن يأخذوا أسماء موقف ساعة   فمأخذ ليلى وهى عذراء أعجب

وكان هذا القول طبيعياً ممن يئدون البنات خشية الإملاق، ولكن تحدُّث طبيب ليلى المريضة بالعراق عن ظفره بليلى وفضيحته إياها هذه الفضيحة الشنعاء ليست إلا أثراً من أثر الشعر الجاهلى فيه

قال أحمد أمين : وهل تجد فى الشرق رجلاً ممن لم يقرأوا الشعر الجاهلى يستسيغ أن يفضح من يزعم أنه يحبها هذه الفضيحة؟ ألا رحم الله الأبيوردى حيث يقول :

وكم للغوانى من يد قد جحدتها وشكر أيادى الغانيات جحودها

فهذا هو الشعور الطبيعى عند رجل متمدين . أما الذى يقول فيما يقول : إن زوجتى أطال الله عمرها لن تموت بداء غير داء الغيرة ، فلا أستطيع تأدباً أن أصفه بغير التمدين ولكننى أصفه بالتأثر الشديد بالشعر الجاهلى . وهل من حق إنسان أن يتحدث عن الأدب وهو لا يقدر أثر الإيحاء الدائم المستمر فى النفس ؟

لقد نمنع أبناءنا عن الاتصال بالطبقات التى لا نرضى عن أخلاقها خشية كلمة تقال فتترك فى النفس أثرها فكيف بشعر نعجب به ونمجده ونستظهره ثم نعيده ونستعيده سنين، ثم نعلمه بعد أن نتعلمه فإذا نسيناه رسب فى عقلنا الباطن ؛ ألا يترك هذا كله أثراً فى النفس ؟ وإذا لم يكن التكرار المقرون بالإعجاب ليترك أثراً فى النفس فلماذا نؤمن بالأدب ولماذا نكتب ؟ دعنا مما يقوله علماء النفس فى الإيحاء ولننزل إلى مرتبة العامة . ألم نسمع قول العامة : « الدوىّ فى الآذان أشد تأثيراً من السحر »

هؤلاء الجاهليون الذين يئدون البنات تركوا فى القرن التاسع عشر من يقول :

ولست بهفوف يرى رأى عرسه إذا أركبته مركباً فهو راكبه
يظل إذا ما نابه الخطب حائراً يخاطبها فى شأنه وتخاطبه

وحدثنا الأستاذ فرويد قال : . . . ولكننى لا أذكر ما قال فقد كان يتحدث عن العقد وهذه عقدة العقد

وحدثنا الدكتور محمد حسين هيكل باشا قال : أما أن لغة الجاهلية لغة سليمة فمما لا ريب فيه، لأنها إما أن تكون هى العربية الأصلية إن كان هناك شعر جاهلى ، وإما أن تكون لغة أعلم الناس باللغة الجاهلية إن كان علماء الأدباء فى العصر الأموى قد وضعوا ذلك الشعر نماذج كما ينبغى أن تكون عليه اللغة . ولكن كون الفكر الجاهلى يعرب عن الرأى الراجح فهو المحال بعينه . وكيف نستطيع التوفيق بين الإيمان بحياة محمد وبين الإيمان برأى إنما بعث محمد لكى يهدمه ؟ ولقد تلقينا الشعر الجاهلى لغة لها أسلوب يجب أن نرضاه؛ وفيها معان قصارى الرأى فيها أنها وليدة أفكار ومبادئ، وليس بالمقبول ولا المعقول أن تكون هذه المعانى خالية من الفساد وإلا فلماذا نشأ الدين ؟ وما جدوى الحياة الإنسانية إن كانت هذه الآراء وتلك المبادئ لا تزال صالحة بعد خمسة عشر قرناً من الزمان ؟ إنه ينبغى على من يعلم النشء لغة الجاهلية أن يحذرهم من قبول الفكرة الجاهلية فإن التكرار مع الاستحسان يورث العادة، وليس كذلك التكرار مع الاستهجان . وإنى لأعجب من معلم للغة العربية يعلم تلاميذه قول الشاعر الجاهلى

نسوق النساء عوذها وعشارها

ثم لا يقول لهم إن لغة هذا الشاعر سليمة ولكنه من حيث الأخلاق لا يمتاز شيئاً عن البهائم . وإنى لأعجب من معلم للغة العربية لا يقول لتلاميذه إن امرأ القيس وإن كان عبقرية معجزة فى فنه فإنه كان فى آرائه وشعوره نحو النساء كأى حمار فى الطريق؛ وإن غزله لا يختلف شيئاً عن النهيق وإن لنا منه اللغة . أما الشعور الإنسانى الصحيح ففى قول الشاعر

وكم للغوانى من يد قد جحدتها وشكر أيادى الغانيات جحودها

وقد قال الدكتور طه حسين إن إنكارنا للأدب الجاهلى لا يتنافى مع صحة الرأى الذى تحدث به هيكل باشا ، فإن الذين لفقوا الشعر الجاهلى إنما لاحظوا طبائع الجاهلية وسجاياها

وحدثنا الدكتور زكى مبارك قال: إن أبا الفرج الاسكندرانى رجل منافق فى علاقته النسوية ومثله فى ذلك كمثل الأبيوردى سواء بسواء . وأنا لا أقول كما يقول الأبيوردى

وكم للغوانى من يد قد جحدتها وشكر أيادى الغانيات جحودها

ولكننى أقول إن صبايا سنتريس سيقتل بعضهن بعضاً غيرة علىّ وأقول كما يقول أبو نواس الذى لم يكن بالجاهلى :

ولا تسقنى سراً إذا أمكن الجهر

وأقول كما يقول كشاجم وليس بالجاهلى :

خوفونى من فضيحته ليتـــه يدنو ونفتضح

صوت

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء
الشعر لأبى نواس واللحن للدكتور زكى مبارك

(يتبع) عبد اللطيف النشار

الجبرية والاختيار :

فى كتاب الفصول والغايات

[مهداة إلى الأستاذ محمود حسن زناتى]

للأديب السيد محمد العزاوى

— ١ —

... وقول الحق أمثل من السكون ، واستقامة العالم لا تكون ، ولذة الدنيا منقطعة ، وخبر الميت غير جلى ، إلا أنه قد لقى ما حذر ، فاسع لنفسك الهالكة فى الصلاح .

من المسائل التى واجهت الباحثين والفلاسفة منذ زمن بعيد مسألة الجبر والاختيار ؛ تكلم فيها اليونان والفرس ، ونقلها عن اليونان السريان ، وخاض فيها النصارى حينما تفلسفت دياناتهم ، وتكلم فيها الكلاميون من المسلمين . وكانت تتلون فى مراحلها وتختلف باختلاف هذه المدارس . فإذا تكلم فيها الفلاسفة قصدوا إلى غرض فلسفى بحت: وهو تفسير الكون ومظاهره تفسيراً ما؛ وإذا تكلم فيها الأخلاقيون قصدوا إلى غرض اجتماعى : هو النظر فى المجتمع ونقده ، وإصلاحه أو محاولة ذلك ؛ وإذا تكلم فيها أهل الدين فإنما يلتمسون من بحثها تخريجات تبرر مسئولية الفرد عن أعماله ، وتقيم فكرة البعث والحساب والعقاب على أسس تختلف قوة وضعفاً .

والفلاسفة يعنيهم أن يتفهموا الكون وحركاته ، كل ما يجرى فيه أهو ضرورى ناتج عن إرادة مسيطرة متصرفة ، أم هو نتيجة اتفاق بحت لا يربطه قانون أو تقيده قواعد . وهم بعد ذلك ينتقلون إلى الإنسان مظهر هذه المشكلة ، أهو مخير فيما يفعل ، بمعنى أن لا شىء يمنعه من إتيان عمل ما ، أو يدفعه إلى فعله ، بمعنى أن أمره موكول إلى إرادته الخاضعة للمؤثرات الخارجيـة من ظروف وصدف . أم هو مجبر فيما يفعل بمعنى أن قوة تدفعه إلى أن يفعل ما يأتيه مجبراً ، فهو كالعالم منضبط بتلك القوة التى تسيطر عليه ، خاضع لنفس القوانين التى يخضع لها هذا الكون . والأخلاقيون يعنيهم البحث فى الأفعال الإنسانية من حيث هى صادرة عن التكوين الخلقى للإنسان فقط ولا أثر لعامل خارجى عليها ، أو أن النظم الاجتماعية والظروف الطبيعية التى يعيش الفرد تحت تأثيرها تعينان نوع الأفعال الصادرة عن الإنسان؛ وبأى معنى من المعانى يعتبر المرء حراً على هذا الأساس . وعلى أية فسواء اتفق الأخلاقيون فى وجهات نظرهم إلى تلك المسألة أم اختلفوا فهممتفقون فى الغرض ، وهو إصلاح المجتمع وتهذيبه

أما رجال الدين والكلاميون من المسلمين فقد خاضوا فيها وكان همهم الأول البرهنة على أن الإنسان إما خالق لأفعاله فهو مسئول عنها أمام الله فى القيامة ، ويحق عليه الجزاء ثواباً وعقاباً ؛ أو أن الإنسان وأفعاله من خلق الله فلا يكون ثمة حساب أو عقاب؛ وهمهم الثانى هو البحث فى معرفة الله لما يحدث : أهى قبل الحدث أم بعده

والكلام فى القدر لم ينشأ إلا فى الشام والبحرين على خلاف فى أسبق القطرين إلى الخوض فيه . ثم إنه نشأ دخيلاً على الإسلام : أعنى أن أول من تكلم فيه كان نصرانياً وأسلم ثم تنصر ، وأخذ عنه معبد الجهنى وغيلان الدمشقى . كان هذا بدء الكلام فى القدر. وقد أتاحت الخلافات السياسية حول الخلافة لهذه الأبحاث أن تروج وتتضخم ، وأن تنقسم وتتكاثر . فإن الخلافة كانت مصدر القلاقل والفتن فى أيام الخلفاء الراشدين ، وإن الفتن أنتجت شيعة وخوارج ومرجئة ومعتزلة وأزارقة وأشاعرة إلى غير هذه الفرق التى تختلف فيما بينها بالرأى فى الخلافة والخليفة غالباً . والذى يعنينا هنا فرقتان من هذه الفرق العديدة: المعتزلة، والجهمية. فقد كانت آراؤهما أروج الآراء انتشاراً فى هذا الباب

أما الجهمية فقد كانت تقول بالجبرية المطلقة أى أن الإنسان كالجماد وأن الله يخلق فيه الأفعال كما يخلقها فى الجماد ، ويجبر عليه الحساب ثواباً وعقاباً

أما المعتزلة فقد تكونت على أثر خلاف فى مرتكب الكبيرة: أهو كافر خالد فى النار . وقد قالوا بأن الله لا يخلق أفعال الناس بل هم يخلقونها ، وبأن الله لا صفات له غير ذاته . فشاركوا الجهمية فى هذا الأصل ، وقد أقروا بسلطة العقل وقدرته على الحكم بالحسن والقبح العقليين

ولو كان الأمر فى هذه الفرق قاصراً على حد الكلام

والاستعانة بالفلسفة اليونانية وغيرها لما كان لها هذه الأهمية التى شغلتها . ذلك بأنها كانت تريد بسط تعاليمها على الواقع العملى . فالمعتزلة حين قرروا مبدأ حرية الإنسان كانوا يريدون من ذلك أن الناس مسئولون عما يقومون به من حروب ومنازعات ؛ وحين قرروا مبدأ السلطان العقلى كانوا يريدون القياس فى الحكم. وذلك أمر لم يقره أهل السنة وكان سبب خلاف كبير. وقد تمكنوا أن يسيطروا على الواقع السياسى مدة من العصر الأموى الأخير؛ فقد اعتنق مبادئهم يزيد الناقص ومروان بن محمد وأخوه إبراهيم

والمهم أنه ما كاد يأتى القرن الثالث والرابع ، حتى كان علم الكلام قد نضج نضجاً، وحتى ترجم إلى العربية فلسفات كثيرة، وحتى اختلط ذلك كله بالدين والعقائد . وقد عملت أحداث السياسة وفتن الرأى على إضعاف الدولة واضمحلال الملك . وكان الشام هو مرجل فتن الرأى والدين والفلسفة والسياسة جميعاً . كان هو والعراق فقط ، أما ما عدا ذلك من أنحاء الدولة الإسلامية فقد كان مستقراً نوع استقرار

فى هذا الوسط المضطرب المحتدم نشأ أبو العلاء ، وتنقل بين أرجائه ما بين المعرة وحلب وبغداد ، فشارف ما كان بمصره من الفلسفات اليونانية والإسلامية والمسيحية واليهودية والمجوسية وكانت من عناصر ثقافته ، هذا إلى نظراته الخاصة ولمحاته الشعرية العديدة

ولم يحاول أبو العلاء فى « الفصول والغايات » أن يسلك هذا المسلك الذى تراه من تقيد فنى باللفظ ولزوم ما لا يلزم ونظام الفصول والغايات والنغم والموسيقى ، إلى غير ذلك من الفنون النثرية ليدل على مقدرته الفنية ، أو يبرهن على سعة اطلاعه ومعرفته بأخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم ، وذكاء فؤاده اللماح ، بل أنا أوشك أن أقول بأنه قد سلك ذلك حتى يصرف الناس إلى ظواهر الأشياء ، حتى لا يصيبه أذى من السفهاء ، وحتى يأخذ كلٌّ من معانيه ما يلائمه وما يستطيعه عقله ويقبله ذهنه . فهذا أمر يوجب الحذر حين نتلقى عن المعرى آراءه . وأمر ثان هو أن المعرى كان منعزلاً لا هم له إلا تقرّى نفسه وملاحظتها ملاحظة دقيقة . وقد يحتاج أحياناً إلى الترويح والتسلية ، وكان يعمد إلى هذا النوع من اللهو بالمعانى والألفاظ ، وذلك واضح جداً فى فنه اللفظى على الأقل . فعند ما نسمع قول المعرى يجب أن نحتاط قليلاً ، فربما حمله العبث باللفظ على شىء من الاعتساف فى المعنى ، أو اندفع إلى معنى غريب غير مقصود فى سبيل أن يستقيم له فنه اللفظى الذى أخذ نفسه به أخذاً عنيفاً ، وكثيراً ما شط به المعنى عن اللفظ . يجب أن نحتاط إذن حينما نسجل على المعرى آراءه ، فنحن لا نعرف متى كان المعرى هازلاً ، ومتى كان جادًّا فى عبثه بالألفاظ والمعانى . وأمر ثالث يجب أن نلتفت إليه : فهو قد يرى آراء يحرص عليها فيدونها على أنها من فلسفته ، ويمكن أن تكون آراء لغيره دونها للتصوير والافتنان ، ويمكن أن تكون بين بين : أعنى أنها خواطر عرضت له كما تخطر الخواطر لأى شاعر سواء تعارضت مع مبادئه العامة أو اتفقت . فلا عجب إذا رأيته يحدثك بأن الإنسان مجبور فى كل أعماله وتصرفاته ، ثم يأتى فيذكر لك أن المخلوق فى الأقدار تصريفاً ! فهذا لا مرد له إلا ما قلت من أمر عبثه بتلك الخواطر السوانح له فى خلوته ، وحرصه على تدوينها متفنناً مبتدعاً مستعيناً على ذلك بما علم من شعر الأقدمين وأخبارهم وعلومهم

وأبو العلاء يقول بالجبر المطلق فى أفعال الإنسان وأعماله ، ويرتب على ذلك نتائج اجتماعية خطيرة ، وآراء فلسفية خطيرة كذلك .

ونحن إذا أردنا أن نلتمس نظرية الجبر عنده فلن نجدها مجموعة فى مكان واحد ، ولا هو يعالجها بأسلوب واحد ، وإنما أنت تقرأ الكتاب جميعاً فتجده ينطق جبريةً ، إذ لا يكاد فصل من الفصول يخلو من الجبر تلميحاً أو تصريحاً أو رمزاً . فهو ساخر مرة ، ثائر أخرى ، هادىء أحياناً ، ممجد قنوع فى أكثر الكتاب . على أن تقريره الجبر المطلق أوقعه فى حيرة وارتياب كبيرين ، فمن الناحية الدينية لا تستطيع أن تستبين رأيه فى التكليف ولا فى البعث فهو مضطرب فيهما أشد اضطراب ، ذلك لأن الجبرية إما أن الله يقدر عليك العمل ويقدر عليك الجزاء كما تقول الجهمية ، وهو عبث يأباه المعرى على الله ؛ وإما أن تقدر عليك العمل ولا جزاء ، وهو ما يلائم المعقول حالة تقدير العمل ، ولكنه يخالف الدين صراحة . والمعرى فى كل أحواله آخذ بما يرى العقل . والعقل هو الذى هداه إلى أن الجبر مسلم به ، لأن كل شىء فى هذه الحياة إنما هو نتيجة لشىء كان قبله ومقدمة لما يأتى بعده ، وإلا إذا كان

الأمر اختياراً فإما أن يكون متصلاً بما قبله وما بعده ، اتصال العلة بمعلولها فيكون الجبر بعينه ، أو أن يكون الأمر فوضى واضطراباً وهو ما لا يثبته الواقع الخارجي

ولست بسبيل أن أدافع عن نظرية الجبر ، أو أتكلم عنها مطلقة ، ولكني أثبت صفات الفلسفة العلائية صحت أو لم تصح . وأقرر أنه اعتمد على العقل في كل أحواله ، وعلى العقل فقط ؛ فما قام عليه دليل العقل احترمه واعتنقه ، وما لم يقم عليه دليل أو خرج عن حيز العقل وقف منه المعرى موقفاً يختلف رفضاً وشكا، لا يصلان إلى درجة الإنكار المحض، ولا الإيمان المسلَّم ، وخاصة إذا كان الأمر يمس الدين والقدرة الإلهية من قريب أو بعيد .

ولكن ذلك قد يدفع المرء إلى أن يتساءل هل أخذ أبو العلاء بهذا الأصل في كل فلسفته ؟ قد يكون أخذ به في اللزوميات من بعد، ولكنه في « الفصول والغايات » يصرح بأنه « يدرك العلم بثلاثة أشياء : بالقياس الثابت ، والعيان المدرك ، والخبر المتواتر . فأما الحس فزجر طير هي خليقة بالكذب ، وإن صدقت فباتفاق ؛ والعلم لله كلاً »[1] وقد توفر للمعرى اثنان من مدركات العلم ، ولكنه أهمل المتواتر حرصاً منه على الحقيقة ، واحترازاً مما قد يكون أصابها من خطأ أو تحريف . فإذا خُبِّر خبر الجرادتين اللتين غنتا لوفد عاد تساءل: « ما قالت الجرادتان لوفد عاد؟ قالتا ما الله به عليم، طال الزمن فلم يعلم القيل . . . » فعلمها عند الله وحده ؛ وسواء سلم بصحة الحادث ، ورفض المروى ، أو رفض الخبر أصلاً فهو لا يعتمده في شيء مصدراً من مصادر العلم أو اكتسابه ، فلم يبق له إلا القياس الثابت : حكم العقل ، فهو يهتدى به ويتخذه نبراسه في كل أموره وشئون فكره ، وهو مع ذلك كثير الشك كثير التساؤل كثير الحيرة ، يحس ذلك من نفسه فيعترف به اعترافاً صريحاً إذ يقول « أدلج وأدلج ، وإذا سئلت فأنا ملجلج ، والله للمنصف ظهير »[2] .. لا يجزم بشيء ولكنه مؤدب أشد الأدب ، يتساءل في عجب بدل أن يعترض أو يثور . وهو منطقى النهج في التفكير يقدم المقدمات ، ويستنتج النتائج ويقيس عليها قياساً منضبطاً . فانظر إلى هذا القياس المنطقى الدقيق « المدمن على اللهو ، خدن الغفلة والسهو ، المنتقل من بهو إلى بهو ، ملىء من الكبر والزهو ، يسبح في عيش رهو ، يسأل عن الطعام والطهو ، أخسر صفقة من شيخ مهو » هذا قياس منطقى سليم ؛ فهو يؤكد أن الشاب المرح خاسر ، وهو لا يعفى الشيخ من الخسر كذلك ، ولكنه لا يدرى أتؤيد الحقيقة هذا القياس فيقول « فدلني ربى على الرباح »[1]

وحين تتعارض وسيلته هذه مع الحقيقة أو الواقع يتحير فيقول : « هكذا يقول المعقول ولله نظر في العالم دقيق » . وهو يوصيك بأنك « إن سمعت أن الرقيع أمطر جندلاً ، وأنبتت البقيع حنظلاً . فقل : أما في المعقول فلا ، وأما في القدرة فبلى » فهو هنا يثبت بأن لله حكمة وقدرة أعظم من أن يتصورها العقل أو يدركها ، ويسجل أن الله قدير لا تتقيد قدرته بمعقول أو غير معقول ، ولكن ذلك لم يمنعه أن يعمل عقله فينتهى به هذا إلى استحالة ذهنية . فهو يقر بهذا العجز المطلق عن إدراك أغراض القوة الخفية ؛ وهو إذا ما فكر وأطال التفكير في الجبر والاختيار والثواب والعقاب فدان بالجبر وأنكر الثواب والعقاب كما رشده إلى ذلك عقله استدرك وكر متراجعاً في حيطة وحذر « فسُبحان الخالقِ غافراً ومُعذِّباً ، آلرَّشدُ دفينٌ ، أمْ أنا أفينٌ ؟ قدْ عشتُ زمناً فما رِشتُ ، ابْركِي يا مَطيّةُ فهذا المناخُ »[2]

ولعل عجزه عن أن يقيم أقضية العقل على حكمة الله قد دفعه في يسير من وقت أن يقر الخيرة للانسان . فنجده يمجد الله تعالى « مَنْ خارَ لِعبادِهِ وهُمْ للخيرةِ كارهون » ويسائل الإنسان متعجباً أن « ما يَمْنعكَ أنْ تتَّخذَ القِسِيَّ وأنتَ في بِلادِ الضّالِ »[3] ، ويمحض المرء أن « دَعْ ما ضرَّ وصَعُبَ عَلَى ما نفَعَ وهانَ ، وخَلِّ ما غَمَرَ إلى ما غَمَّرَ واتْركْ المضِلَّة إلى المرشدةِ ، فإنَّ طُرقَ الخيرِ كثيرٌ » ولكننا سنرى المعرى في كل الكتاب يقرر ويقرر « أنَّ ربَّنا المُوفِّقُ لِجَميعِ السَّدادِ »[4] وأنك « لنْ تقْضِيَ أمْراً إلاّ بِالقضاءِ »[5]

وحيرته هذه ناشئة من طبيعة وسيلته إلى العلم . ذلك بأنه مؤمن بأن العقل وحده هو الموصل إلى العلم ، وهو واثق من أنه ما دام قد أوصله العقل إلى الطبيعة فلا بد أن يصل به إلى ما بعد الطبيعة . وهو مؤمن كذلك بأن الله خلق هذا الكون عن حكمة

(للبحث صلة) السيد محمد العزاوى

(1) ص ٤٦٨ (2) ص ١١٩

(1) ص ٣٥٣ (2) ص ٤٢٤ (3) ص ٣٨٤
(4) ص ٥٦ (5) ص ٢٧١

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٧٨ — مثاقف

يتيمة الثعالبي : سمعت عونا الهمذاني يقول : أتى الصاحب ابن عباد بغلام مثاقف[١] . فلعب بين يديه . فاستحسن صورته وأعجب بثقافته . فقال لأصحابه : قولوا في وصفه ، فلم يصنعوا شيئاً . فقال الصاحب :

ومثاقف في غاية الحـذق ... فاق حسان الغرب والشرق
شبهته والسيف في كفه ... بالبدر إذ يلعب بالبرق

٤٧٩ — راقص

قال ابن خروف في غلام جميل الصورة راقص :

ومنزّع الحركات يلعب بالنهى ... لبس المحاسن عند خلع لباسه[٢]
متأوّد كالغصن وسط رياضه ... متلاعب كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مدبراً أو مقبلاً ... كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقـدمين منه رأسه ... كالسيف ضُمّ ذبابه لرياسه[٣]

٤٨٠ — وإن غلبه العدو لم يغلبه حقير

قال لسان الدين بن الخطيب : حضرت يوماً بين يدي السلطان أبي عنان في بعض وفاداتي عليه ، وجرى ذكر بعض أعدائه فقلت ما أعتقده في إطراء ذلك العدو ، وما عرفته من فضله . فأنكر عليّ بعضُ الحاضرين ممن لا يحطب[٤] إلا في حبل السلطان . فصرفت وجهي وقلت : أيدكم الله ! تحقير عدو السلطان بين يديه ليس من السياسة في شيء بل غير ذلك أحق ؛ فإن كان السلطان غلب عدوه كان قد غلب غير حقير ، وهو الأولى بفخره وجلالة قدره ، وإن غلبه العدو لم يغلبه حقير فيكون أشد للحسرة وآكد للفضيحة . فوافق — رحمه الله — على ذلك واستحسنه ، وشكر عليه ، وخجل المعترض .

٤٨١ — تفتضح العشاق وقت الرحيل

قال ابن السكيت : عزم محمد بن عبد الله بن طاهر على الحج . فخرجت إليه جارية له شاعرة فبكت لما رأت آلة السفر . فقال :

دمعةٌ كاللؤلؤ الرَّطْـبِ[١] على الخد الأسيل
هطلتْ في ساعة البيـن من الطرف الكحيل

فقالت مجيزة :

حين همّ القمرُ البا ... هرُ عنا بالأفول
إنما تفتضحُ العشـاقُ في وقت الرحيل

٤٨٢ — تغافل كأنك واسطي

في (معجم البلدان وخزانة البغدادي) : شرع الحجاج في عمارة واسط سنة (٨٤) . ولما فرغ منها سنة (٨٦) كتب إلى عبد الملك : « إني اتخذت مدينة في كرش من الأرض بين الجبل والمصرين وسميتها واسط » ؛ ولذلك سمي أهل واسط « الكرشيين » . فكان إذا مرّ أحدهم بالبصرة نادوا : يا كرشي فيتغافل ويرى أنه لا يسمع أو أن الخطاب ليس معه . فقيل : تغافل واسطي ، وتغافل كأنك واسطي[٢] . ولفضل الرقاشي :

تركت عيادتي ونسيت برى ... وقدماً كنت بي براً حفيا
فما هذا التغافل يا ابن عيسى ... أظنك صرت بعدي واسطيا

(١) ثاقفه مثاقفة لاعبه بالسلاح وهي محاولة إصابة الغرة في المسايفة ونحوها ، وهو مثاقف حسن الثقافة بالسيف بالكسر (الأساس) وروى صاحب التاج :

وكأن لمع بروقهـا ... في الجو أسياف المثاقف

(٢) (منزع) : أصل النزع الجذب والقلع . والنزع في القوس جذب وترها .

(٣) ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به (النهاية) رئاس السيف مقبضه ، قائمة كأنه أخذ من الرأس رئاس . قال ابن سيدة : وجدناه في المصنف كرياس السيف غير مهموز . فلا أدري : هل هو تخفيف ، أم الكلمة من الياء (اللسان) ؟

(٤) من المجاز : حطب في حبله : نصره وأعانه ، وإنك لتحطب في حبله وتميل إلى هواه (الأساس)

(١) الرطب : نقل شيخنا عن أبي الريحان في كتاب الجماهير قولهم في اللؤلؤ الرطب كناية عما فيه من ماء الرونق والبهاء ، ونعومة البشرة ، وتمام النقاء . لأن الرطوبة فصل مقدم لذات الماء ، وهي تنوب عنه في الذكر ، وليس يعني بالرطوبة ضد اليبوسة . وكذلك قولهم في المندل الرطب : (التاج) !

(٢) في (مجمع الأمثال) : أصل (المثل) أن الحجاج كان يسخر أهل واسط في البناء ؛ فكانوا يهربون وينامون وسط الغرباء في المسجد . فيجيء الشرطي ويقول : (يا واسطي) ! فمن رفع رأسه أخذه وحمله . فلذلك كانوا يتغافلون . (قلت) : رواية المتن أصح .

٤٨٣ — ولكن قذاها زائر لا نحبه

فى الأغانى : بينا الأخطل جالس عند امرأة من قومه ، وكان أهل البدو إذ ذاك يتحدث رجالهم إلى النساء لا يرون بذلك بأساً وبين يديه باطية شراب ، والمرأة تحدثه وهو يشرب ... إذ دخل رجل فجلس . فثقل على الأخطل وكره أن يقول له: قم، استحياء منه ! وأطال الرجل الجلوس إلى أن أقبل ذباب فوقع فى الباطية فى شرابه . فقال الرجل : يا أبا مالك ، الذباب فى شرابك ! فقال :

وليس القذى بالعود يسقط فى الخمر
ولا بذباب ، نزعُه أيسرُ الأمر
ولـكن قذاهـا زائر لا نحبـه
رمتنا به الغيطان من حيث لا ندرى

فقام الرجل فانصرف :

٤٨٤ — كلب البيت

ابن قتيبة : قال عُمارة بن حمزة : يُخبز فى بيتى كل يوم ألف رغيف ، كلهم يأكله حلالاً غيرى . . . (وكان يأكل رغيفاً واحداً) . ويقولون : فلان رب البيت ، وإنما هو كلب البيت(١)

٤٨٥ — الأراجيف

فى (تاريخ الأمم والملوك) لابن جرير الطبرى : قال أحمد ابن إسحق بن برصوما : لما حصر محمد (الأمين) وضغطه الأمر قال: ويحكم ! ما أحد يستراح إليه ؟ فقيل : بلى ، رجل من العرب من أهل الكوفة يقال له : وضاح بن حبيب بن بديل التميمى ، وهو بقية من بقايا العرب وذو رأى أصيل . قال : فارسلوا إليه . فقدم عليه . فلما صار إليه قال له : إني قد خُبّرت بمذهبك ورأيك فأشر علينا فى أمرنا . قال له : يا أمير المؤمنين ، قد بطل الرأى اليوم وذهب ، ولكن استعمل الأراجيف؛ فإنها من آلة الحرب. فنصب رجلاً كان ينزل دجيلاً يقال له : بكير بن المعتمر فكان إذا نزلت بمحمد نازلة وحادثة هزيمة ، قال له : هات ! فقد جاءنا نازلة . فيضع له الأخبار ، فإذا مشى الناس تبينوا بطلانها

(١) كان لاسحق الموصلى غلام يسقى من فى الدار . فقال له يوما : ما حالك ؟ قال : يا مولاى ، ما فى الدار أشقى مني ومنك ! قال : وكيف ؟ قال : أنت تطعمهم ، وأنا أسقيهم ...

ابنة العار

للأستاذ فؤاد بليبل

يا أُبْنةَ العارِ، والخنى، والرذيلَهْ   أنا لولاكِ ما عرَفتُ الفضيله
أنتِ كالليلِ، فيه قد كَمَنَ النُّو   رُ ومنه مدّ الصباح تَليْلَه(١)
ومن السمِّ ما يعلُّ ومنهُ   ما تداوى بهِ الجسومُ العليله

***

إنّ فى لحظِكِ الأثيمِ بريقاً   طاهراً أخطأ الورى تأويله
هو صحوُ الضميرِ من غفلةِ الإثـــمِ على مصرعِ الخلالِ النبيله
هو ومضُ الحياءِ فى غيهبِ البغـــى وفيضٌ من المعاني الجليله
هو ذوبٌ من الشعور رقيقٌ   لاحَ كالفجرِ فى ظلامِ الرذيله
هو روحٌ ذابتْ أسى فاستحالت   عبراتٍ بين الجفونِ الكحيله
أثقلتها الآثامُ فهى شرورٌ   وَجَلَتْها الآلامُ فهى صَقيله
كلّما دانت الحقيقةَ ألْفَتْ   دونَ إدراكِها سجوفاً سديله
ونزاعاً طىّ الضلوع عنيفاً   بين قلبٍ صحا ونفسٍ ضليله
ومن العارِ ما يبرّده الجهـــلُ وما يجهلُ الورى تعليله

***

يا ابنةَ العارِ أنتِ بالعُذْرِ أولى   منكِ بالعَذْلِ جارحاً والنميله(٢)
إنما النذْلُ من حداكِ على الرجـــسِ وأغراكِ بالوعودِ الجميله
زيّنَ الوِزْرَ والمخازى لعينيـــكِ ولم يدّخر لخدعِكِ حيله
وأراكِ المنيعَ حِلاً شهيّاً   لا لشىء إلا ليروى غليله
فإذا بالنكيرِ غيرُ نكيرٍ   ساغَ حتى لم تنكرى تحليله
نخلعتِ العِذارَ ساعةَ لهوٍ   ونَبَذْتِ الحياءَ إلا قليله
قضى الأمرُ، واستفقتِ على الخز   ى نحاولتِ بالدموعِ غسيله
وأبى الشرعُ والتقاليدُ إلاّ   أن تظلّى – وإن ندمتِ – نذيله
وتنحّى عنكِ الجميعُ ولم تجـــدِكِ نفعاً تلك الدموعُ الطليله
قتلوا فيكِ كلّ روحٍ شريفٍ   وأحلّوا روحَ الفسادِ بديله
همْ أرادُوكِ أن تكونى بغيّاً   وهمُ أقْلَعوكِ ثوْبَ الفضيله
فتردّيتِ فى النقائصِ والبُطـــلِ ولو أصلحوكِ كنتِ كميله
هفوةٌ بعد هفوةٍ بعد أُخرى   هفواتٌ كانتْ عليك وبيله
ليتَ شعرى ماذا جنيتِ من الطيـــشِ سوى الغمّ والحياةِ الذليله
وانهيارِ الآمالِ والندمِ المرّ (م) وندبِ الرغائبِ المستحيله
وذبولِ الشبابِ دَارَت عليه   برحاها أيدى المجونِ الثقيله
وغضونٌ تزدادُ يوماً فيوماً   وعيونٌ كادتْ تكونُ كليله
وضميرٌ قد حجّرَتْهُ المعاصى   وحياةٌ بالموبقاتِ حفيله

(دار الأهرام)   فؤاد بليبل

الاسكندرية

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

يا فِتْنَــةً سَحَرَتْنى   فيها الرُّؤَى تَتَجَسَّمْ !
ما أنتِ إلا خَيَــالٌ   فى رأسِ وَسْنان يَحْلُمْ !
على ضفــافكِ تمضى الـــعصورُ لا تتــكلَّمْ !
المَوجُ يَصْخَبُ هُزْءاً   والشطُّ جَذْلانُ يَبسِمْ
وأنتِ ! أنتِ جــلالٌ   على البســيطةِ خَيَّمْ
للشعرِ قُدْسٌ ومَغنَى   وللمفــاتنِ مَوْسِم
يا فِتْنَــةً تَتَجنَّى   على الخِضَمِّ وتَعْظُمْ
حَمَلْتُ قيثارَ شِعْرِى   وَجِئْتُ كى أتَرَنَّمْ
فما تَسَمَّعْتُ إلا   قصــيدةً لا تُتَرْجَمْ
منظومةً من حسانٍ   على الشَّواطئ نُوَّمْ
هُنّ المعــانى ولكن   أسرارُها ليس تُعْلَمْ !
وكأسُ حُسْنِكِ تُوحى   بالمُبْــدعاتِ وتُلْهِمْ
حَبَــابُها سابحاتٌ   من الكواكبِ عُوَّمْ
يَهَبْنَ فى اليمّ ما لا   يهبن فى الأرض مُغْرَمْ !
عَجِبْتُ للشطّ تحمَى   بهِ الرِّمالُ وتُضْرَمْ
وقد تَرَامَتْ عليــه   هيا كِلُ الفنّ جُثَّمْ
حِسانُه تتعــرّى   ونجمُــهُ يَتَحَشَّمْ !
وفتنةُ الحسنِ تطغَى   على القلوب وتَحْكُمْ
يا فتنةَ الصّيْفِ هــذى   مواكبُ الناسِ تُزْحَمْ

(١) التليل العنق   (٢) النميلة لغة فى النميمة

فرُّوا إليك سِراعاً من عالَمٍ كجهنَّمْ
ومن قيودٍ ثقالٍ ومن تقاليدَ نُسَّمْ
إلى حياةٍ مِراحٍ ومُتعةٍ وتنعُّمْ
على ضفافك تُبنَى مُنًى . وفى الغدِ تُهدَمْ
طفولةُ العمرِ حُلْمٌ هنا . وفى الصحو تهرَمْ !

حسن كامل الصيرفى

قبيـــل الوداع ...

للأستاذ العوضى الوكيل

لا تعذليه إذا انهلّت بوادرُهُ فقد دهاهُ وشيكاً ما يحاذِرُه
دنا الفراقُ وفى ذكر اسمه ألَمٌ القلبُ قد دَميتْ منه ضمائرُه
وأقبلَ اليومُ لا كانت أوائلُهُ من الزمان.ولا كانت أواخِرُه
الصبحُ وهو بشيرُ الحسنِ قد شحَبتْ
مِيمَانُهُ فهو جهمُ الوجهِ باسِرُه
لاالشمسُ فى أفقه شمسٌ تنيرُ ولا شعاعها باسمُ التَّلماحِ ناضرُهُ
ما إن أطالعُ فى الأكوانِ من بهجٍ
يوماً ومسرحُ حى انفضَّ سامِرُهُ
هيهاتَ لا طــربٌ يوماً ولا غزَلٌ
البشرُ فى نفسىَ اجتيحتْ مشاعِرُه
يا غائباً ليس يدرى أن غيبته هى القضاءُ الذى تُخشَى مقادرُه
أدْنيتَ حَينى ورَوْضُ العمرِ ذو زَهرٍ
والهفتاهُ إذا جفَّت أزاهِرُهُ !
حِرصى عليك وقدأغرَيتنى زمناً حرصُ البخيلِ إذا رانَتْ دنانيرُه
فكيف تَبعُدُ عنّى أو تطيقُ نوًى
إن لم أقلْ بكَ هجرٌ ذى مظاهرُهُ ؟ !
أزوركم وكأنى لستُ زائركمْ من لهفة الحب قد زادت سواعِرُه
والنفسُ تزعمُ أنى حين أشهدكم مخيِّلٌ شبحاً قد شطَّ زائرُهُ
وتزعمُ النفسُ أن العينَ قد كذَبتْ
وكيف تكذبُ إنساناً نواظِرُهُ ؟
يا أيها الرىُّ قد أظمأتنى زمناً وإن يكنْ بك نهرٌ فاضَ هادره
أنتَ الربيعُ وكم لى فيكَ من غزَلٍ
صاحت بلابلُهُ ... غنَّتْ عصافِرُهُ
عقَّ الربيعُ فما رقَّت جوانِحُهُ وقد توسَّل بالأنغام شاعِرُهُ
والغصنُ إن أهلكَ الطيرَ الصدوحَ بهِ
نحسبه أنه قد ماتَ طائرُهُ
فالنفسُ تأنسُ بالأغصانِ شادية
وتجتوى الروضَ إن ماتت شحارِرُهْ
ياسوسنَ الروضِ مجلوّاً مطالِعه من قال ذاكَ ظلومُ الحسن ناكِرُه
بل أنتِ للعين بستانٌ به زهرٌ قد ضمَّه فى سناكِ الحلو ناثِرُهُ
لا تسأم العينُ من مرآكِ ما نظرَتْ
ولا الفؤادُ وإن طالت مزَاوِرُهُ
كفاكِ أنك فى نفسى وفى أملى كونٌ من الفن لا تُحصى مفاخرُه
كونٌ رحيبٌ ... رحيبٌ لا حدودَ لَهُ
تكشَّفت لى — من حبِّهِ — سرائرُه
(سعادُ) ما كان أضنانى وأتعسنى
النأىُ — ويلىَ — جافى القلب جائرُه
واستمهلى القومَ أياماً نجمِّلها بالقرب إنى شرودُ اللبِّ حائرُه
وعشتِ لى يا رجائى فى الحياة ويا حلاوةَ العيشِ إن فاضت مرائره

العوضى الوكيل

جمـــــال وقلب

[من ديوان « إشراقة » تحت الطبع]

للشاعر السودانى المرحوم التيجانى يوسف بشير

وعبــدناك يا جمال وصغنا لك أنفاسنا هياماً وحبــا
ووهبنا لك الحيــاة وفجر نا ينابيعها لعينيــك قربى
وسحرنا بكل ما فيك من ضعف جميل، حتى استفاض وأربى!
وحبــوناك ما يزيدك يا لغز وضوحاً، وأنت تفتأ صعبا !
وذهبنا بما يفسر معنــا ك بعيداً ، وأنت أكثر قربا !
من ترى وزع الفاتن يا حسن؟ ومن ذا أوحى لنا أن نحبا؟
من ترى علم القلوب هوى الحسن وقال: اعبدى من الحسن ربا!
من ترى وثق العرى بين مسحورين ، أسماهما : جمالاً وقلبا ؟ !

التيجانى يوسف بشير



دراسات فى الفن :

الحب والفن والله

معراج غاندى الفنان

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

يصف القرآن أهل الجنة فيقول : « دعواهم فيها سبحانك اللهم، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

ويعرف الإنجيل الله فيقول : « الله محبة » .

ويروى الأستاذ فتحى رضوان فى كتابه عن غاندى أنه لما كان فى جنوب أفريقيا يجاهد الإنجليز فى سبيل الهنود وكرامة إنسانيتهم كان فى اجتماع ، وفيما هو يغادره مصطحباً سيدة انجليزية ألفته السيدة يتسلل من جانبها إلى ركن مظلم ، ورأته فى الركن يواجه شبحاً ورأته يمد يده إلى يد الشبح يأخذ منها شيئاً ذا نصل براق ، ورأته يخفى ذا النصل ، ثم يتأبط الشبح فيخرج به من الظلمة إلى النور يسايره ويحادثه ويباسطه ويوادعه ، ثم يعاهده ويستوثقه أمراً جللاً ثم يحييه ويفارقه فينصرف الشاب الهندى مطمئناً مؤمناً معتزاً بما فيه من كبرياء المستشهد بعد أن كان الشبح المتخفى المتلصص النازع إلى الجريمة . فراع السيدة هذا الذى رأته وسألت غاندى فقال لها : أحسست أن هندياً كامنا لى يريد القضاء علىّ لأنه حسب فىّ السوء والغدر وخيانة الهنود ، فسميت إليه ، وأنا مملوء بحبه كما أحب كل الهنود ... اتجهت إليه وأنا فى هذا الحب ، فما مس حبى الغل فى نفسه حتى نورّه فتألق حباً ، فتعارفنا وتفاهمنا فتآلفنا ، وتفارقنا ونحن إخوان فى حب الهند والذود عن الهند .

معجزة من معجزات الحب أيد الله بها غاندى ونجاه بها من كيد كان فيه الردى والهلاك ، ولم تكن معجزة كهذه لتقع بين سمع إنسان وبصره من غير أن تفعم نفسه وتشغلها باستدرا كما متحسسة متفهمة تواقة إلى تحصيلها بعد ما أعلن صاحبها أنها تيسرت له بتدريب روض عليه نفسه فكان هذا الإعلان إغراء بالمعجزات تباح لمن يريده، فدار بين السيدة وغاندى حديث تقصت فيه السيدة الحب وتلمته من أستاذه الجديد ، فكان مما علمه إياها أنه قضى زمناً ينام فى مسارح العقارب والثعابين ، وإنه كان يأمن عدوانها ، يؤمنه حب لها كان يطوى نفسه عليه ، وكانت تحسه نفاثات السم فتساله وتتجاوزه

معجزات أخر تنساب من روح غاندى فى نومه . فأى رجل هو ؟

إنه من أولئك الذين تحيتهم سلام ... وإنه من أولئك الذين يحققون فى الأرض وصية الإنجيل ودعوته إلى الحب الذى يقول إنه هو الله . فأى رجل هو ؟

ليس فى تاريخه ما يدل على أنه عبقرى العقل كما يعرف الناس العباقرة . كان فى صباه تلميذاً متأخراً متهيباً منقبضاً عن الدرس واللعب . وكان فى شبابه طالباً مجداً مثابراً شغالاً يعوض بالدأب والجهد ما تفوته عليه قلة الذكاء ، وكان بعد ذلك فى بدء اصطناعه المحاماة حيران متواضع الأمل ، راضياً كل الرضا بأيسر النجاح لو يؤاتيه من أشق العمل ، فهو يستفتى المجربين عن طرق النجاح كاليائس منه ، ثم يطرب ويسعد عند ما يبشره أحدهم بأن له التوفيق ما كد وانكب على عمله بالعناية والإخلاص

فهل كان غاندى على هذا غبياً متراجع العقل حين كان فى صباه التلميذ المتأخر المتهيب المنقبض عن الدرس واللعب ، وهل كان فى الحق قليل الذكاء حين كان فى شبابه طالباً شغالاً

لا يعرف فيه أساتذته ولا زملاؤه العقل المتألق الخطاف ويعرفون عنه الدأب والجد، وهل كان بعد ذلك المحامى الخائر الضعيف الجبان حين كان يسائل المجربين عن طرق النجاح فى المحاماة وحين رضيت آماله أن تتواضع فتتقعد عند تحصيل الرزق المهين والعيش التافه؟

هل كان غاندى هذا الإنسان الرخيص؟

الأدلة والدلائل من حياته تنفى عنه هـذا . بل إنها تثبت له عكسه ونقيضه، فغاندى اليوم هو الرجل الأول بين رجال الإنسانية الروحية، وليس هو الرجل الأخير بين رجال الإنسانية المادية . فلو كانه ما حسبت له انجلترة حساباً وما رهبت جانبه، فهى لا تخشى القسيسين ولا الرهبان بل إنهـا لو أمكنها أن تصرف الناس الذين تنزل بلادهم عن الاشتغال بأمور دنياهم ما ترددت فى ذلك وما تأخرت عنـه، وما امتنعت عن الإنفاق على الأديرة والمعابد تحشر فيها الناس زاهدين حالين، لتفرغ لها الأرض ترتع فيها تأكل وتشرب وتلعب وتعيث فيها تحضيراً وتمديناً ... أما وهى تخشاه، وتتقيه، وتتملقه حيناً وتقسو عليه حيناً، فلا بد أنها تعرف فيه خطراً خطيراً تخاف أن يكتفها وأن يخنقها بهذه الخيوط الدقيقة التى يغزلها من القطن والصوف بمغزله الصغير الذى لا يزيد ثقلاً ولا حجماً على لعب الأطفال ...

لا يمكن أن يكون غاندى هذا قريباً من الغباء ولا الغفلة؛ وإنما هو ذكى يتسامى ذكاؤه على ذكاء الناس، وعاقل يتعالى عقله على عقولهم . وليس فى هذا عجب ولا فيه خرق لنظم الطبيعة . فنحن إذا تأملنا نفس غاندى، رأينا الرفعة والسمو متحققين فيها مؤكدين فى الناحيتين اللتين تكملان النفس الإنسانية إذا أضيفتا إلى العقل، وهاتان الناحيتان هما الخلق والحس . فسيرة غاندى تثبت أنه من أرفع الناس خلقاً، ومن أشـدهم استساغة لمعانى الشرف والنبل والوفاء والبر والصدق والعطف والتضحية، وغير هذه من الفضائل . . . فقد كان فى الهند وفى انجلترة وفى إفريقيا الجنوبية، مثلاً سامياً للإنسان الفضيل الذى يأسر بالفضل أهله وذويه، والذى يعجز خصومه عن أن يتهموه بنقيصة خلقية، وعن أن يصفوه برذيلة . هذا على الرغم مما يرويه هو من عيوب نفسه وزلاتها . فقد اعترف على نفسه بأنه كان يسرق من أبيه ما يشترى به الدخان، كما سجل على نفسه أنه اقترف الزنا بإيحاء من صديق شقى كان يغريه بالفساد فى أوائل أيام الشباب ... فهذه الخطيئات العابرة لم تكن فى الحق أكثر من محاولات صبيانية أراد غاندى أن يتذوق بعض الطعوم من لذائذ البدن عن طريقها فما تذوقها حتى عافها سريعاً، لأنه رأى فيها تبدداً لغير الطلاقة والانطلاق . فعاد وصلح؛ ومنذ أن صلح وهو - فيما يعلم الله وفيما تقول حياته المكشوفة الصريحة - لا يقترف من الذنوب إلا هفوات الأولياء الصالحين .

هذه هى أخلاق غاندى! فهو بها أقرب من نعرف من الأحياء إلى الكمال، وهو إلى ذلك بإحساسه أقرب من نعرف من الأحياء إلى الكمال أيضاً . فقد مكنه الله من أن يصفى نفسه، وأن ينقيها حتى ليبلغ من صفائها ونقائها أن تعكس على النفوس أنوار إحساسها فتغيرها وتملأها بأمان النور وبهجته . وهذه مرحلة من الإضاءة الروحية يبلغها الإنسان بعد أن تتم له استضاءة نفسه هو بالإحساس الصادق والاستجابة لصدق الإحساس، وليس أدل على ما نقوله من هذا الحادث الذى طعن فيه غاندى بالحب ذلك الذى أراد أن يطعنه بذى النصل، فقتل فيه النزوع إلى الشر والعزم على الجريمة بعد أن جمع لها إحساسه وإرادته وإيمانه، وبعد أن دبر لها وقفته وخفيته وأعد لها سلاحه، وبعد أن هانت عليه فيها حياته وفرط لها فى شبابه!

غاندى إذن هو أكمل من نعرف من الأحياء خلقاً وأنضجهم حساً . فإذا صدق أنه قليل الذكاء ضعيف العقل لأنه احتسب فى التلاميذ من المتأخرين، ولأنه كان من الشبان الشغالين، ولأنه كان من المحامين الحيارى التائهين، فإن أكبر ما كان يمكن أن نتصوره يصل إليه من مراتب الرقى البشرى هو أن يكون شيخاً لطريقة من طرق التعبد والتدين اللذين يتطلبان فى الصالح من أشكالهما هذا الصفاء فى الحس، وهذا الكمال فى الأخلاق، وقد مهدت الحياة لغاندى أن يكون هـذا الشيخ، ولكنه أباه، وإن أنكر عليه شعبه هذا الإباء، وإن قدسه أهل ملته ورفعوه إلى ما يطاول مرتبة الأنبياء . ذلك بأن شعبه إذا لم يكن مفطوراً على تقديس المصلحين الأتقياء، فهو على الأقل مأخوذ بهذا التقديس متدرب عليه، فلو أن غاندى شاء أن يكون زعيماً من زعماء الدين لكان هذا الزعيم، ولما أنكر عليه الزعامة أحد، ولكنه عدل

عن هذا إلى ناحية أخرى من نواحى الحياة تستلزم الكفاح العقلى والانتصار فيه ، كما يسمدها التفوق الحسى والسلطان الخلقى . ولقد تم لغاندى النصر فى هذه الناحية بشهادة بعض الكبار من رجال الإنجليز الذين قارعوه فى الهند والذين وصفوه فقالوا : إنه رجل يمتاز فى تكوينه على غيره من الرجال ... وليست مغالبة الإنجليز الكبار بالأمر الهين ، ولا الانتصار عليهم بالأمر المتاح لكل إنسان ، والإنجليز حين يغالبهم الناس وحين يكافحون هم هؤلاء الغالبون لا يكافحونهم بالإحساس ولا بالأخلاق وإنما لهم فى المكافحة سلاح آخر هو العقل ، ويكاد العقل الإنجليزى يكون فى أرقى مراتب العقل البشرى ، فإذا غلبهم غالب بسلاح العقل فلا يمكن أن يقال إنه قليل الذكاء أو إنه متقهقر العقل ، ولقد غلبهم غاندى فى مواقع كثيرة فلا بد من أن يكون أقوى منهم عقلاً وأشد ذكاء

وإنه كذلك ! وعلى هذا يتم له الانسجام النفسى القائم على أساس من النسب النفسية الرفيعة المتألفة من الحس الأنضج ، والخلق الأكمل ، والعقل الأوفر

وهذا النوع من العقل هو الذى أردت أن ألفت إليه نظر القارئ فى حديث اليوم . فقد رآنى القارئ فى أحاديث سابقة نافراً من الزى الأوربى الذى يتزيى به العقل الحديث ، والذى ينزع إلى العلم المادى والحضارة المادية نزوعاً يكبت فى الإنسان إحساسه ويخمد أخلاقه . وقد رآنى القارئ فى حديث الأسبوع الماضى أرجو للإنسانية أن ترقى فيتحقق لها العقل الذى يطالبنا به الله فتحله محل هذا العقل الأوربى الذى لا يصدق فيه اسمه إلا من حيث إنه غلل الحس البشرى وكتف الأخلاق كتفاً لا يسمح لها بالسمو إن لم يهبط بها إلى الحضيض

عقل غاندى هو بشارة من بشائر الرقى الإنسانى التى تسارع إلى الظهور فى بعض مراحل التطور البشرى ، ولو لم تتأهب الإنسانية لإحسان استقبالها وإحسان استنباتها

فما هى ميزة هذا العقل وما هو طابعه ؟

إنه العقل النافذ الهادئ المنطلق إلى هدف يناديه من السماء والذى يدرك حقائق الأشياء وما بين الأشياء من علاقات منذ أن تعرض له هذه الأشياء ، والذى يلهمه الإحساس الصادق فلا يخطئ فى تقديره ولا تكييفه إياها ، والذى تقوده الفضيلة إلى إحسان الموازنة بين الحقائق وبين الأشياء فيعرف أيها يأخذ لنفسه وأيها يدع ، وأيها جدير بالاهتمام وأيها حقيق بالإهمال ، وأيها لازم لتقويم كيان الفرد ، وأيها لازم لصلاح المجتمع ، وأيها بعد ذلك حشو للعقل يتخمه ولا يغذيه

هذا هو العقل الذى زان الله به غاندى ، وهو عقل ممتاز سام يدل على غاندى كما يدل عليه إحساسه وكما تدل عليه أخلاقه فهو عقل خاص نادر لأن غاندى رجل نادر ، وهو بطبعه غريب على هذه الحياة وهذه الحضارة ، غريب على علومها وعلى الأجواء التى يجول فيها عقلها ، ولذلك فإنه يكاد يصعب عليه أن يصاحب العقل العادى وأن يماشيه ، وإنما هو ينفر من ذلك العقل العادى بطبيعة تكوينه ، والناس الذين يعتبرون الحساب ، وعلوم الرياضة « المتسحلفة » مقياساً للذكاء يرون هذا الاختلاف بين عقل غاندى وبين عقلهم ويأبون أن يتلمسوا الضعف فى أنفسهم ، وينسبون الضعف والتأخر للعقل الخارق العجيب الذى يحيرهم والذى يرونه كالعاجز عن مجاراتهم ، وهو فى الحق مستقيم يتجه إلى هدف خاص ينزع إليه صاحبه بإحساسه وأخلاقه ، فلا يلتوى على نفسه ولا يتعقد ولا يتعثر مثلما تتعثر العقول المتحضرة حينما تجمع علمها من المتناثرات من الحقائق لا يحدوها فى هذا الجمع غرض ولا تريد من سبيله أن تصل إلى هدف ولا أن تؤدى به رسالة ، ولا يهمها إذا كان هذا الذى تعلمه شىء يستحق أن يعلم أو أنه لا يستحق ذلك

وهذا هو أشرف ما يدعيه العلماء لأنفسهم فهم يقولون إنهم يطلبون العلم للعلم ، وهم حين يدعون هذا يحسبون أنهم يردون به على أولئك الذين ينتقصون قيمة علمهم ويتهمونه بأنه سعى إلى خدمة المادة فى الحياة ، أو أنه سعى إلى خدمة الشر . فإذا صح هذا الذى يدعونه ولم نقس عليهم قسوة من يتهمونهم بمختلف التهم لم يكن علمهم إذن إلا ضرباً من الفضول أو التجسس على قوى الطبيعة . والفضول سخف ، والتجسس رذيلة

أما العلم الذى يصل إليه العقل الفضيل الحساس فليس فيه من الفضول شىء ولا من سخف الفضول ، وليس فيه من التجسس شىء ولا من رذيلة التجسس ، وإنما هو علم يطلبه صاحبه لأنه يحبه ، ويرفض ما عداه لأنه لا يريد شيئاً غيره ، وهو يسمى



قوانين النشاط الحرارى وتحول الطاقة

للدكتور اسماعيل أحمد أدهم

قرأت فى عدد مضى من الرسالة ما كتبه الأستاذ نصيف المنقبادى المحامى ، وقد راعنى ما فيه من الخلط بين التحقيقات العلمية والنتائج التى وصل إليها العلم وبين بعض فكرات عتيقة فى الكون مستمدة من التفكير الفلسفى ، لا تجد مكاناً اليوم فى عالم العلم . وأى فكرة أدخل على العلم من القول بأن المادة (أو مجموع المادة والطاقة) قديمة والاستناد إلى مثل هذه المبادئ الفلسفية للاعتراض بها على نتائج انتهى إليها العلم فى المعمل والمختبر وحققتها التجارب على مدى طويل من الزمان . والواقع أن التفكير العلمى الحديث يرفض مثل هذه الآراء المرتجلة « ولا يعرف من مفهوم المادة والطاقة إلا أنهما عقدتان فى عالم الزمان — المكان » وقد سبق أن أشرت إلى بعض هذه الحقائق فى البحث الرياضى الذى نشرته لى مجلة الرسالة لأربع سنين خلت عن نظرية النسبية الخصوصية وقلنا فى ذلك الحين مانصه :

(ليست المادة كما يعبر عنها العالم الطبيعى الكلاسيكى ، بأنها كل ما كان لها امتدادات ثلاثة فى المكان ، بل المادة مجموعة توالى الحادثات فى نقطة واحدة من نقط عالم الزمان ـ المكان ، وذلك بمعنى أن العالم ليس إلا مجموعة من الحادثات Events وتوالى عدد من هذه الحادثات فى نقطة واحدة يلقى فى روعنا معنى المادة)
(الرسالة السنة الرابعة العدد ١٤٠ . ص ٣٨٧)

ومعنى هذا الكلام أن العلم الحديث يرفض فكرة المادة فى مفهومها القديم الذى يعتبرها « الشىء الذى تتقدم به الصور » وهذا الرفض أقرب إلى إنكار المادة إذا أخذنا المادة على هذا المفهوم وهذا الكلام يمكن شموله أيضاً الطاقة ومفهومها وبعد ذلك نجد

إليه لأنه يشعر أن فيه كماله ، وأن فى الوصول إليه راحته وأنه قبل هذا وذاك يرضى إحساسه وأخلاقه وينسجم معهما

وهذا هو العلم الذى يبدو حين يطالع الناس وفيه من نفس صاحبه إحساس صاحبه وأخلاق صاحبه ، كما يكون فيه من عقل صاحبه . فأى شىء يشبه هذا العلم ؟ إنه يشبه الفن . وهو يشبه الفن من حيث إنه تعبير عن نفس صاحبه ، ومن حيث إنه يحقق حاجة من حاجات صاحبه الروحية ، وقد تشمل هذه الحاجة مطالب مجموعة خاصة من المجموعات البشرية وقد تشمل مطالب البشرية بأسرها

هى إذن رسالة علمية عقلية ، وهى قائمة على أساسين من الحس والخلق إلى جانب ما تقوم عليه من أساس العقل . وليس كل العلم هكذا ، ولا كل العقول التى تجرى وراء العلم هكذا . وإنما هى نفوس الفنانين التى تنحرف لضرورة من ضرورات الحياة عن إنتاج ما اصطلح الناس على اعتباره من الفنون الجميلة إلى أداء رسالات هى فى ظاهرها غير هذه الفنون ، وهى فى حقيقتها فنون جميلة بل إنها أجمل الفنون . ذلك أنه إذا كان جميلاً أن ينشئ إنسان لحناً أو قصيدة أو قصة أو تمثالاً أو صورة فأجمل من ذلك أن ينشئ إنسان نفس إنسان آخر ، والأجمل الأجمل أن ينشئ إنسان جيلاً من النفوس فى جيل من الناس على صور من خياله . وليس أجمل من أن تقوم رسالة فنية على أساس من الحب يطوى المؤمنون بها نفوسهم عليه ويهونه لأعدائهم كما يهبونه لأصدقائهم : فتحيتهم سلام وغايتهم محبة ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

عزيز أحمد فهمى

الصورة العلمية الجديدة لمادة والطاقة أقرب إلى Phenomenisns — أعنى الفلسفة التى لا ترى شيئاً وراء المظاهر Phenomens الطبيعية

وإذن فى مثل هذا التفكير لا يمكن التكلم عن القدم والحدوث، ومفهوم اللاتناهى فى القدم لا معنى له فى العلم الحديث .

أما الشىء الذى يعترض به فى الواقع على ما جاء به الدكتور محمد محمود غالى ، فهو أنه تعقيد أكثر من اللازم بمبدأ النشاط الحرارى الثامن الذى قال به العلامة سارى كارنو عام ١٨٢٤ والذى ينص على أن الطاقة فى تحولها تتنزل وأنه ليس فى المستطاع عكسها . لأنه من المعروف أنه من اليوم الذى أزاع كارنو فيه رأيه قد بذلت الجهود فى سبيل إيجاد التلاؤم بين مبدأ تنزل الطاقة وعدم عكسها ونظرية القوى المركزية التى تفترض إمكان عكس أى شىء فى الطبيعة . ومن هنا قامت جهود ماكسويل Maxwell وبولتسمان Boltzmann وجيبس Gibbs فى أن الحادثات لو كانت تقترب من حلة التجانس ، فليس ذلك نتيجته لأن العناصر المتباينة تميل لعدم التخالف والتباين ، وإنما يعود ذلك إلى الاختلاط ، فالاختلاط إذا بلغ الحدّ الأعظم اللامتناهى ، أو ما يقرب منه بدا وكأنه متجانس للنظر وهو فى الواقع غير ذلك. وفى هذا وحده عدم إمكان تصور أن الأجسام الساخنة لا ترجع لحالتها الأصلية عن طريق العكس. وكما يقدر Gibbs أننا لو فرضنا حبة من قمح أخفيت فى كومة من الشعير واختلطت بها ، فتصور هذا الحادث من السهولة بمكان، والنظر البشرى لن يميز وجود هذه الحبة ومن هنا سيحكم بأن الكومة كلها متجانسة مكونة من مادة الشعير . وهو لو عرف أن حبة قمح قد اختلطت مع الكومة وذهبت طى الكوم فإنه سيعتقد باستحالة استخلاص حبة القمح من الكوم . وفى هذا وحده كان تفسير Gibbs لعدم إمكان العكس الذى يتظاهر بمبدأ كارنو

إلا أنه من المهم أن نلاحظ أن هذه المحاولات تستند إلى قوانين الإحصاء Slatistique وهى إن كانت صحيحة فى عالم النظر ، ولكن مبدأ كارنو كان بكل قوته فى عالم الواقع كمبدأ تؤيده التجربة . ولكن الذى حدث أنه فى أواخر القرن التاسع عشر لاحظ العلامة برون Brown فى المايعات التى يستحضرها تراقصاً غير منتظم فى الجزيئات ، وعرف هذا التراقص بالحركة البرونية Brownien وقد ظن بادئ ذى بدء أن هذه الظاهرة وقف على عالم الأحياء إلا إن بعضهم لاحظ وجودها فى العالم الميكانيكى — الآلى — وافترض لتعليلها أن الضوء يتجمع ويتكاثف على هذه الجزيئات ، ولما كان الضوء لا يفترق عن موجات الحرارة ؛ فإن الحرارة تتخلف فى ذلك الوسط من مكان لآخر ويكون نتيجة ذلك مجموعة من المجارى وهى تحدث هذه الحركات . غير أن البحاثة Gowy نقض هذا الفرض بأن بين أن هذه الجزيئات كلما كانت صغيرة كانت حركاتها المشهودة تدل على أنها أسرع ، هذا إلى أن هذه الجسيمات لا تتأثر بالنور الساقط عليها ؛ فإذا صح أن هذه الحركات تحدث بدون أن تستند إلى مصدر من الطاقة خارجى ، فماذا يكون الموقف ؟

لا شك أنه لا يمكن التراجع عن مبدأ ماير Mayer فى حفظ الطاقة ؛ كما أنه لا يمكن أن ننكر أن الدلك والحركة يتحولان إلى حرارة ، وبدون أن نبذل جهداً نرى الحرارة تتحول لحركة . وهذا ينافى مبدأ كارنو

هذا ما تركنا فيه العالم فى أوائل القرن العشرين والشك يحف بمبدأ حفظ الطاقة وقوانين النشاط الحرارى وتنزل الطاقة

حقيقة أن إينشتين وبيران وغيرهما قد أعادوا الثقة إلى هذه المبادئ والقوانين وإن عدلوها وأخرجوها عن مدلولاتها الأولى ، ولكنا نعرف أن فى الإمكان فى ضوء الجهود الجديدة أخذ مبدأ كارنو من جهة حسابات الاحتمال وربطها بالنظرية الاحتمالية التى يقول بها هيزنبرج وشرودنجر وديراك وغيرهم من الأعلام ، وإن كان لى أن أذكر هنا شيئاً لى فهو مذكرتى عن «الحركة البرونية» التى قدمتها عام ١٩٣٥ إلى أكادمية العلوم الروسية ونشرتها مبسطة بمجلة — Priroda الطبيعية — الروسية عام ١٩٣١ ونقلتها عنها Herald of the Academy of Sciences فى نفس السنة أما الأصل العلمى للمذكرة فتجده فى Izveatia لأخبار الأكادمية وأعمالها العلمية وتجده فى النشرة التاسعة ١٩٣٥ ص ٤١١ — ٤١٦ ويمكن أن ينظر عنها شيئاً The Reports on the actevitées of USSR Academy of Science for 1938, by V. P. Volgin, Mosocw 1935.

من هنا نرى أن مبدأ كارنو من ناحيته النظرية لا يمكن

أجمل الكواكب

للأستاذ قدري حافظ طوقان

زحل أجمل الكواكب ، وأكثر الأجرام السماوية بهاء ! سحر الناس بمنظره وخلبهم بحلقاته . ليس كمثله كوكب ، فريد فى شكله ، وحيد فى شذوذه . . . يحيط به ثلاث حلقات مستوية دائرية يختلف منظرها باختلاف موقعه . . .

فمن هالات بيضوية حوله . . . إلى خط منير يقطعه ويمتد على جانبيه ! . . . ومن أغرب ما نرويه أن حقيقة هذه الحلقات عُرفت من المعادلات الرياضية . فلقد بيّن العالم الشهير « ماكسويل » أن هذه الحلقات تتألف من أجسام صغيرة جداً كثيرة العدد ، تدور حول الكوكب فى أفلاك دائرية تقريباً . . . ولقد أثبت (مبين الأطياف) أن دوران أجزاء الحلقات البعيدة أبطأ من دوران القريبة ، كما يرجح البحث العلمى : أن تكوّن هذه الحلقات يرجع إلى اقتراب أحد أقمار زحل نشأ عنه تمزيق ذلك القمر إلى قطع صغيرة تكونت منها هذه المجموعة من الحلقات الثلاث . . .

وهذا جزاء كل قمر يقترب كثيراً من أمه ! فلو اقترب قمرنا من الأرض — وهذا ما سيجرى بعد ملايين السنين — فلا بد أن يجرى عليه ما جرى على قمر زحل ، فيتمزق إلى قطع صغيرة ينشأ عنها حلقات حول الأرض على الشكل الذى نراه فى زحل . وهذا ما سيزيد فى جمال ليالى الأرض وما سيغمرها نوراً وسناء تتجلى بهما القريحة وتفيض معهما المشاعر . ويقول جينز « . . . وعلى الرغم من أن هذا سيزيد فى بهجة الحياة فلن تكون الأمور من بعض النواحى مريحة كما هى الآن إذ سيكثر تصادم بعض الأقمار ببعض وستتناثر أجزاء تقع على الأرض كالصخور الضخمة تسقط من السماء . . . » وزحل من الكواكب البعيدة عن الشمس بالنسبة إلى الأرض ، يبلغ بُعده (٨٨٥٫٩٠٠٫٠٠٠) ميل ، وطول سنته ٢٩ سنة ونصف سنة من سنينا ، أما معدل قطره فيقرب من (٧١٫٥٠٠) ميل وعلى هذا فحجمه يساوى (٧٣٤) مرة قدر حجم الأرض

وقد حسب الفلكيون كتلته بطريقة رصد أقماره وما يحدثه من تأثير جذبى على المشترى فكانت ٩٥٪ من كتلة الأرض . وما دام الأمر كذلك ، وما دام حجمه أكبر من حجم الأرض بمئات المرات فهو من أقل الكواكب كثافة إذ لا تزيد كثافته على ٧٢٪ من كثافة الماء مما يدل على أن قسماً كبيراً منه لا يزال فى حالة غازية

ويوم زحل قصير لا يزيد على ١٠ ساعات وربع ساعة ، ويحيط به جوّ ملئ بالغيوم يمتد إلى آلاف الأميال . وعلى كل حال يمكن القول بأن معلوماتنا عن سطحه وما يجرى عليه من تغييرات لا تزال فى أولى درجاتها

وهو غنى بالأقمار يحيط به تسعة أقمار تبعد كثيراً عن الحلقات ويشذ أحدها (كما يشذ اثنان من أقمار المشترى) فيسير من الشرق إلى الغرب بينما الأقمار الثمانية الباقية تسير من الغرب إلى الشرق

ومما لا شك فيه أن هذه الأقمار بحجومها المتباينة وحركاتها المتنوعة، والحلقات بأقواسها الفضية الجميلة، من أبهى المناظر التى تقع عليها العين ، وأروع المشاهد التى يراها الإنسان

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

أن يسوق إلى فكرة الموت البطىء إلا إذا حملنا المبدأ فى الصور الجديدة التى أخذتها أكثر مما يحتمل ، وأظن أن هذه المسائل، لأنها أدخل فى باب المسائل النظرية ، لم يولها الدكتور غالى أهمية وهو الإخصائى فى المسائل التطبيقية Applied من العلوم الطبيعية

ولنا بعد عودة لمراجعة بعض آراء الدكتور غالى العلمية وخطراته خصوصاً فيما يتعلق بمبدأ الصدفة المنظمة ونظرية النسبية

(الاسكندرية) اسماعيل أحمد أدهم

دكتوراه فى العلوم الرياضية والطبيعية النظرية وفى الفلسفة العلمية من موسكو

من هنا ومن هناك

لإنقاذ العالم من الحرب

[عن « سيرفس إن لايف آندورك »]

ظهر فى الأيام الأخيرة كتاب قيم لكلارنس ك . سترايت بعنوان الاتحاد الآن Union Now وقد كان المؤلف يمثل جريدة « نيويورك تايمس » فى أوربا وقضى السنين القليلة الأخيرة فى جنيف والمؤلف من المتحمسين فى الأصل لعصبة الأمم ، وهو فى هذا الكتاب يبين العلل والأسباب التى قضت على الآمال العريضة التى بناها العالم فى سنة ١٩٢٠ لإنقاذ الديمقراطية والقضاء على فكرة الحرب ، ويقدم إلى العالم الاقتراح الذى يراه لضمان السلم وتوطيد دعائم الوفاق ومن رأيه أن الحالة التى تهدد العالم الآن لا ترجع أسبابها إلى مبادئ الاشتراكية ، أو الفاشية ، أو الاشتراكية الوطنية ، ولا ترجع أسبابها إلى مطامع الدكتاتورية وعنادها ، ولا ترجع كذلك إلى إخفاق الدول الديمقراطية . فهذه كلها نتائج لا مسببات ، ويرى أن السبب الجوهرى لموقف اليأس الذى يقفه العالم اليوم ، يرجع إلى الفوضى التى تسوق الأمم التى تضع له خطط السلام والراحة ، إلى التفكير فى أن يكون لها دون غيرها السيادة والسلطان

هذا أساس الداء كما يشخصه المؤلف ، أما العلاج الذى يراه لهذه الحالة ، فينحصر فى إيجاد نوع من السيادة الدولية على هيئة تحالف بين الخمس عشرة دولة الديمقراطية الموجودة الآن، كنواة لنظام عام تسوده حكومة عالمية

وقد كتب لورد « لوثيان » سفير انجلترا فى الولايات المتحدة قبل تعيينه فى هذا المنصب بأيام قليلة مقالاً قيماً فى التعليق على ما جاء فى هذا الكتاب قال فيه :

إن الحرب ضرورة ورثتها الأمم القوية لتحديد علاقاتها . بحيث يفشل الاتفاق الودى لا تجد الأمم القوية مفراً من الحرب للدفاع عن كيانها واسترداد حقوقها ، فسواء حاولت هذه الأمم أن تعمل كل منها على انفراد أو فضلت التحالف أو الاتحاد الدولى تحت نظام خاص كعصبة الأمم فهذه الحقيقة لا تتغير

إن قوة الأمم معناها أن اللجأ الأخير الذى تلجأ إليه ، إذا لم تفلح سياسة الاتفاقات الودية مع الأمم الأخرى، هى سياسة القوة أو الحرب. ويترتب على هذه السياسة أن الحكومة ترى نفسها مسوقة إلى تضحية حقوق أبنائها واستقلالهم لزيادة قوتها واستعدادها للدفاع عن كيانها كما هو ظاهر اليوم ، ومن النتائج المحققة لسياسة القوة والسيادة انتشار الفقر بين جمهور الشعب وازدياد عدد العمال العاطلين ، وانتشار الفساد واليأس بين السكان

وتقود هذه السياسة إلى الحرب الاقتصادية بين الأمم حيث تحاول كل أمة أن ترعى مصالحها الاقتصادية بصرف النظر عن مصالح الأمم الأخرى ، فترتفع الضرائب وتمتنع الهجرة ويوقف تصريف رءوس الأموال

وهذه القيود والحواجز الاصطناعية من شأنها أن تزيد فى محصول كل أمة، فيضيع التوازن بين محصول الأطعمة والخامات والقوة الصناعية ، لا فى هذه الأمم فحسب ولكن فى العالم أجمع

صوت من مقبرة تشيكوسلوفاكيا

[عن « ليدوفى نوفينى » براج]

الأمم كالأفراد يقابل سقوط بعضها بالأسف كما يقابل موت البطل فى أسفار التاريخ . ويدرك بعضها الفناء ، فتنضب قواها ، وتزول نفوذها شيئاً فشيئاً كما تتلاشى المياه وتزول فى أعماق الرمال فلا يجد المؤرخ فرصة للتحدث عن مجدها وسلطانها الزائل . ومما لا شك فيه أن تاريخ بريطانيا وفرنسا منذ انتهاء الحرب العظمى ينتمى للنوع الأخير .

ففى سنة ١٩١٨ كانتا تمثلان أكبر قوة على الأرض وكانت كلمتهما هى القانون . فماذا بقى اليوم من هذه القوة ؟ كل إنسان يستطيع أن يجيب على هذا السؤال بسهولة ، وعلى الأخص إذا كان من سكان أوربا الوسطى ، فقد أصبحوا وكأنما فصلهم عن بريطانيا وفرنسا محيط مترامى الأطراف !

قال حكيم من حكماء الرومان : الإنسان لا يكون سيئاً مرة واحدة . ومما لا شك فيه ألا يكون كذلك ضعيفاً مرة واحدة

ومن الصعب علينا أن نعرف بالتحديد اللحظة التى أخذت فيها قوى الديمقراطية الغربية فى الانحدار . فمن المحتمل أن نعزو ذلك إلى ظروف كثيرة وأسباب عديدة . لقد كان الفيلسوف الألمانى « فردريك نيتشة » قليل الثقة بالقيم الأدبية للانتصارات . فكان يقول : إن الانتصارات كثيراً ما تحيط الأمة بسياج من البلادة وقد نكون قريبين من الصواب إذا قلنا إن الانتصارات تصيب الأمم بالكسل على الدوام

إن الهزيمة ولا شك هى التى ألهبت بسياطها نشاط الأمة الألمانية وحفزتها إلى العمل . وقد عرف زعيم ألمانيا قيمة الجيش للدولة فجمل همه إذكاء روح الرجولة والقوة بين أبنائها ودعوتهم ليكونوا على استعداد للموت فى أى لحظة إذا احتاج الأمر. فهذا الموقف الجديد لم يقابل من فرنسا وبريطانيا العظمى بالاهتمام ولم تتيقظا له إلا بعد سنين من النوم والإهمال . وقد ظلت بريطانيا إلى اللحظة الأخيرة مكتفية بجيشها الصغير ولم تكن لتكلف أبناءها بشىء أكثر من دفع الضرائب . فكانت النتيجة الطبيعية أن خفت صوتها فى هذا العالم الذى بدأت مظاهره من سنة ١٩٣٣ وقد أصبحنا نسمع الشباب فى انجلترا يتحدثون بلسان السخر والاستهتار عن قيمة الإمبراطورية التى شادها آباؤهم وأجدادهم ، ويعلنون أنهم لايريدون لامبراطوريتهم العظيمة إلا الهدوء والسلم. أما فرنسا فعلى الرغم من جيشها الكبير فقد وقفت جامدة إزاء الفوضى التى تعم كل مكان للمحافظة على جبهتها

إن أزمة سبتمبر الخالى تبين مقدار ماوصلت إليه عزيمة بريطانيا وفرنسا من الانحدار . فالهمة التى أبدتها الأمتان تجاه هذه الأزمة ، سرعان ما تبخرت تحت تأثير حب السلامة والكسل حينما أتيحت الفرصة إلى ذلك ! ! لن ينسى العالم هـذا الموقف العجيب . ولن ينسى صورة مستر تشمبرلن رئيس الوزارة الإنجليزية وهو ينحنى من عربته غب عودته من ميونخ ، ملوحاً للجماهير بوريقة كتب فيها بضع كلمات ، ليقول: لقد استخلصنا السلم للعالم

لماذا يكذب الأطفال

[عن مجلة « هيجيا » بشيكاجو]

يجب أن يعلم الأطفال أن مدنيتنا قائمة على الاحترام والثقة المتبادلين بين الناس على أساس الأمانة والشرف . ويجب أن يعرفوا أن الصدق أمر حيوى فى حياة الإنسان ، وأن الكاذب لن يكسب احترام مواطنيه . ولكن هل العقاب المحض هو خير الطرق لإفهامهم ذلك ؟ إذا عرف الآباء لماذا يكذب الطفل فمن المحتمل أن يستطيعوا إبعاده عن هذه الصفة الذميمة دون أن يلجأوا إلى العقاب العنيف.

والكذب نوعان : كذب مقصود وهو الذى يحاول فيه الطفل أن يغش الآخرين ، وكذب غير مقصود وهو الذى لا يدرك الطفل ما فيه من الزيف

فإذا جاء إنسان لآخر وقدم إليه تفاحة حمراء وحاول أن يقنعه بأنها سمراء فإنه لا بد أن يصمه بالكذب إذا لم يثبت لديه أن هذا الإنسان مصاب فى نظره بآفة الألوان . وهكذا الشأن فى الطفل الصغير فمن واجب الآباء ألا يصموه بالكذب بغير روية ، يجب أن يعرفوا قبل كل شىء لماذا لا يرى الدنيا كما يرونها بالتحديد

قد يكذب الطفل لأنه لا يستطيع أن يدرك تمام الإدراك ، أولأنه تعوزه الدقة فى النقل وسلامة الفهم فى الحكم على الأشياء فمن القسوة أن يعاقب على الأكاذيب التى من هذا النوع . وقد يقود العقاب الطفل إلى حالة سيئة للغاية فيفهمه معنى الكذب ويضلل لسانه البرىء عند كل قول . قد لا يفهم الطفل معنى الكذب فمن واجب الآباء فى هذه الحالة أن يعذروه ويبينوا له أسبابه حتى لا يعود للوقوع فيه

أما الكذب المتعمد ، وهو الكذب الذى يحاول فيه الطفل خداع الآخرين بقصد الاحتيال والغش ، ألا يوجد علاج له غير الصفع والضرب ؟

إن الأسباب التى تدعو الأطفال إلى الكذب على وجه العموم هى الخوف من العقاب فيجب على الآباء أن يحيطوا أبناءهم بجو من التفاهم والعطف والمساعدة

فحيث يتورط الطفل ولا يجد مخلصاً ، حيث يعاقب ولا يفهم تماماً السبب الذى عوقب من أجله ، حيث يعامل معاملة لا يفهمها عقله الصغير ، تضيق الدنيا فى ناظره ولا يجد غير الخداع سبيلاً للدفاع عن نفسه ، والخروج من المأزق الذى وقع فيه



حول نعيم الفردوس

لبعض القراء غرام بتعقب ما أكتب فى الدين من حين إلى حين ، لأنهم يتوهمون أن الذين فى مثل حالى من المشغولين بالدراسات الفلسفية يغلب عليهم التطرف والخروج على المألوف من قواعد الدين .

وأنا أرحب بالنقد ، وأراه علامة من علائم الحيوية العقلية فلا يضايقنى أن يكون فى القراء من يراقب ما أكتب فى الشئون الدينية عساه يجد مجالاً للتعقيب أو التصحيح .

ولكن الذى أنكره على بعض القراء أن يحرّف الكلم عن مواضعه ليصح له أن يصورنى بصورة المسىء ، كالذى وقع من الفاضل الذى زعم أنى قلت :

« إشغلنى عنك ، يا رباه ، بما فى الجنة من أطايب النعيم » ليجوز له أن يقول : « فهل رؤى سوء أدب وسوء فهم للدين كالسوءين المتجسمين فى دعاء زكي مبارك هذا » ؟

وأنا لم أقل ما نسبه إلىّ هذا الرجل الفاضل ، وإنما قلت :

« إشغلنى عنك ، يا رباه ، بما فى الجنة من أطايب النعيم ، فإن بصرى أضعف من أن يواجه نورك الوهاج »

وهذه العبارة هى غاية الغايات فى الإيمان بعظمة الله ذى العزة والجبروت ، ولكن ذلك الفاضل حذف الشطر الأخير ليجد الفرصة لادّعاء الغيرة على الدين ، فهنيئاً له ما ظفر به من التقول على رجل أعزه الله بالإسلام الصحيح ، وعصمه من الاتجار بالدين

ألا يكفى أن نسكت عن الأوهام التى يذيعها بعض الناس من وقت إلى وقت بحجة أنهم المرجع الأول لنشر التعاليم الدينية ؟ وفى أى شرع يجوز تحريف الكلام عمداً ليتمكن من فى قلوبهم مرض من تجريح الأصحاء ؟

إن الكلمة التى قلتها لها معانٍ لا يدركها غير صفوة المؤمنين ولو طُلب منى توضيحها لقلتُ : إن العبادة الصحيحة هى رؤية الله فى نعمه المشكورة ، وليست فى دعوى النظر إليه ، وهى دعوى أعرض من الصحراء .

وأنا دعوت الله بما دعوت ، وأرجوه أن يتقبل ذلك الدعاء ، فإن بصرى على حدّته أضعف من أن يواجه نوره الوهاج .

أحب أن أراك فى نعمك ، يا رباه ! فى الحدود التى تساميت إليها فى كتاب « التصوف الإسلامى » ، وكن وحدك الرقيب على عبدك الحافظ لفضلك ونعمتك ، فليس له فى الوجود نصير سواك .

زكى مبارك

الوحدة العربية

سيدى الأستاذ الزيات

لقد قرأت كما قرأ غيرى ما جرى بين الأستاذ « ساطع الحصرى بك » و « الدكتور طه حسين بك » من نقاش حول « الوحدة العربية » فرغبتُ فى نشر حديث كان قد جرى بينى وبين أستاذ فرنسى يدور حول هذا الموضوع .

بدأ الأستاذ الفرنسى حديثه معى بالكلام على ما يسميه الناس بالحقائق فقال : ليس هناك حقيقة مطلقة

قلت : نعم . لأنه ليس هناك نظر مجرد ، فبقدر ما يكون امتداد النظر يكون اتساع الأفق

فشجعه ذلك على الاسترسال فقال :

أراكم تلهجون كثيراً « بالوحدة العربية » فى هذه الأيام . فهل ترى إمكانها ؟ إن مقياس كل شىء فى هذا العصر هو الفائدة منه ، فما فائدة هذه الوحدة لكم ؟ أتعتقد أنك عربى ؟ أنت مصرى قبل أن تكون عربياً ، قبل أن تكون مسلماً . أليس كذلك ؟

قلت : ألست تسأل لتعرف الحقيقة ؟

قال : بلى !

قلت : حسن إذن . قد يكون الجواب على السؤال سؤالاً آخر ، فما هى الدولة ؟ وما الفائدة من وجودها ؟

قال : إن تعريفها غير متفق عليه ، ولم يصل أحد بعدُ إلى تعريف حاسم لها . أما فائدتها فما أظن أحداً ينكر الفائدة من وجودها ؟

قلت : أمعنى ذلك أن الدولة لا توجد لأن تعريفها لم يُحدَّد ؟

قال : من ذا الذى يقول بهذا ؟ إنها موجودة رغم ذلك !

قلت : أنت تدرى أن الدولة مكونة من عناصر هى : وحدة الدين ، واللغة ، والجنس ، والتقاليد ، والتاريخ ، والأمانى ، والغايات ... وكل هذه العناصر ينتظمها « روح معنوى » يسرى بين سكان الدولة — هو شعورهم — بأنهم يكوّنون دولة لها وجود ، ولها حياة ، ولها غاية تسمى إليها ... الكل المجموعى لا الجبى لكل هذه العناصر ، تنتظمه هذه الروح ، هو ما يسمى بالدولة . فماذا ينقص الشعوب العربية من ذلك ؟ لا شىء ألبتة . بل أنا أنظر حولى ، فلا أرى شعباً فى العالم يضم من هذه العناصر ما يضمه الشعب العربى . إن ألمانيا الحديثة تقوم على أكذوبة « الجنس » فلنفرض أن « الوحدة العربية » تقوم على أكذوبة من هذا النوع ... هذا إذا أعوزنا التعلل ، وعجزنا عن التعليل !

إن الصعوبة الكبرى فى قيام الوحدة العربيــة ، تنشأ من أن العرب شعوب متعددة تخضع خضوعاً تاماً — أو ناقصاً — لدول شتى . كما أن هناك اختلافاً على مدلول هذه الكلمة وتفاصيل هذا المدلول « الوحدة العربية » يفسره كل تبعاً لما يراه أنه الأفق لمصلحته ، أو رأيه ، أو هواه .

فلو كان العرب كلهم أحراراً ، أو لو كانوا كلهم يخضعون لسيادة دولة واحــدة لحفزهم الغرض من وجودهم إلى الاتحاد ، أو لدفعتهم الغاية المتحدة فى التخلص من نير الأجنبى إلى تكوين الوحدة المرتجاة ، كما أنهم لو تفاهموا لاتحدوا فى وجهة النظر ، وسبيل الوصول .

لو لم تكن « الوحدة العربية » حقيقةً واقعة ، لكانت أمراً واجباً . إن الوحدة العربية ليست هدماً للمزايا الجنسية للشعوب القديمة : كالمصريين ، والأشوريين ، والبابليين . ولكنها جمع لكل هذه المزايا لتكوين شعب واحد ، وحدته خير من تفرقه على كل حال . أما مزايا الجنس فلا تموت والتوحيد لها بمثابة التطعيم ، والتطعيم خير سبيل : للتجديد والتخليد والبقاء . إن الكبرياء المنصرية جهل بمزايا الوحدة ، وإذا كانت الوحدة العربية كذباً ، فكم من كذب هو أنفس من الصواب عند ذوى الرَّكانة والبصيرة ، والكذب فى السياسة ، صدق فى النظر !

الوحدة العربية ، حقيقة واقعة ، لأنها عقيدة راسخة !

الله موجود لأنه واجب الوجود ، والوحدة العربية موجودة لأنها واجبة الوجود !

***

هذا رأيى فى الوحدة العربية . أما رأيى فى الدكتور طه حسين فهو أن ديدنه أن يأخذ الرأى من طريق السماع والاتباع . فهو لم ينظر فى نفسه باعتباره رجلاً موطنه الشرق ، ولغته العربية ، ودينه الإسلام ، ومأمله العروبة . بل نظر فيما سمع من كلام الأوربيين واتبع ما قالوه بلا تمحيص ، وكان خيراً له لو رجع إلى بيئته ، وسار مع طبيعته ، ونظر فى نفسه واستوحى ما يمليه النظر المجرد والمنطق السليم ؛ كما أن نظر الدكتور نظر جزئى لا يتسع للشمول والتعميم ، وما ذلك بعيب فيه ، ولكنه طبيعة مطبوعة ، وإنما العيب أن يخرج الإنسان عن طبيعته ، فيكون كمن يجرد نفسه من نفسه ، ومن هنا كان خطؤه فى فهم الأشياء . هذا إلى أنه من الأدباء وليس من العلماء .

محمد أبو الفضل حفنى مسعود

سعد وسعاد ومعاوية بن أبى سفيان

ذكر صديقى الأستاذ على الجندى فيما كتبه فى مجلة الرسالة الغراء تحت هذا العنوان أن سعداً لما قطع أبو سعاد صلتها به رفع أمره إلى والى تلك الجهة الأموى المفتون المدل بمكانه من قريش ، وبمكانه من الخليفة مروان بن الحكم

ثم ذكر ما كان من أمر ذلك الوالى مع سعاد واغتصابه لها من سعد ، وأن سعداً اعتسف الصحراء إلى دمشق عاصمة الخلافة ليشكو ذلك الوالى إلى ابن عمه الخليفة معاوية بن أبى سفيان

ولا يخفى أن فى سياق قصة سعد وسعاد على ذلك الشكل

اضطراباً ظاهراً ، لأن ما ذكره الأستاذ الجندى فى الأول من أن ذلك الوالى الأموى كان مدلاً بمكانه من الخليفة مروان بن الحكم يفيد بظاهره أن قصة سعد وسعاد كانت فى عهد مروان ابن الحكم لا فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وما ذكره فى الثانى من أن سعداً اعتسف الصحراء إلى دمشق ليشكو ذلك الوالى إلى ابن عمه الخليفة معاوية يفيد أن تلك القصة كانت فى عهده لا فى عهد مروان

ولا يخفى على الأستاذ الجندى أن عهد معاوية بن أبى سفيان غير عهد مروان بن الحكم ، لأن معاوية ولى الملك بعد أن تنازل له عنه الحسن بن على ، فمكث فيه نحو عشرين سنة ، وقد بايع من بعده لابنه يزيد ، فمكث بعده ثلاث سنين وستة أشهر ، ثم بويع بعده لابنه معاوية ، فمكث فى الملك ثلاثة أشهر ، ثم رغب عنه وزهد فيه ، فتولاه بعده مروان بن الحكم ، وهو فرع آخر من بنى أمية غير فرع معاوية بن أبى سفيان

ورجائى بعد هذا إلى صديقى الأستاذ على الجندى أن يرجع إلى مصدر هذه القصة ليحقق فيه ذلك الاضطراب ، ويدلنا على العهد الذى وقعت فيه من ذينك العهدين . والسلام على الأستاذ ورحمة الله .

عبد المتعال الصعيدى

هل الجزاء الأخروى حسى أم روحى ؟

أخذ الأستاذ محمود قراعة على الدكتور زكى مبارك عده الجزاء الأخروى من قبيل الحسيات . والأستاذ قراعة يريد أن يكون جزاء روحياً معنوياً ، فقد جزم فى كلمته المنشورة فى العدد ٣١٥ من الرسالة بأن الإسلام (عند ذكر الماديات الأخروية لا يريد بها جزاءها الحسى ، بل يريد بها جزاءها المعنوى الروحى ، وأنه إن أراد بعضها اللذة الحسية ، فإنه لا يريدها حقيرة متواضعة ، كما هى فى دنيانا ، بل يريدها عزيزة تتصل أكبر ما تتصل بالروحيات والمعنويات) ولكنه فى كلمته المنشورة فى العدد ٣١٦ من الرسالة لم يبق مصراً على هذا فقد آمن بأن (فى الجنة لذات روحية وحسية) ولكن الحسية راقية تسمو بالروح

فإذا كان كذلك فماذا أخذ على الدكتور زكى مبارك ؟ وهل أنكر الدكتور زكى مبارك أن فى الجنة لذات روحية وحسية ؟ وأن الحسية راقية تسمو بالروح ؟

الواقع أن الأستاذ قراعة لم يأت بشىء يناقِش فيه أو يناقَش فيه ، اللهم إلا كلمة ليست من موضوع الجدل ستأتى ، والواقع أيضاً أنه لا سبيل إلى إنكار شىء مما ذكره الدكتور زكى ، فإنه لو لم يكن الجزاء الحسى المذكور فى القرآن الكريم حسياً على الحقيقة لا على المجاز لما كان هناك معنى للبعث والنشور . إن البعث والنشور هما مقدمة لتلقى الجزاء الحسى بالنعيم فى الجنة او العذاب فى النار لا مناص من ذلك أبداً . ولو كان الجزاء روحياً لما كان هناك حاجة للبعث والنشور لأن الأرواح خالدة فتنعم أو تعذب . وما دامت الروح قد قضى عليها أن تكون فى هذا اللباس « الجسم » فى الدنيا والآخرة ، فلا لذة هناك ولا ألم إلا عن طريق الحواس ، حتى أكبر النعيم وهو رؤية الله تعالى فى الآخرة « وإن كانت بغير كيف » حسى لأنه آت عن طريق الحواس ، فهو حسى من جهة معنوى من جهة أخرى .

وبعد فماذا يرى البشر الأمريكانى الذى ذكره الأستاذ قراعة من مطعن فى كون نعيم الآخرة حسياً حتى ينفيه الأستاذ قراعة عن الإسلام ؟

أما الكلمة التى يناقَش فيها الأستاذ قراعة فهى قوله : (إن اللذات الحسية فى الآخرة تسمو بالروح ، فإن هـذا القول يفيد أن الروح فى الآخرة تسمو باطراد عن تذوق كل لذة « وكلها لذات » وهذا أمر لا يتصور لأن الآخرة دار جزاء ، فمتى وضع كل إنسان فى مرتبة فقد حصل على مرتبة من السمو تناسبه فيبقى فيها إلى ما شاء الله . هـذا هو المعقول . ولو كانت كل لذة تكسب الإنسان سمواً لاستحق بهذا السمو جزاء : لذة أعلى ، ثم تكسبه هذه اللذة سمواً ، وهكذا . وهذا أمر لا ينتهى فلا يكون والله أعلم .

« فلسطين » **داود حمدان**

ما رأى علماء اللغة

يقول ابن مالك فى ألفيته عند الكلام على النسب :

وفَعَلى فى فَعِيلة الْتزم ... وفُعَلى فى فُعَيلة حتم

وما أردناه من هذا البيت هو الصدر وقد شرحه الصرفيون هكذا : إذا أريد النسبة إلى ما وازن فعيلة حذفت ياؤه وفتحت عينه إن لم يكن معتل العين ولا مضاعفاً وذلك مثل حنيفة فيقال فيها

حنَـفِىّ . أما إذا كان معتل العين كطويلة أو مضاعفاً كجليلة فلا يحذف منه شيء وعلى ذلك يقال فى النسبة إليهما طويلىّ وجليلىّ . هذا ما قرره الصرفيون فى فعيلة ، ولكنى أقول إذا تقرر هذا فكيف يسوغ لنا أن نقول فى النسبة إلى الطبيعة والبديهة طبيعىٌّ وبديهىٌّ مع أن القياس كما علمت أن يقال طَبَعِىّ وبَدَهِى ولذلك عدوا ما ورد مخالفاً لذلك عن العرب شاذاً لا يقاس عليه كقول الشاعر :

ولستُ بنحوى يلوك لسانُه ولكن سليقى أقول فأُعرب

وبيت القصيد هنا سليقى إذا كان القياس أن يقال كما علمت سلَقىّ ولكنه قال سليقى فهو من باب الشواذ ، وما أردته من ذلك البحث هو هل يجوز لنا إحياء شواذ اللغة والقياس عليها ونهجر القياس الشائع مع عدم وجود ما يمنعنا من استعماله — عندى أن القياس مع هذا أولى إن لم يكن واجب التقديم : وما عند علماء اللغة أريد أن أعرفه !

« معهد الزقازيق » عبد الغنى جمعة

النعيم الحسى والمعنوى فى الجنة

خلقت مشكلة الجناية على الأدب مشكلة أخرى . وهى : هل نعيم الجنة حسى أم معنوى ؟

وهاتان المشكلتان وأمثالها من المشكلات الحبيبة إلى النفس لأنها فى سبيل الأدب والعلم، لذلك نرجو الله أن يكثر من أمثالها بقدر ما يريحنا من المشكلات السياسية العقيمة

ولقد قرأت ما كتبه الدكتور زكى مبارك . وما كتبه الأستاذ قراعة فى هذا الصدد فعنت لى بعض ملاحظات على رأى الأستاذ قراعة أسطرها فيما يلى :

أولاً : يتشبث الأستاذ بأن لذات الجنة لذات معنوية ، ويذهب إلى وجوب تأويل النصوص التى يدل ظاهرها على أنها حسية . وهذا فضلاً عن أنه مخالف لإجماع أهل السنة فإن كثيراً من النصوص لا يمكن تأويلها إلا بتعسف شديد لا تحتمله . وذلك كقوله تعالى

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق . قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » فقد دلت الآية الكريمة على أن أنواع الزينة والطيبات من الرزق مباحة للمؤمنين والكافرين فى الدنيا ، خالصة للمؤمنين فى الآخرة لا يشركهم فيها أحد . ولا شك أن أكثر لذات الدنيا ونعيمها حسى محض . وسيكون فى الآخرة بهذا الاعتبار نفسه . . .

وقال تعالى : « ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » فإن فى قوله تعالى فيها ما تشتهيه الأنفس مع ملاحظة اختلاف النفس والروح يشعر بأن النعيم الأخروى حسى فى كثير من النعم . . .

وفى الصحيح عن حذيفة أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : (لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ، ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة ، ولا تأكلوا فى صحافها . فإنها لهم فى الدنيا ، ولكم فى الآخرة) . أفليس المناسب أن يكون النعيم بالحرير والديباج ، والذهب الفضة فى الآخرة، نعيماً حسياً لأنه هو القريب فى استعمالها؟

ولو تتبعنا نصوص الكتاب والسنة لوجدنا الكثير منها لا يمكن تأويله وصرفه عن وجهه .

ثانياً : مثل الأستاذ برؤية المنظر الجميل ، وسماع الصوت الجميل من الجميل ، وبين أنه بإضافة الحاسة الفنية إليهما يكون فيهما جهتان من اللذة : روحية ، وحسية ، وأن البحث عن الأولى ارتفاع بالروح إلى أوج الكمال ، والبحث عن الثانية نزول بها إلى الحضيض ...! وهذا التمثيل صحيح لا غبار عليه . ولكنه لا يظهر إلا فى مثل هذين المثالين مما يمكن أن تضاف إليه الحاسة الفنية ويكون له جهتان .

ولكن ماذا يقول الأستاذ فى مثل قوله تعالى : (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون — فيهما فاكهة ونخل ورمان) إلى غير ذلك من الآيات التى يظهر فيها أن المقصود التذوق الحسى ولا تظهر فيها اللذة الروحية إلا إذا رأى الأستاذ أننا نأكل طيبات العيش لنقوى أرواحنا لا أجسامنا .

على أنى لا أنسى أن أشكر للأستاذ مجهوده القيم ، وأطمئنه على عقيدته رغم ما يرميه به الغير من الكفر أعاذنا الله منه .

محمد على حسنين عبد ربه
كلية اللغة العربية

هل انتهت الثورة ؟

سيدى الأستاذ الجليل ...

تحية واحتراماً . وبعد فقد وردتنى رسالة من طالب فلسطينى فاضل يعلن فيها احتجاجه — والنية حسنة — على عبارتى الواردة فى كلمتى « هل فى الحيوان غريزة الغيب » (الرسالة رقم ٣١٤)



معلقـــة الأرز

تأليف الأستاذ نعمة قازان

بقلم الأستاذ جورج سلستي

ليس « معلقة الأرز » ديواناً شعرياً بالمعنى الذى تؤديه لفظة ديوان — أى مجموعة قصائد تتفاوت فيها المعانى والمبانى — وتتباين فيها الخلجات والنزوات ، وإنما هو رسالة فى الأدب شاء ذوق صاحبها الفنى أن يحمّلها قصيدة واحدة دعاها معلقة الأرز — والأرز رمز لبنان الخالد مسقط رأس الناظم النازح — وأردفها بمقطوعة شعرية صغيرة دعاها « أنشودة الغريب » بث فيها حنينه إلى لبنان مهوى فؤاده ، ومثار إلهامه .

وتحميل الشعر رسالة فى الأدب بادرة مستحدثة فى الشعر العربى ، فقد كنا حتى اليوم نقرأ رسالات الأدب نثراً لا شعراً ، كما أننا نعرف الشعر مستودع النزوات العاطفية والخلجات النفسانية يعتلج بالخواطر والمرائى والصور

وسيان عندنا أحمّل الشعر رسالات أو نزوات وحمّل الفلسفة والتاريخ والعلم أم اقتصر على تصوير وبثّ خلجات الروح ، فجلّ ما يعنينا أن يحتفظ بسموّه ومكانته وأن يستوعب الفن الرفيع ، ولا يضير الشعر أن يؤدى للناس رسالات فى الأدب إن استطاع الشاعر أن يسمو فيه ويحلّق ، وإن تمكن فيه أن يقنع قارئيه بصحة رأيه وصواب فكرته

والرسالة التى شاء الأستاذ نعمه قازان أن يدفعها للناس فى معلقته يتلخص مرماها فى إيثار المعانى على الألفاظ ، وهى رسالة كثر فيها القول واشتد حولها الجدل

والأستاذ قازان على كل حال لم يأت فى قصيدته بشيء من الحجج الدامغة ليقنع قراءه بفكرته ، أو فى الأحرى بمذهبه هذا وإنما يعرض عليهم آراءه عرضاً وهو يسخر من خصوم المذهب الأدبى الذى يعتنقه سخرية لاذعة فيها التهجم الكثير والتجنى الكثير .

يقول حضرته : « لكم وزناتُ ولى وزنتى »

ولكن أية وزنة هى هذه التى يريد أن يتاجر بها

إنها وزنة جد راجحة عنده وقد يبلو فى سبيلها كل عناء إلا أنه لن يتخلى عنها مهما لاقى من عَنت وإرهاق ، ولن يستطيع أن يثنيه عن إيمانه بها ثانٍ على حدّ قوله : « وما تحرجونى فلن تخرجونى »

وسيبقى ذلك الصابر الذى لا يتزحزح عن عقيدته ولو رجمه الناس :

لئن ترجمونى غفرت لكم   وإن تتبعونى ففى ذمتى

فكأنه بطل من أبطال الإيمان الأولين يضحى فى سبيل

إذ أقول : « وها قد انتهى أمر الثورة » وهو يقول : إن سكون البلاد لا يعنى انتهاء الثورة ، وسوف لا يكون هذا إلا إذا نالت البلاد أمانيها

وأجيب الطالب الفاضل بأننى حين قلت عبارتى تلك لم أكن أقصد هذا المعنى الذى ذهب إليه ومعاذ الله أن أقصده ، وإنه من المحقق أن الثورة وإن أخمدتها القوة اليوم فليس معنى هذا أن النفوس قد هدأت وقرت ، أو أنها رضيت بالمصير الذى يوده لها « القوم » وكلنا يرى هذا ويحسه

على أننى أجىء هنا بأبيات من قصيدة لى تلقى ضوءاً على المعنى الذى ضمنته عبارتى ، والخطاب فى الأبيات موجه إلى الوطن العزيز

هم لهم كالراسيات عظامُ   وعلاك لم يخضع بنوك ولا ونت
لا وهْىَ فيها ، لا ولا استسلام   هيهات ، تأبى ذاك أخلاق لهم
شُدت هناك شكيمة ولجام   لكنّ من عنت القوى وكيده

هذا وإننى أشكر للطالب الفاضل حسن رأيه وأكبر فيه ذلك الروح السامى الذى يتجلى فى رسالته

« نابلس »   فدوى عبد الفتاح طوقان

عقيدته حتى بالنفس ، ومثل هذا السخاء يقدَّر ولكنه فى غير الأدب ، والصبر والإيمان محمودان ولكن فى غير هذا الشأن لا سيما وهو لا يعود على الأمة أو على الأدب بخير ، حتى ولا على صاحبه بشبه خير أو فائدة

فالأدب ميدان تقرع فيه الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ومن قويت حجته رجحت كفته ومشى وراءه تابعوه وإلا خذل وانفرط من حوله حتى عقد القربين

وإيثار المعنى مستحب ما فى ذلك ريب ولكن الاستهتار باللفظ من أجل المعنى بحتوى مذموم ، وإننا لنلوم الأستاذ قازان لوماً شديداً عند ما نراه يلجأ فى أداء معانيه إلى اللفظ السقيم لا عن جهل أو قصور ولكن عن سابق تعمد وتصميم ، على تعبير أهل القانون ، كما يؤكد ذلك صديقه الأستاذ توفيق ضعون عضو العصبة الأندلسية فى البرازيل وواضع مقدمة « معلقة الأرز »

ونحن لسنا من المتزمتين ولا المتعنتين فى تمسكنا بقواعد اللغة وأوزان الشعر، ولسنا من دعاة التقيد ولا الجمود إن أهبنا بالأدباء أن يلزموا فى بيانهم وجه الصواب ، ولكنا من دعاة التجدد مثله إلا أن الفرق بيننا هو فى تحديد معنى التجديد . إننا من الأولى يطربهم المعنى الجميل ولكن فى اللفظ الجميل ، وتهزهم الفكرة الفذة ، ولكن إذا صيغت فى قالب مصقول، لأننا نربأ أن تصبح اللغة فوضى فى حين أنَّ لها ضوابط وقواعد يتحتم على من يريد الإبانة فيها أن يتقنها

إننا نضنّ بها أن تنحدر من سمتها الرفيع إلى حضيض اللحن الوضيع .

وماذا يحل باللغة لو ترك الحبل فيها للأدباء على غاربه يصوغ كل متأدب ألفاظه على هداه ، وينظم كل شاعر أبياته على منحاه يخبط فى ألفاظه وفى قوافيه ، والألفاظ أكسية المعانى ترفل فى المنمق منها وتتيه ، وتسمج فى السخيف وتشوه .

وإن كان الأستاذ قازان يحسب أن الاستهتار باللغة من دواعى التجديد ، فقد أخطأ كل الخطأ .

إن مجال التجديد رحبٌ ، وإنه ليستطيع أن يزاوج بين ألفاظه كما فعل البحترى من قبل ، ويأتينا ببيان مرموق فيه كل الجدة والطرافة دون أن يلجأ إلى الحوشى الغريب من الكلمات ، والبيان نفسه يستنكر استعمال اللفظ غير المأنوس .

والمزاوجة بين الألفاظ وحدها منزلة عليا من منازل البيان ومرتبة سامية من مراتبه يستطيع الأديب أن يرقى إليها إذا جشم نفسه قليلاً من التدقيق والتعمق والمران

ويستطيع الشاعر إن كان من ذوى القدرة على التوليد والابتكار ، ومن ذوى المواهب ، أن يتعدى نطاق الأوزان المعروفة ، على أن يأتينا بشعر سائغ موزون كما فعل بعض شعراء الأندلس من قبل . والشعر كالموسيقى تلزمه الأذن المرهفة ، والحس الدقيق والخيال السمح ، ومن أوتيها أوتى حظاً كبيراً ، وتمكنه من غير جهد ولا عنت أن يمهر الأدب بقصائد خالدة تبقى جدتها خالدة على الدهر

ثم ليس من التجديد فى كثير أو قليل ، ولا من رعاية حق الأدب وحرمة الأدباء فى شىء أن يطعن المعاصر أدباءنا الأقدمين وأن يقول الأستاذ قازان فى (شوق) ومريديه مثلاً ، وقد حسب فيهم أصنام الأدب :

دعاة الأمير سلام عليكم ... من الخارجين على الدعوة
لقد طلع الفجر من غمده ... وبان اللبابُ من القشرة
ومات الأمير عليه السلام ... فماذا لديكم سوى الجثة ؟
عفا الله عنه عفا الله عنه ... فلا يستحق سوى الرحمة

فشاعر له مكانته الرفيعة فى الشعر وله أياديه البيضاء على الأدب، شاعر كان من أترابه الشعراء فى الطليعة بخياله الوثاب ، وأسلوبه الرفيع ، لا يجوز أن يقال فيه ، وهو الذى مهر التراث الأدبى بحافل من روائعه التى خلفها للأجيال من بعده تنطق عنه ، مثل هذا القول !

إننا لا نستصوب الإمارة فى الشعر ولا الملكية فى الأدب ، ولكن عدم مشايعتنا لهذا الرأى لا يمنعنا أن نثبت الحق لذويه ولا يحفزنا للطعن فيهم .

أما تحديد الشعر وكيف يجب أن نفهمه فيعرّفنا إياها الشاعر بقوله :

فلو كان معنى الحياة لعمرى ... بخطٍّ تآلفَ فى صورةِ
وكان جمال الحسان الملاحِ ... بكحل العيونِ وبالزينة
وكان الشبابُ وعزمُ الشباب ... بحسنِ الوجوه وبالبزة
وكنتُ وكنتم بأجسادنا ... لقلتُ : هو الشعرُ باللفظة
ولكنه الشعر روحٌ بنا ... ولكنه الشعر فى الخلجة

فـا الشعر بالـكأس براقةً ولكنه الشعرُ فى الخمرةِ

وفى هذا بعض الحق لا الحق كله . وإننا لنسأل الشاعر : ألا يشين الجمال تستّره بالأطمار ويحطّ من قدر الغانية الرائعة الحسن ارتداؤها الرثّ الخَلَق من الثياب ؟

أجل، إننا لنجاريه فى رأيه ولـكن إلى حد، فليست الـكأس هى التى تهزّنا وإنما الخمر التى فيها

ولـكن ألا يُعرَض عن احتساء تلك الخمر إذا أديرت على الشاربين فى كؤوس لا تهفو إليها النفوس وتتأبى منها الشفاه !

إننا لنميّز الجمال حين يتشح بالأطمار ولـكنه سرعان ما تصدر عن قلوبنا لدى رؤيته آهة ملؤها التحسر والتمنى ، آسفين أن تدفنه تلك الأطمار متمنين لو يُسبغ عليه كساء يلائم سناه ليبدو بما هو جدير به وأهل له ، فتنة للناظر ومتعة للخاطر

وإننا نود أن نحبس تلك الآهة ونكبت ذلك التمنى لدى مرأى الحسن، ولن نستطيع ذلك إلا إذا كان رافلاً فى حلله الزاهية القشيبة

والديباجة المشرقة لابد منها للشعر السامى ؛ والديباجة المشرقة هى التى تعوز صاحب معلقة الأرز ، وخلو القصيدة من الكبوات والهفوات هو ما يتطلبه الشعر العالى ، والهفوات وقع فيهـا شاعرنا كذلك

ولئن غفرنا له سناد التأسيس فى قوله :

وبت ولى مقـلة الجائعين كأعمى يفتـّش عن إبرة
فلا فى القديم ولا فى الجديد (مسكت؟) طريقى إلى غايتى

وسناد التأسيس من عيوب القافية . أو سناد الردف فى قوله :

فلو كان معنى الحياة لعمرى بخط تآلف فى صـورة
وكان الشبابِ وعزم الشباب بحسن الوجـوه وبالبزة

وسناد الردف من عيوب القافية أيضاً . أو الجوازات الشعرية المستهجنة كقطع همزة الوصل فى قوله :

إذا صار أمسى ويومى غدا فيارب اضرب على مقلتى

أو الأخطاء فى استعمال الألفاظ كقوله :

وسبحان ربى مَمين العطاءِ يخصُّ النباهةَ بالنمـلةِ

وصوابها : يخصّ النملةَ بالنباهة

أو أخطاء اللغة كقوله :

ربيتُ طليقاً على فطرتى ويا ما أُحيلى طفوليتى

وصوابها : طفولتى ، ومثلها ألوهيتى فى قوله :

فترتُ ونارت أمانيتى فضمتُ وضاعت ألوهيتى

وصوابها ألوهتى . الخ

أجل، لئن غفرنا له هذه الأخطاء وأمثالها مما قد يقع فيه كلّ متأدب ، فلن نغفر له تساهله فى استعمال الأخطاء وحشرها فى أبياته بين قوسين دلالةً على معرفته لها وتعمده استعمالها .

وتعمد استعمال الأخطاء خطيئة مضاعفة يلام عليها صاحبها أشد اللوم وأعنفه وما نحسب أنفسنا مغالين فى هذا أو مسرفين

وإنه ليعزّ علينا أن يتجنى بعض المجددين على ما يعدونه قديماً فتعمى بصائرهم لا عن جمال البيان وروعة الأداء فحسبُ ، بل عن روعة الأفكار التى يريدون حمل لوائها ؛ كما يعز علينا كذلك أن يتجنى بعض المحافظين على القائلين بالتجدد والآخذين بأسبابه .

وقول الأستاذ قازان إنه لم يعثر فى قديم الشعر على معنى طريف يستوقفه ، وإنه غاص فيه إلى أعماقه ، فلم يروّ نفسه العطشى :

« فكنت وبى عطش قاتلٌ كمن يشربُ الماء بالشوكة »

خطلٌ ما فى ذلك ريب بل ضلالٌ عن وجه الحق والصواب

ولقد وقع فى مثل خطأه من قام بالأمس يجرد المنفلوطى من أدبه فى إحدى المجلات الأدبية البيروتية . وصدور مثل هذه الآراء عن أدباء الجيل الطالع من الشباب تجن ما بعده تجن ، ولا يقل عن هذا بعـداً عن الحق قول الدكتور عمر فروخ فى « جبران خليل جبران » فى العدد ٣٣ من مجلة (الآمالى) البيروتية الصادر فى ١٤ نيسان فى مقال « الخالدون فى الأدب » حيث قال فيه بعد أن عدد مزايا الأديب وعناصر أدبه :

« هذه هى العناصر الأولية التى لا يجوز لنا أن نطلق لفظة أديب على رجل إلا بها وجبران مجرد منها جميعاً »

وقوله فى المقال نفسـه : « للأدب كما قدمنا مقاييس مشهورة لا يتمتع جبران بواحدة منها »

فنفى الأدب عن أديب كبير كجبران كنفيه عن أديب كبير كالمنفلوطى . وإن ما فيه من التجنى والظلم، إن وقع فيه الأدباء الناشئون فلا يصح أن يقع فيه أديب كالدكتور عمر فروخ له من ثقافته العالية وذوقه الأدبى الممتاز ما يعصمه عن مثل هذا الشطط

ومعلقة الأرز ما عدا ذلك فيها شاعرية ونابة يحق لنا أن نستبشر منها بالخير فإنّ من يقول :

إذا الشعر سُخـِّر فى أمة فصلِّ ورحّم على الأمة

ومن يقول :

« فلا لفنى الليل فى برده إذا لم أمزق به بردتى
ولا طلعَ الفجرُ يوماً علىّ إذا لم يلدنى مع الطلعة »

ومن يستشهد بقول النبى :

« إن تحت العرش كنوزاً مفاتيحها ألسنة الشعراء »

لشاعرٌ لن يكبّل نفسه بأوضاع المناسبات ، ولن يسخر ضميره لما لا يشعر به ولا يحس ؛ شاعر طموح نأمل أن يأتينا بالعذب المبتكر من الشعر النابض الحى ، وأن يفتتح بخياله الوثاب بعض الكنوز المغلقة تحت عرش السماء .

ومعلقة الأرز تزخر بعد هذا بالحنين ، حنين المغترب إلى وطنه الحبيب ، وله فى ذلك أبيات رقيقة صادرة عن نفس صهرتها الأشواق ، آثر فيها بلاده وأمته على بلاد العلم وأممه جميعاً .

أقول بقاع الدنى حلوة وأحلى بقاع الدنى بقعتى
فلا ، لا أريد سوى موطنى ولا ، لا أحب سوى أمتى

وقوله فى « أنشودة الغريب » وفيها رقة وعاطفة ، يخاطب لبنان :

رويت من (دمى ؟!) غذيت من لحمى
يا حاضناً أمى يا ثرى لبنان

***

هل يرجع الغريب للوطن الحبيب
وتهتف القلوب مرحباً لبنان

***

الأرز والوادى يا مهد أجدادى
يا أرض ميعادى يا ثرى لبنان

***

ثم لا أرى بدًّا قبل أن أختم مقالى من أن أقول إن لشعر قازان ميزة أخرى هى الصدق فى التعبير عن خلجات نفسه تعبيراً لا مداورة فيه ولا رياء ، وذلك عائد إلى ما يتراءى لنا من حبه الحق ولو كان عليه ولثقته بنفسه ثقة كبيرة ، ومن ثم جاء شعره خالياً من كل بهرج وكل طلاء ، وتجلت فيه مزايا النفس الجريئة الأبية كقوله عن نفسه :

وليس التملق من شيمتى وليس التأنق من نزعتى
فإنى ترعرعت بين الجبال على البأس والفقر والشدة
ومن عاش مثلى على جرأة فلا يستلذ سوى الجرأة
فإما نطقت نطقت بحق وإما سكت فعن عفة

وما نخاله فيما قاله عن نفسه إلا صادقاً ، والصدق على ما نعتقد من أجل ميزات الأديب ؛ وصاحب معلقة الأرز عنده من المزايا الأدبية ما يفسح له فى دولة الشعر مجالا رحباً يمشى فيه إلى غايته المثلى ، ولا يعوزه إلا صقل ديباجته وتهذيب بيانه ، وليس ذلك على مثله بعزيز . فإن له من ملكته الفنية خير مسعف ومن خياله الوثاب خير معوان

فليوطّن النفس على إجادة مبانيه لتوافق معانيه إن كان يريد أن يتبوأ المنزلة الرفيعة التى تصبو إليها النفس الطموح

(بيروت) جورج سلستى

7me Année No. 319

Lundi - 14 - 8 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسؤل

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣١٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٤ أغسطس سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

مطاعم الأغنيـــاء

للأستاذ عباس محمود العقاد

مطاعم الأغنياء ... ؟

لعلك تقصد مطاعم الفقراء

كلا . بل مطاعم الأغنياء أقصد لأنهم ، أو لأن أكثرهم ، فى حاجة إلى مطاعم يتعلمون فيها كيف يأكلون ، كاحتياج الفقراء إلى مطاعم يجدون فيها ما يأكلون

فمن البداهة فى رأيى أن الفقير يجب أن يأكل ، وأن أحداً من الناس فى هذه الدنيا لا يعجز عن عمل يساوى بضعة أرغفة وقليلاً من الأدم فى كل نهار . فإن عجز فذاك وزر الأمة بحذافيرها وليس بوزره الذى يجزى عليه بالجوع والموت ، وعلى الأمة إذن أن تكفل له قوته بعمل تتولى تدبيره له ولأمثاله ، أو بمطاعم تكفيه مؤنة الغذاء فى انتظار العمل والصناعة

ذلك شأن الفقير المحروم ، فما بال الغنى الميسر الأرزاق تدبر له المطاعم ليأكل فيها وعنده المطبخ وعنده الطاهى وعنده المآكل والمشارب ؟

* * *

فى مصر أزمة طعام سفلية وعلوية فى وقت واحد : فأما السفلية فتلك أزمة الفقير ، وأما العلوية فتلك أزمة الغنى الذى يجد الطعام ولكنه لا يجد الغذاء

إذا قيل فى مصر: «فلان يعرف يأكل» فذلك على الأرجح الأعم رجل يجهل صناعة الأكل ولا يزال على خطر مما يأكل. لأن تعريف الطعام النافع عنده أنه هو الطعام اللذيذ أو الطعام الذى يثقل على الجوف، ويملأ الأحشاء

وقد يكون الطعام لذيذاً وهو ضار، وثقيلاً على المعدة وهو خفيف الوزن فيما يؤول إلى صحة الجسم وانتظام الأعضاء

وقد يحسب أنه يعوض جسمه مما فقد فإذا هو يضيف إليه خسارة على خسارة، وجهداً على جهد، ثم كلالاً على كلال، وفتوراً فوق فتور

سمعت أن «محدثاً» تزوج، ثم سمعت بعد أشهر قليلة أنه أصيب بداء السكر، ثم سمعت حكايته فعلمت أنه قد أصيب بالداء من حيث طلب السلامة، وأنه لولا طلبه السلامة من حيث طلبها لكان أقرب إلى العافية وأبعد من الداء

ظن صاحبنا أن الزواج — أو الزواج الحديث على الأقل — عمل دائم لا يتخلله انقطاع، فمن لم يكن متزوجاً فى الصبح وفى الظهر وفى الأصيل وفى المساء فهو أعزب أو نصف أعزب على أقل تقدير. وكيف يستطيع الإنسان أن يجمع بين الزواج وعدم الزواج فى آن؟ هما نقيضان لا يجتمعان؛ وقد يكون فى الجمع بينهما بعض معنى الطلاق إبان شهر العسل والعياذ بالله

فتزوج وتزوج وتزوج، ولم ينس واجب الحيطة والوقاية لأنه رجل حازم بصير وقاك الله شر الحزم والبصر من هذا القبيل

فمع الزواج الدائم شرب دائم من السمن والعسل على الريق وبين الطعام والطعام، وكلما وجد السمن والعسل وهما موجودان.

وهل غذاء أوفر من السمن والعسل؟ وهل أنفع منهما للبدن وأردّ منهما للعافية وأطيب منهما حلالاً معيناً على حلال؟

هكذا قدر صاحبنا فجاءه الضرر من حيث قدر، لأن عناء الكبد فى هضم كوب من السمن والعسل أشق عليه من عناء الزواج الدائم، فلم يكن عوضاً ما تعوّض به واستعانه على حلاله، بل كان كما أسلفت كلالاً على كلال، وفتوراً فوق فتور

وآخرون يبارى بعضهم بعضاً فى «كلفة» المائدة و «تسبيك» القدور واصطناع «الجيد» من الأصناف: عندهم الخفة على المعدة رديف التفاهة، والثقل على المعدة رديف المتعة والغزارة.

ولكل منهم صنف يشتهر به ويولم عليه؛ وهم بينهم متبادلون متعارضون، متسابقون فى الكرم متساجلون، حتى لا تحرم المعدات نصيبها من الكظة والنصب يوماً أو بعض يوم، ولا يتخلف واحد منهم فى مضمار السباق: السباق إلى القبور

أفى البلد أمثال هؤلاء لا يزالون مع الأحياء، وتستغرب عنوانى: مطاعم الأغنياء؟

ما أعجبه مطعما يساق إليه أصحاب الضياع والكراع شهراً من كل سنة يتعلمون فيه «الأكل» وينفقون عليه من أموالهم مكرهين!

وما أعجبه ديواناً من دواوين الحكومة يهجم على المطابخ الفاخرة كما يهجم على المحظورات والمهربات، ويصادر السم كما يصادر السم!! وهو السم بعينه وليس السم فى الدسم كما قال صاحب البردة رحمه الله

***

على أن الآفة الكبرى أن يحرم المرء الغذاء لأنه لا يجده ولأنه لا يعرفه كما هو شأن الكثرة العظمى عندنا من سواد الفقراء

فأكثر فقرائنا لا يفرقون بين التغذية وبين إسكات الجوع، وكأنما ينظرون إلى المعدة الصارخة نظرتهم إلى الكلب النابح الذى لا يراد منه إلا السكوت ... فإن أسكتوه بعظمة فذلك حسن، وإن أسكتوه بحجر فذلك أحسن، ولا ضير عليهم بعد أن يسكت ويكف عن النباح

ألبطن عيار أم خيار؟

ذلك جوابهم كلما «شبعوا» من طعام غث كثيف لا خير فيه، وكأنهم يحسبون من الصَّغار والمجانة أن يحفلوا بالمعدة الصارخة إذا استطاعوا أن يضحكوا منها بالقليل، فليس العجز عن خداعها والاحتيال عليها بالأمر الذى يليق بدهاء الرجال

وربما رأيت هؤلاء المسكتين للمعدات بين أناس يعلمون الناس، ولا يعدون فى مصلحة الإحصاء من زمرة الجهلاء

كان لنا ولصديقنا صاحب الرسالة أيضاً زميل فى التدريس يقبض ثمانية جنيهات فى الشهر، ويشترى نصف فدان فى العام، ويغمى عليه مرة أو مرتين فى الأسبوع

وعرضه ناظر المدرسة على طبيبها فأسر هذا إليه أن الرجل

كتاب مستقبل الثقافة فى مصر

الثقافة العامة

وتعليم اللاتينية واليونانية

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

عند ما نبحث عن الأسباب التى تدعو إلى استمرار بعض البلاد الغربية على فرض تعليم اللاتينية ولو فى بعض الفروع من الدراسة الثانوية ، يجب علينا ألا نسهو عن تذكر هذا العهد الذى كانت تسيطر فيه اللاتينية على حياة العلم والتعليم فى جميع مرافقها سيطرة تامة ...

كان من الطبيعى ألا تستمر هذه السيطرة المطلقة على طول الزمن ، كما كان من الطبيعى أيضاً ألا تزول هذه السيطرة المطلقة دون أن تترك أثراً عميقاً ...

صحيح كأصح ما يكون الجسد السليم ، وأن آفته كلها قلة الغذاء قلة الغذاء ؟ كيف يكون هذا وهو يأكل ويشبع ولا يجوع ؟

وأصر الرجل على طعامه ، وخاف الناظر على تلاميذه أن يفوتهم من الحصص بمقدار ما يعترى الأستاذ من نوبات الإغماء . . فأذن له ، بل أمره أن يأكل من طعام الغداء بغير ثمن ، وفيه على الأقل ضمان وجبة نافعة فى النهار ..!

***

كان القديس أوغسطين يقول إذا تكلم عن جسده : أخى الحمار . لأنه فى حكمه حيوان كسائر فضائل الحيوان

أما الجسد عند هؤلاء الذين يطعمونه وهم يسقمونه ، ويَسُمونه وهم يحسبون أنهم يسمنونه ، وينفقون المال ولا يعرفون كيف يأكلون ، ويشبعون وخير لهم لو يجوعون ، فهو الأحق بأن يقول وهو يتكلم عن صاحبه : أخى الحمار ... فهما فى الواقع حماران اثنان فى جسم إنسان

ولمثل هؤلاء تشرع مطاعم الجهلاء ، من الفقراء والأغنياء !

عباس محمود العقاد

كان من الطبيعى أن ترتفع أصوات الاعتراض والاحتجاج على هذه السيطرة ، مع بزوغ عصر النهضة ؛ وكان من الطبيعى أن تقوى الأصوات المطالبة بتخفيف وطأة هذا « النير اللاتينى » — حسب تعبير « لا برويير » الشهير — ؛ وكان من الطبيعى أن تصل هذه الأصوات — أخيراً — إلى درجة الدعوة إلى الثورة ضد اللاتينية للتخلص من سلطتها المطلقة ...

إن الخروج على سلطة اللغة اللاتينية بدأ أولاً على شكل « انقلاب دينى » عند ما طالب لوثير بترجمة الإنجيل إلى اللغات القومية ، ودعا إلى إقامة الصلوات باللغات التى يتكلم بها الناس .

ثم جاء دور الانقلابات الأدبية ، فخرجت الآداب — فى الممالك الأوربية المختلفة — على سلطة اللغة اللاتينية المطلقة عندما تهذبت وتقدمت اللغات العامية ، وأنتجت من الآثار الهامة ما رفعها إلى مصاف اللغات الأدبية

وأخيراً جاء دور تخلص « العلم والتعليم » من سيطرة اللاتينية ، فأخذت هذه اللغة تفقد سلطتها المطلقة فى هذا الميدان أيضاً شيئاً فشيئاً .

إن الانقلاب الأخير لم يتمّ إلاّ بتدرج غريب ، وبطء عظيم ؛ فمثلاً اللغة الفرنسية لم تتمكن من دخول المدارس إلا باجتياز مراحل عديدة تتلخص فيما يلى : أولاً إفساح المجال للتكلم بها فى أوقات الفرص . ثانياً : تسويغ استعمالها لتفهيم العقائد الدينية للصغار . ثالثاً : تخصيص ساعات لتعليمها كدرس خاص . رابعاً : تحميلها مهمة تعليم بعض الموضوعات الدراسية . وأخيراً زيادة هذه الموضوعات بصورة تدريجية .

كما أن « التاريخ » أيضاً لم يدخل المدارس إلا مجتازاً مراحل عديدة : أولاً على شكل « التاريخ المقدس » مرتبطاً بدروس الدين . ثانياً على شكل « تاريخ اليونان » و « تاريخ الرومان » مرتبطاً بدروس اللاتينية واليونانية .

إننى لا أرى داعياً لاستعراض جميع التطورات التى طرأت على المناهج الأساسية فى المدارس المذكورة ، حتى أواسط القرن التاسع عشر . غير أننى أود أن ألخصها بكلمة مختصرة ، وهى : إفساح المجال للعلوم المختلفة شيئاً فشيئاً ، بجانب اللاتينية واليونانية ، دون إخراج هاتين اللغتين من نطاق الدروس الإجبارية .

كان بعض المفكرين والمربين يدعون إلى إحداث انقلاب أساسى فى مناهج التعليم من حين إلى حين . كانوا يظهرون ارتيابهم فى فوائد تعليم اللغات القديمة ، حتى أنهم كانوا يصلون بانتقاداتهم هذه إلى درجة القول بضررها ؛ غير أن هذه الآراء قلما كانت تجد آذاناً صاغية ، فلم تستطع أن توجد تيارات فكرية قوية تؤثر على الحالة الراهنة

مع هذا اشتدت الحملات على اللاتينية فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر ، وأخذت الانتقادات تتغلغل فى محافل المفكرين ، من جراء انتشار روح الثورة واشتداد نزعة الإصلاح والتجديد من جهة ، ومن جراء تقدم العلوم وتعقد الحياة الاجتماعية من جهة أخرى

فازداد تساؤل المفكرين والمربين يوماً عن يوم : هل من ضرورة تدعو إلى الاستمرار على تعليم اللغات القديمة فى المدارس الثانوية ؟ ألم يكن هذا التعليم من آثار النظم البالية التى توارثتها المدارس المذكورة من عهد القرون الوسطى ؟ ما الفائدة من تعليم هذه اللغات بعد أن لم يبق على وجه الأرض من يتكلم بها ؟ وإذا قيل إنها لا تخلو من فوائد ، فهل تعادل هذه الفوائد الجهود العظيمة والأوقات الثمينة التى تصرف وتبذل فى هذا السبيل ؟ ألا يمكن الوصول إلى الفوائد المذكورة من طرق أخرى بوسائط أقل عقماً من تعليم اللغات الميتة ؟

إن هذه الأسئلة فتحت ميداناً فسيحاً للأبحاث والمناقشات التربيوية . وهذه الأبحاث والمناقشات ، تناولت مسألة « التعليم الثانوى » من وجوهها العديدة ، حتى أنها أثارت مسألة « التدريس التثقيفى » من أسسها العميقة . . .

***

انشطر المفكرون والمربون حيال مسألة اللغتين اللاتينية واليونانية إلى معسكرين متخاصمين : معسكر الذين يقولون بوجوب المحافظة على هاتين اللغتين القديمتين فى المدارس الثانوية ، ومعسكر الذين يعتقدون بوجوب تخليص المدارس المذكورة منهما

بدأت المناقشات بين المعارضين والدافعين منذ قرن تقريباً ؛ وهى تشتد أحياناً وتفتر أحياناً ؛ وتضطر الحكومات إلى اتخاذ قرارات عملية جديدة ، تحت ضغط هذه المناقشات ، من حين إلى حين

إن النزاع حول هذه المسألة صار أشد عنفاً وأعمق أثراً فى فرنسا مما كان فى البلاد الأخرى ... ولهذا السبب ، أرى من الموافق أن نلقى نظرة عامة على الآراء التى استند إليها المعارضون والدافعون ، فى المملكة المذكورة بوجه خاص :

يقول أنصار اللغات القديمة : إن فى تعليم هذه اللغات فوائد عظيمة ـ مباشرة وغير مباشرة ، قريبة وبعيدة ، عملية ونظرية ، تعليمية وتثقيفية ـ لا تضاهيها الفوائد التى يمكن الحصول عليها من تعليم أية لغة من اللغات الحية ، وأى فرع من فروع الدراسة الأخرى ...

وأما أنواع هذه الفوائد ، فتتلخص فى الأمور التالية :

(ا) إن اللاتينية أم اللغة الفرنسية ومصدر مفرداتها ؛ فإتقان اللغة الفرنسية إتقاناً يضمن الأخذ بناصيتها ، لا يمكن أن يتم بدون معرفة اللغة اللاتينية ...

(ب) إن الآداب الفرنسية تأثرت بالآداب اللاتينية واليونانية تأثراً كبيراً . فمعرفة الآداب الفرنسية معرفة عميقة يتوقف على درس الآداب اللاتينية واليونانية دراسة كافية

(ج) إن خزائن الأدب اللاتينى واليونانى مملوءة بالآثار الخالدة التى تصور أسمى نزعات الإنسان بأجل الأساليب ؛ فالاطلاع على هذه الآثار الخالدة من الأمور الضرورية لتكوين الثقافة السامية

(د) إن الحقوق الفرنسية مؤسسة على الحقوق الرومانية ، والتعمق فى هذه الحقوق يتطلب معرفة مصادرها ، وفهم هذه المصادر يتوقف على معرفة اللاتينية

(ه) لقد أصبحت اللاتينية واليونانية مصدر الاصطلاحات العلمية ولا سيما ما يتعلق منها بالتاريخ الطبيعى والطب والكيمياء وأنواع المخترعات الحديثة ، ومعرفة معانى هذه الاصطلاحات العلمية — وصوغ أمثالها عند الحاجة — مما يتطلب معرفة هاتين اللغتين

(و) إن تعليم اليونانيــة واللاتينية من أحسن وأنجع الوسائل التثقيفية ؛ فإن هذا التعليم يلعب دوراً هاماً فى تكوين العقل وتقويه وتعويده على التفكير الصحيح المستقيم

ولا يوجد موضوع دراسي يضاهي هذا التعليم من وجهة هذا العمل التثقيفي . ولذلك يجب أن نعتبر تعليم اللاتينية واليونانية بمثابة حجر الزاوية في صرح التثقيف

إن جميع العظماء الذين نعرفهم ونفتخر بهم — من أساطين الأدب إلى جهابذة الفقه والعلم — قد تثقفوا بهذه الثقافة واستفادوا منها فلا يجوز لنا أن نهملها . . . ويجب أن نعلم حق العلم أن إهمال هذه الثقافة التي أثبتت جدارتها بالثمرات الثمينة التي آتتها للأمة الفرنسية يكون بمثابة تعريض مستقبل هذه الأمة إلى خطر عظيم ، خطر انحطاط الثقافة العامة التي تفتخر بها: وخطر اندراس جيل أعاظم الأدباء والعلماء الذين نعجب بهم

هكذا كان يقول أنصار اللاتينية واليونانية

وأما معارضو هؤلاء فيقولون : إن اللاتينية واليونانية من اللغات الميتة التي ترجع إلى العهود البائدة ؛ وإن الحضارات والثقافات التي تتمثل في هاتين اللغتين أصبحت مدفونة في أغوار التاريخ ولو كانت سامية وباهرة إبان حياتها . فليس من المعقول أن نصرف — في هذا العصر الذي نعيش فيه — كل هذه الأوقات ، ونستنفد كل هذه الجهود في سبيل تعلم وتعليم مثل هذه اللغات البائدة ...

وأما الفوائد الآنفة الذكر فيفندها المعارضون واحدة فواحدة كما يلي :

(ا) لا شك في أن اللاتينية هي أم الفرنسية ومصدرها الأصلي ؛ غير أن ذلك لا يدل على أن إتقان الفرنسية يتطلب معرفة اللاتينية . فالفرنسية اليوم ، أصبحت لغة مستقلة عن اللاتينية استقلالاً تاماً ؛ فيجب أن تدرس درساً مباشراً ، حسب معانيها وقواعدها وأساليبها الخاصة بها ، بقطع النظر عن مصادرها الأصلية وتطوراتها التاريخية . وأما درس تلك المصادر ، وتتبع تلك التطورات ، فما يجب أن يختص به العلماء الذين يودون أن يتبحروا في فقه اللغة ويتعمقوا في تاريخها ؛ ولم يكن من الأمور التي يجب أن تعتبر من أسس دراسة الفرنسية دراسة عامة ، حتى ولا من أسس دراستها دراسة أدبية .

(ب) إن الأدب الفرنسي أدب قائم بنفسه، وإن كان قد نشأ في أحضان الأدب اللاتيني وتأثر بالأدب اليوناني . إنه اتخذ أسلوباً خاصاً ، فاكتسب كياناً مستقلاً . فدرس هذا الأدب وإتقانه لا يتطلبان الرجوع إلى منابعه بوجه من الوجوه.

ومن أوضح البراهين على ذلك هذه الحقائق الواقعة : « إننا نعرف عدداً لا يحصى من المستنيرين الذين درسوا اللاتينية واليونانية ، ومع هذا لم يصبحوا من الكتاب المجيدين في الفرنسية . ومقابل ذلك نعرف عدداً غير قليل من الأدباء الذين أحرزوا مكانة عظمى في تاريخ الأدب الفرنسي ، مع أنهم لم يتعلموا اللاتينية ، ولم يتثقفوا بآدابها ... »

(إن لاروشفوكو، وورنياك، وآلكساندر دوماس، وجورج صان ... من جملة الأدباء الذين يذكرون في هذا الصدد ...)

(ج) إن الآثار الخالدة المكتوبة باليونانية واللاتينية قد ترجمها إلى الفرنسية كبار الأقلام، فيمكن الاطلاع عليها من تلك الترجمات الجيدة ، دون إضاعة الأوقات والجهود ، في تعلم اللغات التي كتبت بها

هذا . ومما يجب ألا يعزب عن البال أن معرفة اللاتينية واليونانية التي يمكن الحصول عليها خلال الحياة المدرسية لا تستطيع أن ترفع الطالب إلى درجة تمكنه من تذوق مضامين تلك الآثار الفكرية والأدبية ومزاياها — في لغاتها الأصلية — ولذلك نستطيع أن نقول : إن درس الآثار المذكورة في ترجماتها الجيدة أكثر ضماناً لتذوق مزاياها تذوقاً حقيقياً ...

وزد على ذلك أن اللغات الحية الراقية أيضاً أوجدت آثاراً خالدة لا تقل أهمية وسحراً عن الآثار التي يشير إليها دعاة اللاتينية واليونانية ، إن لم نقل بأنها تفوقها في هذا المضمار ، على الأقل من وجهة قربها إلى حياتنا العصرية ... فلا يحسن بالثقافة الإنسانية العالية أن تبقى تحت سلطان اللاتينية واليونانية القديمة ؛ بل الأجدر بها أن تستفيد من الآثار الخالدة التي أنتجتها اللغات الحية في العصور الحديثة ...

إن تعلم اللغات الحية — عوضاً عن اللاتينية الميتة واليونانية القديمة — يأتي بفوائد عظيمة ، من هذه الوجهة أيضاً

(د) لا ينكر أن الحقوق الفرنسية مستمدة من الحقوق الرومانية ، والحقوق الرومانية مدونة باللغة اللاتينية . غير أن النصوص اللاتينية المتعلقة بالحقوق والقوانين — قد ترجمت

بأجمعها إلى اللغة الفرنسية على يد أقدر العلماء والمتخصصين . فأصبح فى استطاعة كل فرنسى أن يدرس الحقوق الرومانية دون أن يتعلم اللاتينية

هذا ، ويجب ألا يعزب عن البال أن الحقوق والقوانين المصرية لم تبق تحت سيطرة الحقوق الرومانية ، وإن كانت قد استمدت — فيما مضى — أصولها منها . فأهمية الحقوق الرومانية فى الثقافة الحقوقية آخذة فى التضاؤل يوماً عن يوم ، وسائرة نحو مطاوى التاريخ بخطوات سريعة

ولهذا كله لا مجال لتبرير تعليم اللاتينية — بصورة منطقية — بحجة ضرورة ذلك لفهم الحقوق الرومانية

(ه) وأما مسألة الاصطلاحات العلمية الحديثة فإنها ليست من الأهمية بدرجة تستلزم صرف الجهود الشاقة لتعلم اللاتينية واليونانية، فإن مصادر هذه الاصطلاحات وأساليبها محدودة، فليس من الصعب تعليمها مباشرة — مع ذكر وجوه اشتقاقها — دون التعمق فى أغوار اللغتين القديمتين المذكورتين

فضلاً عن أن المعانى الاصطلاحية قلما تنطبق على المعانى اللغوية؛ فمعرفة المعانى الأصلية قلما تساعد على فهم المعانى الاصطلاحية. ويمكننا أن نقول: إن عدم ضرورة التقيد بالمعانى الأصلية فى الكلمات والتعبيرات المستخرجة من اللغات الميتة ، كان من أهم العوامل التى سهلت وضع هذه الاصطلاحات الحديثة ، ونشرها بين جميع الأمم العصرية (وذلك بجانب العامل الآخر، وهو ملاءمة عواطف الأمم التى لا تقبل عادة الاصطلاحات التى تستمد عناصرها من لغات الأمم المعاصرة لها). ولا نغالى إذا قلنا: إن هذه الاصطلاحات إنما أدخلت على اليونانية واللاتينية إدخالاً ، فلو أنها عرضت على أبناء اللاتينية أو آباء اليونانية فى حياتهم، لما فهموا منها شيئاً، أو فهموا منها أشياء أخرى

وعلى كل حال نستطيع أن نقول : إن معرفة المعاني الأصلية ليست ضرورية لفهم المعانى الاصطلاحية ، كما أنها ليست مفيدة لها فى أكثر الأحيان

فمحاولة تبرير تعليم اللاتينية واليونانية بحجة ضرورة هاتين اللغتين لفهم الاصطلاحات العلمية الحديثة ، مما لا يتفق مع العقل والمنطق بوجه من الوجوه

(يتبع) أبو خلدون

جناية أحمد أمين على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

- ١٠ -

سنواجه الأدب الأندلسى فى مقال اليوم ، وهو الأدب الذى اتهمه الأستاذ أحمد أمين بالعجز عن تذوّق الطبيعة ، والإحساس بالوجود .

ولكن لا بدّ من من كلمة قصيرة نبين بها بعض الخصائص التى امتاز بها الأدب العربى ليعرف أحمد أمين ومن لفّ لفّهُ من المتحذلقين كيف تفرّد ذلك الأدب بالصبغة العالمية بين سائر الآداب .

أسيرُ الآداب فى العصر الحاضر هو الأدب الفرنسى والأدب الإنجليزى والأدب الألمانى ، ولكن هذه الآداب على عظمتها لا تزال محصورة فى العبقرية المحلية . ومعنى ذلك أن أقطاب الأدب الإنجليزى إنجليز ، وأقطاب الأدب الفرنسى فرنسيس، وأقطاب الأدب الألمانى ألمان .

والأدب الإنجليزى حين ازدهر فى أمريكا لم يكن أقطابه هناك من السكان القدماء لبلاد الأمريكان ، وإنما كان أقطابه من السلالات الإنجليزية التى احتلت تلك البلاد .

والفرنسيون لا يعترفون لأهل سويسرا وبلجيكا بالتفوق فى الأدب الفرنسى ، ويقولون إن أدبهم لا هو لحمٌ ولا هو سمك ، على حد تعبيرهم الطريف Ni chair, ni poisson مع استثناء أفراد قلائل رفعتهم العبقرية إلى التفوق فى لغة هوجو وميسيه ولامرتين .

أما الأدب العربى فكان حظه من أغرب الحظوظ ، لأنه تغلغل فى كثير من البيئات الشرقية والغربية ، وانتفع بعبقريات كثيرة فى مختلف الأمم والشعوب ، فكان فيه أقطاب بين ناس لم تكن لهم قبل الإسلام صلة بعهد اللغة العربية من ناحية الجنس أو الدين .

وعلى ذلك يمكن القول بأن الأدب العربى هو الأدب المخضرم الذى انتفع بالأجواء المختلفة من طبائع البلاد وسرائر الرجال .

وقد ظهرت عبقريته فى لونين من ألوان التعبير : هما العلوم الشرعية والفنون الأدبية ، وما يمكن لباحث منصف أن ينكر أن الفقه الإسلامى صورة من صور التعبير الدقيق ، وهو من صميم الأدب عند من يعرفون أن شرح الشرائع فرع من الفروع الأدبية ، وهو يمثل الشعور بما فى المجتمع من معضلات ومشكلات خلقتها ظروف المعاش .

وذلك الفقه لم تختص به أرض دون أرض ، فكان من أهل الهند وأهل فارس وأهل مصر وأهل المغرب والأندلس رجال تفوقوا فى الدراسات الفقهية أشد التفوق ، وأمدوا الأدب بصور كثيرة تمثل الاتجاهات الذوقية والمعاشية .

وما يقال فى الفقه يقال فى التوحيد والتفسير والحديث، فهناك ألوف من المصنفات الجيدة التى وعَت ضروباً من الحقائق الأدبية والفلسفية لا يستهين بها رجل حصيف

ولو توجهت همم الباحثين إلى شرح ما فى تلك المصنفات من مقاصد وأغراض لأتوا بالعَجَب العُجاب . وقد نبهنى إلى ذلك المسيو مَرْسيه يوم كنت مشغولاً بشرح الرسالة العذراء، فاستطعت أن أجد شواهد أدبية من كتب الفقه عند المالكية . وكذلك استطعت بإرشاد المسيو ماسينيون استخراج بعض المعانى الصوفية من المؤلفات الفقهية

حيّا الله أساتذتى فى باريس ، فبفضلهم عرفت من مذاهب البحث ما لم أعرف

* * *

وإنما مهدتُ لمقال اليوم بهذه الكلمات ليعرف الأستاذ أحمد أمين كيف أخطأ حين توهم أن الأدب مقصور على قصائد الشعراء، فما كان الشعر إلا صورة من صور التعبير ، وهو لتقييده بالقوافى والأوزان لا يستطيع التعبير عن جميع الأغراض

وأنا مع ذلك سأقف عند الأدب الصِّرف الذى يمثله الشعر والنثر الفنى وأنا أتحدث عن الأندلس

فهل من الحق أن الأندلسيين لم يحسّوا الطبيعة ولم يتذوقوها كما قال أحمد أمين ؟

إن المعروف عند جميع أدباء اللغة العربية أن الأندلسيين تفوقوا فى وصف الطبيعة، فكيف تفرّد أحمد أمين بنكران ذلك؟

أيكون أحمد أمين أعلم الناس بالأدب ولا نعرف ؟ ذلك والله غاية العجب !

أيكون من طبع كلية الآداب أن تروض مدرسيها على اصطناع الحذلقة والإغراب ؟

أغلب الظن أن أحمد أمين سمع أنه لم يأت بجديد منذ اتصل بكلية الآداب ، والجديد عنده هو الخروج على ما اتفق عليه جمهور أهل الأدب فى ميدان الحقائق الأدبية ، فمضى يتكلف ويتعسف ليأتي بجديد يجعله فى الطليعة بين أساتذة كلية الآداب ، فكان ذلك الجديد هو التجنى على ماضى الأدب العربى حين زعم أنه فى أكثر أحواله أدب معدة لا أدب روح ، وأنه لا ينقد الحياة كما تصنع الآداب الافرنجية ، وأنه لم يصف الطبيعة ولم يتحدث عن المجتمع

وقد فندنا هذه المزاعم فيما يخص مصر والشام والعراق

وندفع اليوم ما وجّهه أحمد أمين إلى الأدب الأندلسى وهو يرى أهله قصروا أبشع التقصير فى تذوق الطبيعة وفى الإحساس بما تعرضوا له من الأحداث الاجتماعية

ويجب أن يكون مفهوماً قبل الشروع فى التفاصيل أن الأدب الأندلسى تعرض للضياع منذ أجيال ، فلو قلنا إن ذلك الأدب ضاع منه أكثر من تسعة أعشاره لما بعدنا عن الصواب ، فقد عانى ذلك الأدب فتنة حمقاء هى ثورة الأسبان على مخلفات العرب فى الأندلس وإصرارهم على تبديد ما ترك العرب والمسلمون من روائع الآداب والفنون

وكان ما صنع الأسبان بآثار العرب فى المغرب صورة مما صنع التتار بآثار العرب فى الشرق ، فكان حظ قرطبة صورة ثانية من حظ بغداد

تبدد من آثار العرب فى الأندلس ما تبدد ، وضاع منه ما ضاع ، ومع ذلك بقيت آثاره تشهد بأن العرب فى الأندلس أحسوا الطبيعة والوجود إحساساً قليل النظائر والأمثال

وهل يدرك أحمد أمين قيمة الإحساس بالطبيعة فى قول المعتمد بن عباد :

وليل بسد النهر أنساً قطعته ... بذات سوار مثل منعطف النهر
نضَتْ بُردها عن غصن بان منعم ... فيا حُسن ما انشقّ الكمام عن الزهر

أيقال إن هذا لعب بالتشبيهات ، كما يتوهم أحمد أمين ؟

وما رأيه فى قول عمرو بن فرج وهو يتحدث عن شرف العفاف :

وطائفة الوصال عففت عنها ... وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت فى الليل سافرة فباتت ... دياجى الليل سافرة القناع
وما من لحظة إلا وفيها ... إلى فتن القلوب لها دواعى
فلكت النهى حجّاب شوق ... لأجرى فى العفاف على طباعى
وبت بها مبيت السّقب يظما ... فيمنعه العكام من الرضاع[1]
كذاك الروض ما فيه لمثلى ... سوى نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات ... فأتخذ الرياض من المراعى

أينكر أن هذا الشاعر أحس الطبيعة أدق إحساس ؟

وهل يستطيع أن يؤدى هذه الصورة بأفضل من هذا الأداء ؟

وما رأيه فى قول محمد بن سفر :

وواعدتُها والشمس تجنح للنوى
بزَوْرتها شمساً وبدر الدجى يسرى
فجاءت كما يمشى سنا الصبح فى الدجى
وطوراً كما مرّ النسيم على النهر
فعطّرت الآفاق حولى فأشعرتْ
بمقدَمها والعَرف يُشعر بالزهر

فتابعت بالتقبيل آثار سعيها ... كما يتقصّى قارىء أحرف السطر
فبتُّ بها والليل قد نام والهوى ... تنبّه بين الغصن والحقف والبدر
أعانقها طوراً وألثم تارةً ... إلى أن دعتنا للنوى راية الفجر
ففضّت عقوداً للتعانق بيننا ... فيا ليلة القدر اتركى ساعة النفر

ألا يرى كيف كانت الطبيعة بأشجارها وأزهارها وأنهارها وأقمارها تداعب خيال الشاعر وهو ينظم هذا القصيد ؟

أيدرك قيمة الإحساس بالطبيعة فى هذا البيت :

فجاءت كما يمشى سنا الصبح فى الدجى
وطوراً كما مرّ النسيم على النهر

قد يقول إن هذا لعبٌ بالتشبيهات !

إن قال ذلك فسيأتى يوم قريب نبين فيه قيمة التشبيهات وما فيها من الدلالة على الأنس بمعانى الوجود

وما رأيهُ فى قول أحد الأندلسيين :

أديراها على الروض المندّى ... وحُكم الصبح فى الظلماء ماضى
وكأس الراح تنظر عن حَباب ... ينوب لنا عن الحدق المراض
وما غَرَبَتْ نجوم الأفق لكن ... نقِلْن من السماء إلى الرياض

أيحسب هذه الأبيات من الكلام المزخرف الذى لا يدل على شىء ؟

اتق الله فى نفسك يا صديقى أحمد أمين ، فأنت لا تجنى على الأدب ، وإنما تجنى على نفسك حين تنسب إليها الغفلة عن أقدار هذه المعانى

وما رأيه فى قول الرصافى الأندلسى فى وصف حائك جميل :

قالوا وقد أكثروا فى حبه عَذَلى :
لو لم تهم بمُذال القدر مبتذَلِ !
فقلت : لو كان أمرى فى الصبابة لى
لاخترتُ ذاك ولكن ليس ذلك لى

علقتُهُ حَبَبيّ الثغر عاطرهُ ... حلو اللمى ساحر الأجفان والمقل
غُزيّيلٌ لم تزل فى الغزل جائلةً ... بنانُهُ جولان الفكر فى الغزَل
جذلان تلعب بالحواك أنمله ... على السّدى لعب الأيام بالأجل
ضمّاً بكفيه أو فحصاً بأخمصه ... تخبّط الظبى فى أشراك محتبِل

ألا تدل هذه القطعة على أن الشاعر قوى الاحساس بالوجود ؟

وهل فكر أحمد أمين أن الأندلسيين لهم أمثال هذه المعانى ؟

وهل عرف أن منهم من قال فى وصف راقص مليح :

ومُنزّع الحركات يلعب بالنُّهى ... لبس المحاسن عند خلع لباسهِ
متأوّداً كالغصن وسْط رياضه ... متلاعباً كالظبى عند كناسه
بالعقل يلعب مدبراً أو مقبلاً ... كالدهر يلعب كيف شاء بناسه
ويضم للقدمين منه رأسه ... كالسيف ضمّ ذبابه لرياسهِ

ألا تعدُّ هذه القطعة من غرائب الشعر البديع الذى يمثل الإحساس بالوجود ؟

وهل عرف أن فى الأندلسيين من قال :

عاطيته والليل يسحب ذيلهُ ... صهباء كالمسك الفتيق لناشقِ
وضممته ضمّ الكمىّ لسيفه ... وذؤابتاه حمائلٌ فى عاتقى
حتى إذا مالت به سِنة الكرى ... زحزحتُه شيئاً وكان معانقى
باعدتُهُ عن أضلع تشتاقهُ ... كيلا ينام على وسادٍ خافق

فهذا شاعرٌ حىّ العواطف ، مشبوب الأحاسيس ، يدرك

(١) السقب : ولد الناقة ، والعكام بالكسر الخيط الذي يعكم به

جمال الوجود فى أوقات الصفاء ، ويواجه الطبيعة بنظرٍ ناقب ، وقلب خفّاقٍ

وما رأيُ صاحبنا فى قصيدة ابن هانئ :

قمن فى مأتمٍ على العشاقِ ولبسن السواد فى الأحداق

وهى قصيدة يحفظها أكثر الأدباء ، وفيها من وصف الطبيعة ألوان

وما قوله فى أرجوزته القافية التى وصف فيها الساقى فقال :

يحثّها بِدَله المرموقِ أرقّ من أديمه الرقيق

وبات سلطاناً على الرحيقِ يسلّط الماء على الحريق

ويغرس اللؤلؤ فى العقيق كأنّ دُرّ ثغره الأنيق

أُلف من حَبابها الفريق أو زَلّ عن فيه إلى الإبريق

وهل سمع الأستاذ أحمد أمين بأخبار ابن شُهيد صاحب « الزوابع والتوابع » ولأدبه صلة شديدة بتذوّق الوجود ؟

هل قرأ أشعار ابن زيدون ورسائل ابن زيدون ليرى كيف فتِن هذا الشاعر الكاتب بفهم الدنيا والناس ؟

وهل نظر فى نكبات ابن عمار الذى تذكّر نفثاتُه بنفثات أبى فراس ؟

وهل خطر فى باله أن ينظر كيف برع الأندلسيون فى الموشحات ، وكانت أقباساً من الأضواء ، وأنفاساً من الأزهار ؟

هل عرف أن الأندلسيين بكوا بلادهم بكاء شهد بأنها قِطَعٌ من قلوبهم الخوافق ؟

هل مرّ بخاطره أن الأدب الأندلسى ترك فى الأدب اللاتينى أخيلة وتعابير بقيتْ على الزمان ؟

هل وصل إلى علمه أن عهد العرب فى الأندلس هو أشرف ما عرفتْ أسبانيا من العهود ؟

هل اتفق له أن يعرف أن تاريخ العرب فى الأندلس كان مادة غنية سعدتْ بها حَيَوات كثير من الباحثين الذين تشرفت بهم الجامعات الألمانية والفرنسية والإنجليزية ؟

هل طرق سمعه الخبر الذى يقول إن علماء الأندلس هم الذين عرّفوا أهل أوربا بمعارف اليونان ؟

فبأى حق يجوز التطاول على أهل الأندلس من رجل مثل أحمد أمين وهو يشهد على نفسه بأنه لا يكتب عن الأندلس إلا بعد أن يأذن له المستشرقون ؟

آه ، ثم آه ! !

ما جزعت على وفاة الأستاذ مصطفى صادق الرافعى كما جزعت عليها اليوم !

فلو كان الرافعى حيًّا ورأى أحمد أمين يقول فى ماضى الأدب العربي ما يقول لأصلاه نار العذاب وصيره أضحوكة بين أهل الشرق والغرب

ولو كان أحمد زكى باشا حيًّا ورأى هذا العبث فى السخرية من أهل الأندلس لقدّم أحمد أمين إلى مهاوى سَقَر » وأحمد زكى باشا أول من أذاع محاسن الأندلس فى العصر الحديث ، قبل الشيخ محمد المهدى والأمير شكيب أرسلان »

ومن يدرى ، فلعل أحمد أمين يلقى من الجزاء ما هو له أهل يوم يتنبه أساتذة الأدب إلى واجبهم فى رد عادية العادين على ماضى اللغة العربية !

من يدرى ، فقد يقوم أحد المستشرقين بالانتصاف للتراث الذى غفل عن قيمته الشرقيون !

من يدرى ، فقد تستيقظ كلية الآداب فتنشئ كرسيًّا للأدب الأندلسى ليعرف شبان العصر الحاضر أن أسلافهم استطاعوا أن يروعوا الأدب اللاتينى فى حصنه الأمين !

* * *

إن الشواهد التى سلفت قد انتزع أكثرها من الشعر ، فكيف كان النثر عند أهل الأندلس وكيف دل على تذوق أصحابه؟

لا أريد أن أعيد ما قلت فى كتاب النثر الفنى حين تحدثت عن كتاب الأندلس ، لأنى أبغض الحديث المعاد ، وإنما أنبه القراء إلى خصيصة ظاهرة من خصائص النثر الأندلسى : هى الهيام بالتشبيهات رغبة منهم فى تجسيم المعانى ، والتشبيهات تنتزع فى الأغلب من صور الطبيعة والوجود ، فهى من الشواهد على إحساس الكاتب بالطبيعة والوجود

ولم تقف هذه الخصيصة عند الرسائل القصيرة أو كتب العهود ، وإنما شملت كتب التراجم وكتب التاريخ ، وغلبت على الأبحاث الصوفية

ومعاذ الأدب أن نفهم الطبيعة كما يفهمها أحمد أمين فنظنها مقصورة على الشجرة والزهرة ، هيهات ، إنما الطبيعة كتاب الوجود بما فيه من حجر ومدر ، وشجر ونبات ، وماء وجماد

والطبيعة الشاملة تظهر بعظموتها وجبروتها ممثلة ناطقة فى أكثر ما كتب الأندلسيون، ولو شئت لقلت إنهم بالغوا فى ذلك حتى قاربوا الإسفاف، فهل كانوا يعلمون من وراء الغيب أن سيجىء فى آخر الزمان من يتهمهم بالغفلة عن تذوق الطبيعة والوجود؟

أمن أجل تلك التهمة المحجوبة فى ضمير الغيب كان الفتح بن خاقان يفتعل ويتعسف فى الأوصاف والتشبيهات ليقيم الدليل على أن الطبيعة كانت تطالع الأندلسيين من كل جانب؟

أكان ابن زيدون وابن برد وابن شهيد وابن حزم يتوقعون أن سيتجنى عليهم ناس فيتهمونهم بالتبلد وضعف الإحساس فكان من احتفالهم بوصف الطبيعة ما كان؟

***

وهنا أستأنس بكلمة قرأتها للأستاذ العقاد منذ سنين وهو يفاضل بين البحترى وشوقى، فقد نص على أن شوقى وصف الطبيعة بعد أن صار وصفها من المذاهب الأدبية، أما البحترى فوصفها بوحى من الفطرة. وكذلك أقول فى الحكم لأهل الأندلس: فهم لم يتعمدوا وصف الطبيعة ليقال إنهم تذوقوها وأحسوها! وإنما وصفوها بوحى من الفطرة فكانت أوصافهم أبلغ فى الدلالة على سلامة الذوق، وقوة الطبع، وأصالة البيان

ويتحذلق أحمد أمين فيقول: أين الشاعر الذى رأى نفسه جزءاً من الطبيعة على حد قول الحلاج:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرته أبصرتنى وإذا أبصرتنى أبصرتنا

ونقول إن الحلاج بحمد الله شاعر عربى، وشعره زكاة عن العرب الذين اتهمهم أحمد أمين، وأبيات الحلاج هى اندماج فى الطبيعة، ولذلك تفصيل يراه من شاء فى كتاب التصوف الإسلامى عند شرح نظرية وحدة الوجود، حتى لا يظن ظان أن أحمد أمين أول من التفت إلى هذه الشؤون

ولكن ما بال صاحبنا يغفل عن أبيات الشاعر الأندلسى الذى منح الطبيعة خصائص النفس الإنسانية حين قال:

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالاً ألذ من المدامة للنديم
يصد الشمس أنى واجهتنا فيحجبها ويأذن للنسيم

وهل يعرف أحمد أمين أن نظرية وحدة الوجود وهى أعظم تقديس للطبيعة لم يشرحها أحد بمثل ما شرحها الصوفية فى الأندلس؟

وهل عرف أن ابن عربى له فى ذلك آيات بينات؟

وهل فطن إلى أن ابن زيدون جمع إلى روحه أطراف الوجود حين قال:

يدنى خيالك حين شط به النوى وهم أكاد به أقبل فاك

***

أما بعد فقد زعم أحمد أمين أن ابن خفاجة الملقب بشاعر الطبيعة لم يجد غير الصياغة، ولم يستطع أن ينفخ فيها الروح، إلا فى النادر القليل.

فهل نترك هذا الزعم بلا تفنيد رعاية لهذا «الأديب»؟

وهل هان الأدب العربى على أهله حتى يتركوا زمامه لمن يتخيل فيختال؟

إن من حق ابن خفاجة علينا أن نجلو صفحة من حياته الشعرية والنثرية تبين كيف كان ذلك الرجل فناناً بارعاً تجرى أنامله على أوتار الوجود، فهو من مفاخر اللغة العربية، وهو حجتها يوم يتطاول عليها من لا يدركون أسرار البيان.

وقبل الشروع فى الكلام عن ابن خفاجة أرجو أصحاب الجرائد والمجلات فى غير مصر أن يصححوا رأيهم فى أسباب هذه المقالات، فليس من الصحيح أنى انتهزت فرصة الأخطاء التى وقع فيها أحمد أمين لأشفى صدرى منه أو لأشفى صدر صديق صاحب الرسالة، فليس بيننا وبين الأستاذ أحمد أمين خصومة شخصية، وإنما هى مصر تروض أبناءها على مخاصمة أصدقائهم فى سبيل الحق.

«للحديث شجون» زكى مبارك

حول الوحدة العربية

بين الحصرى بك وطه حسين

للأستاذ عز الدين التنوخي

عدتُ مساء إلى منزلى فاستقبلتنى غادة « الرسالة » بثوبها الأحمر القشيب ، وهى أبداً بين المجلات قيد ناظرى ، ومهوى خاطرى . ولا غرو فى ذلك ، فإن الدماشقة خاصة ، وأبناء العرب عامة ، يفضلونها لروحها العربية ، وبما تعمله على « توحيد الثقافة العربية » ، على سائر المجلات المصرية . وكلما ازداد الإيمان القومى فى العرب ، ازداد هذا الحب الطبيعى للرسالة ، وازداد معه بمقدار ذلك الهجر والإعراض عن غيرها . وأكتفى بالمثال الواقعى التالى دلالة على صحة ذلك ! فلقد شاهدت غداة أمس فتى عربياً فى الترام يحمل مجلات بينها « الرسالة » . فقلت له :

— أية مجلة تحبها مما تحمل ؟

— مجلة « الرسالة » !

— ولماذا آثرتها بالمحبة ؟

— لأن روحها المصرية تمتزج بروحنا العربيــة ، ولأنها — وهنا أشــار إلى الغلاف — تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية !

وحينما رأيت مساء مجلة « الرسالة » ، نظرت إلى فهرسها فوجدت فيه موضوعاً يهمنى — وأبناء العرب جميعاً — وهو رد الأستاذ ساطع الحصرى على الفصل الجوابى الذى نشره الأستاذ طه حسين فى كتابه « مستقبل الثقافة فى مصر » .

أجل ! كنت أنتظر بصبر غير جميل من مثل أبى خلدون أن يعيد الكرة على صاحبه الذى أحاله فى نقض انتقاداته على الفصل الجوابى . ذلك بأنّا — ولا نكتم الدكتور طه حسين — كنا قد اعتبرنا هذه الإحالة يومئذ ضرباً من الفرار من معركة المناظرة ، وقرأت اليوم كتاب الأستاذ أبى خلدون (إلى الدكتور طه) ، فلا أدرى ما ذا عسى أن يراجع به هذا الأديب العربى الكبير ناقده بعد أن استشهد عليه بكلامه ، وحصين منطقه ؟

نعتُ الآن الدكتور طه حسين — بالأديب العربى — لا بالمصرىّ ، فحسب ، لأن أدبه عربىٌ بمصادره ، عربىٌ بلغته وألفاظه ، عربى بمباحثه المبتكرة ، وأساليبه المستعذبة ! عربى على الرغم منه بروحه حينما يرسل نفسه على سجيتها ، ويقول ما يقول غير منتصر للفرعونية ، وغير مجامل لأنصارها !

أليس طه حسين هو الذى فضل أدبنا العربى القديم على معظم آداب أمم الحضارة القديمة فى كتابه « حديث الشعر والنثر » ؟ أليس طه حسين من أقدر العاملين على إحياء لغتنا العربية بإحياء آدابها بذلك الأسلوب العربى الرائع ببلاغته على سلاسته وبامتناعه على إطاعه ؟ أو ليس هو المنادى بتوحيد الثقافة العربية التى إن ضمنها للأستاذ أبى خلدون ، وضمنها لنا أيضاً ، ضمنّا له كل ما بقى من ضروب الوحدة ؟ !

أجل بالدكتور طه حسين أن يكون أديب الأقطار العربية كلها من أن يكون فى قطر واحد أديباً ! وليته ـ أصلحه الله ـ جامل فى المكشوف أدباء العرب الذين يتنافسون فى اقتناء آثاره ، ويتباهون بأنهم من أنصاره . أو ليته — وهو مسلم مصرى — خاطب العرب بما خاطبهم به الأستاذ مكرم عبيد — وهو النصرانى المصرى — وهو لذلك أشد اتصالاً منه بالفراعنة ذوى الأوتاد !

وليسمع الدكتور طه حسين ما يقوله الأستاذ مكرم عبيد فى عدد الهلال الممتاز « العرب والإسلام » :

« سافرت فى رحلة صيفية إلى سورية ، وتفضل إخوانى السوريون فى الشام ولبنان وفلسطين ، فشملونى بترحيبهم وتكريمهم ، فوقفت يومئذ وتحدثت عن الوحدة العربية وقلت : « المصريون عرب » . وأبديت رأيى فى هذه النظرية التى يؤيدها التاريخ ، فنحن معشر المصريين جئنا من آسيا [1] ، ونحن أدنى إلى العرب منذ القدم من حيث اللون واللغة والخصائص السامية والقومية » إلى أن يقول : « نحن عرب ! ويجب أن نذكر فى هذا العصر دائماً أننا عرب قد وحّدت بيننا الآلام والآمال ، ووثقت روابطنا الكوارث والأشجان ، وصهرتنا المظالم وخطوب الزمان . فأحدثت منا أمماً متشابهة متماثلة فى كل ناحية من نواحى الحياة »

ثم تكلم عن الوحدة العربية بقوله : « فالوحدة العربية حقيقة قائمة ، هى موجودة لكنها فى حاجة إلى تنظيم ؛ والغرض من التنظيم إيجاد جبهة تناهض الاستعمار ، وتحفظ القوميات ، وتوفر الرخاء ، وتنمى الموارد الاقتصادية ، وتشجّع الإنتاج المحلى ، وتزيد

(١) وقد بين لنا فى موضع آخر وطن المصريين الأول بقوله ص ٣٣ : « وامتداد أصلنا القديم إلى الأصل السامى الذى هاجر إلى بلادنا من الجزيرة العربية » .

فى تبادل المنافع وتنسيق المعاملات . فكما أن أوربا خلقت شيئاً معنوياً ترتبط به وتلتف حوله أغراض سكانها على اختلاف أممهم ، فكذلك نحن سيؤول مصيرنا إلى الالتفاف حول مثل أعلى يوفق بيننا فنصير كتلة واحدة وتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة ، أو وطناً كبيراً يتفرع منه عدة أوطان ـ لكل منها شخصية لكنها فى خصائصها القومية العامة متحدة متصلة اتصالاً قوياً بالوطن الأكبر »

وفى هذا البحث الممتع للأستاذ مكرم عبيد يشير آنفاً إلى رحلته الصيفية للديار الشامية وأنه كان يتحدث إلى المرحبين به قائلاً : (المصريون عرب صدق والله ، فقد كنت من جملة المرحبين بأخوته العربية فى نزل أمية بدمشق ، وسمعت هذه الكلمة الطيبة من فيه ، لا فض فوه . ولا أزال أذكر ذلك يوم سألته عن تلك النعرة الفرعونية فى مصر فقال لى ما معناه : نحن عرب فى مصر ولا نمجد الفراعنة إلا لأنهم عرب !

الأستاذ مكرم عبيد فرعونى صميم ، ومن نوابغ مصر فى ثقافته وأخلاقه ووطنيته ، والأستاذ طه حسين المسلم المصرى يحكم والناس معه بالظن على فرعونيته ، فلن يكون بذلك أصدق تفرعنا من مكرم عبيد ، وإذا ما ادعى ذلك كان أشد فرعونية من فرعون نفسه ، أو ـ أشد كما قيل ـ ملكية من الملك !

والأستاذ طه حسين الذى كان ينكر الوحدة العربية بأنواعها وشرائطها ، ويعد من يقول بهذه الوحدة من أصحاب العقل القديم ، قد أصبح ولله الحمد أخيراً قديم العقل كالأستاذ مكرم عبيد لقولهما بالوحدة العربية على شكل إمبراطورية جامعة أو اتحاد مشابه للاتحاد الأمريكى أو السويسرى !

وأظن أخانا العربي الزيات قديم العقل أيضاً لقوله بالوحدة العربية ، فما أجمل ذلك العقل القديم الذى يصل بين الأرحام المتقاطعة والأرواح المتناكرة والقلوب المتنافرة ، والخير لنا ألف مرة أن يجمع شملنا العقل القديم من أن يمزق ويفرق بيننا العقل الحديث .

(دمشق) عز الدين التنوخي

عضو المجمع العلمى العربى

كتاب فى الدين الاسلامى

للأستاذ محمد بهجة البيطار

قرأت فى الرسالة الغراء مقال نابغة الشام الأستاذ على الطنطاوى فى الإسلام وفهم الأصحاب والأعراب له من النبى صلى الله عليه وسلم فى مجالس معدودة ، وصدورهم عنه معلمين ودعاة إلى الله أيام كانت أوعية العلم الصدور لا الكتب ؛ ثم وصف ما يلاقيه فى عصرنا طلاب العلوم والفنون من عَنَت فى معرفة هذا الدين السمح بعد أن صرنا نملك ألوف الألوف من كتبه ، واقترح أن يؤلف كتاب فى الإسلام — عقائده وعباداته وأخلاقه — يشرح فيه حديث جبريل عليه السلام الذى سأل فيه النبى (ص) عن الإيمان والإسلام والإحسان بأسلوب شائق مؤثر « لا هو بالأسلوب العلمى الجامد ، ولا هو بالأسلوب القصصى الخيالى » كما قال . ودعا الكتاب إلى البحث فى هذا الموضوع الجليل ، واقترح علىّ حفظه الله أن أكتب فى مبحث الإيمان بالله تعالى على الأساس الإسلامى لا المذهب الكلامى (المشحون بالألفاظ المبتدعة كالجوهر والجسم والأعراض والأغراض والأبعاض والحدود والجهات وحلول الحوادث وغيرها) لينشر على صفحات الرسالة الغراء ، فلبيت شاكراً للأستاذ الطنطاوى غيرته ، ممهداً بوصف كتب العقائد المتداولة بين الأيدى

كتب العقائد المتداولة

لا يخفى أن الإيمان بالله تعالى هو توحيده على الوجه الذى أثبته لنفسه فى كتابه ، أو ورد عن المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى فى بيانه . وإذا نظرنا إلى كتب التوحيد الدراسية التى تداولتها أيدى الخواص والعوام فى معظم الأمصار الإسلامية ، وصارت عُمدة المدرسين والدارسين فى المدارس الحكوميّة الرسمية وفى المدارس الأهلية والمعاهد الدينية أيضاً نجدها نوعين :

١ — كتب العقائد التى وضعت على طريقة الخلف ، وأولت فيها نصوص الكتاب والسنة تأويلاً صرفها عن مدلولاتها اللغوية والشرعية ، ونَفَى معانيها الوجودية الثابتة ، بتأويلات جاءت على خلاف الوضع والشرع

٢ — كتب الدفاع عن الإسلام وتوحيده ، وإثبات أنه دين العقل والفطرة ، وحاجة البشر فى كل زمان ومكان ، وقد انتشرت فى زماننا شُبَه وشكوك فى دين الحق لأقوام وأصناف ، كبعثات التبشير أو التنفير ، ومروّجى الإلحاد والفساد ، وكتب التحريف والتخريف ؛ وفى ردود دعاة الإسلام وحماة الفضيلة دفع لباطلهم ، وكبح لجماحهم ، ولكن هذه الكتب التى تضمنت فلسفة التوحيد وحكمة التشريع ، هى سلاح علمى نشهره فى وجوه أعدائنا ، لحراسة عقائدنا ، والدعوة إليها ، والنضال عنها ، لا لتلقى علم التوحيد وعقائده منها ، فهى على نفاستها وضرورة دراستها وكونها لا يستغنى عنها فى مثل هذا الزمن ، ليست كتباً موضوعة فى علم التوحيد ، ولا هى قواعد لعقائده المستمدة من نصوصه المبنية عليها ، بل هى فلسفة تحوم حول التوحيد ، وإيضاح لمحاسن الدين ومزاياه

وهنا لك نوع ثالث وهو الكتب التوحيدية السلفية التى أثبتت معانى النصوص وحقائقها الشرعية من طريق المنقول والمعقول ، وردّت كلام المعطِّلة والمؤوِّلة ردًّا لم يبق حاجة فى النفوس

وقد كان حوار سلفنا الصالح مفحما للفرق التى ظهرت فى عصورهم ، وشاعت مقالاتهم فى الناس كالقدرية والخوارج ، والجبرية والجهمية، والمرجئة والوعيدية. وكتبُ عَلَم السُّنة الإمام أحمد بن حنبل ، والإمام عثمان بن سعيد الدارمى وغيرهما من أئمة السلف أجلُّ ما صنف فى العقائد الصحيحة ، وأنفعها فى النقض على هذه الفرق المنحرفة . وقد جدّد عهدهم ، وشرح مذهبهم ، وبيّن أنه الأسلم والأعلم والأحكم شيخا الإسلام ابن تيمية ، وابن قيم الجوزية فى كتبهما ، ثم من جاء بعدهما من أئمة الإسلام وأنصار العقيدة السلفية . ولكن كتب هؤلاء الأعلام الواسعة هى علمية تعليمية ، لأنها فى الغالب كتب حجاج ومناظرة ، وتأييد لمدلولات النصوص ، وردّ لشبهات الخصوم . فأنا أؤيد رأى أخى الطنطاوى فيما كتب ، وأقترح على حماة العقائد الصحيحة التى جاء بها القرآن أن يفتحوا باباً للتوحيد السلفى ، وأن ينشروا فصولاً ملخصة مما كتبه الأئمة الثقات فيه ، تكون تمهيداً لوضع سلسلة توحيدية تعليمية ، مفرغة حلقاتها بأسلوب عصرى مدرسى ، تشرب القلوب حب السلف الصالح وآثارهم ، وتطبع النفوس بطابع عقائدهم وأخلاقهم ، وتغذى عقول النشء الإسلامى بلبان التوحيد الخالص المطهر من كل ما يخالطه من أدران البدع والزوائد ، فتصح العقائد ، وتزكو الأخلاق ، وتتوحد المبادىء

والغايات، فنضع هذا الاقتراح أمام أولى الكفاية والعزم من إخواننا السلفيين، لعله يجد مكاناً للاستحسان والتنفيذ إن شاء الله تعالى .

تعريف التوحيد

التوحيد فى اللغة التفريد . تقول : وحدت الشىء وأحدته إذا فصلته عما سواه ، وأفردته . وفى الشرع : اعتقاد أن الله واحد أحد، فرد صمد، لا ندّ له ولا ضد. والتوحيد أساس العلوم الدينية ، وهو الذى نزلت به الكتب ، وأرسلت به الرسل ، وتوارثه المجددون فى كل عصر ، وقاموا عليه خير قيام . وهو الذى يجب أن يكون رأس الدعوة ، ويجاهد فى سبيله كل من عاداه ، حتى يكون الدين كله لله ، وتترك العبادة لما سواه من حجر وشجر وبشر ، وشمس وقمر ، وملك وجن ، وسائر ما عبد من دون الله فى الملأ الأعلى أو الملأ الأدنى ، وهذا هو مناط النجاة فى الآخرة ، وليست الدنيا إلا دار سباق لها

أنواع التوحيد

التوحيد ثلاثة أنواع (١) توحيد الربوبية (٢) توحيد الألوهية (٣) توحيد الأسماء والصفات . (فالأول) : الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيى المميت المدبر لجميع الأمور . (والثانى) هو إفراده تعالى بجميع أنواع العبادة ، والتوجه إليه وحده بالدعاء والطلب . (والثالث) هو أن يوصف الله سبحانه بما وصف به نفسه فى كتابه ، وبما وصفه به رسوله من الأسماء الحسنى ، والصفات العليا . فمن الأسماء : الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، ومن الصفات : الرحمن على العرش استوى ، بل يداه مبسوطتان ، وكلم الله موسى تكليماً .

وقد دلّ القرآن وشهد التاريخ أن العرب قبل الإسلام كانوا مؤمنين بوجود الله ، مقرين له بالوحدانية فى الخلق والرزق، والتدبير والتأثير ، والإحياء والإماتة ، وتصريف جميع الأمور ، وأن ليس لآلهتهم شىء من ذلك . والنصوص فى ذلك كثيرة وصريحة ، قال تعالى : « ولئن سألتهم مَن خلق السموات والأرض ليقولن الله » وقال : « قل مَن يرزقكم من السماء والأرض ، أمَّن يملك السمع والأبصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ؟ » وقال : « قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون الله : قل فأنى تسحرون » وهذا هو المسمى بتوحيد الربوبية الذى كان عليه أهل الجاهلية ، وهو توحيد الرب بأفعاله .

إنما كان شرك المشركين الأولين بتوحيد الألوهية أو توحيد العبادة ، ومن مظاهره الدعاء والخوف والرجاء ، والذبح والنذر ، وغير ذلك من أنواع العبادة التى كان يصرفها المشركون لمعبوداتهم من الصالحين وغيرهم لتقربهم إلى الله زلفى ، وكانوا يقولون فى حجهم : « لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » فهذا الشريك هو الذى كان يشرك مع الله فى العبادة فحسب، لا فى الإيجاد ولا فى الإمداد كما قال تعالى: «ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله»

كلمة التوحيد

أساس الدين وركنه الأعظم هو كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) فهى أصل الأصول ، ودين الرسل من أولهم إلى آخرهم عليهم الصلاة والسلام « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » . فكلمة التوحيد هذه لا بد من فهم معناها والعمل بمقتضاها ، وهو ما بعث به النبى (ص) ودعا إليه: أَلَه إلاهة وألوهة وألوهية : عَبَدَ عبادة ، ومنه لفظ الجلالة وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه كما فى القاموس ، فمعنى إله فى لغة العرب وفى الشرع هو المعبود بحق أو بغير حق . ولفظ الجلالة عَلَم على المعبود بحق وهو الله عز وجل فكلمة (لا إله) نفىٌ لكل معبود فى الوجود وإبطال لعبادته ، وكلمة (إلا الله) إثبات لعبادة المعبود بحق وحده ، « ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العلى الكبير » فكلمة التوحيد مسقطة لجميع آلهتهم ، هادمة لأنواع عبادتهم ، مثبتة العبادة كلها لله وحده الذى وحدوه بربوبيته ولم يوحدوه بإلهيته ، فأقام عليهم الحجة بما أقروه على ما أنكروه ، وبين أن من تفرد بالإيجاد والإمداد يجب أن يفرد بالعبادة ، وهذه الحجة القاهرة من حجج الله على العالمين إلى يوم الدين

لما كان العرب فى جاهليتهم يفهمون من كلمة (لا إله إلا الله) هذا المعنى الذى بيناه لغة وشرعاً كانوا يستكبرون عن النطق بها لأنهم علموا أن الإذعان لها كفر بالآلهة وإبطال لعبادتهم ، كما قال تعالى : « إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ، ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون » وقال : « وإذا ذكر

الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون » وقال : « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك فى السموات ؟ ائتونى بكتاب من قبل هذا ، أو أثارة من علم إن كنتم صادقين » وقال : « ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلى الكبير »

أما دعاة غير الله فقد سهل عليهم الأمر لأنهم فهموا من كلمة التوحيد ما يخالف الوضع والشرع وفسروها بمعنى توحيد الله بأفعاله ، وبالقـدرة على الإبداع والاختراع ، وأخرجوا كل ما ذكرناه عن معناه اللغوى والشرعى ، كالدعاء والخوف والرجاء ، والحب والتعظيم ، والاستعانة والاستغاثة والاستعاذة ، والتوكل والذبح والنذر ، والخضوع والخشوع والالتجاء ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، وأجازوا فعله كله لغير الله ، بعد أن نحلوه لقب التوسل والاستشفاع

التوسل الجاهلى

ليس الكلام فى التوسل الخلافى المشهور بين العلماء المحصور فى دعاء الله وحده مع التوسل إليه بصالحى عباده ، وإنما الكلام فى توسل آخر لا يعرفه إلا الغلاة والجهال ، وهو دعاء أهل القبور أنفسهم ، والاستنجاد بهم ، وطلب الغوث منهم لإنقاذ الغرقى وشفاء المرضى ، ورد الغائبين وإغاثة الملهوفين ، وإعانة المستعينين ؛ وهذا لا يسمى توسلاً بهم لا دينا ولا عقلاً ولا لغة ، بل هو دعاء لهم وطلب منهم وهو خارج عن موضوع التوسل وليس منه فى شىء

فإن قلت إن الداعى لغير الله لم يرد بدعائه إلا الله ، متوسلاً إليه بمن يدعوه ، وإن قلبه منطو على عقيدة صحيحة لو كشف الغطاء لشهدت صحتها ، وهلا شققت عن قلبه ؟ (فالجواب) أن ما فى القلب لا يعلمه إلا علام الغيوب ، وأن الكلام منحصر فى دائرة الأقوال والأفعال التى تناقض صحة العقيدة القلبية كل المناقضة ، والشارع ناط الأحكام بالظاهر ، والله يتولى السرائر . ولا يرد حديث : (هلا شققت عن قلبه) إلا على من يدعى معرفة الباطن ، وأنه موافق أو مخالف للظاهر ، وإنما البحث فيما يبدو للحس من قول أو عمل مصادم للشرع . وقد أنكر النبى (ص) على أسامة قتل من أتى بكلمة التوحيد ولم ينقضها بقول ولا عمل ، فادعى أسامة (رضى الله عنه) أنه لم يأت بها عن عقيدة قلبية ، فأنكر ذلك عليه صلوات الله عليه وقال : هلا شققت عن قلبه ؟ وأين هذا من ذاك !

وصف القرآن أهل الجاهلية وفرعون الذى ادعى الربوبية والألوهية بأنهم كانوا إذا وقعوا فى شدة كخوف الغرق فى البحر مثلاً دَعَوُا الله مخلصين له الدين ، كما قال فيهم : « فإذا ركبوا فى الفلك دَعَوُا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون » وقال فى فرعون : « حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أن لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين » أفيكون أولئك القوم وفرعون أولى بدعاء الله وحده فى الشدائد ممن يتبجحون بالإسلام والتوحيد ؟ وبدهى من عقيدة المسلمين أن جميع المخلوقات لا يملكون لأنفسهم – ولا لغيرهم بالأولى – فى الرخاء ولا فى الشدة ضراً ولا نفعا ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا » فكيف تتفق هذه العقيدة المستندة إلى النصوص القطعية المجمع عليها مع دعاء غير الله تعالى فى الرخاء وفى الشدة أيضاً ؟

وإذا أضيف إلى ما سبق دعوى التصرف فى الكون التى يدعيها العوام وأشباه العوام لبعض الصالحين ، أو تقسيم الدنيا إلى أربع مناطق ، وتخصيص كل قسم منها بواحد منهم ، ودعوى وجود الله تعالى بذاته – تقدست وعلت – فى كل مكان ، أو دعوى أنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ، وما يضاف إليها من سلبه تعالى صفات كماله ، ونعوت جلاله ؛ فقد وقع الإشكال العظيم فى التوحيد بأقسامه الثلاثة : توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات . ونعوذ بالله من سوء الفهم والخذلان. الحق يقال : إن هـذه العقائد قد عظم ضررها ، وقبح أثرها ، وكان من نتائجها خروج جماهير المتعلمين على الطريقة الفنية عن دائرة دينهم ، وافتتانهم بما عند غيرهم . فما هو العلاج الشافى من هذه الأدواء الفتاكة يا ترى ؟ وكيف يعود الناس إلى عقيدة الإيمان بالله على الوجه الصحيح الذى جاء به الإسلام وجرى عليه أهل الصدر الأول علماً وعملاً واعتقاداً ؟

خاتمة

إنى والذى جعل العلماء ورثة الأنبياء – لأعجب كل العجب ممن يقفون على تاريخ الإسلام وسيرة النبى عليه الصلاة والسلام وممن يعلمونها فى المدارس ، ثم يَغفُلون عن قضية من أهم قضايا التاريخ وأشدها ارتباطاً بعلم التوحيد وتأثيراً فى تهذيب النشء

الإسلامى بل الإنسانى الحديث ، وإنشائه صحيح العقل ، سليم الفطرة ، بعيداً عن كل لوثة وثنية أو جاهلية

إن كل من أحاط بالسيرة النبوية وسيرة الصدر الأول للاسلام خُبراً أنكر أشد الإنكار ما أحدث الناس من البدع والجهالات والسخف والخرافات . وإنى مورد طرفاً يسيراً من سيرة الصحب الكرام ولا سيما الخلفاء الراشدين الذين من تمسك بسنتهم نجا ، ومن شذ عنها شذ فى النار ، لتكون لنا مناراً كمنار الطريق

بقى النبى -بأبى هو وأمى (ص)- قبل الدفن ثلاثة أيام والنزاع قائم بين الصحب الكرام على أمر الخلافة حتى بايعوا أبا بكر (رض) ولم يسألوا النبى (ص) عمن هو الأحق بها من بعده . وكانت وقعة الجمل بين أم المؤمنين وابن عمه أبى السبطين الشهيدين ، وسفكت دماء عزيزة عليه (ص) ولم يستفتوه قبل القتال ولا بعده وهو دفين فى بيت عائشة بين سمعهم وبصرهم . وجرت وقائع صفين بين على ومعاوية ، وكانت أعظم هولاً وأشد فتكاً ، ولم ينقل أن أحداً منهم استنجد بالنبى أو استغاث به ، أو سأله عن حكم هذه الحرب أو التى قبلها ، كما أنهم لم يسألوا شهداء أُحُد عليهم الرضوان شيئاً من ذلك وهم سادة الشهداء . وجمع القرآن فى عهد الصديق ، ووقع الخلاف أولاً فى جمعه ، ولم يستفتوه فى ذلك ، وكانوا يسألون النبى (ص) عن كل ما يعرض لهم من الأمور فصار يسأل بعضهم بعضاً ، ولم يجيئوا فيسألوه فى قبره (ص) وقال عمر : اللهم كنا إذا أجدبنا نستسق بنبيك محمد (ص) فتسقينا؛ والآن نستسق بعمه العباس ، فطلبوا الدعاء من عمه ولم يطلبوه منه كما كانوا يفعلون فى حياته بينهم . وقال عمر : ثلاث مسائل وددت لو أنى سألت رسول الله (ص) عنها ، ولم يسأله عنها بعد وفاته . وكانوا يضربون أكباد الإبل من الشام إلى المدينة ليسألوا عائشة عن حديث سمعته من النبى (ص) فكانت تجيبهم ولم يسألوه وهو فى بيتها . ومضت القرون الثلاثة المفضلة وكل طبقة كانت تسأل من فوقها وتستفتيهم ، ولم يسألوا سيد الأنبياء ولا سادة الشهداء الأحياء عند ربهم (شهداء أحد) عن شىء

هذه هى أعمال الصحابة (رض) حينما هاجمتهم الخطوب ، واستعرت بينهم نيران الحروب ، ووقعت لهم مناظرات كالمناظرة التى جرت بين الشيخين فى قتال مانعى الزكاة ، وكالخلاف الذى وقع فى إرسال جيش أسامة بن زيد الذى عقد لواءه النبى (ص) ليسير إلى بعض جهات الشام ، ولم يسألوا النبى (ص) عن شىء من ذلك أحوج ما كانوا إلى سؤاله ، وأحرص ما كانوا على العمل بمقاله ، وكان (ص) هو الذى يقسم بينهم الأعطيات والغنائم ، ويكون فيهم فى الغزوات ويرسل منهم السرايا ، ولم يقع شىء من ذلك له بعد وفاته .

وجملة القول : أن النبى (ص) كان مرجعهم فى الدين والدنيا فى حياته ، فصاروا يرجعون إلى ما عرفوا من سنته بعد وفاته ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العقل والحس والوجدان بالبداهة ؛ ولكن مدرسى تاريخ المسلمين فى الأمصار الإسلامية قد قصروا فيما يجب عليهم من البيان ، وفى عدم الجمع بين حوادث التاريخ ومسائل الدين ؛ والكتب الكلامية المذهبية المتداولة لم تبن العقائد فيها على قواعد الأدلة ، ووصف ما كان عليه فى القرون المفضلة أهل هذه الملة

وأنا قد أوردت فى مقالى هذا شذرات من أعمال الصحب الكرام مقتبسة من هَدى النبى الأمين ووحيه ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها كما قال مالك إمام دار الهجرة (رض)

فإلى رجال الدين والتاريخ والعلم الصحيح أوجه مقالى هذا راجياً أن يقرنوا العقائد الدينية بالشواهد التاريخية ، رحمة بهذه الأمة ، وليكون علم العقائد لدى الطلاب كسائر العلوم التى يطبق فيها العلم على العمل ، لكيلا تضيع الثمرة المطلوبة من دروس العقائد والتاريخ التى يقضى الطالب فى دراستها زمناً غير قليل ، والله هو الموفق والمعين

(دمشق) **محمد بهجة البيطار**

خليل مردم بك

وكتابه فى الشاعر الفرزدق

للأستاذ جليل

فخر الفرزدق

نخرنا فصدّقنا على الناس كلهم   وشر مساعى الناس والفخر باطله

« وشعر الفرزدق فى هذا الباب من حر الشعر وخالصه ، ومن أحسن ما قال ؛ يفحل ويجزل ، ويقوى ويشتد ، ويطول نفسه ويتسع مداه ، ويحسن التصرف ويجيد التأويل والاعتذار[(١)] :

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم   إذا أثقل الأعناق حمل المغارم »

وللبيت حكاية رواها الأستاذ فى الصفحة (٢٠) من (الكتاب) ومما أورده له فى هذا الباب :

إذا مت فابكيني بمـا أنا أهله   فكل جميل قلتِ فىّ يُصدَّق
وكم قائل مات الفرزدق والندى   وقائلة مات الندى والفرزدق

***

أولئـك آبائى فجئنى بمثلهـم   إذا جمعتنا (يا جرير) المجامع
وكنا إذا الجبـار صعر خده   ضربناه حتى تستقيم الأخادع[(٢)]

ورواية (المجامع) هى التى فى الديوان وفى كتب اللغة والأدب ، وذكر الزمخشرى (الجوامع) فى البيت ، قال فى الأساس : «وجمعتهم جامعة أى أمر من الأمور التى يجتمع لها ، قال الفرزدق : أولئك آبائى ... »

وأورد الأستاذ قول الفرزدق :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا
وإن نحن أومأنا إلى الناس وقـفوا

وروى عن أبى الفرج قصة تخبر بانتحاله البيت، وهو فى شعر جميل ، والظن أن شيطان الفرزدق الذى أوحى إليه (الفائية) أعطاه إياه . وفى هذه (العبقرية) يقول ابن غالب :

(١) كل قول بين الأهلة غير معزو إلى صاحبه ، هو من كلام الأستاذ المردمى .

(٢) الأخدعان عرقان فى الرقبة ، ولى الأخادع مثل تصعير الخد ، قال الأساس : لوى فلان أخدعه أعرض وتكبر ، وسوى أخدعه ترك الكبر . وقد نسب الزمخشرى البيت إلى جرير خطأ

وما حل من جهل حُبا حلمائنا   ولا قائل بالعرف فينا يعنف[(١)]
وما قام منـا قائم فى نديّنا   فينطق إلا بالتى هى أعرف
وإنى لمن قوم بهم تتقى العدى
ورأب الثـأى والجانب المتخوف[(٢)]
لنا العزة الغلباء والعدد الذى   عليه إذا عد الحصى يتخلف[(٣)]
ولا عزّ إلا عزنا قاهـر له
ويسألنا النصف الذليلُ فيُنصف[(٤)]
ومنـا الذى لا ينطق الناس عنده
ولكن هو المستأذن المتَنَصَّف[(٥)]
تراهم قعودا حوله وعيونهم   مكسرة أبصارها ما تصرّف
وبنيان بيت الله نحن ولاته   وبيت بأعلى إيلياء مشرف[(٦)]
لنـا حيث آفاق البـرية تلتقى
عميد الحصى والقسورىّ المخندف[(٧)]
ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا
وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا[(٨)]

(١) الحبا جمع الحبوة والحاء فيهما تضم وتكسر قال اللسان : « ويروى بيت الفرزدق بالوجهين » والاحتباء معروف . وفى النهاية : الاحتباء حيطان العرب ، أى ليس فى البرارى حيطان فاذا أرادوا أن يستندوا احتبوا . والاحتباء كناية عن الحلم ونقضه كناية عن الطيش

(٢) فى (الخصائص) : أراد وبهم رأب الثأى ، حذف حرف الجر لدلالة ما قبله عليه مع مخالفته له فى الحكم

(٣) فى طبعة (الصاوى) : « الغلباء الغليظة العنق » . . . والعزة الغلباء هى الوثيقة القوية ، وفى الأساس : ومن المجاز : عزة غلباء ، وفى اللسان : حديقة غلباء أى عظيمة متكاثفة وهضبة غلباء عظيمة مشرفة وعزة غلباء كذلك على المثل

(٤) النصف : بالكسر ويثلث : الاسم من الانصاف (التاج)

(٥) تنصف خدم وتنصفه استخدمه : لازم متعد (التاج)

(٦) في (النهاية فى غريب الحديث والأثر) : « إن ابن عمر أهل بحجة من إيلياء : اسم مدينة بيت المقدس » وولاتها اليوم أبناء الصليبيين يظاهرهم اليهود :

قضاء من الله العزيز أراده   ألا ربما كانت إرادته شرا !
و « لله الأمر من قبل ومن بعد »

(٧) وفى رواية : عديد الحصى والحصى العدد الكثير . (المخندف) المنتسب إلى خندف فى (اللسان : خندف امرأة الياس بن مضر غلبت على نسب أولادها منه ، وسميت بها القبيلة . وفى تاريخ الطبرى : فى كتاب هشام إلى يوسف بن عمر : ولكنك تقيست على وأنا متخندف عليك

(٨) قال صاحب (ديوان المعانى) رواه لنا أبو على بن أبى حفص : أربأنا قال : والارباء الاشارة إلى خلف والايماء إلى قدام

وهـذا البيت يبدو فى أبيات الفرزدق أخاً حتماً[١] لما وهو فى أبيات جميل كأنه ابن عم كلالة . وروايته فى شعر صاحب بثينة هى :

نسير أمام الناس والناس خلفنا
فإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وإنه توارد الخواطر غير المستنكر ، وإن كان قول الأخطل « نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة ... » لا ينكر

ومما يُروى أفكوهة من الأفاكيه ، وأضحوكة من الأضاحيك قول أبى هلال المسكرى فى كتابه (ديوان المعانى) وهو هذا : «وعند الناس قصيدة جميل أحسن وأسلس من قصيدة الفرزدق»

وأنا أستعجب من أبى زيد محمد القرشى كيف لم يثبت فائية جميل مكان فائية الفرزدق فى أول (الملحمات) فى كتابه (جمهرة أشعار العرب)

الحقُّ أن الأدباء قد يلفتون كلامهم[٢] وقد يهرثون بل قد يكفرون فى الأحايين ، وما قول المسكرى هذا إلا من الكفر، والمختار من فائية جميل بثينة هو فى الجزء الثامن من الأغانى ، فليراجعه من شاء من الفضلاء ليرى كيف يجور الحكم !

إن قصيدة جميل أحسن من قصيدة الفرزدق وأعظم منها وأنجم عند النسناس[٣] لا عند الناس ...

ومن تخليط المسكرى ما قاله فى (كتاب الصناعتين) وقوله هو : « كان البحترى يفضل الفرزدق على جرير ، ويزعم أنه يتصرف من المعانى فيما لا يتصرف فيه جرير ويورد منه فى شعره فى كل قصيدة خلاف ما يورده فى الأخرى ، وجرير يكرر فى هجاء الفرزدق الزبير وجعثن والنوار وأنه قين لا يذكر شيئاً غير هذا . وسئل بعضهم عن أبى نواس ومسلم فذكر (أن أبا نواس أشعر لتصرفه فى أشياء من وجوه الشعر وكثرة مذاهبه فيه ، ومسلم جار على وتيرة واحدة لا يتغير عنها) وأبلغ من هذه المنزلة أن يكون فى قوة صائغ الكلام أن يأتى مرة بالجزل، وأخرى بالسهل، فيلين

(١) هذا أخ حتم كقولك : ابن عم لح (الأساس)
(٢) يلفت الكلام : يرسله على عواهنه لا يبالى كيف جاء
(٣) فى اللسان : النسناس خلق على صورة بنى آدم أشبهوهم فى شىء وخالفوهم فى شىء وليسوا من بنى آدم . وفى الحديث عن أبى هريرة : ذهب الناس وبقي النسناس ، قيل : من النسناس ؟ قال : الذين يتشبهون بالناس وليسوا من الناس . وروى الميدانى فى مجمع الأمثال هذا الحديث الحريرى فى أمثال المولدين

إذا شاء ، ويشتد إذا أراد . ومن هـذا الوجه فضلوا جريراً على الفرزدق ، قال جرير :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعى بسلام
تجرى السواك على أغر كأنه بَرَدٌ تحدر من متون غمام

فانظر إلى رقة هذا الكلام ، وقال أيضاً :

وابن اللبون إذا ما لُزَّ فى قرَن لم يستطع صولة البزل القناعيس

فانظر إلى صلابة هذا الكلام !

وفحوى هذا الكلام أن ليس للتصرف فى القول والتفنن فيه والإبداع قدر ، وأن الشأن كله فى أن يلين القائل ويشتد أى أن ينسلخ العبقرى من طبيعته التى فطره الله عليها ويتكلف الشدة أو اللين

وقد روى ابن رشيق فى (العمدة[١]) قول البحترى الذى تهاون المسكرى بجلالة خطره ثم قال : « فإذا كان هذا فقد حكم له (أى للفرزدق) بالتصرف ، وبهذا أقول أنا وإياه أعتقد فيهما (أى فى الفرزدق وجرير) وإذا لم يكن شعر الشاعر نمطاً واحداً لم يمله السامع

وقول أبى هلال فى لين القائل واشتداده أو فى تليين الكلام وتصليبه ذكرنا بخطب فى كتاب لا أسميه الآن كان صائغها يكد روحه وهو يصوغ كداً ، ويزفر زفيراً ، ويزحر زحير المرأة عند الولادة ، ويدور ويجول ويقوم ويقعد ... لكى تحاكى تلك الخطب المصوغة أقاويل الأولين السابقين فتجوز نسبتها إلى من عزيت إليه ، وهيهات هيهات أن تجوز ؛ إن تكلفها ، إن تعملها ، إن تصلبها ، إن زخرفتها ، إن فقدان الطبيعية فيها - فإن كل ذلك ليصيح : قد صاغها صوَّاغ ...

***

هجا الفرزدق :

إنى كذاك إذا هجوت قبيلة جدَّعتهم بعوارم الأمثال[٢]

(١) قال ابن خلدون فى المقـدمة فى كتاب (العمدة فى صناعة الشعر ونقده) : « وربما قالوا إن من بواعثه (أي بواعث الشعر) العشق والانتشاء . ذكر ذلك ابن رشيق فى كتاب العمدة وهو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها ، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله »
(٢) فى طبعة الصاوى : « جدعتهم قطعت آذانهم ... » وجدعهم هنا لقاهم شرا وسخرية كأنه جدع آذانهم كما فى الأساس واللسان

وكنت إذا عاديت قوماً حملتهم   على الجمر حتى يحسم الداء حاسمه

« والفرزدق فى هجائه واسع الفطن فسيح المدى كثير الفنون لا يقف عند حد فى مناضلة خصمه ، يذكر المخازى ويصرح بالمثالب ، ويفحش ويتهكم ويختلق ويذكر العورات ، ويخصب خياله فيحكم التشبيه ويجيد الاستعارة ويعرض على الأنظار صوراً شتى تمثل خساسة المهجو فى نفسه وأهله وعشيرته من غير أن يزعه دين أو يردعه حياء .

وبراعة الفرزدق فى هذا الباب وإحسانه - إن صح أن يسمى إحسانا - ومقدرته مجموعة فى النقائض »

وقد اقتضى البحث أن يروى (الكتاب) شيئاً من هجاء الخبيث فأورد طائفة ، منها هذه المقطوعة :

ولو تُرمى بلؤم بنى كليب   نجوم الليل ما وضحت لسار
ولو يُرمى بلؤمهم نهار   لدنّس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيز بنى كليب   ليطلب حاجة إلا بجارِ

ومن هجائه المشهور قوله فى خالد بن عبد الله القسرى حين ولى العراق ، أورده (الكتاب) فى سيرة الشاعر :

ألا قطع الرحمن ظهر مطية   أتتنا تخطى من دمشق بخالد
وكيف يؤم المسلمين وأمه   تدين بأن الله ليس بواحد[1]
أبلغ أمير المؤمنين رسالة   فعجل هداك الله نزعك خالدا[2]
بنى بيعة فيها الصليب لأمه
وهدّم من بغض الصلاة المساجدا[3]

قال الكامل : « كانت (أم خالد) نصرانية رومية . ويروى عنه فيما رُوى من عتوه أنه استعفِىَ عن بيعة بناها لأمه ، فقال للأ من المسلمين : قبح الله دينهم إن كان شراً من دينكم ... ! وكان سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من الموالى موالى الأنصار ، وهو :

ليتنى فى المؤذنين حياتى   إنهم يبصرون من فى السطوح
فيشيرون أو تشير إليهم   بالهوى كل ذات دل مليح

(١) وبعده :

بنى بيعة فيها النصارى لأمه   ويهدم من كفر منار المساجد

(٢) فى البيت خرم وهو كثير فى شعرهم

(٣) البيعة - بكسر الباء - متعبد النصاري ، والجمع بيع كعنب قال :
ثامت فؤادى بذات الجزع (آنسة)   مرت تريد بذات العذبة البيعا
وقد ضبطت البيعة بالفتح فى ثلاثة مواطن فى رغبة الآمل (الجزء ٨ ، الصفحة ٢٣٠) وكتب اللغة كلها قالت بالكسر

وفى رسالة هشام[1] إلى خالد يوبخه : « فيها زوال نعمه عنك وحلول نقمه بك فيما ضيعت وارتكبت بالعراق من استعمالك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجباوة خراجهم وتسلطهم عليهم ؛ نزع بك إلى ذلك عرق سوء من التى قامت عنك »

ويروى أن خالدا[2] بنى البيعة فى ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، وكان يضرب لها الناقوس إذا أذن المؤذن ...

(يتبع — الأسكندرية) * * *

* * *

أورت (الخَطَفَى) - فى القسم الثانى - مشدد الياء ، وهومثل الجزى كما ضبط ابن خلكان وكتب اللغة . وهناك (اجتزأ به) وهو : اجتزاء به . و (مجاله فى الشعر) وهو ومحله . و (لطبع جريرا شبه) وهو : بطبع جرير و (فان اصبر قول الطهوى) وهو : فان احبر

(١) رسالة بليغة مهمة ذكرها الكامل بتمامها

(٢) كان خالد من العظماء المشهورين فى الدولة المروانية . وقد ذكر أبو الفرج الأصبهانى أن خالداً كان من ولد شق الكاهن ، ونقل قوله صاحب (الوفيات) غير منكر ولا مغلط بل قال : « كان شق ابن خالة سطيح وكانا من أعاجيب الدنيا ، أما سطيح فكان جسداً ماؤلا جوارح له وكان وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ولا يقدر على الجلوس إلا أنه إذا غضب انتفخ فجلس . . . وكان شق نصف إنسان ، ولذلك قيل له : شق ، أى شق إنسان فكانت له يد واحدة ورجل واحدة ... » وفي الجزء (٢٤٩) من (الرسالة الغراء) القول الفصل فى أسطورة شق وسطيح التى قبلها الرواة والأدباء والمؤرخون كافة

قد كان لى قلب !...

للأستاذ كامل محمود حبيب

هفت الشمس إلى المغيب ، وخبا هجير الحر أو كاد ، وأنا جالس فى مقهى من مقاهى طنطا إلى نرجيلة أبدم لها وتبسم فى هدوء ، وبين يدىّ كتاب أنبذه بين الحين والحين ، لأسرح النظر فى هذا الناس ، وهم يتدفقون زمراً إلى حيث يتنسمون روح الجنة بعد إذ هبت عليهم زفرات الجحيم تحبسهم فى الدور ساعات طوالاً

***

ما لهذا الفتى هنا فى غير داره يمشى وحيداً ، يتثاقل فى مشيته ، مطرق الرأس ، مقطب الجبين ، ساهم النظر ؟ إنه يتراءى لى كأن وقدة الشباب التى كانت تتسعر فى قلبه قد انطفأت وهو ما يزال عند الثلاثين ، وكأن نزوات قلبه قد عبثت بها يد الأيام فاستحالت إلى ما أرى : إلى هم وكمد ، أو هو يرزح تحت عبء ثقيل ينوء به

عرفته وعرفنى منذ سنوات وسنوات ، وقضينا معاً عمراً من العمر كان لذيذاً حلواً ، وكان هو — كدأبه أبداً — روح الجماعة الطروب ، والضحكة الخالصة الرنانة ، والنكتة الحاضرة الجميلة و... فما بالى أراه اليوم فيما أرى ؟ لعل حدثاً من حوادث الأيام قد انحط عليه فسلبه رواء الشباب وبهاء الحياة

وتعلق بصرى به وهو يسير إلى غايته لا يرفع رأسه ولا يلتفت يمنة ولا يسرة ، كأن شيئاً فى هذا الخضم المضطرب حوله لا يعنيه ؛ وأنا على خطوات منه لا أستطيع أن أناديه ، وفى الصوت بحة ، والنفس إلى لقياه مشوقة بعد سنوات من فراق أرغمتنا عليه دواعى العيش

يا عجبا ! لقد مستنى روحه الحزينة ، فوجدت لذع الأسى فى قرارة نفسى !

وناديت الندل علّه يردّ صاحبى إلىّ

***

ورآنى الفتى فتبسطت أسارير وجهه هوناً ما . وأقبل فسلّم وسلّمتُ ، ثم جلسنا فى صمت أنا إلى نرجيلتى ، وهو إلى خواطر نفسه . . .

وألحّ علىّ الأسى والعطف فى وقت معاً . فاستلبانى من لذاذات كنت أجدها فى الكركرة وفى الكتاب وفى النظر إلى هذا الناس . فالتفت إليه أقول : « أهكذا أنت ؟ »

قال : « نعم ، يا صاحبى ، قد كان لى قلب فضيعته ! » ... وترقرقت فى محجريه عبرات مكفوفة تريد أن تجد لها منفذاً . . . فشملنى حزن عميق ودهشة ، وأنا أعرفه زوجاً ، وأعرفه فى أيام لهوه لا يحجم فى إباء ، ولا يندفع فى طيش . ثم قلت فى لهفة : « وكيف ... كيف » ؟ !

قال : « أما القصة فهى قصة قلبى ... قلبى أنا ، فهو قد ألقى بى فى مضلات تتقاذفنى ، فلا أجد منها الخلاص » . ثم سكت سكتة حزينة وكأنه يلم شعث تاريخ أيامه ، أو كأنه يصارع فى نفسه أمراً فيه الشجن والألم » . . . ثم قال : « عرفتها فيمن عرفت ، فتاة كطفلة بضة ، فيها الجمال وفيها الأنوثة ؛ ولمست فيها أشياء جذبتنى إليها . فاندفعت إلى جانبها فى طريق لا يثلم الشرف ، ولا ينحط بالكرامة ، وهى تبادلنى غراماً بغرام ، وعطفاً بحنان ! وذهبت ألتمس السبيل إلى دارها ، بين الفينة والفينة فلا تعوزنى الحيلة . وكيف ، وأخوها شاب فى مثل سنى ؟ ! »

« وتصرمت أيام وأيام ، وشيطان الهوى يشب فى قلبى وقلبها فى آن . فلا نفترق إلاّ على ميعاد ، ولا نتلاقى إلا على شوق » ! وفى ذات صباح كتبتْ إلىّ : « أفرأيت بالأمس وأنا أسير إلى جانبك فى شارع . . . لقد رآنا واحد من أصدقاء أخى الأكبر الذين شبوا معه منذ الطفولة ، وتعلقت حبال قلبه بدارنا . فحمل إليه خبر فضيحتى فى غير تحرج . . . وأقبل أخى والشرر يقدح من نظراته ، وهو يتوثب غضباً وحنقاً ! ... وراح يفرغ لعناته على رأسى أنا ، فبت بأسوأ ليلة ؛ وهكذا أصبحت غرضاً يتندّر به القوم ويسخرون منه ... هذه حياة نارية ضيقة تنذرنى بويلات العيش وعار الفضيحة ... لا أطيق الصبر عليها إلاّ أن تمدنى بيد منك قوية ، أو بلفظة رشيدة ! أنت وحدك تستطيع أن تتفل على هذا السعير المتلهب فيحور رماداً ... ! »

« وانكشف أمامى ما أرادتْ ، فرحت أقلب الأمر فما أهتدى إلى رأى » ! !

وفى المساء جاءنى حديثها : « ... تلك إذن أنانية الرجل ، يلهو ما انفسحت أمامه طرق اللهو ، ويعبث فنوناً من العبث ؛ فإذا جد الجد خرج من إنسانيته ، وألقى بالتى أحب فى تنور يتلظى ، وطار هو آمناً إلى حيث يلتقط الحب ... ! »

واضطرب قلبى لهذه الكلمات القاسية ! فطرت إلى أخيها — فى غير أناة ولا روية — أسر إليه بأمر ، فبدت على وجهه سمات الهدوء والطمأنينة . ثم انطلقت وفى نفسى أن الأزمة قد تفرّجت على حين لم أخسر أنا شيئاً

وغدا أخوها إلىّ ، وفى رأيه أن آصرة أخرى قد ربطت بينى وبينه ، فدفعته فى هوادة ، وانطويت عنه فى رفق

وغبرت زماناً لا أوصد الباب دونه ، ولا ألين لكلماته ، والفتاة تستحثنى إلى أمر ، والقضاء من ورائهما يدفعنى إلى غاية

وعلى حين غفلة منى ألقيت إلى أهلها السلم ، فإذا أنا زوج للمرة الثانية !

وتناهى الخبر إلى زوجتى الأولى ، ففزعت إلى أهلها ، وفى أحشائها بضعة منى ، وخلّفتنى وزوات قلبى

* * *

ودخلت زوجتى الثانية دارى ترف رفيف الأمل الحلو ، تملأ الدار والقلب جمالاً وبهاء ، فسكنت إليها وسكنت هى

وسيطر على الهوى ، فران على قلبى . فلم يدعنى أفكر فيما اقترفتُ من جُرم جرّته الغواية العمياء على زوجتى الأولى وعلى ابنى جميعاً ... فاندفعت لا ألقى السمع إلى صيحات هذا الطفل ، ولا أبالى بآلام الزوجة المسكينة ، ولا أعبأ بوخزات الضمير

وقابل أهل زوجتى الأولى حماقتى بلطف ، وجهلى بحلم ، وغوايتى بكرم ، وجنايتى بإحسان ! ... على حين كانت الزوجة الثانية تسعد إلى جانبى ، وتبذل غاية الجهد فى أن تسيطر على قلبى جميعه لتسدل بينى وبين زوجتى الأولى وابنى ستاراً كثيفاً من النسيان ، وتستحث الأيام لتغرينى بأمر

وهبّ القلب من رقدته بعد سنوات ثلاث ، فانطلقت أريد ابنى وقد فقدته منذ زمان ، فما أبت الزوجة ولا استعصى ذووها فإذا ابنى بين يدىّ ألمح فيه أيام طفولتى : أداعبه فيبسم ، وألاطفه فيضطرب ، وأضمه إلى صدرى فيتملق بى . وكأنه يقول : « أين كنت يا أبى ؟ لا تذرنى هنا يتيماً » ، فأستشعر الذل والمسكنة ، وأنا ما أزال طفلاً يحبو ؛ فخرجت من لدنه وفى رأسى عاصفة هوجاء ما تستقر !

آه ! لقد زعمتُ أن قلبى يطمئن حين أخلص إلى ابنى وزوجتى وهأنذا قد طرحت التى أحب فطرحت معها قلبى ... آه ! يا صاحبى ، لقد كان لى قلب فضيعته وأما الآن — كما ترى — أضرب فى أرجاء الأرض وحدى لا أجد القرار ولا أستمتع بالحياة . لقد خيّل إلىّ أن المرأة سلعة فإذا هى راحة القلب وبهجة الدار وجمال الحياة ، فأين أجد السلوة يا صديقى ؟

* * *

وأردت أن أرفّه عن صاحبى بعض ما آلم نفسه فتدفقت عبراته وهو يقول : « لا تحدثنى الحديث فتهيج من أحزانى . إن فى النفس حسرة وفى القلب جرحاً ما يندمل ، وفى ... وفى عينى عبرة ما ترقأ . وىْ كأن القدر أراد أن يقتص منى مرتين مثل ما جنيتُ مرتين ! »

كامل محمود حبيب

من الأدب الألماني

محاورة عن الألمان

لهاينريش كلايست

بقلم الدكتور جواد على

الشاعر الألماني كلايست Heinrich Von Kleist (١٧٧٧ ـ ١٨١١) من أشهر المجددين في عالم الأدب الابتداعي ومن أساطين (الدراما) في عصره . أدخلت معظم قطعه الأدبية إلى عالم التمثيل والأوبرا . ولعل القراء الذين أتاحت لهم الفرص زيارة (دور الأوبرا) وخصوصا الألمانية منها قد شنفوا أسماعهم واطلعوا على مغزى قطعه الخالدة مثل : أمير هومبرك (برنس فون هومبرك) و (هينا فون بارنهايم) وعائلة شروفنشتاين (فيليه شروفنشتاين)

على أن الحروب النابليونية الألمانية (البروسية منها والنمساوية) قد حولت اتجاه أدبه إلى اتجاه آخر هو الاتجاه الوطني السياسي الحماسي فأصبح شعره منذ هذا العهد من نوع الأخذ بالثار (راخة Rache) كقصيدة كرمانيا إلى اطفالها . ومعركة هيرمان (هيرمان شلاخت) . وفي القطعة الخالدة «محاورة عن الألمان، التي ألفت على الطريقة الأسبانية للأطفال والكبار » أمثلة محسوسة عن هذا الأدب الراقي والوطنية الألمانية . وقد ترجمت إلى لغات كثيرة لذلك رأيت ترجمتها إلى قراء الرسالة

س — تكلم أيها الطفل من أنت ؟

ج — أنا ألماني

س — ألماني ؟ أنت تهزل . ولدت في مايسن . والأرض التي تتبعها مايسن تسمى زاكسن ؟

ج — ولدت في مايسن . والأرض التي تعود إليها مايسن تسمى زاكسن . ولكنّ وطني ، الأرض التي تتبعها زاكسن هي ألمانيا وولدك يا أبت هو ألماني

س — أنت تحلم ! أنا لا أعرف أرضاً تتبعها زاكسن ، لعلك تعني حلف بلاد الراين . أين أجد ألمانيا هذه التي تتكلم عنها وأين تقع ؟

ج — هنا يا أبت لا تشوّش عليّ

س — أين ؟

ج — على الخارطة

س — نعم على الخارطة (خارطة سنة ١٨٠٥) هل تعلم ماذا حدث في سنة ١٨٠٥ حين تمّ عقد صلح برسبرك ؟

ج — نابليون ، القيصر القورسيقي ، خربه ودمره بعد الصلح بظلمه وجبروته

س — والآن ؟ ومع ذلك فهل هو موجود ؟

ج — بكل تأكيد ! ما هذا السؤال ؟

س — منذ أي وقت ؟

ج — منذ نهض فرانس الثاني قيصر الألمان القديم لبناء ما خرّب ، ومذ نادى الشعبَ قائده الشجاع للانضمام إلى الجيش الذي يقوده لإنقاذ الوطن وتحريره

عن حب الوطن

س — تحب وطنك أليس كذلك يا ولدي ؟

ج — نعم ، يا أبت ذلك ما أحسه طبعاً

س — لم تحبه ؟

ج — لأنه وطني

س — أنت تعني لأن الله بارك فيه بالأثمار الكثيرة وزينه بقطع نادرة من الفنون الجميلة ، أو لأنه أظهر أبطالاً ورجالاً وأنجب حكماء زينوه ممن ليست لأسمائهم نهاية

ج — لا يا أبت إنك تغويني .

س — أنا أغويك ؟ !

ج — إذاً فروما وريف مصر اللتان بوركتا كذلك بالأثمار وبالقطع النادرة من الفنون، وبجميع ما هو عظيم وكبير كما علمتني، أعظم بركة من ألمانيا . ولكن لو ساق القضاء والقدر ابنك إلى السكنى هناك لشعر بالانقباض وعدم الارتياح ، ولما أحس بالحب لهما كما يحس لألمانيا .

س — إذاً فلم تحب ألمانيا؟

ج — لقد أجبتك يا أبت

س — أجبتني ؟

ج — نعم لأنها وطني

عن تربية الألمان

س — ما هي حكمة الله يا بني في صب غضب نابليون على ألمانيا وإقلاق راحة الألمان ؟

ج — لا علم لي بذلك

س — لا علم لك بذلك ؟

ج — نعم يا أبت

س — وأنا أيضاً ، ولكنى أوجه سهام تفكيرى نحو السماء فإن أصبت ربحت ، وإن لم أصب لم أخسر . أتعيب ذلك على ؟

ج — كلا يا أبت

س — لعلك تقول ذلك لأنك تعتقد أن الألمان فى قمة الفضيلة والمجد كما تكون الأشياء بعضها أرفع من بعض

ج — أبداً يا أبى

س — إذاً فقد كانوا على الأقل يسيرون دائماً فى الطرق المستقيمة للوصول إلى ذلك ؟

ج — لا يا أبت ، ليس ذلك أيضاً .

س — عن أى الابتذال تحدثت إليك ؟

ج — عن الابتذال ؟

س — نعم عن الابتذال الذى يلتصق بأبناء هـذا الجنس .

ج — كان إدراك الشعب الألمانى كما ذكرت لى قد أزهر . وكان العلماء الأذكياء يعكسون ما ينعكس عليهم ، وينتجون من ذكائهم، ولكن تلك القوة السحرية وتلك العاطفة القلبية قد ذهبتا

س — ألا تجد أن الابتذال ينطبق على أبيك الذى يجادلك أيضاً؟

ج — نعم يا والدى العزيز .

س — أين تكون الأثرة وأين تكون المحبة ؟

ج — الأثرة تكون فى حب المال والمتاع ؛ أما المحبة فتكون فى الاشتغال بالتجارة والحركة ، حيث يتصبب العرق من الجبين ، ويعيش المرء عيشة هادئة متزنة بلا هم ولا غم .

س — إذاً لم هذه المسكنة التى ضربها الله على هؤلاء الناس فخربت الأكواخ وتلفت المزارع ؟

ج — كى يحتقر هؤلاء متاع الدنيا ويهرعوا إلى الله فيتقربوا إلى أعظم سلطان مهيمن على العالم : وهو الله

س — ما هى أعظم مقدسات الإنسان ؟

ج — الله والوطن والقيصر والحرية والحب والإخلاص والجمال والعلم والفن

عن الخيانة

س — ما هو ذنب من خالف أوامر الأمير كارل ونداءه الذى أذاعه على الشعب أو عارضه بالقول أو الفعل ؟

ج — الخيانة العظمى يا أبت

س — لماذا ؟

ج — لأن الشعب الذى ينتمى إليه هذا الخائن سيفسد

س — وما الذى يجب أن يفعله إذاً أولئك الذين خانوا الوطن وانضموا إلى صفوف الفرنسيين لإذلال الألمان ؟

ج — يجب عليهم إلقاء السلاح حالاً والالتفاف حول الرايات النمساوية

س — وإذا لم يفعل أحد منهم ذلك بل ظل يحمل السلاح فما يكون نصيبه ؟

ج — الموت يا أبى

س — ولكن من يستطيع وحده أن ينقذه من هذا الموت ؟

ج — عفو فرانس ، قيصر النمسا وحامى الألمان

الخاتمة

س — أجبنى يا ولدى . إن نهض قيصر ألمانيا النبيل إلى استعمال السلاح لينقذ حرية الألمان ، ولكن الأقدار لم تساعده على ذلك : ألا تنهال عليه اللعنات والأصوات قائلة : لم قام القيصر بذلك ؟

ج — لا يا أبى

س — لماذا ؟

ج — لأن الله هو الحاكم المهيمن على العالم لا القيصر . فليس فى يد القيصر ولا فى يد أخيه كارل مشيئة تمكنهما من كسب المعارك متى يشاءون

س — ودماء الآلاف من الناس ، والمدن التى هدمت، والأرض التى خربت، تذهب كل هذه عبثاً ؟

ج — نعم يا أبى مع ذلك ؟

س — ما معنى مع ذلك ؟ حتى ولو هلك جميع من فى الأرض من رجال ونساء وأطفال . فهل تحبذ أنت الكفاح ؟

ج — نعم يا أبى مع ذلك

س — لماذا ؟

ج — لأن الله يريد ذلك . يريد الموت فى سبيل الحرية

س — وما الذى يراه الله قبيحاً ؟

ج — حياة العبودية

مراد على
خريج جامعة هامبرك بألمانيا

الجبر والاختيار

فى كتاب الفصول والغايات

[مهداة إلى الأستاذ محمود حسن زناتى]

للأديب السيد محمد العزاوى

— ٢ —

« وقول الحق أمثل من السكوت ، واستقامة العالم لا تكون ، ولذة الدنيا منقطعة ، وخير الميت غير جلى ، إلا أنه قد اتقى ما حذر ، فاسع لنفسك الخاطئة فى الصلاح »

هذه الفكرة مسيطرة عليه فى كل الكتاب . هو مؤمن بها إيماناً عميقاً جاء من تنزيهه الله عن العبث واللهو ، وهو أصل يقرره فى اللزوميات كثيراً :

أرى فلكاً مازال بالخلق دائراً له خبَرٌ عنا يُصانُ ويُخبأُ

وهو يبحث عنها بوسيلته هذه فلا يهتدى إليها ، فكل ما كان للمعرى من اضطراب أو حدّة فإنما منشؤه هذه الحكمة المعماة عليه . هو يقرر بأن الله « يقدر أن يجعل الإنسان ينظر بقدمه ، ويسمع الأصوات بيده ، وتكون بَنانه مجاريَ دمعه ، ويجد الطعم بأذنه ، ويشم الروائح بمنكبيه ، ويمشى إلى الغرض على هامته ... » ثم هو يعترف بأن « ... ذلك فى القدرة يسير » ولكنه يتساءل عن حكمة الله فى هذا النظام ، وهذا النوع من الخلق ، ولم كان هذا ولم يكن ذاك ؟ وهو يرى أن « مؤتى الملك ملكه قاصِرُ الصعلوك على عدَمه ، وكاسِيَ الجيل حُلَّة الجمال ، هو سالبها القبيح ... ، فبيد الله العطيّة والحرمان[1] » وهو يرى « أن الفقير خص بالتوقير » ولكنه لا يدرى لماذا فيقول : « والله العالم لِمَ ذاك[2] » . فهو يتساءل على أى نظام كانت هذه العطية وذاك الحرمان ، وعلى أى اعتبار خص الفقير بالعبء الثقيل ، ما سبب هذا التفريق فى المنزلة والرزق « والناس بنور رجل وامرأة » وينتهى إلى تلك الحال من استسلام الحائر : « ومن عند الله قسمت الجدود »

(١) ص ٣٩ (٢) ص ٢٤٠

تواق لمعرفة هذه الحكمة المعماة عليه ، يطلبها ويجد فى الحصول عليها ، فإذا ما ظن أنه قد أوشك أخلفت ظنونه الحكمة الإلهية وخذلت عقله . وليس أدل على حاله تلك من وصفه نفسه : « إنما أنا كرجل بُلِيَ بالصدى ، لا يجد وِرداً ولا مورداً ، فهو ظمآن أبداً ، إن ورد غَرُوفاً ، وجده مصفوفاً ، وإن صادف نَزُوعاً أعوزته الآلةُ والمعين، فبينا هو كذلك هجم على رجل ينزع بغرب، فشكا إليه فرط الكرب . فقال : رِيُّك إن شاء الله قريبٌ فأعنّى على انتزاع الرويّة ، فلما كان الغرب بحيث يرَيانِ غدرت الوذم ، وخان المناج[1] »

حائر والحيرة توجب عليه الحذر والاحتياط . فهو ليس على بينة مما يراد به وبالكون ، فهو إذا قال : « ما أنشأك ربك لعبث » ، واثق أنه لم يخلق لعبث ، وإن لم يستبن وجه الحكمة فى هذا الإنشاء ، فهو يحتاط ويحذر مما قد يكون من أمر هذه الحكمة فيقول : « انأ عن القبيح والرّفث ، وسبِّح فى النهار والملث[2] » وهو يصرح بأن : « الحازم الذى لا يأبس ، يُمجِّد الله ويقدس، وبنير طاعته لا يَنبس، لعل الأجل يُدركه من أهل الصفاء[3] » .

أما ما دون ذلك فهو لم يجزم بشىء أبداً . فطبيعته تقتضى ألا يكون هناك يأس ، وهى كذلك تقتضى أن لا ثقة ؛ وإنما هو يقول : «أحسنوا إملاء كم جماعة الملأ، فسوف يَنفد العدد ولو أنكم الرمال، وتخبو النار ولو هجم على لهبها النجوم ، وتخف بكم التُّوب ولو أنكم الجبال حلوماً ، الظالم بئس ما فعل ، والمظلوم ضعيف مُهتضمٌ . فسمد امرؤٌ لا ظالماً وجد ولا مظلوما[4] » . فهو لا يأمن لشىء ولا يثبت شيئاً ، وإنما يأمرك بالحيطة والحذر لأنه لا يدرى يقيناً مما يراد به شيئاً ، ولا يشك فيه شكاً صريحاً . فإذا ما كان الله حكيماً ، وهو ما يقرره المعرى تقريراً ، وإذا ما كانت حكمته خافية فالخير للانسان أن يحذر ويحتاط . وهذا الحذر والاحتياط لن يحصلا إلا بالعبادة والنسك والتطهر والتحلى بالفضائل؛ ولكن ما هى هذه الحكمة ؟ ما شأنها ؟ لم أجرت أموراً على وجه دون آخر ؟ لم تسخر من كفاح الإنسان وتفرض عليه ما تريد ؟ لم لا تعدل بين المخلوقات : بين الإنسان والحيوان والجماد ، بل بين

(١) ص ٣١٦ (٢) ص ٦ (٣) ص ١٩ (٤) ص ٤٣٦

الإنسان والإنسان، والإنسان والحيوان والحيوان؟ على أي أساس بنت أحكامها هذه؟ هو لا يدرى من كل ذلك شيئاً فيحار حيرة تأتيه من رفضه رفضاً شديداً أن يكون العالم ليس بذى حكمة، وأن يسير إلى غير غاية وإلى غير غرض، ويرمى إلى غير قصد

وأبو العلاء مؤمن بأن هذه الحكمة تنظم الكون، وتسيطر عليه سيطرة لا تدع لقوة ما أن تمد هذه السيطرة «فرب نطِف... يُعطف إلى الخير فلا ينعطف، وكيف ولم يأذن خالقه بانعطاف» أو تحول من حكمها شيئاً «فيأيها الجامع لا يغنيك الجماح، ألالك أضبط لك من عائشة لما وقع فى النزوع، جل عن التشبيه والقياس فى لجامك أطراف كالظراب»[1] وأنها تنظمه نظاماً آلياً قوياً لا يشذ، ولا يحيد؛ فإذا ما أدرك ذلك صرح: «قد فررت من قدر الله فإذا هو أخو الحياة، هل أطأ على غير الأرض، أو أبرز من تحت السماء؟! أدلجت فأصبح إمام المدلجين، وهجَّرت وهو مع المهجرين. قال وعرس مع القائلة والمعرسين.»[2] فلا يمكن للمرء أن يحيد عما يراد به، فهو مجبور على ما يأتى من أفعال «والمرء يقدر ولغيره الأمور، يحسب أنه يملك ويحوز، كذب! لله النفوس[3]»، وليس أصرح من هذا النص ولا أدل فى بيان فكرته: «إنما أنا فرير فى ربق. قد أعدت له المدية، ينتظر به أمر الملك فتجرى الشفرة على الأوداج»[4] وإن ذلك ليزعجه، ويقلق خاطره فيقول: «شغلنى عن النسب، وقول فى النسب، أنى أسلك من الحمام نيسباً، أذهب النوم وأطال الأرق وأقل رغبتى من الشرف أنى لا أجد عن ذلك مذهباً[5]» «أينما تسيروا يصحبكم الله كما صحب من كان قبلكم، وله من العلم عين علنكم، وإن تصبحوا وراء شق الثعلب فالقدر معكم، لا فرار من قضاء الله[6]» فهو يوصى بعد ذلك أن «اصطبروا على ما حكم إنه واعى الكلمات» و «دع الأقدار وما تريد فإنها لا تصرَّف على اختيار المخلوقين. واعلم أن رزيتك لا تهجم على أحد إلا عليك[7]» و «من عند الله سعد المجدودين[8]» و «الشر على جبهة فاعله موسوم» و «ربك أولع بالأنفس غرامها[9]» فهو يستكين، ويستسلم استسلاماً شديداً حين نضرب مثل القطاة التى «تنزل إلى شَرك الوليد، وهى فرحى بما لاح لها من الرِّزق، فيؤول أمرها معه إلى أحد ثلاثة أشياء: سُمط مزعف، أو سجن حرج، أو عذاب مبرح، فاسس بما فعل ربك راضياً[1]»

هذه الفكرة تقوم من فلسفة المعرى فى «الفصول والغايات» مقام الوزن فى القصيدة. فهو خفى ولكنه يحكم القصيدة فلا يخرج عليه بيت أو جزء من بيت. وهى قطب تدور حوله الأفكار بمعانيها المختلفة وألفاظها المتباينة. فكل تفكير المعرى إذن يدور حول هذه الفكرة: أيًا ما كانت صوره ومعانيه وألفاظه. فإذا ما نظر فى المجتمع فمن وراء هذا المنظار؛ وإذا ما شمل الكون بتفكيره فعلى هذا الهدى. وهو قد يصطنع من الأساليب الغريب، ومن فنون الكتابة ما يصرف المرء إلى ظواهر الأشياء؛ ولكن الأمر لا يزال عند ما قررت من قبل. فلو تخطينا حاجز الظاهر المختلف ألوانه وصوره، ونفذنا إلى ما وراء هذا الظاهر لألفينا الأمر منضبطاً يدور على ما وصفتُ، لا يكاد يشذ عن ذلك بشىء إلا ما أملته التقية حيناً، وفرضته الأهواء السياسية حيناً، وأوحى به عبث النفس حيناً آخر

وتفكير أبى العلاء فى الجبرية يتخذ صورتين غير متباعدتين إلا تباعد الشىء عن مظهره، فهما يبحثان فى الكون وأحد مظاهره وهو الاجتماع

***

وأول ما يشغله فى الاجتماع الأرزاق «والأرزاقُ عجبٌ يقسومُها[2]» إذ أن الرزق لو أن له «لساناً هتف بمن رقد، أو يداً لجذب المضطجع باليد، أو قدماً لوطئ على الجسد، لا يزال الرزقُ مرنقاً على الهامة ترنيق الطير الظماء على الماء المطمع، فإذا صَفِرَ من الروح الجثمان، صارت تلك الطيرُ نباديد[3]»، «فارْدَ من حيث شئت ولا تُبلْ، أمن واد أتاك الرُّزقُ أم من جبل. فإن ألطاف الله طارقتك من كل أوبٍ[4]» وهو يدعوك ألا تحزن، ويؤكد لك أنه «ليأتينك رزقك ولو جمع من أشتات[5]»

(١) ص ٦١ (٢) ص ٢٥١ (٣) ص ٣٧٤ (٤) ص ٢٨٣
(٥) ص ٢٤٢ (٦) ص ١٢٦ (٧) ص ٣٦٩
(٨) ص ١٦٥ (٩) ص ٤٤٨

(١) ص ٤٧٢ (٢) ٢٧٤ (٣) ص ١٣ (٤) ص ١٥٩
(٥) ص ٢٣١

« وذلك بقدَر الله لا بسعى الساعين [١] » وهو يلاحظ إلى ذلك أن من الناس من لا يعمل ولا يجد ولكنه يظفر بما يظفر به ذلك العامل المجد « الله علم بمارٍ خرص ، ضُيِّقَ رزقه وإن حرص ، وآخر تغدو عليه منعمة بيضاء ، قطعت إليه الفضاء [٢] » فهو يرى أن كثيراً منهم يبذل جهداً كبيراً فلا يظفر بشيء « فالموفق أين اتجه غانم ، والمجدود أين يقع لا يظفر بالنجاح [٣] » وأنه ربما عسَّ جد ، فأتاك بمسجد ، وأنت هارج الأحلام »

فهو يلحظ فى كل هذا أن الرزق ميسر لك « ما سمتْ فيه القدم ولا عرق الجبين » وهو يردد ذلك المعنى فى اللزوميات كثيراً

سُبب الرزق للانام فما يُقـ ... طع بالعجز ذلك التسبيبُ

وهو يلحظ أن هذا التسبيب يجرى فى عسره ويسره على قواعد خفية غير مفهومة :

جدٌ مقيمٌ وخابَ ذو سفر ... كأنه فى الهجير حرباء
أقضيةٌ لا تزال واردةً ... تحارُ فى كونها الألبّاء

وهو يلحظ إلى هذا إرادة علوية تسخر من محاولات البشر وتقديرهم « فالمرء يقدر ولغيره الأمور ، يحسب أنه يملك ويحوز . كذب ! لله النفوس »

ولم يقتصر بفكرته هذه على الإنسان وإنما شمل بها الحيوان من ناحية الرزق والقدور معاً . أما من ناحية المقدور فهو كالإنسان تجرى عليه الأقدار — غامضة مبهمة — لا يد له فيها أو علم له بها فيدرأها . فالمخلوقون جميعاً « يحيدون من خطب إلى سواه والحمام ساقة جيوش الخطوب. ما ألطف صانع الظبية تنظر بجنحى ليل، وترفع هُدالَ الشجر بقضيبى ظلام ، وتلبس حلة الوبر وتطأ على مثل المحار ، أغلقتها أمس الحبالة تخلصت بالجريض ، وصادفتها فى اليوم ضراء المكلب فكاد إهابها ينقد عن قلب مروع ، وسلمت بعد الشد المحيص ، وفى الغد تنتظمها بعض سهام المرتمين ، فلم يغنها الفرق من الأحداث [٤] » . وهو يسوى بين الحريص والأخرق من الحيوان والإنسان في المقدور « ما خِشفٌ ذو خرق وقع فى حبالة آبق ، فنشق أشد النشق ، أعيا بخلاصه منى بالخلاص »

ومن ناحية الأرزاق كذلك تجرى عليه فى نفس الغموض الذى تجرى به على الإنسان: تيسر للظليم الحص وإن سعد فالهبيد، فينمو على الحص والهبيد ؛ وتخص الإبل بالسعدان ، فيغذو الإبل هذا السعدان ، وكذا الخيل تنمو باليعضيض . ثم إن الحمار لا يكاد يصبر على عطش والظبى طويل صبر على العطش ، فهو يسجل هذا جميعاً ويتساءل لم خصت الطبيعة هذا بذاك ولم تخصه بغيره ، ولم لم ينتقل الظليم إلى المراعى والأرض « الغراء المتألقة » فيسعد بالعشب والنبات ؟

إذن فالحيوان كذلك لا تسير عليه الأرزاق حسب قاعدة مفهومة . فنحن لا خيرة لنا إذن فى تقبل هذا ورفض ذاك ، لا خيرة لنا فى كسبه وملاءمته للطبع والانتفاع به

فهو يكل الأمر جميعاً إلى نظرية الجبرية والجبر المطلق الذى لا تقيده إلا هذه القيود التى لا يتبين أبو العلاء علام كانت وبأى حكمة بنت أحكامها فى العطاء والمنع ، فى الخفض والرفع . وعلى ذلك فهو لا يلوم المجتمع من هذه الناحية ، ما دام الناس ليس لهم بما يجرى بهم يدان ، وليس لهم فى أرزاقهم تصريف . إذن فما يكون من فروق بينهم بنيت على هذه الاقدار والأرزاق فهى تافهة وليست بذات خطر ولا أهمية

ونحن إذا وصلنا إلى هذه المرحلة من تفكير أبى العلاء نجد أنفسنا أمام رجل يثور دواماً على المجتمع ونظامه ، يعدد آثامه وأخطاءه يائساً من إصلاحه والسير به إلى الخير والعدل والأمان ، حامداً فلسفته التى ألهمته الاعتزال « فإن الوحيد فى العالم لا يلحقه عيب من سواه » ، ويدعو إلى إصلاح بالتعاطف والتراحم والمودة

وثورته على النظام الاجتماعى نتيجة مباشرة لآرائه الجبرية . فهو كما قلت لا يريد أن يبنى أحكاماً على أشياء سبق بها القدر فهى خارجة عن حدود تصريف البشر : لا يريد أن يرفعك لمال أو فضل أتاك به الجد والمقدور ، وهو لا يريد أن يحقرك لفقر لم تكن لك به يدان وأعيي الحيلة تحايلك عليه . هو لا يريد أن يسلك هذا المسلك الذى سلكه كل الناس وعليه بنى المجتمع أحكامه . فهذه المقادير تجرى على نظم لو كانت بيد الخلق لغيّرتها

---

(١) ص ٢٧٢ (٢) ص ٢٩٠ (٣) ص ١١ (٤) ص ١٦٩

تغييراً يقلب من هذه الأوضاع التى جعلت الفاجر مجتبى والفاضل مهضوم الحق معدماً . ثم « إن الناس بنو رجل وامرأة ، ما أدنى المُؤْتَشَبِ من اللُّبابِ » . فأيًّا ما كان الاختلاف بين الناس فهو لن يخرجهم عن الجنس ولن يقوم بينهم وبين أن ينتسبوا جميعاً إلى صفات مشتركة عامة ، و « الناسُ فى عدل الله سواء . هم سواء رغم اختلاف طبقاتهم وأوضاعهم الاجتماعية وتقدير المجتمع لهذه الاختلافات والأوضاع . فجيئنا إلى الحياة واحد ، وخروجنا من الحياة واحد كذلك. وما دمت ستنتهى إلى غاية تستوى فيها الناس جميعاً ، مهما تكن أوضاعهم الاجتماعية ، فجدير بك أن تخفف من التغالى ، وألا تسرف فيما بينك وبين غيرك من فروق حكمت بها الأقدار وقدرتها تقديراً ، وجدير بك أن تعطف على الفقير وأن ترأف به: «فمن ذَخر جميلاً وجده عند الله » ولا أحد « بالشحّ أمرك وعلى الدنيا أمرك » من ؟ « أخالقك الذى صورك ؟ كلاً . وعظمته لقد أنذرك ! »

هذا نظر أبى العلاء فى ظاهرة من ظواهر الكون ، فأما نظره فى الكون نفسه ، فهو امتداد لتلك الفكرة أو أصل لها على وجه أصح .

« للبحث صلة »

السيد محمد العزاوى

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



لم تطل حيرة توفيق فإنه آثر جانب ماليت وخطا بذلك خطوة أخرى من خطواته التى كانت تعجل سير الحوادث أبداً نحو الغاية التى رسمها الإنجليز والتى كان الوصول إليها معناه التهام مصر وازدراد تلك اللقمة التى طالما منت انجلترة نفسها بازدرادها

ولعلنا نذكر من مواقف توفيق السالفة ما كان يدفع به الحوادث فى طريق العنف والثورة دفعاً ، فهو الذى أدى إلى انضمام الحزبين العسكرى والوطنى وتضافرهما يوم تنكر للدستور وأخرج شريفاً من الوزارة وهو الذى تنفع على عاتقه قبل غير مسئولية مظاهرة عابدين ثم هو الذى قبل المذكرة المشتركة فأحبط أعمال شريف للمرة الثانية وصدم الوطنيين صدمة لم تدع لهم بعد رجاء فيه

وليس بعجيب أن تكون خطى توفيق كلها مفضية إلى الاقتراب من الكارثة فإنما كان يعمل بوحى من الإنجليز وهؤلاء قد عينوا الهدف الذى يقصدون إليه بسياستهم ؛ وكان الخديو قد دان بمبدأ يحسب أنه جرى فى نفسه مجرى العقيدة، وذلك أن يؤثر جانب الانجليز فى كل شىء لأن فى ذلك كما توهم منجاته من الصعاب التى كانت تحيط بعرشه

رأى الخديو كما رأى ماليت أن حكم المجلس العسكرى على المتآمرين من الجراكسة حكم جائر لا يسعه الموافقة عليه ، ورأت الوزارة من جانبها أنها سلكت فى المسألة منذ بدايتها مسلكا لا غميزة فيه فهى بذلك تتمسك بالحكم الذى أصدره المجلس، هذا إلى أن رفض الحكم من شأنه أن يضيع هيبتها وينتقص نفوذها ثم إنها فوق ذلك ترى التحيز واضحاً من جانب الخديو ذلك الذى كان يتشدد بالأمس أعظم التشدد يوم سيق عرابى وصاحباه إلى المحاكمة لمجرد أنهم شكوا إلى أولياء الأمر حالهم ... ومن هنا قامت أمام البلاد مشكلة من أدق المشاكل وأخطرها

وكان الذى يغضب الأمة والوزارة فى الواقع أشد الغضب وآلمه تدخل الانجليز فى تلك المسألة التى لا صلة لهم بها ولا شبه صلة ، وأحست الوزارة أن غرضهم هو إحراجها فحسب ، ومن هنا اتخذت المشكلة مظهراً دقيقاً غاية الدقة خطيراً كل الخطر ، فلقد وجد الوطنيون البلاد تلقاء موقف تمتحن فيه الكرامة الوطنية والعزة القومية ، ورأوا الظروف تعود من جديد فتظهر للخديو أن لا سبيل له إلا سبيل الوطنيين لأنه بانحرافه عن هذه السبيل إنما يطعن البلاد طعنة نجلاء فى صميم قوميتها

ولقد فرح المستعمرون ، لا ريب ، أن تتعقد المشكلة على هذا النحو، وزاد فرحهم أنها من صنع أيديهم ، لذلك كانوا لا يألون جهداً فى العمل على تفاقمها بكل ما وسعهم من مكر وخبث ، وراحت صحفهم تزيد نار الخلاف اشتعالاً ، لا تتورع ولا تتوانى ومن ورائها رجال السياسة ورجال المال يصورون مصر فى أشنع حالات الفوضى والاضطراب، فلقد سيطر رجال العسكرية وسيطر زعيمهم عرابى على كل شىء حتى ما يقف فى طريقه حائل من قانون أو التزامات حتمتها الديون والظروف على مصر

وكان الخديو فى الواقع تلقاء آخر فرصة يستطيع أن ينقذ بها مصر مما كان يبيت لها ، ولكنه ألفى نفسه سليب الإرادة أمام إرادة الانجليز ، بل لعله فرح أن يلطم وزارة البارودى لطمة يتخلص بها منها ويتخلص بذلك من عرابى الذى بات يثار منه أشد الغيرة حتى ما يطيق أن يسمع اسمه ... وليت توفيقاً تحرك

من تلقاء نفسه، إذاً لهان الخطب وخفت وطأة البلوى على النفوس فقد كان يمكن أن يقال يومئذ إنه ارتأى رأياً ، وإنه ينتوى الخير أو ينتوى الشر حسب ما يرى ، ولكنه وا أسفاه كان يقوى على الوطنيين بضعفه فلم يك يريد شيئاً وإنما كان يراد له كل ما يأخذ أو يدع من أمر

وبدا لماليت فأوعز إلى الخديو أن يتخلص من المأزق بعرض الأمر على السلطان ، وحجته أن عثمان رفقى يحمل لقب الفريق ، فلا يجوز لأحد غير السلطان أن ينزع منه هذا اللقب . وسرعان ما فعل توفيق كما أشار به ماليت فزاد الأمور ارتباكاً وتعقيداً

ولقد أخطأ ماليت خطأ كبيراً فيما أشار به ، فإنه جر بذلك تركيا إلى الدخول فى ذلك النضال، الأمر الذى كانت تحذره الدولتان أعظم الحذر وإن كانت إحداهما تخفيه ، بينما الأخرى لا تتحرج من أن تعلنه فى كل مناسبة وتبديه .

أما الوطنيون فقد غضبوا لذلك أشد الغضب ، ورأوا فيه ضرباً جديداً من لؤم ماليت ، فأجمعوا أن يمنعوا تدخل تركيا مهما كلفهم ذلك من وجوه الصعاب والمشاق . وبلغ الغضب برئيس الوزراء أن يعلن فى عزم مصمم « أنه إذا أرسل الباب العالى أمراً بنقض حكم المجلس العسكرى على الجراكسة السجناء ، فإننا لن نطيع هذا الأمر ، وإذا أرسل الباب العالى من قبله مندوبين ، فسوف لا نسمح لهم أن يهبطوا مصر ، وسوف نردهم بالقوة إذا لزم الأمر[1] »

وهذه لا ريب ثورة غضب من البارودى نعدها من أخطائه . فلقد أفضى بهذا التصريح إلى ماليت ، وهذا أرسله إلى حكومته وإنه لشديد الاغتباط به إذ يسوقه دليلاً على أن الأمور قد بلغت غاية التحرج ؛ ثم إنه يسوقه من الجهة الأخرى دليلاً على صحة ما ذكره مراراً وهو تسلط زعماء الجيش واستهتارهم بكل سلطة. ولم ينج عرابى من حملات الكائدين له وحمل مسئولية هذا التصريح كأنما كان هو قائله ، وأرجف المرجفون أن البارودى إنما يعمل بوحى من عرابى الذى يعتبر الحاكم الحقيقى للبلاد !

الحق أن البارودى قد أساء إلى القضية إساءة كبيرة بهذا التصريح . فهو فضلاً عما ذكرنا ، إنما يتحدى السلطان فى ذلك الوقت العصيب فيضيف إلى أعدائه عدواً جديداً، وإن الذى يحيط به الأعداء من كل جانب لجدير به أن يحتال ليستل السخائم من صدورهم ، أو ليكسب من الأعوان والأصدقاء من يكونون له فى الشدة قوة وسنداً

ولعل البارودى كما نفهم من المسألة المصرية يومئذ فى جملتها ، كان يكره تدخل السلطان العثمانى كما يكره تدخل انجلترة وفرنسا ؛ ولم يك ذلك عن حب فى استقلال مصر ورغبة فى سيادتها ، وإنما كانت لهذا الرجل أطماع جليلة الخطر . فكان يتطلع ببصره إلى عرش مصر ، وكانت توسوس إليه نفسه أنه بهذا المركز جدير ففى عروقه دماء الحاكمين منذ القدم . فهو كما يزعم من سلالة الأشرف (بارسباى) ، وعلى ذلك ، فقد كان جده من زمن بعيد على ذلك العرش الذى تنزع اليوم إليه نفسه ، والذى يخشى أن تشايع تركيا الأمير عبد الحليم فيتربع فوقه إذا أخلى من الجالس عليه

وكانت النتيجة المباشرة لهذا التصريح استحكام الأزمة بين الوزارة والخديو . فلقد رأى توفيق أنه أصبح فى الواقع وليس له من الأمر شىء . فإذا كان البارودى يقف هذا الموقف فى وجه السلطان نفسه، فكيف به إذا وقف منه هو ؟ وهذا هو المعنى الذى كان لا يفتأ ماليت وأعوانه يوحونه إلى الخديو فى تلك الأزمة العصيبة

ولو أن الوزارة أصرت يومئذ على موقف العناد والصرامة لحملت قسطاً كبيراً من المسئولية عن تعقد الأمور وتحرجها ، ولكنها ما لبثت أن خطت خطوة حميدة حقاً تنطوى على كثير من الكياسة وبعد النظر ، فإنها تقدمت إلى الخديو تقترح أن يخفف هو الحكم من تلقاء نفسه دون الرجوع إلى تركيا أو غيرها ، والوزارة ترضى فى هذه المسألة أن ينفى المحكوم عليهم من مصر إلى أى جهة من الجهات دون أن تمس رتبهم أو ألقابهم وإنما تستبعد أسماؤهم من سجلات الجيش المصرى

وهذا المقترح لا ريب دليل صادق على حسن نية الوزارة ورغبتها فى أن تنتهى تلك المسألة وتنجو البلاد من لؤم الأعداء ، وهى فيما تقدمت به متساهلة أكبر التساهل ، فما دام المجلس العسكرى قد حكم بإدانة هؤلاء فإبعادهم من البلاد يقتضى حتماً إبعادهم من الجيش . . ولكن الخديو وا أسفاه قد تنمر اليوم للوزارة وتنكر ، فرفض أن يجيبها إلى هذا المقترح

وكان ماليت من ورائه لا ينفك يوسوس له ويزين له فعل السوء ؛ وكان جرانفل قد أنكر من ماليت ما أشار به على الخديو من دعوة تركيا إلى التدخل ، فكتب إليه أن يسير على وفاق

(١) Cromer: — Modern Egypt

مع ممثل فرنسا ، وفى هذا تلميح إلى ما كان فى سياسته من خطأ، وكان ممثل فرنسا يسير بوحى من فرسنيه ، ولكن ماليت قد عز عليه أن يتراجع بعد هذه الخطوات فينقض ما نسجه بيده من غزل، فانظر إليه كيف يخلع النقاب على صورة قل أن يوجد مثيل لها فى سجل السياسة العام فيكتب إلى جرانفل قائلاً : « إسمحوا لى أن ألاحظ أنه عند النظر فى الخطة التى يجب أن يسلكها الخديو بإزاء حكم المجلس العسكرى يجب أن نلقى نظرة عامة على الحالة كلها ، وأن نذكر أن الوزارة الحاضرة تسعى لتضييق نطاق الحماية الإنجليزية الفرنسية ، وأن نفوذنا أخذ كل يوم فى النقصان وقد يستحيل علينا أن نستعيد سلطتنا العليا حتى تخضد شوكة الحكم العسكرى الذى يرزح القطر تحته الآن . وفى اعتقادى أنه لا بد من حدوث ارتباكات شديدة قبل الوصول إلى حل مرض للمسألة المصرية ، وأن الحكمة تقضى باستعجال هذه الارتباكات لا بتأجيلها [1] »

وأى كلام يمكن أن نعلق به على هذا الذى يقول ماليت وعلى الأخص تلك الحكمة التى يشير إليها ؟ أهكذا تطغى المطامع على العقول والقلوب حتى لتجعل من الحكمة استعجال الارتباكات ! ولكن خرافة الذئب والحمل لن تزال أبداً الأساس الذى يقوم عليه المنطق فى كل ما يجرى من كلام بين الضعيف والقوى فى هذا الوجود

وأى دليل أبلغ من هذا الدليل على صحة ما ذكرناه ويذكره كل منصف عن السياسة الإنجليزية تجاه مصر منذ كان لها فى هذا الوادى أطماع ؟ ألا إنا لنقرر فى غير تردد أن هذه السياسة اللئيمة كانت خليقة بأن تقابل من جانب الوطنيين بكل مقاومة ، بل إنها سياسة كان يغتفر فى مقاومتها يومئذ كل عنف ... ولكن بعض الناس لا يزالون يأخذون على عرابى وحزبه تشددهم وعدم مصانعتهم خصومهم ويعدون حسناتهم هذه من السيئات التى لا تغتفر ولا تنسى

ورأى جرانفل أن يشايع فرسنيه فى هذه المسألة وكان يرى فرسنيه أن يخفف توفيق الحكم كما ترى الوزارة فتنتهى هذه الأزمة ؛ ولكن كيف يدع ماليت الفرصة تمر وهى من صنع يديه ؟ وكيف يطيق أن تخرج الوزارة من الأزمة ظافرة فيكون ظفرها فى الواقع هزيمة له ؟ لذلك ما زال بتوفيق حتى وقع على أوراق الحكم بنفى المتآمرين إلى خارج البلاد مع عدم استبعاد أسمائهم من سجلات الجيش !

وتلقت الوزارة اللطمة وتلقتها معها البلاد، وآلم عرابى وضباط الجيش من الوطنيين هذا الترفق بالمتآمرين وهم الذين كانوا على وشك أن يفقدوا رؤوسهم بالأمس أو ينفوا إلى أقصى السودان لأنهم شكوا من سوء ما يصنع بهم رفقى ...

وأعلنت الوزارة على لسان رئيسها أن لا بد من قرار يلغى هذا القرار حتى تمحى تلك الإهانة التى وجهت إليها وإلى البلاد فى شخصها ، ولكن ماليت حذر الخديو أن يجيب وزراءه إلى ما طلبوا ؛ ويستطيع القارئ أن يدرك خطورة هذا الموقف فلقد تأكدت القطيعة بين الخديو ووزرائه وانعدمت الصلة وتفاقم البلاء

وصل كل من الطرفين إلى الموقف الذى يفسر به كل عمل حسب ما يجرى فى أطواء النفوس، فنى كل حركة ريبة وفى كل بادرة إهانة ، وكل نية لن تكون إلا نية سوء ، وكل جنوح إلى السلم لن يؤخذ إلا على أنه ضرب من الهزيمة والتسليم ، وكل كلمة نابية أو شديدة لن تفهم إلا على أنها ضرب من التحدى يراد به إعنات القلوب وإحراج الصدور ...

وفى هذا الموقف الخطير راح السير إدوارد ماليت يجنى ثمار غرسه وإنه ليطفر من الفرح كما يطفر الشيطان . كتب إلى جرانفل فى اليوم الثامن عشر من شهر مايو سنة ١٨٨٢ أى بعد قرار الخديو بتسعة أيام يقول « لقد انقطعت العلاقة بين الخديو ووزرائه ووصل الموقف إلى أقصى الخطورة »

وتقدمت الوزارة لترد على الخديو تخطت خطوة جريئة بالغة الجرأة، فدعت مجلس النواب دون الرجوع إلى الخديو لتعرض عليه الأمر ، فازدادت الأمور حرجاً على حرج ، فلقد عد أعداء البلاد هذا العمل من الوزارة بمثابة خروج على الحاكم الشرعى لا يقل فى مغزاه عن خلعه من عرشه ، ونسوا أو تناسوا أن الخديو باتباع مشورتهم هو الذى دفع الوزارة حتى أوقعها فى مأزق ضيق بحيث لم يبق أمامها إلا أن تقر الخديو على خروجه على الدستور ومشايعته أعداء البلاد أو تستقيل، وفى كلا الأمرين تفريط منها فى حقوق البلاد فضلاً عن كرامة رجالها

وانطلقت الشائعات من هنا ومن هناك ، فالبارودى يريد أن يثب إلى العرش والجيش على أهبة لأن يتحرك إلى عابدين

(١) المسألة المصرية تعريب الأستاذين بدران والعبادى

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٨٦ — انو الخير

فى (الآداب الشرعية) لابن مفلح المقدسى : قال عبد الله ابن الإمام أحمد لأبيه يوماً : أوصنى يا أبت

فقال : (يا بنىّ، انو الخيرَ، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير)

هذه وصية عظيمة سهلة على المسئول ، سهلة الفهم والامتثال على السائل ، وفاعلها ثوابه مستمر لدوامها واستمرارها ، وهى صادقة على جميع أعمال القلوب المطلوبة شرعاً ، سواء تعلقت بالخالق أو بالمخلوق وأنه يثاب عليها .

٤٨٧ — فإنا بها نسلو

أبو الفتح على بن محمد البستى :

يقولون : إن المرء يحيا بنسله ... وليس له ذكر إذا لم يكن نسلُ

فقلت لهم: نسلى بدائع حكمتى ... فإن فاتنا نسل فإنّا بها نسلو

٤٨٨ — السمر . . .

ياقوت فى (معجم البلدان) : مِرْباط فُرْضة[1] مدينة ظَفَارِ[1]، وهى مدينة مفردة بين حضرموت وعُمان على ساحل البحر ، وأهلها عرب ، وزيهم زى العرب القديم ، وفيهم صلاح مع شراسة فى خلقهم وتعصب ، وفيهم قلة غيرة كأنهم اكتسبوها بالعادة ؛ وذلك أنه فى كل ليلة تخرج نساؤهم إلى ظاهر مدينتهم ويسامرن الرجال الذين لاحرمة بينهم ، ويلاعبنهم ، ويجالسنهم إلى أن يذهب أكثر الليل ، فيجوز الرجل على زوجته وأخته ، وأمه وعمته، فإذا هى تلاعب آخر وتحادثه، فيعرض عنها ويمضى إلى امرأة غيره ، فيجالسها كما فعل بزوجته . وقد قلت لرجل منهم عاقل أديب : بلغنى عنكم شىء أنكرته ، ولا أعرف صحته ، فبادرنى وقال : لعلك تعنى (السمر) قلت : ما أردت غيره . فقال: الذى بلغك من ذلك صحيح ، وبالله أقسم إنه لقبيح ، ولكن عليه نشأنا ، ولو استطعنا أن نزيله لأزلناه ، ولكن لا سبيل إلى ذلك مع ممر السنين واستمرار العادة به .

(١) الفرضة . مرفأ السفن

٤٨٩ — فلا عجب

(عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) لابن أبى أصيبعة : حكى عن أبقراط أنه أقبل بالتعليم على حدَث من تلامذته ، فعاتبه الشيوخ على تقديمه إياه عليهم . فقال : ألا تعلمون ما السبب فى تقديمه عليكم ؟ قالوا : لا ، فقال لهم: ما أعجبُ ما فى الدنيا؟ فقال أحدُهم : السماء والأفلاك والكواكب . وقال آخر : الأرض وما فيها من الحيوانات والنبات . وقال آخر : الإنسان وتركيبه. ولم يزل كل واحد منهم يقول شيئاً وهو يقول: لا ، فقال للصبى: ما أعجب ما فى الدنيا ؟ فقال : أيها الحكيم ، إذا كان كل ما فى الدنيا عجباً فلا عجب . فقال الحكيم : لأجل هذا قدمته لفطنته

٤٩٠ — الآن صدقت

فى (مفتاح دار السعادة) لابن الجوزى : حكى أن امرأة أتت منجما فأعطته درهماً ، فأخذ طالعها وحكم وقال الطالع . فقالت : لم يكن شىء من ذلك . ثم أخذ الطالع وقال: يخبر بكذا. فأنكرته

(١) ظفار : بالبناء على الكسر وقد نقل إعرابها ، وهذه تعرف بظفار الساحل . وفى اليمن أربعة مواضع بهذا الاسم ، مدينتان وحصنان .

ليرغم توفيقاً على قبول مطالب الوطنيين كما أرغمه على مثل ذلك فى اليوم التاسع من شهر سبتمبر من العام الماضى ، والخديو يعد العدة للمقاومة إلى غير ذلك من الأراجيف التى كان من طبيعة مثل ذلك الموقف أن يخلقها

ولو كانت الروح العسكرية هى المسيطرة على الحكم يومئذ كما أرجف المرجفون لما وقف حائل أمام الجيش دون الذهاب إلى القصر وليكن بعد ذلك النصر أو الطوفان ، ولكن الوزارة رأت أن تحتكم إلى نواب البلاد ، ولما كانت واثقة أن الخديو لن يدعو المجلس دعته هى ليفصل فى الأمر ولا عبرة بالشكل فى سبيل تحقيق الجوهر . «يتبع»

الخفيف

حتى قال : إنه ليدل على قَطْع من بيت المال

فقالت : الآن صدقت ، وهو الدرهم الذى دفعته إليك . . .

٤٩١ — وترسل فى زروعهم إذا يبست

فى (صبح الأعشى) : كان قوم من هذه المملكة (المصرية) مرتبون بالقرب من بلاد التتار يتحيلون على إحراق زروعهم بأن تمسك الثعالب ونحوها وتربط الخرق المغموسة فى الزيت بأذناب تلك الثعالب وتوقد بالنار وترسل فى زروعهم إذا يبست ، فيأخذها الذعر من تلك النار المربوطة بأذنابها ، فتذهب فى الزروع آخذة يميناً وشمالاً ، فما مرت بشىء إلا أحرقته ، وتواصلت النار من بعضها إلى بعض فتحرق الزرعة عن آخرها . وهذا الأمر قد بطل حكمه من حين وقوع الصلح بين ملوك مصر وملوك التتار

٤٩٢ — أرسطو ، المتنبى

فى (الرسالة الحاتمية) : قال أرسطو : إن الحكيم تريه الحكمة أن فوق علمه علماً ، فهو يتواضع لتلك الزيادة ، والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط بجهله فتمقته النفوس

قال أبو الطيب :

وما التيه طبى فيهم غير أننى بغيض إلىّ الجاهل المتعاقل[1]

٤٩٣ — دع اسمه وأعطنا جسمه

(زهر الآداب) : قال حسن بن جنادة الوشاء : انصرف أبو تمام من عند بعض أصحاب السلطان فوقف علىّ . فقلت : من أين ؟ قال : كنت عند بعض الملوك فأكلنا طعاماً طيباً ، وفاكهة فاضلة ، وبُخِّرنا وخُلِّقنا[2] ، فخرجت هارباً من المجلس مافراً إلى التسلى ، وما فى منزلى نبيذ، ولكن عندى خمر أريده[3] لبعض الأدوية ، فقلت : دع اسمه ، وأعطنا جسمه ، فليس يثنينا عن المدام ماهجنته به من اسم الحرام .

(١) الطب : العادة والديدن ومنه بيت الكتاب :

وما إن طبنا جبن ولكن منايانا ودولة آخرينا

قال الحاتمى : وجدنا أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي قد أتى فى شعره بأغراض فلسفية ومعان منطقية ، فان كان ذلك منه عن فحص ونظر وبحث فقد أغرق فى درس العلوم ، وإن يك ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والألفاظ الغريبة ، وهو فى الحالتين على غاية من الفضل قلت : يريد الحاتمى بالغريبة البارعة الفائقة

(٢) الخلوق والخلاق كصبور وكتاب : ضرب من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره « التاج » (٣) الأعرف فى الخمر التأنيث وقد يذكر وأنكره الأصمعى « التاج » وفى « المخصص » تذكر وتؤنث

إلى دودة

للأستاذ ميخائيل نعيمه

تدبّين دبّ الوهن فى جسمىَ الفانى
وأسعى بجدٍّ خلف نعشى وأكفانى

فأجتاز عمرى راكضاً متعثراً   بأنقاض آمالى وأشباح أشجانى
وأبنى قصوراً من هباء وأشتكى   إذا عبثت كف الزمان ببنيانى
ففى كل يوم لى حياة جديدة   وفى كل يوم سكرة الموت تغشانى
ولولا ضباب الشك يادودة الثرى   لكنت ألاقى فى دبيبك إيمانى
فأترك أفكارى تذيع غرورها   وأترك أحزانى تكفن أحزانى
وأزحف فى عيشى نظيرك جاهلاً   دواعىَ وجدى أو بواعث وجدانى
ومستسلماً فى كل أمر وحالةٍ   لحكمة ربى لا لأحكام إنسان
فها أنت عمياء يقودك مبصر   وأمشى بصيراً فى مسالك عميان

لك الأرض مهد والسماء مظلّة
ولى فيهما من ضيق فكرىَ سجنان

لئن ضاقتا بى لم تضيقا بحاجتى   ولكن بجهلى وادعائى بعرفانى
ففى داخلى ضدّان : قلب مسلّم   وفكر عنيد بالتساؤل أضنانى
توهّمَ أن الكونَ سرٌّ وأنه   يُنال ببحثٍ أو يُباح ببرهان

فراح يجوب الأرض والجوّ والسما
يسائل عن قاصٍ ويبحث عن دان

وكنتُ قصيداً قبل ذلك كاملاً   فضعضع مابى من معان وأوزان
وأنت التى يستصغر الكل قدرها   ويحسبها بعضٌ زيادة نقصان
تدُبّين فى حضن الحياة طليقةً   ولا همّ يضنيك بأسرار أكوان

فلا تسألين الأرض مَن مدّ طولها
ولا الشمس مَن لظّى حشاها بنيران

ولا الريح عن قصدٍ لمانى هبوبها   ولا الوردة الحمراء فى لونها القانى
وما أنتِ فى عين الحياة دميمة   وأصغر قدراً من نسور وعقبان

فلا التبر أغلى عندها من ترابها
ولا الماس أسنى من حجارة صوّان

هل استبدلت يوماً غراباً ببلبل؟   وهل أهملت دوداً لتلهو بغزلان؟
وهل حقنت غدرانها من ضفادع   وأوجدت الأبحار ملهى لحيتان؟

وهل أطلعت شمساً لتحرقَ عوسجاً
وتملأ سطح الأرض بالآسِ والبانَ ؟

لعمركِ ياأختاه ما فى حياتنا   مراتب قدرٍ أو تفاوت أثمان
مظاهرها فى الكون تبدو لناظر   كثيرة أشكال عديدة ألوان
وأقنومها باقٍ من البدء واحداً   تجلّت بشهبٍ أم تجلت بديدان

وما ناشد أسرارها ، وهو كشفها ،
سوى مشترٍ بالماء حرقةَ عطشان

ميخائيل نعيمه

المعنى التـــائه

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

أنت معـنًى تائهٌ فى ذات نفسى يا حياتى
كلما دقّقتُ فيـه طوّحتْ بى خطَراتى

***

كان ، قبل الحب ، قلبى يتغنّى هائماً
فى رياضٍ طَلَعَ البدرُ عليها باسماً
وليالٍ رقدَ الكونُ عليها حالماً
تتراءى بَسْمةُ الثغرِ عليها دائماً
ثم طار القلبُ حيناً فى وسيع الخلَواتِ
وصداهُ لم يَزلْ يُسْـمَعُ حلوَ النَّغَماتِ ...

***

لستُ أدرى أين ولّى ، حين ولّى ومضى ؟ !
هو فى الأفق توارى وتلاشى فى الفضا
مثل لحظٍ بَعثَتْهُ الغيدُ فى ساعِ الرضى
أو كبرقٍ خطف الأبصارَ لما ومضا
واختفى عن مقلتى قلـ ـبى ، سريعَ النبضاتِ
وتلاشى الصوتُ فى الآفاق إلا الهمساتِ

***

همساتٌ دكُنٌ كالوحى سربعاتِ التّخفى
لم تكدْ تهبط حتى أسرعتْ فى مثل خوفِ
وتلاشتْ ، وأنا أبحث عنها مثل طَيْفِ
غير أن الزهر أفشى سرها فى طيب عَرْفِ

فذكا . واستشعرت روحي حديث الزهرات
فتشقت العطر حتى أسكرتني نشقاتي

***

ثملت روحي قليلاً ، وغفت عيناي حينا
فتعرت ذكرياتي عن جلابيب السنينا
ومضت ترقص أحلاماً تهز الخالينا
وترامت فوق صدري فترققت حنونا
في احتضاني جسمها الرطب وكانت قبلاتي
تستر الجسم المعرى عن دنايا نظراتي ...

***

من هي الحسناء ؟ ... ذكرى حب روحي
نزلت من أوجها العالي لمشوق جريح
من هو المشوق ؟ ... يا أحلام بوحي !
لم تبح أحلام نوى ورنت للذكريات
فأفاقت ومضت عني وحلت يقظاتي

***

وإذا بالحلم معنى تائه في ذات نفسي
أستمد الوحي منه في خيالاتي وحسي
وإذا في راحة النفس وكون الله تمسي
هتفت روحي بقلبي فإذا بالقلب آت
وإذا بالحلم يبدو محيياً لي ذكرياتي

حسن كامل الصيرفي

غرور الفنان وعقابه

للأستاذ علي أحمد باكثير

« يريد الشاعر أن يصور في هذا الغزل الفلسفي غرور الفنان في تصوره أنه خالق فيعاقب بتمرد خلقه عليه حتى أنه ليود أن يتنازل عن ربوبيته المزعومة لمن خلقه لكي ينال رضاه وحنانه ، فإذا ما أبى عليه ذلك رجا منه أن يمحه من لوح الوجود لأنه أصبح زوراً لا محل له في الوجود، وينتهي به الأمر إلى الرجوع إلى الله وأنه الخالق وحده لا خالق سواه فمن نازعه هذا الرداء لقي هذا العذاب الكبير »

فيم يا زهرة الجمال تنكرت   لقلبي فارتد عنك كسيرا ؟
أو لست الذي غرستك في قلـ   ـبي وأسقيتك الزلال النميرا ؟
وقضيت النهار والليل أرعا   ك أقيك الهجير والزمهريرا
أنت حلمي إذا أويت إلى النو   م وشغلي إذا برحت السريرا
تتلاشى روحي عليك حناناً   وارتقاباً ولوعة وحبورا
موقداً ذوب مهجتي لك شمعاً   يطرد الروع عنك والديجورا
ضارباً كلة عليك من الأحـ   ـلام تنفي عنك الأذى والشرورا
جاعلاً من شوق إليك صلاة   محرقاً من دمي عليك بخورا

***

في طريق إليك تخطبني الأز   هار شتى يعبقن عطراً ونورا
يتمايلن معرضات مربدا   ت وللثم يرتعشن ثغورا
فتكبرت أن أجود عليهن   بطرفي بله الهوى والشعورا
وتحملت من ملام ضميري   في أذاهن ما يهد الضميرا
لا أبالي إذا رضيت رضى النا   س جميعاً وودهم والنفورا
ولتضع من يدي الحظوظ فحسبي   أن طرفي يرنو إليك قريرا
لا تخافي مني اقتطافاً فحسبي   أن أنال الرضاء منك اليسيرا
هو رجواي في الحياة فإن أد   ركه أدرك خلداً وملكاً كبيرا

***

أنا قلدتك الجمال وصور   تك ما شاءت المنى تصويرا !
وبفني خلدت حسنك في الكو   ن وأسجدت في تراك الحورا
وجعلت الزمان يشدو بلحنيـ   ـك فيحيي الأسى ويحيي السرورا
أفترضين بعد هذا لقلبي   أن يكون الرزأ المهجورا ؟
أنت خلقي ... وارحمتاه لرب   صار يوماً بخلقه مستجيرا !
أرددتني خلقاً وكوني إلهاً   تشملي بالحنان قلبي الكسيرا !
وترى ما به ... فمن يك رباً   يك طباً بخلقه وخبيرا
لا أبالي إذا غدوت لقلبي   وحده كنت آسراً أو أسيرا
فإذا ما أبيت إلا شقائي   فامسحي من لوح الوجود الزورا !
أعدميني فلا أطيق عذابين خلوداً قدرت لي وسعيرا !

***

كنت في خاطري وكنت سعيداً   قبل أن تظهري لعيني ظهورا !
آه ، يا ليتني كتمتك سراً   حيث كنت الدهور ثم الدهورا !
لكفيت الأسى إذاً والتباريـ   ـح ودمت النعيم الموفورا

***

ما توقعت إذ جبلتك طيناً   في يدي أن أصير هذا المصيرا !
إن هذا جزاء من نازع الله   علاه يلقى العذاب الكبيرا !

علي أحمد باكثير



هذا هو المشروب
المفضل فى
فصل الصيف
الشاى
المثلج
مشروب منعش مرطب
طريقة عمله: حضر شايا ثقيلاً ثم اسكبه على
مبشور الثلج واضف اليه السكر
والليمون او اللبن حسبما
يلائم ذوقك
الشاى الجيد وارد الهند
وسيلان وجاوه وسومطرا
اشربوا
الشاى المثلج



دراسات فى الفن

الفن والحـــرية

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

مظاهر الحياة فى الإنسان ثلاثة ، يرجع إليها كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وحركات وسكنات . وهذه المظاهر هى الحس والعقل والخلق . والإنسان الوسط يستطيع أن يلحظ فى غيره بسهولة تامة النقص الذى يعترى ناحية أو أكثر من هذه النواحى الثلاث . فيحكم عليه بأنه بارد الحس ، أو ناقص العقل ، أو معوج الخلق . وليس يهمنا ما يقال من أن الحكم فى هذه الأحوال لا يكون إلا تقديرياً ، وإنما الذى يعنينا هو أن الحس والعقل والخلق موجودة فى كل إنسان ، وإن تفاوت وضوحها ، ووضوح اتجاهاتها فى الناس ، وإن اختلفت معاييرها فليس ينفى وجود القمح أن يكيله ناس بالأردب ، وأن يزنه ناس بالقنطار . . .

ولما كان الكمال البشرى يستدعى رقى الإنسان فى نواحيه جميعاً بحيث تنسجم هذه النواحى فيه وتتوازن وتتضافر فتخطو به خطوة جديدة فى طريق التطور والارتقاء تلبية لنداء الطبيعة التى تريدها ، لزم أن يكون كل عمل من أعمال الإنسان صادراً عن حس مرتق ، وعقل مرتق ، وخلق مرتق . فإذا اختل التوازن بين الحس والعقل والخلق فى أى عمل من أعمال الإنسان عاب هذا الاختلال العمل وأنقص قدره .

ونحن إذا نظرنا إلى هذه النواحى الثلاث رأينا لكل ناحية منها طريقاً خاصاً من طرق الرقى الإنسانى تسمى فيه . فالحس طريقه الفن ، والعقل طريقة العلم ، والخلق طريقه الفضيلة

وأكمل الناس من غير شك هو الذى يرقى فى معراج التطور بحسه وعقله وخلقه ، وأقل منه كمالاً من يرقى فى هـذا المعراج بناحيتين فقط من نواحيه الثلاث ، والأقل كمالاً من يرقى فى هذا المعراج بناحية واحدة . وأغلب الناس غير متوازنين ، بل إن أغلبهم تنصقل فى نفسه ناحية واحدة فقط من هذه النواحى فتضىء ما حوله ولكن بلون نورها هى ، بينما يتخافت إلى جانبها النوران المنبعثان من الناحيتين الأخريين . وهكذا كان فى الناس فنانون لا صلة لهم بالعقل ولا بالعلوم إلا ما يرد عنهم اتهام الناس إياهم بالجنون ، أو بعض هـذا الاتهام ، بل إن منهم من يرميه الناس بالجنون ، وفنانون لا صلة لهم بالعقل ولا بالخلق ، ومنهم من يرميه الناس بالفسق إلى جانب الجنون . وهكذا أيضاً كان فى الناس علماء لا صلة لهم بالحس فهم باردون ، وعلماء لا صلة لهم بالحس ولا بالخلق ، ومنهم من يرميه الناس بالجشع إلى جانب البرود . وهكذا أخيراً كان فى الناس فضلاء تنبعث الفضيلة من أنفسهم فينالها من يكرههم كما تصيب من يحبهم لا يحبسونها ولو أوذوا ، فلاهم عقلاء يحذرون كما يحذر غيرهم من العقلاء ، ولا هم يحسون الشر فيما يحسون ، وهؤلاء من بين أصحاب الفضيلة هم الأتقياء الزاهدون المضحون المظلومون .

وكل فرد من هؤلاء الأفراد الخارقين فى نواحيهم الخاصة ، والمتسامين فيها على مستوى الجمهور يعتبر عبقريًا فى ناحية وإن أحصت عليه الإنسانية النقص فى الناحيتين الأخريين ، فما تزال العبقرية فى نظر الناس ضرباً من ضروب الشذوذ ، أو هى فى الحق كذلك ما دامت تنحو إحدى نواحيه فقط

فإذا أنكرنا على الإنسان أنانيته وطالبناه بأن يرعى خير الإنسانية فى كل عمل من أعماله وعلى الخصوص فى تلك الأعمال التى تتصل بغيره وتؤثر فيه فإننا لا نملك إزاء الفنانين إلا أن نطالبهم بأن تتضافر نواحيهم الثلاث فى إنتاجهم الفنى كما نطلب

ذلك من العلماء ، وكما نطلب ذلك من أهل الفضيلة . فالفن أو أكمل الفن هو ما أرضى العقل والخلق إلى جانب ما يرضى الحس ، كما أن العلم أو أكمل العلم هو ما أرضى الحس والخلق إلى جانب ما يرضى العقل ، وكما أن الفضيلة أو أكمل الفضيلة هى ما أرضى العقل والحس إلى جانب ما يرضى الخلق

هـذا إذا راعينا أن الفنون والعلوم والفضائل هى أهداف الإنسانية التى تلح فى سبيل الوصول إلى استكمالها موحدة منسجمة متزنة . فإذا لم ندقق كل التدقيق فى هذا ، فإنه يجوز منا أن نبيح للفنان أن يحاول السير فى طريقه بالحس وحده ، وللعالم أن يسير بالعقل وحده ، وللرجل الفاضل أن يسير بالخلق وحده .

ولكن للانسانية مثلاً عالياً تنزع إليه وتريد أن تلحقه وإن اختلفت صوره فى أذهان الناس. ونحن إذا ما حاولنا أن نستخلص من بين هذه الصور الصورة التى نعتقد أنها أصدق صور الكمال فإننا عندئذ سنستطيع أن نتصور إلى جانبها صورة للانسانية تكون هى أقرب صور الإنسان من الكمال ، ويكون هذا تبعاً لمدى ما تحققه صورة الفرد من نواحى الكمال المطلوبة فى صورة الإنسانية الكاملة . وسنرى كيف يمكن أن يتم التوازن بين حس الإنسان وعقله وخلقه فى هذه الصورة العالية التى نكتشفها. وسنرى هل يتم هذا التوازن إذا كان للإنسان من حسه ومن عقله ومن خلقه مقادير متساوية، أو أن هذا التوازن يمكن أن يتم باختلاف فى مقاديرها لدسم فى بعضها وخفة فى بعضها أو لضرورة تستوجب بعضها ولجواز يمكن به الاستغناء عن بعضها فى بعض الأحيان . سنختلف .

فقد اختلف الناس فى هذا منذ أحسوا ، ومنذ عقلوا ، ومنذ كانت لهم أخلاق ، وسيظلون مختلفين فى هذا إلى أن يشاء الله فيكونوا أمة واحدة ، وهم الآن أمم . ولكل أمة منهم مثل ، وكل أمة منهم تنزع إلى تحقيق مثلها جادة حيناً ومتكثة حيناً ، ومتناومة فى أغلب الأحيان .

فإذا سألنى سائل عن أمتى ، ومثلى الذى أنزع إليه مؤمناً به ، فأنا من أمة محمد . الفن عندى ما يحقق المثل الأعلى الذى رسمه محمد بدينه للحياة ، والعلم عندى هو ما يحقق هذا المثل ، والخلق عندى ما يتفق وروح الإسلام .

ولست أقهر إنساناً على أن يدخل فى أمتى ، ولا على أن يتدله بمثلى الأعلى ، ولكنى أقولها بعد تأمل أعتقد أنه قد يكفى متعجلاً مثلى من أبناء هذا العصر المجول ... كلمة فيها من القدم رزانة الشيخوخة ومن الأبدية عنفوان الشباب ، وهى أن المثل الأعلى الذى رسمه الإسلام للانسان والصورة النقية التى رسمها للانسانية هما صورة أرقى حى فى أرقى صورة للحياة ، فما كان عبثاً ما قال الله من أن محمداً هو خاتم النبيين والمرسلين ، وأن الإسلام هو ختام الأديان . ونحن إذا أنعمنا النظر فى الإسلام رأيناه يشمل كل الأديان الساعية إلى الله ، وأنه يبرىء الله مما ألحقه به الناس من الباطل والزيف . وإذا صدق هذا صدق معه أن أسمى المثل الإنسانية العليا ليس إلا بعض المثل الإسلامى الأعلى ، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نجعل الإسلام حكماً على أعمال الإنسان الروحية كلها سواء منها الحسية والعقلية والخلقية ، فإذا لم يرض بعض الناس عن الإسلام حكماً فلهم أمثلتهم العليا يحكمونها كما يشاؤون فيما يشاؤون فكل ما يملكه عاجز ضعيف مثلى فى مقام كهذا هو أن يقول لهم : قبل أن تستبعدو الإسلام تدبروه .

فإذا تدبروه فهم مى مسلمون . فإذا أسلموا فهم أمة وسط ، وما داموا أمة وسطاً فعليهم أن يراعوا العقل والخلق فى فنهم فيجعلوا لهما فيه نصيباً ، وعليهم أن يراعوا الحس والخلق فى علمهم فيجعلوا لهما فيه نصيباً ، وعليهم أن يراعوا الحس والعقل فى فضائلهم فيجعلوا لهما فيها نصيباً . وهـذا يحدث عفو خاطرهم بدون تدبر وبدون اختيار إذا كانوا مسلمين . فالإسلام هو دين الفطرة ، كما أن الفن الصحيح السليم هو فن الفطرة ، وكما أن العلم النافع هو علم الفطرة الذى يعلمه الله الناس سواء أكانوا أميين أم كانوا قارئين كاتبين ، وكما أن الخلق القويم هو خلق الفطرة الذى يصدر عن الإنسان عفواً من غير تدبير ومن غير اختيار

وبعد أن رأينا للفطرة هذا الجلال وهذا الخطر ، فإنه قد يعارضنا هنا سؤال له محل من التفكير ، فقد يقول لنا قائل : أليس من فطرة الإنسان أن ينزع أحياناً إلى ما تستنكره الأخلاق ، وإلى ما يزور عنه العقل ، فإذا لبى هذا النزوع بالفن كان فنه فطرياً ، ولكنه مع هـذا لم يكن متمشياً مع الإسلام الذى وإن كان دين الفطرة فهو يرسم قيوداً ، ويقيم من الأخلاق حراساً على هذه

القيود؟ وجوابنا على هذا السؤال هو أن النزوع بالفن إلى ما تنكره الأخلاق وما ينكره العقل ليس نزوعاً فطرياً ، وإنما هو نزوع فيه شيء من النقص يعترى صاحبه إذ ينسى غيره ، وإذ ينزع بالفن إلى تلبية إحساسه والتعبير عنه ، فهو بهذا الفن يرضى نفسه وحدها ، وفى ساعة عاجلة من ساعات حياته هو ، فهو لا يحس بمستقبله ولا يفكر فيه ، ولا يحس صلته بغيره ولا يفكر فيها ، ولا يحس أثره فى غيره ولا يفكر فيه

ونحن لا نستطيع أن ننكر أن هذا الضرب من الفن ... فن . ولكنه فن جامح ينظمه صاحبه من حبات نفسه ليرضى به هو وحده . ونحن إذا تأملنا ألوان الفن التى ينكرها العقل لم نجد غير الخرافات الفنية ، وهى لا تؤذى الإنسانية فى شيء إلا إذا حاول فنان خدّاع مقنع بالحيلة أن يحمل الناس على أن يؤمنوا بأنها حقيقة واقعة ، ولم يظهر فى الدنيا فنان من هؤلاء إلا وخرج بخداعه عن دائرة الفن إلى دائرة النصب والاحتيال . وإذا تأملنا ألوان الفن التى ينكرها الخلق لم نجدها إلا لمامات تعرض لنواح من الحياة يكاد يعرفها الناس جميعاً ، ويكادون يتذوقونها جميعاً ، ويكادون يستطيعون أن يعبروا عنها جميعاً تعبيراً لا يقل صدقاً ولا روعة عما يعبر به الفنانون عنها . فإن لم يتأت لجمهور الناس بالفعل التعبير عن هذه النواحى المبتذلة من الحياة التى يتعفف الفن الإسلامى عنها ، فهم يستطيعون هذا التعبير بالقوة . وهذا هو ما يغرينا بالمضى فى الحرص على اتباع الإسلام حتى فى الفن ؛ فهذا الذى نخسره من الفن بهذا الحرص تافه وهين ما دام جمهور الناس يستطيعونه ، والفنان يطلب منه شيء أكثر مما يطلب من عامة الناس ، وهو الكائن الحى الناضج الحياة الذى يتوقع منه الناس أن يكشف لهم بإحساسه المرهف من حقائق الحياة ومباهجها وجمالها ما لا يستطيعون هم أن ينتهوا إليه بحسهم ، كما أنهم يحبون من علمائهم أن يهدوهم من حقائق الحياة ومنافعها إلى ما يعجزون هُمْ عن أن يصلوا إليه ، وكما أنهم يحبون من الهداة الأتقياء ذوى الفضل أن يرسموا لهم ما ينبغى أن يكون ، وما ينبغى ألا يكون

وما أجل هذا الذى يجتمع له هذا كله فيكون هادياً بفضائله وعلمه وفنه .

فإذا لم يتيسر هذا لرجال الإنسانية عفواً فإن الإرادة كفيلة بتحقيقه . ولست أقصد بالإرادة أن يعتزم الفنان أن يحقق فى فنه الأخلاق الفاضلة ، ونفسه بعيدة عن الأخلاق الفاضلة . فيخرج فنه متكلفاً سخيفاً يشعر كل من يتصل به بأنه فقد ميزته الأساسية الأولى ، وهى أن يكون تلبية لنداء الطبيعة والفطرة ، وإنما الذى أقصده هو أن يبدأ الفنان بتحقيق الفضيلة فى نفسه هو . فإذا أبدع فناً بعد ذلك كان الفن صورة نفسه ، وكان الفن فاضلاً

وطبيعة التطور والارتقاء تطالب الفنانين بهذا ، كما أنها تطالب به العلماء ، وكما أنها تطالب به أصحاب الأخلاق والفضائل . ذلك أن الحياة الروحية للإنسان تريد أن تسمو وأن تتقدم الخطى إلى الأمام ، وطريقها إلى هذا الرقى هو نفوس الناس أنفسهم ، وما دام فى الإنسان إرادة فلا بد من أن يكون لهذه الإرادة لزوم فى تحقيق التطور والارتقاء بدليل أنها لا تزال موجودة فى نفس الإنسان ، وأن الإنسان لا يزال يمارسها فى كل أعماله تقريباً ، وما دام الأمر كذلك فإنه قد حق علينا أن نريد ترقية أنفسنا ، ثم أن نعمل على هذه الترقية . أما الإرادة فأمرها بيدنا ، وأما العمل فطريقه التدريب ، وكما أن للعقل تدريباً يساعده على بلوغ العلم ، وكما أن للخلق تدريباً يساعده على بلوغ الفضيلة ، فإن للحس تدريباً يساعده على بلوغ الفن !

وقد ارتضى كل فنان لنفسه مثلاً أعلى يريد أن يرقى إليه وأنا اخترت الإسلام من هذه المثل لمن يعجبهم اختيارى .

أما أولئك الذين لا يريدون أن يرقوا فلهم أن يعربدوا بفنهم وبعلمهم ، وبأخلاقهم ما شاءت لهم حرية التائه الضال .

عزيز أحمد فهمى

من هنا ومن هناك

الحريم فى نظر الغرب

إن حياة الحريم فى قصور سلاطين آل عثمان لتمثل هذا الضرب من المعيشة الذى تصوره ألف ليلة وليلة ، والذى تفنن الكتاب الأوربيون فى وصفه ما وسعهم الخيال ، ففيها الأجواء المفعمة باللذة وضروب المتع والتسلية المختلفة . ولقد ظل « الحريم » من الأسرار الغامضة التى تتضارب فيها الأفكار ، حتى إذا زالت سلطة الخلفاء ، وأبيح للجميع أن يدخلوا قصورهم الفخمة ، كشف القناع عن الكثير مما كان يجرى فيه . ولا شك أن رغبة الغربيين فى تعرف أسرار « الحريم » فى القصور العثمانية كانت أعظم من أية رغبة أخرى فى إدراك أحوال الدولة إبان عهد السلاطين ، وكان ذلك مدعاة لأن يكتب الكثيرون — آنا بالحق وآنا بالباطل — حول هذه الناحية ، وتنافس الخيال والحقيقة فى تصوير الحياة داخل « الحرملك » فكان نتاجهما هذه الكتب التى تطلع علينا بها — بين حين وآخر — دور النشر فى الغرب . ومن الكتب القيمة الطريفة حول هذا الموضوع كتاب The Harem الذى وضعه المستشرق الإنجليزى بنزر ، وكان ملماً باللغة التركية ، عاش فى الآستانة ردحاً طويلاً ، وخبر الحياة التركية عن كثب . وقد وصف فى كتابه هذا حياة القصور ، لا سيما قصر سيراليو الذى كان يسكنه سلاطين آل عثمان من آلاف النسوة اللائى جيء بهن — إما بيعاً أو اقتساراً — ويصف منظر « الخصيان » وهم يرفلون فى أزيائهم العجيبة ، فلا عجب إذا اجتذب الغربيين هذا الوصف لحياة تكاد تكون من بنات الخيال ، بل لقد يقصر الخيال فى كثير من الأحيان عن أن يتطاول لبلوغ ما بلغته الحقيقة الماثلة فى قصر سيراليو

يقول مستر بنزر فى وصف الحرملك « إنه دنيا صغيرة ، محكمة الإدارة ، دقيقة السياسة ، خلى إلا من النساء اللائى تعيش كل منهن من أجل واجب تؤديه ... والحرملك ، وإن كان مجتمع نسوة ، إلا أنه كثيراً ما دبرت فيه المكائد ، وشهدت جدرانه تدبير دسائس تقشعر لهولها الأبدان ، كما كان حظ الكثير من نزيلاته الجميلات القتل بلا رحمة . وكم ضمت أمواج البسفور من فتيات غضب عليهن السلطان فأصبحن طعمة لحيتان البحر وأسماكه » أما الخصيان ، فقد أخذ عددهم يزداد كلما اتسعت موارد السلطان . وكانوا فى أول الأمر من البيض غير أنه سرعان ما حل محلهم السود لما طبعوا عليه من إخلاص لساداتهم ، أما البيض فكانوا أهل دس وغدر وفتنة . ومنذ القرن السادس عشر أصبح الحرملك يدير أمور الدولة من وراء ستار . ولما نفى السلطان عبد الحميد إلى سلانيك عام ١٩٠٩ م ، أذنوا له أن يصطحب معه فى منفاه بعض المقربات إليه . أما الباقيات ويجاوزن بضع مئات فقد أصبحن بلا عائل . وقد وصف ذلك كله فرنسيس ماك كلاج فى كتابه « سقوط عبد الحميد » فقال : « لقد جمعن فى قصر (ثب كابو) فى حشد عظيم ، وإذ كان أغلب النسوة فى حريم السلطان قوقازيات ، وكن يؤثرن على غيرهن لجمالهن الرائع ، فقد أبرقت الحكومة التركية إلى مختلف القرى القوقازية تعلن إليها أن لكل عائلة الحق فى استرداد فتاتها من حريم السلطان سواء أكان أبواها قد باعاها أم اغتصبت من بين ذويها . ومن ثم وفد على القسطنطينية الكثيرون من جبلى القوقاز يخطرون فى ثيابهم العجيبة ، وحددت لهم الحكومة يوماً توافدوا فيه على قصر (ثب كابو) واستعرضوا محظيات السلطان سافرات بلا قناع . وكم كان منظر الفتيات وهن يرتمين فى أحضان آبائهن أو أخواتهن مؤثراً ، بعد أن حيل بينهم وبينهم ، ويئسن من لقائهن ... فهذا أب يقبل ابنته وقد اغرورقت عيناه بالدموع ، وهذا أخ يعانق أخته بعد أن ظنا أن لا تلاقى بعد . ولشد ما كان التباين عظيما بين لباس هؤلاء الجبليين ولباس بناتهم وهن يرفلن فى غالى الثياب وأبهاها . وسرعان ما جمعت كل فتاة ملابسها ،

وغادرت القصر غير آسفة عليه ، فبلغ عددهن يومئذ مائتين وثلاث عشرة أنثى ، أما الباقيات فقد اختار منهن الأمراء من اختاروا ... »

هذا وصف شاهد عيان لمنظر من مناظر ألف ليلة وليلة .

أما قصر سيراليو فقد خيم عليه الصمت كأنما استوحش من ساكنيه ، حتى إذا كان عام ١٩٢٤ جعلته الحكومة التركية من المنافع العامة ، وطبعت من أجله دليلاً يشرح للزائرين ما يبهم عليهم إدراكه ، وإذا كان الزائر لمصر لا بد له من مشاهدة الأهرام وأبي الهول ، فإن نزيل القسطنطينية اليوم ليهرع قبل كل شيء إلى قصر سيراليو فيتمثل صورة الحريم والترف في قصور السلاطين ويرى روعة الفن وجلاله ، وكم شهدت حجراته من مآس ومسرات !

النضوج وضبط النفس

إذا نظرنا إلى الطفل وجدناه أكثر من غيره تبرماً بالتعب . فإذا أصابه الجوع أو ناله قليل من البرد أو الحر أو شعر بتقييد حريته فلم يستطع أن يتحرك كما يشاء ، أو اعترته هزة عنيفة بعامل من العوامل ، فهو ولا شك عرضة للتهيج

وإذا كان الطفل لا يعرف الأسباب التي تدعو إلى ما يشعر به من الألم ، فإن احتجاجه عليه عادة يكون عنيفاً

فإذا جاوز سن الطفولة وتعداها إلى سن النضوج ، فإن شعوره بهذا التهيج يخف ويتغير . وليس معنى ذلك أن المراهق لا يشعر بالآلام إذا تعرض لها ، ولكن شعوره بها يتغير كل التغير ، حتى لا يبدو عليه شيء من مظاهرها

فالشخص الذي لا يحتمل الشقات ، ويضيق صدراً إذا لم ينل ما تصبو إليه نفسه ، ويهتاج لكل حادث ، هو في الحقيقة شخص لم يصل شعوره إلى درجة النضوج . وكل إنسان ولا شك يكره أن يكون ذلك الرجل . فإذا أردنا أن نعرف حقيقة أنفسنا من هذه الناحية يجب أن نترك الحكم عليها للآخرين ، وعلى الأخص هؤلاء الذين لا تجمعنا بهم روابط الصداقة

فما مقدار الألم الذي يستطيع أن يحتمله عادة الرجل الكامل النضوج ؟ إن نظرة بسيطة تدلنا على أن هناك اختلافاً كبيراً بين الأفراد من هذه الناحية . فقد رأينا أناساً يحتملون كسر العظام وقطع الأوصال ، ورأينا بعضهم يقومون بإجراء العمليات الجراحية لأنفسهم وسمعنا بأشخاص تقطع أوصالهم إرباً إرباً في بعض المحاكمات ليخونوا صديقاً أو يعترفوا عليه بما يؤذيه فلا يشكون ولا تتغير حالهم

وعلى النقيض من ذلك نرى أناساً لا يطيقون أي نوع من أنواع الألم فيلجأون إلى العقاقير السامة كالكوكايين والمورفين لتخفيف آلامهم وكثيراً ما يعتادونها

فهل هناك حد وسط بين هذين الحدين ؟ هل توجد حالة حالة طبيعية بين هاتين الحالتين ؟ من المحتمل أن لا يوجد شيء من ذلك . وكل ما نستطيع أن نقوله : أن الرجل الصحيح يتجنب الألم بقدر الإمكان ، فإذا ناله شر لا بد منه فيجب عليه أن يتجلد له ويحتمله ، ولا يفعل كما يفعل الطفل ، وقد نستطيع أن نطبق هذا المبدأ على أوجه الحياة المختلفة . فنحن كثيراً ما نفعل أعمالاً لا نريد أن نفعلها ، فبعضنا يرفعون عقيرتهم بالشكوى لأقل شأن ، وبعضنا يتركون العمل الذي يشتغلون فيه بغير مبرر ! فإذا فرضنا أنك أجبرت بحكم عملك على أن تكون مع شخص لا توده . فالرجل الناضج في هذه الحالة يحتفظ بشعوره نحو هذا الإنسان ويعامله بشيء من الحذر . أما شعور السرور الذي يتولانا في مجلس من المجالس ، أو عند مشاهدة تمثيل إحدى الروايات ، فقد يثير في نفوسنا شيئاً من الضحك أو الهياج ، وقد لا نستطيع أن نتكتم هذا الشعور ، إلا أنه من الواجب أن لا نشوش به على الآخرين كما يفعل الصبيان ، فسواء كنا في حالة من السرور أو حالة من الألم فالواجب علينا أن نتعلم ضبط النفس وكبت الشعور وإلا كنا غير ناضجين

تجنيد الكلاب في الحروب

تدرب الكلاب في جميع أنحاء العالم للخدمة في الحروب . ففي روسيا أنشئت مدرسة في موسكو للكلاب ، وفي اليابان أعدت أماكن فسيحة لتدريبها منذ ١٩٣٣ ، وقد أعدت ميادين خاصة في بولندا وإيطاليا لتدريب الكلاب على الأعمال الحربية على اختلافها ، وفي أستنيا تلازم الكلاب طلائع الجيش ، أما في فرنسا فهي تدرب مع الجنود في كثير من الميادين .

وتستخدم الكلاب في حمل الرسائل إلى الفرق الطبية ، وفي توصيلها إلى الحرس ، حيث تجتاز الأماكن الوعرة ، وتعبر الأنهار الواسعة لتوصيل رسائلها . وهي تدرك المرضين في الميدان بما يحتاجون لتضميد الجراح ، وهي تستطيع أن تحمل المؤن على ظهورها وتسير بها إلى مسافات بعيدة .

وقد كانت الكلاب تستعمل في الهجوم والدفاع منذ أقدم العصور . ويقول هيرودتس إن « سيرس » كانت لديه كلاب

يستخدمها فى الحروب . وفى كتاب بلوتارك أن الكلاب أنجت كتيبة « كورنيثيه » من الهلاك .

وكان فيليب القدونى يستخدم الكلاب فى حروب أرجول واستخدمها الرومان لحراسة الجيوش ، وكان « السلت » يدربون الكلاب على مهاجمة الخيل ، فتأخذها بخياشيمها وتسقطها فى ميادين الحروب .

أما فى القرون الوسطى فقد كثر استخدام الكلاب لهذه الأغراض ، وقدكانت الفرق الأسكوتلندية تصطحبها على الدوام وكانت مدينة سان مالو تستخدم الكلاب فى حراسة أسوارها إلى سنة ١٧٧٠ ، وقد اتخذ نابليون الكلاب سنة ١٧٩٩ لحراسة الجنود فى مدينة الأسكندرية . واستخدم الألمان الكلاب لحماية الكتائب وحراسة الأقاليم والمعسكرات فى سنة ١٨٧٠

وفى سنة ١٨٩٥ قام كلبان بإمداد كتيبتين بالذخائر أثناء الحرب على أكمل وجه .

وفى سنة ١٩٠٤ كان الجيش الألمانى يستخدم ٦٠٠ كلب من الكلاب المدربة على الحروب وآلافا من الكلاب الأخرى

أما فرنسا فقد بدأت تجنيد الكلاب فى سنة ١٩١٦ ، وقد اجتمع فى باريس ٩٠٠٠ كلب نظمت فرقا وأرسلت إلى الميادين للتدريب . وقد قامت تلك الكلاب بخدمات عظيمة مما كان ذكره موضع إعجاب المتحدثين .

آلة لقراءة الأفكار

اكتشاف عظيم سيحدث ضجة عظيمة فى العالم !

ذلك هو اختراع آلة لالتقاط الأفكار والخواطر التى تجول بذهن الإنسان ! وليست هذه الآلة كالآلات المصورة التى يعرفها كل إنسان ، ولا حلماً من أحلام رجال العلم . إنها مصورة تشتغل فى كل مكان وليس إلا أن يرقد الإنسان على منضدة والآلة تسجل خواطره دون أى ألم أو ارتباك !

وللحصول على هذه المعجزة يكفى أن يكون عندك سلك موصل بآلة كهربائية وفلم نظيف ومحرك آلة تسجيل الخواطر . إنك لا تستطيع عند ذلك أن تخفى أسرار نفسك بحال من الأحوال

قد تكون هناك بعض صعوبات فى تسجيل خواطر بعض الناس ممن يفكرون فى شئون مختلفة فى وقت واحد ، ولكن تلك الآلة تستطيع أن تركز ذهن الإنسان وتستخلص ما تشاء من أفكاره

غير أنك عند تسجيل بعض الأفكار الهامة والمعلومات العلمية العظيمة ، قد تصادفك خطوط مختلفة لعاطفة من العواطف الخاصة مما يستثير الضحك فى بعض الأحيان

ولا يستعصى على هذه الآلة إخضاع بعض المصبيين ومرضى الصرع والشواذ مما ينتظر أن يأتى بأجل الفوائد ، ولا شك أن هذا الاختراع سيفتح أمام العلم باباً لا حد له من التفكير

أى دنيا عجيبة سيلقى بنا فيها هذا الاكتشاف ؟ وكيف نكون ؟ وكيف تصبح حياتنا إذا كانت حتى خواطرنا لم تعد ملكاً لنا فى هذه الحياة ؟ !

لقد مات جيتى وهو يقول : نور ... نور ! أين كانت هذه الآلة لترينا أى نوع من النور كان يريده الشاعر العظيم ؟ أهو نور العبقرية ونور الروح ، أم نور الشموع ؟ !



حول جناية الأدب الجاهلي حديث لأديب مصري مصطاف في لبنان

نشرت زميلتنا المكشوف البيروتية في عددها الأخير هذه الكلمة وهذا الحديث بإمضاء (جوابة) فرأينا من فائدة الأدب في ذاته أن ننقلهما عنها لا مقرين ولا منكرين ، فإن رأى الرسالة في الموضوع قد صرحت به في العدد ٣١٦ فلا تسأل إلا عنه . قال الكاتب الفاضل :

أطالع منذ أسبوعين في مجلة « الرسالة » المصرية سلسلة من المقالات للدكتور زكي مبارك ينقد فيها آراء للأستاذ أحمد أمين أبداها في الأدب الجاهلي وجنايته على الأدب العربي ونشرها في مجلة الثقافة . وقد اختار الدكتور مبارك عنواناً لمقالاته « جناية أحمد أمين على الأدب العربي » . ولا شك أن التهمتين مبالغ فيهما؛ فلا الأدب الجاهلي جنى على الأدب العربي بقدر ما يتصور الأستاذ أحمد أمين ، ولا الأستاذ أحمد أمين جنى على الأدب العربي بقدر ما يتخيل الدكتور زكي مبارك . فما هو السبب يا ترى في إثارة هذا النوع من النقاش ، بل هـذه المركة الحامية الوطيس بين الرسالة والثقافة ؟

مما لا شك فيه أن هذه الأبحاث طريفة في حد ذاتها على ما يرافقها من مبالغات وعنف في العرض والرد والهجة . ومما لا شك فيه أيضاً أنها تحث قرائح الباحثين ، فيتناولون هذا الموضوع ويعالجونه في جو بعيد عن غبار المعركة . ولا بد أن يجنى الأدب فائدة تذكر من درس الأدب العربي على ضوء « المعدة والروح » على أن يقارن بينـه وبين آداب الأمم في عصورها المتشابهة أو المتقاربة ، وعلى أن تسلم النيات وتطيب الإرادات

وقد اتفق لي منذ يومين أن التقيت في أحد المصايف أديباً مصرياً قدم إلى لبنان ترويحاً للنفس ، فجرى بيني وبينه حديث عن المركة التي أثارها الدكتور زكي مبارك وعن أسبابها الظاهرة والخفية ، فصارحني محدثي برأيه . ولما طلبت إليه الإذن لي بنقل هذا الرأي إلى قراء « المكشوف » أوصاني بإهمال ذكر اسمه ، معتذراً بأنه يفضل أن يتفرج على أن يدخل شخصاً ثالثاً في نقاش قد يضطره إلى الدرس والمراجعة ، وهو ما جاء لبنان إلا للراحة والسكينة ..

ونزولاً على مشيئة محدثي أكتم إسمه وأكتفي بنقل خلاصة أمينة لما قال :

— لا جدال أن النقد في مصر قد خفت صوته ، ولذلك أسباب لا مجال للخوض فيها الآن ... ومن الخير للأدب أن يعود النقد إلى سابق عهده فتروج الكتب والمجلات . وقد يسعف الحظ بعض الأدباء الناشئين فتلمع أسماؤهم في سماء الأدب وتقوم شهرتهم على جثث ضحاياهم ، وهذه سنة الحيـاة ... أما الدكتور زكي مبارك فلم أعرف أديباً أشد اندفاعاً منه في ميدان النقد ، فكأنه مفطور عليه يموت إن لم يتغذ به . إنه حركة دائمة ؛ وإن هو لم يجد من ينقد مال على نفسه ينقدها . ولست أشك في إخلاصه لفنه ، إلا أنني أعيب عليه ميلاً قد يكون مكتسباً ، إلى حمـل خصومه على مناقشته في مواضيع دقيقة وحساسة في شرقنا العربي . أضرب مثلاً على ذلك اتهامه الأستاذ أحمد أمين بشيء من الفتور في دينه ، وإلصاقه به تحيزاً ضد الشام والعراق وغيرهما من الأقطار العربية

على أن أسباب المعركة القائمة الآن بينه وبين أحمد أمين ، أو بين « الرسالة » و « الثقافة » ليست ناتجة — فيما أظن — عن الأخطاء التي ارتكبها أحمد أمين في بحثه عن جناية الأدب الجاهلي على الأدب العربي ، بل يرجح عندي أن هذه الأخطاء كانت فرصة اغتنمها الدكتور لشن الغارة على أحمد أمين . أما الأسباب الحقيقية

فترجع إلى المناوشات التى قامت فى وقت ما بين الزيات وأحمد أمين من أجل الكتب التى قررت وزارة المعارف وضعها بين أيدى التلاميذ ، ولم يكن بينها كتب الزيات . فاحتج صاحب « الرسالة » على هذا الاحتكار ، واتهم أحمد أمين بكونه لولبه . وكان أحمد أمين صريحاً ، فاعترف بأنه لم يوافق على إدخال مؤلفات الزيات فى قائمة الكتب المقررة لأن فيها ما يؤذى الأخلاق . . .

واستمر هذا الخصام بين الزيات وأحمد أمين تارة مستتراً ، وتارة ظاهراً ، حتى ظهرت « الثقافة » وكان هدفها الأول محاربة « الرسالة » . وفى الواقع من هم قراء الأدب فى مصر ؟ هم طلبة الجامعة فى أكثريتهم ، فلماذا لا تستغلهم لجنة التأليف والترجمة والنشر بمجلة توجه أبحاثها إليهم بعد أن استغلتهم بالكتب ؟ وأكثر أعضاء هذه اللجنة من أساتذة الجامعة، فصدرت «الثقافة» يؤيدها خصوم الزيات من طه حسين ، إلى محمد عبد الله عنان ، إلى أحمد أمين ، إلى غيرهم ممن أغضبهم الزيات لسبب من الأسباب فى وقت من الأوقات . وهذه نوازع بشرية لا غرابة فيها ، وإنما الغرابة أن يستطيع أحمد أمين الانتقام من الزيات ولا يفعل !

وقراء الأدب فى مصر محدودون ، فكان بديهياً أن يتحول قسم كبير منهم من « الرسالة » إلى « الثقافة » وأن تحس الرسالة أنها لم تبق وحدها فى الميدان . فاشتد النزاع واشتد . . . ورأينا الزيات يدخل على مجلته تحسينات وأبواباً جديدة ، ثم لا يلبث أن يحاول اجتذاب طلبة الأزهر إليه فيجعل منهم حزباً يعضده على حزب الجامعة . ولا أدرى أنجح فى محاولته هذه أم أخفق . وكل ما أعرفه أن الثقافة راجت سوقها على ضعف مادتها ، وعلى افتقارها إلى الروح الصحفية الحديثة

فـ « المعدة » إذن كانت منشأ المعركة القائمة الآن بين أحمد أمين والدكتور زكى مبارك ، أو بين الرسالة والثقافة . فإذا كان الأدب العربى أدب معدة فى عصوره القديمة لا أدب روح ، فمعلوم أن حياة الأديب القديم لم تكن هينة الموارد ، فما بال الأستاذ أحمد أمين يتمسك فى أدبه بما يعيبه على الآخرين ؟ . . .

انتهى كلام محدثى ، وقد نقلته إلى قراء « المكشوف » بكل أمانة . (ميوابة)

بعثة عراقية إلى الأزهر

كان نورى باشا السعيد رئيس الوزارة العراقية قد كتب إلى رفعة على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى فى صدد قبول الحكومة المصرية عدداً من طلبة العراق فى الأزهر للتخصص فى الوعظ والإرشاد ، فتلقى نورى باشا من رفعته الرد التالى :

« تلوت بموفور السرور والارتياح خطابكم الكريم الذى ضمنتموه عزيز أمنيتكم أن تقبل الحكومة المصرية عدداً من طلبة القطر العراقى الشقيق للتخصص فى مسائل الوعظ والإرشاد ، وقد بادرت بعرض الأمر على جلالة مولانا الملك المعظم ، ثم اتصلت بفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر فى هذا الشأن ، وقد اتفق على قبول عدد من الطلبة بقدر ما يستطاع توفيره له من أماكن ، ستبلغ نحو العشرة

ولا أرانى فى حاجة إلى أن أؤكد لدولتكم أن من أحب الأشياء إلىّ العمل ما أمكن على ازدياد روابط البلدين إحكاماً وقوة ، وإننا جميعاً يسرنا أن نبذل أقصى الجهد فى تحقيق هذه الغاية الشريفة (على ماهر)

الحمد لله على نعمة الإسلام

امتاز الإسلام من بين سائر الديانات بمزية جميلة جداً ، هى رفع الوساطة بين الله والناس ، فلكل مسلم الحق فى أن ينظر إلى الله والوجود كيف شاء فى حدود المنطق والعقل ، ومن حقه أن يخاطب الله بلا وسيط من الأشياخ أو الأحبار أو الرهبان

أقول هذا وقد قرأت فى « الرسالة » كلمة يقول كاتبها إن من حقى أن أتكلم فى الأدب لأنى دكتور فى الآداب ، وليس من حقى أن أتكلم فى الدين لأنى لست دكتوراً فى الدين

وهذا الكلام يدل على أن قائله بعيد عن فهم الغرض من الرسالة الإسلامية . فالرسول عليه الصلاة والسلام بُعث لرفع الكلفة بين الناس وبين خالقهم ، بعد أن كانوا يتوهمون أن بينهم وبينه حجاباً لا يرفعه غير الأحبار والرهبان

ولو أنى انتظرت الإذن من رجال الدين لكان من المحتوم أن تضيع الجهود التى بذلتها فى الدراسات الإسلامية ، وهى جهود سألقى بها الله وأنا مرفوع الرأس ، لأنه عز شأنه لا يُضيع أجر المحسنين

والذين استكثروا أن أتكلم فى الدين فاتهم أنى صححت أشنع خطأ فى تاريخ التشريع الإسلامى حين بينت بالأدلة والبراهين أن كتاب « الأم » لم يؤلفه الشافعى ، وإنما ألفه البويطى المصرى ، وتصرف فيه الربيع بن سليمان

وهم كذلك ينسون أنى صاحب كتاب « التصوف الإسلامى » وهو كتاب سأدخل به الجنة وسأدخل معى على حسابه ألوفاً من الأدباء المحرومين ، كما أوحى الله إلى الزيات أن يقول ، وهو رجل صادق الإيمان ، ورجاؤه فى الله مقبول

والحق أنى أعجب من الذين يصرّون على التشكيك فى عقيدتى. فلو كانت قلوب هؤلاء عرفتّ معانى النور لعرفوا أن فى مؤلفاتى نفحات هى أنفاس حِرار من وَهج الإيمان الصحيح

وما يهمنى أن أزكى نفسي ، فالله يعلم ما بينه وبينى ، وإنما يهمنى أن يُقلع بعض الناس عن اغتيابى فى السر أو مهاجمتى فى العلانية فى أمور متصلة بالدين ، فإنى أخشى أن يغضب الله عليهم فلا يبوءوا بغير الخسران

وإنى لخليقٌ بأن أرجو لهم المغفرة متمثّلاً بالقول المنسوب إلى الرسول :

« اللهم اهد قومى ، فإنهم لا يعلمون »

وإلى الله أرفع الرجاء فى أن يصيّرنى من المعفوٍّ عنهم ، وأن يجعلنى بفضله من عباده الصالحين، وأن يمنحنى من العافية ما أملك به الصبر على خدمة الأدب والدين

زكى مبارك

سعد وسعاد

قرأت ما كتبه الصديق العلامة الأستاذ عبد المتعال الصعيدى وأبادر فأقول : إن مروان ليس بدلاً من الخليفة بل من (والى تلك الجهة) وبذا يرتفع الإشكال ، وأحسب أن طول العبارة ألقى عليها ظلاً من اللبس

ولا أكتم شيخنا الجليل أننى سررت بوقوعه فى هذا الاشتباه فقد أغضب (سعاد) حين قسا على قومها فى مقاله (بنو عذرة) وتابع الخليفة عمر بن عبد العزيز فى نظرته إليهم ، فكان من حقها أن تثأر منه لهم ! فهل يؤمن بعد هذا بأن للجمال (كرامات) ؟

أما القصة فقد وردت مختصرة فى بعض الكتب أذكر منها نهاية الأرب للنويرى . وقد تكون صحيحة أو موضوعة لا أستطيع الجزم بشىء منهما ، فوجدت فيها مجالاً واسعاً للتحدث عن البدو فى حبهم وعفتهم وزواجهم وعاداتهم ، فهى تخالف ما سبق من المقالات بأن حظها عظيم من الخيال ، ولكنه خيال يسامى الحقيقة فى الصدق لأنه يتكئ عليها وينبثق منها . بل لقد توسعت فى بعض المواقف فأنطقت سعداً بشعر لم يقله ، لأن المقام يحتم ذلك وأدب القصة يبيح هذا التوسع

وإنى لأنتهز هذه الفرصة فأهدى إلى فضيلة الشيخ الصديق أزكى التحيات المباركات

ملحوظة : ورد فى المقال الثانى شطر بيت هكذا : أو صاحب التاج أو مروان عاهله ، وصحته عامله

على الجندى

سعد وسعاد ومعاوية بن أبى سفيان

قرأت المقال الثانى لصديقى الأستاذ على الجندى فرأيته يجعل ذلك الوالى الذى اغتصب سعاد من ابن عمها سعد، مروان بن الحكم، فزاد هذا تلك القصة اضطراباً . وقد رأيت بعد هذا أن أراجعها فى مظانها ، ولم يحملنى على هذا إلا استبعادى أن يقع مثل ذلك من مروان فى مكانته وزعامته لبنى أمية ، وأن يظهر فى تلك القصة بمظهر الوالى الذليل لمعاوية ، وهو الذى كان يساميه فى نسبه وزعامته لتلك الأسرة الحاكمة من قريش ، وقد كان معاوية يلاينه ويداريه ، ولا يعامله بتلك الخشونة التى عامله بها فى تلك القصة ، حتى إنه لما عهد لابنه يزيد كتب إلى مروان يأمره بأخذ بيعة قريش وأهل المدينة ليزيد ، فأبى ذلك وأبته معه قريش ، ثم ذهب إلى معاوية مغاضباً فى نفر من أهل بيته ، وأنكر عليه خروجه على ما سار عليه الخلفاء قبله من جعل ذلك الأمر شورى بين المسلمين ، وتأميره الصبيان عليهم ، فأهم معاوية أمره ، واشترى رضاه بالمال ، ففرض له ألف دينار فى كل هلال ، وفرض له فى أهل بيته مائة مائة

ولم تخطئْ والحمد لله فراستى فى ذلك ، فقد راجعت تلك القصة فى كتاب تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق للشيخ الفيلسوف داود الأنطاكى الطبيب المعروف ، فوجدته يذكر أن ابن عمها لما أملقت يده رفع أبوها أمره إلى ابن أم الحكم ، فضيق عليه السجن والقيود حتى طلقها كارهاً ، فأعطى أباها عشرة

آلاف درهم وتزوج بها . ولا شك أن ابن أم الحكم غير مروان ابن الحكم ، لأن ابن أم الحكم هو عبد الرحمن بن عبد الله الثقفى وقد اشتهر بنسبته إلى أمه أم الحكم بنت أبى سفيان بن حرب الأموى ، وكان خاله معاوية يوليه بعض أعماله فيسىء السيرة فيها ، وهو الذى يليق بأن ينسب إليه ما حصل فى تلك القصة

على أني أرى أن تلك القصة من القصص الموضوعة الضعيفة فى سبكها وشعرها ، فقد جاء فيما نسب إلى معاوية من الشعر فيها هذا البيت :

قد كنت تشبه صوفياً له كتب من الفرائض أو آيات قرآن

ومثل هذا لا يمكن أن يقال فى عصر معاوية ، لأن نظام التصوف لم يكن قد حدث فى ذلك العصر ، ولم يكن فيه كتب فى التصوف يحملها المتصوفة أو غيرهم . وكل أشعار تلك القصة على ذلك الشكل من الضعف الذى لا يتفق مع شعر عصر بنى أمية فى سائر فنونه ، وإنما هى أشعار موضوعة فى العصر الذى ألف فيه كتاب تزيين الأسواق ، وهو العصر الذى وصلت فيه العربية إلى حالة الضعف فى أدبها وأشعارها

عبد المتعال الصعيدى

الدين والسياسة

جاء فى مقال الأستاذ الجليل ساطع الحصرى بك فى العدد (٣١٧) من الرسالة : «من أن السياسة شىء والدين شىء آخر» وإطلاق هذا القول فى بلد دين دولته الإسلام ، ودين شعبه الإسلام ، لا ينصرف معنى الدين فيه إلا إلى الإسلام

ونحن نعلم أن الأستاذ ساطع بك من أكابر علماء التربية وأساطينها ، وإنه إن قال فيها فقوله القول ، ولكنا لا نعرفه عالماً بالدين الإسلامى، ولو اطلع على الإسلام لما أخذ رأى الأوربيين فى وجوب فصل الدين (المسيحى) عن السياسة ولما أطلقه على الدين الإسلامى إذ أن معنى الدين عند القائلين بهذا المبدأ ما يحدّد علاقة الإنسان بربه أو ما يسمى فى فقهنا بالعبادات، وهذا الذى يريدون إبعاده عن السياسة، كما أنهم يريدون الخلاص من سلطة الكنيسة وسيطرة رجال الدين . وهذان الأمران لا يردان على دعاة السياسة الإسلامية لأنهم يسلّمون بأن الإسلام عبادات ومعاملات وتشريع . أما العبادات فبين المرء وربّه لا تدخل فى السياسة ولا تؤثر فيها ، أما المعاملات والتشريع فلا يمكن فصلهما عن السياسة أصلاً ، وفى القرآن نفسه آيات فى السياسة الداخلية والخارجية وفيه سورة براءة ، أفنفصل هذه الآيات كلها عن القرآن ؟ أما سلطة رجال الدين فلا يعرفها الإسلام وليس فيه طبقات تتميز من طبقات ، أو أناس هم وكلاء عن الله

وأحسب أن الأستاذ الحصرى لو اطّلع على كتاب «السياسة الشرعية» مثلاً للأستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف أو «الشرع الدولى فى الإسلام» للدكتور الأرمنازى أو كتب العلماء المتقدمين من أمثال ابن تيمية وابن القيم قبل أن يكتب ما كتب ، لكان له فى الموضوع موقف آخر .

(دمشق) **ناجى الطنطاوى**

كشف أثرى فى شمال الترنسفال

تلقت جريدة (السنداى تيمس) من مراسلها ببتروسبورج كتاباً قال فيه : إنه كشف فى شمال الترنسفال أخيراً صورة ملونة يُعتقد أنها من صور قدماء المصريين ، فأثار هذا الكشف عناية العلماء هناك وكان موضع اهتمامهم

فإذا صح ما زعمه مراسل الجريدة ، وثبت أن الكشف مصرى قديم ، فمعنى ذلك أن كل ما دون عن أفريقيا الجنوبية فى عصور ما قبل التاريخ ستعاد كتابته من جديد .

وقد عثر على هذه اللوحة فى مغارة تقع فوق رابية من ربى مزرعة المستر «ج . جادا» التى تبعد اثنى عشر ميلاً عن مدينة بوتجيترستراست .

وأرسل صاحب المزرعة كتاباً إلى الدكتور بروم ، العالم الأثرى الشهير ، يبلغه فيه نبأ الكشف الجديد ، ويطلب إليه زيارة المزرعة ليرى تلك اللوحة التى أثارت فى الأيام الأخيرة اهتماماً غير قليل ، إذ المعروف حتى الآن أنه لم تكشف صور ملونة من أصل مصرى قديم فى بلاد تتعدى مواقعها جنوب منابع النيل

ولا شك أن زيارة الدكتور بروم ستجلو الغموض الذى يلابس هذا الكشف الجديد ، وخاصة أن المصريين القدماء كانوا يتخذون فى رسومهم قاعدة خاصة لا يخطىء معها الإنسان فى أن يعرف إذا ما كانت هذه المخلفات من آثارهم أم لا .

لقد أثبتت الآثار المصرية التي أمكن العثور عليها في مختلف السواحل الإفريقية أن قدماء المصريين تمكنوا بواسطة طرقهم الملاحية ، من أن يصلوا إلى تلك الجهات ، ولكن الكشف عن مثل هذا الأثر الجديد في بقاع داخلية متوغلة يعد ظاهرة جديدة يحتمل معها كثيراً أن يكون قدماء المصريين قد توصلوا في عصور ما قبل التاريخ إلى تأسيس مستعمرات لهم في أفريقيا الجنوبية ...

اهداء أوراق خطية قبطية الى مكتبة جامعة كبردج

أعلن عميد جامعة كبردج أن السر هربرت تومبسون الأستاذ السابق بكلية ترنيتي أهدى إلى مكتبة الجامعة عدداً من الأوراق الخطية القبطية القديمة ، يتراوح بين ثمانين وتسعين ورقة

وترجع أهمية هذه الأوراق إلى أنها تمثل أشكالاً مختلفة للحركة الأدبية في العهود التي جاءت بين القرن الخامس إلى القرن الثامن ، وقد وجدت هذه الأوراق في الدير الأبيض المشهور في جوار أخميم

حول الفن المنحط – كلمة أخيرة

أساء الأستاذ أنور كامل فهم الروح التي أملت عليّ كلمتي المنشورة في العدد ٣١٦ من الرسالة تحت عنوان « فن منحط برغم ذلك » والتي أثارت الأستاذ والجماعة التي فوضت إليه أمر الكلام عنها — ومن حق أن أعتقد أن الأستاذ على استعداد لمناقشة الآراء التي يستهدي بهديها بعد أن قال عن جماعته : « وأغراضها تنحصر في الدفاع عن حرية الفن والثقافة وفي نشر المؤلفات الحديثة وإلقاء المحاضرات ... » (الرسالة عدد ٣١٥ ص ١٤٢٦)

وقد أتحت له بكلمتي هذه فرصة طيبة للاعلان عن جهود جماعته في مجلة عالية كالرسالة؛ ولكن الأستاذ تخاذل ونشر في العدد ٣١٧ من الرسالة كلمة تختلف في روحها اختلافاً كبيراً عما نشره في العدد ٣١٥ ، وترك الفرصة تفلت من يده لا لشيء إلا لأنه لا يمكنه الدفاع عن الفن الذي يروج له ، لا عن طريق الفكر المنطقي المقنع ولا عن طريق البيان الذي يلهمه الإيمان الحار الذي يتدفق من القلب ويتصل بالقلوب مباشرة فتقتنع به. ومن الراجح (كما هو ظاهر لكل قارئ) أن الرسالة لم تنشر الرد الذي بعث به إليها الأستاذ كاملاً بل حذفت منه ما لا يتفق مع أدبها العالي ومستواها الرفيع. وأنا لا يهمني أن يسبني الأستاذ الفاضل ولن أثأر لما ينال شخصي بحال من الأحوال ، وإني أؤكد للأستاذ ولأسرة الرسالة أني كتبت ما كتبت مؤمناً بأن الفن الحديث متاهة يضل فيها الكثيرون وأن المناقشة فيه ودرسه خير طريق لتمحيصه ومعرفة حقه من باطله فقد يدلني الأستاذ كامل على ما أجهل وقد أدله على ما يجهل

وأعيد هنا أني رأيت طرفاً مما رسمه بعض أعضاء الجماعة. وإني لأكرر بكل قواي أنه فن منحط ؛ فرسومهم تستند إلى مذهب السير ريالزم Sur realism وهذه حركة فرنسية محضة باعثها الأول نظريات العالم سيجموند فرويد . وللدلالة على طبيعة اتجاه هذه الحركة نقتبس قول أحد أقطابها وهو الأديب أندريه بريتون André Breton :

« إن نزوات الأفكار في الأشخاص المتوهين تتفق اتفاقاً مقرراً مع بعض افتراضاتي العزيزة . إن ظاهرة الكتابة الآلية قد تأتي بنتائج مدهشة . نحن لا نعترف بشيء مطلقاً . إننا نعتقد بقدرتنا على اختزال أو التغلب على العقل والإحساسات الجميلة . نحن نحس العطف على كل الأحزاب الثورية. نحن لا نؤمن بالتقدم الإنساني . إننا نريد أن ندعم كل حركة معارضة بعنف مجازفين بأعمارنا . الزمن لا وجود له . إني أفضل أن أحطم على أن أشيد. نحن نصر على مراجعة القيم الفنية مراجعة كاملة . نحن لا نؤمن بالنبوغ الأدبي؛ والصفة الأدبية literary quality ليس لها إلا قيمة ثانوية . إننا ننقم على الحقيقة الحاضرة »(١)

وأظن أن الحركات الفنية لا تنتقل بمثل هذه السهولة من قطر إلى آخر ... دعك عن حديث الشخصية والإلهام ...

أما الشطر الاجتماعي من جهود الجماعة فإني أتمنى له الازدهار والأثمار البكر وأقدم اعتذاري للأستاذ الذي ثار وهاج لأني وضعت فيه ثقتي ودعوته دعوة بريئة للحديث عن الفن

* * *

وكان كاتب هذه المقالات قد وعد قراء (الرسالة) بسلسلة مقالات عن الفن . وقد قاربنا الانتهاء من إعداد هذه المقالات وسننشرها في الرسالة قريباً تحت عنوان « الفن كما أومن به » وبذلك نؤدي ما نعتقد أنه واجبنا المحتوم

نصري عطا الله سوس

(١) عن كتاب Bohemian, Literary & Social life in Paris



فرعون الصغير
وقصص أخرى

تأليف الأستاذ محمود تيمور

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

يعتبر القاص محمود بك تيمور أشهر الكاتبين للأقصوصة في العالم العربي . وقد أصدر إلى اليوم نحو عشر مجاميع قصصية تحتوى على نيف ومائة أقصوصة تمتاز كل واحدة منها بطابعها المحلي ، وقد ترجم بعض هذه الأقاصيص إلى الألمانية ، والبعض الآخر إلى الفرنسية . كما ترجمت أقصوصة له إلى الإيطالية كنموذج من فنه القصصي . وقد نالت أقاصيص محمود تيمور شيئاً من التقدير في الدوائر الأدبية الغربية ، ذلك أنه صاحب اقتدار على كتابة الأقصوصة ، وهذا الاقتدار يجيء في الأصل من طبيعته الفنية التي دارت حول الحياة ومشاهدها ومجاليها ، متأثرة من جهة بأجواء القصص الأوربي ، ومن هنا ما في أقاصيصه من شدة الصلة بأقاصيص جي دي موباسان ، وتشيكوف ، وذاهبة من جهة أخرى تنقل عن المحيط المصري ، ومن هنا ما في أقاصيصه من الطابع المحلي .

وتيمور بك فنان يرتبط نظره بصور الأشياء ، ومن هنا ترى ما في أقاصيصه من الرجوع إلى الحياة ، والنقل المباشر عن مرائيها ومظاهرها . ولهذا كان إبراز مظاهر الحياة في أقاصيصه مرتبطاً بقدرته على الوصف ، والوصف عنده هادئ ، ومن هنا يغلبه بعض من التدقيق ، وعلى هذا الوجه فقط يمكن فهم منحى تيمور بك الفني في أقاصيصه . وربما كان ما في طبيعته من الهدوء هو الأصل في غلبة النزعة الواقعية الساذجة التي تتراءى للنظر من آثاره . فالهدوء يفسح لعقله المجال للتداخل لتصفية ألوان الشعور وضبطها في نسب دقيقة مع الفكر ، بحيث يسوق إلى خلق توازن بين العقل والمشاعر ، وهذا التوازن يحمل الواقعية حين يتصل بموضوع أقصوصة . وهو عادة يدور من ناحية شكلية ، فتجد نظرة محمود تيمور ترتبط بمظاهر الأشياء وسطوح الحياة ، ومن هنا يمكن أن نقول بأن الأصل الواقعي في فن تيمور بك ساذج إذ هو نتيجة للوصف الحسي .

وخير ما يقال في أقاصيص تيمور بك أنها قطع من الحياة منتزعة في كل بساطة وصدق . فهي صفحة ساذجة من الحياة ؛ إن لم تر موضوعاً فيها تدور حوله الأقصوصة ، أو غرضاً ترمى إليه ، فإنك تستشف من وراء أقاصيص الرجل صفحات من الحياة يعرضها عليك في دقة مشهورة بأسلوب الوصاف لا بريشة الرسام أو المصور .

وتعتبر « المجموعة » التي أصدرها في هذه الأيام من خير مجموعاته القصصية ، وهي مصدرة ببحث عن المصادر التي ألهمته الكتابة . وهذا البحث في الأصل محاضرة ألقيت بقاعة يورت بالجامعة الأمريكية مساء ٥ مارس سنة ١٩٣٨ . وقد وفق فيها تيمور بك إلى حد كبير في سبر غور الموضوع الذي يطرقه ، كما نجح نجاحاً يذكر في الكشف عن العوامل التي اكتنفته فوجهته توجيهاً أدبياً صرفاً ، وعملت على طبعه بطابع خاص . ومن رأى تيمور بك أن العوامل التي تحدد كل كاتب وتكونه هي ثلاثة أمور أساسية : وراثة وبيئة وحوادث ، تتداخل فتجرى مجرى الحياة الباطنية من طريق إلى آخر . ويرى هو أن عامل الوراثة يتمثل معه فيما أورثه إياه والده من حب الكتابة ، وشقيقه المرحوم محمد تيمور من حب الأدب القصصي . وهذا العامل قد ساقه بتداخله مع بيئته إلى الأدب ، كما أنه يرى أهم العوامل التي أثرت فيه متصلة بأسباب مطالعته . وأهم الكتب التي تركت أثراً في ذهنه : هي ألف ليلة وليلة ، وأقاصيص موباسان ، وتشيكوف . على أننا نلاحظ على هذا الفصل أن الكاتب وقف في بسطه للموضوع

وسبر أغوار نفسيته عند الجمل . فلم ينزل به إلى التفاصيل التى تعين على رسم صورة حقيقية دقيقة عنه .

وفى هذا الفصل مطالعات تستوقف النظر : أهمها رأى الكاتب فى « ألف ليلة وليلة » ، وتفسيره لقوة الخيال فيها بأنها ترجع إلى كونها — جاءت عن طريق الفرس — وهذه ملاحظة قيمة لما دلالتها القوية على بعد نظر الكاتب وعدم جريه وراء الأوهام التى يجرى وراءها بعض الذين يكتبون فى الأدب العربى من الكتاب المعاصرين .

أما المجموعة نفسها ، فتحتوى على اثنتى عشرة أقصوصة ، تستهل بأقصوصة « فرعون الصغير » . وهى أقصوصة يبرز فيها اللون التخيلى romanische من حيث يتغلب على بناء الأقصوصة الجو الخيالى . على أن هذه التخيلية عند الكاتب فى هذه الأقصوصة تجعل فكرة الأقصوصة غير متسقة فى أجزائها . فى هذه الأقصوصة نجده يصور الشاب بطل الأقصوصة شاباً فى سن السابعة عشرة — مدفوعاً إلى ذلك بفكرة أولية ، هو أن يخلق صلة شبه بين الشاب والفرعون الصغير توت عنخ أمون الذى مات فى السابعة عشرة ، أو الثامنة عشرة من عمره — وهذا التصور الأنيق فى بناء القصة مع الدور الذى يقوم به الشاب من أنه تخلف عن داره وبات خارجها مع الأمريكية الحسناء .

وفى الأقصوصة الثانية وهى « غريم » نجد تيمور بك يقيم هيكل أقصوصة على أساس من تنازع العواطف ، وهذا ما تراه واضحاً فى شخصية رشدية يسرى . وهذا اللون الباطنى وإن كان خفيفاً فى هذه الأقصوصة ، فهو يعود إلى علم النفس الحديث ، والتأثر بالفريدوية Freudism واضح فيها . على أنه فى وصفه لشخصية رشدية يسرى تنتبه فيه ملكته الواقعية الساذجة ؛ فتراه يعمد لتصوير شخصيتها فى دقة وبساطة . وهى فى تصويره لشخصيتها يبدو وبيده ريشة المصور من حيث يستخدم الألوان ويمزجها لخلق الأطياف والظلال . على أنه فى تصويرها يبدو لى وكأنه نظر لقصة بنت زيد لرفيق خالد بك القصصى التركى الكبير حين عرض لتصوير « زليخا » بطل قصته

وفى الأقصوصة الثالثة وهى « حزن أب » نجد تيمور بك يبرز شخصية « الشيخ عساف » فى صورة إنسان قد توزع فيه الإحساس بعد أن صدم بوفاة ابنه ، وهو ينتهى من تصويره بأن يريك الأب قد انتحر ... وبهذا تخلص من توزع مشاعره وإحساساته . وجو الأقصوصة يوحى بلون باطنى ، ولكن لا يكاد يستشف منها ، وإن أمكن إدراك لونها ، بأن تترك القصة توحى إليك بجوها ألوانها الباطنية . وهكذا يمكنك أن ترى من مجرى حوادث الأقاصيص أن التخيلية من جهة والباطنية من جهة أخرى أخذت تطغى على الواقعية الساذجة ، ولكن بدون أن تغرقها . وهذا التطور عند تيمور بك طبيعى لأنه رجل فنان وفنه يستولى عليه ، ويختار التعبير الذى يتسق مع الجو الذى يضطرب فى طوايا نفسه

والحق أن هذا التطور عند تيمور بك يعتبر تلطيفاً لجمود الواقعية . والأصل الواقعى ثابت من نفسه بعد ذلك ، ولا أدل على ذلك من ظهوره بصورة خيوط تتعارض فى نسيج أقاصيص الرجل . . .

هذه مجموعة أقاصيص « فرعون الصغير » وهى مجموعة طيبة من الأقاصيص تدل على تطور الفن القصصى عند تيمور بك ولكن مع استناده إلى الأصل الثابت من نفسه ، وهى من هنا خليقة بالعناية والتدقيق والاعتبار من أدباء العربية . اسماعيل احمد أدهم

* * *

وقع خطأ فى ردى الأخير على الدكتور بشر فارس هو ورود كلمة report الإنجليزية وكأنها تنظر إلى كلمة rapport الفرنسية . والصحيح أن الكلمة الفرنسية تنظر إليها فى الإنجليزية كلمة relation أو rapport وقد استعمل الوجه الأخير G. W. Swain فى ترجمته لكتاب دوركايم . كذلك جاء فى المقال ص ١٥٢٤ س ١ كلمة الغمزات مكان الفراسة كما جاءت فى أكثر من موضع كلمة التقدير مكان التقرير . كما ورد ص ١٥٢٦ س ١٠ كلمة التقدير زائدة . ولهذا لزم التنويه .

7me Année No. 320

Lundi - 21 - 8 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ رجب سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

الحلف العـــربى
وقضيتا فلسطين وسورية
للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

منذ بضعة أسابيع نشرت لى مجلة « المكشوف » البيروتية فى عددها الممتاز كلمة عن الوحدة العربية بينت فيها ما يتيسر من ذلك فى الوقت الحاضر ، وهو أن يكوّن الأمم العربية — أو التى لغتها العربية — فيما بينها حلفاً قوياً وطيد الدعائم يوحد نظم التعليم العام ، ويزيل الحواجز الجمركية ، ويلغى الجوازات ، وينظم التبادل التجارى ، ويوثق الروابط الاقتصادية ، ويوحد النظام العسكرى ، ويعين على إنصاف الأمم العربية التى لم تفز إلى الآن بحقها فى الحياة الحرة مثل : تونس والجزائر ومراكش ، ويجعل من هذه البلاد كلها كتلة واحدة وصفاً متراصاً متعاوناً للدفاع عن وجودها وصون مصالحها والذياد عن كيانها . وقلت : إن هذا مطلب ليس فيه شطط ، فإنا نرى فرنسا وبريطانيا تسعيان لمحالفة الروسيا الشيوعية على الرغم مما بين الدول الثلاث من تفاوت فى الأصـول واللغة والنظم الاجتماعية والسياسة والأغراض والمصالح والمواقع الجغرافية

وقد نقلت جريدة البلاد البغدادية هذا المقال ، وعقبت عليه بقولها : إن الحلف الذى أدعو إليه قد فكر فيه العراق « وأوجد

مشروعه فعقد معاهدته مع المملكة العربية السعودية ودخلت فيه مملكة اليمن ، وبابه مفتوح لدخول كل دولة عربية أخرى »

وأنا أعرف ذلك وما نسيته ولا أنسيته يوم كتبت كلمتي إلى المكشوف . وقد كنت في بغداد لما كانت المفاوضة دائرة بين العراق والمملكة العربية السعودية لعقد هذا الحلف ، وقبيل الأوبة إلى مصر بشرنا السيد يوسف يسن مندوب الدولة السعودية ، والمرحوم يسن باشا الهاشمي رئيس الوزارة العراقية يومئذ ، بأن الاتفاق تم ولم يبق إلا التوقيع ، فكان هذا أعظم ما سرنا وخير ما عدنا به من بغداد

وما زال الحلف قائماً ولا شك في فائدته للدول الداخلة فيه ولكني لا أعلم أن الفائدة تجاوزت هذا النطاق المحدود . وإذا كانت العراق واليمن والمملكة العربية السعودية قد تعاونت على السعي لإنصاف فلسطين فقد اشتركت معها في ذلك مصر وهي غير داخلة في الحلف ، وقد كسبت هذه الدول الأربع لفلسطين العدول عن الوطن القومي وحصر الهجرة اليهودية إليها في نطاق الثلث ، وهذا فوز له قيمته ولا ريب ، ولكني أجترئ على القول بأن الفضل فيما كسبت فلسطين العربية لأبنائها الأشداء الأبطال المغاوير قبل أن يكون لهذه الدول العربية ، ولو لم يقم عرب فلسطين قومتهم الباهرة لما أجدى سعي البلاد العربية الأخرى منفردة أو مجتمعة . ومع ذلك أصبح هذا الكسب عرضة للضياع إذا اعتبرنا ما يحدث كل يوم من تهريب اليهود إلى فلسطين وإدخالهم فيها بكل وسيلة غير مشروعة لإحباط سياسة الكتاب الأبيض فيما يتعلق بتحديد الهجرة والعدول عن الوطن القومي ، وهؤلاء اليهود يجيئون من بلاد لا تضطهدهم ولا تسومهم شيئاً من العذاب أو الظلم وإنما يُجمعون ويُرسلون إلى فلسطين ليقاوموا السياسة الجديدة كما صرح زعماء اليهود بذلك

وأنا أعلم أن الجنرال نوري السعيد باشا رئيس الوزارة العراقية هدد في لندن بسوء العاقبة إذا لم تعمل بريطانيا على إنصاف عرب فلسطين، وكان لوعيده هذا أثره يومئذ في المؤتمر

ولكن على الرغم من تعاون البلاد العربية في المؤتمر ودخولها فيه وخروجها منه كتلة واحدة، وعلى الرغم من تهديد نوري باشا لم يفز العرب بأكثر من خمسين في المائة من مطالبهم العادلة وحتى هذا القدر يمحوه التهريب اليهودي الآن

ودع فلسطين وانتقل إلى سوريا وانظر ما حل بها

هذه فرنسا عقدت معها معاهدة صداقة وتحالف على مثال المعاهدة العراقية البريطانية، وما نظن أن أحداً سيدعي أن فرنسا أرغمت على ذلك أو أن سوريا أملتها عليها بحد السيف، ومع ذلك راحت تماطل في إبرامها ثم نقضت سياسة المعاهدة جملة وتفصيلاً وقضت على الحكم الدستوري وقطعت البلاد إرباً، وزادت فاقتطعت الإسكندرون وتفضلت فأهدتها إلى تركيا . وليس ما صنعته ألمانيا بتشيكوسلوفاكيا بشر مما صنعت فرنسا، فما كانت تشيكوسلوفاكيا أمانة في عنق ألمانيا وإنما كانت شوكة في جنبها وضعتها هناك سياسة فرنسا ـ وليس هذا دفاعاً عن ألمانيا وإنما هو الحق . وإذا كان المرء لا يجد ما يصلح أن يكون دفاعاً عن ألمانيا في هذا الباب على الرغم من الحقائق المعروفة فأي دفاع يمكن أن يكون هناك عن فعلة فرنسا في سوريا من إهدائها الإسكندرون إلى تركيا، وتقسيمها ما بقي من البلاد السورية إلى محافظات مستقلة إدارياً وقضائياً ومالياً وحكمها جميعاً حكماً مباشراً ، وإهمال المعاهدة التي عقدت في سنة ١٩٣٦ ؟

والشعب السوري من أسبق الشعوب إلى اعتناق الفكرة العربية والدعوة إلى الوحدة ومن أرقاها وأخلقها بالحياة الحرة . وإذا كانت سوريا لا تستحق الاستقلال فلا ندري من ذا يستحقه ؟ وإذا كانت سوريا التي احتمل رجالها أثقل أعباء الثورة العربية في إبان الحرب الكبرى والتي كانت ولا تزال إلى هذه الساعة على الرغم من محنتها أقوى مؤيد للحركات الاستقلالية في كل بلد عربي ـ تقابل نكبتها بمثل هذا الفتور ، ولا أحب أن أقول الجحود ، فلا أدري أية أمة أخرى أولى بالمعاونة والنجدة ؟

أنا أعرف كما قلت أن هناك حلفاً عربياً بين العراق والدولة العربية السعودية واليمن ، ولكني أستأذن صديقي الأستاذ روفائيل بطي صاحب « البلاد » البغدادية في أن أقول إن هذا الحلف لا يمكن أن يؤتي الثمرة المرجوة منه ما بقيت فلسطين وسوريا ترسفان في الأغلال، فإن هذين البلدين هما قلب البلاد العربية

إن البلد العربي الوحيد الذي يسعه أن يدخل في الحلف العربي الآن هو مصر ولكن دخولها فيه لا يوجد معدوماً ، ولا يضيف ناقصاً ، ولا يزيد شيئاً على علاقات الود والتعاون بين مصر وبلاد الحلف (العراق والمملكة العربية السعودية واليمن)

وإنما الذى يكسب الحلف وزناً جديداً وقيمة عملية من العسير أن تتيسر له الآن هو استقلال فلسطين وسوريا ودخولها فى الحلف وبذلك تصبح البلاد العربية (إلى آخر حدود مصر الغربية) كتلة واحدة حقيقية فى وسعها أن تتعاون على مواجهة الطوارئ وملاقاة الأحداث ودفع الأخطار . وليس ذلك لأن سوريا وفلسطين أكثر عدداً أو أوفر مالاً أو أقدر أو أكفأ بل لأن بقاء هذه البلاد خاضعة لسلطان دول أجنبية يشطر البلاد العربية شطرين ويجعل التعاون العملى بين الشطرين متعذراً ويحول دون القيمة التى يسهل أن تستفاد من اتصال الحدود وزوال الفواصل والعوائق

وإلى أن يتم استقلال سوريا وفلسطين لا يجوز الاكتفاء بالقول أن الحلف العربى موجود وقائم وأن بابه مفتوح لمن يريد الدخول فيه فما يتغير شىء حقيق بدخول مصر فيه قبل استقلال سوريا وفلسطين . وإلى هذا ينبغى أن يتجه السعى قبل كل شىء . وما أظن إلا أن إخوانى فى العراق يقرون هذا الرأى .

ابرهيم عبد القادر المازنى

كتاب مستقبل الثقافة فى مصر

الثقـــافة العامة

وتعليم اللاتينية واليونانية

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

(تابع)

أما الفوائد التى تعزى إلى «تعليم اللاتينية واليونانية» من وجهة خدمات هذا التعليم لـ «تثقيف العقل وتقوية الحاكمة» فمن الأمور التى تحتاج إلى إنعام النظر من وجوه عديدة :

فإن نظم المعارف السائدة فى أوربا ، كانت جعلت «الدراسة الثانوية الممزوجة بتعليم اللاتينية واليونانية» السبيل الوحيد الذى يؤدى بالطلاب إلى الدراسات العالية . ولا حاجة للبرهنة على أن عدم وجود سبيل آخر يؤدى إلى ميادين الفكر والثقافة الفسيحة ، لا يمكن أن يعتبر دليلاً على عدم إمكان إيجاد سبل أخرى أقصر وأحسن وأنفع من ذلك السبيل . . .

كما أن ذكر الأمثلة الكثيرة عن أعاظم العلماء الذين كانوا من النابغين والمتقدمين فى دروس اللاتينية ، لا يمكن أن يبرهن على أية قضية كانت فى هذا المضمار . لأن التفكير العلمى الصحيح يتطلب التساؤل – تجاه مثل هذه الأمثلة – عما إذا كانت اللاتينية من عوامل نموّ عقول هؤلاء العلماء ، أم أن مواهبهم العقلية كانت من أسباب تقدمهم فى اللاتينية ؟

ونرى من المفيد أن نوضح هذه القضية بمثال مادى : لنفرض أننا أخذنا حفنة من الحبوب وغربلناها بغربال معين ؛ من الطبيعى أن هذا الغربال سيسقط الحبوب الصغيرة ، وسوف لا يحتفظ إلا بالحبوب الكبيرة . فهل يجوز لأحد أن يدعى – عند ما يشاهد هذه الحبوب الكبيرة – أن الغربال سبّب «تنمية الحبوب» ؟

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هل يجوز لأحد أن يدعى أن هذا الغربال هو الواسطة الوحيدة لانتقاء البذور ؟ أو أن الغربلة هى أحسن الوسائط لهذا الانتقاء ؟ وهل لأحد أن ينفى احتمال سقوط بعض الأنواع من البذور الثمينة والنافعة – مع ما يتساقط من الغربال ؟ أو ألا يسلم باحتمال بقاء الأنواع من البذور الرديئة والمضرة ، بين ما يبقى فى الغربال ؟

إننا لا نقصد فى سوق هذا المثال وإيراد هذه الأسئلة أن ندعى أن «عمل اللاتينية فى العقول لا يختلف عن عمل الغربال فى الحبوب» بل إننا نود أن نقول : إن هذه القضايا كثيرة التعقيد كما يظهر من المثال المادى البسيط الذى ذكرناه ؛ فلا يجوز لنا أن نبت فى مثل هذه القضايا قبل أن ندرسها من جميع وجوهها ونقوم بأبحاث دقيقة وشاملة فى شأنها ...

فلنفكر كيف يمكن أن يؤثر «تعليم اللاتينية» على القابليات العقلية . لا شك فى أن هذا التأثير يجب أن ينجم عن ممارسة تمارين الترجمة التى تجرى خلال هذا التعليم . فإن الترجمة تحمل الطالب بطبيعتها على القيام بأعمال ذهنية هامة : إنها تمرنه على نقل الفكرة الواحدة ، أو المعنى الواحد من لغة إلى لغة أخرى ؛ وذلك يضطره إلى تحليل المعاني والعبارات إلى عناصرها المختلفة ، ويحمله على إجراء مقارنات دقيقة بين عبارات اللغتين وبعوده ملاحظة أصغر الفروق وأدق الألوان فى معانى الألفاظ والعبارات التى تعرض عليه أو تخطر بباله ... إن الفوائد التثقيفية التى ينتظر الحصول عليها من تعليم اللغة اللاتينية أو اليونانية ، لا تخرج عن نطاق فوائد هذه التمارين من وجهة التأثير على القابليات العقلية . ولا مجال للشك فى أن جميع هذه الفوائد لم تكن من خصائص

تعليم اللاتينية أو اليونانية ؛ بل هي مما يمكن الحصول عليها خلال تعليم أية لغة من اللغات الحية الراقية أيضاً ...

إن هذه القضية كانت من أهم المسائل التي احتدم النزاع عليها ودارت المباحثات والمناقشات حولها ... وقد قام عدد غير قليل من علماء النفس ورجال التربية ، يدرس هذه المسألة علمياً وتجريبياً . فقد قاموا باختبارات واسعة النطاق ، وبرهنوا على أن اللاتينية لا تمتاز على سائر اللغات — من حيث القابلية التثقيفية — بوجه من الوجوه

فلا يجوز لنا مع ذلك أن نتوسل بتعليم لغة ميتة إلى « تثقيف العقل » ؛ بل الأجدر بنا أن نصل إلى التثقيف المذكور عن طريق تعليم لغة حية ليستطيع الطلاب أن يستفيدوا منها في الوقت نفسه طول حياتهم الفكرية والاجتماعية

وعند ما فكرت أنا في هذا الموضوع — على ضوء الآراء والأبحاث التي أشرت إليها — تذكرت قصة صغيرة كنت قرأتها في كتاب مدرسي ، بين موضوعات الإنشاء :

كان رجل يعتمد في تدبير معاشه على نتاج مزرعته . فلاحظ يوماً أن البركة أخذت تذهب عن مزرعته ، وأن النتاج أخذ يقل عن حاجته ، فشكا حاله إلى أحد أصدقائه ، فوعده صديقه هذا بسؤال أحد السحرة ، لتدبير مسألته . فأتى إليه — في اليوم التالي — بعلبة سحرية ، قال إنها كفيلة بإعادة البركة إلى مزرعته على أن يستصحبها معه كل ليلة إلى بعض أنحاء المزرعة — من الاصطبل إلى مخزن الحبوب — فأخذ الرجل يعمل بوصايا صديقه ويطوف بالعلبة السحرية في الأنحاء المذكورة . ولم تمض على ذلك مدة طويلة ، إلا وقد رأى أن العلبة عملت عملها السحري ، وأعادت البركة إلى مزرعته. غير أن هذه العلبة ، كانت في حقيقة الأمر علبة اعتيادية فارغة ؛ وأما سحرها ، فقد نتج من اضطرار الرجل إلى الطواف بها ليلاً في مختلف أنحاء مزرعته ؛ لأن هذا الطواف ، ساعده على ملاحظة أحوال مزرعته ، ومراقبة أعمال مأجوريه ، ووضع حد لجميع الأسباب التي كانت تؤدي إلى تناقص موارده .

إنني أشبه عمل اللاتينية في حقل التفكير ، بعمل « العلبة السحرية » التي ذكرتها . فإن السحر ليس فيها ، بل في الأعمال الذهنية التي تجري بواسطتها . ولا حاجة للبيان أن هذه الأعمال مما يمكن أن تجري دون وساطتها ، بل بواسطة أية لغة من اللغات الحية الراقية ...

إن المناقشات التي ثارت حول مسألة تعليم اللغات القديمة لم تحمل وزارات المعارف في فرنسا على إحداث بعض الإصلاحات لمجابهة الحاجات إلا بعد انقضاء النصف الأول من القرن الأخير

وأما أول التدابير العملية التي اتخذت في هذا الباب فقد كان إحداث نوع جديد من الدراسة الثانوية في عهد وزارة (ديكتور دوروى) . عرف هذا النوع الجديد باسم « التعليم الخاص » واستغنى عن تعليم اللغات القديمة ، وجعل غايته إعداد الطلاب للمدارس العالية الاختصاصية التي تفتح أمامهم سبل الدخول إلى الحياة العملية

غير أن إحداث هذا النوع من التعليم أثار هجمات أنصار اللاتينية ، كما أنه لم يحقق رغائب المجددين . فقد احتج عليه أنصار اللاتينية واليونانية قائلين « إن هذه الدراسة الجديدة ستجذب الشبان إليها من جراء قصر المدة التي تتطلبها والفوائد العملية التي تتضمنها ، وذلك سيؤدي إلى انصراف الشبان عن سبل العلم الخالص ، وإلى انحطاط الثقافة الفرنسية العالية » . قالوا لذلك بوجوب تطويل مدة الدراسة فيها لإزالة أسباب الإغراء منها

وأما معارضو اللغات القديمة فإنهم قالوا بأن هذا الإصلاح غير واف بالمرام ، لأنه أحدث سبيلاً جديداً للدراسات المهنية العالية وحدها ، وترك سبل الدراسات الجامعية على حالها ، في حين أنهم كانوا يطالبون بإصلاح تلك السبل أيضاً ؛ كانوا يعتقدون بوجوب إحداث نوع في الدراسة الثانوية لا يقصر في أهدافه السامية عن أهداف الدراسة الكلاسيكية الراهنة ، ولا يهمل شيئاً من المرامي الثقافية التي عرفت باسم « الإنسانيات » منذ عصر النهضة. إنهم كانوا يدعون إلى إحداث « إنسانيات عصرية » تعوض اللغات القديمة باللغات الحية ، دون أن تحيد عن أهداف العلم الخالص والدراسة الجامعية ...

ولذلك ثابر هؤلاء على مطالبهم إلى أن جاءت وزارة (ليون بورجوا) وخطت خطوة جديدة في السبيل الذي كانوا يدعون إليه ؛ إذ أنها حولت « التعليم الخاص » إلى فرع ثانوي جديد عرف باسم « التعليم العصري » . وأصبحت الدراسة الثانوية بعد ذلك متفرعة إلى فرعين متوازيين : كلاسيكي وعصري

بدأ هذا الفرع الجديد يشق لنفسه الطريق بين أنواع شتى

من الموانع والمشاكل — من قلة الوسائط إلى خصومة المحافظين وعراقيل المارضين — إذ أن أنصار اللغات القديمة والتعليم الكلاسيكي بذلوا كل ما لديهم من قوة لتحذير أولياء الطلاب من الاعتماد على نتائج هذه البدعة ، وحرصوا حرصاً شديداً على إبقاء الجامعات موصدة الأبواب أمام متخرجي الفرع العصري من الدراسة الثانوية

فاستمر النزاع والنقاش ، ووصل الأمر — في أواخر القرن — إلى درجة من الحدة اضطر معها مجلس الأمة إلى القيام بتحقيق برلماني خاص ؛ فألف لجنة لدرس مسألة الدراسة الثانوية من جميع وجوهها دراسة واسعة النطاق . فاستمعت اللجنة لآراء عدد كبير من رجال العلم والأدب والتربية والتعليم ، من رؤساء الكليات والجامعات إلى كبار رجال العمل في المهن المختلفة وخصصت في أبحاثها موقعاً خطيراً لدرس مسألة التعليم العصري والتعليم الكلاسيكي

وقد أظهر هذا التحقيق الشامل عدة حقائق مهمة حول مسألة تعليم اللغات الميتة في المدارس الثانوية

إن الدراسة الكلاسيكية المستندة إلى تعليم اللغات القديمة ، كانت لا تزال تتمتع بشهرة عظيمة بين أولياء الطلاب . كان المثقفون منهم قد نشأوا نشأة كلاسيكية ، فتعودوا أن ينظروا إلى أن معرفة اللاتينية — معرفة تمكن من ترصيع الكلام ببعض عبارات منها عند الاقتضاء — من دلائل « الامتياز الفكرى » ولوازم « الأرستقراطية المعنوية » ؛ ولذلك قلما كانوا يرضون لأولادهم نوعاً من الثقافة تحرمهم هذا الامتياز ، وتحط من منزلتهم الاجتماعية . وأما الذين كانوا نشأوا نشأة أبسط من ذلك — ومع هذا أخذوا يطمعون برفع منزلة أولادهم عن طريق تعليمهم تعليماً راقياً — فكانوا لا يرضون لأولادهم أن يفترقوا عن أولاد الفريق الأول في هذا الميدان ... ولهذا ظلت رغبة الأكثرية متجهة نحو التعليم الكلاسيكي القديم ...

وزد على ذلك أن معظم مديرى المدارس الثانوية ومعلميها أيضاً كانوا متشبعين بفكرة تفوّق الدراسة الكلاسيكية على العصرية ؛ ولذلك كانوا لا يفتأون يشوّقون التلاميذ الأذكياء إلى اختيارها ... حتى أن البعض منهم كان يغالى في هذا الاعتقاد أشد المغالاة ، فيظهر الفرع الجديد بمظهر « ملجأ المتأخرين » من الطلاب ، ويبذل كل ما لديه من قوة لإقناع المتفوقين منهم للرغبة عن هذا الفرع ...

وأخيراً كان في خدمة الدراسة الكلاسيكية جيش كبير من المعلمين المتمرنين المزوّدين بأحسن الاختبارات وأطول التقاليد ؛ في حين أن الدراسة العصرية كانت في حاجة شديدة إلى معلمين خبيرين ، يحسنون القيام بالمهام المطلوبة من هذه الدراسة الجديدة . . .

ومع كل ذلك قامت الدراسة العصرية بأعباء التثقيف أحسن قيام وأعطت نتائج باهرة ، لا تقل عن نتائج الدراسة الكلاسيكية

واللجنة قررت (بعد ما اقتنعت بذلك) إبقاء الفرع العصرى في الدراسة الثانوية (مع العمل لتوسيعه وترقيته) ومع هذا قررت في الوقت نفسه الاستمرار على اشتراط معرفة اللاتينية ، للقبول في كليتى الطب والحقوق . غير أنه مما يلفت الأنظار ، أن القرار الأخير لم يتخذ إلا أكثرية ضئيلة جداً لأن الأصوات التى التزمت جانب اشتراط اللاتينية للقبول في الكليتين المذكورتين لم تتغلب على مخالفيها إلا بصوت واحد فقط !

ولإظهار قوة الآراء المخالفة لذلك ، أود أن أذكر بعض الفقرات المستخرجة من التصريحات التى أدلى بها ثلاثة من رجال العلم والفكر في هذا الصدد : وهم ليون بورجوا ، وأرنست لاويس ، وريمون بوانكاريه . . .

قال الأول ما مؤداه : نحن لم نعتقد أن الذين يتثقفون بالدراسات القديمة ، هم وحدهم جديرون بتكوين الأرستوقراطية الفكرية ؛ بل اعتقدنا بإمكان « إنسانيات عصرية » ، مستقلة عن اللغات القديمة ، اعتقدنا بأننا نستطيع أن نعطى نوعاً من الثقافة العامة ، تختلف عن الثقافة الكلاسيكية ، دون أن تكون أقل سمواً منها . . . فإن الدراسات الكلاسيكية بطبيعتها « كلامية » فلا تسد حاجات عصرنا هذا ، ومطالبه الفكرية والأدبية والاجتماعية ... إن العالم قد تبدل تبدلاً أساسياً منذ عشرين قرناً ؛ فالثقافة الكلاسيكية التى توارثت مكتسبات الحضارات القديمة وقيمها ، أصبحت بعيدة عن ملاءمة الحضارة الحالية ... »

ثم جابه مخاطبيه بالسؤال التالى : « أيها السادة ، لنستنطق أنفسنا بكل صراحة ؛ من منا يستطيع أن يقول بأنه تذوق ما في مآسى « سوفوكليس » أو محاورات أفلاطون ، من جمال فنى ، على طريق قراءة نصوصها الأصلية ... إذا لم يكن قد أولع باللغات القديمة ولماً شخصياً ، فتعمق في دراستها بعد

الانتهاء من الدراسة الكلاسيكية ؟ أما أنا فأعترف – من جهتى – بكل إخلاص – بأننى لم أفهم عظمة « أوديب الملك » إلا فى الكوميدى فرانسيز . . . مع أننى كنت من المبرزين فى دروس اللغات القديمة وآدابها . . . »

وأما « أرتست لاويس » – الذى يعد من أشهر كتاب التاريخ فى فرنسا ، والذى ظل مديراً لدار المعلمين العالية مدة طويلة – فقد اعترف خلال تصريحاته بأنه كان مرتاباً فى نجاح تجربة الدراسة العصرية – عند إحداثها – غير أنه تخلص من هذا الريب ، بعد أن رأى النتائج الفعلية ، فأصبح يعتقد بأن قيمة الثقافة التى تكتسب خلال مثل هذه الدراسة ، لا تقل – بوجه من الوجوه – عن قيمة الثقافة التى تكتسب من الدراسة الكلاسيكية . وزيادة على ذلك فند الرأى القائل بضرورة اللاتينية لإجادة الفرنسية ؛ وصرح باعتقاده الجازم فى مساواة قيمة الثقافتين ؛ وقال بأن « الحجج التى تذكر لتبرير إيصاد أبواب كليتى الحقوق والطب أمام خريجى الدراسة العصرية ، ما هى إلا من قبيل الأوهام الباطلة التى لا تستند إلى تجربة وتفكير » وأظهر استعداده لمناقشة القضية ، عند الاقتضاء .

وأما « بوانكاريه » الذى كان من كبار رجال الفكر والحقوق ، والذى قام بأعباء وزارة المعارف ، وتدرج بعد ذلك إلى رياسة الوزراء فرياسة الجمهورية – فهو أيضاً قد دافع عن الدراسة العصرية من وجهة قيمتها الثقافية دفاعاً حاراً ؛ ورد على آراء القائلين بضرورة اللاتينية للدراسات الحقوقية رداً عنيفاً : فقد قال – فى هذا الصدد – ما مؤداه :

« إننى لا أستطيع أن أسلم بضرورة معرفة اللاتينية لدرس الحقوق الرومانية بل أقول بإمكان درس هذه الحقوق بأساليب جديدة غير التى تعودناها إلى الآن ، كما أعتقد بأنه لم يبق لهذه الحقوق من فائدة سوى متعتها التاريخية . فلست متأكداً من أن الاستعاضة عن دراسة الحقوق الرومانية بدراسة الشرائع المعاصرة ، لا يكون أشد موافقة وأكثر ملاءمة لمقتضيات الثقافة الحقوقية العصرية »

« هذا ، وإنى سأذهب إلى أبعد من ذلك وسأزيد على قولى قولاً آخر – مع علمى بأن هذا القول سيعتبر فى نظر البعض من ضروب الكفر والإلحاد – فأقول بدون تردد : إن سيطرة الحقوق الرومانية على الفكر الفرنسى المعاصر ، لا تخلو من مضار ... فإننا إذا شاهدنا محافلنا البرلمانية تسترسل فى المناقشات البيزنطية إلى الحد الذى نعرفه ، يجب أن نعلم أن مصدر ذلك إنما هى الأساليب الرومانية التى تعودناها فى تفهم وتصور المناقشات الحقوقية »

غير أن هذه الحجج القوية وأمثالها من التصريحات ، لم تتمكن من زعزعة الاعتقادات القديمة كلها من أذهان جميع أعضاء اللجنة البرلمانية ، ولذلك أيدت اللجنة – بأكثرية صوت واحد – النظام المتبع فى اشتراط معرفة اللاتينية للدراسة الحقوقية . غير أن ضآلة الأكثرية التى أقرت ذلك كانت دليلاً واضحاً على أن الحل المذكور لم يكن من الحلول التى تطمئن إليها الأفكار ، وتستقر عندها الأمور . بل كان من الحلول المؤقتة التى تؤجل النتيجة النهائية ، دون أن تضع حداً حاسماً للاختلافات . فكان من الطبيعى ألا تقف الأمور عند هذا الحد ، فتستمر المناقشات إلى أن يتقرر «مبدأ المساواة» بين الثقافتين الكلاسيكية والعصرية

وهذا ما حدث فعلاً ، فإن مناهج الدراسة التى وضعت بعد التحقيق البرلمانى الآنف الذكر ، حاولت أن توجد حلولاً متوسطة لكثير من المشاكل فأوجدت مثلاً نوعاً جديداً من الدراسة الثانوية ، يحتفظ باللغة اللاتينية ، ويضحى باليونانية لتعوضها بالعلوم أو اللغات الحية . ولا شك فى أن هذا النوع كان يشغل موقعاً متوسطاً بين « الكلاسيكية القحة » التى تتمسك باللغتين القديمتين فى وقت واحد و « العصرية البحتة » التى تستغنى عن هاتين اللغتين مرة واحدة ...

غير أن الإصلاحات التى تقررت بعد الحرب العالمية ، انتهت (بعد شىء من الجزر والمد) بتقرير حق المساواة بين الدراسة الكلاسيكية والدراسة العصرية ، واتخذت عدة تدابير عملية لضمان هذه المساواة بصورة فعلية . . .

هذا هو ملخص الأطوار الأساسية التى مرت بها مسألة تعليم اللاتينية واليونانية فى المدارس الثانوية والفرنسية .

(يتبع) أبو خلدون

الحق جاهد

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

إن الإنسان كلما كبر علمته التجارب أن التقاتل على أكثر الآراء عناء زائل وأمر حائل، وأن ما يدعى تقاتلاً على الحق إنما هو تقاتل على المطامع التى تدعى حقًا . قال أحد الفلاسفة : من المقرر فى علم الحساب أن جمع الاثنين والاثنين أربعة ولكن لو كانت هذه المسألة من مسائل الحياة التى تختلف فيها مطامع الناس ومطالبهم ومآربهم لكان بين الناس من يعتقد بإخلاص وحسن نية أن جمع الاثنين والاثنين خمسة أو سبعة أو تسعة حسب ما تقتضيه مطامعهم وفوائدهم . وكل منهم يعتقد بإخلاص أن جمع الاثنين والاثنين إذا كان فى رأيه خمسة أو سبعة أو تسعة غير مؤسس على ما تقتضيه المطامع والفوائد الخاصة ، وإنما وصل كل منهم فى اعتقاده إلى هذه النتيجة بالتخلص من لوازم شخصه وبالفكر النظرى الخالص من كل شائب . لكن الناس اتفقوا على أن جمع الاثنين والاثنين أربعة لأن هذا الجمع ليس من الأمور التى تختلف فيها مطالبهم أو فوائدهم . على أن الناس فى الحقيقة يختلفون فى جمع الاثنين والاثنين عند ما يخرجونه من حيّز المسائل الحسابية النظرية العارية وعند ما يلبسونه لباساً من مطالب الحياة وفوائدها واختلاف أوجه النظر فيها حتى تصير المسألة الحسابية البسيطة مقنعة غير ملحوظة فى أفكارهم ومطالب حياتهم وكأنها غير موجودة

أذكر أنى قابلت أثناء الحرب العظمى الماضية أحد أفاضل الأجانب ممن اتصف بالعدل وصدق النظر فى الأمور والاعتدال فى الرأى، وجرى بيننا الحديث عن الحرب والأمم المتقاتلة فيها فأطرى الفرنسيين وذم الألمان ، وأوضح أسباب المدح والذم . ثم انقضت الحرب وحاولت فرنسا بعدها بمحالفة الدول الأوربية السيطرة على القوى البرية فى أوربا وخشيت انجلترة أن تخل بالتعادل الدولى . وقابلت صاحبنا فذم الإنجليز ومدح الألمان وقال هم أبناء عمنا، وذكر أسباب المدح والهجاء . ولو قابلته الآن بعد أن عادت انجلترة وفرنسا إلى الوفاق وبعد أن قويت ألمانيا لعاد إلى رأيه الأول وصاحبنا هذا رجل عدل وإنصاف واعتدال فى أمور الحياة، وهو فى كل حالة كان يعتقد ما يقول، ويرى أنه الحق ولا حق غيره ، وهذا الفاضل ليس ببدع، فهذه سنة الناس فيما يسمونه حقاً يحورونه ويحولونه بإخلاص وحسن نية إلى ما يناسب آمالهم ومطالبهم وأحاسيسهم، وهم لا يشعرون بذلك التحويل، وعدم فطنتهم إلى هذا التحويل هو سبب اندفاعهم فى نصرة ما يسمونه حقاً وسبب إباحة كل وسيلة فى نصرته؛ ومن هذا الطريق يدخل نفس الفاضل الحسن النية ما يدخلها من شر وقسوة ولؤم، فكل إنسان فى الحياة يدخل فى معنى الحق ما يتفق وحالات نفسه وخواطرها وآمالها ومسراتها وصداقاتها وعداواتها، وما يناسب نشأته وثقافته الخاصة وميوله، وهو يُدْخل ما يدخله فى معنى الحق من غير أن يعمل عمل المنافق الذى يُخفى من رأيه غير ما يعرض على الناس ، ولو سمينا طريقته فى تحويل الحق إلى جانبه نفاقاً لكانت نفاقاً لا يحس صاحبه أنه نفاق

فإذا أضفت إلى هذا النفاق غير المقصود الشائع فى كل نفس ما تقصده أكثر النفوس من تضليل العامد إلى النفاق المدبر، ظهر أن محاولة معرفة الحق أمر جاهد حقا وظهر السبب فى خطأ الناس فى قدر ما يعرض عليهم من الأمور التى تسمى حقا . إذ أن السعار والضرواة فى نصرة ما يسميه كل إنسان حقا ليست مقصورة على صاحب النفاق المدبر الذى يعرف صاحبه أنه ينافق فيما يسميه حقا، بل إن الضراوة والسعار فى نصرة الحق أمران قد يلفيان فى نصرة صاحب النفاق غير المقصود لما ينتصر له من الأمر الذى يسميه حقا . ومن أجل ذلك قلما يعنى الناس أنفسهم بفحص ما يعرض عليهم من الأمور للوصول إلى الحق . فهم أيضاً فى حكمهم شأنهم شأن صاحب الأمر الذى يعرضه عليهم كى يقبلوه ، فهم إما يقبلونه على أنه حق إذا وافق هواهم وإما يعرفون بطلانه ووجه تزييفه ويدعون أنهم انخدعوا لصاحبه . فإذا خالف هواهم قالوا إنه باطل وهم فى كل حالة قد يغالطون أنفسهم ويدعون الفحص والتمحيص ويعتقدون ما يعتقدون أو ما يتظاهرون باعتقاده بحسن نية ، وقد يجتمع حسن النية والتظاهر ، إذ أن النفس تستطيع أن تخادع نفسها حتى فى تظاهرها بغير ما تبطن . ومن أجل غلبة الأهواء يقول البحترى :

أخىّ إذا خاصمت نفسك فاحتشد · لها وإذا حدثت نفسك فاصدق

فقال احتشد لها لأن النفس أغلب بالأهواء وأملك بميولها ،

وفى البيت إرشاد إلى ثقافة ولكن الثقافة نفسها قلما تخلو من أهواء النفوس وقلما يستطيع المرء أن يحتشد لنفسه إذا خاصمها بالحق وقلما يحاول أحد تلك المخاصمة وذلك الاحتشاد للحق مادام يلون الحق كما يشاء، ويصنعه صناعة أو يصطنع فى نفسه وهو لا يدرى .

والحق يختلف أيضاً باختلاف آراء المرء حسب حالات جسمه وأعصابه الناشئة من سقم أو صحة وقوة أو ضعف وحالات معدته ومطاعمه. ولو فكر المرء فى اختلاف الحق حسب اختلاف مطالب المرء ونشأته وثقافته وحالات نفسه وجسمه فإنه قد يستطيع مع إدمان الفكر أن يقلل من ضراوته وأكاذيبه وحقده وغيرها من الوسائل التى يناصر بها الحق، على حد قول القائل إن الغاية تبرر الواسطة، فيبرر ضراوته وأكاذيبه وحقده لأنه يستخدم هذه الوسائل فى نصرة الحق الذى هو أيضاً وليد أحاسيسه وحالات نفسه وجسمه

واستعراض هذه الأمور العديدة التى تشكل الحق فى نظره يسقط حجته فى أن الغاية الشريفة تبرر الواسطة الدنيئة إذ أن شرف الغاية معدوم أو إذا كان موجوداً فقلما يكون بقدر مايشرف الواسطة الدنيئة . بل إن الواسطة الدنيئة تقضى على بقية الشرف فى حقه الذى خالط فيه الصدق حاجات نفسه وميولها

والعصبيات تتلف الحق وتمنع المرء من الاحتشاد الذى أراده البحترى عند محاسبة النفس كعصبية المودة أو القرابة أو المصاهرة أو المنفعة المتبادلة أو عصبية الجوار والبلدة الواحدة ، وهذه العصبية الأخيرة قلما تكون إلا إذا اختلف أهل البلدة التى استفحلت عصبيتهم عمن حولهم من أهل البلاد الأخرى اختلافاً فى الجسم أو النشأة ، ولا عيب فى تلك العصبيات إذا التزمت جانب الشرف والإنصاف والضرورة القصوى ، أما إذا تعدته إلى جانب الإسفاف والجهل والظلم بغير داع ضاع الحق فى مطالب تلك العصبيات . وعصبية المصاهرة على ما بها من عيوب قد تكون مصدر قوة لطائفة كبيرة هى قوام الأمة أو شبه قوام، ولكنها إذا دخل فيها من لا يمتاز إلا بقوة الجسم ، وارتفع إلى المصاهرة أناس من السفلة وأهل الغباء نشروا عدوى خصالهم الذميمة وآرائهم المخطئة بين أناس من ذوى الأناقة فى الخُلُق والرأى ، ومن ذوى الاعتدال فى الحكم ، فتنقلب المصاهرة متلفة للحق ولأمور الناس

والضراوة فى مناصرة مطالب تلك العصبيات التى تسمى حقاً تشتد كلما قلت الثقافة فى أمة وزاد الشعور بالنقص فى نفوس أبنائها وكثر التهريج والمهرجون الذين يخلقون لأهل الغباء مبادئ سامية من أحط نزعات نفوسهم .

وأحقاد الناس فى الحياة ليست عبيد حاجاتهم وضروراتها بقدر ما هى عبيد هواجسهم المبهمة التى تحلق فى أذهانهم ونفوسهم كما تحلق الخفافيش تحت قبة البناء المظلم المهجور، وذلك لأن الحاجات والضرورات تنقضى وتحد، ولكن الهواجس لا حد لها ولا انقضاء.

إن الإنسان لا يدهش كثيراً إذا وصف أمامه إنسان بالشر والمكر والسوء ، وهو يعرف أنه أبعد الناس عن هذه الصفات قدر ما يدهش إذا كان هو الموصوف بهذه الصفات لأن دهشته فى الحالة الثانية تعود على أمر يخصه ويؤلمه ، والدهشة الممزوجة بالألم أشد وقعاً فى النفس من الدهشة الخالية من الألم ، ولأن كل إنسان يعرف من أسباب أقواله وأعماله مالا يعرف عن أسباب أقوال غيره وأعماله ، ويعرف من حالات نفسه فى تلك الأقوال والأعمال مالا يعرف عن أحوال نفس غيره، فهو بهذه المعرفة يستطيع أن يسوغ أقواله وأعماله ، وبذلك الجهل لحالات نفس غيره لا يستطيع إلا إنكار أقوال غيره وأعماله إن كانت تستدعى الإنكار أو تحتمله ، وهذا بالرغم من أن كل إنسان يعرف من هواجس السوء التى تتردد فى نفسه أكثر مما يعرف من هواجس السوء فى نفس غيره . فإن الإنسان لا يستخدم ميزاناً واحداً فيما بينه وبين الناس ؛ فهو مثلاً يكذب كثيراً ويعد كذبه أمراً هيناً فإذا كذب غيره فى حقه عده لؤماً ليس بعده لؤم .

كل هذه الحقائق حقيقة بأن تزهد المفكر المتأمل فى سعاره أو ضراوته فى مناصرة ما يسميه حقاً وأكثره ليس بحق ، وهى حقيقة بأن تزهده فى رأى من يرى أن الغاية تبرر الواسطة ، إذ أن خطأه فى قدر الغاية قد يكون عن حسن نيـة ، ولكنه قد يسوقه حسن النية إلى أعمال اللؤم والإجرام فى سعار مناصرته للحق المزعوم الذى فى تلك الغاية التى أخطأ فيها وعدها نبيلة وهى ليست نبيلة ، وحسن نيته فى ذلك الخطأ لا يخليه من إثم ولؤم ذلك السعار وتلك الضراوة

إن الذين يُعَنُّون أنفسهم بالبحث عن الحق قليلون

جنـــاية أحمد أمين على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

– ١١ –

لا يريد الأستاذ أحمد أمين أن يفهم أن النقد من علائم الصداقة للحقائق وليس من علائم العداوة للأشخاص ، ولا يريد أن يفهم أن ما بيننا وبينه من صداقة لا يجب أن يتعرض للزوال بسبب هذه المقالات التى فرضها الضمير والواجب ، وكان خليقاً بأن يفهم وحى الضمير والواجب

ولو قد فهم هذه البديهيات لما استباح لنفسه أن يقول :

« كل الصلات بيننا مفقودة ، فلا صلة بين الأستاذ وطلبته إلا الدرس ، ولا بين الأديب وقرائه إلا صلة القراءة إن كانت ، ولا صلة بين الأدباء أنفسهم إلا صلة السباب ، فإن لم يكن سباب فرياء ... »

وهذه الكلمات تدل على أن صديقنا أحمد أمين قد ضاق ذرعاً بدنياه منذ اليوم الذى رأى فيه لأول مرة كيف توضع منزلته الأدبية فى الميزان

فالأساتذة عنده قد انقطع ما بينهم وبين تلاميذهم ، والكتاب قد انفصم ما بينهم وبين قرائهم ، أما الأدباء فيما بينهم فيتعاملون على أساسين اثنين : السباب والرياء

وكذلك يرانا من السبابين ، ويرى أصحابه من المرائين !

والأستاذ أحمد أمين متشائم إلى أبعد الحدود . ولو شئت لنبهته إلى خطأ هذا التشاؤم فأكدت له أن الأدباء عندنا أحسن حالاً مما يتوهم ، فقد كتب إلى كثير من أصدقائه وتلاميذه يرجوننى أن أترفق فى النقد ، وشهد ناس بأنه كان حسن النية فيما كتب عن الأدب العربى ، ولم يكن إلا مجتهداً خانه التوفيق ، وللمجتهد أجرٌ حين يخطئ وأجران حين يصيب

وقد هممت بالتجاوز عن جناية هـذا الصديق على الأدب العربى ليقضى بقية هذا الصيف فى هدوء وأمان ، وليجد الفرصة لمناجاة (بحر العرب) وهو يقتعد صخرة المكس، ولكنى تذكرتُ أن هذه المقالات لا تخلو من فوائد أدبية ، وتذكرت أنه على كل حال من طلاّب الحقائق ، وطالب الحقيقة قد يشرب من أجلها العلقم والصاب

* * *

وأرجع إلى حديث اليوم فأقول :

إن الأستاذ أحمد أمين يرى أن ابن خفاجة لم يتذوق الطبيعة وإن اشتهر بوصف الطبيعة

وليس من المستغرَب أن يقف أحمد أمين من ابن خفاجة حيثُ وقف ، فهو على فضله لا يتذوق الشعر إلا فى النادر القليل

فكل أديب فى الدنيا حدثته نفسه بأن ينظم من الشعر بيتاً أو بيتين ، حتى الدكتور طه حسين ، فقد كان له فى مطلع حياته غرامٌ بصوغ القريض ، وسنعرض للمجهول من حياته الشعرية بعد حين أما أحمد أمين فلم يفكر يوماً فى نظم الشعر

والواقع أن عظماء الكتّاب فى جميع البلاد كانت لهم نزعات شعرية ، لأن للشعر مزية قوية فى تكوين الأسلوب ، وهو الذى يروض الكاتب على خلق الصور والإحساس بالرنين

والكاتب الحق هو الذى يعانى من المكاره ما يعانيه الشاعر ، وقد أخطأ أبو هلال حين توهم أن النثر كلام غير منظوم ، مع أن أبا هلال كان من أهل البصر بأسرار البيان

* * *

مالى ولهذا ؟

أنا أريد أن أنصف ابن خفاجة الذى ظلمه الأستاذ أحمد أمين

كان ابن خفاجة يسمّى « الجنّان » وهى تسميةٌ تشهد لأسلافنا بسلامة الذوق . وكان يسمّى « صنوبرىّ الأندلس » كان ابن خفاجة جنّاناً ، لأنه قضى دهره فى وصف الرياض

ولا سيما البحث عن الحق فى أمور حياة الناس التى تتحكم فيها الأهواء والأوهام ، وقد يحسب الساذج أن الحق فى حياة الناس كالحق فى علم الحساب بمقدار معين لا شك فيه ولا تغير، ولكن الساذج إذا اختبر الحياة واستطاع أن يقضى بخبرته على سذاجته علم أن أحوج الناس إلى مظاهر الحق هم أهل الباطل، ومن هذه الحاجة نشأ سمارهم ، ولم ينشأ ذلك السمار من شدة الإخلاص للحق بل من شدة شعورهم أنهم على باطل يحتاج إلى مظاهر الحق

عبد الرحمن شكرى

والبساتين ، وكانت جنته هي الأندلس وقد فضلها على جنة الُخلد ، ومن أجل ذلك اتهمه بعض معاصريه بالمروق حين قال :

يا أهل أندلسٍ لله دَرُّكمُ   ماء وظلٌّ وأشجارٌ وأنهارُ
ما جنّة الُخلد إلا في ديارِكمُ   ولو تخيرت هذى كنت أختارُ
لا تختشوا بعدها أن تدخلوا سقراً   فليس تُدخَل بعد الجنة النارُ

والحق أن ابن خفاجة فُتِن بمناظر بلاده أشد الفتون ، فكان يترصد الفرص لوصف ما ترى العيون أو تحس القلوب بتلك البلاد

وكان في شعره ونثره قيثارة تجود بأعذب الألحان في وصف الأشجار والأزهار والأنهار والسواقي والسحائب والبروق

وقد ظل ابن خفاجة مفتوناً بوصف الطبيعة نحو خمسين سنة فهل يسوغ لإنسان أن يقول بأنه لم يتذوق الطبيعة في كل ذلك الأمد الطويل وهو يتغنى بها صباحَ مساء ؟

وكيف وكان ابن خفاجة مُرهف الإحساس إلى حدّ الخبال ؟

إن ابن خفاجة هو الشاعر الذي تفرّد بالحنان إلى الطبيعة في جميع المناحي الشعرية ، حتى في قصائد الرثاء ، فكيف يجوز القول بأنه وصف الطبيعة بلا وعى ولا إحساس ؟

يضاف إلى ذلك أن ابن خفاجة عُرف بين معاصريه بالزهد في مدح الملوك والترفع عن جوائزهم السنيّة ، في زمن كان فيه المديح مذهباً لا يغضّ من أقدار الشعراء ، ولا يعرّضهم لسفاهة القيل والقال ، فاتسع وقته لمناجاة عرائس الشعر في هدوء وصفاء

إن ابن خفاجة صاحب مذهب في الشعر العربي ، ومنزلته في وصف الرياض لا تقلّ عن منزلة أبي نواس في الخمريات والشريف الرضى في الحجازيات

ومن الذي ينكر قيمة الشاعر الذي يقول :

لله نهرٌ سال في بطحاء   أشهى وُروداً من لَمَى الحسناء
متعطفٌ مثل السوار كأنهُ   والزهر يكنفه مجرُّ سماء
قد رقّ حتى ظُنّ قرصاً مُفرغاً   من فضةٍ في بُردةٍ خضراء
وغدت تحفّ به الغصون كأنها   هدبٌ تحفّ بمقلةٍ زرقاء
ولطالما عاطيتُ فيه مدامةً   صفراء تخضب أيدىَ الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى   ذهب الأصيل على لُجَين الماء

وكيف يتهم في وصف الطبيعة من يقول :

حثّ المدامة والنسيم عليلُ   والظل خفّاقُ الرواق ظليلُ
والنّور طرفٌ قد تنبه دامعٌ   والماء مبتسمٌ يروق صقيل
وتطلعتْ من برق كل غمامةٍ   في كل أفقٍ رايةٌ ورعيلُ
حتى تهادى كل خوطة أيكةٍ   ريّا وغصّتْ تلعةٌ ومسيل
فالروض مهتز المعاطف نعمةً   نشوان يعطفه الصبا فيميل
ريّان فضّضه الندى ثم انجلى   عنه فذهّب صفحتيه أصيل
وارتد ينظر في نقاب غمامةٍ   طرفٌ يمرّضه النعاس كليل
ساجٍ كما يرنو إلى عوّاده   شاكٍ ويلتمح العزيزُ ذليلُ

وهذا شعرٌ يفسده الشرح والتفسير والتحليل

وهل تحتاج محاسن هذه الأبيات إلى من يقيم عليها الدليل ؟

ومن الذي ينكر فراهة الفتون في الأبيات الآتية :

وأغيد في صدر الندىّ لحسنهِ   حلىٌ وفي صدر القصيد نسيبُ
من الهيف أما ردفه فنُنعَّمٌ   خصيبٌ وأما خصره فجديب
يرفّ بروض الحسن من نور وجهه   وقامته نُوّارةٌ وقضيب
جلاها وقد غنّى الحمام عشيّةً   عجوزاً عليها للحَباب مشيب
وجاء بها حمراء ، أما مزاجُها   فماء ، وأما ملؤها فلهيب
على لجة ترتجّ ، أما حبابُها   فنورٌ ، وأما موجها فكثيب
تجافتْ بها عنا الحوادث برهةً   وقد ساعدتنا قهوةٌ وحبيبُ
وغازلنا جفنٌ هناك كنرجس   ومبتسمٌ للأقحوان شنيب
فلله ذيلٌ للتصابي سحبتُهُ   وعيش بأطراف الشباب رطيب

أرأيت كيف فُتِنَ الشاعر في الطبيعة فجعلها أصل الحسن والفُتون؟

أرأيت كيف غَرِق هذا الشاعر في بحار الصباحة والملاحة ، وكيف رأى الزهر والماء أصلاً لكل مليح وجميل ؟

وما رأى الأستاذ في الأبيات الآتية :

وصقيل إفرند الشباب بطرفه   سقمٌ وللعضب الحسام ذُبابُ
يمشي الهوينا نخوةً ولربما   أطَرَتْه طوراً نشوةٌ وشباب
شتى المحاسن ، للوضاءة ربطة   أبداً عليه ، وللحياء نقاب
وبمعطفيه للشبيبة منهلٌ   قد شف عنه من القميص سراب
عَبَر الخليج سباحةً فكأنما   أهوى فشقّ به السماء شهاب
لقد احتللت بشاطئيه يهزني   طرباً شباب راقني وشراب
وانساب بي نهر يعب وزورق   فتحملتني عقرب وحُباب
وركبت دجلته يضاحكني بها   فرحاً حبيب شاقني وحَباب

تجلو من الدنيا عروساً بيننا   حسناء ترشف والمدام رُضاب
ثم ارتحلتُ وللسماء ذؤابةٌ   شهباء تخضب والظلام خضاب
تلوى معاطفى الصبابة والصبا   والليل دون الكاشحين حجاب
حيث استقل الجسر فوق زوارق   نسقت كما تتواكب الأحباب

فهل فكر صديقنا أحمد أمين فى وصف السباحة وقد سبقه إليها ابن خفاجة بنحو تسعة قرون ؟

إن الذى عجز عن وصف الطبيعة هو الذى يصطاف بالأسكندرية كل سنة ولم يفتح الله عليه بغير القول بأنه جلس على صخرة المكس ليأكل السمك المياس ، وليفكر فى مصير الشمس بعد الغروب ، وليقول إنه تحاور مع هيان بن بيان ! !

يقول أحمد أمين إن ابن خفاجة لم يتذوق الطبيعة ، فهل استمع إليه حين يقول :

ربما استضحك الحباب حبيبٌ   نفضتْ ثوبها عليه المدامُ
كلما مرَّ قاصراً من خُطاه   يتهادى كما يمرّ الغمام
سلم الغصن والكثيب علينا   فعلى الغصن والكثيب سلامُ

وهل استمع إليه حين يقول :

أبى البرق إلا أن يحن فؤاد   ويكحل أجفان المحب سهاد
فبت ولى من قانئ الدمع قهوة   تدار ، ومن إحدى يدى وساد
تنوح لى الورقاء وهى خلية   ويهمل دمع المزن وهو جماد
وليلٍ كما مدّ الغراب جناحه   وسال على وجه السجل مداد
به من وميض البرق والليل فحمة   شرارٌ ترامى والغمام زناد
سريتُ به أحْييه لا حَيَّة السُّرى   تموت ولا مَيْتُ الصباح يعاد

يقلب منى العزم إنسان مُقلةٍ   لها الأفق جفنٌ والظلام سواد
بخرقٍ لقلب البرق خفقة روعة   به ولجفن النجم فيه سهاد(1)
سحيقٌ ولا غير الرياح ركائبٌ   هناك ولا غير الغمام مزاد
كأنى وأحشاء البلاد تجننى   سريرةُ حبٍ والظلام فؤاد
ولما تفرّى من دجى الليل طحلبٌ   وأعرض من ماء الصباح ثماد
حننتُ وقد ناح الحمام صبابةً   وشُقّ من الليل البهيم حداد
على حين شطّتْ بالحبائب نيّةٌ   وحالتْ فيافٍ بيننا وبلاد

***

ومن مزايا ابن خفاجة أنه يتمثل الطبيعة فى حركة وحياة ، فيراها ترضى وتغضب ، وتضحك وتعبس ، كأن يقول :

عاط أخلاءك المداما   واستسق للأيكة الغماما
وراقص الغصن وهو رطبٌ   يقطرُ أو طارح الحماما
وقد تهادى بها نسيمٌ   حيَّتْ سليمى بها سلاما
فتلك أفنانها نشاوى   تشرب أكوابها قياما

وكأنْ يقول :

ألق العصا فى حيث يعثُر بالحصى   نهرٌ وتعبث بالغصون شمالُ
وكأن ما بين الغصون تنازُعٌ   فيه وما بين المياه جدال

وكأنْ يقول :

أخذ الربيع عليه كل ثنيةٍ   فبكل مرقبةٍ لواء شقيق

فهو فى هذه الأشعار يمنح الطبيعة من الحياة والحركة ما يماثل شمائل الأحياء

وأريد أن أقول إن الطبيعة فى نفس ابن خفاجة لها عزيمة وإرادة وقدرة وعبقرية ، فهى تصنع ما تصنع عن نظرٍ ثاقب وقلبٍ مشبوب ، هى نفس حساسة ، تشعر وتُدرك ، وتُفيض البؤس والنعيم على الأحياء بإرادة وعزم وإحساس

وقد وقع فى كلام الشعراء ما يشابه هذه المعانى ، ولكن ابن خفاجة أكثرمنها إكثاراً ميّزه بالتفوق والتفرد ، فهو أوحد الناس فى بابه بلا جدال

وكان ابن خفاجة يُقسم بما فى الطبيعة من أنهار ورياض وأزهار وأنداء ومباسم وعيون ، فيقول :

أما والتفات الروض من أزرق النهر
وإشراق جيد الغصن فى حِلْية الدهر
وقد نَسَمتْ ريح النعامى فتنبهت
عيون الندامى تحت ريحانة الفجر

وهى قصيدة طويلة امتزجتْ فيها نفس الشاعر بأسرار الطبيعة أشدّ امتزاج

والطبيعة تواجه ابن خفاجة حيثما تلفت ، فهو يراها فى كل مكان ، وانظر كيف يقول :

يا رُبّ ليلٍ بِتُّهُ   وكأنه من وَحْفِ شَعرِكْ
تنهلُّ مزنة دمعتى   فيه ويندَى نَور ذكرك
أُتبعتُ فيه وقد بكيت   عقيق خدك دُرَّ ثغرك
وشرِقتُ فيك بعبرةٍ   قد ورّدتها نار هجرك
فكأنما ينفضْ عن   حَبَبٍ لها رمان صدرك
ولَرُبَّ ليلٍ قد صدعْتُ   ظلامه بجبين بدرك

(1) الخرق — بالفتح — الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح

ولموتُ فيـه بدُرَّةٍ مكنونةٍ في حُقٍّ خدرك
تندَى شقائق وجنتيك به وتنفح ريح نشرك
وقد استدار بصفحتَىْ سوسانِ جيدك طَلٌّ درّك
حيث الحبابة دمعةٌ تجرى بوجنة كاس خمرك
وتهزُّ منك فتنثنى بقضيب قدّك ريح سكرك

وهو في هذه القصيدة يخلع محاسن الطبيعة على الملاح ، وقد يخلع محاسن الملاح على الطبيعة فيقول :

وكمامة حَدَر الصباح قناعها عن صفحة تندَى من الأزهارِ
في أبطحٍ رضعتْ تنور أقاحه أخلاف كل غمامةٍ مدرارِ
نثرتْ بحجر الأرض فيه يد الصَّبا
دُرر النـدى ودراهم النُّوار

وقد ارتدى غصن النقا وتقلدت حَلْيَ السحاب سوالف الأنهار
فحللت حيث الماء صفحة ضاحك جَذِلٍ وحيث الشط بدء عذار
والريح تنفُض بكرة لِمَمَ الرُّبا والطلُّ ينضحُ أوجه الأشجار
وأراكةٍ سجع الهديل بفرعها والصبح يسفر عن جبين نهار
هزّت له أعطافها ولربما خلعتْ عليـه مُلاءة الأنوار

وهذا والله أنفس ما قيل في اتصال الأحاسيس بغرائب الوجود

وأشعار ابن خفاجة تشهد بأنه كان يحتفل بالمعاني كل الاحتفال وكان يرى شعره نفحة من نفحات الجمال ، كأنْ يقول :

تعلقتُه نشوان من خمر ريقهِ له رشفها دوني ولي دونه السكر
نرقرق ماءً مقلتاى ووجهه ويُذْكى على قلبي ووجنته الجمر
وطبنا معاً شعراً وثغراً كأنما له منطق ثغر ، ولي ثغره شعر

وقد توجّع ابن خفاجة لضياع الشباب أشد التوجع ورأى في ملاحة الطبيعة عزاء عما ضاع من سماحة الملاح ، فقال :

وكل امرئٍ طاشت به غرة الصِّبا
إذا ما تحلَّى بالمشيب تحلَّما

فها أنا ألقى كل ليل بليلةٍ من الهم يستجرى من الدمع أنجما
وأركب أرداف الرُّبا متأسفاً فأنشَق أنفاس الصبا متنسّما
وأرشف نثر الطل من كل وردةٍ مكان بياض الثغر من حوّةٍ اللمى

وهو بهذه الأبيات يجعل الجمال الإنسانى أجمل ما في الطبيعة من ألوان ، وهى نظرة سليمة لا ينكرها غير الذين يرون الشجرة والزهرة أصلاً لكل جمال

وكان ابن خفاجة في أيام توجعه على صباه يتمنى لو يعرف مصير النفس بعد الموت ، كأن يقول في رثاء بعض الأصدقاء :

كنا اصطحبنا والتشا كلُّ نسبةٌ
حتى كأنا عاتقٌ ونجادُ
ثم افترقنا لا لعودة صحبة حتى كأنا شعلة وزناد
يا أيها النائى ولست بمسمع سكن القبور وبيننا أسداد
ما تفعل النفس النفيسة عندما تتهاجر الأرواح والأجساد
كُشِف الغطاء إليك عن سر الردى
فأجبْ بما تنـدى به الأكباد

وهى لفتةٌ فلسفية لاذ بها شاعرنا شوقي في أكثر قصائد الرثاء

أما بعد فقد كنا نحب أن نذكر شواهد من نثر ابن خفاجة تمثل هيامه بالطبيعة والوجود ، ولكنا رأينا الدكتور ضيف سبقنا إلى ذلك في كتابه « بلاغة العرب في الأندلس » ونحن نبغض الحديث المعاد

وما الذي يوجب أن نلحّ في شرح مذهب ابن خفاجة وهو معروف لجميع الناس ؟ لقد أردنا أن ننتهز الفرصة فنمتع أنفسنا بالنظر في ديوان ابن خفاجة من جديد ، ونذكر به الشبان الذين شغلتهم عنه ملاهى العصر الحديث

ويدعونى الواجب في ختام هـذا المقال إلى الثناء على أديبين فاضلين يهتمان بديوان ابن خفاجة ويعدان له دراسة أدبية تحفظ مكانه في التاريخ . أما الأديب الأول فهو عزيز عبد السلام فهمي . وأما الأديب الثانى فهو جاسم محمد الرجب ؛ وأولهما صديق عرفته بكلية الآداب في القاهرة ، وثانيهما صديق عرفته بدار المعلمين العالية في بغداد

فمتى تظهر جهود هذين الأديبين في إحياء ذلك الديوان ؟

لقد ظهر ديوان ابن خفاجة بالقاهرة منذ اثنتين وسبعين سنة ، فكيف جاز ألا يطبع مرة ثانية بعد ذلك الأمد الطويل العريض ؟

إن اللغة العربية لغة حية وقراؤها يشارفون المئة مليون ، فكيف زهدت تلك الملايين في ذلك الشعر النفيس ؟ !

إن ديوان ابن خفاجة وصل إلى أقصى بقاع الشرق الإسلامى قبل ظهور المطابع ، فكيف يحجب اليوم بعد الانتفاع بالمطبعة السريعة والبريد المضمون ؟

ومن أعجب العجب أن يتولى تزهيد العرب في آثار أسلافهم رجل تعرفه كلية الآداب التى توجب على أبنائها أن يتعرفوا إلى آثار القدماء من الرومان واليونان !

ولكن صبراً فستهتدى كلية الآداب بعد حين ، وسترجع إلى سيرتها الماضية يوم كانت مثابة القلوب والعقول .

(الحديث شجون) زكى مبارك

دمشقيات

من «الجادة الخامسة» !

للأستاذ على الطنطاوى

آمنت بالله واستثنيت جنته (دمشق)روح وجنات وريحان(١)

اللهم ، إن كنت كتبت لى (برحمتك) الجنة ، فاجعل جنتى فى الآخرة على مثال (دمشق) ، واجعل قصرى فيها فى « الجادة الخامسة » ! . . .

ولكن كيف لى بتصوير « الجادة الخامسة » لقراء « الرسالة » وهم منتشرون فى أقطار الأرض كلها ؟ ... وكيف لى بإقناعهم ، ولكل منهم بلده ، وكلٌّ ببلده فخور ! . . . إن الشام درّة تاج الكون ، وإنها بيت القصيد فى (معلّقة) الوجود ، وإنها اللذة الكبرى مجسّمة ، وإنها العاطفة السامية ، والحب مصوّراً هضاباً وصخوراً ومروجاً وبساتين . . . وإن « الجادة الخامسة » درة دمشق ، وبيت قصيدها ، وإن الذى تشرف عليه منظر أقلّ ما يقوله الصادق فيه وأبعده عن المبالغة وألصقه بالحق الصراح أنه أجمل منظر على ظهر الأرض ، وأن الله حين وزع الجمال على البقاع . . . نخص كل واحد منها — بنوع واحد منه — جمعه كله لدمشق ، ووضع أفضل مجموعة منه فى « الجادة الخامسة » !

***

ولقد كنت فى البادية منذ أسبوع آيباً إلى دمشق ، أحدّق فى الأفق علّى أرى خيال دمشق : بلد الحب ، بلد اللطف ، بلد الكرم ، بلد الجمال . . . فلا أرى إلا الصحراء بوجهها الكالح الكئيب الصامت الرهيب ، فأفرّ من مرآها وأغمض عنها عينى ، أحاول أن أختلس من الزمان إغفاءة ، فأقطع هذا الطريق المضنى على مطية الكرى . . . فلا أرى فى منامى إلا طيف دمشق البلد الحبيب ، ولا أكاد أستمتع به حتى تقصيه عنى سيارة (نيرن) بهديرها الذى يطرد الأحلام ، ودويّها الذى يطيّر شياطين الشعر ، وثقلها ورَزانتها التى تشبه أحلام قوم الفرزدق(٢) . . . ولبثت على ذلك حتى جاوزنا (الضمير) ، واستقبلنا دمشق من طريق حمص ، وكنت فى شبه غفوة ... فما أحسست إلا إخواناً لنا من أهل بغداد كانوا معنا فى السيارة ينبهوننى ليسألونى . فانتبهت ، فإذا أنا أرى حولى طلائع الخضرة تمتد إلى السفوح البعيدة . فقالوا : أهذه هى (الغوطة) ؟ فضحكت وقلت : هذه سهول لها نظير فى كل أرض . . . فكيف تكون هى الغوطة التى ليس لها فى الأرض نظير ؟ إنتظروا تروا . . . وسرنا خلال السهول ننعم فيها النظر فنرى من جمالها كل لحظة ما لم نكن رأينا . . . حتى بدت أوائل الكروم ، كروم (دوما) ... منذا الذى لم يسمع بها؟ تلك التى طارت شهرتها فى الآفاق ، فأسكرت بمشهدها العشاق وذوى الأذواق ، كما أسكرت برحيقها من كان من أهل الرحيق . فقالوا : هذه هى الغوطة ؟ قلت : لا . بل هذه كرومها ، فانتظروا



طرف دمشق الشرقي وجانب من الغوطة كما يبدو من الجادة الخامسة

الغوطة التى فتنت أجدادكم من قبلكم ، وفتنت من قبلهم الروم والفرس ، وتفتن كل ذى لبّ إلى يوم القيامة ! ... وسرنا خلال (الكروم) ، وهى تمتد عن أيماننا إلى حيث لا يبلغ البصر ، و (المناطر(١)) ، قائمة على العيدان الرفيعة ، منثورة فى الأرض ، ضاربة فى السماء ، لا يحصيها العدّ ، كأنها أعشاش العاشقين ، أو منارات يؤذن فيها دعاة الغرام ، تبعث فى النفس ذكريات الحب الدفين (وفى نفس كل إنسان منه ذكريات) ، فتعيد الحب حياً . وسرنا خلالها حتى بلغنا (الغوطة) ، فسلكنا جانباً منها يحاذى دوما وحرستا(٢) . فقلت : هذه هى الغوطة ! وسكتّ فلم أعرفها

---

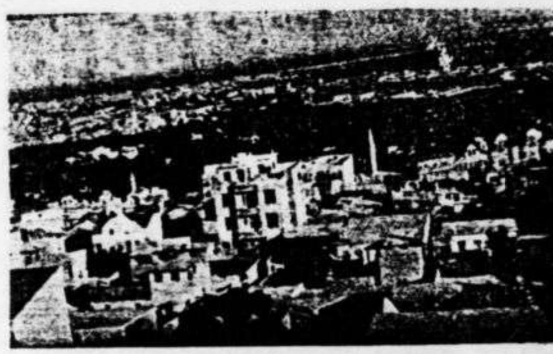
(١) شوق .

(٢) وطول هذه السيارة التى تزن الجبال حقا (٣٧) متراً ...

(١) جمع منظرة : غرفة عالية على أعواد يسكنها ناطور الكرم .

(٢) دوما قصبة الغوطة ، فيها عشرون ألفا ، وحرستا بلد صغير خرج منه الامام محمد صاحب أبى حنيفة ومدون مذهبه .

لهم ، ولم أقرظها ، بل تركتها تقرظ نفسها . . . ففعلتْ وأربتْ على ما كان فى الخيال منها ؛ فذهب الإعجاب بالقوم كل مذهب ، ونال من نفوسهم كل منال ، فسكت اللسان ، ونطق القلب ، وقالت العينان ، وشحّت اللغة ، فما تبضّ إلا بقطرة ما فيها رى ولا بلل ... وهل فى اللغة إلا أن تقول : جميل ولطيف ومدهش وعظيم ؟ أو ليس الجمال مائة ألف نوع ؟ أو ليس للدهشة مثلها من الأسباب ؟ فأين الكلمتان الجامدتان من هذا العالم الحىّ ؟ إننا معشر البشر ما تعلمنا النطق إلى اليوم



قسم من المهاجرين ، ومن ورائه المعسكر وجانب دمشق الغربى
كما تبدو من « الجادة الخامسة »

وبلغنا دمشق ، فقلت للقوم : إن فى سفر الطبيعة صفحات مختلفات ، فى كل بلد صفحة منها . فسهل وجبل وواد وصحراء وبحر ونهر ... فتعالوا أشرفْ بكم على صفحة فيها كل الصفحات. تعالوا أطلعكم على دمشق ، وقد رأيتم منها سهلها وغوطتها ، لتروا جبلها وصحراءها وواديها ! ... فأبوا علىّ ، وجنحوا إلى الهرب ، وتعللوا بالتعب ، وأصررت وأبيت . . . فرأيتهم لانوا كارهين ، فاغتنمت لينهم ، ولم أبال كراهيتهم ، لعلمى أن ما سيرون سيقع منهم موقع الرضا وفوق الرضا . . . وأخذنا سيارة من المرأب « الكاراج » الذى استودعناه حقائبنا ، إلى (الدار) التى استأجرها لنا أخى ... فى « الجادة الخامسة » . فما انعطفت بنا السيارة نحو (طريق الصالحية) ، وشاهد أصحابنا البيوت ترتقى فى الجبل ، وهو يجلسها فى حجره ، ويحوطها بذراعيه ، وينحنى عليها برأسه الهائل المتوج بالصخر ، حتى تبدّل سخطهم رضا ، وطفقوا يسألون ! ... فقلت : أما الذى إلى اليمين ، حيث البيوت الواطية المتلاصقة ، والمآذن الكثيرة السامقة ، والقباب ، فحيّا الأكراد والصالحية ؛ وقد أنشأ حى الصالحية الجد الأعلى لآل قدامة ، أو آل المقدسى حين نزح إلى دمشق منذ ثمانية قرون فراراً من فلسطين وما حاق بها يومئذ من المحنة . فأحيا الله به وبأسرته العلم فى تلك الديار ، ونشروا فيها المذهب الحنبلى ، وظهر من أسرته علماء فحول كالضياء المقدسى ويوسف بن عبد الهادى قريع السيوطى وشبيهه فى سعة علمه وكثرة تصانيفه . . . ولكن الله قدر للسيوطى من نشر علمه ، وطوى علم يوسف فى سجلات دار الكتب الظاهرية ... ولا تزال آثار هذه النهضة العلمية العظيمة ظاهرة فى المدارس الكثيرة القائمة فى السفح وبين البساتين ... ثم تتالى بناء المدارس فى الصالحية ، حتى أن شارعاً يدعى الآن : شارع (بين المدارس) فى الشركسية يحوى أكثر من عشرين مدرسة باقية قبابها وأبوابها ، فضلاً عما اندثر منها . وآخر هذه المدارس وأعظمها المدرسة العمرية ، أنشأها الشيخ أحمد بن قدامة المقدسى — فى منتصف القرن السادس الهجرى — ونمت حتى صارت (جامعة) ، ودعيت بالمدرسة الشيخة ؛ ثم تضاءلت حتى رجعت اليوم خراباً كأكثر مدارس الشام ، واختلس الجيران ما قدروا عليه من ساحاتها وأبهائها ، فأدخلوه بيوتهم . . . وأما الذى إلى اليسار فحىّ المهاجرين ، وقد كان قبل ثلاثين سنة جبلاً أجرد ، فأسكن فيه ناظم باشا (المهاجرين) من (كريت) بعد عدوان اليونان عليها ، وبنى لهم أكواخاً صغيرة ؛ ثم حال الحال فصارت قصوراً للأغنياء ، غير أنها لا تزال بقية من تلك الأكواخ خلال القصور ، ولا تزال قطع جرداء من الجبل أو صخور ماثلة بين الدور ...

وذهبت السيارة ترتقى فى الطريق الصاعد إلى (المهاجرين) ، وكلما علونا فيه شيئاً ، بدت لنا من دمشق والغوطة أشياء ، حتى إذا بلغنا نهاية الطريق الذى يمشى عليه (الترام) انكشف لنا أعظم منظر تقع عليه عينى : من ورائنا الجبل الفتان (قاسيون) ، وهو فى الجبال كالفتى الغرانق فى الرجال ، قوى ولكنه وديع ، وحلو ولكنه عظيم ؛ وعن أيماننا جبل المزة ووادى الربوة ، ذاك الذى يجرى فيه بردى فى السبعة الأنهار : يزيد وتورا وبردى وبانياس وقنوات وعقربا والديرانى ؛ تتسلسل كأنها أطواق اللؤلؤ على أحلى جيد ، تمتد من صلب هذا الجبل حيث يجرى (يزيد) إلى سفحه ، حيث يمشى (تورا) من تحته ، إلى أسفل الوادى ، إلى سفح

الجبل الآخر ، إلى صلبه ؛ والأشجار على ضفاف الأنهار كلها ، والشلالات تنحدر من الأعلى إلى الأدنى تتكسر على الصخور ، وتنحط ، تخالطها أشعة الشمس فيكون لها بريق ولمان كلمان الماس ، وأين منها لمان الماس ؟ ... وعن شمائلنا الفضاء الرحب ، تملؤه الغوطة كبحر ماله آخر ، أمواجه خضر ... وتقوم فى وسطه دمشق ، دمشق الجميلة ، دمشق القديمة ، دمشق الخالدة ! والجامع الأموى فى وسط البيوت تظلله قبة النسر ، كأنه رجل طوال واقف بين صبية صغار ؛ ومن الدور التى شبهناها بالصبية ما فيه سبع طبقات ، ولكنه الأموى معجزة البناء الإسلامى ... ومناراته الثلاث الهائلة ... يا لدمشق ومناراتها السبعين والمائة ، وغوطتها وبرداها ! . . .



قلب دمشق وفي وسطه الجامع الأموى مع قسم من المهاجرين
كما يبدو من الجادة الخامسة

قلت : هل بقى من الطبيعة لون لم تحوه دمشق؟ هذا الجبل ، وهذا الوادى ، وهذه السهول ، وهذه البساتين ، والصحراء صحراء المزة ... وأنت تجوز بهذا كله ماشياً على قدميك فى نصف ساعة ... وهنالك البحيرة تبدو لكم من وراء الغوطة . فهل بقى من الطبيعة لون لم تحوه دمشق ؟

قالوا : لا والله ، إلا أن يكون البحر ، وهذا بحر من الخضرة شهدنا أنه لا إله إلا الله ، وأن دمشق أجمل بلاد الله !

قلت : شهدتم وأنتم فى (الجادة الأولى) فكيف إذا صعدتم إلى (الجادة الخامسة) ؟

* * *

وبعد ... فيا أسفى على أيامى التى قضيتها ساكناً فى (البلد) ويا عجبا من قوم عندهم (حىّ المهاجرين) ويقطنون فى غيره ، وعندهم قاسيون ونيامون (تحت) فى السهل ! وكيف يؤم الناس المصايف ، ويذهبون إلى بلودان ولبنان ، وهنا (الجادة الخامسة) لو حلف رجل بأوثق الأيمان على أنها أجمل من لبنان ، وأعذب ماء ، وأطرى هواء ، لما أثم ولا حنث ؟

اللهم عفوك ! فإنى والله لا أستحق هذه النعمة ، وما لى على أداء شكرها طاقة !

* * *

ينظر ساكن البلد فلا يرى حوله إلا قليلاً مما يُرى . فيحس أنه فى دنيا صغيرة تافهة ، فإذا قطن (الجادة الخامسة) تكشفت له الدنيا ، وتعرت ، فرآها فى زينتها وفتنتها ، فأحسّ أنه مع رفيق يؤنسه وحبيب يسليه ، حبيب تراه فى الصباح كغادة جميلة فى جمالها طهر ، وفى عينيها صفاء ، توحى إليك التأمل ، وتسمو بك فوق الشهوات ، وتراه فى ضوء القمر كآنسة مغرية فتانة تهيّج فى نفسك الحب ، وتشعل فى أعصابك النار ؛ وتسمع من الجادة الخامسة : كلمة الخلود فى دنيا الفناء ، تتجاوب بها مآذن الحىّ ، وتبصر المنارات تضئ فى الليل من كل جانب فيسمو بك النداء حتى تحسّ أن هذه (الدنيا) قد سمت كلها ، حتى صارت هى (العليا) ...

فما أعظم (الأذان) عند من يسمعه من (الجادة الخامسة) ! ينادى فى الفجر الساكن الخاشع ، لا يشغلكم سكونه وسحره عن عبادة الله والاتصال به ! ... وينادى فى النهار الكادح العامل لا تصرفكم الدنيا عن صلاتكم ودعائكم ! . . . وينادى والشمس تغيب من أعالى الجبل فيدرك ذروته المساء والبلد والغوطة سابحة فى نور للشمس ، وينادى حينما يعم الدنيا سحر الغروب ، وينادى حين يبدأ الليل ، وتستعد الفضيلة للنوم ، وتتهيأ الرذيلة للسهر ! . . .

فى (الجادة الخامسة) يشعر الإنسان أنه يندمج بهذا الكون فيأنس به ، ويطمئن إليه ؛ ثم إذا هبط إلى البلد فكر فيه واشتاق إليه ! ...

* * *

كل شىء فى (الجادة الخامسة) ساكن حالم ، أما (البلد) فكل ما فيه مضطرب متوثب ... هنا الشعر والتأمل ؛ وهناك ... هنالك تحت هذه السقوف التى تظهر خاشعة فى ضباب الصباح ، ووهج الظهيرة ، وظلمة الليل ... خلاف وتنازع على الرياسة ، وانقسام وفشل ... هنالك هبطت قيم الأخلاق وامحى الإيثار ،

فالأخوان يصطرعان ، والعدو ـ عدوهما معاً ـ واقف يصفق لهما ليهيجهما ، لتخور قواهما ويسقطا من الإعياء، فيقبل ليفعل بهما ما يشاء ... هنالك التاجر المفلس من أقطاب السياسة ، والتلميذ الراسب من أقطاب السياسة ، والعامل المطرود من أقطاب السياسة، وكل الناس من أقطاب السياسة وزعماء البلد ... لم يبق تلميذ لدرسه ، ولا تاجر لدكانه ، ولا محام لمكتبه ، ولا طبيب لعيادته ، ولا رجل لما خلق له ، ولكنهم جميعاً للخلاف والتنازع ، كل حزب يهدم الأحزاب فتنهدم جميعاً ، ويبني العدو ما يبتني ... أرى هذا كله من (الجادة الخامسة) فأتألم ولكن لا أتكلم ، لم يبق لمثلي مجال للكلام ...

أرى هذا فأذكر بغداد ، وما خلفت في بغداد ... خلفت فيها النظام والاتحاد والطلاب الذين جعلهم نظام الفتوة جنداً ، ونحن المدرسين الذين صرنا ضباطاً لهم شارات الضباط وحياتهم وقانونهم

خلفت الاستقلال الذي لا تشوبه شائبة ، والشعب المتوثب، والجيش القوي، والاستعداد لنصرة كل قطر عربي ...

اشهدوا أني أحب بغداد ... أني أحبها ، ولكن دون حبي دمشق ...

أحب بغداد وأفخر بها ، وأحب دمشق حبًّا أكبر ولكني آسى عليها ، وأرجو لها مثل ما أعطيت بغداد على أن تتم لبغداد نعمتها

***

اللهم ! إن تحت كل شجرة من أشجار الغوطة جثة شهيد مات دفاعاً عن هذه الأرض الطاهرة التي سقيت بالدم ؛ ثم إنها لم تخلص لأهلها ، ولم تنج من الغاصب الدخيل ... اللهم كما جعلت دمشق درة الكون ، ومنحتها ما لم تمنح بلداً ، أكمل عليها نعمتك وهب لها الحرية والمجد ، فالحرية والمجد أجمل من كل شيء !

اللهم ! متى أطلّ من شرفة داري في (الجادة الخامسة) . فأقول :

الحمد لله ! كل هذا الجمال لنا ، هذه ديارنا لنا ، وهذه أمتنا متحدة ناهضة ، تمشي في طريق العلاء ...

متى يا ربّ ... متى ؟ ! ...

علي الطنطاوي

خليل مردم بك

وكتابه فى الشاعر الفرزدق

لأستاذ جليل

فخر الفرزدق

مدح الفرزدق « والفرزدق سمح بألقاب المدح وصفات التقريظ ولكنه حاذق يمدح الرجل بما يليق أن يمدح به ، وينظر إلى خصائصه فيضفى عليها ثوباً من المبالغة[1] »

« ومدح الفرزدق لخلفاء بنى أمية فيه براعة ومقدرة يظهر عليها الطابع السياسى جلياً واضحاً أكثر من كل ما مدحهم به الشعراء حتى أخص أنصارهم كالأخطل وجرير وعدىّ بن الرّقاع فهو داعية لهم ولسياستهم ، يجاهر بأنهم أجدر العرب بالملك ، وأن الله اختارهم لخلافته »

وقد روى الأستاذ طائفة صالحة من أقواله المدحية منها قوله :

وجدنا بنى مروان أوتاد ديننا　　كما الأرض أوتاد عليها جبالها

وقوله فى يزيد بن عبد الملك :

وما وجد الإسلام بعد محمد　　وأصحابه للدين مثلك راعيا

ضربت بسيف كان لاقى محمد　　به أهل بدر عاقدين النواصيا

وقوله فيه ، وقد عدا الفرزدق طوره فى البيت الأول وكفر أو كاد :

لو لم يبشّر به عيسى وبيّنه
كنت النبى الذى يدعو إلى النور[2]

فأنت إذ لم تكن إياه صاحبه
مع الشهيدين والصديق فى السور[3]

(١) يماثله فى ذاك الحذق والنظر إلى خصائص الممدوح — المتنبي بعد أن برع

(٢) روى الأستاذ قوله فى هشام (وهو أهون خطأ من قوله فى يزيد) :

ولو أرسل الروح الأمين إلى امرئ　　سوى الأنبياء المصطفين الأكارم

إذن لأنت كنى هشام رسالة　　من الله فيها منزلات العواظم

(٣) يريد بالسور أعلى مكان فى الجنة . والسور فى اللغة جمع سورة : وهي من البناء ما حسن وطال كما فى اللسان

فى غرف الجنة العليا التى جعلت　　لهم هناك بسعى كان مشكور

فلن تزال لكم والله أثبتها　　فيكم إلى نفخة الرحمن فى الصور

أبا فراس ! « لم يلبثوا إلا عشيّة أو ضحاها »

مَن يأمن الدهرَ مُمساه ومصبَحه
فى كل يوم له من معشر جزرُ

بعد ابن مروان أودى بعد مقدرة　　دانت لهيبتها الأمصار والكوَر

ثم الوليد فسل عنه منازله　　بالشام والشام ممسول له خِصر

تجبى إليه بلاد الله قاطبة　　أخلافها ثرّة لأمره دِرَر

وفى سليمان آيات وموعظة　　وفى هشام لأهل العقل معتبر

واذكر أبا خالد ولى بهجته　　ريب المنون وولى قبله عمر

وفى الوليد أبى العباس موعظة　　لكل من ينفع التجريب والفكر

دانت له الأرض طراً وهى داخرة　　لا يدفع الذل من أقطارها قطر

بينا له الملك ما فى صفوه كدر　　إذ عاد رنقا وفيه الشوب والكدر

كانوا ملوكا يجرون الجيوش بما　　يقل فى جانبيه الشوك والشجر

فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم
قفراً سوى الذكر والآثار إن ذكروا[1]

ويظن بعضهم أن لو استمر ملك القوم قرناً آخر لتعربت الدنيا ، وأحال[2] أهلها

يقول الأستاذ فى باب البحث عن شعر الفرزدق : « وإذا أردت أن تقف على الأسلوب العربى الصريح بجزالته وفخامته فاسمع قوله :

أحلّ هُزيم يوم بابل بالقنا　　نذور نساء من تميم تحلت[3]

فأصبحن لا يشربن نفساً بنفسه　　من الناس إن عنه المنية زلت

يكون أمام الخيل أول طاعن　　ويضرب أخراها إذا هى ولت

عشية لا يدرى يزيد أينتحى
على السيف أم يعطى يداً حين شلّت

(١) عثمان بن الوليد بن عمارة بن عقبة القرشى يذكر فعل الدهر بملوك بنى أمية

(٢) فى النهاية : من أحال دخل الجنة أى أسلم يعنى أنه تحول من الكفر إلى الاسلام

(٣) فى رواية الطبعة المصرية هريم ، ومن أصحابهم هريم وهزيم

وأصبح كالشقراء تنحر إن مضت
وتضرب ساقاها إذا ما تولت[1]

لعمرى لقد جلّى هريم بسيفه وجوها عليها غبرة فتجلت
وقائلة كيف القتال ولو رأت هريما لدارت عيناها واسمدرت[2]
وما كر إلا كان أول طاعن ولا عاينته الخيل إلا اشمأزت

ويزيد المذكور فى هذا الشعر هو ابن المهلب ، وكان خلع يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة لنفسه ، وقال له مشعبذون إنه سيلى الأمر ويهدم دمشق ...

يخبرك الكهان أنك ناقض
دمشق التى كانت إذا الحرب حرّت[3]

ولما واقعه جيش مسلمة فى العقر[4] عقر بابل ضرب هريم ابن أبى طحمة المجاشعى يد يزيد فقطعها[5] ، وقتله القحل بن عياش وضرب يزيد القحل فماتا جميعاً . قال الطبرى : « انفرج الفريقان عن يزيد قتيلاً ، وعن القحل بآخر رمق ، فأوما إلى أصحابه يريهم مكان يزيد يقول لهم أنا قتلته ويومىء إلى نفسه أنه هو قتلنى »

وفى هذه الوقعة يقول الفرزدق :

كيف ترى بطشة الله التى بطشت
بابن المهلب إن الله ذو نقم
كم فرج الله عنا كرب مظلمة
بسيف مسلمة الضراب للبُهَم

ولما ثار يزيد كان الحسن البصرى يثبط الناس عنه ، قال يوماً فى مجلسه : يا عجبا لفاسق من الفاسقين ، ومارق من المارقين غبر برهة من دهره ينتهك لله فى هؤلاء القوم كل حرمة ، ويركب لهم كل معصية ، ويأكل ما أكلوا ، ويقتل من قتلوا حتى إذا منعوه لماظة كان يتلمظها قال : أنا لله غضبان فاغضبوا ، ونصب قصباً عليها خرق وتبعه رِجرجة[1] رعاع هباء ما لهم أفئدة ، وقال أدعوكم إلى سنة عمر بن عبد العزيز . فبلغ ذلك يزيد ، فأتى الحسن هو وبعض بنى عمه إلى حلقته فى المسجد متنكرين فسلموا عليه ثم خلوا به ، وصار الناس ينظرون إليهم فلاحاه يزيد ، فدخل فى ملاحاتهما ابن عم يزيد فقال له الحسن : فما أنت وذاك يا ابن اللخناء ، فاخترط سيفه ليضربه به فقال يزيد: ما تصنع؟ قال : أقتله ، فقال له يزيد : أغمد سيفك فوالله لو فعلت لانقلب من معنا علينا[2]

يقول الأستاذ : « ومدح الفرزدق فى جملته من أبواب شعره الجيدة ، ومن أحسنه قوله :

إنى أرى يزيد عنـد شبابه لبس التقى ومهابة الجبـار
وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم
خضع الرقاب نواكس الأبصار[3]

وروى له من هذا الجيد غير ذلك

***

رثى الفرزدق و « رثاء الفرزدق قليل ، وهو إذا قيس ببقية أبواب شعره يقع مقصراً ، وما قاله عن اضطرار أو عن خوف ينم[4] على قوة ومقدرة كرثائه للحجاج وأخيه وابنه »

يقول فى الحجاج :

ليبك على الحجاج من كان باكيا
على الدين أو شارٍ على الثغر واقفِ[5] !

---

(١) فى مجمع الأمثال : « كالأشقر إن تقدم نحر ، وإن تأخر عقر . قالوا : كان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرس أشقر فجعل يقول : أشقر إن تتقدم تنحر ، وإن تتأخر تعقر : يقول لفرسه : يا أشقر ، إن جريت على طبعك فتقدمت إلى العدو قتلوك ، وإن أسرعت فتأخرت منهزماً أتوك من ورائك فعقروك ، فاثبت والزم الوقار ، وانف عنى وعنك العار . يضرب المثل لما يكره من وجهين » فالفرزدق يشير إلى هذا الخبر ، وأراد أن يقول الأشقر فقال الشقراء

(٢) اسمادير ضعف البصر وقد اسمدر بصره (اللسان)

(٣) الفرزدق من قصيدته فى هريم

(٤) العقر عند الكوفة بالقرب من كربلاء

(٥) كما يدل على ذلك قول الفرزدق فيه

(١) الرجرجة هى بقية فى الحوض كدرة خاثرة تترجرج شبه بها الرذال من الاتباع (الفائق)

(٢) ابن خلكان ، وفى الطبرى الجزء (٨) الصفحة (١٠٣) قول له فى التثبيط والنصح

(٣) الشعر فى يزيد بن المهلب . وفى (وفيات الأعيان) : لما حمل رأس يزيد بن المهلب إلى يزيد بن عبد الملك نال منه بعض جلسائه ، فقال له : مه ، إن يزيد طلب جسيما ، وركب عظيما ، ومات كريماً

(٤) فى الأساس : من المجاز : نمت على المسك رائحته

(٥) الشارى هنا المجاهد فى سبيل الله لا الشارى الخارجى . . .

وأيتامُ سوداء الذراعين لم يدع   له الدهر مالاً بالسنين الجوالف !

ومهمِلة لما أتاها نعيه   أراحت عليها مهمَلات التنائف

فقالت لعبديها : أريحا فعقّلا   فقد مات راعي ذودنا بالطرائف !

ومات الذي يرعى على الناس دينهم   ويضرب بالهندىّ رأس المخالف !

يقولون لما أن أتاهم نعيه

وهم من وراء النهر جيشُ الروادف [1]

شقيناو مات قوة الجيش والذي   به تربط الأحشاء عند المخاوف !

له أشرقت أرض العراق لنوره   وأومن إلا ذنبه كل خائف

ومقصدات الفرزدق ومقطعاته فى هذا الباب تخبر بأنه يجيد حين يريد . ومن صالح رثائه أبياته فى بشر بن مروان ، وختامها :

وكنا ببشر قد أمنّا عـــدونا

من الخوف واستغنى الفقير عن الفقر

وقد ذكر فيها أنه عقر فرسه على قبره ، وقال غير أبي عبيدة : ادعى أنه عقر فرسه ولم يعقره ...

يقول الأستاذ : « يدل على تخلفه فى هذا الباب أنه لما ماتت النوار لم يفتح عليه بما يصح أن يناح به عليها ... » وقال بشار : « كانت لجرير ضروب من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير »

وقول الأستاذ المردى فيه شىء من الحق ، وقول بشار معه البُطل . وإذا كان الفرزدق لم يمل عليه شيطانه شيئاً حين هلكت مطلقته النوار التى أشقى صلاَحها طلاّحه الدهرَ الأطول ... فهل يدل ذلك على أن لجرير ضروباً من الشعر لا يحسنها الفرزدق ؟ وهل الشعر رثاء وبكاء ؟ على أنا إذا جمعنا مراثى الخبيثين — ولجرير اثنتان وعشرون قصيدة ومقطعة ، وللفرزدق خمسة وعشرون قصيدة ومقطعة — ووازنا بينها موازنة المقسطين ، لم نر جريراً شأى صاحبه إلا برقته فى مراثيه لا ببراعة معانيه ، والأمر يؤول إلى لين العريكة وقساوة الخليقة . ثم إنه من قلة الإنصاف ألا ترى الرثاء إلا فى أن يذكر الشاعر وجوهاً خمشت ، وخدوداً لطمت ، وشعوراً نفشت ، وجيوباً شقت ، ودموعاً همرت ، والتياعاً وارتماضاً وأنيناً ...

إن للشعراء فى الرثاء والهجاء والثناء لمجالاً فى المقال ، وإن البارعين هم المجتهدون المتفننون لا المقلدون المبقبقون ...

يقول الأستاذ : « على أن له فى رثاء بعض بنيه شعراً يدل على أن الشجى خالط نفسه ، والآن عاطفته فنفث حرقة صادقة تشجى السامع كقوله :

بنى أصابهم قدر المنايا   فهل منهن من أحد مجيرى !

ولو كانوا بنى جبل فاتوا   لأصبح وهو مختشع الصخور !

إذا حنت نوار تهيج منى   حرارة مثل ملتهب السعير !

حنين الوالهين إذا ذكرنا   فؤادينا اللذين مع القبور !

وروى الأستاذ للفرزدق فى وكيع بن أبي سود المدانى :

فلو أن ميتاً لا يموت لعزه   على قومه ماما مات صاحب ذا القبر

ودفن ابناً له فالتفت إلى الناس فقال :

ما نحن إلا مثلهم غير أننا   أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا

(يتبع — الاسكندرية) ***

---

(١) جيش : فى رفعه أربعة أوجه : أحدها أن يكون بدلا من الواو فى يقولون ، والثانى أن يكون فاعلا والواو حرف للجمع لا اسم ، ويجوز نصبه على إضمار أعنى ، ومثل قول الفرزدق هذا فى العربية أكثر من الكثير

قواعد النقد الأدبى فى العربية

للأستاذ محمد ناجى

أتى على العصور الأدبية فى اللغة العربية أزمان قويت فيها الروح المعنوية فسالت كما يسيل الماء الصافى ، فلم تكترث للـفظ ، وغطّتِ الفكرة على كل شىء فكانت قوية قاهرة وهّاجةً تمنو لها الجباه ويقدرها النقاد ، وأتى على اللغة العربية حين آخر خبا فيه بصيص هذه الأفكار ، فعمد الكتاب إلى المساحيق والطلاء ليخفوا ضعف أفكارهم بالمحسّنات اللفظية غير الطبعية . ومع أننا فى النقد الحديث نحبّذ كلّ التحبيذ الفكرة القوية الساطعة التى هى نوع من الإلهام يتصل بالخلد ، ولا يتقيد بزمان ولا بمكان ، إلا أننا – مع ذلك – نقدّر كل التقدير القالب الذى تتجلّى فيه الفكرة ، إذ أن من توافقهما يخرج الأسلوب الحسن المناسب ، ونعرف الأسلوب بأنه حُسن تأدية اللفظ للفكرة التى يحتويها ، وكلما كان الأسلوب محسناً فى تأدية هذه الفكرة صمد لمعاول النقد الأدبى

وهنالك عناصر كثيرة تكوّن ذلك الأسلوب وتطبعه بطابع خاص ، فهناك شخصية الكاتب تفيض فى أسلوبه ، وهناك « ملامح » تلك الشخصية تتجلى فى استعمال ألفاظٍ خاصة نتوقعها كما نتوقع الدقة الموسيقية دليل الانسجام الموسيقى . ومن يقرأ أسلوب الكاتب الإنجليزى دكنز Dickens يصادف ذلك النوع من خفة الروح تداعبنا من خلال ألفاظه ونكاد ننتظرها قبل أن يقولها ، فهى تميز أسلوبه تميزاً تاماً عما عداه

هناك إذن عوامل شتى تتجمع فيما نسميه الأسلوب وتتألف من شخصية الكاتب ومن بيئته، ومن الأفكار المتعارفة فى وقته، ومن مجرى الحوادث السياسية والاجتماعية . لكن ما هى القواعد الأدبية والأقيسة التى يمكن أن نحكم بها على الأسلوب كما عرفناه؟

لا شك أن لكل قطعة حسنة الأسلوب جيدة التعبير عن المعنى الكائن خلفها ، روحاً خاصًا قد نفهمه ؛ وقد لا يمكن مهما حاولنا بأقيستنا أن نعرف نوع الجمال والسحر اللذين فيه ، فغاية ما يمكننا أن نقول عنه إنه جميل . ثم هناك الجثمان اللفظى الذى يحوى الفكرة المعنوية ، وهذا الذى يمكن أن نطبق عليه أقيستنا الصغيرة . وقد نقف أحياناً مكتوفى الأيدى أمام القطعة الشعرية فلا يمكننا أن نعبر عن الجمال الروحى الذى بها ، إلا أننا قد نبسط هذا التأثير بأن نقول : إنه ملك علينا مشاعرنا فحسب وأنه حاز رضانا وإعجابنا . ولما كانت مشاعرنا تنحصر فى هذه الحواس الخمس وفى ذلك الشعور الباطن بالجمال الذى نملكه ، وفى تلك الأفكار التى تحوى نماذج خاصة نقيس عليها كل جمال نراه ، فيمكننا أن نقول : إن القطعة الأدبية تدخل علينا السرور عن طريقين كبيرين : أحدهما عن طريق العين والمرئيات فهى ترسم لنا صورة بارزة وأخيلة قوية ناطقة ، وثانيهما عن طريق الأذن بواسطة السحر الموسيقى . فانسجام القطعة الأدبية يعرضها لنقدنا فوق كل شىء عن طريقى البصر والسمع ، ثم عن طريق قوة العاطفة والفكرة . وعلى هذا الأساس يمكننا أن نضع قواعد بسيطة للنقد الأدبى

أولاها اختيار اللفظ الذى يحسن أداء المعنى المقصود. يقولون عن الشاعر أو الناثر المجيد إنه لو انْتُزع لفظ من كلامه لما أمكن وضع بديل منه يؤدى نفس المعنى فى نفس المكان ؛ ونتبين مقدرة الكاتب من هذا الاختيار للفظ الذى لا يمكن العبث به ولا التبديل فيه . ومن هنا نتبين قوة أسلوب الكاتب ومرونة ذلك الأسلوب ليفى بالغرض المطلوب منه فى كل قطعة على اختلافها ، ولتأدية الأغراض المختلفة فى القطعة الأدبية

يلى ذلك اختيار الكلمات وتنسيقها تنسيقاً موسيقياً ، أو كما يرتب الرسام ألوانه ليخرج لنا الصورة الفنية . ولننظر فى قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) فترى فيها الانسجام اللفظى البديع الذى لا يتأتى لأى تنسيق سواه أن يرتفع إليه . فقوله « أكملت » تراه يتردد فى لفظ « أتممت » وفى لفظ (الرضى) الإلهى ، كما يتردد النغم الطيب ، فهذا إكمال الدين من جانب البشر ، يقابله « إتمام » النعمة من جانب الله ، وينتج عنه الرضاء . ثم انظر إلى لفظ « الدين » فى الأول و « الدين » فى الآخر ، ولفظ نعمة فى الوسط وهى ترادف آخر للفظ « الدين » . ولست أجد أبدع فى ترتيب اللفظ من آى القرآن

أما الناحية الثالثة فهى الوزن والقافية فى الشعر . ولست أدرى لماذا أريد أن نتحرر من هذه القوافى التى تتحكم فى أخيلتنا بلا مبرر والتى تلزم الشاعر ترتيباً من الأفكار قد يختل فيه الانسجام ، ويضيع عنده الجمال . ولست أدرى ما الذى يحول بيننا وبين أن نخرج على هذه البحور « الأثرية » التى قيدنا بها الخليل بن أحمد . ولست أدرى لماذا نظل فى الموسيقى الفردية ولا نخرج منها إلى الموسيقى الإجماعية Orchestral Music التى يتكون فيها الجمال الفنى من تضافر أنغام مختلفة لآلات كثيرة تساهم كل منها بنصيبها فى تكوين القطعة . وليس من شك فى أن للبحور الشعرية موسيقى خاصة، ولكن موسيقى كل بحر إنما هى موسيقى فردية ، فلنجعل للقافية وللوزن مكانهما فى الشعر ولكن يكون أوسع من مكان الترجيع الممل فى الموسيقى الفردية . وهناك إلى جانب هذا تمثيل الصوت بحيث يؤدى المعنى ويسمى Onomatopœia ، وقد نظم تنيسون Tennyson مقطوعة شعرية عن البحر ، نتخال وأنت تقرأها أنك تسمع صوت جرجرة البحر وصخب الأمواج ، وقد تم لشاعر ذلك بانتخاب أحرف خاصة .

ثم المجاز والتشبيه ، وهما كنان ينبنى أن نجعلهما يخدمان الفكرة لا أن نخدمهما ، فهناك مواقف نحتاج فيها إلى التشبيه ، ولا يمكن فهمها بدونه ، خاصة إذا كان المعنى المراد تأديته إنما يقرب للذهن إن نحن ألبسناه صورة خاصة من الشبه .

أما الناحية الأخيرة من نواحى النقد فهى التأثير الفنى الإجمالى

لكن ما هو هذا التأثير الفنى ؟ وإخالنى أرى أولئك الذين ينتخبون ملكات الجمال ، فيعمدون إلى قياس التناسب الجسدى لمعرفة التناسق الجمالى ، يسألون أنفسهم نفس السؤال : ما هو الأثر الإجمالى الذى يعطيه هذا التناسق الجسدى فى مجموعه ؟ وفى اعتقادى أن الإجابة على هذا السؤال تتوقف فى النهاية على تمييز هذا المجموع عن ذلك . إن لكل قوم ولكل زمان نماذج خاصة للجمال ، وقد يفهم كل من الجمال بقدر ما توازنه من صور الجمال فى ذهنه أو بقدر ما يصبو إليه فى زمنه .

قد يقرأ القارئ قطعة ثم يعود إليها فيفهم منها غير ما فهمه فى المرة السالفة . ولشكسبير بعض قطع كلما قرأتها تبين لك معنى جديد ، فكأنما الكاتب قد ملك ناصية المعانى وهو يكتب إليك من علياء بيانه فتقرأ تعبيره يوماً ما ثم يذهب بك الزمن فتقع فى نفس الظروف والملابسات التى عرضت لذلك الكاتب فتتذكر اللفظ الذى كتبه وترى معنى جديداً

حقاً ما أشق مهمة الناقد وما أوهن قواعد النقد !

محمد ناجى

كتاب الأغانى

لأبى الفرج الأسكندرانى

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

أصلحتُ ما قال سيبويه بما رآه « أوبر كرومبى »
قد أصبحت مصر فى لغاها مصباح شرق وزيت غرب
وصرت فى أمتى زعيماً كأننى طلعت بن حرب

الشعر للأستاذ أحمد الشايب ، وفيه لحن لما يضربْ لصغر سنه

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال : لما وضعت كتابى «الأسلوب» عمدت فيه إلى تهذيب المنهج القديم فى تعليم البلاغة . فراجعت كتاب المستر أوبر كرومبى ، ومزجت ما يسميه الإنكليز بال « روتاريك » بما يسميه العرب « بالبلاغة » ، وأخرجت من ذلك كتاباً فى الأسلوب على طريقة كتاب Art of expression

قال أبو الفرج : ولقد طالعت هذا الكتاب فوجدته بديعاً ولا عيب فيه غير أسلوبه

قال : واعتذر الأستاذ الشايب عن ذلك بالقاعدة الانكليزية فى أجرومية تلك اللغة A preposition is a bad word to be endid with قال وهذه القاعدة عند علماء البلاغة فى كل اللغات أن يكون الحد اللفظى لما مخالفاً للمعنى الذى تضمنته كما يقال فى البلاغة العربية : « قبيح أن تبدأ الجملة بلفظ قبيح » . قال وهذه القاعدة تصلح ترجمة للقاعدة الإنكليزية التى ذكرتها

قال أبو الفرج : والحق أن المركّب الذى استحدثه الأستاذ الشايب للبلاغة مركب بديع، وقد خرج فيه عن الطريقة العربية للمركب المزجى وقارب الطريقة التى ذكرها الأستاذ فرويد لمركباته المختلفة .

حدثنا الأستاذ سلامة موسى قال : إن مركب النقص ومشتقاته ليست هى كل المركبات وإنما ذكرت منها ما ذكرت فى المجلة الجديدة على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر، فهناك مركب مثلاً اسمه مركب الدعاية العلمية وهو يتعلق بالدعاية دون غيرها ومرده بالطبع إلى أشياء أخرى غير الغريزة . ومن أمثلة هذا المركب أن فى الأسكندرية شاعراً جهيراً اسمه الدكتور زكى أبو شادى وناقداً كبيراً اسمه الأستاذ اسماعيل أدهم، وهما يشتركان فى تأليف كتب باللغة الإنكليزية ويوقعانها معاً بأسماء مستعارة، ولكن الدكتور زكى أبو شادى يوقع بلقبه العلمى فقط: «الدكتور» ويوقع الأستاذ أدهم باسم « ليونارد هاركر » ويرى الناس التوقيع هكذا : « الدكتور ليونارد هاركر » ويحسبونهما رجلاً واحداً بهذا الاسم والواقع أنهما اثنان أحدهما دكتور شاعر والثانى ناقد

قال الأستاذ سلامة موسى : « ولما عرفت هذه الحقيقة ، وجدتنى أنطق الشعر على الرغم من كراهيتى له ، وقلت أهجوهما :

كم ناقد أبسط من شاعر وشاعر أمكر من ناقد
فكيف بالله ترى خلة قد ضمت الوصفين فى واحد

قال: وواحد هنا لا تشير إلى فرد منهما وإنما تشير إلى المركب الذى مزجهما معاً .

حدثنا الأستاذ اسماعيل مظهر قال : إن نظرية فرويد مردها إلى النسيان. ولقدبوب كتابه عن الحياة اليومية على أساس من ألوان المنسيات، فباب عن نسيان الأرقام ، وآخر عن نسيان الوجوه ، وثالث عن نسيان الأخبار وهكذا . وفى الحق أن الأستاذين اسماعيل أدهم أو الدكتورين زكى أبو شادى لم يتجها قط إلى المزج، وإنما أرادا التوقيع بكامل اسميهما ولقبيهما ، ولكن أحدهما نسى اسمه بعد أن كتب كلمة الدكتور ، والثانى نسى لقبه قبل أن يكتب اسمه ليونارد هاركر ، ولقبه هو البروفسور

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال : أما المركب الذى استحدثته بمزج البلاغتين العربية والإنكليزية فليس من هذا النوع وليس منشؤه النسيان، وإنما وقع لى هذا الخاطر المبارك أيام كنت موظفاً فى حكومة السودان وكان الحكم فيها ثنائياً فأنشأت كتابى « الأنجلو اجبشيان أسلوب» لمدارس الأنجلو اجبشيان سودان . أليس كذلك ؟ أوريت ! وفى رواية أخرى أنه لم يقل : أوريت ، وإنما قال : أوكيه

حدثنا الدكتور زكى مبارك قال : هذه والله بدعة قبيحة من

المثقفين بالثقافة الإنكليزية . ولقد سمعت منذ أسابيع محاضرة أذاعها الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني من محطة لندن فنعى علينا نحن الفرنسيين المصريين أننا أدخلنا على الأدب المصرى عنصر المغالاة وأننا بعد أن بشرنا بالرومانيكية سكتنا . سامحه الله! ومن الذى يزعم أنى سكت أو أنى سأسكت ؛ على أن الأستاذ المازنى قد فاته أن يتحدث عن بدعة الأستاذ الشايب

وحدثنا الأستاذ المازنى قال : لقد أذعت محاضرتى قبل أن يصدر كتاب الأسلوب وأنا الآن أتحدث قبل أن أقرأ الأسلوب فما للدكتور زكى يتعجلنى قبل الأوان ؟ أيحسب أنه يطيق مهاجمتى كما هاجم غيرى من قبل ؟

حدثنا الدكتور زكى مبارك قال : ما لهؤلاء يتهموننى جميعاً بالشغب؟ أترانى أفعل كما فعل قرقوش فأصدقهم وأكذب عينى ! وحقهم جميعاً لا أشاغب ولا أحب من يشاغب ولولا أن الرهبنة ليست فى الإسلام لودعت الناس جميعاً وقضيت بقية العمر راهباً فى مسجد نوتردام دى سنتريس !

ليت الصبايا يترهبن ويدخلن معى الدير ! إذن لكنت أشهر من أحدب فكتور هيجو صاحب كنيسة نوتردام دى باريس ! آه لو ترهبت الصبايا !

قال أبو الفرج : والحق أن أصدقاء الثقافة الفرنسية كانوا أقدر على الاختراع والابتكار حتى ظهر كتاب الأسلوب مازجاً بين البلاغتين فتم الانتصار فى الابتكار لأصدقاء الثقافة الانكليزية

حدثنا الأستاذ أحمد الشايب قال : وهل يحسب أحد أن التقريب بين مصر وبين حليفتها من حيث البلاغة ليس إلا ضرباً سامياً من ضروب الوطنية ! أليس ذلك مؤدياً إلى حسن التفاهم بين الأمتين فى المستقبل ؟

قال أبو الفرج : أما وقد أشار الأستاذ الشايب إلى الوطنية فما سمعت فى الشعر المصرى أروع وطنية من شعره ، ولا رأيت فى النقد المصرى أقوى من تلك الوطنية فى نقده .

قال: لقد قرأت نقد الأستاذ الشايب لبهاء الدين زهير فرأيته يهزه هزاً عنيفاً ويسأله : أين شعره فى الحروب الصليبية ، وأين وطنياته المصرية ؟

ولقد قرأت نقده للمتنبي فرأيته يهزه كذلك هزاً عنيفاً ويسأله أين شعره فى النيل ؟

وهو على الرغم من سمو مكانته يلجأ بدافع الوطنية إلى التضحية ليكون قدوة ومثلاً لغيره من الناس ، فكان أول أستاذ جامعى تطوع فى فرقة الإنقاذ من الغارات الجوية .

قال : ولقد كنت وإياه وجماعة من المصطافين القاهريين بالإسكندرية عندما أطلقت صفارة الخطر على سبيل التجربة . فقام الأستاذ الشايب من فوره وارتجل هذه القصيدة ، وليس أدل منها على وطنيته وإنسانيته :

صوت

صفير كصوت البوم ينعق ناعيا ... تُكِلْتَ من المدعوّ ويحك داعيا

فودعت أهلى واتخذت كمامتى ... وبَدْلتى الصفراء وانسقت باكيا

والبذلة الصفراء هى ثوب من المطاط يرتديه المتطوعون فى فرق الإنقاذ

أفتش بالأذنين عن صوت معول ... ولا معول إلا المنون المناديا

أزيز نسور ترسل الموت مُلهَباً ... وروحاً بلا جسم وصلباً وجاريا

نخضت الردى جوّاً وماء وخضته ... لهيباً وأحسست الردى فى كيانيا

وفوق يسارى شارة تستحثنى ... وتهتف بى أن لست وحدك فانيا

وتهتف بى من مات لم يعد عمره ... ومن مات لم يلق المنية ثانياً

وفى عضلى المفتول محمل خائر ... فإن لم يجدنى منقذاً فمواسيا

وفاضت على صدرى نفوس كثيرة ... ووكلت بالأخرى الطبيب المداويا

فيا غارة ما كان أبشع خضتها ... وهوّن منها أنها فى مناميا

الشعر للأستاذ أحمد الشايب وفيه لحن من صنعة الأستاذ حمدى باشا الديب تضرب على نغمة صفارة الخطر .

« يتبع » عبد اللطيف النشار

الجبر والاختيـــار

فى كتاب الفصول والغايات

[مهداة إلى الأستاذ محمود حسن زناتى]

للأديب السيد محمد العزاوى

— ٣ —

« ... وقول الحق أمثل من السكون ، واستقامة العالم لا تكون ، ولذة الدنيا منقطعة ، وخبر الميت غير جلى إلا أنه قد لقى ما حذر ، فاسع لنفسك الخاطئة فى الصلاح ... »

ومن مظاهر هذا التفكير ما انتهى إليه من نظرته فى الجبر. وأول ما يمكن أن نصادفه من هذا التفكير مشكلة خلق الأعمال ومشكلة التكليف وأمر البعث . فإن المسألتين الأخيرتين نتيجتان مباشرتان لمشكلة خلق الأعمال تتأثران بها سلباً وإيجاباً . فإذا ما أثبت للانسان خلق الأعمال صحت إذن تعاليم الأديان بشأن القيامة والحساب ، وإذا أثبت ذلك لله سقط التكليف عن البشر وانهدمت فى رأى العقل والعدل فكرة الحساب والعقاب . ويبدو أن هذا ما يميل إليه أبو العلاء ، وإن لم يصرح به تصريحاً . وهو كما نعلم قد أسلم قياده للعقل ، وعقله أدان بالجبر المطلق فلم يكن من الحق فى شىء أن يثبت بعثاً ولا تكليفاً ما دام قد أثبت الجبر فى الأعمال . بل كان العقل يقضى صراحة بالرفض إلا إذا كان البعث والحساب جبراً كذلك ، وهذا ما لم يفعله أبو العلاء منزهاً الله عما يراه من عبث

يرى المعرى نفسه مجبوراً على أن يفعل ما يأتيه لا خيرة له والقدر من حوله « أخو الحياة » فيقول : « كذبتْ النحاةُ أنها تعلم لم رفع الفاعل ونصب المفعول ، إنما القوم مرجون ، والعلم لعالم الغيوب ، خالق الأدب والآداب[1] » فهو لا يرى أن القائم بالفعل هو الفاعل الظاهر ؛ وإنما الفاعل شىء آخر « بيده نواصى العبـاد ، لا يخرج بما يقضيه الجد ولا الحيوان ، ولا يفعل إلا ما رضى وشاء ، وغير متعلق به الزيغ والخطأ ، ولا شىء من الدنيات » هذا الشىء يخشى أن يصفه بصفة ما[1] « وإن فعلت خشيت التشبيه ، وأشركتُ الضعفة العاجزين ، مع القوى القادر فى بعض المقال إذا قلت فعل الأول وفعل النعمان ، وهيهات ما أبعد بين الفعلين[2] » وقد يبدو هنا أنه أسند إلى النعمان فعلاً قام به ابتداء منفصلاً عن الأول كما يشعر بذلك قوله : « ما أبعد بين الفعلين » ولكن ما الرأى وهو يرى عكس هذا ، ويصرح به فى نصوص صريحة لا تحتمل الشك ولا التأويل نحو قوله : «وعملى مكتوب مكلوء ، مقترى بالحفظ ثم مقروء ، وثوب الحياة عنى مسروء ، وغير القدر هو المدروء ، لا يبعد عنى السوء ، أهمُّ بالخير وأهوء ، والأقدار دونه معترِضات[3] » فهل رأيت إلى ذلك المكتوب ؟ ومحاولته فعل الخير فلا تمكنه من ذلك الأقدار لأن الذى قدرها لم يقدر له أن يفعلها ؟ فيغضب أبو العلاء لذلك ويصيح أن « لو كانت المناقشة فى غير عالم المستودعات لتمنيت أن تُلقى إلىّ صحيفة العمل فأضرب على ما ضمنته رُجاة الإضراب[4] » ولكنه يائس من ذلك ؟ « هل يعصمنى الاجتهاد وقد سبق حكمه أنى من أهل الخسار، أم يضرنى التقصير وقد نفذعلمه أنى فى درجة الأبرار[5] »

وقد يعترض على ذلك بأن أبا العلاء نصح بأن « اترك المضلة إلى المرشدة ؛ فإن طرق الخير كثير » وقال: « ما يمنعك أن تخيَّر القسى وأنت فى بلاد الضال ؟ » ولـكنه رد فيما أوردت على ما يمنع المرء أن يترك هذا إلى ذاك أو أن يتخير القسى .

فالأعمال إذن حكم مقدرعلى المرء ، لايستطيع أن يحيد عنه ، ولا أن يعدل إلى غيره . وما معنى أن يعدل المرء عن « حكم » إلى « حكم » ؟ وهو يذهب إلى ما ذهب إليه فى مسألة الأرزاق من أن الأحكام تجرى على نهج غامض كذلك ، لايدرك أويعلل ، كما جرت الأرزاق على نفس الغموض والإبهام .

ولا يمكن أن تجد عند أبى العلاء علة يقنعك بها أو يقنع نفسه . وإنما العلة لديه أن « الناس أربعة نفر : مسعود نحس فهو المرحوم ، ومنحوس سعد فهو المحسود ، ومولود بالسعادة إلى أن يموت فذلك المكرم المرموق ، وثابت على الشقوة فذلك المُطَّرَح المرفوض . »

(١) ص ٧٨

(١) ص ٣٣١ (٢) ص ٨٨ (٣) ص ١٤٩ (٤) ص ٥٩
(٥) ص ٣٣١

وهو يمضى بعد ذلك إلى استخلاص الحكم فى هذه القضية، وينظر ما يشير به العقل ، فهو يتساءل ما دام كل شىء بحكم الله وقدره « فهل أثم قَيْنٌ فتق خشبة مشرفى كأنما درجت عليه بنات الجثل والدعاع ... فلما تم وكساه الأديم ورواه بمثل ذؤابة الوليد وذلك بعلم الله ... ... مرت رفقة من التجر فى أعقابهم طالب رزق يقوم الليل ويصوم النهار ، فوثب الداعر فضرب عنق جارمة عيال فما تطعم عيونهم من جثاث ؟[(١)] » وهو يعرض إلى تلك الفكرة فى بيان جلى يزيدها تفصيلاً حين يقول : « وليس للسان ذنب إنما الذنب لمحرك اللسان ، كفارس طعن برمح فقتل غير مستحق للقتل ، فالجانى الفارس ، والرمح غنى عن الاعتذار . وإذا سعت القدم إلى قبيح فالجريمة لناقلها . مثل رجل ركب فرساً فأخاف سبيلاً فاستوجب العقوبة الرجل دون الجواد ... وإذا خانت اليد فالباسط لها الخب الخئون ... » ومن هو محرك اللسان ومن مسير الفارس ؟ وهل كان فى إمكان محرك اللسان ألا يحركه ، والفارس ألا يطعن برمحه ، وناقل القدم ألا ينقلها ؟ كلا، لم يكن ليستطيع ، إذن فلا لوم عليـه ولا تثريب . ولكن ماذا نقول وأبو العلاء يأبى أن يقول ذلك صراحة ؟ فهو لا يعرض لها فى بيان أكثر مما نرى . فهو حذر يود ألا يتعرض صراحة لأمر ليس على علم به . ذلك هو أمر الموت وما بعده من الحياة الآخرة . فهو يجهل أمرها جهلاً يتمنى معه أن يعثر « بمخبر يعتام نفائس ما أقدر عليه يعلمنى بعد الموت كيف أكون[(٢)] » وهو نفسه يصرح تصريحاً بهذا الخوف والجهل ويلوم نفسه أنه لم يتخذ الحيطة والحذر حيال هـذا الأمر الغامض « وقد سئمت الحياة « وأخاف » أن أنقل فأقدم على ما حزن وساء وأنا أغفلت الحزم : ملت عن الجدد ومشيت فى الخبار[(٣)] »

ولـكن ما دام المرء لا يأتى أفعاله مختاراً فلم البعث والحساب ؟ الواجب ألا يكون بعث ولا حساب إلا إذا كان جبراً هو أيضاً وهو عبث ينزه عنه الله. على أنه يرى أموراً مادية تحول عقلاً دون حدوثه إذ يصرح أن : « لو غبرتُ ألف حقبة ما ورد على منهم كتاب ولا رسول ، وعندى خبر خبرنيه المعقول : إن جلود القـوم تمزقت ، واللحوم بليت وتهالـكت ، وصارت الأعظم رماماً[(١)] » . وهو يسخر من أهل الدار الآخرة سخرية هادئة لاذعة فى وقت معاً « سلم الله عليكم أهل ديار لا يشعرون بتبلج الصبح ، ولا ترجل النهار ، أشتاق إليكم وإلى من أشتاق ؟ الأرواح متكلمة ، ولا الأجساد ملتئمة ، ولا المنازل برحاب[(٢)] » على أنه يؤمن الإيمان كله أن مصيره هو نفس هـذا المصير ، « أما اللحاق بالقوم فقريب ولست من لقائهم على يقين فالقلب لذلك آسف حزين ، أفترانى أوجر على ذلك وأثاب ؟ ![(٣)] » فهو حزين كما ترى لأنه لا يستطيع أن يتبين حال الأموات فى الدار الأخرى ، ولأنه لا يستطيع أن يؤمن بلقائهم . وهو يميل إلى أنه لن يلتقى بهم لما قدم من أسباب ، فإذا ما أراد بعد ذلك أن يحيى أباه حياه « تحية رجل للقيا ليس براج[(٤)] » وغير هذا من النصوص كثير يدل على وجهة نظره فى البعث . وقد يقال بأنه يؤمن ببعث الأرواح دون الأجساد فقد قال: « عززت باعث الأرواح » ولكنه قال : « والله باعث الأرمام » وقال: « ولا يمتنع أن يكون (جسد) الصالح إذا قبر فى نعيم ، و (جسد) الكافر فى عذاب أليم » فهو لم يجزم بشيء . فالأمر لديه أمر لا يمتنع . ثم هو يتساءل لماذا يعذب الله المسىء ويثيب المحسن وكل الفعلين قد صنع ؟ ولكنه يتراجع متهما نفسه « فسبحان الله غافراً ومعذباً . أالرشد دفين أم أنا أفين ؟ » لا يركن إلى حال من الطمأنينة والثبات كما قلت : « فالدنيا فانية ، والنفس لا تأمن التبعات[(٥)] » « ولبى ينذر أن الحازم حـذر وقد أمنت وأنا مسىء[(٦)] » لذلك فهو يرى أن « الحازم الذى لا يأبس ، يمجد الله ويقدس ، وبغير طاعته لا يتبس « لعل » الأجل يدركه من أهل الصفاء . »

وكل ما يمكن أن نأخذه عن أبى العلاء فى أمر التكليف وشأن البعث إنما هو جهل وتوقف لا يثبت شيئاً ولا ينفى شيئاً ، ولعلنا لو قرأنا الكتاب جميعاً لن نجد ما يمثل آراءه فى صراحة أحسن من قوله : « وقول الحق أمثل من السكوت ، واستقامة العالم لا تكون ، ولذة الدنيا منقطعة . وخبر الميت غير جلى ، إلا أنه قد لقى ما حذر فاسع لنفسك الخاطئة فى الصلاح[(٧)] »

وأبو العلاء حين يتعرض « للفاسق » ومرتكب الكبيرة

(١) ص ١٧٠ (٢) ص ٢٧٨ (٣) ص ٢٣١

(١) ص ٤٤١ (٢) ص ٢٢ (٣) ص ٤٧ (٤) ص ٢٥٩
(٥) ص ١٤٨ (٦) ص ٣٥٥ (٧) ص ٣٥٨

أهو خالد فى النار ، نجده يميل إلى التفاؤل تارة فيعتقد أن « غفران إلهنا مأمول[١] ولكنك أيتها الحشاشة فرطت فأوبقت ، فانظرى هل لك من متاب » « إن لقيتِ شراً فما أجدرك ، وإن لقيتِ خيراً فإن الله صفوح لا يعجز ولا يشبه العاجزين » وهو يتفاءل حين يقرر أنه « ما جنت السيئة فالحسنة تديه[٢] والله غافر ذنوب المنيبين[٣] » بل هو يذهب إلى أبعد حدود التفاؤل : « لا آيسُ من رحمة الله ولو نظمت ذنوباً مثل الجبال سوداً كأنهن بنات جير ووضعتهن فى عنق الضعيفة كما ينظم صغار اللؤلؤ فيما طال من المقود ، ولو سفكت دم الأبرار حتى أستنّ فيه كاستنان الحوت فى معظم البحر ، وثوباى من النجيع كالشقيقتين ، والتربة منه مثل الصربة ؛ لرجوت المغفرة إن أدركنى وقت للتوبة قصير مالم يحل الغصص دون القصص ، والجريض دون التعريض ، ولو بنيت بيتاً من الجرائم أسود كبيت الشعر يلحق بأعنان السماء ويستقل عموده كاستقلال عمود الوضح ، وتمتد أطنابه فى السهل والجبل كامتداد حبال الشمس ، لهدمه عفو الله حتى لا يوجد له ظل من غير كباث[٤] » فانظر إلى أى حد يطمع فى عفو الله ، ويؤمل مغفرته . على أن ذلك لا يمنعه ألا يسأل « هل من راق ، لذى إيراق ، بات شاكياً من الخيفة باكياً ، يسأل ربه غفران الكبائر ، والله القابل توبة التائبين؟[٥] » « ما أحسنت فأطلب الجزاء ولكن أسأت فرادى الغفران . ومن لى بالوقفة بين المنزلتين لا أكرم ولا أهان[٦] وقد يؤديه هذا السؤال إلى اليأس أحياناً : « كيف أغسل الذنوب وقد صار لونها كسواد اللابة والغداف كلما غسل حجر هذه وريش ذاك ازداد سواداً بإذن الله » . فهو يصف مجهوده فى محاولة غسل الذنوب ، ولكن هذا المجهود يذهب عبثاً لأن الله لا يريد : « ولو شاء لبعث مطراً تبيض تحته اللوب ، وطيراً مثل النوب ، ولكنه أجرى العادة بما تراه ... ولكن ما هذا الذى تراه ويعتقد أبو العلاء أنك تراه معه؟ لا شىء إلا أن الله قدره يحتث المنية لتجتث وأنا جاثم» أو جاث فانظر إلى أى شىء اتجه ذهن أبى العلاء؟ اتجه إلى الآخرة كذلك والمنية ، وهو يخشاها لأنه يجهلها ويفزع منها فزعاً يقرب من فزع الأطفال : فأينما ولى وجهه لم يجد إلا هذه المنية التى تجتث الناس ، وهذا الميت ذو الحال المبهم ، وتلك الحياة الأخرى الغامضة المرعبة ، التى نجد فى أمرها . أيثبت ما قالت به الأديان ، أم يثبت ما أوحى به عقله ؟

فى تلك المسألة أيضاً — مسألة الخلود فى النار — لا نجد أبا العلاء يثبت شيئاً ، وإنما هو متزعزع مضطرب متفائل حيناً ، متسائل حيناً ، شاك متشائم حيناً آخر !

غير أننا لو تأثرنا شبح الكلام فى ذات الله لديه فى فصوله والغايات لوجدنا صدى الكلاميين وغيرهم . على أنه يقول : «لا أعلم كيف أعبر عن صفات الله وكلام الناس عادةٌ واصطلاح، وإن فعلت ذلك خشيت التشبيه . . . ، . . . كيف يوصف بشىء خالق الصفات[١] » فهذا نص صريح لا يحتمل الشك فى أنه لا يثبت لله غير ذاته ، فليس هو من الصفاتيين فى شىء وإنما هو من المعطلة . وقد أثبت أنه « لا أعلم كنهك ولا أهوء[٢] » وأن « الله القديم الأعظم ، وبحكمه جرى القلم ، ألا يخلد عالم ولا علم[٣] » ولكنه إن اعترف بكون الله « شاهداً ما غاب ولن يغيب ، وقديماً ليس لابتدائه وجود ، تقاصر لأوليته طوال الأعمار ، كالأخيلة إذا حدثتك عنها النظرة الأولى كذبتها الثانية[٤] » فإنه يقرر شيئاً خطيراً إلى ذلك . هو لا يتصور أن الله خلق المادة من العدم أو أنه وجد قبل الزمان والمكان وإنما هو « رأى ما يحدث فى هرم الدهر ، والزمان فى شرخ شبيبته أيام نعام الكواكب وضائع فى الأدحى ، ونسورها فراخ فى الوكر ، وأسدها شبل فى الغابة ... إن كان ذلك فقد علمه ، وإن امتنع فالله مؤقت الميقات » .

(للبحث بقية) السيد محمد العزاوى

(١) ص ٤٦ (٢) ص ٢١٤ (٣) ص ١٩٨
(٤) ص ١٧٩ (٥) ص ١٦٩ (٦) ص ١٧٣

(١) ص ٨٠ (٢) ص ٣٧٤ (٣) ص ٢٥٨ (٤) ص ٩٢

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابي

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح
وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



وسئل رئيس الوزراء عن وجهة نظره فى دعوة المجلس دون الرجوع إلى الخديو، فكان جوابه أن الخديو قد نشأ الخلاف بينه وبين وزرائه بحيث لا يمكن الاتفاق بينه وبينهم ، ولذلك فقد دعى المجلس دون مراعاة سلطته فى هذا، ثم قال: « إن شكوانا من سموه هى أنه سلك مسلكاً يقضى على استقلال مصر وكثيراً ما فعل ذلك دون مشاورة وزرائه »[(١)]

والحق أن توفيقا كان يود التخلص من هذه الوزارة بأى ثمن وفيها البارودى الطامع فى عرشه ، وعرابى زعيم الحركة القومية الذى يسير بطبيعة حركته فى طريق تعتبر عند الخديو طريق الضلال والعصيان وتعد كل خطوة فيها ثورة وتكبر ، وأى شىء آلم فى نفسه من أن يرى فلاحاً من أبناء هؤلاء الذين ما خلقوا إلا للفأس والطاعة العمياء يتربع فى كرسى الوزارة ويتكلم إذ يتكلم باسم الأمة ويقبل ما يقبل أو يرفض ما يرفض باسم الأمة ؟

ولقد عاب كثير من الناس على البارودى وعرابى مسلكهما تجاه الخديو فى تلك الأزمة ، وحجتهم أن الواجب كان يقضى على البارودى أن يترك الحكم ما دام قد استحكم الخلاف بينه وبين الخديو ، ولقد يبدو هذا الكلام وجيهاً لمن ينظرون فى النتائج دون تمحيص المقدمات ، أما الذين لا يصدرون حكماً إلا عن تقص وفهم فلا يذهبون مذهب هؤلاء ، ولا يقيسون قياسهم

وليست المسألة دقيقة على الأفهام حتى تتشعب فيها وجوه الرأى ، فحسب هؤلاء العائبين على الوزارة مسلكها أن يذكروا أن الخديو كان يعمل بوحى من الإنجليز وعلى ذلك فإجابته إلى مبتغاه لن تكون إلا تسليماً لأعداء البلاد ، الأمر الذى لن يقبله وطنى ؛ ولو أن الأمر كان خلافاً بين الخديو ووزرائه ، وكان الخديو يريد وجه الوطن لكان من السهل جداً أن يحتكم إلى الأمة ممثلة فى مجلسها النيابى ويجعل له، عن طيب خاطر، القول الفصل فى الخلاف

وهل كان يحمد من الوزارة أن يكون قصارى جهدها الاستقالة من الحكم وإنها لفى موقف جهاد ومقاومة لدسائس الدساسين ومطامع الطامعين ؟ كلا . بل إنا لنرى استقالتها فى تلك الظروف ضرباً من الفرار ومثلاً من أبلغ أمثلة الضعف ، وعلى الأخص إذا سلمنا بموقف الخديو من القضية كلها على النحو الذى نذكره ، والذى لن نجد دليلاً على صحته أبلغ مما ذكره لورد كرومر فى كتابه حيث يقول : « إنه بين للسير أدوارد ماليت فى يوم ٦ مايو أنه يؤثر أن تفقد مصر بعض امتيازاتها على يد الباب العالى وتعود إليها السلطة المنظمة على أن تبقى فى مثل تلك الفوضى » ومعنى هذا أنه كان يريد أن تطلق يده فى مصر فيحكمها كما يشاء ولا عبرة فى سبيل الوصول إلى هذا الغرض بمبلغ ما تفقد مصر مما حصلت عليه من امتيازات خطت بها خطوات واسعة نحو الاستقلال

وإن الذى يرى هذا الرأى لن يكون احتكامه إلى قواعد الدستور إلا ضرباً من المغالطة ، فإذا كان الدستور يقضى باستقالة الوزارة إذا تعذر التفاهم بينها وبين الخديو فلن يكون ذلك إلا على أساس احترام الخديو لذلك الدستور فى جملته وتفصيله . . . وما أخطر أن يتخذ الدستور أداة لطرف منهما بالتحايل عليه بما ليس فيه . . .

وقفت وزارة البارودى لا تتحول ولا تلين فكان موقفها هذا ثورة لا شبهة فيها ، ثورة قومية كأروع وأجمل ما تكون الثورات القومية ، وهو موقف نراه جديراً بالإعجاب والتقدير ، وما نحسبه

(١) Cromer — Modern Egypt

لو كان فى بلد غير بلدنا إلا كان يعد من المواقف المشهودة التى تذكر فى مواطن الفخر والمباهاة

وكانت الوزارة قوية بادئ الأمر لأنها كانت ممتزة بالنواب وإجماعهم على الأخذ بناصرها ، ولكنها نظرت فإذا بينهم تهامس وفى صفوفهم إسرار وإعلان ، وإذا كبيرهم سلطان يدعوهم إلى الحكمة والروية ... وكم تحمل على الحكمة والروية أعمال ليست منها بسبب من الأسباب ... قال سلطان باشا يومئذ للسير أدوارد ماليت : « لقد أسقط المجلس شريفاً تحت ضغط عرابى ، وإن نفس الأعضاء الذين ألحوا فى ذلك أكثر من غيرهم – وقد استبان لهم أنهم خدعوا – يتوقون اليوم إلى إسقاط الوزارة » ... ولو اطلع عرابى على الغيب يومذاك لرأى أن هذه أخف ضربة من ضربات سلطان هذا ، تلك الضربات التى سوف يسددها إلى قلب الحركة الوطنية فى ضجيج الجهاد وسكرات الاستشهاد

وانحاز فريق كبير من النواب إلى جانب الخديو ، وإن كانوا ليتظاهرون أنهم يظاهرون الوزارة ... كتب فى ذلك ماليت إلى حكومته فى اليوم الثالث عشر من شهر مايو يصف الحال فى مصر أو على الأصح يصف مبلغ ما أصابته من نجاح دسائسه الإجرامية ، قال : يظهر أن رئيس المجلس والنواب يميلون إلى جانب الخديو ، ولقد سألوا سموه أن يأخذ بالعفو فيصالح وزراءه ، ولكن الخديو رفض ذلك . . . ويصر سموه على رأيه ، فلن يصالح وزارة تحدته صراحة ، وتهددته هو وأسرته ، واعتدت على القانون بدعوة المجلس إلى الانعقاد دون الرجوع إليه ، وفى القاهرة قدر غير قليل من القلق ، وكثير من الناس يغادرونها . . .

إزاء ذلك انخلع عن رئيس الوزارة عزمه ، وتزايل إصراره شيئاً فشيئاً ، حتى رأت البلاد البارودى يرفع إلى الخديو استقالته فيرتكب بذلك إثماً نعيبه عليه أشد العيب . فقد كان عليه أن يستطلع رأى النواب صراحة فى جلسة يعقدونها . فإذا ناصروه كان عليه أن يبقى فى مكانه حتى يقال ، فيحظى بشرف الإقالة ، أو ينتصر ، فيكون له فخر الانتصار . . .

لقد رفض النواب أن يجتمعوا فى مجلسهم — أى أنهم رفضوا أن يشايعوا الوزارة فى تحديها الخديو ، واجتمعوا فى منزل رئيسهم وهذه حقائق نسلم بها ، ولكنها أمور شكلية لا تمس جوهر الموضوع . فالأمر الذى كان يهم الوزارة ، هو معرفة رأى ممثلى البلاد ، وسواء لديها اجتمعوا فى مجلسهم أو فى أى مكان .

فليس ثمة من فرق بين الاجتماعين ، إلا أن هذا رسمى وذاك غير رسمى ؛ ولم يكن المجال يومئذ مجال شكليات ، وقد جرى الخديو فى مضماره الذى اختاره رغم إرادة البلاد . وهل كان نواب الشعب الفرنسى الذين التقوا فى ملعب التنس فى مستهل ثورتهم الكبرى لا يعبرون عن رأى الشعب لأنهم لم يجتمعوا فى قاعة مجلسهم؟

الحق أن البارودى قد هدم ما فعل جميعاً باستقالته هذه ، ولو أنه نال شرف الإقالة ، لكان منطقه متسقاً ، ولأضاف بذلك إلى نفسه وإلى وزارته معنى من معانى البطولة وحمل الخديو والموحين إليه وزراً جديداً يضاف إلى سابق أوزارهم !

وعجز الخديو أن يقيم فى الحكم وزارة ، فقد أشفق منها الرجال يومئذ ، وأشفق منها مصطفى فهمى باشا حين عرضت عليه رياستها عملاً باقتراح ممثلى انجلترة وفرنسا اللذين صار لهما الآن حق إسناد الوزارة إلى من يرضيان عنهم فى مصر .

وصرح الوزراء على الرغم من استقالة رئيسهم أنهم لا يستقيلون إلا إذا كان ذلك بأمر من مجلس النواب ، وهنا يعود عرابى فيثب إلى الطليعة ، وقد ضاق البارودى بالأمر ذرعاً ؛ فهو الذى أوحى إلى الوزراء بما فعلوا ، وقد عز عليه أن يبعد الوزراء عن مناصبهم بمشيئة غير مشيئة الأمة ، وتلك خطوة أخرى نضيفها فى غبطة وفخر إلى سالف خطواته .

ووقف عرابى فى مكانه لا يتزعزع وما كان أصلبه وأشد مراسه إذا وقف فى أمر يرى أنه الحق ؛ ولقد صور المبطلون وقفته هذه أنها عودة إلى الثورة المسلحة وأنه يوشك أن يفاجئ البلاد بيوم آخر كيوم عابدين ، فما حفل كلامهم ولا خشى تهديدهم ؛ وكتبت الحكومات إلى ممثليها فى مصر أن « يرسلوا إلى عرابى فيبلغوه أنه إذا أصاب النظام خلل فسوف يجد أوربا وتركيا كما يجد انجلترة وفرنسا ضده ، وأنهم يحملونه تبعة ذلك »

وأصر ذلك الفلاح الذى لولا ما هيأته الأقدار لكان يومئذ يجيل فأسه فى حقل من حقول هربة رزنة ولا يدرى من أمر الحكم والسلطان شيئاً ؛ وظل على عناده يكشف عن طيب عنصره وكرم معدنه فيفهم من يريد أن يفهم أن ذلك الفلاح الذى يجيل الفأس فى صبر وصمت فى أنحاء هذا الوادى لا ينقصه إلا العلم والحرية ليبهر العالم بعبقريته وبطولته ...

وصرح سلطان وقد أخذ يكيد للبارودى وعرابى معاً « أنه ليس من الممكن تغيير الوزارة ما دامت القوة الحربية مجتمعة فى عرابى باشا » ولم يك يدرى سلطان أن وراء تلك القوة الحربية قوة أخرى لولاها ما قام غيرها . لم يك يدرى سلطان باشا أن هذه

القوة الحربية التى يشير إليها كانت قائمة فى مصر من قبل فما ظهر أثرها إلا فى يد عرابى وأنه بذلك يمتاز عن غيره من الرجال

وانتهت الأزمة بأن أشار ممثلا انجلترة وفرنسا على الخديو بأن يطرح المسائل الشخصية جانباً، وبما أن سموه لم يستطع أن يقيم وزارة جديدة فإنهم يطلبون إليه أن يجدد علاقته بالوزارة القائمة »

وبقيت الوزارة فى كراسيها وانتصرت كلمة الأمة من جديد على يد ذلك الذى خرج من هرية رزنة وتلقى قسطاً من العلم فى الأزهر، ثم درج بعد فى مدارج الرقى فكان فى نموه كالشجرة الطيبة فى سموقها لا كالعليق الذى لا ينمو إلا على غيره من النبات

ولولا ذوو الأطماع من التربصين بمصر وحرية مصر لجنت البلاد من هذا الانتصار أطيب الثمرات ولعزت بذلك كلمة الأمة حتى ما تذل بعدها؛ ولكن مصر وا أسفاه جنت من انتصارها هذا العلقم والحنظل

وكيف كان يتسنى لمصر السلامة ووراء الخديو الإنجليز يتربصون ويكيدون؟ لقد حق لماليت الآن أن يدعو حكومته إلى التدخل المسلح فقد حانت الساعة وواتت الحجة، ولن يهم انجلترة أن تكون هى الدبرة لكل ما حدث فلن يكون احتجاج الضعفاء إلا صرخة ضائعة، ولن يكون منطقهم إلا ثرثرة وشكواهم إلا تبجحاً

لم تكن فى البلاد ثورة ولا خاف فيها أجنبى على حياته أو متاعه ولكن أعوان السوء صوروها يومئذ صورة منكرة انزعجت منها أوربا أشد الانزعاج، مع أن هؤلاء الكاذبين كانوا يعلمون حقيقة الأمر ويوقنون أن المسألة لا تعدو خلافاً بين الوزارة والخديو ما كان ليبلغ ما بلغه من الشدة لولا تدخلهم على ذلك النحو الأثيم

ولم تكن البلاد فى مثل تلك الحال من الفوضى التى ذكرها المبطلون. وحسبنا أن نورد هنا بعض ما جاء فى خطابين كتبهما عرابى باشا إلى مستر بلنت وكان ذلك فى أوائل شهر ابريل أى قبل الأزمة التى نحن بصددها بنحو شهر. قال عرابى: « ونحن نرجو لانجلترة أن تكون أقوى الأصدقاء لمساعدتنا فى إيجاد نظام حسن على أساس الحرية فنسير عندئذ على غرار الأمم التمدينة الحرة. ونحمد الله فإننا سنرى قريباً نجاحك فى جهودك ولهذا نعتبر وصولك سالماً لبلادك فألاً حسناً للنجاح المنتظر ... أما بخصوص النصيحة التى زودتنا بها فنحن نشكرك ونخبرك بأننا لا نقصر فى حفظ النظام والهدوء لأننا نعتبر هذا من أهم واجباتنا ونؤكد لك أن كل شىء هنا هادىء؛ فالهدوء والسلام يسودان البلاد ونحن وإخواننا الوطنيون ندافع بأقصى ما يمكننا عن حقوق جميع السكان بصرف النظر عن الأمة التى ينتمون إليها؛ ونحن نحترم جميع المعاهدات والاتفاقات الدولية ولن نسمح لأحد بمساسها ما دامت أوربا تحفظ وترعى علاقاتها الودية معنا. أما عن تهديدات الماليين وأصحاب المصارف فى أوربا فإننا نتقبلها بالحكمة والثبات واعتقادنا أن هذه التهديدات تعود عليهم وحدهم بالأذى وتضر الدول التى تنخدع بأقاويلهم. وغايتنا الوحيدة هى تخليص البلاد من العبودية والظلم والجهل وأن نرفع السكان إلى مركز لا يمكن فيه الاستبداد أن يعود كما كان فى الأزمنة الماضية ينشر الخراب والدمار فى مصر. وإن هذا الذى أكتبه إليك هو ما يفكر فيه كل مصرى عاقل يحب حرية بلاده »

هذا ما يقوله عرابى وهذا ما كان يرجوه المصريون من انجلترة من عهد يرجع إلى قبيل الاحتلال. وكم تكرر فى مصر من أشباه ونظائر لهذا الموقف! وكم جاء مثل هذا الكلام على ألسن غير لسان عرابى ولكنا نحجز القلم عن الاتجاه إلى غير ما نحن فيه فالسياسة الانجليزية فى مصر هى هى وإن تغير الزمن واختلفت فى موضع الزعامة الرجال

وقد أكد عرابى هذه النيات فى كتابه الثانى، ومما جاء فيه: « ونحن ميالون أشد الميل إلى التفاهم عن المصالح المتبادلة بيننا وبين الدول المرتبطة بنا. وليس للدول ذوات المصالح فى بلادنا من سبيل للانتفاع بعقودهم ومعاهداتهم إلا إذا كانت الصداقة التى بيننا وبينهم وثيقة. فإذا قطعت هذه الصداقة فالضرر لن يعود علينا وحدنا بل يعود على الدول أيضاً وبخاصة انجلترة. وليس هناك سياسى كبير الإدراك إلا ويفهم قيمة المنافع التى تعود على انجلترة من صداقتها لنا ومعاونتها إيانا فى كفاحنا » ... وقال: « إننا قد نوينا نية صادقة على أن يكون لأمتنا مركز بين الأمم التمدينة بنشر المعارف فى البلاد والمحافظة على الاتحاد والنظام والقضاء بالعدل بين الناس أجمعين. ولا يمكن لشىء فى العالم أن يردنا عن قصدنا قيد شعرة فلن نخشى الوعيد أو التهديد ولن نخضع إلا لحكم الصداقة التى نقدرها ونكبرها — أما عن الهدوء فى مصر فنخبرك أنه ليس هناك أى قلق، ونحن الآن نحاول أن نمحو الآثار السيئة التى تركتها لنا الحكومة السالفة »

ويذكر مستر بلنت أن الشيخ محمد عبده كتب إليه فى ذلك الوقت مثل ما كتب عرابى يؤكد له قيام النظام والسلام فى مصر يقول: « وإن الخلق العظيم الذى يمتاز به الشيخ محمد عبده ثم هذا المركز السامى الذى يملأه الآن فى مصر وهو منصب الإفتاء

همسات حب

من دموعي الضائعة !

[إلى التي ضيعت عمري على أقدامها
وما زال يحجب نورها ظلام القصور]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

١ — أحزان الحيرة

أعاشقٌ أنا ! أمْ فانٍ ... على جسدي
من صرعة الحبِّ أكفانُ الأسى الأبدي ؟
وشاعرٌ أنا ! أمْ شادٍ على وترٍ
من الفجائع مشدودٍ على كبِدي ؟ !
وبائسٌ أنا ! أمْ نعشُ المُنى حملَتْ
تابوتَه لتُرابِ الهالكينَ يدِي ؟ !
وبائسٌ أنا ! أمْ دُنيا مُلفَّفَةٌ
من العذابات والأرزاء والنَّكَد ؟ !
إذا بكيْتُ فلا دمعٌ يُعينُ .. ولا
إذا تصابَرْتُ نامتْ جذوةُ الكَمَد ..
هنا جفونٌ كأحلام اليتيم بها
خريفُ دمعٍ طواهُ الحبُّ في خَلَدي
أهدابُها للهوَى أحبارُ صومعَةٍ
طافَ المسيحُ بهم في ليلة « الأحد »
صلَّتْ لنورِكِ ، فاهتزَّتْ لهيبتِهِ
في ذائبٍ كطَهُورِ الخمرِ مينَ ندِ
ورفرفَتْ وجثَتْ حتى يُخالَ بها
من الكَرَى غفوةٌ في شاطئ الأبدِ ..

الشرعي ، كل هذا يجعل لشهادته قيمة تاريخية لا يبالغ الإنسان مهما قال في مدحها ، وهذه الشهادة يصح وضعها بجانب الكتب الزرق لإدحاض أكاذيبها المختلفة ، وكان في ذلك الوقت رئيساً لتحرير الجريدة الرسمية ومديراً لقلم المراقبة الصحفية فكان مركزه هذا يجعله على علم بما يدور في الوزارة الوطنية بحيث لم يكن ماليت أو كلفن أو أي أوربي آخر ليدعي مثل معرفته بهذه الشؤون »

(يتبع) الخفيف

٢ — عُقدةُ اللهِ لن تُحلّ

[إن العقدة التي تربطها يد الله لا تستطيع حلها يد المخلوق*]
« بنجامان كونستان »

سيبقى لنا الحبُّ حتى نموتَ ... وننشُدُ أنشودةً للفَنا
فلا تجزعي في ظلام اللُّحود ... غداً من يديكِ نهلُّ السَّنا
غداً تسكُبين كزهر الحقول ... على الحبِّ عطرَ الهوَى والمُنى
غداً نلتقي . . . لا الصِّبا نائحٌ ... ولا زورقُ الدمع يجري بنا
ولا نحن جرحينِ طبُّ الهوى ... جفانا ، وزفَّ المآسي لنا
وخلَّفنا صرخةً في الزمانِ ... وتأويهةً في شعاب الدُّنَى
غداً نلتقي .. لا ضباب السِّنين ... ولا لغطُ الدهرِ في دهرِنا
فلا تذرُفي بعدنا دمعةً ... ولا تندُبي في الهوَى حظَّنا
فكم دوَّخَ الحبُّ أبطالَهُ ... وسقَّاهُمُ كأسه قبلَنا ...
لقد عصمَ اللهُ أحلامَنا ... وأترعَ من قُدسه كأسنا
وألهمنا كيف نرعى الهوى ... ونبني على نارِهِ عُشَّنا
ونسخر من هوله كلما ... ترامى بأرزائه حولَنا
نمتْنا على الطُّهر أيامهُ ... ونوَّرَ في ظِلِّه عهدَنا
وأبصرتُ نبعَ المُنى في القتام ... فهاتي لي الكأسَ وامضي بنا ..

٣ — لتحترق الأمهات

إذا كنَّ مثل التي أشعلَتْ ... ظِلالَكِ في الحبِّ دنيا هَجِيرْ
وظنَّتكِ أنثى تسيغُ الهوانْ ... وما أنتِ إلا صفاءٌ ونور
وترنيمةٌ من شفاه السماء ... شداها ولم يدرِ نايُ الدُّهور
وسحري وشعري ودنيا هوايَ ... وسُلوانُ روحي ، وخمرُ الشُّعور
فكيف تُنسِّيكِ أهوالُها ... عِباداتِ قلبي الوفيِّ الكبير !
وكيف التي من ترابٍ وطينٍ ... تُذلُّ التي من صَفاء العبير !
عفاءٌ على الحبِّ إن أوقفتْ ... تسابيحَهُ أُمهاتُ الشرور
مُذِلُّ الجبابر بين الورَى ... وصولجهم بالَّليالي يدُور
أتُوقفُ إعصارَهُ صخرةٌ ... من الشرِّ بين ظلامِ القصور !

محمود حسن اسماعيل

(*) من رواية « أدولف » الكاتب الفرنسي « بنجامان كونستان » تعريب الدكتور « حسن صادق »

في يوم رحيل

للأستاذ العوضى الوكيل

«ياراحلاً وضمير القلب مثواه» لقد قضى بشقائى بعدك الله

قد كنت من هذه الساعات فى حذر حتى أصاب فؤادى ما توقاه

أطعنة فى شغاف القلب موغلة أم ذلك الموت يبدو لى محياه

العيش بعدك بؤس لا نعيم به والبعد والبؤس أمثال وأشباه

إن كان قد سرنى فى القرب من رغد
فسوف تحزننى فى البعد ذكراه

قلبى – وليس كقلبى فى القلوب – غدا
وخفقه بعد هذا البعد أوّاه

أوّاه لو تنفع المحزون أوّاه القول بعدك هانت ثم جدواه

إنى وإن كنت فى أهلى وفى وطنى أنا الغريب الذى آدته بلواه

سأمان ينكر دنياه ويشنؤها بغضاً كما نكرته اليوم دنياه

صمت مسامعه عن كل هاتفة كما خلت من سوى النائى حناياه

فأين رنة صوت ليس يشبهها شئ من الصوت: أعلاه وأدناه؟

وأين لمحة عين جد ساحرة أحيت من الوجد ما كنا نسيناه؟

وأين لفتة جيد زانه جيد وأين فرع كغصن البان تياه؟

وأين ما يفحم الأشعار واصفة أكل ذاك نعيم قد حرمناه؟!

يوم الرحيل وكم تؤذيك ذكرته يا قلب قد جاء كالأغوال مرآه

ما إن تفيد الرقى فيه ولو كثرت وليس تنفع من ذى البث شكواه

الأربعاء . . . اذكروه واذكروا أملاً
أصيله كان مثواه ومأواه

ما زلت أذكره عمرى وأكبره وكيف لى – وأنا المشتاق – أنساه؟

هذى سويعاته فى النفس خالدة طوباه من يوم أنس كان، طوباه

اليوم ما زال يدعوكم.. ولو نطقت أيام دهرى ... لقد قالت ثناياه

أهلاً بكم ما حللتم فيه آونة ومرحباً ما أظلتكم عشاياه

يا راحلين .. فؤادى فى ركابكم فما له بعدكم عز ولا جاه

آليت ما لى فى الأيام بعدكم من مأمل كان قلبى قد تمناه

فإن ذكرتم فؤاداً بات يذكركم أرضيتم حبه الغالى ونجواه

العوضى الوكيل

رجعة

للأستاذ فريد عين شوكه

ألقيت أعباء النوى عن كاهلى ورحمت نفسى من جواها القاتل

وسعيت شطرك والحنين يدعنى دعاً إليك، وماله من خاذل!

وحملت آلامى وكنت حفظتها لأذيعها لك فى اللقاء العاجل

حتى لقيتك فامحى من خاطرى ما كنت فيه من العذاب الهائل

وجمدت وانعقد اللسان، كأنما أنا فى لقائك صورة من (باقل)

* * *

يا مستريح البال ليت لمهجتى بعض الذى بك من قرار شامل

هبنى شذذت! أليس عذرى أننى نهب لثوراتى وجم بلابلى؟!

مالى عصيتك يائساً فهجرتنى عجلان غير معاتب أو سائل

غفراً فقد أخطأت فيما خلته يشفى فؤادى من هواك الواغل

إنى حسبت القلب يطرح الهوى ويفيق من خبل الغرام الخابل

فإذا فؤادى جذوة مشبوبة طول النوى وإذا لقاؤك شاغلى

وإذا أنا هيمان حتى أهتدى بالبدر فى ليل البعاد اللائل

* * *

شهر حرمتك فيه ذقت به الجوى ناراً تلظى فى حشاى الذابل

ونزت على قلبى جراحات النوى كالموج ثار على سفين جافل

شهر كأن اليوم من أيامه إن مر يرجع فهو ليس براحل

يا طالما سألتك فيه رسائلى وصل المحب فلم تصخ لرسائلى

وغفلت عن حزنى وشدة لهفتى ويل الشجى من الخلى الغافل!

* * *

سجلت حالك فى الخصام وفى الرضى
فوقفت منك على سجل حافل

ترضى فتعرض لى الحياة بهيجة تهفو لفتنتها عيون الثاكل

وتذيقنى نعم الوصال هنية يا طيب منهلها لقلبى الناهل

فإذا غضبت لقيت منك معانداً يمحى بنفرته جميع وسائلى

ومضيت لا تبقى على ما بيننا وقطعت من دنياك كل حبائلى

* * *

يا من أرى فى وصله كل المنى حقق وصالك للمحب الآمل

لا شئ فى دنيا الصبابة يشتهى مثل التمتع بالحبيب الواصل

فريد عين شوكه



دراسات فى الفن

الفن هو الانتاج الروحى

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

يقول علماء البلاغة والتربية والمنطق وغيرهم من العلماء الذين يتصدون لدراسة العلوم المتصلة بالفنون أو العلوم التى من فوقها فنون : إن الفن هو التطبيق العملى للقوانين الخاصة بموضوع ما. فإذا كان موضوع البلاغة هو جمال الكلام فإن فن البلاغة هو التطبيق العملى للقوانين التى يحصل الجمال للكلام باتباعها . وإذا كان موضوع التربية هو تنشئة الأحداث على وجه من الصلاح أو على أوجه الصلاح كلها فإن فن التربية هو التطبيق العملى للقوانين التى يتم صلاح الأحداث باتباعها على وجه من الوجوه أو على أوجه الصلاح كلها ؛ وإذا كان موضوع المنطق هو ربط الكلام على الحق الصادق حتى يطابقه فلا يزيد عليه ولا ينقص عنه ففن المنطق هو التطبيق العملى للقوانين التى يتحقق باتباعها هذا الربط وهذه المطابقة

وبهذا التفصيل وبهذا التيسير أباح العلماء لأنفسهم ولتلاميذهم أن يستضعفوا الفنون وأن يستسهلوها وأن يمدوها ، ما داموا قد وجدوا هذا التعريف الذى استنبطوه لها شيئاً ، يمكن أن يحققه كل إنسان ، وأن يمضى فى تحقيقه ما شاء له تهاون هذا التعريف الذى يمنع عن الفن ما يلزم لحدوثه ، اللهم إلا أن يكون تطبيقاً عمليًا للقوانين ... وبهذه الإباحة كثر الكتاب الذين يطبقون فى كتاباتهم قوانين البلاغة ، وكثر المربون الذين يطبقون قوانين التربية ، وكثر المجادلون وتفاقم عدد المحامين الذين يطبقون قوانين المنطق . ومع هذه الكثرة فلا يزال الكتاب المبدعون قليلين ، ولا يزال المربون المثقفون نادرين ، ولا يزال المجادلون والمحامون الساطمون يمدون فى الجيل على أصابع اليد أو على أصابع اليدين

فلو كان الفن حقاً هو التطبيق العملى للقوانين لكان كل من يعرف الطريق إلى هذا التطبيق فناناً كما كان كل من يعرف الطريق إلى تطبيق القوانين الخاصة بالأعداد حاسباً ، وكما كان كل من يعرف الطريق إلى تطبيق القوانين الخاصة بعناصر المادة كيميائياً .

ولكن الأمر ليس كذلك . فبعض ما يدس على الناس فى ثوب الفن ليس فناً ، وبعض ما يساق إلى الناس مجرداً من ثوب الفن هو فى الحقيقة فن . ولا بد أن يكون القارىء قد سمع لحناً من الألحان قال عنه صاحبه ومن يروجون له ، إنه موسيقى وجعلوا دليلهم على قولهم أن فيه تطبيقاً عملياً لقوانين الأصوات والأنغام فى الوقت الذى لم يستشعر فيه حين سمعه إلا هذا التطبيق العملى وحده لهذه القوانين دون أن يدفع هذا اللحن إلى نفسه عاطفة ينقلها من نفس صائغه ، أو خيالاً ينبعث من روحه ، ويعبر عن إحساسه وذوقه وذاته . هذا بينما لا بد أن يكون القارىء قد راعه يوماً شراب أو عطر ألفه كيميائى ممن تنفذ نفوسهم وأذواقهم إلى تطبيقهم العملى لقوانين المادة وعناصرها . وكما أنه لا بد أن يكون قد سمع عن نسبية أينشتين ، فأحس من كثرة ما قيل عن غموضها وتعقيدها وتساميها أنها ليست تطبيقاً مجرداً لقوانين الأعداد وإنما هى حسبة فيها شىء من روح أينشتين نفسه لم يصل إليها إلا لأنه يتجه فى تطبيقه لقوانين الأعداد اتجاهاً خاصاً به هو، مرجعه إحساسه الذى قاد تفكيره .

فإذا سلمنا بهذا استدعى الإنصاف أن نحكم على ذلك الموسيقى الذى لا يضع فى لحنه إلا التطبيق العملى لقوانين الصوت والأنغام

بأنه غير فنان . وعلى هذا القياس كان غير فنان كذلك كل من يتصدى لأى فن من الفنون وليس معه إلا ما اكتسبه من معرفة القوانين الخاصة بهذا الفن ، ومعرفة طرق تطبيقها . كما أن الإنصاف يستدعى إلى جانب هـذا أن نصف بالفن كل من ينتج إنتاجاً فيه من نفسه وذوقه كأينشتين الذى ابتدع النسبية وككل كيميائى يبتدع شراباً أو عطراً فيه من ذوقه .

والنتيجة اللازمة لهذا هى أن ينهار هذا التعريف الذى وضعه علماء البلاغة والتربية والمنطق وأمثالهم للفن . فهو تعريف غير جامع مانع كما يقولون هم ، لأنه يسمح للأدعياء بالدخول فى زمرة الفنانين ، كما أنه يحرم فنانين صادقين من الاستمتاع بحقهم الطبيعى فى الانصاف بالفن بينما هم جديرون بأن يتصفوا به

وما دام هذا التعريف قد انهار فقد لزم أن نبحث عن تعريف آخر نقيمه مقامه ويكون فيـه الجمع والمنع اللذان تتطلبهما صحة التعريف

أما أنا فأحب أن يكون تعريف الفن هو هذا العنوان الذى رصدته على رأس هذا الحديث وهو أن الفن هو الإنتاج الروحى . ولست أرى من عيب لهذا التعريف إلا أنه يسمح لكثير من الأعمال البشرية التى اعتاد الناس ألا يحسبوها بين الفنون بأن تكون فنوناً . فهو يسمح للنجارة إذا كان فيها من روح النجار وذوقه الخاص أن تكون فنـاً ، كما يسمح لصيد السمك إذا كان فيه من وسيلة خاصة ترجع إلى ذوق الصياد وتلهمه إياها روحه أن يكون فناً . وهكذا فليس من عيب فى هذا التعريف إلا إمكان تعميمه على الأعمال البشرية جميعاً

وقد لا يكره هذا التعميم إلا الفئة الخاصة من الفنانين الذين يدعون تلك الفنون التى اصطلح الناس على تسميتها فنوناً جميلة . فهؤلاء وحدهم أو بعضهم هم الذين يحبون أن يقتصر الانصاف بالفن عليهم فلا يكون النجار فناناً، ولا يكون صياد السمك فناناً، ولا يكون أحـد من الناس فناناً إلا من كان أديباً أو موسيقياً أو ممثلاً ، أو رساماً ، أو واحداً من هؤلاء الذين يسبحون فى « السموات العلى » لا لشىء إلا أنهم اعتادوا التعالى على البشرية بأدبهم وموسيقاهم وتمثيلهم ورسمهم

غير أن هـذا فى الواقع نوع من الأرستقراطية القاصرة ، أو المقصورة يكرهه الفن الصحيح . والفن لا يكرهه لأنه ديمقراطى بطبعه أو لأنه بلشفى ، وإنما يكرهه لأنه دون الأرستقراطية التى يحبهـا لنفسه . فالفن متعصب كل التعصب لأرستقراطية الروح ، وهو يفخر بأن ينسب إلى نفسه كل ما انتسب إلى الروح من أعمال البشر ، حتى ولو كان نجارة أو صيد سمك ، ولـكنه يأبى أن ينسب إلى نفسه كل ما خلا من الروح حتى ولو كان لحناً أو شعراً أو رسماً .

والفن فى هذا لا يحيد عن الحق . وأشرف للفن أن يحتضن النجارة وصيد السمك متى جمعنا الروح والذوق ، من أن يحنو على كلام سخيف منظوم ولـكنه ميت ، ومن أن يدخل إلى حظيرته ألحاناً روعى فيها أن تكون تطبيقاً عملياً لقوانين الصوت والنغم ، ولـكنها ما تزال جامدة كأنها الصوت ضغط وتركز حتى تحجر ! . . .

ولا أظن أهل الفنون الجميلة إلا مقتنعين بهذا الرأى ، وما أظنهم بعد اليوم إلا آخذين به ، فهم مقربون إليهم كل من تنفذ روحه إلى عمله ، وكل من يسرى من نفسه إلى عمله لونه الخاص بطبعه ويلونه ، فيكون عمله تعبيراً عنه يعرف به . وهم مبعدون عنهم كل أجرد النفس ، قاحل الحس ، مجدب الروح والشعور ، وإن قضى حياته يعزف على الأوتار ، أو يسود الصحائف بالحبر .

وقد يعنينا أن يؤمن الفنانون بهذا الرأى مثلما يعنينا أن يؤمن به الجمهور ، وأن يأخذ به النقاد أخذاً شديداً ، وأن يعدلوا عن قياس الفنـون إلا بمقياسه ، وأن يشيع قياسهم لبقية الأعمال البشرية بهذا المقياس . فإنهم إذا فعلوا هذا فإنهم سيبرئون الفنون من طفيليات كثيرة تلتصق بها وتدعى النسبة إليها ، كما أنهم سيعودون بالحق فيعترفون لـكثير من الأعمال البشرية الفياضة بالروح بأنها فنون .

صحيح أنه مقياس قاس ، ولكنه فى الوقت نفسه مقياس عادل ، إذ يرد إلى كثيرين من أصحاب الجهاد الروحى اعتبارهم الإنسانى بعد ما ظلوا الأحقاب الطويلة وهم لا يحصون بين الناس إلا على أنهم صناع أو عمال . زد على ذلك أنه سيكشف

لنا الأقنعة عن وجوه كثيرة متنكرة : لها أرواح ولها فنون ولكنها تتكلف فى الحياة فنوناً غير فنونها فتعيش فيها ميتة بدون أرواح لأن أرواحها منصرفة إلى ما تصبو إليه

وكى يتصور القارئ قسوة هذا المقياس فليطبقه على بعض الأعلام من الذين يقال عنهم فى مصر إنهم فنانون

فلنأخذ فى الأدب مثلاً الأستاذ أحمد أمين، ولنأخذ فى الموسيقى مثلاً الأستاذ محمد عبد الوهاب ، ولنأخذ فى التمثيل مثلاً الأستاذ جورج أبيض ، ولنأخذ فى الرسم مثلاً الأستاذ محمد ناجى الذى كان ناظراً لمدرسة الفنون الجميلة العليا إلى عهد قريب

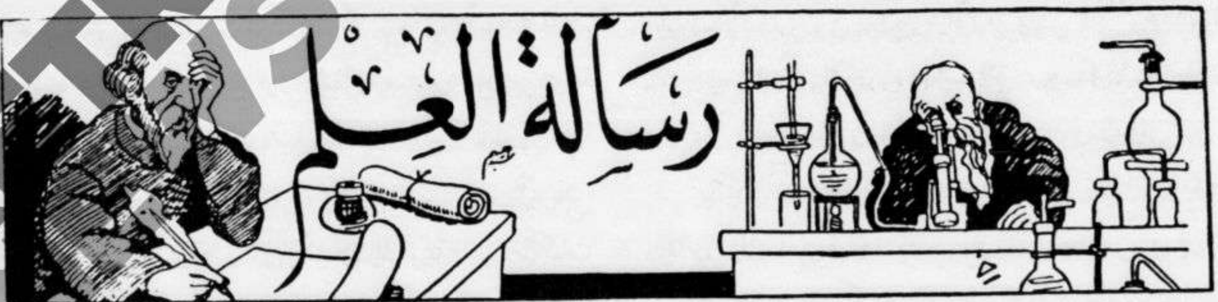
أما الأستاذ أحمد أمين فقد أثبت عليه الدكتور زكى مبارك فى مقالاته الأخيرة بالرسالة أنه أستاذ يكتب ولكنه لا يسرى من روحه شىء فى كتابته ، فأنت لا تعرفه حين تقرؤه إذا كان راضياً أو كان غاضباً ، وأنت لا تشعر به إلا هادئاً دائماً وفاتراً . وحسبه هدوءاً وفتوراً ما سجل عليه الدكتور زكى مبارك مظهره وهو أنه عاش وقتاً طويلاً فى الواحات فلم يعرف الناس أنه عاش فى الواحات إلا يوم أعلنت هذه الحقيقة الغريبة على صفحات الرسالة فى الجدال الأخير . بل حسبه هدوءاً وفتوراً وبعداً بفنه عن الروح أنه كان قاضياً ومع هذا فإنه لم يكتب قصة واحدة من قصص الحياة التى عرضت له وهو فى القضاء . وهذا دليل على أنه يعيش فى دنيا ، ويكتب فى دنيا أخرى . وهذا يستدعى واحدة من اثنتين : فإما أن يكون الأستاذ أحمد أمين بروحين يعيش بواحدة ويكتب بالأخرى ولا صلة مطلقاً بين الواحدة والأخرى ، وإما أن يكون كما هو الآن متنكراً يعيش ويكتب فلا تعرفه على حقيقته ما عاش أو كتب

والأستاذ محمد عبد الوهاب لا يخلو له لحن من نص موسيقى يستحسنه فى موسيقى سيد درويش أو فى الموسيقى الغربية ؛ ولا معنى لهذا إلا أن يكون الأستاذ عبد الوهاب عاجزاً عن إطلاق روحه بالتعبير الموسيقى ذى العاطفة أو الخيال على وجه من الحسن يرضيه، أو أنه عاجز عن التعبير الموسيقى أصلاً . فإذا أضفنا إلى اضطرابنا هذا فى أمره أنه كثيراً ما يخطئ فى التصوير الموسيقى فيصور الفرح بأنغام الحزن ، والحماسة بأنغام الخلاعة ، والأنين بأنغام الطرب، عز هذا لدينا سوء الظن به وقادنا هذا إلى الحكم على فنه بأنه مقطوع الصلة بالروح ، وإلا كانت روحه مجنونة مختلطة الأحاسيس تضطرب إذ تشعر وإذ تعبر عن شعورها وهو ليس كذلك ، وإنما روحه هى المنصرفة إلى شىء آخر غير الإبداع الموسيقى لأنها لم تخلق له . فالأستاذ محمد عبد الوهاب فنان متنكر مثل الأستاذ أحمد أمين

والأستاذ محمد ناجى الذى يقنع فى فنه بأن يرسم خطوطاً تشبه ما يراه من الخطوط فى الخارج ، وأن يصبغها بألوان تشبه ما يراه من الألوان فى الخارج — لا يمكن أن نزيد فى اعتبار الفن « الرسم » على أنه نقاش أمين — إذا كان أميناً — يغنى الفنان الذى يحتاج إلى نسخ كثيرة من الصورة الواحدة على آلة من آلات الطباعة ، زد على ذلك أنه يحتاج دائماً إلى شرح صوره بكلام وإشارات يتقنها أكثر مما يتقن التصوير ، ويصل بها إلى إقناع جمهوره الذى يدعوه إلى مشاهدة صوره أو الذى يبيع له صوره، بجمال هذه الصور وروعتها، إذ يقعد هذا الجمهور عن إدراك هذا الجمال إذا اكتفى بالنظر إلى هذه الصور . فالأستاذ ناجى هو أيضاً مثل صاحبيه فنان متنكر : يحترف شيئاً لا يتقنه ، ويتقن شيئاً لا يحترفه

أما الأستاذ جورج أبيض الذى لم يتقن إلى اليوم إلا الأدوار الثلاثة أو الأربعة التى تعلمها أيام كان طالب بعثة التمثيل المصرية فى باريس وهى عطيل ولويس الحادى عشر والملك لير ومضحك الملك فيما أظن، وقد أتقنها جميعاً بالأسلوب الفرنسى التلحينى الذى تعلمه فى فرنسا والذى يصرخ فى مشاهديه بين كل كلمة وأخرى، وبين كل حرف وآخر بأنه تمثيل ليس فيه من الطبيعة ولا حتى من التطبع شىء . . . الأستاذ جورج أبيض الذى انحصر فنه فى هذا وحده يحرجنا كثيراً إذا طالبنا بأن نعترف له بأنه فنان فيه روح نافذة معبرة ... تظهر فى تمثيله ...

وقد يسألنا سائل كيف نجح هؤلاء الأساتذة فى حياتهم على الرغم مما تنكره عليهم جميعاً من صلة فنونهم بأرواحهم . ونحن نجيب عن هذا بأن ثلاثتهم: أحمد أمين ومحمد عبد الوهاب ومحمد ناجى قد نجحوا لأن لهم أرواحاً تسرى فى أعمالهم ولكن من طريق



من الذرة إلى الألكترون

الكهرباء كالمادة ظاهرة ذرية

للدكتور محمد محمود غالى

تتبع الكهرباء التطورات ذاتها التى تتبعها المادة — الكهرباء تركيب ذرى شبيه بالتركيب الذرى للمادة — التحليل الكهربائى وقانونه لكاشفه « فاراداى » أول دليل على التركيب الذرى أو الحبيبى للكهرباء — الأشعة الكاثودية دليل ثان على هذا التركيب الحبيبى — نظرة للألكترونات المهاجرة والمكونة للأشعة الكاثودية — تكبر ذرة الهيدروجين الألكترون الذى يدور فيها أكثر ما تكبر الشمس المشترى الذى يدور حولها .

تُرى هذه الرمال الفسيحة ، وهذا الخلاء الشاسع والسكون الرهيب ، تُرى هذا القمر الساطع والمُشترى يتألق فى الفضاء ، والمريخ تراه فى هذه الليلة من السنة فى أقرب مكان لجارته الأرض — تُرى فى هذه الصحراء المجاورة لمصيف « سيدى بشر » بعيداً عن الضوضاء نستطيع أن نطلع القارىء على موضوع يُعد من أهم ما قدمه العلماء فى السنين الأخيرة ؟ — هذا الموضوع خاص بالتعرف على الألكترون بعد أن تعرفنا على الذرة وهو من المكونات الأساسية فى الذرة ومنه يتكون التيار الكهربائى .

كانت السنون تتتابع والاختراعات تتوالى ، والاكتشافات آخذة طريقها فى الازدياد ، ولا يدرى أحد ما يخبئه الغد من مفاجآت علمية ، وما يحمله القدر فى طياته من تطورات يتوقف عليها مستقبل الإنسان — تُرى ما بداخل الذرة ؟ — هذا العالم الصغير الذى حدثنا القارئ أنه من الضآلة بحيث أن النسبة بينه وبين كرة من الصلب يبلغ قطرها حوالى ٣ر٥ سنتيمترات كالنسبة بين حجم هذه الكرة والكرة الأرضية

أو يَسْبَحُ فى هذا العالم المتناهى فى الصغر عوالم أصغر منه ، عوالم يسميها العلماء اليوم الكترونات ؟ — أو تسبح هذه الألكترونات تارة حرة طليقة فى المادة أو فى الفضاء بسرعة عجيبة هى سرعة الضوء(١) وطوراً تسبح دائرة ومقيدة حول نواة وسطى فى الذرة وتكون مع النواة الذرات السابقة الذكر ، وهل توجد ظواهر طبيعية تدلنا على هذه العوالم الجديدة المتناهية فى الصغر — كل هذا نود لو نعرفه ونود أن نعرف المناسبات التى استدل بها العلماء على هذا التحليل الجديد للمادة . هذا التحليل الذى يذهب بنا بعيداً عن حدود الذرة ويدخل بنا فيها

* * *

لقد تكلمنا عن الزمن الذى يمر علينا وتتعين بمروره الحوادث وتكلمنا عن الحيز أى الفضاء الذى تحدث فيه هذه الحوادث ، وشرحنا ما يفهمه العلماء من المادة وكيف تنقسم إلى عناصر وكيف تتكون العناصر من الذرات المختلفة ، وحسبى أن الشخص العادى يدرك أن هناك ظواهر عجيبة تختلف عن المادة ، من بينها

(١) لقد قاس العلماء سرعة الضوء بطرق مختلفة وهي تساوي ثلاثمائة ألف كيلو متراً فى الثانية تقريباً

التجارة والإعلان لا من طريق الفن ، وعلى هذا الأساس يتحقق رأينا ويصبح هؤلاء السادة الأفاضل فنانين تجاراً معلنين ، وإن كانوا غير فنانين فى هذه الفنون الجميلة التى تصدوا لها ، والتى عرفهم بها الناس

أما سر نجاح الأستاذ جورج أبيض فلا شك أنه رضاء الله عنه ، فهو رجل طيب ما كان الله إلا ليجبر خاطره .

وأخيراً ، فهكذا يقسو مقياسنا ، ولكنه هكذا يرحم حتى هؤلاء إذ يعتبر كلا منهم فناناً فيما يسر له . . .

عزيز أحمد فهمى

ظاهرة الكهرباء ، ويدرك أن ثمة فارقاً كبيراً بين أسلاك الترام المرفوعة على الأعمدة فى شوارع العاصمة معتبرة مادة مصنوعة من النحاس وبين الأسلاك ذاتها بعد مرور التيار الكهربائي فيها — كلنا يسمع عن ظاهرة الكهرباء ولايراها ، كلنا يعرف أنه يكفى مرور هذا التيار الذى لا نراه فى الأسلاك المرفوعة لتسير مركبات الترام من محطة إلى أخرى — كلنا يعرف أن الكهرباء ظاهرة تختلف عن المادة وإن ظهرت فيها

ومن العجيب أن تتبع الكهرباء فى تطوراتها الطريق ذاته الذى تبعته المادة ، إذ تنتهى هى أيضاً بالذرية الكهربائية كما تنتهى المادة بالذرية المادية ، وقد استترت الكهرباء بادئ الأمر وراء نوع من الظواهر المستمرة والمنتظمة ، وهو الوضع الظاهر الذى يبدو لنا فى مختلف الظواهر الكهربائية ، ومع ذلك فقد انتصرت فى نهاية الأمر فكرة التركيب الأتوى أى الذرى للكهرباء كما انتصرت قبل ذلك الفكرة ذاتها فى كل ما يُكَوِّن المادة فى الكون

على أنه كان من الصعب تصور هذا التركيب الذرى فى حالة الكهرباء إذ لو جاز لنا أن نتصور للمادة تركيباً حبيبياً ، كل حبة مستقلة ومماثلة للأخرى فإنه لا يجوز لنا بسهولة أن نذهب إلى تعميم هذه الحالة ذاتها فى الكهرباء فنفرض لها تركيباً حبيبياً مماثلاً للتركيب المادى ونفرض بذلك ذرة كهربائية لا يمكن تجزئتها فإن الأمر الأخير يبدو غريباً ويتطلب منا براهين قوية على وجوده . ذلك لأننا نتصور الكهرباء فى العادة حالة طارئة على الجسم أكثر ما نتصورها جسيمات تجرى فى أنحائه ، بل إننا نتصورها مجموعة من القوى أكثر مما نتصورها مادة فى الوجود ، ومع كل ما تقدم ومع مخالفة حقيقة الكهرباء لخيالنا وتصوراتنا فإن الفكرة المادية للكهرباء قد ثبتت أخيراً ونجحت نجاحاً لا يمكن أن يضعها أحد العلماء اليوم بسهولة محل الشك ولا يمكن أن يبعدها عن حظيرة اليقين .

***

لننتقل بالقارئ إلى إثبات الفكرة الذرية للكهرباء :

لقد كان الدليل الأول على وجود الذرة الكهربائية التى أسماها العلماء الألكترون فى قوانين « الألكتروليس »[1] وهى القوانين التى تخص انتقال الكهرباء فى السوائل ، هذا الانتقال المرتبط بتحليل كيميائى يقع فى هذه المواد الموضوعة فى السائل

نذكر أن فراداى Faraday الإنجليزى هو الذى كشف القانون الأساسى فى هذا الموضوع والذى يتلخص فى أن كمية من أى مادة تتحلل كهربائيا ترتبط بعلاقة بسيطة مع قدر التيار الكهربائى ومع الوزن الذرى للجسم الموضوع فى السائل ، بحيث إذا أرسلنا تياراً كهربائياً معينا فى محاليل مختلفة فنرسل التيار مرة لنحصل على عنصر معين ، ونرسل التيار ذاته مرة أخرى للحصول على عنصر آخر فإننا نحصل على التوالى على العنصرين بواسطة هذا التيار الكهربائى بكميات مختلفة ولكنها بالنسب التى تعينها المعادلات الكيميائية لهذه العناصر فى جزيئات المحاليل الموجودة فيها

ولم يكن ثمة تفسير لهذه الحالة ولارتباط التحليل الكهربائى بالوزن الذرى إلا أن كل ذرة من ذرات العناصر المختلفة تحوى عدداً معيناً من الوحدات الكهربائية وأن الكهرباء وحدات مستقلة غير متصلة كما أن المادة وحدات مستقلة ومنفصلة

وعلى هذا لا تتوزع الكهرباء بكميات اختيارية فى الأجسام بل إن كل ذرة مادية تحوى عدداً معيناً من الوحدات الكهربائية فهى تحوى واحدة أو اثنتين أو خمسين مثلاً أى عدداً كاملاً ليس

---

(١) يكون موضوع التحليل الكهربائى و « الألكتروليس » إحدى المواد المتعددة فى علم الطبيعة العامة ، هذا العلم الذى يتكون من الضوء الموجى والمناطيسية والكهرباء بنوعيها والذبذبات و« الترموديناميكا» والصوت « والألكتروليس » والأجهزة الكهربائية ، ويدرس الطبيعة العامة فى السوربون بباريز عدة أساتذة من أعلام العلم فى العالم المتمدن لا شك أنه ليس لدينا مثيل لهم فى مصر والشرق القريب وهم معروفون بأعمال علمية خالدة أذكر منهم « كوتون » رئيس المجمع العلمى الفرنسى وتكلمنا عن بعض اكتشافاته، وفابرى عضو المجمع العلمى، وكروز، ودارموا المعروفين بأبحاثهم العديدة ، والأستاذ الكبير « جيبه » المعروف بدراسته للذبذبات وظاهرة « الستروبوسكوبى » والمعروف باختراعه لعدة أجهزة — أعتقد أنه أول من اخترع السينما توغراف وكان ذلك قبل لويس لمبير المعروف أنه مخترعه ، وقد أرانى الأستاذ « جيبه » أول جهاز سينماتوغراف فى العالم من صنعه . ومما هو جدير بالذكر أن كل أستاذ تتغير مادته من عام إلى عام ويسمح هذا للباحثين بسماع نفس الموضوع على أستاذين كبيرين — أذكر أن درس « دارموا » موضوع الألكتروليس فى عام ١٩٢٧ وقد أصبح من المواضيع اللازمة اليوم لمن يريد أن يتتبع العلوم الطبيعية .

به كسور الوحدة المعتبرة شخصية لا تستطيع الوجود فى المكان والزمان إلا كاملة . إنك تستطيع أن تدعو عدداً معيناً من الأصدقاء لتناول الغداء فتستطيع أن تجمع على مائدتك سبعة منهم أو ثمانية أو أكثر ، بحيث إذا أردت أن تزيد عدد المدعوين فإن أقل ما تستطيعه أن تزيدهم فرداً واحداً مادمنا نتكلم عن أصدقاء أحياء يسمون إليك بدعوة منك؛ وليس لك أن تفكر أن تدعو من الأصدقاء أكثر من السبعة وأقل من الثمانية فإن هذا غير موجود فالأصدقاء لا توجد إلا بالواحد وليس بجزء منه. كذلك اتجهت الفكرة فى الكهرباء أنها لا توجد أو تزيد إلا بالوحدة الكهربائية التى لا تتجزأ بحيث اتجهت الفكرة فى بادئ الأمر بأنه ليس هناك حالة كهربائية بل أن ثمة ذرات كهربائية تشبه الذرات المادية موجودة فى الذرات المادية أو عليها . ولقد لفت النظر إلى هذه الحقيقة (هلمولتز) Helmholtz فى سنة ١٨٨١ وهو الطبيب الفيسيولوجى الألمانى الذى منحته جامعة برلين كرسياً فى الطبيعة فى سنة ١٨٧١ والذى رفعته أعماله فى الضوء والكهرباء والصوت إلى مصاف علماء القرن التاسع عشر.

ويسمون « يون » وفق النطق الفرنسى أو « أيون » وفق النطق الإنجليزى وتكتب فى اللغتين Ion ، الذرة محملة بالكهرباء أو مجموعة معقدة من الذرات مجتمعة ومحملة أيضاً بعدد من الوحدات الكهربائية ويتكون « اليون » بانقسام أو تقطيع أوصال جزىء غير مشحون بالكهرباء Molecule neutre فمثلاً تتحلل سلفات النحاس Sulfate de cuivre إلى ذرات من النحاس محملة بالكهربائية الموجبة وبقايا من الكبريت والأكسيجين محملة بالكهربائية السالبة وتسمى الأولى باليونات الموجبة والثانية بالسالبة ، ويحمل اليون الواحد ذرة واحدة أو أكثر من الذرات الكهربائية

وقد درس « لانجفان » Langevin العالم الفرنسى الذى انتخب أخيراً عضواً فى المجمع العلمى الفرنسى ما نسميه اليونات الكبيرة واليونات الصغيرة وأتم فى هذا دراسة معروفة قام بها منذ أعوام فى أعلى برج « إيفيل » فى باريس حيث نعرف أن هذا العالم الدائب اليوم فى العمل للاشتراكية والمسائل الاجتماعية العامة، قضى نحو ستة أشهر فى أعلى البرج للقيام بهذا البحث الذى يحمل اليوم اسمه والذى يذكرنا بدراسة « مارسيل بريلوان » Marcel Brillouin لدراسة كروية الأرض بطرق ضوئية مدى أشهر طويلة فى ست غرف موزعة فى نفق سامبلون المعروف

وشأن الكثير من مجموع المعارف التى تكون ميراثنا العلمى اليوم لم يقف البرهان على هذه الحالة الذرية للكهرباء عند قوانين « الألكتروليس » المتقدمة والعلاقة بين الوزن الذرى للعناصر وبين شحنتها الكهربائية عند ما نعمد إلى تحليلها كهربائياً ، وإنما وجدت الفكرة الذرية الكهربائية برهاناً جديداً من طريق يختلف كل الاختلاف عن طريق التحليل الكهربائي المتقدم الذكر ، ذلك أنه أمكن للباحثين فصل الكهرباء عن المادة التى تحملها ، وبهذا أمكن البرهنة على أن الكهرباء مادة مستقلة فى الحيز وأن لها صوراً منفردة فى الفضاء . وإلى القارئ كيف توصل العلماء إلى ذلك :

عند ما يحدث تفريغ كهربائى داخل « أمبول » مفرغ من الهواء وهو غلاف زجاجى كالغلاف المكوّن للمصابيح الكهربائية فإنه يتكون داخل « الأمبول » بثق من الضوء ضعيف وملون، وهذا الضوء ناتج من تصادم الألكترونات مع جزيئات الهواء المتبقى داخل « الأمبول » بعد تفريغها عند انتقال الألكترونات السريعة من القطب الموجب داخل « الأمبول » إلى القطب السالب ، بحيث يظهر أثر هذا التصادم القوى بهذه الإضاءة . ولو أننا عمدنا إلى زيادة تفريغ ما بداخل الغلاف الزجاجى من هواء فإن هذا الضوء يتضاءل لقلة عدد جزيئات الهواء التى تتصادم مع الألكترونات المقذوفة ويبدأ أن يكون للغلاف الزجاجى لون أخضر تحت تأثير هذا القذف الألكترونى، وهذا اللون الأخضر حادث من تصادم هذه الألكترونات مع جزيئات الزجاج . وتتضح هذه الحقيقة بأننا لو وضعنا أى جسم داخل الغلاف الزجاجى فى طريق هذه الألكترونات وليكن حلقة معدنية مثلاً فإن صورة هذه الحلقة ترتسم على الزجاج وسط اللون الأخضر . وتبين الصورة المواضع التى غابت عنها الصدمات بحكم الجسم الذى وضعناه فى الطريق ، ويمكن الاستدلال أيضاً على اتجاه هذه الألكترونات ومسار هذه الأشعة الألكترونية التى ثبت أنها تسير من القطب السالب إلى القطب الموجب ، وقد أسمى العلماء هذا السيل من الألكترونات الأشعة الكاثودية Rayons Cathodiques نسبة إلى القطب السالب الذى يسمى الكاثود

هنا تساءل العلماء عما إذا كانت هذه الأشعة داخل (الأمبول) أشعة موجية Ondulatoires أو أشعة حُبيْبية Corpusculaires

ولقد ثبت أنها أشعة ُحبيبيّة أى ُجسيميّة، إذا قرّبنا مغناطيساً من الأمبول فإن هذه الأشعة تنحرف عن طريقها تبع وضع المغناطيس . ويبدو لنا ذلك من انتقال البقعة الخضراء على الغلاف الزجاجى، وفى هذا دليل على أن الأشعة مكونة من جسيمات صغيرة يتجاذبها المغناطيس فى مواضعه المختلفة الذى نعلم أنه لا يؤثر إطلاقاً على الموجات الكهربائية . ويقول ريشنباخ Hans Reichenbach فى كتابه « الأتوم » الذى ترجمه للفرنسية موريس ليكاه Maurice Lecat : إن هذه الكهرباء المادية جسيمات مهاجرة وإن التيار الكهربائى ُيمثل مجموعة من الأفراد المهاجرين من قطب إلى قطب

وبالطريقة ذاتها التى يؤثر بها المجال المغناطيسى على هذه الأجسام المهاجرة يؤثر أيضاً المجال الكهربائى على طريقها ، وقد وضع الباحثون كفتين معدنيتين فى طرفى « الأمبول » بينهما فارق فى الضغط الكهربائى، ولاحظوا انحراف الأشعة الكاثودية بنفس الطريقة التى تنحرف فيها عند وجود مجال مغناطيسى ويزداد هذا الانحراف مع القوة الكهربائية المستعملة

ولقد وجد العلماء فى قياس درجة هذا الانحراف طريقة لقياس كتلة الألكترون أى كتلة واحدة من بلايين البلايين الأفراد المهاجرة ، ذلك أنه يمكن معرفة القوة الجاذبية من معرفة شدة المجال الكهربائى أو المجال المغناطيسى كما أنه يمكن معرفة الشحنة الكهربائية لأحد هذه الألكترونات ، وذلك بالالتجاء إلى تجارب أخرى وعدنا القارىء بشرحها قريباً عند ما نتحدث عن تجارب « بيران » الفرنسى « ومليكان » الأمريكى ، ومن الجلى أن يدرك القارىء أن بهذه المعارف يمكن التوصل لمعرفة كتلة الألكترون ، لأن ثمة علاقة سهلة بين كتلة الجسيم وبين الدرجة التى ينحرف بها فى مجال معروفة قوته .

وقد توصل الباحثون لحساب هذه الكتلة فوجدوا أنها حوالى $\frac{١}{٢٠٠٠}$ من كتلة أخف ما نعرفه من الذرات ، وهى ذرة الهيدروجين. وبناء على ما تقدم فالألكترونات جسيمات تصغر كثيراً جميع الذرات الكيميائية المعروفة ، وقد توصل العلماء أيضاً إلى معرفة شحنة الألكترون وهى تمثل كمية الكهرباء التى يحملها تيار مقداره واحد على عشرة آلاف مليون من المللى أمبير يستمر مروره مدة واحد على مليون من الثانية .

وتذكرنا النسبة الخاصة بكتلة الألكترون وكتلة نواة ذرة الهيدروجين النسبة بين كتلة الشمس وكتلة الكواكب الكبيرة التى تسير حولها ، إذ تبلغ كتلة الشمس ١٠٥٠ (١) مرة تقريباً كتلة المشترى (٢) Jupiter أما النسبة بين كتلة الشمس وكتلة إرانوس وهو الكوكب التالى فى الكبر للمشترى فتبلغ ٣٥٠٠ (٣) تقريباً ، وعليه فإن كوكباً فرضياً يكون أصغر كتلة من المشترى وأكبر من إرانوس ، وتوازى كتلته كتلة الأرض ١٦٧ مرة تقريباً، تمثل النسبة بين كتلته وبين كتلة الشمس النسبة بين كتلة الألكترون الحائر داخل ذرة الهيدروجين وكتلة هذه الذرة

ولا شك عندى أن ثمة شموساً أخرى غير شمسنا وكواكب أخرى غير كواكبها توجد فيها هذه النسبة صحيحة فإن قوانين المصادفة وتعدد الشموس وإمكان اقتراب بعضها من بعض وطول الزمن يحتّم علينا أن نقبل وجود هذه النسبة فى الكون . ومن يدرى فربما يكون لهذه النسبة علاقة بالخليقة والوجود ...

هذا الألكترون الحائر ، هذا الكوكب الصغير بالنسبة إلى الذرة لا يكفى فى الكلام عنه هذه الأسطر التى نعتبرها مقدمة لموضوعه ودليلاً على وجوده . هذا الموضوع سنتناوله مع القارىء ، ونأمل أن يساعدنا هذا السكون بعيداً عن الضوضاء على تتبعه

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) النسبة المضبوطة ١٠٤٨

(٢) المشترى أكبر الكواكب السيارة التى تدور حول الشمس إذ يبلغ حجمه حوالى ١٢٩٥ من قدر حجم الأرض وتبلغ كتلته ٣١٨و٣٦ كتلة الأرض — أما حجم الشمس فيبلغ ١٣٠١٢٠٠ مرة حجم الأرض وكتلتها تبلغ حوالى ٣٣٣٤٠٠ كتلة الأرض

(٣) النسبة المضبوطة تساوى ٣٥٠٢

من هنا ومن هناك

هل تقضى الحرب القادمة على المدنية؟

[من مقال الكاتب العالمى « ج . ب بريستلى »]

طالما تردد على أسماعنا أن العالم إذا ابتلى بحرب عالمية جديدة فمعنى هذه الحرب القضاء على المدنية . وقد يبدو هذا الكلام صحيحاً ، وقد ينفعنا لتذكير بعض الناس بأن الحرب لم تمد ذلك الحادث الخيالى الذى يسمعون به من بعيد . ولكن هذا القول فى الحقيقة لا يحمل نصيباً من الصحة . وهو فى نظرى قول بعيد كل البعد عن الصواب ، فأنا لا أستطيع أن أتصور أن العالم أجمع يتفانى فى هذه الحرب

فمن المحتمل كثيراً إذا وقعت الحرب أن تترك ألمانيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا للخراب والإفلاس . ولكن من الخطأ أن نظن المدنية متاعاً موروثاً لتلك الدول فيقضى عليها إذا حل بها الدمار . فهذا قول ظاهر البطلان

إننى أرى مجرى المدنية يتحول عن أوربا الغربية . وأتوقع أنه إذا جاء مؤرخ بعد بضع مئات من السنين ليؤرخ هذه الفترة من الزمن ، ويسجل التقدم الذى أحرزه العالم فيها سوف لا يقول إذن ماذا كانت تفعل بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا

إننى أعتقد أنه سوف يرى بغير غموض أن حركة التقدم التى شملت العالم الحديث فى هذا القرن ، قد انتقلت من الأمم المعروفة بالأمم الصغيرة فى هذا العصر إلى الأمم العظمى ، ومن سكان الجزر الصغيرة إلى سكان القارات والممالك الكبيرة

ولمعرفة ذلك يجب ألا ننظر إلى ما تم وانتهى ولكن إلى ما يتم . مما لا شك فيه أن انتشار التعليم من أقوى الدلائل على هذه المدنية الجديدة. فحيثما يحل العلم محل الجهل، تقوم دعائم المدنية

إننى حينما أسمع كلمة انتهاء المدنية يتجه نظرى حول العالم أجمع فأتذكر تلك الجامعات والكليات التى عمرت بها أوربا الوسطى وقد كنت أحاضر بها فى الخريف الحالى . كم من أمثال هذه الجامعات فى العالم ؟!

قد يكون من السهل نقد نظام التعليم فى تلك الجامعات التى أشير إليها . وقد نستطيع أن نقول إنه سيمضى زمن طويل حتى تكون لجامعات كمبردج واكسفورد وقد نجد الحجة أمامنا فى ضعف المواد التى تدرس بها وعدم وصول طلابها إلى الدرجات العليا فى التعليم

ولكننا إذا نظرنا إلى ماضيها المجدب وقسناه على تقدمها المحسوس نحو المدنية والرقى عرفنا كيف تأتى هذه الأمم بالمعجزات

إننى أجيل النظر حول العالم كما قدمت فأذكر الصين مثلاً وقد أنشئت فيها الجامعات وانتشرت فى بلاد لا يكاد يسمع باسمها الإنسان . وإذا كانت اليابان قد دمرت بعضها فى غزوها فإن تلك الجامعات تشاد فى أماكن أخرى بعيدة عن أماكنها السابقة ولو أدى الأمر إلى بنائها وسط الكهوف والأحراج

وهكذا أصم أذنى حينما أسمع كلمة الحرب وانتهاء المدنية . فهذا تشاؤم لا مبرر له ووهم لا أساس له من الحقيقة . إن المدنية تسير فى طريقها . وهو على كل حال طريق ليس من السهل على القذائف والمدمرات أن تناله بسوء

الهند الطموح

[عن مقال للزعيم الهندى « جوهر لال نهرو »]

إذا كانت الوطنية هى التى خلقت الأمم الأوربية منذ مائة سنة أو أكثر ، وهى التى أقامت الدعائم للمدنية التى يكاد بناؤها أن ينهار فى السنين الأخيرة ، فما لا شك فيه أن الوطنية هى القوة التى تحفز الأمم الشرقية التي تئن تحت نير الحكم الأجنبي للسعى وراء الحرية فى هذه الأيام فألفت بين قلوب أبنائها وشدت من عزائمها وأطلقت روحها الحبيسة من عقالها ، وتلك ناحية سامية فى حياة تلك الأمم ، تضيف نجاحاً جديداً إلى النجاح الذى نالته الحرية فى تاريخ الإنسانية . إلا أنها على الرغم من ذلك لم تستطع الخروج بها عن تلك الدائرة الضيقة ، إذ أن انشغال الأمم بالسعى وراء حريتها لا يترك لديها مجالاً للتفكير فى شىء آخر، ولم تستثن

الهند من هذه القاعدة . فالهند فى كفاحها قد نسيت العالم برهة من الزمن ولم تفكر فى غير شأنها . إلا أن القوة التى أحرزتها ، والثقة التى أحياها النجاح فى نفوس أبنائها ، قد جعلتاها تفكر فى دائرة أوسع وأعم

إن غزو اليابان لمنشوريا قد أوجد شيئاً من العطف على الصين، كما أن اغتصاب إيطاليا للحبشة قوبل باستياء شديد ، وكذلك المأساة التى حلت بوسط أوربا قد قابلها العالم بالأسف العميق ، ونحن لطول تجاربنا للأمبراطورية البريطانية ، لم نصدق شيئاً من وعودها للأمم الضعيفة ، ولم نثق بمعاونتها فى عصبة الأمم ، لذلك كنا نتتبع سياستها الخارجية باهتمام ، وقد أصبحت معارضتنا لنفوذ الأمبراطورية البريطانية جزءاً من سياستنا التى تعارض كل نفوذ إمبراطورى أو فاشى فى أنحاء العالم

لذلك كانت بعثتنا الطبية إلى الصين ، والمؤنة التى أرسلناها إلى أسبانيا باسم الهند ، من الطرق التى اتخذناها لنبين سياستنا الخارجية ، واستقلالنا بها عن بريطانيا . وأكثر من ذلك فقد اطرحنا جانب التفكير فى أى مساعدة حربية إذا ثارت الحرب . إن الشعب الهندى وحده هو الذى سيقول إذا كانت الهند تدخل الحرب أولا تدخلها. وأى إرادة تملى عليه من الحكومة البريطانية ستقابل بالرفض . يجب علينا أن نقرر سياستنا الخارجية بأنفسنا ، وكذلك سياستنا المالية والحربية ، ولنا الحرية التامة فى الارتباط بالأمم الأخرى

إن سلطان الإمبراطورية البريطانية يتلاشى أمام أعيننا ، وليس لديها إزاء الهند غير طريقين: الطريق الطبيعى والمنطق الذى يلزمها بالتنازل للهند عن حقها فى تقرر مصيرها على قاعدة الحرية التامة وإلغاء المجلس الذى أقيم ليمثل إرادتها المطلقة

والطريق الآخر هو الذى تستطيع الهند أن تملى فيه أحكامها القاسية عليها حيث تصطدم بالوطنية الهندية . وإذا كانت هذه الطريق ستؤخر حريتنا قليلاً إلا أنه مما لا شك فيه أنها ستؤدى إليها وتظهرنا على أمور لم تكن فى الحسبان . من أجل ذلك نرى الحكومة البريطانية تتجنب مع الهند أى حركة من شأنها أن تدعو إلى العنف

إنها قد ترحب باتفاق ودى مع الوطنية الهندية يكون نتيجة إقامة المجلس الوطنى، ولكن ذلك سيؤدى بلا شك إلى الطريق الذى ابتدأت منه ، وذلك ما تخشاه



حماية الملكية الأدبية

عنيت وزارة التجارة والصناعة بوضع تشريع لحماية الملكية الأدبية فى مصر ، إلى جانب ما أخذت فى وضعه من تشريعات أخرى لحماية براءات الاختراع ، وحماية الملكيات الفنية والموسيقية وغير ذلك مما تنتظم معه حياة استغلال المواهب ، وتستقر به حقوق المؤلفين والمبتكرين .

وقد انتهت إدارة التشريع بوزارة التجارة من وضع أساس هـذا التشريع وعرضته على معالى وزير التجارة توطئة لاتخاذ الاجراءات الخاصة بإصداره

وقد رؤى أن يشتمل هـذا القانون على مادة خاصة بحماية حقوق المؤلفين الأجانب ، أملاً فى أن يمهد ذلك لاشتراك مصر فى الجمعية الدولية لحماية حقوق المؤلفين، فيحفظ للمؤلفين المصريين عن طريقها حقوقهم فى مؤلفاتهم فى البلدان الأخرى .

مغالطة

قلت فى الرسالة (العدد ٣١٤ ، باب رسالة النقد) إن هذا الـكتاب : « مجموعة محاضرات دُرْكايم » لا وجود له . وهى « المجموعة » التى استند إليها الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم فذكر عدداً من صفحاتها (أجل !) رجاوة أن يدل على أنه قرأ فيها هذا التعبير Une somme de rapports sociaux ثم عاد الأستاذ أدهم (الرسالة العدد ٣١٧) يقول — غير هيّاب — : إن هذه المجموعة موجودة وهى تحمل اسم Les Règles de la méthode Sociologique التى طبعت للمرة الأولى عام ١٨٩٥ ، فمن المجموعة (كذا !) الاجتماعية لـمكتبة F. Alcan بباريس على أنها Travaux de l'Année Sociologique ثم زاد فقال: «والنسخة التى تحت (يريد : بين) أيدينا (يريد : يدينا) هى الترجمة الانجليزية وفيها العبارة مترجمـة sum of social rapports والترجمة بقلم G. W. Swain ... وراجعنا اليوم نسخة من طبعة عام ١٩١٢ فى الفرنسية ، والعبارة وجدناها (يريد : ووجدنا العبارة) ترددت أكثر من مرة (يريد : غير مرّة) » . اهـ كلام أدهم

والرد الواضح على هـذا أن ترجمة عنوان الـكتاب الفرنسى Les Règles de la méthode Sociologique (وما هو بمجموعة كما يدعى الأستاذ أدهم ، فقد قرأته على أساتذتى فى السربون غير مرة) هى : قواعد (أو أصول) المنهج الاجتماعى (أى منهج علم الاجتماع) . فأين تعبير « مجموعة محاضرات » ؟ وترجمة هذا التعبير الأخير : Recueil de Conférences

وإن زاغ الأستاذ أدهم فذهب إلى أنه ترجم العنوان الشامل وهو Travaux de l'Année Sociologique (وما هو بعنوان الكتاب المذكور قبلُ) فترجمة هذا العنوان الأخير هى : أعمال « السـنة الاجتماعية » (وهى مجلّة) . فأين تعبير : « مجموعة محاضرات ... » ؟

وهـذا يدل على أحد أمرين كما قلت فى مقالى السابق : فإما أن الأستاذ أدهم لا يحسن النقل من الفرنسية إلى العربية لرقّة معرفته باللغة الفرنسية ، وإما أنه يبتدع المصادر على سبيل التهويل . وله أن يختار أحد الأمرين ، وأنصح له أن يختار الأول فهو أهون شراً [1]

---

(١) يورد الأستاذ أدهم ترجمة الجملة الفرنسية باللغة الانجليزية هكذا sum of social repports ثم ينسبها إلى G. W. Swain فأين اسم الكتاب فى الانجليزية وتاريخ طبعه ولا سيما رقم الصفحة حتى يراجع المراجع الترجمة وينظر فى كلمة repports ومعناها مغاير لمعنى كلمة rapports الفرنسية ؟

ثم إن الأستاذ أدهم يقول : إن التعبير الفرنسى ...une somme (وهو ليس من خلقى كما أكدت من قبل دفعا لاتهام واهم) ترددت « أكثر من مرة » فى كتاب « قواعد المنهج الاجتماعى » . فأين الصفحات ؟ إنى أحب أن يرشدنى الأستاذ أدهم إلى مظان لا تغيب عنى !

ومن ذلك كله يتبين أن الأستاذ أدهم يحسن الإبهام من طريق المغالطة . وهو ممن لا يخشى أن يستكره الحجج على مواضعها فيجتلبها اجتلاباً. ثم إنه ممن ينحرف إلى ارتجال المصادر ارتجالاً؛ وقد بينت ذلك فى المقال السابق من الرسالة وفى مقتطف أغسطس .

ولن أنسى أن الأستاذ أدهم استند إلى الإصحاح الرابع عشر من سفر دانيال « العهد القديم » وكل السفر اثناعشر إصحاحاً ، وأنه استند إلى الجزء الثالث من « الفهرست » لابن النديم ، على حين أنه يقع فى جزء واحد ؛ ولعل القارىء لم ينس ذلك (راجع الرسالة العدد ٣١٤) .

وبعد ، فإنى لم أكتب هـذه الـكلمة ، متعقباً فيها قولاً للأستاذ أدهم (وقد والله سئمتُ تعقب أقواله كلها) ، إلا ليعلمَ أنى لا أزال أعده أجنبياً عن العلم الصرف ، بعيداً عن مطارح الثقة والدقة . فليتروَّ وليتحرَّز قبل الـكتابة وليفطن إلى أن فى مصر وفيمن غاب عنها لأجلٍ من له بالمرصاد ، مهما لوَّى قلمه وكابر .

ولعله يقول إن هذا التعقب « شكلى » ، وهو قول طالما يفزع إليه ويستغيث به . فالذى أعرفه أن الدقة والأمانة فى تدوين المصادر مما يعظم شأنه فى جامعات فرنسة وانجلترة وألمانية وإيطالية ومصر ! وأما على بما يجرى فى جامعة موسكو — حيث تلقى الأستاذ أدهم صنوف العلوم ، كما جاء فى مجلة الحديث الحلبية — فجدُّ قليل .

(تلال الفوج — فرنسة) بشر فارس

حول نعيم الجنة

شددنا النكير على الدكتور زكى مبارك لقوله : « اشغلنى عنك يارباه ، بما سيكون فى الجنة من أطايب النعيم » فكتب يقول: إنه لم يقل هذا وإنما قال : « اشغلنى عنك ، يا رباه ، بما فى الجنة من أطايب النعيم فإن بصرى أضعف من أن يواجه نورك الوهاج » وزعم أننا حذفنا شطراً من كلامه ليجوز أن نقول عن شطر (فهل رؤى سوء أدب وسوء فهم للدين كالسوءين المتجسمين فى دعاء زكى مبارك هذا ؟) ، فى حين أن عبارته بشطريها (غاية الغايات فى الإيمان بعظمة الله ذى العزة والجبروت) ؛ هـذا هو دفاع زكى مبارك . فهل يجدُّ الدكتور زكى مبارك حين يقول هذا ؟ وهل فى الحق أن للجملة التى لم نذكرها ذلك الأثر الإكسيرى فى الجملة التى ذكرناها فتقلبها من غاية الغايات فى سوء الأدب وسوء الفهم للدين إلى غاية الغايات فى الإيمان بعظمة الله ذى العزة والجبروت ؟

لننظر أولاً إلى غاية غايات زكى مبارك فى تعظيم الله والثناء عليه : إن بصر زكى مبارك (على حِدَّته) ـ كما يقول فى رده ـ أضعف من أن يواجه نور الله (الوهاج) أهذا ثناء على الله أم على بصر زكى مبارك ؟ وتعظيم لله أم تعظيم لزكى مبارك ؟ إن بصر زكى مبارك أضعف من أن يواجه نور بعض ما خلق الله . فلو أطال التحديق فى الشمس ضحَى لعمى ؛ بل لو حدق فى القوس الكهربائى لَكلّ . فهل بلغت الغفلة بزكى مبارك أن يرى ثناء على الله ما لو أثنى به على بعض مخلوقاته لـكان تقصيراً فى الثناء ، فضلاً عن أن يراه غاية الغايات فى الإيمان بعظمة الله ؟

ثم وصْف (الوهاج) فى دعاء هـذا الصوفى الذى لا يدرك معانى دعائه غير صفوة المؤمنين ، ما معناه وما مغزاه حين يصف به نور الله سبحانه ؟ إن الـكلمة فى اللغة توصف بها الأجسام المتألقة اشتعالاً ، وقد وصف الله بها الشمس فى سورة النبأ كما يعرف كل إنسان . فكيف غاب عن الدكتور المتصوف أن وصفاً كهذا — فيه من التكييف ما فيـه — لا يليق أن يوصف به نور الله سبحانه ؟ سيلجأ الدكتور إلى المجاز يلتمس فيه محملاً . فليلجأ ، وليخبرنا على أى محمل يمكن أن يحمل هذا اللفظ حين يصف به نور الله رجل يرى أن دعوى النظر إلى الله أعرض من الصحراء

الواقع أننا هممنا حين كتبنا أول مرة أن نجمل هذه الجملة التى يدَّرِىءُ بها الدكتور الآن هى أيضاً موضع نقد ولوم لولا أننا آثرنا أن ندع ما جاء منه على أى حال فى صيغة ثناء ، وأن نقصر الـكتابة على ما لا يمكن أن يتصور فيه عذر مما جاء فى صدر ذلك الدعاء

على أننا سنفرض أن ليس فى ثناء زكى مبارك هذا ما يمكن أن يكون موضع مؤاخذة أو استدراك ، فما علاقة كلال بصره عن نور الله بما جاء فى صدر دعائه من طلب الانشغال عن الله ؟ أبلغت الدراسات الفلسفية بالدكتور زكى مبارك أن يرى أن ليس لما وراء البصر فى عبادة الله مذهب ، فإذا لم يستطع أن يبصر فلينصرفْ عن الله وليشتغل عنه بنعيم الجنة ؟ أهذا هو حاله الذى تسامى إليه فى (التصوف الإسلامى) ؟ وهل معنى رؤية الله عنده فى نعمه الشكورة الاشتغال بتلك النعم عن الله ؟ أم هل فى منطق فلسفته أن المؤمن بعظمة الله وجبروته يستطيع أن يجترىءَ على

الله ذى العزة والجبروت فيسأله أن يشغله عن نفسه سبحانه بنعيم الجنة لأى سبب من الأسباب ؟

لا . ليس من الممكن أن يكون الدكتور زكى مبارك جاداً حين يزعم للناس أن عبارته تلك قد بلغت غاية الغايات فى الإيمان بعظمة الله لمجرد ذكره فيها أن بصره أضعف من أن يواجه نور الله . إنه يسخر وهو يصطنع الجد كبعض من قرأ لهم من أدباء العرب أو أدباء الفرنسيين . إنه يسخر من نفسه أو يسخر من الناس ؛ لكنه يسخر فى مجال لا ينبغى لمؤمن أن يسمح للسخرية أن تحوم حوله ولو من بعيد . وقد أهبنا بزكى مبارك مخلصين أن يتوب إلى الله من اجترائه عليه وأن يخلص التوبة . فلئن أصر ليوشكن أن يسخر منه الله .

محمد أحمد الغمراوى

سعد وسعاد

فى أول كلمة كتبها شيخنا الجليل عبد المتعال الصعيدى ، كان مثار الاضطراب عنده فى القصة أن سعداً ذهب يبث شكواه إلى الخليفة مروان والخليفة معاوية فى وقت واحد . وإنما سبق ذلك إلى ذهنه لأنه مر بالقصة مراً خفيفاً فجعل (مروان) بدلاً من الخليفة فى هذه الجملة (والى تلك الجهة الأموى المفتون المدل بمكانه من قريش ومكانه من الخليفة ، مروان بن الحكم) مع أن سياقة القصة وما تقدم هذه الجملة من كلام لا يجعل مجالاً للشك فى أن المراد بالخليفة : معاوية وبالوالى : مروان . هذا إلى أنى أعتقد أن مكانتى عند العلامة الصديق لا تتدلى إلى قرار أجهل الفرق معه بين عهد مروان وعهد معاوية وهو ما لا يسع أن يجهله تلاميذنا فى المدارس الابتدائية

وقد أردت أن أمهد العذر للأستاذ الكبير فيما ذهب إليه ، لأن إغضاب جملة فى مرضاة صديق ليس بالشىء الجلل ، فقلت لعل طول الجملة ألقى عليها ظلاً من الغموض ، قلت ذلك وأنا أعتقد أنى ظالم لها ، فليس فيها غموض ولا إبهام ولا تحتمل غير ما أراده منها كاتبها وغير ما فهمه القراء

ثم كان أن ظهر الشطر الثانى من القصة ووضح منه (أن المدل بمكانه من الخليفة) ليس إلا الوالى مروان بن الحكم ، وكان ذلك جديراً أن يرفع هذا الاضطراب — إن صح وجوده — لأن الاضطراب كما يعرف العالم لم يتمد منطقة (دانزيج) إلى الآن ، ولكن العلامة الصديق عاد فقرر فى كلمته الثانية أن الاضطراب لم يرتفع بل ازداد ، ومعنى ذلك : أنه لا بد من وجود الاضطراب سواء أكان مروان مشكواً منه أو مشكواً إليه ! غير أن شيخنا وقد ظهرت له براءة الجملة مما رميت به رأى أن ينقل الاضطراب — بزكانته التى أعرفها له — إلى القصة نفسها ، فرماها بالوضع كأن كل قصة موضوعة يجب أن تكون مضطربة ! ولو أخذنا بهذا المنطق لحق العفاء على كل ثمرات الخيال

أما إن القصة موضوعة فقد أبتسر أبى فيها مع الحذر والحيطة ، ولا يسعنى إلا أن أحمد الله على أن فراستى لم تخن كما حدثه الأستاذ الصديق ، فقد ألقى فى روعى أنه سيتدرج من رمى الجملة بالاضطراب إلى رمى القصة بالوضع ، فبادرت بإعلان رأيى مقدماً لأوفر عليه العناء ، ولكنه كما لم ينتظر الشطر الثانى من القصة ليتثبت من وجود الاضطراب ، لم يتريث حتى يقرأ ردى على كلمته ليعرف رأيى فى القصة

والآن أود أن يتسع صدره للنقاش فيما يلى :

١ — رجح أن الوالى الظالم ابن أم الحكم ، لا مروان ابن الحكم أخذاً برواية داود الأنطاكى فى تزيين الأسواق . ويظهر أن أستاذنا الفاضل يقيم لهذا الكتاب وزناً كبيراً ، بدليل استقائه منه جل ما كتبه عن (بنى عذرة) وأنا مثله كثيراً ما أعتمد عليه بل أنى أحفظ أغلب أشعاره ؛ ولكن رأيى أن الشيخ داود الأنطاكى كان فى تصنيفه لهذا الكتاب كحاطب ليل ، وقد يكون ثقة ثبتاً عند الشيخ الفاضل ، ولكنه ليس أوثق عندى من شهاب الدين النويرى ولا من الإمام ابن الجوزى راوى قصة سعاد كما فصلتها

٢ — يستبعد شيخنا أن يقع هذا الظلم من مروان بن الحكم وهو يعرف أنه كان مستشاراً لعثمان (رضى الله عنه) ففرق جماعة المسلمين ! وكتب عن لسان الخليفة كتاباً مزوراً إلى والى مصر لولا انكشاف أمره لأريقت دماء بريئة ! ويعرف أنه فى موقعة الجمل تنفل طلحة وهو من أنصاره فرماه بسهم فى أكحله أودى بحياته ! فأين يقع اغتصاب سعاد من هذه الأفاعيل ؟ ! ثم أين هو الاغتصاب ؟ ألم يُملق سعد ، وعجز أن يَمُون زوجته ؟ والفتيا على أن إعسار الزوج سبب من أسباب الفرقة . ثم ألم يطلقها سعد على كل حال (وإن كان مكرهاً) وإذا صح أن الخلافة تثبت بالتغلب أفلا تثبت الزوجية ؟ ثم ألم يتزوجها مروان بعد انقضاء العدة واستبراء الرحم على سنة الله ورسوله ؟ فهذا الزواج لا ينافى الحِل وإن باين التديّن والورع ومكارم الأخلاق ، ومروان ليس بمعصوم من النزوات

٣ – لست أنكر أن (مروان) من زعماء بنى أمية، ولكن أيظن شيخنا أن معاوية يغمض عن هفواته رعاية لهذه القرابة؟ وهو عاهل العرب الذى كان يتألفهم بسياسته الحازمة الرفيقة الصارمة، وهو خليفة المسلمين المسئول عن أبشارهم وأعراضهم وأموالهم. أيخشى معاوية أن يحاسب (مروان) على ذنب اجترحه وهو الذى بلغ من شكيمته أن ينازع عليًّا الخلافة – على قرابته وسابقته وفضله – ومن مروان إذا قيس بمعاوية؟ ألم يَعِدْه أن يعهد إليه بالخلافة بعد يزيد فلم يف له بذلك ولم يقف عند هذا الحد فعزله عن ولاية المدينة؟ ثم ما هى الذلة التى ضربت على مروان فى هذه القضية؟ أيكون ذليلاً لأنه ثاب إلى رشده واستجاب لداعى الحق ونزل على حكم الخليفة؟ وهل كان ينتظر منه أن يبسط لساناً أو يسل سيفاً والذنوب تخرس الألسنة وتغمد السيوف؟

٤ – حكم شيخنا بأن القصة ضعيفة فى سبكها وشعرها، وأنا أوافقه فى ذلك وأخالفه، أوافقه على أن بعض الشعر ضعيف بل سخيف، وقد أشرت فى الهامش إلى أنه قد يكون وضع على لسان معاوية. وأخالفه فى أن سائره جزل قوى محكم، وهو ما قاله سعد وسعاد أو قيل على لسانهما

أما سبك القصة فهو عمل خالص لى، وليست القصة إلا هيكلا عظميا كسوته اللحم وأجريت فيه الدم، فإن كان لا يزال مصرا على أن هـذا السبك ضعيف، فلا يسعنى إلا أن أحترم رأيه، ولكن ذلك لا يمنعنى أن أقول: إن أدباء القصة لا يتفقون معه فى ذلك، وهم بحمد الله كثير فى هذا البلد الأمين

٥ – بقى أنه يرى أن هذه القصة موضوعة، وأقول: إن هذا ظن لا يغنى من الحق شيئاً! وأبرأ للذمة، وأبعد من الزلل أن يتابع صديقه الصغير فى عدم الجزم بذلك، فراويها الإمام ابن الجوزى ومنزلتـه معروفة، ووقائعها ليس فيها ما يهول ويستغرب. أليست زبدتها أن والياً – وإن كان مروان – أكره زوجاً معسراً على طلاق امرأته الجميلة ليتزوج بها، وأن الخليفة رد الحق إلى نصابه، وأى عجب عاجب فى أن يحدث هذا؟

هذا ما عنّ لى فيما كتبه شيخنا الفاضل... والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

على الجندى

أين علماء الأزهر؟

الأستاذ العالم على الطنطاوى رجل مؤمن الروح، مشرق القلب، نير البصيرة. وهو بعد من أولئك الشبان الأخيار الذين يحرقون أنفسهم مداداً وبخوراً فى سبيل حياة الإسلام وعزته، فى عصر مزور أصبح فيه كل من يتكلم فى الدين يرمى بالرجعية والجمود والغفلة وعدم مسايرة تيار الحضارة الحديثة والتطورات العلمية الجديدة

أقول هذا بمناسبة نداء الأستاذ الأخير الذى وجهه لعلماء المسلمين على صفحات الرسالة يحثهم على معاونته فى تأليف كتاب فى (الدين الإسلامى) «يضم بين دفتيه الإسلام الذى جاء به النبى محمد خالياً من الحشو والزيادات والبدع والخرافات، يقرأه الشاب المسلم الذى يعرف الدين فلا يحتاج بعده إلى شىء، ويقرأه العامى فيفهم منه دينه، ويقرأه الغربى (مترجماً) فيحصل له عن الإسلام فكرة واضحة صحيحة»

ويعلم الله أن نفسى انطلقت لهذه الفكرة النبيلة وانتظرت ماذا سيكون من أمر علمائنا، وخصوصاً سادتنا علماء الأزهر الشريف فهم أحق الناس بتلبيتها والنهوض لها والاهتمام بها... ولـكن ماذا كان؟ كان أن ذهبت دعوة الرجل هباء، فلا حس ولا حركة ولا حياة!

فى الحقيقة أن أساتذتى علماء الأزهر مقصرون. وفى الحقيقة أنهم قوم لا يهمهم من الحياة إلا صفو أنفسهم وخفضها، وإن تظاهروا بالرهبنة والزهادة، وضجوا بالحوقلة والحسبلة؛ أما رفعة الإسلام ومجده، فذلك شىء منسى على هامش حياتهم!

أين الدجوى والجبالى واللبان وأبو العيون والأودن والجزيرى وأبو دقيقة؟ أين هؤلاء؟ وأين غيرهم وغيرهم من علماء الأزهر الذين لهم قلم وفكر وبيان! أنا لا أستطيع أن أفهم!

يا إلهى...! متى يستكمل شباب المراغى الحي عدته فيحمل المشعل ويتقدم القافلة؟!

عبد العليم عيسى

القومية العربية والوحدة الاسلامية

إلى الأستاذ ناجى الطنطاوى

خاطبتم الأستاذ العلامة (ساطع الحصرى بك) فى العدد ٣١٧ من الرسالة العزيزة فى قوله: (أعتقد باستحالة الوحدة الإسلامية) وقلتم: (أفتكون هذه الوحدة التى أمكن تحقيقها فى عصر صدر الإسلام وعصر الأمويين والعباسيين ومن أتى بعدهم مستحيلة فى عصرنا هذا؟) تقولون هذا وأنتم تعلمون أن الدين الإسلامى الحنيف لم تصن مبادئه وتحفظ قوانينه كما أمر الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) إلا فى زمن صدر الإسلام. وفى عصر الأمويين إذ كان الدين الحنيف يسهر على مصالحه العرب الذين جالدوا ومنعوا دخول العناصر الغريبة عن العرب



فوزى المعلوف وآثاره

للأستاذ فائز ح. عوده

بقلم الدكتور إسماعيل أحمد أدهم

وهذه دراسة جديدة عن علم من أعلام الأدب الحديث تظفر به المكتبة الاستشراقية فى اللغة الفرنسية من أديب شرقى تقدم بها كأطروحة إلى جامعة باريس لينال عليها إجازة الدكتوراه فى الآداب . والدراسة تمتاز بطابعها المدرسى فى العموم وكونها أقرب إلى التثبت العلمى منها إلى التخيل والنظر فى المنهج ، ففيها رجوع إلى المصادر واستقصاء لها ، ودلالة على مناحى أهميتها مما تجده مبذولاً فى قائمة المصادر والمراجع ، وبعد ذلك ترى الضم للعناصر المتفرقة من المراجع بلا تعديل ومناقشتها بإحكام ، ثم بعد ذلك الرجوع إلى ما يتصل بها من آثار فوزى المعلوف ، والخلوص من ذلك بأحكام تغلبها نزعة التقدير

تستهل الدراسة بمقدمة عن الشعر العربى الحديث فى طليعة القرن العشرين ، يتناول فيها صاحب الأطروحة بالبحث انبعاث روح النهضة فى الشرق العربى وخاصة لبنان ، مبيناً الأسباب التى كانت تعوقه عن أن يدور فى آفاق الحياة الجديدة ، التى أخذت منها سوريا بطرف ، وهذه الأسباب تعود إلى نظام الحكم - عنده - وهو لهذا يرى أن الشعر العربى السورى لم ينهض إلا فى المهجر سواء كان مصر أم أمريكا . وهو يرى فقدان زعيم المدرسة اللبنانية فى الشعر ، وقد تخرج على مذهبه الإبداعى جل المجددين فى الشعر

فى صميم الحكم والقضاء ، فلما أن جاء العصر العباسى وكثر فيه الغرباء عن العرب وانتصر السفاح بمساعدة الخراسانى وهو فارسى أصبح الفرس يتدخلون فى الحكم مجاهرين (أن الدولة لم تقم إلا على سواعدهم وازدادت هذه التدخلات بعد أن انتصر المأمون على أخيه الأمين بقوة جيش خراسان أيضاً. ولم تزل هذه العناصر الغريبة تلح على الأمة الإسلامية حتى انحطت إلى ما هى عليه الآن. ولو قدر الله أن يبقى الحكم فى يد العرب لازدهرت الأمة الإسلامية ولما انحطت إلى ما هى عليه اليوم

إن المسلمين العرب اليوم فى حاجة قصوى إلى الاتحاد والاتفاق مع المسيحيين العرب الذين يشاركونهم لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم. وليس من العقل فى شىء أن نترك أخانا وجارنا المسيحى العربى من أجل هندى بعيد لا تربطنا به عادات ولا لغة ولا تقاليد !

تقولون بعد : (إن كل مسلم فى سورية أو مصر أو العراق يعتقد أن المسلم الهندى أو اليابانى أو الأوربى أخ له الخ)

وهذا صحيح ، ولكن هل تعتقدون أن المسلم الهندى يفيد المسلم المصرى أو السورى أكثر مما يفيده المسيحى المصرى أو السورى ؟ ها هى ذى فلسطين الذبيحة تكوى بالحديد وبالنار فهل رأيتم هندياً أو يابانياً مسلماً تطوع للدفاع عنها حيث يتعانق الهلال والصليب وحيث يقف المسيحى إلى جانب المسلم يدفعان معاً شر المستعمر المغتصب؟

إن حلول الأمم الأجنبية فى بلاد المسلمين العرب أكثره مسبب عما يسمونه (حماية الأقليات) وحين يأتى يوم تنطق فيه العقيدة العربية على لسان المسيحيين العرب المخلصين (إننا لسنا أقليات بل نحن من صميم الأمة) حين يأتى ذلك اليوم فإن الأمم المستعمرة لا تجد أمامها من هو محتاج إلى حماية فتنسحب

لقد أعطتنا (فلسطين) درساً وافياً فى القومية وفى العقيدة فها هى ذى تكاد تتلاشى (لا سمح الله) والدولة التركية المسلمة لم ترفع صوتها باحتجاج واحد . قد تستطيع الأمم الإسلامية أن تعقد اتفاقاً تشكل منه دولة واحدة لها سيادة ولكن معنى ذلك هو ذوبان العرب فى بقية الدول المسلمة القوية

فى مقدور المسلم أن يوثق علاقته بإخوانه المسلمين أين كانوا وهو جاد فى حقل (القومية العربية) ومخلص للقضايا الوطنية المشرفة

(طرابلس) **محمد على هطارى**

العربي ، يذكر منهم جبران ورشيد أيوب ، ويرى فوزى المعلوف منهم . على أنه يخطئ حين يقدر أن مطران هاجر إلى مصر عام ١٨٨٤ ، والصحيح أنه نزلها صيف عام ١٨٩٢ كما جاء فى البحث السابع من دراساتنا عن مطران بمقتطف يوليه سنة ١٩٣٩ ، كذلك لم يلاحظ الكاتب أن مطران وإن أثر على جبران ورشيد أيوب وفوزى المعلوف ، فقد كان تأثيره على جبران من جهة الطلاقة الفنية ، ولجبران بعد طبيعته الخاصة وأخيلته وأجواؤه . أما رشيد أيوب وفوزى المعلوف فقد وقفا من مطران موقف التأثر التام بمعنى سوق أغراضه الشعرية ، يظهر ذلك فى وحدة القصيد وسلسلة المعانى وبث فكرة مطردة فى القصيدة ، وهذا ما فطن إليه الكاتب بالنسبة لفوزى المعلوف فى أكثر من موضع من الدراسة .

على أنه يعود فى القدمة فيشير إلى تأثر أحمد شوقى بمطران فى بدء شبابه ، وما بدا من أثر مطران فى النثر التوقيعى prose rythmée (الشعر المنثور) . ويلج المؤلف فى غمار هذه القدمة المحيط العائلى والاجتماعى بالنسبة لفوزى المعلوف ، وهو يقف من هذا المحيط عند المجمل منه دون أن ينزل إلى تفاصيله ، أو يدل على روحه ، الشىء الذى تأثر به فوزى المعلوف فجاءت شخصية متأثرة بأربابه

والفصل الأول — من القسم الأول وهو عن الشاعر فى لبنان — وقف على مولد الشاعر ونشأته . وفى هذا الفصل يقف المؤلف من طفولة الشاعر ونشأته عند حد النسيج الخارجى المربوط للزمان دون أن يحاول النزول إلى أعماق الطفل فيظهر بدرات روحه وخلجات نفسه ، ومن هنا جاء عيب ملحوظ على الدراسة تكاد تراه فى كل الفصول التى ترتبط بالترجمة عن حياة الشاعر .

والفصل الثانى من هذا القسم وقف على الكلام عن آثار الشاعر الشعرية فى الفترة الأولى من حياته ويجىء بعد ذلك الكلام عن المستر سلات Essai التى تذهب منحى الفن المسرحى

أما القسم الثانى فيجىء عن الشاعر فى البرازيل . الفصل الأول عن قصائده التى تذهب مذهب المقطوعات ؛ أما الفصل الثانى فوقف على الكلام عن بساط الريح والفصل الثالث عن أسئلة الأدب ، ويجىء بعد ذلك فصلان : الأول عن فكرة الشاعر والثانى عن فنه وفى ختامهما ملخص يتألف من مجموعها القسم الثالث من الكتاب ، وفى نهاية الكتاب ملحقان الأول يحصر آثار المعلوف والثانى يحمل النص العربى للشعر الذى استشهد به فى الدراسة ، ففهرس لأسماء الأعلام ، فقائمة بمواد الدراسة

وهذا العرض السريع لترتيب فصول البحث يبين مقدار تمكن المؤلف من الروح المنهجية فى البحث التى جعلته يقسم بحثه تقسيما معقولاً ، على أن فى الكتاب بعض هنات بسيطة جاءت فى العموم فى المواقف التى عرض فيها لفوزى المعلوف بالنسبة لشعراء آخرين ، ويظهر أن سبب ذلك يرجع إلى أن الكاتب وقف فى دراسته عند آثار المعلوف فلم يمدها إلى آثار الآخرين الذين تتصل شخصياتهم أو آثارهم بشخص المعلوف أو فنه الشعرى . من ذلك كلامه عن مطران ومقارنة فوزى المعلوف به ، فهذه المقارنة خطأ من جهة المنحى الذى ذهب إليه المؤلف ، فقد قرر أن مطران وقف عند حد التعبير عن إحساسات الحب (عاطفيا) sentiments d'amoureux فى حكاية عاشقين بعكس فوزى المعلوف الذى ارتفع فى ملحق على بساط الريح إلى آفاق فلسفية تتصل بعالم ما وراء الطبيعة ، ومن هنا جاء ما عند فوزى المعلوف فى بساط الريح — فى نظر المؤلف — من الصراع بين الروح والجسد .

وهذه الملاحظة وإن كانت صادقة ولكن إطلاقها بعد ذلك على الشاعرين فيه شىء من الخطأ لأن المسألة ترجع فى ذلك الحين إلى كل آثار الشاعرين والطابع العام لشعرهما ، وفى ذلك الوقت لا أظن أن هذا الحكم يتسق خصوصاً ومايعرف عن شعر الخليل فى ملحمته « نيرون » أو قصيدته «رعمسيس» أو قصة « الجنين الشهيد » مثلاً

على أننا بعد ذلك لاننكر ما قد أظهره المؤلف فى دراسته من النظر ، خصوصاً فيما أخذه على الناقد المعروف الأستاذ صديق شيبوب وما أبداه من مقارنة بين الشاعر موضوع الأطروحة ، وبين رديارد كبلنج .

والدراسة فى العموم غنم عظيم للمكتبة العربية ، وللأدب العربى الحديث

اسماعيل أحمد ادهم

الى المشتركين بالتقسيط

لقد اشترطنا حين فتحنا باب الاشتراك المخفض المقسط للطلاب ولرجال التعليم الالزامى أن تكون الأقساط متتابعة والاخلال بهذا الشرط يستوجب إلغاء الاشتراك . فكل من لم يسدد باقى الاشتراك ستنقطع عنه الرسالة والرواية ابتداء من هذا العدد .



من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

على هذه الصفحات سنكتب تاريخاً موجزاً للنهضة المسرحية فى مصر ، تلك النهضة التى قامت على أكتاف أبطال وبطلات « فرقة رمسيس » منذ سبعة عشر عاماً حتى الآن . سنكتب تاريخاً لهذه النهضة على غير الطريقة التى يكتب بها التاريخ . هو ليس تاريخاً بالمعنى المفهوم والطابع المعلوم ، بل مجرد خواطر وآراء علقت بالذهن ووعتها الذاكرة مدى هذه الأعوام الطويلة . وكان لا بد يوماً من إخراجها للناس ، وفى وقتها المناسب ، وليس أنسب من هذه الظروف ، وقد تهيأت لنا أسباب النهوض بالمسرح ، ثم لا نجد من ينهض به ، أو يعمل مخلصاً فى سبيله !

أليس محزناً للنفس وموجعاً للقلب أن تمنح الفرقة القومية خمسة عشر ألفاً من الجنيهات فى كل عام ، ثم لا يكون من عملها وإنتاجها إلا أن تسىء إخراج بضع روايات قديمة سبق أن أخرجت للناس فى أبهى حلة وأتم نظام وأكمل ترتيب ، وأن تسىء كذلك إخراج بضع روايات جديدة هزيلة : هى عناوين للتفاهة والفتاثة ، ومفسدة للأخلاق ، وموحية بأحط التعاليم وأقبح الآراء ؟ ؟

مما يؤسف له حقاً أن يجد الكاتب لزاماً على نفسه أن يتحدث عن الفرقة القومية كلما تحدث عن المسرح فى مصر ، مع أنه لو أسقطها من حسابه ، وأغفل ذكرها ، لما خسر شيئاً يذكر فى تقديره للأمور وفى حسابه للأرقام . أما المؤرخ فلن يستطيع هرباً من الحقيقة ، وسيجد نفسه مضطراً لتدوين هذه الفترة المحزنة فى حياة المسرح المصرى . فمنذ كان المسرح فى مصر لم ينعم أبناؤه بعهد ذهبى كهذا العهد ، ولم تيسر الأمور مثلما يسرت لهم الآن ومع ذلك فإنهم لم يصيبوا من أعمالهم غير الفشل والخسران المبين !

ومن العجيب أن يحدث هذا بعد سبعة عشر عاماً من وثبة المسرح المصرى على يد فرقة رمسيس التى أنشئت لحساب فرد واحد ، ومن غير معونة من هنا أو من هناك ، وفى وقت خسر المسرح فيه سمعته ، وكان لأهله حينذاك مسبة وعاراً .

يذكر الذاكرون أن المرحوم عبدالله باشا وهبى كان عزيزاً عليه أن يرى ابنه يوسف وهبى ممثلاً ، وكان عزيزاً على أى رجل آخر أن يرى ابنه (مشخصاً) على المسرح ؛ فلم يكن التشخيص فى نظر الناس سوى مهنة وضيعة للذين فقدوا كل أمل فى الحياة وكل أمل فى الكرامة ، وكل أمل فى العمل الشريف . ولم تكن الحكومة لتعترف بوجود هذه الفئة من المهرجين أو تقيم لهم وزناً

أنشئت فرقة رمسيس وسط هذه العوامل وبين هذه الآراء ؛ ومع ذلك فإنها سرعان ما اكتسبت ثقة الجميع : الأمير قبل الفقير والعظيم قبل الصغير . وأصبح مسرح رمسيس محط الطبقة الممتازة فى مصر وملتقى الكبراء والعظماء وذوى الرأى والخطر فى البلاد ؛ ولم ينفض عنها جمهور ما ، ولم ينصرف عن تشجيعها إلا منذ حادت عن طريقها المرسوم وتنكبت السبيل السوى !

أما الفرقة القومية التى ترعاها الحكومة بمنايتها ، وتمنحها مالاً ومسرحاً ، وتجلب لها جمهوراً راقياً ، ويشرف حفلاتها ملك البلاد وكبار رجال الدولة وعظماؤها . أما هذه الفرقة التى تهيأت لها كل أسباب النجاح والفلاح فإنها لم تحظ حتى الآن بما حظيت به فرقة رمسيس من مجد ، ولم تخط خطوة واحدة نحو مثل المكانة التى نالتها تلك الفرقة ، ولم تكتب سطراً واحداً فى تاريخها تستطيع أن تفخر به أو تطمئن إليه ، وحتى أصحاب الشأن فيها يهزون رؤوسهم أسفاً وحسرة ، ويقفون حيارى لا يدرون أين المفر من هذا المصير المحتوم الذى يطل عليهم من بعيد بعيونه البشعة ويقترب منهم رويداً رويداً .

وقد أردنا بكتابة هذا التاريخ الموجز ، وسرد هذه الخواطر والآراء أن نضع أمام الرجال المسئولين جميع العوامل التى كانت من أسباب نهضة المسرح ، وكذلك جميع العوامل التى كانت

من أسباب سقوطه وانهيار بنيانه ، ليكون لهم فى النهاية مجموعة من الحقائق التى يسترشدون بها فى تنظيم الفرقة القومية ووضع برنامج لها تسير عليه ولا تحيد عنه إلا فى سبيل الكمال . والواقع أن الفرقة القومية لا تحتاج بعد الذى تهيأ لها من أسباب إلا النظام والتنظيم والخطط المرسومة التى تسير بمقتضاها وتسترشد بهديها . أما هذه الطرق الارتجالية التى تأتى عفو الخاطر ، وأما هذا العبث المحض فى اختيار الروايات وإعدادها وإخراجها وتوزيع أدوارها وفق الأهواء والخواطر . أما كل هذا وغير هذا مما فعلته الفرقة القومية ، أو أتاه أصحابها ، فقد قضى على سمعتها ، وهو وشيك أن يقضى على الفرقة نفسها القضاء الأخير .

ولا يتوهمن أحد أننا من أعداء الفرقة القومية إذ نحكم عليها هذا الحكم ؛ فالحقيقة أننا من أنصارها والمتحمسين لها والداعين إليها ، وما عداوتنا إلا للنظام ، أو قل الفوضى التى تسير عليها ؛ وما نبغى إلا الإصلاح ، ولا بغية لنا سوى هذا .

وكاتب هذه السطور بعيد عن التحيز كل البعد . وسيرى القراء أنه كما سيعطى فرقة رمسيس حقها من التمجيد ونصيبها من الفخار ، كذلك سيخصها بنصيب من النقد اللاذع ، لأنها كما نهضت بالمسرح ، فإنها كذلك هبطت به إلى الحضيض . فحساب الجميع عندنا بالعدل المطلق ، وهدفنا الأسمى المصلحة العامة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد الذى كان ، ومخافة ما سوف يكون

صناعة السينما فى مصر

إن الجهود الفردية التى وجدت الشجاعة لديها لتمزق الحجاب عن ذلك الفن الرفيع فى وقت كان فيه الفن السينمائى فى مصر لغزاً غامضاً يراود أحلامنا فى كل صباح وكل مساء — إن هذه الجهود الفردية التى أدت مهمتها وراحت ضحية جرأتها لتستحق منا اليوم كل تمجيد وثناء . إنها تشبه فى كثير طلائع الجيوش التى تعرض صدورها لرصاص العدو وتكشف أجسادها لسهامه ، فتروح ضحية جهلها وعدم خبرتها . . . بيد أن من يأتى بعدها لا يقع فى أخطائها ، ويعرف كيف يحمى نفسه ويعبر على أشلائها إلى النصر والمجد ! . . .

فإذا كنا ندين اليوم لطلعت حرب باشا بهذه النهضة السينمائية الشاملة ، فيجب أن نذكر أولئك الذين سقطوا فى الميدان منذ أعوام فكانوا الشهداء ، والذين ألهموا من أتى بعدهم وحفزوهم لنشدان الكمال وجعلوهم يرنون بعيونهم إلى أسمى الغايات . أما «ستديو مصر» فقد أصبح بفضل طلعت حرب باشا يضارع أمثاله فى أوربا وأمريكا ، إذ فيه كل المعدات الحديثة، وفيه الرحابة وكمال الاستعداد ونخبة ممتازة من الفنيين الذين فى استطاعتهم إخراج أية رواية من أى نوع . وقد دل إخراج « لاشين » التى نجحت إلى حد ما، أن فى مقدور هذا الاستديو أن يخرج روايات ممتازة ترضى أطماع أمثال سيسيل دى ميل ...

وليس بعيب الجهود الفردية اليوم إلا قصورها عن أن يشمل عملها كل العناصر المؤدية إلى النجاح الكامل . لهذا فإنا وإن كنا نؤيد حرية العمل وندعو إلى المنافسة الشريفة ، إلا أننا ننصح بعض الأفراد أن يضموا جهودهم بعضها إلى بعض ليصلوا مجتمعين إلى ما تصل إليه الشركات الكبيرة والمؤسسات الضخمة

ونحن يسرنا أن يكثر عدد المنتجين السينمائيين ، وبالتالى يكثر عدد الشركات . وحينئذ تصبح مصر هوليود الشرق وتطرد منتجاتها الفلم الأجنبى من أسواق الشرق جميعاً ، وهذا غاية ما نرجوه

(فرعون الصغير)

7me Année No. 321

Lundi - 28 - 8 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ	
٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٢١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٣ رجب سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٨ أغسطس سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

١٣ ، ٢٥

ما رأيهـــا ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

نعم ما رأيها ، والضمير إلى الفتاة المصرية ؟

ما رأيها فى تعدد الزوجات وفى أن تكون شريكة لفتاتين أو لثلاث فتيات فى زوج واحد ؟

إننى أبدأ فأثير نخوتها فأقول : إنها أعجز من أن تمثل دور الضرة ، لأنها لا تفقه من كيد النساء ومآخذ الرجال ما كانت تفقهه جدتها التى كانت تتزود للضر بسلاحه ، وتصلح للضر بمقدار صلاحه

ثم أثنى فأشهد لها فأقول : إنها أكرم على نفسها وأعرف بالأواصر النفسية بين المرء وزوجه من أن تقبل زواجاً تنقطع فيه الآصرة النفسية وتهبط فيه الكرامة

ثم أعقب على هذا وذاك قائلاً : إننى ما نويت فى هذا المقال أن أحتكم معها إلى حكم الدين ، فقد عرفنا أن الإسلام يجيز تعدد الزوجات ولكنه لا يوجبه ، بل يكاد أن يمنعه بحضه على العدل واستكثاره أن يعدل الرجل بين امرأتين ولو حرص عليه

إنما أحتكم معها إلى آراء الساسة المحدثين والقادة المعاصرين ، فربما كان من العبرة أن نعلم أن هؤلاء القادة لم يجدوا أنفسهم قط فى حالة كالتى كانت عليها الأمة العربية صدر الإسلام إلا خطر

لهم تعدد الزوجات وأجازوا ما أجازه القرآن ، بل أوشكوا أن يوجبوه ، وربما كان هذا العلم من دواعي تصحيح النظر إلى أصول الشرائع والأخلاق التي عابها أناس ونسوا ما كان لها من بواعث وأسباب

* * *

أقطاب « النازية » فى ألمانيا الحديثة ينصحون بتعدد الزوجات لأنهم يطلبون النسل ويكاثرون بالجنود ويتأهبون لليوم الذى يملأون فيه بطاح أوربا الشرقية فاتحين ومقيمين

فالأستاذ أرنست برجمان عميد قسم الفلسفة بجامعة ليبزج ينعى فى كتابه : « روح الأمومة » الزواج المفرد ، ويوجب تعدد الزوجات فى سبيل بقاء النوع ومنع انقراضه فيقول : « إن الزواج المفرد طوال الحياة يناقض الطبيعة ويضر بالنوع ، فيضمحل حيثما فرضت الزوجة الواحدة على الرجل . وإنما مثال الدولة الصالحة تلك الدولة التي تكون فيها المرأة بغير عقب وصمة عار . ولن يزال فى الأمم عدد من الرجال كاف وقابل لإيلاد جميع الإناث . وما علينا إلا أن ننبذ سخافة الزواج المفرد فنعلم أن الطبيعة قد جعلت كل فحل كافياً لعشر أو لعشرين من البنات اللواتي لم يقتلن فى نفوسهن غريزة الأمومة »

والدكتور روزنبرج فيلسوف المذهب ومقرر « نظرياته » ومبادئه يوصى بالرجعة إلى آداب القبيلة الجرمانية فى مسائل الزواج، ويقول إنه لولا تعدد الزوجات لما زخرت الشعوب الجرمانية فى القرون الماضية؛ « ولولا تعدد الزوجات لبطلت مقدمات الثقافة الغربية ، إذ كان عدد النساء فى بعض الأزمان يربى كثيراً على عدد الرجال كما يوشك أن يكون الأمر فى الزمن الحاضر ... فهل يقضى على هؤلاء النساء أن يذهبن خلال أيام الحياة محرومات حقوقهن الطبيعية مستهدفات للسخرية المزرية التي يلقاها العانسات ؟ وهل يؤذن للمجتمع المنافق القانع بما هو فيه أن يسلم هؤلاء البائسات لأضاحيكه ؟ »

ثم يتمادى فيبيح إنجاب الأبناء من غير الزوجات الشرعيات ، تكثيراً للنوع وتعزيزاً لقوة الأمة الجرمانية !

ورأى المفكرات الألمانيات قريب من رأى المفكرين الألمانيين فى هذا الباب . فإحداهن وهى السيدة « شولتز كلنك » تقول فى خطاب لها بين الصحفيات : « إن البنات الألمانيات يرجعن فى عصرنا الحاضر إلى غرائزهن الأصيلة ويصدعن بحكمها فى خضوع واغتباط عارفات أن هذه الغرائز إن هى إلا عطية سماوية يملكن بها الدم والأرض ويصبحن بها نماذج للمرأة الألمانية الحديثة » .

* * *

وقبل الفلسفة النازية بقرن كامل من الزمان كان نابليون يحتاج إلى الجنود كما يحتاج إليهم النازيون الآن ، وكان يغرى الأمة الفرنسية بالتناسل كما يغرى النازيون أمم الجرمان ، وكان يقول مثل ما يقولون اليوم كلما رأى عدد النساء فى ازدياد وعدد الرجال فى نقصان

فمن قوله فى هذا الصدد : « إننى صنعت كل ما استطعت لإصلاح حال اللقطاء المساكين الذين يساقون للعار والمهانة ، ولكن المرء لا يستطيع أن يغلو فى هذه الناحية مخافة على نظام الزواج ، وإلا لم تجد أحداً يقدم عليه »

« وقد كان للرجل فى الزمن القديم سريات إلى جانب الزوجة فلم يكن أبناء الزنى محتقرين يومئذ كاحتقارهم فى أيامنا . ومن المضحك ألا يباح للرجل أكثر من زوجة فإذا هو كالأعزب كلما حملت أو مرضت »

« إن الرجل لا يتسرى فى العصر الحديث ، ولكنه يخادن الخليلات وهن خراب لهن كلفة أفدح من كلفة الزوجات . ولقد درج الفرنسيون على إكبار المرأة وما ينبغى لها مساواة الرجال فما كانت بعد إلا آلة لإخراج الذرية . . . »

« ويطيق الرجل أن يتزوج كثيرات من النساء ولا يبدو عليه أثر ذلك . أما المرأة ، فإذا اقترنت مرة بعد مرة فلا محالة يدركها الذبول ! »

ويقول نابليون عن المساواة بين الجنسين : « لا مناص من سيادة أحد الجنسين على الآخر ... فقد يختل نظام الأمة إذا اعتزلت المرأة مكانها المطبوع ، وهو مكان الطاعة والخضوع ! »

* * *

والآن لا أدرى . هل أكسبت نابليون وخلفاءه الألمانيين نصيرات بين الجنس اللطيف ، أو عصفت بمن لهم بينهن من النصيرات ؟

لكن الحرب قادمة ، أو يخشى أن تنفجر هنا وهناك من

حيث لا نتوقع قدومها . فماذا يكون الرأى إذا خرجنا من الحرب وعندنا ثمانية ملايين امرأة ، وليس عندنا من الرجال إلا سبعة ملايين أو سبعة ونصف مليون ؟ !

اليوم يتكفل المـاء المفن بحصد الرجال وتلقيحهم بلقاح : « الأنكلستوما والبلهارسيا » حيثما انتشر ماء الرى فى إقليم جديد فيصاب الفتيان ولا يصاب الفتيات ، ويضعف الرجال ولا يضعف النساء .

فإذا جاءت الحرب ، فأتمت هذه البداية ، فماذا يبقى من أناقة الجنس اللطيف ؟ ومن ترف المتعاليات على الضر أمام هذه الضرورة التى لا تحسن الكلام بلغة « الندىّ » ، ولا تنحنى فى رقة وابتسام كما ينحنى رواد الصالون ؟

نسوق النساء إلى الزراعة ؟ نقسرهن على العمل ؟ نستبدلهن بالرجال فى مشاق الأشغال ؟

على كل حال ذهبت الأناقة والترف ، وذهبت معهما مزايا الجنس اللطيف ، ولو كان المشتغلات بتلك المرهقات من بنات الكوخ والبيت الوضيع ، ولم يكن من بنات الندىّ والصالون ثم هو حل لمشكلة العمل ، فأين الحل لمشكلة النوع ومشكلة الأسرة ومشكلة الأخلاق ؟ !

عمل عظيم بين يدى « وزارة الشئون الاجتماعية » أعانها الله عليه ! . . .

عباس محمود العقاد

كتاب مستقبل الثقافة فى مصر

الثقـــافة العامة

وتعليم اللاتينية واليونانية

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى بك

[تتمة]

قد يخطر على بال الإنسان أن يتساءل عند ما يلقى نظرة عامة على هـذه الأطوار المتتالية : هل تقف يا ترى سلسلة هـذه التطورات عند الحد الذى وصلت إليه أخيراً ؟ أم ستستمر بعد الآن أيضاً ؟ هل يجوز لنا أن نقول إن التطور الأخير سيكون خاتمة الأطوار ؟ أم يجب علينا أن نتوقع حدوث تطورات أخرى بعد الآن أيضاً ؟..

أنا لا أرى لزوماً للتنبؤ عن مستقبل هذه التطورات ، لأننى أعتقد أن ما عرفناه عن التى حدثت إلى الآن كاف لتوضيح وحل المسألة التى من أجلها خضنا غمار هذا البحث ... مع هذا أرى من المفيد أن أنقل بعض الكلمات التى قرأتها أخيراً — فى هذا الصدد — فى إحدى المجلات التربوية :

« لقد فرّقت بين الإنسانيات القديمة والمجتمعات الحالية هوّة خطيرة لا تزال تزداد عمقاً وعرضاً ، يوماً فيوماً . . . إن دور الإنسانيات المذكورة قد انتهى ، ولم يعد فى استطاعتها أن تدعى حق البقاء كمنبع للثقافة العصرية ... إنها لا تعيش الآن إلا عيشة اصطناعية ؛ فقد فقدت كل ما كان لها من قوة وحياة ... »

كذلك أرى من الممتع أن أذكر ما كان قاله « لابيه دوسان بيير » فى هذا الصدد :

« سيأتى يوم نفهم فيه : أن حاجتنا (يعنى حاجة الفرنسيين) إلى تعلم اللغة اللاتينية ، أقل من حاجتنا إلى تعلم اللغة الألمانية أو تعلم اللغة العربية ... »

إننى أعتقد أن الحقائق والوقائع التى سردتها آنفاً ، حول مسألة تعليم اللاتينية واليونانية فى الدراسة الثانوية فى أوربا بوجه عام وفى فرنسا بوجه خاص ، تعين لنا بكل وضوح الموقف الذى يجب أن يقفه مفكرو العرب حيال هـذه المسألة بالنسبة إلى معارف البلاد العربية : لا شك فى أن هذا الموقف يجب أن يكون موقف الرفض والإعراض ...

يجب علينا أن نتذكر — فى هذا الصدد — الحقائق التالية على الدوام :

إن تعليم اللاتينية واليونانية فى أوروبا لم يشغل الموقع الذى شغله فى نظم الدراسة بناء على تأملات وملاحظات تربيوية ؛ إنما شغل هذا الموقع تحت تأثير عوامل ووقائع تاريخية كلها خارجة عن نطاق الفوائد التربيوية . . . وأما الفوائد التعليمية والتربيوية التى ذكرت فيما بعد لتبرير الحالة الراهنة — بغية إبقاء ما كان على ما كان — فلم تستطع أن تقاوم المحاكمات المنطقية والأبحاث العلمية مدة طويلة ... ولهذا أخذ نطاق هذا التعليم يتقلص من جميع الجهات تقلصاً مستمراً ؛ ولم يعد يمتد الآن إلا على جزء صغير من ساحة الدراسة الثانوية ... كما أن بقاء هذا التعليم فى هذه الساحة الأخيرة أيضاً لا يمكن أن يعلل ويبرر إلا بقوة الاعتياد والاستمرار من جهة وبرابطة الأدب واللغة من جهة أخرى

وأما فكرة اعتبار اللاتينية « واسطة ضرورية لتثقيف

المعقول » فهى من النظريات التى ثبت خطؤها كل الثبوت : إذ قد أصبح من المسلم فى علم التربية أنه لا يوجد موضوع مدرسى « مثقف » فى حد ذاته كما أنه لا يوجد موضوع مدرسى يحتكر قابلية التثقيف لنفسه ... وأما « التأثير التثقيفى » الذى يحصل من الدروس فلا يتبع الموضوع الذى يُدرّس ، وإنما يتبع الطريقة التى يتم بها التدريس... فعندما نود أن نجعل « الثقافة » هدفنا الأسمى فى الدراسة الثانوية يجب علينا أن نعلم حق العلم أن الوصول إلى هذا الهدف ، لا يتم إلا بالبحث عن أوفق « طرق التدريس » لضمان التثقيف والسير على تلك الطرق على الدوام .

وأما إضافة لغة أو لغتين من اللغات الميتة إلى مناهج الدراسة ، فلا يمكن أن يضمن لنا شيئاً من أهداف التثقيف بوجه من الوجوه

فليس من المعقول ـ والحالة هذه ـ أن نضيع أوقات طلابنا فى المدارس الثانوية فى سبيل تعليم اللاتينية واليونانية

هذا ... ولا بد لنا من ملاحظة الحقائق الهامة التالية أيضاً فى هذا الصدد :

(ا) إن تعليم اللغة العربية يستنفد من أوقات وجهود أبنائها أكثر من الأوقات والجهود التى تتطلبها اللغات الأخرى من أبناء الناطقين بها ؛ وذلك لزيادة تعقيد قواعد العربية من جهة وللنقائص السائدة على أساليب تدوينها من جهة أخرى

(ب) إن حاجة أبناء العربية إلى تعلم اللغات الحية أشد من حاجة الأمم الأوربية الراقية إلى تعلم تلك اللغات ؛ وذلك لفقر خزانة الكتب العربية من جهة المؤلفات العلمية والأدبية

(ج) إن تعليم اللغات الأوربية الحية يتطلب من الناطقين بالضاد جهوداً أكبر من الجهود التى يتطلبها من سائر الطلاب الأوربيين ؛ وذلك لاختلاف الحروف من جهة وتباعد الأصول والقواعد والأساليب من جهة أخرى

ولهذه الأسباب إذا جاز للأوربيين أن يسرقوا قسما من أوقات بعض أبنائهم فى سبيل تعليم اللغة اللاتينية ـ بأمل الحصول على بعض الفوائد ولو كانت ضئيلة ـ فلا يجوز لنا نحن أن نقتدى بهم فى هذا الباب

وإذا جاز للأوربيين أن يخيّروا أولادهم بين دراسة اللغات الميتة ودراسة اللغات الحية ، فلا يجوز لنا نحن أن نفكر فى مثل هذا التخيير

إذاً يجب علينا أن نتذكر دائماً أننا فى حاجة قصوى للاقتصاد فى أوقات طلابنا وجهودهم لكثرة الأشياء التى يحتاجون إلى تعلمها ولزيادة الأوقات التى يحتاجون إليها لأجل هذا التعليم

هذا من جهة ومن جهة أخرى يجب علينا أن نفكر فى أمر آخر أهم من ذلك أيضاً : هذا الأمر هو ضرورة الاهتمام بمعالجة النزعة الكلامية المستولية على أفكارنا . . . إننا كثيراً ما نهتم بالألفاظ اهتماماً كبيراً ، وقلّما نسعى لتحديد معانيها تحديداً كافياً . . . وكثيراً ما ننخدع بالكلمات الفارغة ، ونترك مجالاً واسعاً لتغلب الكلاميات على مناحى تفكيرنا .. فلا نغالى إذا قلنا بأننا مصابون — على الأكثر — بداء الكلاميات ... إن أوربا أيضاً كانت مبتلاة بمثل هذا الداء ؛ وقد صرف مفكروها ومُربّوها جهوداً عظيمة لمحاربة هذه النزعات الكلامية ، وتغليب روح التفكير الحقيقى ونزعة البحث العلمى عليها ... ونحن الآن فى حاجة شديدة إلى الاقتداء بهؤلاء فى هذا المضمار . وأعتقد أن هذه الحقيقة يجب أن تبقى نصب أعيننا على الدوام عندما نفكر فى وسائل ترقية ثقافتنا ...

إننى أعتبر فكرة إدخال اللاتينية واليونانية فى مناهج الدراسة الثانوية من الأفكار الخاطئة والمضرة من هذه الوجهة أيضاً لأنها تؤدى — بطبيعتها — إلى زيادة حصص اللغات فى دراساتنا زيادة كبيرة ، وذلك يزيدنا استغراقاً فى الكلاميات ويبعدنا عن مناحى التفكير الصحيحة ...

ولهذه الأسباب كلها أعارض هذه الفكرة معارضة شديدة

هذا ولا أرانى فى حاجة إلى إيضاح أننى لا أقصد من هذه المعارضة أن أعترض على كل من يود أن يتعلم اليونانية أو اللاتينية بل بعكس ذلك أتمنى أن يظهر بيننا من يولع باليونانية ويتخصص فى آدابها ويسعى لترجمة مخلداتها؛ كما أتمنى أن يظهر من يتعلم اللاتينية ومن يتعلم الروسية وحتى من يتعلم اليابانية ، ليتسنى لنا الاستفادة من نتاج تفكير جميع الأمم على اختلاف ثقافاتها .. غير أن إبداء التمنى لظهور بعض الاختصاصيين من أبناء العرب فى الآداب اللاتينية واليونانية شىء واعتبار تعلم هاتين اللغتين من ضرورات الدراسة العالية فى الحقوق والتاريخ والجغرافيا شىء آخر ...

فأقول لذلك : إننا إذا أدخلنا اللاتينية واليونانية إلى مدارسنا الثانوية يكون مثلنا كمثل الخياط الغبىّ الذى تناقلت قصته بعض الأقلام : بذل الخياط المذكور جهوداً كبيرة فى خياطة « بنطلون » لبحار انكليزى شبيهاً « ببنطلونه » القديم الذى

كان سلمه إياه . وأتقن الخياطة إلى درجة تقليد الترقيع الذى به أيضاً !

بعد أن شرحت رأيى فى مسألة تعليم اللاتينية واليونانية شرحاً عاماً أرجع إلى آراء الدكتور طه حسين فيها ، وأبين ما أعتقده فى هذه الآراء على ضوء المعلومات التى سردتها :

إن أول ما يلفت الأنظار فى ملاحظات الدكتور فى هذا الباب ، هو خلوّها من الأدلة والبراهين ، وتكوّنها من سلسلة دعاوى معروضة على شكل نصوص قاطعة يجب الاعتماد عليها بدون طلب برهان . كأن لسان حاله يقول على الدوام : « آمنت أنا ، فعليكم أن تؤمنوا أنتم أيضاً »

فإنه عند ما يذكر إيمانه العميق بضرورة اللاتينية واليونانية للثقافة المصرية يقول : « والأدلة على ذلك تظهر لى يسيرة هينة وجلية واضحة » (ص ٢٨١) ولكنه لا يذكر شيئاً عن تلك الأدلة . فكل ما يكتبه بعد العبارة المذكورة لا يخرج عن نطاق بيان « جهل » معارضيه و « نقص دراساتهم » و « عدم إتقانهم الشؤون الثقافية فى أوربا » و « عدم نظرهم إلى التعليم نظر التعمق والجد... » وما أشبه ذلك من تعبيرات التجهيل والازدراء

إنه عند ما يتطرق إلى مسألة « تأثير هاتين اللغتين فى تكوين العقل » تلك المسألة الهامة التى تكوّن حجر الزاوية فى دعاوى أنصار اللغات القديمة لا يكلف نفسه مشقة شرح المسألة ، لأنه يعتقد أن ذلك فوق مستوى فهم معارضيه ! ويسجل اعتقاده هـذا بصراحة كبيرة إذ يقول : « كل هذا ولم أتحدث ولن أتحدث عن أثر هاتين اللغتين فى تكوين العقل وتقويمه وتثقيفه وإعداده للتفكير المستقيم فإن هذا الحديث إن ذهبت إليه لم يفهم عنى ، لأن فهمه يقتضى معرفة هاتين اللغتين وممارستهما وابتلاء آثار هذه المعرفة والممارسة ، والذين يعرفون هاتين اللغتين فى مصر يمكن إحصاؤهم على أصابع اليد الواحدة أو على أصابع اليدين » (ص ٢٩٧)

وأخيراً عند ما يتطرق الدكتور إلى الحالة الراهنة فى أوربا ويشير إلى الخصومة القائمة بين أنصار اللغات القديمة وخصومها ، يتهم معارضيه « بالإلمام اليسير ، بل بالإلمام الناقص المشوّه » بهذه الخصومة (ص ٢٨٥) ثم يحاول أن يصف هذه الخصومة « على وجهها الصحيح » . غير أن من يقارن بين ما يقوله الدكتور فى هذا الباب وبين التفصيلات التى سردناها آنفاً ، يرى أن « الوجه » المذكور بعيد عن الصحة بعداً كبيراً . . .

يقول الدكتور طه حسين : « إن موضوع هذه الخصومة لم يكن ضرورة هاتين اللغتين للثقافة والحضارة » (ص ٢٨٥) فى حين أن المؤلفات والمجلات التربيوية مملوءة بمباحث ومناقشات طويلة عن ضرورة أو عدم ضرورة هاتين اللغتين للثقافة والحضارة

يقول الدكتور : « كان موضوع الخصومة فى حقيقة الأمر هذه المسألة : أيجب أن يتهيأ الناس جميعاً للعلم والتخصص ، أم يجب أن يهيأ بعضهم لحياة العلم والتخصص ويهيأ أكثرهم للحياة العاملة ؟ » (ص ٢٨٥) فى حين أن ذلك أيضاً بعيد عن حقائق الأمور بعداً كبيراً . . .

يقول الدكتور : « إن الخصومة حول تعليم اللاتينية واليونانية قامت فى أوربا منذ أواخر القرن الماضى بين الديمقراطيين والمتطرفين من جهة ، وبين المعتدلين والمحافظين من جهة أخرى » (ص ٢٨٤) فى حين أن الخصومة كانت قائمة فى عالم الفكر والتربية قبل أن تنتقل إلى ساحة السياسة بمدة طويلة . . .

وقد أسهبت آنفاً فى تلخيص المناقشات التى دارت فى أوربا حول هذه المسألة ، فلا أرى حاجة للتوسع فى تفنيد مدعيات الدكتور طه حسين فى هذا الباب

أود أن أختم انتقاداتى هذه بملاحظة صغيرة : عند ما يشرح الدكتور النظام الذى يقترحه لترقية الدراسة الثانوية يقول : « وكل من أراد أن يهيئ نفسه بعد الثقافة العامة للدراسات الأدبية المختلفة كالتاريخ والجغرافيا والفلسفة والآداب الخالصة لإحدى اللغات فرضت عليه اللغة اللاتينية ولغة أجنبية حيّة وخيّرته بين اللغة اليونانية ولغة أوربية أخرى » (ص ٣٠١) وإذا لاحظنا أن الطالب المذكور سيدرس — بطبيعة الحال — اللغة العربية وآدابها أيضاً ؛ نجد أنه سيتحتم عليه درس أربع لغات مختلفة على أن تكون الواحدة منها اللاتينية على كل حال . .

إننى أعتقد بأن إشغال الطلاب — خلال دراستهم الثانوية — بهذا القدر من اللغويات لا يهيئهم إلى الدراسات المذكورة ، بل يجعلهم أقل قابلية لاستساغتها بالمعنى الذى يفهم الآن فى دراسة الفلسفة والتاريخ والجغرافيا

أبو خلدون

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربى
للدكتور زكى مبارك
– ١٢ –

لا يعرف أحد كيف استباح الأستاذ أحمد أمين ما استباح فصنع بنفسه ما صنع !

وهل كان فى مقدور ناقد مهما اعتسف أن يسىء إلى الأستاذ أحمد أمين بمثل ما أساء إلى نفسه بلا ترفق ولا استبقاء ؟

كنت أدعو الأستاذ أحمد أمين إلى رعاية ماضيه فأصبحت أدعوه إلى رعاية مستقبله ، فإنى أخشى أن تضيع الثقة بكفايته العلمية فيصبح معدوم النصير والمعين ، وهو لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بمعونة الأصحاب والأصدقاء ، والمرء بنفسه قليل

أقول هذا وقد كشف الأستاذ أحمد أمين عن دفائنه المطوية فصرح بأنه يحتقر العقلية العربية فى عهد الجاهلية ليتخذ من هذا الاحتقار وسيلة لتأييد دعواه فى جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى

والجاهليون قوم كانت لهم حسنات وهنوات ، وكلمة الحق فيهم لا تؤذى أحداً من الناس ، وقد قال فيهم القرآن ما قال فلم يتأذَّ أحد من أخلافهم ، لأنه لم يقل فيهم غير الحق

أما التحامل على عرب الجاهلية ، وتجسيم مساويهم وتضخيم عيوبهم ، والتشهير بوثنيتهم ، والقول بأنها كانت وثنية أرضية وضيعة — كما يعبر أحمد أمين — فذلك إثم منكر يراد به تحقير الأرومة العربية وتسوىء سمعتها فى التاريخ ، وذلك لا يقع إلا من رجل يمشى فى الوعر من عقوق الآباء والأجداد

نحن لا ننكر أن العرب القدماء كان فيهم وثنيون ، فقد كان الحال كذلك عند قدماء المصريين والفرس والروم والهنود ، وإنما ننكر أن تكون وثنية العرب وصلت إلى الانحطاط الذى تصوره أحمد أمين حين ارتضى السخف الذى تنطق به العبارة الآتية منسوبة إلى أحد الأعراب :

« كنا نعبد الحجر فى الجاهلية ، فإذا وجدنا حجراً أحسن منه نُلقى ذلك ونأخذه ، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حفنة من تراب ، ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ، ثم طفنا به »

أو العبارة المنسوبة إلى أعرابىّ آخر :

« كنا نعمد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده ، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زماناً ثم نرميه »

كذلك روى أحمد أمين ، وهو فى غاية من الطمأنينة عن بعض الكتب القديمة ليؤكد لقرائه أن العرب أهلٌ لأن يقول فيهم من الإفك ما يقول

وتصديقُ هذه الأخبار شاهدٌ جديد على العقلية العامية التى يعيش بها بعض الناس ، فليس من الصحيح أن العرب وقعوا فى مثل هذا السخف ، وليس من الصحيح أن العرب كانوا يعبدون الشاة البيضاء فإذا أكلها الذئب أخذوا شاة أخرى فعبدوها، كما حدث الفقيه الذى نقل عنه أحمد أمين

* * *

أيها القراء اسمعوا ، وعُوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا

أيها القراء اسمعوا تاريخ الوثنية الجاهلية ، اسمعوها منى لا من أحمد أمين

كان فى العرب وثنيون ، بشهادة القرآن ، ولكن أحمد أمين نسى حقيقة تاريخية ما كان ينبغى أن تغيب عن رجل يتصدر لتأريخ الحياة العربية . نسى هذا الرجل أن عصر النبوة شهد معركة عنيفة بين الوثنية والتوحيد ، وفى تلك المعركة جاز لرجال الدين أن يلطِّخوا تاريخ الوثنية بالسواد لينددحر الوثنيون ولتنشرح صدور المؤمنين . فكل ما تقرأونه فى الكتب التاريخية والدينية من وصف عرب الجاهلية بالغفلة والحمق ، والطيش والخبال ، وسوء الفهم ، وبشاعة التصور ، وخمود العقل ، وبلادة الإحساس ، كل أولئك الصفات الدميمة وُضِعَت لغرض خاص هو تحقير الوثنية الجاهلية لتقوم على أنقاضها العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد

وكان من حق رجال الدين أن يصنعوا فى تشويه الوثنية الجاهلية ما يشاءون ، لأنهم كانوا يرونها زيغاً فى زيغ وضلالاً فى ضلال

أما أحمد أمين فلا يملك هذا الحق ، لأن الإسلام قد استغنى نهائيًا عن حرب الوثنية الجاهلية بالنصر المؤزَّر الذى ظفرت به عقيدة التوحيد

والموقف اليوم قد تغير بلا جدال ، فهو ليس موقف الموازنة بين الجاهلية والإسلام حتى يستبيح ما يستبيح من تحقير الجاهليين ، وإنما هو موقف المفاضلة بين الوثنية العربية والوثنية اليونانية ، وهو موقف لا نخترعه اختراعاً ، فقد صرح به الرجل الذى هداه فكره إلى القول بأن وثنية العرب كانت أرضية وضيعة وأن وثنية اليونان كانت سماوية رفيعة !

إن أحمد أمين يقول بأن الوثنية العربية وثنية أرضية وضيعة، على حد تعبيره المهذب الجميل !

فهل يستطيع أن يقول من أين عرف أن وثنية العرب كانت أرضية وضيعة ؟

إنه يجهل ـ وأنا أيضاً أجهل وسائر الناس يجهلون ـ كيف كانت الوثنية العربية ، لأن تلك الوثنية طمست آثارها منذ أزمان طوال ولم تذكر فى أى كتاب إلا بالتحقير والتصغير والتقبيح

وأنا أتحدى الأستاذ أحمد أمين أن يذكر كتاباً واحداً عنى مؤلفه بشرح الوثنية الجاهلية شرحاً يبين ما لها وما عليها بلا تزيد ولا بهتان

إن العرب ألفوا كتباً كثيرة عن الأصنام ، ولكن الغرض من تلك الكتب كان غرضاً دينيا ، وهو غرض شريف أرادوا به أن يجعلوا رجعة العرب إلى وثنيتهم من المستحيلات . ولو كانوا يعرفون أن تلك الكتب ستكون حجة يعتمد عليها من يشاء له هواه تحقير الأرومة العربية وتمجيد الأرومة اليونانية لحفظوا لأسلافهم بعض ما كان لهم من حسنات فى عهد الجاهلية •

والحق أن الخلفاء الراشدين كانوا فى غاية من الحزم الصارم العنيف الشريف فى حرب الوثنية الجاهلية، لأنهم كانوا يريدون أن يكونوا أمثلة عالية فى رعاية الميراث الذى خلّفه الرسول الكريم ، وهو ميراث التوحيد ، فلم يسمحوا لأحد برواية الأشعار التى تمثل الوثنية الجاهلية ، وخاف المسلمون على دينهم فهجروا ما خلّفت الوثنية من أسماء وأحاديث ، وبالغوا فى التصون من تلك الآثار لئلا يقال إن فيهم نزعة وثنية

كان للعرب صنم اسمه يغوث ، فهل يعرف أحمد أمين مبلغ الأساطير التى صيغت حول يغوث ؟ وهل يعرف ما صيغ حول اللات والعُزّى من أقاصيص ؟ وهل يستطيع أن يقول بأن الوثنية العربية بقيت سليمة من التحريف والتبديل ؟

لو بقيت الأساطير الجاهلية لاستطعنا أن نعرف شيئاً عن الوثنية العربية ، ولكن تلك الأساطير ضاعت إلى الأبد ، لأن روايتها كانت محرّمة على المسلمين ، والحكم على الغائب لا يخلو من تعسف واستبداد

لو أن الأستاذ أحمد أمين حين تحدث عن وثنية العرب بالتقبيح كان يريد إظهار فضل الإسلام على العرب لتلقينا كلامه بالقبول . فالإسلام نقل العرب من الظلمات إلى النور ، ولكن أحمد أمين يحقر الوثنية العربية لغرض آخر هو قوله الصريح بسماوية الوثنية اليونانية وأرضية الوثنية العربية

***

كنت أحب أن أنقض كلام أحمد أمين بشواهد من التاريخ؛ ولكن أين أجد تلك الشواهد وقد تقرّب العرب إلى الله بوأد الوثنية الجاهلية ؟

وهل أملك اختراع الحجج والبراهين وقد تلقيت عن أساتذتي فى الجامعة المصرية وجامعة باريس دروساً كثيرة فى تكوين عناصر الحجج والبراهين ؟

الحق أنى لا أملك إسكات أحمد أمين لأنه يعتمد فى تحقير الوثنية العربية على ما رواه القُصّاص وأنا لا أقيم لتلك الروايات أى ميزان

فالعجز من جانبى تقضى به العقلية العلمية — ولا فخر — والقدرة من جانبه تقضى بها العقلية العامّية من غير شك

إن العرب خلعوا وثنيتهم عامدين متعمدين طاعةً لله الذى نهاهم عن التعلق بالوثنية ، ولم يحفظوا من صور تلك الوثنية غير الصور التى قبّحها القرآن ليروضهم على التوحيد ، فمن حدثكم أن العرب فى جاهليتهم كانوا يعيشون بعقلية أرضية وضيعة فاعلموا أنه يحكم على الغائب بلا بينة ولا برهان

***

وهنا مسألة دقيقة لا يمكن أن تخطر فى بال الأستاذ أحمد أمين ، لأنه على فضله بعيد كل البعد عن التعمق والاستقصاء

قلت لكم إن الحرب بين الوثنية والتوحيد قضتْ بإندحار الوثنية وتلطيخ سمعتها بالسواد ، وأقول الآن إن هناك حرباً ثانية عانتها الوثنية العربية أيام فتنة الشعوبية ، فقد أراد الشعوبيون

أن يجعلوا العرب فى جاهليتهم مثلاً فى السخف والحمق والخبال ، ولذلك تفاصيل يعرفها من يقرأ كتب الأدب والتاريخ بعقلية المؤرخ ...

وكذلك نعرف أن الوثنية العربية عُودِيتْ مرتين : مرة بسبب العصبية الدينية ، ومرة بسبب العصبية الجنسية . وقد خفيت أسباب المداوة الثانية على كثير من الناس

وخلاصة القول أن الوثنية العربية حُوربتْ بلا هوادة ولا رفق ، ولم يبق من أصولها السليمة مايعين الباحث على تصحيح العقلية العربية فى العصر الذى نسخه الدين الحنيف ، فمن حق أحمد أمين أن يتزيد على العرب كيف شاء ، ومن حقنا أن نقول : إن إصراره على تحقير العرب فى جاهليتهم « وهو لا يعرف شيئاً صحيحاً عن وثنيتهم » هو إصرار الرجل المحروم من نور المعرفة بأصول الباحث العلمية فى العصر الحديث

***

بقيتْ فتنة أحمد أمين بالوثنية اليونانية التى ابتدعتْ أفروديت وأدونيس وإيروس ، فهل يعرف كيف عاشت الوثنية اليونانية ؟

لو أن اليونان كانوا أسلموا كما أسلم العرب لَوُجد فى اليونان من يبدّل آثار الوثنية اليونانية بحيث تُصبح وتمسى وهى مثلٌ فى الرقاعة والسخف

ولكن اليونان عاشوا فى جاهليتهم بعد ظهور الإسلام بأجيال طوال ، وظلوا يتوارثون أوهام أسلافهم من عصر إلى عصر إلى أن جاء المتظرفون من شعراء الفرنسيس والإنجليز فعكفوا على تلك الوثنية يعبدونها من جديد لأنها قامت على أساس برّاق هو التقديس لجموح الأهواء وطغيان الأحاسيس

وهنا تُحلّ المشكلة التى حار فى فهمها أحمد أمين ، فهذا الرجل يعجب من سكوت العرب عن ترجمة ما كان عند اليونان من أشعار وأقاصيص

وأنا أتصدق عليه بحل هذا الإشكال فأقول : إن المسلمين الذين نهاهم دينهم عن إحياء الوثنية العربية قد انتهوا بفضل الدين عن إحياء الوثنية اليونانية

وهل يعرف صاحبنا متى استفحلت حماسة الأوربيين لوثنية اليونان ؟

إنهم انتصروا لتلك الوثنية يوم استحكمت المداوة بين اليونان والأتراك ؟ وهل كان يمكن لشاعر مثل بيرون أن يشايع اليونان لوجه الحق ؟

إن الغافلين يجهلون السر فى تغنّى شعراء فرنسا وانجلترا وإيطاليا بقلمة الأكروبول ، فهذا التغنّى كانت له غاية أصيلة هى تمجيد الأمة التى جعلت عبادة الشهوات من الشرائع . ولو كانوا يريدون وجه الحق لوقفوا على « الكعبة » العربية التى يتوجه إليها الملايين من أهل المشرق والمغرب فى أوقات الصلوات ، والتى كانت مثابةً للألوف من أقطاب التشريع

ولكن الكعبة ليست من هواهم : لأنها لم تمجد الشهوات ولأنها خلتْ من عبادة أفروديت وأدونيس وإيروس !

إن الشهوة من أهم العناصر فى الحياة الإنسانية ، وهى تستهوى الناس فى كل عصر وفى كل أرض ، ولكن العرب امتازوا بين الأمم بالتخوف من عواقب الشهوات ، فكانوا لذلك موضع الغضب والسخرية من الشعراء الظرفاء الذين بكوا دماً على مصير اليونان أيام حرب الاستقلال

وهل يمكن القول بأن اليونان خدموا الشهامة والفتوة والرجولة كما خدمها العرب ؟

هيهات ! هيهات !

إنما هى وشائج من الشهوة والعصبية السياسية قضت بأن يقول الأوربيون إن وثنية اليونان كانت وثنية سماوية لتقوم لهم دولة تضايق بعض العرب والمسلمين فى الشرق

وأحب أن أبين أوجه الحق فى هذه القضية فأقول :

إن هيام الشعراء الأوربيين بالوثنية اليونانية له صلة وثيقة بما كان يكربهم من مصاعب وأهوال . ذلك بأن الوثنية اليونانية تقوم على عبادة المرح والبهجة والإيناس ، فأهواء الآلهة عندهم أهواء حادة من الوجهة الحسية بحيث يمثلون ما فى الطبيعة الحية من غضب وبطش وجبروت ؛ وأذواق الآلهة عندهم أذواق مترفة ناعمة تمثل ما فى الطبيعة الحية من مرح وجذل وفتون

والشاعر الذى يعيش فى رحاب الوثنية اليونانية يعيش عيش السعادة والنعيم ، فهو محروس بقوات خفية فى جميع الشؤون : فله عند الغضب إلـه ينصره هو إلـه الحرب ، وله فى أوقات السرور إلـه يرعاه هو إلـه الخمر ، وله عند الصبوة إلـه يفتح له قلوب الملاح هو إلـه الحب

وهذا هو السر فى أن شعراء أوربا وجدوا فى الوثنية اليونانية مالم يجدوه فى الشريعة الإسلامية ، مع أن الشريعة الإسلامية محملة بالطرائف من أصول الآداب والفنون

وتوضيح ذلك سهل : فالذى ينظر فى الوثنية اليونانية يواجه اصطخاب الأهواء والأذواق والأحاسيس ، أما الذى ينظر فى الشريعة الإسلامية فيواجه بحراً هائجاً من الواجبات والتكاليف ، ويشعر بأنه مسئول عن كل شىء حتى خطرات القلوب

وهذه الخصيصة من خصائص الشريعة الإسلامية كان لها دخل فى عدم ظفر الإسلام بغزو الشاعر فى الممالك الأوربية ، فالإسلام دين صارم عنيف لا ينظر للأهواء والشهوات إلا بعين الغضب والمقت ، وهو ينذر المسرفين على أنفسهم بالويل والهلاك

وقد استطاع الإسلام أن يؤثر فى المسيحية فخلق منها مذهب البروتستانت ، ولكن ذلك المذهب حول المسيحية إلى ميادين عقلية لا يتذوقها الجمهور الأوربى إلا بمشقة وعَنَت ، وما عاش ذلك المذهب إلا لأن الذين اعتنقوه كانوا أصحاء وسيعودون إلى الكثلكة يوم يغلب عليهم الضعف

واليونان تنصروا بعد الوثنية ، ولكن نصرانية اليونان نصرانية شعرية هى مذهب الأورثودكس ، وهو مذهب جذاب براق ترف أجنحته بأرواح الشعر والخيال . وهو نفسه مذهب النصارى فى مصر ، لأن الوثنية المصرية لا تقل ألواناً وتهاويل عن الوثنية اليونانية

والاسلام الصحيح لم يعرفه العرب إلا فى عهد الصحة والعافية ، فلما ضعفوا خلعوا على إسلامهم أردية جديدة من أردية الوثنية . ولو قام باحث بتدوين الأساطير التى صيغت حول الأولياء والصالحين لأمد الأدب بثروة تفوق الثورة التى عرفها اليونان أيام الوثنية

قد يقول قائل : وما محصول هذا الاستطراد ؟

وأجيب بأنه يفسر تلك الظاهرة الغريبة التى لم يقع مثلها فى التاريخ : فظهور الإسلام فى بلاد العرب يشهد بأن العرب لعهد ظهوره كانوا فى عافية روحية وعقلية ، ولذلك استطاع الإسلام أن ينسخ وثنية العرب إلى غير رجعة ، ليحولهم إلى رجال يفكرون فى عجائب الأرض قبل أن يفكروا فى غرائب السماء ، والأرض هى المزدرع الأصيل لطلاب السيطرة والجبروت من أصحاب العزائم الشداد

وأحمد أمين لا يفكر فى هذه الحقائق لأنه رجل محترم ، والرجال المحترمون يكتفون بما رضيه الناس من المنقولات والمرويات

ولكن أين نحن من جوهر هذا البحث ؟

أنا أخشى أن يكون فيما عرضته من الحجج والبيانات شىء من الغموض ، لأننى احترست فى عرض بعض المشكلات احتراس من يمشى على الشوك لأسلم من تقول المرجفين

فما هو جوهر البحث بطريقة واضحة صريحة تؤكد صدق ما ذهبنا إليه ؟

خلاصة القول أن أحمد أمين حكم بأن وثنية العرب كانت « أرضية وضيعة » وأن وثنية اليونان كانت « سماوية رفيعة »

وقد أثبتنا بالبرهان القاطع أن وثنية العرب محاها الإسلام ، ولم تبق لها رسوم ولا أطلال ، فالحكم لها أو عليها حكم على مجهول ونحن نتساجل بطريقة علمية لا تغنى فيها الأحكام على المجهولات أى غناء

وقد تحدث الإسلام عن وثنية العرب فى مواطن كثيرة من القرآن ، ولكنه لم يشر إلى ما كان فى تلك الوثنية من نفحات الشعر والخيال ، لأن الإسلام لا يرى الخير والحق والجمال فى عقيدة غير عقيدة التوحيد

وما كان ينتظر أن يصنع الإسلام غير الذى صنع ، فحكمه قام على أساس الصدق فى تطهير العقلية العربية من أوضار الأساطير والأباطيل

أما أحمد أمين فموقفه مختلف كل الاختلاف ، فهو يعيّر العرب بوثنيتهم ، وهى عنده أرضية وضيعة ، مع أنه لم يعرف من تلك الوثنية غير وجهها الدميم ، وذلك الوجه الدميم موضع شك وارتياب ، لأنه لُوِّن بأصباغ جديدة خلقتها العصبية الدينية والعصبية الجنسية

وأحمد أمين ينظر إلى الوثنية اليونانية بعين الإعجاب ويراها سماوية رفيعة

ومن المؤكد أنه لا ينظر إليها تلك النظرة إلا وقد جرد نفسه من النزعة الدينية ، لأن الإسلام لا يرضى عن الوثنية فى أى شكل من الأشكال

فلم يبق إلا أن يكون نظر إليها من الوجهة الأدبية ، وعندئذ نقول إنه على حق فى الإعجاب بتلك الوثنية ، لأنها وثنية حية ولأنها لوّنت الأخيلة والأذواق فى كثير من الممالك والشعوب

ولـكن تلك الوثنية ظفرت بحظ لم تظفر بمثله الوثنية العربية فقد ظفرت بالإعزاز والتبجيل على حين لم تظفر وثنية العرب بغير التحقير والتقبيح

فالجيل من الوثنية العربية تناساه المؤمنون ، والقبيح من الوثنية اليونانية تناساه المشركون . وكانت النتيجة أن لم يبق من وثنية العرب غير القُبح ، ولم يبق من وثنية اليونان غير الجمال

قولوا الحق أيها القراء !

ألا ترون أن الأستاذ أحمد أمين يجنى على المنطق وعلى التاريخ حين يستبيح ما يستبيح فى تحقير الجاهلية العربية وتمجيد الجاهلية اليونانية ؟

أنا أحتكم إليكم أيها القراء لتفصلوا بينى وبين هذا الزميل

إن الوثنية العربية قد انقرضت تمام الانقراض ، ولن تعود مصدر خوف على العقيدة الإسلامية ، فلا حرج على الرجل المسلم من القول بأن العرب فى جاهليتهم كانت لهم أوهام وأضاليل قد لاتقل جمالاً عما كان عند الفرس والروم والهنود من أوهام وأضاليل

إن الأساطير تُخلَق لغاية معروفة هى ملء فراغ الأفئدة والعقول ، وكان العرب فى جاهليتهم كاليونان فى جاهليتهم يحتاجون إلى تزجية أوقات الفراغ بطرائف الأسمار والأحاديث ، فلم يكن بدٌّ من أن يبتدعوا ألواناً من الأقاصيص تصوِّر أهواء الأصنام والأوثان ، كما ابتدع اليونان ألواناً من الأقاصيص تصور ما كان عند آلهتهم من نزوات وشهوات وأهواء

ولـكن أين الأساطير العربية ؟ أين ؟ أين ؟

لقد محاها الإسلام ليخلو الجوّ للعقيدة السليمة عقيدة التوحيد.

وأنا مع ذلك قادر على وضع خطوط للوثنية العربية إن سمح الزمن بأن أعيش فى بلاد العرب عامين اثنين أدرس فيهما ما بقى فى أذهان العرب من أساطير الأولين ، ويومئذ نعرف بعض الفروق بين أحلام العرب وأوهام اليونان . فإن لم تُتَح هذه الفرصة فقد وجهتُ الأذهان إلى درس هذا الموضوع الطريف ، وهو موضوع حاولتُ درسه منذ سنين لأقدم عنه رسالة إلى جامعة باريس تحت عنوان :

La Mentalité des Arabes d'après le Coran

وقد صدّنى عنه رجالٌ ثلاثة : أولهم الدكتور طه حسين وكانت حجته أن هذا البحث قد ينتهى إلى « الكفر الموبق » وثانيهم لطفى باشا السيد وكانت حجته أنه لا يحسن تعريض الجمهور لفتن جديدة ، وثالثهم المسيو فييتْ وكانت حجته أنه لا يمكن لباحث أن يسْبُر أغوار هذا البحث إلا بعد أن يقيم فى جزيرة العرب بضع سنين

ولو أن المقادير كانت سمحت بالمضىّ فى هذا البحث (وكنت شرعتُ فيه سنة ١٩٢٧) لـكان من المستحيل أن أعجز عن تقديم صورة من الوثنية العربية أُقاوم بها السِّحر الذى تتمتع به وثنية اليونان . فهل أنتظر أن يكون بين طلبة كلية الآداب من يوجه همته إلى هذا البحث الطريف ؟

هل أنتظر أن يكون فيهم من يؤرخ المدة التى غفل عنها مؤلف كتاب « فجر الإسلام » ؟

إن من القراء من يذكر أنى نبهت الأستاذ أحمد أمين إلى هذه النقطة بمقال نشرته فى جريدة البلاغ ، ومنهم من يذكر أن بعض تلاميذ الأستاذ أحمد أمين دافع عنه يوم ذاك

والمشكلة مع ذلك باقية ، وقد فصلتها فى كتاب النثر الفنى بعبارات تعجب منها الأستاذ أحمد أمين ، ودهش من سكوت الجمهور عما فيها من صراحة جريئة ، وأشار إلى أنه تلطف بالسكوت عنها يوم نقد كتاب النثر الفنى فى مجلة الرسالة سنة ١٩٣٤

أيها المولعون بالمباحث الأدبية والتاريخية

أنا أوجهكم إلى موضوع صدتنى عنه ظروف الحياة ، وهو درس ما بقى فى أذهان العرب من أساطير الأولين لتعرفوا شيئاً من رسوم الوثنية العربية التي حاربها القرآن

فإن وفقتم إلى شىء فسنعرف كيف كان العرب يتصورون الدنيا والوجود قبل أن تظلهم راية الدين الحنيف ، ويومئذ نعرف كيف كانت جاهلية العرب بالقياس إلى ما عرفنا من جاهلية اليونان

(للحديث شجون) زكى مبارك

حول نعيم الجنة

بين الحسية والروحية

للدكتور محمود على قراعة

نحن لم ننكر ما فى وجوه أهل الجنة من نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالخمر والعسل واللبن ، محفوفة بالغلمان والولدان ، مزينة بالحور العين ، وأن فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . ولكنا إن آمنا بهذا كله ، فإنا أكثر إيماناً بأن لذة النظر إلى وجه الله تعالى تفوق كل اللذات ، وأن لذة اللقاء والرضى أسمى نعيم . وإنا نرى أن اللذات الأخرى الثانوية لذات حسية تسمو بالروح أو لذات روحية معنوية تطربها ، لذلك قال مجاهد فى قوله تعالى « وأزواج مطهرة » قال من الحيض والغائط والبول والبصاق والنخامة والمنى والولد ، فارتفع بلذة الأكل والشرب والنكاح من المستوى البهيمى إلى مرقاة الروح . وأنت فى هذه الدنيا إذا جلست إلى مائدة نخمة ، فتحركت فيك شهوة الطعام وسررت بألوانه المختلفة أمام ناظريك ، تستطيع أن تضع على المائدة الأزهار والرياحين الجميلة ، ووجودها لا يلهب الرغبة فى الطعام ، بل يجعلها شريفة ويوجد حولها جواً روحياً يسمو بها بعض السمو . ولذلك نرى الغزالى وهو حجة فى الاسلام يجعل للأكل صفة اجتماعية منظمة ، فيرى أن من آدابه أن يكثر الإنسان الأيدى على الطعام ولو من أهله وولده ، وأن يغسل اليد لأن اليد لا تخلو عن لوث فى تعاطى الأعمال فغسلها أقرب إلى النظافة والنزاهة ، ولان الأكل لقصد الاستعانة على الدين عبادة ، وأن يبدأ بسم الله فى أوله ويحمده فى آخره . ولا ريب فى أن القصد من هذا السمو بلذة الأكل وإحاطتها بأجواء روحية تخرجها بقدر الإمكان عن ماديتها . فإذا قلنا بروحية اللذات فى الجنة وبأن الحسى منها يعززه الإشعاع الروحى ، فإننا إنما نعبر أصدق تعبير عن روح الإسلام (ولو كره الأستاذان جويق وحدان) . وكذلك يمكن القول عن الصلة بين المرء وزوجه ، هل يمكن قصرها على الصلة البهيمية وإبعاد الصلة القلبية الروحية ، أم أن الصلة القلبية الروحية هى الأصل ، وما عداها تابع ؟ ! ثم لماذا ننكر خطر الإشعاع الروحى ؟ أما القول بأن السمو الروحى للذات الحسية يعترضه أن كل شخص لا يمكن أن يتعدى درجته من النعيم ، فمردود بأنه لن يتعدى درجته لأن ما حوله من نعيم يهيئ له السمو الروحى للدرجة المقدرة له . هذا إذا جاريناهم لنستدرجهم ، لأنه لم يقل أحد بتحديد اللذة وإن كنا نختلف فى درجات النعيم ، فكما أنك فى الدنيا لك أن تستعمل ملكك فى كل أوجه الاستعمال إلا الاستعمال المنافى للقانون أو الذى فيه إساءة لاستعمال الحق أو التعدى على الغير ، فأقل ما يتصور أن تكون كذلك فى الآخرة لا يحد من استعمالك إلا بعد هذا الاستعمال عن جو السمو الروحى الذى يشع على المؤمنين . ثم إن تحديد الدرجات لا يمنع أن أتمتع بكل ما أستطيع من النشوة الروحية ، لأن الممنوع ليس الصعود فى نشوتى بل الرق عن درجتى . ثم إن الذى يحدد هذه الدرجة هو معرفة الله ، فبقدر معرفته سبحانه ستكون درجات النعيم ، وبقدر معرفته سبحانه ستكون اللذة . ولعل الذين ينكرون هذه الفكرة ، يفهمون قول التلمسانى إن من شئون النفس أنها كلما قل اشتغالها بالبدن انبسطت وأعطت قواها ، وأنها كلما ازدادت علماً فعملت به ، ازدادت قوة على ما هو أغمض وأرفع ، فلا هى تنحصر ولا الأمر ينتهى . ولذا رأى المناوى أنه على من أراد أن ينزع عن عالم الحس ويرجع إلى ذاته ، أن يعمل على ركود حواسه الظاهرة ليقوى على أن يحس بما لا يقع عليه الحس . فإذا فهموا معنا أن النفس الإنسانية كما قال الغزالى ليست جسماً ولا جسمانية بل هى جوهر مجرد (أى ليست قوة جسمانية حالة فى المادة ولا جسماً بل ولا مكانية لا تقبل الإشارة) متصرف فى البدن تصرف التدبير من غير أن تكون داخلة فيه بالجزئية والحلول ، استطاعوا أن يعرجوا مثل فيثاغورس إلى العالم العلوى (إذا سما جوهرهم) وأن يسموا مع أرسطو وأفلاطون إلى درجة الخروج عن البدن كأنهم مجردون لا أبدان لهم ، فيروا أنفسهم داخلين فى ذواتهم خارجين عن سائر الأشياء ، ويروا فى نفوسهم المتجردة من أثقال البدن أنواعاً من الحسن والبهاء ، ما تعجب وتريهم أنهم من الجوهر الأعلى الأفضل

الشريف وأنهم ذوو حياة فعالة كما قال العلامة مسعود التفتازانى فيفهمون مع الصوفيين أن كل المخلوقات بأسرها مظاهر صفات الله وطريق إلى القرب منه وزيادة معرفته . فإذا ما فهموا معنى هذا فإنا لا نبخل عليهم فى أن نضرب لهم مثلاً لحسيات تسمو بأرواحهم، وأسمى مثل هو مثل الصور الجميلة الآدمية وهى حسيات تدعو الكثيرين إلى أحط أنواع اللذات الحسية ، ولكنهم إذا اتبعوا السمو الذى ذكرنا ، فإنهم واصلون إلى فهم أن هذه الصور موصلة إلى معرفة معانيها ، وما معانيها إلا إدراك قدرة الله تعالى وعظيم شأنه وجليل جماله ، فإذا ناجى المخلوق صورة آدمية جميلة فهو لا يناجيها هى بالذات وإنما يناجى خالقها البادى جماله ومظاهر قوته فى معانيها . ولذا نجد ابن الفارض يقرر فى تائيته الكبرى أن حسن كل مليح ومليحة معار من حسن الذات الإلهية ، وأن قيساً حينما هام بلبنى ، وأن مجنون ليلى حين هام بليلى ، وأن كثير عزة حين هام بعزة ، وأن كل العشاق حين يهيمون بمعشوقيهم لا يهيمون بهم على الحقيقة ، وإنما هم يهيمون بالذات الإلهية التى صورت تلك الصور فأحسنت خلقها ، وأن الله مرئى وأن تلك الصور الجميلة المختلفة وإن تعددت إنما تعبر عن معنى واحد وهو الجمال الإلهى ، وأن العشاق جميعاً ينضوون تحت لواء لأنهم جميعاً يعشقون معنى واحداً . وبعد أن ذكر فى شعره شوقه للذات الإلهية كما رأى حسناً وكلما هاجه حب ، فيشاهدها فكره بطرف تخيله ، ويسمعها ذكره بمسمع فطنته ، فينتشى فى ظاهره ويطرب فى باطنه ، ويرقص قلبه وتشدو روحه ، ويراها ماثلة فى معانى الحسن والجلال — خرج من ذلك إلى أن الإنسان يمثل الله على أرضه لأن فيه معنى من معانى جلال الرب . وكما أن من شاهد نفسه فى المرآة بدت له صورتها ، وأن من تكلم بأكناف القصور سمع صوت نداه ، فكذلك كل مظاهر القوة والجمال فى هذا العالم ليست غير المعنى الإلهى الذى أودعه فيها . فالعبد على هذا إذا ناجى ربه فإنما يناجى علة وجوده ، والرب إذا ناجى عبده فإنما يناجى خلقه وصنعه . فالصلة بين العبد وربه إذن صلة موجود وموجد ، وما دام الموجد أصل الموجود ، والموجود لا يوجد إلا بهذا الموجد فالعبد عند معرفته نفسه ووقوفه على سموها ورفعتها إنما يعرف فى ذلك ربه . والصورة الجميلة على ذلك إذا نوجيت وإذا عشقت

وإذا هيم بها ، فإنما يهام بها وتناجى وتعشق لهذا المعنى . هذا مثل نضربه للسادة الحسيين . وإذا أرادوا أمثلة أخرى فليرجعوا لكتابينا مملكة الجمال والحق والخير، ومناجاة الجمال ، ليجدوا أنا نرى أن الذى يشوق هو الحياة فى العيون ، حياة بريقها وحياة سحرها، والحياة فى الحديث والحياة فى الابتسامة ، وأن خفة الروح هى التى تحبب إلينا الجميل ، تحبب إلينا حديثه فتجعله مغناطيساً جاذباً لقلوبنا، وتبعث إلينا فتنته فتور عينيه، وترسل إلينا تحيته ابتسامته وأنها صلة روحية يعوزنا لتذوقها أن نتفهمها لتحول بينها وبين البهيمية ولنقدس بها النعم علينا بها . وأحب بعد ذلك من هؤلاء الحسيين أن يجولوا معنا فى كتاب تهذيب الأخلاق لابن مسكويه جولة قصيرة ليقفوا أمام قوله : « وقد ظن قوم أن كمال الإنسان وغايته هما فى اللذات الحسية ، وأنها هى الخير المطلوب والسعادة القصوى . وظنوا أن جميع قواه الأخرى إنما ركبت فيه من أجل هذه اللذات والتوصل إليها ، وأن النفس الشريفة التى سميناها ناطقة إنما وهبت له ليرتب بها الأفعال ويميزها ويوجهها نحو هذه اللذات لتكون الغاية الأخيرة هى حصولها على النهاية والغاية الجسمانية . وظنوا أيضاً أن قوى النفس الناطقة أعنى الذكر ، والحفظ والروية كلها تراد لتلك الغاية ، قالوا وذلك أن الإنسان إذا تذكر اللذات التى حصلت له بالمطاعم والمشارب والمناكح ، اشتاق إليها وأحب معاودتها ، فقد صارت منفعة الذكر والحفظ إنما هى اللذات وتحصيلها ، ولأجل هذه الظنون التى وقعت لهم جعلوا النفس المميزة الشريفة كالعبد المهين وكالأجير المستعمل فى خدمة النفس الشهوية ، لتخدمها فى المآكل والمشارب والمناكح وترتبها لها وتعدلها إعدالاً كاملاً موافقاً . وهذا هو رأى الجمهور من العامة الرعاع وجهال الناس السقاط . وإلى هذه الخيرات التى جعلوها غايتهم ، تشوقوا عند ذكر الجنة والقرب من بارئهم عز وجل وهى التى يسألونها ربهم تبارك وتعالى فى دعواتهم وصلواتهم ، وإذا خلوا بالعبادات وتركوا الدنيا وزهدوا فيها ، فإنما ذلك منهم على سبيل المتجر والمرابحة فى هذه بعينها ، كأنهم تركوا قليلها ليصلوا إلى كثيرها ، وأعرضوا عن الفانيات منها ليبلغوا إلى الباقيات ، إلا أنك تجدهم مع هذا الاعتقاد وهذه الأفعال إذا ذكر عندهم الملائكة والخلق الأعلى الأشرف وما نزههم الله عنه من هذه

القاذورات ، علموا بالجملة أنهم أقرب إلى الله تعالى وأعلى رتبة من الناس وأنهم غير محتاجين إلى شىء من حاجات البشر ، بل يعلمون أن خالقهم وخالق كل شىء الذى تولى إبداع الكل هو منزه عن هذه الأشياء متعال عنها غير موصوف باللذة والتمتع مع التمكن من إيجادها ، وأن الناس يشاركون فى هذه اللذات الخنافس والديدان وصغار الحشرات والهمج من الحيوان ، وإنما يناسبون الملائكة بالعقل والتمييز ... » وبذا نراه وضع لنا أساساً سامياً نبيلاً فى تقدير اللذات ، وأن أسماها ما كان ربانيا . ثم جل معنا إلى أن نصل إلى قوله : « إن الإنسان ذو فضيلة روحانية يناسب بها الأرواح الطيبة التى تسمى ملائكة ، وذو فضيلة جسمانية يناسب بها الأنعام لأنه مركب منها ، فهو بالخير الجسمانى الذى يناسب به الأنعام مقيم فى هذا العالم السفلى مدة قصيرة ليعمره وينظمه ويرتبه حتى إذا ظفر بهذه المرتبة على الكمال انتقل إلى العالم العلوى وأقام فيه دائماً سرمداً فى صحبة الملائكة والأرواح الطيبة » . ثم نراه يقرر أنه ليس يعنى بالعلوى المكان الأعلى فى الحس، ولا بالسفلى المكان الأسفل فى الحس ، بل كل محسوس فهو أسفل وإن كان محسوساً فى المكان الأعلى ، وكل معقول فهو أعلى وإن كان معقولاً فى المكان الأسفل . ثم نراه يذكر لنا أن للحس لذة عرضية على حدة ، وأن للعقل لذة ذاتية على حدة ، وأن من لا يعرف اللذة الذاتية لا يعرف اللذة بالحقيقة ولا يلتذ بها . وهو يسمى اللذة الناقصة التى تشاركنا فيها الحيوانات لذة انفعالية، ويسمى التامة التى يختص بها الحيوان الناطق لذة فعلية أى فاعلة ، ويسمى اللذات الحسية المقترنة بالشهوات عرضية لأنها تزول سريعاً وتنقضى وشيكاً بل تنقلب لذاتها فتصير غير لذات بل تصير آلاماً كثيرة أو مكروهة بشعة مستقبحة ، أما اللذة الذاتية فتسمى كذلك لأنها لا تصير فى وقت آخر غير لذة ولا تنتقل عن حالتها بل هى ثابتة أبداً . وخرج من هذا الحكم بأن السعيد تكون لذاته ذاتية لا عرضية، وعقلية لا حسية، وفعلية لا انفعالية، وإلهية لا بهيمية. ثم يحدثنا بعد ذلك عن الجوهر الإلهى الذى فى الإنسان وأنه إذا صفا من كدورته التى حصلت فيه من ملابسة الطبيعة ولم تجذبه أنواع الشهوات وأصناف محبات الكرامات ، اشتاق إلى شبيهه ورأى بعين عقله الخير الأول المحض الذى لا تشوبه مادة؛ فأسرع إليه وحينئذ يفيض نور ذلك الخير الأول عليه، فيلتذ به لذة لا تشبهها لذة، ويصير إلى معنى الاتحاد، استعمل الطبيعة البدنية أم لم يستعملها، إلا أنه بعد مفارقته الطبيعة بالكلية أحق بهذه المرتبة العالية ، لأنه ليس يصفو الصفاء التام إلا بعد مفارقته الحياة الدنيوية . فترى من هذا كله إعزاز الجانب الروحى فى الدنيا ، وهو بلا ريب فى الآخرة أعز ، وفى الجنة أوفى ، فأحب أنا إذا ذكرنا الحور العين مثلاً وأنهن كما ذكر الغزالى غنجات عاطرات آمنات من الهرم والبؤس مقصورات فى الخيام، وإذا ذكرنا أنه يطاف على المؤمنين وحورهم بأكواب وأباريق وكأس من معين بيضاء لذة للشاربين وأن الذين يطوفون خدام وولدان كأمثال اللؤلؤ المكنون فى مقام أمين فى جنات وعيون فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر (كما جاء فى القرآن فى سورة الرحمن والواقعة ، وغيرهما) أحب أن يكون فهم لذة هذا كله ما ذكرنا من تقديس خالق هذه الصور وهذه الجنات وهذه الأنهار ، وفهم أن اللذة الروحية التى يتمتع بها المؤمنون من كل هذا هى أسمى مما يصوره بعضهم من أن المقصود هو أن يباضع المؤمن كل هذه الحور وأنه يؤتى قوة عجيبة إذ ذاك على الجماع. ولا أنكر أن يكون هذا فى الجنة لأنه لذة وإن كانت لذة حسية إلا أنها لذة لصاحبها والرغبة فيها . ولكن الذى أنكره وأنكره بكل قواى أن يكون هذا الأمر الثانوى همّ أهل الجنة أو أن يفهم بعضهم من ذكر الولدان الفهم السقيم الذى سبق أن ذكرناه وعارضنا فيه بعض العلماء ، وأرى أن أسمى جزء فى التمتع هو التمتع بالفكرة الروحية ، وأن يكون المؤمنون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الله الكريم وقد أشرقت فى وجوههم نضرة النعيم ، لهم فيها كل ما يشتهون، وأنهم كل يوم بفناء العرش يحضرون، وأنهم ينالون بالنظر من الله مالا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان . هذا وقد ذكر الأستاذ داود حمدان البعث والنشور ، والرأى أنه سواء أخذنا بإعادة المعدوم فى الكل أو جمع ما تفرق من الأجزاء أو إعادة ما انعدم بذاته من الأجزاء وتأليف ما تفرق منه ، فإنها إذا أعيدت فى الآخرة فلا بد أن يجعلها الله تعالى فى نشأة أخرى مستعدة للبقاء غير قابلة للفناء مهيأة لما تلقاه من النعيم أو العذاب، وتكون الأرواح فيها قوالب الأبدان والأبدان من جنس أرواحها كما ذكره ابن القيم، وإن جميع الإدراكات من

سمع وبصر ولذة وألم لا تكون متفرقة فى مواضع البدن كما هى فى نشأة الدنيا بل يوصف كل جزء بأنه سميع بصير متلذذ متألم كما تقتضيه نشأته « وننشئكم فيما لا تعلمون » ومعنى « كما بدأنا أول خلق نعيده » أنا نعيد أول خلق مماثلاً للذى بدأناه؛ والتشبيه يقتضى المغايرة (كما ذكر أستاذنا المرحوم الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوى فى كتابه أحكام الروح ص ٩٨) فهذا لا ينافى إعزاز اللذة الروحية . وكذلك ذكر الأستاذ جويق رؤية الله تعالى، والرأى أنه جل شأنه لا يرى ولا يحس إلا بعيون مخلوقة له ومجلى لائق باستمداد الرائى كما نقله الألوسى عن بعض المحققين فى تفسير قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة » أنه إذا رفع الحجاب بينه تعالى وبينهم ينظرون إليه وينظر إليهم عز وجل . وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية فيرونه سبحانه لكن لا من حيث ذاته البحت ولا من حيث كل تجل حتى تجليه بنوره الشعاعى الذى لا يطاق ، بل بتجل مطاق لهم وملائم لاستعدادهم، وأن هذا الحجاب (كما ذكر أستاذنا مخلوف فى أحكام الروح ص ١٠٢) غير الحجاب المشار إليه فى حديث « حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه (أنواره وجلاله وعظمته التى منها خر موسى صعقاً وتقطع الجبل دكاً لما تجلى عليه) كل شىء أدركه بصره ، فلا معنى لرؤية ذاته تعالى عند المحققين إلا رؤية حجابه (حجاب التنزل والتجلى) كما أنه لا معنى لرؤية ذواتنا إلا رؤية ألوانها وأضوائها ، وهذه لذة روحية عند من يفهمون الروحانيات . جعلنا الله رجال روح ، ومتعنا فى الجنة بحسياتها ومعنوياتها نعيم روح أبدى سرمدى .

محمود على قراعه

خليـــل مردم بك

وكتابه فى الشاعر الفرزدق

لأستاذ جليل

وصف الفرزدق و « الفرزدق واسع المخيلة ، حسن الملاحظة ، جيد القصص ؛ وهذه المزايا أهم عناصر الوصف فى الشاعر ، وهو أميـل إلى الأسلوب القصصى فى الوصف . ولو توسع فيما كان يتناوله من المعانى على سبيل التشبيه أو التمثيل أو الإشارة، لو توسع أوخصص ، لخلف للأدب العربى صوراً من أروع الصور الشعرية »

ذلك مما قال الأستاذ فى الشعر الوصفى الفرزدق ، وقد روى له فى هذا الباب أشياء محكمة ، وأشار إلى غيرها ذاكراً أماكنها فى الديوان . ومما روى له قوله فى سفينة :

وراحلةٍ قد عودونى ركوبها ... وما كنت ركاباً لها حين ترحل
قوائمها أيدى الرجال إذا انتحت ... وتَحمل من فيها قعوداً وتُحمل
إذا ما تلقتها الأواذىّ شقها ... لها جؤجؤ لا يستريح وكلكل
إذا رفعوا فيها الشراع كأنها ... قَلوص نعام أو ظليم شمردل (١)

وقوله فى أسد :

وردُ السراة ترى سودا ملاغمه ... مجاهر القرن لا يكتن بالخمر (٢)
كأن عينيـه والظلماء مسدفة ... على فريسته ناران فى حجر
كأن عطارة بانت تَعلّ له ... بالزعفران ذراعى مخدر هصر (٣)

(١) القلوص : الشابة من الابل ، وفى الأساس « من المجاز : رأيت ظليما وقلوصه وهي أتاه » . والقلوص بفتح القاف كما ضُبط الأستاذ المردمي لا بالضم كما جاء فى طبعة الصاوى . الشمردل : القوى الفتى الجلد (اللسان)

(٢) الملاغم : ما حول الفم مما يبلغه اللسان ويصل إليه (اللسان) . وفى الأساس : تلغمت المرأة بالطيب جعلته على ملاغمها .

(٣) تعل — بكسر العين وضمها — : تصبغ (هصر) بفتح فكسر ، وضم ففتح. هصر الفريسة يهصرها هصراً إذا كسرها ، وأمالها إليه (مخدر) : المخدر الأسد الذي قد اتخذ الأجة خدرا مثل المخدرات فى الزمان الأول . . .

وقوله فى شجّة يهدد بها جريراً — روى الأستاذ منه تسعة أبيات — :

بعيـدة أطراف الصدوع كأنها ... ركيّة لقمان الشبيهة بالدّحل (١) ... !
إذا نظر الآسون فيها تقلبت ... حماليقهم من هول أنيابها الثُّعل (٢) !
إذا ما رأتها الشمس ظل طبيبها ... كمن مات تحت الليل مختلس العقل !
يود لك الأدنون لو مت قبلها ... يرون بها شراً عليك من القتل !

وقوله فى الشيب :

تفاريق شيب فى السواد لوامع ... وما خير ليل ليس فيه نجوم ؟

وأبياته فى الذئب مشهورة مستأسدة .

* * *

تغزل الفرزدق و « غزل الفرزدق على ما فيه من جفاء أصدق ما قال من الشعر . فهو الذى يكشف عن طبع الفرزدق الجافى ونفسه الماجنة الشرهة إلى اللذة . وهو غزل شهوانى غير عفيف فيه فجور ومجون ، وعاطفة الفرزدق فيه خشنة . وله غزل يقص فيه حوادثه الغرامية ، وقد يصف الحوار الذى يدور بين أشخاص تلك الحوادث ، ولا سيما النساء ؛ وقصصه الغزلى أشبه بالقصص المروى لامرئ القيس » .

وقد أورد الأستاذ أمثلة كثيرة من أقوال الفرزدق تبين أسلوبه فى غزله — من ذلك خمسة وعشرون بيتاً — من القصيدة التى مطلعها :

ألا من لشوق أنت بالليل ذاكره ... وإنسان عين ما يغمض عائره ؟!

والختام فيما أورده (الكتاب) هو :

فيارب ، إن تغفر لنا ليلة النقا ... فكل ذنوبى أنت (يارب) غافره

ومما روى الأستاذ :

يا أخت ناجية بن سامة ، إننى ... أخشى عليك بنىّ إن طلبوا دمى

(١) ركية لقمان : بئر لقمان بن عاد بين البحرين واليمامة . الدحل : نقب ضيق فمه ، ثم يتسع حتى يمشى فيه ، وربما أنبت السدر (اللسان)

(٢) ثعل : إختلفت منابت أسنانه وتراكب بعضها على بعض (المصباح) الآسون : الأطباء.

لو كنت فى كبد السماء لحاولت　　كفاى مطلعاً إليك بسلم
هل تذكرين إذ الركاب مناخة　　برحالها لرواح أهل الموسم ؟
إذ نحن نخبر بالحواجب بيننا　　ما فى النفوس ونحن لم نتكلم
ولقد رأيتك فى المنام ضجيعتى　　ولثمت من شفتيك أطيب ملثم !

منع الحياة من الرجال وطيبها　　حدقٌ تقلبها النساء مراض
وكأن أفئدة الرجال إذا رأوا　　حدق النساء لنبلها أغراض !

وفى (ديوان المعانى) فى (ما قيل فى شعبان وشهر رمضان وشوال) : فمنه قول الفرزدق وأجاد فى ذلك :

إذا ما مضى عشرون يوماً تحركت　　أراجيف بالشهر الذى أنا صائمه
وطارت رقاع بالمواعيد بيننا　　لكى يلتقى مظلوم قوم وظالمه
فإن شال شوال تُشل فى أكفنا
كؤوس تمادى العقل حين تساله

ومعانى هذه الأبيات كلها مبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وإذا لم تكن هذه الأبيات لمن نسبت إليه فمن قائلها ؟

وروى البحترى له أبياتاً فى الشيب والشباب فى حماسته منها :

فلم أر كالشباب متاع دنيا　　ولم أر مثل جدته ثيابا !
ولو أن الشباب يذاب يوماً　　به حجر من الجبلين ذابا !

***

قال الفرزدق فى الأدب والحكمة و « للفرزدق فى الأدب والحكمة مقدار من الأبيات يشتمل بعضها على رأى صحيح أو حكمة حسنة ، أو قول يتمثل به ، وهذا الضرب يمثل الروح العربية فى أدبها وحكمتها » .

وروى الأستاذ للفرزدق جميع الأبيات الآتية :

لا يعجبنك دنيا أنت تاركها　　كم نالها من أناس ثم قد ذهبوا
يفنى أخوك ، فلا تلقى له خلفاً　　والمال بعد ذهاب المال يكتسب

ألم تعلموا يا آل طوعة أنما　　يهيج جليلات الأمور دقيقها

قوارص تأتينى وتحتقرونها　　وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

والإناء فى طبعات الأغانى والكامل ، وطبقات الشعراء للجمحى ، والإيجاز والإعجاز للثعالبى . ورواية (الأتىّ)[1] أقرب إلى الفرزدقية :

فكان كعنز السوء قامت بظلفها　　إلى مدية وسط التراب تثيرها[1]
وكنت كذئب السوء لما رأى دماً　　بصاحبه يوماً أحال على الدم

من هنا أخذ صاحب (اللزوميات) القائل :

وافعلْ بغيرك ما تهواه يفعله　　وأسمع الناسَ ما تختار مُسمعه
وأكثرُ الأنس مثل الذئب تصحبه
إذا تبيّن منك الضعفَ أطعمه

وبيت الفرزدق من شواهد الصحاح واللسان والتاج وغيرها .

وفى اللسان : « تقول هذا رجل سَوء بالإضافة ، وتدخل عليه الألف واللام فتقول : هذا رجل السوء . قال الفرزدق[2] ... »

فقد تلتقى الأسماء فى الناس والكنى
كثيراً ، ولكن لا تلاقى الخلائق

هذا البيت فى ثلاثة أبيات ذكر البغدادى منها اثنين : « قال يونس بن حبيب : أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل ؛ وذلك كما قال صديق مولانا القريب ، وابن عمته النسيب الفرزدق بن غالب ، وقد قيل له : إنزل على أبى قطن قبيصة فحسبه ابن مخارق الهلالى ، فإذا هو آخر ، وذم قراه وجواره فقال :

سرت ما سرت من ليلها ثم وافقت　　أبا قطن ليس الذى لمخارق
وقد تلتقى ... و (تلاق) إنما فعل حذفت إحدى التاءين تخفيفاً ، وفى البيت — والحالة هذه — إكفاء أو إقواء ، وإما مصدر سكنت الياء فيه ضرورة ، وفى (شرح النهج) لابن أبى الحديد : « ولكن ميزوا فى الخلائق » . ورواية الأستاذ المردى والبغدادى أصح .

وروى الأستاذ لأبى فراس من مقلداته :

أحلامنا تزن الجبال رزانة　　وتخالنا جناً إذا ما نجهل !

---

(١) فى شرح الشريشى : كالعنز تبحث عن المدية . هذا مثل للعرب وذلك أن ماعزة كانت لقوم فأرادوا ذبحها ، فلم يجدوا شفرة فنبشت بظلفها فاستخرجت منها شفرة . فذبحوها بها وقالوا : بحثت عن حتفها بظلفها ، فسارت مثلاً . وقال الشاعر : وكانت كعنز السوء . . .

(٢) ولا يقال : هذا رجل السوء أو رجل سوء بالضم لأن السوء اسم الضر وسوء الحال ، وإنما يضاف إلى المصدر الذى هو فعله كما يقال رجل الضرب والطعن . فيقوم مقام قولك ضراب وطعان (اللسان)

(١) الأصمعى : كل جدول ماء أتى (اللسان)

قال الآمدى فى (الموازنة) — وإنى لأنقل قوله على ما بيننا من خصومة قديمة ... — : « أنكر أبو العباس قول أبى تمام :

رقيق حواشى الحلم لو أن حلمه بكفيك ما ماريت فى أنه برد

وقال : هذا الذى أضحك الناس منذ سمعوه إلى هذا الوقت . والخطأ فى هذا ظاهر ، لأنى ما علمت أحداً من شعراء الجاهلية والإسلام وصف الحلم بالرقة ، وإنما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والرزانة ، كما قال الأخطل :

شُمس العـــداوة حتى يستقاد لهم
وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا[(١)]

وكما قال الفرزدق : أحلامنا ... ومثل هذا كثير فى أشعارهم. ألا ترى أنهم إذا ذموا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون : خفيف الحلم ، وقد خف حلمه .

ونسب أبو تمام فى الحماسة إلى الفرزدق هذين البيتين :

إذا ما الدهر جر على أناس كلاكله أناخ بآخـرينا
فقل للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وهما للعلاء بن قرظة خال الفرزدق : « قيل للفرزدق مالك وللشعر فوالله ما كان أبوك غالب شاعراً ، ولا كان صعصعة شاعراً . فمن أين لك هذا ؟ قال : من قبل خالى . قيل : أى أخوالك ؟ قال : خالى العـلاء بن قرظة الذى يقول : « إذا ما الدهر ... ؟ »

وفى (ديوان الحماسة) فى باب الحماسة مقطوعة — ثمـانية أبيات — للفرزدق ، واختير له فى باب المديح والأضياف : ستة أبيات جيدات . يقول فيها واصفاً قِدره التى بعث بها إلى ضيفه :

غضـوباً كحـيزوم النعامـة أُحمشت
بأجواز خشب زال عنها هشيمها[(٢)]

(١) يقول الثعالبي فى (الايجاز والاعجاز) : الأخطل أمير شـعره قوله : شمس ... وفى الأغانى : قيل لأبى العباس أمير المؤمنين : إن رجلا شاعراً قد مدحك فتسمع شعره . قال : وما عسى أن يقول فى بعد قول ابن النصرانية فى بنى أمية : شمس العداوة ...

(٢) جعـل غلياتها غضباً لها ، حيزومها : صدرها . إحماش النار : إلهابها (التبريزى) ، وفى الأساس : « وسمع به — بالبيت — ميسرة فقال : وما حيزوم النعامة ؟ والله ما يشبع الفرزدق . ولـكنى أقول :

وقدر بجوف الليـل أحمشت غليها ترى الفيل فيها طافيا لم يفصل ...

وروى الأستاذ الردى للفرزدق هذا البيت :

أترجو ربيع أن تجئ صغارها بخير وقد أعيا ربيعاً كبارها

ونسـبه أبو تمام فى الحماسة إلى شعيث بن عبد الله ، والبيت من مقلدات الفرزدق .

وروى أبو تمام فى باب الهجاء لفرعان بن الأعرف فى ابنه منازل مقطوعة ، فيها هذان البيتان :

وربيتـه حـتى إذا ما تركتـه
أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه
أأن أرعشت كفا أبيك وأصبحت
يداك يدا ليث فإنـك ضـاربه

والبيت الثانى للفرزدق فى مقطوعة فى ابنه لبطة ، وكان من المقفة (واستغنى عن المسح شاربه) من بيت فى المقطوعة . قالوا : كان فرعان من اللصوص ، فهل سرق المقال سرقته المال أو لص[(١)] الفرزدق اللص[(٢)] ...

ولم يرو أبو تمام فى الحماسة للأخطل شيئاً ، وروى لجرير ثلاثة أبيات فى رثاء ابنه سـوارة ، ولا يدل ذلك على أن ليس جرير جريراً ولا الأخطلُ الأخطلَ

يقول الأستاذ : « وللفرزدق ضرب آخر ، فيه زهد ونسك وتوبة ووعظ وإقرار بالذنب وزجر للنفس ؛ وهذا الضرب يمثل الروح المتأثرة بالدين ، وهو فى كلا الضربين — فى هـذا وفى شعره فى الأدب والحكمة — يمثل الشاعر الإسلامى فى عصر بنى أمية عصر العروبة المتأثرة بالإسلام ، من ذلك قوله :

ألا كل شىء فى يد الله بالغ له أجل عن يومه لا يحوّل
وإن الذى يغتر بالله ضائع ولـكن سينجى الله من يتوكل
تبين ما يخفى على الناس غيبه ليالٍ وأيامٌ على الناس دوّل
يبين لك الشىء الذى أنت جاهل بذلك علام به حين تسأل

وروى الأستاذ لأبى فراس أربعة عشراً بيتاً من قصيدته

(١) أو لص ، ولك أن تقول أم لص ، على كلامين كما قال سيبويه . وقال ابن هشام فى شرح الشذور : « ولا يجوز بناء شىء منها — من فعال — من نحو اللصوصية لأنها لا فعل لها » ، والصحيح أن لها فعلا

(٢) مثلث

التى أعلن فيها توبته وهجا إبليس ، منها قوله :

وما أنت يا إبليس بالمرء أبتغى رضاه ولا يقتادنى بزمام[1]
سأجزيك من سوءات ما كنت سقتنى إليه جروحاً فيك ذات كِلام !
تعيرها فى النار والنار تلتقى عليك بزقوم لها وضرام !

وقد اغتبط أبو فراس بهذا الهجاء فغدا إلى الأمام الحسن البصرى فقال له : إنى هجوت إبليس فاسمع . قال : لا حاجة لنا بما تقول ، قال : لتسمعن أو لأخرجن فأقول للناس : إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس ...

قال : اسكت ، فإنك بلسانه تنطق ...

قال الأستاذ : « وللفرزدق معان لا تدخل تحت باب من هذه الأبواب ولكنها ذات بال لأنها تلقى نوراً على حياة الفرزدق الخاصة وحياة محيطه » وأشار إلى أشياء من هذه المعانى وروى أبياتاً للفرزدق يشكو فيها إلى الوليد بن عبد الملك جور عامل ، منها قوله :

أمير المؤمنين وأنت تشفى بعدل يديك أدواء الصدور !
فكيف بعامل يسعى علينا يكلفنا الدراهم فى البدور !
وأنى بالدراهم وهى منا كرافع راحتيه إلى العبور[1] !
فلو سمع الخليفة صوت داع ينادى الله هل لى من مجير !
وأصوات النساء مقرنات وصبيان لهن على الحجور !
إذن لأجابهن لسان داع لدين الله مغضاب نصور !

***

(يتبع — الأسكندرية)

***

جاء فى القسم فى الجزء ٣١٩ : «الحق أن الأدباء» بضم الحق وهى (الحق أن) بنصب الحق ونصب الحق على الظرف، والرفع وجه. وجاء «عليه إذا عد الحصى يتخلف» وهى (يتحلف) أى يتحالف الأقوام عليه، تجتمع عليه حلفاء وجاء فى الجزء ٣٢٠ : والفرزدق خمسة وعشرون قصيدة والصواب خمس كما هو ظاهر .

(١) إبليس لم يصرف لأنه أعجمي معرفة. فى تاريخ بغداد الجزء (١٣) الصفحة (٤٢٨) : « ما وضعه — يعنى كتاب الحيل — إلا إبليس ، قال الذى وضعه عندى إبليس من إبليس » وقد أوردت هذا البناء (وإن لم تذكره كتب اللغة) كلمة مولدة حسنة يحتاج إليها كثيراً .

(١) الشعري العبور

كتاب الأغانى

لأبى الفرج الاسكندرانى

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

أنا الفنان لبيكِ   منادبتى وسعديكِ
إذا لامست مصباحى   أتى بى لمس كفيكِ
كأسرع خاطر يَسرى

الشعر للأستاذ توفيق الحكيم وفيه لحن من صنعة علاء الدين أحد أبطال قصة ألف ليلة وليلة

حدثنا أبو الفرج قال : الخطاب فى هذا الصوت موجه إلى وزارة المعارف ، وكانت قد عهدت إلى طائفة من كبار الأدباء بتلخيص الكتب العشرة المختارة ، فلما كان موعد بحثها عن الأديب الذى يصلح لتلخيص ألف ليلة ، رأت أن الكتاب ذو جانبين : جانب يفتقر إلى تحقيق علمى وجانب إلى روح فنية . فلم تزل تبحث عمن تتوفر فيه روح الفن حتى وقع نظر وزيرها السابق هيكل باشا على المصباح الأخضر

قال : والمصباح الأخضر هذا هو المصباح المسحور الذى كان علاء الدين قد وجده فى كنز مرصود قاده إليه الساحر المصرى . وكان علاء الدين لا يزال طفلاً يتيماً ، وقد عرف الساحر أن الكنز لا يفتح إلا على يديه فادعى أنه عمه وقاده إلى الخلاء ثم أطلق البخور وقرأ التعاويذ ففتح الكنز . ودخل علاء الدين وأخذ المصباح ، وكان الساحر يريد أن يأخذ المصباح منه وهو بداخل الكنز ولكن الصغير كان موفقاً فى الرأى فأبى تسليمه حتى يخرجه ، وغضب الساحر فأغلق باب الكنز وترك علاء الدين

وكان مع علاء الدين خاتم أعطاه إياه الساحر من قبل ، فلما مسحه جاء خادم من الجن موكل بطاعة من يحوز الخاتم . فطلب إليه علاء الدين أن يفتح الكنز ففعل ، ثم نقله إلى منزله ومعه المصباح

ومسحت أم علاء الدين ذلك المصباح لتجلو الصدأ عنه ، وكان المسح رمزاً لخادم المصباح وهى لا تعلم ذلك فجاءها الخادم ولم يزل يأتمر بأمرها ويفعل المستحيلات من أجلها ومن أجل علاء الدين حتى فقدا المصبّاح فحازه آخرون

قال أبو الفرج : وكان آخر مطاف هذا المصباح أن أخذه أهل الكهف فبقى فى كهفهم ثلاث مائة سنين وتسعاً ، وكان لونه من قبل ذهبياً فملاه الصدأ واستحال على مدى العصور إلى مصباح أخضر

قال : ويظهر أن أهل الكهف كانوا قد طلبوا إلى خادم المصباح أن يوقظهم بعد ثلاثمائة سنين وتسع ولكن هذه مسألة لا ينبغى أن نمارى فيها إلا مراء ظاهراً ولا نستفتى فيها منهم أحداً

قال أبو الفرج : فلما وضع الأستاذ توفيق الحكيم قصة « أهل الكهف » زار المكان الذى دفنوا فيه قبل بعثهم كما يفعل كبار الكتاب والمحققين من نشدان الحقائق فى جوها وبيئتها ، وكما فعل هيكل باشا لما حج قبل أن يكتب السيرة . قال : فوجد الأستاذ توفيق الحكيم ذلك المصباح فى الكهف وأراد أن يجلو الصدأ عنه فجاءه خادم المصباح فإذا هو فنان يضع المسرحيات البارعة ويكتب ما يكتب تحت ضوء المصباح الأخضر

ولما وقع نظر الوزير الأديب هيكل باشا على المصباح مسحه هو أيضاً ، ولكن لم يظهر له العفريت خادم الطلسم بل ظهر له الأستاذ توفيق الحكيم ، فعهد معاليه إليه أن يراجع كتاب ألف ليلة وليلة ، فأنشد بين يدى معاليه هذا الصوت :

أنا الفنان لا أبدو   لمين ما لها قلب
أنا الفنان لا أبدو   لقلب ما به حب
يشق الغيب مصباحى   وتسقط دونه الحجب
وسر الغيب فى المصبا   ح والمصباح لا يخبو
بكف أدركت سرى

تولى إمرتى حيناً   سليمان بن داود
فهل جددت الدنيا   كإنشائى وتجديدى
بنيت الصرح من ماء   كريم غير مورود
وسخرت له الريح   بتذليلى وتعبيدى
وعلى منطق الطير

وجئت إليه من سبأ   بأخبار وأنباء
فلما استعظم الجهد   أتيت له بأحياء
نقلت العرش والتاج   إليه وبنت حواء
ولم يتحرك الجفنا   ن منه غير إعياء
أهذى قدرة السحر

فلما ضاع مصباحى تحطم كل ما شدت
مضى فى رحمة الله وعفت الكون أو كدت
وخال الجاهل الغر بأنى بعده مت
ولو خلد مخلوق على الدنيا لخلدت

فوق آخر الدهر

أنا الفنان لا أبدو إذا ما ضاع مصباحى
فآمالى وأشجانى وأحزانى وأفراحى
وما أخشى وما أرجو معلقة بأرواح
بأرواح خفيات تضاء بضوء مصباحى

فذلك كله سرى

قال : وهى قصيدة طويلة جداً ، ويزعم الزاعمون أنها منقوشة على مصباح علاء الدين وأنها تفسر سر المردة والشياطين بأنهم أسماء مترادفة لكلمة الفن فهو الذى جعل الناس

. . . . كلما رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن

قال الأستاذ توفيق الحكيم : ولقد راجعت اشتقاق كلمة الجن فى جميع اللغات فوجدت الذكاء الخارق

والجن بمعنى واحد فى كل لغة ، فالعرب يقولون عبقرى ومكان الجن عبقر . والأوربيون يقولون «جنى» «وجنيس» . وليس من الصفات المنافية للذكاء أن يبدو المرء كأنه نائم ، فلعله يكون قد قضى حيناً من الدهر مع أهل الكهف . وليست زيارة الكهوف بالأمر الذى يسهل احتماله ولا بالذى لا يترك على الهوية العامة طابع النوم العام

وحدثنا الدكتور حسين فوزى قال : لقد أخطأ الكثير من النقاد فى فهم كتاب أهل الكهف للأستاذ توفيق الحكيم فعده البعض عربى الأصل لأن القصة وردت فى القرآن الحكيم . وعده البعض مسيحى الأصل لأن القصة مروية من قبل فى أساطير المسيحية ؛ وهى فى كتاب الله العزيز ذات مغزى يشير إلى قدرة الله على البعث ، وهى فى الأسطورة المسيحية ذات مغزى يشير إلى معنى آخر . قال : ولكن القصة كما يرويها الأستاذ توفيق الحكيم ذات لون فنى آخر ، فهى غير منظور فيها إلى هذين المصدرين العظيمين وإنما مصدرها كتاب الموتى الفرعونى

قال الدكتور حسين فوزى : وإن قصة أهل الكهف للأستاذ الحكيم ليست إلا لحناً جنائزياً رائعاً لحياة الفنان المحروم من نصفه الآخر . هى تنى الحياة بغير أصدقاء لأنهم فقدوا، وإنما مبعث هذا الألم فقدان الصديقة التى لم توجد . قال ولقد غبن الناس صديق حين سموه عدو المرأة ، وما كان الفنان ليكون عدواً لها إلا على تفسير العامة : « من جهل أمراً عاداه »

وحدثنا الأستاذ اسماعيل أدهم قال : « لقد ناقشنى الدكتور بشر فارس فى تحقيق العلمى على طريقتى الخاصة لتاريخ مولد الأستاذ توفيق الحكيم وزعم أن التاريخ الصحيح هو الذى ذكره الحكيم نفسه والذى أجمع عليه الناس ، ودلت عليه الأوراق الرسمية . ولقد شهد الدكتور بشر فارس بذلك على نفسه أنه غير جدير بالمكانة التى هو فيها من الشعر الرمزى. إننى ما حددت لمولده تاريخاً غير تاريخ مولده إلا إشارة رمزية منى لأنه من أهل الكهف

وحدثنا الأستاذ بشر فارس قال : أما وقد اعترف الأستاذ المعروف بالدكتور بهذه الحقيقة فإن تاريخ مولد الأستاذ الحكيم يرجع إلى القرن الثانى من ميلاد المسيح

قال الأستاذ توفيق الحكيم : لقد وهم كل هؤلاء فإن تاريخ مولدى سابق على تاريخ الكون . أليس أفلاطون يقول إن الفكرة وجدت أولاً ثم وجد الكون على غرارها؟ وبالله ماذا تكون الفكرة « الأديال » غير الفن ؟ ألم يكن يقول شوبنهور إن الطبيعة محاكاة للفن وليس الفن هو الذى يحاكى الطبيعة ؟ وهل يرى الناقد فارقاً فى المعنى وإن اختلف اللفظ بين نظرية أفلاطون ونظرة شوبنهور ... وهل ثمت فارق بين الأديال وبين الفن .

ثم التفت إلى وزارة المعارف وأنشد :

صوت

أنا الصوت الذى دوى بقلبك دون أذنيك
أنا الطيف الذى يبدو لروحك قبل عينيك
وكل ممرد عال وكل مظلل رحب
وكل محبب غال وكل مقطر عذب
وما يعزى إلى المجد وما يبنى على الحب
وما يخشى وما يرجى وما يهوى وما يصبى

جميع الكون من أمرى

الصوت للأستاذ توفيق الحكيم . وفيه لحن لعفريت فى شاطئ الأسكندرية محبوس فى قمقم .

« يتبع » عبد اللطيف النشار


اطمئنوا على ودائعكم
في
بنك مصر
استأجروا خزائنه الحديدية

الجـــبر والاختيار

فى كتاب الفصول والغايات

[مهداة إلى الأستاذ محمود حسن زناتى]

للأديب السيد محمد العزاوى

(تتمة)

« ... وقول الحق أمثل من السكوت ، واستقامة العالم لا تكون ، ولذة الدنيا منقطعة ، وخبر الميت غير جلى ، إلا أنه قد لقى ما حذر ، فاسع لنفسك الخاطئة فى الصلاح ... »

أريد الآن أن أتبين جبرية المعرى من أي نوع هى ؟ أهى ميتافيزيقية حقاً؟ هل نظر أبو العلاء فى الكون فقرر في أحد نصوصه حينما أنكر الاختيار إنكاراً شديداً ما قرره اسبينوزا من أن شعورنا بالحرية فى أفعالنا ما هو إلا نتيجة تقدم معرفتنا للأسباب التى تدفعنا، وأن سلوك أى كائن ينتج ضرورة عن طبيعته ، كما أن صفات المثلث تنتج ضرورة عن طبيعته كما يقول ليبنتز . وهل نظر أبو العلاء فيما يوجب علينا الجبر ؟ أهو هذا النسيج القوى المتلاحم من السبب والنتيجة ؟ أم هى قوة تفرض علينا هذا فرضاً مبهماً غامضاً ؟ وهل ميز فى الجبرية بين اضطرار ميكانيكى يدفع ، ولا محيص عما يدفع إليه ، وبين دوافع ميكانيكية إن دفعت إلى فعل فلا توجب حدوثه ؟

وهل كانت نظرته فلسفية حقاً ؟ هل تكلف لها التجريد والارتقاء والقياس والحصر واستنباط الأحكام ؟ وهل هو انتهى إلى أحكام ثابتة يمكن أن تضاف إلى الآراء الفلسفية القويمة ؟

هل نظر فى تقريره الجبرية إلى الناحية النفسية فقال بأن الإرادة تنفصل تماماً عن الشعور والآراء ، وإذا كانت الإرادة جبرية لا تعدم شعوراً موجهاً نحو غاية فتقتضى لذلك فكرة ، والفكرة من أس آلة حرة العمل ؟ هل قرر أن أعمال المرء وليدة مجموعة من الظروف معقدة غاية التعقيد تعين نوع الأفعال الصادرة عن الإنسان ؟؟

أو من الناحية الأخلاقية ، فقرر على أية أسس إذن يمكن أن تنبنى الأخلاق ؟ وما هو القول الفصل فى التبعات الأخلاقية بأنواعها ؟ وما هو الرأى الواضح البين فى البعث والحساب والعقاب؟

الواقع أن أبا العلاء لم يتبع البحث العلمى ولا طرقه ، بل إن بيئته قد أثرت عليه تأثيراً كان من نتائجه أن تكيفت نظرة أبي العلاء تكيفاً إن لم يكن كلامياً محضاً فقد شابته الشوائب الكلامية ؛ فاهتم بخلق الأفعال : أهى من صنع الله أم من صنع الإنسان . واهتم لمرتكب الكبيرة أهو خالد فى النار أم مجرم يرجى غفران الله . واهتم بصفات الله أهى خارجة عن ذاته أم هى منها ؟ وهذا هو السبب الذى حدا بى أن أفصل جبرية أبى العلاء على منهاج الكلاميين

الحق أنه من الظلم أن نقارن بين أبى العلاء وبين الفلاسفة . فأبو العلاء لم يقصد إلى الفلسفة قصداً فنأمل أن يتحدث عن الجبرية كما يتكلم سبينوزا أو ليبنتز أو عمرو بن عبيد وغيرهم من الفلاسفة وعلماء الكلام ، وأن يتحدث عن الكون كما يفعل أرسطو أو أفلاطون

ولم يقصد إلى الأخلاق وإصلاح المجتمع فيحدثنا عنهما كستيوارت ، وإنما هو أديب قبل كل شىء ، وأديب يعنى بالصناعة الأدبية : يحفل للفظ ويعنى به عناية الجوهرى ، ويحرص على الغريب منه ويتلقبه ويتقفاه ، ويستطرد له استطراداً ربما أضاع المعنى أو أضعفه . وهو كذلك يحفل للمعنى الطريف فيبحث عن أى ثوب يلبسه ، وبأى شكل يعرضه ، ومبلغ ما يكون فيه من حسن إذا كان على هذه الصورة أو تلك . وهو أديب كذلك يأخذ شواهده وأمثلته مما يرى وما يسمع وما يحس . فهو إذا فكر فى أقدار الإنسان ضرب لنا مُثلاً مما حوله وانتزع مواد تفكيره ووسائل تسجيله مما حوله كذلك

فهو لم يحاول أو قل لم يستطع أن يجرد العالم من ظواهره وينفذ إليه حقيقة عارية متحدة ، وإنما هو كان يريده رافلاً فى تلك الصور والمعانى التى درج الشعراء على أن يخلعوها عليه . ولعل حرص أبى العلاء على المعانى المبتكرة ، والأفكار الخفية ، واللفظ

القوى الغريب ، والسبك المتين كان أشد من حرصه على النظرات الفلسفية العريضة الشاملة . ولعل ميله إلى إظهار آثار ذاكرته الأدبية القوية التى تعى أخبار الأقدمين وأشعارهم وعلمهم ، ومقدرته اللغوية البيانية التى تسمو به إلى محاولة تقليد القرآن ، ومزاجه الشاعرى الذى يهفو إلى كل خاطر عابر ، ويرنو إلى كل معنى بديع ، لعل ذلك صرفه عن أن ينشئ فلسفة خاصة به بينة المعالم واضحة الحدود ، أو أن يردد ما قال به معاصروه من الفلاسفة الإسلاميين وغير الإسلاميين . فأنت تستطيع — إن شئت — أن ترى صورة أدبية حقيقية لعصره ، وأنت تستطيع إن شئت أن ترى صورة اجتماعية لعصره ، ولكنك تكلف نفسك الجهد إذا حاولت أن تظفر بصورة صادقة كاملة للفلسفة فى عصره أو بصورة لفلسفة له متكاملة متساوية

ولست أريد بهذا أن أنكر أن له فلسفة ، وفلسفة جبرية خاصة ، كلا ، إن الرجل كما رأيت كان يدين بالجبرية ويؤمن بها إيماناً عميقاً قوياً . وكل شىء حوله يدفعه إلى هذا الإيمان العميق القوى . هو بالطبع كان مؤمناً بالله مسلماً ولكن إلٰهه كان مختلفاً عن إله الناس ، كان ذلك الاضطرار الميكانيكى الذى يهيمن على الناس والعالم بجبروته المنضبط وحكمته الخفية ، فلا سبيل إلى الشك فى أن أبا العلاء له فى هذه الناحية تفكير ، ولن يستطيع أحد أن ينكر عليه ذلك التفكير

وإن جاز لنا بعد كل هذا أن نعد أبا العلاء متكلما أو فيلسوفاً بمعنى دقيق فلا أقل من أن نثبت له ما يمكن أن يكون من أدوات الفيلسوف أو المتكلم ونظره ، وأن نتبين أثره فى الفلسفة حوله ومنزلته بين غيره . لقد كان يعتمد على العقل اعتماداً أهمل معه المتواتر ، وفضله على الشرع ، فهو قد خالف بهذا الأصل أهل السنة لأنهم يقدمون الشرع على العقل ، وخالف المعتزلة لأنه يحترم العقل أكثر من احترامه الشرع مع اتفاقهما فى تقديمه . فهو قرر مع المعتزلة قوة العقل على إدراك الحسن العقلى والقبح كذلك ولكنه قدم العقل على الشرع حين كان المعتزلة يضنون بذلك على العقل .

***

وأما قوله بأن الأفعال حكم مقدور ، فهذا الرأى يوافق الجهمية فهم الذين قالوا بأن الله هو الذى خلق الأفعال وفرضها على المخلوق فرضاً . على حين أن المعتزلة تقول بأن المرء هو خالق أفعاله وأن للانسان قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضائه

***

وإذا ما نظرنا إلى ما يقول فى المنزلة بين المنزلتين لا يبدو لنا أنه تأثر بتلك الحدود التى وضعتها المعتزلة من أن صاحب الكبيرة ليس بكافر ولا مؤمن لكنه فاسق يستحق النار بفسقه . فهو كثير الرجاء لغفران الله لكل ذنب ، شديد الأمل فى رحمته كما رأيت لكل عاص ، والشواهد على ذلك كثيرة جدا فى الكتاب . أما لفظة (فاسق) فقد حاولت أن أجد لها عنده هذا المعنى الاصطلاحى فلم أوفق ، ولعله كان يقصد بها (المذنب) دون أشراط الفسق الفقهية المعتزلية . أحصيت ورود الكلمة فإذا هو قد ذكرها اسماً وفعلاً نيفاً وعشر مرات فى مواضع فى الكتاب مختلفة لم يقصد بها إلا مجرد المعصية والخروج عن الطاعة

***

وفى مسألة البعث لا يوافق أبو العلاء الجهمية ولا المعتزلة . إذ أن كلا الفرقتين تجمعان على البعث . الأولى تقول بأن ذلك جبر والحساب والعقاب جبر كذلك . والثانية تقول به نتيجة إسنادها الأفعال للانسان . وأما أبو العلاء فلا ينفى شيئاً ولا يثبت شيئاً كما رأينا

***

ونجده حين يتعرض لذات الله يذهب مذهب المعتزلة والمعطلين؛ فهو لا يثبت لله صفة « وكيف يوصف بشىء خالق الصفات » . وهذا نص واضح صريح . وأما قوله بأن الله حده الزمان وبأن المادة أزلية فلا يعنينا هنا كثيراً فليس هذا مقام البحث فى فلسفة أبى العلاء الإلٰهية على وجه عام ، وإنما الذى يعنينا هو إثبات الصفات للذات أو تجريدها عنها

***

استعرضنا أفكار أبى العلاء الجبرية فى كل ما تقدم ورأينا

ما كان من اضطرابه وتنقله بين المذاهب المختلفة تنقلاً هو أقرب إلى تنقل الشاعر الذى يؤمن بالفكرة لحظة طروقها ، ويؤمن بها حين يسجلها إيماناً يجعلها قطعة من نفسه فى لحظة ما ، أقرب إلى ذلك من تفكير الفيلسوف ينظر فى الكون بنظر خاص به ، وبه وحده . ونحن لا يمكن أن نقبل هذا الاضطراب من مفكر نحاول أن نقيم له فلسفة ذات أصول وفروع . هذا الاضطراب ليس ناتجاً عن ضعف فى التفكير ، ولا عن اتهام فى العقل وشك فى قوته على استكشاف الحقائق واستنباط الأحكام ، بل عن تلاشى الشخصية فى ذلك المجتمع الإسلامى الذى شاع فيه الحكم بالمروق عن الدين وما يتبع ذلك من إيذاء لم يكن المعرى يحب أن يتعرض له؛ فكان إن اضطر إلى التقية والمصانعة بصرف الناس إلى الظاهر من الأمر . بل لعله اضطر إلى هذا الشك وتلك الحيرة لأنه درج على إثبات إله قادر حكيم فلم يستطع – أو قل لم يحب – أن يعطله مما يقعد به عن الحكمة والعدل والكمال

وهو كان يدعو بعد كل هذا إلى الزهد ؛ ولكن على أى أساس بنى هذا القانون الأخلاقى ؟ وما الباعث ؟ أكان ثقة منه وإيماناً بأن هذه الدنيا مظهر من المظاهر الزائفة وظل للرغبات والأهواء على النفس الإنسانية والعقل البشرى ، فليس لها كيان واقعى خارج تلك النفوس والعقول ؟ فهو يدعو إلى الزهد مبصراً الناس بهذه الحقيقة التى اكتشفها وفطن إليها ؟ وهل هو استطاع أن يتبين فى وضوح صلة الإنسان بهذا الكون ؟ وهل أمكنه أن يدرك حقائق ثابتة وراء هذه الصور الزائلة الخادعة نسبته إليها كنسبة أى فرد من أفراد البشر إليها فدعا إلى الفضيلة والتراحم باعتبار أن آلام الآخرين هى آلام الشخص وآلام الشخص هى آلام الآخرين لتلك الصلة التى أدركها ؟

أغلب الظن أن باعث هذه الدعوة لم يكن شيئاً من هذا ، وإنما كان باعثاً سلبياً محضاً نتج عن جهله بما وراء الموت وخوفه من ذلك ورهبته وعدم تبينه ما يراد به من عقاب وثواب . فهو إن أوصى بالصلاح والزهد فذلك حتى لا يكون المرء – إذا صح البعث والحساب – من الخاسرين . من هنا نرى أن قانونه الأخلاقى الذى استنه قد بنى على قاعدة سلبية محضة ليس فيها من الفلسفة قدر ما فيها من الحيطة والحذر اللذين يوجبهما الجهل والتوقف . وكان الباعث كذلك نوعاً من الضيق القوى لظروفه الاجتماعية والشخصية جميعاً . فلذلك دعا إلى الوحدة والزهد فى الناس : « فإن الوحيد فى العالم لا يلحقه عيب من سواه » . فهو كذلك يتق المجتمع بطريقته السلبية . هو لا يحاول إصلاحه ، فهو يائس من ذلك ؛ ولكنه يتجنبه ويتقيه ، وكان الدافع كذلك سخطاً شديداً على تحول الدنيا وعدم بقائها على حال : « فالدنيا حية عرماء ، لمة بيضاء ، ولمة دهماء ، والأيام عوارم لا تترك لحى عراماً [١] » . إذن « ما البقاء إلا طول شقاء ، والحياة ظلمة ليس فيها إياة ، ومن السعادة لمن يموت القوم كراماً [٢] » . ولكن « أولع الولد بالرّغاث » . وهو يهيب لذلك أن يا راغبُ رُع، والخشية فادرع، نحن على الدنيا نقترع، نتسايف ونصطرع، والقدر لنا مضرع [٣]

وهو يخاطب الدنيا معبراً عما يسخطه منها: «أيتها الدنيا البالية ، ما أحسن ما حلتك الحالية ، أين أممك الخالية ، إن لذاتك المتوالية والنفس عنك غير سالية ، تتبع أولاك التالية ، والله أستنجد على تلك الصعدات [٤] » وحزنه على الدنيا ناتج عن أنها تخلط بين الفرح والسرور . فقد يكون الرجل كاسياً يمثل ريش الأخيل ، وشبابه كروضة الوسمىّ ، وعيشه أوسع من الموماة ، وعروسه الصالحة الحسناء ، فلا يخلو فى ذلك من الكدر . إن داء الدنيا عرف قديماً ، لا بد له من انتقال ، إما بالموت وإما بالحياة يمكن أن تكون عيشته زاردة مثل الزردة ، ويلبس أخلاق ثياب كلباس الرأى ، ويعارق العروس إما أن تهلك ، وإما أن تختار سواه ، وتكون روضة شبابه هشيما [٥] »

والشواهد على ذلك كثيرة جداً لا تكاد تحصى. وكل ما يمكن أن نستخلصه منها أسباباً لاعتزال أبى العلاء للدنيا ونصحه الناس بالزهد فيها لا يعدو أنها متقلبة لا تدوم ، وأن خيرها يختلط بالشر وسرورها يختلط بالكدر، إلى غير ذلك من معانى الشعراء . فهل لو كانت ظروف أبى العلاء غير ما كانت ، وهل لو كانت الدنيا على

(١) ص ٤٢٢ (٢) ص ٤٢٣ (٣) ص ٢٤٥ (٤) ص ١٤٩
(٥) ص ٤٣٠

غير ما وصف أُرى كان دعا إلى الزهد ؟ ربما كان رأى فى الكون ما رأى ولكنه لم يكن يبنى الزهد فى الدنيا على الأساس الذى بنى عليه دعوته التى رددها فى الكتاب كثيراً

ولماذا حرص أبو العلاء على أن يثبت حكمة لتلك القوة التى تصرف أمور الناس ، مع شقائه بهذه الحكمة لعدم الاهتداء إلى مراميها ؟ تلك الإرادة التى بحث أبو العلاء عن حكمتها فلم يوفق والتى كانت مثار قلقه واضطرابه ، والتى يخشى أن يتهمها بالظلم ، لما يراه من متناقضاتها ومفارقاتها ؟ كان مذهبه يستقيم ، وعقله يطمئن إلى ما وصل إليه من تفكير لو أنه قال بإرادة غير عاقلة غاشمة ، فإذا ما جردها من العقل والحكمة فلا جناح عليها أن تأتى من المفارقات ما يشاهد أبو العلاء وأكثر مما يشاهد . ولكنه مفكر « شاعر » فى « وسط إسلامى » أنشأ الكتاب ليمجد الله ويعظ .

* * *

وقد حاول الأستاذ على أدهم أن يعقد صلة بين أبى العلاء وبين شوبنهاور . ولست بصدد أن أتحدث عن نصيبها من الصحة . وإنما أقول إن أوجه الشبه إن صدقت فى وجهات متعددة من نظر الرجلين إلى العالم والمجتمع بحكم ما بينهما من مزاج التشاؤم ، فإنها لن تصدق فى تلك الناحية الخاصة . حقًّا إن كلا الرجلين قد أثبت الجبر وقال به . ولكننا إن تجاوزنا عن اختلاف الوسائل التى سلكاها فإنا لن نتجاوز عن فرق دقيق بين الجبريتين

أبو العلاء ردد كثيراً أن القوة المسيِّرة للكون « عاقلة » يصدر عنها الأفعال ، والأقدار ، والأرزاق ، عن حكمة خفية لا يدرك كنهها وإن أجهد نفسه الجهد كله ؛ وهو كذلك لم يستطع أن ينظر إلى العالم نظرة تجريدية فلسفية ، ولكنه قرر على أى تقدير بأن الدنيا شر ، والطريقة المثلى للتخلص من شرورها وآلامها هى الزهد فيها وكبح الشهوات ، وكبت الغرائز ، والخلوص إلى العبادة والتفكير

وشوبنهاور قد اعتبر الحقيقة المطلقة إرادة عامة « لا تعقل » وذهب إلى أن ليس ثمة إرادة فردية ، فالفردية مجرد وهم لأنها قائمة على فرق الزمان والمكان . وقد قرر أن الإرادة شر فى أساسها ، وهى شبق حافز إلى الوجود ، وحرص على اللذة والتمتع ؛ فالحياة إرادة ورغبة تفضيان إلى الشقاء لأن الإرادة لا يمكن أن تروى غلتها أبداً من الرغبة فى الحياة . وهو يعتبر غاية الحياة لذلك هى « الشقاء » وأفضل السبل فيها أن يخترق الإنسان حجب الوهم الفردية ويرى عقم مطلب إشباع الرغبة ويتحرى العفة ، فيصل إلى هدوء صوفى يشبه الهدوء البوذى ، واعتبار الحياة قطعة من الفن ...

فهما ينتهيان إلى غاية واحدة ويقرران مبدأ أخلاقياً واحداً ولكن بنظرين فى الكون مختلفين ، وإنك لترى قانون شوبنهاور قد بنى على أسباب فلسفية محضة ، فما أبعد بين الفكرين .

« تم البحث »

السيد محمد العزازى

من نار الفراق

سأسخر بالأقدار بعدك ! ...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

[إننى أقدس فيك قلبا ما وهب الله مثله لبشر، وعواطف ملائكية طاهرة ، وإخلاصا ما شابه زور أو خيانة ، وما أنا إلا زهرة شاء حظى السعيد أن أتفتح على نور حبك وسحر أنغامك . فأى قوة فى العالم تستطيع أن تنتزع هذه الزهرة إلى غير أرضها دون أن يلحقها الفناء ، أو تفصل روحى عن جسدها !...]

« من رسائلها إلى »

تريدين منى الصبر هاتى رحيقَهُ ... وإلا تَخلَّينى ونيرانَ ثورتى !
نفختِ لظاها فى دمى ، وتركتِها ... تؤجِّجُ أحلامى وتكرب حيرتى
وتَنسَخُ أيامِى عليكِ قصيدةً ... مشوشةَ الأنغام تهذى بلوعتى
وتنتظرينَ الصبرَ ؟ إنى نشدتُهُ ... فأقبلَ بركاناً يُزلزِلُ هدأتى !
أيصبرُ من سوَّى جمالُكِ عمرَهُ ... ينابيعَ تقديسٍ وحبٍّ ورحمةِ ؟
وأسكرتِهِ بالحسن والطهر والهوى ... وكنتِ له فى الله أقدسَ توبةِ !
وعلَّمتِهِ إنْ هزَّ للفنِّ روحَهُ ... تُكبِّرِ للإلهام أطهرُ كعبةِ
ونشَّأتِهِ فى الدَّمع حتى أذابهُ ... أناشيدَ أحزانٍ وبؤسٍ وحسرة
أنا الساخرُ الجبارُ لا الدَّهرُ هزَّنى ... ولا النكباتُ السودُ هيَّجنَ عزلتى
أمرُّ بأرزاءِ الزَّمانِ كأننى ... خُطا العاصف العربيد فى ظل زهرة
وأبصرُ حشدَ الناسِ أسرابَ هاجسٍ ... من الإثمِ زحَّافٍ بأرجس مُهجةِ
وأسمعُ لا من زيفهم وبيانهم ... ترانيمَ عزَّافٍ بأمنع قمَّةِ ...
فمالى على كفَّيكِ طرَّحتُ أدمُعى ... وسُخرى من الدُّنيا وعزِّى وكِبْرَتى ؟
ومَيَّلْتُ أنّى سرتِ فى التُّرْبِ خاشعاً ... وطهَّرتُ من أنوارِكِ البيضِ سجدتى ؟
وضيَّعتُ أيامى – وما ضِعن – إنما ... ذهبْن قرابينَ الهُدى لحبيبتى !
فيا زَهرتى مالى أُناديك فانياً ... فتصرخُ أصداءُ النداءِ بخيبتى
ويرتدُّ لى شجوى كما ردَّتِ البِلى ... بقيَّاتِ آهاتِ الثَّكالَى لميِّتِ !

(القاهرة) محمود حسن اسماعيل

الأمواج والشاطئ

للأستاذ حسن كامل الصيرفى



سألَ الشاطئُ يوماً بحرَهُ : ... أيها البحر أجبْنى كم حويْتا !
ودَّ لو يكشف عنهُ سِرَّهُ ... بيدَ أن البحرَ قد حاول صمْتا

قالت الأمواجُ للشاطئْ ماذا تبتغى
من سؤالكْ ؟
قال : إنى أبتغى ما غاب عنى
من مَداركْ
فانثنتْ عنهُ بجزْرٍ ساخرهْ

ثم عادت باندفاعٍ نحوهُ
فى اصطخابٍ مثل رَعْدِ
عالياتٍ ، هابطاتٍ ترتمى
فوق صخرٍ منه صَلْدِ
وعلى الشاطئْ جاءت ثائرهْ

قال : إنى رابضٌ منذ وُجِدْتُ
وَوُجِدْتِ
جاهلاً سِرَّكِ ، إنى لستُ أدرى
ما احتويْتِ !!
فانثنتْ عنهُ بجزْرٍ ساخرهْ

ثم عادت ثانياً وهى تقول :
أنتَ سِرِّى أنتَ سِرِّى

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]

الطائر والشمس

للأستاذ خليل شيبوب

عنـدى أحاديث هوى جمّة   تجرى كما يجرى بها الخاطر
سطّرها حبىَ فى مهجتى   ثم رواها جفنىَ الماطر
لكنما أغربها قصـة   مأثورة شـاهدها حاضر
عن طائر هام بشمس الضحى   وأين من شمس الضحى طائر
فرخ ضعيف ريشه ، قابع   فى وكره ، مرتجف حائر
يدرج منه بعض شىء إلى   حيث شعاع باسم باهر
يصيب دفئاً عنده كلما   فاض عليه نوره الغامر
يجر ذيلاً ، فهو طوراً به   طول ، وطوراً ذيله قاصر
ما شك فيه أن ما يغتلى   به حشاه والدم الفائر
صنعة هذا النور فى أصله   وأنه من فوقه صادر
وإذ رأى وجه السماء انجلى   له هناك الحدَثُ الكابر
أتون نار جاش من صدره   دَفْقٌ ضياء خاطفٌ حاسر
قطب من الجمر ولكنما   عليه قام الفلك الدائر
وجه يفيض النور منه كما   يفيض نبع الروضة الفائر
لكن هذا النور روحٌ ولا   جسمَ ، ولكن لهبٌ ثائر
فى الشرق مرجان فإمّا ارتقت   فى الأوج مار الذهب المائر
والورد مفروش متى غرّبت   والأرجوان البهج الفاخر
هذى هى الشمس التى نورها   بحر حياة ما له سابر
الكائنات الغرُّ من حولها   أبدعها ناظمُها الناثر
فاتنة الدنيا ولكنها   ليس إليها مسلك ظاهر

ترعرع الطائر لكنه   من كل ما يؤنسه نافر
يسير فى الروض وعيناه فى   السماء والعمر به سائر
واشتدّ حتى طار مستشرفاً   ما حولَهُ فهو له حاصِرُ
إذا اعتلى جوّاً فسرعان ما   يحطه إعياؤه القاهر
وهو لجوج النفس فى صدره   منها جوى ملتهب ثائر
يذهبُ فيها يومَهُ هائماً   وقلبُه تحت الدجى ساهر
مرتقب فى الدوح أن ينقضى   الليل ويأتى السحَر الباكر
حتى يراها وجهها مشرق   كما يطل الملك الظافر
ومرت الأيام لا تأتلى   والحب نبت مخصب كاثر
فاستشعر اليأس ألا إنه   مستضعف ليس له ناصر
لا الروض يسليه ولا حوله   من الطيور الصادح الصافر
ولا نجوم الليل إما رنت   ولا النسيم الخافق العاطر
ما الروض والطير وما زهرة   بها تحلَّى الغصُن الزاهر
سوى مثيرات الجوى فالمنى   هناك نور فاتن سافر
ذاك حياة النفس معبودها   وحبها الأول والآخر

جاء إلى الجدول يوماً لكى   يطفئ ظمئاً وقدُه ساعر
إذا به فى الماء يجلى له   وجه نقى وادع طاهر
الشمس جاءته بلا موعد   زائرة يا حبذا الزائر
فاختلط المفتون فى عقله   كأنما طالعه ساحر
وكاد أن يخذله قلبه   وطاش مما أبصر الناظر
حتى إذا ثاب إلى رشده   والحسن ناه والهوى آمر
خالسها القبلة فى نغبة   أسكره معسولها القاطر
لكنها غابت سريعاً وقد   قام سحاب دونها ساتر
تحجّبت عنه ولمّا قضى   ما ينتويه قلبه الشاكر
كأنها غضبى زوت وجهها   عنه فأودى جدُّه العاثر
هل قصّر العاشق فى عشقه   فكل تقصير له عاذر
إن كان ضعفاً فله راحم   أو كان ذنباً فله غافر
وحينما طاح به بؤسه   والجسم منهوك القوى خائر
خفّ إلى الدوح وفى صدره   طعنة يأس جرحها غائر
خاب فلم يصبر وحكم الهوى   ألا يعيش الخائب الصابر
ومات فى الدوح فأكفانه   أغصانها والورق الناضر
... ...

يا زينة الدنيا ويا فتنة الـ   ـعمر ويا من حبها جائر
إليك منى صورةً فى الهوى   صوّرها عاشقك الشاعر
حسب المنى دمعة حزن على   صب شهيد ما له ذاكر
فأنت تلك الشمس معبودة   حباً وقلبى ذلك الطائر

(الاسكندرية)   **خليل شيبوب**

سوف يحويكَ ضميرى !!
لا تَسلنى . أنت سرِّى
ولأسرارىَ إنى مُضمِرَهْ ...

واستمرّ البحرُ يمتدُّ امتدادا   وكذاك الموجُ يشتدُّ اشتدادا
ثم ردّ الأُفْقُ عينى حاسِرَهْ

حسن كامل الصيرفى



دراسات فى الفن

الزعامة فن

على ذكرى الزعيم سعد

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

ما دام الفن هو التعبير عن الإحساس ، وما دامت الزعامة هى التعبير عن إحساس الجمهور ، فالزعامة إذن فن ، بل إنها فن عريض .

فكيف كانت الزعامة تعبيراً عن إحساس الجمهور ؟

إذا نظرنا إلى المجتمعات البدائية رأينا هذه المجتمعات تحس الخوف من الطبيعة ؛ فهى تستعد للحرب فى كل لحظة ، وهى إما أن تعد لهذه الحرب سلاحاً ، وإما أن تعتمد فيها على القوة البدنية وحدها . ولكنها على أى حال من الحالين تأخذ أهبتها المادية لتقاوم بها أحداث الحياة . فإذا نظرنا إلى الزعماء فى هذه البيئات رأيناهم أشد الناس تعبيراً عن هذا الإحساس المركب الذى يبدأ بالخوف وينتهى بيقظة القوة البدنية . فهم أشد الذين فى هذه المجتمعات حذراً على أنفسهم وعلى مجتمعاتهم ، وهم أشدهم انتباهاً للخطر إذا ادلهم ، وهم أشدهم مقاومة لهذا الخطر ، وهم أشدهم قدرة على قهره ، وهم إلى هذا أشد الذين فى هذه المجتمعات استكمالاً لمميزاتها الملحوظة فيها حتى لايكون الزعيم منهم عرضة لهجوم عاص من شعبه قادر على وخزه فى إحدى نواحيه الضعيفة فيه بينما يكره الواحد من جمهوره أن تكون ضعيفة فيه . فإذا كان من مميزات جمهور أحدهم السرعة فى الجرى إلى جانب ما يهتم به الجمهور من تنمية القوة البدنية وجب على الزعيم أن يكون سريع الجرى إلى جانب الذى امتاز به على الجمهور من قوته البدنية ، وإذا كان من مميزات جمهور أحدهم الخفة فى تسلق الأشجار ، وجب على الزعيم أن يكون خفيفاً فى تسلق الأشجار إلى جانب الذى امتاز به على الجمهور من قوته البدنية . وهكذا .

فإذا تركنا البيئات البدائية رأينا نظرتنا هذه تصدق فى كل الحالات : فى البيئات الزراعية ، وفى البيئات الصناعية ، وفى البيئات الاجتماعية المختلفة ، وبقدر ما تتسع هذه البيئات وتضيق تتسع الزعامة فيها وتضيق . فهناك زعامة للجنس البشرى كله هى زعامة الأنبياء والرسل الذين فاضوا بالهدى على الخلق جميعاً ، وهؤلاء زعامتهم تخلد بعد ذهابهم عن هذه الحياة الدنيا ، وفى هذا تعويض للحصر الذى تلقاه زعامتهم فى حياتهم . وهناك زعامة لجنس من الأجناس البشرية كزعامة موسى الذى يريد هتلر أن يرد عليها اليوم بزعامته الآرية . وقد تدوم هذه الزعامة بدوام الجنس إذا ظل الجنس متشبثاً بأنانية الطفولة وغرورها . وهناك زعامة لجماعة من جنس بشرى يسكنون أرضاً ما ، وهى الزعامة الوطنية كزعامة سعد زغلول ، وهى تدوم ما دامت دواعيها وما ذكرها الذاكرون بعد زوال هذه الدواعى ، وكثيراً ما تزول هذه الدواعى ، لأن مشكلات الوطن كثيرة التقلب

ونحن إذا حسبنا عدد المرات التى استدعت فيها طبيعة التطور والارتقاء الروحيين وجود رسالات إنسانية عامة وجدناه أقل من من عدد المرات التى استدعت فيها هذه الطبيعة وجود رسالات خاصة بحيث نستطيع أن نتصور التطور والارتقاء جاريين فى موجات صغيرة، وهذه تجرى فى موجات كبيرة . وكأن الموجات الصغيرة هى موجات التطور ، وكأن الموجات الكبيرة هى موجات الارتقاء ...

وهذا شىء لا يستغرب؛ فنحن إذا تسللنا إلى نهاية التخصيص

فى البيئات الاجتماعية الإنسانية حتى نذهب إلى مجتمعات الصبيان فى الحوارى والفصول ، وإلى مجتمعات الشبان فى النوادى والحقول ، وإلى مجتمعات النساء فى الشوارع والبيوت ، وإلى مجتمعات الرجال فى الأكواخ وفى القصور ، وجدنا لكل جماعة من هذه الجماعات زعيما ، فإذا أحصينا عدد هؤلاء الزعماء استطعنا أن نؤلف منهم فى كل وطن ألف برلمان تؤيد الزعيم

وعلى هذا كانت أغلى الزعامات هى أندرها ، ولا بد أن تكون أشدها تطابقاً على نظم الطبيعة ، لأن نظم الطبيعة هى العامة وهى الثابتة ، ومراعاة تطورها وارتقائها يجب أن تلحظ فى هذا التطابق . وهذه الزعامة لم تتحقق على أشمل الوجوه إلا فى حالة واحدة هى زعامة النبى الرسول محمد (ص)

وإذا استسغنا بعد هذا القول بأن الزعامة فن تخلقه الطبيعة فى نفس الزعيم كما تخلق الألحان والأنغام فى نفس الموسيقى ، وكما تخلق المعانى والأخيلة فى نفس الشاعر ، فإننا لن نستبعد أن تكون قد تعرضت للصناعة مثلما تعرض لها غيرها من الفنون. وقد تجمل الصناعة الزعيم إذا كان رائدها التحسين والتجديد . وقد تتلف الصناعة الزعامة إذا حادت بها عن اتجاهها الطبيعى إلى اتجاه آخر كالرغبة فى الجاه ، أو الرغبة فى المنفعة ، وهذا هو ما يحدث للفنون جميعاً من موسيقى وشعر وتمثيل ورقص وتصوير وغير ذلك

ولما كان أغلب المجتمعات البشرية اليوم قد تعلم القراءة والكتابة ، ولما كان من الحتم أن يكون الزعيم فى كل مجتمع من هذه المجتمعات قارئاً كاتباً ، فإن الزعماء فى هذه الأيام يقرأون ويكتبون : الزعماء السياسيون ، والزعماء الفنانون — أى الذين يمارسون الفنون الجميلة — والزعماء الماديون ، والزعماء جميعاً . وهم يقرأون فيما يقرأون تواريخ الزعماء السابقين ، وبهذه القراءة يستطيع الزعيم الضعيف فى ناحية من النواحى أن يقويها ، أو أن يغطيها أو أن يدعيها . . . وما دام باب الادعاء قد فتح مع غيره من أبواب التصنع ، فقد أصبح من الميسور فى هذه الأيام أن يدعى الزعامة فى أى ناحية من نواحى الحياة مدع ليس بزعيم .

فكيف يستطيع الإنسان فى هذا العصر إذن أن يحكم على الزعيم بأنه زعيم حقاً ، أو أنه قد استطاع أن يجعل نفسه زعيماً لأنه زعيم ، ولكن فى نوع من أنواع التفكير ، وقد كان المجتمع فى حاجة إلى زعيم فى الإحساس والتعبير عن هذا الإحساس ، وما يصحب هذا التعبير من جهاد ؟

نستطيع أن نصل إلى هذا الحكم العادل إذا نحن راجعنا إحساس المجتمع ، وراجعنا ما يجب أن يكون التعبير به عن هذا الإحساس ، وراجعنا إلى جانب هذا إحساس الزعيم وتعبيره عنه وطابقنا هذا على ذاك ... فإذا انطبقا وكان الزعيم بعد ذلك سائراً بشعبه إلى ما يؤمله فهو زعيم ، وإلا فهو ذاك المفكر الذى ذكرناه

وهذا هو ما يسمى فى الفن بالطابع . فأشد الفنانين تمكناً من الفن عند جمهور من الجماهير هو أشد الفنانين تمكناً من طابع هذا الجمهور الذى يطبعه ويميزه من غيره من الجماهير

وقد اتفقنا فى أحاديث سابقة على أن الفنون تسمى بالبشرية متجمعة أو متجزئة فى طريق التطور والارتقاء ، والزعامة كذلك مادامت فناً ، وأشرفها إذن ما كان أكثرها تقريباً للمستقبل من الحاضر

ومن الزعامة ما تكون لحالة طارئة ، تزول بزوال هذا الحادث أو تدوم — إذا دامت — حتى يسحب ذيوله . وقد يحدث أن ينزع جمهور من الجماهير إلى أن يتناسى زعيماً من زعمائه فى حياته بينما هو لم ينحرف عن جادته فيستغرب الزعيم هذا ويستغربه معه آخرون ، ولا يكون لهذا من سبب إلا أن زعامة الزعيم كانت طارئة استدعاها حادث طارئ . ومثال هذى زعامة هندنبرج التى أبقاها عليه هتلر فى السنوات الأخيرة من حياته بينما كان الشعب يريد أن يحل زعامة هتلر محلها لأنه رأى نفسه يحس شيئاً جديداً زيادة على النزعة الحربية التى كانت تعبر عنها زعامة هندنبرج ، ولأنه رأى هتلر يعبر عن هذا الإحساس. ولم يقل أحد إن هندنبرج كان قد فقد شيئاً من مميزاته الشخصية إلى آخر يوم من أيام صحته ، وإنما الذى حدث هو أن الحادث الذى تزعم له هندنبرج ألمانيا لم يصبر حتى تنتهى حياة هندنبرج ليسحب بعدها ذيوله ... وذلك

الحادث هو الحرب الماضية وآخر ذيولها الذى سحبته عن ألمانيا هو الرضى الذى خنعت به السنوات الطويلة أمام شروط الصلح وما كان فيها من روح التشفى والانتقام . وهناك زعامات ماتت فى حياة أصحابها ولم تجد من يحفظها عليهم

ومن الزعامة ما يكون قريباً يلحقه جمهوره بسهولة فلا يعود يحفل به إلا كما يحفل المرء بهدف قريب وأصابه . وقد يتقى الزعيم من هؤلاء الزعماء كما يتقى الزعيم من السابقين زعماء الطوارئ شرّ هذا الركود الذى يصيب زعامته لزوال الطارئ أو لضآلة الزعامة ، وهو يتقى هذا الركود باختلاق الحوادث فى الحالة الأولى وبفلسفة الزعامة وتعقيدها فى الحالة الثانية حتى يظن الجمهور أن وراء قبة الزعيم شيخاً فيتابعه ويظل يتابعه وهو لا يدرى إلى أين يسير به زعيمه . ولعل المثل الصالح للزعيم الذى ينطبق عليه هذان الوصفان معاً هو نابليون ، فقد ظل يأكل عقول الفرنسيين ويسحرهم حتى نفى ونفيت معه فرنسا من مجتمع الدول ذوات الحول والرأى النافذ ، وقد يكون موسولينى من بين الزعماء الأحياء الذين يشبهون نابليون فى هذا

وإذا كنا نحن اليوم وعلى البعد نستطيع بغير تحرج وبغير تهيب أن نقرر هذه الحقائق وأن نصف هؤلاء الزعماء بهذه الأوصاف فإن أحداً ممن كانوا فى متناول أيديهم لم يكن ليجرؤ على شىء من هذا، لا خشية من هؤلاء الزعماء أنفسهم، فالأرجح أن فيهم من الحكمة ما يوسع صدورهم للنقد الحق على الأقل ، بل خوفاً من جماهير هؤلاء الزعماء . فإنهم يكرهون أشد الكراهية أن ينقد زعماؤهم بالباطل أو بالحق ، لأنهم فى العادة يقيمون من هؤلاء الزعماء أوثاناً تمثل أعز أمانيهم فى الحياة ، وهم لهذا لا يحبون أن يخدش أحد زعماءهم ما دام هذا الخدش يصيب أمانيهم العزيزة النالية فى أجسادها . وهذا واضح اليوم فى الترك الذين يتعصبون لمصطفى كمال تعصباً أعمى لا روية فيه ، كما أنه واضح فى شعبى هتلر وموسولينى ، وكما أنه واضح فى جماهير المعجبين بالفنانين المشهورين ، فقد يقبل الفنان النقد يوجه إليه من ناقد صادق ، بينما جمهور هذا الفنان لا يحب أن يلتفت إلى عيب فيه

هذا إذا كان الزعيم فناناً من هواة الحق ولم يكن مهرجاً . أما إذا لم يكن من أصحاب الحق فهو كأدنى فرد من أفراد الجمهور الأعمى يحب الشقشقة ويحب الطنطنة

والزعيم الفنان « يتكون » كما تقدم فى أول هذا الحديث بطريقة طبيعية هى طريقة الانتخاب ، ولكنه ليس انتخاب الأصوات ، وإنما هو انتخاب الضمائر ، بحيث لو نزع من مكانه وأحل محله غيره لظهر هذا الجديد وفيه النقص والشذوذ والتكلف

وتستطيع المجتمعات أن تساعد الطبيعة فى تكوين الزعماء : كما أنها تستطيع أن تعرقل هذا التكوين ؛ وهى تساعد على تكوينه بأن تتزود من الإحساس الداعى إلى التعبير عنه أو الذى تريد أن تعبر عنه ، وبكثرة المحاولة فى التعبير عنه ، وهى تساعد على عرقلته بإهمال هذا الإحساس ، وإهمال التعبير عنه

والأصل أن يحدث هذا بدافع من الطبيعة وحدها . ولكن إذا مست حاجة الشعب إلى الزعيم القائد وانتبه عقله إلى هذا ، فإنه يستطيع أن ينتج زعيماً باصطناع هذه الطريقة التى رسمتها الطبيعة لإنتاج الزعيم ما دام بين أفراده من يصلح بطبعه لأن يكون زعيماً . ولعل هذا هو الذى تحاوله مصر الآن ، فلا ريب أن فيها حركة يقوم بها بعض الأفراد يريدون من ورائها أن يتيقظ الجمهور المصرى فيرهف حسه للحياة ، فيرجح بعد ذلك أن يعبر الجمهور عن إحساسه بلسان زعيم لا نزال ننتظره منذ مات سعد زغلول

ولا ريب أن الزعيم المصرى المنتظر يختلف اختلافاً كبيراً عن سعد زغلول ، فقد كانت حال المصريين التى استدعت زعامة سعد حالاً لا تملك إلا أن تهتف أو أن تثور متخبطة فى ثورتها ، ثم أن تهدأ بعد ذلك حتى تستجمع قوتها لتهتف وتثور من جديد. وقد كانت زعامة سعد تصور هذه الحال فى خطبه الرنانة ، وفى بياناته الطنانة ، وفى نكاته اللاذعة القاسية التى كان يلقى بها تلطيماً ما يعترض زعامته أو ما يقاوم اتجاهها الذى تقود فيه جمهورها .

أما الزعيم المنتظر فهو الذى سيكون إحساسه أشد من إحساس المصريين بالحال الذى نحن فيه ، الذى سيكون أشد المصريين تعبيراً عن هذا الإحساس ، وأشدهم مقاومة لدواعى الشر

فيه ، وأشدهم إلهاباً لدواعي الخير فيه .

والحال الذى نحن فيه الآن يغلب عليه الجهل والجوع والضعف والحيرة ، فزعيم المستقبل لذن هو الذى سينقذنا من هذا كله، والذى سيعيد إلينا مصريتنا ناصعة ممتزة بكل مفاخر الفراعنة والعرب والإسلام ، وهو الذى تحاول الأزمات المتعاقبة على الوطن فى هذه الحقبة من الزمن أن تتمخض عنه .

وإننا نرجو الله أن توفق مصر فى زعيمها الجديد كما وفقت فى زعيمها الراحل . فالحق أنه لم يكن من الممكن أن يكون لمصر زعيم أفضل فى صفاته الشعبية من سعد زغلول فى ظروف زعامته . وقد أثمرت هذه الزعامة ثمرتها الطبيعية وهى هذه الحال التى نحن فيها الآن ، والتى زاد فيها إحساسنا بالحياة ، وزادت فيها قوة تعبيرنا عن هذا الإحساس ، وزادت فيها محاولتنا إلى بلوغ أمانينا ...

فمن هو الزعيم الذى سينبعث منا ؟ . . . لا ندرى

ومتى ينبعث ؟ ... لا ندرى أيضاً ... فقد يتدرج الزعيم فى الظهور إذا لم تتحرج الحياة فيظهر فجأة

ومهما قيل إننا ارتقينا على يدىْ سعد ، فإننا لا نزال على مقربة من عهده ، فالزعيم الجديد ستكون فيه من سعد صفات هى ترديد ما لا يزال مضمراً فى نفس الشعب المصرى من الإحساس منذ أيام سعد ، وهى صدى هذا الإحساس المضمر وترجمته . فلا بد أن يكون الزعيم المقبل خطيباً إذا جاء قريباً لأن الخطابة هى التى يجمع بها الزعيم أشتات الأحاديث والأمانى التى يرددها الجمهور فيما بين أفراده ، وإن شعبنا لما يصل من الرقى إلى حيث يمكن أن يظهر فيه زعيم صامت أو قليل الكلام

فإذا كان هناك زعيم فى الخفاء اليوم ولم يكن خطيباً لأنه أرقى من مستوى الشعب ، فإنه يستطيع أن يتدرب على الخطابة فإن لها صنعة ، وصنعتها تجوز على الجماهير

وعند ما يهون أمر الخطابة فلا تكون من عماد الزعامة فى الشعب المصرى فإنه سيكون قد بلغ من الرقى مبلغاً يقف به إلى جانب الإنجليز الذين يقودهم المجربون والنافعون .

عزيز أحمد فهمى

حـــول الفن المنحط

للأستاذ كامل التلمسانى

قرأنا بالعدد ٣١٩ من الرسالة الغراء كلمة بعنوان « حول الفن المنحط — كلمة أخيرة » رداً على ما كان قد كتبه أديب فاضل عن جماعة « الفن والحرية » ، وما كان من نقاشه مع الأديب أنور كامل عضو الجماعة فى رده عليه من ناحية توخى فيها أنور كامل البعد عن التفاصيل الفنية وذكر الأسماء والتواريخ . أما وقد ذكر الأستاذ الفاضل فى كلمته هذه اسم الأديب الشاعر أندريه بريتون André Breton وترجم كلمة قديمة له عن السير يالزم Surrealism ثم تكلم بعد ذلك معقباً بكلام من عنده ؛ فلهذا فقط أجد نفسى مضطراً لتصحيح ما أورده من الأخطاء فى حق هذا الكاتب وحركته . ولكيلا أتيح الفرصة للقراء الأفاضل بأن يروا صورة مشوهة ممسوخة لهذه الحركة العالمية التى تعبر عن أسمى وأنبل المشاعر الإنسانية فى القرن الحاضر ، والتى وصلت عن طريقها الحضارة الفنية سواء فى الشعر أو التصوير الحديث إلى الدرجة العليا واضعة بذلك قاعدة المدرسة المعاصرة فى الشعر الحر والتصوير المبنى على الفكر الشاعرى والتحليل النفسانى الحديث . ولعل الزملاء من المعارضين قد يتحرون الدقة بعد ذلك فى إيراد ما يريدون من مصادره الأخيرة الموثوق بها بشأن هذه الحركة التجديدية التى ما زالت تتسع وتتجدد حتى اليوم ولا يقف أمام نشاطها ركود الفكر أو خمول البحث والتنقيب .

والظاهر أن الأديب الفاضل قد اكتسب معلوماته عن السير يالزم « الفن البعيد عن الحقيقة الظاهرة » كما يتضح من كتابته عن طريق تلك الفقرات التى أتت إجمالاً فى كتاب : « Bohemian, Literary & Social Life in Paris » ونحن نعتقد أن مجرد قراءة فقرات كهذه كتبت منذ عدة سنوات لا تخول له الحق فى التحدث بمثل ما تحدث به، وأن فى هذا جناية على الفكر والكاتب الذى تحدث عنه ، و « للرسالة » بما لها من

تأثير وانتشار لا يقف مداه عند مصر ، بل يتعداه إلى الشرق العربى أجمع ! ولهذا وجب أن نذكر هنا هذه «الكلمة الأخيرة» رداً على كلته وليس لنا رجعة بعد ذلك اللهم إلا فى نشرات تحليلية مفصلة أومعارض ومحاضرات عامة يتسع لها الموسم الشتوى المقبل وهو قريب

لقد تطور السيرياليزم فى السنوات الخمس الأخيرة تطورات عدة بعيدة المدى فى جوهرها ، ونشر أندريه بريتون فى هذه المدة عدة بيانات متتابعة عن الحركة وما تجدد فيها وما اكتسبت من آراء وفكر ؛ وكان آخر هذه التطورات مقالته الرائعة فى العدد الأخير من مجلته : مينوتور Minotaur والتى لا بد للأستاذ من الاطلاع عليها وعلى ما سبقها من مقالات ، إذ بحثت بجلاء الاتجاهات الأخيرة فى التصوير السيرياليستى ، كذلك ما كتبه أقطاب الحركة من النقاد والشعراء والكتاب الفرنسيين والإنجليز

والسيرياليزم ليست « حركة فرنسية محضة » كما يقول الأستاذ بل هى حركة أول مميزاتها أنها عالية فى التفكير والأداء ، وليس لها من الطابع المحلى أدنى نصيب قل أو أكثر . وإنه لمن المدهش العجيب حقاً أن يسمح الأستاذ لنفسه أن يقع فى مثل ما كتب من الخطأ الفاحش ، وإنى لأنصحه فى هذا الموضع بقراءة ما كتبه الناقد الإنجليزى الكبير هربرت ريد Herbert Read فى كتابه عن الحركة السيرياليستية Surrealism وما أورده بشأن العالمية وهذه الحركة الحرة وبعدها كل البعد أن تتهم بأنها فرنسية محضة كما قال الأستاذ . بل إنى أخبره أنه ليس بين قادة التصوير فرنسى واحد، فالمصور جورجيو دى كريكو Chirico إيطالى يونانى، وسلفادور دالى Dali أسبانى وكذلك بيكاسو Picasso نفسه، وبول كلى Klee ، وماكس أرنست Ernist من ألمانيا، وبن روز Rose Pen إنجليزى، وكذلك هنرى مور Henry Moore ؛ وأما بول دلفو Poul Delveaux فهو بلجيكى ، وشجال Chagale روسى الجنسية وهكذا... هؤلاء يا سيدى الفاضل هم قادة الحركة. ومن السخرية أنه لا يوجد بينهم فرنسى واحد !! وليس للفن بلد يا صديقى. فلقد أخطأت عندما قلت فيما قلته : « وأظن أن الحركات الفنية لا تنتقل بمثل هذه السهولة من قطر إلى آخر ... دعك من حديث الشخصية والإلهام ... »

وعلى ذلك فهناك حركة مماثلة فى كل من أنجلترا والمكسيك وبلجيكا والولايات المتحدة وهولاندا الخ. فهل ترى يا سيدى أنه من العيب أن تقوم بعض الصور المصرية مستندة أو متأثرة بمثل هذه المدرسة !. إننا نريد حضارة تسير مع العالم ولا نريد أن نقف حين يسير الجميع . ثم إنى أنصحك أيضاً أن تقرأ فى هذا الموضوع نفسه افتتاحية عدد يناير ١٩٣٩ من مجلة Clé لتعرف بنفسك فى صمت أنك بعيد عن فهم هذه المدرسة

هل رأيت ياسيدى (عروسة المولد الحلاوة) ذات الأيدى الأربع؟

هل رأيت عرائس القراقوز الصغيرة ؟ وهل سمعت قصص أم الشعور والشاطر حسن وغيرها من الأدب الشعبى المحلى ... كل ذلك يا سيدى سيريا ليزم

هل رأيت المتحف المصرى . . . كثير من الفن الفرعونى سيريا ليزم

هل رأيت المتحف القبطى . . . كثير من الفن القبطى سيريا ليزم. إننا لا نقلد المدارس الأجنبية بل نخلق فناً نشأ من تربة هذه البلاد السمراء وتمشى فى الدماء من يوم كنا نعيش بتفكيرنا المطلق حتى هذه الساعة يا صديقى

تقول يا سيدى إن هذه الحركة الفرنسية كما زعمت « باعثها الأول نظريات العالم سيجموند فرويد » . هذا كلام عام فيه كثير من التهويل واستدرار التصفيق من أيدى الجمهور — إن كان الجمهور عماده الجهل – بدون حق . هذا كلام بعيد عن التحليل الدقيق ، ففرويد له قيمته عندهم وعند كل العالم الحر المطلق الديمقراطى النظيف فى فكره وتفكيره . وهل هى جريمة يا سيدى أن يدخل التحليل المبنى على أساس نظريات فرويد Freudism فى التصوير كما هو كائن فى الأدب والشعر فى بلدنا هذا وهو بلد حر ديمقراطى؟ وليست مصر حتى الآن قطعة من ألمانيا ولم تستعمر إيطاليا بلدنا بعد حتى تحرق مؤلفات فرويد فى الميادين العامة بين صيحات الفرح والوحشية ... ! لا يا سيدى ما زالت مصر ديمقراطية وتأثرك بالفكر الفاشى والنازى بنظرتك هذه إلى فننا يجب أن تكبتها وترى لنفسك الطريق القويم ... هل تعلم يا سيدى أن صور محمود بك سعيد كبير المصورين كلها فرويدية

Freudism وأن معظم كتابات الأستاذ محمود تيمور بك وتوفيق الحكيم وغيرهما كذلك

ليس لمجرد استناد فننا إلى نظريات فرويد — لو كان فى ذلك بعض الصواب عند بعضنا — ما يدعوك لدعوة مثل هذا الفن بالانحطاط بأعلى صوتك ؛ أنصحك هنا يا سيدى أن تعرف قبل أن تكتب هذا علاقة هذه الصور بالعلامة سيجموند فرويد . إنى أدلك على هـذه العلاقة فى فصل ممتع بكتاب Art & Society للنقادة Herbert Read أو ارجع إلى ما كتبه السير ياليست الإنجليزى فى أعداد London Bulletin عن ذلك أخيراً

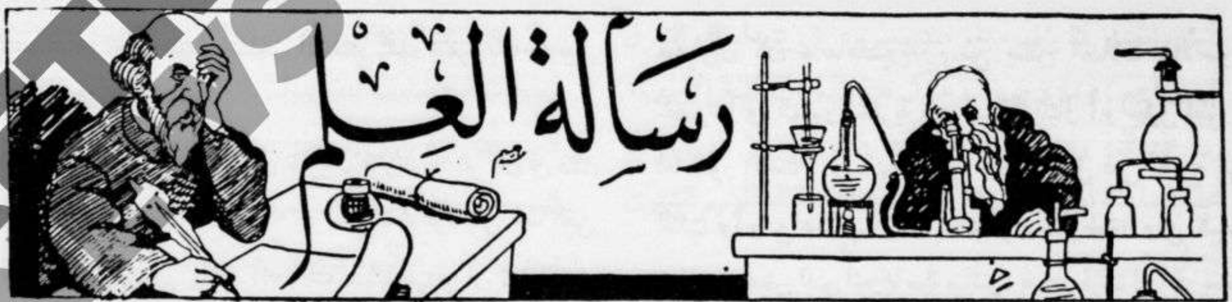
لقد ذكرت فيما نقلت من مقالك لتستشهد به كلمة « الكتابة الآلية » فهل تدرى يا سيدى أن هذه الكتابة الآلية Automatic writing قد ولت وذهب زمانها الآن . إن الشىء الحى يتجدد دائماً من تلقاء نفسه . ولا داعى للاستشهاد اليوم يا صديق بشىء عرفت عنه شيئاً الآن فقط بعـد أن تركه أصحابه بالصورة التى عرفته عليها . هل قرأت يا سيدى الأستاذ ما هو السير يالزم ؟ What is Surrealism ! by André Breton إنى واثق أنك لم تقرأه وإلا لـما استشهدت بقوله الذى ذكرته اليوم وإن كان قد قاله منذ سنوات عدة والذى لم تذكر ما قدم له به وما ذكره بعـد ذلك . ربما تجد إحدى الصور التى قد تسرك يا سيدى فى محاضرة قالها الشاعر المصرى بالفرنسية جورج حنين عضو الجماعة نشرتها له مجلة Revue des conférences Françaises en Orient التى تصدر بالقاهرة عدد أكتوبر ١٩٣٧

وأخيراً هل تعلم يا سيدى أن زعيم النقد فى مصر أحمد بك راسم وهو رجل له رأيه فى الفن منذ كتب للفن أن يظهر فى مصر قد تكلم عن ثلاثة من أعضاء هذه الجماعة من المصورين فى عدة مقالات ذكر فى آخرها بالأهرام ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٨ وبالبلاغ ١٥ أكتوبر سنة ١٩٣٨ تأثير الفن الشعبى والفن الشرقى فى فنون هؤلاء الفنانين وهم الأستاذان كامل وليم وفتحى البكرى وكاتب هذه السطور . إن بعض الأعضاء فى هذه الجماعة مثل أبو خليل لطفى وحسين يوسف أمين قد بلغوا بفنهم درجة ثقافية عالية بالفن الشعبى المحلى فى فهم خيال وفكر شخصى لا دخل للسيريالزم فيه وإن كان به ما بالسيريالزم من بعض الصلات والأصول خصوصاً فى الصور الحفرية التى يعملها المثال أبو خليل لطفى . أما صور الأستاذ يوسف العفيفى وفؤاد كامل فهى تخرج من القلب تواً ومن أعصابهما ودمائهما تتكون خطوطهما، وفن كليهما شخصي محض ليس لغيرهما صلة مباشرة به عن قرب أو عن بعد .

إنى أحب أن أجيبك هنا بما أجاب به أستاذنا يوسف العفيفى أحد النقاد المعارضين لنظريته يوماً إذ قال له : « إن السيريالزم ما هو إلا الاسم العلمى الحديث لـما نسميه نحن : الخيال . حرية التعبير . حرية الأسلوب ، والشرق منذ الأزل موطن كل هذا »

وليس لنا عودة بعد هذا . ولعل فيما ذكرت وأوردت فى إيجاز ما يدعو قراء الرسالة الأفاضل لقراءة بعض هؤلاء الكتاب والنقاد

كامل التلمسانى
عضو جماعة الفن والحرية



الشقيقـــان

الألكترون والبوزيترون أو السالب والموجب

للدكتور محمد محمود غالى

ذكرنا أن المادة مجموعة من الذرات ، وأن الكهرباء مجموعة من الذرات الكهربائية ، أسماها العلماء « ألكترونات » ، كتلة الواحدة منها حوالى ١/٢٠٠٠ من كتلة أخف الذرات (ذرة الهيدروجين) ، وذكرنا أدلة حسية على وجود هذه الألكترونات أو الجسيمات المتناهية فى الصغر . من ذلك أن المجال المغناطيسى يجذبها كما تجذبنا الكرة الأرضية ، وذكرنا أن مسار هذه الجسيمات يدل على أن كهربائيتها سالبة . والآن نخطو بالقارئ خطوة أخرى لنحدثه فى نوعى الجسيمات الكهربائية . فكما أن العناصر المادية تبدو لنا مختلفة وفق اختلاف الذرات ، كذلك الكهرباء تبدو لنا مختلفة وفق نوع الذرات الكهربائية ، فنى المادة ـ ترى مثلاً ـ الماء المكون الأعظم لسطح الكرة الأرضية ، هذا الماء الذى يروى النبات الذى عليه نعيش ، وفى المادة نرى المعادن نُكوّن بتكييفها أعظم معالم المدنية .

وفى الكهرباء نرى نوعين مختلفين من الذرات ، الذرات السالبة والذرات الموجبة ، والأولى تكوّن التيار الكهربائى وقد عرفنا أنها مكونة من جسيمات صغيرة جداً تتدفق فى المادة كما يتدفق النيل فى بلادنا حاملاً أمطار الحبشة سر رخائنا وأصل ثروتنا ، والثانية مكونة من جسيمات صغيرة جداً تساوى كتلة الواحدة منها كتلة الأولى تقريباً وشحنتها موجبة . ولقد عكف العلماء على البحث عن ماهية هذه الكهرباء الموجبة دون أن يجدوا وسيلة واحدة لفصل جسيماتها عن المادة التى تحملها كما حدث أن استطاع الباحثون التعرف على الجسيمات السالبة بعيداً عن المادة

حقيقة أمكن الحصول داخل أنابيب التفريغ الكهربائى على تيارات موجبة نعنى تيارات تسير من القطب الموجب إلى القطب السالب ، ويصح تسميتها الأشعة الموجبة Rayons Canaux ، ولكن اتضح من تعيين كتلة وحدات هذه الأشعة أنها كتلة ذرات الغاز المتبقى فى هذه الأنابيب ، بحيث أن هذه الذرات تتكون من ذرات الغاز بذاته ، ولا تمثل الذرات الكهربائية الموجبة ، وهكذا اعتقد الكثير أن الكهربائية السالبة هى وحدها التى تظهر على شكل ألكترونات حرة ، بيد أن الكهربائية الموجبة لا تنفصل عن المادة وتكون جزءاً منها .

وعند ما أمكن لمليكان العالم الأمريكى المعروف أن يحصل فى سنة ١٩٠٧ على ألكترون حر واحد ويتأكد العلماء كلهم معه كما سيعرف قريباً قارئ الرسالة أن هذا الذى حصل عليه هو الكترون حر واحد ليس باثنين أو بثلاثة ـ زاد تعطش العلماء إلى العثور على أثر جسيمات الكهربائية الموجبة حرة طليقة ، ومرت السنون طويلة منذ حادث « مليكان » دون أن توجد مناسبة علمية واحدة استطاع الباحثون فيها أن يحصلوا على شقيق الألكترون التائه كأنه لم يكن من أبناء هذا العالم الذى نعيش فيه

وشاءت الظروف أن يكون كشف الذرة الموجبة فى المعهد ذاته الذى أحرز فيه « مليكان » نجاحه المنقطع النظير[1] ،

(١) سنتكلم فى مقال قادم عن كيف استطاع «مليكان» أن يحصل على الكترون حر واحد وكيف أثبت الحساب وجود هذا الألكترون

وفى المعهد الشهير الذى يديره « مليكان » فى باسادينا بكاليفورنيا كشف « أندرسون » Anderson حديثاً الذرة الكهربائية الموجبة، هذه الذرة التى أسماها العلماء فى بادئ الأمر (البوزيترون) أى الذرة الموجبة والتى فضّل « بيران » شيخ علماء السوربون أن يحذف الراء من هذه التسمية ويطلق على الذرة الموجبة (بوزيتون) وذلك فى كتاب[1] « حبيبات المادة والضوء » Grains de Matière et de Lumière ولقد كان هذا الكشف من ناحية أندرسون نتيجة لدراسة خاصة بالأشعة الكونية التى كتبنا عنها أربع مقالات بالرسالة وألقينا محاضرتين عنها هذا العام إحداها فى الجمعية الطبية العلمية بكلية الطب، والأخرى فى جمعية المهندسين الملكية. والظاهر أن جزءاً هاماً من هذه الأشعة الجديدة على معارفنا يتكون من الذرات الكهربائية الموجبة كما أن لهذه الأشعة قوة اختراق عجيبة بحيث تستطيع عندما تتصادم مع المادة أن تخرج منها الذرات الموجبة التى اتضح أن كتلتها تعادل كتلة الألكترونات ذرات الكهربائية السالبة.

ولقد استطاع الباحثون باستعمال أشعة جما الراديومية أن يحصلوا على البوزيتون. وهكذا اتضح أن عملية إخراج الذرات الموجبة من المادة أصعب بكثير من إخراج الذرات السالبة، هذه الذرات الأخيرة تظهر فى الأحوال العادية كجسيمات حرة، فهى التى تحدث كل الظواهر الكهربائية المعروفة بالظواهر الألكترونية التى تعد من بينها الأشعة الكاثودية وتعد من بينها كل هذه الألكترونات المهاجرة والسريعة التى تكون الأساس فى فن الراديو حيث تعد هجرة الألكترونات فى الفراغ من سلك « الأمبول » حتى « الأنود » العمل الأساسى فى نجاح هذا الفن

على أن معرفة هذه الحالة الذرية للكهرباء التى ابتدأت بمعرفة الألكترون وانتهت بمعرفة شقيقه « البوزيتون » وفصلهما عن المادة وقياس كتلة كل منهما، كل هذا صحح فى الأذهان الصورة الحقيقية التى عليها ظاهرة الكهرباء، وبعد أن كانت التيارات الكاثودية معتبرة عند العلماء حالة خاصة لظاهرة الكهرباء، فهم الباحثون أن الهجرة الحرة للجسيمات الكهربائية هى الحالة العامة الطبيعية، فالألكترون مهاجر حر يسافر فى كل مكان وفى أى اتجاه بسرعة كبيرة تعادل سرعة الضوء، وما المادة عند ما تجرى الكهرباء فيها إلا وسطٌ مقاوم لطبيعتها الحرة، وسواء اعتبرنا «الأمبول» للفرغة مكاناً تسبح فيه الكهرباء أو اعتبرنا الأسلاك النحاسية مكاناً تروح وتغدو فيه، فالكهرباء فى الحالتين ظاهرة واحدة ... الكهرباء شخصيات مهاجرة وعوالم متنقلة، وليس ثمة فارق بين هجرتها فى الأنابيب المفرغة وهجرتها فى الأسلاك إلا أنها فى الأخيرة تعمل لها طريقاً بين ذرات المادة المتراصة وتعانى فى هذا السبيل ما نسميه المقاومة الكهربائية

***

عند ما تحادث من القاهرة صديقاً لك بالاسكندرية وتستمر المحادثة بينكما ست دقائق فى المساء كما هو المتاد، فإن كل لفظة تسمعها تُترجم فى الواقع من بلايين البلايين من الشخصيات المهاجرة فى السلك النحاسى الذى مَدَّه العمال بين العاصمتين. عند ما تقول لصديقك فى التليفون « كيف حالك » فقد حدث فى هذه اللحظة من جراء صوتك بضع مئات الآلاف من الذبذبات التى تمثل صوتك والتى يمكن تسجيلها والتى كان لها أثر على التيار الكهربائى بينكما، وفى كل حرف نطقت به وقعت حرب عوان لا تقارن بها مواقع فردان والمارن، فإن ملايين الملايين من المهاجرين كانت تدفع طريقها بصعوبة وسط ملايين ملايين الذرات المادية كجيش محارب اضطر أن يجتاز صفوف العدو أو أن يخترق مدينة مزدحمة بالسكان وكان لا بد له فى الحالين من مجهود مضن قبل أن يكون قد اخترق كل ما أمامه

هذه العلاقة بين عدد المهاجرين وشكل الذبذبة ثابتة لدرجة

---

(١) كتاب حديث لجان بيران أستاذ السوربون الحائز على جائزة نوبل وهو الذى عينه « ليون بلوم » زعيم الحزب الاشتراكى فى فرنسا وكيلا لوزارة الأبحاث العلمية فى وزارته السابقة كما عين بنت مدام كيرى المرونة فى مثل هذا المنصب، وفى هذا الكتاب نرى فى الفصل الرابع وفى الصحيفة ١٩ هذه التسمية الجديدة. ونطالع فى الأسطر الأخيرة من هذا الكتاب القيم كلمات الشكر التى يتقدم بها العالم الشيخ لابنه العالم الشاب « فرانسيس بيران » Francis Perrin على ما بذله معه من مجهود

أنه أمكن التوسع أخيراً فى طريقة نقل المكالمات التليفونية ، بحيث أنه يمكن الآن على سلك واحد أن يتكلم حوالى ٣٥٠ متكلما فى وقت واحد بحيث يمكن فى الحال تحليل الأصوات أو بالأحرى التذبذبات عند خروجها من السلك الذى يضمها جميعاً فيسمع كل متكلم صاحبه فى الوقت ذاته الذى حدثت فيه المكالمات جميعاً ، وقد تمت مثل هذه الخطوط بين كثير من البلاد الكبيرة نذكر منها على سبيل المثال الخط الرئيسى بين لندرة وبرمنجهام وبين هذه ومانشستر . وقد قدر العلماء أنه فى الأحوال العادية يهاجر فى واحد على الألف من الثانية حوالى كانتيليون من الألكترونات

***

ولقد درس العلماء ما يحدث فى التوصيل الكهربائى وكشفوا ظواهر غاية فى الأهمية ، وعرفوا ما ينتج من ضعف المقاومة الكهربائية عند تبريد الأسلاك الموصلة تبريداً بلغ فى هذه التجارب درجة الهواء السائل ، وقد وجدوا أن التيار الكهربائى يستمر عند هذه الحالة عدة ساعات دون أن يُغذِّى الأسلاك التى يولد التيار فيها أى منبع كهربائى ، طيلة هذه المدة ، وفى حلقة معدنية محاطة بهيدروجين سائل كون الباحثون بطريق التأثير Induction تياراً كهربائياً ، وذلك بتقريب مغناطيس من الحلقة ؛ ومن جامعة ليد Leyde الشهيرة نقل الباحثون بالسكك الحديدية الوعاء المحتوى على الحلقة إلى جامعة أيترخت Utrecht حيث اتضح بواسطة الجالفانومتر أن التيار المتكون بالتأثير لازال موجوداً وأن الألكترونات لا زالت تدور دورانها فى الحلقة[1] ولعل ذلك راجع إلى هدوء نسبى فى التهيج الذرى المستديم والواقع فى الحلقة المعدنية بحيث وجدت الألكترونات طريقاً سهلاً بين هذه الذرات التى اقتربت بهذا التبريد من السكون

وعليه فثمة ثلاثة أنواع رئيسية من الجسيمات :

(١) الجزيئات وهى المكونة للحوادث الطبيعية

(ب) والذرات وهى المكونة للتغييرات الكيميائية

(ج) والألكترونات ومعها البوزيتونات المكونة للظواهر الكهربائية

أما أن يكون الجزىء مركباً من ذرات فهذا لا جدال اليوم فيه إلا إذا أزلنا من العلوم علم الكيمياء . وأما أن تكون الذرة مركبة من مكونات أصغر منها أهمها الألكترون والبوزيتون فهذا أيضاً أمر لا شك فيه وإلا جاز لنا أن نستغنى عن كل معارفنا فى الكهرباء

هذان الشقيقان يلعبان دوراً هاماً فى معارفنا ، وسنحاول مع القراء أن نتعرف عليهما أكثر من ذلك .

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

(١) يمكن الاطلاع على هذه الأبحاث فى مذكرات الجمعيات العلمية الهولندية ويذكر ريشنباخ هذه الأبحاث فى كتابه الأتوم المترجم للفرنسيه فى مجموعة فلاماريون ص ١٧٥

من هنا ومن هناك

لو كنت يهودياً

[ملخصة من مقال « للمهاتما غاندى »]

كل عواطفى تتجه نحو اليهود ، فقد توشجت بينى وبينهم أواصر المودة أيام إقامتى بجنوب أفريقيا ، وصار لى بعضهم أصدقاء مدى العمر ، فأتيح لى أن أعرف كثيراً عن هذا الاضطهاد الأبدى الذى يعانيه اليهود عن طريق هؤلاء الأصدقاء . إنهم المنبوذون فى المسيحية . ولقد أرى وجه الشبه يتقارب كثيراً بين المعاملة التى يعاملهم بها المسيحيون ، والمعاملة التى يعامل بها الهندوس طائفة المنبوذين . فقد كان الدين هو الذريعة التى ارتكبت باسمها تلك المعاملات الهمجية التى تعانيها الطائفتان . فإذا وضعت تلك الصداقة جانباً ، ونظرت إلى الأمر من ناحيته العامة وجدت عواطفى جميعها تتجه نحو اليهود

إن المبادئ السامية تقضى بأن يعامل اليهود كغيرهم من خلق الله أينما ولدوا وحيثما نشأوا فاليهود الذين يولدون فى فرنسا فرنسيون ولا شك ، كما أن المسيحيين الذين يولدون فى فرنسا فرنسيون . فإذا اتخذ اليهود فلسطين وطناً لهم ، هل معنى ذلك أنهم يستمرئون فكرة إخراجهم مقهورين من ديارهم ؟ أو أنهم يريدون أن يكون لهم وطنان يعيشون فيهما كيف يشاءون ؟ إن تلك الصرخة فى طلب الوطن القومى تعطى الألمان حجة براقة اللون لطرد اليهود

إن اضطهاد الألمان لليهود على أى وجه نظرنا إليه ، يلوح لنا أنه منقطع النظير فى تاريخ العالم . إن المظالم الغابرة لم تصل فى يوم من الأيام إلى ذلك الجنون الذى اندفع هتلر إليه ! وإنه ليندفع إليه بعامل دينى ، إذ أنه يدعو إلى دين جديد من الوطنية قوامه الطرد والمحاربة . فباسم الدين تعد هذا الأعمال المنافية للإنسانية ، من الأعمال الإنسانية التى يجازى مرتكبوها فى الدنيا والآخرة خير الجزاء

إذا كانت فى الحياة حرب عادلة تقوم باسم الإنسانية ، فالحرب ضد ألمانيا واجبة لمنعها من اضطهاد عنصر بحاله من بنى الإنسان . ولكننى لا أعتقد فى الحرب بحال من الأحوال ، إن ألمانيا تلبس الباطل ثوب الحق ، والهمجية ثوب الإنسانية . فهل يحتمل اليهود هذا الاضطهاد الغريب ؟ ألا يوجد سبيل للاحتفاظ بالكرامة والشعور بشىء غير الضعف والإهمال والخذلان ؟ إننى أقر هنا بأنهم لا يعدمون هذا السبيل . إن إنساناً يعتقد فى وجود الله يجب ألا يشعر بالعجز والخذلان . إن اليهود كالمسيحيين والمسلمين والهنود فى اعتقادهم بوحدانية الله ، إلا أنهم يشخصونه ويعتقدون أنه يتولى جميع أعمالهم فما أجدرهم بألا يشعروا بأنهم بغير نصير

لو كنت يهودياً مولوداً فى ألمانيا وكنت أحصل رزقى بها ، لصرخت فى وجه أقوى رجالها : « إن ألمانيا وطنى ولا أخرج منها ولو قطعت أوصالى ، أو ألقى بى من حالق » . ولرفضت أن أطرد منها أو أخضع لأى نوع من أنواع الاضطهاد بها ، ولا أنتظر رفقائى اليهود ليصحبونى إلى عصيان مدنى ، ولكنى سأكون على ثقة بأنهم سيحذون حذوى فى النهاية

لقد نجح الهنود فى حركة العصيان المدنى فى جنوب أفريقيا ، وكانوا يقفون ذلك الموقف الذى يقفه اليهود الآن . بل إن مركز اليهود فى ألمانيا خير من مركز الهنود فى جنوب أفريقيا . إنهم أكثر ذكاء وأقوى استعداداً من هنود جنوب أفريقيا ، وفضلاً

عن ذلك ، فقد أوجدوا خلفهم سنداً من الرأى العام فى أنحاء العالم

إنهم إذن جديرون أن يقفوا رجالاً ونساء ذلك الموقف الحازم معتمدين على قوة الله الذى سيعينهم ولا شك على احتمال الشدائد ، وإنهم بذلك ليرفعون من شأن ألمانيا ويبرهنون على أنهم أبناؤها الجديرون بهذا الاسم ، لا هؤلاء الذين يسيرون باسمها وسمعتها نحو الهاوية . . .

ولايات متحدة عالمية

[عن مقال « المركيز أوف لوثيان »]

جرب العالم فى ربع القرن الأخير كل رأى فى سبيل منع الحروب . ففى عام ١٩١٨ بدأت محاولات جدية لإنقاذ العالم من الأوتقراطية ونشر مبادئ السلم والحرية . ثم أعقب ذلك محاولة عصبة الأمم ، ثم ميثاق كلوج فاتفاق عدم التسلح . فلما انتهت تلك الآراء بالخيبة وأخذ شبح الحرب يلوح ثانية للعالم ، أقبلت بعض الأمم تفكر فى حماية نفسها من الحرب ، فعاد بعضها إلى التسلح ، وتذرع بعضها بالتحالف ، وآثر بعضها الوحدة ونظام الحياد الدقيق . ولكن شيئاً من ذلك لم يفلح لوقاية العالم من الحرب ، وإن كانت كل أمة من هذه الأمم تعتقد تمام الاعتقاد بأن الحرب إذا اندلع لهيبها — ولا يستطيع أحد أن يقول إن هذا أمر بعيد الوقوع — فسوف لا تنتهى إلا وهى على حافة الدمار

إن فكرة السيادة الدولية هى أهم أسباب الحرب . فمن أجل السيادة يقضى على العالم الإنسانى بأن يعيش تحت عوامل الفوضى وإذا كانت هناك أسباب أخرى لاشك فيها لإثارة نيران الحرب كالخوف والطمع والزهد والتعصب للعنصر، إلا أن هذه الفوضى هى التى تشعل نيران تلك الشرور ، وتجعلها أمراً لا مفر منه ، فلا تلبث أن تؤدى إلى الحرب عاجلاً أو آجلاً ، كما هو الشأن منذ سقوط آخر نظام عالمى وهو نظام الأمبراطورية الرومانية .

لذلك تقع الحرب بين الأمم ذات السيادة فحسب ، أو الأمم التى تسعى وراء السيادة . والسيادة تجعل المنافسة على التسليح أمراً لا معدى عنه ، وتضحي بالأخلاق فى سبيل النفوذ السياسى ، وتسوق الأمم القوية إلى الاستعمار والضعيفة إلى طلب الاستقلال ، وتقضى على فكرة التعاون التجارى بين الدول ، وتزيد فى عدد العمال المتعطلين بزيادة التعريفة الجمركية وغيرها من العوائق ، وتزعزع الحالة المالية والاقتصادية ، وتقضى على حقوق الفرد ، وتحيل الأمم وهى فى طريقها الذى لا آخر له فى طلب الأمن بالقوى الحربية — إلى مجرد ولايات للرق والاستعباد

إن العلاج الوحيد للحرب هو الاتحاد الذى ينطوى على القضاء التام على فكرة السيادة الدولية ، سواء اتخذت مظهر القوة كما يرى الاشتراكيون والفاشست، أو اتخذت صفة التحالف الديمقراطى . فكل اتفاق يؤول فى النهاية إلى السيادة سيكون نصيبه أن يفشل تماماً كما فشل فى الولايات المتحدة ما بين سنة (١٨٨١ — ١٨٨٩)

إذ أن الداء الكمين الذى يسبب الحرب لم تستأصل جذوره

يجب أن نختار بين الحرب ، والسعى المتواصل وراء السيادة الدولية ، مع ما فى ذلك من القضاء على السلم وحرية الفرد ، وبين الرجوع إلى فكرة حقوق الإنسان القائمة على اتحاد الشعوب تحت نظام إقطاعى كالذى تسير عليه أميركا الآن إذا كان للحرية أن تعيش ، وللسلم أن يقوم على دعائم ثابتة .

الله وشقاء الإنسان

[عن مجلة « ساينس أوف ثوت »]

قد يتساءل الإنسان وهو يعرض لفكرة الحرب ، ويفكر فى الشقاء والبلايا التى تعترض الإنسانية فى هذه الحياة : « كيف يرضى الله لعبيده هذه الحال ؟ » هذا السؤال وأمثاله يخطر ببال الكثيرين من الناس . وهم إذ يفكرون هذا التفكير لا يريدون أن ينظروا إلى الحياة على وجوهها المختلفة المتعددة الجوانب ، مسوقين إلى آراء واهية الأساس لا تنتج عادة غير الزيف . فنحن نظن أن عقيدتنا فى الله والمسيح كافية لإصلاح كل شأن وقضاء كل مأرب مع ما نراه من البؤس الذى يعانيه كثير من المؤمنين

المخلصين فى إيمانهم ، لا فرق بينهم وبين غيرهم ممن لا يؤمنون بشىء . ومثل بسيط كاف لحل هذا اللغز ، وإفهامنا الحقيقة التى توجب ذلك

إن مجرد الإيمان بالفن لا يجعلنا من رجال الفن . فمن الواجب إذن أن نصبح فنانين . وعند ذلك يخلق فى نفوسنا ذلك الشعور الداخلى الذى يخالط حياتنا ويجعلنا نعيش للتعبير عن الفن

وكذلك نستطيع أن نقول إن مجرد الاعتقاد فى الله والمسيح لا يؤدى إلى ما تنشده نفوسنا ، ما لم نكن مسيحيين كالمسيح ، فيخلق فى نفوسنا ذلك الشعور الداخلى الذى يمازجها ويجعلنا نحيا للتعبير عن قدسية هذا الشعور

فكما يعبر الموسيقى عن الأعمال الخالدة التى يضعها كبار الموسيقيين ، نعبر عن الله العظيم ونترجم عن روحه

لقد وهبنا الله الحرية . وإن شقاء الحياة لمن الدلائل القائمة على ذلك . والحياة تسيرها حركة باطنة ، وكل منا يملك فى نفسه تلك القوة الخالقة التى تسير الحياة . فهذه القوة وذلك النشاط هما المادة التى تخلق فينا أسمى مظاهر الحياة

* * *

إن كل ما يحرزه الإنسان من التقدم فى الحياة ، يرجع الفضل فيه إلى القوة الباطنة : فهى التى تسمو بطبيعته وتهبها العمق والاتساع .

والفرق بين الناس يرجع إلى الباطن دائماً ، فقد كان السيد المسيح لحماً ودماً فى ظاهره ، ولكنه فى الباطن كان متصلاً بالسموات والأرض . لقد خلقنا الله لنعيش كما يعيش الفنان المعبر عن الفن ، وأمدنا بالروح والقوة والنشاط والحركة ، ووهبنا القدرة على الاختيار ، والحرية ، وخلق فينا حياتنا الباطنة ، فلسنا إذن آلات متحركة . إلا أن الحرية لا تسير بغير نظام . وإطاعة هذا النظام لا تفقدنا الحرية . فالحركة والنشاط والمادة والعمل والنجاح يجب أن تسير جميعها على نظام خاص .

والفرق بين الخضوع لقانون الفنان المعبر ، والخضوع لقانون الإله ، هو حرية الاختيار فى الحالة الأولى — بمعنى وعى حقائق الأمور — والإجبار الذى لا اختيار فيه فى الحالة الثانية .

وما دام الله قد خلقنا لنكون الفنانين المعبرين عن جلاله ، وجعلنا أحراراً فى الحياة ، فالحرية إذن سنة الله ، وهو بقدرته يحمى هذه الحرية . فإذا خضعنا للقانون حمى نفوسنا وحفظ حريتنا . وإذا عارضنا ذلك القانون ، عارضنا حريتنا ، وخضعنا لقانون الآلة الصماء

فعدم تنفيذ إرادة الخالق يقضى على حريتنا ، إذ يساء استعمال الحركة والنشاط والمادة والتقدم ، وينحدر العالم إلى مهاوى الشقاء . . .



تاريخ الأمم والبلدان الإسلامية

هذا عنوان الكتاب الضخم الذى أخرجه من أسابيع المستشرق العلامة الأستاذ كارل بروكلمن ، وقد نشره R. Olden bourg فى مدينة مونيخ من مدن ألمانية . وعنوان الكتاب فى اللغة الألمانية : Geschichte der islamischen Vœlker und Staaten

والحق أني لم أقرأ الكتاب بعدُ ، وذلك لأنى على سفر ولأنى أستريح ههنا من عناء المطالعة العلمية . غير أنى رأيت ألاّ أهمل إخبار قراء «البريد الأدبي» بخروج ذلك الكتاب المفيد وحسبي اليوم أن أجمل لهم مشتمله على أن أعود إلى النظر فيه بعد زمن

١ — العرب والدولة العربية : الجزيرة قبل الإسلام . النبى محمد . الخلفاء الراشدون . الأمويون

٢ — الدولة الإسلامية: العباسيون سقوط الخلافة وقيام الدول الصغيرة . الفرس والترك . الإسلام فى الأندلس وشمال أفريقية . الشرق الأدنى أيام الحروب الصليبية . المماليك فى مصر . الترك والمغول

٣ — العثمانيون والإسلام : قيام الدولة العثمانية واتساعها فى عهد سليمان . حضارة العثمانيين فى أوج ملكهم . قيام الدولة الفارسية الثانية ومنافستها للدولة العثمانية . انحلال الدولة العثمانية حتى نهاية المائة الثامنة عشرة

٤ — الإسلام فى القرن التاسع عشر: الدولة العثمانية ومصر. الحياة العقلية فى تركية ومصر . شمال أفريقية والسودان وإيران والأفغان

٥ — حال الدول الإسلامية بعد الحرب الكبرى : تركية . مصر . الجزيرة . الشام . فلسطين . شرق الأردن . العراق . إيران . الأفغان[1]

(تلال الفوج . فرنسة) **بشر فارس**

(١) وصلنى من يومين الجزء الرابع من المجلد الثالث من « تاريخ الآداب العربية » للمستشرق بروكلمن ، وسأكتب فيه فصلا فى هذا الباب كما صنعت للأجزاء السابقة

أهداف الفتوة العراقية

كان يجب أن يكون مفهوماً أن فى مصر رجالاً أكرمهم العراق من أمثال الزيات والسنهورى وعزام ، وهؤلاء تُقبَل شهاداتهم الكريمة فى العراق بتحفظ واحتراس ، لأنهم ينظرون إلى العراق نظر المحب إلى الحبيب

وأنا عشت فى العراق ونعمت بكرم أهل العراق ، ومن السهل أن يقال إني أنظر إلى العراق نظر المحب إلى الحبيب

ولكننى أبعدت عن نفسى شبهة التلطف فلم أقل فى أهل العراق غير كلمات سجلت فيها ما يملكون من محاسن وعيوب

واليوم أرانى مقهوراً على إعلان ما أُضمر لإخواني فى العراق من الحب والإعجاب بعد ظهور المجموعة النفيسة التى أصدرتها مجلة المعلم الجديد بوزارة المعارف العراقية ، وهى مجموعة مقالات وأحاديث نشرها سعادة الدكتور سامى شوكة فى مناسبات مختلفات ، وهى تدور حول محور واحد هو تقوية الفتوّة فى النفس العربية

ولا يمكن أن يتصور قيمة تلك المجموعة إلا أحد رجلين : رجل قرأها وعرف ما فيها من معانٍ سامية ، أو رجل عرف الدكتور سامى شوكة وطالع ما فى روحه الوثاب من قوة وحماسة

والدكتور سامى شوكة معروف لأهل مصر ، فقد زارها منذ أشهر أيام المؤتمر الطبى العربى وشاء له كرمه أن يودعها بهذه الكلمات الحرار :

« أودّع مصر القاعدة الحربية لجيوش أمتى العربية التي استندتْ إليها فى فتح أفريقية وأوربا الغربية يوم كانت تقود العالم نحو الحق والفضيلة والعدل . أودع مصر أكبر كوكب فى سماء بلادى العربية ، مصر التى تضىء لنا بعلومها وثقافتها سبيل الرقى والتقدم . أودع مصر عاصمة لغة القرآن فى القرن العشرين »

ومما يجب النص عليه أن الدكتور سامى شوكة وهو مدير المعارف العام بالعراق يحتّم على جميع التلاميذ والمدرسين أن يلبسوا ملابس الفتوّة لترتفع بينهم فوارق الترف فى الملابس وليشعروا بأنهم جنود مستعدون لتلبية نداء الوطن حين يفزع إلى أبنائه الأبطال

فيا صديقى الذى لم أشهد فيه غير الشهامة والصدق ، أعزك الله ونصرك ، وجعلك قدوة لمن يخدمون المعارف بسائر الأقطار العربية

زكى مبارك

مداعبات النشار

سيدى محرر « الرسالة »

وجّه نظرى أحدُ الأصدقاء إلى المداعبات التى ينشرها حضرة الشاعر الفاضل عبد اللطيف النشار ، وقد أبى لطفه إلا أن تشملنى . وهو حرٌّ فى ذلك لولا أن بعض ما يكتبه أتاح فرصة لسوء التفاهم مع بعض الأدباء . وحسبى أن أقول إن آرائى من أدبية واجتماعية وغيرها صريحة معروفة ، ولم أحتج مرةً لستر أبى الفرج ولا غيره فى التعبير الملفوف عنها . وعلى هذا فلست مسؤولاً عما يقوله زيد أو عبيد من معارفى أو أصدقائى ولا أشاطر أحداً منهم خفيةً ، كما أن أحداً منهم لا يتحمل مسؤولية كتابتى . وأما عن خلطه الآخر وذكره رجلاً من أعلام النحالة المشهورين وهو المستر « ليونارد هاركر » فمغفورٌ أيضاً لمثل حضرته ما دام ذلك من مظاهر لطفه . وقد ينتفع حضرته لهذه المناسبة بالاطلاع على مجلة The American Bee Journal وإن لم يُرضه أن يجد أبناء العالم الجديد يفهمون العلم والأدب والتأريخ لهما على غير ما يفهم

وبعد . فلما كنت قد نفضت يدى من الأدب العربى منذ زمن فإنى أعدُّ نسيانى تفضلاً كريماً من أبى الفرج الاسكندرانى وأدعو له بالهناءة والتوفيق .

أحمد زكى أبو شادى

فى الفصول والغايات

قال أبو العلاء فى كتابه العبقرى (الفصول والغايات فى تمجيد الله والمواعظ) :

« الجسد بعد فراق الروح كما قُصّ من يدك ، وقُصّر من فودك[١] : إذا أُلقىَ فسيط[٢] فى النار لم تباله ، وإذا غُرّق فليل فى اللُّج[٣] فكذاك ؛ هكذا يقول المعقول ، ولله نظر فى العالم دقيق . لا يمتنع أن يكون جسد الصالح إذا قبر فى نعيم ، وجسد الكافر فى عذاب أليم ، لا يعلم به الزائرون ، وعابد الله ليس بغبين . ليت أنفاسي أُعطِين تمثلاً ، فتمثل كل نفَس رجلاً قائماً يدعو الله تبتلاً ، يمنع جفنَه لذيذَ الإغفاء »

رويتُ الفصل كله ليُعلم أن الشيخ قد فَنّ فى الكتاب فنيناً ، ونوّع فصوله تنويعاً ، فلم يقتصر على أشياء ما تعداها . وما أقصد بما أُملى أن أبحث بحثاً فلسفياً ولا (دينياً) . الخطب ضئيل : فى الفصل : (فليل) وقد قال محقق الكتاب فى التفسير : « الفليل : ناب البعير المنكسر ، أو ما ندر عن الشىء كسحالة الذهب وبرادة الحديد وشرار النار » وعندى أن الفليل هنا هو الشعر ، و « ما قص من يدك » تشرح (الفسيط) و « ما قصر من فودك » توضح (الفليل) . وفى اللسان : « الفليلة والفليل الشعر المجتمع » وفى فقه اللغة : « سبيخة من قطن ، عميتة من صوف ، فليلة من شعر ، سليلة من غزْل »

وإن استقل أديب نقد لفظة واحدة فى هذا الكتاب فلا يلمنى ، وليلم إمعان العلامة محققه فى التدقيق ومبالغته فى الضبط فهو الذى قد حرمه نقداً كثيراً يشتهيه . . .

إن (الفصول والغايات) كتاب عجيب ما أخرج عالم فى هذا الوقت من معادن الأدب القديم عديله ، ولم يُحقق مصنَّف تحقيقه[٤] . ولن يشينه أبداً أن الطبعة الأولى لم تنفد حتى اليوم ، وإنما يعرُّ ذلك القاهرة ومصر وبلاد العرب ، ويخبر أن القوم (إلا أقلهم) لم يبرحوا فى الشط .

***

مصارحة وتصحيح

لا ندرى ما الذى يحمل الدكتور زكى مبارك على أن يحرف كلام الناس ثم يتهمهم بأنهم يحرفون كلامه ! لقد اتهمنا حين

---

(١) الفود : واحد الفودين وهو معظم شعر الرأس مما يلى الأذن (الأستاذ زناتى)

(٢) الفسيط : قلامة الظفر

(٣) اللج معظم الماء (التاج) لج البحر الماء الكثير الذى لا يرى طرفاه (اللسان)

(٤) راجع (المخترعات وكتاب الفصول والغايات) فى الجزء ٢٥٠ من الرسالة الغراء

أنكرنا عليه قوله : « اشغلنى عنك ياربا. بما سيكون فى الجنة من أطايب النعيم » بأننا حذفنا قوله عقبه : « فإن بصرى أضعف من أن يواجه نورك الوهاج » ليجوز لنا أن نصفه بسوء الأدب فى الدعاء ، وسوء الفهم للدين . والجملة التى أخذناه بها لا يمكن أن يصلحها أية جملة أوجمل يمكن أن تضاف إليها ، فضلاً عن جملة يصح فى نفسها أن تكون موضع مؤاخذة لأنها تثنى على الله سبحانه بما لا يكاد يصلح ثناء على الشمس التى خلقها . فلو أننا ذكرناها لآخذنا كانبها مؤاخذة أخرى ، لكننا اكتفينا بمحاسبته على أشنع غلطتيه ، كما سبق أن نبهنا

والآن يأتى الدكتور فى خطابه فى العدد ٣١٩ من الرسالة فينسب إلى كاتب فيها أنه قال : إن من حق الدكتور أن يتكلم فى الأدب لأنه دكتور فيه ، وليس من حقه أن يتكلم فى الدين لأنه ليس دكتوراً فيه ! والذى نعرفه أن الكاتب الذى يعنيه الدكتور لم يقل هذا ، وإنما قال إن للدكتور أن يتظرف أو يتمجن فى أسلوبه حين يكتب فى الأدب الذى هو دكتور فيه ، وليس له أن يتظرف أو يتمجن حين يكتب فى الدين أو حين يدعو الله . فهو ينكر على الدكتور لا مجرد الكتابة فى الدين ، ولكن إساءة الأدب فى الكتابة ، سواء أكان دكتوراً فى الدين أم غيردكتور فيه . وأظن نعمة الإسلام التى يحمد الدكتورالله عليها من شأنها أن تجعل الدكتور يوافق الكاتب على ما قال ، سواء أقر بما سماه الكاتب تمجنا فى دعاء زكى مبارك الذى دعا أم لم يقر .

على أننا مع هذا نحب أن نصارح الدكتور زكى مبارك أن خيراً له وللناس ألا يكتب فى الدين، لا لأنه غير دكتور فى الدين ولكن لأنه غيرمتمكن فيه . وفرق بين الاثنين . فلوكان متمكنا فى الدين لجاز له أن يكتب فيه ولو لم يحمل فيه شهادة أو لقباً ما . لكنه للأسف غير متمكن ، ودليل ذلك أخطاؤه الكثيرة التى وقع فيها ، والأخطاء التى لا يزال يقع فيها كلما كتب فى الدين أو فيما يتصل به .

والخطأ فى الدين ليس كالخطأ فى الأدب ، كما أن الحال فى الدين ليس كالحال فى الأدب فوضى لا يهتدى فيها بمعيار يميز الخطأ من الصواب . فمعيار الحق والصواب فى الدين موجود لا يخطىء ، ألا وهو الكتاب الكريم والسنة المطهرة . ما وافقهما كان هدى وصواباً ، وما خالفهما كان خطأ وضلالاً . والعقل بعد أن ثبت عنده أن القرآن من عند الله ، وأن محمداً رسول الله ، ملزم — ملزم بمنطقه هو — أن يسمع ويطيع من غير تردد ولا ريبة سواء فهم الحكمة أم لم يفهم ، كما يقبل النظريات الرياضية مهما بدت معقدة غريبة . إن العقل طبعاً أن يحاول الفهم ما استطاع ، بل هذا هو واجبه ، لكن ليس له أن يوقف السمع والطاعة فى الدين على الفهم و « المعقولية » وإلا أصبح الدين رأياً يتغير ، أى أصبح غير دين

فقول الدكتور زكى مبارك إن لكل مسلم الحق فى أن ينظر إلى الله وإلى الوجود كيف شاء فى حدود المنطق والعقل ، قول يحتاج إلى تكملة ، تكملة الاهتداء بالكتاب والسنة ، لأن العقل قوة لا تستطيع تفكيراً صحيحاً إلا من مقدمات صحيحة . والمقدمات الصحيحة فى الدين ـ بعد الدخول فيه بالعقل ـ لا توجد إلا فى كتاب الله وسنة رسوله . فإذا لم يهتد العقل بهما فقد ضل سواء السبيل

والدكتور زكى مبارك فى تطبيقه ما يسميه المنطق والعقل كثيراً ما يخالف الكتاب والسنة كما فهمهما أولو العلم من المسلمين من لدن زمن الرسول إلى يوم الناس هذا . ومن هنا كانت أخطاء الدكتور ، ومن هنا كان ما يشكو منه من سوء الظن به . فلو أنه اهتدى بالكتاب والسنة فى تفكيره لقلت أخطاؤه كثيراً ، ولجاءت حين تجىء من نوع لا يضره ولا يضر الناس . إذن لما قال ـ مثلاً ـ « اشغلنى عنك يا رباه » بأى شىء لأى سبب ؛ ولما جزم بأنه سيدخل الجنة بكتابه « التصوف الإسلامى » فضلاً عن أن يدخل معه « على حسابه » ألوفاً من الأدباء كما يقول ، لأن الزيات ـ فى زعمه ـ قال قولاً كهذا « والزيات رجل صادق الإيمان ورجاؤه عند الله مقبول » فإن هذا النوع من الكلام حابط باطل فى الدين، فقد شهدت بالجنة من هى خير من الزيات لمن هو خير من زكى مبارك فأنكر النبى ذلك عليها وقال : من أدراك؟

ويجب أن يذكر الدكتور أن الإسلام ليس مجرد إقرار ، ولكنه أيضاً عمل . والكتابة عمل ، بل هى من الأديب من أهم الأعمال . فليراقب الدكتور الله فى كتابته فلا يأتى فيها بما ينكره الإسلام ، فإن فعل فلن يجد فى المسلمين إلا من يحسن الظن به، فإن الذى حمل على سوء الظن به إنما هو ما وجد فيما كتب إلى الآن من مخالفة الكتاب والسنة حتى فيما يتعلق بالأساسى من الأمور

« بور سعيد » **محمد أحمد الغمراوى**

فتوى الأزهر فى أسباب الرق وأحكامه

أرسل بعض علماء جاوة إلى لجنة الفتوى بالأزهر الاستفتاء الآتي :

«رجل باع ولده الحر لمسلم أو غيره ، فهل يصح هذا البيع ؟ وهل يصير هذا الولد ملكاً للمشترى ؟ وإذا لم يصح البيع فما حكم عقده؟ وهل يجب استرداد الثمن ؟ وماهى أسباب الرق بالضبط؟»

وقد أجابت لجنة الفتوى على هذا الاستفتاء بما يأتى :

الاسترقاق ظاهرة اجتماعية نشأت منذ ابتدأ الاجتماع الإنسانى. وترجع هذه الظاهرة إلى تغلب القوى على الضعيف وتسلطه عليه واستخدامه إياه

وقد كان الرق شائعاً قبل الإسلام فى جزيرة العرب ، فكان الناس يتخطفون الغلمان والفتيات من بين أهلهم ويذهبون بهم إلى الأسواق حيث يوجد النخاسون وسماسرة الرقيق ؛ وكذلك كان شائعاً قبل الإسلام فى أمتى الفرس والرومان على ما كان فى جزيرة العرب وأشد

وكانت معاملة الأرقاء فى هذه الأمم تختلف فى القسوة واللين تبعاً لاختلاف دياناتها وتقاليدها ، إلا أن هذه المعاملة على العموم كانت قاسية جداً يظهر فيها سلطان القوى على الضعيف بأجلى معانيه ، بل إن الديانة الهندية القديمة المؤسسة على رعاية الطبقات البشرية كانت تعتبر الأرقاء من الطبقة الدنيا التى تلزمها الخسة لذاتها ، ولا يمكن أن ترق يوماً إلى ذروة الطهارة الإنسانية

فجاء الإسلام وسوى بين الناس جميعاً وأعلن أن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ، ولكنه وجد نظام الاسترقاق قائماً بين الأمم ومعتبراً فيها من النظم الاجتماعية المتغلغلة فى صميم الحياة إذ ذاك ، فلم ير من الحكمة فى التشريع أن يلغى هذا النظام إلغاء تاماً ، بل عمد إلى تقرير المبادئ الآتية التى تخفف من آثار الرق وتنظم العلاقة بين المالك والمملوك لا على أساس القوة والضعف كما كان فى الأمم السابقة ، بل على أساس المحبة والإخوة وتبادل المنافع والتعاون فى شؤون الحياة. ولا نبالغ إذا قلنا إن مبادئ الإسلام التى شرعها فى الاسترقاق تعتبر بمثابة إلغاء الرقيق . وإليك بعضاً من هذه المبادئ

أولاً : ضيق الإسلام فى أسباب الرق حتى حصرها فى سبب واحد هو محاربة المشركين للإسلام وصدهم الناس عن سبيل الله ، فأذن للمسلمين الذين يدافعون عن دينهم ويردون عنه عادية المشركين أن يضربوا الرق على من يقع بين أيديهم من أسرى هؤلاء المشركين المحاربين

ثانياً : لم يجعل هذا الاسترقاق ضربة لازب ولا نتيجة حتمية لمحاربة المشركين والظفر بهم ، بل جعل ذلك من قبيل نظم السياسة الحربية ، فخير الإمام فى أن يلجأ إلى الاسترقاق إذا رآه وسيلة من وسائل الإعزاز لدين الله وكسر شوكة المعتدين ، وفى أن يمن على الأسرى فيطلق سراحهم بفداء أو من غير فداء

ثالثاً : إذا رأى الإمام أن فى الاسترقاق وسيلة حربية لإعزاز الدين ودفع اعتداء المعتدين فلجأ إليه فإن الإسلام لم يترك الحبل على الغارب ولا ترك الرقيق لمشيئة مالكه ورحمته يحمله من عناء الأعمال ما شاء كما كان فى زمن الجاهلية ، ولا جعل حظيرة الرق حظيرة أبدية لا يتسنى للرقيق الخروج منها بحال ، بل عنى بأمر الرقيق وأوصى المسلمين به خيراً ، قال تعالى : «وبالوالدين إحساناً، وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من كانت له جارية فعلمها فأحسن تعليمها ثم تزوجها كان له أجران »

ثم رغب فى العتق ودعا إلى تحرير الرقاب ، وجعل لمن أعتق رقبة ثواباً عند الله يعدل ثواب كثير من الطاعات ، بل أوجب الإسلام ببعض المعاصى تحرير رقبة كمن قتل نفساً خطأ أو أفسد صيامه عامداً أو حنث فى يمينه التى عقد عليها قلبه

وآيات القرآن العظيم وأقوال الرسول الكريم فى الرفق بالرقيق والإحسان إليه فى المعاملة كثيرة مشهورة . من هذا يتبين أن ليس للرق فى الإسلام إلا سبب واحد هو ما أسلفنا الإشارة إليه من محاربة المشركين واعتدائهم على المسلمين ، وأن الاستيلاء على المشركين بأى وسيلة كانت زمن السلم، ومن غير محاربة، وخطف الأولاد من أهليهم كما كان يعمل فى الماضى ، كل ذلك لا يترتب عليه أن يكون المستولى عليهم أرقاء ولا يسوغ التصرف فيهم بحال

وإن بيع الرجل ولده يكون بيعاً باطلاً يجب منعه ، ويجب رد الثمن للمشترى ، ورد الولد إلى أبيه والله أعلم

محمد عبد اللطيف الفحام
رئيس لجنة الفتوى

سعد وسعاد ومعاوية بن أبي سفيان

ذكر صديقى الأستاذ على الجندى أنى مررت على قوله (والى تلك الجهة الأموى المدل بمكانه من قريش ومكانه من الخليفة مروان ابن الحكم) مراً خفيفاً . ففهمت أن مروان بدل من الخليفة مع أنه ليس بدلاً منه . ولو أنصفنى صديقى لذكر أنى حين لم أستسغ ذلك مررت به مراً دقيقاً ، وأن هذه الدقة كانت سبباً فى ظهور أمر لم يكن أحد ليتنبه إليه لولا أني لم أستسغ ذلك، وذلك الأمر هو أن الذى فعل ذلك مع سعد وسعاد هو ابن أم الحكم لا مروان بن الحكم ، كما جاء فى بعض الروايات . ولا شك أن منشأ ذلك الخلاف بين الروايتين هو اشتباه الاسمين ، والمعقول فى هذا أن يشتبه اسم ابن أم الحكم باسم مروان بن الحكم ، لأن الثانى أشهر من الأول ، فمن القريب جداً أن يكون بعض النساخ أبدله به ، لأنه لم يسمع إلا باسم مروان بن الحكم

وقد ذكرت لصديقى الأستاذ الجندى أنى لم أستسغ ذلك لمروان بن الحكم لأنه كان رجلاً كبيراً يطمح إلى ما يطمح إليه كبار الرجال ، ولا تدنو نفسه إلى مثل تلك الصغائر ، ولم يكن كما قال الأستاذ رجلاً مفتوناً مدلاً ، بل كان رجلاً عاقلاً ذا دهاء وسياسة ، وقد اشتغل بالسياسة العالية وهو شاب صغير فى خلافة عثمان رضى الله عنه ، فكان فيها مشيره ووزيره ، وقارع فى ذلك أمثال على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ومعاوية بن أبى سفيان ، وما زال يطمح إلى أبعد الغايات ويعمل ليظفر بملك المسلمين حتى ظفر به وأسس دولة بنى مروان الكبيرة فكان لها ما كان من الملك الكبير فى الشام وغيره من البلاد الإسلامية ، ثم بالأندلس التى نافست الدولة العباسية ، فمثل هذا الرجل لا يستسيغ العقل أن يقع فى تلك الصغيرة التى جاءت فى تلك القصة ، وإنما يستسيغ وقوع ذلك من أمثال ابن أم الحكم

وهذا إلى ما ذكرته فى كلمتى الأولى هو منشأ اضطراب تلك القصة عندى ، لا أنها موضوعة أو غير موضوعة كما نسب إلىّ الأستاذ الجندى ، فإنى لم أذكر ذلك أصلاً ، ولا يمكن أن يقع فيه رجل يفهم شيئاً فى الأدب . ولا زلت أرى أن تلك القصة موضوعة ، وأنه لا فرق فيها بعد ذلك بين أن تكون واردة فى كتاب تزيين الأسواق أو فى غيره من الكتب التى يحتفل الأستاذ الجندى بروايتها ، مع أن احتفاله بروايتها يناقض تردده فى أنها موضوعة أو غير موضوعة ، كما يناقض جزمه بوضع ما جاء فيها من الأشعار على لسان معاوية

وقد سكت الأستاذ الجندى عن دليلى على وضعها من هذا البيت الذى جاء فيها :

قد كنت تشبه صوفياً له كتب ... من الفرائض أو آيات قرآن

وهو دليل على وضعها لا يمكن نقضه ، ولا أدرى لماذا سكت الأستاذ الجندى عنه

أما ما ذكره الأستاذ الجندى عن مروان فى تلك الفتن التى فرقت كلمة المسلمين ، فهو من الأمور التى اختلف العلماء قديماً فيها ، ومقام مروان فى تلك الفتن كمقام معاوية رضى الله عنه . على أن ذلك خروج عن موضوعنا ، لأنى نفيت ما ورد فى تلك القصة عن مروان بن الحكم لأنه كان رجلاً كبيراً لا يقع فى تلك الصغائر ، لا لأنه كان رجلاً عادلاً يتنزه عن الظلم

ولا أحب بعد هذا أن أطيل النقاش فى كل ما جاء فى كلمة صديقى الأستاذ الجندى ، لأن القصة لا تستحق طول النقاش ، ولأنى لا أحب أن أشغله عن المضى فيما ينشره بمجلة الرسالة الغراء . والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

عبد المتعال الصعيدى

العثور على أبيات من الشعر وقطعة نثرية فى آثار الفيوم

أذاعت مصلحة الآثار بياناً عما قامت به بعثة جامعة ميلانو الملكية من أعمال البحث والتنقيب عن الآثار فى منطقة مدينة ماضى بالفيوم . ومن أهم ما عثرت عليه عدد من المستندات معظمها أدبى ، وقد عثر عليها فى أحد أركان حجرة صغيرة ، وقد تحولت كلها إلى قطع متناثرة من تأثير الطبيعة .

ومن الأنظمة التى تتبعها البعثة دراسة النصوص وجمع أجزاء الآثار بعضها إلى بعض. وقد أمكن معرفة ثمانى فقرات من الإلياذة، وكذا أوائل سبعة عشر سطراً من الشعر لا تمت بصلة إلى هزيود ولا إلى أبوللنيوس برودس

ووجدت أيضاً أجزاء صغيرة من أناشيد، ونص قطعة نثرية يرجح أنها لخطيب أكثر من أن تكون لمؤرخ ، وفيما عدا القطعة النثرية المكتوبة بحروف صغيرة فإن الباقى مكتوب بحروف جميلة كبيرة الحجم يرجع تاريخها إلى أوائل عصر المسيح أو قبل ذلك بقليل .

كتاب الجماهر

مما أتحفنا به الأديب الكبير الأستاذ النشاشيبي في (نقل الأديب) العدد ٣١٨، قول عن (التاج) جاء فيه : « نقل شيخنا عن أبي الريحان في كتاب الجماهير قولهم ...

لأن الرطوبة فصل مقدم لذات الماء ... الخ » (رقم ٤٨٢ حاشية١) والكتاب إنما هو (الجماهر) لا الجماهير ، واسمه الكامل (الجماهر في معرفة الجواهر) لمؤلفه أبي الريحان البيروني نشره المستشرق العلامة الدكتور سالم الكرنكوى (ف . كرنكو) وطبعته جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد سنة ١٣٥٥ هـ ، والعبارة المنقولة في التاج هي في ص ١٢٠ من كتاب الجماهر كما يلي :

« لأن الرطوبة فضل يقوم لذات الماء . . . الخ » وهذا هو الصواب .

« دمشق » س . أ

على منهج الأغاني

للأستاذ النشار منزلة رفيعة في نفسي ولكتابته الأخيرة عن شعرائنا قدر كبير من اهتمامي وعنايتي وإعجابي وهو صديق وأستاذي من زمن بعيد، ولكن ذلك لا يمنعني أن أقول كلمة عن أشياء عنّت لي في مقالاته

لم أجد اتفاقاً بين الأغاني ومنهجه غير وضع لفظة (الصوت) على بعض الشعر وغير (حدثنا فلان عن فلان) وقد قال الأستاذ في مقاله الأول « ولن نخترع ولن نلفق إلا أن يكون ذلك من مستلزمات الكتابة » ومع هذا فيكاد يكون ٨٠٪ من مقالاته تلفيقاً على طريقة « إن لم يكن فقد كان يجب أن يكون »

وقد كان صاحب الأغاني يذكر الصوت فيترجم لصاحبه ويذكر آراء النقاد والعلماء فيه ثم يقص شيئاً من أخباره . والأستاذ النشار لم يفعل شيئاً من ذلك فهو يكتب شعراً لغير الشاعر ونقداً لغير الناقد ثم يقول : « إنهم لا يقولون ذلك ولكن أحسب هذا هو الذي يجب أن يقولوه » ولعله لجأ إلى هذا ليتسنّى له تصريف القول كما يريد . وكان الأجدى لو عمد إلى أبيات من شعر من يريد أن يترجم له يتميز فيها مذهبه وطريقته ثم يكتب ما قد قيل فيه من رأى ثم يعقب برأيه . وقد يذكر الأستاذ الاسكندراني ما لا داعية إليه مثل أن يقول :

« حدثنا الأستاذ خيرى سعيد قال : حدثنا العلامتان هيجل وشليجل قراءة عليهما . وحدثنا الناقدان هردر وفيخت ولم يقل بماذا حدثوه ، وأغلب الظن أنهم لم يحدثوه بشيء ، أو لعله آثر ألا يروى عن هؤلاء العلماء الألمان حتى يرى ماذا ستصنع ألمانيا في مشكلة دانزج »

فما نرى في مثل هذه العبارة ما يفيد الأدب أو التاريخ !

وقد ترجم أبو الفرج إلى الآن لشاعرين نراه خالف ما اتفق عليه الرأى في أحدهما ، فمثلاً إذا جاء في القرن الخامس والعشرين من يريد أن يعرف زعيم المدرسة الحديثة في القرن العشرين لا يستطيع أن يعتمد على رأى الأستاذ ، لأن المعروف والحق أن الذى فتح باب الحديث إنما هو (مطران) ومن خلفه (أبو شادى) أما ناجى فلم يكن له — فيما نعلم — تأثير بالغ في هذا الاتجاه . وقد يحجنا الأستاذ بأن هذا رأيه ، فكان عليه —وقد خالف المشهور والمعروف— أن يعزز رأيه بالحجة والدليل

وكذلك نراه يقول عن صالح جودت (الموسيقار الكبير) وقد نفهم أنه يريد من ذلك السخرية ولكنا نرى أن في هذا مضلة لمن يأتي بعدنا

ومسألة رابعة أريد عنها جواباً . من المأخوذ بالرأى المتحدَّث أو المتحدِّث على لسانه ؟ وبعبارة أوضح من نأخذ بما قال الأستاذ في امرئ القيس ، الدكتور هيكل أم صاحب الأغاني ؟

يقول الأستاذ على لسان هيكل : (وإني لأعجب من معلم اللغة العربية لا يقول لتلاميذه إن امرأ القيس وإن كان عبقرية فذة في فنه فإنه كان في آرائه وشعره نحو النساء كأى حمار في الطريق وإن غزله لا يختلف شيئاً عن النهيق ؟) أهذا يقال ؟ !

والأستاذ النشار قد أجاد في ابتكار طريقة خاصة يدون بها التاريخ الأدبي لعصرنا الحاضر ، فيها خفة وفيها ترويح عن نفوس القراء ، ولكن ذلك قد يضطره إلى ما لا حاجة إليه كأن يقول : (واللحن لجوبلز على نغمة الترليوز)

وبعد ، فرجائي إلى الأستاذ ألا يحوج الزمن إلى من يهذب (النهج) كما أحوجه إلى من يهذب (الأغاني)

ودعوتي إلى الله أن ينسأ له في الأجل حتى يتم كتابه وحتى يتمتع قراء العربية بكتابته

علي محمد حسن
كلية اللغة العربية



من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرق القومية منها وواجبها حيالها

كيف قامت النهضة المسرحية على يد فرقة رمسيس ؟

لكي نجيب على هذا السؤال يجب أن نعود خطوة أو خطوتين إلى ما قبل بدء هذه النهضة ، كيما نرسم تلك الفترة الغريبة التي مر بها المسرح وقتذاك لنرى في أية بيئة نشأت فرقة رمسيس ، وفي أي ظروف أنشئت ؟

نحن في عام ١٩١٧ ، والحرب الكبرى ما تزال في أيامها العصيبة ، والناس هنا يسمعون بها ، وتصل إليهم أخبار أهوالها ويعانون الأزمات الناشئة عنها . بيد أن أكثرهم كان بعيداً عن الاصطلاء بنارها ، وعلى كل حال لم يكن بهم من حاجة لقليل أو كثير من المآسي يضيفونها إلى مآسي الحرب وآلامها . كان بهم حاجة في الواقع إلى ما يفرج عن نفوسهم ويخفف عن صدورهم وقر الحياة والأيام العصيبة التي كانت تجتازها الدنيا حينذاك .

ومن ثم ، فإنهم كانوا أقرب إلى تناول الأشياء المرحة منهم إلى تقبل ما يفجع أو يخلق الأحزان ويثير كوامن الذكريات الأليمة

وقامت السينما ودور اللهو بنصيبها في هذا السبيل ، وقام أبناء المسرح بنصيبهم أيضاً ؛ وبدأت الفرق الهزلية تنتعش وتزجي بضاعتها ، فيقبل عليها الناس !

كان بربري مصر الوحيد يعمل في : (كازينو دي باري) عند مدام مارسل ، بين عشرات من الفتيات الجميلات !

وكان عزيز عيد ، وروز اليوسف ، ونجيب الريحاني وغيرهم يعملون حيناً في (الأبيه دي روز) ، وحيناً آخر في (مسرح رنتانيا القديم) ، أو على غير ذلك من مسارح كانت قائمة وقتذاك

كان هؤلاء جميعاً يعملون ليضحكوا الناس وليدخلوا المسرة إلى قلوبهم والنشوة إلى نفوسهم . حتى خرج إليهم نجيب الريحاني بشخصيته الطريفة : « كشكش بك » عمدة كفر البلاص . فأحدث بها ثورة في دنيا الهزل ! وراح يلقي بنصائحه الغالية من على منبر (الأجبسيانة) : فيتحدث عن النساء اللائي سلبن لبه وشغلن باله ، وجعلنه يبيع الأطيان ، ويرهن الضياع ليستمتع بهن في مصر أم الدنيا ! ووضع أمين صدقي رواية (حمار وحلاوة) وأخرجها نجيب الريحاني على مسرح (الأجبسيانة) فنالت نجاحاً منقطع النظير ، وكانت بدء عهد جديد للمسرح الهزلي في مصر ، ولأول مرة في تاريخ المسرح المصري لاقت رواية كل هذا الإقبال من الجمهور ، حتى ظلت تعرض حوالي أربعة شهور !

وكانت بمثابة إعلان ضخم عن هذا النوع الاستعراضي من الروايات المرحة الصاخبة بألحانها وموسيقاها، وراح الناس يتغنون أغانيها وينشدونها في الطرقات والبيوت ؛ وراح أهل المسرح ينسجون على منوالها ! وبينما بربري مصر الوحيد يقول لمن حوله من الفتيات : « اللي في الدست تطلعه المغرفة » ! ومصطفى أمين يطربهم بصوته البلدي الممتع ... يجد أمين صدقي أن من الخير له أن يترك نجيب ليغترف من ذهب مدام مارسل، ويبقى في ظلالها ويجد نجيب في بديع خيري من يقوم بمهمته عنده فيحسن القيام بها ويمضي كل في سبيله . فلا تنقضي بضعة شهور حتى لا يكون في مصر غير : « كشكش بك » و « بربري مصر الوحيد » ! وحتى لا يكون فيها غير شارع واحد بلغ صيته الآفاق هو شارع عماد الدين !

ويتضاءل شأن المسرح الأدبي وينزوي أبطاله حيارى لايدرون ما يفعلون . ولقد وصل الحال بجورج أبيض بطل التراجيدي أن يستعين باسم « كشكش بك » وروايته « حمار وحلاوة » ويتخذ منهما شفيعاً لدى الجمهور ليقبلوا على شهود روايته العظيمة (أوديب الملك) ، وعرضت (أوديب) إلى جانب الفصل الأول من (حمار وحلاوة) على مسرح الأجبسيانة، وسمع الناس (نجميرة)

أوديب إلى جانب صوت أبو الكشاكش المبخوخ !

إلى هـذا الحد من المهانة انحدر التمثيل الجدى ، أو قل — فى تعبير لطيف — إنه ما عاد يشغل عقول الناس بعد الذى كان من شأن المسرح الهزلى .

فى هذه الظروف ، وفى تلك البيئة ، نبتت شخصية كانت مجهولة ؛ وظلت مجهولة إلى حد ما حوالى خمسة أعوام بعد ذلك . هذه الشخصية هى التى تزعمت نهضة المسرح فى فرقة ومسرح رمسيس عام ١٩٢٢ .

كان يوسف وهبى بن عبدالله باشا وهبى طالباً من طراز طريف ، كان أخوه محمد بك وهبى صاحب مدرسة وادى النيل الثانوية ، وكان اسم يوسف وهبى الطالب الفخرى مدرجاً بين أسماء الطلبة العاملين ! وما كانوا يشهدونه إلا لماماً ، إذ يجدونه كل بضعة أسابيع إلى جوار زميله وصديق الصبا مختار عثمان يتحدثان فى غير الدرس ويصغيان لغير وحى العلم ، كان كل منهما موجوداً بجسمه ، غائباً بعقله فى ملكوت الفن الجميل .

وفى نهاية العام شهد الطلبة زميلهم يوسف وهبى على مسرح المدرسة فى مونولوج ظريف ، صور فيه صاحبه جندياً جباناً يدعى « هتشكو » ، يصارع الخوف فيصرعه ، ويدعى الشجاعة ، وهى منه براء !

وطاف يوسف بمونولوجه بعض الحفلات المدرسية وغيرها . فرأى الناس فيه شيئاً فذاً عجيباً إلى جانب « مونولوجـت » ذلك الزمان من أمثال : عبدالله شداد ، ومحمد عبد القدوس ، وحسن فائق ، وحسنى رحمى ، وأحمد عسكر . . . وغيرهم ، كان يوسف شيئاً آخر سواهم ، كان يعنى أشد عناية بشخصية الجندى الجبان ويمثلها أبرع تمثيل ، ويغالى فيها بعض الشىء . فيسترعى الانتباه وينال الإعجاب !

ودارت الأيام سراعاً ، ووضعت الحرب أوزارها ، واشتعلت نيران الثورة فى مصر ، وتطور فن المونولوج ، وكل فن ، وكل شىء فى مصر . واتجه المسرح اتجاهاً وطنياً شـعبياً فى الحدود التى سمح له بها ، وبينما يشهد الناس مصرع « العشرة الطيبة » على مسرح الكازينو دى بارى لتدخلها فى السياسة من قريب أو بعيد ، إذ بهم يشهدون مصرع (حنجل بوبو) من بعدها لنفس السبب ولأسباب أخرى تتصل بالأديان !

بيد أنهم شهدوا فى الرواية الأخيرة شخصية يوسف وهبى — لأول مرة — فى دور (أستاذ) بجبته وقفطانه وعمامته ، ورأوا فيه شيئاً جديداً يسترعى انتباههم ، لكنه سرعان ما توارى فلم يسمعوا باسمه ، ولم يعلموا بخبره إلا فى عام ١٩٢٢ حينما ظهرت الإعلانات المضيئة على باب مسرح رمسيس تعلن عن أسماء أبطال وبطلات فرقة رمسيس بطريقة مبتكرة هى إحدى تفانين يوسف وهبى بطل الاعلان فى الشرق وكان الناس ينظرون ويسخرون من هذه الجماعة التى تورط نفسها فى هذا العمل العظيم ، وتحاول بجرءة أن تحمل أعباء النهضة المسرحية عن أكتاف من ناءوا بحملها من جبابرة المسرح ، وفى وقت لم يكن يرجى فيه للمسرح الأدبى أى نصيب من الحظوة عند الجمهور

الإنتاج السينمائى فى مصر وعلة ضعفه

الإنتاج السينمائى فى مصر ما يزال ضعيفاً رغم بعض الروايات الناجحة ، أو التى يصح اعتبارها ناجحة بالقياس إلى غيرها ، وعلة الضعف فيما نرى هو عدم وجود الرواية السينمائية الكاملة . أما أوجه النقص الأخرى فقد أمكن تداركها ، فكل الأعمال الفنية الآلية قد تهيأت لبعض الاستديوات فى مصر مجلوبة من مصانعها فى الخارج، وكذلك بعض الرجال الفنيين الذين تحتاجهم هذه الآلات وهذه الأعمال ؛ وإذا كانت التربة المصرية قد أنبتت وأثمرت بعض المخرجين المصريين من الشباب ، فإن استخدام بعض الأجانب قد عوّض عن النقص الموجود. وقد أثبتت التجارب أن ممثلينا وممثلاتنا يصلحون إلى حد ما للعمل السينمائى كما أن بعض الوجوه الجديدة قد برزت فى الميدان وأثبتت وجودها !

أما التأليف السينمائى فقد دلت الأيام على أنه الشىء الوحيد الذى ينقص إنتاجنا السينمائى ويشل حركته أو يؤخرها

سمعت مخرجاً يقول : إن الرواية السينمائية تعتمد فى نجاحها على الإخراج ، أما الموضوع فهو آخر ما يعتد به ، لأن المخرج النابه يستطيع أن يأتى بالمعجزات من لا شىء . وهذا لا يعدو أن يكون كلام مخرجين يطبلون لأنفسهم ويزمرون . أما الواقع فهو أن الرواية القوية هى أول ما يعتد به فى صناعة السينما وكل ما عدا ذلك إن هو إلا (رتوش) للصورة وتجميل لها .

لذلك ننصح منتجينا أن يفتشوا أولاً عن (الرواية) فإذا وجدوها فإن الباقى سهل وميسور ، ومهما بذلوا فى سبيل الحصول على الرواية الكاملة فإن النصر الأكيد الذى يأتيهم عن طريقها سيجعلهم بعد ذلك يضاعفون البذل والعطاء شاكرين لنا هذه النصيحة التى نقدمها إليهم بلا ثمن

(فرعون الصغير)

أخبـــار سينمائيـــة



أنا نيجل

بطلة (فيكتوريا العظيمة) و (ستون عاماً مجيداً) ، وقد نالت بهما شهرة طبقت الآفاق كما نالت تقديراً ملكياً سامياً .



بربارا ستانويك

زوجة روبرت تايلور ، وإحدى فاتنات هوليود ، ومن أبرز نجومها وأدمثهن خلقاً

السينما والصيف

تطور الحال ، وصار للسينما فى الصيف موسم يعمل له حساب بعد أن كان الأمر غير ذلك منذ سنوات قليلة ، حين كانت أغلب دور السينما لا تعمل إلا شتاء . فإذا عملت صيفاً ، فإنها لا تلقى إلا إقبالاً قليلاً . أما اليوم وبعد أن أنشئت دور السينما الصيفية ، وزاد الإقبال عليها زيادة هائلة ، وأصبحت تدر ربحاً وفيراً ، إلى جانب تكاليفها الزهيدة . فقد بدأت الشركات تعمل حسابها للموسم الصيفى ، وتعد له العدة كالموسم الشتوى على السواء ، وسيكون لهذا أثر ملحوظ فى صناعة السينما ، وسيكون من شأنه زيادة الإنتاج ووفرة الأرباح وشدة التنافس ؛ وبالتالى ازدهار صناعة السينما وتقدم شأنها عند الأمم

بعض روايات الموسم القادم

* انتهى العمل من روايتى (العزيمة) و (حياة الظلام)
* تم إخراج (يوم سعيد) ولم يبق إلا بعض الأعمال الفنية الأخيرة
* يعمل الأستاذ جلال فى إخراج « إرمانوسه » السيدة آسيا والآنسة مارى كوينى .
* يخرج إخوان لاما « قيس وليلى » على طريقتهم المعروفة .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبتديان — عابدين)

7me Année No. 322 — Lundi - 4 - 9 - 1939

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٣٢٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٥٨ — الموافق ٤ سبتمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

صفحة الفهرس

مجمعنـــــا اللغوى
ماذا يصنع ... وماذا أثمر ؟
للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

عرفت الدكتور أحمد عيسى بك لا من طبه — لا جُعلت حاجتى إليه ، على حذقه وأستاذيته فيه — بل من أدبه وعلمه . وقد كانت له مشاركة فى سياسة الأحزاب جنت عليه فيما أعلم ولم يستفد منها إلا العناء الباطل ، وإلا الاضطهاد بعد أن دالت دولة الحزب الذى دخل فيه . وما كان له قط عمل فى السياسة وإن كان قد حسب من رجالها — وحوسب على ذلك — فى وقت من الأوقات . وإنما كان همه العلم والبحث فى اللغة ، وما زال هذا همه ووكده . وقد زارنى مرة منذ بضعة شهور أيام كان الكلام يدور فى تخليد ذكرى المرحوم الملك فؤاد ، وقال لى : إنه يرى غير ما يرى الناس فى وسيلة هذا التخليد ، فإنهم يرومون إقامة تمثال هنا وهناك ، ولكن الملك فؤاداً كان عالماً محباً للعلم والعلماء ، فالأولى أن يخصصوا المال الذى يجمع لنشر الكنوز العربية التى لا تجد لها ناشراً كما فعلت أم المستشرق جيب الكبير . وأرانى ديوان شعر عربى طبع فى أوربا وعلى الصفحة الأولى منه أنه مطبوع من المال المجموع لتخليد ذكرى هذا العالم المستشرق. وهذا الاقتراح من الدكتور عيسى بك يريك نزعته

ومن أغرب ما سمعت منه فى ذلك اليوم أنه رد نحو ألفى كلمة من اللغة العامية إلى أصولها العربية ، ورتبها وبوبها وعرضها على مجمعنا اللغوى ليطلع عليها ويطبعها وينشرها إذا وافق . ولكن المجمع آثر أن يهمل الأمر ولم ير أن يصنع شيئاً — على عادته —

وقد عنيت بهذا الخبر لأني أنا أيضاً جمعت طائفة من الألفاظ التى يظنها الكثيرون عامية وهى صحيحة وردت فى كتب اللغة وكتب الأدب . وكان الباعث لى على العناية بهذا أنى أوثر أن أستعمل اللفظ المأنوس وأستثقل الحوشى والمهجور ، فغايتى شخصية وغايته علمية بحت . وأتيحت لى فرصة فأذعت حديثاً عن العامية والفصحى أشرت فيه إلى بحث الدكتور عيسى بك ورجوت أن ينفض المجمع عنه هذا الغبار الكثيف وأن يولى بحث الدكتور عيسى بك شيئاً من العناية التى يستحقها ، ولكنى أحسبنى ناديت غير سميع فما عبأ المجمع بالرجل أو كتابه شيئاً

وقد دافعت مرات عن هذا المجمع بمقالات شتى لى فى «البلاغ» وفى المجالس وفى لجان شهدت اجتماعها وسمعت فيها حملات شديدة عليه ، فلست أتهم باللدد فى خصومته حين أتساءل عن هذا المجمع ماذا تراه يصنع ... إن كل ما أراه يصنعه هو إجازة صيغ لا يحتاج جوازها إلى إذن خاص منه ، ووضع ألفاظ لمصطلحات العلوم والفنون سبقه الكتاب والمترجمون والمعلمون إلى خيرها ولا خير فى باقيها ، ونشر مجلة لا انتفاع لأحد بها ، وطبع معجم الدكتور فيشر أوهو يطبعه ولا فضل للمجمع فى هذا . وقد سألت مرة أحد أعضاء المجمع عن هذا المعجم هل اطلعتم عليه وراجعتموه واقتنعتم بصحته فكان الجواب السريع : « لا »

قلت ولكن المجمع ينشره فهو يعد مسئولاً عما فيه ، وعسى أن يكون فيه خطأ أو اعتساف أو شطط فمن يحمل تبعة هذا غير المجمع الذى ينشره والذى يعتقد الناس ـ ولهم العذر ـ أنه أقره . فكان جواب عضو المجمع أن ترحم على الأستاذ السكندرى لأنه كان هو الوحيد الذى اجترأ على الاعتراض على نشر هذا المعجم بغير مراجعة أو بحث كاف

ولست أحاول أن أغض من قدر الدكتور فيشر أو أن أنتقص من قيمة معجمه الذى يقال إنه قضى أربعين عاماً فى وضعه فما اطلعت عليه — كما لم يطلع المجمع — وإنما قرأت وصفاً له فى الصحف ورأيت أمثلة لما يقال إنه فيه وهى أقل وأضأل من أن تجيز لى الحكم عليه أو الذهاب فيه إلى رأى معين . وإنما ذكرت هذا الحديث على سبيل التمثيل لطريقة المجمع فى العمل ومبلغ تقديره لتبعته

وقد قيل لى إن خير ما ينتظر من المجمع هو وضع معجم حديث لهذه اللغة وإن هذا عمله الأكبر ؛ وقال لى غير واحد من أعضائه ومن غيرهم إنه معنى بدرس اللهجات العامية فى أقطار العربية مثل عنايته بوضع الألفاظ لما لا لفظ له فى العربية وإن هذا وذاك بسبيل مما يجب أن يضطلع به من وضع المعجم العربى . ولكنى لا أراه يضع معجماً بل أراه يطبع معجماً تاريخياً للألفاظ وضعه الدكتور فيشر المستشرق . ولا أراه يصنع شيئاً يذكر فى وضع الألفاظ للجديد من المعانى والتعابير ؛ ولو أراد كاتب أو مترجم أو مؤلف فى علم أو فن أو أدب أن ينتظر حتى يمد له المجمع ما عسى أن يحتاج إليه لما جنى سوى طول الرياضة على الصبر . ولا أراه يدرس اللهجات العامية بل أراه يرفض أن ينشر بحثاً للدكتور عيسى بك فى العامية رد به آلافاً من ألفاظها إلى أصولها ؛ فهل كان ينبغى أن يكون الدكتور عيسى بك مستشرقاً أولاً وعضواً فى المجمع ثانياً ليجامله الأعضاء بنشر كتابه بلا بحث أو نظر أو تفلية . . .

ورحم الله الفيروزبادى وابن منظور وابن سيدة وأمثالهم ، فما كان أحدهم مجمعاً طويلاً عريضاً ذا أعضاء من الغرب والشرق ومال تكفله له الدولة

وعسى أن يتوهم البعض أنى أحاول أن أحمل المجمع على نشر هذا البحث للدكتور عيسى بك ، ولهذا أقول إن هذا ظن لا محل له فقد نشر الدكتور كتابه وانتهى الأمر ولا حاجة به إلى معونة المجمع . وأقول أيضاً إن الدكتور الفاضل ما كان يبغى أجراً على عمله أو منفعة أخرى يصيبها من وراء ذلك وإنما رأى أن المجمع أليق جهة بنشر كتابه لأن بحثه يعد بعض عمله

سمعت مرة من رجل مسئول — أو كان من المسئولين يومئذ — وقد قال لمسئول آخر إنه يرى إنشاء مجمع أدبى لخدمة الأدب لا اللغة وحدها كما يصنع المجمع القائم، فقيل له إن التريث واجب فى إنشاء هذه المجامع فقد أنشأت الدولة مجمعاً للغة العربية

جنـــاية أحمد أمين على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ١٣ —

كتب إلىّ أحدُ المتخرجين فى كلية الآداب يقول : « ألا ترى أن إصرارك على تفنيد آراء الأستاذ أحمد أمين فيه تجريحٌ لـكلية الآداب ، وأنت أقسمتَ على الوفاء لـكلية الآداب » ؟

وأقول إنى ما نسيتُ ذلك القَسم العظيم ، وسأظل طول دهرى وفيًّا لـكلية الآداب

ولـكن كيف يصح القول بأن تفنيد آراء الأستاذ أحمد أمين ينافى الوفاء لـكلية الآداب ؟

إن كلية الآداب لها رسالة أدبية وفلسفية ، وهى تروض أبناءها على الفناء فى الحق ، وتنكر عليهم أن يكونوا أبواقاً تذيع أهواء الجاهلين ، فمن الوفاء لتلك الـكلية أن نراقب ما ينشر باسمها من المباحث والآراء ، وأن نتعقب أساتذتها بالنقد حين يقضى الواجب بلا ظلم ولا إسراف

وقد استبحتُ قبل اليوم نقد آراء الدكتور طه حسين وكان عميداً لـكلية الآداب ، فلم يقل أحدٌ إن ذلك النقد كان تجريحاً لتلك الـكلية وخروجاً على يمين الوفاء

وهل خرج الدكتور عبد الوهاب عزام على كلية الآداب حين أنكر آراء الأستاذ أحمد أمين ؟

وماذا تريد منا كلية الآداب ؟

أتريد أن نطوف بأحجارها طواف الخشوع فنرى كل صدًى يرنّ فى حُجُراتها وغُرُفاتها وحياً نزل من السماء ؟

إن تقاليد تلك الـكلية قامت على أساس الفتوّة ، وقد شرعت النضال والعراك حول المذاهب والآراء ، فليعرف بعض الأساتذة هناك أن الوشائج الصحيحة بيننا وبينهم ترجع إلى أصل أصيل من تقاليد تلك الـكلية ، هو الثورة على الأخطاء والأغلاط والجهالات

ونحن ماضون فى سبيل النقد الأدبى بجرأة وصراحة رعايةً للحق ، ورعاية لتقاليد تلك الـكلية الغالية ، جعلها الله إلى الأبد مثابةً لحرية الرأى والعقل ، ونجّاها من عادية الأهواء !

***

وأرجع إلى الموضوع فأقول :

رأى القارىء كيف أخطأ أحمد أمين حين وازنَ بين الوثنية العربية والوثنية اليونانية ، لأن الموازنة لا تصح إلا بين أثرَيْن ، وقد وُئِدت الوثنية العربية وعاشت الوثنية اليونانية ، فالموازنة بينهما لا تجوز إلا فى ذهن من يستجيز الحكم على المجهول

وأنا مع ذلك أعترف بأن الوثنية العربية بقيت منها أشياء ، فقد صح أن بعض العرب عبدوا الأصنام وعبدوا الشمس وعبدوا بعض النجوم

هذا صحيح ؛ وقد شهد به القرآن ؛ وشهادة القرآن لا يمكن إنكارها على الإطلاق ، فهو عند المؤمنين وحى من عند الله ، وهو عند الملحدين صورة صحيحة لأحوال العرب فى عهد النبوة . وكذلك يستوى المؤمن والملحد فى تصديق ما شهد به القرآن

ولـكن كيف كانت تلك الوثنية من الوجهة العقلية والروحية ؟

وكان الأمل فيه كبيراً فمضت سنوات طويلات وهو لا يصنع شيئاً يستحق الذكر أو يستحق به ما أنفق عليه من مال الدولة وهذه تجربة لا تشجع على المضى فى إنشاء المجامع

فأما إنشاء مجمع حكومى للأدب فقد كنت لا أرى رأى صاحب الاقتراح فيه لأنى على شعورى بحاجة الأدب إلى التشجيع وحاجة الأدباء إلى التفرغ للانتاج أكره أن يكون للحكومة دخل فى ذلك وأخشى أن يجنى دخولها فى هذا الأمر على الأدب . فما يرجى للأدب خير إلا فى ظل الحرية ، والحكومات بطبيعتها نزاعة إلى السيطرة والتحكم وتسخير الأقلام لها

كان هذا هو اعتراضى على ما اقترح من إنشاء مجمع أدبى على مثال المجمع اللغوى . أما المسئولون فكانوا ينظرون إلى الأمر من ناحية التجربة المخفقة وما تشير به من ضرورة التريث اتقاء لبعثرة المال فى غير غرض صالح ، ولست أروى هذا إلا ليعرف المجمع رأى الحـكومة نفسها فيه لعل هذا يستحثه قليلاً إذا كان رأى غير الحكوميين من أمثالى لا يعنيه

ابرهيم عبد القادر المازنى

هل يعرف أحمد أمين لأية غاية عبد العرب صنماً فى صورة أسد ؟

لا يكفى أن يكون الصنم نحت من حجر ليقال إن عبادته أرضية وضيعة ، كما يعبر أحمد أمين ، وإنما يجب أن نعرف لأية غاية روحية أو عقلية عبد بعض العرب صنماً من حجر على صورة أسد ، فقد يكون الغرض من تلك العبادة تمجيد الأنفة والقوة والكبرياء ، وهو غرض نبيل رأينا له أشباهاً فى وثنية الفرس والمصريين واليونان

وقد عبد العرب أسافاً ونائلة ، وهما صنمان لامرأة مليحة ورجل جميل

فهل يعرف أحمد أمين لأية غاية عبد العرب هاتين الصورتين ؟

لقد تحدث الأخباريون بأنهما صورة لرجل وامرأة فجرا فى الكعبة فسخهما الله حجرين ، وهنا يتحذلق أحمد أمين فيقول : « ولست أدرى ما حملهم على عبادتهما مع شنيع فعلهما ، وهما إن استحقا شيئاً فالرجم لا العبادة »

فالقول بأن أسافاً ونائلة فجرا فى الكعبة فسخهما الله حجرين هو التأويل الذى اهتدى إليه بعض العوام بعد اندحار الوثنية العربية

أما أهل البصر بأسرار الوثنيات القديمة فيعرفون أن أسافاً ونائلة عند العرب قد يشبهان إيروس وأفروديت عند اليونان ، فهما تمثالان لعبادة الجمال والحب ، وليسا تمثالين لعبادة الفجور والفسق[1]

وعرض الأستاذ لتصور العرب فى الزهرة فلم يدرك ما فيه من جمال ، فالزهرة فى الوثنية العربية كانت امرأة حسناء فصعدت إلى السماء ومسخت كوكباً ، فهل رأى الناس تقديساً للجمال أروع من هذا التقديس ؟

ألا يكفى أن تكون تلك الحسناء نُقِلتْ من الأرض إلى السماء ، ومن عالم الفناء إلى عالم الخلود ؟

قلت لكم إن أسرار الوثنية العربية ضاعت ضيعة أبدية بفضل الدين الحنيف ، ونحن غير آسفين على ضياع تلك الأسرار ولكنا لا نستسيغ القول بأن عقلية العرب كانت أرضية وضيعة ونحن نجهل كيف كانوا يتصورون شؤون الدنيا وأحوال الوجود

والعرب قد اعتذروا عن عبادة الأصنام فقالوا : « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى » وهذه العبارة القرآنية الكريمة تشهد بأن وثنية العرب كانت تحريفاً لدين صحيح قام على أساس التوحيد .

فمن الخطل أن يقول قائل بأن عبادة الأصنام كانت عبادة أرضية على حين يشهد القرآن بأنها كانت موصولة الأواصر بالمعانى السماوية

ويشهد القرآن أيضاً بأن وثنية العرب كانت لها أحكام متصلة بسكان السماء فقد « جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً » ومعنى ذلك أن أوهامهم تجاوزت الأرض إلى السماء

إن العرب فى جاهليتهم قد عرفوا المصريين واليونانيين والفُرس والهنود ، فكيف جاز أن تخلو وثنيتهم من السموّ الذى عُرِفتْ به وثنيات أولئك الناس ؟

كيف يكون ذلك والوثنيات ينقل بعضها عن بعض ، كما تنقل بعض الديانات عن بعض ؟

ثم ماذا ؟

ثم يحكم الأستاذ أحمد أمين بأن العرب لم تكن لهم طبيعة فنية وأن ما كان عندهم من تماثيل فمجلوب من مصر أو من اليونان ، وأن « يغوث » إله مصرى اسمه « يغنوت »

ويجب أن نعرف من هم العرب فى ذهن أحمد أمين

يظهر أن العرب فى ذهنه هم سكان البادية العربية ، وسكان البادية لا يحسنون صناعة التماثيل

والقول بأن العرب فى جاهليتهم لم يكونوا إلا سكان البوادى قولٌ أذاعه المستشرقون الذين يهمهم أن يثبتوا أن الحضارة العربية أُخِذت عن مصر وفارس واليونان وليس فيها أثر عربيّ أصيل .

والتاريخ الصحيح يقول بغير ذلك ، فالعرب فى الجاهلية كانت لهم حواضر فى الحجاز واليمن والشام والعراق ، وكان لهم فى تلك البلاد آداب وفنون ، ولو عاش قصر غُمدان وقصر الخورنق لاستطعنا أن نعرف كيف فهموا قواعد النحت والتصوير وكيف برعوا فى تسجيل حوادث التاريخ

---

(١) سمعت أن الأستاذ إسعاف النشاشيبي تحدث عن هذه المسألة فى بعض مقالاته ، وقد ضاق الوقت عن مراجعة رأيه فيها ، فما أدرى أمتفقون نحن أم مختلفون .

ولنفرض أن العرب جهلوا النحت والتصوير كل الجهل ، فكيف جاز مع هذا الفرض أن يهاجم الإسلام عن النحت والتصوير ؟ وهل ينهى الإسلام عن شيء غير موجود ؟

قل كلاماً غير هذا الكلام يا أستاذ أمين ليصدّق الناس دعواك !

قد يقال : وأين آثار النحت والتصوير في البلاد العربية ؟

ونجيب بأن ذلك كله بدّده الإسلام عامداً متعمداً ليُذهب آثار الشِّرك والوثنية !

وهل تعرفون كم أثراً فنيًّا حطمه المسلمون بمكة يوم الفتح ؟

لقد كانت مصر مملوءة بغرائب التماثيل لحطمها المسلمون ليمحوا شواهد الوثنية الفرعونية . والذين قرأوا التاريخ يذكرون ما فعل الشيخ محمد صائم الدهر : فقد طاف بمصر من الشمال إلى الجنوب ليهشم ما ترك المصريون القدماء من الأصنام والأوثان ، وهو الذي جدع أنف أبي الهول ، ولو استطاع لحوّله إلى رماد

وبعد إسلام أهل مصر بقيت فيهم بقايا من احترام تماثيل الأسود فكانوا يقيمونها فوق قناطر النيل ، وكان الشيخ محمد صائم الدهر يسطو عليها من وقت إلى وقت فيهشم منها ما يستطيع

فإن مررتم على جسر إسماعيل بقصر النيل ورأيتموه محروساً بأسدين فتذكّروا أن تلك الصور الأسدية ليست إلا رجعة إلى ما كان يصنع المسلمون في تزيين قناطر النيل بصور الأسود . وإن زرتم أطلال الكرنك ورأيتم مداخل القصر محروسة بعشرات الأسود فاعرفوا أن هذا من ذاك

* * *

توهّم أحمد أمين أن دين العرب في الجاهلية كان أرضياً وضيعاً ، فكان ذلك التوهم سناداً يركن إليه في تحقير التشبيهات الجاهلية ، فهي عنده لاصقة بالأرض ، وشاهد ذلك أن الجاهليين يشبهون الحيوان بحيوان مثله كتشبيه الناقة بالظَّليم أو بالثور الوحشيّ أو بالنعامة أو بالأتان

وأحسب أن لو قال هذا الكلام تلميذ بالسنة التوجيهية لسقط في الامتحان أبشع سقوط

فتشبيه الناقة بالظليم أو بالثور الوحشي تشبيهٌ مقبولٌ جدًّا ، وليس ماديًّا لاصقاً بالأرض ، لأن وجه الشبه هو السرعة لا الشكل ، والسرعة صورة معنوية

أحمد أمين يريد في الواقع أن يقول إن الناقة شبهت بحيوان يعيش في الأرض لا في السماء ، وآية ذلك أنه عاب على امرئ القيس أن يشبّه الفرس بجلمود صخر حطّه السيل من علٍ ، وقال :

« إن غير العرب شبهوا سرعة الفرس بالبرق »

ذلك كلام أحمد أمين ، وما نفتري عليه

فهل رأيتم كلاماً أغرب من هذا الكلام ؟

أنا أنتظر رأى أساتذة البلاغة بكلية الآداب والأزهر ودار العلوم

هل من الصحيح أن تشبيه سرعة الفرس بالبرق أدق من تشبيه سرعته بجلمود صخر حطه السيل من شواهق الجبال ؟

إن تشبيه سرعة الفرس بالصخرة التي حطها السيل من شاهق لا يقف عند السرعة وإنما يتعداها إلى الثِّقل . فالفرس عند العدْو ثقيلٌ جدًّا بحيث لا يملك مراعاة ما قد يعترض الطريق من شجرة أو جدار ، وكذلك لا تملك الصخرة الانحراف من جانب إلى جانب حين تنحطّ من شاهق

أما تشبيه سرعة الفرس بسرعة البرق فهو تشبيه لا يُقبل إلا عند من يرحّب بالأخيلة البهلوانية

وأين الفرس من البرق ؟

إن ما يقطعه البرق في لمحة واحدة قد يعجز عنه الفرس في الأعوام الطوال

والغرض من التشبيه هو تقريب بعض الصور من بعض ، أما الإغراب في التشبيهات والاستعارات فهو سخف مرذول

وأحمد أمين الذي تعجبه الصور السماوية كصورة البرق هو نفسه أحمد أمين الذي عاب على العرب أن يتصوروا مصير الغُميصاء بعد فراق سهيل

« زعموا أن الغميصاء وسُهَيلاً كانا مجتمعين فانحدر سهيل فصار يمانيًّا ، وتبعتْه العبور فعبرت المجرة ، وأقامت الغميصاء فبكتْ لفقد سهيل حتى غمصتْ »

تلك هي الأسطورة العربية التي استسخفها أحمد أمين ،

ولو كان يعرف تاريخ الأساطير لأدرك أن هذه الأسطورة فيها ملامح يونانية ، فالنجم الذي يهوى من موضع إلى موضع هو إلهة عاشقة تنحدر لموعد غرام مع إله معشوق

وكانت الغميصاء المسكينة على موعد مع معشوقها سُهَيل ، ولكنها عجزت عن عبور المجرة فظلت تبكي حتى أصابها الغَمَص

ولو كانت هذه الأسطورة يونانية لا عربية لعدّها أحمد أمين من غرائب الخيال ، وعدّ أصحابها من الزاهدين فى الأرض والمفتونين بالسماء !

وأنتِ كذاكِ قد غُيِّرتِ بعدى وكنتِ كأنكِ الشعرى العبورُ

* * *

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

ثم رأى أحمد أمين أن دين العرب فى الجاهلية قد ظهر أثره فى وصفهم للمرأة ، فهم « لم ينظروا فى المرأة إلا إلى جسمها . لقد أدركوا تمام الإدراك جمالها الحسى ، ولكنهم لم يدركوا جمالها الروحى . أولعوا بقدها المشوق، وعيونها الدُّعج ، ووجهها الوردىّ ، وخصرها النحيل ، وردفها الثقيل ، وما شئت من أعضائها وأجزائها . فأما روحها السماوى وجمالها الروحى ، وتمشق روح الشاعر لروحها والشعور بأنها مصدر وحيه وإلهامه فشىء لم يستطع إدراكه الشاعر الجاهلى »

ثم يصرح بأن الوقوف عند هذه المعانى فى النظر إلى المرأة شىء يخجل (؟)

أما أنا فأقول بأن نظرة الشاعر الجاهلى إلى المرأة نظرة سليمة تدل على الفحولة والفتوّة ، فجمال المرأة ، جمالها الصحيح ، هو فى نواحيها الحسية ، وليس من العيب أن يقول الرجل إنه يشتهى المرأة شهوة حسية ، وإنما يعيب الرجلَ ألا يملك من المرأة غير أنس الروح بالروح

إن أحمد أمين يحب أن يكون روحاً لطيفاً شفّـافاً يؤذيه أن يتحدث الناس عن العيون الدُّعج ، والقد المشوق ، والخصر النحيل .

هو يحب أن يضاف إلى رجال الأخلاق !

أما أنا فأبغض أشد البغض أن أضاف إلى هذا الطراز من رجال الأخلاق

أنا أفهم جيداً أن المرأة لا تهمّ الرجل إلا إن كانت أنثى فيها جميع خصائص الأنوثة ، الخصائص التى تُشعر بأنها متاعٌ جميل ، والتى تحمله على أن ينظر إليها نظر الأسد المهصور إلى الرشأ الربيب

ولا يمكن للمرأة أن تكون مصدر وحى وإلهام للرجل إلا إذا اشتهاها شهوة حسّيّة ، ومن قال بغير ذلك فهو رجلٌ ضعيف لا يدرك جوهر الصلات بين الرجال والنساء

إن الأستاذ أحمد أمين يستقبح قول امرئ القيس :

وبيضةِ خِدرٍ لا يرام خباؤها تمتعتُ من لهوبها غير مُعْجَلِ

فأين هو من الفحولة التى يهدر بها هذا البيت ؟

قد يقول : وكيف يجوز للرجل الفحل أن يبكى وهو يستعطف المرأة ؟

وأجيب بأن بكاء الرجل أمام معشوقته ليس علامة ضعف ، وإنما هو علامة قوة ، فالدمع فى عين العاشق كالسم فى ناب الثعبان؛ فالثعبان يخدِّر فريسته بالسم ، والعاشق يخدِّر فريسته بالدمع

وهنا أستأنس بكلمة قرأتها للأستاذ المازنى فى جريدة السياسة سنة ١٩٣٢ وهو ينقد قول شوقى

« ما الحب إلا التضحية »

فقد عد هذه الكلمة باباً من الضعف ، ومن عمى البصيرة ، لأن الحب فى حقيقة أمره ضربٌ من الأثرة والافتراس

قولوا الحق يا بنى آدم ، فالنفاق خُلُق بغيض

قولوا الحق ، واعترفوا بأن المرأة لا تهم الرجل إلا بوصف أنها مخلوق جميل له عينان دعجاوان ، وجبينٌ مُشرق ، وجيدٌ كجيد الريم ، وقوامٌ كالغصن الرطيب

ولعل أحمد أمين يريد امرأة فيلسوفة لها عرقوب كشهر الصوم فى الطول ، ولها عين كعين الغميصاء تعينه على سهر الليل إلى أن يبزغ « فجر الإسلام » !

والعجيب أن تصدر هذه الأحكام عن رجلٍ يكتب فى الفلسفة

من وقت إلى وقت ، وقد غاب عنه أن فى فلاسفة هـذا العصر رجل اسمه فرويد ، وهذا الفيلسوف يرجع أعمال الرجال إلى أصول شهوانية قد تسوق الناس من حيث لايحتسبون . وما كان فرويد أول من نظر هذه النظرة فقد رأيت لها أصولاً فى مؤلفات الشعراني ، ومن قبل ذلك رأيت لها أطيافاً عند فقهاء الشريعة الإسلامية ، وهم رجال أمعنوا فى درس أسرار الطبائع

فممن أخذ أحمد أمين هذه الحذلقة فى فهم الأدب النسوى ؟

أغلب الظن أنه نقلها عن الكاتب المتحذلق توفيق الحكيم الذى زعم أن كل عبقرى محروس بروح نسائية تفيض عليه الوحى من وراء الغيب !

وكيف تستطيع المرأة أن تسيطر على الرجل عند اليأس من طيباتها الحسية ؟

إن الرجل قد يذكر المرأة بالشوق بعد أن تموت ، ولكن ذلك لا يمنع من أن الأخيلة الحسية لها دخل فى تسعير ذلك الشوق

أقول هذا وأنا أعرف أن فى بنى آدم من يوحى إليه الرياء بتكذيب هذه البينات ، ولكن ماذا يهمنى وأنا حريص كل الحرص على الجهر بكلمة الحق ؟

إن الوثنية اليونانية التى يمجدها أحمد أمين قد جعلت للآلهة شهوات ولذات ، فكيف يستنكر أن تكون لشعراء الجاهلية شهوات ولذات ؟

إن أفروديت وهى من الآلهة فى الوثنية اليونانية قد صهرها الغيظ حين سمعت بأن فى الأرض إنسانة جميلة تستهوى قلوب الرجال ، وكان من آثار ذلك الغيظ أن قامت بدسائس خبيثة للفتك بتلك الإنسانة التى وصلت أخبارها إلى سكان السماء

الحق كل الحق أن الجمال الحسى هو كل شيء فى المرأة ، وهى تصل إلى الكمال حين يؤيد جمالها الحسى بالجمال الروحى ، كأن تكون على جمالها ذات عقل وأدب وعفاف

وهل تعرفون كيف كان العفاف فضيلة ؟

كان العفاف فضيلة لأنه تمكين للرجل من السيطرة المطلقة على مواقع هواه ، فهو فضيلة لوحظت فيها الأثرة الرُجلية

ما هذا الذى أقول ؟

أرانى أهيىء الفرصة لثرثرة من لا يفهمون دقائق علم الأخلاق ، وأنا أحب أن أسلم من ثرثرة أولئك الناس

الذى يهمنى هو النص على أن شعراء الجاهلية صوروا الفطرة السليمة حين جعلوا الأنس بالمرأة الجميلة من النعيم المحسوس ولم يجعلوه من النعيم المعقول

ولو رزقنى الله شيئاً من الصراحة لقلت : إن الشهوات هى فى الأصل من أجلّ نِعم الله على عباده ، وما استنكرها رجال الأخلاق إلا بسبب الإسراف . أما الشهوات فى حد ذاتها فهى من دلائل العافية : والعافية نعمة جزيلة ينعم بها الله على من يشاء

وفضيلة العفاف ، وهى فضيلة نبيلة لا يقام لها وزن إلا حين تصدر عن رجال مزوَّدين بحيوية الشهوات ، فطغيان الشهوة ملحوظ عنـد النظر فى فضيلة العفاف . أما عفاف العاجزين عن الفجور فهو لايستحق أى ثناء ، ولايضاف صاحبه إلى أهل الكمال وإن لبس مسوح الرهبان

ويجب أن يكون مفهوماً أن الشهوة الحسية لها صلة بتفوق الرجال فى الميادين العقلية ، فالرجل الآمن من طغيان الشهوات محروم من نعمتين : نعمة القدرة على فهم الجمال ، ونعمة القدرة على مجاهدة الأهواء

وكذلك يصح القول بأن الرجل العاجز لا يستطيع أبداً أن يتسامى إلى منزلة أصحاب الأخلاق

فهل ترونى وصلت إلى إقناعكم بأن أحمد أمين أخطأ حين عاب على شعراء الجاهلية أن يجعلوا المرأة من المتاع الجميل ؟

أنا أعرف أنى أوذى نفسى بهذه التحليلات ، وأعرف أنها قد تصورنى بصورة الرجل الفاتك ، ولكن ماذا أصنع وأنا أريد أن أصدق كل الصدق وأنا أحادث القراء ؟

وهل كُتِب على الدراسات الأدبية والفلسفية فى مصر أن تقوم على قواعد الرياء ؟

إسمعوا منى كلمة الحق فى هذه الشؤون قبل أن تسمعوها من باحث يعيش فى لندن أو باريس ، فمن العار أن نعجز فى عصر النور عما قدر على شرحه الأسلاف فى عصور الظلمات

***

في سبيل الإصلاح

علماؤنا والاصــــلاح

للأســتاذ علي الطنطاوي

لعل في القراء من يذكر السؤال الذي وجهته منذ أسابيع إلى المفكرين من علمائنا وعرضت فيه إلى بعض المشكلات الدينية وسألتهم حكم الله فيها ، وحكم الله لا يخالف مصلحة الناس ، ولا ينافي حاجة العصر . وقد مرت هذه الأسابيع ولم أتلق من أحد جواباً ، ولم أجد فيمن لقيت من علمائنا في هذه المدة إلا أحد رجلين : رجل لم يقرأ السؤال ، ولم يدر بأن في الدنيا مجلة اسمها الرسالة ، ولم يدخل بيته إلى اليوم كتاب واحد أو مجلة أو رسالة صغيرة مما تفيض به المطابع كل يوم ، لأن ذلك كله لغو لا يليق بالعالم أن يلقي إليه بالاً أو يقف عنده أو يعرج عليه ، وفي كتب الفقه والأصول والحديث الكفاية ، وإن كانت العناية بالحديث والتفسير — أعني بالكتاب والسنة — لمجرد التبرك والاطلاع ، لا للاستنباط والاجتهاد ، لأن الاجتهاد سد بابه والفقهاء لم يتركوا شيئاً إلا قالوه ، وإن هو احتاج بعد ذلك إلى شيء من الأدب فحسبه المستطرف ، والكشكول ، والمخلاة ، ومسامرات الشيخ محي الدين بن عربي مؤلف الفصوص الذي تجد الكلام على دينه وتقواه في الصفحة ١٥٩ من كتاب الإسلام الصحيح للنشاشيبي

ورجل آخر ، حملت إليه الرسالة ، فقرأ السؤال فكان جوابه عليه لعنة حامية على هؤلاء الملحدين الذين يحلون ما حرم الله ، ويدعون إلى الربا الذي نهى عنه الله ، وكان له مادة لإعلان غيرته على الدين ، وتثبيت منزلته بين العامة ...

على حين أن المشاكل الدينية من نحو مشكلة الربا قائمة ، والناس يتعاملون بألوان من الربا منها الربا الفاحش البين ، ومنها الربا الخفيف أو ما يشبه الربا ، ولا تجد تاجراً (أعني تجار الجملة لا البقالين) يستغني عن مثل معاملات الحسم (السقونطو) أو عن الاتصال بالمصارف على نحو ما ... فإذا كان هذا كله من الربا المحرم الممنوع شرعاً ، وكان هذا كله مما لا يستغنى عنه كانت النتيجة (المنطقية) أن الإسلام لا يصلح لهذا الزمان ... وهذا محال ، فلم يبق إلا إبطال إحدى المقدمتين ، فإما أن يقال بالاستغناء عن معاملات المصرف ، وإما أن يقال بأن هذه الأحكام الفقهية ليست هي كل الشريعة ، وأن من الممكن استنباط أحكام أخرى شرعية تصلح لهذا الزمان . وإذا نحن نظرنا في تاريخ التشريع الإسلامي وتاريخ الفقه نجد أن المجتهدين لبثوا متوافرين في كل عصر ، لم يخل منهم زمان ، وإن كان منهم من هو (مجتهد في المذهب) على حد تعبيرهم ، ولبث ذلك إلى القرن التاسع حيث غلب الأتراك على البلدان العربية وضعفت العناية باللغة العربية ، واستغلقت على القوم آيات الكتاب البينات ، وخفي عنهم ما وضح للعلماء الأولين من السنة ، فأعلنوا سد باب الاجتهاد ! ! على أن هذا العصر أيضاً لم يعدم جماعة من أهل الترجيح والتخريج ، وهم أنصاف مجتهدين (إن صح التعبير) . ونشأ عن وقوف الاجتهاد وسير الدنيا (بل سيرها سعياً) أن كان في الفقه اليوم أحكام تخالف ما يراه الناس صالحاً لزمانهم ، مع أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان ، لا شك في ذلك أبداً

أما بعد فهناك مكاره سيصلاها أحمد أمين في المقالات الآتية وسيعرف أن التجني على ماضي الأدب العربي لا يمرّ بلا حساب

وأنا أرجوه أن يترفق بنفسه فلا يصر على تحقير الأرومة العربية وتمجيد الأرومة اليونانية ، فقد أستطيع أن أحدثه بأن العرب الذين غلبت عليهم شهوات الحواسّ هم الذين استطاعوا بفضل فحولتهم أن يدحروا اليونان وأن يحوّلوهم إلى أحلاس في حوانيت الزيتون والسردين

وقد حدثنا أحمد أمين بأن العرب انحطوا في جاهليتهم بسبب تلك الوثنية الأرضية الوضيعة ، ثم حدثنا بأن القرآن لم يرفع عقليتهم ، مع أنه وحي سماويٌّ رفيع ، فهل يتأثر العرب بالوثنية ولا يتأثرون بالإسلام ؟ سنعرف وجه الحق في هذه القضية ، في الأسبوع المقبل ، وإنه لقريب .

(مصر الجديدة) زكي مبارك

فكيف يكون التوفيق بين الأصل الثابت وبين هذه النتيجة ؟

* * *

يستطيع العلماء أن يفتوا بأن هذه المعاملات (المصرفية) كلها ربا ، وأن الربا كله حرام ، ولكن التجار يستطيعون أيضاً أن يثابروا على التعامل بها ، والإقامة عليها ، وتبقى المشكلة بل تزداد إشكالاً .

فالإصلاح إذن لا يكون بالإصرار على هذه الحواشي الفقهية والدفاع عنها، بل بالبحث عن أدلتها، فما كان منها قطعياً ثابتاً بدليل من الكتاب أو السنة الصحيحة ، فهو الذي لا سبيل إلى تبديله ، وما كان منها مبنياً على عرف أو دليل فيه احتمال ، وكان إلى تعديله سبيل من الشرع عدل[1]

وهذه المسألة على وضوحها تحملنا جهداً ، وتكلفنا عناء ، لأن من العلماء من لا يريد أن يفهمها ، ولا يقدر أولا يحب أن يفرق بين قول الفقيه واجتهاده وبين النص — ومن يحسب الخروج على المذاهب الأربعة خروجاً على الدين ، وأكثرهم لا يبالي بعد ذلك هل سارت الحياة شرقاً أم اتجهت غرباً ...

* * *

ولم يبق أحد جاهلاً بأن المدنية الأوربية قد طغت علينا ، وأننا انغمسنا فيها واقتبسنا منها فبدلت حياتنا تبديلاً ، وغيرت طرائق معيشتنا في دورنا ومدارسنا وأسواقنا ، فأصبحنا أقرب في طراز حياتنا إلى أهل باريز اليوم منا إلى أهل دمشق والقاهرة في القرن التاسع الهجري ، وأصبح من المستحيل علينا العمل بأحكام استنبطها المجتهدون لأهل القاهرة ودمشق في القرن التاسع . وإذا نحن وقفنا عند هذه الأحكام والحياة تمشي أصبح بيننا وبين الدين مسافة هائلة لا يمكن قطعها ، وأهملنا أكبر مزية لديننا وهو أنه دين البشرية الراقية في كل عصورها ، وعطلنا أصلاً مهمًّا من أصول ديننا وهو الإجماع ، مع أن الوصول إلى الإجماع في هذا الزمان أسهل منه في كل زمان مضى لسهولة المواصلات وسرعتها ، فلماذا لا ننظم مسألة الإجماع ؟

الإجماع هو اتفاق المجتهدين في عصر من العصور على حكم من الأحكام ، فلا يمكن تنظيمه إلا بتعيين المجتهدين ، والاتفاق على الشروط التي يجب اجتماعها في العالم حتى يعد مجتهداً

وأنا أرى أنه لا مانع من الشرع ولا من الطبع يمنع من إحداث تشكيلات للعلماء ، ودرجات وسمات لهم معروفة ، حتى لا يختلط الأمر ، ويستفتي الناس مفتين جهالاً فيضلوا ويضلوا . ولقد خطونا الخطوة الأولى من عهد بعيد حين جعلنا في كل بلد مفتين رسميين لهم مرجع أعلى ، هو شيخ الإسلام ، ولكن نسينا أن العالم لا يسمى مفتياً إلا إذا كان مجتهداً ، وليس كل من عرف الدر وحواشيه والفتاوى الهندية يصح أن يتصدر للإفتاء . فإذا وسعنا هذه الدائرة ، وجعلنا للعلماء درجات متعددة تخلصنا من هذه الفوضى العجيبة التي نراها اليوم حين أصبح كل صاحب عمة قد كورها وجبة قد وسعها من العلماء ، وحين رأينا في جمعيات العلماء أناساً لا يمتازون من العامة إلا بالزي . وليت شعري لماذا يكون لكل فرع من فروع العلم درجات وشهادات ، فلا يستطيع أن يدعي الطب أو يمارس المحاماة إلا من حصل شهاداتها ودرس علومها ، ويبقى أمر الدين مهملاً يدعيه كل ذي لحية طويلة ؟ إن الطبيب إذا أخطأ قتل نفساً ، ولكن العالم الديني إذا أخطأ قتل أمة ، وأذهب عليها دينها ودنياها ...

إذا وضع قانون الدرجات العلمية عرف به العلماء الذين بلغوا درجة الاجتهاد - فدعوا من كافة الأقطار الإسلامية - وعرضت عليهم هذه المشكلات وسئلوا حكم الله فيها ، فإن اتفقوا على أمر عد مجمعاً عليه وصار من الأصول الثابتة ، وإن اختلفوا استؤنس برأي الأكثر منهم ، هذا إذا لم يكن في المسألة دليل شرعي ، أما إذا وجد فالحكم حيث يوجد الدليل

* * *

وربما أنكر منكر هذا الاقتراح ورآه حدثاً في الدين ، وتقليداً للنصارى في درجات قسوسهم ، وأنا أرد سلفاً بأن هذا التنظيم من قبيل جمع القرآن ، وتدوين العلوم ، لم يرد ما يمنعه ، والمصلحة تقتضيه ، وليس من شك بعدُ بأن (هذا) الإجماع أقوى وأظهر من كل إجماع إلا إجماع الصحابة . لأن استقراء المجتهدين وجمعهم والوقوف على رأيهم أهون في هذا العصر منه في العصور الأولى

أما المسائل التي تعد أساس الإصلاح الديني وركنه ، فقد

---

(١) وحينما يجمع العلماء ، أو يثبت الدليل على أن معاملات المصارف كلها حرام — لا يبقى للكلام فيها مجال

لخصها أستاذنا المغربي فى (البينات) فى مقالة له نشرها منذ ثلاثين سنة ، وأنا أنقلها عنه بتصرف فيها :

١ — وضع مناهج المدارس الدينية على شكل يمدّ الطلاب للاجتهاد ويهيئ لهم أسبابه

٢ — إصلاح أساليب الكتب القديمة وعرضها بشكل جديد ، وقد بدأ بذلك الأستاذ محيي الدين عبد الحميد من أساتذة الأزهر فأصلح بعض كتب النحو ، ولكن بمقياس ضيّق

٣ — أن يكون ادعاء العلم ، واتخاذ زيّه بإذن من لجنة علمية خاصة ، وبعد ثبوت أهلية الطالب وكفايته

٤ — أن يكون الاجتهاد إجماعياً لا فردياً ، لئلا يكون للخلاف مجال

٥ — ألا نلتزم أقوال إمام بعينه ، وإنما نأخذ من كل مذهب ما يوافق العصر ، وأقول : إن ذلك لا بأس به فى العبادات . أما المعاملات فلا بدّ من وضع قانون لها مقتبس من الدين يختار فيه قول واحد ويوقف عنده ليكون العمل به

٦ — أن نبتعد عن البدع والأحداث وأن نقف عند الكتاب والسنة

٧ — تمييز العقائد الثابتة من التقاليد الموروثة ، فلا ندخل فى باب العقائد إلا ما كلفنا الله به ، ولا نكفر مؤمناً إلا إذا أنكر عقيدة ثابتة

٨ — أن يكون تصحيح الحديث اعتماداً على متنه وسنده ، لا على صحة سنده فقط ، فإن خالف متنه أصول الدين أو المشاهد المحسوس ردّ مهما كان سنده ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثله

٩ — أن يعمَد فى العقائد والعبادات والشعائر ظاهر النص وأن يكون القياس فى المعاملات وما يتعلق بالقضاء ويختلف باختلاف الزمان والمكان

١٠ — أن نرفع من شأن العمل قليلاً ، فلا نزعم أن المسلم ينجو بمجرد أقوال يردّدها ، بل نقرر أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وعمل الأعمال التى حث عليها الإسلام ، وتخلق بالأخلاق التى أمر بها

١١ — وأن نرفع من شأن الأسباب قليلاً ، ونعتبرها مظاهر لإرادة الله وقدرته ، فلا نهملها إلى حدّ أن نقول أن السم لا دخل له فى موت من تناوله فمات به ، ولكنه مات لأن ذلك مقدر عليه

١٢ — ألا يبحث الفقهاء فيما ليس من شأنهم ، وإنما يدعون كل أمر إلى أهله ويرجعون فيه إلى أربابه . فإذا كان البحث عن اختلاف مطالع الهلال مثلاً لم يرجع إلى قول ابن عباس ولكن إلى قول الفلكيين الفنيين ، وفى الطب يرجع إلى أطباء العصر لا إلى داود الأنطاكى ومن روى عنه

***

عندنا اليوم مشكلات كثيرة كمشكلة الربا والطلاق وثبوت الهلال والسفور ، وعندنا الاختلاف على التوسل بالصالحين ، ورفع القباب ، وعبادة القبور ، وكرامات الأولياء ، وكل ذلك لا يحلّ إلا بهذا المؤتمر الإسلامى أو هذا (الإجماع) المنظم ، لأن كل فرد من العلماء يؤثر السلامة ، فلا يجب أن يجابه الناس بما لا يألفون فيخسر منزلته فيهم ولا يجد الجرأة على ذلك

فهل يتلطف بعض من له صلة بشيخ الإسلام الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى فيحمل إليه هذه المقالة ؟ وهل يتفضل إذا حملت إليه فينظر فيها ويولى هذه المسألة شيئاً من عنايته ؟

على الطنطاوى

ذكرى

سـوداء !...

للأستاذ أديب عباسي

أطلّ صاحبي بعد أن نقر على الباب نقرتين أو ثلاثاً ونادى :

— ماذا تنوى أن تصنع بيومك ؟ أتريد أن تبقى حيث أنت أمام هذا الركام من الهذر والغُثاء ، أم تريد أن ترى الشمس قليلاً ؟

فقلت : ولكن متى نستطيع أن ننظر فى كل هـذا الذى ترى إذا لم ننتفع بيوم عطلتنا هذا ؟ أليس الأولى والأحزم أن ننقل الحمل مجزءاً بدل أن ندعه يربو ويتراكم فنعود غير قادرين على زحزحته بله نقله ؟

هذه كانت حجتى فى إيثار البقاء فى المنزل ؛ ولكن صاحبى أدرك أننى أقول بلسانى خلاف ما تقوله عيناى، وأدرك أننى أودُّ النجاة مما بين يدى على أى حال ، ولهذا لم يزد على أن قال :

— إننى أنتظرك فى أدنى الشارع ، فهو يوم من أيام الربيع التى لا تفوَّت . والوادى اليوم متحف من متاحف الطبيعة للزهر والعطر والخضرة والظل ، ولا يفوِّت هذا اليوم إلا كل خامد الحسّ كافر بالسحر والجمال .

***

سرنا ساعة وبعض الساعة فى خلال الوادى لا أستمع إلى حديث صاحبى ولا يستمع إلى حديثى إلا بعض سمعنا ؛ فلقد كادت روعة الوادى فى ذلك اليوم من أيام الربيع تعطل كل اتصال بين نفسينا وبين العالم الخارجى ، إلا ما كان بينهما وبين هذه المائدة المثقلة بصنوف الفتنة وألوان الجمال . ولم نثب إلى أنفسنا ، مما سحرنا الوادى وشدهنا عن كل شىء سواه ، إلا حينما رأينا نخلف الوادى الخضيل وراءنا وننتهى إلى العراء . وعندها شعرنا بالتعب والعطش ينحطان علينا فجأة وفى غير إنذار . وقال أحدنا : هيا إلى تلك الدوحة نتفيأ ظلها إلى أن ينكسر سم النهار[1] فنعود

ومكثنا فى ظل تلك الدوحة ساعة ألح علينا بها العطش إلحاحاً شديداً ، فقلت :

— ألا نقوم فنسير إلى النبع نزيل هذا العطش الذى يكاد ينسينا كل ما نلناه من لذة ومتاع ؟

فأجاب صاحبى :

— لا تنس أن بيننا وبين الماء ساعة كاملة من السير وفى خلال هذه الساعة سيخف وهج النهار ويخف معه ما بنا من أوام ، ولكن انظر : ألا ترى هـذه السوداء ؟ إنها قذرة ، ولكن حبذا نهلة من جرتها الصغيرة !

أننزل إلى الطريق نلاقيها ونطلب أن تسقينا أم ندعوها إلينا وننفحها بقليل من القروش ؟

فقلت : أعتقد أن من الأريحية ألا نكلفها الصعود إلينا ، فلنقم نلاقيها ونكون أقل أنانية وخور عزيمة

وهممنا أن نقوم ، وأخذ كل منا يعيِّث فى جيوبه ليقدم للفتاة شيئاً مقابل ما سيشرب من جرتها ويضطرها إلى الرجوع وملئها من جديد . بيد أن الفتاة أبدت حركة اضطرتنا إلى البقاء ، فقد أشارت إلينا بيدها أن امكثا ، وأقبلت نحونا . فالتفت إلى صاحبى وقلت :

— ما معنى هذا ؟ أتكون قد سمعت كلمتك القاسية فجاءت تعاقبك العقاب الذى أنت أهله ؟

فقال : لا أدرى ، وإنما يجب أن نكون على حذر ، وعلى كل فأنا لا أرى فى وجهها شيئاً من الشر . ومهما أرادت أن تعاقبنا ، فليس ثمة أكثر من أن تسكب على رأسى هذا الماء الذى تحمل ، وهو كل ما أتمناه

فقلت : قد تسكب الفتاة المـاء كما تتمنى ، وقد تسكب الماء والجرة معاً ... ولست أدرى عندها أى الجرتين تكسر الأخرى ، جرتك الفارغة هذه ، أم جرتها الملأى ؟

دنت الفتاة حتى غدت على قيد خطوات منا ، وابتسمت ابتسامة خفيفة أزالت من نفس صاحبى ما ساوره من قلق ، ثم حيت تحية طيبة وأنزلت جرتها عن رأسها وقالت بلطف : تفضلا.

وتناول صاحبى الجرة وبدأ يشرب ، وقبل أن ينتهى من شربه أمسكت الفتاة بالجرة وأزالتها عن فمه ، فدمدم محتجاً وقال : دعينى أشرب ، إننى سأدفع ثمن الماء !

وابتسمت الفتاة مرة ثانية وقالت فى شىء من المرارة والأسف :

— كم يخطئ الناس الحكم ! إننى لم أمنن عليك بالمـاء ،

(١) هذه من استعارات العامة ، ولا أرى بأساً فى استعمالها

ولكن لعلك لا تعلم أن الإسراف فى الشرب فى مثل حالتك من العطش الشديد يأتى بأوخم العواقب ... هيا يا أخى اشرب (وأشارت إلى) ، ولكن يحسن أن ترش يديك ووجهك بقليل من الماء قبل الشرب : إننى لم أكن أعلم أنكما بهذا المقدار من العطش وإلا لما سمحت لصاحبك أن يشرب قبل أن يغسل يديه ووجهه ...

وبعد أن ارتوينا وغسلنا أيدينا ووجوهنا طلبت إلى الفتاة أن تجلس وتستريح ، فاعتذرت بأدب ولطف وقالت : إن أخوىّ الصغيرين فى مثل حالكما من العطش . فأرجو أن تسمحا لى بالرجوع لأملأ الجرة وأعود إليهما

فقلت بأسف : يؤلمنا أن نكون قد شربنا الماء الذى كان يجب أن يبرّد عطش أخويك فلا تضطرين إلى الرجوع ومضاعفة الأمد الذى سيرتوى عنده أخواك

فأجابت الفتاة : لا بأس ، إن أبناء الصحراء أكثر احتمالاً للعطش من أبناء المدينة ولو كانوا صغاراً كأخوىّ

وهنا سأل صاحبى وهو يدارى أن تقع عين الفتاة فى عينه : ولكن كيف عرفت أننا على هذا الحال من العطش فحدت عن الطريق وأتيت تسقيننا ؟

فأجابت الفتاة ببساطة : سمعتك تتمنّى لو تتاح لك شربة من جرتى فجئت !

فقال صاحبى بجزع ظاهر : أوسمعتِ ما قلته إذاً ؟ فأجابت : نعم ، سمعته . فقال : أسمعته كلّه ؟ فردّت : نعم ، كلّه . فقال : وكيف جئتِ إذاً ؟ ! فحدجته الفتاة بنظرة قاسية ولم تجب . وعندها أدخل صاحبى يده فى جيبه وأخرجها ثم مدها إلى الفتاة . وعندها نظرت الفتاة إلىّ وفى عينيها دموع وقالت : ألا سامحكما الله . ثم حيت وانصرفت

***

كان إحساساً أليماً حقاً ، شعرنا عنده أننا صغرنا وصغرنا إلى حد الضؤولة . وقلت لصاحبى : لقد كنت قاسياً أشد القسوة

فأجاب : أتقول إننى كنت قاسياً ؟ لم لا تقول إننى لم أكن إنساناً ؟ لعلك تستحيى أن تقولها !

وعدنا إلى الصمت ، وفى صدر كل منا نشيج من العواطف الفائرة والأحاسيس المتهدّجة الثائرة . ولم نر بدًّا من ترك المكان فى الحال ، فقد غدا فى نظرى بقعة قبيحة أشد ما يكون القبح . مؤلمة أشد ما يكون الألم. وظللت ـ فيما بعد ـ كلما مررت فى ذلك الطريق أشيح عنه بوجهى كما يشيح كل إنسان عن الوطن الذى حدثت له فيه حوادث مؤلمة مخزية

عدنا أدراجنا ، وأحببت أن أصرف صاحبى عن التفكير المؤلم فيما جرى له فسألته : متى تبدأ الامتحانات الفصلية ؟

فأجاب فى شبه ذهول : إنما نحن العبيد وهم الأحرار !

فقلت مستغرباً : من تعنى ؟

فأجاب : هؤلاء السود الذين نسميهم زنوجاً وعبيداً

فأدركت أن صاحبى لن يتحوّل عن التفكير فى الفتاة وما أساء إليها إلا متى شعر أنه نال من إيلام نفسه مثل ما نال من إيلام الفتاة . وعاد يقول :

تباً لهذه المعتقدات التقليدية التى نتلقاها من بطون الكتب وأفواه الناس فى الحكم على الأجناس . لقد تآمرت الكتب والخطب والصحف والأحاديث وكل وسيلة من وسائل الإيحاء على أن هذا الجنس الأسود جنس منحط وأن خلاص البشرية ، إن قُدِّر لها الخلاص ، لن يجىء إلا عن طريق الرجل الأبيض وما فى رأسه من علم وصدره من أريحية وأعماله من نبل وتضحية! لقد أوحى إلينا بذلك إيحاء مستمراً حتى حسبناه من القضايا التى لا تناقش ولا يطولها باطل ، وحتى غدا سواد البشرة عندنا مقروناً بظلام الباطن وحلوكة النفس وفساد السريرة

فقلت وقد أعدانى صاحبى بحماسته :

— إن أجساماً تمتص النور ، كما تمتصه أجسام هؤلاء السود لا يمكن أن تضم نفوساً مظلمة . إنه حيث ينفذ النور تذهب الظلمة . لقد أخطأوا خطأً فاحشاً فيما سموا أفريقيا القارة السوداء ، لقد كان الأولى والأصوب أن يدعوها القارة البيضاء قارة الشمس والنور . فهل يعودون يوماً إلى الحق ويعطونها اسمها الحقيقى ؟ إن فى الآفاق البعيدة والقريبة ما يكاد يشير إلى ذلك

فقال صاحبى بغبطة : صدقت ، لا ظلام حيث ينفذ النور ولتكن كنية صاحبتنا وجنسها عندنا من الآن « أصحاب النور »

وأدركت أن قد سُرِّى عن صاحبى وزال أكثر ما كان يحزّ فى صدره من ألم ، فودعته وانصرف هو إلى منزله وعدت أنا إلى منزلى وقد نقشت الحادثة فى صدرى نقشاً لم تزله سبع سنوات كاملات مرت عليها

أديب عباسى

كتاب البخـــلاء

الطبعة الدمشقية بعد الطبعة المصرية

للأستاذ عبد القادر المغربي

جاءنى كتاب من بعض الفضلاء يقول فيه : إنه بعد أن قرأ فى (الرسالة) ما كتبه الأستاذ « محمود مصطفى » فى نقد الطبعة المصرية لكتاب البخلاء اطلع على طبعته الدمشقية التى صدرت حديثاً . فإذا هى تعلن عن نفسها بأن أعضاء المجمع العلمى الدمشقى حققوها ونشروها بالاشتراك مع مؤسسى (مكتب النشر العربى) بدمشق ولم يصرح المؤسسون بأسمائهم على الكتاب وإنما هم صرحوا بأسماء أعضاء المجمع واحداً واحداً ثم قال : « وقد رأيت فى تصحيحات هذه الطبعة الدمشقية ما لا تصح نسبته إلى المجمع، لذلك حاولت نقده ثم رأيت أن أتثبت فى الأمر من قبلكم أولا » .

لحفزنى قول هذا الفاضل إلى نشر كلمتى هذه فى (الرسالة) فتكون جواباً له ولكل من حاك فى نفسه مثل الذى حاك فى نفسه هو :

أنشأ السيد ظافر ابن العلامة الشيخ جمال القاسمى (رحمه الله) ورفاق له منذ بضع سنين بدمشق مكتباً لطبع الكتب ونشرها دعوه (مكتب النشر العربى) . وقد أحبوا أن يطبعوا (كتاب البخلاء) للجاحظ فرغبوا إلىّ أن أعدهم بالمشاركة فى تصحيحه مع من وعدهم بذلك من أعضاء المجمع العلمى . فاعتذرت عن المشاركة فى مباشرة التصحيح . وإنما أنا أقدم إليهم نسختى المطبوعة التى كنت طالعتها منذ سنين، وعلقت تصحيحاً على بعض أغلاطها . وقلت لهم استعينوا على طبع نسختكم بما فى نسختى من هذه التصحيحات ، فقبلوا شاكرين

ثم انقضت سنتان لم أجتمع بهم خلالها لأنظر فى كيفية تصدير النسخة المراد طبعها وفى طريقة ذكر اسمى فى ذلك التصدير

وإذا هم أخيراً يهدون إلىّ نسختهم الجديدة . وإذا على غلافها الظاهر (أن مكتب النشر حققها ونشرها بمشاركة لجنة من أعضاء المجمع) وعكسوا فى الغلاف الباطن فكتبوا عليه (عبد القادر المغربى وفلان وفلان من أعضاء المجمع حققوا ونشروا هذه النسخة بالاشتراك مع مكتب النشر). ثم قالوا فى مقدمة الكتاب ما نصه :

« لم نجد بداً من أن نفزع إلى علماء العربية بدمشق نسألهم المعونة ونشركهم بالمسؤولية فلبَّى دعوتنا نفر منهم »

هذا ما قاله مكتب النشر العربى فى هذا الشأن . أما أنا فلا أعلم أن فى دمشق لجنة ألفها مجمعنا العلمى أو مرجع آخر من اختصاصه تأليف اللجان لأجل تصحيح كتاب البخلاء . ولا أعلم أننى عضو فى لجنة ألفت لهذا الغرض . ولا أعلم أننى جلست مع مصحّحى الكتاب أو واحد منهم جلسة واحدة تبادلنا الرأى فى تصحيح غلطة واحدة منه . ولا أعلم من نفسى أنها ترضى أن تكون مسؤولة أمام (تاريخ الأدب العربى) عما يقع فى هذه الطبعة الدمشقية من الأغلاط بمجرد مساعدتى لمكتب النشر فى تقديمى له نسخة مطبوعة كنت منذ سنين صححت بعض أغلاطها تصحيح مطالع لا تصحيح ناشر طابع . بل لا أعد نفسى مسؤولاً عن تصحيحات نسختى نفسها ما دامت لم تعرض علىّ للتثبت منها ولم أطلع على شىء من (بروفاتها) قبل طبعها . ومن الغريب أنه وقع نظرى على عبارة فى نسختى المذكورة قلت فى التعليق عليها : (إن وصلية) وإذا مكانها فى النسخة المطبوعة (إن شرطية) !

وكل ما أعلمه أننى أعطيت نسختى إلى شبان (مكتب النشر) لتصحيح نسختهم عليها بشرط أن تكون تصحيحاتى صواباً فى نظر إخوانى الآخرين الذين سيتولون بأنفسهم أمر التصحيح والتحقيق ...

كما أن كل ما كنت أتوقعه من حضرات الناشرين الحقيقيين أن تسمح نفوسهم بالإشارة إلى هذا فى مقدمة طبعتهم الجديدة . ولم يدر فى خلدى قط أن تسمح نفوسهم بجعلى شريكاً لهم فى مقاساة عناء تصحيح الكتاب ، وفى تحمل متاعب نشره . وزادوا فى السماح فجعلونى مسؤولاً عن الأغلاط التى تقع فيه !

وقد كنت أرجو أن ينصفونى بذكر نوع مساعدتى لهم ، وتحديد مقدارها . كما أنصفوا زميلى الأستاذ (النعسانى) مذ صرحوا فى آخر الكتاب بأنه انقطع عن الاشتراك فى التحقيق

عودة إلى الشيخ الخالدى

مجلس آخر من مجالسه

للدكتور عبد الوهاب عزام

حدثت قراء « الرسالة » قبلاً عن الشيخ الجليل العلامة خليل الخالدى ، وذكرت طرفاً من علمه بالكتب العربية ومؤلفيها ومواضعها من دور الكتب فى البلاد الإسلامية كلها وفى أسبانيا

وقد سعدت بلقاء الشيخ مراراً من بعد فى مصر والشام ووجدت معرفته بآثار دمشق مساجدها ومدارسها ومزاراتها ليست دون علمه بالكتب والمؤلفين

وقد شرّف الشيخ حلوان منذ حين فساق الحديث إلى الكتب فأفاد وأمتع . فجنيت من حديثه هذه الثمرات :

قال إنى فى حيرة من أمر هذا الشريف الإدريسى مؤلف نزهة المشتاق . أعجب من رجل شريف يدخل فى خدمة ملك صقلية والحروب الصليبية مستعرة ، ويكتب للافرنج عن البلاد الإسلامية فيصف لهم ثروتها وطرقها ومياهها ، ويقول عن كنيسة المسيح : القبة الشريفة ، وعن صخرة بيت المقدس : الصخرة التى يعتقد فيها المسلمون

ولولا أنى قرأت هذا الكلام فى نسخة صحيحة نقلت عن نسخة بخط المؤلف وكانت فى خزائن الموحدين — وهى اليوم فى كتب السلطان محمود فى استانبول — ما آخذت الرجل بهذا الكلام خشية أن يكون بريئاً منه

والإدريسى فى كتابه عالة على الإصطخرى وابن خرداذبة ، والهمذانى ، وابن حوقل ، وابن واضح

وسرنا فى شعاب الحديث حتى ذكرنا ابن الأثير صاحب المثل السائر فقال : أديب كبير ولكنه ليس ثقة — والشيخ ينقد المؤلفين على طريقة المحدثين — قال : وقد طعن فيه الوزير القفطى وهو وزير عالم ثبت ، ومن المؤلفين غير الثقات الفتح ابن خاقان صاحب قلائد العقيان . طعن فى ابن باجة بغير حق ، وابن باجة من أجل علماء الأندلس وفلاسفته ، وكان الفتح رجلاً يعيش فى الحانات ، وقد جلده القاضى عياض فى الخمر ، وقد مدح هو عياضاً قليلاً خوفاً منه

وعياض عالم كبير له كتاب المشارق الذى أثنى عليه ابن الصلاح فى أبيات منها :

مشارق أنوار تجلت بسبتة ... وذا عجب كون المشارق فى الغرب

قلت : كان ابن الأثير معجباً بنفسه ولكن أدبه يشفع لهذا الإعجاب عندى

قال : ومن العلماء المعجَبين بأنفسهم الأتقانى الفقيه مؤلف غاية البيان شرح الهداية ، وله شروح على أصول الأخسيكثى . ومنهم الصغناقى، وله شرح على أصول فخر الإسلام البزدوى وعلى الجامع الكبير . ومنهم عصام الدين وكتبه معروفة ولا سيما فى بلاد الترك ، ولعل سبب هذا أن حفيده قدم إلى استنبول وأقام بها . وقد أهدى عصام الدين إلى السلطان سليمان القانونى حاشيته على تفسير البيضاوى المسماة « أنوار التنزيل »

وقد رأيت فى مكتبة بنى قرمان فى قونية خط الأتقانى على كتاب الأصول للدبوسى، وهو نسخة قديمة كتبت سنة ٤٧٥ ، ومن هذا الكتاب نسخة بخط الأتقانى فى استنبول . ورأيت فى هذه المكتبة من نفائس الكتب كتاب غريب الحديث لابن قتيبة الدينورى ، ما رأيته قط إلا فيها . والجزء الرابع من البخارى عليه خط الحافظ أبى الوقت السِّجزى ، وإليه وإلى أبى زيد المروزى تنتهى روايات البخارى

ورأيت فى مكتبة جلال الدين الرومى فى قونية كتاب التمهيد لعبد الشكور السالمىّ فى العقائد ، وهو إمام كالماتريدى ونجم الدين النسفى . ورأيت فى مكتبة صدر الدين القونوى كتاب الفتوحات المكية بخط المؤلف فى سبعة وثلاثين جزءاً ، وفوائد ابن حبّان فى الحديث بخط ابن العربى ، ونصوص الحكم بخط صدر الدين . ورأيت هناك كتاب روح القدس لابن العربى عليه سماعات بخطه

من بعد الصفحة الرابعة والستين. فيكون المعنى أننى أنا ورفاق بقينا عاكفين على التحقيق إلى النهاية

لو أنصفونى كما قلت لكفونى مؤونة كتابة هذا التعليق الذى اضطررت إلى نشره فى (الرسالة) خدمة للأدب العربى وتاريخه ومؤلفاته ، وتفادياً من أن يقوم (محمود مصطفى ثان) فيناقش الطبعة الدمشقية الحساب . ويحملنى تبعة أغلاطها من الباب إلى المحراب

(دمشق) المغربى

وكتباً أخرى عليها خطه ، منها الأحكام الكبرى والصغرى لعبد الحق الأشبيلي وهما في فقه الحديث ، وقد أهداه محيي الدين للصدر القونوي . ورأيت فيها تفسير ابن برّجان الأندلسي .

ورأيت من مؤلفات الصدر الأجوبة النصيرية كتبها إجابة لخمسين سؤالاً سأله عنها نصير الدين الطوسي ، وهي تشهد بتمكن الصدر من العلوم والفلسفة

ورأيت في مكتبة السلطان سليم في قونية كتاب ابن ولاد بخط أحد علماء صقلّية كتب سنة ٣٠٨ . اه

وعرضت على الشيخ العلاّمة نسخة عندي من كتاب المثنوي عليها أبيات كتب تحتها أنها بخط عبد الرحمن الجامي . فقال : لا شك أن هذا خط الجامي، أنا أعرف خطه ، رأيته على كتب كثيرة وخطه جيّد . ومن العلماء حسني الخطّ الخيالي صاحب حاشية العقائد ، وملاّ خسرو صاحب الدرر . وقد رأيت له كتاب المرآة في الأصول بخطه ، وعضدُ الدين ، والنووي ، وقد رأيت قطعة من شرح البخاري بخطه . وأنا أقلد خط النووي

ومن أحسن الناس خطاً الحافظ الصدفي المرمى مُسند الأندلس على الإطلاق ، وابن عاصم صاحب العاصمية التي كان يحكم بها عامة قضاة الأندلس والمغرب .

ثم انساق الحديث إلى الملك المعظم الأموى فقال إنه كان أعلم بني أيوب له شرح على الجامع الكبير كان أعلم من صلاح الدين مع مكانة صلاح الدين في العلم ، وإنه كان يعد في درجة النووي أو فوقه . يقال إنه كان يحفظ التنبيه لأبي اسحاق الشيرازي في فقه الشافعي . وأبو اسحاق شيخ مذهب الشافعية في العراق وإمام الحرمين شيخه في خراسان

وكان المعظم يُجل ابن قدامة ويقوم له إن أدخل عليه وما كان يقوم لسيف الدين الأموى صاحب الأحكام لاشتغاله بالفلسفة ، وكان من درجة فخر الدين الرازي — ثم قال :

وكان الفخر ذا مكانة عظيمة عند خوارزم شاه وبسببه رحل بهاء الدين والد جلال الدين الرومي عن خراسان

قلت : أرأيت لابن تيمية طعناً في جلال الدين ؟ قال : نعم طعن فيه وفي الفخر وقال لو أدركت الفخر لضربته بهذا القضيب قلت : قال ابن بطوطة إنه حضر ابن تيمية في دمشق وهو على المنبر يتكلم في نزول الله تعالى إلى السماء وقال : نزل كنزولي هذا (ونزل درجة من المنبر) .

قال : إن ابن بطوطة لم يدرك ابن تيمية . والتحريف في الكتب كثير ولا يعوّل المتثبّت إلا على النسخ الصحيحة . إن أكمل الدين البابردي وعليّا القاري، شرحا الفقه الأكبر لأبي حنيفة . واعتمدا على نسخة محرّفة جاء فيها : « وأبواه صلى الله عليه وسلم ماتا على الكفر » . والعبارة الصحيحة : « ماتا على الفطرة » . والبابردي هذا شيخ السيد الشريف الجرجاني وتلميذ شمس الأئمة الأصفهاني الذي يقول بجواز الدور والتسلسل في الأمور العقلية

وكثيراً ما يقع العلماء في الأوهام . ألا ترى صاحب الكشاف كيف يروي خرافات إرَم ذات العماد ؟ ...

ثم قال : إن الزمخشري أكثر الأخذ من كتاب الحجة لأبي علي الفارسي وكتاب الزجّاج في القراءات ومن تهذيب الأزهري وقد عكف عليه ثماني سنين في مدينة مرو ، ومنه أخذ كتابه الفائق ولم يصرح بهذا

ثم تكلم الشيخ على المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء، وذكر الطحاوي من فقهاء الحنفية وأثنى عليه كثيراً وقال : إن قبر الطحاوي في القرافة وعليه قبة . وذكر قاضيخان وقال : رأيت إجازة بخطه دلت على ضعفه في العربية . ثم ذكر من المتأخرين ابن نجيم صاحب البحر وتلميذه الحصكفي والشرنبلالي تلميذ الحصكفي وقال: إن سبب شهرتهم أن قضاة العسكر كانوا يستفتونهم كثيراً، وكان خاتمة هؤلاء المفتين الرملي صاحب الفتاوى

ثم تكلم عن كتب المتقدمين فذكر شرح القدوري ؛ قال : رأيت نسخة منه عليها خط الحصكفي . وتكلم عن كتاب المبسوط لمحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وقال : هو ثلاث روايات : رواية أبي بكر خواهر زاده ويسمى المبسوط البكري ، ورواية الجوزجاني ورواية الحلواني . قال : وأما مبسوط السرخسي فهو شرح كافي الحاكم الشهيد الجامع لكتب محمد بن الحسن . قلت : يقال إن السرخسي أملى المبسوط وهو في السجن . قال : الذي أعرفه أن السرخسي ألف كتاب الأصول في قلعة أوزجَند ، وقد رأيت نسخة منه بخط العلامة الكردلي شيخ البزاز أولها : قال السرخسي في زاوية من حصار أوزجند . ا ه

« الكلام صلة »

عبد الوهاب عزام

خليل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

لأستاذ جليل

يقول الأستاذ : « وقد يداخل (الفرزدق) في كلامه ويعاظل في تراكيبه ، ويقدم ويؤخر ويتجوز في استعمال الوحشي والغريب والإقواء ، وما هو أشبه باللحن ؛ وذلك لثقته بنفسه واعتماده على سليقته ولقساوة في طبعه . قال كردين : (سقطُ الفرزدق شيء يمتحن الرجال فيه عقولهم حتى يستخرجوه) . سمعه ابن أبي إسحق الحضرمي مرة ينشد :

وعضُّ زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتا أو مجلف

فقال له ابن أبي إسحق : « على أي شيء ترفع أو مجلف ؟ قال : على ما يسوءك وينوءك[١] ... »

والبيت (المجلف) من شواهد الكشاف في مكانين : « فشربوا منه إلا قليلاً منهم . وقرأ أُبيّ والأعمش إلا قليل بالرفع ، وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانباً ، وهو باب جليل من علم العربية ؛ فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه إلا قليل منهم ، ونحوه قول الفرزدق (لم يدع من المال إلا مسحت[٢] أو مجلف) كأنه قال : « لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف » وقال في سورة طه : « قرئ (فيسحتكم) والسحت لغة أهل الحجاز ، والإسحات لغة أهل نجد وبني تميم ، ومنه قول الفرزدق (إلا مسحتا أو مجلف) في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية إعرابه ... »

(١) أصله من المثل : (ترك ما يسوءه وينوءه) قال الميداني : « كان المحبوبي ذا يسار فلما حضرته الوفاة أراد أن يوصي فقيل له : ما نكتب ؟ فقال : اكتبوا : ترك فلان يعني نفسه ما يسوءه وينوءه مالا يأكله ورثته ويبقى عليه وزره » أراد يسوءه وينيئه أي يثقله وقال ينوءه لأجل يسوءه قال الصحاح : ليزدوج الكلام كما يقال إني لآتيه الغدايا والعشايا والغداة لا تجمع على غدايا

(٢) يروى مسحت بالرفع والنصب

وفي (الخصائص) : « قولهم ودع الشيء يدع إذا سكن فاتدع متبوع متبع ، وعليه أنشد بيت الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحت أو مجلف

فمعنى لم يدع بكسر الدال لم يثبت ، والعائد منها إليه محذوف للعلم بموضعه وتقديره لم يدع فيه ، وهذا أمر ظاهر »

وأورد الأستاذ أمثلة مما أشار إليه كردين ، وشغلت به الأئمة في القديم ، وقد اجتزأنا نحن من تلك الدواهي بواحدة ...

***

الفرزدق هو — كما قال الأستاذ — في « صحة اللغة وفصاحة الأسلوب » وقد رويت القول من قبل . وأشعار أبي فراس مبثوثة في كتب الأدب والتاريخ ، وأبياته في المصنفات اللغوية هي من أوائل الشواهد . فلو رجع إليها الفاضل عبد الله الصاوي الذي (عني بجمع ديوان الفرزدق وطبعه والتعليق عليه) في شرح (الأوابد) في بيت الفرزدق :

لن تدركوا كرمي بلؤم أبيكم ... وأوابدي بتنحل الأشعار

ما كان قال : « شبه القصائد بأوابد الوحش » . وأوابد الوحش نُفّرها ، ومثل هذا الشرح يذل البيت ويزيغ القارئ — فلو رجع إلى اللسان والأساس لوجد الأول يقول : « يقال للشوارد من القوافي أوابد . قال الفرزدق : لن تدركوا ... وقافية شرود عائرة سائرة في البلاد » ووجد الثاني يقول : « أوابد الشعر التي لا تُشاكل جودة قال الفرزدق : لن تدركوا ... » وفي الصحاح : « يقال للشوارد من القوافي أوابد قال الفرزدق : لن تدركوا ... » وفي التاج : « الأوابد القوافي الشرد مجاز . قال الفرزدق : لن تدركوا ... »

ولو رجع العلامة اللغوي المشهور الشيخ إبرهيم اليازجي إلى كتب الأدب واللغة ما كان قال في مجلته (الضياء) السنة (٣) الصفحة ٤٨٥ — : « قال الفرزدق :

والشيب ينهض في الشباب كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهارا

أراد بقوله يصيح صيغة التعدي من قولهم انصاح القمر ، فنقل المعنى إلى النهار كما قال البديع : فلما انصاح النهار بجانب ليلي ، ثم

استعمل منه متعدياً بتجريده من الزيادة ، وهو غير منقول في هذا المعنى »

فلو رجع الشيخ إلى (إعجاز القرآن) للباقلاني و (ديوان المعاني) للعسكري و (حماسة البحتري) و (الأغاني) و (نثار الأزهار) لابن منظور صاحب اللسان ، و (الكامل) للمبرد و (أساس البلاغة) و (لسان العرب) و (تاج العروس) لوجد في هذه الكتب كلها رواية البيت الصحيحة :

والشيب ينهض في السواد كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار

ووجد في اللسان والتاج هذه الفائدة : « ... عن أبي عبيدة أن جعفر بن سليمان قدم من عند المهدي فبعث إلى يونس بن حبيب فقال : إني وأمير المؤمنين اختلفنا في بيت الفرزدق وهو (والشيب) ما الليل والنهار ؟ فقال الليل هو الليل المعروف وكذلك النهار[1] فقال جعفر : زعم المهدي أن الليل فرخ الكروان والنهار فرخ الحبارى . قال أبو عبيدة القول ما قال يونس ؛ وأما الذي ذكره المهدي فهو معروف في الغريب ولكن ليس هذا موضعه . قال ابن برّي : قد ذكر أهل المعاني أن المعنى على ما قال يونس وإن كان لم يفسره تفسيراً شافياً ، وإنه لما قال : (ليل يصيح بجانبيه نهار) فاستعار للنهار الصياح لأن النهار لما كان آخذاً في الإقبال والإقدام، والليل آخذ في الإدبار صار النهار كأنه هازم والليل مهزوم، ومن عادة الهازم أن يصيح على المهزوم. ألا ترى إلى قول الشماخ :

وألقتْ بأرجاء البسيطة ساطعاً ... من الصبح لما صاح بالليل نفّرا

فقال : « صاح بالليل حتى نفر وانهزم »

وبيت الفرزدق في قصيدة مشهورة ناقض بها قصيدة لجرير مطلعها :

لولا الحياء لهاجني استعبار ... ولزرت قبرك والحبيب يزار

وفي قصيدة الفرزدق هذه الأبيات :

إن اللامة مثل ما بكرت به ... من تحت ليلتها عليك نوار

وتقول: كيف يميل مثلك للصبا ... وعليك من سمة الحليم عذار ؟!

والشيب ينهض في السواد كأنه ... ليل يصيح بجانبيه نهار[1]

إن الشباب لرابح من باعه ... والشيب ليس لبائعيه تجار

فالفعل (يصيح) وماضيه (صاح) أي صات ، و (نهار) مرفوع فاعل يصيح . وللشيخ اليازجي عجائب في نقد متقدمين وسنعود إلى تبيينها في وقت

***

في شعر الفرزدق ألفاظ كثيرة فاتت المعجمات التي نعرفها مثل اللسان والتاج وغيرهما . من ذلك (التظاليل والوُهون) وقد وردت الأولى في قوله :

وهاجرة دوّية ما أقيلها ... وظلماء من جرّا نوار سريتها

تظاليل حتى زال عنها أصيلها ... جعلنا عليها دوننا من ثيابنا

وجاءت الثانية في قوله :

فما لعُرى إليه من انفصام ... وحبْل الله حبلك من ينله

إليك على الوهون من المظام ... فإني حامل رجلي ورحلي

والوهون من مصادر وهن وقد ذكروا الوهن بالسكون والحركة . وإني لأستبعد قصده الوهون بفتح الواو بمعنى الضعيف

وفي العربية ألوف من الألفاظ الجاهلية والإسلامية لم تجلبها كتب اللغة . وقد بينت هذا الأمر المهم في جريدة (البلاغ) المشهورة منذ خمسة أحوال في مقال عنوانه : (العربية ، أحاديث فيها) حين أقمت في القاهرة — قبل المرابطة في هذا الثغر — وكنت أكتب (أحرر) في تلك الجريدة

***

لما تقدم الغربيون ونجم فيهم العربانيون وأراد هؤلاء أن يخبروا الأمم العربية والإسلامية الخبرة البلينة ليخدموا دولاتهم في سياساتها أو لمآرب أخرى ذهبوا إلى مثل (الفرزدق) يستنطقونه ويستهدونه ، والعالم العاقل لا يضل سبيله ، ولا يخطيء حين يختار دليله . وأعمال العربانيين في هذا المعنى ، شهرتها تغني عن الإفاضة فيها[2]

(١) روى اللسان البيت في مكان آخر وجاءت فيه هذه الرواية : الليل ليلكم والنهار نهاركم هذا

(١) روى الكامل البيت ثم قال: فهذا أوضح معنى ، وأعرب لفظ ، وأقرب مأخذ

(٢) خبط عربانيين من خدام السياسة والتضليل المسمى عند المضللين بالتبشير في مباحث كثيرة لهم ، لا يجرد القوم من فضيلة ذلك الاهتداء والاختيار

ولما كانت المدنية العربية وهمّ عمرو بن بحر (الجاحظ) وعلى بن عبيدة (الريحانى[١]) وعلى بن محمد (أبو حيان التوحيدى) وحبيب بن أوس الطائى (أبو تمام) والوليد بن عبيد (البحترى) واحمد بن الحسين الكندى (المتنبى) ونظراؤهم ، فلما عزم هؤلاء النابغون أن يحذقوا لغتهم ، ويرصنوا أدبهم، بادروا إلى مدرسة (الفرزدق) ، وجثوا بين يديه ، وتأدبوا فى العربية عليه ، ومن صار إلى الينبوع العِدّ ذى النمير السلسال وكرع فيه ارتوى ، ومن سعى إلى منجم الألماس[٢] ومعدن الذهب رجع جذلان غنياً

وإني لموقن الإيقان التام أن الأمم العربية يوم ترتقى بعد ثلاث مئة سنة (إن شاء الله تعالى) ستحرث الجاهلية والإسلامية (الأموية) حرثاً ، وستأصلها علماً أصلاً فلا تذر لفظة من ألفاظها — وإنها لكثيرة — شردت عن أصحاب المعجمات إلا اصطادتها ، ولا خبراً مستعجماً إلا ابتحثته ووضحته ، ولا ديواناً لكبير وصغير من الشعراء والشواعر إلا أظهرته . وستكرم دواوين لؤمت طبعاتها ، وسوّد التجار الفجار (أو السماسرة[٣]) وجوههم عند الله بتشويه صفحاتها .

وستفتن[٤] علماء ذاك الزمان الآتى فى التأليف فى أدب الجاهلية

(١) كان أحد البلغاء الفصحاء ، وافر الأدب ، كثير الفضل ، مليح اللفظ ، حسن العبارة ، كاتبا بارعا ، يسلك فى تصنيفاته وتأليفاته طريق الحكمة ، وكان له اختصاص بالمأمون . من الناس من يفضله على الجاحظ فى البلاغة وحسن التأليف . اتفق أهل صناعة الكلام أن متكلمى العالم ثلاثة : الجاحظ وعلى بن عبيدة الريحانى وأبو زيد البلخى ، فمنهم من يزيد لفظه على معناه وهو الجاحظ، ومنهم من يزيد معناه على لفظه وهو الريحانى، ومنهم من توافق لفظه ومعناه وهو أبو زيد (الفهرست ، تاريخ بغداد ، إرشاد الأريب)

(٢) الهمزة واللام فيه أصليتان ، وصاحب القاموس يقول : (ولا تقل ألماس فانه لحن) وفى التاج : قال ابن الأثير أظن الهمزة واللام فيه أصليتين مثلهما فى إلياس وليست — يعني اللفظة — بعربية

(٣) فى (الفائق) : « قال قيس بن أبى غرزة (رضى الله عنه). كنا نسمى السماسرة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأتانا ونحن بالبقيع ، فسمانا باسم هو أحسن منه ، فقال : يا معشر التجار ، فاستمعنا إليه فقال: إن هذا البيع يحضره الحلف والكذب فشوبوه بالصدقة » وطائفة من التجار لا تستأهل تلك التسمية النبوية الكريمة ، فسمهم بالأول

(٤) افتن مثل تفنن ، والافتنان مثل التفنن

والإسلامية افتناناً . وسيفضُلون العربانيين والأئمة من العربيين السابقين (بذوق) حرّمه الله الأفرنجى المستعرب أى حرمان ، وبذرائع من الطباعة وغير الطباعة لم يحظ بها[١] العالم العربى من قبل . وسيفهم أولئك المرتقون المتقدمون من مثل قول المأمون : « خير الكلام ما شاكل الزمان » مالم يبد للمنتمين إلى الأدب العربى من المصريين ، والفقحون يجتلون ما لا يبصره المصأصئون[٢]

* * *

لقد بعث الأستاذ المردى (همام بن غالب) فى هذا الوقت
و (البعث) حق ، و (الرجعة) عند قوم

إنه اليوم فى القاهرة (الحاضرة اللغوية للأمم العربية)
إنه الساعة فى دار (الجامعة المصرية ، جامعة فؤاد الأول — رحمة الله على الملك العالم[٣] — وها هو ذا يخطب (الدكاترة) والأساتذة والتلامذة وهم حافون به . إنه ليهدِر بصوت ذى نهيم كنهيم الأسد ، صيّت صَهصلقٍ ، وإنا لنسمعه يقول :

أنا همام بن غالب . أنا الفرزدق

أنا أستاذ (الخليل[٤]) و (الريحانى[٥]) وحبيب

وإنها العربية الجاهلية الإسلامية الأموية خادمة (الكتاب) والتى قد كونت هذا اللسان

إن الناطقين بالضاد فى كل زمان ومكان إلينا لمفتقرون

(١) حظى بالشىء ظفر به . وقد أخطأ الشيخ اليازجى فى تخطئة ذلك وفى الجزء (٢٦٧) من الرسالة القراء الأقوال الكافية والشافية في شأن هذا الفعل

(٢) من المجاز : فقحوا وصأصأتم أى أبصروا الحق ولم تبصروه . فقح فتح عينيه ، وصأصأ الجرو : حرك عينيه ولما يفقح

(٣) مثلت ذات يوم — سنة ١٣٤٥ — بين يدى الملك العالم فؤاد، فرحب بعلم هذا الضعيف وأدبه أكرم ترحيب رضوان الله عليه، وقد أنجدني (السلامى) وقتئذ سعد التحية الاسلامية بقوله فى الملك عضد الدولة :

وبشرت آمالى بملك هو الورى ودار هى الدنيا، ويوم هو الدهر

(٤) الخليل بن أحمد والخليل بن مردم

(٥) على الريحاني وأمين الريحانى

أنا همام بن غالب وزميلاى جرير بن عطية[1] وغياث بن غوث فالعلم كل العلم فى أن تعرفونا وتعرفوا الإسلاميين والجاهليين ، والجهل كل الجهل فى أن تنكرونا

أنا الفرزدق !!

(تصفيق مشتد بدأ به الصديقان الأستاذ أحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عزام ، وتبعهما الأستاذ إبراهيم مصطفى وسائر الأساتذة والتلامذة)

(١) قال جرير حين نعى إليه الفرزدق :

فلا وضعت بعد الفرزدق حامل ولا ذات بعل من نفاس تعلت !
هو الوافد الميمون والراتق الثأى إذا النعل يوما بالعشيرة زلت

وفى ديوان جرير :

لعمرى لقد أشجى تميما وهدها على نكبات الدهر موت الفرزدق !
عماد تميم كلها ولسانها وناطقها البذاخ فى كل منطق
تفتح أبواب الملوك لوجهه بغير حجاب دونه أو تملق
فتى عاش يبنى المجد تسعين حجة وكان إلى الخيرات والمجد يرتقى

حيّا الله أديبنا الكبير الأستاذ المردى وبيّاه بما أحيا لنا (الفرزدق) فى هذا الزمان حتى يخطب فى (الجامعة) خطبته ، ويقول فى الجاهلية والإسلامية مقالته ، ويصدع بالحق . وقيلُ (الفرزدق) هو القيل :

إذا قالت حذامِ فأنصتوها فإن القول ما قالت حذام[1]

***

هذه كلمات اقتبست من فضل الأستاذ المردى ، وطاقات اجتنيت من روض أدبه ، أقدمها إليه إعجاباً وإجلالاً وتحية .

(الاسكندرية) (***)

***

فى الجزء (٣٢٠) : (إنى أرى يزيد عند شبابه) وهو إنى رأيت . . .)

(١) أنصته وأنصت له . وفى حديث طلحة : أنصتونى أنصتونى

أوراق مبعثرة ...

للأستاذ صلاح الدين المنجد

هاهي ذى نسيات الصيف تهوى إلى هنا الوادى الضاحك ... قافزة كالفتاة اللعوب ؛ تلهو بين العشب وترف فوق الزهر ، وتتيه وراء النهر ... ثم تعانقنى ، فتهمس فى أذنى بحياء ، وتدغدغ وجهى بدلال ... فأغمض عينى نشوان ... فاذا بأوراق تتبعثر ... وبذكرياتى تهيج ! ...

يا عجباً لهـذه الأوراق ! ! إن فيها قصة الشباب المستحير والحب الطروب ... ولـكن ما أجدر بعضها بالقراءة . فان فيها كثيراً من تهاويل الفن ، وفرائد الشعر ، ونوادر الفكر ، وأهازيج الشعب ، وأضاحيك الناس ... أيضاً ... فلتجمعها « الرسالة » فهى روضة الأدب الزاهر ... وقيثاره الناغم ... ومجلته الشرود ...

— ١ —

قرأت اليوم كتاب « طاغور » عن الشاعر ودينه . إنه يجنح إلى الدقة حتى ليصعب عليك فهمه ، ويميل أحايين إلى السهولة حتى ما تجد أحلى ولا أملى منه . إن له آراء طريفة ... هو يرى أن دين الشاعر ليس كدين الناس « لأن دين الناس عقيدة تهون بها المعضلات ... فينقلب فيها الشك إلى يقين ، والتمرد إلى إذعان » . أما دين الشاعر فرقيق رجراج لا يخضع لشيء ولا يُقيّده شيء . هو كالفضاء الذى يحيط بالأرض تتلاعب فى جنباته الظلال والأنوار ، ويبدو الهواء فيه كالراعى الجميل ينفخ فى مزماره ويغنى بين قطائع الغيوم . إنه لا يقودنا إلى هدف ولا يجرى بنا إلى غاية ، لأنه مطلق لا تحيط به الجدران فتقيّده ؛ ولا الحدود الضيقة فتحدّده ؛ ولأنه واسع تتراءى لك فيه عوالم بعيدة وقريبة ، تسمع منها زفرات اليائسين ، وأنين البائسين ، وأغاريد العصافير ؛ وتحس بها لغب العاملين ، وحمّى الضعفاء ، واضطراب الوالهين ؛ وتستنشق عطر الورد وأريج الياسمين ، وترنو إلى دموع العذارى ، وعبرات الثكالى ، وحزن البنفسج ، ورفيف النـدى ، وضحك الربيع . استمع منى إلى هذا النشيد :

« أبريل يا أبريل ... ! إضحك كالفتاة الخلوب ... ثم اذرف الدمع مثلها ! »

« أبريل يا أبريل ... ! يا من له أذناى ، غن كالحبيب عند ما تسمع أنينى وترى نحيبى ، ثم ... ثم اضحك ضحكة فيها الذهب ... وازرف الدمع المذوّب فى الذهب ! ... »

فماذا وجدت ؟ أليس هذا نوعاً من « الترف فى الشعور ؟ »

واستمع أيضاً إلى شاعر بنغالى قديم :

« استيقظت عند الصباح على خفق شراع القارب يا عروسى الجميلة ، فتركت الشاطئ لأتبع الموج الصارخ ... ثم سألتك : هل آن يا فتاتى حصاد الأحلام فى تلك الجزيرة الناعمة وراء الأفق الأزرق الجميل ...؟ فسقط صمت ابتسامتك على سؤالى كما يسّاقط صمت الأشعة على الأمواج ... وانقضى النهار مملوءاً بالأعاصير ، وهبت ريح عاتية دفعت بالقارب السكران إلى بعيد ، فسألتك : أفى هذه الربوع ، تحت رماد هذا النهار الميت ... الذى ينطفئ على رود ... شيّدت برج أحلامك ؟! فلم أسمع جواباً ؛ ولكن ومضت عيناك كما تمض حفافى الغمام تحت شمس الطّفل . وأقبل الليل ... فغمرك الظلام ، وداعب الهواء شعرك ، وداعب شعرك خدىّ ففاح منك العطر ، وهاج منى الأسى ، وتاهت يداى تفتشان عن رفارف ثوبك ، وسألتك : أوراء النجوم جعلت يا عروس رحلتى قبرك الذى ستدفنين فيه بين الورد والزهر ؟... هناك ... حيث ينقلب صمتك إلى نغمات ، وحزنك إلى ضحكات ... ؟! فرفّ ثغرك ... فى الظلام كما ترف نجمة الليل ... وراء الضباب ! » فما هذه إلا نغمات حلوة تذهلنا عن الناس كلما طربنا لها وملأنا نفوسنا بها وهذا هو الشعر الجميل ...

« دمشق » صلاح الدين المنجد

كتاب الأغانى

لأبى الفرج الإسكندرانى

رواية الأستاذ عبد اللطيف النشار

صوت

إصرفوا عنى طبيبى واتركونى وحبيبى
جسدى راض بسقمى وفؤادى بالنحيب
فاصرفوا عنى طبيبى

الشعر « لليلى المريضة فى العراق » ، وفيه لحنٌ للجاحظ لم تدون نغمته

حدثنا الأستاذ أحمد أمين قال : إن « ليلى المريضة بالعراق » ليست إلا كناية عن الآداب العربية . فهى شخصية خيالية : كماريانا الفرنسية ، وجون بول الإنكليزى . وقد تملق بها فى كل جيل كبار أدبائه ، وإنما أمرضها كثرة العشاق .

قال : وقد كثرت هداياهم إليها ، وكان معظم الهدايا من الأدب الجاهلى ، وهو كما تعلمون ثقيل على المعدات الرقيقة ، فأصيبت بعسر الهضم ، وما يتلوه من ضعف الكبد ومرض السكر وسائر الأمراض التى تحدث عنها الأستاذ العقاد فى مقاله عن « مطاعم الأغنياء » .

قال : وكان ممن افتتنوا بها العلامة الجاحظ الذى كاد يشفيها بطبه الناجع ، وما طبه إلا العلاج بنبات الأرض التى نشأ فيها المريض، وبالإقامة مدة ما فى الجو الذى كانت فيه النشأة، فاستحدث لها من ملابسات الحياة الحاضرة إلى عهده أدباً غير مخزون ولا غريب فأبلّت وكادت تعود إلى عهدها من النضارة والنضارة ، حتى ابتلاها الله بطبيب اسمه خلف الأحمر فأعاد لها هدايا الجاهلية ، وعاودها المرض من أجل ذلك . فلم تزل مريضة إلى اليوم .

قال : وقد وفقنى الله سبحانه وتعالى إلى دواء ناجع فاعتزمت الجامعة أن تنشئ فيها كرسياً للأدب المصرى ، وليلانا المريضة فى العراق مصرية بلا ريب . فأعددت لها دواء من أعشاب الحياة المصرية ، وبعثت إلى أخوالها فى بغداد أن يرسلوها .

قال : لكن الرسول الذى بعثت به إليها تطبب وكان كرسول المتنبى الذى يقول فيه :

مالنا كلنا جوٍ يا رسول أنا أهوى وقلبك المتبول
كلما قد بعثت طيفاً إليها غار منى وخان فيما يقول

قال : وهذا الطيف المتطبب لما لقيها فى بغداد استبقاها هنالك وأهدى إليها هدية من الأدب الأندلسى . فى ذلك تقول :

إصرفوا عنى طبيبى واتركونى وحبيبى
جسدى راض بسقمى وفؤادى بالنحيب
فاصرفوا عنى طبيبى

وهذا اللحن قديم ، كانت تقوله من عهد الجاحظ الأول ، وأعادته فى عهد الجاحظ الثانى ؛ وكل الفارق بين الجاحظين أن أحدهما ذو لون حائل ، وشق مائل ، ولعاب سائل ؛ وأن الثانى ذو يراع صائل ، ولسان جائل . . . وقد نسيت السجعة الثالثة !

وحدثنا الدكتور زكى مبارك قال : « هذا اللحن لليلى المريضة فى العراق ، ما فى ذلك شك ، وأنا الطبيب ، وأنا الحبيب ؛ وإنما أرادت صرفى من الباب لكى آتى من النافذة بعد قليل ، وهى القائلة على لسان عمر بن أبى ربيعة :

إذا جئت فامنح طرف عينيك غيرنا
لكى يحسبوا أن الهوى حيث تنظر

ولكننى لا أنظر إلا إليها ، ولا أنظر إلا وعيناى مفتوحتان إلى أقصى حد تستطيعان . وماذا علىّ فى ذلك :

يقولون لا تنظر وتلك بلية وما فتحت عيناى إلا لتنظرا

وفى الحق أنى أهديت إليها هدية من الأدب الأندلسى وهى موشح من موشحات الهجاء فيمن يتعرضون للأدب الجاهلى . وهأنذا أرشح نفسى لكرسى فى الجامعة للأدب الأندلسى بأن أسرف فى مدح الأدب الجاهلى . وماذا علىّ فى ذلك ؟ أليست الأندلس قد تأثرت بالأدب الجاهلى أكثر مما تأثرت به بقعة أخرى من بقاع العروبة؟ صحيح أن أهل الأندلس كانوا مزيجاً من البربر والأوربيين والعرب ؛ وصحيح أنهم كانوا يستقون أدبهم من خيالهم فى مناخ بعيد عن المناخ الجاهلى ، ولكن ، هل الأدب أدب لغة أم الأدب

أدب قوم ؟ هذه هى المسألة كما يقول الشيخ عبد العزيز البشرى نقلاً عن شكسبير ؟

اللغة الإنكليزية فى أمريكا قد طبعت العقلية الأمريكية بطابع انكليزى . من ذا الذى يشك فى ذلك ؟ ولكن هل يجرؤ أمريكى أن يقول إنه أمريكى ؟ أليس عليه أن يقول إنه انكليزى وانكليزى قبل كل شىء ، وانكليزى ثم لا شىء ؟ !

قال الدكتور زكى : ثم إن اللغة العربية لغة عالمية ، والصفة العالمية هى أبجدية الإنسانية . فلا يكون الإنسان وطنياً إلا وفيه من الصفات الإنسانية العالمية الشىء الكثير . ثم تتفرع عن الصفات العالمية الأبجدية فى حياتنا صفات القومية . فلماذا لا نقفُ عند الأبجدية ؟ ولماذا ندرس الأدب المصرى كفرع من فروع الأدب العربى ولا ندرس معه الأدب الأندلسى ؟

صحيح أن الأدب الأندلسى قد ضاع معظمه إحراقاً وإغراقاً ولكن لماذا لا ندرس الأدب الذى ضاع ؟ ألم أقل إن هناك نثراً جاهلياً ، وإن هذا النثر الجاهلى قد ضاع ، وإن علينا أن ندرس هذا النثر الجاهلى وإن كان قد ضاع ؟ ألا نستطيع دراسته على طريقة المتصوفة بالتسبيح بآلائه والاكتفاء عنه بأسمائه ؟

على أنى سألزمهم الحجة الدامغة . . . أليس الأدب المصرى هو العصر الثانى من الأدب الأندلسى ؟ ألم يبدأ الأدب المصرى بالأندلسيين الذين هاجروا إلى الأسكندرية ، وأقام أكبرهم شأناً فيها عشرين عاماً أنشأ فيها أولى المدارس الأدبية ؟ ألم يقرأوا شيئاً عن ابن زهر ومقامه فى الأسكندرية أميناً لمكتبتها فى نفس الوظيفة التى يشغلها الآن الشيخ بشير الشندى ، والتى شغلها السيوطى مدة من الزمن ؟

أوليس ابن زهر هو أستاذ ابن قلاقس وابن الحداد والوجيه ؟ ثم أليس ابن الحداد نفسه أندلسياً ... والمدارس الدينية كمدرسة أبى الحسن الشاذلى ومدرسة أبى العباس الرمى ومدرسة الشاطبى ؟ ألم يكن هذا كله هو الأساس الأندلسى الذى بنى عليه الأدب المصرى ، وشعراء الاسكندرية المناصرون ؟ أليسوا من نسل أندلسى ؟ أليس لقب أحدهم آخر شعراء بنى الأحمر ؟ وأنشد :

صوت

عجباً يا قوم قولوا عجباً جحدوا الفن وخانوا الأدبا

جعلوا جِدّىَ فيهم لعبا بلغوا الذروة فى الصيت وما

أنصفوا الآداب فى الأندلس

يا أبا العباس يا مرسى ويا شاطبىُّ باركا نقدى ويا

سيدى موسى بن ميمون ويا أولياء الثغر بالله أما

تسممون القدح فى الأندلس

قال : وسيدى موسى بن ميمون كان عالماً عربياً فى الأندلس، ثم صار الحاخام الأكبر للطائفة الإسرائيلية فى الاسكندرية . فكيف يبدأ أستاذ الأدب المصرى بتعليم الأدب المصرى قبل أن أنتهى أنا من تعليم الأدب الأندلسى !

حدثنا الأستاذ ساطع الحصرى بك قال: فيم يختصم هؤلاء ؟ أفى دواء لمريضة عندى ولن أبعث بها إليهم ؟ إن ليلى هنا وستظل ليلى هنا ، فلا دواء من الأدب الأندلسى ولا من الأدب المصرى ولكن من المركب العربى بمقادير ونسب . أما لهؤلاء المتخاصمين من ينشدهم شعر العقاد؟

صوت

ما فى يدى منه لا عين ولا أثر ولى عليه منـاليق وأعيان

قال أبو الفرج : وقد انتهت الخصومة فى شأن كرسى الأدب المصرى وكرسى الأدب الأندلسى إلى صلح عقده الأستاذان المتخاصمان ، وأهم شرائطه أن يشتركا فى نشر كتاب الأطباء لابن أبى أصيبعة، ففيه سير الأطباء الشعراء من الأندلسيين الذين كانوا نواة للأدب المصرى فى القرن السادس الهجرى ثم يضيفانه إلى قائمة الكتب العشرة المختارة .

قال : ولقد نشأت عن هذه الخصومة ذيول تمت هى أيضاً بزيادة القائمة زيادة عظيمة !

بارك الله فى هذه الخصومات، حتى تستمر أمثال هذه الزيادات

عبد اللطيف النشار

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٤٩٤ — أقبل على سوقك

دخل أبو العتاهية على ابنه محمد ، وقد تصوّف[١] فقال : ألم أكن قد نهيتك عن هذا ؟

فقال : وما عليك أن أتموّد الخير ، وأنشأ عليه ؟

فقال : يابنى ، يحتاج المتصوف[٢] إلى رقة حال ، وحلاوة شمائل ، ولطافة معنى . وأنت ثقيل الظل ، مظلم الهواء ، راكد النسيم ، جامد العينين . فأقبل على سوقك ؛ فإنها أعود عليك . وكان بزازا

٤٩٥ — نزبل الجبال بالريش

قال ياقوت ، قال أبو الرملى : حضرت مجلس أبى القاسم المرتضى[٣] وأنا إذ ذاك صبىٌ ، فدخل عليه بعض أكابر الديلم ، فتزحزح له ، وأجلسه معه على سريره ، وأقبل عليه مسائلاً، فساره الديلمى بشيء لم نعلم ما هو . فقال له متضجراً : نعم . وأخذ معه فى كلام كأنه يدافعه . فنهض الديلمى ، فقال المرتضى بعد نهوضه: هؤلاء يريدون منّا أن نزبل الجبال بالريش ... وأقبل على من فى مجلسه . فقال : أندرون ما قال هذا الديلمى ؟ فقالوا : لا

فقال : قال : بين لى هل صح إسلام أبى بكر وعمر ؟ !

(١) تصوف : تنسك أو ادعاه (التاج)

(٢) للزمخشرى وابن خلدون وصاحب التاج وغيرهم أقوال فى اشتقاق التصوف والمتصوف والصوفى ، والقشيرى فى رسالته يقول : « لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهه العربية ولا قياس ، والظاهر أنه لقب » ومما قيل فى التصوف — كما فى التعريفات — : « بذل المجهود والأنس بالمعبود» وقيل : الاعراض عن الاعتراض . وقيل : خدمة التشرف وترك التكلف واستعمال التظرف . وقيل : الأخذ بالحقائق . والكلام بالدقائق ، والاياس مما فى أيدى الخلائق

(٣) على بن الطاهر من رجال الشيعة الامامية وهو أخو الرضى . قال ابن خلكان : كان إماما فى علم الكلام والأدب والشعر

٥٩٦ — ملوئكم ! ! !

فى (تاريخ بغداد) : إشترى السرى بن المغلّس السقطى كرّ[١] لوز بستين ديناراً ، وكتب فى رُوزنامجه[٢] : ثلاثة دنانير ربحه . فصار اللوز بتسعين ديناراً . فأتاه الدلال وقال : إن ذاك اللوز أريده . فقال له : خذه ! قال : بكم ؟ قال : بثلاثة وستين ديناراً . قال الدلال : إن اللوز قد صار الكر بتسعين . قال له : قد عقدت بينى وبين الله عقداً لا أحله . ليس[٣] أبيعه إلا بثلاثة وستين ديناراً . فقال له الدلال : إنى عقدت بينى وبين الله ألا أغشّ مسلماً[٤] لست آخذه منك إلا بتسعين . فلا الدلال اشترى منه ، ولا السرى باعه !

٥٩٧ — وشاهدى فيما ادعيت القمط والتمريخ

فى (وفيات الأعيان) : كان المبارك بن أبى الفتح الملقب شرف الدين ، قد خرج من مسجد بجواره ليلاً ليجيء إلى داره . فوثب عليه شخص وضربه بسكين قاصداً فؤاده . فالتقى الضربة بعضده فجرحته جرحة متسعة . فأحضر فى الحال المزين نخاطها ومرّخها[٥] وقمطها[٦] باللفائف . فكتب إلى الملك المعظم (مظفر الدين صاحب اربل) يطالعه بما تم عليه فى هذه الأبيات :

يا أيها الملك الذى سطواته ... من فعلها يتعجب المرّيخ[٧]
آيات جودك محكمٌ تنزيلُها ... لا ناسخ فيها ولا منسوخ
أشكو إليك (وما بُليت بمثلها) ... شنعاء ذكرُ حديثها تاريخ
هى ليلةٌ فيها وُلدتُ وشاهدى ... فيما ادعيت القمط والتمريخ

وهذا معنى بديع جداً .

(١) الكر (بالضم) والجمع أكرار : هو عند أهل العراق ستون قفيزاً وأربعون أردباً بحساب أهل مصر : اثنا عشر وسقا كل وسق ستون صاعا (التاج)

(٢) الروزنامج : تعريب روزنامه ، وهو ما يكتب فيه ما يجرى كل يوم (الزمخشرى)

(٣) اسمها ضمير الشان

(٤) أى لا أغش أحداً فانه لا يسوغ لمسلم أن يغش غير المسلم ومن أجاز لنفسه ما لا يجوز فقد عادي الاسلامية ، وإن حلت نحل لمتحليها غش غيرهم وإضرارهم فدين محمد لا يحلل

(٥) مرخ جسده ومرّخه بتشديد الراء . دهنه بالمروخ (بفتح الميم) وهو ما يمرخ به البدن من دهن وغيره

(٦) (القمط) : شد كشد الصبي فى المهد ، وفى غير المهد

(٧) المريخ : نجم من الخنس وهو بهرام

٥٩٨ — ورد تفتح فى فنن

قالوا : أحسن ما قيل فى الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شق الصفوف بسيفه وشفى حزازات الإحن
دامى الجراح ، كأنه وردٌ تفتح فى فنن

٥٩٩ — لقاء الله . . .

فى (طبقات الشافعية) : قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى : سمعت أبا بكر بن فورك يقول : سئل الأستاذ أبو سهل محمد ابن سليمان الصعلوكى (شيخ عصره) عن جواز رؤية الله (تعالى) من طريق العقل . فقال : الدليل عليه شوق المؤمنين إلى لقائه ، والشوق إرادة مُفرطة ، والإرادة لا تتعلق بالمحال

فقال السائل : ومن الذى يشتاق إلى لقائه . . . ؟

فقال الأستاذ أبو سهل : يشتاق إليه كل حر مؤمن ، فأما من كان مثلك فلا يشتاق ...

٦٠٠ — الطيف . . .

فى (مفاتيح الغيب) : قال أبو على الحسن النورى : كنت فى بعض المواضع فرأيت زورقاً فيه دِنان مكتوب عليها : لطيف . فقلت للملاح : إيش هذا؟ فقال : أنت صوفى فضولى ، وهذه خمور المعتضد . فقلت له : أعطنى ذلك المدرى[1] . فقال لغلامه : أعطه حتى نبصر إيش يعمل . فأخذت المدرى وصعدت الزورق فكنت أكسر دنّـا دنا ، والملاح يصيح حتى بقى واحد فأمسكت لجاء صاحب السفينة فأخذنى وحملنى إلى المعتضد ، وكان سيفه قبل كلامه . فلما وقع بصره على قال: من أنت ؟ قلت : المحتسب . قال: من ولاك الحسبة[2] ؟ قلت : الذى ولاك الخلافة . قال : لم كسرت هذه الدنان ؟ قلت : شفقة عليك . قال : فلم أبقيت هذا الواحد . قلت : إنى لما كسرت هذه الدنان كسرتها حمية فى دين الله . فلما وصلت إلى هذا أُعجبت بنفسى فأمسكت ولو بقيت كما كنت لـكسرته . فقال : اخرج يا شيخ ، فقد وليتك الحسبة فقلت : كنت أفعله لله (تعالى) ، فلا أحب أن أكون شرطياً

(١) المدرى القرن ، فى (النهاية) المدري والمدراة شىء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه

(٢) الحسبة هى أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهى عن المنكر إذا ظهر فعله (الأحكام السلطانية) والمحتسب له الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مما ليس من خصائص الولاة والقضاة وأهل الديوان ونحوهم (الحسبة فى الاسلام) وفى الكتابين تفصيل هذا العمل

٦٠١ — ... لا يلزم باب السلطان

فى (مسالك الأبصار ومروج الذهب) : كتب على باب (النوبهار[1]) بالفارسية : قال سوراشف الملك : أبواب الملوك تحتاج إلى ثلاث خصال : عقل ، وصبر ، ومال . ثم لما ملك الإسلام مدينة بلخ كُتِب تحت هذه الكتابة بالعربية : كذب سوراشف ؛ الواجب على الحرّ إذا كان معه واحدة من هذه الخصال ألاّ يلزمَ بابَ السلطان

(١) النوبهار : بناه منوشهر بمدينة بلخ من خراسان على اسم القمر ، وكان من يلى سدانته تعظمه الملوك وترجع إلى حكمه ، وكانت عليه وقوف وكان الموكل بسدانته يدعى البرمك ، وكان ينصب على أعلاه شقاق الحرير الخضر (مروج الذهب)



بائعة «الكازوزة» الحسناء

للأستاذ على الجندى

تتردد على جسر الخديو إسماعيل وما جاوره من شواطئ النيل ، فتاة في زى القرويات سمعت من يدعوها « هند » يجلس بجوارها فى أغلب الأحيان رجل أحسبه يمت إليها بصلة القرابة ، ولعل مهمته الأولى أن يحرسها من ذئاب البشر الضارية

هذه الفتاة على حظ عظيم من جمال الفطرة البرىء من الصنعة . وقد اعتادت إذا مر بها المتنزهون فى ذهابهم وجيئهم أن تعرض عليهم بضاعتها فى بشاشة ورقة وأدب

وحدث أننى كنت أرتاد هذه البقعة متفرجا فى بعض الليالى المقمرة ، فمررت بها مصادفة — مصادفة يا وزارة المعارف — فابتسمت لى وقالت بصوت يقطر لينا : تعال يا أمر (قمر) اشرب كازوزة . وقد منعنى ما أصطنعه من وقار المربين من تناول شرابها المثعثم بالثلج ، ولكننى استطعت أن أرد على التحية بأحسن منها !

وحاولت جاهداً أن أتخلص من تأثير كلمتها (يا أمر) فلم أستطع ! فقد خالطت منى اللحم والدم ، وفعلت بى فعل السحر ! كنت أظن — وبعض الظن إثم — أننى جاوزت مرحلة الشباب ، فأعادت لى هذه الكلمة الثقة بنفسى وقلبى ! وتركتنى ألتفت إلى الماضى أستحضر صوره المحبية ! ناثراً الدمع فى دمن الأنس العافية ، وأطلاله الدوارس !

ومخضوبةِ الأطراف ، مُخْطَفة الحشا
على الشطِّ تخطو فى دلال وفى خَفَرْ
يميس بها سُكْرُ الشباب فتنثنى
كغصنٍ زهته الريحُ أو شادنٍ خطر
تكاد السباع (1) المقعيات حياله   تخفُّ إليها — صابيات — مع البشر
جلاها الجمال النضر فى ثوب فاقةٍ   وما حاجة الغيد الغوانى إلى الحبر ؟
وهل عابها أن تعدم الوشى والحلى
وقد أطلعت من وجهها بلجة (2) السحر ؟
إذا هتفت بالظامئين تهافتوا   عليها كنحل هاجها مونق الزهر
وما بهمو بردُ الشراب ، وإنما
نفوسٌ توافت من ردَاها على قدر
إذا هى هشت للورود ، فإنها
— وإن نعمت بالرِّى — لا تحمد الصدر
عفا الله عنهم ! إن شفوا غلة الصدى
فمن لجوى بين الجوانح يستعر ؟
ترى الشرب حول الورد شتى ، فلافظٌ
حشاشته وجداً ، وآخرُ ينتظر
ومن صادرٍ عنه بمهجة والهٍ   تكاد من الشوق المبرح تنفطر

* * *

مررتُ بها — كالطيف — أسترق الخطا
أحاذرُ أن أصبو ، وهل ينفع الحذر ؟
فما راع سمعى غيرُ صوت مُنغَّمٍ
يُخالُ — لفرط اللين — ترنيمة الوتر
تقول — وبدرُ التم فى الأفق سافرٌ
يُفضِّض تبر النيل — : أيكما القمر ؟
هلمَّ إلى راح طَهُورٍ تديرها
عليك رداحٌ (1) زان أجفانها الحور
ستشربها صرفاً ، وإن شئت مزجها
فدونك صفو الشهد من ثغرى العطر
تألفت اللذاتُ : ماءٌ وخضرةٌ
ووجهٌ كصبحٍ تحت جنحٍ من الشعر
وهذا النسيم الرطبُ ينفح بالشذا
فيفعل بالألباب ما يفعل السكر (2)
فخذ بنصيب من هناءٍ معجلٍ   فإن الليالى غيرُ مأمونة الغير
فقلتُ لها : خلى التصابى لأهله
فما للمربى فى جنى الحسن من وطر
إليكِ ، فلى « بالضاد » شغلٌ عن الصبا
وفى الدين عن وصل الكواعب مزدجرْ
دعينى ، فمالى والهوى — قتل الهوى — !
ألم يكفِ ما حُمِّلتُ فى زمن غبر ؟
أرقتُ ونام الناس ملء جفونهم
أبكِّى لظبى صدَّ ، أو جؤذرٍ نفر
فمن ذاق منه الأعذبين فإننى   لقيتُ به التبريح والهم والسهر
فلا تنكئى قرحاً بقلب دملته (3)   على لوعة حرى ، ووجد قد استتر
ألم تبصرى فودى تنفس صبحه   وكان حبيباً — للدمى — ليله العكر

---

(1) المراد بها تماثيل السباع بالجسر والضمير فى (حياله) للشط
(2) إسفار الفجر

(1) سمين نصفها الأسفل (2) نبيذ التمر (3) طويته

وما ذاك مِن مَرّ السنين ، وإنما
لبستُ بياض الشيب فى مَيْعة العُمُر
جناه على رأسى زمانٌ مُذمَّمٌ يشوب لنا صفو اللذائذ بالكدر
ربيع ولا خصب، وظل ولا ندًى وماء ولا رىّ ، وروض ولا ثمر
شقائىَ أنى بين قومَ دُرّةً وقد خلقوا تمشى عيونهم الدرر
ولو أنهم هانوا علىّ ، وشَمْخُهم
على الأنف ، لكنْ مَن له شيمتى غفَر
أشيد لهم مجداً ويأبى سِفاههم
سوى هدمه ! هل يستوى النفع والضرر؟
تَواصَوْا على أكلى — وفى لحىَ الردى —
وما فى النُّهى أن تُؤكلَ الحيّةُ الذكر

***

تولّى زمان اللهو « يا هند » فاعذرى
وأقصرَ عما كان من غَيّه « عُمَرْ »(١)
كفتنا — على بَرْح الجوى — منك نظرة
وفى دِين أهل الشّعر لا يَحْرُم النّظر
سقى الغيثُ عهداً كم دعانى به الهوى
فلبيتُ ، لا أُعنَى بمن لامَ ، أو عذَر
زمانَ فؤادى بالحسان مُوكلٌ إليهن أسعى بالأصائل والبُكر
شفيعى إليهن الصبا ، ووسيلتى رَقائقُ أشعارٍ يلين لها الحجر
مرابع غِزلان تعفّت ، ولم تكن
سوى مُتعة الآذان والقلب والبصر
نديمى بها « سُعْدَى » وريقتها الطلى(٢)
وروْحى وريحانى الأحاديث والسّمَر
كأنّ فؤادى يُسْعَر الجمرُ فوقهُ
— إذا عادت الذكرى — ويُوخز بالإبر

***

وحيّاك عنّا الله يا « هند » كلما
تخطرتِ بالشطّين ، فاستضحك النهَر
ودام لك الوجهُ الصبيح ، ولا ذوَى
عليك شبابٌ من صِبا « الخلد » مختصر
نظمنا لك الشعر النضير قلادةً ترف على رمانتىْ غصنك النضر
إذا ظفرتْ حسناء منه بحلية فما ضرّ أن يغرى بها البدو والحضر

على الجندى

(١) المراد به : ابن أبى ربيعة ، وهند يراد بها صاحبته أو صاحبتنا والتورية لطيفة هنا (٢) عصير العنب المطبوخ

ترنيمة الرياح...

للأستاذ ميخائيل نعيمة

هلّى ، هلّى يا رياحْ وانسجى حول نوى وشاح
مِن خرير الغديرْ واهتزاز الأثير
واختلاج العبير فى دموع الصباحْ
هلّى ، هلّى يا رياح !

طوّقينى بنور النجومْ وافتحى لى قصور الغيومْ
واركبينى هناك فوراء السماك
قد لمحت ملاك باسطاً لى الجناحْ
هلّى ، هلّى يا رياح !

ها أنا يا ملاك النعيمْ يا رسول الإله الرحيم
ما عساك تشاء مِن تراب وماء
فيهما ألف داء ما لها مِن براحْ ؟
صفقى ، صفقى يا رياح !

ما أنا يا ملاكى السعيد غير طيف شريد طريد
علّمَتْهُ الحنينْ عاديات السنين
فاستطاب الأنين واسترقّ النواحْ
صفقى ، صفقى يا رياح !

أتردّى رداء المنون وأداوى الأسى بالظنون
كل فكرى عناد كل قلبى سواد
كل دربى قتاد كل عيشى كفاح
قهقهى ، قهقهى يا رياح !

كان لى فى قديم الزمان مرتع فى رياض الجنان
بِعتُه بالوعود هل تراه يعود
لو نكثتُ العهود والتمستُ السماحْ
قهقهى ، قهقهى يا رياح !

يا ملاكى ، ألا من مآب لطريد براه العذاب ؟
إنْ يعزّ الرجوع أفلاَ من هجوع
لغريب الربوع يا ملاك الصلاح ؟
ولولى ، ولولى يا رياح !

قل ، لماذا اعتراكَ الذبول هل تراك نظيرى تجول
فى رحاب الفضا نادباً ما مضى

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]



دراسات في الفن :

... والفن زعامة

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

هؤلاء جماعة من أبناء الصعيد العمال فى عمارة ، وهذان زعيمان متقدمان عليهم . أحدهما هذا الذى استجلبهم من الصعيد ووصلهم بهذا العمل الذى خبره ووقف على سره فهو مرشدهم فيه وقائدهم ، والآخر هذا الذى يغنى لهم أثناء العمل ما اشتد بهم العمل وما هان عليهم ؛ فهو أكثرهم شعوراً بوحشة الغربة ، وهو أشدهم شعوراً بوجوب الكفاح فى سبيل الرزق ، وهو أشدهم تفاؤلاً ورضا بقضاء الله ، وهو أشدهم نزوعاً إلى التعبير عن هذا كله ، وهو أقدرهم على هذا التعبير ، وأحلامهم فيه

فإذا وازنا بين زعامة المقاول ، وزعامة المنشد ، رأينا أن زعامة العيش تتستر وراء زعامة الروح والفن استحياء وتخاذلاً ماشبعت البطون ، وما جرت الأرزاق فى نهجها الطبيعى ، وما سار العمل على نمطه المرسوم . فهؤلاء الجماعة من العمال لا يذكرون أن لهم إماماً يتبعونه فى الحياة غير منشدهم إلا عند ما يطلبون الأجر أو العمل ، وهم فيما عدا ذلك هائمون وراء شاديهم الذى يغنيهم ، والذى يستدرج إلى نفوسهم ذكريات الماضى ، ويقرب منها آمال المستقبل .

وفى ساعة من الساعات يفيض الشادى بالسحر والحنان والبهجة ، فيرشف منها شعبه وينهل ، وإذا بجمهور آخر من أبناء الصعيد أيضاً كانوا يعرون فى فراغهم بهذا الحشد السكران ، فيتجمعون حول الشادين يشدون معهم ، لأنهم حنوا إلى الصعيد مثلهم ، واستوحشوا الغربة ، وذكروا الأحبة وهاجت فى نفوسهم الآمال ، وطاب لهم هذا الترويح الذى وجدوه فأقبلوا عليه يستروحون . وإن منهم من يقف كالمسحور يهزه الطرب ولكنه يعجز عن ترديد ما يسمع .

وفى ساعة أخرى يمر بهؤلاء الشادين جماعة آخرون شادون ولهم هم أيضاً زعيم يغنى على ليلاه وأتباعه يرددون ؛ فإذا صادف الغناء الطارئ هوى عند الماكثين فهم أصدقاء وأحباء ، فإذا رأوا فى الغناء الطارئ تعريضاً بمفخرة من مفاخرهم فهى معركة حامية قد تذهب فيها الأرواح

هذه صورة بسيطة من صور الزعامة الفنية وهى من الصور القليلة التى لا تزال قريبة من الطبيعة فى صدقها وانحصارها . وإن لها شبيهاً عند أبناء البلد من القاهريين ، فهم لا يزالون يقيمون حفلات الغناء فى مشاربهم العامة ، يقيم الحفلة منها مغنيان لكل منهما شعب يتبعه أينما حل ، فإما يجد ما يصبو إليه من

طالبًــا عوضاً عن ديار الفلاح ؟
ولولى ، ولولى يا رياح !

مجيبًــا بالدموع نحيبْ فإذن أنت مثلى غريب
أنت مثلى طــريدْ هائم تستعيــد
ذكر ماض بعيد كان حلماً وراح
هوّمى ، هوّمى يا رياح !

أنت مثلى ضللت الطريق فيكَ سرٌّ كسرّى عميق
لا تَنُحْ يا ملاكْ ما دهـــانى دهاك
إن نكن للهلاك فالهلاك ارتيــاح
هومى ، هوّمى يارياح !

قم بنــا فالرياح تكادْ تجعل الدمع مِنّا جماد
وتعــالَ نَنَمْ فى سرير النــدم
علّ شهر الظُّلَم فى المنام يزاحْ
أسكتى ، أسكتى يا رياح

ميخائيل نعيمة

احترام وتوقير ، وإما يحمى زعامته وكرامته بالعصى ...

وثمة صور أخرى لهذه الزعامة التى تفرضها الطبيعة فرضاً ، والتى لم تستطع الحضارة معها إلا أن تممها فكان ذلك من حسناتها القلائل التى نجت من الصاحبات السيئات . من ذلك تلك الزعامات الفنية التى تقوم المطبعة والسيما والمسرح بالترويج لها ، وبالطواف بها فى بيئات العالم المختلفة . فأدوات النشر هذه تذيع آثاراً فنية بين الناس ، فتجد هذه الآثار الفنية من يطرب لها ، ومن يرى فيها ترديداً لشىء كان يجول فى نفسه ويريد أن ينفثه منها ، أو من يرى فيها شبيهاً لشىء رآه وأحسه ، ولكنه لم يستغرق فى تأمله ، أو من يرى فيها إمكان الحدوث على هذه الصورة من صور الجمال التى حققها له الفنان ... وهؤلاء جميعاً عند ما يرون هذا يشهدون للفنان الذى أسعدهم به أنه زعيم عليهم فيه ، فنهم من يتقرب إلى زعامته بفن فيه من روح فن الزعيم ويذهب مذهبه ، ومن هؤلاء من يأبى إلا أن ينافس الزعيم حتى يتزعم هو ، ومنهم من يرضى بالمتابعة ، وأكثر الناس يرضون بالمتعة يصيبونها عند الزعيم الأصيل وعند المتزعمين وراءه ، ومنهم من يهتم الاهتمام الكبير بالمناوشات التى تدور حول الزعامة . بل إن منهم من يثيرها ويشعل نيرانها رغبة منه فى التلذذ بشهود الصراع الروحى الذى لا يكون من ثمرته إلا الرقى والذى لا ينبت على جوانبه الغل ولا الحقد إلا حيث يكون النقص والعجز

وتتسع الزعامة الفنية كغيرها من الزعامات كلما اتجهت إلى العموميات التى يشعر كل الناس بأن لهم صلة بها . فالأديب الذى يذكر الرحمة يجد فى الناس عدداً يطرب لذكرها أكثر من العدد الذى يجده أديب آخر يذكر منظراً خاصاً من مناظر الطبيعة لا يعرفه إلا القليلون من الناس هم الذين يعيشون عنده ، وهم الذين يطربون لذكره إذا جرى على لسان الأديب . ذلك أن الرحمة عاطفة تدركها النفوس الإنسانية جميعاً ، ولكن هذا المنظر الطبيعى الخاص لا يدركه إلا أهله فقط

وليس معنى هذا أن زعامة الفنان صاحب الجمهور الكبير أفضل من زعامة الفنان صاحب الجمهور الصغير . فقد يحدث أن يستشعر فنان بمشكلات تزحف نحو الإنسانية من بعيد فيراها ، ولا يراها معه من الناس أحد غيره ، وعند ما تمتلئ نفس هذا الفنان شعوراً بهذه البشائر أو النذر ، وعند ما يعبر عنها بفنه ، فإنه قليلاً ما يجد الناس الذين يتذوقون تعبيره ويوافقون عليه ويطمئنون إليه ، وإنما يغلب أن تثور عليه الجماهير ، ويغلب أن يتصدى له من زعماء الفن فى عصره من تقاعد بهم الحس فيرمونه بالعجز أو الخبل أو الالتواء أو شتى هذه التهم التى يتقاذف بها المتقاطعون الذين لا يتفاهمون ، والذين لا يريدون أن يتفاهموا . وكثيراً ما ينكمش الفنان السباق فى حنايا فنه وتلافيفه فيقضى ما يقضى من العمر وهو غريب عن عصره ، حتى إذا ولى عن الحياة ، وولى معه جيله وجاء بعده أناس قربتهم الحياة مما كان يراه ويتحدث عنه آمن هؤلاء به ، واستعادوا فنه واسترجعوه ، وأقاموه من أنفسهم فى مقامه الحق ... وجعلوه هو الزعيم ، فهم أحياء وزعيمهم ميت ... وفى هذا ما فيه من عدل الثأر الذى له عند آبائهم الذين أنكروه ، فهم كلما ذكروا زعيمهم وطلبوا له الرحمة لعنوا آباءهم لأنهم كانوا كافرين .

ويقابل هؤلاء الزعماء السباقين زعماء آخرون زعامتهم معكوسة فهم لا يقودون الجماهير ، وإنما يجرون وراء الجماهير ، وقد يجد هؤلاء من وفرة التابعين ما لا يجده الواثبون الصاعدون . وهؤلاء الزعماء الأذناب لونان ، منهم من تسوقه نفسه إلى استرضاء الجماعات لأنه يحب رضا الجماعات ولأنه بطبعه فرد من أفراد الجماعات لا يزيد عنهم حساً ، ولا يزيد عنهم قدرة على التعبير ، وإنما كل ما يميزه هو الجرأة على التعبير والانطلاق به . ومنهم من يتسقط هذا الرضا عند الجماعات ليتسقط معه الربح المادى والجاه والشهرة ، وهذا أدنا من صاحبه وأقرب إلى التجارة منه إلى غيرها . فالفنان فى غير التجارة لا يعبأ « بالزبائن » ولا يحسب حساباً لأذواقهم . أما التاجر وحده فهو الذى يستقصى طبائع الأسواق مستعرفاً أى البضائع يروج فيها وأيها يبور

وليس هذا من طبع الزعامة فى شىء ، وإنما هو من ملق العبيد الذى تضيق عنه أخلاق الفن . وإنما أمانة الزعامة تقتضى الإرشاد والإصلاح والتحسين . فإذا كان الجمهور متردياً فى رذيلة من الرذائل فليس زعيماً ولا هادياً من لم ينقذه منه . وكما أن الجماهير تتردى فى رذائل خلقية ، وفى رذائل عقلية ، وفى رذائل اجتماعية ، فإنها تتردى كذلك فى رذائل حسية يجب على من يحمل لواء الزعامة الفنية فيها أن ينقذهم منها أو أن يحاول إنقاذهم على أقل تقدير ما دامت هذه الزعامة سبقاً فى الحس ، وسبقاً فى التعبير ... وإلا فهى

لا شيء ... أو هي تلك الأنانية الفنية الضيقة التي ليس لها شأن إلا بصاحبها فقط

أما الرذائل الخلقية والاجتماعية والعقلية فهي الأغلاط الإنسانية التي يعالجها أصحاب الفضيلة والإصلاح الاجتماعي والناهضون بالعقل المؤدي إلى العلم النافع ... وأما الرذائل الحسية فهي التي ينفضها الفنانون عن أنفسهم بالسليقة أو بالتدريب الحسي فيزيحونها كذلك عن نفوس الذين يتابعونهم في إحساسهم ويتتلمذون عليهم فيه ، والذين يشابهونهم في طريق التعبير عنه . ومن أمثلة هذه الرذائل الحسية ما تعانيه البشرية اليوم من استمرار التعصب للقومية المادية، فهو وإن كان مما تلزم إثارته عند الشعوب الضعيفة حفظاً لكيانها بين الشعوب القوية المتعصبة ؛ فإنه مما يجب أن يكافح وأن يقاوم بكل وسائل الكفاح والمقاومة عند الشعوب القوية، لأنه لا معنى له إلا الانحطاط بالمثل البشرية العليا ، إلى حيث تكون أدنأ المثل وأضيقها رحاباً وأقذرها أهدافاً .

والفنانون الذين ينتظرهم العالم اليوم لينقذوه من هذه الرذيلة هم الفنانون الذين يحسون القبح في هذا الإحساس ويشمئزون منه ويدعون إلى فض هذا النزاع المادي المتستر تحت قناع القومية ولا بد أن تبدأ دعوتهم بأن يشعروا شعوراً صادقاً بأن الإنسانية حين تقدمت بعقلها وعلمها في طريق الحضارة الماثلة الآن تلكأت أو انتكست في سعيها الحسي ، فلم توازن بين هذا التقدم في الحضارة وبين ما كان يجب أن يصاحبه من الإحساس الذي يشمل البشرية كلها كما استطاعت الحضارة أن تربط أطراف العالم بعضها ببعض وأن تخلط الشعوب بعضها ببعض ، وأن تصل العقول بعضها ببعض ، بحيث أصبح الياباني يعرف كل ما يعرفه الإنجليزي من المعلومات ، وبحيث أصبح الأمريكي يقرأ ما يقرأه الاسترالي من الكتب وبحيث أصبح التركي يدرك ما يدركه النرويجي من الحقائق العلمية . . .

ولكن إحساس اليوناني لا يزال بعيداً كل البعد عن إحساس الإنجليزي ، وشعور الأمريكي لا يزال بعيداً كل البعد عن شعور الأسترالي ، والمثل العليا التي يجري التركي وراء تحقيقها لا تزال مختلفة كل الاختلاف عن تلك المثل العليا التي يسعى النرويجي إليها؛ وليس ذلك إلا لأن الفنون قصرت حيث نشطت العلوم ، ولأن إحساس البشرية تبلد حيث التهب عقلها . وما كان عقل البشرية ليهديها إلى الخير وحده ، فلا بد له من إحساس وأخلاق يسير في مصاحبتها إلى هدف المدى

على أن هذا لا يصح أن يدفع اليأس إلى نفوسنا من صلاح الناس ، فإن بذرة النجاة موجودة ، وطريق السعادة ممهد قد رسمه الإسلام. وليس ينقص الإنسانية اليوم إلا فنانون مسلمون يضربون بالحاح على ذلك الوتر المشجي الذي عزف عليه القرآن أول مرة فرتل قوله تعالى : إن أكرمكم عند الله أتقاكم . فمتى شاع هذا الإحساس في الناس شاعت فيهم السعادة . وقد كاد هذا الإحساس يشيع لولا أن انقسم العرب على أنفسهم فأصبحوا مشارقة ومغاربة، ولولا أن استعصمت أوربا بتعصبها، فألحت في محاربة المسلمين الذين نزلوا الأندلس ومضت في الحرب إلى أوائل هذا القرن حتى احتل اللورد اللعين فلسطين فقال: اليوم فقط وضعت الحرب الصليبية أوزارها .

على أن الإنسانية قد بدأت تحس هذا الإحساس النبيل ، وإن كان يداخل نفسها في هدوء وفي بطء، وإن كان عقلها ولسانها لا يزالان ينكرانه . ولولا هذا الإحساس لاشتبكت الدول في الحرب منذ عام أو منذ عامين، ولكن هذا الإحساس هو الذي يكتف القادة من غير أهل الفن ، ويمنعهم من توريط أنفسهم بإعلان الحرب لأنهم يكادون يكونون مؤمنين بأن الشعوب أصبحت لا تتناصب ولا تتقاتل جرياً وراء فكرة القومية المكذوبة ؛ ولأنهم أصبحوا يرون أن الأفراد اليوم يعتزون بحياتهم ، وبمتعة الدعة أكثر مما يعتزون بالرغيف .

وليست الشهادة الحرفية بتوحيد الله ، والاعتراف الحرفي برسالة محمد هي كل ما نطلبه ، وإنما نطلب لسعادة البشرية الإيمان بوحدانية الله إيماناً يتطرق إلى كل عمل وكل قول مما يعمل المؤمنون ويقولون ، والإيمان برسالة محمد إيماناً ينفي كل ما يراد به تفضيل طائفة من طوائف البشر ورفعها على الطوائف الأخرى ؛ فإن محمداً لم يكن يرى فضلاً لعربي على عجمي إلا بالتقوى

هذا هو الفن الجديد الذي تريده الإنسانية اليوم . وقد يجود به عليها مسلم ، وقد يجود به نصراني ، وقد يجود به يهودي ممن تتسع أذهانهم وتصفو نفوسهم فتجنح إلى جانب المادة ما هو خير من المادة ، بل قد يجود به وثني مثل غاندي

وقد كان طبيعياً أن ينعقد اللواء للزعامات القومية فيما مضى وأن تصطبغ حتى الزعامات الفنية بألوانها فى أقتم درجاتها لأن البشرية لم تكن قد التحمت هذا الالتحام الذى تشابكت به اليوم؛ فلم يكن عجباً أن يكون زعيم القبيلة هو فارسها وهو شاعرها كما كان عنترة العبسى فى قومه مفخرة لهم، له اليد الطولى فى مجدهم الحربى ومجدهم الفنى أيضاً ... ولكن منذ بدأت الآفاق تتفتح أمام المجموعات البشرية حق عليها أن ينفتح إحساسها حتى يحيط بكل ما تضرب فيه الحياة وحتى يلم بكل ما يضطرب فيها

ولا ريب أن الإنسانية قد انتبهت إلى هذا الآن، فقد قضت وقتاً طويلاً وهى تجرب هذه الدعوات التى تهتف بالقوميات والعصبيات المادية فتبين لها أنها دعوات ضعيفة عاجزة منافقة

أما ضيقها فتابع لضيق البيئات التى تصلح لانتشار كل منها، وأما عجزها فتابع لما تستدعيه من التنفير الذى ينفث الكراهية فى نفوس الناس فيرجم بعضهم بها بعضاً، وأما نفاقها فظاهر فى أتباعها كما أنه ظاهر فى ميوعتها وحيرتها وتناقضها مع نفسها، فقد كانت للإنجليز قومية يدعون إليها ويفخرون بها، وكان منهم من أسرع إلى أمريكا فاستوطنها ثم أبى أن يخضع لسلطان وطنه الأول فانقلب على قوميته وأنشأ مكانها قومية أخرى يحبها ويناضل فى سبيلها لأنها تتصل بالأرض التى يعيش عليها ويأكل منها، ولا أكثر. وهذا ما حدث للأسبان الذين نزلوا أمريكا الجنوبية فقد انقلبوا على أسبانيا أمهم الأولى؛ ثم انقلبوا على أنفسهم واستأثر كل جماعة منهم بقطعة من الأرض ... وهذا يثبت أن فكرة القومية والوطنية المادية ليست من الشرف فى مكان يعلو على المادة ويتسامى عليها، وما من شك فى أن «قومية الفكر» أو «قومية الفن» خير منها. ويتضح فضل الروحانية بمراقبة هذه القوميات المادية عند ما يحتك بعضها ببعض فإننا نرى أن المادة والشغف بها يزيدان الصراع بين الناس استعارا بينما المذاهب الروحية كلما توغلت فى نفوس الناس على أساس من الصحة والسلامة ومجاراة الطبيعة والبعد عن التكلف كان ذلك أدعى إلى تقارب البشر، وزيادة تفاهمهم وتعاونهم

فالفن إذن ليس زعامة فقط، وإنما هو أرق الزعامات

ليت الداعين إليه يزيدون فى الناس، وليت دعوتهم تذيع!

عزيز أحمد فهمى

حركة السيرياليزم

للأستاذ رمسيس يونان

« يجب أن نحقق لكل إنسان نصيبه من الخبز ... ونصيبه من الشعر ... » تروتسكى

يخطئ من يظن أن حركة السيرياليزم هى حركة أدبية أو فنية خالصة، وإن كانت تستخدم الشعر والقصة والرسم والسينما ... ويخطئ من يظن أنها حركة سياسية بحتة، وإن كان القائمون بها يدينون بمذهب سياسى معين. وليست هى أيضاً مزيجاً من الفن والسياسة، فقد صرح «أندريه بريتون» زعيم الحركة مراراً وتكراراً بأنه لا يوافق على أن يتخذ الفن وسيلة للدعاية السياسية. وقد فُصل «أراجون» من جماعة السيرياليين لأنه خالفهم فى هذا الرأى. فما هى إذن حركة السيرياليزم هذه؟ وما غايتها؟

يصعب علينا أن نضع تعريفاً للسيرياليزم فى كلمات قليلة. فإذا كان لا بد من ذلك فعلينا أن نقول: إنها حركة اجتماعية فنية، سياسية، فلسفية، سيكولوجية ... ولا بأس أن نضيف أيضاً أنها حركة دينية. فهى تستلهم شعر «ريمبو» و«بودلير» و«لوتريامون» وتأخذ عنهم حب الخيال الثورى البعيد عن المنطق وأساليبهم الغريبة فى الشعور والتعبير. وتستلهم فلسفة «هيجل» فى إيمانها بالحرية؛ وتدين مع «كارل ماركس» بالتفسير المادى للتاريخ؛ وتأخذ عن «فرويد» نظرياته فى العقل الباطن؛ ثم هى فوق ذلك تحاول أن تعتمد على هذه العناصر جميعاً فى خلق ميثولوجيا جماعية جديدة mythe collectif تناظر الميثولوجيات التى خلقتها الديانات القديمة

ومهما قالوا عن كارل ماركس، ومهما قالوا عن فرويد فلا شك فى أنهما الرجلان اللذان استطاعا أن يؤثرا فى الفكر الأوربى الحديث أكبر التأثير. فإلى كارل ماركس يرجع الفضل فى تفسير التاريخ على أساس من حروب الطبقات وفى التنبؤ بثورة العمال وبدكتاتورية العمال، ثم بالعصر المقبل (الموعود!) الذى تزول منه الطبقات وتكتمل فيه المساواة الاقتصادية. وقد تأثر العمال بالمذهب الماركسى فنشطت حركاتهم ونمت أحزابهم حتى أصبح الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية أساس السياسة الأوربية فى السنين الأخيرة؟ كما تأثر بهذا المذهب عدد كبير من رجال

الفكر والأدب ... وها نحن أولاء نرى أعلاماً مثل « برنارد شو » و « ولز » و « أندريه جيد » و « مالرو » و « توماس مان » يدينون به وينافحون عنه

والسير رياليون كما قلنا يؤمنون بالمذهب الماركسي ، ولكنهم يرون في نفس الوقت أن الدعوة إلى التحرر الاجتماعي يجب أن ترافقها دعوة إلى التحرر النفسي ، فالنفس الإنسانية مكونة أيضاً من طبقات يتحكم بعضها في رقاب بعض . ولا سبيل إلى الوصول إلى التحرر النفسي ما لم نستطع أن نزيل الحدود التي تفصل بين العناصر المتنازعة في باطن النفس

ولقد أقنعنا « فرويد » بأن الشخص « السليم » من الأمراض النفسية هو نموذج مثالي لا وجود له . وما الفارق بين « العاقل » و « المجنون » إلا اختلاف في الدرجة ولا في النوع . والسبب الأساسي لهذه الأمراض جميعاً هو أن للنفس الإنسانية رغبات ، كثير منها لا يتحقق بالنسبة للعقبات التي تقابلها من الوسط الخارجي ، والطفل الصغير لا يدرك هذه العقبات ولذا كان خياله لا يعرف الحدود ، فهو إذ يرغب في سيارة فخمة ، أو في حصان مطهم، أو في قصر باذخ، لا يشعر بأن هناك عائقاً من العوائق يمكن أن يحول دون ما يبتغيه ، ولكن رويداً رويداً يتعلم الطفل خلال ممارسته للحياة بأن رغباته جميعها لا يمكن تحقيقها ، فيضطر إلى كبح هذه الرغبات ويتعود التسليم بالأمر الواقع . وكلما كبر في السن نمت فيه هذه العادة — عادة التسليم بالأمر الواقع . على أن الصراع بين الرغبات وبين الواقع يستمر طوال الحياة، فحتى الكهل وهو على أبواب القبر لا يستغني عن الأحلام

وعادة التسليم بالأمر الواقع بين الناس هي الأساس الذي ترتكن إليه دعوات المحافظين ، وهي العقبة الكأداء التي تقف في سبيل كل تجديد وإصلاح . ولما كان السير رياليون يؤمنون بضرورة تغيير النظام الاجتماعي الحاضر فإنهم يثيرون حرباً شعواء على هذه العادة

والأساليب التي يتبعونها في ذلك متعددة : منها ما يسمونه « تغريب » الأشياء dépaysement des objets أي نقلها من وسطها المألوف إلى وسط غريب عنها (المثل الكلاسيكي لذلك كلمة لوتريامون: belle comme la rencontre fortuite d'un parapluice et d'une machine à coudre sur une tables de dissection) فمن المألوف أن نرى الأسرة في غرف النوم فإذا هي تفاجئنا في رسم سير ريالي على شاطئ البحر ، وقد تعودنا أن نرى السحاب في السماء فإذا هو يباغتنا داخل الجدران ... وهكذا نشاهد في الرسوم السيرريالية شجرة تنبثق منها ذراعان ، وسمكة مضطجعة بجانب فتاة عارية ، وعينا تطل من وسط ثدي ، وأجزاء من جسم الإنسان طائرة في الهواء، وهيكلاً عظمياً يرقص لأن سمكة بجانبه تغرد ...

وللسيرياليين أسلوب آخر في مقاومة عادة التسليم بالأمر الواقع هو اللجوء إلى إثارة الرغبات المكبوتة وتنشيطها وحفزها على التمرد . ومن هنا كلمة « سلفادور دالي » المشهورة : « يجب أن يكون الفن مغرياً بالأكل L'art doit être comestible أي مغرياً بتحقيق الرغبة واجتلاب اللذة . وكلمة « نيكولا كالاس » : « الفن معمل بارود L'art est une poudrière » أي وسيلة لهدم عاداتنا في التفكير والسلوك .

وهناك أسلوب ثالث هام من أساليب السير رياليين هو ما يسمونه الأسلوب « الأتوماتيكي » في الكتابة والرسم . وهنا يحاول الشاعر أو الرسام منهم أن يتجرد من رقابة عقله الواعي تاركاً لخياله العنان ، حتى يصل إلى حالة تقرب من الغيبوبة ، ثم يسجل كل ما يهب ويدب في نفسه من الخواطر أو يتراءى له من الأشكال

وقد استعار السيرياليون هذا الأسلوب الأخير عن فرويد . ففرويد يجلس مريضه على مقعد وثير مريح ، ويوحي إليه بأن يرخي عضلاته ويرسل نفسه على سجيتها ، ثم يبوح دون تحوط أو تحفظ بكل ما يخطر بذهنه من أفكار، وبكل ما يختلج في قلبه من عواطف. وبهذا يكتشف فرويد « العقد » التي تكونت من الرغبات المكبوتة في نفس المريض ، فيصارحه بهذه الرغبات ، ويحاول أن يقنعه بالتفكير فيها بعقله المنطقي الواعي وبالتنازل عنها إذا تعارضت مع حقائق الوسط الخارجي : يعني التسليم بالأمر الواقع. وهنا نقطة الاختلاف الجوهري بين فرويد وبين السيرياليين : فهؤلاء لا يريدون بحال من الأحوال سيطرة العقل الواعي على العقل الباطن، بل هم يريدون مواجهة العقل الواعي بالعقل الباطن ، والمنطق بالخيال، والواقع بالحلم ، والحقيقة بالخرافة ، والحكمة بالجنون ... محاولين أن يؤلفوا من هذه العناصر جميعاً أداة جديدة للتفكير والمعرفة والنظر إلى الأشياء

لهذا يتهم السيرياليون فرويد بأنه « قد اشترى جرأته في البحث العلمي على حساب التحفظ والتسليم بالأمر الواقع في الناحية الاجتماعية » .

[البقية في ذيل الصفحة التالية]



ألغاز الكون وأسراره
وتطور مخ الانسان

للأستاذ نصيف المنقبادى

شرفنى عالمنا المصرى المحقق الدكتور محمد محمود غالى بالرد على ما قام فى ذهنى من الحيرة بين ما يقرره العلم من أن الكون سائر لا محالة نحو السكون التام أو « الموت الحرارى » بسبب تحول الطاقة كلها فى العالم بأسره من صورها العليا كالكهرباء والطاقة الميكانيكية الخ ، إلى صورتها السفلى وهى الحرارة المنخفضة الدرجة فلا تستطيع أن تتحول من جديد إلى صور أخرى منها ، وبين ما يدل عليه العقل من استبعاد بل استحالة أن يكون للكون نهاية ، لأنه لو كان هذا سيحدث لكان قد حدث من

ثم إن السيرياليين لرغبتهم فى نشر مذهبهم حتى يصبح « فلسفة عامة » بين الناس يصرحون بأن النبوغ الفنى والكفايات الأدبية لا تهمهم . فجميعنا نشترك فى الصراع النفسى بين الأحلام وبين الواقع ؛ وعلى ذلك فكل منا يستطيع أن يأخذ بنصيب من مجهوداتهم ، إذ الغاية المرجوة عندهم هى إشاعة « جو سير ريالى » فى الحياة

والخلاصة أن السير ريالزم وإن كانت تعتمد كثيراً على المذهب الماركسى وعلى أبحاث فرويد، إلا أنها مع ذلك حركة مميزة مستقلة. وقد أشرنا إلى خلاف جوهرى بين السيرياليين وبين فرويد ، كما أشرنا إلى اختلافهم مع الاشتراكيين الذين يعتقدون — ونحن على رأيهم فى مرحلة انتقال سريع — بضرورة توجيه المجهودات الأدبية والفنية جميعاً فى سبيل الدعاية السياسية المباشرة .

رمسيس يونان

قديم الزمان . ومن البديهى أن ما لا بداية له لا يمكن أن تكون له نهاية

وإنى أشكر للدكتور الفاضل النصائح الثمينة التى أسداها إلىّ من وجوب عدم الجزم بشىء خارج ما يثبته العلم التجريبى . وقد دل حضرته بهذا على أنه عالم بطبيعته يتحلى بالروح العلمية الحق . وأقول هذا على رغم تواضعه الذى جعله يرى عدم استحقاقه بعدُ لهذا الوصف . وهذه فضيلة أخرى للدكتور تدل على أنه على جانب كبير من أخلاق العلماء الحقيقيين وسُعة عقولهم . وإنى أقول جازماً ومؤكداً — برغم نصيحة الدكتور لى — بأنه سيكون مفخرة مصر فى البيئات العلمية العالمية فى القريب العاجل

* * *

والذى فهمته من مجموع رد الدكتور أن الموضوع الذى أثرته لغز من ألغاز الكون وسر من أسراره لا يستطيع العلم أن يحله الآن

وهذا قول حق وهو ما أعتقده من جهتى . أما العامل الغريب عن العلم الذى افترضه الدكتور افتراضاً ورمز إليه بلاعب العصا فإنه خارج عن نطاق البحث العلمى؛ وإنى لا أرى له أى أثر فى الطبيعة، ولا أجد فى الكون ما يؤيده أو يدل على شىء منه ولو عن بعد . وهذه نواميس الطبيعة العمياء تسير على الدوام فى طريقها لا تحيد عنه قيد شعرة، بدليل أن الإنسان يقيسها بالأرقام ويعرف نتائجها مقدماً قبل أن تقع ، إذا عرفت أسبابها ومقدماتها ، ويدخلها فى معادلاته وحساباته . فيحسب مثلاً مقدماً تواريخ كسوف الشمس وخسوف القمر والسيارات الأخرى وغيرها ، بالثانية وكسور الثانية فى كل نقطة من بقاع الأرض . أوليست أساس جميع العلوم — العلوم الحقيقية اليقينية — القاعدة المنطقية البديهية القائلة بأن نفس الأسباب تنتج حتماً نفس النتائج : Les même causes produisent, fatalement, les mêmes effets. وبالجملة فإن أحوال الظواهر الطبيعية لا تدل على تدخل

عوامل أخرى فى سيرها، وإلا لظهر تغير من وقت إلى آخر فى نظام النواميس التى يديرها ، فتسير الأرض اليوم مثلاً بسرعة كذا فى اتجاه معين، وتسير غداً بسرعة أخرى فى اتجاه آخر، ويتصرف الراديوم تارة على وجه معين طبقاً لنواميس محدودة ، وطوراً نراه يتبع طريقاً آخر ويجرى على قواعد أخرى

***

وأظن أن الدكتور يذكر أكثر منى ما حدث لأحد العلماء الرياضيين الفلكيين — ولعله اسحق نيوتن — من أنه افترض نفس العامل الذى نحن بصدده لتصحيح ظاهرة فلكية تحدث فى فترات بعيدة ، تخالف ما تدل عليه الحسابات وتعجز عن تفسيرها النواميس المعروفة فى ذلك الحين أو التى اكتشفها هو . ولم تلبث الأبحاث والاكتشافات التى جاءت بعد ذلك أن نفت ذلك الغرض وفسرت تلك الظاهرة التفسير العلمى الصحيح . فهذه سابقة لمحاولة فاشلة من هـذا القبيل يجب أن تجعلنا على حذر من تعليل الظواهر الطبيعية بمثل ذلك العامل . وإن العلم حافل بمثل هذه السابقة ، بل إن تاريخ العلم إنما هو تاريخ انتصاراته على تلك النزعة القديمة

وبالجملة فإن العلم يجب أن يكون محصوراً فى تفسير ظواهر الطبيعة بالنواميس الطبيعية التى تقع تحت المشاهدة والاختبار ، والتى يمكن قياسها أو قياس بعض نواحيها .

***

أما لماذا تجرى النواميس الطبيعية هكذا، ولماذا هى تدير ظواهر الطبيعة على هذا النحو ، وما الغرض من ذلك كله ، فهذا لغز آخر من ألغاز الكون؛ بل إنه اللغز الأول وهو ما سماه هربرت سبنسر L'inconnaissable أى مالا يمكن معرفته . ويتصل بهذا الموضوع ويتفرع منه المسألة التى نحن بصددها الخاصة بنهاية الكون طبقاً لآراء بولتزمان وقواعد علوم الميكانيكا والطبيعة أو علم الطاقة الجديد العام الشامل L'energétique الذى يتوقع العلماء أن يندمج فيه عاجلاً أو آجلاً جميع العلوم الأخرى الطبيعية والبيولوجية

لى رأى خاص فى هذا الموضوع عنّ لى أثناء دراستى للعلوم البيولوجية ، وهو أن عجزنا الحالى عن إدراك أمثال هذه (الألغاز) التى تشمل أيضاً الأمور الأخرى المستعصية الآن على العلم مثل الوراثة وأسبابها وكيفية حدوثها فى الحيوانات والنباتات ، ومثل الشعور فى الأحياء وفى الحيوانات على الأخص (بما فيها الإنسان) وكيف أن مواد كيميائية ، أى جمادات محضة ، مشتقة من الأرض والهواء بفعل العوامل الطبيعية ، وعلى الأخص طاقة الشمس تشعر بوجودها وتحس بما يحدث لها — أقول إن عجزنا الحالى عن إدراك حقيقة هذه الأمور التى نسميها ألغازاً وأسراراً لا يدل على أنه من المحال معرفتها ، وإنما يرجع ذلك إلى نقص فى تكوين مخنا وعدم نموه بعد إلى الدرجة التى تجعله يستوعبها ويلم بخفاياها ويفسرها التفسير العلمى الصحيح

لا يخفى أن الحيوانات العليا الممتازة بشىء من الذكاء مثل الكلاب والفيلة والقرود الشبيهة بالإنسان المسماة Anthropoïdes (الشامبانزيه ، والغوريلا ، والأورنجوتانج ، والجيبون) تعجز عن إدراك معظم الأمور التى نعرفها نحن ونعدها من البديهيات . هى ألغاز وأسرار بالنسبة لها ، ولو كان فى وسعها أن تتكلم أو تكتب لوصفتها بأنها الأمور المجهولة التى لا يمكن معرفتها L'inconnaissable على حد تعبير هربرت سبنسر

ولا شك فى أن هذا كان حالنا فيما مضى من الزمن قبل أن يتم تطورنا الإنساني بفعل العوامل الطبيعية . فلما تم هذا النمو ونما على الأخص مخنا بسبب الظرف الطبيعى الذى طرأ علينا فى ذلك الماضى البعيد وهو اضطرارنا إلى الوقوف على الدوام على قدمينا الخلفيتين لتسلق الأشجار لنقتات ثمارها بسبب ما حدث فى ذلك العهد من نقص الغذاء على الأرض من جهة ، ونمو الحيوانات المفترسة من جهة أخرى . واستعمال أيدينا فى القبض على فروع الأشجار وقطف ثمارها ، ثم فى تناول الأشياء والأجسام المادية الأخرى وفحصها والتأمل فيها ، وذلك مدة مئات الألوف من السنين — أقول إنه حين تم هذا النمو فى مخنا أدركنا شيئاً فشيئاً كثيراً من الأمور التى ظلت غامضة على أجدادنا ، وأخذت معلوماتنا تتسع بالتدريج إلى أن قام العلم وازدهى وساد العالم فى عصرنا الحالى

وبطبيعة الحال لا يمكن القول بأن التطور الإنسانى قد تم ووقف عند هذا الحد وهو لم يمض عليه أكثر من ثلاثمائة ألف سنة (متوسط تقدير العلماء) منذ أن تميز عن النوع الذى تفرع منه . ومعلوم أن حياة الأنواع الحيوانية والنباتية تعد بملايين السنين

والمرجح أن يستمر التطور فى المستقبل ، غير أنه لا يمكننا أن نعرف من الآن الاتجاه الذى سيسلكه لأن هذا متوقف على العوامل الطبيعية والاجتماعية المختلفة التى تطرأ وتستجد من وقت إلى آخر لأسباب محلية لا يمكن التنبؤ بها، ومن باب أولى لا يمكن حصرها مقدماً وتحليلها ومعرفة نتائجها

ولكن الظواهر كلها تدل على أن المخ سيواصل نموه على ممر الزمن فى نفس الاتجاه الذى بدأ فيه بدليل اضطراد رقى الأمم المتحضرة عقلياً وتفوقها على الأمم المتوحشة تفوقاً تدريجياً مستمراً

فإذا استمر التطور فى هذا الاتجاه فإن الفكر الإنسانى يصل حينئذ إلى درجة من القوة تجعله يحل بسهولة المسائل المغلقة فى العلم وفى الفلسفة ويسمونها الآن ألغازاً أو أسراراً ويكشف عن أسبابها ونواميسها الطبيعية ، ويتحول الإنسان إذ ذاك إلى نوع جديد من الـ Superman الذى يتكلم عنه نيتشه

وعلى الجملة فنحن الآن فيما يتعلق بتلك المسائل الغامضة المستعصية على عقولنا على ما كان عليه أجدادنا البعيدون بالنسبة للأمور التى لا تدركها عقولهم البسيطة ونعدها نحن من البديهيات نظراً إلى النمو الكبير الذى طرأ على مخنا أثناء تطورنا

وهناك بعض شواهد تؤيد هذا الرأى . فكلنا سمع بذلك الشخص المدهش الذى يقوم بأعمال كالمعجزات فى الحساب دون أن يستعين بأية ورقة لأنه أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة . وقد اختبرته أنا وعدد من المعارف فكنا نكلفه بعمليات طويلة عويصة بأن نطلب منه مثلاً أن يجمع خمسة أو ستة أو عشرة أعداد كبيرة مكوّن كل منها من أرقام عديدة ، أو أن يضرب عددين ضخمين الواحد منهما فى الآخر ، أو أن يقسم أحدهما على الثانى ، أو أن يستخرج الجذر الربع أو المكعب لعدد من سبعة أو ثمانية أرقام الخ، وكنا بطبيعة الحال نحتاط بإجراء هذه العمليات على الورق مقدماً قبل أن نضعها له لنطابق إجاباته على نتائجها . وليتصور القارئ ما كنا نعانيه من التعب وبذل الوقت الطويل فى ذلك . وكم كانت دهشتنا عظيمة كل مرة حين كان يفوه بالرد فإذا به مطابق تمام المطابقة لما وصلنا إليه بعد تسويد الأوراق الكثيرة . وإذا وقع خلاف فكان يتضح لنا من مراجعة حساباتنا أنه لم يخطئ هو فى شىء بل إن الخطأ جاء منا

ويمتاز هذا الشخص بذاكرة للأرقام مدهشة خارقة للعادة ، فإننا كنا نتلو عليه من أوراقنا الأعداد الضخمة الكثيرة المكون كل منها من ثمانية أو عشرة أرقام طالبين منه جمعها أو ضربها أو قسمتها فكان يعيد علينا سردها دون أن يخطئ فى رقم واحد منها . وأغرب من هذا مقدرته الغريبة على أن يجرى معنوياً فى الحال العمليات الحسابية الكبيرة المعقدة التى تطلب منه دون أن يستعين بالكتابة وهو يجهلها كما تقدم لنا القول . فلا شك فى أن جزءاً من مخ هذا الشخص نما نمواً استثنائياً أكثر من المعتاد جعله يذكر الأعداد الضخمة التى تتلى عليه ويحسبها بتلك السهولة المدهشة ، الأمر الذى يعجز عنه باقى الناس . وقد شاهد كاتب هذه السطور شخصاً آخر من هذا القبيل من سنين فى باريس بولونى الجنسية

ومثل أولئك الحسابين الشواذ الأشخاص الذين نبغوا فى الموسيقى من حداثة سنهم نبوغاً فوق الطبيعى ، فترى الواحد منهم وهو فى سن الطفولة يلتقط أية نغمة يسمعها لأول مرة ويعزفها على الآلات الموسيقية التى يجيدها لدرجة الإعجاب الكبير ويؤلف الأدوار التى يعجز عنها كبار رجال الموسيقى العاديين ، ويقود الجوقات الموسيقية وقد لا يزيد عمره على العاشرة أو الثانية عشرة . والأمثلة عديدة من هذا القبيل وهى معروفة للجميع . فلا شك فى أن مخ هؤلاء النوابغ الخارقين للعادة نما فى ناحية منه نمواً أكثر من الحالة الطبيعية جعلهم يمتازون بتلك المقدرة التى يعجز عنها باقى الناس

***

وكذلك الحال بالنسبة لعظماء الرجال الذين نبغوا فى العلم أو الأدب أو الفنون الجميلة أو الفنون العسكرية . فهذا بسكال العالم الرياضى الكبير استنبط من تلقاء نفسه وهو فى سن الثانية عشرة النظريات الهندسية القديمة الأساسية قبل أن يدرسها. وهذا نيوتن مكتشف ناموس الجاذبية . وهذا جوت أوجيته العبقرى الألمانى الكبير مؤلف رواية فوست الخالدة فإنه لم ينبغ فقط

في الشعر والأدب بل وأيضاً في العلوم البيولوجية وله اكتشافات جليلة في علوم الحيوان والنبات وتكوين الجنين تؤيد ناموس التطور والتسلسل الذى قال به وبحث فيه قبل داروين بخمسين سنة، لمناسبة ظهور نظرية لامرك سنة ١٨٠٩ . وهذا نابليون عبر بجيشه جبال الألب وفتح إيطاليا وهو لا يتجاوز الثانية والعشرين؛ ثم غزا مصر، ثم انتصر على أكبر قواد أوربا ودخل جميع عواصمها ظافراً وهو في مقتبل سن الشباب. وهذا فكتور هيجو العظيم. وهذا أينشتين، وغيرهم. ولا شك فى أن مخ هؤلاء العظماء نما نمواً فوق المستوى الطبيعي لباقى البشر . والنمو المقصود هنا ليس فى حجم المخ ولكن في تكوين خلاياه وصفاتها الطبيعية والكيميائية وتشعب فروعها واتصالها (أى اتصال الخلايا) بعضها ببعض بواسطة هذه الفروع الخ . وبالجملة فإن النبوغ والعبقرية وقوة التفكير ترجع إلى نمو المخ

فلا يبعد أن يصل مخ الإنسان أثناء تطوره فى المستقبل البعيد إلى درجة من النمو تجعله يحل بسهولة المسائل المستعصية عليه الآن ويردها إلى أسبابها الطبيعية فلا تعد ألغازاً وأسراراً

كما أنه يجوز مع شديد الأسف أن يتجه تطورنا اتجاهاً آخر بفعل عوامل جديدة وظروف تطرأ علينا نجهلها الآن فنتحول تحولاً يختلف كل الاختلاف عما نتوقعه فنصبح نوعاً مغايراً للنوع الإنسانى الحالى ولنوع الـ Superman الذى نصبو إليه بل قد نتحول إلى أنواع مختلفة قد يرتقى بعضها إلى تلك المرتبة العليا ويتأخر بعضها بالمعنى الذى نفهمه من الارتقاء والانحطاط، ذلك لأن الطبيعة لا تعرف هذه الفوارق التى لا توجد إلا فى تفكيرنا ومن الخطأ تسمية ناموس التطور بناموس أو مذهب « النشوء والارتقاء » على الطريقة القديمة

نصيف المنقبادى المحامى
دبلوم فى الفسيولوجيا العليا الحيوانية والنباتية
من كلية العلوم بجامعة باريس (السوربون)

لحظات الالهـــام

فى تاريخ العلوم

تاليف مريون فلورنس لانسنغ

مقدمة

العلم هو الذى وصل بالعالم إلى ما هو عليه اليوم ، فهو الذى ابتكر كل أداة فى الحياة العصرية ؛ ولكن العلم الذى نركن إليه فى كل وسائل راحتنا ومتعنا ليس بالقوة الجامدة النائية التى تعمل عملها بيننا وهى عن نفوسنا بمعزل . إنما العلم معرفة إنسانية أفادها فى بطء ، واحتمل فى سبيلها الآلام رجال مثلنا وقد استخدموها لصالح النوع الإنساني

وهذا الكتاب يقدمنا إلى زعماء النهضات العلمية الذين خلقوا الدنيا الحاضرة . وفى الأقاصيص التى تضمنها هذا الكتاب تراهم فى أسمى اللحظات التى أدوا فيها مهماتهم ، وقد تضمنت كل العصور لحظات هى التى نُسج منها التاريخ . وإنه ليبدو لنا أحد هذه المخترعات كأنه بداية لعهد جديد فى حياة الإنسان مع أنه كان فى العصر الذى وجد فيه يكاد لا يكون موضعاً للملاحظة إلا من القليلين البعيدى النظر الذين أنجزوه

ومن أمثلة الكشوف التي غيرت اتجاه العالم اختراع آلة الطباعة والآلات المتحركة بذاتها وآلات التخاطب على مسافات متباعدة سواء منها السلكى واللاسلكى . ووراء كل كشف من هذه الكشوف رجل أو طائفة من الرجال ميزتهم الجرأة أو المخاطرة والمهارة وحب الإفادة . وفى الصفحات التالية سير رجال ألفنا سماع أسماء بعضهم ؛ والبعض لمَّا نألفه ، ولكننا مدينون لهم جيعاً بدين ضخم . وسنرى سيرهم فى لحظات انتصارهم المثيرة . نحن جيعاً نمباً بأنفسنا وبعالمنا . وكل مجموعة من السير تتعقب آثار الفكر الإنسانى فى أحد اتجاهاته فإنما يراد بها إشباع حياتنا العصرية بمجهود ذلك الفكر ، وفى كل ترتيب موفق لكل مجموعة من هذه السير ما يمكننا من الإفادة منها . فاستكشاف النار مثلاً يبدو لنا أقل استغرافاً فى النار عندما نتبين أننا لا نزال نعيش فى عصر النار وإن كان بيننا من يتنبأ بأن أبناءنا وأحفادنا سيعيشون فى « عصر الكهرباء » الذى بزغ فجره الآن

لقد اخترع أهل العصور الأولى العجلة ، واخترع الرجل المصرى الآلة التى تدير عجلات العالم، واستكشف كيف يستعمل الوقود وقوة الماء والكهرباء فى تسيير هذه الآلة

لقد كان الرجل يريد دائماً أن يطير ولكن الآلة التى يديرها النفط هى التى جعلت هذه الرغبة فى حيز الإمكان

ولقد كان الزمان والمكان مشكلتين أمام أهل العصور الأولى، فكان الإنسان مضطراً إلى لزوم دنيا مزدحمة ضيقة هى دنيا وجوده الحاضر ، فتمكن من السيطرة على اعتبار المكان بواسطة الكتابة والطباعة والتصوير الشمسى والآلة الناطقة ، وتمكن من السيطرة على اعتبار الزمان بواسطة الساعة والمنظار المقرب وآلة البرقية والمسرة واللاسلكية والآلة البخارية والسيارة ، وتمكن بواسطة الطيارة من انتصارات جديدة على اعتبارى الزمان والمكان

يجد الصغار من البنين والبنات أنفسهم فى هذه الدنيا العجيبة ويتوقون إلى استئناف النصر فيها ويَطَّبيهم منها كل ما كان فى الإمكان، فما يساعدهم على تفهم الدنيا أن يعرفوا كيف شيد بناء المدنية الحديثة

وإن دراسة زعماء النهضات وتقدير ما نحن مدينون به لهؤلاء الزعماء بمثابة تقديم الشكر على الصنوف التى نتناولها من صنع أيديهم

وفى تلك الدراسة وفى ذلك التقدير ما يجعل الشبان أكثر زهواً بتراثهم الإنسانى عند ما يتبينون أن معارك العالم قد خاضها فى كل العصور رجال ونساء مثلنا

وعند ما يسطع على لوحة إدراكهم وميض اللحظات العظيمة فى حياة العلم سيرون لمحات لا من الماضى والحاضر فحسب ، بل من اللحظات العظمى فى حياة الإنسان، لحظات الإلهام التى استمتع بها المخترعون والمستكشفون فكانت إيذاناً من الله بظهور هذه الاختراعات وتلك الاستكشافات

عصر النار

سر صنع النار . الفلز المذاب . الحديد

النار أنفس ما كان فى حيازة الإنسان فتخيل كيف تكون الدنيا إذا انطفأ كل ما فيها من النيران ، ولم يبق فيها من يستطيع إيقادها !

إن منازلنا تصبح باردة لا تطاق فيها الحياة ، ويصبح طعامنا غير قابل للنضج ، وتقف قطاراتنا وبواخرنا ، وتمتنع عن العمل مصانعنا ، ولا يمكن صنع الكثير مما نأكله أو نشربه أو نلبسه أو نتولى إدارته بأيدينا

إننا نعيش فى عصر جدير بأن يسمى حقاً « عصر النار » .

ولقد بدا عصر النار منذ آلاف كثيرة من السنين . وليس على وجه الأرض قبيلة ليس لديها أسطورة عن نشوء النار للمرة الأولى وصيرورتها فى حوزة الإنسان . ذلك بأنه ليس فى وسع مخلوق غير الإنسان أن يصنع النار ، وأن مقدرته على صنعها جملته فى مستوى أرفع كثيراً من مستوى الحيوان . وكل أسطورة من هذه الأساطير تنص على أن النار كانت عند الآلهة ، ويختلف بعضها عن بعض فى بيان الطريق الذى حصل به الإنسان على النار ، فيروى اليونان أن بروميثيوس صعد إلى السماء وأوقد شعلته من عربة الشمس ، وسرق النار فنزل بها إلى الأرض . وقد كان الآلهة لا يريدون أن يحصل الإنسان على النار ، لأنهم يعلمون أنه بعد حصوله عليها سيصبح كأنه واحد منهم ، فهو بواسطتها يستطيع تعرف أسرار الأرض والانتفاع بكنوزها ، وكانوا لا يرون أن يحبوه هذه المعجزة

ولا يعرف أحد حق المعرفة كيف عرف الإنسان سر صنع النار . وربما كان السر رؤيته البرق يصيب الغابات الجافة فيحرقها . وربما كان فيمن رأوا ذلك المشهد رجل أجرأ ممن عداه فاحتفظ بجزء من النار السماوية عندما وجدها تحرق الغابة بتعهده إياها وبتغذيتها بالوقود . فإن كان أحد قد فعل ذلك فما لا ريب فيه أن قبيلته تعده مخوفاً محترماً لأنه عرف أسرار الآلهة . وقد كان فى كل قبيلة أناس من مهمتهم أن يتولوا حراسة النار ، فكانوا يتناوبون حراستها آناء الليل وأطراف النهار ويغذونها ويتعهدونها كيلا تخمد فيخسر الناس هذه الهبة الغالية من هبات الآلهة ويموت الإنسان برداً . والأرجح أن مئات من السنين منذ اليوم الذى عرف فيه الإنسان كيف يحتفظ بالنار قد مضت والإنسان منتفع بالنار دون أن يعرف كيف يحدثها . وكان كل ما فى وسعه أن يبحث عنها حيث توقدها آلهة البرق أو إله الغابة ، فيحمل منها قبساً إلى كهفه وينعم به . ثم جاء يوم صنع فيه الإنسان النار لنفسه ، إما بسنه قطعة الخشب محددة على لوحة صلبة من البلاط ، وإما بدق حجرين من الصوان . وعلى أى الفرضين فإن اللحظة التى استطاع فيها الإنسان صنع النار كانت أعظم لحظة فى حياة الإنسان فى عهده الأول ، فإن وجود هذه القوة فى يده مكنه من المفتاح الذى يستطيع به استخراج ما فى الأرض التى يسكنها من كنوز .

ولما كنا لا نعرف حقيقة الأسطورة التى تنبىء عن استكشاف الإنسان النار لأول مرة ، لأن هذا الاستكشاف أسبق كثيراً من العهد التاريخى وعهد الأساطير فإننا سنروى القصة التى يعتقدها أهل جزائر بولونيزيا عن رجل مخاطر جرىء تمكن من معرفة أسرار العصى النارية وكيفية استعمالها فى مأوى إله النار .

(يتبع) ع . ا

من هنا ومن هناك

الى أى طريق يتجه الشباب الألمانى ؟

[عن مجلة « باريد »]

هل يستطيع هتلر أن يعتمد كل الاعتماد على الملايين التى حشدها لأجل الحرب ؟

هذا سؤال جدير بالعناية والتفكير . ولقد كتبت مسز نورا والن المؤلفة المشهورة مقالاً فى « الأفننج بوست » عن روح الشباب الألمانى يلقى ضوءاً جديداً على هذا الموضوع .

يقول كثير من الألمان : « إننا لم نكسب الشباب » . وتقول مسز والن : إننى لم أصدق هذا القول حتى شاهدت بنفسى كثيراً من الحوادث التى تؤيده .

إن الحالة فى ألمانيا كما تبدو للعيان تدل على الانسجام والتوافق بين حزب النازى وبين الشباب فى ألمانيا . فهم ينتظمون فى الصفوف ، وينشدون الأناشيد ، ويهتفون ملء حناجرهم ، ويرفعون أيديهم اليمنى للتحية ، ويرتدون الملابس الحربية التى يؤمرون بارتدائها ، وتبدو عليهم مظاهر الطاعة فى كل شيء .

إلا أن كثيراً من هذه المظاهر تخفى وراءها المقت والاحتقار . وقد سمعت بعض الآباء يقول : « من يدرى ماذا يفكر أبناؤنا ؟ إن قليلاً منهم الذين يستطيعون أن يصرحوا لأمهاتهم أو آبائهم بذات نفوسهم . إنهم على ما يظهر يضمرون لنا الكراهية والاحتقار ، وإننا لم نكن كذلك فى شبابنا »

ولقد سمعت بعض أساتذة المدارس يصف الجيل الحاضر فى حذر واحتراس فيقول : « إن الشباب الذى يعيش فى ألمانيا اليوم جيل عجيب ؛ فهم فى ظاهرهم خاضعون للنظام والقوانين ، وفى باطنهم على خلاف ذلك . فكل ما يمنعون منه لا يلبث أن يصير موضع بحثهم ومثار شهوتهم ؛ فهم يبحثون عن الكتب المحرمة ، ويسعون وراء الحصول عليها بهمة لا تعرف الملل . وكم تكون دهشة المعلم حين تنكشف له الحقيقة ، ويجد تلاميذ فصله ملمين بهذه الكتب أكثر من إلمامهم بدروسهم المدرسية . إن لنا تراثاً عظيماً وذخيرة كبيرة من الآراء والأفكار الألمانية التى تناقض نظرية النازى . وعلى الرغم من الضغط الشديد الذى يلاقيه أطفالنا فإنهم لا يشبون على جهل بهذا التراث . فحرق بعض الكتب لم يكن ليخلى المكتبات منها . ففى ألمانيا عدد لا يحصى من الكتب الممنوعة التى يستطيع الشباب أن يحصلوا عليها . إن الفكر الألمانى وإن كان بطيئاً ، إلا أنه ليس بليداً على الإطلاق . فهو سريع الانفعال ، ومن السهل استثارته ، ولكنه يكتشف المزاعم الخاطئة كيفما كانت » .

وتقول مسز والن فى مقالها هذا إنها سمعت بعض أعضاء النازى يقولون : (من يدرى ماذا يكون إذا قامت الحرب ؟ لقد جندنا جيشاً جراراً من أبناء ألمانيا ، ولكننا لا ندرى إلى أى ناحية سيتجه ذلك الجيش)

لقد زعزع حزب النازى الثقة التى وضعها فيه أبناء ألمانيا ، فقد كانت مزاعمه الأولى التى اجتذب بها قلوب الشباب ، مبنية على أساس من المثل الأعلى ، فزعموا أنهم يعملون على ترقية الجنس وليست لهم رغبة فى غزو بلاد أخرى أو إزعاج أهلها بأى حال . ولكنهم نقضوا العهد فساقوا الجيش لاحتلال بلاد غير بلادهم . وهذا أمر لا يرتاح إليه الشباب ، فقليل بين الشباب الألمانى الذين يميلون إلى روح الاستعمار البغيض

مذهب التعقيم

[عن « داى بروك » الألمانية]

كثير من المذاهب والأنظمة التى ظهرت فى ألمانيا هذه الأيام وضعت للأجيال القادمة . وقد كان قانون التعقيم الذى يرمى إلى منع النسل العاجز أو المصاب بالأمراض المتوارثة ، عن الظهور على مسرح الحياة ، من القوانين التى قابلها العالم بالاهتمام ، وعالجها بكثير من النقد والتمحيص

وقد أعلن الكثير من العلماء والمفكرين من مختلف الأمم ، أن هذا المذهب سيكون له شأن كبير فى تحويل وجهة التاريخ الإنسانى ، وعده آخرون رجعة إلى الهمجية والوثنية الأولى .

ولم يكن هذا القانون وليد الفكر الألمانى وحده ، فقد نبتت بذوره فى الولايات المتحدة ، وكثير من الأقاليم السويسرية ، والولايات الاسكاندينافية ، وما زال الصوت يرتفع فى كثير

من الممالك ومنها بريطانيا العظمى ، بتنفيذ مثل هذا القانون .

أما الأسباب التى أدت إلى ظهور هذا القانون فهى بسيطة يدركها الطفل الصغير ، ولكن السبب الجوهرى هو التكاليف الباهظة التى تتحملها الحكومة من جراء هذا النسل .

فالطفل الصحيح الذى يتعلم فى المدارس يكلف ألمانيا ٧٥ ماركا فى السنة ، بينما يكلفها الطفل المصاب بنقص فى قواه المدركة أضعاف هذا المبلغ . وتبلغ المصاريف التى تنفقها الحكومة من أجل الشخص المعتوه من ٦ إلى ٨ ماركات فى اليوم . أما الأشخاص المصابون بالميول الإجرامية الذين يحتاجون إلى حراسة خاصة ورعاية صحيحة لتقويمهم ، فيتكلف كل شخص منهم ٢٠ ماركاً فى اليوم

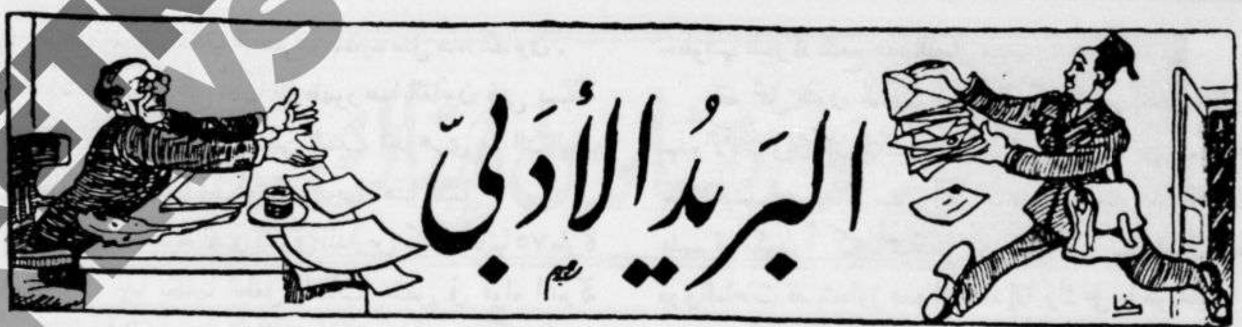
وقد ثبت أن العامل الألمانى لا يكتسب فى الغالب ما يعادل ما تنفقه الحكومة على الضعفاء والمتوهين وأصحاب الآفات والمجرمين . فهل تسمح ألمانيا التى تكافح جهدها للاحتفاظ بكيانها بأن يستمر هذا التيار الجارف من النسل العاجز بغير انقطاع ، فتضع على كاهل العمال عبئاً لا قبل لهم باحتماله ، أو تخطو خطواتها المباركة لقطع هذا النسل . . .

وقد شمل قانون التعقيم الصم والبكم والعمى الذين خلقوا بهذه الآفات وإن كان الكثيرون منهم لا يكونون عالة على الحكومة بعد تعليمهم ، فهناك سبب آخر ساعد على تنفيذ هذا القانون عليهم قد يكون أكثر أهمية من أى سبب آخر . ذلك أن عدد ذوى العاهات قد يتجاوز عدد الأصحاء إذا ترك على ما هو عليه

وقد أصبح الرجال ذوو المكانة والعقول الراجحة فى ألمانيا يكتفون من النسل بطفل أو طفلين ، وأصبحت العائلات الصحيحة تتجنب كثرة الأطفال ، هذا فضلاً عن الوقت الذى يصرفه أبناء الطبقات الممتازة فى التعليم والتخصص فى الدراسات العالية مما لا يمكنهم من الزواج قبل سن الثلاثين . بينما يتزوج ذوو العقول الضعيفة فى سن تتراوح بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين

وعلى هذا القياس لا يمضى مئة عام حتى تكون نسبة النسل الضعيف قد تجاوزت نسبة النسل الصحيح عشرات المرات

وقد أخذت الحكومة الألمانية تراقب هذه الأحوال بيقظة ودقة وتبذل غاية جهدها لإخراج جيل قوى صحيح



بحر العرب لا بحر الروم

كثير من الكتاب يسمون البحر الأبيض المتوسط « بحر الروم » حين يحلو لهم أن يذكروا التسمية القديمة لذلك المحيط

وأنا أقترح أن نسميه « بحر العرب »

وهذا الاقتراح له أساس من التاريخ . فقد كان من أسلافنا من يسميه « البحر الشامى » وذلك اسمه فى أكثر كتابات ابن فضل الله العمرى صاحب « مسالك الأبصار »

والواقع أن الشوام هم أقدم من انتفع بذلك البحر: بحر العرب، وهم أقدم من عرف أنه موطن استغلال ، حتى جاز القول بأن الفينيقيين القدماء هم الذين أسسوا مدينة مرسيليا منذ نحو خمسة وعشرين قرناً . ومرسيليا هى عروس الشاطئ الفرنسى من بحر العرب ، ولا يفوقها فى الحسن غير الاسكندرية وهى عروس الشاطئ المصرى من بحر العرب ، وربما كانت الاسكندرية أجمل مدن الشواطئ على الإطلاق ، ولذلك تفصيل سنطالع به القراء بعد حين

فما رأى الأستاذ إسعاف النشاشيبى فى هذا الاقتراح ؟

أنا أظن أن عنده شواهد كثيرة تؤيد القول بأن البحر الأبيض المتوسط هو بحر العرب لا بحر الروم ، وأنتظر أن يتسع وقته لتعريف القراء بما كان يملك العرب من السيطرة على هذا البحر أيام ازدهار الحضارة العربية

وصدق بدوىّ الجبل حين قال :

أيها البحر أنت مهما افترقنا ملك آبائنا وملك الجدود

زكى مبارك

الجبر والاختيار

جاء فى المقال الأول للأديب السيد محمد العزاوى المنشور فى العدد ٣١٨ من الرسالة ما يأتى :

(أما رجال الدين والكلاميون من المسلمين فقد خاضوا فيها (أى مسألة الجبر والاختيار) وكان همهم الأول البرهنة على أن الإنسان إما خالق لأفعاله فهو مسئول عنها أمام الله فى القيامة ، ويحق عليه الجزاء ثواباً وعقاباً ، أو أن الإنسان وأفعاله من خلق الله ، فلا يكون ثمة حساب أو عقاب . وهمهم الثانى هو البحث فى معرفة الله لما يحدث : أهى قبل الحدث أم بعده)

ونحن نرجو من الأديب الفاضل أن يصحح هذا القول ، فإن المسلمين ، القائلين منهم بأن الإنسان خالق لأفعاله وغير القائلين ، متفقون على أنه مسئول عنها أمام الله ، وعلى أنه مجزى بها ؛ فإن أهل السنة لا يقولون بأن الإنسان خالق لأفعاله ، ولكنهم لم يجعلوا خلقه لأفعاله أساساً لاستحقاق الجزاء ، ولا عدمه لعدمه . فقوله (أو أن الإنسان وأفعاله من خلق الله فلا يكون ثمة حساب أو عقاب) بعيد كل البعد عن الحق . وكذلك قوله (وهمهم الثانى هو البحث فى معرفة الله لما يحدث : أهى قبل الحدث أم بعده) فى غير محله أيضاً ، فإن المسلمين لا يختلفون فى أن الله تعالى عالم بكل ما يحدث قبل حدوثه ، إلا أنهم قالوا : (إن علمه بالمتجددات على وجهين : علم غير مقيد بالزمان ، وهو باق أزلاً وأبداً لا يتغير ولا يتبدل ؛ وعلم مقيد بالزمان وهو علمه تعالى بالتجدد أو التغير ، وهذا العلم متناه بالفعل بحسب المتجددات ، وغير متناه بالقوة كالتجددات الأبدية . والعلم لا يتغير بحسب الذات ، ويتغير من حيث الإضافة ، ولا فساد فيه ، وإنما الفساد فى تغير نفس العلم[١])

نعم قالت فرقة من القدرية : (إن الله لم يقدر الأمور أزلاً ، ولم يتقدم علمه بها وإنما يأتنفها علماً حال وقوعها[٢]) ولكن هذه الفرقة قد خرجت بهذا القول عن الإسلام (فقد كفرهم عليه الإمام مالك والإمام الشافعى ، والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة[٣])

---

(١) حاشية ملا احمد على العقائد النسفية ص ١١٤ ج ١ من مجموعة حواشى العقائد النسفية (مطبعة كروستان العلمية)

(٢) و (٣) شرح عقيدة السفارينى ص ٢٠٢ ج

على أن هذه الفرقة لو عدت من الإسلام لا يصح أن يجعل قولها — وهو من الضعف ما هو — مقابلاً لقول سائر المسلمين ، أو على الأقل لا يصح الادعاء بأن هم رجال الدين والمتكلمين هو البحث فى هذه المسألة على هذا النحو

وجاء فى هذا المقال أن المعتزلة قالوا : (بأن الله لا صفات له غير ذاته ، فشاركوا الجهمية فى هذا الأصل)

وهذا الكلام يحتاج إلى تصحيح ، أولاً من جهة عدم توضيح قول المعتزلة ، فإن تركه بلا توضيح يوهم إنكارهم الصفات إنكاراً غير حميد كما يدل عليه اعتبارهم شركاء للجهمية فيه . وهم إنما يقولون: إن صفاته عين ذاته ، أى إن ذاته تسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالماً ، وبالمقدورات قادراً إلى غير ذلك ، أى بمعنى أنه عالم بذاته لا بأمر زائد على ذاته[1] (العقائد النسفية وحواشيها ص ١٠٦) . وثانياً يحتاج الكلام إلى تصحيح من جهة ادعاء مشاركتهم للجهمية فى هذا الأصل ، أى أصل إنكار الصفات ؛ فإن (الجهمية وطوائف أخرى ملحدة يعطلون الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفى الذات المقدسة[2]) .

هذا ما نريد من الأديب الفاضل السيد محمد العزاوى تصحيحه وله الشكر سلفاً ، كما أننا نرجوه أن يبالغ فى التأنى كيلا يقع فى مثل هذا . وأسأل الله له ولى التوفيق ،

« فلسطين » داود حمدان

اللغة العربية والجامعة المصرية

فى مقال الدكتور زكي مبارك المنشور فى العدد ٣١٨ ، كلام طيب فى مؤاخذة القائمين على التدريس بكليات الجامعة . إنهم زعموا أن بالعربية قصوراً عن حاجة العلم ، كأنهم يريدون أن يجدوا للمخترعات الحديثة (دون تعب منهم ولا سعى) أسماء فى معاجمنا القديمة ، فإذا لم يجدوا وصموا خير اللغات بالعجز والقصور ، وما العجز فى الواقع إلا عجزنا ، وما العيب إلا فينا وفى هممنا . والكنز لا ننتفع به حتى ننبش فوقه بالمعاول

ونحن (فى الشام) ما ينقضى عجبنا من قيام كليات فى الجامعة المصرية على عقوق العربية إلى اليوم ، بينما أثبتت الجامعة السورية منذ عشرين عاماً (فى عمل صامت) صلاح العربية لتكون لغة علم . قام أساتذتها (وهم خريجو أرقى معاهد الغرب) يدرسون العلوم بالعربية ولاقوا فى هذا السبيل عناء جاهداً . ولا ريب أن الأمر شاق لا يحمله إلا بطل يبذل له ما يبذل المجاهد الشجاع فى الميدان

وخير برهان على اتساع لغتنا هذه المؤلفات العلمية الجامعية الضخام التى ألفها لسد حاجة الجامعة الدكاترة الأساتذة : الخياط . سبح . الشطى . الخانى . خاطر ... وغيرهم ؛ بل إن بعضهم طبع معجماً خاصاً بالمصطلحات التى وضعها لفنه ، وما أظن أن ذوى الشأن فى مصر علموا بهذا

وحبذا لو تبادلت الجامعتان العربيتان فى مصر والشام نشراتهما وأنظمتهما ومطبوعات أساتذتهما ومعاجمهم ومصطلحاتهم . ثم تداولتا الرأى بما ينهض التأليف العلمى بلغة العرب . والوطن يشكر الذين رفعوا اسمه بأعمالهم كما يشكر غيرة وزير معارف مصر وجهد الدكتور زكى مبارك .

« دمشق » س . أ

حول الوحدة العربية

قرأت فى العدد (٣١٩) من الرسالة مقالاً للأستاذ عز الدين التنوخى عضو المجمع العلمى العربى بدمشق تأييداً لما يكتبه الأستاذ أبو خلدون ساطع الحصرى بك نقداً لكتاب « مستقبل الثقافة فى مصر »

وقد عرض فى هذا المقال لبحث طريف حين طلب إلى الدكتور طه حسين أن يكون أديب الأقطار العربية كلها أولى من أن يكون فى قطر واحد أديباً ! ثم قال : « ... أوليته — وهو مسلم مصرى — خاطب العرب بما خاطبهم به الأستاذ مكرم عبيد — وهو النصرانى المصرى — وهو لذلك أشد اتصالاً منه بالفراعنة ذوى الأوتاد ! »

وبهذه المناسبة اقتبس شيئاً من مقال للأستاذ مكرم عبيد فى هذا الموضوع يجنح إلى تحليل فكرة الوحدة العربية وتأييدها وذكر أنه قابل الأستاذ مكرماً فى دمشق وسأله عن تلك النعرة الفرعونية فى مصر وأنه لا يزال يذكر أن الأستاذ أجابه بما معناه: نحن عرب فى مصر ولا نجد الفراعنة إلا لأنهم عرب !

(١) قال ملا أحمد : لا خفاء فى أن هذا معنى معقول لا ينقبض العقل عن قبوله ، ولا ينافى صدور الأفعال المتقنة .

(٢) شرح عقيدة السفاريني ص ١١٠ ج ١

وأنا أقول إن الأستاذ مكرم عبيد وإن كان أديباً كبيراً « ومن نوابغ مصر فى ثقافته وأخلاقه ووطنيته » إلا أنه سياسى عتيد ، ولا يخفى ما فى جوابه السابق من أساليب السياسيين ، ولعل ذلك لم يغب عن الأستاذ التنوخى ! فإن فكرة رد الفراعنة إلى أصل عربى يطول مداها ، وتصل بنا إلى غور التاريخ مما لسنا فى حاجة إليه اليوم . خصوصاً وإنى أعلم أن فكرة كراهية الفرعونية فى مصر ترجع إلى سببين: أحدهما سياسى والآخر دينى؛ أما السياسى فهو أنها تقف حجر عثرة فى سبيل الوحدة العربية كما يراها أنصارها . وأما الدينى فيرجع إلى فكرة خاطئة هى أن فرعون قد ذكر فى « القرآن الكريم » بأنه حاكم باطش مستبد بالرسل ... وهذه الفكرة خاطئة لأن فرعون الباطش الفرد لا يعنى فراعنة ثلاثين أسرة حاكمة توالت على عرش مصر فى مدى ثلاثة آلاف سنة أو يزيد . وإذا كان موسى عليه السلام قد لقى من عنت فرعون ما دفعه إلى الخروج بقومه من مصر ، فإن يوسف عليه السلام قد لقى عند فرعون إكراماً وتقديراً لمواهبه واستغلالاً لتلك المواهب فى حكم البلاد . قال تعالى : (وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ، فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين . قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم . وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء . نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين)

هذه هى نقطة الضعف فى السبب الدينى الذى يدعو إلى كراهية الفرعونية فى مصر . أما السبب السياسى وهو أن الفرعونية تقف حجر عثرة فى سبيل الوحدة العربية ، فذلك أنهم يريدون أن تقوم هذه الوحدة على أساس الاشتراك الجنسى دون العنصرى أو القوى ، فهم لذلك يريدون أن يفرضوا العربية على جميع الذين يدخلونهم فى نطاق هذا « الحلف العربى » أو « الاتحاد العربى » ويستعظمون أن يتسمى أحدهم بغير هذا الاسم . فأنا آخذ عليهم هذا . وذلك أن العرب خرجوا من جزيرتهم - التى هى وطنهم الأول الخاص بهم - يحملون مشعل الإسلام فى أيمانهم فنزلوا على الشعوب الأخرى واختلطوا بها اختلاطين : اختلاطاً ثقافياً واختلاطاً جنسياً . . . فأما الثقافى فبنى على أساس الإسلام والقرآن والأدب العربى ، وأما الجنسى فعلى أساس الزاوجة والمصاهرة . ولا شك أن الاختلاط الأول كان أفعل من الثانى ؛ فإن الجنسيات الأصيلة فى البلاد المفتوحة لم تُمحَ محواً إن لم تكن قد حافظت على تغلبها فى أكثر تلك البلاد ، بينما غلبت الثقافة العربية على جميعها وإن كانت المؤثرات الجديدة التى صحبت التوسع العربى قد استدعت منذ انتهاء الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، أن يُعترف بانتهاء تسميتها « بالدولة العربية » فأصبح المؤرخون يسمونها بعد هذا التاريخ « بالدولة الإسلامية » !

وإنى أرجو ألا يفهم من هذا أننى لا أؤيد وجود وحدة بأى نوع من الاتحاد وتحت أى اسم من الأسماء ، ولكنى أوجّه إلى أقرب الطرق إلى تحقيق حلم من هذا النوع ... إن مباحث الأدب والتاريخ لا تنتهى ، ولكنها تصبح عظيمة الجدوى إذا اصطحبها النظر إلى واقع الظروف القومية والاجتماعية الملابسة ، وقد تتحقق الوحدة المنشودة بإرشاد المخالفين لها أكثر مما تتحقق بإرشاد المؤيدين ، فإن الناظر إلى حالة كل دولة شرقية على حدة يدرك طول الأمد المطلوب لتحقيق شىء من هذا القبيل للانحلال الظاهر فى كل عضو من أعضاء هذا الجسم على انفراد ، فليكن العلاج علاجاً لكل عضو مستقلاً عما سواه ، حتى يصح الجسم بصحة جميع أعضائه !

وبعد ذلك ، أفلا يرى معى كل منصف أن الدعاة إلى القومية قد يكونون هم أصلح الدعاة إلى وحدة عربية أو إسلامية قوية منيعة فى وقت ليس قريباً جداً ، وأن من يراد له أن يكون أديب الأقطار العربية كلها لا أن يكون فى قطر واحد أديباً ، قد يكون هو أديب الأقطار العربية الحق ، الذى يمهد السبيل القويم - وإن كان بطيئاً - لوحدة هذه الشعوب التى تدين بدين واحد فى أغلبها ، وبأمانى وطنية واقتصادية واحدة فى مجموعها ؟ !

(شبرا — مصر) حامد محمد بحيرى

العربية والإسلامية

دفعنى إلى معاودة الكتابة فى هذا الموضوع الردّ الذى قرأته موجهاً إلىّ فى العدد (٣٢٠) من « الرسالة » ، على أن مثل هذا

الموضوع لا يُعتذر من كثرة الكلام فيه، وإنما يَعتذر (ولا يُعذر) من قِصَر الكلام فيه، ولم يبن حقيقته

والمسألة هي أن هناك أخوة إسلامية دينية، وهنالك وحدة إسلامية سياسية، وهنالك إسلام وهنالك مسلمون، ولا بدّ من فصل كل واحدة من هذه المسائل عن الأخرى

فكون المؤمنين إخوة، وكون المسلم أخاً للمسلم ولو اختلفت الديار وتباينت اللغات أمر مسلَّم به ديناً، ولا يكون مسلماً من ينكره لأن الآثار القطعية تواردت عليه، ولأنه أصل من أصول الدين، ولأن شعائر الدين كلها من نحو الصلاة والزكاة والحجّ والأحكام الفقهية تدور كلها على اعتبار الناس أصنافاً: مسلمين وذميّين ومحاربين، ففي إبطال الأخوة الإسلامية واتخاذ الأخوة العربية أو الوطنية خروج صريح على الدين الإسلامي

هذا من ناحية الدين، وليس معنى هذا أن الإسلام ينظر إلى المواطنين غير المسلمين نظر العدوان أو يسقط حقوقهم أو يعاملهم على نحو ما يدّعى من ينادي بحماية الأقلّيات، بل الحقيقة التي يعرفها كل من له أقلّ اطلاع على الإسلام، أن الإسلام يحفظ للمواطنين غير المسلمين كل حقوقهم ويضمن لهم حريّاتهم، فليفهم هذا

أما الوحدة الإسلامية وتحقيقها عملياً فشيء آخر لا نبحث فيه الآن، ولكننا نعتقد أن له مائة طريق إلى تحقيقه، وحسبك علماً بنظام الامبراطورية الإنكليزية الذي استطاع أن يضمّ ممالك منثورة في كل آفاق الأرض لتعلم أن الفكر البشري لا يعجزه حين استكمال هذه الشعوب قوتها وحريتها، إيجاد نظام صالح للوحدة

أما الاحتجاج بعمل بعض المسلمين اليوم وموقفهم من فلسطين فلا يقوم حجّة على الإسلام، لأنه فرع منه ولأن الدين مبدأ ثابت لا يُعد عدم اتباع فئة من المنتمين إليه لأوامره وأحكامه نقصاً فيه. وأما نفي مساعدة المسلمين في الهند لثورة فلسطين فباطل، والأموال الكثيرة التي انهالت من الهند على مجاهدي فلسطين لا يستطيع نكرانها أحد

(دمشق) **ناجي الطنطاوي**

حول معنى بيت

قال الأستاذ الصعيدي في العدد (٣١٩) من الرسالة تعقيباً على هذا البيت المنسوب إلى معاوية

قد كنت تشبه صوفياً له كتب   من الفرائض أو آيات قرآن

مقالته الآتية: (ومثل هذا لا يمكن أن يقال في عصر معاوية لأن نظام التصوف لم يكن قد حدث في ذلك العصر ولم يكن فيه كتب في التصوف يحملها المتصوفة وغيرهم).

أما إنه لم يكن هناك كتب في التصوف في ذلك العصر فهذا صحيح، لأن أول كتاب وضع للناس في التصوف هو كتاب «اللمع» لواضعه الشيخ أبي نصر عبد الله بن السراج الطوسي المتوفى سنة ٦٤٠هـ. وقد قام المستشرق الإنكليزي نيكلسون بنسخه وتصحيحه وطبع في مدينة ليدن ١٩١٤. بيد أن هذا البيت لا ينهض دليلاً للأستاذ الصعيدي على أن قصة سعدوسماد موضوعة فقد فهم كلمة «كتب» في البيت على ظاهرها

والذي أراه في تفسير هذا البيت أن أسلوبه مقتبس من أسلوب الذكر الحكيم: (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) أي مكتوباً موقوتاً، والمكتوب هو المفروض: أعني مفروضاً محدداً بوقت لا يتعداه. فكلمة (كتب) ليس المراد منها في البيت هذه الدفّفات من مخطوطات أو مطبوعات، وإلا فما معنى من الفرائض؟ بل هي جمع كتاب بمعنى المكتوب عليه أي الفروض فيكون الأسلوب هكذا: له مفروضات من الفرائض، كما تقول أقمنا بها عمراً من العمر. ومعنى البيت إذن: (قد كنت يا مروان في مبلغ يقيني بك تشبه الصوفي الذي جعل لنفسه مفروضات من الفرائض يتعبد بها أو آيات قرآن يرتفع بها فلا يسف إلى وهدة الآثام)

وبهذا يسلم البيت من الاعتراض التاريخي الذي يوجه إليه على تفسير الأستاذ الصعيدي. أما أن القصة موضوعة أو واقعة فهذا منحى آخر

أحمد عبد الرحمن عيسى



نظرات فى كتاب

« بعث الشعر الجاهلى »

تأليف الدكتور مهدى البصير

للأديب خليل أحمد جلو

الكتاب — كما يحدثنا المؤلف — عدة فصول من كتابه « الأدب العربي قبل الإسلام » الذى نقله إلى الفرنسية وعرضه بشكل أطروحة فى السوربون. فأخفق لأن المستشرقين لا يرحبون بكتاب يشيد بالأدب العربي ويحيي ما اندثر منه، فاضطر إلى تأليف كتاب فى الأدب الفرنسى البحت فاطمأنوا إليه وأجازوه الدكتوراه!

والكتاب — بتعريف آخر — هو مجموع المحاضرات التى ألقاها صاحبه على طلاب دار المعلمين العالية ببغداد

والكتاب إذا أردتُ أن يفطن إليه أهل العراق، قلت هو كل ما ألقاه الدكتور من أحاديث فى دار الإذاعة اللاسلكية فى الصيف المنصرم

ولا تحسبنى أيها القارئ الكريم من الكاذبين إذا تفقدته فى الأسواق فلم تجده، فإن وزارة المعارف قد اشترته وهو فى المطبعة بثمن يدل على عطف وتشجيع، فأنقذت صاحبه من عناء التصريف وحسرة البوار، وأخذت بما روى : « إرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » وهل أحد من الناس أولى من الأديب بالرحمة والإنعام فى هذا الزمان!؟

إن الدكتور كان بخيلاً على أصحاب المكتبات أن يرتزقوا منه، وكان ضنيناً على القراء أن ينتفعوا به. فهل أمن النقد حين استخفى كتابه عن السوق؟ وهل اطمأنت نفسه حين فرضه على طلابه فى دار المعلمين العالية فرضاً ألا تذيع نواقصه وتنتشر عيوبه؟ وهل نجحت حيلته حين أذاعه فى المذياع العراق ارتجالاً ولم يسمح للصحف والمجلات أن تنشره؟

لقد خابت ظنون الدكتور، ولم يفت النقاد المترصدين أن يصمدوا له ويتناوشوه. فاليوم عليه « البعث » وعلينا « الحساب »

ولأكن عند حسن ظن الدكتور! فلست أبغى التعريض بشخصه ولا المسّ بذاته وهو من ذوى الماضى المجيد، ومن دعاة الحركة الوطنية، وممن صاول وقارع البناة المستعمرين، وممن لهم كرسى رفيع فى دار المعلمين العالية

اقتضى هذا الإطراء ما أعرفه عن الدكتور من ضيق الصدر بالنقد واحتباس نفسه منه سواء أكان موجهاً إليه أم إلى غيره. واقتضاه أيضاً سوء الظن بالنقاد والارتياب بما يؤاخذون به المخطئين. ألم تلاحظوا الدكتور زكى مبارك لا يفتأ يعلن صداقته وحبه لأحمد أمين فى رده عليه، وبعض الناس لا يفتأون يتهمونه بالأغراض والمقاصد، بل وأشركوا معه صاحب الرسالة؟

فليعلم الدكتور - غير معلم - أنى لا أضمر له كرهاً وليس لى معه مآرب، وأن الأدباء من حسنائهم النقد النزيه، ولعل ربك يريد أن يسبغ علىّ بعض حسناته حين قيض لى نقد كتاب « بعث الشعر الجاهلى »

أما بعد فإن كتابك يا سيدى ناقص من عدة وجوه لزم علينا تبيانها واستقصاؤها

أولاً: إنك اقتصرت فى بحثك على خمسة شعراء هم امرؤ القيس، وزهير، وعمرو بن كلثوم، والحارث، وعنترة، وتركت الآخرين مقبورين لم تبعثهم. فهل أنكرتهم وشككت فى تراثهم؟ وإذا كان ذلك فأين الدليل والبرهان؟ وإذا لم يكونوا من صلب بحثك فلم سميت الكتاب « بعث الشعر الجاهلى » الذى يقتضى ألا تدع ارتياباً فى شاعر جاهلى ولا شكاً فيما روى عنه من قريض. هل تعتقد أن ما أغفلته حقيقة مسلم بها لا تحتاج إلى التنويه والإشارة على الأقل؟

إن الذى يطمع أن يبعث الشعر الجاهلى يجب ألا يدع شاردة ولا واردة منه إلا استقصاها وامتحنها ، وإن من النقص الفظيع أن تكتفى فى بحثك بخمسة شعراء . وهل تناولت غير شرح معلقاتهم كأن لم يكن لهم من دون المعلقات قصائد وأبيات أخر تحتاج إلى التدقيق والتحقيق ؟!

ثانياً : لم يخطر على بالك أن تستعرض رأياً من آراء المستشرقين واستدلالات المنقبين الأثريين مثل « نولدكه » و « جويدى » وغيرهما من الذين كانوا الأساس الذى اعتمد عليه الدكتور « طه حسين » والمنبع الذى أخذ منه فى إنكار الشعر الجاهلى أو الإغراق فى الشك فيه . وركنت إلى المصادر العربية القديمة دون ترو واحتراس ودون جدال ولا مناقشة . ولخصت حياة الشعراء متجنباً كل ما يدعو إلى الشك والارتياب ويعوزه التدليل والبرهان . وشرحت المعلقات ولم تر حاجة أن تستهلها ببحث يقرر أنها جاهلية وأنها ليست فى مجموعها أو بعضها من انتحال الرواة أو اختلاق الأعراب ، أو صنعة النحاة ، أو تكلف القصاص ، أو اختراع المفسرين والمحدثين والمتكلمين . وهل يصح لكاتب يريد أن يبعث الشعر الجاهلى بعد أن حامت حوله الشكوك والأوهام أن يغفل عن ذلك ؟ وهل يبعث الشعر الجاهلى بسرد حياة الشعراء وشرح معلقاتهم كما يدرسها طلاب المتوسطات

ولا بد أن أروى لك نماذج من بحثه لتستدل على صدق ما أقول ولتؤمن أن البحث العلمى الصحيح يمقت ذلك

يقول الدكتور البصير مقرراً وجود عمرو بن كلثوم والحارث ابن حلزة اليشكرى : « إن منابع التاريخ العربية فى القرون الوسطى تذكرهما وتروى لهما . إذن فلا سبيل إلى إنكار وجودهما ولا إلى الشك فى شاعريتهما » (ص ٤٨ — ٤٩) . ويعتقد أن القارئ قد أقنعه هذا البرهان ، وأنه لا يمكن أن يقال أكثر من ذلك فى إثبات الشاعرين ، فيصدر أمراً عسكرياً « بالشروع بالبحث حالاً » عن شرح معلقتيهما

مهلاً يا دكتور ! إن قولك لا يطمئن إليه أشد الناس سذاجة حتى تنفى عن ذهنه ما أحيط به عمرو بن كلثوم من أساطير جعلته أقرب إلى أبطال القصص منه إلى أشخاص التاريخ . وحتى تقنعه بالنص التاريخى أو الأدلة المنطقية التى تقرب إلى عقله صحة ما وقع بين آل المنذر وبنى تغلب من ناحية ، وبين ملوك الفرس وأهل البادية من ناحية أخرى . وحتى تدحض شكوك الرواة فى بعض المعلقة واختلافهم فى الأبيات الأولى : أقالها عمرو بن كلثوم ، أم قالها عمرو بن عدى بن أخت جذيمة الأبرش . وأنت مضطر أيضاً، إذا أردت أن تفهم أشد الناس سذاجة، أن تعلل ما فى قصيدته من تكرار فى الأبيات والحروف ، وشذوذ عن سلامة الطبع البدوى

وجدير بك وأنت تبحث فى قصيدة الحارث التى آمنت بصحتها أن تقنع القارئ بأنها ارتجلت ارتجالاً ، ولم يفكر فيها الشاعر تفكيراً طويلاً ويرتب أجزاءها ترتيباً دقيقاً .

تراني أيها القارئ الكريم أطيل عليك فيما يجب أن يتناوله الدكتور مهدى البصير فى بحثه عن الشاعرين : عمرو والحارث ومعلقتيهما. ولكن الحق معى فإن كتابه يدعى (بعث الشعر الجاهلى) لا « بحث فى الشعر الجاهلى » ، وإن الكتاب ألقى على طلاب دار المعلمين العالية ولم يلق على طلاب المتوسطات . وإنى منتقد يجدر به أن يدلى إلى الدكتور بما لاحظه من نقص وإغفال ويرشده إلى طريقة البحث العلمى الصحيح لعله ينتصح ويتلافى هذه الأغلاط

ولندع ابن كلثوم والحارث ولننتقل إلى زهير وامرئ القيس

أما زهير بن أبي سُلمى فإن الدكتور لا يجد صعوبة ولا مشقة فى إقرار شخصيته التى تتناقلها المصادر العربية القديمة وأشعاره التى ترويها، فيحدثنا فى مستهل حديثه عن زهير: « إننا لسنا بحاجة إلى إقامة الأدلة التاريخية على أن زهير بن أبى سلمى قد وجد حقيقةً وقرض الشعر » (ص ٣١) ثم يقتصر « على درس معلقة زهير » ويقصد بالدرس هنا تفسير الغريب من ألفاظ المعلقة وشرح بعض المعانى فقط . ولا أظنك ترميني بالغلو إذا قلت إن الذى يريد أن يبعث الشعر الجاهلى ملزم فى كلامه عن زهير أن يبحث عن نسبته إلى مزينة ، وإقامته فى غطفان ، وكونه من أسرة معروفة بقرض الشعر ؛ وحظوته عند هرم ، ورأى النقاد الحديثين والرواة الأقدمين فيه ، وعلاقته بالإسلام مع ذكر الأدلة والشواهد التى تقنع القارئ بصحة ما يقول . وهل يُثبت ما ذكره فى مستهل حديثه أن قصيدة الشاعر جاهلية وأنها لزهير وأنْ ليس للمنتحلين يد فيها ؟ وهل يصح له أن يغفل ما يتحدث به الرواة عن زهير : أنه تنبأ بالإسلام قبل البعثة، وأنه أوصى ابنيه كعباً وبجيراً أن يسلما، وأن له شعراً فيه أصول دينية إسلامية ، وأن النبى رآه فاستعاذ بالله من شيطانه فانقطع زهير عن الشعر حتى مات ؟

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]



من التاريخ

٣ – النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

فرقة رمسيس

جمع يوسف وهبي حوله بطلات وأبطال المسرح فى ذلك الحين إلا من أبطرتهم الشهرة وأفسدهم المجد ، أو خاف منهم على نفسه ، وهو فى مستهل حياته الفنية التى يرجى منها الخير . . . وليوسف بعض العذر فيما فعل ، فما معنى أن يستظل باسم كبير لامع يتضاءل اسمه إلى جانبه ولا يفيد منه شيئاً يذكر ، ويكون مصدر خطر على مشروعه الكبير الذى أرصد له ثلاثة عشر ألفاً من الجنيهات من ماله الخاص ، فينسب إليه الفضل فى النجاح إذا كان مقدراً له ولا يكون ليوسف إلا فضل صاحب المال ، وما أتعسه من فضل لا يرتضيه فنان لنفسه ! ويوسف إنسان ذكى له كل المميزات التى تجعل منه زعيماً فى وسطه ، وله كل عيوب الأذكياء التى تفقدهم عطف الكثيرين ، وتذكى فى نفوسهم الغيرة منهم والحقد عليهم . وقد شق طريقه بجرأة لا مثيل لها ، وتزعم جماعة المسرحيين ، وأقصى من لا يستطيع الزعامة عليهم ، واحتضن من وطأوا أكنافهم له ، وارتضوا بقيادته لهم على حين أن ماضيهم الطويل وخبرتهم بالمسرح ودرايتهم به كانت تجعلهم فى أنفسهم ينظرون إليه ويبتسمون !

وترقب الناس ما ستخرجه لهم « فرقة رمسيس » من جديد يقبلون عليه . أما القديم فقد عرفوه وشبعوا منه وارتووا . وعلى أى حال ، فهل تستطيع « فرقة رمسيس » أن تخرج أوديب أو عطيل أو مدام سان جين ؟ ... إن جورج أبيض الذى تزعم التراجيدى لم يكن قد فقد مكانته فيه ، وما كان أحد يعتقد أن يوسف أو سواه يحسن القيام بأدواره ، وأن تستطيع فرقة رمسيس أن تخرج للناس (الموت المدنى) أو (النائب هالير) ولم يكن أحد قد تصور مدى لحظة من الزمان أن عبد الرحمن رشدى يمكن أن يبزه آخر فى هذه الأدوار التى اشتهر بها وأتقنها كل الإتقان .

ترقب الناس ما ستأتى لهم به فرقة رمسيس الجديدة من جديد — كما ترقبوا حين أنشئت الفرقة القومية ما ستأتى به لهم هذه الفرقة الجديدة من جديد — والناس عادة لا يرحبون بالقديم لمرفهم به وللمهم إياه . ثم إنهم كانوا قليلى الثقة بغير جورج أبيض وعبد الرحمن رشدى !

وقد كانت هذه الفكرة التى تخامر أذهان الجماهير ، والتى تحدث بها بعض النقاد والكتاب عند تكوين فرقة رمسيس من الدوافع الهامة التى حدت بيوسف لأن يعمل على هدمها نظرياً وعملياً ، وتقويضها من أساسها بطرقه المعروفة — وسنفصل ذلك فيما بعد — على أن هذه المجهودات الهدامة كانت من العوامل التى أثرت تأثيراً عكسياً فى النهضة المسرحية فى مصر ، وأساءت إلى يوسف وفرقته إساءة عظيمة ، وأفقدته عطف الجماهير وتقديرها

أما يوسف من جانبه فإنه كان راغباً فى عدم التحكك بمجد الآخرين ، كان يريد أن يبتنى المجد لنفسه وبنفسه ، وكان يريد

أما حديثه عن امرئ القيس فهو غاية فى الظرف والفكاهة وجهل أفهام الناس . فهو يلخص تاريخ امرئ القيس تلخيصاً خالياً من كل ما ترويه الكتب العربية من أساطير وأعاجيب لينجو من عناء المناقشة ومشقة الدحض والإثبات . ثم يستجهل القارئ معرفة غير ما يروى عن الشاعر ، ثم يقول : « ولا نزاع أنه (أى تلخيصه) منسجم مطرد . . وظاهر أنه لم يكن أكذوبة من أكاذيب القصاص » (ص ١٠)

(يتبع) خليل أحمد جلو

أن يظهر فى ثوب جديد خلاب ، حتى لا يجد الجمهور وجهاً للمقارنة بينه وبين الآخرين فيه . ومن ثم فقد أعلن أنه تلميذ (كيانتونى) الإيطالى ، ووضع فى برنامجه روايات جديدة لم يعرفها الجمهور من قبل ، ولم يسمع بها ، ولو أنه كان فى أعماقه يحلم بأوديب وعطيل ولويس ، وكل الروايات التى اشتهر بها غيره من الأبطال ونالوا بها المجد . وكان يعتقد فى نفسه القدرة ، أو يرى فى نفسه أنه مستطيع التأثير فى الجمهور بطريقته الخاصة . فينتزع الإعجاب منه وينتزع راية المجد من الآخرين ، وقد أخرج فعلاً فيما تلا من سنين بعض الروايات القديمة المعروفة ، كما قام بمشهد صغير من عطيل ضمن مشاهد إحدى الروايات العصرية ، لكنه لم يظهر فى عطيل نفسها أو أوديب أو سواها من الروايات الضخمة التى أصبحت ملكاً لجورج أبيض طوال عمره !

***

وفى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء اليوم العاشر من شهر مارس عام ١٩٢٣ رفع الستار فى مسرح رمسيس عن رواية المجنون التى قيل يومئذ إنها من تأليف يوسف وهبي . (للكلام بقية)

اختيار الروايات فى الفرقة القومية

يخطئ من يظن أن الفرقة القومية أو أصحاب الشأن فيها يعرفون السبب الحقيقى الذى من أجله أنشئت الفرقة ، وإلا فما هذا العبث المحض الذى نراه فى اختيار الروايات ، وما هذه السياسة المضحكة التى يسيرون عليها ، وكأنما هم موكلون بالتنكيل بفن التمثيل لقاء ما تكافئهم به الحكومة من أجر ؟!

ولنضع أمام القارئ أمثلة يسيرة من هذه السياسة العجيبة .

(الخطاب) و (جنون الشرف)

فى الموسم الأسبق أخرجت الفرقة القومية رواية الخطاب « لسومرست موغام » ، وهى رواية أقل ما يقال فيها أنها تحض على الرذيلة ، وتشجع عليها ، وتكافئ الخاطئين ، وتجزى الأبرياء شر الجزاء !

ومعرب هذه الرواية هو الأستاذ سليم سعده وقد خيل إليه أنه فهم رسالة الفرقة القومية فى هذا الزمان فعرض على مديرها رواية (جنون الشرف) لبيرانديللو ، وهى رواية أقل ما يقال فيها أنها تصور الشرف فى أجل الصور ، وتحض على حبه والتعلق به .

ولكن المدير الفاضل رفضها وطلب إلى المعرب أن يختار سواها من الروايات الشعبية التى هى أقرب إلى متناول هذا الشعب الذى لم يرق إلى درجة بيرانديللو . فاختار المترجم رواية (الخطاب) فقبلت فى الحال وكانت سبة للفرقة أبد الدهر !

الروايات التاريخية فى السينما

تقول الأنباء : إن إخوان لاما يخرجون رواية تاريخية عن المجنون وأن الثالوث المعروف (آسيا . مارى . جلال) يخرجون رواية تاريخية تحت اسم أرمانوسة أو شيء كهذا — فمن الضرورى أن نقول لهؤلاء وهؤلاء ولغيرهم كلمة ، أو نسدى إليهم نصيحة .

منذ أعوام أخرجت السيدة آسيا رواية تاريخية عن (شجرة الدر) ، وأخرجت السيدة بهيجة حافظ رواية عن (ليلى بنت الصحراء) ، وأخرج إخوان لاما بضع روايات كانت مزيجاً من التاريخ وصور الصحراء ، وأخرجت السيدة عزيزة أمير وغيرها روايات فيها تاريخ وفيها صور من أهل البدو ، وكيف يعيشون ، وكيف يملأون الدنيا غراماً !

وكانت هذه الروايات جميعاً تنقصها الطلاوة والحبكة مع أن أصحابها قصدوا فيما قصدوا من لياذهم بالتاريخ والصحراء والملابس المألوفة أن يستروا بها أشياء كثيرة من عدم كفاية الاستعداد ، وعدم حبكة الموضوع ، بعد أن جربوا التعرض للموضوعات المصرية ، فأخفقوا بعض الأخفاق ، أى أنهم لجأوا إلى الروايات التاريخية ليداروا بعض العيوب وليفيدوا من الضخامة والمناظر الطبيعية الساحرة ، وصور التاريخ الخلابة . مع أن الروايات التاريخية أو ذات المناظر الخارجية ، تحتاج لعناية أدق واستعداد أوفى . وتحتاج فيما تحتاج إلى براعة فائقة فى الإخراج لا يفهمها إلا الراسخون فى العلم . فمن العدل أن نقول لهؤلاء جميعاً من البداية إن تعرضهم للروايات التاريخية لن يفيدهم شيئاً إذا قصدوا إلى ستر بعض العيوب أو الإفادة من الطبيعة ومناظرها . من الحق أن نقول لهم إن إخراج رواية تاريخية معناه البذل العظيم والتضحية الكبرى . ولينظروا كيف تفعل الشركات الأمريكية والانجليزية على الخصوص . بل ليتأملوا كيف فعل استديو مصر فى إخراج (لاشين) . وليتريثوا قليلاً وليفكروا كثيراً قبل الإقدام على هذه المجازفات .

ونحن على أى حال ندعو لهم بالنجاح والسداد والتوفيق .

(فرعون الصغير)

أخبـــار سينمائيـــة

جريتا جاربو وميلفين دوجلاس

استقر الرأى أخيراً على أن يكون ميلفين دوجلاس زميل جريتا جاربو فى رواية نينوتشكا ، وهذه ليست أول مرة يظهر فيها ميلفين إلى جانب جريتا فمنذ أعوام ظهر معها فى رواية (إنك فى حاجة إلىّ) ولم يكن وقتها قد نال إلا قليلاً من الشهرة .

جارى كوبر

أمضى جارى عقداً مع ساموبل جولدوين وستكون أولى رواياته (النصر الحقيقى) مع أندريه ليدز فى دور القيادة .



جودى جارلاند وفريدى بارثلوميو

وهما فى طريقهما إلى إحدى دور السينما

تيرون باوار

منذ عامين لم يكن تيرون باوار شيئاً مذكوراً ، ومع ذلك فإنه فى العام الأخير قد ظهر فى خمس روايات كل منها تكلفت أكثر من مليونين من الدولارات ، وإحداها كما يذكر القراء رواية (قنال السويس) التى منع عرضها فى مصر لتعرضها بغير حق لشخصيات تاريخية معروفة . أما (حريق شيكاغو) فقد نالت نصراً عظيماً وقوبلت بعاصفة من النجاح فى كل مكان. وهكذا ارتفع تيرون فى لمح البرق تسنده الملايين وتحوطه قلوب الفتيات فى العالم !



مارلين ديتريش

وقد عرفت فى رواية (الملاك الأزرق) مع (أميل جاننجز) وسطع نجمها فى رواية (مراكش) أو (قلوب محترقة) مع (جارى كوبر). واليوم تفخر بها شركة (بارامونت) وتمتز بمكانتها فى هوليود

وقد دعاها الهر هتلر أن تعود إلى بلادها فرفضت وفضلت الخروج من جنسيتها لتعيش حرة طليقة من كل قيد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 323

Lundi - 11 - 9 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ رجب سنة ١٣٥٨ — الموافق ١١ سبتمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـرس

من ذكريات الحرب الماضية

للأستاذ عباس محمود العقاد

كثير على إنسان واحد أن يشهد الحرب العالمية فى حياته مرتين ، فقد كانت الدنيا كلها لا تشهد حرباً عالمية إلا مرة فى كل خمسة قرون أو ستة قرون ، وكانت على أوسع ما تتسع له آفاقها تنحصر فى دولتين أو ثلاث دول هى كل ما يُسمى « العالم » فى تلك العصور

أما اليوم فقد شهدنا الحرب العظمى قبل ربع قرن؛ وها نحن أولاء نشهد العالم كله متحفزاً لحرب عالمية أخرى تستغرق كل من على ظهر البسيطة من كبار الشعوب وصغارها ولو لم يشتركوا جميعاً فى قتال

ماذا وراء ذلك ؟ خير أو شر ؟ ونجاة أو هلاك ؟ وخطوة إلى حضارة أعلى أو نكوص إلى همجية الكهوف ؟

بشر ولا تنفر !

وعلى هذه السنة نقول : إن تتابع الحروب العالمية دليل على وجود المشكلة العالمية بعد أن لم يكن لهذه المشكلة وجود ، وبعد أن لم يكن للعالم نفسه شعور بوجوده مستقلاً عن عصبيات الدول والأوطان

ومتى ظهرت المشكلة فتلك بداية الحل ، ومتى تفاقم الخطر فتلك علامة النهاية

أى نهاية ؟

نهاية الخطر أو نهاية العالم ؟

بل نهاية الخطر إن شاء الله

***

وذكريات الحرب الماضية تفوق الحصر والإحاطة ، فهي أربع سنوات لم ينقض يوم واحد منها على غير تجربة جديدة من تجارب الفكر أو من تجارب المعيشة أو من تجارب الحياة

تاريخ أربعة آلاف سنة يجتمع فى أربع سنوات ، لأن الحرب العظمى قد عرضت على الناس فى مدى سنواتها الأربع كل ما عرفه بنو الإنسان من خبرة السياسة وأطوار التاريخ ، وقد أرتهم مصائر ملوك ودولات لم يرها الأقدمون إلا من قراءة الأسفار الطوال ، وهى قبس صغير مما يراه الناظر رؤية العيان

لكننى أقتصر فى هذا المقال على ذكريات تمس الأدب والصحافة لأننى أكتبه فى صحيفة أدبية ، وفى استذكاره على ما أرجو عبرة للمعتبرين

كانت الرقابة شديدة على كل ما يطبع ولا سيما الصحف السياسية. وكنا نحن الذين ننشر فى الصحف بعض المقالات أو القصائد من حين إلى حين نعرف مبلغ تلك الرقابة ، ونسمي « الرقيب » بالمكتوبجى تشبيهاً له بالرقباء على الصحافة فى تركيا العتيقة ، أيام السلطان عبد الحميد

كان المكتوبجى التركى يلمح كلمة « المراد » فيحذفها مخافة أن يكون الكاتب مشيراً بها إلى حبس السلطان مراد

وكان يلمح كلمة « الرشاد » فيحذفها مخافة أن يكون المقصود بها ولى العهد محمد رشاد

وكانت تأتى الأنباء بقتل عظيم من العظماء فتعلم الدنيا كلها جلية النبأ إلا قراء الصحافة التركية فهم لا يعلمون إلا أنه قد مات بالحمى أو مات بالسكتة القلبية . . . وقس على ذلك سائر الأنباء

وعلى هذا النحو — أو على قريب من هذا النحو — سار بعض الرقباء فى قلم المطبوعات الموكول إليه أن يراجع الصحف قبل نشرها ، وأن يحذف منها ما يثير الخواطر ولا راد لقضائه ، فكانوا يندسون بين السطور بل يندسون فى ألفاف مخ الكاتب حتى لا يقع فى خلده أنه قد غلبهم بالدهاء وقد « فوّت » عليهم كناية من الكنايات ، وهم الأذكياء الألباء !

ويحضرنى من نوادرهم أنهم حرموا علىّ ذكر الاستقلال فى قصيدة شعرية فغلبوا القائد العام لدولة الحماية ! لأنه لم ينكر استقلال مصر عند إعلان الحماية عليها ، بل وعد برعايته والمحافظة عليه

أرسلت إلى « الأهرام » قصيدة فى وصف « هيكل أدفو » ختمتها بالأبيات الآتية وتبدو فيها أخيلة الحرب وأطيافها :

الناس يغتال القوى ضعيفهم والدهر يغتال الفتى المغتالا
قهار كل القاهرين تقاصرت عنه مكائد من طغى واحتالا
ذهبوا فما هوت الكواكب بعدهم أسفاً وما نقص الثرى مثقالا
ملكَ الفراعنةُ الحماةُ وخلفوا للملك أعلاماً بمصر طوالا
وخلا الأكاسرة البغاة كأنهم عبروا بمدرجة الزمان رمالا
ومضى البطالسة الكماة وهذه مصر يزيد شبابها إقبالا
تتقوض الأوطان وهى كدأبها من عهد نوح تربة ورجالا
عهد على الله القدير وذمة ألا تضيم لها الكوارث آلا
فتجنبوا فيها القنوط وأجزلوا قسط البنين معارفاً وخصالا
إنا لنرجوها ونوقن أنه ما كان يوماً لا يكون محالا
وستستقل فلا تقولوا إنها صمد الهوان بها فلا استقلالا

فظهرت القصيدة وليس فيها البيت الأخير ، وسألت عنه أين ذهب ؟ فقال لى رئيس التحرير ضاحكاً : فى بطن المكتوبجى هذه المرة لا فى بطن الشاعر ! أيهمك أن تذهب إلى حيث ذهب هذا البيت العزيز من القصيدة ؟ !

وشاءت المقادير أن أعمل فى قلم المطبوعات ، لأننى خلوت من العمل واحتجت إلى الإقامة بالعاصمة بضعة أشهر فى جو رفيق وفى عمل يناسب ما كنت أعانيه من السقم

فلم أشأ أن أكون « مكتوبجياً » وأنا أعلم نصيب المكتوبجى من السخرية فى مجالس الأدباء والصحفيين

فلم يمض أسبوع واحد حتى دعانى مستر « هورنبلور » مدير المطبوعات إليه فى مكتبه ، وكان رجلاً متحذلقاً يدعى المعرفة بجميع الأشياء وفى مقدمتها اللغة العربية الفصحى التى لا يحسن نطقها ، وبدهنى قائلاً :

— إذا لم يكن عطفك معنا فلماذا تعمل فى هذه الوظيفة ؟

قلت : إننى لا أفهم ما تعنيه

قال : إنك لا تتوخى الدقة فى مراجعة الصحف . وأرانى أخباراً تركتها فى بعض الصحف وكان من حقها أن تحذف محافظة على « أمن الخواطر »

قلت : إننى لا أجد فى هذه الأخبار ما يمتنع نشره بين المصريين ، وإنى أقرأ فى الصحف الإنجليزية نفسها ما هو أهم من هذه الأخبار . فلماذا ينبغى أن يجهل المصريون ما يعلمه الإنجليز وهم محاربون ؟ !

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربى
للدكتور زكى مبارك

– ١٤ –

أبدأ حديث اليوم بالاعتذار لفريق من القراء يريدون أن نكثر من الشواهد كما صنعنا عند الكلام عن إحساس ابن خفاجة بالطبيعة والوجود ، فالنضال بينى وبين حضرة الأستاذ أحمد أمين يمس شؤوناً لا تهمّ غير الخواصّ ، وهم فى غنى عن سوق الشواهد وضرب الأمثال

أما الأديب الذى كتب من القدس ولم يذكر اسمه ولا عنوانه فأنا أرجوه أن يعفينى من إثبات رأيه فى الأستاذ أحمد أمين لما فيه من إيذاء . وأما رأيه فىّ فلا يحتاج إلى إثبات ؛ ولعله استقاه من كتاب « ليلى المريضة فى العراق » وأنا راض عما شهدت به على نفسى فى أكثر مؤلفاتى . وكنت أستطيع أن أقول إن العيوب التى أضفتها إلى نفسى ليست صحيحة ، وإنما جعلت نفسى صورة إنسانية أدرس على حسابها ما فى النـاس من محاسن وعيوب ، ولكنى فى الواقع لا أهتم بأقاويل الناس ولا أقيم وزناً للأراجيف ، لأنى مؤمن أصدق الإيمان بأن الناس لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعاً ، فهم أعجز من أن ينفعونى أو يضرونى ؛ وأنا فوق ذلك أعرف أن الأساس السليم هو خلوص النية ، وسلامة ما بينى وبين فاطر الأرض والسموات ، وهو عزّ شأنه يعلم ما بينه وبينى ، ولولا فضله ورحمته وستره لكنت اليوم من الهالكين

كم تمنيت لو استطعت شكر الله على نعمه وآلائه ، ولـكن هيهات ، فلله نعم تجلّ عن الحمد والثناء ، ومن تلك النعم نعمة الرضا المطلق بما كتبه وقضاه ، فما أذكر أبداً أنى جزعت أو ضجرت من مكروه يُلمّ بى . وهناك نعمة أعظم تفضل بها علىّ الله ، وهى الإيمان بأنه تباركت أسماؤه هو وحده القـادر على الضر والنفع ، فما خشيت غيره ولا رجوت سواه

فإن كنت صادقاً فعند الله جزاء الصدق ؛ وإن كنت كاذباً فالله وحده هو الذى يملك ستر العيوب ، وغفر الذنوب ، وعليه أعتمد فى نجاتى من شر نفسى

مولاى ! أنا أحب أن أكثر من الثناء عليك ، ولكنى أخشى الوقوع فى مزالق الرياء ، فارض منى بالقليل يا من لا يعرف القليل فى الإحسان إلى العاصين والطائعين

إن الكافرين بنعمتك لم يفتهم برك وإحسانك، فكيف يفوتنى لطفك وعفوك وسترك وأنا فى سريرة نفسى من أخلص عبادك !

مولاى ، إليك الأمر كله فافعل ما تشاء ، ولن ترانى إلا حيث تحبُّ فى جميع الأحوال

* * *

أرجع كارهاً إلى محاسبة الأستاذ أحمد أمين :

صرح الأستاذ بأن الدين له أثر كبير فى الأدب « لأنه من ناحية مصدر كبير من مصادر الإلهام الأدبى ، ومن ناحية أخرى إذا كان الأديب ذا دين وثنى جامد تأثر أدبه بعقليته فخرج مثله

والواقع أننا كنا نقرأ الصحف الإنجليزية يومئذ فنطلع فيها على أخطر الأخبار وأعنف الهجات فى انتقاد تقصير الحكومة . وكانت هذه الصحف كثيرة الانتشار فى مصر لانتشار الضباط والجنود الإنجليز فيها ، فإذا وصل بها البريد بعد تقطع وروده فترة من الزمن علمنا منها ما لا سبيل إلى العلم به من غيرها ، وعجبنا لشدة الحجر على الصحف المصرية بالقياس إلى تلك الحرية البالغة وتلك الصراحة الجريئة

فلما ذكرت الصحف الإنجليزية للمستر « هورنبلور » نظر إلىّ طويلاً ثم قال : هل أنت من الحزب الوطنى ؟

قلت : كلا . ولكنى من المصريين

قال : حسن . نحن لا نتفق ، وأومأ إلى بالتحية . . .

وانصرفت وأنا برىء من المكتوبجية وخلو من العمل فى عالم الحرب الذى لا متسع فيه لصناعة الأدب ولا لصناعة الصحافة !

* * *

إلا أن الرقابة بغير غرض أهون كثيراً من رقابة يفرضها على الصحف رجل ينطوى على غرض خفى لا علاقة له بواجب الوظيفة

فقد كان من الرقباء من يطمع فى المكافأة ، وكان منهم من يتعمد حذف الأخبار من بعض الصحف لكى تنفرد بنشرها صحيفة أخرى بينه وبين أصحابها لحمة قرابة أو مصاهرة

وقى الله الصحافة المصرية شر الرقابة « بغرض » والرقابة المنزهة عن الأغراض على السواء !

عباس محمود العقاد

مادياً جامداً ، وإذا كان دينه ضيق الخيال لاصقاً بالحجارة والأرض كان خياله فى أدبه غالباً كذلك ، لأن نفسية الإنسان وعقليته وحدة لا تتجزأ ، وإن اختلفت مناحيها ومظاهرها . من أجل هذا نرى الأدب الجاهلى فى الكثير الأغلب مادياً لا معنوياً ، ولا روحياً »

ذلك كلام أحمد أمين . وهو بهذا الكلام يضع قاعدة أدبية : هى تأثر الأدب بالدين

فدين الجاهلية فى رأيه دين أرضى وضيع ، وكذلك كان أدبهم ، لأن الأدب من صور الدين

ولكن العرب لم يطل عهدهم بالوثنية ، فقد أنعم الله عليهم بالإسلام ، وهو دينٌ سماويٌّ رفيع ، فكان الواجب أن يتأثر أدبهم بذلك الدين فيسلم من تلك الصبغة الأرضية الوضيعة

منطق الأستاذ أحمد أمين يقضى بذلك

ولكن الرجل يصر على رأيه فى تحقير العقلية العربية فيجزم بأن الشعر العربى لم يتغير بعد الإسلام ، وإنما ظل فى أسر العقلية الجاهلية

فهل يكون معنى ذلك أنه كان مخطئاً حين قال بتأثر الأدب بالدين ؟

أم يكون معنى ذلك أن الإسلام لم يستطع أن يمحو تلك العقلية الجاهلية ؟

لا هذا ولا ذاك

فالعرب فى جاهليتهم تأثروا بالوثنية ، وتأثروا فى إسلامهم بالإسلام ، ولكن أحمد أمين يمزح فى مواطن لا يقبل فيها المزاح

وإلا فمن الذى يقول بأن الشعر العربى لم يتغير ولم يتطور بعد ظهور الإسلام ؟

هل كان فى الجاهلية شاعر كأبى العتاهية فى الزهديات ؟

هل كان فيهم شاعر كالشريف الرضى فى الحجازيات ؟

هل كان فيهم شاعر كأبى نواس فى الخمريات ؟

هل كان فيهم شاعر كابن المعتز فى التشبيهات ؟

هل كان فيهم شاعر كابن الفارض فى الوجدانيات ؟

هل كان فيهم شاعر كابن خفاجة فى الورديات ؟

هل كان فيهم شاعر كشوقى فى التاريخيات ؟

هل كان فيهم شاعر كحافظ فى الاجتماعيات ؟

وهل استطاع الشعراء الجاهليون أن يصنعوا ما صنع الشعراء الإسلاميون فى تنويع القوافى والأوزان ؟

هل عرفوا الابتكار الذى ابتدعه الأندلسيون والمصريون والعراقيون ؟

هل عرفوا تسجيل التاريخ بالشعر كالذى صنعه بعض شعراء مصر والأندلس ؟

إن أحمد أمين يشهد على نفسه بما لا أدرى حين يحكم بأن الشعر الإسلامى صورة من الشعر الجاهلى ؛ وإلا فإن ضاق ذرعاً بهذا الوصف فليدلنا على باحث يؤيده فى هذا الرأى الغريب

وهل فى الدنيا كلها رجل يجرؤ على القول بأن الشعر الإسلامى فى مختلف عصوره ليس إلا نسخة ثانية من الشعر الجاهلى ؟

إن أحمد أمين افتتح مقالاته فى مجلة الثقافة بتلخيص كتاب الوشى ، وهو كتاب يشرح أفانين الشعراء فى وصف حياة القصور وملاعب الترف واللين

فهل كان فى شعراء الجاهلية من يعرف تلك الأفانين ؟

ومن هم العرب بعد الإسلام فى ذهن أحمد أمين ؟

يجب أن نعرف أولاً من هم العرب فى ذهن هذا « الأديب » فظاهر كلامه يدل على أنهم سكان البوادى العربية ، وسكان البوادى يتطورون تطوراً بطيئاً جدا ، وقد تظل أحوالهم متقاربة الأشكال والأوضاع ألوفاً من السنين . ومع ذلك لا يمكن القول بأن الإسلام لم يغير سكان البوادى ولم ينقلهم من حال إلى أحوال فى العقائد والتصورات ، لأن الإسلام رجّ البوادى العربية رجة عنيفة وحول سكانها إلى رجال مؤمنين يتابعون ما فى القرآن من صور النعيم والعذاب . ولو أن أشعار سكان البوادى دُوِّنت وعرفت مغازيها ومراميها لاستطعنا أن نعرف إلى أى حد أثر الإسلام فى تلوين الصور الشعرية عند سكان البوادى العربية

ولكن أحمد أمين قد لا يرضى بظاهر كلامه فيقول إن العرب بعد الإسلام هم الأمم التى تكلمت لغة القرآن فى الشرق والغرب بعد ازدهار الحضارة الاسلامية

إن قال ذلك فقد حق عليه الخطأ فيما ادعاه من ضعف سيطرة القرآن على الأخيلة الشعرية فى تلك الشعوب

إن أحمد أمين لم يدرس الشعر الإسلامى دراسة جدية ، وماضيه العلمى يشهد بذلك ، فأعماله كلها كانت محصورة فى الدراسات الشرعية والأخلاقية ، ولو شئت لذكّرته بالأساس الذى أقيم عليه كتاب فجر الإسلام ، فقد كان مفروضاً أن يدرس أحمد أمين

تطور التأليف ، وأن يدرس طه حسين تطور الأدب ، وأن يدرس عبد الحميد العبادى تحوّل السياسة . فالرجل فى نفسه وفى أنفُس زملائه مؤلف لا أديب

وما يعيب أحمد أمين ألاّ يكون أديباً ، فله مواهب فى شؤون غير شؤون الأدب تعوّض عليه هذا النقص . ولو وقف حياته على دراسة الفقه والتوحيد لظفر بنصيب من التفرد والتفوق

ولكن يعيب أحمد أمين أن يحاول فهم سرائر الشعراء والكتاب والخطباء ، وهو ليس بالشاعر أو الكاتب أو الخطيب

وشاهد ذلك موجود : فهو يحكم بأن الشعراء لم يتأثروا بالقرآن ، مع أنه لو نظر فى كتب البلاغة وكتب الأدب لعرف أن تضمين آيات القرآن كان من الأغراض الملحوظة عند الشعراء ، ولعرف أيضاً أن حفظ القرآن كان من الفرائض التى يتواصى بها الشعراء

لو درس أحمد أمين تاريخ الأدب لعرف أن فى الشعراء من كان يقيّد نفسه حتى يحفظ القرآن ، ولعرف أن أبا إسحاق الصابى وهو على غير الملة الإسلامية كان يقرأ سوراً من القرآن قبل أن يشرع فى النظم أو الإنشاء ، حتى صح القول بأن بلاغة القرآن كانت تجرى على سنان قلم أبى إسحاق

ولما اتُّهم أبو تمام بأنه يشبه ممدوحه بأجلاف العرب ارتجل فقال :

لا تنكروا ضربى له من دونه مثلاً شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقلّ لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

وهذه البديهة تشهد بأن أخيلة القرآن كانت تلاحق ذلك الذهن الفنان

واتفق مرة أن اعترض أحد الأدباء على الاستعارة فى قول حبيب :

لا تسقنى ماء الملام فإننى صبٌّ قد استعذبتُ ماء بكائى

وأرسل خادمه يقول : إن مولاى يرجوك أن تملأ هذه الكأس من ماء الملام ! فقال حبيب : قل لمولاك يتفضل أولاً بإرسال ريشة من جناح الذل !

فهل هناك أبلغ من هذه الشواهد فى الدلالة على أن الشعراء كانوا يتأثرون أشد التأثر بأخيلة القرآن ؟

***

وهنا مسألة دقيقة قد ينتفع بها الأستاذ أحمد أمين ، وهى مسألة لم تُدرس قبل اليوم ، وسيكون لها صدًى فى البيئات التى تهتم بدراسة الشعر الجاهلى

وتلك المسألة هى تأثير القرآن فى الشعر الجاهلى نفسه

ولكن كيف ؟ إن هذا لو صح لكان من الغرائب . وهل يؤثر القرآن فى الشعر الجاهلى مع أن الشعر الجاهلى أسبق ؟

نعم ، القرآن أثر فى الشعر الجاهلى تأثيراً شديداً فقد وضعه فى الغربال ولم يستبق منه غير ما كان بلغة قريش ، وهى لغة القرآن

فالأشعار الجاهلية التى شرّقتْ وغرّبتْ بعد الإسلام هى الأشعار التى تساير القرآن من الوجهة اللغوية والنحوية ، بغض النظر عما أُثِر من الشذوذ القليل الذى احتاج إليه اللغويون والنحويون والصرفيون

وهذا «التوجيه» الذى صنعه القرآن كانت له يد فى «توحيد» اللغة العربية . فلولا القرآن لظل الشعر الجاهلى مختلف الصيغ والأوزان والأشكال ، ولكان باباً إلى « بلبلة » الذوق العربى باختلاف اللهجات والأذواق

فالقرآن هو الذى ساق العرب على اختلاف قبائلهم ومواطنهم ولهجاتهم فى تيار واحد . وهو الذى جعل من الشعر الجاهلى سناداً لما فيه من ألفاظ وتعابير ، بحيث لم يبق من ماضى الجاهلية غير ما أراد به القرآن أن يعيش

فلا تقل يا أحمد أمين إن الشعر الجاهلى قد استبد بالعقلية الإسلامية ، ولكن قل إن الإسلام هو الذى استبد بالأشعار الجاهلية وصيرها من شواهد القرآن

***

وهناك مسألة أدقّ ، وقد ينتفع بها من يؤرخون الأدب العربى ، وهى سبق القرآن إلى غزو الأذواق والقلوب فى البلاد التى فتحها المسلمون . فالمعروف عند المؤرخين أن الحياة الدينية كانت تسبق الحياة الأدبية فى كل بلد يدخله الإسلام ، لأن الإسلام شريعة مدنية واجتماعية ، قبل أن يكون شريعة أدبية وذوقية . فالفرس والهنود والمصريون والأندلسيون سمعوا القرآن قبل أن يسمعوا الشعر الجاهلى . وكذلك كان القرآن أسبق إلى تلوين ما صار عند تلك الأمم من شمائل وأذواق

وأحمد أمين صرّح بأن الأدب يتأثر بالدين فكيف جاز عنده ألا يتأثر المسلمون بأدب القرآن وهم يقرأون سوره فى الصلوات ويتدارسونه صباحَ مساء ؟

إن البيت الواحد من الشعر قد يؤثر فى نقل الذوق من وضع إلى وضع ، فكيف يجوز أن يُحرَم القرآن هذه المزية وهو يحمل مئات من الأخيلة والتعابير والمعانى ؟

إن القرآن هو أساس ماعرف المسلمون من المذاهب التشريعية والفلسفية ، وهو عندهم المرجع فى الشواهد اللغوية والنحوية والبلاغية ، فكيف يمرّ سحره القاهر بدون أن يؤثر فى أذواقهم الأدبية ؟

أليس من العجيب أن يقع هذا القول من أحمد أمين وهو يعرف أن وزارة المعارف المصرية توجب على معلم اللغة العربية أن يحفظ القرآن ؟

إن كلية الآداب التى يتشرف بالانتساب إليها أحمد أمين قد اعترفتْ بخطر حفظ القرآن ، ورضيتْ بألا يكون لخرّيجيها حظ فى تدريس اللغة العربية بالمدارس الأميرية إلا إن كانوا فى الأصل من طلبة الأزهر الشريف

فا معنى ذلك ؟

أليس معناه أن الأمم الإسلامية قد توارثت الاعتقاد من جيل إلى جيل بأن القرآن له تأثير شديد فى تكوين الذوق اللغوى والأدبى ؟

ألم يسمع أحمد أمين بأن الأستاذ مكرم باشا حفظ القرآن ليروض لسانه وذوقه على الفصاحة العربية ؟

ألم يسمع أحمد أمين بأن الدكتور يعقوب صرّوف كان يملك خمس نسخ من القرآن ليستطيع الأنس بالبلاغة القرآنية فى كل وقت ؟

ألم يسمع أحمد أمين بأن من البشرين من عاش متنكراً فى الأزهر بضع سنين ليتذوق بلاغة القرآن لكى يتسنى له أن يواجه الجماهير بلسان عربىّ مبين ؟

ما معنى ذلك أيها الناس ؟

معناه أنه صار مفهوماً عند كل مخلوق أن القرآن أسٌ متين من آساس الفصاحة العربية ، فكيف يجوز القول بأنه لم يؤثر فى أخيلة الكتاب والشعراء والخطباء ؟

أقول هذا وذهنى خالٍ خلوًّا تامًّا من العصبية الدينية ، فليس من همى أن أخلق أصدقاء للقرآن ، وإن كان ذلك مما يشرفنى لو تساميت إليه ، وإنما أنا رجل أشتغل بتدريس اللغة العربية ، وفى تلاميذى مسلمون ونصارى ويهود ، ومن واجبى أن أرشدهم جميعاً إلى الحرص على تذوق البلاغة القرآنية ، لأنها بلغت الغاية فى الدقة والعذوبة والجمال

* * *

وأريد أن أستقصى هذا الموضوع بعض الاستقصاء ، فقد تضيق الفرص عن درسه بالتفصيل فيما بعد

إن أحمد أمين يقف عند الشعر فى درس تأثير القرآن ، لأن الوقوف عند الشعر ينجيه قليلاً من المعاطب ، إن كان من الممكن أن يعرف سبيل النجاة بعد أن وقع منه ما وقع وهو لنفسه ظلوم

وللأستاذ أحمد أمين أن يسلك من مذاهب النجاة ما يشاء، أما أنا فسأطوقه بطوق من حديد فلا يعرف سبيل الخلاص وإن بالغ فى التشكى والتوجع ، واستعدى علينا بفلانة وفلان

لا بد أن يكون أحمد أمين قد سمع بتأثير الإنجيل فى الأدب الفرنسى ، ولا بد أن يكون سمع بأن شاتوبريان تأثر فى أدبه بأخيلة الإنجيل

فهل يمكن القول بأن أثر القرآن فى اللغة العربية أقل من أثر الإنجيل فى اللغة الفرنسية ؟

إن أحمد أمين يقتل نفسه عامداً متعمداً ، إن قال بذلك ؟

وآمحداه أن يقول ، أمحداه ، آمحداه ، إن وجد السلامة فى غير الصمت !

إسمع أيها الصديق

إن القرآن قص على الناس أخبار الأنبياء ، فهل تعرف ما ابتدع المسلمون من الأقاصيص حول الأنبياء ؟

وهل تعرف كم مرة تعرض المسلمون لشرح ما فى القرآن من أخبار وأقاصيص ؟

وهل تعرف عدد التفاسير التى ظفر بها القرآن المجيد ؟

حدثنا القرآن عن بعض أخبار يوسف مع فرعون ، فهل تعرف أن هذا الحديث كان له مئات أو ألوف من الحواشى والذيول

ألا تصدق أن هذه الثروة القصصية أثر من آثار القرآن ؟

وهل يعرف أحمد أمين أن جميع العلوم التى عرفها المسلمون كان لها ثمرة هى تأييد القرآن

لقد استطاع القرآن أن يؤثر فى كل شىء حتى العلوم الرياضية فهى عند أهلها تأييد لآيات القرآن المجيد

والذى يراجع أحوال العرب والمسلمين فى حياتهم العلمية والأدبية يراهم يدورون حول القرآن فى أكثر الشؤون

وفى مطلع كل علم نرى الأبيات التى تقول :

إن مبادى كلّ فنّ عشرة الحدّ والموضوع ثم الثمرة

و « الثمرة » فى أغلب العلوم ترجع إلى تأييد القرآن من الوجهات التشريعية واللغوية والعقليـة . فعلوم الفقه والتوحيد والصرف والنحو والمعانى والبيان والبديع يراد بهـا جميعاً فهم ما يشتمل عليه القرآن من أغراض علمية أو أدبية

وقد نقدت ذلك فى كتاب النثر الفنى حين تكلمت عن مذاهب كتّاب النقد الأدبى ، ولـكن ذلك النقد لم ينسنى خطر الحرص البادى من المتقدمين على فهم دقائق القرآن

ومعنى هذا الـكلام بطريقة صريحة أنى كنت أحب أن تكون العلوم اللغوية والأدبية مقصودة لذاتها ، بغض النظر عن جعلها وسيلة لفهم أسرار الإعجاز فى القرآن المجيد ، ولكنى ما كنت أعلم أن سيجىء رجل كالأستاذ أحمد أمين يحكم بأن القرآن لم يؤثر فى الحياة الشعرية ، ويقول إن ما وقع من العرب لا يصح وقوعه إلا « فى الطبيعة القاصرة ، والملكات المحدودة » مع أن العرب قد استوحوا القرآن فى جميع الشؤون وجعلوا الأدب كله وسيلة لفهم ذلك القرآن

وخلاصة القول أن حفظ القرآن وفهمه كان من الوسائل التى يتذرع بها الشعراء والـكتاب والخطباء للتفوق فى البيان ، فكيف يجوز القول بأن الشعراء لم ينتفعوا به فى تطور التعابير والأغراض ؟

ولنذكر دائماً أن العرب بعد الإسلام لم يكونوا أمة واحدة ، فقد انتشرت اللغة العربية فى أقطار كثيرة مختلفة المشارب والأذواق ، وكان المتعلمون بها يشارفون المئتين من الملايين ، فهل يمكن الحكم بأن تلك الأمم جميعاً أصابها العقم فلم تنتفع واحدة منها بأسلوب القرآن ؟

وهل هذا يعقل إلا عند من يسارعون إلى ارتجال الأحكام بلا مراجعة ولا استقصاء ؟

إن مؤرخى الأدب الفارسى ومؤرخى الأدب التركى نصوا على أن القرآن أثر فى هذين الأدبين تأثيراً بليغاً ، فكيف يجوز ألا يتأثر الأدب العربى بالقرآن وهو به ألصق ، وإليه أقرب ، ومن أخيلته وألفاظه وتعابيره يستمد القوة والحيوية ؟

أنا لا أستسيغ القول بأن الأدب العربى وصل إلى ذلك الحد من الجمود فى الاستفادة من القرآن مع أنه استفاد من كل ما وصل إليه من ثمرات الآداب الأجنبية ، وقد استطاع بالفعل أن يؤرخ الحضارة التى عرفها فى الشرق والغرب ، بحيث صار مرآة لما رآه العرب فى الممالك الأسيوية والإفريقية والأوربية

ولا ينكر ذلك إلا رجل يكابر فيما تلمسه الأيدى وتراه العيون

***

وأختم كلمة اليوم بعرض فكرة لا يختلف فيها اثنان

وتلك الفكرة هى تأثير القرآن فى وحدة اللغة العربية ، فبفضل القرآن امتدت الحيـاة فى لغة قريش نحو خمسة عشر قرناً . ولو أن العرب خلت حياتهم من الدعوة الإسلامية لـكان من المستحيل أن يكون فى الدنيا إنسان يفهم ما أثر من لغة قريش قبل الإسلام بقرن أو قرنين

وإنما استطاع القرآن أن يحفظ وحدة اللغة القرشية ، لأنه كان مفهوماً فى كل أرض أنه نموذج عال للبلاغة العربية ، فكانت البلاد الإسلامية ترجع إليه فى صيانة لسان العرب من البلبلة والانحراف .

والكتاب الذى تسود لغته فيما اختلف وائتلف من الأقطار الإسلامية لا يبقى بينه وبين أذواق الشعراء حجاب

وماذا يريد هذا الأستاذ المفضال ؟

أيريد أن يُلغى الناس عقولهم ليصدّقوا أحكامه الخواطىء على ماضى الأدب العربى ؟

إن جميع القراء قد اتفقوا على أن قدمه زلت وهو يحاول تزهيد الجمهور فيما ورثناه عن الآباء والأجداد من الثروة اللغوية والأدبية . ولو أننى استبحت نشر ما سمعت من أصدقائه الأوفياء فى نقد ما انزلق إليه ، لمادت الأرض تحت قدميه ، وعرف أنه يتعلق بخيوط الأوهام حين يظن أن فى القراء من ينظر إلى أحكامه الأدبية بعين الاستحسان

إن الأستاذ أحمد أمين يعانى اليوم أزمة أخلاقية ، لأنه يعرف أن الاعتراف بالخطأ من مكارم الأخلاق . فإن لم يعترف بخطئه طائعاً فسيتولى القراء هدايته إلى الحق . وهو يجنى على نفسه إن كان يتوهم أن قراءه ليس فيهم من ينصب الميزان للتمييز بين الحقائق والأباطيل

وسنرى فى المقال المقبل شواهد جديدة من أحكام ذلك الرجل المفضال .

زكى مبارك

المعاملات في الاسلام

للأستاذ محمد بهجة البيطار

طالعت فى الرسالة الغراء سؤال الأستاذ الطنطاوى الذى وجهه إلى (المفكرين) من علماء المسلمين، ودعاهم فيه إلى النظر فى مطالب هذا الزمن المنوعة، ومشاكل المسلمين الكثيرة التى أوقعتهم فى بحران من الاضطراب عظيم، وسلكت بهم فى سبيل النجاة منه طرائق قِددا. وقد بنى سؤاله على أصلين ثابتين، (أولهما) أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، (وثانيهما) أنه يجعل من المتمسكين به أرقى مجموعة بشرية فى العلم والقوة والمال والحضارة، (قال): فكيف يتفق مع هذين الأصلين وجود أحكام فى الفقه لا تصلح لهذا الزمن، وأحكام تجعل المسلمين دون الأمم الأخرى فى مرافق الحياة؟ وضرب لذلك الأمثال من كتب الفقهاء المتأخرين، ومما وضعوه من شروط وقيود، لبعض البيوع والعقود، يتعذر تطبيقها على كثير من المعاملات فى هذا العصر، وعلى ما جرى عليه عرف الناس فى التجارات الواسعة؛ وأبدى إعجابه بالفقهاء المتقدمين الذين درسوا وقائع أزمانهم، وطبقوا عليها الأحكام، وفرضوا الفروض وبحثوا عن أحكامها (وهذا مما عابه السلف الذين كانوا يفتون بالواقع، ويمسكون عن القول بما لم يقع إلى زمان وقوعه، لتكون الفتاوى مطبقة على الزمان والمكان والأحوال والأشخاص) ونعى على بعض المتفقهة المتأخرين جمودهم على الفقه الموضوع للقرن التاسع والعاشر، وأثنى على الأستاذ المحدث المحقق الشيخ أحمد شاكر فيما كتبه فى مسائل الطلاق، وقال: فتى يعمد العلماء إلى الكتابة

أقول: لا شك أن واجب العلماء هو مواجهة الحقائق التى ظهرت فى هذا العصر وبيان الحكم فى استعمال جميع ما استحدث من المخترعات إلى اليوم، على قاعدة جلب المصالح للأمة ودرء المفاسد عنها، أى أن تكون فتاوى العلماء الواقفين على أسرار التشريع، وكنه الزمن، وحاجة الأمة - هادية إلى حفظ وحدتها وتنمية ثروتها، وحماية حوزتها، ودفع عوادى الشر عنها، مع إثبات أن ذلك هو الذى يقتضيه هدى الإسلام، وترشد إليه آيات القرآن، وأن المسلمين هم أولى بالمسابقة والسبق فى هذا المضمار، فاستثارة دفائن الأرض مثلاً، واستخراج كنوزها ومعادنها، وعلم الزراعة، وفن الري، وإقامة الجسور والمعابر، وتشييد الدور والقصور، وإنشاء السكك الحديدية، والحصون والقلاع، هو عين ما يذكره الفقهاء فى أبواب الركاز والمعادن وإحياء الموات، ومطابق لنصوص الآيات والأحاديث الواردة فى ذلك، وصنع المصفحات والدبابات، والمناطيد والطيارات، والمدرعات والغواصات، والكهرباء وسائر ما ظهر فى الوجود من المخترعات والمكتشفات النافعة هو مما أرشد إليه الإسلام، ودل عليه مثل قوله تعالى: «وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه» فرده رد لنصوص القرآن وتعطيل لأحكامه. وهذا هو الفقه العام فى الإسلام، وفقه الفروع والأحكام منبثق عنه أو هو جزء منه. فالفقه بإطلاقه سداد فى العلم، ودقة فى الفهم، وإصابة فى الحكم. وهو الذى دعا به الرسول (ص) لابن عمه عبد الله بن عباس بقوله: اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل، فكان فقيه الأمة وترجمان القرآن

وهذه الطريقة فى فهم الدين والفقه فيه هى التى جرى عليها فى هذا العصر إمامه السيد محمد رشيد رضا (تغمده المولى برضوانه) فقد أخذ منذ نحو نصف قرن يحل فى مناره وتفسيره عقد المشكلات الدينية الدنيوية، ويبين لأمته وجه الحق فيها، وطريق الخلاص منها، مستهدياً بهدى السنة والتنزيل، وهما خير هاد ودليل، مسترشداً بسنن الوجود التى لا تبديل فيها ولا تحويل، وكانت فتاويه تبحث فى أدق المسائل الإسلامية، وتحل أعقد المشاكل الاجتماعية حلاً يفى بحاجة العصر، ويتمشى مع قواعد النصوص الشاملة، والمصلحة العامة الراجحة. وقد تكلم عن بعض المسائل الفقهية التى عرض لها الأستاذ الطنطاوى فى مقاله كسجدة التلاوة عند سماع القارئ فى المذياع، وكالمصارف المالية ومعاملاتها، وأفاض القول فى تحريم ما حرم الله من الربا، وتوعد عليه بأشد الوعيد، فبين وجه تحريمه، وعقد فصلاً مستقلاً فى حكمته وانطباقه على مصلحة البشر، وموافقته لرحمة الله بعباده، بما لم تره لغيره من المفسرين. وقد ختم هذا الفصل بقوله: «من تدبر ما قاله الإمامان (أى الغزالى والشيخ محمد عبده) علم أن تحريم الربا هو عين الحكمة والرحمة، الموافق لمصلحة البشر، المنطبق على قواعد الفلسفة، وأن إباحته مفسدة من أكبر المفاسد للأخلاق وشئون الاجتماع، زادت فى أطماع الناس وجعلتهم ماديين لا هم لهم إلا الاستكثار من المال،

وكادت تحصر ثروة البشر فى أفراد منهم ، وتجعل بقية الناس عالة عليهم . فإذا كان المفتونون من المسلمين بهذه المدنية ينكرون من دينهم تحريم الربا بغير فهم ولا عقل ، فسيجىء يوم يقر فيه المفتونون بأن ما جاء به الإسلام هو النظام الذى لا تتم سعادة البشر فى دنياهم فضلاً عن آخرتهم إلا به ، يوم يفوز الاشتراكيون فى الممالك الأوربية ، ويهدمون أكثر دعائم هذه الأثرة المادية ، ويرغمون أنوف المحتكرين للأموال ، ويلزمونهم برعاية حقوق المساكين والعمال » (٣ : ١١٣)

إن غرض السيد الإمام (كما صرح به فى مواضع من تفسيره) أن البلاد التى أحلت قوانينها الربا قد عفت فيها رسوم الدين ، وقل فيها التعاطف والتراحم ، وحلت القسوة محل الرحمة ، حتى أن الفقير فيها ليموت ولا يجد من يجود عليه بما يسد رمقه ، فنيت من جراء ذلك بمصائب أعظمها ما يسمونه المسألة الاجتماعية ، وهى مسألة تألب الفعلة والعمال على أصحاب الأموال ، واعتصابهم المرة بعد المرة لترك العمل ، وتعطيل المعامل والمصانع لأن أصحابها لا يقدرون عملهم قدره ، بل يعطونهم أقل مما يستحقون ، وهم يتوقعون من عاقبة ذلك انقلاباً كبيراً فى العالم ، ولا علاج لهذا الداء إلا رجوع الناس لما دعاهم إليه الدين . ولكن من الناس من يظن اليوم أن إباحة الربا ركن من أركان المدنية لا تقوم بدونه. (قال)، وهذا باطل فى نفسه، إذ لو فرضنا أن تركت جميع الأمم أكل الربا فصار الواجدون فيها يقرضون العادمين قرضاً حسناً ، ويتصدقون على البائسين والمعوزين ويكتفون بالكسب من موارده الطبيعية ، كالزراعة والصناعة والتجارة والشركات ومنها المضاربة لما زادت مدنيتهم إلا ارتقاء ببنائها على أساس الفضيلة والرحمة والتعاون الذى يحبب الغنى إلى الفقير ، ولما وجد فيها الاشتراكيون الغالون ، والفوضويون المغتالون

وقد قامت للعرب مدنية إسلامية لم يكن الربا من أركانها ، فكانت خير مدنية فى زمنها ؛ فما شرعه الإسلام من منع الربا هو عبارة عن الجمع بين المدنية والفضيلة ، وهو أفضل هداية للبشر فى حياتهم الدنيا

الشركة الاقتصادية الكبرى

قامت فى مصر أكبر شركة زراعية صناعية تجارية أسست بأموال المصريين ، وأثبتت فوائد الشركات المالية والتعاون الاقتصادى ، وأقامت هذه الشركة لها بيت مال كبير أنشأ المزارع والمصانع والمتاجر ، وآوى إليه ألوف العمال ، ونجاهم من شرور البطالة ومفاسدها ، وزاحم الشركات الأجنبية فى البر والبحر والجو ، فأشعر مصر بعزة الاستقلال الاقتصادى الذى لا يتم الاستقلال السياسى بدونه ، فهذا التعاون الاقتصادى الذى نهض بمصر هو نموذج من مدنية الإسلام الأولى التى قامت على أساس استثمار الموارد الطبيعية ، وتنمية الثروة العامة ، لا على نصب شباك المعاملات الربوية لسلب نقود الأمة وإفقارها ، ثم الاستيلاء على مواردها وممالكها ، بحجة المحافظة على المصالح والأموال ، كما فعل الأجانب بملكنا وحكوماتنا . فنحن معشر المسلمين لو كنا متمسكين بقرآننا الذى حرم الربا المفضى إلى إضاعة الثروة والملك ، وأعددنا رجالاً لاستخراج كنوز أرضنا ، وتعمير بلادنا ، وتعزيز شأننا ، لكنا بقينا مستقلين بأنفسنا ، أحراراً فى ملكنا ، فكيف يكون الربا الذى كان السبب فى استعبادنا وسيلة لإنقاذنا وإسعادنا ؟

وقول الأستاذ الطنطاوى : بقى أن البنك لا يستعمل المال فى التجارة ، ولكن يستثمره بطريق الربا أيضاً ، وهى التى لا وجه لها عندى . أقول قد أوضح هو أيضاً الفرق فى مقاله أو سؤاله بين الربا المرهق (على طريق الفائدة المركبة) أى الربا الجاهلى ، وبين معاملات المصارف ، فقال عن الأول على طريق الاستفهام التقريرى : وأنه حرم لما ينشأ عنه من خراب للبيوت ، وتنازع بين الناس ، وتسرب البغضاء إلى النفوس ؟ وقال عن الثانى : فأنت حين تعامل المصرف لا تستغل حاجته ، ولا ترهقه بالفائدة بل هو الذى يعرضها عليك ، فهو أشبه بشركة المضاربة (قلت) : وهذا يعود إلى الفرق بين ربا النسيئة الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية مثل أن يُنسىء الدائن (أى يؤخر) دَينه ويزيده المدين فى المال، وكلما أنسأه أى أخر الدَّين فى المدة زاد فى المال ، حتى تصير المائة عنده آلافاً مؤلفة ؛ وربا الفضل الذى كان تحريمه وسيلة لا قصداً ودلَّ عليه حديث أبى سعيد الخدرى (رض) عن النبى (ص) : لا تبيعوا الدرهم بالدرهمين فإنى أخاف عليكم الرَّماء (أى الربا) . فربا النسيئة الجاهلى محرم لذاته ، وفى الصحيحين : إنما الربا فى النسيئة. وفى رواية : لا ربا إلا فى النسيئة . وربا الفضل محرم لسدّ الذريعة أى لكيلا يكون وسيلة إلى ربا النسيئة ، وما حرم لذاته لا يباح إلا للضرورة كالميتة والدم ولحم الخنزير ، وما حُرِمَ سداً للذريعة

أبيح للحاجة وللمصلحة الراجحة ، وبنى على ذلك الإمام ابن القيم فى أعلام الموقعين جواز بيع الحلية من الذهب والفضة بنقود منهما تزيد على وزنها فى مقابلة ما فيها من الصنعة . واستدل على هذا الجواز بأدلة منقولة ومعقولة أيضاً ، واستشهد على جواز ربا الفضل للمصلحة الراجحة بإباحة النبى (ص) بيع العرايا ، وهو من بيع المتماثلين فى الجنس مع عدم القبض والمساواة . فالعرايا جمع عرية كقضية وقضايا ، وهى بيع ما على النخل من الرطب بما يخرص ويقدر به من التمر لحاجة من يملكه إلى أكل الرطب ، فيشتريه به . فالتمر يدفع مرة واحدة ، والرطب يجنى بالتدريج ، وقد رخص النبى فى بيعها . وذكر ابن القيم من نظائره أيضاً إباحة نظر الخاطب والشاهد والطبيب والعامل إلى المرأة الأجنبية وإباحة لبس الحرير للرجال لمنع الحكة أو القمل ، لأن الحاجة تدعو إلى ذلك كله . (قال رحمه الله) : وأين مفسدة بيع الحلية بجنسها ومقابلة الصناعة بحظها من الثمن ، من مفسدة الحيل الربوية ، التى هى أساس كل مفسدة وأصل كل بلية . وإذا حصحص الحق فليقل المتعصب الجاهل ما شاء وبالله التوفيق (٢ : ٢٧٥) وقال أيضاً : فهذا محض القياس ومقتضى أصول الشرع ، ولا تتم مصلحة الناس إلا به أو بالحيل ، والحيل باطلة فى الشرع . اهـ

تفسير المنار لآيات الربا وعمل المصارف

من العجيب الغريب أن يتهم السيد صاحب المنار (رحمه الله تعالى) بتحليل ما حرم الله من الربا ، وما أثرناه عنه من مفاسد الربا ومضاره ، هو قليل من كثير مما كتبه فى تفسيره ومناره ، وآخره ما جاء فى المجلد الرابع والثلاثين من المنار وهو ختامها ، فقد سئل عن أخذ الربا من البنوك لإنفاقه على الفقراء ، فقال : من المعلوم من الدين بالضرورة أن الربا القطعى لا يجوز أخذه للتصدق به ولا لغيره ، لأن التقرب إلى الله لا يكون بما حرمه الله ، فإن هذا تناقض بديهى البطلان ، ولكن لاستغلال المال فى الشركات المالية من المصارف وغيرها أعمالاً ليست من الحرام القطعى قد بيناها من قبل ، وسيكون كتابنا الذى وعدنا بإكماله خير مفصل لها إن شاء الله تعالى . وقد نقل عن ابن جرير ما قاله أئمة التفسير من الصحابة والتابعين ومن بعدهم فى الفرق بين هذا الربا الجاهلى المحرم لذاته ، وربا الفضل المحرم لغيره ، وتقدم بيان ذلك . أما الكتاب الذى وعد بإكماله ونشره (رحمه الله) فهو فى مباحث الربا والأحكام المالية التى اشتدت الحاجة إليها فى هذا العصر ، وفى الأصول والقواعد العامة للحلال والحرام ، وقد رأى أن جمهور المسلمين فى حرج شديد من هذه المعاملات المالية العصرية ، وكلهم يتمنون لو يجدون لهم مخرجاً منه مع المحافظة على دينهم فنثنى على الذين توسعوا باجتهادهم فى أحكام المعاملات المالية حتى أدخلوا فى معنى الربا كثيراً من صور البيوع والقروض والشركات التى لا تدخل فى ربا القرآن الأصلى (النسيئة) ، ولا فى ربا الحديث الاحتياطى من باب ولا منفذ إلا بالتأويلات المستنبطة من التعاريف والأقيسة والضوابط المذهبية الاجتهادية كما قال . وليت هذا الكتاب تم وأخرج للناس قبل وفاته ليرى الناس سبل النجاة من هذا التخبط والاضطراب

ولقد علمنا الآن من هذه الأقوال اليسيرة التى أثرناها عنه أن غرضه الأول أن يجتنب المسلمون الربا الذى حرمه الله ورسوله ، وأن تجرى بيوع المسلمين وقروضهم وشركاتهم على نحو ما سارت عليه فى خير عصور هذه الملة وأهداها ، مع وضع حدود وضوابط للاضطرار وللحاجة إلى المحظور فى القواعد المستنبطة من الأدلة كقاعدة اليسر ورفع الحرج والعسر ، وككون الضرورات تبيح المحظورات ، وكون المحظور لسد الذريعة يباح للحاجة إليه ، ولرجحان المصلحة على المفسدة ، ولم يقدر هو ضرورة الأفراد ولا حاجتهم ، بل وكل أهل البصيرة منهم إلى معرفتهم بأنفسهم (قال) : وإنما المشكل تحديد ضرورة الأمة أو حاجتها فهو الذى فيه التنازع . وعندى أنه ليس لفرد من الأفراد أن يستقل بذلك وإنما يرد هذا الأمر إلى أولى الأمر من الأمة ، أى أصحاب الرأى والشأن فيها والعلم بمصالحها عملاً بقوله تعالى فى مثله من الأمور العامة (٤ : ٨٣ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ، (قال) : فالرأى عندى أن يجتمع أولو الأمر من مسلمى هذه البلاد (بلاد مصر) وهم كبار العلماء المدرسين والقضاة ورجال الشورى والمهندسون والأطباء وكبار الزارعين والتجار ويتشاوروا بينهم فى المسألة ثم يكون العمل بما يقررون أنه قد مست إليه الضرورة أو ألجأت إليه حاجة الأمة . فقوله: وإنما المشكل تحديد ضرورة الأمة أو حاجتها وقوله: عندى أنه ليس لفرد من الأفراد أن يستقل بذلك وإنما يرد مثل هذا الأمر إلى أولى الأمر من الأمة ، هو فى معنى قول الأخ الطنطاوى: وهى التى لا وجه لها عندى، فما هو قول علمائنا الأعلام ؟

فهذا علم الأعلام لم يجزم بشيء ، بل صرح بأن أولى الأمر من المسلمين — وهم أصناف الأمة الذين ذكرهم مجتمعين — هم الذين يقدرون ضرورتها . فأين قول المفتاتين بأنه أباح الربا هو وشيخه الشيخ محمد عبده؟ وإنما تكلم عن مسلمي مصر لأن البحث فيهم.

ولو كان الكلام عن ضرورة الإسلام لصرح بوجوب اجتماع أو إجماع أولى الأمر من المسلمين فى أقطار الأرض على تحديد ضرورة الأمة . إذاً فرد الأمر إلى (المفكرين) من علماء المسلمين كما قال الأستاذ الطنطاوى ليبحثوا فى وسائل هذا الأمر ومقاصده ويبنوا المعاملات المالية على أسس الإسلام الصالحة لكل زمان ومكان، والتى يستبين معها للموافق والمخالف أن قواعد الاقتصاد فى الإسلام هى أبر ببنى الإنسان ، وأحق بتثبيت دعائم الحضارة والعمران

البيوع والمعاملات

أما ما وضعه بعض الفقهاء من شروط وقيود لبعض البيوع والعقود ، مما ليس فيه نص صريح ، ولا قياس صحيح ، فالناس غير ملزمين به ، إذ أن لكل زمن عرفه وأهله ومصالحه ، وإنما نهى الرسول (ص) عن أنواع من المعاقدات والبيوع كانت فى الجاهلية لما فيها من غبن وغش وغرر وضرر ، وأمثلتها معروفة فى كتب السنة . والمعاملات تفترق عن العبادات فى كون الأصل فيها الإباحة والصحة ، حتى يقوم الدليل على التحريم والبطلان . وأما العبادات فلا تكون صحيحة ما لم تكن قائمة على أمر الله ، وعلى الوجه الذى شرعه وارتضاه . وفى الأعلام للإمام ابن القيم مباحث ضافية فى ذلك أكتفى منها بقوله (رحمه الله) :

(الخطأ الرابع) اعتقادهم أن عقود المسلمين وشروطهم ومعاملاتهم كلها على البطلان حتى يقوم دليل على الصحة ، فإذا لم يقم عندهم دليل على صحة شرط أو عقد أو معاملة استصحبوا بطلانه ، فأفسدوا بذلك كثيراً من معاملات الناس وعقودهم وشروطهم بلا برهان من الله بناء على هذا الأصل ، وجمهور الفقهاء على خلافه ، وأن الأصل فى العقود والشروط الصحة إلا ما أبطله الشارع أو نهى عنه ، وهذا القول هو الصحيح ، فإن الحكم ببطلانها حكم بالتحريم والتأثيم ، ومعلوم أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ، ولا تأثيم إلا ما أثم الله ورسوله به فاعله ، كما أنه لا واجب إلا ما أوجبه الله ، ولا حرام إلا ما حرمه الله ، ولا دين إلا ما شرعه (إلى أن قال) : فكل شرط وعقد ومعاملة سكت عنها فإنه لا يجوز القول بتحريمها فإنه سكت عنها رحمة منه من غير نسيان وإهمال . وقد صرحت النصوص بأنها على الإباحة فيما عدا ما حرمه ؛ وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعقود والعهود كلها ، فقال تعالى : وأوفوا بالعهد » وقال : يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقال : والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » وقال تعالى : والموفون بعهدهم إذا عاهدوا » (٢ : ٣٤ من أعلام الموقعين)

وقال الإمام نجم الدين الطوفى المتوفى سنة (٧١٦) فى بحث المصالح : وإنما اعتبرنا المصلحة فى المعاملات ونحوها ، دون العبادات وشبهها ، لأن العبادات حق للشارع خاص به ، ولا يمكن معرفة حقه كما وكيفا وزمانا ومكاناً إلا من جهته ، بخلاف حقوق المكلفين فإن أحكامها سياسية شرعية وضعت لمصالحهم وكانت هى المعتبرة ، وعلى تحصيلها المعول اهـ باختصار ، وتمام البحث فى رسالة يسر الإسلام ، وأصول التشريع العام للسيد الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى

إنشاء مجلة للأحكام الشرعية (العصرية)

إن من أفضل ما يقوم به المفكرون من رجال الإسلام العناية بوضع مجلة الأحكام ، تسير على نهج (مجلة الأحكام العدلية) التى وضعت فى عهد الدولة العثمانية ، عام (١٢٩٧) على ألا تكون مقيدة مثلها بمذهب واحد، تبحث فى المسائل الشرعية العصرية، وتضع لها ما يناسبها من الأحكام ؛ وإنما يضطلع بهذا العبء، ويقوم على تحرير مثل هذه المجلة . لجنة مؤلفة من أكبر علماء هذا هذا العصر ، ممن تضلعوا من مورد الكتاب والسنة ، وعرفوا مذاهب الأئمة ، ووقفوا على كنه الزمن ونواميس العمران ، ودرسوا قوانين الدول وحقوق الأمم ، ومارسوا الشئون القضائية والإدارية . ألا وإن عملهم هذا سيكون له فوائد عظيمة جداً ، منها أنه يتبين به أن الإسلام دين السماحة والتيسير ، توافق أحكامه مصالح البشر فى كل زمان ومكان ، ولا يخفى أن من قواعده المأخوذة من نصوصه الكثيرة اليسر ، ودفع الحرج والعسر ، وأن الأمر إذا ضاق اتسع ، وأن الضرورات تبيح المحظورات ، فاستنباط الأحكام التى يدعو إليها الزمان من مآخذها وأدلتها يكون مبنياً على أساس حفظ مصالح الأمة ودرء المفاسد عنها ، وقد تكرر هذا المعنى . (ومنها) أن اعتماد ما كان أقرب دليلا وأكثر ملاءمة لحاجة العصر وطبيعة الأمة، من مذاهب الأئمة ،

يتبين به سعة الفقه الإسلامي ، وأن اختلاف علمائنا رحمة والأخذ من متنوع مذاهبهم نعمة

(ومنها) ردّ المزاعم القائلة بأن الإسلام لا يلتقي مع حاجة البشر ، ولا يبحث فيما يتجدّد من شؤون الزمن . على أن الواقع أن بعض فقهائنا قد بحثوا في بعض ما ظهر في عصرنا من الشؤون؛ فهذا الفقيه الكبير الأستاذ الشيخ محمد بخيت قد ألف كتاباً أجاز فيه العمل بخبر البرق (التلغراف) سماه (إرشاد أهل الملة إلى إثبات الأهلة) ومثله الأستاذ الشهير الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي في كتابه (إرشاد الخلق إلى العمل بخبر البرق) وقد أثبت أستاذنا القاسمي فتاوى لاثنى عشر عالماً من أشهر علماء العصر بجواز قبول خبر البرق في إثبات الأهلة وغيرها ، والمذياع والهاتف (الراديو والتلفون) كلاهما أوضح في الدلالة وأوثق من خبر البرق ، لأن التلغراف يستفاد مضمونه من تلك النـقَرات التي ينقرها العامل فيفهم خبره ويترجم المراد منه ، بخلاف الكلام بالراديو والهاتف فهو كلام صحيح صريح ، وإنما يسمع من يلقى إليه الخبر بهما كلام المتكلم نفسه لا صداه ، وما أظن أحداً ممن أجاز العمل بخبر البرق في الديانات والمعاملات يتردد في جواز العمل بالمذياع والهاتف فيهما لما قدمنا ؛ وهو أقوى من خبر الكتاب الموثوق الذي قبله العلماء ، وأبعد عن التزوير بكثير . وقد كتب النبي (ص) كتبه إلى الآفاق ، وبلغ بها دعوته إلى الملوك . وقامت الحجة عليهم وكذلك فعل الخلفاء الراشدون ، والملوك العادلون ، فقد أرسلوا كتبهم ، وقلدوا القضاة والنواب والأمراء عنهم بالكتابة . وعلى ذلك جرت سنة التابعين وأئمة الشرع وفقهاء الأمة ، وما أجدر العلماء الآن بإذاعة القرآن والدعوة الإسلامية بالراديو – كما يفعل الإمام المراغي شيخ الجامع الأزهر – لتعم الكرة الأرضية ، وتقوم حجة الله على العالمين

فإلى إنشاء هذه المجلة الكبرى الشاملة لكل ما حدث إلى الآن من الوسائل التي تعامل بها العالم أجمع في كافة أنحاء المعمور ، وإلى تفصيل ما نشأ عن هذه الوسائل من مسائل وأحكام فقهية ، ندعو أعلام الأمة ، وفقهاء العصر ، وبالله التوفيق .

(دمشق) محمد بهجة البيطار

ابن حوقل

للأستاذ ميخائيل عواد

يجد المتوغل في تاريخ العرب حركةً علميةً واسعة النطاق ، امتدّت أحقاباً من الزمن ، وهي كلها جديرة بالعناية والدرس ، وحَرِيّة بأن تتناولها الأقلام في وقتنا لتجلو مختلف صفحاتها التي كانت إحداها السياحة في البلدان والضرب في مختلف الأصقاع

لقد امتهن بعض العرب هذا النوع من الحياة، فكان منهم من نسميه بالتاجر الرحالة ... بل إن فريقاً آخر منهم اتخذها علماً، يعلو به ويكتب فيه ، وينشر لواءه شرقاً وغرباً . . . ذاك هو الجغرافيّ المخطط للبلدان . وليس بين الفريقين من مدًى واسع ، فإن كليهما يستكشف مجاهل الأمكنة والبقاع ، ويتولى البحث في أحوال الأمم التي يتردد إلى مواطنها ، فيدرس طباعها ويتعرف خواصها ويتصل بأسباب ثروتها ، فيصف تربتها وغلاّتها وطرقها ، إلى ما هنالك من مرافق عامة وخاصة .

هذه كلمةٌ نمهّد بها لكلامنا على الرّحالة العربي الشهير : « ابن حوقل » الذي ذاع صيته في القرن الرابع للهجرة ، والذي بالرغم من ذلك لم يَخلُ مجال البحث عنه من مصاعب وغموض ، نظراً إلى أن ما بين أيدينا اليوم من المصادر القديمة لم يورد بشأن منشأه وحياته ووفاته إلا النزر اليسير .

حياته

هو أبو القاسم محمد بن علي الموصلي ، ولد ببغداد[1] ، ونشأ بها على اتفاق أغلب المؤرخين ، وذلك في أواسط القرن الرابع للهجرة ، وأقبل على التجول في البلاد الإسلامية ، متعاطياً التجارة ، لمكانتها الخاصة في الكسب ، ولما تقتضيه من التنقل والتجول ، وهي الناحية التي شُغف بها فتملّكته . وصادف عند ابتدائه في تجواله عام ٣٣١ هـ (٩٤٢ م) ، أن انقطع المسعودي الرحالة الشهير عن

(١) اختلف المؤرخون في تعيين محل ولادته ، فمنهم من قال إنه ببغداد وآخر الموصل ، وثالث نصيبين .

الارتحال ولزم داره ، وعلى هذا فإن ابن حوقل قد خلف المسعودى فى هذا المضمار ... وانتهى رحالتنا من رحلته الواسعة سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) . فيكون بهذا قد أمضى ثمانية وعشرين عاماً فى حلّ وارتحال، زار خلالها أقاصى البلدان، فساح فى العالم الإسلامى شرقاً وغرباً من نهر السند إلى المحيط الأطلنطى ، ووصف بلاد البربر وصفاً جيلاً ، كما أنه جال فى بلاد الأندلس متنقلاً بين كثير من مدنها المشهورة . دخل صقلية وأسهب فى الكلام عليها ، وجاب ربوع مصر وسورية والعراق وفارس ... ودوّن أخبار رحلته سنة ٣٦٧ هـ (٩٧٧ م) ، ضمن كتابه المسمى بـ « المسالك والمهالك والمفاوز والمهالك » .

قال فيه عن نفسه : « ... بدأتُ سفرى هـذا من مدينة السلام — يوم الخميس — لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ... وأنا من حداثة السن وغرّته، وفى عنفوان الشباب وسكرته ، قوىّ البضاعة ، ظاهر الاستطاعة ... [1] »

إلى أن يقول : « ... وقد ذكرتُ فى آخر كتابى هذا كيف تعاورتنى الأسفار ، واقتطعتنى فى البر دون ركوب البحار ، إلى أن سلكتُ وجه الأرض بأجمعه فى طولها ، وقطعتُ وتر الشمس على ظهرها ... [2] » .

ثم يصف لنا خطته فى تأليف كتابه فيقول : « ... وقد حررتُ ذكر المسافات ، واستوفيتُ صور المدن وسائر ما وجب ذكره ... وقد فصّلتُ بلاد الإسلام إقليماً إقليماً وصقعاً صقعاً وكورةً كورةً لكل عمل . وبدأت بذكر ديار العرب ، فجعلتها إقليماً واحداً ، لأن الكعبة فيها ومكة أم القرى ، وهى واسطة هذه الأقاليم عندى ... [3] » .

ويتضح لنا من دراسة مصنّفه أنه اقتصر على ذكر صفات الممالك الإسلامية ، ولم يتعرض لغيرها متنصلاً من ذلك بقوله فى كتابه المذكور : « ... أما بلاد النصارى والحبشة ، فلم أتكلم عليها إلا يسيراً ، لأن تولعى بالحكمة والدين والعدل وانتظام الأحكام يأبى أن أثنى عليهم بشىء من ذلك [1] » .

ابن حوقل يتعاطى التجسس

ذكر العلامة دوزى فى كتابه : « تاريخ إسلام أسبانيا » أن ابن حوقل كان عَيناً للفاطميين يتعاطى التجسس لمصلحتهم . ولا شك أن يكون قد نال حظوتهم والتفافهم أثناء نزوله بين ظهرانيهم ، فسهلوا له شؤون رحلته وتجارته ؛ وقد تمخضت هذه العلاقة عن تبادل الثقة ، فوجدوا فيه خير مثال للدعاية ، وهو ذاك الرحالة الشهير الذى يجوب بلدان الأرض فينشر دعوتهم على أحسن ما يُرام !

كتاب « المسالك والممالك »

جاء فى مقدمة الطبعة الأولى « للمسالك والمهالك » ما نصه : « هذا كتاب المسالك والمهالك والمفاوز والمهالك ، وذكر الأقاليم والبلدان ، على مرّ الدهور والأزمان ، وطبائع أهلها ، وخواص البلاد فى نفسها ، وذكر جباياتها وخراجاتها ومستغلاتها ، وذكر الأنهار الكبار ، واتصالها بشطوط البحار ، وما على سواحل البحار من المدن والأمصار ، ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجار ، مع ما ينضاف إلى ذلك من الحكايات والأخبار والنوادر والآثار ، تأليف أبى القسم بن حوقل ... مُعوّل فيما جمعه على كتاب الإمام العالِم أبى القاسم محمد بن خرداذبة ، وقدامة بن جعفر الكاتب ... [2] » .

وقد قدم كتابه هذا إلى أبى السرىّ الحسن بن الفضل بن أبى السرى الأصبهانى . قال ابن حوقل : « . . . وقد عملتُ له كتابى هذا بصفة أشكال الأرض ومقدارها فى الطول والعرض وأقاليم البلدان ، ومحل الغامر منها والعمران ، من جميع بلاد الإسلام بتفصيل مدنها . . . وكان مما حضنى على تأليفه ، وحثنى على تصنيفه ، وجذبنى إلى رسمه ، أنى لم أزل فى حال الصبوة شغفاً

---

(١) المسالك والمهالك لابن حوقل « طبعة كريمرز فى ليدن سنة ١٩٣٨ : المقدمة ص ٣ — ٤ »

(٢) المسالك والمهالك « المقدمة : ص ٤ »

(٣) المسالك والمهالك « ص ٥ — ٦ »

(١) المسالك والمهالك « ص ١٠ »

(٢) مقدمة « المسالك والمهالك » طبعة دى غويه فى ليدن سنة ١٨٧٣ ، وطبعة كريمرز (حاشية الصفحة ١) .

بقراءة كتب المسالك ، متطلعاً إلى كيفية البين بين الممالك . . . وترعرعت فقرأت الكتب الجليلة المعروفة ... فلم أقرأ فى المسالك كتاباً مقنعاً ، وما رأيت فيها رسماً متبعاً ، فدعانى ذلك إلى تأليف هذا الكتاب ... وأعاننى عليه تواصل السفر وانزعاجى عن وطنى مع ما سبق به القدر لاستيفاء الرزق والأثر والشهوة لبلوغ الوطر ...[1] » .

شُغف ابن حوقل أثناء تجواله بدرس مؤلفات المتقدمين كالجيهانى وابن خرداذبة وقدامة . وكان لدى إحدى عوداته إلى بغداد عام ٣٤٠ هـ (٩٥١م) قد لقى الاصطخرى (صاحب كتاب المسالك والممالك ، الذى صنفه نحو تلك السنة أيضاً) . فاطلع ابن حوقل على كتاب الاصطخرى ، وانكشفت له مواطن الضعف فيه ، وكان الاصطخرى قد طلب إليه أن يُراجع مصنفه ويهذب بعض خرائطه الجغرافية ، لكن ابن حوقل أبى ذلك ، واعتزم كتابة هذا المصنف « المسالك والممالك » من جديد ، فأتمه على ما أراد ، حيث ضمنه مشاهداته ودراساته الخاصة وجعله باسمه

وهذا ما حدا بالكثير من المؤرخين إلى أن يقولوا كلمتهم فى مصنف ابن حوقل ويعتبروه صورة ثانية لكتاب الاصطخرى مع زيادات آتية من دراساته ومشاهداته الخاصة التى اكتسبها أثناء رحلته ، فأضافها إليه حينما عدل عن تصحيح كتاب الاصطخرى .

وقد أضاف أبو الفداء فى جغرافيته المسماة تقويم البلدان أن « كتاب ابن حوقل مطول ، ذكر فيه صفات البلاد مستوفياً ، غير أنه لم يضبط الأسماء ، وكذلك لم يذكر الأطوال ولا العروض وصار غالب ما ذكره مجهول الاسم والبقعة ...[2] »

وجاراه فى هذا القول الحاج خليفة صاحب كشف الظنون[3]

ومهما يكن من أمر فإن هذا السفر الجليل عظيم الفائدة جدير بالدرس والاستقصاء ، لاختصاصه فى الجغرافية دون سواها فهو يحوى وصفاً دقيقاً لأغلب الأقطار . ولقد أفادنا بصورة خاصة عن مصر وسورية والعراق ، وتُعدّ بحوثه فى المغرب وأسبانية وصقلية من المصادر الرئيسية ، ناهيك بالمعلومات القيمة عن بقية الأصقاع والبلدان والمسافات ، كما أنه لم ينس أن يُعطينا فكرة عن ثروة البلاد وتجارة أهاليها ، وجباية الضرائب إلى غير ذلك .

طبعات الكتاب

نالَ هذا المصنَّف اهتماماً حسناً ، فظهرت له عدّة طبعات قام بها طائفة من المستشرقين ، والفضل الأوفر فى ذلك يعود إلى المستشرق الكبير دى غويه ، وسنأتى على ذكر هذه الطبعات فيما يلى :

أولاً : الطبعات الكاملة

١ — الطبعة الأولى : نشرها المستشرق دى غويه De Gœje الهولندى سنة ١٨٧٣ فى ليدن ، معتمداً فى ذلك على نسختى خزانتى ليدن وأكسفورد ، كما أنه اعتمد على النسخة العربية المرقومة ٢٢١٤ فى خزانة كتب باريس الأهلية ، تلك التى أطلَقَ عليها فى طبعته اسم الموجز الباريسى Epitome parisiemsis وهو نص النسخة الاستنبولية . وتعتبر هذه الطبعة الحلقة الثانية من مجموعة « المكتبة الجغرافية العربية » Bibliotheca Géographorum Arabicorum والمعلوم أن هذه الطبعة قد نفدت منذ سنين عديدة وأضحت نسخها من نوادر الكتب

٢ — الطبعة الثانية : اعتنى بنشرها المستشرق كريمرز Kramers بمطبعة بريل فى ليدن سنة ١٩٣٨ ، وقد اعتمد بصورة خاصة على نص النسخة المرقومة ٣٣٤٦ ، المحفوظة فى خزانة السراى العتيق فى استنبول ، وعلى صورها ، كما أنه قابل نص الطبعة الأولى المذكورة آنفاً ، وبعض المصادر الأخرى ، فجاءت بنتيجة هذه التدقيقات والمقابلات طبعة متقنة فيها وافر التحقيق، وتحتوى على كل ما هو موجود الآن من مادة كتاب ابن حوقل فأصبحت متكافئة مع الطبعة الأولى ، كما أنها زينت بالخرائط ذات الشروح والتعاليق . وقد ظهر من هذه الطبعة حتى الآن : القسم الأول الذى يتقوم من ٢٤٧ صفحة ، وسيليه الثانى والثالث وعنونها الناشر بـ « كتاب صورة الأرض » تأليف أبى القسم ابن حوقل النصيبى

(١) المسالك والممالك (المقدمة ص ٢ — ٣)

(٢) تقويم البلدان لأبى الفداء (طبعة باريس سنة ١٨٤٠ ، ص ١)

(٣) كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون للحاج خليفة (طبعة فلوجل فى ليبسك ، ٥ : ٥١٠) .

٣ — وكان هذا الكتاب قد تُرجم إلى اللغة الفارسية ، وعن هذه اللغة ترجمه إلى الإنجليزية السير ويلم أوزيلي Ouseley وطبعه سنة ١٨٠٠ فى لندن بعنوان « الجغرافية الشرقية لابن حوقل » Kitab al Mesalek wal Memalek : The Oriental Géography of Ebn Haukal

وهى تقع فى ٣٦ + ٣٢٧ ص ، وخريطة

ثانياً : الطبعات الجزئية

١ — القسم المختص بالعراق العجمى ، اعتنى بنشره المستشرق هماكر[1] Hamaker فى ليدن سنة ١٨٢٢ ، ويقع هذا القسم فى ست صفحات وترجمته اللاتينية فى ثمان ، وعنونت بـ « خلاصة أخبار المسافر والعجم فى معرفة بلاد عراق العجم »

٢ — القسم المختص ببلاد السند ، طبع فى بون سنة ١٨٣٨ مع ترجمة لاتينية

٣ — القسم المختص بإفريقية ، طبع فى باريس سنة ١٨٤٢

٤ — القسم المختص بمدينة بَلَرْم (عاصمة جزيرة صقلية) ، طبع فى باريس سنة ١٨٤٥ ، مع ترجمة فرنسية ، بعناية المستشرق الإيطالى أمارى Amari

٥ — القسم المختص بسجستان نشره المستشرق بلاشر Blachère فى مجموعه المسمى « منتخبات من آثار الجغرافيين العرب فى القرون الوسطى » Extraits des principaux Géographes Arabes : du Moyen Age ، المطبوع بالعربية مع حواش وملاحظات بالفرنسية ، سنة ١٩٣٢ فى بيروت (ص ١٣٦ـ١٤٨)

٦ — ولعل هنالك بعض الترجمات أو الطبعات الجزئية مما لم نتوفق إلى الوقوف عليها لندورتها ، فضربنا عنها صفحاً .

(بغداد) ميخائيل عواد

(١) قام المستشرق هماكر بجمع كل ما كتبه جغرافيو العرب عن البلاد المعروفة بعراق العجم ، ونشر ذلك فى مجلد كبير مع ترجمة وتعاليق وشروح باللاتينية

الشيخ الخالدى أيضاً

للدكتور عبد الوهاب عزام

نقلت فى المجلس السابق حديث الشيخ عن العلماء أصحاب الخطوط الجيدة . وقد لقيت الشيخ من بعد فقال :

ومن جيدى الخط صدر الدين القونوى وتلميذه سعد الدين الفرغاني شارح التائية — تائية ابن الفارض — وأبو منصور الجواليق ، رأيت بخطه نصف كتاب المحكم لابن سيده ؛ والملك المعظم الأيوبى ؛ وابن الأثير المؤرخ رأيت بخطه المؤتلف والمختلف لعبد الغنى بن سعيد الحافظ المصرى ، وهو محدث كبير يُعدّ من أقران ابن عبد البر والحافظ النيسابورى . ومن أصحاب الخطوط الجيدة من علماء الأندلس أبو حيان النحوى وأبو الربيع سليمان الكلاعى صاحب السيرة الكلاعية أجل كتاب فى سيرة الرسول

ثم قال : ومن أردأ العلماء خطاً نجم الدين النسفى صاحب العقائد ، والإمام الحصيرى أستاذ الملك المعظم ، وهو شارح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن ، والعلامة التفتازانى وابن حجر . ومن علماء الأندلس ثم الاسكندرية الطرطوشى

وأما السيوطى والسيد الشريف الجرجانى والقطب الشيرازى والزمخشرى وابن الأثير المحدث وابن مالك وابن هشام وابن عقيل النحويون فخطوطهم وسط بين الجيد والردىء

ولقيت الشيخ مرة أخرى فقال :

الشىء بالشىء يذكر : ومن أصحاب الخطوط الجيدة أبو الريحان البيرونى وعبد الملك بن مسرة اليحصبى أستاذ ابن رشد الفيلسوف؛ رأيت بخطه مدونة الإمام مالك وفى آخر كل جزء :

بالله يا قارئ استغفر لمن كتبا فقد كفتك يداه النسخ والتعبا

ومنهم الحافظ المنذرى صاحب الترغيب والترهيب وكان مدرس دار الحديث الكاملية

ومن أصحاب الخطوط الرديئة شمس الدين الفنرى صاحب فصول البدائع فى أصول الشرائع ، وهو مجلدان كبيران وشارح مفتاح الغيب لصدر الدين الموكزى

وحسب كتاب البدائع أن الفنرى ألفه فى اثنتين وثلاثين سنة مع أنه شرح إيساغوجى فى يوم واحد فيما يقال .

ومن ذوى الخط الردىء أيضاً ابن منظور المصرى ؛ رأيت بخطه جزءين من مختصر تاريخ دمشق والدارقطنى المحدث ؛ رأيت بخطه كتاب الكنى والأسماء للإمام مسلم، ومنهم ابن الصلاح ، وابن خلدون . ومن متوسطى الخط الحافظ السلفى

قلت : ولا تنس العبد الفقير فهو من أصحاب الخطوط الرديئة

— ٢ —

ولقيت شيخنا بعد أن نشرت فى الرسالة مقالى عن طرسوس وقبر الخليفة المأمون فتحدثنا عن هذه البلدة ، وما كان لها من مكانة فى الشعوب الإسلامية ، فقال الشيخ :

كنت أعجب حين أقرأ فى تاريخ كثير من علمائنا أنهم أقاموا فى طرسوس ، ولا أدرى لماذا عُنى هؤلاء العلماء بالرحيل إلى هذا الثغر القصىّ ، حتى قرأت فى تاريخ أحدهم أنه سافر لأداء فريضة الحج ثم رحل إلى طرسوس للمرابطة ، فعرفت أن علماءنا الذين رحلوا إلى طرسوس كانوا يؤدّون سنّة من سنن الإسلام فى مرابطة العدوّ على الحدود الإسلامية

ممن رحل إلى طرسوس أبو عُبيد القاسم بن سلاّم ، أقام هناك زهاء اثنين وعشرين عاماً ، وأبو داود المحدّث صاحب السنن أقام بها إحدى وعشرين سنة وألف « السنن » هناك ، وعبد الله بن المبارك كان يتردد على طرسوس ويطيل الإقامة بها ، والثانى أقام وحدّث فيها طويلاً . وممن رابط هناك أيضاً أبو زيد المروزى صاحب أعلى إسناد للبخارى ، والإمام أحمد ، ويوسف ابن أسباط وهو محدّث عظيم أجلّ من ابن المبارك ، أقام بطرسوس أكثر من عشرين سنة ، وإبرهيم بن أدهم أقام بها ما لا يقلّ عن عشرين سنة . ولابن المبارك كتاب فى مدح طرسوس وأهلها المجاهدين

وكان طرسوس والمصيصة وأذنه والمارونية من مواضع الرباط يكثر العلماء الإقامة فيها

قلت : هذا سر من أسرار عظمة الإسلام وعلوه ، وتمكن المسلمين فى الأرض . كان علماؤنا لا يرون العبادة اعتكافاً واعتزالاً ولكن جهاداً ورباطاً ، كانوا يرجعون إلى الثغور القاصية على بعد الشقة ليجاهدوا أو يرابطوا فسيطروا على الدنيا بالدين ولم ينبذوها من أجله . كانوا كما كان الخليفة الرشيد عُبّاداً حجاجاً غزاة مرابطين :

فمن يقصد لقـاءك أو يرده ففى الحرمين أو أقصى الثغور

— ٣ —

وحادثت الشيخ فى الكتب والمؤلفين فقال :

أربعة كتب يجب عليكم أن تنشروها

١ — كتاب العين ، النسخة التى هذبها أبو بكر الزبيدى الأندلسى . رأيتها فى مدريد بخط أندلسى جميل

٢ — كتاب الأفعال لابن القطّاع . منه نسخة كاملة فى مكتبة واحدة فى استانبول

٣ — وكتاب الأفعال، للسرقسطى ألفه للمنصور بن أبى عامر ومنه نسخة فى استامبول وقد نقلت مقدمته كلها

٤ — والغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلاّم . رأيت نسخة منه منقولة عن الحميدى صاحب الجمع بين الصحيحين وهى نسخة صحيحة

قال : وليت عملكم يتسع لنشر كتب أخرى مثل شرح كتاب سيبويه للسيرافى والتهذيب للأزهرى والاشتقاق الكبير لابن دريد وشرح التسهيل لابن حيان الأندلسى

ومن نوادر الدهر نسخة ابن القطاع من صحاح الجوهرى عليه حواش بخطه واستدراكات . قلت : كم لأسلافنا من كتب مفيدة لم تنل حقها من العناية . وعسى أن يوفقنا الله إلى نشرها والاستفادة منها وهو ولى التوفيق

١٣ ، ٣٢ **عبد الوهاب عزام**

هنرى بوردو يتحدث عن

هتـــلر

للأستاذ ناجى الطنطاوى

إن فيليب باريس — فى اعتقادى — أولُ صحفى بل أول كاتب فرنسىّ استطاع أن يجلوَ للناس مدى تأثير هتلر فى شعبه ، وبيّن لهم أن استيلاء هتلر على نفوس سامعيه وعمق أثر كلامه فيها ناتج عن أنه يشارك شعبه بؤسه وضيقه . يخطب فى قدماء المحاربين الذين ذاقوا ويلات الحرب وأُصلوا سعيرها ، ويخطب فى النساء اللواتى صبرن طويلاً على البؤس والشقاء فى دورهنّ التى أقفرت من كل شىء ، ويخطب فى جميع أولئك الذين مسّهم الفقر بنابه وتاقت نفوسهم إلى الخلاص منه ، كان صوته الصاحل يدوّى فى الجموع المحتشدة دوىّ الجرس الناعى ، ولكن وعود الخلاص والإنقاذ كانت تظهر على كل نبرة من نبراته . كان يُعلِمهم بما سيحدث فى المستقبل القريب واثقاً مما يقول ، لا يُجهد نفسه بوضع النظريات والفروض ، بل يستعيض عنها بخطّـة سهلة قريبة المنال ، توصل إلى السعادة التى يحلم بها الرجال العاملون والنساء السُّذّج

ولقد رأيت النساء الألمانيات يخضعن ، وتذل نفوسهن أمام جاذبيته القوية . ولما رأيتهن وافرات الصراحة ، رحت أحادثهن وأسائلهن عنه ، وانبرت واحدة منهن وافرة الجمال والذكاء من مدينة كولونية قدمت من برلين ، وأخبرتنى أنها حادثته على انفراد بعد « الأسبوع الأخضر » الذى جمع فيه الزعيم رجال الصناعات فى كافة أنحاء البلاد الألمانية ، ليبين لهم سبيل الاتفاق والتفاهم ، وراحت تحدثنى عنه قائلة :

— إنه دمث لين الجانب . لقد مثلت أمامه ، وكان باستطاعتى أن أكلمه وأحادثه ، ولـكن الحياء عقد لسانى ؛ ولم أكن قد زورت فى نفسى من قبل كلاماً ألقيه إليه .

سألتها :

— كيف بدا لك شخصه ؟

فأجابتني قائلة :

— إن له عينين ساحرتين !

أجل ! له عينان ساحرتان ... هذا هو الجواب الذى أجبننى به جميعاً كيلا يعترفن بقبحه ودمامته . واجتمعت فى هامبورغ بامرأة أخرى كانت تطيل الحديث عنه ، وهى امرأة مسنة كثيراً ما تضطرها أعمال زوجها للرحيل إلى برلين ؛ وكانت أوثق صلةً بهتلر من سواها ، فكانت تضيف إلى جمال عينيه الحزن والكآبة اللذين يبدوان عليه دائماً . وبدأت أعير الأسطورة الذائعة فى ألمانية انتباهى واهتمامى ، تلك أنه لا يهدأ ولا يسر إلا بالعزلة . ولقد شاد فى بافاريا داراً فى الجبل كثيراً ما يأوى إليها ليخلوَ إلى تأملاته ، وينتظر إلهاماته . وحدثتنى المرأة قائلة :

— ذهبت إليه فى أحد أيام عيد الميلاد، ودعوته للتفضل بزيارتنا مؤكدة له أنه لن يستطيع قضاء ليلة العيد هذه إلا بين أطفال إحدى العائلات ، فما كان منه إلا أن هزّ رأسه وأجابنى بقوله :

« كلا ، كلا ، إننى سأمتطى سيارتى مساء اليوم وسأتغلغل فى الغاب تحت الثلج فأكون بعيداً عن الناس معتزلاً بنفسى » فحضرتنى الجرأة إلى أن أتقدم إليها بالسؤال عن صلته بالنساء ، فكان جوابها أنه لا أر لهن فى حياته قط . ومضت فى حديثها قائلة :

— وسألته فى يوم آخر عن السبب الذى أفضى به للجنوح عن الزواج، فأجابنى : « أوه ، كلا، إننى ذو شعور مرهف وحس دقيق ، ووقوع طفل واحد لى فى المرض يحول بينى وبين المضى فى أعمالى السياسية

وذكرت — لدى سماع هذا — أن هـذا الرجل الحساس قد قتل يوم الثلاثين من يونية عام ١٩٣٥ ريهم فون كار ، وأوبرفورن ، وأوتوسترامر ، والجنرال فون شليخر وامرأته ، وكثيراً غيرهم ، يبلغ عددهم زهاء سبع وسبعين نفساً . ولكننى ظللت مصغياً لحديثها اعتقاداً منى أنه من الواجب علينا أن نساير النساء فى تفكيرهن إذا وددنا أن نقف على أسلوب التفكير لدى إحدى الأمم ... قالت المرأة :

— ولما سألته هل يعتقد أن الحكم السائد بيننا هو الحكم الصالح ، أجابنى بقوله : « كلا ، إننا نرفض كل حكم وراثى ، إذ أن البنات لا الأبنـاء هن اللواتى يرثن عادة عبقرية الأب . إن التوريث هو خطأ الملكية »

فتذكرت فجأة هذا التعبير الجميل لمؤرخنا ألبير سوريل : « إن حياة أسرة المرء امتداد لحياته بعد موته، وحياة الأمة امتداد لحياة الأسرة بعد فنائها » وأنا أقول إن حياة الأمم التى يخلفها الملوك هى امتداد لحياتهم إن ماتوا

هذا ما حدثتنى به المرأة . أما الرجال فإن كلامهم عن هتلر لا يرافقه حماس كحماسها ، إذ أن الناحية العاطفية تختفى لديهم ويقدرون فى الزعيم براعته فى الإنشاء والبناء ، براعة الرجل الذى أعاد للنظام حرمته بعد أن شوّهته الاشتراكية ، والذى قضى على البطالة بتمجيده العمل والنظام ، والذى أعاد لألمانية كبرياءها وعزتها ومجدها ، فعاشت مرفوعة الرأس بين الأمم ، ولكن هل ترك الأمم الأخرى تحيا كذلك ؟

إن هذه الإشارة الخفية إلى النمسا وتشيكوسلوفا كيا لا تترك أثراً ، ذلك لأن المنطق الألمانى لا يدخلهما فى عداد الأمم

إن صاحب جريدة (دوتش فرانزوزيش غيزيلشاف) وهو الكونت آرنيم ، هو من كبار الملاك ، وتبلغ مساحة ملكه ستمائة هكتار . وليست هذه المساحة الشاسعة نادرة الوجود فى ألمانيا الشمالية إذ أن الأرض هناك مجدبة وغير مقسمة كثيراً ، وعدد الزراع هناك قليل ، فيضطر المالكون للالتجاء إلى البولونيين ، ففكرت — ولم أظهر ذلك — فى فلاحنا الذى تحنو عليه الأرض حنوّ المرضعات على المظيم ، وتقدم إليه الغذاء وفق اعتنائه بها ، ورغم هذا نراه يذهب إلى المدينة ، إلى الضجيج والنور

لقد تنبه الزعيم لهذه الهجرة ، ورأى أن وقفها لا يتم إلا برفع منزلة الفلاح : فالبوير (الفلاح) هو عنوان فخرىّ موقوف على تلك الأُسر الألمانية ذات الدم الصافى التى تحرث الأربوف ، والأربوف هذا هو الحقل الموروث الذى لا تقل مساحته عن مائة وخمسة وعشرين هكتاراً ليس من الجائز تقسيمها ، وينتقل هذا الحقل بالإرث إلى الابن الذى يسميه الأب ، وليس لديهم قانون الابن البكر ، فالأب يختار وريثه بنفسه

إننى أتمنى وأرجو لبلادى قانوناً نيراً يربط الأسرة بالأرض

ويثبتها بها كيلا تضطر للهجرة عنها ، فالأرض التى تقسمها قوة القانون ليس باستطاعتها أن تؤمن حياة أسرة ، وتضطر تلك الأسرة للهجرة والرحيل . وإن باب التوريث فى القانون الذى يقضى على زراعة فرنسة ، فيفقد فرنسة عقيدتها وإيمانها . يجب علينا حتماً أن نعيد النظر فى القانون ، وبعض الأنظمة الجديدة تراعى هذه الناحية ، ولكنها مراعاة غير كافية

احتفلت ألمانية احتفالاً فخماً بذكرى بلوغ هتلر سن الخمسين فهو قد ولد إذن يوم العشرين من نيسان عام ١٨٨٩ فى بلدة باسو؛ فلنحفظ هذا التاريخ لأنه من الممكن أن يجلو لنا تكوّنه العقلى . كان فى العاشرة من عمره عند ما حدثت فى النمسا — وطنه الأول — فاجعة دينية يظن أن أثرها كان قوياً فى خياله الطفلى وأن صورتها ظلت منقوشة فى ذاكرته ، وعلى الأخص لأن أستاذه اشترك فيها كما يغلب على الظن ، ولقد ذكرها دون ريب لما دخل فينا التى فتحها ، وبراغ التى غلبها وأذلها . ولقد اطلعت على فصل جيد واف مكتوب بقلم جورج غويو عن الحياة الألمانية العقلية يكشف لنا عن هذه الناحية :

صدر فى نيسان عام ١٨٩٧ أمر الإمبراطور فرانسوا جوزيف باعتبار اللغة التشيكية فى المحاكم والدوائر والكنائس لغة رسمية ، وكانت اللغة الألمانية قبل صدور هذا الأمر هى اللغة الرسمية السائدة فثارت ثائرة الشعب ، وقامت ثورة مسلحة كان أبطالها جرمانيو النمسا الذين ألقوا المسئولية على عاتق الكنيسة الكاثوليكية. وكتب أحد المحرضين إذ ذاك ويدعى شونيرير يوم ١٦ نوفمبر عام ١٨٩٨ يقول :

« ألا فلنحطم القيود التى تربطنا بكنيسة معادية لألمانيا ، لا نريد أن يسود التفكير المسيحى الأرض الألمانية . إن التفكير الجرمانى هو وحده صاحب الحق بالسيادة فيها »

ومذ ذلك الحين بدت نظرية التوسع الجرمانى فى النمسا ، بشكل جديد : أنت بروتستانتى ... معنى هذا أنك ألمانى ، وكان يذهب المتطرّفون إلى أبعد من هذا ، حتى أن صحيفة شونيرير راحت تنادى صائحة : « لقد مهرنا بفلسطين كما مهرنا بروما لنشيد فيها قبّة الجرمانية » وراح شونيرير يهيب بمواطنيه إلى رفض قبول الدين المسيحى والعودة إلى حظيرة الوطنية الحق قائلاً : « يجب على كل فرد من مواطنىّ أن يكون وطنياً ألمانياً لا بروتستانتياً مسيحيا. وسيؤرخ العصر الحديث منذ الآن موقعة « نوريا » بين الرومان والتوتيين قبل المسيح بمئة وثلاث عشرة سنة . ثم يقول جورج غويو : « يقول تاريخ ألمانيا الوطنى بالحرف الواحد : إن اليوم الذى أدخل فيه القديس بونيفاس الدين المسيحى إلى ألمانية كان يوم حداد على جرمانية ؛ وإن الأخلاق الألمانية الوطنية تعلمنا أن العقيدة السكندينافية القديمة التى تأمر بمقابلة اللطمة بلطمة مثلها كانت أرفع وأشرف من العقيدة المسيحية التى تذل الإنسان وتفسد خلقه عندما تأمره بتقديم خده الأيسر ؛ وإن التربية الألمانية الوطنية التى تتخذ من الأبطال الجرمانيين القدامى مثلاً أعلى لها يجب احتذاؤه لاتفتأ تفخر بأسلوبها فى التربية حتى يكاد يعتقد الإنسان أنها توافق طبيعته . وتفضل هـذه التربية عبادة « ووتان » الآله الوطنى على عبادة المسيح الدخيل . وبعد كل ذلك نرى الطقوس الألمانية الوطنية تحيي التقاليد الدينية التى كانت سائدة فى الغابات القديمة ، وذلك بعودتها إلى عادة تقديم الضحايا للشمس فى زمنى الانقلابين الصيفى والشتوى وحرقهم على ذرى الجبال . ومع هذا ، إذا كان الجرمانيون أفضل شعوب الأرض ألا يكون إله المسيحيين قد استهان بهم وانتقص من أقدارهم باختياره شعباً غيرهم ؟

وتملكت نفوس الألمانيين إذ ذاك رغبة صادقة فى إنشاء دولة ألمانية موحدة يدين أفرادها بدين واحدهو دين « ووتان » وانقلبت الحركة الدينية إلى حركة سياسية .

« دمشق »

ترجمة
ناجى الطنطاوى

التاريخ فى سير أبطاله

أحمد عرابى

أما آن للتاريخ أن ينصف هذا المصرى الفلاح وأن يحدد له مكانه بين قواد حركتنا القومية ؟

للأستاذ محمود الخفيف



لم تكن مصر إذاً فى حالة تدعو إلى القلق إلا إذا كان الخلاف بين الخديو ووزرائه مشكلة تستدعى حتما تدخل الدول الأوربية لحسمها ، إذ لا يتسنى علاجها إلا على هذه الصورة

لم يكن هذا الخلاف الذى نشير إليه سوى الذريعة التى باتت انجلترة تتحينها لتخطو الخطوة التى كانت سياستها فى مصر طوال القرن التاسع عشر متجهة إليها ، وكانت انجلترة قد عولت أن تقطع العقدة إذا لم يتيسر لها حلها ، فبقطع تلك العقدة أو حلها تصيب فى الواقع غرضين : السيطرة على مصر وهذا قصارى آمالها فى الشرق ، والتخلص من مشاركة فرنسا لها فيما هى فيه من شؤون مصر وهذا ما كانت مصلحتها تقضى بوجوب الإسراع فيه

والإنجليز قوم نبغوا فى أن يأخذوا كل شىء وألا يعطوا شيئاً ، وأن يستبطنوا دخيلة كل عدو أو حليف دون أن يكشفوا له عن شىء تنطوى عليه نفوسهم ، ولهم فى ذلك أساليب يعد نجاحهم فى إنفاذها أحد أسباب تفوقهم الكبرى

لذلك تقدم هؤلاء ليلعبوا إحدى لعباتهم السياسية وقد سهلت عليهم سياسة فرسنيه الأمر ، فقد رأى هذا أن تبتعد انجلترة وفرنسا عن التدخل المسلح فى شؤون مصر ، وفاته أنه إن استطاع أن يوجه سياسة بلاده نحو هذا الهدف فما له حيلة فى انجلترة إن استعصت عليه أو انسحبت منه

وتقدم فرسنيه يعرض على انجلترة مقترحات لحل المشكلة ، فطلب على لسان سفيره أن ترسل الدولتان سفناً من أسطوليهما إلى مياه الاسكندرية وأن تطلب الحكومتان إلى تركيا ألا تتدخل فى شؤون مصر فى ذلك الوقت ، ولكن فرنسا لا تعارض إذا حضرت قوة عثمانية إلى مصر بدعوة من الدولتين على أن يكون عملها محدوداً وأن تكون تحت مراقبتهما

ورأى فرسنيه أن تحاط روسيا والنمسا وألمانيا وإيطاليا بما تتخذه انجلترة وفرنسا حيال المسألة المصرية على أن تكون تعليمات تلك الدول إلى سفرائها فى الآستانة عين تعليمات الدولتين

أما عن مركز الخديو فقد رجعت فرنسا عن رأيها فى خلعه ذلك الرأى الذى كانت تراه لو اتبع قبل ذلك يقضى على كثير من الصعاب

وكان فرسنيه يريد من المظاهرة البحرية أن يلقى الرعب فى قلوب الوزراء ليقلعوا عن مقاومة الخديو فتنتهى الأزمة التى كانت قائمة بينه وبينهم، ولقد وافق جرانفل على مقترحات فرسنيه فى جملتها ورأى أن يبلغ الباب العالى مع الاحتياط فى القول أنه قد تعرض عليه فى المستقبل مقترحات أخرى ، ولكن فرسنيه لم ير هذا الرأى لأنه كان يرغب عن التقرب من تركيا ولذلك رفضه بادئ الأمر ولكنه عاد فقبله بعد إلحاف جرانفل عليه وكتب إلى سفيره بالآستانة أن يبلغ السلطان أنه « ليس من المستبعد أن تقدم اقتراحات أخرى إلى تركيا فيما بعد »

وأراد جرانفل أن يبعد عن نفسه وعن حكومته تهمة الرغبة فى التدخل فى شؤون مصر فاقترح أن تدعى الدول الأوربية إلى إرسال سفن إلى الأسكندرية تقف إلى جانب السفن الإنجليزية الفرنسية ؛ وما كان جرانفل جادا فيما يقول فإنه كان على يقين أنه

سيقابل من فرنسا بالرفض ولو كانت لديه شبهة أن ستقبله فرنسا لما تقدم به ، بل لو كان هذا الاقتراح من جانب فرنسا لعارضت فيه انجلترة أشد المعارضة ؛ ولو أن انجلترة كانت جادة فى مقترحها هذا لبذلت قصارى جهدها لتحمل فرنسا على قبوله ولكنها اكتفت أن تبلغ فرسنيه على لسان وزيرها أنها تأسف ألا تقرها فرنسا على وجهة نظرها وأنها تعد من الخطأ عدم دعوة الدول إلى الاشتراك فى تلك المظاهرة ، ولكن بما أن فرنسا قد ذهبت فى الموافقة على السياسة البريطانية إلى مثل هذا الحد فإن انجلترة لا يسعها إلا أن توافق فرنسا على ما ترى

وآمن فرسنيه بنزاهة السياسة الإنجليزية ، ولو كان غير فرسنيه فى موضعه لآمن بها كما آمن هذا ، فلم يكن يدور بخلد أحد يومئذ أن انجلترة كانت تترقب الفرص لتنقض على الفريسة دون فرنسا ولا كان فى عملها ما يستراب منه ؛ ولكن الإنجليز فى هذا العالم خير من انتصح بنصائح مكيافلى وخير من حذقها ولو قد تأخر الزمن بهذا الرجل لأخذ عنهم مبادئه ولوجد فى أساليبهم وخططهم أبلغ أمثلة كتابه

الحق أن هذا المكر كان يدق على فرسنيه وغير فرسنيه من أولى الخبرة والدهاء من الرجال ؛ وما كان ليفطن إلى هذا إلا من يسيء الظن بانجلترة فيكون مبعث فطنته سوء الظن لا حسن الفهم وبعد النظر ، ونحن إنما نفطن إلى هذه السياسة بعد أن تكشفت وتعاقبت عليها السنون ، ولقد فطن إليها فرسنييه ورجال حكومته وشعبه لا ريب يوم وقعت الواقعة وانفردت انجلترة بضرب الأسكندرية غير حاسبة لأى شيء من حولها حساباً

وكانت انجلترة تبغى من سياستها هذه أن تصرف الدول عن مصر فإن دعوة تلك الدول إلى مشاركتها فى المظاهرة البحرية يظهرها بمظهر من لا غرض له إلا الصالح العام فى حين أن انفرادها هى وفرنسا بالأمر يغضب الدول ويجعلها تميل إلى التدخل لتنال حظًّا من الغنيمة فى مصر أو فى غير مصر يوم يقوم الحساب وتوزع الأسلاب

وفضلاً عن ذلك فقد كانت انجلترة تحذر أشد الحذر أن تغضب السلطان فينحاز إلى عرابى وحزبه ضد توفيق فيظهر هؤلاء بمظهر المحافظين على حقوق السلطان صاحب الحق الشرعى ضد الخديو ومشايعيه من الطامعين ، وهنالك فكل تهمة بالعصيان ضد عرابى أمام الشعب المصرى إنما تذهب أدراج الرياح

ولقد فطن ماليت إلى خطورة هذا الأمر وكتب إلى حكومته ينذرها أن إغفال تركيا من شأنه أن يضم النواب إلى العسكريين فيقفوا جميعاً صفاً واحداً ضد أوربا أو على الأقل إنه يقوى جانب عرابى وأشياعه

وودت انجلترة لو طاوعتها فرنسا فيما أشارت به، ولما وجدت إصرارها على استبعاد تركيا والدول جميعاً لم تر بدا من أن ترسل إلى الدول قراراً ينفى أى نية فى احتلال مصر ويؤكد أن إنجلترة لم ترد بالمظاهرة البحرية إلا إقرار السلام داخل مصر وأنها سوف تترك مصر وشأنها إذا قضى على ما فيها من القلاقل ؛ وإذا لم تنجح تلك الوسائل السلمية فسوف تتفق انجلترة والدول على ما تراه هى وفرنسا خير سياسة تتبع

وتحدث اللورد دوفرن سفير انجلترة بالآستانة إلى وزير الخارجية العثماني فى لهجة شديدة قائلاً : إنه إذا لم تعمل تركيا ما من شأنه أن يسهل على انجلترة خطتها فسوف تزيد انجلترة عدد القطع فى الإسكندرية وتطيل أمد بقائها جميعاً هناك

ولكن السلطان آلمه وأغضبه أن توجد السفن الفرنسية الانجليزية أمام الاسكندرية فلم يكف عن احتجاجه وإعلان سخطه مما زاد الموقف العام حرجاً وتعقيداً

وبينما كانت فرنسا وانجلترة تتبادلان الرأى على النحو الذى نذكر ، كان الحنق فى مصر على الخديو يتزايد يوماً عن يوم ، وما زال الناس فى قلق وخوف من موقفه ومشايعته الانجليز على هذه الصورة حتى وصلت السفن إلى الاسكندرية

ولقد أخذ بعض الناس على الوطنيين أنهم لم يخلعوا الخديو فى ذلك الوقت ويتصلوا بتركيا طالبين تعيين غيره ؛ والواقع أنها مسألة دقيقة ، فمن الناحية الوطنية كان الوطنيون يرون ضرورة خلعه ، وحجتهم أن السكوت معناه التفريط فى جانب الوطن ، ولكنهم من الوجهة الأخرى كانوا يرون أن عملهم هذا ينقلب وبالاً عليهم فى ظروف كتلك الظروف التى أذاعت فيها أوربا عنهم المزعجات من الشائعات

وفى هذه الآونة حدث فى صفوف النواب ما نخجل أشد

الخجل من ذكره ، فقد انحاز كبيرهم سلطان إلى الإنجليز وشايعه عدد منهم ليس بالقليل ولم يكن للوطنيين من عاصم فى تلك المحنة إلا الاتحاد والثبات فكأنما تأبى الأيام إلا أن تجعل من أبناء مصر بعضهم لبعض عدوا ، وكأن ذلك لكثرة ما تكرر من طباعهم التى فطروا عليها ؛ ولطالما نكب هذا الشرق المسكين بتخاذله وانقسام أبنائه بعضهم على بعض مع أنهم يرون الظالين الطامعين فيهم من أهل الغرب بعضهم فى الكيد لهم أولياء بعض !

وكان انحياز سلطان والمستضعفين من النواب معه إلى الخديو أولى ثمرات المظاهرة البحرية ؛ فإن سلطانا حينما علم بها من الخديو فكر وتدبر ورأى أن المستقبل للخديو ؛ فلما حضرت السفن اطمأن إلى الخديو وآثر أن يبادر بالانضمام إليه لتكون له الحظوة والمكانة عنده وعند الإنجليز أولى الجاه والبأس ؛ وأمثال سلطان هـذا إنما يعملون لأشخاصهم فحسب ، وعلى ذلك فهم عبيد القوة وإن تعاظموا، وهم أضعف الناس وإن تطاولوا، وهم أحرص الناس على المادة وإن تظاهروا بالنبل والعفة ، وهم إنما يدلون بجاه من يستكينون إليهم إدلال الخادم بسيف سيده

ونشط ماليت وأعوانه من جديد يذيعون أسوأ الأنباء عن مصر وعن عرابى وحزبه على وجه الخصوص ، حتى لقد وقف جرانفل فى مجلس اللوردات فى يوم ١٥ مايو يتوعد مصر ويتهدد ويصرح فى غير تردد ولا استحياء أن النواب والأمة جميعاً فى صف الخديو

وكان مستر بلنت لايزال يسعى سعيه فى انجلترة لصالح الوطنيين وكانت بينه وبين عرابى مراسلات برقية قبل تصريح جرنفل يؤكد فيها عرابى الهدوء والسلام فى مصر ، فلما أعلن جرنفل تصريحه أرسل بلنت إلى عرابى رسالة برقية بتاريخ ١٦ مايو يقول فيها : « قال لورد جرانفل فى البرلمان إن سلطان باشا والنواب قد انضموا إلى الخديو ضدك ، فإن كان هذا القول غير صحيح فاطلب إلى سلطان باشا أن يرسل إلى تكذيباً ، وإذا اتحدتم فلا تخشوا شيئاً . . . ألا يمكنكم أن تؤلفوا وزارة يكون سلطان رئيساً لها ؟ وعلى كل حال عليكم بالثبات »

وأرسل هذا الرجل الحر إلى سلطان باشا فى نفس الوقت برقية هذا نصها : « أعتقد أن جميع أولئك الذين يحبون مصر يجب أن يتحدوا فلا تتشاجر مع عرابى . إن الخطر عظيم » كما أرسل إلى كل من بطرس باشا وأبو يوسف ومحمد باشا الفلكى هذه البرقية « هل الحزب الوطنى مع عرابى الآن ؟ الحكومة الإنجليزية تدعى أنه ليس كذلك . إذا ذهب اتحادكم ضمنتكم أوربا إلى أملاكها »

ووصلت هذه البرقية أيضاً إلى الشيخ محمد عبده والشيخ المجرمى وعبد الله أفندى نديم

وجاء بلنت رد سلطان فإذا به يقول : « لقد زال الخلاف الذى كان بين الخديو وبين الوزارة ولم يبق له أثر . وكلنا متفق على المحافظة على الأمن والسلام وعلى مناصرة الوزارة الحاضرة »

وتلقى كذلك مستر بلنت برقية من الشيخ الأمبابى شيخ الجامع الأزهر نصها : « من الشيخ الانبابى شيخ الإسلام . سوى الخلاف بين الوزارة والخديو، والحزب الوطنى راض بعرابى، والأمة والجيش متحدان »

وكتب الشيخ محمد عبده إليه أيضاً مثل هذا المعنى .

(يتبع) **الخفيف**

من نار الفراق

قبلما يتمرد القلب!

«سأغضب، فاخشى غضبتي، إن نارها
بقلبي بركان خفي معربد»

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

١ – الغضب المتاع ...

سأغضبُ ... لا أجفو، ولا أتمرّدُ
ولكنْ ضبابٌ سوف يَبكي له الغدُ!
سأغضبُ... لا أسلو! وكيفَ؟! وإنما
حبيبُكِ تُضنيه الجراحُ فيزهدُ
ويزهدُ لا عنْ نور عينَيْكِ ... إنما
أغاني الهوى للقصر تبلى وتنفدُ
ويُصبحُ شاديكِ المعذَّبُ غنوةً
مكبَّلةَ الأنغامِ لا تتنهّدُ
خريفيّةَ الأحلامِ، قبريّةَ الصدى
بها الحبُّ مخنوقُ الشعاعِ مقيَّدُ
تولولُ في صمتِ الدموعِ كأنها
عزيفُ الليالي... لا ربابٌ، ولا يدُ!
سأغضبُ... فاخشى غضبتي! إنّ نارها
بقلبي بركانٌ خفيٌّ معربدُ
إذا نارَ... يا ويلَ الهوى! ويلَ صفوِهِ
إذا هبَّ إعصارُ الملالِ المبدِّدُ
ويا ويلَ ما غنّتْ لكِ الروحُ شعرَها!
سيصمتُ بي هذا العذابُ المغرِّدُ
وتشملُ أوتاري بخمرٍ شقيّةٍ
على كأسِها جنُّ الأسى متمرِّدُ
سقى كرمَها دمعُ الثكالى، وهزَّها
أنينٌ على ليلِ الحزانى مردَّدُ
فإنْ رُمْتِ تغريداً لحسنكِ لقّني
جنوني، وأعياني السكون المشرَّدُ
ويبدو إلهُ الحسنِ في عزلةِ الهوى
فلا الحسنُ معبودٌ، ولا الصبُّ يعبدُ..
سأغضبُ ... لكنْ غضبةَ الزهرِ حينما
يجافيهِ ظلٌّ في الهجيرِ ممدَّدُ
سأغضب .. لكن غضبةَ اللحنِ حينما
يدفُّ به في قفرةِ السمعِ منشِدُ
سأغضب يا نبعَ الرضا وظلالَهُ
ويا مَنْ إليها جذوتي تتوقّدُ
تخفّي إلى أياميَ السودِ، وامسحي
جبيناً على كفّيكِ كم راح يسجدُ!
وزُفّي خطاكِ البيضَ إلى بنورها
إلى واحتي الكبرى أسيرٌ وأرشدُ..

٢ – النوبة الكبرى

[القبلة! ...]

... وأبعدُ آفاقِ الهوى منكِ قبلةٌ
هيَ الخلدُ أو في حبّنا هيَ أخلدُ
بقيّةُ آمالي من الكونِ طيفُها
أبيتُ له مِنْ لوعتي أتهجّدُ
نشيدةُ أحلامي من الحبِّ، دونَها
وعمري كعصفِ السافياتِ يبدّدُ
فهاتي لروحي خمرَها وجنونَها
فما بسواها مهجتي تتعبّدُ
هيَ التوبةُ الكبرى لجسمي إذا غدتْ
به نشوةُ الآثامِ ترغي وتزبدُ
فلا تحسبيها في الشفاه ... وأقبلي
بثورتها... فالعمرُ أوشكَ ينفدُ!

***

« سأغضب ... لا أجفو! ولا أتمرّدُ
ولكنْ ضبابٌ سوف يبكي له الغدُ »
« تخفّي إلى أياميَ السود، وامسحي
جبيناً على كفّيكِ كم راح يسجدُ! »

(القاهرة) محمود حسن اسماعيل

كلمة ولوع

للأستاذ خليل شيبوب

غريبةٌ هذه الحياةُ   وكل ما فى الورى غريبُ

يا هند ما بال مقلتيك   ملؤهما الدمع والصفاء
كأنما تحت حاجبيك   من الدجى النجم والضياء
فكفكفى الدمع لا عليك   تبتسم الأرض والسماء
هذا فؤادى يجثو لديك   عبادة والهوى ضروب
غريبة هذه الحياة   وكل ما فى الورى غريب

لما سكرنا من التصابى   صرنا بأمنٍ من الوجلْ
نحن حسبنا الهوى يحابى   قلباً بقلبٍ قد اتّصل
فضاع ما كان من حساب   وخاب ما كان من أمل
الموت أشفى من بعض ما بى   لو أنه حاضر قريب
غريبة هذه الحياة   وكل ما فى الورى غريب

نحن اجتمعنا ثم افترقنا   وهكذا العمر ينقضى
الحب نار بها احترقنا   والنار تفنى وإن تُفى
بنا اشتفى من لو اتفقنا   ما كان يرضى فلا رضى
براقب السُّمّ قد شرقنا   به ولا يشعر الرقيب
غريبة هذه الحياةُ   وكل ما فى الورى غريب

ما قيمة الكون والبرايا   فى عالم بارز الرؤى
لعلها هُيِّئَتْ ضحايا   لعالمٍ آخر نأى
وإنما هذه الرزايا   أوجَعُها الحب مخطئا
حسبت فى نوره هدايا   إذاً ضلالى فيه مريب
غريبة هذه الحياةُ   وكل ما فى الورى غريب

يا هند إنى فقدت رشدى   سامحك الله فى رشادى
أضعته فيك وهو عندى   أعز فى العين من رقادى
يا حبها ما نقضت عهدى   لها ولا حُلْتُ عن ودادى
أدعوكِ هنداً وأى هند   أدعو ولا سامع مجيب
غريبة هذه الحياةُ   وكل ما فى الورى غريب

نحن ضيوفٌ على الزمان   منزلنا الليل والنهار
وما لنا فيه من أمان   ولا لنا فيهما قرار
من تحتنا لُجّةُ المكان   وفوقنا لُجّةٌ تُدار
وعمرنا شرٌّ ما نعانى   فداؤنا ما له طبيب
غريبة هذه الحياة   وكل ما فى الورى غريب

(الاسكندرية)   خليل شيبوب

العودة ...

للأستاذ العوضى الوكيل

تَعودين لى... حبّذا أن تعودى   وأن تصِليني بعيْشٍ جديدِ
تعُودينَ أروعَ ما عادَ لى   ربيعٌ تحلَّى بزاهى الورود
تعودينَ مُشْرقةً فى الضميرِ   ورائعةً كمانى القصيد ...
وفاتنةً كبناتِ الخيالِ   وآخذةً بعِنانِ النَّشيد
تعودينَ لمحةَ طرْفِ الهيف   ونبضةَ قلبى المشُوقِ العميد
تعودين أنساً لذى نُفْرَةٍ   يَقِرّ به بعد طولِ الشُّرُود
وراحةَ ذى سفرٍ مُجهَدِ   يميل لها بعدَ مُضنِى الجهود
كأنّ النوى سَفرٌ فى الهجيرِ   بصحراء ما إن لها من حدودِ !

تعودينَ . . . رُبّتَمَا عودةٍ   تَبُثُّ بشعرى معانى الخُلودِ
فكم قَبْسةٍ منك فى طَيِّه   وأخرى بروحى عندَ الوَصيد
أهمُّ لأُلقِيَها فى الحروفِ   فتمضيا بها لَهجاتُ الوُجود
فأحبسها فى دمِى نَشْوَةً   وروحى تهتف: هل من مزيد؟

تعودينَ . . . رُبّتَمَا عودةٍ   تُضاعف إحساس قلبٍ رشيد
فيخلُقُ فيك المعانى العِذاب   وينظمها فى النُّضارِ النَّضيد
ويُخصِبُ فى القولِ إخصابَهُ   ويرفَعُ فيه رفيعَ البُنودِ ...
ويُنهِلُ منْ شاء منْ وِرْدِهِ   ولا من ورودٍ كهذا الوُرودِ !

تعودين... يا حسنَ أُنس اللقاء   حُفّ بِثغرٍ ذَوِيّ وجيدِ
ألا فأطيلى الزمانَ القصيرَ (م)   نَتَنَمّهُ بعدَ يأسٍ شديدِ
ومُدّيه مَدًّا ولا تبخلى   على ذلكَ الطامعِ المستزيدِ !

(دماس — دقهلية)   العوضى الوكيل



دراسات فى الفن :

الحـــــرب والفن

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

الشعوب المحاربة بطبعها هى الشعوب التى تسكن الصحارى والمراعى ، وما يشبه الصحارى والمراعى من الأرض القاسية على أبنائها التى لا تجود عليهم برزق كاف أو رزق منتظم ، فيحملهم الفقر على هجرة أرضهم والإغارة على أرض غيرهم لينهبوها ويعودوا إلى أرضهم، أو ليغتصبوها ويستوطنوها سادة لأهلها. فإذا اطمأنوا فى أرضهم الجديدة فإنهم على مر الزمن قالعون عن طبعهم داخلون فى طبعها فلا يبقى لهم من نزوعهم إلى المحاربة إلا ما سمحت به

أما وهم على طبعهم الميال إلى الحرب فإن فنونهم تكون مما يلائم حياتهم . وهم فى حياتهم رحالة ، فقراء ، مقاتلون ؛ وقلقهم الدائم الذى يضطرهم إلى الهجرات المتتابعة لا يخلق عندهم الفنون التى تحتاج إلى أدوات ثقيلة ، وإلى مكان تسكنه . لهذا لم يكن عند القوقاز تماثيل ولا صور ، ولهذا لم يكن عند العرب موسيقى مما يستلزم عزفها الأدوات الثقيلة التى تزحم المحارب فى المحارب .

ولهذا لم يكد يكون عند الشعوب المحاربة من الفنون إلا الشعر والغناء والرقص

أما فقرهم فيصبغ روح الفن نفسها ، فهو يخلق فيهم حباً للمال كما يخلق فيهم زهداً فيه . فهم يحبونه لأنه دليل على البطولة الواجبة للحصول عليه لأنه لا يستخلص إلا بالحرب والمجاهدة؛ وهم يزهدون فيه لأنه ليس دليلاً على شىء من هـذا ، فقد يبذل الكريم ماله للمحتاج حتى يفتقر فلا يأسف على ضياعه ولا يمكنه أن يعلن حسرته عليه إلا إذا أراد أن يمرض بأهله وأن يتهمهم بالتخلى عنه حتى ليستشعر الذل ، أو إذا كان هذا الفقر نتيجة لكارثة لم يكن للإنسان يد فى صدها كالطوفان أو الحريق

ودأبهم على المقاتلة يشارك هـذا الفقر فى صبغة روح الفن كذلك ، إذ يخلق لهم مُثلاً علياً من البطولة ، والشجاعة، والكرم والسماحة ، والمروءة ، والعزة ، واحترام الكبير صاحب التجارب مهما هرم وضعف ، واحترام الصغير الضعيف ، واحترام المرأة العاجزة ، إلى غير ذلك من أخلاق الفتوة والفروسية .

ومن أبرز ما تخلقه الطبيعة فى نفوس هؤلاء المحاربين : شدة الإيمان بالقضاء والقدر، وبإسراع هذه الحياة إلى الذهاب ، وبهوان شأن هذه الحياة نفسها ؛ فيخلق هذا فى فنونهم إلى جانب عنفها الأصيل ، روحاً من المرح والمجون والاستخفاف الذى يشبه الطيش أحياناً ، تشجيعاً لهم على الحرب ، وتعزية لهم بين الحرب والحرب .

ويظهر هذا فى الشعر ، كما يظهر فى الغناء، وكما يظهر فى الرقص

أما الشعر ، فتكاد لا تخلو قصيدة جاهلية مما يدل على طبيعة العرب الأولى من ذكر النساء والخمر ، والعبث ... فوق أساسها القائم على الفخر وتعداد المآثر ، ودلائل البطولة ، وأيام النصر

وأما الغناء فلم تجد به الطبيعة على العرب إلا لينفس به أفراد عن خوالج ذواتهم . وذلك أن الطبيعة فى بلاد العرب تكاد تكون بكماء لا تعلم الآذان إلا حسن الإصغاء إلى الصمت ، وذلك على خلاف أوطان القوقاز التى تشارف البحور من بعض أطرافها ، وللبحور أصوات ، والتى تنطوى على الجنات الصغار فى بعض أنحائها ، وفى هذه الجنات مياه وأطيار وأشجار ودواب ، ولكل هذه أصوات ، والتى قد تهب فيها على هذه الجنات نسائم ، وقد تهب رياح ، وللنسائم همسات ، وللزوابع صرخات ؛ وقد تعلم

القوقاز من شدو الطبيعة هذا غناء أوفر مما تعلمه العرب ، فكان لغنائهم ألوان للأفراد ، وألوان للجماعات ، وألوان أخرى لشتى المباهج والأحزان ، وألوان طاوعتهم فى التعبير عن أنفسهم وما فى أنفسهم من الحماسة والفخر والبطولة ... وإلى جانب هذا ، فإن فى غناء القوقاز ما يقوم دليلاً على حبهم للنساء والخمر والعبث

وأما الرقص ففيه هذا كله أيضاً ... فهو رقص بالخناجر والسيوف . وهو ليس إلا تمثيلاً للحرب، فيه من عنفها وحدتها كل عنفها وحدتها ، لا يخففها شيء إلا ما يذكره المحاربون دائماً وهم فى « أوقات الفراغ » من جمال النساء ، وحلاوة الخمر ، وبهجة العبث .

فالراقص العربى والراقص القوقازى يكران ويفران ، ويضربان ويطعنان ، ولكنهما مع هذا يتثنيان ويتخلعان رشاقة وتلطفاً إرضاء للمرأة ، كما يرتشفان الهواء وهما يرقصان ثم يترنحان سكراً أو تمثيلاً للسكر ، كما يهزلان ويخلطان عبثاً ومزاحاً ومجوناً

هذه هى فنون الحرب فى الشعوب المطبوعة على الحرب وهى منطلقة بفطرتها فى براح الأرض .

وعند ما تستقر هذه الشعوب تبدأ فيها فنون الاستقرار ، فينشأ الرسم والنحت والخط والعمارة والتمثيل ... ولعل أقرب مثل لهذه الشعوب هو الشعب التركى ، فإنه لم تنشأ عنده هذه الفنون الأخرى إلا عند ما اطمأن فى أوربا ، أما قبل ذلك فقد كان الشعب كله جيشاً ، والجيش لا يملك أن يستقر لفن ما . ولم يظهر النحت فى الحضارة التركية العثمانية لأنها كانت حضارة إسلامية ، ولأن المسلمين ظلوا زمناً طويلاً وهم يكرهون النحت لصلته القديمة بالوثنية الجاهلية التى أقام العرب فيها الأصنام ليعبدوها محاكاة لما كانت تفعله المدنيات التى كانت تطوق جزيرتهم . فالنحت ليس من فنون المحاربين ، ولذلك فإننا لا نراه عند القوقاز الذين لم يتسرب إليهم مثلما تسرب إلى العرب من رشح المدنيات

وعند ما تحارب الشعوب المستقرة بعضها بعضاً ، أو عند ما تصد هذه الشعوب غارة الثائرين عليها ، تكف العمارة ، ويكف النحت. وقد كان للرسم أن ينام أيضاً لولا أن الطباعة تمهد له الانتقال الذى يلائم الحرب. وقد كان للتمثيل أن يهدأ كذلك لولا أنه ينقلب دعايات حربية . أما الشعر والغناء والرقص فهى فنون الحرب التى تستطيع مصاحبتها ومعاشرتها فى كل حين .

والعمارة تكف لأن الحرب تهدم القائم المبنى فيما مضى ، وهذا لا يشجع على البناء الجديد ما دام البناء عرضة للهدم ، والنحت يكف لأن صاحبه لن يجد عند ما ينشغل الناس بالحرب من يزوره ليقرأ السلام على تمثاله ، والرسم ليس من فنون الحرب الطبيعية لاستلزامه السكان والأدوات الثقيلة ، وكذلك التمثيل ، بل إن التمثيل يزيد على الرسم امتناعاً فى الحرب لأنه يستلزم بطبعه كثيراً من الهدوء والاستسلام إلى حادثات الزمان ليستخلص منها موضوعات ، والهدوء فى الحرب منعدم ، ولا حوادث فى الحرب إلا هذه المآسى ذات اللون الواحد والطابع الواحد ، وهى مما يحسه الأفراد العاديون إحساساً لا يمتاز عليه إحساس الفنانين امتيازاً كبيراً ، وهى مما يعبر عنه الناس فى كل ساعة بأقوالهم وأفعالهم فهم فى غنى عن ترديده وترجيعه فى رحاب الفن

ولكن الرسم أنقذته الطبعة فمكنته من الحياة فى الحرب ، والتمثيل استعانته الدعاية فأعانها وإنه لقدير على نجدتها

والرسم والتمثيل فنان ، وهما لا يستطيعان متى تيقظا أن يستعصيا على دوافع الحياة ومؤثراتها فلا بد أن يخضعا لما تخضع له فنون الحرب من هذه الدوافع وهذه المؤثرات . ولا بد أن تدب إليهما ما تخلقه الحرب فى الأحياء من الحماسة والفخر بالبطولة والفتوة وسائر فضائل الحرب ، كما يجب أن يشيع فيها الميل إلى النساء والخمر والعبث . فهذا الموكب من الأحاسيس هو الذى تتجند له البشرية فى الحرب

والعالم اليوم فى حرب ، فهل ستنطبع الفنون بهذا الطابع الذى تبصمها به الحرب ؟

قد كان العالم فى حرب منذ ربع قرن . ولقد حدث أن تأثرت الفنون بالحرب ، فتوقفت العمارة والنحت ، وانتعش الشعر بروح الحماسة التى استطاعت بقدرة الله أن تصل حتى إلى مصر وإلى أمير شعرائها المترف المرحوم أحمد شوقى بك فقال :

بنى مصر مكانكمو تهيا فهيا مهدوا للملك هيا
خذوا شمس النهار له حلياً ألم تك تاج أولكم مليا ؟

... ومع أن الشعب لم يكن يفهم هذا الكلام « النحوى » فقد أساغه فى لحن صاغه له فرد من أفراده كان فقيهاً يقرأ القرآن فى المقابر ، وكان فقيراً يستعين على الحياة فى محنته بدهن الجدران وطلائها ، وكان يغنى فى المواخير حيث كان يستطيع أن يجد من لا يتكبرون على الاستماع إليه وهو المرحوم الشيخ سيد درويش الذى غنى هذا النشيد بين عشرات الأغانى الملتهبة الأخرى

وكما انتعش الشعر بهذه الروح الحماسية : سواء منه العربى والمصرى الدارج ، فقد انتعش الغناء بها فى العالم كله وفى مصر أيضاً بفضل سيد درويش كذلك ، ولم يبرأ الغناء فى العالم كله ، ومصر محسوبة فى العالم ، من الإسراف فى ذكر النساء والخمر والعبث

أما الرقص فقد جن جنونه فى الدنيا ، وكف الراقصون عن التانجو والفالس والفوكس تروت ، وعفرتهم الشارلستون وأمثالها من الرقصات المجنونة المكهربة التى انتشرت فى العالم على أثر هدأة الحرب ، والتى أخذها العالم عن الجنود الذين اقتبسوها من زملائهم المحاربين الزنوج الذين كانوا يجمعون من المستعمرات ، فرأوا فيها ما كانت تنزع إليه أجسامهم من الترنح والنزق . وقد مهد لهذه الرقصات الشعواء عند الناس حال النشاط الخارق وتوتر الأعصاب الذى استولى عليهم فى الحرب

أما الرسم فقد سخرته الحرب ، فكان من أقوى وسائل الدعاية فيها ، وازدهر منه الكاريكاتير الذى يحتمل سخرية الخصوم بالخصوم ، والذى ينفسح لكل خيال يحلق إليه الرسام

ومع هذا فلم يخل رسم الحزب من النساء والخمر والعبث ، فقد انتشرت فى الحرب العالمية الماضية صور النساء العاريات ، والرجال العراة ، كما ذاعت نكات السكارى المصورة وغيرها من النكات...

وكذلك التمثيل فقد احتضنت منه الدعاية جانباً كما احتضن منه المجون جانباً ، فشارلى شابلن ، وربجيدان ، وكشكش بك ، والبربرى عثمان ، كلهم من مواليد الحرب ، وقد كانوا جميعاً فى تمثيلهم يؤدون واجب الدعاية لأوطانهم وجيوشهم ، كما كانوا جميعاً يروحون عن الناس بتهريجهم . وإذا كانوا قد مثلوا شيئاً بعد الحرب فإن طابع الحرب ظاهر فيه إلى مدى بعيد ، فالعالم لم يستطع أن يتحول بشموره عن حالة الحرب إلا بعد وقت طويل من خمودها .

والذى يتابع روايات شارلى شابلن يرى أنها أخذت تتخلص شيئاً فشيئاً من التهريج المناسب للحرب ، وتذهب شيئاً فشيئاً إلى نقد الحياة الإنسانية فى جوهر نفسها وفى مظاهر اجتماعها حتى كانت روايته الأخيرة «العصر الحديث» نقداً عاماً للانسانية عامة .

ولكن شارلى لا بد أن يعود إلى فن الحرب منذ اليوم . بل لقد أعلن العالم بروايته «الديكتاتورية» التى سيقارع بها ألمانيا وهتلر والتى أعتقد أن أثرها فى النيل منهما سكون أعظم بكثير من حملة تجردها جيوش كثيرة عليهما ... فإن هذه الرواية ستكون حملة يقود فيها شارلى شعبه الهائل الذى يكاد يشتمل أفراد الإنسانية جميعاً .

وكذلك من يتابع روايات نجيب الريحانى يرى أنها كانت فى أيام الحرب دعاية وبهجة وتهريجاً وعرضاً موسيقياً اتسع لثلاث زعامات فنية : هى زعامة نجيب الريحانى ، وزعامة بديع خيرى ، وزعامة سيد درويش ... ثم أخذ مسرح الريحانى بعد ذلك يهدأ قليلاً قليلاً ، حتى مثل الريحانى فى السنوات الأخيرة كوميديات تكاد تكون درامات من كثرة ما فيها من الجد إلى جانب الهزل ، ومن وضوح الهدف الخلق الذى كانت تنطلق إليه . فقد كان الريحانى أخيراً زعيما مصرياً اجتماعياً مصلحاً ، هو وشريكه بديع

وأجد الحق يجبرنى على أن أشهد بها لله أن مسرح الريحانى هو البيئة الفنية التى تماشى الحياة الطبيعية فى مصر أكثر من غيرها

ولا بد أن يتغير الريحانى فى الحرب . ولكنه فى هذه المرة لا بد أن يرتقى عما كان عليه فى الحرب السابقة ، ولا بد أن ينثر الدعاية والتهريج الأصيلين بين درر من موسيقى زكريا احمد وفن الجد ، وإن له فى شارلى شابلن أستاذه أو زميله الكبير أسوة

فإذا كان حال الفنون فى الحرب العالمية الماضية هو هذا الحال الذى رأيناه فسيكون إذن حال الفنون هو هذا الحال نفسه فى هذه الحرب العالمية القائمة إذا طال أمدها وتمكنت مؤثراتها من النفوس؛ وستكون هذه هى الحال فى فنون الدنيا كلها ، فإذا لم تظهر مثل هذه الفنون فى مصر فإن مصر إذن خالية من الفنانين ...

وكل هؤلاء الذين يقولون نحن ونحن ... عليهم أن يقروا فى المخابئ وعلى أفواههم الكمامات ... فهذا هو مجال الفن إذا كانوا يحسون أثر الحرب

— فإذا لم يكونوا يحسون الحرب ؟ !

— فقد يحسون القيامة ... فصبراً إلى يوم يبعثون !

عزيز أحمد فهمى


تناولوا
الشاى
المثلج
فى
فصل
الصيف
منعش مرطب
للجسم مفيد
للصحة
طريقة عمله
خذ شايا ثقيلاً واسكبه على مبشور الثلج ثم اضف
اليه السكر والليمون او اللبن حسب ما يلائم ذوقك
الشاى الجيد وارد الهند وسيلان وجاوه وسومطرا



لحظات الالهــــام

فى تاريخ العــلوم

تاليف مريون فلورنس لانسنغ

٢ – عصر النار

منذ عصور طويلة أدرك الإنسان وجوده فى هذه الدنيا . ومع أنها وطنه ووطن أبنائه وأحفاده إلى مدى أجيال لا عداد لها فإنه كان غريباً فيها ، وكان عليه أن يتعرف على كل شيء بها .

وكل طفل يولد فى هذه الدنيا يولد غريباً ، حتى فى داره . فالوليد يتعرف فى بطء على الحجرة التى يقيم فيها ، ثم على الطريق الذى به مسكنه ، وعلى أبيه ، وأمه ، وإخوته ، وأخواته ؛ ويتبين فيما بعد أنه يستطيع المشى ، وأنه يستطيع الكلام !

وفى يوم ما ينتقل من هذا العالم الصغير عالم الدار إلى المدرسة فيجد دنيا أوسع من التى عرفها من قبل . وربما سافر بعد ذلك فعرف عن دنياه أكثر وأكثر

ومهما يؤد المرء من عمل فإن غيره قد هيأ له سبيله فسهل عليه تناوله ، فعند ما يتقدم الصغير فى السن ويريد أن يشيد لنفسه منزلاً فإنه لا يحتاج إلى تعلم صناعة ابتناء المنازل فإن تلك الصناعة معدة متهيئة لما يقع عليه اختياره، وليس على من يريد التخاطب بالمسرة أن يخترعها ، بل يدعو الإخصائيين فيضمون الأسلاك فى منزله . وتنقل إليه الصحف واللاسلكية والصور المتحركة أخبار العالم وتخبره الكتب عن جغرافيته وتاريخه ويتهيأ العالم بسائر الوسائل العلمية

ومن بواعث السرور لنا نحن الذين وجدنا حياتنا مريحة ميسرة ممتعة أن نتعرف على الرجال والنساء الذين هيأوا لنا العالم هذه التهيئة إنهم أناس عاشوا فى هذه الدنيا قبل أن نوجد بها ، وعاشوا فيها فى عصور بعيدة مظلمة . وليس فى وسعنا أن نعرف شيئاً عن فريق منهم إلا بواسطة ما تركوه لنا من الأشياء كالأسلحة الحجرية والنقوش المرسومة على الكهوف ومعابد الآلهة . ومن هؤلاء الرجال فريق آخر عاش فى عصر الأقاصيص والسير حين كانت أعمال الإنسان تنقل أخبارها إلى بقاع الأرض بالحديث الشائع الذى لا يدرون كتابته

ومنهم فريق ثالث عاش فى بداية العصر التاريخى ، وفريق عاش فى القرون الوسطى، وآخر عاش فى بضع المئين الأخيرة من السنين ، ولا يزال فريق غير هؤلاء يعيش بين ظهرانينا إلى الآن

لم يصل إلى الناس أى جزء من المعرفة إلا بواسطة استكشافه على يد إنسان . وقد كانت الأرض التى وجد الإنسان الأسبق نفسه فوق ظهرها حافلة بالكنوز كما هى اليوم ، ولكنه لم يستطع استكشاف كنوزها لنفسه فلم تفض إليه بأسرارها ، وكان عليه أن يتعلم إيقاد النار وإذابة الحديد الواشج بالصخور ، وكان عليه أن يعرف مقاييس الزمن وأن يستخدم البوصلة فى تسيير السفن، وكان البخار والكهرباء ينتظران استكشافهما على يده ، والفحم والنفط لا يزالان مدفونين فى باطن الأرض قبل أن يستخدمهما فى إدارة الآلات

وكان إنسان العصور السابقة يستطيع لكل هذه العناصر أن يأتى بالعجائب ولكن كان لا بد له قبل ذلك أن يستكشفها ، وأن يعرف مزاياها .

وبسبب الحذق الذى أبداه الإنسان فى أعماله أصبح اليوم غير غريب عن دنياه ، وليس ذلك فقط ، ولكنه أصبح السيد المنتصر فى الدنيا

لقد اجتاب على مدى قرون طريقاً طويلاً جبلياً فأصبح هذا الطريق مهيعه إلى النصر

وكما أنه لا بد أن يوجد دائماً رجل مشغوف بالمخاطر منتج من شأنه أن يضيف جزءاً من المعرفة إلى كنوز المعرفة وإلى الذهن الإنساني، فكذلك توجد دائماً لحظة في حياة كل رجل من هؤلاء الرجال هي التي يتبين فيها حقيقة جديدة تدفع إلى عمل شيء يجعله ويجعل جيرته أحكم أو أرغد أو أغنى أو أسعد. هذه هي اللحظات التي تدور حولها قصصنا هذه

إن العلم معرفة من المعارف الإنسانية وقد نمت المعرفة الإنسانية بما في الأنفس من نزعات ونابة جوالة جوابة، ومثل اللحظات العظيمة في حياة العلم على مدى العصور كمثل لحظات الإلهام والنصر في حياة الفرد، وفي هذه اللحظات يظهر الإنسان وهو المخلوق الذي ميزته الروح والعقل بمظهر الانتصار على دنيا المادة

سر صنع النار

كما يرويه أهل الجزر في المحيط الهادى

منذ أجيال طويلة، كان أبناء الفناء لا يزالون حديثي العهد بسكنى الأرض، ولم يكن أحد منهم ليعرف سر صناعة النار، ولم يكن يعرف ذلك السر إلا آلهة العالم السفلي.

وكانوا يتولون حراستها دائبين خشية أن يعلم الإنسان ذلك السر، فيصبح من الحكمة في مستواهم. وقد كان موطن النار في العالم السفلي كما يعرف ذلك كل من رأى دخانها المتصاعد من فوهات البراكين. ولكن كان من الصعب تعرف الطريق إلى ذلك العالم، لأن الرقباء كان كثيراً عددهم على أبوابها.

وحدث مرة أن أقام بين الفانين في العالم العلوي شاب اسمه ماوى؛ ومع أنه فان كسائر من على ظهر الأرض، فإن أبويه كانا يعيشان في العالم السفلي بين آلهته، وكانوا يترددون إلى الأرض للقيام بمهام الآلهة.

وكانت أم ماوى واسمها «بوراتا تنجا» إذا أتت لزيارته أبت أن تؤاكله، وكانت في ذهابها ومجيئها تحمل سلة أتت بها من العالم السفلي، وهي تتناول الطعام على انفراد مما في تلك السلة. وفي أثناء نومها يوماً نظر ماوى إلى ما في السلة، وأخذ منها طعاماً، فذاقه، فوجده أفضل من كل ما ذاقه إلى الآن. ومع أنه كان من نوع سائر الطعام، فإن به شيئاً يجعله أفضل منه.

وعلم ماوى شيئاً عن النار وعرف أن الآلهة يطبخون الطعام على النار التي يصنعونها، فأصر على أن يملك النار ما دامت تجعل الطعام من الجودة كما رآه. وأصر على مراقبة أمه سراً عند عودتها، وعلى أن يخاطر بالذهاب إلى العالم السفلي ليحظى بهذه الهبة الغالية

واقتفى ماوى أثر أمه وأفلت من الحراس عند الأبواب الأولى؛ أما عند بعض الأبواب الداخلية فقد كان عليه أن ينتظر طويلاً حتى يتبدل الحراس ليتمكن من الدخول أثناء اشتغالهم بالكلام

لكنه وصل بعد مخاطرات كثيرة إلى منزل أمه وقال لها: إنه غير راغب في العودة إلى العالم الأرضي حتى يعلم سر صناعة النار

قالت الأم: «ولكنني لا أعلم هذا السر ولا يعلمه أحد غير إله النار وهو لا يفشيه. ومتى احتجت إلى نار جديدة فإني أذهب إلى أبيك «بو» وهو يذهب إلى إله النار ويطلب إليه منحه جزءاً من الخشب المحترق

قال ماوى: «إذن فسأذهب إلى إله النار وأطلب إليه تعليمي سرها»

فبذلت بوراتا تنجا كل ما في وسعها لتبعد ابنها عن إله النار لخشيتها أن يصاب ابنها الفاني في العالم السفلي. ولكن ماوى أصر على الذهاب وسأل عن موطن إله النار فدلته أمه على الطريق وكان اسم مسكنه «بيت شجر الموز»

وقالت له حين هم بالذهاب: «احترس يا ماوى فإن إله النار قوى جداً وقد يشتد به الغضب»

وذهب ماوى إلى بيت إله النار وعرفه للحال عند ما رآه لكثرة الدخان المتصاعد فوق سطحه

وكان إله النار مشغولاً بطبخ طعامه، ولكنه وقف وسأل ماوى عما يريد

قال ماوى: «أريد جذوة من النار». فكان جواب إله النار — وهو يعود إلى الطبخ —: «لن ينال أحد الفانين جذوة من النار»

قال ماوى: «إن الفانين في حاجة إلى النار، وإنه قطع كل هذه المسافة أملاً في الحصول عليها» فقال الإله وقد ولاه ظهره: «لقد علم الفانون ما فيه الكفاية، ولو عرفوا النار أيضاً لصاروا آلهة»...

وعاد ماوى حزيناً لأنه رأى إله النار لن يعلمه هذا السر . ولكنه عزم على البقاء مختبئاً بالقرب من منزل إله النار ليرى هل سيكون فى وسعه أن يعرف بنفسه سرها . ومع أنه طلب جذوة من النار — كما أخبرته أمه أن أباه يفعل — فإنه أدرك أثناء نظره إليها أن جذوة لن تكفيه لأنه لا يستطيع أن يستبقيها مشتعلة أثناء رحلته إلى الدنيا

واختبأ ماوى بين أشجار الموز وراقب إله النار وهو يغذيها فلما تعب وجاع أسعده الحظ وهو يكاد ييأس ويعود إلى بيت أمه، فمن خلال الفوهة الجبلية التى كان إله النار يرسل منها دخان ناره إلى العالم (حيث لا يزال الناس يرونه إلى هـذا اليوم) — من خلال هذه الفوهة انصب وابل من المطر ، وكانت نار هذا الإله تحت هذه الفوهة مباشرة . وكان اندفاع الماء شديداً فلم يجد الإله فرصة حتى ولا لأخذ جذوة منها فانطفأت النار قبل أن يجد متسعاً من الوقت للالتفات .

وكان إله النار فى البداية حاد الغضب فلم يستطع أن يفعل شيئاً سوى أنه لعن المطر الذى أطفأ ناره قبل أن ينضج طعامه أو يكاد . ثم التفت ليستوثق من أن أحداً ليس قيد النظر . ولكنه لم ير ماوى الذى كان على شجرة مشرفة على المنزل، ثم دخل حجرة أخرى وأغلق الباب ، وأخذ من بعض أركانها قدراً من ألياف مجففة من الـكاكاو وأخذ قدراً من ركن آخر نحو خمسة أو ستة من فروع الموز . وكان فى وسط الغرفة كتلة صغيرة من خشب صلب بوسطها تجويف

وكان ماوى يراقب باهتمام ما يفعله إله النار فوجده ينتقى فرعاً خفيفاً من فروع الموز ويفتله فتلاً محكماً ويمسك بقوة أطرافه المفتولة ويحكها بقاع الفجوة التى بالكتلة الخشبية

وكان فى أثناء فتله ينشد :

شجر الموز يا شجر	أعطنى منك ما استتر
جذوة منك تختفى	خلف غض من الثمر
أعطنى منك جذوة	حية تبعث الشرر

وفى هذه الأثناء رأى ماوى الدخان وقد بدأ يتصاعد من الفرع المفتول فى الفجوة ، ثم زاد تصاعد الدخان ، فلما رأى الإله تصاعد الدخان ألقى فى النار بألياف الـكاكاو . ودهش ماوى إذ رأى ناراً محرقة ساطعة

لم يضيع ماوى وقته سدى بل أسرع بالعودة إلى العالم وأخذ ألياف الـكاكاو وفروع الموز وكتلة من الخشب الصلب وبدأ يجرب العمل بذلك ليعرف هل يستطيع الحصول على النار

وقد استغرقت منه التجربة وقتاً طويلاً لأن صنع النار ليس بالعمل السهل . وستدرك ذلك إذا حاولته . ولكنه استفاد من تجاريبه علمه كيف يمسك بورقة الموز الجافة وكيف يفتلها وكيف يشتد فى حكا كها بالخشب

ولما وثق ماوى من أن النار تعيش فى شجر الموز وأن فى وسع أى إنسان أن يحصل على جذواتها — ذهب إلى رؤساء القبيلة فأخبرهم بذلك فجاءوا إليه خلسة وراقبوا صنعه النار

ومع أن بعضهم خافوا أن يحل بهم غضب الآلهة لأنهم تعلموا هذا السر غير المباح للفانين فإن أجرأ هؤلاء الزعماء طربوا لحصولهم على هذه القوة

بعد ذلك علم الناس أن النار تكمن فى الخشب ، وأنها تخرج منه طوع الإرادة ، وأن أحدهم يستطيع أن يصنع النار كما أراد فينضج طعامه ويدفئ نفسه

وكان يوماً عظيماً فى عمر الإنسان ذلك اليوم الذى عرف فيه كيف يصنع النار

(يتبع) ع . ا

من هنا ومن هناك

لغة الشفر وأثرها في الحروب الحربية

[من « فيلادفيا انكوايرار »]

من الوسائل الهامة في أيام الحروب فن كتابة الرسائل السرية. وقد ألف مستر فلتشر برات كتاباً جديداً بين فيه أصول هذا الفن منذ نشأ إلى أن ترقى وعم استعماله بين سائر الأمم.

ويقول مستر برات في كتابه سالف الذكر: «إن سائر اللغات المكتوبة «شفر» وليس لرموزها معنى في ذاتها، إلا أنها تكون ذات معنى حينما تترجم بطريقة يعرف سرها الكاتب والقارئ؛ وإذا كان هذا قد غاب عن أذهان الناس، فذلك لأننا نتعلم القراءة ونحن على أبواب الحياة»

ولكي نفهم ذلك تمام الفهم، يجب أن نرجع بأذهاننا إلى العصور الوسطى، فقد كان الذين يعرفون القراءة ندرة في تلك العصور؛ فإذا تسلم أحدهم رسالة، ذهب بها إلى شخص يعرف القراءة ليحل رموزها، كما نفعل حينما ترد علينا رسالة مكتوبة بالشفر في هذه الأيام.

وكان طبيعياً بعد انتشار القراءة أن تظهر الحاجة إلى لغة الشفر. أما لغة الأسرار الحربية في العصر الحديث فقد ظهرت الحاجة إليها متأخرة، ولم يصل فن الكتابة السرية إلى الدرجة القصوى من الأهمية إلا بعد نشوب الحرب العظمى. حتى أن كبار الضباط البريطانيين في حرب البوير كانوا يجدون سهولة في تبادل الرسائل باللغة اللاتينية التي تعد شفراً بالنسبة للبوير

وانتهى دور اللغة اللاتينية وبدأت محاولات كثيرة لوضع لغة سرية للميدان منذ سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩١٤ يراعى فيها البساطة وسرعة التلقين، وقد قامت كل من انجلترا وفرنسا وألمانيا بدورها في هذا الشأن

فلما أعلنت الحرب العظمى في ذلك اليوم من شهر أغسطس أذاعت ألمانيا في جميع أنحائها كلمة (ولد اليوم مولود) وكانت هذه الجملة هي الرمز الذي وضعته لكلمة الحرب، ومنذ ذلك اليوم والنصر والهزيمة معلقان بصدى كلمة تسمع من وراء الحجرات لمعرفة شيء من تلك الرموز

ومما يرويه مستر برات على سبيل المثال أن «فون كلوك» كان يقود جيشاً ألمانياً في مساء ٢ من سبتمبر ١٩١٤، فأصدرت إليه تعليمات بالمذياع ليحول وجهته بعيداً عن باريس، متجهاً إلى جنوب شرق فرنسا، فلم تصل إليه هذه الرسالة، ولكنها وصلت إلى الفرنسيين، حيث استطاعوا حل رموزها، وقد بادر الجنرال جوفر بتغيير الخطة التي كان قد وضعها، وتقدم الجيش الفرنسي من باريس إلى المارن حيث تم له النصر على الألمان

إن فن الشفر على جانب عظيم من الخطورة، وله المكان الأول من اهتمام الدول وقت الحروب. فالنصر والوقيعة بالأعداء حيث تكون أسرار الكتابة في طي الكتمان، وفناء الأمم وضياع العروش والممالك، حيث تفشى هذه الأسرار

ستالين يفضل الاتجاه نحو آسيا

[من مجلة « باريد »]

لم توضح بالكلمات الخطة التي وضعها ستالين ورفقاؤه لروسيا إلى الآن. ولكنها قد تتبين بالحركات والأعمال. ونستطيع أن نحكم بناء على ما نراه من حركات ستالين، أنه يصور روسيا دائماً كإمبراطورية شرقية عظيمة، يبزغ نجمها من آسيا

وكثيراً ما يعتقد في نفسه أنه مبعوث لبناء إمبراطورية أسيوية كبيرة، تعيد الحياة إلى الأصقاع المهجورة في سبيريا، وأواسط آسيا؛ وقد سار بخطى واسعة لتحقيق أمله هذا في عشر السنوات الأخيرة

وقد يرى ستالين أنه مرسل لخلق جيل جديد من الشرقيين، يجمع بين العنصر الأسيوي والعنصر الأوربي على تخوم روسيا وسياسة روسيا الخارجية كسياسة أميركا كلاهما مرتبط

بمجرى الحوادث فى أوربا وآسيا معاً . إلا أننا فى الوقت الذى نرى فيه سياسة أميركا تتحول شيئاً فشيئاً على يد الرئيس روزفلت من الناحية الأسيوية إلى الناحية الأوربية ، نرى مقاصد روسيا تتجه على النقيض : من الناحية الأوربية إلى الناحية الأسيوية

إن نظرة واحدة إلى الحالة فى أوربا تجعلنا نعذر ستالين فى اتجاهه نحو آسيا، أو على الأقل اتجاهه إلى ذلك الجزء من آسيا الذى يقع على تخوم روسيا : إذ أن المساحة الشاسعة التى تشتغلها روسيا الأسيوية ، وما تحوى من الموارد العظيمة لم يعرف تقديرها بصفة عامة

إن مطامع ستالين وعزيمته القوية لا تذهب إلى الاستيلاء عاجلاً على روسيا الأسيوية فحسب ، ولكنها تمتد إلى الأصقاع والأقاليم المتفرقة فى أواسط آسيا ، خارج تخوم روسيا الحالية ، حتى يكون للأجيال القادمة أرض جديدة يستغلونها بغير ثمن ، بعيداً عن منازعات الدول

ويملأ الدنيا رجال الدعاية الروسية بأن روسيا السوفيتية لا تميل إلى التوسع ، لأنها من الأمم الراضية القانعة . وهذا قول قد يبدو صحيحاً إذا أريد به أوربا ، فحكومة السوفييت تبدو قليلة الاهتمام باسترداد أملاكها المغتصبة فى أوربا، وإن كثيراً منها أخذ فى ظروف قد تكون بعيدة عن الإنصاف . فإذا اتجهنا إلى آسيا وجدنا الموقف يختلف كل الاختلاف

فستالين لا ينوى استرداد الأراضى التى كانت يوماً ما فى حوزة روسيا فى الشرق الأقصى فحسب ، ولكنه يعمل للاستيلاء على المواطن الهامة بعيداً عن الحدود الروسية الحالية أو تخومها السابقة

وقد أعلن أن الجيش الأحمر على استعداد لحماية أراضى منغوليا من أى اعتداء ، والسوفييت يستغلون تلك البلاد منذ ١٩٢٤ ، كما تفعل اليابان فى منشوريا منذ ١٩٣١ على حد سواء

دخل الدكتاتورين

[من « ذى برسباين تلغراف »]

كان يتقاضى هتلر وهو مستشار الريخ ٤٠٠٠٠ جنيه فى العام، فلما آل الأمر إليه فى ألمانيا تنازل عن هذا المبلغ وقرر أن يكتفى بما ينال من أرباح كتابه « كفاحى »

أما ثروة الدكتاتور الألمانى فهى فى حيز الكتمان ، إلا أنه مما لا شك فيه أن مجموع ما حصله من كتابه لا يقل عن مليون جنيه بحال من الأحوال

والمال – حتى فى ألمانيا الحديثة – يعود على صاحبه بالمال ، فمن الطبيعى أن تبذل المجهودات اللازمة لتنمية الثروة التى جمعها هتلر من حقوق طبع هذا الكتاب ومضاعفتها

وإذا عرفنا أن الذين يديرون أمر هذه الثروة ، يمتازون فى عالم الاقتصاد بمعرفة الأحوال والظروف الاقتصادية قبل غيرهم تبين لنا مقدار ما يستفيدونه من استغلال هذه الثروة

ولم يستطع دكتاتور مدى التاريخ أن يجمع ثروته من مثل هذا المورد العجيب ، فقد كانوا يجمعون المال من الأبواب التى يعتقدون صلاحها ، وقد بذل هتلر كثيراً من نفوذه فى نشر كتابه وترويجه . ومن الطرق التى يتبعها فى ذلك – على سبيل المثال – أن كتاب كفاحى وإن كان القانون لا يمنع أن يباع منه نسخة مقروءة ، إذا وجدت مثل هذه النسخة منه عند بائع الكتب ، تعرضه لتهمة اليهودية بغير تردد

ولا يجهل أحد القانون الذى صدر فى ألمانيا بإلزام كل شخص يريد الزواج باقتناء نسخة من كتاب « كفاحى » ، ولكن الذى لا يعرفه الأكثرون أن هذه النسخة يجب أن تدفع ثمنها الحكومة. وبهذه الوسائل تتمشى الدعاية والمنفعة جنباً إلى جنب . فبينما لا يكلف الفوهرر رعاياه بنساً واحداً نظير خدماته بطريق مباشرة يتقاضاهم مبلغاً يتراوح بين ١٥٠٠٠٠ و ٢٠٠٠٠٠ بطريق غير مباشرة

على أن للفوهرر امتيازات أخرى غير هذه؛ فمن البديهى أن كل مايحتاجه أو يستعمله فى حياته الخاصة تلزم بدفعه الحكومة

أما موسلينى فيتقاضى من الحكومة ١٥٠٠ جنيه فى السنة ، ولكنه يربح من الصحافة أضعاف هذا المبلغ ؛ فهو يستغل باسمه صحيفة « بوبولو ديتاليا » وقد أصبح كل إيطالى يقرأ هذه الصحيفة لعلمه بأنها صحيفة الدتشى . وتقوم الحكومة بدفع مصاريفه الخاصة – كهتلر – فهو لا يحتاج إلى إنفاق شىء من ماله الخاص

ولعل أفقر الدكتاتورين هو ستالين . ويقال إنه يتقاضى ٨٠ جنيهاً فى العام . أما المبلغ الحقيقى الذى يتقاضاه فمن المحتمل أن يكون ٥٠٠ جنيه على وجه التقريب

على أنه ليس لديه ما ينفق فيه هذا المبلغ ، فالحكومة تقوم بدفع الثمن لكل ما يحتاج إليه



جواب عن أسئلة الأستاذ الطنطاوي

جاءنا من علامة حضرموت ومفتيها الأستاذ عبد الرحمن عبد اللاه هذا الجواب عن سؤال الأستاذ (الطنطاوي) المنشور في العدد ٣١٦ وقد أملاه على أحد تلاميذه قال:

يتعاظل الكلام من ازدحامه في الجواب عن هذا السؤال الخليق باللسان النضناض، والإفراد بالتأليف الفضفاض، حتى تبرد القلوب وتطمئن النفوس باتساع صدر الإسلام وضمانه للفوائد وقبول مبادئه للمصالح العامة إلى الأبد، وحتى تتأكد بأن الفقه الشافعي مبني على الأسس الثابتة من الكتاب والسنة. وخذ من عفو الخاطر ولسان البديهة ما يكون لهفة معجلة وتعلة للسائل إلى سنوح الفرصة للافاضة فيما يشفي أوامه بالأدلة الناصعة والبراهين القاطعة.

أما أولاً فلأن في الاستعانة بالتوكيل في الرؤية والتسلم ما تندفع به الشاق في التعارف بين التجار

وأما ثانياً فلأن مقابل الأظهر في المنهاج صحة بيع الغائب وإن لم يره البائع ولا المشترى، وبه يقول الأئمة الثلاثة. وقد جاء في فتاوى ابن حجر وأبي مخرمة أنه متى أمر السلطان باتباع مذهب معتبر في قضية وجب اتباعه، فما على الحكومة إلا أن تصدر أمرها بالعمل بذلك وينحل الإشكال

وأما ثالثاً فلأن الإمام النووي اختار انعقاد العقود بالمعاطاة، وتسامح في القول بها الإمام الغزالي وهو ممن لا يجهل مكانه من التصلب والورع في الدين. وقال في التحفة: وعلى الأصح لا مطالبة بالمعاطاة في الآخرة للرضا

وأما رابعاً فلأنه يسن للمقترض أن يزيد في الدفع على ما اقترضه لما صح من قوله صلى الله عليه وسلم: إن خياركم أحسنكم قضاء. وإذا انضم إلى ذلك الأمر من السلطان بدفع الزيادة تحتم دفعها وصار واجباً كما بينت ذلك في كتابي (صوب الركام) ففي إمكان البنك المصري وأمثاله مع هذه المنادح الواسعة أن يتبسط في معاملاته ويفتنّ في مكاسبه بنجوة عما حرمه الله وأذن عليه بحربه من الربا

وأما خامساً فلأن القول بالمصالح المرسلة يمهد السبيل لكل مصلحة، ويفتح الباب لكل منفعة.

وأول من فتحه على مصراعيه الخليفة الثاني رضوان الله عليه. أوليس هو القائل: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أحرمهما. وجاء في صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما: كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر واحدة، ثم قال عمر إن الناس قد استعجلوا ما كانوا فيه على إناءة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم.

وقد أجمع الفقهاء الأربعة على نفوذ الثلاث باللفظ الواحد، وإنما أمضاه عمر لما ظهر له في إمضائه من المصلحة كما قاله النووي وتبعه السبكي. فهو إذن قريب من القول بالمصالح الذي عليه الأكثر من المالكية، وبه يقول كثير من الشافعية، منهم علامة اليمن ابن زياد. وتوسع فيه الحبر البدل شيخ مشائخنا الإمام عبد الرحمن ابن سليمان الأهدل، حتى لقد نقل عن العلامة الحشيبري الحكم بالعادة في القضية التي تخشى فيها الفتنة من الحكم بالنصوص الفقهية. فليهدأ بال السائل وليفرخ روعه، وليعلم أن من أرسخ القواعد لدى فقهاء الشافعية وأصولهم أنه إذا ضاق الأمر اتسع. وأن الفقه ليس إلا الخير العام الموافق لتيسير الإسلام، الضامن لمصالح الأمم على مرور الأيام. وإنما قد يؤتى من جمود بعض منتحليه فيظن به ما هو منه براء، وبينه وبينه سبل وعرة وأرض عراء. هذا ما سنح، والعذر ممهد للضعف والزيادة والنقص، لأنه كما قلنا بلا إعمال روية ولا إتعاب خاطر ولا مراجعة صحيفة، ومن ورائه تفصيل، أنا به عند الحاجة كفيل، إن شاء الله تعالى.

« حضرموت »

عبد الرحمن عبد اللاه

مفتي حضرموت

الى الدكتور زكى مبارك

هل تسمح لى يا دكتور أن أسألك عن معنى جملة جاءت فى مقالك الأخير ؟

إنك تقول : « ... فكل ما تقرءونه فى الكتب التاريخية والدينية من وصف عرب الجاهلية بالغفلة والحمق والطيش والخبال وسوء الفهم وبشاعة التصور وخمود العقل وبلادة الإحساس ، كل أولئك الصفات الذميمة وضعت لغرض خاص هو تحقير الوثنية الجاهلية ، لتقوم على أنقاضها العقيدة الصحيحة ، عقيدة التوحيد »

« وكان من حق رجال الدين أن يضعوا فى تشويه الوثنية الجاهلية ما يشاءون لأنهم كانوا يرونها زيغاً فى زيغ ... »

وقد عرض لى عند قراءتها إشكالات :

١ — أن التاريخ هو العلم الذى ينبئنا بأخبار من مضى ، وكتبه هى مادة هذا العلم ؛ فإذا كان فى كتب التاريخ وصف للعرب بهذا الذى تقول أو بعضه أو ما يشبهه ، فإنه يبقى صحيحاً معتبراً حتى يجيء من ينقضه بالأدلة العلمية المستندة إلى النص الصحيح . أما حكمك عليه بالوضع بلا دليل فلا يصنع فى رده شيئاً ، فهل لك عليه من دليل ؟

٢ — وردك لما روته الكتب الدينية ، أو يفهم من كلامك أنها روته ، وحكمك عليه بالوضع أشد ، لأن هذه الكتب الدينية ، من دواوين الحديث أو مجموعات التفسير أو تصانيف الأئمة ، حجة للمسلمين فى دينهم ، ومصدر يأخذون منه شريعتهم ، فإذا صح لكل أديب تكذيب شيء منها بلا دليل صارت كلها عرضة للتكذيب ، وبطل الدين . وإذا كانت مسألة اليوم هينة لا تمس جوهر الدين ، فإنها تجرحنا إلى ما ليس بالهين وتكون سنة فى الناس سيئة — أعيذ الدكتور زكى مبارك أن يكون صاحبها الذى سيحمل وزرها ووزر من عمل بها

٣ — ما الدليل على أن الرواة اختلقوا الأخبار لتحقير الوثنية أو أنهم منعوا من رواية أنبائها ؟

٤ — ليس فى الإسلام طبقة خاصة تعرف برجال الدين ، وإنما فيها العلماء من محدثين ومفسرين وفقهاء وأصوليين ، وطبقاتهم طبقات الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة المجتهدين ومقلديهم ، فأى أولئك الذين حكم عليهم الدكتور بصنع هذه الأخبار التى تشوه الوثنية ووضعها ؟ وهل من الكذابين الصحابة والتابعون الذين نقل عنهم الشيء الكثير فى ذم شرك الجاهلية وقبيح أحوالها ؟

٥ — وما معنى قول الدكتور بأن ما جاء فى الكتب التاريخية والدينية من الأخبار الموضوعة (بزعمه) إنما أريد منها تحقير الوثنية لتقوم على أنقاضها عقيدة التوحيد ، مع أن المعروف الثابت أن الوثنية هدمت منذ هدم الله أصنامها ، ومحيت أنقاضها ، وقامت عقيدة التوحيد قبل انتقال النبى صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ورست دعائمها ؟

هذا وليثق الدكتور أن هذه أسئلة مستفهم ، يجب أن يعرف جوابه عليها .

على الطنطاوى

حول نعيم الجنة

قرأت فى العدد (٣١٦) من الرسالة رد أستاذنا الدكتور زكى مبارك ، فأجيب بالآتى : ذكر الدكتور ما يفيد أن هناك من يرى أن الجنة رمز ومجاز ، ولكن لما كانت اللذات الأخروية هى لذات لا تدرك إلا بالعقل المحض ، فقد قال مثل العلامة الأصفهانى : إنه لما أراد الله أن يقرب معرفة تلك اللذات من أفهام الكافة شبهها ومثلها لهم بأنواع ما تدركها حواسهم ، فقال تعال : « مثل الجنة التى وعد المتقون ، فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى » ليبين للكافة طيبها بما عرفوه من طيب المطاعم ، وقال : « مثل الجنة التى وعد المتقون » ولم يقل الجنة لينبه الخاصة على أن ذلك تصوير وتمثيل ، وأن الإنسان إن اجتهد ما اجتهد أن يطلع على تلك السعادة فلا سبيل له إليها إلا على أحد وجهين : أحدهما أن يفارق هذا الهيكل ويخلف وراءه هذا المنزل فيطلع على ذلك . والثانى أن يزيل قبل مفارقة الهيكل الأمراض النفسانية فيطلع من وراء ستر رفيق على ما أعد له[1]

ولكنا لا نستطيع الأخذ بنظرية التصوير هذه ، لسبق وجود جنة بها أشياء مادية ، وخرج منها أبوانا آدم وحواء لأكلهما من الشجرة المحرمة ، ولا نريد أن ندخل فى الخلاف الذى ذكره ابن قيم الجوزى فى الجنة التى سبق لآدم السكنى فيها هل كانت جنة الخلد أم جنة أخرى[2] ؟ لأنه على أى حال يجب استبعاد النظرية

(١) راجع ص ٥٩ — ٦٢ من كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للاصفهانى

(٢) راجع مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزى ص ٢ — ٢٤

التصورية لمعارضتها لكثير من النصوص . إذن لم يبق إلا قول الدكتور زكي مبارك : « إن الإنسان مكون من جسد وروح ، وهو كذلك في الحياة الأخروية » . ولا أدرى لماذا تشبث أستاذنا الدكتور بذكر هذا الشيء البديهي ، ولكني أطمئن دكتورنا على أن الثواب والعقاب سيكونان للروح مع البدن. أذكر خلاصة ماذكره الخوارزمي من أدلة على هذا من أن الأفعال والتدابير والآراء كلها تصدر من الجسد الحي، وأن الطاعة والمعصية حصلتا منهما جميعاً، وأن الثواب بالطاعة والعقاب بالمعصية إنما صدر من الجسد بواسطة الروح فيجب أن يكون العقاب والثواب لهما[1] وأن كلاً منهما محتاج لصاحبه، لولا الروح لكان القالب خشباً مسندة، ولولا القالب لما كان روح. فكل راض فاعل وعامل من وجه فيكون الخطاب والثواب والعقاب لهما جميعاً ، حتى قال ابن عباس رضي الله عنه : لم تزل الخصومة قائمة إلى يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فيقول الجسد: أي رب خلقتني كالجثة ولم تجعل لي يداً أبطش بها ولا رجلاً أمشي بها ولا عيناً أبصر بها حتى دخل هذا عليّ كالشهاب، فبه نطق لساني وسمعت أذني وأبصرت عيني وبطشت يدي، فأحل عليه العذاب ونجني من النار . فتقول الروح: يارب خلقتني كالريح ولم تجعل لي يداً ورجلاً وعيناً وسمعاً فلم أتحرك إلا بحركته ولم أسكن إلا بسكونه، فما ذنبي وما جرى يارب؟ أحل عليه العذاب ونجني . قال : فيضرب الله تعالى لهما مثلاً كالأعمى والمقعد يصطحبان ، أما الأعمى فلا يبصر، والمقعد لا يقدر على المشي، فبلغا إلى بستان فجلسا وتشاورا وطلبا حيلة ، فقال الأعمى : أنا لا أبصر فمر أنت وأت بالعنب، وقال المقعد : بل مر أنت فإني لا أقدر على المشي، ثم تناظرا وتناصفا وقالا : هذا أمر لا يتم بأمر دون الآخر ، يا أعمى قم أنت فارفعني حتى أتسلق الحائط وأقطف العنب . فلما توافقا قطعا العنب وأكلاه . وقال المقعد: لولا أنت يا أعمى لما أكلت. وقال الأعمى: لولا أنت يا مقعد لما أكلت. ونحن لم ننكر تمتع الروح والجسد فقد قلنا في كلمتنا الأولى في العدد ٣١٥ : « إن الإسلام دين روحانيات ومعنويات ، وأن ليس معنى هذا أنه لا يعنى بالحسيات والماديات ، بل هو يعنى بها وبتنظيمها التنظيم الذي يتصل بأن يرقى بالإنسان إلى الروحانيات ... وأنه إن أراد بعضها اللذة الحسية ، فإنه لا يريدها حقيرة متواضعة ، كما هي في دنيانا ، بل يريدها عزيزة تتصل أكبر مما تتصل بالروحانيات والمعنويات » ، فالذي يحتمل الجدال ليس ذكر أن النعيم سيلحق الجسم والروح أم لا لأنا أجمعنا على ذلك، بل هل أغلب اللذات سيكون حسياً أم روحياً؟ أو بمعنى آخر هل تغليب اللذة سيصف لذات الجنة بأنها روحية أم بأنها حسية؟

على أنه يطربني أن أرى أستاذنا الدكتور زكي مبارك ينزع نزعة روحية من غير أن يشعر، إذ يقول في كلمته في العدد ٣١٦ : « سيكون في المؤمنين من يكون نعيمهم برضوان الله أطيب بنعيمهم بما في الجنة من ثمرات وطيبات » وإن كنت لا أفهم كيف يرى عدم تعميم أن الرضى بالنعيم أطيب مما في الجنة من ثمرات مهما كانت درجة المرضى عنه . ولعل المخرج من هذا قول الدكتور في العدد ٣١٨ في الرد على الأستاذ الغمراوي: « إن العبادة الصحيحة هي رؤية الله في نعمه المشكورة » فإني أرى أنه بهذين قد زحزح نفسه كثيراً عن رأي حسية لذات الجنة ، لولا ذكره ما ذكر من دعاء مانقشه فيه الأستاذ الغمراوي مناقشة عنيفة في كلمتين ، فكتب أستاذنا الدكتور زكي كلمة يحمد الله تعالى فيها على نعمة الإسلام

على أن وجود الأشياء الحسية في الجنة لا يعني أن التمتع سيكون حسياً ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يجب ملاحظة تغيير ما في طبيعة الإنسان في الدنيا عنها في الآخرة لوجود قوى نفسية نازعة للبهيمية وعدم إمكان تصور هذا في الآخرة ، على فهم أن أصحاب الجنة لم يصلوا إليها إلا لأنهم فهموا خصائص الروح وتمتعوا كثيراً كل حسب درجته بلذتها ، فلا يعقل أن يكون حبهم للذة الروحية في العالم الثاني أقل من حبهم لها في عالمهم الدنيوي . ثم إن للجو حكمة ، فجو الجنة جو روحي لا يمكن أن يعمد إنسان إلى الخروج عنه ؛ على أن الحسيات لها بعض العناية بها، وللذاتها بعض الرغبة فيها، على أن تكون ثانوية وتابعة ، وعلى أن تنحو نحو الفكرة الروحية . وإذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى — كما في الحديث القدسي — : تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة ، ألم تنجنا من النار ! فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » ويكفي أستاذنا الدكتور زكي مبارك من علامات روحية اللذات في الجنة أن أصحاب الجنة سيكونون ولا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد ، يسبحون الله بكرة وعشية ، وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

محمود علي قراعة

(١) ص ٦٠ و ١٢٩ من مفيد العلوم ومبيد الهموم للخوارزمي

المغرب الأقصى وفكرة الخلافة

قرأت متأخراً فى العدد الممتاز من مجلة « الهلال » الأغر مقالاً للأستاذ عبد القادر حمزة باشا عن الخلافة الإسلامية وعدم إمكان قيامها فى الوقت الحاضر ، جاء فيه ما يلى :

« وإذا قيل إنه من اليسور أن تقوم الخلافة بين الأمم الإسلامية المستقلة ، وأن مصر أولى هذه الأمم بتلك الإمامة لأنها قلب العالم الإسلامى ؛ إذا قيل هذا ، فيجب ألا ينسى أن هناك من يعارض فى الخلافة ، ولا يعترف بها كتركيا والمغرب الأقصى وغيرهما ، وما من فائدة فى قيام نظام لا يعترف به الجميع »

أريد أن أسأل حضرة الكاتب عمن أخبره بأن المغرب يعترض على فكرة الخلافة .

فإذا كان هذا الفهم وصله عن طريق الصحف الاستعمارية ، أو عن تصريحات الرجال الرسميين ، وهو لن يصله إلا عن هذين الطريقين ، فأريد أن أقول لسعادته : إن القول فى مثل هذا الأمر ليس هو من حق هؤلاء ولا من أولئك . القول الفيصل فى هذا إنما هو لإرادة الشعب المغربى ؛ والشعب المغربى لن يعارض مطلقاً فى كل فكرة يستمد منها الإسلام والعرب القوة والمجد ، كفكرة الخلافة الإسلامية ، أو الوحدة العربية .

وإذا كانت وضعية المغرب لا تسمح له فى الوقت الحاضر أن يساهم فى مثل هذه الأعمال الكبيرة ، فهو يرجو أن تتحقق لأنه يعلم أن مثل هذه المشروعات العظمى ستعود عليه وعلى باقى الأقطار العربية التى تحت الاستعمار بأكبر النافع ، وسترفع عن كاهله كثيراً من القيود والسدود

على أن موضوع كلام الكاتب إنما كان فى الأمم المستقلة ، والمغرب ليس كذلك ، فهل نسى سعادته أن المغرب تحت حماية فرنسا ؟ وما وجه قران المغرب بتركيا ؟ إن المغرب يختلف تمام الاختلاف من حيث الأوضاع والنظم عن تركيا . والمغرب يمسك على دينه بأيد من حديد ، ويريد اقتضاء قواعد الإسلام حذواً بحذو ، كما سنها الرسول ، وكما نزل بها القرآن

وأعود فأقول : إن الحركة القومية بالمغرب التى يترأسها الزعيم الأكبر محمد بن الحسن الوزانى — أطلق الله سراحه — كانت صرحت فى جريدتها « الدفاع » : أن من الأسس التى ترتكز عليها « القومية المغربية » « الامتثال لواجب الرابطة العربية ، والجامعة الإسلامية » ، وهى ما كانت لتقول مثل هذه الكلمة لو لم تكن شاعرة بما يختلج فى ضمائر الشعب المغربى من حب الوحدة الإسلامية ، والتضحية بكل غالٍ فى سبيلها

وهل كتب علينا الشقاء إلا يوم كتب على الخلافة الإسلامية بالعدم !

« فاس » « أبو الوفار »

حول معنى بيت

ذكر الأستاذ أحمد عبد الرحمن عيسى فى العدد (٣٢٢) من مجلة « الرسالة » الغراء أن هذا البيت المنسوب إلى معاوية فى قصة سعد وسعاد :

قد كنت تشبه صوفياً له كتب   من الفرائض أو آيات قرآن

لا يحتمل ما فهمته فيه من حمل كلمة — كتب — على ظاهرها ، وإنما هى جمع كتاب بمعنى مكتوب ، والمكتوب هو الفروض ، فيكون المعنى له مفروضات من الفرائض ، وإذا كان هذا هو معنى البيت فإنه لا يكون فيه دلالة على أن قصة سعد وسعاد موضوعة

وإنى أرى أن هذا المعنى الذى ذكره الأستاذ يزيد فى ضعف هذا البيت وسخافته ويجعله متهافت اللفظ والمعنى ، وتهافته اللفظى ظاهر لاخفاء فيه ؛ وأما تهافته المعنوى فلأن الصوفى لا يمتاز عن غيره بمفروضات مكتوبة يقوم بها ، لأن المكتوبات واجبة على سائر الناس ، وإنما يمتاز الصوفى بالخلوة ومداومة العبادة وغير ذلك مما اخترعه المتصوفة . وقد فهم الأستاذ أحمد عيسى الفرائض فى البيت على ظاهرها فخفى عليه المعنى الذى فهمته فيه ، مع أن الفرائض هى الأوراد ونحوها مما يفرضه الصوفى على نفسه ، وهو إطلاق سائغ لا شىء فيه ، ومعنى البيت عليه : له كتب من كتب الأوراد ونحوها

وأرى أيضاً أن البيت يدل على أن القصة موضوعة ولو حمل على المعنى الذى ذكره الأستاذ أحمد عيسى ، لأن نظام التصوف الذى يشير إليه لم يكن حدث فى ذلك العصر ، وقد بنيت وضع القصة على هذا ، كما بنيته على أنه لم يكن فى ذلك العصر كتب تصوف ، وكل منهما كاف فى الدلالة على وضعها ، وكذلك سخافة البيت وتفاهته ، وما كان للأستاذ أحمد عيسى أن يهتم بعد هذا به .

عبد المتعال الصعيدى



من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

النقاد وفرقة رمسيس

أحسن يوسف وهبي صنعاً بما ادعى لنفسه من صفة المؤلف فوق ما حظي به في الواقع من صفة الممثل . وقد كان من جميل حظه أن ظلت حقيقة رواية (المجنون) – التي افتتح بها مسرحه – خافية على الجميع من جمهور ونقاد أعواماً طويلة حتى عرضت رواية (وثيقة الطلاق) التي ظهر فيها جون باريمور في دور المجنون ، وكاترين هيبورن لأول مرة في دور ابنته ، وحينئذ فقط عرف أن (مجنون) يوسف ليس إلا مجنون (وثيقة الطلاق) !

على أن يوسف كان قد ربح الكثير من هذه الصفة التي ادعاها لنفسه ، والتي جعلته في نظر قومه مؤلفاً وممثلاً في عصر عز فيه المؤلف ، ومع أن (المجنون) لم تكن الرواية القوية بالمعنى المفهوم إلا أنها كانت شيئاً جديداً وغريباً ، وكما استرعى يوسف الأنظار في منولوج الجندي الجبان (هتشكو) كذلك كان شأنه في دور المجنون ، وهو ينجح في هذه الأدوار الشاذة التي تتطلب غرابة في الأطوار وشذوذاً في الطباع .

وليس من غرضنا أن نتحدث عن رواية المجنون أو عن غيرها من الروايات حديثاً مستفيضاً ، وإنما أردنا بالحديث عنها أن نطلع القارئ على جانب من جوانب شخصية يوسف ، وعلى سبب من الأسباب التي جعلت النقاد يهاجمونه بشدة ويعملون للقضاء عليه ، ذلك أنهم استبعدوا أن يكون يوسف مؤلفاً ، ولروايات أجنبية على الخصوص ! ومع أنهم لم يستطيعوا في الوقت المناسب استكشاف حقيقة (المجنون) ، إلا أن غريزتهم السليمة حملتهم على إنكار ما ادعاه يوسف لنفسه ، وعلى إساءة الظن بزعيم النهضة المسرحية منذ البداية .

ومن بعد المجنون أخرجت (الشياطين السود) ، وعلى ما أذكر حضر هذه الرواية بعض الوزراء والعظماء ، ولما كانت النهاية فيها محزنة ، فقد خطر ليوسف أن يقوم بتعديلها وجعلها نهاية أمريكية ، حتى لا يدخل الحزن على قلوب ضيوفه العظماء . وأما في الليلة التالية ، وفيما تلاها من ليال ، فقد عاد يوسف إلى النهاية المحزنة !

وهذه الحادثة أيضاً ترفع الستر عن جانب من جوانب هذه الشخصية العجيبة ، وتلقي ضوءاً على سبب آخر من الأسباب التي ألبت النقاد على يوسف ، وأعطتهم سلاحاً لحربه . وفي الواقع مضى يوسف في السخرية بالناس ، ومهما يكن من شأن النجاح الذي ناله وحظيت به فرقة رمسيس ، فقد كانت هذه المعاول الهدامة شديدة الوطأة على ذلك البنيان الحديث ، ولم يقدر يوسف برغم ذكائه أثرها فيه ، وتعالى على النقاد ، وشمخ بأنفه ، وصعر خده للصحافة ، واعتبر نفسه قوة هائلة لا تتأثر بحملات كان يراها طائشة يقوم بها جماعة من الجهلاء في زعمه . ولم يرد الإفادة من هذه الأغلاط التي ارتكبها ، أو العدول عن الخطة العرجاء التي سار عليها ؛ وقد كان دوام النجاح ، وإقبال الجماهير على مسرحه دليلاً عنده على أن حملات النقاد لا أثر لها حتى لو كانت على حق ، فالحق عنده هو الواقع . ولعل الفرقة القومية لم تأخذ بنصيبها من الموعظة بعد ذلك ، ولعلها إن غلقت أبوابها يوماً تذكر أنا نبهناها إليه وحذرناها منه .

كان من أغلاط يوسف إذن أن ادعى لنفسه ما ليس له وأن قام عامداً بتعديل الروايات التي أخرجها في مسرحه لتوافق مزاجه

وما يراه خضوعاً لأهواء الجماهير أو الخاصة حتى لو كان ذلك حرباً على الحقيقة وقتلاً للفن، ثم استهتاره من بعد ذلك بالنقد والنقاد. ورغم خطورة هذه الأخطاء وغيرها فقد كانت حملات النقاد فى بدايتها كأنها إعلانات ضخمة عن فرقة رمسيس ودعاية بلا أجر عنها ، وبينما أخطأ النقاد فهم قلة أثر النقد بسبب إقبال الجماهير على مسرح رمسيس فإن يوسف أخطأ الفهم كذلك فأكثر من أغلاطه وأصر عليها وزاد فى استهتاره بالنقاد

وحينئذ شحذ هؤلاء أسلحة جديدة وتدخلوا فى حياة الممثل والممثلة الخاصة وأعنفوا فى حملاتهم حتى خرج الأمر عن حدوده والنفوس عن أطوارها . وسرعان ما انتفت الصلة الوثيقة التى كانت ، والتى يجب أن تكون ، بين المؤلف والمترجم والمخرج والممثل من جهة، والناقد من جهة أخرى، وأصبح بعض الصحف ميداناً للسباب وفحش القول على حين كان يوسف ماضياً فى سخريته وازدرائه - غير حاسب للعواقب حساباً - حتى يصل به الأمر أن يرى فى حرمان الناقد من المقعد الذى يهديه إليه انتقاماً منه أى انتقام . ولم يكن غريباً إذن أن نسمع بألوان من الخصومات تدعو إلى الأسى والأسف حتى انقطعت الصلة تماماً بين فرقة رمسيس والنقاد . أو قل أصبحت هى الصلة بين المتحاربين فى ميدان القتال .

(الكلام بقية)

السينما والحرب

السينما كالصحافة تجد من واجبها أن تسجل الأحداث التى تقع على النحو الذى تراه كفيلاً بفائدتها، وأصحاب الشأن فى عالم السينما يرقبون الحوادث الجارية ويأخذون منها ما ينفعهم ، فإذا وقع حادث فذ فى الأوساط الاجتماعية أو الفنية أو الاقتصادية أو غير ذلك فإنهم يسرعون بتسجيله ويسرع الجمهور بالإقبال عليه .

والحروب بلا ريب أعظم الحوادث التى تقع وأوسعها مدى وأقواها أثراً، ولهذا فإن السينما تسجل أحداثها وتستغل وقائعها أعظم استغلال. ومن رأى (كل شىء هادئ فى الميدان الغربى) يعرف إلى أى مدى تفيد السينما من الحروب . ولقد رأينا كيف كانت السينما إبان الحرب الكبرى وسيلة فعالة من وسائل الدعاية . وقد استغلها الحلفاء فى تصوير أعدائهم أقبح تصوير وأفادوا من ذلك كثيراً ، وإلى جانب هذا الاستغلال فإن السينما كانت وسيلة من وسائل التسرية عن الجنود فى الميادين؛ وقام شارلى شابلن ملك المضحكين بنصيب وافر من هذا الواجب وقابل الجنود رصاص العدو وفى أفواههم بسمات استطاع شارلى أن يطبعها على شفاههم رغم الموت

وفى الأعوام الأخيرة شغلت الحرب أذهان الجماهير ، ومن ثم بدأت مدينة السينما فى إخراج روايات عن الحرب ، وحينئذ واجهتها مصاعب كثيرة ، فالوقت سلم وتصوير الحروب واصطراع المبادئ قد يرضى قوماً لكنه يغضب آخرين ، ومعنى ذلك أن الرواية السينمائية التى ترضى الجبهة الديمقراطية تغضب حتماً الجبهة الفاشية أو النازية . والنتيجة أن الرواية السينمائية تخسر ميادين تباع فيها ، وهذا ما حدث لرواية (كل شىء هادئ فى الميدان الغربى) التى تناهض فكرة الحروب . فقد قوطعت ومنعت فى البلاد التى تعيش على فكرة الحرب وتنشئ أبناءها جنوداً منذ طفولتهم . وكانت ألمانيا أشد البلاد حرباً لها رغم أن مؤلفها ألمانى !

بيد أن مدينة السينما وجدت حلاً للمشكلة ، ومن رأى روايتى « حصار » و « آخر قطار من مدريد » عرف كيف وفقت إلى هذا الحل العجيب . وسبيل ذلك أن وقفت الرواية نفسها على الحياد لا هى مع هؤلاء ولا هى مع هؤلاء، إنما هى مجرد استغلال لحوادث الحروب ، مثل (آخر قطار من مدريد) التى طبقت عليها هذه الفكرة أتم تطبيق فكانت سلسلة من الحوادث الغريبة والوقائع المثيرة التى لا تقع إلا فى الحروب . وأما (حصار) فكانت مناهضة لفكرة الحرب من الوجهة الإنسانية المحضة فى الميدان الأسبانى حيث يقتل الأخ أخاه واحتاطت الشركة التى أخرجت الرواية فلم تدع الملابس تميز الفريقين بعضهما عن بعض إلا بقدر يسير وكل ما رمت إليه هو استصراخ الضمير الإنسانى أن يقف هذه المجازر البشرية

واليوم ، والعالم يخوض غمار حرب ضروس ، فإن السينما لن تتوانى عن القيام بواجبها . ويقيننا أنها ستكون وسيلة فعالة من وسائل الدعاية ، وكذلك من وسائل التسلية والترفية عن المقاتلين وغير المقاتلين فى هذه الأيام العصيبة التى يجتازها العالم

(فرعون الصغير)

أخبار سينمائية



(لوسيل بال) وقد اشتركت فى تمثيل رواية «باب المسرح» مع لويس رينر وجنجر روجرز . وقد اهتمت بأمرها شركة ركو راديو واعتزمت أن تجعل منها واحدة ممن تعتمد عليهن



جنجر روجرز وكانت تعرف باسم زميلة فريد استير، أما اليوم فإنها أصبحت حرة تعمل مع من تشاء وكانت تجربتها الأولى فى رواية (سأهذبها بنفسي) مع جورج برنت ، وفى هذه الرواية لم ترقص سوى رقصة فردية

كلارك جابل

هل تعرف كيف أصبح كلارك جابل فلاحاً ؟ إن لذلك قصة طريفة ...

لقد أهدت إليه زوجته كارول لومبارد بغلاً فاشترى محراثاً . وأهدت إليه آندى ديفين خمسة فراريج فاشترى خمسمائة . وأهداه بوب كوب جردلاً لحلب اللبن فاشترى بقرة . وهكذا أصبح كلارك جابل فلاحاً يفلح الأرض ويحلب البقرة ويربى الفراريج .

فريد ماك موراى

يحب فريد ماك موراى صيد السمك حتى أنه ينتهز فرصة الفراغ من العمل فى رواية (هل من ضرورة للأزواج) التى يظهر فيها مع مادلين كارول ويقضى وقته فى صيد السمك . وهو ماهر جداً فى الصيد حتى أنه يعود دائماً خالى الوفاض ! وإذا ما سأله أحد فى ذلك قال : إنه يلقى بالسمك إلى البحر مرة أخرى رحمة به وشفقة عليه !



كاى فرنسيس وقد سطع نجمها فى رواية (المر الوحيد) مع وليم باول ثم فى (ثورة فى الجنة) مع هربرت مارشال، وقد ظلت منذ البداية نجمة شركة وارنر ولم تنتقل إلى غيرها من الشركات ؛ وأخيراً أعلنت أنها آثرت الزواج واعتزال الأعمال الفنية ، وحتى الآن لم تنفذ عزيمتها



(آنا نيجل) بمناسبة آخر رواية لها (مس كافل) وقد أخرجت هذه الرواية فى وقتها وسوف تكون دعاية سيئة ضد الخلق الألمانى ، ويذكر القراء أن الحلفاء استغلوا فى الحرب العظمى حادث «مس كافل» أعظم استغلال واكتسبوا عطف العالم باسمها

7me Année No. 324 — Lundi - 81 - 9 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٤ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

حربان عُظميـــان
تثيرهما ألمانيا على نمط واحد

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

شهدت الحرب العظمى — أو التى كنا نظنها العظمى — وهى التى قامت فى سنة ١٩١٤، وهأنذا أشهد حرباً عظمى أخرى بعد خمس وعشرين سنة ؛ فأنا فى هذا من المخضرمين . ويبدو لى أن ألمانيا الهتلرية هى ألمانيا القيصرية ، لم تتغير روحها ولا نزعاتها ولا وسائلها ولا أساليبها . فليس البوربون — ملوك فرنسا الذين عصفت بهم ثورتها هم وحدهم الذين لم يتعلموا شيئاً ولم ينسوا شيئاً. وعجيب أن يكون هذا هو طراز الحكام فى بلد من أرقى بلاد العالم وشعب من خير الشعوب ثقافة وأدباً وفناً وعلماً وفلسفة . ولا بد — كما يذهب إلى ذلك الأستاذ العقاد — أن يكون فى هذا الشعب عيب يسمح بأن يكون هذا طراز حكامه الذى لا يكاد يختلف

وقد عانت ألمانيا أقسى ما يمكن أن تعانيه أمة من جراء ما حملت من تبعة الحرب العالمية السابقة وبقيت عشرين سنة تنوء تحت هذا العبء، وتجاهد أن تطرحه ، فكان المنتظر أن تتقى أن تحمل عبئاً آخر مثله، فإن العائد إلى الجريمة لا يحق له أن يتوقع العطف أو يعول على ما فى قلوب الناس من الرحمة ، ولكن حكام ألمانيا فى هذا الزمان لا يحملون بالهم إلى النوبات بل يقدمون

على إثارة حرب عالية بعد أن أعدوا عدتهم لها غير عابئين برأى العالم أو مبالين بما يجره عليهم من السخط والنقمة . وما من شك فى أن الهر هتلر نهج نهجه هذا عن « عمد وسبق إصرار » كما يقول رجال القانون . ومراميه كلها معروفة من كتابه « كفاحى » . وخطته هى أن يمد لبلاده أقصى ما يستطيع من قوة، ثم يتجه إلى الشرق فيبسط سلطانه عليه، حتى إذا تم له ذلك ارتد إلى الغرب فرمى عليه ظله وأذله . ومع أن هذا معروف ولا خفاء به، نراه يتعجب لبريطانيا وفرنسا ماذا يمنيهما من شرق أوربا ولماذا تحاولان صده عن غايته فيه كأنهما لا تعلمان أنه منقلب عليهما بعد أن يفرغ من هذا الشرق .

وكما تجنت النمسا بتشجيع ألمانيا على الصرب فى سنة ١٩١٤ تجنى هتلر فى هذه الأيام على بولندة. فقد ادعت النمسا أن ولى عهدها إنما قتل فى سراجيفو بتدبير الصربيين وإن كان قد قتل فى أرض نمسوية وبأيدى رعايا نمسويين . ولم يظهر أي دليل على وجود أية صلة بين الصرب وهذه الجريمة ؛ ولكن الكونت برختولد رئيس وزارة النمسا كان غبياً قصير النظر ، وكان همه أن يسحق الصرب ، وقد حذره تيزا رئيس وزارة المجر وحذر الأمبراطور أيضاً ولكن الامبراطور كان متهدماً وكان زمامه فى يد وزيره الأعمى ، فكانت الحرب التى ألوت بالنمسا وأذلت ألمانيا

واليوم يقلد هتلر هذا السلف الطالح فيتجنى على بولندة ويزعمها تهدده لأنها لا تذعن لمشيئته ولا تهدى إليه دانتزيغ والممر البولندى والأرض التى فيها من الألمان نفر قليل أو كثير . والفرنسيون يقولون فى بعض أمثالهم : « إن هذا الحيوان خطر لأنه يدافع عن نفسه حين يهاجم » وكذلك يقول هتلر عن بولندة فذنبها أنها لا تريد أن تختنق

وقد رسم هتلر خطته ببراعة فأعد فى الغرب خط سيجفريد ليحول دون زحف فرنسا على ألمانيا من الغرب وليتسنى له أن يضع فى هذا الخط أقل عدد يكفى للدفاع عنه ، ثم يرمى بمعظم قوته على الشرق فيكتسحه فى أوجز وقت ، ويروع العالم بسرعة القضاء على الأمم فى أيام معدودات ، وبعد أن يفعل ذلك ويترك دول البلقان مرتعدة الفرائص ويفتح لنفسه الطريق إلى كل سوق ويكفل لبلاده كل ما عسى أن يحتاج إليه من أقوات وبترول وخامات وغير ذلك ، وبهذا يحبط الحصر الذى عسى أن تضربه بريطانيا بحراً عليه ـ يرتد إلى خط سيجفريد بقواته الأخرى ويقول لفرنسا وبريطانيا : الآن نستطيع أن نظل نقتتل نصف قرن إذا شئتما ، أفلا ترون أن الصلح خير وأن التسليم بالأمر الواقع أجدى من هذه الحرب المقيمة ...

وكذلك كان القيصر غليوم يعتمد على النصر « البرق » أو « الخاطف » وكان همه يوم شن الغارة أن يحمل جيشه على جناحى نعامة ويطير به إلى باريس ويستولى عليها فإذا الحرب قد انتهت ... واليوم يقلد هتلر سلفه ويزيد عليه الهجوم بغير إنذار وعلى حين غرة وفى مأموله أن يقضى على بولنده ويمحو وجودها قبل أن تستطيع أن تجمع جيشها كله وتقذف به إلى ميادين القتال . فالنصر « البرق » هو الذى عليه معول هتلر الآن كما كان عليه معول القيصر غليوم، وكما أخطأ حساب القيصر يخطئ الآن حساب خلفه هتلر، فإن بولندة تأبى أن تزول فيما « بين غمضة عين وانتباهتها » ولا عبرة بالاستيلاء على بلد هنا وبلد هناك فما دام الجيش الدافع سليماً فالحرب دائرة والهاجم لم ينتصر ، وإنما يكون النصر بالقضاء على القوة الدافعة لا بأخذ المدن .

وخط سيجفريد قوى متين ولكنه أنشئ على عجل — فى أقل من سنتين — وقد ظهرت فيه مواطن ضعف غير مأمونة، والجيش الفرنسى يختبره الآن ويتلمس هذه المواطن الضعيفة فيه ويحمل عليها ، ويضطر ألمانيا إلى إرسال النجدات إليه « على جناحى نعامة » وبتوالى ورود هذه النجدات يخف الضغط الواقع على بولندة فتطول مقاومتها على خلاف ما حسب هتلر. ويجب أن يدخل فى حساب الحاسب أن الجيش الألمانى ليس كما يهولون به فقد كان جيش القيصر خيراً منه . ذلك أنه هو أيضاً أنشئ على عجل بعد أن ظلت ألمانيا عشرين سنة محرومة من جيش بالمعنى الصحيح بمقتضى معاهدة فرساى . ومن السهل أن تجند ملايين الرجال كما فعل هتلر ولكنه ليس من السهل أن تخرج العدد الكافى من الضباط الأكفاء فى هذا العصر لهؤلاء الملايين من الجنود فى أربع سنوات . فالجيش الألمانى لا تنقصه الضخامة فى العدد ولا فى العدة ولكن ينقصه الضباط الأكفاء من الطراز الحديث بسبب هذه السرعة « البرقية » فى تكوينهم

وقد كنا نظن من الواضح أن من العسير فى هذا الزمان أن تسيطر أمة على العالم على نحو ما كان يحدث فى العصور الماضية ؛ فليس من الممكن فى هذا الزمن أن تكون فى العالم أمة واحدة لها شأن كما كان الحال فى أيام الرومان والعرب وغيرهم . فما بين أكثر الأمم تفاوت يذكر إلا فيما يحدثه اختلاف الخصائص القومية؛ أما فى العلوم والمعارف والقدرة على الابتكار والاختراع وما إلى ذلك

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

— ١٥ —

كنت حدثت القراء فيما سلف أنى لم أهجم على الأستاذ أحمد أمين إلا بعد أن صح عندى أنه يسىء إلى نفسه وإلى الأدب العربى إساءة خطرة تستوجب المسارعة إلى تعريفه بخطر ما يصنع عساه يثوب إلى رشده فيرجع إلى الصواب

وفى مطلع حديث اليوم أثير مشكلة تحدث بها إلى تلاميذه فى كلية الآداب وكان لها صدًى، هو حيرة بعض الشبان الذين كانوا يثقون برجاحة العقل عند ذلك الأستاذ الفضال

وما الذى حدَّث به تلاميذَه فى تلك الكلية ؟

حدثهم أن من رأيه ألا يدرس الأدب العربى فى المدارس الثانوية ولا المدارس العالية ، وأن الواجب أن يُقصَر درس الأدب العربى على المتخصصين فى دراسة اللغات (؟!)

هذا كلام نقله إلينا كثير من طلبة كلية الآداب ، فهل هو صحيح ؟

يجب على الأستاذ أحمد أمين أن يسارع إلى تكذيب هذا الكلام ، إن كان من المفتريات ، ويجب عليه أن يحدد الغرض منه إن كانت نسبته إليه صحيحة ، لأنا نحب ألا يعرّض مركزه لأخطار الإشاعات والأقاويل

والواقع أن الكلام المنسوب إلى الأستاذ أحمد أمين يتفق فى روحه مع الآراء التي أذاعها فى الأسابيع الأخيرة ، فهو يقول صراحة بأن الأدب العربى فى أغلب أحواله أدب معدات لا أدب أرواح ، وأنه لم يصور البلاد العربية والإسلامية ، ولم يصف ما وقع فيها من أحداث اجتماعية ، ولم يشهد بأن أهله أحسوا الطبيعة وتأثروا بألوان الوجود

ومن الواضح أن الرجل يحترس فى مقالاته أكثر مما يحترس فى محاضراته ، فما قاله أحمد أمين فى مجلة الثقافة ليس إلا صورة مهذبة لما أذاعه فى كلية الآداب

نحن إذن أمام فتنة جديدة ، هى فتنة القول بأن الأدب العربي لا يصلح لتربية الأذواق فى الجيل الجديد . وهذه الفتنة ليست من مخترعات أحمد أمين ، فقد نجمتْ قرونها منذ أكثر من خمسين سنة حين أراد المستعمرون والمبشرون أن يوهموا أبناء الأمم العربية بأن الصلة بين ماضيهم وحاضرهم لم يبق لها مكان ، وأن المصلحة تقضى بأن يوضع الأدب القديم فى المتاحف ، وألا يدرسه غير المتخصصين على نحو ما يصنع الأوربيون فى الآداب اليونانية واللاتينية ، ثم تُقبِل كل أمة على لهجتها المحلية فتجعلها لغة التخاطب والتأليف ، وبذلك تكون اللغة الفصيحة أمًّا أو جدةً للغات الشعوب العربية ، كما صارت اللاتينية أمًّا أو جدةً للغات الشعوب اللاتينية . وقد صرح بذلك المسيو ماسينيون فى خطبة ألقاها فى بيروت سنة ١٩٣١ ونقدتُها يومذاك بمقال أرسلته إلى جريدة « البلاغ » من باريس

والحق أن الفتنة التى أذاعها المستعمرون والمبشرون كانت فتنة برّاقة خدّاعة تُزيغ البصائر والعقول ، وقد انخدع بها من

فالطبقة واحدة أو متقاربة . وقد رأينا الألمان فى الحرب العظمى الماضية يفاجئون الحلفاء بالغازات السامة أو الخانقة أو الكاوية وما أشبه ذلك ، ورأينا الحلفاء يسرعون إلى اختراع الكمامات الواقية ثم يصنعون هذه الغازات ويطلقونها على الألمان ، وبذلك يضيعون عليهم هذه المزية . وأمثلة ذلك كثيرة وكلها شواهد على أن ألمانيا تكرر خطأها القديم ولا تعتبر بما كان فى الحرب الماضية التى كان الظن أن عبرها ستظل ماثلة

ولعل هذه أول حرب تقدم أمة على إثارتها وهى جائعة ، أو على الأقل وهى تعانى نقصاً شديداً فى الأقوات والمواد الأخرى التى لا غنى عنها لا فى سلم ولا فى حرب . فلا عجب إذا كانت بريطانيا وفرنسا تشنان على ألمانيا حرباً اقتصادية فإنهما تعلمان ما تصنعان وتعرفان ما تكابده ألمانيا وما تظن أن فى وسعها أن تعالجه وتتقى شره بسرعة القضاء على بولندة وهو حساب بدأ يظهر أنه يخطئ . فالعجب لألمانيا التى تجعل حياتهـا كلها ومصيرها رهناً بحساب قد يخطئ أو يصيب . الحق أن هذه مقامرة فذة فى تاريخ الأمم

ابرهيم عبد القادر المازنى

انخدع فى الأعوام الماضية ، فكانت المفاضلة بين الفصيحة والعامية من المشكلات التى تقام لها المناظرات فى بعض المعاهد والأندية الأدبية . وقد وصل صدى هذه الفتنة إلى المجمع اللغوى بالقاهرة فانقسم الأعضاء إلى فريقين : فريق يقول بدراسة اللهجات المحلية وفريق يقول بأن الأفضل إنفاق المال فى إحياء الأدب القديم ، وقامت بسبب هذه المشكلة مساجلات فوق صفحات الجرائد بين الدكتور منصور فهمى والدكتور طه حسين

والظاهر أن الأستاذ أحمد أمين من أنصار القول بإحياء اللهجات المحلية، فهو يدرس على صفحات مجلة الراديو المصرى ألفاظ اللهجة المصرية باهتمام يدل على تأصل تلك الفتنة فى نفسه الواعية !

فهل تكون مقالاته فى مجلة الراديو المصرى نواة لمحاضراته عن الأدب العربى المصرى بكلية الآداب فى الأعوام المقبلات ؟

نحن فهمنا أن الغرض من إنشاء كرسى للأدب المصرى بكلية الآداب هو درس الآثار الأدبية العظيمة التى أبدعها المصريون باللغة الفصيحة منذ فتح العرب مصر إلى اليوم لأن مصر تفردت بمزايا كثيرة بين الأمم العربية ، فأعظم مكتبة عربية فى العالم هى دار الكتب المصرية ، وأعظم جامعة عربية فى العالم هى الجامعة المصرية ، وأعظم معهد إسلامى فى العالم هو الأزهر الشريف ، وأعظم صحافة عربية فى العالم هى الصحافة المصرية ، وأعظم معجم عربى وهو لسان العرب ألف فى القاهرة ، وأعظم كتاب فى السيرة النبوية وهو سيرة ابن هشام أُلِّف فى مصر ، وأعظم كتاب فى تاريخ الإنشاء وهو صبح الأعشى ألفه أديب مصرى هو القلقشندى ، وأعظم موسوعة عربية وهى نهاية الأرب ألفها أديب مصرى هو النويرى ، وأعظم شارح لمذاهب التصوف ، وهو الشعرانى ، مصرى من أبناء المنوفية ... ومصر كانت الملاذ لعلماء العرب بعد أن اعتدى التتار الهمجيون على بغداد ؛ ومصر كانت الملجأ لأحرار التفكير من العرب حين اضطهدهم الأتراك فى سورية ولبنان ؛ ومصر كانت ولا تزال صلة الوصل بين الحضارة الشرقية والحضارة الغربية ؛ وبفضل سواعد المصريين اندحر الصليبيون ؛ وبفضل مصر حبطت دسائس المبشرين فى الشرق وهم أعوان المستعمرين فى تقويض دعائم الحضارة العربية

فما الذى سيصنع أحمد أمين حين يدرّس الأدب المصرى بكلية الآداب ؟

أترونه يفهم الغرض الأصيل من الأدب المصرى فيرفع آصار الخمول عن مآثر المصريين فى خدمة الأدب واللغة والتاريخ والتشريع ؟ أم ترونه يتخذ مادة الدرس من الكلام عن أحاديث الحاجة خدُّوجة والمعلِّم مشحوت ؟

إن كلية الآداب لن تعيش بمنجاة من رقابة النقد الأدبى ، ولن يهمس أحمد أمين بكلمة أو فكرة بدون أن تصل إلى من يهمهم معرفة جوهر الرسالة الأدبية التى تذيعها كلية الآداب ، ولن يرنّ فى أبهاء تلك الكلية صوت ينطق بالحق أو بالباطل إلا وحوله أرصاد من عقول الشبان الأذكياء الذين توِّجهم عزائمهم وقلوبهم إلى أن يكونوا أبطال الفكر العربى الصحيح فى العصر الحديث !

وإنى لموقن بأن أصدقاءنا من أساتذة كلية الآداب يعرفون جيداً أن الأمة تنتظر أن يكون ذلك المعهد المعظم أهلاً فى كل وقت للأمانة العظيمة التى عهدتْ بها إليه ، فلا يكون مسرحاً للآراء الفطيرة التى يذيعها بعض الناس فى إحدى المجلات

لقد رجونا ألف مرة أن تكون كلية الآداب بالقاهرة هى النبراس الذى تستضىء به العقول فى الشرق ، وقد استطاعت تلك الكلية بفضل المتفوقين من أساتذتها وخرِّيجيها أن ترفع لواء الدراسات الأدبية والفلسفية ، فمن المجازفة بسمعتها العلمية أن تصفح عمن يقفون عند الحدود السطحية فى فهم الأدب والتاريخ

***

أقول هذا وقد كتب إلىّ أحدُ المتخرجين فى تلك الكلية خطاباً يقول فيه : إن اللغة العربية ليست لغة المصريين . ولو شئت لصرحت باسم صاحب ذلك الخطاب ، ولكنه صديق عزيز لا أحب أن أعرّضه للاتسام بسمة الخطأ الذى وقع فيه أستاذه أحمد أمين

وإنما يهمنى نقض هذا الرأى لأنه على ضعفه يرفع رأسه من وقت إلى وقت ، ويخيِّل للناس أنه قادر على الحياة وأنه يستطيع أن يمشى على رجلين أو على أربع ، وأنه خليق بأن تُنصَب له الموازين !

وهذه الشبهة لها صورة من صور الحق :

فاللغة العربية ليست لغة مصرية ، وإنما هي في الأصل لغة أجنبية حملتها إلينا العقيدة الإسلامية

هذه الشبهة تحمل وجهاً جميلاً من وجوه الحق ، ولكنها تذكر بحكاية اللص الذي رأى صاحب الدار يجول في أرجاء داره فصاح : من الذي هناك ؟ !

أيها القراء

إسمعوا الحجج الآتية ، ثم كذبوني إن استطعتم ، ولن تستطيعوا أبداً . أنتم تعرفون أن أهل مصر تكلموا اللغة العربية نحو ثلاثة عشر قرناً ، فهل تعرفون أن المصريين تكلموا لغة واحدة ثلاثة عشر قرناً قبل أن يتكلموا اللغة العربية ؟

هل يستطيع رجل من علماء الآثار المصرية أن يثبت أن أهل مصر كانت لهم لغة واحدة في أي عهد من العهود قبل أن يعرفوا اللغة العربية ؟

إن التاريخ يؤكد أن المصريين قبل الإسلام كانت لهم لغة في الشمال ولغة في الجنوب ، ويؤكد أنهم عرفوا لغة ثالثة هي اللغة اليونانية ، وكانت لغة رسمية في بعض العهود ، وربما استطاع التاريخ أن يقول إن مصر كان فيها ثلاث لغات : لغة لأهل مصر الوسطى ولغة لأهل الجنوب ولغة لأهل الشمال

وقد يستطيع التاريخ أن يؤكد أن بعض الأقاليم المصرية عرفت اللغة العربية قبل الإسلام. والتشابه بين اللغة المصرية واللغة العربية أثبته كثير من الباحثين منهم المرحوم أحمد باشا كمال

وأحدد الغرض فأقول :

إن اللغة التي تسود سيادة تامة في قطر من الأقطار ثلاثة عشر قرناً لا تكون لغة أجنبية وإنما تكون لغة قومية . وسيأتي يوم تسمى فيه اللغة العربية باسم آخر هو اللغة المصرية ، لأن العرب الأصليين في حواضرهم وبواديهم لا يتذوقون اللغة الفصيحة كما يتذوقها المصريون ، ولولا مصر لانقرضت لغة العرب منذ أجيال طوال

يا بني آدم من أهل مصر ، إسمعوا وعُوا

إن مصر — لحكمة أرادها الله بالعرب والمسلمين — هي البلد الوحيد الذي انقرضت لغاته القديمة لتحل محلها اللغة العربية، وهذا حظ لم تظفر بمثله أمة عربية : فالأقطار الشامية تحيا فيها اللغة السريانية واللغة العبرانية ؛ والبلاد العراقية تحيا فيها اللغة البابلية واللغة الكردية ، ولغات أُخر يعرفها أهل تلك البلاد ؛ والجزيرة العربية تحيا فيها لهجات مختلفات ؛ والبلاد المغربية فيها ما تعرفون من لغات متنافرة بعضها قديم وبعضها حديث ، والرجل العربي قد يحتاج في تلك البلاد إلى ترجمان

وقد عصفت عصور الظلمات بلغة القرآن في كثير من الممالك العربية ، فاضطُرت بغداد وكانت عروس العروبة إلى أن تتكلم اللغة الفارسية بضعة قرون ، ثم قهرها الظلم بعد ذلك على أن تتكلم اللغة التركية زمناً غير قليل ؛ والشام في مختلف أقطاره تعرّض كارهاً لأمثال تلك الخطوب . ومع هذا لطف الله بمصر فظلت موئل اللغة العربية ، وكانت المساجد في القاهرة وفي سائر الحواضر المصرية مدارس جامعة لنشر علوم اللغة والدين ، وما يزال الناس يذكرون كيف حفظ الأزهر الشريف مخلفات الفُرس والهنود والعراقيين والشوام والمغاربة والأندلسيين في ميادين المعقول والمنقول

فالذين يهمسون بأن اللغة العربية في مصر لغة أجنبية هم قوم مجرمون يستأهلون التأديب وكيف تكون لغة أجنبية وقد تغلغلت في دمائنا وأرواحنا نحو ثلاثة عشر قرناً ، وكنا الدِّرع التي تصد ما يوجه إليها من سهام ونبال ؟

إن اللغة العربية في مصر أرسخ من اللغة الفرنسية في فرنسا ومن اللغة الإنجليزية في انجلترا ومن اللغة الألمانية في ألمانيا ، لأن تلك اللغات بصورتها الراهنة لم تعش في بلادها رُبع المدة التي عاشتها اللغة العربية في بلادنا ، والفرق بيننا وبينهم أنهم سلموا من الدسائس وابتُلينا نحن بالدسائس

وهل يستطيع شاعر مثل فكتور هوجو أن يجد في أجداده من تكلم اللغة الفرنسية كما يجد حافظ ابراهيم من أجداده من تكلم اللغة العربية ؟

وأين كانت اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية في الوقت الذي ظهرت فيه أشعار أبي تمام والبحتري ، وابن الرومي ، والشريف الرضي باللغة العربيه ؟

وهل فى الدنيا لغة عاصرت القرآن وبقيت مفهومة لأهلها على نحو ما يفهم القرآن فى جميع البيئات العربية ؟

إن مصر هى التى حفظت لغة القرآن بلا جدال ولا نزاع ، فمن العار أن يوجد فى أبنائها من يقول إنها لغة أجنبية

ومن أعجب العجب أن تحفظ لنا الأمم العربية هذا الفضل ، ثم نتنكر نحن لهذا الفضل !

من أعجب العجب أن تذكرنا الأمم العربية بماضينا فى خدمة اللغة العربية ، ثم يكون فينا من يقول بأن اللغة العربية فى مصر لغة أجنبية

فما هى لغتنا إذن ؟

إن اللغات المصرية القديمة لن تعود أبداً ، ولو أنفقنا فى سبيلها غاليات الأنفس والأموال ، فهل ترون أن نتكلم بعض اللغات الأوربية ، وهى أجنبية أجنبية أجنبية ؟

وهل يدعو إلى هذا الرأى غير مخلوق جهول لا يعرف ما تعيش به الأمم من المقوّمات الذاتية ؟

إن مصر ستحتفل بعد قليل بالعيد الألفى للقاهرة ، فهل تستطيع مدينة فى الشرق أن تقول إنها أدت للدراسات العربية والإسلامية ما أدت القاهرة ؟

هل تستطيع مكة وهى مهد اللغة العربية أن تقول إنها تنافس القاهرة فى ماضيها اللغوى والأدبى ؟

وهل طبع المصحف فى مكة بقدر ما طبع فى القاهرة ؟

وهل أذيعت تفاسير القرآن فى أى بلد عربى بقدر ما أذيعت فى القاهرة ؟

وهل نشرت عيون المؤلفات العربية إلا بفضل مطابع القاهرة؟

وهل عرف التسامح فى درس المذاهب الإسلامية كما عرف فى القاهرة ؟

إحفظوا نعمة الله عليكم ، يا أهل مصر ، وكونوا عند ظن الأمم العربية بوطنكم المحبوب

***

ولنفرض أن العامية هى لغة المصريين وأنها ترجع إلى عهد سبق الإسلام هو عهد الهكسوس كما قال بعض المبشرين ، فما عسى أن تكون تلك العامية المصرية ؟ أليست لغة عربية فصيحة المفردات لا ينقصها غير الإعراب وهو ليس شرطاً أساسيًّا فى الإفصاح ؟

أنا لا أسمى هذه اللغة عامية ، وإنما أسميها لغة التخاطب La langue parlée ولكل أمة فى الدنيا لغتان : لغة تخاطب ولغة إنشاء

ومن حدثكم أن أمثال الإنجليز والفرنسيس والطليان والألمان يتكلمون كما يكتبون فاعرفوا أنه غافل جهول

وكيف تصح تلك الدعوى المريضة وقد عرف كل من عاش فى البلاد الأوربية أن العوام لهم لغة سهلة بسيطة لا تقاس إلى لغة من يحيون فى البيئات العلمية والأدبية ؟

فمن كان فى ريب من ذلك فليشهد بعض الأفلام الفرنسية التى تمثل لهجات الصناع والعمال أو تصور مناحى التعبير عند أهل الشمال أو أهل الجنوب ، فإن فعل فسيعرف أن لغة التخاطب تختلف قليلاً أو كثيراً عن لغة الخطابة ولغة الإنشاء

إننا نعرف أن العصر العباسى كان عصر ازدهار اللغة العربية فى العصور الماضية ، فهل تظنون أن عامة الناس فى البصرة والكوفة وبغداد كانوا يتكلمون كما يتكلم المبرد والجاحظ ومسلم بن الوليد ؟

إن فى أدباء فرنسا لهذا العهد من يشكك فى قدرة جمهور الأدباء هناك على التعبير الأصيل باللغة الفرنسية ، ولأحد مؤلفيهم كتاب سماه : Comment on massacre le français

فهل يكون معنى ذلك أن اللغة الفرنسية خفيت أصولها على أدباء باريس وليون ؟

أم يكون معناه أن الغيرة على اللغة تثور فى صدور الأدباء من حين إلى حين بسبب التسامح الذى يشهدونه فى تعابير بعض الكتاب كما فعل عبد القاهر الجرجانى فى مقدمة دلائل الإعجاز حين رأى ما يشبه ذلك عند كتاب القرن الخامس ؟

إن الناس عندنا لا يفرقون بين الحالات التى يختلف فيها بعض الكتاب عن بعض ، وهم يظنون أن كل إنشاء يخالف إنشاء الجاحظ أو ابن العميد هو من شواهد انحطاط اللغة العربية؟

وهم يتوهمون أننا تفردنا بين الأمم بالحيرة بين لغتين : إحداهما لغة التخاطب والثانية لغة الإنشاء

ولو كان ذلك المتخرج فى كلية الآداب قد تخرّج فى قسم اللغة العربية لا فى قسم التاريخ لعرف أن الجاحظ على فضله نص على أن هناك مواطن لا يجوز فيها التعبير بغير اللغة العامية ، وهذا يشهد بأن حياة اللغة العامية ليست نذيراً للغة الفصيحة بالهلاك ، فالذوق يوجب أن يكون لكل مقام مقال وألا يحدّث العوامّ كما يحدث الخواصّ

وهل كان أهل مكة والمدينة يتكلمون فيما بينهم بنفس الأسلوب المعروف فى القرآن والحديث ؟

إن القرآن نزل على العرب بلسان عربى مبين ، ومع ذلك لا يمكن القول بأن العرب لذلك العهد كانوا يعبرون عن ذوات أنفسهم فى شؤونهم اليومية والماشية بنفس الأسلوب الذى عبّر به القرآن عن الشؤون الدينية والدنيوية

فكيف يُطلب منا أن نتكلم كما يتكلم شعراؤنا وخطباؤنا فى جميع الشؤون ، وإلا قيل إننا خوارج على اللغة العربية ؟

وهل يُطلب من تجار الغورية بالقاهرة أو تجار الشورجة فى بغداد أو تجار الحميدية فى دمشق أن يتكلموا كما يتكلم علماء مصر والشام والعراق ؟

وهل يتكلم سكان محلة بِل ڤيل فى باريس كما يتكلم أساتذة السوربون ؟

أنا أعرف أن أستاذنا برونو كان يوصينا بأن نستمع إلى محاورات العوام فى المترو ، ولكن لهذه الوصية مدلول آخر ، فهو كان يريد النص على أن لغة التخاطب فيها مرونة قد لا توجد فى لغة الإنشاء ، وأن من العقل أن ننتفع بتلك المرونة فى بعض المقامات لأن انصراف العوام عن الزخرف والتنميق أعطي لغتهم خصائص من السهولة والوضوح ، وهما من أهم عناصر البيان

وأؤكد للقراء أن الفرنسى الذى ينتقل من الشمال إلى الجنوب قد يجد من اختلاف الألفاظ والتعابير ما لا يجده العربى حين ينتقل من مصر إلى العراق

فكيف يجوز لبعض الناس أن يوهم القراء بأن العرب تبلبلت ألسنتهم وأن التفاهم بين خواصّهم وعوامّهم صار من المعضلات ؟

إنه لا مفر من الاعتراف بأن اللغات العامية لها مكان فى كل أرض ، لأنها لغات بسيطة سهلة تؤدى الأغراض اليومية فى المعاملات . ولو فرضنا اللغة الفصيحة على جميع الناس لكان ذلك ضرباً من الإرهاق ... ولا خطر على العرب من أن تكون لهم لهجات عامية تقترب أو تبتعد وفقاً للظروف الجغرافية ، ولكن الخطر كل الخطر هو فى جعل اللهجات المحلية أصولاً ثابتة يتدارسها العلماء ليعطوها من السلطة الأدبية ما يمكنها من الانفصال عن اللغة الفصيحة بعد جيل أو جيلين ، كما يصنع الأستاذ فلان الذى يعد نفسه ليكون « أصمعى » اللهجة المصرية فى هذا الزمان !

وماذا يقول فلان وفلان وفلان إذا حدثتهم بأن اللهجات المحلية فى البلاد العربية أصبحت تقترب من اللغة الفصيحة بسرعة عجيبة لم تكن تخطر فى البال بسبب انتشار الصحافة والتأليف ؟

إن العوامّ فى جميع البلاد العربية يقرأون الجرائد والمجلات ويفهمون مغازيها ومراميها بلا صعوبة ، وشاهد ذلك يعرفه أصحاب المجلات المصرية الذين يشهدون بأن قراءهم فى خارج مصر يعدّون بالألوف

فهل يمرّ ذلك بلا تأثير فى تطور اللهجات المحلية ؟

شرّقوا قليلاً أيها المصريون لتدركوا فضل اللغة الفصيحة فى نشر معارفكم بأقطار الشرق ، ولتروا كيف يعتزّ الرجل المصرى حين يرى له إخواناً يفهمون عنه فى أقطار تفصلها عنه البحار والصحارى والجبال

أنتم لا تعرفون قيمة الحرص على وحدة اللغة العربية ، ولا تدركون قيمة النعمة التى خصكم بها الله حين جعلكم حفظةَ التراث العربى ، ولو عرفتم ذلك لأضفيتم حلل الثناء على من ينشُدون أخوّتكم من أهل الشرق ، ويذكّرونكم فى كل يوم بأنهم إخوانكم الأقربون وإن بعُدت الدار ، وشطّ المزار

إن الأديب الذى طويتُ اسمه حفظاً لسمعته ينسى أن المزية الصحيحة التى رفعته مكاناً علياً بين زملائه هى قدرته على مخاطبة الجماهير بلغة مصونة من اللحن والتحريف ، فإن أصرّ على معاداة اللغة الفصيحة فليجرّب حظه بطريقة عملية ، ثم لينظر كيف تميد الأرض تحت قدميه

أما بعد فهل ينتهى صديقنا الأستاذ أحمد أمين ؟

هل يدرك أن شبان اليوم يعانون أزمة خطيرة بسبب الدسائس التى يصوبها المستعمرون والمبشرون إلى صدر اللغة العربية ، وأن واجب الأساتذة بكلية الآداب هو حماية أولئك الشبان من تلك السموم الفواتك ؟ هل يعرف أن فرنسا على عظمة إيمانها بسيطرة

ومشقبات

ليلة على سفح قاسيون !

للأستاذ على الطنطاوى

يا ليلة السفح هلا عدت ثانية سقى زمانك هطال من الديم
لم أقض منك لبانات ظفرت بها فهل لى اليوم إلا زفرة الندم ؟
« الشريف »

يا ليلة ما كان أجملها وأقصرها ... وكذلك تكون ليالى الأنس فاتنات قصيرات الأعمار !

يا ليلة ستمر الليالى ولا تمحو من نفسى ذكراها ولا أستطيع أن أنساها ...

يا ليلة ... سكرت فيها بلا كأس ولا قدح ... لقد علمتنى السكر فسأسكر الليالى الآتيات بذكراك ... ولكن ثمالة السرور لا يكون فيها إلا رحيق الألم ...

صدق دانتى : إن ذكرى اللذائذ الماضية تؤلمنا !

***

تلك هى ليلتنا على سفح قاسيون ، فى قهوة « حسن آغا » نظم فيها قلادةَ الأصحاب والأحباب ، شفاءُ الطفل المحبوب « إبراهيم الرواف » فاجتمع الشمل وتم الأنس وألفت الحلقة بين العلم والأدب والشعر والفن والنكتة والغناء ، وجمعت القهوة بين العراق والشآم ، ودمشق وبيروت ، فكان فى المجلس كرام أهل كل بلد و كبار أهل كل فن ... وشاركت الطبيعة الناس فى فرحة الشفاء فتزينت بحلة الأصيل المنسوجة بخيوط الذهب ، وماست أشجار النوطة دلالاً ، وهمست الأوراق بترتيلة المساء ، وكان مشهد لا يفيد فيه الوصف ، لأن مثله لا يرى إلا فى دمشق أو فى جنان الخلد ، ودمشق جنة المستعجل ...

وتحدث الأستاذ البيطار ، وتطارح الأستاذان الأثرى والتنوخى الأشمار ، ثم تسلم المجلس الأستاذ سعدى ياسين خطيب بيروت فلم يبق لأحد مجال لمقال ، وطفق يلقى النكتة إثر النكتة والنادرة تلو النادرة ، ونحن نمسك بخواصرنا ، ونضرب من الضحك بأرجلنا ونمسح دموعنا ، وهو لا يكف ولا يقف ، ففكرت كم يضيع بيننا من الآداب التى لو دوناها كما دون المتقدمون لكانت لنا ثروة هائلة . وحسبك من هولها أن ما رواه صاحبنا تلك الليلة وارتجله يملأ كتاباً كبيراً ... حتى إذا انطفأ مصباح الكون ، ولبثت عروس الطبيعة ثوبها الأسود ، ووجب حق الله علينا ، قمنا إلى الصلاة ، فأذن مؤذن منا ، فلم نفرغ من الصلاة حتى أذن مؤذن آخر أن حى على الطعام ...

ولما فرغنا وامتلأت بطوننا ، حسبت المجلسَ سينفض ، وأن القوم قد طعموا فلا بد أن ينتشروا ، فإذا المجلس يبدأ ، وإذا الشيخ سعدى يقدم المقدمات ... ويتحدث عن الغناء والطرب ، فما ظننت والله إلا أنه سيغنى . ولقد سمعته حين أذّن فسمعت صوتاً حلواً ورنة عذبة ، ولكنى وجدته يشير إلى شاب ما فتح منذ الليلة فمه ولا تكلم بكلمة ، فظننته يمزح وقلت إحدى هناته والله ؛ غير أنه بالغ فى إطراء الشاب وشاركه فى ذلك من اعتمد ذوقه واطمأن إلى حكمه وارتضى فهمه ، فشككت ولم أصدق أن يكون فى دمشق مغن مجود لا أعرفه ، على ولعى بأهل هذا الفن ، وعلى صلتى بالأديب الموسيقى الأستاذ حسنى كنعان لولب أهل الموسيقى ... وكان أشد ما أخشى منه أن يردد علينا اسطوانات عبد الوهاب وأم كلثوم ويحسبها علينا ليلة طرب ، وتمنيت لو ارتجل ارتجالاً ولم يجاوز أنغامنا العربية إلى أنغام لا نألفها ولا نحبها ، ولا يدعى محبتها إلا قوم يراءون بالطرب منها حتى يقال إنهم متمدنون وأن لهم بموسيقى أوربة بصراً ، ولست بحمد الله من هؤلاء ...

***

ومالبث الشاب أن غنى ، فإذا صوت تمنيت والله أن يكون لى علم الأستاذ محمد السيد الويلحى لأصفه لقراء الرسالة كما يصف هو ،

لغتها الفصيحة سيطرة قاهرة تحسب ألف حساب لخطر اللهجات المحلية وتتخوف من انتقاض « البروفانس » وإنها لذلك أعلنت غضبتها الأدبية على الشاعر ميسترال ؟

من حق السيد فلان أن يتحذلق كيف شاء فيدّعى أن الأدب العربى لا يستحق الدرس فى المدارس الثانوية والعالية ، ومن حق السيد فلان أن يقول بأن اللغة العربية لغة أجنبية ، ومن حق السيد فلان أن يقول بأن المصريين ليسوا من العرب ؛ من حق هؤلاء أن يقولوا ما يشاءون ما دام القانون لا يحرم الاعتداء على اللغة كما يحرم الاعتداء على الدين ... ولكنا سنريهم أن سيف القلم أمضى من سيف القانون

« الحديث شجون » زكى مبارك

فأقيسه بـ « الكونترالتو » الذى لا أعرف أهو شىء ما كول أم ملموس ، وبـ « الميزو سبرانو » الذى لا أدرى أهو حيوان أم نبات أم جماد أم هو اسم شيطان من شياطين الموسيقى؟ ولكنى واحسرتا جاهل بهذا الفن ، وليس عندنا فى دمشق مويلحى آخر يخلد ذكر هؤلاء النابغين المغمورين الساكين فى الرسالة !

أفيصح أن أصفه كما أعرف ؟

يدأ بـ « ياليل » بصوت ناعم حلو ، فأطربنى صوته ، وأعجبتنى نغمته، ولم أعب عليه إلا خفوته ونعومته؛ وصحت وأنا رجل طروب ، وصفقت ، فقال لى القوم: انتظر إنك لم تسمع شيئاً . وانتظرت فإذا هو يدور بالنغمة دورة ، فإذا له صوت قوى ضخم ولكنه واطئ كقرار عبد الوهاب ؛ وإن كانت له قوة صوت صالح عبد الحى أو الشيخ صبحى الإمام فى الشام ، ثم يعلو به ويعلو ، حتى يرتفع ارتفاعاً هائلاً ، وهو لا يزال على قوته ورجولته ، فبالغت فى الإعجاب وهزنى الطرب ، فقالوا انتظر ، إن بعد هذا لشيئاً ، فسكت أنتظر وما أظن أن بعد هذا شيئاً يكون ، فإذا الشاب (عادل القربى) يقفز من هذا العلو إلى طبقة أعلى وأرفع ، وإذا له صوت صبىّ برقته وحدته وصفائه ، فاستخفنى والله الطرب ، حتى هممت لولا الحياء أن أقوم له فالتزمه وأقبله ، وتركنا فى هذا الأفق السامى ، وهبط بآهة من آهاته إلى القرار ، ثم تهاوت آهته واختفت حتى لقد سمعت الهاء الساكنة ينطق بها قلبه ... ثم سكت سكتة ، فلا والله ما ظننا إلا أن الدنيا قد دارت بنا ، وثارت فى نفوسنا عواصف من العواطف الدفينة ، والذكر الكامنة لا يعلمها إلا الله ، وكانت لحظة صمت وخشوع ، آمنت فيها بما تفعل الموسيقى ... ثم انتبه القوم فزلزل المكان بالتصفيق والهتاف ...

ثم عاد ينادى هذا الليل الأصم : (ياليل — ياليل) والليل يصغى ويطرب ، ولكنه لا ينطق فيجيب . (يا ليل — ياليل) كم ذا يهتفون باسمك وأنت صامت ! (ياليل — يا ليل) يا ملجأ البائسين، يا سمير العاشقين، يا حبيب المتعبد الناسك، يا عدوّ المريض المتألم الحزين! (ياليل) كم يخفى ظلامك من مشاهد البؤس ومظاهر النعيم ! (ياليل) كم تضم أحشاؤك من آلام وآمال ! كم تشهد من أفراح وأتراح! (يا ليل) كم يتمنى بقاءك سعيد جذلان ، وكم يرقب فجرك ضائق حزمان[1] (ياليل — ياليل) كم بين جوانبك من ساهر يراقب النجم يرقب حبيباً لن يعود أبداً . أو يناجى ميتاً لا يسمع ، أو يحنو على مريض لا يشفى ، أو يشكو والحياة لا تسمع شكاة (ياليل) يا رمز السرمدية ، يا حليف المسرات ، يا قرين الآلام !

* * *

امتلأت نفسى شجناً ، وأحيت هذه (الليالى) ليالىّ الخاليات وملك نفسى شعور أعهده منها كلما سمعت الصبا يا لسحر الصبا ... ومضى الشاب يقلب الأنغام فيتلاعب بالقلوب والمشاعر . ثم كرّ كرّة فجاء بنغمة متقطعة مرقصة ... وأتى بدور يترع النفوس فرحاً، واضطر القوم كلهم أن يردّدوا كلمات منه بصوت منخفض يخالطه صوته الدقيق العالى فيكون منه اتساق (آرمونى) موسيقى عجيب ، وعاد المرح إلى المجلس ، وسقط الوقار عن أوقر أهله ، فعلمت أن موسيقانا ليست كلها بكاء وألماً ولكن فيها المرقص المطرب ، وكان الشيخ سعدى لا يدخر سكتة بين نغمتين إلا أحكم المرمى وقذف بنكتة من نكته التى لا ينفد معينها . وزلزل المجلس بأهله من الضحك والغناء ، حتى لقد حسبت الدنيا ترقص معنا . ثم حط الغناء على أنشودتنا الشعبية الخالدة (يا ميجنا — يا ميجنا) تلك التى تصور بمعانيها النفس الشامية ، وتمثل بصورها طبيعة بلادنا وجمال ديارنا ، وهى رمز عبقريتنا الشعبية ومجال الابتكار ، ومحكّ القريحة ؛ فهي ترتجل أبداً ارتجالاً وتعقد لها المجالس ، ويقوم الشاعران يتقارضان المدح أو الهجاء ، وأهل المجلس يرددون اللازمة ... (الميجنا) أنشودتنا الأزلية التى لا يعلم أحد من نظم أول مقطع منها ولا متى ينظم آخر مقطع ... ثم أخذنا فى الأغانى البلدية (هيهات يابو الزلوف) :

منْ ُهون لَ أرض الدير   منْ ُهون لِ أرض الدير
والسرّ اللى بيننـــا   إيشْ وَصّلو لِلغـــير
وان كان ما فى ورق   لَ أكتب عَ جناح الطير
وان كان ما فى حبر   بدموع عينىْ ....

تلك الأغانى التى ولدت فى أودية الشام المختبئة فى سرّ الغيب لا يعلم بها إلا أهلوها والله العالم بكل شىء ، وذراه التى لا يسكنها إلا أهلوها والنور

... فيا أيها المصطافون بالله عليكم ، لا تقفوا عند صوفر وبحمدون وبلودان ، بل تغلغلوا إذا أردتم أن تشاهدوا الجمال جمال الفطرة ، واهبطوا أودية ، وارتقوا ذرى ، واركبوا الدواب ، وسيروا على الأقدام ، ولكن لا ... لا يا أيها المصطافون بالله عليكم ،

---

(١) حزمان من العامى الفصيح

١٣ ٠ ٣٤

انسوا ما قلت لكم ، ودعوا الجبل على فطرته ، أتركوه يعيش على جهله الفاضل ، وفقره السعيد . لا تحملوا إليه الحضارة التي أفسدت بلودان وصوفر وبحمدون ...

هذه الحضارة ، وبل لنا من هذه الحضارة !

لقد سلبتنا كل شيء ! فهل تسلبنا موسيقانا ؟ إنا لا نجد ساعة الضيق إلا أغانينا وأنغامنا ، نصب فيها آلامنا ونستوحيها الأمل ، ونمسح بها دموعنا . أفتريدون ألا يبقى لنا وزر نلجأ إليه ساعة الضيق ؟

إن الموسيقى غذاء الروح ، فشأنكم ، قلدوا أوربة في كل شيء لكن دعوا لنا غذاء أرواحنا . أفتحبون ألا نجد لأرواحنا غذاء فنتركها تذوى وتموت ؟

هذه صرخة قلوبنا ، فهل يصغى إليها هؤلاء الذين وهبهم الله نعمة الفن ليحفظوا علينا فننا ، فذهبوا يضيعون بهذه النعمة فننا ؟ هل يصغى عبد الوهاب نابغة العصر ؟

إني والله لأسمع في السينما أغاني القوم من أهل أوربة ، فلا أحس طرباً ولا أرى فيها إلا اختلاطاً في الأنغام من باب ...

سقياً ورعياً وزيتوناً ومغفرة   فتلم الشيخ عثمان بن عفانا

وليقل عنى من شاء ما شاء ، ثم أسمع عبد الوهاب فأعجب ، ولكني لا أطرب ، فإذا سمعت علياً الكردى في الشام أو القبانجي في بغداد عرفت ما هو الطرب .

هكذا أنا ، وهكذا الناس ، فدعوا لنا أغانينا ...

وضرب الشاب في كل فنّ من الغناء ، ثم غنّى في أبيات أبي صخر الهذلي :

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها   فلما انقضى مابيننا سكن الدهر
فيا حبها زدني جوًى كل ليلة   ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
ويا هجر ليلى قد بلغت بي المدى   وزدت على ما ليس يبلغه الهجر
وإني لتعروني لذكراك هزة   كما انتفض العصفور بلله القطر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى   وزرتك حتى قيل ليس له صبر
أما والذي أبكي وأضحك والذي   أمات وأحيا والذي أمره الأمر
لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى   أليفين منها لا يروعهما الذعر

فنقلني إلى مجالس الخلفاء التي صوّرها أبو الفرج ، ونال مني الطرب ؛ فعرفت أن لقد كان حقاً ما ذكر الأصبهاني وأن المرء قد يمزّق ثوبه من الطرب ، أو يحرق لحيته بالسراج وينادى النار يا أولاد الـ . . . ومن يضع الوسادة على رأسه ويصيح « زلابية بعسل » . . .

ولكن ماذا ينفع الشاب إعجابي ، وماذا تفيده هذه العبقرية وهو مضطر إلى العمل في سوق الحميدية ليعيش ؟ أفليس حراماً أن يدفن هذا النبوغ في دكان ؟ أليس حراماً أن صبحي الحموى يعيش متنقلاً بين القرى يراقب إصلاح الطرق المخربة وهو من أقدر من أمسك بمضراب العود ؟ أليس حراماً أن يكون عليّ الكردى شيخ الفن القديم في الشام دلال بيوت ؟ أليس حراماً أن يشتغل تحسين بك سيّد أهل الناى في البلاد كلها بإصلاح أنابيب المياه في البيوت وهو في الثمانين من عمره ؟

وفي بغداد، أليس الشيخ حيدر الجوادى عاملاً في دار لتجليد الكتب ؟ وفي مصر ، أما فيها كثير من أهل الفن لا يعبأ بهم أحد؟

ولكن لا بأس

لقد عهدتك بعد الموت تندبني   وفي حياتي ما زودتني زادى

لا بأس أن يموت الفنان جوعاً ، فسينصب له بثمن خبزه تمثال ، ورحمك الله يا سيد درويش . . .

(دمشق)   علي الطنطاوي

حديث في القرن التاسع عشر

للأستاذ خليل هنـــداوي

التفت إلى محدثي — وهو شيخ وقور[1] — وقال لي : إنني محدثك حديثاً عجباً !

قلت : هات !

قال :

كنت في نهاية القرن التاسع عشر في وظيفة إفتاء للأسطول العثماني . وأُلزمتُ أن أركب البحر من الدار العلية إلى شاطئ المغرب لمشاغل دينية ، على باخرة يونانية صغيرة تميل كلما مال عليها الموج . كنت في عزلة موحشة ، لأني غريب لا تميل سحنة إلى سحنتي ، ولا ينحني زي على زيي . وصدفة جلس إزائي على المائدة رجل قد تجاوز الأربعين ، ولكن ملامح الأسفار على وجهه ، وقد استبد الشيب بأكثر مساحة رأسه . أما همته ، فلا تزال في صعود : يمشي فلا ينحني ، ويتكلم فلا يتتعتع ...

بادرني قائلاً بالألمانية :

— هل تحسن الألمانية ؟

— لا .

سكت ريثما فرغت جفنة من الطعام وعاد سائلاً :

— هل تحسن الفرنسية ؟

— لا .

— هل تحسن الإنجليزية ؟

— لا .

ثم قال لي بلسان فصيح طلق كأنه أحد البداة :

— وهل تحسن اللغة العربية ؟

— أنا ابنها !

— ما اسمك ، وما وسمك ، ومن أين ، وإلى أين ؟

أجبته على سؤاله ، وعجبت من أمر هذا الرجل الذي كان ينبغي له لما صادفه من زيي أن يسألني بالعربية . وقدم إلي نفسه بأنه مستشرق ألماني من هامبورج ، قضى في الشرق زمناً طويلاً يبلو به الأخلاق ، ويدرس العادات . وكانت صحبتنا خلال هذه الأيام المدودة ، صحبة متينة وثيقة ، تجاذبنا فيها ما اختلفت ألوانه من الأحاديث . وقبل أن يغادرني إلى بلده قال لي :

— والآن أريد أن أسألك عن مسألتين ، ولكني رجل لا أحب النقاش الممل ، والجدل القائم على المكابرة .

قال :

— إنني أطلب إلى الله أن يميتني على دين عمر بن الخطاب !

قلت له :

— يا هذا ! إن الدين دين محمد ، فكيف تسنده إلى عمر ؟!

أجاب :

— نعم . إن الدين دين محمد ، ولكني أدعو الله أن يميتني على دين عمر . . . إن محمداً جاء بالدين ودعا إليه ، وأبو بكر شد أزره ، وثبت أمره . وجاء عمر ينشره ويؤيده وينفذه ... ومات عمر والمسلمون من بعده لا يزالون يتخبطون في فتنة عمياء ، عرفت أوائلها ، ولا تعرف خواتمها ! المسلمون اليوم على دين غير دين عمر . وماذا ـ لعمر الله ـ يرعون من هذا الدين إلا رسومه ؟ دين عمر يأمر بالصلاح وهم فاسدون . دين عمر يأمر بالأمانة وهم خائنون ، ويأمر بالصدق وهم كاذبون ، ويأمر بالوفاء وهم غادرون . . .

سمعتُ هذا من محدثي ، وبرقت لنفسي خاطرة أحببت أن أوضحها ، وأحببت أن ألفت إليها أنظار المصلحين من رجال الدين : إن الأخلاق التي حث عليها الدين تنحصر في نوعين : الأخلاق الحسية ، والأخلاق المعنوية . أما الأولى فهي تتناول الظاهر وتجعل من الرجل الذي يتمسك بها رجلاً فاضلاً محترماً . وإلى هذا النوع من الأخلاق يميل المصلحون ، وعلى ممارسته يحثون. على أن المسلمين في الحقيقة لم يترددوا في هذا الدرك الأسفل من الذل ، لأن بعضهم يشرب الخمر أو يفسق أو يقامر ، وإنما نرى أكثر الأمم المتسلطة علينا غارقة في خمرها وفسقها وقمارها . . . فلم يضرها ذلك شيئاً . أما الجانب الأكثر خطراً في الأخلاق ، فهو الجانب المعنوي الذي تقاس به حيوية الأمم . ولعل هذا الجانب هو ما قصد إليه المستشرق ، لأنه وجد أخلاقنا المعنوية ، ومقاييسنا الروحية هزيلة جداً : فتاجرنا مثلاً يثرى بالخيانة والحيلة ، وفقيهنا يرتع بالكذب ، ومصلحنا يقصد جيبه قبل أن يقصد ربه . ومثل هذا الجانب هو ما ينبغي للمصلحين أن يعالجوه ! وقد عرف رجال الدين كيف نعت الرسول (ص) الكفر بالشرك الأكبر والرياء

(١) وهو الأستاذ الطرابلسي الشيخ علي شيخ العرب

فى الأخلاق بالشرك الأصغر. ومن ذا الذى لايذكر ذلك الأعرابى الذى قدم على الرسول والرذائل حشو ثيابه، فقال له: إنه لايستطيع أن يقعد عن الخمر، وعن الفسق، وعن القمار. فما عالجه الرسول الحكيم إلا من الناحية المنوية التى تقوى الشخصية وتنقى النفس قال له:

— لا تكذب، وافعل بعد هذا كل شىء!

لكن الأعرابى بعد يومين ترك كل رذيلة.

وها هنا روعة الفهم وروعة الحكمة!

ولكن كيف يعمل مصلحون يتاجرون بالأخلاق الحسية على حساب الأخلاق المنوية؟

إلتفت المستشرق إلى محدثى وسأله عن المسألة الثانية:

— وما هو الفارق بين الشرقيين والغربيين؟

فاعتذر صاحبي بأنه لا يعرف الغرب معرفة صحيحة، كما اعتذر الشيخ محمد عبده حين سأله الفيلسوف سبنسر عن أخلاق الإنجليز

فأجاب المستشرق:

— إن الشرق كفرد له قيمته وطيبة قلبه، بعكس الغربى الذى فسدت ذاتيته، وتعطلت محاسن نفسه. ولكن الشرق حين يندمج ويتكتل مع غيره لا يلد إلا كتلة فاسدة متفسخة، يسوقها الطمع، وتقتلها الأنانية. بعكس الكتلة الغربية التى يسودها النظام، وتذوب فيها المصالح الفردية. ولهذا يرجع سر نجاح الجمعية الغربية، وفشل الجمعية الشرقية!

ولقد أصاب المستشرق الهدف إلى حد بعيد، لأن تربية الشرق تربية ذاتية أنانية تدور حول نفسها، لا تعمل الخير ولا تطلب الإحسان فى العمل إلا إذا عملت لنفسها. بينما تربية الغرب تكاد تصبح تربية جماعية اجتماعية، كأنما أدركت هذه التربية قول الرسول (ص): يد الله مع الجماعة.

ولكن ما عسى يقول هذا المستشرق لو عرف أن الشرق الذى كان يعرفه قد مات، وأن الشرق اليوم قد أضاع طيبة القلب وأمانة النفس كفرد، وبهذا أصبح لا يصلح للحياة كفرد فى نفسه ولا فى مجتمعه!

وهنا افترقا...

***

لكن القدر هيأ لهما اجتماعاً ثانياً بعد أربعة أعوام فى مدينة المستشرق — هامبورج — فاستقبل المستشرق صاحبنا وأحله فى مشواه، لأنه عربى له عليه حق الضيافة. وفى اليوم الثانى عرّج به إلى الجامعة، وقدمه إلى رئيسها، وهو شيخ مفكر، لكنه غير محلول اللسان

قال الرئيس لمحدثى بالعربية:

— كيف رأيت بلادنا؟

— البلاد جميلة!

— جميلة! الظواهر جميلة فى انتظام، أما البواطن ففى انقلاب! ولكن إذا حكم الإنسان العقل أدرك الأمور بحقائقها

فالتفت محدثى إلى الرئيس وقال:

— على ذكر العقل وإدراكه للحقائق، أود أن أذكر هذه الفقرة من كتاب مخطوط قرأته فى مكتبة — أيا صوفيا — وهو فى التصوف، واسمه «نور الأبصار» لمؤلفه الشيخ بهاء الدين اليانيلى من منطقة الألبان (صدر فى سنة ١١٦٠ هـ). قال عن الشيخ العارف الأكبر السيد محى الدين بن عربى: «ما عرفت رجلاً عرف الله عن طريق العقل مثل أفلاطون... وأفلاطون فيلسوف يونانى تفتحت له الحكمة، وانزاحت عن عينيه الحجب. وقد أوصى بأن ينقش على قبره: «الحكمة سلم العالم الأعلى، من علمها فقد علم القرب إلى بارئه، من تدبر نظر، ومن نظر عرف، ومن عرف عمل، ومن عمل انفتح ذهنه وعقله، ومن انفتح ذهنه وعقله صفت نفسه، ومن صفت نفسه وصل إلى خالقه بدون واسطة!»

وهنا طلب الرئيس إلى محدثى اسم الكتاب واسم مصنفه ومكانه. وطلب إلى أستاذ فى الجامعة أن يسافر لتوه إلى — الدار العلية — لاستنساخ الكتاب. ويضيف محدثى إلى ما قاله: وبعد شهرين علمت من قيم المكتبة أن أستاذاً ألمانياً نقل الكتاب، وأعطى القيم مكافأة حسنة...

خليل هنداوى

يا رســــول الله !

لأستاذ جليـــل

إن الدهر قد جار على قوم عرب ! ! !

روى المسعودى فى (التنبيه والإشراف) أخبار طائفة من الأفدية بين العرب والروم ، منها خبر هذا الفداء :

« الفداء الأول فداء أبى سليم ، كان أول فداء جرى فى أيام ولد العباس فى خلافة الرشيد باللامس [1] من ساحل البحر الروى على نحو من خمسة وثلاثين ميلاً من طرسوس [2] سنة ١٨٩ — والملك على الروم نقفور — وذلك على يد القاسم بن الرشيد وباسمه ، وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنّسرين من أعمال الحلب . حضر هذا الفداء وقام به أبو سليم فرج خادم الرشيد المتولى له بناء طرسوس فى سنة ١٧١ للهجرة ، وسالم البربرى مولى بنى العباس فى ثلاثين ألفاً من المرتزقة ، وحضره من أهل الثغور وغيرهم من أهل الأمصار نحو من خمس مئة ألف ، (وقيل أكثر من ذلك) بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوة . قد أخذوا السهل والجبل ، وضاق بهم الفضاء . وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزى ، ومعهم أسارى المسلمين وكان عدة من فودى به من المسلمين فى اثنى عشر يوماً — ثلاثة آلاف وسبع مئة — (وقيل أكثر من ذلك) . والمقام باللامس نحو من أربعين يوماً قبل الأيام التى وقع الفداء فيها وبعدها » .

وذكر المسعودى فى ذلك الكتاب هذا الخبر :

« كانت ملوك الروم تكتب على كتبها من فلان ملك النصرانية فغير ذلك نقفور [3] ، وكتب (ملك الروم) ، وقال هذا كذب ، ليس (أنا) ملك النصرانية ، أنا ملك الروم ، والملوك لا تكذب وأنكر على الروم تسميتهم العرب : (ساراقينوس) تفسير ذلك عبيد سارة ، طعناً منهم على هاجر وابنها اسمعيل . وقال : تسميتهم عبيد سارة كذب . والروم إلى هذا الوقت — يعنى سنة ٣٤٥ — تسمى العرب ساراقينوس » .

* * *

قرأت ما روى المؤرخ المسعودى فرددت :

تذكرتُ والذكرى تهيج لذى الهوى
ومن حاجة المحزون أن يتذكرا [1] !

وخط القلم هذا المكتوب : أقمنا وجيراننا الروم — بضعة قرون — نتغاور ونتمارك ونتناحر : تصبح أجنادنا وبعوثنا : (الصوائف ، والشواتى ، والربيعيات) دروبهم ومدائنهم وتمسيها

لما حللتَ الثغر أصبح عالياً
للروم من ذاك الجوار — جوار [2]

أبقت بنى الأصفر المراض كاسمهم
صفر الوجوه ، وجلت أوجه العرب [3]

أنت طول الحياة للروم غاز
فمتى الوعد أن يكون القفول [4]

وكيف ترجّى الروم والروس هدمها
وذا الطعن آساس لها ودعائم [5]

وتطلع على ربوعنا والعواصم [6] بنودُ الروم [7] يقاتلون مستبسلين .

كنا نتحارب ، وكنا نتهادن ، ونفادى أسرانا عندهم ، ويفادون أساراهم عندنا والحرب سجال

وكان تنابز بالألقاب ، فكنا نقول لذوى القرون [8] : يا أعلاج يا علوج !

ويقولون لنا ساخرين : سراقينوس ! .

فلما وهنوا ووهنا وهلكوا وهلكنا أقبل قبيل كنا هديناه

---

(١) اللامس : قرية على شط بحر الروم من ناحية ثغر طرسوس ، كان فيها الفداء بين المسلمين والروم . يقدم الروم فى البحر فيكونون فى سفنهم والمسلمون فى البر ، وتقع الفداء (معجم البلدان)

(٢) طرسوس مدينة بثغور الشام بين إنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وبها قبر المأمون ، جاءها غازياً فأدركته منيته (معجم البلدان)

(٣) فى تاريخ الطبرى : الروم تذكر أن نقفور هذا من أولاد جفنة من غسان . وفى التنبيه والاشراف : قيل : بل من ولد متنصرة إياد الذين دخلوا فى أرض الروم من بلاد الجزيرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(١) للنابغة الجعدى فى مشوبة فى الجمهرة ومطلعها :

خليلى عوجا ساعة وتهجرا
ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

(٢) أبو تمام فى أبى سعيد الثغرى (جوار) جؤار ، وقد خفف للذى ولع حبيب به ...

(٣) أبو تمام فى المعتصم فى فتح عمورية وفى هذه القصيدة الخالدة يقول :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت
منك المنى حفلا معسولة الحلب

جرى لها الفال برحاً يوم أنقرة
إذ غودرت وحشة الساحات والرحب

قال المسعودي : خرج المعتصم إلى أرض الروم غازيا فافتتح انقرة ومدينة عمورية فى شهر رمضان سنة ٢٢٣ .

(٤) ، (٥) المتنبي فى سيف الدولة

(٦) العواصم : قلاع وحصون وبلاد قصبتها إنطاكية

(٧) البنود أعلام الروم تحت كل بند عشرة آلاف

(٨) خرج إلى بلاد ذات القرون وهم الروم لطول ذوائبهم (الأساس)

وعلمناه وهذبناه ومدناه — كما مدنا سواه[1] — وقربناه، وإن شئت فقل: أنشأناه خلقاً آخر، وما كان يعد من الناس، وامتلك دار الروم و « رب ساع لقاعد » . وقد كافأنا لئيم شر مكافأة :

جزتنا بنو (مُغل) بحسن فعالنا … جزاء سنمار، وما كان ذا ذنب !

خرب لنا حضارة فى مصر ، ونهب الناهب كنوزنا ، وتمالأ هو والإفرنجى علينا فى هذا الوقت، وابتزّ المختلس الظالم حقاً هولنا

فإن الماء ماء أبى وجدى … وبئرى ذو حفرت وذو طويت !

وضام — غير راحم ولا كريم — فى الربع المحروب كل عربى نصرانى أو حنيف ! وشرّد العرب البائسين فى البلاد تشريداً ! وحقر لوغادته لغة (الكتاب) المبين — الله أكبر ، الله أكبر ! — وهى التى كوّنت لسانه ؛ فنطق الأعجم مثل الناطقين

ألا إن العربيين لستأهلون[2] — بما شقوا ليسعد غيرهم — أن يقول لهم الروم : « سراقينوس » مستهزئين وشامتين

***

يا محمد ! يا محمد !

لقد ضامنا فى هذا الزمان الإفرنجى والتركى حتى ذاك الذى ضربت عليه الذلة — جهلاً بك يا منيّةُ جهلْ — وكان ضعفنا ولؤمنا وتمادينا وصَدَعاتنا[1] وغضبك علينا، غضبك على الخلف الخالف من أجل ذلك — أقوى معين للضائمين !

فإن لم تمنّ على المنتمين إلى عربية (قرآنك) العربى بشىء من عطف ورضا هلك — يا سيدى أبا القاسم — أتباعك ، خدام (كتابك) خدام (لسانك) خدامك — فى الهالكين

ياسيّد الوجود يا رسول الله ! يا أبا بكر الصديق ! ياعمر الفاروق ! يا ذا النورين ! يا أبا الحسنين ! إن الدهر قد جار على قوم عرب !

(*)

---

(١) نحن الحفاة والعراة ورعاة الابل ، نحن الذين بلغوا الرسالة ، رسالة محمد ، رسالة الحق والعدل والتفكير والحرية والمساواة ، وهدوا الناس ومدنوا أوربة . قال صاحب كتاب La civilisation des Arabe فى ختام كتابه فى الصفحة ٦٧٧ :

Au point de vue intellectuel et moral ils ont civilisé l'Europe

(٢) اللسان: الأزهرى : خطأ بعضهم قول من يقول فلان يستأهل = أن يكرم أو يهان بمعنى يستحق ، وأما أنا فلا أنكره ولا أخطئ من قاله واستحسن الزمخشرى الكلمة استحسان الأزهري

(١) الصدعات : التفرق فى الرأى والهوى . وفى الأساس : أصلحوا ما فيكم من الصدعات .

الى صديقي ...

حول زيارة لضريح ابن عربي

للأستاذ صديق شيبوب

هنيئاً لك يا أخي تنقلك بين مصايف لبنان المرتفعة منها والمنخفضة ، بين الجبال الشاهقة والأودية السحيقة ، بعيداً عما نعانيه من حر مضن ورطوبة قاتلة ونزلة وافدة . ولعلك بعد أن تتم طوافك فى لبنان لا تنسي أن تزور دمشق لأنه لا بد لكل من يصطاف بلبنان من أن ينتهى بزيارة الفيحاء ، أو كما قال شاعرنا العربي

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

ولدمشق سحر خاص تتميز به عن غيرها من البلدان العربية الكبرى . ولا أصف لك الحدائق الغناء التى تحيط بها ، وهى نفحة من نفحات الجنان ، ولا الآثار البديعة القائمة فيها وبعضها من الروعة بمكان . فإنك ستزورها وستشهد هذا جميعه وتعجب به

وزائرو دمشق يكتفون عادة من آثارها بالجامع الأموى ودار المجمع العلمى والمكتبة وبعض القصور القديمة وبعض المصانع الوطنية ؛ وقليل منهم من يفكر فى زيارة ضريح الشيخ محيي الدين ابن عربي ، أو يفطن إلى أن « بحر المعارف الإلهية ، وترجمان العلوم الربانية ، الشيخ الأكبر ، والقطب الأفخر » كما يلقبه الشيخ عبد الغنى النابلسي ، مدفون فيها

ولقد زرت دمشق أكثر من مرة ، وكنت فى كل مرة أتردد على الأماكن التى تعود الناس زيارتها . ولم أفطن مرة إلى ضريح « الشيخ الأكبر » كما يلقب علماء الصوفية ابن العربي بالرغم من أنى ركبت أكثر من مرة (تراماً) يعرف خطه باسم « الشيخ محيى الدين » فى غدوى ورواحى إلى حىّ الصالحية حيث كنت أقيم

ولم يخطر ببالى فى زياراتى الأولى أن أسأل من هو محيي الدين هذا . ولا أخفى عنك أنى لو سألت يومئذ عنه وقيل لى إنه ابن العربي لما نبه فى ذهنى خاطراً بعيداً ، أو بعث فى نفسى شوقاً مزيداً إلى زيارة ضريحه ، لأنى لم أكن أعرف عنه أكثر من أنه إمام من أئمة الصوفية وأنه صاحب هذه الأبيات الجيلة التى كنت أحفظها من غير أن ألتفت إلى معناها الصوفى وهى :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لنيران ومعبد طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه ، فالحب دينى وإيمانى

ولم أكن أعرف ابن العربي ، كما وصفه الشيخ صفى الدين ابن أبي منصور فى تعابير صوفية رائقة ، فقال إنه « الشيخ الإمام المحقق ، رأس أجلاء العارفين والمقربين ، صاحب الإشارات الملكوتية ، والنفحات القدسية ، والأنفاس الروحانية ، والفتح الموثق ، والكشف المشرق ، والبصائر الخارقة ، والسرائر الصادقة ، والمعارف الباهرة ، والحقائق الزاهرة ، والمحل الأرفع من مراتب القرب فى منازل الأنس ، والمورد العذب فى مناهل الوصل ، والطول الأعلى فى معارج الدنو ، والقدم الراسخ فى التمكين من أحوال النهاية ، والباع الطويل فى التصريف فى أحكام الولاية . وهو أحد أركان هذا الطريق »

أو كما وصفه الذهبي : « وله توسيع فى الكلام ، وذكاء وقوة خاطر وحافظة وتدقيق فى التصوف ، وتآليف جمة فى العرفان . ولولا شطحه فى الكلام لم يكن به بأس . ولعل ذلك وقع منه حال سكره وغيبته »

أو كما وصفه المسدى : « كان ابن العربي ظاهرى المذهب فى العبادات ، باطنى النظر فى الاعتقادات ، خاض بحار تلك العبادات ، وتحقق بمحيا تلك الإشارات ، وتصانيفه تشهد له عند أولى البصر بالتقدم والإقدام ، ومواقف الغايات فى مزالق الأقدام »

أو كما قال أيضاً : « وكان جميل الجلة والتفصيل ، محصلاً لفنون العلم أخص تحصيل ، وله فى الأدب الشأو الذى لا يلحق »

أجل لم أكن أعرف هذا جميعه عن ابن العربي ، بل لم أكن أعرف كثيراً أو قليلاً عن أئمة المتصوفين لأني وصلت إلى دراسة

التصوف متأخراً ... بل إني لم أكن أتذوق كما يجب أشعار ابن الفارض لأني لم أكن أفطن إلى كل معانيها الصوفية .

وأذكر اليوم في شيء من الخزى أن كبيرة أديباتنا العربيات زارت منذ سنين ضريح ابن الفارض بالقاهرة بسفح المقطم، أو كما قال حفيده الشيخ على في رثائه المعروف «بالقرافة تحت ذيل العارض» ثم كتبت عنه مقالاً كله إطراء وثناء ؛ وكان أن لقيتها بعد ذلك بالأسكندرية حيث كانت تصطاف وقلت لها : إني لا أشاطرها إعجابها به . فأجابتني بأنه يجب أن أحاول فهم شعر ابن الفارض من الناحية الصوفية قبل أن أتحدث عنه كشاعر

ولعل هذا كان أول حافز لي لدرس الصوفية على قدر اجتهادى

ولا شك أن لابن الفارض مكانة خاصة في شعرنا العربي لأنه يكاد يكون الوحيد الذي عالج شعر الصوفية على النحو الذي نحاه شعراء الفرس والترك الصوفيون المبتدعون أمثال العطار وجلال الدين الرومى وسعدى وحافظ . ولا يدانيه في هذا الباب غير ابن العربي ، وإن يكن قد قصر عنه . فابن الفارض إذن فارس هذه الحلبة في لغتنا العربية وبطلها الفرد ، وقد قال فيه نيكلسون : « إن أشعار ابن الفارض غاية في اللطف » . ولا أذكر الآن من قال في وصف ديوانه إنه «معجزة في عالم الأدب»

والصوفية في شعر ابن الفارض مراتب من حيث الوضوح والغموض . ولعل « خمريته » تحسب وسطاً بين شعره الغنائى الغزلى وبين « التائية الكبرى » المعروفة بنظم السلوك

وهل أروى لك للدلالة على تشعب معاني هذه القصيدة الأخيرة ما ذكروا من أن أحدهم قصد ابن الفارض يستأذنه في شرحها ، فسأله عن مقدار الشرح ، فقال : إنه سيقع في مجلدين . فضحك الشاعر الصوفي وقال : « لو أردت لكتبت مجلدين تفسيراً لكل بيت فيها »

على أن المقريزى ذكر في ترجمة عمر بن الفارض أن محيى الدين ابن العربي بعث إليه في شرح التائية الكبرى فرد عليه الشاعر : « كتابك المسمى بالفتوحات شرح لها » إشارة إلى كتاب ابن العربي « الفتوحات المكية » الذي جمع فيه شتات العلوم الصوفية في خمسمائة وستين باباً

وبين ابن العربي وابن الفارض بعض الشبه . كانا متعاصرين فكلاهما من رجال القرن السابع للهجرة ، أى القرن الثالث عشر للمسيح ، فقد توفى ابن الفارض سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٥ م) وتوفى ابن العربي سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) . وكان ابن الفارض يصاب بدورة إغماء وغيبوبة فإذا أفاق منها أملى أشعاره ؛ وكان ابن العربي يعتقد أن ما يكتبه يتحول إليه بطريق الوحى في حالة الغيبوبة والمجاهدة . وكلاهما من أئمة الصوفية ، ولكن بينما هى غامضة بعض الغموض عند ابن الفارض لأنه يرمز إليها في صور شعرية، نجدها واضحة عند ابن العربي لأنه يبحثها نثراً . وكان ابن الفارض ينظم غزلاً يرمز به إلى الله في غير حبيب مجهول ، ويكثر فيه من أنواع البديع بينما نجد ابن العربي ينظم شعره من غير أن يتعمد أنواع البديع في فتاة مكية

أما من حيث المحسنات البديعية فلعل الفرق ناتج عن المحيط الذى نشأ فيه كل واحد من الشاعرين . فقد ولد ابن الفارض في القاهرة ونشأ في محيط شرقى فاكتسب شعره المميزات التى كانت بارزة في بيئته بين معاصريه . أما ابن العربي فقد ولد بمرسية (في ١٧ رمضان سنة ٦٥٠ هـ . أى ٢٨ يوليو سنة ١١٦٥ م .) ونشأ وتأدب في بلدان الأندلس بين أشبيلية وسبتة ، وقد استقر في الأولى ما يقارب الثلاثين عاماً ، ولم ينزح إلى المشرق إلا عندما شارف الأربعين سنة ٥٩٨ هـ (١٢٠١ — ١٢٠٢) فاكتسب شعره مميزات مواطنيه ، وكانوا أقل عناية بالمحسنات اللفظية من شعراء مصر والشام والعراق

أما معشوقته ففتاة مكية تسمى « نظاماً » وتعرف بلقب « عين الشمس » . وكان والدها من علماء فارس الذين نزحوا من بلادهم وأقاموا في مكة . وكانت لما عرفها ابن العربي في الرابعة عشرة من عمرها على كثير من العلم والمعرفة ، بليغة الخطابة ، جيدة الكلام ، بارعة الجمال . وقد لقيها أثناء إقامته بمكة عام ٥٩٨ أى غب رحلته من بلاد الأندلس. ثم نأى عن مكة زمناً حتى إذا عاد إليها سنة ٦١١ نظم فيها بعض القصائد فوصف جمالها الفتان وعلمها الواسع وذكر ما كان بينه وبينها من حب . ثم رأى بعد ذلك

أن يتبع هذا الديوان الصغير بشرح صوفى

***

بعد بنا هذا جميعه عن ضريح ابن العربى وزيارته

وهنا يجب أن أذكر شيخنا التفتازانى رحمه الله . سألته مرة أين قبر ابن العربى؟ فقال بأسلوبه العذب الذى تذكره : كيف لا تعرف ضريح ابن العربى ؟ وكيف تزور دمشق ولا تزوره ؟ إنه فيها بعد « الجسر » وتصل إليه بخط ترام معروف باسمه « الشيخ محيى الدين » . ألم تقرأ فى الشعرانى قوله : « وقبر ابن عربي[1] فى الشام ، وقد بنيت عليه قبة عظيمة وتكية وفيها طعام وخيرات » قلت ولكنى أعرف أنه توفى بدمشق ولكنه نقل إلى جبل قاسيون ودفن بسفحه . قال : وقاسيون هو الجبل المطل على دمشق والذى بنيت فى سفحه فى شكل مدرج المدينة الجديدة والحى الذى يعرفونه اليوم باسم المهاجرين

وكان أنى زرت دمشق بعد ذلك ولآخر مرة فى صيف سنة ١٩٣٥ ، وأقمت فيها أياماً ضيفاً على أحد أقاربى ، ولما كان يقيم بالصالحية ، وهى فى أول مرقى الجبل قبل المهاجرين ، كنا نركب الترام فى الغدو والرواح . وهناك خطان أحدهما يعرف باسم « المهاجرين » ، والآخر باسم « الشيخ محيى الدين » . والحق أنى كنت نسيت ابن العربى ووصية الشيخ التفتازانى . وساقنى الفضول مرة فسألت قريبى من يكون الشيخ محيى الدين هذا . فقال : إنه عالم صوفى يعرف بابن العربى ، وأن له ضريحاً ومسجداً فى آخر خط الترام فدعوه باسمه . وهنا تذكرت الماضى وقلت : أجل يجب أن نزوره

وبعد ظهر ذلك اليوم أقلتنا عربة أخذت ترق بنا الجبل حتى وصلنا إلى حيث المسجد بعد أن اجتزنا حياً وسوقاً تختلف أبنيتهما جدة وقدماً ، وأكثرها قديم . وكان جماعة من الفقراء يزدحمون بباب المسجد ؛ فإذا تجاوزت الباب استقبلك بهو واسع تتوسطه بركة ماء كبيرة ، وفى آخر البهو إلى الشمال الضريح ، وهى غرفة حسنة الاتساع طفت بها فإذا على حائطها كثير من الشعر المنقوش على رخام قائم فى الحائط . وحاولت أن أقرأ بعض الشعر فوجدته باللغة التركية . وقبل أن أستطيع الإلمام ببقيته تقدم إلينا شيخ وقال : قد أزفت صلاة العصر فهلما نصلى ثم تتابعان زيارتكما بعد ذلك

ولا أذكر الآن كيف تخلصت من الشيخ ودعوته إلى الصلاة، ولكنى وجدت وقتئذ أننا فى موقف حرج لأنى أجهل ماذا يكون شعوره لو عرف أننا مسيحيان . وأشرت إلى صاحبى أن من الخير أن نغادر المكان على أن نعود فى فرصة أخرى أكثر ملاءمة من هذه ، فخرجنا . ولم تتح لى فرصة أخرى للعودة

***

كانت العربة تهبط من الجبل ، ونحن نستشرف تارة الحقول المنبسطة ، وأخرى دمشق بقبابها اللامعة ومآذنها العالية تتخللها الأشجار الباسقة وتكتنفها الرياض والبساتين ، ونستجلى هذا المنتشر فى الأفق الحانى والطبيعة الساهمة والمدينة المنبسطة . وكنت لا أزل تحت تأثير زيارة الضريح أفكر فى الأندلسى الذى طاف البلاد العربية فكان فى كل مكان يحله كأنه بين أهله وإخوانه يتقرب إليه الناس ويجرى عليه الحكام الأرزاق فيوزعها على الفقراء والمعوزين . أليس دينه الحب كما قال فى أبياته التى ذكرها .

وهذا الجمال الذى نشرف عليه ونستجليه فى هذه المناظر الخلابة ، أليس من صنع الله ، وما دام من صنعه فهل هو قائم فيه حقاً . وهل صحيح ما قاله ابن العربى « سبحان من خلق الأشياء وهو عينها » أو ما نظمه شعراً :

يا خالق الأشياء فى نفسه   أنت لما تخلقه جامع
تخلق ما لا ينتهى كونه   فيك فأنت الضيق الواسع

وذكرت هذه الفلسفة الشمولية التى نادى بها العربى والقائمة على مذهب وحدة الوجود . ولا عجب فقد كنت « مسافراً » على حد تعبير ابن العربى الذى قال إن « السفر » عبارة عن القلب إذا أخذ فى التوجه إلى الحق تعالى . ولاشىء أدعى إلى هذا التوجه مثل التأمل بجمال الطبيعة .

(١) كانوا فى الغرب يلقبون الشيخ محيى الدين بابن « العربى » لأنه كان من أصل عربى قح ينتسب إلى حاتم الطائى ، وعند ما نزح إلى الشرق عرفوه فيه بابن « عربى » من غير أداة التعريف ، تمييزاً له عن القاضى أبى بكر بن العربى

وفهمت وقتئذ كيف شذ ابن العربى عن أشياع نظرية وحدة الوجود المادية فتوجه بها إلى عبادة الخالق والشعور بالافتقار إليه تعالى ، وهى عبادة الضعيف للقوى والفقير للغنى . وفهمت كيف أنه بالرغم من شعوره الدينى الإسلامى العميق قال بوحدة الأديان لأنها جميعاً تدعو إلى عبادة الواحد المتجلى فى صورهم وصور جميع المعبودات

والحق أننى اليوم وأنا أكتب إليك بين جدران حجرتى أجد من الصعب أن أذكر كل هذه الخواطر التى مرت بذهنى بينما كنت أنحدر من جبل « قاسيون » إلى دمشق .

***

وبعد فإنى أرجو ألا تجد فى هذه الرسالة صورة كاملة لابن العربى ، ولكنها خواطر جالت بفكرى عند ما أردت أن أنبهك إلى ضرورة زيارة ضريحه . وأنت تجد أنى لم أحدثك عن حياته وآرائه ومؤلفاته وما قام حول مذهبه من جدل حمل بعضهم على رميه بالكفر وما كان من أثره بين أهل الشرق والغرب وخاصة ما وجده المستشرق الإسبانى « ميجل اسين » من شبه بينه وبين « دانتى » فألف كتاباً قرر فيه أن الشاعر الإيطالى أخذ كثيراً عن المتصوف العربى وتأثر به فى نظم قصيدته الخالدة « الكوميديا الإلهية » أو كما قال البحاثة الإنكليزى « ألفريد جيوم » إن ابن العربي كان من الذين « أخرجوا للناس النماذج المدهشة الأولى للكوميديا الإلهية »

على أننى لا أريد أن أختم رسالتى إليك قبل أن أروى لك قصة ذات دلالة كبيرة على طريقة هؤلاء الصوفيين ومنازعهم الفكرية والتأملية . فقد رووا أن ابن العربى اجتمع بالشهاب السهروردي فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام . فقيل لابن العربى ما تقول فى السهروردى ؟ فقال : « مملوء سنة من قرنه إلى قدمه » وقيل للسهروردى ما تقول فى الشيخ محيي الدين ؟ فأجاب: « بحر حقائق »

ولعلك تكون يا أخى أكثر توفيقاً منى عند زيارة ضريح ابن العربى وأعمق شعوراً بما يطوف بك من جمال .

(الأسكندرية) صدبور شيبوب

بطـــاقة ...

للدكتور محمد ناجى

بطاقة تحمل على صدرها اسم صاحبها مجرداً من أى لقب ، وخلوا من أى عنوان أو رقم تلفون ؛ وكأنى به لا يحمل لقباً ، ولا يعرف لنفسه عنواناً ، ولا يملك رقم تلفون ، ولم يمن الله عليه إلا ببضعة قروش ثمن بطاقته

مرت تلك البطاقة على ناظرى ، ثم جالت بخاطرى ، حتى شغلتنى عن أمرى ، فعجبت لها أيما عجب !

بطاقة فريدة فى نظمها ، عجيبة فى نثرها ، قليلة فى لفظها ، لخرت فى أمرها ، وضاق بى تفسيرها ، ولم أدر ما شأنها ومن يكون حاملها ؟

إنها تخالف بطاقات العصر ، هى فى واد والعصر فى واد . بطاقات العصر تحمل من الألقاب والعنوانات والأرقام ما ليس لها ومالها، كأن الشيطان أوحى لها، حتى لا تدع موضعاً للقب جديد، أو زيادة لمستزيد ...

فمن يكون هذا الذى يخالف العصر فى بطاقاته، ويبز أبا العجب فى نزعاته ؟ إنه محمد طلعت حرب . ذلك الرجل المتواضع حتى فى بطاقته ، ولو شاء أن يسطر اسمه وألقابه وعنواناته وتلفوناته لكانت بطاقته كتاباً

إن بطاقته تحمل فى نفسها أدب الإعلان عن النفس ، إنها لحكمة بالغة ، تسيطر على الحس والنظر والفؤاد ، إذ لها فى كل قلب مستقر وفى كل واد أثر . هذه هى البطاقة التى بزت الزمن وعلمت المصرى ما لم يكن يعلم . إنها تذكرة القدر ، وإنها لإحدى العبر ، فطوبى لمن قرأ وادكر ، وعرف قدر نفسه واعتبر ...

محمد ناجى
عضو القومسيون الطبي العام

عقيدة الزعامة فى النازية

للدكتور جواد على

لا نفهم وجهة نظر الوطنية الاشتراكية للعالم إلا إذا اطلع المرء على عقيدة الزعامة Füherrers chaft التى هى الأصل الأول من أصول المذهب النازى والعمود الذى ترتكز عليه جميع تعاليم الحزب ونظرياته . فلا تتساهل المؤسسات المتلرية أبداً أمام المتساهل بهذه العقيدة أو الكافر بها . لذلك سخرت جميع ما تمتلكه من وسائل فى سبيل تأييدها وحض الناس على الاعتقاد بها . وطهرت السياسة والعلم والفن والصناعة — على حد تعبير الوطنية الاشتراكية — من جميع الأدران التى تراها تصطدم مع هذا الإيمان المطلق . ولم تتساهل حتى مع أكبر الأساتذة الذين لم تجد منهم ميلاً أو تأييداً فى القول أو الفعل

وعقيدة الزعامة هذه تنحصر فى زعامتين : الزعامة الفردية ، والزعامة العنصرية ، أو الأممية . ومتى عرفت هاتين الزعامتين اتضح لك سبب تهجم هتلر على الماركسية والماسونية واليهودية ، وكل فكرة أو نظرية علمية أممية . أما الزعامة الفردية فتستند إلى قاعدة أن الأفراد ليسوا فى الاستعداد على حد سواء . وكذلك فى المؤهلات العقلية والإنتاجية . فهنالك درجات كل درجة أرقى من التى تحتها ؛ وهكذا ترتقى الدرجات حتى تصل إلى درجة زعيم فوهرر Führer ، وهوزعيم الزعماء، إذ أن كل فرد بالنظر إلى من هو أدنى منه عقلاً أو جسماً أو أضعف منه إرادة زعيم مفترض الطاعة. وعلى حسب هذه الدرجات تتوزع كذلك المسئولية والوظيفة والواجب . وهذه المواهب والقابليات موهوبة فطرية لا تكتسب بعلم ولا يحصل عليها بتهذيب أو درس[1] Angeboren . والزعيم الأكبر الذى يتولى قيادة الشعب العامة هو الذى يكيف الشعب حسب إرادته وروحه Geist und wille ويضع الخطط العامة . ولا بد لهذا الزعيم من مؤهلات روحية تميزه عن أفراد شعبه ، وقوى خارقة ممتازة من أهم صفاتها الإرادة والشجاعة والخيال

(١) أنظر كتاب Helmut Nicolai, Der Staat im Nationalso-nzialistischen Weltbild ص ٣٧.

والتفكير والخطابة والمقدرة السياسية والتضحية والإنتاج[1]

هذه الصفات كما ذكرنا فطرية مجبولة فى الشخص ، فالزعيم يولد زعيماً وتظهر عليه المؤهلات ، ولكى تنمو فيه هذه المؤهلات وتينع وتمنع من الانحطاط لابد من العناية بتربية الأفراد خصوصاً الطبقة الصالحة منها للقيادة التى تمتاز بمميزات جسمية كطول القامة والاتزان وحدة النظر مع الهدوء وتحمل المشقات؛ ولا يسمح لذلك بالزواج إلا بعد الفحص الطبى والتحقق من سلامة الزوج والزوجة من الأمراض الجسمية أو العقلية أو الاجتماعية كالإدمان على الشرب واللصوصية وغيرها . وهناك مدارس صارمة للزعامة يدخلها من يريد الانخراط فى سلك الزعماء على اختلاف درجاته لها أنظمة شديدة ، ومن هذه الطبقة تنشأ طبقة خاصة هى طبقة الأشراف، أشراف المستقبل الذين يقودون الجيل الجديد على طريقة فرسان الجرمان القدماء[2]

أما الزعامه العنصرية أو الأممية فتتلخص فى أن الأمم ليست متساوية كذلك فى القابليات والإنتاج؛ وهى فطرية كذلك كما هى فى الأفراد. والشعوب الآرية فى نظر الوطنية الاشتراكية هى الشعوب المنتجة وحدها، وكل حضارة فى العالم أو مدنية هى من صنعة هذا الجنس ، وهذا ما يدعو طبعاً إلى قلب التأريخ ظهراً على عقب وإلى كتابة تاريخ عالمى جديد . لذلك حاربت النظرية المادية فى التأريخ وهى نظرية كارل ماركس Karl Marx وزميله أنكلز Fr. Engels و ببيل A Bebel وهى النظرية المعروفة بـ Äkonomische Materialismus القائلة بأن التأريخ أو التطور البشرى نتيجة من نتائج التطور الاقتصادى ، وكذلك نظرية Oswald Spengler الناصة على وجود حضارات بشرية مختلفة ، فهنا لك حضارة بابلية وهناك حضارة مصرية، وهناك حضارة صينية ، وهنا لك حضارة عربية . كما أن هناك حضارة ألمانية أو حضارة انكليزية ، ولكل حضارة من هذه الحضارات نفسية خاصة (أنظر كتابه المشهور سقوط الغرب) وكذلك نظريات الكتاب الأحرار الذين يرون

(١) أنظر لزيادة الاطلاع كتاب كفاحى Mein Kampf ص ٦٥٠ وكذلك ص ٦٦١ ص ٨٩ وغيرها Hitlers Wollen, Werner Siebarth ص٢٦٤ و٢٦٧ Dietrich Klagges, Geschichts Unterricht ص١٤٢ A. Rosenberg. Der mythus ١٩٣٠ فى مختلف فصوله

(٢) لقد جمع الوزير والتر داريه Walter Därre فى كتابه Neuodd aus Blut Und Boden جميع الآراء الجديدة حول إنشاء هذا الجيل الجديد .

العالم ككتلة واحدة والمبادئ التي نشأت من الثورة الفرنسية

إن فكرة الزعامة المنصرية هذه ليست فكرة هتلر بمعنى أنه هو الذى ابتدعها وكوّنها ، بل هى فكرة عالية قديمة كانت لدى اليونان إذ كانوا يحتقرون الشعوب الأخرى ولا يعترفون لها بالإنتاج؛ وكانت كذلك لدى الرومان والعرب، وظهرت فى العصر الإسلامى باسم الشعوبية وهى حركة كانت ضد العرب؛ وكانت لدى الأمم الأخرى، والحركة المعادية للسامية قديمة أيضاً حتى أن لوثر المصلح الدينى العظيم فى ألمانيا كان من الذين يكرهون اليهود . ولكن تلك الفكرة لم تطبع بالطابع العلمى وتصبح عقيدة كما أصبحت فى ألمانيا اليوم . وأشهر الذين نادوا بالزعامة المنصرية قبل هتلر هم الألمانى Klemm (١٨٠٢ — ١٨٦٧) الذى بحث عن الشعوب الفعالة وانتشارها على الكرة الأرضية واعتقد بأن الشعوب الهندو آرية هى الشعوب المنتجة وحدها . وكذلك الفرنسى المشهور Graf Gobineau كراف كوبينو (١٨١٦ — ١٨٨٢) فى كتابه Essai sur L'inégalité des races humaines وقد توصل إلى نتيجة تفوّق المنصر الجرمانى على جميع العناصر؛ ثم الكاتب الفيلسوف الشهير هوستن شامبرلن Houston Stewart Chamberlin (١٨٥٥ — ١٩٢٨) فى كتابه Grumdlagen des 19 Iahrhunderts وهو إنكليزى الأصل ألمانى الثقافة صديق الموسيقى الشهير ريشارد واكنر المعروف بكرهه لليهود أيضاً. وكان شامبرلن هذا يكره اليهود وحاول فى كتابه بعث ألمانيا من جديد إثبات أن المنصر السامى هو عنصر غير منتج. ولأفكاره أعظم أثر فى شخصية هتلر وآرائه. وقد زاره مراراً، وتعتبر كتبه من أهم الكتب التى كونت الوطنية الاشتراكية بجنب كتاب كفاحى Mein Kampf ويرى من خلال دراسته المصبوغة بطابعه الجرمانى الخاص أن الشعب الجرمانى وحده له حق القيادة والزعامة إذ هو الشعب المنتج على الإطلاق، وأن اليهودية والشعوب السامية لم تنتج شيئاً وما أنتجته هو نتيجة العقلية الآرية فقط

كانت فكرة المنصرية قد توسعت منذ عهد بسمارك إذ أطلقت لليهود، لأسباب سياسية، الحرية الدينية وسمح لهم بالتوظف فى الدولة من دون قيد ولا شرط . فازداد بذلك العداء وتوسعت الفكرة المنصرية ولا سيما بعد الحرب العظمى، وظهر مختلف الكتاب الذين شنوا الغارة على اليهود كالأستاذ أدولف بارتلز المشهور بكتابه « تاريخ الأدب الألمانى » على الطريقة المنصرية ، والبروفسور لدويك شيمان Prof. Luduig Schemann والبروفسور كنتر Prof. Hans Güntter وغيرهم ، وأخذوا فى دراسة المنصرية من جميع أوجهها متخذين للموضوع قواعد وأسسا وأدوات ، وقد ساعدتهم الوطنية الاشتراكية طبعاً بكل قواها ، وأسست معاهد للمنصرية فى الجامعات والمستشفيات وجميع المؤسسات الشعبية . وظهر فى عالم الدروس الجامعية فرع خاص يسمى باسم مبحث الأجناس Rassenkunde . وقد كيفت النازية السياسة والعلم والفن والرأى العام على هذا الاتجاه، إذ يرى هتلر أن مصدر كل بلاء نزل على ألمانيا هو إهمالها المنصرية وتصاهرها مع اليهود الذين أضروا بالأخلاق والتقاليد الجرمانية الموروثة ، وكذلك المسيحية اليهودية التى لا تمثل إلا أخلاق اليهود . وهذه كانت نظرية الفيلسوف نيتشه الذى كان يصف الأخلاق المسيحية بأخلاق العبيد، وكذلك شامبرلن وغيرهما. لذلك أكره هتلر جميع العلماء والمؤسسات العلمية على تطبيق هذه النظرية ، وقاوم كل نظرية تدعو إلى الأممية وإلى المساواة بين الشعوب . ومثله فى ذلك عقيدة الزعامة حيث صور الشعوب كالهرم أيضاً ، قاعدته متسعة يضم فى أسفله الشعوب الزنجية والأقوام الابتدائية، ثم يضيق شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى القمة حيث هناك الشعوب الجرمانية الألمان والسكاندناويين والداغارك، وفى قمة هذا الهرم تماماً تكون ألمانيا. (أنظر كتاب Dietrich Klagges Geschicbts Unterricht ص ١٤٠) وهكذا طبق هتلر عقيدة الزعامة الفردية على الزعامة الأممية، فكما أن هتلر هو زعيم الألمان الذى يجب أن يطاع لما له من مواهب الزعامة الموهوبة الفطرية[1] فكذلك يريد أن يجعل شعبه فى قمة الزعامة الأممية التى لا يرتقى إلى مصافها شعب

كان من الطبيعى أن يعانى العلم والفن من جراء هذه النظرية مصاعب شتى ولا سيما العلوم العقلية منها كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم التربية والسياسة والاقتصاد وخصوصاً التاريخ الذى يعتنى به هتلر عناية خاصة، وخصص له عدة صحائف فى كتابه كفاحى لأنه يرى فى التاريخ خير درس وعبرة للأفراد والشعوب على الطريقة التاريخية القديمة التى تنسب إلى المؤرخ اليونانى توكيديدس Thukydides (٤٦٠ — ٤٠٠ ق . م) والمعروفة فى التاريخ باسم Pragmatische Geschichte أو التاريخ التعليمى . وبما أن الطريقة العلمية فى مثل

(١) يذكر Heinry Marr فى كتابه Die massenwelt ص 452 وما بعدها بعض المعجزات التى كانت لهتلر عند ابتداء أمره منها، إعادة البصر إلى امرأة عمياء بمجرد مرور هتلر أمامها

هذه الموضوعات حرة وآراء الأساتذة مختلفة طليقة تكره التحيز والتعصب ، لذلك كانت مهمة العلماء فى مثل هذه الموضوعات صعبة جداً. والنتيجة المنطقية لذلك كانت إحجام الكثير منهم عن التأليف وتبيان آرائهم بصراحة ، وإجهاد الفكر لإيجاد براهين جديدة لتحقيق نظرية الزعامة وقلب العلم رأساً على عقب . ولو تصور القارئ مثلاً أن علم التاريخ حسب هذه النظرية يجب أن يقلب رأساً على عقب تماماً عرف صعوبة المهمة الشاقة ونظر العلماء الأجانب إلى أمثال هذه الآراء . فالنظرية النازية الجديدة فى التاريخ ترى أنه من الكفر الابتداء منذ اليوم بالتاريخ القديم بممالك الشرق الأدنى كالمصريين والبابليين والأشوريين، بل ترى فى ذلك الخطأ الفادح لأن من عقيدتها أن الحضارة الجرمانية أساس الحضارات، ومن الجرمان أخذت الشعوب الشرقية حضارتها مستدلة بذلك على نظريات الهجرة، وتوسع السكان الذى جرى ولا يزال يجرى إلى الآن، وعلى حفريات تقوم بها المؤسسات الألمانية ثم تحكم هى بنفسها على تقدير أعمار المكتشفات الأثرية وقدمها. ولا شك أن ذلك مما يسخر منه علماء الأقطار الأوربية الأخرى ولا يدينون به ، وكذلك علماء ألمانيا أنفسهم، ولكن السياسة طبعاً هى التى تتغلب الآن على العلم(١)

يقسم علماء التاريخ اليوم فى ألمانيا العالم إلى قسمين : شعوب سياسية تنشئ التاريخ وتكونه وهى الشعوب الجرمانية طبعاً ، وشعوب غير سياسية وهى التى لا تلعب دوراً فى التاريخ ولا فى السياسة بل يلعب بها وهى الشعوب السامية والزنجية وغيرها(٢) . ويصرح هتلر بهذه الفكرة فى كتابه كفاحى، ويرى فضلاً عن ذلك أن التاريخ هو محصول الأفراد لا الشعوب، أى أن الزعماء هم الذين يكونون التاريخ لا الجماعة، إذ الجماعة تساق فتنساق وتؤمر فتطيع(٣) ومن أجل ذلك أمر بكتابة تاريخ جديد، وأنشأ تاريخاً عاماً للعالم يستند إلى أساس العنصرية فيبدأ بالجرمان وبالشعوب الأوربية السياسية المكونة للتاريخ وينتهى بالشعوب التى لم تلعب دوراً فى السياسة، فتفحص فحصاً من جديد، وكل ما وجد فيها من حضارة يسند إلى الآرية كما فعل الفريد دوزنبرك فى كتابه « خرافة القرن العشرين Der Myttus des 20 Iahrhunderts » فى الفصل الذى كتبه عن الحضارة العربية الإسلامية

وكان من جراء هذه النظرية تعديل الكتب التاريخية ومناهج البحث ووضع قواعد ثابتة للتأريخ وفق القيم النازية ، ولقد لخصها الوزير الألمانى ديترش كلاكس فى كتابه تعليم التأريخ Geschichts Unterricht بما يأتى :

إن الحياة كفاح ، والشعوب ليست بشىء أبداً دون زعيم ، والشعب هو مستقبل الفرد ، والمواطنين يرتبط بعضهم ببعض فى السراء والضراء على قاعدة العنصرية والدم، وكل خائن عقابه القتل. يموت الفرد ويبقى الشعب ، ولكن الشعب يجب أن يكون خالصاً نقياً كما أن الدولة يجب أن تكون نقية ذات عنصر واحد . ولكى تعيش هذه الشعوب تحتاج إلى قوى وجهاد وأسلحة وعتاد إذ بدونها لا تعيش الأمم . وبين هذه الأمم اختلاف فى العقل والجسم، وفى مقدمة هذه الأمم الأمة الألمانية؛ لذلك فإن كل من ينادى بالأممية وبالتطور البشرى وبحقوق الشعوب يجب عقابه عقاب مفتر كذاب، إذ أن الطبيعة البشرية تناقض ذلك. والشعب السعيد هو الذى يخضع لزعيم مطاع . والعنصرية هى مفتاح تاريخ العالم . (أنظر ص ١٤١ — ١٤٣) .

هذه هى نظرية الوطنية الاشتراكية وعقيدتها التى تتمسك بها وكل ما يتعارض مع هذه العقيدة ينظر إليه نظر المسلم إلى الكفر والإلحاد. لذلك فالماسونية والشيوعية والديمقراطية والأديان العالمية التى تساوى بين الشعوب والأفكار الأممية كلها آراء فاسدة تتعارض حسب نظرها مع الطبيعة البشرية والتأريخ . هذه هى فلسفة النازية ، من أدرك شكل هذا الهرم الذى يمثل الزعامتين عرف المذهب تماماً وأدرك سبب كره هتلر للمبادئ المذكورة . ولعل فى نفسية هتلر وقسوة العالم الخارجى بعد الحرب العظمى على ألمانيا هى الباعث على تطرف الألمانية الوطنية هذه

ميوار على
خريج جامعة هامبرج بالمانيا

---

(١) لمعرفة التفاصيل أنظر كتاب Geschichts Unterricht لمؤلفه Dietrich Klagges

(٢) أنظر كذلك نفس الكتاب وكتاب كفاحى وكتاب خرافة القرن العشرين لروزنبرك وكتاب مايريده هتلر لمؤلفه Werner Siebarth

(٣) أنظر كتاب أدولف هتلر مربى الألمان لمؤلفه هوبر Höper

من نار الفراق

أنا ... وأنت !...

[لم يبق لى بعد اليوم فى الدنيا أمل ، فاذا لاحت فى أفقك شعاعة من رجاء فأتنى بها قبل المصير !]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

جُرحانِ ظَلاَّ فى سَمِيرِ الزَّمانْ
لا يَهدآنْ !
وغُنْوتا حبٍّ بناىِ الهوانْ
مَذْبوحتانْ !
وقَطْرتا دمعٍ بِوادى الحنانْ
عِرْبيدتانْ !
أذراهما فى توبةٍ عابدانْ
مُستغفرانْ !
يا ربِّ أنَّ لِشريدِ الجنانْ
طَيْفُ الأمانْ !

***

بَيْتانِ مِنْ شِعْرٍ سَقاهُ الحنينْ
كأسَ العذابْ !
مَلاَ صَدَى الدُّنيا ونَجوَى السِّنينْ
فوق التُّرابْ !
وحِينَ لاحَ الشَّطُّ غابَ السَّفينْ
خَلْفَ الضَّبابْ !
فلَمْ تَزَلْ كَفُّ الأسى والجُنونْ
تَسْرِق الرَّبابْ !
ولَمْ تَزَلْ نَشْدُو ... وشَدْوُ الحزينْ
رُؤيا خرابْ !!

***

فَرْخانِ فى أُفْقِ الهوَى حائرانْ
حولَ الرِّياحْ !
ماتَتْ أغانِينا بِظِلِّ الجِنانْ
قبلَ الصَّباحْ !
وحَطَّمَ السَّاقِى بَقايا الدِّنانْ
فوقَ الجِراحْ !
لَقدْ سَقَيْنا حُبَّنا يا زمانْ
نارَ الكِفاحْ !
نَحْلُمُنا ... إنَّا لِطُولِ الهوانْ
عِفْنا النُّواحْ !!

(القاهرة) محمود حسن اسماعيل

أنشودة وفاء النيل

للأستاذ محمد فتح الباب

البحرُ زادْ عمَّ البلادْ
والخيرُ جادْ كلَّ العبادْ
إلى الحصادْ البحرُ زادْ

***

مِصرُ يا مِصرَنا افرحى فَرْحةَ الطَّيْرِ بالرِّياضْ
أنتِ يا كلَّ مطمحى هِبَةُ النِّيلِ يومَ فاضْ
اسرحى اليوم وامرحى نيلنا يَملأُ الحِياضْ
البحر زاد ...
مِصرُنا زينةُ الأُمَمْ حسبُها النيل والهَرَمْ
أُمَّةُ السيفِ والقلمْ رَبَّةُ المجدِ مِنْ قِدَمْ
نِيلُها كلُّهُ عَجَبْ يَجمعُ الأُنسَ والطربْ
ماؤه يَحمِلُ الذَّهبْ وشِفاءٌ لِمَنْ شَرِبْ
البحر زاد ...
نِيلٌ وَفى لَيْلةَ الصَّفاءْ والنيلُ مِنْ دأبِهِ الوَفاءْ
والغِيدُ فى خُضرةٍ وماءْ كالحُورِ فى جَنَّةِ السَّماءْ
فَيضٌ غَزيرْ عذبُ النَّميرْ
لَهُ خَريرْ مِثلُ الزَّئيرْ
نِيلٌ جميلْ كالسلْسبيلْ
لمَّا يَسيلْ بينَ النخيلْ
البحر زاد ...
يا نيلُ عن مجدنا الأثيلْ خَبِّرْ وعن بأسِنا الطويلْ
آثارُنا تُعجِزُ العقولْ شهودُ حقٍّ لنا عُدُولْ
زهرٌ من «اللوتس» البليلْ فى حُسْنِهِ مالهُ مثيلْ

يرنو إلى الشمس كالخليل — يرنو إلى الخلّ في الرحيل
يطفو على سطحك الجميل — تاجاً على مفرقٍ نبيل

البحر زاد ...

يا نيلُ أسلوبك الحكيم — يعلو على القول والكلام
بفيضك المصلح العميم — يا نيلُ زُرْ مصر كل عام
فإنها جنة النعيم — لولاك لم يسقها غمام
وحيّ فاروقها العظيم — وانشر على أهلها السلام

البحر زاد ...

آمنتُ بالله والكتاب — وأنّ في خلقه عبَر
الحبُّ بالماء في التراب — أضحى نباتاً له ثمر
أحلى من الشهد والرضاب — والحبُّ من قبل كان مُرّ
الحبّ بالماء في التراب — يصير من أكرم الزهر
أنى له ذلك الخضاب — ونفحه الطيّب العطر
آمنتُ بالله والكتاب — النيل من روح مقتدر

(القناطر الخيرية) — محمد فتح الباب

ظمئت ...

للأستاذ صالح الحامد العلوى

ظمئتُ إلى الجداول حيث تجرى — مدردرةً كألواح اللجين !
عليها الطير تمرح شادياتٍ — على إيقاعها في الشاطئين !
ظمئتُ إلى الخمائل زاهرات — براها الله بهجةَ كلِّ عين
بها الأزهار تضحك لاهياتٍ — تُهدهدها النسائم باليدين !
ظمئتُ إلى النسيم يهبُّ رهواً — كوصل الخلّ وافى بعد بين
يداعبني فيلثمني دلالاً — وينشر فوق وجهي خصلتين !
ظمئتُ لمن أراه حياة روحي — وحبةَ مهجتي وسوادَ عيني !
ومن رفّت معاني الحسن فيه — فكاد يطير من لطفٍ وزين !
ومن في كل لحظٍ منه سرٌّ — أموت به وأحيا مرتين !
ومن هو من مزايا الحسن كونٌ — حوى من كل لونٍ جنتين !
ظمئتُ إلى الجمال بكلّ معنى — عرى عن كل بهرجة ومَين !
ظمئت .. وما عسى تجدى فتيلاً — «ظمئت»؟ ولو لقيت بذاك حيني
أما من حاكمٍ أشكو إليه ؟ — فيُنصف بين أيامي وبيني
فكم زادت على ظمإٍ فؤادي — كأنّ لدىّ ثارات الحسين !

(حضرموت — سيئون) — صالح الحامد العلوى

وحي الحرمان

لا تقولي نسيت ...

[إلى الحالمة في أحضان النعيم ... إليها في رأس البر ...]

للأديب عبد العليم عيسى

صرخ الناي في يدي .. فتعالي — قبل أن تنهب الليالي لحونه
ويح قلبي إذا غضبتِ عليه — وتجاهلت صوته وأنينه
من له .. آه .. من لأنغامه السود إذا شبّت الليالي شجونه
أسعديه على الحياة .. ورددي — نغماتي إلى حياتي الحزينه
لا تقولي نسيتُ يا أخت روحي — أنت تدرين ما مضى وتعينه
كيف تنسين يوم سرنا إلى النيـ — ـل وهمنا على الضفاف الأمينه ؟!
والدجى مسبل علينا ستاراً — كشفته لحوننا المكنونه
رقص البحر حين سرنا على الشـ — ـط وغنت أمواجه المفتونه
وهفت حولنا العصافير نشوى — طربات ... سعيدة ... مجنونه
فتمليت فتنة الحسن والنو — ر وهوّمت كالطيور الحنونه
واحتضنت العود الحبيب إلى النفس وأسكرتني بما تنشدينه :

صلواتي أنتَ في الدنيا وأعراسي وفني
وسعاداتي وصفوي ، وتسابيحي ولحني
أنتَ في قلبيَ ينبوع من الخلد يغني
فجّر الله على وجهك ما يمسح حزني
فتغنيتُ مع الأطيار ما يسعد كوني
ليتنا نحيا على الشط ... تغني وأغني

وشجاك الهوى فنمت على صد — رى المدمّى في خشعة وسكينه
وعلى وجهك الجميل شعا — عات أثارت مستوره ودفينه
فبعثتُ الأنغام تسري مع الليـ — ـل فتروى أشباحه المسجونه
ثم لما أفاق من نومه الفجـ — ـر وأهوى عن راحتيه دجونه
قلتِ : يا شاعري الحبيب ترفّق — بفؤاد أهجت فيه حنينه
خذ ذراعي إلى ذراعك وانهض — قبل أن يفتح الصباح عيونه

لا تقولي نسيت يا أخت روحي — أنت تدرين ما مضى وتعينه
أسرعي قبل أن تموتَ ألا حيـ — ـني وتردى قيثارتي المحزونه
فتصيري حكاية الغدر في الدنـ — ـيا وأقصوصة الغرام الخئونه

(دمياط) — عبد العليم عيسى



دراسات فى الفن :

«ضيعت مستقبل حياتى !»

وفى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٣ مات

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

مات ولم يمكث فى الأرض إلا واحداً وثلاثين عاماً . ولكنه قضاها كلها حياً ، بل لقد كان يستمير مماله فى الخلد ليالى وأياماً فأنهكته الحياة : أضنت منه الروح والبدن فانطفأ وهو فى أشد اشتعاله وسطوعه

١ — بين الربوة والبحر

طفل، والطفولة صفاء. وفقير، والفقر نقاء. وعزيز، والعزة وقاء

كان هكذا منذ عرفته الحياة ، وظل هكذا إلى أن غادر الحياة : طفلاً ، فقيراً ، عزيزاً لم يذل إلا لله فى الحب والغناء

ويا طول ماذل ! فقد غنى منذ أحب ، وقد أحب منذ أحس ، وقد أحس منذ أمنت أمه أن تطلقه فى ربوة « كوم الدكة » يرتع ويلعب مع الصبيان والبنات . فكان يجمعهم ويقوم بينهم على حجر يقرأ القرآن ويرتل الألحان ، فإذا أخلصوا له الإصغاء أخلص لهم الإنشاد ... ولم يكن أحد من هذا الجمع الحالم يدرى لمن كان يغنى هذا النشوان الضاحك إلا هو وتلك الصغيرة الطاهرة التى كانت تهفو إليه بروحها متلمسة فيه مالم تكن تجده عند غيره من آيات الصدق ومن آيات الذكاء

وكان إذا افتقدها استوحش ربوته وأهلها ، وفر إلى شاطئ البحر يكمن عند صخرة من صخور « السلسلة » يأخذ عن اليم معنى اللين إذا هدأ ، ومعنى الثورة إذا اهتاج ، ومعنى الكفاح إذا تصارعت فيه الأمواج ، ويسرح بالطرف فى آفاقه التى من بعدها آفاق ، كأنه يستدرج الغيب من ورائها أن يستشفه لعله يرى فى إطار منه الصورتين اللتين كان يحب أن ترتبطا ... فكان يرى ما يشاء ، أو لم يكن يرى شيئاً ... ولكنه كان يسمع ، وكان إذا عاد إلى ربوته تغنى بما سمع ...

وكان يكره أن يعود من حجته إلى البحر خالى اليد ، فكان يحمل « إليها » من البحر محارة أو صدفة يرفعها إليها فى صمت كأنما يؤكد لها أنه ما نسيها ولا غفل عنها إذ نأت وغابت . وكانت هى تقبل منه هديته الفقيرة الرخيصة والله وحده يعلم أكانت تقبلها حباً ، أم كانت تقبلها إغراء

٢ — الطعنة الأولى

وفى يوم طار إليها بمحارة عجب ، فإذا هى تصده ، بل وتحمل إليه ما جمعته من محاره وصدفه وتمد إليه به يدها وهى تقول : « منعتنى أمى من قبول هدايا الصبيان ! ... »

ولو لم يكن يرى أمها تستميل إليها من أبناء الجيران صبياً مات أبوه عن ثروة ، ما أحزنه هذا الصد وما أشقاه ... ولكن الذى أدمى قلبه هو أن أدرك للمرة الأولى أن هناك فرقاً بين الأغنياء والفقراء . وأن هذا الفرق ملحوظ مرعى دون غيره من الفروق .

فحمل محاره وصدفه ، وغسل بدمعه آيات غروره وجهله ، ودفن المحار والصدف تحت عتبة مسجد سيدى « حذيفة » ... ثم دخل المسجد وتوضأ وصلى صلاة الجنازة على أمله

٣ — الشيخ ...

وحسبوه من كثرة لزومه للمسجد ولياً من أولياء الله . وقد كان ولياً من أولياء الله . فوهبوه لكتاب الله . وألبسوه عمامة وجبة وقفطاناً ، وأرسلوه إلى معهد الأسكندرية وعرفته « كوم الدكة » منذ ذلك الحين باسم الشيخ السيسى ... لأنه كان

صغيراً ، وكان عجيباً فى عمامته وجبته وقفطانه ...

ولم يتأب هو على هذه «الشيخوخة» التى عاجلته ، وإنما كان يجد فيها متعة ولهواً محببين ، فقد يسرت له الحفظ والتجويد ، والقراءة والغناء ... وظل فى « شيخوخته » هذه طفلاً كما كان يجمع حوله الفتيان والفتيات ويقوم بينهم على حجر أو كرسى عريض من خشب يمدح النبى ، ويرثى الحسين !

٤ — مبيض الجدران

وقد كان على أهل الحى أن يطلبوه فى أفراحهم ومآتمهم ، ولكنهم كانوا يطلبون غيره كلما اعتزموا أن يدفعوا أجراً ؛ أما هو فكانوا يتزاحمون حوله كلما قرأ أو غنى فى الطريق ، أو فى المقهى ، أو فى المسجد أو على الربوة ... يسمعونه ويحيونه ، ويتحدون به القراء والمغنين ، ولكنهم لم يكونوا يملكون أن يستأجروه ، لأنه لم يكن ينطلق إلا بإرادته ، وبوحى من مزاجه ، فإذا أكره على الشدو ثقل الشدو على نفسه وعلى نفوس مستمعيه . . .

ولهذا كان إذا أراد أن يرتزق بيَّض الجدران مع النقاشين والبنائين . . . وأعجب ما كان منه أنه كان ينطلق عندئذ بالغناء أنيناً وشكاية ، أو بهجة واستبشاراً ، وكان من زملائه من يحمل عنه عمله راضياً مسروراً

٥ — فى الأوحال

ترعرع وترعرعت . وكانا يلتقيان . وقد كان يغنيها وكانت تستمع إليه . ولكنه كان قد طوى نفسه على عزمة ملكته : ألا يدنس الحب ، وأن يسلم أمره لله ...

وتزوجت هى ... وانهار هو ...

فهجر « كوم الدكة » إلى حى الرجس . وأدمن النساء ، وانكب على الخمر والمخدرات يتعجل الموت فلم يعدله فى الدنيا رجاء

وقيل إنه أحب ، وما أحب وإنما كان يبحث عن حب ، ولم يكن المحروق القلب ليحب بعد ما أكلت قلبه النار

ومن أعماق هذه الأقذار كان يتعالى صوت السيسى بألحان من وحى الطهر والعفة . كان يرسلها مع الدمع ونفحات الجحيم المتأجج بين جنبيه فكان فيها تطهير نفسه ونفوس هؤلاء الذين كانوا يتردون فى الخطيئة حوله ، ويترددون عليه كأنه التوبة أو الصلاة .

٦ — وهج الروح

وإلى جانب هذا الحب ، وإلى جانب هذا اليأس ، كانت حرب وكانت ثورة، واندلعت فى هذا الأتون المستعر روح الشيخ السيسى

وكان قد عاد من الشام بعد رحلة بائسة اصطحب فيها ممثلاً سوريًا أراد أن يتحف به أهل وطنه ولكنهما أخفقا معا .

وكان السيسى قد جرب نفسه مرة فى القاهرة فى مسرح الشيخ سلامة حجازى فثار عليه الجمهور وأرغمه على أن يتوارى خلف الستار قبل أن يتم غناءه فواساه الشيخ سلامة بأن خرج للناس وقال لهم : أحسنوا الاستماع إليه فهو الذى سيخلفنى

ولكن الناس لم يحسنوا الاستماع إليه لأن غناءه لم يكن يشبه ما اعتادوه ، وإنما كانت روح طلقة هبت من الشمال

وكان كل فشل مما لاقاه يزيده إيماناً بنفسه ومقدرته حتى وافاه الفشل الأخير ، إذ لحن « فيروز شاه » لجورج أبيض فاندك جورج أبيض وبرز سيد درويش

وعرفه عندئذ نجيب الريحانى ، فأفسح له مسرحه منبراً يلقى من فوقه ما شاء من آيات فنه

وأخذ بعدئذ نجمه يصعد ، ويصعد ، ويصعد . . . حتى جاء وقت لم يتغن فيه مصرى بلحن إلا كان من غناء سيد درويش كان ربحه يصل أحياناً إلى ألف جنيه فى الشهر ، وفى هذه الأحيان كان يقترض القروش والملاليم

قل إنه مجنون ! قل إنه سخيف ! قل ما شئت ؛ أما هو فكان محروماً من شىء لا يمكن أن يشترى بالمال وكان هو يحاول أن يستعيض عنه بما يشترى ويباع .

٧ — شاعر

ولم يكن سيد مغنياً فقط ، وإنما كان شاعراً أيضاً . . . وما كان فى وسعه إلا أن يكون كذلك . فإن الذى بعثه على الغناء إحساس كان يخالجه ولم يكن يستطيع أن يعبر عنه إلا بالغناء ، ولم يكن يستطيع أن ينتظر معه أن يبحث عن شاعر من الشعراء أو نظام من النظامين ليقول له إنى أحسست الحب على وجه من الوجوه ، أو أحسست اللوعة على نحو من الأنحاء ، فصور لى هذا الإحساس بالكلام لأغنيه . . . لم يكن يملك أن ينتظر كل هذا الانتظار وإنما كان يغنى ما يريد عند ما يحس أية عاطفة أو أية نزعة

هو سكران مترنح ... وقد حددت له صاحبته موعداً ،

وذهب إليها فتصدى له من يمنعه عنها ، وهى معركة بينه وبين عذاله ، فإذا حال بينه وبينهم أصدقاء له وأبعدوه عن الموقعة ، ثم بدأوا يلومونه على سكره وعربدته غنام :

وانا مالى هى اللى قالت لى   رُوح اسكر وتعالى ع البهلى

وهو جالس عند صديق له صائغ وتهبط عليهما غانيته مسرفة فى التزين والتبرج ، وتراه ممسكا بعوده فتعابثه وتطلب منه «غنوة» فما أسرعه إلى إنشاده …

الأستيك على صدرك يضوي   ونا قلبي متعلق ساعة

ويصطدم بذات المحار والصدف فيتقاراّن السلام ويتماتبان وأعصابه ترتج وأنفاسه تضطرب فما تبرحه وما تنقضى ليلة أو ليلتان حتى تسمع البلد كلها تغنى من لحن سيد :

زورونى كل سنه مرَّه   حرام تنسونى بالمره

ويغاضب إحدى صويحباته فيكيدها بغنائه :

يومْ تركت الحب كانْ لى   فى مجال الأُنس جانب
والتقيت المجد عادْ لى   بعد ما كانْ عنى غايب

ولم يكن سيد يعبأ بأن يكون كلامه موزوناً أو مستوفياً لشروط الشعر وشروط صحته ، فما كان يعرف إلا أنه يغنى ، وكان غناؤه سليما !

٨ — تلحينه

وعلى الرغم من المجد العظيم الذى أتيح له ، فقد كان يرى نفسه جاهلاً بالفن وأصوله . ولعل ذلك راجع إلى أنه لم يتعلم الموسيقى على أحد ، فقد خرج إلى الحياة وألفى نفسه يغنى ، ثم عرف أن للغناء قواعد وأصولاً ، فراح يحصل منها ما يتاح له ، ولكنه لم يتح له أن يروى غليله من علومها وفنونها ، فكانت أمنيته الكبرى أن يتيسر له السفر إلى إيطاليا ليتعلم الموسيقى …

ولست أدرى ما الذى كان يريد أن يتعلم سيد ؟

ربما كان يريد أن يدرس أسلوب الغرب فى صناعة الموسيقى . أما الفن ، فأنا مؤمن بأن سيداً لم ينكب برزء أسود من نسبته إلى مصر ، فلو قد كان إيطالياً ، أو من شعب متقدم ، لكنا نسمع اليوم ألحانه عن طريق السينما ، وعلى اعتبار أنها معجزات من الغرب !

وهنا فى مصر يحال بين ألحانه وبين المعهد الملكى للموسيقى الشرقية … لأن هذا المعهد لا يعترف بموسيقى المسرح ، أو لأن حضرة صاحب العزة مصطفى بك رضا الموظف فى وزارة الأوقاف ومدير معهد الموسيقى والمنصوب له تمثال على حياة عينيه فى حوش المعهد ، والذى لم يسمع له إنسان لحناً أو أغنية — قال له الأستاذ عزيز عثمان : إن ألحان سيد درويش « هلس » …

والحق أنه صراع بين ذوقين فنيين : ذوق القاهرة القديمة ، وذوق الإسكندرية الحديثة . أما ذوق القاهرة فيمثله مصطفى بك رضا وأبناء محمد عثمان . وألحان القاهرة كما يعرف الجمهور هى هذه الألحان الصابرة الناعسة النائمة الخانعة ، التى كان يقصد بها قصداً أن تغنى فى الأفراح والليالى الملاح التى يقيمها البكوات والباشاوات ، وقد كان محمد عثمان أبرز المغنين فى هذا النوع ، وكانت موسيقاه المخمورة هى الرائجة فى عصر النوم والسهر …

أما ذوق الإسكندرية فغير هذا … ذوقها هو الظاهر فى موسيقى سيد ، هو هذه الحياة المنغمة ، وهذه العواطف الملحنة التى نفثها سيد درويش فى مصر ، والتى أخذها عنه من بعده زكريا أحمد فوفق ، ومحمد عبد الوهاب فانحرف بها إلى تقليد الموسيقى الغربية لأنه حسبها تقليداً واقتباساً كما قرأ فى المجلات ، وهى بعد ذلك أساس المذهب الحديث الذى يقلده ملحنو اليوم !

واليوم ووزير المعارف هو معالى النقراشى باشا الإسكندرانى ووكيلها هو صاحب العزة السنهورى بك الإسكندرانى … ألا نستطيع أن نأمل فى إحياء موسيقى سيد درويش على أيديهما ؟ إننا نرجو هذا ما دام لهما ذوق فنى ناضج حى ، وإن لهما هذا الذوق

عزيز أحمد فهمى



لحظات الالهام في تاريخ العلم

تاليف مريون فلورنس لانسنغ

٣ – عصر النار

فى الأيام الخالية وكانت الدنيا لا تزال فى شبابها كان – كما علمنا – يقيم فى واد شرق عدن شاب اسمه « توبال قابيل » وهو حفيد ذلك الرجل الذى عاش على الأرض أكثر مما عمر أى رجل آخر وهو متوشالح

ذهب توبال قابيل إلى الجبال ليكون صياد قبيلته لأنه أوفر رجالها جسماً وأوفاها قوة . وكان يستطيع لقوته أن يرمى الرمية فيصيب بسنانه المصنوع من الحجر المنحوت أى وحش يريد قتله. وكان كذلك حاد البصر سريع الحركة ففى وسعه أن يرى أى مخلوق يختبئ فى الغابة ويتبعه فى سرعة مطارداً إياه عند الهرب

وقد عرف توبال قابيل سر النار وصنع النار وكان ذلك السر مجهولاً من قبيلته منذ أجيال . وكان رجل من أهل الشمال لقنه سرها ، وكان هذا الرجل وقبيلته قد قبسوا من نار البرق الذى مصدره السماء فاحتفظوا بذلك القبس حتى عرفوا فى النهاية كيف يصنعونها بأنفسهم ، وذلك باستدعاء روح النار الكامنة فى أخشاب الغابة التى يقيمون بها . وكان توبال قابيل يصنع بالنار ما يصنع بالسحر فهو فى الليلة الباردة يعيد الدفء باستخراج الألهوب الأحمر من الخشب وبتغذيته بالهشيم الذى يجمعه أثناء النهار، وقد وجد أن الوحوش المفترسة تخاف من روح النار فتهرب وأن الوحوش لا تزعج نومه ما دامت النار بالقرب منه ترعاه

وفى يوم شديد البرد جمع توبال قابيل مقداراً عظيما من الغصون الجافة والخشب الجزل وسلط عليها الروح الحمراء لتأكلها لأنه كان شديد التألم من البرد فقد كان طول هذا اليوم فى الجبال يطارد نمراً عظيما ، وكانت الريح شمالية عنيفة باردة فاستشعر البرد حتى كاد يسرى فى عظامه

جلس من أجل ذلك بجانب النار ، ولما تأمل فى قرارها رأى منظراً أعجب من كل ما رآه من قبل : رأى صخرة كانت فى وسط الألهوب ، قد تحول لونها إلى الاحمرار ، وبدأت على حين فجأة تذوب . وكانت كلما اشتدت حرارة النار خرج من الصخرة الذائبة سائل ذائب كالماء الملوث بالطين حين يهم بالتدفق ، ثم التفت أثناء جريها ، وتحولت إلى ما يشبه حية سوداء هاربة من النار التى أخرجت من الصخر هذه المادة الغريبة .



إشعال النار بغير ثقاب كما كان يشعلها الماويون من عهد بعيد

لم يعرف توبال قابيل ما هو هذا السائل ، ولكن هذه أول مرة رأى فيها الحديد أى إنسان على الأرض ، فإن هذا السائل النارى لما جرى واستبرد أصبح معدناً ثميناً كان من قبل مختبئاً فى الخام الصخرى .

وانقضت أسابيع وشهور بعد رؤية هذا السائل المتدفق من الصخرة ، وقد قضى هذه المدة فى جمع الصخور المماثلة لما رآه من جوانب الجبل ، وكان يجلب لها ناره ليرى هل هذه الصخور ستذوب أيضاً ؟ فوجد أن بعضها الآخر أخرج نقاطاً لامعة متوهجة تتحول فيما بعد إلى معدن أرق هو الذى نعرفه باسم النحاس وكان يجرى تجربته فى كل قطعة من الحجر الذى جربه أولاً

ويراقب ما يصير إليه أمرها حين تبترد ليعرف إلى أى شكل تتحول

وفى أحد الأيام ، حاول أن يصوغ المدن فى أثناء حرارته وابترداه ، فطاوعه المدن وتمكن من طرقه وتحديد طرفه كالسنان الذى يصنعه من الحجر .

وعند خروجه للصيد للمرة التالية رأى وحشاً يقبل نحو كهف فى الجبل الذى يقيم فيه فرماه بسنانه الحديدى الجديد وأصابه السنان فى جبهته وقتله للحال

وكان هذا أول سلاح معدنى صنع فى العالم؛ ورأى توبال قابيل أن فى وسعه صنع أسلحة أخرى من هذه المادة الجديدة التى يمكن طرقها عند الحد أكثر مما تطرق الأحجار والفلزات التى يقضى فى نحتها ساعات طويلة متعبة

ولم يقل شيئاً عن هذا السر للصيادين الآخرين الذين كانوا يأتون أحياناً إلى موطنه فى الجبال ولا لسكان الوادى ؛ ولكن الجميع دهشوا من وفرة قوته ومن حذقه الصيد لأنه كان يأتى بصيد أكثر مما يأتى به أى اثنين مجتمعين فى هذه الجهة الجبلية . وكان أجدى على سكان الوادى من اثنين كذلك لحمايته إياهم من غارة الوحوش الضارية ؛ ولكنه أفضى إلى جده متوشالح باستكشافه الغريب وأراه كل أنواع الأسنة والأسلحة المحددة والآلات الحادة التى صنعها وصاغها بإحمائها وسكبها فى حفر وأخاديد فى الصخر أثناء خروجها حارة من النار وتركها حتى تبرد فتتجمد ويمكن عند ذلك طرقها

وكان متوشالح فى نهاية حياته عندما أقبل عليه توبال ؛ ولكن حكمته كانت تزداد على مدى الأيام . وكان ثاقب الفكر سريع الخاطر كحفيده الأصغر فأخذ القطع الغريبة من الحديد الأسود الذى جاء به توبال قابيل والقطع الساطعة من النحاس ووازن بين ثقليهما فى يده وحاول اختبارهما بكل الأساليب، وأخبر توبال بأن هذا سر عجيب جداً مكتوم عن سائر العالم وأنه يجب أن يدرس هذه الصخور وأن يستمر فى العمل بها وأن يتعلم كل الذى يستطيع تعلمه وأن يستعد لإشراك إخوانه الصيادين جميعاً وأهل قرابته هذه المعرفة ونشرها فى أرجاء العالم

وعاد توبال قابيل إلى الجبال وأنشأ لنفسه مكاناً للنار أو فرناً ليحبس فيه روح النار ويستبقيها فى خدمته ، وأرسل كل الصيادين ليأتوا إليه بالأحجار من النوع الذى يذوب . وتعلم صنع قوالب من الطين يضع فيها المعادن الحارة . وليتمكن من إدخال الهواء تحت القدر صنع نوعاً من المنافيخ وصنع أسلحة لكل الصيادين وللذين يتولون حراسة أهل الوادى

وكان الرجال يأتون من الأماكن البعيدة ومن الأماكن القريبة ليتعلموا فن توبال قابيل فى صنع المعادن . وعلمهم وهو مسرور كل ما عرفه من الأسرار وكل الفنون التى كان يستفيدها من يوم إلى يوم

وكان الذى تعلمه خدمة لكل الناس لأنه كيف يمكن أن يعيش أهل الأرض وأن يفتنوا ما لم يتشاركوا – لمصلحة الجميع – فيما يستكشفه أى رجل أو فيما تصنعه أية قبيلة ؟

تعلم كيف يحذق صنع الحديد ولم يكتف بأن يصنع الأسلحة للحرب بل صنع نصلاً ثقيلاً معقوفاً يستطيع الإنسان أن يحفر به الأرض اللينة قبل أن يلقى بها البذور ، وأن يصنع نصلاً طويلاً وهو الذى نسميه الآن باسم المحراث . وبه استطاع أن يخط على الأرض خطوطاً طويلة يغرس فيها الحب

وصنع آلات أخرى كثيرة ، واشتهر أمره فى جهات بعيدة عن واديه، وعن الوديان المجاورة للجبال التى يقيم بينها، لا بل ذاع صيته عبر الأنهار وعلى حدود البحر الكبير، وذاع اسم توبال قابيل صانع كل سلاح قاطع أو متنه بذبابة حادة ، وأستاذ كل رجل يبغى العمل فى النحاس أو الحديد أو أية مادة تسيل من الصخور . وكذلك دُوِّن فى الكتب القديمة كما يستطيع أن يتبين من يريد

وكذلك أصبح عصر النار عصراً للمعدن أيضاً . ولا نزال نعيش فى هذا العصر إلى اليوم

ومهما تكن الطريقة التى عرف بها الناس سر النار للمرة الأولى ، فإننا نعلم أنهم عرفوها قبل أن يكون للعالم تاريخ مكتوب وأنهم عرفوا أيضاً سر المدن المخبوء فى الأرض .

ولما عرف كيف يصنعه ، وكيف يصوغه بواسطة النار فإنه بذلك قد بدأ يسير فى طريق الدنية ، وسنظل متتبعين رحلته فى هذا الطريق على مدى القرون .

(يتبع) ع . ا

من هنا ومن هناك

ألمانيا بعد سقوط هتلر

[عن « جوتبرج هاندل » السويدية]

لا يستطيع الباحث المدقق فى حالة ألمانيا أن يحكم إذا كان ذلك النظام الذى أقامه هتلر سينهار بقيام حرب عالمية ، أو أن سيدركه الفناء تحت تأثير عوامل وأزمات داخلية ، يثيرها تدهور الحالة المالية والاقتصادية بها ومهما تكن الأحوال . فإن الدوائر السياسية العليمة فى أوربا ، أصبحت تعتقد أن سقوط النظام الهتلرى سيكون فى خلال سنة ١٩٤٠ . فإذا كان الأمر كذلك فيحق للانسان أن يسأل كيف تكون ألمانيا بعد هتلر ؟

لقد احتاطت الدعاية الألمانية لهذا السؤال ، ونشرت ما شاء لها الهوى من الأقاويل بين العامة والخاصة معلنة أن سقوط هتلر يتبعه قيام البلشفية فى ألمانيا . وهذا خطر تهون إلى جانبه كل الأخطار . وقد تمسك بعض الناس بالنظام القائم فى ألمانيا الآن باعتباره أخف الضررين . على أن الدوائر الاقتصادية المطلعة والأوساط الدينية تقرر أن نظام ستالين ونظام هتلر لا يختلفان

والنازية لا تجد لها سنداً فى خارج ألمانيا إلا فى بعض الدوائر التى ترى أن البلشفية تعم ألمانيا بعد هتلر ، ومن ثم يختل النظام وتنهار المدنية فى غرب أوربا تحت تأثير هذه الكارثة الخطيرة . ولكن هل فى الحق أن ألمانيا مهددة بخطر الاشتراكية ؟

إننا نستطيع أن نقرر فى غير تردد أن ألمانيا على وجه العموم أقل انخداعاً بالماركسية من أى دولة من دول أوربا . وإن كان بعض قصيرى النظر يعتقدون أن الماركسية قد تنتشر فى ألمانيا كرد فعل للنظام النازى

إن ألمانيا ولا شك ستكون عرضة لانقلاب قوى شديد كرد فعل للنظام الذى تحكم به الآن فتلك سنة الطبيعة ، ولكن هذا الانقلاب سينحو ولا شك ناحية مناقضة لهذا النظام . ولكن الاشتراكية ليست الناحية المناقضة للنازية بحال من الأحوال ... إن ألمانيا التى تتبرم بالهتلرية السمراء ، لا تشوقها دكتاتورية البلشفية الحمراء . فالألمان يعرفون ما هو الضغط على حرية الفكر والاعتقاد تحت ظل الحكومة الآرية ، ويبغضون من أعماق قلوبهم ضياع الحرية ومصادرة العقائد والأفكار فى ظل نظام محو الطبقات

فماذا تكون إذن بعد سقوط هتلر ؟ ستكون هناك أمة ألمانية يستمتع شعبها بحريته وحقوقه الاجتماعية ، وتندمج روحه والروح الأوربية . وسيكون قوامها العمال والفلاحون والأعيان والموظفون والضباط وأساتذة الجامعات

ستكون ألمانيا بعد هتلر أمة يسوسها خيرة من رجال الجيش والعمال والفلاحين والمدنيين وفى مقدمة هؤلاء جميعاً الشباب الناهض

ستكون إذن ألمانيا التى قهرت الفاشية والبلشفية

وستكون وتظل جزءاً مسئولاً فى أوربا الحديثة

أين يسكن هتلر ؟

[عن مجلة « تورنتو ستار »]

منذ اثنى عشر عاماً كتب هتلر مؤلفاً عن الأعمال التى يقوم بها وكيف تتنى له أن يقوم بها ، وأسمى هذا الكتاب « كفاحى » بيع منه ١١٠٠٠٠٠٠ نسخة بلغت أرباحها مليوناً من الجنيهات . وقد بنى هتلر من هذه الأموال مساكنه الجديدة ، وإنها لمساكن على جانب من الأبهة والعظمة

ومن المأثور عن هتلر أنه قال فى حديث له : « ليس من العار أن يقتات الألمان بالعشب ما دامت ألمانيا تعانى ما تعانى من الشقاء » ولكن هتلر لم يأكل العشب ولم يسكن فى بيوت من القصب ، فبنى القصور الفاخرة على قمم الجبال ، وشاد لنفسه الدور المؤثثة بأفخر الرياش

ومن غريب ما جاء على لسانه وهو يفتتح دار المستشارية الجديدة منذ أسابيع : « إنى مازلت كما كنت فيما مضى ولا أريد

أن أكون غير ذلك . إن منزلى يماثل بالضبط المنزل الذى كنت أسكنه من قبل وسيظل كذلك »

إنه فى هذا يتكلم عن مسكنه الخاص فى ميونيخ ، ولكنه لم يقل شيئاً عن القصور التى بناها فوق قمم الجبال حيث يخلو إلى نفسه

فعلى ناحية من جبال الألب البافارية على بعد بضعة أميال مما كنا نسميه النمسا تقع قرية برخستجادن الجميلة ، وعلى جانب من الجبل يرى قصر برجوف — مسكن هتلر — المحبوب . وقد كان هذا القصر مسكناً جبلياً بسيطاً فأعاد بناءه هتلر على طراز لا يحلم به أصحاب الملايين . وهو يقضى فى هذا المنزل فسحة آخر الأسبوع فى غالب الأحيان ، فينتقل بالطيارة من برلين إلى ميونخ ومن ميونخ تقله سيارة سوداء سريعة السير إلى مسكنه الفاخر

ويقوم على حراسة هذا القصر قوة كبيرة وأسلحة واستعدادات عظيمة لا يقوم مثلها على حراسة بنك انجلترا ، وهو محاط فى الليل والنهار بحصار شديد من الجند الأشداء .

وقد أقيم فى الصخرة الصماء التى شيد عليها هذا القصر خندق حصين تحيط به قوة من الدفعية المضادة للطيارات تحميه وقت الهجوم . على أنه محاط بأبواب عظيمة من الفولاذ تجعله محجوباً عن الأنظار ولا يتثنى لأى زائر أن يقترب من هذه الأبواب دون إذن كتابى من البوليس السرى

ولا يسمح لصحيفة ألمانية أن تذكر ما طرأ على هذا القصر من التجديد فهو لا زال فى نظر الألمانيين ذلك الكوخ الجبلى الصغير .

ويقال إن حجرة الجلوس فى هذا القصر من أفخر الحجر التى رأتها العيون . وهى تحتوى على نافذة واحدة ولهذه النافذة صفحة من الزجاج ارتفاعها عشرة أقدام وطولها ٢٨ قدماً ولعلها أكبر نافذة فى العالم . ومن هذه النافذة يطل هتلر ومن عسى أن يكون معه من الضيوف على مناظر جبال الألب الخلابة

ولعل أكبر متعة تصبو إليها نفس الفوهرر ، هى أن يجلس إلى هذه النافذة ويمتع النظر فيما حوله من الوديان المخضلة النبات ، بينما يعزف أحد أصدقائه بعض مقطوعات من موسيقى واجنر على البيانو على بضعة أمتار



المجمع والدكتور أحمد بك عيسى

كتبت فى العدد الأسبق من الرسالة كلمة عن المجمع اللغوى قلت فيها — اعتماداً على ما رواه لى الدكتور أحمد بك عيسى — أن المجمع أهمل كتابه « المحكم فى أصول الألفاظ العامية » ولمته على هذا

وقد بين لى صديقى الأديب الكبير الأستاذ الشيخ عبدالعزيز البشرى (مراقب المجمع) أن اللوم فى غير محله ، وأن لجنة اللهجات العامية راجعت الكتاب وفحصته ، وأن الدكتور عيسى بك نفسه حضر بعض اجتماعاتها ، ووافق على ما اقترحته من زيادة « فى مصر » على اسم الكتاب

وقرأ لى الأستاذ البشرى كتابين بعث بهما باسم المجمع إلى وزارة المعارف يطلب فى أولهما من الوزارة طبع الكتاب لتعميم فائدته ، ويطلب فى الثانى توزيعه على مكتبات المدارس

ويتضح من هذا أن المجمع لم يقصر ولم يهمل ، وإذا كان لم يطبع الكتاب فذلك لأن المجمع لا مال له لطبع الكتب ، ومطبوعاته هو تتولاها وزارة المعارف

ومن الإنصاف للمجمع أن أعلن هذه الحقائق التى تفضل الأستاذ البشرى باطلاعى عليها . ومن واجبى أن أشكر الصديق وأن أعتذر للمجمع وإن كان الذنب لغيرى .

ابرهيم عبد القادر المازنى

صححوا هذين البيتين

يكثر استشهاد الخطباء والكتاب بقول شوق :

فى العلم تطَّعن المقو ل وليس تطَّغن الصدور

وكذلك ينطقون « تطغن » بالغين المعجمة فى الصدر والعجز وهو صحيح فى العجز ومحرف فى الصدر . والصواب :

فى العلم تطَّعِنُ المقو ل وليس تطَّغن الصدور

فنقرأ « تطعن » فى صدر البيت بالعين المهملة من الطعن ، ونقرأ « تطغن » فى عجز البيت بالغين المعجمة من الضغن وهو الحقد ومعنى البيت أن العلماء قد يتحاربون ولكنهم لا يتباغضون وشوقى لا يريد غير ذلك ، وإنما نُشر البيت محرفاً ولم يفطن من يستشهدون به إلى ما وقع فيه من تحريف .

والقصيدة التى فيها « يا جارة الوادى » مطلعها هذا البيت :

شيعتُ أحلامى بطرف باك ولحت من طرق الملاح شباكى

والناس يقرأون « لحت » ، وهى كذلك فى الجزء الثانى من الشوقيات ، وقد نُشر فى حياة شوقى ، ونقلها بعض المؤلفين عن نسخة الديوان بدون تصحيح ، وأنشدها بعض الأدباء فى محطة الإذاعة بدون تصحيح !

و « لحتُ » فيها تحريف ، والصواب « لمتُ » بلام وميمين من اللمّ وهو الطي ، وما أحسب شوقى يريد غير ذلك .

فأرجو القراء أن يصححوا هذين البيتين إن راقهم هذا التصحيح .

زكى مبارك

سؤال عن الربا

ذكرنى السؤال الذى وجهه الأستاذ على الطنطاوى إلى (المفكرين) من علماء المسلمين بسؤال كنت بعثت به إلى فقيد الإسلام المرحوم الأستاذ الإمام رشيد رضا فى موضوع الربا بتاريخ ٤ شعبان سنة ١٣٥٢ هـ ، وقد أجابنى بجواب مختصر أحالنى فيه — كعادته — على مجلة المنار . فإذا كان فى الرسالة الغراء متسع لنشر هذا السؤال ، تعضيداً لسؤال الأستاذ على الطنطاوى فها هو ذا :

حضرة الأستاذ العلامة ....

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وهنا قدمت بمقدمة شرحت فيها سوء حالة فلسطين الاقتصادية التى أوقعت فيها قسراً ثم قلت)

فرأى المخلصون من رجال الاقتصاد أن خير وسيلة لإنقاذ الفلاحين من هذا الشقاء، ولتخليص البلاد من شره اليهود، هي إنشاء بنك زراعي عربي بأموال العرب يعقد قروضاً زراعية للفلاحين بربا قليل إلى وقت طويل. ويقدم إليهم آلات زراعية حديثة، إلى غير ذلك من الوسائل التي تخلصهم من ظلم المرابين، وتوسع عليهم، وتحفزهم للعمل والتثمير حسب الأصول الحديثة، فتجلب الخير والنفعة، وتغنيهم عن بيع أراضيهم لليهود

والمسئول عنه الآن: هل يكون ديننا الحنيف في هذه المعضلة الاجتماعية كشأنه في سائر المعضلات سمحاً سهلاً يتمشى مع المصلحة، وينطبق على ما تقتضيه نظام العصر الحاضر، فيجد الناظر فيه رأياً لا يخالف القرآن الكريم، ولا يصادم السنة الشريفة، يجيز أمثال هذه المعاملات (المصرفية) من عقد قروض بربا قليل لا يضر بمصلحة الآخذ ويفيد المعطي، لا سيما أنه يؤخذ من ظاهر بعض الآيات، ويؤخذ من حالة العرب قبل الإسلام في مداينتهم بالربا، أن المقصود بالنهي الربا الفاحش الذي يؤدي إلى خراب بيت المدين كما حصل ويحصل مع كثير ممن لو تداينوا بربا قليل لوفوا ديونهم وعادوا سيرتهم الأولى من السعة والغنى. وهـذا الربا الفاحش هو ربا الجاهلية (وربا الجاهلية موضوع) وهو (الأضعاف المضاعفة) وبه يحصل التقاطع والتباغض بين الناس. أما الربا الخفيف فلعله يكون من أسباب المودة بين المتداينين

ثم ألا يجد الناظر في الدين حرجاً بناء على هذا — إذا صح — أن يحمل الآيات الشريفة المحرمة للربا على الربا المعهود (أي ربا الجاهلية، وهو الربا الفاحش) ويحمل الأحاديث على هذا المحمل. وتدق الحكمة في عدم التحديد حث الناس على التعامل بالقروض المجانية تنزهاً عن شبهة الربا، ليكون ذلك أدعى للتآلف والتعارف؟

وإذا أبى نص حديث — والنص من الراوي — هذا المحمل، أفلا نتركه؟ إذ لا يصح أن تقف أحاديث الآحاد في وجه النفعة والعمران وتقدم المسلمين؛ والعمران وتقدم المسلمين وقوتهم يغلب على الظن أنها مقصد من مقاصد الدين حتى يكون الدين كله لله

أقول: هل يجد الناظر في الدين رأياً كذلك؟ فإن كان فالرجا أن تفصلوا علله وأسبابه وأدلته، وإن لم يكن هناك ما يساعد على هذا الرأي فأرجو بيان ذلك مع الحكمة أيضاً وهل هناك إجماع يكون خرقه كفراً على تحريم الربا مطلقاً قليله وكثيره؟ أم لا يكفر المتأول، ومن يأخذ بالظاهر؟ أفتونا ...

وهذا جواب الإمام رشيد رضا رحمه الله بحروفه:

السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته: إن من الأرهاق لي أن أكلف أن أجيب عن الأسئلة التي تأتيني من أنحاء العالم في مكتوبات خاصة مع أن ما ينشر منها في المنار لإفادة الجميع قد عجزنا عن الإجابة عنه كله. ومن المعلوم لـكل مسلم أن البنوك كلها فيها ربا وأن الربا محرم ولكن في بعض أعمالها وشركاتها ما ليس كذلك. ونحن ننشر في المنار بحثاً طويلاً سيصدر بعد إتمامه في كتاب مستقل والسلام.

رشيد

ولم أطلع على ما نشر في المنار، كما لم أعلم أتم البحث وصدر في كتاب مستقل أم لا؟

فعلى من يستطيع الحصول على المنار أن يرشدنا إلى ذلك.

(سائل)

كلمة أخيرة في نعيم الآخرة

أطال الأستاذ محمود على قراعة في الاستشهاد بأقوال بعض العلماء والصوفية وفلاسفة الأخلاق، وملأ أربع صفحات من الرسالة الغراء (العدد ٣٢١) ليثبت أن لذة الروح أرق من لذة الجسم حتى يتسنى أن يثبت أن نعيم الآخرة روحي. وأنا لا أنكر أن لذة الروح أرق من لذة الجسم، ولا أحتاج عليـه إلى دليل من كلام أحد، وأرى الأمر أهون من أن يحتفل به هذا الاحتفال ما دام الله تعالى لم يكلفنا — بعد الإيمان بالآخرة والجزاء فيها — أن نعلم نوع هذا الجزاء أهو حسي أم روحي

على أن جميع ما أتى به الأستاذ — ومثله معه، إن كان من نوعه طبعاً — لا يجدي شيئاً في تأييد دعواه. وأما دعوانا فهي واضحة جلية أعجب كيف يكابر فيها وهي تستند إلى هذه الأمور المسلمات:

١ — إن جميع النعم الحسية التي ذكرت في القرآن الكريم كالمأكولات والمشروبات والأزواج[1] ورؤية الله تعالى، هي

(١) مسألة الولدان التي ذكرها الأستاذ قراعة، ونقل فيها أقوالا من رد المحتار في العدد ٣١٥ وأشار إليها في العدد ٣٢١ من الرسالة، لم تذكر في القرآن الكريم للمعنى الذي فهمه منها أصحاب الأقوال المشار إليها في رد المحتار، بل صريح القرآن أن هؤلاء الولدان للخدمة (يطوف عليهم ولدان مخلدون، بأكواب وأباريق وكأس من معين. الآيات) فيقتصر على ما ورد في كتاب الله ولاسيما في الأمور السمعية.

حسية حقيقة لا مجازاً ، وإن كانت على غير ما نتصوره فى الدنيا؛ فالتفاح والرمان مثلاً هو تفاح ورمان ، وإن كان من الجودة بحيث لا نعلم .

٢ — أجسامنا فى الآخرة — كيفما كان الرأى فى إعادتها — هى أجسام ، وإن كانت على نشأة أخرى كما تقتضى إرادة ربنا تعالى

٣ — ما دامت النعم الحسية لا تتغير أسماؤها هناك ، ومادامت الأجسام لا تصير أرواحاً هناك ، فإدراك الأجسام لتلك النعم إدراك حسى ، وإن كانت حسيته بحسب قابلية الجسم فى ذلك الوقت

فإذا سُلِّم هذا — وهو مسلم — يُبرهن على دعوانا بقياس منطقى اقترانى من الضرب الأول من الشكل الأول ، تؤخذ مقدمتاه من هذه المسلمات ، فيقال :

(النعم فى الآخرة تدرك بالحواس الجسمية ؛ وكل ما يدرك بالحواس الجسمية فهو حسى ؛ فالنعم فى الآخرة حسية) . ونتيجة هذا القياس لا تنقضُ حتى تنقضَ المقدمات ، وهيهات .

وبعد فلا أظن الأستاذ قراءة يفهم من هذا أننا ننكر أن النعيم الحسى لا يتصل بالروح ، ولكن اتصاله بالروح لا يمنع أنه نعيم حسى . والسلام على الأستاذ ورحمة الله .

(فلسطين) داود حمدان

حول الوحدة الإسلامية والقومية العربية

كتب إلى فلسطينى فاضل يلومنى فى بعض فقرات من كلمتى المنشورة فى الرسالة العزيزة عدد (٣٢٠) فقال : « إن قولى : (يقف المسيحى فى فلسطين فى جانب المسلم يدفعان معاً شر المتعصب المستعمر) يخالفه الواقع » وقال الفاضل : « وإن كانت تركيا وهى المسلمة لم تتحرك من أجل فلسطين فما ذاك إلا لأننا لا نعرف وحدة إسلامية اليوم ولا ندعو بها » . وقال أيضاً : « إن المستعمرين لا يخرجون من البلاد وإن أقرت الأقليات بأنها من صميم الأمة » . ثم يختم كتابه إلىّ بقوله : « ولعل رسالتى تخفف من غلوائك فى هذه الدعوة البريطانية »

فأود - قبل كل شىء - أن ألفت نظر الفاضل إلى أننى لم أزعم أن المسيحى السورى أو العراقى مثلاً هب يحمل السلاح للدفاع عن القضية العربية فى فلسطين ، وإنما قلت إن مسيحيي فلسطين يدافعون مع المسلمين ويحاربون عدوهم القوى ، وهو واجبهم فى الذود عن أرضهم وفى حماية أهليهم . ولعل الفاضل يعلم أن كثيراً من المسيحيين العرب وقفوا ألسنتهم وأقلامهم للدفاع عن فلسطين المجاهدة كالأساتذة الشعراء بشارة الخورى وحليم دموس والشاعر القروى : اللبنانيين ؛ والكتاب أمين الفريب وكرم ملحم كرم ولبيب الرياشى ، وهم لبنانيون أيضاً . كما أن فى سورية وفى مصر وفى العراق مسيحين عرباً خلصاً خدموا القضية الفلسطينية خدمات لا تنكر ولا تجحد

وأحب أن أناقش الفاضل فى قوله : « إن تركيا لم تحجم عن مساعدة فلسطين إلا لأننا لا نعرف الوحدة الإسلامية » فهل يريد الفاضل بالوحدة أن تتفق تركيا وإيران الدولتان المسلمتان القويتان مع العرب المسلمين المشتتين فى كل صقع والمحكوم أكثرهم من قبل الدول الأجنبية ؟ وهل هذا ممكن ؟ ثم لنفرض إمكان التحاق المسلمين العرب بهاتين الدولتين أو بإحداهما فهل يقبل العرب وهم كثيرو العدد ووافرو الثقافة أن ينضووا تحت لواء دولة صغيرة ؟ ثم هل يقبل الأتراك هذه المحالفة وهم يعرفون قوة العرب ووفرة عددهم ؟ وإذا قبلوا أفلا نعتقد أن العرب لا تكون كلمتهم هى العليا فى جانب تلك الدول القوية التى تخشى سيادة العرب وحكمها ؟ وهل من المنطق أو المعقول أن يكون العرب تبعاً لغيرهم وأين نذهب بقوله تعالى : « وأطيعوا الله والرسول وأولى الأمرِ منكم » وقد قال بعض جهابذة المفسرين: المراد بقوله تعالى « منكم » تخصيص الأمة العربية . . .

أما قوله: « إن المستعمرين لا يخرجون من البلاد وإن أقرت الأقلية بأنها من صميم الأمة إلا إذا كانت قوية عزيزة الجانب » فيرده أن الأمة لا تستطيع أن تصل إلى درجة من القوة والمنعة إذا وقف مسلمها فى جانب ومسيحيها فى جانب آخر

وكنت أحب ألا يفهم الفاضل عكس ما أردته فقد قال : « ولعل رسالتى تخفف من غلوائك فى هذه الدعوة البريطانية »

ولو كان الفاضل يعلم أننى كنت ولا أزال بحمد الله من مؤسسى القضايا الدفاعية عن فلسطين المقدسة وأننى نشرت عشرات المقالات وألقيت مئات الخطب فى سبيل هذه القضية المشرفة وأننى كدت أسجن مراراً من أجل هذا الواجب ، أقول لو علم الفاضل شيئاً من هذا لكتب بلسان العقل لا بوحى العاطفة

فليطمئن الفلسطينى الفاضل وليعلم أننا أشد منه غيرة على الإسلام ولكننا نحكم العقل فنجازى المحسن بما فعل ونقابل المسىء بما قدم .

(طرابلس) محمد على عثارى

جيرون وربوة في كتاب هبة الأيام

أورد البديعي في كتابه « هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام » قصيدة للعماد الأصبهاني يجاوب بها أبا الفتح التعاويذي في الصفحة ٢٧٧ وهي قصيدة طويلة مطلعها :

بأبي معتـــدل القا … مة في عطفيــه نشوه

ومن أبياتها :

ما تسليني عن دجــلة جيرون و « بروه »

هكذا أورده ناشر الكتاب الأستاذ الفاضل محمود مصطفى وعلق عليه بقوله : « لعل جيرونا وبروة اسما نهرين بدمشق » . وهذا عدم تحقيق من الأستاذ الفاضل

فإن بروة تحريف ظاهر لا يخفى على أديب باحث في اللغة العربية ، ولا يوجد نهر أو موضع بدمشق بهذا الاسم . وإنما هي ربوة وهو منتزه جميل وجنة غناء قرب دمشق ... قال ياقوت في معجم البلدان : ربوة بضم أوله وفتحه وكسره . إلى أن قال : بدمشق في لحف جبل على فرسخ منها موضع ليس في الدنيا أنزه منه لأنه في لحف جبل تحته سواء نهر بردى وهو مبنى على نهر تورى وهو مسجد عال جداً وفي رأسه نهر يزيد الخ اه . وقيل : إنها دمشق نفسها ، ولكن المعروف إلى اليوم هو المكان المنتزه الجميل . وقد تغنى به أمير الشعراء المرحوم شوقي بك في قصيدة : « قم ناد جلق ... » فقال :

وربوة الواد في جلباب راقصة … الساق كاسية والنحر عريان
والطير تصدح من خلف العيون بها … وللعيون كما للطير ألحان
وأقبلت بالنبات الأرض مختلفاً … أفوافه فهو أصباغ وألوان

أما جيرون فقد قيل إنها دمشق نفسها ، وقيل إنها حصن بدمشق أو بناء عظيم لبعض الكواكب الخ. قال في معجم البلدان هذا قولهم . والمعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقي يقال له باب جيرون، وفيه فوارة ينزل عليها بدرج كثيرة في حوض من رخام وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح الخ

وجاء في الصفحة ٢٨٠ من القصيدة نفسها

وهو في الشعر وفي العلـ … م كحسان وعروه

فعلق عليه الأستاذ بقوله : « حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله وأمره مشهور ، وعروة من شعراء العرب كثيرون ، فمنهم عروة بن حزام ومن شعره قوله في عفراء :

متى تكشفا عني القميص تبينا … بي الضر من عفراء يا فتيان
إذاً تريا لحماً قليلاً وأعظماً … بلين وقلباً دائم الخفقان
جعلت لعراف اليمامة حكمه … وعراف نجد إن هما شفياني الخ

ومنهم عروة بن الورد الذي يسمى عروة الصعاليك لأنه كان كالرئيس عليهم ويجمعهم ويقوم بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم. مع أن المراد هنا بعروة عروة بن الزبير بن العوام أحد فقهاء المدينة السبعة العالم المشهور، والمحدث الكبير تلميذ خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها المتخرج في مدرستها وهو مشهور غني عن التعريف . وبيت العماد يقول : وهو في الشعر كحسان ، وفي العلم كعروة ، وهذا في البديع يا سيدي الأستاذ لف ونشر مرتب. وهذا الذي جعلنا نحمله هذا الحمل، والمعروف أن عروة بن حزام وعروة بن الورد وغيرهما من شعراء العرب لم يشتهر أحدهم بالعلم .

وإن الأستاذ محمود مصطفى ليشكر على مجهوده في هذا الكتاب وعلى إخراجه في هذا الثوب القشيب ، وأرجو أن يتقبل مني هذا التعليق بقبول حسن .

ابراهيم يس القطان

الشطر المسروق

سيدي صاحب الرسالة :

لقد قرأت في العدد (٣٢٠) من الرسالة الغراء قصيدة الأستاذ « العوضي الوكيل » فأعجبت بما فيها من المعاني الدقيقة والخيالات الرائعة ولكنما استوقف نظري هذا الشطر :

« أواه لو تنفع المحزون أواه »

فرجعت بالذاكرة إلى الماضي فتذكرت أنه مرّ عليّ منذ أربع سنوات في قصيدة للأستاذ « محمود غنيم » في العدد الممتاز من الرسالة من السنة الثالثة ص (٥٩١) تحت عنوان (مجد الإسلام — وقفة على طلل) وها هو ذا البيت بأكمله :

« لي فيك يا ليل آهات أرددها … أواه لو أجدت المحزون أواه »

فرأيت الأستاذ (العوضي الوكيل) لم يغير في الشطر غير كلمة (أجدت) وأبدلها بكلمة (تنفع)

محمد ابراهيم شلتوت



نظرات فى كتاب :

« بعث الشعر الجاهلى »

تأليف الدكتور مهدى البصير

للأديب خليل أحمد جلو

— ٢ —

لا شك أن ما روى الدكتور عن حياة امرىء القيس منسجم مطرد ، وهو حجة دامغة معقولة ، لو أن ما كتبه (وهو عين ما يدرسه طلاب الصف الثالث الثانوى) ، هو كل ما يروى فى الكتب ويُستنتج بعد المحاكمة ، ولو أنه صحيح ثابت ، ولكنه ناقص سقيم حين سمع الناس أن امرأ القيس شخصية خيالية ، وحين يعلم أن الرواة اختلفوا فى اسمه وكنيته وذريته: فهو حندج وهو قيس ، واسم أبيه عمرو واسم أبيه حجر ، واسم أمه فاطمة واسم أمه تملك ، وكنيته أبو لهب وكنيته أبو الحارث ، وأنه لم يكن له ولد ذكر ، وأنه يئد بناته جميعاً ، وأن له بنتاً يقال لها هند ، وأنها لم تكن بنته ، وإنما كانت بنت أبيه ، وأنه يعرف بالملك الضليل ، وأنه يعرف بذى القروح .

فكان عليك يا دكتور أن تستخلص من هذا الخليط المضطرب ما تستطيع أن تسميه « منسجم مطرد » ، وما تستطيع أن تسميه حقاً أو شيئاً يشبه الحق ليجوز لك أن تسلم بوجود امرىء القيس وأن تقول : « إن ما يروى عنه « لم يكن أ كذوبة » من أ كاذيب القصاص » .

أليس جديراً بكتاب يسمى « بعث الشعر الجاهلى » أن يستعرض ما ذكرت ، وزيادة عليه مما يشم منه رائحة الأساطير والأ كاذيب ، ثم يعرض لها بالبحث والتحليل ، والاستقراء والاستنتاج ، والتعقل والمحاكمة ، لينسج منه المؤلف بحثاً يستطيع بعده أن يقول : قد بعثت امرأ القيس حقاً ؟ ولكن الدكتور أغرق فى تجنب الآراء المتضاربة والاختلافات المتناقضة ، وما جرب أن يشطح وينطح ، وابتعد عن كل أناة وتثبت فيما نقض وأبرم . فهو يجحد جحوداً مطلقاً ، وينكر بغير حق شأنه فى التصديق ، ويروى ما يدعم مزاعمه ، ويغفل عما يدحضها ، وهذه خصال يتبرأ منها الباحث العلمى .

إذا أردت أن أنتهى من نقد طريقته السقيمة فى البحث فاسمح لى أن أحدثك يا قارئي عن برهانه على حقيقة نسبة « قفا نبك » . وما هو برهانه ؟ لا يتجاوز ما يذكره فى ص ١٠ « أن القصيدة رويت فى القرن الثانى ، وأن كبار الرواة وثقاتهم كالمفضل الضبى وأبى عمرو بن العلاء والأصمعى أحياء لم يطعنوا فيها » . . . يظهر من هذا أن الدكتور مطمئن إلى ما يرويه هؤلاء كل الاطمئنان ، ولم ير حاجة فى الإطالة ، فقد جاء بالبرهان الناصع والدليل القاطع

هل يستطيع الدكتور أن يقول إن كل ما رواه هؤلاء صحيح سالم من التجريح ؟

لا شك أن هؤلاء ممن لم تفسد مروءتهم ولم يعرفوا بفسق ولا مجون ولا شعوبية ، والعجب أنهم قد كذبوا أيضاً وانتحلوا . فأبو عمرو بن العلاء يعترف بأنه وضع على الأعشى بيتاً هو :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

ويعترف الأصمعى بشىء من ذلك . ويقول اللاحقى إن سيبويه سأله عن إعمال العرب « فَعِلا » فوضع له هذا البيت :

حذرٌ أموراً لا تضير وآمن ... ما ليس ينجيه من الأقدار

وهل من صفة البحاثة العلمى أن يقف جامد العقل إزاء ما يروى عمن عاشوا فى القرن الثانى مهما ابتعدوا عن السذاجة وفساد الذمة ؟

وإذا سلمنا جدلاً أن القصيدة من ناحية السند صحيحة، أليس يحسن به أن يمتحن صحة متنها؟ إنه لم يتكلف عناء ذلك فى جميع ما روى من المعلقات

يا دكتور أن أكاذيب كثيرة حملت على الجاهليين ونسبت أحاديث خرافة لا تحصى إليهم فى عهد الإسلام، وأضيفت مقادير وافرة من الأباطيل إلى تاريخ كل شعب وكل جيل، وحاشاك أن تجهل الانتحالات التى يمليها تضارب المصالح والأهواء ويقتضيها تطاحن الأفراد والجماعات، مما يجب ألا نتواطأ عليها بالسكوت والتسليم، فلا تحسب أنك حين نزهت بعض الرواة عن الاختلاق والكذب يحق لك أن تقول بكلام المنتصر الغالب: « إذن لنفرغ لدرس هذه القصيدة (ص ١٩)، فإن الباحث المنصف من شأنه أن يحتاط ويحترس من كل ما يروى، وليس من الصحيح أن تقول إن فلاناً مشهور بالصدق فيجب أن نأخذ عنه كل شىء على علاته مطمئنين راضين

هل تعرف عن « مدرسة الرأى » التى انتشرت فى القرن الأول والثانى للهجرة التى كانت تشترط فيما يؤخذ به من حديث شروطاً لا يسلم معها إلا القليل، حتى غالى قوم فرأوا عدم الأخذ بالحديث بتاتاً ؟

أليس جديراً بك يا دكتور أن تقف موقف « اللاأدريين » الذين شكوا فى صحة الأحاديث ولم يكن بينهم وبين قائلها صلى الله عليه وسلم أكثر من قرنين؟ تذكر أنك فى القرن الرابع عشر للهجرة، وأن الذى ترويه شعر وليس حديثاً لا يختلقه إلا من عرض نفسه لغضب الله وناره

يقول الدكتور (ص٩٢) « إنى أحاول فى هذا الفصل أن أثبت جاهلية المعلقات أو - الطولات السبع - ومتى تم لنا القول بأن هذه القصائد السبع جاهلية حقاً، فإننا نكون قد أنقذنا أمجد صفحات الشعر الجاهلى من الجحود والإنكار. ذلك لأن هذه المطولات أقوى وأجمل وأمتع ما وصل لنا من الشعر الجاهلى على الإطلاق »

إن الدكتور يريد أن يثبت « بالجملة »

هل تعلم ما هو السلاح الذى دافع به عن المعلقات حتى خيل إليه « أن القصائد السبع جاهلية حقاً ؟ » إنك لا تعلم حتى أقول لك ! إنه اقتصر على تبرئة حماد الراوية عن قولها لاغير !

ولكن كيف برأه ودافع عنه دفاع المحامى المحرج البرهان والدامغ الحجة ؟

إنه يقول (ص ٩٣) « إن حماداً يستطيع أن يقول البيت أو الأبيات القليلة من الشعر المبتذل وأن يدسها فى شعر أحد الجاهليين ليدل بذلك على أنه أغزر علماً وأصدق رواية من غيره من الرواة، ولكنه لا يستطيع أن يقول قصيدة واحدة ذات شخصية أدبية وقيمة فنية » ثم يقول إن شاعرية حماد لا تساعده « على وضع الشعر البليغ وإضافته إلى فحول الشعراء »

لا تطلب منى أن أضايق الرسالة بما يروى عن حماد وبما يؤثر عنه من شعر جيد رصين، وفن فى النظم فريد، وشيطنة فى الانتحال عجيبة، وتقليد للشعراء يعجز عنه أعظم شاعر فحل؛ ويكفى أن أذكر أن أهل الكوفة مجمعون على أن أستاذهم فى الرواية حماد: عنه أخذوا شعر العرب، وأنه شاعر مجيد يصل من التقليد والمهارة فيه إلى حيث لا يستطيع أحد أن يميز بين ما يروى وينتحل

ويقول المفضل الضبى - والدكتور يثق به كل الثقة - إن حماداً قد أفسد الشعر إفساداً لا يصلح بعده أبداً. فلما سئل عن ذلك: ألحن أم أخطأ؟ قال: ليته كان كذلك فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله فى شعره ويحمل ذلك عنه فى الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك ؟

ويحدثنا عنه محمد بن سلام - والدكتور لا يشك فى روايته أيضاً - أنه دخل على بلال بن أبى بردة بن أبى موسى الأشعرى فقال له بلال: ما أطرفتنى شيئاً ؟ فعاد إليه حماد فأنشده القصيدة التى فى شعر الحطيئة فى مديح أبى موسى. قال بلال: ويحك! يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به، وأنا أروى شعر الحطيئة! والرواة أنفسهم يختلفون فى قائلها فمنهم من يزعم أن الحطيئة قالها حقاً

وكان يونس بن حبيب يقول: العجب لمن يروى لحماد، كان يكسر ويلحن ويكذب

وثبت كذب حماد الراوية للمهدى فأمر حاجبه فأعلن فى الناس أن يبطل رواية حماد

فهل صحيح يا دكتور ما تقوله من أنك قد « أحصيت ما عرف لحماد من الشعر، على أنه له، أو على أنه محمول على بعض

الشعراء الجاهليين أو المخضرمين ، فكان كله أربعة وعشرين بيتاً » ، وأن حماداً لا يستطيع أن يقول قصيدة واحدة ذات شخصية أدبية وقيمة فنية ، وأنه لم يدس فى الشعر غير البيت أو الأبيات القلائل ؟

وما لنا والإطالة ؟ فهل يشك أحد — غير الدكتور مهدى البصير — فى أن حماداً كان يسرف فى الرواية والتكثر منها ، وأن له فى ذلك أخباراً لا يكاد يصدقها أحد ؟ فلم يكن يسأل عن شىء إلا عرفه ! وقد زعم للوليد بن يزيد أنه يستطيع أن يروى على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة لمن لم يعرفهم من الشعراء . قالوا : وامتحنه الوليد حتى ضجر فوكل به من أتم امتحانه ثم أجازه

لا تظنوا مما حدثتكم به أنى أريد أو أحاول أن أبدى رأياً فى الشعر الجاهلى ، وإنما كل ما طمعت فيه أن أبين لكم أن الكتاب الذى بعث الشعر الجاهلى ، كما يخيل إلى صاحبه ، برىء مما يدعى أو يتخيل ، وأنه خال من العمق ، وهو سطحى كما يقولون . أو قولوا إنه شرح لمعانى المعلقات على أنها آيات منزلات أكثر منه محاولة لبعث الشعر الجاهلى ، وهو قائم على الإبهام والتضليل لمن لم يؤت نصيباً من الأدب ، وعلى الغفلة والانخداع . والباحث يخيل للقراء أو قل يخيل إليه أنه قد أحاط بالأدب والأدباء الجاهليين مع أنه لم يحط من ذلك بشىء . وإنما عرف صياغة بعض الجمل ، وعلماً عامياً اقتطفه من الكتب اقتطافاً .. وآية ذلك أنه فى بحثه الجديد الذى سماه « بعث الشعر الجاهلى » لم يكشف للناس عن شىء جديد فى أمر هؤلاء الشعراء الجاهليين وشعرهم ، وإنما ظل هؤلاء عند من يشك كما كانوا ، بل زادوا شكاً وارتياباً .

هذا النحو من البحث السطحى شر ، لأنه قاصر وعقيم ، ولأنه لم يأت بالثمرة المطلوبة أو بما يشبهها ، ولأنه لا يمت إلى العلم بصلة ، ولأنه لا يصلح إلا للمتوسطات من المدارس .

لقد حدثتك عن الوجه الأول والثانى ، وقد كدت أن أنسى الوجه الثالث وفيه اقترف المؤلف من الأحكام الخواطئ والتفسيرات السقيمة والآراء الفطيرة ما جعلنا نتذكره ونشعر بضرورة الهداية والإصلاح والجهاد فى سبيل الأدب والأدباء .

يشرح الدكتور معنى البيت :

وأعلم ما فى اليوم والأمس قبله ولكننى عن علم ما فى غد عم

قائلا : إن الشاعر « يعلن أنه يعرف ماضى الحياة وحاضرها لأنه رآهما ، ولكنه يجهل مستقبلها » (ص ٤١) وهذا الشرح معقول مقبول لا يختلف فيه اثنان ، ولكن مما يدعو إلى النظر والتروى ما يستنتجه الدكتور من قول الشاعر : « ولكننى عن علم ما فى غد عم » إذ يزعم « أنه لا يؤمن بالبعث » (ص ٤١) . إن هذا الادعاء باطل ؛ فإن الرواة يتحدثون أنه تنبأ بظهور الإسلام وأوصى ابنيه كعباً وبجيراً أن يسلما . وهم يروون له أشعاراً كثيرة فيها أصول دينية . وذكر أبو عبيدة عن قتيبة ابن شبيب بن العوام بن زهير عن آبائه الذين أدركوا بجيراً وكعباً ابنى زهير قال : كان أبى من مترهبة العرب وكان يقول : « لولا أن تفندونى لسجدت للذى يحيى بعد الموت ! قال : ثم إن زهيراً رأى قبل موته بسنة فى نومه كأنه رفع إلى السماء حتى كاد يمس السماء بيده ثم انقطعت به الحبال ، فدعا بنيه فقال : يا بنى ، رأيت كذا وكذا وإنه سيكون بعدى أمر يعلو من اتبعه ويفلح ، فخذوا بحظكم منه ، ثم لم يعش إلا يسيراً حتى هلك فلم يحل الحول حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولنسلم أن هذه الروايات مُفتعلة محمولة على زهير ولندعها جانباً ، ولنرجع إلى الشاعر نفسه نسأله عن رأيه فى البعث فسيقول لنا دون تردد :

فلا تكتمن الله ما فى صدوركم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

فاتق الله يا دكتور فى دين الناس ، ولا تضلك ظواهر الكلم ، فإن الشاعر يريد أن يقول فى بيته الذى آخذته عليه : وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وأنها لا تعلم الغيب

عفا الله عنك يا دكتور ! فلولا أنك كنت تلبس العمة وترتدى القباء وكنت شيخاً فى الظاهر والباطن ، كما هو معروف عنك قبل أن تقصد باريس ، لاتهمناك بنكران الحساب وربما زهيراً ! ألست أنت الذى تقول فى قصيدة وجدانية قلتها فى نهر الليس (ص ١٥١)

لا تحسبنّ لماض ولا لآت حسابا

من يدرى ! لعل الدكتور قد زاغ قلبه حين أحس بجلال طبيعة فرنسا وحين تضاءل جلال الله أمام جلال نهر الليس ! ؟ سبحانك يا رب !

(يتبع) الأعظمية

خليل أحمد جلو



من التاريخ

النهضة المسرحية فى مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

غادة الكاميليا

لا يعدو الحقيقة من يقول إن رواية غادة الكاميليا قد أفاد منها المسرح المصرى أضعاف ما أفاده من رواية بل من روايات عديدة غيرها ، وإن النهضة المسرحية تدين لها بالشيء الكثير . ويمكن أن ينسب جزء كبير من النجاح الذى لاقته فرقة رمسيس إلى هذه الرواية التى فتنت الجماهير ولعبت بألبابهم . وكما كانت (أوديب) الرواية التى جملت لجورج أبيض شأناً أى شأن ؛ وكما كانت (الموت المدنى) الرواية التى نال بها عبد الرحمن رشدى تقدير الجماهير ، كذلك كانت (غادة الكاميليا) الرواية التى بلغت بها فرقة رمسيس أوج المجد ، ومهدت الطريق لانتصارات كثيرة بعدها ، وإن كان شأن يوسف وهبى فيها غير ذى خطر إلى جانب السيدة روز اليوسف التى قامت بدور الغادة الفاتنة فوفقت فيه أعظم توفيق ووضعت اسمها به فى ثبت الخالدين . إلا أن يوسف استطاع أن يفيد منها كما يفيد الأذكياء من توافه الأمور . وهكذا جعل من دور «أرمان» شيئاً يذكر وبطلاً يشار إليه بالبنان . بيد أن النقاد كانوا له بالمرصاد ، وكان لأنفه — أنف يوسف لا أنف أرمان — قصص وحكايات كانت موضع تندر النقاد وسخريتهم على غير طائل ، فقد ارتفع شأن فرقة رمسيس أيما ارتفاع ، وصار جمهور الخاصة ينظر إلى الفرقة بعين الاعتبار ، ويقدر مجهودها ونشاطها ، وبذلك أصبح مسرح رمسيس وصالة التدخين التى جعلها يوسف إلى خلف المقاصير منتدى الطبقة الراقية فى مصر ، ومكان لقيام المفضل فى الليالى الساهرة ، وكانت الفرقة تخرج كل أسبوع رواية ، وكان لكل يوم من أيام الأسبوع طبقة خاصة أو طائفة خاصة من الناس ، كما هو الشأن فى بعض دور السينما اليوم .

وهكذا فى أسابيع معدودة احتلت فرقة رمسيس مكاناً سامياً وغدا اسمها وأسماء أبطالها على كل لسان .

وللتاريخ نضع ثبتاً بأسماء هؤلاء الممثلات والممثلين الذين ارتفع عنهم ستار رمسيس فى عام ١٩٢٣ وهم :

يوسف وهبى — عزيز عيد — حسين رياض — أحمد علام — مختار عثمان — إستفان روستى — أدمون تويما — حسن البارودى — على هلال — أحمد عسكر — عبد العزيز محبوب — توفيق صادق — صادق عارف — محمد ابراهيم — حسن شلبى

ثم السيدات : روز اليوسف — زينب صدقى — فاطمه رشدى — سرينا ابراهيم — مارى حداد — نعمت كمال

وكان مخرج الفرقة هو عزيز عيد ، وحسن شلبى ملقنها . وكان أحمد عسكر أحد الممثلين ، بيد أنه أصبح بعد قليل الداعى الأكبر للفرقة وصوتها المسموع فى كل مكان إذ احتل من الفرقة المكان الذى يحتله اليوم من الفرقة القومية ، وهو جدير بالمكان الذى يشغله ما دام يلتزم حدوده فيه ؛ وكان على هلال (ريجسير) الفرقة ؛ أما أدمون تويما فلم يكن طوال عمره الممثل الذي يعتمد عليه ، بيد أنه كان دائماً البطل الذى يعمل من وراء ستار كما هو شأنه اليوم فى الفرقة القومية أيضاً ، فلهذا الفنان خبرة تامة بشئون المسرح وتستطيع أن تضمه فى مصاف المخرجين وإن تكن ثقافته ومعارفه ودرايته تفوق بعضهم بكثير .

(الكلام بقية)

ملاحظات

البعثات الفنية

من المفارقات العجيبة التي لا تحدث في غير مصر أن اللوم يقع شديداً على الحكومة لأنها تعنى أكثر العناية بمبعوثيها ماداموا في بعثاتها فإذا عادوا أهملتهم كل الإهمال ولم تستفد منهم وكأنما أرسلتهم لغير غرض وبلا أدنى تفكير في مصيرهم

بيد أن الفرقة القومية، وصلتها بالحكومة غير بعيدة، قد خالفت هذه القاعدة الذهبية وعنيت بمبعوثيها في الخارج وزادت عنايتها بهم عند عودتهم . على أن أغلبهم لم يذكر يدها عنده وأنكر فضلها وآثر التمرد والعصيان . فمنذ بضعة شهور عاد أحد المبعوثين رافعاً راية العصيان قبل أن يصعد ظهر الباخرة وظل رافعاً الراية الحمراء حتى وصل وحتى استقال أو أقيل ساخطاً متبرماً في غير داع للسخط أو التبرم إلا أنه شعر بضعفه وعدم قدرته على الاضطلاع بالمهمة التي بعث من أجلها ...

ومنذ أسابيع عاد آخر بعد أن تسلم الراية الحمراء من زميله وأعلن في غير حياء أن مرتبه ضئيل طالباً رفعه ومساواته بكبار المخرجين !

أما الذي عاد آخرهم فقد تذرع بالصمت وراح يعمل أو ينتظر أن يعمل في هدوء راضياً قانعاً بنصيبه المتواضع . وإنها لمعجزة !

ترى هل يعرف المتمردون أنهم يجرمون في حق الفن وفي حق أنفسهم وأن عقابهم يجب أن يكون شديداً ؟

إن الفرقة القومية لم تبذل في سبيلهم هذه الآلاف من أجل أن يعودوا فينتقضوا عليها ! إنها لسرقة علنية ، فإما أن يكلف هؤلاء برد الآلاف التي صرفت عليهم ، وإما أن يجلدوا أو يسجنوا وفاء لديونهم

اختيار الروايات في الفرقة القومية

تحدثنا في عدد مضى عن السياسة العجيبة التي تسير عليها الفرقة القومية في اختيار الروايات ، وذكرنا قصة (جنون الشرف) التي رفضت و (الخطاب) التي قبلت

وقد ضاق المقام عن إيراد بعض الأمثلة التي وعدنا بها القراء الكرام ، واليوم نعود إلى مواصلة الكلام

ويجرنا الحديث عن اختيار الروايات ، إلى الحديث عن لجنة القراءة التي تختار هذه الروايات ، أو التي يقولون إنها تختارها .

منذ عامين تقدم الأستاذ حسين عفيف بروايته : (وحيد) إلى الفرقة القومية ، وعرضت الرواية على لجنة القراءة فقبلتها وهنأت صاحبها ، وقدرت إدارة الفرقة ثمنها وصرفته له .

ثم تبين بعد ذلك أن الرواية لم تعرض على قلم المراقبة بوزارة الداخلية ، فأرسلت إليه فرفض إجازة تمثيلها ، لأن فيها أموراً تخدش الشرف والعرف العام

ومن العجيب أن يكون هذا رأى موظف في الدرجة الثامنة أو السابعة ، على حين أن في لجنة القراءة شيوخاً معممين وعلماء جهابذة ، وزعماء في الأدب والفن والأخلاق ، ومن العجيب أيضاً أن ينتصر رأى هذا الموظف ولا تمثل الرواية .

ولنا أن نتساءل إذن عن وقع هذه اللطمة على لجنة القراءة ؟

على أن هذه اللجنة تستأهل ما جرى لها . فقد ترجم بعضهم رواية (البيت المهدم) لأميل فابر ، وعرضت على اللجنة فرفضتها . وترجم آخر الرواية بعينها ، بيد أنه كان ماكراً خبيثاً فأبدل اسم جورج بمحمد ، وغير اسم ماري بزينب ؛ أما اسم الرواية فقد جعله (الأفاعي) وزعم أنها من تأليفه

وعرضت الرواية في نفس الوقت على اللجنة الموقرة ، فقبلتها ودفعت لصاحبها الثمن ، ولم تفطن إلى أن هذه من تلك !

فلما قُرئت الرواية على الممثلين عرفوها وقرعوا أجراس الفضيحة غير نادمين ؟

وبعد فقد أدى إهمال اللجنة إلى خسارة أكثر من مائة جنيه أو تزيد ، وفي نفس الوقت كان دليلاً رائعاً على أنها لا تصلح للمهمة التي وكلت إليها ! وهل بعد ذلك من دليل ؟

(فرعون الصغير)

أخبار سينمائية



« جوان بلوندل » زوجة ديك باول وإحدى فاتنات هوليود وبطلة عدة روايات موسيقية ناجحة ومن أظرف رواياتها (الملك والراقصة) التي عرضت منذ عامين فى دار سينما ستوديو مصر . وكان يقوم بدور القيادة أمامها الممثل البارع « فرنان جرافيه » بطل (الفالس الكبير)

شارلز لافتون

يظهر أن هذا الممثل الإنجليزى البارع يحب البحر أو أن البحر هو الذى يميل إليه . كانت أول رواياته فى هوليود (الشيطان فى الأعماق) مع « تالولا بانكهيد » وكان يقوم فيها بدور ضابط بحرى فى غواصة . وهل يمكن أن ينسى القراء دوره العظيم (كابتن بلاى) فى رواية « الثورة على السفينة بونتى » ثم دوره فى رواية « سفينة الغضب » وأخيراً فانه فى رواية « خان جاميكا » يعود إلى البحر مرة أخرى !



« بيتى ديفيز » نجمة شركة وارنر وقد سطع نجمها فى وقت كان يظن فيه أن حياتها الفنية قد انتهت ، وذلك أنها قبلت القيام بالدور المكروه فى رواية (الاستعباد) مع لسلى هوارد فنجحت فيه نجاحاً رفعها دفعة واحدة إلى مرتبة النجوم . ثم توالت انتصاراتها من بعد ذلك .



« السيدة عزيزة أمير » كما سنراها فى الفلم المصرى « بياعة التفاح » الذى سيظهر فى الموسم السينمائى الجديد . ومما هو جدير بالذكر أنها أول من ظهرت على الشاشة من الممثلات المصريات ، وكان لها فضل إدخال الفن السينمائى فى مصر ، وهى إلى جانب ذلك ممثلة مسرحية مجيدة

سيجريد كورى

يخرجون الآن فى شركة يونيفرسال رواية « النساء المنسيات » للنجمة البارعة « سيجريد كورى »

الطفل سابو

يتمرن الآن الطفل سابو على صناعة النشل ليقوم بدوره فى رواية « لص بغداد » . وقد أمكنه أثناء مدة التمرين أن ينشل بضعة أشياء ثمينة من رجال الأستديو مما دعاهم إلى الثناء عليه . وهذه أول مرة يثنى فيها على فرد لأنه قام بمهمة النشل خير قيام !



« باتريشيا موريسون » . وقد سطع نجمها فجأة هذا العام ويتوقعون لها صعوداً سريعاً إلى مرتبة النجوم ، وهى قريبة الشبه إلى ميرل أوبرن كثيرة التشبه بها . وقد بدأوا يحيكون حولها شبكة من الحكايات والأقاصيص ليملأوا الأفواه باسمها كما تجرى الألسنة بذكرها

7me Année No. 325

Lundi - 25 - 9 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــــــرس

سيجفريد فى الأدب

للأستاذ عباس محمود العقاد

أصبح خط سيجفريد مشهوراً فى السنوات الأخيرة، وقد كان معروفاً فى الحرب الماضية على غير الوصف الذى اشتهر به الآن، لأنهم كانوا يطلقونه يومئذ على مواقع الجيوش الألمانية خلف « السوم » ما بين سان كنتان ولاون، ولم يكن فيه حصون ولا أنفاق ولا مكامن كالتى بنوها فى هذه السنوات محاكاة لخط « ماجينو » المعروف

وليس للتسمية مصدر من التاريخ ولا من فنون الحرب، وإنما مصدرها كله أساطير وأناشيد وخيال

خرافة شمالية قديمة نقلها الألمان عن أمم « الاسكندناف » ما بين أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر، وجاء « فاجنر » فأدار عليها بعض رواياته الموسيقية ومنها واحدة باسم البطل سيجفريد سليل ملوك البلاد الواطئة وسليل الأرباب العلويين من قبل ذاك

وقد سمى الخط بهذا الاسم لأن نشأة سيجفريد وتربيته كانت بين البلاد الواطئة ووادى الرين حيث يقوم الخط الآن وهناك مشابه تجمع بين البطل والخط فى مجاز الأساطير

فقد كان سيجفريد يملك طيلسان الإخفاء فيلبسه فيصبح فى قوة اثنى عشر بطلاً ولا تراه عين ناظر من أبناء الفناء

وكان جلده منيعاً على طعن الحراب والسيوف ، لأنه قتل التنين الحارس لذخائر الرين وسبح فى دمه فنشأ له جلد خشن سميك فى صلابة القرون التى كانت على التنين

وكان له سيف صاغه بيديه من سيف أبيه المكسور ، يقصم كل شىء ولا يقصمه شىء من الأشياء

لكن الأسطورة لا تقف عند هذه المشابه بل تعدد صفات أخرى لسيجفريد ليست مما يرتضيه هتلر وتابعوه

فقد كان النحس مظلاً للبطل المحبوب من مولده إلى مماته

مات أبوه قبل ولادته وماتت أمه بعد ولادته بقليل ، ورباه قزم بغيض كان هو أول العاقين له المبغضين لمرآه

وسبح فى دم التنين فلصقت بين كتفيه ورقة من شجر الزيزفون لحالت بين الدم وجلده فبقى موضعها مقتلاً يعرف سره بعض شانئيه . وقد طعنه منافس له فى هذا الموضع وهو يميل إلى نبع ليشفى غلته ، فقضى عليه !

فهل فى خط سيجفريد موضع مثل موضع هذه الورقة ؟ وهل يهتدى إليه خصم فينفذ فيه ويقضى على البطل المنيع من كل مكان ، إلا من ذلك المكان ؟

وهل يلازم النحس هذا الخط كما لازم سميه فى الأساطير ؟

لقد وصف برنارد شو سيجفريد كما مثلته الأساطير وكما مثله « فاجنر » فى روايته فقال فى كتابه « الفاجنرى الكامل » :

« كان لا يعرف قانوناً ولا شريعة غير هواه ، وكان يمقت القزم الدميم الذى رباه ، ويتميز من الغيظ كلما تقاضاه حق الوفاء . وكان على الجملة مخلوقاً براء من الأخلاق ومن قيود العرف والآداب »

أليست هذه هى النازية بعينها ، أو الآرية كما يصفها فلاسفة هتلر المسخرون للأوامر العسكرية ؟

أليس سيجفريد الحديث خليقاً بمصير سيجفريد القديم ؟

***

على أننا لا ننسى نصيب سيجفريد من الفكاهة وقد أجملنا نصيبه من القصص والخيال

فالإنجليز يقولون فيما شاع من « قفشات » الحرب أن خط سيجفريد « ارساتز » Ersatz كسائر ما يصنعه الألمان

وما « ارساتز » هذه يا ترى ؟

كلمة تحتاج إلى تفسير فى عرفنا الدارج . وأقرب تفسير لها فى هذا العرف أنها تقابل كلمة «التقليد» أو الصناعى التى نقصدها حين نقول فى معرض التهكم : « هذا إنسان تقليد ! » . . . أو نقصدها حين نقول فى معرض الجد: « هذه زبدة صناعية ! »

ويروى « قفاشو » الإنجليز والعهدة عليهم أن رجلاً ألمانياً ضاقت به الدنيا فعمد إلى بخع نفسه، واستخف الموت شنقاً فاشترى حبلاً ووضع فيه عنقه وضرب الكرسى الذى يقف عليه بقدمه ولكن الحبل كان « ارساتز » فانقطع ولم يصبه شىء

وفكر فى السم فذهب إلى صيدلية فاشترى مقداراً من السم يكفى لقتل خمسة وتجرعه مرة واحدة ثم انتظر فإذا هو كأصح ما كان ، لأن السم كان أيضاً « ارساتز » فأفاد من حيث أريد به الإضرار ، وانقلب إلى نوع من الدواء

واشترى من فرط يأسه رصاصاً فوجده بعد التجربة « ارساتز » لا ينطلق ولا تنقدح فيه نار

قال الرجل : لقد خلقت للحياة إذن ، ولم أخلق للموت، وفى العمر بقية لا محالة

ومضى وهو ينوى أن يستمتع بالحياة جهد ما وسعته المتعة من طعام وشراب وسرور

وانحرف فى طريقه إلى مطعم كبير فأمر بأصناف كثيرة وصحاف متعددة وأكواب مترعة، ومنادمة مشبعة، وأفرط ما شاء، وهو يحسب أنه قد امتلأ بالغذاء

ولكن ذلك كله كان أيضاً « ارساتز » ...

فمات !

***

قال القفاشون : وإن بين سيجفريد وماجينو من المشابهة لنظير ما بين زبدة الكيمياء وزبدة البقر والشاء ، أو نظير ما بين الجلد « التقليد » والجلد الصحيح ، أو نظير ما بين « الصولة » الكذابة والصولة الصادقة فى لغة الآكلين !

عباس محمود العقاد

للتاريخ السياسى

قنبـــلة سياسية

للدكتور يوسف هيكل

في ٢٢ أغسطس ١٩٣٩ انفجرت قنبلة سياسية في برلين سمع دويها فى جميع أنحاء العالم ؛ فهاله الأمر وناله الفزع . ولما لم يكن يعلم ما تحتويه من مواد ، أخذ يرجو أن تكون محتوياتها غير مبيدة ولا قتالة ، وكانت تلك القنبلة إعلان اتفاق ألمانيا وروسيا على توقيع ميثاق عدم الاعتداء بينهما

فوجئ العالم بهذا النبأ واستغرب وقوعه ، لما بين ألمانيا وروسيا من عداء مستحكم ، وما لهتلر من مطامع فى البلاد السوفيتية كان يعمل على تحقيقها تحت ستار مكافحة الشيوعية. ومما زاد الصدمة شدة وخطورة ، انقطاع الأمل فى انضمام الروسيا إلى « جبهة السلام » ليتحقق بذلك إيقاف دولتى المحور عند حدهما ، ولتتم سلامة دول أوربا من اعتداءاتهما . على أن العالم فوجئ بنتيجة معاكسة التى كان ينتظرها ، فوجئ بانضمام الروسيا إلى ألمانيا تحت ستار ميثاق عدم الاعتداء ، فكيف تم هذا الميثاق ؟ وما هى محتوياته ؟ وما هى الدواعى التى حدت بألمانيا إلى مصافاة عدوتها اللدود روسيا ، وما الذى دفع السوفييت إلى مد يد المساعدة لمنشئ « جبهة مكافحة الشيوعية ؟ » وما هى نتائج هذا الانقلاب الخطير فى الحالة الدولية ؟

لم تصب الدول الديمقراطية فى اتفاق مونيخ الهدف الذى كانت ترمى إليه من تهدئة الخواطر وتحقيق السلام بإنالة الهر هتلر ما دعاه « آخر مطالبه فى أوربا » . وسبب ذلك سوء نية زعيم ألمانيا ، وعزمه على استعمال التهديد والقوة لنيله مطلباً بعد آخر. فالدول الديمقراطية لم تنل السلام فى مونيخ ، بل سبب لها ذلك الاتفاق مشاكل ومصاعب جساماً ، كنا قد نوهنا عنها حينئذ على صفحات « الرسالة » الغراء . وما الميثاق الألمانى — الروسى الذى هز أركان العالم وزج بأعظم أممه فى حرب ضروس ، إلا نتيجة طبيعية لتسامح الدول الديمقراطية فى ٣٠ سبتمبر عام ١٩٣٨ . وهذا الميثاق الذى نظر إليه العالم نظرة الدهشة والغرابة لم يكن ابن ساعته ، بل كان نتيجة لمفاوضات بين برلين وموسكو بدأت منذ استقالة الرفيق ليتفينوف من وزارة الخارجية الروسية وأدت إلى توقيع الاتفاق الألمانى الروسى الاقتصادى فى برلين فى التاسع عشر من أغسطس هذا العام ، ثم إلى توقيع ميثاق عدم الاعتداء الذى نحن بصدده

ولما تم التفاهم والاتفاق بين الدولتين ولم يبق عليهما غير توقيع الوثائق ، أعلن النبأ فى برلين فى ٢٢ أغسطس . وفى صباح اليوم التالى سافر الهر فون ريبنتروب ، وزير خارجية ألمانيا إلى موسكو بطريق الجو يصحبه اثنان وثلاثون من كبار الموظفين فى وزارة الخارجية الألمانية . وعلى أثر وصوله العاصمة السوفيتية بساعتين اجتمع بالرفيق مولوتوف رئيس وزارة الروسيا ووزير خارجيتها . وفى مساء اليوم نفسه وقع الوزيران ميثاق عدم الاعتداء بين الدولتين ، وكان التوقيع بحضور الرفيق ستالين رئيس الدولة السوفييتية . وفى ظهر ٢٤ أغسطس عاد الهر ريبنتروب إلى العاصمة الألمانية .

* * *

لم يكن ميثاق موسكو قليل الأهمية ، كمواثيق عدم الاعتداء التى اعتادت بعض الدول إبرامها بسهولة والتخلص منها فى أى وقت أرادت ، كما أنه لم يكن تجديداً لميثاق « رابالو » الذى عقد عام ١٩٢٢ وتجدد عام ١٩٢٨ وعام ١٩٣٣ . بل كان ميثاقاً أقرب إلى معاهدة حربية منه إلى ميثاق عدم اعتداء . فبهذا الميثاق ضمنت كل من ألمانيا وروسيا عدم اعتداء إحداهما على الأخرى منفردة أو مشتركة ، كما أن ألمانيا أزالت عنها خطر اشتراك الروسيا فى أى حركة ترمى إلى تطويقها مباشرة أو بصورة غير مباشرة . وبذلك أزالت ألمانيا مفعول المعاهدة الفرنسية الروسية لعام ١٩٣٥ ، تلك المعاهدة التى أثارت ثائر هتلر ، ودفعت به إلى عمل كل ما فى وسعه لحمل فرنسا على إلغائها ، فلم يوفق حينذاك . وقد تمكنت ألمانيا فى هذا الميثاق أيضاً من منع كل مساعدة روسية للدولة التى يكون معها الريخ مشتبكاً فى حرب ، وخصت نفسها بالمساعدة الروسية الواسعة فى الحرب وفى السلم . وفى الوقت نفسه هدمت السوفييت جبهة مقاومة الشيوعية ، وباعدت ما بين ألمانيا واليابان

ومما هو جدير بالذكر أن الروسيا لم تضمّن ميثاق موسكو المادة التى كانت حريصة عليها فى المواثيق السابقة ، والتى تخولها حق نقض الميثاق عند اعتداء المتعاقد معها على دولة ثالثة

ومن الأكيد أن مباحثات الهر ريبنتروب مع الرفيق مولوتوف

لم تكن قاصرة على مضمون ميثاق عدم الاعتـداء بل تعدتها إلى تحديد وضعية كل من الدولتين فى أوربا وآسيا . وتقول الدوائر السياسية فى بعض العواصم إن الدولتين اقتسمتا بولندا ، وتعهدت ألمانيا بالتنازل عن مطامعها فى التوسع فى أكرانيا ، كما أن الروسيا تعهدت بالضغط على رومانيا وعلى تركيا لحملهما على الوقوف موقف الحياد حين نشوب الحرب

فميثاق موسكو لم يكن بعامل جديد على توطيد السلام، بل كان عاملاً مشجعاً للهر هتلر على المغامرة فى إشعال نيران الحرب ، باعتدائه العسكرى على بولندا تلك البلاد التى كانت صديقته بالأمس والتى عقدت معه ميثاق عدم الاعتداء لمدة عشر سنوات .

***

إن التقرب بين برلين وموسكو من الأحداث الدولية الخطيرة. ولهذا الحادث أسباب هى فى برلين تختلف عنها فى موسكو . أما العوامل التى دعت الروس إلى قبول فكرة التقرب من ألمانيا فقد ذر قرنها منذ عقد مؤتمر مونيخ فى ٣٠ سبتمبر عام ١٩٣٨

أصرت ألمانيا فى أزمة سبتمبر من العام الفائت على إبعاد السوفيت من المجتمع السياسى الأوربي، ورفضت حينئذ الجلوس مع ممثليها رفضاً باتاً ، وآثرت فشل المفاوضات وتعقيد حلها على أن تشترك فى مؤتمر تكون السوفيت أحد أعضائه ولما رأت بريطانيا وفرنسا أن الهر هتلر جادٌ فى ذلك ، وأن إصرارهما على وجوب اشتراك السوفيت فى مؤتمر مونيخ قد يؤدى إلى الحرب، رضيتا بالنزول على إرادة دكتاتور ألمانيا ، وقبلتا ما طلبه حفظاً للسلام .

رأت الروسيا فى تصرف دول مونيخ ضربة لنفوذها السياسى فى أوربا ، وسبباً فى عزلتها ، فعزذلك عليها وأخذت تنتهز الفرص للتعويض عما أضاعه عليها مؤتمر مونيخ من نفوذ وأعوان .

لم يحافظ الهر هتلر على اتفاق مونيخ الذى ما تم إلا لإرضائه، ولم يعمل بتصريحاته الرسمية العديدة القائلة بأن ليس له مطالب إقليمية فى أوربا بعد السوديت، بل برهن على أن لا قيمة لتوقيعاته ولا أقواله بضمه بلاد التشك والسلوفاك وميمل إلى الريخ .

عندئذ أيقنت بريطانيا وفرنسا بأن لا فائدة ترجى من سياسة تهدئة الخواطر ، إذ أن زعيم ألمانيا يعتبر النيات السلمية والإنسانية ضعفاً ، ويتخذ من حسن النية عاملاً مشجعاً على الاعتداء على الدول المجاورة للوصول إلى هدفه فى السيادة على أوربا أولاً وعلى العالم أخيراً. أمام هذه النفسية الألمانية التى لا تعرف حداً لمطامعها عزمت بريطانيا وفرنسا على إيقاف العدوان ، فأمنتا سلامة بولندا ورومانيا ضد الاعتداء . وكان هذا التأمين واسع المدى حتى أنه ترك لبولندا الحكم فيما إذا كان استقلالها ومصالحها الحيوية فى خطر . وعملتا على إيجاد « جبهة سلام » قوية لا يستطيع العدوان أن يجد أمامها متسعاً . وكانت الغاية من هذه الجبهة المحافظة على السلام والتوكيد لهتلر أن بريطانيا وحليفاتها عازمات على إيقاف اعتداءاته عزماً صحيحاً لا محيد عنه .

ومن الطبيعى أن تفكر بريطانيا وفرنسا فى ضم روسيا إلى « جبهة السلام » إذ أن الروسيا حليفة فرنسا ، والنازية عدوة الشيوعية اللدود . يضاف إلى ذلك أن روسيا لها مكانتها فى أوربا الشرقية . فبدأت المفاوضات بين بريطانيا وفرنسا من جهة ، والروسيا من جهة أخرى . غير أن هذه المفاوضات تعقدت وطالت لأسباب لا مجال لبحثها هنا . وقد أصرت بولندا على رفض مرور الجيوش الروسية فى بلادها حين وقوع الاعتداء عليها والاكتفاء بمساعدة الروس لها بالأدوات الحربية . غير أن السوفيت رأت فى رفض بولندا عدم ثقة بها وبجيشها

هذه الأسباب وغيرها أثرت فى الحكومة السوفيتية وجعلتها تنشد سلامة بلادها عن طريق غير طريق التحالف مع بريطانيا وفرنسا ، أى عن طريق التفاهم مع عدوها اللدود الذى يهدد بلادها ويؤلب عليها الدول تحت لواء « ميثاق مكافحة الشيوعية » وبذلك تكون أيضاً قد خرجت من العزلة الدولية التى فرضها عليها مؤتمر مونيخ ، وأزالت خطر مطامع هتلر والتحارب معه

أما من الناحية الألمانية فإن الهر هتلر وجد بريطانيا وفرنسا عازمتين على وقف عدوانه ، وأن سياستهما آخذة فى النجاح شيئاً فشيئاً . ورأى فى جبهتهما جبهة حصار لبلاده ، إن تمت بدخول الروسيا فيها حيل بينه وبين ما يطمع من تحقيق مشروعاته فى السيطرة على أوربا ... أمام هذا الخطر ، وأمام الصعوبات

الداخلية من سياسية واقتصادية ، رأى الهر هتلر أن يخرج من المأزق بعمل يزيده ثقة بتحقيق أطماعه من جهة ، ويضعف القوى المقاومة لتلك المطامع من جهة ثانية . فتقدم إلى عدوته السوفييت وعرض عليها المصافاة والصداقة . فصادف ذلك هوى فى نفسها ولم تتردد فى قبول ما عرض عليها . وبذلك تم ما أسموه « ميثاق عدم الاعتداء » بين موسكو وبرلين

* * *

وكان لهذا الميثاق نتائج هامة غير الحرب التى تدور رحاها الآن فى أوربا ، فى ميادين القتال الثلاثة ، البر والبحر والجو

كانت النازية تعتمد فى توحيد الصفوف الألمانية وفى إيجاد الحلفاء والأصدقاء على مبدأ « عداء الشيوعية » . ولم يخل كتاب هتلر « كفاحى » ولا أية خطبة من خطبه من التنديد بالشيوعية وذكر أخطارها . وكان هذا السلاح الذى استعمله الفوهرر مفيداً ومساعداً له على الوصول إلى ما وصل إليه من توحيد الصفوف فى ألمانيا وإيجاد حلفاء وأصدقاء له وقعوا على ميثاق « مكافحة الشيوعية » . ولكن تغيير هتلر لاتجاه سياسته الخارجية تغييراً كليا أذهل الشعب الألمانى وجعله يرى فى تصرفات زعيمه ما يناقض المبادئ التى كان يحمله على الإيمان بها

وكان لتغيير سياسة هتلر الخارجية أسوأ الأثر فى اليابان . فاجتاحتها موجة بغض شديد للألمان، كان من نتيجته استقالة الوزارة فى طوكيو وتغير سياسة اليابان الخارجية . وبدأ التقرب بين اليابان وصديقتها القديمة بريطانيا العظمى .

أما فى إيطاليا فلم تكن الحكومة والشعب راضيين عما قام به الهر هتلر . وليس ذلك بغريب ، لأن للحكومة الإيطالية كرامة عزيزة عليها . وهذه الكرامة تحول بين ألمانيا وبين مرادها فى أن تكون إيطاليا أداة لتحقيق مطامعها ، حتى على حسابها .

إزاء هذا التأثير السيء ، حاول الهر هتلر إقناع أصدقائه بأن « ميثاق عدم الاعتداء » بين ألمانيا وروسيا لا تأثير له قط على مفعول « ميثاق مكافحة الشيوعية » . فكان ذلك مهزلة قبيحة فى وسط مأساة مؤلمة .

وكما أن ميثاق موسكو أثر فى وضعية ألمانيا الدولية ، فقد أثر أيضاً فى وضعية الروسيا ومبادئها الشيوعية . من موسكو تتلقى الأحزاب الشيوعية فى البلدان الأخرى تعاليمها وروحها ؛ وكانت هذه الأحزاب آخذة فى الانتشار استناداً إلى الصراع المستمر بين الشيوعية والاشتراكية من جهة ، والنازية والرأسمالية من جهة ثانية . ولما رأت الأحزاب الشيوعية فى الدول المختلفة أن موسكو مصدر الشيوعية قد حالفت أكبر عدو لها داخلتها الريبة فى حسن نية السوفييت ، وغاض لديها التشيع لها والدعوة إليها . ولعل أبرز مثال لذلك موقف الحزب الشيوعى فى فرنسا ، وما استهدف له من فقدان نفوذه على الجماعات الفقيرة وطبقات العمال

على أن أهم نتيجة كانت للتقرب بين موسكو وبرلين ، هى نشوب الحرب الحالية باعتداء هتلر الجنونى على بولندا واقتحامه لبلادها دون داع ولا مبرر إلا طمعه فى بسط سيادته عليها وعلى أوربا أولاً والعالم أخيراً ، ذلك الاعتداء الذى قام به زعيم ألمانيا رغم الجهود العديدة الجبارة التى بذلت من كل جانب لصون السلام والإبقاء على المدنية . فما هى تلك الجهود ، وماذا كان رد هتلر عليها وما هى الفصول التى مثلتها الدبلوماسية الألمانية لتبرر تعديها على بولندا ؟ هذا ما سنعرضه فى مقال آخر .

يوسف هيكل

جنـــاية أحمد أمين على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

- ١٦ -

كان الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام شرع فى الرد على الأستاذ أحمد أمين ، فقلت فى نفسى : يحسن ترك المسائل التى نقدها الدكتور عزام حتى لا يكون فى هذه المقالات حديث معاد .

وهل كان الغرض من هذه المقالات إيذاء الأستاذ أحمد أمين بالذات حتى نعيد القول فيما نقده الدكتور عزام ؟ إن الغرض هو التنبيه على أغلاط الأستاذ أحمد أمين حتى لا يفتتن بها من يثقون بكفايته العلمية من طلبة الآداب فى مختلف المعاهد العالية ، وقد حمل الدكتور عزام بعض تلك الأعباء

كذلك حدثت نفسى حين قرأت ما كتب الدكتور عبدالوهاب عزام فى كشف أغلاط الأستاذ أحمد أمين

ولكنى رجعت عن هذه النية فيما بعد حين رأيت أن لى مسالك فى النقد تغاير مسالك الدكتور عزام وتجعل القراء فى أمان من ضجر الحديث المعاد

زعم الأستاذ أحمد أمين أن علماء العرب « رفعوا من قيمة كل شىء جاهلى وغلوا فى تقديره : فالماء الحقير فى مستنقع جاهلى خير من دجلة والفرات والنيل وكل أنهار الدنيا ، والجرادتان اللتان غنتا للنعمان كان صوتهما وغناؤهما خيراً من كل صوت وكل غناء ، ودوسر كتيبة النعمان بن المنذر أقوى جيش عرفه التاريخ ، وأيام العرب فى الجاهلية ووقائعها الحربية لا يعادلها أى يوم من أيام المسلمين ، وجبلا طىء خير جبال الدنيا ، وحاتم الطائى لا يساوى كرمه كرم . حتى الرذائل لا يصح أن يساوَى برذيلتهم رذيلة ، فليس أبخل من مادر ، ولا أشأم من البسوس ، ولا أسرف من شظاظ »

أتدرون ما الذى قال الدكتور عزام فى نقد هذا الكلام الأجوف ؟

قال إنه يقوم على أساس المبالغة والإغراق

وهذا نقد جارح : لأن اتهام أستاذ من أساتذة الجامعة بالمبالغة والإغراق له عواقب سود . وما الذى يبقى لأساتذة الجامعات إذا حُرِموا مزية التحديد فى شرح المقاصد والأغراض ؟

وهناك كلمة طواها الدكتور عزام وهى كلمة « الافتراء » ، فقد افترى أحمد أمين على علماء العرب حين زعم أنهم لا يرون أن أى يوم من أيام المسلمين يعادل أى يوم من أيام الجاهلية ، ونحن نتحداه أن يثبت أنه رأى شواهد هذا الرأى فى أى مكانٍ من كتب الأدب أو التاريخ . نتحداه ، نتحداه ، فلينطق إن كان من كلامه على يقين

وهل شغل المؤلفون بتدوين أخبار الحروب فى الجاهلية كما شغلوا بتدوين أخبار الغزوات والفتوحات ؟

وما هو النص الذى يشهد بأن الماء الحقير فى مستنقع جاهلى كان عندهم خيراً من دجلة والفرات والنيل وسائر أنهار الدنيا ؟

وما هى العبارة التى تنص على أن جبلى طيّ كانا عندهم خير جبال الأرض ؟

وإذا كانت الجرادتان اللتان غنتا للنعمان كان صوتهما وغناؤهما خيراً من كل صوت وكل غناء فكيف استجاز أدباء العرب أن يشغلوا أنفسهم بتقييد أخبار الأغانى والمغنين فى عصر بنى أمية وعهد بنى العباس ؟

إن أحمد أمين قد يستطيع النهوض من كبواته الكثيرة ، ولكنه لن ينهض أبداً من هذه الكبوة . وستظل شاهداً على أنه يكيل الأدب والذوق بمكيال ، مع أنه بحكم منصبه مسئول عن إدراك دقائق الفروق بين الألفاظ والمعانى

***

أتروننى أقف عند الحد الذى اكتفى به الدكتور عزام حين قال : إن كلام الأستاذ أحمد أمين فى هذه النقطة يقوم على أساس المبالغة والإغراق ؟

هيهات ، هيهات ! !

سأقول إن كلام أحمد أمين صدق فى صدق ، وسأرجوه أن يتحمل الصدمة برباطة جأش

أفى الحق أن العرب يرون الماء الحقير فى مستنقع جاهلى خيراً من دجلة والفرات والنيل ؟

وهو كذلك ...

ولكن ما رأيك إذا صارحتك بأن كلامك هذا هو الحجة عليك ... ؟

ألم تقل بأن العرب لم يحسوا الطبيعة فى بلادهم ؟

فكيف يصح هذا وكان الرجل منهم يتعلق بما يراه إلى الحد الذى عبته أنت على أولئك الرجال

المسألة تحتمل وجهين : الوجه الأول أن يكون العرب فى كلامك هم أهل الجاهلية ، والثانى أن يكون العرب فى كلامك هم المسلمين [1]

ولا صحة للوجه الثانى لأن العرب بعد الإسلام تغنوا بأنهار مصر والشام والعراق والأندلس غناء يشهد بأنهم فتنوا أشد الفتون بأنهار تلك البلاد حتى صح لعمر بن أبى ربيعة أن يضرب المثل بعذوبة ماء الفرات فيقول :

أسُكَينُ ما ماءُ الفرات وطيبهُ ... منى على ظمأ وبَرد شراب

بألذَّ منك وإن نأيت وقلما ... يرعى النساء أمانة الغُيَّاب

وحسان فى جاهليته جعل ماء بَرَدَى يصفق بالرحيق . واتفق لبعض المسلمين أن يقول بأن بردى أنزه بقاع الأرض ، فكيف يجوز مع هذا أن يحكموا بأن الماء الحقير فى المستنقع الجاهلى أعذب من سائر المياه فى الأرض ؟

واتفق لأحد شعراء الأندلس ، وهو ابن خفاجة أن يحكم بأن الأندلس هى جنة الخلد ، ولذلك اتهم بالمروق من الدين ، فهل يصح فى ذهن ابن خفاجة أن تكون المستنقعات الجاهلية أطيب من المياه الأندلسية وهى تجرى فى رعاية الرياض والبساتين ؟

وتحدث النويرى والعمرى عما عرف العرب من بحار وأنهار وغدران حديثاً يشهد بأن العرب بعد إسلامهم فتنوا بما رأوا من طيبات الوجود كل الفتون

يبقى الوجه الأول وهو أن يكون العرب فى كلام أحمد أمين هم أهل الجاهلية

وأعترف بأن الجاهليين فضلوا مياههم على سائر مياه الأرض

ولكن هل يدرك أحمد أمين سر هذا التفضيل ؟

إن العربى فى جاهليته كان يرى ماءه خير المياه ، لأن كلمة «ماء» عند أهل الجاهلية ترادف كلمة « الوطن » ومن حق الرجل الكريم أن يرى وطنه خير الأوطان

وأتصدق على الأستاذ الناقد فأقول إن الكتب المؤلفة فى «مياه العرب » لم يكن يراد بها وصف تلك المياه من وجهة طبيعية كأن يقال هذا ماءٌ عذبٌ وذاك ماءٌ أجاج ، وإنما كان يراد بالحديث عن « مياه العرب » وصف المواطن التى تجمّع فيها العرب أيام الجاهلية ، فهى دراسةٌ لطبائع السكان فى تلك البقاع ، وتعريف بقوامهم المعاشية

وإذا صح للشاعر الحضرى أن يفضل أروند على بغداد فيقول:

وقالت نساء الحى أين ابن أختنا ... ألا خبِّرونا عنه حُيِّيتُمُ وفدا

رعاه ضمان الله هل فى بلادكم ... أخو كرم يرعى لذى حسب عهدا

فإن الذى خلفتموه بأرضكم ... فتًى ملأ الأحشاء هجرانه وجدا

أبغداد كم تُنسيه أرْوَنْدَ مربعاً ... ألا خاب من يشرى ببغداد أروندا

فدتهن نفسى لو سمعن بما أرى ... رمى كل جيدٍ من تنهده عقدا

فقد صح للشاعر البدوى أن يفضل ماء « الوشل » على جميع المياه فيقول :

إقرأ على (الوشل) السلام وقل له ... كل المشارب مذ هُجِرت ذميمُ

سقياً لظلك بالعشىّ وبالضحى ... ولبرد مائك والمياه حميم

لو كنت أملك منع مائك لم يذق ... ما فى قِلاتك ما حييتُ لئيم [1]

وهذه الأبيات تبلغ الغاية من المعانى الوطنية ، وفيها تتوقد جذوة الصدق

وقد أغرم العرب بعد الإسلام بتقديس ما عرفوا من المياه والأنهار فزعموا أن النيل ينبع من الجنة ، ولهم فى ذلك أساطير يعرفها قراء كتب الأدب والتاريخ . وأروند التى ذكرناها آنفاً عرفت الأسطورة التى تقول بأن فى جبلها عيناً تتفجر من الفردوس .

وما دخل العرب بلداً إلا رأوه خير البلاد : فمصر عند أهلها أطيب البلاد وهى كنانة الله فى أرضه من أرادها بسوء قصم الله ظهره . والعراق عند أهله أجمل بقاع الأرض وفى رحابه تنبت عرائس الشعر وتسيطر العيون السود . والشام عند أهله جنة

---

(١) المسلمين فى هذه العبارة أصح من المسلمون ، لأن الضمير فى مثل هذه العبارة ضمير فصل لا محل له من الاعراب على أرجح الأقوال

(١) القلات هى النقرات فى الجبل

الأرض وفى عرصاته يقوم الناس يوم الحساب . وهضاب فارس كانت فى أنفس شعرائها ملاعب الأفئدة والقلوب . وتونس والجزائر ومراكش كانت مركز الجيش المرابط الذى صدّ الغارات الأوربية حيناً من الزمان

ولو أردنا أن نستقصي أشعار العرب فى وصف ما عرف المسلمون من البلاد لجمعنا من ذلك مجلدات ضخاماً تصور غرام العرب بما شهدوا من أطايب الوجود

فمن أين عرف أحمد أمين أن الماء الحقير فى مستنقع جاهلى كان عند العرب خيراً من دجلة والفرات والنيل وسائر أنهار الدنيا ؟

من أين استقى مصدر هذا الحكم الخاطئ الأثيم ؟

إن أحمد أمين يمزح فى مواطن لا يُقبَل فيها المزاح . ولو كان ينتظر أن يتناول الناقدون كلامه وأحكامه بالتجريح والتزييف لأقلع عما تورط فيه من مبالغة وإغراق ، فليلق جزاء ما صنع ، وكان لنفسه من الظالمين

ثم ماذا ؟

ثم نسوق القول فى أيام الجاهلية التى ندد بها أحمد أمين

إن أيام الجاهلية كان لها فى الواقع صدى رنّان فى أسماع العرب بعد الإسلام ، وقد شُغِل بها كثير من المؤرخين ، ولكن هل تدرون لأية غاية شُغِل العرب بذلك التاريخ ؟

إن وقائع العرب فى الجاهلية لها ألوان مختلفات ، فبعضها يصور ما كان بين قبائل العرب من نزاع وشقاق قضت بهما منافع المعاش أو مَطالب المجد ، وبعضها يصوّر مغالبة العرب لطغيان الأحباش والفُرس والروم

أما التاريخ الذى يصور ما كان بين القبائل من حروب فكان الحرص عليه يرجع إلى غاية سياسية ، ولتلك الغاية صورة هى اشتباك الأرومات العربيــة فى الخصومات حول المناصب الرئيسية بعد أن مكّن لهم الإسلام من نواصى المجد والمعاش ، وكذلك كانت القبائل تحيي وقائع الجاهلية لتأخذ منها وقوداً لأتّون المنازعات حول الرياسة والملك ... ولا يعاب على أمة أن تحيي ماضيها لتنتفع به فى إذكاء العزائم والقلوب

وأما التاريخ الذى يصور وقائع العرب مع الأحباش والفُرس والروم فكانت له غاية قومية ، هى تكذيب ما ادعاه الشعوبيون من أن العرب لم تكن لهم ذاتية قبل الإسلام وأنهم لم يذوقوا طعم المجد إلا بفضل الدين الحنيف

وما كان يؤذى العرب أن يعترفوا بنعمة الإسلام عليهم ، ولكنهم كانوا يكرهون أن يقال إنهم كانوا فى كل عهود الجاهلية أذلاء

ومن هنا رأيناهم يبدئون ويعيدون فى عدّ أيامهم الغُرّ حين أُتيح لأسلافهم أن ينتصروا فى بعض المواقع التى نازلوا فيها أعداءهم الأشداء

وهذا يفسّر إكثارهم من الطنطنة فى أشعارهم بيوم ذى قار الذى انتصر فيه العرب على الفُرس انتصاراً أشعرهم بما فى قلوبهم وعزائمهم من صلابة ومتانة وحيوية . ويوم ذى قار فى الجاهلية كان له فضل فى إذكاء حمية العرب يوم القادسية ، وهو اليوم الذى عرف فيه العرب أنهم قادرون على امتلاك ناصية الشرق . وقد ظل يوم ذى قار يذكر فى الأشعار بعد الإسلام بأجيال طوال ، وأظنه سيُذكر بعد هذه الأيام ، فإن وقائع التاريخ لهــا رجعات ، والأحقاد الدفينة تنشرها الحوادث من زمان إلى زمان

فإن زعم أحمد أمين أن دوسر كتيبة النعمان بن المنذر كانت عند العرب أقوى جيش عرفه التاريخ فليعرف إن شاء أن تلك الكتيبة تستحق ذلك التهويل لأنها كانت نواة الجيش الذى :

به علمتْ صُهبُ الأعاجم أنه
به أعربتْ عن ذات أنفسها العربُ

***

وليس يهمنى بعد ذلك أن أنقض قول أحمد أمين إن العرب يرون فضائل الجاهليين خير الفضائل ورذائلهم شر الرذائل ، لأن هذا الكلام لا يحتاج إلى نقض فهو أوهى من بيت العنكبوت . ولو صح أن العرب كانوا يرون حاتماً أكرم الناس جميعاً ويعتقدون أن مادراً أبخل الناس جميعاً لما كان فى ذلك بأس من الوجهة الذهنية ، لأن تجسيم الصفات وتضخيمها من الأمور التى استساغها العُرف فى جميع البلاد . وهل يعتقد أحمد أمين حقيقة أن العرب كانوا يريدون القول بأن حاتماً أكرم من جميع الناس فى سائر بقاع الأرض ، وأن مادراً أبخل من كان ومن سيكون فى المشرق والمغرب ؟ ذلك غير معقول

لا يهمنى أن أنقض هذا الجانب من كلام أحمد أمين فهو إغراق فى التوهم والتخمين ، وإنما يهمنى أن أشرح مسألة نقدها الدكتور عزام بصورة تغاير الصورة التى عرضها بلطف ورفق مراعاة لمزاج الأستاذ أحمد أمين الذى يتأدّب فى معاملة الأحياء ويتمرّد فى محاسبة من أصبحوا فى غيابة التاريخ !

إن أحمد أمين حكم بأن العرب فى جاهليتهم انتزعوا صور التعبيرات والتشبيهات والمجازات والاستعارات من البيئة التى عاشوا فيها ، فما يجوز لنا نحن أن نجاريهم فى تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم لأننا نواجه بيئة غير بيئتهم

وهذا الحكم صحيح ، ولكن يجب أن يفهم أحمد أمين الحقيقة الآتية :

فى اللغة العربية تعابير كثيرة نشأت فى الأصل مصبوغة بالصبغة البدوية ، ولكنها صارت على الزمن ميراثاً حلالاً يملكه أبناء العرب من جيل إلى جيل ، وقد نُسِىَ معناها الأول أو كاد بحيث لا يفطن الكاتب أو القارئ إلى أنها منقولة عن صورة بدوية

فالذى يقول : « دون ذلك خرط القتاد » لا يتصور الخرط ولا القتاد حين ينطق بهذا التعبير . والذى يقول : « هذه مشكلة أعقد من ذَنَب الضّب » لا يتصور العُقَد فى ذيل ذلك الحيوان ، وإنما يأخذ هذا التعبير قوته من الصورة المرسومة فى أذهان من تداولوه على اختلاف الأحوال ، وذلك معروف فى اللغات الأجنبية ففيها تعابير منسيّة الأصول وهى تؤدى المراد منها بلا عناء

وهنا يزعم أحمد أمين أن الشاميين والعراقيين لم يروا الضب ولم يعرفوا عنه شيئاً ؟

وأعتقد أن الصواب غير ما قال ، فالشاميون والعراقيون عرفوا الصحراء وما فيها من ضباب ويرابيع

واستنكر أحمد أمين أن يقول المصريون والعراقيون والشاميون « عيون المها وجيد الغزلان » وتعجب من أن يقول ابن الجهم :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى (١)

(١) المها واحدها مهاة ، وهى البقرة الوحشية ، وقد يراد بها الظبية ، وهى كذلك فى أكثر أخيلة الشعراء ، والعرب يسمون الشمس مهاة كما يسمونها غزالة

ثم قال : وأين المها فى بغداد أمام علىّ بن الجهم وأين المها فى مصر والأندلس ؟

وأنا لم أزر الأندلس حتى أُقِرّ أو أنكر كلام أحمد أمين ، فقد لا يكون فيها غير الظباء الإنسية ، وإنما أستطيع أن أحكم بأن أحمد أمين ينكر الواقع المحسوس حين يقول بأن أهل بغداد لا يرون الظباء ، فقد رأيتها بعينى تباع وتشترى فى شارع الرشيد ولا يزال البغداديون يذهبون لصيد الغزال فى نواح كثيرة منها سامرّاء . وعفا الله عن السيد حسين النقيب الذى منانى بالخروج لصيد الغزال ثم اعتذر بشواغل مجلس النواب

ومن تقاليد أهل بغداد أن يربّوا الظباء فى دورهم كالذى رأيت فى دار الشاعر ناجى القشطينى ، أرانى الله وجهه الأصبح فى خير وعافية !

ومن أطعمة أهل بغداد لحم الغزال ، وقد أكلته بشهية فى دار ظمياء أعزها الحب !

والبصريون يرون الغزلان حين يشاءون ، فنها أسراب تمرح وتلعب بالقرب من بلدهم الجميل

والشاميون يعرفون الغزلان معرفة أكيدة لأنها تجاورهم فى الصحراء الشامية

أما المصريون فهم يعرفون الظباء ، وهى كثيرة جداً فى الصحراء الغربية ، وهم يطاردونها من وقت إلى وقت ، وقد حدثنا الأستاذ محمد خالد بأنه اشترك فى مطاردة غزال ، وتلك إحدى الأعاجيب ، فقد كنت أحسبه من طراز الأستاذ أحمد أمين

وكلمة « طراز » تدخل فى الموضوع ، فهى فى الأصل عَلَم الثوب ، كما يعبر صاحب القاموس ، ثم نُسى ذلك الأصل وصار الغرض هو المماثلة فى الشمائل والخصال

ومن حقنا أن نقول : إن أحمد أمين ينسج على منوال طه حسين فى نكران الحقائق

وليس لأحد أن يعترض بأن المنوال لا تراه العيون إلا فى قليل من الأحايين ، لأننا حين نعبر بمثل هذه العبارة لا نفكر فى ثوب ولا منوال ، وإنما نسوق التعبير حيث وقع فى كلام الأسلاف ونفهم المراد منه بلا عناء

وفى اللغة العربية تعابير لا نكاد نفهم الغرض منها بالتحديد، ولكنها فى غاية من الانسياغ

ومن شواهد ذلك ما وقع بين الأستاذ سعد اللبان والدكتور هيكل باشا فى مجلس النواب . فقد هجم الأستاذ سعد اللبان على إحدى كليات الجامعة المصرية هجوماً عنيفاً ، فقال الدكتور هيكل باشا : هذا كلام يلقى على عواهنه !

ومن المؤكد أن أكثر النواب لم يفهموا المراد بالعواهن ، ولكن هذه العبارة وقعت منهم موقع القبول ، لأنها خير عبارة تقال فى ذلك المقام الدقيق ، وهى على عنفها لا تجرح الذوق

واعترض الأستاذ أحمد أمين على قولهم : « فلان يعرف من أين تؤكل الكتف » وعدها عبارة بدوية لا يجوز لحضرى أن يدونها فى مقال أو ينطق بها فى حديث

والظاهر أن الأستاذ أحمد أمين يظن أن أهل الحضر لا يأكلون الحملان إلا مقطّعة بأيدى القصابين فهو لذلك يتوهم أنهم لا يحتاجون إلى الاحتراس عند أكل الكتف

فليعرف (إن شاء) أن الناس لا يزالون يدركون هذه العبارة فى أصلها الأصيل ، وقد رأيت الرجل البدوى الحضرى عبد الستار بك الباسل يداعب أحد ضيوفه بتسليط تيار الكتف عليه ، وهو تيار قد يسلّط مرة على الأستاذ أحمد أمين فيعرف من أين تؤكل الكتف !

من حق أحمد أمين أن يرى الناس جميعاً مقلدين فى الأخيلة والتعابير ، لأنه من أبعد الناس عن مواجهة الحياة ، وأكاد أجزم بأنه لا يساير الحياة الأدبية والفنية والاجتماعية إلا عن طريق القراءة أو السماع ، وإلا فمن الذى رآه مرة يشهد رواية سينمائية أو يشهد حفلة من حفلات التمثيل ؟

وأعيذكم أن تظنوا أنى أتجنى على الأستاذ أحمد أمين ، فهذا الرجل على فضله قليل الخبرة بألوان الوجود ، وقد تقع منه أحياناً عبارات تضحك الحزين. أليس هو الذى يقترح أن « نميت العَرار ونحيي الزنبق ، ونميت الكمأة ونحيي المانجو ، ونميت القوس ونحيي القنابل ، ونميت الُخرْنى ونحيي ما يدل على الموبليا » ؟ ذلك كلامه بالحرف ، وهو يدعو إلى النظر فى الألفاظ المتماثلة أو المتقاربة ، لنميت القديم ونحيي الجديد ، ومن كلامه هذا تفهمون أن « الكمأة » نوع من الفاكهة ، بدليل أنه يقابلها بالمانجو !

فهل سمعتم أن الكمأة اسم فاكهة قبل أن يحدثكم بذلك الأستاذ أحمد أمين ؟

إن الكمأة معروفة لأهل الشام والعراق ، ومعروفة لبعض أهل مصر من الذين يتصلون بالأسر السورية واللبنانية والفلسطينية. وقد عرفتها فى القاهرة قبل أن أعرفها فى بغداد ، فكيف جاز للأستاذ أحمد أمين أن يظنها من الفواكه ؟ تلك والله إحدى الغرائب !

***

أما بعد ، فقد كنت أرجو أن يترفق الأستاذ أحمد أمين بسمعته الأدبية فلا يعرّضها لهذه المزالق ، وكنت أتمنى أن يكف عن السخرية من ماضى الأمة العربية ، ولكنه أراد أن يمضى فى العناد وفى اللجاجة إلى آخر الشوط فيزعم أن شعراء العرب وكتابهم لم يعرفوا الثورة على المظالم ، ولم يعرفوا تحليل المقاصد والأغراض فى الشعر والإنشاء

وذلك كله ظنٌ وترجيم ، وسنحاسبه أشد الحساب ، عساه ينتهى عن اللجاجة والعناد

وإني لواثق بأنه يطرب لهذه المباحث التى تكشف له آفاقاً من الحقائق الأدبية ، وتعينه على فهم ما خفى عليه من مكانة العرب فى التاريخ .

(للحديث شجون) زكى مبارك

صفحة من التاريخ المغربي المجهول

تاريخ سلطنة الطلبة*

للأستاذ إدريس الكتاني

كان فتى شهياً تأكله العين ، قوياً فى ميعة الشباب ، أرسله الوالد الزعيم من ساحة الثورة والزعامة إلى معهد العلم والثقافة ، ليربى الفكر الناشئ ، والعقل الطرى ، ويعلم النفس المستكينة سبيل المجد ، وطريق الحياة .

سار الفتى يقطع الفيافى والقفار على متن الأفراس العربية إلى حيث الجامعة المغربية « القرويين » بفاس ، ليكون طالباً من طلابها ، يسكن إلى مدارسها ، ويتعيش من هبات أوقافها ، ويغمر فكره بهدى علمائها .

قال الراوى : وكان فى المدرسة التى حط الفتى رحله بها شيخ زاهد ، قالوا : إنه من الأبدال[1] ، فكان يقوم بخدمة طلبة العلم هناك ، ويتعيش من فتات موائدهم وفضلات مآكلهم . واتفق ذات يوم أن أقام فريق من الطلبة مأدبة لعموم من بالمدرسة من الطلاب ، فكان من الذوق أن يتصدر الشيخ الوقور مائدتهم ، كوالد عطوف أو كخادم أمين .

ونصبت موائد الطعام ، فكان الشيخ يتوسط واحدة منها . وعلى فجأة من القوم أرسل الزاهد بَصرهُ ، فما حطه إلا على وجه ذلك الفتى الناعم ، وهو ما يزال حديث العهد بهذه المعالم ، وأرسلها الشيخ نظرات متعاقبة كأنما كانت شعاعاً كشافاً أرسله إلى مجهول من الغيب ليعرف !

قال الراوى : وأخذ الارتياب يُداخل نفوس الحاضرين من الطلاب فى أمر الشيخ الزاهد ، فتراشقوا بنظرات حادة فيها كثير من الكلام ، كان الشيخ البرئ يصاب منها فى الصميم ، ثم قطع هذه الحيرة واحد من أولئك كان له فى الشيخ وثوق واعتقاد ، إذ صاح به قائلاً : هل من نبأ وراء هذه النظرات يا عماه ؟ ورفع الشيخ بصره ببطء يتفرس فى هذا الذى قطع عليه إلهاماً كان يتلقاه من السماء . وقال فى شىء من التأفف والبغتة : نعم يا ولدى ، أُلهمت الساعة أن هذا الطالب سيكون بعد حين ملكاً على المغرب من أقصاه لأقصاه ، وسيؤسس دولة لها سلطان وأعوان ، ورايات خافقات ! . . .

ضجّ الطلبة وتصايحوا لهذا الخبر المباغت ، وتعالت أصواتهم من هنا ومن هناك يصححون النبأ العجيب عن زاهد المدرسة . أما الشيخ فكان يتكلم فى هدوء ووداعة مؤمناً بقوله متأكداً منه ، كأنما يخبر عن شيء يدرك بالبداهة من غير أن يكون للعقل فيه نقاش ، وكان الفتى مأخوذاً بشىء من الدهشة والاستغراب كأنما يحاول ألا يصدق هذا الخبر الذى ما مر له بخاطر من قبل ، ولكن نفسه كانت تميل إلى تصديقه مقتنعةً بصلاح الشيخ وتقواه ، ذاكرةً أنه لا شىء يدعوه إلى اختلاق فرية كهذه . وحدثته نفسه أن يقطع هذا الحديث عن الأفواه ، فصاح فى الطلبة يقول : إن صدق الشيخ فى دعواه ، فسأبنى لكم مدرسة تفوق هذه[1] روعةً وجمالاً ، وسأغمركم بهبات وعطايا لا ينضب معينها ، وسأجعل لكم فوق ذلك سلطنة منكم تقوم دعائمها على كواهلكم فى ربيع كل عام ؛ وكأن الفتى النابه أراد بهذا كبح الغيرة التى رأى ملامحها تتسرب إلى نفوس بعض الطلبة ، وفى الناس من تركبه الغيرة بمجرد الوهم والخيال .

كان هذا الطالب من أسرة شريفة نبيلة ، وردت من الحجاز منذ أمد بعيد ، وأقامت فى جنوب المغرب ببلاد سجلماسة ، وكان يدعى الرشيد بن الشريف بن على ، وأبوه هذا كان له وقتئذ مقام محمود ومنزل محترم بين أهالى البلاد ، بفضل انتسابه للبيت النبوى ودعوته المخلصة للاصلاح والإرشاد .

قال الراوى : وجاء الزمن فطوى من التاريخ مراحل ، وجعل فى الأحوال الاجتماعية مشاكل ، ومهد للساسة والعظماء سبلاً

(*) أنظر العدد ٣١٠ من « الرسالة »

(١) الأبدال قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم . قال ابن دريد : الواحد بديل .

(١) الاشارة هنا إلى المدرسة التى هم فيها ، وكان موضعها بمكان البنك المخزنى المغربى من شارع القطانين بفاس .

وطرائق ، ولم يشعر القوم حتى كان الجالس على عرش المغرب ، والمسيطر على دولته هو الرشيد، ذلك الفتى الذى كان طالباً فى جامعة القرويين وتنبأ له الشيخ الصالح بالملك وهو فى مطلع الشباب .

***

لم ينس السلطان مولاى الرشيد وعداً كان قطعه على نفسه للطلاب ، وهو حول مائدة العشاء يوم كان طالباً عادياً لا أقل ولا أكثر . فلقد وفى بوعده خير وفاء ، ولم تُنسه مشاغل الملك حياةَ الجامعة وملاهى الصبا .

فأما المدرسة ، فالتاريخ نفسه يؤكد بناء الرشيد للمدرسة التى بحى الشراطين ، والتى تدعى اليوم بمدرسة الشراطين ، وكان الشروع فى بنائها عام ١٠٨١ ، إلا أنها لم تتم إلا فى عهد أخيه إسماعيل من بعده سنة ١٠٨٩[1] ، وهذه المدرسة — كباقى المدارس الأخرى — كانت فى القديم لدراسة العلم وسكنى طلابه فى آن معاً ، أما اليوم فهى لمأواهم ليس غير .

وقد جعل الرشيد لمدرسته هذه طبقات ثلاثاً تشتمل على ٢٣٢ بيتاً وعلى قبة للصلاة ، وكان قد صرف لها عنايته فجاءت آية من آيات الفن المعمارى الجميل الذى ورثه المغرب فيما ورث عن الفردوس المفقود .

وأجمعت الأساطير وغير الأساطير على أن الرشيد هو أول من ابتكر « سلطنة الطلبة » بالمغرب وجعلها سنّة قائمة بفاس ومراكش .

فهذه الأطروفة التى قصصناها تستند فى النتائج إلى شىء من الحقائق التاريخية ، وقد كان حدثنى بها واحد من أشياخى الطاعنين فى السن قائلاً : إنه رواها عن بعض شيوخه الثقات ، وهى عندى رغم ذلك أسطورة تمتُّ فى الأغلب إلى عقلية الشعب وتتنفذ بسبب من الأسباب ، ولكيلا أكون متجنياً على رواة هذه القصة أو على القصة نفسها أرانى مضطراً لأن أبين سخرية التاريخ من حوادثها .

***

قامت الدولة العلوية المالكة اليوم إثر الدولة السعدية التى تضعضعت أركانها وانحلت عراها بعد وفاة المنصور السعدى وتنازع أولاده من بعده على الملك ، وتطاحنهم عليه ، وكان طبيعياً أن ينقسم المغرب بين هؤلاء وغيرهم من الزعماء والرؤساء على شكل مقاطعات مستقلة يحكمونها كما شاءوا وكيف شاءوا من غير أن يكونوا مسؤولين أمام سلطان أعلى .

وعلى هذا النحو قصد أهل سجلماسة — قاعدة الصحراء — مولاى الشريف بن على (والد الرشيد) ، وسبق أنه كان لأسرته منزل محترم فى قلوب هؤلاء — فطلبوا إليه أن يتولى أمورهم بكل حزم وعزم ، وبايعوه ملكاً على الصحراء عام ١٠٤١ لكى يتأهب للذب عن بلادهم وصد هجمات المعتدين عليها ، وكان الباعث لهم على هذا قيام مُحمد الحاج الدلائى واستيلاؤه على تادلة وسلا وجبل درن ، ووصوله لنهر ملوية حيث امتدت أطماعه إلى بلاد الصحراء ، والسلطان عبد الملك بن زيدان بمراكش على لهوه ، ورأسه من حوادث البلاد فارغ أو هو كالفارغ ، إذ لا مطمح له فى القضاء على كل مناوئيه بالقوة وهى منه براء .

والشريف بن على هذا يعتبر أول ملوك الدولة العلوية وإليه يرجع انتسابها ؛ أما الرشيد فكانت ولادته سنة ١٠٤٠ أى قبل بيعة أهل الصحراء لوالده بعام فقط ، ثم وقعت حوادث بين الشريف بن على وبين أبى حسون السملالى الذى كان مستولياً على سوس ودرعة أدت إلى أسر الشريف وبقائه سجيناً بسوس سنة ١٠٤٥ ، ولكن سرعان ما بلغ الخبر إلى ولده البطل المقدام محمد ، فنهض هذا وتقدم إلى شيعته من أهل سجلماسة يستحثهم على إنقاذ والده والدفاع عن كرامتهم المهانة ، ولم يلبث أن جمع جموعاً غفيرة ، قادها بعد ذلك إلى معارك كثيرة ، كان له النصر فى أغلبها ؛ ثم اجتمعت كلمة أهل الصحراء على مبايعته ، فبايعوه بسجلماسة سنة ١٠٥٠ .

وحدث فى سنة ١٠٦٩ أن مات الشريف بن على ، وكان ابنه الرشيد يومئذ شاباً متوقداً يبلغ من العمر ٢٩ سنة ، فخرج هذا من سجلماسة فاراً بنفسه إلى تدغة خوفاً من أخيه محمد الذى أصبح ينظر إليه بعين مرتابة ، خشية أن يطمع فى السلطان

(١) الدرر الفاخرة ص ١٣ لنقيب العائلة المالكة المؤرخ ابن زيدان

أو يصبح شريكاً له فى الأمر . والحق أنه كان فى نفس الرشيد ما كان يتوقعه أخوه محمد ويخشاه ؛ فمنذ أن خرج الرشيد من حكومة أخيه وهو يجمع الجموع عليه ، ويقوم بدعاوة واسعة لنفسه فى طول البلاد وعرضها ؛ متنقلاً بين الحواضر والبوادى ، وأخوه فى كل ذلك يراقبه عن كثب لا يستطيع أن يناله بسوء وهو عنه بعيد

فلما أحس الرشيد من نفسه القدرة على الحرب وشعر بتمكن مركزه من الناس ، قام فى سنة ١٠٧٥ بأنقاد ودعا لنفسه بها ، فاجتمع عليه عرب المعقل وأحلافهم من بنى يزناتن وبايعوه ثم دخلوا مدينة وجدة . فلما وصلت هذه الأنباء إلى أخيه محمد توقع الشر منه ، فخرج إليه من سجلماسة بمن معه من العرب والبربر وقصده بأنقاد فخرج الرشيد لملاقاته ، والتقى الجمعان فى حرب شعواء كان محمد أول ضحاياها بعد أن دخلت الهزيمة إلى جيشه . وخرج الرشيد منتصراً من المعركة يحمل جثة أخيه إلى مضجعها الأخير

ثم سار الرشيد إلى سجلماسة فحاصر ابن أخيه محمد تسعة أشهر حتى غلبه عليها ، فدخلها ومهد أطرافها ، ثم رجع لمدينة تازة . وتطايرت أنباء انتصاراته إلى فاس فتأهب أهلها لقتاله ولكنهم انهزموا أخيراً . وفى عام ١٠٧٧ زحف إلى فاس فاتحاً ودخلها منتصراً بعد أن فر ولاتها ، ثم عقدت له البيعة من رجال الحل والعقد بها[1]

وبدخول الرشيد إلى فاس ومبايعة أهلها له أصبح السلطان الرسمى للبلاد المغربية وكل من عداه من رؤساء المقاطعات المستبدين هم ثوار فى اعتبار الشريعة والأعراف . لهذا كان لزاماً على الرشيد أن يتتبع أعقاب الثائرين ويستأصل كل إمارة تريد الاستبداد بمقاطعتها . ولقد فعل الرشيد كل هذا حتى أصبح سيد البلاد المطلق لا ينازعه فى سلطانه ثائر أو أمير

ثم بعد أن ساد نفوذ الرشيد فى عموم البلاد المغربية باستثناء بعض الشواطئ[2] أخذ يهتم بالإصلاح الداخلى فعمر المساجد وبنى الجسور ومهد الطرق وأسس معاهد العلم وكان إذا دخل بلدة تعاهد جوامعها ومدارسها ، وسأل عن مجالس العلم بها وعمن يحضرها ، وكان إلى هذا محباً للعلماء مولعاً بمجالستهم ، محسناً إليهم ، يفيض عليهم من عطاياه ، ويغمرهم بعطفه وإحسانه ، وفى أيامه كثر العلم ، واعتز العلماء والأدباء على السواء[1]

وأخيراً ، وبعد كل هذا ، كان الرشيد بمراكش يشم النسيم فى بستان المسرة ، وأبت ثقته بقوته إلا أن يركب فرساً جموحاً فطار الفرس به بين الأشجار المتعانقة وإذا بغصن من شجرة نارنج يهشم رأسه فيخر إلى الأرض صريعاً ؛ وشاهد الناس مصرع هـذا الملك العصامى آسفين فى ١١ من ذى الحجة سنة ١٠٨٢ ، ودفن بمراكش إلى أن نقل منها إلى فاس وأقبر بروضة أبى الحسن على ابن حرزهم بوصية منه بذلك[2]

« للكلام بقية — فاس » — ادريس الكتانى

ملاحظة : وقع فى المقال الأول المنشور فى العدد « ٣١٠ » من الرسالة لفظة « الذعيرة » وهي في اللهجة المغربية بمعنى الغرامة ، وقد فاتني التنبيه عليها وقتذاك .

(١) الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب لأبى القاسم الزيانى مخطوط (٢) كان الانجليز وقتئذ مستولين على طنجة ، والبرتقال على المهدية والجديدة ، والأسبان على سبتة والعرائش وأصيلا ، وأغلب هذه الشواطئ استرده السلطان العظيم اسماعيل أخو الرشيد

(١) سلوة الأنفاس ج ٣ ص ٧٩ لوالدى محمد بن جعفر الكتانى

(٢) نزهة الحادى فى أخبار ملوك القرن الحادى ص ٢٥٩ لليفرنى .

استطلاع صحفى

فن التصوير الجوى

أهم أدوات الحرب الحديثة

«لمندوب الرسالة»

أنبأتنا التلغرافات بأن سلاح الطيران الفرنسى أمكنه أن يصور خريطة دقيقة لخط سيجفريد الألمانى . وعلى ضوء هذه الخريطة يصبح من السهل على قيادة الجيش الفرنسى أن تحدد المناطق الضعيفة منه وتعين أماكن الاستحكامات فيه

ولدينا فى مصر قسم خاص بالتصوير الجوى أنشئ سنة ١٩٣٣ يستطيع رجاله أن يؤدوا نفس المهمة التى قام بها زميلهم الفرنسى . وفى هذا المقال يجد القارئ عرضاً عاماً لطرق التصوير الجوى ومدى فائدته فى الأعمال العسكرية والمدنية ، وما يحتاج إليه من خبرة ودراية .

عملية استكشاف

من النواحى الهامة فى سلاح الطيران الحربى قسم التصوير؛ وهو لا يقل خطورة عن قسم المدفعية. فبواسطته يمكن تصوير سطح الأرض وتوضيح ما عليها من مرتفعات ومنخفضات تبين مسالك الأرض وطرقها فيسهل على القوات العسكرية كشف طريقها ومعرفة اتجاهاتها ، كما يسهل معرفة امتدادات خنادق العدو وتعيين مواقع مدافعه ومعداته فيتيسر للقوات الموالية



ليس هذا مدفعا يطلقه هذا الطيار على هدفه ، ولكنها آلة تصوير يلتقط بها بعض المناظر الجانبية من الطائرة

تدمير هذه الاستحكامات وشق طريق للجيوش البرية وهذه العملية إحدى خطوات الاستكشاف فى الحرب .

ولهذا كان من أهم التدابير التى تتخذها الحكومات ويقرها القانون الدولى منع الطيران أو التصوير فوق المناطق العسكرية ، وأبيح لها حق تفتيش الطائرات التى تخالف هذه القاعدة كما أبيح لها حق إسقاطها بإطلاق النار عليها مما يعتبر عملاً عدائياً فى المناطق المدنية .

مران وتضامن

وتختلف أدوات التصوير بالطائرات عنها فى الحالات العادية. يضاف إلى ذلك ما تستلزمه من مران وتضامن بين الطيار والمصور. فالتصوير من الجو نوعان : ففى الأول تثبت الآلة فى أسفل الطائرة على قواعد خصصت لذلك فإذا أراد الطيار تصوير منطقة معينة يجب عليه أن يطير بسرعة ثابتة وعلى ارتفاع ثابت حتى تكون المساحات الظاهرة فى الصورة واحدة؛ فمن المعروف أنه كلما بعدت آلة التصوير شغل هذا الجسم مساحة أقل من مساحة الصورة ، وبالتالى تزيد مساحة سطح الأرض التى تلتقطها الآلة ؛ وعندئذ يتعذر تحديد أبعاد المكان فيظهر على الصورة مساحة كبيرة أو صغيرة تبعاً لارتفاع الطائرة وسرعتها



بعد أن التقطت الطائرة شريطا طويلا من الصور للأرض بدأ فنيو قسم التصوير توفيق هذه الصورة بعضها مع بعض فتكون النتيجة خريطة كاملة للبقعة التى صورت تبين جميع دقائقها

ويختلف عدد صور شريط تصوير هذه الآلة باختلاف الأغراض المطلوبة منه فأحياناً يكون ٢٥ صورة وأحياناً ٥٠ وأحياناً ١٢٥ صورة . ولا يحتاج المصور إلى تكرار الضغط على

مفاتيح التقاط الصور عند تصوير كل منظر . فإن الآلة تسجل المناظر بطريقة آلية كل مدة من الزمن إلى أن ينتهي شريطها أو يقف المصور الآلة

وطريقة التصوير الجوى الأخرى هي المعروفة بالتصوير الجانبي إذ يمسك المصور بآلته ويلتقط الصور التي يريدها . وفي كلتا الحالتين يحتاج التصوير إلى طيار ماهر حتى لا تهتز الآلة ، وغالباً يكون ارتفاع الطائرة مقدار ثلاثة آلاف قدم . وقد يبدو هذا البعد كثيراً على عين آلة التصوير ، ولكن عدساتها برغم أنها عدسات عادية وليست مقربة تستطيع التقاط جميع تفاصيل الأرض لدقتها وخلوها من الفقاعات الهوائية التي قد تفسد وضوح المرئى .

تأثير الضوء

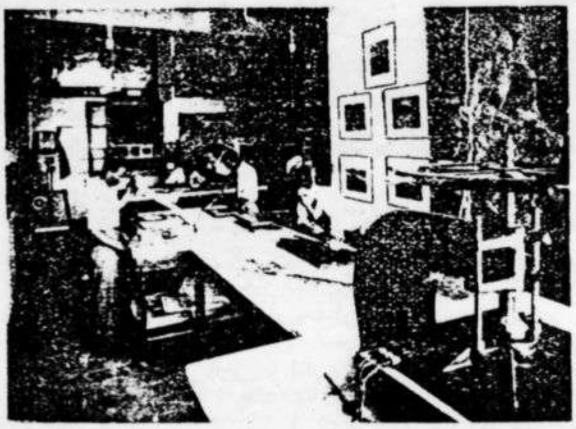
فإذا انتهى المصور من التقاط المناظر التي يريدها هبطت الطائرة إلى الأرض وبدأت عملية ثانية لا تقل دقة عن سابقتها إذ يبدأ العمال بتحميض شريط الصور السالبة . ومن المسائل التي يجب مراعاتها أن يكون هذا التحميض مساوياً لجميع أجزاء الشريط ، ثم تبدأ عملية الطبع وهي أكثر دقة من أية عملية أخرى ، إذ يجب أن يحافظ العامل في طبع الصور الموجبة على أن تكون كلها من لون أسود واحد ، فلا تظهر إحداها ضعيفة اللون والأخرى قوية ، حتى إذا جمعت الصور بعضها إلى بعض ظهرت كأنها صورة واحدة .

وتحتاج هذه العملية إلى كثير من الخبرة ؛ فتوزيع كمية الضوء على الأرض لا يكون بنسبة واحدة ؛ ففي مناطق تكثر الظلال ، وفي مناطق أخرى يكون سطح الأرض مكشوفاً لضوء الشمس ؛ وهذا يؤثر على تشبع الصورة السلبية بالضوء فيظهر بعضها أسود والآخر أقل سواداً تبعاً لكمية الضوء التي تعرضت لها الصورة والتي لا يستطيع المصور ضبطها

وتجمع الصور الموجبة ويلصق بعضها إلى بعض بحيث تكمل الصورة التي تليها حتى إذا تمت المجموعة ظهرت صفحة الأرض واضحة لمدة أميال . وقد تمكن قسم التصوير بسلاح الطيران الجوى المصرى من تصوير جميع مناطق القطر المصرى فيمكنه أن يقدم لمصالح الحكومة ولأقسامها المختصة صورة أى بلدة فيظهر عليها ما في تلك البلدة من مرتفعات ومنخفضات وما فيها من طرق مائية أو برية أو جسور

تحليل الصور

ويسهل على الإخصائيين في التصوير تحليل الصور كما يسهل على الكيميائيين تحليل المواد . فبعد أن ينتهي العمل من صنع الصورة فإنها تحلل بأن توضع تحت مجهر خاص يكشف أسرارها فما يرى خطاً ضعيفاً بالعين المجردة قد يكشف عن خندق مسلح وما يظهر نقطة سوداء على الصورة قد يظهر مدفعاً بالتحليل الفنى وأمام العين العسكرية والخبرة الحربية



موظفو قسم التصوير الجوى وطلبته وهم يؤدون عملهم الفنى باعداد الصور لسلاح الطيران المصرى

ويتدرب كثير من رجال الطيران على فنون التصوير الجوى ومنهم من يتخصص فيه . ومن الضرورى أن يلم كل طيار بمبادئه الأولية حتى يدرك مدى المعونة التي يقدمها للمصور إذا اشتغل أحدهما مع الآخر وحتى يدرك أهمية المناطق التي يمر بها أثناء انتقاله في الجو من جهة إلى أخرى

ولا تقتصر عملية التصوير الجوى على الفوائد العسكرية بل تتعدى إلى الفائدة العلمية ؛ فبالتصوير الجوى نستطيع أن نحصل على صورة دقيقة للتعاريج الساحلية أو النهرية وضبط مواقعها ومسافاتها بالضبط . وقد أتيحت لى الفرصة فشاهدت مدينة القاهرة التي التقطها سلاح الطيران البريطاني فرأيت فيها شوارع المدينة في أتم وضوح كما شاهدت جزر النيل وجسوره وانحناءاته ظاهرة بكل تفصيل

٤٠٠٠ صورة في صورة

وفي آخر مرة زرت فيها قسم التصوير الجوي شاهدت العمال يمدون صورة لفرع رشيد بلغ طولها بعد لصق أجزاء الصور ما لا يقل عن عشرين متراً ، كلف التقاطها وطبعها القسم ٣٠٠ جنيه ، إذ تتكون الصورة من ٤٠٠٠ جزء كان التقاطها بمعرفة سلاح الطيران الجوي البريطاني يكلف الحكومة المصرية أربعة آلاف جنيه .



أحد الفنيين يكبر صورة التقطتها إحدى الطائرات

وقد أنشئ قسم التصوير الجوي المصري سنة ١٩٣٣ فعين فيه ثلاثة أفراد مصريان وصول انجليزي ، ثم ازداد عدد العمال تبعاً لنمو الجيش وحاجة سلاح الطيران . فاقتنى من آلات التصوير وأجهزته أدقها ، وعين من الإخصائيين المهرة الذين حذقوا هذا الفن ودرسوه في بعثات أرسلت إلى البلاد الإنجليزية حتى أصبح استعداد القسم ينافس أحسن الأقسام في البلاد الأوربية

في استطاعة قسمنا المصري أن ينتهي من عمل خريطة مكونة من ٦٥ صورة في مدة ٢٤ ساعة بأي مقياس مطلوب رغم ما في هذه العملية من صعوبات فنية . وقد أثبت رجال القسم جدارتهم وسرعتهم في مناسبات كثيرة في الحفلات العسكرية الرسمية المختلفة ، فأمكن إخراج الصور وتجفيفها ثم إهداؤها للزائرين في مدة نصف ساعة . وعند زيارة سمو الأمير محمد رضا ولي عهد إيران للكلية الحربية قدمت لسموه صور زيارته للكلية قبل أن يغادرها رغم بعد المسافة بين الكلية وبين مطار الماظة مركز القسم

معامل متنقلة

وأعد القسم عدته حتى لا يقتصر نشاطه على منطقة واحدة، فجهز سيارات خاصة بجميع الأجهزة اللازمة حتى تكون معمل تصوير متنقلاً يستطيع تحميض الصور وطبعها وتكبيرها في أي زمان ومكان ، وفي مختلف الظروف والأحوال . وخصص لكل سيارة عمالها كما وزع بعض رجاله في المناطق التي تمس الحاجة العسكرية إلى وجودهم فيها .

فمنذ سنة ١٩٣٣ وقسم التصوير الجوي يؤدي مهمتين: أولاهما العمل الفني المطلوب، والثانية تعليم الجنود والضباط. فهو من هذه الناحية معمل ومدرسة يقضي فيه الطالب ثمانية أشهر يتلقى فيها جميع الفنون التي يحتاج إليها المصور البارع من نظريات لفهم التصوير وتركيب حوامض التحميض والطبع ثم التكبير وضبط الصور وتحليلها وتأثير الحرارة على الأفلام والأحماض



بعض العمال يدرسون الصور التي التقطها سلاح الطيران المصري

وبهذا المجهود الكبير أمكن لقسمنا المصري أن يسجل لنفسه طريقة جديدة في طبع الصور ذات الألوان المتعددة . وهي طريقة معقدة ولكنها أسهل من الطرق المتبعة في البلاد الأخرى وتحتاج إلى خبرة ودقة كبيرتين ، ففي وسع قسم التصوير أن يقدم لك صورة أي منظر طبيعي أو صناعي بألوانه الأصلية مهما تباينت ألوانه . وهو يقدم للصحافيين الأجانب أحسن مناظر مصر الطبيعية بألوانها الأصلية ، فأضاف إلى مهمته العسكرية مهمة جديدة هي الدعاية لمصر بتقديم صورة ناطقة عن الحياة وسحر الطبيعة فيها .

فوزي الشتوي

كان ما كان !...

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ترى لم تُحط هذه الطيوف بمضجعى ... فى هذا الليل الوسنان ، فتملأ نفسى حنيناً إلى أيام الطفولة اللاهية ، ومرابع العيش الرغيد ؟ ... ولمَ ترقص حولى ، قافزة من حفافىّ السرير ، راتعة فى حنايا الستور ... فتدفعنى إلى إغماض جفنىّ ، أستشف من خلل الهدب الرفّاف بالدمع ، تلك المغانى الحبيبة ، التى فارقتها منذ بعيد ... فأضحت — يارحمتا لها — خلاء ، لا البشر يضحك فى جنباتها ، ولا الأم الرؤوم تناغى فيها الوليد ... !

لقد رأيت الآن ... ذلك الطفل الذى درج بالأمس على قبلات الأهل ، وبسمات الجيران ؛ وتمثلته ، وقد نبت بين الفضة الباهية والذهب الرنّان ... ولمحت أمه تنظر إليه ضاحكة جذلى ؛ ترى فيه منية النفس ورغيبة الشباب ، ثم أراه ... يرتع فوق الأرائك مع أخيه ، فى غرفة واسعة ، وقد روّق الليل ، وانتشر الظلام ، وأزنو إليه يرسّ حديثاً فى نفسه ، كان قد سمعه من جارته الصغيرة تحت شجرة الليمون فى النهار ... ثم يسمع إلى أبيه يهمس فى أذن أمه أن « سأودعه دار الشيخ غداً ... ! » ، فلا يفهم الطفل عنه ، ولا يحاول الفهم ، على الرغم من حبه للاستطلاع ، ورغبته فى الكلام ... فقد كان له فى كرته الصغيرة ، وفى أخيه الحبيب ، غنى عن السؤال ، وغنى عن الكلام ! ...

ويتهادى الصبح باسماً كغانية خلوب ، فينتشر النور وينقشع الظلام . فإذا كان طفَل الغداة ، نادى الأب ابنه ، ليرافقه إلى البستان . وتسرع الأم فتلبسه الرداء الفاخر والحذاء اللامع . لقد غضب آنئذ ، وعلم أن الرداء يمزق فوق الغصون الدوالى ... وأن الحذاء سيبلى فى التراب الأحمر الناعم . ولكن الأب يمسك بيد ابنه ويمضى ... وقد أطرق الوليد يفكر فى الشجيرات التى يجعلها أرجوحة له ، والفراشات التى سيطاردها فى كل مكان .... والعصافير التى سيقفز ليقبض عليها ... فتفلت منه ... والأزاهير التى يحملها إلى جارته الصغيرة إذا رجع إلى الدار مع المساء . ثم يحدث نفسه عن رفقائه المساكين الذين لم ينعموا بما ينعم به من عيش لـيّن ولهو كثير ؛ ولا ينسى أن يزوّر فى نفسه كلاماً يتعابه به عليهم إذا رآهم فى الزقاق عند المشاة . ولكن الأب يمضى ... لا يلتفت إلى ثرثرة الطفل ، مسرعاً فى مشيه ، موفضاً فى خطاه ؛ والطفل يقفز وراءه كعصفور جذلان ، ثم يقصد زقاقاً مظلماً من تلك الأزقة التى تمج فيها رائحة العفن ويتعالى الغبار ... فينقبض صدر الطفل ... فقد حدثوه أن الشيخ كامل ، وهو مصدر التقوى والعفة والصلاح — كما حدثه أبوه — ومصدر الخبث والشر والفساد — كما حدثه رفيقه — يقطن بهذا الزقاق . فيبكى الطفل بدموع غزّر ويحاول الفرار ، ولكن الأب يمسك بيد ابنه يجره ويدفعه ويغريه باللعب إذا بلغ البستان ، وينفحه « بنصف مجيدى » لينقطع عن البكاء . حتى إذا بلغ غاية الزقاق ، عرج به فطرق باباً غليظاً . ويقف الطفل ، ما يدرى لِمَ يجره أبوه وهو الذى يحبه ، ولم يدفعه وهو الذى يؤثره على نفسه .! ويفتح الباب شيخ همّ ، كان كلما تمثله فى خاطره بعد ذلك اليوم قفّ شعر رأسه ، وأغمض عينيه من الاشمئزاز : فقد بقى فى ذاكرته ، أنه كان ذا قامة فارعة ، مسنون الوجه أسمره ، خفيف العارضين ، لم تبق الأيام من لحيته إلا شعرات لا لون لها نبتت هنا وهناك ، تقفز وتهتز كلما ضحك أو تكلم . وبقى فى ذاكرته أيضاً أنه كان أدرد ، إلا من بضعة أسنان ملتوية صفراء تبعثرت فى فمه الذى حسبه مغارة الجن ومأوى الشيطان . أما عيناه فكانتا غائرتين صغيرتين ... يرد الذباب على موقيهما ليرتشف الطيبات ، وهو يذكر أيضاً تلك السبحة الطويلة التى علقها فى عنقه ... وحسب حباتها الكبيرة « دحاحل » رفقائه الصغار ، وتلك الجبة التى حال لونها وسخف نسجها . ويبادره الأب بالسلام ، فيهش الشيخ ويبش ، ثم يرحب ويقول : ماشاء الله ... ما شاء الله ... ثم يربت على كتف الطفل مردداً كلمات وتعاويذ لم يفهم الطفل لها معنى وإن كانت أطربته فأنصت لها . ويدخل الأب ويتبعه الطفل قائلاً بصوت حزين : « أهنا البستان يا بابا ؟ » ولكن الأب يحتال عليه ويسلمه للشيخ ليطعمه من نقله المبارك . فيدخل الطفل تتنازعه الرهبة من أبيه والرغبة فى نقل الشيخ ، ويرى فيما يراه آنئذ غرفة مظلمة سوداء لق فيها

رفقاءه الصغار ؛ وقد جلس أحدهم فوق قطعة من الحصير البالي ، يردد كلمات أفزعته وأضحكته ، منحنياً إلى الأمام وإلى الوراء ؛ ووقف ثان يحملق فاغراً فاه ؛ وانحنى ثالث يبكي بكاء كعواء الكلاب ؛ فتستولي الكآبة على الطفل وينقبض صدره ، ويرتد راجعاً ليرى أباه ، فإذا بأبيه قد فر ، وإذا بالشيخ يلحق به ليرجمه وفي يده بضع «سكرات» يدفعها إلى فمه الصغير . ويجلس الطفل بجانب الشيخ على دكة من القش . لقد جال بصره في هذه الغرفة الحقيرة ، فرأى أشياء أنكرها ، ولم يكن له بها عهد من قبل : شعر بهذا الظلام الذي يرفرف فوق الغرفة فيجعلها كالقبو الذي تضع فيه أمه ما رث من الأثاث ، ورأى هذه العناكب التي امتدت في أعالي الجدران كأنما تريد أن تزين الغرفة كما تزين أمه الجدران بأوراق الشجر وأزاهير البستان ، ولمس الحصير البالي فأبصر الخشب وقد نخره السوس ، وحدق بتلك الخشبة المستديرة المستطيلة كبندقية خاله التي ود لو يحملها ليصبح جندياً فأبوا عليه ذلك ، فتساءل لم علقها الشيخ ولم يهدد بها الصبيان ؟

عندئذ ضاقت نفس الطفل فانفجر باكياً ... ويقوم الشيخ ليخفف عن الطفل حزنه ... ويكفكف دمعه ، والصبيان يرمقونه دهشين ، يحسدونه على ما يلقى من عطف ، وما يظهره الشيخ من لطف ، على حين يضربهم ضرباً ويصفعهم صفعاً ... ولكن الطفل لا يهدأ ، بل يزداد بكاء وصراخاً ، شأن الأطفال كلهم ، فينادي الشيخ زوجته « الشيخة صفية » ، التي علم الطفل أنها تجمع النساء يوماً في الأسبوع ، ليقرأن معها « الورد » ، وينقرن الدفوف ، ويهززن الروادف والبطون ابتغاء مرضاة « الشاذلي » وتقرباً من الرسول ... وما يكاد يراها الطفل حتى يتولى عنها ؛ فإن تلك الشعرات الطويلة التي نبتت على شفتها العليا ، وتدلت فوق فمها الرخو أزعجته ، على الرغم من دعائها له ، وصلاتها على النبي ، وقبلاتها التي اقشعر منها بدنه ... فيعود إلى غرفة الشيخ يسأله عن أبيه ، فإذا به يجده يصرخ برفيق له ، ثم يدفعه إلى الأرض ثم يعمد إلى تلك الخشبة المستديرة ، فيجعل رجلي الطفل بين الحبل والخشب ، ويفتل الخشبة مع صبي آخر ... ويضربه بقضيب من خيزران ضربات موجعات فيصيح الصبي ويستعطف الشيخ ، ويقسم لئن تركه ليحفظن الدرس ولكن الشيخ لا يلتفت إليه ، فهو لاه عنه بعد الضربات ! ...

ويرأى الدمع في عيني الطفل - شفقة على رفيقه الصغير - فيهب منادياً : « هذا رفيقي ... ليش تضربه ؟ »

فيحدق الشيخ في الطفل يوعده بالجزاء ، فترعبه نظراته ويلجأ إلى البكاء ... ويصرخ ويصيح ... وينادي أمه وأباه ، ويضرب وجهه بكفيه والأرض بقدميه ، فيحوقل الشيخ ويرجع ويترك الصبي ليرضي الطفل ، والطفل يبكي ويصيح ... فيمضي الشيخ ... ليأتي « بسكاكره » المحورة ، فينقطع الطفل فجاءة عن البكاء . وينظر إلى رفاقه ويقول :

« راح ... هيا ... تعالوا نهرب قبل أن يجيء ... نغلق الباب ... ألسنا أقوياء ... نختبئ في الزقاق ... قوموا ... قوموا ... » ولكن الصبيان الذين ألفوا الذل واعتادوا الضرب ، أنكروا ما قاله الطفل ... فلم ينتظرهم بل تأبط حذاءه ... وقام يعدو نحو صحن الدار ... ثم فتح الباب وخرج إلى الزقاق يتنفس الصعداء ...

* * *

ويعود إلى الدار كالقائد الظافر .. فيستعيذ أبوه من الشيطان عند ما يراه ، وتشهق أمه من العجب فتسأله كيف فر من الكتاب ! ولكنه يطأطئ رأسه ويسرع فينزع ثيابه . ثم يتسلق خشب العريشة ، وينادي ابنة جاره الصغيرة فيسألها :

— أتلعبين بالدحاحل يا حسنا ... لقد عدت من البستان !

أما الأب فيعبس ويثور . وأما الأم فتضحك وتقول :

دعه ... فإنه صغير

* * *

وانغمست في الفراش ، وفي العين دمعة ، وفي الصدر آهة ، وفي النفس آلام

« دمشق » صلاح الدين المنجد

رد على تعقيب

الجبر والاختيـــار

للأديب السيد محمد العزاوى

طالعت فى البريد الأدبى لعدد الرسالة — ٣٢٢ — ما تفضل به علىّ الأديب الفاضل داود حمدان من ملاحظات قيمة على مقالى الأول فى الجبرية والاختيار ؛ وعنت لى ملاحظات على رده سيتسع صدره لها دون شك ، والله المستعان

أما اعتراضه على أن المسلمين لم يقل منهم أحد بأن « الإنسان وأفعاله من خلق الله فلا يكون ثمة حساب أو عقاب » فواضح أن أحداً لم يقل بذلك . وما هو بخاف ، ولكنى أردت أن أذكر حدى القضية الذهنيين ، بغض النظر عن أن الكلاميين تكلموا فى الطرف الثانى أو لم يتكلموا . وهذا أسلوب واضح : أن يذكر الكاتب حدى القضية على السواء فى ذلك المعقول وغير المعقول الممكن والمستحيل ، ما تكلم فيه ومالم يتكلم فيه . ولعله فهم أنى أريد أن المتكلمين قد تكلموا فى هذا الوجه ما داموا قد تكلموا فى الوجه الآخر ، ويبدو أن هذا ما بنى اعتراضه عليه

أما ذهابه إلى أن المسلمين قد أجمعوا على أن الله تعالى عالم بكل ما يحدث قبل حدوثه ففيه نظر ؛ إذ قد اختلفت وجهات النظر بين الفرق اختلافاً لم يجعل وجهاً لادعائه بأن فرقة واحدة من القدرية هى التى قالت : « إن الله لا يقدر الأمور أزلاً ، ولم يتقدم علمه بها ، وإنما يأتنفها علماً حال وقوعها » . فقد ذهب إلى ذلك مفكرون عدة سأذكر بعضاً منهم على سبيل المثال .

فالجهم بن صفوان رأس الجهمية قال : « لا يجوز أن (الله) يعلم الشيء قبل خلقه لأنه لو علم ثم خلق أفيبقى علمه على ما كان أو لم يبق ؟ فإن بقى فهو جهل : فإن العلم بأن سيوجد غير العلم بأن قد وجد ؛ وإن لم يبق فقد تغير ، والمتغير مخلوق ليس بقديم .. وإذا ثبت حدوث العلم فليس يخلو إما أن يحدث فى ذاته تعالى ، وذلك يؤدى إلى التغير فى ذاته ، وأن يكون محلاً للحوادث ، وإما أن يحدث فى محل فيكون المحل موصوفاً به لا البارى تعالى فتعين أنه لا محل له . فأثبت علوماً حادثة بعدد المعلومات الموجودة[1] »

وهشام بن الحكم قال بأن (الله سبحانه) لم يزل عالماً بنفسه ، ويعلم الأشياء بعد كونها بعلم لا يقال فيه محدث أو قديم لأنه صفة والصفة لا توصف[1]

وهشام بن عمرو الفوطى كان يقول بأن الأشياء قبل كونها معدومة ليست أشياء، وهى بعد أن تعدم عن وجود تسمى أشياء. ولهذا المعنى كان يمنع القول بأن الله تعالى قد كان لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها فإنها لا تسمى أشياء[2]

فأى هذه الفرق – على قلة ما اخترت منها – يريد أن تكون الفرقة من القدرية ؟ الجهمية أو الهشامية أو الفوطية ، وغيرها كثير ؟ ثم ألا يكفى كل هذا لأن أجعل هذا القول مقابلاً لقول سائر المسلمين، أو على الأقل لأن أدعى أن هذا كان تفكيراً لرجال الدين والمتكلمين ؟ أم أن تكفير الإمام مالك والإمام الشافعى والإمام أحمد وغيرهم من الأئمة لهذه الفرق يخرج بهذا التفكير عن أن يكون « إسلاميًّا » : إن لم يكن بالمفكرين فيه فلا أقل من أن يكون بالموضوع الذى دار حوله هذا التفكير ؟ صحيح أن النزاع فى مسألة سبق علم الله بما يحدث أو ائتنافه له علماً حال وقوعه قد اندمج فى « النزاع فى أنه كما أن للعالم منا علماً هو عرض قائم به زائد عليه حادث ، فهل لصانع العالم علم هو صفة أزلية قائمة به زائدة عليه ، وكذا جميع الصفات[3] » وتشعب القول بين الفرق فى الأمر ، وأصبح سبق علم الله أو ائتنافه حداً من حدود هذه القضية . واختلاف القول فيه إلى ما قد فرغت من إيراد بعضه ، واتضح منه أن المسلمين لم تجتمع كلمهم على ما أورد الأديب الفاضل . ولنفرض جدلاً بأن طائفة واحدة من القدرية قالت بأن الله لم يتقدم علمه بالأشياء ، أليس من العدل أن أذكر ذلك حتى أبين أقصى مدًى بلغته الفكرة ، وأوسع عرض حازته هذه الدعوى ؟

أما اعتراضه على اشتراك الجهمية والمعتزلة فى نفس الصفات عن الله ففيه نظر كذلك ؛ فقد طلب الأديب الفاضل أن أفصل قول المعتزلة حتى لا أوهم إنكارهم الصفات إنكاراً غير حميد ، ولم يكن المقام مستلزماً أن أفصل قول المعتزلة أو غيرهم فإنى كنت أود أن أبين اشتراكهم والجهمية فى اختصار أتحرز به من تهويش ذهن القارئ حتى أستطيع بعد ذلك أن أطله على رأى أبى العلاء

على أن الجهمية وافقت المعتزلة فى نفس الصفات الأزلية . فنفى جهم أن يكون لله صفات غير ذاته[4] وزاد عليهم (على المعتزلة)

(١) الشهرستانى ج ١ على حاشية الملل والنحل لابن حزم ص ١٠٩

(١) الشهرستانى ج ٢ على حاشية الملل والنحل لابن حزم ص ٢٢

(٢) الشهرستانى ج ١ ص ٩١ (٣) العقائد النسفية وحواشيها ص ٤٥ (٤) فجر الاسلام ص ٣٤٣

بأشياء منها قوله لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقتضي تشبيهاً . فنفى كونه حياً عالماً ، وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً ... [١]

فنفى الجهمية للصفات ناشىء من أن التشبيه بالمخلوق مستحيل على الله فوجب أن يؤول ما يرد فى القرآن بهذا المعنى ، ويؤخذ على غير ظاهره . فالحياة والعلم الإلهيين — فى رأى الجهمية — ليسا حياة وعلماً كحياتنا وعلمنا ، تحرزاً منهم من التشبيه ، فليس نفيه — والحال هذه — « يعطل الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفى الذات المقدسة .

ونفى المعتزلة للصفات ناشىء من أنهم لو أثبتوا الصفات ، فإما أنها صفات قديمة قائمة به زائدة عليه فيلزم تكثر فى الذات ، وتعدد فى القدماء والواجبات ، ومن المستحيل تعدد الذوات القديمة . وإما أنها صفات محدثة فهى عرض لذات قديمة والعرض قابل للتغير والزوال ، ومحال على الله التغير . فالمتغير مخلوق ليس بقديم . وإن كانت صفات قديمة أزلية ، فإما أن تكون خارجة عن الذات فتتعدد القدماء « وأنكره الفلاسفة والمعتزلة وزعموا أن صفاته عين ذاته بمعنى أن ذاته تسمى باعتبار التعلق بالمعلومات عالماً ، والمقدورات قادراً [٢] ولصعوبة هذا المقام ذهبت المعتزلة ، والفلاسفة إلى نفى الصفات ، والكرامية إلى نفى قدمها ، والأشاعرة إلى نفى غيريتها وعينيتها [٣] »

فالفرقتان كما ترى من المعطلة ، قد اتفقتا فى النتيجة ، وإن اختلفتا فى الأسباب . وقد كانت مشاركتهما فى هذا الأصل داعياً إلى تلقيب المعتزلة بالجهمية « لا لأنهم وافقوا الجهمية فى القدر ... ولكن لأن المعتزلة وافقوا الجهمية فى نفس الصفات عن الله ، ... ، ... ، وقد ألف البخارى والإمام أحمد كتابين فى الرد على الجهمية وعنيا بهما المعتزلة [٤] »

فهل رأيت إلى هذا التشارك الذى حلل أن تدعى المعتزلة بالجهمية ؟ ذلك معناه أن الجهمية إن كانت من هذه « الطوائف الملحدة » فأنت مضطر إلى أن تعترف بأن المعتزلة من هذه الطوائف الملحدة كذلك . وهذا ما لا يسلم به الأديب الفاضل ، وما لم يقل به أحد

هذا ما أحببت أن أوجه هم الأديب الفاضل إليه ، وأرجو أن يتقبله بقبول حسن . على أنى قبل كل شىء وبعد كل شىء أشكر له صنيعه هذا شكراً جزيلاً . السيد محمد العزازى

(١) الشهرستانى ج ١ ص ١٠٩ (٢) العقائد النسفية وحواشيها ص ٤٥
(٣) العقائد (شرح الخيالى على السعد) ص ٤٩ (٤) الفجر ص ٣٤٣

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

٥٠٢ — ولكن لا نستطيع أن نتكلم

فى (العقد) : قال رجل لهشام بن الحكم : أنت تزعم أن الله فى فضله وكرمه وعدله كلفنا ما لا نطيقه ، ثم يعذبنا عليه .

قال هشام : قد (والله) فعل ولكن لا نستطيع أن نتكلم [١]

٥٠٣ — ميمونة الزنجية تطيب بذلك

فى (الموشح) : قالت امرأة [٢] لكثير عزة : أأنت كثير عزة ؟ قال : نعم . قالت : تبا لك ! أتعرّف بامرأة [٣] ؟ ! قال : وما يضيرنى من ذاك ؟ فوالله لقد رفع الله بها ذكرى ، ونشر فيها شعرى ، وأغزر بحرى . قالت : أفلست القائل :

فما روضةٌ بالحزن طيبةُ الثرى
يمج الندى جَثجاثُها وعرارُها [٤]
بأطيب من أردان عزة موهناً
وقد أُوقدت بالمندل الرطب نارُها [٥]

قال : نعم ، قالت : فض الله فاك ! تالله ما رأيت شاعراً قط أقل عقلاً ولا أضعف وصفاً منك . أرأيت لو أن ميمونة الزنجية [٦] بُخرت بمندل رطب ، أما كانت تطيب ؟ ألا قلت كما قال سيدك :

(١) فى (أمالى المرتضى) : قال الجاحظ : قلت لأبى يعقوب الخريمى الشاعر : من خلق المعاصى ؟ قال : الله ، قلت : فمن عذب عليها ؟ قال : الله ، قلت : فلم ؟ قال : لا أدرى والله

(٢) هى قطام صاحبة ابن ملجم

(٣) عرفته بزيد كفوك سميته بزيد (اللسان)

(٤) الحزن : حزن بنى يربوع وهو قف غليظ مسير ثلاث ليال فى مثلهما . والحزن المكان الغليظ ، وهو الخشن ، والروض فى الحزونة أحسن منه فى السهولة (اللسان الأساس) الجثجاث ريحانة طيبة الريح برية من أحرار البقل . العرار : البهار (النرجس) البرى وهو حسن الصفرة طيب الريح (الكامل)

(٥) أتيته وهنا وموهنا : بعد ساعة من الليل (الأساس) المندل أجود العود

(٦) الزنج : بفتح الزاى وكسرها

ألم تريانى كلما جئت طارقاً
وجدت بها طيباً وإن لم تَطيَّب(١)

فانصرف كثير وهو يقول :

الحق أبلج لا يُخيلُ سبيله والحقُّ يعرفه ذووا الأحلام(٢)

٥٠٤ — ضحلت على لحية

فى (طوق الحمامة) لابن حزم : كان لسعيد بن منذر بن سعيد صاحب الصلاة فى جامع قرطبة (أيام الحكم المستنصر بالله) جارية يحبها حباً شديداً ، فعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها فقالت له ساخرة به — وكان عظيم اللحية — : إن لحيتك أستبشع عظمها فإن حذفت منها كان ما ترغبه . فأعمل الجلمين فيها حتى لطفت ، ثم دعا بجماعة شهود ، وأشهدهم على عتقها ثم خطبها إلى نفسه فلم ترض به . وكان فى جملة من حضر أخوه حكم بن منذر فقال لمن حضر : أعرض عليها أنى أخطبها أنا ، ففعل ، فأجابت إليه فتزوجها فى ذلك المجلس بعينه ، ورضى (سعيد) بهذا العار الفادح على ورعه ونسكه واجتهاده ...

٥٠٥ — لا يحتاجون الى هذا منك

صلى الأعمش(٣) فى مسجد قوم فأطال بهم الإمام . فلما فرغ قال له : يا هذا ، لا تطل صلاتك ؛ فإنه يكون خلفك ذو الحاجة والكبير والضعيف

قال الإمام : « وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين(٤) »

فقال له الأعمش : أنا رسول الخاشعين إليك ، لا يحتاجون إلى هذا منك

٥٠٦ — فبم تدخل الجنة اذن ؟

فى (تاريخ بغداد) : قال بشير(٥) بن الخصاصيَّة : أتيت النبى

(١) امرؤ القيس

(٢) يخيل : أخال عليه الشىء : اشتبه وأشكل (الأساس)

(٣) أبو محمد سليمان بن مهران توفى فى سنة ١٤٨

(٤) (واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) لكبيرة : لشاقة ثقيلة من قولك : كبر على هذا الأمر . الخشوع : الأخبات (الخضوع) والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة (الكشاف) خشع فى صلاته ودعائه أقبل بقلبه على ذلك (المصباح)

(٥) بشير بن معبد بن شراحيل ، وكان اسمه زحم فسماه رسول الله بشيراً ، شهد فتح المدائن وحمل الخمس إلى حضرة أمير المؤمنين عمر (ابن الخطيب)

(صلى الله عليه وسلم) لأبايعه ، فقلت : علام تبايعنى يا رسول الله ؟ فمد يده ثم قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وتصلى الصلوات الخمس المكتوبة لوقتها ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، وتجاهد فى سبيل الله

فقلت : يا رسول الله ، كُلاًّ أطيق إلا اثنتين : أما الزكاة فما لى إلا حمولة(١) أهلى وما يقوون به ، وأما الجهاد فإنى رجل جبان فأخاف أن تجشع(٢) نفسى فأبوء بغضب(٣) من الله

فقبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يده ، ثم قال : يا بشير ، لا جهاد ولا صدقة ، فبم تدخل الجنة إذن ؟

قال : يا رسول الله ، ابسط يدك أبايعك ، فبايعته عليهن

٥٠٧ — وبعثنا اليك بك

فى (سمط اللآلى) : أهدى شاعر نرجساً إلى غادة اسمها نرجس ، وكتب مع الهدية :

كنت أبغيك فى البسا تين شوقاً لرؤيتك
فإذا نرجس بنا دى بلفظ كلفظتك
أنا شبه لمن هويـ ـت تخذنى لبغيتك
فجنينـاك ناضراً وبعثنا إليك بك

٥٠٨ — لأجل قوة المعانى وجزالة الألفاظ

فى (مفاتيح الغيب) للرازى : (أتدعون بعلاً ، وتذرون أحسن الخالقين) كان الملقب بالرشيد(٤) الكاتب يقول : لوقيل أتدعون بعلاً ، وتدعون أحسن الخالقين ، أوهم أنه أحسن لأنه كان قد تحصل فيه رعاية معنى التحسين . وجوابه أن فصاحة القرآن ليست لأجل رعاية هذه التكاليف بل لأجل قوة المعانى وجزالة الألفاظ

(١) الحمولة : كل ما احتمل عليه الحى من بعير أو غيره سواء كانت عليها أثقال أو لم تكن ، يكون ذلك للواحد فما فوقه ، وفعول تدخله الهاء إذا كان بمعنى مفعول به

(٢) تجشع : تفزع ، تجزع . والجشع جبن وحرص . والجشع أسوأ الحرص

(٣) باء فلان بغضب من الله : من قولك باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافأته ، أى صار حقيقا بغضبه (الكشاف)

(٤) الرشيد أو رشيد الدين هو (الوطواط) وكم لقن للقب بالبديع، من هالك وصريع ، ولا يؤثر الظلام والنطش على الضياء الباهر إلا الوطواط إلا الوطاويط ، والشمس حرب الأجهر

حينما تهجعين يا ملاكى ...

« نجوى حنين عاودنى بين
دخان الغضب والملال ! »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

حينما تهجعين فى مهدكِ الطا   هر والسحر متعَب فى جفونك
حينما تُسلِمين قلبكِ للأحلا   م والفجرُ ذاهلٌ فى سكونك
حينما تطرحين شعركِ فى الدّيـ   ـباج لحناً مبعثراً من شجونك
حينما تُغمضين عينيكِ للنّو   م على جذوةٍ ذكت من حنينك
حينما يُصبح المهادُ تخيلاً   فى رُبى الخلد زهرةً فى يمينك
حينما يُسبل الإلهُ على وجـ   ـهك ستراً يصونُ طهر جبينك
حينما تسجدُ الملائكُ حوليـ   ـك حياءً وهيبةً من فتونك
حينما تسهرُ الغيوبُ لترعى   صلواتِ النجوم حول عيونك
حينما تنفضين عنك أسى الدنـ   ـيا وتنسين نارها فى أنينك
حينما تُصبحين شبّابةَ الفجـ   ـر وعمرى يطوفُ حول رنينك
حينما تسبحين فى كونك العا   لِى ورُوحى معلّق بسفينك
حينما يا نبيّةَ الحبّ تغفيـ   ـن وأغدو عبادةً فى يقينك

. . . .

لو تسمّعتِ خافقى فى دُجى الليـ   ـل وشكوى جراحه فى سكونك
لرأيتِ الذداةَ طيراً شقيّا   أقصت الريح عشّه عن غصونك
شاردٌ فى رُباكِ لا جادهُ الظـ   ـلُّ ولا جرحه ارتوى من معينك

(القاهرة)   محمود حسن إسماعيل

أنا ...

للأستاذ فؤاد بلبيل

أنا مَنْ أنا ؟ . . . يا للتعا   سةِ ! مَنْ أنا ؟ شبحُ الشقاء !
بل زهرةٌ فوّاحةٌ   عبثت بها أيدى القضاء !
عند الصباحِ تفتّحت   وذوت ولم يأتِ المساء
وطغى الفناء على الشبا   بِ فغاله قبل الفناء

***

بالأمسِ كانت ملعبَ الـ   ـعصفورِ فى ذاك المَراء
يشفى العليلَ أريجُها   وبهاؤها يُحيي الرجاء
بسّامةٌ لم تدرِ ما   معنى السآمةِ والعناء
واليومَ باتت يا لتعـ   ـسِ نصيبها ! هدفَ البلاء
قد حوّلوا عنها الغديـ   ـرَ فلا خريرَ ولا رِواء
فذوت على أكمامها   عطشاً وبعثرها الهواء

« دار الأهرام »   فؤاد بلبيل

النهر المتجمد

للأستاذ ميخائيل نعيمة

يا نهر هل نضبت ميا   هك فانقطعت عن الخرير ؟
أم قد هرمتَ وخار عز   مك فانثنيت عن المسير ؟

بالأمس كنت مرنماً   بين الحدائق والزهور
تتلو على الدنيا وما   فيها أحاديث الدهور

بالأمس كنت تسير لا   تخشى الموانع فى الطريق
واليوم قد هبطت علي   ك سكينة اللحد العميق

بالأمس كنت إذا أتيـ   ـتك باكياً سلّيتنى
واليوم صرتَ إذا أتيـ   ـتك ضاحكاً أبكيتنى

بالأمس كنتَ إذا سمعـ   ـت تنهدى وتوجعى
تبكى ، وها أبكى أنا   وحدى ولا تبكى معى

ما هذه الأكفان ؟ أم   هذى قيود من جليد
قد كبّلتك وذلّلتك   بها يد البرد الشديد ؟

ها حولك الصفصاف لا   ورق عليه ولا جمال
يجثو كئيباً كلما مرّت   به ريحُ الشمال

والحورُ يندب فوق رأ   سك ناثراً أغصانه
لا يسرح الحسّون فيـ   ـه مردّداً ألحانه

تأتيه أسراب من الغر   بان تنعق فى الفضا
فكأنها ترثى شباباً من   حيـاتك قد مضى

وكأنها بنعيها عند الصباح   وفى المسـاء
جوف يشيّع جسمك الصافى   إلى دار البقـاء

لكن سينصرف الشتا   وتعـود أيام الربيع
فتفك جسمك من عقا   ل مكّنته يد الصقيع

وتكرّ موجتك النقيـ   ـة حرّة نحو البحـار
حُبلى بأسرار الدجى   سكرى بأنوار النهار

وتعود تبسم إذ يلا   طف وجهك الصافى النسيم
وتعود تسبح فى ميا   هك أنجم الليل البهيم

والبدر يبسط من سما   ء عليك ستراً من لجين
والشمس تستر بالأزاهر   منكبيك العاريَيْن

والحور ينسى ما اعتراه   من المصائب والمحن
ويعود يشمخ أنفـه   ويميس مخضرّ الفنن

وتعـود للصفصاف بعـد   الشيب أيام الشباب
فيغرّد الحسون فوق غصونه   بـدل الغـراب

قد كان لى يا نهر قلـب   ضاحك مثل المروج
حرٌّ كقلبك فيه أهـ   واء وآمال تموج

قد كان يضحى غير ما   يمسى ولا يشكو الملل
واليـومَ قد جمدت كوجـ   ـهك فيـه أمواج الأمل

فتساوتِ الأيام فيـه   صـباحها ومساؤها
وتوازنت فيـه الحياة   نعيمها وشـقاؤها

سيّان فيه غدا الربيع   مع الخريف أو الشتاء
سيانِ نوح البائسيـ   ـن وضحك أبناء الصفاء

نَبَـذَتَهُ ضوضاء الحيا   ة فمال عنهـا وانفرد
وغدا جماداً لا يحن   ولا يميـل إلى أحد

وغدا غريباً بين قو   مٍ كان قبـلاً منهمُ
وغدوتُ بين الناس لغـ   ـزاً فيـه لغز مُبهم

يا نهر ، ذا قلبى ، أرا   ه كما أراك مكبلا
والفرق أنك سـوف تنـ   ـشط من عقالك ، وهو لا

ميخائيل نعيمة

ابنتى كوثر

للأديب محمود الهامى

أشهى إلى نفسى وأرضى لها   إذا تمنت غالياً كوثر
صغيرة لم يسر فى طبعها   لؤم ولم يعلق بها منكر
فتانة الدلّ إذا ضوحكت   خلت المنى من ثغرها تنثر
نبع من الإشفاق يروى صدى   نفس بأنواع الأمى تزخر
وطائر فى السمع تغريده   لا العود يشأوه ولا المزهر
يشدو فيشدو القلب فى إثره   ألحان صفو طيبها يسحر
إن كان لى فى العمر من فرحة   فهى لعمرى الفرح الأكبر

كل أمانيها وأحلامها   عطف إذا داعبتها يغمر
والمال ، أغلى المال فى زعمها   من دُمية تلهو بهـا ، أحقر
يا ويح من يشقى به إنه   بكل خزى سـافر يعبر

يحنو عليها وهى فى لهوها   قلب بزخّار الأمى يقطر
يخشى عليها بعض ما راعه   من قسوة الدهر وما يستر
والدهر لا يرحم أبنـاءه   يا ويل من فى صخره يعثر
كم هدّ من ركن أشم الذرى   وراح من أسد الشرى يسخر

يا زينـة الدار ولألاءها   وجنـة يجرى بها الكوثر
إنى لأرجو أن تكونى غداً   مبينة يزهو بك المنبر
ونابة للمجـد لا تنثنى   لا تعرف الختـل ولا تغدر
من اللواتى عند ذكر الحجى   والرأى فالوادى بها يفخر

محمود الهامى



دراسات فى الفن :

خمسة أيام طاهرة

بين الفن والاسكندرية

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

ليتنى ما جئت القاهرة . بل أحمد الله لأنى جئت . وأستغفرك اللهم إذ تمنيت غير ما كان من إرادتك . فقد رأيت القاهرة لوثتنى ونسيت أنها علمتنى ، وقد حننت إلى الإسكندرية التى دللتنى ونسيت أنها خلبتنى . وهأنذا أعيش فى القاهرة راضياً ، وها أنت ذا يارحمن تأذن لنا أن نجتمع بين يديك يوماً أو أياماً كما شئت فلا تحرمنى من الإسكندرية يارب كما يسرتها لأستاذى أحمد الشايب يارب !

عجيبة الإسكندرية ! ولست أدرى إذا كنت أحبها لأنها بلدي ، أو أنى أحبها لأنها الإسكندرية . ولكنى أشعر وأومن بأنها أقرب إليك ..

وشتان ما بينها وبين القاهرة .

* * *

عند ما يريد أهل الإسكندرية أن يسبوا واحداً منهم أو من غيرهم يعيرونه بأنه « صايع » وهو عندهم من لا يعمل عملاً شريفاً يأكل منه

وعند ما يريد أهل القاهرة أن يمدحوا واحداً منهم أو من غيرهم ويعظموه ، يصفونه بأنه « وجيه » وينممون عليه برتبة « البيكوية » من عندهم . والوجيه فى القاهرة هو من لا يعمل عملاً مطلقاً ويأكل ويشرب من حيث يعلم الله ، و « البيك » فيها هو هذا الوجيه نفسه ، أو ذاك الموظف فى الحكومة الذى ينفق فى الخلاعة مرتبه وزيادة تأتيه من حيث يعلم الله

وأهل الإسكندرية لا يصفون إنساناً بأنه « صايع » ويعدلون بهذا الوصف عن الحق إلا إذا تهاجوا ، وفى التهاجى عداوة ، والعداوة نكد ، والنكد ضرر ، فالعدول عن الحق فى الإسكندرية ضرر فيه شر

وأهل القاهرة قد يصدقون حين يصفون إنساناً بأنه « وجيه أو بيك » ، ولكنهم غالباً ما يصفون بهذين الوصفين أناساً ليسوا أهلاً لهما فيعدلون بذلك عن الحق ، ويصيبهم من هذا رضاء موصوفيهم ، وعند مايرضى الإنسان يجود على الذى أرضاه ووصفه بغير الحق ، فالعدول عن الحق فى القاهرة نفع فيه خير

والذى يتجول فى أحياء الاسكندرية لا فى القاهرة المصطافة المتهتكة عند الشاطئ ، لا يفتأ يسمع كلمة « صايع » تُردد مع خطاه . فالخلاف على الرزق فى الاسكندرية كثير بحكم أنها بلد صيد وبيع وشراء وكفاح ، ولكن هذا الخلاف صريح مكشوف لأنه نما وترعرع مع الأجيال ، والخلاف لا يمكن أن ينمو وأن يتضخم وأن يظل مع نموه وتضخمه مكتوماً مستوراً ، فإذا انكشف لم يكن غير معركة ، والناس لا يستطيعون أن يتعاركوا ليلاً ونهاراً ، فهم يعدلون عن العراك أحياناً إلى السب والتعيير ، فإذا كثر سبهم بوصف من الأوصاف ، كان ذلك دليلاً على أن هذا الوصف هو أبلغ السب عندهم ، وأبلغ السب يكون بنعت المشتوم بأقبح النعوت فى رأى الجمهور وأكره ما يكرهون ، « فالصياعة » إذن هى أكره ما يكره أهل الأسكندرية وضدها هو أحب ما يحبونه ، وهو أن يكون الإنسان عاملاً

والعمل فى الأسكندرية بطولة . لأن الناس محتاجون إليه فهم

يقظون، عيونهم مفتحة، متصارعون عليه فى لهفة واستماتة وإجادة، فإنه إذا لم يكن العامل قوياً خر فى الميدان. وهذه البطولة لها قيود كان لا بد منها لأمان المجتمع ، فإنها لو تحررت يسمى إليها كل إنسان بطريقته هو فاستباح بعض الناس الحرام، وأكلوا جهود غيرهم . وكل مجتمع تكونه الطبيعة يصنع قوانينه وقيوده بنفسه لأنها من أسباب حياته ، ويحرص كل الحرص على صيانتها ، ويثور كل الثورة على من يهم بخدشها . وقيود البطولة فى الأسكندرية هى القوة الصريحة فى العمل الجد .

فإذا انحدرنا إلى القاهرة سمعنا رتبة « البيك » ، والوصف بالوجاهة ينعم بهما على كل من هب ودب حتى نحن . ومعنى هذا أن أهل القاهرة جميعاً يحبون أن يكونوا « بكوات » ووجهاء هكذا ويأكلون ويشربون من حيث يعلم الله ولا يعلم الناس . وهم فى هذا كما يكره أهل الأسكندرية أن يكون الواحد منهم هكذا

وهذه حال تستلزم أن تنتزع لها من الطبيعة قوانين تصونها ، كما أنها تستلزم أن يكافح الجوع من أجلها ، وأن يقاوم الخارج عليها الذى يهم بخدشها ، والقانون الذى تلتزمه الطبيعة فى هذه الحال هو قانون « الستر » ما دام الناس لا يريدون أن يعلم غير الله من أين يأكلون ويشربون . و« الستر » ، و « التستر » ، و « الستائر » جميعاً تخفى وراءها ما لا يعلمه أيضاً إلا الله . وقد يعلم الناس منه الكذب والغش .

وأهل القاهرة يسترون هـذا التلوث الخلقى لأنهم يسترون كل شىء ، حتى أنفسهم يسترونها عن عيونهم .

فالكذب إذا حدث فى الإسكندرية حاربه أهلها ، وإذا كان فى القاهرة حاباه أهلها . وهكذا يسرى الكذب فى القاهرة حتى يتغلغل فى حياتها إلى أن يركب الفن ... الفن المطية من الله . إذا ادعاها فى الإسكندرية مدع قتلته الإسكندرية ، فإذا ادعاها فى القاهرة مدع سترته القاهرة

وقد يصبر أهل الإسكندرية على مدع فى غير الفن ، ولكن هذا الذى يتلف عليهم الوقت الذى يطلبون فيه متعتهم الروحية التى يشترونها بدمائهم ويكدحون طول النهار لها ، هذا المدعى يضربه أهل الإسكندرية ضرباً بالأيدى وبالأرجل وبالكراسى وبالزجاجات الفارغة وهم يصيحون : « هاتوا فلوسنا » !

ومع هذا العنف فى طلب الحق فإن فى أهل الإسكندرية عيباً عجيباً هو أنهم يلينون لكل ما يجىء من القاهرة سواء أكان فناً أم غير فن ، لا يفتحون عيونهم عليه ، ولا يحاولون التفرس فيه وانتقاده ، لا لشىء إلا أنه من العاصمة وأنهم لا يظنون بالعاصمة إلا خيراً ، فلا يمكن أن يتصوروها أقل منهم فراسة وصدق نظر ! وإلا فلماذا كانت القاهرة العاصمة ؟ ليس من شك فى أن الله جزى القاهرة ستراً بستر ، إذ خيل لأهل الإسكندرية أنها ما استحقت أن تكون العاصمة إلا لأنها جديرة بأن تكونها.. ولولا هذه العقيدة لزحفت الإسكندرية على القاهرة ...

صحيح ! هـذا هو إحساس الإسكندرية وتفكيرها ، فهذه الثقة المتعامية بالقاهرة هى وحدها التى تروج بضائعها فى الإسكندرية ومنها الفن . فإن لم يكن هذا فكيف ذاق سيد درويش الويل فى الإسكندرية حتى اعترفت به ، وكيف هللت الإسكندرية وكبرت للأستاذ عبد اللطيف البنا عنـد ما استجلبه لها متعهدو الحفلات من القاهرة ؟ ... القاهرة العاصمة !

والفن عند أهل الإسكندرية قد يسرع إلى أن يكون حرفة لأنه موهبة ، والمواهب عنـد العاملين رأس مال . ولا يمكن أن يحترف الفن فى الإسكندرية إلا الفنان الصادق ، ومتى ظهر صدقه فى فنه وتمكنه منه ، أقبل عليه الناس وشجعوه ، ولـكن إلى أن يظهر هـذا الصدق ، ويحوز رضاء أهل الإسكندرية ، ثم يكون له بعد ذلك تعصبهم البلدى بذوق فنان الإسكندرية الأمرين من تقدهم القاسى الصريح الذى لا يمكن التغلب عليه إلا بعزم من فولاذ ، وأكثر الناس تعرضاً لهذا النقد وهذا التهشيم هم أصحاب الفنون الجميلة ، التى لا يأكلها الناس ولا يشربونها ، فإذا لم تكن فنونهم إلهاماً من الله يهبط على الجمهور من خلال أرواحهم ، فإن كل ما فيه من صنعة يتعرض للنقد ، والصنعة ينفسح المجال فى نقدها للعالمين والجاهلين ، ما دام الأمر فى النقد راجعاً إلى المنطق والحجج والبراهين والكلام ، وما دام الأمر فى هذا كله راجعاً إلى وجهات النظر الفردية ... على العكس من إلهام الله وهو الحق الذى لا مراء فيه . والفن الملهم هو باعث الحق فى الحس ، والناس إذا أحسوا الحق لم ينكروه إلا كما ينكر المحروق شىء النار .

ومع أن الفن اللهم هـذا قد يسرع إلى أن يكون حرفة فى الإسكندرية لإسراع الناس فيها إلى العمل والإنتاج بحكم الحاجة ، فإنه لم يكن إلى اليوم فيها تجارة مثلما أصبح فى القاهرة على أيدى إخواننا السوريين الذين تأصلت فيهم طبيعة التجارة منذ كان أجدادهم الفينيقيون يحملون لواءها فى العالم القـديم ووجدوا فى القاهرة المتسترة ميدانهم . . . فأهل الإسكندرية صيادون يبيعون ما يجود الله به عليهم من سمك أو فن ، ولكنهم لايستطيعون تلفيق السمك ولا يستطيعون تلفيق الفن ، كما أنهم لا يعرفون الإعلان عما عندهم إلا بعرضه ، كما أنهم لا يوقتون مواسمه ولا ينظمونه ، فالطبيعة هى التى توقته لهم وتنوعه ، فأيام الصفاء لها سمك ولها فن ، وأيام النوء لها سمك آخر ولها فن آخر . وما أكثر تقلبات البحر الذى يجود بالسمك ! وما أكثر تقلبات الحياة التى تجود بالفن ! وما أكثر تلون الصروف التى تجود بما بين السمك والفن ...

أما القاهرة فكان من نتائج الاتجار بالفن فيها أن أصبح له أسواق منها شارع عماد الدين ، كما أن للخردوات فيها أسواقاً منها شارع الموسكى . والأسواق يتسلل إليها السماسرة ، ومتى دخل السماسرة دخل الزيف والبهرج اللذان لا صلة لهما بالفن وإن كانت لهما صلة بما هو دونه

هذا هو ما يختص بظهور الفن فى كل من الإسكندرية والقاهرة . . . فما هى طبيعة فن الإسكندرية ، وما هى طبيعة فن القاهرة ؟

طبع الفن فى الإسكندرية يشبه طبعها ، وطبع الفن فى القاهرة يشبه طبعها ، وأصدق الفن فى الإسكندرية ما كان صدقاً ، وأصدق الفن فى القاهرة ما كان غشاً وكذباً !

الإسكندرية تعاشر البحر فى كنف الصحراء ... وكل منهما مكشوف . وفيها منهما . والقاهرة يحتضنها جبل أغبر ليته ما كان فانطلقت صحراوية خالصة ، وانكشف عنها هذا الرجم الثقيل الجاثم على صدرها وعينيها ... فربما كانت تسمع وترى وتنى ! ...

لقد طبع البحر الإسكندرية وأهلها وفنها . فالأدب فيها نقد عنيف قاس يشبه أن يكون إعصاراً ، فإذا رق فهو إخلاص البحر واستسلامه على جبروته وعظمته ، والموسيقى فيها صفاء وصدق ما هدأت أو ثارت . والرسم فيها هو هذه الصور التى تعرض البحر وطيره وسمكه ، والصيد ومراكبه ورجاله ، وهى التى ترى فيها من نشاط الإسكندرية وتوثبها ما يميزها من غيرها . . .

وفن الإسكندرية فيه من روح أوربا أنقاها لا البراق الباطل منها ، وذلك لاختلاط المصريين فيها بالأجانب اختلاطاً لا يشبهه اختلاطهم بهم فى القاهرة ، فالأجانب فى القاهرة يكادون يعيشون فى أحياء خاصة ، فيها بيوتهم ومتاجرهم وملاهيهم ، أما فى الإسكندرية فهم منبثون فى أنحائها جميعاً يتخللون الوطنيين ، ويباشرونهم كأنهم منهم ، وقد لا يشعر الأجنبي فى الإسكندرية بالغربة ، كما أن الوطنى لا يشعر فيها بغرابة الأجنبى ، وهذا راجع إلى أن الإسكندرية تصبغ سكانها جميعاً بصبغتها ، وأنها تعدهم جميعاً لنوع واحد من الحياة يتعاون فيه سكانها . وقد يعجب القارئ إذا قلت له إنى سمعت روميا يلعن روميا آخر ويلعن الباخرة التى قذفت به فى بر مصر ، وهـذا لا يمكن أن يصدر إلا من وطنى يغار على بلده ولا يريد أن ينهال عليها إلا من هو جدير بالحياة فيها ، ولا يحابى فى هذا من كان من وطنه الأول أو من كان من أهل البلاد نفسها . والأجانب فى الإسكندرية كثيرون ، وهم كما يعطونها أرواحهم يعطونها تفكيرهم ، وإحساسهم ، فيأخذ عنهم الوطنيون ألواناً من أساليب العرض الفنى ، كما يتعلمون منهم أشياء رقت بهم على المصريين وجودت فنونهم

هذا هو فن الإسكندرية

وأما فن القاهرة فأستره إرضاء للقاهرة .

عزيز أحمد فهمى



فلنستمر

خواطر الحرب — صوت العلم بين صليل السيوف ودوى المدافع — استكناه الذرة وقضية الألكترونات — جحافل العلم فى ميدان التجارب — قصة مليكان — إذا عمت السكينة .

للدكتور محمد محمود غالى

كنا نتابع قصة الخليقة ونذكر عمل الإنسان، ونستعرض الخطوات الكبرى التى تمت فى السنوات الخمسين الأخيرة، وبدأنا هذا العمل فى يناير الماضى بدء العام السابع للرسالة، وما نعدُّ أنفسنا إلا فى منتصف الطريق، مهمتنا أن نعرض على القارىء صوراً من المراحل المختلفة التى بلغتها العلوم ، تلك المراحل التى فتحت مجال الذهن وفتقت حواشيه وحولت التفاتاته إلى الناحية التى جعلت من الإنسان على مَرّ الأيام أنموذجاً أرق ومثالاً أكمل . وقد تابع مقالاتنا هذه عدد غفير من القراء ما زالت ترد رسائلهم من كل صوب .

وبينا نحن نتابع عملنا إذا بالعالم يُفاجأ بما يُغير مسرى الحياة الفكرية فيه ، ويحولها من طريقها إلى آخر تكتنفه الآلام والمصائب ، فمن اطمئنان وسلام ، إلى حرب واصطدام ، أكثر ما يُروّعنى فيهما أن يُقضى خلالها على الملايين من الأبرياء ، وأن تهدم أسس الحضارة وتُدكّ صروح المدنية ، ولكن هذا التغيير فى حالة العالم لم يك ليُقعِدنى عن مهمتى فى الكتابة ويصدّنى عن غرضى فى التأليف ؛ فإن النفوس الواجمة من شبح حرب مروعة ، والأفكار المضطربة من صراع عنيف فى حاجة من وقت إلى آخر أن نرفه عنها ، ونعمد إلى تهدئتها ونبث روح السكينة فيها . لذلك أخذت على عاتقى أن أستمر فى مهمتى العلمية حتى أساهم فى الساعات التى أعطيها كل أسبوع لقراء الرسالة فى دفع كابوس الحرب الجاثم على العالم فى هذه الآونة .

***

لعل القارىء يشعر معنا أن نغمات حزينة تتجاوب أصداؤها الآن فى آذان العالم نرى لزاماً علينا إبعاد الأذهان عنها ، وأن فكرة تحمل فى طياتها الدمار والخراب وتغيير معالم الحضارة والعمران تسرى الآن سريان النار فى الهشيم ، نرى لزاماً علينا أن ندفعها بكل عناية وأن نحطمها بكل قوة .

إن الظلام حالك مدلهم ، والنجوم تنشر فى الفضاء وتملأه ، والمشترى والمريخ يطلان علينا من علياء السماء ، وكأن ما بهما من مخلوقات فرضية تشاهد مأساة الإنسان التى بدأت تعرض دورها فى ثالث الكواكب فتعجب لها ولا تقف على الغرض منها . ألا بئس الطمع وشر ما يجلب ! ألأن بعض شروط من معاهدة وضعها نفر من الساسة منذ عشرين عاماً ولا يريد هذا النفر تغييرها، ولأن هذه لا تروق لبعض الزعماء تقع شعوب الأرض فى حرب ضروس ؟ ألأن لقطر أشباراً من الأرض فى قطر آخر تمتشق الأمم الحسام وتأبى التفاهم ويحمل الطيارون وسائل التهلكة وتتخير الناس حد الظُّبى فاصل إشكالها ، ونُساق إلى حيث لا نعرف المصير ؟

ولو أنه يتأتى من هذا أنه يصبح فى العالم خلف خيرا من السلف ، لو أننا مسوقون حقا إلى هدف أسمى يستجلى منه الإنسان عهداً أرقى فى الحضارة وأبقى فى المدالة وأعظم فى التقدم ، عهداً لم يعهده من قبل - لوجدنا أن الخير كل الخير فى حمل السلاح وطرح الراحة ، ولطاب لكل إنسان أن ينقلب مجاهداً بين المجاهدين .

أما والبشر يتقاتلون لغير غاية مفهومة ، أو مأرب معقول ، فكل ما نتمناه أن تنحصر الكارثة وألا تطول هذه المحنة ، وأن يتغلب حكم العقل على الهوى ويعود السلام فيرفرف على الربوع والأمصار من جديد ، ونرى العلماء يتفرغون لاكتشافاتهم العلمية المجيدة ومباحثهم اللانهائية وتصبح المختبرات مخابر سلم ووسيلة للتعمير لا للتخريب

هذا السلام لبنى الإنسان طرّاً، للفقير قبل الغنى، للضعيف قبل القوى، هو أمنيتنا وله نعمل من قلوبنا، وها نحن أولاء نرقب عودة عهد هدوء العالم ورفاهيته ونتم للقراء قصة العلوم ففيها القسم الإيجابى من حظ البشر ، أما القسم السلبى الذى يشغل الآن رجال الحرب ويندفع إليه فريق من بنى الإنسان فهو ما سيأسف له العقلاء فى النهاية

وبراً بما وعدنا نعود الآن إلى الكتابة فى الموضوعات التى سرنا فيها شوطاً فليس أحب إلى نفوسنا من المضى فى سرد قصص العلم والعلماء وفى تبسيط أهم ما وصل إليه الإنسان المفكر من اكتشاف واختراع ، ذلك لأن أسعد الساعات عندنا هى تلك التى نسطر فيها مفاخر الإنسان العاقل الدارس ، وأعمال الرجل الكاشف العالم . فهيا بالقارئ خطوة أخرى إلى الأمام نزيده فيها كلمة يَخلُقُ بنا أن ندعوها باسم العالم الذى هو بطلها فندعوها قصة « مليكان » A. Millikan

***

تكلمنا فى مقالنا السابق عن الألكترون أصغر جزىء فى الكهرباء أو وحدة الكهرباء السالبة وزميله البوزيتون الوحدة الموجبة ، وهما الشقيقان اللذان يلعبان دوراً هاماً فى معارفنا الكهربائية بل يتصلان اتصالاً وثيقاً بمعرفتنا عن المادة وكل ما هو كائن، فالألكترون هذا المهاجر الحائر، نعرفه فى المادة على أشكالها الثلاثة الغازية والسائلة والصلبة، فذرة غاز الهيدروجين وهو أخف ما نعرفه من العناصر تحوى نواة وسطى كالشمس يدور حولها إلكترون واحد وتتميز به عن سائر العناصر وذرة الماء مكونة من ذرتين من الهيدروجين السابق الذكر وذرة واحدة من غاز الأكسيجين ، وهذه الذرة الأخيرة مكونة من نواة وسطى يدور حولها ثمانية إلكترونات وذرة الأورانيوم أثقل العناصر ذلك العنصر الصلب المشع الذى كان حجر الزاوية فى اكتشاف عنصر الراديوم العجيب تتركب من عدة شموس يدور حول كل منها عدد معين من الألكترونات ، ويبلغ مجموع إلكترونات هذه الذرة اثنين وتسعين الكترونا أى أكثر من ضعف ما يدور حول شمسنا من كواكب وأقمار(١) ، فهى مهما بلغت من الصغر عالم يتميز بعدد من الشموس وعدد من السيارات التى تجرى فى أفلاكها وتشبه عالمنا الشمسى ، وما اختلاف العناصر إلا فى اختلاف عدد الألكترونات التى تدور حول شموسها ، واختلاف المسافات التى تبتعد بها هذه الألكترونات عن الشموس ، بحيث يعدُّ هدم النواة الوسطى ، وطرد بعض الألكترونات المحيطة بها تحولاً فى المادة وانتقالاً من عنصر إلى عنصر آخر يتميز بالعدد الجديد من هذه الألكترونات السابحة ، وهذا ما استطاعه العلماء أخيراً يتقدمهم « رذرفورد » المتوفى منذ عامين فى انجلترا ، والدوق موريس دى بروى فى فرنسا ، وبرايش فى ألمانيا ، والعالم الشاب فرمى فى إيطاليا . . . وهو ما سنتبسط فيه عندما نتكلم عن التفتت الذرى تحت تأثير الإشعاع .

وإذا كان هذا الألكترون أصغر ما نعرفه من مادة لها وجود مادى ، فهو أصغر ما نعرفه مما له وجود كهربائى ، فهو المكون الأول للكهرباء ، بل وجميع الألكترونات هى التى تُحدث كل الظواهر الكهربائية التى أهم ما يعرفه الشخص غير المشتغل بهذه العلوم ظواهر الألكترونات المهاجرة التى قدمنا أنها تكون الأساس فى فن الراديو بل الأساس فى كل الكهرباء اللاسلكية منها ، والسلكية ، والتى يهاجر منها عند المخاطبات التلفونية أو الإذاعة اللاسلكية ملايين الملايين فى كل واحد على عشرة آلاف من الثانية . عندما تشترى من التاجر بضعة أمتار من

---

(١) يدور حول الشمس تسعة سيارات غير السيرات أو الكويكبات وهى بترتيب قربها إلى الشمس عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشترى وزحل وإبرانوس ونبتون وبليتون ولهذه على حد معارف الفلكيين ٢٨ قمراً سبق أن فصلنا عدد ما يتبع كل سيار من أقمار فى مقال لنا بالرسالة — « أرض تدور وإنسان يحيا ويموت » عدد ٢٩٢ — ٦ فبراير سنة ١٩٣٩ ص ٢٧١

السلك لتوصيل جرس كهربائى فى مكتبك ، فإنك تشترى طريقاً صالحاً لهجرة بلايين البلايين من الموجودات الصغيرة التى أطلقنا عليها ألكترونات ، وهى التى شغل العالم مليكان بدراسة أحدها والتى تسرى فى السلك من طرف إلى طرف . وعندما تشترى من التاجر ذاته صماماً — أى مصباحاً للراديو — من هذه المصابيح الخاصة التى منها الثلاثى الأقطاب « تريود » Triode أو خماسى الأقطاب بنتود Pintode والتى تتفنن الصناعة الحديثة فى تقديمها إليك بدل مصباح تالف ، فإنك تشترى فى الواقع مكاناً صالحاً لإحداث هذه الألكترونات التى تهاجر بين الكاتود Cathode القطب السالب والأنود Annode القطب الموجب بعدد لا يمكن أن يتصوره العقل .

* * *

ترى كيف يمكن العثور على جسيم مادى يعلق به أحد هذه الموجودات الدقيقة التى تعد أصغر ما نعرفه من الكون[1] ؟ كيف يتسنى لنا أن نستوثق من ذلك ؟ بل كيف يتسنى لنا أن نرفع ونخفض الجسيم الحامل لأحد هذه الألكترونات وفق إرادتنا ؟ وكيف نعلم علم اليقين أنه حامل ألكتروناً طليقاً كما نعلم أن سيارة تنساب فى الشارع بسرعة عظيمة تحمل السائق ولا تحمل غيره من الركاب ؟

لقد أمكن للأستاذ الكبير مليكان Robert Andrews Millikan أن يقوم بتجارب دقيقة حصل فيها على ألكترون حر واحد، وتيقن فريق العلماء معه أن هذا الذى حصل عليه مليكان فى تجاربه هو ألكترون حر واحد . وسأشرح للقراء تجربة مليكان وهى مهمة أحاول تبسيطها للقارئ رغم صعوبتها . وأمامى الآن المذكرات العديدة التى نشرها الأستاذ مليكان ، وأهمها نشرته التى قدمها لمؤتمر عقد فى وينبج Winnipeg فى أغسطس سنة ١٩٠٩ أى منذ ثلاثين عاماً ، والمذكرة الإضافية التى ظهرت خلاصتها فى المجلة الطبيعية Physical Review عدد ديسمبر من نفس السنة ، ثم نشرته التى ظهرت فى السنة التى تليها فى الجريدة الفلسفية Philosophical Magasine . كذلك أمامى كتابه « الألكترون[1] » L'Electron . ولقد طالعنا هذه المذكرات فى سنة ١٩٢٨ عند ما أتيحت لنا فرصة الاشتغال بالأبحاث الطبيعية فى معامل البحث بالسوربون بباريس ، وهأنذا أعيد مطالعتها كما أعيد مراجعة الكتاب المتقدم لنستطيع أن نحدث قراء (الرسالة) عن علم ، بوصف تجارب مليكان الخالدة ، تلك التجارب التى مهدت لها أعمال كثير من الباحثين أمثال تونسند Townsend[2] وولسون[3] C. T. R. Wilson وتومسون[4] J. J. Thomson وهم من أعلام مختبر كافاندش الشهير الذى يكون جزءاً من جامعة كامبردج المعروفة

وغنى عن البيان أننا سوف لا ننقل للقارئ خلاصة هذه النشرات العديدة التى برزت فى تاريخ المعارف والتى عدها الكثير من العارفين خطوة موفقة من أكبر مفاخر العلم الحديث ، فليس المجال هنا أن نلخص مسائل علمية يعد الدخول فى تفاصيلها من الموضوعات الفنية التى لا تروق غير المختصين ، وإنما غايتنا أن نعرض على القارئ صورة سهلة واضحة هى تلك التى تبقى فى الذهن بعد طول المطالعة وتمثل حقيقة هذه الأسطورة التى تعد من أعظم ما نعرفه فى العلم التجريبى وتوضح هذه التجربة التى حاولنا إعادتها فى يوم لا زال عهدنا به قريباً .

* * *

وموعدى إذن مع القارئ الأسبوع القادم إذ احتاج إلى سبعة أيام لمراجعة أعمال هى عندى نتاج الإنسان الراقى لا عمل

---

(١) قدمنا أن ذرة الهيدروجين تكبر الألكترون حوالى ألفى مرة ، وأنها مع ذلك من الصغر بحيث أن كرة من المعدن قطرها حوالى ٣½ س . م تكبر ذرة الهيدروجين بقدر ما تكبر الكرة الأرضية هذه الكرة المعدنية الصغيرة

(٢) مجموعة للمجلة الفلسفية (.Phil. mag) فبراير سنة ١٩١٠ ص٢٠٩

(١) كتاب الألكترون L'Electron تاليف مليكان ، يجد القارئ النسخة الانجليزية فى معظم المكاتب الأوروبية والترجمة الفرنسية فى مجموعة أميل بورل Emile Borel الطابع فليكس ألكان Felix Alcan وموجودة فى مكاتب باريس والمكاتب المصرية والسورية

(٢) مذكراته للجمعية الفلسفية بكامبردج فى ٨ فبراير سنة ١٨٩٧ محاضر الجمعية الملكية Proceedings المجلد ٩ سنة ١٨٩٧ ص ٢٤٤

(٣) محاضر الجمعية الفلسفية بكامبردج Proc. Camb. Phil. Soc. المجلد التاسع سنة ١٨٩٧ ص ٣٣٣

(٤) المجلة الفلسفية .Phil. mag المجلد ٤٦ سنه ١٨٩٨ ص ٥٢٨

الإنسان المتوحش . ولَشدّ مايغلب على النفس نوع من الاطمئنان عند ما تسوقنا الكتب إلى أعمال هؤلاء الأعلام ، وثمة فارق كبير بين ما نستشعره فى أعماقنا حيال مجهوداتهم وبين ما نلحظه فى مجهودات هؤلاء المتقاتلين ، مهما كان السبب الذى يناضلون من أجله . ما أكثر تعاقب الحوادث هذه الأيام! كل أسبوع تدخل فيه أمة فى الحرب ، ويخيل إلىّ أن سبعة أيام لمطالعة « مليكان » فترة طويلة فى هذا الزمن الكثير المفاجآت ، فإذا لم يقفنا عن عملنا ظرف مفاجئ؛ وإذا ظل السلام مخيماً على ربوع مصر والبلاد الشرقية ناشراً لواءه على ذلك المسكن الواقع فى هذه الجزيرة الهادئة بين النيلين ، وإذا ظل النيل السعيد بهذا البهاء أرصده من هذا المكان ، وظلت الدور هادئة كعهدنا بها ، وظلت السعادة ترفرف على الربوع ودامت لنا رؤية أطفالنا هانئين مرحين ، ولم تلجئنا الظروف إلى أن نبعث بهم إلى الريف البعيد — فإنى مُمضٍ أوقات فراغى هذا الأسبوع لقارئ الرسالة ، أحدثه فى المرة القادمة عن مكنون هذه النشرات ودخائل هذه الكتب ، وسر هذه الأسطورة العلمية ، وبذلك ربما فزت بأن أجمله يعجب بهؤلاء العلماء إعجابى بهم ويشيد معى بذكرهم .

عند ما نطالع العمل المضنى الذى قام به هؤلاء الأعلام ونطالع بعد ذلك أخبار الفواجع التى تغمرنا بها الجرائد وتبعث بها إلينا محطات الإذاعة المختلفة أشعر براحة فى الأولى وامتعاض فى الثانية

فإلى الملوم هذه الأيام المصيبة نقص لك منها أحب سيرها لنزيد إيماننا وإيمانك بمستقبل الإنسانية ومبادىء السلام والعدل . وعسى ألا تفرّقنا الأيام ، فأظل أشتغل ، وأظل أكتب إليك .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

من هنا ومن هناك

حلم ألمانيا

[عن « هاربرز مجازين »]

قال هتلر فى بعض أحاديثه : « إن ضربتى العاجلة ستكون كالنور ينتشر فى الظلام » . وقال جورنج وهو بصدد المفاخرة بالطيران الألمانى فى أزمة سبتمبر المنصرم : « أنتم معشر الألمان تعرفون أن قوة الطيران الألمانى التى لا تقهر أبداً كانت على أتم استعداد ، وكلمة واحدة كانت كافية لإشعال مارج من النيران تبتلع خصومنا ، وما هى إلا ضربة عاجلة ، ولكنها ضربة قاضية لا تبقى منهم باقية » !

ولا شك أن ألمانيا وضعت آمالاً كبيرة فى طيرانها ، واغترت كثيراً بقوتها الحربية ، وقد آذن ذلك الغرور أن يلعب دوراً محزناً فى تاريخها ، على يد الريخ .

فقد وضع النازى كل همهم فى كسب حرب سريعة قاضية بواسطة الطيارات والمصفحات الحربية (تانكس) والغواصات وهكذا يطلبون النصر المعجل فى تلك الحرب السريعة . وتبدأ هذه الحرب – كما يؤملون – بهجوم جوى عنيف تشترك فيه جميع قوات الطيران الألمانى والإيطالى واليابانى – إذا تيسر – على مواطن البحرية البريطانية والفرنسية فى مختلف الجهات ، حتى يدمر ذلك السلاح الذى يعطى الدولتين البحريتين السلطة والنفوذ فى العالم . وفى أثناء هذه الغارة الجوية تنتشر الغواصات الألمانية فى كل مكان ؛ ويعجل بالهجوم على المطارات البريطانية والفرنسية ، ومراكز القوة ، ومصانع الأسلحة ، والمواطن الآهلة بالسكان . ويتبع ذلك الغزو عن طريق الجو ، هجوم عنيف على الأراضى الفرنسية من الناحية البرية فى كل موضع وكل مكان

ولكن هل من الممكن أن يدمر أسطول حربى عظيم بواسطة الطيارات ؟ لقد برهنت التجارب المديدة على أن المدافع المضادة للطيارات تقوم بعملها فى مطاردة الطيارات على أكمل وجه . وقد أرصدت انجلترا خمسين طراداً حربياً للمساعدة فى مكافحة الطيارات وليس لهذه الطرادات القوية عمل غير هذا العمل. على أن الأسطول البريطانى مجهز بقوة من سلاح الطيران معدة لحمايته فى كل وقت. فهل من المعقول أن تغرق جميع السفن البريطانية والفرنسية فى غزوة فجائية تنفذ ألمانيا ومن يعاونها من ذلك الموقف الضعيف الذى يجرعها غصص اليأس ؟

إن قوة البحرية الألمانية ضعيفة جداً بالنسبة للقوتين الإنجليزية والفرنسية . فإذا قامت بمثل هذه التجربة فسترى أنها كانت واهمة ، وأن القوة البحرية ما زالت تلعب دورها التقليدى فى الحروب، وأن مركزها البحرى سينتهى إلى اليأس المحقق

لقد جربت تلك الغزوة الجوية فى برشلونه فى ١٦ مارس ١٩٣٨ فقد استمرت قوة الطيران الإيطالية الرابطة فى ما جوركه تلقى عليها وابلاً من القذائف ثلاثة أيام وثلاث ليال ، وكانت طياراتها تحمل أثقل أنواع القذائف وتلقى بها على تلك المدينة التى يسكنها مليونان من الأنفس ، فماذا كان تأثيرها ؟ لقد قتل فى تلك الغارة ثلثمائة نفس ، ولم تنقطع حركة العمل بالمدينة ، بل لقد ظلت دور السنما مفتوحة الأبواب للرائدين

فحلم ألمانيا بحرب جوية سريعة حلم خلاب ولكنه بعيد عن التحقيق

النازى وطبيعة المرأة

[عن مجلة « تايدين » استوكهلم]

قبل أن يستولى النازى على زمام الأمور فى ألمانيا كان زعماؤه القائمون بالأمر الآن ، ونذكر منهم على سبيل المثال دكتور جوبلز يقولون : « إن المكان الوحيد للمرأة هو المنزل ، فقد خلقتها الطبيعة وأعدتها لحمل الأطفال والعناية بزوجها وبيتها » وذكر « ألفرد روزنبرج » فى الكتاب الذى أخرجه تحت عنوان : (خرافة القرن العشرين) حديثاً عن المرأة قال فيه : « إن نفوذ المرأة فى الدولة يحمل فى طياته أسباب سقوطها ، وكما أن اليهود فى أنحاء العالم يدعون إلى المساواة ، ولا هم لهم فى الحقيقة إلا جلب

المنفعة لأنفسهم ، فالمرأة التى تطالب بالحرية لا تطلب المساواة فى الحقوق كما قد يتراءى ، ولكنها تنشد الصمود على ذمة الرجل . وفى اجتماع للنازى عام ١٩٣٤ قال هتلر نفسه فى حديث موجه إلى النساء والفتيات من حزبه : « إن الرجل عاله الدولة والكفاح؛ أما المرأة فعالها بيتها وأسرتها وأطفالها »

إلا أن هذه الكلمات وما تبعها من الأعمال لم يكن المقصود بها طبيعة المرأة ووظيفتها فى الحياة كما قد يبدو ، ولكنها كانت سياسة مرسومة لمحاربة البطالة ، إذ ما كادت تنصرم تلك الأيام حتى تغيرت الفكرة من الناحيتين النظرية والعملية فلم نعد نسمع أو نقرأ فى ألمانيا كلمة واحدة عن الأمومة وطبيعة المرأة

لقد كان النساء يفصلن من أعمالهن بالمئات فى المدة من سنة ١٩٣١ — ١٩٣٥ بغير رحمة ولا شفقة ، والآن أصبحنا نراهن يسقن إلى تلك الأعمال بالطريقة نفسها . فالنظرية القائمة فى ألمانيا الآن هى نظرية الحرب وحاجة الحرب ، فسواء كانت طبيعة المرأة تدعوها إلى ملازمة المنزل أولا ، فإن النظام القائم يدعو النساء إلى أن يحللن محل الرجال فى أعمالهم التى تخلو باستدعائهم إلى الأعمال الحربية ، سواء أكانوا مطلوبين للخدمة العسكرية أو للعمل فى زيادة السلاح تلك الزيادة التى لا تقف عند حد

وفى ألمانيا الآن كثير من النساء يشتغلن بالأعمال الزراعية الشاقة ، حيث يسقن إليها بطريق العنف والقوة تحت أحكام قانون العمال . ومما يدعو إلى العجب أن بعض هؤلاء النسوة كن يطردن من أعمالهن التى ينشدن فيها الرزق لحماية أنفسهن بدعوى الرأفة بهن فى عهد هؤلاء الذين يسوقونهن إلى الأعمال المرهقة بغير تدبر ولا رحمة .

كل هذا يحدث فى ألمانيا باسم الحرب والتأهب لها . فالنساء والرجال فى ألمانيا يباغتون بقسوة وشدة ، فيفصلون من أعمالهم ووظائفهم التى تعودوها وأحرزوا فيها قصب السبق والنجاح ، ليلحقوا ببعض الأعمال الخاصة بالتسلح والتأهب للحرب، ولا عبرة بما يقال عن إرهاق المرأة وتحميلها ما لا تطيق .

ومما قالته جريدة « أنجريف » فى يولية سنة ١٩٣٨ ، وهى لسان حال الدكتور جوبلز : « يجب أن تشتغل النساء الآن مع الرجال فى أعمالهم . فجسم المرأة مطالب بأن يؤدى للدولة العمل الذى يؤديه جسم الرجل » . ولا فرق بين الرجل والمرأة فى ألمانيا إلا فى أن المرأة تتقاضى ٤٠٪ من الأجر الذى يتقاضاه الرجل .

الساعة الرهيبة فى آسيا

[من مقال بقلم « مدام شيانج كاي شك »]

نحن نخسر كثيراً من المواقع الحربية — ولكننا ولا شك سنكسب الحرب. هذه كلمة قالها أحد ضباط الصين فى العام المنصرم، وهى كما تبدو كلمة كثيرة التناقض ، ولكننا نعيش اليوم فى عالم عجيب ، فالنصر اليوم لا يعنى النجاح ، والتقهقر لا يعنى الهزيمة . وقد يكون اللاشىء معناه الكثرة، وكل شىء قد لا يدل على شىء. فالكلمات تفقد معناها على مر السنين والأيام ، حيث تدركها الشيخوخة .

ونحن فى الصين بعد أن خسرنا عدة وقائع ما زلنا نحس الانتصار على مقربة منا كأننا لم نصادف فى هذه الحرب غير النجاح

ولكن هل يبقى العالم معصوب العينين أمام الحالة التى تعانيها الصين منذ سنتين ؟ هل ينتظر حتى يفنى أبطال الصين على بكرة أبيهم فى ميدان الحروب ثم يفتح عينيه فإذا العالم كله على أبواب خطر جسيم ؟ لقد أفنت الحرب ملايين من أبناء الصين ولم يفطن أحد إلى المثل السامية التى ذهبوا فى سبيلها

فالحرب اليابانية كما هى اليوم ليست إلا مغامرة كبيرة بين اليابان التى تمد نفسها دولة أوربية وبين القارة الغربية

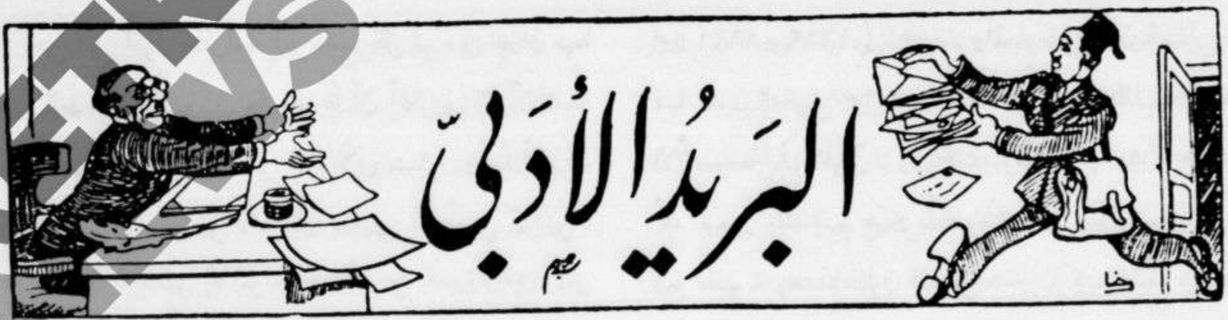
وقد كان فى وسع أوربا أن تقف تلك الحرب الأسيوية التى تنذرها بأشد الأخطار منذ اللحظة التى نشبت فيها بدلاً من تشجيعها وتقديم الوقود لإشعال نيرانها

لقد كان هذا فى الإمكان، بل لقد كان أمراً سهل الوقوع؛ فكلمة واحدة كانت كافية لإنهاء كل شىء . ولكن أوربا لم تدرك بحصافتها أنه متى أذنت الساعة الرهيبة فقد فقدت مركزها فى آسيا

إن الصين لا تستطيع أن تميز بين المبدأين المتقاتلين فى أوربا، ولكنها تستطيع أن تقول اليوم إن أوربا إذا فقدت مركزها فى آسيا لن تستطيع أن تستعيده مرة أخرى

إن الصين تكافح فى حرب غير متعادلة . وهى وإن كانت لا تزال محتفظة بداخلية البلاد ، فقد فقدت كثيراً من مدنها الجميلة ، تلك المدن التى تدين لأوربا فى أنظمتها ومظهرها قد سقطت فى أيدى الأعداء

إننا ما زلنا نؤمل فى أوربا أن تفطن إلى حقيقة الموقف . فقد تستطيع أن تقوم بعمل حاسم لإنقاذ الشرق مما يعانيه



الى الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

السلام عليك ورحمة الله ، وليس يعيب الرجلَ أن يروى خبراً عمن يظن به الثقة إذ الخبر غير صحيح ؛ ولا يعيبه أن ينقد بناء على هذا الخبر ويلوم ، وأن يشتد فى النقد والملام ؛ وليس يعيب الرجل الفاضل أن يسرع إلى بيان الحق متى عرفه ، بل الذى يعيبه ويضع من قدره ألا يفعل ، وهذه الخلة مع الأسف العظيم شائعة فى كثير من نقدتنا ، كأن يروعهم ويتعاظمهم أن يرجعوا عما مضوا فيه ولو إلى الحق الصريح

ولولا ما أعرف يا أخى من نزاهة قصدك وسعة فضلك . وتمكنك من نفسك وضنك بها على كتمان الحق ، ما راجعتك فى شأن ما كتبت من كتاب حضرة الدكتور أحمد عيسى بك ، ولا أطلعتك على ما هو مسجل فى الوثائق الرسمية

فالحمد لله الذى لم يخلف ظنى ولم يخيب رجائى

وإننى أدعو الله جاهداً أن يكثر بين نقدتنا من أمثالك ، ولا أقول إننى أسأل الله شططاً ، وأستغفر الله ، فإننى مؤمن بأن الله على كل شىء قدير

والسلام عليك والشكر أبلغ الشكر لك

عبد العزيز البشرى

لكل سؤال يا بنى جواب

١ — اهتم الأستاذ محمود على قراعة بشرح آراء العلماء فى نعيم الجنة ولم يفته أن يحاول إقناع الأستاذين داود حمدان ومحمد على حسنين بأن نعيم الجنة تغلب عليه النزعة الروحية

وقد كان الأستاذ قراعة فى غاية من اللباقة، فقد رجع بانتظام عن رأيه الأول الذى صرح فيه بأن نعيم الجنة روحى صرف وأن ما جاء فى القرآن من أوصاف النعيم المحسوس ليس إلا رموزاً وإشارات

ونحن لم ننكر أن الجنة فيها نعيم روحى بجانب النعيم الحسى ، وإنما أنكرنا أن تؤول نصوص القرآن تأويلاً تنكره أصول الشرع الشريف

والآن وقد اعترف الأستاذ قراعة بأن القرآن يشهد حقاً بأن المؤمنين سيكون لهم فى الجنة « أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى » الآن وقد اعترف بذلك هل يسمح له ذوقه بأن يحكم بأن الآيات التى تحدثت عن هذه الطيبات تعد من أدب المعدة الذى ينكره الأستاذ أحمد أمين ؟

٢ — صال الأستاذ الغمراوى وجال فى مجادلتنا بالتى هى أقبح ، وشاء له أدبه أن يقول إننا غير متمكنين من علوم الدين ، كأنه صار من علماء العصر والأوان ! ونقول إن دعواه باطلة : فنحن بحمد الله وتوفيقه نعرف من علوم الدين أضعاف ما يعرف الذين يدعوهم الكبر المقوت إلى مجادلتنا فى شؤون الدين وهم لا يعرفون من أصوله بعض ما نعرف

٣ — قدم إلينا الأستاذ على الطنطاوى أربعة أسئلة وهو ينتظر الأجوبة

وكنت أحب أن أسارع إلى إجابته ، ولكنى رأيت أن الأسئلة التى ساقها قد تعرض القراء لفتنة شديدة إن استبحنا الإجابة بلا ترفق وبلا رعاية للمأثور من الأفكار الدينية

وهو نفسه قال « إن مسألة اليوم هينة لا تمس جوهر الدين » فليترك هـذه القضية إلى اليوم الذى نتعرض فيه لشؤون تمس جوهر الدين

وأنا لا أبالى أين يقع قلمى ، ولكن لا بأس من التأسي بالحكمة التى تقول : أترك الشر ما تركك

وهل قلّت اعتراضات رجال الدين حتى تتطوع لتحريكهم يا سيد طنطاوى ؟

على أننى أقول بصراحة إننى أضع كل شىء فى الميزان مهما تقادم العهد عليه . ومن حق شرعاً أن أنظر فى القرآن نفسه بدون اعتماد على أقوال المفسرين ، لأنى مسئول رأساً أمام الله لا أمام النـاس . وليس لأحد أن يطالبنى بأن أومن كما آمن . وهل منحنا الله العقل إلا لنواجه العقائد عن بصيرة ويقين ؟ إننى راض عن طريقتى فى درس الشئون الدينية ، والاحتكام فى فهم الكتاب والسنة إلى المنطق والعقل ، فليقل من شاء ما شاء ، وبالله أعتصم من كيد الخائنين .

زكى مبارك

عود الى اقتباس الكتاب

يذكر قارئ هذا الباب من الرسالة أنى أخذت على الأستاذ إسماعيل أحمد أدهم اقتباسه لبعض ما جرى على قلمى فى حديث الرمزية معنًى ومبنى (راجع الرسالة رقم ٣١٢ ص ١٢٧١) . وقد تعذَّر على المقتبس أن ينكر ذلك ، فقال يعتذر : « إننى حين أكتب بالعربية فأنا أكتب بلغةٍ غير لغتى الأصلية ، ومن هنا بعض ما يجىء على قلمى من التعابير الخاصة لكتاب اليوم استدراكا للمعنى الذى فى ذهنى . . . » (الرسالة رقم ٣١٣ ص ١٣٣١)

والحق أن الأستاذ أدهم يقتبس المعنى فضلاً عن المبنى . ومن مقتبساته الأخيرة أنه أغار على نقدى لكتاب صديقى محمود تيمور وعنوانه « فرعون الصغير » فقد كتبت فى مقتطف يولية الأخير (ص ٢٥٢ أول باب المكتبة) : « فى فرعون الصغير تخف وطأة الواقعية بحيث لا تملك على بعض القصص مداخلها ومخارجها . فنى القصة الأولى وعنوانها « فرعون الصغير » يشغل الخيال المكان الأول حتى إنه يردّ القصة إلى لون معروف هو اللون التخيلى Romanesque ، وفى قصة « المخ المجالى » يسطو اللون الباطنى المستمد من علم النفس الفرويدى Freudisme على المجرى الواقعى للحوادث والأحوال » . ثم كتبت : « بهذه المجموعة من الأقاصيص تأخذ طريقة الأستاذ محمود تيمور ، على ما يبدو للناقد ، فى جهة جديدة . وذلك أن تيمور كان منصرفاً إلى الطريقة الواقعية »

وإليك الآن ما نشره الأستاذ أدهم فى الرسالة (العدد ٣١٩ ص ١٦٢١ و ١٦٢٢) : « . . . وأقصوصة فرعون الصغير يبرز فيها اللون التخيلى Romanische من حيث يتغلب على بناء الأقصوصة الجو الخيالى . وفى الأقصوصة الثانية وهى « غريم » تجد تيمور بك يقيم هيكل أقصوصته على أساس من تنازع العواطف . وهـذا اللون الباطنى ، وإن كان خفيفاً فى هذه الأقصوصة ، فهو يعود إلى علم النفس الحديث ، والتأثر بالفرويدية Freudisme واضح فيها » (ص ١٦٢٢ ع ١ س ٩ — ١٢ ؛ ٢٠ — ٢٤) . ثم كتب : « وهكذا يمكنك أن ترى من مجرى حوادث الأقاصيص أن التخيلية من جهة والباطنية من جهة أخرى أخذت تطغى على الواقعية الساذجة ولكن بدون أن تفوقها وهذا التطور عند تيمور بك طبيعى ... » (ص ١٦٢٢ ع ٢ س ٣ — ٦)

ذلك ما جاء على قلمى فى أول يولية وما جرى به قلم أدهم فى الرابع عشر من أغسطس . والموازنة ميسورة للقارئ

على أنى أظن أن فطنة المقتبس حدثته بأن يبدِّل من الأصل فسخه . ألا تراه ينسب « اللون الباطنى » الذى أصبته فى قصة « المخ المجالى » إلى قصة « غريم » ؟ ثم ألا تراه يجعل الكلمة الإفرنجية Romanische إزاء التعبير العربى « اللون التخيلى » على حين جعلت إزاءه كلمة Romanesque ؟ وكأنى بالمقتبس أراد أن يستر طرفاً من اقتباسه فيأتى بشىء من عنـده ، شأنه مع حديثى فى الرمزية إذ كتب : « لوامع النفس وبوادرها » ، وفى الأصل : « اللوامع والبواده » فأجرى البوادر مجرى البواده (راجع الرسالة رقم ٣١٢ ص ١٢٧٢) . وكما أنه مسخ هذا التعبير من قبل كذلك مسخ نقدى لفرعون الصغير

وبيان ذلك أن قصة « غريم » لا شأن لها باللون الباطنى . وأظرف من هذا استبدال الكلمة الألمـانية Romanische بالكلمة الفرنسية Romanesque المدوَّنة فى نقـدى . ذلك أن الكلمة التى تنظر إلى Romanesque فى اللغة الألمانية هى Romanhaft . وأما Romanische التى أتى بها المقتبس فتدل على شىء آخر . وحسبك أن تعرف أنها تقع صفةً للغات المنحدرة

من اللاتينية كالإيطالية والبرتغالية والرومانية ، وصفةً لفن العمارة فى البلدان اللاتينية من المائة الخامسة إلى الثانية عشرة

والآن دعنى أقص عليك كيف زلّ قلم المقتبس هنا، والقصة مُلحة ، والملح فى هذه الأيام السود من نعم الله

قرأ المقتبس فى المقتطف كلمة Romanesque إزاء هذا التعبير : « اللون التخيلى » ، فقال فى نفسه : أُغير على التعبير العربى ، لأن العربية ليست لغتى الأصلية وفى ذلك معذرة ، ولكنى أبدل الكلمة الفرنسية . وإذ المقتبس لا يعرف من الفرنسية إلا الشىء القليل كما بيّنتُ فى الرسالة (رقم ٣١٤) والمقتطف (أغسطس ١٩٣٩) طلب معنى الكلمة الفرنسية فى معجم انجليزى ، ظناً منه أن الكلمة بمعنى واحد فى اللغتين لأن هجاءها واحد فيهما . ولكن كيف يأتى المقتبس بشىء من عنده وهجاء الكلمتين واحد ؟ فتحوّل إذن إلى اللغة الألمانية وطلب فى معجم من معجماتها ما ينظر إلى الكلمة الإنجليزية : Romanesque فسقطت له كلمة Romanische وذلك لأن Romanesque الإنجليزية تقع فيما تقع صفةً لفن العمارة المذكور فوق هذا الكلام ، وللغات المنحدرة من اللاتينية

بشر فارس

بين الدكتورين بشر وأدهم

أرسل إلينا منذ أسبوعين الدكتور اسماعيل أدهم رداً مسهباً على الدكتور بشر فارس جمله فصل المقال فيما شجر بينهما من خلاف ، ولعلنا نستطيع أن ننشر شيئاً منه فى العدد المقبل .

حول الشراة

جاء فى الرسالة عدد ٣١٨ فى (خليل مردم بك) لأستاذ جليل هذه الكلمة :

« ولولا أن يغضب أو أن يشرى صاحبنا الأستاذ أبو اسحق اطفيش نزيل القاهرة ، ومن علماء إخواننا الأباضية وفضلائهم لشننا على (الشراة) غارات ، وفندنا (مقالاتهم) الخارجية بمقالات فى (الرسالة الغراء) متلاحقات »

أيها الأستاذ الجليل — إنى أُنزهكم أن تتركوا ما تعتقدونه حقاً لغضب أستاذ أو صاحب . وهل يصح للموازنين والنقاد الذين يسخطهم تفضيل شاعر على شاعر بباطل أو باعتقاد أنه باطل — إهمال فريق من الأمة له تاريخه وماضيه المبنيان على أساس مفند ؟ سامح الله الأستاذ زكى مبارك فقد باع جميع أصدقائه لقولة حق يقولها أو فكرة يعتقد صوابها ، فأرانا كيف تنبذ الصداقات وتتضاءل قيم الرجال بجانب الحقائق

أنا أعتقد أن الأستاذ أبا اسحق لن يغضبه ما تكتبه ، كما أعتقد أنه سيرد عليك إن تنكبت السبيل السوى

إن الأستاذ ابراهيم اطفيش كغيره من الأباضية ليسوا فئة متعصبة لرجال أو طوائف على بطلان وضلال ؛ وإنما يتعصبون لحق يرونه مع إمام أو طائفة ، فإذا اتبعوا مذهباً أو أخذوا بقول إمام – فلأنهم درسوه فوجدوه صحيحاً فاتبعوه. ولو أبنت لهم اليوم بطلان ما يذهبون إليه لنبذوه ورجعوا إلى الحق . ولا تخش أن تلاقى منهم عناداً ومكابرة ؛ وإنما عليك بالحجة تجدهم لك أطوع من البنان

فأقدم أيها الأستاذ على عملك ، ولا تخش غضباً ، ما دمت مع الحقيقة والواقع

الشراة – يا أستاذ – طائفة من الناس حيروا العالم ودوخوا الدنيا وملأوا كتب التاريخ ولم تخلص حقيقة القول فيهم إلى اليوم . ولقد يسرنا جداً أن تكتب فيهم مقالات متلاحقات تظهر ما انبهم من أمرهم وجار من حكمهم وزاغ من عقائدهم ، فتكون بذلك من المحسنين إلى التاريخ والحقيقة ، ومن المحسنين إلى الشراة وأتباع الشراة

ولقد يسرون — وهم فى الأجداث — بما تكتبونه لأنكم تطلبون حقا – وقد كان شعارهم طلب الحق ؛ فإن فعلتم أسديتم إليهم وإلينا جميلاً تطوق به الأعناق إلى يوم يحاسب على الجميل و (لا حكم إلا لله) . وهل أجمل من إظهار حق غمطته السنون وغمرته (مقالات خارجية) مدة ثلاثة عشر قرناً ؟

أرانى قد أطلت وجرنى الحديث إلى ما ليس من غايتى ،

فهل تسمحون أن أطلب إليكم إظهار اسمكم ، فلطالما رغبت في معرفتكم ، وكيف لا أرغب وقد كشفتم لنا ببحوثكم القيمة أنواعاً من حقائق أخفاها الدهر مما يدل على عظيم اطلاعكم وحسن تمحيصكم ... وتقبلوا خالص احترامي ...

القرارة : (جنوب الجزائر) على معمر الطرابلسي

برنامج وزارة الشئون الاجتماعية

وافق حضرة صاحب المعالي الأستاذ عبد السلام الشاذلي باشا وزير الشئون الاجتماعية على برنامج هذه الوزارة. ونحن نذيع نصه الكامل فيما يلي لاتصاله الوثيق ببرنامج الرسالة وهو :

١ — وضع تشريع لإلغاء البغاء ومحاربة الدعارة السرية

٢ — العمل على إنقاذ الفلاح وإسعاده من طريق التعاون الإجباري وإنشاء بنك للتعاون المركزي

٣ — وضع تشريع لحماية الطفولة المشردة يراعى فيه سلب الولاية من الآباء غير الصالحين للاشراف على أولادهم

٤ — وضع تشريع لصيانة النسل وذلك بوضع رقابة خاصة على الحالة الصحية للأزواج قبل عقد الزواج بقصد العمل على إعداد جيل قوى شديد

٥ — وضع تشريع لمنع الأطفال والبنات إلى سن معينة من التردد على السينما إلا في حالة عرض أفلام تعليمية تهذيبية أو أفلام خالية مما يؤثر تأثيراً سيئاً في الأخلاق ومنعهم من ارتياد محلات الخمور وصالات اللهو وأمكنة القمار ومنتدياتها

٦ — وضع تشريع لمقاومة التسول والقضاء على أسبابه

٧ — الانتفاع الكامل بالإذاعة والعناية بنشرها في القرى لكى تتصل الحكومة بالفلاحين اتصالاً مباشراً وذلك بأن يخصص لهم برنامج خاص يبدأ بالقرآن الكريم ثم بنصائح صحية وزراعية وأخلاقية واجتماعية ، وكذلك بعض أسباب التسلية التي تسرى عنهم وتتفق مع حالتهم

٨ — العمل على توحيد موارد الإحسان وجمعها وتوجيهها الوجهة النافعة ، وتنظيم الجمعيات الخيرية والاجتماعية بما يكفل إنمائها وبقاءها وتوجيهها الوجهات الخيرية الملائمة لحالة البلاد الاجتماعية

٩ — محاربة البطالة وتوجيه الشباب إلى العمل الحر وتحسين حالة العمال وتنظيم شؤونهم ورفع مستوى معيشتهم

١٠ — بحث حالة السجون وتوجيه نظمها وجهة اجتماعية صحيحة ، واستخدام المسجونين في أعمال التعمير كإصلاح الأراضي الحكومية والعمل على عدم عودتهم للإجرام وذلك بمعاونتهم بعد انتهاء مدة العقوبة على كسب عيشهم من طريق شريف

١١ — توجيه الشعب توجيهاً يحقق وحدة البلاد وتمكين روح الإخلاص والتضحية للوطن والعرش والعمل على سلامة الأخلاق وتقوية الروح القومية وروح التعاون والاقتصاد بين طبقات الشعب بوسائل الدعاية المختلفة كالصحافة والخطابة والتمثيل والسينما

١٢ — الأخذ بالروح الصحيحة للتعاليم الإسلامية للوصول إلى مقاومة فوضى العلاقات الزوجية وما يترتب على هذه الفوضى من تفكك روابط الأسرة وانهيار العائلة

١٣ — تنظيم النشاط الرياضي للشعب وتنظيم أوقات الفراغ واستثمارها

١٤ — توجيه بوليس الآداب للعمل على صيانة الآداب العامة ومحاربة البدع السيئة والمنكرات في غير تعسف ولا جمود وزيادة قوته ليستطيع مواجهة هذه الأعمال

١٥ — بحث توحيد الزى وتحسينه بما يلائم أحوالنا وعاداتنا وجو بلادنا

لا تقولي نسيت

في قصيدتي « لا تقولي نسيت » التي تفضلتم فنشرتموها برسالة الأسبوع الفائت ورد هذا البيت :

من له .. آه .. من لأنغامه السود إذا شبت الليالي شجونه ؟

والبيت يا سيدى ليس لى إلا قافيته ، بل هو لصديقنا شاعر الشباب الأستاذ محمود حسن إسماعيل ... وقد نسيت أن أقوس عليه . لذلك وجب التنبيه

عبد العليم عيسى

سؤال ؟

إلى (الأستاذ الجليل) اللغوى الكبير ***

تحية طيبة؛ وبعد فهذا سؤال فى نظرى عويص سألنيه صديق فعجزت عن الجواب عنه بعد أن بحثت فيما لدى من المعاجم ، فلم يسعنى إلا أن ألجأ إليكم للإجابة عليه وهو :

تسمى العرب فاقد البصر أعمى ، وفاقد السمع أصم ، وفاقد الشم أخشم . فماذا يسمى فاقد الذوق ؟

أرجو الجواب على صفحات رسالتنا المحبوبة ولكم الشكر

ع . م . ع

كتاب البستان

أعاد الناشر المعروف (مكميلان) طبع كتاب البستان لأديب العربية الأستاذ الجليل والعلامة المحقق محمد إسعاف النشاشيبى بك. فرأينا أن نطرف قراء الرسالة بمقدمته ليعرفوا طريقته فيه وغايته منه . على أن من قرأ مقالات النشاشيبى لا ينكر علمه وفضله ، ومن تتبع نقل الأديب للنشاشيبى لا يجهل ذوقه وعقله

***

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على محمد

ما الكبير بأحق بالعناية بشأنه من الصغير . وليس الشادى بأحوج إلى كتب فى العلم والأدب يحتفل فيها العلماء من البادى . بل الثانى فى هذا الأمر هو الأول ، (والأهمُّ مقدَّم) وإن على الذى يُلقنه فى بدء تثقيفه المعوّل . وقد فطن لذلك فريق من عرب الدهر القديم وإفرنج هذه العصور ، فخصوا تلك الطائفة من الطلاب بكتب جمة محكمة ، وشرعوا لها فى التهذيب شرائع بينة ؛ فمشى الطالب فى طريق معبد حافظ[1] . وإنى لما تقربت إلى عربيتى بتأليف مجموعتى (مجموعة النشاشيبى) لكى يرويها نشء العرب ، ويستظهرها الشادون من الطالبين ، رأيت أن أجمع (لتلاميذ المدارس الأولية والابتدائية) أقوالاً قديمة عربية غير منقولة عن لغة غربية « ومن ورد البحر استقل السواقى ، ومن لقى جالينوس استجهل الرواقى[1] » وقد تحريت أن يدنوَ إليهم منالها ، وتسهل لهم معانيها ، ولا يلؤم نظمها وسبكها . والكلام يلؤُم (يا فتى) كما يلؤم المرء ، واللؤم شر الخلائق ، واللئيم شر الناس ، ولا خير فى قول لم يكرم لفظه وتأليفه ، وإن اجتافته حكمة الحكيم . وقد ضل السبيل جل الجامعين ولم يسلك النهج إلا الأقل . وظنى أن سينشط ذهن الطالب الصغير لما أطرفته إياه فلا يجهد يوم الاستظهار نفساً ولا يدهمه ما لا يفهمه إلا من بعد سنين . ولله (القاضى أبو بكر بن العربي) الذى عيَّب فى (كتاب رحلته) سنة المؤدبين فى تدريس الصغار (الكتابَ) الكريم المعجز ودلهم على المهيع المستبين . فقد تنبه على هذا الأمر الجلل والقوم رقود ، وهدى إلى الحق وهم فى ضلال بعيد[2] .

محمد اسعاف النشاشيبى

(١) فى الأساس : من المجاز طريق حافظ واضح . قال النضر : هو البين يستقيم لك ما استقمت له. فأما الطريق الذى يقود اليومين ثم ينقطع فليس بحافظ

(١) فى الصحاح : امرأة راقية ، ورجل راقية ، والهاء للمبالغة ، والرقية العوذة

(٢) اخترت شعر هذا الكتاب ونثره من مؤلفات ودواوين ومجاميع كثيرة ، ورجعت فى التفسير والضبط والتحقيق إلى كتب اللغة والأدب والشروح العظيمة المشهورة . واستعنت بالله



من التاريخ

النهضة المسرحية فى مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

رواية الذبائح

كانت رواية غادة الكاميليا خيراً وبركة على المسرح المصرى وبسببها اتجهت الأنظار إلى فرقة رمسيس ، وارتفع قدرها وكبر شأنها ، فازداد النشاط فيها وعظم الإنتاج .

ولا نتعرض للعدد الوفير من الروايات التى أخرجتها ، فإن هذا ليس سبيلنا ، وإنما يكفى أن نضع أمام نظر القارئ أسماء بعض هذه الروايات :

غادة الكاميليا ، المجنون ، كرسى الاعتراف ، الاستعباد ، الذبائح ، ناتاشا ، الجبار ، راسبوتين ، توسكا ، الصحراء ، فيدورا ، إنتقام المهراجا ، القضية المشهورة ، ملك الحديد ، النسر الصغير ، الولدان الشريدان ، الذهب ، فى سبيل التاج ، عطيل ، يوليوس قيصر ، المائدة الخضراء ، جاك الصغير ، الشرك ، البرنس جان ، نيرون ، لوكاندة الأنس ، حانة مكسيم ، الرئيسة ، القبلة القاتلة ، الفريسة . . .

وليست هذه الروايات إلا قليلاً من كثير أخرجته الفرقة فى أعوامها الأولى التى نالت فيها نجاحاً منقطع النظير فى تاريخ المسرح المصرى

وكما كانت (غادة الكاميليا) سبباً من أسباب اهتمام الجمهور بالمسرح كذلك كانت رواية (الذبائح) ، بيد أنه كان لهذه أثر يخالف تلك ، ونتائج خطيرة غيرت من اتجاه سير النهضة وقلبتها رأساً على عقب .

لم تكن الذبائح رواية عادية ، بل كانت حدثاً فى تاريخ التأليف المسرحى ، فاللغة التى كتبت بها غريبة كل الغرابة ، هى لغة عامية صيغت فى ألفاظ ومعان عربية ، أو دخلت عليها ألفاظ ومعان أرقى من مستواها اللفظى ولهجتها الشاذة ، وهى بعد ذلك ذات رنين عجيب ، أحياناً تراها كأنها نوح النائحات ، وأحياناً تسمعها كأنها شدو الحمائم ، وأحياناً أخرى تنظرها فكأنها حكم وأمثال للحكيم سليمان أو لغيره من الحكماء ، ثم لا ترى بعد هذا أنك فى جو تعرفه ، ولا تشعر أنك فى حياة ألفتها ، بل أنت فى دنيا غريبة وحياة غريبة ، وبين أشخاص غرباء ، كأنهم خارجون من القبور ، أو آتون من بعيد حيث الظلام الدامس يعم الأرجاء ، والغموض والإبهام يلابس الأشياء . هم مخلوقات آدميون فى الظاهر لكنهم ليسوا من أهل هذه الدنيا . لعلهم من سكان المريخ ، ولعلهم من سكان غير المريخ من هذه العوالم التى تجرى فى نظامها الرائع مع أرضنا سيدة هذه العوالم بلا منازع .

فلم يكن غريباً أن يكون لهؤلاء الأشخاص أثر فى الجمهور ، ولم يكن غريباً أن يفتتن بهذه الرواية الناس ، وأن يترنم بعضهم بألفاظها الغريبة فى منتدياتهم ، حتى فى الطرقات كان البعض ينادى أمينة رزق وفتوح نشاطى بطلى الرواية بتلك اللهجة الغريبة التى تقرع الأسماع .

وكما أثرت الذبائح فى عقول الجمهور ، كذلك أثرت فى عقول أصحاب المسرح وسادة النهضة فيه ، وبدأ يوسف وهبى ينسج على منوالها ، فكتب (الصحراء) ، بيد أنه حاول إخفاء الحقيقة فكتبها بلغة عربية ليدخل فى روع الناس أنه غير مقلد على حين أن كل شيء فيها قد نم عن تأثر صاحبها بالذبائح وأسلوبها ولهجتها وما فيها من بكاء وعويل .

(للكلام بقية)

ملاحظات

اختيار الروايات في الفرقة القومية

نعود إلى هذا الموضوع فنقول إن رواية (محمد على الكبير) التى قبلتها لجنة القراءة وقبض أصحابها ثمنها قد رفضها أفراد الفرقة لعيوب فنية وموضوعية لمسوها فيها ، فالرواية عبارة عن عرض تافه لسيرة منشئ مصر الحديثة، وهو عرض غير جدير بذلك البطل الذى أظهره المؤلفان بمظهر السفاح الذى يجتذب إليه أعداءه ليغدر بهم ، هذا إلى أنها من الوجهة المسرحية لا قيمة لها وهنيئاً للمؤلفين ما قبضا من ثمن !

خطوة مباركة

علمنا من مصدر نثق به أن لجنة من الممثلين والمخرجين بالفرقة القومية قد عهد إليها بصفة غير رسمية قراءة الروايات التى تقدم للفرقة وانتخاب ما يصلح منها لعرضه على اللجنة الرئيسية . وهذا بلا شك يعد خطوة مباركة لها ما بعدها من نتائج حاسمة فى اختيار الروايات الذى يعد عقدة العقد ولغز الألغاز فى هذه الفرقة . ونحن نرحب بهذا العمل ونرجو أن يصبح رسمياً على أن ينضم إلى هذه اللجنة التمهيدية فريق من النقاد للانتفاع بخبرتهم ودرايتهم بشئون المسرح .

سراج منير

ترامى إلينا أن الأستاذ فتوح نشاطى توسط فى الصلح بين الأستاذ سراج منير وإدارة الفرقة القومية ، فعاد سراج إلى عمله كمخرج وبدأ فعلاً فى إخراج (مصرع كليوبطرة) ، ونحن نحمد هذه الروح التعاونية بين أفراد الفرقة ونتمنى دوامها .

الفرقة الموسيقية

يقولون إن هناك فكرة لتوفير أكبر عدد ممكن من أفراد الفرقة الموسيقية التى تعمل مع الفرقة القومية .

وبهذه المناسبة نذكر أن عدد أفراد هذه الفرقة ١٥ عازفاً، وهم يكلفون الفرقة القومية ألفاً من الجنيهات كرتبات

وفى الواقع أن الفرقة القومية ليست فى حاجة إلى فرقة موسيقية بهذه الضخامة لأنها لا تخرج روايات أوبرا أو أوبريت

مصر الخالدة

قدم الأستاذ فتوح نشاطى إلى إدارة الفرقة القومية ، رواية (مصر الخالدة) ، وهى مأساة فرعونية أشاد فيها بالعبقرية المصرية القديمة

الإخراج فى الفرقة القومية

بدأ العمل فى إخراج الروايات وتوزيع الأدوار على النحو الآتى :

عهد إلى الأستاذ فتوح نشاطى إخراج الروايات الآتية :

(ماريا) ، وهى درامة اسبانية عنيفة تصور رجلين يتنازعان حب امرأة .

(الأمل) ، وهى رواية مقتبسة بقلم الأستاذين : سليمان نجيب وعبد الوارث عسر ، وهى عبارة عن تصوير للجيل الحاضر الذى يريد أن يشق طريقه إلى الحياة بصدق وعزم ، دون أن يأبه للتقاليد الموروثة .

وعهد إلى الأستاذ عمر جيبى بإخراج (امرأة تستجدى)

كما عهد إلى الأستاذ سراج منير بإخراج (مصرع كليوبطرة)

وبهذه المناسبة نذكر أن الروايات الثلاث (ماريا) و(مصرع كليوبطرة) و(الأمل) قد وزع أدوارها المسيو فلاندر

ثقافة مخرج

كتب أحد المخرجين كلمة يدافع بها عن السيدة فاطمة رشدى فى نوعها الجديد حيث هبطت إلى فن الصالات فقال : إن موليير حين طرد من فرقة الكوميدى فرانسيز افتتح مقهى أمام المسرح وكان الممثلون يأتون إليه ذرافات ووحداناً يتناولون عنده شرابهم وطعامهم ، فلما سويت الأمور بينه وبين إدارة الفرقة بعد سنوات عاد إليها ولم يكن فنه قد تأثر بإدارة المقاهى

وللحقيقة والتاريخ نقول : إن موليير مات قبل إنشاء فرقة الكوميدى فرانسيز ببضعة أعوام لعلها خمسة ، وأن موليير لم يفتح مقهى وإنما كان صاحب مسرح اسمه (مسرح موليير)

ولسنا نعيب على مخرجنا الجهل ، وإنما نعيب عليه التبجح فى إيراد هذا الدفاع وهذا الدليل الذى لا يأتيه الباطل !

(فرعون الصغير)

أخبار سينمائية



« شارل بوابيه وجريتا جاربو » . فى رواية (مارى والوسكا) التى قام فيها شارل بدور (نابليون) وجريتا بدور (صديقته) . وقد زعم بعض النقاد أن شارل تغلب على جريتا فى هذه الرواية والصحيح أن شخصية نابليون كانت أقوى من شخصية مارى والوسكا . وبهذا طغت شخصية شارل على شخصية جريتا .

كارول لومبارد

يقول أصدقاء وصديقات كارول لومبارد إنها ستعتزل السينما لتكون زوجة كلارك جابل

ومع أن للحياة الزوجية جمالها إلا أننا نشك كثيراً فى أن ممثلة عظيمة مثل كارول لومبارد فى إمكانها أن تستعيض عن مجدها بحياة منزلية مهما بلغ من سعادتها . إنها إحدى ملكات السينما فكيف ترضى بالنزول عن عرشها بهذه السهولة . لقد جربت كثيرات غيرها هذه التجربة فعدن بالفشل الذريع



نلسون أدى وجانيت ماكدونالد نجما شركة مترو جولدوين ماير ومن أبرع المغنين فى العالم ظهرا معاً فى روايات موسيقية كثيرة آخرها (روزالى) التى عرضت فى بداية الموسم الماضى . وأشهرها (أيام الربيع) التى ما تزال تعرض حتى الآن فى دور السينما الصيفية

جمال الساق

جمال الساق فى عالم هوليود من شرائط الجمال الأولى . والمقاييس لجمال الساق تحتم أن تكون كما يأتى :

الكاحل : ثمانى بوصات ونصف — سمانة الرجل : اثنتا عشرة بوصة ونصف — الفخذ : تسع عشرة بوصة ونصف

ويقولون إن سر جمال السيقان هو فى الرياضة والمشى العادى

والشهيرات بجمال السوق فى هوليود هن : كلوديت كولبيرت جنجر روجرز . أليس فاى . ألينورا باول . بيتى جرايل . مارلين ديتريش



« كونستانس بينيت » نجمة مترو جولدوين ماير . وكانت يوماً ما الممثلة الأولى فى هوليود وما زالت تحتفظ ببعض مكانتها فيها وتظهر فى روايات قوية . وهى تعد فى الطليعة بين قائدات المودة فى مدينة السينما



« مارجورى ويفر » التى نالت عقداً سينمائياً عن طريق التربع على عرش الجمال . فقد تسارعت إليها الشركات السينمائية بعد أن أصبحت ملكة للجمال فى أمريكا ، واستطاع دافيد زانيخ أن يقتنصها ويعطيها دوراً فى رواية (شهر العسل الثانى)

7me Année No. 326

Lundi - 2 - 10 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٢٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهــــــرس

قالوا استقال طلعت حرب !

قلنا وكيف يستقيل طلعت حرب من عمل هو فكرته وكلمته وطريقته وغايته ورمزه ؟ إن فى الاستقالة معنى التفريق بين العامل والعمل ، ينتسب إليه ما دامت يده فيه ، فإذا خلاه لسبب من الأسباب أصبح غريباً عنه ؛ ولكن طلعت حرب معناه بنك مصر وشركات مصر واقتصاديات مصر ، فلا تجد بين اسمه وبين هذه الأسماء تفاوتاً فى الدلالة لا فى الذهن ولا فى الخارج . فالتعبير بالاستقالة عن راحته الضرورية بعد الجهاد الطويل والجهد الثقيل والحركة الدائبة تعبير مباين لوجه الصواب فى اللغة وفى الواقع

إن طلعت حرب موجود فى مؤسساته وجود الروح فى الجسم العامل ، لا ينفك عنها ما دامت قائمة ؛ وقيامها الثابت بمآثرها ومظاهرها وإنتاجها تماثيل خالدة لهذا الزعيم الوطنى العبقرى الموفق . وإذا حق للتاريخ أن يجادل فى أقدار العظماء وآثار الزعماء الذين برزوا فى ميادين النهضة المصرية الحديثة، فإن قدر طلعت حرب، وأثر طلعت حرب، لا يمكن أن يكونا فى يوم من الأيام مثار جدل ولا موضع شك . وإذا جاز للتاريخ أن يعزو نجاحنا السياسى إلى أسباب خارجية أهمها اضطراب العالم واصطراع الدول ، فإنه لا يستطيع أن يعزو نجاحنا الاقتصادى إلا إلى عوامل داخلية أولها وأهمها كفاية طلعت حرب، وجهاد طلعت حرب!

ولقد كان هذا النجاح الاقتصادي الماثل في بنك مصر وشركات مصر هو وحده الحجة الناهضة على رشد هذه الأمة الكريمة: رحض عن سمعتها الأذى، ودحض عن كفايتها التهم، وجلا عن نهضتها الشكوك، وبدد عن مستقبلها السحب؛ لأنه نسق من الضرورة والقدرة والنظام والثقة لا يقوم على الهوى، ولا ينتظم على الطيش، ولا يدوم على الفساد، ولا يتقدم على العجز، ولا يبلغ شيئاً وراء الزعامة المترددة. ثم انتشر هذا الفوز الاقتصادي وانبسط أفقه واتسع مداه حتى أصبح نهضة اجتماعية شملت مرافق البلد من كل نوع، وتناولت أمور الناس من كل جهة: أجْدت على العلم ففتحت له أبواب العمل، وعلى التعليم فمهدت له سبل التطبيق؛ وعلى الأدب فاستعملت اللغة في أعمال المال، ونشرت الثقافة بالطباعة والإذاعة والتمثيل؛ وعلى الأخلاق فأحيت في الرجال الثقة وقوّت في الشباب الرجولة؛ وعلى الاجتماع فوقت الأمة شر العطلة المجرمة والأزمة المستحكمة باستخدامها الألوف من الموظفين والصناع والعمال في شركات البنك وفروعه؛ وعلى القومية فخلقت الروح الجماعية بإنشائها الأعمال التي تقوم على رءوس المال وتَوَزُّع العمل وتساند القوى وتضامن الجماعة؛ وعلى السياسة فكفكفت عنها شِرّة النفوذ المالي الأجنبي بمنازلتها الجريئة له في ميادينه القوية الحصينة؛ وعلى الإسلام فساعدت على إقامة ركن من أركانه، وكشف الضر عن منزل وحيه وقرآنه؛ وعلى وحدة العرب فوصلتها بأسباب التعاون ووثّقتها بسلاسل الذهب. والاقتصاد اليوم وقبل اليوم كان دستور الحياة وعلة السعي لها وغاية الجهاد فيها، فلا بدع إذا أثر في كل شيء، وعمل في كل حركة، وهاج في كل ثورة، وصاح في كل نهضة

* * *

ذلك هو مدى الاستقلال الاقتصادي الذي يتبوأ عرشه اليوم طلعت باشا حرب، والشعب كله على عُدْوتي واديه يعتقد له الحب، ويعرف له الجميل، ويخلص له الشكر، ويختلف في كل شيء إلا في فضله. وتلك منزلة من تكريم الله وتقدير الوطن لا يبلغها إلا الأفذاذ المخلصون الذين شغلهم حب الخير ففكروا وأملوا، ثم آمنوا وعملوا، ثم استمسكوا بروح الله وقوة الأمة على عصف الخطوب وإلحاح المكايد، حتى استقر بهم الإيمان على الفوز، واستقام بهم الإخلاص على الطريقة؛ فكانوا مثلاً للجهاد الصابر المثابر الذي يتلمس القوة من جوانب الضعف، ويتطلب الكثرة من أشتات القلة، ويخلق النجاح اليقين من أحاديث المنى، ويرفع في معترك الشُّبه والظنون هذا الصرح الباذخ فيكون قاعدة للمصلح ومنارة للمتخلف ومثابة للشريد

فليت شعري هل تملك الأحوال الحاضرة أن تعوقنا عن أداء الواجب الوطني لهذا الرجل العظيم؟ إنا لا نريد أن نقدم إليه ثروة ولا عمارة ولا شارة؛ إنما نقترح أن تجعل له الأمة يوماً من أيامها الغر الحوافل، تفد عليه فيه طوائفها المختلفة من زراع وصناع وتجار وموظفين وطلبة، فيقدمون إليه شكران الوطن منظوماً في عقود الزهر، وقصائد الشعر، وهزج الأناشيد، وحماسة الهتاف، ليشعر هذا المجاهد البطل، وهو ينفض غبار المعارك الغالبة عن جبينه المتوج، ويمسح أذى السنين الناصبة عن جسده المهدود؛ أن الأمة التي شغل بنهضتها فكره، وقضى في خدمتها عمره، وأنفق في سبيلها قواه، لم تفرط في جانبه، ولم تقصر في واجبه، ولم تَعْدُها عن شكر أياديه عوادي الخطوب الراصدة

ذلك الشكر الوطني العلني الحاشد هو في رأينا خير ما يقدم اليوم إلى رجل مثل طلعت حرب غمره خير الله حتى شَرِق به، ولزمه مجد الحياة حتى غَرِض منه، وخدمه سلطان الجاه حتى زهد فيه؛ فلم يعد يطمع إلا في خفقة الحب من فؤاد شاعر، وتحية الإخلاص من لسان شاكر

* * *

أما قيام حافظ عفيفي على ما أسس وشاد طلعت حرب، فذلك هو ضمان الله وأمان القدر. لأنه بإجماع الرأي أجدر من في مصر لخلافة الزعيم العظيم، وما رأينا الناس يُخلدون بثقتهم بعد طلعت حرب إلا إليه، لاعتقادهم أنه كذلك رجل إنشاء وعمل، وصاحب رأي وعزيمة، ورسول إصلاح وخطة، ولم يتول عملاً من الأعمال إلا وضع فيه النظام والدقة والثقة والنزاهة. وكذلك عوّد الله الكنانة أن يلطف بها في القضاء ويُخلف عليها في القدَر!

احمد حسن الزيات

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

– ١٧ –

أراد صاحبنا أن يقسِّم الأدب إلى قسمين : أدب تركيبىّ وأدب تحليلىّ ، ثم بنى على هذا التقسيم أحكاماً خواطئ ، كعادته فى كل ما يتناول من الشؤون الأدبية

وإلا فمن الذى يصدق أن التشبيهات تُعاب بحجة أنها صور تركيبية ، وبحجة أن الأمم لا تهتم بالتشبيهات إلا فى حالتها الفطرية؟

إن أحمد أمين أفرط فى تحقير التشبيه أقبح إفراط ، ونسى أنه عملية ذهنية تشهد بقوة الذكاء ، ودقة الملاحظة ، والقدرة على ضمّ الصور بعضها إلى بعض

ولو جارينا أحمد أمين فى أحكامه الجائرة لأغضينا عن جمال التصوير فى قول ابن المعتز :

لا مثلَ منزلة الدويرة منزلٌ ... يا دار جادكِ وابلٌ وسقاكِ
بؤساً لدهر غيرتك صروفهُ ... لم يمح من قلبى الهوى ومحاكِ
لم يحلُ للعينين بعدك منظرٌ ... ذُمّ المنازلُ كلهن سواكِ
أى المعاهد منك أندب طِيبهُ ... ممساك بالآصال أم مغـداكِ
أم بَرد ظلك ذى الغصون وذى الجَنَى ... أم أرضــك الميثاء أم ريّاكِ
فكأنما سُطِعتْ مجامر عنبر ... أو فُتّ فار المسك فوق ثراكِ
وكأنما حصباء أرضك جوهرٌ ... وكأن ماء الورد دمع نداكِ
وكأنما أيدى الربيع ضحيّةً ... نشرتْ ثياب الوشى فوق رُباكِ
وكأن درعاً مُفْرغاً من فضة ... ماء الغدير جَرتْ عليه صَباكِ

وقد أشرنا من قبل إلى أن أحمد أمين يرى التشابيه ضرباً من الألاعيب ، وليس من الكثير عليه أن يرى ذلك فقد رأيتم فيما سلف وسترون فيما بعد أن للرجل طريقة فى الفهم تخالف طريقة أهل الأدب

وأدعم هذا الهجوم بالشاهد الآتى لتسقط حجة من يدّعون أننا نظلمه ونتناسى مكانته الأدبية

قال أحمد أمين إن الأدب العربى جنح إلى التركيب وغفل عن التحليل ، وكان دليل ذلك عنده « أن علماء البلاغة العربية عُنُوا بالإيجاز أكثر من عنايتهم بالإطناب ، وأعجبوا بجوامع الكلم أكثر من إعجابهم بالكلام الطويل المنبسط ، بل إن بعضهم كأبى هلال العسكرى فهم أن الإطناب تكرار المعانى وطول الألفاظ ، وقال : « إن كتب الفتوح وما يجرى مجراها مما يقرأ على عوامّ الناس ينبغى أن تكون مطوّلة مُطنباً فيها » فكأنه يريد أن يجعل الإطناب أدب العامة ، والإيجاز أدب الخاصة »

ذلك كلام أحمد أمين ، وهو يدل على أنه لم يفهم كلام أبى هلال وإليكم البيان :

إن كلام أبى هلال معناه أن الكلام له مقامات ، فإن خاطبت رجلاً ذكياً فأوجز : لأن الإطناب فى مخاطبة الأذكياء يعدّ من التطويل وهو فضول ، وإن خاطبت الجمهور فأطنبْ : لأن الجمهور مكوّن من عناصر كثيرة تتفاوت فى الفهم والتمييز والإدراك ، والحزم يوجب أن نطنب حين نخاطب الجماهير لنصل إلى إفهامهم ما نقصد إليه من المعانى والأغراض

ذلك معنى كلام أبى هلال، فهو لا يريد أن يقول بأن الأدب يكون أدب خاصة عند الإيجاز وأدب عامة عند الإطناب ، وإنما يريد أن يحدد واجب الشاعر والكاتب والخطيب ، ودليل ذلك أن علماء البلاغة مجمعون على أن الإيجاز فى مخاطبة العامة خطأ ، والإطناب فى مخاطبة الخاصة ضياع

وعلى ذلك يكون شرف البيان موقوفاً على فهم مقتضيات الأحوال ، فالأديب الذى يوجز حين يخاطب الخاصة ليس أعلى منزلة من الأديب الذى يطنب حين يخاطب العامة ، كما يتوهم أحمد أمين الذى يكيل الحقائق الأدبية بأوسع المكاييل ، مع أنها لا توزن إلا بأدق الموازين

فمن أين فهم أحمد أمين أن الإطناب يراه العرب من

المبتذلات حتى يحكم بزهدهم فى الأدب التحليلى الذى يستوفى عناصر الموضوعات ؟

***

وعاب أحمد أمين على العرب أن يهتموا بجمع الحكم والأمثال وعدّ ذلك نتيجة حتمية للأدب التركيبى ، ولو كان أحمد أمين من المطلعين على الآداب الأجنبية لعرف أن الاهتمام بجمع الحكم والأمثال هو من الأغراض التى يهتم بها أكثر الشعوب .

ويقول أحمد أمين إن « الخطب والكتب فى كثير من الأحيان عبارة عن جمل قصيرة مركزة محكمة ، كالذى نلاحظه فى كتاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى فى القضاء وتخطبة زياد وخطبة الحجاج ، ولو تناول الأدب التحليلى كل جملة من هذه الجمل لصاغ منها صفحات »

فهل يدرك الأستاذ أحمد أمين وجوه الخطأ فى كلامه هذا ؟

إن خطاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى من أنفس الخطابات فى تحديد أصول القضاء ، فهل كنت تنتظر أن يؤلف عمر بن الخطاب كتاباً فى مجلد أو مجلدين يشرح فيهما لأبى موسى فروع القضاء ؟

وما الذى تعيب على خطبة زياد وخطبة الحجاج ؟

أتعيب عليهما الإيجاز ؟ وما الموجب للاطناب وقد وقعت الخطبتان على رءوس من سمعوهما وقوع الصواعق ، وظلتا حديث الناس من جيل إلى جيل ؟

ما رأيك فى المستر تشمبرلن وقد ألقى خطبتين وجه إحداهما إلى مواطنيه الإنجليز ، ووجه الثانية إلى أعدائه الألمان ؟

ألا ترى أن هاتين الخطبتين أوجز من خطبتى زياد والحجاج ؟

هما أوجز بلا جدال

فهل سمعت أن ناقداً أدبيا فى فرنسا أو انجلترا عاب على المستر تشمبرلن أنه أوجز ولم يطنب ؟ هل سمعت ؟ هل سمعت ؟

وا أسفاه !!

إن المستر تشمبرلن حوله أمة تفهم أقدار الرجال ، فقد أعلن الإنجليز عطفهم عليه حين رأوه يبكى جهوده الضائعة فى الدعوة إلى السلام

وكان العرب أمة تفهم أقدار الرجال إلى عهد الحجاج : فقد كان مالك بن دينار يظهر عطفه على الحجاج كما أعلن الإنجليز عطفهم على تشمبرلن . كان مالك بن دينار يقول : ما سمعت الحجاج يشكو أهل العراق إلا رحمته منهم !

إن أحمد أمين يقول إن كل جملة من كتاب عمر بن الخطاب وخطبة زياد وخطبة الحجاج يصاغ منها عند التحليل صفحات ، ويعد ذلك شاهداً على ميل العرب إلى الأدب التحليلى ، فما الذى يقوله أحمد أمين فى خطاب تشمبرلن إلى الألمان ؟

إن خطاب تشمبرلن قد يصاغ منه عند التحليل مجلدات لا صفحات ، ومع ذلك لم يقل أحد بأن هذا الخطاب شاهد على على أن الإنجليز لا يحسنون تحليل المعانى والأغراض

إن المستر تشمبرلن يفهم ما كان يفهمه زياد والحجاج

هو يفهم أن الجمل القصيرة المركّزة المحكمة هى التى تبقى فى الأذهان والقلوب ، ويدرك أن التهديد الذى يصبّه الخطيب فى جملة أو جملتين ، والسخرية التى يصوغها فى كلمة أو كلمتين ، أبقى أثراً من الكلام المطول المبسوط الذى يصاغ فى صفحات

أيعرف أحمد أمين ما الذى سطره الفرنسيون على مدخل البانثيون ؟

سطروا هذه العبارة الموجزة : Vaincre ou mourir

وهى عبارة تُشرَح فى مجلدات لا صفحات

أيعرف أحمد أمين الجملة المسطورة على باب قصر التين ؟

هى الجملة القليلة الألفاظ الكثيرة المعانى ، الجملة التى تقول :

« العدل أساس الملك »

وهى أنفع من ألف كتاب فى شرح مزايا العدل وأثره فى حياطة الملك

أيذكر أحمد أمين الآية المكتوبة فى جميع المحاكم المصرية فوق منصة القضاء ؟

هى كلمة القرآن المجيد :

« وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »

فهل يعدّ ذلك الإيجاز من الخطأ ؟ أم يراه غاية فى تذكير الناس بأصول الحقائق ؟

يجب أن يعرف الأستاذ أحمد أمين أن العرب لم يستهينوا بالأطناب ولم يعدّوه من المبتذلات حتى يحكم بأنهم يرونه من أدب العوامّ لا أدب الخواصّ . فالإطناب أسلوب من البيان يقصد إليه الشاعر والكاتب والخطيب حين يدعو المقام إليه ، وهو أسلوب شريف لم يحتقره أحد من أهل البلاغة كما توهم أحمد أمين

وهل كانت سائر الكتب على نمط كتاب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى ؟

أين هو من الكتب المطولة التى كان يبعث بها علىّ بن أبى طالب إلى عماله فى الأقاليم البعيدة والأقطار القصية [1] ؟ وأين هو من كتب العهود التى صارت بعد ذلك من تقاليد الحكومة الإسلامية ؟

وهل كانت سائر الخطب كخطبة زياد وخطبة الحجاج ؟

أين هو من الخطباء المطنبين الذى تحدث عنهم الجاحظ فى البيان والتبيين ؟

أين خطب سحبان الذى كان يَهْدر بها من الظهر إلى الأصيل ؟

أين أحاديث صعصعة بن صوحان ؟

أين مشاورة المهدى لأهل بيته ، وهى من أنفس الذخائر الأدبية ؟

وتحدث أحمد أمين عن الإيجاز الذى التزمه مؤرخو العرب فى كتب التراجم وعده من عيوب السليقة العربية ، فهل كان ينتظر أن تصاغ تلك التراجم على نحو ما نصنع اليوم ، وعلى نحو ما يصنع الأوربيون ؟

كان هذا ممكناً لو أن المؤرخ العربى كان يقصر جهده على الترجمة لرجلين أو عشرة رجال ، ولكن هذا كان من المستحيل على من يترجمون لعشرات أو مئات أو ألوف

وما الذى قرأ أحمد أمين من كتب التراجم ؟

هل عرف كتب الطبقات : طبقات النحويين واللغويين والفقهاء والصوفية ؟

إن كان عرف تلك الكتب فليحدثنى كيف كان يمكن لرجل مثل السبكى أن يصنع أكثر مما صنع فى طبقات الشافعية ؟ وليحدثنى كيف كان يمكن لأبى الفرج أن يصنع أكثر مما صنع فى كتاب الأغانى ؟ وليحدثنى كيف كان يمكن لياقوت أن يصنع أكثر مما صنع فى كتاب إرشاد الأريب ؟ وليحدثنى كيف كان يمكن للمقرى أن يصنع أكثر مما صنع فى نفح الطيب ؟

لو أن هؤلاء الرجال ترجموا للشعراء والكتاب والخطباء والمؤلفين على نحو ما نصنع اليوم لأضاعوا علينا فرصاً لاتعود أبد الدهر ، لأنه كان يستحيل عليهم أن يحدثونا عن جميع تلك الطوائف ، وكانت هممهم ستقف عند الترجمة لعدد قليل من أصحاب المواهب فى الأقطار العربية والإسلامية

فما الذى يستفيد أحمد أمين حين يغض من أقدار أولئك الرجال ، وهو من فضلاتهم يعيش ؟

هل يعرف كم ألوفاً من الأدباء والمؤرخين انتفعوا بجهود مؤلف الأغانى ؟

هل يعرف أن ابن خلكان الذى احتقره وازدراه أدى مهمة يعجز عنها الأكثرون ؟

إن أحمد أمين يعيش فى عصر المطبعة ، والسُّبل أمامه ممهَّدة لنشر ما يشاء ، فما الذى صنع ، وما الذى صنع زملاؤه فى الترجمة لأعلام العصر الحديث ؟

ليت دنيانا الحاضرة تعرف رجلاً مثل ياقوت يترجم لأقطاب الفكر والبيان فى مصر والمغرب واليمن والحجاز والشام والعراق !

ليت ثم ليت ! فأحمد أمين نفسه لا يعرف شيئاً من التيارات الفكرية فى البلاد العربية والإسلامية لهذا العهد ، وهو محتاج إلى ثعالبىّ جديد يعرّف الناس بفضلاء عصره كما صنع أبو منصور حين ترجم لأقطاب القرن الرابع

فما هذه الغطرسة على أسلافكم يا أدباء آخر الزمان ؟

وبأى حق تتجنون على رجال أدّوا واجبهم أحسن أداء وهم فى قِلّة من أسباب الرزق ؟

إن أحمد أمين لم ير بلداً غير مصر إلا وهو مكفىُّ المؤونة

(١) قد يقال إن كتب على بن أبى طالب وعهوده إلى عماله قد تطرق الشك فى نسبتها إليه ، ونقول إنها تدل على تصور العرب لما كان يصدر من الخلفاء من كتب وعهود ، فهى على فرض وضعها تؤيد حجتنا

بأموال الحكومة المصرية ... فهل يعرف كيف كان يصنع رجل مثل ياقوت وهو يطوّف بالمغرب والمشرق وعلى ظهره حقيبة يحمل فيها ما يتّجر به ليعيش ؟

وأبو هلال الذي يستشهد أحمد أمين بكلامه في الإيجاز والإطناب ؟

أبو هلال هذا لم يعرف سهولة العيش التي عرفها أحمد أمين ، فقد قست عليه الأقدار حتى اضطرته ، وهو من نوابغ الأدباء والمؤلفين إلى كسب قُوته من مزاولة التجارة بالأسواق ، وهو الذي يقول :

جلوسي في سوق أبيع وأشتري ... دليلٌ على أن الأنام قُرودُ

ولو اضطُر أحمد أمين — لا قدّر الله ولا سمح — إلى كسب رزقه من مزاولة التجارة في الأسواق لنضب معين فكره وشُغل عن مضغ الكلام في أدب المعدة وأدب الروح ... !

أحبُّ أن أعرف ما هي الغاية من تحقير ماضي الأمة العربية ؟

أحب أن أعرف لأي غرض شغل أحمد أمين نفسه بالنص على أن عبد الحميد الكاتب فارسيّ الأصل ؟

هل يريد القول بأن الأدب التحليليّ وصل إلى العرب من أدباء ليسوا من الأرومة العربية ؟

وهو كذلك !

ولكن ما رأيك إذا حدثتك بأن الحضارة العربية هي صاحبة الفضل على عبد الحميد وابن المقفع وسائر من نبغوا في الممالك الإسلامية وهم من أصول أجنبية ؟

إنك تعرف أن أعظم ما بقي من آثار ابن المقفع هو الحِكم المبثوثة في الأدب الصغير والأدب الكبير ، وهي حِكم يغلب عليها الإيجاز ، فهل تعدُّ الإيجاز من عيوب تلك الحكم الخوالد بحجة أن الإيجاز من خصائص البلاغة العربية ؟

إتق الله في نفسك ، أيها الصديق ، فللناس أذواق وعقول

وتقول إنك لا تعرف في العربية غير شاعر واحد هو ابن الرومي وكاتب واحد هو ابن خلدون ... وسترى في الأسبوع المقبل كيف نلتقي في تحرير هذا الموضوع الدقيق .

« للحديث شجون » زكي مبارك

هل آن للأزهر أن يبعث ؟

للأستاذ محمد يوسف موسى

تصفحت بعض أعداد الرسالة الغراء التي صدرت وأنا بفرنسا صيف هذا العام ، فرأيت في أحدها كلمة عن إهابة الأستاذ الكاتب علي الطنطاوي بعلماء الأزهر لمساعدته في تأليف كتاب عن الدين الإسلامي ، يفيد منه العامة والخاصة والعرب والعجم والمسلم وغير المسلم ، وأن هذا الاستنجاد لم يجد له سميعاً فضاع صرخة في واد كما يقولون

ليطمئن الأستاذ نفسه فليس إلى بلوغ ما يريد من سبيل إلا إذا اعتمد على نفسه وأمثاله من الكتاب الذين يلذ لهم أن يقفوا بعض جهودهم على الدين ونشره ، ويجدون التعب في ذلك عذباً جميلاً . أقول ذلك وأنا واثق مما أقول ؛ فقد دعوت في أوائل هذا العام المنصرم إلى مثل ما يدعو إليه الآن فما وجدت غير التثبيط وأمثال هذه الكلمات : خَلّ عنك ، الله قد وعد بأنه سيظهر الإسلام على الدين كله ، وهو ليس في حاجة إلى مثل جهودك وجهودنا ! وإلى القراء الأمر على جليته :

نزلت في صيف العام الماضي بفرنسا بعائلة محترمة بمدينة « ليون » ، وتأصلت بيني وبينها الروابط لتقارب في العاطفة وتشابه في الميول . ولأنها عائلة محافظة ، أعجبها مني قيامي ببعض ما يجب عليّ لله من الصلاة وتلاوة القرآن ؛ فكانت أحاديثنا في أوقات الفراغ تدور كثيراً على الإسلام وما فيه من آداب عامة ، وشرائع في مختلف مناحي الحياة تصلح للناس جميعاً . وبلغ بهم الأمر أن كانوا يطلبون مني تفسير بعض الآيات التي تشتمل على تلك الآداب والتشريعات ، والآيات التي تضمنت أخبار عيسى عليه السلام وأمه العذراء .

وبديهي أن ذلك كان يسرني ، وكنت أعمل على تحقيقه جهدي . ثم بدا لي فأعطيتهم القرآن مترجماً للفرنسية ترجمة مناسبة تقريباً .

ولما حان موعد سفرى إلى مصر رجونى أن أرسل إليهم كتاباً بالفرنسية جامعاً لأصول الدين التى قام عليها ، ومبادئه التى يدعو إليها ... هنا وقف حار الشيخ ! إذ اعتذرت وأنا خجل بأن مثل هذا الكتاب لم يوضع بعد فى اللغة العربية ، بل إن أحداً لم يفكر فى مثل هذا العمل .

وأخيراً رجعت للوطن بعد أن وعدتهم ببذل الجهد فى تحقيق ما يرجون — من وضع كتاب كهذا يترجم للغات الحية ويوزع فى مشارق الأرض ومغاربها بالمجان — لما فى ذلك من خدمة عامة وتعريف بالإسلام لدى أقوام لا يعرفون عنه شيئاً ، أو لا يعرفون إلا ما ينقله لهم جماعة ساءت نياتهم ، فحرفوا واختلقوا وشوهوا الإسلام بما كتبوا .

إلا أنى بكل أسف ، كما أشرت أولاً ، لم أجد هنا مساعداً أو مشجعاً ؛ فقد تحدثت فى ذلك إلى كثير من إخوانى النابهين المدرسين بالكليات ـ الذين كان لى ملء الثقة فى غيرتهم على الدين ونشاطهم فى العلم ـ فكان الأعراض والتثبيط مما جعلنى أسوف فى الأمر من يوم لآخر حتى انقضى العام الدراسى أوكاد . ويعلم الله أن من بين هؤلاء الإخوان من إذا كلفه أحد الناشرين بمثل هذا العمل أو أشق منه نظير دراهم معدودة لشكر الله على هذا الرزق الذى سيق إليه ، ولأعطى من نفسه فوق طاقته حتى ينجز له ما طلب فينقده أجره !

أخيراً جاء أوان السفر هذا العام فسافرت ونزلت بين العائلة نفسها فكان من أول ما سئلت عنه أمر الكتاب الموعود .

لى الله ، فما كان أشد خجلى وأعظم حيرتى ! وبعد لأى وجمجمة اعتذرت بأن مثل هذا العمل ، لخطره ومسئوليته ، يتطلب الأناة وطول الوقت حتى يخرج كاملاً بالقدر المستطاع .

فهل يرضى السادة شيوخى وإخوانى هذا التقصير فى أداء واجب دينى يقوم بأكبر منه وأشق مرات ومرات رجال الأديان الأخرى ، بينما نقضى أوقاتنا فى قال وقيل وأخبار العلاوات والدرجات والسعى لها بمختلف الوسائل !

يميناً بالله أنه لا يخطر لى بالبال تنقص أحد يشرف بالانتساب للأزهر ـ فلست إلا واحداً منهم ينوبنى ما ينوبهم ـ وإنما هو أمر أحرجنى وأخجلنى وآلمنى فوجدت فرجة للتنفيس عنى ، وإنما هو إحساس عميق ببعض ما فينا من عيوب ؛ والإحساس بالنقص أول الخطوات للسعى نحو الكمال . على أنه لولا حرصى على أن يظل « الطابق مستوراً » لأشرت إلى بعض المقارنات بين كثير من علمائنا ورجال الدين فى أوربا ، الذين لقيت منهم الكثير من ناحية الثقافة الواسعة الكاملة ، وقضاء العمر فى طلب العلم وخدمة الدين بدافع من أنفسهم وتربيتهم التى نشأوا عليها ، حتى ليصح بحق على الكثير منهم ما كنا استأثرنا به طويلاً من أوصاف مشرفة : حبر ، بحر ، علامة !

وبعد ، فهأنذا — رغم عملى بالأزهر والدراسة الخاصة التى ندبت نفسى لها بفرنسا والتى تأخذ كل وقتى حتى أيام العطلة — أمد يدى للأستاذ الطنطاوى شاكراً له غيرته التى دعته للتفكير فيما دعا إليه ، واعداً حضرته بمساعدته بجهدى القليل وبجهود من أستطيع إقناعهم وضمهم لنا من زملائى ، والله يهدى السبيل

محمد يوسف موسى

المدرس بكلية أصول الدين

بحث قانوني مقارن

القتـــل الخطأ

في الشريعة الإسلامية وفي القانون المصري الحديث

للأستاذ أحمد مختار قطب

من أمد غير طويل ارتفعت صيحات متفرقة تنادى بوجوب بسط القوانين الشرعية على البلاد . . . ولقد وجدت هذه الدعوة مرتعاً خصباً فى نفوس عامة الناس . ولما كان من الثابت قطعاً أن السواد الأعظم من الجمهور لا يعرف عن القوانين الشرعية إلا فكرة ضئيلة مشوهة رأيت من ألزم واجبات الرجل القانونى أن يتيح لتلك النفوس فرصة تذوق ما فى القوانين الشرعية من صلاح وعدالة وقوة مع مقارنة هذه القوانين بالقانون المصرى الحديث

ولقد اخترت القوانين الجنائية لأنها هى التى يظهر فيها الفرق جليًّا بين الشريعة الإسلامية والقوانين الحديثة ، ولأنها من جهة أخرى ألصق القوانين بالحياة البشرية . وسأبدأ أبحاثى بجريمة القتل بنوعيها سواء الجريمة العمدية أو غير العمدية

فنبدأ الآن بجريمة القتل الخطأ فى الشريعة الإسلامية ثم فى القانون الحديث حتى يتسنى لنا أن نحصر أوجه الشبه وأوجه الخلاف بين التشريعين

في الشريعة الإسلامية

أحكام هذه الجريمة مستمدة من الآية الكريمة : « وما كان لمؤمن أن يقتلَ مُؤمناً إلا خطأ ؛ ومَن قتلَ مؤمناً خطأً فتحريرُ رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله إلا أن يصدقوا . فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمنٌ فتحريرُ رقبة مؤمنة ، وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة . فمنْ لم يجدْ فصيامُ شهرينِ مُتتابعينِ توبةً من اللهِ وكانَ اللهُ عليماً حكيماً »

أجملت هذه الآية الكريمة أحكام القتل الخطأ ، وبالاستعانة بالسنة النبوية وبأقوال الشراح نستطيع تفصيل هذا الإجمال

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ » والخطأ الوارد هنا هو بمعنى عدم القصد . وعدم القصد هو مناط الإباحة . . . فالأصل أن الخطأ لا يعاقب الإنسان عليه « ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به » ولكن لما نتج عن هذا الخطأ إزهاق روح بشرية صار إثماً ووجب عقاب فاعله على رعونته وإهماله

ولقد عدّد الفقهاء صور الخطأ وأوجهه فقالوا : إن وجوه الخطأ لا تحصى ويربطها جميعاً عدم القصد مثل أن يرى صفوف المشركين فيصيب مسلماً ، أو يسمى بين يديه من يستحق القتل من زان أو محارب أو مرتد فطلبه ليقتله فلقى غيره فظنه هو فقتله فذلك خطأ

وعقوبة هذه الجريمة تختلف باختلاف الشخص الذى وقعت عليه، فإن كان المجنى عليه مؤمناً من قوم مؤمنين فله حكم خاص؛ وإن كان مؤمناً منتمياً إلى الأعداء ومقيماً معهم فله حكم آخر ؛ وإن كان من قوم معاهدين فله حكم مخالف لما سبق

فإن كان المقتول خطأ مؤمناً من قوم مؤمنين فقد قالت فى حكمه الآية الكريمة : « ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلّمة إلى أهله »

فبناء على ذلك يلتزم القاتل بتحرير رقبة مؤمنة وتسليم دية إلى أهل القتيل ، وعلة إلزام القاتل بتحرير رقبة مؤمنة هو أنه قد تسبب بإهماله ورعونته فى قتل نفس مؤمنة كانت تعبد الله فتعين عليه إقامة نفس أخرى محلها ، ولا يمكنه ذلك بالإحياء فلا مناص إذن من العتق . ولا تنس ما فى هذا العمل من حض ظاهر على إزالة الرق

وهذا العتق من قبيل الكفارة التى ترفع عن المذنب عقوبة الآخرة .

ولقد اشترط العلماء فى هذه الرقبة المؤمنة أن تكون رقبة قد عقلت الإيمان ، لأن الغرض هو تنصيب إنسان للعبادة بدل الإنسان المقتول ، فلا يصلح إذن إعتاق المجنون جنوناً مطبقاً ، ومن كان فى حكمه .

والعقوبة الثانية هى دفع دية إلى أهل القتيل عوضاً عن دمه ، ولقد ذكر القرآن الدية إجمالاً ، ولكن السنة وضحت هذا الإجمال

إذ ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الدية مائة من الإبل

ولقد توسع العلماء بعد ذلك فقالوا : إن الدية قد لا تدفع من الإبل ، بل قد تستبدل ذهباً ، فهي عند أهل الذهب ألف دينار ، وعند أهل الفضة اثنا عشر ألف درهم ، وعند أهل الشاء ألف شاة ، وعند أهل الحلل مائتا حلة ...

على أن دفع هذه الدية حق خالص لورثة القتيل إن شاءوا تنازلوا عنه ، وإن شاءوا احتفظوا به ؛ أما الكفارة ، وهي إعتاق الرقبة المؤمنة ، فلا تسقط بإبراء الورثة لأنها حق لله تعالى .

أما إن كان المقتول مؤمناً منتمياً إلى الأعداء ، وكان القاتل يعتقد أنه كافر ، فقد جاء حكمه في الآية : « فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة » أي أن العقوبة هنا قاصرة على الكفارة ، وهي تحرير الرقبة المؤمنة ، فلا يلتزم القاتل بدفع دية إلى أهل القتيل ، وسقطت الدية لوجهين أحدهما أن أولياء القتيل أعداء للمسلمين، فلا يصح أن تدفع إليهم فينتفعوا بها ، والثاني أن حرمة هذا الذي آمن ولم يهاجر قليلة فلا دية له لقوله تعالى : والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا .

والحالة الثالثة تتحقق عند ما يكون المقتول خطأ من قوم معاهدين أو ذميين، ففي هذه الحال يجب تحرير الرقبة المؤمنة وتسليم الدية إلى أهله. ونلاحظ أن هذه الحالة لا تفترق عن الحالة الأولى، وسبب الإلزام بدفع الدية هو أنه ما دام المقتول من قوم معاهدين فهم إذن أولى بديته

ثم قالت الآية في آخر الأمر : « ومن لم يجد فصيام شهرين متتابعين » أي من لم يجد الرقبة ، ولا اتسع ماله لشرائها ، فصيام شهرين متتابعين يعفيه من هذا الواجب

هذه هي أحكام القتل الخطأ في الشريعة الإسلامية وقد أوردتها بإيجاز يعفي القارىء من التفصيلات المسهبة

في القانون المصري

أما أحكام القانون المصري بالنسبة لهذه الجريمة ، فقد وردت في المادة ٢٣٨ من قانون العقوبات الجديد ونصها « من قتل نفساً خطأ أو تسبب في قتلها بغير قصد ولا تعمد بأن كان ذلك ناشئاً عن رعونة، أو عدم احتياط وتحرز، أو عن إهمال وتفريط، أو عن عدم انتباه وتوق ، أو عن عدم مراعاة واتباع للوائح ، يعاقب بالحبس أو بغرامة لا تتجاوز مائتي جنيه »

هذه المادة تنص على أن هذه الجريمة تحتاج لتكوينها إلى الأركان الثلاثة الآتية :

الركن الأول يتلخص في ضرورة صدور خطأ من الجاني ، والخطأ هو سبب العقاب ، إذ بدونه لا يكون هناك محل لتوقيع العقوبة ... ويعتبر الخطأ موجوداً كلما ترتب على فعل إرادي نتائج لم يردها الفاعل مباشرة ، ولا بطريق غير مباشر ، ولكنه كان في وسعه تجنبها

ولقد حددت المادة أنواع الخطأ وحصرت هذه الأنواع في الصور الخمس الآتية : وهي الرعونة وعدم الاحتياط والتحرز والإهمال أو التفريط وعدم الانتباه أو التوقي وعدم مراعاة اللوائح

ومما هو جدير بالملاحظة أن عبارات القانون واسعة يندرج تحتها كل أنواع الخطأ

والركن الثاني ضرورة وجود رابطة سببية بين الخطأ والنتيجة؛ وبتعبير آخر ألا يكون من الممكن تصور وقوع الجريمة بدون وجود الخطأ. فإن كان الموت مستقلاً عن الخطأ فلا محل للعقاب. وبتعبير أكثر دقة يجب أن يكون الخطأ من أسباب وقوع الجريمة

وقد يحدث في الحياة العملية أن يساهم المجني عليه بخطاه في إحداث الجريمة ؛ ففي هذه الحالة لا ترتفع مسئولية الجاني بل يظل مسئولاً، وإنما تخف مسئوليته بقدر خطأ المجني عليه وأثره في إحداث النتيجة

أما الركن الثالث فهو ضرورة وقوع الموت، وإلا فلا عقاب مهما كان الخطأ في ذاته . وهذا الشرط بدهي لأن الجريمة لا تتم بدونه، إلا أن الخطأ قد يكون في ذاته جريمة يعاقب عليها القانون

هذه هي الأركان التي تتكون منها الجريمة ، وبمجرد استيفائها يجب عقاب فاعلها بإحدى العقوبتين الواردتين بالمادة إما الحبس لمدة لا تزيد على ثلاث سنوات، وإما غرامة لا تزيد على مائتي جنيه

ولقد كانت هذه العقوبة في القانون القديم أخف وطأة منها في القانون الحالي ، لأن العمل أظهر أن العقوبة المنصوص عليها في القانون القديم وهي الحبس لمدة لا تزيد على سنتين أو غرامة لا تتجاوز خمسين جنيهاً مصرياً لا تكفي في الأحوال التي يكون

صفحة من التاريخ المغربي المجهول

تاريخ سلطنة الطلبة

للأستاذ إدريس الكتاني

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

وعلى ضوء ما تقدم من حياة السلطان الرشيد نستطيع الآن أن نقول : إن الرشيد كان والده ملكاً على الصحراء بعد أن ولد هو بعام فقط ، ثم تولى أخوه محمد الملك يوم أن كان هو لا يتجاوز من العمر عشر سنين ، فقد نشأ الرشيد بين أحضان الملكين والده وأخيه ؛ ثم إن السن التى يمكن أن يكون الرشيد فيها طالباً بجامعة تبعد عن بلده بعشرات الأيام ، لا تقل مطلقاً عن خمسة عشر عاماً إن لم تكن فوقها بكثير ... والرشيد فى مثل هذه السن كانت دولة أخيه وقتئذ آخذة فى القوة والانتشار ، لكنها لم تبلغ فاسا ... فلو أن الرشيد سار إلى جامعة القرويين طالباً ، لسار إليها على أنه ابن ملك وأخو ملك ، لا على أنه طالب عادى كما فى القصة الآنفة الذكر . فإذا ذكرنا أيضاً أن الخصومة السياسية بين السلطان محمد ملك الصحراء وولاة فاس قد تكون حجر عثرة فى ذهاب الرشيد إلى فاس تأكد لدينا بطلان تلك القصة ... أضف إلى هذا أن كل من أرخوا للرشيد لم يذكروا أنه دخل فاسا إلا يوم أن دخلها فاتحاً

* * *

وهذه أسطورة أخرى لا تقل فى التنسيق وبراعة الحبك عن سابقتها . تتحدث الأقوام التى ران على قلوبها الجهل فتبدع قصة من الخيال لتكون تاريخاً لسلطنة الطلبة . ولماذا نعيب على هؤلاء الأقوام جهالتهم وقد سكت حضرات المؤرخين عموماً عن صفحة ناصعة من التاريخ المغربى المشرق ، ولم يستفز شعورهم مغزى تلك السلطنة التى تحمل فى جوانبها نبل الغرض وشرف الغاية ، وكان خليقاً بهم أن يكتبوا تاريخ (سلطنة الطلبة) بإسهاب ويبدعوا فى وصف تلك المظاهر والمناظر أبدع الوصف ، وحتى الشعراء — وهذا هو الغريب — كان لهم وجوم غامض أمام هذه السلطنة ، لست أدرى أكان ناشئاً عن عدم تقديرهم لمغزاها السامى أم أن شعورهم كان قد انحط فى هذين القرنين المتأخرين فلم يعد منهم من يذكرنا بمثل أبى تمام وأبى العلاء والمتنبى من شعراء القديم ، أو بمثل شوقى وحافظ وإقبال من متأخرى الشعراء ، وإنما كان هناك شعراء حافظوا بكل أمانة على أوزان الشعر وقوافيه ، ولم يخرجوا قيد شبر عن بحور الخليل وأنهار تابعيه ، وأحسب من هنا جاءت العلة الأولى أيضاً ، فكان مفهوماً ألا يهتم شعراؤنا — سامحهم الشعر — بسلطنة الطلبة وما تحويه من معانى الشعر والخيال . وأنى لهم ذلك الحس المرهف ، والفكر المصقول ، والقلب الشاعر ، وهم إنما دخلوا إلى الشعر من باب الأوزان والقوافى ؟ !

قال رواة الأسطورة التاريخية : عند ما أخذت الدولة السعدية فى الانحلال والانخذال بعد وفاة المنصور السعدى ، نشأ فى كل مقاطعة من أرض المغرب رؤساء وزعماء يتولون حكم مقاطعتهم مستقلين تمام الاستقلال عن باقى المقاطعات الأخرى ، فكان من سوء حظ مدينة تازة أن جار على مقاطعتها يهودى يدعى ابن مشعل ، وامتد نفوذه إلى فاس فأرغم أهلها على تقديم هدية رسمية إليه عند رأس كل سنة . وليس هذا هو الغريب إنما الغريب أن تكون

فيها الخطأ جسيماً أو التى يتعدد فيها المجنى عليهم

هذه هى جريمة القتل الخطأ فى الشريعة الإسلامية ، وفى القانون المصرى الذى هو صورة للقانون الفرنسى ، ويبدو لنا أن الشريعة الإسلامية تقارب القانون الحديث فى بعض الأحوال وتفترق عنه فى غيرها . فهى تشبهه فى الوجهة العامة من حيث اشتراط الخطأ وصوره وأوجهه ، ولكنها تختلف عنه اختلافاً بيناً فى العقوبة . وعندى أن أساس هذا الاختلاف هو تغير الأوضاع الاجتماعية ، فعقوبة إعتاق الرقبة أساسها نظام اجتماعى يسود فيه الرق

ولكنى أعتقد أنه بقليل من الاجتهاد نستطيع التوفيق بين القانون والشريعة فنطور القانون إلى أن يوافق الأسس الشرعية التى لا تقبل التغيير ، ونطور بعض الأحكام الشرعية التى روعى فى وضعها تغيرها بالزمان والمكان

أحمد مختار قطب المحامى

* * *

المراجع : تفسير القرطبى — كتاب المغنى والشرح الكبير — كتاب المبسوط للسرخسى — كتاب المرحوم أحمد أمين بك فى شرح قانون العقوبات، الأستاذ السعيد مصطفى السعيد

هذه الهدية عبارة عن أجمل فتاة فى أكبر أسرة بفاس تقدم إلى ابن مشعل لتكون واحدة من جواريه وخدمه فى قصر إمارته ، كدليل على إخلاص الفاسيين له ، وخضوعهم لحكمه

يالها من خرافة ما أشد سخافتها وبلاهتها عند من يعرفون المغاربة عموماً وأهل فاس على الخصوص ! أتبلغ الجرأة بيهودى حقير إلى أن يصير حاكما على بلد إسلامى ، ثم يتجاوز هذا فيرغم بحكم سلطته بلداً عريقاً فى الإسلام على أن يقود له أجمل وأشرف فتياته إلى دار الفسق والهوان ؟

عند ما تسيل آخر نقطة من الدم العربى الطاهر الذى يعيش على وجه البسيطة فى المشارق والمغارب ، عند ذلك يصح أن يكون لليهود حكم على العرب ، أعنى على أرض العرب

إيه يا فلسطين ، عشت للعرب وعاش العرب لفلسطين

وعادت الأسطورة فقالت : ثم مالبث أمر اليهودى أن سمع به شاب عربى صميم يدعى الرشيد بن الشريف فأخذته النخوة العربية ونفخت فى أعصابه روحاً من الشهامة والإباء وكان طالباً من طلبة الجامعة القروية

فماذا فعل الرشيد يا ترى ؟ لقد جمع حوله أربعين شاباً من صناديد الطلاب ، ثم تم الاتفاق بينه وبين القائمين بأمر الهدية التى تقدم لليهودى على أن يكون هو هذه الفتاة العذراء التى ستهدى هذه المرة ، وأن يكون أصحابه الأربعون فى مكان (شورة)[1] العروس ، والمراد أن يندس هؤلاء الشبان داخل القبب التى تكون فى صحبة العروس ، وأن يكونوا عوناً لزعيمهم على ما يريد .

وتم كل شىء ، فتسلح زعيم الطلبة الرشيد بن الشريف كما تسلح أبطاله الأربعون واتخذوا مطاياهم من الجمال فوقها الأخبية والقبب ، وسار موكب الفتاة من فاس إلى ضواحى تازة من غير أن يكون فيه ما يبعث على الارتياب والظنون .

ولو كان لابن مشعل قليل من دهاء الزباء لأنشد مثل ما أنشدت هى فى قصتها الشهيرة إذ قالت :

ما للجمال مشيها وئيداً
أجندلا يحملن أم حديداً
أم صرفانا باردا شديداً

ولو أن ابن مشعل قال هذا لأجابه الرشيد فى نفسه :

بل الرجال قبضاً قعودا

ثم قالت الأسطورة : ووصل الركب إلى دار ابن مشعل من غير أن تحوم حوله ريبة أو شكوك ، فاستقبله اليهودى بسرور الظافر ، وغبطة المنتصر ، وأمر فى الحال باغلاق أبواب الدار ، إذ كان قد استعجل لقاء الفتاة التى لن يجد شبيهتها فى بنات إسرائيل ، ولكنه ما استعجل إلا لقاء حتفه ؛ فلقد حدث مالم يكن فى الحسبان من قبل . لم يشعر المسكين أن رأى جيشاً من الأبطال النائمين فى سلاحهم قد أحاطوا به إحاطة الجزارين بالذبيح ؛ ثم سالت الدماء فى بطاح دار ابن مشعل ، حتى لم يبق بها دم حى

وفى صباح اليوم التالى أجمعت كلمة الطلبة الأربعين على مبايعة زعيمهم الرشيد فبايعوه على سنة الله ورسوله ملكا على المملكة المغربية .

وأراد الرشيد أن يكافئ رجاله الأشداء على ما قاموا به من أعمال جسام ، فأقام لهم سلطنة هزلية مؤقتة ، وجعلها إرثاً مشاعاً بين جميع طلاب الجامعة القروية — عدا الفاسيين — يتبوأون عرشها أسبوعاً واحداً فى العام كله

* * *

تلك هى الأسطورة التى تسير على أفواه رواة التاريخ المجهول؛ ولعلنا لا نحتاج إلى تضعيفها من الوجهة التاريخية بعد ما ذكرناه عن حياة السلطان الرشيد وكيفية جلوسه على عرش الملك المغربى العتيد

وبرغم ما فى هذه الأسطورة من التزيد والتلفيق فإنها تستند فى أصل وضعها إلى شىء من الحقائق التاريخية التى أشار إليها بعض الثقات من المؤرخين ، فإنه قال ما معناه : وفد السلطان الرشيد يوم كان يتهيأ للجلوس على عرش المغرب ويعمل على إفهام الشعب أنه خليق بهذا العرش على رئيس يدعى الشيخ اللواتى ، وبينا هو فى ضيافته إذ رأى رجلاً يصطاد فى هيئة الملوك وحوله

---

(١) « الشورة » بمعناها الاصطلاحى عبارة عن أمتعة البيت التى تصحب العروس ليلة زفافها وجرى العرف قديما بوضعها داخل قبب ، وإذا كان بيت العروس بعيداً حملت على الجمال ونحوها . وأصلها فى اللغة الشوار

حاشية من المماليك والفرسان فسأل عنه فقيل هو ابن مشعل من يهود تازة وقد عتا فيها وتجبر . فتنحى الرشيد سريعاً وجعل السكين فى فمه (وذلك علامة تأكيد الاستعطاف والاستنجاد فى أخذ الثأر ونحوه) واستقبل الشيخ اللواتى ، فلما رآه هذا بادر إليه قائلاً : لبيك ياسيدى! نفسى ومالى طوع يديك. فأخبره الرشيد بما رأى ورجاه أن يؤلف له كتيبة من إخوانه الأشداء ليفتك بهذا اليهودى الذى يستطيل بنفسه على المسلمين وهو تحت حكمهم وفى أرضهم . فجرد له الشيخ اللواتى جيشاً من العرب البواسل تبلغ عدته نحو الخمسمائة وتواعد الرشيد مع جيشه الصغير على أن يلحقوا به متفرقين مختفين تحت أستار الظلام

وسار الرشيد إلى دار ابن مشعل التى تبعُد عن تازة ببضعة أميال ، واستضاف اليهودى فأضافه . وعندما جن الليل ، وهجع الناس كان رجال الرشيد قد أحاطوا بالدار وهم تحت السلاح ، وعندئذ تسلل الرشيد من مضجعه ، واحتال فى دخول بيت ابن مشعل فبطش به فى صمت ثم أشار لأصحابه فتسلقوا الأسوار وهجموا من كل جانب ، ولم يشعر ساكنو القصر حتى وجدوا أنفسهم مغلولين فى الأصفاد لا يستطيعون خلاصاً مما وقعوا فيه

وهكذا نجح الرشيد فى هذه المؤامرة وأضاف إلى نفسه ما وجده من الأموال والذخائر فاشتد بها ساعده وقوى نفوذه[١]

ويقف بنا المؤرخ عند هذا الحد فلا يذكر شيئاً عن سلطنة الطلبة . غير أننا نستطيع نحن أن نتم القصة بما رواه أحد العلماء استطراداً إذ قال : إن مولاى الرشيد هو الذى سن نزهة الطلبة التى جرى بها العمل كل سنة بفاس ومراكش أيام الربيع وذلك أنه لما فتك بابن مشعل واحتوى على ما كان لديه من الذخائر جعل لمن كان فى معيته من الطلبة نزهة فاخرة ، وقد كانوا نحو الخمسمائة ومن يومئذ اتخذت عادة سنوية مدة حياته وبعد موته[٢]

هذا هو التاريخ المفصل « لسلطنة الطلبة » ، وهو تاريخ طويت صحائفه وجهلت أطواره منذ نشأته الأولى حتى الآن ، ومن عجيب الصدف أن يقرأه الشرقيون — والمغاربة منهم — فى آن واحد لأول مرة . ولعل من المؤلم أن أذكر هنا أن كثيراً من سلاطين الطلبة الذين سبق لهم أن جلسوا على عروش مملكة الطلاب كانوا يجهلون تمام الجهل تاريخ مملكتهم وعروشهم . ولو سألت آخر سلاطينهم — كما سألت أنا — عن سبب زيارتهم لضريح أبى الحسن على بن حرزهم ، لأجابك بما لا يرضى الحقيقة والتاريخ . ويجهل أن ذهابه لذلك الضريح إنما كان للترحم على الروح الشريف الذى كان السبب فى جلوسه على عرش تلك السلطنة .

ولكن هل كان يضره هذا الجهل المعيب ؟

حسبى أن أسكت الآن . وهل كان يهمنى من كل هذا إلا أن ألفت نظر أبناء عمومتنا وخئولتنا فى أقطار العروبة والإسلام إلى هذه القطعة الواسعة من دنياهم الإسلامية ليطلعوا على صفحة من تاريخ مجدها التالد والطريف ؟

فيا شباب العرب سددوا سواعدكم لتحيوا مجد العرب

واذكروا دائماً أن لكم قطراً عربياً طالما صدفتم عنه وفيه أمة تريد أن تعيش لتحيي مجد الإسلام والعرب

عاش العرب ، وعاش الإسلام

(فاس) ادريس الكتانى

(١) نشر المثانى فى أهل القرن الحادى والثانى للقادرى النسخة الحطية الكبيرة (٢) الدرر الفاخرة فى مآثر العلويين بفاس الزاهرة لابن زيدان نقلا عن كتاب فتح المنان فى شرح قصيدة ابن الونان

من الأدب الفرنسي

امرأة نوح ...

للأستاذ ناجي الطنطاوي

تناول الكاتب الكبير « جان نوروا » فى هدأة من الليل ، فى غرفة عمله المنعزلة ، الكتاب الذى وقع تحت يده وفتحه ، فالتقت نظراته بهذه الجملة :

« . . . عندئذ أمطر الله من السموات على سدوم وعمورة الكبريت والنيران ...

ولكن امرأة نوح نظرت خلفها ، فانقلبت فى الحال تمثالاً من الحجر ... »

فقرأها ، ثم أغلق الكتاب المقدس

لقد كان هذا مع خياله الواسع ، نقطة ابتداء كافية جداً ... لقد وجد قصته . لم يبق إلا أن يسبكها فى قالب جديد . ولفت نظره ، فى جريدة بجانبه ، هذا العنوان الضخم :

« انتحار شاب فى مطعم ليلى »

فقرأه وابتسم ... لقد تم له ما يريد ، وتألفت القصة . ليس هناك حاجة إلى النظر فى أعمدة الجريدة . لقد كان بطله ماثلا أمامه ، يراه بوضوح : فتى ممشوق القد ، فى العشرين من سنه ، أحرقته حمى حب ملتهب ، ولم تكن لديه الشجاعة الكافية للفرار فهلك . وما الفائدة من الاطلاع على التفاصيل التى توصل إليها مخبر الصحيفة ؟ لقد كانت عناصر الموضوع وتفاصيله التي تبعث فيه الحياة ، كانت تتجمع لديه شيئاً فشيئاً : المرأة الأفاقة ، والفتى الضحية ... وأخيراً الحكيم الذى تجده فى كل قصة (صورة المؤلف ذاته)

كان جان نوروا يحس لذة فائقة فى هذا التلاعب . ولكن كان يخيل إليه أن الكلمات والحوادث تأتيه هذه المرة بأسرع وأحسن من كل يوم .

وانقبض صدره فجاءة . لماذا تسيل الكلمات بهذه السهولة على ريشته هذا المساء ؟

وتذكر أن هذه الكلمات ذاتها خرجت من بين شفتيه قبل الآن ... ومنذ وقت قريب ... على أثر مأساة كادت تزعزع كيانه وأخذ يفتش ، كالمحموم ، بين أوراقه المبعثرة على المكتب ...

وكان يتمتم : « مستحيل ! ليس من الممكن أن يكون (هو) قد وصل »

و (هو) كان ولده الذى تبناه ، موريس لاندرى ، ابن أعز أصدقائه عليه . شاب حدث ، قاد خطواته فى الحياة . يتيم ، أخلص له ، هو ، جان نوروا ، الأعزب الأنانى .

لقد كان يذكر كيف تقبله عنده ، وكيف أخذ يملأ قلبه وعقله من عقله وقلبه .

أجل، لم تكن جائزة جونكور التى نالها موريس فى السنة الماضية إلا له هو ، جان نوروا ، ولولاه ما نالها ...

ولكن ما كان أشد المأساة التى تبعت هذا النصر !

لقد علقت بموريس امرأة خطرة ، فتأثر بها بشكل مزعج ، بحيث أصبح من الضرورى أن يتدخل جان نوروا ، بقسوة فى الأمر .

أين كانت ستقوده هذه المخلوقة بعد تبديد دراهمه القليلة ؟ إلى الجنون ؟ إلى السرقة ؟ إلى الجريمة ؟ ربما

لقد قال له وهو يعظه : « انتقل من هذا البلد . غيّر هذه الحياة . سافر دون أن تلتفت وراءك ، وإلا فأنت هالك »

هه ! ... جملة التوراة بذاتها

وكانت تضطرب فى يده إشارة تلغرافية من سَيْفون (الهند الصينية) :

« ضجرت جداً ... سأعود ... أصدق عواطفى ... موريس »

لقد غاظته هذه الإشارة حين تلقاها . النذل! وأخيراً ، لامناص من الحزم . لشدَّ ما ساءه هذا

وها هى ذى إشارة أخرى بين يديه :

« سَفرة هانئة ... سأكون فى فرنسا قريباً ... أعانقك »

وإذن ماذا ؟

وكان جان نوروا يلتهم خبر الجريدة بنظراته . ما كان أروع هذه التفاصيل :

« بعد أن تمشى فى المكان المذكور مع امرأة ذات هيئة غريبة ، وبعد أن ذهبت صاحبته فى الصباح الباكر ، طلب الفتى غرفة خاصة وأخذ يحتسى فيها وحيداً أكواب الشمبانيا . وبعد نصف ساعة كانوا يخرجون به منها وقد اخترقت صدغه رصاصة . والبحوث الأولى تحمل على الظن بأن الفتى عائد من المستعمرات . ومع ذلك لم يتمكن من معرفة هويته »

وكان صوت خفى يصيح بجان نوروا: «ليس هناك أى شك،

هذا الشاب المجنون هو موريس ... موريس العزيز ! وليس علىّ إلا أن أعدو ، لا أدرى أين ، للتعرف على جثته ! »

وكان جان قد وقف

وطُرق الباب فى تلك اللحظة ... فمرته رعشة وتمايل

أليس هذا هو الخبر المشؤوم يحملونه إليه ؟ وقفز ...

ومع ذلك كان يتردد ويده على الباب

ولكن القرع عاود ...

— أبى العزيز ، أبى العزيز ! هذا أنا ! هذا ما كان يصيح به صوت عزيز عليه ...

وفتح الباب سريعاً ...

وبدا موريس جميلاً كالشبح

— أنت ؟ أنت ؟ أهذا أنت ؟

— ولم الدهشة ؟ ألم أخبرك بقدوى ؟

— و ... قدمت ... من المحطة ؟

— ومن أين ترانى إذن أقدم ؟

ومد له « جان » ذراعيه ، فاندفع فيهما

ثم قال موريس :

— ما أشد سرورى برؤيتك ! كم ضجرت ، باريز . باريز العزيزة ! لم أكد أخترقها ، حتى أحيانى جوها !

وكان سكون ... كان « جان نوروا » يفترس ابنه بنظراته كما لو كان يحاول الوصول إلى أعماق فكره . ثم صاح به وقد اصطكت أسنانه :

— لماذا عدت ؟

فأجابه موريس مازحاً :

— لأني عاشق

— أتجرؤ ؟

— ولم لا ، يا أبى العزيز ؟ فكرت فيها فوجدتها ساحرة ولا أدرى فى الحقيقة ما الذى يمنعنى من زواجها . . .

— هم ؟ !

وكان جان نوروا قد رفع قبضته . وصاح به :

— أنت مجنون

— أوه ، ما هذا الذى تقول ؟

— ما أقول ؟ ستعود إلى السفر حالاً دون أن ترى « كريستيان » امرأة السوء هذه

فانفجر موريس ضاحكا :

— ولكننى لا أتكلم عن كريستيان ! هه ، لقد نسيتها منذ زمن . . . أريد أن أتزوج فتاة — فتاة حقاً — لاقيتها هناك مع أسرتها ، وقد عادت إلى باريس

ولم يعد جان يصغى إلى ما يقول ، بل كان يضمه إليه

وقال موريس :

— ما أحسنك الآن ! لقد قطعت عليك عملك فيما أظن ، فأنت فيما أعرف لا تنقطع عن العمل ، أليس كذلك ؟ لقد قرأت هناك مؤلفك الأخير . بماذا تشتغل الآن ؟

فرمى جان نوروا قطعة من الورق على ما كان يكتب ، ولكنه لم يصب الهدف ، وصاح موريس :

— إمرأة نوح ! هه ، هذه القصة القديمة ! مسخت تمثالاً من الحجر جزاء التفاتة ! أعجب دائماً برموز الكتاب المقدس ! أما هذه النقطة فلن نتفاهم عليها قط .

فأجاب جان بحرارة :

— كلا ، لا تستطيع أن تفهم ، ولن تتخيل يا صغيرى كم يسرنى هذه المرة ألاّ تفهم ! . . .

ترجمة

« دمشق » ناجى الطنطاوى

فى الأدب الإنجليزى الحديث

د . هـ . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدى

٣ – السبيل إلى فهم فلسفته

يعجز الكثيرون — ومن بينهم كبار النقاد ومشهورو الكتاب — عن فهم لورنس وفلسفته ، وما ذلك إلا لأن سلاحهم هو العقل وحده، وعمادهم هو المنطق والقوانين المنطقية. فأول ما يجب أن يراعيه دارس لورنس هو أن هذا الكاتب ليس مما يسهل فهمه بالعقل ، وإنما إلى جانب ذلك يجب أن يستعين القارئ بخياله وتجاربه وشعوره الجسماني . فلورنس قبل أن يصل إلى آرائه وقبل أن يستخلص فلسفته لم يلجأ إلى العقل أو التفكير بل كان عماده الغرائز الطبيعية ووحيه الرغبات الجسمية . والحقيقة أن لورنس رجل نحسه فى دمنا ، وفلسفته تختلف عن فلسفة كل من سبقه من الكتاب والشعراء ، فهى ليست بناء شامخاً من العقل والتفكير ، وإنما هى تجربة أو سلسلة من التجارب أحسها صاحبها فى دمه ثم نقلها إلينا فى صورة كلمات . وواجبنا نحن عند دراستها أن نرد هذه الكلمات إلى أصلها فنحسها كتجربة تجرى فى دمنا ، كما كان الحال مع صاحبها فى أول الأمر ، فنحن إذ نقرأ لورنس فإنما نصحبه فى رحلة طويلة فى عالم جديد علينا .

ولما كانت كتب لورنس هى عبارة عن قصة روح تجول فى العالم الإنسانى تبرز ما فى المجتمع من عيوب ، وتحذر الناس من تيار المدنية الحديثة الذى قد يجرفهم إلى هاوية لا يعرف لها قرار ، فواجبنا عند دراسة لورنس أن ندرس تجاربه التى على ضوئها وصل هو إلى آرائه وأفكاره التى ضمنها كتبه . ويجب أن نذكر دواماً أن لورنس كان فناناً قبل أن يكون كاتباً ، حتى نفهم أن تجاربه وحدها ما كانت لتكفيه ، فعمد إلى توسيعها والتعمق فيها ، بل والتفانى فى وصفها أحياناً . ومن ثم كانت شخصيات رواياته حقيقية وغير حقيقية . فهى حقيقية لأنها منقولة من الحياة وأصلها فى الحياة ، وغير حقيقية لأنها تأتى من الأعمال ما قد يختلف عما تأتيه مثيلاتها فى الحياة . وقد كانت هذه الظاهرة أو هذا التناقض سبباً فى فشل كثير ممن حاولوا دراسة لورنس ، لأنهم لم يحسبوا لهذه النقطة حساباً

ويختلف لورنس عن غيره من كتاب عصره فى توجيه اهتمامه إلى اللاشعور أكثر منه إلى الشعور . ومن ثم كان الاختلاف البيّن بين شخصيات رواياته وبين شخصيات الروايات الأخرى . فالأولى تعمل مدفوعة بقوانين أعمق من قوانين شخصيات الروايات الثانية ، فهى أكثر حساسية وطواعية لقانون اللاشعور من الأخرى ، وكان هذا الاختلاف مصدر صعوبة كبيرة فى فهم ما يرى إليه لورنس فى بعض كتبه . ولم يغب عن الكاتب مبلغ ما سوف يلاقيه قراؤه من العناء فى فهم هذه الكتب فعمد إلى بسط آرائه وشرحها بطريقة مباشرة لا رموز فيها ولا أحاجى فى بعض كتبه التى من أهمها كتاباه عن تحليل اللاشعور وكتابه الذى يحتوى على مقالات متنوعة ؛ وأخيراً كتابه الذى طبع بعد وفاته واسمه «فينكس»

ومن أكبر الصعاب التى صادفت لورنس أنه قام يبشر بدين الجسم ويبث الدعاية له بين قوم عبدوا العقل ونصبوه إلهاً عليهم ، وكان لزاماً عليه أن يأتى بالمعجزات قبل أن يستطيع تحويل الناس عما يعتقدون إلى ما يعتقده هو . رأى لورنس هذه الصعوبة ، ولكنه كان لا يعرف لليأس معنى، ولا كان الفشل يعرف له طريقاً رغم أنه كان يصدم المرة بعد المرة ، وما ذلك إلا لأنه كان واثقاً من صدق رسالته ، ومن الفوز فى النهاية . لقد شعر فى داخلية نفسه بالصراع المنيف بين الجسم والعقل ، كل يريد أن يبسط سلطانه ويسيطر على الآخر . وهذا هو السبب فى أن القارئ المدقق يجد دائماً فى كل شخصية من شخصيات روايات لورنس تيارين من الحياة : تيار الحياة العادية وتيار الحياة الرمزية ، بمعنى أن لورنس كان يرى فى كل شخصية قوتين : قوة العقل التى تحاول أن تجمل كل شىء يبدو صحيحاً ، حتى ولو عاد على صاحبها بالضر ، والقوة الثانية هى قوة الجسم الغريزية ، وهذه لا تخدع ولا تُخدع ، فما يعود على صاحبها بالضرر تجنبته ، وبالعكس تقبل على ما فيه مصلحة صاحبها لا يؤثر فيها مؤثر ولا يثنيها عن طريقها مغر من المغريات الصناعية . ولقد لاحظ لورنس على حياتنا الحديثة أننا بدأنا نضرب بقوة الجسم ورغباته عرض الحائط ، وبذلك نمهد السبيل لسيادة العقل وسيطرته علينا . ومن ثم كان الصراع المنيف الذى يجرى فى داخل شخصيات لورنس التى ترى إلى

كسر قيود العقل والتحرر من ربقة استعباده ، حتى توفق إلى الاستماع إلى رغبات الجسم ثم العمل على تحقيقها ، وبهذه الطريقة تستكمل الحياة الصحيحة الحقة . ويرى لورنس أن رغبات الجسم لا تكذب قط ، فالجسم هو الذى يشعر بالجوع والعطش ، وهو الذى يشعر بالفرح والحزن ، وهو الذى يشعر بالحب والكره ، وهو الذى يشعر بالعطف والنفور ، وهو الذى يشعر بالحنو والصد وما إلى ذلك من العواطف التى مرجعها الجسم وحده ، وأما العقل فلا تتعدى وظيفته تسجيل هذه العواطف والاعتراف بها

وإن حياة الجسم لتظل طبيعية حتى يتدخل فيها العقل ، فيحدث الانقسام ويبدأ التفريق بين الخير والشر ، وهذا أساس شقاء البشر ، وهذا الانقسام هو نتيجة لرغبة العقل فى تقييد الجسم والحد من حريته ، فهو لا يريد أن يتركه يشعر كما يشاء أو يطلب ما يريد ، ثم لا يقتصر الأمر على ذلك ، بل يحاول العقل أن يملى على الجسم طائفة من العواطف ينمنها له بأنها الخير ، ويحرم عليه طائفة أخرى على اعتبار أنها الشر ، وبمعنى آخر يحاول العقل أن يبسط علينا سيطرته ثم يتحكم فينا بعد ذلك فيفرض علينا ما يجب أن نشعر به وما لا يجب أن نشعر به ؛ ثم بعد ذلك يفرض علينا كيف نشعر بهذه العواطف التى اختارها لنا ، ويستمر العقل على مسلكه هذا كلما أنس من الجسم خضوعاً وخنوعاً ، حتى يأتى الوقت الذى تموت فيه كل مشاعر الجسم وعواطفه ، ولا يبقى سوى هذه العواطف المصطنعة المتكلفة التى صاغها لنا العقل وخدع بها الجسم . وقد مثل لورنس شخصية الرجل الحديث فى روايته الصادرة « عشيق لادى تشاترلى » تحت اسم كليفورد الذى يدعو إلى العواطف المنظمة التى رسمها لنا العقل ، ويدعو كذلك إلى استئصال العواطف الجائشة الطبيعية التى لم يتناولها العقل بالتهذيب والتشذيب

ويرمى لورنس من كتاباته سـواء فى ذلك رواياته الطويلة أو قصصه القصيرة ، أو مسرحياته الأربع ، أو كتب أسفاره ، أو مجموعة أشعاره ، إلى فك قيود الجسم وتخليصه من الأغلال التى أصبح يرسف فيها منذ أمد طويل . ويرى لورنس أن الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هذه الغاية لا تكون إلا بترك الجسم يستمع إلى أحلامه ، وينفذ رغباته دون أن يكون عليه من العقل رقيب أو محاسب ، وبمعنى آخر يريد لورنس أن يوقظ الجسم من سباته العميق ، أو يبعثه من رمسه بعد أن دفنته المدنية الحديثة ووارته التراب . فنى القصة القصيرة المسماة : « شمس » ، ترى المرأة وقد استلقت عارية ، لتهب نفسها للشمس ، لأنها شعرت برغبة جسمها فى ذلك ، وبذلك تتغلغل الشمس فى جسمها وتشعر المرأة بالحياة قد دبت فيه ، وتسير ، وقد امتلأت حيوية وجمالاً . لم تسأل المرأة نفسها: لِمَ يطلب جسمها الشمس، ولِمَ رغب فيها، لأن هذه الأسئلة هى من صنع العقل وابتكاره . لم تفكر المرأة فى العقل ولا فى أسئلته أو منطقه ، وإنما حصرت كل تفكيرها فى جسمها ، فعمدت إلى إعطائه ما يطلب، حتى إذا فعلت شعرت كأن ينبوع الحياة قد تفجر من جسمها من جديد ، بعد أن جف ماؤه أو كاد ... ولقـد اختار لنا لورنس هذه المرأة مثالاً نحتذيه ونقلده ، بعد أن رأى الناس قد أعطوا العقل أهمية لا يستحقها ، ورفعوه إلى مكانة ما كان له أن يرتفع إليها . لقد أولوا أسئلته أذناً صاغية ، وكان من أثر ذلك أن تحكم فيهم العقل وتسيطر عليهم ، وكل ذلك على حساب الجسم ، وكانت النتيجة الحتمية أن بات الناس يعيشون ، وما هم بأحياء . خلق لهم العقل حالة وأجبرهم على الاستقرار فيها دون تغيير أو تبديل ، وهذا أبعد ما يكون عن الحياة الصحيحة . ونحن نشاهد أثر ذلك فى فشل كثير من الزيجات فى عصرنا هذا ، لأن حبنا فى الحقيقة إنما هو وليد العقل لا دخل للجسم فيه ، وأما الزواج الحقيقى فأساسه الجسم وعماده الرغبات الجنسية ، ولذلك نجد أن زواج العقل الحديث مآله إلى فشل ثم إلى طلاق .

ونحن لا ننكر أن كثيراً من علماء علم النفس أمثال يونج Jung وفرويد Freud ولجوا باب اللاشعور قبل لورنس وحاولوا تحليله ، ولكنهم اتبعوا فى ذلك الطريقة العلمية التى تعتمد قبل كل شىء على العقل ، وحذا حذوهم بعض الكتاب المصريين أمثال أندريه جيد André Gide وألدس هكسلى Huxley فلم يتركوا باباً دون أن يلجوه ، فكتبوا فى اللاشعور ، ولكن كان رائدهم فى ذلك العقل والتفكير ، حتى تجاربهم العلمية أعطوها صبغة عقلية محضة ، ولذلك فشلوا حيث نجح لورنس لأنه لم يعتمد على غير تجاربه الخاصة التى ترجمها إلى لغة جسمانية صريحة أثارت المجتمع وأقامته ضده

حتى فى خلق شخصيات رواياته ، لم يستلهم سوى غرائزه وحواسه . وكان هذا سبباً فى عجز كثير من الكتاب العقليين

عن فهم لورنس وإدراك فلسفته ، ولكنهم لم يترددوا فى الاعتراف له بقصب السبق وتفوقه عليهم فى مضمار العبقرية والنبوغ . فنرى مرى Murry صديق لورنس الحميم أثناء حياته وعدوه اللدود بعد مماته يقول فى كتابه المسمى «ذكريات عن لورنس» : « إن للورنس من التجارب مالا طاقة لنا على فهمه أو إدراكه . ولم يكن أصدقاؤه ليستطيعوا أن يجاروه أو يسيروا معه جنباً إلى جنب نظراً لأن ما يراه هو سهلاً بسيطاً يدق على أفهام الكثيرين ويصعب فهمه » . ثم يقول هكسلى فى أحد كتبه عن لورنس : « إن صحبة الإنسان للورنس عبارة عن اشتراكه وإياه فى مغامرة استكشافية يرى فيها الإنسان كل ما هو جديد عليه . وذلك لأن لورنس يعيش فى عالم غير عالمنا ، ويرى ما لا نرى ، ويستخلص مما يرى ما نعجز نحن عن استخلاصه . والحياة فى نظر لورنس ما هى إلا دور نقاهة طويل يشعر فيه الإنسان وكأنه قد خلق من جديد فى كل يوم وفى كل لحظة ... ولونس يعرف كل شىء عن كل شىء ، فهو يعرف الشجرة وكنهها ، والزهرة وأصلها ، والقمر وما يحيط به من إبهام وغموض ، وفى مقدوره أن يتقمص جسم أى حيوان ثم يحدثنا بإسهاب وتطويل كيف يشعر هذا الحيوان وكيف يحس وكيف يفكر »

وهناك نقطة أخرى يحار كثير من القراء فى فهمها ، لأنها غير مألوفة لديهم ، وهى أن شخصيات روايات لورنس سهلة الانتقال من النقيض إلى النقيض فى أقصر وقت ، فمن اليأس إلى الأمل ، ومن الحزن إلى السرور ، أو من الغضب إلى الرضا ، ومن الانفعال إلى الهدوء . وهذه الظاهرة وإن كنا لا نلحظها فى حياتنا العادية إلا أنها موجودة حقاً بين الشعراء والفنانين . ولما كان لورنس نفسه شاعراً فناناً فقد عمد إلى خلع بعض مواهبه على شخصيات رواياته بأن خلق فيهم هذه الحساسية المرهفة . ولورنس ليس من أولئك الذين يرون حداً فاصلاً بين الحقيقة والخيال ، بل يراهما متداخلين تداخلاً تاماً ، وهذا ما عنى بتصويره فى رواياته نقلاً عن الحياة . ففى رواياته « سانت مور » و « قوس قزح » و «غرام النساء» لا يكاد القارىء يتبين الخط الذى يفصل بين الحلم والحقيقة ولا يسهل عليه أن يتعرف من أين تبدأ الحقيقة ومن أين يبدأ الحلم وأين ينتهى كل منهما . وهذا الرأى وإن يكن غير مألوف فى روايات كتاب العصر الحالى إلا أنه موجود حقاً فى الحياة ، ولورنس إذ يكتب يصور لنا الحياة كما يراها هو لا كما اتفق الناس على أن تكون .

وثمة صعوبة أخرى تعترض بعض قراء لورنس وتقعدهم عن فهمه أحياناً ، ألا وهى اللغة التى يستعملها فى نقل فلسفته غير المألوفة لنا . فلورنس وهو يترجم تجاربه فى صورة كلمات يحاول جهد طاقته أن يشرك القارىء فى نفس التجربة التى مر بها هو ويشعره بها كأنها تجربته الخاصة ، وطريقه إلى ذلك هو صوغها فى لغة تتفق والتجربة تماماً . فهو يبذل المستحيل كى ينتقى من الكلمات ما يناسب كل إحساس جسمانى ، كما يحاول فى الوقت نفسه أن يتخير التعبيرات التى توافق كل فعل منعكس يصحب هذه الإحساسات الجسمانية . وقد وفق لورنس فى محاولاته هذه كل التوفيق مما وضعه فى مصاف كبار اللغويين وقادتهم . ولم تكن مهمة لورنس بالسهلة اليسيرة ، ولكنه ما كان لييأس أو يستسلم ، ولم تقف مجهوداته الجبارة عند حد إيجاد الكلمات التى تعبر أصدق التعبير عن الإحساسات الجسمانية والعواطف العميقة التى تصحبها بل عمد أيضاً إلى خلق لغة خاصة للاشعور . وهذه وإن بدت غريبة غير مألوفة لدى القارئ عند أول وهلة إلا أنها لو درست ووفيت حقها من الدراسة لوجد أنه بغيرها لا يمكن التعبير عما أراد لورنس التعبير عنه . ونقطة أخرى يجب أن نلفت نظر دارس لورنس إليها وهى تمت إلى موضوع لغته بصلة، هى أن هناك بعض كلمات يجب أن تفهم كما فهمها لورنس نفسه لا كما أجمع الناس على فهمها ، ومن أمثال هذه الكلمات : « الظلام » و « الكهرباء » و « الرجل » و « المثل الأعلى » و « الغيرية » فهذه الكلمات وأمثالها استعملها لورنس وقصد منها غير ما اتفق الناس عليه

ويبوء بالفشل كل من يحاول أن يستخلص من كتابات لورنس وفلسفته طريقة ثابتة للحياة على اعتبار أنها المثل الأعلى ، وذلك لأن لورنس كان عدو الاستقرار اللدود ، وكان يعتقد أن كل محاولة لخلق طريقة يعيش الإنسان على منوالها طول حياته هى الخطأ كل الخطأ ، بل هى الموت بعينه وإنما فى صيغة أخرى . فلزام على الإنسان أن يتغير ويتلون حسب مقتضيات الأحوال لا أن يعيش على وتيرة واحدة . ويقول لورنس فى أحد كتبه : « لا يجب أن تبقى الوصايا الدينية ثابتة دون تغيير . بل يجب أن تذبل وتذوى وتموت كما تفعل الزهور تماماً ، فهى ليست أفضل

من ذكريات الحرب الماضية

أخى ...

للأستاذ ميخائيل نعيمه

أخى ، إن ضجّ بعد الحر   ب غربىٌّ بأعماله
وقدّس ذكرَ من ماتوا   وعظّم بطشَ أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا   ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتاً مثلى   بقلبٍ خاشعٍ دامٍ
لنبكى حظَّ موتانا

أخى ، إن عاد بعد الحر   ب جندىٌّ لأوطانه
وألقى جسمه المنهو   ك فى أحضان خلانه
فلا تطلب إذا ما عد   ت للأوطان خلانا
لأن الجوعَ لم يترك   لنا صحباً نناجيهم
سوى أشباحِ موتانا

أخى ، إن عاد يحرث أر   ضه الفلاح أو يزرعْ
ويبنى بعد طولِ المهجـ   ـر كوخاً هدّه المدفع
فقد جفت سواقينا   وهد الذل مأوانا
ولم يترك لنا الأعدا   ء غرساً فى أراضينا
سوى أجياف موتانا

أخى ، قد تمّ ما لولم   نشأهُ نحن ما تمّا
وقد عمّ البلاء ولو   أردنا نحن ما عمّا
فلا تندبْ فأذن الغيـ   ـر لا تصغى لشكوانا
بل اتبعنى لنحفر خنـ   ـدقاً بالرفش والمعولْ
نوارى فيه موتانا

أخى، من نحن؟ لا وطنٌ   ولا أهلٌ ولا جارُ
إذا نمنا إذا قمنـا   ردانا الخزىُ والعارُ
لقد خمّت بنا الدنيا   كما خمت بموتانا
فهات الرفش واتبعنى   لنحفر خندقاً آخرْ
نوارى فيه أحيانا

منها فى شىء ؛ وإن مقاومة ناموس الحياة لهو الشر بعينه . فإذا أحب الإنسان الحياة حقاً وإذا كان يشعر بقدسيتها يجب أن يعترف دائماً أنها تتطلب منه اليوم غير ما تطلبت بالأمس ، وأنها فى الغد ستكون مختلفة عما كانت عليه اليوم ، فعليه إذن أن يلبس لكل حال لبوسها وألا يقاوم رغباتها ومقتضياتها ، وإلا فهو ميت حى ، لأن سر الحياة هو الطاعة ، طاعة الدوافع التى يشعر بها الجسم ثم العمل على تحقيقها » ويعتقد لورنس أنه ليس بين الحياة والموت وسط وما على الإنسان إلا أن يختار بينهما ، وهو بكتاباته يرمى إلى إرشاد الناس كيف يعيشون عيشة هى الحياة نفسها

وبرغم أن المعجبين بلورنس وأتباع مدرسته يتزايدون يوماً بعد يوم إلا أنه لا بد أن يمضى قرن من الزمان قبل أن يتبوأ لورنس مكانته التى تليق به بين كتّاب العصر الحديث كما حدث للشاعر الإنجليزى وليم بليك من قبل .

(يتبع)

عبد الحميد حمدى
خريج جامعة اكستر بانجلترا

وحدة العمر

للأستاذ حسن كامل الصيرفى

تعال فقد عرفتُ حدود نفسى   وأدركتُ السعادة ملْءَ كأسى
تعالَ إلىّ واملأْ رَحْبَ حسّى   فإنى اليومَ لست خيال أمس !

تعال فقد تحطّمتْ الكؤوسُ   ومالت من تفاعُلِها الرؤوسُ
وشاهتْ فى ضلالتها النفوسُ   تعال إلىّ تتبعُكَ الشموسُ !

تعالَ إلىّ يتبعُكَ الشُّروقُ   وتلمعُ من خواطرك البروقُ
فقد سَكِرَ الظلامُ فما يفيق   وطال على مُناجيكَ الطريق !

تعال ، تعال أسمِعنِى غناءكْ   تعال ، تعال صوِّرْ لى سماءكْ
تعال ، تعال أشرِبنى ضياءكْ   فإنى اليوم ظمآنٌ إزاءكْ !

تعال لحيرتى أخذت تولّى ! | تعال فرغبتى بدأت تصلّى
وتنزع عن تساميها التدلّى | تعال فأنت أسرارُ التجلّى !

تعالَ ، تعال طهّرْنى بنارك ! | وأهّلْنى لأمزجَ فى سوارك
تعالَ إلىَّ طهّرْنى وبارك | فؤاداً ظلّ يفنى فى جوارك !

تعالَ فأنقذِ الإيمان ممّا | يحاول أن يحيلَ الطُّهرَ إثما
ويمعن فى اجتذاب النفس رغما | فما أقسى الحياةَ ، تفيض لؤما !

تعالَ فهذه كأسُ الليالى | يحوم على حفافيها خيالى
وتلمسها يدٌ تدرى مآلى | فتقصينى ، وأىَّ يدٍ أبالى !

تعال فهذه اليد كم أشارتْ | وحامت فى الظلام وما توارت
وأزعجت النفوس وما استثارت | يداً أقوى تحطمها ... فجارتْ

يد الأقـدار تزعجنى دواماً | وتشهر فى سكينتى السهاما
وتملأ رحب إحساسى زحاماً | تعال تحوّلْ الدنيا سلاماً !

سألزم كوّتى وأظلّ أرنو | إلى الأفق البعيدِ وأنت تدنو
ونور الفجر يغمرنى ويحنو | علىَّ صباحُهُ ، وسناكَ يدنو

ستختلف الحياةُ أمام عينى | تمرّ طيوفهـا وتغيب عنى
وتفنى فى محيطٍ من تمنٍّ | وأحلام تلوحُ بكل لونِ

وما أنا غيرُ طيف من رؤاها | تأخّر حينُهُ حتى يراها
ويعرفَ ضعفها ومدى قواها | وتفرحُهُ وتبكيه مُناها

تعالَ فربما جاوزتُ دارى | فتجذبنى الحياةُ إلى قرارى
فأمشى بين أضواء النهارِ | إلى ليلى ، ويهزأ بى انتظارى

تعال وفىَّ أحلامٌ وروح | تعال وفىَّ أطيافٌ تروحُ !
تعال وفىَّ أضواءٌ تلوح | تعال وفىَّ أعطارٌ تفوحُ !

تعال فقد بلغتُ حدودَ نفسى | وأطمع أن أحقّق طيف حدسى
فهل لك أن تذيبَ ثلوجَ يأسى | وتمزج حاضرى بغدى وأمسى ..

حسن كامل الصيرفى

النائح الشادى

للأستاذ فؤاد بليبل

كُفَّ النُّواحَ فقد أثرتَ توجُّعى
إنَّ الذى أشجاكَ مزّق أضلعى

يا نائحاً فى الدوح يندبُ حظه | دع عنك لحنَ اليأس واهجرهُ معى
قَلبى كقلبِكَ مُوجَعٌ متألم | أعجِبْ بقلبى الضاحك المتوجّع
لك يا هزارُ بما أكتّمُ أسوة | فاصدح على فنن الأراكة واسجع
كفَّ البكاءَ ودع أناشيد الأسى | لا أنتَ فى قفصٍ ولا فى بلقع
وارقُصْ على الغصنِ النّضيرِ مرجّعاً
فى كلِّ مُؤْنقةٍ ورَوْضٍ مُمْرعِ
فعلامَ تبكى فوقَ أشواكِ الرُّبى | بين الطلول ودارساتِ الأربُع
وأمامَكَ المَرْجُ الخصيبُ ودونَكَ الـ
ـروضُ القشيبُ وصافياتُ الأنبع
وحيالكَ الآمال ملأى بالمُنى | وتجاهكَ الأفقُ الرحيبُ المرتع
لكَ منزلٌ فى الدَّوْح لو أُنزلتُه | لأُديلَ من حُزنى وزالَ تفجُّعى
ناءٍ عن الظلم المضيمِ مكانةً | مخضوضر الشرفاتِ حلو الموقع
بَسَمتْ لكَ الدنيا فمالكَ عابسا | وتجهّمتْ لى فابتسمتُ لمصرعى
أشجاكَ أنك قد شُغفتَ بوردة | غذّيتَها بفؤادِكَ المتقطّع
وسقيْتَها ماءَ الشئونِ فأينعتْ | بين الورُودِ وليتَها لم تينع
وتفتحتْ أكمامُها وترعرعت | فى الروضةِ الغنّاء أىّ ترعرُع
وكأنما اغترّتْ بفاتنِ حُسنِها | فمضتْ تَتِيهُ به بغيرِ تورُّع
والحسنُ كان ولا يزالُ وسيمه | شركَ القلوب وقبلةَ المتطلع
وتلاعبتْ فيها الأكفُّ ودُنّست
بأصابعٍ شتى وأيدٍ قطّعِ
واستنفرَتْ لمّا رأتكَ وقد أتى | زَمَنُ الحصادِ وآذنتْ بتمنّع
فاقلبْ لها ظهرَ المجنِّ فليس فى | أكمامِها للحرِّ أدنى مطمع
وأربأ بنفسِكَ أن تكونَ ذليلةً | فالورد ملء الروض فاختر واقطع
واملأْ سماء الشعر ألحاناً ولا
تكُ فى وجومكَ كالغراب الأسنع



دراسات فى الفن

كنت أحسبك رجلاً !

بهذا ودعت استراوس عشيقة

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

كان لاستراوس عاشقتان ، وكان لكل واحدة منهما اتجاه فى الحب ، وكان هو يحبهما معاً ، وعلم الله أنه كان يود بكامل صدقه وإخلاصه ، لو أنهما كانتا عاشقة واحدة ، فقد كانت كل واحدة منهما تكمل أختها ، ولم يكن يعيب إحداهما إلا أنها استقلت عن الأخرى بجسد وحدها ...

ولكنها حكمة الله التى شاءت أن تتبعثرا اثنتين !

تزوجته منهما واحدة ، وشالت عنه واحدة بعد ماظلت تحوم حوله زمناً لم تهمل فيه حيلة من حيل الإغراء التى تستولى بها النساء على الرجال ، ولم تستر فيه حسنة من حسناتها ، وقد كانت كلها حسنات مما يخلب الألباب ، ولم تحجب فيه بريقاً تألقت به روحها ، بل كانت تحرق فيه روحها لتتألق أمامه متفانية ، لعلها تستهويه إذا احترقت ونورت ، ولم تدع فيه قوة من قوى الأنوثة التى حبتها الطبيعة بأقواها وأشدها وأحكمها ، إلا سلطتها عليه لتخذله بها ... فما استطاعت أن تصل منه إلى شىء أكثر من أنه أحبها كما كان يحبها ، وما كان هذا الذى تقصده ، وإنما كانت تريد أن تأخذه أخذ النساء اللواتى تعرفهن للرجال الذين تعرفهم . فلما عجزت وسائلها عن تمكينها من غرضها يئست وأعلنت إفلاسها

يكفيك أنك كنتَ أوّلَ ناشق … دون الطيور لعَرفها المتضوّع
يكفيك أنك قد رشفت رضابها … فاترك بقاياها لغيرك واقنع
دَعها لسافلةِ الطيور غنيمةً … وانشدْ سواها فى مكانٍ أرفع
فى موضع أقوى الفساد عرامه … وا روعتاهُ لطهر ذاك الموضع !
وإذا ظمئت ولم تجدْ لك منهلا … عذْب المياه كصافياتِ الأدمع
فاطوِ الضلوعَ على الصدى أو مُتْ به … حرًّا أبيّ النفسِ غيرَ مروّع
لَلموتُ خيرٌ من ورودك موردا … ولغَ الكلابُ بمائه المتجمّع
من كان لا يرضى المجرة مشربا … هيهات يغشى كدرة المستنقع

* * *

ومغيظة أمحتْ عليّ بلومها … راحتْ تصبُّ عتابها فى مسمعى
قالت (وما كذبت) أراك سلوتنا … ودنت تعانقنى فقلت لها ارجعى
فاستغربتْ مما رأته وهالها … ألاّ أطاوعها على ما تدّعى
قالت أتذكر حين كنتَ متيّما … تشكو لهيب فؤادكَ المتصدّع
وتروح تقسم أن تصون عهودنا … فعلام خنت إذن أجب أفلا تعى؟
فأجبتها قدْ كان ذلك والهوى … عفٌّ وثوبُ الطهر غير مرقع
أغراك أنى شاعرٌ متعبّدٌ … للحسن أرعاهُ بقلبٍ موجَع
أهوى ، نعم أهوى الجمال مبرقعاً … بالطهر لا أهواهُ غيرَ مبرقع
أهوى الجمال عفيفَهُ وبعيدَه … عن كل شائنة وفحش مُقذع
ولقد أعافُ الشىء مع أنى به … كلف شديد الوجد صعب المنزع
وأعودُ عنه وملء نفسى شهوة … وكما علمتِ تعفّفى وترفّعى
كم منهلٍ يمّمْتُهُ متجرّعاً … سقطَ الذبابُ به فلم أتجرع
قد كان حسنك قبل ذلك ملعبى … واليوم بات وقد تدنّس مفزعى
عودى إلى ما كنتِهِ من عفةٍ … أو فاتركينى لا تقضى مضجعى
ودعى التصنّعَ بالغرام فما أنا … ممن يبالى بالهوى المتصنّع
إن تبتغى وصلاً فلست بمبتغ … أو ترمى صلحاً فلست بمزمع
أو كنتِ مولعةً وأنت كما أرى … تبغينَ تضليلى فلستُ بمولع

« دار الأهرام »

فؤاد بليبل

وهجرته ، وقالت له وهى تودعه متمشقة فى حنقها : « كنت أحسبك رجلاً » ... قالتها وهى تظن أنها سمته بها ، وتركته ومضت ... لو عرفت أن أشد النساء عداوة لها أوشكت أن تحب استراوس وأن تهيم به ، لحذرتها منه رحمة وبراً بالأنوثة أن يذلها هذا الذى كانت تحسبه رجلاً ... فتبينته غير رجل !

ولو علمت هذه الصغيرة أنها حين رأت استراوس فى صورة غير صورة الرجل ، رأت منه جوهر نفسه ... إذن لما تركته ولا هجرته ما دامت تحبه ، ولبدأت تعالج الحب على أساس جديد غير ذلك الأساس الذى يقوم عليه الحب بين المرأة والرجل . فقد كان استراوس غير رجل حقاً ، ولكنه فى كونه التائه كان لا يزال يحب المرأة ، ويستلم لها ، ويفزع كلما خيل إليه أنه قد يقضى الحياة من غير امرأة .

وكانت زوجه تعرف فيه هذا ، وإن لم تكن ترى شيئاً وراءه فكانت تظله بالذى يطيب لها من ظلال أنوثتها وحبها فاشتد سلطانها عليه ، وتحكمها فيه حتى كانت النظرة اللائمة منها تهطل على أشد ثوراته اندلاعاً فتطفئها وتخمد أنفاسها

فماذا كان استراوس ؟

كان إنساناً كبقية الناس ، ولكنه كان إلى جانب هذا قليل الصلة بالدنيا لأنه كان شديد الصلة بما فى أعماقها ، وكان قليل الحيلة فى اصطناع حركات الناس وسكناتهم لأنه كان شديد الخبرة بدخائل نفوسهم ، شديد المراقبة لخلجات هذى النفوس ونبضاتها ، شديد الموازنة بين ما يراه وبين ما ينزع إليه من الكمال ، شديد النقد لما يبدو له من النقص والعيب . والذى ينفذ هذا النفاذ إلى ما تستره مادة الدنيا لا يمكن أن يشبه الرجال الذين يعيشون على سطحها ، والذين يسمون على وجهها سمى الهوام والماشية . وإنما له كيان آخر ، دلائله وآياته فنونه . وقد كان استراوس فناناً ، وكان فنه يستدعيه إلى الأعماق ، وكانت عاشقته التى نفرت منه تغوص معه إلى الأعماق أحياناً فيتزاوجان ولكنها كانت تنسى إذ ذاك أنه رجل وأنها أنثى ، فإذا ذكرت هذا طفرت إلى السطح وأرادته أن يسمى إليها طفراً هو أيضاً ، ولكنه كان يظل حيث هو ويناديها إليه فلم تكن تستطيع أن تعود إليه إلا إذا نسيت أنها الأنثى التى تريدها هى

فهل لم يكن ميسوراً أن تدرج إلى مغاوره وكهوفه فى ثوب من الأنوثة يخلبه ؟ قد كانت تستطيع لو أنها تطلعت إلى أزياء الأنوثة فى المغاور والكهوف كما كانت تتطلع إلى أزيائها فى « فيينا »

فى المغاور والكهوف لا يتملق الناس إلا بالحق ، ولا يغشهم إلا الصدق ، ولا يمكن أن يتبادلوا العواطف إلا بوحى من الطبيعة لا بوحى من الحاجة ، وبنداء من الروح لا بنداء من المادة : ذلك أن العواطف لهفات الروح لا البدن . وهم أقرب الناس إلى الأطفال . بل إنهم الأطفال ينمون فى طفولتهم ، ويكبرون فى صغرهم . ولولا هذا لخرجوا من هذه المغاور والكهوف إلى حيث يستطيعون أن يصارعوا الرجال فى الحياة القائمة على وجه الأرض ، والتى يتراشق الناس فيها بقنابل من الأباطيل والأكاذيب والحيل والمخادعات

إنهم عاجزون ، والله مع العاجزين هذا العجز ، وهو يعوضهم عنه قوة أخرى هى هذه الحاسة النادرة التى لا يجاهد فى سبيل اكتسابها إلا أقل الناس ، والتى تقتصد الطبيعة كل الاقتصاد فى تهيئة عناصرها فى النفوس ، والتى يدرك بها هؤلاء الأطفال الكبار العاجزون من حقائق الوجود ما يغيب عن إدراك الكبار الرجال الذين ليسوا أطفالاً

ولم تكن البارونة الصغيرة تلمح هذا ولا كانت تعرفه ، وإنما كانت تسحرها أغانى استراوس وألحانه ، وكانت تؤديها كأطيب ما تصبو إليه نفسه هو فتشعر حينئذ بأن روحه من روحها ، وأن روحها من روحه ، فإذا ادلهمت عليه بأنوثتها رأته كالمسحور أو المعمول له عمل ، فلما طال هذا وتكرر أدركت أنه غير رجل ، ولكنها زعمت أن هذا الإدراك يجب أن يكون نهاية الصلة بينهما ، فقطعت صلتها به وما فكرت فى هذه الحالة الشاذة ولا فى طريق علاجها ، ولم تذكر أنها أنشدت له لحناً صاغه هو لتتبرج به هى فى حفلة من حفلاتها ، ولم يكن هذا اللحن إلا آهات كل آهة منها حكم تصدره على رجل بعينه من النظرة الأولى التى تلقيها عليه ، فللمغرور المعجب بنفسه آهة فيها السخرية بغروره وتيهه ، وللحالم المتثائب عن الوجود آهة مرسلة شاردة كأنما تصاحبه إلى الملكوت الأعلى ، وللسمين القاعد على روحه آهة دسمة كأنما هى الرغيف المحشو برغيف آخر فيه خروف صغير ، وللمهندم المؤدب الأنيق المترجج آهة مرتعشة مخنوقة كأنها محرجة وجلة ... ولم تذكر أن هذه الآهات تعددت فى اللحن وتكاثرت بألوانها ودلائلها حتى لم يعد من المعقول أن يقال بعدها إن استراوس بعيد عن نفس المرأة وعقلها ، جاهل

طريقة تفكيرها ، غافل عن أحكامها و « حيثيات » هذه الأحكام

وقد كان هذا اللحن وحده يكفى لكى تعلم البارونة الصغيرة أن استراوس الذى يتسمع إلى الصمت فى الطبيعة كما يسمع أصواتها وينظم من هذا وتلك ألحانه المعجزة ... بصير أيضاً بالنفوس عامة سواء منها نفوس النساء ونفوس الرجال ، والبصير بالشىء لا يعجز عن نيله ، مادامت فيه القوة التى تمكنه من نيله وقد كان استراوس فى أزمته الغرامية هذه شاباً فتياً له جسد الإنسان الرجل النزاع إلى جسد الأنثى ... فما الذى منعه عنها ؟ أمانة الزوجية ؟

قد يكون هذا ، ولكنه بعيد لأن حياة استراوس مع البارونة الصغيرة لم يحدث فيها مايدل على أنه استشعر الأنوثة التى ترضيه فيها — وهى أنوثة المغاور والكهوف — تحاول أن تنزوه فيصدها بهذه الأمانة . بل الذى حدث هو عكس هذا فقد قدم استراوس عاشقته هذه لشعب من أصحابه فى ثورة من ثورات فيينا على أنها فنانة مغنية فقط ، ولم يكن فى هذا كاذباً ولا مجاملاً ، بل كان صادقاً لأنه لم يشعر منها إلا بأنها كما قال . فلم تكن الأمانة الزوجية هى التى حالت دون استراوس وعشيقته ، وإنما هذه العاشقة نفسها هى التى التوت على حبها ، والتوت على نفسها ، والتوت على حبيبها ، وكان بيدها ألا تلتوى

وقد يسائلنا سائل عن هذا الذى نطلبه من المسكينة الصغيرة ما هو ؟ أكنا نريدها أن تخرج على طبيعة المرأة أكثر مما خرجت فتدعو إليها استراوس بالذى دعت به امرأة فرعون إليها سيدنا يوسف الجميل ؟ !

ونحن نقول لا . ونقول إن الحب لا ينتج إلا من صراع فى الغزل ، والصراع فى الغزل إذا انتهى إلى حب فهو واحد من حبين فى نفس كل من العاشقين : إما حب الحنو ، وإما حب الإعجاب ، ولم تكن لاستراوس قوة يعتز بها غير قوة الفن ، وكان فنه الموسيقى ، فلو أن البارونة الصغيرة ناوشته بألحان فإنه لم يكن هناك بد من أن تقهره : إذا فاقت ألحانها ألحانه خلبته واستحوذت عليه عاشقاً وتلميذاً لها ، وإذا فاقت ألحانه ألحانها حنا عليها ، واحتضنها وراح يسقيها ما هى ظمأى إليه ، ورباها كما تربى الدجاجة أفراخها ، ولكن البارونة الصغيرة لم تصنع شيئاً من هذا ، واكتفت بأن تغنى له فكان يرى فيها نفسه هو ، ولم يكن ير نفسها ...

قد كان عليها أن تريه نفسها صريحة واضحة فى الفن مهما خشيت أن تتضاءل إلى جانب صفائه وقوته

ربما كانت تنتظر أن يقول لها : « لحنى ! » بل ربما تكون قد استأذنته فى التلحين بأسلوبها الموج الملتوى فهل عرفت البارونة لماذا لم يأذن لها ، ولماذا لم يطلب منها أن تصوغ الألحان ... ذلك أنه حين أراد أن يلحن ... لحن ، وحين كان يريد أن يغنى لم تكن قوة تستطيع أن تحبس صوته ... فلعله لم يصدقها ، أو لعله خشى أن يدعوها إلى شىء قد تكون عنه عاجزة ... أو لعله كان يرحمها فيحررها من طلب إذا أجابته فإنما تجيبه إرضاء له هو لا إرضاء لنفسها ...

وأغلب الظن أنها كانت عاجزة لأنها كانت بارونة . وأغلب الظن أنها كانت تستطيع أن تطاوله ، وأنها انطلقت فى الحياة كما كان هو منطلقاً فيهما ، فإنها ركبا يوماً عربة معاً ، وسرحت بهما العربة فى أحراش وغابات ، وأثارت خطى الجواد الذى كان يجر العربة — وكانت خطى منتظمة على ضرب متسق — بواعث الشدو فى نفوس الطير وفى نفسيهما وفى نفس الحوذى الذى كان معهما ، فأنشد الطير ، وأنشداهما ، وأنشد الحوذى ، وكان من نشيدهم جميعاً لحن الغابات الكبير الذى لا يمكن أن يقال إلا أن الطبيعة والجواد والطير والعاشقين والحوذى ، اشتركوا جميعاً فى توصيله من الغيب إلى هذا الكون .

وعلى هذا فقد كانت البارونة من معدن استراوس . كانت هى الأنثى غير الأنثى لهذا الرجل غير الرجل . ولكننا لا ندرى كيف أنكرت منه شروده عن رجولة السطح ، ولم تذكر أنها حين أفاقت من الغابات الكبير وهى فى العربة ألفت نفسها مطوية بين ذراعيها المتشنجتين اللتين كادتا تهصرانها هصراً ؟

كان عليها أن تدرك إذن أن له لوناً من الأنوثة خاصاً يخلبه ، وهو هذا اللون الشائع فى أعماق الطبيعة والذى فاض فى نفسها هى عند ما كانت تشدو مع الطير ومع الطبيعة ومعه

كان عليها أن تدرك هذا ، ولكنها لم تدركه فأى شىء دهاها ؟

دهاها هذا « الإتيكيت » الذى نشأت عليه فى القصور ، ودهتها هذه التقاليد التى علمتها أن تطلب الطعام إذا جاعت بالحديث عن لوحة زيتية تفنن مصورها فى رسم تفاحها وكمثراها ... فإذا سمع استراوس كلامها هذا نظر هو أيضاً إلى الصورة ، وتفحص فيها التفاح والكمثرى ولم يفهم بعد ذلك شيئاً ... فعيناها ...

عيناها تنظر فى صدق عجيب إلى جمال التفاح والكمثرى كأنما هى معجبة به حقاً . . . فكيف لا يصدق استراوس إعجابها بالرسم وكيف يعرف أنها جائعة

لا بد أن يشعر وأن يحس ؟ أليس هو الحساس الموهوب أكثر مما وهب البشر ؟ أليس هو الناقد المتفرس النافذ إلى ما وراء المادة والحجب ؟ نعم إنه كذلك حقاً ... ولكنه يلقى هذا السلاح بين يدى محبوبته ، فهو يصدق كل ما تقول . . . ويجول معها أينما شاءت ، ويسلم لها قياده فهى المسئولة عن عقله وهو بين يديها ، وهى التى تقوده إلى هذه الوديان القاحلة ...

ولم تكن زوجته هكذا على قلة ما كانت تدرك من جمال فنه وروعته . فهى لم تغازله بالفن ، ولم تناوشه بالنغم ، وإنما هجمت عليه بإخلاصها وعطفها ورعايتها ، ولمست فيه طفولته وحيرته فى الحياة خارج ميدان الفن ، ولقد أرشدت هذه الزوجة البارة بارونة زوجها إلى هذا الطبع فى نفسه يوم أرادت البارونة أن تأخذه منها فقالت لها : « لا تأخذيه على أنه رجل فهو لا يعرف من أموره أمراً ، ولا يمكنه أن يدبر شأناً من شؤونه لأنه طفل ! »

كان هذا تعبير زوجه استراوس ، وكان هذا التعبير هو الصدق وكان هذا الصدق نتيجة ما كان بينها وبينه من صراع فى الغزل والحب ، فقد عجزت عن الفن كل العجز أمامه ، وعجز هو عن إدراك ما كان فى نفسها من قوة الرعاية والحدب كل العجز أيضاً فاندمجا وتشابكا

فلو كانت هاتان العاشقتان واحدة !

أما زوجة استراوس فما كانت تستطيع أن تستكمل نقصها بمثل ما كان فى البارونة من فطرة الفن ، فالفن موهبة . وأما البارونة فقد كانت تستطيع أن تتعلم من زوج استراوس طريقة ترويضه وصيانته ، إذا احتاجت إلى شىء من هذا . . . ولم تكن لتحتاج لو أنها أعملت الفن . . .

ولكنها كانت بارونة . . .

عزيز احمد فهمى



أندروز مليكان والألكترون

للدكتور محمد محمود غالى

الرياضى هلبرت بين نظرياته والطبيعي مليكان فى معمله — كيف حصل مليكان على جسيمات صغيرة من الزيت ، وجعلها تصعد وتهبط وتقف وفق إرادته — وصف جهاز مليكان — كيف شاهد مليكان هذه الجسيمات فى غرفة يبلغ ارتفاعها ١٦ مليمترا — كيف تحقق من حمل هـذه الجسيمات لعدد من الألكترونات .

منذ أربعين سنة فى سنة ١٨٩٩ قاد الفكر أحد الذين يتابعون الدرس ويواصلون العمل ، الرياضى هلبرت Hilbert إلى فكرة جديدة وباب لم يطرقه أحد من قبل ، ذلك أنه كوّن نوعاً جديداً من التفكير الهندسى يخلق بنا أن نسميه هندسة هلبرت تختلف فى طريقتها عن الهندسة التى تبعناها منذ أقليدس Euclide وتختلف عن هندستى ريمان Reimann ولوباتشفسكى Lobatcheveski الحديثتين .

هذا العالم الألمانى هلبرت الذى ما زال فى اعتقادى حياً بين سكان الأرض فى جيتنجن Geottingen من أعمال ألمانيا لم تحصده قنابل المحاربين ، ولم يعبث بجسده غرض الفاتكين ، ويبلغ من العمر اليوم ٧٨ سنة وجد أسلوباً جديداً لتأسيس الهندسة الأقليدية التى تلقاها كل منا فى المدارس ، وغير الهندسة الأقليدية التى لم يتلقها إلا نفر قليل بعد التخرج فى الجامعات ، كما أثبت عدم تعارض الفروض فيهما ، ذلك أنه استعمل لبناء علمه الجديد ثلاثة عناصر Elements هى النقطة والخط والمستوى ، وخمسة معان Notions أو كلمات هى: التبعية appartenance ويُعبّر عنها اصطلاحياً بموجودة على Situeé sur والترتيب Ordonnance والتساوى Egalité والتوازى Parallelisme والاستمرار Continuité ، واستطاع باستعمال هذه المعانى الخمسة فقط أن يقيم هندسته الكاملة ، وخرجت من هـذه « العناصر » الثلاثة ، « والمعانى » الخمسة هندسة منسجمة نستطيع تتبعها والاقتناع بوجودها ، وقد تتبعها فى مصر فى العام الماضى كل الأعضاء الذين حضروا محادثات الرواق الرياضى الطبيعى (١) ، والذين قضى بعضهم نحبه خلال الحرب القائمة ، وهم من أصدقائنا الحميمين ، ونأسف لهذه الحوادث التى ترجع بالإنسان إلى الهمجية ، عندما حاول صديق الدكتور جاتينيو Gattegnio أن يتابع عرض هندسة هلبرت بين إخوانه من المصريين والأجانب الطبيعيين والرياضيين المقيمين فى مصر، وهى رياضة صعبة نوعاً ما ويكفى لإدراك صعوبتها أن تعلم مثلاً أنك فى حاجة بادئ هذه الرياضة أن تثبت إمكان وضع نقطة على خط مستقيم ، وإنك لتستغرق بعض الوقت لإثبات ذلك الذى تظنه بديهياً .

ليست هندسة هلبرت الجديدة التى ما زالت تجد قليلاً من المطلعين هدفى فى هذه الكلمة ، وأعتقد أنها سوف لا تكون موضوع كلمة لى فى « الرسالة » فى الأعداد القادمة . فموضوعها صعب على القارئ ، وغايتها أصعب عليه ، إنما ذكرتها وأنا فى طريق شرح أعمال مليكان — رجل التجارب والمعامل — لأضع أمام القارئ مثالاً للتباين بين النظريات يتبعها المنطق والخيال فى أقصى

(١) سنتكلم عن هذا الرواق وعن أعضائه كما سنتكلم عن جماعة تبسيط المعارف فى البريد الأدبى فى الرسالة

درجاتهما، وبين العلوم التجريبية يتبعها التحقيق والمشاهدة في أقصى حدودها ، فبقدر ما في رياضة هلبرت غير المعروف لكثير من المطلعين من خيال وصعوبة بقدر ما في تجربة « مليكان » من تحقيق تجريبي وسهولة، تحقيق يبعد كل البعد عن التحايل اللفظي.

ليس إذن في قصة مليكان ما يدعو لإثبات مسائل تلتبس علينا مع البديهيات التي يقبلها الذهن ، إنما هي في الواقع سلسلة لمشاهدات علمية وتجارب طبيعية ، ولو صح لنا أن نتساءل عن تعريف ما نسميه تجارب طبيعية صحيحة « لقلنا إنها تلك التي تؤيد النتائج ذاتها بلغ تكرار هذه التجارب ما بلغ ... »

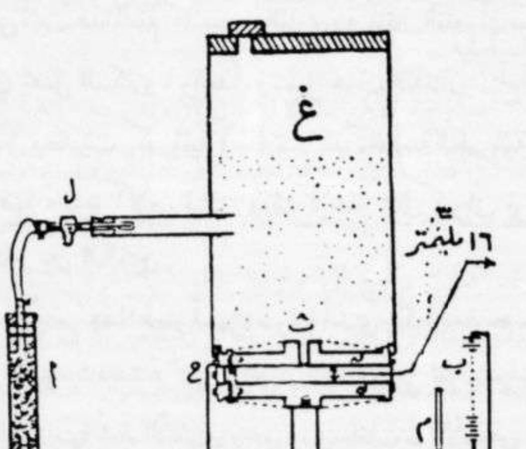
ونوجز تجربة مليكان التي قام بها سنة ١٩٠٩ في قياس شحنة الألكترون أصغر ما نعرفه أو نعيه من الموجودات ، وإثبات وجوده كجوهر فرد مستقل يلعب أكبر دور في الكون الذي نشعر بوجودنا فيه ، ومن العدل أن نذكر أنه قد تقدمت تجارب مليكان أبحاث علماء عديدين كان لهم الفضل الأول في تهيئة السبيل للقيام بهذه التجربة التي تعد من أعظم مفاخر العلم التجريبي في القرن الذي نعيش فيه ، وإذا لم نأت في هذا المقال على أسماء هؤلاء جميعاً، فإن تونسند Townsend من رجال معامل كافندش Cavandishe بكامبردج ، هو في الواقع أول من قام بتجارب فريدة لقياس شحنة الألكترون التي يرمز لها العلماء عادة بالحرف e

ونعود الآن لشرح عمل مليكان ، ولتسهيل الموضوع على القارئ نعمد إلى تقسيم عمله إلى قسمين رئيسيين : القسم الأول هو الذي نذكره اليوم ونصف فيه الجهاز الذي استنبطه والتجربة التي قام بها هذا العالم لقياس شحنة الألكترون بل لملاحظة جسيمات منعزلة لا تحمل أحياناً إلا إلكتروناً واحداً، ولا نعرض في هذا القسم لنتائج هذه التجربة ولا نذكر كيف استنبط مليكان من تجربته شحنة الألكترون وحدة الكهرباء وأصغر الجسيمات التي نعرفها في الوجود، وفي القسم الثاني وهو برنامج الأسبوع القادم نذكر الطريقة التي حسب بها مليكان شحنة الألكترون ونبين كيف من عملية القاسم المشترك الأعظم البسيطة التي تعلمناها كلنا في التعليم الابتدائي بيَّن مليكان من تجاربه وسيلة لإثبات وجود الألكترون وحساب شحنته وإثبات تماثل إلكترون حر واحد يمعض هذه الجسيمات أثناء تجاربه العديدة

* * *

والآن نبدأ بشرح الوقائع الأولى وتفسير دخائل الجهاز الذي ابتدعه مليكان واستعان به للوصول لغايته

استعمل مليكان لمقارنة شحنة الجسيمات الصغيرة المختلفة الحاملة للكهرباء والذي يسميها العلماء « يونات » Ions وشحنة الألكترون رشاشة أي « بخاخة[١] » ل Pulvérisateur تبخ غيوماً من الزيت في غرفة عليا نرمز لها بالحرف غ كما يرى القارئ في الشكل



كيف فصل العالم مليكان الكترونا حراً واحداً ؛ لحصل على أصغر الموجودات ، وقاس شحنته الكهربائية

وينقى الهواء قبل إطلاقه ووصوله للرشاشة بمروره في أنبوبة تحتوي على قطن مندوف، وينشر هذا الرذاذ الرفيع من الزيت الذي يبلغ قطر معظمه $\frac{٢}{١٠٠٠}$ من المليمتر في الغرفة المتقدمة ويبدأ تساقطه غيوماً

(١) الفعل بخ يبخ ويصح استعمال اسم الفاعل باخ أو مبخة أو منثار من نثر الشيء كمنثار من نثره. كذلك يمكن استعمال رشاشة لكلمة Pulvérisateur أو كلمة Evaporisateur

كالضباب الذى نصادفه فى الشتاء صباحاً جوار النيل أو الأراضى الزراعية . ويحدث من جراء هذه العملية الأولى أنه يتصادف من وقت إلى آخر مرور واحدة من هـذه الجسيمات الزّيتية الصغيرة من الثقب الصغير الموجود فى مركز قرص من النحاس قطره ٢٢ سنتيمترا موجود فى أسفل هذه الغرفة، وتكون إحدى كفتى مكثف كهربائى يتكون من كفتين بينهما الهواء ، كفة عليا (ن) هى هذا القرص والثانية كفة سفلى (ك) وهذه الكفة الثانية مثبتة بالكفة الأولى بواسطة ثلاثة أعمدة من الأبانوس (د) وهو مادة عازلة كهربائيا، وهذه الكفة محمولة على بعد ١٦ مليمتراً من الأخرى وفى هذه الغرفة الثانية المحصورة بين هاتين الكفتين والتى لا يرتفع سقفها عن أرضها إلا بمقدار ١٦ مليمتراً ، شاهد مليكان هذه الجسيمات الصغيرة من الزيت التى يتصادف مرورها من الثقب ، والتى أثبت هذا العالم كما سيرى القارىء فى المقال القادم أن بعضها كان يحمل الـكترونا واحداً . وتتصل هاتان الكفتان بمفتاح (م) يتصل ببطاريات كهربائية (ب) تبلغ القوة الدافعة الكهربائية بين طرفيها عشرة آلاف فولت وذلك لإيجاد مجال كهربائى قوى ، ومتغير بين الكفتين

ويُتمم هذا الجهاز أجهزة ضوئية أخرى تكوّن خارجه حزمة من الضوء شديدة تمرّ من نوافذ أو بالأحرى من ثقوب موجودة الواحدة منها تجاه الأخرى ومحفورة فى حلقات من الأبانوس (ح) موضوعة فى اتجاه الشخص الراصد . وتضىء هذه الحزمة الضوئية الجسيمات أو رذاذ الزيت الذى يتصادف مروره من الثقب (ث)، هذا الرذاذ الذى يصبح بمروره من هذا الباب عرضة للمشاهدة والاختبار

وقد أمكن لمليكان أن يرى هذه العوالم من ثقب ثالث صغير بواسطة الميكروسكوب الذى يلعب فى هـذه التجربة دور الألترا ميكروسكوب ، وقد رتّب جهازه بحيث يقع الضوء على هذه الجسيمات من جهة ويراها هو من جهة أخرى عمودية عليها ، وهى الطريقة ذاتها التى نرى بها الكواكب السيارة فى الليل ، إذ يقع عليها ضوء الشمس من جهة تختلف عن التى نراها منها ، بل هى الطريقة التى نرى بها جسيمات من التراب الرفيع العالق بهواء غرفنا والذى تستنشقه رئاتنا طوال النهار ، عند ما تدخل أشعة الشمس من جهة غير الجهة التى نشاهد بها هذه الذرات الترابية التى تبدو لنا فى هذا الوضع مضيئة تحت أثر أشعة الشمس الساقطة عليها ، وهكذا كانت تظهر النقط الصغيرة التى يتصادف مرورها من الثقب (ث) كما يظهر نجم ساطع فى ظلام الليل الحالك

ولا يفوتنا أن نذكر أن هذه الجسيمات التى تمر من الثقب مكهربة ، وقد حدثت الكهرباء فيها من احتكاكها بعضها ببعض عند خروجها من الرشاشة التى حولت السائل بفعل الهواء إلى رذاذ أو ربما عند ظنى أثناء احتكاكها بذرات الهواء المنتشر فى الغرفة ، وثمة طريقة أخرى لكهربة هذا الرذاذ عند اقتضاء الحال وذلك بتسليط أشعة راديومية عليه بتقريب عنصر الراديوم المعروف من الجهاز ، بحيث تتصادم الجسيمات الراديومية المتناثرة من الراديوم المشع بهذا الرذاذ الرفيع فتتعلق به جسيمات كهربائية سالبة كالألكترونات أو جسيمات كهربائية موجبة كالبوزيتونات

وتتلخص التجربة فى نشر رذاذ الزيت فى الغرفة العليا ، ثم انتظار مرور أفراد من هذا الرذاذ فى الغرفة الثانية أى بين كفتى المكثف ، ثم فى كهربة القرصين باستعمال المفتاح م كهربة موجبة فى إحدى الكفتين سالبة فى الأخرى، وذلك باستعمال البطاريات السالفة الذكر ، بحيث أنه بإدارة المفتاح إلى الجهة اليسرى مثلاً تتصل الكفتان وينعدم المجال الكهربائى ، وبإدارته إلى الجهة اليمنى يتولد مجال كهربائى يختلف وفق المقاومات الكهربائية التى فى طريقه تبع إرادة الراصد

وتتضح الكهرباء أو الشحنات الكهربائية الموجودة على هذا الرذاذ من أنه عندما نوصل المفتاح الكهربائى ، ونجعل فارقاً فى الضغط الكهربائى بين الكفتين ، أى عندما نعمد على إيجاد مجال كهربائى قوى — فى الاتجاه المناسب — تنجذب هـذه الجسيمات بسرعة نحو القرص ن مظهرة بذلك شحنتها الكهربائية

على أنه إذا أعدمنا المجال الكهربائى بتوصيل الكفتين ؛ فإن هذه الجسيمات من الرذاذ الزيتى تبدأ وقوعها رأسية تحت

من هنا ومن هناك

دانزج موطن النزاع

[ملخصة عن « بارى ميدى »]

لم يكن يخطر ببال أحد فى السنين الأخيرة أن مدينة دانزج التى كانت موضع نزاع الدول فى غابر الأزمان ، ستحتل المكان الأول فى سياسة أوربا المسلحة اليوم

وتعد دانزج من أقدم مدن العالم ، فقد ظهرت فى عالم الوجود منذ ألف سنة وكانت فى العصور الوسطى تدعى «ملكة البلطيق» نظراً لمركزها الممتاز على شاطئ هذا البحر

وقد حاربت فى سبيلها الأمم البروسية والدانماركية والبولونية، والبراندنبرجز ، والتوتون منذ بدء القرن الثانى عشر إلى اليوم

فاحتلها الفرسان التوتون فى بداية القرن الرابع عشر ، ولكن سرعان ما انتهى أمد احتلالهم لها وصارت إلى أيدى البولونيين فى سنة ١٤٥٤، فتركوا لها الحرية فى الاحتفاظ بقوانينها القديمة، وجعلوا لها الحق فى سك العملة باسمها باعتبارها « مدينة حرة » تحت حماية بولندا . ولم تقع فى أيدى بروسيا إلا سنة ١٧٩٣ ، وبعد أربع سنوات من هذا التاريخ فتحها جيش فرنسى تحت قيادة « مارشال لفغر » . وظلت دانزج مدينة حرة فى أيدى الفرنسيين إلى سنة ١٨١٣

ولكن الجيوش البروسية احتلت دانزج للمرة الثانية بعد موقعة (واترلو) . لا لتكون تابعة لها إلى الأبد ، فقد انتزعتها معاهدة فرساى من الريخ وعادت دانزج (مدينة حرة) للمرة الثالثة — تحت إشراف عصبة الأمم — وأعطيت بولندا الحق فى استغلال مينائها ، ومنحت كذلك الحق فى تمثيلها من الناحية السياسية .

فدانزج لم تكن ملكا للألمان إلا منذ سنة ١٨١٥ إلى سنة ١٩١٨ أى قرنا من الزمان . وقد ظل العلم البولونى يرفرف عليها منذ سنة ١٤٥٤ إلى سنة ١٧٩٣ أى ثلثمائة سنة على التقريب .

وقد أعطيت دانزج إلى بولونيا بحكومتها الحرة ومساحتها التى تقدر بثمانمائة وخمسين ميلا مربعاً ، وسكانها الذين يقدر عددهم بمائة ألف نسمة ، ليكون لها منفذ الى البحر . فكانت هذه

تأثير جاذبية الأرض حتى تقترب اقتراباً شديداً من الكفة ك ، وهكذا كلما أعدنا المجال الكهربائى فإن هذه العوالم الصغيرة تغير اتجاهها من جديد وترتفع إلى سقف الغرفة ﻫ . وبهذه الطريقة أمكن الحصول على حركة مستمرة صعوداً وهبوطاً لرذاذ الزيت بين الكفتين ، وفى الغرفة الضيقة الثانية باستعمال المفتاح م

وقد أمكن لمليكان أكثر من ذلك ، إذ تمكن من شل حركة هذه النقطة الحائرة من الزيت التى يريد أن يرصدها فى غرفة هذا الجهاز ، هذه النقطة من الرذاذ الواقعة بين قوة مجالين : المجال الأرضى الذى يجذبها إلى أسفل كما يجذبنا معشر البشر والمجال الكهربائى الذى يجذبنا إلى أعلا ، بأن ساوى بين قوة المجالين المتعارضين ، وذلك بجعل قوة المجال الكهربائى معادلة لقوة المجال الأرضى . عند ذلك تقف النقطة الحائرة والجسيم التعب بين الكفتين . وعند ذلك عين مليكان القوة الكهربائية اللازمة لإيقافها والتى لها علاقة كما سيرى القارئ بما يحمله هذا الجسيم من الألكترونات .

وسيرى القارئ أن هذا كان كافياً لمليكان لحساب شحنة الألكترون ولأن يتيقن أن فى كثير من تجاربه وجدت ذرات زيتية كانت تحمل الكترونا واحدا

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

المدينة المنفذ الوحيد لتلك المملكة العظيمة حتى سنة ١٩٢٨ ، وقد ازدادت الحركة بمينائها على أيدى البولونيين فوصلت إلى ثمانية مليونات طن سنة ١٩٣٠ بعد أن كانت لا تزيد على مليونين قبل الحرب . فقد أنفقت بولندا مائة مليون من الجنيهات لاحياء هذه الميناء . وأنشأت قاعدة هامة للملاحة والتجارة فى «جيدنيا» على مقربة منها. ومن المعلوم أن ثلثى تجارة بولندا التى يقدر عدد سكانها بـ ٣٥٠٠٠٠٠٠ نفس تمر من تين الميناءين ، وأسطول بولندا ليس له قاعدة غيرهما وتقع دانزج على مصب نهر الفستيولا ولهذا النهر صفة ممتازة فى بولندا ، فاذا ضمت دانزج إلى الريخ أصبحت المواصلات الحيوية لبولندا تحت رحمة ألمانيا

فالفوهرر كما يظهر لا يريد أن يضم بلداً ألمانياً إلى الريخ ، ولكنه يريد أن يعزل بولندا عن البلطيق ، وبطوقها من البحر والبر حتى تضطر سياسياً واقتصادياً إلى الانضمام إلى الريخ، وهذه كارثة تدفعها الآن بولندا بكل مالديها من قوة. وتريق دماء اللايين من أبنائها لكى تتحامى وقوعها

الفاشية فى الهند

[عن مقال بقلم خواجة عباس أحمد]

نظرة بسيطة إلى خريطة العالم تدل على مقدار اهتمام القوات النازية والفاشية واليابانية بالهند. فالهند هى أقوى دعائم الامبراطورية البريطانية فى الشرق ، وهى بكثرة سكانها ، وأهميتها التجارية والسياسية ومركزها الحربى وحدودها المتاخمة لأفغانستان وإيران والصين وروسيا السوفيتية ... تعد عاملاً قوياً فى السياسة الفاشية فالهند الحرة حليفة للديمقراطية ، يحسب حسابها إذا سارت مؤيدة لصفوفها ، وهى عدو يخشى بأسه ، إذا سارت تحت النفوذ الفاشى سواء من الوجهة السياسية أو الفكرية .

ولقد دأبت الدعاية الفاشية على بث بذور العداء نحو بريطانيا واستغلت لذلك الحركة الوطنية وأملها أن تجتذب إليها القلوب ، وتستهوى النفوس . ولهذه الحركة الجديدة قصة قديمة . فن المعروف أن رجال السياسة الألمانية كانوا على اتصال دائم ببعض الهنود الثائرين فى منفاهم فى أوربا إبان الحرب العظمى . وكان حلم ألمانيا بإنشاء أمبراطورية ألمانية تمتد من برلين إلى بغداد فدلهى ، يشمل فيها ضياء الأمل ؛ فلجأت إلى مد يد المساعدة إلى هؤلاء فى منفاهم ، وعادوا بدورهم ينشرون الدعوة إلى المطالبة بحرية الهند بمعاونة الألمان

ولكن وجهة نظر الزعماء الهنود اتجهت فى السنين الأخيرة اتجاهاً مخالفاً لدول المحور .

ولم يغب عن البال الحماس الذى كان يقابل به زعماء تلك الدول منذ ثمانى سنوات ، حين كان الشباب يقرنون أسماءهم بأسماء مازينى وجاريبلدى ودان برن وغيرهم من الزعماء . وكان الهنود الذين يعودون من دراستهم بألمانيا يتغنون بالاشتراكية الوطنية ، وكنا فى الهند نمدح اليابان ونعطف عليهم ، ونقابل بالزهو والإعجاب كل انتصار لهم على الروس : كأمة أسيوية تنتصر على أمة أوربية

فما كاد يظهر العهد الدكتاتورى على حقيقته ، وتنكشف نيات أصحابه بظهور أعمالهم ، حتى تغيرت الحال وأخذ الهنود ينفضون عنهم ويشمرون بالاستياء عند ذكرهم؛ فاضطهاد ألمانيا لليهود ذلك الاضطهاد الذى لم يسبق له مثيل فى تاريخ العالم ، وقتل الاشتراكيين فى إيطاليا وغزو الحبشة العزلاء كان لها أسوأ الأثر فى نفوس الهنود الذين أعلنوا سخطهم على هذه الأعمال بواسطة المجلس الوطنى

فالدعاية النازية والدعاية الفاشية قد أخفقتا كل الإخفاق فى اجتذاب نفوس الهنود الذين أعلنوا رأيهم بلسان المجلس الوطنى إلا أن بعض النفوس المولعة بالأسرار والأعاجيب ، من الهندوس والمسلمين ، قد تأثرت إلى حد ما بتلك الدعاية التى تنسب فلسفة هتلر إلى الهندوسزم فى معاملة المنبوذين ، وتنظر إلى البابا من ناحية الديانة البوذية التى يدين بها سكانها ، وتحرك عوامل الضغينة فى نفوس المسلمين ـ الذين يميلون بطبيعتهم إلى العرب ـ بإثارة مشكلة فلسطين . ومهما تبلغ تلك الدعاية من المقدرة على التضليل ، فلن تزيل من النفوس أثر تلك الأعمال التى تقضى على آمال المدنية فى العصر الحديث

تخفيف مياه بحر الروم

[ملخصة من « ذى أمريكان وبكلى »]

وضع مهندس ألمانى مشروعاً عجيباً لتخفيض مياه بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ستمائة قدم بإقامة سد عظيم على بوغاز جبل طارق المتقارب الشاطئين .

ويقال إن إيطاليا التى تطلب مزيداً من الأرض ، سوف يمنحها هذا المشروع ما تريد من الأرض الواسعة ، لا من الدول الأخرى التى تمانع فى ذلك كل الممانعة ، ولكن من البحر . ومن المعلوم أن إيطاليا تريد أراضى متاخمة لمستعمراتها ، وهذا أمر من السهل أن تحصل عليه إذا نفذ هذا المشروع .

ولكن ماذا عسى أن تقول فرنسا واليونان ومصر عن هذا المشروع ؟ إنها ولا شك ستستفيد أصقاعاً فسيحة من الأرض الخصبة ؛ وستكون لديها فرصة عظيمة لاستغلال القوى المائية فى مختلف الصناعات .

ولعل بريطانيا وغيرها من الدول التى تعول على الملاحة فى هذا البحر هى وحدها التى تخشى الخسارة من تنفيذ هذا المشروع . ولكن هذه الدول قد لا تتأثر بتنفيذه إذا أنشئت الممرات والخلجان التى تسهل لسفنها السير وتجعل حركة الملاحة متيسرة على الدوام

ومما يجعل هذا المشروع محتمل التنفيذ أن مياه البحر الأبيض المتوسط بطبيعتها تسير نحو النقصان . فإن الأنهار العظيمة التى تصب فيه ، وهى نهر البو الإيطالى ونهر الرون الفرنسى ونهر النيل المصرى وبعض الأنهار الصغيرة — تعد قليلة لا تعوض المياه التى يفقدها هذا البحر بالتبخر . ولا بد من وصول فيض من المياه إليه عن طريق البحر الأسود وبوغاز جبل طارق الذى يمده بمياه المحيط الإطلنطيق

فإذا وضع سد محكم على بوغاز جبل طارق ، ووضع سد آخر على باب البحر الأسود بوغاز الدردنيل ، فإن مستوى مياه البحر الأبيض يهبط بالتدريج ، إذ أن مقدار المياه التى يفقدها بالتبخر ستزيد على المقدار الذى يصب فيه

وإذا كان المشروع يرمى إلى تخفيض مياه هذا البحر ستمائة قدم فحسب ، فمن الميسور بعد أن يتم هذا التخفيض أن يسمح لمياه البحر الأسود ، ومياه المحيط الأطلنطى أن تصب فيه بمقادير معينة تمنع الخطر المنتظر من حبس هذه المياه

فالمشروع كما هو ظاهر لا يستعصى على التنفيذ ، وهو من المشروعات التى تدر الخير والنفع على كثير من الأمم الواقعة على هذا البحر .

أما الاعتراض الذى يوجه إليه فهو اختلال سطح الأرض بعد أخذ هذه المقادير العظيمة من المياه ، وتعرضها للزلازل والبراكين التى تقتلع صخور هذا البحر بعد زوال ذلك الثقل العظيم عنها ، وقد يعود بركان أذنة وبركان فيزوف إلى الانفجار من جديد

لذلك كان علماء طبقات الأرض وحدهم دون سائر العلماء هم الذين يعارضون فى تنفيذ هذا المشروع ، ويرفعون صوتهم بالتحذير من الإقدام عليه . ومما يقولونه بهذا الصدد أن الزلازل قد تكون من القوة بحيث تحطم السدود والحواجز المراد وضعها ، بحيث لا يمكن إصلاحها وتعيد فيضان المياه إلى البحر

الجوائز الأدبية فى فرنسا

[من مجلة الآداب والفنون]

فى فرنسا كثير من الجوائز الأدبيـة التى ما زالت أكبر مشجع للأدباء على الإنتاج . فهناك جوائز المجمع العلمى الفرنسى وجوائز المجامع الأدبية ، وجائزة « النهضة » وجائزة النقد ، وجائزة « الجزائر » الأدبية ، وغيرها من الجوائز الفردية

وقد نال الجائزة الكبرى للآداب هذا العام الكاتب جاك بولانجير ، تقديراً لإنتاجه الجيد . ونال جائزة الرواية الكاتب « أنطون دسانت اكسوبيرى » من أجل كتابه المسمى « أرض الرجال » الذى يعد من الكتب الرائعة وإن كان لا يعد رواية حقا . ونال جائزة « لويس بارتو » الكاتب شوفالبير شيخ معهد غرونوبل

أما جائزة « النهضة » فلم تمط - كما علمنا - لأحد بعد ، وقد قدم إلى جمعية هذه الجائزة التى تضم كبار الأدباء ، ومنهم ادوارد هريو ، كثير من الكتب والروايات . ويقولون إن الجائزة ستعطى للكاتب « ماريوس ريشارد » مؤلف رواية « جان التى ذهبت » لأن له كثيراً من الأنصار . وربما زاحمه « رايموند ميينه » مؤلف « مَلَك الثورة » ، و « كريستيان ميغره » الذى سحر أناساً كثيرين بروايته المشهورة « ما يزالون رجالاً »

وفى الجزائر جائزة أدبية قيمتها ١٠٠ آلاف فرنك ، وستعطى فى نهاية هـذا العام لأعظم كتاب يستهوى الجمهور سواء أكان



على هامش خطاب رئيس الوزراء

صاحب هذه المجلة وكاتب هذا المقال لم ينفكا يناوئان عدوّين لمصر، أحدهما تسلّط الموظف بغير حق، والآخر « الخدر والنماس ». وفى الخطاب الرصين الذى ألقاه رئيس الوزراء فى التاسع عشر من هذا الشهر ما حرفه :

« وكم رأينا ببعض الموظفين من ضجيج كاذب وحركات لا خير من ورائها ولا بركة . وكم شاهدنا القادرين من أهل الفن والمعرفة يُقصون عن العمل فيما هم أهل له ، فى حين يشغل بعض المراكز الكبيرة ويتقاضى المرتبات الضخمة من يكتفى من الوظائف بمظهرها وجاهها دون أن يستطيع الاضطلاع بمسئولياتها حق الاضطلاع »

ثم « نعتمد على الشباب ... وليعلم الشباب أن الباب مفتوح أمامه ، وأن الحكومة تريد أن تنتفع بالكفايات والروح الفتية حيثما وجدت ، وليس كل شاب فتياً ، وعند بعض الكهول شباب متوقد »

هذا كلام يطرب له من يريد التقدّم الحق لهذا البلد : بلد الموظف المتعجرف والناعس المطمئن . أمران ثبتا عندنا بفضل عهدين كريهين : كلاهما نشّأ الناس للقناعة بخدمة الحكومة القائمة مع حصر الفخر فى ذلك ، فانهدمت الروح الوثابة والهمة العالية . وعلى هذا جرت الأمور فى خطٍ لا يمتد طرفاه فجمدت حيث هى

الموظف خادم الأمة ، منها يتلقى راتبه ولأجلها أنشئت وظيفته . وجاه الوظائف بالقياس إلى جلال الخدمة لا بالنسبة إلى مبلغ الراتب . وإذا شغل الوظيفة من لا يستحقها فذلك مسلَبة لمال الأمة وعدوان على حقها . وعلى هذا فاستثمار الوظيفة لغير خدمة الأمة إثم ، و « المحسوبية » إثم ، والتهاون بالمصلحة العامة إثم . ففى وزارة المعارف مثلاً من يستعين بوظيفته على تقرير كتاب من كتبه ، وفى كلية الآداب من يدرّس مادةً زميله المصرى أحقُّ بتدريسها ، ومعهد الموسيقى يكلفنا مالاً كثيراً ولا يصنع شيئاً

هذا وفى حِسبان بعض الشرقيين أن القدرة لا تؤاتيك إلا إذا تدلت لحيتك وتخدّد وجهك وارتعشت يدك وثقلت رجلك وأعانت العين صاحبتها على فتح باب وإغلاق نافذة

وأكبر الظن أن الشيوخ فى هذا البلد يحذرون الشباب بعض الحذر أو كله . ذلك لأن الشبان المثقفين ولا سيما الذين تخرجوا فى جامعات أوربة ربما أصابوا من العلم والخبرة ما فات الشيوخ . دليل ذلك مثلاً أن البعثات الأولى كانت تقنع بنيل

موضوعه فى الأدب أو التاريخ أو الاقتصاد السياسى أو علم الآثار أو علم الاجتماع . وتعطى هذه الجائزة للجزائريين وللفرنسيين فيها

أما جائزة النقد وقيمتها ٦ آلاف فرنك ، فقد نالها لهذا العام « جوهن شاربانتير » النقادة الكبير للروايات فى « مير كور دفرانس » وقد لاقت هذه الجائزة الرضى التام . وجوهن شاربانتير هذا ارلندى فرنسى الأب ، وهو فى إنتاجه الأدبى يعنى بانكلترا وفرنسا معاً فلقد أصدر فيما يتعلق بانجلترا : « صديقتنا انجلترا » و « التصوير الإنكليزى » ، ثم أصدر « تطور الشعر الغنائى فى فرنسا بين ١٨٣٠ — ١٩٣٠ » ثم « الشعر الرمزى » ، إلى جانب دراسات كثيرة نقدية كتبها عن « تيودور بانفيل » و « جان جاك روسو » و « الفرد دموسيه » و « بودلير » و « فولتير » .

فمتى تنظم عندنا جوائز كهذه لتشجيع الأدباء . . . ؟ الحقيقة أن هذا الشرق لا يعرف إلا قتل الأدباء والاستخفاف بهم . . . !

إجازة كذا . وأما البعثات الأخيرة فقد أدركت أن هذه الإجازات ليست كل شيء : ذلك أن فى مصر من يحملها فليست هى بالعزيزة ولا بالنادرة ؛ ثم الإجازة شهادة ، والمقدرة فيما وراء الشهادة ، المقدرة فى الاطلاع الواسع والتأليف الرفيع والإنجاز . هذا فى باب العلم وعليه قس أبواباً أخرى

تلك حقائق فطنت إليها الوزارة الجديدة وأعلنها رئيس الوزراء ونحن نرقب ما يكون . نرقب وضع الشيء موضعه ، فتُسند الوظيفة إلى من همُّه خدمة الأمة وباعثه الإخلاص ومقصده التقدم ؛ ويشغل المنصب ، سواء رفع أو وضع ، صاحب الكفاية ، والكفاية دليلها العمل المُنجَز ؛ ويُبعد من الأجانب مَن فى المصريين غنًى عنهم ؛ وتُغلق المعاهد والمصالح التى لا تثمر أو تصلح من الأساس بغير تلطف ولا ترحم

***

بقى أن رئيس الوزراء قال : « كذلك نود ألا يفوتنا الاتصال بالكتاب والمفكرين ، فإنه يسرنا أن نحصل على تحقيق رقابة الأمة فى مختلف صورها »

وفى هذا دلالة على أن الحكم فى مصر بعيد عن الاستبداد بالرأى وأن للفكر دولته وعزته . ومن العسف أن يهمل الحاكم نظر المستنيرين ، فهم هم الذين يؤدبون الأمة ويهذبون الأذهان من طريق الكتابة والتعليم العالى . وعسى أن تنفسح المجلات الراقية ـ وفى مقدمتها الرسالة ـ لإشارات أهل الدراية والخبرة من الكتاب ، فهذى الصحف اليومية مشغولة عن الجانب الفكرى بسرد الأخبار المحلية الخاصة بالقطن والدفاع وغيرها ثم ببرقيات السياسة الخارجية ومسير الحرب القائمة فى أوربة الضائع حظها لانصرافها إلى المادة المطلقة وهيامها بالسلطان فالبطش

وإشارات أهل الدراية والخبرة من الكتاب يحق لها أن تتعدى جانب الثقافة إلى جوانب نشاط الأمة كلها . حتى الدفاع الوطنى يلفت نظر المفكر الذى شهد وسمع من قبل . وأما الشؤون الاجتماعية فهى محور نظره ، ذلك أن الحياة الاجتماعية تحكم جميع ألوان نشاط الأمة . وفى العدد المقبل ـ إن شاء ربك ـ حديث يجرى على قلم الدعاية فى وزارة الشؤون الاجتماعية .

(الاسكندرية) بشر فارس

وفاة الأستاذ سجموند فرويد



توفى الأستاذ سجموند فرويد فى ليلة الأحد الرابع والعشرين من شهر سبتمبر فى منزله بهامستيد عن ثلاثة وثمانين عاماً قضاها فى خدمة الطب وعلم النفس وشؤون الاجتماع دارساً وباحثاً ومعلماً ومؤلفاً حتى ترك للعالم والعلم ثروة من نتاج الفكر العبقرى الخالق كان لها الأثر العظيم فى توجيه علم النفس إلى وجهة جديدة

ولد هذا العلامة الكبير بمدينة فريبرج الصغيرة فى اليوم السادس من شهر أغسطس سنة ١٨٥٦ ثم تلقى ثقافته العامة فى فينا ورحل بعد ذلك إلى باريس فدرس نظريات الدكتور شركون فى الأعصاب وخواصها وأوضاعها . ثم عاد إلى فينا فتولى التدريس فى جامعتها وتقدمت به كفايته حتى عين فيها أستاذاً لأمراض الأعصاب وعلاجها سنة ١٩٠٢ ، وفى خلال ذلك توفر على البحث والتأليف فلفت إليه أنظار العلماء بأصالة فكره وثقوب ذهنه وطراقة رأيه ، ونال الدكتوراه الفخرية فى سنة ١٩٠٩ من جامعة كلارك ووستر بأمريكا . ثم عين فى السنة التى بعدها عضواً أجنبياً فى الجمعية الملكية ببريطانيا . وظل فى وطنه يخدم العلم والتعليم وهو موفور العيش مرفوع المكانة حتى ضمت النمسا إلى ألمانيا فاضطهدته العصبة النازية لأنه يهودى فهاجر بزوجته وأولاده إلى لندن فعاش بها إلى أن توفاه الله

كان فرويد بطلاً من أبطال العلم جاهد فيه وصابر حتى انتصر وفتح . فهو صاحب مذهب جديد فى علم النفس قوض أسسه القديمة، وقلب أوضاعه القائمة، ولقى فى سبيل تأييده ونشره ما يلقاه المجددون من عنت الجدل وسفه الخصومة . ورماه الناس بالدجل والشعوذة حين قرر أن الأمراض العصبية تشفى بالتحليل النفسى؛ ولكنه يثبت لخصومه يقارعهم بالحجة ويأخذهم بالتجربة حتى انضم إليه طائفة من صفوة العلماء فاعتقدوا مذهبه وأعانوه على ضبطه وبسطه

وخلاصة مذهب فرويد فى علم النفس أن الغريزة الجنسية هى علة الاضطرابات العصبية ، وأن ما يختزنه العقل الباطن فى جميع مراحل العمر هو الذى يؤثر فينا ويهيمن علينا ؛ والعقل الباطن إنما يمثل رغبات النفس الحقيقية ؛ أما العقل الواعى فيمثل رغباتها العرفية التى أقرتها البيئة وارتضتها التقاليد ؛ وذلك الصراع الذى ينشأ بين رغبات العقل الباطن ورغبات العقل الظاهر هو الذى ينتهى أحياناً إلى الاضطرابات العصبية . فإذا نجحنا فى إطلاق الغرائز المكبوتة نجحنا فى توفير الهناء المعنوى للنفس . لذلك أخذ فرويد يعالج الأمراض العصبية بالكشف عن مخزون العقل الباطن وهو ما يسميه بالتحليل النفسى . ويقول فرويد إن الأحلام هى تعبير عن رغبات العقل الباطن فلا تنبئ عن المستقبل ولا تدل عليه . وله فى تفسير الأحلام كتاب ضخم يؤيد به هذه النظرية من طريق التحليل العلمى والمنهج القويم

وقد انبسط سلطان المذهب الفرويدى على الأدب والفن والفلسفة والتشريع ، وأحدث موجة من التفكير فى أحوال الإنسان الداخلية سيكون لها الأثر البالغ فى توجيه حياته وتقدير عمله

خطبة منبرية من نوع جديد

ألقى الخطيب الكاتب الأستاذ محمد عبد الرحمن الجديلى مدير قسم المساجد بوزارة الأوقاف خطبة الجمعة الأولى من شعبان فى مسجد يحيى باشا الذى صلى به صاحب الجلالة الفاروق المعظم ، فكانت الخطبة فى إنشائها وإلقائها ومغزاها نمطاً عالياً فى فن سحبان الذى ضعضعه الزمن حتى انقلب بيانه لغواً على الألسنة ، كما انقلب سيفه خشباً فى الأيدى . وطرافة هذه الخطبة أنها تشعرك بجدة الدين ومسايرته لكل عصر ومطابقته لكل حالة ؛ فقد عالج فيها الخطيب أعراض الحرب القائمة من الخوف والتخاذل والأثرة والادخار والاحتكار بطب من كلام الله وحديث الرسول كأنما نزل به الوحى أمس . ولقد كان أثر هذه الخطبة بليغاً فى نفوس من سمعوها فى المسجد أو فى المذياع حتى كتب إلينا كثير منهم يطلب إلى وزارة الأوقاف أو وزارة الشؤون الاجتماعية أن تضع أمثال هذه الخطبة فيما يحزُب الناس كل يوم من أمور العيش ومشاكل الحياة ثم توزعها على الخطباء فى المدن والأقاليم ، فإن فى ذلك توثيقاً لنظام الجماعة بقانون الله ، وتحقيقاً لغرض الشارع من سن هذه الخطبة

ماذا تركت روما وماذا خلفت أثينا ؟

أشار صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا فى البيان الذى أذاعه إلى ما جناه الخلاف على المدنية الأثينية ، وإلى ما جناه الترف على الحضارة الرومانية ، وناشد أبناء مصر أن يتعظوا بأخبار الدول السالفة ، فيجعلوا القصد والاتحاد وسيلتهم إلى المجد المنشود .

ولقد ذكرت بمناسبة إشارته إلى روما وأثينا أن رفعته لما كان وزيراً للمعارف قد أعلن مباراة فى ترجمة كتب مختارة من روائع الأدب الغربى منها كتابان : « تركة روما » و « تركة أثينا » .

ومع أن المباراة ألغيت فى عهد الوزارة التالية فإنى أعتقد أن كثيرين من الأدباء قد أفادهم اختيار تلك الكتب ، وأن محاولات بذلت لترجمة هذين الكتابين بالذات من بين الكتب المختارة ... فهلا أعادت وزارة المعارف النظر فى قرار الإلغاء لهذه المباراة ، أو هلا نشط من يمكنه وقته وظروفه إلى ترجمتهما بغير حاجة إلى جوائز الوزارة ؟ ! ...

عبد اللطيف النشار

المنضدة فى اللغة

فى مقتطف يونيه أخذ العلامة الأب الكرملى على صاحب كتاب « مباحث عربية » استعماله لفظة المِنْضَدَة بدلاً من النضَد إذ قال إنها لم ترد فى كلام فصيح . وذكر كاتب جعل توقيعه نجماً — فى الرسالة رقم ٣١٧ (البريد الأدبى) أن المنضدة وردت فى « أساس البلاغة » هكذا : « المنضدة شىء كالسرير له أربع قوائم يضمون عليه نضدهم » . وقد راجعت مادة ن ض د فى « أساس البلاغة » ولم أعثر على هذا النص . فهل هو فى مادة أخرى؟ عسى أن يرشدنا الكاتب الفاضل إلى مظنة النص فيفيد

قارىء

رد على (اقتباس الكتاب)

حضرة الفاضل الأستاذ محرر « الرسالة » .

تحية وسلاماً ... وبعد ، فقرأت فى عدد « الرسالة » الأخير الكلمة التى تهجم فيها الدكتور بشر فارس من جديد علىّ . والرد على تهجمه أن كتاب « فرعون الصغير » للأستاذ محمود بك تيمور وصلنى صبيحة ١٥ يونية سنة ١٩٣٩ ، والكتاب يحمل إهداء تيمور بك ، والتاريخ ١٤ يونية مرقوم تحت التوقيع . وكتبت

كلمتى فى الأسبوع الثالث من شهر يونية ، وقرأتها على الأستاذ صديق شيبوب فى حينها، وبعثت بها إلى « الرسالة » بتاريخ ٢٧ يونية — أعنى قبل صدور مقتطف يولية بأيام —

على أن كلمتى وإن تأخر نشرها للعدد الصادر فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٣٩ ، فذلك على ما يبدو لى راجع إلى تقديم بعض كلمات أرسلتها للرسالة ، وكانت لمناسباتها تتطلب نشرها فى وقتها ، من ذلك كلمتى عن المرحوم فليكس فارس ، وردودى على الدكتور بشر فارس ، وردى على الدكتور غالى والأستاذ النقبادى .

وأظن أن فى هذا البيان ما يقطع كل مظنة للاقتباس

« الاسكندرية » اسماعيل أحمد أدهم

مهرجان للأدب فى السودان

عزم شباب السودان على أن يجعلوا من عيد الفطر المبارك عيداً قومياً آخر . فقرروا أن يقام فى أيامه الثلاثة مهرجان للأدب فى واد مدنى عاصمة الجزيرة

وفى هذا المهرجان ستعرض جهود السودان المتعلم ، وما ناله من حظ فى العلم والأدب . وسيكون العرض شاملاً لمختلف نواحى العلوم والفنون والآداب من أبحاث فلكية وطبية واجتماعية وتاريخية .

وهذه فرصة طيبة لتقوية الصلات الثقافية بين مصر والسودان يجدر بأبناء الشقيق انتهازها حتى يكون لنا من العيد أعياد . فهلا يبادر الكتاب والأدباء لزيارة السودان فى رحلة شتوية ممتعة ليروا آثار النهضة الأدبية ؟ وعلى أرباب الصحف ومحرريها التى لا تخلو منها دار سودانية واجب كبير فى هذا الصدد . وسيجد مندوبوها مادة غزيرة للكتابة عن ناحية مجهولة فى السودان الذى لا يعرفه وا أسفاه إلا قلة من أبناء مصر . وما أسعد قلوب السودانيين جميعاً إذا ساهمت مصر بكتابها ومفكريها فى ذلك المهرجان ، فيروا بينهم توفيق الحكيم والعقاد والزيات وزكى مبارك والمازنى وفكرى أباظه وفتحى رضوان وابراهيم المصرى

وللسودان على هؤلاء جميعاً دين يجب أن يؤدوه ، فهو يدرس أدبهم ، ويقرأ كتبهم ، ويعيش معهم دائماً بروحه وعطفه ، وهو لا يرجو إلا أن يزوروه بهذه المناسبة ليصفوه ويعرفوه وينصفوه وينعموا بجوه الشتوى الجميل .

هذا ، ومن لم يستطع الحضور ، فلا أقل من أن يرسل تحيته إلى السودان على عنوان سكرتير المهرجان أحمد محمد خير السودانى واد مدنى .

سكرتير المهرجان

حول رواية محمد على الكبير

سيدى الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

قرأت لمحرر الرسالة الفنى كلمة عن رواية « محمد على الكبير » هنأنا فيها على قبض ثمنها من الفرقة القومية وعزا عدم إخراجها إلى أسباب غير صحيحة

والواقع أن الرواية مأخوذة عن قصة « ابنة المملوك » للأستاذ محمد فريد أبو حديد ، وقد فازت بجائزة ممتازة فى مباراة التأليف المسرحى عام ١٩٢٩ بين ما يربى على مائة رواية لمؤلفى المسرح المصرى .

وقد نشرت « الرسالة » منظراً تمثيلياً منها فى العدد الخاص الذى صدر بمناسبة تولى صاحب الجلالة الملك سلطته الدستورية . وحاشا أن أصور محمد على باشا فى صورة السفاح كما توهم المحرر ، فإنى أعقل من أن أصور منشئ مصر الحديثة فى هذه الصورة . وستعرض الرواية فى الوقت المناسب ، وسيراها رواد المسرح والنقاد ويصدرون حكمهم على موضوعها وقيمتها

أما السبب الصحيح فى تأجيل تمثيلها فهو اشتمالها على مواقف حربية بين محمد على والإنجليز ، وقد ورد فيها انتصاره عليهم فى موقعة رشيد ، فرأوا من المناسب ألا تمثل فى الظروف الدولية الحاضرة

أما المكافأة عليها فلم تدفعها الفرقة وإنما فازت بحق تمثيلها من غير مقابل ، لأن شرط مباراة التأليف كما وضعته وزارة المعارف يعطي الفرقة هذا الحق . وقد صرفت الجائزة من هبة المرحوم عليوه بك التى رصدها تشجيعاً للتأليف المسرحى . . .

يوسف نادرس

حول الفن والحرية أيضاً

تتبعت الدوائر الفنية والأدبية فى مصر باهتمام شديد كل ما كتب حول جماعة الفن والحرية فى مجلة « الرسالة » الغراء . ولقد ضمت هـذه الجماعة مجموعة من الشباب المصرى المثقف تلمس فيهم كل إخلاص وحب للوطن العزيز . ولاشك فى أن كل ما كتب



التربية النظاميـــة

لصاحب العزة القائمقام على حلمى بك

مدير شرطة مديرية البحيرة

بقلم الأستاذ عبد المنعم خلاف

تفضل سعادة المؤلف بإهداء هذا الكتاب القيم إليّ ؛ وهو الكتاب الأول من نوعه باللغة العربية فيما أعلم ، عولجت فيه أوضاع الحياة الشخصية والاجتماعية بوضوح وتفصيل وضبط وبيان رصين على الأسلوب المتكافئ

وقبل أن أتحدث عن الكتاب يسرني أن أتحدث قليلاً عن مؤلفه : فهو مثال للرجل العسكرى الكامل الذى يعلن بشخصيته وخلقه عن الفضائل العسكرية التى لن تقوم لنا قائمة مالم يعد إلينا الاعتزاز بها والعمل على إحيائها فى نفوس الشباب بالقدوة والتعليم. فإنها فضائل تملأ الحس والنفس لأنها فى الجسم والفكر والروح

وقد تقلب سعادته فى كثير من المناصب فى الجيش والشرطة منذ سنة ١٩١١ إلى الآن ، وكان معنيا دائماً بدرس شئون الحياة النظامية التى تستلزمها مهنته فى القرى والمدن والبيت والشارع . وقد رحل إلى كثير من ممالك الشرق والغرب ، فسافر إلى فرنسا وألمانيا وإيطاليا وسويسرا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغوسلافيا وتركيا واليونان والحجاز وسوريا ولبنان وفلسطين . قال فى مقدمة الطبعة الأولى من كتابه : « وقد عنيت فى أثناء هذه الرحلات بالبحث عن كل ما يتصل بالتربية النظامية وأنظمة

فى « الرسالة » ما هو إلا كتابات سطحية عن أغراض الجماعة لم توف حقها من البحث حتى نطمئن جميعاً إليها حتى إننى لم أكد أدرك ما يريده أعضاء الجماعة من حركتهم الجديدة.

بقى سؤال ، وهو أليس للجماعة حساب على جماعة « الفن والحرية » ، وهى تؤمن به كما علمت حتى تفصح عن أغراضها الحقيقية ، وتوضح بكل جلاء ما ينتجه أعضاؤها من الفنانين أو الأدباء ـ من فنون حديثة سواء فى الرسم أو فى الأدب أو فى الشعر . ومقال الأستاذ « كامل التلمسانى » الذى نشر بالعدد «٣٢١» ودافع فيه عن فنه وفن زملائه « فتحى البكرى » و« كمال وليم » والأستاذ «حسين يوسف أمين» و« أبو خليل لطفى » ثم الأستاذ « يوسف العفيفى » و « فؤاد كامل » لم يوضح فيه بشكل قاطع وغير قابل للشك ماهية فنونهم هذه ؛ بل ترك مقاله خالياً من أى نتيجة حاسمة نطمئن لها . ثم جاء بعده مقال للأستاذ « رمسيس يونان » نشر بالعدد « ٣٢٢ » عرض فيه عرضاً عاماً شاملاً سريعاً لحركة «السيرريالزم» ، وبعض أساليبها فى التعبير . وفى هذا المقال أيضاً لم يخرج القارىء منه بنتيجة حاسمة

وأذكر أيضاً كلمة جاءت فى صفحة « البريد الأدبى » فى أحد أعداد « الرسالة » الغراء كتبها الأستاذ « أنور كامل » ، وهى لا تقل فى غموضها وشمولها عما كتب من قبل

أليست الحكمة إذن أن تفصح جماعة « الفن والحرية » عن فنها وعن أدبها فى صراحة تامة دون مواربة أو إبهام ؟

وبعد ، فإننى أرى أن أعضاء هذه الجماعة تغمرهم عواطف حارة جياشة فى صدورهم الرحبة لخلق فن جديد ، وأدب جديد ينبت حقاً من تربة مصر رأساً

ولكن لا بد من إفصاح ولا بد من بيان . فهل تتقدم جماعة «الفن والحرية» فتبين لنا ماهية هذه التحولات الجديدة فى الفنون وتذكر لنا أثرها فى مستقبل مصر الفنى والأدبى والمعنوى، على أن يكون بيانها مبنياً على أسس متينة من البحث العلمى أو الفنى ، معترف بها لدى الجميع .

حسين عبد الله السيد

ليسانسيه فى الآداب

البوليس والإدارة والنظم القضائية والاجتماعية وكل ما يتصل بالأمن وشئونه وكذا السجون والإصلاحيات ومصير المفرج عنهم والبلديات والمجالس المحلية

« وفى الدول التى زرتها بحثت أيضاً فى الوسائل التى تتبعها حكوماتها وطوائفها لغرس روح النظام فى أبنائها وإذكاء الروح الحربية والقومية فيهم ، وما تقوم به الهيآت لترقية الحياة الاجتماعية وخاصة عامة الشعب

« كذلك حضرت المؤتمر الرياضى العسكرى السنوى بمدينة « نورنبرج » بصفتى الشخصية بدعوة من المدير العام للبوليس الألمانى مدة أسبوع فى صيف ١٩٣٧ ... وقد شاهدت ودرست معهم أنظمة المعسكرات والتشكيلات الرياضية والعسكرية للابين الشباب والشابات ... »

وكان يوالى الجمهور عقب عودته من كل رحلة بمحاضرات يلقيها فى الأندية والمعاهد وقاعات الجميات المختلفة وفى محطة الإذاعة اللاسلكية . فهو من المؤمنين بنقل الجماهير من حياة الفوضى إلى حياة النظام عن طريق التمهيد بالدعوة والإرشاد والإذاعة قبل النقل بالقوانين. وهو الآن مستشار عتيد فى الجيش « المرابط » الجديد، وقائم خبير من القائمين على تنظيمه . ونرجو الله أن ينفع به دائماً

أما الكتاب فلم يترك ناحية من النواحى التى فيها فوضى أو نقص أو قصور فى حياتنا المصرية إلا عالجها واقترح لها وأرشد إلى خير الطرق لتنظيمها أو تكميلها مسترشداً بما فى الممالك الغربية.

فهو كتاب فى « فن » الحياة و « إخراجها » فى البيت والشارع والمدرسة والملعب والقرية والمدينة على خير أساليبها وأنماطها

تحدث عن النظام ونهضات الأمم ، وتنظيم الاستعداد فى السلم والحرب ، ووسائل مكافحة الغارات الجوية وحماية الأهلين منها ، والقرية المصرية والإصلاح الاجتماعى ، وسلامة الدولة ، والبوليس والجمهور ، ومقاومة الجرائم ، وبعض النظم الأوربية الملائمة لعاداتنا وتقاليدنا ، والتربية البدنية ، والتدريب العسكرى ، ومفاخر الجيش المصرى ، والروح القومية . ذلك عرض لأمهات مسائل الكتاب يضاف إليها مسائل عدة يطول بنا الحديث إذا ذكرنا عنواناتها

وهو يقع فى ٣٥٥ صفحة محلى بكثير من الصور الفوتوغرافية .

ولو أن مثل هذا الكتاب وزع على طلاب المدارس الثانوية والمعاهد الدينية للمطالعة لكان أفضل بكثير من الكتب التى تتحدث فى موضوعات لا تتصل بصميم التربية والسلوك فى الحياة ، وإنما تتحدث بمقالات كلها « ترف » أدبى أو علمى يحشو الأذهان بالحروف والأرقام وألوان التعبير الجميل والرشاقة البيانية. أما هيكل الحياة الفردية والاجتماعية وأساسهما فذلك أمر لا ينظر إليه إلا عرضاً

لقد آن لوزارة المعارف أن تبنى النفس المصرية من جديد وأن تجعل همها الأول التربية والإشراف على الناشئين فى البيت والشارع والمائدة وطريقة الحديث والمرور والملعب والمجتمعات والملاهى والأفراح والمآتم ، وأن تجعل وكدها فى أن يخرج الطالب من المرحلة الثانوية وهو راشد التصرف مهذب السلوك قبل أن يكون عالماً علم الأولين والآخرين

نريد أن تبيد وزارة المعارف بكل طالب من طلابها خمائر الفوضى والخرافات الشائعة فى بيوتهم، ولن تتمكن من ذلك إلا إذا استولت على أفئدتهم وملأتها بحب الانتصار لحياة النظام والتنسيق وأفهمتهم أنه من الواجب عليهم أن يجندوا أنفسهم دائماً لحرب الفوضى فى بيوتهم ومجتمعاتهم وألا يخضعوا أمام جهل آبائهم وأمهاتهم . والكتب الموضوعة فى هذا أولاً والتدريب الطويل ثانياً هما الوسيلة إلى ذلك

(الاسكندرية) عبد المنعم خلاف

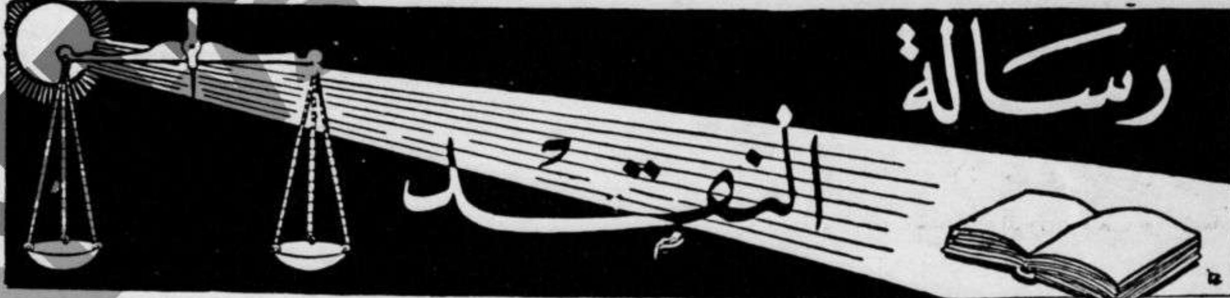
عبث الأقدار

تأليف الأستاذ نجيب محفوظ

للأديب محمد جمال الدين درويش

القاص نجيب محفوظ شاب حديث عهد بالقصة ، ولكنى أعده فى الصف الأول ومن المبرزين فيها وخاصة فى القصة القصيرة، وأقاصيصه فى مجلة الرواية تؤيد ما ذكرت ، وتجعلنا نشد على يده إعجاباً بفنه ، وتهنئة بفوزه ، واستبشاراً بمستقبله فى عالم القصة

وهو يمتاز بذوقه الخاص، وطريقته التى اكتسبها من القاص الكبير محمود بك تيمور فى كتابة الأقاصيص ، ومقدرته الفنية على كتابتها ... وهو يتخذ مما يشاهده ، وما سطرته الأيام والحوادث فى سجل المحيط المصرى مادة لأقاصيصه ، ولذا نرى قصته الجديدة عبث الأقدار مطبوعة بالطابع المحلى ... تصفحها تجد أنه قد أظهر خوفو فرعون مصر وبانى الأهرام كأنه بين ظهرانينا يتمتع بالحياة ، والأهرام نلاحظ ونشاهد طريقة بنائها وضجيج العمال وغناءهم . وقصارى القول أن القصة ترينا ما وقع من الحوادث فى عهد بانى الهرم . كل هذا بأسلوب سهل خال من



فصل المقال

فيما دار من نقاشه حول « مباحث عربية »

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

أخذنا فى نقدنا لكتاب « مباحث عربية » أن مؤلفه فى بحثه عن « المسلمين فى فنلندة » ، وقف عند مجرد الأقوال التى سمعها ، ولم يتعدها إلى التحقيق . والحق أن هذا البحث لا يتعدى كونه استطلاعاً صحفياً ، ومن هنا جاء ما فيه من الضعف . فالدكتور بشر يرى أن المسلمين الذين اكتشف وجودهم فى فنلندة أصلهم من « الترك - التتر » ، الضاربين أصلاً فيما وراء جبال أورال ، رحلوا إلى فنلندة عقب الثورة الاشتراكية الكبرى فى روسيا .

الكلفة يخطه قلمه على نهج نفسه التي تركها على سجيتها تسجل أفكاره بكل بساطة كأن الفن طوع أمره. وقد نفخ فى كلماته من روحه فجمل العبارات كأنها قلوب تنبض وتجيش بالحياة والعواطف تشوق القارئ إلى قراءتها فتتسلسل فصولها تحت أعينه كشريط السينما حادثة فى إثر أخرى وتجبره على ألا يلقيها من يده إلا بعد أن ينتهى من قراءتها ... فيرى أن الأستاذ نجيب عرضها بأسلوب الوصاف أو خلقها بريشة الرسام أو كونها بعدسة المصور

وعلى رغم طول القصة تمكن الأستاذ نجيب من السيطرة على أعصابه ووجدانه حتى أخرج عبث الأقدار كما هى الآن محبوكة كما ينبغى فن القصة ... وإذا عرفنا أن هذه أول قصة يكتبها طويلة نغتفر للقاص بعض هنات ومآخذ فى القصة ، ولكنى أحاسبه على سوء طبعها وحشوها بالغلطات المطبعية وهى تقع فى ١٦٠ صفحة من القطع الكبير

وآمل أن تلقى عبث الأقدار من الرواج ما هى أهل له وهى خليقة بالعناية والاعتبار **محمد جمال الدين درويش**

وقد لاحظت أنا أن المسلمين من « الترك - التتر » ينتشرون فى شمال وشرق أوربا بكثرة . فنهم جموع فى لابلاند وفى فنلندة وفى استونيا وفى ليتونيا وفى بولندة ... وقد تحدث عنهم المستشرقون الروس والبولنديون كثيراً - خصوصاً اليهود من الأخيرين - وكان من الروس المستشرق بارتولد ، وهو من شيوخ الاستشراق فى أوربا ؛ فقد كتب بحثاً نفسياً عن « الأتراك فى أوربا الشمالية » تجده فى مجلة الشرق الجديدة الروسية م ٨ ج ٤ ص ٣١١ - ٣٣٦ كذلك كتب بحثاً قيماً الأستاذ فيسفولد كزميرسكى ، وهو من أعلام الاستشراق فى روسيا الآن فى نفس المرجع . م ١٠ ج ٢ ص ١٠١ - ١٤٠ وهو عن « بقايا جموع التتر القديمة فى دويلات البلطيق » واعتماداً على هذه المعرفة نظرت فى المراجع التركية التى تحت يدى ، فوجدت أن جموعاً من الأتراك المسلمين ، رحلوا إلى الشمال فى القرن السادس عشر ، واستمروا فى بلاد الفنوا (فنلندة) ، ومن هنا جاء تساؤلى : هل تأكد الدكتور بشر فارس من المعلومات التى ألقيت إليه من الأشخاص الذين قابلهم فى فنلندة من جمهور « الترك - التتر » فيها عن أصلهم ؟

وقد عمد الدكتور بشر إلى المغالطة فى رده فقال : إنه اهتدى إلى هؤلاء المسلمين ، وأنهم خبروه بما دوّن . وأنا وإن كنت لا أحب أن أشجب رواية الدكتور بشر واتهمه فى كلامه ، إلا أن الذى أحب أن أقوله : إنهم قد يكونون خبروه أن أصولهم من وراء جبال أورال ، وأخطأ هو فهم كلامهم فظن أن هذا يعنى أنهم حديثو العهد بفنلندة أتوها بعد الانقلاب السوفيتى من وراء جبال أورال !..

٢ - قال الدكتور بشر : إن بعض هؤلاء الأتراك « التتر » يقيمون بمدينة توركو Turku من أعمال فنلندة . وقد علقت على هذا الكلام فى ردّى فقلت : « ما صلة اسم هذه المدينة بلفظة ترك » ، لأن المشابهة قوية بين اسم المدينة واسم الأتراك ، مما يدل على أن المدينة اشتق اسمها من جموع الترك - التتر -

التي نزلتها في زمن من الأزمان فجاء الدكتور بشر في ردّه يغالط ويقول: إن مدينة توركو كانت عاصمة فنلندة في المائة الرابعة عشرة للمسيح ، وبذلك ينفي تأثير جماعة الترك الذين نزلوا ربوع بلاد الفنوا في القرن السادس عشر

والمغالطة واضحة ، لأننا لم نقل في ردّنا إن هنا لك صلة بين نزول الجموع التركية في القرن السادس عشر وبين تسمية المدينة باسم توركو ، ذلك أننا نعرف أن المدينة أقدم عهداً من ذلك التاريخ ، وإليك الدليل :

قلنا : « ومسألة أخرى في هذا البحث ، فالباحث يذكر أن جموع هؤلاء المسلمين الأتراك تنزل العاصمة ثم بمدينتي تميري وتوركو . وهو لم يذكر لنا شيئاً عن المدينة الثانية ، وهل هنا لك صلة بين اسمها ولفظة « تورك »

فأين هذه الملاحظة من ردّ صاحبنا القائم على المغالطة والإبهام والتهويل ؟

٣ — نعرف من كتب الأنتولوجيا أن الفنلنديين يردّون إلى أصلين : الأول Tarrasians والآخر Karelians وفي الشمال من فنلندة تنزل بعض الجموع الذين يردّون إلى اللاب Lapps وهم قلة ضئيلة في فنلندة اليوم . ونزول النورديين في دويلات البلطيق من القرن الخامس عدل الصفات الانتولوجية للفينوا الأول . ومجيء بعض الجموع من « الترك ـ التتر » إلى دويلات البلطيق واستقرارهم فيها ، وكان من الموجتين المغوليتين المظيمتين اللتين جرفتا روسيا عام ١٢٣٧ وعام ١٢٣٩ ، إذ نزل شواطئ البلطيق جماعات من « الترك — التتر » الذين دفعتهم أمامها الموجة المغولية . ثم جاء من الشرق ومن الجنوب عبر بحر البلطيق عن طريق بولندة جموع من الأتراك العثمانيين ، نزل بعضهم بولندة واستقر فيها والبعض الآخر ركب البحر إلى الشمال واستقر في استونيا ولتوانيا ولتفيا وفنلندة . وكان مجيء هذه الجموع على دفعات . ولا شك أن بعض هؤلاء كانوا من الأتراك العثمانيين الذين أسروا في الحروب التي شنها الأتراك على أواسط أوربا وعلى جنوب بولندة (التوران في مجرى التاريخ — ج ٣ المقدمة ص Lxxv وما بعدها وكذا بارولد في مبحثه السابق الذكر)

ومن هنا يتبين قيمة رد الدكتور بشر من الحقيقة . هذا إلى أن أصل اشتقاق مدينة turkü الفنلندية يعود إلى مادة ترك كما تحقق هذا معنا من مراجعة مادة (ترك) من أعمال معهد التاريخ التركي (السلسلة الأولى ـ المجلد ٤ ج ٣ ص ١١٧ ـ ١١٨)

٤ — قلنا إن الدكتور بشر فارس لم يتعمق في بحثه ، وكان آية ذلك عندنا أنه يقول : إن لغة التعليم عندهم هي التركية وحروف هجائهم هي الحروف اللاتينية التركية التي وضعت وشاعت بأمر أتاتورك (ص ٢٤) وهو يستدل بهذا على أنهم صرفوا هواهم عن روسية الجنوبية (ص ٢٣) لأننا نعرف أن هناك ضربين من الهجاء اللاتيني للغة التركية ، الأول يتخذه أتراك الاتحاد السوفيتي والثاني يتخذه أتراك الجمهورية التركية . وهنالك من الفروق بين الضربين ما يجب تفرقة بعضها عن بعض . وقلنا في ردنا عليه : « وفي إمكان الباحث بمراجعة هذه الفروق أن يدلي برأي نهائي في الموضوع » فحرف الدكتور بشر كلامنا فقال : « إنني أخذت عليه عدم التثبت في بحثه لأنه لم يقرر أن الحروف التي يستخدمها هؤلاء المسلمون في فنلندة ، ليست هي تلك الحروف التي توافق عليها أتراك الاتحاد السوفيتي » وأين هذا الكلام من كلامي ؟!

إن الكماليين استعملوا الهجاء اللاتيني في ٣ نوفمبر عام ١٩٢٩ (أنظر Armstrong في Gray Wolf ص ٢٨٨ سطر ٢٤ من Appendix وأتراك الاتحاد السوفيتي اتخذوا الهجاء اللاتيني في مؤتمر باكو عام ١٩٢٤ ، ثم حدث بعض الخلاف سوّى في مؤتمر تفليس عام ١٩٢٥ ومصطفى كمال اعتمد على الهجاء اللاتيني الفرنسي في وضعه الهجاء اللاتيني التركي ، وإن نظر لنظام أتراك الاتحاد السوفيتي

ولا زلت أنا عند رأيي الأول أنه كان في مستطاع الدكتور بشر أن يرجع لنظام الهجاء اللاتيني لهؤلاء المسلمين ، ويقارنه بما يقابله عند أتراك الاتحاد السوفيتي ثم أتراك الجمهورية التركية وبذلك يدلي برأي نهائي في الموضوع . أما القول بأنهم أخبروه بذلك ، فهو من اجتلاب القول ، فضلاً عن أنه موضع نظر حتى يمكن الجزم في نظام أحرف الهجاء اللاتيني التي يستخدمونها في الكتابة

وإذا كان عند الدكتور بشر فارس نماذج من كتاباتهم فليبعث إلي بواحد منها ، وأنا ضمين بأن أقطع الشك في هذه المسألة بحكم درايتي بهذه الدقائق نتيجة تقلبي في بيئات تركيا والاتحاد السوفيتي ردحاً من الزمان

بقيت بعض ملاحظات على الجملة التي دار حولها النقاش من مبحث الدكتور بشر فارس ، من ذلك أنه استدل من أن لغة

التعليم عند هؤلاء المسلمين الفنلنديين هى التركية بأنهم صرفوا هواهم عن روسية الجنوبية (ص ٢٣ من كتابه) ولست أعرف ما موضع روسية الجنوبية فى هذا التعبير ؛ لأن هؤلاء إن كانوا من الترك الضاربين فيما وراء جبال أورال فلا صلة لهم إذن بروسية الجنوبية (القرم وقازان وأكرانيا) ، وإن كانوا من الجنوب من روسية فلا معنى للقول بأنهم من الترك الضاربين فيما وراء جبال أورال ... والذى عندى أن هذا الخلط نتيجة تفسيرات شخصية من الدكتور بشر فلم يحدثوه بأنهم من وراء جبال أورال ، وإنما الدكتور بشر قد استنتجه خطأ ، لعله أن « الترك — التتر » أساهم من هذه المناطق . وعلى هذا يتسق الأمر فى استطلاع الدكتور بشر لشؤون هذه الجماعة المسلمة فى أقصى الشمال. أما القول بصرف الهوى عن روسيا الجنوبية ... فهو الأصل الذى يكشف عن فكرة الاستنتاج فى قول بشر أنهم من « الأتراك — التتر » الضاربين فيما وراء جبال أورال ... !

٥ — قلنا فى نقدنا لكتاب مباحث عربية : « إن استعمال لفظ (السلوك) لأحد مشتقات المصدر الفرنسى وهو moralité تارة ولفظ « الأخلاقيات » لمشتق آخر لنفس المصدر (وهو morale) تارة أخرى يوقع فى اللبس والاختلاط » . فكتب الدكتور بشر : « والردّ أن الناقد لم يدرك الفرق بين اللفظتين الفرنسيتين : morale et moralité ، فالأول يدل على أعمال المرء من الناحية الأخلاقية ، والثانى يفيد علم الأخلاق » . والمغالطة فى ردّ صاحبنا الدكتور بشر واضحة ، لأن الأصل فى نقدنا أن استعمال لفظ السلوك والاخلاقيات لمشتقتين وهما morale et moralité من مصدر واحد هو mores فى اللاتينية يوقع فى اللبس . واللازم أن يشتق من المادة العربية التى تقابل mores مصدران ينظران إلى اللفظين الفرنسيين والأول يأتى عندى آداباً والآخر أدبيات ، فنى الأول مفهوم السلوك conduite من حيث هو قاعدة (أو منهج) régle وفى الآخر مفهوم السلوك conduite من حيث هو مبدأ (Principe) . وبين الاثنين من الفارق ما لاحظه الدكتور بشر فارس

٦ — قلنا : « إن فى تعبير الدكتور بشر أن للفظة الشرف مفادات متجاورة تارة ، متباينة أخرى » قصوراً لا تستقيم معه الجملة إلا إذا أبدل فيها لفظة المتجاورة بالمتشابهة لأنها أدل على المعنى وأكثر اتساقاً فى الجملة من حيث أن التجاور فى تعبيره يفيد افرنجياً synonyme وواضح أن synonyme هذا يعنى :

١ — الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد (مترادف)

٢ — الألفاظ المفردة الدالة على معنى متشابه (أو متقارب)

وإذن يكون معنى synonyme يؤديه فى العربية الفصحى كل من لفظى الترادف أو التشابه (التقارب) وذلك حسب استعماله . والتعبير الذى استعمل فيه الدكتور بشر لفظة متجاورة سياقها تفيد التقارب أو التشابه . والدكتور بشر يريد هذا ، لأن التباين يقابله الترادف من الجهة الأخرى ويقف بينهما التشابه والتقارب . وهذه مسألة لا تحتاج إلى ذلك العلم الدقيق بمفردات اللغة كما يهول صاحبنا فى رده . وليس جعلنا المتشابهة ناظرة synonyme إفرنجياً بدليل قصور فى العلم باللغة . لأن المتشابهة والمتباينة من الألفاظ التى تنظر إلى synonyme . وليست اللفظة الإفرنجية مفادها قاصراً على المترادفة عربياً . ونحن إن كنا وقفنا فى ردنا عليه عند المشابهة (الوجه الثانى من مفاد اللفظة) فذلك لأنها هى المقصودة فى العبارة ، والسياقة تدل عليها ، وما دام الأمر كذلك فأى ضرورة تلجئنا إلى الكلام عن الترادف أو المترادفة من الألفاظ ؟

على أن محاولة بشر تخريج الموضوع بقوله : إنه يعنى بالمفادات المتجاورة voisines فى الإفرنجية فلا معنى لها ولا محل ، لأن المفادات لا تتجاور ولكن تتشابه (أو تتقارب) وتتباين وتترادف لأن التجاور يغلبها الجانب الحسى والمفادات يغلب عليها الجانب المعنوى . أما أن المتجاورة من تعبيره تنظر إلى voisines فرنسياً فليس ذلك بدليل يلزم أن يكون التعبير فيه لفظ التجاور . لأن التعبير فى العربية وليس فى اللغة الفرنسية ، ولكل لغة أحكامها وأصولها . وأظن أننى لست بذلك الشخص الذى يعطى للدكتور بشر درساً فى هذا ، فهو أدرى منا فى هذا بحكم كونه ابن اللغة العربية ، ولكن قل هى الشكلية أفسدت عليه النظر

(لما بقية) اسماعيل أحمد أدهم



من التاريخ

النهضة المسرحية في مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

أولاد الفقراء

قلنا إن رواية (الذبائح) التي وضعها المرحوم أنطون يزبك كانت ذات أثر سيء في النهضة المسرحية . ولقد نسج على منوالها يوسف وهبي فوضع (الصحراء) ثم وضع (أولاد الذوات) ثم (أولاد الفقراء) وقد نجحت هذه الروايات لكنها استبدلت لمسرح رمسيس جمهوراً بجمهور فأصبح رواده من طبقة العامة الذين افتتنوا بيوسف ورواياته التي كتبت باللغة العامية التي يفهمونها وباللهجة المبتذلة التي يتكلمون بها . ولقد عافت الآذان الشريفة أن تستمع إلى الألفاظ الكثيرة الساقطة التي ترد على لسان الممثلين والممثلات فهجر أصحابها مسرح رمسيس الذي انحدر انحداراً شنيعاً مع شدة الإقبال عليه من طبقة معينة من الجماهير كانت تأتي لتشاهد (أولاد الفقراء) وتعجب وتتأثر بالمآسي والفجائع التي حشدها يوسف وهبي فيها . ولم يكن يوسف ليعرف عظم الهوة التي ينحدر إليها، وقد ركبته أنانية المؤلف التي جعلته يعتقد ويجاهر بأن الكلمات التي يكتبها لا يجوز التبديل فيها كما لا يجوز التبديل في القرآن . ولهذا فقد استمر يوسف في نهجه حتى وصل به الحال إلى أسوأ ما يصل إليه فنان

نعود فنقول إن يوسف وقد أراد أن ينتقم من النقاد وأن يهدم إلى جانبهم بعض الشخصيات المسرحية البارزة ، قد قبل تمثيل رواية (الوحوش) للأستاذ محمود كامل ورواية (تحت العلم) للأستاذ عبد الرحمن رشدي ، وليس هذا أوان التحدث عن هاتين الروايتين ، وإنما يكفي أن نقول إن الأستاذ محمود كامل وضع (الوحوش) في سن الشباب قبل أن ينال الخبرة والمران وأن الأستاذ عبد الرحمن رشدي وضع (تحت العلم) وهو ليس بالمؤلف وما هو إلا ممثل فقط . ولقد سقطت الروايتان سقوطاً شائناً . ومن العجيب أنهما لم تسيئا إلى اسمي مؤلفيهما بقدر ما أساءتا إلى مسرح رمسيس . وهكذا أراد يوسف أن يطعن الآخرين فطعن نفسه

فلما وقعت الشحناء بين أفراد فرقة رمسيس وحلت البغضاء محل المودة وشاءت الظروف أن تنقسم الفرقة إلى شطرين شطر يذهب مع فاطمة رشدي وعزيز عيد وشطر يبقى ، نقول لما شاءت الظروف أن يقع هذا انتعش المسرح انتعاشاً مؤقتاً بسبب التنافس الشديد، بيد أنه كان انتعاشاً مؤقتاً وعلى غير أساس، ومن ثم فقد سقطت فرقة فاطمة رشدي مع الزمن وانهار بنيان فرقة رمسيس من بعدها خصوصاً وقد اختطت لنفسها خطة جديدة بهذه الروايات التي كتبت بلغة عامية

ولا نطيل فقد انهارت النهضة المسرحية على يد من شادوها وأقاموا بنيانها فارتفعت صيحات النقاد من كل جانب بطلب إنشاء فرقة حكومية ، وأخيراً استجابت الحكومة للنداء وأنشأت أولا فرقة (اتحاد الممثلين) التي منيت بفشل ذريع، فاضطرت أمام هذه الحالة إلى إنشاء (الفرقة القومية المصرية) . ومن طريف ما يذكر أن الأستاذ يوسف وهبي وقد عرض عليه أن ينضم إلى الفرقة طلب أن يسمح له بتمثيل بضع روايات من أمثال أولاد الذوات وأولاد الفقراء حتى يمكن أن تأتي بإيراد يعوض الخسائر التي ستمنى بها من تمثيل الروايات المثالية التي ستعنى الفرقة بإخراجها لإنقاذ فن التمثيل مما وصل إليه بسبب يوسف وهبي ورواياته الشعبية !

ومع أن مدير الفرقة رفض أن يجيب يوسف وهبي إلى طلبه الغريب فإنه سمح بعدئذ أن تخرج الفرقة القومية روايات وإن تكن باللغة العربية إلا أنها أكثر ابتذالاً من رواية أولاد الفقراء.

(الكلام بقية)

ملاحظـات

روايات قديمة

قلنا إن من أسباب نجاح فرقة رمسيس فى عصرها الذهبى أنها أخرجت للناس روايات جديدة قوية ولم تعمد إلى إعادة إخراج بعض الروايات القديمة إلا بعد أن استتب لها الأمر ورأت أن فى إخراج هذه الروايات ما يبرهن على كامل استعدادها وقوتها ثم إنها كانت تخرج فى موسمها الواحد حوالى عشرين رواية لا يكون من بينها أكثر من رواية واحدة قديمة

أما الفرقة القومية فإنها لشدة فقرها الفنى — فإنها بحمد الله واسعة الثراء من الوجهة المادية — لا تجد أمامها سوى الروايات القديمة التى سبق إخراجها ونالت النجاح ، فهى تعيد إخراجها مطمئنة إلى أنها لن تسقط على الأقل !

وهاهى ذى ستفتتح موسمها برواية (مصرع كليوبطره) وهى رواية قديمة وستتبعها برواية (لويس الحادى عشر) وهى رواية قديمة أيضاً !

وسوف ترى الفرقة أنها بهذه الأعمال التى تصدر عن غير بصيرة ستفقد الثقة الباقية فيها .

أما ما يقال من أن بعض هذه الروايات القديمة ، إنما يعاد إخراجها من أجل بعض الممثلين الذين لا يصلحون إلا لها ، فإنه مع صحة هذا القول لا يجب أن يذهب الكل من أجل البعض. وعلى أى حال فإن رواية الافتتاح يجب أن تكون جديدة ، وقد كان من الكياسة أن يؤخر إخراج هذه الروايات القديمة إلى ما بعد إخراج بضع روايات جديدة .

عدد أفراد الفرقة القومية

أتينا فى العدد الماضى على الإشاعة القائلة بتوفير أكبر عدد ممكن من أفراد الفرقة الموسيقية التى تعمل مع الفرقة القومية ؛ وذلك لتوفير بضع مئات من الجنيهات تصرف فى وجوهها الحقة خصوصاً وأن الفرقة ليست فى حاجة إلى هذا العدد الوفير من الموسيقيين فهى ليست فرقة أوبرا أو أوبريت

قلنا هذا فى الأسبوع الماضى فاذا بالإشاعة تتطور فى هذا الأسبوع إلى أن التوفير سيشمل أيضاً بعض الممثلين !

وإذا كنا ننصح مع الناصحين بتوفير أكبر عدد ممكن من أفراد الفرقة الموسيقية ، أو الاستغناء عن هذه الفرقة جيماً والاستعاضة عنها بحاكى ، وبضع اسطوانات ؛ فإننا ننصح إلى جانب ذلك بزيادة عدد أفراد الفرقة القومية ، وضم العناصر القوية الخارجة عنها، أما التوفير فمعناه إضعافها والقضاء عليها .

وليسأل مدير الفرقة الأستاذ أحمد عسكر عن عدد أفراد فرقة رمسيس أيام كان يعمل بها ، وعن المجهودات التى كان يبذلها الأستاذ يوسف وهبى لضم العناصر القوية التى كانت تعمل خارج الفرقة ، وعما حل بفرقة رمسيس منذ انقسمت شطرين وخرج منها بعض أبطالها وبطلاتها !

الأستاذ سليمان نجيب

يبذل الأستاذ سليمان نجيب مدير الأوبرا أقصى جهده فى مساعدة الفرقة القومية مساعدة جدية يشكر عليها ، وقد بلغنا أخيراً أنه استمع إلى رأى المخرجين فتوح نشاطى وعمر جيمى بشأن تغطية الفراغ الكبير المعد للفرقة الموسيقية ليتسنى بذلك وضع بضعة صفوف أخرى للمشاهدين ، وكذلك سيسمح للممثلين بالتقدم إلى مقدمة المسرح ولم يكن يسمح لهم بذلك من قبل بسبب الاحتياط الخاص بالحرائق ، وبهذا كله ينعدم الفراغ الكبير الذى كان يخلق جواً من البرود يؤثر تأثيراً سيئاً فى المشاهد التمثيلية . وقد كان من أسباب نجاح الروايات فى مسرح رمسيس (ريتس الآن) أن هذا الفاصل غير موجود .

مأساة الفرقة القومية

مأساة الفرقة القومية فى سكرتيرها السابق ما تزال ماثلة فى الأذهان، وقد خرج منها على أى حال فليس من سبب يدعوننا إلى التحدث عن هذه المأساة أو ذكر تفاصيلها من جديد . وإنما غايتنا من التذكير بها أن نوجه النظر إلى وجوب مراقبة الشئون المالية للفرقة مراقبة دقيقة وحصر المسئولية فى شخص معين يكون مسئولاً عنها . وها نحن أولاء فى بداية الموسم وستكثر المشتريات وصرف النقود فإذا سار الأمر فوضى فإنه يخشى أن تتكرر المآسى وهى كفيلة بالقضاء على الفرقة

(فرعون الصغير)

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 327

Lundi - 9 - 10 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٥ شعبان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

جريرة النازية على الانسانية

يا ضَلَّةَ العقل ويا حيرة المنطق !

إن أمام التاريخ اليوم رجفة من رجفات الهول والهلاك لم يبتلَ بمثلها الإنسان منذ دحا الله هذه الأرض . فهل يستطيع مهما سبر أغوار النفس ، وكشف أسرار المجتمع ، ورصد أطوار الحوادث ، أن يقول فيها أكثر مما يقول فى العواصف والزلازل والبراكين والأوبئة ؟

هل يستطيع التاريخ بفلسفته وحذلقته أن يفسر لنا وللأجيال كيف تسنى لخمسة نفر من عباد الله الضعاف ، لا هم آلهة ولا هم أبالسة ، أن يسيطروا على الشعب الألمانى الضخم وهو آية النبوغ البشرى فى العلم والأدب والفلسفة والفن فيشلوا تفكيره ، ويلغوا إرادته ، ويمسخوه قطيعاً جراراً من أفيال جهنم ترمي العالم كله محاربيه ومساليه بالبوار والدمار ، أو بالفزع والمجاعة !

لو كانت هذه النازية الهتلرية قائمة فى سلطانها وطغيانها على مبدأ من مبادئ الخير ، أو مذهب من مذاهب الإصلاح ، لالتمسنا لخضوع الشعب الألماني لها واضطراب العالم الإنسانى بها مساغاً فى العقل أو مثلاً من التاريخ ؛ ولكنها ضلالة من ضلالات العصبية والعنصرية والأثرة والغرور استبدت بفكر ثائر وعقل حائر وهوى طموح ، فظنها الفوهرر رسالة من رسالات الله أوحاها إليه

فى كتاب (كفاحه)، وأوجب أداءها عليه بقوة سلاحه؛ فهى شريعة تنسخ كل كتاب غير كتاب هتلر، وتمحو كل سيادة غير سيادة النازى، وتمحق كل عنصر غير عنصر الجرمان. وإذا كان فى الساميين وهم فى رأيه حثالة الناس رسالات ورسل، فكيف لا يكون على الأقل فى الآريين وهم خلاصة الأجناس رسالة ورسول ؟

ولكننا عرفنا إله الناس الذى اصطفى من الساميين موسى وعيسى ومحمداً ليبلغوا رسالات الهدى والحق والخير، فألفوا نوافر القلوب بالحب، وأقاموا قواعد المجتمع على العدل، وخففوا متاعب العيش بالإحسان، وضمنوا وفاء العهود بالذمة، وجعلوا الناس كلهم سواسية فى حق الحياة لا يطغى جنس على جنس، ولا يبغى قوم على قوم. فمن هو يا تُرى إله الألمان الذى اصطفى من الآريين هتلر وجورنج وهيس وريبنتروب ليبيدوا أمم العالم، ويدمروا حضارة الدهر، ويحطموا روائع الإنسان، ويستبدلوا بشرائع الله وقوانين الضمير سياسة لا تعرف براً بوعد ولا وفاء بعهد ولا ثباتاً على مبدأ ؟

***

يا ضلة العقل ويا حيرة المنطق !

أبعد أن تغلغل على طول القرون هدى الله فى الغرائز والأخلاق والقوانين والنظم ففازت الحرية، وسادت الديمقراطية، وعلت الإنسانية، يمكن أن تقوم فى العالم اليوم نِحلة مجرمة الوسيلة والغاية كنحلة النازية تحتقر أجناس الناس، وتنكر حقوق الشعوب، وتزدرى قواعد السلوك، وتستحل فى سبيل السيطرة والغلب الغدر والمكر والكذب وغش السياسة ونقض العهود وإنكار الذمم!

ليت شعرى ماذا يقول أحفاد لوثَرَ وكَنْت وجوته وبتهوفن وقد رأوا زعيمهم الأديب الفنان يقول بلسان دولته ولا يصدُق، ويعاهد بشرف أمته ولا يفى، ويجعل من شعبه الصبور العامل غولاً للسلام يقذف الرعب فى كل قلب، والشقاء فى كل منزل، ثم يدع صليبه النازِىّ المعقوف يتحطم رويداً رويداً بين مطرقة الشيوعية ومنجلها بعد أن ناصبها العداء المر والهجاء الفاحش !

لقد قلنا فى كلمة سابقة : « إن هذا الرجل العجيب استطاع فى ست سنين ونصف أن يبنى من الحديد والنار والسم والثأر والعزيمة والعصبية دولة كانت بعد صلح فرساى تتوارى من الخجل، وتتفانى من الجوع، وتتهالك من الدين، وتضع أيديها على هيكلها فلا تجد إلا اشلواً لا سورة له ولا حس فيه، فأصبحت بما نفخ فيها من روح الكفاح، ووضع فى أيديها من قوة السلاح، تملك على الدول الحياة والموت، وتقضى على الأمم بالسلام أو الحرب ؛ كل ذلك فعله من غير ثورة ولا حرب فكان حرياً أن يتبجح فى آخر خطابه التاريخى المشهور بقوله : ألست حقيقاً بأن أطلب إلى التاريخ أن يعدّنى فى الذين حققوا أعظم ما يسمح الإنصاف بطلبه من رجل ؟ » . نعم قلنا ذلك أيام كان هذا الرجل الشاذ قابضاً على عجلة القيادة بحزم الربان الماهر وحكمة القائد البصير . وما كنا نتوقع أن يبتليه الله بضعف الإنسان الفرد على هذا النحو المهلك والقضاء العاجل، فيدور برأسه الغرور، ويذهب بنفسه العناد، حتى لم يعد لشهواته حد تقف عنده، ولا لنزواته فرملة تحبس عليه

هذا هو هتلر الذى أعجب به شباب الأمم بالأمس يأخذه اليوم جِماح السلطان وعُرام القوة، فيُلقى عامداً بقوته وبالعالم فى سعير الحرب، ثم يقف فى ضوء لظاها المشبوب فى الأرزاق والأعلاق والأنفس وفى يديه قيثارة نيرون يعبث بأوتارها ويضحك !

ماذا عسى أن يكون مصير الشعوب الصغيرة التى ضمنت على ضعفها أن تعيش فى حمى الشرف والعدل والسلام، إذا تغلب هذا الطغيان النازى الذى يريد أن يحكم العالم على أساس استعباد الضعيف، وتسخير قوى الناس والطبيعة لسيادة عنصر واحد وإرادة رجل واحد ؟

إن ميراث الإنسانية المتدينة المتمدنة من أخلاق وثقافة ونظم هو اليوم فى حمى الدول الديمقراطية الحرة تدافع عنه وترعاه وتمسك به الأرض أن تميد وتبيد . وليس للأمم الصغيرة سبيل للحياة الحرة إلا أن تساهم فى هذا الدفاع بإخلاص وقوة، فإن ضمان العيش للقلة بجانب الكثرة، والعجز فى كنف القدرة، هو هذه الفضائل الاجتماعية التى نبتت فى أصول الدين ونمت فى ظلال الديمقراطية . أما إذا شاء القدر — ومعاذ الله أن يشاء — أن يتحكم هوى الطغيان فى حقوق الإنسان فيذهب بالإخاء أثرة جنس، وبالمساواة سيادة شعب، وبالحرية استبداد فرد، فقل إنها دنيا للشر جديدة نرجو ألا يكون لنا فيها وجود !

احمد حسن الزيات

أين الكلتور؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

دخل الألمان الحرب الماضية وهم يحملون أمامهم كلمة « الكلتور » التى شاعت على ألسنة الناس من ذلك الحين كما شاعت ترجماتها فى اللغات الأخرى ، ومنها كلمة الثقافة فى اللغة العربية

وكانت دعواهم أنهم يحاربون بالكلتور الجرمانى أو الثقافة الجرمانية كما يحاربون بقوة السلاح وقوة السياسة ، لأنهم اعتقدوا أنهم أصحاب أشرف الثقافات وأحقها بالنصر والغلبة على عقول الأمم وأذواقها

فأين « الكلتور » فى الحرب الحاضرة ؟

إن النازيين لا يذكرونه على ألسنتهم ولو على سبيل الادعاء الذى يعوزه البرهان ، لأنهم بعيدون عنه وهو بعيد عنهم . فليس فى حركتهم ثقافة ، وليس لها فن ولا ثمرات فنية ؛ وكل ما عليها صبغة حرب كالطلاء الأحمر على الوجه الشاحب المزيل ، لا هو من الصحة ولا من الجمال

وتعترف الصحف النازية - كما جاء فى صحيفة أوربا الحديثة الفرنسية - بأن الروايات التى يؤلفها الكتاب النازيون لا تترجم إلى لغة من اللغات الأجنبية ، وأن الأدب الألمانى يمثله اليوم فى العالم جماعة من الكتاب المهاجرين المطرودين من حظيرة هتلر ؛ فكل ما يعرفه العالم عن الأدب الألماني الحديث هو من ثمرات فراغ هؤلاء الكتاب المطرودين !

ورأىُ الإيطاليين - وهم إخوان المحور - لا يختلف عن رأى الأمم الأخرى فى الأدب الشائع بين النازيين ، فقد تُرجم إلى اللغة الإيطالية فى سنة ١٩٣٧ خمسة وسبعون كتاباً معظمها من تأليف كتاب المنفى ، ولم تبرز قط رواية نازية على مسارح العالم بعد سنة ١٩٣٣ وهى السنة التى قبض فيها هتلر على زمام السلطان ؛ وهى خسارة مالية فوق الخسارة الأدبية يقدرون ما ضاع من جرائها على خزانة الريخ بخمسة ملايين من الماركات

وقد بلغت ثروة الصور المتحركة النازية خلال السنة الماضية خمسة ملايين مارك هبطت إلى ثلاثة ملايين فى السنة الحاضرة ، وبلغت الشُّرُط الكبرى فى سنة ١٩٣٢ وهى من سنوات الأزمة والكساد مائة واثنين وأربعين أخرجت كلها فى المواسم الألمانية ، فما زالت تهبط حتى انحدرت إلى ثمانية وتسعين فى سنة ١٩٣٨ على الرغم من ضم النمسا وبلاد السوديت

أما ما باعته ألمانيا النازية من الشرط فى الخارج فقد كان تسعة وسبعين فى سنة ١٩٣٧ فهبط فى السنة التالية إلى أربعة وعشرين !

***

هذا كساد فى الملكات والقرائح شعر به هتلر ونبه إليه فى المؤتمر الأكبر فقال إن الحركة النازية لا تزال فى انتظار العبقريات التى تتغنى لها بمعانيها وأناشيدها

وشعر به القائمون على التربية الوطنية فعالجوه على دأبهم المشهور بالعلاجات العسكرية والأساليب البتراء فما ازدادوا فى كساد ملكاتهم وقرائحهم إلا خموداً على خمود

قال أستاذ رياضيات لزميل أمريكى : ما الحيلة فى هذا الجيل العقيم الذى لا يحسن غير السير فى المواكب وشق الحناجر بالهتاف والتفاخر بالبنود والشارات ؟ لقد زيفوا لهم التاريخ فقلبوا وقائعه ومسخوا تفسيراته وجعلوه قصيدة من قصائد الإطراء للنازيين وأشباه النازيين ، وقد علموهم الجغرافيا على النحو الذى طاب لهم ووافق دعواهم وأملى لهم فى سياستهم ، وقد جعلوا أبطال الدنيا بأسرها من سلالة شمالية أو آرية كما يقولون . فأما الرياضيات فمن لنا بتزييفها على هذا النمط المنكوس ؟ ومن لنا بتعليم الشبان الجبر والفلك والرياضيات العليا والدقائق الفنية ، وهم بين موكب يصخبون فيه أو نشيد أو مناورة فى عرض الطريق ؟ كل درس يحتمل التزييف والاصطباغ بالصبغة السياسية إلا العلوم والرياضيات ! ... فلم يبق أمامنا إلا إسقاط الدرجات كرة بعد كرة حتى هبط مقياس النجاح إلى ما دون مقياس الرسوب ، ولولا هذا لاتهمنا الرؤساء بالتقصير وقالوا : إن الآفة من عجزنا عن التعليم لا من عجز هؤلاء الأولاد الفاشلين عن الإصغاء وإنعام النظر فى دقائق العلوم !

وقد يستخف النازيون بهذه العاقبة الوخيمة لو كان خطبها كله مقصوراً على ندرة التأليف وقلة النبوغ فى الأدب والفن وما إليهما من مجالى العبقرية ومعارض التعبير

لكن المصيبة التى لا يستطيع النازيون تجاهلاً لها ولا استخفافاً بعقباها أن كساد العقول ينقلب عليهم فى مجال « العسكريات »

أو مجال التدريب للقتال ، وهم لا شيء فى سياسة الأمة ولا فى سياسة العالم إن لم يفلحوا فى تدريب الجنود وتحضير السلاح

فلا غنى للدراسة العسكرية المصرية عن الفنون وعن الرياضيات وعن البراعة فى تركيب الآلات وتسيير المحركات . وقد أشار إلى هذا النقص فى الجيل النازى الأخير كاتب مجرى من أصحاب المراجع الموثوق بها فى مسائل الحرب الماضية والعدد الضرورية لكل حرب حديثة ، نعنى به الدكتور إيفان لاجوس Ivan Lajos مؤلف كتاب « فرص ألمانيا فى الحرب » ومسجل الآراء التى أفضى بها رجال ألمانيا المسؤولون فى هذه الأمور ، فإذا بهم يجمعون على الشكوى من تقهقر التعليم واستحالة الاعتماد على من يتدربون بالأساليب النازية المستعجلة ، ويؤتمنون بعد ذلك على الطيارات والدبابات وتنفيذ الخطط ومراس المختلف من دقائق الأدوات

***

فالثقافة المزيفة بلاء لا تنحصر أضراره فى الأدب والفن والتأليف ، ولا يزال يسرى فى كل شعبة من شعب الحياة حتى يعطل القوة العسكرية والقوة البدنية والقوة الحيوانية فى النهاية ، وهى القوى التى يُظَن أنها أغنى ما تكون عن الثقافة والمثقفين

وإذا كان فى الحرب ما يحمد الله عليه فلنحمد الله نحن المصريين بل نحن الشرقيين أجمعين أن كشف ستر النازية قبل أن تخدع الأسماع والأبصار بظاهر ما لها من الضجة والبريق والطلاء ، فقد بلغ من خداعها أن سمعنا أناساً من ساستنا يدعوننا إلى اقتباسها والأخذ عنها ولو فى تقييد الحرية الفردية وتغليب « النظام العسكرى » عليها ، فأشرنا يومئذ فى مجلس النواب إلى وخامة التربية النازية وجنايتها على العقول وإفسادها لينابيع التفكير والتثقيف ، وقلنا إنها جنت على ألمانيا وهى سابقة لنا فى ميادين العلم والفن والتربية فماذا تصنع بنا نحن وإننا لدارجون حتى الساعة فى بداية الطريق ؟!

وسنحمد الله حمداً مضاعفاً متى تكشفت الحقائق كلها عن فضائل الحرية ورجحانها فى جميع الموازين على أساليب الطغيان و « النظام » المزعوم ، ولا يخامرنا الشك فى مصير أناس يعارضون مجرى الحياة الإنسانية ويمسخون ما ازدانت به من شرف وجمال . فسيفشلون لا محالة كما فشل أسلاف لهم حملوا على الدنيا بسلاح الحديد وسلاح الكلتور ، وإن هؤلاء اللاحقين لأضعف من سابقيهم فى السلاحين !

عباس محمود العقاد

أسمار وأحاديث

فى منزل الدكتور طه حسين

للدكتور زكى مبارك

فى مطلع الصيف كنت على موعد مع الأستاذ الكبير الدكتور طه بك حسين لأقدم إليه نسخة من كتاب « ليلى المريضة فى العراق » ولأقرأ معه صفحات من ذلك الكتاب ، ولكنى حين وصلت فى الموعد المحدَّد لم أجده فى البيت ، فسلمت الكتاب لجندىّ يرابط هناك وانصرفت

ولم يعزّنى عن إخلاف الدكتور طه حسين إلا لحظات عِذاب قضيتُها فى منزل الآنسة أم كلثوم ، وبينه وبين منزل الدكتور طه بضع خطوات

وفى اليوم التالى سألت عنه بالتليفون لأعرف كيف أخلف الموعد، فاعتذر بلطف وأكد أنه نسى ذلك الموعد كل النسيان، ودعانى إلى تجديد الموعد ، فقلت : إنى أتأهب للسفر إلى بغداد للاشتراك فى تأبين الملك غازى ، وسأحرص على التشرف بمقابلتك حين أعود

وكنت أحب أن آنس بلقائه بعد أن رجعتُ من بغداد ، ولكنى خشيت أن يكون أخلف الموعد الأول عن عمد ، لأن أولاد الحلال لا يزالون « يصلحون » ما بينى وبينه من صلات

ثم سافر الدكتور طه إلى باريس ، وسارت الأخبار بأنه سيعتذر عن الحضور فى العام المقبل ليستريح من عناء المشكلات الجامعية وليؤلف كتاباً عن تاريخ الشعر العربى

وكنت فى تلك المدة شرعت فى الهجوم على الأستاذ أحمد أمين؛ وندّ القلم فوقعت منه غمزات تمسّ الدكتور طه حسين بدون موجب . وكذلك استوحشت من المضىّ للتسليم عليه حين عرفت أنه رجع من باريس

ثم عدت فقررت أن أؤدى الواجب فى تحية الدكتور طه ، راجياً أن يكون فى تأدية هذه التحية تبديدٌ للظلمات التى يخلقها من يأكلون العيش بحياكة الأقاويل والأراجيف

كان ذلك فى مساء اليوم الثالث عشر من شعبان ، والقمر يقدِّم إلى الوجود أفانين من الرفق والحنان ، ويذكِّر القلوب الخوامد بماضيها الجميل فى مقارعة الصبوة والفتون ؛ فنزلت من السيارة عند جسر فؤاد لأمتع القلب والروح بمشاهدة النيل ، وهو يواجه القمر فى أيام الطغيان ، ولأستقبل الزمالك بأدب وخشوع ؛ فما كان ثراها الغالى إلا نثار أكبادٍ وقلوب

وأخذت أجتاز الزمالك من حَرَم إلى حَرَم إلى أن بلغت منزل الدكتور طه حسين . وكنت أرجو أن أجده وحده ، لأنى وصلت بعد الساعة التاسعة ، وهو عنده وقت هدوء ؛ ولكن يظهر أن قدومه من السفر رفع الحجاب فكان منزله فى أنس بجماعة من أهل الفضل هم الأساتذة شفيق غربال ، وعبد الواحد خلاف ، ومنصور فهمى ، وعلى عبد الرازق ، وسعيد لطفى ، وأمين الخولى ، وتوفيق الحكيم ، وعبد الوهاب عزام ، وابراهيم مصطفى ، وعبد الحميد العبادى .

سلَّمتُ على الدكتور طه تسليم المحب المشتاق ، وسألته عن باريس وعن السوربون ، فأجاب إجابات موجزة دلتْ على أنه يريد أن يكتم عنى أشياء . فهل آذت الحرب بعض أصدقائى هناك ؟ لا قدَّر الله ولا سمح !

وبعد لحظة حضر الأستاذ أحمد أمين فنهضت واقفاً لمصافحته ، ولكنه زوى وجهه وتجاهل وجودى . ورأيت المقام لا يتسع لمحاسبته على ما صنع ، فتكلفتُ الابتسام وأنا مَغيظ

وخطر فى البال أن حضورى قد يعكِّر المجلس ، وأن من الخير أن أنصرف ؛ ثم تذكرت أننى أحق الناس بعودة الدكتور طه حسين ، وإن حالت بيننا الدسائس حيناً من الزمان ، فقد كنت صديقه الحق قبل أن يعرف أصدقاء اليوم . كنت صديقه الحميم فى ظروف لا يسأل فيها الشفيق عن الشقيق ، فكيف أخرج من منزله ليخلو الجوّ لصديق مثل أحمد أمين ؟

يجب أن أقضى السهرة كاملة ، وعلى من يؤذيه حضورى أن يتفضل بالانصراف !

وبعد أن دارت السجائر على الزائرين شرع الأستاذ أمين الخولى فى الحديث

أمين الخولى — يا زكى ، ما تترك أبداً أخلاق المنوفية ؟

طه حسين — وما أخلاق المنوفية ؟

أمين الخولى — هى المشاغبة واللجاجة والعناد

طه حسين — وزكى مبارك مشاغب ؟ قل كلاماً غير هذا يا أمين ، فما عرف الناس زكيًّا إلا مثال اللطف والأدب والذوق. الدكتور زكى حقيقة رجل لطيف ؛ ومن آيات لطفه أنه ينظر فيرى الناس قد ضجروا من الهدوء والسكون فيسلط عليهم القذائف القلمية ليتذوقوا نعمة الحركة والجدَل والنضال

على عبد الرازق — يظهر أنك راض عن الدكتور زكى مبارك

طه حسين — وهل أملك غير ذلك ؟

زكى مبارك — تملك كلمة النصح يا سيدى الدكتور ، إن رأيت ما يوجب كلمة النصح

طه حسين — لا ، يا عمّ ، يفتح الله !

زكى مبارك — يظهر يا سيدى الدكتور أنك غضبان

طه حسين — لست بغضبان ، ولكن يحق لى أن أنزعج من بعض ما أقرأ لك

عبد الواحد خلاف — لعل الدكتور يشير إلى مقالاته فى مهاجمة الأستاذ أحمد أمين

أحمد أمين — أنا أحتج على إثارة هذا الموضوع فى هذا المجلس

خلاف — الخطب سهل ، ونحن نحاول تصفية القلوب

أحمد أمين — أنا أحتمل كل شىء إلا التعرض لنبالتى

طه حسين — وهل تعرض زكى مبارك لنبالتك بشىء ؟ إن هذا لو صحّ لكان خروجاً على شِرعة العقل !

أحمد أمين — لقد تعرض لنبالتى بأشياء

إبراهيم مصطفى — إن الدكتور زكى لم يتعرض لنبالتك ، يا حضرة الأستاذ

زكى مبارك — أنتم تخوضون فى شجون من الأحاديث لا عهد لى بها قبل اليوم ، فما كنت أعرف أن الأستاذ أحمد أمين فوق النقد ، ولا كنت أظن أن التعرض لتفنيد آرائه يعد هجوماً على قد سيته الذاتية ! فهل تعتقد يا أستاذ أنى تجنيت عليك ؟

أحمد أمين — ليس لى معك كلام ، ولا أقبل الدخول معك فى نقاش ، وأنت حرٌّ فيما تنشر من زور وبهتان

زكى مبارك — زور وبهتان ؟ وهل من النبالة أن تنطق بهذه الكلمات فى هذا المجلس ؟

منصور فهمى — لاحظ يا زكى أنك جرّحت الأستاذ أحمد أمين وأن من حقه أن يعلن غضبه عليك ، والنفس الإنسانية معرضة للرضا والغضب ، والفرح والترح ، والرجاء والقنوط . فالأستاذ أحمد أمين يعبر تعبيراً طبيعيًّا عن السريرة الإنسانية

زكى مبارك — وكيف يكون الحال لو استبحتُ من التعبير ما استباح ؟

أحمد أمين — وهل تورعت عن شيء ؟ إن مقالاتك عنى هى الشاهد الحىُّ على مبلغ أدبك !

زكى مبارك — وأنا راض عما قلت فيك ، وما قلت إلا الحق والصدق ، وأنا أنتظر أن يغضب الله عليك فيجازيك على سوء ما صنعت فى تحقير ماضى الأدب العربى

طه حسين — إيه الحكاية ؟

أحمد أمين — الحكاية أن زكى مبارك يقول إن طه حسين جاهل ، وإن أحمد أمين جهول!

طه حسين — خبر أسود !

سعيد لطفى — أنا كنت أظن أن المسألة مزاح فى مزاح . وأين نشر الدكتور زكى هذا الكلام المزعج ؟!

أحمد أمين — نشره فى مجلة الرسالة وعند الزيات . الرسالة التى خلقتها بقلمى

زكى مبارك — والزيات الذى سويته بيديك !

طه حسين — لقد قرأت المقالة الأولى قبل السفر ، وأوصيت الأستاذ عبده عزام بحفظ المجموعة لأقرأها يوم أعود ، وسأقرأها فى هذه الأيام ، فإن رأيت فيها أنى جاهل وأن أحمد أمين جهول فستكون وقعتك يازكى زىّ الزفت !

أحمد أمين — وما ذنب لطفى باشا حتى يتعرض له زكى مبارك بسوء ؟

ابراهيم مصطفى — لقد قرأت تلك المقالات مرات ...

طه حسين — قرأتها بالقراءات السّبع ؟

ابراهيم مصطفى — أريد أن أقول إنى قرأتها بعناية ولم أجد فيها أية إشارة لسعادة لطفى باشا

على عبد الرازق — لطفى باشا لا يُغضبه أن يكون فى بال الناقدين والباحثين

زكى مبارك — ومن أجل هذا أهجم عليه من وقت إلى وقت

سعيد لطفى — هذا أسلوب طريف فى البر والوفاء !

طه حسين — طبعاً . طبعاً ، فصاحبنا زكى مبارك يتوهم أن الخلود لن يكون إلا من نصيب من يتعرض لهم فى مقالاته ومؤلفاته بالقبيح أو الجميل . وأشهد أنه سلّ سخائم صدرى يوم قال إنه لا يهجم علىّ إلا وهو يعتقد أن الهجوم معناه « بونجور »

أحمد أمين — وأنا لا أريد منه بونجور ولا بونسوار !

زكى مبارك — ولكنى لن أتركك بعافية أو تكف شرك عن الأدب العربى

أحمد أمين — وما شأنك بالأدب العربى ؟ وما هى خدماتك لهذا الأدب الذى تقول إنك تغار عليه كما تغار على عِرضك ؟

زكى مبارك — يكفى أنى من تلامذة طه حسين

طه حسين — العفو ! العفو ! إنى والله راض بأن تكون من أساتذة طه حسين !

زكى مبارك — يا سيدى الدكتور ...

طه حسين — تقتلنى حين تقول: «سيدى الدكتور» وأنت ترى أنى جاهل وأن أحمد أمين جهول

على عبد الرازق — لم أشهد فى حياتى أروع من هذا الحوار، وهو يستحق التسجيل

إبراهيم مصطفى — بشرط ألا يذكر فيه اسمى

على عبد الرازق — وما المانع من أن يذكر اسمك فى هذا الحوار ؟

ابراهيم مصطفى — لا نعرف ما المانع . إن هذا الحديث يوم يسجّل لن يسجله غير زكى مبارك الذى ابتدع فنّ الأسمار والأحاديث

على عبد الرازق — وهل تخشى أن يتزيد عليك ؟

ابراهيم مصطفى — أنا لا أخاف التزيد ولا أهاب الافتراء ، لأنى أملك تكذيب المفتريات، وأستطيع دحض الأباطيل؛ ولو كان زكى مبارك يفترى على الناس لكان أمره أخفّ وأسهل ، ولكنه مع الأسف يبرع فى تصوير الصدق

منصور فهمى — وما الخطر من تصوير الصدق ؟

ابراهيم مصطفى — الخطر عظيم جداً . وإليك توضيح هذه

المعضلة: زكى مبارك يحرص على أن يصورك فى أحسن أحوالك، وأحسن أحوال المؤمن حال الصلاة . فهل تعرف كيف يصورك وأنت فى صلاتك ؟ يصورك وأنت راكع أو ساجد ! فهل يرضيك أن تصوَّر فى حال الركوع أو السجود ؟

توفيق الحكيم — هذه أخيلة باريسية ، وهى تشهد بروعة ذكائك يا أستاذ ابراهيم

ابراهيم مصطفى — العفو ، يا أستاذ توفيق ، فتلك وثبة من الخيال ساقها هذا الحوار الطريف

أحمد أمين — أرجو أن تعفونى من هذه المطايبات ، فلولا مراعاة المقام لانصرفت

طه حسين — أؤكد لك أن الدكتور زكى لم يقصد إيذاءك فيما كتب عنك . ألم تر كيف احتملته سنين وهو يلحّ فى اتهامى بالجهل ؟

زكى مبارك — لم أتهم سيدى الدكتور بالجهل المطلق ، معاذ الله ، وإنما اتهمته بالجهل بالقياس إلى المسيو برونو والمسيو دى لاكروا ، وقد توليا عمادة كلية الآداب فى باريس

أمين الخولى — كلام طيب ، يا فتوة المنوفية ، فلا مانع عند الدكتور طه من أن يكون فى باريس من هو أعلم منه ، فقد تخرّج فى مدينة النور وهو يثنى على أساتذتها فى كل حين ، ولكنك اتهمت الأستاذ أحمد أمين بالعامّية الفكرية ، فما هو المخرج من هذا الاتهام الفظيع ؟

زكى مبارك — لم أتهم الأستاذ أحمد أمين بالعامية المطلقة ، ولكن بالقياس إلى الشيخ خربوش

طه حسين — ومن الشيخ خربوش ؟

زكى مبارك — الشيخ خربوش عالم علاّمة لا يقاس إليه الأستاذ أحمد أمين

على عبد الرازق — ألم أقل لكم إن هذا الحوار يستحق التدوين ؟

عبد الواحد خلاف — هذا الحوار ينفع فى تهدئة أعصاب الأستاذ أحمد أمين ، وقد بدأ يبتسم ، ولكن المهم هو الاستفادة من هذا المجلس فى تغيير المذهب الأدبى للدكتور زكى مبارك ، فهو أقدر أدبائنا جميعاً على إحداث الضجات الأدبية ، ولا أدرى كيف رجع سلبياً من العراق ...

توفيق الحكيم — كنت تنتظر أن يلقى حتفه هناك ؟

طه حسين — كان يستريح ويريح ، كما قال أحد الكتّاب

زكى مبارك :

لن تزالوا كذلكم ثم لا زا   ت لكم خالداً خلود الجبال

أحمد أمين — أى جبال وأى خلود ؟ أليست لنا أقلام تفل قلمك بأيسر جهد ؟

عبد الواحد خلاف — أرجو أن تسمعوا بقية كلامى . إن زكى مبارك أقدر أدبائنا جميعاً على إحداث الضجات الأدبية ، ولكنه لا يوجّه نشاطه إلى ما يفيد .

زكى مبارك — وبماذا تشير أيها السيد ؟

عبد الواحد خلاف — أشير بأن تعود سيرتك يوم كنت تؤلف فى النثر الفنى والتصوف الإسلامى ، فتوجه مجادلاتك ومصاولاتك إلى القدماء

طه حسين — الأمل بعيد فى توجيه الدكتور زكى إلى ما يفيد وينفع

زكى مبارك — يا سيدى الدكتور . . .

طه حسين — فلقتنى يا أخى بعبارة « سيدى الدكتور » وقد تحيرت فى أمرك ، فأنت فى المجلس رجل لطيف ، ولكنك حين تخلو إلى قلمك تنقلب إلى شيطان مَريد

أمين الخولى — دافع عن نفسك يا زكىّ فإنى أخشى أن ينهزم فتوّة المنوفية

زكى مبارك — لى كلمة يا سيدى الدكتور ، ولا تؤاخذنى بالحرص على هذه العبارة ، فقد حضرت دروسك بضع سنين ولا أستبيح الهجوم عليك

طه حسين — ألم أقل لكم إن زكى مبارك رجل Original

زكى مبارك — أشكر لك هذا اللطف يا سيدى الدكتور ، ثم أقول إنى تلقيت عنك مبادئ الظلم والاعتساف

عبد الوهاب عزام — إيوه ، يا عم زكى ، هات ما عندك هات

زكى مبارك — تذكرون المناوشة التى قامت بين الدكتور طه والدكتور منصور على صفحات الأهرام فى سنة ١٩٢١ ؟

منصور فهمى — أية مناوشة ؟ ذَكِّرنى فقد نسيت

زكى مبارك — كنت يا سيدى الدكتور أثنيت على أسلوب

المنفلوطى ، فهاج أستاذنا الدكتور طه وماج ، ودعاك إلى أن تسمّى الجمل جَملاً والأرنب أرنباً ، أو كما قال ، ومعنى ذلك أن المنفلوطى ليس بكاتب ولا أديب

طه حسين — ثم ؟

زكى مبارك — ثم جاء الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين الذى أنكر أن يكون المنفلوطى كاتباً أو أديباً فاعترف بأن الأستاذ أحمد أمين كاتب وأديب وسمح بأن يدرس أسلوبه على طلبة السنة الأولى بكلية الآداب

طه حسين — ما هذا الحشيش ؟

زكى مبارك — أنا لم أذق الحشيش أبداً ، ولكنى أؤكد أن أسلوب أحمد أمين يدرس فى كلية الآداب

طه حسين — هذا مستحيل

أحمد أمين — الكلية تدرس أساليب المعاصرين جميعاً

زكى مبارك — وأنت كاتب ولك أسلوب ؟

منصور فهمى — احترس يا زكى من الخروج على أدب الخطاب

أحمد أمين — ليتكم صدقتمونى حين قلت إن زكى مبارك لا ينقد الباحث نقد العالم للعالم وإنما ينقده نقد المصارع للعالم

زكى مبارك — وأنت عالم يا أستاذ ؟ وهل يكال العلم أيضاً بمكيال ؟

أحمد أمين — العلم كله عندك ، ونحن تلاميذ مبتدئون !

على عبد الرزاق — هذا الحوار لا يستحق التسجيل !

عبد الحميد العبادى — هو على كل حال صورة من صور التاريخ !

توفيق الحكيم — أنا والله شديد الحسرة على ما وصلنا إليه ؛ فقد كنت أحب أن تكون بين الأدباء صداقات عظيمة كالذى يعرفه الأدباء العظماء فى باريس ولندن وبرلين

عبد الوهاب عزام — وكالذى شهدناه بين زكى مبارك وأحمد أمين !

طه حسين — إن ذهنى لا يسيغ القول بأن النقد يفسد ما بين الأصدقاء

شفيق غربال — أعتقد أن الدكتور زكى رجل طيب القلب. وقد قرأت مقالاته عن الأستاذ أحمد أمين بارتياح ، وجنيت منها كثيراً من الفوائد الأدبية . ولو أنه نزه قلمه عن بعض العبارات التى جرت مجرى السخرية من الأستاذ أحمد أمين لما استطاع أحد أن يوجه إليه أى ملام

توفيق الحكيم — ولهذه المقالات مزية أخرى غير الفوائد الأدبية ، فقد بغّضتنى فى الجوّ الأدبى عندنا وحبّبت إلىّ قضاء الصيف فى أوربا ، ولم أرجع إلا بعد أن ظننت أنها انتهت ؛ ثم كانت حسرتى شديدة حين رأيت أن زكى مبارك لا يزال يبدئ ويعيد فى شرح جنايات أحمد أمين . ولولا الحرب لرجعت من حيث أتيت ، فمن أين يجد زكى مبارك كل هذا الكلام الطويل العريض ؟

شفيق غربال — المسئول عن هذه المتاعب هو الأستاذ أحمد أمين

أحمد أمين — أنا المسئول ؟

شفيق غربال — بالتأكيد ، أنت المسئول ، لأنك مضيت فى بحثك طول الصيف ، وهيأت المجال للدكتور زكى مبارك . والذى يقدّم الوقود للنار لا ينكر عليها الاشتعال

طه حسين — هل أفهم من هذا أن الجوّ الأدبى عرف الحياة فى هذا الصيف ؟

زكى مبارك — يكفى يا سيدى الدكتور أن تعرف أن الأستاذ أحمد أمين نقل مكتبته إلى الاسكندرية فى هذا الصيف ليجد الشواهد تحت يديه وهو يردّ علىّ

أحمد أمين — أنا رددت عليك ؟ وهل قلتَ كلاماً يُرَدّ عليه ؟

زكى مبارك — الله يعلم كيف شغلت قلبك وعقلك ، وكيف قهرتك على مراجعة المؤلفات الأدبية ، والمصنفات الفقهية . وهل تستطيع يا أستاذ أن تقول إنك تجهل منزلتى الأدبية ؟

أحمد أمين — إن مقالاتك فى الهجوم علىّ زهدت القراء فى علمك وأدبك

شفيق غربال — سمعت غير هذا . سمعت أن مقالات الدكتور زكى مبارك فى الهجوم على الأستاذ أحمد أمين دلتْ على اطلاع

فائق وتفكير عميق ، وسمعت من يقول إنه لم يعرف قيمة زكى مبارك إلا بفضل هذه المقالات

منصور فهمى — وهذا يشرح جانباً من عقلية المجتمع ، فالجمهور يعرف زكى مبارك الناقد ولا يعرف زكي مبارك المؤلف ، لأنه ينقد وهو ثائر ويؤلف وهو هادىء

طه حسين — زكى مبارك يصطنع الثورة فى كل شىء حتى التأليف ، ولكن ثورته فى مؤلفاته لا تلفت نظر الجمهور لأنها فى الأغلب متصلة بالقدماء ، والهجوم على القدماء لا يثير تطلّع الناس إلا حين يمس العقائد من قرب أو من بعد ، كالذى وقع يوم ظهر كتاب الشعر الجاهلى

زكى مبارك — ومن أجل هذا حرص سيدى الدكتور على تغليظ بعض الألفاظ ليوجه الأنظار إلى كتابه النفيس !

طه حسين — وبعدين لك ، يادكتور زكى ؟

زكى مبارك — لا بَعْدين ولا قَبْلين ، ولكنى أحب أن أعرف كيف تكون الصراحة حلالاً فى وقت وحراماً فى وقت ؟ وكيف يحلّ لسيدى الدكتور ما يحرُم على سائر الناس ؟

طه حسين — يظهر أنك تحب أن تتمتع بالحرية الكاملة فى حياتك العقلية ، ويظهر مع الأسف أنك لم تعتبر بما عاناه أحرار الفكر فى هذه البلاد ، فما تحسدني عليه حلال لك حين تشاء . وإنى أرجو أن يبعد اليوم الذى ترجع فيه عن شططك وجوحك ، اليوم الذى تيأس فيه من إنصاف الناس كما يئستُ من إنصاف الناس

منصور فهمى — ولكن ما الموجب للتعرض لما يمس العقائد ؟

طه حسين — اسأل نفسك يا منصور فلك مع العقائد تاريخ

منصور فهمى — كان ذلك فى عهد الشباب

طه حسين — وكان منى ما كان فى عهد الشباب ، وإن لم يمض عليه غير عشر سنين ، والحسرة تلذع قلبى كلما تذكرت أنى لا أملك مكايدة الجماهير من جديد . وهل نكايد الجماهير إلا بفضل ما يثور فى دمائنا من ثورة وطغيان ؟

عبد الواحد خلاف — ومعنى ذلك أن الدكتور زكى مبارك يكايد جماهير الأدباء لأنه لا يزال فى عنفوان الشباب ؟

طه حسين — الذى أعرفه أن زكى مبارك صار من طبقة الكهول ، بحكم السن على الأقل ، فقد شهدت مشاغباته بدروس الأستاذ على عبد الرازق فى الأزهر سنة ١٩١٢

زكى مبارك — وأنا شهدت مشاغباتك ياسيدى الدكتور بدروس الشيخ محمد المهدى فى الجامعة المصرية سنة ١٩١٣

أحمد أمين — ومع هذه السن العالية لا يزال زكى مبارك يمعن فى الغزل والتشبيب كأنه فى سن العشرين

شفيق غربال — هذه الدعابة تدل على أن الأستاذ أحمد أمين صفت نفسه وطابت

طه حسين — فهل نرجو أن يكف زكى مبارك عن العدوان بعد هذا الصفاء ؟

زكى مبارك — هل تصافينا حقيقة ؟

أحمد أمين — لن نتصافى أبداً بعد الذى كان

زكى مبارك — يظهر أنك تستروح بالهجوم عليك ، وسأخيّب ظنك فأسكت عنك بعد ثلاث أو أربع مقالات ... مساء الخير ، يا سيدى الدكتور ، والحمد لله الذى أرجعك إلينا بخير وعافية .

« مصر الجديدة » زكى مبارك

من تاريخنا العلمي

طالب علـــم ...

للأستاذ علي الطنطاوي

قال (محمد بن سعيد) :

— ويك اتق الله يا أبا فلان . إنك لتوشك أن تقتل هذا الرجل الصالح وتبوء والله بدمه . ويك اتق الله ، لا تطرده من (فندقك) فإنه غريب نائي الديار ، قطع سباسب وبحاراً ، وجاب ما بين المشرقين . . .

قال : أبقيّ بن مخلد[1] جاب ما بين المشرقين ؟

قال : نعم ، وهل تراني عنيت غيره ؟ إنه حاجتي إليك ، وما سألتك حاجة قبلها ، أفلا تقضيها لي ؟ إنه شيخ جليل القدر يحمل الحديث ويروي السنن ، أفندعه يموت على قارعة الطريق ؟

قال : وما أصنع به أنا ؟ لقد آويته في فندق عامين اثنين ، لا آخذ منه مالاً ولا أرزؤه شيئاً ولا أعصى له أمراً ، أفيكون جزائي أن أجحف عليه نفسي حتى يموت ، فيخرج من فندق محمولاً إلى القبر فيتشاءم الناس بالفندق فيتحامونه فأفلس ؟

إنه مريض أنهكته الأوجاع وأدنفته الحمى ، ولقد أعجز نقاريس الأطباء ، وما أراه إلا ميّتاً العشية أو غداة الغد . . . فارحموني ، أنقذوني منه ، ليس لي به حاجة . . . قبحها الله ساعة أكريته فيها هذا البيت ، لقد كانت ساعة ما حضرها مَـلَك ...

قال : اربع عليك أيها الرجل فإنك في نعمة لو عرفت قدرها لقطّعت الليل بحمد الله عليها . إنك لا تدري أيّ خير ساقه الله إليك ، وأي أجر كتبه لك ، فأتم نفسك في خدمته ، وارجُ وجه الله ، أطمعْ لك بالجنة

قال : إني والله لفي بليّة لو عرفت مداها لما لمتني على الجزع منها . إنك لا تعرف هذا الشيخ أي رجل هو ؟ أأقول لك : إنه لم يبت عندي ليلة واحدة حتى خرج بخلقان بالية ومزق مخرقة وركوة وعصا ليسأل الناس . . . مالك تضحك من كلامي ؟ . . . أتهزأ بي يا ابن سعيد ؟

قال : لا . ولكنك لا تدري ما شأن هذا الرجل

قال : وإنّ له بعدُ لشأناً ؟

قال : وأي شأن ؟ هذا رجل هجر جنّات الأندلس ورياضها ، وعيونها وأنهارها ، ومكانة له فيها سامية ، وجاهاً له عريضاً ... وفارق أهلاً فيها وصحباً ، وعشيرة كبيرة ، وأموالاً كثيرة ، وذهب يخوض اللجج والبحار ، ويجوب السباسب والقفار ، ليقدَمَ بغداد ، لا طمعاً بجاه يناله ، أو مال يحصله ، أو صديق يزوره ، أو امرأة يخطبها ، أو لذّة يطلبها ، ولكن رغبة في العلم وحباً للحديث ، وشوقاً إلى لقاء أبي عبد الله !

فلما سمع الفندقي اسم أبي عبد الله انتبه وتبدلت حاله ، وطفت على وجهه خيالات من الحب العظيم ، والإجلال الكبير ، الذي يحتفظ عليه قلبه لهذا الإمام ، وقال بلهجة أرق ، ونغمة أعذب ، قد ذاب فيها حقده على بقيّ بن مخلد في محبته لأبي عبد الله

— أتقول إن الرجل قدم من الأندلس ليلقى أحمد بن حنبل ؟

— نعم

— ياله من شرف في الدنيا والآخرة ! وهل لقيه ؟ ألا تخبرني كيف لقيه ؟

قال : إنه نزل عليك في هذا الفندق فألقى فيه متاعه ، وذهب يطلب أبا عبد الله ؛ وكان ذلك أيام المحنة والناس لا يجرؤون على ذكر اسمه ، وأبو عبد الله منفرد لا يلقاه أحد إلا أخذته عيون السلطان فناله أذى شديد . . . فلما علم الرجل بذلك ناله من الغمّ ما الله عالم به ، فأمّ المسجد الجامع في الرصافة يسمع من المحدثين فما زال يمرّ بالحلق حتى انتهى إلى حلقة نبيلة ، فوقف عليها ، وكنت أول من رأى زيّه الغريب ، فسلمت عليه أونس غربته ؛ فسألني : من هذا الشيخ ؟

قلت : يحيى بن معين ، وكان يعرفه ، ومن لا يعرف يحيى ابن معين ؟ فوقف ساعة ، ثم لمح فرجة قد انفرجت فقام فيها ، وكان الشيخ يكشف عن الرجال[1] فيقوى ويضعف ، ويزكي ويجرح ، فقال :

(١) انظر الصفحة (٧٩) من مختصر طبقات الحنابلة طبع دمشق

(١) أي رجال الحديث ، وأولئك لعمري هم الرجال .

— يا أبا زكريا ـ رحمك الله ـ رجل غريب نائى الديار ، أردت السؤال ، فلا تستخفنى

فقال الشيخ : قُلْ

فجعل يسأل عن بعض من لقى من أهل الحديث — وكان قد لقى منهم خلقاً كثيراً — فبعضاً زكّى وبعضاً جرح ، فسأله عن هشام بن عمّار وكان قد أكثر الأخذ عنه ، فقال الشيخ :

— أبو الوليد هشام بن عمار صاحب صلاة دمشق ، ثقة وفوق الثقة ، لو كان تحت ردائه كبر ما ضرّه شيئاً لخيره وفضله

فتصايح أهل الحلقة :

— حسبك يرحمك الله حسبك ، غيرك له سؤال

فقال وهو واقف على قدم :

— أكشفك عن رجل واحد : أحمد بن حنبل ؟

فما قالها حتى جمد الناس وعلت الشيخ كآبة ، ونظر إليه متعجباً كأنه يقول له : أعن أحمد يسأل أحد ؟ وهل يجرؤ على ذكره ؟ وكأن الشيخ قد خالطه شىء من الجزع ، ثم غلب عليه إيمانه فلم يعد يبالى السلطان وغضبه ، وقال للسائل :

— من أين أنت أيها الرجل ؟ نحن نكشف عن أحمد ابن حنبل ؟

وسكت الشيخ لحظة ثم قال بجرأة عجب لها الناس ولبثوا شاخصين ، ينظرون إلى الشيخ يخافون أن تتخطفه جلاوزة السلطان . . .

قال الشيخ :

— ذاك إمام المسلمين وخيرهم وفاضلهم

* * *

ثم إن الرجل ذهب يستهدى الناس إلى دار أبى عبد الله فمنهم من يعرض عنه خشية أن يكون عيناً للسلطان ، ومنهم من يجرؤ فيمشى معه خطوات ... حتى انتهى إلى الدار

فنال الإعجاب من نفس الفندق كل منال ، وسأله :

— أتقول إنه زاره فى منزله أيام محنته ؟

قال محمد بن سعيد : نعم . قرع عليه الباب فلما فتح له قال : إنى رجل غريب أتيتك من مكان سحيق

قال أبو عبد الله : مرحباً بك ، أين بلدك ؟

قال : الأندلس

قال : أفريقيّة ؟

قال : لا ، أبعد من ذاك ، أركب البحر من أفريقية إلى بلدى

قال : لا جرم إنه بعيد ، فما حاجتك ؟

قال : أسمع منك ، وأروى عنك

قال : ولكنى كما رأيت وعلمت ، لا ألقى أحداً ، ولا يدعون أحداً يلقانى ، ولست آمن عليك الأذى إذا أنت أتيتنى

قال : ما كنت لأبالى فى سبيل الأخذ عنك أذى ولا عذاباً

قال : فإن هم منعوك ؟

قال : أحتال بحيلة ، آتيك بزى السؤال فأصيح : الأجر يرحمك الله ، فتفتح لى وتحدثنى

قال : على ألاّ تظهر فى الحلَق فيعرفوك

قال : على ألا أظهر

فكان يفعل ذلك ، وكنيت تظنه يخرج فيسأل الناس

فعاد الفندق يسأل متثبتاً ، وقد كبر الرجل فى عينيه حتى كأن الذى تحتويه غرفته ملك أو وزير ، عاد يسأل متثبتاً :

— إذن فهو من (أصحاب) أحمد بن حنبل

قال : نعم ، ولبث على ذلك حتى رفع الله المحنة وولى الأمر (المتوكل) فأحيا المذهب الحق ، مذهب أهل السنة ، وأمات البدعة ، وجزى الله أحمد بما صبر ، فكان كما تعرف وأعرف إمام الأمة ، وأيد الله به الدين كما أيده بأبى بكر يوم الردة فصار يعرف لهذا الرجل حقه ويقول لأصحابه : (هذا يقع عليه اسم طالب العلم)

قال الفندق :

— جزاك الله يا ابن سعيد خيراً ، فقد عرفتنى حقه ، فهلم بنا إليه ...

* * *

كان بقىّ بن مخلد الأندلسى وحيداً فى غرفته ، يتقلب من الألم ، ويتلوى من الحمى ، قد طحطحه المرض ، وهدته الأوجاع فما أبقت منه إلا هيكلاً كالقناة الجوفاء يتردد فيها الهواء ، ولما يشكو من الحنين إلى بلده ، والتشوق إلى أهله أشد عليه من كل ذاك

ولم يكن فى البيت إلا لبد اضطجع عليه ووسادة ألقى عليها رأسه ، وكتبه مبثوثة من حوله ما يدعها ، إذا أدركه انتباه نظر

فيها ، فإذا غاب عنه من الوجع عقله تركها في مكانها ، فلما دخلا عليه ألفياه يقرأ في صحيفة في يده . فجلسا ساعة يؤنسانه فما شعرا إلا ضجّة تدنو حتى حسباها قد استقرت في الفندق ، فنظرا من الشباك فإذا الرحبة والطرق التي تؤدي إليها ما فيها موطئ قدم خلا من إنسان . فاضطرب الرجل ونزل يسأل أن ماذا جرى ؟ فما أحسّ إلا الناس يقولون : لقد أتى ... هو في الطريق ... فأيقن أنه الخليفة ، ولكنه رأى موكب الخليفة غير مرة فما رأى مثل اليوم ... ودنا من شيخ واقف في أطراف الناس فسأله من القادم ، وأين يذهب ؟

فقال : إنه أبو عبد الله الذي لا يمشي إلى الخليفة ، قادم ليعود مريضاً في هذا الفندق . فصاح الفندق :

— أبو عبد الله قادم إلى فندق ، أبو عبد الله ؟ وطفق يصيح ويثب لا يدري ما ذا يصنع وماذا يقول ، وما يحفله أحد لأن الناس يتشوفون إلى الطريق ينظرون ، وقد احتشدوا فيها فما بقي بزاز في دكانه ، ولا تاجر في سوقه ، ولا طالب علم في حلقته ، ولهم دويّ وجلبة ...

وصحا الفندق على نفسه ، فإذا هذا البحر ينشق بقدرة الله ، وإذا الخلق يسكتون حتى كأن على رؤوسهم الطير ، ويبدو الإمام ومن حوله طلبة العلم قد احتشدوا من جهات بغداد كلها . بغداد العظيمة التي يسكنها مليونان وبأيديهم قراطيسهم وأقلامهم يكتبون كل كلمة يقولها فانتحى الإمام إلى الغرفة ، فوقف على المريض فقال له :

— يا أبا عبد الرحمن! أبشر بثواب الله، أعلاك الله إلى العافية، ومسح عنك بيمينه الشافية

فتناقل القوم ما قال فكتبوه

***

ومرّت أعوام بعد ذلك وأعوام ، والناس يذكرون هذا اليوم المشهود . أما الفندق فغدا منذ تلك الزيارة محط رجال العلماء والكبراء، ودرت على صاحبه أخلاف الرزق ، وأما بقيّ فقد شفاه الله وعاد إلى الأندلس فملأها علماً ...

علي الطنطاوي

ساراكينوس

SARACENUS

للأستاذ محمد عبد الله العمودي

جاء في العدد ٣٢٤ من هذه الرسالة العاليـة ، كلمة بعنوان « يا رسول الله » ، (لأستاذ جليل) ينم عليه قلمه !

استهلها بآية من آياته ، وبينة من بيناته ، وتلك قوله :

« إن الدهر قد جار على قوم عرب !! »

ثم نقل من (التنبيه والإشراف) للمسعودي هذه النبذة :

« كانت ملوك الروم تكتب على كتبها من فلان ملك النصرانية ، فغير ذلك نقفور ، وكتب (ملك الروم) وقال هذا كذب ، ليس (أنا) ملك النصرانية ، أنا ملك الروم ، والملوك لا تكذب ، وأنكر على الروم تسميتهم العرب (ساراقينوس) تفسير ذلك : عبيد سارة ، طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل ، وقال : تسميتهم عبيد سارة كذب . والروم إلى هذا الوقت (يعني سنة ٣٤٥) تسمي العرب (سارقينوس ...) اهـ

وأستاذنا الجليل ، وهو « سباق غايات ، وصاحب بينات » كان حقاً عليه أن يقف لحظة أمام هذه (الكلمة) فيعالجها معالجة يردها إلى أصلها ، أويقول قولاً في فصلها ؛ إذ هذا هجّيراه وديدنه في كل ما يرقمه قلمه البارع في شتى « بحاثاته » ...! ولكنه لم يفعل بل تركها تجري في عبارة المسعودي غامضة الوضع ، عسيرة الفهم ، ملحقةً بذلك التفسير الذي يغلب على الظن أن المسعودي فسره تفسيراً خياليًّا بقوله : « عبيد ساره » أخذاً من الهجاء الأول « سارا » من كلمة : « ساراقينوس » ، والدليل على بطلان هذا الكلام عن المسعودي ، وإن كنا لا نستبعد أن لوجود « سارا » أو « سارة » في بنية هذه (الكلمة) من أمر ، قوله : « وقال « أي نقفور» تسميتهم عبيد ساره كذب » لأن ملكاً من ملوك هذه الصفرة لا يمكن بحال من الأحوال أن يجعل من نفسه مدافعاً عن العرب ، أو يعني بمثل هذا التعليل وغاية ما في الأمر أن لخيال المسعودي أثراً في هذا، فمن وجود «سارة» في هذه الكلمة يتبادر إلى ذهن « المؤرخ » الأسطورة الخرافية

الداهية التي « تحط » من قدر الاسماعيليين أبناء هاجر بالنسبة « لسارة » الزوجة الشرعية لإبراهيم الخليل . . . وهذا ما وقع فيه المسعودي ، فلا يُسلَّم له بهذا ، إلا إذا جاء نصٌّ من اللاتينية أو الإغريقية يقول إن « كينوس » بمعنى « عبد » حينئذ يمكننا أن نركن البنادق مسلّمين !

وسيرى الأستاذ الجليل ، من الأقوال الآتية في أصل هذه الكلمة وما قاله المؤرخون ، قدامى ومحدثون ، ما يجعله يقلّل من أهمية رواية المسعودي الذي إذا صح أنه لم يبتدعها من خياله ، فقد أمكن حينئذ أنه استقاها عن طريق . . . (اسرائيليات !) والنكتة في هذا معلومة !

هذه الكلمة قد سجلها التاريخ في مطاويه منذ عهد عريق جداً ، فالعرب لا تعرفها مطلقاً ، إذ لم تشتهر في تاريخهم ، وما وردت في نظمهم ولا نثرهم . فإذا كان المسعودي هو المؤرخ الوحيد الذي ذكرها ، فلا شك أنها هبطت عليه عرضاً ، واقتنصها اقتناصاً من أحاديث الروم . ومعنى هذا أنها غير مشهورة بين العرب ، ولا جارية على ألسنتهم فهم يجهلونها كل الجهل جهلهم بأصلها !

وهي سارية في كل اللغات الأوربية بهذا المفهوم اللهم إلا في الهجاء الثاني منها فإنه يختلف اختلافاً بسيطاً بحسب اختلاف اللُّغى واللهجات . . .

أما التوصل إلى حقيقتها والتعرف على كُنه تحدرها في مجرى التاريخ فهذا لا يكون إلا بالوقوف على ما كتبه مؤرخو أمتي البحر المتوسط : الإغريق والرومان ؛ فلِهاتين الأمتين صلات وثيقة وتجارة جارية . أجل ، عند هاتين الأمتين نشأت كلمة « سارا كينوس » ووردت في تاريخهما معزّزة بهجاتهم المتوالية على حدود الممالك الإغريقية والرومية في مصر وفلسطين وما وراء بلاد الأنباط . وكانت قوافل السبأيين من أقصى الجنوب تفيض موقرة بالأحمال ، معطّرة الأعطاف بالبهار والأطياب فتتسلمها أيدي هؤلاء « السرا كينوس » لتتوزع في قصور أوربا ومعابدها عن طريق الأغارقة والرومان . . .

وإذا كانت هذه الكلمة أصبحت اليوم علماً خاصاً يطلق على العرب ، فإن مفهومها قديماً كان على عكس ذلك ؛ فقد كانت تدور في دائرة ضيقة من التعريف ، لا تطلق على الشعب العربي كله وإنما كانت خاصة بقبيل معيّن يسكن على شواطئ خليج العقبة في الجزء الجنوبي لجزيرة سيناء يعرفه الإغريق بـ « سارا كيني » [1] Sarakini

وأقدم ذكر جاء لهذه الكلمة في كتاب المؤرخ الإغريقي ديوسكوريدس Dioscurids of Anazarabos في منتصف القرن الأول من ميلاد المسيح عند ما وصف صمغ « المقل » فقال : إنه ينبت من « شجرة ساركينية » .

وذكر المؤرخ الروماني بلينوس الأكبر في كتابه « التاريخ الطبيعي » ، وقد كان معاصراً للاغريقي السابق الذكر ، هؤلاء « السرا كين » ، فقال : « إنهم من جملة القبائل العربية الثاوية في صميم الصحراء ، والتي تتاخم بلادهم بلاد الأنباط » .

وجاء على أثر هؤلاء المؤرخ بطليموس ، في منتصف القرن الثاني للميلاد ، فذكر بلاد « السرا كين Sarakene » ، فقال : « إنها تقع في بلاد العرب الحجرية Arabia Petrea وعين مكانها بقوله إنها تقع في غرب الجبال السوداء التي تمتد – بناء على قوله – من خليج فاران[2] إلى أرض اليهودية ... »

ولم يكتف المؤلف بكلامه هذا ، بل عاد ونقض قوله ، فقال في موضع آخر من مؤلفه : إن « السرا كين » شعب يقيم في داخلية بلاد العرب السعيدة Arabia Feliza يقصد بذلك بلاد اليمن . وزاد على ذلك فقال : إن « السكينتس Skenites » وقوم عاد Oaditai يسكنون الهضاب المرتفعة ، وبالقرب منهم نحو الشمال والجنوب يوجد « السرا كينوس » والثموديون[3] !

وهذه الفقرة الأخيرة من بطليموس بعيدة عن أفهامنا كل البعد إذ لا يصدق مطلقاً أن توجد قرابة في المسكن بين « السرا كينوس » و « العاديين » مثلاً ؛ فأولئك – كما علمنا – مساكنهم حوالي جزيرة سيناء ، وهؤلاء مثاويهم في جبال حضرموت والمسافة بين البلدين طويلة لا تقاس !

ولعل بطليموس قاس هذا قياس استيطان لا قياس مساحة بالنسبة لجهله بأبعاد الجزيرة . وأما قوله إن « السرا كينوس » على مقربة من « قوم عاد » كما ذكرنا ، في بلاد العرب السعيدة ،

---

(١) Enciclopedia Italiana, Art. Saraeino

(٢) خليج فاران ، هو خليج العقبة . وأرض فاران هي الصحراء خلف العقبة

(٣) Encyclopedia of Islam, Art. Saracens

بعد أن أقرهم فى بلاد العرب الحجرية ، فلا يبعد أنهم كانوا يفهمون كل ما هو خلف بلاد الأنباط من بلاد ، هو من بلاد العرب السعيدة ، إذ هم يتصورون أجواءها وراء هـذه الحدود ، والسرا كينوس كانوا عند مابهاجون هذه الممالك سرعان ما يختفون فى أجواف هذه الصحراء صوب اليمن ...

مع كل ما سبق ، إذا جئنا نتلمس هذه الكلمة فى الأسفار اليهودية والسريانية لم نعثر فيها على ما يشفى غلة الباحث الصادى . نعم ! إن الكنائس السريانية قد برّزت فى هذا المجال فحفظت لنا أسفاراً قديمة جداً تتعلق بأخبار الساميّين — وخاصة ما يتعلق بهم من ناحية العقيدة ، كما يتضح لنا هذا فى « كتاب الحميريين » الذى نقله من نص سريانى الأستاذ (إكسل موبرج) المدرس بجامعة لند Lund من أعمال السويد . أما « السرا كينوس » فلم يرو لهم ذكر يذكر فى هذه الأسفار السريانية ، ما خلا رسالة وضعها برداسانيس السريانى فى بداية القرن الثالث للميلاد بعنوان Ketaba de namose d'ataivata ذكر فيها الطائيين Tayoye و « السرا كينوس » Sarakoye بقوله : « إنهما قبيلتان تمثلان أهم القبائل العربية الرحالة »(١)

واستمر الحال على هذا فى تلك الأعصار الماضية والسرا كينوس لا يُعرفون إلا فى تلك الطوائف الصغيرة التى تظهر أحياناً مغيرةً من وراء الحدود النبطية ، حتى نهض العرب نهضتهم المشهورة ، حاملين الرسالة الإنسانية ، فبدت طلائع خيلهم من وراء التخوم الفلسطينية تتواكب شمالاً ويساراً على حفافى البحر المتوسط ؛ فاهتزت لها أرجاء المملكة الرومانية ، وارتعدت لها فرائص القياصرة ، وسرى أمر « السرا كينوس » بين أمم البحر المتوسط مسير الشمس ، فأصبحت هذه الكلمة من هذا الحدث التاريخى العظيم قد أخذت لها معنى واسعاً عن ذى قبل ، فكانت سِمة الشعب العربى كله

من هذا نرى أن الكلمة قد تقمصت شكلا آخر أو مشت متطورة إلى دور ثان ، وسنراها كذلك قد دخلت فى طور ثالث ؛ وذلك أن العرب عند ما اشتدت هجماتهم على ممالك الروم فى مصر والشام ، وذاع من أمرهم أنهم يحملون ديناً جديداً إلى العالم ، أقضّ هذا مضجع الكنيسة الشرقية فى عاصمة بيزنطية.

(١) Eneyclopedia of Islam

فأرسلت رسلها إلى الكنائس الغربيـة تنبئها بأمر المسلمين ، وأن شيئاً جديداً قد صار يهدد الكنائس ! !

ولما ودع هرقلُ سوريةَ وداعه الأخير المشهور ، واكتسحت جحافل ابن العاص فلول الرومان فى مصر ، كان أمر « السرازينس » قد ملأ النفوس رعباً وممالك الفرنجة اضطراباً ، حتى أصبحت هذه الكلمة من مرادفات الهول والموت ؛ ومن ذلك الوقت عُرف المسلمون بـ « السرازين » وإن كانوا هم العرب فى حقيقة الأمر والواقع !

وبقى البيزنطيون على وجه أخص يطلقون هـذا الاسم على المسلمين إلى أواخر القرون الوسطى حتى سقوط الخلافة فى بغداد . يؤكد لنا هذا خبرُ ابن بطوطة عند مادخل القسطنطينية فحياه امبراطورها باسم « سرا كينو » Sarakino أى مسلم

ولما استقر العرب فى أسبانيا كانت كل الأمم الأوربية قد سمت بـ « السرازين » وراحت هذه اللفظة متغلغلة فى آداب هذه الأمم ؛ فاستعملها الفرنسيون فى شعرهم الحماسى Epique باسم « السرازين » Sarrazin أى الذرة السمراء (كما يقولون !) يعنون بذلك عرب أسبانيا نظراً للونهم الصحراوى الأسمر !

ثم أخذت طريقها بعد ذلك إلى إيطاليا ، فتسللت إلى شعر الفروسية الإيطاليـة باسم « ساراشينى » Saracini ، وفى أثناء الحروب الصليبية كان المسيحيون يطلقونها أيضاً على المسلمين أجمعين ، وقد ذكرها الشاعر الإيطالى (دانتى) فى (جحيمه) بقوله(١) : e non Con Saracin nè Con Judei

ومعلوم من التاريخ أن غزوات العرب قد وصلت إلى معابر جبال الألب ومنافذ سويسرة بعد أن استولوا على جزء عظيم من جنوب وشمال إيطاليا . وفى استطاعتنا أن نقول إنه لا يوجد اليوم جزء من أجزاء العالم يردد أهله ذكر (السرازين) فى حكايات أقرب إلى أن تكون من عمل خيالات القصصيين المولعين بأخبار الحماسة ، كبلاد سويسرة . فعلى جبال هذه البلاد بنى (السرازين) آطامهم وقلاعهم وحصونهم ، ومازالت حتى هذه الساعة محتفظة باسمهم ، وفى مهاوى هذه الشعاب البعيدة عن العالم تقوم كنائس وأديرة ما فتئ رهبانها يذكرون أخبار (السرازين) فى عبارات مزيجة بالخرافة والتاريخ !

(١) Dante, Inf. Canto, XXVII, 87 ومعنى الشطرة : وليس مع المسلمين ولا مع اليهود .. (فى كلام له ما قبله)

هذه قصة « السراكينوس » تتبعناها من منبعها إلى موقعها بحسب ما توفر لنا من البحث والزمن ، ويرى القارىء من هذا التفصيل السابق أن هذه الكلمة قد أصبح أمرها معروفاً من حين خروج العرب من جزيرتهم ، وأنها لا تطلق إلا عليهم ، ولكن الشكل المحيِّر هو :

من هم هؤلاء « السراكينوس » قديماً ؟

ومن أين اشتق هذا الاسم ؟

سؤالان لم يجزم بحقيقتهما حتى الآن ؛ فقد ذهب المؤرخون فى مأخذ هـذا اللفظ مذاهب شتى ، كلها من قبيل الظنون والرجوم ، فظنانها غامضة ، وأثرها مطموس ، وللمؤرخين أقوال فى هذه « اللفظة » نجملها فيما يلى :

١ — فى العصور القديمة كانت تطلق على قبيل بعينه كما بينا فيما مر ، ولكن فى العصور المتأخرة ذهب المؤرخون فيها مذاهب شتى ، فيرى بعضهم أنها :

٢ — تصحيف « شرقيين » العربية ، ويدللون على رأيهم هذا أن حرف « الشين » العربى لا يوجد فى الإغريقية ، ولا الرومانية(١)

٣ — « سرّاقين » أى « اللصوص » ، ويقصد بهم سكان الصحراء !

٤ — « ساراكين » أصلها « صحراء ساكن » أى سكان الصحراء !

وبعد فهذه أقوال المؤرخين فى هذه اللفظة المحيرة ، ففيها ضعف ، وفيها قوة ، وكلها — فى رأينا — لا تغنى من الحق شيئاً !

على أنه إذا صحّ لنا الاختيار من هـذه الأقوال ، فأقوى الآراء منها القول بأنها تصحيف « شرقيين » فالكلمة إذن عربية أصيلة ، أطلقها الأنباط ، وهم عرب على القبائل التى تناوحهم من جهة الشرق . فسمع منهم الإغريق والرومان هذا اللفظ فأدخلوه إلى لغتهم بتلك النَّبرة ، وقد كانت لهم مستعمرات بهذه الأرجاء كما هو معروف . وكلمة « الشرق » و « الشرقيين » لها أصل فى لغتنا اليوم ؛ فالمصريون يطلقون على كل من يفد من جهة الشرق « شرقيين » وأهل الحجاز يسمون أهل نجد « شروقا » فليس بعجيب إذن أن يعيد التاريخ نفسه فى القرن العشرين !

ولكن مع كل هذا التعليل ، فى النفس شىء من « سارة » فى « سارا ... كينوس » وأن هذا التركيب لا بد وأن يحمل توجيهاً آخر فى تحليل هذه اللفظة ، وخاصة إذا أخذنا بأقوال مؤرخى الكنيسة فى القرن الرابع أن « السارازين » انضموا إلى الاسماعيليين الذين كانوا يقيمون فى صحراء قادش فى مقاطعة فاران حيث ينهض جبل «حوريب» فى شرق البحر الأحمر . وفى النفس شىء — أيضاً — من هذا إذا علمنا أن « الهاجريين » أبناء هاجر ، قد اشتهروا فى الأدب اللاتينى فى القرون الوسطى كرادف « للسرازين » فهل لعلماء اللغات السامية ، والبرزين فى الإغريقية واللاتينية ، كشيخنا العلامة الكرملى ، أن يقولوا كلمتهم فى هذا الشأن ، فيعيدوا الحق إلى نصابه ، والسيف إلى قِرابه ؟ !

أما بعد هذا كله فإنى أختتم هذا البحث بِمَخْرَقة قالها أحد المؤرخين الأوربيين ، وذلك أن « السراكينوس » القدامى لا تزال سلائلهم موجودة لليوم ممثلة فى قبيلة « السواركه » القبيلة البدوية الصغيرة التى تعيش إلى هذا اليوم على شواطئ البحر بين العريش وغزّة .

وحسبنا أن نقول إزاء هذا التحقيق أن هذه بلية من بلايا البحث توقعها المجانسة فى اللفظ ؛ وكم خدعت المجانسة مستشرقين فى الغرب وأئمة فى الإسلام . فالسواركة هؤلاء وجدوا فى عصر متأخر ، يرجعون فى نسبهم إلى سيدنا عكاشة الصحابى المشهور(١) وفوق كل ذى علم عليم

(القاهرة) **محمد عبد الله العمودى**

(١) Amarai, Storia dei Musulmani di Sicilia, vol. I, P. 187

(١) راجع أخبارهم فى كتابى « تاريخ سيناء القديم » لنعوم شقير . و « تاريخ بئر السبع وقبائلها » لعارف العارف .

بين سيد الشعراء وسيد رجال المال

للأستاذ صالح جودت

فى ليلة مشهودة فى التاريخ ، هى عشية الجمعة المباركة من اليوم السابع من شهر مايو سنة ١٩٢٠ ، ائتمر نفر من سراة القوم فى دار الأوبرا « السلطانية » ، ليحتفل بتأسيس أول دعامة من دعائم النهضة الاستقلالية المصرية ، هى « بنك مصر » .

وفى تلك الليلة المزدهرة ، وقف مؤسس هذه النهضة ، محمد طلعت حرب ، يقول بصوت يختلجه الإيمان :

سادتى :

ما كاد يظهر نبأ تأسيس البنك حتى وجهت إلينا الاعتراضات الآتية :

أولاً : إننا أردنا لبنك مصر ورأس ماله صبغة مصرية ، فأثبتنا تعصبنا وتأخرنا فى المدنية .

ثانياً : إنه ليس فى مصر من يصلح لأعمال البنوك .

ثالثاً : إن الأمة ، مع كل الطبل والزمر اللذين أحاطا بالمشروع ، لم يمكن أن يجمع منها سوى ثمانين ألفاً من الجنيهات ، من أسماء كثيرين ، اكتتب كل منهم بمبلغ زهيد ، مما يدل على أن الأمة غير مستعدة للأعمال الاقتصادية ...

وماذا يراد أن يُعمل بمثل هذا المبلغ الزهيد الذى لا يفى ربحه لدفع أجرة المحل ومرتبات بعض الموظفين ...

***

دعونا نبتعد عن هذا الحديث قليلاً ، لنتدرج فنعود إليه .

نشأ طلعت حرب — أول ما نشأ — أديباً يحمل القلم ، ويصدر عنه المقال تلو المقال ، والكتاب إثر الكتاب ، ينافح بها فى إيمان الكاتب المخلص ، والمسلم المؤمن ، والأديب الموهوب ، عن كيان المجتمع وحرمة التقاليد ، والمحافظة على تراثنا الإسلامى من الفضيلة والعفاف ...

وكانت جهوده الاقتصادية آنذاك تقوم فى ركن هادئ من حياته القلمية البارزة .

وهناك ... فى أفق الأدب المتسع ، والفن الوضاء ، ارتبطت روح طلعت الأديب ، بروح شوقى الشاعر ، وأدرك كل منهما نواحى العظمة فى صاحبه ، ثم مرت الأيام تجلو أقدار الرجال ، وإذا بالروحين الحبيبين ، روح الأديب وروح الشاعر ، لا يزيدها من الأيام إلا تسانداً . فكلما بنت يد طلعت حرب ، عزفت قيثارة شوق . وكلما تحدث طلعت حرب ، تغنى بشاعرية شوقى . فترى طلعت حرب يحتفظ بآثار صاحبه الشاعر فى أعز ركن من بيته ، ثم تراه فى الحفلة التى أقامها التجار لتكريم الزعيم الطيب الذكر سعد زغلول فى فندق سميراميس يوم ١٣ أبريل سنة ١٩٢١ ، ينتهى فى خطابه الكريم بقوله :

وأختتم متمثلاً بقول شاعرنا شوقى :

صح بالصباح وبَشِّر الـ	أبنـاء بالمستقبل
واسأل لمصر عناية	تأتى وتهبط من عل
قل ربنا افتح رحمة	والخير منك فأرسل
أدرك كنانتك العز	يزة ربنا وتقبَّل

أما تراه يقول : « شاعرنا شوقى » ؟ أو لم يكن شوقى شاعر بنك مصر الذى صحبه فى شعره من يوم تأسيسه ، وسجل حركاته وبركاته وشركاته ؟

أليس هو القائل للامية المشهورة فى تأسيس بنك مصر ، والتى مطلعها :

قف بالممالك وانظر دولة المال	واذكر رجالاً أدالوها بإجمال
وانقل ركاب القوافى فى جوانبها	لا فى جوانب رسم المنزل البالى
ما هيكل الهرم الجيزى من ذهب	فى العين أزين من بنيانها الحالى

أو ليس هو قائل الدالية العصماء فى الاحتفال بوضع الحجر الأول فى أساس بنك مصر ، التى مطلعها :

نراوحُ بالحوادث أو نُغادَى	وننكرها ونعطيها القيادا
ونحمدها وما رعت الضحايا	ولا جَزَتْ المواقف والجهادا
لحاها الله ! باعتنا خيالاً	من الأحلام واشترت اتحادا

أو ليس هو صاحب الميمية الخالدة فى حفلة افتتاح الدار الجديدة لبنك مصر ، التى مطلعها :

نبذ الهوى وصحا من الأحلام	شرقٌ تنبَّه بعد طول منام
ثابت سلامته وأقبل صحوه	إلا بقايا فترة وسقام

والآن ، آن أن نستجمع آثار هذه الصلة بين سيد الشعراء وسيد رجال المال ، لنرى كيف عكست صورتها الجلية على روحيهما فى تلك الليلة المشهودة ، ليلة تأسيس بنك مصر فى اليوم السابع من مايو سنة ١٩٢٠ ، حين وقف طلعت يردد ما يثيرون تجاهه من اعتراضات ، فراعنا كل الروعة أن نجد هذه الاعتراضات

مردودة كلها فى قصيدة شوقى التى قالها فى نفس الليلة ، ويدهشك أن يحدث هذا الاتفاق بغير سابق اتفاق إلا صلة الروحين الساميتين

الاعتراض الأول ، أننا أردنا لبنك مصر ورأس ماله صبغة مصرية ، فأثبتنا تعصبنا وتأخرنا فى المدنية . وفى ذلك يقول شوقى إن الدنيا للمال ، ولا حياة لأمة بغير المال :

والمال ، مذ كان تمثال يطاف به ... والناس مذ خلقوا عُبَّاد تمثال
إذا جفا الدور فانع النازلين بها ... أو المالك فاندبها كأطلال

والاعتراض الثانى ، أنه ليس فى مصر من يصلح لأعمال البنوك ، وفى ذلك يقول شوقى إننا قد خطبنا المالى ، وأردنا جلائل الأعمال ، فعلينا أن نعد العدة لها ، فيومئذ لن يصعب على المصرى شىء ، ويومئذ يصلح المصرى لكل جليل ، وهذه العدة هى العلم والمال

يا طالبا لمعالى المُلك مجتهداً ... خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم ... لم يُبْنَ مُلْكٌ على جهل وإقلال

والاعتراض الثالث ، أن الأمة مع كل الطبل والزمر الذين أحاطا المشروع ، لم يمكن أن يجمع منها سوى ثمانين ألفاً من الجنيهات

وعندئذ يهيب شوقى بسراة مصر أن يهبوا لدفع هذه الدعوى ، ونصرة الوطن ، إذ يقول :

سراة مصر ، عهدنا كم إذا بسطت ... يد الدعاء ، سراة غــير بُخَّال
تبين الصدق من مَيْن الأمور لكم ... فامضوا إلى المال لا تلووا على الآل

ويحدثهم عن الخير المنتظر من وراء هذه الدار فيقول :

دار إذا نزلت فيها ودائعكم ... أودعتم الحبَّ أرضاً ذات إغلال
آمال مصر إليها طالما طمحت ... هل تبخلون على مصر بآمال ؟
فابنوا على بركات الله واغتنموا ... ما هيأ الله من حظ وإقبال

***

يقول الأديب الكبير « تورناد » إن الرجال يذهبون ، ولا يبقى من مجدهم إلا ورقات تتعب رؤوس التلاميذ فى الدارس

ولكن مجد طلعت حرب ، شىء أسمى من مجد الرجال ، وهو باقٍ ما بقى بنك مصر ومؤسساته على أثبت الدعائم ، ودعائمه هى القلوب ، إلى ما شاء الله .

صالح جودت

من وحي الحرب

وداع !...

للأستاذ محمود الخفيف



أفاقت على صيحة روعت — لدى سكرة الوصل أحلامها
وطافت بها النذر الغاشيات — تجدد في العيش آلامها
وكان صفاد هرها واغتدى — وضيء الملامح بسامها

***

تهاوت طيوف تدلت لها — من الخلد في أمسها الناعم
تألف من لمحات الخلود — ومن روعة الأمل الباسم
وتنسم بالحب أنفاسها — على عشها الهانئ الحالم

***

أفي ومضة تتلظى الجحيم — وفي خطرة ترجف الراجفه ؟
ويمضي رحى الموت في ضجة — تبيت القلوب لها واجفه ؟
إذا أوحش البيت من بعده — فمن يؤنس الزوجة الخائفه ؟

***

أفاقت على الهول ملهوفة — وما كان في العيش بالمنتظر
ألا شد ما تفجع النائبات — على غرة ساقهن القدر
ويا قبح موقعه في النفوس — إذا جاء بعد الصفاء الكدر
وأكدر ما كان لون السحاب — إذا مر عارضه بالقمر

***

تردى لباس الوغى معجلا — وهمت لتثنيه ضارعه
فلا قول إلا الدموع السجال — تفيض بها المقل الهامعه
وما حيلة اللفظ في موقف — تذوب به الأنفس الجازعه؟

***

إذا هم لا يستجيب اللسان — وما عي في موقف قبله
وماذا عسى أن يقول — وهل تتأسى فتصغي له ؟
هنا الصمت أبلغ في لحظة — توزع. فيها الأسى قوله

***

تلاصق قلباهما في عناق — يزيد الأسى فيهما والضنى !
تلح وتسأله المستحيل — فيا ليتها طلبت ممكنا
أهاب الحمى بالشبول الحماة — فما يملك اليوم أن يذعنا
إذا هان داعيه في قلبه — غدا كل شيء به أهونا

***

أكان يعجل لولا الفداء — فيفلت من سحر هذا الجمال؟
ويمضي إلى حيث شب اللظى — وجن الردى واستحر القتال؟
إلى حيث لا يهدأ الجاهدون — سوى غفوة في الليالي الطوال؟
وينذر بالويل وجه النهار — وتمشي إليه جموع الرجال ؟

***

يؤرقني طيف هذا الوداع — وتبعث ذكراه أشجانيه
أغني لمرآه لحن الأسى — وكم ألهم الوجد ألحانيه
وإني لذو كبرة في الخطوب — وإن أغرق الرفق أجفانيه

***

أرى منظراً حار فيه القريض — وأوشك زاخره ينضب
قصاراي فيه هتافي به — فليس إلى وصفه مذهب
لئن كان يوحي البكا وجده — فكم خاطر فيه يستعذب
إذا لم ترف قلوب له — فهن من الصخر أو أصلب

***

ألا كم أراعُ لهذا القوام ... تمشّى من الهمّ فيه الوهن
ويوجعُ نفسي برحُ العذاب ... يلحُّ على مثل هذا البدن
لما اللهُ يُذهِبُ عنها الأسى ... ويدرأُ عنها غوائلَ المحن

* * *

تفجّعها — يا غليلي لها — ... لدى البين عن غيرها شاغلي
يعذّبني أنه راحلٌ ... وأنّ بكاها بلا طائل
وددتُ لو أني لبستُ الحديدَ ... وكنتُ فدى الراحل الباسل!

* * *

أميلُ بلحظي إلى وجهه ... فيا حيرةَ اللحظ في أمره!
معاني الفجيعة في ناظريه ... وعزمُ الكماة على ثغره
يُريها التجلّدَ في صمته ... فتكشفُ عيناه عن سرّه
وأنى له الصبرُ في موقفٍ ... سقاه النوى فيه من مُرّه

* * *

تجلّدَ لا من حفاظٍ فحسبُ ... ولكن ليبدو جديراً بها
فللموتُ أهونُ من أن يحسّ ... معاني توقّيه في قلبها
وليس يهابُ الردى قلبُه ... إذا عوّذته بإعجابها
هو الحبُّ حتى لدى الموت يحيي ... نفوسَ الرجال ويسمو بها

* * *

تسائلُ عيناه هل ترتجى ... له أوبةٌ بعد هذا النوى؟
ولكنّه لن يطيعَ الخيالَ ... فكم فيه قادحةٌ للجوى
وهل يعصمُ المرءَ من حتفه ... جحيمُ الوغى أو نعيمُ الهوى؟

* * *

تحيرتُ ماذا أثار الجوادَ ... ولاح لي الهولُ في وثبه
أذلك دأبُ كرام الجياد ... إذا الروعُ أعلن عن قربه؟
أم اهتاج مما يرى حوله ... فجُنّ بما لجّ في جنبه؟
معانٍ يعصفن بقلبي العذابَ ... ويملأن نفسي من رعبه

* * *

عرفتك يا ساعة البين قبلُ ... وقرّ عذابك في خاطري
غداة ذرفتُ عصيّ الدموع ... فأرخصتُ دمعي لدى آسري
وضاقت عليّ الرحابُ الفساحُ ... وأظلمت الأرضُ في ناظري
وأوحش كلُّ مكانٍ عرفت ... وغاضت رؤى صُبحه الزاهر

* * *

عرفتكِ قبلُ وأيُّ امرئ ... دهيتِ فلم يكُ بالجازعِ
عرفتكِ حين يرجّى الإيابُ ... فما كان ذكرُ غدٍ نافعي
فكيف بهذا الذي لا يرى ... سوى الموت في هوله الفاجع؟

* * *

سيمضي إلى الروع ثبتَ الجنان ... وإن كان يشقى بأوهامه
تفيضُ على رغمه مقلتاه ... ويذكرُ ماضيَ أيامه
فيمسحُ عينيه خوفَ الرقيب ... وينفي الهمومَ بإقدامه

* * *

ويكتئبُ البيتُ من بعده ... فما من جليسٍ ولا آنسِ
تطوفُ بأرجائه وحشةٌ ... كما طافَ بالطلل الدارسِ
وليس إذا جنّه ليلُه ... سوى خفق مصباحه الناعسِ

* * *

تطلُّ إذا الصبحُ لاح لها ... على شجنٍ في جميع النواحْ
فليس الندى في مآقي الورود ... سوى أدمعٍ من بكاء الصباح
وهذي الهواتفُ نواحةٌ ... بأغصانها لا تملُّ النواح

* * *

تعلّلُ أطفالها تارةً ... وطوراً تصيحُ بهم زاجره
فتصفرُّ منهم وجوهٌ صغارٌ ... تظلُّ إلى وجهها ناظره
وتجهشُ حيناً إذا أبصرت ... دموعاً بآماقهم حائره
يلوحُ لها اليتمُ في دمعهم ... فتسقطُ من وهنٍ خائره

* * *

وتمضي الليالي ثقالَ الخطى ... ولا قولَ عن زوجها الغائبِ
تراها السقامُ فليس ترى ... سوى اليأس في وجهها الشاحبِ
إذا الهمُّ صوّرَ تمثالَه ... فليس سوى جسمها اللاغبِ

* * *

وما علمت كيف خاض الحتوف ... سجالاً وكيف تصدّى لها
وكيف أحاط الردى بالرجال ... وزلزلت الأرضُ زلزالها
وكيف تصبُّ السماء الدخان ... تزيدُ على الأرض أهوالها
وكيف يلاقي الكميُّ الكميَّ ... وتمتحن الحربُ أبطالها

* * *

إذا الليل أسدل أستاره ... تراءى على الأفق لونُ الدمِ
ولاحت مخضّبةً بالنجيع ... جحافلُ من خافق الأنجمِ
يرى كلَّ ما حوله قانياً ... إلى الدمِ في لونه ينتمي

* * *



دراسات فى الفن

الفن بين « الأميبات » و « الأميبين »

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

لى صديقة صغيرة غاية ما تريده منى هو أن تسخر بى وأن تحطم كل رأى أبديه ولو كان إعجاباً بها وتقريظاً لها حتى آمنت بأنها دسيسة مسلطة علىّ فلم أعد أحمل كلامها محمل الجد ولو كان تعزيزاً لرأى كنت قد أراه وأصدق عليه . فنحن ما نكاد نلتقى حتى نختلف منذ نتبادل التحية . فإذا قلت لها : « نهارك سعيد » قالت : « وكيف عرفت ؟ » . فإذا قلت لها إن هذا دعاء وليس خبراً ، سألتنى : « ومتى كنت من أولياء الله الصالحين حتى تدعوه إلى إسعاد غيرك ... ؟ أفلا جربت دعاءك لنفسك أولاً ؟ فمن يدريك أن يستقبل الله رجاءك ، من غضبه عليك ، بسخطه ولعنته ؟ »

هذه هى صديقتى المفكرة التى قابلتنى أمس وفى يدها العدد الأخير من الرسالة فما رأتنى حتى نادتنى :

— تعال . الله يخيبك !

— أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقية ! ماذا حدث يا هذه ؟

— حدث الحدث ، ونزلت الكارثة . أهذا كلام تقوله عن استراوس وصاحبته ؟

— وماذا كنت تريدين أن أقول ؟ أأكتبه فى ورقة حتى إذا اتفقنا عليه لا تعودين فتنقضينه ...

— ناصح جداً . منذا الذى قال لك إن البارونة فشلت مع استراوس ؟

— هى التى قالته ، وأرجو ألا تسألينى متى قابلتها ولا أين لقيتها ، فهى لم تقل لى أنا بالذات ، وإنما عبرت بهجرانها لاستراوس عن هذا الفشل الذى تنكرينه

— ولم لا يكون فى هذا الهجر تعبير عن فشل استراوس نفسه ؟ ألم يوافق هو عليه ؟

— ربما يكون قد وافق عليه . ولكنه لم يسع إليه . ثم إنها هى التى بدأت مناوشته ؛ فكان هذا دليلاً على أنها تريده ، فهجرها إياه لا يدل بعد ذلك على شىء إلا أنها عجزت عما كانت تريد ... فهى التى فشلت ، وليس هو الذى فشل

— بل إنه هو الذى فشل منذ سمح لها بأن تريده ولم تأخذه عزة الرجولة ، ولم يبدأ هو بالإرادة وإعلانها

— وما عزة الرجولة هذه ؟

— يه ! أأنت أيضاً « استراوس » ؟

— فال الله ولا فالك ! ولكنى أريد أن أتفق معك على تحديد معناها حتى لا نختلف بعد فى المناقشة

تَنَاوحُ فى مسمعيه الرِّياح   فيسمع فيما تقولُ الأنينا
وَيَسمع ثَمَّ الذين طوت   يَدُ الموت أعمارَهمْ هامسينا
يقولون متنا وصرنا عظاماً   فمن للبنات غداً والبنينا ؟

***

وَتأخذُ أجفانَهُ غفوةٌ   فيأوى إلى بيته ثانيَه
وَتَطفُر من فرح زوجه   كأن لم تَبِتْ ليلةً عانيَه
تُكَفكفُ أدمعهُ الساخناتِ   وَيَمسحُ أجفانَها الهاميه

***

ولكنه حُلمٌ تنطوى   على نفخة الصور أفراحُهُ
وينهض كلُّ فتىً للسلاح   ويوحى له الدَّمَ إصباحُه
فيهزأ بالموت فى كرِّهِ   فليس يُثْنيه مجتاحه

الخفيف

— عزة الرجولة هي قوة الأمر التي خص الله بها الرجل ليتسلط بها على المرأة

— وما المرأة ؟

— والمرأة أيضاً تريد أن نتفق على تحديد معناها ؟

— إذا كان لها معنى ؟

— داهيتك أسود من الليل ! المرأة هي شريكة الرجل في حياته

— بأي حق ... إلا حق الضعف ؟

— بحق القدرة على النسل . وليس رجل قادراً عليه بغير امرأة

— كان استراوس قادراً عليه بغير امرأة . وليس استراوس وحده الذي استطاعه ، وإنما استطاعه مثله كثيرون غيره .

— هذا هراء . وإذا كان هناك من أعقب من غير شريك ، فإنها مريم العذراء ... ولم تكن رجلاً ...

— وكانت آيتها : أنه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً . لم يجد كتاباً ، ولم يجد وحياً ، ولم يجد آية أخرى

— ماذا تعني ؟

— أعني أنها رضي الله عنها كانت هبة آل عمران للخبير الرحمن ، وأنها اتقته وتبتلت له ، فأغناها عما تطلبه كل امرأة من هذه الدنيا وهو الرزق ، فيسره لها من حكمته وكرمه ، ثم نفخ فيها من روحه ، فكانت هذه هي معجزة المرأة الكبرى : أن يُنفخ فيها من روح الله ... ومع هذا الجلال ، فإنها بمشيئة الله لم تعقب من روحه فكرة ، وإنما أعقبت المسيح الإنسان (ص)

— وهو كلمة الله !

— المتجسدة ! الجسد ! ولا تنس أنه رجل ، وأنه أعقب ديناً جل من دين .

— وهو ابنها ؟

— وهل أنكرت أنا هذا ؟ ولكن دينه ليس منها !

— الدين من الله .

— وكل حق من الله ، سواء أكان ديناً أم كان علماً ، أم كان فناً ...

— تريد أن تنسب الفنون أيضاً لله ؟ حرام عليك !

— حرمت عليك عيشتك ! أليست الفنون هبات من الله ومنحاً ؟ هل يستطيع كل إنسان أن يكون فناناً إلا من وهبه الله القدرة على ذلك ، ومن أخذ نفسه بطلبه ... إن الله وعد عبده التقي أن يعطيه حتى يرضى ...

وقد اتقته مريم (رضي الله عنها) فأعطاها رزقاً ، واتقاه المسيح فأعطاه ديناً ، ويتقيه ناس فيعطيهم فنوناً ... ألم تسمى بالإلهام ؟

— ما أكثر الذي نسمعه ، وما أقل المعقول فيه ...

— ليست مسألة الفنون يا مولاتي شيئاً يفهم بالعقل ... إنها كالحب تماماً شيء يحس ... هل تعرفين ما معنى « يحس » ؟ كما تخزك الإبرة ، وكما تلسعك النار ... وكل ما في الأمر أنهما وخز ولسع روحيان ... فهل تعرفين ما هي الروح ؟

— من أمر ربي .

— ولا شيء غير هذا ؟

— القرآن عرفها بهذا ، فهل عندك أنت تعريف أوضح منه ؟ توقح وقل ما شئت وعليّ وعلى الأزهر الشريف ما بعد ذلك

— هو ذنبي أن أناقش امرأة إذا قهرتني جمعت على الناس شماتة وغلا . فإذا هممت أن أصرعها استنجدت وولولت وبكت واستعدت على كل من تأخذ نفسه الرحمة والشفقة بحواء الضعيفة التي سيقتلها الوحش الذي هو أنا ... أليس كذلك ؟ إني ألقي السلاح يا آنسة

— إذن فقد فشلت

— كما فشلت البارونة مع استراوس

— لكنها لم تفشل . وإنما كانت في أنوثتها أنصع من استراوس في رجولته . وقد كان عليه أن يتطهر وأن ينقي نفسه ليدركها وليطاول حسنها ...

— أما كان استراوس متطهراً ؟ هذا الذي لم تخلبه الأبدان مثلما كانت تستهويه الأرواح من ورائها ؟

— ما هذا الكلام الفارغ الذي لا معنى له . أنا لا أعرف إلا أن الله خلق الناس ذكراً وأنثى . وكل منهما في حاجة إلى

صاحبه . وعلى الرجل أن يطلب الأنثى وليس عليها أن تطلبه ، بل إن عليها أن تتريث وأن تتمنع ، وأن تنتظر حتى تتأكد أنه يريدها حقا ، كما قلت لك إن للرجولة عزة ، فإن للأنوثة كرامة ، وكرامة الأنوثة تقتضى هذا التريث وهذا التمنع حتى لا يجيء يوم يعير فيه الرجل المرأة بأنها هى التى طلبته ، أو أنها هى التى ألقت بنفسها بين ذراعيه ...

— ليس هذا كرامة كما تقولين ، وإنما هو نفاق

— بل إنه كرامة

— كان يمكن أن يكون كرامة لو أنه كان ممكناً أن تعيش المرأة من غير رجل ، ولكن ما دامت هى تحتاج إليه حقاً فالتريث والتمنع واللف والدوران ، وغير ذلك مما تتقنه بنات حواء ليس شيئاً غير الإثارة الجنسية . فإذا خفتت النزعة الجنسية فى الرجل لم تعد هذه الصناعة تجدى شيئاً .

— ليست هذه صناعة ، وإنما هى طبيعة

— فليكن

— فليكونْ ! والآن قل لى كيف تخفت النزعة الجنسية فى الرجل

— كلما كف عن حياة الحيوان ، وكلما استخلص من الحياة الفضائل ، ومن هذه الفضائل تلك الكرامة التى تتحدثين عنها ، والتى تريدين أن تقفيها على الأنوثة

— ولكن هذه الكرامة التى أتحدث عنها خاصة بالأنوثة وحدها ولايمكن أن تجتمع فى الرجل هى وقوة الطلب التى تلتهب فيه الرغبة ، والتى تدفعه وتحدوه إلى التسلط على المرأة ... لايمكن أن يحدث هذا الذى تقوله إلا إذا كان الرجل « كالأميبة » ينشق جسده شقين ، ثم ينشق كل شق منهما شقين ، فلا ذكر ، ولا أنثى ، ولا زواج ، ولا تناسل ... فهل فى الرجال « أميبون » يا هـذا ؟

— فيهم يا آنستى فيهم ... كما أن فى النساء « أميبات » !

— وما هؤلاء ؟

— هن اللواتى بلغن للعالم رسالات . هن اللواتى خلفن لهذه الدنيا آثاراً . هن اللواتى أعرضن عن الرجال كثيراً أو قليلاً ، وتداخلن فى أنفسهن ، ثم انشققن على أنفسهن فأنجبن أحياء غير البنين والبنات . صحيح أننى لا أذكر منهم ولا واحدة لأنى قليل الاطلاع على التاريخ ، ولكنك تستطيعين أن تسألى عنهن واحدة من بنات جنسك المثقفات . اسألى الآنسة سهير القلماوى. اسألى الآنسة ... لا ...

— من هى الآنسة « لا » هذه ؟ يابانية هى ؟

— عجائب ! ألا تعرفينها ؟ أستاذتك التى لم يمنعها من دراسة هـذا الموضوع معك ، إلا أنكما أنثيان تعودتما ألا تمسا الحقائق إلا من بعيد .

— ومالك تحمل عليها هكذا ؟

— لأنها « أميبة » ولـكنها متكتمة ... وأنت « أميبة » مثلها ولـكنك مترددة !

— لا تقل هذا ... إنى أموت إذا خلته حقاً .

— وهل فى الحق ما يفزع ؟ الحق جميل ، وهو من عند الله فأحبيه يا مكروبتى الصغيرة ... ولا تكونى مثل بارونة استراوس !

— آه منك ! لقد طوحت بنا إلى موضوع لم يكن يخطر لى مطلقاً أن أندفع إليه . وما دمنا قد مسسناه ، فأظنك لا تمتنع عن المضى فيه إلى آخره . . . هل تصلح الحياة بين « الأميبة » و « الأميب » ، كما تصلح بين المرأة والرجل ؟

— إما أن تصلح صلاحاً ما بعده صلاح ... وإما أن تستحيل استحالة ما بعدها استحالة ... ولا وسط بين الحالتين ... والدرس الواحد فى هذا الوضوع بعشرة جنيهات ، فهو موضوع لم يطرقه إلى اليوم أحد .

— يا لك من مادى مظلم ! عشرة جنيهات مرة واحدة ! وعلى أى حال فإنى أرضى منك الآن « بسيجارة » . . . أشعلها ولـكن بعد أن تمسحى عن شفتيك هذا (الأحمر) الذى تكذبين به على الناس وعلى نفسك ...

— يا لطيف ! هل أكلت اليوم مسامير تنفخها فى كلامك فتخرق بها الآذان والأفئدة ؟

— ياما أكلت المسامير والزجاج والنار . . . وتجيئين أنت في آخر الزمن لتهزئي بالسحار الذي علمته الأفاعي الصدق والرحمة، لنا الله معاً .

— هل هذا الكلام موجه لي أنا ؟

— لك أنت ، لكما أنتما ، لكن أنتن ، لي أنا ، لنا نحن ... ألا تحفظين بقية الضمائر ؟

— لا ريب أنك مجنون ؟

— ولم لا ؟ ربما كانت البارونة تقول هذا عن استراوس ! أما هو فلا ريب أنه قال هذا عنها

— فأيهما كان المجنون ؟

— الاثنان معاً !

— لماذا ؟

— لأنهما افترقا ، ولم يكن يصلح لها غيره ، ولم يكن يصلح له غيرها . وما كانت لتهجره لو أنها قرأت مقال الأسبوع الماضي الذي أسخطك ، فقد كانت « أميبية » لا يعجبها كل رجل ، وكانت فيها قوة الإبداع الفني والانشقاق على نفسها ، وإن كانت لم تمارسها لظنها أنها امرأة

— بدأ الغرور يركبك

— أعتذر . وأستغفر الله . وأمسح الأرض بوجهي ورأسي بين يدي جلاله وعزته ، وأعود فأقول إنهما كانا يتفقان لو أنهما رأيا نفسيهما كما أراني الله إياهما ... ألم نقل إنهما كانا « أميبيين » كل منهما ينشق على نفسه فنوناً ، أو لم أقل لك إن من « الأميبيين » من يصلح « للأميبيات » كل الصلاح . لقد كان هذان من هؤلاء

— كيف ؟

— الرجل يا آنستي ابن رجل وامرأة ففيه من الرجولة والأنوثة ، وهو لم يكن رجلاً إلا لأنه ورث من أبيه أكثر مما ورث من أمه . فلو تعادل الذي ورثه منهما كان خنثى ، وكذلك المرأة ، وفي الرجال من تبلغ رجولتهم تسعين في المائة من حيويتهم وهؤلاء « حيوانون » أكثر منهم أناسي ، ولعل راسبوتين كان من هؤلاء ، فالتاريخ يروي أنه كان يعصف بالنساء عصفاً ، ورجل مثل هذا لا تشبعه المرأة إلا إذا بلغت أنوثتها تسعين في المائة من حيويتها هي أيضاً ، وهذا الصنف من الرجال والنساء هم الذين يصفهم أهل هذه الأيام بأنهم أصحاب السكس أبيل .

أما الرجل الذي لا تزيد رجولته على ستين في المائة مثلاً فلا بد له من امرأة ليس فيها ما يزيد على ذلك من الأنوثة وهذان يتحابان ويتقاربان ...

— وكيف تعرف هؤلاء الرجال ... هل يظهرون للأعين ؟

— نعم . فيهم من ملامح النساء ... استدارة الأطراف ، طراوة الصوت ، دلال المشية ، واستدارة الأعناق أيضاً ... وبروز الأنداء ... والنساء الأميبيات فيهن من ملامح الرجال غزارة شعر الشاربين ، وضئولة الأنداء ، وعنف المشية ... وهناك علامات غير هذه ...

— ومتى لا يتحاب « الأميبان » ولا يتقاربان ...

— عند ما تشتط الأنوثة في الرجل ، أو الرجولة في الأنثى . أو الاثنتان معاً ... عندئذ يتنافران

— وماذا أيضاً ؟

— فكري برأسك هذا قليلاً ... ولا تقولي « ماذا وكيف » أفإن لم تسألي لا تفهمين ؟

— لقد دخت ... دوخك الله أنت واستراوس

— أما أنا فقد دوخني الزمن ... وأما استراوس فقد دوخه الفن ... إلى اللقاء

عزيز أحمد فهمي



لحظات الالهام

فى تاريخ العلم

تاليف مريون فلورنس لانسنغ

٤ — الاستكشافات الخمسة

من الطين الى الصينى

الطعام من حاجات الإنسان اليومية . وقد كان على إنسان الكهف كما علينا الآن ، أن نستبقى الحياة بالاستمرار على تناول الطعام

وكثير من القصص الممتع فى حياة الإنسان يدور حول هذه المسألة الكبرى : مسألة الطعام وهى التى تشغل الجنس الإنسانى كله إلى اليوم . فبعض القصص يتعلق بالتجارة وبعضها بالاستكشافات والبعض بتاريخ الشعوب المتنزلة

وكان الإنسان فى البداية دائم الحركة بحثاً عن الطعام فهو يأكل القوت والفواكه والحشائش والحبوب وجذور النبات ؛ فإذا ما غال ذلك من حقل ذهب إلى حقل آخر يلتمس فيه طعاماً جديداً ، ويمكث كذلك حيناً فى مكان من أماكن الصيد ثم يتركه إلى مكان آخر

ثم جاء اليوم العجيب الذى تعلم فيه الإنسان أنه متى غرس بذرة فإنه سيجنى حصاداً . وقد كان ولا ريب بالعالم فى هذا العهد القديم بعض رجال لكل شعب من الشعوب مهمتهم أن يرقبوا مرور الشهور بظهور القمر واختفائه لغرس الحبوب وملاحظة ما سيكون من أمرها : هل ينشأ أم لا ينشأ منها نبات ؟

وحدث أحد زعماء الملايو عن كيفية اعتماد قبيلة فى الحياة على فواكه الغابة فقال إنهم فى البداية كانوا يأكلون الفواكه فى أماكن صغيرة بالقرب من المكان الذى تجمع فيه . ولكن لوحظ أن عدداً كبيراً من أشجار الفاكهة كان ينبت حول هذه الأماكن التى يأكلونها فيها فقرروا أن يحملوا الفواكه إلى أماكن أبعد من الأولى ليأكلوها بها . وكانوا فى كل عام بعد ذلك يرون أن أشجار الفاكهة تنبت حيث يسقط النوى أو البذور فحملوا البذور والنوى إلى مسافة أبعد ورموها فى أماكن مختلفة إلى أن صار لهم فى النهاية بساتين فى أنحاء الإقليم الذى يقيمون به

ولما استكشف سر زمن الغراس وزمن الحصاد استطاع الإنسان أن يكف عن التجوال صعوداً وهبوطاً على سطح الأرض وأن يقر فى مكان يستثمر به الأرض طلباً للقوت . وقد عرفت كل القبائل ذلك فى أوقات طالت أو قصرت فاستقرت بأماكن اختارتها

وحاجات الطعام الإنسانى هى السبب فى صناعة الأوانى فمنها أوعية للماء وأخرى للطبخ وأوعية لحفظ الطعام بين وجبة ووجبة . وأخيراً أوعية ليتناول فيها الطعام

وباهتمامه بالحالة التى يقدم بها له الطعام نشأ التبديل من الأوعية الغليظة المصنوعة من طين الأرض إلى الأوانى الصينية التى تكاد تكون شفافة لرقتها

وكانت كل أسرة تأكل على مائدة واحدة وكان طبقها واحداً فى البداية ، ثم صار لكل فرد طبقه الخاص . وفى نفس الوقت كان التقدم مستمراً فى ناحية أخرى متصلة بحاجة العالم إلى الطعام فإن الإنسان كان يجوب الأرض براً وبحراً فاستطاع نقل الطعام من الشمال إلى الجنوب ، ومن الشرق إلى الغرب حول الكرة

الأرضية . ولكن الطعام الذى ينقل كل هـذه المسافات البعيدة أو الذى يحفظ مدداً طويلة يجب ألا يكون فى درجة من النضوج لا تسمح بالنقل إلا من اليد إلى الفم . ويجب أن تستبقى فيه حلاوته وسلامته وجدّته . فجاءت علبة الصفيح المختومة مُلائِمةً لهذه الحاجة . وبواسطتها أصبح عهد استكشاف الطعام تاماً

كان على الإنسان فى البداية أن يكثر من التنقل طلباً للقوت ومن ثم نشأت الهاجرات العظيمة ثم تعلم صنع الطعام فى موطنه ، وبذلك نشأت المدنيات المنفصلة ، والآن يستطيع أن ينقل الطعام إلى حيث شاء ؛ فأصبحت له الحرية العصرية فى الانتقال ، وقد نقلتنا هذه الأساطير فى كل الدورة . فى البدء كان عليه أن يتحرك ثم كان له أن يستقر . والآن له أن يتحرك وأن يأخذ معه مختلف الأطعمة أو يستقر ويستدنى إلى مائدته الطعام من أنحاء العالم

وفى قصة الزعيم اللاني وبذوره ، وفى فن صنع الأوانى وتأثيره على الطبخ، وفى تقدم فن الكيمياء وتأثيرها على اختيار أنواع الطعام وطرائق تناوله ، وفى قصة العالم الفرنسى الذى سنتحدث عنه وحصوله على الجائزة ، فى هذه القصص سنرى تطور هذه الأشياء

الأقاصيص كثيرة فى كل قبيلة على سطح الأرض عن الأيام الأولى من عهد تعلم الإنسان ما على هذه الدنيا العجيبة من الغرائب وما فى بطنها من الكنوز التى تنتظر المستكشف . ومجموعة من مثل هذه الأقاصيص توضح لنا كنه ما تحت أقدامنا من الأرض

لا بد أن يكون أقدم الناس فى عهد سكنى الكهوف قد لاحظوا أن بعض أماكن من الأرض سوداء مخصبة وأن بعضها صخرى والبعض رملى . وفى جهة ما من كل إقليم لا بد أن تكون قبيلة وربما كانت إقامتها عند شاطئ نهر أو مهد جاف لغدير أو فى وهد على مقربة من المساكن . وقد لاحظ الناس ذلك النوع الخاص من الأرض الذى تنطبع عليه آثار الأقدام ولكنها تجف عند ما تظهر الشمس

لسنا ندرى من البادئ بهذا الاستكشاف فقد يكون رجلاً أو امرأة أو طفلاً ممن يلعبون بعجينة من الطين كما هى عادة الأطفال من عهد لا تعيه الذاكرة ولكنه صادف أن وضع هذا المستكشف طينه المبتل على قطعة مسطحة من الخشب أو كتلة ذات تجويف ثم أدرك لما جفت عجينة الطين أنها ليست لينة كما كانت بل أصبحت صلبة متماسكة وأنها تجمدت على الشكل الذى وضعت عليه وهى عجينة

ومهما يكن السبيل الذى أمكن الوصول منه إلى هذا الاستكشاف فإن كل قبيلة مما يعيه علمنا قد صنعت فى بداية عهدها أوانى بسيطة الشكل من فخار مصنوع من الطين، ففن صنع الأوانى وهو تكييف الطين بأشكال يمكن بها استعماله ، أو صنع أشياء جميلة منه ، هو أقدم الفنون وأوسعها انتشاراً

***

إن قصة ازدياد المرء معرفة بهذه الأرض العجيبة التي يطؤها بقدميه ، وقصة ازدياد حذقه أساليب استعمالها - إن هذه القصة تتكون من قصص خمس لاستكشافات موفقة وصل إليها العالم فى عهود مختلفة من التاريخ على أيدى أعضاء فى كل قبيلة

ولقد كان إنجاز هذه الكشوف الخمسة أسرع فى بعض القبائل من بعضها ، فمترات الاستكشاف استغرقت فى بعض القبائل مائة عام أو خمسمائة بل قد تبلغ الفترة ألفاً من الأعوام

لكن كلا من هذه الاستكشافات قد وصلت إليه قبيلة بنفسها على يد حاذق منتج من رجالها قبل أن تصبح صناعة الخزف من الأعمال العامة

أما الاستكشاف الأول فهو أن بعض تراب الأرض صلصال حقيقى تحدث به عند البلل نعومة عظيمة وعند الجفاف صلابة شديدة وأنه إذا وضعت عليه علامة عند نعومته فإنها تبقى بعدجفافه

وأما الاستكشاف الثانى ، فهو أنه من الممكن صنع طبق بوضع طبقات من هذا الصلصال بعضها فوق بعض ، وتركها فى الشمس حتى تتجمد .

وقد كان صنع الأطباق فى لحظة عظيمة حقاً من حياة الناس ولو أنهم لم يدركوا ذلك فى البداية ، فإن الإناء الذى توضع فيه المياه فيحتفظ بشكله عند وضعه فوق النار ، أو عند دفنه فى حفرة ساخنة هو الوسيلة الوحيدة لجعل الطبخ الحقيقى فى حيز الإمكان. ولم يبق بعد اختراعه من ضرورة لإنضاج اللحم بتعليقه على عصى فوق النار ، ولا تجفيفه بإحراقه فى فرن ، ولم تبق من ضرورة كذلك لطحن الحبوب ، وصنع حبات (بلابيع) منها ليسهل

ابتلاعها . إن سحر النار قد أمكن الانتفاع به فى تهيئة الطعام ، لما أصبح من الممكن صنع طبق أو وعاء يوضع الطعام فيه على النار فلا يحترق .

وأما الاستكشاف الثالث ، فالأرجح أنه معرفة المرء إمكان استخراج مادة أصلب وأمتن من الصلصال بإضافة الرمل أو مادة أخرى إليه ، فبينا يصلح الصلصال وحده لصنع الأطباق ، فهو يصلح مخلوطاً لما هو أهم من ذلك : يصلح لصنع الطوب الذى تبنى به المنازل ... وهل تذكر أنك قرأت فى قصة موسى شكوى الشعب اليهودى من أنه لا يستطيع صنع الطوب خالياً من القش ؟



صناعة الصلصال
أحد صناع الأوانى فى صعيد مصر فى العهد الحاضر

إن القش يؤدى فى توثيق الطوب ما تؤديه الرمال ، فى مصر وفى المكسيك وفى الأجزاء الجنوبية من الولايات المتحدة وفى كل المناطق الحارة التى يكثر فيها الصلصال تبنى الأكواخ من الطوب النيء أى الذى تجففه الشمس

وقد كان أول ما صنع من الطوب جديراً بالملاحظة والاهتمام فى حياة الإنسان . وذلك لأنه جعل فى حيز الإمكان بناء بيوت يسكنها

ويعد أن شاع استعمال النار حدث بطريق المصادفة أن طبقاً سيء الصنع أو قطعة من الطوب قد ترك أو تركت بالقرب من النار ، فوجد فى اليوم التالى أصلب وأمتن من الصلصال الذى يجفف فى الشمس

وجد قوياً صلباً كأنه قطعة من الصخر فلا يمتص الماء ولا الضغط يستلينه ، فكان صنع الصلصال على النار هو الاستكشاف الرابع فى تاريخ الفخار . وقد مضى زمن طويل قبل أن يتعلم الناس تعلماً تاماً صنع أطباقهم بواسطة النار

صنعوا « القمائن » وهى أفران تصنع فى العادة على شكل خليات النحل وهم يضعون فيها ناراً تحترق فى بطء ، وفى استمرار عدة ساعات أو عدة أيام . ثم عرفوا بالتجربة مقدار الحرارة الكافية لصنع كل نوع من أنواع المزيج والمدد المختلفة التى يجب أن يقضيها بتلك القمائن كل جنس من الصلصال

ولكن سر إحراق الصلصال هو الأساس لصنع كل ما يتعلق بالفخار والطوب بما فى ذلك ما يصنع اليوم من أوانى الصينى ومن الأوعية الجميلة السكسونية ومن الأحجار التى تشاد بها مبانى العصر ، وألف شىء آخر مما أنشئت عليه مدنيتنا الحاضرة

أما الاستكشاف الخامس فقد جاء فى عهد تأخر موعده : جاء فى العهد الذى تاق فيه الإنسان إلى الجمال وإلى النفع معاً فيما يصنعه

وقد كان صانعو الصلصال فى أقدم العصور يحاولون على أساليبهم الخشنة أن يزينوا الأوانى حتى ولو لم يكن ذلك إلا بآثار الإبهام على حافة الأوانى

وكان المصريون والبابليون والليديون يحلون أوانيهم والطوب الذى يصنعونه والتماثيل بألوان لامعة مستخرجة من أكسيد الأثمد والنحاس الأحمر والصفيح

وكان اليونان يستعملونه دهاناً صلباً يغطون به الأوانى الجميلة ذات اللونين الأسود والأحمر ، ولكن الفخار الرقيق اللامع الذى يكاد يكون شفافاً لم يكن من صنع شعب من هذه الشعوب ؛ فإن صناع الأوانى فى الصين قد بدأوا تجاربهم بإحراق الصلصال فى « القمائن » حين كان معاصروهم المجهولون بين الشعوب الأخرى لا يزالون يصنعون الأوانى من الطين المجفف فى الشمس ، وكان الصقل بالخزف أمراً معروفاً فى الصين قبل مائتى عام من بدء التاريخ المسيحى ، وفى القرن السابع للمسيح تعلم الصينيون أن يضيفوا إلى نوع خاص من الصلصال اسمه « كاولين » نوعاً آخر من الحجر الرملى اسمه السليكى فيستخرج من مزجهما مادة

أدق . واسم « كاولين » مأخوذ من اسم جبل فى الصين (كاو ـ لين) أى القمة العالية . وقد استخرجوا لأول مرة من ذلك الجبل ذلك الصلصال العجيب ، وهو غير قابل للذوبان مهما اشتدت حرارة النار ، والثانية منه كما جاء فى التعبير الصينى (لصنع عظام الأوانى) وأما السليكى فإنه يشبه الجرانيت أى أنه قابل للذوبان على درجة عالية من الحرارة . ومتى ذاب تكون منه زجاج شفاف جداً .

وبالحذق فى مزج هاتين المادتين أمكن صنع الأوانى الصينية التى لا تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم . وقد بقى سرها نحو ألف عام غير معروف فى الغرب حتى تحراه المحققون فى هذه الصناعة . وسنذكر الآن قصة الكيميائى الغضوب والشعر المستعار والمسحوق « البودرة »

وقبل أن نسرد هذه القصة الأخيرة عن الصينى نرى أن نعير نظرة إلى فن آخر يقرب من هذا الفن وهو صناعة الزجاج . وهى كما يرويها « بلاينى » أحد الكتاب الرومانيين الذين عاشوا فى القرن الأول بعد المسيح . وهذه القصة عن استكشاف استكشفه بحار

كانت سفينة تجارية رومانية تعبر البحر الأبيض المتوسط وعليها حمولة من النطرون وهو نوع من الصودا خاص بتلك المناطق . وكان الأقدمون يستعملونه فى الاستحمام وغسل الأقمشة

وفى أثناء سير السفينة هبت ريح ضد اتجاهها فأقصتهم إلى شاطئ رماله بيضاء دقيقة عند مصب نهر فى سوريا ، فأوقد البحارة ناراً على الرمال لينضجوا طعامهم

ولما لم يجدوا صخوراً استعملوا قطعاً من النطرون لحمل الأوانى فأدهشهم أن يروا سائلاً من الزجاج الذائب يجرى فى معسكرهم بين النار وبين الماء . وكان هؤلاء البحارة قد عسكروا على مرتفع من الرمال كسته الرياح بمادة معدنية مما يستعمل فى صنع الزجاج ، فجعلت حرارة النار هذا المزيج من تلك المادة ومن النطرون يذوب . وكانت النتيجة مدهشة ، ولنا أن نعتقد بحق أن اللاحين قد أخذوا إلى وطنهم بعض تلك الرمال مع ما كانت تحمله السفينة من البضائع

هذه قصة واحدة عن صنع الزجاج من بين قصص كثيرة يمكن أن تروى . وهى تريك أن طرق الانتفاع بالمواد فى مكانين مختلفين من الأرض كان يستكشفها فريق من الناس وفريق منهم هناك ، ولو أنهم كانوا على اتصال بعضهم ببعض كما هى حالة الشعوب اليوم ، ولو أن أحدهم كان يأمن الغير على سره لكانت المدنية أوسع انتشاراً ولبكرت عن موعدها بضع مئات من السنين

ولكن لم تكن فى تلك الأيام قد اخترعت آلة الطباعة فكان تناول المعرفة ليس بالأمر السهل ، وكانت الشعوب المتفرقة يفصل بعضها عن بعض محيطات لا تعبرها إلا السفن ذات الشراع ، وكانت الصحارى والجبال لما تخترقها السكة الحديدية ، وكانت تلك الأيام أياماً تخاف فيها بعض الشعوب بعضها وكان من المحتمل حدوث استكشاف علمى عظيم فى أحد البلدان وبقاؤه سراً مكتوماً عن البلدان الأخرى جميعاً

وكذلك كان الأمر فى صنع الصينى

(يتبع) ع . ا

من هنا ومن هناك

ألمانيا وإيطاليا عند مفترق الطريق

[عن مجلة « بارید »]

قد يخطر على بال الكثيرين ممن يتتبعون الحركة الفاشية في أوربا ، أن الشعب الإيطالي والشعب الألماني مرتبطان برباط وثيق العرى ، في الميول والعواطف ، وأن مظاهر الحياة العامة متفقة في الدولتين المتحدتين

والحقيقة أن الصلة بين جماعة النازى فى ألمانيا ، وجماعة الفاشست في إيطاليا ، صلة بين الحكومتين فحسب من حيث وجهة النظر الخارجية ، أو ما يسمى محور برلين رومه

وقد كتبت لادى درا موندهای فی مجلة « كاناديان هوم » مقالاً في هذا الموضوع قالت فيه إنها زارت البلدين في الأيام الأخيرة ، وخبرت أحوالها عن كثب ، وتستطيع أن تقرر أن الشعب الإيطالي ليست له ميول خاصة نحو ألمانيا ، وقد سمعت كثيراً من النقد اللاذع ضد ألمانيا على ألسنة بعض الإيطاليين الذين لم يرتاحوا إلى تقليد إيطاليا لها

وقد راعها ما رأته من الفرق الشاسع بين مظاهر الحياة في كل من البلدين الدكتاتوريين . فقد دب الفساد إلى كل شيء في ألمانيا ، فالطعام لا يخلو من الغش ، والنقص يعتور كافة السلع المعروضة في الأسواق . أما في إيطاليا فالأمر على خلاف ذلك ، إذ تستطيع أن تجد فيها ما تريد بغير مشقة . وفي ألمانيا تنتشر الجاسوسية في كل مكان فلا تمشى خطوة أو تتكلم كلمة إلا وعليك رقيب يعد عليك كل خطوة ويحصى كل كلمة فلا يمكنك أن تعيش ساعة بعيداً عن الشكوك التي تحيطك من كل جانب . أما في إيطاليا فحرية الكلام مكفولة ومباحة بصفة نسبية . وقد تمر في بعض شوارع ألمانيا فلا تجد غير بريق الملابس الحربية ومناظر الجنود تملأ الرحب . ولكنك في إيطاليا لا تبرح ترى أسراب السيدات المتأنقات يدلفن إليك من كل فج ، والأهالي ينصرفون إلى أعمالهم بغير رقيب أو حسيب

وتقول ليدى دراموندهاى : لقد وجدت الحالة فى ألمانيا على وجه العموم ثقيلة لا تطاق ، ولقد اعتدت زيارة ألمانيا منذ خمس عشرة سنة وكنت أزورها أكثر من مرة فى العام الواحد ، ولى فيها أصدقاء كثيرون ، فإذا حكمت عليها الآن فإننى لا أحكم عن جهل . لقد غابت مظاهر الحياة عن الوجوه ، وغربت الابتسامة التى كانت تشرق على أفواه بعض العابرين فى الطريق ، ووصلت ملابس المرأة الألمانية إلى درجة بعيدة من البساطة ، كما أن أدوات الزينة والطلاء قد أدركها العجز الشديد . وتقول ليدى دراموندهاى : إنها سمعت من الحلاق الذى تتردد عليه أن صناعة إصلاح الشعر وفن التجميل على وجه العموم قد أدركهما الفناء فى ألمانيا . وقد أصبحت مظاهر الابتهاج فى برلين أقل منها فى المدن الصغيرة ، إذ أن طرد اليهود والضغط على حرياتهم قد حرم هذه المدينة وغيرها من المدن الكبيرة مظاهر الأبهة والعظمة وعناصر التسلية المحبوبة ، فما لا شك فيه أن عنصر اليهود كان له أثر عظيم فى حياة ألمانيا التجارية والاجتماعية والثقافية

أما فى إيطاليا فإن القوانين التى شرعت لاضطهاد اليهود ليس لها أثر فى الحياة العامة . وقد تجد كثيراً من الإيطاليين يتوددون إلى أصدقائهم اليهود ليثبتوا لهم الوفاء والإخلاص ولو كرهت الحكومة ما يفعلون

الألمان يحشدون فى مصانع الحكومة

[ملخصة عن « لاربنى هبدومادير »]

لعل أهم مظاهر التغير فى ألمانيا اليوم ، هى تحويل عدد كبير من الأهالى ، إلى مجرد عمال فى مصانع الحكومة ، ومما يستفاد من تقرير حديث عن لجنة العمال الألمانية ، أن عدد المشتغلين بالمصنوعات اليدوية ممن تزيد سنهم على الستين ، قد تزايد فى الأيام الأخيرة ؛ فأصبح ٢٨٣٠٠٠ بعد أن كان لا يزيد على ١٨٧٠٠٠

فى السنين الماضية وقد وجد بين هؤلاء العمال نحو ستين ألف عامل تزيد سنهم على السبعين ، وتدل هذه الأرقام على أن الرجل فى ألمانيا مطالب بأن يشتغل ويكدح ، ولو تقدمت به السن وأنهكته السنون

وقد أخذت الحكومة فى الأيام الأخيرة تستدرج أصحاب الحوانيت الصغيرة من العمال إلى مصانعها حيث تسخرهم فى شتى الأعمال التى تطلبها حكومة النازى ، وصدر مرسوم بإباحة إغلاق الحوانيت الصغيرة ، إذا كان أصحابها قادرين على العمل فى مصانع الحكومة ، ويطبق هذا القانون على أصحاب الحوانيت الذين يعجزون عن دفع الضرائب

وقد تبين أن عدد المطاعم الصغيرة فى ألمانيا قد نقص من ٢٢٫٨٠٠ سنة ١٩٣٤ إلى ٢٠٠٠٠ سنة ١٩٣٨ وفى مايو سنة ١٩٣٩ أعلنت الحكومة أنه من المحتمل إغلاق عدد يتراوح من ٨٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ من المتاجر والحوانيت الأخرى على التدرج

ومما لاحظه البنك الأهلى الألمانى فى أحد تقاريره المالية أن ٦٧٠٠٠٠ نفس حشدوا فعلاً للعمل بالمصانع

وجاء فى تقرير للدكتورك . هابفور ، وهو من كبار موظفى الحكومة ، أن الليوني عامل الذين تحتاجهم ألمانيا لمصانعها تستطيع أن تجمعهم بشتى الطرق ، ولو أدى الأمر إلى حشد العجزة والمقعدين إلى المصانع ، ووضعهم فى الأعمال التي يليقون لها

ويقول هذا الموظف : لاحرج على الحكومة فى إرسال الموظفين والسعاة والخدم إلى المصانع وإصدار قانون السخرة إذا احتاج الأمر

وتقول صحيفة ألمانية : إن النساء فى مصانع الحكومة يشعرن بشىء من الرهبة والخوف وهن يشتغلن تحت الرقابة الشديدة فتضطرب أعمالهن فى كثير من الأحيان ، وإن كن يرغبن فى أدائها على أكمل الوجوه

فما هو السبب الذى يؤدى إلى اضطراب المرأة هذا الاضطراب وهى مقبلة على عملها برغبة حقة ؟ إن مظاهر الخوف التى تحيط بها تدعوها إلى ذلك الارتباك ، فهى معرضة لأشد التهم وأنكى العقوبات على الدوام وإن كانت تبذل ما فى وسعها للقيام بعملها خير قيام؛ وتلاقى السلطات الألمانية صعوبة لا يستهان بها مع العمال وإن كانوا من خيرة الرجال الإخصائيين ، فهم يتعمدون الإبطاء فى إنجاز أعمالهم التى تتطلب السرعة والإنجاز وقل أن يولوها العناية الكافية ، إذ أنهم مساقون إلى العمل فى تلك المصانع تحت حكم الإرهاب

الطعام والخرافة

[من « P. T. O. »]

لم يخل عصر من الخرافات العجيبة حول الطعام الذى يأكله الناس. فقد كانوا فى القرون الوسطى مثلاً، يتوجسون من تعاطى الفاكهة الطازجة ، وكان أكثر الناس فى ذلك العهد يعتقدون أنها تسبب الحميات ومما يروى أن جالينوس كان يعتقد أن أباه لم يعمر طويلاً لأنه كان يتحامى تناول الفاكهة ، ولعل هذا كان أول باعث على انتشار هذه الفكرة. ومما جعل هذا الرأى يزداد رسوخاً فى أذهان الناس على مر الأجيال ازدياد عدد من يموتون بالزحار والتيفوس فى أشهر الصيف . وقد مضت قرون عديدة قبل أن يستطيع الناس أن يعرفوا أن هذه الأمراض تنتقل إلى الإنسان مع الماء الذى يشرب به. وكانوا يحرمون على الطبقة الدنيا تناول الخضروات ، فكان طعامهم مقصوراً على الكراث والبصل والجرجير والحمص ومنتجات الألبان . ومن ثم كان الأغنياء يترفعون عن تناول الزبد ، ويعدونه من طعام الفقراء

وكانوا فى تلك العصور يستقبلون الفاكهة الجديدة بتحفظ شديد ، فلما ظهرت الطماطم فى القرن التاسع عشر ، كانوا يضعونها على المائدة لأجل الزينة فحسب، فلما بدأت تظهر فى الأسواق العامة، وأخذ البعض يقبلون على شرائها ، شاع بين الناس أنها تسبب مرض السرطان فكفوا عن أكلها، ومازالت هذه الفكرة المضحكة متسلطة على أذهان العامة والخاصة إلى عهد قريب

أما الخرافات حول الطعام فى العصر الحديث ، فأكثرها يدور حول الرشاقة ، ومحاولة تخفيض الوزن . ومما لا شك فيه أن زيادة السمن تأتى من تناول كمية من الطعام تزيد على حاجة الجسم ؛ فالرجل الذى يتعاطى مقداراً كبيراً من الطعام يزيد على المقدار الذى يستهلكه الجسم لا بد أن يزيد وزنه. ولا شىء يمنع جسمه من التضخم ، إلا التمرينات الرياضية التى تعادل هذه الزيادة فى الطعام. ومن الجهل الفاضح ما يتحدثون به عن صلاحية بعض الأطعمة لإزالة السمن أو المساعدة على الرشاقة ، فلا يوجد طعام قابل للهضم والتغذية يؤدى إلى تخفيف الوزن. وإن كان بعض الأطعمة أقل من البعض فى التغذية

ومن العقائد الخاطئة التى اعتقدها الكثيرون، أن الخبز القديد أقل من الخبز المعتاد فى زيادة السمن. وهذا مخالف للواقع كل المخالفة. إذ أن تقديد الخبز لا ينقص منه شيئاً غير الماء ويبقى الخبز كما هو .



على هامش خطاب رئيس الوزراء

ادارة الدعاية فى وزارة الشؤون الاجتماعية

جاء فى الصحف أن إدارةً للدعاية أنشئت فى وزارة الشؤون الاجتماعية ، وأنها تشرف على الفرقة القومية والمسارح المختلفة ، وعلى دور السينما وقاعات الغناء ، وعلى برامج الإذاعة ، وعلى قيام المهرجانات الشعبية ، وأن مدير هذه الإدارة هو الأستاذ توفيق الحكيم .

هذه إدارةُ جديدة تنشأ ، ومهمتها معينة ، ومديرها معروف . أما مهمتها فصيانة الدولة مما يضرّ بها ، والأمة مما يفسدها . وأما مديرها فمن الشباب الذين عرفوا الاجتهاد والروّية ، فنالوا قسطاً وافراً من الثقافة العامة بما شهدوا فى إقامتهم بأوربة ، وما علموا من طريق القراءة المفيدة . وعلى هذا ، فإنشاء هذه الإدارة يوافق ما جاء فى خطاب رئيس الوزراء من السعى فى تقويم معوّجات الأمة ، والاعتماد على أهل الدراية والخبرة ممن سلموا من « الخدر والنعاس » ...

***

فى رأيى أن إدارة الدعاية ، يحق بها أن تُعنى بأمورٍ أربعة : الأول : تنشيط الهمم وبث الهزّة القومية فى الأنفس . والثاني : تهذيب الشعب من باب التسلية . والثالث : بسط الرقابة الشديدة على أعمال إدارات المسارح والإذاعة وغيرها . والرابع : خدمة الفن الخالص ...

أما الأمر الأول فيتطلب ، أول ما يتطلب ، مناوءة طرائق الغناء المستبد بآذاننا ، فقد أجمع الكتاب أن التلاحين السيارة رخوة أى رخاوة حتى إنها تفتك بالعزم ؛ فيتسرب الثقل فى همة النفس والبطء فى نهضة الأعضاء فضلاً عن انتشار الملالة ، وبالشعب حاجة إلى ما ينعشه ويمضيه ؛ فإنه أصبح مسئولاً عن حرمة الأرض التى يضرب فيها بعد أن كان على غيره متكلاً كل الاتكال . فلتضرب إدارة الدعاية على أنامل العازفين ولهوات المغنّين ، وتأمر بالحماسيّات ، وتحظر الطىّ واللىّ والنواح ، و« الشخلعة » . وإذ اللحن مرتبط باللفظ الملحن فلتفتش الإدارة عن الناظم الذى لم يأكل نَفَسه وجد مصنوع أو فتور مقيم .

والهزّة القومية تُبثّ فى الأنفس من طريق المسرحيات ، و« الأفلام » التاريخية خاصة ، إذ تجرى حوادثها فى عهد السلطان الواسع والدولة المتمكنة ، ومن طريق المحاضرات الموجّهة ، ثم من طريق المهرجانات ، حيث تنتشر الأعلام وتعزف الأناشيد ، ويصطف الجند وتلقى الخطب الحماسية ؛ وقد شهدت نوعاً من هذا فى محافل نورمبرج النازية

وأما تهذيب الشعب من باب التسلية فبتنظيم المحاضرات السهلة الجذابة ، ومدارها مبادىء علم الصحة والأخلاقيات ، والوطنية ، وبتمثيل مسرحيات مؤدية باللغة العامية على أن تكون غير مرذولة

وأما بسط الرقابة الشديدة على أعمال إدارات المسارح والإذاعة وغيرها فالقصد منه وضع الشىء موضعه : فلا يهضم حق مؤلف أو ممثل أو مغن ، ولا يفضل هذا على ذاك بغير حق ، ولا يُبعد مخرج قدير لسبب لا يتصل بمجرى عمله ، ولا ينفق مال استهواء للصحافة التى لا وزن لها ، ولا تشترى مسرحية ثم لا تمثل ، ولا يتسلط مغن أو عازف لأنه ذائع الصيت إذ من حق الكفايات كلها أن تعجم فتستثمر ... هذا قليل من كثير

بقيت خدمة الفن الخالص . فإذا قلتَ إن الفن الخالص خاص (أرستقراطى) فلا خير فيه للأمة، قلتُ إن فى الأمة جماعة من أهل الثقافة اللطيفة فلا بد لهم من غذاء ، بل بالأمة حاجة

أن يقال إن فيها من الكتاب من هو منجذب إلى الإنشاء الرفيع ومن الموسيقيين من يكره الأنغام المطروقة والحيل الموروثة الموقوفة ، ومن الراقصين أو الراقصات من يأنف هز الكتف ورفع البطن وخفض الردف ، فإنما صيت الأمم يعلو ويستطير بفضل أهل الفن الخالص السامى ، على وجه العموم ؛ وهل يضر مصر أن يعلو صيتها ؟

هذا ويلحق بالفن التصوير والنحت فلِمَ أسقطهما إدارة الدعاية من الخطة التى رسمتها ؟ وفى مصر فئة من المصورين والنحاتين لهم أن يظفروا بالتقدير والرعاية ، فهـذه معارضهم لا يلتفت الناس إليها كثيراً ، وعلى مثل الصديق توفيق الحكيم أن يرشد الناس إلى قدر الصور والتماثيل

وفى مأمولى أن يفلت هذا الفن الخالص (وكذلك العلم الصِّرف) من القيود المختلفة وينجو من سطوة الأوضاع التقليدية أو المذاهب السياسية حتى لا يهزل هزالته على يد ألمانية الهتلرية حيث النازية حكمت على كثير من ألوان الفنون المستحدثة بأنها شر وفساد .

(الاسكندرية)   بشر فارس

حول رواية محمد على الكبير

عزيزى الأستاذ الزيات

قرأت فى العدد الأخير من (الرسالة) كلمة بإمضاء الأستاذ يوسف تادرس خاصة برواية (محمد على الكبير) يرد بها على ناقد الرسالة الفنى .

وليس يعنينى من هذه المناقشة إلا أمر واحد ، وهو أن الأستاذ يوسف تادرس يتحدث عن الرواية كأنها من وضعه وهو يقول عن نفسه :

« وحاشا أن أصور محمد على باشا فى صورة السفاح الخ ... »

ثم قال :

« وإنى أعقل من أن أصور منشىء مصر الحديثة فى هذه الصورة » الخ ...

والذى يفهم من هذا أن الأستاذ له يد فى تصوير أشخاص الرواية .

وتقريراً للحقيقة ، واحتفاظاً بحقى الأدبى فى هـذه الرواية لمجرد الذكرى أرجو أن تعلنوا أن حضرة الأستاذ يوسف تادرس ليس له من هذه الرواية إلا أنه اشترك فى وضعها فى القالب التمثيلى على أساس الرواية التمثيلية التى سبق لى أن اقتبستها بنفسى من روايتى « ابنة الملوك » ، ولست أسخو بأن ينسب ما فيها من تصوير لشخص آخر ، سواء أكان ذلك التصوير حسناً أم سيئاً

وأما من حيث المكافأة المالية ، فإنى أرجو أن تعلنوا أننى لم أنل منها شيئاً . فلعل هذا يعدل رأى حضرة « ناقد الرسالة الفنى » الذى يظهر أنه هنأنا بالاستيلاء على هذه المكافأة . وإذا كان الأستاذ يوسف أفندى تادرس قد حصل على تلك المكافأة ، فليس لى علم بذلك ...

ولعل فى ذلك الأمر موضعاً للتأمل فى تصرف الأدباء فى مصر ولك تحياتى الخالصة .   محمد فريد أبو حديد

بين الدكتورين بشر وأدهم

أُقحم اسمى فى الجدل القائم بين الصديقين الدكتورين بشر فارس واسماعيل أدهم ، وهو جدل طال عهده بين أخذ ورد ، وهجوم ودفاع ، وتشعبت بواعثه ونتائجه . وكانت مناوشته الأخيرة أن كتب بشر فارس أن أدهم اقتبس منه بعض نقده لكتاب « فرعون الصغير » للأستاذ محمود تيمور بك

وقد رد إسماعيل أدهم أنه كتب مقاله وأرسله إلى « الرسالة » بعد منتصف شهر يونيو أى قبل أن يظهر نقد بشر فارس فى « مقتطف » أول يولية ، وأنه أطلعنى على هذا النقد فى حينه ، وأن صاحب « الرسالة » أخر نشره

والحق أنى أذكر أن إسماعيل أدهم تلا على وقتئذ مقاله فى كتاب « فرعون الصغير » وقال لى : إنه سيرسله فى الغد إلى« الرسالة» ولكنى لا أذكر اليوم شيئاً من هذا الرد وهل كان يتضمن ما يقول إسماعيل أدهم أنه لم يقتبسه من بشر فارس أو لا

ولعل القول الفصل فى هذا الخلاف عند صاحب « الرسالة » فإن الأستاذ الكبير لا بد ذاكر متى وصلته مقالة اسماعيل أدهم وكيف تأخر نشرها

وبعد فإنى لم أكتب كلمتى هذه لأنتصر لهذا أو لذاك من المتناظرين ، فلكل واحد منهما عندى الصداقة التى يعرفها ،

ولكنى أقصد إلى أن هذا الجدل قد طال أمره وتشعبت نواحيه وتعددت أساليب الهجوم فيه حتى لم يبق فيها زيادة لمستزيد ، وحتى وقف جمهرة القراء على آراء الفريقين ومراميهما ، ولعل الأستاذ الجليل صاحب « الرسالة » لا يعدم أسلوباً من أساليبه اللبقة لإقفال بابه بعد أن يحفظ لكل من المتناظرين حقه فى إجمال آرائه فى أسطر معدودة ، وللجمهور بعد ذلك أن يحكم لهذا أو ذاك أو لكليهما معاً

وأنا واثق أنى حين أعرض هذا الاقتراح أعبر عن رأى أصدقاء الأديبين الفاضلين الدكتورين بشر فارس واسماعيل أدهم والمعجبين بأبحاثهما القيمة وهم كثيرون

(الاسكندرية) صديق شيبوب

و(الرسالة) تقول لصديقها شيبوب إنها كانت شديدة الاعجاب بموقف الأستاذ أمين عثمان من الخصمين العظيمين أحمد ماهر ومكرم عبيد

حكومة قاسية ؟!

نعم ، ثم نعم ، حكومة قاسية ، قاسية ، قاسية ...

ولكن من الذى يقول بذلك ؟ إليكم البيان :

لما أُعلنت الحرب ، تسابق التجار فى مصر إلى رفع الأسعار ، أسعار الأشياء الماشية ... فلم يؤذنى ذلك ، لأنى قضيت دهرى فى الحدود التى صرح بها الشاعر إذ يقول :

لستُ أرتاع لخطبٍ نازلٍ إنما الخوف لقلبٍ مطمئنّْ

فأنا أحتقر الضرورات المادية للعيش ، وأكتفى بالقليل حين لا أجد غير القليل ، وأتأسّى بالتعبير الذى كنت أعتصم به يوم كانت تكربنى الفاقة فى باريس ، التعبير الذى يقول : On s'en passe

فقد وطنتُ نفسى على الأزمة التى تقضى بها جوائح الحرب ، وقلت : لعل فى ذلك خيراً وأنا لا أعرف !

ولكن هناك أشياء لا أستغنى عنها أبداً ، وهذه الأشياء هى ورق الطباعة الذى يحتاج إليه المؤلفون فى كل وقت . وقد صرت مؤلفاً من حيث لا أحتسب ، وتلطف القراء فأوهمونى أن لى فى أنفسهم منزلة توجب أن أحسب لرضاهم ألف حساب !

وهل كنت أول مؤلف خدعه القراء ؟

أليس فى مصر نحو عشرين أو ثلاثين مؤلفاً ينفقون أرزاقهم وأرزاق أطفالهم فيما يشترون من الورق وما يقدمون إلى المطابع ؟

أليس فى مصر عدة مجلات أدبية يتنازل أصحابها عن أقواتهم ليفوا بالعهد للقراء ؟ ...

قامت الحرب ، ولى فى المطابع ثلاثة مؤلفات ، منها كتاب نفدت طبعته منذ أشهر طوال ، وهو يطلب كل يوم ... ولهذا الكتاب منزلة فى قلبى ، لأنه من محصول دار المعلمين العالية فى بغداد ، هو كتاب « عبقرية الشريف الرضى » ، الذى أُعلن عن طبعته الثانية بالمجان فى مجلة « الرسالة » ، لأن صاحبها مؤلف وصحفى ، وهو يعانى من عُنف تجار الورق أضعاف ما أعانِى ...

وأعترف بالحق فأقول : شرعتُ فى طبع تلك الكتب مطلعَ الصيف ، ثم ضاق جيبى عما أريد ، فاعتللتُ لأصحاب المطابع بأنى أحب أن أقضى الصيف فى شغل ألطف من الطبع والتصحيح : وهو مشاهدة اللؤلؤ المنثور فوق شواطئْ الإسكندرية وشواطئْ بور سعيد وشواطئْ دمياط

وهل يكثُر على رجل فى مثل حالى أن يعطّل مؤلفاته ليمتع عينيه بمشاهدة الملاح ؟ ولكن لا بدّ مما ليس منه بدّ

الحربُ أُعلنتْ ، ويجب أن أفرغ من طبع تلك المؤلفات قبل أن يصير الورق من الممنوعات

الورق ! الورق !

تلفتُّ فرأيت التجار زادوه إلى أضعاف وأضعاف ، فرضيت بالخسارة العاجلة فيما شرعت فى طبعه من تلك المؤلفات ، وانتظرت حتى تنتهى الحرب . ولكن الحكومة — الحكومة الحازمة التى يرأسها الرجل الحازم علىّ ماهر باشا — سارعتْ ففرضت تسعيرة لأكثر الأشياء ، ومنها الورق

وعندئذ أسرعت لابتياع ما أحتاج إليه لإنجاز تلك المؤلفات فماذا رأيت ؟ رأيت التجار جميعاً خضعوا لحكم التسعيرة إلا تجار الورق

فهل يعرف القراء ما الذى قرأت فى عيون تجار الورق ؟

رأيت فى عيونهم كلمة مرقومة بأحرف من الظلمات . رأيتهم جميعاً يقولون : هذه حكومة قاسية لأنها صدّتنا عن إرهاق من يشتغلون بالصحافة والتأليف !

وأنا أشهد علانيةً بأن الرئيس على ماهر باشا رجل قاس لأنه صدّ عنا عادية المجرمين من تجار الورق وكفّهم عن الجشع البغيض

فيا أيها الرجل العظيم الذى اسمه على ماهر ، تذكّر ثم تذكّر ،

تذكر أنك أنقذتنا من ظلم تجار الورق ، وتذكر أنهم سيرجعون إلى غيهم بعد قليل إن أمنوا سطوة الحزم والعدل

وستكون أول من أهدي إليه تلك المؤلفات التي انتزعتُ ورقها من تجار الورق بفضل حزمك ورجولتك ، وعند الشدائد تظهر عزائم الرجال

زكي مبارك

حتر اللسانه

قرأت في (الرسالة الغراء) سؤال السيد الفاضل (ع . م . ح) وقد وجدت في اللسان والتاج هذا : « لسان حَتِر لا يجد طَعم الطعام » وجاء في نجعة الرائد : « يقال رجل حتر اللسان كما يقال حتر الأذن أي لا يجد طعم الطعام » وفي (الإفصاح) : « لسان حَبْر - لا يجد طعم الطعام » وابن سيدة لم يذكر في المخصص في فصل أدواء اللسان لا الحتر ولا الحبر . وقد أضاف الأستاذان مؤلفا الإفصاح إلى المجموع من المخصص أشياء من غيره « مما تمس إليه الحاجة » فإن أرادا ذكرا متفضلين مظنة اللفظة التي نقلا عنها لأجل تحقيقها

(طنطا) أزهري

كتاب (التعليم والمتعطلون في مصر) شكر وتقدير

أهدى الأستاذ المربي عبد الحميد فهمي مطر كتابه النفيس (التعليم والمتعطلون في مصر) إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي باشا ماهر فتفضل رفعته بإرسال هذا الكتاب إليه :

حضرة الأستاذ الفاضل عبد الحميد فهمي مطر

تلقيت ممتناً مؤلفكم القيم (التعليم والمتعطلون في مصر) وإني ليسرني أن أبعث إليكم بعظيم الشكر على جميل هذا الإهداء ، مقدراً أحسن التقدير ما أبديتم من عناية بهذا الموضوع الدقيق ، وما بذلتم من جهد في تقديم هذه الدراسة النافعة

ولكم مع أزكى التحيات أطيب التمنيات

(علي ماهر)

معهد اللغات الشرقية في كلية الآداب

نشرت الوقائع المصرية مرسوماً بقانون هذا نصه بعد الديباجة :

مادة (١) ينشأ في كلية الآداب معهد يسمى « معهد اللغات الشرقية وآدابها » يكون الغرض منه التخصص في اللغات السامية ولغات الأمم الإسلامية واللهجات العربية القديمة والحديثة .

مادة (٢) يشمل المعهد الفروع الثلاثة الآتية :

١ — فرع اللغات السامية .

٢ — فرع لغات الأمم الإسلامية .

٣ — فرع اللهجات العربية .

مادة (٣) يدرس في فرع اللغات السامية المواد الآتية : الأكادي ، الكنعاني ، الآرامي ، السامي الجنوبي ، علم اللغات، النحو المقارن . . .

ويدرس في فرع لغات الأمم الإسلامية اللغات الآتية : الإيرانية والتركية والأردية (الهندستانية) ... وما يضاف إليها من اللغات الشرقية القديمة والحية غير السامية ...

ويدرس في فرع اللهجات العربية :

اللهجات العربية القديمة والحديثة في مختلف الأقطار والأقاليم

واشتمل المرسوم بعد ذلك على شروط القبول ورسم القيد وأمور أخرى خاصة بهذا المعهد .

جائزة طلعت حرب باشا السنوية

لما عاد سعادة طلعت حرب باشا من أوربا في السنة الماضية معافى رأى بعض إخوانه من مديري البنك وشركاته أن يظهروا سرورهم بشفائه وأن يغتنموا هذه الفرصة لتقديرهم لما قام به من خلق مصر الاقتصادية الصناعية ، فاكتتب كل منهم بعشرين جنيهاً مصرياً، وقرروا أن يشترى بالمبلغ مائة سهم من أسهم بنك مصر يخصص ريعها سنوياً لجائزتين : إحداهما للمتفوق في التعليم التجاري ، والثانية للمتفوق في التعليم الصناعي . وأنابوا عنهم في هذا حضرة صاحب السعادة توفيق دوس باشا . وقد أرسل سعادته منذ يومين إلى صاحب المعالي وزير المعارف العمومية الخطاب الآتي :

حضرة صاحب المعالي وزير المعارف العمومية

أتشرف أن أخبر معاليكم أنه بمناسبة إبلال حضرة صاحب السعادة طلعت حرب باشا السنة الماضية من المرض الخطير الذي كان قد ألم به إذ ذاك اجتمع بعض إخوانه من مديري البنك والشركات المتصلة به واكتتبوا فيما بينهم بمبلغ اشتروا به مائة سهم

من أسهم بنك مصر وخصصوا ريعها ليصرف جائزتين سنويتين : إحداهما للمتفوق فى التعليم التجارى والثانية للمتفوق فى التعليم الصناعى ويطلق عليها جائزة محمد طلعت حرب باشا

وبناء على هذا قد أودعت فى بنك مصر المائة سهم المذكورة تحت تصرف معاليكم ليصرف كوبونها لوزارة المعارف سنوياً

حول مقال

سيدى الأستاذ الزيات

أشكركم كثيراً لنشركم مقال « ابن حَوقل » فى العدد ٣٢٣ من الرسالة . وقد وقفتُ بعد إرسال المقال المذكور إليكم على كتاب « المكتبة العربية الصقليّة » ، الذى اعتنى بجمعه ونشره المستشرق الإيطالى أمارى Amari فى ليبسك سنة ١٨٧٥ بعنوان : Biblioteca Arabo - Sicula فوجدته قد نشر فى الصفحة (٤ — ١١) من هذه المجموعة جانباً من كتاب « المسالك والممالك » لابن حَوقل يتناول وصف جزيرة صقلية

إن ما نُشِر فى هذه المجموعة الصقليّة يُعتبر إحدى الطبعات الجزئية التى مررناها فى مقالنا السابق لكتاب المسالك والممالك

(بغداد) ميخائيل عواد

الى رجال الأدب والتاريخ

فى العدد ٣٢٢ من الرسالة الزهراء وفى مقال نصير العروبة الدكتور زكى مبارك « جناية أحمد أمين على الأدب العربى » ورد ذكر الشيخ محمد صائم الدهر الذى طاف بمصر من الشمال إلى الجنوب ليحطم ما ترك المصريون القدماء من الأصنام والأوثان وجدع أنف أبى الهول الخ

وقد أثار هذا الاسم حواراً طريفاً وحديثاً تشعب وتفرع عند طائفة من الأدباء ، هنا فهل لرجال الأدب والتاريخ من يذكر طرفاً موجزاً عن تاريخ هذا الشيخ وعصره . فإن فى ذلك الإيضاح فائدة وعملاً مشكوراً !

أم درمان (السودان) حسن حامد البدرى

حول نقد كتاب

سيدى الأستاذ الجليل الزيات

قرأت فى عددين مضيا من (الرسالة) الغراء ، كلمة للأديب البغدادى خليل أحمد جلو ينقد بها كتاب « بعث الشعر الجاهلى » للدكتور مهدى البصير . وقد أهدى إلى أحد أصدقائى ببغداد نسخة من هـذا الكتاب فى أواسط يونية الماضى ، وكتب إلى يقول : إن مؤلفه يسره أن أكتب عنه ما يعن لى من نقد وملاحظات ، فكتبت عنه كلمة طويلة ضمنتها ما أخذته على الكتاب ثم بعثت بنسخة منها — أواخر يولية الماضى — إلى مجلة « التفيض » البغدادية . ومن غريب المصادفات أن أجد مقالة الأديب جلو مشابهة لمقالتى فى موضوعها وجوهرها ، لا فى أسلوبها ومظهرها

وتشاء الظروف أن تنقطع مجلة « التفيض » عن الظهور عقيب وصول المقال إليها ؛ لأنها كانت تصدر نصف شهرية وأراد القائمون على أمرها أن تصدر أسبوعية من أول شهر « أيلول » . وللآن لم يصلنى العدد الأسبوعى الأول من « التفيض » حتى أعرف إن كان مقالى المذكور قد نشر أم لا . وخشية من أن يتهمنى الأديب (جلو) أو سواه بأننى بنيت مقالى على مقاله أو حرفته ونسبته لنفسى ، أسارع بنشر هذه الكلمة والوقت لا يزال فسيحاً ؛ وسندى فى ذلك كتاب بعث به إلىّ الأستاذ سليم التكريتى محرر (التفيض) يطلب منى أن أكون محرراً دائماً بها ، ويخبرنى بوصول مقالى عن كتاب البصير إليه . وهذا الكتاب بتاريخ ٦ أغسطس سنة ١٩٣٩ م

ولعل صفحات (الرسالة) الغراء لا تضيق عن هذه الكلمة القصيرة ، ولكم شكر وتحيات وسلام

« البجلات » أحمد جمعة الشرباصى



نظرات فى كتاب

« بعث الشعر الجاهلى »

تأليف الدكتور مهدى البصير

بقلم الأديب خليل أحمد جلو

— ٣ —

لقد عقدت النية ووطدت العزم على محاسبة الدكتور مهدى البصير حساباً عسيراً بلا ترفق ولا استبقاء . ولكن الأستاذ الزيات شفيق رفيق فأشار إلىّ إشارة خفية بأن يكون حسابى يسيراً ليناً . وسأفعل إن شاء الله

ولا يحسب القارىء أنى سأحيد عن الحق والحقيقة أوستأخذنى فيهما رأفة أو هوادة . ولكنى سأبذل قصارى جهدى وأحرص كل الحرص على أن يكون النقد شريفاً صادقاً كما تعودت وألفت وأبتعد عن غواية الأهواء وضلالة العواطف على قدر ما تسمح نفس إنسان شريف

لقد أجمع أصحابى على أن النقد الذى حدثتكم به من قبل نزيه معقول ، ولكنه عبء ثقيل على الدكتور البصير لا يحتمله كاهله فكان على أن أتجنبه وأسمح له أن يحيا حياة هادئة مطمئنة لا يعكرها نقد ولا تنغصها مؤاخذة ، وكان على أن أزهق الحق وأظهر الباطل فى سبيل ما يحب ويشتهي ، وليس ذلك على بعزيز ولا عليه بكثير وهو أستاذ فى الدار التى تخرجت فيها

لقد أخطأ هؤلاء الأصحاب وشطوا عن الصواب . ولو علموا أن نقد التلميذ لأستاذه بر واعتراف بالجميل لما جازفوا فى قولهم . والدكتور مهما بلغت به سورة الغضب وشدة الحنق سيضطر عاجلاً أو آجلاً أن يعترف بفضل هذا النقد ووجاهته

أما بعد فإن للمؤلف ذوقاً خاصًّا فى تقدير قيمة الأشعار خرم السلامة والجمال . وأحسن ما يتجلى وذلك فى تذوقه البيتين الأولين من معلقة امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

فقد ملكت روعتها مشاعره وإحساساته . وشهد لهما « بالضبط الذى لا يفطن إليه سوى كبار الشعراء » (ص٢٥)

قولوا ماشئتم فى قيمة هذين البيتين الأدبية ، أما أنا فلا أعتقد أن لهما جمالاً يخلب اللب ولا سحراً يأخذ بالقلوب، ولاضبطاً يجدر بصغار الشعراء أن ينتبهوا له بله كبارهم وأى روعة أدبية فيهما وهما يرسمان خارطة لمنزل حبيبة الشاعر؟ وهل من الأدب فى شىء قولى : إن شارع أبى نواس يقع فى نهاية « الباب الشرقى » ، ويمتد على ضفة دجلة اليمنى ، تكتنفه المقاهى والمتنزهات ؟ . كلا ، إن هذا الضرب من الكلام أقرب إلى كلام العوام فلا يهم الأدب شيئاً . إنما يهمه ما فى الشارع من قدود هيف ، وعيون دعج ، ومنظر للنهر والفضاء ساحر أخاذ حين تجنح الشمس للغروب ويتحرك النسيم العليل

وهل فطن الدكتور للأخطاء التى ارتكبها الشاعر فى تركيب هذين البيتين فأثرت على معناهما وقللت من قيمتهما ؟

* * *

رحم الله الباقلانى فقد قال : إن امرأ القيس فى مطلع قصيدته المعلقة كأنه دلال يبيع داراً ينادى إن الدار المرقمة كذا ، والتى يحدها من الشمال كذا وكذا معروضة للبيع

وغفر الله للأستاذ إبرهيم شوكت قوله : إن امرأ القيس واضع أساس علم الجغرافية عنـد العرب ، فهو يعرف الشمال والجنوب ويحسن التحديد

وبارك الله فى الدكتور زكى مبارك فإنه يستسخف هذا النوع من الكلام ويأبى حشره مع الأدب ونسبته له

وأحدثكم بعد هذا عن ادعاء للدكتور مضطرب مختلط إذ يقول (ص ١١) : « إن شعر امرئ القيس لا ينفى شيئاً ولا يثبت شيئاً ... وإن مؤرخى العرب لم يستدلوا بشعره يوماً ما على شىء » من حياة الشاعر أو تاريخه . وفى هذا القول من الخطأ والزلل ما يثير الدهش والاستغراب . إذ يُستخلص منه أن قصائد الشاعر لا تمثل شيئاً ولا تدل على شىء ، فهى إما لغو وإسفاف لا يمكن أن يستنبط منها صورة حياة الشاعر ، وإما انتحال واختلاق حملت عليه حملاً ؛ وإن ما نسب له من شعر موضوع مفتعل من قبل أناس لم يحسنوا التقليد ولم يعرنوا على الإبهام ، وإن « قفا نبك » التى لا يشك المؤلف (ص ١٣) : « فى أنها جاهلية بحتة ولا فى أنها من شعر امرئ القيس ذاته » ليست له

تلاحظ هنا ارتباك المؤلف وخبطه ومناقضته لنفســه ، فبينما يقرر حقيقة وجود امرئ القيس إذا هو ينفيه من حيث لا يشعر ، وبينما يعترف بأن شعره المنسوب إليه لم ينظمه سواه إذا به ينكره غافلاً

والذى ساقه إلى هــذا التورط المحاولة التى يدحض بها استخلاص الدكتور طه حسين من قصائد الشاعر ما يستدل به على إنكار تاريخه

ويزعم بهذه المحاولة أن ما أُثر عن امرئ القيس فى شعر لا يصح الاعتماد عليه لمعرفة حياته ، وأنه يجب أن نرجع إلى المصادر التى يروى عنها مؤرخو العرب ونستقى منها ما يمكن أن يقال عن الشاعر

لقد بينت سابقاً أن الدكتور البصير يثق كل الثقة بما يرويه المؤرخون ويتناقله القدماء بلا جدال ولا مناقشة . فهنا يسوق برهاناً آخر على حسن ظنه وعظيم تمسكه بهم ، حتى إنه لينكر على الناس أن يركنوا فى استطلاعهم على تاريخ امرئ القيس إلى شعره ويفرض عليهم أن يلتفتوا إلى ما قاله القدماء بلا شك ولا ارتياب

أنصح لك يا دكتور مرة أخرى ألا تثق فى أقوال القدماء كل الثقة ، وأن تستمع للقائل الأصيل فهو أصدق وأحق أن يرجع إليه ، وألا تتهم مؤرخى العرب بأنهم لم يستدلوا يوماً ما على شىء من حياة الشاعر أو تاريخه ، فليس من المنتظر أن يصدر منك هذا القول الجزاف

هل تنكر أن الشعر بصورة عامة يمثل حياة صاحبه وأنه مرآة عاداته وأخلاقه وتقاليده وميوله

إن الأستاذ العقاد استطاع أن يعطى صورة صادقة عن ابن الرومى رسمها فى شعره ، وإن الأدباء اليوم لا يكتبون عن شاعر أو كاتب حتى يشبعوا شعره أو أدبه دراسة وتمحيصاً

الله أكبر . إن شعر امرئ القيس لا يمكن الاعتماد عليه ولا يدل على شىء من تاريخ صاحبه وهو الذى يحدثنا أن (قفانبك) لا تمثل سوى حياة قائلها

ولا أدرى كيف جوز لنفسه أن يقول إن المؤرخين لم يستدلوا من شعره على حياته ! ألا والله لو سألت أقل الناس ثقافة أن يشرح لك هذين البيتين :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

لاستدل لك بهما على حياة عريضة لامرئ القيس ولأنبأك بقتل أبيه واغتصاب ملكه وفزعه إلى قيصر بزانطة واستنجاده به على أعدائه، ولأفادك بأن الشاعر قال هذين البيتين وهو فى الطريق حين هلع صاحبه وجزع

(يتبع) خليل أحمد جلو

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 328 — Lundi - 16 - 10 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٢٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهــــــرس

من مشكلات الأسرة الحديثة

بين الدين والحب

لقيته بعد تسع سنين على (تريانون) رائق الشباب رائع الصورة لطيف الشارة كما عهدته . وكان هذا اللقاء الجميل مفاجأة سارّة من مفاجآت الغيب بان أثرها علىّ وعليه فلم ندر كيف نسلّم ولا ماذا نقول

هذا الشاب الطرير من أسرة لبنانية مسلمة ؛ تَلمذ لى حيناً من الدهر فى أحد المعاهد الكبرى بالقاهرة ؛ واتصل بينى وبينه الود بعد أن تخرج فيه. ثم رحل إلى العراق يزاول التعليم به ؛ وانحصر وجوده بين بغداد وبيروت فلم أعد أراه . فلما رأيته بالإسكندرية فى هذه الساعة على هذه الحالة مَثَل أمام عينى جزء مشرق من الماضى القريب كاد يغرقه فى لجة النسيان حَدَثان الزمن

— متى قدمت مصر يا عبد الحميد وكيف أخفيت عنى هذا القدوم ؟

— قدمتها منذ ثلاثة أسابيع . وقد علمت أنك هنا فبحثت عنك فى كل مقهى وفى كل شاطئ فلم أجدك . ومنذ يومين لم يعد لى فى الإسكندرية عمل ولا أمل إلا أن ألقاك ؛ فإنى فوق أن أراك أريد أن أسألك عن أمر شغل بالى وشقّ علىّ

— خير إن شاء الله ؟

فقال الصديق الشاب وهو يحاول أن يكظم شيئاً فى نفسه بدت أماراته فى نظرته القلقة وصوته المأخوذ ولهجته المترددة :

— أريد أن تدلني على كتاب في الإنجليزية يبين روح الإسلام وحقيقة مبادئه وأصول أحكامه بطريقة يقبلها الرجل المصري المثقف

— هل وقعت — معاذ الله — في أزمة من أزمات الشك ؟

— كلا، وأحمد الله على قوة الإيمان وثبات العقيدة . إنما يتعلق الأمر بإنسان أحبّ إلى من نفسي، فتنه عن دينه فتون التعليم الأجنبي وفسوق البيئة . ولقد وقع في يدي اليوم كتاب في العربية عنوانه : « لماذا أنا مسلم » فراقني أسلوبه وأرضاني منهجه ، ولكن صاحبي على مصريته لا يعرف العربية ولا يثق بما كتب فيها

— ألا تستطيع أن تقدمه إلى فأعينك على إقناعه وإرجاعه ؟

فارتبك الفتى وكسر من طرفه. ثم ما لبث أن خفّض جأشه وأرسل نفسه وترك تحفظه وقال :

— مالى أخفى الأمر عنك وقد كنت لى في مشكلات الشباب والعيش المشير الصادق والناصح المخلص؟ إن الأمر يتصل بفتاة مصرية هويتها منذ سبع سنين، أبوها طبيب من الأطباء الموظفين النابهين تعرفه كما أعرفه، وأمها إنجليزية دخلت في الإسلام لئلا تحرم الإرث كما يقال ؛ والفتاة بارعة الجمال رضية الأخلاق رقيقة القلب عفيفة الدّخلة ؛ تلقت دروسها الابتدائية في مدرسة أمريكية بالقاهرة ، والثانوية في مدرسة انجليزية بلندن؛ فهي في ثقافة الجسم والعقل والروح مثال المرأة الحديثة الصالحة . لقيتُ أسرتها أول مرة في إحدى مدن لبنان فألف بيننا تجاوب الشعور وتقارب الثقافة ؛ وتمكنت الألفة بيني وبين الفتاة بحكم الطبيعة والسن ، وتأثير اللهو والرياضة ، فما كنا نفترق في اليوم والليل إلا ساعات النوم القليلة . وكان أبواها يساعدان هذا الهوى الوليد بإطلاق الحرية وإرصاد الفرص واعتقاد الثقة ؛ فلم نعد إلى القاهرة معاً حتى كان هذا الحب عاتياً جباراً يذهب بقلبي وقلبها كل مذهب . ثم دأبت على زيارتها في بيتها كل يوم في النهار أو في الليل فنقضى أوقات الفراغ في القراءة أو في النزهة أو في التنس أو في السينما ! وفي كل لحظة تمر أو لفظة تقال يكشف كلانا في الآخر دليلاً جديداً على أنه عروس أحلامه وموعود غده

كانت تسافر أوائل الخريف إلى لندن فيكون بيننا بريد دائم بالفكر المستمر والطيف الثائر والكتابة المتصلة . فلا ندع فكرة يمثها الخيال أو الشوق ، ولا كلمة يوحيها العقل أو القلب ، إلا تبادلناها بالتفكر أو التذكر أو الحنين أو الكتابة في النوم أو في اليقظة . ثم تعود أواخر الربيع إلى القاهرة فيعود أنسنا باللقاء ، وسرورنا بالحديث ، ومرحنا بالرياضة ، فلا نترك متنزهاً ولا ملهى في العاصمة والضاحية إلا أشهدناه على آية من آيات الحب ، أو ساعة من ساعات السعادة

ثم رحلتُ إلى بغداد فنشأت في نفسى رغبة شديدة في بناء بيت وتكوين أسرة، فخطبتها إلى أبويها في شتاء هذا العام واستقر رأينا على إعلان الخطبة في الصيف متى عدت من بغداد وعادت هي من لندن

جاء الصيف يا سيدى فعدت وعادت ، ونزلت على عطف أبويها في مصيفهما بالرمل نزول الابن الموموق على حنان أبويه بعد غيبة طويلة . ولكنى رأيت الوجوه غير الوجوه ! فلا البشر بادٍ في عين الأم كما شهدت ، ولا السرور جار على ثغر الفتاة كما عهدت . فلما سألت السيدة عن سر هذا السهوم قالت لى ادخل على ميمى الغرفة فلعلك تجد عندها الجواب

دخلت على ميمى فوجدتها جاثية بجانب السرير تضرع وتبكى . فلم أتمالك أن جثوت بجانبها مغرورق العين مستطار الفؤاد، وأخذت أنفّس من كربها وأسألها عما بها، فقالت وهى تنشج بالبكاء :

— مستحيل ! مستحيل ! لقد أحببتك حتى لم يعد لى هوى إلا إليك ولا فكر إلا فيك ؛ ولكننى لا أستطيع الزواج منك لأنى مسيحية متعصبة وأنت مسلم محافظ . ولا سبيل إلى أن نتزوج كما تزوج أبى وأمى ، فإني وأنت صريحان ، وأنا أحتقر دينك بقدر ما أحترمك ، وأبغض نبيك بقدر ما أحبك

— ومتى دِنْتِ بالنصرانية يا ميمى وأنا وأبواك لا نعرفك إلا مسلمة ؟

— دنت بها منذ رحلت إلى لندن، وجعلت الأمر بينى وبين الله حتى أخبرتنى أمى بخطبتك فلم أجد بداً من إعلانه

— وهل درست الإسلام يا ميمى قبل أن ترتدى عنه ؟

— درسته على الراهبات في مصر وفي انجلترا وعلمت عنه ما أشفق على وجدانك من سماعه

— لقد درسته على خصومه ومنكريه ، فكيف يسوغ في عقلك أن يكون كلام الخصم على الخصم حجة ؟

— وعلى من كنت تريد أن أدرسه ؟ أعلى أبى وما سمعته مرة يذكر الله ، ولا رأيته يوماً يدخل المسجد ؟ أم على أمى وقد كانت

احمد حسن الزيات

[البقية على صفحة ١٩٩٨]

بين الوحدة الإسلامية
والوحدة العربيـــة

للأستاذ أبي خلدون ساطع الحصري بك

قرأت وسمعت — إلى الآن — آراء وملاحظات كثيرة حول المفاضلة بين الوحدة الإسلامية والوحدة العربية ، وأخذت أتلقى ـ منذ مدة ـ أسئلة متنوعة حول هذه القضية منها :

لماذا تهتم بالوحدة العربية وتهمل الوحدة الإسلامية ؟

ألا ترى أن هدف الوحدة الإسلامية أسمى من هدف الوحدة العربية ؟

وأن القوة التى تحصل من اتحاد المسلمين تكون أعظم من التى تحصل من اتحاد العرب ؟

ألا تسلم بأن الشعور الدينى فى الشرق أقوى بكثير من الشعور القوى ؟ فلماذا تريدنا أن نهمل استغلال ذلك الشعور القوى ، ونصرف قوانا فى سبيل تقوية هذا الشعور الضعيف ؟

هل تعتقد أن اختلاف اللغات يحول دون اتحاد المسلمين ؟

ألا تلاحظ أن « مبادئ الشيوعية والاشتراكية والماسونية وغيرها تجمع بين أناس اختلفت لغاهم وأجناسهم وبلادهم وأقاليمهم ولم يمنعهم هذا الاختلاف كله من أن يتفاهموا أو يتقاربوا ويجتمعوا على خطة واحدة ومبدأ واحد ؟ » ألا تعرف أن كل مسلم فى سورية أو مصر أو العراق يعتقد أن المسلم الهندى أو اليابانى أو الأوربي أخ له كأخيه المسلم الذى يعيش معه جنباً إلى جنب ؟ فنيم استحالة تحقيق الوحدة الإسلامية ؟

يقول البعض : « إن الوحدة الإسلامية أقوى من كل وحدة سواها ، وإن تحقيقها أسهل من تحقيق أية وحدة أخرى » فما رأيك فى هذا القول ؟

ويدعى البعض « أن فكرة الوحدة العربية دسيسة انكليزية يقصد من ورائها الحيلولة دون توسع فكرة الوحدة الإسلامية ، وذلك لفصل الهند عن سائر أقطار العالم الإسلامى لتسهيل إدامة السيطرة عليها » فماذا تقول فى هذا الادعاء ؟

لقد سمعت وقرأت ـ ولا أزال أسمع وأقرأ ـ أسئلة كثيرة من هذا القبيل خلال محادثات شفهية ، وفى رسائل خصوصية ، أو فى كتب مفتوحة

فرأيت أن أخصص هذا المقال لمعالجة المسائل المبحوث عنها معالجة وافية ، لأشرح رأيى فيها بصراحة كافية

١ — أعتقد أن القضايا الأساسية التى يجب درسها وحلها عند التفكير فى « المفاضلة بين الوحدة الإسلامية والوحدة العربية » تتلخص فيما يلى :

هل « الوحدة الإسلامية » من الآمال المعقولة التى يمكن تحقيقها أم هى من الأحلام الطوباوية التي لا إمكان لتحقيقها ؟

وعلى فرض الشق الأول : هل تحقيقها أسهل أم أصعب من تحقيق الوحدة العربية ؟

وهل يوجد شيء من المنافاة بين هاتين الوحدتين ؟

وهل من سبيل إلى تحقيق الوحدة الإسلامية ، دون تحقيق الوحدة العربية ؟

عند ما نقدم على إعمال الذهن وإنعام النظر فى مثل هذه المسائل يجب علينا — قبل كل شيء — أن نحدد ما نعنيه من الوحدة الإسلامية والوحدة العربية بوضوح تام ، ونعين مدى شمول كل واحد من هذين التعبيرين بصراحة كاملة

من الأمور التى لا تحتاج إلى شرح أن الوحدة العربية ترمى إلى إيجاد وحدة سياسية من الأقطار العربية المختلفة التى يتكلم أهلوها باللغة العربية . وأما الوحدة الإسلامية فترمى — بطبيعة الحال — إلى إيجاد وحدة سياسية من البلاد الإسلامية المختلفة التى يدين أهلوها بالديانة الإسلامية بالرغم من اختلاف لغاتهم وأجناسهم ...

ومن المعلوم أن العالم الإسلامى يشمل الأقطار العربية وتركية وإيران ، والأفغان وتركستان ، مع قسم من الهند وجزر الهند الشرقية وبلاد القفقاس ، وأفريقية الشمالية مع قسم فى أفريقية الوسطى .. بقطع النظر عن بعض الكتل المتفرقة فى أوربا وآسيا فى ألبانيا ويوغسلافيا وبولندة والصين واليابان

ولا حاجة لبيان أن الأقطار العربية تشغل القسم المركزى من هذا العالم الفسيح

إن كل من يضع هذه الحقائق الراهنة نصب عينيه ، ويتصور خريطة العالم الإسلامى ، ويلاحظ موقع العالم العربى منها ، يضطر إلى التسليم بأن الوحدة العربية أسهل بكثير من الوحدة الإسلامية

وبأن هذه الوحدة لا يمكن أن تتحقق على فرض إمكان تحققها إلا بالوحدة العربية

إذ لا يمكن لأى عقل كان أن يتصور حصول اتحاد بين القاهرة وبغداد وأنقرة وطهران وكابل وحيدر أباد وبخارا وكشغر وفارس وتمبكتو . . . دون أن يحصل اتحاد بين القاهرة وبغداد ودمشق ومكة وتونس . لا يمكن لأى عاقل كان أن يقول بإمكان اتحاد الترك والعرب والفرس والملايو والزنوج دون اتحاد العرب أنفسهم

لو كان العالم العربى أوسع وأشمل من العالم الإسلامى ـ بعكس ما هو الواقع الآن ـ لأمكننا أن نتصور وحدة إسلامية دون وحدة عربية ، ولجاز أن يقال إن تحقيق الوحدة الإسلامية أسهل من تحقيق الوحدة العربية . غير أنه لما كان الأمر بعكس ذلك تماماً فإنه لا مجال لمثل هذه الأقوال والتصورات فى المنطق بوجه من الوجوه

إن هذه الحقيقة يجب ألا تعزب عن بالنا عند ما نفكر ونتكلم فى أمر الوحدة الإسلامية والوحدة العربية

إن فكرة الوحدة الإسلامية أوسع وأشمل من مفهوم الوحدة العربية ؛ فنى الإمكان أن نقول بالوحدة العربية دون أن نقول بالوحدة الإسلامية؛ وليس من الممكن أن نقول بالوحدة الإسلامية دون أن نقول بالوحدة العربية

ولهذا السبب يحق لنا أن ندعى أن كل من يعارض الوحدة العربية يكون قد عارض الوحدة الإسلامية أيضاً ؛ وأما من عارض الوحدة العربيـة باسم الوحدة الإسلامية ، أو بحجة الوحدة الإسلامية ، فيكون قد خالف أبسط مقتضيات العقل والمنطق مخالفة صريحة

٢ — بعـد تثبيت هذه الحقيقة — التى لا يجوز منطقيا الاختلاف فيها — يجدر بنا أن نلتفت إلى حقيقة ثانية لا تقل أهمية عنها

يجب علينا ألا ننسى أن المقصود من كلمة الوحدة فى هذا المقام هو الوحدة السياسية ، كما يجب علينا أن نلاحظ على الدوام أن مفهوم « الوحدة الإسلامية » يختلف عن مفهوم « الأخوة الإسلامية » اختلافاً كبيراً

فإن الاتحاد شىء والتعاطف شىء آخر ، والاتحاد السياسى شىء والاتفاق على مبدأ من المبادئ أو على مجموعة من المبادئ شىء آخر

فالدعوة إلى الوحدة الإسلامية تختلف بهذا الاعتبار عن الدعوة إلى إصلاح أحوال الإسلام كما تختلف عن الدعوة إلى زيادة التفاهم والتقارب والتضامن بين المسلمين

ولذلك نستطيع أن نقول : إن من يتكلم عن مبدأ الأخوة الإسلامية، ومن يبحث عن فوائد التفاهم بين المسلمين ،لا يكون قد برهن على إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية

وبعكس ذلك ، من لا يسلم بإمكان تحقيق الوحدة الإسلامية لا يكون قد أنكر مبدأ الأخوة الإسلامية ، ولا عارض مساعى النهوض والتفاهم بين المسلمين

فكل ما يقال عن مبدأ الأخوة الإسلامية لا يكون دليلاً كافياً على إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية

وأما الاستشهاد على إمكان الوحدة الإسلامية بالماسونية أو الاشتراكية أو الشيوعية فليس موافقاً للعقل والمنطق بوجه من الوجوه ، لأن الماسون لم يؤلفوا وحدة سياسية ، والأحزاب الاشتراكية فى الممالك الأوربية المختلفة لم تتحد لتكوين دولة واحدة ؛ حتى الشيوعية نفسها لم تكوّن دولة جديدة ، بل قامت مقام الدولة الروسية القيصرية

فيجب علينا أن نميز بين مسألة الأخوة الإسلامية ومسألة الوحدة الإسلامية تمييزاً صريحاً ، وأن نفكر فى إمكان أو عدم إمكان تحقيق الوحـدة الإسلامية — بمعناها السياسي — تفكيراً مباشراً

٣ — إذا ألقينا نظرة عامة على التاريخ ، واستعرضنا تأثيرات الأديان فى تكوين الوحدات السياسية ، نجد أن الأديان العالمية لم تتمكن من توحيد الشعوب التى تتكلم بلغات مختلفة إلا فى القرون الوسطى ، وذلك فى ساعات محدودة ولمدة قصيرة من الزمن

فإن الوحدة السياسية التى حاولت تكوينها الكنيسة المسيحية لم تستطع أن تجمع العالم الأورثوذكسى بالعالم الكاثوليكى فى وقت من الأوقات .. كما أن الوحدة السياسية التى سمت لتكوينها البابوية فى العالم الكاثوليكى نفسه لم تعمر مدة طويلة

وكذلك كان الأمر فى العالم الإسلامى ، فإن الوحدة السياسية التى وجدت فى صدر الإسلام لم تقو على تقلبات الأيام مدة طويلة ؛ والخلافة (العباسية) نفسها لم تستطع أن تجمع كل المسلمين تحت رايتها السياسية ، حتى عند بلوغها أوج قوتها وقمة عظمتها ؛ كما أن البلاد التى كانت تخضع لسلطان هذه الخلافة نفسها لم تحافظ على وحدتها السياسية بصورة فعلية مدة طويلة ، ولم يمض وقت طويل على تأسيس الخلافة المذكورة حتى أصبحت سلطتها على بعض الأقطار معنوية أكثر منها مادية ، فلم تقو على الحياة دون انفراط عقد الأقطار المذكورة ، وتحولها إلى وحدات سياسية عديدة مستقل بعضها عن بعض بصورة فعلية

ومما يجدر بالانتباه فى هذا الصدد أن انتشار الدين الإسلامى فى بعض الأقطار تم بعد أن فقدت الخلافة الإسلامية وحدتها الفعلية وقوتها الحقيقية ، حتى أن هذا الانتشار جرى فى بعض الأقطار بصورة مستقلة عن تأثير السلطات السياسية ، وذلك على أيدى دعاة من التجار والشيوخ والدراويش ، فالعالم الإسلامى بحدوده الواسعة الحالية ، لم يكوّن وحدة سياسية ، فى وقت من الأوقات

فالوحدة السياسية التى لم تحقق فى القرون الماضية – فى عهود بساطة الحياة الاجتماعية وسذاجة العلائق السياسية ، وفى أدوار سيطرة التقاليد الدينية على كل ناحية من نواحى الأعمال والأفكار ليس من الممكن أن تحقق فى هـذا القرن بعد أن تعقدت الحياة الاجتماعية وأعضلت المشاكل السياسية وخرجت العلوم والصناعات عن سيطرة التقاليد والمعتقدات

٤ – إننى أعرف أن ما قررته هنا لا يروق الكثيرين من علماء الإسلام . أعرف أن الدلائل التاريخية التى ذكرتها آنفاً لا تستطيع أن تؤثر على معتقد الكثيرين من رجال الدين . وذلك لأنهم قد تعودوا التكلم فى هذه المسائل دون تذكر الحقائق التاريخية وملاحظة الخرائط الجغرافية ، كما أنهم لم يألفوا التمييز بين مدلول « الأخوة الدينية » ومدلول « الرابطة السياسية » بل إنهم نشأوا على المزج بين مبدأ الأخوة الإسلامية بمعناها الأخلاقى ، وبين فكرة الوحدة الإسلامية بمعناها السياسى

أنا لا أرى حاجة للسعى وراء إقناع هؤلاء بخطأ اعتقادهم فى هذا الأمر ؛ غير أنى أرى من الضرورى أن أطلب إليهم ألا ينسوا مقتضيات العقل والمنطق فى هـذا السبيل . لهم أن يحافظوا على اعتقادهم فى إمكان تحقيق الوحدة الإسلامية ، ولو فى مستقبل بعيد ؛ غير أن عليهم كذلك أن يسلموا فى الوقت نفسه بضرورة السعى إلى الوحدة العربية على الأقل ، كمرحلة من مراحل تحقيق الوحدة الإسلامية التى يعتقدون بها . عليهم – فى كل حال – ألا يعارضوا المساعى التى تبذل فى سبيل تحقيق الوحدة العربية ، بحجة خدمة الوحدة الإسلامية التى يدعون إليها

فإننى أكرر هنا ما كتبته آنفاً « أن من يعارض الوحدة العربية بحجة الوحدة الإسلامية يكون قد خالف أبسط مقتضيات العقل والمنطق مخالفة صريحة » وأقول بلا تردد إن مخالفة المنطق إلى هذا الحد ، لا يمكن أن تتأتى إلا من الخداع أو الانخداع :

خداع بعض الشعوبيين الذين لا يرتاحون إلى نهوض الأمة العربية فيسعون إلى تهييج الشعور الدينى ضد فكرة الوحدة العربية

وانخداع بعض السذج الذين يميلون إلى تصديق كل ما يقال لهم مقروناً باسم الدين دون أن ينتبهوا إلى ما قد يكون وراء هذه الأقوال من المقاصد الخفية

فأرى من واجبى أن أوجه أنظار جميع المسلمين العرب إلى هـذا الأمر الهام ، وأطلب إليهم ألا ينخدعوا بتدليس الشعوبيين فى هذا الباب

٥ – لعل أغرب وأخدع الآراء التى أبديت حول قضية الوحدة العربية والوحدة الإسلامية هو الرأى القائل بأن فكرة الوحدة العربية من المصنوعات الإنكليزية التى خلقت لمحاربة « الوحدة الإسلامية » وذلك لفصل الهنـد عن سائر الأقطار الإسلامية ، تسهيلاً لدوام السيطرة عليها

أنا لا أستطيع أن أتصور رأياً أكثر بعداً عن حقائق التاريخ والسياسة وأشد مخالفة لأحكام العقل والمنطق من هذا الادعاء الغريب

فإن التفاصيل التى ذكرتها آنفاً عن علاقة الوحدة الإسلامية بالوحدة العربية تكفى لإظهار خطل هذه الدعيات من حيث الأساس

مع هذا أرى أن أضيف إلى تلك التفاصيل بعض الملاحظات لزيادة البرهنة والإيضاح

إن كل من يمعن النظر فى مكاتبات الملك حسين للإنكليز ، وكل من يلاحظ اتجاهات السياسة البريطانية فى عدن والعقبة وفى فلسطين وفى جزيرة العرب ، يفهم بداهة أن القول بأن الإنكليز يشجعون فكرة الوحدة العربية تشجيعاً حقيقياً يكون افتئاتاً على الواقع صريحاً

لا ينكر أن الإنكليز سايروا الحركة العربية وصانعوها أكثر من سائر الدول، وما ذلك إلا لأنهم أكثر مرونة في السياسة وأسرع فهماً لنفسيات الأمم وحقائق الاجتماع ... إنهم عرفوا القوة الكامنة في الفكرة العربية قبل غيرهم، فرأوا أن يسايروها بعض المسايرة ويصانعوها بعض المصانعة - عوضاً عن محاربتها مباشرة - ليدفعوا ضررها عنهم ويجعلوها أكثر ملاءمة لمصالحهم.

وأما قضية « حكم الهند » فيجب أولاً ألا يعزب عن البال أنها ليست مسألة إسلامية بحتة - فإن المسلمين في الهند لا يؤلفون أكثرية السكان، كما أن في الخلاف القائم بين المسلمين والهندوس مجالاً واسعاً لتسهيل سيطرة الإنكليز على تلك البلاد. ومما لا شك فيه أن حكم الإنكليز لا يتم في الهند نفسها، بل يتطلب السيطرة على طرق المواصلات الجوية والبحرية التي تربطها ببريطانيا أيضاً؛ ومن المعلوم أن قنال السويس وبحيرة الحبانية وثكنات مصر ومطارات العراق، من جملة وسائل هذه السيطرة، فهل يعقل أن يخشى الإنكليز - بالرغم من مرونتهم السياسية - من قيام دولة إسلامية كبيرة تستطيع أن تستولي على الهند، أكثر مما يخشون من قيام دولة عربية قوية تستطيع أن تسد طرق المواصلات المذكورة؟

يجب أن نعرف جيداً أن السياسة الإنكليزية سياسة عملية تتكيف مع الظروف وتنتهز الفرص على الدوام. ويجب ألا ننسى أن بريطانيا العظمى هي التي أنقذت الدولة العثمانية صاحبة الخلافة الإسلامية من استيلاء الروس عدة مرات. وهي التي كانت أوقفت الجيوش المصرية في قلب الأنضول، لتخليص مقر الخلافة الإسلامية من استيلاء تلك الجيوش الظافرة. وهي التي حالت دون اتحاد مصر مع سورية في عهد محمد علي الكبير

فكل من يتهم فكرة الوحدة العربية بكونها دسيسة انكليزية يكون قد قام بخدعة ما وراءها خدعة، ووقع في انخداع ما بعده انخداع

يجب أن نعلم حق العلم أن فكرة الوحدة العربية فكرة طبيعية لم يوجدها موجد. إنها نتيجة طبيعية لوجود الأمة العربية نفسها. هي قوة اجتماعية تستمد نشاطها من حياة اللغة العربية وتاريخ الأمة العربية واتصال البلاد العربية. فلا يستطيع أحد أن يدعي - بصورة منطقية - أن الإنكليز هم الذين خلقوا فكرة الوحدة العربية إلا إذا استطاع أن يبرهن على أن الإنكليز هم الذين خلقوا اللغة العربية، أو أوجدوا تاريخ الأمة العربية، وكونوا جغرافية البلاد العربية

إن فكرة الوحدة العربية من التيارات الطبيعية التي تنبع من أغوار الطبيعة الاجتماعية لا من الآراء الاصطناعية التي يستطيع أن يبتدعها الأفراد أو تستطيع أن تخلقها الدول . . .

إنها ظلت كامنة - شأن الكثير من القوى الطبيعية والاجتماعية - منذ عدة قرون لأسباب وعوامل تاريخية كثيرة لا مجال لشرحها هنا؛ غير أن كل شيء يدل على أن دور كونها قد انتهى، وأن تيارها أخذ يظهر للعيان وصار يتدفق شيئاً فشيئاً. ولا شك في أن تيار هذه الفكرة سيزداد تدفقاً من جميع النفوس العربية بسرعة متزايدة تزايداً هائلاً. وسوف لا يلبث أن يغمر جميع البلاد العربية ويعيدها إلى مجدها السالف ونضرتها الأولى، بل إلى ما هو أخصب وأقوى وأسمى منها

هذا يجب أن يكون إيمان كل مستنير من الناطقين بالضاد.

(برمانا) أبو خلدون

M. Arab. 139

ترانكانو

إن الأسواق الكبرى في الأقاليم الحارة هي حقا أماكن اجتماع غريبة إن كان بالنظر إلى النباتات التي يشاهدها الانسان هناك أو بالنظر إلى الناس أنفسهم فهؤلاء يأتون عادة من الجهات المجاورة بعكس النباتات التي مصدرها المنطقة الحارة جميعها فيوجد الجوز الهندي من الفلبين وأرز الهند وشكلاتو أمريكا وتمر البابايا من جهة الأمازون والكوافا من الكوتاماك والمنغوست من مليزيا.

إن رسما جديدا ممثلا سوق ترانكانو عاصمة مقاطعة صغيرة من دول الاتحاد الملايزي يظهر جما من سكان البلاد يهرولون بجلبة مختفين من الحر في ثيابهم الطويلة البيضاء.

فمعظمهم من زراعي الأرز أو صيادي السمك وجميعهم يعيشون في ناحية من أكثر النواحي التي انتشر فيها وباء بالملاريا في العالم كله وشغلهم خطر ولكن الخطر لا يأتي من النمور والأفاعي على قدر ما يأتي من حيوان أصغر من ذلك وأشد منها وبالا وهو بعوض أي الملاريا.

فاللجنة الصحية لجمعية الأمم قد أظهرت ما هي البلية الهائلة بلية الملاريا في مدينة كمدينة ترانكانو فاللجنة التي تهتم بالملاريا تقول بوجوب إعطاء جميع أهل البلاد مقدار أربعين سنتجرام من الكينا يوميا على سبيل الوقاية وهذا شيء تحقيقه غير ممكن فاللجنة وهي خبيرة بكل ذلك تلح بأن يأخذ جميع السكان المصابين بالملاريا جراما واحدا أو جراما وثلاثين سنتجرام من الكينا يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام والحاجة القصوى لأن ما يقارب نصف مجموع الداخلين إلى المستشفيات في مدينة ترانكانو مصابون بالملاريا.

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربى
للدكتور زكى مبارك

– ١٨ –

ترفّق الأستاذ أحمد أمين بالأدب العربى فقال : إنه يرى من الإنصاف أن يستثنى أديبين اثنين « كان أدبهما أدباً تحليليًّا واضحاً » وهما ابن الرومى وابن خلدون

وكذلك انتهت دنيا الأدب العربى ، الأدب الذى لم ينجب غير شاعر واحد وكاتب واحد فى أمد طويل دام نحو خمسة عشر قرناً ، وتعاونت فى تكوينه أممٌ أسيوية وأفريقيـة وأوربية ، واستطاع أن يؤثر فى الآداب اللاتينية والعبرية والفارسية والتركية والهندية ، وصار له فى أكثر الجامعات الأوربية كرسى خاص

أحمد أمين يستثنى ابن الرومى من بين الشعراء ، ويستثنى ابن خلدون من بين الكتّاب لسبب آخر غير الإنصاف ؛ فقد سمع أن العقاد وضع كتاباً عن ابن الرومى ، وسمع أن طه حسين وضع كتاباً عن ابن خلدون ، ومن الواجب عليـه أن يعجب بالشاعر الذى أعجب به العقاد، والكاتب الذى أعجب به طه حسين

وكيف أقفر الأدب العربى فى تلك الآماد الطوال فلم ينبغ فيه غير أديبين أولهما شاعر، وثانيهما كاتب ؟

إن أحمد أمين لوحكم بأن مدينة واحدة مثل القاهرة أو دمشق أو بنداد لم تنجب فى جيل واحد غير أديبين اثنين لكان من المسرفين ، فكيف وهو يكيل الأحكام الأدبية بأوسع المكاييل فيحكم بأن الأدب العربى فى جميع عصوره ، وفيما انتظم من أمم شرقية وغربية لم ينجب غير أديبين اثنين ؟

قد يقول إنه يقصد الأدب الذى يقوم على التحليل والاستقصاء

إن قال ذلك فنحن ندعوه إلى دراسة الأدب العربى من جديد . فالطريقة التحليلية عرفها شعراء العرب منذ أقدم العهود وعليه أن يرجع إلى معلقة طرفة ، ومعلقة لبيد ، وعينية أبى سويد وتائية كُثيِّر ، ولامية الكميت ، وتائية دعبل ، ودالية مسلم ابن الوليد

الواقع أن الشعر العربى تغلب عليه النزعة التحليلية فى أكثر ما تعرض له من مقاصد وأغراض ، وانظروا كيف يحلل سعيد ابن حُميد فكرة النهى عن العتاب :

أقلل عتابك فالبقاء قليلُ   والدهر يعدل تارة ويميلُ
لم أبك من زمنٍ ذممتُ صروفهُ   إلا بكيتُ عليه حين يزولُ
ولكل نائبةٍ ألمّتْ مدةٌ   ولكل حال أقبلت تحويلُ
والمنتمون إلى الإخاء جماعةٌ   إن حُصّلوا أفناهم التحصيل
فلئن سبقتُ لتبكينّ بحسرة   وليكثرنّ علىّ منك عويل
ولتفجعنّ بمخلص لك وامق   حبل الوفاء بحبله موصول
ولئن ـ سبقتَ ولاسبقتَ ـ ليمضينْ
من لا يشاكله لدىّ خليل
وليذهبنّ بهاء كل مروءة   وليفقدنّ جمالها المأهول
وأراك تكلَف بالعتاب وودُّنا   باقٍ عليه من الوفاء دليل
ولعل أيام الحياة قصيرةٌ   فعلام يكثر عتبنا ويطول

فالشاعر فى هذه القصيدة يحلّل ويعلّل ويتناول موضوعه تناولَ من يدرك ما فيه من كليات وجزئيات ، وما زال ينتقل من العموم إلى الخصوص حتى وصل فى تصوير معناه إلى ما يريد

ولننظر كيف يقول الشريف الرضى فى استبقاء الصديق :

وكم صاحبٍ كالرمح زاغت كعوبه
أبي بعد طول الفخر أن يتقوما
تقبلتُ منه ظاهراً متبلّجاً   وأدمج دونى باطناً متجهّما
فأبدى كروض الحزن رفّت فروعه
وأضمر كالليـــل الحذارىّ مظلما
ولو أننى كشّفته عن ضميره   أقمت على ما بيننا اليوم مأتما
فلا باسطاً بالسوء إن نالنى يداً   ولا فاغراً بالذم إن رابنى فما
كعضو رمت فيه الليالى بقادح   ومن حمل العضو الأليم تألما
إذا أمر الطب اللبيب بقطعه   أقول عسى ضنًّا به ولعلما
صبرتُ على إيلامه خوف نقصه   ومن لام من لا يرعوى كان ألوما
هى الكفّ مضٌّ تركُها بعد دائها
وإن قُطِعت شانت ذراعاً ومعصماً
أراك على قلبى وإن كنت عاصياً   أعزّ من القلب المطيع وأكرما
حملتك حمل العين لجّ بها القذى   فلا تنجلى يوماً ولا تبلغ العمى

دع المرء مطوياً على ما ذممته ... ولا تنشر الداء العضال فتندما
إذا العضو لم يؤلمك إلا قطعته ... على مضض لم تبق لحماً ولا دما
ومن لم يوطّن للصغير من الأذى ... تعرض أن يلقى أجلّ وأعظما

فما رأيكم فى هذا القصيد الجليل ؟

ألا ترون الشاعر ينقل الفكرة من وضع إلى وضع ، ويصنع بها ما يصنع المصور الذى يراعى دقائق المعانى ... وهو يضع اللوحة الفنية ؟ ...

إن الشاعر فى هذه القصيدة أمامه غرضٌ واضح الرسوم ، فهو يحلّل ويعلّل ليصل إلى أبعد ما يريد من الاستقصاء !

أليس هذا هو التحليل الذى يقصد إليه أحمد أمين ؟

وما رأيكم فى قول الطغرائى وهو يحاور الحمامة الباكية :

أبكيةٌ صدحت شجواً على فنَن ... فأشعلت ما خبا من نار أجفانى
ناحت وما فقدت إلفاً ولا فجعت ... فذكّرتنىَ أوطارى وأوطانى
طليقةٌ من إسار الهمّ ناعمةٌ ... أضحت تجدد وجد الموثَق العانى
تشبهت بىَ فى وجدى وفى طربى ... هيهات ما نحن فى الحالين سيّان
ما فى حشاها ولا فى جفنها أثرٌ ... من نار قلبى ولا من ماء أجفانى
يا ربة البانة الغنّاء تحضنها ... خضراء تلتف أغصاناً بأغصان
إن كان نوحك إسعاداً لمغترب ... ناءٍ عن الأهل ممنوّ بهجران
فقارضينى إذا ما اعتادنى طربٌ ... وجداً بوجد وسلواناً بسلوان
أو لا فقصرك حتى أستعين بمن ... يعنيه شأنى ويأسو كلْم أحزانى
ما أنت منى ولا يعنيك ما أخذت ... منى الهموم ولا تدرين ما شانى
كِلى إلى الغيم إسعادى فإن لهُ ... دمعاً كدمعى وإرناناً كإرنانى

فهل ترون هذه القصيدة من « الأدب التركيبى » ، وهو لفظ ثقيل اخترعه أحمد أمين ؟

أم ترونها قصيدة تقوم على تحليل المعانى ليخلق منها الشاعر صورة شعرية ؟

وانظروا قول ديك الجن وقد قتل معشوقته بيديه :

يا طلعةً طلع الحِمام عليها ... فجنَى لها ثمر الردى بيديها
حكّمت سيفى فى مجال خناقها ... ومدامعى تجرى على خديها
روّيتُ من دمها الثرى ولطالما ... روّى الهوى شفتىّ من شفتيها
فوحقّ نعليها وما وطئ الثرى ... شىء أعزّ علىّ من نعليها
ما كان قتليها لأنى لم أكن ... أبكى إذا سقط الذباب عليها
لكن بخلتُ على الوجود بحسنها ... وأنفتُ من نظر العيون إليها

فقد شرح الشاعر فكرته أتمّ الشرح ، وصوّرها أكمل التصوير ...

وهل وصلت إلى أحمد أمين أخبار تلك الوصية الرائعة التى بعث بها العباس بن الأحنف إلى حُجاج البيت الحرام ، وقد توقع أن يمروا بدار هواه

أنظروا إلى ذلك العليل ، وقد تمرد الداء ، وتعذر الشفاء ، وكلما عُصر الماء فى فيه مجّه ، كما يصنع الطفل الوليد ... وقد ذهبت العلة بجمال نظراته ، وبريق بَسماته ، وإن نودى لم يُجب بغير الأنين ... أُنظروا إليه ! وقد تمنى جرعةً مُزجت بريق حبيبته يحملها الحُجاج فى زجاجة ، ولو أمكن أن تُنقَل النظرة لرجاهم أن يحملوا إليه نظرة ، ولو خُلِق « الحاكى » فى ذلك الحين لرجاهم أن ينقلوا إليه نغمة من نغماتها العذاب ، ولو مَهر المصورون حينذاك لكلفهم أن يصوروا مشيتها فى الضحى والأصيل . . . أُنظروا إليه وهو يرجوهم أن يتعللوا عند أهله ، فيذكروا أن تلك الجرعة العذبة إنما هى من ماء زمزم . . . أُنظروا إليه وقد أوصاهم أن يرشوا ريق من يهوى على وجهه ، فإن صادفوه ميتاً فليرشوه على قبره ...

أنظروا كيف يقول :

أزوّار بيت الله مُرّوا بيثربٍ ... لحاجة مبتول الفؤاد كئيب
وقولوا لهم يا أهل يثرب أسعدوا ... على جَلَب للحادثات جليب
فإنا تركنا بالعراق أخا هوًى ... تنشّب رهناً فى حبال شعوب
به سقَمٌ أعيا المداوين علمه ... سوى ظنهم من مخطئٍ ومصيب
إذا ما عصرنا الماء فى فيه مجّهُ ... وإن نحن نادينا فغير مجيب
خذوا لى منها جرعة فى زجاجة ... ألا إنها لو تعلمون طبيبى
وسيروا فإن أدركتمُ بى حُشاشةً ... لها فى نواحى الصدر وَجْس دبيب
فرشوا على وجهى أفق من بليتى ... يثيبكمُ ذو العرش خير مثيب
فإن قال أهلى ما الذى جئتم به ... وقد يحسن التعليل كل أريب
فقولوا لهم جئناه من ماء زمزم ... لنشفيه من دائه بذَنوب
وإن أنتمُ جئتم وقد حيل بينكم ... وبينى بيوم للمنون عصيب
وصرت من الدنيا إلى قعر حفرة ... حليف صفيح مطبق وكثيب
فرشوا على قبرى من الماء واندبوا ... قتيل كَعابٍ لا قتيل حروب

فهذا الشاعر قد قص قصة بلواه بأسلوب تحليلى رائع لا أدرى كيف ينكره أحمد أمين

وما رأيكم فيما قال كثير فى السخرية من عهود النساء :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكفّ تلين
تمتع بها ما ساعفتك ولا يكن عليك شجاً فى الحلق حين تبين
وإن هى أعطتك الليان فإنها لآخر من خلانها ستلين
وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها
فليس لمخضوب البنان يمين

وما حاجتنا إلى تحليل هذا المعنى وقد وفاه فى بيت واحد من يقول :

فلا تحسبن هنداً لها الغدر وحدها سجية نفس، كل غانية هندُ

* * *

إن أحمد أمين ينتظر شعراء يحللون، فهل أتاه حديث أبى العتاهية فى الزهديات ، وحديث أبى نواس فى الخمريات ، وحديث الشريف الرضى فى الحجازيات ، وحديث الكميت فى الهاشميات ، وحديث الأبيوردى فى النجديات ، وحديث البحترى فى طيف الخيال ، وحديث العباس بن الأحنف فى الكتمان ؟

وهل عنده علم بوصف الربيع فى شعر أبى تمام ؟ وهل سمع بأشعار ابن زيدون فى الحنين ؟ وهل قرأ قصائد ابن خفاجة وابن حمديس ؟ وهل فتح الله عليه فنظر بكاء الرندى يوم سقوط الأندلس ؟ وهل قرأ فائية ابن الفارض ؟ وهل اهتدى إلى حائية ابن النحاس الذى يقول :

كم أداوى القلب! قلتْ حيلتى كلما داويت جرحاً سال جرح

وهل عرف مصير أشعار بديع الزمان الذى يقول :

رأيت الناس خدّاعاً إلى جانب خدّاعِ
يعيشون مع الذئب ويبكون مع الراعى

وهل قرأ قصيدة أبى تمام يوم فتح عمورية ؟ وهل عرف روميات أبى فراس ؟ وهل شهد موكب المعانى فى مقصورة ابن دريد ؟ وهل درس رائية أبى صخر وعينية أبى ذؤيب ؟

أحب أن أعرف أين مكانك بين أدباء اللغة العربية ، ياصديق ؟

أحب أن أعرف أتجدُّ فى دعواك أم تكون من الهازلين ؟

أقسم بالله وبالشرف أنى لفى عجب من غفلة الأستاذ أحمد أمين عن ذخائر الأدب العربى ، مع أنه أستاذ مسئول يتصدر لتدريس الأدب فى أكبر معهد من معاهدنا الأدبية

ويزيد فى الأسف أنه لم يكن كذلك فيما كنا نعرف من شمائله الذاتية ، فقد استطاع أن يظفر بثقة ناس من كبار الأدباء منهم لطفى السيد وهيكل وطه حسين والمازنى والعقاد والزيات والبشرى، وسمعنا ثناء عليه فى بيئات تزن أقدار الرجال ، فمن أين وصل إليه مرض الحذلقة الذى كاد يضيفه إلى أدعياء الأدب والبيان ؟

أتريدون الحق ؟

الحقُّ أن أحمد أمين لم يوفق إلى الإجادة إلا فى الموضوعات التى سار فيها على سَنَن مسلوك مهّده العلماء من قبل

فكتاب « الأخلاق » له مصدر معروف؛ فهو فى جملته وتفصيله وأصوله وفروعه تلخيصٌ لأىّ كتاب أوربىّ فى الأخلاق ، ولو شئت لسقت الأدلة والبراهين

وفجر الإسلام وضحى الإسلام لهما أصول من أبحاث المستشرقين عن المدنية الإسلامية ، وفيهما توجيهات للدكتور طه حسين سأ كشف أسرارها حين أشاء ، وفيهما سرقات فى شئون اجتماعية ونحوية ، ولو شئتُ لقلتُ إنه نهب بعض آراء الأستاذ فلان ، وهو يعرف من أعنى ، وسيعرف كيف نجازيه بعد حين

بقى أحمد أمين « الأديب » الذى ينقل عن العقل والروح فهل قرأتم له مقالة واحدة تشهد بأن له مواهب فيها أصالة وعُمق ؟

وكيف يصح ذلك ، وهو يرى أن الأدب العربى لم ينبغ فيه غير شاعر واحد ؟

ومن هو ذلك الشاعر ؟

هو ابن الرومى ، وإنما نص عليه بالذات ، ليصح له اتهام الأرومة العربية بالفقر والإجداب ؛ فقد كان المازنى كتب منذ أعوام أبحاثاً عن ابن الرومى ، وقرر فى تلك الأبحاث أن ابن الرومى ورث طريقة التحليل عن أجداده الأبعدين من اليونان

ولستُ بصدد الرد على المازنى ، الأديب العظيم ، حتى أبحث من أين أخذ هذا الرأى ، وإنما يحق لى أن أسأل : هل كان ابن الرومى أول شاعر عربى له أسلاف من اليونان ؟

ومن هو الجد اليونانى لطرفة بن العبد ، وقد وصف ناقته

فى المعلقة وصفاً هو النهاية فى التحليل والاستقصاء ؟

ومن هو الجد اليونانى لعمر بن أبي ربيعة وأشعاره تقوم على أساس من الحوار والتحليل والتمثيل ؟

ومن هو الجد اليونى للشاعر لبيد وفى معلقته تحليلٌ دقيق ؟

ومن هو الجد اليونانى للشريف الرضى وفى حجازياته أوصاف وتحليلات لم يهتد إلى مثلها سَدنة الهياكل اليونانية ؟

وما رأى الأستاذ أحمد أمين فى أبى العلاء صاحب اللزوميات وصاحب رسالة الغفران ؟

ألا يرى أن أبا العلاء كان من الشعراء الذين يجيدون تحليل المعانى ؟

إن أبا العلاء قضى الشطر الشمر من عمره ، وهو يحاور نفسه ودنياه ، وقد وصل فى التحليل والاستقصاء إلى أبعد الحدود ، برغم المآخذ النفسية التى قيدناها عليه فى كتاب « وحى بغداد » فهو عندنا لا يقل عظمة فى تحليلاته ومحاوراته عن أكبر شاعر يبرع فى الحوار والتحليل .

أفلا يتفضل الأستاذ أحمد أمين بالاعتراف بمكانة أبى العلاء بين أقطاب الشعراء والمفكرين، فيضيفه إلى ابن الروى وابن خلدون ؟!

يظهر أن الأستاذ أحمد أمين نسى أن أبا العلاء شغل الأستاذ العقاد والدكتور طه حسين ، فنشر الأول كتاباً عن أبى العلاء ونشر الثانى كتابين !

يظهر أنه نسى ذلك ، وما أنساه إلا الشيطان ، ولولا ذلك لاعترف بمكانة أبى العلاء رعايةً للعقاد وطه حسين ، إن عزت عليه رعاية الحق !

* * *

وأرجع فأقول : إن من التجنى على شعراء العرب أن نقول بحرمانهم من النزعة التحليلية ، فهم فى أغلب الأحوال يهتمون بتصوير المعانى ، ويُشعرون السامع والقارئ بأنهم يحاورون العواطف والقلوب والعقول ، وإليكم قول تميم بن جميل وهو يُرعد من خوف الموت بحضرة المعتصم :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً
يلاحظنى من حيثما أتلفتُ

وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلى   وأى امرئٍ مما قضى الله يفلت
وأىُّ امرئٍ يدلى بعذر وحجة   وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الأوس بن تغلب موقف   يُسلُّ علىَّ السيف فيه وأسكت
وما حَزنى أنى أموت ، وإننى   لأعلم أن الموت شىءٌ مؤقت
ولكن خلفى صبيةً قد تركتهم   وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أُنعى إليهم   وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بنعمة
أذود الردى عنهم ، وإن متُّ موتوا
فكم قائل لا أبعد الله داره   وآخر جذلان يُسرُّ ويشمت

أليس هذا الشعر قائماً على الحوار والتحليل ؟ ؟

وما رأيكم فى قول ابن الزيات ، وقد ماتت زوجته وتركت له طفلاً يؤرقه بكاؤه فى هجمات الليل :

ألاَ من رأى الطفل المفارق أمه   بُعَيْد الكرى عيناه تبتدرانِ
رأى كل أمٍّ وابنها غير أمه   يبيتان تحت الليل ينتجيان
وبات وحيداً فى الفراش تحثه   بلابل قلب دائم الخفقان
ألا إن سجلاً واحداً قد أرقته   من الدمع أو سجلين قد شفيانى
فلا تلحيانِى إن بكيتُ فإنما   أداوى بهذا الدمع ما تريان
وإن مكاناً فى الثرى خُطَّ لحده   لمن كان فى قلبى بكل مكان
أحقُّ مكان بالزيارة والهوى   فهل أنتما إن عُجْتُ منتظران
فهبنى عزمتُ الصبر عنها لأننى   جليدٌ فمن بالصبر لابن ثمان
ضعيف القُوَى لا يعرف الأجر حسبة
ولا يأتسى بالناس فى الحدثان
ألاَ من أمنِّيه المنى وأعدُّه   لعثرة أيامى وصرف زمانى
ألاَ من إذا ماجئت أكرم مجلسى   وإن غبتُ عنه حاطنى ورعانى
فلم أر كالأقدار كيف يصبننى   ولا مثل هذا الدهر كيف رمانى

فهذه قطعة تحليلية رائعة ، وقد يلاحظ بعض القراء أن الصورة الشعرية فى هذه القصيدة متنافرة الأجزاء ، ولكن لا بأس فهذه القصيدة قد ضاعت أصولها مع الأسف ، ولم يبق منها غير هذه الأبيات وهى مما تخيّره ابن رشيق . وقد تعبتُ فى البحث عن أصل هذه القصيدة واستعنت بالأستاذ الشيخ محمد الخضرى بك مهذّب الأغانى فلم أصل إلى ما أريد ، ولكن هذه البقية الباقية من تلك القصيدة تشهد بقدرة ابن الزيات على تحليل المعانى والأغراض

* * *

أما بعد فأنتم تعرفون أن توضيح الواضحات من المشكلات؛ فالعرب فى أكثر أشعارهم قد تفوقوا فى عرض المعانى والمناظر والمشاهد ، ولهم فى تصوير الطبائع والشمائل قدرة لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر أو حقود

وليس من الحتم أن يسلكوا جميعاً مسالك ابن الرومى أو أبي العلاء ، فلكل شاعر مذهب فى الأوصاف والتعابير ، واختلافهم فى مذاهبهم ومناحيهم ومراميهم هو الشاهد على ما يملكون من الأصالة والذاتية

وما كان ابن الرومى أكبر شاعر عرفه العرب ، كما توهم أحمد أمين ، وقد صارحت الأستاذ العقاد بأني أرى الشريف الرضى أشعر من ابن الرومى فلم ينكر ذلك ، واكتفى بأن يقول إن مزية ابن الرومى عنده هى التفوق فى وصف الـ Caractères

وهذا حق ، فزية ابن الرومى هى الحرص على درس أهواء الناس ، وهى مزية شاركه فيها أبو العلاء

وإذا كان ابن الرومى قد أفلح فى تصوير مخازِّ الخلق فهو مع ذلك لم يصل فى شعره إلى الرنّة الموسيقية التى كان يتفرد بها البحترى، ولم يصل فى الصنعة إلى منزلة أبى تمام أو مسلم بن الوليد، ولم يحس الأنس بالحياة على نحو ما أحس ابن خفاجة أو ابن زيدون أو أبو نواس

ومن هنا نفهم أن للشعراء رسالات مختلفات ، فعمر بن أبى ربيعة فى بابه أشعر من ابن الرومى فى بابه ، وابن الرومى فى بابه أشعر من ابن أبى ربيعة فى بابه . والناقد الضيق الذهن هو الذى يضع للشعر غاية واحدة يحاكم إليها الشعراء

ومحاسن الأدب العربى ترجع إلى هذا التنوع الطريف ، فليس عندنا شاعر يُغنى عن شاعر ، وإنما هم إخوة مختلفون فى المذاهب والأغراض ، ومن اختلاف الألوان التى قدموها تتم الصورة الكاملة للعبقرية العربية

ثم ماذا ؟ ثم يقول أحمد أمين : إن الأدب العربى ليس فيه إلا كاتب واحد يجيد التحليل هو ابن خلدون

* * *

وسنرى فى المقال المقبل خطأ ما ادعاه هذا الزميل مع الدعاء له ولنا بالهداية والتوفيق ، وإنا أو إياه لعلى هدى أو فى ضلال مبين ، والله المستعان على حيرة الفكر فى أهل هذا الزمان

« للحديث شجون » زكى مبارك

التعليم والانتاج

للأستاذ عبد الحميد فهمى مطر

ها قد انتهت العطلة الصيفية بخمولها أو آذنت بالانتهاء . ودب فى المعاهد التعليمية نشاطها وعادت إليها حركتها السنوية العادية، حركة القبول والرفض وتوفير المحال للطلاب. وهى حركة تشمل عدداً كبيراً من أبناء هذه البلاد وتشغل بال أولياء الأمور كما هو الحال فى مثل هذه الأيام من كل عام . وهى حركة إن نمت عن شىء فهى تنم عن إقبال شباب الأمة فتيانها وفتياتها على معاهدها سعياً وراء العلم والتعلم . وهى لا شك بشير الخير والبركة لو سار التعليم عندنا سيرته عند غيرنا، ولو اتجهت معاهدنا فى توجيه أبنائها الاتجاه الصحيح الذى يدفع بالشباب إلى السبيل المستقيم سبيل الإنتاج، لأن حياة الأمم وعزها وقوتها فى الإنتاج؛ والفرد غير المنتج تكون حياته عديمة القيمة . فإلى أى حد يا ترى أصبح تعليمنا منتجاً ؟ وإلى أى مدى يا ترى تعد مدارسنا أبناءها ليكونوا مواطنين منتجين ؟ وكم فى المائة منهم يلجون أبواب الإنتاج الفعلى بعد تخرجهم فى معاهدهم ؟ وهل تستطيع معاهد التعليم عندنا أن توافينا بعدد خريجيها فى كل عام، وعدد من انخرطوا منهم فى سلك الإنتاج والمنتجين، وعدد من أصبحوا منهم فى عداد الموظفين، وعدد من بقوا عالة على أهلهم وصاروا فى عداد المتعطلين؟

هذه أسئلة قد اعترضتنى أثناء البحث الذى أجريته خاصاً بمؤلفى «التعليم والمتعطلون فى مصر» ولم أستطع أن أجد لها حلاً وافياً لأنى سألت كثيراً من المعاهد فى ذلك ، فلم يرد على البعض ورد البعض الآخر رداً مقتضباً عديم القيمة ، ولكن مدرسة واحدة هى مدرسة التجارة المتوسطة بالأسكندرية ردت علىّ رداً وافياً بإحصائية كاملة عن حالة خريجيها من سنة ١٩٣٠ إلى سنة ١٩٣٧ أوردتها بصفحة ٢٥٠ من مؤلفى السابق الذكر . ويتبين منها أن عدد خريجى هذه المدرسة بين العامين السابقى الذكر هو ٥٣١ منهم ٢٠١ موظفون فى الحكومة أى بنسبة ٣٧ر٧ فى المائة ومنهم ٩٨ موظفون فى الشركات والمصارف أى بنسبة ١٨ر٥ فى المائة ومنهم ١٦٥ متعطلون لا عمل لهم أى بنسبة ٣١ر١ فى المائة ومنهم ٣٧ حالهم مجهولة أى بنسبة ٧ر٢ فى المائة ومنهم ٢٣ يزاولون أعمالاً حرة أى بنسبة ٤ر٣ فى المائة ، وقد ارتفعت نسبة المتعطلين فى العام الأخير عام ١٩٣٧ ارتفاعاً كبيراً؛ فكان عددهم ٧٦ من ٩٨ متخرجاً أى بنسبة ½ ٧٧ فى المائة مما يدعو إلى الأسف الكثير . ومما يدعو إلى الأسف الأكثر أن ٤ر٣ فى المائة فقط من المتخرجين جميعهم هم الذين ولجوا أبواب الإنتاج الحقيقى بمزاولة الأعمال الحرة

ولقد كان من السهل علينا الحصول على نتيجة حاسمة فى هذا الموضوع لو أن كل معهد من معاهدنا احتفظ بسجل خاص بخريجيه يمكنه من عمل مثل الإحصائية السابقة وتقديمها لكل باحث فى هذا الموضوع الهام الذى له شأن كبير فى توجيه التعليم ورسم سياسته . وأعتقد أن وزارة المعارف لا بد أن تعنى به عناية جدية فى عهدها الجديد المبشر بالخير . على أنه قد استجدت فى مصر الآن حركة قوية غمرت معظم معاهدها ، وأخذت بلب شبانها ، ووجهت الكثيرين منهم وجهة جديدة ، هى الانخراط فى سلك ضباط الجيش العامل والمرابط ، أو فى زمرة عماله ، وهى حركة تبشر بالخير ، وتنبئ عن صدق الوطنية وحرارتها ، وتقابل من جميع المصريين بالتقدير والإعجاب، ولكنها حركة مؤقتة أوجدتها ظروف المعاهدة وظروف الحرب الحاضرة . وليس من الممكن أن تستنفد الكلية الحربية كل خريجي مدارسنا الثانوية ، ولا أن تستنفد ملحقاتها من مدارس صناع الجيش ومصانعه كل خريجى مدارسنا الصناعية . وإذا كانت الكلية الحربية قد أخذت عدداً كبيراً من هؤلاء ، وإذا كانت المدارس الحربية الملحقة بها قد أخذت عدداً آخر كبيراً من أولئك ، فإنها فى الوقت نفسه قد رفضت منهم العدد الأكبر وردتهم عنها رداً خيب آمالهم وآمال أهليهم فى توفير عمل يضمن لهم العيش فى المستقبل ... ولا شك أنها سترد عنها فى السنين المقبلة جموعاً غفيرة من هؤلاء الطلاب أكثر بكثير ممن ردتهم هذا العام ، لأن استيعابها للعدد الكبير منهم الآن راجع كما أسلفنا لظروف الحرب وظروف تنشئة الجيش العامل والمرابط وتكوينهما وتسليحهما ، وهى ظروف طارئة لا تلبث أن تزول ، وبزوالها يعود الآلاف من شباننا من خريجى المدارس والمعاهد يتراكمون ، كما قال المسيو كلاباريد فى تقريره ، كأنقاض الهدم لا يرجى منهم للإنتاج خير . ولذا أصبح لزاماً علينا أن نفكر جدياً فى ربط معاهدنا بالحياة العامة حياة العمل والإنتاج ربطاً حقيقياً ، كما فعلت قبلنا أمم وكما تفعل

الآن الأمم الحية . على أننا نستقبل هذا العام الدراسي الجديد بخطوة طيبة خطتها وزارة المعارف نحو الإصلاح المنشود ، وهى خطوة نادينا فى تقاريرنا المتكررة إلى الوزارة بضرورة تنفيذها منذ أكثر من عشر سنوات كما نادى بتنفيذها الخبيران الفنيان المستر مان والمسيو كلاباريد فى تقريريهما قديماً إليها

تلك هى إنشاء المناطق التعليمية الجديدة، وهى خطوة حسنة تخلصنا من أعباء المركزية الثقيلة وقيودها ولكنها فى نظرنا لن يكون لها أثر فعال فى إصلاح معاهد التعليم وربطها بالحياة العامة حياة الإنتاج إلا إذا تخلصنا من أمر آخر أشد ثقلاً على المعاهد من المركزية نفسها ، لأنه يقيدها بأثقل القيود ، وينهك قواها فى مجهودات غير منتجة ويضطرها إلى التزام طريق خاصة تبعدها كل البعد عن الاتصال الفعلى بمصادر الإنتاج فى الحياة العامة : تلك هى الامتحانات وأعباؤها. وإذا كان الثقات من علماء التربية الحديثة أمثال دكرولى ومنتسورى وديوى الخ يقررون أن المعاهد يجب عليها ألا تتصل فقط بمصادر الإنتاج المحيطة بها ، بل عليها فوق ذلك أن تكون هى نفسها مصادر للانتاج على نمط مصغر أو مكبر حسب ظروفها — فكيف يمكن لمعهد من المعاهد يضع نصب عينيه إعداد تلاميذه للامتحان فى مسائل خاصة امتحاناً يعد هو الحد الفاصل فى مستقبل تلميذه ؟ كيف يمكن لمثل هذا المعهد أن يحيد قيد أنملة عن المنهج الخاص بذلك الامتحان أو أن يفكر لحظة فى غير مسائل الامتحان الذى يرفع الناجح ويقضى على الراسب ، لأنه يعد الحد الفاصل بين العلم والجهل وبين الذكاء والغباء كما يقرر أنصار القديم ؟ وكيف يمكن لناظر أو مدرس أن يفكر فى غير الامتحان أو أن يعمل لغير الامتحان وهو المسئول عن نتيجته ومن ورائه المفتش يعمل وينقب للوم كل من يخرج عن المنهج المقرر فى أمر ما مهما كان ذلك الأمر هاما ومهما كان متعلقاً بحياة الطالب ومستقبله ؟!

لهذا كله لا أشك فى أن الامتحانات بعد تنفيذ اللامركزية أصبحت بصورتها الحاضرة هى العقبة الكأداء التى تعوق المدارس عن القيام بواجبها الحقيقى نحو أبنائها، إذ هى علاوة على ابتلاعها لوقت المدارس والمدرسين والنظار والطلاب وحرمانها إياهم من الاتصال المباشر بالإنتاج المحلى وتعرف دقائقه وأسراره ليست مقياساً مضبوطاً للكفاية كما نمت عن ذلك التجارب والإحصاءات وكما قرر ذلك أكابر الثقات ، ثم هى فوق ذلك تحرم المدارس من العناية بشخصية التلميذ كفرد مستقل له ميوله الخاصة واتجاهاته الخاصة التى يعنى بها الآن أكبر عناية فى جميع المدارس الحديثة فى البلاد الأخرى ، كما أنها تعمل على تنمية بعض قواه العقلية وإهمال البعض الآخر مما له أهمية كبرى فى حياته ، وتفقده لذة العمل للعلم ذاته علاوة على ما فيها من مرتع خصيب للغش وإفساد الأخلاق وقد كتبت عن مضارها فصلاً مطولاً فى مؤلفى «التعليم والمتعطلون فى مصر» من صفحة ١٩٨ إلى صفحة ٢١٣ بدأته بما يأتى : «إذا كان أظهر عيوب السلطة التعليمية المحركة للأعمال الفنية والإدارية عندنا هو المركزية فإن أظهر عيوب الأعمال المدرسية هو الامتحانات» وقد جاء فيه «وإذا كان علماء التربية فى البلاد ذات التعليم الحى التى تربط تعليمها ومدارسها بالحياة العامة قد أجمعوا على أن الامتحانات ليست مقياساً حقيقياً للكفاية فإن مدارسنا لا زالت إلى اليوم تعتبر النجاح فيها هو الغاية الوحيدة التى ترمى إليها ، وأصبحت الشهادة فى نظر الجميع هى الدجاجة ذات البيض الذهبى التى تدر على صاحبها الذهب والفضة والخير والحياة السعيدة فهى الغاية التى ليس من ورائها غاية الخ»

وإذن ؛ فقد وضح الآن أنه لا سبيل إلى جعل اللامركزية مجدية ومفيدة فى سبيل إصلاح معاهد التعليم وربطها بحياة الإنتاج ربطاً يدفع بأبنائها إلى حياة العمل إلا بالتخلص من شر الامتحانات إما بإلغائها أو بتعديلها تعديلاً كبيراً يخفف من شرها ويفسح المجال للعمل بدونها . وإن مصر كلها لتضع آمالها فى إصلاح حال التعليم وجعله منتجاً، فى ذلكم العلم الفذ الذى دانت لهمته الكبيرة ألوية الثورة المصرية قديماً كما دانت لشخصيته القوية ونزاهته ألوية النهضة حديثاً ، ذلكم العلم الفذ القابض على زمام وزارة التربية والتعليم الآن الذى يجعلنا بماضيه المجيد نطمع فى جرأته وقوة شكيمته ومضاء عزيمته آمالنا فى الإصلاح المنشود، سائلين الله تعالى أن يوفقه لخير العلم والتعليم ، ولخير مصر والمصريين .

عبد الحميد فهمى مطر

في الأدب الانجليزي الحديث

د . ه . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدي

٤ – الاباحية في الأدب

ينتمي الإنسان الحديث إلى إحدى طوائف ثلاث : فهو إما رجل يخشى جسمه ولا يعترف بوجوده بحجة أن تفكيره كله مركز في الحياة الروحية دون غيرها ، وهو لذلك يحارب كل ما يمت إلى الجنس بصلة وينكر على نفسه كل رغبة جنسية مهما كان مصدرها أو موضوعها . وقلما ينجو أمثال هذا الشخص من غضب جسمه عليه في آخر الأمر ومن ضربته القاضية التي يكيلها له دون ما هوادة أو رحمة . وليس أدل على هذا من الأخبار التي كثيراً ما نسمعها عن أساتذة كبار أو قساوسة نيفوا على الستين مع فتيات قاصرات ممن يتعلمن في مدارسهم أو يقصدن كنائسهم . وليس أمر هؤلاء بالمحير ولا تعليل ما فعلوا بالمعجز ، فهم تنكروا لأجسامهم وكبتوا رغباتها ، فكانت نتيجة ذلك أن اعتل تفكيرهم واختل ميزان عقلهم ، فأتوا من الأعمال ما لا ينطبق على العقل في شيء

وهناك رجل آخر هو على النقيض من الرجل الأول ، أرخى لجسمه العنان وعاش من أجل متعة جسده لا غير . فهو يرى في جسمه وسيلة إلى اللذة فأسرف في الانغماس فيها ، لا فرق عنده بينها وبين أن يتناول كأساً من الكوكتيل أو غيره مما يشتهيه الجسد ويتلذذ به

وأخيراً يأتي النوع الثالث من الرجال وهم للأسف كثيرو العدد . ويمتاز هـذا الرجل بعقل قذر لا يغذيه إلا كل قذر . فهو رجل يغرم بقراءة الكتب التي تبحث في العلاقة الجنسية ، ولكن رائده في ذلك ليس تفهم فلسفتها أو الإفادة مما جاء بها ، وإنما رائده التفتيش عن كل بذيء خارج ، لأنه يجد في قراءته لذة لا تعدلها لذة أخرى . ونجد هذا الشخص ميالاً إلى الاستماع إلى القصص التي تعالج هذا الموضوع وكذا النكات والفكاهات فكأنهم يجعلون من أساس حياتهم وعمادها موضوعاً للهزل واللعب . وهؤلاء وأمثالهم يربأ لورنس أن يكونوا من قراء كتبه

ومن غريب الأمر أن يتكلم هؤلاء الطوائف عن لورنس ككاتب إباحي مفحش في القول ، لا فرق عندهم بين من قرأ منهم كتبه ومن لم يقرأ . ولا يضع لورنس كل اللوم على هؤلاء الناس ، بل هو يوجه بعض لومه على القرن السابق الذي لا زالت تعاليمه مسيطرة على عقول الناس في العصر الحالي ، تلك التعاليم التي أكل عليها الدهر وشرب ، والتي ظهر خطأها وكان يجب أن يبطل العمل بها . وليس أدل على تأخر جيـل من خضوعه لقيود الجيل السالف واستسلامه لتعاليمه ، وإن ينطبق هذا على شيء فهو ينطبق على القرن العشرين الذي ما زال يرسف في أغلال القرن التاسع عشر على الأقل من الوجهة الاجتماعية . ففي مجتمعاتنا لا زلنا نحرص على التمسك بقيود أسلافنا ، وحتى في الأفلام التي نشاهدها ، وفي الكتب التي نقرأها ، وفي الأحاديث التي نستمع إليها ، ما زال لهذه التقاليد أكبر سلطان علينا ! فمثلاً لا زلنا نعتقد أن الجنس والعلاقة الجنسية هي من الموضوعات المحرمة التي لا يجب الخوض في بحثها ، أو الإشارة إليها إلا متسترين ، أو من طرف خفي . فالوالدان إذ يتحدثان إلى فتاتهما لا يزالان يقنعانها أنها يجب أن تكون في نقاوة الزهرة وطهر الملائكة ، وهم إذ يشبهونها بالزهرة فإنما يقصدون أنها يجب أن تتخذ الزهرة مثلها الأعلى ! ووجه الشبه الذي بينهما هو – في اعتقادهم – خلو كل منهما من الرغبة الجنسية . وأمثال هؤلاء القوم مخطئون في تشبيههم ، فلا الزهرة خالية من الرغبة الجنسية ، ولا الفتاة بمستطيعة أن تكون في غنى عن هذه الرغبة ! والحقيقة أن للزهرة جنساً ، وأن لها رغبة جنسية ، وليس من العدل في شيء أن نحرم الفتاة مما لم تحرم منه الزهرة ، بعد أن شبهنا الواحدة بالأخرى . ومع ذلك لا يفتأ الوالدان يكرران على مسمع الفتاة أمثال هذه الترهات حتى يأتي الوقت الذي تبغض فيه الجنس الآخر ، وتنظر إليه نظرتها إلى عدو لدود ، ولـكنها بعد أن تنمو وتكبر وتصل إلى الدور الذي تبحث فيه عمن سيكون شريك حياتها ، تصطدم بالفكرة الخاطئة التي غرسها في نفسها والداها ، فيحدث عندها انقسام وصراع ينغص عليها عيشها ويفسد حياتها !

وليس فى استطاعة أحد تعريف الإباحية أو تحديدها ، بل هى فى الحقيقة أمر نسبى كغيره من الأشياء النسبية ، فما يعده شخص إباحياً ، قد يعده شخص آخر غير ذلك ، وما كان إباحياً فى عصر من العصور قد لا يكون كذلك فى عصر آخر وهكذا. فمثلاً كان الإنجليز فى عصر كرمويل يعدون رواية « هاملت » إباحية لا يستسيغها ذوقهم ولا تتفق وتعاليمهم الأخلاقية . . . وها نحن أولاء فى العصر الحالى نعدها من بين أهم روايات شكسبير وأقواها ، بل ومن أهم روائع الأدب العالمى . وعلى العكس من ذلك ، يعد بعض الناس فى عصرنا هذا روايات أريستوفانيس إباحية تخدش قوانيننا الخلقية وتنتهكها ، ولكن هـذا لم يمنع الإغريق من أن ينظروا إلى أريستوفانيس نظرة التجلة والاحترام ويضعونه فى مصاف كتاب الدرجة الأولى

وإذا سألنا أنفسنا عن السر فى اختلاف حكم شخص عن حكم شخص آخر أو حكم جيل عن حكم جيل آخر لـما أعيانا السؤال أو استعصى علينا الجواب . وتفسير ذلك أنه ما من كلمة إلا ولها معنيان : المعنى الإجماعى ، أو المعنى الشعبى وهو ما اتفق الناس عليه ؛ والمعنى الخاص ، أو المعنى الفردى وهو المعنى الذى يفهمه كل قارئ على حدة حسب تفكيره وخياله وتجاربه . وليس فى مقدور كل شخص أن يكوّن هذا المعنى الفردى لأنه يتطلب من صاحبه أن يكون تفكيره من النوع العميق ، وأن يكون خياله خصباً ، وأن تكون تجاربه واسعة . وإن كتب لورنس لهى من النوع الذى يجب أن يعتمد القارئ فيها على المعنى الفردى ، وإلا فهى أعمق من أن يسبر غورها أو يتفهم فلسفتها أو يحيط علماً بما بها . وإن أمثال هذا القارئ قليلون ، ولهذا السبب كان عدد من يفهمون لورنس على حقيقته قليلاً ؛ ولـكن الغالبية من القراء يستسهلون قراءة لورنس عن طريق المعنى الشعبى الذى هو أبعد ما يكون عما قصده الـكاتب . وهم لهذا السبب ينعتونه بأنه كاتب إباحى أو مفحش فى القول . ولو أن أحدهم كلف نفسه مشقة سؤال عقله « هل ما أقرأ يصطدم وتعاليم عقلى الخلقية الصحيحة » لـكان الجواب بالنفى . ولـكن قليل هم من يفعلون ذلك ، بينما يلجأ الكثير منهم إلى تلك القواعد والقوانين الخلقية التى ورثها عن أسلافه جيلاً بعد جيل ويطبقها على ما يقرأ وإذ ذاك يرمى صاحب الـكتاب بالفحش والخروج على القوانين الأخلاقية . والحقيقة الواقعة هى أن ما يقرأ قد يجرح العينين لأنهما لم تألفا رؤية أمثال هذه الـكلمات من قبل ، أما العقل فهو يعرفها تماماً وطالما فكر فيها ، فهى معروفة لديه مألوفة له ، فهى إذن لا تجرحه ولا تتعارض وتعاليمه الأخلاقية

ويعتبر الناس أن كل ما يثير الرغبة الجنسية إباحى ، وهم ولا شك مراءون مضللون يقصدون خداع الغير بعد أن نجحوا فى خداع أنفسهم . ومن غريب الأمر أنهم مجمعون على أن الكون لا تقوم له قائمة من غير الجنس والعلاقة الجنسية ، وهم يعرفون تماماً أن هذه العلاقة كانت ومازالت وسوف تكون أساس الحياة فى هذا العالم ، وأننا لا نستغنى قط عما يثير فينا الرغبة الجنسية ، وإلا انهـار الـكون وتقوض بناؤه . وفوق ذلك فهم يعتبرون بعض القصائد الشعرية واللوحات الفنية والقطع الموسيقية والروايات والقصص من روائع الفن أو الأدب ، وهى كلها تعتمد على الجنس وقوامها إثارة الرغبة الجنسية . ومع كل هذا فما زال الاعتقاد سائداً بينهم أن الـكلام فى هذا الموضوع هو من المحرمات التى لا يجوز الخوض فيها . وهم يقصدون بالـكلام فى هذا الموضوع الـكلام الجهرى فقط ، إذ أنهم لا يأنفون من خوض غمار هذا الموضوع ما دام التستر رائدهم وما داموا بعيدين عن أعين النقاد

والحقيقة التى لا شك فيها أنه ليس هناك أى ضرر من معالجة الكتب لموضوع العلاقة الجنسية ، ما دامت لا تقصد من ذلك سوى منفعة الفرد وخدمته ، عن طريق تنوير ذهنه وإرشاده إلى طريق الحياة السوى الصحيح . وأما ما يجب محاربته بشدة فهو تلك الكتب التى تنتشر سراً بين الناس انتشار الأمراض الخبيثة ، والتى تدلس العلاقة الجنسية وتسىء إليها كل الإساءة ، والتى لا يبغى أصحابها من ورائها سوى منفعتهم المادية الشخصية . وإن سبب انتشار أمثال هذه الكتب انتشاراً ذريعاً وإقبال الناس على اقتنائها وتلهفهم على قراءتها هو ذلك الجو الغامض الذى أحاطه الناس جيلاً بعد جيل بالعلاقة الجنسية . فحب الاستطلاع الذى لا يخلو منه فرد هو الذى يدفع الولد والشاب والكهل إلى أن يختلى

بكتاب من هذا النوع علّه يقف منه على ما حرم من سماعه طيلة حياته . وإن انتشار هذه الكتب لهو أشد ضرراً وأسوأ عاقبة من قراءة الكتب الصريحة ، وشتان بين الأثر الذى تتركه أمثال هذه الكتب ، وبين الأثر الذى تتركه قصص بوكاتشيو مثلاً ، مع أن الناس اعتادوا وضعهما فى مرتبة واحدة .

ولكن الغريزة الجنسية التى لا غنى للناس عنها تتطلب من الفرد تنفيساً عن رغباتها . فإذا ما جلب له هذا التنفيس الخزى والعار بين قوم لا يميزون بين الغث والسمين ، عمد إلى وسيلة أخرى ينفس بها عن رغباته دون أن يعرف الناس عنه شيئاً . وليس لديه ما هو أقرب منالاً من العادة السرية يرتكبها ويسرف فى ارتكابها ، لأنها طريقه الآمن الوحيد الذى لا يتعرض فيه لنقد ناقد أو تهكم متهكم . وقد هاجم لورنس العادة السرية بكل بكل ما فيه من قوة لأنها فى نظره سرطان المدنية الحديثة وداؤها العضال ، فهى التى قتلت فى الإنسان الحديث حيويته وتركته رجلاً وما هو برجل ؛ فضلاً عن أننا نلمس فى مرتكبها ثوب العار والمذلة الذى لا يخلعه عنه قط . وإنا لنلمس أثر العادة السرية فى كتابات العصر الحديث ، فكما أنه فى العادة السرية ليس هناك شخص وموضوع بل هما واحد ، كذلك فى كتابات هذا العصر نرى أن موضوع الكتابة والكاتب هما شىء واحد ، بمعنى أن الكاتب يعمد إلى شخصيته أو نفسه فيحللها تحليلاً دقيقاً ويبنى على هذا التحليل كتابه . ومن أمثال هذه الكتب كتاب « يوليسيس » لجيمس جويس

وقد تنبه الناس فى العصر الحالى إلى الضرر البليغ الذى ينجم عن إحاطة العلاقة الجنسية بجو من الغموض والإبهام ، وأدركوا عظم الهاوية التى قد يجرفهم إليها تيار هذا الغموض ، ولكنهم للأسف نجحوا فى تشخيص المرض ثم عجزوا عن وصف الدواء . ففى محاولاتهم لقتل هذا الغموض قتلوا الجنس نفسه وأعدموا الرغبة الجنسية . فظهرت كتب عديدة تحاول أن توضح كل شىء فى العلاقة الجنسية فكان من جراء ذلك أن زالت عنها كل قدسية ، ومن أمثال هذه كتب مارى ستوبس Marie Stopes . وذهب فريق ثان إلى التغلب على هذا الغموض بأن انغمس فى هذه العلاقة وأسرف فيها ، وهؤلاء هم البوهيميون الذين كان من جراء تغالبهم فى هذه العلاقة أن عرفوا كل شىء عنها ، غير مدركين أن العلاقة الجنسية هى ينبوع مقدس يتفجر منه الماء بقوة آلهية ، حتى إذا ما حاول الإنسان أن يكشف السر عن هذه القوة توقف تفجر ماء الينبوع ثم جف

فغرض لورنس الذى يرمى إليه هو أن يعالج الكتّاب هذا الموضوع فى شىء من الصراحة التى لا تحلل كل شىء بطريقة علمية حتى لا تفقد هذه العلاقة قدسيتها . وكذلك يريد لورنس أن يعلم الناس أن هذه العلاقة شىء مقدس لا خزى فيها ولا عار؛ فهو يريد أن يرفع من شأنها ويهيب بالناس أن يقدسوها التقديس اللائق بها ، وفوق ذلك يريد لورنس أن يقول الإنسان ما يعتقد دون خفاء أو مواربة

ولورنس يكتب الآن لأقلية من القراء المفكرين واسعى العقول إلا أن الوقت سوف يأتى عند ما يؤمن الناس به جميعاً ويدافعون عن آرائه ومبادئه ويعملون بما يبشر به ، وهم إن فعلوا ذلك فسوف يحيون حياة جديدة كلها هناء وكلها سعادة وكلها رفاهية .

(يتبع) عبد الحميد حمدى

خريج جامعة أكستر بأنجلترا

على هامش الحرب

ثغر لا يتبسم

للأستاذ محمود غنيم

وقف الشاعر على شاطئ البحر فراعه ظلام شارع الكرنيش كما يقضى أمر الحاكم العسكرى فأنشد هذه الأبيات :

الشطُّ داجٍ والسكون مخيِّمُ ... ما بال ثغر الثغر لا يتبسَّمُ
عهدى به طلقاً بشوشَ الوجه إذ ... وجهُ الطبيعة عابسٌ متجهم
ساد الظلامُ البحرَ حتى أوشكت ... فى الليل تخشى أن تطلَّ الأنجم
فكأن أرواحا (بوارسو) أزهقت ... فأقيم فى مصرٍ عليها مأتم
البحر يغمره الظلامُ . فيا له ... من عَيْلَمٍ يطغى عليه عيلم
لا نور فى الآفاق إلا أن ترى ... طيــارةً قد طاردتها أسهم
أو حمرة الشفق التقت بمجاجة ... فكأن ماء البحر خالطه دم
أو طيفَ مصباح بدا وكأنه ... يخشى من الغارات فهو ملثَّم
نور كنور النجم خلف الغيم أو ... كهلال يوم الشك خافٍ مبهمُ
ولقد نظرت إلى المنار فما انثنى ... طرفى . وهل يَثنيه جسم معتِم؟
قد عُطِّل المصطافُ من سُمَّارِه ... وانفضَّ من قبل الأوان الموسم
أقوت مسارحه وأغطش ليله ... لا راقصٌ فيه ولا مترنِّم
قد كان يحيى الليلَ فيه معشرٌ ... فتثاءبوا عند الغروب وهوَّموا
أين اللاح على ملاعبَ سيفِه ... وكأنهنَّ به طيورٌ حُوَّم ؟
جيش من الآرام كان مرابطاً ... ما باله من غير حرب يُهزم ؟
هذى عروس البحر أم أنا حالمٌ ... ما بالها ليست كما أتوهم ؟
ما ساهمتْ فى الحرب إلا أنها ... بالصمت عن هول الحروب تترجم
لكأن هذا الصمت بين مسامعى ... طلقاتُ أفواهِ المدافع تهْزِم
كم كنت أغشاها فأنسى عندها ... نفسى ويسبح بى الخيال وأحلُم
دنيا يفيض بها السرورُ وعالمٌ ... مَرِحٌ وجو بالسعادة مفعَم
البحر كم أغرقتُ فيه لواعجى ... واليوم ما بالى به أتبرَّم ؟
يا بنت ذى القرنين عذراً إن نبا ... بى مَقْوَلى . قلبى بغيرك مغرَم
اللهُ يعلمُ قد تركتك كارهاً ... صدر يفيض أسى وفكٌّ ملجم

(الاسكندرية)

محمود غنيم
مدرس بالمعلمين

الخير والشر

للأستاذ ميخائيل نعيمة

سمعت فى حلمى ، ويا للعجب ! ... سمعت شيطاناً يناجى ملاكْ
يقول: « أى ، بل ألف أى يا أخى ... لولا جحيمى أين كانت سماك ؟
أليسَ أنَّا توأمين استوى ... سرُّ البقا فينا وسرُّ الهلاك ؟
ألمْ نُصَغْ من جوهر واحد؟ ... إن ينسنى الناس أتنسى أخاك؟ »

* * *

فأطرق ابن النور مسترجماً ... فى نفسه ذكرى زمان قديمْ
واغرورقت عيناه لما انحنى ... مستغفراً وعانَق ابن الجحيم
وقال: « أى ، بل ألف أى يا أخى ... من نارك الحرَّى أتانى النعيم »
وحلَّق الإثنان جنباً إلى ... جنبٍ وضاعا بين وشى السديم

ميخائيل نعيمة

فى الهيكل

للأستاذ إبراهيم العريض

أنا منْ يُنكرُ النعيمَ إذا لمْ ... أتمثَّلهُ فى حياةِ انفرادِ
فإذا رُمتَ فى الحياةِ كفافاً ... فاجعلِ المستقرَّ فى بطنِ واد
كلُّ رُكنٍ من جانبيهِ مُصلًّى ... قائمٌ فيـــهِ للطبيعةِ حاد
حيثُ يُنصبُّ جدْولٌ فى ائتلاقٍ ... كالمرايا تحتَ الشعاع الهادى
سالَ للشمس فى الوهادِ لعاباً ... فاطمأنَّتْ بهِ بطونُ الوهاد
ساحباً ذيْـلهُ على كلِّ خافٍ ... نافضاً بُرْدهُ على كلِّ بادِ
كلَّما هبَّتِ الرياحُ أصيلاً ... ماجَ كالطفلِ ناعساً فى المهاد
وعلى ضفَّتَيْهِ باسقُ كرْمٍ ... لاحَ فى معْزلٍ عن الوُرَّاد
بكَّرتْ طيْرُهُ تردِّدُ لحناً ... كقِيانٍ يعْزفْنَ بالأعوادِ
فإذا ماجَ كالغدائرِ ظلُّ الشـ ... ـمسِ قامت على الغصون تُنادى
وإذا زالَ زائلُ الظِّلِّ.. غابت ... بينَ أوْراقِ وكْرِها الميَّاد
خلْوةٌ ماخلَتْ بها النفسُ إلاَّ ... تتمنَّى لوْ لمْ تعِش فى البلاد
عشت ـ ياقلبُ ـ فى الليالى وَدوداً ... والليالى لا تحتفى بالودادِ
فاخلُ بالنفسِ إن أردْتَ خلاصاً ... منْ حياةٍ تموجُ بالحُسَّاد
تحتَ ظلِّ الكروم.. فوق بساطٍ ... أخضر المشب ، أحمر الأوراد
وبمُنْقودِها الجنيِّ إذا عتَّـ ... ـقَ عِشْ سالماً من الأحقاد

(البحرين)

ابراهيم العريض

حيـــاتى

للأستاذ العوضى الوكيل

كأنَّ حياتى كوكبٌ أنتِ نورُه ... وزهرٌ ومرآكِ السنىُّ عبيرُه
حييتُ ليحيانى رُوحٌ من الهوى ... فَيهدِرُ فى الدُّنيا ويحلو هديرُه
وتنساب فى المزمار من فىَّ نغمةٌ ... هى القلبُ أو قد بُثَّ فيها شعورُه
تجوزُ شعاب الأرضِ فى رَوْنق الضُّحى
وتسرى بها والليلُ مُرخى سُتورُه
حياتِىَ بستانٌ تطاولَ صمتُه ... وأقبلتِ فى نفسى فغنَّت طيورُه
ورقرقتِ الأنغام بيضاء نَضرةً ... وفى اللحن ذو يُبسٍ وفيه نضيرُه
فكم ظاهرٍ عبر العيونِ تُكِنُّه ... وكم مستكِنٍّ فى الضلوع تثيرُه

(السنطة) العوضى الوكيل

تعـــالى ...!

للأستاذ صالح الحامد العلوى

تعالى يا ابنة الفجرِ ... أشيعى النور فى صدرى
وبثّى نشوة اللذا ... ت والأفراح فى نفسى !
فإنك عندىَ الدنيا ... وكلُّ جمالها المغرى
وما فى الكون من سحرٍ ... ومن طهرٍ ومن قدسِ !
معاذ الله ! ما ضاها ... كِ من شمسٍ ولا بدر
تمثل فى جمالك حسـ ... نُ أجيالٍ من الإنسِ !
تعالى زهرة الحبِّ !
أذيبى العطر فى قلبى
وأحيى ميت الأحلا
م والآمال فى جَدْبى !

***

هلمى نحيى باللهـ ... ـو ونغنم زاهر العمر
ونعمر غالى الأوقا ... ت باللذات والأنسِ !
ففى خدى وفى خديـ ... ـكِ ماء للصبّا يجرى
وفى الكفين كأسٌ لـ ... هوى عذرية النرس !
وقد ينضب ذاك الما ... ء من نهرك أو نهرى
وقد تنفد تلك الخمـ ... ـر من كأسكِ أو كأسى !
هلمى ! بهجة القلب !
لندرك صفوة الحبِّ
وكلى مهجةٌ تصبو
وكلكِ فتنةٌ تصبى !

(حضرموت : سيوون) صالح الحامد العلوى

هـــذيان ...

للأديب عبد العليم عيسى

مذهبى ، لا مذهب النـ ... ـاس شُعاعى وحياتى
وسواء سَارَ بى للنـ ... ـور أم للظلمـــات
أنا وحدى فى سبيلى ... مشعلى الهادى حصاتى
لا أبالى ضجة الأحـ ... ـباب حولى والعداة
تاركا نسل التراب ... يتلهى بالسراب ... وأمانيه الكذابِ
فليلم من شاء إنى ... راسخ كالطودعات
ساخر من كل ماض ... فوق دنياى وآت

***

نَقروا الأعواد للعر ... س وضجوا بالنشـــيد
وأنا وحدى نقرْت الـ ... ـعودَ للنعش السعيد
لست بالباكى على الهـ ... ـارب للقـــبر المبيد
لَا .. ولا بالهاتف الشّا ... دى إلى الطفل الوليد
نحن دنيا من حبابٍ ... تَتَبدّى للذهابِ ... بعدهمٌ واكتئاب
فلماذا أرقص الأنـ ... ـغام للعرس الرغيـــد
وهو فى عينَىَّ وهـ ... ـم من ضَلالَاتِ المبيد

***

أتركونى .. أنشد الألـ ... ـحان سكران طروبا
أتركونى .. أوقظ الأطـ ... ـيار والزهر الحبيبا
لاتضجوا حول روحى ... وكفى روحى لغوبا
فأنا هيمان فى الدنـ ... ـيا وإن كنت كئيبا
أتسلّى عن عذابى ... بنشيدى المستطاب ... مثل عصفور الروابى
وسواء كنت للنا ... س عدواً أو حبيبا
فأنا لا أعرف النا ... س وإن كنت قريبا

(دمياط) عبد العليم عيسى



دراسات فى الفن

شىء ليس فى الكتب ...

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

... وقابلتنى مرة أخرى صديقتى التى قدمتها إليك فى الأسبوع الماضى وكانت كعادتها غاضبة ، ولكنها فى هذه المرة كان غضبها بالغاً نهايته من قبل أن ترانى ، وقد رأتنى قبل أن أراها فلم أنتبه إليها إلا بعد أن وكزتنى وهى تقول :

— أهكذا يكتب الناس فى الصحف السيارة ما يدور بينهم وبين صديقاتهم من أحاديث ، حتى إذا قرأها من يعرفونهم ويعرفونهن وقفوا على ناحية من تفكير فتاة تحب أن يعرف الناس عنها أنها مقطوعة الصلة بالرجال وأحوال الرجال ونفوس الرجال ؟ ... أم أنت آليت على نفسك تخويف العرسان ؟ حقاً إنك قليل الذوق !

— عفوك يا آنستى عفوك ، فما أقصد إلى شىء من هذا ، وإنما أدعو الله لك بالتيسير كما أسأله لك الصون . ثم انتهزها فرصة لأسألك ما هو الذوق ؟ هذا الذى تقولين إن نصيبى منه قليل ...

— هو فضيحة جديدة تزفها بأجراسها للرسالة . سأشكوك للأستاذ الزيات !

— ليس للأستاذ الزيات شأن فى هذا . فأجيبى وقولى : ما هو الذوق ؟ أم أنت تقولين ما لا تعرفين ؟

— لا أعرف هِه ! فما هو الذوق يا ذواق ؟ ...

— وأنا أيضاً لا أعرف

— إذن ففيم كانت هذه الأستاذية المنفوخة فى سؤالك ؟

— كانت فى السؤال يا آنستى ... أما تعرفين أنى أستاذ فى الجهل ، والسؤال سألته بحثاً عن المعرفة ؟ وهلا تحبين أن نتعرف الذوق معاً ؟

— أنتعرّف الذوق معك أنت ؟ وهل أنت تريد أن تعرف الذوق ... ؟

— بنعمة الله أردت . وإنى أراك لا تعرفينه فقد وقفت عن تعريفه ، فلم لا نتعرفه معاً ... إنه شىء ليس فى الكتب !

— لولا أنك مر !

— يا توفيق الله ! من هنا نبدأ . أنت تصفين إنساناً بأنه مُر ، بينما الإنسان شىء لا يؤكل ولا يشرب حتى يعرف له طعم فكيف سولت لك نفسك هذا الخلط ؟

— وأنا مالى ! أتريد أن تحاسبنى على اللغة أيضاً ؟ هم الناس يقولون هذا عند ما يريدون أن يصفوا إنساناً بأنه ... بأنه مر !

— إذن فأنت مقلدة فى هذا ... وسنفرض أيضاً أن كل من يصف الإنسان بالمرارة مقلد فى وصفه ... ولنمض إلى أن نلتقى بأول من وصف إنساناً بهذا الوصف ... ولنسأله : كيف سولت له نفسه هذا الخلط ؟

— سيقول إنه تشبيه

— ونحن أيضاً نقول إنه تشبيه ... ولكن كيف نشأ هذا التشبيه فى ذهنه ، وكيف قامت عنده هذه العلاقة بين الإنسان وبين المرارة وهى طعم من الطعوم لا يمكن أن يصل إلى الذهن إلا فى أعصاب الجهاز الهضمى ؟

— ما للجهاز الهضمى وما نحن فيه ؟

— ليس للمرارة مدخل إلى الإنسان إلا من هذا الطريق ... من الجهاز الهضمى وحده فلن نعدل فى تفهم الذوق عن هذا .. وسنبدأ بتقدير حقيقتنا الأولى ، وهى أن أول من وصف إنساناً بأنه مر لا بد أن تكون أعصاب جهازه الهضمى قد أحست المرارة

منه فعلاً ... وعلى هذا القياس يكون أول من وصف إنساناً بأنه حلو قد أحست أعصاب جهازه الهضمى فيه بطعم السكر فعلاً .. وهكذا ...

— إذا وجدت إنساناً معك يوافقك على هذا الكلام ، فإنى أعاهدك أن أقوم لك مدى الحياة خادمة ، وعلىّ دخانك ! إن هذا الذى تقول لا يصح إلا عند نيام نيام حيث يأكل الناس بعضهم بعضاً فيتذوق بعضهم مرارة ذبيحته أو حلاوتها !

— وأنت لا يصح الذى تقولين ، إلا إذا كان عقل الإنسان آلة مضطربة لا نظام لها ولا قانون، ولكن للعقل نظاماً وقانوناً، أفإذا قال هذا علماء النفس آمنت ، فإذا قلته أنا تستهزئين ؟

— لأنك تريد أن تخرج منه إلى نتيجة مضحكة !

— ليس ذنبى ، ولا ذنب ما أقوله أنك تضحكين ، أسكتى ، ولنمض ... والله المعين .

— أنا معك . . . فماذا تريد أن تقول ؟

— أريد أن أعود فأصلح ما قلت لأنه كلام سخيف

— ليتك تريد أن تعرض نفسك على طبيب حكيم . أما قلت لك إن الذى تقوله ليس شيئاً غير كلام المجانين . . .

— لا يا آنستى، إنه كلام معقول معقول، وكل ما فى الأمر أنه سخيف ، فلو أننا برأناه من السخف لصلح . ومن يدرى فربما أصبح حقيقة علمية فيما بعد . اسمعى

— ها أنا ذى سامعة . وإنى لا أسألك يا رب رد القضاء وإنما أسألك اللطف فيه

— المعروف أن الجهاز الهضمى لا يرسل إلى المخ إشاراته إلا بعد أن تؤثر فيه مؤثرات كيميائية . . . أليس كذلك ؟

— إنه كذلك

— ونحن نريد الآن أن نعرف : ألا يمكن أن يرسل الجهاز الهضمى إلى المخ إشاراته هذه بغير وجود هذه المؤثرات الكيميائية؟

— يمكن هذا . . . عند ما يتذكر الإنسان طعما من الطعوم

— ليس هذا التذكر إلا استعادة داخلية تلقائية تحدث فى المخ وتسترجع بها صورة لحالة فاتت . . . فهو من نوعها . . . ولكنه على أى حال يفيدنا دليلاً أو قرينة على أنه من الممكن أن يتصور الذهن أو أن يدرك طعماً من الطعوم بدون حاجة إلى المؤثر الكيميائى

— حسن . وهل تحسب أن هناك مؤثراً آخر غير هذا المؤثر الكيميائى ؟

— ولم لا ؟ ألا يمكن أن يكون هناك مؤثر كهربائى مثلاً ؟

— تريد أن تقول إننا عند ما نرى إنساناً ممن نصفهم بالحلاوة مثلاً ، يجرى منه تيار كهربائى فيدخل هذا التيار إلى أفواهنا أولاً ، ثم تمضغه أسناننا ، وتلوكه ألسنتنا ، ثم ينزلق فى المرىء إلى المعدة، وفى أثناء هذا ترسل أعصاب الجهاز الهضمى إشارات إلى المخ تدل على أن هذا الإنسان حلو ؟!..

— لست أريد أن أقول هذا بالضبط ، وإنما أريد أن أقول شيئاً يشبهه . على أنى لا أرى ما يمنع من إقرار هذا الذى تقولين ، وتعززه عندى مشاهدات فطرية ليس من الحكمة أن ننكرها أو أن نغفلها

— وما هى مشاهداتك هذه ؟

— سأذكرها لك ، ولكنى أرجوك ألا تشمئزى منها فالحق لا يعرف الاشمئزاز ولا التقزز ... لا تؤاخذينى ... ألم تبصقى يوماً على إنسان رذل ؟ أو فى موقف رذل ؟ ثم ... ألم يسل لعابك يوماً استجابة لحلاوة ... طفل أوطفلة... أوموقف حلو؟!.. أجيبى...

— ما هذا « القرف » ؟

— عدنا إلى تردد النساء ووجومهن عن الحق ؟ أجيبى ... ألم يحدث لك شىء من هذا ؟ أما أنا فقد حدث لى كثيراً ، كما أنى أعرف أناساً كثيرين حدث لهم مثل هذا ، وإنى أعفيك من الإجابة عن هذا السؤال وأفرض أنك مخلوقة عجيبة لا تخضعين للقوانين التى تسرى على غيرك من الأبشار . . . وأسألك لماذا يحدث للناس ما عداك طبعاً . . . هذا الذى ذكرناه ؟ . . هل هو تأثير كيميائى أيضاً ؟

— لا أظن !

— إذن فهو غير التأثير الكيميائى ، وأنا أقول إنه تأثير كهربائى . صحيح أننى لا أستطيع أن أثبت هذا إثباتاً علمياً يقوم على أساس من التجربة الدقيقة ... ولكن ...

— ولكن هذا الكلام لا يمكن أن تقوم له قائمة إلا إذا أثبته

— وأنا لا يعنينى كثيراً ولا قليلاً أن تقوم له قائمة ، فلا أنا متعلق به ولا أنا حريص عليه ... بل إنى أحب أن أمحوه

لأثبت مكانه شيئاً آخر أحبه أكثر مما أحب الكهرباء، وهو الروح

— ولماذا لا تقصد إلى ذلك رأساً ما دام هذا هو غرضك ؟

— لأن الحديث عن الكهرباء فى هذا الزمن أيسر قبولاً عند الناس من الحديث عن الروح، وقد يجد من يقتنع به فى سهولة بل إنه قد يجد من يحاول إثباته ... وربما وجد من يثبته

— فأنت تخادع محادثك وتتملقه

— بل إنى أستدرجه ... دعينى من هذا ، وعودى بنا إلى ما كنا فيه ...

— وفى أى شىء كنا ؟

— كنا نتحدث فى « كهربات » الناس

— ياله من موضوع !

— إنه لا يزال أشتات موضوع ولما يتجمع ... والآن نريد أن نعرف ... ألا تختلف الكهرباء فى المعادن والعناصر ؟

— إنها تختلف ... فنحن إذا دلكنا الكهرمان بالصوف أو الحرير انبعثت منه الكهرباء ، ولكنها لا تنبعث منه إذا دلكناه بالقطن مثلاً ...

— حسن . إن فى هذا ما يشبه ذلك السر الذى يوفق بين ناس وناس ، وينفر ناساً من ناس . وقد يكون فى هذا أيضاً سر الإذن الذى أباح به الإسلام للرجل أن يتزوج من أربع نساء

— إن هذه قفزة عجيبة أريد لها توضيحاً ...

— ألا تستطيعين أنت أن تذهبى وحدك إلى هذا التوضيح ؟ الرجل كالكهرمان ، والنساء كالصوف والقطن ، ولكنهن أربع والصوف والقطن اثنان

— ولكن النبى محمداً تزوج أكثر من أربع ...

— إنه النبى محمد الذى كانت كل كلمة من كلماته درساً ، والذى كان كل عمل من أعماله حكمة ... وهو قد أحب خديجة حبا، وأحب عائشة حبا، وأحب زينب بنت جحش حبا، وهكذا...

— ألا ترى أننا ابتعدنا عما كنا فيه ... عد بنا إلى الكهرباء

— لا أريد أن أقول شيئاً بعد هذا ... إلا أنه قد أصبح من السهل على هذا الأساس الذى وضعناه أن ندرك السبب فى اتفاق مشارب الناس وفى اختلافها . والاتفاق هو الذى يحشد بعض الجماهير وراء بعض الفنانين إذ تجد الجماهير فى الفنان قائداً يقودها إلى ما تحبه وترتاح إلى الاحساس به ، وينأى بها عما تكرهه وتتقزز من الإحساس به. وهذا هو ما يسمونه الذوق؟

— ولكن علماء النفس أدركوا هذا السر قبل أن تدركه أنت ، وقالوا إن الناس أمزجة ، وقسموا أمزجة الناس إلى أربعة : اللمفاوى ، والسوداوى ، والدموى ، والصفراوى . وأرجعوا نشأة هذه الأمزجة إلى إفرازات تفرزها غدد خاصة فى الأجسام. ولقد أعانهم علماء الطب والتشريح على مذهبهم هذا فأثبتوه لهم ، وأنت تلقى كلاماً على عواهنه وتريد منى أن أصدقك وأن أعرض عن كلامهم من غير برهان تسوقه ؟

— لا يا آنستى . . . أنا لم أطالبك بشىء من هذا . ولكنى أذكرك بما يكون قد غاب عن ذاكرتك ، وهو أن الفلاسفة الأقدمين قد قسموا أمزجة الناس إلى طبائع أربع أيضاً فقالوا إن من الناس من هو ترابى ، وإن منهم الهوائى ، وإن منهم المائى ، وإن منهم النارى . . . وقد اندثر تقسيم الفلاسفة القدماء ولم يعد أحد يأخذ به وحل محله كلام أطبائك وعلماء نفسك !

— ولعلك تريد أن تقول إن مذهب حضرتك هذا هو الذى سيحل محل مذهب الأطباء وعلماء النفس ؟

— العفو ! ولكنى أعود إلى السؤال الأول الذى بدأنا به هذا الحديث والذى جرنا إلى هذه النهاية المربكة ... كيف وصف الواصف الأول إنساناً بأنه حلو أو أنه مر بينما هو لم يذق له طعماً ؟

— إنه تشبيه

— بهذا أجبت فى بادئ الأمر . فهل تريدين أن ندور ؟ . . .

عزيز أحمد فهمى



لحظات الالهام

فى تاريخ العلم

تاليف مريون فلورنس لانسنغ

٥ - الشعر المستعار والمسحوق

فى صباح يوم من عام ١٧٠٨ حدثت متاعب فى بلاط سكسونيا الملكى ؛ فإن الأمير أغسطس الملقب بالقوى قد غضب

وكان أغسطس متى غضب لا يكتم غضبه بل يترك كل من يتصل بهم يحسون سوء مزاجه سواء فى ذلك الخادم الذى يحمل إليه الطعام ، والسائس الذى يمسك بزمام جواده . ولم يكن يعد أحداً من أهل منزله أصغر من أن يعنيه اهتمامه ؛ فلا شىء أقل من إشراكه فى غضبه ما دام فى هذه الحالة

قال « أوتو » خادم المائدة همساً « لأولرتش » الوصيف : « متى بدأت هذه الحالة ؟ » ، وقد ألقى عليه هذا السؤال عند ما رمى أغسطس بالمائدة التى أمامه ومشى مغضباً من غرفة الطعام ، وهو يصرح بأن اللحم الذى أكل منه والذى كان مسروره منه بادياً لا يصلح للرمى للخنازير فى الاصطبل ، وقال إن كل شىء كان جيلاً عند ما جاء من بولونيا فى مساء الأمس

قال أولرتش : « ربما كان ذلك لأمر من أمور الدولة ؛ فقد قيل إنه سيكون ملكاً على بولونيا إذا سارت الأمور بين النبلاء على ما هى عليه الآن »

فتطوع الحاجب الذى كان مصغياً إليه بقوله : « لقد ذهب فى هذا الصباح إلى المصنع »

قال أولرتش : « هذا إذن هو السر . ففى هذا المكان سحر وزيارته لا تؤدى إلى خير »

فقال الحاجب مستغرباً : « ما الذى يصنعونه هناك ؟ إننى أراهم ينقلون إليه زجاجات عجيبة الشكل وقنانى ثقيلة ، ولكن أحداً لم يسأل متى يكون إخراج هذه الأشياء . ولم يحاول أحد الدنو من الأبواب المخفورة ليرى ماذا يحدث بداخلها

قال أولرتش محتداً : « لا ترفع صوتك يا بنىّ ، وكف عن الطواف حول السلم المؤدى إلى الحصن ، هذا إن كنت تحرص على مركزك هنا ، والأفضل أن تبقى عيناك مغمضتين ، وأذناك كذلك ما دامت قوات الظلام تعمل » .

فقال أوتو وهو يبتسم للحاجب المنزعج : « كلا ، لا تقل ذلك ، فلا وسيلة لإرسال شاب قوى الروح إلى الشيطان لمطالبته بأن يدنو منه وهو مغلق العينين خوفاً من أن يراه . إن الهر « بوتجر » ليس من أمراء الظلام ، فيلقى عليك سحره يا بنىّ ، ولكن عمله يتعلق به وبالدوق أغسطس ، وهما لا يحبان الفضول ولا يحبان تدخل الفضوليين »

قال الصبى وقد بدا عليه الاهتياج الشديد : « ولكنهم يقولون إن الهر بوتجر ساحر ، وإنه لما كان يتمرن على فن الصيدلة فى برلين لم يكن أستاذه أقل من الراهب اليونانى لاسكاريس نفسه » ...

فقال أولرتش : « أرأيت نتائج تصرفك يا أوتو ؟ لقد امتلأ رأس الصبى بالأقاصيص منذ الآن ، وهو يعرف أن الفنون الملونة فنون الكيمياء تمارس فى الحصن . تكلم عنها إذا شئت ، وإذا وجدت من نفسك الجرأة على الكلام . أما أنا فإنى أعتقد أن الحوائط لها آذان ما دام الحديث يسفر عن شر » .

ومشى أولرتش غاضباً . فقال الصبى : « ولكن يا أوتو ...

يا أوتو الرقيق ... أخبرني ... فأنت تعلم أني حديث العهد بخدمة القصر ، وأنت على حكمتك بعيد العهد بهذه الخدمة !

قال أوتو : « نعم يا بنيّ ، لقد كنت هنا لما جاء بوتجر ، وكان عمري إذ ذاك ستة عشر عاماً ، وكان بوتجر نفسه قاصراً تحت وصاية النبيل أغسطس » !

فقال الصبي : « ولكن لماذا كان فراره ومتى جاء ؟ » .

قال : « لقد فر من برلين ، وكان بها في الواقع تلميذ كيمياء ولكنه وأستاذه لاسكاريس عثرا في أثناء الدراسة على شيء جعل حياتهما في خطر ، ويقولون إنهما تمكنا من الوصول إلى حجر الفلاسفة نفسه ، وإن الدوق الطامع الذي يعملان تحت حمايته أراد أن يسجنهما خشية أن يفشيا سر استكشافهما إلى سواه !

قال الحاجب وقد حملق في دهشة أمام أوتو : « حجر الفلاسفة ! أهذا هو الذي يحول كل مادة تلمسه إلى ذهب ؟ »

فقال أوتو : « نعم هو هذا الحجر ، وقد سر مولانا أغسطس من إيواء كيميائي ذكي قد يكشف عن هذا السر في يوم من الأيام

قال : « وهل عرفه ؟ » . فقال : « لا . وأظن أن هذا هو السبب في مجيء مولانا أغسطس مغضباً من المصنع . لقد فعل أغسطس كل ما في وسعه أن يفعله ، ولخوفه من ألا يستطيع غلام في عامه السادس عشر أن يصل وحده إلى هذا السر استقدم الهر والتر فون تشرناهوس الحكيم ـ وهو أستاذ في الكيمياء وفي كافة العلوم ـ واشتغل الرجلان معاً عدة أيام ولكنهما لم يخرجا من المعمل إلا ببعض أوان من الخزف الأحمر ؛ فإن لم يكن هذا هو كل ما فعلاه فإنه على الأقل كل ما رأيته . وكان شكل هذه الأواني جميلاً لو أن الذي يعنى المرء هو لون أطباقه . وكان السيد معجباً بهذه الأطباق حتى لقد أرسلها إلى ليبزج حيث أحدث وصولها حركة غير عادية كما علمت . ولكن الذي يبحث عن السحر الذي يمكن بواسطته تحويل كل المعادن الدنيا إلى ذهب ، لكن هذا الذي يبحث عن السحر فلا يجد إلا أطباقاً حمراء والناس كلهم يعلمون أن الطعام طعام سواء أكل في أطباق من الخشب ، أو أطباق من الخزف العادي ، أو في تلك الأطباق الجميلة الحمراء ، فله العذر إذا غضب

قال الصبي : « ولكن أين هو الهر والتر ؟ إنني لم أره »

فأجابه : « لقد مات منذ شهرين ومن أجل ذلك كان من نذر السوء على الهر بوتجر ألا يقع على السر سريعاً كما يدل على ذلك ما يبدو من نظرات الشر على عيني مولانا ، ولكن تعال أيها الصبي ، فيجب أن نؤدي أعمالنا الآن لا أن نقف فنتحدث كأننا بعض النساء العجائز ، لكنني لا أحب أن يزعجك الصديق أورلتش الذي يظن كما يظن الكثيرون في هذا القصر أن أمير الشياطين مقيم في الحصن ، وأنه يأتي متى استدعاه جارنا بوتجر » .

ذهب أرتو ولكن متاعب ذلك اليوم لم تنته ؛ ثم فتح الباب على الأثر ، ودخل أستاذ الكيمياء الهر بوتجر الذي قلما يخرج من الحصن ، وكان في هذه الساعة مهتاجاً كما كان أغسطس منذ ساعة مضت !

مشى بخطوات طويلة وهو يحرك شعره المستعار الذي نُثر فوقه مسحوق ، وكان قد اعتاد أن يضعه فوق رأسه المستطيل الضيق فيكسبه هيبة ، ونادى بصوت مرتفع ذلك الوصيف الذي يذر المساحيق فعرف هذا الشعر .

فقال الحاجب في إحجام : « هل لي أيها السيد أن آخذها إليه إذا كان المسحوق الذي وضعه ليس جيداً »

صاح الكيميائي : « ليس جيداً ! أين هو الذي وضع هذا المسحوق ؟ أين هو المسحوق ؟ من أين أتى به ؟ يجب أن أحصل على مقدار منه في الحال ! »

ثم خرج من الردهة وفي يده شعره المستعار وشعر رأسه مشوش . فقال الصبي وهو يشير إلى نفسه بإشارة الصليب أثناء تحدثه : لست أعرف أيهما المحق أورلتش أو أوتو ؟ لقد بدا لي الهر بوتجر في هذه اللحظة كأنه مجنون ، وكأن قوات الظلام تطارده .

نحن الذين أتيح لنا أن نجتاز السلم، وقسم المعمل في الحصن الذي بدأت به هذه الأعمال الغامضة نعرف أن الهر بوتجر لم يخرج كالمجنون للبحث عن الوصيف الذي ذر المسحوق على شعره المستعار لأنه فعل ذلك على صورة لم يرضها بل لأنه سر من هذا المسحوق إلى درجة غير عادية ، وكان يريد جزءاً من هذا المسحوق الثمين الذي وجده ، وهو لا ينتظر ذلك، فوق شعره المستعار أكثر مما أراد أي شيء آخر منذ عهد طويل

وكان أوتو مصيباً فى قصته فى الحدود التى تناولها ولكنه يسلم بأنه لم يدخل المعمل ولا يعلم ماذا يحدث به إلا عن طريق الإشاعة . وقد كان بوتجر وزميله والتر فون تشرنهاوس كسائر الكيميائيين فى عهدهما يبحثان عن حجر الفلسفة الذى يحول كل المعادن إلى ذهب . ولكن أغسطس كان يبحث عن أكثر من هذه الخرافة ، وقد انضح فيما بعد أنها خرافة ، كان الرجل عملياً كما كان رجل ثقافة . وبما أن عصره كان عصر استكشاف وسياحة ، فقد كان اهتمامه شديداً بمعرفة ما تفعله الشعوب الأخرى فى تجاربها العملية وفى فنونها ، وقد جمع فى العهد الأول من حياته أسلحة ودروعاً من كل الممالك الأوربية ، ومن البلاد المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط . وكان تحمسه فى العهد الأخير لجمع المصنوعات الفضية والجوهرات ، وكان لديه من ذلك مجموعة نفيسة ، وكلتا مجموعتيه أو الباقى منهما لا يزال موجوداً فى هذا اليوم فى متاحف سكسونيا بين أفضل المعروض من كنوزها .

وحوالى الوقت الذى لجأ فيه إليه بوتجر ملتمساً حمايته ، كان اهتمامه بالغاً نهايته بالأوانى الصينية التى جاء بها تجار الألمان إلى أوربا من البلاد النائية فى الصين واليابان !

كان فى أوربا فى سنة ١٧٠٠ أوان من الحجر ملمعة بأملاح وكان استعمالها شائعاً ، وكذلك كان فيها أوان ملمعة بالقصدير ، وكان الأغنياء خاصة يستعملون نوعاً من الأواني مغطى بطبقة من الميناء ، ولكن كل هذه الأنواع كانت من نوع الأوانى ذات القشرة التى تستعمل اليوم ، فإذا ذهبت القشرة بمضى الزمن وكثرة الاستعمال ، فإن الطينة تظهر من تحتها ، وهى فضلاً عن شكلها العامى ذات مسام ، وإذا وقعت عليها نقطة من الماء محتوية على شيء من الدهن فى الموضع الذى تقشرت فيه الميناء ، فإن هذه النقطة تتسع حول الثقب ، وتترك أثراً قبيح الشكل .

وكانت مجاميع الأطباق الواردة من الصين صافية جيلة يستطيع المرء أن يضع إحداها بين عينيه وبين النور ، فيتبين أنها مصنوعة من معدن واحد ، وهى فضلاً عن ذلك رقيقة خفيفة ...

وكانت هذه المجاميع كنزاً فى نظر رجل مثل أغسطس مشغوف بجمع التحف ، فكان يشتريها بأى ثمن ويقدرها لجمالها ولحسن صناعتها . وقد بلغ من شغفه بها أنه تخلى لملك الفرس عن طائفة من جنوده طوال القامة مدربين كسائر رجال الحرس السكسونى فى مقابل مائة قطعة من هـذه الأوانى الشرقية كان الملك الفارسى قد جمعها

وكان أغسطس قانعاً فى البداية بجمع الأوانى من الخارج ؛ ولكن فى الوقت الذى أنشأ فيه « بوتجر » معمله فى قصره طمع الناخب السكسونى فى أن يضع تحت رعايته مثل الذى يقتنيه

وتساءل ، عن السبب الذى من أجله يصنع الصينيون أوانى جميلة ، بينا المهرة من الصناع ومن الكيميائيين الأوربيين لا يصنعون الأوانى إلا من الطين ملمعة أو مغطاة بالميناء

وعهد بعلاج هذه المشكلة إلى كيميائيه الصغير فكانت النتيجة ظهور الفخار الأحمر فى أسواق ليبزج سنة ١٧٠٧ ؛ وكان هذا الفخار يصنع من الصلصال الذى وجده فون تشرنهاوس قرب مدينة درسدن

وكان هذا الفخار الذى يصنع فى ألمانيا فخاراً جيلاً ولكنه لا يزال بعيداً عن الأوانى البيضاء التى تكاد تكون شفافة والتى تصنع فى الصين . وقد ملّ بوتجر من مطالب سيده الأمير بعد أن صنع الفخار الأحمر . وحاول الفرار من سكسونيا وإنشاء مصنع تحت رعاية سيد أقل سيطرة من أغسطس . ولكن هذا الأخير جاء به إلى القصر القديم الذى يقيم فيه وسجنه فى حصنه وإن كان أوتو وأولرتشى لا يعلمان ذلك . وقد فرض عليه أن يبقى سجيناً حتى يصنع مثل الأوانى العجيبة التي تصنع فى الصين

كانت هـذه هى الحالة إلى اليوم الذى نتحدث عنه ، ومع أن الكيميائيين قد أطالا البحث فإنهما لم يستطيعا أن يجدا أى صلصال يمكن صنع الفخار الأبيض منه

وفى الصباح الذى ذكرناه وضع الكيميائى على رأسه شعره المستعار وهو ذاهل الذهن واستمر على عمله ، ولكنه شعر بثقل وباكتئاب ، وأخيراً خطر بباله أن الشعر المستعار أثقل من العادة فنزعه ليرى سبب غنائه فوجد أن المعدن الأبيض الذى ذر على الشعر المستعار معدن لم ير مثله من قبل ، وقد وضع خطأ بدل المسحوق العادى

ولما عثر بوتجر على الوصيف الذى وضع هذا المسحوق سأله عن

سره وأخبره الخادم المذكور أنه لم يكن سيء القصد في إحداث هذا التغيير وأخبره أن رجلاً اسمه شنور وجد محجراً يستخرج منه هذا المسحوق بالقرب من قرية « أو » وباع له جزءاً مما استخرجه منه ، وقال هذا الخادم إنه وجده أصفى بياضاً وأليق بالشعر المستعار ، لأنه سيبقى مدة أطول

وفحص بوتجر هذا المسحوق كما لا بد أن يكون قد تبادر إلى ذهنك واستنتج أنه على الأرجح هو الكاولين الذي طال البحث عنه والذي كان السياح الآتون من الصين يتحدثون عنه

وعلى أثر هذا الاستكشاف ذهب بوتجر إلى ذلك المحجر واشتراه باسم أمير سكسونيا ، وتمكن من صنع عجينة من صلصال كالتي يصنعها الصينيون

وفي سنة ١٧١٠ لم يكن في سوق ليبزج تلك الأطباق التي تصنع من الفخار الأحمر فقط بل وجد إلى جانبها نماذج قليلة من فخار أبيض صنعه فون فردريك بوتجر تحت رعاية أغسطس الأول أمير سكسونيا

في العام التالي صار يصنع الفخار المعروف باسم « مسين » في حصن « مسين » بالقرب من درسدن ، وبدأت صناعة الفخار السكسوني، وهو النوع المشهور الذي يصنع في درسدن .

ولم يستفد بوتجر المسكين إلا قليلاً من استكشافه هذا . فإن أغسطس الذي أصبح في الوقت نفسه ملكاً على بولونيا ، كان حريصاً على سر صناعة الصيني مثل حرصه على أمواله ومثل حرص الصينيين على سر صناعة أوانيهم .

وكان العمال الذين يشتغلون في هذه الصناعة يسجنون في الحصن ويحملون على أن يقسموا على الاحتفاظ بسر صناعتهم إلى أن تطوى عليهم القبور ، وكان بوتجر نفسه في حكم السجين وكان مع إشرافه على مصنعه يتابع دراسته لسر استخراج الذهب مع متابعته صنع الفخار .

وفي عام ١٧١٦ حذق صنع الفخار فأصبحت الأطباق من الوجهة الفنية في درجة الكمال التي بلغها الصينيون في هذه الصناعة ومات في سنة ١٧١٩ وهو في الرابعة والثلاثين من العمر ولا يزال إلى اليوم في معارض درسدن قطع من ذهبه الكيميائي وهو ثمرة محاولته الجدية إلى جانب مصنوعاته الخزفية ، ومن الشكوك فيه أنه تبين أهمية استكشافه للنوع الأخير بالنسبة للعالم الغربي بأسره

لقد ترق القرن الثامن عشر بواسطة هذا الاكتشاف وقد ذلل بوتجر صعوبة الحصول على خزف صلب أبيض شبيه بالشفاف فالنوع الذي أنتجه من الصيني نموذج لكل ما بين أيدينا اليوم من الخزف

ووجدت محاجر الكاولين « صلصال الخزف » في ليموجيس في فرن ، فقد حدث بطريق المصادفة أن امرأة وجدت جذور بعض النباتات المنزرعة في حديقتها وقد علق بها مسحوق أبيض، وبدأت صناعة الصيني بعد ذلك في تلك الجهة ولا تزال موجودة بها إلى اليوم

ومنذ ظهور هذين المركزين يبدأ تاريخ التطور الذي حدث على نظام طعامنا لأن الأطباق الخشبية والأطباق المصنوعة من الصيني أو الحجر ، كل تلك الأطباق الكبيرة التي كانوا يغمسون فيها أصابعهم قد زالت وحل محلها الأطباق الصغيرة التي يختص كل فرد بطبق منها

وكانت بداية ذلك كله أن كيميائياً غضب ذات صباح لأنه وجد شعره المستعار أثقل من العادة .

(يتبع) ع ٠ ١

من هنا ومن هناك

كيف تحارب ألمانيا

[من مجلة «فورتنايتلى»]

من الوسائل الفعالة فى الحروب الحديثة إلقاء النيران الحامية على مصانع الأعداء . فبهذه الوسيلة نستطيع أن نحد من قوتهم ونضعف مقدرتهم على الاستمرار فيها. وقد حشدت ألمانيا فى المصانع كل ما تبقى لديها من الرجال للعمل فى صنع الذخائر، فإذا هوجمت تلك المصانع فقدت ألمانيا عدتها من الرجال . وقد أعلن مسيو بيير كوب فى مجلس النواب الفرنسى فى ٢٠ من يناير سنة ١٩٣٩ أن ألمانيا قد حشدت فى مصانعها من الرجال ما يربو على الخمسة والستين . بينما تستعد فرنسا لوضع عشرة من العمال الأميركيين فى مصانعها بإزاء كل جندى فرنسي فى خط القتال

إن الفوز فى الحروب الحديثة قد يكون فى المصانع كما يكون فى ميادين القتال . فتعطيل حركة المصانع أو إيقاع الاضطراب فى داخلها ، وإيقاف الإمدادات التى تعول عليها الجيوش فى ميدان القتال من أسلحة وأطعمة وملابس يعد من الطرق الفعالة فى الحروب ، وهو عند العارفين بمثابة الفوز فى معركة من معارك القتال

والمؤونة التى يحتاجها الجندى والحيوان لها المرتبة الأولى فى الحروب. فالأمة الجائعة لا تستطيع أن تحارب وقد يكون جيشها عرضة للانشقاق. وقد بدأت ألمانيا تضحى بالزبد من أجل البنادق، وأصبحت المواد التى يتغذى بها الجيش من الزبد واللبن والدهن والخبز والدقيق منشوشة جميعها . ومما لاشك فيه أن ألمانيا الآن فى حاجة ماسة إلى الدهن بكافة أنواعه . وقد كانت ألمانيا تعول على الولايات المتحدة فى إمدادها بما تحتاجه من ذلك ، إلا أن موقف أميركا بالنسبة لألمانيا اليوم سيحرمها مما كانت تستصدره من هذه المواد

فألمانيا والحالة هذه تدخل الحرب وهى فى حالة اقتصادية لا تحسد عليها. ولعل أى طارئ جديد يهدد ما تختزنه من المؤونة الآن قد يعرضها لقحط شديد ، وهنا يكون للطائرات الفضل الأكبر فى كسب الحرب . فالغارات الجوية على المخازن والمزارع والمطاحن التى تعول عليها ألمانيا كل التعويل ستجعلها فى أحرج المواقف

إن اختيار مواقع الغارات خير من إلقاء مقذوفاتها بغير حساب؛ فهو لا يعرضنا لعداوة الرأى العام ، أو يفقدنا شيئاً من عطف الأمم المحايدة . وليس فى العالم قوة تستطيع أن تحلق فى كل الأماكن دفعة واحدة ، فلنوجه قوانا جميعها إلى الأماكن التى تستحق المهاجمة ، ولنزودها بكل ما نستطيع من القذائف التى يمكن حملها على متن الطائرات .

احصاء المسلمين فى العالم

[من مجلة « العصبة »]

كتب الأمير أمين أرسلان النبذة التالية فى « الموندو » الأرجنتينية عربتها مجلة العصبة فيما يلى :

« قلما يتفق المؤرخون والكتّاب على تحديد عدد المسلمين فى العالم . وهذا التباين عائد إلى سبب جوهرى وهو أن كثيراً من الأقطار المأهولة بأتباع محمد يتعذر فيها إجراء إحصاء دقيق؛ ولكن ذلك لا يمنع من تحديد عدد المسلمين بأرقام تقرب من الحقيقة

من المعلوم أن المسلمين ليسوا كلهم عرباً أقحاحاً، وأنهم يختلفون جنساً ووطناً ولغة ، فنى الصين مثلاً ثلاثون مليون مسلم وهم لا يمتون إلى العرب بصلة غير صلة الدين .

بناء على إحصاء الحكومة الإنكليزية بلغ عدد المسلمين فى الهند بعد الحرب العالمية ٧٨ مليوناً ، واليوم ، أى بعد عشرين سنة ، يجب أن يكون قد ارتفع عددهم إلى ٨٥ مليوناً

وحدد إحصاء رسمى عدد المسلمين فى المستعمرات الهولندية بستة وخمسين مليوناً، وبمليون فى جزيرة الفيليبين حيث يُدعون منازبة. وليس يُعرف تماماً عدد المسلمين فى الهند الصينية وفى كبودج وأنام وسيام وغيرها.

وفى روسيا يبلغ المسلمون عشرين مليوناً وفى الأفغان عشرة ملايين.

ويبلغ عدد سكان إيران ١٤ مليوناً، وتركيا بناء على الإحصاء الأخير ١٧ مليوناً، وسوريا ولبنان ٣ ملايين، والعراق ٤ ملايين ومملكة ابن السعود بين ٤و٥ ملايين، وفلسطين وشرق الأردن ١٫٢٠٠٫٠٠٠، وعدن والممالك المحمية كحضرموت، والحج مليوناً وجزيرة البحرين والكويت ٣٠٠ ألف.

وفى يوغوسلافيا ١٫٥٠٠٫٠٠٠ من المسلمين، وفى ألبانيا مليون، وفى اليونان مائة ألف وقد كانوا قبل مبادلة السكان خمسمائة ألف، وفى بلغاريا ٨٠٠ ألف، وفى رومانيا ٢٠٠ ألف، وفى بولونيا ١٢ ألفاً، وفى المجر ألف. فمجموع المسلمين فى أوربا نحو ثلاثة ملايين

أما عدد المسلمين فى أفريقية، فيمكن تقديره بين ثمانين ومائة مليون منتشرين فى كل أنحاء القارة السوداء، فى مصر والسودان ويوغندا ٢٧ مليوناً، وفى الحبشة والصومال ٥ ملايين، وفى جزيرة زنجبار بين ٥و٦ ملايين، وفى موزمبيك البرتغالية مليونان، وفى رأس الرجاء الصالح والترنسفال بين ٤٠٠و٥٠٠ ألف، وفى مستعمرة كونغو البلجيكية ١٥٠ ألفاً، وفى أواسط أفريقية وشواطئها الغربية يبلغ عدد المسلمين بناء على تعديل الرسالات التبشيرية المسيحية ٤٨ مليوناً. ومما يذكر فى هذا الصدد أن تلك الرسالات من كاثوليكية وإنجيلية لم تستطع على رغم جهدها الكبير أن تدخل فى المسيحية إلا ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ نفس فى حين أن عدد الذين اعتنقوا الإسلام يجاوز ٣٦ مليوناً.

تعد مراكش ٦ ملايين، والجزائر ٦ ملايين و ٥٠٠ ألف وتونس ٢٫٥٠٠٫٠٠٠، وطرابلس وبرقة ٨٠٠ ألف، فيكون إذن عدد المسلمين فى هذه البلدان الثلاثة بين ١٦و١٧ مليوناً

وفى أميركا يعيش نحو مائتى ألف مسلم وفى الأرجنتين وحدها ستون ألفاً. فيؤخذ مما تقدم أن عدد المسلمين فى العالم، بناء على الإحصاءات الرسمية وعلى تعديل الجغرافيين والرُّحل والبعثات العلمية، يتراوح بين ٣٥٠و٣٦٠ مليوناً، ولا ٢٥٠ مليوناً كما يزعم البعض

الحب وعلم الحياة

[من مقال للكاتب « جوليان مكسلى »]

يستطيع علم الحياة أن يعرض علينا مئات من الأمثلة لتآلف القردة، وشدو الطيور وتعاطفها؛ ولكن هذا جميعه شيء آخر غير الحب. وكل ما نستطيع أن نقوله إن تلك الحيوانات الدنيا، تعطى الإنسان صورة بسيطة للمادة الأولية التى نشأ منها الحب. فالإنسان من هذه الناحية كغيرها من النواحى يمتاز عن سائر المخلوقات. وهذا الامتياز الظاهر فى الإنسان يرجع إلى تركيبه الذهنى بلا شك. فليس الإنسان مقيداً بغرائز معينة تلازمه على الدوام، أو قيود عنيفة تتسلط على فكره وشعوره وتتصرف فى سائر أعماله. فالعواطف على اختلافها، والإلهام والفكر والتجارب تتكون جميعها لتخلق فى الإنسان حالة فكرية أكثر تشعباً وأشد اختلافاً مما فى الحيوانات الدنيا

وليس للانسان فضلاً عن ذلك فصول معينة ينقطع فيها إنتاجه كالحيوان ويعجز عن مواصلة الحب. والإنسان بطبعه معرض للاختلاجات النفسية على الدوام وله مقدرة على كبح هوى النفس. وأما الحيوان فله حياته الخاصة المحصورة بين غريزة وأخرى، ولن يكون عرضة للغرائز المتباينة والإحساسات المضطربة التى تشغل نفس الإنسان

وللعقل الإنسانى فوائده ومزاياه فى فهم التجارب وترتيبها فى نفس الإنسان، إلا أن هذا قد يؤدى فى بعض الأحيان إلى ارتطام العواطف واختلاف الأهواء والأغراض. فالذين لا يستطيعون أن يتغلبوا على أهوائهم يعيشون عيشة ليس فيها راحة ولا استقرار، والذين يقدرون على كبح جماح النفس وإبعادها عن العوامل المتباينة المتناقضة التى تضطرم فيها يحيون الحياة الإنسانية الصحيحة الهادئة. وللتعليم ولا شك شأنه فى إخضاع تلك الأهواء للعقل والمنطق وإيقافها عند حدها. ومما لا ريب فيه أن العوامل الجنسية هى من أقوى مايتسلط على نفس الإنسان، إلا أنها تقابل بالكبت الشديد فى حياتنا الاجتماعية

لذلك كان الحب من الظواهر العجيبة عند الإنسان، فهو يجمع بين أسمى العواطف وأحط الغرائز؛ وهو يفك النفس من عقالها ويقيدها بأثقل الأغلال، وهو يجمع بين الثورة والهدوء

ولا يغيب عن البال أن للحب مراتب وأحوالا لا يدركها الحصر، وللحب ألوان متعددة بعدد المحبين، إلا أن تلك الألوان



مسألة

فى العدد ٣١ من « الثقافة » مقال بارع المنحى ، عذب الأسلوب ، عنوانه « مسألة » بقلم الأستاذ عبد العزيز البشرى . وقد جاء فى خاتمة هذا المقال - عند الكلام على أخذنا العلوم والفنون عن الفرنجة - ما حرفه : « فى العلوم والفنون والمستحدثات من مختلف الأشياء ، وللنبات والأزهار مئات الآلاف من الأسماء والصيغ والمصطلحات . فإذا نحن عرّبنا هذا كله طغى أشد الطغيان على سائر اللغة . وأنت خبير بأن ما يدور فى صيغ العربية على ألسنة فصحاء الخطباء وأقلام بلغاء الكتاب وما يتحدث به الخاصة ... ويجرى فى مقاولاتهم ومحاوراتهم وما تتفضح به رسائلهم — كل ذلك لا يزيد على بضعة آلاف . وكيف لهذا بأن يقوم بإزاء ذاك ؟ بل كيف له بأن يعيش بجانبه ويحقق ما تحقق اللّغى لها من كيان ؟

هذه هى المسألة كما يقول شكسبير ، فليت شعرى ماذا يكون المصير ، فاللهم الطف بنا فيما جرت به المقادير » . اه

وإذا أذن لى الأستاذ البشرى فى أن أرى رأياً فأحاول التعليق على مقاله ، قلتُ : إننا ناقلون إلى لغتنا كثيراً من مصطلحات العلوم والفنون ، وهذا الطارئ الضخم إنما يحيى اللغة المتداولة ويُغنيها ويُهذّبها ؛ فلا نسأل إذن : « كيف لهذا بأن يقوم بإزاء ذاك ؟ » بل نسأل : كيف لهذا بأن يقوم بغير ذاك ؟

إن اللغة التى تعجز عن سدّ حاجات التعبير وتبقى على عجزها مصيرها الموت أو السقوط عند ألسنة العامّة . فها نحن أولاء مقبلون على تلقى العلوم والفنون عن الفرنجة بل التأليف فيها لنعلم أولُنَشِئ ، فكيف يكون التأليف بالعربية ومصطلحات مختلفة تُعوزها ؟ هذه حقيقة لا تحتاج إلى دليل ولا بسط . فإما أن نستحدث فى التعبير والأداء جميعاً وإما أن نعدل عن العربية إلى لغة أفرنجية ، وفى الحال الأولى تعزّ اللغة وتنشط ، وفى الثانية تذلّ وتخور : الحياة أو الموت . وليس من الحق أن ندع اللغة تموت ، وذلك لأسباب عمرانية وسياسية وتاريخية لا أعرض لها هنا ، وليس ثمة ما يسوّغ الإماتة فالعربية صالحة للتجديد قابلة للمزيد بفضل أوضاعها وأسرارها ثم بفضل كنوزها التى نهملها أو نجهلها .

وإغناء اللغة يهذّبها فضلاً عن أنه يحييها . بيان ذلك أن الصيغ والألفاظ الطارئة ، سواء استخرجناها من بطون كتبنا أو وضعناها وضعاً ، لا بدّ لها من أن تحلّ فى الحافظة محل صيغ وألفاظ مقيمة . وفى العربية التى تدور على « ألسنة فصحاء الخطباء وأقلام بلغاء الكتاب » ما لا خير فيه بل ما يرهق الأداء تفهاً أو يجعله حشواً . ومما يرد الأداء تفهاً تلك التعبيرات المطروقة من زمان قديم حتى إنها أضاعت قوّتها بل لونها ،

وإن اختلفت وتعددت يجمعها شيء من التشابه

وتظل النفس الإنسانية ناقصة ما لم يكملها الحب . فهو أقدر العواطف على تحويل الفكر من مرتبة الطفولة إلى مرتبة النضوج؛ فهو يمد الإنسان بشتى الوسائل التى تطلق الروح من قيود الطفولة. وقد يكون الحب فوق ذلك وسيلة عند كثير من الناس لاكتشاف خبايا النفس ، ومعرفة أسرارها

إذا نظرنا إلى الحب من الناحيـة الحيوية أمكننا أن نقرر أن الحب فن ، وأن النجاح فى هذا الفن يحتاج إلى تفكير وتدبير كالموسيقى والشعر والرياضة وغيرها من الفنون

ولا نريد بالحب هنا ما تكون علاقته بالجسد فحسب ، فنحن هنا نقصد الحب على سائر ألوانه . فإذا كان بعيداً عن حدود العقل فمن الواجب النظر إليه على ضوء العقل والتفكير. ولا يقلل من قيمة الحب أن ينظر إليه كظاهرة من ظواهر الحياة التى يمعن فيها العقل ويحللها الفكر، كما أن التحليل العلمى لا يقلل من الجمال الذى يسم قوس السماء. فمن الواجب إذن أن ننظر إلى الحب كناحية وضاءة من نواحى النفس الإنسانية المتشعبة الجوانب المتعددة الأنحاء

وقد بيّن ذلك الأستاذ أحمد أمين فى كلامه على جناية الأدب الجاهلى . ومما يجمل الأداء حشواً تلك المترادفات والمتواردات التى يظن بعضهم أنها هى اللغة . ولو علموا أن متن اللغة ينهض بالألفاظ المفردة والصيغ المستقلة بنفسها ! ولكنه كان جيل من الناس ضاق أفق تفكيرهم فانقبضت صفحة تعبيرهم فطّوا أطرافها بالثرثرة والتكرار . فَأَنْ تُترَك المطروقات وتُهجر المترادفات ويشغل مكانها صيغ وألفاظ لا غنى عنها، ذلك خير للغة ومَدَد للمتكلمين بها

ومن هنا يتبين أن ذلك الطارئ لا يطغى «أشد الطغيان على سائر اللغة» مهما ضخم ، بل قل إنه لِقاح له من جانب المبنى والمعنى . أما المبنى فقد تقدم القول فيه . وأما المعنى فبتلك الصور التى تجلبها معها الألفاظ والصيغ الداخلة على اللغة المتداولة ، فيُحقِّقن المجاز بدم فتىّ فيهتز . وإنك لتلمس ذلك فى الشعر الحديث فى أوربة ولا سيما فى فرنسة وانجلترة ثم فى النثر الرفيع هنالك : فكثيراً ما يستعمل الشعراء (شعراء ما وراء الواقعية مثلاً) والكتاب (Valéry و Fargue فى فرنسة مثلاً) صيغ العلوم والفنون ، طلباً للافتنان فى التصور

هذا من جهة الأدب الصرف . بقى أن أقول إن اللغة لا تنحصر فى الإنشاء الأدبى . فثمة الإنشاء العلمى ، وله أن يجرى إلى جانب الإنشاء الأدبى : هـذا فى شعب وذاك فى شعب ، فلا طغيان ولاعدوان . وفى تاريخ آدابنا ما يؤيد هذا ؛ فقد كتب الفلاسفة والموسيقيون والحاسبون وغيرهم ما شاءوا أن يكتبوا ، فهل طغى ما كتبوا على قرائح الشعراء وأنفاس الكتاب ؟ وكان طالب العلم المجتهد يحصّل العلوم والفنون ؛ فإذا تفلسف بعد ذلك عمد إلى أسلوب الفلاسفة ، وإذا تأدّب نحا نحو المترسّلين

تلك خطرات خطرت وأنا أقرأ مقال الأستاذ الفاضل عبد العزيز البشرى ، وقد سأل سؤالاً فلعله يتقبل محاولة تعليق ، وله منى التحية الخالصة .

بشر فارس

المنضدة

المنضدة وتفسيرها هما فى (أساس البلاغة) لأستاذ الدنيا جار الله فى مادة (ف ج ج) فى الجزء الثانى فى الصفحة (١٠٤) فى الطبعة سنة ١٣٢٧ وفى الجزء الثانى من ذلك الكتاب فى الصفحة (١٨٦) فى الطبعة سنة ١٣٤١

وقد جاء جمع الكلمة فى (المفضليات) الصفحة ١٤٢ من شرح الإمام الأنبارى فى بيت من قصيدة لمزرِّد أخى الشمّاخ ، قال :

وعهدى بكم تستنقمون مشافرا   من المحض بالأضياف فوق المناضد

ومنضدة الأعرابى فى الخباء أو الخيمة غير منضدة العربى فى القصر ذى الأبهاء ، وهى البداوة المسكينة[1] ، وهى الحضارة ذات التفنن والترف . والاسم فيهما واحد وإن اختلف المسمى نجارُه ونجْرُه ونِجارُه .

(*)

هنر اللسان

حضرة المفضال الجليل صاحب الرسالة :

اطلعنا على ما جاء بالرسالة فى العدد رقم ٣٢٧ خاصاً بالنص الذى ورد فى « الإفصاح » وهو لسان حَبْر : لا يجد طعم الطعام ، وقد رجعنا إلى الأصول التى لدينا ، فوجدنا النص منقولاً عن « اللسان » كما وجده حضرة الأخ (أزهرى) (لسان حبِرٌ : لا يجد طعم الطعام) فما جاء فى الإفصاح خطأ مطبعى ندّ عنه النظر فى أثناء الطبع ، ويسرنا أن نعلن شكرنا لحضرة البحاثة (أزهرى) على عنايته بالتمحيص الذى أدّى إلى الكشف عن السهو ، وهدى إلى الصواب ، ونسأل الله أن يوفقه هو وأمثاله الأفاضل إلى خدمة العلم وإعلاء شأنه

صاحبا الافصاح

حسين يوسف موسى و عبد الفتاح الصعيدى

هل على القاتل خطأً من اثم ؟

جاء فى مقال « القتل الخطأ » بقلم الأستاذ أحمد مختار قطب المنشور فى العدد ٣٢٦ من الرسالة : « فالأصل أن الخطأ لا يعاقب الإنسان عليه (ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به) ولكن لما نتج عن هذا الخطأ إزهاق روح بشرية صار إثماً ووجب عقاب فاعله على رعونته وإهماله »

والذى يؤخذ على العبارة السابقة تحميل القاتل خطأ إثماً ، وقد أتى الكاتب فى هذا من قبل ما رتّب على قتل الخطأ من الكفارة والدية فظن أن ذلك نتيجة أنه فعل إثماً وحراماً، والواقع أن ما يرتكبه الإنسان عن خطأ وعدم قصد لا إثم عليه ولا يؤاخذ به : حكما مطلقاً لا مثنوية فيه ، أصفق عليه علماء الملة ، واجتمعت عليه كلمتهم ، وقد دل على هذا الأصل من أصول الدين أدلة كثيرة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » رواه ابن ماجة فى كتاب

(١) فتاة مسكين ومسكينة ، شبهوها بالفقيرة ، قال :

الناس بحر عميق   والبعد منهم سفينة
وقد نصحتك فاحتل   لنفسك المسكينة

الطلاق وغيره . قال المُناوى فى شأن هذا الحديث : « حديث جليل ينبغى أن يعد نصف الإسلام ؛ لأن الفعل إما أن يصدر عن قصد واختيار ، أولا . الثانى ما يقع عن خطأ أو إكراه أو نسيان وهذا القسم معفوّ عنه اتفاقاً » فإن قال قائل : فما بال هذا القاتل ولا إثم عليه يكلّف التكفير عن عمله ودفع الدية ؟ فالجواب أن دفع الدية عن القتل من قبيل دفع قيم المتلفات أو من قبيل دفع بدل المحل أى محل الإتلاف وهو البدن وهذا لا يتوقف على الإثم. ألا ترى أن الصبيّ لو أتلف شيئاً غرم قيمته وهو لم يجر عليه القلم بعد . وأما الكفّارة فللزّجر وليحتاط المكلف حتى لا يقع فى قتل الخطأ بتوقّى ما قد يجر إليه . ويقول صاحب شرح مسلم الثبوت فى ص ١٦٥ ج ١ : « ولما كان — يريد قتل الخطأ — نوع جناية ، والقتل من أعظم الكبائر لم يُهدر الخطأ فيه بل وجبت الكفارة »

بقى أن فى آخر الآية الكريمة الخاصة بقتل الخطأ ما يشعر ظاهره بأنه إثم إذ فيها: « توبة من الله وكان الله عليما حكيما » والتوبة إنما تكون عن ذنب ، وقد عرض لذلك المفسرون وقالوا فيما أجابوا به إن التعبير بهذا للتنبيه أن مثل هذا الفعل يصدر عن نوع من التقصير وإن لم يبلغ بصاحبه درجة المعصية ، وقد شرعت الكفارة لمحو أثر هذا التقصير والتوبة منه ، وللتلميح بأن من وقع منه هذا الفعل الشنيع ينبغى له أن يستشعر الندم والأسف ويملأ نفسه إعظاماً لما فعل ، والسلام عليكم ورحمة الله

محمد على النجار

مدرس بكلية اللغة

الأدب فوق الجميع

أستاذى وصديقى الدكتور زكى مبارك

ليست صلتى بك ولا شدة حبى لأدبك ولا رغبتى فى تملقك هى التى تملى علىّ كلمتى هذه ؛ وإنما هو صوت القلب والحقيقة يدفعنى إلى مصارحتك بأن فصولك الرائعة « جناية أحمد أمين على الأدب العربى » قد أوجدت بالجو الأدبى حياة جديدة ، وبعثت فيه روحاً قوية بعد شهور خدر ونعاس مرت بالأدب المصرى خاصة والعربى عامة ، خلنا أثناءها أن أدبنا العزيز قد أخذ طريقه نحو الأجداث !

ولا تظن يا « سيدى الدكتور » — أو لا يظن أحد — أننى أعبر بذلك عن معاداتى لآراء الأستاذ أحمد أمين ، أو أريد الحملة عليه أو النيل من مكانته المعروفة فى العلم والأدب ؛ فقد تذكر أننى فى آخر رسالة منى إليك — ولم يمض عليها أسبوع — صرحت لك بأننى أخالفك فى كثير من آرائك ، وأننى أحب الأستاذ الأمين كما أحبك ، وأننى كتبت إليه أستعديه عليك وأستنفره إلى محاربتك بقلمه لا بسلاحه ، وأطالبه بما يجب عليه نحو الأدب والقراء من الرد على ما وجهتَه إليه من انتقادات وملاحظات ؛ وما أريد بذلك إلا أن تتسع دائرة النقاش والمباحثة فيستفيد الأدب خير الفوائد ، وتجنى العربية أشهى الثمار

ولقد طلعت علينا أخيراً — الرسالة ٣٢٧ — بطرفة من أسمارك وأحاديثك وأدهشتنا إذ أخبرتنا أنك ستقطع سلسلة فصولك النقدية المحكمة بعد ثلاث أو أربع مقالات . . !

ولِمَ تقطعها يا سيدى وما كتبتَها إلا خالصة لوجه الأدب والعربية ؟ ألأنك أردت أن تخيب ظن الأستاذ أحمد أمين تحرم آلاف القراء وأهل الأدب من هذه الثمرات الناضجات التى أنتظر لها أن تصير كتاباً ضخماً يكون فتحاً جديداً فى الأدب العربى الذى لم يعرف النقد الصحيح إلا فى فترات معدودات لا تسمن ولا تغنى ؟

لا تفعل ، ياسيدى ، فإنى أخاف أن يفسر الناس انقطاعك بتفسيرات ، وأن يؤولوه بتأويلات ، وأن ينفض عنك بسببه أتباع وأنصار . إن لى بالأستاذ الأمين صلة ، وقد اشترك فى تسديد خطاى الأدبية يوماً ، وإنى لأحمل له كل تقدير وإجلال ، ولكنى على الرغم من ذلك لم أستطع إلا توجيه العتاب الشديد إليه ولومه اللوم القاسى على قوله لك : « لن نتصافى أبداً بعد الذى كان » ! ... إنها لكلمة كبيرة ما كنت أنتظرها ولا ينتظرها غيرى من كاتب مشهور له قدره وخطره ، وخلقه ونبالته !

أين نحن إذن من أدباء أوربا وكتابها ؟ أين منا تلك الصداقة المتينة التى تضم الأدباء هناك تحت لوائها ، لا يزعزعها اختلاف فى رأى ، أو تنازع على فكرة ، أو نزول إلى ميدان نقد ومباحثة ؟

إنى لأقول كما قال الحكيم : « أنا والله شديد الحسرة على ما وصلنا إليه ، فقد كنت أحب أن تكون بين الأدباء صداقات عظيمة ، كالذى يعرفه الأدباء العظماء فى باريس ولندن وبرلين »

أحد أمين : إما أن تكون مقالات الدكتور مبارك على حق وإما أن تكون على باطل . والأستاذ « الأمين » فى كلتا الحالين معاتب ملوم ؛ لأنه يجب عليه الرضى بها إن كانت الأولى ، ويجب أن يهب للدفاع عن نفسه وآرائه إن كانت الثانية ، وهو لم يفعل من ذلك شيئاً . وليس الدكتور مبارك بالشخصية الأدبية المهزيلة ، حتى نقول إن الأستاذ الأمين تغافل عنها لقلة خطرها . ومن كالدكتور فى جولاته وصولاته وتاريخه الأدبى المجيد ؟

أى صديقى الدكتور ... قد انتهى لغو الصيف وجاء جد الشتاء ، فلا تكسل ولا تنم ، وواصل بحوثك فإنها تهدينا إلى حقائق كثيرة كنا فى غفلة عنها، وتطلعنا على آفاق جديدة من الأفكار والأبحاث لم نرها من قبل . على أننى أرجو أن تتحاشى ما يسبق إليه قلمك من عبارات تنال من شخصية الأستاذ الأمين وتجرح شعوره ، كيلا يكون لأحد من الناس فيك وفى نقدك كلمة غير كلمة الإعجاب والتأييد . وما أصدق الأستاذ العميد شفيق غربال إذ يقول عنك : « ولو أنه نزه قلمه عن بعض العبارات التى جرت مجرى السخرية من الأستاذ أحمد أمين لما استطاع أحد أن يوجه إليه أى ملام » يجب أن تكون عند قول الدكتور طه حسين فيك إذ يقول : « فما عرف الناس زكيا إلا مثال اللطف والأدب والذوق »

نعم لو أن فصولك خلت من هذه العبارات الساخرة لما اعتبرها القارئ نقداً لكاتب ، بل يدرسها على أنها فصول أدبيه بحتة ، كلها الأدب الخصب ، والتفكير الخالص ، والإنتاج الممتع !

لنجعل الأدب يا دكتور فوق الأهواء وفوق الأشخاص وفوق الصداقات وفوق كل شىء ، لنجعله فوق الجميع !

وقد كنت عازماً أن أبثك كلمتى السابقة فى إحدى رسائلنا ، ولكنى فضلت أن تأتيك عن طريق الرسالة كى يطالعها معك القراء فيشهدوا أننى أعبر عن شعورهم وأترجم عما يجول بخواطرهم. وإننا لفى شوق ملح إلى ما يسيل به قلمك الساحر من سلاف !

أما الأستاذ الأمين ، فما هو بالمحتاج للنصيحة ، ولا ريب أن له رأيه وخطته؛ وما أكثر ما تضمر الأيام ! **أحمد جمعة الشرباصى**

عند مدير الدعاية فى وزارة الشؤون الاجتماعية

فى الساعة السادسة من مساء الثلاثاء الماضى اجتمع عند الأستاذ توفيق الحكيم مدير الدعاية فى وزارة الشؤون الاجتماعية لفيف من مندوبى الصحف العربيـة والإفرنجية تلبية لدعوته ليصف لهم مهمة هذه الوزارة ولم أنشئت وقد رحب بهم حضرته وأحسن استقبالهم ثم قال لهم :

كلفنى الوزير معالى الشاذلى باشا أن أجتمع بكم لنتحدث معاً فى شؤون وزارة هى أقرب الوزارات إليكم وأوثقها اتصالاً بكم وبالشعب الذى أنتم عيونه ولسنه. ذلك أن وزارة الشؤون الاجتماعية هى كما يدل عليه اسمها : وزارة شؤون الشعب، الشعب الذى لا ينبغى منذ اليوم أن يسقط من الحساب، فهو القوة الحقيقية للدولة. لقد رأينا دائماً أن الجيوش قد تحطم ولكن الشعوب لا تحطم .

وهنا قد تسألوننى عن السبل التى تسلكها الوزارة للنهوض بالشعب وإنشائه نشأة جديدة فأجيبكم بأن الطرق التى ستتبعها كثيرة وهى تتلخص أول الأمر فى إعانة كل فرد من أفراد الشعب على رفع مستوى حياته مادياً وتحسين حاله صحياً وروحياً وخلقياً . إن الفرد خلية حية فى جسم المجتمع ومفتاح صغير من مفاتيح تلك الآلة الهائلة التى تتحرك وتدور . وإن فى فساد بعض الخلايا وعطب بعض المفاتيح اعتلال الجسم واختلال الآلة . وهنا كان دائماً مصدر تفشى الداء فى شعبنا منذ أمد طويل

لهـذا توزعت أعمال وزارة شؤون الشعب على نواح شتى ، فقامت فيها إدارات تعالج هذه الخلايا من جهات متعددة . فإدارة التعاون والفلاح تعنى بالناحية الاقتصادية والمادية التى تكفل للفلاح وهو الجانب الأكبر من الشعب شيئاً من اليسر والرخاء ؛ وإدارة الخدمة الاجتماعية تتجه إلى علاج الأمراض المعنوية والمـادية المتفشية فى الشعب بأسره مثل الطفولة المشردة ومشاكل الأسرة وضعف الأجسام لعدم انتشار الرياضة البدنية ، والعمل على نشر النظافة ومبادئ الصحة فى أنحاء البلاد ؛ ومصلحة العمل تسعى إلى الأخذ بيد العامل ومؤازرته فى مطالبه العادلة والارتقاء بمستوى معيشته ، ومكافحة البطالة ، وتدبير الرزق للمتعلمين المتعطلين ؛ ثم إدارة الدعاية التى ينبغى أن تعد الأذهان وتمهد الأفكار وتستنهض همم القادرين على التضافر لتنفيذ كل ما تقدم ذكره من وجوه الإصلاح

ثم قال : لقد وضح معالى وزير الشؤون الاجتماعية فى الكلمة التى افتتح بها قسم الإذاعة فى إدارة الدعاية مهمة هذه الإدارة وأعلن وجهتها للناس ، وذكر أن فيها دعاية للاصلاح الاجتماعى بأوسع معانيه ، وأعيد عليكم هذا البيان فى صورة أخرى فأقول : إن عمل تفتيش صحة القاهرة والأقاليم فى مراقبته للمواد الغـذائية الضارة بالأجسام ، كان ينبغى أن يكمل منذ زمن بمراقبة أخرى وتفتيش آخر لنوع من الجرائم أعظم ضرراً وأشد فتكاً بكيان الشعب ، وأعنى بها الجرائم الخلقية التى تتسرب إليه من خلال ما يعرض عليه من بذىء الأغانى ورقيع الشاهد وخليع المناظر فى المسارح والصالات ودور السينما وإذاعات الراديو . إن إدارة الدعاية بما لها من سلطة الرقابة والتوجيه لكل مايعرض على الشعب من مشاهد وما يلقى فى أذنيه من محاضرات وغناء ستقف حائلاً قويـاً دون انتشار كل ما يخدش الخلق ويضعف الهمم ويلقى بذور الانهيار الروحى والانحطاط المعنوى فى قلب هذا الشعب العريق .



فصل المقال

فيما دار من نقاش حول « مباحث عربية »

للدكتور إسماعيل أحمد أدهم

— ٢ —

أما عن التلبيس فى سوق الروايات والواقعات فى كتاب « مباحث عربية » فاليك بعض من ذلك :

١ — أسند الدكتور بشر فارس ص ٦٠ من كتابه « مباحث عربية » ثمانى روايات جملة إلى ١٦ مرجعا منها أربعة مراجع مخطوطة ؛ والغرض من ذلك الوصول إلى إثبات أن « التعريف » الحقيقى الناهض على التمييز للفظ المروءة غير ممكن ، وليصل إلى هذا فقد ساق الدكتور بشر هذه الروايات جنباً إلى جنب، وأسندها جملة إلى مصادرها بالجملة للتعجيز ، حتى لا ينظر القارئ مصادر كل رواية ويتدبر معانيها فى مكانها ووجه مجيئها من الكلام . لأن فى ذلك الخطر كل الخطر على البحث إذ يثبت أن الروايات تأتى فى كلها لفظة « المروءة » من أصل واحد يحمل مدلول السيادة من جهة ويتضمن السجايا الرفيعة التى يتقوّم بها شخص السيد . بيان ذلك :

(ا) يقول النورى : « المروءة بذل الهدى ، وكف الأذى ، وترك الهوى ، والزهد فى الدنيا ، وطاعة المولى » ، وهذه الرواية بهذا الإطلاق يتنافر فيها مفاد المروءة مع المدلول الحقيقى للفظة وهذا ما يريد أن يصل إليه الدكتور بشر ، وهذا هو التلبيس لأن هذه الرواية لو أسندت إلى مصدرها ، وهو مخطوط كتاب « الفتوة » للأردبيلى — أيا صوفيا ٢٠٤٩ — وهو مخطوط فى التصوف كما وصف ذلك الأستاذ F. laeschner فى مبحثه المنون باسم Der Anteil des Sufismus an der Formung Futuwasaideals والمنشور بمجلة Der Islam التى تصدر عن همبورج ، م ٢٤ ص ٥٨ ، لظهر أن لفظة المروءة فى هذه الرواية تأخذ مفادها من وجهة المتصوفة ، وفى ذلك الوقت يتسق مفاد اللفظة فى الرواية مع مدلول الكلمة الناهض على التمييز

هذا وقد نبهنى أحد الزملاء إلى أن هذا المخطوط الذى وردت فيه الرواية ، نشره الدكتور بشر فى مقتطف ابريل سنة ١٩٣٩ والعجيب أن يقول فى التقدمة . « تدخل الفتوة على قلم الأردبيلى فى التصوف ، وكذلك المروءة التى هى شعبة من شعبها فى كتاب الأردبيلى ! »

(ب) يقول معاوية : « المروءة احتمال الجريرة وإصلاح أمر

ولسوف نستخدم ما نملك من وسائل فى بث الفضائل وتدعيم الروح القوى النبيل ، وفى تهذيب الذوق العام بتشجيع الفن الصحيح والدنو به من الكمال وتعويد الناس فهم الجمال . وعند ذاك ترقى النفوس والعقول ويتم للشعب بلوغ ما نصبو إليه من مرتبة عالية بين الشعوب الراقية المجيدة

إن هذه الوزارة لا يمكن أن يقوم موظفوها وحدهم بكل العبء . هنالك دعامة قوية من الدعائم التى ترتكز عليها دائماً أعمال الإصلاح ، هذه الدعامة القوية هى التطوع . بثوا الدعوة معنا إلى الزملاء فى شتى أوساط الشعب لإيجاد المتطوعين للاصلاح نحن فى حاجة إلى تجنيد أكبر عدد من المتطوعين للاصلاح

أحمد عرابى

اضطررنا لقطع سلسلة البحث فى تاريخ عرابى نظراً للظروف الحاضرة ؛ وسنعود إلى وصلها فى الوقت المناسب

وابتداء من العدد القادم سندرس شخصية مازينى أحد أبطال الحرية فى التاريخ الحديث **الخفيف**

المشيرة » فهذه الرواية رغم أنها تحمل فى طياتها إشارة إلى سجايا السيد وإفادتها سياسة الملك ، فقد أتى بها بشر فارس ليستدل على أن مدلول لفظة المروءة غير ناهض على التميز . وهو فى الوقت نفسه يذكر ص ٦٧ فى الحاشية ، فى الهامش رقم ٣٤ هذه الرواية ، والمتن يحمل الإشارة إلى أن الرواية مفادها سياسة الملك !

(ج) يقول عمر بن الخطاب : « تعلموا العربية فإنها تزيد من المروءة » . ويقول مسلمة بن عبد الملك : « مروءتان ظاهرتان : الرياسة والفصاحة » . والدكتور بشر لا ينكر فى الرواية الثانية أن لفظة المروءة تنزع إلى السيادة ، مع أنها تجىء من الفصاحة وإذن فمفاد الرواية الأولى واضح فى إشارتها إلى السيادة وسجايا السيد ، من حيث أن العربى كان يرى معرفة العربية سبيل الفصاحة والفصاحة من أسباب الكمال والكمال من متطلبات سجايا السيد

(د) فى عام ١٩٣٢ أخرج الأستاذ بشر فارس كتاباً بالفرنسية اسمه « العرض عند عرب الجاهلية » وتقدم به لينال إجازة الدكتوراه من جامعة باريس . وموضوع هذه الأطروحة أن « أخلاق عرب الجاهلية تندرج تحت معنى العرض » (أنظر L'Honneur chez les Arabes avant l'Islam باريس ١٩٣٢ ص ٣٢ وما بعدها) . ولما كان جُولْد تسيهير Goldziher أحد شيوخ الاستشراق قد كتب فى كتابه Muhammedanische Studien طبع Halle سنة ١٨٨٩ ج ١ ص ١ — ٤٠ ـ فصلاً كاملاً عن المروءة ذهب فيه إلى أن « المروءة كانت تنزل منزلة الفضيلة Virtus عند عرب الجاهلية » . وهو فى هذا على نقيض من الرأى الذى ذهب إليه الدكتور بشر ، فقد اضطر صاحبنا بشر أن يعود عام ١٩٣٧ ليناقش رأى جولد تسيهير لأنه صاحب رأى خاص فى الموضوع فكتب مادة « مروءة » فى تكملة دائرة المعارف الإسلامية ، ثم توسع بالمادة فكان منها موضوع مبحث المروءة من كتاب « مباحث عربية » وهو يشغل الصفحات من ٥٧ — ٧٤ ، وهو إلى هذا الحد لم يرتكب وزراً ، ولكن موضع المؤاخذة جاء من جهة محاولة إيهام القارىء أن بحثه فى المروءة ليس عن فكرة سابقة a priori ، وإنما هو نتيجة التدبر والتدرج من الواقعات للنظر (كما يقول ص ٧٣ من كتابه) ، وهو لكى يصل للغرض يوهم القارىء — والإيهام ليس بالشىء القليل — ثم يعمد لطرق ملتوية لتعجيز القارىء حتى لا يكشف كيف يميل بالواقعات ويديرها منحرفة عن حقيقتها بعض الشىء حتى يتحصل له من انحرافاتها النتيجة المقصودة . وقد سبقت الإشارة إلى بعض طرق الالتواء فى بحثه ، وإليك طرقاً أخرى :

(ا) لو كانت المروءة واضحة المعنى ما عثرنا على تعريفات لها لا يكاد يقع بعضها على بعض ، ولا أصبنا أقوالاً فيها ربما تنافرت بل تدافعت . وبهذه الجملة يلج البحث الدكتور بشر فارس . والذى عندى أن اختلاف التعريف إن جاء من عبارات يقصد بها بيان كيفية المروءة ، فذلك لا يقع على بعض مدلول لفظة المروءة . بيان ذلك أن لفظة الرجولة لعهدنا هـذا واضحة المعنى ، ومدلولها ناهض على التميز ، ولـكن كل إنسان حسب طبيعته وأخلاقه وسجاياه ونظرته يعطى اللفظة لوناً يقع على كيفيتها من جهة الصفات لا على مدلولها الذى يدل على المعنى . ومن المهم فى تدبر المعنى الحقيقى réelle للفظ ملاحظة هذه الاعتبارات . والآن على ضوء هذا الكلام لننظر فى مبحث الدكتور بشر فارس

أولاً — يأخذ الدكتور بشر قول أبى الحاتم البستى : « اختلف الناس فى كيفية المروءة » (روضة العقلاء ص ٢٠٧) دليلاً على تضارب التعريفات والأقوال حول لفظة المروءة . والرواية تقصر عما يريد صاحبنا بشر أن يحملها ، لأن كلام أبى الحاتم البستى يقع على الصفات لا على المعنى ، والمعنى اختلاف الناس فى كيفية المروءة لا فى مدلولها

ثانياً : يستدل الدكتور بشر من سؤال معاوية : « ما تعدون المروءة؟ » على أن معنى المروءة (أو مدلولها) أشكل على المسلمين . والاستدلال خطأ ، لأن السؤال يقع على ما كان يعدونه ، وعد الشىء مربوط بكيفيته (أو صفاته) ، فالصوفى يعد المروءة مثلاً : « ترك الهوى والزهد فى الدنيا وطاعة المولى » ، ورجل الدنيا يعدها « كثرة المال والولد » . فهذه الدلالات للفظة المروءة تقع على الكيفية منها لا المدلول

ثالثاً : نفى الدكتور بشر أن المروءة تفيد معنى السيادة قائلاً ما ملخصه : « إن الاستناد إلى مشتقات مادة (م ر ء) ولا سيما اسم الفاعل منها فى الآرامية لإثبات إفادة المروءة للسيادة خطأ ، لأن لفظة مرء عربياً وهى اللفظة الناظرة إلى اللفظ الآرامى إنما مفادها الإنسان . وهذا يدفع أن تكون المروءة أفادت السيادة أول الأمر » هـذا وهو يدفع القول ، بأن باب المروءة وقع فى كتاب السؤدد من عيون الأخبار لابن قتيبة ، بأن المصدر

المذكور لم يثبت غير قول واحد تنزع فيه المروءة لمعنى السيادة

والردّ عندنا أن الدكتور بشر ذكر فى موضع آخر من كتابه أن المروءة تدرج مقرونة بالسؤدد من كتاب مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب . . . (رقم ٤٠٩ مخطوط ليدن ص ٥٣٢ — ٥٣٤ ع ٢٩٧ من الرسالة) والدكتور بشر يقول فى تقدمة هذا المخطوط : (وفى المصدر الأول تعريفات وأقوال فى المروءة على أنها لون من ألوان السيادة وشرط من أشراطها) الرسالة العدد ٢٩٧ ص ٥٣٣ . أما عن مجىء هذه الروايات من الجاهلية أو عدم مجيئها ، فلا يؤثر على القضية فى شىء ، لأن جلها أتى من صدر الإسلام ، والعربية لم تتغاير فلا معنى للاحتجاج بأنها ليست من الجاهلية . وإذن يبقى معنا لفظة المروءة نازعة منزع السيادة فى الجاهلية وصدر الإسلام ، بعكس ما حاول أن يوهم القارئ بطرق ملتوية الدكتور بشر فى مباحثه العربية

رابعاً : ينكر الدكتور بشر فارس أن المروءة أفادت السيادة — وأكبر الظن عنده — أنها ضمت ، أو ماضمت محاسن خلق الإنسان ، ثم — من طريق التجديد والمجاز — محاسن خلقه « وهو فى رأيه هذا لا يذكر السبب الذى جعله يميل مع هذا الظن . فضلاً عن أنه لا يستند فى ظنه هذا إلى أكثر من فصل مخطوط تحت رقم ٢٠٤٩ بأيا صوفيا ، يشتق فيها المؤلف المجهول المروءة من مرء الطعام وامرأة ، وإذا تخصص بالمرئ لموافقته للطبع . فكأنها اسم الأخلاق والأفعال التى تقبلها النفوس السليمة ، فعلى هذا يكون اسماً للأفعال المستحسنة كالإنسانية ، وهذا الرأى من الكاتب أحد رأيين ثانيهما أنه يجعل المروءة من المرء فيجعلها اسماً للمحاسن التى يختص بها الرجل فيكون كالرجولية ، ولست أدرى ما الذى جعل الدكتور بشر يميل مع الرأى الأول ؟ ! وليس فى بحثه ما يرجح الرأى الذى أخذ به إلا قول بل أكبر الظن ! »

خامساً : يرى الدكتور بشر أن الأقوال والروايات التى ورد فيها لفظة المروءة ، فيها جانبان متضادان كلاهما معقود على الآخر : الأول حسى والآخر معنوى ، وهذا غلاب على ذاك ؛ وهو يذهب إلى : « أن الجانب الحسى ينحدر من زمن الجاهلية وأما الجانب المعنوى فمصدره الإسلام » (ص ٦٣ من مباحث عربية) غير أنه لا يثبت على هذا الرأى سريعاً فلا يلبث أن ينقضه ويقول : « وكأن الحسىّ والمعنوى أخذا يتجاذبان المروءة أيام الجاهلية » (ص ٦٥ من مباحث عربية) ، وهو بهذا يخلع الجانب المعنوى على الجاهلية . وفى هذا التضارب والتناقض ما فيه مما لا يحتاج إلى بيان ...

سادساً : يعتمد الدكتور بشر على رواية الأغانى : « أن عيينة ابن مرداس كان معوزاً فقصد إلى عبد الله بن عباس يسترفده ورغب إليه أن يعينه على مروءته . فردّه ابن عباس لاتهامه إياه فى مروءته » ليصل إلى أن المروءة كانت تجىء معنوية من العصر الإسلامى وحسية من الجاهلية ؛ وهو يعلق على هذه النتيجة بقوله : « إن ابن عباس نظر إلى المروءة بعين المسلم فنزهها عن المادة وأنزلها منزلة الخلق الحسن . وابن مرداس نظر إليها بعين الجاهلى فرأى فيها إعانة له حتى لا يشتهي طعام غيره »

والرد أن الرواية لا تسعف الدكتور بشر بالنتيجة التى أراد أن يحصلها ، لأنه لا يتحصل منها أن ابن عباس نظر إلى المروءة بعينى المسلم ، وإنما الصحيح أن يقال إنه نظر إليها من طبيعته ، كذلك لم ينظر إليها ابن مرداس بعين الجاهلى ، وإنما الصحيح أنه نظر إليها من طبيعته ، والفرق بين النظرتين ، كالفرق بين الطبيعتين ، وهذا الاختلاف فى النظر راجع إلى اختلاف النفوس لا إلى اختلاف الزمان، ومن أمثال الذين ينظرون نظرة ابن مرداس للمروءة كثيرون فى كل زمان ومكان !.

سابعاً — مضى الدكتور بشر فى بحثه ، وكأنه يتعقب روايات مختلفة من أزمان مختلفة ، وأعطى المروءة مفادات مختلفة ، كل مفاد خاص بعصر ، وانتهى ببحثه إلى أنها لم تنزل منزلة الفضيلة على جهة المماثلة إلا فى العصور المتأخرة . والرأى الصحيح فى الموضوع أن الروايات التى أتى بها الدكتور بشر فارس متسقة وكل منها تقع على لون خاص من مدلول المروءة ، وهذا اللون مرتبط بالناحية الكيفية (صور) للفظة . وهى من هنا لا تأخذ دليلاً على التطور التاريخى . والأصل فى البحث اللغوى لتاريخ لفظة أن يكون الباحث صاحب نظرة فلسفية تتغلغل فى صفحات الماضى وتستمد من طبيعة الحالات القائمة فى العصر صورة تقيمها فى ذهنها يمحص على أساسها الباحث الروايات التى تعرض له ويكشف ، عن مقدار تأثرها بحالات العصر ، وهل هى راجعة لاختلاف النفوس والطبائع ، أم إلى اختلاف الزمان، وذلك لا يتأتى إلا عن طريق النفوذ من مادة الرواية وهو الجسم المنظور إلى روحها وهو ما وراء المنظور

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]



ظهرت عقلية الدكتور بشر الشكلية فى أجلى مظاهرها وتبين لنا كيف أن هذه الشكلية مساقة إلى أخطاء فى البحث لا يقع فيها من له دراية بسيطة بالبحث اللغوى المستقيم. والواقع أن بحث الدكتور بشر فى الروءة ضعيف لا يثبت على نقد، ولا يمكنه أن يواجه مراجعة علمية صحيحة. هذا فضلاً عما فيه من تحريف وتمديل للعناصر الأولى والواقعات حتى لا ينفصم معه النطاق، وسيجىء فى مقتطف نوفبر ما فى المراجع من اضطراب وما فى البحث من تقطع، وما فى حلقاته من انفصام.

اسماعيل أحمد أدهم

من التاريخ :

النهضة المسرحية فى مصر

ونصيب الفرقة القومية منها وواجبها حيالها

الفصل الأخير :

كانت هزيمة المسرح على يد سادته وأبطاله هزيمة منكرة، هبطت بهم إلى الحضيض، ورجعت به إلى الوراء عشرات السنين، ولم يبق بد من أن يعهد بالمسرح إلى غير هؤلاء الأبطال الذين نصبوا أنفسهم سادة فى مملكته. كان لا بد من إنقاذ المسرح وأهله معه بأية وسيلة من الوسائل، ولقد وجدت الوسيلة واقتنعت الحكومة بها فأنشأت هذه الفرقة التى ما تزال قائمة بيننا، وعهدت بها إلى رجل لا ننكر فضله كأديب وشاعر، بيد أننا ننكر صلته بالمسرح، تلك الصلة التى تجعل منه خير من يضطلع بهذه المهمة العظيمة. هذا إلى أنه رجل مشغول بغير المسرح من الشئون؛ فلم يكن الاختيار موفقاً على أى حال. فالمسرح يريد واحداً من رجاله الذين بلوه أعظم البلاء، والذين امتحنتهم خشبة المسرح وعركت أعوادهم فوجدتها من أصلب الأعواد وأشدها قوة وعزماً وحزماً. أما الشعراء، وأما أصحاب الكفايات فى الأدب والكتابة فلن تؤهلهم هذه الكفايات والميزات لهذه المهمة، وقد تؤهلهم لخدمته بوسائل أخرى غير سيادته والتحكم فى شئونه.

على أن مدير الفرقة ليس وحده المسئول عن هذه الهزيمة الجديدة للمسرح، فإن إلى جانبه لجنة عهد إليها باختيار الروايات، فإذا اعتبرناها مسئولة عن عملها، وليس فيها إلا رجل واحد يصلح لهذه المهمة، فإننا نظلمها ظلماً مبيناً! إنها لجنة تتكون من أعضاء من ذوى الكفايات الأدبية والعلمية، لكنهم كما هو الحال مع المدير، ليست لهم صلة بالمسرح تجعلهم أحق الناس بهذه المهمة، بل لعل هذه الكفايات والميزات التى لهم تجعلهم آخر من يصلح لها. ذلك لأن المسرح فن، وإن كان يعتمد على غيره من الفنون، إلا أن من يصلحون له يجب أن يكونوا من طراز خاص. فالمسرح يعتمد على الكتاب والأدباء والموسيقيين وغيرهم، بيد أن أحداً من هؤلاء قد لا يصلح لمهمة قيادته وسيادة شئونه، وقد يصلح لها ممثل أو مخرج أو مؤلف مسرحى أو ناقد، وقد يكون هؤلاء أقل ثقافة وعلماً من أولئك الجهابذة العلماء، بيد أن روحهم الفنية الملهمة تحوطهم بسياج من القوة، وتمنحهم إحساساً فنياً مرهفاً وتجعلهم من أصلح الناس لتوجيه هذه الشئون!

قلنا إذن: إن مدير الفرقة لا يصلح لقيادتها، لأنه غريب عنها، ولو أنه أديب وشاعر. وقلنا: إن لجنة القراءة ليس فيها إلا رجل واحد صالح، على أنه مشغول هو أيضاً ولديه من المهام ما هو فى نظره أجل وأسمى خطراً من المسرح، ومن ثم، فقد ساءت إدارة الفرقة، وساء اختيار الروايات؛ وفى نفس الوقت نرى جماعة الممثلين والمخرجين، وقد اطمأنوا إلى أرزاقهم، قد تركوا الحبل على الغارب، ولم يعد يشغلهم إلا قبض المرتب فى أول الشهر، وإلا الإشاعات التى تدور حول الفرقة وتتناثر هنا وهناك، وإلا الزلفى إلى هذا والتقرب إلى ذاك. أما إجادة العمل فهي

بين الدين والحب

[بقية المنشور على صفحة ١٩٦٤]

مسيحية لا تؤمن فأصبحت مسلمة لا تعتقد ؟ وهل كان في مقدوري أن أغالب الفطرة وفي نفسي إلى الله شوق نازع لا أملك الصبر عليه متى رأيت السبيل إليه ؟

— أنا كفيل بأن أعلمك ما تجهلين من حقيقة الإسلام، فإن أقنعتك تزوجتك، وإلا رجع الأمر بيني وبينك إلى الصداقة، فإنك لا تتزوجينني مسلماً، وأنا لا أتزوجك مسيحية

وأخذت منذ ذلك اليوم أشرح لها مبادئ الإسلام على قدر ما يستطيع مسلم تخرج في الجامعة الأمريكية؛ فكانت تصغي لما أقول وتعجب به . ولكنها كانت تتهمني بتلفيق ذلك مما أعلم من فضائل الأديان وأصول الأخلاق ثم أنسبه زوراً إلى الإسلام. فاتفقنا على أن أقدم إليها كتاباً عن الدين الإسلامي في الإنجليزية، وأن نؤجل البت في أمر الخطبة إلى مثل هذا الشهر من قابل. فهل تستطيع يا أستاذي أن تدلني على كتاب في هذا الموضوع يجمل زواجي منها حقاً لا ريب فيه ؟ فقلت له والأسى يكاد يعقل لساني : إن كتاب روح الإسلام للأستاذ الهندي مير على هو طلبتك. فلعلك تصيبه في مكاتب الإسكندرية . وعسى أن نعيش يا قارئي العزيز حتى أكتب لك الفصل الأخير من هذه الرواية ! الزيات

***

تصويب . جاء في افتتاحية العدد الماضي : فبلى عامداً بقوته والصواب بقومه

في المحل الأخير إن لم يكن لا محل لها من تفكيرهم !

هل نجد ما نقوله بعد ذلك إلا أن نكون مكررين لما قيل مئات المرات وكتب في الصحف وتحدث به الناس ؟

يكفي أن نضرب مثلاً لشعور الفرقة بتفاهة مجهودها أنها وقد عرضت لها فرصة تقديم بعض بضاعتها أمام مليك البلاد لم تجد ما تقدمه سوى رواية (المتحذلقات) وهي فكاهة صغيرة من الأدب الغربي ذات فصل واحد !

وثمة مثل آخر ، فقد دعت الفرقة أعضاء مجلس النواب لتشهدهم على أحقيتها في استمرار صرف الإعانة التي أوشكت أن تطير ، دعتهم ليشاهدوا المهزلة الكبرى التي وقعت في إخراج (الجريمة والعقاب) فخرجوا ساخطين متبرمين ، ولولا بقية من أمل لطارت الإعانة وطارت معها الفرقة !

ماذا نقول أيضاً ، وهل نعتبر هذه الكلمة الفصل الأخير في مأساة الفرقة القومية أم أنه ما تزال هناك فصول كثيرة تستحق كثيراً من الضحك وكثيراً من الرثاء ؟ (للكلام بقية)

ملاحظات

في الصالات

ليس من شأن هذه الصحيفة أن تتحدث عن الصالات وما فيها ، وإنه لعهد أخذناه على أنفسنا أن نحرص على كرامة الفن الذي تدنسه الصالات بسخفها وبالجو الذي تخلقه والفساد الذي تدعو إليه ، وتاريخ الصالات عندنا تنبعث منه روائح تزكم الأنوف تثيرها الفضائح التي لا حصر لها ولا حد

ولكن في الأيام الأخيرة هبط الصالات بعض بطلات المسرح وأبطاله لظروف يعرفها الجميع في مقدمتها فشلهم على المسرح ويأسهم منه

ويقول عزيز عيد الذي يشتغل الآن بصالة بيا : إنه قد وجد سبيلاً آخر لخدمة المسرح في صالات المجون واللهو حيث يبحث الناس عن مشتهيات الجسد . وتقول فاطمة رشدي : إنها لم تفقد شخصيتها التي نالت بها مكانة في المسرح والتي ستنال بها مكانة في الصالات ! أما عزيز عيد فقد رأيناه في دور صغير كان بارزاً فيه بلا جدال . ولكن ماذا يجدي عليه هذا وماذا يجدي على الفن في هذه الأوساط الموبوءة . إن من الواجب أن يكون كل شيء في الصالات من الوجهة التمثيلية صحيحاً إلى حد كبير ، ولكن هذا لن يغير من جوهر الأمر شيئاً . ولنلق نظرة على فاطمة رشدي التي كانت نجمة المسرح يوماً وهي تبتذل نفسها بين طائفة من الراقصات وحثالة الصالات

الرؤوس اليانعة

جلس الأستاذ حلمي رفلة يتحدث إلى مدير الفرقة عن الاصلاحات الكبيرة التي سيدخلها على فن المكياج هذا العام ، وطلب فيما طلب أن تصنع رؤوس من خشب على قدر رؤوس الممثلات والممثلين كيما يضع لها الشعور المستعارة اللازمة دون حاجة إلى العودة للممثل في كل مرة

ونظر إليه المدير الجبار وقال :

— لنؤجل ذلك إلى السنة القادمة يا أستاذ رفله ، فهنا رؤوس ستخرج وهناك رؤوس قادمة من بعيد !

ثم تحمس المدير الهمام ونطق بكلمة الحجاج المشهورة :

« إني لأرى رؤوساً قد أينعت »

ولو نظر المدير إلى المرآة لرأى فيها أحد الرؤوس اليانعة التي حان قطافها . (فرعون الصغير)

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولي — عابدين }

7me Année No. 329

Lundi - 23 - 10 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
م
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٢٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٠ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــــرس

وزارة الشؤون الاجتماعية

ما أظن أحداً من آحاد المصلحين تَلِجت نفسه لإنشاء هذه الوزارة مثلما ثلجت له نفس الرسالة . ذلك لأن سبيلها هى التى تجاهد فيها الرسالة ، وخطتها هى التى تسير عليها الرسالة ، وغايتها هى التى تقصد إليها الرسالة؛ فكأنها قامت لتحقيق آمالها بالتنفيذ، وتطبيق مبادئها بالعمل . ومن ذا الذى لا يبلج صدره إذا رأى قوله قد صار فعلاً ، وخياله قد أصبح حقيقة ؟

لقد عالجت الرسالة مشكلة الفقر على وجوهها الشتَّى فى بضع عشرة مقالة خرجت منها على أن الحرمان كان فى الأكثر الأغلب علة ما يكابد المجتمع من جرائم القتل والسرقة ، ورذائل البغاء والتشرد ؛ فلو أن أولى الأمر عالجوه بما عالجه به الله من تنظيم الإحسان وجباية الزكاة لما وجدوا فى البيوت عائلاً ولا فى الطرقات سائلاً ولا فى السجون قاتلاً ولا فى المواخير ساقطة . ولكننا تركنا الموضوع قانطين من رحمة القلوب ، لأننا وجدنا غاية الأمر فيه لا تعدو البكاء والاستبكاء ما دام الحكم فى يد الأقوياء، والتشريع لألسنة الأغنياء ، والغَلب والسبق للناب العضوض والجناح المحلِّق . فلما وفق الله الحكومة القائمة لأن تجعل لآثام الجهل وآلام الفقر وأرزاء المرض وزارة تعالج كل عَرَض لها، وتساعف كل منكوب بها، وتقطع كل علة فيها، قَرُبت منازع

الإصلاح وسفرت وجوه المنى . ثم كان من مصاديق الأمل ودواعى الثقة أن تولى هذه الوزارة رجل من رجال الجد والعزيمة لم يصبه الله بداء الكلام، ولم يشغله بحرفة السياسة، فاختار لمشورته ومعونته وأمره طائفة من قادة الرأى ودعاة الإصلاح أمثال الأساتذة عبد المنعم رياض وتوفيق الحكيم وابنة الشاطئ، ثم مضى بهم فى طريقته المرسومة إلى غايته المعلومة يقظ القلب نافذ الهمة لا يُعمّى وجهه ضلال ، ولا يقطع سبيله عقبة

***

أجل، إن اختيار الشاذلى باشا لوزارة الشئون الاجتماعية سبب من أسباب النجاح لها والثقة بها ما فى ذلك شك ، فإن عهد الناس بهذا الرجل قوىّ الارتجال عسكرىّ الإرادة. وهم لايفتأون يذكرون أنه أشعرَ المصريين عزة الوطن، وعوّد الأجانب احترام الدولة، بأمر يسير واحد حرص عليه وألح فيه ، هو أن يعزف أصحاب المسارح والسينما السلام الملكى فى ختام كل حفلة . ولكننا لاحظنا أن وزارة هذا الرجل السّكوت الـعَمول قد أخذت فى هذه الأيام تسرف فى نسج الكلام وقطع الوعود ووضع المشروعات وتقديم المقترحات وتأليف اللجان ، فذكـّرَتنا ذلك وزارةَ المعارف فى عهد من العهود إذ كانت تؤلف كل ساعة لجنة، وتضع كل يوم مشروعاً ، وتسن كل أسبوع نظاماً ؛ ثم ينتهى الأمر بأ كثر أولئك إلى ما تنتهى إليه الفقاقيع النازيّة على وجه الماء الآسن !

لقد أكرهتنا حكوماتنا المتعاقبة على أن نفهم أن تأجيل الموضوع للبحث معناه إهماله ، وتحويل المشروع إلى لجنة معناه إغفاله . فهل يجوز أن نخشى مثل ذلك من هذه الوزارة الوليدة وهى لم تُبتلَ بعدُ بجمود الموظفين الآخرين ورُوتين الوزارات الأخريات ؟

إن الدم الجديد فى هذه الوزارة ، والروح المتوثب فى هذا الوزير، يُذهبان الخيفة من جهة التفريط والنكول ، ولكنهما يوجبان الحيطة من جهة الإفراط والتهور . وكفى بهذه الظنة باعثاً على كتابة هذه الكلمة

***

إن وزارة الشؤون الاجتماعية تجديد رعى لدعوة النبوة ؛ وهى بحكم وجودها وطبيعة عملها وزارة الجمهور؛ فلا مندوحة لها إذن عن نهج سبيل الدين فى محاربة الفساد بالأناة والحكمة . فإن مصادمة الموجود بالطبيعة مدعاة إلى الفشل ، ومقاومة المألوف بالعادة مجلبة للنفور ، ووسيلة النجاح فى هداية العامة الحيلة والتدرج . والله عزت حكمته لم يشأ أن يقيد الزواج ويحرم الخمر ويحظر الرق دفعة واحدة ؛ وإنما استدرج الغرائز والأهواء إلى حدود المعروف شيئاً فشيئاً حتى اطمأنت إليه ورغبت فيه

ما للوزارة على حداثتها تبدأ منهاج الإصلاح من آخره، فتريد أن تعرض لما يتصل بالحرية أو بالعقيدة كأن تقيد الزواج وتحدد السهر وتحرم على بعض الناس بعض اللهو ؟ إن ذلك وإن كان له أثره فى صلاح المجتمع لا يحسن أن يكون أول ما تعمل . وربما كانت هذه الأمور التى تنكرها ظواهر لبعض الأدواء الاجتماعية تزول بزوالها . أما الرأى الذى تأمن عليه من المعارضة والفوضى والتشعث فهو أن تحرر دستورها الإصلاحى تحت ثلاثة عناوين هى الفقر والجهل والمرض، فإنها جُمّاع العلل التى يصدر عنها كل فساد وينجم منها كل شر ؟ ثم تحاول بجهادها المتصل فى شتى الميادين أن تمحو الأمية وتقتل الجوع وتجتث أصول العلة ، حتى إذا وجدت أمامها بعد ذلك شعباً صحيح الجسم نير الفهم مكفى الحاجة استطاعت أن تأخذه بوسائل الكمال كتوحيد الأزياء وترقية الغناء وتهذيب التقاليد وتنظيم الأسرة وتمدين الجماعة . على أن ذلك كله يكتسبه الشعب من ذات نفسه متى أدرك قسطه الضرورى من ثقافة العقل والروح والبدن. وعسى ألا يقع فى ظنك من هذا الإجمال أنى أخلط بين اختصاص هذه الوزارة واختصاص وزارات المعارف والأوقاف والصحة؛ فإن وزارة الشؤون الاجتماعية بحكم اختصاصها الشامل لحياة الجماعة فى المدينة والقرية لا بد أن تتصل بالثقافة والسلامة والإحسان من جهاتها العامة؛ ولكنها لاتعلّم كالأستاذ، ولا تعالج كالطبيب، ولا تحسن كالواقف. وسترى فى فصولنا التالية كيف يتميز عملها من عمل غيرها ، حين نفصل الكلام فى هذه العناوين الثلاثة : الجهل والفقر والمرض

احمد حسن الزيات

كيف يعظون

للأستاذ عباس محمود العقاد

أيام الحوادث الفادحة هي أيام العظات البليغة لمن يحسن استخراجها من حوادثها ثم يحسن التعليل بين مقدماتها وعواقبها

والحرب أبلغ العظات

لأنها تمتحن النفوس فتثير فيها الشكوك وتقلقل فيها دعائم الإيمان فهي في حاجة إلى اليقين والاستقرار

ولأنها ترين على القلوب بالغموم وتلعج فيها الأحزان فهي في حاجة إلى الترفيه والتأسية والعزاء

ولأنها تكتظ بالشواهد والمثُل وأسباب الخبرة ومجامع العبرة فهي في حاجة إلى من يحسن التعبير والاعتبار

* * *

رأيت مثلين من أمثلة العظات المصرية هما اللذان بعثاني إلى كتابة هذا المقال: أحدهما مسيحي والآخر إسرائيلي، وكلاهما من مبتكرات الوعظ « العقلي التاريخي » الحديث

جاء المثل الأول في مقال بصحيفة « المانشستر جارديان » الأسبوعية لواعظ يصف تجاربه في الحرب الماضية قال:

كثيراً ما وعظت في أثناء فترات الغداء بالمصانع فكانوا يلقونني برفق وإكرام

ولكني في بعض الأيام لقيت رجلاً غاضباً محنقاً وإن كان مؤدباً في مسلكه يقول لي: ما هذه الجرأة منك على الوعظ باسم إله المحبة والرحمة وهذه الحرب الخبيثة تطحن الناس؟

فقلت له: إنك يا أخانا لقاس على الأقدار... فهبك في مكان القدر فماذا عساك كنت صانعاً بالدنيا؟... لا أحسبك كنت تخليها من الخطيئة لأنك بهذا تهدم تكوين النفس الإنسانية باعتبارها نفساً مريدة مكافئة ذات حرية ومشيئة... فإن لم تصنع هذا فماذا أنت صانع؟

قال: على أية حال كنت لا أدع إنساناً يألم في حياته لجريرة غير جريرته وذنب غير ذنبه

فأجبته قائلاً: آه! يا لها من حياة مخيفة تلك التي تريدها. فماذا تنوي أن تصنع بالأمهات مثلاً؟ أتريد من الأم إذا ذهبوا بابنها إلى الموت أو ذهبوا بابنتها إلى العار أن تمضي في طريقها ضاحكة راضية وهي تقول: لا يعنيني! فالذنب ذنب غيري؟

« إن الدنيا التي تريدها لتكونن دنيا خلواً من الآباء والأمهات والأصدقاء والقديسين والأبطال والشهداء »

* * *

هذا هو المثل المسيحي وله شروحه ومعقباته عند من تناولوا مسألة الاختيار ومسألة الشر الدنيوي في الفلسفة الحديثة

ولكنه كلام يقال للرجل المصري فإذا هو أقرب إلى فهمه والإصغاء إليه من كلام لا يقوم على فكر ولا على حجة وإنما يقوم على إلزام كإلزام الآلات وتكرير كتكرير الببغاوات

* * *

أما المثل الإسرائيلي فقد قرأته في رسالة يقول كاتبها وقد عرض حوادث العالم أمامه فإذا هو يقول: إن الله يبتلي بالقصاص العاجل كل بلد يظلم أبناء إسرائيل، ويكتب النصر والقوة لكل بلد يعاملهم معاملة الرفق والمساواة. فلن ترى أمة شاعت فيها المذابح والمظالم للاسرائيليين إلا أصيبت بثورة أو سيقت إلى حرب أو منيت بهزيمة

هذه روسيا كانت أسبق الأمم إلى ظلم اليهود فابتلاها الله بالثورة البلشفية

وهذه أسبانيا تعاقبت فيها المظالم عليهم فابتلاها الله بالحرب الأهلية

وهذه بولونيا نفسها لم تخل في بعض عهودها من ظلمهم ومطاردتهم، فشاءت الأقدار أن تكفر عن سيئاتها

وهذه ألمانيا النازية تنساق إلى حرب زبون تهدمها من أركانها

« يهواه رب جبار لا ينسى الثأر ولا يصبر على الأشرار »

وهذا الكلام أيضاً قريب إلى عقل الرجل المصري الذي يفكر تفكير المشاهدة وينظر بعين التاريخ، وإن كان قائله ليخلف الأمر فيضع المقدمة موضع النتيجة ويضع النتيجة موضع المقدمة. إذ الحقيقة أن الاضطراب هو السبب المؤدي إلى ظلم « الأقليات » ومنها اليهود، وليس ظلم الأقليات عامة أو اليهود خاصة هو السبب المؤدي إلى وقوع الاضطراب. فالروسيا وأسبانيا وبولونيا وألمانيا كانت فيها المساوئ الاجتماعية والقلاقل السياسية سابقة للخصومات والفتن التي تقع بين عناصر الكثرة وعناصر القلة فيها، وقد حدث أن بلاداً وقعت فيها الهزائم والفتن وليس فيها يهود مضطهدون كما حدث في بلاد الترك

والصين . فالملة الأولى هى الاضطراب والملة الثانية هى الاضطهاد، وهذا هو موضع الخطأ فى تفسير إرادة الله كما رآها واعظ إسرائيل

إلا أن الكلام كما أسلفنا كلام يقال فى العظات المصرية لإقناع السامعين المصريين ، وهو خير من كل كلام لا ينظر قائله إلى الواقع ولا ينظر إلى التاريخ

***

قرأت هذين المثلين فى شهر رمضان

وشهر رمضان عندنا هو شهر العظات وشهر السهرات فى سماع القرآن والدروس

وقد سمعت بعضها وقرأت بعضها وذكرت بعضها مما كان يلقى فى السنوات الماضية

فيطيب لى أن أقول إنها تتقدم من المحاكاة إلى الابتكار ، وأنها تخرج من حفائر الموت إلى ميادين الحياة ، وأنها تخاطب الناس خطاب الإقناع بعد أن خاطبتهم طويلاً خطاب الإلزام والإرهاب ...

فإذا اطردت على هذه الوتيرة فسبيلها غداً (١) أن تشمل الآفاق الواسعة وتتعمق فى أغوار النفس الإنسانية و (٢) أن تربط بين موضوعاتها وكبريات الحوادث الحاضرة و (٣) أن تعمم الإقناع فى خطاب العقل البشرى فلا تقصره على من يؤمن بالقرآن والسنة والمسلمين ، بل تجعله مقنعاً خليقاً بالبحث والنظر فى رأى كل صاحب عقل وتفكير

وهل أضيف أمنية أخرى ؟

يقول أناس إن بائع الحرير لا يلزم أن يلبس من حريره ، وإن واصف الدواء لا يلزم أن يتناول من دوائه ، وإن الأب الذى يقدم لوليده الطعام لا يلزم أن يأكل من طعام الأطفال ، ولكن الواعظ لا يكون واعظاً إلا إذا عمل بما يأمر به الناس

ويقول آخرون : بل حكم الواعظ فى ذلك حكم بائع الحرير وواصف الدواء ومقدم الطعام لبنيه ، فليس بالواجب عليه أن يعمل بكل ما يقول ، وإنما الواجب عليه أن يهدى كلاً من سامعيه إلى ما يحسن به عمله وتصلح له هدايته

وأياً كان مقطع الرأى فى اختلاف الواجبات أو اتفاقها بين الناس فهناك واجب مشترك متفق عليه بين جميع الواعظين والعاملين : وهو الإيمان بالواجب والإيمان بالأمانة والإخلاص فى أدائه .

عباس محمود العقاد

جنــــاية أحمد أمين
على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ١٩ —

رأينا فى المقال السالف كيف أخطأ الأستاذ أحمد أمين حين زعم أن الأدب العربى على اختلاف عصوره ليس فيه إلا شاعر واحد يهتم بتحليل المعانى

فهل نجاه الله من الخطأ حين زعم أن الأدب العربى لم يعرف غير كاتب واحد يهتم باستقصاء الأغراض ؟

إن الله لطف بابن خلدون فشغل به قلب الدكتور طه حسين لتعلو منزلته فى نظر الأستاذ أحمد أمين ، فأغلب الظن أن أحمد أمين لم يكن عنده مانع من القول بأن الأدب العربى فى جميع العصور وفى جميع الأقطار لم يُخلق فيه كاتب يعرف كيف يشرّح المعانى والأغراض على نحو ما يصنع الكتاب فى هذه الأيام !

والحق أن بُعد الدكتور طه حسين عن مصر فى أيام الصيف عرّض الأستاذ أحمد أمين للمعاطب ، فلو أن الدكتور طه بقى فى مصر لكان من الجائز أن يعلن إعجابه بكاتب آخر غير ابن خلدون ، وعندئذ كان يصح للأستاذ أحمد أمين أن « يتفصل » فيقول إنه لا يعرف فى الأدب العربي غير كاتبين اثنين ؛ وكان من الجائز أيضاً أن يعلن الدكتور طه إعجابه بكاتب ثالث فيقول الأستاذ أحمد أمين إنه لا يعرف فى الأدب العربى غير ثلاثة من الكتّاب !

فهل نرجو أن يتلطف الدكتور طه حسين فيقول إنه لا يُعقَل ألا ينبغ فى الأدب العربى غير كاتب واحد فى ذلك الأمد الطويل الذى سيطر فيه على أقطار أسيوية وإفريقية وأوربية ؟

إن الدكتور طه لو قال هذه الكلمة — وهى حق — لسَرَتْ عدواها إلى روح الأستاذ أحمد أمين فاندفع يثنى على الأدب العربى

بما هو أهله ، ولكان من الممكن أن يصرح بأن الأدب العربي نبغ فيه من الكتاب عشرات أو مئات

ولكن الدكتور طه يترفق بأصدقائه أشد الترفق ، ويحرص على ستر ما يقمون فيه من أوهام وأضاليل ، وقديقدّمهم إلى الجمهور فى جلبة وضوضاء ، فكيف ننتظر أن يقول فى الأدب العربي كلمة حق تشجع رجلاً مثلى على مهاجمة رجل يستبيح فى الغض من أدب العرب مالا يباح ؟

لقد قضيت أعواماً طوالاً فى محاربة الدكتور طه حسين ، واستطعت أن أعدّل مسالكه الأدبية بعض التعديل ، فهل أستطيع اليوم أن أخوّفه من عواقب السكوت على أغلاط بعض زملائه الأعزاء ؟

إن الدكتور طه هو المسئول عن أحمد أمين ، فهو الذى قال : « إن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فهديناه إليها » ومعنى ذلك أن أحمد أمين لم يكن يعرف أنه أديب قبل أن يدله الدكتور طه على الكنز المدفون فى صدره

كنت أعرف أن الدكتور طه على خطأ يوم ظن أنه استكشف « الأديب » المدفون فى صدر أحمد أمين ، ولكنى رأيت ألا أسارع إلى تخطئة الدكتور طه ، علماً بأن الأيام سترد الدكتور طه إلى الصواب ، فهل ردته إلى الصواب ؟

لقد حدثتكم من قبل أن أحمد أمين لم يكن أديباً ، وإنما كان موظفاً مخلصاً للوظيفة لا يرى ما عداها من الشؤون ، ثم قال له طه حسين : كن أديباً ، فكان

واليوم أحدثكم أنى أخطأت ، والصواب أن أحمد أمين لم يكن أديباً ، وإنما قال له طه حسين : كن أديباً ، فلم يكن !

يا دكتور طه :

هل تصدق القول بأن اللغة العربية لم يكن فيها كاتب يحلل المعانى غير ابن خلدون ؟

أحب أن أساجلك الحديث ، فقد ضجرت من مساجلة أحمد أمين ما رأيك فى الرعيل الأول من الكتّاب بعد عصر النبوة ؟

ما رأيك فى الخطاب الذى وجّهه عبد الحميد بن يحيى إلى الكتاب ؟

ألا تراه غاية فى تحليل المعانى وتشريح الأغراض ؟

وما رأيك فى طريقة عبد الله بن المقفع وهو ينثر الحكم أو يكتب العهود ؟

إن كتاب كليلة ودمنة هندى الأصل ، فليس لابن المقفع غير الترجمة والتهذيب ، ولست من القائلين بأن كتاب كليلة ودمنة من إنشاء ابن المقفع ، ولكن ما رأيك فى مقدمة ذلك الكتاب ، وهى بالتأكيد من إنشاء ابن المقفع ؟

أليست تلك المقدمة شاهداً على أن ابن المقفع يجيد الاستيعاب والاستقصاء ؟

وما رأيك فى الكتاب الذين عرفتهم اللغة العربية بعد ذلك ؟

هل يستطيع إنسان أن يقدم ابن خلدون على الجاحظ إلا وهو محروم منْ نعمة الفهم والذوق ؟

إن الجاحظ كاد يستوعب جميع المعارف فى عصره ، وكاد يُنطق جميع الأحياء والأموات بما عرفوا وأحسُّوا من دقائق الأشياء . والذى يقرأ رسائل الجاحظ ومؤلفاته يشهد المعارك والمصاولات بين أصحاب المذاهب والآراء ، ويرى كيف تصطرع الطبائع والنحائز والخصال

فهل يجوز القول بأن اللغة التى عرفت أدب الجاحظ ليس فيها كاتب غير ابن خلدون ؟

وما رأيك فى ابن قُتيبة ؟

هل تذكر مقدمة كتابه « أدب الكاتب » ؟

إن « أدب الكاتب » هو فى الأغلب دراسات لغوية وصرفية ولكن ما رأيك فى مقدمة ذلك الكتاب ؟

أليست غاية فى التحليل والتشريح ؟

وقبل الجاحظ وابن قتيبة عرف الأدب العربى « مشاورات المهدى لأهل بيته » وأذكر أنك حاورتنى فى صحة هذه المشاورات وصح عندك أنها من الأدب المنحول ، وكانت حجتك أنها لم تذكر

فى غير كتاب العقد الفريد . وقد ضاق وقتى عن تعقب المصادر التى وردت فيها إشارة إلى تلك المحاورات ، فهل تظن أنها من بعض ما اخترع كتاب الأندلس ؟

المهم ، يا سيدى الدكتور ، أن نتفق على أنها سبقت القرن الرابع ، ولا يهمنا بعد ذلك أن تكون مشرقية أو مغربية ، كما لا يهمنا أن تكون من نتاج القرن الثانى أو الثالث ، فما يعنينا فى هذا المقام إلا أن نتخذها شاهداً على أن من كتّاب العرب من أجادوا التحليل والتشريح قبل ابن خلدون بأجيال طوال

ومن المؤكد أن مشاورات المهدى لأهل بيته ليست أول وآخر ما عرف العرب من هذا الطراز ، فلها أشباه كثيرة منها « حديث السقيفة » الذى قصه علينا التوحيدى والذى نقده ابن أبي الحديد

ولولا خوف الفتنة لأشرت إلى قصة دينية كثر فيها الحوار والتمثيل ، وهى من الشواهد على أن العرب تنبهوا من وقت مبكر إلى تحليل المعانى وتشريح الأغراض

وما رأيك فى أبى حيان التوحيدى ؟

ألا ترى أن أعماله فى القرن الرابع تذكّر بأعمال الجاحظ فى القرن الثالث ؟

كان الجاحظ يُنطق العلماء والفقهاء والأدباء ، وكذلك كان التوحيدى يُنطق من عاصروه بألوان كثيرة من صور الفكر والبيــان

ومن المؤكد أن التوحيدى أكتب من ابن خلدون وأسبق إلى تشريح الآراء والأهواء

ومن المؤكد أيضاً أن التوحيدى لا يقل عن أعظم كاتب عرفته اللغات الأجنبية ، وشمائله فى الأسمار تذكّر بشمائل أناطول فرانس

وهل يذكر الدكتور رسالة الطير والحيوان بين رسائل إخوان الصفاء ؟

لقد دلنا ابن أبى الحديد على واضع « حديث السقيفة » فمتى نعرف الكاتب المجهول الذى وضع « مشاورات المهدى لأهل بيته » ؟ ومتى نعرف الكاتب المجهول الذى وضع « رسالة الطير والحيوان » ؟

قد نتعزى حين نيأس من معرفة المهندس الذى وضع تصميم الأهرام ، والمهندس الذى وضع تصميم إيوان كسرى والمهندس الذى وضع تصميم قصر الحمراء ، ولكنا لن نتعزى أبداً عن اليأس من معرفة الكاتب الذى وضع « رسالة الطير والحيوان » لأنه عندنا أعظم كاتب عرفته الآداب العالمية بعد أفلاطون

هل يذكر الدكتور ماقال يوم لقيته فى جريدة كوكب الشرق؟

لقد صارحنى الدكتور طه حسين بأن الفصل الذى حللت به رسالة الطير والحيوان فى كتاب النثر الفنى غير كاف ، وقد أجبت بأنه فصل من كتاب ، وتحليل هذه الرسالة يحتاج إلى كتاب خاص

فكيف يقال إن اللغة العربية لم ينبغ فيها كاتب غير ابن خلدون وفيها « إخوان الصفاء » الذين سجلوا معارف زمانهم أعظم تسجيل ؟

لقد أشرت من قبل إلى الميزة الخُلُقية التى امتاز بها أولئك القوم ، وهى نكران الذات ، وإلا فمن الذى يصدّق من أهل عصرنا أن جماعة من أهل البصرة أو غير أهل البصرة يخفون هويّاتهم عن أعين التاريخ مع تلك القدرة الباهرة على تشريح الحقائق والأباطيل ؟

وما رأى الدكتور فى ابن شُهيد صاحب « التوابع والزوابع » ؟

ألا يسمح لهذا الكاتب المبدع بأن يضاف إلى من يجيدون تحليل المعانى واستقصاء الأغراض ؟

إن ابن شهيد فى تلك الرسالة قارع المعانى الصعبة مقارعة الفحول ، ودخل فى شِعاب لا يهتدى إلى مسالكها غير المزوّدين بأضواء البصائر والقلوب ، فكيف يُجهَل ويعرف ابن خلدون ؟ !

وما رأيك فى التنوخى صاحب « نشوار المحاضرة » ؟

ألا يذكرك هذا الكاتب بكتاب « الصور » من أقطاب الفرنسيس والانجليز والألمان ؟

لو كان التنوخى فى أمة غير الأمة التى طبع فيها ديوان ابن خفاجة مرة واحدة فى مدى أربعين سنة لجاز أن يخطر فى بال الذى قال إن اللغة العربية لم تعرف كاتباً غير ابن خلدون !

وما رأيك فى ابن مسكويه صاحب « تجارب الأمم » ؟

ألم يهتد ابن مسكويه إلى فلسفة التاريخ قبل ابن خلدون بأزمان؟

وما رأيك فى الجرجانى صاحب « دلائل الإعجاز » ؟

هل ترضى أن توازن بين الجرجانى وبين لانسون ؟

إن الجرجانى فى كتابه دلائل الإعجاز أبرع وأعظم من لانسون فى كتابه L'Art d'écrire ولكن لانسون وجد رجالاً يعرفون قيمته الأدبية ، أما الجرجانى فله أخلاف ينسونه ويذكرون ابن خلدون !

وهل يمكن لرجل فيه بقية من الفهم والعقل أن يتناسى العظمة الفكرية عند أمثال عبد القاهر الجرجانى ؟ ومن قبل الجرجانى عبد القاهر كان أستاذه أبو الحسن الجرجانى الذى فصّل ما بين المتنبي وخصومه أعظم تفصيل ، والذى أدخل فى الأحكام الأدبية روحاً من عدل القضاء .

ومن قبل هؤلاء نشأ أحمد بن يوسف المصرى الذى برع فى تسجيل ما عرف عن معاصريه من محاسن وعيوب ، والذى وصل إلى الغاية فى شرح أهواء النفوس

وهل ترى أن يقف الأدب عند الرسائل والمؤلفات التى غلبت عليها الصفة الاصطلاحية ؟

إن ميدان الأدب أوسع من ذلك ، فإليه تضاف أعمال المؤلفين فى التصوف والأخلاق

إن صح هذا — وهو صحيح — فهل أستطيع أن أعرف رأيك فى الغزالى ؟

أنا أعتقد أن الغزالى من فحول الكتّاب فى اللغة العربية ، وأومن بأنه من المبتكرين فى تحليل النوازع النفسية والقلبية ، وفى كتاب « الإحياء » فصول تشهد بأنه من أئمة الفكر والبيان

إقرأ — إن شئت — بعض ما كتب فى الرياء تجده أتى بالأعاجيب فى التنبيه على المجهول من سرائر النفوس ، وتعرف — وأنت تعرف — أنه فى بابه أعمق من ابن خلدون وأقدر على التحليل والتشريح

قلت فى محادثة قريبة بأنه لا يسرك أن ترانى أعتدى على الناس.

لقد ذهب الناس ، يا سيدى الدكتور !

أليس من الحزن أن يحتاج الأدب العربى إلى من يحميه من غطرسة بعض الأساتذة بكلية الآداب ؟

إن الأستاذ الذى لم يعرف فى اللغة العربية كاتباً غير ابن خلدون لم يطلع أبداً على كتاب الفتوحات المكية ، فلو أنه كان اطلع على ذلك الكتاب لعرف أن عندنا كاتباً فحلاً هو ابن عربى الذى طوف بآفاق يجهلها أكثر الأدباء فى هذا الجيل

وهو أيضاً لم يطلع على مؤلفات الشعرانى الذى صور المجتمع المصرى فى القرن العاشر تصويراً نعجز عن مثله اليوم ، وأكاد أجزم بأن الصحف المصرية على اختلاف ألوانها ونزعاتها لا تعطى من صور مصر فى العصر الحاضر ما أعطته مؤلفات الشعرانى من صور مصر فى القرن العاشر

وما كان الغزالى ولا ابن عربي ولا الشعرانى إلا تلاميذ لأساتذة مجهولين وضعوا الأساس لحياة الفكر والتأليف فى مختلف الأقطار العربية والإسلامية

هل تذكر المقريزى ، يا دكتور ؟

أنظر خطط المقريزى ، وتذكر العصر الذى عاش فيه المؤلف ثم وازن بينه وبين أى باحث من نوعه عاش فى الأقطار الأوربية ، فإن فعلت فسترى أن أسلافنا كانوا من أئمة الابتكار والابتداع

فبأى حق يقال إن اللغة العربية لم ينبغ فيها كاتب غير ابن خلدون ؟

إن ابن خلدون ممتاز فى الترتيب والتبويب ، وتلك هى الصفة

التى يعنيها أحمد أمين ، فأين هو من القلقشندى الذى بوّب « صبح الأعشى » تبويباً معدوم النظير ؟

وأين هو من السخاوى الذى صوّر القرن التاسع كأنك تراه ؟

وأين هو من الحركات العقلية الممثّلة فى ذخائر التفكير العربى والإسلامى ؟

الأدب ، يا دكتور ، له فنون تتجاوز ما أسلفنا من الفنون ، فأين صاحبك من الكتّاب الذين شغلوا أنفسهم بتشريح الدقائق النحوية والصرفية ؟

إن سيبويه ألف « الكتاب » فى القرن الثامن للميلاد ، فهل تعرف أن الأقطار الأوربية كان فيها مؤلف يشرّح أصول النحو والصرف كما صنع سيبويه فى ذلك العهد ؟

وهل يمكن أن يقال إن ابن خلدون كان فى التشريحات السياسية والاجتماعية أعمق من سيبويه فى التشريحات النحوية والصرفية ؟

وهل يمكن القول بأن جوهر العقل عند سيبويه أقل قيمة من جوهر العقل عند ابن خلدون ؟

إن الأستاذ أحمد أمين لا يرى غير ظواهر الأشياء، ولو كان عميق الفكر لعرف أن رجلاً مثل ابن هشام الأنصارى خليق بأن يوضع فى أول صف من صفوف الباحثين الذين يجيدون تشريح المعانى ، فهذا الرجل عرض مسائل النحو فى صور مختلفات ، وبذل فى ذلك جهداً يشهد بأنه فى غاية من سمو الفهم والعقل ، وقد استطاع أن يجعل القاهرة فى صف البصرة والكوفة وبغداد ، ومجموعة المحاولات التى بذلها فى تكييف المعضلات النحوية والصرفية أقوى من مجموعة المحاولات التى بذلها ابن خلدون فى تكييف السياسة والاجتماع

إن فقهاء الشرع الإسلامى كان فيهم فحول من الوجهة الأدبية ، ولكن أين من يدرك أن البويطى صاحب كتاب الأم كان من أقطاب البيان ؟

***

أين من يصدق أن البويطى عرض الخلاف بين الشافعية والحنفية عرضاً هو الغاية فى حسن التعبير ، ودقة الوصف ، وسداد الأداء ؟

ومع ذلك نجد من يقول بأن اللغة العربية لا تعرف كاتباً غير ابن خلدون !

***

أما بعد فما الذى بقى لأحمد أمين وقد مزقنا أوهامه كلّ ممزّق ؟

بقى أن نبين أن أغلاطه ليست أغلاط الرجل المجتهد ـ وللمجتهد أجرٌ حين يخطىء وأجران حين يصيب ـ وإنما أغلاطه مسروقة سرقة حرفية من بعض أدباء هذا الجيل

فكيف سرق أحمد أمين تلك الأغلاط ؟ وكيف خفيتْ سرقاته على الناس ؟

سنكشف تلك السرقات فى مقال أو مقالين ، ثم نتركه فى سلام ليتذوق البقية من أطايب رمضان ، إن لم يجدّ ما يوجب أن يفطر يوم العيد على حديث ذى شجون

زكى مبارك

على ذكر الحرب الراهنة

موقف العلم من الكمال الانسانى

للأستاذ توفيق الطويل

١ – العلم وتطور غاياته فى شتى العصور :

نشأ العلم جنيناً فى أحشاء المعرفة البشرية عند قدماء المصريين والهنود ومن إليهم من شعوب الشرق القديم ، وكان أداة لخدمة الحياة العملية ، وتحقيق الملحّ من مطالبها ، ووسيلة لتنمية العقيدة الدينية وتوكيد سلطانها فى قلوب الناس ؛ ثم أقبل عصر الفلسفة اليونانية فجاهد أهلها لإنقاذه من عبء الحياة العملية وضغط العقيدة الدينية معاً ؛ ورفعوه إلى البحث البرئ الذى لا يعرف غاية يرى إليها إلا اللذة العقلية وحدها . ثم أقبلت العصور الوسطى وقد تمكن الدين المسيحى من قلوب الناس ، وهيمن على عقولهم ، فهبط العلم من سمائه وأدركته العبودية من جديد . إذ سخره أهله لخدمة الدين وتمكين نفوذه ، وأقام العلم على احتماله لهذا الاستعباد حتى تمرد أساطين النهضة على سلطان الكنيسة ، وتولوه بالتحطيم والتدمير . وأقبل القرن السادس عشر ، وأوربا فى غليان فكرى أثار لوناً من الشك الهدام . أفقد الناس اليقين فى مجال العلم ، والاطمئنان فى ميدان العمل ، وحطم وحدة أوربا وتركها ركاماً وأنقاضاً ، واطمأن لهذا الانتصار الفاشل دعاة الشك اليائس : أجريبا وسانشيه ومونتانى . بيد أن الناس قد ضاقوا بدعوتهم وتطلعوا إلى اليقين والاطمئنان واستخفهم الرضا عن دعوة جديدة ظهرت فى أواخر القرن السادس عشر لمقاومة هذا الشك الهدام ، تولاها ثلاثة من أعلام الفكر هم : شارون وديكارت وبيكون ، فدعا الأول إلى الاطمئنان عن طريق الإيمان الدينى — وكان روح العصر لا يلائم دعوته — وبشر الثانى باحترام العقل واعتباره أصدق معين تستقى منه المعرفة الصحيحة فكان أبا الفلسفة الحديثة ؛ ونادى بيكون بالإيمان العلمى عن طريق التجربة ، وحدد للباحث طريقته ورسم له منهجه ، وأعلن ميدان العلم وغايته فى وضـوح لا يحتمل الالتباس فكان أبا العلوم الطبيعية الحديثة ، وعلى يديه خرج العلم من أحشاء المعرفة البشرية ، واستقل عن الدين والفلسفة والأدب ، وتميزت شخصيته وتحدد ميدانه وعرفت غايته . ذلك أن بيكون أعلن احتقار العلم الذى يدرس للذة العقل أو خدمة الدين ، وأكد الدعوة إلى ربط الأبحاث العلمية بالحياة العملية وقصرها على صالح الإنسان ومنفعته . فكان ميلاد العلم الحديث شبيهاً من بعض الوجوه بميلاده القديم . واستبسل بيكون فى الدفاع عن العلم حتى كفل له الاستقلال عن سائر ألوان المعرفة ، وحطّ عن كاهله عبء الأغراض الدينية ولكنه لم يكفل له حريته كاملة موفورة ، فأذله مرة أخرى وسخره لخدمة الحياة العملية وتوفير السعادة للناس. وهكذا بدأ العلم فى عصوره الحديثة مستقل الشخصية صاحب منهج محدود وغاية مرسومة ، يتهكم بالفلسفة ويسخر من أهلها ، ويبتعد عن العقيدة الدينية ويقيم الحدود الفاصلة بينه وبينها ، ولكنه مع هذا الاعتزاز الذى لازمه الغرور قد شعر بعد بأنه ليس سيد نفسه . إنه مسخر لخدمة الإنسان ، ونجاحه رهن بتحقيق هذه الغاية . فلما شب العلم بعد هذا ونضج عقله ، ثاب إلى رشده ، فكفّ عن الطعن فى الفلسفة ، وتقبل منها النصح بعد أن أرشدته إلى الكثير من أخطائه ، وأخذ يجاهد لتحرير نفسه من ذل الأغراض التى رسمها له أبوه ، وأصاب النجح فى مسعاه ، وحقق حريته كاملة غير منقوصة ، وأصبح يدرس لذاته بقطع النظر عن كل غاية – بالغاً ما بلغ سموها – إلا إذا اعتبرت اللذة العقلية نفسها غايته . إنه قد تحرر من ذل الحياة العملية واستعباد العقائد الدينية وامتهان الأغراض القومية – أو هكذا يزعم أصدقاؤه وحواريوه – وأصبح يفاخر الأدب والفن والفلسفة بأنه سيد نفسه ، لا يخضع للعاطفة ، ولا يحترم الهوى ، ومنهجه موضوعى قائم على تعرف الشىء من حيث هو شىء ، دون نظر إلى علاقته بخير المجتمع وصالح الإنسان . وقد أدى هذا بقواعده إلى أن تكون بمنجاة عن التأثر بالزمان والمكان وما يلابسهما من ظروف . أما الفلسفة والأدب فإن أحكامها تقديرية بالإضافة إلى ذات شاعرة مدركة تتأثر بمزاجها وتتفاعل مع بيئتها وظروفها . ووجه الخلاف بين هـذا المنهج العلمى الحديث ، والمنهج الذى رسمه بيكون قائم فى الغاية وحدها . كان بيكون لا يحترم العلم إلا بمقدار ما يحققه للانسان من خير ، وما يوفره للمجتمع من نفع وهناء ، فاسترد العلم حريته التى كانت له أيام اليونان ، وأصبح يجاهر على لسان المجمع البريطانى لتقدم العلوم سنة ١٩١٥ بأن العلم يطلب لذاته أولاً . قال رئيس المجمع ما خلاصته : إنى أقدر العلم حق قدره ، وأكبر خدماته للمجتمع الإنسانى ، ولكنى أعلن أن العلماء إذا اغتبطوا للظفر بما تضم الأرض من ثراء ، وما تنطوى عليه كواكب السماء وجواهر المادة من قوة ،

فليس مَرَدّ اغتباطهم إلى أنهم يرفعون الثروة المادية فوق اللذة العقلية ؛ وأنهم ليستشعرون اللذة مضاعفة عند ما يستعملون قوى العقل للوصول إلى منفعة الأمة ، ولكن هذا كله لا ينبغي أن يمنعنا من تخطئة الحط من شأن المبادئ الأدبية ، فإن هذا الامتهان قد ولّد الرأى الفاسد القائل بأن القوة تخول صاحبها امتلاك ما يشاء (لعله يقصد ألمانيا التى أشعلت الحرب الكبرى قبل خطابه ببضعة شهور) . ثم قال المجمع فى اجتماعه الذى عقده بعد ذلك بعشر سنوات : إن القائلين بأن غاية العلم هى التسلط على قوى الطبيعة لخدمة الإنسان - وهى دعوة بيكون - يبالغون فى الاعتقاد بصحة ما يزعمون ، فما كانت المنفعة أكبر الأسباب التى حملت العلماء على مواصلة أبحاثهم ، ولكن أول غرض يرمى إليه العلم ، إنما هو الكشف عن قوى الطبيعة ومعرفة ما بينها من صلات ، وتصنيفها حتى يأتلف من مجموعها نظام معقول . ذلك أول أغراض العلم ؛ أما المنفعة المادية فيجتنيها الناس بعد من وراء ذلك ، وبهذا يصبح الاشتغال بالعلم لذة عقلية تكاد تلحقه بالفنون الجميلة !...

والعلماء الذين يبلغون مناهج العلم العليا يشعرون بالرابطة التى تصل بين العلم والفن ، وبجعل الطبيعة موضوع بحثهما معاً لغير ما غاية إلا التملى بجمالها . إن التحليل الجبرى المنظم لشبيه بالنغمة الموسيقية ذات التوقيع المتسق، وهذا تشبيه يثير دهشة الذين لا يرون فى الجبر إلا أرقاماً وعلامات ، ولكنه مقبول عند الذين يعرفون نسبة هذه الأرقام والعلامات إلى المعنى الذى تخفيه وراءها ، فهى كنسبة العلامات الموسيقية إلى الأنغام المطربة، والأثر الذى تخلّفه فى نفوس سامعيها . ثم يعزو رئيس المجمع اهتمام العلماء بالعلوم الطبيعية إلى ما تنطوى عليه مباحثها من بهجة وجدة ، لا إلى ما ينتظر من ورائها من نفع مادى، وإن كان تحقيق هذا النفع أمراً أكيداً !

بهذه الروح « الفنية » يتحدث العلماء المحدثون عن العلم وغاياته . كان بيكون فى مستهل العصور الحديثة يتهكم بالعلماء الذين ينفقون الوقت الطويل فى الدراسات النظرية التى لا ترمى إلى خدمة الإنسان ، فأصبح العلماء فى آخر القرن الماضى يتحدثون عن علاقة العلوم الطبيعية بالعلوم الأدبية ، ومشاركتها لها فى تهذيب النفوس ، ويقولون إنا نلوم العلوم الأدبية إذا اقتصرت على دراسة الإنسان وأعماله ، وأهملت ظواهر الطبيعة وقواها؛ ثم نلوم أنفسنا إذا اقتصرت - علومنا الطبيعية - على النظر إلى الطبيعة ولم تتجاوزها إلى الإنسان وأعماله . ثم تطورت هذه الروح فى القرن العشرين حتى أصبح العلماء يفكرون فى العلاقة بين العلوم الطبيعية والفنون الجميلة ، ويتحدثون عن الجمال الذى تكشفه الدراسات إذا انصبت على ظواهر الطبيعة، ويتكلمون عن أثر هذا « الجمال » فى نفس العالم وتشجيعه على مواصلة البحث، وإن لم ينكر هؤلاء العلماء ما يترتب على دراساتهم من نفع إنسانى لم يقصدوا إليه، ولم يتجهوا إلى تحقيقه. تلك أحدث وجهات النظر فى فهم العلم الطبيعى وتحديد غاياته فيما نعلم

٢ — تبعات العلم فى الحرب والسلم

تحرر العلم من تبعة الويلات التى قد تترتب على بعض مبتكراته ومخترعاته ، وإن لم ينج من النقد الحر الذى ترتفع به صيحات الناس إبان الحروب وبعد أن تخمد نارها ، فإن الحرب إذا اندلع لهيبها قصر العلم غايته على تقديم الوقود لها ، وخص بلاده بكل جهوده ، وتحول العلماء بين جدران معاملهم إلى جنود بواسل ، يبذلون الجهد صادقين فى إنقاذ الوطن ، أو يفرغون الوسع جاهدين لتحطيم أعدائه ، ولهذا انصبت اللعنات على العلم دون حساب ، وأحس أهله — فى فترة مضت — بحرج مركزهم ؛ فأخذوا يلتمسون لأنفسهم الأعذار . وتذرع المجمع البريطاني بحجة أعلنها سنة ١٨٩٩ ، ثم كرر إعلانها سنة ١٩٢٥ فقال : إن الجندى يسعى لحفظ حياة الأفراد ، أما العالم فإنه يجاهد لحفظ حياة النوع بالعمل على إيقاف الحرب بما يخترع من آلات التخريب وأدوات التدمير ، والظفر فى الحرب يكسب السلم الذى يصون الحرية الفكرية ويستأصل الشر الذى يجور على محبة الأمم ويبشر بالحق والمحبة فى بقاع الأرض طرًّا ... ! وهذا العذر يكاد لا يفترق عن الحجة التى تذرع بها نابليون يوم طمع فى إخضاع العالم وتوحيد حكمه . وقد ردد الحلفاء صداها فى الحرب الماضية ، وتثار اليوم فى الحرب الراهنة التى ترمى إلى القضاء على المتلارية التى أنهكت أعصاب العالم وهدت قواه ، بما تظهره من امتهان الوعود والحنث بالعهود . فكأن رجال العلم حين التمسوا لأنفسهم الأعذار عن تسخير علمهم لغرض قومى عملى ، قد تحوّلوا إلى رجال سياسة ! وقد كان فى وسعهم أن يقولوا إن الحروب إذا اندلع لهيبها ، انقلبت الأوضاع واضطربت الغايات، وأصبح من واجب العلم أن يلبى نداء الأوطان. إن المواطن فى أعرق البلاد نزوعاً للحرية والديمقراطية ، يكاد أن يستحيل آلة فى يد الوطن إذا حاق به خطر ، فلماذا ننكر على العلم خروجه عن حريته، ومرضاته بخدمة غرض قومى متى دعا الداعى ونادى الوطن؟

ورغم أن العلم قد تحرر من ذل الأغراض فما زال مثاراً لاتهامات تنصب عليه فى أيام السلم كذلك ، وحجة المتهمين أن مخترعاته قد ترتب على بعضها ما يراه البعض شراً وأذى ، وقد يطالبونه بتحقيق ألوان من السعادة الموهومة ويحاسبونه على عجزه عن تحقيقها ! قال الرئيس ولسون : إن العلم قد أخفق فى تحقيق الإصلاح العاجل وتوفير الفردوس الأرضى للناس . إنه أفادنا فى عالم المادة وحررنا من خوف الخرافة والمرض ، ولكنه فشل فى تغيير الطبيعة البشرية وتخليصها من أدران الأحقاد والضغائن ، وبذلك ظل الناس عبيداً لأنفسهم. فرد عليه المجمع البريطانى قائلاً: لماذا نلقى على عاتق العلم تبعة الفشل الذى انتهت إليه آمال لم يَعِد العلم بتحقيقها ؟ إن العلم لا يدعى إصلاح الطبيعة البشرية ، وقد يكون فى مقدوره أن يغير البيئة ويزيد فى منفعة الإنسان، ويوسع من رحاب مداركه، ولكنه غير مسئول إذا أساء المرء استعمال آثاره. فعلم الطب قد يطيل حياة الناس ، ويكفل لهم الصحة والعافية ، ولكنه غير مسئول عن كيف تُقضى الحياة التى نجح فى إطالتها. وقد يكفل للأشرار القوة كما يكفلها للأخيار ولكن ذلك لا يبرر المطالبة بإغلاق المستشفيات حتى لا يفيد منها دعاة الشر والإجرام

ترى مما أسلفنا أن العلم وإن كان قد بدأ فى العصور الحديثة موصول الرابطة بصالح الإنسان ، إلا أنه مضى فى تطوره حتى أزاح عن كاهله خدمة المجتمع واسترد حريته وسيادته ، وأضحى عند أهله بحثاً موضوعيا يعينهم على التملى بجمال الطبيعة واستثمار اللذة العقلية عند فهم ظواهرها . أما المنفعة المادية فتجىء عرضاً من تطبيق نتائج العلم لصالح المجتمع . واعتبر المحدثون توجيه العلم للنفع المادى استعباداً للعقل وامتهاناً لقداسته ، بالإضافة إلى ما ينشأ عن تقييد حريته من انحطاط فكرى شهد به تاريخ الفكر منذ أقدم العصور . وما دام العلم فى عهده الأخير لا يتصل بالكمال الإنسانى اتصالاً مباشراً ، وهو زاهد فى ثناء الناس على ما قدم من خدمات ، غير مستعد لاحتمال التبعات التى يلقيها على عاتقه خصومه ، فليس من حقنا أن نتولاه باللوم كلما تطايرت إلينا أنباء الحروب وفظائعها . وإن كان لا بد من الحديث عن موقف العلم من الكمال الإنسانى لمعرفة ما حققه من خير وما جره من ويلات — وجب أن نتحدث عن العلم فى أول مراحله كما صوره فرنسيس بيكون أداة لخدمة الإنسان. والكلام على بيكون وتبشيره برسالة العلم والمدنية، يذكرنا بجان جاك روسو ورسالته القائمة على الدعوة إلى الطبيعة والعيش على مقتضى الإلهام والفطرة البسيطة ؛ وذلك ما نخصص لمناقشته مقالنا القادم

ت . الطويل

الحد الفاصل

بين أدب الروح وأدب المعدة

للأستاذ محمود على قراعة

قرأت لأستاذنا الدكتور زكى مبارك فى العدد ٣٢٥ كلمة ذكر فى آخرها آية كريمة وسألنا هل نعدها أدب معدة أم أدب روح. وهو بذلك يحاول أن يدخلنا فى الميدان الذى دخل فيه متحدياً كل فكرة روحية، متهكماً على كل نزعة سماوية، مستنداً بذلك إلى مكانته الأدبية ولباقته وما أوتى من قوة غريبة على الدفاع عن القضايا الخاسرة. وهو لذلك يقف دائماً نصيراً لكل فكرة حسية ويقف نفسه موقف العداء لكثير من المعنويات وإن كان قلمه السيال كثيراً ما يجرفه ويخرجه عن الحسيات إلى المعنويات والروحيات من غير أن يشعر. والحقيقة أن الدكتور زكى مبارك مشكلة لأنه خليط لم يمتزج بنسب معينة من القوى النفسية المختلفة، فتارة تراه الخير كله والإخلاص كله والوفاء كله، وآونة تجده يميل كل الميل إلى الخروج عما يتصل بالروح إلى النزول إلى ما يوثقه بكل أرضى وبكل نازع لحسى. وفى تاريخه أمثلة متضاربة لكل ما يمكن تصوره من الميل إلى أحد هذين الجانبين؛ فتارة تراه صوفياً مدروشاً، وأخرى تلفيه ساخراً بالحياة وعابثاً فيها. ولكن إذا كان أستاذنا الدكتور يرى لنفسه الحق فى أن يتشكل كما يشاء وأن ينضم إلى الجانب الذى يريد، فلا أدرى لماذا نراه متهكماً على كل فكرة روحية ومحارباً لكل النازعين إليها؟! كثيراً ما ردد فى الرسالة كلمة أدب الروح وأدب المعدة، لا لأن الاصطلاح فى ذاته غير موفق بل لأن أستاذنا أحمد أمين قد وضعه لتقويم الأدب وصحة تقديره. ولأستاذنا الدكتور الخيرة فى أن يواصل حملاته على صديقه أو أن يقفها لأنه حر إذ لم يرد أن يسمع رجاء تلاميذه وإخوانه فى أن النقد ممكن من غير خصومة كما فعل أستاذنا الدكتور عبدالوهاب عزام؛ ولكن الذى لا نقره ولا نستطيع السكوت عليه أن نغفل مناقشة ما يرد فى حملاته مما عسى أن يمس الأدب فى ذاته من قريب أو بعيد. فأستاذنا أحمد أمين يعنى بأدب الروح الأدب الذى يتصل بالعواطف السامية عند الإنسان فيهذبها ويرقيها ويغذيها؛ ولذلك رأى أن القرآن أدب روح لأنه يسمو بالإنسان عن عالم المادة ويأخذ بيده إلى السماء لينظر إلى الأرض وما فيها نظرة تريه الحق حقاً والباطل باطلاً. ولكن أستاذنا الدكتور زكى مبارك تأبى عليه نزعته الحسية إلا أن يعارض هذا. ورأى أن أقرب مثل يؤيد وجهة نظره أن يذكر ما فى القرآن من آيات تذكر وجود أشياء حسية فى الجنة، مع أنه كان يجب على أستاذنا الدكتور أن يرى أن أقل ما يمكن تصوره فى عالم سيخلو من البؤس والفقر والهرم، ولن تهيئ طبيعته المجال لظهور الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة وما يدخل تحت كل منها من فضائل إنسانية، أن ينعم الناس فيه بالاتحاد والمحبة فتتاح لهم أنواع المحبة من إلهية وصداقة أخوية، وفهم نزوع الأشياء المادية التى ستوجد هناك إلى التمتع بفكرتها الروحية، فما وجد من جميل صور من حور وولدان، نزع به إلى فكرة تقديس خالق هذه الصور، وما وجد من قصور وأنهار وفاكهة نزع به إلى النشوة الروحية من وجود هذه الأشياء، وأن ليس معنى هذا خلو الجنة من استلذاذ بالحور العين الاستلذاذ الحسى أو بما هنا لك من مأكول ومشروب وحلى وحُلل، وبذا نضع الفكرة الروحية فى درجتها العلوية ونجعل الحسيات فى درجتها الثانوية، بل ونسمو بها إلى فهمها الفهم القريب من الروح. ونحن بذلك نسمو باللذة الممكن تصورها فى الجنة من غير نكران لحسيتها بجعلنا الحسى تابعاً للروحى إذ أكثر جزئياته روحية.

ولو تدبر الدكتور قوله تعالى فى سورة السجدة: « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » وقول النبى (ص) فى حديث قدسى عن ربه تعالى: « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » لوصل إلى أن المذكور فى القرآن فى سورتى الرحمن والواقعة وغيرهما وفى الأحاديث الصحيحة لا يفيد أن المذكور مذكور على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل لما سيوجد، ولعرف أنا وقد استبعدنا الأخذ بالنظرية التصويرية لمخالفتها لكثير من النصوص وما تحتمله قرائنها مثل الطمث للحور، لا نجد أمامنا إلا أحد أمرين: إما أن نأخذ بالنظرية الحسية أى بتغليب اللذات الحسية على الروحية، أو أن نأخذ بالنظرية الروحية التى تغلب اللذة الروحية على الحسية

فلو أخذنا بحسيتها تغليباً ، لنزلنا بها ولشبهناها بلذة الدنيا المتواضعة فأخرجناها من سموها الذى يجب أن تكون فيه لتتلاءم مع نفوس أصحابها ، ولذا لم يكن بد من أن نأخذ بروحية اللذات تغليباً . وعلى ذلك فذكر القرآن الكريم الأشياء المادية حتى على فرض الأخذ بالنظرية الحسية إطلاقاً لا يفيد أن القرآن أدب معدة وهو مملوء بما يفيد أن الجنة جزاء من عمل صالحاً وجزاء من اتقى . وليتل دكتورنا إذا شاء قول الله تعالى « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلاً وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما » وقوله تعالى « فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النارهم فيها خالدون » وقوله «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» وقوله « كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين ، وما أدراك ما عليون ؟ كتاب مرقوم يشهده المقربون » وقوله « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » وقوله حكاية عن أولى الألباب من عباده قولهم « ربنا إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد[1] » وقوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها[2] » وقوله : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم » وقوله : « إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق » وقوله : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السمٰوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون . أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين[1] »

فهذه الآيات الكريمة وأمثالها التى كثر ذكرها فى القرآن الكريم أكبر دليل على أن القرآن روحى لأنه جعل الجنة (حتى لو أخذنا بحسية اللذات إطلاقاً) جزاء المجاهدين والصالحين والمتقين والمؤمنين والمستغفرين ؛ أى جزاء من سمت روحه بالإيمان وزكى نفسه بالتقوى وكان روحانيا بالجهاد والعفو والصلاح

ويرى أستاذنا أحمد أمين أن باب الحماسة فى ديوان الحماسة مثلاً أدب روح لأنه صادر عن نفوس قوية، وباعث لمشاعر قوية ، وداع لمواجهة هذا العالم وما فيه بنفوس أبية ، فى غير خضوع ولا استخذاء ، فلم يعترض أستاذنا الدكتور زكى مبارك على هذا لأنه لا يستطيع مهما كان نصيراً للحسية أن يقول بغير هذا ، لذلك نجده بلباقة زكية مباركة قد أغفل ذكر الحماسة وتخطاها إلى ذكر الغزل والحب . فأستاذنا أحمد أمين يرى أن غزل جميل وكثير والعباس بن الأحنف ، أدب روح ، لأنه يصهر النفس ويطهرها ويجعل من آلامها وآمالها مبعثاً لفيض الحنان والرحمة والعطف على العالم وعلى الإنسانية كلها. وقال إن الغزل الفاجر أدب معدة وإن تعليل ذلك واضح بقليل من إعمال الفكر ، فأنى أستاذنا الدكتور زكى مبارك فى العدد ٣٢٢ من الرسالة يعارض هذه الفكرة بقوله : « ... لا يمكن للمرأة أن تكون مصدر وحى وإلهام للرجل إلا إذا اشتهاها شهوة حسية ، ومن قال بغير ذلك فهو رجل ضعيف لا يدرك جوهر الصلات بين الرجال والنساء » ويقرر أن رجال الأخلاق لم يستنكروا الشهوات إلا بسبب الإسراف ؛ أما الشهوات فى حد ذاتها فهى من دلائل العافية ، وأن فضيلة العفاف لا يقام لها وزن إلا حين تصدر من رجال مزودين بحيوية الشهوات ، وأن للشهوة الحسية صلة بتفوق الرجال فى الميادين العقلية ، وهذا ليس مستبعداً من أستاذنا الدكتور الذى يعبر فى كل كتاباته عن ميله للحسيات

(١) والمعنى وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة على تفسير ابن قيم الجوزية فى كتابه حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٦٧

(٢) والفردوس اسم يقال على جميع الجنة ، ويقال على أفضلها وأعلاها

(١) فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم

وهو بهذا ينصر أدب المعدة ؛ لأنه ينصر الحب الفاسد ويخذل أدب الروح ، لأنه يخذل الحب الروحى الذى يجمع بين قلبين ، ولكن الغريب مع هذا أن نجد لأستاذنا الدكتور بعض كتابات تجعله من أنصار أدب الروح فمثلاً وقد فتحت الآن كتابه « ذكريات باريس » قد صادفتنى ص ١٣ وفيها يقول وصفاً لحسناء « هى فتاة ناهد حسناء رشيقة القد ، مشرقة الجبين ، فى عينيها النجلاوين بقايا خطيرة من سحر هاروت وماروت ... وفى صوتها غُنّة موسيقية ... ولأناملها رقة جذابة تفيض بالكهرباء . . . وفى خطراتها تكسر وتثن ... ولها رفق بارع فى إذكاء نار الحب والوجد فيمن تختار من أصحاب القلوب ... » فهذا الوصف من أدب الروح لأنه يعطى القارئ فكرة روحية عن حسناء زكى مبارك الجيلة . وكذلك أعد من أدب الروح مقالة الحب الأثيم فى باريس ص ١٥ وما بعدها ، لأنه وإن حدث عما فى حدائق باريس من عشاق متعانقين ومتعانقات فوق المقاعد مظللين بالأشجار المورقة ، فقد كتب مقاله ليقرر « أن الشاب الذى يحمله جنون الشباب على غشيان المواخير القذرة ثم يحمل مرضاً يعيا فى برئه الأطباء » إنما يخدع نفسه بقوله إنهـا تجربة ، وإن كان قد أبى عليه حبه للحسيات إلا أن يجعل جزءاً منه أدب معدة بتقريره بوجود حب شريف غير الهوى العذرى المعروف عند العرب « وهو الذى يجرى بين فتى وفتاة أو رجل وامرأة لغرض غير مادى وتقع حوادثه فى الأوساط المعروفة بالاستقامة وحسن السمعة ... ويستبيح أشنع الذنوب والآثام ولكنه مع ذلك يجرى فيه الأرق وتسيل من أجله المدامع ، وتعرف فيه نكايات الوشاة والعذال ، وتتخذ من أجله الرسل ، وتدون له المكاتبات ... » ولعل الحد الفاصل بين الحب الروحى والحب الفاسد هو أن الصلة فى الحب الروحى تصل بين روحين وقلبين ، كما رأينا فى رفائيل لامارتين وتعريب أستاذنا أحمد حسن الزيات ؛ فى ص ٨٢ تستنكر جوليا أن يتدلى الحب إلى اللذة الحسية الوضيعة ، أو يتدنى إلى الشهوة الدنسة الحقيرة لأنه إذ ذاك يفقد كبرياءه ونماءه وبقاءه . فيجيبها رافائيل فى ص ٢٠٢ : بأن نار الحب القدسية قد أتت على هـذه الشهوات الباطلة والنزعات السافلة فحولتها إلى لهب صاف كقلبها نقى كحبها . ولذلك لا أدرى كيف يستنكر أستاذنا الدكتور أن يسمى ما يتصل بالروح كرواية رفائيل أدب روح ، وما يتصل بالجسد أدب معدة لأنه يتصل بالمعدة ؟ وكيف أجاز لنفسه أن يدعى أن القائلين بروحانية الأدب قد خلوا من الفتوة ، أو أن المرأة لا تلهم الرجل إلا باشتهائها حسيًّا ، أو بمعنى آخر إلا إذا كانت الصلة بينه وبينها بهيمية ، يعنى أنها إذا كانت روحية بريئة لا تلهم على رأى الدكتور وفى هذا ما فيه من النزول بالصلات وما فيه من الإلغاء للشعور القلبى والقرب من البهيمة التى لا يهمها من الفحل إلا عملية التلقيح

ويقول أستاذنا أحمد أمين إن أدب الطبيعة أدب روح ، لأنه شعور بالجمال مجرداً عن الرغبة وتقدير للحسن منزها عن الأثرة ، ومزيج من شعور بجمال وجلال يحد من كبرياء الإنسان ، ونبل هذا الأدب إنما يرجع لنبل غرضه . وظاهر أن غرض المتغزل فى الطبيعة التى خلقها الله ، هو التفكير فى خلق الله ، وفى تقديس ما أوجده الله لنا من أشياء حسية تدل فى خلقها ، وسموصنعها على جليل قدرته وعظيم قوته ، أى أن أستاذنا أحمد أمين يرى أدب الروح هو كل أدب انبعث عن عواطف نبيلة ويدفع إلى أعمال نبيلة ، ولا أظن أستاذنا الدكتور زكى مبارك يعترض اعتراضاً جدياً على هذه التسمية

أما أدب المعدة فيرى أستاذنا أحمد أمين أنه ذلك الأدب الذى يدور حول ملء المعدة واستدرار المال وتحصيل القوت ، ومثل لذلك بالغزل الفاجر ومقالات الكاتب التى باعثها الأول ملء الأعمدة والاستيلاء على الأجرة ، وأدب المديح ؛ وظاهر أن سبب هذه التسمية ضعة الأدب الذى يكون باعثه استدرار عطف من يغدق على المادح المال أو يفيده من الجاه ، وتفاهة الأدب الذى يكون باعثه الأول لاحب الأدب فى ذاته أو الرغبة فى البحث فى ذاتها أو الاقتناع بفكرة بعينها ، بل لأنه مسوق إلى أن يكتب موضوعاً معيناً وإلى أن يصوغ فكرة معينة على أسلوب معين على قدر كذا من الأعمدة ليتقاضى كذا من الجنيهات ، وكذلك الغزل الوقح أو الوصف المكشوف لما ينزو بالرؤوس ويحرك الشهوات ، فلا ريب فى أنه وضيع لاتصاله بالضعة ، وعلى ذلك يمكن أن نجعل الغزل من أدب الروح إذا أخرجناه عن تحريك الشهوات وكان القصد منه الحديث عن صلة

استطلاع صحفي

٥٠ قرناً فى المتحف الحربى

جولة بين آثار الماضى والحاضر

(لمنــدوب الرســالة)

حمى الحرب تهز أطراف كل إنسان . ولئن اختلف الناس فى ضرر الحرب وضرورتها فانهم يتفقون فى وجوب الاطلاع على تاريخها وحالة جندها ونتائجها . ومصر أمة قديمة لها تاريخها الرائع الذى صحب المدنية من مهدها إلى الآن والمطلع على تاريخها يجد فيها تطور الأسلحة وأدوات القتال من المقطع الصخرى إلى المدفع المدمر . فاذا جاز للأمم أن تشيد لها متاحف حربية فان مصر أولاها بهذا الحق

وقد شرعت وزارة الدفاع الوطنى فى تكوين نواة هـذا المتحف ووصلت إلى نتائج طيبة . وأتيح لى أن أجول فى هذا المتحف وهو في فترة تكوينه . وهأنذا أقدم للقارئ بعض ما رأيت راجياً أن يتاح له فى القريب العاجل أن يرى هذا المتحف بعد أن يتم أمينه النقيب عبد الرحمن زكى أفندي جزءا من برنامجه ، ولست أقول كله لأنى أعرف أحجامه ومراميه

خمسون قرناً من الزمان

إذا خلوت إلى نفسك وطاب لك الاستجمام فاستعرض فى مخيلتك تاريخ مصر الحربي منذ فجر التاريخ إلى الآن . فتصور كيف كان المصريون يكافح بعضهم بعضاً فى عصور ما قبل التاريخ . ثم كيف كانوا يغزون القرى والبلاد ويفتحون الممالك فى عصر الأسر الفرعونية وفى عصور الفرس والرومان والبطالسة وفى العهود الإسلامية . واستمر فى وصل حلقات التاريخ من عصر المماليك إلى الآن ؛ ولا يفوتن مخيلتك أن تستعرض الأسلحة التى استعملوها والملابس التى ارتدوها والأسلاب التى غنموها والقلاع التى حصنوها والمواقع الحربية التى اشتركوا فيها بما فى ذلك صور أبطال تلك المعارك

وقدر بعد هذا كم تكون هذه الصور واضحة، وماذا تعرف من تاريخ مصر ومن سير أبطال مصر . لقد جلست من قبلك فوجدت أن حقباً كاملة تمر غامضة ؛ بل إن أكثر الفترات وضوحاً لدى كان ينقصها كثير من التفاصيل . حتى الفترة الحالية مع أنى أعيش فيها وأخالط رجالها العسكريين وأزور معاهدهم كل يوم ما زالت مبهمة، وما زلت فى كل يوم أرى جديداً لم أشاهده من قبل . فإذا استعرضت هـذا الماضى الطويل وعرفت أثره فى تربية النشء وبث الروح القومية أدركت حاجتنا الماسة إلى متحف يضم تلك الذكريات العظيمة فيشاهد الصبى تحتمس أو رمسيس أو صلاح الدين أو ابراهيم وقد تقلدوا أسلحتهم ودافعوا عن كرامة بلادهم . فهل تظن أن من يشاهد عز أولئك يرضى بالذلة لنفسه ؟ محال ! فالذكرى تنفع المؤمنين



قلعة رمسيس الثالث
هكذا كانوا يشيدون قلاعهم على المرتفعات
كى ينالوا العدو ولا ينالهم

مشروع ضخم

وإذا كانت مصر قد عاشت تلك السنين الطويلة بدون متحف حربى عام فقد أنشئت عدة متاحف ضمت عدة مجموعات من الأسلحة أهمها ما هو محفوظ الآن فى المتحف الحربى فى قصر عابدين . وقد تنبهت وزارة الدفاع الوطنى منذ سنوات إلى أهمية هذا المشروع فقدرت إنشاء متحف حربى عام عينت لإدارته لجنة من كبار ضباط

قلبية روحية أو تصوير صورة حسية تسمو بالقلب أو ترق بالروح ، ويمكننا أن نرى من الكتاب من يكتب كل يوم مقالاً ويتقاضى عليه أجراً ، ولكنه يأبى أن توضع لى الفكرة أو تملى عليه إرادة ويأبى ألا أن يوحى إليه ضميره ويفتيه قلبه وعقله ، فلا يمكننا إلا أن نعجب بأدبه وأن نقر بأن أدبه أدب روح لأنه من الروح وإلى الروح ، وكذلك يمكن أن يكون المدح لعظيم يستحقه من مادح لا يبغى بمدحه إلا تقرير الحقيقة ، أدب روح لأنه يضع لنا صورة حقيقية تسمو بالروح . وبعد فهذا هو ما نراه حداً فاصلاً بين أدب الروح وأدب المعدة ، أرجو أن يقره أستاذنا الدكتور زكى مبارك وأن يكون به من أنصار أدب الروح ، والسلام .

محمود على قراعة

الجيش المصرى واختارت حضرة النقيب عبد الرحمن زكى افندى أميناً له .

وشرع أمين المتحف من اللحظة الأولى فى وضع برنامج الإنشاء فزار الأماكن التى توجد فيها آثار حربية مصرية سواء كانت هذه الأماكن معاهد عامة أو منازل خاصة . فكثير من ضباطنا الذين اشتركوا فى حروب السودان وأغلب أمراء العائلة المالكة يحتفظون بمجموعة ثمينة من الأسلحة وخصوصاً من عهد محمد على إلى الآن . وليكون تنظيم المتحف على أحدث طراز سافر أمينه إلى بلاد أوربا فشاهد هناك أحدث الطرق لحفظ الآثار وأبرع الوسائل لعرضها على أنظار الجمهور حتى تؤدى الغاية المقصودة منها سواء كانت قومية أو تعليمية



هذه تماثيل الضباط والجنود
وهم يرتدون الملابس العسكرية

وقد يكون من الصعب على الإنسان أن يتخيل صور مصر الحربية خلال خمسين قرناً فإذا قارنا بين إنسان يتخيل صورة وبين آخر يحاول أن يخلق صورة واضحة استطعنا أن ندرك ضخامة العمل وما يحتاج إليه من جهود . فإنشاء النموذج الواحد يستلزم الرجوع إلى عشرات المؤلفات والصور . فها هو مثلاً نموذج لقلعة بنيت فى عصر رمسيس الثالث يتطلب بناؤه زيارة القلعة الحقيقية ومعرفة تخطيطها ثم الطريقة التى تبعها المصريون الأقدمون فى حروبهم والأسلحة التى استعملوها لمغالبة مهاجميهم حتى تتكون لدينا صورة صحيحة عن استعداد القلعة وشكلها وهذا يستلزم منا



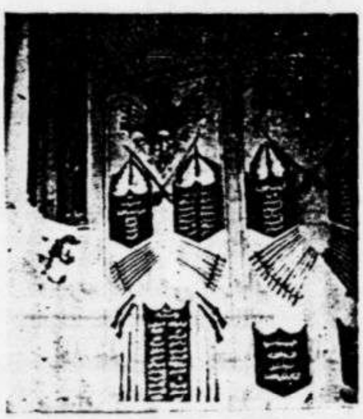
الى الأمام
جندى يدعو زملاءه إلى النصر
ويهتف « لبوا نداء الوطن »

أن ندرس عشرات المراجع لنتأكد من صحة ما نصنع

فالآثار التى تركها الأقدمون قد عصفت بكثير من معالمها تقلبات الزمن وتوالى الحروب بين غزو وفتح . هذه القلعة التى تراها فى لمحة بصر احتاجت من منشئها إلى عدة سنين استعان فيها بدراسة غيره وخبرة نفسه . فالعبرة فى المتاحف أن تكون معروضاتها صورة تاريخية صحيحة وليست بناء يسهل على الناقدين نقضه وإثبات خطئه

نواة صالحة

ويتكون المتحف الحربى الحالى من ثلاثة طوابق . يشغل الطابق السفلى منه وهو « البدروم » مصنع أعد لصب التماثيل ، وأعمال النجارة لعمل الخزائن الزجاجية التى تحفظ المعروضات . ويشتغل فى هذا المصنع فنانون مصريون درسوا الحياة العسكرية فعرفوا دقائق تقاطيع وجه الجندى المصرى إذا اشتبك فى ساحة القتال أو جلس فى ثكنته ينشد التدريب العسكرى ، ويستعد لطوارىء الزمان



على جدران السلم
صفت أنواع من الأسلحة ولوحات
كتب عليها تاريخ المواقع وقوادها
والبلاد التى تأثرت بالحرب

وهم يوجهون اهتمامهم الآن لتسجيل نماذج الجندى المصرى الحديث فصبوا أجساماً من « الصيص » دهنوها بالأصباغ ، وألبسوها حلل الميدان أو التشريفات . فلا تكاد تراها حتى تشعر بأنك أمام جندى أو ضابط مصرى فى وقفة عسكرية لا أثر فيها للكلفة . وإنى لأضحك من نفسى كلما تذكرت المرة الأولى التى شاهدت فيها هذه التماثيل إذ ما كاد باب الحجرة ينفتح وأرى من فيها حتى رفعت يدى بالتحية ولا سيما عندما وجدت ضابطين واقفين قبالة بعضهما كأنهما يتحادثان

وتعجب أشد العجب إذا عرفت أن هذه النماذج لا تصنع واحداً واحداً بل تصنع بالعشرات؛ فها هى أجزاء نماذج جديدة لن تلبث حتى ترسل إليك نفس الشعور بالحياة . وتتكون هذه العملية من عدة مراحل ، فتصب أولاً أجزاء التماثيل على

انفراد فترى الساق وحدها والصدر منفصلاً عن الظهر ، ثم الرأس موضوعا فى مكان آخر .

ويتناولها الفنان فيكون من هذه الأجزاء المتناثرة المتماثلة وحدة مختلفة بما يسبغه عليها من ألوان، وعلى تقاطيع وجوهها من معجون، يرفع الأنف أو يوسع العينين. ويشرف على هذه الحركة الدقيقة الأستاذ محمد نجيب المثال



قارع الطبل
من غنائم حرب السودان وفيها يدعو الجندى محاربي قبيلته إلى السلام

صنع فى مصر

وأول ما يواجهك عند دخولك المتحف مجموعة من « المسدسات » صفت على الحائط وكتب عليها « صنع فى مصر » فهى دليل حى على ارتقاء صناعة الأسلحة فى بلادنا فى عهد محمد على.

فإذا دخلت إلى القاعة التالية شاهدت نماذج جنود مصر فى ذلك الوقت وعرفت الأناقة والنعمة التى كانوا يعيشون فيها . وأما الجدران فقد غطيت بالصور المختلفة التى تبين ملابس الجنود وأزياءهم

ويحرص المتحف على أن يقدم لزائريه صورة واضحة عن المعارك التى اشتبكت فيها جيوش مصر ، ولهذا ترى لوحات كثيرة رسمت عليها خطط تلك المعارك ، فترى مواقف الجنود ونظامهم وكيف سارت المعركة . وأكثر هذه الرسوم هدايا قدمها أمراء العائلة المالكة وغيرهم من رجال مصر تعضيداً للمتحف حتى يحقق برنامجه



مدافع محمد على
وفى الفناء الداخلى صفت مدافع من عهد محمد على وعلى رأسها تمثال المنشىء العظيم

قارع الطبل

وقسم الطابق الأعلى على فترات التاريخ المختلفة ابتداء من عصر ما قبل التاريخ إلى الآن كما يضم مجموعة من الأسلحة والطبول التى استولت عليها الجيوش المصرية أثناء حروب السودان ، ومنها طبل استولت عليه البطارية الرابعة فى الداورية رقم ٢٧ أثناء تجوالها فى دار فور سنة ١٩١٦ ولتكون الصورة أكثر وضوحاً صنع المثال لهذا الطبل قارعاً وقف يضربه فلا تكاد تراه حتى تشعر بأنك أمام محارب سودانى

ويحتفظ المتحف بمجموعة كبيرة من الصور بعضها رسم باليد لتمثيل العصور التى لا سبيل إلى إثبات صورها بالفوتغرافيا كالعصر الإسلامى وعصر محمد على وعصر إسماعيل وبعضها الآخر — وتقدر صوره بالألوف — عن العصر الحديث وقد التقطت بآلة التصوير لمشاهد الجيش فى عهدها الحالى، ومن يشاهدها يأخذ فكرة كاملة عن الجيش المصرى فى الوقت الحاضر. ويضاف إلى ذلك مجموعة أخرى أعدت لإلقاء المحاضرات بواسطة الفانوس السحرى، وتنظم هذه الصور بطريقة علمية دقيقة تيسر للناظر الحصول على معلومات طريفة



ميدان حربى حديث
لا يقتصر اهتمام المتحف بالماضى فهذا ميدان حربى حديث ظهرت فيه الخنادق والمدافع السريعة الطلقات وهى محجوبة عن أعين الطائرات

الزمن خير كفيل

وفى فناء المتحف الداخلى صفت المدافع التى أمكن للمتحف الحصول عليها من عصر محمد على، وهى مجموعة ثمينة تبين تقدم فن القتال الحربى فى ذلك الوقت وأكثرها صنع فى مصر وما زالت حتى الآن فى حالة جيدة يسهل معها استعمالها . ويوجد فى أنحاء القطر المصرى كثير من هذه المدافع وخصوصاً فى الأسكندرية فى القلاع القديمة ، ولكن نقلها وتنظيفها يحتاج إلى زمن طويل ونفقات كثيرة ولهذا ينقلها المتحف شيئاً فشيئاً

ويعتمد المتحف فى تنظيمه وتوفير معروضاته على الهدايا التى يقدمها الناس أيا كانت جنسياتهم ومهنهم وعلى المنشآت التى يصنعها عماله، ولكن ضخامة العمل وقلة الأيدى العاملة تقف حجر عثرة فى سبيل افتتاح المتحف للجمهور . فرغم النشاط المبذول ورغم كثرة المعروضات لا نستطيع أن نقول إن ما تم إنشاؤه يمثل خمسين قرناً من الزمان ، فمثل هذه المشروعات الضخمة تحتاج إلى عشرات السنين لتظهر أمام الجمهور فى ثوب لائق (الشنتى)

حــــواء

للأستاذ على أحمد باكثير

قلبي يحن إلى عهودك   وإلى رضائك أو صدودك
وإلى محيًا ساهمٍ   فيه الفضاء على عميدك

فيه شكاياتي وأحـ   ـزاني وآلامي ويأسي
وضناي فيه ووحدتي   من غير آسٍ أو مُواسِ

يرثي له قلبي فلا   يرثي لغير مُصابه ...
فكأنه المرآة يُبْـ   ـصر فيه قلبيَ ما به !

حتى إذا ما افترَّ ثغـ   ـرُكِ عن ثناياك العِذاب
وهفا الضياء على لَمَا   كِ كأنه العسل المُذَاب

وتلألأت عيناكِ وانـ   ـبثق الشعاع الحالمُ
خطرتْ لي الدنيا بفيـ   ـكِ فكل شيء باسم !

خطرت كوجه الأمِّ يبـ   ـسم للوليد الراضعِ
يسرى بعينيها على   نهر النعيم الواسع !

عقلَ ابتسامتَها لأولِ   مرةٍ في عُمره
فرنا بطرفٍ فيه أولُ   خفقةٍ مِنْ فكره !

عقل الحقيقة كالخيال   هناك في تلك الدقيقه
ولطالما مِنْ قَبْلُ كا   ن له الخيال هو الحقيقه

أو كالوجود بدتْ لعيـ   ـنَيْ شاعرٍ أسرارُه
في لحظةٍ مِنْ وحيه اذ   هتكتْ له أستاره

فكأنه لم يَدْرِ أوْ   يرَ قبْلها في الكون شيا
أو كان صخراً مسّه   سرُّ الإله فقام حيا

يا نظرةً كُنْتُ الوليـ   ـد بها وكنتُ الشاعرا !
والأمَّ كنت بها وكنـ   ـتِ بها الوجود الساحرا

ما كان ثمةَ غيرُ عيـ   ـنِ الله ترعانا حنانا
وكأنه مِنْ عطفه   إذ ذاك لم يخلُق سوانا !

يا ليت شعري هل أحسَّ   بمثل ما أحسسْتُ آدم
لما بدوتِ لعينه   حواء في عهد تقادم ؟

فهفا إليك كما هفوتُ   وما له أمٌّ سواكِ
فرحمتِه وجرتْ على   أطراف جُبّته يداكِ !

أخرجتِ آدم مِنْ جنا   نِ الخلد لكن كُنتِها له !
أنقذته بهواك من   تلك السآمة والملاله

فأحسَّ في الدنيا الشقا   ء وكابَد الألم الكبيرا
فازدادَ بالسرّاء والـ   ـنعماء في الدنيا شعورا

ما بالُ آدمك الجديـ   ـد تركتِه في شِقوته ؟
لم ترحمي بلواه إذْ   أخرجتِه من جنته

قد كان يأمل إذ عصى   مولاه فيك مزيد عطفك
ويح الشقيّ ... حرمْتِه   مِنْ لطف مولاه ولطفك !

أهبطتِه من جنّتيـ   ـه فهام في الدنيا شريدا
يبكيك في المأوى ويبـ   ـكي عهدك المهد السعيدا !

كيف السبيل إلى الرجو   ع إلى نعيمي السالفِ ؟
وشفاءُ حَرّى مهجتي   وسكون قلبي الواجف

وبأيّ وجهٍ بعد عصـ   ـيانيه ألقى وجه ربي ؟
ولئن جرُؤتُ فمن لقلبي   في يمينكِ ... مَنْ لقلبي ؟

أأجيئه مِنْ غير قلبٍ ؟   كيف كيف يكون ذاكِ ؟
ردّيه لي أطلبْ رضا   هُ حيْن لم أدرك رضاك !

حواء ذاتَ العدْلِ ! فيم   عدَلْتِ إلاّ فيَّ وحدي ؟
وعلامَ يا حوّاء حافظةَ الـ   ـعهود نسيتِ عهدي ؟

لم تُنصفيني إذ بررْ   تِ بآدمٍ وقطعتِ حَبْلي
وهو الذي ما إنْ حملْـ   ـتِ به ولم تضميه مِثلي !

أنا منكِ يا حوّاء ... أجـ   ـدر بالحنان ... وليس منكِ
إن كنتِ منه فتلك بعـ   ـدُ مزيّةٌ تُقصيه عنكِ ...

إن الحياة تمُتُّ بِنْتاً   دأبها وتبرُّ أمّا ...
هلاّ سلكتِ سبيلها   فقسمتِ لي بالبؤس نعمى !

أم شئتِ أن تلني الوجو   د لتبتدئي في الخلق طوْرا ؟
لم تغفرِ الأولى ... أأجني   فيكِ يا حوّاء أخرى ؟ !

على احمد باكثير

إلى نجمتى النائية

للأستاذ صالح الحامد العلوى

حنانكِ ! يا نجمتى الزاهرة — ويا نزهةَ القلب والباصره !
ومن لم تزل رغم طول النوى — على الصبِّ ناهيةً آمره !
ومن غرست فى الحشا دوحةً — من الحبِّ مزهرةً ناضره
ومَن هى من حسنها تحفةٌ — بَرَتها يد القدرة الباهره !
بروح تكاد لها خفةً — تطير مع النَّسمة الخاطره
ومن ساقها الحظُّ لى نعمةً — من الله سابغةً وافرة !
عرفت بها كيف معنى الحنانِ — وما لذة الخلدِ فى الآخره !

رعى الله وجهاً كساهُ الجمالُ — غدوتِ به فى الورى نادره !
وعيناً من السِّحر مكحولةً — عليها معانى الهوى زاخره
بها قد أرى فيك أمى الحنونَ — وحيناً أرى اللبوة الخادرة
معانٍ من السِّحرِ لا تهتدى — إليها سوى الأعين الشاعره !

ألا حبذا عهدك المشتهى — ولله أيامكِ الزاهرة !
وتجوالُنا بين تلك الرُّبي — وطوراً على الضفَّة الساحره
وذاك المراحُ ، وحلو المزاح — وضحكاتنا العذبةُ الطاهرة !
نخبُّ ونطفر بين الحقول — ونضحكُ للموجةِ الساخره
ونشدو ونرقصُ ملءَ الصِّبا — من اللهو فى نشوةٍ غامره
كأنا – وقد شبَّ فينا الشباب – صبيان لم نبلغ العاشره !

شريطٌ لماضىَّ لا تأتلى — تمدّ الخيالَ به الذاكره
لعهد من اللهو قضَّيتُهُ — بفاصلُ أوَّلُه آخرَه
متى يا قضاء ترى عوده ؟ — على رغم أيامنا الغادره !

(حضرموت : سيوون) صالح الحامد العلوى

إليها يوم تنسانى ...!

للأديب محمود السيد شعبان

معزَفٌ فى يدِ السَّنا — يتَغنَّى على الحِقَبْ !
ألهبتْ شدوَهُ المنى — ما لهُ ضلَّ فانتحبْ ؟ !
أنتِ لقَّنتِهِ الهوى — قُبلةً كنتِ طهرَهَا
فاسكُبى فى فؤادِهِ — من معانيكِ سحرَهَا

وَامرحى فيهِ ... طالما — مسَّهُ الحبُّ فالتهبْ !
أنتِ دنيا خيالِهِ — ليتهُ كان سِرَّها

أنتِ فى موكبِ الجما — لِ نعيمٌ هو الترَف ...
أبدعتهُ يَدُ الجنو — نِ وزانتهُ بالسرَفْ !
أنتِ سِرُّ الحياةِ فى — باطن الكونِ قدْ خفَق !
أنتِ فجرُ الوجودِ من — كل قلبٍ هوى انبَثَق !
كذَبَ الشِّعرُ !... إنما — أنتِ فوق الذى وَصَفْ !
تجذبنى إليكِ ... لمْ — يَبْقَ مِنى سوى رَمَق !

أنتِ معنًى منَ الخلو — دِ وعى صفحةَ الأزَلْ !
وشعاعٌ من الحيا — ةِ حوَى الحبَّ والأمل
يا ابنةَ النور ! ... بدِّدى — ما بقلبى من الرِّيَبْ !
واسكبى فى فمِ الضيا — ءِ الذى ضلَّلَ الحِقَب !
وأغمُرى الروحَ بالّهيـ — ـب لِتحيا على وَجَلْ !
قَلَقُ الحبِّ ... ما ألذَّ (م) وَأحلَى لمَنْ أحب.. !

إيهِ يا حبَّها ! ... أفِقْ ! — قد عرفنا بكَ الخبَل !
ورشفنا الجنونَ لمَّا (م) استبَدَّتْ بنا القُبَل !
هُمْ يُسمُّونكَ الهوى — أنتَ يا حبَّها القدَر !
فترفَّقْ بنا ... فما — نحن إلاَّ من البَشَر !
إيه يا قلبُ ! ... دعْ دمى — فيكَ ينسابُ بالأمل ...
وأشرب الحسنَ والسَّنا ! — هكذا حبُّها أمر !

يا جنونَ الهوى ! عشقْـ — ـتكَ جهدى.. فكن معى !
وأطوِ فيما طويتَ قلـ — ـبى وعقلى ومسمعِى !
أنت فى هيكل الخلو — دِ صلاةٌ لمن عَبَدْ !
أزَلُ الدهرِ يلتقى — فيكَ يا حبُّ بالأبد ! !
فاملأ النفسَ بالرَّجا — ءِ وعِشْ بين أضلُعى
أنت روحى ... وإنما — أنا يا فتنتِى جسَد !

يا خيالى ! ادَّخِر مى — للمُنى كلَّ ما فتن !
لا تسلنى : متى غدِى ؟ ! — كيف يحيا هنا الزَّمن ؟ !
يا خيالى ... أفِقْ وخذْ — من رُؤى الحبِّ ما سحر !
لا تقل لى : صِفِ الهوى ! — ها هنا لا يرى البَصرْ !
إيهِ يا ملهِمَ النُّهى — كلّ ما يبعثُ الشَّجَن ...
اكشفِ السِّترَ عن غدى ! — إنه فى دمى استتر ! !



دراسات فى الفن

عن فن الصـــوم

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

ليس الصوم تجويع البطن وحرمانه من حشوها، وإنما الصوم زهد فى حاجات البدن يقصد لذاته ، ويقصد لأثره . فهو نفسه انتصار لذيذ على قانون الحاجة والضعف ، وهو بعد ذلك يبعث فى الصائم إيماناً بإمكان التدرج بالطبع فى مدارج الرقى ، وإغراء بالوثوب إلى حياة الإرادة والعقل . وفى ذلك ارتفاع بإنسانية الصائم إلى درجة من النقاء الروحى لا تتاح لغير البشر من المخلوقات التى تنساق لقوانين المادة وتخضع لمطالب الأجسام فلا تملك لها رداً إلا إذا أجبرت فى ذلك إجباراً وقهرت عليه قهراً . فهى فى كل من الحالين مسوقة مسيرة مشدودة ، بأسباب الاتصال ودواعيه ، إلى أحوال وأوضاع لا دخل لإرادتها فى إعدادها ولا ترتيبها ، ولا توجيهها . هذا إلى ما فى الصوم من تيسير التفرد ، وتقريب الوحدانية ، واستثمار المنى . فكلما لوّن الصائم الزهدَ وقَلل من حاجاته البدنية أحس حدود كيانه تتميز وتفصله عما عداه ، وأدرك أنه واحد ، وإن كان صغيراً فإنه نزاع إلى أن يقوم بذاته ، وأن تفيض نفسه بالحياة على نفسه فهو لا يطلبها — إلا قليلاً — فى لقمة من الخبز أو جرعة من الماء

ومع الإحساس بهذا الاستقلال عن مادة الحياة فإن الصوم يبعث فى نفس الصائم إحساساً آخر من الشيوع يشبه ذلك الإحساس الذى يشعر به النهم الأكول الجشع المستغرق فى طلب الماديات ، ولكن شعور الصائم لا يتجه به إلى الماديات ، فهو منقطع عنها جهده ، وإنما هو يتجه به إلى ما يتعاطاه ويلج فيه مما هو فوق المادة، فهذا هو ما يفطر عليه ما يغذى نفسه به، وكما أن النهم الأكول الجشع المستغرق فى طلب الماديات يشعر بأنه مرتبط بالعجل لأن لحم العجل لذيذ ، ولأن جلده مفيد ، ولأن قرنيه نافعان ، ولأن حوافره تصلح فى شأن ما أو فى عدة شئون ، فإن الآخر الصائم يرى فى العجل غير ما يراه ذلك الذى يفكر ببطنه وجلده وسائر

أيها الشّعر ! ... أحيِنى ! أنتَ مِن وحيها مدَد !
شعّ فى الكونِ نورُها من قديمٍ وما نفَد !
أيها الشّعر ! ... غنّنى ! وارو رُوحى بسحرِها !
واسكُب الطُّهر فى دَمى ! إنه بعضُ سِرّها !
هاتِها فتنةَ النُّهى ! هاتِها نشوةَ الأبَد !
هى دنيا خــواطرى وتسابيحُ طُهرِها !

أيها الشّعرُ ... هِجْتَ فى باطِنى كامِنَ الذّكَر !
عادَنى فيكَ حُبُّهــا فَالْتَقَيْنا على قَدَر !
فكأنى بهــا مَعى تسمعُ الشّعرَ مِن فمى !
وكأنى بصوتِها الطّـ (م) ـهرِ يَنْسَابُ فى دمى !
لَيْتَ هــذا حقيقةً يَجْتَلِيها هُنا البَصَر !
إنه الحبُّ ... بَيْنَ أحْضانِهِ الكوْنُ يَرتمى !

أيها الشّعْرُ ! ... هاتِها مُتْعةً تبعثُ الطّرَب !
وادّخِرْنى إلى غَـدٍ سوف آتيكَ بالعجَب !
أنتَ يا شِعــر خالدٌ لستَ يا شعرُ للعَدَم
لا تَكِلْنِى إلى الأسى ! نِلْتُ زادِى من الألَمْ !
وأسقِنِى النورَ جُرْعةً هىَ أنشودَةُ الحِقَب !
وَقّعَتها على القُلو بِ يَدُ الحسن من قِدَم !

(القاهرة) محمود السيد شعبان

جوارح بدنه ، ويرتبط إليه برباط آخر معنوى ، فهو عنده رمز لقوة البدن مع طيبة القلب ، واستسلام النفس مع تناوم العقل ، فإذا آلفه فإنما يؤالفه ليتملى منه هذه الطباع وليستخرج من تركيب بعضها إلى بعض عبرة تدله على عجز القوة ما لم يسندها الفكر ، ومهانة الاستسلام ما لم تدركه اليقظة . وهكذا يصبح العجل الحيوان الواحد ذا طائفتين اثنتين مختلفتين من الدلائل والمعانى يدرك طائفة منها إنسان زهد فى المادة وسام عنها ، ويدرك الطائفة الأخرى إنسان زهد فيما فوق المادة وسام عنه

وليس العجل وحده هو ما يراه الإنسان ويتصل به فى هذه الحياة ، وإنما هو يرى كائنات كثيرة ومخلوقات عدة ويتصل بها جميعاً وفق نزعته ، وإنما سقت العجل مثلاً لأن له قصة طويلة قديمة مع البشر ، فكما أذله ناس وقره آخرون ، وكما استضعفه ناس عبده آخرون

ولست أريد أن أنحاز إلى هؤلاء أو إلى هؤلاء ، فقد كان لكل رأى وكان لكل رأى برهان ، وإنما أريد أن يلتفت القارئ معى إلى صلاح العجل عند البشر للاهانة والعبادة معاً ، لا لشىء إلا لأن فريقاً من الناس رأوه رأياً ، وفريقاً آخر رأوه رأياً ، وهؤلاء مضوا فى رأيهم حتى نهايته، وهؤلاء أيضاً مضوا فى رأيهم حتى نهايته ، فكانت نهاية أصحاب الرأى الأول أن أكلوه ، وكانت نهاية أصحاب الرأى الثانى أن قالوا إنه الله ... وهكذا كل ما فى الحياة يستطيع الإنسان أن يأكله ، ويستطيع أن يرى فيه الله ... أو أن يصل من سبيله إلى الله ... لو هداه

ولندع العجل إلى غيره من الخلائق وآيات الله لنرى أن الناس دائماً ينقسمون أمام مظاهر الحياة إلى قسمين واضحين : قسم يزهد فى كل شىء ما عدا الملموس المحسوس الذى له أثر ملموس محسوس ، وقسم آخر يزهد فى هذا الملموس المحسوس نفسه فلا يصيب منه إلا بمقدار ما يمسك عليه الرمق وما يحفظ عليه الحياة . وهناك — إلى جانب هذين الفريقين من الناس — قسم ثالث يتراوح بينهما فيجول مع كل فريق جولة ، له فيما فوق المادة ساعات يقضيها مع نفسه ثم يعود إلى الناس فينقل إليهم ما رأى وما سمع وما أحس وما علم . وهؤلاء هم أهل الفن الذين نعرفهم من فنونهم ، والذين يقول عنهم أهل الأرض إنهم أصحاب خيال وإنهم فى خيالهم يمعمون بعيدين عن حقيقة الحياة ، لا لشىء إلا أن أهل الأرض يعتبرون الحياة هى هذه الماديات وحدها ، فما لم ينطبق عليها تمام الانطباق فهو خيال ووهم

ولست أريد أن أظل مع هؤلاء التراوحين طويلاً الآن ، وإنما أتركهم إلى أولئك الذين أعطوا الأغلب من أرواحهم لما حجبته المادة الكثيفة عن أغلب الأبصار والأسماع ... أولئك يحيون ، وإن لهم دنيا طويلة عريضة كهذه السموات والأرض ، بل إنها أوسع من السموات والأرض ، وهم يكشفون مجاهلها يوماً بعد يوم ، ويغزون أطرافها ما صفت أرواحهم ، وما اتجهت عقولهم بالتفكير فى أسرار الوجود ، فإذا هم فى حياة أسامها فى هذه الدنيا ولكن مهادها ووديانها عليون ، وإذا هم يشعرون بعلاقات وثيقة تربطهم بكل ما فى الكون من حقائق وموجودات ، بل إنهم يحسون أن لهم منافع روحية وفوائد معنوية يصيبونها فى الحقائق والمخلوقات كتلك المنافع التى يرجوها النهم الأكول فى لحم العجل وجلده وقرنيه وحوافره ، وهم ملحون وراء هذا الذى يستطيبون من الكسب كلما حصلوا منه ربحاً استزادوا الربح بالجهد والمران ، فإذا هى أرباح فوق أرباح ، وإذا بالفقير المعدم منهم له ثروة عجب من المعلومات والمدركات ، فإذا أراد أن يستغل علمه وإدراكه وأن يخرج بهما من دائرة التحصيل والإفادة ، إلى دائرة العمل والإنتاج كان الشىء الذى يصنعه خارقاً لا يستقيم مع طبائع الحياة التى تعارفها أهل المادة من الناس ، وإن استقام مع طبيعة الوجود العامة التى لا يحلق إليها إلا أندر الناس الذين يشرئبون دون عشرائهم إلى ما أباحه الله للمقبلين عليه من خلقه السباقين فى التقدم إليه والارتقاء إلى رضاه بإرضائه . وتقول الجماهير عندما ترى أعمال هؤلاء إنهم سحرة ... أو إنهم أصحاب معجزات .

وهذه الأعمال الإيجابية التى يقوم بها هذا الفريق من الناس تختلف وتتعدد مظاهرها وألوانها باختلاف اتجاهاتهم وما يتخصصون فيه من العلم ، وليس تخصصهم فى العلم شيئاً غريباً ، فعلماء المادة يتخصصون هم أيضاً فى دراسة نواحيها ... لكل منهم ناحية .. فمنهم مهندسون ، ومنهم أطباء ، ومنهم من ينفقون حياتهم فى دراسة القوانين التى تكتنف الناس بها الحياة ، كذلك أولئك منهم من يتجه إلى نفسه فيدخل فيها فيعلم من شؤونها ما يعلمه الله إياه ، ومنهم من يدخل فى نفوس الناس ، ومنهم من يدخل فى نفوس الناس والحيوان . . . بل إن منهم من يتجه إلى المادة

نفسها فيغزوها بالروح غزواً فيشق البحر ويقلب العصا إلى حية والحبل إلى ثعبان ! . .

ويضطرب الناس ويرتبكون حيال هؤلاء الزهاد الأنبياء ... فيقولون إن محمداً صلوات الله عليه ورضاه كان شاعراً ... لأنهم كانوا يسمعونه يقول كلاماً لا يشبه كلام الناس ، وفيه ملامح من كلام الشعراء ، هي هذا البعد عن مادة الأرض المعتمة العمياء ، وهي هـذا النور الذى أهداه الله إليه من نور السماء ... وما كان محمد شاعراً ، وما كان الشعر ليتسامى إلى درجة ما أفاض به على الناس ، وما كان كلامه فنـاً من فنون الأرض ، وإنما هو أرفع ما أتاحه الله لإنسان من علم حق ومن حكمة خالدة تنسحب إلى أبعد الأزل ، وتنطلق إلى أبعد الأبد سبحان من أوحاه ! وسبحان من جاد على البشر بفنه ... هو الله ! ...

لم يكن محمد شاعراً ، فالشاعر كما رأيناه يتراوح بين حياة الأرض وحياة السماء ، ويتذبذب بين طبيعة المادة وطبيعة الروح ، ولا يقر له قرار إلا بين الناس ، ولا يغيب عنهم إلا لمحات قصيرة عابرة لا يطيق استدامتها ، لضعفه ولشعوره بالحاجة البدنية إلى ما فى الأرض من راحة ... أما محمد ، وأمثال محمد من الأنبياء فإنهم قد اشتروا الآخرة بالدنيا ، وليس لهم فى الدنيا مطمع ، فقد أحاطوا بما فيها علماً ، وهم يتجهون بعد ذلك بأطماعهم إلى ما وراء هذه الحياة ... وهم مؤمنون بأن هناك شيئاً بعد هذه الحياة ، لأنه قد كان هناك شىء قبل هذه الحياة ، وليس فى هذا الطور ما يدل على أنه الحلقة الأخيرة من حلقات التطور والارتقاء ...

وهنا قد يسائلنا سائل : كيف قال محمد إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، وما دامت طبيعة الحيـاة قد استدعت بعث الرسل والأنبياء فيما مضى ، وما دامت بريئة مما يدل على أنها قد كفّت عن نهجها والتوت إلى نهج جديد ؟

وجوابنا على هذا أن محمداً صلى الله عليه وسلم وضع أمام عيون الناس القواعد الخالدة لهذه الحياة ... القواعد التى تتغير الدنيا ولا تتغير هى ، والتى تتطور الحياة وترتقى وتمتنع هى على التطور والارتقاء لأنها نهاية النهايات ، ولأنها الحقائق الثابتة التى يقوم عليها التغيير والتبديل ، ولأنها المحاور التى يدور حولها التطور والارتقاء .

فلقد جاء فى دين محمد أن الإسلام هو دين الفطرة ، فإذا عرفنا علام نحن مفطورون فسايرنا فطرتنا فإننا مسلمون . وهذا مبدأ لا يمكن أن يزول وإنما يتحطم كل من يناوئه ويعصيه ... وإن من فطرتنا أن نتطور وأن نرقى . وقد جاء فى دين محمد بين آيات القرآن « أحلت لكم الطيبات وحرمت عليكم الخبائث » فإذا عرفنا ما هى الطيبات التى تنفعنا ، وما هى الخبائث التى تضرنا ، وأخذنا ما ينفع وتركنا ما يضر فإننا مسلمون سالمون . وهذا مبدأ تتبعه الكائنات بطبيعتها فتسلم ، وعلينا نحن ألا نقاومه بعقولنا وإرادتنا كى ننجو ، وإلا فالهلاك لمن أحل لنفسه الخبائث ، وحرم عليها الطيبات ... وقد جاء أيضاً فى دين محمد بين آيات القرآن كذلك : « وما أصابكم من خير فمن الله وما أصابكم من شر فمن أنفسكم » ومعنى هذا أننا إذا ألقينا أنفسنا بين يدى الله وأطعنا أمره ، وهو يأمرنا بالتزام فطرتنا والخضوع للقوانين الطبيعية التى انتهت بنا اليوم إلى هذا الطور من أطوار الحياة والتى تسير بنا منذ اليوم إلى أطوار وأطوار فإننا إذن مسلمون سالمون ، فإذا حدثتنا أنفسنا بغير ذلك فانتكسنا وخيلت لنا الأهواء أن فى الرضا شراً أو ضعفاً أو عجزاً وحاولنا أن نكسب لأنفسنا ما يثقل علينا وما لا حق لنا فيه وما ننوء بحمله وما يربكنا تصريفه ؛ فإننا عندئذ مضطربون قد وضعنا أنفسنا حيث لا يمكننا أن نظل طويلاً ... فلا عجب إذا انهزمنا سريعاً علينا أن نعرف ماذا كنا ... وماذا نحن ... وماذا سنكون ... حتى لا نخطىء الطريق إلى ما نحن صائرون إليه ... ولنعلم أن فينا اليوم من طبائع الماضى مالا يصلح للمستقبل ... وهـذا ما علينا أن نقاومه وأن نتخلص منه ... وقد قيل إننا كنا فى الماضى قردة ... فعلينا أن نخلص إذن من أوجه الشبه بيننا وبين القرود ... وإلا فنحن نعرقل فطرتنا ...

هذه هى بعض مظاهر الخلود والصلاح الدائم فى الإسلام ، وهذه هى نهاية النهايات التى وصل إليها محمد تبارك من هداه ، فله الحق — على هذا — أن يقول إنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، لأن أحداً لن يجىء بعده بتلخيص لسر الوجود أعمق من هذا التلخيص ولا أمكن إصابة منه .. وما أدناها حقيقة ، وما أبعدها منالاً ! . .

فهل يعرف أحد إلام نحن صائرون ؟ إننا صائرون إلى حياة



لحظات الإلهام

في تاريخ العلم

بقلم مريون فلونس لانسنغ

ثناء على علبة الصفيح

الصفيح خادم متواضع للانسانية ، فنحن نتلف العلبة بعد فتحها ونلقي بها دون أى احترام ودون أن يكون فى أنفسنا لها موضع للشكر على الخدمة التى أدتها . ولكن نابليون لشدة شغفه بالحصول على مادة تؤدى إلى حد قليل مثل الخدمة التى تؤديها اليوم علبة الصفيح ، قد عرض هو والحكومة الفرنسية فى سنة ١٨٠٠ أو ما حولها جائزة قدرها ١٢٠٠٠ ألف فرنك لمن يخترع وعاء يمكن حفظ الطعام فيه من التلف فى زمن الحرب

إن تعاقب مواعيد الغراس والحصاد التى عرفها آباؤنا الأولون كان نعمة عظيمة على الإنسان . ولكنه من جهة أخرى يفرض عليه واجبات معينة ويلزمه عناية خاصة ، فالرجل الذى يعيش فى المناطق المعتدلة لا يستطيع أن يجعل مائدته مبسوطة على الدوام على الرغم من كل جهوده الزراعية

يجب أن يكون لديه خبزه كل يوم ولكن الثمار والمحاصيل لا تخرجها الأرض يوميًا بل فى مواعيد معينة . وكما يختزن السنجاب البندق فى ثقب بجذع الشجرة انتظاراً للوقت الذى تخلو فيه الفروع من ثمرها فكذلك يجب أن يختزن الإنسان من نتاج الموسم ما يكفى احتياجاته بقية فصول العام الجدبة

وكان تجفيف الطعام من أقدم الوسائل للاحتفاظ به . وقد وجد الفريق الأقدم من المستعمرين الأمريكيين جماعة الهنود يتبعون نظاماً لتجفيف القمح والسمك والفواكه واللحوم بحفظها من العطب مدة طويلة . وتوجد وسيلة أخرى لحفظ الطعام هى تثليجه ، ولكن هذه الوسيلة لا تمكن مزاولتها إلا فى الأجواء التى يمكن فيها ترك الطعام فى الماء البارد والثلج أو فى أنابيب فى أعماق الأرض

وتوجد وسيلة أخرى لحفظ الطعام مناقضة للوسيلة الأخيرة وهى حفظه بواسطة الحرارة . ووجد الطباخون فى العصور القديمة أن اللحم المطبوخ يبقى مدة أطول من اللحم النيء فوصلوا بهذا الاستكشاف إلى أول حلقة من سلسلة الاستكشافات التى انتهت اليوم إلى حفظ المجففات فى علب الصفيح

إن سر نجاح الحفظ فى تلك العلب هو أن الطعام يمنع فيها عن التعرض للهواء منعاً محكماً . وفائدة منع الطعام عن الهواء ليست بالاستكشاف الحديث فقد وجدت فى جزيرة كريت بالبحر الأبيض المتوسط آثار قصر قديم يرجع عهده إلى ١٥٠٠ أو ٢٠٠٠ سنة قبل المسيح ووجد فى حجرات باردة تحت أرضه أوان كبيرة من الطين يختزن فيها الطعام ويمنع عن الهواء

خالصة من هذه الأبدان التى يصيبها العطب ... إننا صائرون إلى لقاء الله ، وإن فى نفوسنا ما يسير بنا إلى هذا ، فعلينا أن نتعرفه وأن ننميه ...

نفوسنا حشد من الغرائز ، فما تشبث منها بالحال الراهنة وأعرض عما هو مقبل من حياة الخلوص كان كما يريد أن يعود بنا إلى حياة القرود . وكان تعطيلاً لإرادة الإنسان القادر — بقوة الله — على تنقية نفسه وترقيتها . وما تحرر منها وانطلق إلى الله فهو عون الإنسان على توحده ، وعلى شيوع نفسه فى نفوس الخلائق ، والاتجاه مع الكائنات فى صلاة الجماعة لفاطر السموات والأرض المهيمن العلام الأول والآخر .

عزيز أحمد فهمى

ولكن الذكاء والنجاح اللذين ظهرا في حفظ الطعام بعلب الصفيح لم يكونا قبل الحروب النابليونية في فرنسا حتى رأت الحكومة - والحكومات بطيئة دائماً في بذل الأموال للاختراعات الشكوك في نفعها للجماهير - أنه من المجدي بذل جائزة للوسيلة الناجحة في حفظ المأكولات بالتخزين

وكان مبلغ اثني عشر ألف فرنك مبلغاً عظيماً في ذلك العهد من القرن الثامن عشر . وقد تسابق صناع الحلوى وصناع الجعة وأصحاب معامل التقطير بنشاط وجد علهم يحصلون على هذه الجائزة، وقد نالها بعد اثني عشر أو خمسة عشر عاماً رجل اسمه فرانسوا إيبرت وهو صانع حلوى، وقد قضى كل حياته في حل هذه المسألة

وربما كان ما يشاع عن جهود إيبرت هو الذي حمل نابليون ومستشاريه على التفكير في قيمة المشروع الذي يمكن به النجاح في حفظ الطعام ، وعلى كل حال فقد عرضت الجائزة واستمر إيبرت يزاول عمله في صبر حتى كان عام ١٨١٠ فتقدم بالدليل على نجاحه ونال الجائزة

وحتى مع حصوله عليها فقد أنفقها كلها على اختراعه مجرباً أساليب أحسن من التي عالجها من قبل ، إلى أن مات في فاقة وهو يشكو قلة التشجيع بعد بضع سنين ، وذلك على الرغم مما كان يبدو من أن مبلغ الاثني عشر ألف فرنك مبلغ كبير

ومن حسن حظنا نحن الذين انتفعنا بنجاحه أن الحكومة الفرنسية نشرت له في الوقت الذي عرضت فيه الجائزة كتاباً يوضح على وجه التفصيل تجاربه ونتائجها ، فأمكن بذلك أن نعرف عن تجاريبه أكثر مما نعرف في العادة عن التجارب السابقة

وتبين أنها تجاريب مماثلة تمام المماثلة للمشاريع العظيمة التي اتسعت في القرن العشرين لحفظ البضائع وإرسالها إلى أرجاء الأرض وحفظها إن دعت الحاجة عدة أشهر أو سنين

لم يكن لدى فرنسوا إيبرت علب ملائمة ليضع فيها بضائعه . فكان يضع كل أنواع مصنوعاته في علب من الزجاج أو الفخار ثم يحكم غطاءها ويضع العلب في ماء يكفي لتغطيتها ثم يضع الوعاء الكبير الذي به الماء وفيه العلب فوق نار حتى يسخن إلى أن يصل إلى درجة الغليان . ويتركها بعد ذلك في هذا الوعاء أوقاتاً تختلف قلة وكثرة ثم يسد الزجاجات ويختمها في أثناء حرارتها

وربما بدا لك أنه ليس في هذا ما هو جديد أو غريب يستحق أن ينال الرجل بسببه جائزة بل يصنع هذا في كل مطبخ أيام الخريف عند ظهور الفواكه الجديدة لحفظها في الشتاء . والواقع أنه ليس في هذا الأمر ما يعد اليوم جديداً ولا غريباً وإنما ذلك لأن الفكرة شاعت وأصبحت مقبولة . ولكننا الآن في القرن العشرين وهذا العالم الفرنسي كان يشتغل في معمله سنة ١٨٠٠ وبسبب جهده وصبره في العمل أصبح استكشافه سهلاً وأصبح يؤدي في مطابخنا كأنه أمر طبيعي. وكانت التجارب تتقاضاه وقتاً طويلاً لأنه كان لا بد من تجريب درجات مختلفة للحرارة وأساليب متباينة للصنع . وكان لا بد كذلك من بقاء الزجاجات مغلقة عدة أشهر أو عدة سنين ليتضح مبلغ النجاح في كل تجربة . وقد قضى إيبرت اثني عشر عاماً حتى عرف خير الوسائل لمعرفة المدد التي يقضيها كل طعام على الحرارة ليكون عند استخراجه من الوعاء في مثل عذوبته وصلاحيته عند وضعه فيه

وقد رأى إيبرت أن نجاح تجاريبه يتوقف على إخراج الهواء إخراجاً تاماً ، وقد رأى كما كان يرى العلماء في عصره أن الهواء يحدث عطباً في الفواكه والخضر وكانت وسائله صحيحة ، ولكن مضى خمسون عاماً أخرى قبل أن يستكشف العالم الفرنسي الشهير لويس باستور ذلك الاستكشاف المميز لعصره وهو أن الفساد لا يحدثه الهواء بل الميكروبات التي تعيش في الهواء

كان إيبرت يجري تجاريبه على الطريقة الصحيحة الوحيدة ولكنه كان يخطئ في تفسيرها وكانت النتيجة واحدة لأن التجربة نجحت وحفظ الطعام

ولكن العالم الكبير باستور بشرحه القانون المسيطر على نماء البكتريا والميكروبات قد أحدث ثورة في علوم الطب وبدأ عهداً جديداً في حفظ الطعام بطريقة علمية مجدية ، وهذه الطريقة كان إيبرت هو المبشر بها

ولعله ليس في تاريخ الإنسانية يوم أعظم من اليوم الذي بيّن فيه باستور أن التغيرات التي تطرأ على المواد الغذائية عند تعريضها للهواء إنما هي نتيجة لعمل أحياء بكتيرية صغيرة، فإذا ما أزيلت هذه الأحياء بواسطة الحرارة وأزيل الهواء في الوقت نفسه فإن

الطعام لا يفسد إلا عند ما يتعرض للهواء مرة أخرى فيتعرض لهذه الأحياء. وقد نال باستور جائزة على استكشافه هذا فى فرنسا سنة ١٨٦٠ — على أننا لم نبدأ إلا الآن فقط فى فهم ضخامة التغير الذى أحدثه استكشاف باستور فى المعارف الإنسانية وفى أساليب الحياة بتطهير اللبن وبتعقيم الأدوات الجراحية. ومن الممتع أن نلاحظ أن الأرجح أن ينشأ فى وقت واحد اختراعان يساعد أحدهما على نجاح الآخر، ففى الوقت الذى كان فيه إيبرت جاداً فى صنع الأوانى من الزجاج والفخار كان فى انكلترا ميكانيكى اسمه بطرس دوراند يصنع أول ما عرف من علب الصفيح، وقد عرض علبته الأولى فى سنة ١٨٠٧ وكانت عملاً غير متقن فهى ثقيلة الوزن مصنوعة باليد، وكان لها غطاء ضخم قبيح الشكل ولكنها كانت على كل حال علبة من الصفيح

واحتكر رجل انكليزى طريقة إيبرت بعد عام من ظهورها فى فرنسا. وأنشئ أول مصنع لتخزين الأطعمة فى العلب بانكلترا وكانت شركة أمريكية هى التى تقوم بهذا العمل، وربما كانت الحكمة فى اختيار انكلترا لهذه الصناعة هى نشوء صناعة الصفيح فيها، وسرعان ما انتقلت الصناعتان إلى الولايات المتحدة

وفى سنة ١٨٩١ أنشأ إزرا داجوت وتوماس كنست فى نيويورك صناعة لحفظ سمك السلمون وبرغوث البحر والكابوريا فى علب الصفيح، وكلا الرجلين متعلم فى انكلترا

وفى العام التالى أنشأ رجلان آخران هما اندر و ود تيشل فى بوستون صناعة حفظ الفواكه فى العلب الصفيح وقد استعملا فى إعلاناتهما كلمة هى التى اشتقت منها الكلمة الإنكليزية «علبة» وأصبحت صناعة العلب من الصناعات الكبرى فى الولايات المتحدة

وليس ثناؤنا على اختراع العلب الصفيح من أجل أهمية هذه الصناعة من الوجهة التجارية وإن كانت العلبة ومحتوياتها جديرين بوضعهما فى قائمة الاستكشافات الهامة، بل لأن أثرهما فى حياة الإنسان أثر بعيد مميز للعصر

كان الإنسان من عهد قديم يعتمد على الأطعمة المحلية والموسمية وكانت حركاته محدودة من أجل هذا السبب. كان لا يستطيع الإقامة إلا فى المناطق التى توجد فيها بصفة مستمرة أنواع حاجاته المختلفة من الطعام اللازم لصحته. وكان لا يستطيع السفر والاستكشاف إلا إلى المدى الذى يؤهل له ما لديه من الطعام

وكان لا يمكن أن تتسع المدن إلا إلى الحد الذى تؤهل له طاقة الأراضى الزراعية المحيطة بها على إخراج نبات يكفى للطعام، وقد توافرت الآن كل هذه الشروط وكان لها أثر كبير فى حياة الإنسان.

ولكن العلم الذى أذاعه باستور والتجارب العملية التى أجراها أيبرت والحذق الميكانيكى الشائع الآن — لكن كل ذلك مجتمعاً قد أدى إلى إنتاج مقادير عظيمة من علب الصفيح رخيصة الثمن تتسع لمقادير هائلة من الأطعمة فأصبحت حركة الإنسان سهلة بعيدة المدى

كان نابليون يرى أنه سوف يستطيع التغلب على العالم على صورة نهائية وأن يتولى إدارته لو وثق من أن جيشه يستطيع الحصول على الغذاء وهو فى ميادين بعيدة عن وطنه

وكانت رحلات كولومب محدودة بمقدار الطعام الذى يستطيع حمله فى سفينته وكان المستكشفون فى رحلاتهم الأولى يخفقون لأن رجالهم كانوا يمرضون إن لم يحصلوا على طعام طازج

اقرأ سير الرحلات الأولى تر أن الرجال كانوا يموتون بداء الأسخربوط ولكن المستكشفين المصريين بيرى وامندسون وسكوت قد استطاعوا تحقيق حلم الإنسانية منذ قرون فى الوصول إلى القطبين لأنهم كانوا يحملون أطعمة مضغوطة فى علب مختومة تكفيهم إلى نهاية الرحلة

وقد قيل إن حفظ الأطعمة فى العلب هو أكبر الاختراعات أهمية بعد اختراع البخار من حيث تمكين الناس من إنشاء المدن الكبيرة وتسهيل المواصلات إلى أبعد مناطقها المختلفة بتزويد السفن بالطعام المحفوظ

فهل تشترك معنا فى الثناء على خادم الإنسانية المتواضع: علبة الصفيح؟ (يتبع) ع. ا

من هنا ومن هناك

البترول يكسب الحرب

[عن « وتورث داى »]

سوف يكون للبترول الشأن الأول فى كسب الحرب . فبالبترول تدار الطائرات وتسير المدرعات وتعمل البنادق وتحرك السيارات وتسير الغواصات

ومن المعروف أن البواخر الحربية العظمى جميعها تتخذ وقودها من زيت البترول . وقد أصبح للأمبراطورية البريطانية مراكز ذات أهمية كبيرة للبترول تمتد إلى شواطىء الإمبراطورية وموانيها المختلفة فى جميع أنحاء العالم ، حتى أصبح عددها الآن يفوق عدد مراكز الفحم التى للإمبراطورية

وتسيطر بريطانيا الآن على أكبر مقدار من البترول الذى يستخرجه العالم . وقد بلغ ما تستهلكه من هذه المادة فى الأغراض التجارية أيام السلم ١٢٫٠٠٠٫٠٠٠ طن ، وهى لا تجد صعوبة فى الحصول على هذا المقدار

ويبلغ ما تستهلكه ألمانيا وقت السلم ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ طن فى العام ، وهى تستطيع أن تستخرج ثلث هذا المقدار ، فإذا أضفنا إليها ما يستخرج من اسبريا وما تستطيع أن تحضره بالطرق العلمية وجدنا أن هذا جميعه لا يكفى لتقديم ما تتطلبه فى أوقات السلم بحال من الأحوال. فكل ما تستطيع ألمانيا الحصول عليه من هذه المادة الأساسية فى حياة الأمم ، لا يتجاوز ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ يدخل فى ذلك البترول الصناعى والبنزول وغاز السيارات . وتستورد ألمانيا باقى حاجتها من أميركا وجزائر الهند الهولاندية ورومانيا

ومن الواجب فى هذا الصدد ألا نبالغ فى تقدير البترول الذى تستخرجه رومانيا ، فليس له فى الحقيقة الأهمية التى يتصورها رجل الشارع . فكل ما تستخرجه رومانيا لا يزيد على ٦٫٠٠٠٫٠٠٠ طن من البترول الخام ، وهذا المقدار لا يكفى حاجات ألمانيا أيام الحرب ، هذا إذا استطاعت الاستيلاء على منابع البترول فى رومانيا ، والإشراف عليها جميعها . وقد أخفقت فى هذه المحاولة إبان الحرب العظمى . وعلينا أن نذكر هنا أن البترول الذى يصدر من رومانيا إلى ألمانيا ، يجب أن يتخذ طريق الدانوب أو طريق البحر ماراً بمضيق جبل طارق ، وكلا الطريقين تحت إشراف البنادق البريطانية. وإذا كانت بريطانيا تستورد حاجتها من البترول عن طريق البحر ، فليس فى ذلك أى ضير ما دامت تسيطر على البحار . فإذا أصبح طريق البحر الأبيض المتوسط معرضاً للأخطار أيام الحرب ، فأمامها أكثر من طريق واحد لتوصيل البترول إليها . فعلى الرجل الذى يحلم بالانتصار على الامبراطورية البريطانية أن يعلم حق العلم أن الحرب لا يمكن أن تستمر بغير بترول، ولكنها تنتهى لأجل البترول

الصحافة السرية فى ألمانيا

[عن « P. T. O. »]

تنتشر الصحافة السرية فى ألمانيا بطريقة منظمة محكمة تيسر للملايين من الألمان الاطلاع على آراء كتابها الأحرار داخل بلادها وخارجها . وقد ذهبت سدى كل المجهودات التى بذلت لوقف تيار هذه الصحف التى تنتشر بين الجنود وفى المصانع والمساكن تحت أسماء وعناوين مختلفة . وقد حاول هتلر منذ ست سنوات أن يكتشف طريقة لوقف هذه الحملة الشديدة المحكمة النظام التى يقوم بها بعض أبناء ألمانيا لإنقاذ نفوس الملايين الذين لم تفسد بعد قلوبهم ورؤوسهم بتعاليم النازى السخيفة، فذهبت جهوده فى مهب الرياح. وقد عملت التدابير المحكمة لنشر تلك الآراء المعادية لحزب النازى ، واتخذت لها أعواناً وأستاراً ممن يلبسون اللباس النازى ويسيرون فى صفوف المؤيدين . وتنتشر الصحافة السرية فى المصانع والمصالح الحكومية وبين جنود الجيش، ويتلهف الكثيرون على تلاوتها على الرغم مما فى ذلك من المخاطرة بالحياة .

وكثيراً ما توجد هذه الصحف فى علب الشاى والبسكويت وغيرها من هذه الأنواع البعيدة عن الظنة والشبه ، ويدبج مقالاتها الطريفة كتاب فحول من أمثال : توماس مان وجورج برنهارد وهنريك مان وغيرهم . وفيما يلى فذلكة مما ينشر بتلك الصحف : فى الأمم الديمقراطية تشتد الخلافات وتتضارب الآراء بين

الأحزاب حتى يهتز لها كيان النظام السياسي القائم ، إلا أنها عند مواجهة الأخطار تتحد جميعها وتتعاون للدفاع عن الحقوق والحريات . وقد تظن الحكومات الديمقراطية أن هذه الروح السائدة في بلادهم تجد ما يشابهها في بلاد تحكم بالعنف والقوة مثل بلادنا، ولكن الأمر على النقيض من ذلك ، فروح الكراهية والانتكاس والتطاحن لا تظهر عندنا في وقت السلم ، فإذا دعا الداعي للحرب أظهرت الأكمة ما وراءها ، وظهرت قوة الشعب

ومن المعلوم أن أركان حرب الجيش الألماني قد حذر النازي من الارتطام في حرب عامة إذ أن حرباً كهذه ستؤدي إلى هزيمة لا شك فيها. وقد أرسل إلينا ضابط عظيم يطلب الاستعانة بالصحافة السرية ، على تحذير الشعب الألماني من الدخول في هذه الحرب . ويقول هذا الضابط في كتابه : « إن مركز ألمانيا الجغرافي في وسط أوربا وقرب مصانعها من الجهة الحربية ، ومدنها الغاصة بالسكان تجعلها عرضة للغارات الجوية . ومن السهل على الطائرات الوصول إلى أقصى ناحية من الريخ في ساعة من الزمان» . وعلى هذا النحو تسير الصحافة السرية في إرشاد الشعب الألماني وتحذيره بطريقة منظمة في كل أسبوع ، بحيث تنير الطريق أمامه في ظلام المدلهمات.

هل تستطيع اليابان أن تحكم الصين

[عن « أميركان ميركيوري »]

يلوح أن الضحايا العديدة التي فقدتها اليابان والأموال الطائلة التي بذلتها في الحرب الصينية سنتين كاملتين ، قد ذهبت كلها أدراج الرياح . وقد تنقضي تلك الانتصارات المزعومة في هذه الحرب الطاحنة دون أن تفيء على الأمة اليابانية ما تؤمله من الغنم. وذلك أن اليابانيين لم يرزقوا ذلك النوع من الدهاء السياسي الذي يمكنهم من حكم البلاد بغير العنف والإضرار ، مما لا بد منه لكل أمة تريد التوسع والاستعمار

وتدل الحالة في فورموسا و كوريا ومانشوكو على أن الاستعمار الياباني لم يكن إلا نوعاً من الحرب المتواصلة التي يشقى بها الحاكم والمحكوم ، وليس فيها أي دليل على الاستقرار والهدوء والتمكن من الاستيلاء على ناصية الأمور

ولعل الميول العسكرية التي ساقت الجيش إلى الانتصار بحكم الرغبة في السيطرة والقوة، هي نفسها التي ذهبت بقيمة هذا الانتصار ، فإن حكم الجيش لتلك البلاد المقهورة هو الذي جعل اليابان عاجزة عن توطيد مركزها بها

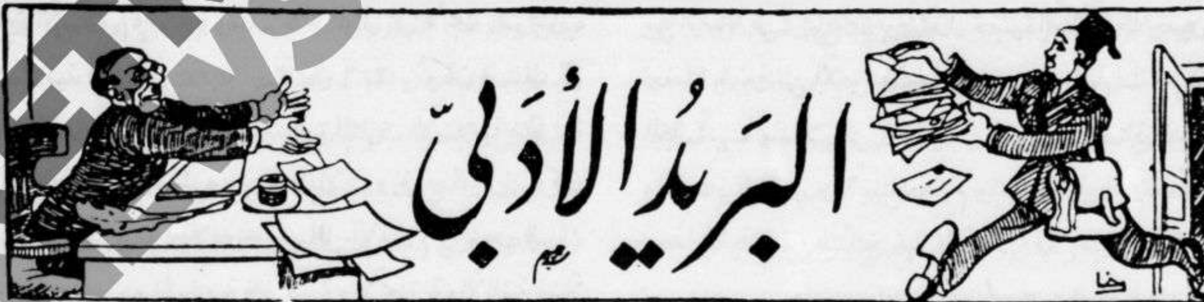
وقد أخذت اليابان تفكر تفكيراً جدياً في نبذ تلك الفكرة التي كانت ترمى إلى فتح الصين والاستيلاء على جميع أراضيها، وتود لو أتيح لها أن تعقد اتفاقاً مع الصين على أن تحكم الأقاليم الساحلية وتترك لها داخلية البلاد . ولكن اتفاقاً كهذا ليس من شأنه أن يوطد دعائم السلام بين الأمتين . فهو في الحقيقة سيكون بمثابة هدنة مؤقتة ، إذ أن المنطقة الحرة في الصين ستعبئ كل قواها لإشعال نار الحرب من أجل الانتقام . وسوف تظل المؤامرات السياسية والأعمال السرية الخطيرة تقلق بال اليابان

وكل ما ترجوه اليابان الآن أن تستطيع استغلال الأقاليم التي استولت عليها جيوشها من الناحيتين الصناعية والاقتصادية ، فإذا استطاعت اليابان أن تصل إلى أغراضها ، وأمكنها أن تمد جيشها الذي يحتل تلك البلاد بما يرجوه من ثمرة انتصاره عليها ، لم يكن من الصعب عليها أن تنتهز الفرص للاستيلاء على مواطن أخرى ، أما إذا أعياها ذلك الأمر فإن الناحية الاقتصادية ولا شك ستصبح كارثة على اليابان . وقد ظهر أن المقدرة على الاستقرار وتسوية الأمور هي الشيء الذي ينقص اليابان في جميع المحاولات التي قامت بها لبناء الإمبراطورية

مما لا شك فيه أن اليابان قد كسبت الحرب من الناحية الحربية . فقد استولت جيوشها بصفة نهائية على الشواطئ الصينية وامتلكت كثيراً من المدن الصينية الكبرى

إلا أن السلطة اليابانية ، ونفوذ حكومتها عليها لم يتعد المناطق التي تحميها بنادق الجيش . وما زالت اليابان تلاقي أشد الصعوبات في البلاد التي تتوغل فيها داخل بلاد الصين . فالصينيون يقطعون عليهم خطوط المواصلات كلما تقدموا خطوة إلى الأمام ويهدمون البلدان ويفسدون الأطعمة وكل ما ادخرته تلك البلاد من الخيرات

ويقول الصينيون إنهم يضحون بالسكان لأجل الزمان ؛ ويحسبون الأيام ويعدون الزمن لإيقاع الهزيمة بهؤلاء المغيرين . فإذا فرضنا أن اليابان لم تهزم وقدرنا أن قوتها الحربية ستستمر على إخضاع تلك البلاد ، فليست اليابان بالأمة المؤهلة للاستعمار بالمعنى المفهوم عند الأمم الأوربية فهو كما يظهر شيء بعيد عن أخلاق اليابانيين



الجاو ، الورق النقدي سنة ٦٩٣

قال ابن الفوطى فى كتابه (الحوادث الجامعة) :

« فى سنة (٦٩٣) وضع صدر الدين صاحب ديوان الممالك بتبريز (الجاو) وهو كاغد عليه تمغة السلطان عوض السكة على الدنانير والدراهم . وأمر الناس أن يتعاملوا به . وكان من عشرة دنانير إلى دون ذلك حتى ينتهى إلى درهم ونصف وربع . فتعامل به أهل تبريز اضطراراً لا اختياراً بالقسر والقهر ، فاضطربت أحوالهم اضطراباً أضر بهم وبغيرهم حتى تعذرت الأقوات وسائر الأشياء ، وانقطعت الواد من كل نوع ، فكان الرجل يضع الدرهم فى يده تحت (الجاو) ويعطى الخباز والقصاب وغيرهما ويأخذ حاجته خوفاً من أعوان السلطان . ثم حمل منه عدة أحمال إلى بغداد صحبة الأمير (لكزى بن أرغون آقا) فلما بلغ ذلك أهلها استعدوا بالأقوات وغيرها حيث عرفوا ما جرى فى تبريز . فلما أنهى ذلك إلى السلطان (كيخاو) أمر بإبطاله ، فأبطل قبل وصول كيخاو إلى بغداد ، وكفى الله العالم شره »

***

فالناس — إذن — فى القديم والحديث لا تمشى عندهم فى شأن السكة La monnaie شيطنة دهاة شياطين[1] ولا حيل حكومات وسلاطين . فهم لا يعرفون إلا هذا الأصفر ، الأحمر الوازن[2]

أكرمْ به أصفر ، راقت صفرتهْ !
وحُبيت إلى الأنام غرتهْ !
كأنما من القلوب نقرتهْ[3] !

(١) كل عات من الجن والانس والدواب شيطان ، وتشيطن الرجل وشيطن إذا صار كالشيطان وفعل فعله (اللسان)

(٢) دينار وازن : تام

(٣) الحريرى (النقرة) فى الشرح الكبير للشريشى : النقرة إنما تستعمل من الفضة واستعمالها فى الذهب لقرب ما بينهما ، وفى (اللسان) : النقرة من الذهب والفضة القطعة المذابة

وهم لا يؤمنون إلا إذا رأوه جهرة[1] ، أو استيقنت أنفسهم أيما استيقان بأنه يسبح لله فى الخزائن من بنات الفولاذ فى معقل قوىّ منيع كالذى شاده العلامة الأستاذ (محمد طلعت حرب باشا)

من همة المحكوم وهو مكبّل بالقيد لا من همة الحكام
الله سخّر للكنانة خازناً أخذ الأمان لها من الأعوام[2]

وأن ليست تلك (الورقة) ذات الخطوط والسمة إلا آية ، علامة لكبير ، لإمام لم يغب ، لا ، ولم يُجهل مكانه ...

(****)

وفاة المستشرق فنسنك

يحزن الرسالة أن تنقل إلى قرائها خبر وفاة المستشرق ا . ى . فنسنك Wensinck ، توفاه الله منذ أسابيع بعد رحلة ساقته إلى مصر ، فأقام بها نحو شهر اجتمع فيه بكبار علمائنا وكتابنا ، حتى إذا قفل إلى « ليدن » فى هولندة تخوّنته حمّى خبيثة ثم واظبت فقلبت عليه حتى كان قضاء الله

المستشرق فنسنك علم من أعلام الاستشراق . وكان أستاذ اللغات السامية فى جامعة ليدن ، وتوفر على دراسة أصول الدين الإسلامى فألف كتاباً نفيساً عنوانه « العقيدة الإسلامية » The Muslim Creed وأردفه بمقال نشره سنة ١٩٣٦ فى مجلة تخرج فى أمستردام ، عنوانه : « الأدلة على وجود الله فى أصول

(١) فى الكشاف : رآه جهرة أى عياناً وهى مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء ، كأن الذى يرى بالعين جاهر بالرؤية والذى يرى بالقلب مخافت بها

(٢) شوقى ، وقبل هذا البيت :

شركانك الدنيا العريضة لم تنل إلا بطول رعاية وقيام

وقد قرأ أحد الأدباء فى الجزء (٣٢٦) من الرسالة : (قالوا استقال طلعت حرب) فقال : الزيات إذا نثر ، مثل شوقى إذا شعر ، وتلك إرادة الله أن تستبد مصر فى هذا العصر بامارة الشعر وإمارة النثر ، ولا نبوغ لأحد ولا تفوق ولا حول ولا قوة إلا بالله ...

الدين الإسلامى » وتجد وصف هذا المقال فى « مجلة الدراسات الإسلامية » باريس ١٩٣٥ ج ٤ ص ٢٣٦ . وكان فنسنك إلى جانب التعليم والتأليف ، يدير دائرة المعارف الإسلامية الخارجة فى ليدن : يوزع العمل ويراجع المقالات ويخرج الدائرة . وكان يعينه على هذا سعة اطلاعه على مسائل الإسلام وشؤون العرب ثم تضلعه من لغته الهولندية فالفرنسية والإنجليزية والألمانية فضلاً عن اللغات القديمة من ساميّة وغير ساميّة

بقى أن فضل فنسنك كان من وراء جمعه لأحاديث الرسول . كان فنسنك رحمه الله الجماع المجتهد للحديث الصحيح ، وضع أول ما وضع « مفتاح كنوز السنة » الذى نقله الأستاذ محمد فؤاد عبد الباق إلى العربية سنة ١٩٣٣ ، ولم يكن ذاك الكتاب سوى مدخل إلى سِفر أغزر مادة وأعم نفعاً . وقد أخذ السفر يخرج للناس منذ سنة ١٩٣٤ ، وهو معجم تفصيلى لمفردات الأحاديث المدونة فى الكتب الستة ومسند الدارمى وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل ، واسمه فى العربية « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » . وظلّ السفر الجليل يخرج للعلماء وهم به فرحون ، حتى جاء يوم قلّ فيه المال ، فسعى فنسنك فى تدارك الفشل . والذى نعلمه أن مسعاه فى مصر خاب ! والسِّفر لم يتم خروجه وإن كانت الجزازات كلها مهيأة للطبع (خرج ١١ جزءاً)

إن فنسنك خدم الإسلام والعربية بكتابيه الخدمة التى لا يقدر قدرها ، وحسبه شهادة السيد محمد رشيد رضا فى الكتاب الأول قال : « فلو كان بيدى هو (يعنى الكتاب) أو مثله من أول عهدى بالاشتغال بكتب السنة لوفر علىّ ثلاثة أرباع عمرى الذى صرفته فيها ... »

هذا ومما لا معدل عن ذكره أن ثائرة ثارت على المستشرق فنسنك يوم عُيّن عضواً من أعضاء مجمع اللغة العربية الملكى . والقصة مشهورة ، والثائرون أحياء

فى ذمّة الله من وقف حياته على العلم الحق وإمداد الباحثين وتقريب مصادر الإسلام إلى أهله . سيأتى يوم تهدأ فيه الأنفس فتراجع أعمال النافعين (ب)

فى منزل الدكتور طه حسين

تلقينا من صديقنا الأستاذ الكبير محمد عبد الواحد خلاف هذه الكلمة :

اطلعت على مقال للأستاذ زكى مبارك منشور فى العدد الأخير من الرسالة عن اجتماع مزعوم بمنزل حضرة الدكتور طه حسين بك حضره طائفة من الأدباء والعلماء ووردت فيه عبارات زعم كاتب المقال أنهـا صدرت عنى وعن بعض إخوانى كالأستاذ أحمد أمين والأستاذ العبادى والأستاذ عزام والأستاذ ابراهيم مصطفى ، وهذا الاجتماع من نسيج خيال الكاتب ولا حقيقة له . . .

محمد عبد الواحد خلاف

حول ابن بطوطة وابن تيمية

أورد الأستاذ المحقق الدكتور عبد الوهاب عزام فى الرسالة الغراء (العدد ٣٢٢) فى مقالته « عودة إلى الشيخ الخالدى » قولاً لهذا الشيخ الجليل رأيته لا يتفق والحقيقة التاريخية وهو : « أن ابن بطوطة لم يدرك ابن تيمية »

قال الشيخ الخالدى ذلك فى معرض دحض رواية ابن بطوطة عن ابن تيمية ، وخلاصتها أن الرحالة المغربى حضر الإمام الحرّانى يعظ الناس فى المسجد بدمشق ويقول متكلماً فى نزول الله تعالى إلى السماء : « نزل كنز ولي هذا » ونزل ابن تيمية درجة من المنبر

إننى لا أريد أن أبحث فى مطابقة هذا القول المعزو إلى الشيخ الإمام لمذهبه واجتهاده وفلسفته الدينية كما يمكن استخلاصها من تآليفه ، فنى العلماء والفقهاء من هو أجدر منى بهذا البحث . وفى دمشق عالم فقيه هو أحد البقية الباقية من السلف الصالح الأستاذ الشيخ بهجة البيطار ، له باع طويل واختصاص فى كل ما له صلة بمذهب الإمام ابن تيمية نتمنى لو كتب فى هذه المسألة

ولكنى أودّ أن ألفت النظر إلى أمرين رئيسيين فى هذا الموضوع : الأول أن ابن بطوطة أدرك ابن تيمية ، والثانى : الشك فى صحة رواية ابن بطوطة

أما إدراك ابن بطوطة لابنَ تيمية فأمر يكاد لا يحتاج إلى دليل ، وحسبنا أن نعلم أن ابن بطوطة ولد سنة (٧٠٣) هـ وتوفى سنة (٧٧٩) هـ ، وأنه جاء إلى دمشق كما ذكر فى رحلته (طبع المطبعة الأزهرية ج ١ ص ٥٠ سنة ٧٢٦) هـ وهى السنة التى سجن فيها ابن تيمية سجنه الأخير فى القلعة إلى أن مات ، وكانت وفاته رحمه الله عام (٧٢٨) ثمان وعشرين وسبعمائة كما هو ثابت فى جميع تراجم ابن تيمية نذكر منها « العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية للامام أبى عبد الله محمد بن أحمد

ابن عبد الهادى » (مطبعة حجازى بالقاهرة سنة ١٩٣٨ ص ٣٦٩) وكما هو بارز حتى الآن منقوشاً على قبره خلف بناء الجامعة السورية فى مقبرة الصوفية المندرسة التى لم يبق منها غير ضريحه

أما الشك فى صحة رواية ابن بطوطة فمصدره ما يأتى :

ذكر ابن بطوطة فى رحلته (الطبعة الأزهرية ج ١ ص ٥٠) أنه وصل إلى دمشق « يوم الخميس التاسع من شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبعمائة » ، ثم سرد بعد ذلك (ص ٥٨) روايته التى نحن بصددها ، وأضاف : إن ملك الأمراء سيف الدين تنكيز كتب إلى السلطان الملك الناصر فى أمر ابن تيمية « بأمور منكرة » فورد أمر السلطان من القاهرة « بسجنه بالقلعة فسجن حتى مات » فى حين أن سائر المظان والمصادر ومنها « العقود الدرية » (ص ٣٢٩) و « دائرة المعارف » التى تعتمد بحقيقتها على تراجم وكتب متعددة تعين يوم الاثنين السادس من شعبان عام ستة وعشرين وسبعمائة ، تاريخاً لسجن الإمام تقى الدين للمرة الأخيرة التى مات فيها

ينتج مما تقدم أن ابن بطوطة ، إذ حطَّ رحاله بالشرابشية (المدرسة المالكية) فى دمشق ، كان شيخ الإسلام رهن سجن القلعة يقضى أيامه ولياليه فى التأليف والعبادة

فلا بدّ لنا بعد هذا من الحكم بعدم صحة رواية الرحالة المغربى ما لم يثبت لدينا خطأ ابن عبد الهادى ، وسائر المؤرخين والمؤلفين (كابن شاكر الكتبى فى فوات الوفيات والصدق فى طبقاته ، وابن الوردى فى تاريخه) الذين استندت إلى أقوالهم دائرة المعارف الإسلامية ، وهذا بعيد عن المعقول

وخلاصة القول : أن ابن بطوطة قد أدرك ابن تيمية ، وإن لم يره ويسمعه .

« دمشق » **محمد محسن البرازى**

إلى الدكتور زكى مبارك

١ — وجهتم أنظار الولعين بالمباحث الأدبية والتاريخية إلى درس ما بقى فى أذهان العرب من أساطير الأولين لعلهم يعرفون شيئاً من رسوم الوثنية العربية التى حاربها القرآن : طلبتم هذا فى معرض تدليلكم على أن وثنية العرب لم تكن (أرضية وضعية) . فأقول : روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن اللات والعزى ومناة وسواها أسماء لرجال صالحين كانوا فى زمن إبراهيم أو نوح عليهما السلام؛ وأن العرب قد أقاموا لهم هذه التماثيل بعد مماتهم تدليلاً على ما يكنونه نحوهم من صادق الولاء وخالص الوفاء (أنظر تفسير النسفى — سورة النجم) . وفى رواية ثانية عن ابن عباس (أن اللات كان رجلاً يلت السويق للحاج . قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه . تفسير الخازن — سورة النجم) وتستطيعون إذا أردتم المزيد فى هذا البحث أن ترجعوا إلى كتاب « التوسل والوسيلة » تأليف ابن تيمية طبعة المنار

٢ — أوردتم فى تعليقكم على مادة (ابن الأحنف) من (دائرة المعارف الإسلامية) قصة ذكرتموها كذلك فى كتابكم (مدامع العشاق) مفادها أن العباس بن الأحنف مات هو وإبراهيم الموصلى والكسائى فى يوم واحد وأن الرشيد أوفد المأمون للصلاة عليهم ، فصفوا بين يديه ثم سأل عنهم المأمون واحداً واحداً وأمر بتقديم العباس فصلى عليه ، فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخزاعى فقال : يا سيدى كيف آثرت العباس بالتقدمة على من حضر ؟ فأنشده المأمون هذين البيتين :

سماك لى ناس وقالوا إنها ... لهى التى تشقى بها وتكابد

فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم ... إنى ليعجبنى المحب الجاحد

ثم قال المأمون : أتحفظهما ؟ فقال : نعم . قال : أليس من قال هذا الشعر أولى بالتقدمة ؟ فقال : بلى يا سيدى) اهـ والقصة ظاهرة الوضع فإن العباس بن الأحنف قد مات سنة ١٩٢ للهجرة والكسائى توفى سنة ١٨٩ وابراهيم الموصلى قضى سنة ١٨٨ فكيف يمكن أن يقال إنهم ماتوا فى يوم واحد ؟ قد يحتج الدكتور مبارك بأن هناك رواية تدعى أن الكسائى قد مات سنة ١٩٢ وهو العام الذى مات فيه العباس، ولكن ما قوله فى ابراهيم الموصلى وقد أجمع الرواة على أن وفاته كانت سنة ١٨٨ ؟ وقد يحتج أيضاً بأنه قال عند إيراده القصة (ذكروا أن العباس والكسائى وابراهيم الخ) وأنه عقب عليها بقوله : (فإذا صحت هذه الرواية الخ) وأن هذا وذاك يفيدان تشككه فى صحة هذه الرواية، ولكنه — إن قيل ذلك — شكٌّ فى إسناد الرواية إلى المأمون ، بيد أن الأسانيد التاريخية تدعونا لنبذ هذه القصة بكليتها على أنهم يروون أن محمد بن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة مات والكسائى فى يوم واحد وأن الرشيد

صلى عليهما وبكى قائلاً (اليوم دفنت الفقه والنحو)

ما أجدرنا بأن نمحص هذه الروايات التى تزخر بها كتب الأدب تمحيصاً جدياً لنقدم للأدب العربى بعض ما يجب له علينا من خدمات ما كنا لنعترض على هذه القصة لولا أن ناقلها هو الدكتور زكى مبارك . (طرابلس) محمد على عطارى

لطيفة

بيَّنت فى العدد ٣٢٥ من الرسالة كيف عاد أدهم إلى الإغارة على ما يكتبه الـكتّـاب فى مصر . وقد وقفت القارئ على فرط إقدام المغير ، إذ دوَّنت نصَّ النقد الذى عملته لكتاب « فرعون الصغير » لصديقى محمود تيمور ونشرته فى مقتطف أول يولية ثم نص النقد الذى عمله أدهم للكتاب نفسه ونشره فى ١٤ أغسطس فى الرسالة . وهكذا مكّنت القارئ من معارضة النصّين . وقد شرحت فوق هذا كيف استبدل المغير كلمة ألمانية romanische جاءت فى نقـده بكلمة فرنسية romanesque كانت قد وردت فى نقدى ، وذلك رغبةً فى التضليل ؛ فجاء الاستبدال خطأ من حيث مفاد الكلمتين ، فدلّ ذلك مرة أخرى على أن أدهم لا يعرف كيف يغير بل لا يفقه ما يكتب ؛ أو قل إن معرفته بالألمانية لا تزيد على معرفته بالفرنسية ، وقد بينت من قبل (الرسالة ٣١٤) رقة هذه . ولما طمن أدهم تلك الطمنة لم يرتجل فى رده (الرسالة ٣٢٦) ما يجعل ذلك الخطأ صواباً ، وأدهم على كل ارتجال قدير

طُعِنَ أدهم ففرّ يستغيث بشهادة صديقه الإسكندرى صديق شيبوب — وهو الناقد الأدبى لصحيفة « البصير » — فقال إنه قرأ نقده عليه قبل أن يبعث به إلى الرسالة فى ٢٧ يونية فتلقى الأستاذ شيبوب استغاثة صديقه باشمئزاز . ألا ترى كيف يفتتح شهادته (الرسالة ٣٢٧) : « أقحم اسمى فى الجدل القائم بين فلان وفلان » ، والفيروزابادى رحمه الله يخبرنا بأن « قحم فى الأمر : رمى بنفسه فيه فجأة بلا رويّة وقحّمه وأقحمه ... » ، ولكن مثل أدهم يجهل التدبّر والاستئذان . وقد زاد الأستاذ شيبوب أنه « لا يذكر شيئاً » من نقد أدهم فى كتاب فرعون الصغير ؛ وعلى هذا فشهادته لا تجدى على أدهم شيئاً ، إذ هى ساقطة كما يقال فى لغة القضاء . ثم إن شيبوباً خرج من عهدة الشهادة بأن سأل صاحب الرسالة أن يخبرنا كيف أخر النشر لنقد أدهم شهراً ونصف شهر ، فاعتصم صاحب الرسالة بسر المهنة ؛ وهذا حقه . وقد قال أدهم فى رده إن تأخير نشر نقده حتى ١٤ أغسطس على أنه مرسل به فى ٢٧ يونية « راجع إلى تقديم بعض كلمات له أرسلها للرسالة (يريد أرسل بها إلى) وكانت لمناسباتها تتطلب نشرها فى وقتها » والواقع أن الرسالة لم تنشر شيئاً لأدهم فى عدد ١٠ يولية (رقم ٣١٤) ولا فى عدد ٢٤ يولية (رقم ٣١٦) وأما عدد ٣ يولية (رقم ٣١٣) فليس فيه لأدهم سوى كلمة فى البريد الأدبى ، والرسالة نشرت لأدهم فى آنٍ كلمةً فى البريد الأدبى ومقالاً فى باب النقد (راجع عدد ٣٢٦) . أضف إلى كل هذا أن مكانة الأستاذ تيمور عند صاحب الرسالة لا تسوغ مثل ذلك التأخير

وكيفما كانت الحال فإن الحكم بالسوابق كما يقال فى لغة القضاء . ولأدهم غارات غير هذه : أغار على مراد فرج وزكى مبارك وعلىّ (اطلب الرسالة ٣١٤ ص ١٣٨٠) وعلى من يعلم الله .

وإن قال قائل : لِمَ تُعنى بالغارات الأدهمية ولا ترحم . قلت : إنه ينبغى لنا أن ننصب الحرب للمغيرين ولا سيما المكابرين منهم ؛ وذلك أننا نريد أن نقيم للإنشاء بالعربية دولة . والإنشاء إذا رضى بالاستلهام فإنما يكره السطو والالتقاط ثم التهويل بهما وفى هذه « اللطيفة » الـكفاية . ب . ف

لعله هو ...

فى العدد (٣٢٥) من الرسالة الغراء وجّه الأستاذ « على معمر الطرابلسى » كلمة تتحدث عن جماعة « الشراة » إلى (أستاذ جليل) وكاتب مبرز مبدع ، سباق غايات وصاحب آيات بينات ، ومدبج بحاثات رائعات ، ينم قلمه العتيق الـكريم عن رسوخ كعبه فى الأدب ، وعلو مقامه بين الكتاب ، وكمال اتصاله بروح العربية ، وفذ اطلاعه وإحاطته بفنونها وآدابها ، ومع ذلك فهو لا يتباهى بعلمه ، ولا يفاخر بأدبه ، ويرغب عن شهرة اسمه ، فتراه يخفى شخصيته وينتحل إمضاءه وما تخفى الشمس ولا يحجب ضوء النهار !

وقد قال الأستاذ الطرابلسى فى نهاية كلمته يخاطب الأستاذ الجليل : « فهل تسمحون أن أطلب إليكم إظهار اسمكم ، فلطالما

رغبت في معرفتكم ، وكيف لا أرغب وقد كشفتم لنا ببحوثكم القيمة أنواعاً من حقائق أخفاها الدهر ، مما يدل على عظيم اطلاعكم وحسن تمحيصكم ؟ »

وقد كنت ظننت بادئ الأمر أن (أستاذنا الجليل) سيسارع (فيضع عمامته) ويعلن اسمه ، كي يعرف أهل العربية قاطبة من هو (ابن جلا وطلاع الثنايا) ! ولكن الأيام مضت تترى والأستاذ الجليل لا يجيب وعهدنا به أنه المجيب لكل سائل ؛ وكأنه في عالم سماوي حبيب إلى نفسه ، لا يود أن يغادره إلى عالم المتبجحين المتوخين الدعين المظمة والسبق بالباطل والزور والافتراء والادعاء ! وإنها الشمس تستحى أن تقول للنجوم وما حولها من كواكب : أنا الشمس ...!

وأنا أرجو — إذ أتقدم بمحاولة الإعلان عن هذه الشخصية الفذة — ألا أكون فضولياً على أحد الأستاذين السائل أو المسئول فإن بي رغبة جامحة إلى الإشادة بفضل تلك الذات العالية والشخصية النابغة : شخصية (الأستاذ الجليل) ، وأقرر أنني أصدر قولي هنا اعتماداً على الترجيح لا على اليقين وعلى ما استطعت أن أجده من المشابهة والتماثل بين ما كتب (الأستاذ الجليل) مذيلاً باسمه الحقيقي ، وما كتب مذيلاً بما انتحل من إمضاء

وسأكسب — مع الأستاذ الطرابلسي ومع القراء — معرفة الحقيقة سواء كنت موفقاً أم مخطئاً ؛ لأنني إذا وفقت فيها ، وإلا فسيسارع (الأستاذ الجليل) أو بعض صحابته بتصحيح الخطأ — فذلك فريضة إسلامية ، و (الأستاذ الجليل) من أصدق المجاهدين للاسلام ، وعلى ذلك ختماً سنعرف !

إنني أرجح اعتماداً على ما قدمت أن ما ينشر في الرسالة المحبوبة بإمضاء « *** » أو « ** » أو « القارئ » هو لحضرة صاحب العزة « أديب العربية الأستاذ الجليل والعلامة المحقق محمد اسعاف النشاشيبي بك » صاحب « نقل الأديب » و « الإسلام الصحيح » وغيرهما من الكتب الخالدة والمقالات العبقرية الفريدة وكل خاف سيعلم !

وأذكر الأستاذ الطرابلسي بقول القائل : « ويأتيك بالأخبار من لم تزود ! » .

(البجلات) احمد جمعة الشرباصي

المصطلحات العسكرية ترجمتها الى اللغة العربية

قررت وزارة الدفاع إجراء مسابقة في ترجمة المصطلحات العسكرية الخاصة بالأقسام الميكانيكية والسيارات وغيرها إلى اللغة العربية . ويبلغ عدد الكلمات التي يراد ترجمتها حوالي خمسة عشر ألف كلمة .

وسيمنح الفائز في ترجمة هذه المصطلحات مكافأة مالية

تثقيف الشعب عن طريق الإذاعة

أعدت وزارة الشؤون الاجتماعية مشروعاً يرمى إلى تثقيف الشعب عن طريق الإذاعة اللاسلكية وذلك بتنظيم محاضرات دينية واجتماعية وقصصية تتناول شؤون الأسرة وتعالج أمراض المجتمع وتقوم أخلاق الشعب على أن تذاع إلى جانبها أناشيد وأغان وموسيقى تعاون على تقريب المعاني الإصلاحية التي ترمى إليها الوزارة — من أذهان الشعب وتساعد على رفع مستوى تفكيره

وقد استقر الرأي على افتتاح موسم هذه الإذاعة في شهر رمضان

ويقال أن الوزارة تقوم الآن باختيار المحاضرين والمحاضرات من بين المشتغلين بمسائل الاصلاح الاجتماعي

حول قصيدة

سيدي الأستاذ الكبير صاحب الرسالة :

بعد التحية قرأت بالعدد (٣٢٧) من الرسالة الغراء الصادر في ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٩ قصيدة رائعة للشاعر المعروف محمود الخفيف عنوانها « وداع » وقد أعجبت بتصويره أيما إعجاب ولكنني عند ما قرأت

إذا هم لا يستجيب اللسان وما عيّ في موقف قبله
وماذا عسى أن يقول وهل تأسى فتصغى له

عند ما قرأت هذين البيتين لاحظت أن الثاني مكسور فقدرت أن كلمة قد سقطت في الطبع ولعل الأستاذ الشاعر كان يريد أن يقول :

وماذا عسى أن يقول وهل تأسى لقول فتصغى له

أرجو أن يتفضل سيدى الأستاذ فيدلى إلىّ برأيه وأكون له شاكراً

(بنى مزار) يوسف حنين

(الرسالة) صحة البيت هكذا :

وماذا عسى أن يقول لها وهل تتأسى فتصغى له

وقد سقطت كلمة « لها » فى الطبع

رجاء الى الكتاب

لاحظت فى أكثر المقالات المنشورة فى الرسالة أن الكاتب عند ما يريد أن يشير إلى كلمة أو جملة تحتاج إلى إيضاح أكثر يشير إليها بالرقم ١ ، ٢ ، ٣ إلى آخره كما هو متبع عادةً ويكتب لذلك مفسراً يقول : « اقرأ صفحة كذا من كتاب مختصرات طبقات الحنابلة » أو « راجع أخبارهم من كتابى سيناء القديم وتاريخ بئر السبع وقبائلها إلى غير ذلك . . . » وهذا مثل لما جاء بالعدد الأخير فقط . ومثل ذلك فى الأعداد الماضية

وإنى أرى أن يكلف الكاتب نفسه ولو بكتابة كلمة أو اثنتين أو سطر أو سطرين وإن اضطره الحال فليكتب جملة أو جملتين كما نرى فى كثير من المقالات لأن من قراء الرسالة كثيرين من الطلبة والموظفين لا يجمعون من تلك الكتب التى يشير إليها كاتب المقال كتاباً واحداً . . . والكاتب بطبيعته يطلع على ذلك الكتاب الذى يشير إليه وهذا ظاهر من تحديده صفحة الكتاب ورقم السطر فما كان يضيره لو كتب ما يريده من القارئ أن يطلع عليه ولو موجزاً ؟ . . .

احمد حلمى العباسى

جريدة الشورى

سألنا بعض القراء عن جريدة الشورى التى كان يصدرها صديقنا الأستاذ محمد على الطاهر باسم الشباب ثم باسم العلم ولماذا لا تصدر الآن ؟ ونحن نجيب على ذلك بأن الزميلة توقفت عن الصدور بسبب الأحوال الحاضرة وسيعيد الأستاذ الطاهر إصدار جريدته بعد الحرب إن شاء الله

الكتب

تحت راية الاسلام

لفاضل مسيحي

بقلم الأستاذ عز الدين التنوخي

« تحت راية الإسلام » : كتاب جديد يبحث عن سيرة النبي العربي وحقيقة الإسلام ، ويدرأ عنهما شبهات المبشرين ومفتريات المستشرقين ألفه الأستاذ خليل جمعة الطوال[1] العربي المسيحي الكاثوليكي ، من أدباء شرق الأردن أو مشارف الشام ؛ ولو كان المؤلف عربياً وأرثوذكسياً لخف العجب ، ولكنه يؤلف « تحت راية الإسلام » وهو كاثوليكي وبابوي صميم !

وكثيراً ما كنت أجادل بعض إخواني من دعاة الجامعتين العربية والإسلامية ، وأكثر من الاحتجاج لرأيي القائل بأنه لا فرق بين العربي الأرثوذكسي وأخيه الكاثوليكي إذا ما بُثت فيهما روح العروبة منذ الصبى ، لا فرق بهذا الشرط بينهما في الإخلاص لدين العروبة ، وبالتالي للأمة العربية ودولها العربية ولولا مدارس التبشير الأجنبية ، وما تبثه في بلادنا الشامية من روح التعصب ، وما تنشره في صفوف المدارس من الدعايات السياسية المسمومة ، لولا ذلك لكانت لعمرى روح شباب الشام واحدة ، على الرغم من اختلاف الأديان ، ولما كان للأقليات نواب في مجلسنا النيابي ، ولما وجد المستعمرون مطايا لهم في بلادنا العربية . ولو كانت الروح القومية واحدة لرأينا العربي المسلم يدرس إلى جانب العربي الأرثوذكسي والكاثوليكي على مقعد واحد في مدرسة واحدة .

ومن دعاة الجامعة الإسلامية من يوجس في نفسه شراً من الجامعة العربية ، وكأنه يحسب أن الإفراط في الارتباط بالقومية ، والمبالغة في التمسك بحبل العروبة مما يحل عقدة العقيدة ، ويوهن عصب الجامعة الإسلامية ، ومن دعاة الجامعة العربية من يخال أن الجامعتين متضادتان ، وأنه قلما اجتمعت الوطنية الصحيحة والقومية الصادقة في أحد من دعاة الجامعة الإسلامية ، وكلا الفريقين غالٍ في رأيه ، مخطئٌ في حكمه : ذلك لأن العربي المسلم قد يشاطر الياباني والهندي المسلم عقيدته وعاطفته وهيامه بالمثل الإسلامي الأعلى ، ويحب لهم من الخير والاستقلال وبلوغ الكمال ما يحب لنفسه ؛ ولكن حبه الخير لأخيه في الإيمان لا ينافي حبه الخير والسعادة لأخيه في الأوطان .

ولا ضرر على الإسلام ولا ضرار في انتشار دين العروبة في البلدان العربية ، فكثيراً ما عرفت بين نصارى العرب أو عرب النصارى من شبان يدينون بدين العروبة ، ويجاهدون في سبيلها حق الجهاد ، ومنهم من هو أكثر خيراً للعروبة وأقل ضرراً للاسلام من بعض ملاحدة المسلمين .

ذلك لأن منهم من كانت عروبته الصادقة تحطم قيود عقيدته التقليدية ، وتحمله على درس القرآن وسيرة النبي العربي ، فيجلو بدرسه الحر وبحثه المستقل ما ران على قلبه من أضاليل المستشرقين ودعايات المبشرين .

ولو سردت أسماء إخواني في العروبة في لبنان وفلسطين والشام والعراق ومصر وأمريكة وعرضت لذكر آرائهم لضاق بي نطاق البحث ، وحسبي أن أذكر من هؤلاء الأدباء النجباء في أرومتهم والصرحاء في عروبتهم الأستاذ خليل جمعه الطوال مؤلف « تحت راية الإسلام[1] »

لقد عرفت قبل اليوم هذا المؤلف معرفة روحية بقراءة ما كان يكتبه في مجلة الرسالة من الأبحاث الدقيقة الممتعة ، وعرفته في الفيحاء اليوم عربياً مشهوداً له في بلاده بصدق النسب العربي ، والاعتزاز بالنبي العربي ، الذى أحيا أمته وجمع بعد تفرق شملها ، وشفاها من أمراض الجاهلية المضلة ، وأخرجها

(١) ولا يجهل قراء الرسالة المؤلف لأنه من الذين يؤثرونها بالكتابة فيها

(١) من أمثال الأستاذ خليل اسكندر قبرصي القدسي مؤلف « دعوة نصارى العرب إلى الدخول في الاسلام »

من القبلية الضيقة النطاق، إلى الشعبية الفسيحة الآفاق، فجعلها أمة واحدة تحمل بيمناها كتاب القرآن، وبيسراها كتاب علوم الأكوان، فهدت بالأول الأمم إلى مسمى الإنسانية، واهتدت بالثاني في معترك حياتها الدنيوية، ففازت بالإسلام بسعادة الدارين معاً

استمع لما توحيه إليك كلمة المؤلف في مطلع كتابه إذ يقول: «لقد نشأت بتأثير تربيتي المسيحية الكاثوليكية نفوراً من الإسلام كارهاً له ولأهله، لا أقر له بحسنة، ولا أبرئه من سيئة، وغاية ما كنت أعرفه عنه أنه شريعة فاسدة تنطوي على عيوب كثيرة، أقامها جماعة من الغزاة المحبين لسفك الدماء والنهب والسلب، ثم اعتنقتها شعوب بدائية وأمم بربرية لاحظ لها من الثقافة والمدنية. ولست أرى على الآن أي لوم في تلك الصورة الملفقة المشوهة التي كنت أحملها عن الإسلام، لأني لم أكونها لنفسي بنفسي، ولا بنيتها على ما قد انتهى إليه اجتهادي في دراسة حقيقة الإسلام، أو اقتنعت به بعد إنعام النظر وإعمال الفكر في كتابه، ولكني ورثتها منذ حداثتي وراثة تقليدية ...»

ورأى صديقاً له مسلماً يبتاع نسخة من التوراة والإنجيل ليدرسهما قائلاً له: «من الناس من يكره شيئاً ويحب آخر دون أن يكون له في كلا الحالين أمر أو رأي، ولكنه مقيد في جميع سلوكه بمألوف عادات بيئته وتقاليدها، ويسرني أنني لست من ذلك الطراز، ولذلك اشتريت هذه الكتب لأقبل ما فيها أو أرفضه عن فهم واقتناع لا عن جهل وتعصب»

ورأى أن حالة صديقه المسلم تنطبق عليه، وأن كلمته هذه الحرة جدير به أن يقول مثلها إن كان منصفاً وعاقلاً حراً. قال المؤلف: «ثم نظرت فإذا بي أكره أخي العربي المسلم وأنفر منه وأتحاشاه لا لعلة إلا لما كان من إسلامه الذي كنت أشعر بكراهته قد خالطت لحمي ودمي، إلا أنني على كل حال لا أكاد أعرف عنه إلا اسمه، فعزمت لذلك على دراسته أملاً أن أقف على صحته أو فساده

«وفي ذات يوم عرجت على إحدى المكاتب العربية وابتعت منها نسخة من القرآن العربي المبين، وأخرى من سيرة ابن هشام فطواهما البائع لي في رزمة، وتسللت من عنده كاللص، واضعاً إياها بين ملابسي، وحريصاً كل الحرص على ألا يطلع عليها أحد من أقاربي وأهلي، ذلك لأن الكنيسة الكاثوليكية كانت سوى ذلك تحرم على المسيحيين مطالعة جميع الكتب الدينية غير الكاثوليكية ولو كانت مسيحية، فكيف الكتب الإسلامية؟!»

تلا المؤلف القرآن باستقلال فكر وإنعام نظر، وقرأ معه سيرة ابن هشام فرأى ما رأى من شبهات غير المحققين من المبشرين وشاهد ما شاهد من مفتريات غير المحقين من المستشرقين، فكان كما قال الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده: «من عرف الحق عز عليه أن يراه مهضوما»، ولذلك انتبه من رقدته منتصراً لمحمد فخر أمته، وللحق يراه مهضوماً، وللعدل يبصره مظلوماً، فألف كتابه هذا «تحت راية الإسلام»

على أنه ينتظر لمثله أن يؤذى ويظلم في حرية تفكيره فقد قال المسيحيون[1] عنه: «زنديق مارق عن الدين وكافر يجب حرمانه» وأجاب المسلمون: «بل هو دجال متملق يقول هذا لغرض يريده حتى إذا ظفر به انقلب على عقبيه»، ولقد ظلم كثيراً من المسيحيين والمسلمين بقوله هذا، لأن المسيحي العاقل الفاضل يعذره، ولا يكفره، إذ لا يجتمع عقل سليم وتعصب ذميم، والفضل يحول بين المرء والعدوان في كل زمان ومكان؛ وأما المسلم الذي يعرف ما لقيه المؤلف في سبيل عقيدته الحرة من ضروب الأذى، فإنه لا يقول لمثل خليل جمعة الطوال متملق دجال!

إن دين الله السماوي واحد، وكالقطر حين ينزل من السماء واحد، وتحليله الكيميائي واحد، وإنما تباعدت النصرانية الحاضرة عن الإسلام بكثرة ما دخلها من الزيادات الكنسية، كماء السماء ينزل صافياً نقياً، وكلما ازداد اتصالاً بالأرض وجرياناً عليها قل صفاءه بمقدار ذلك وبقاؤه، والمؤلف مع اعتقاده بمحاسن الإسلام وصدق دعوته العامة لا يزال يعتقد بالنصرانية الأولى ولا يرى تنافيا في الدعوتين، لأن الإسلام كما قال السيد جمال الدين الأفغاني: نصرانية وزيادة، ولذلك يقول في كتابه (تحت راية الإسلام) ما نصه: «إن اعتقادي الصحة في معتقدي لا يمنعني ألبتة من أن أعتقدها في مذهب غيري»، ويقول في موطن آخر معترفاً بأن محمداً لم يرسل إلا رحمة للعالمين: فبه اهتدت السفينة الضالة وكملت البشرية الناقصة، وعزت الإنسانية المهينة، فمن لم يحبه عن طريق الدين الذي أظهره، أحبه عن طريق الدنيا التي طهرها، ومن لم يمجده عن طريق الإسلام الذي رفع مناره مجده عن طريق العنصر العربي المجيد الذي أعز مكانه ورفع قدره وأعلى كلمته ...»، فالأستاذ خليل جمعة الطوال الذي شرح الله للاسلام صدره لا يزال في يوم الناس هذا ممن يكتم إيمانه، وإن صدق بنبيه العربي محمد وأحب قرآنه، ودون للناس في كتابه حسن دعوته وإحسانه

«دمشق» عز الدين التنوخي

(١) ما بين الأقواس من كلام المؤلف .

7me Année No. 330

Lundi - 30 - 10 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٣٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٧ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهــــرس

وزارة الشئون الاجتماعية

الجهــــل ...

— ١ —

ذلك هو العنوان الأول من العناوين الثلاثة التى اقترحنا فى العدد الماضى من الرسالة أن يتألف منها الدستور الإصلاحى لوزارة الشئون الاجتماعية ، وهى الجهـل والفقر والمرض . والجهل كما يظهر لأدنى نظر هو علة العلل فى اضطراب الأسرة ، وانحطاط البيئة ، وفساد المجتمع ، وأَفَن الرأى العام . فإذا وُفقت هذه الوزارة بالفعل إلى أن تمحو الأمية وتنسخ الجهالة فقد تيسر لها أن تقول فتُفهَم ، وتَكتبَ فتُقرأ ، وتشير فتُتَّبع ؛ وإذن يخف عنها عبء الإصلاح باعتماد كل امرئ على نفسه فى تدبير عيشه من طريق الكفاية فلا يكون فقر ، وفى علاج بدنه من طريق الوقاية فلا يكون مرض ، وفى تهذيب خلقه من طريق الدراية فلا يكون شر . ذلك إلى أن الشعب متى أدرك القدْر المشترك من المعرفة قوى عقله فيعمل عمله بروية ، ونضج رأيه فينتخب نائبه بحرية ؛ وبروية العزيمة تثمر فروع الإنتاج ، وبحرية الرأى تثبت أصول الديمقراطية

ولكن كيف نكلف وزارة الشئون الاجتماعية أن تساهم فى نشر المعرفة وهناك على مدى قريب منها وزارة المعارف بميزانيتها

الضخمة وجامعتها الفخمة ومدارسها المختلفة الدرجات والغايات، ورجالها المتعددى الألقاب والشهادات؟ فهل يسوغ فى العقل أن تترك هذه الوزارة الفنية الفنية فى مصر بعد قرن ونيف من لا يعرف حروف الهجاء، ولا يدرى أفى الأموات هو أم فى الأحياء؟

الواقع الذى يحار فى تعليله الذهن الفلسفى أن التعليم الحكومى والأهلى، والدينى والمدنى، والوطنى والأجنبى، لم يستطع أن ينفى الأمية فى مصر ـ وهى ملتقى بحرين ومجتمع ثلاث قارات ـ إلا عن ٢٥ ٪ من الذكور و ٨ ٪ من الإناث. ونفى الأمية لا يثبت العلم؛ ولكنى أسلم بأن هؤلاء تميزوا عن نظرائهم أولئك بإدراك الحياة الإنسانية على نحو معقول. فإلى من نكل تعليم البقية وهى سواد الأمة وعماد الدولة وعدة الإنتاج؟ إن تثقيف وزارة المعارف لا يشمل كل الصغار لأن قانون التعليم الإجبارى لم يُشرع، ولا يقبل كل الكبار لأن قانون التربية لا يجيز؛ فلا يبقى إذن للذين أفلتوا من القيد أو شبوا عن الطوق إلا وزارة الشؤون الاجتماعية؛ فهى وحدها التى تستطيع أن تعلّم الزراع والصناع والعمال والخدام والباعة من كل سن وفى كل مكان وعلى أى حالة

***

أما كيف يتهيأ لوزارتنا الجديدة بلوغ هذه الخطة فسبيله القصد إنشاء المدارس الشعبية الليلية فى معاهد المدن ومساجد القرى، وحشد العامة إليها عن طريق الإغراء المادى والإكراه غير المباشر، كأن يُفرضَ للمنتهين والمتفوقين جوائز مالية، وأن يُشرطَ على طلاب الرخص للسعى أو للخدمة أن يلموا بالقراءة والكتابة؛ ولسنا بصدد التفصيل فذلك عمل له وقته وله أهله

هذه المعاهد الليلية المبثوثة فى أرجاء الوادى وأعطافه وأريافه ستكون ـ فضلاً عن عملها الثقافى ـ أداة مضمونة لنشر الاصلاح الاجتماعى فى جهاته المتشعبة وغاياته المتعددة، فإن الوزارة تستطيع أن تجعل من كل فرد يتعلم فيها بوقاً رافعاً لأصوات وعاظها ومرشديها الذين يساعدون بالمحاضرة فيها على تقوية المدارك وتهذيب العادات وتنظيم المعيشة وتدبير الصحة. وسيكون كل معهد من هذه المعاهد الشعبية وحدة اجتماعية يتفرق عنها الضوء والحرارة فى كل بيئة وفى كل أسرة فإذا قامت الوزارة بذلك ثم حملت وزارة الدفاع على أن تعلم الجيش المرابط والجيش العامل فقد ظفرنا بقتل الأمية فى قليل من الزمن بيسير من النفقة. وإذا قتلنا الأمية فقد أحيينا فى الشعب خمود الحس وموات الضمير ومعنى الواجب

ستقول الوزارة من أين لى المال وقد ولدتنى الضرورة لأعيش على ما طفح من رجال الدواوين وما فضل من مال الوزارات؟ وجوابنا أن الوزارة التى لا تقوم على المال، لا تنتج غير الأقوال. وربما كان ذلك علة ما نرى من نزوع هذه الوزارة فى سياستها الإصلاحية إلى الوسائل الكلامية حتى حدثتها نفسها أن تنشئ لها مجلة خاصة بها تملأها بالمقالات والمناقشات والقصائد والحكم والأمثال لتكون كمجلة (التعاون) و (زميل الفلاح) و (المجلة الزراعية) و (الصناعة والتجارة) آلةً شرهة لاستهلاك الورق والحبر فى غير رحمة ولا جدوى!

يا معالى الوزير، إن فن الإنشاء مستقيم فلا يحتاج إلى إصلاح، وإن سيل الكلام دافق فلا يفتقر إلى رِفد، وإن ميادين العاصمة مكتظة بالمجلات فلا تتسع إلى زيادة، وإن ما عندكم من مذخور البلاغة لا يختلف عما عند الناس. فلماذا نؤثر النظر على العمل ونبذر الجهد والمال والوقت فى استثمار الصفصاف واستيلاد العقيم؟ إن الذين يستطيعون أن يقرأوا المجلة المتيدة هم بثقافتهم مستغنون عنها، والذين يهمكم أن يقرأوها لا يستطيعون لأميّتهم أن يستفيدوا منها. فأعدوا القارئ قبل أن تُعدوا المجلة؛ وإعداد القارئ هو الميدان الأول لجهاد الوزارة؛ فإذا انتصرت فيه فقد ضمنت النصر المؤزر فى سائر الميادين

على أن تثقيف الشعب من طريق التعليم فى هذه المدارس الشعبية لا يكلف الحكومة أكثر مما تكلفها الفرقة القومية أو مجمع فؤاد للغة العربية، والخير الذى تصيبه الأمة من وراء هذه الكتاتيب المتواضعة لا يجوز أن يوازن به عمل لا يزال صلاحه فى ذاته أمراً مشكوكاً فيه!

***

هذا بعض ما يدخل تحت عنوان (الجهل) أجملناه فى هذه الأسطر لتمضى الوزارة فى سبيل التفكير فيه، وفى ظننا أنها ستجد فى طوايا بحثه أبواباً للعمل وسبلاً للإصلاح تغنيها عن المشروعات المبتسَرة التى تلقفها من المجالس، والموضوعات المرتجلة التى تأخذها عن الصحف

احمد حسن الزيات

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

— ٢٠ —

من كلام الحكماء : « نعوذ بالله من الحديث المعاد »

وإنما استعاذ الحكماء من الحديث المعاد لأنه شاهدٌ على انعدام القدرة على الابتكار والابتداع والخَلْق والإنشاء ، ولأنه يدل على استهانة المتكلم بأقدار من يخاطب من الرجال ، ولأنه يشهد بأن صاحبه قد لا يَعنى ما يقول

وصديقنا القديم الأستاذ أحمد أمين موكَلٌ بالحديث المعاد ينقله من بلد إلى بلد ومن جيل إلى جيل ، وقد صحت فيه كلة أحد النقاد القدماء فى سعيد بن حميد :

« لو قيل لكلام سعيد وشعره : ارجع إلى أهلك لما بقى معه شىء »

وكذلك نقول فى كلام أحمد أمين : فلو دعونا مقالاته ومؤلفاته بالرجوع إلى أهلها لما بقى معه شىء !

وما ظنُّكم برجل يتوهم أن القراء فى الأقطار العربية هم جميعاً أبناء الأمس ، وما فيهم قارئٌ واحد سمع من أخبار الأدب والمجتمع غير ما يتحدث به أحمد أمين ؟

وإليكم هذا الشاهد :

كان المرحوم الشيخ محمد الخضرى بك ألقى محاضرة منذ خمس وعشرين سنة عن تطور المجتمع المصرى ، وقد نص فى تلك المحاضرة على الخطأ الذى ارتكبته مصر حين سمحت بأن ينقسم التعليم إلى شعبتين : شعبة دينية وشعبة مدنية ، وقال : إن هذا يعرّض مصر لشهود الصراع بين طائفتين تختلف عقلياتهم أشد الاختلاف

وقد سمعتُ هذه المحاضرة وسمعها الأستاذ أحمد أمين ، فهل تعرفون ما الذى وقع ؟

وقع أن الأستاذ أحمد أمين فهم أن الشيخ الخضرى مات منذ أكثر من عشر سنين ، وأن الذين سمعوا تلك المحاضرة منذ خمس وعشرين سنة قد أنستهم الأيام ما كان فى تلك المحاضرة من آراء

وكذلك أعد القلم والدواة والقرطاس ليحدث قراء (الثقافة) بأن مصر ارتكبت جرماً فظيعاً حين سمحت بأن ينقسم التعليم إلى شعبتين : شعبة دينية وشعبة مدنية ، وأن هذا عرّض المجتمع المصرى لشهود الصراع بين طائفتين تختلف عقلياتهم أشد الاختلاف

وكيف قال هـذا الكلام ؟ قاله وهو يوهم القراء أنه من المبتكرات فى عالم الاجتماع !

ولم يكن الشيخ الخضرى أول من قال ذلك الكلام الذى سرقه أحمد أمين ، فقد تنبه المغفور له على باشا مبارك إلى هذه الفكرة منذ أكثر من سبعين سنة ، وعلى أساس هذه الفكرة أنشأ مدرسة دار العلوم ليخلق جيلاً يجمع بين الصبغة الدينية والمدنية ويكون أساساً للتطور المعقول

وهذه الفكرة عرض لها الكتّاب بالنقد والشرح مرات كثيرة فى مدى أعوام طوال ، وفصلها المنفلوطى فى (النظرات) بعض التفصيل ، وإن كان ساقها فى مساق آخر هو التناحر بين الأخياف من أبناء الثقافة المدنية

من حق أحمد أمين أن يلخص كلام من سبقوه ليطلع عليه شبان هذا الجيل

ولكن هل راعى الأمانة العلمية وهو أستاذ مسئول ؟

هل رجع كل كلام إلى قائله كما يصنع أساتذة الجامعات ؟

لم يصنع شيئاً من ذلك ، وإنما انتهب ما انتهب ، ثم واجه القراء وهو مزهوٌ مختال ، كأنه صار بالفعل من أهل الابتكار فى الميادين الأدبية والاجتماعية !

* * *

قد يقال : وأين هذا الكلام من الموضوع الأصيل ؟

وأجيب بأنى أريد أن أبين أن أغلاط أحمد أمين لم تكن أغلاط الرجل المجتهد ، وإنما هى أغلاط منهوبة مسروقة ليس فيها من جديد غير برقشتها بحبر جديد فى ورق جديد !

وإليكم يساق الحديث

لبس أحمد أمين ثوب الفكر المبتكر وقال : إن الأدب الجاهلى جنى على الأدب العربى حين فرض عليه ما عرف الجاهليون من ألفاظ وأخيلة وتعابير وقواف وأوزان

وهذه الفكرة خطأ فى خطأ ، وهو نقلها عن بعض الكتاب الذى تكلموا فى النقد الأدبى بلا زاد من المعارف الأدبية ، وبلا سناد من فهم التطور الذى شهده العرب فى ميدان الحقائق الأدبية

وآفة الأدب فى مصر وفى غير مصر أنه معرض فى كل وقت لغارة الأدعياء ، فكل مخلوق يتوهم أن من حقه أن يقرأ الشعر والنثر قراءة الخبير بأسرار الدقائق الشعرية والنثرية ، وأن يوازن بين الشعراء والخطباء والكتاب والمؤلفين بعد أن تتيح له المقادير أن يفرق بين المنظوم والمنثور ، وبين الخِطاب والكِتاب ، وبين الألف والباء !

وهل كان من الصحيح أن الأدب الجاهلى جنى على الأدب العربي فى العصور الإسلامية ؟

إن العرب تحللوا من قيود الأدب الجاهلى منذ أول يوم توجهوا فيه إلى الاتصال بغيرهم من الممالك والشعوب

ويقول المبتدئون فى الأدب إن أبا نواس كان أول من ثار على التقاليد الجاهلية ، وهذا غير صحيح ، وإن صار من الحقائق المقررة عند بعض أساتذة كلية الآداب

والصحيح أن الثورة على التقاليد الجاهلية فى الأشعار والرسائل سبقت عهد أبى نواس بزمن بعيد . ولهذه الثورة شواهد فى العصر الأموى سنسوقها حين نجد ما يوجب ذلك ، أو حين ينطق الأستاذ أحمد أمين الذى خرج بالصمت عن لا ونعم ، والذى نزل بالبرج العاجىّ ضيفاً على الأستاذ توفيق الحكيم

قلت لكم غير مرة إن أحمد أمين قليل الاطلاع على تاريخ الأدب العربى ، فلو كان من المطلعين لعرف أن العرب بعد الإسلام أعلنوا ثورتهم على التقاليد الجاهلية ، وصرحوا بأن الأدب يتأثر بالزمان والمكان ، وأن أخيلة سكان الحواضر يجب أن تختلف عن أخيلة سكان البوادى ، وأن من يعيش فى مصر له أذواق تخالف أذواق من يعيش فى الحجاز أو العراق أو الشام أوالمغرب أو فارس أو الهند

لو كان أحمد أمين من المطلعين لعرف أن من العرب فى القرن الثالث من صرّح بأحكام يعجز عن التصريح بها من يعيشون فى هذه الأيام

هل تصدّقون بأن من كتّاب القرن الثالث من قال بأنه لا يجوز أن نحاكى القرآن فى جميع التعابير ؟

وهل فى الدنيا جرأة أعظم من جرأة الرجل المسلم حين يقول فى زمن شباب الإسلام بوجوب التحرر من بعض أساليب القرآن ؟

وهل يجوز القول بأن من جاز عندهم الخروج على الأساليب القرآنية تصعُب عليهم الثورة على التقاليد الجاهلية ؟

أنظروا كيف يقول ابن المدبر فى « الرسالة العذراء » :

« واعلم أنه لا يجوز فى الرسائل ما أتى فى آى القرآن من الإيصال والحذف ، ومخاطبة الخاصّ بالعامّ ، والعامّ بالخاصّ ، لأن الله سبحانه وتعالى إنما خاطب بالقرآن أقواماً فصحاء فهموا عنه جلّ ثناؤه أمرَه ونهيَه . والرسائل إنما يُخاطَبُ بها قوم دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب. وكذلك ينبغى للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك والمعنى الملتبس ، فإنه إن ذهب على مثل قوله تعالى (واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها) وقوله تعالى (بل مكر الليل والنهار) احتاج أن يبين أن معناه (إسأل أهل القرية وأهل العير) و (بل مكركم بالليل والنهار) ومثله فى القرآن كثير »(1)

فما معنى هذا الكلام ؟

معناه أن العرب فهموا أن القرآن وهو عندهم تنزيل من حكيم حميد راعى عقلية العصر الذى نزل فيه فخاطب الناس بما يفهمون ، وأنه حين يتغير الناس بتغير الزمان لا يجب أن نخاطبهم بالأسلوب الذى استجازه القرآن ، لأنه نزل على قوم يدركون الحذف والإيصال ومخاطبة الخاصّ بالعامّ ، والعامّ بالخاصّ

فهل يعقل أن يكون الأدب الجاهلى أقدس عندهم من القرآن ؟

وهل يجوز اتهام العقلية العربية بالجمود والخمود لتصح أوهام أحمد أمين ؟

أنا أتحدى أى باحث أن يثبت أن العرب لم يدركوا ما يوجبه اختلاف الزمان والمكان فى تلوين الصور والأفكار والأساليب

أتحدى أى باحث أن يقيم الدليل على أن العرب التزموا محاكاة التعابير القرآنية والنبوية

وكيف فات أحمد أمين أن العرب لم يلتزموا وحدة الوزن والقافية على نحو ما التزم الجاهليون ؟

ألم تصل إليه أخبار التجديد والتنويع فى القوافى والأوزان عند أهل المشرق وأهل المغرب ؟

ألم تصل إليه أخبار الموشحات والأزجال ؟

---

(1) الرسالة العذراء ص ١٨ طبعة زكى مبارك

ألم يسمع بما دخل فى الشعر العربى من الأخيلة الفارسية والمصرية والأندلسية ؟

ألم يحدثه أحد بأن الذوق الأدبى عند مهيار الديلمى يخالف الذوق الأدبى عند الشريف الرضى ؟

ألم يعلم بأن عمارة اليمنى له مذاهب فى القول تخالف مذاهب ابن حمديس ؟

ألم يقرأ ما كتب أبو الحسن الجرجانى فى اختلاف الأذواق باختلاف الوجوه والطباع ؟

ألم تحدثه كتب الفقه بأن الشافعى تغيرت حاسته التشريعية بالتردد بين الحجاز ومصر والعراق ؟

ألم يسمع بأن علماء البلاغة فى مصر لهم مسالك تخالف مسالك أمثالهم فى فارس ؟

ألم يصل إليه القول بأن كتاب الإحياء له ألوان مختلفات بسبب تنقل المؤلف من أرض إلى أرض ؟

ألم يشهد تطور الأسلوب عند ابن عربى فى الفتوحات المكية بسبب اختلاف موطن التأليف ؟

ألم يعرف بأن شعراء اليتيمة تختلف أذواقهم باختلاف البلاد ؟

ألم يدرك أن أشعار البهازهير لها مذاق غير مذاق أشعار ابن زيدون ؟ ألم يلمس الخشونة والنعومة فى تردد ابن الجهم بين البادية وبغداد ؟

وهل بقى أحمد أمين على حال واحد حتى يبقى الناس جميعاً على حال واحد ؟

إن أحمد أمين القاضى الشرعى كانت له مسالك فى الحكم على الأشياء تخالف مسالك أحمد أمين الأستاذ فى كلية الآداب

فكيف يقال إن الشاعر الذى يعيش فى الأندلس أو فى فارس لا يزال خاضعاً لأذواق أسلافه القدماء فى الحجاز أو العراق ؟

إن أذواق أهل العلم فى البلد الواحد تختلف باختلاف المعهد الذى يتخرجون فيه ، مع وحدة الزمان ، ومع تقارب المشارب والميول . فالمتخرج فى الأزهر غير المتخرج فى دار العلوم وغير المتخرج فى كلية الآداب . وقد كان مفهوماً عند أهل مصر أن المتخرج فى الأزهر غير المتخرج فى الجامع الأحمدى مع التقارب الشديد فيما يلقى هنا وهناك من المعارف العقلية والنقلية . وأهل فرنسا يفهمون أن المتخرج فى جامعة باريس غير المتخرج فى جامعة ليون

وإنما كان الأمر كذلك لأن اختلاف المكان يؤثر فى الأذواق حتى صح القول بأن الأدب الإنجليزى فى انجلترا يبعد بعض البعد أو كل البعد عن الأدب الإنجليزى فى أمريكا . وكذلك يقال فى الأدب الفرنسى حين يصدر عن أرض فرنسية أو بلجيكية أو سويسرية

فكيف يمكن أن يتفرد العرب بالخروج على هذا القانون الذى تفرضه طبيعة الوجود على سائر الناس

وهل يجوز فى ذهن عاقل أن تكون جيمية ابن الرومى نسخة ثانية من جيمية الشماخ لوحدة القافية ؟

وهل يصح أن تكون تائية حافظ ابراهيم فى رثاء محمد عبده صورة من تائية دعبل فى التوجع لأهل البيت بحجة الاتفاق فى الوزن والقافية ؟

إن أحمد أمين ينظر فى ديوان جاهلى وديوان إسلامى فيرى قصائد تشابهت فى القوافى والأوزان فيحكم بأن الشعر لم ينتقل من حال إلى حال ، وإن اختلفت الأماكن والأجيال

ولو نظر غيره هذه النظرة لقلنا إنه يحكم أحكاماً عامّية ، ولدعوناه إلى الانسحاب من ميدان الدراسات الأدبية

من واجب أحمد أمين أن يفهم أن أساتذة الجامعات لا يصح لهم الوقوف عند ظواهر الأشياء ، فأقل مزية لرجل الجامعة أن يكون فى إحساسه كالشاعر الذى قال :

أسمع فى قلبى دبيب المنى ... وألمح الشبهة فى خاطرى

وأحمد أمين أستاذ فى كلية الآداب ، وهى كلية على جانب عظيم من الكبرياء ، وهى تأبى الاعتراف بأى معهد يقارعها فى هذه البلاد ، ولا تنظر إلى سائر المعاهد الأدبية إلا بعين الاستخفاف

والمنزلة التى صارت إليها كلية الآداب بفضل جهود أساتذتها الكبار من المصريين والأجانب توجب على الأستاذ أحمد أمين أن ينظر فى كل كلمة يكتبها خمسين مرة قبل أن يعرضها على الناس

فأين كان حرصه على مكانة تلك الكلية يوم زعم أن الأدب العربى لم يتطور قط ، وأن الأدب الجاهلى ظل يسيطر عليه من عصر إلى عصر حتى خنق مواهب أحمد شوقى وحافظ ابراهيم ؟

* * *

وهنا يتسع المجال لعرض سرقة جديدة من سرقات أحمد أمين فهل يعرف هذا الباحث الكبير من أين أخذ القول بأنه يجب أن نضع القنبلة مكان القوس ؟

لقد سرق هذه الفكرة من باحث لاأنوّه باسمه إلا وأنا كاره لأنى أبغضه أشد البغض وقد أرجع إلى مصاولته بعد أيام أو بعد أسابيع. هـذا الباحث هو الدكتور طه حسين الذى عرّف الجمهور بالأستاذ أحمد أمين

ولكن متى قال الدكتور طه هذا الكلام ؟

إن أحمد أمين يظن أن ذاكرة الناس ضعفت كل الضعف ، وأنه لم يبق فى مصر أو غير مصر من يتذكر مقالة نشرت منذ عام أو عامين، فكيف يتذكرون مقالة نشرت منذ أكثر من عشر سنين؟

فما هى تلك المقالة ؟

هى مقالة الدكتور طه حسين فى نقد بائية شوقى فى يوم (سقاريا) التى عارض بها بائية أبى تمام فى يوم (عمورية) ، بائية شوقى ذات المطلع :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب   يا خالد الترك جدّد خالد العرب

وقد نص الدكتور طه فى تلك المقالة على أن شوقى استعمل فى وصف الحرب التركية اليونانية ألفاظاً وتعابير كانت تعرفها الحروب القديمة ، ولكنها مجهولة عند المحاربين فى العصر الحديث

أنكر الدكتور على شوقى أن يقول فى خطاب مصطفى كمال :

قذفتَهم بالرياح الُهوج مسرجةً
يحملن أُسد الشرى فى البيض واليَلَبِ

وأن يقول فى مدح الجنود الأتراك :

والجاعلين سيوف الهند ألسنهم   والكاتبين بأطراف القنا السلُب

وكانت حجة الدكتور طه أن « أسد الشرى » عبارة قديمة وقد لا يفهمها الترك ، وأن « البيض واليَلَب وأطراف القنا السُّلب » ليست أهم الأدوات الحربية فى هذه الأيام

وقد تأذى شوقى بهذا النقد أشد التأذى لأنه فى ظاهره لا يخلو من بريق، ودعانى إلى الرد على الدكتور طه حسين ولكنى اعتذرت لأسباب أدبية لا يتسع لشرحها المقام ، ولعلى كنت أحرص على مجاملة الدكتور طه فى ذلك الحين

ومقالة الدكتور طه فى نقد بائية شوقى مشهورة جدًّا ، ولكن عند مَن ؟

عند الذين كانوا يسايرون الحياة الأدبية أيام الفتنة بين السعديين والدستوريين والاتحاديين ، وهى مقالة نشرت فى جريدة يومية كانت قليلة الذيوع وهى جريدة الاتحاد ، ولكنها كانت على كل حال مما يطلع عليه الأستاذ أحمد أمين

ماذا يظن أحمد أمين بذاكرة الرجال ؟

هل يتوهم أن النقد الأدبى قد انعدم فى مصر وأنه لا يوجد فى هذه البلاد من يذكر تطور الآراء النقدية من حال إلى أحوال ؟

يجب أن يعرف جيداً أننا سنحصى عليه خطرات قلبه ، وسنردُّها خطرةً خطرةً إلى ما قرأ وما سمع ، فلا يُزهى ولا يختال بترديد الحديث المعاد . فهل يقرأ هذا الكلام بعض من كَبُرَ عليهم أن نهجم على الأستاذ أحمد أمين ؟

إن الذين فُتنوا بحذلقة أحمد أمين لم يكونوا يعرفون أنه ينتهب آراء المعاصرين وغير المعاصرين بلا تهيُّب ولا تخوُّف ، ولم يكن يدور فى خواطرهم أن هـذا الرجل له سطوات على الكتب والمقالات يأخذ بها ما يشاء بلا ترفق ولا استبقاء

قد يقال : وما خطر هذه السرقات ؟ وما العيب فى أن يسرق أحمد أمين كلام طه حسين ؟

وأجيب بأن النص على السرقات يشرح تطور الأفكار الأدبية، وذلك مغنمٌ ليس بالقليل

وسنرى فى المقال المقبل سرقات أغرب وأعجب ... ومن الله وحده ننتظر حُسن الجزاء على هذا الجهاد

زكى مبارك

على ذكر الحرب الراهنة

موقف العلم من الكمال الانسانى

للأستاذ توفيق الطويل

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

انتهينا فى حديثنا السالف إلى أن العلم قد استعبدته الأغراض فى أكثر مراحل حياته ، فعاش فى خدمة الإنسان يحقق مطالب حياته العملية ، أو يستجيب لنداء عقيدته الدينية ، وأقام على هذا الاستعباد طول عمره ، إذا استثنيت مرحلتين من حياته تحرر فيهما من ذل الأغراض ، هما عهد اليونان ، والفترة الأخيرة من عصرنا الحديث . وقد أشرنا فيما أسلفنا إلى الروابط التى أخذ ينشئها المحدثون من العلماء بين العلوم الطبيعية والفنون الجميلة ، بتوحيدهم الغاية التى ينتهى إليها كل منهما ، فكان علينا إذا رغبنا فى الحديث عن صلة العلم بالكمال الإنسانى أن نتناوله عند « بيكون » أبي العلم الحديث ، ورب الدعوة إلى تسخيره لصالح الإنسان .

٣ — الكمال عند بيكون

تمرد رجال النهضة على العصور الوسطى ، وأقبلوا يحملون — فيما حملوا — معاول الإصلاح الدينى ، وحطموا بها الكنيسة وسلطانها الذى هيمنت به على قلوب الناس وعقولهم أجيالاً طوالاً وسار فى موكبهم حواريو العلم الطبيعى يتقدمهم رجال الفلك ، من كوبرنيكوس وتيخوبراهى وغاليليو وكبلر ، وشنوا الغارة على علم الأقدمين ، ومكنتهم الآلات التى اخترعوها من الكشف عن كثير من أخطائهم ، وبذلك هتكوا عصمتهم ، وحطموا قداستهم وأعلنوهم لطلاب العلم ناساً كسائر الناس ، ومهدت هذه الحركات لظهور « بيكون » فى أواخر القرن السادس عشر ، فتقدم بعقله الواسع وقلمه السيال ، للانضمام إلى موكب المحاربين ، وساهم بأوفر نصيب فى تحطيم الفلسفة الجدلية التى شاعت عند المدرسيين ، وهدم القياس الذى استعاروه عن أرسطو ليحل مكانه منطقاً قائماً على الاستقراء ، فوضع بذلك أساس المنهج التجريبى ، وبدأ العلم فى عصره الحديث على يديه ، ورسم للباحث منهجه وحدد له غايته ، فدعا إلى تطهير العقل من الأوهام التى تعرقل طلاقته ، ونادى بالإكثار من جمع المشاهدات وإعداد تاريخ لكل منها ، وتصنيفها توطئة لمقارنتها بعضها ببعض ، واستنباط العلل الكامنة وراءها ، وتسخير النتائج التى يهتدى إليها العلماء لخدمة المجتمع ، وتوفير أسباب الكمال لأفراده ، فربط بذلك بين العلم والكمال الإنسانى ، وصور هذه النتيجة فى كتاب صادف عند الكثيرين من المؤرخين مديحاً ملحوظاً ذلك هو New Atlantis الذى صور فيه مجتمعاً مثاليًا — على نمط جمهورية أفلاطون والمدينة الفاضلة للفارابى — وتوافرت فى مجتمعه أسباب الكمال ، وتهيأت لأفراده ألوان النعيم ؛ وأظهر ما فى هذا المجتمع المثالى مما يعنينا فى مقالنا « بيت سليمان » وهو يشبه المؤسسات العلمية التى تقام فى عصرنا الحاضر للعمل على تقدم العلم وإنهاضه ، وقد حدد الغرض الذى يرمى إليه هذا البيت بالكشف عن أسباب الظواهر والاهتداء إلى علل الأشياء ، والتمكين لسلطان الإنسان حتى يتيسر له القيام بكل عمل ممكن ؛ وتحقيقاً لهذه الغاية أنشئت المعامل لإجراء التجارب فى مختلف فروع العلم من طب وطبيعة وصناعة وزراعة . وأقيمت المراصد لمراقبة الظواهر الجوية ، وحفرت البرك والبحيرات لتربية الأسماك وسائر الأحياء المائية ... ولما كان بيكون شديد العناية بالإكثار من جمع المشاهدات والإسراف فى عمل التجارب رغبة فى تمكين البحث ، وعدم التسرع فى استنباط القوانين العامة من الجزئيات القليلة ، فقد رأى أن يوفد بيت سليمان فئة من العلماء بين الحين والحين ، يجوبون البلاد الأجنبية ، ويرتادون الآفاق النائية فى طلب المشاهدات ، وجمع الكتب وكتابة التقارير عما يصادفهم من غريب الظواهر ، وبذلك ترقى العلوم ويتيسر لأهلها أن يفهموا الطبيعة على وجهها الصحيح ، لا اقتصاراً على فهمها ، بل توطئة لبسط سلطانهم على ظواهرها ، واستغلال سيادتهم لها ، فى الانتفاع بها والإفادة من مواردها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وبذلك يرقى المجتمع وينهض أفراده . وقد جره هذا التصور إلى أن يَكِل حكم المجتمعات إلى العلماء والفلاسفة الذين لا يقنعون بالاطلاع على ما تحويه بطون الكتب ، وإنما يولون جهودهم شطر الطبيعة ليجمعوا منها المشاهدات توطئة لاستغلال

فهمهم لها فى ترقية المجتمع والعمل على تطوره إلى الكمال

تلك صورة مصغرة لهذا المجتمع المثالى الذى يتحقق فيه الكمال الإنسانى فيما بدا لبيكون . ولم يكن هذا التصور غريباً على العصر الذى دوّنت فيه هذه الصيحة ، فقد اتجهت فيه أنظار أهل العلم والأدب والفن إلى الطبيعة ، وراح كل يعبر عنها بطريقته وفى حدود منهجه ، واهتم العلم بالسيطرة على ظواهرها أملاً فى استغلال مواردها ، واتقاء شرورها ، وملأ الحياة الإنسانية بالخير والهناءة . وقد تساءل « كامبانيلا » — معاصر « بيكون » — فى مجتمعه المثالى عن موقف الإنسان الجديد من الرقيق ، وانتهى إلى القول بأن مخترعات العلم الحديث ستوفر للناس وقتهم ، وتغنيهم عن الرقيق والعبيد ، وتجعلهم سادة للطبيعة ، وتملأ حياتهم بالسعادة ...

تلك هى النزعة التى شاعت فى أوربا أواخر عصر النهضة ، وهى قائمة على الأمل الباسم فى قدرة العلم على تحقيق السعادة للناس . وقد مكّن لهذه النزعة بيكون فى مستهل القرن السابع عشر ، ودفعها إلى العصور الحديثة ، فانطلقت إبانها تسعى حثيثة حتى خابت فى العلم آمال الناس ، وتحرر العلماء من ذل الأغراض — على نحو ما عرفنا فى مقالنا السالف —

والآن بعد أن قطع العلم هذه المراحل الطويلة فى تحقيق الغاية التى كان يرجوها « بيكون » وأشياعه ، نرى من حقنا — وقد اندلعت نار الحرب وراح العلم يقدم لها الوقود — أن نتساءل عن مدى ما حققه العلم من الكمال ، ومبلغ ما أسبغه على الناس من نعم . وليس هذا السؤال بجديد فى تاريخ الفكر ، فكثيراً ما تردد فى أبحاث الأدباء والفلاسفة ، واختلفت فى الإجابة عليه وجهات النظر . ولقد ذهب بعض الذين تناولوا بالبحث هذا الموضوع إلى الطعن فى العلم وما يترتب عليه من ألوان الحضارة والمدنية ، والدعوة إلى العيش على مقتضى الإلهام الطبيعى البسيط ، وقد نادى بهذه النزعة فى القرن الثامن عشر «جان جاك روسو» ، ولم يقصر هجومه على العلوم الطبيعية وحدها ، وإنما تجاوز آفاقها إلى الطعن فى العلم بأوسع معانيه ، فشملت غارته الآداب والفنون كذلك ، فلنعرض — فى إيجاز — حلمه الذى كان يرى فيه تحقيقاً لسعادة الناس ، وسنرى بين آرائه وآراء « بيكون » هوة سحيقة القرار :

٤ — السعادة عند روسو :

مات لويس الرابع عشر فماتت معه الملكية المستبدة القادرة فى فرنسا ، واستأسد من كان بالأمس ذئباً ، فاسترد الأشراف نفوذهم ، واستماد الكتاب والشعراء حريتهم ، وتأهبوا لتحطيم الإيمان الدينى الذى جاهد أسلافهم لتدعيمه زُلفى إلى الملك الديّن المستبد . وشاعت اللادينية فى فرنسا ، وكانت تعانى من حروب أنقضت ظهرها ، وفاقة أحرجت صدرها ، وترف يهد من كيانها فتدهور نفوذ الملك ، وانحل سلطان الدين ، ومال المفكرون إلى تمجيد العقل ، معلنين التمرد على كل قديم . وفى هذا الجو نشأ «جان جاك روسو» شريداً بائساً ، حَيِيًّا مسرفاً فى الحياء ، لا يحسن عشرة الناس ولا يألف المجتمعات ؛ يعشق الطبيعة ويجد فى رحابها مسرحاً لخياله الوثاب ، لم يوهب العقل الخالق الممتاز ، ولكنه أوتى القدرة على التعبير الملىء بالقوة والحرارة والإيمان ، فنصب نفسه لمحاربة الإلحاد بالطعن فى العقل والمدنية وتمجيد القلب والفطرة ، بعد أن أخفق « بيركلى » فى نصرة الإيمان الدينى بإنكار المادة ، والاقتصار على الاعتراف بوجود العقل — أو الروح — وتهيأت له فرصة الإعلان عن رأيه ، حين طرحت أكاديمية « ديجون » على الكتاب مسابقة عن أثر العلوم والفنون فى صلاح الأخلاق أو فسادها ، فتقدم « روسو » للاشتراك فيها ، وقد وطن العزم على الطعن فى العلوم والفنون ، وبيان ما يترتب على انتشارها من سيّئ الآثار ، وتوالت بعد ذلك حملاته وإلى القارىء الكريم خلاصة رأيه :

تحدث « روسو » عن الرجل البدائى الذى يعيش فى أحضان الطبيعة ، بسيطاً هانئاً ببساطته ، جاهلاً قانعاً بجهالته ، مسترسلاً على فطرته وطبيعته ؛ ثم قارنه برجل المدنية الفخور بعلومه ، المزهوّ بفنونه ، الغارق فى حياته المعقدة ، وانتهى من هذه المقارنة بترجيح الأول على الثانى ، مؤيداً رأيه بمُثل استقاها من تاريخ المصريين واليونان ومن إليهم . فمصر المجيدة التى كانت مدرسة الدنيا بأسرها ، ما كادت تصبح أم العلوم والفنون ، حتى أغار عليها قمبيز ، وأعقبه اليونان والرومان والعرب والأتراك على التوالى ، فهبطت إلى الهوان على سلم صيغت درجاته من علم وفن . وكذلك يقال فى غيرها من كبرى الأمم ، والتاريخ شاهد

عدل على صدق مانقول، فتى نشأت الفلسفة تدهورت الأخلاق، وأنىّ ظهر العلم اختفى الشرف ، وليس الرجل المفكر إلا حيواناً فاسد المزاج مناقضاً للطبيعة ، فالفكر وكل ما أبدعه من ألوان المدنية والحضارة تمرد على إلهام الفطرة ووحى الطبيعة ، ومن هنا نشأ شقاء بنى الإنسان ،.فالإنسان الأول خيِّرٌ بطبيعته ، طيب بفطرته ، قانع ما وجد اللقمة التى يسد بها رمقه ، والخرقة التى يستر بها عورته ، والمرأة التى يقضى معها حاجته ، ومتى انقضت حاجته ، فقد انطفأت رغبته ، فإذا ولدت المرأة تمهدت طفلها بالرعاية كما تفعل أنثى الحيوان التى لاتعرف إلا إلهام الطبيعة الرحيمة ، فإذا شب الولد فى ظل هذه الرحمة الطبيعية تكفل بحياته ، شأنه شأن سائر أنواع الحيوان ، وعاش متساوياً مع رفاقه يتبادلون المحبة والوئام والإخاء ، لايزهو أحد على أقرانه بعلم ولا مال ، وبهذا كانوا سعداء ، ثم تمردوا على إلهام الطبيعة ، وخضعوا لإملاء العقل ، فأدركتهم المدنية بعلومها وفنونها ، وسرعان ما طاردت النعيم الذى عاشوا فى رحابه ، وسلبتهم باسم النظام ما كانوا يتمتعون به من ألوان الحرية ، وميزت بعضهم على بعض فجعلت منهم أغنياء وفقراء ، وسادة وعبيداً ، فكان هذا مبعث الداء وأصل الشقاء .

ولقد كانت الإنسانية تنجو من الجرائم البشعة والحروب الدامية التى ارتكبت فى سالف أيامها من جراء الطامع ، لو أن أول من أحاط قطعة أرض وقال : هذه مِلكى — قد وجد رجلاً شهماً يتقدم إلى هذه الأرض فيحطم السياج الذى أحاط بها ، أو يردم الخندق الذى التف حولها ، ويصيح فى قومه : أيها الناس حذار أن تصدقوا هذا الكذاب الأشِر ...

وما من دواء لهذا الداء إلا الرجوع إلى أحضان الطبيعة ، ورياضة القلب والاعتماد على الفطرة وإهمال العقل وما يترتب عليه من ألوان العلوم ومظاهر المدنية والحضارة

تلك صورة مصغرة للكمال الذى يحلم به « روسو » فى القرن الثامن عشر ، وهى على خلاف ملحوظ مع الكمال الذى يحلم به بيكون فى القرن السابع عشر . ويعنينا من هذا أن « روسو » يهاجم العقل وكل ما يترتب عليه من علم ومدنية ، ويرجو لو عاد الناس إلى حضن الطبيعة ، وعاشوا سعداء بما هم عليه من قناعة وجهالة . أما « بيكون » فيرى الكمال ماثلاً فى إنسان قد مكنته قوى العقل وتجارب العلم من إخضاع الأرض والسماء والماء لسلطانه ، فأحسن استغلالَها لمصلحة المجتمع الإنسانى ، وتحقيق السعادة لأبنائه ، فنى مدنية العقل الناجح فى إخضاع الطبيعة للانسان ، يكمن الكمال عند بيكون ، فأى المذهبين أبعد عن الخطأ أو أدنى إلى الصواب ؟

٥ — مناقشة روسو وبيكون

ينبغى أن نعترف إنصافاً لروسو بأن آراءه قد صادفت هوى من نفوس قرائه ، وأنها سمت إلى قلوب الكثيرين منهم وهيمنت على عواطفهم ، وكان لها بالغ الأثر فى قيام الثورة الفرنسية بعد ذلك ، وكان من آثارها أن حادت بالأدب عن العقل واتجهت به نحو العاطفة ، وجعلت السيدات فى صالونات الأدب يسرفن فى التزام الظهور بما يدل على الشعور الرقيق والقلب الرحيم ، دون العقل الراجح والفكر المتزن ، وربما كان لها أثرها فى انتعاش الشعور الدينى عند القراء

ولكن آراء «روسو» مع هذا حافلة بالأخطاء — فيما يلوح — والمثل الأعلى الذى ينشده عسير التحقيق ، ولو تحقق لما أقام الناس عليه طويلاً ، ولعادوا إلى المدنية راضين أو كارهين ، فإن العقل من شأنه التفكير المتواصل ، وليس فى وسع قوة فى الأرض أن تقيد عقول الناس ، وتحرمها نعمة التفكير دواماً ، وذلك وحده كفيل بتحقيق التطور الذى يرفع الإنسان من حالة الفطرة إلى مستوى المدنية ، وروسو يقاوم أموراً يتصل بعضها بما يترتب على الغرائز من آثار ، يطلب محو الملكية ، والتزام القناعة ، وعدم التقيد باختيار امرأة بعينها ، ويزعم أن الناس بطبيعتهم أخيار أطهار ، ويبنى على هذا الأساس الخاطئ نظرياته التى ثبت اليوم بطلانها — كالعقد الاجتماعى مثلاً — تلك كلها أحلام عسيرة التحقيق ، وقد نادى ببعضها أفلاطون فى جمهوريته ، وحسبنا أن نكشف عن ضعف نظرته إلى علاقة الرجل بزوجته ، بتجربة نرويها كما نذكرها الآن : يقال إن تجربة أجريت على طائفة من القِرَدة العليا لمعرفة نظام الزواج الراهن ومدى انطباقه على الطبيعة البشرية — كما أذكر الآن من أمر هذه التجربة — فجمعت القردة ذكوراً وإناثاً ، وأتيح لها أن تعيش فى مكان واحد ، فلوحظ بعد فترة من الزمن أن كل قرد قد اختار له أنثى بعينها والتزم عشرتها ،

وتولى الذود عنها إزاء كل فرد يفكر فى الاعتداء عليها ، وكذلك كان موقف الإناث من ذكورها مع فوارق بسيطة ، فانتهى الحال إلى ما يشبه النظام الذى شرعته الأديان وأقرته الدنيات . وإذا صح هذا مع الحيوانات العليا فأحرِ به أن يكون صحيحاً مع بنى الإنسان . ومثل هذا يقال فى بقية الآراء التى خلفها لنا « روسو » وذلك – فيما يلوح – أظهر الفوارق بينه وبين « بيكون » فإن الكمال الذى يحلم به بيكون سهل التحقيق ، وليس فيه مقاومة لغرائز الناس أو ما يترتب عليها من آثار . . .

ثم أى سعادة تلك التى يحتمل أن يشعر بها الرجل المتوحش الذى يعيش على إلهام الطبيعة ووحى الفطرة ؟ إن « روسو » يتغنى بما يتمتع به هذا الرجل من ألوان الحرية ونعيم الجهالة ، ويشفق على المتمدين من القيود التى يكبل بها باسم النظام والدنية ولكنه نسى أن هذا المتوحش يعيش فى أسر ذليل ، تستعبده الأوهام ، وتُذله الخرافات ، ويزعجه الخوف من كل شىء حتى من نفسه ، ثم لا يشعر بعد هذا بالسعادة التى يحلم بها « روسو » حتى إذا عاش فى غمرتها ، ذلك لأن الشعور بالسعادة يتوفر لأصحابه إذا مروا بدورين: أولهما سلبى وهو انتفاء الشعور بالشقاء، وثانيهما إيجابى وهو الشعور بالسعادة . أما الحالة الوسط التى يعيش فيها الرجل المتوحش، فينتفى عندها الشعور بالشقاء والسعادة معاً، فإنها ليست من السعادة فى كثير ولا قليل ، ومن هنا يظهر بطلان الدعوة التى بشر بها « روسو » وعبر عنها « المتنبى » بقوله :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله   وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

ذلك وجه الخطأ فى مهاجمة العلم وما يترتب عليه من آثار المدنية ، والدعوة إلى الطبيعة وتوهم السعادة فى ظلها . وقد تردى روسو فى هذا الخطأ لأنه عاش فى بيئة أنهكتها الأمراض والعلل ، بالإضافة إلى فشله فى عشرة الناس ، وعدم ملاءمة طبيعته للمجتمعات ، ولهذا أصاب فى التمرد على أخطاء بيئته ، ولكنه أخفق فى علاجها إخفاقاً بيناً . ولعل « ڤولتير » كان على حق حين قال ساخراً منه : « لو أن الناس أصاخوا لآرائه ، لسرهم أن يمشوا على أربع . . . ! »

وقد عاش بيكون فى بيئة عقلية يعوزها الاستقرار ، فعرف داءها وشخص الدواء الذى يقتضيه علاجها ، وقد نجد ما تؤاخذ به بيكون فى تشخيص الدواء أو فهم الداء ، ولكنك لا تملك إلا الاعتراف بتوفيقه ، وقد انقضى على موته نحو ثلاثة عشر قرناً وثلاثة عشر عاماً ، وحققت الأيام الكثير من آماله ، فأصاب العلم نجاحاً فى أكثر الميادين ، وعرف الإنسان كيف يعالج الطبيعة ، ويتغلغل إلى فهم أسرارها ويعرف العلل الكامنة وراء ظواهرها والطرق التى تمكنه من استغلالها على أكمل وجه والانتفاع بها إلى أقصى حد ، فقهرها على ظهر الأرض وفى أعماق البحار وفى أجواز السماء ، وكاد يحيل المكان والزمان اسماً على غير مسمى . . . ! إنه ينصت اليوم فى مصر إلى توقيع الموسيقى فى أمريكا ، ويستطيع أن يتبادل الحديث وهو جالس إلى مكتبه مع أصدقائه أو عملائه فى أقصى بقاع الأرض طرا ، وتلك هى السيادة الموفقة على الزمان والمكان . . .

ولكن هل حقق هذا كله شيئاً من سعادة الناس ؟ لقد أسفر نجاح العلم عن اختراع الغازات السامة والقنابل المحرقة والمدافع المدمرة والنواصات المغرقة ، وسائر وسائل التدمير والتخريب ، مما يسمع الناس صدى التهديد به فى أيامنا الراهنة ، فتهد قواهم وتنهك أعصابهم وهم بعيدون عن غمرة القتال . والظاهر أن « بيكون » لم يقدر هذه النتيجة الرهيبة ، فقد جعل من مظاهر التقدم فى مجتمعه المثالى ، أن يتجنب الحروب ويتقى شرورها ، وذلك بألا ينتج إلا ما يستهلكه ، ولا يستهلك إلا ما ينتجه .. !

على أن هذه النتيجة التى انتهينا إليها من النظر فى الأثر الذى يترتب على الدعوة إلى تقدم العلم ، قد رد عليها دعاته فقالوا إن العلم الذى اخترع ما استغله البعض فى غير صالح الإنسان ، هو نفسه الذى اخترع ما يقى الإنسان هذا الشر الطارئ . اخترع الغازات السامة وقدم للناس الأقنعة الواقية . اخترع الطائرات الحربية بقنابلها المحرقة وأعد المدافع المضادة لمقاومتها . وكلما أظهر للمجتمع خطراً جديداً تولى وحده مقاومته ووقاية الناس من ضرره . . .

ولكن أصحيح أن المجتمع الإنساني قد أمن بهذا شر المخترعات الحديثة ؟ أصحيح أن الناس الآمنين فى بيوتهم لن تصيبهم الغارات الجوية بعد اليوم بسوء ؟ ذلك ما نجيب عنه وحشية

الحروب فى وقتنا الحاضر ؛ على أنا نقول إنصافاً للعلم وأهله إن ما نتصوره ضاراً بالمجتمع الإنسانى قد يكون كبير النفع من جوانب أخرى ، وما نراه فى الحروب عدواناً وحشياً ذميماً فيه قضاء على النفوس البريئة والأموال الطائلة وحضارة الأجيال الماضية ، قد يعتبر شراً لا بد منه تقضى به حياتنا ومثلنا العليا . ومن المفكرين الذين درسوا المجتمع فى تطوره إلى الكمال وانحداره إلى الاضمحلال من اعتبر الحرب نعمة والسلام الدائم نكبة على أصحابه . ثم إن عدوان القوى على الضعيف عند بعض المفكرين حق تبيحه القوة أو يبرره التفاوت فى المدنية ، وذلك بالإضافة إلى أن القتال فى أصله غريزة لم يلدها العلم وإنما اقتصر على تغذية نارها ، فإن كان أثر العلم فى وحشية الحروب سيئة عند بعض القراء فهو حسنة عند غيرهم من المفكرين ، لأنه يعجل بنهاية الحرب وينقذ الناس من شر أنبائها ، بالإضافة إلى الميزات التى يكسبها الناس من وراء الحروب ...

على أن من التجنى أن يحمل العلم تبعة هذه الاتهامات التى عرضه لها بيكون يوم ربطه بصالح الإنسان ، فقد ألقى العلم عن عاتقه هذه التبعة الخطيرة يوم حرر نفسه من ذل الأغراض — كما أبنا فى مقالنا السالف —

على أن من الخير أن نقول إن السعادة — إن صح أنها مرادف لكمال الإنسان — لا تعيش فى آثار العلم والمدنية ، ولا تقيم فى أحضان الطبيعة والفطرة ؛ ولكنها تعيش فى قلب الإنسان يحملها معه أنى ذهب ولا يستطيع أن يفارقها أو يستدعيها تبعاً لظروف الزمان والمكان ، وهى بعيدة عنه دائماً إن كان بينها وبينه جفاء طبيعى ولده مزاجه أو أسفر عنه خطأه فى النظر إلى الحياة ، فمن الناس من وُهب القدرة على أن يستمد من الشقاء الذى يكتنفه شعوره بالسعادة ، ومنهم من يتخذ من مباهج الحياة وأفراحها أسباب اكتئابه وشقائه . فالسعادة فن يفيد نعمه أكثر الأشقياء الذين قد لا تنطوى حياتهم على سبب واحد يبرر الشعور بالشقاء ! وما يقال فى الفرد ينسحب على الجماعات ...

توفيق الطويل

من بغداد ... الى كركوك

وداع بغداد!

للأستاذ على الطنطاوى

الوداع يا بغداد ...

يا بلد المنصور والرشيد، والنعمان وأحمد، والكرخي والجنيد، وأبي نواس والعباس، ومخارق وإسحق، ومطيع وحماد ...

يا منزل القواد والخلفاء، والمحدثين والفقهاء، والزهاد والأتقياء، والمغنين والشعراء، والمجان والظرفاء ...

يا مثابة العلم والتقى، واللهو والفسوق، والجد والغنى، والفقر والخمول ... يا دنيا فيها من كل شيء

الوداع يا دار السلام، ويا موئل العربية، ويا قبة الإسلام

يا بلداً أحببته قبل أن أراه، وأحببته بعد ما رأيته . . .

لقد عشت فيك زماناً مرّ كحلم النائم، صحوت منه على صوت الداعي يؤذن بالفراق، فلم أجد منه فى يدى إلا لمع الذكرى

وهل تخلف الأحلامُ يا بلدُ إلا الأسى والآلام؟

ولكني على ذلك راضٍ راضٍ... فالوداع يا بغداد واسلمى على الزمان!

***

ودعتها والسيارة تشتد بى إلى المحطة تسلك إليها شوارع ذات بهجة وجمال، شبهتها (والمحطة غايتها) بليالى الحبّ كلها أنس وحلاوة، ولكن نهايتها وحشة الوحدة ومرارة الفراق. وعاينت الوداع، فأيقنت أنى مفارق بغداد عما قليل، وأنى سأتلفت فلا أرى رياضها ولا أرباضها، ولا أبصر دجلتها ولا نخيلها، فجرى لسانى بقول الأول (وإن من الأقوال ما لا تبلى جدّته ولا يمضي زمانه):

أقول لصاحبي والعيس تهوى ... بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار
شهور قد (مضين) وماشعرنا ... بأنصاف لهن ولا سرار
فأما ليلهن فخير ليل ... وأطيب ما يكون من النهار

وجعلت أذكر كم ودعت من أحباب، وكم فارقت من منازل، وكم قطعت قلبي قطعاً نثرتها فى أرض الله الواسعة التى لا تحفظ ذكرى، ولا ترثى لبائس، ورأيتني لا أكاد أستقر فى بلد حتى تطرحنى النوى فى آخر، كنبتة لا تكاد ترسخ فى تربة وتمد فيها جذورها حتى تقلع وتنقل إلى تربة أخرى ... ورأيت أنى دخلت بغداد يوم لم يكن قد جاءها أحد من أصحابى فلبثت فيها وحيداً مستوحشاً، لا أعرف منها إلا المسجد، وما كان لمسلم أن يرى نفسه غريباً فى بلد فيه مسجد، ولكنها العاطفة الضعيفة المتهافتة، فلما ألفتها وصارت بلدى، وغدا لها فى قلبي مكان نفيت عنها ...

دخلنا كارهين لها فلما ... ألفناها خرجنا (مكرهينا)

وفكرت فى أمرى متى ألقى رحلى، ومتى أحل حقائبى؟ وهل كتب علىّ أن أطوّف أبداً فى البلاد، وأعيش غريباً وحيداً بعيداً عن أهلي وكتبي وصحبي؟ وهاجت فى رأسى الخواطر السود وماجت حتى لقد رأيت الشوارع الحالية بالزهر صحراء مجدبة، ورأيت شعاع القمر المضيء أظلم خابياً ...

ومن طوّف تطوافى، وأقبل مثلى على بلاد ما لها فى نفسه صورة، ولا له فيها صديق، وفارق أهلاً إليه أحبة، وصحباً عليه كراماً، وكانت حاله كحالى، عرف صدق مقالى!

***

وصفّر القطار وسار، وطفقت ألوّح بمنديلى لصديقىّ الأثيرين أنور وحسن حتى داراهما عنى الظلام، فنظرت حولى فإذا أنا وحيد فى العربة الفخمة، لا أنيس ولا جليس، فكرّ فكرى راجعاً إلى بغداد ...

بغداد، يامهد الحب، يولد الحب على جسرك الذى تحرسه (العيون)، وينمو فى زوارقك ذات الأجنحة البيض التى تخفق كخفقان قلوب راكبيها، ويشب فى كرخك وتحت ظلال نخيلك فتشوا كم تحت الثرى من بقايا القلوب التى حطمها بسهام (العيون) هذا المخلوق الجبار الذى ولد على الجسر شاباً، ونما فى الزورق، واكتهل فى الكرخ، ثم لم يمت لأنه من أبناء الخلود

سلوا أرض بغداد: أعندها خبر من شهداء الغرام؟

سلوا جوّ بغداد: أين النغمات العذاب التى عطرت نسيمه بعطر الجنة، فهزت قلوباً، وهاجت عواطف، وأضحكت وأبكت، وأماتت وأحيت؟ هل أضعت ويحك هذه الثروة التى لا تعوّض؟

سلوا الجسر ... يا (جسر بغداد) إن ما بقى من حديثك قد ملأ كتب الأدب، حتى لم يعرف الناس سوقاً للعواطف والأفكار والعبر أكبر من جسر بغداد، فأين سائر أخبارك؟

كم ضممت ذراعيك على عشيقين فنما بينهما بلذة الحب ! وكم تركت حبيباً ينتظر فلا يرجع بعد الانتظار إلا بالخيبة والأسى ! وكم عطفت على بائس منكود ، وأعرضت عن منكود بائس ، فأريت الأول من مشاهد الحياة ما هوّن عليه ما هو فيه ، وزدت الثاني بؤساً ونكداً ؟ وكم وعيت من أسرار الحب والبغض والفرح والحزن ، والغنى والفقر ، والعزة والذل ، وكل ما تحتوي الحياة وتشمل النفس من ألوان ؟ كم رأيت من حصاد الأدمغة وثمرات القلوب ؟ كم مدت تحت أقدام خليفة كانت تصغى له الدنيا إذا قال لأنه ينطق بلسان محمد ، وقائد كانت تخضع له الأمم إذا سار لأنه يلوّح بسيف محمد ؟

يا (جسر غازى) الجديد ، الهائل العظيم ، أعندك نبأ من ذلك الجسر الذى كان عالماً من العوالم ؟ والذى كان سُرّة الدنيا وقطب رحاها ؟ وكان للجدّ إذا جدّ الجدّ ، وللهزل إذا جاز الهزل ، فحوى المجد من أساسه ، وجمع المتعة من أطرافها ؟

* * *

وهذه المنارة المنحنية المائلة فى (سوق الغزل) تنظر بعينى أم ثكلى . . . سلوها أين مسجدها الذى كان يضيق على سعته بالمصلين ، حتى تمتد الصفوف إلى الشارع ثم تتتالى حتى تبلغ النهر(١) ؟ أين أولئك العلماء الذين أترعوا الدنيا علما ، وملأوا آفاق الأرض نوراً وهدى ؟ أين مواكب الخلفاء حيث . . .

الخيل تصهل والفوارس تَدّعى والبيض تلمع والأسنّة تزهر

ومشيهم فى رحاب بيت الله . . .

. . . مشية خاشع متواضع لله لا يزهى ولا يتكبر

أين فرسان المنابر وأبطالها ؟ أين جيران المحاريب وجلاّسها ؟ أين . . . أين . . . ؟

يا أسفى ! لقد سرق المسجد ، وهدم المنبر ، وضاع المحراب ، ولم تحفظ الحجارة يا بغداد مآثرك ومصانعك ، ولا وعت الأرض ذكريات حبك ، ولا أبقى الجوّ رنات عيدانك . . . أفلا حفظتها قلوب أقسم أصحابها أنهم ذاكرو عهدك وأنهم مرجعو مجدك ؟

فأين مسجد بغداد الجامع يا مديرية الأوقاف ؟ أين المسجد يا إدارة الآثار ؟ أين المسجد يا من تخذتم المسجد بيوتاً ودكاكين وتركتم المنارة منحنية عليه تبكى !

أين المدرسة النظامية يا من أقمتم على أنقاضها سوق الشورجة لتبيعوا فيه البصل والثوم — وقد كانت تباع فيها حيوات العلماء وعصارات عقولهم وقلوبهم ؟ . . .

لا تحزنى يا بغداد واصبرى فإن كل شىء يعود ما بقى فى القلب إيمان ، وفى الفم لسان ، وفى اليد سنان

* * *

وتلفت ورائى فإذا بغداد قد اختفت وراء الأفق . . . وغابت مسارب الأعظمية التى تحاذى النهر ، تتكشف تارة فتضىء ثم تختفى فى ظلال النخيل كشاعر منفرد يتأمل ، أو محب معتزل يناجى طيف الحبيب ، ويسامر ليالى الوصال التى تلوح له صورها . . . والنهر يطلع عليها مرة بصفحته البيضاء المشرقة التى تشبه أمنية بدت لحالم ، ثم يحجبه عنها النخيل ، ويمحوه الظلام كما تمحو الحياة بواقعها الأحلام وتطمس صور الأمانى . . . وغابت شوارع الصالحية ذات الفتنة والجلال وغابت المآذن الرشيقة ، وغابت القباب . . . وبقيت أنا والماضى !

هذا الماضى الذى طالما قاسيت منه ، وطالما كابدت . . . ثم كلما أوغلت به انحداراً فى أعماق نفسى ودفنته فى هوة الذكرى وقلت مات ، عاد حياً كاملاً تثيره نغمة وتهيجه صورة ويبعثه بيت من الشعر . . . فيبعث بحياته آلامى . . .

غابت بغداد ، فسلام على بغداد ، واشهدوا أنه ما بعد دمشق بلد أحب إلىّ من بغداد ، ولا بعد العتابا نغمة أوقع فى قلبى من الأبوذية ، ولا بعد الحور شجر أجمل فى عينى من النخيل ، ولا بعد بردى نهر أعز على نفسى من دجلة . . .

أستغفر الله ! إلا حَرَم الله ومدينة نبيّه ، فهما والله أحب البلاد إلىّ ، وماؤهما ألذ الماء فى فمى ، وشجرهما أبهى الشجر فى بصرى . . .

السلام عليك يا بغداد ولو نفيتنى عنك إلى كركوك ، وعلى ساكنيك السلام . . .

(ثانوية كركوك) على الطنطاوى

(١) كذلك قال التاريخ

هل يقرأ الفنان هتلر

الدم والحـــديد

رواية فى فصل واحد

بقلم بيرلى بورشهان وروبت دافيز

ترجمة الأستاذ عبد اللطيف النشار

أشخاص الرواية :
(الامبراطور غليوم الثانى . وعالم ألمانى وجندى مرقع من مشوهى الحرب)
المكان : (قاعة العرش)
الوقت : (فى مساء عيد ميلاد الامبراطور غليوم مدة الحرب الكبرى)

الامبراطور — (يدخل فيعتلى العرش)

العالم — (يحمل حافظة فيضعها على منضدة ويبتسم ويفرك كفيه) مولاى ! إن الهيبة تعقد لسانى



الإمبراطور — إن وقتى محدود، فولىّ العهد فى انتظارى

العالم — (متحمسا إلى درجة الارتعاش) مولاى ! إن الهدية التى أقدمها إلى جلالتكم بمناسبة عيد ميلادكم الإمبراطورى لهى أثمن الهدايا لأنها تعنى أن فى الإمكان إعادة مليون من الجنود المشوهين إلى صفوف جيشكم، وتعنى أن الجيش الألمانى أصبح قوة مخيفة

الإمبراطور — (فى اهتمام) هذا كلام عام

العالم — (وقد لاحظ أن الامبراطور يبدى حركة عنيفة دالة على أتم الاستعداد للاصغاء) إننى سأخصص يا مولاى . إن أهم عنصر من عناصر الإتقان ألا نترك شيئاً يفقد بغير جدوى. وقد جعلت همى فى أمر اليوم أن أرد إلى الجنود المصابين ما فقدوه بسبب الحرب . وقد نجحت

الإمبراطور (وقد بدا عليه الاغتباط) — كيف ذلك ؟

العالم — بعد تجاريب متعددة أصبح فى وسعنا أن نأتى بأى جندى كائنة ما كانت درجة إصابته فنعيده إلى الصفوف أقوى مما كان ... نعيده لا إنساناً ضعيفاً سريع القابلية للفناء ، بل آلة قوية باطشة

الامبراطور — (ضاحكا) كلام حماسى ولكنه غير مقنع ، فهات الدليل



العالم (فى لهجة دالة على الصدق والاخلاص) — لقـــد توقعت يا مولاى هذا الشك فجئت معى ...

الإمبراطور (مقاطعا) — بماذا ؟ بنموذج ؟

العالم — نعم يا مولاى بنموذج حى آلى فى غرفة الانتظار

الإمبراطور (متعجلا) — إيت به ، إيت به

العالم — مولاى ، أستميح عفوكم فإن منظره غير سار

الإمبراطور — هذر ! كل ما يؤدى إلى الاحتفاظ بالقوة جيل

العالم (وقد بدا عليه الابتهاج) — هل لى .... ؟

الإمبراطور — أسرع !

العالم (يفتح الباب ويخرج وهو ينادى بلهجة عسكرية) — انتباه! إلى الأمام ؟

(وهنا يسمع صليل وجلجلة كصوت حديد يتحرك ، ويدخل الجندى رقم ٢٤١ كما تمشى أية آلة ميكانيكية فلا ملاحظة لشىء ولا اختلاف بين الخطوات ، حتى إذا ما صار فى وسط القاعة ناداه العالم أن يقف فيقف)

العالم — لقد جربناه ٢٤١ مرة ومن أجل ذلك أطلقنا عليه هذا الرقم

(ويبدأ العالم فى الشرح ، وفى هذه الأثناء يحدق الامبراطور فيه وهو مفتون)

الامبراطور — هذه أحسن مشية عسكرية

العالم — هذه أقل ميزة له

(ثم يلتفت إلى الرقم ٢٤١ ويعرض يده الفولاذية ويأمره أن يفتح فمه فتبدو أسنانه الحديدية ويأمره باغلاقه فيسمع صوت الحديد ، ويأمره برفع يده اليمنى فيظهر ذراع آلى من الصلب وكذلك ساقه اليسرى التى يؤمر بتحريكها فيكون لها صليل . ويرى الامبراطور ذلك مبتهجا)

الامبراطور — هذا ترقيع فى نهاية الإحكام

العالم — ولكن كفايته زادت كثيراً بهذا الترقيع فهو الآن يتناول البندقية ويطلق المدفع دون أن يخشى سقوطه فى الميدان . إن يده معدنية فلا تعتريها رجفة ولا اضطراب

(ثم يلتفت العالم إلى الجندى المرقع ويأمره)

انتباه !

احمل السلاح !

سر إلى الأمام !

صوب إلى الهدف !

أطلق النار !

(ويقوم الجندى المرقع بكل ما يؤمر به والامبراطور ينظر إليه وقد بدت عليه علائم الدهشة)

الامبراطور — هذا فوق ما كنا نحلم به

العالم — بهذه التجربة أصبح فى وسعنا يا مولاى أن نعيد إلى الجيش جميع العميان ومكسورى الأيدى والأرجل ومفقودى السمع

الامبراطور — هذا فوز عظيم للمدنية

العالم — هذا يا مولاى خراب تام للمستشفيات

الامبراطور — أنت عزيز لدينا يا أستاذ . إن العلم هو أمل الدولة

العالم — أتأذن يا مولاى بامتحان أذنه ؟

الامبراطور — بغير شك

(فيقف العالم خلف العرش ، ويدق بطرف ظفره دقات غير مسموعة ويسأل الأمبراطور)

العالم — هل سمعتم جلالتكم شيئاً ؟

الامبراطور — كلا

الجندى المرقع — سمعت ثلاث دقات عالية

(ثم يمشى العالم إلى المنضدة التى عليها حافظة أوراقه ، ويستخرج منها بطاقة صغيرة عليها كتابة بخط دقيق جداً ويسأل الأمبراطور وهو غير بعيد عنه هل يستطيع قراءتها فيقول الأمبراطور إنه لا يستطيع

ويعرض العالم البطاقة على الجندى المرقع من بعد فيقرأ الجندى : إن الشعوب هي الارادة وإن الحكم هو القوة

ويعرض العالم البطاقة على الأمبراطور فيتناولها ويقول : «قراءة صحيحة» ويعود العالم إلى مكان الحافظة فيضع فيها البطاقة ويلتفت إلى الأمبراطور ويقول) :

العالم — هـذا خير ما أداه العلم ؛ فقد استغل بقايا الإنسان المحطم الذى لا خير فيه . لنفسه ولا لأمته فأعاده كما ترون جلالتكم: يد من الصلب، ورجل من البرنز، وذراع من النيكل، ومفاصل من الأليومنيوم ، وعين تلسكوبية ، وأذن من مصابيح الراديو

(ويلتفت العالم إلى الجندى ويسأله) :

العالم — ماذا تسمع الآن ؟

الجندى — صوت بوق عال

الامبراطور — هذا مستحيل فإني لا أسمع شيئاً . افتح النافذة

(فيفتح العالم النافذة وينصت الامبراطور فيسمع صوتا ضعيفا هو صوت بوق من بعد)

الامبراطور (فى دهشة) هذا هو الكمال التام

العالم — هذا انتصار على المادة . إن الجندى الذى يسقط فى الميدان يصبح عالة على الأمة لا يصلح لشىء ، ولكن العلم يرد إلى الأعرج رجله وإلى الأبتر ذراعه، وإلى الأصم تلفونين فى جانبي أذنيه، وإلى الأعمى تلسكوبين تحت حاجبيه

ويلتفت الأمبراطور إلى الجندى المرقع ويسأله : « كم مدة خدمتك فى الجندية ؟ »

فيتقدم الجندى ثم يرفع يده بالسلام

العالم — أجب جلالة الأمبراطور

الجندى المرقع — ثمانية عشر عاماً يا مولاى

الأمبراطوار — وهل أنت متزوج ؟

الجندى — نعم يا مولاى

الأمبراطور — وهل لك أولاد ؟

الجندى — سبعة يا مولاى

العالم (متدخلا في الحديث) منهم خمسة ذكور يا مولاى

الجندى (في مرارة) — واحد مات وثلاثة في الميدان والأصغر سيتبعهم

الامبراطور — كم عمره ؟

الجندى (وهو يبلع ريقه كالنصال) — ستة عشر

الأمبراطور (إلى العالم) — ومتى يعود هذا الجندى إلى الصفوف ؟

العالم — في ظهر الغد يا مولاى

الامبراطور — متى عاد من الصفوف فإنى أحب أن أراه مرة أخرى وسأنعم عليه بالوسام المثلث الصلبان

العالم — أنتم ترون يا صاحب الجلالة أنه أصبح في وسعنا إرسال الجيش ومعه (قطع التغيير) أرجل من المدن، وأيد من البرنز، وأعضاء من النيكل، ومفاصل من الألومنيوم وعيون وآذان كهربائية، فعند أقل إصابة تستبدل بالأجزاء الهالكة الآدمية أجزاء قوية آلية . وهناك أصابع على حدة، وأكف مستقلة عن الأذرع، ومعاصم إلى دون الكوع

الامبراطور — وما وزن هذا الجندى ؟

العالم — ١٧٥ كيلو يا مولاى !

الامبراطور — وما وزن (قطع التغيير) التى أضيفت إليه ؟

العالم — مائة وخمسة يا مولاى ؟

الامبراطور (وهو يمسح جبينه بيده) — هـذا أكثر من وزن جسمه

العالم — هذا صحيح يا مولاى ولكن غذاءه الآن أقل من نصف ما كان يحتاج إليه . لأن الأجزاء الآلية في غير حاجة للغذاء

الامبراطور — لقد أهديت إلىّ أعظم ما وصلت إليه المدنية في تاريخها ، ولكن حدثنى عن العين التلسكوبية

العالم — هذه العين يا صاحب الجلالة فضلاً عن قوتها لها ميزة أخرى هى أنها ترى في الظلام

الامبراطور (وقد بدا عليه أنه لم يصدق) ترى في الظلام ؟

العالم — نعم يا مولاى ، وفضلاً عن ذلك ...

الإمبراطور (مقاطعا) صه ! إن هذا الأمر في غاية الخطورة

العالم — هل لجلالتكم اعتراض على تجربته في الظلام ؟

الإمبراطور (مترددا) — لا — وعندك زر الكهرباء، أغلق النافذة وأطفئ النور

العالم (للجندى ٢٤١) — التفت إلى جلالة الامبراطور . وسأطفئ النور (ثم قال للامبراطور) وتفضل يا مولاى بإبداء أية حركة فإن الجندى سيصفها

(ويطفأ النور فيبدى الامبراطور حركات ويطلب إلى الجندي وصفها)

الجندى — إن جلالته رفع يديه إلى أعلى ثم ضمهما . إنه أحنى رأسه إلى الأمام . إنه يصلى

الامبراطور (محتدا) — أسرع بإيقاد المصباح

العالم — هل اكتفيتم جلالتكم من التجربة ؟

الامبراطور (بحالة عصبية) — هذا فوق المدارك الإنسانية

ويوقد النور فيقف الامبراطور ويقول : هذه سعادة لا حد لها أهديتها إلىّ في عيد ميلادى يا أستاذ ! هـذا اختراع يعيد إلى جنسنا جدارة فوق كل جدارة (ثم ينزع وساما عن صدره ويضعه على صدر العالم) ويقول : هذا وسام الجدارة المرصع . هذا شارة الحق الإلهى . هذا الوسام الذى لم يتقلده غير الامبراطور أقدمه هدية إليك

العالم (يتقدم منزعجا فيقبل يد الامبراطور)

(في اللحظة التى يقبل فيها العالم يد الامبراطور تبدو على عينى الجندى نظرة غضب شديد وتفتر أسنانه المعدنية عن ابتسامة خفيفة مؤلمة ويعود الامبراطور إلى الجلوس)

الامبراطور — إننى في دهشة من قوته ومن حدة بصره فإلى أى مدى يرى ؟

العالم — في استطاعته يا صاحب الجلالة أن يرى العدو على بعد عشرين أو ثلاثين ميلاً وأن يعد ما لديه من المدافع والخيول والمعدات

الامبراطور (مسرعا) — انتظر فإنى سأقوم بتجربة أخرى. إننى أحمل في جيبى نسخة دقيقة الحروف من الكتاب المقدس ولا تمكن قراءتها إلا بالمكرسكوب. فهل ترى هذه التجربة صعبة؟

العالم — كلا يا صاحب الجلالة فهذه تجربة سهلة جداً

(ويتقدم من الامبراطور ويتناول منه الكتاب المقدس ثم يلتفت إلى الجندى رقم ٢٤١ ويقول :

التفات !

در يميناً !

(يلتفت الجندى ويؤدى التحية العسكرية)

العالم — إننى أفتح الكتاب المقدس حيثما اتفق — إقرأ من هذه الصفحة

الجندى — إنجيل متى . الإصحاح الخامس . الآية الرابعة : طوبى للحزانى لأنهم يتعزون . طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض

العالم (يلتفت إلى الامبراطور)

الإمبراطور — أصاب، فإنى أحفظ كثيراً من إنجيل متى

العالم — (يلتفت إلى الجندى) اطو هذه الصفحة واقرأ فى أخرى

الجندى — أشعيا، الإصحاح الثالث، الآية الخامسة عشرة. مالكم تسحقون شعبى وتطحنون وجوه البائسين . يقول السيد رب الجنود

الإمبراطور — صه ! (ويستند بظهره إلى الكرسي وقد بدا عليه الانفعال الشديد ويمسح جبينه بكفه مرات

ويتناول العالم الكتاب فيرده إلى الامبراطور فيضعه هذا فى جيبه ويقول إن قوته شيطانية . إننى أريد امتحانه على انفراد

العالم يمشي إلى المنضدة التى عليها حافظة أوراقه فيحملها)

الإمبراطور — أسرع وسأطلبك متى شئت بدق هذا الجرس

(وفى هذه الأثناء يظل الجندى واقفا مكانه وقد بدا على عينيه إصرار على عزم جديد

العالم — مره يا مولاى !

(ثم ينحنى ويخرج . ويظل الامبراطور يتأمل فى دهشة ولا يرفع بصره من الجندى ٢٤١ ثم ينزل بجلال عن عرشه ويمشي فى بطء نحو الجندى ويدور حوله ويفحصه ناقداً ممحصا . وهنا يبدو على الامبراطور فزع وخوف ويشعر بأن مركزه من هذا الجندى غير مأمون

الإمبراطور — أين مولدك ؟

الجندى — فى الجنوب يا صاحب الجلالة

الإمبراطور — ماذا كانت حرفتك ؟

الجندى (يبدى من غير إرادة حركة دالة على التبرم) — كنت زهاراً . (فيتامل الامبراطور فى أصابعه المدنية . ويفطن الجندى إلى هذه الملاحظة)

الجندى — لقد كنت أصنع باقات الورد ولكن بغير هذه الأصابع (ينحى الامبراطور وجهه عنه) بل بأصابعى المفقودة

الامبراطور — ليس فى الحرب حفلات تحتاج للزهور

الجندى — أستطيع ياصاحب الجلالة أن أصنع باقات للموتى

(ثم يميل نحو الامبراطور)

(يلاحظ الامبراطور لهجة تهكمية فى خطاب الجندى فيتظاهر بالغضب)

الامبراطور — ألست شاكراً فضل العلم على ما قام به نحوك من الإصلاح ؟ تكلم !

الجندى — ماذا أقول ؟

الامبراطور — لقد أصبحت إنساناً بعد أن شوهت . لقد استرددت ما فقد منك

الجندى — نعم يا جلالة الإمبراطور ولكن قلبى تحطم

الإمبراطور — لماذا ؟

الجندى — أهلى يموتون جوعاً . وزوجتى وحدها



الامبراطور — إذن فأنت غير مزهو بأن العلم وجد سبيلاً لمضاعفة جيشنا وتقويته ؟

الجندى : بماذا ؟ بتقديمى ضحية للموت مرتين ؟

الإمبراطور (يتكئ إلى الكرسى مستنداً إليه) — هذا جحود !

الجندى — بمضاعفتك قوة جيشك ضاعفت أحزان الإنسانية

(ويخطو خطوتين فى عنف نحو الامبراطور)

الامبراطور — أنت تفوه بكلمات ثورية فى حضرة الامبراطور بما اجترأت على قوله

الجندى — اجترأت ؟ إن الخوف قد ذهب من جسدى الممزق إلى جسدك أنت (ويمشى نحو الزر الكهربائى متثاقلا ليطفىء النور)

الامبراطور — اجث على قدميك ، واطلب الصفح من امبراطورك

الجندى — إن هذا الجسد الذى أصبح معظمه من الحديد لا يجثو أمام جسد معظمه من الدم . إننى لا أركع إلا لله الذى أطلب منه أن يغفر لى ما اعتزمت على اقترافه الآن . بل لا وزر علىّ فى إنقاذ العالم من روحك الطاغية. فالذى سأفعله هو لمصلحة الشعوب المرهقة . إن عيد ميلادك هذا هو عيد موتك وعيد مولد الحرية

(ويطفىء الجندي النور فيغمر الظلام المسرح)

الامبراطور (صارخا) — النور ! النور !

الجندى — لست فى حاجة إلى نور

الامبراطور (يشتد صراخه) — النور ! النور !

الجندى — لقد جعلتنى أعيش فى الظلام فت أنت الآن فى الظلام

الامبراطور — (وهو يكاد يختنق) الرحمة ! الرحمة !

الجندى — إنك لن تستطيع الإفلات منى . إننى أستطيع رؤيتك فى أحلك الحلك ، وأستطيع سماعك مهما خفت صوتك . تعال إلى اليد الحديدية التى تباهى بأنك صنعتها لى . لا ترتعش واذهب إلى ملك الملوك

(يسمع صوت جلجلة الحديد وصلصلته وتسمع أصوات من خارج القاعة ممتزجة بصرخات، وبصوت الأسنان الحديدية والأيدى والأرجل المدنية . ثم يسود الصمت مرة أخرى وتضاء الغرفة فيظهر الجندى ٢٤١ واقفا وأمامه الامبراطور ملقى على الأرض عند عتبة العرش ، ثم ينحنى الجندى على صدره فينتزع الوسام ويضعه على صدر نفسه

ويدخل العالم الذى كان مختبئا إلى الآن وراء الستار)

العالم (مذعوراً) — ما هذا ؟

الجندى (رافعا يده المعدنية إلى السماء صائحا بصوت كالرعد) :

« الدم والحديد ! »

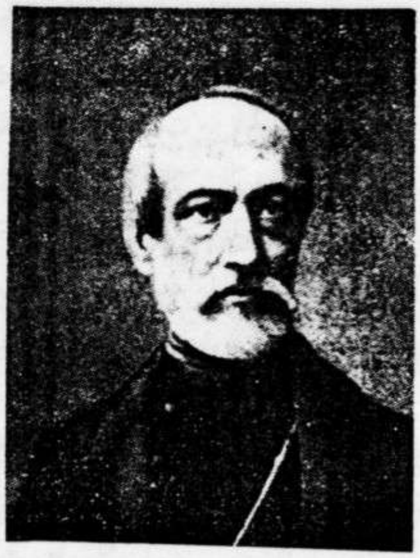
ستار

التاريخ فى سير أبطاله

مازيــــنى

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذى أبلى فى جهاده مثـل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف



لئن كان فى المجاهدين رجل أعوزه فى جهاده المرير كل سلاح فتسلح بإيمانه فحسب ومشى يهزأ بكل قوة حتى تغلب بذلك الإيمان وحده على جميع القوى التى غالبته ، وأثبت فى النهاية أن المثل العليا فى مختلف أوضاعها هى خير هاد للبشرية إلى ما تنشد من كمال ، فذلك الرجل هو يوسف مازينى رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذى أبلى فى جهاده مثل بلاء الأنبياء .

وما نجد فى الذين خلوا من قبله من المجاهدين والزعماء من كان مثله فى ذلك ؛ فهذه جان دارك الفتاة الناعمة على ما توافى لها من إيمان قد لبست الحديد واعتلت صهوة جواد وأقدمت يحف بها الجند وتلتمع من حولها السيوف ؛ وهذا وشنجطون الزعيم الشيخ قد خاض إلى النصر غمرات الحتوف على رأس الأمجاد البواسل من جنوده ؛ ثم هذا لنكولن المجاهد الصابر لم يجد بداً آخر الأمر من امتشاق الحسام ليصل به إلى ما لم تجد فى الوصول إليه وسيلة من الوسائل .

لذلك كان مازينى بدعاً من الزعماء ، وكان كفاحه فاتحة عهد جديد فى كفاح المغلوبين على أمرهم ، ثم كان جهاده مثالاً يحتذى كما كان صبره على ما لقى من الأذى ومجابهته حوازب الخطوب أحقاباً طويلة وحياً للمجاهدين من بعده يوحى البطولة إلى نفوسهم ويربط على قلوبهم ويحبب إليهم التضحية والفداء . ومن هنا كان خطر مازينى فى تاريخ الحرية ، ثم من هنـا كان أساس عظمته ومبعث قوته .

أما فى الذين خلفوا من بعده فقد نستطيع أن نضع إلى جانب اسمه اسم سعد فى مصر واسم غاندى فى الهند ؛ فلقد انتهج هذان البطلان منهجه عامدين أو غير عامدين ، إذ كان سلاح كل منهما إيمانه فحسب ، وكان ما تعرض له كلاهما من ألوان الخطوب بحيث يبوئهما بلا شك مكان كبار الأبطال ، كما كانت قضية كل منهما قضيته وإن اختلفت الظروف وتباعدت الأيام .

***

ولد يوسف مازينى فى جنوه فى اليوم الثانى والعشرين من شهر مايو سنة ١٨٠٥ ؛ وكان أبوه طبيباً يتمتع بقسط من الشهرة فى تلك المدينة ، وكان رجلاً رقيق الحاشية ، عطوفاً حتى ليمد يد المساعدة أحياناً إلى المرضى دون أجر ، وإن كان يعنف فى بعض الأحيان على أسرته ويريها شيئاً من الغلظة والتحكم . وكانت أمه امرأة صالحة قانتة قوية الخلق ذكية الفؤاد ، ولقد ورث الصبى هذه الخلال فيما ورث من أمه فكان أكثر شبهاً بها منه بأبيه .

ونشأته هذه الأم قوياً ، فلقد كانت تعنى أشد العناية بإعداد أبنائها لملاقاة مصاعب الحياة يوم يجابهون الحياة ؛ ودرج الصبى فى عصر كان ينذر بجسيمات الأمور ، عصر كانت البلاد فيه أشد ما تكون حاجة إلى أولى الفطنة والعزم من الرجال ؛ وراح يستقبل الشباب فى الوقت الذى كانت إيطاليا تستقبل فيه فترة من حياتها كانت كفترة الشباب من حياة الأفراد .

ولد مازينى بعد ثلاثة أعوام من تتويج ابن الثورة بونابرت امبراطوراً على فرنسا ؛ وكانت لا تزال انتصاراته فى إيطاليا تشغل أذهان بنيها ، تلك الانتصارات التى وضع بها أساس مجده وعظمته ؛ وكانت نفوس الإيطاليين لا تزال تجيش بما هبط عليهم من وراء الألب مع الفاتحين من مبادئ تلك الثـورة التى افتتحت فصلاً

جديداً فى تاريخ بنى الإنسان ؛ وأحس ذلك الشعب كما أحس غيره من الشعوب أنه تلقاء فجر عصر جديد يخالف ما سلف من العصور أشد المخالفة ، وكانت ترف على جانبى ذلك الفجر أطياف جميلة بسّامة ولدت كلها من النور كأنما تهبط من عالم غير هذا العالم الذى ألف الظلام ؛ ولقد اشتد هيام الناس بتلك الأطياف الساحرة التى سموها الحرية والديمقراطية والمساواة ، وراحوا يمنون أنفسهم بالصباح الجميل بعد ليلهم الحالك الطويل .

ولكن الصبى لم يكد يناهز التاسعة من عمره حتى كان الامبراطور فى قبضة أولئك الذين كان يزعجهم بالأمس مجرد ذكر اسمه ؛ وأرسل « القورسيقى الصغير » كما بات يدعوه أعداؤه إلى جزيرة إلبا حيث يلاقى ذل الأسر ؛ وشاعت فى طول أوربا وعرضها أحاديث القومية ويقظة الشعوب وتحطيم الاستبداد وما إليها من العبارات التى ولدها الجيل ، وتكشف الفجر عن طيوف جديدة ازداد بها طلاقة وسحراً .

على أن الناس فى إيطاليا وغير إيطاليا ما عتموا أن أدركوا أنهم كانوا تلقاء فجر كاذب ، فلقد راح أرباب العروش وأقطاب السياسة يعدون الأغلال والسلاسل بدعوى القضاء على عوامل الفوضى والضرب على أيدى الخارجين على حكامهم الشرعيين ؛ وهبط الليل ، وانحسرت الموجة العاتية التى انبعثت من فرنسا ، ولكن لتتجمع فتتلاطم فتندفع فتحطم الجسور وتجرف السدود .

ويستمع الصبى إلى هذه الأنباء فى بيته حيث كان يلتقى خلان أبيه ، فلا يفهم منها إلا بمقدار ما يسع عقله الصغير ؛ ولكنه كان صبياً قوى الخيال منذ حداثته ، وعصر الطفولة هو عصر الخيال الخصب ، هو ذلك العصر الذى يخيل إلى كل طفل فيه أنه قادر على أن يكون بطلاً ككل من يسمع سيرهم من الأبطال؛ ولذلك تحرك خيال الصبى أكثر مما تحرك عقله ، وامتلأ لا ريب بشتى الصور عن ذلك القورسيقى الإيطالى المولد الذى جاب البلاد قاصيها ودانيها فاتحاً ظافراً ليستقر آخر الأمر أسيراً فى جزيرة إيطالية . وما الذى هزم ذلك الجبار وأنزله من عليائه ؟ ذلك ما يتساءل عنه الصبى . وماذا يعنى أبوه بقوله اتحاد الشعوب ضده ؟ ولكن خياله القوى لا يلبث أن يسعفه بالجواب ، فهو وخلانه الصغار إذا اتحدوا على صبى كبير فإنهم يخيفونه ويهزمونه؟ وهكذا

يتعلم زعيم الغد أول درس من دروس الجهاد ويفطن إلى أول عدة من عدد القوة .

ويحار الصبى أحياناً بين مادحى ذلك الجبار وبين قادحيه ؛ ولئن استطاع أن يدرك أنه يبغض لأنه كان مستبداً يفرض إرادته على الشعوب ، فما يقوى عقله الصغير على متابعة الذين يمدحونه والذين يسندون إليه أنه خطا بإيطاليا خطوات واسعة نحو الاتحاد فقضى على حكم البربون وحكم البابا ، وأشاع فى البلاد على رغم خضوعها له شعور القومية والوحدة . لا يستطيع الصبى أن يفهم ذلك جلياً ، وإن كان خياله لا يتقاصر عن تصور الوحدة ولو فى أبسط صورها ؛ وإنه ليدين لهذا الخيال بالكثير مما يتعلم فى هذه السن . وهل يفلت من الخيال فى غد يوم يكون شاباً متقفاً أو كهلاً مجرباً ؟ كلا . فلسوف يكون الخيال من أعظم أسباب قوته ومن أشد دعائم إيمانه ومن أبرز خصائصه ؛ وإن كان بعض دارسيه يعيبونه عليه وينكرون إسرافه فيه ، وهم لو أنصفوا لرأوا فيه عنوان محامده . وكم كان للخيال من فضل على كثير غيره من العظماء !

ويجلس الساسة فى ڤينا بعد واترلو يتحكمون فى مصير الضعفاء ويقضون قضاءهم فى إيطاليا كما قضوا فى غيرها ، فإذا سلطان النمسا يفرض على ولايتها وتضم جنوة إلى بيدمنت ، وقد طالما مناها الساسة بالاستقلال ، وتعود إلى البابا ولاياته وسلطته ، وتقام فى نابلى مملكة تخضع للبربون ، ويتفق ملكها سراً مع زعيم الرجعية المتيد فى ذلك العصر مترنيخ على ألا يمنح شعبه دستوراً إلا بإذن من النمسا . وهكذا يفلح ذلك السياسى الماكر فى تقسيم إيطاليا وتفريق كلمتها حتى ليحق عليها قوله : « إن إيطاليا ليست سوى اسم جغرافى » .

وتخيم الرجعية على إيطاليا جميعاً وتطارد الحرية الشريدة أينما ظهر هيكلها المكدود أو لاح علمها الممزق ؛ وينتقل الصبى من طور الخيال الغالب إلى طور العقل المتيقظ فى مثل ذلك الجو البغيض

ولن يمل الصبى القراءة فيتناول أعداداً قديمة من صحيفة الجيروند كان قد دسها أبوه بين كتبه الطبية مخافة الرقباء ، وينهل ما شاء من معين عذب يروى غليل نفسه ويبهج روحه ويثبت فؤاده ؛ ويحرم عليه وعلى التلاميذ الكتب التى تخشى الحكومة منها فلا يعطون إلا الكتب الكلاسيكية ليكون لهم فيها ما يمدهم

عن الآراء الثورية ، ولكنهم يقرأون تاريخ الإغريق والرومان فيعجبون بالنظام الجمهوري ويطربون لماتقع عليه أعينهم من مبادئ الديمقراطية .

ويستشرف الفتى للسادسة عشرة من عمره فتهز نفسه من أعماقها أنباء تتناقلها الألسن عما انبعث من الرجفات فى أنحاء إيطاليا ، فإن الناس حين ضاقوا بحالهم لم يجدوا بداً من تكوين الجماعات السرية وكان من أشهر هذه الجماعات جماعة الكاربوناري ، وما زالت هـذه الجماعة تنمو وتنتشر حتى كان لها أنصارها فى أكثر الولايات ! وكان لهذه الجماعة بحكم تكوينها رموز يعرفها أعضاؤها ، فاسمها معناه « موقدو الفحم » ، ومن مبادئها « طرد الذئاب من الغابات » ولعلهم يريدون طرد الحكام الأجانب من البلاد . على أن غاية الجماعة كانت تنحصر فى القضاء على الاستبداد وإحلال الحكم الدستورى محله

وما حل عام ١٨٢٠ حتى هبت الثورة فى نابلى ، وقد جاءت الأنباء إلى الكاربوناري هناك عن ثورة فى أسبانيا ؛ وأسقط فى يد الملك فأجاب شعبه إلى الدستور ؛ وحذا الكاربوناري فى بيدمنت حذو إخوانهم فى الجنوب ، فاندلعت نيران ثورتهم فى صورة لم يجد ملكهم بداً إزاءها من اعتزال الحكم ، فقد خشى من النمسا أن يمنح شعبه الدستور ؛ واتسع نطاق الثورة حتى شملت لمبارديا نفسها وكانت تخضع مباشرة لحكم النمسا

ولكن النمسا مالبثت أن ساقت جيوشها فقضت على الثورات وأرغمت الثوار على الفرار ونكلت بمن وقع منهم فى يدها، وأثبت مترنيخ لساسة أوربا مقدرته على مقاومة هذه الحركات، وإنه لينسى أن القوة المادية مهما بلغت لن تقضى على القوة المعنوية ، وإن هذه الثورات إنما تستعر كما تستعر الجمرات تحت الرماد ؛ وهل كانت الحرية إلا تلك الشعلة التى لا تزداد مع الضرب إلا توقداً واشتعالاً ؟

وكان الصبي يمشى صحبة أمه ذات يوم فى أحد شوارع جنوة فوقعت عيناه على فلول من الهاربين كانوا فى طريقهم إلى أسبانيا ، ورأى معانى اليأس تلوح فى وجوههم المصفارة ، كما رأى آثار الإعياء بادية فى أجسامهم المكدودة ، وكان بعضهم لا يجد مايقتات به وقد عضه الجوع أياماً

واستقر فى خاطره هذا المنظر فما يبارحه قط ، وتحرك اليوم خياله وعقله معاً ، وأخذته حال من الهم صرفته عن كل شيء حتى باتت أمه تشفق مما ألم به ، ثم أخذ يفكر فى أسباب هزيمتهم ويتتبع أنباءهم حتى اهتدى إلى حكم ؛ فقال وهو لا يدرى أنه كان يعبر عن الواقع « لقد كان من الممكن أن ينتصروا لو أن كل فرد قد أدى واجبه »

وتعلق خياله بالكاربوناري ومبادئهم فما يلتفت إلى شيء سواها ، وكان يومئذ فى سن اليفاعة ، سن الأحلام والآمال ، سن التوثب والتطلع إلى المثل التى ينسجها الخيال ويفيض عليها من سحره ومن تلفيقه ، وهو ذلك الفتى الذى اشتد خياله حتى أشرف به على المرض . أنظر إليه كيف آلى على نفسه أن يلبس السواد منذ ذلك اليوم الذى رآه أسود فى خياله ، فلن يبدل ثيابه السود بعدها حتى يلفه الكفن ويضمه سواد القبر

وهكذا ينضم الفتى إلى الكاربوناري بآماله وقلبه ، ويتحرق شوقاً إلى اليوم الذى يجاهد فيه بين صفوفهم ، ويستعذب معهم الألم فى سبيل قضية الحرية والدستور

ويعود إلى كتبه بعد حين وقد انطوت نفسه على مالن تقلع عنه بعد اليوم ؛ وكم وجه سواه من العظماء وجههم حادث بسيط تقع عليه أعينهم فيرون فيه على بساطته مالا يراه غيرهم، وتستشف نفوسهم من خلاله من المعانى ما لا تستشفه إلا كبار النفوس ؛ وتلك خلة يمتاز بها العظماء أبدا من سائر الناس …

وكان الصبي يدرس الطب ليخلف أباه ، ولكنه أخذه الإغماء مرة وهو يشهد عملية جراحية ، فمال به ذلك الحادث عن الطب فاختار القانون؛ وكان يحس بميل قوى إلى القانون، فلعله كان يراه أقرب إلى ما وطد العزم عليه ، وإن يكن قد أبغض طريقة تدريسه وبرم بالكتب التى تشرح قواعده

على أنه كان يكثر قراءة الشعر والتاريخ ففيهما لخياله المشبوب مجال ، ولروحه المتوثبة وحى ؛ ولنفسه الحزينة عزاء . ولما أوفت به سنه على الشباب عرف بين أقرانه بفصاحة اللسان وصفاء الذهن وحماسة القلب وشدة الشعور وجموح الخيال

(يتبع) الخفيف



لإسلام الفن وإسلامنا :

فلنغير ما بأنفسنا

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

قواعد الإسلام هي :

١ — الشهادة بأن لا إله ... إلا الله وحده ... وحده لا شريك له في أي ناحية من نواحي ألوهيته ، ومنها تفرده بالخلق فهو واهب الحياة ، وواهب الرزق ، وواهب الراحة في الحياة ، وفي الموت ، وفيما بعده . ومنها تفرده بالحكم فلا حكم إلا لقضائه وأمره وشرعه ... هي الشهادة بالله . وأظن أنه لا جدال في الله

٢ — الشهادة بأن محمداً رسول الله ... وهذه قضية تقوم على ركنين : أولهما أن محمداً رسول ، وثانيهما أنه رسول الله . أما أنه رسول فحياته كلها تشهد بذلك ، فقد كان صاحب فكرة خاصة محدودة تسلطت عليه منذ يقظته إلى الكون وانتباهه إلى نفسه ، فلم يخرج عن حدود فكرته هذه لا في عمل ولا في قول ، ولا في جد ولا في هزل . حتى لقد كان يمزح فلا يقول إلا حقا . وقد بدأ انطلاقه في اتجاهه هذا منذ طفولته المبكرة فعرف فيه الناس طفلاً « الصادق الأمين » وليس للأطفال جرائم ولا زلات إلا الكذب وإغفال العهد فمن لم يقترفها منهم كان الطفل الطاهر، محمداً . ما أروع اسمه !

هو إذن رسول فكرة ... فأية فكرة كانت فكرته ؟ كانت الحق ، وكانت الفطرة . والحق هو الله ... والفطرة هي الطبيعة التي أوجدها الله ، ومن قوانين هذه الطبيعة التطور والارتقاء بالمادة والروح

فهو إذن رسول الله ، لا رسول الشيطان ، ولا رسول فكرة أخرى آثمة بعثتها نزعة من نزعات نفس متعجلة ... فمن محمد ؟ إنه بشر لم يخرج على طبع البشر . فهل من طبع البشر أن يستطيع الاتصال بالله ؟ ... إنه يستطيع لو كانت في نفسه مؤهلات محمد ومواهبه ثم جاهدها جهاد محمد . فإذا لم يستطع فليشابهه قليلاً أو كثيراً حسبما يستطيع ، ومن كان كعمر فهو خير ممن كان كزفر

٣ — الصلاة : والصلاة عمل وكلام : قيام يقرأ الإنسان فيه من كلام الله ... كذلك يجب أن ينهض المسلم في الحياة وأن يذكر الله ... وعليه أن يذكر الله في عمله ، وفي قوله ، فالصلاة عمل وكلام ... وركوع ... هو هذا الانحناء أمام ربنا العظيم ... العظيم حقاً ... الذي فعل ويفعل ... وسجود لربنا الأعلى ... إليه وحده الذل ، وبه وحده العزة ، وعنده وحده الأمان ، وفيه وحده الرجاء ... وهذه الجلسة الأخيرة المطمئنة التي يقرأ فيها المصلي التحيات لله ، والسلام على النبي وعلى نفسه وعلى المؤمنين. كذلك يجب أن يفعل الإنسان حين يطمئن وحده أو بين الناس أن يكون كلامه وعمله تحيات وسلاماً ... لله وللنبي وللمؤمنين ولنفسه . فالصلاة إذن تلخيص لما يجب أن تكون عليه الحياة . ولو أن الناس ذكروا الله ونهضوا ، وعظموه وخشعوا ، وأجلّوا شأنه وذلوا له وآمنوا به ، وكان الذي بينهم وبين الله والنبي والناس وأنفسهم تحيات وسلام ... لو أنهم فعلوا هذا فيما بين الصلاة والصلاة ، لكانت حياتهم صلاة في صلاة ...

٤ — صيام : والصيام زهد في حاجات البدن ، وهو دليل على إمكان الرق وهو من بشائر القيام بالذات ... وهو عدو المادة الذي نصره الإسلام

٥ — الزكاة : والزكاة نزول عن جزء من ملك الإنسان

للناس ، فمن كان ملكه مالاً فعليه نصيب منه يجب أن يؤديه للناس ، ومن كان ملكه معنى فإن عليه نصيباً منه يجب أن يؤديه للناس .. ومن أحسن وتصدق فإن له في الصدقة عشرة أمثالها .. ذلك أن الإحسان يبعث في النفس شعوراً بالراحة والغبطة ، فإذا أحب الإنسان الإحسان أحب هذا الشعور ، فمارس من أجله الإحسان وأدمنه واستلان له حتى يقضي العمر في إحسان وإحسان، فهو في راحة وغبطة ما دام محسناً ... إن في الإحسان جزاء الإحسان ، وإن الذي عند الله خير وأبقى

٦ — حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً : والبيت حرم تتجه إليه القلوب والأنظار والأسماع . وللحج وقت خاص يجتمع فيه القادرون عند هذا البيت . . . من الشرق ومن الغرب ومن الشمال ومن الجنوب ، فإذا كانت أمة في محنة حج القادرون من أهلها إلى البيت والتقوا عنده بالحجاج ممن يملكون عونهم فاستعانوهم ، والإسلام أخوة ، والتعاون فيه واجب ، فالحج إلى البيت يشبه ما يريد الغرب أن يحج رؤوسه إلى جنيف أو لوزان

هذه هي قواعد الإسلام وهذا هو شيء عنها ، وإن الإسلام لأجل وأجل من هذا الذي بسطت وأعظم

فهل في الدنيا مسلمون كثيرون ؟

الواقع أننا في حاجة إلى صرخة جديدة تهتف بالإسلام ليفيق على دويها المسلمون الذين نام الإسلام في قلوبهم — ولا نقل إنه مات ، لأنه لا يمكن أن يموت ، فهو دين الفطرة والطبيعة المرتقية ، فهو حي ما كانت الحياة ، إذا أغفله أهله المنسوبون إليه ، فإن غيرهم ساع إليه متعلق به؛ يحققه قليلاً قليلاً ، حتى ليشهدن في آخر الأمر به عمله ، وليعلنن الشهادة بعد ذلك بلسانه

وهاهو ذا برناردشو يقول إن الإسلام هو الدين الذي سيسود أوربا بعد مائة عام . وهو لم يقل هذا إلا لأنه لحظ اتجاه الحياة الأوربية إلى مبادئ الإسلام الحقة تستنجد بها كلما أحست وحشة المادة وظلمتها ، مدفوعة في ذلك بعوامل الطبيعة لا بتبشير يزاوله المسلمون ، ولا بجهاد يمارسونه . و « شو » فنان من الغرب يعرفه الناس بأنه قد حرر عقله ، وهو يؤذن بالإسلام على رأس أوربا ... فكم من فنان « مسلم » يفعل اليوم هذا ؟ ... قليلون جداً ، فأكثرهم لم يتحرروا كما تحرر هو ، وأكثرهم لم يصقلوا إحساسهم كما صقل إحساسه هو ، وأكثرهم لم يطلقوا عقولهم من أغلال الزيف كما أطلق عقله هو ، وأكثرهم يعربدون في ظلمة الباطل خارج الحدود التي رسمها الإسلام للحياة ... ولا يعربد هو . وكأنما هم يجهلون أن الفن من الحياة ، وأن للحياة حدوداً رسمها الإسلام فحصر في داخلها أصولها ، ثم ترك الخيار بعد ذلك لكل مسلم أن ينطلق داخل هذه الحدود ما حلا له الانطلاق ، وحدود الإسلام ليست قيوداً مما يشل الحركة ، ولا هي أغلال مما يمنع النهوض ، ولا هي عصائب مما يحجب عن العيون النور ، ولا هي أحجار مما يثقل على الحس ، ولا هي جهالات مما يمتنع على العقل الاقتناع به وتدبره ، وإنما هي حدود الطبيعة التي لا يمكن خرقها ، والتي لا يخرقها إلا من يظلم نفسه ، وهي ليست شيئاً إلا تحرير الإنسانية من كل عبودية تفرض عليها إلا عبادة الله ومن كل تقليد أو نظام يراد به العبث بكرامة العقل أو كرامة الروح . . . وهي في ذلك كله سعي حر بالتطور إلى الارتقاء

فعلينا أن نسعى إلى هذا ومن الله العون

وعلى أهل الفن الإمامة في هذا السعي فهم الموهوبون فضلاً من روح الله ، وعليهم زكاة الروح كما أدى غني زكاة المال . وليقرأوا معنا من آيات القرآن قوله تعالى : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » فهذه أمام العيون حقيقة من حقائق الإسلام التي تحتمل الأكوان ، وتنهض بالأقدار . وقد تكون عند من يسمعها ويتفهمها أمراً بديهياً تراه كل عين ، ويحسه كل قلب ، ويعيه كل عقل حتى لكأنها تشبه قولنا : « إننا بشر » و « الملح يذوب في الماء » و « النار تبعث الحرارة » فكل هذه حقائق ليست في حاجة إلى الترديد لأنها معلومة متفق عليها لا ينكرها ولا يجحدها عقل إنسان . ولكن هذا لا يعيبها طبعاً ، فهكذا طبع الخلود والدوام في الحق : قد نجهله ، وقد نظل أطول العمر نجهله فإذا عرفناه قلنا : « هذا صحيح » ولم نقل أكثر منها ، ثم تعجبنا له أو لم نتعجب ، ثم أطلقناه بعد ذلك في أنفسنا يغيب في آفاقها حيثما شاء لا نراقبه ولا نتقصى أثره لأننا مطمئنون إليه بما جبلنا عليه من حبه ، ولإيماننا الفطري بأنه مهما غاب في أنفسنا ؛ فإنه منجدنا عند ما نستنجده ، وبأنه مجيرنا وقتما

محتاج إليه ونطلبه وأنه يأبى أن يخذلنا فهو الحق ، والحق هو الله ، والله قريب يلبي دعوة الداعي إذا دعاه . . . ولكننا لا ندعو من الحق إلا قليلاً ، ندعوه بعد نكران أو نسيان ، وأغلب ما ندعوه فى حاجات الأبدان، ليتنا نذكره فى غيرها وندعوه، فتصبح لنا إلى جانب هذه الحضارة التى أقامها العالم بالأسمنت و « الزلط » حضارة أخرى نقيمها نحن بالحب والرحمة ...

فما لنا لا ندعوه ؟!.

سبيلنا واضح وهو الإسلام . وهداتنا إليه الفنانون قبل العلماء ، فهم الذين يناجون شعورنا وهو أول علامات الحياة فينا ، وإنهم يقولون إن طلبهم التحرر ، وإنهم لا يطيقون القيود ، وإنهم يحبون أن ينطلقوا فى الحياة كل منهم وراء فكرة ، وإنهم يبذلون أنفسهم للناس فيحترقون ويضيئون لغيرهم الطريق ، وإن مأربهم فى الدنيا تحية وسلام . فهل هناك حياة تحقق هذا كله فى أروع الصور إلا حياة الإسلام ؟ فعليهم أن يباشروها ، فهى التى تبعث الفن ، أسمى الفن ، وتقود إلى الهدى ، أصوب الهدى وتنشر بين الناس أطيب ما تمنته الإنسانية من أسعد الأحلام...

وهم أقدر الناس على هـذا ما دام المفروض فيهم هو أنهم أشد الناس إحساساً ، وأسرعهم إدراكا لحقائق الحياة القريبة من الفطرة ، أو التى هى الفطرة نفسها ، والتى غيبتها عن إدراك الجماهير هذه الأستار أسدلتها الصناعة على الطبيعة ، وهذه الوسائل أراد بها الناس أن يأخذوا من الأرض أكثر مما تحتمل طاقتهم فرزحوا تحت أعباء ما حملوا ، وثقلت عليهم أعباؤهم فشغلتهم عما كان جديراً بهم أن يلمسوه ، وأن يحسوه ، وأن يعقلوه ، من شئون أنفسهم ومن شئون هذه الخلائق التى تحيط بهم ، وما يربط هذه الموجودات جميعاً من نظام لا يختل ، ولا يعتل

جماهير الناس لم تعد آذانهم تسمع أصوات قلوبهم وأفئدتهم فقد طغى على هذه الهمسات الناعمة قصف المدافع ، وضوضاء البورصات ، وصفير القطر ، وأزيز الطيارات ...

جماهير الناس لم تعد أعينهم ترى ما فى أحضانهم من نفوس أزواجهم وأولادهم ، فقد غاب كل معنى فى هـذه الحضارة بين سحائب الدخان الكثيف الذى تنفخه المصانع فتسمم به الهواء وتسوّده ظلاماً

جماهير الناس لم تعد تملك أن تقف وقفة المتريث المتعرف المتأمل عند أى ظاهرة من ظواهر الجمال أو ظواهر القبح ، فالناس اليوم متسرعون متعجلون ، يجرون ويطيرون ويقفزون على وجه الأرض كما يرقص الشيطان .. يمرون بآلاف من شواهد الحق والحكمة ، ولكنهم لا يلمحونها إلا كما يلمح العقاب من فوق السحاب دبة النملة تحت التراب ...

فأى شيء يراه هؤلاء ؟ وأى شيء يسمعون؟ وأى شيء يعون؟ إنهم أشقى القرون وأبأس الأجيال ! . .

وليت للمسلمين فى هذه السوق ما لغيرهم من ربح المادة ، فقد يكون فى المادة عزاء . . . بل حاشا أن يكون فيها إلا عزاء السكرة ... وهم حتى فى هذا متراجعون متأخرون رانت عليهم قناعة النائمين ، فلا هم كسبوا الدنيا ولا هم ربحوا الدين ... فمن منقذهم من هذا غير الفن يلتهب فى بعض النفوس بوهج من حر الإسلام ، يشمله الإيمان ، وتزكيه الرعاية ، ويحفظه الإصرار على إرضاء الله ...

وإن فينا فنانين تعرفهم جماهيرنا ... ولكنهم مشغولون بما يقرأون من كتب الغرب التى أوحتها حضارة المادة الملفقة ، عن آيات الخلد المبسوطة للعيون فى القرآن ... وحتى هم إذا قرأوه لم يقرأوا منه إلا لفظه وأسرعوا فى تلاوته كأنما هم يعدون أرقاماً . وفيه آيات جمعت أسرار الحياة ...

عزيز أحمد فهمي



لحظات الالهام
فى تاريخ العلم
بقلم مريون فلورنس لانسنغ

قصة العجلة

أبونا النبل — الريح والتيار

كان الإنسان الهمجى لا يضع على جسده ستراً سوى جلد الحيوان، وكان إما دافعاً صخرة أكبر من أن يستطيع حملها وإما حاملاً عبئاً ينوء بحمله — هذه أول صورة نتخيلها للرجل القديم أثناء مزاولته عمله

ما أضأل وما أعيا ما يبدو لنا الإنسان الأول عند ما نتصوره واقفاً بالعراء وليس لماضيه تاريخ يفيد منه وليس له إلا جسمه القوى وإلا مواهبه الذهنية التى عليه أن يقهر بها الدنيا ويخضعها له ! وكان لا بد له من قهرها لأنه إذا لم يحصل على الطعام والمأوى والدفء فإنه ميت لا محالة

إن الدنيا حافلة بالكنوز التى فيها وسائل نعمته وراحته . ولكن كيف يستطيع ذلك ؟ لم يكن لديه مفتاح تلك الكنوز ولا لديه المرشد لمصادرها، ولا غرابة فى أن يكون بطيئاً فى الوصول إلى شىء ما . وإنما الغرابة فى سرعته — على الرغم من قلة التجريب ذهنياً ويدوياً — فى الوصول إلى أشياء يقضى بها حاجياته

يقف الرجل الهمجى أمام عبء أثقل مما يستطيع حمله كما تصورناه فى بداية المقال، وليس لديه من الآلات إلا أجزاء جسمه وليس يستطيع السفر إلا إلى حيث تستطيع قدماه حمله ولا يحمل إلا ما تقوى ذراعاه على رفعه ولا يدفع إلا ما يندفع أمامه . هذه صخرة أمامه وها هو ذا لا يستطيع أن يحركها

ربما وجد هذا الإنسان القديم غصناً ساقطاً من شجرة فوضع طرفه عند تلك الصخرة ودفعه فوجد الصخرة تتحرك . . . إن حدث ذلك فإن دهشة ستعروه وسيجرب غصناً قصيراً فلا يجد له فائدة وسيجرب غصناً أطول فيجد فائدته أكبر . وإذا صادف وجود صخرة أصغر من الأولى على مقربة منها ووضع الغصن فوقها ووضع طرفها تحت الصخرة الكبيرة فقد يجد أنه يستطيع رفع تلك الصخرة عن موضعها بإحداث ثقل من جسمه على الطرف الآخر من الغصن دون أن يحمّل عضلاته مشقة الدفع والرفع

إن فعل ذلك فإنه يخطو خطوة عظيمة فى سبيل الابتعاد عن مستوى الحيوانات التى تعيش معه فى نفس الغابة لأنه باستكشافه هذا يكون قد عثر على قانون من قوانين الطبيعة هو نظرية الرافعة التى بواسطتها يمكن استخدام ثقل ضئيل لرفع ثقل أكبر بالضغط على الطرف الآخر

لم يكن ليعرف فى ذلك العهد أن هذا قانون من قوانين الطبيعة فقد مضت مئات كثيرة من السنين حتى ظهر العلامة اليونانى أرخميدس وتبين هذه النظرية وما يمكن أن يترتب عليها من النتائج المدهشة فقال : « لا أريد إلا مكاناً آخر أضع عليه الرافعة فيصبح فى وسعى تحريك هذه الدنيا

وكانت لحظة عظيمة تلك التى عرف فيها أرخميدس قانون الروافع ، ولكن ألم يكن أكبر من هذه اللحظة تلك اللحظة الأخرى التى احتاج فيها الصياد القديم إلى شىء فوق طاقته فصنع رافعة وهو يجهل كنهها من الخشب وحرك بها الثقل

كان هو البشير بالرجل الذى رفع الصخور الضخمة ليبنى بها أهرام مصر كما كان هو البشير بمهندس القرن العشرين الذى يرفع القوائم الحديدية إلى قمة ناطحات السحاب

وإنما نجح ذلك الرجل لأنه لا يريد أن يفشل فى واجب لم يستطع أداءه ، وربما كان العبء الذى أراد الصياد القديم أن يحمله إلى كهفه صندوقاً فيه جثة وحش ليقتات من لحمه ، وربما

كان قد أعانه على تحريك هذا الصندوق عمودان من الخشب وضعهما تحته فاستطاع بواسطتهما نقل الصندوق إلى مكان أبعد من الذى يستطيع نقله إليه لو حمله على ظهره

لكن هذا العمود كان فى البداية شجرة طويلة غير مشذبة تتدحرج باليد على أرض غير ممهدة، فَنَقْل الصندوق على عمودين من هذا النوع أمر يشق على صياد مُتْعَب . لكن صادف أن كان العمود ناعم الملمس حسن الاستدارة ، وكان وضعه تحت الصندوق بشكل حسن ، فسهل تحريك الصندوق الذى كان تحريكه صعباً من قبل

فى تلك العصور المظلمة التى نتخيل حدوث هذه القصة فيها كانت توجد كتل من الخشب مستديرة وهى مقطوعة من جذوع الأشجار

وكان فى ذلك العهد رجل أذكى من رفاقه ، فبعد أن نقل الأثقال على أشجار تتدحرج حتى كاد ظهره أن ينكسر ، رأى أن يحفر اثنتين من هاتين الكتل وأن يصل بينهما بعمود يمر بوسط كل منهما لا يكون كجسم الشجرة التى تجر على الأرض. هذا هو أول نوع من أنواع العجلتين ومن المحور الواصل بينهما

وبهذه الوسيلة عرف الإنسان قانوناً آخر من قوانين الطبيعة هو نظرية الاحتكاك ، والاحتكاك معناه تمرير سطح على سطح . وهذه النظرية تفيد الإنسان من عدة وجوه ، وقد كنا نتزلق على الثلج بغير قبقاب « الباتيناج » لولا معرفتنا تلك النظرية

لكن إنسان ما قبل التاريخ كان يستخدم كل قوته ضد قوة الاحتكاك، فكان يوجه جهد عضلاته لجر الأثقال على الأرض، فلما رفع الأثقال عن الأرض استفاد كثيراً ووجد الدحرجة على أشياء مستديرة أسهل من الجر على الأرض، فلما عرف العجلتين المتصلتين بواصل يوضع تحت العبء تضاعف كسبه، فقد أضاف قوة العجلة إلى قوته وطبق نظرية الرافعة مرة أخرى لرفع الثقل عن الأرض حتى لا يجر جسماً مسطحاً على جسم مسطح

وشتان بين تعلم هذه النظريات من كتب الطبيعة بطريق الدرس وبين معرفة الرجل القديم لها واحدة بعد واحدة ، معانياً الكثير من الفشل فى مقابل القليل من النجاح . وهو فى أثناء ذلك يحتال على تخفيف الجهد القاصم للظهور والمستنفد للقوى

إننا نجل الذين كان لهم من الحكمة ما ساعدهم على أن يفهموا وأن يستنبطوا القوانين المظيمة التى أقيم عليها بناء هذا العالم فلا تنس أن تكرم ذلك المخترع المبتكر الذى كان له من الذكاء ما مكنه من صنع العجلة

أبونا النيل

« أقبل الفيضان ! أقبل الفيضان ! أبونا النيل يعلو »

هكذا كان يقول الأطفال فى مصر فيترك كل عامل عمله ويذهب ليشهد النيل العظيم وقد بدأ يفيض ماؤه على جانبيه

وقد كانت أرض مصر مدة أشهر عشرة قبل الفيضان جافة بتأثير الشمس الجنوبية المحرقة، وها هو ذا الصيف قد أقبل وارتفع ماء النهر المعبود جرياً على عادته التى لم يخلّ بها؛ وها هو ذا يترك مجراه ويصل إلى أماكن بعيدة من أرض البلاد التى يهبها الحياة ، ويظل النيل خمسين يوماً يُنعم على الناس ببركاته . وعند ما يعود إلى مرقده الآمن بين شاطئيه اللذين أنشأهما لنفسه ، يحجب ظاهره بطبقة غنية من الطمى الأسود تستمد منها الحياة فواكه الربيع وزهوره وحبوبه، فينعم بها الناس إلى العام المقبل حيث يعود إليهم مرة أخرى بهداياه الغالى . أما فى نظر الذين تمطر فى بلادهم الدنيا فى الربيع والصيف والخريف ، ويتساقط البرد فى الشتاء ، وفى أرضهم الماء غير منقطع ، فإن الفيضان بالنسبة لهم إخلال بنظام الطبيعة ونكبة على الجنس الإنسانى ، لأنهم لا ينتظرون ولا يريدون المفاجأة التى تجلب لهم النكبات والخسائر ، وتهلك محاصيلهم وتكتسح مساكنهم



(أبونا النيل)

لكن أبانا النيل لم يكن بالضيف غير المرحب به على هذا الاعتبار بالنسبة لأرض مصر التى لفحتها الحرارة فلو أتى فيضانه مرة فى كل عام بمقدار أربعين قدماً لأصبحت البلاد صحراء كالصحارى المجاورة لها . فلا عجب إذن فى تقديس المصريين له واعتبارهم إياه أباً عطوفاً مكللاً بالفواكه والورق الأخضر . وتصويرهم إياه وحوله الأرواح السعيدة تلعب فى مرح وهى وافرة العدد

ولكن مع كثرة ما يجود به النيل فإنه يعم جميع البلاد، ومع أن مدة الفيضان مطلوبة مهما طالت فإنه يظل كالنائم فى مجراه الضيق عشرة أشهر فى كل عام . وعند ما ينتهى عمل النيل يبدأ عمل الإنسان وقد كان عملاً مجهداً

هذا الماء الغالى الذى يأتى فى وقت قصير يجب أن يحتفظ به، من أجل ذلك كان الأرقاء ينشئون ما يشبه أن يكون بحيرة حتى لا يضيع ماء الفيضان بدداً فى الرمال . ويجب أن يحمل هذا الماء إلى الدور والحدائق والمزارع التى تخرج عن المنطقة التى ينالها الفيضان . ومن أجل ذلك كان يكلف الأرقاء بحمل هذا الماء فى أوان على رؤوسهم

وقد كان الجهد الإنسانى رخيصاً فى تلك الأيام وكان للملوك والنبلاء فى مصر مئات ومئات من العبيد لا يعدونهم أفضل من المواشى : هم آلات إنسانية لم توجد إلا لتؤدى ما لا نهاية له من الخدمات لساداتهم . وعلى النقوش المصرية القديمة على الأحجار صفوف وصفوف من العبيد حاملين أوانى الماء على رؤوسهم

لكن حتى الأرقاء ومن يعهد إليهم بأن يسوقوا العبيد كانوا أهل ذكاء ولم يكونوا حيوانات تعمل بلا عمل ولا فكر ولا محاولة للتغيير . وفى يوم من الأيام حدث أن رجلاً ذكياً من بين الذين كان من واجبهم اليومى رفع المياه من المجرى المنخفض إلى الحقول العالية ، حدث أن هذا الرجل علق دلوه بطرف عمود خشبى مستند وسطه إلى الجسر وتعلق بالطرف الآخر من هذا العمود وها أنت ذا تراه الآن يطبق نظرية الرافعة مرة أخرى، فعلق الدلو فى سهولة فى الهواء ثم سكب فى الموضع الذى أراد الرجل أن يرويه من ماء النهر

وقد كانت مصر موصولة الأجزاء على ضفتى نيلها بترع وجداول تروى بواسطة الشادوف « الدلو والعمود » ، وتوضع هذه الشواديف إما فرادى وإما أزواجاً لرفع الماء من مستوى إلى مستوى آخر . لكن كان لا يزال الرفع بواسطة رجال، وكانت كل القوات الدافعة التى يجب استخدامها من نشاط العضلات

ثم جاء رقيق لعله أذكى ولعله أضعف جسماً من غيره ، فظن سيده أنه أكسل من رفاقه ، راقب هذا العبد وهو يؤدى عمله إحدى العربات المصرية وهى تسير بخفة بسبب عجلاتها الدائرة فأخذ عجلة قديمة سقطت من إحدى العربات وعلقها فى عمود فوق حفرة الماء وعلق بها الدلو ووجد بذلك أن الدلو يهبط ويعلو فى سهولة وأن المشقة قد قلّت

كان الرجل يندفع إلى الأمام ثم إلى الوراء فى أثناء إخراجه للدلو ووضعه فى الماء، ويتكرر ذلك طول مدة السقى فيفقد قواه شيئاً فشيئاً لطول هذه الحركة، وهو فضلاً عن ذلك مضطر إلى الوقوف بين دفعة ودفعة

فلما عرف طريقة العجلة التى تدور دون أن تقف أو تعاود البدء، لما عرف هذه العجلة «الساقية» أضيف فصل آخر إلى قصة العجلات التى مكنت الإنسان بسبب ما فيها من سرعة الحركة من جر أثقاله ومن الانتقال على عربة، ومن رفع الأثقال عن الأرض هذا فضلاً عن أن العجلة يمكن أن تدار سواء بواسطة الإنسان أو بواسطة حيوان يساعد الإنسان فى هذه المهمة، ولكنها فى مصر كانت على الغالب تدار بواسطة الإنسان وحده لكثرة الرجال ورخص الجهد الإنسانى . (يتبع) ع . ا

الـكينا تفتح للصين عهدا جديدا مزدهرا

« شانك شى » هو اسم لاحدى المقاطعات التى لا يجدها الانسان فى خارطة مهما كانت دقيقة فليست هذه تسمية جغرافية رسمية ولـكنه اسم يعنى باللغة الشعبية « المشرين هسيان » الواقعة فى جنوبى شرقى يونان المقاطعة الصينية .

« شانك شي » معناها هواء فاسد ولهذه المقاطعة سمعة سيئة منذ أكثر من ألف سنة بسبب العدد الـكبير للوفيات التى يسببها مرض الهواء الفاسد (الملاريا) فقد كانت سابقا بقعة تجارية غنية ومزدهرة وهى الآن بقعة فقيرة حيث تعد ضحايا الملاريا بعشرات الألوف .

لـكن من قريب تدخل هذه الأخبار فى نطاق التاريخ القديم . فمنذ منتصف ١٩٣٦ يوجد فى اليونان مصلحة صحة المقاطعة تقوم بمهمتها بكثير من الغيرة وأرسلت أيضا عمالها الصحيين إلى مقاطعة شانك شى كى يقوموا هناك بتحقيق يتعلق بجنس المرض المنتشر فيها فظهر أن هذا المرض ليس إلا الملاريا فاتخذوا الاجراءات اللازمة حال معرفة النتيجة وأرسلت مصلحة الصحة الوطنية مليونا ومئتى ألف جنيه من الـكينا على سبيل الاسعاف المؤقت وسترسل فى المستقبل إلى مقاطعة شانك شى كميات أكبر أيضا من هذا الدواء الشافى والواقي .

فالـكينا هى فعلا العلاج الذى وصفته لجنة الملاريا فى جمعية الأمم للوقاية والشفاء من هذه البلية البشرية فاذا تبع الانسان نصيحة هذه اللجنة وأخذ يوميا ٤٠٠ مليجرام من الـكينا مدة موسم الحميات فلا يصيبه هذا المرض وإذا ما أصابه فلجنة جمعية الأمم توصى فى هذه الحالة بالعلاج السريع بالـكينا أى جراما واحدا أو جراما وثلاثين سنتجرام مدة خمسة أو سبعة أيام ولا داعى لعلاج تكميلى آخر لـكن فى حالة الانتكاس يمكن الشفاء باستعمال العلاج السريع نفسه .



على مسرح الأوبرة

افتتحت الفرقة القومية موسمها على مسرح الأوبرة بمسرحية « مصرع كليوبترا » وهى داخلة فى أدبنا القوى . وميزة المسرحية أن موضوعها مصرى وأن صاحبها وضعها بالعربية شعراً . وإذا نحن نظرنا فى مبناها ومعناها أصبنا الأول لا يخرج عن طرائق النظم المألوفة بمحاسنها ومساوئها ، مع توخى الجرْس البحترى اللطيف ، وتطلب الحكم والأمثال على أسلوب المتنبى وغيره ... ذاك هو شوقى الذى لم يسعده إقدامه على فك أداء الشعر العانى . وأما المعنى فتسيِّره النية الحسنة وتزينه الظرف ، ثم يعوزه الإيغال فى التفكير الشامل ، والكشف عن بواطن النفس ، وتغليب التلميح الرقيق على التصريح الذى لا يدع شيئاً لمخيلة متخيل

وقد ألقى الممثلون شعر شوقى كما كنا نلقى الشعر العربى فى المدارس: نقطِّع أقسام البيت ونتمهل عند العروض ثم نضغط على الضرب، والذى يحرك ألسنتنا الوزن الذى عليه جاءت القطعة أو القصيدة . وفى ذلك الأمر ما فيه من غرابة ، فإن الشعر لعهدنا هذا فى أوربة (وعنها نأخذ فن التمثيل) يلقى على المسرح كأنه نثر . وسبب ذلك أن القصيدة تقوم بمعانيها وألفاظها لا بتفاعيلها ، والتفاعيل كأنها الدعامات والخشب فى منزل ، وأما المعانى والألفاظ فأثاثه والتزاويق والتصاوير وكل ما يأخذ الطرف . كل ذلك فضلاً عن أن تقطيع أقسام البيت ، وقسمه مصراعين ، والضغط على القافية الراجمة، يورث الملل ويصك الأذن. وخير من هذا إنشاد البيت على حسب انسياب المعنى فى تضاعيفه ، مع التمهل عند اللفتة أو النكتة أو اللفظ الموحى، ومع تسرق العروض والضرب، كأن القصيدة كلها بيت «مدور» على قول أهل العروض . ومما يذكر بعد هذا أن الممثلين لم يلحنوا إلا قليلاً ، ولكن بين الذال والثاء وألسنتهم (ولا سيما ألسنتهن) مناضبة شديدة

وكان التمثيل يجارى لون المسرحية نفسها ، وهو اللون الابتداعى romantique (على حد ترجمة الصديق صاحب «الرسالة») بل كان يذهب وراءه على الغالب : ضجة ، ومبالغة فى الإشارة ، وإفراط فى التعبير عن الشعور . ولم يُمسك عن هذا إلا ثلاثة : منسى فهمى ، وحسين رياض ، وعباس فارس ، إذ طلبوا الاعتدال فى الأداء لعلمهم أن الصدق فيما هو طبيعى

وأما إخراج المسرحية فلا أكتمك أن المنظر الأول صدم عينى ، فهو منظر « عايدة » المسرحية الملحنة . ويعلم الله كم مرة مثلت هـذه المسرحية فى دار الأوبرة الملكية ، فكيف غاب عن المخرج أن العين سئمت مناظرها ، بل كيف غاب عنه أنها لم تكن لتنتظر واحداً منها فى « مصرع كليوبترا » أول ما يرتفع الستار . وقد رجعت إلى نصِّ شوقى، فقرأت « المنظر الأول — فى مكتبة قصر كليوبترا — أشخاص جلوس إلى أعمالهم » . والغريب أن الناظر لم يلمح على المسرح كتاباً واحداً ، وأما الأشخاص فكان بعضهم إلى بعض جالساً لمحادثة أو لائتمار . هذا وفى الإخراج مآخذ أخرى أقف عند واحد منها : كانت الإضاءة تجرى على غير بصيرة فى غالب الأمر وأكثر الحال . فكانت شديدة جداً فى مشاهد تتطلب بعض الظلمة ، فى مشهد مصرع كليوبترا مثلاً . حتى الفصل الثالث — وفيه ينشق الستار عن مشهدين متجاورين ، أحدهما حجرة الكاهن فى المعبد ، والآخر جانب من خارج المعبد فيه شجرة باسقة — حتى هذا الفصل، على حسن توزيع مشهديه ، لم يستطع أن يوحى إلى الناظر ما ابتغاه المؤلف والمخرج جميعاً . وعلة ذلك اضطراب الإضاءة ، فقد كان نور أحد الجانبين يسطع قبل انطفاء نور الجانب الآخر أو بعده توًّا ، فلم يتمكن الناظر أن ينتقل — فى دخيلة نفسه — من مشهد إلى مشهد : إن للمنظر إيحاء وإيهام قبل كل شىء

وهذا الحديث يدور على الإخراج فى الفرقة القومية . فهل أخفى عليك أنى دهشت — وقد دهش غيرى — أن الأستاذ زكى طليمات المخرج القدير لم يُدعَ هذه السنة ، بعد رحيل المخرج الفرنسى (فلاندر) ، إلى الوقوف على شؤون الإخراج فى الفرقة

وهى التى نهضت به من حيث الإخراج أولَ ما نهضت. ثم كيف ينسى ناس أن « أهل الكهف » و « تاجر البندقية » خرجتا على يد زكى طليمات ألطف إخراج، وأن الأولى لولا حذقه ما تذوق الجمهور المصرى ما فيها من فن رقيق؟

حتَّام تهمل الكفايات — وما أقلها! — فى هذا البلد؟ أو قل ماذا يصنع ناس بما جاء فى خطاب رئيس الوزراء: « وكم شاهدنا القادرين من أهل الفن والمعرفة يقصون عن العمل فيما هم أهل له ».

بشر فارس

حاشية: بدا للفرقة أن تدعو أحد المغنين إلى إنشاد قطعة من المسرحية فكان الغناء طنينا، وقد أسفته الموسيقى، كما أسفت الرقص.

بينى و بين القراء

١ — اطلعت فى العدد الأخير من الرسالة على كلمة لحضرة الأخ الكريم الأستاذ محمد عبدالواحد خلاف يذكر فيها أن الحديث الذى دار فى منزل صاحب العزة الدكتور طه حسين بك لا حقيقة له وأن ذلك الاجتماع من نسج الخيال

وقد دهشت من كلمة الأستاذ خلاف، وبلغ منى العَجب كل مبلغ. ولولا الرعاية لحقوق الأخوّة لقلت إن كلام الأستاذ يحتاج إلى تصحيح، وقدمتُ له الأدلة والأسانيد؛ ولكن الأستاذ خلاف كما أعرفه ينفر من المجادلات والمصاولات، ويكره ما يصحب النقد أحياناً من صَخب وضجيج. ومن حقه علينا وهو أخٌ كريم أن نجنِّبه مواطن الشغب والصيال

وما نحنٌ عليه بهذا الترفق، فهو عندنا أهلٌ للتكريم والتبجيل، وسنصفِّى ما بيننا من حساب يوم نلتقى مرة ثانية فى منزل الدكتور طه حسين

٢ — قرأت « الحد الفاصل بين أدب الروح وأدب المعدة » لحضرة الأستاذ محمود على قراعة، وأنا أشكر لهذا الصديق الفضال ما تجشّم من المتاعب فى شرح الفروق بين النوازع الحسية والعواطف الروحية. ثم أعتب عليه: فقد آذانى أن يقرر أن زكى مبارك « يتحدى كل فكرة روحية، ويتهكم على كل نزعة سماوية » فمؤلفاتى ومقالاتى ومذاهبى فى الحياة تشهد بغير ذلك. وهذا العناد الذى يعيبه علىّ بعض القراء هو من الشواهد على قوة الروح، ولو كانت المنافع المادية مما يدخل فى حسابى لما استبحت الهجوم على فلان وفلان وفلان فى سبيل الحق، ولهم قدرة على الضر والنفع، ولهم أصدقاء يقدِّمون ويؤخِّرون، ويحسب لهم طلاب المنافع ألف حساب

قد يكون للمظاهر دخلٌ فى تلوين الصورة التى ترانى عليها بعض العيون، فقد أكثرتُ من الكلام فى الغراميات والوجدانيات، ولكن هذا الميل هو فى جوهره من صميم الروحانية، وسأقضى حياتى فى التغنى بالصباحة والملاحة والجمال، تأدباً مع الله الذى جعل الوجود مواسم فتنة ومطالع أقمار ومشارق شموس. فإن كان هذا مما ينافى الوقار فى نظر بعض الناس فهو عندى من أصدق الشواهد على الرزانة والعقل. ويرحم الله من يقول:

شاع فى العالمين أنى أديبٌ ... جامح القلب فاتك النظراتِ
فاستباح الجهال شتمى وعدُّوا ... فتنتى بالجمال من هَنَواتى
ظلمونى فلم أكن غير رُوحٍ ... صِيغَ من لوعة ومن زفراتِ
لو بعينى رأوا صدور الغوانى ... سبَّحوا للجمال فى الصلواتِ

ومن غرائب الدهر — وللدهر غرائب — أن أُضطر إلى الدفاع عن نفسى وقد جعلت الهيام بالمعانى الروحية والذوقية شريعة من الشرائع، وملأت الدنيا بالحديث عن أزمات الأرواح والقلوب فى الشرق والغرب، ولم تكن فتنتى بالأعاصير فى صحراء النجف أقل من فتنتى بالأزاهير فى حدائق روان

الأستاذ محمود قراعة رجل فاضل، والفضل يوجب عليه أن يعترف بأصل الخلاف بينى وبين الأستاذ أحمد أمين فيما يتصل بأدب المعدة وأدب الروح، فقد أنكرت عليه هذه التسمية فيما يختص بالقرآن، لأن القرآن يرى الشخصية الإنسانية مكونة من جسد وروح، وقد وعد المؤمنين بأن ستكون لهم فى الجنة طيبات من النعيم المحسوس

والفضل يوجب على الأستاذ قراعة أن يعترف بأنى نقلته من حال إلى حال، فقد صرح بأن ما ورد فى القرآن من اللذات الحسية ليس إلا رموزاً وإشارات، وأعلن أن بعض المبشرين تهكم حين سمع أننا نقول بأن المؤمنين ستكون لهم فى الجنة أطايب من لذات الحواس!

وقد بينت فى الكلمات الماضية أن هذه النزعة لم تصل إلى بعض المسلمين إلا عن طريق النصرانية، وقد اقتنع الأستاذ قراعة بهذا الرأى بعد أن تعرض لمناوشات صوبها إليه باحث من مصر وباحث من فلسطين

أما ثناء الأستاذ محمود قراعة على الأستاذ أحمد أمين فهو مقبول، ذكره الله بكل صالحة، وأعانه على فهم القيمة الصحيحة

للأدب العربي ، وجعله بالفعل لا بالقول من أنصار الروح !

إسمعوا كلمة الحق ، أيها الناس

إن الأستاذ أحمد أمين قال فى لغة العرب كلاماً لو قيل مثله فى لغة الزنوج لعد من المفتريات ، فكيف يكون تصحيح أغلاطه ضرباً من العدوان على الآمنين ؟

٣ - أما الأستاذ محمد على عكاوى فسنرد عليه فى العدد المقبل. وأما الفتنة التى ثارت بين الدكتور فارس والدكتور أدهم وأشير فيها إلى اسمى عدة مرات فقد أكتب عنها كلمة بعد أسابيع

زكى مبارك

الأدب التحليلى والتركيبى

حضرة الأستاذ الفاضل محرر مجلة الرسالة :

تحية وسلاماً ، وبعد فقد بدت لى بعض الملاحظات وأنا أقرأ ما كتبه الدكتور زكى مبارك أخيراً فى الرد على الأستاذ أحمد أمين أجلها فيما يلى :

١ - يقول الدكتور زكى مبارك : (إن الطريقة التحليلية عرفها شعراء العرب منذ أقدم العصور . وعليه (يريد أحمد أمين) أن يرجع إلى معلقة طرفة ومعلقة لبيد وعينية ابن سويد ...) والرأى عندى أن زكى مبارك أخطأ فهم المقصود من اصطلاح الأدب التحليلى ، وإلا لما أجاز لنفسه هذا القول . فملقة طرفة ومعلقة لبيد ، ليستا من الأدب التحليلى فى شىء . لأن التحليل - كما نعرفه ويعرفه كل الباحثين فى تاريخ الآداب - هو رد الأشياء إلى أصولها الأولى ، وبيان تقومها بهذه الأصول ووجه هذا التقوم . ومعلقتا طرفة ولبيد ليستا من ذلك فى شىء، وإنما الصفة الغالبة عليهما ، صفة الوصف التشريحى. فطرفة مثلاً يصف لك الجمل فى معلقته بدقة تشريحية ، ولكن هذا الوصف التشريحى وإن لخص لك التفاصيل فى دقة متناهية ، فهو بعيد بعد ذلك كل البعد عن أن يظهر لك الجمل فى حياته الداخلية . ذلك أن هذا الوصف التشريحى ينقصه التجرد عن الذاتية من جهة ثم إدخال عنصر الخيال فيها من جهة أخرى . ومن هنا جاء القصور عن أن يطرق الشاعر الناحية التحليلية فى وصف الجمل . كذلك يمكننا أن نقرر هذا الكلام فى شىء قليل من التعديل ليناسب المقام حين نعرض لملقة لبيد أو عينية ابن سويد، أو غيرهما ممن ذكرهم زكى مبارك كنماذج للأدب العربى الذى جرى على النهج التحليلى

٢ - وضرب الدكتور زكى مبارك مثلاً لقوله بتغلب النزعة التحليلية على أكثر الشعر العربى فقال : إن قصيدة سعيد ابن حميد فى النهى عن العقاب فيها تحليل واستقصاء ، ثم تعليل وانتقال من العموم إلى الخصوص مما يثبت عنده ملكة التحليل للشاعر . والذى عندى أن الدكتور زكى أخطأ فهم القصيدة ونوعها وخصائصها . فالقصيدة ليس فيها تحليل ، وإنما كل ما فيها وصف ساذج لحالات تتقوم بفكرة النهى عن العقاب . كذلك قصيدة الطغرائى فى الحمامة الباكية ، يمكن أن نقول فيها إنها وصفية ساذجة بعيدة عن التحليل . أما قصيدة الشريف الرضى فما بدا فيها من تسلسل الفكرة والترابط بين الموضوعات التى تنتقل فيها القصيدة ، فهى نتيجة لكون طبيعة الناثر متغلبة على الشريف الرضى ، وليس من ذلك طبيعة التحليل فى شىء

٣ - يتصور الدكتور زكى مبارك أن النزعة التحليلية فى الأدب تقوم على أساس الاهتمام بتصوير المعانى وإشعار السامع والقارىء بأن هنالك محاورة للعواطف والقلوب والعقول . وهذا خطأ ، لأن القدرة على الوصف وإجراء الحوار شىء ، والقدرة على التحليل شىء آخر ، فقد يكون شاعر من الشعراء وصافاً ، ولكن ذلك لا يعنى أنه صاحب تحليل يمكنه من ردّ الأشياء إلى أصولها الأولى . وإليك مثلاً لذلك قول تميم بن جميل فى وصفه حاله الشعورية وهو يرى منظر الموت أمام المعتصم . فهذه القصيدة - وقد ذكرها زكى مبارك - وصفية ، وهى بعد ذلك ليست قائمة على عنصر التحليل للحالات الشعورية التى كانت تنتابه فى ذلك الموقف والخلجات التى كان يحسها ، ومنظر الموت أمامه

والذى عندى أن السبب فى خطأ الدكتور زكى يرجع إلى أنه ظن الوصف من التحليل ، وسبب هذا الظن الخاطئ أنه قرأ لاسماعيل مظهر والمازنى والعقاد أن ابن الرومى متفوق فى الوصف، ثم قرأ لهم أنه صاحب طريقة التحليل فى الأدب العربى فاختلط فى ذهنه هذا بذاك وكان منه الظن بأن الوصف من التحليل

هذه ملاحظات وجدت من المفيد أن أعقب بها على ما كتبه الدكتور زكى فى هذا الموضوع . وليس بي غير الرغبة فى تبيان رأى قديم لى فى هذا الموضوع والسلام .

(الاسكندرية) اسماعيل أحمد أدهم

حول ابن تيمية وابن بطوطة

اطلعت فى الرسالة الغراء على كلمة للأستاذ محمد محسن البرازى يأخذ فيها على الشيخ الخالدى ما نقلته عنه من أن ابن بطوطة لم يدرك ابن تيمية ، وكان الشيخ قد ذكر هذا ينفى ما حدثته به من قول ابن بطوطة إنه رأى ابن تيمية على منبر الجامع بدمشق يقول : إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا ، ونزل درجة من درج المنبر

فأما إدراك ابن بطوطة لابن تيمية فلا شك فيه كما قال الأستاذ البرازى . وقد وقع السهو فى وضع كلمة يدرك مكان كلمة يلق . والكاتب الفاضل يوافق الشيخ الخالدى فى هذا

وأنا مع إجلالى للأستاذين لا أجد ما يحملنى على تكذيب ابن بطوطة فى أمر يدعى أنه رآه وسمعه

عبد الوهاب عزام

رواية «عثمان فى الهند» — إلى ناقد الرسالة

سمعنا مساء السبت الماضى « ٢١ / ١٠ / ١٩٣٩ » عن طريق الإذاعة اللاسلكية من مسرح « ديانا » بالإسكندرية ، رواية «عثمان فى الهند» تأليف الأديب محمد شكرى، وتمثيل الممثل الهزلى على الكسار؛ ويسوءنى أن أقول : إن هذه الرواية ساقطة؛ وهى أتفه من أن تشاهد أو تذاع أو تسمع !

ولعلك يا أخى سمعتها أو شاهدتها فرأيت كيف بدت هزيلة فى فكرتها وفى موضوعها وأسلوبها وأغانيها وفى مغزاها ، ولولا وجود بضعة «قفشات» تخللت القصة لرجحت أن يطالب مشاهدو الرواية بما دفعوا من قروش ، إذ لم يشهدوا رواية تذكر ، وإنما شهدوا تهريجاً مرذولاً ، كالذى يقوم به « الحواة والنور » فى الأحياء الفقيرة من العاصمة والأقاليم لقاء مليم أو مليمين

لقد جلسنا إلى المذياع وابتدأت الرواية ، وذهبنا نفتش عن فكرة تدور عليها ، أو مغزى ترمى إليه ، فتتابعت الفصول والمناظر ، وأعلن المذيع انتهاء الرواية ، فدهشنا كما دهش الشاهدون بالمسرح ، فلم نسمع منهم هتافاً ولا تحية ، ولو على سبيل المجاملة !

لم تخرج الرواية عن جملة من الأغانى العادية ومعها جملة من « النكات والقفشات » . وليت الأغانى كانت جديدة ، أو جميلة ، أو قوية ؛ ولكنها كانت ثقيلة ، مملولة ، معادة وإن ظهرت فى ألفاظ جديدة وشكل جديد ؛ واللحن المكرر يسأم وإن عرض من آخره معكوساً بدل عرضه من أوله ... ! !

قد يقول قائل : إن الفرقة فرقة هزلية ، والرواية « كوميدية » مضحكة ، وعلى ذلك فلا يشترط أن تتضمن الرواية فكرة أو ترمى إلى مغزى ؛ وقائل هذا مخطئ بعيد عن روح المسرح جاهل لرسالته . فسواء كانت الرواية محزنة أو مضحكة ، وسواء كانت من « الدرام » أو «الكوميدية» ، فإنها تستطيع — بل يجب — أن توضح ما يشاء المؤلف من أفكار، وتعرض ما يشاء من مبادئ ، وتظهر ما يشاء من غرض

وقد تستطيع الرواية الهزلية بنكاتها اللاذعة و « قفشاتها » المحكمة ، أن تؤثر فى أفكارنا وفى عواطفنا وفى نفوسنا ، أكثر مما تؤثر الرواية المحزنة ؛ فإن النفوس أميل إلى الضحك ، وأولع بالهزل ، ومن هذه السبيل نستطيع أن ندخل إلى النفوس ما نشاء من آراء ومبادىء . وقد يستطيع الممثل الهزلى بسخريته واستهزائه وتهكمه ، أن يقف منا موقف الحكيم الفيلسوف ، فيهدى الضال ويرشد الحائر ، ويقوى الفضيلة ، ويحد من الطغيان !

لقد كانت رواية « عثمان فى الهند » التى نحن بسبيل نقدها ، تتحدث عن أن المعروف إذا فعله المرء وألقى به إلى البحر فإنه لا يضيع ، ولكن هل أستطيع حقاً — أو يستطيع من سمع أو شاهد الرواية — أن أقول إننى آمنت — بتأثير الرواية — بهذا المبدأ ؟ هل استطاعت الرواية حقاً أن تظهر هذا المبدأ الأخلاقى كأنه قضية مسلمة مقبولة ؟ الجواب : كلا ! ...

إن أكبر اللوم — كما أعتقد — يقع على مؤلف الرواية ، لأن الممثل يترسم خطاه ، ويتمسك بأسلوبه وطريقته ، ولو أن المؤلف أجاد التأليف لاستطاع أن يجيد الممثل التمثيل فنشهد الرواية الكاملة

يا حسرة على المسرح المصرى ... لقد ظهر عدوه اللدود « السينما » وبدأ يغزوه فى كل مكان وكل ميدان ، وكنا نتوقع من المسرح أن يشمر عن ساعده ، ويحمل سلاحه لمناضلة هذا العدو الجديد ، لكى يثبت أنه جدير بالبقاء والحياة . ولكنه — مع الأسف — رضى من الغنيمة بالإياب ، واستطاب الركود والخمول . وما دليلى على ذلك إلا إقامة أهله على تمثيل الروايات القديمة المكررة التى أكل عليها الدهر وشرب فإذا ما أقدموا على التجديد والتأليف جاءونا بالغث البارد الذى لا يشبع روحاً ولا يرضى فناً ، ولا ينال قطرة من إعجاب أو تقدير !

أحمد جمعة الشرباصى



لا بدَّ مما ليس منه بُدّ

حول كتاب

بقلم الدكتور بشر فارس

قال لى ناس — وأهل الفطنة كثير — : رأيناك تشهر القلم فى وجه بعضهم إرادةَ الذود عن حمى العِلم ، إذ قلتَ (الرسالة ٣١٤) : « إن العلم فى مصر أمسى شيئاً مقدساً له سَدَنته وله حرّاسه ، فكيف يأخذنا القول بالظن والكلام المتحدّى والجدال المتحكم والتظاهر بالتثبت والدراية » . ونصحتَ لمن عنّ له التطاول أن يطيل الروّية ، وبصّرتَه عواقبَ أمره « إذا هو أقبل على الاشتغال بالعلم أو على نقد من توفر عليه ، لأن النقد لا ثمرة فيه إذا حاد عن خدمة العلم وحدَه » . وهذا الناقد ينفضه كلامك فيكتب مقالاً وثانياً وثالثاً ، وأنت معرض عنه وقد قلتَ كلمتَك فسارت . فاعلم أن فى عنقك أن تكشف عما يجب الكشف عنه ما دام المتستر ينتفض فتنزلق المناظرة على يديه إلى مماحكة .

قال لى ناس ... فقلت : شهرت القلم من قبل للسبب الذى تعرفونه ، فلما رأيت الرجل يلوّى قلمه ويكابر ، قلت فى نفسى : هذا الوادى لا أنزل فيه ولا قبَل لقلمى بالوثب فى منحرفاته . إن إسماعيل أدهم تخرّج فى جامعة موسكو سنة ١٩٣٣ على قول مجلة الحديث (حلب ١٩٣٨) ، وأنا فى غير هذه الجامعة تخرجت ؛ وقد لقّننى من أدبنى أن ألتزم طريق الحق كيفما دار وحيثما انقطع ولا أدرى كيف يكون التلقين فى جامعة موسكو . قلتم إن المناظرة انزلقت على يد الخصم إلى مماحكة ، فحسبى اليوم أن أدوّن ما يؤيد قولكم

* * *

قلت كلمتى فى « الرسالة »[1] بعد نقد أدهم الأول لكتاب « مباحث عربية » ، فردّ أدهم فى الأعداد ٣١٧ و ٣٢٦ و ٣٢٨ . وكنت أنا وغيرى نرقب كيف يحاول أدهم التنصّل مما ألصقته به ، فأخفقت الرقابة .

كنت قد كتبت إن أدهم « يختلق القول » . إذ يقول : « يعتبر الباحث (يعنينى) كلمة البصيرة مقابلاً (يريد : ناظرةً إلى) intuition فى ص ٥٧ من مباحث عربية » . وزدت أنه من الغريب أنى لم أثبت كلمة intuition إزاء كلمة البصيرة فى الصفحة المذكورة وقد أطلعت صاحب « الرسالة » ورئيس تحرير المقتطف على ذلك ، فمن أين جاء أدهم بالكلمة الفرنسية ، وكيف جعلنى « أعتبر » ما يجهل هل أنا « معتبره » ؟

ثم كنت كتبت أن أدهم « يرتجل المصادر » ودليلى أنه استشهد بالإصحاح الرابع عشر من « سفر دانيال » من العهد القديم للكتاب المقدّس ، على حين أن « سفر دانيال » كله اثنا عشر إصحاحاً فقط . فبينت كيف اقتبس أدهم ذلك المرجع الوهمى من كتاب « ملتقى اللغتين » لمراد فرج ، وكيف سقط هذا المرجع هناك من باب الغلط المطبعى — إذ الصواب الإصحاح الرابع — فسطا عليه أدهم من غير تحقيق ولا روّية . ثم إنى أتيت بدليل آخر مجمله أن أدهم استشهد ، عند الكلام على أنساب العرب ، بالجزء الثالث من « الفهرست » لابن النديم وعيّن الصفحة ١٨٧ فبعد أن نفيت احتمال غلط الطبع بينت أن « الفهرست » لم يخرج إلا فى جزء واحد ، وأن الصفحة التى عينها الرجل لا أثر فيها لما استشهد به . وكان أدهم قد أسند نص الاستشهاد إلى ابن حزم ، فسألته من ابن حزم هذا وما كتابه ، ولابن حزم المشهور ستة وثلاثون مؤلفاً ؟ فاستخلصت من هذا كله أن أدهم اقتبس المرجع إلى « الفهرست » من كتاب من الكتب الحديثة من غير أن يراجع المظنة ، دأبَه مع « سفر دانيال » . هذا وأخبرنى من هو أرسخ منى فى العلم قدماً بأن ما استشهد به أدهم إنما هو وارد فى الجزء الثالث من كتاب « بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب » للألوسى . فانظر كيف يكون الاضطراب فى تناول المراجع .

(١) صحح فيها ص١٣٨٢ س١٩ : الفصل الثالث من الباب الأول ، بدلا من : الفصل الأول من الباب الثالث — راجع أيضا ردى فى مقتطف أغسطس

كتبت ذلك فأحجم أدهم عن الدفاع ، أو قل أبى التسليم : أحياء أم مكابرة ؟

أما نقد أدهم الثانى فما لا يُلتفت إليه ؛ فيه عناد ومغالطة وتحدٍّ وعود إلى اختلاق القول وتهويل ونقد عن هوًى . والله يعلم أنى لست ممن يتبسط الكلام ويرسل التهمة ؛ فرجائى من القارئ أن يلمس بعض الأدلة :

— أما العناد ففى إصرار أدهم على أن المسلمين الذين اهتديتُ إليهم فى فنلندة سنة ١٩٣٤ لم يرحلوا إليها عقب الثورة البلشفية فى روسية ، على حسب ما أثبتُّ نقلاً عن هؤلاء المسلمين أنفسهم واستناداً إلى بيان موظفى الحكومة الفنلندية . إن أدهم يحملنا على أن نظن أن أولئك المسلمين من سلالة طائفة من الترك هبطوا فنلندة فى « القرن السادس عشر للميلاد » ، وحجته هنا أن مدينة « توركو » الفنلندية تشتق اسمها من هؤلاء الترك . فرددت على هذا قلت : إن مدينة « توركو » تصعد إلى المائة الرابعة عشرة ، واستشهدت فيما استشهدت به بدائرة المعارف البريطانية . ولكن أدهم لم يدفع شهادة دائرة المعارف البريطانية — ولعل هذا السفر مما لا يعول عليه فى جامعة موسكو — بل عاد إلى تشكيكه فى تاريخ هجرة أولئك المسلمين ، وقام يستند إلى كتب ألفها علماء من روسية ليبرهن على أن جماعة من الترك رحلوا إلى فنلندة قبل الثورة البلشفية ، وأن أمرهم مشهور .

وحسبى اليوم أن أنقل هنا رسالةً بعث بها إلىَّ رأس المستشرقين فى روسية ، وهو الأستاذ كراتشكوفسكى أستاذ العربية وآدابها فى جامعة لننجراد (وهى غير جامعة موسكو ، كما يعرف أدهم نفسه) ومن أعضاء الأكاديمية الروسية فيها ، (وقد اطلع صاحب مجلة « الرسالة » ورئيس تحرير المقتطف على تلك الرسالة) ونصها :

« سيدى الأستاذ الفاضل ، سلاماً واحتراماً وشكراً على ما أنعمتم على به من رسالتكم اللطيفة عن أحوال المسلمين فى فنلندا ، وقد قرأتها بكل إمعان ولذة فى مجلة الدراسات الإسلامية ، ولكم الفضل فى لفت أنظار العلماء إلى هذه الزاوية من العالم الإسلامى الحاضر » ا . هـ

وعلى هذا فقد شهد شاهد من أهله ، وأى شاهد !

وهل ثمة حاجة بعد ذلك إلى أن أخبرك بأن « مجلة الدراسات الإسلامية » التى يخرجها المستشرق ماسينيون فى باريس نشرت حديثى عن أولئك المسلمين على أنه « اكتشاف » ، نشرته بالفرنسية سنة ١٩٣٤ قبل أن أنقله إلى لغتنا فى « مباحث عربية » ؟ أو إلى أن أخبرك بأن المستشرق جِبّ Gibb من أساتذة جامعة اكسفرد بعث إلىَّ برسالة (اطلع عليها صاحب مجلة الرسالة ورئيس تحرير المقتطف) يقول فيها إنه لم يك يعلم شيئاً عن أولئك المسلمين ؟

— وأما مغالطة أدهم ، فقد بينتها من قبل عند الكلام على ارتجاله لعنوان كتاب جعل اسمه أول الأمر « مجموعة محاضرات دركايم عن علم الاجتماع فى السوربون » ، حتى إذا ضيقت عليه المسالك قال : (الرسالة ٣١٧ وردّى ٣٢٠) إن هذا الكتاب يحمل اسم « قواعد منهج علم الاجتماع » تحت عنوان شامل هو « أعمال السنة الاجتماعية » (وهى مجلة دورية) ، وقد حاول عبثاً أن يقحم كلمة « مجموعة » فى هذين العنوانين . ثم إنه اعترف بعد ذلك أنه كان قد استند إلى ترجمة الكتاب بالإنجليزية . فكيف يناقشنى – أول ما يناقشنى – فى الأصل الفرنسى ويعين صفحات منه ؟

— وأما تحدى أدهم فى القول فيدخل تحته ما بدا له أن يكتب فى جانب اللغة . ووالله ما أدرى ما الذى استدرج الرجل إلى اقتحام النقد اللغوى ، وهو لا يزال يأخذ لغتنا عنا كما يقول (الرسالة ٣١٣ ص ٣٣١) ، وهو يريد الاعتذار من اقتباس تعبيرات لى : « إننى حين أكتب بالعربية فأنا أكتب بلغة غير لغتى الأصلية ، ومن هنا بعض ما يجئ على قلمى من التعابير الخاصة لكتاب اليوم استدراكاً للمعنى الذى فى ذهنى » . هذا ولا شك عندى أن القارئ لمس ارتباك أسلوب أدهم وركاكة عبارته واختلال مواقع ألفاظه ، وكثيراً ما قوّمت تعبيره ، وأنا أناظره حتى يفهمه القارئ . وهيهات أن أجادل أدهم فيما جاء به فى نقده الثانى دفاعاً عن آرائه اللغوية الأولى . فقد نصحت له من قبل أن يقرأ النوع السابع والعشرين من « المزهر » للسيوطى حتى يتبيّن معنى « الترادف » ، ونصحت له فوق ذلك أن يراجع دواوين اللغة والمؤلفات الفلسفية فى العربية والفرنسية جميعاً لعله يعلم أن « الأخلاقيات » : (éthique بمعنى morale) شئ و « السلوك » (moralité) شئ آخر . ماذا أصنع وأنا لا أملك إلا النصيحة ؟

وحسبى اليوم أن أبرز للقارئ جانبين من نقد أدهم الثانى فى باب اللغة ، قال أدهم (الرسالة ٣٢٦ ص ١٩٢٤) — وهو على كل قول قدير — « وليس جعلنا (يعنى نفسه) لفظة المتشابهة ناظرة إلى synonyme أفرنجياً بدليل (أضف : على) قصور فى العلم باللغة . لأن المتشابهة والمتباينة (كذا والله !) من الألفاظ التى تنظر إلى synonyme » ا هـ . هذا وأنت تعلم أن لفظة

synonyme تفيد مفاد كلمة « الترادف » عنـدنا . فبالله كيف تكون الألفاظ المتشابهة والمتباينة ناظرة معاً إلى المترادفة ، وبين المتشابه والمتباين مابين الأبيض والأسود ؟ — ثم قال أدهم (الرسالة ٣٢٦ ص ١٩٩٦) : « أما عن مجيء هذه الروايات (الخاصة بالمروءة) من الجاهلية أو عدم مجيئها ، فلا يؤثر على (يريد : في) القضية في شيء ، لأن جلها أتى من صدر الإسلام ، والعربية لم تتغاير (يريد : تتغير ؛ قد والله سئمت تهذيب أسلوب الرجل !) فلا معنى للاحتجاج بأنها ليست (يعني الروايات) من الجاهلية ، وإذن يبقى معنا لفظة المروءة نازعةً منزع السيادة في الجاهلية وصدر الإسلام ، بعكس ما حاول أن يوهم القارئ بطرق ملتوية الدكتور بشر في مباحثه العربية » اهـ . فهل للأستاذ الدكتور أدهم أن يراجع في « الصاحبي » لابن فارس باباً لطيفاً قريب المنال عنوانه « الأسباب الإسلامية » ليتبين له أن العربية اتفق لها أن « تتغاير » كما يقول ، بانتقال أهلها من الجاهلية إلى الإسلام إذ « حالت أحوال ، وأبطلت أمور ، و نقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر . فعفَّى الآخر الأول » . ليراجع الأستاذ الدكتور أدهم ذلك الباب ، فبه إليه حاجة ، وليطمئن إلى أن ابن فارس لا « يوهم القارئ بطرق ملتوية » مثل بشر فارس

— وأما عود أدهم إلى اختلاق القول فقصته أن الرجل قال (الرسالة ٣٢٨ ص ١٩٩٥) إني ألفتُ رسالة بالفرنسية عنوانها « العرض عند عرب الجاهلية » وموضوعها أن أخلاق عرب الجاهلية تندرج تحت معنى العرض ، ثم زاد « ولما كان المستشرق جولدتسيهر Goldziher قد كتب فصلاً كاملاً عن المروءة ذهب فيه إلى أن المروءة كانت تنزل منزلة الفضيلة عند عرب الجاهلية . فقد اضطر الدكتور بشر أن يعود عام (يريد : سنة) ١٩٣٧ ليناقش رأي جولدتسيهر فكتب مادة مروءة في تكملة دائرة المعارف الإسلامية ثم توسع بالمادة فكان منها موضوع مبحث المروءة من كتاب مباحث عربية » . اهـ

والرد على هذا أن كتابي « العرض عند عرب الجاهلية » مطبوع ومتداول ، وهو موجود في مصر ، في دار الكتب مثلاً وعند نفر من علمائنا وكتابنا . فمن ذا الذي يقول إني لم أناقش في هذا الكتاب — وهو الرسالة التي نلت بهـا شهادة الدكتوراه من السوربون — رأي جولدتسيهر ومَن تلا تلوه من المستشرقين ؟ إني لم أتحول في مبحثي الذي نشرته لي دائرة المعارف الإسلامية الخارجة في هولندة ولا في مبحثي المدرج في مباحث عربية عما جاء في كتاب العرض عند عرب الجاهلية . إن ما ذهبت إليه هنا هو ماذهبت إليه هنالك مع زيادة في سياقة النصوص وإفاضة في عرضها ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله ! وحسبك موازنة ماجاء في كتابي الفرنسي (ص ٣٠ — ٣٢) بما جاء في مباحث عربية (ص ٧٢ — ٧٤) وقد اطلع على ذلك صاحب مجلة الرسالة ورئيس تحرير المقتطف

— وأما تهويل أدهم فيدل عليه ما تقدم بك من ارتجاله للمصادر ، وإن قال من قبل متواضعاً (الرسالة ٣١١ ص ١٢٢٥) : « أظن أن الدكتور بشر فارس لا ينكر علينا أننا أكثر الكاتبين في العربية استقصاء للمصادر » . ثم دعني أخبرك بأن أدهم سلط قلمه ثانية على مبحثي في المروءة فاستغرق نقده ثلاث صفحات من الرسالة (٣٢٨) . ولما رأيت ذلك قلت في نفسي : لعل الناقد يدفع ما ذهبت إليه بتضعيف النصوص التي استخرجتها وهي تزيد على ثلاثمائة سواء تصريحاً أو تلميحاً ، أو لعله يُسقط مبحثي بالطعن في المراجع التي عولت عليهـا وهي تقارب المائة . ذلك ما يرقبه الناس من الناقد الثبت فيما أعلم . فماذا أصبت في تلك الصفحات الثلاث ؟ جاءني أدهم — وحياتك — بنصوصي دون غيرها ، فحرفها عن مواضعها ، وقدم من سياقتها وأخر ، وحملها ما لا تحمل ثم استخلص من ذلك التشويش أني أبعد ما يكون عن البحث اللغوي البسيط . بالله ثم بالله لِمَ لَمْ يأت بنص من عنده ، ولو بنص واحد؟

وأظرف من هـذا أنه أثبت مظان النصوص في نقده ناقلاً إياها من المراجع المثبتة في هوامش كتابي . ألا من يقول لي ما الذي يدعوه إلى أن يدوِّن مثلاً : « كتاب الأردبيلي مخطوط في آيا صوفيا رقم ٢٠٤٩ وهو مخطوط في التصوف كما وصف ذلك الأستاذ تيشنر في مبحثه المعنون باسم (هنا العنوان الألماني) ، والمنشور بمجلة Der Islam التي تصدر عن همبرج مجلد ٢٤ ص ٥٨ » ، ما يدعوه إلى مثل هذا التعالم ، وكل ما دوّنه مثبت في مباحث عربية » (ص ٥٩ المتن والحاشية) ؟ وعلى هذا ما دوّنه بشأن كتاب جولدتسيهر ، وكتاب العرض عند عرب الجاهلية (راجع « مباحث ... » ص ٧٢ ، ٧٤) . وخير للأستاذ أدهم أن يعدل عن التعالم بعد اليوم ، فلربما حفر حفرة وقع فيها . من ذلك الحفرة التي حفرها ، وهو يسطو « على ملتقى اللغتين » لمراد فرج ، ومن ذلك أيضاً قوله (الرسالة ٣٢٨ ص ١٩٩٥) : « المعنى الحقيقي réelle » ، ويا ليته قنع بالسطو على التركيب العربي وحدَه ، (وهو في « مباحث عربية » ص ٦٠) ! إلا أن وسوسة التهويل غوته فزاد كلمة فرنسية réelle في صيغتها المؤنثة . فلِمَ يؤنثها في نقده وهي واردة فيه من غير موصوفها ؟ القصة أن أدهم نسي الموصوف في طيَّات « مباحث عربية » وهو définition

(أى التعريف) فجاءت الصفة مبتورة ، ولم يفطن أدهم إلى وجوب تذكيرها حتى ترد صيغة الإطلاق . ولو كان أسند كل هذا إلىّ لكان خرج من ظِنّة السطو.. إلا أنها الوسوسات، لطف الله بنا!

— وأما نقد أدهم عن هوًى مبيَّت فى النفس فواضح فى عناده عند الكلام على مسلمى فنلندة . وكان قد اجتلب النقد اجتلاباً من قبل ثم عاد فذهب فى اللجاج ، على ما قدمت ، لأنه — هو المتخرج فى موسكو بعد سنة ١٩١٨ — يريد أن يجعلنا نرتاب فى أن نفراً من الناس بل من المسلمين يخطر لهم أن يفرّوا من الثورة البلشفية (أو « الثورة الاشتراكية الكبرى » كما يسميها هو : الرسالة ٣١١ ص ١٢٣٠) .

وأوضح من هذا أن أدهم خرج من نقده الثانى بهذه النتيجة :

« ظهرت عقلية الدكتور بشر الشكلية بأجلى مظاهرها وتبيّن لنا كيف أن هذه الشكلية مساقة إلى أخطاء فى البحث لا يقع فيها من له دراية بسيطة بالبحث اللغوى المستقيم (يعنى نفسه طبعاً) . والواقع أن بحث الدكتور بشر فى المروءة ضعيف لا يثبت على نقد ولا يمكن أن يواجه مراجعة علمية صحيحة »

وهنا لا أحب أن أذكّر أدهم بأن مبحث المروءة نشر من قبل بالفرنسية والإنجليزية والألمانية فى دائرة المعارف الإسلامية الخارجة فى هولندة ولم يظفر بمثل هذا الحكم . ثم لا أحب أن أستشهد بآراء من كتب عندنا فى « مباحث عربية » مثل العلامة الأب الكرملى ، والأديب المترسل الأستاذ المازنى ، ومدرسين من الجامعة المصرية وغيرهم . فلربما قال أدهم (وهو على كل قول قدير) : إن هؤلاء وأشباههم لا « دراية لهم بالبحث اللغوى المستقيم » . ثم لا أحب أن أطلعه على ما قاله المستشرق بروكلمن فى الجزء الثالث من تكملة تاريخ الآداب العربية ؛ فلربما قال : إن بروكلمن لا يستطيع « مراجعة علمية صحيحة » . بل ليأذن لى الأستاذ الدكتور أدهم أن أدوّن اليوم حرفاً لحرف ما قاله فى نقده الأول لكتابى :

«وفى هذا المبحث (مبحث المروءة) يبرز الباحث (يعنينى «مع الأسف ») رجلاً مدققاً عرض للموضوع فى إحاطة عجيبة » (الرسالة ٣١٢ ص ١٢٧٤)

ثم هذه خاتمة نقده الأول : « هذا هو كتاب مباحث عربية .

وهو كتاب فريد فى موضوعه وفى نهج بحثه وفى منحى تحقيقه ، يدل على أن صاحبه صاحب ذهنية علمية متزنة ، يتصدى للموضوعات على أساس من التقصى للأصول والفروع مع دراية تامة بأساليب البحث (غريب ، غريب !) والمآخذ التى أخذناها على أهميتها لا تنال من قيمة البحوث ولا من الجهد العلمى المبذول فيه . والواقع أن الدكتور بشر فارس شق الطريق للبحث العلمى الجدى (المفو !) ولو لم يكن له غير هذا الجهد لكفى ذلك التقدير . إسماعيل أحمد أدهم » (الرسالة ٣١٢ ص ١٢٧٥)

إن السر فى هذه الردّة أنى أدهم كتب نقده الثانى وهو ناقم حانق ، لأن بينت فى المقتطف (أغسطس) والرسالة (٣١٤) كيف يجتلب النقد اجتلاباً ويرتجل المصادر ويتحدّى فى القول ويتعالم فيتزلق إلى الاعتساف والغمز . ولم أجد بداً حينئذ من تبيين كل هذا — على ما قال أدهم فى خاتمة نقده — حتى تستقيم موازين النقد عندنا وينزجر الهاجم على العلم من غير بابه . فلما عجز الأستاذ الدكتور أدهم عن دفع البينة فزع إلى المماحكة والمهاترة ، قطع الله الحزازات التى تأكل النفس !

وإن قال أدهم (وهو على كل قول قدير) : إن له أن ينكر رأياً دوّنه فيستبدل به ضده ، بعد مضىّ أربعة أشهر (والحر فى مصر شديد، يبيس كل شىء) ، قلتُ ما دمتَ تناظر فى العلم كأنك تداور فى السياسة على الطريقة الحديثة ، فخذ شهادة أخرى ممن يُجَلّ ويعتدّ به من « أهلك » ، وهى رسالة بالعربية بعث بها إلى الأستاذ كراتشكوفسكى ، وقد اطلع عليها صاحب مجلة الرسالة ورئيس تحرير المقتطف: « سيدى العزيز الفاضل . سلاماً واحتراماً وشكراً لكم على إرسال كتابكم الجديد «مباحث عربية» وقد قرأته فى هذه الأيام أيام العطلة المدرسية، وانتفعت منه كثيراً. لا يخفى عليكم أن فى قراءته بعض صعوبة على من لم يتعود طريقاً علمياً صرفاً فى البحث والاستقراء ومع ذلك فى الكتاب درس مهم وخطوة جديدة فى سبيل ترقية العلم العربى الحديث ، عسى أن ينتفع بها أبناء العربية فى كل أقطارها . حتى بدعة الرموز ، الرموز الاختزالية رأيتها فى مكانها وهى بدعة مستحسنة ، ولا يتعسر إدراكها واستعمالها على كل من يتمرن فيها دقيقتين . وفى الإجمال قد خدمتم العلم والآداب بهذا الكتاب الجديد خدمة تذكر وتشكر ودمتم على مساعيكم الحميدة والنجاح حليفكم وذوو العقول السليمة فى الشرق والغرب أصدقاؤكم . أغناطيوس كراتشكوفسكى ، الروسى » اهـ — ألا حسبى صداقة « العقول السليمة » !

وبعد فهذه كلمة ثانية ، أرسلها مكرهاً ، ولكنها رعاية العلم الحق وإقامة النقد الصحيح ولن أعود إلى مثلها مع إسماعيل أحمد أدهم، فإن قلمى لمشغول عن مماحكته بما هو أجل شأناً وأعم نفعاً

ب . ف .

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

7^me Année No. 331

Lundi - 6 - 11 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٣١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٤ رمضان سنة ١٣٥٨ — الموافق ٦ نوفبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

وزارة الشؤون الاجتماعية

الفقـــر ...

— ٢ —

الفقر هو العنوان الثانى فى الدستور الإصلاحى لوزارة الشؤون الاجتماعية كما نقترح أن يكون . وإذا قلت الفقر فقد عنيت بهذه الحروف الثلاثة كل ما يقع فى ذهن المرء وخياله وحسه من معانى البؤس والألم والأمى والجريمة والرذيلة والذلة والمسكنة والعداوة والانتقام والثورة . وأى مجتمع يتسنى له أن يلتئم أو ينتظم أو يسعد ما دامت هذه الآفات تلح عليه بالاعتلال والانحلال والوهن ؟ وأنت إذا تقصيت بالنظر المتأمل أحوال الناس وأهوال الدنيا وجدت تنازع القوت هو المشكلة الأزلية للحياة ، والفقرَ هو النكبة الأبدية على النظام ، والجوع هو السبب القريب أو البعيد لكل ثورة فى تاريخ الأمم وكل جريمة فى حياة الأفراد . فهل فى حدود الجائز إذن أن نطلب إلى وزارة الشئون الاجتماعية أن تبيد الفقر وتقتل الجوع كما طلبنا إليها أن تمحو الأمية وتنسخ الجهالة ؟ لا وا أسفاه ! لأن شمول العلم أمر تقتضيه الفطرة وتجيزه القدرة ، ولكن شمول الغنى شىء تأباه الطبيعة ويعنه العجز . وما دام الناس مختلفين فى الذكاء

والقوة، فلا بد أن يختلفوا كذلك فى النفوذ والثروة. والتفاوت فى الطبع والكفاية والحيلة والوسيلة مبدأ مقرر فى الطبيعة ونظام مسلم فى الدين. إنما نطلب إلى وزارتنا المصلحة أن تخفف من نوائب الفاقة وتكفكف من غوائل الجوع بتقريب المسافة بين الغنى والفقر، وتنظيم العلاقة بين القوة والضعف، فإنها إن نجحت فى تحقيق هذين الأملين فقد نجحت فى إقرار السلام فى النفوس وإحكام النظام فى المجتمع

***

ولكن كيف تستطيع وزارة الشؤون الاجتماعية أن تخفف آلام هذه العاهة المستديمة مادامت لا تستطيع أن تحسم أسبابها بالطِّباب الناجع؟ تستطيع ذلك من طريق الدين ومن طريق التشريع ومن طريق الإدارة. فأما ما تستطيعه من طريق الدين فجباية الزكاة وتنظيم الإحسان. وجباية الزكاة فريضة على الحكومة المسلمة، كما أن أداءها فريضة على الشعب المسلم. فلا يجوز للوزارة أن تكل أمرها لحرية الضمير وإرادة النفس، فإن طمع الناس فى عاجل ثواب الدنيا أقوى من طمعهم فى آجل ثواب الدين. ومن أجل أداء الزكاة كان ارتداد العرب عن الإسلام فى عهد أبى بكر. إنما يجب أن تجبى الزكوات بالاضطرار كما تجبى ضرائب الأرض وعوائد العقار، وأن يكون لوزارة الشؤون الاجتماعية جباة كما كان لوزارة المالية صيارف. ولا بأس أن يترك الاختيار فى الإحسان على أن يستعان على غرسه فى القلوب وجمعه فى الأيدى بفرقة من الرجال والنساء تدخل البيوت والمكاتب على الأغنياء والغنيات من الأفراد والشركات فيذكرونهم بأن الله الذى خلقهم وخلق الفقراء قد جعل لُحمة ما بينهم وبينهم قائمة على أساس من المودة والرحمة. فإذا تمهدوا هذه الصلة الإلٰهية بالبر فنح القادرُ العاجز رَوْحاً من قواه، ونفح الواجدُ الفاقد قليلاً من جدواه، سارت القافلة الإنسانية فى طريقها غير ظلماء ولا وانية. فإذا ما جُمعت الزكوات والصدقات من طريقىْ الطوع والكَرْه تجعل فى (بيت المال) لا فى (الخزانة العامة)، ثم تُدبر على النظم الحديثة فى التأثيل والاستغلال، وتنفق فى إنشاء المياتم[1] والملاجئ والمستشفيات، ويستعان بالفرقة التى جمعت الإحسان من بيوت الأغنياء، فى توزيع المونة على المتعفف المجهول من بيوت الفقراء

وأما ما تستطيعه الوزارة من طريق التشريع فسن القوانين لحماية العامل والفلاح من صاحب المال ومالك الأرض؛ فإن أكثر ما يصيب الطبقة العاملة من المحن والإحن إنما ينشأ من إطلاق الحرية الطاغية لأصحاب الأموال الذين يستثمرونها فى التجارة أو فى الصناعة، ولأرباب الأطيان الذين يستغلونها بالتأجير أو بالزراعة

فهؤلاء وأولئك على قلتهم يتحكمون فى الأُجراء ويستبدون بالمستأجرين ولا تدركهم بهم رحمة الخالق بالخلق ولا عناية الصانع بالآلة. فصاحب الآلة يوفر لها الشحم والوقود، ومالك البقرة يهيئ لها الحظيرة والعلف؛ ولكن أصحاب الأموال والأطيان لا يكادون يتركون لعمالهم وفلاحيهم ما يمسك الروح ويستر البدن

وإذا شاءت الوزارة أن تحقق ما يعانيه العامل والصانع من أولى العمل، وما يقاسيه الأجير والزارع من ذوى الطين، تكشفت لها أستار المجتمع عن مآسٍ مروعة من الظلم والغبن والطمع والأثرة لا يستطيع منع تمثيلها المحزن المخزى غير سلطان القانون

بقى ما تستطيعه الوزارة من طريق الإدارة وهو يشمل ما لا يدخل فى نطاق الدين أو القانون بنص صريح، كمكافحة البطالة بتيسير سبب العمل للعامل، وتدبير رأس المال للصانع، وتمصير المعامل والمصانع والمتاجر والمصارف والشركات يداً ولساناً ليحل الوطنيون المتعطلون فيها محل الأجانب، وذلك مورد للرزق يمكن أن يعيش عليه ألوف من الأسر المحرومة أهملته الحكومات السالفة لاشتغالها بسياسة الكلام وخصومة الحكم عن كل نافع

***

بهذه الخطة المحكمة لكفاح الفقر بمعونة من سلطان الدين وسطوة القانون وقوة الحكومة تستطيع الوزارة أن تنقذ من غوائله الطفولةَ المعذبة والشبيبة الشردة والشيخوخة العاجزة والأسر المنكوبة والكفايات المعطلة، وأن تطهر المجتمع مما يجره عليه بقاء هذه الأحوال من فساد الأخلاق ونَغَل القلوب واضطراب الأمن وقلة الإنتاج وكثرة الجرائم. ونجاحها فى ذلك معناه بناء المجتمع المصرى على أسس جديدة من تقوى الله ورضوان الناس وتعاطف النفوس وتعاون القوى وتضامن الأمة.

احمد حسن الزيات

(١) المياتم جمع ميتم وهو مكان اليتامى المتروكين يربون فيه ويعلمون، وهو بهذا المعنى مستعمل فى العراق، والعامة تستعمله خطأ فى معنى مأتم

الباحثون والساسة

للأستاذ عباس محمود العقاد

المعروف عن رجال السياسة فى أمم الغرب أنهم أوسع اطلاعاً وأكمل ثقافة من رصفائهم فى الأمم الشرقية ، فنهم الأدباء والناقدون ، ومنهم المشتغلون بالفن أو بالعلم أو بالرياضة ، وقل منهم من ليست له مشاركة فى موضوع من موضوعات الذوق أو التفكير

لكن العجيب فيهم مع ذلك أنهم يعدون فى بلادهم من أقل الناس اطلاعاً على الدراسات النافعة فى شؤون السياسة العصرية ، أى الشؤون التى هم بها مشتغلون وعليها عاكفون ، كأنما يستنكف أحدهم أن يتعلم شيئاً فى مسألة من المسائل هو أحرى أن يجلس فيها مجلس الأساتذة المعلمين !

ومن هنا يعتورهم السهو والتقصير ، وتتعرض أحكامهم على المسائل العالية لما يشبه الغفلة والإهمال

***

مثل من الأمثلة الكثيرة على ذلك هذه المحالفة الشيوعية النازية التى وقعت عند الأكثرين موقع المفاجأة والغرابة وفى طليعتهم أقطاب الوزارة والسفارة

ففى الوقت الذى كان فيه بعض السفراء والوزراء يعانون صدمة المفاجأة من جراء هذه المحالفة الغريبة كان قراء الكتب السياسية يتلقونها كما يتلقون نبأ جائزاً فى التقدير بل مرجحاً أعظم الترجيح فى الحسبان

ففى أوائل هذه السنة طبع كتاب الناقد السياسى والخبير الاقتصادى الدكتور بيتر دركر Peter Drucker الموسوم بنهاية الرجل الاقتصادى أو الرجل الذى يفترضه الشيوعيون والنازيون The End of Economic man فإذا بالمؤلف يقول عن المحالفة بين الروسيا والأمم الديمقراطية : « إنها قد أحدثت من الأضرار ما لم تحدثه قط غلطة سياسية فى السنين العشرين الأخيرة . فلن تقع الآن حرب بين ألمانيا وروسيا ما لم تعترض فى الطريق قارعة لا تخطر على البال . . . ومتى امتنعت الحرب فلا بد من محالفة تربط هاتين الدولتين فى وجه العالم الغربى بأسره ، ولا ينبغى أن ننظر إلى الحرب بينهما إلا على اعتبار أنها فكرة متمناة أو أمنية ترد علينا مورد التفكير . . . أما الواقع فهو أن الدولتين خليقتان أن تتقاربا وتتحالفا لأنهما متشابهتان فى لباب العقيدة وأحوال الاجتماع . ومن الحق أن نترقب هذه المحالفة ولو ناقضتها فى الظاهر جميع الاعتبارات والتقديرات . . . »

وفى قريب من الوقت الذى طبع فيه ذلك الكتاب كان كتاب آخر باسم « بولونيا مفتاح أوربا » يطبع لمؤلفه الدكتور رايموند لسلى بويل Raymound Leslie Buell الحجة الثقة بين علماء الأمريكيين فى هذه الشؤون ، وكان مؤلفه يراجع آراء هتلر التى بسطها فى كتابه « جهادى » عن المحالفة بين الروس والألمان فيرد عليها قائلاً :

« ومع هذا يحتمل أن تصبح الروسيا أقوى من أن تمزق وأضعف من أن ترفض اقتراحاً من النازيين بالاتفاق الشامل بين الفريقين . فهى فى عزلتها عن فرنسا وبريطانيا العظمى ، وفى حذرها من تهديد اليابان لتخومها الشرقية ، قد تؤثر محالفة ألمانيا على محاربتها ، وقد تؤدى هذه المحالفة إلى بطلان الدولية الثالثة وتقديم الموارد الروسية إلى الألمان واتخاذ السياسة المعادية لليهود؛ ويلوح أن إبرام هذا الاتفاق عسير قبل موت ستالين ، ولكن احتمالاً من هذين الاحتمالين وهما الحرب أو المحالفة الشاملة أمر لا ينبغى أن يعزب عن البال ... ولا يصعب علينا أن نتوقع اتفاقاً على تقسيم بولونيا تقسيما جديداً بعد المحالفة »

***

وحوالى هذا الوقت بعينه كانت صحيفة إنجليزية تصدر فى فانكوفر اسمها شمس فانكوفر Vancouver Sun وهى بلدة فى كندا تنشر بحثاً ضافياً فى هذا الموضوع فتقول فيه بعد عرض المسألة من جميع جوانبها ما خلاصته : « إن ستالين وهتلر قد يطرحان عنهما خصومتهما القائمة فى الوقت الحاضر ويتفقان على تكرار تقسيم بولونيا من جديد . فالحكومة والأحوال فى كلتا الأمتين الروسية والألمانية ليس بينهما كبير خلاف، وإن سخط هتلر وأصحابه من بيان هذه الحقيقة : كلتاهما حكومة طغيان عسكرى لا أثر فى ظلالها للحرية ، وقد صدقت الفكاهة التى تشيع

اليوم فى البيئات الألمانية وفحواها أن صاحباً يسأل صاحبه فى معزل عن الناس : ما الفرق بين روسيا السوفيتية وألمانيا النازية ؟ فيجيبه : الجو فى روسيا أبرد ! ... »

***

كان الباحثون السياسيون يفيضون فى أمثال هذه البحوث بين الترجيح تارة والتوكيد تارة أخرى والسفراء والوزراء يلحون فى وجوب عقد المحالفة بين الروسيا من جهة وبريطانيا العظمى وفرنسا من الجهة الأخرى ، وكان منهم رجل حصيف مثل لويد جورج يكتب وينادى بأن هذه المحالفة ضرورة لا محيص عنها وباب لا باب غيره للنجاة من أرهاب الهتلرية والنازية ، وكانت الإشاعات تتوالى بالتقدم فى طريق الاتفاق والدخول فى التفصيلات التى لا ضير منها على المبادئ والأصول ، وتشاء مضحكات القدر أن نقرأ أنباء هذه البشريات وأنباء الغدر الروسى فى بريد واحد وصل بعد استفحال الخطب وجلاء الشكوك !

***

ويسألنى القارئ : وما اقتراحك فى هذه المشكلة ؟ أتراك توصى بإسناد الوزارة والسفارة إلى الباحثين والدارسين وانتزاعها من أيدى الوزراء والسفراء ؟

وأبادر فأقول معاذ الله ! ... إن الباحث باحث والوزير وزير ، فإذا أصبح الباحث وزيراً بطل بحثه ونقص من أحد طرفيه ولم يستوف العملين فى آن

وإنما أقول بوجوب الانتفاع بهذه البحوث والدراسات فى تذكير الوزراء والسفراء أو فى بسط وجوه النظر فى كل مسألة من مسائل السياسة والحكم عند ما يعرضها عليهم العارضون

فيشتمل كل مكتب من المكاتب المتصلة بالسياسة القومية أو السياسة العالمية على قسم للقراءة والتلخيص والتبويب ، ولا تنظر مسألة من المسائل إلا ومعها سجل الحقائق والمعلومات والآراء التى اهتدى إليها فى تلك المسألة ذوو الخبرة والاختصاص

***

ولبيان الفرق بين قرار يتخذه عالم منقطع للدرس والمراجعة وقرار يتخذه وزير خاضع للقيود العملية والوقائع الراهنة والمنازعات الحزبية نسأل :

هبوا وزراء فرنسا وبريطانيا العظمى اطلعوا جميعاً على كتب الباحثين وفصول الخبراء الثقات فى ترجيح المحالفة النازية الشيوعية والتيئيس من المحالفة الأخرى وآمنوا أصدق الإيمان بما قرأوه فماذا عساهم كانوا صانعين ؟

كانوا يحجمون عن مفاوضة الروسيا ويستضيعون الوقت فيما ليس وراءه طائل

ونعود فنسأل : أتراهم يحسنون بذلك أم يسيئون ؟ ؟

واعتقادنا نحن أنهم يسيئون غاية الإساءة ، لأن أنصار الروسيا بين الفرنسيين والإنجليز وأبناء الأمم أجمع يظلون بعد ذلك فى ضلالهم القديم ، ويزعمون لأنفسهم أو لغيرهم أن ساسة فرنسا وانجلترا هم الذين عزلوا الروسيا وقطعوا ما بينهم وبينها فدفعوا بها كارهة إلى أحضان النازيين أعداء الديمقراطية ، وأنهم إذن مسؤولون عن هذا الفشل وعما يضيع بسببه من الأرواح والأموال

ومتى شاعت هذه العقيدة بين الطبقات التى يؤخذ منها الجنود والمال فالخطر عظيم ، وتزييف العقيدة بالحجج العلمية والدروس النظرية عسير ، وباب المكابرة واللجاجة مفتوح لمن شاء على مصراعيه

أما اليوم فقد أخطأ الساسة فى مفاوضة الشيوعيين وأصاب القدار . فلا مكابرة ولا لجاجة ولا خفاء بحقيقة النيات بعد أن بلغ من وضوح الحقيقة أن تلمسها كل يد وتبصرها كل عين

إن الدراسة حسنة واتباع الواقع حسن ، وأحسن منهما واقع تهديه دراسة الدارسين .

عباس محمود العقاد

جنـــاية أحمد أمين
على الأدب العربى
للدكتور زكى مبارك

— ٢١ —

رأينا فى المقال السالف سرقتين من سرقات الأستاذ أحمد « الأمين » كما كان يسميه أستاذنا الشيخ المراغى قبل أن تنكشف تلك السرقات

والكشف عن سرقات هذا الرجل الفضال لا يُعدُّ من الإيذاء حتى نَقبل دعوة بعض الأصدقاء إلى مهادنته مراعاةً لأدب الصيام. فأحمد أمين نفسه بحكم منصبه فى كلية الآداب يعرف أن الكشف عن سرقات الشعراء والخطباء والكُتّاب نوع من المرانة الذهنية، وفنٌّ من فنون الأدب الرفيع

وأعترف بأن اهتمامى بكشف سرقات أحمد أمين لا يخلو من شيطنة، ولعله ضرب من المنافسة للدكتور طه حسين، فالدكتور طه قد زعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه فهداه إليها، وأنا أيضاً أزعم أن أحمد أمين لم يكن يعرف نفسه وسأهديه إليها، مع الفرق بين الهدايتين

وأصرح بأن تشجيع القراء وحرصهم على أن تُجمع هذه المقالات فى كتاب يرجع إليه من تهمهم معاودة النظر فيما شرحناه من الحقائق الأدبية، ذلك التشجيع لا يهمنى كثيراً وإن كان يدلنى على يقظة القراء ورغبتهم فى محاسبة الكُتّاب والباحثين.

وإنما أنتظر أن أتلقى كلمة ثناء من الأستاذ أحمد أمين لأعرف أن الجميل فى هذا البلد لا يضيع، فهو يعرف جيداً أنى قدمت إليه خدمة عظيمة حين دللته على أن مصر لا تزال بخير ففيها رجال يحاسبون من كان فى مثل منزلته من المتصدرين لتدريس الأدب بكلية الآداب، وهل يظن أصدقاؤنا بتلك الكلية أن حديقة الأورمان منطقة من مناطق المريخ، وأنهم بمنجاة من أسنة الأقلام؟ هيهات، ثم هيهات ؟!

ونرجع إلى السرقات فنقول:

شغل الأستاذ أحمد أمين نفسه بالنص على أن العرب فى جاهليتهم لم تكن لهم وثنية تبدع الأساطير على نحو ما كان الحال عند اليونان، وذلك يشهد بأن الجاهليين لم يكونوا من أهل الخيال

وقد ناقشنا هذا الرأى بمقال مفصل نكره تلخيصه اليوم لئلا نقع فى الحديث المعاد، فهل يعرف القراء من أين أخذ الأستاذ أحمد أمين هذا الرأى؟ أخذه من قول الدكتور أحمد ضيف:

« وقد قال بعض المستشرقين مثل رينان ومن جرى على مذهبه: إن العرب ككل الأمم الساميّة ليس لها أساطير فى شعرها ولا فى عقائدها، وإن هذا يدل على ضيق الخيال لديهم: لأن الأساطير والخرافات إنما هى نتيجة سعة الخيال، ونتيجة الحيرة والبحث وحب الاطلاع ... وكل ذلك يظهر أثره فى بلاغات الأمم من نظم ونثر، كما هى الحال عند الأمم الآرية كاليونان وغيرهم من الأمم الأوربية، وقالوا سعة الخيال، ولا يقصدون بالخيال ما نقصده نحن من المجاز والتشبيه، وإنما يقصدون سعة الخيال فى تصور الحقائق وفى إدراك الموضوعات المختلفة، لأن أساطير اليونان كان منشأها البحث عن الخالق وتصوره فلم ترشدهم عقولهم إلا إلى ضرب من الخرافات كتبوا عنها وألفوا فيها الأسفار ونصبوا لها التماثيل، فاستدل الباحثون بذلك على قوة الذكاء وسعة الخيال وحب الجمال والافتتان فيه، وربما كان هذا من الأسباب التى حملتهم على طول الكلام والميل إلى القَصَص فى النثر والشعر، لأن هذا النوع من البلاغة ليس إلا ضرباً من سعة الخيال فى التصور والفكر والتعبير. ومن هنا يكون تعدد الأنواع فى ضروب البلاغة نظماً ونثراً »[1]

ذلك كلام الدكتور أحمد ضيف فى محاضرات ألقاها بالجامعة

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص٥٧ و٥٨

المصرية سنة ١٩١٨ ونشرها سنة ١٩٢١

فهل عرفتم من أين سرق الأستاذ أحمد أمين كلامه عن الفرق بين وثنية العرب ووثنية اليونان ؟ هل عرفتم من أين سرق القول بأن الوثنية العربية لم تخلق التماثيل كما صنعت وثنية اليونان ؟ هل عرفتم من أين انتهب القول بأن المجاز والتشبيه لا يدلان على سعة الخيال ؟ هل عرفتم من أين اغتصب القول بأن الجاهليين لم تتعدد عندهم ضروب البلاغة فلم يعرفوا الأقاصيص الشعرية والنثرية ؟

إن الدكتور أحمد ضيف لم يبتكر هذا الكلام ، ولكنه راعى الأمانة العلمية فذكر مصدره من كلام المستشرقين ، أما الأستاذ أحمد أمين فقد انتهب ما نقله الدكتور أحمد ضيف عن المستشرقين ثم ادعى أنه من مبتكراته ودعا الناس إلى مناقشته في تلك « المبتكرات » ! !

فهل عرف أنه جازف أقبح مجازفة حين دعا الباحثين إلى مناقشته وهو يظن أنْ لن يسمع منهم غير الحمد والثناء ؟

وفُتِن القراء بقول الأستاذ أحمد أمين إن العربي الجاهلي وصف ما رآه ، وهى فكرة بسيطة لا تحتاج إلى مقال مطوَّل فى مجلة أسبوعية ، ولكنها مع ذلك مسروقة من قول الدكتور أحمد ضيف :

« كان العربى يصف فى شعره ما يراه ، ويتكلم عما يشعر به فى نفسه من عواطف وفضائل ، وقد تكلم وعبَّر عما يجول بخاطره بنفس الشجاعة والأقدام اللذين كانا له فى الحياة »[(١)]

فأين الذين فُتِنوا بكلام الأستاذ أحمد أمين ليعرفوا أنه مسروق من كلام الدكتور أحمد ضيف ؟

وهناك فرق بين العبارتين : فعبارة الدكتور ضيف سبقت بتعليل مقبول لوقوف العربى عند وصف ما يراه ، أما أحمد أمين فاقتضب الكلام حتى لا يتنبه بعض القراء إلى أنه يجدحُ من سَوِيق سواه !

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٥٢

وقال الأستاذ أحمد أمين إن بلاد العرب كانت فى الأغلب جرداء فلم توح إليهم التفنن فى وصف المناظر الطبيعية من رياض وبساتين ، وجداول وأنهار ، وجبال مكللة بالأشجار والأزهار

فهل يعرف القراء أنه سرق هذه الفكرة من قول الدكتور أحمد ضيف :

« إن طبيعة بلاد العرب الجافة ذات الشكل الواحد لم تُلهم العربى ولم توح إليه من أنواع الجمال غير جمال التعبير عما يجول بخاطره وإظهار عواطفه إظهاراً ساذجاً . غاب عنه جمال الطبيعة من حقول وخمائل ومن جبال وتلال مكللة بالأشجار والأزهار ، ونَدَر لديه جريان الماء وهدوء الجوّ ، فلم يرَ إلا الصحراء المحرقة ذات الفضاء اللانهائى ، والنخل المصمد فى السماء على شكل واحد فأثر ذلك فى خياله وجعله لا يعرف التغيير[(١)] »

قد تقولون إن هذه أفكار تعدُّ من البديهيات ، فمن حق أحمد أمين أن ينقلها عن أحمد ضيف

وهذا حق ، ولكن ما رأيكم فيمن ينقل البديهيات التى أعيدت مرات على أنها من البِدْع المبتكَر الطريف ، ثم يقول وهو مزهوٌ مختال : هذه آراء نعرضها للبحث وندعو القراء إلى مناقشتها رغبةً فى تخليص الأدب العربى من الأوهام والأضاليل ؟ !

وأراد الأستاذ أحمد أمين أن يأتى بالأعاجيب فقرر أن العرب لم يعرفوا الشعر القصصى ولا الشعر التمثيلى ، وهى فكرة بسيطة لا تحتاج إلى دعوى الابتكار والابتداع ، ولكنها مع ذلك مسروقة من قول الدكتور أحمد ضيف : « الشعر القَصصى والشعر التمثيلى بالمعنى المعروف الآن عند الأدباء فى بلاغات الأمم الأخرى لا وجود له عند العرب[(٢)] »

وما ادعينا ولا ادعى أحد أن العرب كان عندهم شعر قصصى وشعر تمثيلى حتى نحتاج إلى حذلقة أحمد أمين .

(١) ص ٥٣

(٢) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص ٤٩

وعاب صاحبنا على الناس أن يظنوا أن العرب عرفوا كل شيء ، ولامهم على الاطمئنان المطلق إلى المؤلفات القديمة مع أنها على سعتها مشوّشة تتنافر بعض أجزائها مع بعض ، وعجب من أن يوجد قوم يأنفون من الخروج على الأدب القديم

وهذا الكلام « المبتكر » مسروق من قول الدكتور أحمد ضيف فى مطلع المحاضرة التى ألقاها بحضور الزعيم سعد زغلول فى اليوم التاسع من نوفبر سنة ١٩١٨ :

« دراسة الأدب العربى بالطرق المعروفة الآن لا تزال حديثة العهد . والأدب العربى على سعته وغناه مشوش مختلط مرتبك لا يزال باقياً على حالته الأولى من البساطة والسذاجة فى التأليف والجمع ، ولم تحرّر بعدُ عقول أدبائنا من قيود الطرق القديمة والانتصار لها ، ولا يزال يعدُّ الخروج من القديم خروجاً عليه . ولا نزال نعتقد أن القدماء وصلوا إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه العقل البشرى من الذكاء والإتقان ، وغير ذلك من ضروب الرضا والارتياح »(١)

ومن ذلك ترون أن الأستاذ أحمد أمين لم يكن من المبتكرين حين أراد أن ينبهكم إلى الغفلة التى شاعت منذ أزمان ، الغفلة التى توجب أن نجهل أن مصادر الأدب العربى تحتاج إلى تهذيب وترتيب ، والتى قضت أن تظل عقولنا فى أسر الأدب القديم ، والتى أوهمتنا أن العرب لم يتركوا زيادةً لمستزيد ، وأنهم وصلوا إلى كل شيء ، وأن لغتهم أحسن اللغات

قد تعتذرون عن الأستاذ أحمد أمين بأنه يحادث ناساً يعيشون فى سنة ١٩٣٩ لا فى سنة ١٩١٨ ، ولكن لا تؤاخذونى : فقد توهمت أننا نتقدم فى الدراسات الأدبية من يوم إلى يوم ، وأن ما يُنشر فى سنة ١٩١٨ لا يعاد بحروفه فى سنة ١٩٣٩ خوفاً من أن يقال إن فى أساتذة الجامعة المصرية من يرى الحديث المعاد من المبتكرات

وحدثكم الأستاذ أحمد أمين أن الإعجاب المطلق بالأدب العربى يضر أكثر مما ينفع ، وأن من واجبنا أن نوازن بين أدبنا وبين الآداب الأجنبية ، وأن نترك أحكام النقل والتقليد ... وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف :

« كل حكم مبنىّ على النقل أو التقليد لا قيمة له ، ولا يفيد شيئاً ولا يصح الاعتماد عليه ، فلا يصح أن نصدق قول من قال إن لغة العرب أحسن اللغات بدون أن نعرف شيئاً من اللغات الأجنبية ونوازن بينها وبين اللغة العربية . وإننا لنسيء إلى اللغة العربية وإلى الأدب العربى وإلى الأمة العربية أكثر من أن نحسن إليها بمثل هذه الأقوال التى لا يمكن أن يعتمد عليها إنسان مفكر ، كما أنها لا تحرك العقول ولا تحملها على البحث »(١)

ذلك كلام الدكتور أحمد ضيف الذى نقله الأستاذ أحمد أمين بدون أن يشير إليه ... وهل كان يظن أن فى مصر من لا يزال يذكر كلاماً قيل فى سنة ١٩١٨ ونشر فى سنة ١٩٢١ ؟

وحدثكم الأستاذ أحمد أمين بأنه يجب أن ننظر إلى الأدب العربى القديم كما ننظر إلى الآثار المودعة فى المتاحف ، وندرسه كما تدرس الآداب اليونانية واللاتينية ... وهذا هو كلام الدكتور ضيف إذ يقول :

« من هذه الوجهة يجب أن نتعصب للغة العربية وآدابها كما يتعصب الأوربيون الآن للغة اللاتينية واليونانية لأنهما أصل معارفهم ومستودع سر مدنيتهم(٢) »

وحدثكم أحمد أمين بأنه يجب أن يكون لنا أدب مصرى يصور المجتمع عندنا ويحدثنا عن الزارع فى حقله والتاجر فى متجره والعالم بين تلاميذه وكتبه والعابد فى معبده والماجن فى مجونه ... وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف :

« نريد أن تكون لنا آداب مصرية تمثل حالتنا الاجتماعية ، وحركاتنا الفكرية ، والعصر الذى نعيش فيه ، تمثل الزارع فى حقله ، والتاجر فى حانوته ، والأمير فى قصره ، والعالم بين

(١) ص ٣

(١) مقدمة لدرس بلاغة العرب ص٣ (٢) ص ٦

تلاميذه وكتبه ، والشيخ فى أهله ، والعابد فى مسجده وصومعته ، والشاب فى مجونه وغرامه . أى نريد أن تكون لنا شخصية فى آدابنا . ولا نريد بذلك أن نهجر اللغة العربية وآدابها ، لأننا إن فعلنا ذلك أصبحنا بلا لغة وبلا أدب »

ومن هنا تعرفون كيف سرق أحمد أمين تلك « المبتكرات » التى دعاكم إلى تقليبها على جميع الوجوه لتعرفوا ما فى كلامه من الخطأ والصواب !

وحدثكم أحمد أمين بأنه يجب تحرير الشعر من القوافى والأوزان حتى يتسع لشرح مختلف المقاصد والأغراض . وهذا منقول عن قول الدكتور ضيف :

« إن بلاغة العرب محصورة أو تكاد تكون محصورة فى الشعر ، والشعر لا يمثل حالة الاجتماع لضيق المجال فيه ، لأنه لا يسع جميع الأفكار ولا يحتمل إظهار الحقائق كما ينبغى ، لما فيه من القوانين التى يجب على الشاعر اتباعها ، وكثيراً ما تضطره إلى ذكر ما لا يلزم ، أو حذف ما يلزم ، ولأن الشعر رغم كل شىء مبناه الخيال والمبالغات ، والاستعارة والتشبيه والمجاز (1) »

* * *

أما بعد فتلك مجموعة جديدة من سرقات أحمد أمين فى الآراء التى عدّها من « المبتكرات »

فهل أخذتم منها عِبرة ؟

هى أولاً شاهد على أن فى أدبائنا من ينهب آراء معاصريه بلا ترفق ولا استبقاء

وهى ثانياً مظهر من مظاهر الاستخفاف بيقظة النقد الأدبى فلو كان الأستاذ أحمد أمين يعرف أن فى مصر رجالاً يسايرون الحياة الأدبية مسايرة تمكنهم من رد كل كلام إلى مصادره الظاهرة والخفية لتهيب عواقب السطو على آراء من سبقوه فى القديم والحديث

وهى ثالثاً دليل جديد على عدل فاطر الأرض والسموات ، فالدكتور ضيف قد انسحب من ميدان الحياة الأدبية منذ أعوام طوال ، وهو يوغل فى إيثار العزلة والانزواء ، ولا يكاد يلتفت إلى أن له آراء يسرقها أحمد أمين أو غير أحمد أمين ، ولعله يتأذى حين يسمع أننا ننوه بتلك الآراء ونأخذ بتلابيب من يسرقونها فى وضح النهار أو فى ظلام الليل .

ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟

سترون فى المقال المقبل سرقات جديدة من سرقات الأستاذ النبيل أحمد أمين !

وسترون أنه لن يضن علينا بكلمة ثناء !

اللهم إنى صائم ! اللهم إنى صائم !

فاجعل إفطارى على زاد أفضل من كشف سرقات الأدباء

« للحديث شجون » زكى مبارك

(1) ص ٦٨

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية :

السنة الأولى فى مجلد واحد ٥٠ قرشا ، و ٧٠ قرشا كل من السنوات : الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة فى مجلدين . والمجلد الأول من السنة السابعة

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش فى الداخل وعشرة قروش فى السودان وعشرون قرشا فى الخارج عن كل مجلد

دمشقيات

صديقي رمضان ...

للأستاذ علي الطنطاوي

صديق عزيز ، لقيته وأنا طفل في دمشق ، ثم افتقدته وأنا شاب أذرع الأرض وأضرب في بلاد الله ، ففرحت بلقائه وأحببته ، وألمت لفقده وازداد حنيني إليه ، فأين أنت يا صديق رمضان ؟

كنت أرقب قدومه ، وأحسب له الأيام والليالي على مقدار ما يحسن طفل من الحساب ، فإذا جاء فرحت به وضحكت له روحي لأني كنت أرى الدنيا تضحك له وتفرح بقدومه

كنت أبصره في المدرسة ، فالمدرسة في رمضان مسجد ، ودرسها تلاوة وذكر ، وأهلوها أحبة ، ما فيهم مدرّس يقسو على طلاب ، وطلاب يكرهون المدرس ، لأن رمضان وصل النفوس بالله فأشرق عليها من لدنه النور فذاقت حلاوة الإيمان ، ومن ذاق حلاوة الإيمان ، لم يعرف البغض ولا الشرّ ولا العُدوان

كنت أراه في الأسواق ، فالأسواق تعرض بضاعة رمضان وتفيض عليها روح رمضان فتمحو الغش من نفوس أهلها محواً ويملؤها خوف الله ورجاؤه ، وتقف ألسنتهم عن الكذب لأنها جرت بذكر الله واستغفاره ، وهانت عليهم الدنيا حين أرادوا الله والدار الآخرة ، فغدا الناس آمنين أن يغشهم تاجر ، أو يخدعهم في مال أو متاع ، ويمضي النهار كله على ذلك ، فإذا كان الأصيل ودنا الغروب تجلي رمضان على الأسواق بوجهه فهشت له وجوه الناس ، وهتفت باسمه ألسن الباعة ، فلا تسمع إلا أمثال قولهم : « الصايم في البيت بركة » — « الله وليك يا صايم » — « الله وليك ومحمد نبيك » ثم لا ترى إلا مسرعاً إلى داره حاملاً طبق « الفول المدمس » أو « المسبحة » أو سلال الفاكهة أو قطع « الجرادق[1] » ، ثم لا تبصر إلا مراقباً المنارة في دمشق ذات الثمانين منارة ، أو منتظراً المدفع ، فإذا سمع صيحة المؤذن أو طلقة المدفع دخل داره ، والأطفال يجتمعون في كل رحبة في دمشق ليسمعوها فيصيحوا : أذن ... أذن ... أذن ... ثم يطيروا إلى منازلهم كالظباء النافرة .

(١) أطباق جافة رقيقة وكبيرة تصنع من مواد خاصة يرش عليها الدبس ، ولا تصنع إلا في رمضان

وكنت أبصر رمضان يؤلف بين القلوب المتباينة ، ويجلو الأخوة الإسلامية رابطة المسلم أخي المسلم فتبدو في أكمل صورها فيتقابل الناس عند الغروب تقابل الأصدقاء على غير معرفة متقدمة فيتساءلون ويتحدثون ثم يتبادلون التمر والزبيب ويقدمون الفطور لمن أدركه المغرب على الطريق فلم يجد ما يفطر عليه ، تمرة أو حبة من زبيب ، هينة في ذاتها ، تافهة في ثمنها ، ولكنها تنشئ صداقة وتدل على عاطفة ، وتشير إلى معنى كبير

وكنت أنظر إلى رمضان وقد سكّن الدنيا ساعة الإفطار ، وأراح أهلها من التكالب على الدنيا والازدحام على الشهوات ، وضم الرجل إلى أهله ، وجمع الأسرة على أحلى مائدة وأجل مجلس وأنفع مدرسة . فوا شوقاه إلى موائد رمضان وأنا الغريب الوحيد في مطعم لا أجد فيه صائماً ولا أسمع فيه أذاناً ولا أرى فيه ظلاً لرمضان ...

فإذا انتهت ساعة الإفطار ، بدأ رمضان يظهر في جلاله وجماله وعظمته المهولة في المسجد الأموي أجل مساجد الأرض اليوم وأجملها وأعظمها ، وكنت أذهب إلى المسجد بعد المغرب وأنا طفل فأراه عامراً بالناس ممتلئاً بحلق العلم كما كان عامراً بهم ممتلئاً بها النهار بطوله ، فأجول فيه مع صديقي سعيد الأفغاني خلال الحلقات نستمع ما يقول المدرسون والوعاظ ، وأشهد ثرياته وأضواءه وجماعاته ، ومن صنع الله لهذا المسجد أن صلاة الجماعة لا تنقطع فيه خمس دقائق من الظهر إلى العشاء الآخرة في أيام السنة كلها وقد بقي ذلك إلى اليوم على ضعف الدين في النفوس وفساد الزمان .. وإن أنس لا أنس تلك الثريا الضخمة ولم يكن قد مدّ إليها الكهرباء ، فكانت توقد مصابيحها وهي أكثر من ألف بالزيت واحداً بعد واحد يشعلها الحسكيون[1] وهم يطيفون بها

(١) الحسكي خادم الاموى ، كلمة شامية ولعل أصلها من الحسكة ، ومعناها بلغة المغرب الشمعدان

على سلاليم قصيرة من الخشب فيكون لذلك المشهد أثر فى النفس واضح ، ثم يكون العشاء وتقوم من بعده التراويح ولها فى الأموى منظر ما رأيت أجلّ منه ولا أعظم إلا صلاة المغرب حول الكعبة فى مسجد الله الحرام فإن ذلك يفوق الوصف ، ولا يعرف قدره إلا بالعيان . وليس يقلّ من يصلى التراويح فى الأموى عن خمسة آلاف أصلاً ، وقد يبلغون فى الليالى الأواخر الخمسة عشر والعشرين ألفاً، وهو عدد يكاد يشكّ فيه من لم يكن عارفاً بحقيقته ولكنه الواقع ، يعرف ذلك الدماشقة ومن رأى الأموى من غيرهم . وحدّث عن الليالى الأواخر (فى دمشق) ولا حرج ، وبالغ ولا تخش كذباً ، فإن الحقيقة توشك أن تسبقك مبالغة، تلك هى ليالى الوداع يجلس فيها الناس صفوفاً حول السدّة بعد التراويح ، ويقوم المؤذنون والمنشدون فينشدون الأشعار فى وداع رمضان بأشجى نغمة وأحزنها ثم يردّد الناس كلهم :

يا شهرنا ودعتنا عليك السلام ! يا شهرنا هذا عليك السلام

ويتزلزل المسجد من البكاء حزناً على رمضان

* * *

وسَحَر رمضان ! إنه السِّحر الحلال . إنه جنة النفس ونعيمها فى هذه الدنيا ، وإنى لأقنع من جنات الفردوس أن تكون مثل سَحر رمضان ، فأين ذهب رمضان ؟ وأنّى لى بأن تعود أيامى التى وصفت لأعود إليه ؟

ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

إنى لا أشتهى شيئاً إلا أن أعود طفلاً صغيراً لأستمتع بجوّ المسجد فى رمضان وأنشق هواءه وأتذوق نعيمه . لم أعد أجد هذا النعيم ، وما تغيّرت أنا أفتغيرت الدنيا ؟

إنى لأتلفت أفتش فى غربتى عن رمضان فلا ألقاه لا فى المسجد ولا فى السوق ولا فى المدرسة ، فهل مات رمضان ؟

إذن فإنا لله وإنا إليه راجعون

لقد فقدت أنس قلبى يوم فقدت أمى ، وأضعت راحة روحى يوم افتقدت رمضان ، فعلى قلبي وأمى ورمضان وروحى رحمة الله وسلامه !

« كركوك » علي الطنطاوى

هل يقرأ القائد هتلر

الذئب والحمار

رواية فى منظر واحد

للأستاذ عبد اللطيف النشار

[يزعم هتلر أنه يريد إنقاذ الانسانية من شوك الديمقراطية]

الحمار (يدخل المسرح خائفا وحده) :

أقبل الذئب ومالى بكفاح الذئب حيله
ربِّ ألهمنى برأى فخيالى مستحيله
أدّعى أنى مريض علنى أنجو بحيله

(يتعارج . . . ويدخل الذئب)

الذئب :

لِمَ تمشى مشية الأعرج يا أوفى حبيب
كيف تشكو أى داء وأنا خير طبيب
أرنى رجلك أشفيك من الجرح الرغيب

(يتقدم ليرى رجل الحمار)

الحمار :

لك شكرى وثنائى وجزاك الله عنى
قد أصاب الشوك رجلى فانزع الشوك تُرِحنى
وإذا لم أستطع قتلك يا ذئب فكلنى

(يركله بقدمه الخلفية)

الذئب (وهو يتلوى من الألم ويجود بنفسه) :

هكذا أقضى حياتى هكذا عقبى الغرور
أنا قصاب فمالى أدّعى طب الحمير
ليس فى الكذب على الـ خلق سوى الشر الكثير

(يموت)

الحمار :

أحمد الله على الـ عقل فنى عقلى نجاتى
أحمد الله فلولا حيلتى ضاعت حياتى
كتب الله لىَ العمرَ بصبرى وثباتى

عبد اللطيف النشا

التعليم والانتاج

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

أبنا فى مقالنا السابق أهمية ارتباط معاهد التعليم بمصادر الإنتاج وضرورة اتصالها بها اتصالاً وثيقاً يضمن لخريجى هذه المعاهد العمل المباشر بين تلك المصادر بمجرد انتهائهم من عهد الدراسة ومغادرتهم لدورها إلى الحياة العامة

أما الإنتاج فهو فى الحقيقة نوعان : إنتاج عقلى وإنتاج مادى . ولا شك فى أن الإنتاج المادى، وهو أمر يتعلق برفاهية الأفراد والأمم وثروتها ومجدها الاقتصادى، يستمد قوته ونشاطه وحيويته من الإنتاج العقلى ، إذ كلما كان الذهن نشيطاً وكانت الثقافة مزدهرة استطاع العقل البشرى أن يبتكر طرقاً جديدة مفيدة فى زيادة الإنتاج المادى وإنماء الثروات المختلفة مما يؤدى طبعاً إلى السعة بين الأفراد ورفع مستوى الحياة بين طبقات الشعب . ولذلك نعد الإنتاج العقلى الأساس الذى ينبنى عليه عز الأمة وقوتها ورفاهيتها . ولعل هذا كان السبب الذى من أجله اتجهت المدارس المصرية بكل قوتها منذ فجر النهضة إلى دراسة مبادىء العلوم الحديثة النظرية ظناً من القائمين بأمرها أن الإنتاج بنوعيه محصور فى ذلك لما هو ظاهر من الارتباط الوثيق بين المدنية الحديثة وبين تلك العلوم العصرية ، مهملين بجانب ذلك أموراً حيوية أخرى لا محيص عنها فى سبيل الحصول على الثمرة الحقيقية من التربية والتعليم فى تلك المدارس، وهى أمور تعنى بها العناية كلها جميع المعاهد العلمية فى مختلف الأمم المتمدنة . فكان لهذا العمل أثره الكبير فيما نلمسه من الفروق الكبيرة بين شبابنا وشبابهم : فبينما نجد الشاب منهم ينغمس فى أعمال الإنتاج بمجرد انتهائه من دراسته ، إذا بالشاب المصرى يسعى حثيثاً إلى الوظيفة ويفضلها على أى عمل منتج آخر ، معتقداً أن فيها ضماناً للعيش فى هدوء وطمأنينة مهما قلت مواردها ، ومهما هزل مستقبلها على حد قول الشاعر :

حب السلامة يثنى هم صاحبه عن المعالى ويغرى المرء بالكسل

ومن ثم نرى الشاب المصرى لا يقوى على المخاطرة فى الأعمال الإنتاجية لأنه ضعيف العزم قليل الصبر على ما يعترضه من عقبات، يحب أن يصل دائماً إلى نتيجة حاسمة سريعة مما لا يصل إليه غيره فى البلاد الأخرى إلا بقوة العزيمة والأناة والصبر والجد المتواصل؛ وتراه يتعجل الثروة قبل أوانها ويتعجل المجد قبل أن يحين حينه، يضجره البطء ويقضى عليه التسرع فيسلمه للفشل كمن قيل فيه : « إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » . وتراه متراخياً متواكلاً يفضل الاعتماد على والديه وذويه وما يمنحونه إياه من فضلات الرزق، على القليل مما قد يصيبه من الكد وعرق الجبين، وهكذا نجد فى شبابنا نقصاً فى نواح متعددة بل فى كثير من الصفات التى تقتضيها الرجولة ويحتمها الجهاد فى الحياة الحاضرة . وما ذلك إلا لأن المدرسة لم تجد من الوقت ما يمكنها من العناية بغرس تلك الصفات الضرورية فى أبنائها لأنها خصصت كما ذكرنا فى مقالنا السابق كل وقتها لحفظ الكتب المؤلفة فى برامج الامتحان ليصل الطالب إلى الشهادة التى كانت ذات قيمة ذهبية فى سوالف الأيام ، وقد أصبحت اليوم فى نظر عقلاء المجتمع لا قيمة لها فى الحياة العملية العامة . وإذا كان الإنتاج العقلى كما قررنا هو الأساس الذى تبنى عليه قوة الإنتاج المادى فإن الأمم الحية لا تمنى بالإنتاج العقلى وحده مهملة فى معاهدها كما فعلنا نحن فى معاهدنا، الاتصال المباشر بمصادر الإنتاج المادى ولكن السياسة التى يسير عليها التعليم فى تلك الأمم تقوم على فكرة حصر الإنتاج العقلى على قدر الإمكان فى المتفوقين من أبنائها فلا يباح لكل متوسط العقل أو ضعيفه أن يخترق الصفوف إلى معاهد التعليم العليا مادام قادراً على دفع مصروفاته كما هو الحال عندنا . ولكن هؤلاء قبل أن يتزاحموا على أبواب المعاهد العليا تزاحمهم عندنا اليوم ، يوجهون توجيهاً صحيحاً إلى معاهد الإنتاج المادى لتتكون منهم فئات الزراع والصناع والتجار العاديين قبل أن يكونوا عالة على معاهد الثقافة العليا فلا يكون الكثيرون منهم نكبة على تلك المعاهد فقط بل نكبة كذلك على الإنتاج العقلى نفسه ! بهذا تتكون طبقات الأمة عند تلك الأمم تكوناً صحيحاً ، وتنحصر القيادة العقلية والعلمية فى المتفوقين من ذوى العقول الناضجة والأفهام القوية ، ولا توجد عندهم تلك الثقافة المزيفة التى تحمل شبابنا من شعبة الرياضة اليوم مثلاً

على أن يلجوا مكرهين كليتى الحقوق والتجارة مع أنهم لم يخلقوا لها ، تلك الثقافة المزيفة التى وصفها الأستاذ العقاد فى إحدى مقالاته بالرسالة بقوله :

« فالثقافة المزيفة بلاء لا تنحصر أضراره فى الأدب والفن والتأليف ، ولا يزال يسرى فى كل شعبة من شعب الحياة حتى يعطل القوة العسكرية والقوة البدنية والقوة الحيوانية فى النهاية وهى القوى التى يظن أنها أغنى ما تكون عن الثقافة والمثقفين »

من أجل هذا كله إذا بحثنا فى إنتاجنا العقلى الحالى نجده مع الأسف ضئيلاً عقيما ، فما بالك إذن بالإنتاج المادى ! ليس لدينا من الهيئات العلمية إلا العدد القليل، وأهمها طبعاً كليات الجامعة وهى وإن كانت لا تزال ناشئة إلا أننا كنا نأمل منها فى زهاء ١٥ سنة مضت أن تثبت وجودها العلمى بين جمهور المثقفين كما أثبتته بين جدرانها الخاصة، فهى وإن كانت لها بحوث علمية إلا أنها إلى الآن لم يحس الجمهور المثقف بوجودها لأنه لم يستفد من بحوثها إلا قليلاً ولأنه لم يحس بأثرها فى الحياة العامة أكثر مما كان للمدارس العالية قديماً ، فالجمهور لم يستفد شيئاً محسوساً إلى اليوم فى أغانيه وأناشيده وأقاصيصه القومية من كلية الآداب مثلاً ، والجمهور لم يجد فائدة تذكر من كلية العلوم وكلية الزراعة ومصلحة الكيمياء فى أمور تتصل بالصميم من حياته الإنتاجية كمسألة دودة القطن التى تقضى على ملايين الجنيهات من ثروته سنوياً ، لا ولا فيما هو أبسط من ذلك كالفوائد الصحية التى يمكن أن تجنى من عين مائية كالعين الجديدة فى حلوان الخ

فإذا انتقلنا خطوة أخرى إلى التعليم الفنى الزراعى والصناعى والتجارى وهو التعليم المتصل اتصالاً مباشراً بحياة الإنتاج المادى وجدنا حالة مع الأسف لا تسر أى مصرى، إذ ليس لتلك المعاهد بأنواعها أثر يذكر فى ذلك الإنتاج، لأن جميع خريجيها لا يعنون بمصادر الإنتاج المادى ولا يعبأون بالاتصال به . إنما همهم جميعاً الحصول على الوظيفة حتى ولو كانت وظيفة كتابية أو إدارية لا علاقة لها بفنهم . ولقد شرحت عيوب هذا النوع من التعليم فى مؤلفى « التعليم والمتعطلون فى مصر » من صفحة ٢٤٦ إلى صفحة ٢٥٣

أما التعليم العام فالإنتاج العقلى يكاد يكون معدوماً بين رجاله أنفسهم ، لأن كل إنتاجهم محصور فى عدة كتب خاصة بمناهج الدراسة ليس للابتكار أثر فيها لأن معظمها منقول عن الكتب الأفرنجية لغرض الكسب المادى لا لغرض الثقافة والتثقيف ، مما لا يحبب الطالب فى المطالعة بل يبعده عنها ويبغضه فيها، على عكس الحال فى المدارس الأجنبية التى تعتبر الغرض الأساسى من وجودها ووجود مؤلفاتها إنما هو تعويد أبنائها القراءة وتحبيبهم فى المطالعة وإفهامهم جيداً أنهم إذا تركوا المدرسة فإنما يتركونها ليبدؤا تعليمهم الحقيقى المستمد من داخلية نفوسهم بالاطلاع على الكتب المختلفة، مما لا أثر له عندنا مع الأسف . ولعل سبباً من أسباب ذلك العقم يرجع إلى النظام الذى ابتدعه دنلوب قديماً فى مكافأة رجال التعليم وترقيتهم ، والذى أخذ به أتباعه ولا يزال يأخذ به الكثيرون منهم، ذلك النظام العتيق الذى يقضى بقصر الترقية على ذوى المؤهلات التى حصل عليها الواحد منهم من غير نظر إلى ما ينتجه فتراهم يقدمون دائماً صاحب المؤهلات الأوربية على ذوى المؤهلات المصرية مهما كان الأول عديم الإنتاج ومهما كان الثانى كثير الإنتاج لا لسبب إلا لأن الأول — كما يقولون — رجل انجلترا أو England man . وهذا النظام — وهو نظام المؤهلات والشهادات يقضى على الإنتاج العلمى قضاء تاماً ، لأن الجميع عرفوا أنه يكفى للواحد منهم أن يقضي ثلاث سنوات فى انجلترا ليضمن القفز المستمر فى التقدم على زملائه بل على أساتذته أنفسهم مهما كانوا منتجين ! وبذا لا يهتم رجل التعليم اليوم بأن يكون منتجاً (وقد يضر الإنتاج أحياناً) بقدر ما يهتم بأن ينتسب إلى إحدى الكليات فى أوربا ليقضى بها سنين معدودة تجعله فى مقدمة الصفوف دائماً وتضمن له الوصول إلى أعلى القمة

وإنا لنأمل فى هذا العهد الجديد أن يقضى على هذا النظام الدنلوبى العتيق قضاء تاماً ، لأنه يقف حجر عثرة فى سبيل النهوض بالإنتاج العلمى والعقلى الذى يجب أن يكون هو الأداة الفعالة فى سبيل النجاح والرقى

عبد الحميد فهمى مطر

صوت من ألف عام

للأستاذ محمد حسن الأعظمي

وهذا الصوت هو ديوان الأمير تميم بن الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، وهو كما يعرف الأدباء أمير شعراء مصر فى العصر الفاطمي. ويمكننا القول بأن تميما هذا كان مبدأ حياة خصيبة عامرة نشأ فى وقت واحد مع القاهرة. وكان الشعر فى مصر بما نعلمه من الضعف والقلة والندرة ، إذ كان العصر العباسى الثانى حافلاً بدويلات مختلفة شبه مستقلة ، وكان الشعر فيها يصيب تشجيعاً من أمراء العرب كدولة بنى حمدان . إلا أن الحياة فى مصر كانت طوفاناً مضطرب الأمواج بين أيدى رسل الخليفة من الأتراك الذين لم يكن الشعر العربي يلقى حياته المعروفة عندهم بحكم تباين اللغة والنزع . لهذا كان يلجأ الشعراء إلى غير مصر ويلتمسون لأنفسهم الحياة والرق فى الشام وبغداد، بينما كانت اللغة الفارسية تلتمس فى ذلك العهد نهضتها وانبعاثها فى الدولة السامانية والغزنوية فإذا ما أتيح للفاطميين أن يقيموا دولتهم الكبرى فى وادى النيل فنحن أمام دولة عربية هاشمية تحمى اللغة كما تحمى كتابها ودينها، ففى عصر الفاطميين أخصب البيان العربى وانفسح الميدان للشعراء يتبارون فى قرض قصائده وعرض فرائده ، وأمكننا أن نسمع مائة شاعر فى رثاء بعض الوزراء ينشدون جميعاً وينالون الجائزة جميعاً ، فيجدون من أريحية الفاطميين وسمة نائلهم ما يشجعهم على القول ويدفعهم إلى الإجادة . ولكن لماذا يحدث صاحب العمدة والثعالبى وغيرهما عن تميم والجميع قد أجمعوا أو كادوا يجمعون على أن تميما كان على عرش الإمارة فى الشعر كما كان أبوه وأخوه على عرش الخلافة فى مصر . الحق أن للسياسة دخلاً كبيراً فى السطو على تميم وحرمان أبناء العربية أدهاراً طوالاً من ثمار تفكيره ، فقد كان شعر تميم ضمن مخلفات ذلك البيت المالك ، وفى خزانة القصر الفاطمى التى كانت حافلة بمئات الألوف من الذخائر الأدبية والنفائس الفلسفية والعلمية ، ونحن نسمع من التاريخ أحاديث متشعبة الأطراف عن الأحداث الجسام التى انتابت هذا القصر فى كتبه وفى جواهره بل فى أهله ومشيديه ، وكان الأمر بعد عصر الحاكم نهباً فى أيدى الثورات المتتابعة بين الجيوش السودانية والتركية من جهة والمصرية من جهة أخرى ، وأصيب الملك كله بأزمة جائحة وصدمة فاجعة تركت القصر نهباً والكتب سلباً . ثم جاء بعد ذلك العصر الذى غربت فيه شمس الدولة الفاطمية فنهبت هذه القصور وأحرق أكثرها وحمل القليل من تحفها وجواهرها ، وشاءت الأقدار أن تحفظ لنا تميما وأن ينقل من مصر مع من هاجر من بقايا هذه الأسرة وأتباعها الذين اعتصموا بجبال اليمن ولاذوا بحصونها الطبيعية المنيعة من غوائل أعدائهم . أما أدباء العرب والمؤرخون فلم يعرفوا عن تميم بعد ذلك إلا شذرات متفرقة وبضعة قصائد لعبت بها يد التحريف والتصحيف

إن البقية الباقية من أتباع الفاطميين لم يكونوا بمأمن على أنفسهم فى جبال اليمن ، فأرادوا النجاة بأرواحهم وبما فى أيديهم من الكتب إلى الهند فى مقاطعة كُجرات ، فأقاموا بها وشيّدوا لأنفسهم هنالك دويلة روحية وأقاموا لهم كلية عظيمة تدرس بها العلوم الفاطمية حيث يقبل الطلبة من أنحاء الهند إليها فيتعلمون بعد امتحان دقيق ما تصبو إليه نفوسهم من العرفان . وكان من نصيبى أن أدرس بهذه الكلية ، أو بعبارة أقرب إلى الوضوح أنه كان يعنينى فى هذه الكلية دراسة فلسفتها كما حاولت قبلها الانتساب إلى كليات أخرى فى مذاهب شتى لاستكمال الثقافة الإسلامية من نواحيها العديدة ، ولاعتقادى أن الحكمة ضالة العاقل ينشدها فى كل مكان ويبحث عن لآلئها فى كل غور وصقع . وكان هذا الديوان فيما وجدته بين نفائس المكتبة وما أكثرها ، فنقلته من سبع نسخ مختلفة كما نقلت غيره من الكتب الخطية المفقودة فى جميع مكاتب العالم ، ومنها مثلاً ثمانمائة محاضرة لداعى دعاة الفاطميين المؤيد الشيرازى الذى ناظر أبا العلاء المعرى . وقد أردت قبل طبع الديوان جملة أن أعرض على قراء الرسالة الغراء نماذج يسيرة من هذا الديوان

قال رداً على عبد الله بن المعتز فى تفضيله العباسيين على العلويين فى قصيدته التى أولها « أى ربع لآل هند ودار » :

يا بنى هاشم ولسنا سواء فى صغار من العلى أو كبار
إن نكن ننتمى لجدّ فإنا قد سبقناكم لكل فخار
ليس عباسُكم كمثل علىّ هل تُقاس النجومُ بالأقمار
من له الفضل والتقدم فى الإسـ ـلام والناس شيعة الكفار
من له الصِهر والمواساة والنصـ ـرة والحرب ترتمى بالشرار
من دعاه النبى خِدنا وسمّا ه أخا فى الخفاء والإظهار
من له قال لا فتى كعلى لا ولا منصل سوى ذى الفقار
وبمن باهلَ النبىُّ أأنتم جهلاء بواضح الأخبار
أبعبد الإله أم بحسين وأخيه سلالة الأطهار
يا بنى عمنا ظلمتم وطرتم عن سبيل الإنصاف كل مطار
كيف تحوون بالأكُفّ مكاناً لم تنالوا رؤياه بالأبصار
من توطّى الفراشَ يخلف فيه أحمداً وهو نحو يثرب سار
أين كان العباسُ إذ ذاك فى الـ ـهجرة أم فى الفراش أم فى الغار؟
ألكم مثل هذه يا بنى العبا س مأثورة من الآثار...؟
ألكم حرمة بعم رسول (م) الله ليست فيكم بذات بوار ؟
ولنا حرمة الولادة والإعـ ـظام والسبق والهدى والمنار
ولنا هجرة المهاجر قدماً ولنا نصرة من الأنصار
ولنا الصوم والصلاة وبذل الـ ـعرف فى عسرنا وفى الإعسار
ونحن أهل الكساء سادسنا الر وح أمين المهيمن الجبار
نحن أهل التقى وأهل المواسا ة وأهل النوال والإيسار
فدعوا خُطة العُلى لذويها من بنى بيت أحمد الأبرار
أو فلوموا الإله فى أن برانا فوقكم واغضبوا على المقدار
أجعلتم سقى الحجيج كمن آمن (م) بالله مؤمناً لا يدارى ؟
أو جعلتم نداء عباس فى الحر ب كمن فر عن لقاء الشفار
كوقوف الوصى فى غمرة المو ت لضرب الرؤوس تحت الغبار
حين ولّى صحب النبىّ فراراً وهو يحمى النبى عند الفرار
واسألوا يوم خيبر واسألوا مكة عن كرّه على الفجّار
واسألوا يوم بدر من فارس الإسلام فيه وطالب الأوتار
واسألوا كل غزوة لرسول (م) الله عمن أغار كل مغار
يا بنى هاشم أليس علىّ كاشف الكرب والرزايا الكبار
فبماذا ملكتم دوننا إر ث نبىّ الهدى بلا استظهار
أبقربى فنحن أقرب للمو روث منكم ومن مكان الشمار
أم بإرث ورثتموه فإنا نحن أهل الآثار والأخطار
لا تنطوا بحيفكم واضح الحق (م) فيقضى بكم لكل دمار
وأصيخوا لوقعة تملأ الأر ض عليكم بجحفل جرّار
تحت أعلامه من الفاطميـ ـن أسود ترى شبا الأظفار
فاصدروا عن موارد الملك إنا نحن أهل الإيراد والإصدار
ولنا العز والسموّ عليكم والمساعى وقطب كل مدار
يا بنى فاطم إلى كم أقيكم بلسانى ومنصلى وانتصارى

ويرثى الأمير أهل بيت النبى :

نأت بعد ما بان العزاء سعاد فحشو جفون المقلتين سهاد
فليتَ فؤادى للظعائن مربع وليت دموعى للخليط مزاد
نأوا بعدما ألفت مكائدها النوى وقرّت بهم دارٌ وصحّ وِداد
وقد تؤمن الأحداث من حيث تتقى ويبعد نجح الأمر حين يراد
أعاذل لى عن فسحة الصبر مذهب ولهو غيرى مألف ومصاد
ثوت لى أسلاف كرام بكربلا همُ لثغور المسلمين سداد
أصابتهم من عبد شمس عداوة وعاجلهم بالناكثين حصاد
فكيف يلذ العيش عفوا وقد سطا وجار على آل النبى زياد
وقتلهم بغياً عُبيد وكادهم يزيد بأنواع الشقاق فبادوا
بثارات بدر قاتلوهم ومكة وكادوهمُ والحق ليس يكاد
تحكّمت الأسياف فيهم وسلطت عليهم رِماح للنفاق حِداد
فكم كربة فى كربلاء شديدة دهاهم بها للناكثين كياد
تحكّم فيهم كل أنوك جاهل ويغزون غزوا ليس فيه محاد
كأنهم ارتدّوا ارتداد أميّة وحادوا كما حادت ثمود وعاد
ألم تعظموا يا قومُ رهط نبيكم أمالكم يوم النشور معاد
تداس بأقدام العُصاة جسومهم وتدرسهم جردٌ هناك جياد
تضيمُهم بالقتل أمة جدهم سفاها وعن ماء الفرات تذاد
فاتوا عطاشاً صابرين على الوغى ولم يجبُنوا بل جالدوا فأجادوا

ولم يقبلوا حكم الدعىّ لأنهم   تساموا وسادوا فى المهود وقادوا

ولـكنهم ماتوا كراماً أعزّة   وعاش بهم قبل الممات عباد

وكم بأعالى كربلا من حفائر   بها جُثث الأبرار ليس تُماد

بها من بنى الزهراء كل سميدع   جوادٍ إذا أعيي الأنام جَواد

معفّرة فى ذلك الترب منهم   وجوه بها كان النجاح يفاد

فلهفى على قتل الحسين ومسلم   وخزى لمن عاداهما وبعـاد

ولهفى على زيد وبثاً مردّداً   إذا حان من بث الكئيب نفاد

ألا كبدٌ تفنى عليهم صبابةً   فيقطر حزناً أو يذوب فؤاد

ألا مقلة تهمى ألا أذن تعى   أكلّ قلوب العالمين جمـاد

تقاد دماء المارقين ولا أرى   دماء بنى بيت النـــبى تقاد

أليس هم الهادين والعترة التى   بها انجاب شركٌ واضمحل فساد

تساق على الإرغام قسراً نساؤهم   سبايا إلى أرض الشآم تُقاد

يسقن إلى دار اللعين صواغراً   كما سيق فى عصف الرياح جراد

كأنهم فىء النصارى وإنهم   لأكرم مَن قد عزّ عنه قياد

يعزّ على الزهراء ذلة زينب   وقتل حسين والقلوب شِداد

وقرع يزيد بالقضيب لسنّه   لقد مجسوا أهل الشآم وهادوا

قتلتم بنى الإيمان والوحى والهدى   متى صحّ منكم فى الإله مُراد

ولم تقتلوهم بل قتلتم هدا كم   بهم ونقصتم عند ذاك وزادوا

أميـة ما زلتم لأبناء هاشم   عِدى فاملأوا طرق النفاق وعادوا

إلى كم وقد لاحت براهين فضلهم   عليكم نِفـارٌ منكم وعناد

متى قط أضحى عبد شمس كهاشم   لقد قل إنصاف وطال شراد

متى وُزِنت صمّ الحجار بجوهر   متى شارفت شمّ الجبال وهادُ

متى بعث الرحمن منكم لجدهم   نبيـاً علت للحق منـه زِناد

متى كان يوماً صخركم كعليّهم   إذا عُدّ إيمان وعُدّ جهاد

متى أصبحت هندٌ كفاطمة الرضى   متى قِيس بالصبح المنـــير سَواد

أآل رسول الله سؤتم وكدتم   سـتُجنى عليكم ذلة وكساد

أليس رسول الله فيهم خصيمكم   إذا اشتد إبعاد وأرمل زاد

بكمُ أم بهم جاء القران مبشراً   بكمُ أم بهم دين الإله يُشاد

سأبكيكم يا سادتى بمدامع   غزارٍ وحزن ليس عنه رقاد

وإن لم أعاد عبد شمس عليكم   فلا اتسمت بى ما حييتُ بلاد

وأطلبهم حتى يروحوا وما لهم   على الأرض من طول الفِرار مِهاد

سَقى حفراً وارتكم وحوتكم   من المستهِلات العِذابِ عِهاد

وقال متغزّلاً :

قالت: أغدراً بنا فى الحب قلت لها: لا نال غاية ما يرجوه مَن غدرا

قالت : فلم لم تزرنا قلت : زاركم   قلبى ولم يدر بى جسمى ولا شعرا

قالت: كذا يكتم المشّاق حبّهم   فينمون ويجنُون الهوى نضرا

قلت: اسمحى لى بتقبيلٍ أعيش به   قالت : وأىّ محبٍ قبّل القمرا

وقال يصف الناعورة :

وباكية من غير دمع بأعين   على غير خـل دائماً تتحـدر

يغنى بهـا زجل الدير لقطبها   فيطربها حسن الغنـاء فتنعر

إذا نزف العشاق دمع عيونهم   فأدمعها مع كثرة السكب تغزر

وقال وقت الخروج من الشام سنة ٣٧٤ هـ :

قالوا الرحيـل لخمسـة   تأتى سراعاً من جمادى

فأجبتهم أنى اتخذت   له البكا والحزن زادا

سبحان من قسم الهوى   بين الأحبة والبعادا

وأعار للأجفان سة   ما يسترق به العبادا

يا ويح من منع الفراق   جفون مقلته الرقادا

وقال فى الحـكم :

قواضب الرأى أمضى من شبا القضب   والحزم فى الجـد ليس الحزم فى اللعب

بت ساهراً عند رأس الأمر ترقبه   ولا تبت نائماً عنه لدى الذنب

يرجى دفاع الرزايا قبل موقعها   وليس يرجع الماضى من النوب

وأفضل الحلم حلم عنـد مقدرة   وأعذب الجود ما وافى بلا طلب

وقال أيضاً :

قتيل الحوادث مَن خافها   فـلا تخش حادثةً تنجح

مع العسر يسر يجلّى الأسى   ألم تتذكـر ألم نشرح

وقال :

عتبتْ فانثنى عليها العتاب   ودعا دمعَ مقلتيها انسكاب

وسمت نحـو خدّها بيديها   فالتقى الياسمينُ والعُنّاب

رُبَّ مبدى تعتّب ٍ جمل العتـ … ـب رياه وهمّه الإعتـاب
فاسقنيها مدامة تصبغ الكا … س كما يصبغ الخدود الشباب
ما ترى الليل كيف رقّ دجاه … وبدا طيلسانه ينجاب
وكأن الصباح فى الأفق باد … والدجى بين مخلبيه غراب
وكأن السماء لجـة بحر … وكأن النجوم فيهـا حباب
وكأن الجوزاء سيف صقيل … وكأن الدجى عليها قِراب

وقال معرضاً ببعض القرابة ، وذاك أنه ذكر أن الأمير يستعين على ما يأتى به من الشعر بغيره :

أرى أناساً ساءنى ظنهم … فى كل ما قلت من الشعر
لما تطاطا بهمُ علمهم … قاسوا بأقدارهمُ قـدرى
لو فهموا أو عقلوا لاستحوا … أن يجملوا المريخ كالبدر
قيسوا بشعرى شعره تعلموا … تضايق النهر عن البحر
من بطّل الحق هجا نفسه … بجهله من حيث لا يدرى
فناظرونى فيه أو فاشرحوا … شعرىَ إن أنكرتم أمرى
أو لا تقولوا حسدٌ قاتل … مستمكن فى القلب والصدر

وقال يمدح أخاه الخليفة العزيز بالله الفاطمى :

اشرب فإن الزمان غضّ … وصرفه ليّن الجناب
من قهوة مزة كميت … أسكرُ من أعصر الشباب
أرق من أدمع التصابى … سكباً وأشهى من الضراب
صاغ لها المزج حين شبت … بطاق در من الحباب
كأن فى كأسها صباحاً … والليـل محلولك الثياب
يسمى بها ساحر المآقى … لا يعرض الوصل بالعتاب
كأنها لون وجنتيه … وطيب ألفاظه العـذاب
إن ندى راحتى نزار … ما زال يغنى عن السحاب
مهـذب أروع السجايا … مقابل ماجـد النصاب

ومن أحسن ما قيل فى الأمير قول ابن رشيق :

أصح وأقوى ما سمعناه فى الندى … من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا … عن البحر عن كف الأمير تميم

محمد حسن الأعظمى

لـــو...

للأستاذ إيليا أبو ماضى

لو أننى يا هنـد بدر السما … هبطت من أفقى إلى مخدعك
وصرت عقداً لك أو خاتماً … فى جيدك الناعم أو أصبعك
أو بلبل البستان ما لذ لى … الإنشاد إن لم يك فى مسمعك

ولو أكون الأرج الذاكى
لما هجرت الروض لولاك
وما حوانى غـير مغناك
ولم أفح حتى تكونى مى

* * *

فيك وفى الوردة سر الصبا … وفى الصبا سر الهوى والجمال
فإن تربنى واجماً باهتا … حيالها أخشى عليهـا الزوال
فإننى شاهدت طيف الردى … ينسل كالسارق بين الظلال

ولاح لى فى الورق النامى
منطرحاً فى الأرض قدامى
رموز آمال وأحـلام
أحلام من ؟ أحلام مضناك

ايليا أبو ماضى

استطلاع صحفى

مدرسة الطيران الحربى

كيف تصبح طياراً حربياً ؟

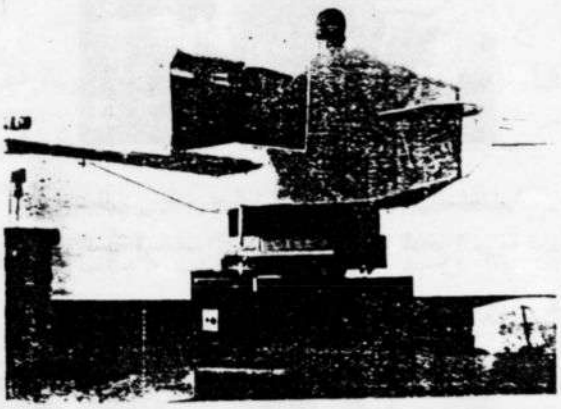
« لمندوب الرسالة »

« تكلمنا فى مقال سابق عن مدرسة التصوير الجوى وبينا أهميتها. ونتحدث اليوم عن مدرسة الطيران الحربى حيث يتلقى ضباطنا الطيارون دروسهم العلمية والعملية فيكونون أهم وسائل القتال الحديث. فقد أصبح الطيران الحربى عماد الجيوش فهو الذى يؤدى مهمة استطلاع مواطن العدو، وهو الذى يدمر بقنابله موارد جيوشه، ويعطل طرق تموينه بنسف السكك الحديدية أو المصانع الحربية والحاجيات الأولية، فهو الذى يدعم الحرب الاقتصادية ».

قوة الأعصاب

على طرف مسطرة ممدودة فى يد أحد الطلاب أوقف مسمار على سطحه المستوى. والمسطرة وذراع الطالب فى مستوى كتفه يتحركان ذات اليمين وذات اليسار تبعاً لأوامر الطبيب دون أن يهتز المسمار أو يسقط. فالطبيب يختبر قوة أعصاب الطالب ليقرر إذا كان يصلح لدراسة فن الطيران الحربى أو لا يصلح. وينتقل الطالب من اختبار إلى آخر، فهنا يختبر الطبيب حدة بصره وسلامته من العيوب فيقرب جسماً صغيراً من وجهه ليرى زاوية التقاء البصر فى العينين، وهناك يدرس حساسية أجزاء الجسم فيمر أجساماً غريبة على جلده ويلاحظ الانفعالات المختلفة، وهكذا يمر طالب الالتحاق بمدرسة الطيران الحربى من مرحلة إلى أخرى، حتى يتأكد الطبيب أن جسمه من أصلح الأجسام وأقواها، فإن الطيار يتعرض لضغوط جوية مختلفة تودى بحياته إذا كان جسمه لا يتحملها.

فإذا قبل الطالب فى مدرسة الطيران الحربى، فهو يبدأ دراسة فنية عمادها الخبرة العملية وتطبيق النظريات العلمية مع ملاحظة سرعة الخاطر وحضور البديهة. فالطيران الحربى فن الطوارئ سواء كانت طبيعية أم صناعية، فقد يقابل الطيار أثناء تحليقه فى الجو إعصاراً، وقد يفسد منه أحد الأدوات، فعليه أن يدبر نفسه ويصلح خلله وإلا كلفه جهله أو ارتباكه ثمناً غالياً إذا لم يكن حياته فهو الطائرة التى يركبها. وقد تقابله أثناء قتاله مع العدو قوة أقوى من قوته أو خدعة لم تخطر له على بال، فعليه فى هذه الحالة أن يتصرف ويجيد التصرف، وعليه أن يناور ويحسن المناورة وإلا أفسد المهمة التى كلفه بها قائده وكلف جيشه وأمته خسائر مادية ومعنوية كبيرة.



فى هذه الطائرة الثابتة يتلقى الطيار أول تمارينه على الطيران لمدة ١٥ يوما

الطيران الثابت

يبدأ الطالب دراسته فى مدرسة الطيران الحربى فى غرفة صغيرة فى أحد جوانبها جهاز صغير على شكل حجم الطائرة، ورسم على حائط الغرفة الأفق وزوايا الطيران المطلوبة. وفى جانب آخر يجلس المدرب أمام جهاز لاسلكى يعرف بواسطته حركات الجهاز كما يصدر أوامره بالاتجاه إلى اليمين أو إلى اليسار والأمام.

ويدور هذا الجهاز بالكهرباء، فيجلس الطالب على مقعده فيجد أمامه عصا القيادة وأقيسة اتجاهات الريح والضغط والبوصلة وغيرها من الأدوات التى لا غنى عنها لطيار. ويعمل الجهاز فتتولد فيه عدة تيارات هوائية تمثل التيارات الهوائية الجوية، ويتعرض جهازه لعدة أخطاء فيتعلم الطالب كيف يضبط جهازه

فى الوضع الصحيح بتحريك عصا القيادة فى اتجاه يصحح أخطاء الريح فإذا مال الجهاز بفعل التيارات إلى اليمين صححه الطالب



باشجاويش يختبر محرك احدى الطائرات قبل استخدامها
ويرى فوق العجلة اللحامات التى تنزع ليوضع محلها المدافع السريعة الطلقات

وتعرف هذه الرحلة بالطيران الثابت ، ففيها يتعرض الطالب لجميع مؤثرات الطيران ، ولكن جهازه لا يفارق الأرض ، وإن سمح له أن يدور إلى اليمين أو إلى اليسار . ويمكث الطالب على هذه الحالة عشر دقائق فى اليوم لمدة ١٥ يوماً . فيتاح للطالب المبتدىء أن يعرف كثيراً من أسرار الطيران دون أن يعرض حياته ومال الدولة للهلاك . أضف إلى ذلك أنه يكون بعيداً عن ضوضاء المحركات مالكاً لأعصابه فيسهل عليه أن يفهم إرشادات مدربه بسهولة لا تتيسر له إذا استعمل طائرة حقيقية ، ثم وجد نفسه لأول مرة معلقاً بين الأرض والسماء.

الطيران الأعمى

والأصل فى هذا الجهاز أن يتمرن عليه الطيارون فيما يسمى بالطيران الأعمى، إذ يغطى سقفه فينعزل القائد عن العالم ولا يبقى أمامه إلا خريطة وأجهزة ليضبط بها الاتجاه الذى يجب أن يسير فيه . وهذا المران هام جداً لمن يريد قطع مسافات طويلة على ارتفاعات كبيرة لا يمكنه منها رؤية تفاصيل الأرض أو فى مناطق متشابهة كالصحارى أو البحار والمحيطات ، فعلى ضوء هذه الأدوات وحدها يعرف الطيار طريقه وبمساعدتها يصل إلى هدفه

ورأت إدارة المدرسة أن تستغل هذا الجهاز لتعليم المبتدئين لقلة نفقاته ولبعده عن الخطر ، فإنه يدار بالكهرباء التى لا تكلف الدولة إلا نفقات زهيدة لا تذكر إلى جانب ما تستهلكه الطائرة الحقيقية من وقود وآلات . ويمر بهذا الجهاز كل طالب يدرس فن الطيران سواء كان ضابطاً أو مجاهداً (صول)

والمعروف أن الطيارين لا يحتاجون إلى كثير من تنظيم الصفوف وتعليم المشية العسكرية والحركات الحربية الأرضية ولكنه يجب على كل طيار أن يقضى أربعة أشهر يتعلم فيها هذه الحركات لتكتسب عضلاته المرونة الرياضية وليتعود الحياة العسكرية ، فإذا أتقنها بدأت حياته كطيار



فى الفصل : الأستاذ يلقن طلبته درسا فى الكهرباء

بين طبقات الهواء

وبعد أن يتقن الطالب السيطرة على إدارة هذا الجهاز ينتقل إلى المرحلة التالية فيحلق بطيارة حقيقية فى الهواء . وتحتوى طائرة التدريب عادة على مقعدين أحدهما خلف الآخر جهز كل منهما بجميع أدوات القيادة، وامتاز مقعد المدرب « بزر » إذا ضغط عليه انتقلت عملية القيادة إلى أدواته . يجلس الطالب فى مقعده ويجلس

المدرب فى الثانى فإذا ارتفعت الطائرة فى طبقات الهواء ترك المدرب لتلميذه مهمة قيادتها تبعاً للخبرة التى تلقاها عند ما كان فى مرحلة الطيران الثابت . فإذا أخطأ صحح له أخطاءه



أجزاء الطائرة التى تصاب بخلل تجد طبيبها فى مصنع الميكانيكا

ويستمر هذا المران أشهراً ثلاثة يتلقى الطيار أثناءها فنون الطيران كالملاحة الجوية وصيانة الطائرة وفنون اللاسلكى واستعمال أسلحة القتال المختلفة، فإن المران العملى لا يستنفد كل وقت الطالب إذ هو لا يتجاوز الساعة فى اليوم بينما يصرف باقى يومه فى تلقى العلوم النظرية ، ويتلقى طلبة الكلية الحربية بعض هذه العلوم قبل التحاقهم بمدرسة الطيران

وينتقل الطالب أثناء مرانه على ثلاثة أنواع من الطائرات تختلف فى الوزن والسرعة والدقة ، ولهذا فهى تنقسم إلى ثلاث مراحل أولاها الطيران الابتدائى فيقود الطالب طائرة من طراز ماجستر ، وفى الطيران المتوسط تكون طائرته من نوع الإفرو وفى المرحلة الأخيرة المعروفة باسم الطيران العالى يقود طائرة من نوع الأوداكس، وتختلف سرعة الهبوط على الأرض فى كل من هذه الانواع الثلاثة

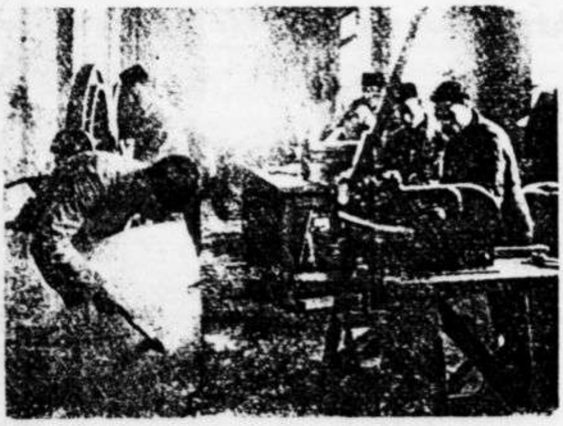
مدرسة حديثة ناجحة

فإذا نجح الطالب فى اجتياز هذه الفترات الثلاث جاز له أن يقود أكبر الطائرات وأكثرها تعقيداً . وقد تمكنت مدرسة الطيران الحربى من سد حاجات سلاح الطيران الجوى المصرى رغم حداثة عهدها إذ أنشئت سنة ١٩٣٨ . ولم تكن هى أولى مدارس الطيران فى مصر ، فقد أنشأ سلاح الطيران الحربى البريطانى مدرسة فى أبى قير سنة ١٩٢٩

ويبذل مدير المدرسة عبد الحميد الدغيدى افندى كثيراً من الجهد والوقت حتى تؤدى المدرسة مهمتها بتقديم طيارين صالحين يقدرون المهمة الملقاة على عاتقهم بالدفاع عن مصر وكرامتها ، ويعرفون أن الطيران أصبح من أشد وسائل القتال خطورة

صيانة واصلاح

وإذا قلنا مدرسة الطيران الحربى فإننا فى الواقع نتكلم عن أربع مدارس مجتمعة فى مكان واحد وتحت إدارة واحدة . فإن الطيران الحربى يحتاج إلى مدرسة ميكانيكية يتعلم فيها رجال الجيش كيف يصلحون العطب الذى يحل بطائراتهم والعناية بها ، فإن مهمة حفظ هذه الأدوات لا تقل خطورة عن مهمة قيادتها . فإن أقل خلل فى جهاز الطائرة يعرضها للتلف كما يكلف الأمة فقد أرواح عزيزة عليها



تتولى مدرسة الميكانيكا تعليم الطلبة اصلاح الطائرات وصيانتها فى مصنعها الخاص حيث يتلقون تعليمهم عمليا

ولهذا فقد اختص فريق من الطلبة بالدراسة فى هذا المعهد حيث يفحصون أجزاء الطائرات على نماذج مكشوفة عملت فيها قطاعات تبين أجزاءها المختلفة حتى يشاهد الطالب بنفسه العمليات الداخلية فى الطائرة وأثرها . فى إحدى الغرف تشاهد محركا

تظهر فيه مجارى الوقود وتبين تأثيره . وفى مكان آخر تشاهد نموذج جناح الطائرة وجزءها الخلفى وهو مكشوف يبين التركيبات الداخلية وقوة مقاومتها

ويتولي خريجو هذا القسم الإشراف على صيانة الطائرات وإصلاحها، ولا يباح للطائرة أن تغادر حظيرتها إلا إذا رأى الضابط المسئول أنها فى حالة جيدة وأن جميع أجهزتها سليمة . ولهذا يتولى المسئولون فحص الطائرات كل مدة معينة . وأحياناً يكون هذا الفحص كاملاً وأحياناً يكون سطحياً تبعاً لحالة الطائرة والمدة التي حلقتها فى الجو ،فلكل طائرة كتابها الخاص الذى يبين تاريخ حياتها حيث تقيد فيه عدد ساعات تحليقها فى الجو والأماكن التى زارتها والأعمال التى أدتها

حلقة منصور

وتستلزم الدراسة الميكانيكية لأجزاء الطائرات معرفة عدة مهن فكما تحتاج إلى حداد فهى تحتاج إلى نجار، فبعض أجزائها يتكون من المادن وبعضها الآخر يتكون من الخشب. أضف إلى ذلك ما يحتاجه سلاح الطيران من أثاث تمد به الحجرات وصناديق تحفظ فيها الذخائر والأجهزة

ويتبع مدرسة الطيران الحربى مدارس التصوير الجوى والمدفعية واللاسلكى . وقد تحدثنا عن الأولى فى مقال سابق وفى عدد تال نتحدث عن المدرستين الأخريين فإن كل هذه الفنون ضرورية للطيار حتى يكون قادراً على تأدية مهمته سواء فى زمن السلم أو فى زمن الحرب

وفى مدرسة المدفعية يتعلم كيف يطلق القنابل ويستعمل مدافعه السريعة الطلقات ، وفى مدرسة اللاسلكى يتعلم كيف يتلقى الأوامر من قيادته وهو محلق فى الجو

فوزى الشتوى

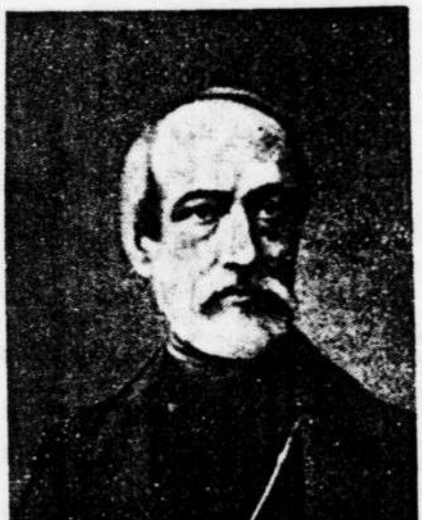
التاريخ فى سير أبطاله

مازيـــــنى

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذى أبلى فى جهاده مثل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

– ٢ –



والتحق الفتى بالجامعة فى جنوة حيث بدأت فترة نشاطه فى قراءة الآداب والتزود بشتى فروع المعرفة مما يدخل فى نطاق دراسته ؛ وما كان اعتماده فيما يقرأ على الجامعة ، فلو أنه قصر همه على ما كانت تزجيه لطلابها من الدروس والكتب لكان له وجهة غير التى اتجهها فى المطالعة والبحث ولكانت ثقافته من نوع محدود ، هو ذلك النوع الذى يعد الطلاب للإجازات التى تمنحها الجامعات لأبنائها دلالة على أنهم درسوا هذه الفنون أو تلك فى مستوى معين وعلى صورة معينة ما تكاد تختلف فى طالب عنها فى آخر

وما كان الفتى ممن يسهل قيادهم من الفتيان فيولون الوجهة التى يريدها لهم غيرهم ، وإنما كان بطبعه ثائراً على كل قيد ، ما رأى شبح القواعد التى تحد من الحرية فى شئ إلا نفر منه ثم عول على تخطى تلك القيود ولو أصابه من وراء ذلك الإعنات والإحراج ؛ وكثيراً ما أدى ذلك إلى شكوى القائمين على شؤون الجامعة ، وإلى اتهام من يجهل خلقه إياه بأنه مشاغب متمرد ؛ أما الذين عرفوه معرفة خبرة فكانوا يحسون فى ذلك التمرد وفى ذلك التوثب روحاً قوية حرة لا يجدون نظيرها فى أحد ممن حوله من الطلاب

وكانت الحكومة وقد هالها ما هب من الثورات تقاوم كل ميل إلى الحرية ما وسعتها المقاومة ؛ وكانت الجامعات هى الأمكنة التى تنظر إليها بعين الخوف والحذر ، ففى هذه الأبنية يلتقى الشباب، والتقاء الشباب فى جماعات أمر لا يتفق فى طبيعته مع تلك المقاومة التى راحت تحكم الحكومة أمرها فى طول البلاد وعرضها ؛ فللشباب أحلام وآمال لا تحد ، وفيهم حيوية وتوثب ، ثم هم يتزودون من المعرفة ؛ ومن كان هذا شأنهم ، أو من كانت هذه طبيعتهم صعب على الآمرين أخذهم بالعنف ، بل ما يكون العنف إلا داعياً إلى العصيان فالتذمر فالثورة

وكان حراماً على الأساتذة أن يجاروا الطلاب فى أهوائهم ، أو أن يكون فيما يلقونه عليهم ما يحفزهم إلى أن يتجهوا الوجهة التى لا ترضاها الحكومات لهم ؛ وكانت إدارة الجامعة فى جنوة لا تقبل من الطلاب غالباً إلا من تطمئن إلى سلوكه ومن يملك أبوه قدراً معيناً من الثروة لتكون ثروته رهينة لدى الحكومة متى شاءت ؛ وحسبك أنها كانت تحتم على الطلاب أن يحلقوا شواربهم لأن الشوارب عندها كانت من علامات التمرد والنزوع إلى الأفكار الثورية ! ومن خالف ذلك حمل على رغمه إلى أقرب حلاق حيث يقضى على شاربه فى غير رفق ، ولا ندرى كم مرة حمل فيها مازينى على هذه الصورة المضحكة !

وكانت له وهو لا يزال فى الجامعة الزعامة على الطلاب جميعاً ؛ وهو بذلك يقدم البرهان العملى على أن الزعيم الشعبى يولد وفيه صفات الزعامة ، فما يزال زعيماً فى كل مراحل حياته حتى تتناهى إليه كبرى الزعامات فيصبح فى أمته الرجل الذى يعمل بوحيه الرجال أرادوا ذلك أو لم يريدوا

كان وسط إخوانه جاداً لا يعرف صغار الأمور ، عزوفاً بطبعه عن اللهو وإن كان يحب الرياضة البدنية ويجعل لها بعض وقته ، فإذا كان لا بد من المزاح فهو مزاح الأديب الفطن ،

الذى يحلق ولا يسف ، والذى تهذب روحه دون أن يبتذل شخصه . وكان له إلى الموسيقى ميل شديد ولكن على أنها شىء تسمو به النفس وتستيقظ عليه الروح ، أما أن تكون ملهاة أو مدعاة إلى المجون والعبث فذلك ما كان ينفر منه أشد النفور

وكان شخصه أبداً يوحى إلى من حوله معانى الاحترام ؛ فصفاء ذهنه وحدة تفكيره يمليان على المتحدث أن يفكر فيما يقول ، وقوة خلقه وترفعه عن الدنايا تحول بين الكلمة النابية على لسان غيره وبين الإعلان ؛ وإنه ليحمى الضعيف وينتصر للمظلوم ، ويدافع عن الحق فى كل ما يعرض له من الأمور ؛ ثم إنه ليواسى البائس ويعزى المحزون ، ويمد الفقير بما تملك يداه من نقود وكتب وملابس . ولسوف تكبر معه تلك الصفات وتنتقل من مجال الجامعة إلى مجال إيطاليا كلها يوم ينفخ فيها من روحه فيبعث فى أرجائها الحياة والأمل

وكانت القراءة أحب هوية إلى نفسه منذ حداثته ، فكان يكب على كل ما يقع فى يده من الكتب فما يدعها حتى يأتى عليها ؛ ثم اتفق وبعض خلانه على تأليف جماعة للقراءة والدرس . وكانت الحكومة بعد ثورات سنة ١٨٢٠ قد شددت الرقابة على الكتب فلا تسمح بنشر ما يدعو إلى المبادىء الثورية منها أو ما توحى قراءته بتلك المبادىء ؛ وكذلك شددت الحكومة الوثاق على الصحف الأجنبية فلا تأذن بدخول البلاد إلا لما لا تخشى من دخوله . من أجل ذلك عولت تلك الجماعة على تلمس السبل لتهريب الكتب والصحف المحرمة ، ولقد نجحت فى ذلك نجاحاً مرضياً

وأقبل مازينى على كتب الأدب فراح يعيش مع شكسبير وجوته وبيرون وشلر ، وكان قد قرأ قبل هؤلاء دانتى وأعجب به أيما إعجاب حتى لقد صار له المكان الأسمى فى قلبه

كان مازينى يرى رسالة الأدب على العموم والشعر على الخصوص السمو بالنفوس وتطهيرها ، وبث الأمل فيها وتقويتها وشحذ العزائم واستنهاض الهمم ، وإيجاد روح المحبة والمودة بين الناس ، وكان يرى أن الشاعر الحق هو الذى يجمع بين الشعر والحكمة فيطرب النفوس ويطير بها إلى الجواء العليا ثم يملأها بمعانى الفضيلة ويستحثها على الجهاد والعمل ؛ أما الاقتصار على التغنى والوصف دون أن يكون من وراء ذلك غاية من فضيلة أو عمل فذلك عنده ضرب من النقص

وقرأ مازينى فيما قرأ الفلسفة فدرس هيجل وكانت وفخت وهردر ، وصاحب روسو وفلتير فترة من الزمن ، ورجع إلى ماكيافلى وكان عنده فى السياسة كدانتى فى الأدب إذ كان كلاهما إيطالياً وطنياً وإذ كان نبوغ كل منهما يدل على أن إيطاليا جديرة بأن تخرج النوابغ الأفذاذ

وكان فى إيطاليا يومئذ نزاع بين أنصار الأدب الابتداعى (الرومانتيكى) وأنصار الأدب الاتباعى (الكلاسيكى) ؛ فكان من الطبيعى أن يشايع مازينى الفريق الأول ، فينتصر لأدب الحرية والابتكار الذى يتحرر من القيود ويجرف السدود ، وكم كان لذلك معجباً بشاعر انجلترة العظيم اللورد بيرون ، ذلك الذى كان يصل شعره إلى أعماق نفسه لما كان فيه من تمرد وتوثب ولما كان يوحى به من معانى العزم والجهاد والتغلب على الشدائد ؛ وكان اسم بيرون يومئذ يدوى فى أنحاء أوربا حتى لقد باتت كتبه فتنة كل شاب فى كل لغة

وكان مازينى يقول إنه لن يتحقق لإيطاليا من جديد كيان سياسى اجتماعى إلا إذا تحقق لها أدب يدعو إلى الحرية والتقدم . ومما ذكره فى هذا الصدد قوله : « إن تشريع وآداب أية أمة يسيران أبداً فى خطين متوازيين » وقوله : « إن بين تقدم الثقافة العقلية والحياة السياسية للأمة ارتباطاً وثيقاً » وتحدث عن الأدب الابتداعى بقوله : « إن غرض الأديب الابتداعى هو أن يمد الإيطاليين بأدب قومى أصيل ، لا بأدب كذلك الذى يكون كصوت الموسيقى العابرة يطأ الأذن ثم يموت ؛ أدب يترجم لهم عن نوازع نفوسهم وأفكارهم وحاجاتهم وحركتهم الاجتماعية »

وراح الشاب وهو فى الثالثة والعشرين يكتب فى الصحف وقد صرف همه أول الأمر إلى النقد ، إذ كان يرجو من ورائه أن يوجه أدب قومه إلى ما كان يريد ؛ وبدأ يكتب فى صحيفة فى جنوة ولكنها عطلت بأمر الرقيب بعد عام ، فأنشأ صاحبها غيرها وكتب إلى مازينى ليوافيه بأبحاثه ففعل منتبطاً ولكن هذه الصحيفة لحقت بسابقتها بعد عام آخر ، فتعاظم الأمر هذا الشاب الحر ولكنه ما زاده إلا إيماناً بالحرية ومزاياها

وتسنى لمازينى بعد جهد ليس بالقليل أن يتصل بأكبر صحف بلاده وكانت تسمى (أنتولوجيا) وقد أخذت مواهبه ، كناقد من أمهر النقاد ، تتجلى فى تلك الصحيفة

وكان مازيني يجعل من الأدب يومئذ وسيلته إلى خدمة بلاده وكانت تحدثه نفسه بشتى المشروعات الأدبية يرمى بها إلى الهدف الذى عينه ، هدف القومية والحرية ؛ ولكن هاجساً ظل يهجس فى نفسه منذ ترك الجامعة أن الأدب ليس كل شيء ، فهو وسيلة بطيئة ، ولا سيما أن الرقابة تضيق مجاله أشد التضييق

وكان ذلك الهاجس يكرب نفسه إذ كان يدعه فى حيرة من أمره ويذره أحياناً بين اليأس والرجاء ؛ فروحه المتوثبة كانت تستبطىء الوسيلة التى اتخذها وتتوق إلى وسيلة غيرها ولكنه كان لا يدرى ما عسى أن تكون الوسيلة الجديدة . . . أليس يحس يد البطش تقضى على كل ميل إلى المقاومة فى كل جهة من جهات إيطاليا ؟ ثم ألا يذكر ما حل بالثائرين قبل ذلك بنحو ثمانية أعوام ؟ وها هو ذا مترنخ لا يزال يشهر سيف الرجعية فيخطف بريقه الأبصار ويلقى الرعب فى الأفئدة

على أنه وإن عدم الوسيلة كان يرى الغاية واضحة أمامه أتم الوضوح ؛ وما كانت تلك الغاية إلا بناء إيطاليا من جديد على أساس قومى ، فتصبح أمة واحدة تتمتع بالحرية وتبهر العالم كما تعودت أن تبهره من قبل بثقافتها ومدنيتها ؛ ولقد استقرت هذه الغاية فى أعماق نفسه حتى أصبحت أغلى عنده من حياته ؛ وما تهدأ تلك النفس التى تتنزى فى أغلال الرجعية حتى يؤدى رسالته أو يهلك دونها ، مهما يرى أمامه من جبروت ويلمس من بطش؛ ولكم سلح الحق الأعزال وحطم الإيمان السلاسل والأغلال

وكان الفتى منذ عامين قد اتصل بجماعة الكاربونارى وانضم إلى صفوفهم ؛ وكانت تلك الجماعة لا تزال تضم إليها الأنصار فى طول البلاد وعرضها ، ولئن كان قد لحقها الوهن منذ ثورتها عام ١٨٢٠ ، فلقد ظلت متماسكة ، ولقد أخذت تنتشر حتى لقد جازت حدود إيطاليا وصار لها مراكز فى القارة ، وكان مركزها الرئيسى فى باريس ، حيث اتصل زعماؤها بالأحرار الناقمين على الملكية المتجبرة فى فرنسا ملكية شارل العاشر ، أو الكونت دا أرتوا ذلك الذى شهد بنفسه بالأمس القريب الثورة الكبرى ورأى مصير لويس المسكين فما اعتبر ، بل طغى واستكبر ، حين استوى على العرش وازدهاه التاج والصولجان .

ولكن جماعة الكاربونارى كان يعوزها المال والقيادة الحكيمة ، وذلك ما كان يألم له مازيني أشد الألم ، وكذلك كان يألم مازيني من اعتماد الجماعة على فرنسا لحسب إذ كان يرى — وما أجمل ما كان يرى — أن قوة الشعب إن لم تكن منبعثة منه فلا أمل فيها ، وأساس الوطنية والجهاد القومى اعتماد الشعب على إيمانه وثقته فى نفسه أولاً ، ولا ضير بعد ذلك أن يتلقى العون من غيره؛ ولكنه إن اعتمد على غيره وكانت تعوزه العزيمة فليس له من أمل إلا أن يعينه ذلك الغير ، وهذا أمر غير مضمون فى كل وقت ، وإذا كف ذلك الغير يده عظمت الخيبة وتسرب إلى النفوس اليأس

على أنه على الرغم من هذا كان يرى فى الجماعة الهيئة الوحيدة التى تعتبر عنصر المقاومة والفداء ، ولذلك لم يتردد أن يضع يده على خنجر عار ويؤدى القسم على تنفيذ ما يأمر به؛ وكان من نظام الجماعة ألا يعرف العضو رؤساءه ، وإنما يعرف زميلاً أو زميلين ، ولقد أخلص مازيني لمبادئ الجماعة ونمى أمر إخلاصه وحماسته إلى رؤسائه القريبين ، فأوفد من قبلهم إلى بعض الجهات مبشراً بتلك المبادئ عاملاً على ضم أعضاء جدد إلى الكاربونارى ...

ورجفت الراجفة فى فرنسا فأطاحت بالملك المتجبر عام ١٨٣٠ ؛ فرأى للمرة الثانية الدليل العملى على أن قوة الشعوب قد باتت أمراً يجدر بكل حاكم أن يحسب له ألف حساب ؛ وأن هذه الشعوب إذا استقرت بعد هياج فلن تكون، إذا سلط عليها الظلم، إلا كالبحر يعظم جيشانه وفورانه بقدر ما كان من تطامنه وثباته

وهبطت من وراء الألب على إيطاليا أنباء الثورة الجديدة فى فرنسا والتمعت بوارق الأمل للأحرار، وتأهب رجال الكاربونارى، وقد حسبوا أن قد جاء اليوم الموعود ، ونشط مازيني وخلانه يذيعون مبادىء الجماعة ويهيبون بالشباب أن ينتظروا أول صيحة

ولكن الحكومة ما لبثت أن ألقت القبض عليه ، فلقد بثت من قبل عيونها بين صفوف هذه الجماعة واتهم مازيني بأنه كان يغرى أحدهم بالانضمام إليها . وألقى بالشاب المجاهد فى غيابة السجن فى سافو وهو يومئذ فى الخامسة والعشرين، فكان هذا أول ما لحقه من الآلام فى حياته التى سوف تكون مليئة بالآلام

وسيق إلى المحاكمة فالت إلى تبرئته لعدم توافر الأدلة ولأنه لم يقم إلا شاهد واحد عليه ؛ ولكن السلطة خيرته بين الاعتقال فى إحدى القرى أو النفى إلى خارج إيطاليا ؛ فاختار النفى، وعبر جبال الألب إلى فرنسا ، وكان يريد الذهاب إلى باريس حيث يخدم مبادىء الجماعة هناك، ولكنه تحول إلى ليون حيث انضم إلى المنفيين هناك من الإيطاليين وشاطرهم مرارة الاغتراب .

(يتبع) الخفيف



دراسات فى الفن

معضلة

بين الفن والقانون

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

قابلتنى ، وكنت أنا فى هذه المرة المهموم فسألتنى مشفقة :

– مالك ؟

– إنى متألم لصديق توشك نكبة أن تحل به ويلزمه العيش أن يمهد لها السبيل كى تحل به

– أعوذ بالله ! ومن صديقك هذا ؟ أأعرفه ؟

– تعرفينه ، ويعرفه الكثيرون . هو محمود حسن إسماعيل الشاعر ، والموظف بوزارة المعارف

– محمود إسماعيل ؟ وماذا جرى له ؟

– عينه اليسرى ضعيفة – فيما تقول الوزارة – وهو الآن يعالجها ليقويها لينجح فى الفرصة الأخيرة من فرص الكشف الطبى ، لتجدد الوزارة عقده وتثبته فى وظيفته ...

– فهل أصابها سوء وهو يعالجها ؟

– يقول إنها تتقوى

– وأى شىء فى هذا ؟

– أن يمتنع الشعر على محمود !

– إيه ؟ ولماذا ؟

– لأن عينه اليسرى هى التى يرى بها الشعر ما دامت على هذه الحال

– أما قلت لى هذا من الأول ؟ ! حسبت ما يهمك جداً . وماذا يا سيدى ؟

– لا شىء ، أما يكفيك هذا ؟ كم هم الشعراء فى مصر الذين يشبهون محموداً فى مصر الآن ومن قبل

– ياسلام ؟! أإلى هذا الحد تكبره ؟

– هذا رأيى . وقد قلته له فى وجهه ، وأنت تعرفين قلة ما أقتنع بالناس ، وندرة ما أصرح بهذا الاقتناع ... وأنا كما قلت لك دائماً أعجز العاجزين ، وأضعف الضعفاء

– ولكنى لا أرى محموداً كما تراه ...

– فليكن رأيك فيه ما يكون . ولكن التاريخ سيشهد بأن الشعر العربى فى مصر بدأت تكثر فيه التسابيح ، والأنغام ، والتهاويل ، والطهارات ، والأشعة ، والضفادع ، والثيران ، والغربان ، والنخيل ، والبقول ، والزهور ، والأرواح ، والأطياف ، والمعازف ، والمزامير ، والمباسم ، والمشاعل ، والسواقى ، والأكواخ ، و... و... و.. من بعد اليوم المبارك ٢٣ يناير سنة ١٩٣٨

– وهل استصدر محمود فى هذا اليوم مرسوماً من القصر الملكى باستعمال هذه الألفاظ فى الشعر ، وطواف الشعراء حول ما يحيط بها من المبانى ؟

– نعم . لقد فعل محمود هذا

– لو لم أكن نسيت مسدسى فى البيت ! كيف حدث هذا يا أخانا ؟

كان هذا اليوم المبارك هو ثالث أيام زفاف الفاروق ، وكان جلالته قد أسعد محمودا والفن بالشرف الأسمى إذ دعاه إلى عابدين ليرتل بين يديه من أغانى الروح على أثر إعجابه به فى حفل سمعه فيه ، وكان هذا الحفل من حفلات الجمعية الخيرية الإسلامية ، وقد شهد هذه الدعوة حضرة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا رئيس الوزارة السابقة ورئيس الجمعية الخيرية الإسلامية ، والظل الأول الذى أظل محموداً ، كما شهدها حضرة صاحب المقام الرفيع

على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى سابقاً ، ورئيس الوزارة اليوم . وكانت هذه الدعوة هي هذا المرسوم ، وقد تلاه محمود في عابدين .. إنه الشعر الذى طاب للملك ... والملك عارف ، والملك عبقرى ، والملك ناقد فذ

— ما أبرعك صديقاً !

— في اختيار أصدقائي لا في رفعهم بالباطل

— فحمود إذن له قيمة . . .

— قيمة خطيرة . ولو أن ملكا في غير مصر فعل هذا الذى فعله الفاروق أعزه الله في شاعر لبدأت الحكومة ، وبدأ الشعب يدرسان هذا الشاعر ، فالملك لا يدعو كل شاعر ، والملك لا يفعل ما يفعل عبثاً ، فهو يعرف أنه رأس الدولة ، انظرى إليه . . . من الذى أعلن عنه رضاه من رجال المسرح بعد أن استعرضهم جميعاً ... أليس هو نجيب الريحاني ؟ ... ومن في رجال مسرحنا مثل نجيب الريحاني ؟ . . . وانظرى . . . ألم يغن عبد الوهاب في القصر

— فحياه جلالته حين سمعه بكل ما في الملوك النبلاء من أدب ورقة . . .

— إنك بدأت تفهمين ... يخيل إلىّ أنه ليس في مصر من يحس ويتذوق ويفهم مثل فاروق الأول . . . تربية فؤاد الملك الذى اعتلى العرش بعد ما اختبر الحياة مع الملوك ومارس الحياة في صميمها بين أفراد الشعوب . . . فعرف بعد ذلك كيف يملك وكيف يحكم وكيف يعد للعرش من بعده ملكا يتغلغل بالإدراك في تلافيف وطنه . . . ومحمود الشاعر الذى قدره الفاروق والذى يهتف الجيش اليوم بنشيد من شعره ، تساومه الآن وزارة المعارف ووزارة المالية في فنه ، لا بد أن يفقده إذا أراد أن يبقى موظفاً ... فهل يصح أن يحدث هذا ؟ كلا ! فلا بد أن يمنى من الكشف الطبي

— ولكن أحداً لم يطلب منه أن ينزل عن شعره !

— إنهم يريدون منه أن يقوى عينه اليسرى ... وقد قلت لك إن عينه اليسرى هذه هي التي يرى بها الشعر

— وكان يجب أن أقول لك أما إن هذا هو كلام المجانين

— أرجوك ألا تصدرى حكما على شيء قبل أن تبحثيه وتدرسيه ... لقد عرض محمود عينه هذه على ثلاثة من أطباء العيون الممتازين في مصر هم الدكتور محمد صبحي وقد سمعت من الكثيرين أنه أقدر أطباء العيون في مصر ، والدكتور محمد بكرى وهو مدير مستشفى العيون بروض الفرج ... مدير المستشفى ... والدكتور إيليا ناشد وهو عضو كلية الجراحين بإنجلترا ... بإنجلترا لا بمدغشقر ... وقد قرر هؤلاء الفحول الثلاثة أن عينه اليسرى هذه سليمة ، وأن أعصابها قوية ... فهي إذن ليست ضعيفة ...

— إذن فقد كان يجب عليها أن تنجح في الكشف الطبي

— هذا لو أنها كانت كبقية العيون التي ركبها الله تركيباً يمكنها من رؤية علامات الكشف الطبي

— وهل هي مركبة تركيباً آخر فليست مثل عيون الناس ؟

— إسمعى ! هل تصدقين النبي محمداً أو أنت تكذبينه ؟

— معاذ الله أن أشك في قوله

— الحمد لله . كان محمد رسول الله يقول إنه كان يسمع الوحى سمعاً ... وكان يوحى إليه في الموقعة الحربية ، وكان يصاحبه في مواقعه الحربية جنوده وأنصاره فلا يسمع الوحى أحد غيره . فهل كانت أذن محمد كآذان بقية الناس ؟ أجيبي ؟

— كان محمد نبياً

— وكان بشراً مثلنا بتقرير القرآن وتقريره هو نفسه ... فتكذبين القرآن ؟

— حاشا لله ...

— إذن فهو لا يختلف في شيء عن تكوين البشر ... ومع هذا فقد كان يسمع ما لم يكن يسمعه جيرانه والملتصقون به ... فلا بد إذن أن يكون من تكوين البشر حالات خارقة نادرة يستعصى على الآلات وأجهزة الكشف الطبي قياسها ...

— كأنى أريد أن أوافقك وأن أقول إن هذا كلام معقول

— هو معقول لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فحمد الرسول كان بشراً وكان نبيًّا له أذن تسمع ما لم يكن يسمعه الناس ... وكذلك كان موسى . وكذلك في جهة أخرى كان بتهوفن الوسيقى الأصم . وكذلك كل موسيقى آخر يلتقط الأنغام من الجو . موهبة السمع فيهم واحدة وإن كانت تتشكل بأشكال مختلفة ... ومحمود حسن إسماعيل شاعر ، وله عين يرى بها ما لا يراه بقية الناس ... هذا أمر لا عجب فيه ...

— لو كان لديك دليل مادى غير هذه الاستنباطات

— الدليل موجود ... وهو فى شعر محمود ... إقرئيه تجدى تسعين فى المائة منه على الأقل كلها صور بصرية ... إنه يشبه حتى المسموعات بالمرئيات ... إنه يرسم معانيه صوراً كل صورة منها يمكن أن توضع فى إطار ... إن شعره كله يمكن أن يترجم إلى رسوم ... فكيف يتاح له هذا إلا إذا كان يرى هذا الذى يصفه ... لا تقولى إنه يتكلف هذا ... فالتكلف لا يستطيع أن يستمر وأن يتجدد وأن يفيض مثلما يفعل محمود ... إنه يرى هذه الأشياء حقًّا ... إقرئى شعره !

— فليكن هذا حقا ... فكيف تحكم بأنه يرى هذه الأشياء بعينه اليسرى لا اليمنى ...

— لأنه يغمض عينه اليسرى حين يكتب ... أنا أعرفه ... وقد رأيته كثيراً وهو يسبح وراء خياله ... كما رأيته كثيراً وهو يكتب ... ورأيته يغمض عينه اليسرى كلما كتب شعراً

— قد تكون عادة !

— لا . بل إنه يغمض عينه اليسرى ليسترجع هذه الصور التى يصفها وليراها فى وضوح ... ويفتح عينه اليمنى ليرى بها القلم والورق و « اللكى سترايك »

— يا لها من خرافة !

— إنها ليست خرافة ... وإنما هى رأى ... ومع أنه رأيى فإنى لا أريد أن أقطع به ، فإن كنت قد تعلمت شيئاً فإن أساتذتى الذين علمونى لا يزالون بحمد الله موجودين على قيد الحياة ... وهم جميعاً طوع أمر وزارة المعارف ، ووزير المعارف رجل من رجال التربية وعلم النفس فهو عالم ومعلم قبل أن يكون سياسياً ووزيراً ... ووكيل المعارف رجل من المجتهدين وممن لهم آراء جديدة فى فنه ، وممن لن تقف عقولهم عند القديم المقرر ... فهو يرحب بالدراسات الجديدة من غير شك ... فهذا وزير عالم وهذا وكيل مجتهد ، والأستاذ عبد السلام القبانى المتفنن فى دراسات النفس وتجارب التربية موجود فى معهد التربية للمعلمين وهو وكيله ، والدكتور عبد العزيز القوصى أستاذ علم النفس بالمعهد موجود أيضاً وأظن أن الرسالة القيمة التى نال بها إجازة الدكتوراه فى علم النفس على يد سبيرمان كبير الأساتذة الإنجليز كانت خاصة بالعين ، والبصر ، والنظر ... وهـذه وزارة المعارف من أولها إلى آخرها يعج فيها من علماء النفس ، والمربين والأدباء والفلاسفة ... وهذه حالة شاذة يصح أن تدرس ... فلماذا لا تدرس ؟ هى عين يقولون إنها ضعيفة ، ويقول الأطباء إنها قوية ، ويقولون إنها لا ترى علامات الكشف الطبى ، وأقول إنها ترى صوراً لا يراها الناس ويصفها محمود بالشعر ... فكيف نحكم حكماً صحيحاً فى هذه المعضلة إلا بالدرس ... أليس الدرس هو الطريق الطبيعى المنطقى الوحيد الذى يستطيع الإنسان به أن يصدر حكماً فى مسألة من المسائل ؟ فإذا لم نسلك هذا الطريق الوحيد مع شاعر رضى عنه الملك وينشد جيشنا شعره ... فمع من نسلك طريق المنطق والعقل والطبيعة ... إن المسألة أخطر مما تتوهمين !

— ولكن كيف تدرس هذه الحال ؟

— أنا لا أعرف كيف ... فلست دكتوراً فى علم النفس ، ولا أنا شىء ما ... وإنما هذه فكرة خطرت ... أنا ذهبت إلى وزارة المعارف ومعى إنسان فى « زكيبة » ، وقلت لها يا وزارة المعارف خذى هـذا الإنسان وأدخليه فى مدرسة من مدارسك الابتدائية ، فهل ترفضه الوزارة ، أو تقبله قبل أن تخرجه من الزكيبة فتعرف إذا كان هو صبياً أو صبية ... وهل هو أو هى مستوف أو مستوفاة لشروط الدخول فى المدارس الابتدائية ... أو أمره غير ذلك ... كذلك موقفى الآن مع وزارة المعارف وفى يدى محمود اسماعيل ... أفلا يجب عليها أن تتعرف ما هو ؟ ... قبل أن تفصله أو تثبته أو تطالبه بتقوية عينه ... أو ...

— وما لوزارة المعارف وهذا كله ... إنها تريد موظفين بعيون قوية

— اللهم يارب عفوك ... إن فى الموظفين من ليست لهم عيون قوية ، ولا عيون ... قوية ...

— وماذا يضره لو أن عينه تقوت ؟

— إنها لن تتقوى يا إنسانة .. إنها مخلوقة هكذا .. هذه هى قوتها . فهل يرضى مصر لو فشل محمود فى تقوية عينه أن تلفظه وزارة المعارف فيسرح على الأبواب يقول : « الحمد لرب مقتدر » إن المسكين يضع على عينيه اليوم ثلاثة مناظير زاعماً أنها وسيلته إلى تقوية عينه وهو يخدع نفسه أحياناً فيزعم أنها تقوت

— ولمـاذا تقول إنه يخدع نفسه ؟

— له شهر وأكثر وهو بهذه المناظير الثلاثة . واحد معتم للشمس ، وواحد مكبر لتقوية عينه اليسرى ، وواحد زجاج على اليسرى ليكشفها فترى ، وسواد على اليمنى ليمنعها من الرؤية تمكيناً لليسرى من التدرب على النظر ··· ومنذ عصب عينيه بهذه المناظير قد كف عن الشعر . ألست تقرئين « الرسالة » على الدوام ؟ ألم تلحظى أنه احتجب منذ خمسة أو ستة أسابيع ؟ ··· لقد كان يكتب قصيدة للاذاعة فكتب منها سبعين بيتاً إلا شطراً واحداً وقف عن كتابته منذ طلسم عينيه بهذه المناظير . إنه الآن لا يرى ما كان يراه من قبل وهو يعاني أزمة نفسية قاتلة ، ولا عزاء له فى هذا كله إلا أن يردد دائماً قوله : « إن عينه تفوت »، وهو يقولها كلما عجز عن رؤية شىء واضح . فى سبيل الوظيفة والخضوع للنص الحرفى القديم فى القانون سيختل عقل شاعر شاب قد كان يكفيه ما يلاقيه الشباب من إنكار الشيوخ وبطشهم فى هذا الزمن . . . فكيف ننقذه ... ؟

— أكتب فى هذا الموضوع ؟

— ومن أنا حتى أكتب فيسمع كلامى ؟ !

— إنك إنسان ما . . . ولكن الكلام الذى تقوله معقول . والذين بيدهم الأمر كلهم عقلاء ... وأصلبهم وهو وزير المالية أشدهم إيماناً بالعقل ، فهو مهندس وبالعقل وحده استطاع أن يكون وزيراً للحربية ثم وزيراً للمالية... وهو مهندس ... ولم يستطع هذا إلا لأن له عقلاً ناضجاً . . . ثق بأنه سيكون فى صفك . . .

— إنك تشجعيننى

— أكتب واطلب من وزارة المعارف أن تؤلف لجنة من علمائها لدراسة هذا الموضوع . . .

— طيب . على الله . . .

* * *

وهأنذا كتبت . . . فمن يكتب عن معضلتى أنا ؟

عزيز احمد فهمى

من هنا ومن هناك

سويسرا تضرب المثل فى التسلح

[عن « بارى سوار »]

لعل ما تقوم به سويسرا فى الأيام الأخيرة من الاستعداد الحربى وإنفاق الأموال الطائلة فى سبيل التسليح ، يعد مثلاً بارزاً لكثير من الأمم التى تخال أنها فى مأمن من الحوادث . فقد كانت سويسرا من سنة ١٩٢٠ إلى سنة ١٩٣٠ تقتصد فى نفقات التسليح كل الاقتصاد ، حتى أنها لا تقرر لأجله فى ميزانيتها إلا مبلغاً ضئيلاً لا يكفى إلا لشراء بعض الآلات الحربية الخفيفة إذ أنها لم تكن تشعر فى تلك السنين بأى تهديد . فسويسرا متاخمة لفرنسا ، وأمة كالأمة السويسرية اشتهر أهلها بالرزانة والعقل وحب السلام ، لا يزعجها وجود الجيش الفرنسى عند حدودها

وفى سنة ١٩٣١ والسنين التى تلتها أخذت سويسرا تعمل لزيادة التسليح ولا تدخر وسعاً فى هذا السبيل . وذلك أن شبح هتلر كان قد بدأ يحلق فى سماء القارة الأوربية . ولم تكن سويسرا حتى سنة ١٩٢٩ تقدر للتسليح أكثر من ١٦ ٪ من الميزانية العامة . فلم تمض عشر سنوات حتى وصلت هذه النسبة إلى ٢٢٪ ولكن هذه المقادير لم تكن لتفى بحاجاتها إلى السلاح وما تتطلبه من الأموال الطائلة . فعقدت قروضاً فيما بين ١٩٢٩ — ١٩٣٠ لأجل الدفاع بمبلغ ٦٤٨ مليوناً من الفرنكات السويسرية أو ما يوازى ٣٢٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات

ولم تقف سويسرا فى استعدادها الحربى عند هذا الحد ، فمنذ سنة ١٩٣٦ نشطت هذه الأمة الوادعة فى تنظيم جيشها ، وحشد قواها ، وتعزيز جبهتها ، وزيادة مدة التدريب العسكرى بين أبنائها . وإذا كانت سويسرا فيما مضى لم تفكر فى إقامة المصانع الحربية ، فقد أصبح لديها الآن مئات من المصانع الكبيرة المعدة لهذا الغرض فى أنحائها المختلفة . أما قوى الطيران الدفاعية منها والهجومية ، فقد أصبحت على قدم الاستعداد ، وقد أقيمت استحكامات عظيمة على طول خط الرين وبالقرب من الجبهة الألمانية . وتعد سويسرا الآن برنامجاً حربياً حافلاً لحمايتها من الطوارئ المفاجئة ، ولكى تصل إلى هذه الغاية قررت سحب ٢٥ مليوناً أخرى من المال الاحتياطى للاستمرار فى عمليات التحصين والتسلح حتى تصل فى دفاعها إلى أقصى ما تصل إليه أمة فى العالم .

فسويسرا لن تفقد استقلالها ، ولن تموت أبداً . وإذا كان الشعب السويسرى لم يكن فى تاريخه من الشعوب المتعطشة للحروب فليس هو كذلك بالشعب الذى يغتر بالسلم ، وقد أعد العدة للطوارئ بعد أن ظهرت نيات ألمانيا نحو الشعوب الضعيفة .

وقد تحدث إلىّ فى الأيام الأخيرة سويسرى عظيم فقال : « إننى أعرف إعجابك بألمانيا التى أنجبت كثيراً من العبقريات النادرة ؛ ولست أخالفك فى ذلك ، فأنا من أبناء سويسرا الألمانية وقد نشأت على احترام تلك البلاد الفنية بعلمائها وفلاسفتها وشعرائها وموسيقيها . ولكننى لا أستطيع أن أتبين أثراً لألمانيا الحقيقية وراء القناع الهتلرى . إن أمتى تنظر بعين الذعر إلى أعمال ألمانيا ونياتها ، لأنها تريد أن تظل تلك الأمة الجديرة بتاريخها المجيد »

ومن خلال هذه الكلمات المريرة نستطيع أن ننظر إلى سويسرة المتألمة الصبور .

الطيران فى القرن الخامس عشر

[عن « لاتريبونا إلسترانا » روما]

أقيم فى ميلانو فى الأيام الأخيرة معرض لأعمال ليوناردو دافنسى العبقرى المشهور

ومما أثار الدهشة فى نفوس الزائرين لذلك المعرض تلك الطائرة التى وضعها هذا الفنان الفذ قبل ظهور أول طائرة بخمسة قرون

فقد كان دافنسى يشتغل بالطيران ، ويبذل كثيراً من وقته وتفكيره لتنفيذ فكرته متأثراً بأساطير الإغريق

ومما يروى أن عضواً من أعضاء الأكاديمية الفرنسية شرح هذا الاختراع الذى كان يدور برأس ليوناردو للملك لويس الثامن فما كاد يسمع منه بفكرة الآلة الطائرة حتى افتر ثغره عن ابتسامة ساخرة وقال : « إن ليوناردو حسن الحظ لأن مستشفى المجانين لم يكن قد عرف فى العصر الذى عاش فيه »

وقد جاء « أوتوليلياتال » فى العصر الحديث ودرس خواص الطير والقوة التى تساعدها على الصعود والتحليق فى السماء ، وأثبت أن ما كان من الخيالات والأوهام العابرة فى العصور السابقة قد أصبح حقيقة علمية خاضعة للتنفيذ

ولم يكن ليوناردو فى بادىء الأمر يعرف طريقة لإدارة الطائرة غير الطريقة التى تحركها بالقوة العضلية ، إلا أنه وجد أخيراً أن هـذه الطريقة لا تكفى لاستمرار سيرها ، فوضع لها سيوراً من المطاط تدار باليد أو بالقدم . وقد عرضت طائرتان من هذا النوع لدافنسى كانتا موضع الدهشة والإعجاب

ومما فكر فيه هذا الفنان لإتمام مشروعه ، قوة الهواء والرياح فسخر وقته لدراسة الطيور . وأخذ يفكر فى القوة التى تساعدها على التحليق وسط الزعازع والأنواء . وقد دلت الدراسات الحديثة ، على أن النتائج التى وصل إليها كانت على جانب عظيم من الأهمية وفى مقال كتبه عن تحليق الطيور ، وضع ليوناردو فكرة الطيران الآلى بواسطة الجناحين ، وأشار إلى كثير من الآراء الناجحة فى فن الطيران ، ومما لا شك فيه أن الآلة التى ابتدعها ليوناردو كانت مؤسسة على الطرق والقواعد السائدة فى الأيام الحديثة

ولعل اشتغال هـذا الفنان العظيم بصوره ولوحاته الفنية النفيسة ، هو الذى عاقه عن إتمام مشروع الطيران ، فلم يترك له الوقت الكافى للسير بالفكرة إلى النهاية ، وإن كان الكثيرون من أصحاب الرأى والخبرة ، يؤكدون صحة القواعد التى وضعها ، ويسلمون بأن التجارب التى أقيمت عليها كانت ناجحة كل النجاح

تاريخ التقبيل

[عن « P. T. O. »]

القبلة هى إحدى الطرف الإنسانية النفيسة التى ابتدعها الحب فما هو تاريخ ظهورها بين بنى الإنسان ؟

المعروف عند عامة الناس أن التقبيل نشأ مع الشهوة الجنسية وهذا مخالف للحقيقة، ويحملنا على الاعتقاد بأن هذه العادة لم تكن من الغرائز الإنسانية الأولى ، أن كثيراً من الأمم لا يعرفها على وجه الإطلاق ، وأن بعضها ينظر إليها بالمقت والامتعاض

ومن المحقق أن قبائل الاسكيمو والمورا لا يعرفون التقبيل . وقد مضت قرون عديدة قبل أن تعرف هذه العادة فى الصين واليابان أما فى أيامنا الحديثة فالصينيون يعرفون التقبيل ولا يرون بأساً من انتشاره بينهم ، ولكن اليابان يحرمونه ويبالغون فى تحريمه ، حتى أنهم يحذفون جميع مناظر التقبيل من الأفلام الأوربية والأمريكية التى تعرض فى بلادهم

وقد عرضت رسوم رودان فى معرض طوكيو سنة ١٩٢٤ فظهرت جميع رسومه المشهورة ما عدا اللوحة التى تحمل صورة القبلة فقد ألقى عليها غطاء كثيف . وقد اعترض بعض الزوار الفرنسيين على ذلك فأجابه رئيس البوليس بأن مجموعة رودان كان من الواجب أن توضع جميعها تحت غطاء من أجل صورة القبلة فالتقبيل عادة أوربية ممقوتة تمنعها اليابان بأى ثمن ، ولولا عظمة رودان وما له من الشهرة بين أمم العالم لمنعت جميع رسومه من الدخول إلى اليابان لأجل هذه الصورة . . .

أما تاريخ التقبيل فغير معروف على التحقيق وإن كان لبعض القبلات تاريخها وشهرتها ، ومن القبل المشهورة قبلة « فلورنتين » وتنسب إلى « نابليون الأول » ، وقد بيعت قبلة واحدة فى إحدى المناسبات بمبلغ ١٢٠٠٠ جنيه ، وكان ذلك فى البرت هول سنة ١٩١٥ فى حفلة لإعانة الجرحى عرضتها الممثلة المشهورة «مورلوب» عن طريق المزايدة ؛ فلما وصلت المبالغ المعروضة إلى ٨٠٠٠ جنيه كف جميع المتنافسين عدا اثنين هما الثرى الكبير هتشنسن ودوق أرسنت ألباز ؛ وقد فاز الدوق فى النهاية بهذه القبلة . ومما يذكر فى هذه المناسبة أن الدوق طلب إلى الممثلة أن تقبل ابنه البالغ من العمر تسع سنوات بدلاً منه ...

وتعد القبلة فى بعض أنحاء الولايات المتحدة عملاً مخالفاً للصحة ، وتعريض صحة إنسان ما للمرض جريمة يعاقب عليها القانون . أما اغتصاب القبلة من امرأة أية كانت فهو عمل يعاقب عليه القانون فى سائر الأحوال

وإذا كانت القبلة اليوم هى التعبير الجسدى عن الحب ، فقد كانت فى الأزمان الخالية نوعاً من التحية فحسب كالتلويح بالمنديل للمسافرين ، وقد ظلت كذلك إلى القرن الخامس عشر ، وكان يباح للضيف أن يقبل زوجة مضيفه ، وكل فرد من أفراد عائلته

وكانوا فى روما القديمة يقبلون لأسباب غير التحية والاحترام فقد كان النبيذ محظوراً على النساء تعاطيه ، ومن ثم كانوا يبيحون للرجل أن يقبل المرأة إذا كانت له بها أية علاقة ، ليتأكد من أنها لا تشرب النبيذ وتخالف القانون

وقد قام أحد علماء أميركا فى الأيام الأخيرة يحذر العالم من التقبيل ، ويعلن أنه ينقص من أجل الإنسان ، ولكن أحداً من الناس لم يصدقه أو يحفل لتحذيره نصيبه من التقدير



افتتاح
فصل الشتاء
معرض المبتكرات الحديثة
عند
شيكوريل
حاليًّا



نداء المجهول – قصة للأستاذ محمود تيمور نشرتها المكشوف

بهذه القصة الجديدة يندفع الأستاذ محمود تيمور في اللون التخيُّلي، وقد بدت بوادره في قصته المتأخرة «فرعون الصغير» على ما بينتُ في مقتطف يولية الماضي. وتراه يندفع فيه مهملاً اللون الواقعي الذي عرف به زماناً. ولكن إهماله له إنما هو من ناحية الفكرة التي تسيّر القصة لا من جهة السياق، إذ لا يزال يلتزم التصوير المباشر والتحليل الصريح وغير ذلك من أساليب الواقعية réalisme. واللون التخيلي romanesque بالفرنسية والإنجليزية (هنا أيضاً romance) و romanhaft بالألمانية – يجرى إلى سرد الحوادث النوادر و «المغامرات» (كما نقول اليوم في مصر: adventures) وإلى وصف العوالم التي تَبهت العقل وإلى الكشف عن آفاق تضطرب فيها الأسرار والألغاز، كل ذلك رغبةً في الفرار مما نعرفه ونلمسه ونؤمن به، كل ذلك إرادةَ أن تلبي النفس نداء يأتيها من وراء حُجُب. هذا وبين التخيلية والرمزية المستحدثة وشائج من جهة ذلك الفرار من العالم المبذول لنا. غير أن هذه تتشبث بما يجول في النفس خفيةً فتبرزُه عزماتٍ وتصوُّرات وانفعالات، ثم تستخرج ما وراء الحسّ وتدوّن ما يهجم على القلب ويرد على الوهم، وذلك من طريق التمثيل، وانتزاع الصور من الأشكال والهيئات، واستنباط المطابقات والمقابلات والإضافات مما يجري مجرى الموازنة البعيدة أو القريبة بين الحيّ والجامد

وجملة القول أن التخيلية تتناول الخارجيات من بلدانٍ نائية وغرائب مستملحة وحوادث أخاذة، على حين أن الرمزية المستحدثة تركز أوتادها في وادي المضمرات والسوانح وما يلي المادة المباشرة

وقد عرف الأدب العربي اللون التخيلي، ففي حكايات جدّاتنا وفي «ألف ليلة وليلة» ما تشاء من ابتداع للطائف. وأما الأدب الإفرنجي الحديث فقد خرج اللون التخيلي على يديه فناً شائعاً مقبولاً شريف الغاية في أكثر الحال، بيْن الأوضاع على تباين في الأنحاء. وفن تيمور في «نداء المجهول» لا يرجع إلى الأدب العربي، ثم إنه ليس من فن (كبلنج) Kipling لأن هذا بَلاَ ما كتب، وليس من فن (إستراتي) P. Istrati لأن هذا صاحب عنف، وليس من فن (فورنييه) A. Fournier لأن الرجل شاعر في نثره وصاحب وسوسات، وليس من فن (مارك أورلان) P. M. Orlan لأن هذا خاض الحياة الشاقة. إن اللون التخيلي عند تيمور في «نداء المجهول» يقارب بعض المقاربة ما نعرفه من فن القصصي الفرنسي P. Benoît مع اعتبار ما يميز الكاتب من الكاتب من حيث الأسلوب والتفكير

وأسلوب تيمور في قصته التخيلية لا يبرح أسير الطريقة الواقعية كما قدّمت: فلا اللفظ ينبو من موضعه المعهود، ولا التعبير يميل إلى الإيحاء، ولا العبارة يُجريها نغم خفيّ. بل كل ما يتصل بالأداء تصيبه في المكان الذي كنت تحتسبه

لا أدري ما الذي وقع لصديقي تيمور حتى يجنح إلى ذلك التخيل ثم يريده إرادةً؟ أيّ شيء ينفره من هذا العالم ثم يطير به إلى آفاق المجهول؟ هل خاب أمل من آماله؟ هل أحس بطلان دنيانا وتعرّف مبلغ زَيْفها فانجذب إلى التشاؤم كما انجذب إليه (بيير لوتي) P. Loti من قبل؟ إن عطف تيمور على الإنسانية ورثاءه لبؤسها وضعفها مما هو جليّ في قصصه السابقة. وبين هذا العطف على الناس وطلب الفرار منهم خطوة ... ألا شبّك يدك بيدي أيها الصديق، فاثنان على الفرار المضني أقوى من واحد، وإن كان لكل منا جناحه!

وبعد فرجائي ممن يستهويه الأفق البعيد أن يقرأ «فرعون الصغير» لكي ينطلق فيحيا قدرَ لحظات حياة البطولة أو حياة الغرابة، ثم يهبط إلى أرضه فتعاوده أيامُه دورتَها الشاحبة. وحسب تيمور أنه يستطيع بذل تلك اللحظات النفيسة، حسبه! هل يستطيع ذلك غير صاحب افتنان غزير المادة لطيف النواحي؟

بشر فارس

التاريخ المزخرف والأشعار المسرحية

١ — أشكر لحضرة السيد محمد على عكارى جهده فى تقديم بعض الشواهد التى تؤيد القول بأن وثنية العرب قامت فى الأصل على قواعد روحية ، وأرجوه أن يجعل هذه المسألة فى باله فيقيد جميع ما يصادفه من البينات التى تجلو غوامض تلك الوثنية .

وليكن مفهوماً عنده وعند سائر الباحثين أن الوثنيات فى جميع بقاع الأرض لم تكن إلا صوراً أو رموزاً لحقائق وجدانية ومعنوية كانت فى الأصل ديانات سليمة خفيت مغازيها على الجماهير فجسّموها بالصور والتماثيل . ومن هنا تسقط حجة من قال إن وثنية العرب كانت « أرضية وضيعة » ولو أنه كان فهم هذه الحقيقة لعرف أن العرب لم يكونوا بِدعاً بين الأمم حين عبّروا عن عقائدهم بمثل ما عبّر به الفرس والهنود واليونان والرومان والمصريون

وقد أوضح القرآن حجة الجاهليين فى عبادة الأوثان إذ حكىَ أنهم قالوا « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلفَى » وهذه العبارة القرآنية تشهد بأن الأوثان كانت رموزاً لمعان روحية

وأنتقل بعد هذا إلى صلاة المأمون على الموصلى والكسائى وابن الأحنف وقد ماتوا فى يوم واحد فأقول :

إنى أوردت هذه القصة فى كتاب « مدامع العشاق » نقلاً عن شرح شواهد ابن عقيل للشيخ قطة العدوى ، وهو لم يخترعها وإنما نقلها عن بعض المصادر الأدبية

وأنت لا تنكر أنى أوردت هذه القصة بتحفظ مراعاةً للأمانة العلمية ، فأرجو أن تعرف أنها عندى من التاريخ المزخرف L'Histoire romancée والتاريخ المزخرَف يقبله الباحثون فى الموضوعات التى تغلب فيها الصِّبغة الروائية على الصِّبغة التاريخية .

والذى زخرَف هذا التاريخ كان يقصد إلى تمجيد العباس ابن الأحنف الذى كاد يتفرد بإجادة القول فى الكتمان ، والذى أذاع معانى الصدق فى الوجد فى أيام كثرت فيها الاستهانة بشرف العفاف

ولو أنك رجعت إلى أكثر الأخبار الأدبية لرأيتها من التاريخ المزخرَف الذى يعتمد على التصوير أكثر مما يعتمد على التحقيق ، وذلك التاريخ مقبول فى الميادين الأدبية ، والغرضُ منه معروف ، فلا تستغرب صدوره من العرب ، لأنه يشهد بأنهم كانوا من أهل البراعة والخيال

٢ — نشرت « الرسالة » كلمة لصديقنا الدكتور بشر فارس فى نقد رواية « مصرع كليوبترا » التى مثلتها الفرقة القومية ، وفى ذلك النقد آراء فيها المقبول والمردود ، ولكنى أقف عند قوله :

« ألقى الممثلون شعر شوقى كما كنا نُلقى الشعر العربى فى المدارس : نقطّع أقسام البيت ونتمهل عند العروض ثم نضغط على الضرب ، والذى يحرك ألسنتنا الوزن الذى عليه جاءت القطعة أو القصيدة . وفى ذلك الأمر ما فيه من غرابة ، فإن الشعر لعهدنا هذا فى أوربا — وعنها نأخذ فن التمثيل — يُلقى على المسرح كأنه نثر ، وسبب ذلك أن القصيدة تقوم بمعانيها وألفاظها لا بتفاعيلها والتفاعيل كأنها الدعامات والخشب فى المنزل ، وأما المعانى والألفاظ فأثاثه والتصاوير والتزاويق وكل ما يأخذ الطرف . كل ذلك فضلاً عن أن تقطيع أقسام البيت ، وقصمه إلى مصراعين ، والضغط على القافية الراجعة يورِث الملل ويصك الأذن » ... الخ.

ذلك كلام الدكتور فارس ، وهو كلام برّاق ، ولكنه غير صحيح .

وما كنت أحب أن أخطّئ هذا الصديق لولا الخوف من أن يتأثر به النقاد والممثلون فتفسد أذواق من ينشدون الأشعار المسرحية فساداً لا يُرجى بعده صلاح .

نحن أخذنا عن أوربا فن التمثيل ؟

هذا حق ، ولكن لا ينبغى أن نأخذ عنها فن الإلقاء ، فإن الأداء بالشعر غير الأداء بالنثر ، وليست الأشعار المسرحية إلا قصائد خضعت للقوافى والأوزان ، وفيها مُحرجات تقبل فى المنظوم ولا تقبل فى المنثور ، ومعنى ذلك أن صوغ المعنى فى بيت من الشعر يجعل له صورة غير صورته فى فقرة من النثر ، فإذا أدّى الشعر كما يؤدّى النثر تعرّض للنشازة والانحلال .

ولو أن الدكتور فارس كان شهد ابراهيم الجزار — وما أعظم فجيعة الشعر المسرحى بوفاة ابراهيم الجزار — لعرف أن لإلقاء الشعر المسرحى أصولاً فى الإلقاء تختلف فى لغة العرب عن أمثالها فى لغة الإنجليز والفرنسيس . .

الوزن فى الشعر ليس تصويراً وتزويقاً ، كما يظن الدكتور

فارس ، وإنما هو عنصر أصيل لا يقام بدونه للشعر ميزان ، وليس بصحيح أن الأوربيين يُلقون الأشعار المسرحية كما يلقون القطع النثرية ، وإن كانوا أقل منا رعايةً للأوزان عند الإنشاد ، لأن ذوقهم يختلف عن ذوقنا بعض الاختلاف .

وخلاصة القول أن الممثلين لا يجوز لهم تحويل الشعر إلى نثر وإلا فسد الذوق واختلت الموازين وضاع جمال الفن في الشعر المسرحي أبشع ضياع .

وإني لأرجو أن يراعي ممثلو الفرقة القومية أذواقنا حين ينشدون الشعر المسرحي مرة ثانية ، فقد انزعج كثير من الناس حين رأوهم ينشدون بعض الأشعار بلا احتفال بأهمية ما في الأوزان من الرنة الموسيقية .

زكي مبارك

وحدة الوجود والحلول

لأستاذنا الجليل أحمد أمين سابقة جليلة في اللغة العربية ، حين انتدب لكثير من المصطلحات الفلسفية في اللغة الإنجليزية فوضع بإزائها كلماتها العربية [1] . وليست كلمتنا هذه لبيان هذه الفضيلة ، فهي غنية عن البيان . ولكن إحدى هذه الكلمات استوقفتنا ، وقد خيل إلينا أن أستاذنا المفضال خانته فيها دقته ، وهي كلمة الحلول ، فقد وضعها بإزاء كلمة Pantheisme ، وتحليل هذه الكلمة يرجعها إلى كلمتين يونانيتين : Pantos بمعنى « كل » و Theos بمعنى « الله » فهي تعني بهذا أن كل شيء هو الله ، أو أن الله هو كل شيء ؛ وطبيعي أنه لا يستقيم مع هذه الكلية المطلقة إلا أن يكون ثمة كائن واحد هو الله « وسائر الصور الأرضية والسماوية صور تجلياته وشؤون ظهور ذاته » كما يقول العلامة بهاء الدين العاملي في رسالته : الوحدة الوجودية . وكذلك سمى المسلمون هذا المذهب Pantheisme بوحدة الوجود ، واستفاضت هذه التسمية . أما « الحلول » الذي آثره الأستاذ فما زالوا يبرءون منه في كل مناسبة : أن يشتبه بمذهبهم ويشنع به عليهم ، فهو شيء يختلف كل الاختلاف . فيقول ابن الفارض مثلاً :

وفي الصحو بعد المحو لم أكُ غيرَها
وذاتي بذاتي إذ تحلّت تجلّتِ

(١) كتاب مبادئ الفلسفة ترجمة الأستاذ أحمد أمين

ومازلتُ إيّاها ، وإيّاي لم تزَل ،
ولا فرقَ ، بل ذاتي لذاتي أحبّتِ
متى حلتُ عن قولي : أنا هِيَ ، أو أقلْ :
— وحاشا هُداها — إنها فيَّ حلّتِ ؟
وليسَ معي في الملك شيء سواي والـ
ـمعيّـــة لم تخطر على ألمعيّتي

وكذلك جاء عبد الغني النابلسي ينتفي من هذه التهمة في تائيته إذ يقول :

وإياك من قولي بأن تفهم الذي ... تدين به الكفار بين البريّة
فإني بريء من حلول رمت به ... عقول تغذّت بالظنون الخبيثة
وما بانحلال واتّحادٍ أدين في ... حياتي وإن دانتهما شرُّ أمة

وقد وضح العاملي في رسالته الآنفة الذكر الفرق بين وحدة الوجود والحلول توضيحاً يحسم الشبهة بقوله : « فإن قيل لهم فيلزمكم القول بالحلول والاتحاد يقولون : لا يلزمنا هذا ولا ذاك ، إذ نقول : لا وجود لشيء غير الوجود وما سواه فهو اعتبار محض . فمن أين الحلول والاتحاد ؟ إذ لا غير ولا اثنينية فلا حلول ولا اتحاد »

ففي تعبير الأستاذ أحمد أمين [1] عن هذا المذهب بالحلول تسامح ظاهر ، وإنما توضع كلمة الحلول بإزاء الكلمة الإفرنجية Incarnation

أبو عبادة

حول ابن تيمية وابن بطوطة

قرأت في الأعداد الثلاثة السالفة من (مجلة الرسالة الغراء) ما نقله الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام عن العلامة الخالدي وما رد به الأستاذ البرازي وما استدركه عليه الدكتور عزام حول سماع ابن بطوطة الحافظَ ابنَ تيمية يقول وهو على منبر الجامع بدمشق : إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا . ونزل درجة من درج المنبر

قرأت ذلك كله فذكرت أن هذا الخبر ذكره الحافظ بن حجر في (الدرر الكامنة) وابن فرحون في (الديباج المذهب) . قال الحافظ : ذكروا أنه ذكر (أي ابن تيمية) حديث النزول فنزل

(١) وقد تابعه في هذا الأستاذ يوسف كرم في فهرس الألفاظ الفلسفية الذي ألحقه بكتابه : « تاريخ الفلسفة اليونانية »

عن المنبر درجتين فقال (كنزولى هذا) فنسب إلى التجسيم . اه
ورأيت فى حواشى (دفع شبه التشبيه لابن الجوزى) فى الصفحة ٤٨ من مطبوعة دمشق : يقول بعض علماء دمشق بأنه رأى خطبة ابن تيمية فى مخطوط قديم وفيها زيادة (لا) قبل (كنزولى) أى (لا كنزولى هذا) والله أعلم .

سيف الدين الحلبي

الى الدكتور زكى مبارك

حضرة المحترم الفاضل الدكتور زكى مبارك

تحية طيبة وبعد فأرانى بين عاملين متجاذبين إذ أكتب هذا لحضرتك : العامل الأول يحفزنى ، وأكاد أقدم ، لما أعتقده فى نفسك الكريمة من نخوة ، وما امتازت به شخصيتك من إقدام وشجاعة

والعامل الثانى يثبط همتى ، ويقف يراعتى مترددة حائرة ، خشية ما قد يصيبنى ويصيب الموضوع الذى سأتعرض له معك

وأخيراً رجحت عندى كفة الإقدام على ما اعتزمت ثقة بأنه لن تتحد النخوة مع الجبن ولا تتنافرشجاعة المصلحين ومثابرتهم كل فى سبيله، ما دامت ترمى إلى هدف سام، وتطمح إلى غاية نبيلة

وفى اعتقادى أن الأستاذ الفاضل أحمد أمين حينما تعرض بمقاله « جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى » لم يكن قصده من النقد والتوجيه إلا نبل الغاية ، وحسن النية ، وأعتقد أيضاً أن ثورة الدكتور مبارك التى تجلت فى المقالات التى عنونت : « جناية أحمد أمين على الأدب العربى » لم تكن إلا ثورة للنقد والإصلاح من طريق آخر، وكلا الغرضين شريف بالنسبة لموضوع الأدب العربى الذى نال حظوة موفقة بأن هيأت له الظروف قلم هذين العالمين الفاضلين .

والآن وقد أتممت يا حضرة الدكتور عشرين مقالاً تحت العنوان السالف الذكر ، فإنى أتقدم إليك برجاء لم يدفعنى إليه إلا رغبتى الأكيدة فى أن توجه جهودك الجبارة ونشاطك المعدوم النظير ، إلى نوع آخر من الإصلاح حتى نفوز بقراءة طريفة من قلمك المرن

وأحب أن أخبر حضرتك أنى من المعجبات بكل ما يكتبه الأستاذ الفاضل أحمدأمين بأسلوبه العلمى المتين، وأؤكد للدكتور الفاضل زكى مبارك أن الأستاذ أحمد أمين يتصدر ركناً مهما فى الثقافة المصرية ، وقد أبلى فيه بلاء حسناً ، سواء وافقتنى على رأيى هذا أو لم توافقنى . وأقول إنه إن تخلى عن مجهوداته التى يؤديها ، أو أنكر فضله إنسان فيما سبق أن أداه ، فليس من السهل ملء الفراغ الذى لا بد يحدثه هذا التخلى وذلك الإنكار

هذا ورجائى أن تتفضل الرسالة الغراء بنشر خطابى هذا إلى الدكتور زكى مبارك ، ولا إخالها إلا فاعلة كما هو عهدى بها محبّة للحق ، أمينة فى خدمة الأدب والعلم والفن

زينب الحكيم

حول « مجلس فى منزل الدكتور طه حسين »

بعد أن وقف القراء على تكذيب الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف للحديث الذى رواه الدكتور زكى مبارك عن مجلس قال إنه كان فى منزل الدكتور طه حسين، كتب إلينا كثير منهم يظهرون إعجابهم ببراعة الدكتور الفنية فى إدارة الحوار وإجراء الكلام على ألسنة الجالسين بما يشبه أن يصدر عنهم فاكتفينا عن نشر ما كتبوا بهذا التنويه .

قرية تعليمية نموذجية فى السودان

اختير الأستاذ عبد العزيز أمين عبد المجيد خريج دار العلوم وجامعات انجلترا ليساهم فى الجهاد الثقافى الحديث فى السودان الشقيق . والأستاذ عبد العزيز من القلائل الذين زاوجوا بين الثقافتين الشرقية والغربية بالبصيرة النيرة والمنطق السليم ، وقد كتب إلى (الرسالة) كتاباً نقتطف منه هذه الجملة :

« . . . بخت الرضا قرية تعليمية نموذجية أسستها مصلحة المعارف السودانية سنة ١٩٣٤ لتكون مركزاً للتجارب فى التربية والتعليم . وأنشأت بها ثلاث مدارس : مدرسة أولية ، ومدرسة وسطى ، وكلية للمعلمين . وقد راعت فى تأسيس هذه القرية ومدارسها أن تكون ريفية محضة ، وأن تكون القرية مستقلة فى المعيشة بقدر ما يمكن . ولذلك فقد بنيت بيوتها ومدارسها من اللبن أو الجالوص ، وحفرت بها الآبار ، وتضاء ليلاً بمصابيح البترول، وبها دكاكين ومسجد وصيدلية وحمام للسباحة وملاعب للرياضة البدنية . وتتبعها حقول وحدائق للتجارب الزراعية . وبها أبقار

وأغنام ومصانع للزبدة ولها نجارها الخاص وحلاقها وخفراؤها الخ والتلاميذ والمدرسون والمشرفون يعيشون فى هذه القرية التى لا يسكنها أجنبى . والعمل فى هذه القرية وما يتبعها مستمر طول اليوم وهزيعاً من الليل فى المزارع ومرابط الأبقار ودكاكين النجارة وحجرات الدراسة الخ ونظام العمل هنا تعاونى ، ويقوم الطلبة بمعظم الأعمال المدرسية والزرعية والمنزلية بالاشتراك ، ويصدرون جريدتهم الأسبوعية ومجلتهم الشهرية . وبالجملة فالغاية هنا من التربية أن تكون عملية بسيطة رخيصة تمد السودانى ليعيش فى القرية السودانية ويعتمد على نفسه فى أكثر مايحتاج إليه

وللدراسة خمس شعب : شعبة المواد الاجتماعية ، وشعبة الرياضة ، وشعبة الفنون الجميلة والأعمال اليدوية ، وشعبة الزراعة ، وشعبة اللغة العربية . ولكل من هذه الشعب رئيس انجليزى إلا شعبة اللغة العربية فهى من نصيبى. ولكل رئيس مساعدان، ومهمة رئيس الشعبة الإشراف على كل عمل يتصل بمادته أو مواده، وهو مسئول عن المدرسين والكتب وطرق التدريس ونظام العمل فى حصص مادته . وهو أيضاً مسئول عن وضع المنهج المناسب وتأليف الكتب . وهذا المنهج وهذه الكتب تمر فى مرحلة التجربة قبل أن تعتمد فتعمم فى مدارس السودان جميعها . وقد بدأت منذ وصولى من الأساس . وأنا الآن أدرس منهج التعليم الأولى ومشغول بمقرر اللغة العربية فى السنة الأولى الأولية وكتبها وطرق التدريس فيها تمهيداً للقيام بالتجارب فى السنة الدراسية القادمة التى تبدأ هنا عادة من يناير . ورئيس هذه المعاهد انجليزى فاضل حازم له تجارب منتجة فى الهند والسودان . ولذلك تجد دولاب العمل يسير بانتظام وتناسب فى جميع أركان القرية وفى المعاهد

لقد أطلت عليك فى وصف قريتنا التعليمية ، ولكنى أرجو أن تكون إطالتى فى غير ملل ؛ فأنت من أسرة المدرسين وبذلك أن تقرأ عن أخبار التعليم وأخبار أسرتك

العمل هنا كثير وكله على تثقيفى نافع ، وأنا سعيد بعملى هنا وأحبه وأقبل عليه برغبة وإن كان لا يترك لى إلا القليل للراحة والاستجمام . وأحاول أن أختلس سويعات فى أوقات الراحة فأكتب شيئاً أو أعالج موضوعاً يصح أن ينشر ... »

عبد العزيز أمين عبد المجيد
رئيس شعبة اللغة العربية بمعاهد بخت الرضا التجريبية

استدراك

جاء فى المقال الثانى عن « موقف العلم من الكمال الإنسانى » للأستاذ توفيق الطويل أن يكون قد انقضى على وفاته ثلاثة عشر قرناً وثلاثة عشر عاماً. والصواب ثلاثة قرون وثلاثة عشر عاماً

أسرار البلاغة فى علم البيان

أصدرت « دار المنار » فى هذه الأيام هذا الكتاب النفيس لمؤلفه الإمام « عبد القاهر الجرجانى » مطبوعاً طبعاً متقناً على ورق جيد صقيل ، والكتاب ومؤلفه غنيان عن التعريف ، وقد وضع فى وقت تحكمت فيه دولة الألفاظ واستبدت على المعانى ، وهو خير ما كتب فى موضوعه عبارة وأسلوباً وإيضاحاً للمسائل وبسطاً للدلائل ، وقد امتاز بإرجاع الاصطلاحات الفنية إلى علم النفس وتأثير الكلام البليغ فى العقل والقلب . وقد عنى بتصحيحه علامتا المعقول والمنقول المرحومان الشيخ « محمد عبده » والشيخ « محمد محمود الشنقيطى » وعلق حواشيه المرحوم « السيد محمد رشيد رضا » . وثمن النسخة ٢٥ قرشاً

الفرقة القومية تقدم رواية :

امرأة تستجدى

أدار المؤلف موضوع الرواية حول شخصية بارزة فى المجتمع لما حظها من الثقافة والعلم والمكان الرفيع . فالبطل رئيس تحرير صحيفة سياسية قد رشحه حزبه لعضوية مجلس النواب ، وهو رجل مثقف مستنير الذهن واسع المدارك يعيش أعزب حتى يلتقى بامرأة تقع من نفسه موقعاً حسناً فيخطبها سعيداً مغتبطاً . وإذ هو بسبيل استكمال سعادته يعرض له حادث يغير وجه الأمر

لقد كان من رأيه أن ليس من حق الإنسان أن ينتصف لنفسه . ليس له أن يقتل مهما يكن من أمر ، ليدع القضاء يأخذ له حقه ، رعاية لنظام المجتمع وخشية عليه من الانهيار . وقد جاهر برأيه هذا فى مسألة عرضت له إذ قتل رجل عشيق ابنته الذى وعدها وأخلف بيد أنه لا يجد مناصاً من ارتكاب جريمة القتل لسبب لا يسيغ قتل ذبابة فضلاً عن رجل ! أتدرى من قتل ؟ إنه قتل زوج أخته الذى طلقها لينقذه من حبائل امرأة مستهترة ولينقذ شرف الأسرة وثروتها التى لا تزيد على عشرين فداناً مثقلة بالديون !

وإنك لترى أنه أقدم على ارتكاب جريمة القتل وهو فى حالة كان يرى فيها نفسه أسعد رجل فى الوجود ، خطب المرأة التى يحبها وسيتزوج منها بعد أيام ، وهو يوشك أن يبلغ قمة المجد ، وغداً ربما يكون وزيراً أو رجلاً خطيراً فى الدولة . هذا الرجل يقدم بعزم وإصرار على قتل زوج أخته لأنه طلقها ! ومن العجيب أنه ، وقد أراد أن ينقذ شرف الأسرة وثروة الأسرة ، أنه سلم نفسه للعدالة حتى لا ينتصف لنفسه بنفسه ، وبذلك وقعت الكارثة الكبرى ، وانتهت حياته وانهارت آماله ونزلت بالأسرة الفضيحة مزدوجة وخسرت عائلها وسيدها !

بأى منطق كتب المؤلف هذه الرواية ؟ لسنا ندرى ، ومن العبث أن ندرى فما يجيز العقل شيئاً كهذا إلا إذا كان البطل قد نزل يوماً بدار المجانين ، وقد جعل هذا المنطق شخصيات الرواية شاذة مضطربة ليس فى الحياة مثلها أو شبيهة بها . وبهذا خرجت الرواية سقيمة عرجاء رغم جهد المخرج النابه الذى أخرج غيرها من قبل بنجاح ملحوظ . وكيف يسيغ هذه الأكذوبة الجريئة على الحق والحياة ، لو أنه بذل بعض هذا المجهود فى إخراج رواية مستقيمة لأفاد منها كثيراً كما أفاد من (الحب والدسيسة) وغيرها مما أخرج

وقام الأستاذ أحمد علام بدور البطل ، وإنك لترى موقفه وهو يحاول عبثاً أن يستر ضعف الشخصية التى يؤديها ، على أنه وفق فى كثير من مواقفها كممثل

وهكذا كانت السيدة دولت أبيض التى جعلها المؤلف ، وهى امرأة ، لا تهتز لذكرى أمها على حين كان أخوها ، وهو رجل قد بلغ الغاية فى رقة العاطفة وجلال التأثر لذكرى أعز شخصية فى الوجود

أما الآنسة فردوس حسن فقد كانت شخصيتها بعيدة عن منطق الرواية الأعرج ، وهى منها فى الصميم ، أحبت صاحبها ورضيت به زوجاً ودافعت عن سعادتها فى حدود قدرة المرأة التى جربت الحرمان ، وهكذا كان عملها سليما وشخصيتها سليمة

وكان منسى فهمي بارعاً فى دور الرجل المستهتر السادر فى غيه . وكان موقفه مع (شربات) الراقصة من أبدع المواقف

أما الآنسة أمينه نور الدين فقد قامت بدور (شربات) الراقصة ، ولنا حديث عنها فى العدد المقبل .

وكان الأستاذ عباس فارس فى دوره الصغير آية من آيات الإبداع والقوة ، حتى لقد جعلنا ننتصر لقضيته ونسخر بمنطق البطل . وكان أنور وجدى فى دور الشاب المرح غاية فى الظرف . وكذلك كان حسن إسماعيل فى دور (هانى) الذى يعتبر بداية حسنة لممثل شاب وبعد فإن الرواية ساقطة من وجهة التأليف ناجحة إلى حد ما من وجهة الإخراج

زهور الصغير

7me Année No. 332

Lundi - 13 - 11 - 1939

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ٣٣٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٣ نوفبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

وزارة الشؤون الاجتماعية

المــــرض ...

— ٣ —

بعد الجهل والفقر لابد أن يجيء المرض . فهو فى الترتيب الطبيعى ثالث العناوين البارزة فى دستور وزارة الشؤون الاجتماعية

وإذا كان الجهل يمنع أن يكون لنا رأى عام ، والفقر يمنع أن يكون لنا خير مشترك ، فإن المرض يمنع أن يكون لنا كيان صحيح . وإذا لم يكن للمجتمع رأى عام ولا خير مشترك ولا كيان صحيح ، فسمه ما شئت إلا أن تسميه أمة

ولعل المرض كان العَرَض الملازم الذى يَميز الشقاء المصرى من كل شقاء فى العالم . وإن أثره فى تاريخنا الاجتماعى كان كأثر الزلازل والبراكين والحروب فى تاريخ البلاد الاخر . فقد كانت الأوبئة تفد إلى مصر عاماً بعد عام فتجتاح نصف السكان وتصيب النصف الآخر بعاهات تدعه كالشجر اليابس لا للظل ولا للثمر . والعلة الأصيلة فى ذلك أن أبانا النيل منذ شقه الله يجرى فيكون الخصب والنضارة والحياة ، ثم يركد فيكون الجدب والذبول والموت . وفيضانه ونقصانه يتعاقبان تعاقب الجديدين . فإذا فاض أنعش الذاوى وجدد البالى وأحيا الموات ؛ وإذا نقص تخلفت بقاياه

في أجواف المصارف وأطراف الترع ومناقع الأرض فتكون مزارعَ خصبة لجراثيم التيفود وبعوض الملاريا وقواقع البلهرسيا وديدان الأنكلستوما، وبنو النيل الدائبون البررة لا ترتفع أيديهم من مائه، في حالى نقصه ووفائه؛ فخيرهم منه لا يزال مشوباً بالشر، ووجودهم فيه لا ينفك مهدداً بالعدم. فإذا أضفت إلى ذلك أن الجهل يستوجب فساد العيش وترك الوقاية، وأن الفقر يستلزم سوء الغذاء ونقص العلاج، فقد اجتمعت لك أسباب المرض التي جعلت الكثرة الكاثرة منا مذبذبين بين الدور والقبور لا هم في الأحياء ولا هم في الموتى

* * *

إذا استطعت أن تقيم البناء من ناخر الحجر، وتنسج الرداء من رثيث الخيط، استطعت أن تؤلف من مهازيل المرض وسُقَّاط الوهن شعباً يستغل الأرض وجيشاً يحمي الوطن

تعال نزر قرية من قرى الريف فأريك كومة مبسوطة من سباخ الأرض، في مستنقع واسع من آسن الماء، قد قامت عليها أبنية من الطين والقصب والخشب تجمعت على ظهورها المراحيض والزابل، وتكدست في بطونها الناس والبهائم، وتطرحت على أبوابها ومصاطبها الرجال والأطفال وقد هدَّتهم العلل وبَرَتهم الأسقام حتى ليعجزون عن دفع الذباب عن وجوههم الساهمة الشاحبة. فإذا سألت هؤلاء الممهوكين بالزُّحار والصُّفار والسُّلال والطُّحال(١) والحمى والرمد: من الذي يزرع الأرض ويتعهد الزرع، ويحصد الثمر ويجمع الحصيد، وينجل العلف ويرعى الماشية؟ قالوا لك: يعمل ذلك كله قليل من الشبان الذين يدافعون المرض بالجلَد، وكثير من النساء اللاتي يغالبن الضعف بالصبر. ومما ترى وتسمع يتسنى لك أن تروز(٢) العبء الذي تحاول وزارة الشؤون الاجتماعية أن تضطلع به

* * *

ولكن هل من الحق أن يلقى عبء الصحة العامة على كاهل هذه الوزارة المفدوحة بأمور المجتمع؟ إذن فماذا تصنع وزارة الصحة؟ والجواب أن الجهاد الصحي مفروض على الوزارتين جميعاً بنظام تقتضيه طبيعة كل منهما فلا يُثقل إحداهما ولا يعطل

(١) الطُّحال بالضم داء يصيب الطِّحال بالكسر

(٢) راز الحجر ونحوه رفعه ليعرف ثقله

الأخرى. فكل ما يتصل بالوقاية والصيانة يرجع إلى وزارة الشؤون الاجتماعية، وكل ما يتعلق بالطب والعلاج يعود إلى وزارة الصحة؛ وقد يجوز لهذه بحكم خصوصها أن تصون وتقي، ولكن لا يجوز لتلك بحكم عمومها أن تعالج وتَطب

فمن الطب الوقائي المنوط بوزارة الشاذلي باشا تخطيط القرية على نمط يكفل لها الشمس والهواء والجمال والذوق والراحة، وفصل الحظائر والزابل عن المساكن، وتجفيف البرك والمستنقعات، وتطهير الماء الراكد من الطفيليات، وإنشاء المغاسل والمراحيض العامة، ورفع مستوى المعيشة القروية بتحسين الغذاء وتنقية الماء وتعميم النظافة، وإرشاد الفلاحين عن طريق الإذاعة والصحافة والوعظ إلى أنجع الوسائل في اتقاء العدوى وتدبير البدن

ذلك عملها في القرية، وأما عملها في المدينة فبناء المساكن الصالحة للعمال، ومراقبة المعامل والمصانع من حيث الصحة، وملاحظة المطاعم والمشارب من حيث النظافة، ومراعاة الطعام والشراب من حيث السلامة، وحماية الطبقة العاملة من رهق العمل، ووقاية النفوس الغاوية من سموم المخدرات، وبث الروح الرياضية في كل طبقة، وإنشاء الملاعب والمسابح والأندية في كل بيئة، وإقامة المسابقات النهرية والبرية في كل فرصة، وتفريج الهموم بإقامة المهرجانات الشعبية في كل مناسبة، وتعميم الثقافة الصحية عن طرق التعليم والإذاعة والنشر

* * *

هذا مجمل ما ينبغي أن تقوم به وزارة الشؤون الاجتماعية لمكافحة المرض. فإذا أضفناه إلى ما أجملناه قبلاً من الوسائل الفعالة في كفاح الجهل والفقر كان لنا من مجموع ذلك برنامج كامل شامل لا يعوزه غير التنفيذ. فليت شعري أتظل الوزارة واقفة من شؤونها الاجتماعية موقف خراش من ظبائه(١)، أم تجري على هذه الخطة الواضحة فتأتي كل أمر من وجهه وتعالج كل داء بدوائه؟

أحمد حسن الزيات

(١) إشارة إلى قول القائل:

تكاثرت الظباء على خراش   فما يدري خراش ما يصيد

جنـــاية أحمد أمين

على الأدب العربى

للدكتور زكى مبارك

(النهاية)

هل أستطيع أن أحدّث القارئ مرة عن بعض مكاره النقد الأدبى ؟

ليتنى أعرف من أغرونى بسلوك هـذا الطريق المحفوف بالمخاطر والمعاطب والحتوف !

كنت تبت ونجانى الله من مهلكات هذا الطريق الوعر الشائك ، فكيف رجعت إليه بعد أن عرفت وجه الخلاص ؟

كان الأستاذ أحمد أمين أحد الأصدقاء الذين رأيت أن أتجنب الوقوف فى طريقهم مهما كانت الأحوال ، وكانت الحجة بينى وبين نفسى أن هذا الرجل رقيق الإحساس ، أو ضعيف الأعصاب ، فلا يجوز أن أعرض له بإيذاء

وما زلت أذكر ما وقع فى سنة ١٩٣٥

كنت يومئذ مدرساً بكلية الآداب ، وأخرج الأستاذ أحمد أمين الجزء الثالث من ضحى الإسلام ، وقد سرق من الأستاذ ابراهيم مصطفى مسألة متصلة بتاريخ النحو وسرق منى مسألة متصلة بتاريخ التشريع الإسلامى ، فصاح إبراهيم : إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فكيف يسرقها منى ؟ إنه لطمّاع !

جلست أنا وابراهيم نتشاكى فى غرفة أساتذة اللغة العربية ، وانتقلنا من التشاكى إلى التباكى ، فهتفتُ : سأنتقم لى ولك يا ابراهيم !

فقال : يعزّ علىّ أن يُجرح الأستاذ أحمد أمين بسببى ، وهو صديق قديم ، ولم ينهب منى شيئاً قبل هذه المرة ، وأنت يا صديقى قد أوغلت فى معاداة طه حسين فلا تضف إليها معاداة أحمد أمين !

وشاءت المقادير أن أقص هذه القصة على بعض أصدقائى فى بغداد سنة ١٩٣٨ فكان من أثر ذلك أن يوجّه إلىّ سؤال فى جريدة « الكلام » عن بيان ما سرق منى أحمد أمين

ورأيت أن أعتصم بالصمت فلا أجيب : لأنى كنت نشرت قبل ذلك كلمة أثنيت بها على جهود أحمد أمين فى جريدة « الهدف » ولأنى كنت أستقبح اغتياب أبناء وطنى فى جرائد بغداد ، فقد كان أدباء لبنان يسموننى سفير المروءة المصرية فى العراق

ومنذ أشهر نشر الأستاذ أحمد أمين مقالته الأولى فيما سمّاه جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى فلم تعجبنى : لأنى رأيتها من الحديث المعاد ، ثم لقينى مصادفةً فى « المترو » بعد ظهور مقالته الثانية فسألنى عما أراه فى الأفكار التى أودعها مقالتيه ، فقلت له : لم يعجبنى غير نقـد الشاهد الذى أورده من كلام ابن قتيبة ، أما سائر أفكارك فتحتاج إلى تحقيق ، فقال : أنا دعوت القراء إلى مناقشة تلك الأفكار ، وأنا أرحّب بكل ما يَرِد إلىّ من تصحيح

فهل كان يدعونى إلى أن أساجله الحديث ؟

كانت الصداقة بينى وبين الأستاذ أحمد أمين قد بلغت أقصى حدود المتانة والصدق ، وما كان ينتظر أن يرى منى غير ما يحبّ ، وكنت والله خليقاً بالتجاوز عن سيئاته لو لم يُسرف فى الإساءة إلى ماضى اللغة العربية فى وقت يحرص فيه العرب على تفهيم أبنائهم أن أجدادهم كانوا من أصحاب المنازل الرفيعة فى العلوم والآداب والفنون ، وأنهم كانوا فى ماضيهم من أقطاب الزمان

وكذلك وقعت الواقعة وكان ما عرفه القراء من تمزيق الأوهام التى اعتز بها ذلك الصديق

***

ولكن ما الواجب لهذا التمهيد فى مطلع المقال الثانى والعشرين ؟

أنا أريد أن يعرف القارئ أنى أشعر بالضجر حين أثبت فى مقال اليوم أن أحمد أمين سرق بعض آرائى ، بعد أن أثبتُ ما سرق من الدكتور أحمد ضيف والدكتور طه حسين ، وما كان يهمنى أن ينص على ما سرق منى ، ولكن اعتزازه بآرائه « المبتكَرة » أوجب الحدّ من جرأته المائية فى نهب تلك « المبتكرات »

وأدخل فى صميم الموضوع فأقول :

اهتم الأستاذ أحمد أمين بالنص على أن الشعر العربى كان فى أغلب أحواله أدب معدة لا أدب روح ، وحجته فى ذلك أن التكسب بالشعر كان عادةً غالبةً على أكثر الشعراء ، وقد طنطن بهذه المسألة وأخذ يعيدها فى كل مكان حتى صحّ للأستاذ محمد العشماوى بك أن يواجهنى بهذه العبارة :

« كيف تعيب على الأستاذ أحمد أمين أن يقول إن شعراء العرب كانوا يتجرون بأشعارهم ، وهو قول صحيح » ؟

فهل ابتكر الأستاذ أحمد أمين ذلك الرأى ؟

أنظروا ما جاء فى كتاب « البدائع » ج ١ ص ٩٩

« لا أنكر أن كثيراً من الشعراء اتخذوا مدح الملوك والأمراء وسيلة من وسائل العيش ، ولا أنكر أن كثيراً منهم وصل بذلك إلى أسفل دركات الإسفاف ، وأصرّح بأن من النقائص النفسية أن يسخر الشعر تسخيراً فى سبيل المنافع الزائلة ، وأعترف بأن هذه النقيصة تمسّ كثيراً من شعراء اللغة العربية ، وإن كان من أسباب العزاء أن هذه النقيصة لم يتفرد بعارها شعراء العرب فقد كان أكثر الشعراء فى أوربا يعيشون عالةً على الملوك والأمراء ولم يعرف منهم باستقلال الشخصية إلا القليل . ولكنى – مع هذا – أقول بأن المديح ديوان العرب ، وهو الوثيقة الباقية على ما كان فيهم من كرم الشمائل والخصال . والمادحون قد يكذبون ، ولكنهم فى كذبهم يصورون ما اصطلح عليه معاصروهم من ألوان المحاسن والعيوب ، فالشاعر الكاذب يقف كذبه عند حقيقة ممدوحه ، ولكنه من الوجهة الاجتماعية صادق كل الصدق ، لأنه يصور ما يشتهى ممدوحه أن يتصف به من كرائم الخلال »

وهذا البحث كان من البحوث التى راعت الأستاذ المازنى وكان نُشرَ فى جريدة البلاغ قبل أن يُضم إلى الطبعة الثانية من كتاب البدائع

وقد رأى الأستاذ أحمد أمين أن ينهب الشطر الأول من الفكرة ويغفل الشطر الأخير ، لأن الشطر الأخير فيه توجيه لمدائح الشعراء وهو حريص على طمس محاسن أولئك الشعراء

وعاب أحمد أمين على العرب أن يلتزموا افتتاح القصائد بالنسيب وأن يتنقلوا بهذه العادة من جيل إلى جيل ، فى حين أن الشاعر قد لا يكون مشبوب العاطفة فى كل حين

وهذا الكلام مسروق من مقال أرسلته من باريس سنة ١٩٣١ وفيه أقول :

« لقد درج شعراء اللغة العربية منذ الزمن القديم على افتتاح القصائد بالنسيب ، وتلك طريقة لها محاسن ولها عيوب : فمن محاسنها أنها تمهّد للشاعر طريق الكلام ، وهى بذلك أشبه بالموسيقا تتقدم الغناء ليثور قلب المغنّى ويُرهَف إحساسه للتلحين والتطريب . ومن مساويها أنها تفرض على الشاعر ما لا قِبَل له باحتماله من التغنى بعواطف قد تكون خمدت فى صدره منذ أزمان. على أن الشعراء الأقدمين قد التزموا هذه القاعدة حتى وصلت ببعضهم إلى الإسفاف ، وحسبُ القارئ أن أذكر له أن من الشعراء الماضين من كان يفتتح قصائد الرثاء بالنسيب ، وذلك أغرب ألوان الشذوذ ، وقد أحصيتُ من هذا النوع عشرين شاهداً هى فى مذكراتى بمصر ، فليعذرني القارئ إن اكتفيت بالإشارة إليها فى هذا الحديث »[1]

وصرح أحمد أمين بأن المعاني القديمة لم تخضع للتجديد ، وإنما نقلها الشعراء بلا تجميل ولا تحسين . أفلا يصح القول بأنه سرق هذه الفكرة مما جاء فى كتاب « البدائع » ج ١ ص ٢٩

« إن شعراءنا يدورون حول الحسن فلا يرون منه غير ما كان يرى الأقدمون. فحيرةُ الشاعر اليوم هى حيرة أسلافه منذ قرون مع أن النفوس قد تعقدت أشد التعقّد ، وهذا الحسنُ – إن لم يلطف الله – ماضٍ فى الفتك بلفائف القلوب ، وقد جدّت للأرواح أزمات جديدة ومطامح جديدة لم يَشقَ بها الأولون ، فليس من المغالاة فى شىء أن نصارح القراء بأن الغزل فى شعر شوقى وأضرابه من المعاصرين أصبح أعجز ما يكون عن وصف ما فى نفوسنا وأرواحنا وقلوبنا من ألوان القلق والظمأ والالتياع »

واهتم الأستاذ أحمد أمين بتوكيد القول بأن نزعة القرآن روحية لا حِسيّة . فنال بذلك ثناء الأستاذ محمود على قراعة الذى عدّ كلامه من المبتكرات ، فهل يعلم أن هذا الكلام مسروق من قول صاحب « التصوف الإسلامى » ج ٢ ص ٧

---

(١) البدائع ج ١ ص ٣٤

« وأقرب الآثار الصوفية إلى أذهان الناس هو القرآن ، ذلك الكتاب الذى أطال القول فى وصف الدنيا وذمها وثلبها وتحقيرها ، وقضى بأنها لهو ولعب ، وأنها فى نضارتها ليست إلا متاع الغرور . القرآن هو أقرب الآثار الصوفية إلى أذهان الناس وإن جهلوا ذلك ، هم يعدّونه كتاب تشريع وَوراءه كتاب تصوف . إن التشريع فى القرآن ليس إلا تنظيماً للعلاقات الدنيوية ، والعلاقات الدنيوية فى نظر القرآن هى تمهيدٌ للصلات الروحية : صلات الناس بالله الكبير المتعال ، وكلُّ مَغنم لا يُقرِّب المرء من ربه هو فى نظر القرآن زُخرُفٌ باطلٌ سخيف »

ومع ذلك يقال إن أحمد أمين يدعو إلى الروحانيات وإن زكى مبارك يقاوم الروحانيات !

فيا ربِّ هل إلا بك النصر يُرتَجى
عليهم ؟ وهل إلا عليك المعوَّلُ ؟

غفر الله لى ولكم ، يا إخوان هذا الزمان !

ويوصى أحمد أمين بقَصْر دراسة تاريخ الأدب على المعاهد العاليـة والاكتفاء فى المدارس الثانوية بنصوص مختارة من الأدب الحديث

فمن أين أخذ هذا الكلام وهو الذى اشترك مع لجنة مكونة من أشخاص معروفين فى تأليف كتابين للمدارس الثانوية بُدِئ فيهما بالأدب الجاهلى والأدب الأموى ، وهما عصران أعلن عليهما الحرب فى هذه الأيام ؟

أخذ هـذا الكلام من قول صاحب رسالة « اللغة والدين والتقاليد » ص ٤٢ و٤٣

« إن درس تاريخ الأدب بدعةٌ نقلناها نقلاً عن أوربا ، وهى مقبولة هناك ؛ لأن الأدب الأوربى يكثر فيه القصَص والتمثيل ، وهى موضوعات ألِفها التلاميذ ، لأنهم منذ الطفولة عرفوا القصَص وعرفوا التمثيل ، فلا يصعب عليهم أن يفهموا الفرق بين فنٍّ وفن ، وعصر وعصر ، وأسلوب وأسلوب. أما فى مصر فالأدب فى جملته يتحدث عن شئون جِدية لم يعرفها الشبان من قبل ، فمن العسير أن يدركوا كيف تطوَّر واستحال من جيل إلى جيل... إن تاريخ الأدب لا ينبغى أن يدرس إلا فى المعاهد العالية ، أما المدارس الثانوية فيدرس فيها الأدب الصِّرف ، مع العناية بشرح النصوص والبحث عن مواطن الجمال فى النثر الجيد والشعر البليغ ... درس تاريخ الأدب فى المدارس الثانوية جهدٌ ضائع ، وسنصبر عليه إلى أن تسوق المقادير رجلاً حاذقاً من بين الذين عرفوا عقلية التلاميذ ، وما أظن أننا سنصبر طويلاً ، لأن العناية بإصلاح التعليم تزداد من يوم إلى يوم ، وإلى أن تحذف تلك المادة الفضولية نوصى أساتذة اللغة العربيـة بأن يتخيروا للمطالعة والمحفوظات نصوصاً لا تخرج عن الأدب الحديث ، لأنه أقرب العصور إلى أذهان التلاميذ ، وقربُهُ من أذهانهم يساعد المعلمين على بيان ما يتصل به من الملابسات الخلقية والاجتماعية، ويمكِّن التلاميذ من فهم ما فيه من أسرار البيان »

ورسالة « اللغة والدين والتقاليد » نشرت فى سنة ١٩٣٦ ، والفكرة قديمة عند صاحب هذه الرسالة فهى مُثبتةٌ فى كتاب « ذكريات باريس » الذى طبع فى سنة ١٩٣١

وأحمد أمين يعرف أن الجندى المجهول الذى اسمه زكى مبارك هو الذى غير منهج دروس الأدب فى مدارس وزارة المعارف من حال إلى حال ، فقد كانت تبتدئُ بالعصر الجاهلى فصارت تبتدئُ بالعصر الحديث . ومن السهل أن نستخرج المذكرات التى قدمتها للوزارة فى هذه القضية ليعرف أحمد أمين هُوِيّة الرجل الذى وَأَد كتاب « المجمل » وكتاب « المفصَّل » عليهما رحمة الله ، وعلى مؤلفيهما السلام ، وهى تحية تصل أصداؤها إليه وإلى على الجارم وأحمد ضيف وعبد العزيز البشرى وطه حسين

وسيأتى يوم أفصِّل فيه ما أديت من الخدمات لتوجيه الحياة العلمية بوزارة المعارف ؛ تلك الخدمات التى انتفع بها أحمد أمين وغير أحمد أمين ، ثم مضت بلا شكر ولا جزاء غير السرقة والانتهاب !

إن الفخر بغيض ممقوت، وقد عابه علىَّ الأصدقاء قبل الأعداء؛ ولكن ماذا أصنع وأنا أشهد آرائى تُنتهب بلا تحرُّز ولا ترفق ، وبها يرد على خصومى حين يشتجر القتال ، وكأنها مما ابتكرت أفكارهم الثواقب وألسنتهم النواطق !

ويقول أحمد أمين وطه حسين : إن الأدب يجب أن يرفع نفسية الأمة ويدلها على مواطن الضعف والقوة لتواجه الحياة عن هدى وبصيرة

فهل أستطيع أن أقول إن هذه الآراء منهوبة من قول صاحب رسالة « اللغة والدين والتقاليد » (ص ٤٦ و ٤٧)

« فإذا انتقلنا من الأدب وتاريخ الأدب فى المدارس الثانوية والعالية تلفتنا نبحث عن الأديب المخلوق لدرس الحياة ، ونحن نرجو أن يكون فى أساتذة الأدب من يخرج على الذوق المتكلف والوقار المصنوع ، نرجو أن يكون عندنا أساتذة يزورون تلاميذهم فى بيوتهم ، ويرافقونهم فى الحفلات والسهرات ، ويطوفون بهم على الأحياء الشعبية ليعلموهم كيف تكون الثورة على ما فى حياة الشعب من بؤس وشقاء ... نريد أساتذة يربون تلاميذهم على مرافقة العمال والصناع والفلاحين ليكونوا فى المستقبل من حملة الأقلام النورانية التى تبدد غياهب الجهل والخمول ... نريد أدباً يبعث فى الشعب روح التمرد على الفقر والمسكنة والذل ، ويروضه على الطمع الشريف فى الغنى والكسب والعزة والكبرياء ... نريد أدباً يطمعنا فى استرجاع ما ضاع من مجد مصر والنيل ... نريد أدباً يرفعنا إلى صفوف الجوارح ، نريد أدباً يعلمنا فضل المخلب والناب ، نريد أدباً نسيطر به على الدنيا غير باغين ولا عادين »

***

أما بعد فقد أنهيتُ القول فى محاسبة الأستاذ أحمد أمين بعد أن أرقت جفونه خمسة أشهر كانت عنده كألف سنة مما تعدون ، وأنا أشكر لمجلة « الرسالة » وقرائها ما لقيت من تشجيع وترحيب

انتهيت من محاسبة أحمد أمين الباحث ، أما أحمد أمين الصديق فله فى قلبى أكرم منزلة وأرفع مكان ، ولن يرانى إلا حيث يحب فى حدود المنطق والعقل ، فما أرضى له أن يكون من الساخرين بالأدب العربى وماضى الأمة العربية

وسأبدأه بالتحية حيث تقيفته . فلا يَزْوِ عنى وجهاً أراه أهلاً للكرامة والحب

وسلام عليه من الصديق الذى لا يغدر ولا يخون

« تم البحث »

زكى مبارك

من كتاب « الدين الإسلامى »

من هو المسلم؟

للأستاذ على الطنطاوى

دينننا علم واعتقاد وعمل

فالمسلم من (علم) أن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل بالشريعة الخالدة التى تصلح لكل زمان ومكان، والتى تكفل لمتبعيها سعادة الدنيا والآخرة، وجعلها رحمة للعالمين ، وهدى للناس أجمعين ، وأنزل عليه الكتابَ الذى ما فرط فيه من شىء ، القرآنَ كلامَ الله القديم ، وختم بالإسلام الرسالات فلا نبى بعد محمد خاتم النبيّين

و (علم) أن دعامة الإسلام وأساسه ، ومصباحه ونبراسه، كتاب الله وسنّة نبيّه ، فما جاء فى القرآن أو صحّ أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله فهو من الدين ، وما عدا ذلك من بدع ابتدعها فى الدين قوم ، أو زيادات زادها أقوام ليست فى القرآن ولم ترد فى الحديث الصحيح ولا تقاس عليهما ولم يجمع عليها أئمة المسلمين فليست من الدين ولو قال بها أهل الأرض

و (علم) أن الإسلام لا يشبه الأديان ولا يقاس عليها ، لأنه دين وشريعة وسياسة وأخلاق ، فهو يبيّن صلة العبد بربه ، ويضع القوانين لصلات الناس بعضهم ببعض ، ويبنى قواعد العلاقات السياسية بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول ، والإسلام يرافق المسلم إذا غدا أو راح أو طلع أو نزل لا يفارقه لحظة ولا خطوة . وليس فى الدنيا عمل لا يدخل فيه الإسلام ويبيّن فيه حكم الله ، فإما أن يكون مباحاً لا يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، وإما أن يكون مندوباً يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه ، وإما أن يكون واجباً يثاب فاعله ويعاقب تاركه ، وإما أن يكون مكروهاً يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله ، وإما أن يكون حراماً يثاب تاركه ويعاقب فاعله . وهذه الأحكام الخمسة (الفرض والمندوب والمباح والمكروه والحرام) هى التى تحدد مكان كل عمل من الدين ولا يخلو عمل من واحد منها . فالمسلم لا يقول أبداً (هذا الأمر خارج عن نطاق الدين لا دخل له فيه) كما أنه لا يقول (إن الإسلام يجب أن ينفصل عن السياسة) لأن السياسة جزء من أجزاء

الدين ، و (براءة) وكلها سياسة ، سورة من القرآن لا يمكن أن تنفصل عنه

والمسلم من (علم) أن الشريعة الإسلامية أغنى الشرائع ؛ وأنها أثمن وأجمع وأحكم من القانون الرومانى الذى اقتبست منه كل قوانين أوربة، وأنه يجب أن تكون قوانيننا المدنية والجزائية والمالية والإدارية والدستورية مستنبطة من شريعتنا ، مقتبسة من ديننا

و (علم) أن من أنكر آية من القرآن ، أو حديثاً متواتراً فقد خرج من الإسلام

و (علم) أن الاجتهاد فى استنباط الفروع أمر مستحسن شرعاً ، يؤجر عليه صاحبه ولو أخطأ فيه مكافأة له على بذله الجهد واستفراغه الطاقة ، فإذا أصاب كان له فوق ذلك أجر آخر هو أجر الإصابة ؛ وأن الاجتهاد فى أصول الدين ممنوع لأنها منصوص عليها ولا مساغ للاجتهاد مع ورود النص ، وأنه لا يضر الناس اختلافهم فى الفروع (فكلهم من رسول الله ملتمس) سواء فى ذلك الحنفى منهم والشافعى والمالكى والحنبلى . بل إن اختلافهم رحمة من الله وتوسيع على الأمة ، ولكن يضر الناس اختلافهم فى أصول الدين من العقائد ونحوها ، ويكون الواحد منهم مصيباً والباقون على ضلال . لأن الحق لا يتعدد ، والمصيب هو من اتبع ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والقرن الأول خير القرون

و (علم) أن كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ولم يعتقد ما يخالف الكتاب والسنة ، ولم يستحل محرماً ولم يحرم حلالاً ، فهو مسلم تنطبق عليه أحكام المسلمين ويجمعنا به أخوة الدين ، ولا يجوز تكفير مسلم إلا إذا أنكر أصلاً من الأصول أو أتى ما أجمع الأئمة على أنه مكفر

و (علم) أن الإسلام لا يعارض العلم الصحيح ، ولا الفن النافع ، ولا الحضارة الخيّرة ، وأنه دين سهل رحب مرن ، ليس بالدين الضيق الجامد المحرج

والمسلم من (اعتقد) بأن لهذا الكون إلهاً واحداً قديماً باقياً ، سميعاً بصيراً ، متصفاً بصفات الكمال ، منزهاً عن صفات النقصان، وأنه هو خالق كل شىء وإليه المصير، ويخلص له العبادة ويراقبه دائماً ويعلم أنه مطلع عليه ، وأنه هو وحده النافع الضار وبيده الخير وهو على كل شىء قدير . فلا يدعو معه غيره ، ولا يسأل سواه حاجة من الحاجات التى لا يقدر البشر على مثلها ولا يستعين إلا به ، ولا يخاف حق الخوف إلا منه، ولا يسخطه ليرضى الناس ، ولا يبالى إذا رضى عنه بسخط أحد

و (اعتقد) أن الله خلق أنواعاً من المخلوقات ، منها ما خلقه من مادة كثيفة كالناس والحيوان والكواكب ، ومنها ما خلقه من مادة نورانية كالملائكة وهم خلق كثير من خلق الله لا يأكلون ولا يشربون ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون

ومن مخلوقاته الجن ، وهم خلق يروننا ولا نراهم، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر ، ومنها الشياطين وهم أهل الشر ليس فيهم صالح

و (اعتقد) أن الله رحمة منه بالناس ، اختار منهم رجالاً عصمهم من الكبائر ، ونزههم عن النقائص ، ثم بعث إليهم (جبريل) وهو واحد من الملائكة ، فأبلغهم رسالة الله ، وعلمهم ما يسعدهم فى دنياهم وينجيهم فى آخرتهم، وكلفهم إبلاغ هذه الرسالة أقوامهم، وهؤلاء هم الرسل وأولهم آدم وآخرهم محمد صلوات الله عليهم أجمعين

ولو شاء الله لأنزل كتاباً واحداً ، وجعل الناس أمة واحدة ، ولكن اقتضت حكمته أن يكون التكامل فى الرسالة تدريجياً ، كالتكامل فى الحضارة والرقى ، فكل رسالة تعدل التى قبلها وتكملها ، حتى جاءت رسالة محمد ، فى نهاية الكمال ، لا يحتاج بعدها إلى شىء لسببين ، أولهما أن طبيعة الرسالة المحمدية طبيعة مرنة قابلة للتطور فى أحكامها الفرعية تبعاً لتطور العصور ، فهى لذلك تبدو فى كل عصر جديدة ، ويتكشف منها جوانب ومعان لم تكن معروفة ، حتى كأنما أنزلت لذلك العصر ؛ والسبب الثانى طبيعة الحياة البشرية وميلها نحو الوحدة ، منذ فجر الإسلام حتى اليوم ، إذ أصبح الناس من حيث الاتصال كأنهم أبناء أسرة واحدة ، تقال الكلمة فى آخر الشرق فتسمع فى آخر الغرب ، وسهل تبليغ الرسالة ، ولم تعد حاجة لتعدد الرسل بتعدد الأقوام

و (اعتقد) أن الوحى معناه نزول الملك على الرسول ، وهو غير الإلهام الروحانى[1] الذى يحس به الشعراء والكتاب ، وأن الوحى ليس كسبياً وإنما هو عطاء من الله لا ينال بالتحصيل ، ولا يوصل إليه بالبحث والعلم والتفكير ، لذلك لا يقال إن النبى مصلح عظيم، ولا شاعر ولا فيلسوف، لأن ذلك كله يختلف عن

(١) جاء فى الصفحة (٦٢) من كتاب التاريخ المقرر رسمياً فى مدارس العراق تأليف درويش المقدادى أن الوحى معناه الالهام الروحانى

النبوة ، وينحط عن مرتبتها انحطاطاً كبيراً ، ويخالف العقيدة الإسلامية

و (اعتقد) أن الله أنزل على أربعة من رسله كتباً ، فأنزل التوراة على موسى ، والزبور على داود ، والإنجيل على عيسى ، والقرآن على محمد صلى الله على الجميع ، فبدل كل قوم كتابهم وحرّفوه وبقى القرآن كما أنزل ، لأن الله ضمن حفظه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

و (اعتقد) أن الله سيجمع الناس كلهم فى يوم القيامة ، فيعيد الحياة لمن مات ، ويرد عليه الروح ولو فنى وصار تراباً ، ولو أحرق جسده وصار رماداً ، ولو أكلته الوحوش أو تخطفته الطير ، ثم يحاسبهم جميعاً على ما عملوا فى الدنيا ، فيكافىء المحسنين فيخلدهم فى الجنة ، ويعاقب المسيئين فيدخلهم النار

وأنه لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

وأن من تاب قبل أن يموت محى ذنبه حتى كأنه لم يذنب ، بشرط أن تكون التوبة مقرونة بترك الذنب ، والعزم على عدم العودة إليه ، والندم على الماضى ، وهذه هى التوبة الصادقة التى تمحو الذنب ، فإن عاد بعدها إلى الذنب ، ثم تاب منه توبة صادقة غفرله ، ولو كثرت ذنوبه حتى صارت مثل زبد البحر (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً)

أما من تاب من ذنب وهو لا يزال مقيماً عليه ، أو يفكر فى أن يعود إليه ، فهذا كالمستهزىء به والعياذ بالله

و (اعتقد) أن كل شىء بقدر الله ، وأن الله قسم للعبد سعادته وشقاءه ، ورزقه وعمره فما كان لك سوف يأتيك على ضعفك ، وما كان لغيرك لن تناله بقوتك ، ولو بقى فى عمرك يوم واحد لا يقتلك أهل الأرض ولو اجتمعوا عليك ، وإذا جاء أجلك أدركك الموت ولو كنت فى برج مشيّد ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف ، ولا رادّ لما قضى الله ، ولا دافع لمشيئته

* * *

والمسلم بعد ذلك ، من يقر ويشهد بلسانه أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويقيم الصلاة ويؤديها على وجهها فى أوقاتها محافظاً على فروضها وسننها ، خاشعاً لله فيها ، ويصوم رمضان إيماناً واحتساباً ، ويؤدى زكاة ماله طيباً بها قلبه ، ويحج البيت إن استطاع

ثم إنه لا يكذب ولا يغتاب ولا يمشى ولا يؤذى أحداً ولا يظلمه ، ويكون عفيف العين واليد والفرج ، ساعياً إلى مكارم الأخلاق ، آخذاً الحكمة من حيث وجدها ، يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، مبتعداً عن الفحشاء والمنكر ، يعاون على البر والتقوى ، ولا يعاون على الإثم والعدوان ، ينكر المنكر بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ، ويؤدى حقوق المسلمين فيساعد ضعيفهم ، ويمد فقيرهم ، ويعود مريضهم ، ويغض بصره عن نسائهم ، ويحفظ لهم أعراضهم ، ويعد كل شيخ فى المسلمين أباً له ، وكل شاب أخاً ، وكل صبى ولداً ، وكل فتاة بنتاً ، وكل امرأة أختاً ، ثم إنه يجتنب الخمر ، ويدع الربا ، ويخاف الشُّبَه كيلا تقوده إلى المحرمات ، ولا يحوم حول الحمى حتى لا يقع فيه

ويريد بذلك وجه الله ، مبتعداً عن حظ النفس ما استطاع الابتعاد ، عالماً أنه بشر فيه غرائز لا يملك الانفكاك عنها ، ولا يؤاخذه الله إلا بما ملك

* * *

هذا هو المسلم الحق . . . فاللهم اجعلنا مسلمين حقا !

علي الطنطاوى

الفـــروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

إن ما أعنيه بالفروق السيكلوجية هى تلك الفروق العقلية والخلقية والمزاجية والجسمية الموجودة بين الأفراد . ومن السهل على المفكر العادى أن يدرك مظاهر تلك الفروق فى تصرفات الأفراد وفى إنتاجهم الاجتماعى والعلمى . وليس موضوع اختلاف الأفراد السيكلوجى حديثاً فى ذاته ، فقد تناوله العلماء والفلاسفة بالبحث منذ قرون . ولكنه حديث بالنسبة لبحثه بالطرق العلمية والإحصائية ، وتحديد تلك الفروق وتبويبها ، ومعرفة أسبابها ، وعزو ما هو وراثى منها للوراثة ، وما هو بيئى للبيئة . وهذا النوع من البحث العلمى فى الفروق السيكلوجية ظهر واحتل مكاناً بين فروع علم النفس فى الربع الأخير من القرن الماضى وذلك بنمو علم النفس التجريبى . وهو يعرف الآن بعلم النفس الفردى Individual Psychology

وأقدم من عالج هذا الموضوع أفلاطون فى جمهوريته ، فإنه حين وضع نظام المدينة الفاضلة بناه على أساس الاختلاف السيكلوجى بين أفراد الجماعة الواحدة . وكان يرى أن « العدل الاجتماعى » يقضى بأن يقوم الفرد بالعمل الذى أعد له بطبيعته ، والذى تقوى على تحمله وتسويته طاقته العقلية ، واستعداده الجسمى . وكانت نتيجة هذا المبدأ أن قسم أفلاطون سكان مدينته إلى طبقات ثلاث ، فجعل فيها طبقة الزراع والصناع والتجار ، وهؤلاء بطبيعتهم غير صالحين لأن يكونوا ضمن الطبقة الثانية طبقة الجنود الدافعين عن المدينة من الخارج والمحافظين على نظامها فى الداخل . وفوق هاتين الطبقتين طبقة ثالثة قد وهبت من المزايا العقلية والخلقية ما لم توهب الطبقتان الأخريان وهذه هى طبقة الفلاسفة والحكام الذين لهم حق الإشراف على الإدارة والقضاء والتشريع . وقد أشار أفلاطون فى الجمهورية إلى أن هذه الطبقة الأخيرة طبقة ممتازة بالفطرة . وأهم مميزاتها التفكير المنطقى المنوى ، والإدراك الفلسفى لحقائق الأشياء . ومن الغريب أن هذه الميزة التى يراها أفلاطون ضرورية لطبقة الفلاسفة هى التى يسميها بعض علماء النفس الحديثين الذكاء Capacity for thinking in abstract terms

وضع أفلاطون منهجاً لتربية هذه الطبقات الثلاث ، ورأى أنه من العبث أن يضيع المجهود فى تربية طبقة الزراع والصناع ، لأن هذه الطبقة ليست بفطرتها مستعدة للنمو الثقافى والترقى الفكرى .

وإذاً فمن صالح هذه الطبقة - وصالح الجماعة أيضاً - أن تنصرف إلى نوع العمل المستعدة له ، يعنى الزراعة[1] والصناعة؛ أما الطبقتان الأخريان فقد رأى العناية بتربيتهما من سن السابعة إلى سن العشرين .

وحينما يصل الشبان إلى هـذه السن تكون قد ظهرت مواهبهم وقدراتهم للمشرفين على تربيتهم ، فيختارون من بينهم النابغين منهم عقلياً وتفكيرياً ليواصلوا دراساتهم الثقافية وتستمر دراسات هؤلاء المختارين مدة عشر سنوات يعالجون فيها من الموضوعات كل ما ينمى فيهم القدرة على التعليل المنوى Abstrad reasoning . وفى نهاية عشر السنوات يُختار الصالح من هذه الطبقة ليكون مشرفاً إدارياً ، بينما يستمر الأصلحون منهم خمس سنوات أخرى فى دراسة الجدل والحوار المنطقى ، وبذلك يكونون قد أُعِدُّوا لتحمل التبعة الكبرى ، تبعة الحكم الرئيسى

ويمثل رأى أفلاطون الذى شرحناه هذا مذهب الوراثيين الذين يبالغون فى أهمية الوراثة كعامل مرجح فى تكوين الصفات العقلية والخلقية والجسمية للفرد ، ويعزون للوراثة وحدها الفروق السيكلوجية بين الأفراد

ولسنا هنا فى مقام انتقاد هذا الرأى الأفلاطونى من الناحية

(١) كان أفلاطون يرى أن هذا النوع من المهن لا يحتاج إلى ذكاء أو استعداد عقلى سام

العلمية والسيكلوجية الحديثة ، ولا فى مقام شرح نقط الضعف فى نظام الطبقات وتربيتها ، تلك التربية التي أهملت عدداً كبيراً من المواهب الفردية والعناصر النافعة ضائعةً فى طبقة الصناع والتجار والزراع وفى طبقة الجنود . ولكنه ضرورى من الناحية التاريخية أن نشير إلى أن أفلاطون حاول أن تكون مراحل التربية وغاياتها فى المدينة الفاضلة مبنية على أساس أن هناك فروقاً عقلية وجسدية بين أفرادها . ويقابل هذا فى التربية الحديثة أن تكون المناهج الدراسية مختلفة باختلاف قوى التلاميذ العقلية واستعدادهم الطبيعى وميولهم الفطرية ، وأن يكون التعليم الدرسى فردياً أكثر منه جمعياً .

اتبع أرسطو مذهب أستاذه أفلاطون فى قبول مبدأ الفروق السيكلوجية الفردية ، ولكنه اختلف عنه فى أن أهم هذه الفروق هى الفروق الجنسية .

فالمرأة عنده تختلف بطبيعتها عن الرجل من حيث استعدادها العقلى والجسمى والمزاجى والخلقى . ولذلك رأى أن يختلف نوع التربية التى تتلقاها عن تربية الرجل ، وأن تكون الغاية من تربيتها مختلفة عن الغاية من تربية الرجل . فلم يقرّ ما ذهب إليه أفلاطون من أن الطبيعة جعلت المرأة مساوية للرجل وهيأتها للمشاركة فى الجندية والسياسة . وزاد على ذلك أرسطو فحاول أن يحدد النمو البشرى العقلى والجسمى وطبيعته ، والعوامل التى تحدث الفروق السيكلوجية فى مراحل هذا النمو . وهو يرى أن التربية ليست آلة يستطيع بها المربّى أن يصوغ المربّى كما يشاء ، وأن يضعه فى القالب الذى يريد ، ولكن التربية وسيلة للتوجيه فقط ، توجيه القوى الكامنة والاستعدادات السيكلوجية الفطرية فى الأفراد توجيهاً إلى الناحية الصالحة ، وتوجيهاً عن الناحية الفاسدة .

وهو يرجع الفروق السيكلوجية بين الأفراد عامة إلى ثلاثة عوامل رئيسية :

(١) الطبيعة البشرية (٢) العادة والتمرين (٣) التعقل .
أما الطبيعة فهى وراثية توجد فى الطفل منذ الولادة وهى كامنة فى الفرد فى جميع أطوار نموه . وأما العادة فهى أثر من آثار البيئة وهى التى تحدد اتجاه النمو الطبيعى والتطور الفردى .

وأما التعقل فهو الذى يتدخل فى قوانين العادة فيهذب منها ، ويبطل هذا ويحبذ ذلك

ويدلنا مذهب أرسطو هذا على اعتداله ، وأنه يأخذ بمبدأ تأثير كل من الوراثة والبيئة فى إيجاد الفروق الفردية السيكلوجية . غير أنه يقول بأن فرداً لا يمكن تغييره وتحويره بحيث يعدو حدود طبيعته ، لأن أى مؤثر تربيوى إنما يحدث أثره فى الفرد ضمن قوى الفرد الطبيعية .

ويقرر أن الأفراد الذين يعوزهم الذكاء العقلى يعيشون طول حياتهم متخلفين عن غيرهم ممن منحوا هذا الذكاء مهما سلطت على الأولين من عوامل تربيوية قوية . وثمت نوع غير هذين النوعين من الأفراد وهم النابغون ، وهم قلائل ولا يحتاجون لاستغلال نبوغهم إلا إلى قدر يسير من الدربة والتربية بالنسبة لغيرهم .

ونستنبط من مذهب أرسطو هذا أن الفرد بطبيعته مزود بقوى حسية وإدراكية محدودة ، وأن التربية (العادة فى نظره) هى التى تنمى هذه القوى وتعمل على أن تصل بها إلى مرحلة الكمال الممكن .

ولما كانت هذه القوى مختلفة عند الأفراد ، وكان أثر التربية فى كل فرد مختلفاً أيضاً كانت النتيجة أن الأفراد مختلفون فى تصرفاتهم وسلوكهم وإنتاجهم . وهذا ما يسميه علماء النفس الحديثون بالفروق الفردية السيكلوجية

كان اسكوراطس Iscorates الخطيب اليونانى القدير معنياً بتعليم الخطباء وتمرينهم وتنشئتهم . وقد أدرك هو أيضاً كمعلم الفروق السيكلوجية بين من قام بإعدادهم من الطلبة لمهنة الخطابة واللسن .

وهو يقول فى هذا الصدد « لقد أشرفت على إعداد معلمى الخطابة ومعلمى الألعاب البدنية Gymmestics كما لاحظتهم

أثناء قيامهم بالتدريس ووصلت إلى نتيجة اقتنعت بها . وهى أنهم فى مكنتهم أن يتقدموا بتلاميذهم ، وأن يرتقوا بهم إلى درجة يصيرون فيها أقدر على استعمال أجسامهم وعقولهم من ذى قبل . ومهما يكن من الأمر فإنه ليس فى استطاعة معلمى الخطابة ، ولا معلمى الألعاب البدنية أن يخلقوا خطباء من أى أفراد يشاءون . ثم إن مجهود هؤلاء المعلمين ينتج إلى حد ما نتيجة نسبية ، ولكنه لا يمكن أن ينتج هذا المجهود أقصى ما يمكن إلا إذا صادف من التلاميذ من جمع بين فضيلتين : الذكاء وقبول التدريب »

وإذا نظرنا إلى الذكاء وجدنا أنه عامل وراثى ، أما التدريب فهو عامل بيئى ، وإذاً فقد قال أسكوراطس بأثر عاملى البيئة والوراثة معاً

هكذا كان مذهب أسكوراطس الأثينى فى الوقت الذى كان فيه التفكير اليونانى ينظر إلى الفرد من جميع نواحيه السيكلوجية: الناحية الجسمية ، والناحية العقلية ، والناحية الخلقية ، والناحية الذوقية ، وكان مجموع هذه النواحى يكوّن عند الرأى اليونانى ما يسمى بالشخصية ، وكلما وجد تناسق وتناسب وانسجام بين هذه النواحى وبين أطوار نموها كانت الشخصية أقرب إلى الكمال

وينحو علم النفس الحديث هذا المنحى الأثينى ، مع اختلاف فى طريقة البحث والقياس . فللأفراد شخصيات مختلفة، واختلاف الشخصيات هذا معناه الفروق الفردية السيكلوجية ، والشخصية وفقاً لعلم النفس الحديث يمكن تحليلها إلى عناصر أربعة : العنصر العقلى والعنصر الخلقى والعنصر الذوقى والعنصر الجسمى

(للبحث بقية)

عبد العزيز عبد المجيد
رئيس شعبة اللغة العربية
بمعاهد بخت الرضا التجريبية بالسودان

الثقافة العسكرية
وأناشيد الجيش
للأستاذ عبد اللطيف النشار

يا بعد ما بين القوة وبين التبجح !

وهل تعده قوياً ذلك الشكس الشرس الذى يخشى أن يوصم بالضعف فهو لا ينفك يهاجى ويباهى ؟ !

يا بعد ما بين الشجاعة وبين ذلك الهذر هذر المهاتر الخائف الواجف فهو لا يزال يتهدد ويتوعد حتى لا يقال إنه أذعن أو يوشك أن يذعن

كثر فى هذه الأيام شعر الأناشيد العسكرية وقلما خلت أنشودة من ذكر الدم والفداء والاستشهاد والتضحية . فهل هذا الشعر قد وضع للإزعاج والتخويف، أو لبث الروح العسكرية القوية، تلك المتعلقة بالحياة التى تترنم بالحب والجمال وتفيض بالشوق والحنين

دعت قيادة الجيش المرابط ووزارة الدفاع ووزارة الشئون الاجتماعية سادتنا الشعراء إلى وضع ألحان حماسية ليأخذوا بنصيب فى نشر الثقافة العسكرية . وكان شرفاً عظيماً أن تتجه هذه الهيئات السامية إلى فريق مثقف من الأمة فتدعوه إلى هذه المشاركة . ولكن شعراءنا كانوا أحوج إلى الثقافة العسكرية من جنود الجيش المرابط فخالوا أنه ما دامت الدعوة من هيئات حربية ولغرض عسكرى ومن أجل الجنود فلا أقل من أن يكون الشعر عروقاً تتفجر وأشلاء تتبعثر وسلاحاً يتكسر !

كلا أيها السادة الشعراء، هذا أدل على الخوف منه على الشجاعة، وهذا النوع من الحماسة لا يشابهه إلا نوع آخر فى الحب جعلتم فيه علامة العشق البكاء والانتحاب والتمرغ على الأبواب وذكر الدموع والأرق والسهاد . ولا حب فى هذه الذلة ولا قوة فى ذلك التبجح

أدب القوة ! ؟

نعم ونعيم عين وحباً وكرامة

ولكن ما هى القوة ؟

شعر الحرب ! ؟

نعم ونعيم عين وحباً وكرامة

ولكن ما هو الحرب ؟ !

ليست الحروب جديدة فى التاريخ العربى، ولا شعر الحماسة جديداً فى لغتنا الفاتحة الظافرة فكونوا مجتهدين ولكم إمام، أو كونوا مبتكرين على شريطة الصدق فى الإلهام ؟

إن للجنود أناشيد فى كل اللغات ولكن أناشيدهم حافلة بالحنين وبالشوق وبالتمدح بالأهل والوطن وبالنزل الرقيق، فهذا هو الشعر الذى يثقف الجنود ثقافة عسكرية . أما الألفاظ الدامية فلا يهديها الشعراء إلى الجنود كما لا يهدى التمر إلى هجر كما جاء فى المثل .

« يا شباب النيل يا عماد الجيل »

مطلع جميل! ولكن ماذا يقال لشباب النيل وعماد الجيل ؟ يقال إن أجل امرأة لأقوى فارس . هكذا قيل فى الشعر الحماسى وهكذا ينبغى أن يقال . أما كونوا الفداء، وأريقوا الدماء، ولا تهنوا فى الدفاع عن اللواء، فهذا ما يعلمه شباب الجيل للشعراء لا ما يتعلمونه من الشعراء، وقد يكون الشعراء من عماد الجيل ومن شباب النيل ولكنهم عند ذلك لا يقولون بل يفعلون

وبعد فقد كان للنبى (ص) شعراء وكانوا يضمون الشعر الحماسى لفاتحى الفتوح وغالبى الغالبين وقاهرى القاهرين فماذا قال شعراء النبى ؟ قال حسان :

إن كنت فاعلة الذى أوعدتنى   فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الأحبة لا يدافع عنهم   ونجا برأس طمرّة ولجام

فبهذه السخرية ظفر بفارس قائد فأحرجه فعاد إلى الجيش فاستشهد فى الموقعة التالية

بهذه السخرية لا بالألفاظ الجوفاء حمل القائد الذى كان قد فر إلى أن يعود للرسول فيقول :

الله يعلم ما تركت قتالهم   حتى رموا فرسى بأشقر مزبد
وعلمت أنى إن أقاتل مفرداً   أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى
ففررت منهم والأحبة فيهمو   طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد

ولو أن حساناً قال ياشباب النيل ياعماد الجيل لتغير وجه التاريخ!

يا أساتذتى الشعراء، لا أستخف بالأناشيد التى تذاع إلا لأنى أثق باستطاعتكم وضع أناشيد جدية لو اطلعتم على الأناشيد الحماسية فى اللغات الأخرى أو رجعتم إلى الشعر الحماسى فى لغتكم أو رجعتم إلى خيالكم الصادق ولباقتكم فعرفتم كيف ينبغى أن يقال للجندى

وكيف ينبغى أن يقول الجندى ، وما ذا يخطر بباله وبماذا يشعر أيحارب لأنه يريد أن يموت حباً فى الموت فيقال له الفداء والدماء، أو يحارب لأنه يحب الحياة الكريمة؟ فإن يكن الموت ولابد « فلن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » أيحارب حباً فى سفك الدماء أم ضناً بسلام بلده أن يعتدى عليه ؛ فإن لم يكن بد من رد السهم إلى راميه فان

قومى همو قتلوا أميم أخى   فإذا رميت أصابنى سهمى

أيحارب لأنه مل الحياة أم لأنه يرجو أن ينتصر فيسعد فى الحياة؟ زينوا ثمر النصر ولا تذكروا ثمنه «فن خطب الحسناء لم يغله المهر » واذكروا ذلك الشعر الحماسى العربى الذى عماده الغزل ، وذلك الشعر الحماسى الأوربى الذى عماده الخيال الصادق فى تصوير نجوى النفس

هذا فيما يتعلق بالأناشيد وهى أدنى ما يراد منكم، فالعسكريون أقل حاجة إلى حماستكم من المدنيين إلى حسن تصويركم ؛ فضموا للمدنيين القصائد السهبة فى وصف الحياة العليا التى تتخيلونها والتى من أجلها نحمل ضرورات الحرب إن وقعت . صفوا الترف والنعيم

كان حسان شاعر النبي يقول :

نشربها صرفاً وممزوجة   ثم نغنى فى بيوت الرخام

فهذا النعيم الذى يصفه هو الذى من أجله يدعو إلى الحرب فيطاع

وما آمركم بشىء أنا عنه بنجوة . أبدأ بنفسى . ولما كنت أومن بأن احتذاء المثل من أقوى أركان الفنون فسأبدأ بترجمة بعض الأناشيد الحربية التى كسبت بها مواقع ، وباختيار أناشيد حربية عربية كسبت بها مواقع ، ثم أعرض نماذج من شعرى الذى أدعو إليه . وإلى الملتقى على صحائف الرسالة

عبد اللطيف النشار

جندى متطوع فى الجيش المرابط

أنت عزائى ...!

للآنسة جميلة العلايلى

أيها الحاكم بغير لسان، والآمر بغير بيان، والمتحدث ليل نهار!

أيها المنذر الصارم ، والعطوف الراحم ، والمرشد فى الحياة كشعاع علوى يهدى الحائر والضال !

أيها الملاك النائم على عرش من عروش الطهر والبهاء !

أيها الهزار الغرد فوق أفنان من حديقة السعادة والهناء !

أيتها النسمة الصافية التى تهب عن الأرواح فتبعث فيها نشوة الأمل! أيتها الزهرة الندية التى تنفح عطراً يسكر الأرواح كأنه خمر الهناءة يشربها الثمل !

يا ملاكى المعبود، يا هزارى المنشود، يا نسمتى المنعشة، يازهرتى المزركشة ، يا حياتى ورجائى ، يا سعادتى وهنائى ، أنت عزائى !

أنت أليفى الحبيب، يلازمنى فى مسيرى ويسايرنى فى وحدتى.

أنت سميرى الأمين الذى يحبونى العطف والرعاية فى ثورتى وهدأتى!

أنت عزائى الذى ينير لى الحياة كلما نشر الظلام ستاره على العالم فلا أضل السبيل . أنت المرفأ الأمين الذى ترسو عنده السفينة بعد أن تتخبط فى ظلمات الموج وقد فقدت الربان والدليل

أنت المزنة الهاطلة تنزل على الأرض القاحلة فتكسوها بساط البهر والجمال . أنت الروح الهفهافة تسكب دماء الحياة فى قلب الزمن فيكيف الكون بالحسن والجلال

يا جنتى وحياتى ، يا قبلتى وصلاتى ، يا أملى الحبيب ، يا رجائى الغريب ، يا سعادتى وضيائى ، يا حلمى وغنائى ، أنت عزائى !

أيتها الشمس المشرقة فى بهرة العمر وروعة النهار !

أيتها النفحة السارية تطبع على فم هذا الكون قبلة الأقمار !

أيتها النسمة الملائكية تهب على الأرض فيطفر الروض وتهزج الأزهار !

أيتها النغمة الخالدة التى تحيى الأمل وتوحى الفن والأشعار

يا شمسى العالية ... يا نفحتى السارية ... يا نسمتى الصافية ... يا نفحتى الصادية ... يا مناط حنينى ... يا باعث أنينى ... أنت عزائى ... يا قلب ...

(المنصورة) **جميلة العلايلى**

في الأدب الانجليزي الحديث

د . ه . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدى

٥ - الرجل كابن ومحب

بدأ لورنس حياته الأدبية الصحيحة بمعالجة مشكلة من مشكلات العصر الحديث ، ألا وهى موقف الرجل كابن وكمحب ، أو موقفه حيال عاطفتين : عاطفة البنوة وعاطفة الحب . وقد سبق أن عالج لورنس هـذا الموضوع فى أولى رواياته « الطاووس الأبيض » ثم عالجها بشكل أعمق فى روايته « الأبناء والمحبون » ولم ينسها فى قصصه القصيرة التى من أهمها « بنات القسيس » وأخيراً بحث فيها بتطويل وصراحة فى كتابه عن اللاشعور . ولم يصل كاتب انجليزى إلى ما وصل إليه لورنس من العمق والدقة فى تحليل العلاقة بين الحبيب وحبيبته وبين الوالدين وأبنائهما أو بناتهما . ولا يجوز أن نعزو معالجة لورنس لموضوع واحد فى كتب مختلفة إلى رغبته فى التكرار أو إلى نقص فى معينه ، وإنما يجب أن نذكر دوماً أن لورنس كاتب يبشر بدين جديد وبآراء ومعتقدات لم تكن معروفة من قبل . فكان لزاماً عليه أن يعرض الفكرة ويكرر عرضها ويمثل لها بشخصيات متعددة بعد أن يضعها فى ظروف مغايرة حتى ترسخ فى أذهان قرائه ويؤمنون بها

ويعتقد لورنس أن الطفل يولد وتولد معه غريزته الجنسية ، ولكن لا ينبغى أن تظهر هـذه الغريزة أو يبدأ عملها حتى يصل الطفل سناً معينة . وإن من الخير أن نقيم الحد الفاصل بين الولد والبنت فى تلك السن المبكرة حتى نضمن عندنا رجولة كاملة وأنوثة مطلقة ، وبدون ذلك لا تقوم للمجتمع قائمة . ويحدد لورنس الرجولة الكاملة بأنها هى التى تحدو صاحبها إلى تحقيق غرض سام فى الحياة ، غرض يرمى إلى بناء الكون وتوسيعه . أما الأنوثة الكاملة فهى التى تتطلب من صاحبتها أن تكون كتلة عواطف ، تقودها فى كل أعمالها ، دون أن يكون للعقل سلطان عليها ، ويصحب التغيرات الجسمية التى تعترى الولد أو البنت فى دور البلوغ تغيرات من نوع آخر ، أهمها تغير العلاقات . فبعد أن ظل الولد أعواماً طويلة لا يفكر إلا فى والده أو والدته يبدأ فى هذه السن بالتفكير فيمن ستكون شريكة حياته . وبدل أن كانت علاقته قاصرة على إخوته وأخواته يبدأ يفكر فى أصدقائه وصديقاته . ويعبر لورنس عن هذه السن بأنها ساعة دخول الغريب ، وإنه من الأفضل أن نترك الغريب يدخل دون أن نحاول عرقلته أو الوقوف فى سبيله . ويقصد لورنس من الغريب الحبيب أو الحبيبة . ويرى لورنس أن الوالدين فى عصرنا هذا يبذلان قصارى جهدهما للوقوف فى سبيل هـذا الغريب وعرقلة مساعيه ظناً منهما أن فى استطاعتهما احتكار حب الابن حتى لا يدعاه يفكر فى أحد سواهما . فضلاً عن ذلك فإن حبهما الفياض لابنهما فى تلك السن المبكرة يوقظ فيه غريزة كان يجب أن تكون نائمة فى هذا الوقت ألا وهى الغريزة الجنسية ، ويعتبر لورنس ذلك جريمة لا تغتفر يجنيها الوالدان على ابنهما . ثم يجيء دور البلوغ الذى يتطلب من الابن أن يكون حراً طليقاً يحب من يشاء ويصادق من يريد ، فبدل أن يفعل ذلك يرى نفسه يرسف فى أغلال حب ثقيل لا يستطيع منه فكاكاً ، وبذلك يحرم من حبه للمرأة ، ذلك الحب الذى لا تقوم للمجتمع قائمة بدونه

وكان الواجب على الوالدين أن يقطعا علاقتهما القديمة بولدهما بعد أن يصل إلى سن البلوغ كى يتركا له الفرصة لبدء علاقات جديدة غير علاقات الأبوة أو الأمومة . وليس هناك أخطر من أن يحاول الأب أو الأم أن ينصب من نفسه صديقاً لابنه

والآن لندرس حالة البيئة الحديثة لنرى نتيجة إهمال الوالدين فى تربية أبنائهما . فيرى لورنس أن المرأة فى عصرنا هذا قد تبوأت مركزاً غير مركزها الذى خلقت من أجله فسيطرت على البيت بكل ما فى هذه الكلمة من معنى . فهى التى تقود الرجل وترشده بعد أن كان راعيها وحاكمها ، وهى لا تنظر إلى جنسها أى إلى العلاقة الجنسية سوى نظرتها إلى وسيلة للسيطرة على الرجل واستغلاله . وهى لا تعتبر الرجل سوى تابعاً لها أو خادمها المطيع ، وتعتبره أحياناً مصدراً لإشباع عواطفها إذا ما عاودتها الرغبة فى الرجوع إلى أنوثتها الأولى ، وهذا عكس للأمور ووضعها فى غير نصابها ، وإن يكن له نتيجة فستكون هدم كيان المجتمع وتقويض بنائه . ثم زوال المدنية الحديثة واندثارها ، تلك المدنية التى نفخر بها دوماً

ويرى لورنس أن الواجب قطع تلك العلاقة القديمة بين الأم

وابنها أو بين البنت وأبيها إذا ما وصلا إلى سن البلوغ . فقبيل هذه السن يجب أن نبعد الولد عن كل سيطرة نسوية ، كسيطرة الأم أو الأخت أو المربية . ويستحسن أن يوضع فى رعاية رجل. وليس هناك أخطر من أن يدلل الأمهات أبناءهن بأن يلبسنهم ملابس البنات أو يعاملنهم معاملتهن، أو يتركنهم يزاولون ألعابهن لأن عاقبة ذلك تكون فقد رجولتهم أو عدم استكمالها . ويجب أن يكون لنا فى الزنوج خير قدوة عند ما نراهم يحتفلون بوصول الولد إلى سن البلوغ ودخوله دوراً جديداً من أدوار حياته ، وهم باحتفالهم به إنما يشعرونه أنه انتقل إلى حياة جديدة لها أهميتها

وأول واجب للوالدين بعد وصول ابنهما إلى هذا الدور هو أن يحيطاه علماً بالغريزة الجنسية ، وليست هذه المهمة باليسيرة إذ يلزم الأب أو الأم أن يكون حريصاً فى كلامه فى هذا الموضوع كل الحرص ، ويعتقد لورنس أن أسوأ ما يفعله الوالدان هو أن يلجآ إلى المعلومات العلمية يفسران بها لولدهما ما خفى عنه من هذه الغريزة ، لأن أمثال هذه المعلومات كفيلة أن تبغض الولد فى هذه الغريزة مما يترك لديه أسوأ الأثر . كذلك يجب على الأم ألا تصور العلاقة الجنسية لابنتها فى شكل روحى غامض . وإلى القارئ مثلاً من الأمثلة الخاطئة التى يتبعها بعض الأمهات مع بناتهن :

« والآن يا حبيبتى ، تعرفين أن أباك رجل ، وأنى أحبه ، وسوف يأتى الوقت الذى تقابلين فيه رجلاً تحبينه كما أحب أباك وبعد ذلك سوف تتزوجين منه وتعيشين معه عيشة سعيدة . ولذلك آمل أن تتزوجى من الرجل الذى سوف تشعرين أن قلبك يخفق نحوه بالحب ... » ثم تقبل ابنتها وتستطرد قائلة : « وبعد زواجك ستحدث لك أشياء كثيرة لا علم لك بها يا حبيبتى ، وستفكرين فى أن يكون لك طفل جميل ، وكذلك سيفعل زوجك ، لأن ابنك سيكون ابنه أيضاً ، أليس كذلك يا حبيبتى ؟ وسيكون الطفل طفلكما معاً ... أنت تعرفين ذلك تمام المعرفة ، ولكنك لا تعرفين كيف يتم ذلك . سيأتى هذا الطفل من جسمك وسوف يخرج من جسمك كما خرجت أنت من جسمى من قبل ... الخ » ويقاوم لورنس هذه الطريقة التى يتبعها معظم الأمهات فى الإدلاء بالمعلومات الجنسية إلى بناتهن ، ويرى أنها لا تغنى ولا تشبع من جوع . وليست الطريقة العلمية بأحسن منها حالاً . فهى بتشريحها جسم الإنسان إلى جزئياته الصغيرة تشوه جماله وتسىء إلى صاحبه ، وتكون النتيجة أن يشب الولد وهو ينظر إلى هذه العلاقة نظرة خوف واشمئزاز

هذا هو مجمل لرأى لورنس فى العلاقة التى يجب أن تكون بين الوالدين وولدهما وبين الابن ومن سوف تشاركه حياته المستقبلة.

والآن فلنحاول تطبيق ما قلنا على إحدى روايات لورنس المهمة ، وهى « الأبناء والمحبون » فهذه الرواية هى ترجمة دقيقة لحياة لورنس ، وحوادثها هى تجاربه الخاصة ، وأشخاصها هم الأشخاص الذين احتك بهم فى الجزء الأول من حياته وكان لهم أكبر الأثر فى حياته المستقبلة . وفيما يلى الخطاب الذى أرفقه لورنس بالرواية بعد أن فرغ منها وأرسله إلى إدوارد جارنت أحد الناشرين ، ومن هذا الخطاب نقرأ الرواية باختصار :

«تدور حوادث هذه الرواية حول امرأة من طبقة النبلاء أحبت عاملاً من طبقة الدهماء وتزوجت منه. ولكن كانت الشقة بين ثقافتيهما واسعة فلم تتفق حياتهما فى نقطة واحدة، فانصرفت الزوجة عن زوجها وانصرف هو عنها . وبعد أن أعقبت منه أطفالها استعانت بهم لإشباع رغباتها الغريزية بعد أن فشل فى ذلك زوجها . وكان من جراء حبها الجارف لأطفالها أن شبوا يفيضون حباً لها ويبادلونها عاطفة بعاطفة . ولكن أنى ذلك الوقت الذى وصل فيه الولد إلى سن الرجولة وشعر بالرغبة الملحة فى داخلية نفسه نحو الحب ، حب امرأة غريبة عنه ، ولكن أنى له ذلك وأمه تملك عليه كل مشاعره، وتقيده بتلك الأغلال التى لا يستطيع لها كسراً ؟ ورغم ذلك فقد حاول الانتصال بامرأة ، فشعر بالانقسام داخل جسمه لأن قلبه كان نهباً بين حبين ، حبه لأمه وهو حب قوى جارف ، وحبه للمرأة الأخرى ، ذلك الحب الذى لا يستطيع أن يعيش بدونه ، ولقد كان من جراء هذا الانقسام أن مات الولد الأكبر لأنه لم يحاول مقاومة أو دفاعاً . أما الابن الأصغر فقام للدفاع عنه تلك المرأة التى كان يريد أن يجعلها شريكة حياته ، فقاتلت الأم ودافعت عن مركزها دفاعاً مجيداً . ولقد دام هذا النضال طويلاً ولكن النصر فى النهاية كان للأم وباءت المرأة الأخرى بالفشل ، وذلك لأن مركز الأم كان أمنع وأقوى من مركز المرأة، وحتى بعد أن ترك الأمر للابن أى الكفتين يرجح ؛ عمد إلى كفة أمه فرجحها لصلة الدم التى تربطهما معاً ، ولم يأبه للمرأة الأخرى التى تحطم قلبها وتكسرت آمالها . وفى النهاية تدرك الأم خطورة الدور الذى تلعبه وأثره السيئ فى حياة أولادها فمرضت وأشرفت

على الموت ، ولكن لم يمنع هذا من أن يهجر الولد المرأة بتاتاً ليلازم أمه ويقوم بالعناية بها . وأخيراً تموت الأم وتكون النتيجة أن يفقد الولد أمه وخطيبته فى آن واحد : فلا هو أصاب حب أمه ولا هو أصاب حب المرأة »

هذا هو ملخص رواية « الأبناء والمحبون » كما كتبه لورنس بخط يده . والكتاب عبارة عن صورة دقيقة لحياة الناجم والمنجمين ، وصورة أخرى لتلك المرأة التى وقفت ثقافتها ونبل أصلها حجر عثرة فى سبيل الحياة الزوجية الصحيحة . ومن الصفحات الأولى للرواية نستطيع أن نحكم لأول وهلة أن هذه الزوجة هى على النقيض من زوجها فى كل شىء ، فهى امرأة مفكرة يروق لها البحث فى الموضوعات المختلفة، ولها ولع شديد بالمناقشات والمجادلات وخاصة فى المسائل الدينية والفلسفية والسياسية ، وهذا أول سهم من سهام النقد التى يوجهها لورنس إلى المرأة الحديثة ، فالمرأة فى نظره لا يجب أن تعيش بعقلها بل بعواطفها وجسمها ، أما التفكير فهذا من شأن الرجل وحده . فاهتمام المرأة يجب أن يركز إلى أسفل ، وأما الرجل فهو الذى يوجه اهتمامه إلى أعلى ، إلى الفكر . فالأم فى هذه الرواية هى صورة مشوهة لامرأة أو هى صورة امرأة قد جردت من صفات أنوثتها واستعاضت عنها بصفات هى من شأن الرجل وحده ، ولم يكفها ذلك بل عمدت إلى زوجها تحاول تغييره وخلقه من جديد خلقاً يتفق مع ما هى عليه من الشذوذ. لم ترضها رجولته ولم تعجبها حيوانيته ، فأرادت أن تصقل من طبعه وتهذب من حواشيه وتحد من حيوانيته وتنتقص رجولته ، فهدمت كيانه وهدمت نفسها معه ، وبذلك لم يعد لها فى الحياة مطمع ولا فى العيش مأرب ، اللهم إلا أن تعيش وتفنى شبابها من أجل أطفالها ، ولكنها لم تكن لتستسلم أو تقهر فبعد أن تكسرت آمالها ، وتحطمت أمانيها ، وانهارت خيالاتها تحولت إلى أول أطفالها بقلب يفيض حباً وعاطفة ، وحملته بين ذراعيها ، وتفرست فى عينيه الزرقاوين الواسعتين ، فشعرت بقلبها يكاد يقفز من بين جنبيها حباً وغراماً بطفلها ، ثم أحست بذلك الرباط الذى كان يربطها بزوجها قد تمزق وانقطع ، وأحست أن حبها لزوجها قد اندثر ولم يعد له أثر ، وحل محله حب عميق فياض هو حبها لطفلها فقربته منها وضمته إلى صدرها وأخذته بين أحضانها

هذا هو شعورها بعد أن ولد أول طفل لها ، فما كاد ثالث طفل يرى نور الحياة لأول مرة حتى كان زوجها فى عالم النسيان . لم تعد تشعر قط بتلك الرغبة الغرزية التى كانت تدفعها سابقاً للاتصال بزوجها ، لم تعد تحس بأن زوجها جزء متمم لها لا غنى عنه ، لم يعد يهمها فى كثير أو قليل متى يحضر أو ماذا يفعل ، لم تعد تتأثر أو تتألم إذا ما أصابته مصيبة أو حدث له حادث . أما الرجل فكانت حياته جحيما لا يطاق ، كان يشعر بالرغبة إلى زوجته ، لكن أنى له ذلك فدونه خرط القتاد . افتقد امرأته فما وجدها ، مد يده نحوها فما عبأت به ، توسل إليها فاحتقرته ، شعر بالفراغ يعم قلبه فحاول ملأه فما استطاع ، صار المنزل جحيمه فهجره إلى الحانة يتناول فيها ما هو كفيل بأن ينسيه آلامه وأحزانه ويصرفه عن ذكرى تحطيم آماله ، هجر المنزل وهجر زوجه وأولاده وعاش عيشة لا يكاد يحتملها مخلوق ، أما هى فاستعاضت عن حب زوجها بحب ابنها بول ، فأشبعت غرائزها ، وملأت فراغ قلبها وسدت ذلك النقص الذى كانت تشعر به وهى إلى جوار زوجها ولم تكتف الأم بذلك بل سعت حتى جعلت ابنها يبادلها حباً بحب وعاطفة بعاطفة . فشعر نحو أمه بذلك الشعور الذى كان يجب أن يشعر به نحو المرأة التى ستكون شريكة حياته ، وبذلك قيدته بسلاسل حديدية لا يستطيع معها أن يتصل بامرأة أخرى أو يبادلها الحب . هذه هى الأم الحديثة ، أم القرن العشرين ، الأم التى يفسد حبها لأبنائها حياتهم وينغص عليهم مستقبلهم ويحطم آمالهم وأمانيهم (يتبع) عبد الحميد حمدى

مدرس بمدرسة شبرا الثانوية

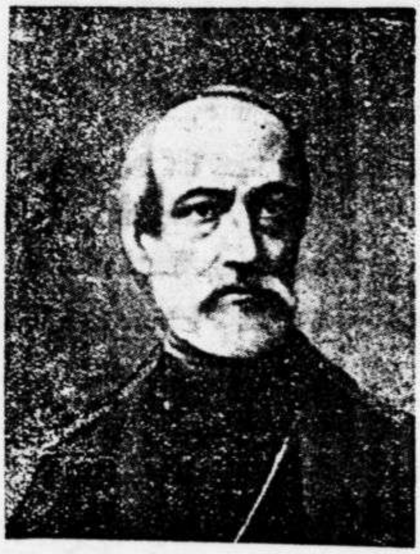
التاريخ فى سير أبطاله

مازيـــــنى

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذى أبلى فى جهاده مثل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٣ —



ولكن حلاوة الجهاد ما لبثت أن أنسته مرارة الغربة، وإن النفوس الكبيرة لتتعزى بنبل غاياتها فيما يصيبها فى سبيل تلك الغايات ، فتستعذب الألم وهو مر ، ويحلو لها فى سبيل النصر الجلاد؛ ويراد بها أن تذل فما يكسبها الإذلال إلا إباء الأبطال وحفاظ أولى القوة من الرجال ؛ وما يزيدها العذاب والنكال إلا إصراراً على النضال وإمعاناً فى الاستبسال ، ولن يحول بينها وبين غايتها قوة حتى الموت ، فإنها إن تزهق فقد تم لها بالاستشهاد أروع مواقف الجهاد ...

ولقد كان مازينى من أولئك البواسل الميامين الذين تبعث الشدائد كامن قواتهم ، وتوقظ المحن نوازع نفوسهم ، حتى لكأن الشدائد والمحن من مستلزمات ذواتهم ومقومات أخلاقهم .

استقر مازينى فى منفاه يتدبر فيما كان يعتلج فى نفسه ، وأخذ يتساءل ماذا بقى فى بلاده من أثر الثورة التى هبت فى فرنسا ؟ لقد أحزنه قبل نفيه أن يرى فرنسا تطلق يد مترنيخ فى إيطاليا فيبطش بها فى سنة ١٨٣١ كما بطشت بها فى سنة ١٨٢٠ ، ويقضى فى غير هوادة على ما انبعث من مظاهر العصيان فى مودينا وبارما والولايات البابوية ، وقد حز ذلك الوزير النمسوى الملك الجديد الذى تربع على عرش فرنسا من أن يظهر أى عطف على مثل هاتيك الحركات الشعبية التى من شأنها أن تزلزل العروش إذا أطلق لها العنان ، وأمن على هذا الرأى ذلك الملك الذى جعل المحافظة على عرشه قاعدة حكمه ، وذاق الثوار فى إيطاليا مرارة الخيبة والخذلان مرة ثانية .

أليس ذلك ما كان يخشاه مازينى ؟ ألم يعب على الكاربونارى اعتمادهم على غيرهم ؟ ها هى ذى الأيام تأتى مصدقة لما رأى ، وإذاً فليس لإيطاليا بعد اليوم إذا أرادت النجاح أن تسير على نهج الكاربونارى ، وعليها أن تنتهج نهجاً جديداً يكون فيه صلاحها وفوزها .

ولقد كانت حالة إيطاليا يومئذ تبعث على الأسى ، فلم تكن أكثر من اسم جغرافى على حد تعبير مترنيخ، ففيها ولايات الشمال والوسط والجنوب ، وفيها ولايات البابا ؛ وفوق ذلك كانت ولاية لمبارديا خاضعة لحكم النمسا المباشر ، على أن سلطان النمسا كان متغلغلاً فى شبه الجزيرة جميعاً .

وكانت هذه الوحدات مستقلة بعضها عن بعض ، حتى لقد وضعت حدوداً جمركية فيما بينها ، فلم يك ثمة ما يشعر أهل إيطاليا بأنهم شعب ، اللهم إلا شعورهم جميعاً بوطأة الحكم النمسوى الذى كان قوامه الرجعية الشديدة فى شتى مظاهرها البغيضة من خنق للحريات جميعاً ، إلى إهمال شائن للشئون العمرانية والاقتصادية ، وللتعليم والثقافة العامة، لأن هذه جميعاً كانت عند مترنيخ وأعوانه عناصر القوة التى لا يأمن معها أن تبعث الثورات من جديد فى كل مكان

وفكر مازينى فى حال إيطاليا فرأى الظلام الكثيف يخيم عليها وهذا الظلام لا ريب مدعاة إلى اليأس والخوف ، ولكن فى قلوب غير قلبه ؛ أما هو فقد كان يتلمس النور الباهر الذى لا يلبث أن يكتسح هاتيك الظلمات كلها — فى شيئين: الإيمان والشباب، ومن هنا برزت إلى الوجود جمعيته الجديدة « إيطاليا الفتاة » وأول بدأت رسالته إلى الجيل الجديد : رسالة الوحدة والحياة الحرة ...

وتغلغل الإيمان فى قلبه الكبير وأحس ما يحسه كل صاحب دعوة من حرارة ذلك السر الهائل الذى لا يعرف مستحيلاً أو يحفل رهبة ، ورفع الفتى مشعله فوق رأسه ووضع روحه فوق كفه ، ومشى يبدد ظلام اليأس وعلى محياه الأبلج نور الوطنية وصرامة الجهاد ، وفى عينيه الباسمتين أشعة اليقين وبريق الأمل

ولخص مازينى دعوته فى كلمتين : الله والشعب ، وراح يبشر بدينه الجديد فى غير مبالاة بما يعترضه من الصعاب . ولقد جعل أساس كفاحه التضحية، فدعا حواريه وأنصاره إلى أن يتألموا حتى تمحص نفوسهم الآلام ، وتقوى عزائمهم المحن ، وتعلى مبادئهم ما يلاقونه فى سبيلها من أنواع العذاب

وعول على أن يبث النور فى كل قلب، ويحيى بالحماسة كل نفس، ويجرى أناشيد الوطنية العذبة على كل لسان ، حتى يتألف من الشعب كله قوة تهزأ بكل قوة ، وتعلق بالدم الغالى بريق الحديد ولهيب النار . وعنده أن كل حركة شعبية مصيرها إلى الفشل ما لم تقم على أساس من الوطنية الصحيحة المنبعثة من الأعماق ، تلك الوطنية التى تحتقر أعراض الدنيا ، لأنها متصلة بالسماء ، والتى تضحى بالنفس فى سبيل العقيدة ، لأن قوام العقيدة الفداء

وكان هو أكثر الناس إيمانا بوحدة إيطاليا ، يوقن أن سوف يأتى اليوم الذى تتم فيه رسالته على يده هو أو على يد غيره من الأحرار . ولقد اتخذ من الشباب جنده وأعوانه ، لأن قلوب الشباب بطهارتها وحرارتها أجدر بالإيمان وأسرع إلى البذل وأقوى على العذاب . قال فى ذلك : « اجعلوا الشباب على رأس الجماهير الثائرة ، فإنكم لا تعلمون مدى القوة الكامنة فى تلك الأيدى الصغيرة ، ولا مدى ذلك التأثير السحرى الذى يكون لأصوات الشباب بين الجموع ، ولسوف تجدون فى الشباب رسل الدين الجديد » . وعظمت ثقته بتلك القلوب الفتية حتى أنه كان لا يقبل عضواً فى الجمعية من تزيد سنه على الأربعين، إلا فى ظروف استثنائية حينما كان يتقدم إليه ذو منزلة ، أو ذو سن كبيرة وقلب فتى .

ولئن تشبعت قلوب الشبان بمبادىء الوطنية والتضحية فسوف تتسرب منهم إلى سواهم ؛ ولكن كثيراً من الصناع والتجار والفلاحين لن يشايعوهم إلا إذا كان إلى جانب الوطنية إصلاح يتناول شؤونهم ؛ وعلى ذلك فقد جعل مازينى من مبادىء جماعته الإصلاح الاجتماعى فى أوسع نطاقه وبذلك زاد مبادئها قوة ورسوخاً

وكان يرى مازينى أن الحرب « هى القانون الأبدى بين السيد وبين العبد الذى يريد أن يحطم الأغلال » ، ولكنه كان يشير إلى الحرب غير النظامية لأنها الوسيلة الطبيعية للشعب الثائر فى وجه القوة المنظمة، فما لمثل هذا الشعب الذى يعتمد على نفسه سبيل إلى الجيوش النظامية التى تكون بالضرورة من صنع الحكومات .

واستقر الغريب المنفى فى مرسيليا يعمل فى غربته من أجل وطنه ، ويخرج إلى الوجود ما امتلأ به رأسه من الأفكار ، وأحاط به أول الأمر خمسة من الشباب ، أخرجوا مثله من وطنهم فصاروا حواريه فى رسالته

وما نجد فى تاريخ الحركات الشعبية حركة بدأت على مثل هذه الصورة التى بدأت بها حركة « إيطاليا الفتاة » ، فهؤلاء الخمسة اليامين ، هؤلاء السابقون الأولون ، وعلى رأسهم زعيمهم ، كانوا كل شىء ؛ استأجروا داراً صغيرة وراحوا يعملون ليل نهار لتحقيق مبادئهم ! أيكون فى تاريخ الجهاد أغرب من أن يعتزم ستة من الفتيان يعوزهم المال والجاه توحيد شعب ممزق وتحريره من سلطان دولة عاتية مسيطرة ؟ ولكن الشباب إذا آمن لا يعرف المستحيل، فليشمر هؤلاء الأبطال عن سواعدهم وليسهروا الليالى فى الكتابة ومراسلة من يريد أن ينضم إليهم حتى تكل أبصارهم فيناموا بعض ساعات ثم ينهضوا للعمل يحدوهم الأمل ؛ وليوح إليهم زعيمهم بالصبر ويبث فى قلوبهم الإيمان ، فهذا أجدى عليهم وعلى حركتهم من الجاه والمال

هكذا بدأ مازينى وحواريه، فسرعان ما انضم إليهم الأنصار، واجتمع لهم بعض المال فأنشأوا صحيفة يذيعون بها آراءهم ومبادئهم. وشد ما فرحوا بهذا واستبشروا به ! وكان مازينى يحرر أكثر أجزائها وحده فيبث فيها من روحه ؛ وكان أصحابه يحتالون، وقد تكاثر عددهم وعدد مريديهم على تهريب تلك الصحيفة إلى إيطاليا كما كانوا يهربون إليها بين حين وآخر بعض المطبوعات الصغيرة التى توحى إلى القراء مبادىء الجمعية وتعلمهم دروس الوطنية

وأقبل مازينى وحواريه على العمل ، يزدادون نشاطاً وهمة كلما ازداد عدد أنصارهم . وانقضى عام فرأى الزعيم الشاب ما شرح صدره وملأ نفسه بما تمتلىء به نفس المؤمن من نشوة الظفر ، فللجمعية مراكز فى شمال إيطاليا ووسطها ، وأعضاؤها يبلغون فى إيطاليا وخارج إيطاليا مائة ألف أو يزيدون ! وهذا نجاح جاء أكثر مما كان يتوقع

وتقع عين مازينى على أسماء الأعضاء وأعمالهم فى ثبت سرى فيسره ويثبت فؤاده أن يرى فيهم بعض النبلاء وبعض الضباط ، حتى القساوسة يجد أسماءهم بين المجاهدين ! وتطيب نفسه بذلك

ويحاوله الجهاد وتلوح له بوارق الأمل فتسهل الصعب وتقرب البعيد

وكان ممن انضموا إلى الجمعية رجل سوف يكون له فى تاريخ وحدة إيطاليا وحريتها شأن عظيم ، وذلك هو غاريبلدى المجاهد البطل والفدائى الأروع الذى جمعت حوله سجاياه المذبة وشجاعته الفائقة قلوب الرجال .

وراح الزعيم ينشر تعاليمه ويرسم خططه . استمع إليه كيف يقول لأنصاره : « اصعدوا الجبال واذهبوا إلى القرى وشاطروا العمال والفلاحين طعامهم المتواضع ، وجالسوهم وتحدثوا إليهم ؛ وزوروا المصانع والصناع الذين أهملوا حتى اليوم . حدثوا هؤلاء عن حقوقهم وعن ذكريات ماضيهم وتقاليدهم ومفاخرهم السالفة وتجاربهم التى مرت ، وعددوا لهم ما لا ينفد من أنواع الاضطهاد التى يجهلونها لأنهم لم يجدوا من يكشفها لهم » .

بهذه الطريقة راح مازينى يرسل صوته إلى الأعماق ويملأ به الآفاق ؛ ولقد تخرج معظم ذوى الشأن فى المستقبل من رجال إيطاليا فى جمعيته ، فكان له بذلك شرف لن يتاح إلا لأفذاذ العظماء: شرف الخلق والتكوين ، فما كانت إيطاليا الحديثة إلا من صنع يده . وإن تمت وحدتها على أيدٍ غيرها . وبذلك يعد مازينى من مكونى أوربا الحديثة ، وهى منزلة لن يشاركه فيها إلا أمثال بسمارك ومن على شاكلتهما ممن تقرن أشخاصهم بحركات عامة توجه التاريخ وجهته فى فترة من فتراته .

وكان ممن كاتبهم مازينى ليماونو : شارل ألبرت ملك ولاية بيدمنت ؛ وكان ذلك بعد خروجه من إيطاليا ببضعة أشهر ، وقد كان يعلم عن شارل بالأمس أنه من ذوى الآراء الحرة ، إذ كان متصلاً بالكاربونارى وكان يعطف على ثورتهم التى هبت سنة ١٨٢١ ؛ ولكن مازينى كان مسرفاً فى حسن ظنه به . وكيف كان يرجو المساعدة من ملك يتناول تاجه فى الواقع من النمسا ؟ ولئن كان شارل بالأمس نصير الحرية ، فهو اليوم على عرشه يبغضها ويحذر منها ، فلقد تجر إلى الثورة دعوة الداعين إليها ، وما له حيلة إلى إجابتهم ، والنمسا تلوح للبلاد بسيف الغلب . قال مازينى فى خطابه « هناك يا مولاى طريق آخر إلى القوة والخلود العظيم ، وحليف آخر أقوى وأسلم من النمسا أو فرنسا ، وتاج أكثر لمعاناً وبهجة من تاج بيدمنت ، تاج ينتظر الرجل الذى يجرؤ على أن يفكر فيه والذى يوجه حياته للحصول عليه ... ألم تلق يا مولاى قط مثل لمحة النسر على إيطاليا هذه ، إيطاليا التى تجملها بسمة الطبيعة ، والتى يتوجها عشرون قرناً من الذكريات الجليلة ، أرض العبقرية القوية بعنابيعها التى لا تنفد والتى لا يعوزها إلا الغرض المشترك ؛ المحاطة بحدود من المنعة بحيث لا تحتاج إلا إلى عزيمة وثيقة وبعض القلوب البواسل لحمايتها من العداء الخارجى . ضع نفسك على رأس الشعب ، واكتب على رايتك : الاتحاد والحرية والاستقلال . حرر إيطاليا من البربرية وابن المستقبل وكن نابليون حرية إيطاليا . افعل ذلك نلتف حولك ونقدم حياتنا من أجلك ونجمع الولايات الصغيرة تحت علمك . إن نجاتك فى حد سيفك ، فأشهر السيف واطرح الغمد ، وتذكر أنك إن لم تفعل ذلك فسيفعله غيرك دونك ويوجهه ضدك » .

فى هذا الخطاب تتجلى حماسة الشاب المجاهد ، وتتبين آماله ، وتتضح نزعاته؛ وفيه قبس من وميض حماسته وفيض من حرارة إيمانه وقوة وجدانه، ولكنه لم يظفر من الملك برد، وكان جواب الحكومة أن أمرت بالقبض على مرسله إذا اجتاز الحدود الإيطالية

على أن بيد منت ما لبثت بعد سنتين أن امتلأت كما امتلأت الولايات الأخرى على نحو ما أسلفنا بأنصار مازينى ، وفى نصرة الشعب له خير عوض عن معونة الملك

وتسربت مبادىء الجمعية إلى جيش بيدمنت ؛ وكان يذيعها فيه رافينى كبير أنصار مازينى وساعده الأيمن فى جهاده ، وأحكمت مؤامرة للقيام بثورة عن طريق الجيش ؛ ولكن تلك المؤامرة اكتشفت وا أسفاه ؛ وبطشت الحكومة بالمتآمرين ؛ فقتلت عشرة من الضباط رميا بالرصاص واثنين من المدنيين، فضلاً عمن أودعتهم السجون من الرجال ، حيث أخذت الحكومة تنكل بهم ليعترفوا

وكان رافينى ممن سجنوا ، وخير فى سجنه بين الاعتراف على شركائه والنجاة من الموت أو الإنكار والإعدام ، فاختار الموت ولكن بيده هو ، فانتحر فى سجنه . ونمى خبر الفاجعة إلى مازينى فاشتد وقعها عليه ، حتى لقد كانت من أعظم ما ناله من المحن ؛ وتوزع الحزن قلبه حتى ما يفيق من الغم ، ووهن جسمه واعتلت صحته كمداً على صاحبه الشهيد .

(يتبع) الخفيف

الحب الطاهر

لمعالى الشيخ محمد رضا الشبيبى

أما لأسير فى هواكَ سراحُ   وهل لتباريحِ الفؤادِ براحُ
أجل، سلمتك العاشقون قلوبها   وما فوق تسليمِ القلوبِ سماح
إذا بدأوا يستعطفونك عاوَدوا   وإن بكرَوا يستطلعونك راحوا
هوُوا فاتقوْا بثَّ الغرام فأضمروا   نخانهمُ الصبرُ الجميل فباحوا
يحبون وخزَ النجل وهى صوارمٌ   وطمنَ القدودِ الهيفِ وهى رِماح
خليلىَّ ما أحلى الغرامَ سجيّةً   إذا كرُمتْه عفةٌ وصلاح !
وما أخطر العشق الذى ليس دونه   على عاشقٍ يأبى الهناة جناح !
يقولون : إتيانُ الكبائرِ جائزٌ   وفعلُ الخطايا المنكرات مباح
أفى هذه الأخلاقِ للجنس نهضةٌ   وللبشر الآنين منه فلاح ؟
يريدون للدنيا ضِماداً وإنهم   بجُثمانِ هذا الاجتماع جِراح
ويعتبرون الناسَ مرضى كأنهم   ـ وهم كيفوا داء النفوس ـ صِحاح
ألا هِممٌ يكبحن من شهواتهم   فينحطُّ مبذلٌ ، أو يلين جِماحٌ
وهل فاضلٌ يرعى الفضيلة ؟ إنها   خيالٌ سيفنى أو حِمىً سيباح
فقد عصفت بالمكرمات زعازعٌ   وعفَّت رُسومَ الأكرمين رياح
إذا أظلمتْ أخلاقنا وتجهّمتْ   فهل نافعٌ أنَّ الوُجوهَ صِباح ؟

محمد رضا الشبيبى

قولى معى ...

للأستاذ الحومانى

مَن ذا يقول مى : عينان ملؤهما   دمعٌ ، هما غذتا عينيكِ بالحوَرِ
قولى مى : لم يذب قلبٌ شقيت به   إلا ليسقىَ ما تجنين من ثمر
أخليتُ عينىّ من دمعٍ يمدُّهما   بالنور من فكِ المحشوّ بالدُّرر
وأنضرتْ فاكِ آصالٌ شربتِ بها   روحاً تلظَّى به خداكِ فى السحر
فى عين حوّاء صبحٌ ضرّجت قبلى   عينيك بين يديه من دم الخفَر
لا تجزعى وتلقَّيهن باسمة   للطير يصدح غِرِّيداً على الشجر
كالشاعر الطفل يمشى فى خميلته   وينشد الفجر حوّاماً على الغُدُر
قومى نكنْ مثل هذا الطير يجمعنا   حوض من الماء أو روض من الزهر
فلا نحاذرُ من وحش الفلا بشراً   ولا ينغصنا وحشٌ من البشر

الحومانى

اسلمى ...!

للأديب محمود السيد شعبان

اسلَمِى يا نبْعَ أشوا   ق ويا دُنيا خُلودِى !
وابسِمى تفصحْ لىَ الأيا (م)   مُ عن سرّ وُجودى
مُهجتى تدْعوكِ ... ياذا   نى إلى وَكركِ عودى !
إنَّ فى كفَّيْكِ أحلا   مى فصونى لى عهودى

* * *

وتعالىْ !.. قبَلُ الحب (م)   تنـــادى شفتَيْنا !
وسَمِيرُ الشّوق فى الأجـ   ـساد يدعوها إلينا !
إنْ نعِشْ للحبّ ياصفـ   ـوِى فلا لومَ علينا
إنه الكوْنُ الذى منـ   ـه إلى الدنيا أتيْنا !

* * *

وتعالىْ ! ... لا يُروّعْـ   ـكِ شقائى يا فتاتى !
فالهوى والطُّهْرُ والإيـ   ـمانُ نبْعٌ فى حياتى
أو خذينى أنسَ فى دُنْـ   ـياكِ دُنيا زَفَراتى !
ونَعِشْ للحبّ والألـ   ـحانِ فى ظِلّكِ ذاتى !

* * *

إننى فى عالَمِ الحرْ   مانِ قد عِشتُ شقيّا !
فاخلُقِى فى باطنى كوْ   ناً من الحبّ شهيّا
واسكبِى الأشواقَ والألـ   ـحانَ فى نفسى لأحيا !
قبلما تذْوِى مُنى نفـ   ـسى وتقضى فى يدَيّا !

* * *

يا نشيدى !... ليتنى كنـ   ـتُ لدُنياكِ نشيدا
أنا منْ ذِكركِ فى أنـ   ـس وإن عشتُ وحيدا ..
لستُ أنساكِ ... ففى ظلا   لكِ قد كنت سعيدا !
ونظَمْتُ الكوْنَ منْ   أعماقِ أنغامى قصيدا !

(القاهرة)   محمود السيد شعبان

وحى صـــورة

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

ذكّرتنى ذلك الماضى السعيد   شعٌ فى جنانِه نور الأمانى
والهوى فى مهدِهِ طِفلٌ وليدٌ   هامَ فى دنيا حنانٍ من جنانى
ما رأى القسْوة أو ذل القيود   لا . ولو عَقَّ جَنانى وعصانى
كلما شبٌ مما فيه الجمود   وإذا بى منه فى قيد الهوان

***

ذكرتنى ذلك الروضَ النضيرْ   والذى أوحاه من شتى المعانى
وابتسامَ الزهر من حول الغدير   وطيور الأيك تشدو بالأغانى
كل شىء كان من صفوٍ ونور   يغمُر القلب بنُعمى وحَنان
لم يعد للعين ، والقلب الكسير   غير ذكرى من لظاها كم أعانى
ذكرتنى الأمسَ ـ والدنيا نعم   وصفاء شامل ـ حلو المجانى
قد حسونا الحب واللقيا نديم   والهوى نشوان فى نعمى التدانى
فى ليالٍ كنّ فى ظل الكروم   كم بعثن السحر فى تلك المغانى
ذكريات تشعل الهم الأليم   كلما تخطر من آنٍ لآن

***

ذكرتنى ليلةَ النيل الوديعْ   حيث غنّى لهوانا الشاطئان
وبنا الزورقُ يسرى فى خشوع   فوق موج ناعس الأجفان هان
بت أرعى ذلك الحسن البديع   يتجلى فى افتتان وافتنان
طابت الأيام والعمرُ ربيع   هل يعود اليوم لى بعض الأمانى

(اسكندرية)   مصطفى على عبد الرحمن

أباريق الجمال ...

[إلى التاسع أردية الجمال من أضواء قلبه ، إلى الزيات ...]

للأديب أحمد عبد الرحمن عيسى

الأباريق حفْلٌ فابتهلها   وكن اليوم أول الشاربينا
إنما أنت فى الحياة هباء   فلماذا تكون عبداً رهينا ... ؟
أرقص الناى صاحبى أو فدعه   يتحطم على التراب مهينا !
سوف يمضى ـ وإن تلبث حينا ـ   إن طروباً محبباً أو حزينا !
سوف يمضى كما مضى النفَس العا   بر فى روضة من الياسمينا
وستمضى ... وما إخالك إلا   ومضة ألمت من الدهر حينا
والسعادات فى الأشعة غرق   قد حباها الزمان عرضاً مصونا
هى بكر فكيف تحسب أنى   قد تفيأت ظلها المجنونا !
وهى حِرمٌ على المفاة فمالى   خلف هذا السراب أعدو سنينا
الأباريق حفـــل فدعينا   نتزود من الجمال دعينا
إنما نحن مهجة تتشاجى   ونداء يرف حتى يبينا !
بِدَع الحسن صيرتنا شعاعاً   كابىَ اللون يستدر العيونا

(كلية اللغة)   أحمد عبد الرحمن عيسى

التأمين

كان أحد موظفي شركات التأمين مسافرا في إحدى مناطق الولايات المتحدة الزراعية وكان رأيه أنهم يقولون أكثر من اللازم « ليس عندى وقت » ففكر حينئذ فى وسيلة ممتازة للجواب على هذه الحجة فاستأجر عاملا زراعيا يعرف كيف يقوم بشق الأعمال ثم اصطحبه وراح يعمل كالفلاح بكل معانى الكلمة فاذا كانت الفرصة المناسبة للحلب أو البذر أو الدرس فلا داعى للقلق إذ أن خادمه كان يعمل كل مايلزم لتامين الخدمة وفى هذا الأثناء كان العميل الفطن يستطيع أن يقنع المزارع بمزايا التامين .

ووجد فعلا شركات تامين متنوعة تؤدي منافع كبرى من ضمنها مثلا التامين ضد عواقب المرض المالية فان هذا النوع من التامين أصبح معروفا منذ زمن بعيد في معظم بلدان أوروبا وهو ينتشر الآن بسرعة فى أمريكا باعتبار التأمين المتبادل ضد المرض لكن هناك أيضا مناطق واسعة وكثيرة حيث تنتشر الأمراض المديدة وحيث نسمع رغم ذلك أحداً يتكلم عن إحدى الضمانات ضد هذا الخطر فهذا شىء لم يزل مجهولا تماما فى بلدان المناطق الحارة مع أنه لدى سكان تلك المناطق وسيلة لتامين أنفسهم ضد أمراض توجد غالبا هناك .

ونحن نقصد الملاريا التى هى بلية البشرية وهي تميت كل سنة ملايين الضحايا وتسبب أيضا خسائر كبرى من الجهة الاقتصادية لكن بالامكان الآن الوقاية من الملاريا ببعض دريهمات فى اليوم إذا اتبع الانسان النصائح التى تعطيها لجنة الملاريا فى جمعية الأمم فهذه اللجنة قد تحققت من أنه بالامكان التحصن ضد الملاريا بأخذ ٤٠٠ ملليجرام من الكينا يوميا طول موسم الحيات ضد الملاريا . وإذا كان الانسان قد أصيب بالمرض فان هذا العلاج الممتاز يظهر مفعوله بسرعة ويكفى أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا كل يوم لمدة خمسة أو سبعة أيام ولا داعى فى هذه الحالة لعمل معالجة تكميلية على أنه من الضرورى التأمين ضد الملاريا باستعمال الكينا كعلاج واق .



دراسات فى الفن

الفن فى حياتنا الاجتماعية

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

شاءت وزارة الشئون الاجتماعية أن تتعرض للفن فأنشأت فى نفسها إدارة للدعاية خصتها بأمور ستة : الأول نشر المبادئ الاجتماعية القويمة، والثانى الإشراف على برامج الإذاعة وترقيتها، والثالث تدعيم المسرح القومى والعمل على جعله وسيلة فعالة لتثقيف الشعب وإصلاحه ، والرابع مراقبة الروايات والأفلام السينمائية والأغانى الشعبية ، والخامس الإشراف على تنظيم المهرجانات والأعياد القومية والموالد بما يحقق استفادة الجماهير منها من الوجهتين الاجتماعية والاقتصادية ، والسادس تنفيذ القوانين واللوائح الخاصة بمحال دور التسلية ... وهذه الأمور الستة شديدة الصلة بالفن، وهذا ما يدعونى إلى إنعام النظر فيها محاولاً أن أجد الطريق العملى إلى تحقيقها

والمسألة فيما يخيل إلى دائرة ... ذلك أننا نعرف أن الفن هو ثمرة الحياة الاجتماعية ، فكما تكون الأمة يكون فنها ، وأمتنا كما هو ملحوظ فى حاجة إلى إصلاح اجتماعى ، فإذا حاولنا أن نصلحها بفنها لم نفعل شيئاً ، لأن فنها منها وما هو منها لا يمكن أن يصلحها . إنما هناك رجال سبقوا عصرهم وهؤلاء وحدهم هم الذين يستطيعون أن يؤثروا فى مواطنيهم لو أن فرصة العمل أتيحت لهم ، وفرصة العمل لا تتاح لهؤلاء عادة فى سهولة لأن مواطنيهم متأخرون عنهم فهم لا يتذوقونهم كما يتذوقون غيرهم من الفنانين والمفكرين الغارقين فى هذا العصر الضال ، فأول ما يجب علينا إذن هو البحث عن هؤلاء الرجال ، وإلقاء مقاليد الإصلاح بين أيديهم ...

ونحن إذا استرجعنا هذه الأهداف الستة التى تريد وزارة الشئون الاجتماعية أن تصل إليها وفكرنا فيمن يصلح لقيادة الشعب لها ... رأينا الهدف الأول هو نشر المبادئ الاجتماعية القويمة، ولعل هذا يتم بإنشاء مجلس أعلى للشئون الاجتماعية يضم كل من عرفت مصر أنهم يهتمون بشئونها الاجتماعية اهتماماً حقيقياً لا اهتماماً زائفاً ، ويكون على رأس هؤلاء جميعاً صاحب السعادة عبد العزيز فهمى باشا ... فهو الزعيم المصرى الذى آمن بحق الوطن حينما لم يكن يؤمن به إلا نفر قليل جداً من أبناء الوطن ، وهو الذى سبق كل الزعماء فى تقدير القسط الصالح من سيادة الشعب وقتما كان كل الزعماء يريدون للشعب سلطة فضفاضة وهو لم يزل طفلاً ناشئاً ... وهو الرجل الذى لو أراد أن يعيش متنقلاً بين الكونتنتال ومينا هاوس وسان استفانو لفعل، ولكنه على الرغم من جهل الجماهير لفضله يفضل دائماً أن يقترب من الجماهير ، ويختار جمهوره الأقرب إليه فهو يلزم « كفر المصيلحة » قريته التى نبت فيها والتى وهبها كل الفراغ من وقته ، والتى ظل فيها يكافح الجهل حتى محا منها الأمية محواً ، ويكافح الفقر حتى لم يعد من أبنائها متعطل ولا متسكع ، ويكافح المرض حتى أصبح أكثر أهلها من هواة الألعاب الرياضية وهم يقيمون فيها المسابقات ... هذا الرجل وغيره من رؤوس الريف العاملين المجربين هم الذين يعرفون ما هى السبيل إلى نشر المبادئ الاجتماعية القويمة، وليشترك معه الكتاب والمفكرون والمجاهدون الذين لهم ماض بين الفقر والجهل والمرض ... أولئك الذين خالطوا الناس وعرفوا أوجاعهم ، والذين أهينوا وعذبوا وسجنوا وجاعوا وتألموا ... أبناء الشعب ، ونبت الطين المصرى ... من يهمهم إصلاح الحياة فى مصر لتصلح حياتهم هم أنفسهم ، ولترتاح ضمائرهم ... أما الإذاعة فتنقسم إلى قسمين : أولها قسم الأغانى والموسيقى ، وثانيهما قسم الأحاديث والمحاضرات والتمثيل . وقسم

الأغانى والموسيقى لا يمكن أن يرقى إلا إذا أشرف عليه رجل موسيقى ، وهو اليوم ملقى بين يدى مصطفى بك رضا الموظف بوزارة الأوقاف ، وهو رجل من أبناء الذوات تعلم العزف على القانون كما يتعلم أبناء الذوات وبنات الذوات العزف على البيانو، فهو عندهم وعندهن زينة وأبهة ... هذا الرجل يجب أن يبعد عن محطة الإذاعة وعن المعهد الملكى للموسيقى العربية ليحل محله واحد ممن كافحوا الحياة فى سبيل الفن، وممن بذلوا للفن حياتهم ؛ وأنا، ومن يعرفون لا يشكون فى أن مثل زكريا أحمد هو أول هؤلاء. فقد كان مقرئاً للقرآن كما كان من منشدى القصائد ومرتلى مولد النبى ، ثم إنه من ملحنى التخت له أدوار وطقاطيق وموشحات لا يحصى عددها وهو بعد ذلك من ملحنى المسرح والسينما أيضاً ... وليس فى مصر من جمع هذه المميزات على نجاح مشهود وتفوق ظاهر غير زكريا ، فكيف يبعد رجل كهذا عن الإشراف على ترقية الأغانى والموسيقى فى مصر ؟

ويجىء بعد ذلك قسم الأحاديث والخطابة والروايات ، ولا بد أن يكون المشرف على هذا القسم ممن سبق لهم أن تحدثوا إلى الشعب وأن عرفوا ما هى الأحاديث التى تؤثر فيه وتخلبه ، وكيف يمكن أن يقاد وكيف يمكن أن يُهدى

أما تدعيم المسرح فلا يمكن أن يكون إلا بتحريره ، وتحريره لا يمكن أن يكون إلا بتشجيعه ، وتشجيعه لا يمكن أن يكون إلا بالمال يوزع على الفرق الأهلية ، فيكون للريحانى نصيب ، ويكون ليوسف وهبي نصيب ، ولفاطمة رشدى نصيب ... وقد تستجد فرق أخرى تنافس هذه ، ولا ريب أن الروح ستدب من جديد إلى المسرح المصرى الذى قتل حين أظله « الميرى » بظله ... إن الفرقة القومية تشبه جريدة الوقائع الرسمية والمجمع الملكى للغة العربية ... فكم من الناس يكترثون لهذه الجريدة وهذا المجمع ؟ وما مدى تأثير كل منهما فى الحياة المصرية ؟ وبم يشعر الناس لو أنهما ألغيا ؟ هل يحس أحد بأن الحياة المصرية قد نقصت شيئاً ؟

وأما مراقبة الأفلام والروايات السينمائية فلا بد لها من خطة خاصة أيضاً ... لا بد أن يعهد بالإشراف عليها إلى هيئة لا إلى فرد فهى تؤثر فى الجمهور من عدة نواح مختلفة ، وهى شديدة الخطر على النشء ، فإذا لم تكن خاضعة لرقابة صالحة يقوم بها نفر ممن يغارون على وطنهم وأهلهم فإنها من غير شك ستجرف مصر إلى هاوية ليس لنا قبل بالتردى فيها ... هذا إلى ما يكون فى روايات السينما أحياناً من مظاهر التعصب الغربى ضد الشرق عامة ، وضد العرب خاصة ... والروايات التى تنحو هذا النحو يقبلها الغرب لأنها ترضى كبرياءه ولأنها تنم عن ألوان من الكفاح اصطنعها الغرب ضد الشرق وانتصر فيها ... ولكن هذه الروايات نفسها لا يصح أن تعرض فى بلد شرقى لأن عرضها فيه إهانة له ولأنها تربى الصغار على كراهية الشرق وعبادة الغرب بينما هم شرقيون

لا بد لنا من عالم نفساني اجتماعى يشاهد هذه الأفلام قبل عرضها ليحكم عليها وليقرر أنها تقربنا من المثل العليا التى نحب أن نحققها فيبيح عرضها أو أنها تحيد بنا إلى مثل سفلى لا يصح أن نتدلى إليها فيمنع عرضها ، ولا بد إلى جانب هذا من رجل غيور على التقاليد والنظم الشرقية غيرة صحيحة ، ولا بد إلى جانب هذا وذاك من مرب يعرف مدى ما تؤثر هذه الروايات فى نفوس الصغار ، وفى صغار النفوس

وتجىء أخيراً المهرجانات والأعياد والموالد ، وهذه هى معضلة المعضلات . . . فكم من أمة حكمت مصر ، وكم من حضارة ألمت بها ، وكم من دين غزاها ، وكم أريد بها أن تكون على هوى من أراد فلم تكن إلا ما أرادت بها طبيعتها فنفضت عن نفسها كل ما حاول الجبابرة أن يصبغوها به من ألوان الحياة ، ولم تستبق من هذه الأصباغ إلا صبغتين اثنتين هما صبغة الفراعنة وصبغة الفاطميين . أما الفراعنة فلا يزال فى مصر من مخلفاتهم هذه الآثار القائمة من الصخر والحجر ، وهذه اللغة التى يتكلم بها بعض أهل النوبة ، وهذا التقويم الذى يؤقت به المصريون الزراعة ، وهذه العواطف التى لا تزال تختلج فى نفوس المصريين اليوم بالمنطق نفسه الذى كانت تختلج به فى نفوس المصريين من أقدم العصور والتى نحب بها ما كان يحبه أجدادنا ونكره بها ما كانوا يكرهون ، فنحن لا نزال نحب النيل ونحتفل بفيضانه كما كانوا يفعلون ، ونحن لا نزال نحب الجاموس الذى يساعدنا فى فلاحة الأرض كما عبدوا العجل أبيس ، ونحن لا نزال نكره الهجرة من بلادنا مهما قست علينا الحياة فيها كما كانوا يكرهون هم الهجرة من بلادهم مع أننا اليوم مسلمون ، ومع أن الإسلام يمقت الذين يتشبثون بأرض يستضعفون فيها . وفينا كذلك من تفكيرهم

هذه القدرة العجيبة على الاستعاضة بالخيال عن الحقيقة والأمر الواقع ، ولعلنا الشعب الوحيد الذى يرضى اليوم أن تلاقيه ولا تنديه ، كما أن فينا من أخلاقهم « فرعنة » تجرى فى عروقنا مع الدم ، فالواحد منا إما فرعون يتفرعن على من هو دونه ، وإما عبد لكل فرعون ممن هم فوقه رؤساء وحكاماً .

وأما الفاطميون فلا تزال مصر تحتفظ بكل ما أقاموه فيها من دعائم حكمهم ، فهذه الأضرحة التى تملأ القاهرة وغيرها من مدن مصر وقراها ، وهذه الموالد التى لا يزال المصريون يجرون وراءها من القاهرة إلى دسوق إلى طنطا إلى دمنهور ، وهذه الخرافات العجيبة المتأصلة فى أذهان الناس والتى تخالط عقائدهم من دينية ودنيوية والتى يستقونها من القصص الفاطمي المتفشى بينهم ، ومن الكتب المدسوسة عليهم باسم الإسلام والإسلام منها برىء . وهذا التشاغل عن الحياة ، وهذه القناعة بخيرات الأرض إذا جادت الأرض بالخيرات . . . هـذا وذاك باقيان فى الحياة المصرية إلى اليوم من أثر الفراعنة ومن أثر الفاطميين ، حتى الدين تأثر بالفراعنة والفاطميين ، فالإسلام الذى فى نفوس العامة من المصريين إسلام فاطمى ، والمسيحية التى فى نفوس العامة منهم مسيحية فرعونية .. فالمسلمون من المصريين يفكرون فى أهل البيت أكثر مما يفكرون فى الله ، ويستنجدون بالحسين والسيدة زينب أكثر مما يستنجدون بالله الواحد الأحد خالق الحسين والسيدة زينب وجدهما عليه الصلاة والسلام ، وهم يقرؤون قصص السيد البدوى ومناقبه وأحاديث أكلاته ومواقعه أكثر مما يقرؤون القرآن وتاريخ النبى . والمسيحيون المصريون فرعنوا مسيحيتهم هم أيضاً؛ فهم يسمون أنفسهم بأسماء فرعونية مع أن الفرعونية وثنية فى رأى المسيحية ، ثم إنهم لايزالون يتفننون فى الحزن على موتاهم تفنناً عجيباً لم يكن يحسنه فى الشعوب الغابرة أحد إلا قدماء المصريين ، ويحسنونه هم اليوم ، مع أن المسيحية إيمان مطلق بإرادة الله ورضا مطلق بمشيئته ... فلماذا انطبعت الحياة المصرية بهذين الطابعين وحدهما ... ؟ ولماذا استطاع هذان الطابعان أن يغالبا الزمن فى مصر وأن يبقيا فيها على مر العصور دون غيرهما مما كان يصح أن يؤثر فى الحياة المصرية وأن يطبعها بطابعه . لا بد أن فى الأمر سراً . والسر هو أن الفراعنة والفاطميين أنشأوا دولتيهم على أساس من الدعاية والفن ، وقد راعوا فى فنونهم أن توافق الروح المصرية ، وقد عرفوا أن مصر أرض زراعية ، وأن هذه الأرض الزراعية تستذل أهلها بخيراتها ، وأنه إذا توفر الخير لأهلها طابت لهم الحياة فيها فلم يعودوا يفكرون فى شىء إلا اللهو ، فشغلوهم بأنواع من اللهو ، كما شغلوهم بأنواع من الاسترقاق خيلوا إليهم أنها أصل خيرهم ، فحملوهم على عبادة النيل ، وعبادة الحكام ، وعبادة العجول ، وأولياء الله الصالحين واختلقوا لهم ألواناً من البطولة هى ألوان الأكل والشرب . . .

ولم يكن الفراعنة مجانين ولا كان الفرعون منهم يصدق أنه إله لأنه كان يعرف أنه ضعيف ، ولم يكن الخليفة الفاطمى سخيفاً ولم يكن يصدق أن السيد البدوى يأكل بقرة وكبشاً ومائة دجاجة وألف عصفور . . . وإنما كانت هذه هى السياسة التى قام عليها حكم الفراعنة وحكم الفاطميين ... ونحن اليوم نجتاز ظرفاً جديداً من ظروف الحياة ثبت فيه أن الزراعة لم تعد تصلح أن تكون أساساً لحياة راقية فى أمة ناهضة ، وثبت فيه أن العلم والحرية أساسان للرقى والنهوض ، لذلك يجب أن تتبدل هذه الأسس التى خلفها الفراعنة والتى تبنتها الفاطميون ، وليس يستطيع هذا إلا فنانون مبتدعون يخلقون للمصريين المثل العليا للبطولة الجديدة ، يستقونها من الإسلام الصحيح ، ومن تاريخ النبى وعمر وصلاح الدين وأولئك الأبطال المسلمين ... وليس يتأتى هذا إلا لفنانين عاشوا فى الريف وعاشوا فى المدن ، وخالطوا البيئة الزراعية والبيئة الصناعية ، وتمكنوا من الحياة المصرية الناعسة وتحرقوا شوقاً لحياة مصرية جديدة صاخبة حية . . . تنهض على أساس مصرى إسلامى لا على أساس مترجم أو مسروق ... لا بد أن تعطل موالد الأكالين والدجالين وأن تحيا موالد الأبطال الحقيقيين . .

لا بد من رجعة إلى النور ... بلسان المصريين ... وأقدر الفنانين على هذا هم : بيرم التونسى وعبد السلام شهاب وبديع خيرى .. على أن يعاونهم مؤرخون

أما تنفيذ اللوائح فمن شأن رجال القانون .

عزيز أحمد فهمى



لحظات الالهام
فى تاريخ العلم

بقلم مريون فلورنس لانسنغ

الريح والتيار

مضت مئات كثيرة من السنين قبل أن يحدث الحادث التالى العظيم : حدث عند ما صار للانسان قدرة حقيقية على الاختراع أن رجلاً امتاز عن معاصريه امتيازاً عظيماً فى رجحان العقل وحدة الذكاء قد لاحظ سرعة التيار فى مجرى الماء وهو يكتسح كل شيء فى سبيله، فوضع به عجلة بحيث يمكن أن تديرها قوة الماء، ثم جعل حول هذه العجلة ما يشبه الزعانف لتكون كجاذيف السفينة فى تلقيها ضغط الماء

لما استطاع الإنسان أن يجعل قوة الماء الجارى تدير له العجلة واستطاع أن يربط هذه العجلة من مركزها بتدبير خاص يمكنه من رفع الماء بواسطة الدلاء — لما استطاع الإنسان ذلك انتصر انتصاراً استحق أن تحييه من أجله الأجيال لأنه بذلك قد تمكن من صنع آلة تدور من نفسها وتخطى الدور الذى يمكن فيه استخدام الآلة التى يجب أن يزودها بقوة الدفع من عنده، كما تجاوز أيضاً نظرية الروافع التى تحتاج فى تطبيقها إلى جزء من قوته يضاف إليه القوة التى مصدرها قانون الآلة. أما فيما يتعلق بالقوة التى يديرها الماء فإنه قد اخترع منها آلة يديرها الماء نفسه لرفع الماء ويقتصر جهد الإنسان فيها على الوقوف بجانبها ومراقبتها

من تلك اللحظة بدأ عهد الآلات التى تدور من تلقاء نفسها، ومن تلك اللحظة رفع الإنسان نفسه عن مستوى الكادح الذى تتوقف نتائج عمله على مقدار جهده أو جهد ما شيته، وأضاف إلى جهد الإنسان أو الحيوان عنصراً طبيعياً هو قوة ضغط الماء

فى ذلك اليوم المجيد بدأ الإنسان يتحرر من رق العمل، وبدأ يسلك طريقاً طويلاً يستعين فيه بجهده الذهنى بدلاً من الجهد العضلى

الهواء ضد الماء

منذ خمسمائة عام كان يقيم فى قرية السكاد، وهى قرية صغيرة فى شمال هولاندا ، رجل اسمه فلورنت السكاد وهو غنى من أهل تلك المدينة يشتغل بالحدادة فضلاً عن كونه مزارعاً موسراً يملك أرضاً واسعة

ولم تكن الزراعة من الأعمال السهلة فى ذلك العهد بهولاندا وما جاورها من الأراضى المنخفضة ولم تكن الحياة فيها سهلة هناك منذ العهد الذى نزل فيه السكسونيون والهمج من الفريزيان إلى تلك الأراضى ذات المستنقعات التى أطلقوا عليها اسم الأراضى المنخفضة ، وأرادوا أن يتخذوا منها وطناً

وربما كانت القوة والعزيمة اللتان امتاز بهما أهل هذه البلاد فى تاريخهم كله — ربما كانت هذه القوة وليدة اضطرارهم للمحاربة الدائمة ضد الريح وضد الماء اللذين تتوقف على محاربتهما حياة هذه البلدة الصغيرة . وما كان فى وسع شعب غير جرىء وغير مثابر أن يستولى على أرض رملية أنهارها دائمة الفيضان وبحرها دائم الطغيان فيجعل ذلك الشعب منها بلاداً زراعية خصبة

ويعلم كل إنسان قصة المرافئ الهولاندية وهى تلك الحواجز المتينة المصنوعة من الأحجار والتى مهمتها منع البحر من الطغيان على الأرض التى ينخفض جزء كبير من شاطئها عن مستواه

بنى الكبريون والفريزان هذه المرافئ حين عسكروا على أكثر أجزائها ارتفاعاً وقاية لأنفسهم من الماء . وزاد أهل الأجيال التالية من تلك الحواجز إلى أن جاء عهد فلورنت السكاد فأصبحت الأنهار والبحر تحت نوع من الرقابة يمكن للمقيم بالبلاد من الاطمئنان على السلامة والراحة عند الشاطئ المحصن

ولكن بينا البحر محصور كانت الأنهار لا تزال تفيض على

الشاطئين فتحدث خطًّا طويلاً من مستنقعات دائمة، فبدلاً من أن يكون على الشاطئين مزارع خضراء وحقول خصبة تنبت الحب كان حولهما مستنقعات واسعة كثيرة السبخ. وكما كانت مصر فى عهد الفراعنة تشكو من قلة الماء، فكذلك كانت هولاندا فى بداية تاريخها تشكو ولكن من كثرة ما يغمرها من الماء

ولم يكن فلورنت الكماد دائم الإقامة فى قريته الصغيرة فقد كان يسافر من أجل عمله ولا تقتصر رحلاته على زيارة المدن الهولاندية الأخرى بل كان يزور باريس وما دونها من المدن جنوباً فى الأقاليم الزراعية الغنية التى تمتد وسط أوربا. رأى ثراء تلك البلاد وفكر فى أطيانه ذات المستنقعات التى يمكن أن تصير خصبة أيضاً لو أنه جفف ما فيها من الماء

وكان قد سمع فى باريس من سائح أنه قد ظهر اختراع حديث فى بوهيميا حيث أنشأ رجل عجلة تدار بواسطة الهواء وتستخدم فى امتصاص المياه من الآبار. وكان الكماد ميكانيكياً عملياً فعرف كيف يمكن امتصاص الماء فوق الأرض. وكان يستعمل فى ضيعته مصاصات للماء غير متقنة الصنع تكلف عناء كبيراً فى العمل ولا تمتص إلا القليل من الماء، لأن المصاصات التى تستعمل باليد لتفريغ مستنقعات طاغية مما يسيل من مجرى النهر لا تكاد تفضل فى عملها بعض ألاعيب الصبيان. ولم يكن فى هولاندا فى القرن الخامس عشر جيش من الرقيق يستخدم فى مستنقعاتها الواسعة ليلاً ونهاراً ليحارب طغيان الماء

ولو أن رجلاً آخر كان فى مكان الكماد لجاز أن يسخر بفكرة استخدام الريح لهذه الغاية، ولكنه كان هولاندياً يألف ما يألفه المتصلة حياتهم بالسفن وبالمياه، وقد عرف فى طفولته كيف ينزع شراع سفينة ويقيمه فى مستنقع فى الأرض ليساعد بواسطة الريح على كسح الماء. وكان ملاحاً فهو يعرف حق المعرفة قوة الريح. ولكن الفكرة التى كانت جديدة هى أن تدير الريح عجلة وأن تدير هذه العجلة مصاصة

ولو أن رجلاً آخر فى موضع هذا الرجل وكان أقل ذكاء لرأى الفكرة مستحيلة. ولو أن الأمر الذى يعنيه كان أقل أهمية لرأى أسهل الأمرين أن يستمر امتصاص الماء بواسطة العمل اليدوى القديم أو بإدارة ساقية يجرها حيوان. لكن بالنسبة لهذا الرجل فإنه لا الإنسان ولا الحيوان يقوى على مص الماء من أطيانه الواسعة، وهو يعتقد أنها لو صُفّيت من الماء لصار فى وسعه أن يجعل كل جزء منها فى مثل خصوبة المزارع الفرنسية

ولما عاد الكماد من باريس إلى وطنه لم يقل شيئاً عن هذه الآلة الجديدة التى سمع عنها لأنه عرف أن جيرانه الهادئين المجردين من الخيال سيسخرون من الهواء الذى يمتص الماء، ولكنه عكف على صنع ألعوبة تمثل عجلة فوقها أكثر من شراع، وذلك لكى يجرب بها الاختراع

وقد أمضى زمناً ليس بالقليل فى وضع كل شراع بالزاوية التى تناسبه، ولكنه أخيراً صنع طاحوناً تدور من نفسها كأنما تلقت سر الحركة الدائمة



طاحونة الهواء الهولاندية

وعند ذلك استدعى بعض جيرانه فأطلعهم عليها وقد أعجبوا بذكائه فى صنع اللعبة، ولكنهم ضحكوا من استحالة القيام بعمل جدى بواسطتها وقالوا: «هل يدل هذا على مقدار الأذى الذى تلحقه الأسفار بالإنسان، فإن فلورنت كان مزارعاً صالحاً وعاملاً منتجاً وحداداً جاهداً قبل أن يعتاد السياحة فى البلدان، وهو الآن يظن أنه يعرف أكثر مما كان آباؤه يعرفون وهو يضيع وقته فى صنع الألاعيب، وما أغرب تخيله فى أن تمتص الرياح الماء! من الذى سمع من قبل بأمر مثل هذا؟

لكنه على الرغم من أنه لم يكن فى هولاندا من سمع شيئاً من هذا، فإن الكماد ظل يعمل لينشئ طاحونة. وبعد أن أجرى التجربة فى الألعوبة شيد طاحونة كبيرة ذات أربعة شرع بدلاً من العجلة. وجعل هذه الشرع ذات دولاب واحد لكى تظل الريح تديرها، وذلك لأنه إذا كانت حركتها مستمرة كان من السهل أن تركب عليها عجلات أصغر منها تجعل حركة المصاصات مستمرة كذلك

أنشأ طاحونته الفخمة ولكنها كانت لا تدور إلا إذا هبت الريح

من اتجاه معين . وكذلك ظلت كما ظل من بعدها كل الطواحين الهولاندية مدداً طويلة تعمل عند ما تهب الريح شمالية شرقية

فلما تحركت وامتصت الماء استدعى جيرانه وأراهم نجاحها وقد يكون الهولاندى بطيئاً فى تصرفه وقد يكون من الصعب إقناعه ، ولكنه متى رأى عملاً صالحاً فهو يحسن تقديره، فهؤلاء المزارعون الهولانديون ذوو الصلابة قد قضوا العمر فى محاربة عنصرين من عناصر الطبيعة : الماء والريح . وما كادوا ينشئون تلك المرافئ الرملية لتحميهم من الأمواج حتى هبت الرياح فأزالت أعالى هذه المرافئ وأعادت الماء إلى الطغيان

لما رأى هؤلاء المزارعون عدويهم القديمين وقد سُخِّر أحدهما لمحاربة الآخر ضحكوا وصفقوا وأثنوا على ذكاء فلورنت

وقبل أن يموت فلورنت كان نجاحه غير مقتصر على أن أصبحت الطواحين منتشرة فى كل مزارعه لتجفيف المستنقعات لتصبح الأرض قابلة للزراعة فى مواسمها ؛ بل إن جيرانه قد أصبحوا يحاكونه ، فكانت الشراعات تدور مع النسيم لمثل هذه الغاية . وكان الناس يأتون من أطراف هولاندا ليشاهدوا هذه الطواحين

وكانت أول طاحونة ناجحة أنشأها الكماد هى التى أنشئت فى سنة ١٤٠٨ وقبل عام ١٥٠٠ كانت هولاندا قد غصت بالطواحين الهوائية التى جعلت هذه البلاد فى ظرف أربعمائة عام شهيرة بمناظرها الزراعية . وتحولت أراضى المستنقعات إلى مزارع خصبة، وأثرى الناس ، وأدرك الإنسان فوزاً جديداً هو تسخير قوة من قوى الطبيعة ضد قوة أخرى فى صنع آلاته . ونجح الهولانديون بمحالفتهم الهواء ضد الماء فانتصروا على الطبيعة

وكانت الخطوة التالية هى التى انتصر فيها الإنسان على النار فاستخدمها لإدارة العجل بواسطة البخار . وقد استطاع الإنسان ذلك بعد مائتى عام . وتتم قصة العجلة بتمام القدرة على تحويل الوقود إلى قوة تحرك الآلات

(يتبع) ع . ا

من هنا ومن هناك

الجيش في تقليد السياسة الألمانية

[عن « ذى ايفننج استاندر »]

للسياسة الألمانية طرائق وأساليب قلّ أن يعتريها التغيير وإن تغير الجيل واختلفت العصور . وقد مر سبعون عاماً منذ اعتزم بسمارك محاربة فرنسا ، مدفوعاً بفكرة ضم الولايات الألمانية المتحالفة التي حازتها ألمانيا ، نتيجة لحروبها السابقة التي وضع خطتها بعناية وإتقان . وكان بسمارك يطمع في تقوية مركز بروسيا بالسيطرة على هذه الولايات. فأشعل نيران الحرب في أوربا من أجل هذه الأسباب التي تتعلق بسياسة ألمانيا الداخلية

وقد كتب الكثيرون في موقفه هذا والطريق التي سلكها لتحقيق بغيته ، ولكن تلك القصة العجيبة ما زالت قابلة لأن تعاد . كانت اسبانيا تقطع مرحلة من مراحل السلام والهدوء فأظهرت حاجتها إلى حاكم عادل يسوس أمورها . فعرضت عرشها على أمير من أسرة « هوهنزلرن » . ومن الجلي أن الفرنسيين لا يرحبون بفكرة مثل هذه الفكرة ولا يسمحون بتحقيقها ، إذ أنها تبيح لأسرة واحدة أن تحكم على الرين والبرانس

فلاقى بسمارك صعوبة في تحقيق مطلبه — لا من ناحية الفرنسيين الذين لم يكن يعبأ بهم — ولكن من ناحية « سيك » ملك بروسيا الذي يقول عنه في مذكراته : « لقد كان رجلاً في الثالثة والسبعين من عمره محباً للسلام ، فلم يشأ أن يخاطر بأكاليل النصر التي نالها في حرب عام ١٨٦٦ . ويشير بسمارك هنا إلى الفوز الذي أحرزته بروسيا على أوستريا عام ١٨٦٦ في حرب قصيرة المدى

فلما رأى الملك المعمر أن حرباً أوربية توشك أن تقع من جراء قبول أحد أقربائه عرش أسبانيا ، اعتزم أن يمنعه . فما كاد يصل احتجاج فرنسا إلى يده حتى استدعى « البرنس ليوبولد أوف هوهنزلرن » وما زال به حتى رفض ما عرض عليه. ورأى بسمارك أن الأمر قد انتهى عند هذا الحد ، وأنه لا يجد أمامه ما يحارب من أجله فانتهز فرصة غياب الملك للاستشفاء بمياه أحد الأنهار وأخذ يدبر الحيل لإثارة الحرب . وبينما هو والكونت مولتكي وفون ردن القائدان الألمانيان يتناولان العشاء ويتباحثان في شئون الحرب ، إذ وردت برقية من سفير فرنسا يطلب على لسان حكومته بعض تأكيدات في موضوع عرش أسبانيا ، فرأى بسمارك أن الفرصة سانحة للتدبير لبغيته ، فأدخل بضع كلمات على برقية السفير الفرنسي ، ثم التفت ذات اليمين وذات اليسار إلى القائدين الألمانيين متسائلاً عن مبلغ استعدادهما للحرب فأجاباه بما يؤيد رغبته. فلما اطلع المليك على الرسالة الفرنسية اعتبر ما فيها حاطاً للكرامة، ورفضها رفضاً باتاً. ثم أمر أن يمنع سفير فرنسا من المثول في حضرته . وقد كان بسمارك قد أعد اللازم لظهور هذه الرسالة في الصحف الألمانية في اليوم التالي ، ومن ثم أعلنت الحرب بين فرنسا وبروسيا . إنها لصورة خبيثة بالغة حد البشاعة تلك الصورة التي ظهر بها هؤلاء الشيوخ الثلاثة وهم يتجرعون كئوس الخمر ويهنئ بعضهم بعضاً لنجاحهم في إشعال الحرب بين هاتين الأمتين العظيمتين

ليس من الصعب علينا بعد هذا أن نتصور موقفاً مشابهاً لهذا الموقف فيما حدث في أوربا منذ أسابيع ، إذ قامت تلك العصابة المتعطشة إلى سفك الدماء بوضع شروطها الستة عشر التي بنت عليها إنذارها النهائي لبولندا بحيث لم تطلع عليها بولندا نفسها أو الحلفاء إلا بعد فوات الوقت اللازم للرد عليها

ففوجئ الناس بخبر الحرب ليلة ٣١ أغسطس عن طريق الإذاعة الألمانية دون مقدمات سابقة . ولكن الأمر تبين بجلاء في خطاب رئيس الوزارة الإنجليزية بعد ظهر اليوم التالي ، فتحولت الدهشة إلى احتقار واشمئزاز

إن ربنتروب يحاول أن يقلد بسمارك في أحابيله السياسية . ولكن كم من الفروق الشاسعة بين تلك الشخصيات التي بنت مجد الإمبراطورية وتلك التي تذهب بمجدها إلى الهاوية

أما هتلر فقد عقد نيته على الحرب سنة ١٩٣٩ كما فعل بسمارك سنة ١٨٧٠ . وقد نستطيع أن نقول : إن ذاك الأرستقراطى البروسى لا يختلف على وجه العموم عن ذلك النقاش الآستورى ، فكلاهما على استعداد لإزهاق ما لا يعد ولا يحصى من النفوس البشرية فى سبيل المطامع الشخصية

ألا إن بسمارك كان أكثر تهذيباً وأنضج عقلاً ، فقد كان يعرف من أين يبتدئ وإلى أين ينتهى

عصبة الأمم ما لها وما عليها

[من « فيتال سبيتس »]

اختلف الكثيرون فى الرأى حول عصبة الأمم فمن قائل ، إنها أخفقت فى تحقيق مهمتها ، وقائل أنها نجحت فى هذه المهمة ، فأى الرأيين الصواب ؟

إن أعمال عصبة الأمم فى العشرين سنة التى انسلخت منذ ظهورها كثيرة الشعب متعددة الألوان . ويحسن بنا أن نشبهها بمجموعة من الخيطان بعضها أبيض اللون والبعض الآخر أسوده. فالألوان البيضاء تمثل الأعمال التى أدتها العصبة بنجاح فى جنيف، والألوان السوداء وهى لا شك أقل عدداً من الأولى ـ تذكرنا بالأعمال التى أخفقت فيها

فمن الواجب إذن أن نعترف بأن عصبة الأمم نجحت نجاحاً محققاً فى كثير من الشئون ، ومن الواجب كذلك أن نصرح بأنها أخفقت فى بعضها

لقد نجحت عصبة الأمم فى عقد اجتماعات دورية فى جنيف يحضرها خمسون عضواً يمثلون خمسين حكومة من حكومات العالم . وقد بدأت أعمالها باثنين وأربعين عضواً ممثلين لحكوماتهم ، ووصل هذا العدد إلى ستين فى وقت من الأوقات. ويبلغ عدد الدول الممثلة فى عصبة الأمم الآن خمسين دولة ، وهذا العدد يدل على اتجاه الغالبية العظمى التى تؤيدها بين أمم العالم . إذ لا تزيد عدد الدول المعترف بها فى العالم اليوم على خمس وستين

وبعد سنتين من قيام عصبة الأمم أنشأت محكمة العدل الدولية فى لاهاى وهذه المحكمة تفصل فيما يقع بين الأمم من النازعات والخلافات القانونية . وهى مفتوحة الأبواب دائماً لكل دولة تريد الاحتكام إليها . وقد بلغ عدد القضايا التى فصلت فيها هذه المحكمة سبعين قضية

أما فيما يتعلق بالقضايا الناشئة عن التغيرات الطارئة على مراكز بعض الدول وما يستدعيه ذلك من إعادة النظر فى كثير من الحقوق التى تدعو إليها الضرورة فقد توسطت عصبة الأمم منذ سنة ١٩٢٠ فى أربعين مسألة فصلت فى ثلاثين منها فصلاً تاماً. وقد قامت عصبة الأمم خارجاً عن ميدان السياسة بكثير من جلائل الأعمال ، كمنع تجارة الرقيق الأبيض ومحاربة الأفيون وغيره من العقاقير الضارة وتسهيل المواصلات بين بعض الأمم ، وإيواء المهاجرين ، وتبادل السكان بين اليونان وتركيا وبلغاريا ، والنظر فى شؤون الصحة العامة وحماية الطفولة ، وتحقيق مصالح العمال

ومما لا شك فيه أن عصبة الأمم قد ضربت المثل الأعلى فى عقيدة التعاون وضرورتها بين الأمم والأفراد

أما ما يؤخذ على العصبة فعدم نجاحها فى منع التسلح الحربى والاقتصادى بين الأمم وإخفاقها فى إيقاف الحرب فى منشوريا سنة ١٩٣١ وفى جنوب أميركا سنة ١٩٣٣ وفى الحبشة سنة ١٩٣٥ وفى إسبانيا واستريا وتشيكوسلوفاكيا وبولانده فى السنتين الأخيرتين. إلا أن هذه النازعات الفاجئة كانت مبنية على مطامع بعض الدول فى امتلاك أرض الغير، ومن الطبيعى فى هذه الحالة أن تهرب من التحكيم، وتقضى على كل مجهود يبذل فى سبيل التوفيق



البريد الأدبي

علامة تعجب

فى « الرسالة » (رقم ٣٢٩) قصيدة أبياتها أربعة وخمسون وزُخرفها اثنتان وستون علامة تَعجُّب ، أعان الله جمّاع حروف « الرسالة » ! ولا أقصد هنا التمهل عند هذا النحو من أنحاء النظم الحديثة، فلكل عهد من عهود الشعر المنظوم بالصنعة ذرائع ؛ وقديماً استنجد بعض الشعراء ممن قعد خاطره بمحسنات البديع ، واستغاث غيرهم ممن جمدت رويّته بالإغراب والتهويل اللفظى، وفزع طائفة من المحدثين إلى المسخ أو المحاكاة أو المعارضة، ثم هذى الطباعة الحديثة تبذل أسباباً أخرى فى طليعتها علامات التعجُّب (أو التنهد أو التحسر)

ولو كان فى يدى من أمر « الرسالة » شىء لكنت ضننت على الشاعر بذلك العدد الجارف من علامات التعجب ، فأدخرها للقراء أنفسهم إذا أمر بها فتنتثر هنا وهنا فى صفحة من صفحات المجلة ، فيلتقط منها الملتقط ويختطف المختطف . ألا يحصرنا من مثيرات العجب ما لا يحصيه غير إحصائى حاذق ؟ ولو بسطتَ أطراف العجب على ما يبغتك لنفدت علامات التعجب المخزونة فى صناديق « الرسالة » مهما غصت بحروف الترقيم . وحسبى أن أتعجب مما صدمنى فى يوم واحد .

***

هاتِ علامةً أتعجب بها من معاملة إدارة دار الأوبرة والفرقة القومية وشركة مصر للتمثيل والسينما . فمن المشهور أنها تدعو إلى ما تقيمه الحين بعد الحين من صنوف الفن طائفةً من الصحافيين والنَّقَدة الفضوليين الهاجين، مداراةً أو تلطفاً، وأنها تدعو زمرة ممن يقال لهم « كبار الموظفين » . تدعو هؤلاء وأولئك، وهى تُهمل نفراً من الكتاب المقدَّمين والنقّاد البصراء ؛ فإن سألها أحدهم فى ذلك قالت له « اقصدنى أتفضلْ عليك بتذكرة دخول » . فهل غاب عن تلك الإدارات ما يجرى فى نواحى أوربّة المتمدينة ؟ ولعل الصديق الأستاذ توفيق الحكيم يرشد تلك الإدارات المختلفة إلى آداب المعاملة الثقافية

***

وعلامةً أتعجب بها من خروج مسرحية عنوانها « امرأة تستجدى » على مسرح الفرقة القومية ، وقد وصفها ناقد الرسالة خير وصف فى العدد السابق . بالله كيف أفلتت هذه المسرحية من مناظير « لجنة القراءة » وفيها من فيها ؟ ولِمَ تَذيقُ الفرقة رجالها عذاب تمثيل مثل هذه المسرحية وتذيق النظارةَ شهودها ؟ هل يدخل هذا فى مجاهدات شهر رمضان ؟ ألا كثيراً ما قلنا للفرقة القومية : المسرحية المرضية إذا ترجمت خير من المسرحية التافهة وإن كانت مؤلَّفة . والتأليف المسرحى فى الأدب العربى لا يزال فى عهد الاستواء ، فاطلبوا النماذج الحسنة وانبذوا الرديئة . ولا يضير بلداً أن يقال فيه إنه لم يخرج بعد عدداً من الفلاسفة المبتكرين أو الشعراء الفحول ... إن مجد الأمم لا يرتجل

***

وعلامةً أتعجب بها مما جاء فى الصفحة الأولى من « مصطلحات فى باب الأحياء والطب » من « مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية » (ج٤ ص ١١ والشرح) . أصبت فى تلك الصفحة : « الحركة الذاتية » بإزاء active movement ، ثم « الحركة الخارجية » بإزاء passive movement . والذى يعرفه طلاب الفنون أن كلمة active تنظر إليها فى العربية كلمة « فعّال » وأن passive تنظر إليها كلمة « منفعل » (و« انفعالى») وهما من المقولتين « يفعل وينفعل » (راجع هذا فى « مباحث عربية »

ص ١٢٠ ، الحاشية) . وأما « الحركة الذاتية » فشيء آخر (وتصيب تعريف هذا التعبير فى « كشاف اصطلاحات الفنون » مادة « الحركة » ص ٣٤٣ ، وفى « التعريفات » مصر ١٢٨٣ ص ٥٨) . وكيفما كانت الحال فإن التعبير الذى يقابل « الحركة الذاتية » هو : « الحركة العرضية » ، كما جاء فى ذينك المرجعين . هذا وكأنى بالمجمع عبّر بـ « الحركة الخارجية » عن « الحركة القسرية » (وهذا من المصطلحات العربية) و « هى ما يكون مبدؤها بسبب ميل من خارج كالحجر المرمى من فوق »(التعريفات). ومما يقابل « الحركة القسرية » فى المصطلح : « الحركة الإرادية »

***

ثم علامةً أتعجب بها مما جرى به قلم الصديق الدكتور زكى مبارك ، إذ أخذ علىّ فى العدد السابق أنى أغلّب إلقاء الشعر بحسب المعانى والألفاظ على إلقائه بحسب التفاعيل ، وسبب التعجب أن زميلى الباريسى يعلم فوق علمى أن أهل الدراية من عرب وأعاجم مجمعون على أن الشاعر خير من الوازن ، وكانت العرب تقول فى موضع الذم : « إنما هو عروضى ، ومقطع أبيات وزّان تفاعيل » ، وما كان لهذا أن يكون لولا أن الشعر يقوم بمعناه ولفظه فوق ما يقوم بوزنه ، وذلك فضلاً عن أن مجرّد الوزن إنمـا هو للأذن ، وأما المعنى واللفظ فلما يليها فى الباطن ؛ والطرب لا يأخذ النفس اللطيفة من طريق الحسّ الظاهر ، بل هذا الحسّ إذا علا شأنه طغى على الوجدان ، فما يحسن به إذن أن يتواضع ، ومما يحق على الوزن أن ينتشر خِفيةً فى تضاعيف البيت . ثم كيف يكون مأخذ الصديق صاحب « ليلى المريضة ... » — لعلها شُفيت فشفى فيشفى المواسون معه — وهو يذيع فينا أنه مفتون بالجمال ، والجمال لا تصيبه فى الهيكل العظمى بل عليك به فيما يكسوه ، وإنما الوزن يكسوه المعنى واللفظ . بقى أن فن الإلقاء الحديث يَرى ما أرى ، وإن تمسّك الصـديق بما أَلِـفتَـه أذنه ، وكثيراً ما نغضب لـمـا تعودناه ، من ذلك غضب بعضهم للحجاب وغضب بعضهم « للعتبة الخضرا » يرحمها الله .

بشر فارس

(رجع) : فى العـدد السابق رقم ٣٣١ فى خاتمة مقالى وقع سهواً : « فرعون الصغير » والوجه : « نداء المجهول » . ووقع أيضا : « مارك اورلا » والصواب : « ماك ... » . هذا وجاء فى مقال آخر رقم ٣٣٠ « هل أخنى عليك » والصحيح : « منك »

العيد الألفى لمولد الشريف الرضى

أخى الأستاذ الزيات :

كنت تفضلت فأطلعتنى على بعض ما نشر فى جرائد العراق عن الاستعداد لإقامة حفلة كبيرة فى الكاظمية بمناسبة العيد الألفى للشريف الرضى .

ومنذ أيام قرأت فى مجلة الصباح كلمة قال كاتبها « الفائق » : إن سعادة السيد ابرهيم صالح شكر قائم مقام الكاظمية يهتم بتوسيع ضريح الشريف تمهيداً لتلك الحفلة الكبيرة .

فهل أستطيع أن أقول إن الشريف الرضى يستحق أن تقام له حفلة رسمية فى العراق كالحفلة التى أقيمت لأبى الطيب المتنبئ ؟

إن المجـد الأدبى للشريف الرضى لم يعد ميراثاً لأتباعه من الشيعة ، مع الاحترام لصدقهم فى الحرص على إحياء ذكراه ، وإنما مجد الشريف الرضي تراث للعراق أولاً، وللأمم العربية ثانياً؛ ومن أجل ذلك أرجو أن يأخذ الاحتفال بذكراه فى العراق صبغة قومية لا صبغة طائفية ، فيكون من الخطباء والشعراء من يفهمون أنه من رجال الأدب قبل أن يكون من رجال الدين .

وأنت تعرف يا صديقى أن الشريف الرضىّ تحرر فى دنياه من الصِّبغة المذهبية فدرس كتب الشافعية ليعرف ما عند أهل السنة من أفكار وآراء ، فمن الظلم لهذا الرجل العظيم أن يحتفل بذكراه فريق دون فريق .

وفى نيتى — إن شاء الله — أن أحضر تلك الحفلة على شرط أن تصدر الدعوة إليها من وزارة المعارف العراقية ، وإلا فسأقترح على كلية الآداب بالجامعة المصرية أن تقيم أسبوعاً لذكرى الشريف كما أقامت أسبوعاً لذكرى المتنبى، فنؤدّى حق الشريف فى القاهرة قبل أن يؤدّى فى بغداد .

فإن قيل إن الحالة الدولية قد تمنع من إقامة تلك الحفلة بصفة رسمية ، فإنى أجيب بأن الأوربيين يحتفلون بذكريات رجالهم العظماء فى ميادين الحروب ، ونريد أن نكون أعرف منهم بالواجب وأحفظ للجميل .

وحين يتفضل وزير المعارف فى العراق باستماع هذا القول فإنى أرجو أن نزور بغداد معاً فى آذار المقبل لنشترك فى إحياء ذكرى الشريف ، ولنشهد تفتّح الأزهار حول دجلة والفرات ، ولنطوف بدار ليلى ودار ظمياء . . . والله يحفظك للصديق الموكّل برعاية العهود .

زكى مبارك

تخليطات فى فهرس « عيون الأخبار »

عامة الناس على أن دار الكتب المصرية ، بقسمها الأدبى ، أمثل دور النشر العربية جميعاً ، بما أتيح لها من أسباب القوة ، وما مكن لها من وسائل التحرير والضبط ، مادية وفنية ، ففيها المال والرجال ، وجنباتها الواسعة تفهق بالمراجع العظيمة والمصادر الثرية ، ولها الصوت الواسع البعيد الذى يكفل لنشراتها ما تتقطع دونه أعناق الناشرين تشوفاً وطماعية .

وما نشك فى أن « دار الكتب » جديرة — مع شىء من التحفظ — بهذه المكانة التى تتبوؤها ، فقد أسدت إلى الأدب العربى ، وإلى جمهرة المتأدبين والباحثين ، صنائع لا سبيل إلى نكرانها ، قياساً إلى تلك النشرات الأخرى التى نكب بها الأدب العربى . وإذا كان بعض الناس يغلو فى نقدها ومؤاخذتها بالبطء الشديد ، والتنكب أحياناً لمسالك النشر العلمى السديد ، فإنما ذلك على قدر الظن بها ، والأمل فيها ؛ وعلى قدر الرغبة فى أن تكون النشرات التى تقوم عليها صورة مثلى مما تضطرب به آمالنا نحو تراثنا العقلى ، من الأخذ فى تحقيقها بالتثبت الذى لا يتهاون ولا يتسامح ولا يغفل ، مما هو جدير بأدبنا العربى الذى ندين له ، وجدير بالمنزلة التى نزعمها لمصر نحوه .

ومن نشرات « دار الكتب » التى نرى فيها إلى جانب الرغبة فى التحرى والدقة والضبط مظاهر شنيعة للغفلة والإهمال والتخبط كتاب « عيون الأخبار » لابن قتيبة ، مما يعد بهذه النشرة عن الروح العلمية بعداً شاسعاً ، ويضع الذين قاموا عليها موضعاً غير جدير بهم ولا بمكانهم من تلك الدار .

وأنا أكتفى من هذه المظاهر المتناثرة فى أثناء الكتاب كله بثلاثة مواضع لا عذر فيها لمعتذر ، ولا محل فيها لجدل ؛ وليس يقال فيها : رداءة الأصل وانبهام الخط وانعدام المصادر واختلاف النظر . فهى أغلاط بل « تخليطات » فى فهرس الأعلام لذلك الكتاب ، ومثل هذه الفهارس التى قيل فيها إنها نصف العلم ، إن لم يؤخذ فى وضعها بالدقة ، كانت شيئاً أشبه بالترف الذى يقوم على التقليد الظاهر ، أو التغرير الذى يلجأ إليه بعض المتجرين التماساً للعائدة المادية ليس غير ، لا ضرورة علمية توحى بها روح العلم ومناهج البحث .

١ — أول هذه المواضع يتعلق بالثورى ، وقد جاء « الثورى » فى عيون الأخبار مشتركاً بين اثنين ، يختلف ما بينهما اختلافاً كبيراً ، حتى ما يكادان يلتقيان إلا فى هذه النسبة : أحدهما أبو عبدالله سفيان بن سعيد الثورى ، المحدث العظيم ، والورع المعتصم بدينه وورعه عن مزالق الهوى ، والمحتمل فى ذلك أذى التوارى ومحنة التوقى ومضاضة العيش حتى لا يلى للسلطان عملاً ، ولا ينفذ إليه الشيطان من باب . وأما الثانى ، فهو أبو عبد الرحمن أحد شخصيات الجاحظ الطريفة فى كتاب « البخلاء » ، ممن اتخذهم أبو عثمان مادة لتصويره وسخريته من طبقة « البورجوازى » فى البصرة وبغداد . وحسبنا هذا لنعلم أى صورتين متناقضتين جعل منهما ناشرو « عيون الأخبار » شخصاً واحداً ، وأرسلوه فى فهرس الأعلام باسم أبى عبد الرحمن الثورى (صاحب الجاحظ) بالرغم من كل شىء ، وأخضعوا الأمر لقاعدة التغليب ... يعتسفونه اعتسافاً ... وهكذا أضاع ناشرونا الأفاضل أبا عبدالله سفيان ، كان الله له !

٢ — وأما الموضع الثانى ، فالخلط فيه أشنع ، والخطأ فيه أفظع ، أو هى المعجزة التى تعنو لها المعجزات ، وقعت على أيدى سادتنا الأجلاء ، إذ نرى الكليم موسى بن عمران عليه السلام قد تقلصت عنه السنون ، فقام ينفض غبار القرون ، فإذا هو من معاصرى أبى الهذيل العلاف وسهل بن هرون ! وحقت بذلك كلمة القوم .

فكذلك صنع ناشرو عيون الأخبار فى الإشارة إلى موسى ابن عمران فى خبر جاء فيه أن سهل بن هرون بعث إليه أبياتاً يعبث فيها بأبى الهذيل العلاف ، إذ خلطوا بينه وبين موسى ابن عمران (النبى عليه السلام)

وإنما موسى بن عمران هذا هو بعينه الذى يذكر كثيراً باسم « مويس بن عمران » ، وقد ذكره المرتضى فى الطبقة السادسة من طبقات المعتزلة ، وكثير من أخباره وآرائه فى الانتصار لأبى الحسين الخياط ، والملل والنحل للشهرستانى ، والأغانى لأبى الفرج ، وأخبار أبى نواس لابن منظور . كما ردد الجاحظ اسمه كثيراً فى كتبه كالحيوان والبخلاء والبيان والتبيين

٣ — وأما الموضع الثالث فأعجب عجباً وأغرب غرابة ، والخلط فيه من طراز بدع جديد

لعل كثيراً من المتأدبين يذكرون قصيدة سويد بن أبي كاهل التي يقول فيها :

رب من أنضجت غيظاً قلبه   قد تمنى لى موتاً لم يطَع

وقد جاء فيها هذا البيت يذكر ذلك المغيظ الذى أنضج الغيظ قلبه :

مزبداً يخطر ما لم يرني   فإذا أسمعته صوتي انقمع

وكنا نفهم — بكل بساطة — أنه يمثل صاحبه فى هذا البيت بالجمل الهائج يخطر فى مشيه ويضرب بذنبه وقد علا الزبد شدقيه ، وقد غفلنا — ونستغفر الله الذى تفرد بالعصمة — أن فوق كل ذى علم عليما . فقد أبى أصحابنا الناشرون إلا أن (مزبدا) فى هذا البيت ليس على ما خيل إلينا وإنما هو ... « مزّبد » الدنى صاحب النوادر ! هكذا والله صنع القوم . فقد أشاروا إلى هذا البيت فى فهرس الأعلام ضمن ما أشاروا إليه من النصوص التى ورد فيها « مزبد » هذا وأحالوا الباحثين عليها

وبعد فإن هذه التخليطات الغليظة تكاد تهدم الثقة بدار الكتب ونشراتها جميعاً ، لولا ما نراه فيها كثيراً من آيات الجهد الجاهد فى التحرير والضبط ، والبراعة العظيمة فى التصحيح والتخريج . فنتساءل مع شيخنا الجاحظ : كيف تبصر البعيد الغامض ، وتعمى عن القريب الجليل !   م . ط . ع

تعليق على خطبة وزير الدفاع

ألقى حضرة صاحب المعالى اللواء محمد صالح حرب باشا وزير الدفاع خطبة قوية رائعة فى احتفال الكلية الحربية صباح الخميس ٢ نوفبر ، بمناسبة تخريج طائفة من الضباط للذين أتموا دراستهم . وأشهد لقد قرأت هذه الخطبة فى الصحف ، فاهتزت مشاعرى حماسة وإعجاباً بما اشتملت عليه من معان وطنية سامية ، تبعث العزة والكرامة فى النفوس ، وتحفز إلى التضحية والاستشهاد فى ميدان الشرف !

ومعالى الوزير أديب واسع الاطلاع ، دقيق الفهم لأسرار البيان ، وخطيب بالغ الحجة قوى التأثير ؛ وهو فوق هذا صاحب عقيدة راسخة وخلق متين .

إستهل معاليه خطبته البليغة بقوله : « أبنائى الأعزاء ، إن موقفى اليوم منكم هو موقف التهنئة والتبريك ، فأهنئكم من كل قلبى . أهنئكم بالنجمة الأولى فى سماء المجد والشرف ، وأهنئكم بالسيف المصلت فى سبيل الوطن الغالى ! »

ياله من توجيه سديد والتفاتة بارعة ! نعم إنها النجمة الأولى التى يزهو بها حاملها فى سماء المجد والشرف ، لا بين نجوم المسرح وكواكب الصالات ...

إننى لأذكر مع الأسف ذلك المشهد المؤذى للكرامة والشعور حين وقفت إحدى الراقصات تلقى منلوجاً مطلعه :

النجمة فى كتفك عاجبانى   والسيف على وسطك خلانى

حبيتك يا ملازم ثانى ... !

فما كان من أحد الضباط وقد استخفه الطرب إلا أن قام فى عربدة واستهتار يطلب الترديد والمزيد ، ثم طوح بطربوشه فى الفضاء ، مزهواً بالنجمة الآفلة والسيف الذليل !

فأى ضابط من أولئك الذين سمعوا وزيرهم النبيل يلقى عليهم ذلك الدرس البليغ فى تقدير هذه الشارات الرفيعة التى ترمز إلى المجد والعظمة والسمو ، تحدثه نفسه بعد ذلك بالنزول إلى هذا المستوى الوضيع ؟

لقد ترك معالى الوزير السابق أجمل الذكرى وأطيب الأثر ، حين أمر بعدم ظهور الضباط بملابسهم العسكرية فى هذه الميادين . وفى ذلك معنى بليغ يجب تدبره وتقديره ، وهو أن الضابط الذى يزج بنفسه فى هذه النواحى لا يستحق التمتع بشرف الجندية

وحبذا لو أتم معالى الوزير الحالى خطوات سلفه ، فلم يجعل هذا الحظر قاصراً على الضباط فحسب ، بل نافذاً على الجنود أيضاً . حتى لا نشاهد تلك المناظر المخجلة فى بؤر الدعارة والفساد جنود الوطن وعدته فى الشدائد الذين يمثلون أسمى معانى الرجولة والشرف ، تمتلئ بهم المواخير فى بعض الليالى والأيام

ويقول معالى الوزير فى خطبته السديدة : « ليست الجندية غروراً يملأ الصدور وينفخ فى الماطس ، ولا بدلة للزينة ؛ وليست الجندية رتباً ولباساً ومطعماً ومتاعاً من النعيم الذليل . ولكن الجندية — وهى أسمى مراتب الرجولة وأسمى منازل الأخلاق — أكرم على الله والناس من أن تكون هذه غايتها وهذا مداها ! »

منطق حق وقول سديد . وما أحوج رجال الجيش إلى تدبر

هذه المعانى النبيلة ، والانطباع على تلك الأخلاق القويمة . حتى يستطيع أن ينهض بأعبائه الثقال قوى المدة متين البناء . فنحن فى زمن - كما يقول معاليه - من لم يكن فيه ذنباً كان فى النغم

ثم يختتم خطابه بقوله : « أوصيكم بأنفسكم خيراً ، وتحصنوا بالأخلاق فهى جنتكم من الزلل . ثم أوصيكم بالجنود خيراً ، وأكرر هذه الوصاة ، فهم عدة الوطن فى شدته ، وهم طعام النيران ! ومن أساء إليهم فقد أساء الوطن ، وإنى أعيذكم أن تسيئوا إلى مصر وأنتم حماة ذمارها »

وهنا أشير إلى عادة مستهجنة يجرى العمل عليها فى نظام الجيش ، فيها الإساءة البالغة إلى كرامة الجنود وشرف الجندية . تلك هى نظام « المراسلة » الذى يفرض على بعض الجنود أن يكونوا خدماً للضباط لا فى ميادين القتال وساحات الجهاد ، وإنما فى المنازل حيث إعداد الطعام وغسل البلاط وحمل الأطفال ! بل وفيما هو أحط من ذلك فى كثير من النواحى والشؤون ...

ومن المؤلم أن تكون هذه الخدمة مطمح الجنود ومقر ذوى الحظوة منهم . وفى ذلك ما فيه من إفساد للروح المنوية وانحدار عن مستوى الرجولة والشرف . فهل لمعالى الوزير الحازم - وهو يوصى بالجنود خيراً - أن يرفع عن أعناقهم هذا النير الذى يورث الذل والصغار ، فلا يفرض عليهم الخدمة فى غير المعسكر أو الميدان ؟

إنا لنرجو الخير الكثير على يدى معاليه . ولنا فى ماضيه الجليل فى ميدان الحرب والسياسة ، وحاضره المحفوف بالتقدير والإكبار ما يؤكد الثقة ويقوى الأمل فى جلال المستقبل وعزة الغد .

(حلوان) محمد كامل حتة

زكاة الفطر

أعدت وزارة الشؤون الاجتماعية صندوق الإحسان فى بنك مصر لجمع زكاة الفطر ووجه معالى وزيرها إلى الشعب نداء بليغاً يدعوه إلى أداء هذه الزكاة جاء فى ختامه قوله :

« إن وزارة الشؤون الاجتماعية حين تحمل فى عنقها أمانة الزكاة تنعى إلى خاصة المسلمين وعامتهم أن إيداع زكاة الفطر فى « صندوق الإحسان » الذى جعلته وعاء للخير موافق لأحكام الشرع الشريف ، فبهذا أفتى رجال الدين وعليه جرى العمل فى دول الإسلام الأولى وصدور أيامه السالفة وبه تبرأ ذمة كل مسلم من عهدة التقصير فى هذه الزكاة وتنتقل المسؤولية أمام الله إلى وزير الصدقات الذى هو وزير الشؤون الاجتماعية . وحسبكم أن يعطيكم وزير الشؤون الاجتماعية عهد الله وذمته فيشهد الله ويشهدكم أن ينفق ما تزكون به فى وجوهه المشروعة

إن فرصة الخير أضيق من أن تمتد مع التسويف وقد علمتم أن أفضل ما تؤدى زكاة الفطر إذا لم تتأخر عن يوم العيد والله تعالى يدعوكم إليها فأجيبوا دعاءه وهو يعدكم حسن الجزاء عليها فاستوجبوا وعده الصادق بالمبادرة إلى طاعته »

اكتشاف مصل واق من التيتانوس

أبلغ المجمع العلمى الفرنسى أن الدكتور رمون والدكتور لبميه توصلا إلى صنع مصل واق من التيتانوس ودلت التجارب التى عملت أن هذا المصل يعطى الإنسان والحيوان مناعة قوية ضد التيتانوس وهو اكتشاف ذو أهمية خاصة فى هذا الوقت الذى يعد فيه التيتانوس مرضاً مخيفاً فى وقت الحرب

العالم المسرحي والسينمائي

مع الأستاذ توفيق الحكيم

الفرقة القومية فى عهد جديد

كيف السبيل الى النهوض بالمسرح ؟

نعتقد أننا قد أجبنا على هذا السؤال فيما كتبناه عن (نهضة المسرح فى مصر)، إذ شرحنا فى إيجاز جميع العوامل وكل الأسباب التى أدت إلى انحلال المسرح، ثم قيام الحكومة بنصيبها فى نهضته بإنشاء الفرقة القومية ونصيب هذه الفرقة من النهضة الأخيرة وواجبها حيالها

على أنه ما كاد الموسم يبدأ حتى كانت الفرقة قد انتقلت من يد إلى يد، وأصبح أمراً واقعاً أن وزارة المعارف قد سلمت مقاليدها إلى وزارة الشئون الاجتماعية، فحمدنا الظروف التى أتاحت هذا التغيير الذى سيكون له أثره فى سياسة الفرقة، والذى جعل للأستاذ الكبير توفيق الحكيم إشرافاً حقيقيًا على شئون المسرح فلطالما كان من أعز أمانينا أن يكون لمن هو فى مكان الأستاذ من المسرح هذا الأثر الفعال فى توجيه شئونه

من يحمى الفنون ومن ينصرها فى بلد يراها ضرباً من ضروب اللهو ولوناً من ألوان التسلية ؟ فالبعض عندنا يذهب إلى المسرح للتسلية ولمجرد اللهو ولا ينظر إلى ما وراء ذلك من فائدة وإلى ما بعد ذلك من أثر . كل ما يرجوه ساعة أو أكثر يقضيها فى دار للتمثيل : يضحك ويتندر ويتحدث ، كأنما هو على قارعة الطريق ، أو فى بيته أو فى أحد المنتديات أو المشارب ؛ أما الفهم الصحيح للمسرح ورسالته ، وأما الرغبة الأكيدة فى الإفادة من هذا الغذاء الروحى والعقلى ، فإنهما بعيدان عن تفكيره وميوله ،

ولهذا عاش المسرح فى مصر خاضعاً لأهواء الجماهير ، حتى فى أيام ازدهاره ، وحتى حين أخرج للناس (أوديب) و(عطيل) و (لويس الحادى عشر) وغيرها من الروايات الخالدة ، حتى فى ذلك الوقت لم يكن إقبال الناس على هذه الروايات ، ولم يكن نجاحها الملحوظ عندهم إلا ستاراً لرغباتهم فى التسلية ، فهم يجتمعون فى دار الأوبرا ، وهم يتحدثون ويتندرون فى هذا الشىء الجديد الذى يمر أمامهم ، وفى هذه الشخصيات المضيئة التى تصعد فى سمائهم ، ولم توجد الرغبة الأكيدة فى رفع شأن المسرح ، ولن توجد إلا إذا عهد به إلى أهل المسرح وأبنائه ، ووكل إليهم شأنه وترك لهم أمره .

من يحمى المسرح إذن ؟

هم الفنانون المخلصون الذين لا يضعون فى اعتبارهم أن الجمهور يريد أن يتسلى ، والذين يفهمون أن رسالتهم بعيدة عن تسلية هذا الجمهور ، وإنما هى قريبة إلى إفادته وإلى رفع مستواه والصعود به إلى القمة حيث تنفتح عيونه على أفانين من الجمال يراها فى صور متعددة من صور الفنون الحقة تسمو به وبروحه وبكل جارحة فيه إلى حيث يكشف داخل نفسه وفى نفوس الآخرين تلك الإنسانية التى تميزه عن غيره من المخلوقات

***

ذهبنا إلى الأستاذ توفيق الحكيم وفى خلدنا تدور هذه الآراء وغيرها ، وفى عزمنا أن نسأله بياناً عن السياسة الجديدة للمسرح المصرى بعد إذ أصبحت مقاليده عند وزارة الشؤون الاجتماعية التى ناطت به شؤون الدعاية فيها . على أننا ما كدنا نقول كلمة أو كلمتين حتى أفاض ممنا فى الحديث فى سلاسة واتزان . قلنا : إن علة العلل هى (الرواية) فالفرقة القومية قوية بعناصرها غنية بمالها ، وإن يكن من رأينا أن بعض العناصر ما زالت خارجة عنها

ويجب أن تضم إليها لتزداد قوة على قوة . وإنما ينقص الفرقة شيء واحد هو (الرواية) التي لم تحظ بالعناية المنشودة فيما سلف من أيام

فقال : سيكون من أول ما نعنى به اختيار الرواية الصالحة ، وقد أنشئت لذلك لجنة تنفيذية (مكونة من المشماوى بك وخليل مطران بك والأستاذ الحكيم) ، وهذه اللجنة من شأنها أن تنظر فى الرواية بعد أن تمر بلجنة القراءة لترى إن كانت تصلح للمسرح وتتفق ورسالته ثم تقدر قيمتها ، ونحن نفكر فى تكوين لجنة أولية من المخرجين والممثلين لتقرأ الرواية قبل تقديمها للجنة القراءة حتى لا تصل إلى أيدينا رواية تافهة ، وحتى يكون للمخرج رأيه فيما يخرج ، وللممثل رأيه فيما يمثل . على أننا سنضع نصب أعيننا أن تكون الروايات التى تخرجها الفرقة من الأدب الرفيع الذى يتفق ورسالتها ، وقد كان من رأينا أنها يجب ألا تخرج عن حدود هذه الرسالة حتى لو لم يقبل عليها الجمهور الإقبال المأمول . وأستطيع أن أؤكد لك أن الجهات المسئولة تشجع الفرقة على ذلك ولا تطلب منها أكثر من السمو بالفن ولتكن النتائج ما تكون ، وإن تكن رغبتنا أن يقبل الناس جميعاً على الفرقة وأن يشجعوها

ومن رأينا أن الروايات الممتازة الخالدة التى سبق أن أخرجت للمسرح يجب أن تخرج ثانية وأن يراها الجمهور كلما سنحت الفرصة. وسوف يرى النقاد فيها لوناً جديداً من ألوان الإخراج والتمثيل. فالمخرجون قد أصبحوا غيرهم بالأمس، والممثلون كذلك إلا قليلاً. ونحب ألا يقال إنها روايات قديمة بل يجب أن يقال إنها خالدة لا يفرغ الجمهور من مشاهدتها ولا يكف النقد عن التحدث عنها وإنك لترى أنهم فى أوربا ، ولديهم المؤلف الحديث والرواية الجديدة، يعنون بتراث الآداب الخالدة. فروايات شكسبير وراسين وفولتير وغيرهم مترجمة إلى اللغات الحية ، وهى تخرج على المسارح فى كل فرصة والناس يقبلون عليها كأنها روايات جديدة . وعلى هذا فلا بأس من أن تخرج روايات شكسبير وسوفوكل و كورنى وغيرهم؛ ولا ضير من أن يرى الناس للمرة المائة بعد الألف عطيل وأوديب والسيد وغيرها

وكان أحمد أفندى عسكر موجوداً أثناء الحديث فأضاف (غادة الكاميليا) ، وقد لقى اقتراحه قبولاً على أن تعرب الرواية من جديد وأن يقوم بتعريبها الكاتب الأديب الممتاز الذى اشتهر بتعريب الروايات الرومانتيكية العاطفية

وعاد الأستاذ توفيق الحكيم إلى حديثه فقال :

لقد دلت التجارب على أن الرواية الموضوعة لم تصل بعد إلى المرحلة التى نطمئن لها ، ومع ذلك فإن الباب سيظل مفتوحاً للكفايات المجهولة لتتقدم على مسئوليتها بما تنتجه ، فلن نكلف أديباً أن يضع لنا رواية نكون مضطرين إلى قبولها منه . أما الروايات المترجمة فقد صح عزمنا بعد التجارب العديدة التى مرت بها الفرقة أن نختارها نحن من الأدب الرفيع قديمه وحديثه وأن نعهد بها إلى مترجمين ممتازين ممن لهم شأن معلوم ومكان معروف ، وبذلك نضمن نجاح الرواية من كل الوجوه

هذا وستعنى الفرقة بفن الأوبرا والأوبريت لترفع من شأنهما بعد إذ مرت عليهما فترة ركود حتى كاد يسدل عليهما النسيان ستاراً كثيفاً ، وحتى انصرف الجمهور عنهما إلى صالات الرقص والمجون .

وعلى العموم فإن سياستنا ستكون النهوض بالفرقة ومساعدتها المساعدة الحقة على أداء رسالتها . ونأمل أن يكون النقد معنا وفى عوننا؛ فالفرقة لا تستطيع مقاومة العواصف من كل جانب، وعن طريق النقد ؛ سيفهم الجمهور رسالة الفرقة، وسيروض نفسه على تقبلها وإن كان لونها مما لا يتفق وهواه

وانتهى الحديث بأن أبدى الأستاذ الحكيم استعداده ورغبته فى تبادل الآراء حول هذه الموضوعات وغيرها كلما جد فى الأمر ما يدعو إلى ذلك

ونحن نعتقد أن فى تنفيذ السياسة التى بسطها الأستاذ ما يكفل نهوض المسرح وكرامة أبنائه ونجاح رسالته

زهوان الصفير

العزيمة

بدأ عرض رواية (العزيمة) على ستار سينما ستديو مصر منذ الإثنين الماضى وسننشر كلمتنا عنها فى العدد المقبل .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين)

7me Année No. 333

Lundi - 20 - 11 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع البدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٣٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٩ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٠ نوفبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

فى وزارة الشئون الاجتماعية أيضاً

هـــذا هو المنهاج فكيف يكون المسير؟

حاولنا فيما سبق من القول أن نرسم لوزارة الشئون الاجتماعية معالم المنهج الذى تسلكه مخافة أن ينتشر عليها الأمر وتلتبس الوجهة ؛ ثم تركنا لرجالها المختصين توضيح الرسوم وتحديد التخوم وتعيين المراحل . ولكن رسم المنهاج لا يكلفنا ولا يكلف الوزارة غير ساعات من النظر والفكر والكتابة ؛ وإنما عماد الأمر ومِلاكه أن تُنهج السبيل وتُنفذ الخطة وتُبلغ الغاية . ويلوح لى أننا نكلف الوزارة شططاً إذا أردناها على إصلاح الفاسد وإقامة المعوج وهى على حالها الحاضرة ووضعها القائم

ماذا عسى أن تعمل وزارة موظفوها خمسة عشر موظفاً وليس لها وكيل ولا نظام ولا سلطة ولا خزانة ؟

لقد صدق الأستاذ الذى قال: إن وزارة الشؤون الاجتماعية مشروع وزارة لا وزارة . فإن خمسة عشر موظفاً من مختلف الوزارات (كشلية) خيط من غير رأس ، أو كشركة إنتاج من غير مال ، لا يستطيعون أن يفكروا إلا فى لجنة تعقد أو قرية تزار أو مقالة

تذاع أو بمجلة تحرر ؛ أما تنفيذ الرأى وتكوين النتيجة وتوفير الثمرة فذلك شيء فوق الطاقة لمن لا يملك إليه الوسيلة

ولقد كان فى وزارة الصحة عبرة لوزارة الشئون الاجتماعية لو أنها التمست هداها على ضوء الدرس المنظم والتجربة الحاصلة والخبرة المختصة ؛ فإن وزارة الصحة قد فكرت منذ عامين فى كفاح المرض فهيأت له الأسباب وأرصدت الأهب، فجعلت لكل جماعة من الناس طبيباً، وسيّرت إلى كل جهة من جهات القطر مستشفى، ولكنها لم تجد المال الكافى لشراء الأدوية وتجهيز العلاج فظل أطباؤها من غير عمل ، وباتت سياراتها من غير حركة

***

إن وزارة الشئون الاجتماعية فكرة موفقة ما فى ذلك ريب ؛ وإن الرجل الذى أوحاها خليق بأن يكون صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ، فإن العهد بمعرفته أنه رجل عمول يريد ما يقول ويفعل ما يريد . وقد دلّت الدلائل فى وزارته الأولى على أن فى رأسه خطة مدبّرة للإصلاح لا بد من إنفاذها وإن عوّق القدر وطال الأمد . ولولا ذلك ما هششنا لهذه الوزارة الوليدة ولما أسرفنا فى الرجاء منها والحديث عنها . لهذا نعتقد أنه سيفرغ لها بعد حين قد يطول وقد يقصر ، فيدبر لها المال ويمهد لرجالها سبيل العمل . وليس من الغلو فيما أظن أن تكون ميزانيتها وسطاً بين ميزانيتى الصحة والمعارف ، فقد علمنا أن اختصاصها يكاد ينبسط على كل شيء فى هذا البلد . على أن المال الذى يُفرض لهذه الوزارة فى ميزانية الدولة هو وحده النصيب الحق لهذا الشعب المسكين من ثروته العامة ؛ فإن أكثر ما يجبى من موارد الوطن المشتركة إنما يذهب للحكومة لا للأمة ، وللأغنياء لا للفقراء ، وللمدائن لا للقرى . وجمهور الشعب هو صلب المجتمع وأداة إنتاجه وعدة دفاعه ، فينبغى أن يكون همّ الخاصة وولاة الأمر مصروفاً لسد عوزه وتثقيف عقله وتأمين سلامته ، لا يضنون عليه فى سبيل ذلك بمال ولا جهد

إن رئيس الوزارة الذى يتذرع لتقوية الدفاع الوطنى بكل الذرائع ، لا يمكنه أن ينسى مادة ذلك الدفاع ولا هيكله من العمال والصناع والزراع ومن يقمن على رعايتهم وخدمتهم من أم وزوجة

فلعله يقرع بصوته المالى أسماع أولئك الأمراء والأغنياء فينزلوا عن بعض ترفهم وسرفهم للجيش أسوة بمن يضحون بأرواحهم وأموالهم فى سبيل وطنهم من أمراء انجلترا وأغنياء فرنسا ؛ فإنهم إن فعلوا ذلك — وبعيدٌ أن يفعلوه طائعين — تسنى له أن يجد المال الضرورى للشؤون الاجتماعية ، ومن ثَمّ يتسنى لوزارة هذه الشؤون أن تنهض بما ألقى عليها من عبء، وتحقق ما نيط بها من أمل

***

نعم ، هذا هو المنهاج فكيف يكون المسير ؟ هيهات أن تسير وزارة الشؤون الاجتماعية إلا على قدمين من عزم ومال .

فمتى تيسر لها المال وتوفر لها العزم كان عليها يومئذ أن تعيد النظر فى تنظيمها وتقسيمها على أساس مكين من الحاجة والكفاية والاختصاص ، فإن الإسراف فى قلة الموظفين كالإسراف فى كثرتهم سواء بسواء ؛ والعدول عن الكفء إلى غيره جناية على العدل وإنكار لفائدة العمل ؛ ووضع الأمر فى غير أهله أقصر الطرق للفوضى المربكة والفشل المحقق . وإذا كانت الوزارات الأُخر تجرى على سَنَن من التقاليد الموروثة والأنظمة الآلية والأعمال الرتيبة ، فإن هذه الوزارة الجديدة فى وضعها وموضوعها حرية بأن تكون مثلاً يحتذى فى اختيار الموظف، وابتكار الطريقة، وتبسيط الإجراء، ودقة المراقبة ، وحسن التوفيق بين قدرة العامل وطبيعة العمل، وفرض المسئولية على كل موظف بمنح الاستقلال الذاتى لكل وظيفة . وتجربة النظم الحديثة فى الجديد المنشأ أسهل منها فى القديم المجدد . وتحويل الوزارة القديمة بمصطلحاتها وطفيلياتها ومحاباتها وفوضاها إلى وزارة جديدة بطريق التنظيم ، أدخل فى باب المحال من تحويل المدينة العتيقة بمنعرجاتها ومنعطفاتها ومضايقها إلى عمارة حديثة بطريق الترميم

وملاك الأمر فى الإصلاح الدرس والروية والمشورة والعزيمة والنفاذ، على أن يكون كل عمل فى وقته ، وكل رأى فى وجهه ، وكل أمر فى أهله . ومدار النجاح فى العمل العظيم على الرزانة والجد. فإذا قضى الله أن يعاجلك الفشل دون التمام ، فخير لك أن تفشل بالصمت لا بالكلام!

احمد حسن الزيات

الشيوخ والسياسة

للأستاذ عباس محمود العقاد

الشيخوخة زيادة ونقصان

زيادة فى الخبرة والحنكة ، ونقصان فى الطاقة والهمة ، والأمم السعيدة هى الأمم التى تحسن الانتفاع بجانب الزيادة، وتحسن الحذر من جانب النقصان

أما الأمم التى تهملهما إهمالاً فهى مسرفة مضيعة ، قد تفوتها المنفعة ولا تضمن أن تفوتها الخسارة

***

فى جزائر الفيجى ، على ما يقال ، قبيلة تقتل الشيوخ الفانين أو تدفنهم أحياء ... لأنهم لا ينفعون فى حرب ولا صيد ولا عمل . وقد يعرقلون أعمال النافعين

أولئك قوم من الهمج لا يحتاجون إلى الرأى ولا يفتقرون إلى عبر الماضى وهى كل ما يعرفه الشيوخ . فإذا بدا لهم أن الشيخوخة ضرر محض وسن عقيمة فلا عجب : هى كذلك بين أمثال هؤلاء الناس

وفى اليابان مجلس للشيوخ الكبارين ينتظم فيه الرجل بعد اعتزاله مناصب الحكم ومعارك السياسة ومطامع الحياة ، وقلما ينتظم فيه قبل السبعين أو الثمانين . فإذا أشار بالرأى فإنما ينزع فيه عن غرض قويم لا خبيئة وراءه من طمع ولا ضغينة ، أو هكذا يعتقدون هناك فى فضائل الرأى الذى يصدر من مجلس الكبارين ، وما نخالهم على الصواب كل الصواب فيما اعتقدوه ، لأن المرء قد يطمع لغيره إذا بطلت مطامعه لنفسه ، وقد يكون طمعه لابنه أو زوج بنته أو نصيره أشد تمكناً من هواه وأثقل غشاوة على بصره من الطمع الذى كان يطمعه لنفسه فى شبابه

لكن هؤلاء الكبارين ينفعون

ومتى كان لهم بعض النفع فمن الإسراف تضييعه، ومن الواجب تمييز نفعهم وضرهم قبل رفض النفع والضرر جزافاً على السواء

***

أما اعتقادنا نحن فى آفات آراء الشيوخ فالمحقق أنها عرضة لآفتين متلازمتين قد تفسدان كل ما لهم من أصالة وصواب : إحداهما التهيب من الأعمال الجسام ، والثانى الحرص على العادة المتبعة والاستخفاف بكل شىء لا يضمنون أيديهم عليه ، ولا يملكون تصريفه مع خلفائهم فى الميدان

وقد خطر لى هذا الخاطر يوم نقل البريد الإنجليزى إلينا أقوال لويد جورج وأحاديثه التى يذكر فيها أنه يتلقى الرسائل كل يوم بتعجيل مؤتمر السلام ، وأنه يرى « أن تتولى الولايات المتحدة عقد هذا المؤتمر ، وألا يكون أساس البحث فيه عودة الحدود البولونية والتشيكية إلى ما كانت عليه قبل احتلال الألمان ، بل ضمان الوسيلة التى يتحقق بها دوام السلام بين شعوب العالم »

عجبت لهذا الرأى يصدر من الرجل الذى ألّب الدنيا على غليوم الثانى ، وهو لم يبلغ مبلغ هتلر من إقلاق الشعوب وإهدار العهود وإزعاج الشرق والغرب بالتهديد وراء التهديد ، والإرهاب فى ذيل الإرهاب

عجبت لمثير الأمم كلها إلى الحرب كيف يحجم هذا الإحجام ، ويرتاع هذا الارتياع ، ويحسب أن الحرب شر من العواقب التى لا تنقطع فيها الحروب ولا تهدأ فيها الفتن لو نجح هتلر فيما ابتغاه وفقدت الشعوب كل سند تستند إليه حينما جمح به هواه، وعاد إليه ديدنه وهجّيراه ؟

أهذا لويد جورج الذى كان يقسم لا يتركن غليوم حتى يشد بيديه حبل مشنقته فى العاصمة الإنجليزية ؟

أهذا لويد جورج الذى كان يقسم ليفتشن جيوب الألمان فرداً فرداً عن بقية الدراهم الباقية عليهم من غرامات الهزيمة ؟

كلا ! ...

إنما لويد جورج الذى يقول هذا هو كما قال شاعرنا العربى :

فكأنى وما أزيّن منها قُعَدِىٌّ يزيّن التحكيما

لا ينصح بالسلام إلا كما ينصح الرجل بالعفة إذا خمدت فيه نار الغرام . أو هو كما قال خصومه « لويد جورج فى السادسة والسبعين » !

أما لويد جورج الذى شن الغارة العالمية على غليوم الثانى فقد كان رجلاً آخر ، لأنه كان لويد جورج فى نحو الخمسين

وشتان اللويدان !

وشتان كل إنسان يتعاقب عليه هذان العمران

* * *

ولقد كان لهذا الشيخ الكبار أخ له من قبل كان أعظم منه شأناً وأرفع فى الخدمة الوطنية رتبة وأخلد سابقة فى سجلات وطنه وسجلات العالم بأسره

لأن لويد جورج هزم غليوم

أما أخوه السابق فقد هزم نابليون الكبير

ولأن لويد جورج هزم غليوم فى ديوان الوزارة أو على منصة الخطابة

أما أخوه السابق فقد هزم نابليون الكبير بالرأى والسيف ، أو هو كان ظافراً فى الميدان كما كان ظافراً بعد ذلك فى الديوان

ولأن لويد جورج لا ينسى المناورات السياسية والمفاجآت المسرحية

أما أخوه السابق فقد كان مثلاً فى صراحة القول وصراحة العمل ، وكان نموذجاً من نماذج الفروسية فى غزواته الحربية أو غزواته الوزارية

ذلك الأخ السابق كما علم القارئ الآن هو ولنجتون القائد السفير الوزير

وقد هزم نابليون وهو فى الخامسة والأربعين ، ثم ساورته مخاوف الهرم فقال بعد أن جاوز الثمانين : « إنه يحمد الله الذى حماه أن يعيش حتى يرى عاقبة الخراب الذى تتجمع حولهم دواعيه » !

ولنجتون فى الخامسة والأربعين غير ولنجتون فى الثالثة والثمانين

ولويد جورج فى السادسة والسبعين غير لويد جورج فى الخمسين

ولا بد للشيخوخة من آفة وهى هى اضمحلال الحياة

وهذه هى آفة الشيخوخة لا مراء

* * *

على أنها ليست آفة الشيخوخة وحدها فيما يرجع إلى صاحبنا لويد جورج

لأن الرجل كان فى الخامسة والسبعين قبل عام واحد وليس الفرق عظيما بين شيخ فى الخامسة والسبعين وشيخ فى السادسة والسبعين

كان لويد جورج شيخاً كباراً فى شهر أكتوبر من السنة الماضية

وكان لا يكف يومئذ عن تحذير رئيس الوزراء من الضعف والموادة « مخافة أن نخون الشرف وأن نفقد ثقة العالم . بل شر من ذلك وأدهى أننا نفقد الثقة بأنفسنا . ثم لا يكون سلام بعد هذا كله فى خاتمة المطاف ! »

فالذى يقول هذا فى الخامسة والسبعين خليق أن يقول مثله فى السادسة والسبعين

عام واحد لا ينقل الإنسان هذه النقلة ، ولا ينال من عزيمته هذا المنال

فالشيخوخة على كثرة آفاتها براء مما نجنيه عليها حين نلقى عليها وحدها تبعة الخلاف فى الرأى إلى هذا المدى بين عام وعام

إنما هناك أمور أخرى تعمل عملها وتسبق الشيخوخة إلى آفاتها

إنما هناك شعور الرجل من قبل فرنسا لم يفارقه منذ كانت سياستها فى حرب الأناضول سبباً من أسباب فشله وزوال عهده

وإنما هناك شعور الرجل من قبل ألمانيا وما أبقته فى قلبه زيارته لزعمائها

وإنما هناك حب الملام ممن يده فى الماء لمن يده كما يقولون فى النار .

وإنما هناك مفاجآت لويد جورج ، ولا غنى للرجل عن مفاجآت

* * *

لقد حوسب الرجل بعد خطابه حساباً عسيراً :

حاسبوه على تبشيره بالمحالفة الروسية ، وتبشيره من قبلها بالمحالفة الألمانية ، وتبشيره بكل خطة تخالف ما خطته الوزارة القائمة ، ثم يكون الفشل من نصيبها ويبدو المقم على وجهها قبل أن تنحدر إلى عقابيلها

حاسبوه ولم يظلموه

وحاسبوا الشيخوخة وظلموها فى غير ذنبها

وإن يكن للشيخوخة ذنب فمن الشيخوخة شفيع !

عباس محمود العقاد

السرا كينوى هم السرويون

للأب أنستاس مارى الكرملى

١ — السرا كينوى لا السرا كينوس

كتب حضرة الأستاذ الجليل محمد عبد الله المعودى مقالة بعنوان (السارا كينوس) فى الجزء الـ ٣٢٧ من (الرسالة)، ونَقَلَ عبارة المسعودى المأثورة عن نقفور الأول، ملك الروم، وهى : « وأنكر على الروم تسميتهم العرب (ساراقينوس)، تفسير ذلك : عبيد سارة، طعناً منهم على هاجر وابنها إسماعيل، وقال : تسميتهم عبيد سارة كذب. والروم إلى هذا الوقت (يعنى سنة ٣٤٥) تسمى العرب (ساراقينوس) ... ا هـ

قلنا : إنّ حضرة الأستاذ خُدع بما طُبع من نص هذا الكتاب، إذ نقل (سارا كينوس) أو (ساراقينوس) بمعنى العرب. والصواب أن قد وقع خطأ فى طبع هذا الاسم وهذا الصواب هو (سارا كينوى) أو (ساراقينوى)؛ أى بياء فى الآخر فى مكان السين. وأما إذا كان اللفظ مختوماً بسين فيدلّ على الفرد لا على الجمع، كما هو مشهور فى تلك اللغة

٢ — معناها

وأما أن نقفور قال : معناها عبيد سارة، فهو من تأويله الخاص به، ولم يذهب إليه أحد من العلماء الأقدمين، ولا من المحدثين. وأنتَ عليم أن هذا الملك وُلِدَ فى سلوقية العراقية، فى جوار المدائن، وكان فيها يومئذ مدارس عامرة تضارع أشهر مدارس ربوع اليونان؛ فتبحّر نقفور فيها كما تبحر فى مطالعة التواريخ القديمة. ولو كان معنى هذه الكلمة كما يقول هذا الملك لقيل Sara-Ktènoi (أى سارا كينوى)، أى مملوكات أو مماليك سارة، لكن لم ينطق أحد من المؤرخين أو المؤلفين بهذا اللفظ، اللهم إلا أن يكون قد نُحِتَ وصُحِّفَ فقيل ما قيل. لكن يبقى أن هذا التأويل خاص بالملك نقفور دون غيره؛ ويدل على قوة فكره، وتضلعه من اليونانية، وتلاعبه بالألفاظ والتصرف فى التخريج وأوّلَ هذا التأويل تزلفاً من الناطقين بالضاد، واستمالتهم إليه، إذ كان فى حاجة إليهم يومئذ، واسترضائهم فى ذلك العهد، وليس للمسعودى أدنى خيال فى هذه المسألة. فهو إذاً ناقل لا قائل، والمسعودى مؤرخ أمين وفىّ، لا يستحق أن يغمز غمزات هو برىء منها

٣ — معالجتنا لهذا الموضوع قبل ٣٥ سنة

وكنا قد عالجنا هذا الموضوع منذ أكثر من ٣٥ سنة، فأدرجنا فى المشرق (من مجلات بيروت) فى سنة ١٩٠٤ فى مجلدها السابع ص ٣٤٠ إلى ٣٤٣ مقالة عنوانها : (العرب أو السَّرْحِيُّون). ثم عدنا إلى البحث، فنشرنا فى مجلتنا لغة العرب ٧ : ٢٩٣ إلى ٢٩٧ مقالاً وسمْناه (السرحيون أو الشرويون)، وفى ٧ : ٤٨٨ و ٤٨٩ أيضاً. وعدنا إلى البحث رابعة فأصدرنا مقالة فى لغة العرب المذكورة فى ٨ : ٥٨٤ وسمناها (الشرويّون)، وبينا أن (سرا كينوى) هم الشرويون أو أهل الشراة، وهو اسم العرب الذين يقطنون الشراة، وهو صقع بالشام بين دمشق ومدينة الرسول، وكان من عمل جُند دمشق

والآن نقول إنّ صحيح الاسم هو السراة بالسين المهملة، لا الشراة بالشين المعجمة

وأما كيفية تحوّل السراة إلى (سرا كينوى) فظاهر من أن السراة، وهى تشبه سارة بعض الشبه إذا ما كتبت بحروف يونانية أو رومانية، كُسعت بأداة النسب عندهم، فصارت (سرا كينوس) بالمفرد، و(سرا كينوى) بالجمع. فانتهز هذه الفرصة الملك نقفور وأوّل اللفظ بالوجه الذى نقله المسعودى

هذا هو تأويل اللفظ اليونانى، وهذا هو وجه تحوله إلى ما تراه وتسمع به

٤ — ذكر اللفظ غير المسعودى

أما قول الأستاذ المعودى (ص ١٩٣٩ من الرسالة) : « هذه الكلمة قد سجلها التاريخ فى مطاويه منذ عهد عريق جداً، فالعرب لا تعرفها مطلقاً، إذ لم تشتهر فى تاريخهم، وما وردت فى نظمهم ولا نثرهم. فإذا كان المسعودى هو المؤرخ الوحيد الذى ذكرها، فلا شك أنها هبطت عليه عرضاً، واقتنصها اقتناصاً من أحاديث الروم. ومعنى هذا أنها غير مشهورة

بين العرب ، ولا جارية على ألسنتهم ، فهم يجهلونها كل الجهل ، جهلهم بأصلها »

فجوابنا هو : لا يمكن أن تكون هذه اللفظة معروفة عند العرب بهذه الصيغة المفلوجة الموجة ؛ إنما يقولون : أهل السراة أو السرويون . — وأما أن المسعودي هو المؤرخ الوحيد الذي ذكرها ، فنحن لا نوافق عليه حضرة الكاتب الجليل ، فقد ذكرها ابن الأثير أيضاً في تاريخه (١ : ٢٤٠ من طبعة الإفرنج) بصورة (ساراقيوس) ونقل عبارة تقفو رعينها ، فقال : « وكانت الروم تسمى العرب سراقيوس (كذا) ، يعنى عبيد سارة بسبب هاجر أم إسماعيل . فنهاهم عن ذلك » اه

ومعلوم أن ابن الأثير جاء بعد المسعودي بنحو ثلثمائة سنة ، فلا جرم أنه نقل هذا الخبر عنه . وكنت قد قرأت في كتاب تاريخ قديم سبق المسعودي بنحو مائة وخمسين سنة ، وهو لنصراني ذكر (الساراكينوى) فيكون هو أول مؤرخ عربي ذكرهم بهذا الاسم ، فأخذ عنه سائر مؤرخي العرب ، لكني لا أتذكر اسمه ، ولا اسم كتابه

وعلى كل فليس للمسعودي أدنى خيال في هذه الكلمة ، فهو ناقلٌ ، ثقةٌ ، حجةٌ ، ثبتٌ ، يعتمد عليه

٥ — لماذا سمى العرب سراكينوى أى سرويين

إن الأمة الواحدة ، الوافدة على أمة ثانية ، إذا اتصلت بها حديثاً وهي لا تعرفها ، سميت المجهولة باسم تذكره لها الأولى ، كما أنه إذا جاءك طارئٌ تجهل اسمه ، فإنك تسميه بعد ذلك بالاسم الذي عرّفك به ، لا بالاسم الذي تضعه أنت له . فاليونان والرومان اتصلوا بعرب السراة أو السّروَات منذ أقدم الأزمنة ، فذكروهم بالاسم الذي تسمواهم به ، ثمّ أطلقوه على العرب جميعهم من باب تسمية الكل باسم الجزء ، كما أن الإرَميين لا يعرفون العرب إلا باسم (طائيين) لأنهم أول ما عرفوا منهم ، كانوا من طَيِّء لمجاورتهم لهم ، واتصالهم بهم ، ثم أطلقوا هذا على العرب جميعهم وإن لم يكونوا من طيِّء . ومثل هذه التسمية كثيرة الوقوع في التاريخ

٦ — موافقة الساراكينوى للسرويين في جميع ما نقل عنهم

إذا حفظتَ في صدرك ما بسطناه لك ، انجلتْ لك عرائس الحقائق بوجوهها الصبيحة . فقد نقل الأستاذ الفاضل من المعلمة الإيطالية : « إن هذه الكلمة أصبحت اليوم علماً خاصاً يطلق على العرب ، فإن مفهومها قديماً كان على عكس ذلك ؛ فقد كانت تدور في دائرة ضيقة من التعريف لا تطلق على الشعب العربي كله إنما كانت خاصة بقبيل معيّن يسكن على شواطئ خليج العقبة في الجزء الجنوبي لجزيرة سيناء يعرفه الإغريق بـ(ساراكين) اه . فهذا داخل في أن هـــذا الجزء من سيناء هو من ملحقات السراة لا غير

وقول الأستاذ العمودي : « وأقدم ذكر جاء لهذه الكلمة في كتاب المؤرخ الإغريقي Dioscorids of Anazarabos في منتصف القرن الأول من ميلاد المسيح عند ما وصف صمغ « المقل » ، فقال : إنه ينبت من « شجرة ساركينية » اه . قول يحتاج إلى تصحيح فيقال : « وأقدم ذكر جاء لهذه الكلمة (هو) في كتاب الطبيب الشجار الإغريقي ذياسقوريدس العين زربي[1] ، من أبناء المائة الأولى للمسيح حينما وصف صمغ « المقل » ، فقال : « صمغ شجرة تكون ببلاد العرب » (عن ابن البيطار في مادة « مقل » ٢ : ١٦٢ من طبعة مصر) وأحسن من هذه العبارة هذه الترجمة : « هو صمغ شجرة تكون في السراة أو في السروات »

وقال الأستاذ العمودي نقلاً عن معلمة الإسلام وإن لم يصرح به : « وذكر المؤرخ الروماني بلينوس الأكبر في كتابه « التاريخ الطبيعي » ، وقد كان معاصراً للاغريقي السابق الذكر ، هؤلاء

(١) نقل الأستاذ كلامه عن معلمة الاسلام ولم يشر إليها ، ورواية المعلمة سالمة من التصحيف فليرجع إليها : وراجع تاريخ الحكماء لابن القفطي ص ١٨٣ من طبعة الافرنج ، والفهرست ص ٢٩٣ من طبعة أوربة ، فقد قال الأول : معنى اسمه في اليونانية : شجار الله ، لأن ذياسقور : شجار ، وينوس : الله ، أي ملهم الله على القول في الأشجار والحشائش ، والمشهور من ذياسقوريدس أو ديسقوريدس ، كما يكتبها آخرون ، لم يكن مؤرخا بل كان طبيبا وشجارا ، وصف أحسن وصف العقاقير الطبية ، وعنه نقل معظم العرب ما ذكروه عن الأنبتة وخصائصها الطبية كابن البيطار والغافقي وأبي الريحان البيروني ، وحبيش ، والتميمي ، والبصري ، والشريف ، وإسحق بن عمران ، والمنصور ، وأبي العباس الحافظ ، وغيرهم

« السراكين » ، فقال : « إنهم من جملة القبائل العربية الثاوية فى صميم الصحراء ، والتى تتاخم بلادهم بلاد الأنباط » اهـ

قلنا : ولو قيل : « إن السرويين أو أهل السراة هم من جملة القبائل العربية ... » ، لكان الكلام عين الصواب . لأن صفة البلاد التى وصفها بلينوس هى صفة ديار السرويين تماماً

ومن مقال الأستاذ العمودى ، وهو مقتبس أيضاً من المعلمة الإسلامية : « وجاء على أثر هؤلاء ؛ المؤرخ بطليموس ، فى منتصف القرن الثانى للميلاد ، فذكر بلاد « السراكين » Sarakene فقال : « إنها تقع فى بلاد العرب الحجرية Arabia Petrea ، وعيَّن مكانها بقوله إنها تقع فى غرب الجبال السوداء (لعل الصواب السُّود) التى تمتد — بناء على قوله — من خليج فاران إلى أرض اليهودية ... »

قلنا : وهذا يثبت ما ذهب إليه وُصَّاف البلدان من السلف أى أنَّ السرَوَات تمتد من أقصى اليمن إلى الشام »

وأما قول الأستاذ العمودى : « ولم يكتف المؤلف بكلامه هذا ، بل عاد ونقض قوله ، فقال فى موضع آخر من مؤلفه : « إن « السراكين » شعب يقيم فى داخلية بلاد العرب السعيدة Arabia Feliza (كذا . ولعل الصواب Ar. Felix) يقصد بذلك بلاد . اليمن وزاد على ذلك فقال : إن السكينتس Skenites وقوم عاد Oaditai يسكنون الهضاب المرتفعة ، وبالقرب منهم نحو الشمال والجنوب يوجد « السراكينوس » و« الثموديون » اهـ

ثم قال الأستاذ العمودى : وهذه الفقرة الأخيرة من بطليموس بعيدة عن أفهامنا كل البعد إذ لا يصدق مطلقاً أن توجد قرابة فى المسكن بين « السراكينوس » و « العاديين » مثلاً . فأولئك — كما علمنا — مساكنهم حوالى جزيرة سيناء ، وهؤلاء مثاويهم فى جبال حضرموت ، والمسافة بين البلدين طويلة لا تقاس » اهـ

قلنا : إن حفظنا فى ذاكرتنا السروات وأنها تمتد من أقصى اليمن ، وفيها حضرموت ، إلى الشام ، فهمنا كلام بطليموس كل الفهم ، وبلا أدنى صعوبة ، من أوله إلى آخره ، وأن ليس ثم أدنى مناقضة . فبعض المؤرخين من اليونان والرومان تكلموا على قسم من ديار السرويين ، وآخرون على القسم الأوسط ، وكثيرون على أقصى تلك الربوع ، حسب احتياج الكاتب إلى ذكر قسم دون قسم آخر من السراة

(البحث بقية — بغداد) الأب أنستاس مارى الكرملى

بين الإسلامية والعربية

صفحة موجزة من التاريخ
للأستاذ علي الطنطاوي

لما أراد الله أن يتم على العالمين نعمته ، ويختم فيهم رسالته ، وينزل عليهم (الكتاب) الذي ما فرط فيه من شيء ، الجامع لكل ما يسعدهم في أولاهم وأخراهم ، الخالد الذي تعهد عز وجل بحفظه وكفل حمايته ، اختار الله لرسالته محمداً رجلاً من العرب لا من الروم ولا من الفرس ، فأنزل عليه وحيه ، واختصه بفضله وهو أعلم حيث يضع رسالته ، وبعثه في (مكة) أم القرى، لم يبعثه في (روما) أم المدائن ، ولا في (قصبة فارس) ذات الإيوان ، وأمره أن يبدأ بقومه من قريش فيدعوهم ، وبعشيرته الأقربين من هاشم فينذرهم ، وأنزل عليه القرآن كتاباً عربياً لم ينزله بلغة روم ولا يونان، منة امتنها الله على العرب ، ونعمة أفردهم بها ...

وكان العرب — على كريم خلالهم ، وجميل سجاياهم ، وأنهم لم تفسدهم الحضارة التي أفسدت غيرهم من الأمم — في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، وتنازع واختلاف ، ذوى عصبية جاهلية يقاتل الرجل منهم أخاه على بكرة ، ويزاحمه على قطرة ، إن دعوا فإلى جامعة القبيلة ورابطة العشيرة ، وإن نادوا فبيا لتغلب ويا لبكر ويا لعبس ويا لذبيان ، ما نادوا قط : يا للعرب ! فدعاهم صلى الله عليه وسلم إلى ما يحييهم : إلى طرح أصنامهم وآلهتهم ، وعبادة الله إلهاً واحداً لا إله إلا هو ، وإقامة الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وإيتاء الزكاة التي تصلح حال الأمة ، وتؤلف بينها ، وتحيي فقيرها بما لا يضر بذله غنيها ، وصوم رمضان وحج البيت وشهادة المؤتمر الأكبر في عرفات ، واستكمال مكارم الأخلاق ، وطرح عصبية الجاهلية ، واستبدال الخلاف والتنازع بأخوة في الله ، ووحدة في الإسلام ، فأجاب منهم من كتب الله له الحسنى ، وأبي من سبق عليه الشقاء ، فصار الناس فريقين : مؤمنين وكافرين ، وصار القرآن ينزل بـ (يا أيها الذين آمنوا) بعد أن كان ينزل بـ (يا أيها الناس) ، ولم يبق إلا نسب الإسلام نسب ، وبطلت من دونه الأنساب ، فغدا النبي صلى الله عليه وسلم يصلى تالياً شتم عمه الأدنى أبي لهب الهاشمي القرشي (تبت يدا أبي لهب وتب) ويقول عن سلمان الفارسي الأعجمي : سلمان منا أهل البيت . وتطوى بنت أبي سفيان رضي الله عنها الوسادة عن أبيها وتقول إنما أنت رجس ، وقد كان (رحمه الله) يومئذ على دين قومه ، ويستأمر رسولَ الله في قتل شيخ المنافقين ولدُه الذي انحدر من صلبه ، ويقول أبو بكر رضي الله عنه لابنه (وكان مع قريش) : لو تراءيت لي في المعركة لقتلتك . لا تأخذهم في دين الله شفقة ولا رحمة ، ولا يعدلون برابطة الدين رابطة ولا رحماً ، ويؤيد الله المسلمين بنصره فينصرهم ببدر وهم أذلة ، فيقتلون المشركين ولم يقتلوهم ولكن الله قتلهم ، ويثبتهم في أحد ويرسل على الأحزاب ريحاً وجنوداً لم يروها ، وينزل أعداءهم من اليهود من صياصيهم . ولبثوا على ذلك حتى أراد الله إكمال الدين وإتمام النعمة ، فجاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً وعم الإسلام الجزيرة وألف بين أهلها (ولو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) واجتمع المسلمون في حجة الوداع ، وقام صلى الله عليه وسلم يخطب مبيناً ومودعاً ومبلغاً ، فقال[1] :

أيها الناس اسمعوا قولي ، فإني لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم ، لا تَظلمون ولا تُظلمون

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم

أيها الناس ، إن لكم على نسائكم حقاً ، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبيِّنة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرِّح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت ،

(١) رواية ابن هشام

وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً : كتاب الله وسنة نبيه

أيها الناس، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلمنّ أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد

وانتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وخرج المسلمون لينشروا دين الله ، وينقذوا العالم ، فكانوا يعرضون على من يلقون خصالاً : أولاها أن يدخل فى الإسلام فيكون واحداً منهم له مالهم وعليه ما عليهم ، لا يفرق بين المسلمين اختلاف لون ولا تباين لسان ، ولا يفضلون عربياً على عجمى إلا بالتقوى ؛ فإن أبى رحمة الله وكره دين الحق ، عرضوا عليه الثانية وهى أن يدفع الجزية فيكون له ذمة الله وذمة رسوله وذمم المسلمين ، ويكون فى حرزهم وكنفهم ، حقه محفوظ له ، وحريته مضمونة ومعابده قائمة ، وإن تعدى عليه مسلم انتصف له منه ، ثم إن الجزية شىء لا يكاد يذكر ، دراهم قليلة هى دون ما على المسلم من زكاة أو عشر أو غير ذلك ، ثم إنها يعفى منها الصبي والشيخ العجوز ، والراهب المتعبد ، فإن أبوها فقد آذنوا بالحرب . وكذلك فتحوا البلدان ، فلم تكن إلا سنوات حتى تغلغل الإسلام فى أقاصيها .

ولم يمض القرن حتى غدت بلاد العجم كلها مسلمة الدين ، عربية اللسان ، ونشأ من كل مدينة فيها علماء فحول كانوا أئمة الدين وكانوا أعلام الأدب وكانوا مصابيح الهدى ، وحسبك بالبخارى والرازى والطبرى والمروزى والتبريزى والجرجانى والأصفهانى والقزوينى والفيروزابادى(١) ممن نشأ فى بخارى والرىّ وخراستان ومرو وتبريز وجرجان وأصفهان وقزوين وفيروزاباد . ممن كان من أصل عربى أو كان من أرومة فارسية كأبى حنيفة وسيبويه والحسن وابن سيرين والزمخشرى ، من العلماء أو من الأدباء كابن المقفع وبشار وأبى نواس وابن الرومى ، ولم يكن فيهم من يرضى أن تقول له أنت أعجمى يخدم العربية ، بل هم لا يرون أنفسهم إلا عرباً ، ولا يجدون شتماً أبلغ من أن تقول لواحدهم « أنت شعوبى » قال الزمخشرى أستاذ الدنيا جار الله فى مقدمة مفصّله : (الحمد لله على أن جعلنى من علماء العربية ، وجبلنى على الغضب للعرب والعصبية ، وأبى لى أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز ، وأنضوى إلى لفيف الشعوبية وأنحاز ، وعصمنى من مذهبهم الذى لم يجد عليهم إلا الرشق بألسنة اللاعنين والمشق بأسنة الطاعنين)

(١) وأمثالهم وأمثال أمثالهم من علماء خراسان وما وراء النهر ، ممن ذكر فى معجم البلدان ومن لم يذكر

وسبب ذلك أن الإسلام امتاز من سائر الأديان ، بأنه دين وقومية جامعة ، وأنه سياسة وإنه تشريع (ولما كان الإسلام(١) ديناً وجنسية ، وقد رفع الحدود بين الأمم اللاتى تدين به ، وكره أن يدعى فيها بدعوة الجاهلية ، وجعل أصحابها جميعاً إخواناً يؤلف مجموعهم كتلة واحدة لا فضل فيها لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، ولما لم يكن بد للمجموعات البشرية من رابطة تتعصب لها وتتعصم بعروتها ، فإنه وهو دين التوحيد ودعوته للاتحاد . . . كان لا بد للمسلمين من وحدة عامة ، وعصبية عامة ، ولسان عام ، وقد نبت الإسلام عربياً ، وبعث على لسان رسوله العربى ، ونزل قرآنه بلسان عربى مبين ، فصح لهذا أن يمتزج الفرع بأصله ، ولن يتحد الإسلام بالعربية ، وأن يكون لسان شعوبها قاطبة ، وقد نجحت هذه النظرية أتم نجاح ، وأخلص المؤمنون العمل بها ، فعمت العربية ذلك المنبسط الأسيوى والأفريقى إلى حدود جبال البرنة فى أوربا ، وذلك ما يعجب به علماء الاجتماع الآن)

فكان انتشار لسان العرب فى هذه الأمم كلها واستمرابها قاطبة من عمل الإسلام الذى جعل العربية لسان العبادة بين العبد وربه . وأوجب على كل مسلم تعلم شىء منها يقيم به صلاته ، وجعل فهم القرآن وهو غاية كل مسلم معلقاً على درس العربية وفهمها ، وجعل حب النبى وقومه من أصول الإسلام ، كما أوجب الحج لتكون هذه البقعة العربية القاحلة وهذا الوادى العارى غير ذى الزرع أحب إلى المؤمن من داره وبلده

***

على هذا الأساس أنشئت الدولة الإسلامية الضخمة ، وقامت تلك الحضارة الجليلة وبنى الماضى العظيم ، ولا صلاح لآخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها

ثانوية (كركوك)

علي الطنطاوي

***

تصويب : وقع فى أوائل مقالتى (طالب علم) فى العدد (٣٢٨) من الرسالة كلمة (فيتحامونه) وواضح أنها خطأ مطبعى صوابه (فيتحاموه) على النصب

(١) هذه العبارة إلى آخرها من كلام الشيخ محمد سليمان رحمه الله

الفروق السيكلوجية
بين الأفراد
للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

(تابع)

كان كوينتليان[1] Quintilian الرومانى - معلم البيان - بيئىّ المذهب Environomentalist . فكان يعتقد أن الفروق السيكلوجية بين الأفراد - وبخاصة العقليـة والخلقية منها - هى من آثار البيئة . وكان يرى أن التربية تمحو هذه الفروق أو تقلل من أهميتها . وقد بنى رأيه هذا على تجاربه فى إعداد خطباء الجماهير . وهو يميل إلى أن التمرين قد يعوض على الفرد ما قد حرمته الوراثة . وهو يقول فى كتابه « معاهد الخطابة » Institutio Oratoria ما يأتى :

« على الوالد أن يفكر منذ ولادة طفله فى أفضل مهنة يريد إعداده لها . لأنه بتفكيره هذا يكون قد وضع نصب عينيه الغاية التى يريد تنشئته لها ، فينمو بذلك نشاطه ، وتشحذ جهوده فى تقويمه وتسويته من طليعة حياته . وإنه لزعم واهٍ أن يقال : إن قليلاً من الأفراد قد وهبوا الذكاء والقدرة على فهم ما يلقى إليهم ، وإن الجمهور من الأفراد يَضيع جهدُه ووقته سدى بسبب قلة الذكاء وبطء الإدراك . فالحقيقة تناقض هذا الزعم . لأننا نجد السواد الأعظم من الأفراد قابلاً للإدراك سريع التعلم ، ولأن سرعة التعلم ميزة من ميزات الإنسان . ونحن البشر خُصِصْنا بالنشاط والفهم الحكيم ، لأن عقلنا قد نزل من السماء وقل من الأفراد من يولد غبياً أو غير قابل للتعليم ، كما قل من الأفراد من يولد ممسوخ الخلق مشوه الشكل . ويؤيد رأيي هذا أننى أرى بذور الذكاء كامنة فى نفوس الكثير من تلاميذى ، وقد تموت هذه البذور بمرور الزمن . ومعنى ذلك أن ظهور الذكاء وتفتحه رهن بالعناية والتمرين لا بوجود القدرة الطبيعية فقط . ولذلك تعترض فتقول إن تفوق فرد على آخر إنما هو لما امتاز به الأول من مقدرة طبيعية . وإننى أسلم بذلك ، ولكن هذا التفوق لا يُعترف به إلا إذا كانت القدرة الطبيعية عملية محسوسة منتجة ، كما أنك تسلم معى أن من جَدّ وجد . فعلى من اقتنع بصواب رأيى هذا أن يسارع بمجرد أن يصبح أباً ، فيفكرَ فى مستقبل ابنه ، وماذا سيكون ، فيعمل لذلك المستقبل بحرص وعناية ويقظة » .

ونحن وإن سلمنا بأن كوينتليان من أنصار مذهب البيئة لا يسعنا إلا أن نثبت له أيضاً أنه يعترف بوجود الفروق السيكلوجية الموروثة بين الأفراد . فهو إذاً يقر بالفروق السيكلوجية الفطرية ، وبأن هذه الفروق يمكن إزالتها بالتربية والتمرين

وفى عصر النهضة أخذت دراسة الفروق السيكلوجية بين الأفراد اتجاهاً جدياً فى المدارس الإيطالية ، وعنى المعلمون بها فى توجيه تلاميذهم إلى نوع العمل أو الدراسات التى تصلح لهم

ويعتبر فيتورينو دافلترى Vittorino da Feltre الذى عاش فى القرن الخامس عشر أول مدرس بيداجوجى بحق . كان ناظراً لمدرسته ومدرساً بها . وقد اهتم بمعرفة الفروق السيكلوجية بين تلاميذه واكتناه أسبابها ، وكيفية استغلالها فى تكوين شخصيتهم . درس ولاحظ ميول تلاميذه الطبيعية المختلفة ، ومظاهر هـذه الميول ، وقدراتهم الفطرية . وكان يضع لكل تلميذ منهجاً دراسياً خاصاً ، ويتخذ أيضاً طريقة للتدريس خاصة تتفق وقواه العقلية وذوقه . وهو يقول فى هذا الصدد « ليس كل فرد صالحاً لأن يكون قانونياً أو طبيباً أو فيلسوفاً محترماً باقى الذكرى بين الجمهور ، وليس كل فرد موهوباً نعمة الذكاء الطبيعى » .

ونحن نجد مما سقنا عن فيتورينو أنه لم يكتف بمعرفة الناحية النظرية من الفروق السيكلوجية بين الأفراد بل طبّق هذه المعرفة فى مدرسته ، بل لقد بالغ وأسرف فى تطبيق نظرية الفروق السيكلوجية ونتائجها . فكان لا يتردد فى أن يطرد من مدرسته أى تلميذ يرى أنه سيء الخلق . كما كان فى كثير من الأحيان يفصل البلداء ، أو من تخلف ذكاؤهم بعد سبق

وفى القرن الثامن عشر سادت أوربا حركتان عقليتان فى فلسفة التربية : الحركة التعقلية التى تعزز من شأن العقل وحده

(١) هو Marcus Fabius Quintilian ولد سنة ٣٥ ومات سنة ٩٥ م

وتدعو إلى الثقة بما يوحى به ، والحركة الطبيعية وهى التى تجمل للميول والعواطف المحل الأول فى شؤون التربية والاجتماع ، والتى تدعو إلى أخذ الطفل بما يوافق طبائعه ويلائم ميوله ورغباته . وتدعو هذه الحركة إلى إعطاء الطفل أكبر نصيب مستطاع من الحرية لتنمية غرائزه الصالحة وقواه المنتجة النافعة . وزعيم هذه الحركة هو جان جاك روسو[1] . وقد كانت رسالته فى التربية (إميل) ثورة على نظريات التربية القديمة التى كانت تحول بين الطفل وبين نمو غرائزه ، وتحدد من نشاطه العقلى وتقيده بآراء دينية واجتماعية تقليدية

جاء روسو منادياً بتقوية الفردية Individualité ، وبتشجيع الغرائز على إظهار آثارها ، وإزالة العوائق التى تقطع عليها طريق الحرية الكاملة . وهاك اقتباساً من كتابه (إميل) يحث فيه على تنمية المواهب الفردية وتقويتها :

« لكل طفل استعداد عقلى خاص . ووفقاً لهذا الاستعداد يجب أن يوجه الطفل . وإذا أردنا نجاحاً فى تربية الطفل وجب علينا أن نسير مع ميوله الطبيعية . كن حازماً وراقب طبيعة طفلك طويلاً ، ولاحظه بحرص وحيطة من قبل أن توحى إليه بكلمة أو إرشاد . دع أولاً بذور طبيعته تترعرع ، واحذر أن تتدخل فى نموها إلا قليلاً حتى ترى عم تتفتح براعمها » وإذاً فروسو ورائى المذهب ، لأنه يرى أن الفروق السيكلوجية — وهى التى تكون الفردية — طبيعية وموروثة ، وأن مهمة المربى هى أن يرعى ما فى الفرد — أى الطفل — من قوى ، ويراقبها ، وهو يحث المربين والكبار على « أن يحترموا الأطفال ، وألا يتعجلوا فى الحكم على أفعالهم بالخير أو الشر . وإذا كان من بين الأفراد بعض الشواذ ، فالأولى أن يتركوهم مدة من الزمن حتى تظهر نواحى شذوذهم ، ثم يعالجوهم بما يصلح لها . دع الطبيعة — يعنى طبيعة الطفل — تعمل وئيداً ، واترك لها الزمن الكافى قبل أن تستعيض عنها غيرها ، خشية أن تعطل وظيفتها النافعة »

وفى أثناء المراحل الأولى من نمو الطفل سيعرف الطفل نفسه بنفسه . ويرى روسو أنه « لا ضير أن يترك الطفل وشأنه يفعل ما يشاء ، لأنه قد عرف قوة نفسه ، ومن المستحيل أن يعمل شيئاً لا يقدر على عمله ، ولأنه لا يمكن أن يعدو حدود قدرته الطبيعية ، وهو يعرف تماماً ما هى » .

ومعنى هذا أن روسو يترك للطفل كامل حريته حتى تنمو فيه الصفات المكونة لفرديته ، والتى تميزه عن غيره . فالفروق السيكلوجية إذاً نتيجة للنمو الحر للخواص الطبيعية الموروثة عند الأفراد .

ولكن رجال التربية الحديثة لا يشاركون روسو فى هذا النوع من التربية المطلقة ، لأنهم لا يثقون بتعليم الطبيعة وقيادتها وحدها ، ولأنهم يخشون إن تركت الغرائز الفردية والميول الطبيعية حرة ، أن تسلك الطريق المعوج كما تسلك الصراط المستقيم . وهم يعللون ذلك المذهب البيداجوجى الذى اعتنقه روسو ونادى به بأنه رد فعل للروح الاجتماعية والتربيوية التى كانت سائدة فى عصره والتى قيدت النمو السيكلوجى الطبيعى للأطفال .

وكل ما يهمنا من مذهب روسو فى هذا البحث هو أن نسجل أنه فطن كغيره من الفلاسفة والمربين الذين ذكرناهم فى هذا المقال وسابقه ، فطن إلى الفروق السيكلوجية عند الأطفال وإلى ضرورة تنمية الفردية وتربيتها عند الأطفال

هذا وقد أصبحت الفروق السيكلوجية بين الأفراد من الحقائق المسلم بها بين المربين وعلماء النفس المعاصرين ، وهم يوصون بأن تكون مناهج الدراسة وطرقها مختلفة باختلاف الأفراد ، ولكن إقرار الحقائق شىء والقيام بتنفيذ مستدعياتها شىء آخر . ولا زالت هناك صعوبات مادية وعملية فى سبيل تحقيق مستدعيات الفروق السيكلوجية بين الأطفال . ففصول الشواذ والمتخلفين وطرق التربية الفردية من الأشياء التى يشعر المربون بضرورتها وإن لم يستطيعوا تحقيقها بعد فى كل معهد دراسى

(بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

(١) Jean Jacques Rousseau ولد سنة ١٧١٢ ومات سنة ١٧٧٨ م

الثقافة العسكرية وأناشيد الجيش

للأستاذ عبد اللطيف النشار

نشيد الأحزاب

من وضع السيد الرسول صلى الله عليه وسلم

الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر
الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا
وسبحان الله بكرة وأصيلا
الحمد لله وحده صدق وعده
ونصر عبده وأعز جنده
وهزم الأحزاب وحده
الله أكبر . الله أكبر . ولله الحمد

***

من من المسلمين لا يحفظ هذا النشيد ؟

كلنا نحفظه ، ولكن أكثرنا يرتلونه قعوداً بعد صلاة عيد الأضحى . ولا يزال في الريف من يرتلونه في موكب عند عودتهم من المسجد إلى القرية . أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يرتله في وسط كوكبة من الجند ، ووراء الكوكبة جيش جرار على صدر كل منهم درعه ، وعلى رأسه اللأمة ، وفي يده السيف المسلول

كانوا رضوان الله عليهم أجمعين يمشون مشية المحارب ويرتلون هذا النشيد الرصين الهادئ القوى على نغمات المسير . فهو إن أردنا تسميته بالمصطلح المصرى « مارش الإسلام » هو النشيد الذى أعد لمسير الجيوش التى فتحت فارس ومصر بعد عقدين من الهجرة النبوية الشريفة

الحمد لله وحده صدق وعده
ونصر عبده وأعز جنده
وهزم الأحزاب وحده

هذا الكلام البليغ ليس بالشعر ، ولكنه قابل للتلحين . وقد حفظنا لحنه وأنشدناه ولا نزال ننشده في كل عام . وكل الفارق بيننا وبين قائليه الأولين أنهم كانوا يرددونه وفي أيديهم السيوف ونحن نرتله وفي أيدينا المسابح ، وأنهم كانوا يرددونه وهم يمشون إلى القتال ونحن نقوله ونحن سائرون إلى الديار لشرب مرق الأضاحى التى أمرنا بذبحها للفقراء فذبحناها لنأكلها نحن هنيئاً مريئاً ، وأنهم كانوا يرتلونه وتنبض قلوبهم بشعور حى لأنهم يفهمون لكلمة « وهزم الأحزاب وحده » معنى غير الذى نفهمه نحن ... هم يفهمون أن الأحزاب هم فلان وفلان الذين رأوهم في يوم كذا من شهر كذا يذبحون فلاناً وفلاناً من أقاربهم وقد هزمهم الله بأن مات منهم فلان وفلان وأسر منهم فلان وفلان وأسلم منهم فلان وفلان

« وهزم الأحزاب وحده » كلمة بليغة نقولها نحن ، ونغمة شجية نطرب لها نحن ، ولكنها غير مشفوعة في خيالنا بالصورة الواضحة التى يترسمها القائل المجاهد ، وغير مشفوعة في مشاعرنا بذكريات الأرحام الممزقة ، والمودات التى استحالت إلى عداوة ، والعداوات التى استحالت إلى أخوة

ألفاظ نقولها ونغمة نعيها ونفهم معانى كل كلمة فيها ونعى النغمة أيضاً ، ولكننا بعد ذلك لا نفهمها الفهم الكامل لأنها لا تستثير في نفوسنا ذكريات حية واشجة بحياتنا الشخصية ولا تعرض على خيالنا صوراً رأينا مثلها بالحس :

صدق وعده ونصر جنده
وهزم الأحزاب وحده

نفهم كل حرف من هذا ولكننا لم نر النبى كما رأوه وهو يرتعد ويقول : اللهم وعدك الذى وعدتنى . ولم نسمع أبا بكر يجيبه كما سمعوه حين أجابه وهو يقول : إن الله منجزك ما وعدك . فالألفاظ واحدة ولكنها أدت لدى الكثرة منا معانى فحسب ، وأدت لدى من قالوها لأول مرة معانى وصوراً وانفعالات . بل لو شئنا لقلنا إنها أطلقت من غددهم إفرازات اختلطت بدمائهم فكونت فى عروقهم لوناً آخر من ذلك السائل الكيميائى غير الذى يجرى فى عروقنا نحن

هذا النشيد إذن بتأثيره في سامعيه نشيد غير الذى ننشده نحن وإن لم تختلف ألفاظه ، وما قيمة الألفاظ التى لا تنقل نفس الأثر ؟

ولكن أحقاً أنها لا تنقل نفس الأثر ؟

أحسب القول ذا إجابات تتراوح بين الإقرار وبين الإنكار ، فإن الخيال والدرس والإيمان كل ذلك خلال تستبقى الأثر لكل

لفظ قيل إذا تشابهت ظروف القول . وهذا النشيد ككل قول آخر ينطبق عليه قول أبي الطيب :

ولكن تدرك الأفهام منه   على قدر القرائح والعقول

ولقد كان الذين دفعهم إيمانهم إلى دراسة السيرة النبوية دراسة تربط الفهم بالوجدان — كان هؤلاء يتأثرون بهذا النشيد حين يسمعونه كما تأثر به أوائل من سمعوه إذا اتفقت لهم مثل الظروف التي قيل فيها . فطارق بن زياد في فتح الأندلس قال في وسط الجند :

الحمد لله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده

قال لهم ذلك والسيوف في أيديهم ينقل إليهم مثل الإحساس الذي عالجه المهاجرون والأنصار وهم على أبواب المدينة في العام الثاني للهجرة والنبي واقف يقول إن المشركين قد اقتربوا من المدينة يريدون غزو المسلمين ، وإنه يريد أن يخاطر بعض المسلمين بحياتهم فيذهبوا إلى حيث معسكر الكفار ليعرفوا مواقعهم ويبرزوا قوتهم ثم يأتوه بالأخبار

سأل النبي أيهم يقدم على هذه المخاطرة ، فتقدم منه الزبير يعلن استعداده لها

ولكن النبي أعاد السؤال فكان الزبير هو الذي أجاب، وأعاد النبي السؤال للمرة الثالثة فكان الزبير هو الذي أجاب. فقال عليه الصلاة والسلام إن لكل نبي حواريين وإن حواريّه هو الزبير

أجميلة هذه الصورة ؟

جميلة بلا ريب . لكن أجمل منها ذلك الشعور النبيل الذي جاش بنفس النبي وجاش بنفس كل جندي من جنوده، هو الشعور بأن الأحزاب إن هزمت فإن الذي سيهزمها هو الله وحده، ومن الذي يستطيع أن يهزم الأحزاب غير الله ؟

إن أحداً لم يعد النبي بالنصر غير الله . فالله سيهزم الأحزاب لأنه سبحانه وعد بذلك . والأحزاب عدد كبير، ولكن الله أكبر

كذلك تدفقت من فم النبي هذه الأنشودة التي ظل يرتلها في كل غزوة والمسلمون يرتلونها معه :

الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر

الله أكبر كبيرا   والحمد لله كثيراً

وسبحان الله بكرة وأصيلا

الحمد لله وحده   صدق وعده

ونصر عبده   وأعز جنده

وهزم الأحزاب وحده

الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . ولله الحمد

وبعد فهذا أول «مارش» في الإسلام ، ولم يكن بالشعر ولكن صاحب الرسالة التي تحدت الشعر بالفواصل الكريمة: فواصل القرآن قد تحدت الأناشيد العسكرية بهذا النثر الموسيقي الذي فتحت به فارس وفتحت به مصر وفتحت به الشام وفتحت به أفريقا وفتحت به الهند وفتحت به الأندلس وفتحت به بلاد البلقان وفتحت به بلاد النمسا الجنوبية وبولونيا . ثم ماذا ؟ كان يفتح به سائر العالم لو فهم المسلمون فهماً مشفوعاً بالشعور العميق معنى !

الحمد لله (وحده) ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده !

ولكن هل في هذا النشيد الهادئ القوي الرصين ما في أناشيدنا من الألفاظ الجوفاء كالنار والفداء والدماء ؟

لا. لأن الجيش المحارب لا يستطيع الانتصار إلا إذا شعر بأنه من أجل الحياة يدافع ، ومن أجل الرفاهية يهاجم ، وأنه في سبيل الخير يتحرك، وأن الغرائز التي تستحثه هي الغرائز السامية لا شهوة الدم والنار .

عبد اللطيف النشار

في الأدب الإنجليزي الحديث

د . هـ . لورنس

للأستاذ عبد الحميد حمدي

الرجل كابن ومحب

قابل بول فتاة أحلامه ، وشعر بقلبه يخفق نحوها ، وحاول أن يتصل بها فما أمكنه ذلك ، لأنه كان عشيق أمه وخلها الوفى ، وفى الوقت نفسه كانت الفتاة التى قابلها وليدة العصر الحديث وثمرته ، ترى فى الجنس عدوها اللدود ، وترى فى الرغبة الجنسية الشر الذى لا بد منه . وكثيراً ما صرحت لبول برأيها فى العلاقة الجنسية ، ومن ذلك قولها له : « إن الزواج لا بأس به ، ما خلا هذه العلاقة فلولاها لكان نعيماً ليس بعده نعيم ، ولكن ما قدر يكون وليس علينا إلا الإذعان »

وبدل أن يكون الحب مصدر سعادة البنت وينبوع هنائها ، صار سبب آلامها وأساس عذابها ، فصارت تقضى جل وقتها واجمة مطرقة ، تفكر وتمعن فى التفكير ، وكلما فعلت ذلك تضاعفت آلامها وزادت

***

أحب بول ميريام وهام بها ولكنه كان يريد أن يحبها حب الرجل للمرأة ، ولكنها ما كانت لتستطيع التفكير فى العلاقة الجسمية ، وحتى القبلات الحارة كانت تؤلمها أيما إيلام . كان بول يفهم ذلك من حبيبته فما حاول أن يؤلمها أو يعذبها ، وفضل أن يكبت غريزته على أن يجرح فيها تلك النقطة الحساسة . أما هى فشعرت برغبته الملحة إلى جسمها حتى دون أن يبديها بكلمة . أدركت الفتاة ذلك فأعطته ما يريد ، أعطته إياه وهى تشعر بثقل التضحية التى تقدمها له ، وهبت له جسمها ، لا كما تهب المرأة جسمها للرجل ولكن كما توهب الضحية للآلهة . لم تكن تريد هذه العلاقة الجنسية ، ولكنها كانت تريده هو ، ولا سبيل إلى الاحتفاظ به إلا إذا أعطته ما يريد . وهذا ما دعاها للخضوع لمشيئته والاستسلام لرغبته . وإن ينس بول فلا ينس ذلك اليوم الذى أسلمت فيه له نفسها . لقد راعه فى بادئ الأمر جمالها ، فرأى فيها مثال الجسم الناضج الصحيح ، فشعر بالدم يتدفق حاراً فى عروقه ، وأحس بجسمه يحن إلى الاتصال بها ، فتقدم منها خطوة واحدة ثم وقف فى مكانه لا يستطيع حراكاً . لقد رآها وقد رفعت يديها نحوه فى حركة كلها توسل واستعطاف كأنما ترجوه أن يعفو عنها ويتركها دون أن يمسها بأذى أو مكروه . تطلع إلى وجهها فرأى عينيها الواسعتين ترقبانه فى استسلام وخضوع وترجوانه أن يعفيها من هذه المهمة العسيرة . كانت كالذبيحة التى رقدت مستسلمة حتى يحين وقت تقديمها قرباناً للآلهة ... فكان كل ذلك سبباً فى برود كل عاطفة كان يشعر بها نحوها ... »

وفضلاً عن ذلك كانت ميريام ابنة القرن العشرين ، تؤمن بتلك النظرية المستحدثة التى تسوى بين الرجل والمرأة ، والتى تقول بوجوب مزاولة المرأة لكافة أعمال الرجال ، فبدلاً من أن تركز كل تفكيرها فى حياتها المنزلية كانت تحن دائماً إلى ممارسة أى عمل من أعمال الرجال ، وكثيراً ما كانت تقول : « أريد لو أتيحت لى الفرصة مزاولة عمل من الأعمال كما أتيحت لكثيرات قبلى . وهل كان ذنبى أننى خلقت امرأة ، إن هذا أبعد ما يكون عن العدل » .

ورغم أنها كانت تكره الجنس الآخر إلا أنها كثيراً ما كانت تتمنى لو خلقت رجلاً ، وكان مقياس احترامها لأى شخص هو مقدار ما حصله من التعليم والدراسة

وفى الوقت نفسه كان يشعر بول فى قرارة نفسه أن حبه لأمه لا يترك له فرصة كى يحب امرأة أخرى غيرها ، وكان يعرف أنه مهما أحب ومهما أخلص لحبه لأمه أقوى وأثبت . ومع ذلك كان يتمنى لو صادف المرأة التى تستطيع أن تحبه حباً جسمياً ، حباً يستطيع أن يكسر تلك الأغلال التى تقيده بأمه وتربطه بها

ولكن كانت ميريام أبعد ما تكون عن هذه المرأة ، وكان هو يعرف عنها ذلك ، فكان يحبها ويشفق عليها ، ثم يعود يبغضها ويمقتها .

وأخيراً لم ير بداً من أن يطلب منها فصم تلك الصلة التي بينهما ، فكانت الضربة القاضية التي هدمت حياتها

***

ترك بول ميريام واتصل بكلارا ، وعلى العكس من حبه لميريام ، كان حبه لكلارا حباً حيوانياً لا غير ، ففي أولى مقابلاته لها نراه يسترق النظر إلى صدرها من تحت ثيابها منتهزاً فرصة انحنائها لاقتطاف زهرة ، ثم نراه وقد انتقل ببصره إلى رقبتها وبقية جسمها ، ورغم ذلك فقد باء حبه في هذه المرة بالفشل أيضاً نتيجة حبه لأمه ، فعجز عن أن يهبها جسمه كله ، فأعطاها جزءاً ومنع عنها الجزء الأكبر ، وكانت كلارا امرأة ذات تجارب فلم يفتها ذلك ولم تتردد أن قالت له في يوم من الأيام بعد أن اتصل بها مباشرة : « إني أشعر وكأني لم أتصل بك ألبتة ، أشعر كأنك بعيد عني كل البعد »

وفي آخر الرواية ترى الأم مقدار الضرر الذي تلحقه بأبنائها نتيجة استئثارها بحبهم ، وترى كذلك أنها مهما خدمتهم ومهما تفانت في هذه الخدمة فلن تستطيع أن تجعله يعدل عن حب امرأة أخرى . فيتحطم قلبها ويذبل جسمها وتسير في طريقها نحو القبر بخطوات واسعة

ويرمز لورنس بموت الأم إلى مآل المرأة التي تسير في الطريق غير الطبيعي ، ذلك الطريق الذي لم تخلق له

ويرى في ميريام وكلارا نساء القرن العشرين ، فكل منهما امرأة لا تصلح لشيء سوى حضور المراقص وإقامة الحفلات واستغلال أصحاب الأموال واستعبادهم . ونرى شخصيتيهما تتكرر في رواياته الأخرى تحت أسماء أخرى .

فنجد أميلي في « الطاووس الأبيض » وهيلدا في « ظل الربيع » وهيلينا في « المتدى »

ونرى في بول الرجل الذي يفيض قلبه بالعاطفة التي أشعلتها فيه أمه ، وهؤلاء يظلون عذارى داخل أقفاص من حديد ، يتمنون حب امرأة ليجرف أمامه حبهم لأمهاتهم ، وعبثاً مايتمنون.

وتتكرر هذه الشخصية كثيراً في روايات لورنس المختلفة ، فهو شربنزكي في « قوس قزح » وألفريد دبرانت في « بنات القسيس » وجورج في « الطاووس الأبيض » وبرتي ريد في « العميان »

***

أما مورل الأب فهو مثال لورنس الأعلى ورجله الكامل ، خلع عليه كل صفات الرجولة ومميزاتها ، ونجد له أشباهاً في الروايات الأخرى ، فهو أنابل في « الطاووس الأبيض » وهو ميلورز في « عشيق لادي تشاترلي »

(يتبع)

عبد الحميد حمدي

خريج جامعة اكستر بانجلترا

الأسمار والأحاديث

للدكتور زكي مبارك

أخي الأستاذ الزيات :

بعد أيام يظهر كتاب « الأسمار والأحاديث » ، وهو كتاب صورت به ما يصطرع في الجوّ الأدبي والاجتماعي من أحلام وأوهام ، وحقائق وأباطيل .

وقد كتبت مقدمة ذلك الكتاب وأنا غضبان : فهجمت على أهل العصر بما أعتقد أنهم له أهل ، وتوجعت من بعض ما عانيت من الأصدقاء والزملاء .

ومن حق على مجلة «الرسالة» ، وهي صديق ، أن تنشر هذه المقدمة على ما فيها من قسوة وعنف، لأنها تصور بلائي بأهل زماني، ولأنها كذلك تؤرخ حياة باحث له بين قراء « الرسالة » أصدقاء لا يؤذيهم أن يفتتن بنفسه وبأدبه أشد الفتون . زكي مبارك

***

أيها القارئ :

هل تذكر ما يحدثّك به مِراض القلوب إذ يقولون إني أثني على نفسي في فواتح مؤلفاتي ؟

أنت تذكر ذلك ، ولا ريب ، لأنهم يُعيدون هذه التهمة في كل وقت بغير حساب .

فهل ترى من حقي أن أدفع هذه التهمة في فاتحة كتابي هذا، لعلهم ينتهون ؟ !

إن الحاسدين والحاقدين لم يتركوا طريقاً إلا سلكوه لينفّروك مني ، أيها القارئ ، ثم عادوا جميعاً خاسئين مدحورين ، وتلك عاقبةُ البغي والعدوان .

لقد عابوا عليّ أن أفتن أشدّ الفتون بما وصلتُ إليه من الظفر بودادك ، أيها القارئ ، فهل كانوا ينتظرون أن يَغزُوا قلبك بعدْوَى الحقد والضِّغن فأعيش في دنيايَ بلا صديق ؟

إن ودادك ، أيها القارئ ، هو الذي أرهف قلمي ، وصقل بياني ، وهو العزاء عما أعاني في دهري وزماني من ظلم وعقوق . وما تذكرتُ حبك ، أيها القارئ ، إلا غفرتُ ذنوب الدهر وصفحتُ عن مكايد الزمان .

والآن ـ وقد رُفع بيني وبينك الحجاب ـ أُحِبُّ أن تعرف أني لم أسرِق مودتك ولم أنهب نِفقتك ، وإنما غنِمتُ من مودتك ونفقتك ما غنِمتُ بفضل الكفاح الموصول ، وبفضل ما أنفقتُ من نور البصر تحت أضواء المصابيح ، في زمنٍ تؤخذ فيه بعض المراكز الأدبية بالخداع والتضليل ، وبيع الضمائر والقلوب .

إليك ، أيها القارئ ، أنفُض أحزاني وأشجاني . ولو شئت لدللتُك على فيالق من المؤلفين في الشرق والغرب شكَوا دهرهم كما شكوتُ ، وتوجّعوا من زمانهم كما توجعتُ ، وعانَوا من غدر الأصدقاء والزملاء بعض الذي أعاني .

فأنا لم أبتكر شكوى الزمان ، وإن كنتُ أشقى المكتوين بغدر الزمان .

أنا ما سرقتُ نفقتك ، أيها القارئ ، حتى يُنفق ناسٌ من أعمارهم ما يُنفقون لينفّروك مني ، فأنت تعرف أني قضيت أكثر من عشرين سنة في خدمة اللغة العربية خدمةً صحيحةً صادقةً ، يعجز عنها الرجال « الأفاضل » الذين يُحسنون حِياكة الأقاويل والأراجيف ، والذين تشهد سرائرهم بأنهم لو كلِّفوا نسخ مؤلفاتي ومقالاتي وقصائدي لانقضت أعمارهم قبل أن ينسخوا تلك الألوف المؤلفة من الصفحات العامرة بالأفكار والمعاني .

المخلصون في زمانك قليل ، أيها القارئ ، وهم مع ذلك لا يخدمونك إلا في ميدان أو ميدانين ، أما أنا فقد خدمتك في كثير من الميادين :

نظرتُ فرأيت اللغة العربية تتشوف إلى من يحدد مقاصد النقد الأدبي ، فألفت كتاب « الموازنة بين الشعراء » وقد طُبع مرتين . ورأيت لغة العرب تنتظر من يحقق بعض المؤلفات القديمة فنشرت كتاب « زهر الآداب » ، وتداركتُ في الطبعة الثانية ما فاتني تحقيقه في الطبعة الأولى ، فجاء صورةً من الأدب المخدوم بجدٍ وعناية ، ثم نشرتُ « الرسالة العذراء » مصحوبةً بدراسات وتحقيقات ، ثم عاونتُ على إخراج كتاب « الكامل » في صورة تسرُّ الناظرين . وتلك جهودٌ بذلناها لوجه الأدب ، ولم نر من منافعها المادية غير أطياف !

ورأيت القرن الرابع هو الفيْصَل بين عهدين من عهود الإنشاء ، فألفت كتاب « النثر الفني » ، الذي يُعدُّ بحق خير

كتاب فى بابه منذ العصر العباسى إلى اليوم ، والذى أرغم الحاسدين والحاقدين على الاعتراف بأن الرجل الذى كوى قلوبهم و كبُودهم لم يكن فى حياته من العابثين .

ورأيت المجتمع المصرى فى حاجة إلى من يدلُّه على هفواته الذّوقية والأدبية والخلُقية ، فألفتُ كتاب « البدائع » الذى أقبل عليه القراء فطُبع مرتين ، وألفتُ رسالة « اللغة والدين والتقاليد » التى أجازتْها لجنة المباراة الأدبية برياسة مدير الجامعة المصرية .

وراعنى أن يجهل الناس بعض مصادر التشريع الإسلامى ، فنشرتُ رسالةً فى تحقيق نسب كتاب « الأمّ » ، وهى رسالة عدَّها السنيور نالِّلينو من الآيات ، وسينتفع بها رجال الأزهر الشريف .

وعزّ علىّ أن يقال إن شعراء أوربا قد تفرّدوا بإجادة القول فى الوجدانيات فألفتُ كتاب « مدامع العشاق » ليكون شاهداً على سَبْق العبقرية العربية إلى شرح مآسى الأرواح والقلوب ، ومن قبله ألفت كتاب « حب ابن أبى ربيعة » الذى صوّر ملاعب الأفئدة فى أيام الحجيج .

وساءنى أن يقال إن راسين هو أعظم من شرح عاطفة الحب فألفت كتاب « ليلى المريضة فى العراق » ، لأقيم الدليل على أن فى كتّاب اللغة العربية من يتفوق أظهر التفوق على راسين .

ونظرتُ فرأيتُ أن الجمهور شغلته الشواغل عن الدراسات الفلسفية ، فألفتُ كتاب « الأخلاق عند الغزالى » ، وكتاب « التصوف الإسلامى » ، وهما كتابان لن يجود بمثلهما الزمان . ولو قلت إن كتاب « التصوف الإسلامى » هو خير ما كان وما سيكون فى التعبير عن العبقرية العربية لـكنت أصدق الصادقين .

ورأيتُ الأدب العربى يحتاج إلى من يَعْرِض محاسنَه على العقول الأوربية فألفت كتاب :

La Prose Arabe au IVe siècle de l'Hégire

ورسالة :

L'Art d'écrire chez les Arabes au IIIe siècle de l'Hégire

وقد كان لهذين الـكتابين صدًى فى البيئات الأوربية والأمريكية عند من يهمهم الوقوف على ذخائر اللغة العربية . ورأيت جمهور أهل الأدب يظنون أن إمارة الشّعر فى السنين الخوالى لم يظفر بها غير أبى تمام والبحترى وابن الرومى والمتنبى ، فألفتُ كتاب « عبقرية الشريف الرضى » ، وهو كتابٌ رضِى عنه قومٌ وسخط عليه أقوام ، ولكنه سيبقى من غرر المؤلفات الأدبية ولو كره الحاسدون والحاقدون .

ورأيت الناس فى الشرق يكادون يجهلون أسرار الحياة الأوربية فألفت كتاب « ذكريات باريس » وهو كتاب يشرح ما هنالك من صراع بين الرُّشد والغىّ والهدى والضلال .

ورأيت الأمم العربية فى شوق إلى من يجدّد ما بينها من مختلف الصلات ومَن يعبّر عما فى ضمائرها من آلام وآمال ، فألفت كتاب « وحى بغداد » .

* * *

أترك ما شغلتُ به نفسى من الدراسات الأدبية فى الأعوام الماضية ، فالقراء يعرفون من ذلك أكثر مما أعرف ، وإن كان يخفى عليهم أن لى مؤلفات جيدة تصدقتُ بها على بعض الأدعياء . وأنتقل إلى الحديث عن كتاب اليوم ، وهو كتاب « الأسمار والأحاديث » . فأقول :

هذا الـكتاب جديدٌ من جميع نواحيه ، ولن يحتاج إلى تزكية أحد من الأصدقاء ، فهو حركة فكرية متوثّبة تواجه القارئ فى كل صفحة ، بل فى كل سطر ، بل فى كل جملة ، إن لم أقل فى كل حرف ، وهو مجالٌ للتأمل والتفكر والتندّر والاعتراض والاحتجاج .

فى هذا الـكتاب صُور غريبة لعقول المصريين ، وعقول من عرفت من الفرنسيين ، وسيشقى به ناس ، ويسعد ناس : لأنه سجّل طوائف من أوهام العصر الحاضر أدقّ تسجيل .

أنا أعرف أن موتي يوم يحينُ سيكون فرصةً لقوم كدّرت صفوَهم حياتي . ولـكني مع ذلك راضٍ عما صنعتُ حين تصدقتُ بخلّداتُ أسماءً لا تستحق الخلود من أمثال السادة : فلان وعلان وترتان ! وهل فى التصدق على الجاحدين من بأس ؟ أولئك قومٌ مَنّ الله عليهم بالوجود ، وأمكنهم من النعيم بالأنوار والظلمات ، وسمح لهم باستنشاق الهواء : فليس من الـكثير أن أدّعى أنهم يقرأون ويفكرون ! !

فى هذا الكتاب تنويهٌ بأشخاص يودُّون لو عميت عيونهم، وصمت آذانهم : فلا يرون وجهى ولا يسمعون أخبارى، ولكنهم سيعرفون أنى أكرم منهم وأشرف، لأنى سجلت أسماءهم فى كتاب سيغلَّف من جلود أحفادهم وأسباطهم بعد حين

بقيت كلة عن أسلوب هذا الكتاب :

وأنا أعتقد بلا زَهوْ ولا كبرياء أنى وصلتُ باللغة العربية إلى ما كانت تطمح إليه من « البيان »

أنا أعتقد بلا استطالة ولا تزيُّد أنى خلقت عُذوبة الأسلوب فى اللغة العربية، وقد صار البيان عندى طبيعة أصيلة لا يعتريها تكلف ولا افتعال، وما أذكر أنى عرفت التسويد والتبييض فيما ألَّفت من الكتب أو نشرت من المقالات بعد زمن التمرين الذى سبق سنة ١٩١٦

وما أعرف بالضبط ما هى خصائص أسلوبى : لأنى أصدر فيه عن السجية والطبع، ولكنى أعرف بالتأكيد أن الذى يقرأ مؤلفاتى ومقالاتى يشعر بأنه يرى الحياة وجهاً لوجه، ويشهد صراع الأحلام والأوهام، والآراء والأهواء، والحقائق والأباطيل

تلك صفحات من أعمالى الأدبية، فيها القديم والحديث، فهل ترانى تزيدتُ أو أسرفت ؟

وأنت مع ذلك تعرف أنى وقفتُ لأعداء العروبة والإسلام بالمرصاد فمزَّقتُ أوهام الخوارج على العروبة والإسلام شر ممزَّق، ودحرتُ من سوَّلتْ لهم أنفسهم أن يتطاولوا على ماضى الأمة العربية، وكنت دليلك فى التعرف إلى مآثر العرب فى المشرقين والمغربين، وعاديت من أجل الحق رجالاً يضرون وينفعون، ويقدمون ويؤخرون، فكان اعتصامى بحبل الحق هو أقوى ما تدرَّعت به لا تقاء مكايد الناس ومكاره الزمان

ولم أخدعك، أيها القارئ، فيما تعرضت لشرحه من الحقائق الأدبية والفلسفية : فلم أتهيب مساقط غضبك ولم أتلمس مواقع هواك، وإنما صدقت كل الصدق فرآنى فريقٌ من الملحدين، ورآنى فريق من المؤمنين، ونسبنى قوم إلى المُجّان، وعدَّنى قوم من الصوفية، وما كنت من أولئك ولا هؤلاء، وإنما أنا سار يبحث عن عَلَم الهداية فى بيداء الوجود، وما بينى وبين الله لا يعرفه عدوٌّ ولا صديق، وإنما علمه عند علام الغيوب الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وأنا أتقرب إليه بالصدق فى درس شرائع الهدى وذرائع الضلال

أيها القارئ !

أترانى أحسنتُ الدفاع عن نفسى ؟

أرى أن الذين يضيّعون أعمارهم فى مناوشتى ومحاربتى لم يستطيعوا حرمانى من ودادك ؟ كم تألمتُ وتوجعت من مكايدة مَن أعاصر من الرجال، وكنت فى أحرج أوقات الضجر والغيظ لا أملك غير التعزِّى بهذه الكلمات :

« لِيَ قُرّاء أوفياء فى أكثر الأقطار العربية والإسلامية، وهم عَوْنى على مصاولة الدهر، ومكايدة الزمان »

أما بعد فأنت الصديقُ الحق أيها القارئ، ولو شئتُ لقلت إنك أعزُّ علىّ من سائر أصدقائى وأصفيائى لأنك تفهم عنى أكثر مما يفهمون، وقد تفوقهم فى رعاية العهد وحفظ الجميل

أيها القارئ !

لم يبق لى بعد الله غير ودادِك وعطفِك . ودنيا الأدب بدون حبك سرابٌ فى سراب

ولولا الثقةُ بك أيها القارئ لكسّرتُ قلمى ورجعت إلى صحبة الفأس والمحراث فى سنتريس، إن كان سهر الليالى من أجلك أبقى لى من القوة ما أستطيع به الرجوع إلى صحبة الفأس والمحراث

ويرحم الله الشباب الذى بدَّدْته فى صحبة الكتاب والدواة والقلم والقرطاس !

زكى مبارك

بين المـــد والجزر

للأستاذ إيليا أبو ماضى

سيّرت فى فجر الحياة سفينتى   واخترت قلبى أن يكون إمامى
فجرَت على الأمواج قصراً من رؤى   ملء الفضا ، ملء المدى المترامى
وأقل منها البحر حين أقلَّها   دنيا من الأضواء والأنغام
ومشى الخيال على الحياة بسحرهِ   فإذا الهوى فى الماءِ والأنسام
وإذا الرمال أزاهرٌ فواحةٌ   والشط هيكل شاعرٍ رسام
وإذا العباب مَلاعب ومراقصٌ   وإذا أنا من صبوة لغرام
أتلقف اللذات غــير محاذرٍ   وأعبّ فى الزلاّت والآثام
لا أكتفى وأخاف أنى أكتفى   فكأنما فى الاكتفاء حمامى
وكأن هدبى أن تطول ضلالتى   وكأن ربّى أن يدوم أوامى
مرّت بى الأعوام تتلو بعضها   وأنا كأنى لست فى الأعوام
كالموج ضحكى ، كالضياء ترنحى   كالفجرزهوى، كالخضم عرامى
حتى إذا هتف المشيب بلمتى   ودنت يد الماحى إلى أحلامى
صرخ الحجى بى ساخطاً متهكماً :   هـذا الغنى شرٌ من الإعدام
حتى متى تمشى بغير نظام ؟   حتى متى تمشى لغير مرام ؟
أسلمتنى « للقلب » وهو مضللٌ   فأضرّنى وأضرّك استسلامى
يا صاح نجّ النفس من سجن الرؤى
أنا تائهٌ !
أنا جائعٌ !
أنا ظام !

* * *

وأراد عقلى أن يقود سفينتى   للشط فى بحر الحياة الطامى
فطويتُ أعلام الهوى وهجرتها   ونسيت حتى أنها أعــلامى
وحسبت آلامى انتهت لما انتهى   فإذا النهـــاية أعظم الآلام
وإذا الطريق وساوس ومخاوف   وإذا أنا من هبوةٍ لقتام
أبنى الثراء ولم يكن من مطلبى   وأرى الجمال بناظرٍ متمام
وأشيد مثل الناس مجداً زائفاً   وأشد حول الروح ثوب رغام
فإذا أنا ـ والأرض ملكى والسماـ   قدصرت عبدالناس ، عبدحطامى
فتضايق القلب السجين وقال لى :   يا أيها الجانى قتلت هيامى !
القفر بالأحلام روض ضاحكٌ   فإذا تلاشت فالرياض موامى
أين العيون تذيبنى حركاتها   وتموت فى سكناتها آلامى
وأطل من أهدابها السكرى على   ظـــلٍ وأنداء وزهرٍ نام
لمـا عصانى أن أشب ضرامها   أعيا عليها أن تشب ضرامى
الخمر ملء الجام لكن قد مضى   شوق إلى الخمر التى فى الجام
أسلمتنى للعقل فهو مضالٌ   فأضرّنى وأضرّك استسلامى
أنظار ألست تراك فى أوهامهِ   أشقى وأتعس منك فى أوهامى
المال ؟ من ذا يشتريه كله   منى بليل صبابة وغرام
يا صاح نجّ النفس سجن النهى
أنا تائهٌ !
أنا جائعٌ !
أنا ظامى !

* * *

لا تسألونى اليوم عن قيثارتى   قيثارتى خشبٌ بلا أنغام !

ايليا أبو ماضى



دراسات في الفن

العيـــد فن الطفولة

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

إلى الذين أسعدونى فى أعيادى والذين ودوا ذلك ، وإلى الذين سعدوا منى فيها فطاب لهم ذلك كما طاب لى ، وإلى الذين وددت لو أسعدتهم بعد ذلك ... حقق الله رجائى ...

إلى أيام البهجة والصدق . إلى أيام الغفلة والحب

إلى رصيف الإسكندرية ورصافتها

إلى كل ما كان ... تحية اللوعة والوفاء ... يا ليت ما كان دام لولا أن من عاش رأى . ومن يدرى فربما ود من رأى لو أنه لم ير . من يدرى ؟ لطفك اللهم !

كان العيد عيداً

كنا نهيأ لفرصته من رمضان أو شعبان فكانت أيامهما أعياداً . وكنا نحلم بأيامه فكانت أحلامنا أعياداً ، وكنا نتحدث بأحلامنا فكانت أحاديثنا أعياداً . وكان العيد يجىء وكنا نستغرق فيه ، وكان العيد يمر ، وكنا نذكره فكانت ذكراه أعياداً . وكانت نشوة العيد تأخذ الروح من العيد إلى العيد حتى لم نكن نحسب أن بين العيد والعيد أياماً ليست أعيادا

... حتى جاء عام فطنت فيه إلى أن بين عيد الفطر وعيد الأضحى شهرين وبعض شهر ، وأنهما ليسا أسبوعاً متلاحقاً : الثلاثة الأيام الأول منه عيد صغير ، والأربعة الأخر عيد كبير . فكيف فطنت إلى هذا ؟ وكيف عرفت أنها حقيقة جديدة لولا أنى لم أكن أراها قبل ذلك ، وأنى كنت لا أميز الأيام من الأيام ؟

وهل أنا وحدى الذى كنت هكذا ؟ لا يمكن ... وإنما كان مثلى كل الأطفال فهذا هو طبع الطفولة ... لا تريد أن تعرف من الحياة إلا المرح والبهجة والفرح والعيد ... فهل لم تكن تنغص علىّ الحياةَ آلامٌ ؟ كانت آلام ولكن كانت معها دموع تنسلها فتنقى الروح منها ولا تعود تذكرها

ثم تعلمت الجلد . والجلد صبر على الألم ، والألم كدر . . . فتراكمت فى النفس أكدار فوق أكدار لعلها اليوم من كثرتها لم تعد تصلح علامة لتمييز الأيام من الأيام ... ولكنها صلحت فى الماضى كثيراً فقليلاً . . . فعرفت بها فى البدء أن بين العيد والعيد أياماً لا زينة فيها ولا كعك ولا ضحية ، ثم عرفت بعد ذلك أن هناك أياماً للمدرسة ، وأن فى المدرسة حساباً وعقاباً ، ثم عرفت ... ثم عرفت ... حتى عرفت أن من الأعياد ما يقضى بين الجدران ووراء القضبان وكنت قد مررت قبل ذلك بسجن فى عيد ولم أرض أن أفكر أن فيه ناساً يقضون العيد ، ولم أطلب حتى لنفسى الرحمة من محنة كهذه المحنة .

كانت غفلة . ولكنها كانت سعادة . ولكنها كانت غفلة

فأى شىء نرجوك يارب والسعادة تبدو كأنها من لوازم الغفلة . وأنت تكره الغافلين ! نسألك العون على مرارة الفطنة . بل إنا نسألك الهدى إلى حلاوتها

فكيف نكون إذا اهتدينا ؟

فلنعر إلى المهتدين

كان محمد يلعب مع سبطيه ، وكان المسيح يدعو إلى ملكوت الأطفال ، وكان فى كل فنان من علامات الطفولة وأماراتها ما يشهد بأن فى الطفولة ميزة لو أن الناس يحتفظون بها ، ولا يجاهدونها بالستر والكبت والخنق ، ولو أنهم يتركونها تنمو فى حياتهم وتزدهر كما تنمو أبدانهم وتزدهر ، لكبروا وكبرت

هذه الميزة معهم واستطاعت أن تطبع حياتهم بذلك الطابع الذى تطبع به حياة الأطفال ، وهو طابع السعادة ... ولن تكون تحت غفلة ما دام العقل ينضج شيئاً فشيئاً ، وما دامت هذه الميزة تهديه فى نضجه فتحميه من الاتجاه إلى الخطيئة وتأخذه بالتصويب الحق الذى تأخذ به أهل الفن المهتدين ... وإذا كانت الإنسانية قد غيرت فى الماضى أهل الفن هؤلاء بشذوذهم عن أوضاع الناس المألوفة للزومهم هذه الطفولة والتزامهم منهجها فإنها إذا آمنت بها وانتهجتها هى أيضاً ستعرف أن محمداً لم يكن يعبث بوقته الغالى عند ما كان يلعب مع سبطيه ، وأن المسيح لم يكن يهرف حينما كان يلفت أنظار الناس إلى الأطفال ويؤكد لهم أنهم أقرب إلى الله والحق من الكبار وأشد به صلة ، وأن موسى لم يكن مخطئاً حينما استنجده الذى من قومه وكان عدوه يضربه فلكم عدوه فقتله ، فليس هذا إلا ما يفعله الطفل أو البدو وهم أطفال الشعوب بين حضارات البشر المكتهلة ، وقد نجاه الله بعدها من الغم فلم تعد نفسه تنغص عليه حياته بالحساب والتأنيب والتعنيف ...

فأى ميزة هى هذه التى فى الأطفال تسعدهم وتبرئهم وتستنبت الفن فى نفوسهم فإذا كبروا اجتزوها واستأصلوا الفن معها ، وصاروا بعد ذلك هكذا كما نراهم ...

إنها لا شك الميزة التى تبعث الفن ، إنها الصدق فى الحس ، والصدق فى الاستجابة له ، والصدق فى التعبير عنه . . . وهذا الصدق إذا صين فى النفوس كبر الأطفال وهم لا يزالون أطفالاً ، وأقبلوا على الحياة كما يقبل عليها الأطفال مطمئنين مبتهجين ، ولم يكن لهم شغل فى الدنيا إلا اللعب والغناء والطرب والبحث عن السعادة . فتصبح أيامهم عندئذ أعياداً ... كما كان آدم وحواء فى الجنة : لا تكليف ولا حساب ، لأن التكليف والحساب لم يجبا ولم يلزما إلا فيما جد على الإنسان من حياة بعد الجنة ، وفيما يجد على الفرد من حياة بعد الطفولة ... تمهيداً لعودة الإنسان إلى الجنة ، ورقيباً عليه وصوناً حتى يعود الفرد إلى طفولته الثانية وهى الشيخوخة ، وفيها تضعف عند الإنسان قوة الكبت التى يضغط بها الصدق فى نفسه فيطفو الصدق من جديد ولكنه يسرى عندئذ فى أعصاب منهكة تراكمت فيها الأكاذيب وآثار الأكاذيب ، فهو لا يحظى من سعادة الطفولة إلا بمقدار ما خلصت نفسه فى حياته من الشر ودواعيه . فإذا كان قد عاش على الصدق والفرح فهو فى طفولته الثانية كما كان فى طفولته الأولى تملأ نفسه البهجة ولا تفزعها الوساوس ، وإذا كان قد عاش على الغش والختل فيا ويله من طفولته الثانية ! ويا ما أشد الذى يلقاه فيها من الصراع بين الصدق الذى طالت غمرته والذى يريد أن يفيض ، وبين الكذب الذى طال تشبثه بنفسه ثم ضعف فهو لا يقوى على البقاء ... ومع هذا فإنه يأبي أن يزول فى هدوء

والآن ... هل صحيح أن الطفولة تمتاز بالصدق ؟ وهل صحيح أن الصدق مبعث الفن والفرح معاً ؟

أما أن الطفولة تمتاز بالصدق فإنه من غير شك صحيح . لأننا إذا تتبعنا أكاذيب الناس رأيناها تنقسم إلى قسمين : قسم يراد به تحصيل نفع أو دفع ضرر ، وقسم آخر يراد به التسلية والترويح عن النفس ، والقسم الثانى يدخل من باب الفن لأنه تخيل يستكمل به صاحبه نقصاً يحسه ، وهذا لا يؤذى صاحبه ولا غيره إن لم ينفع البشرية ويحفها على استكمال النقص الذى رآه صاحبه. وأما القسم الأول الذى يراد به تحصيل النفع أو دفع الضرر فهو من مستلزمات التكليف والحساب ، فلو لم يشعر صاحبه بأنه مطالب بأداء عمل من الأعمال وأنه قاصر عن أدائه لما لجأ إلى الكذب يستر به عجزه ، ويموه به على صاحب الحق مدعياً أنه قام بما كلف به ، وهو يريد من وراء ذلك أن ينجو من حساب صاحب الحق ، وهذا شعور ينافى طبيعة الطفولة التى حررتها الأديان والقوانين الطبيعية والقوانين الموضوعة من التكليف والحساب ، لأنها فعلاً لا تطيق التكليف ولا الحساب

فالطفولة إذن صريحة صادقة بطبعها ، والأطفال إذن يتعلمون من الكبار الكذب فيما يتعلمون من ألوان الكفاح والصراع فى سبيل الرزق وغير الرزق من مطالب الإنسانية الجوفاء ، والكذب الذى يتعلمه الأطفال له ثلاث شعب : هذه الشعبة الأولى التى رأيناها تأخذ تعبيرهم عن أنفسهم وتصبغه بصبغة الغش ، والشعبة الثانية تلك التى تمنعهم من الاستجابة إلى إحساسهم الصادق فتقعد بهم عما يحبون ، وتلقى بهم إلى حيث يكرهون متبعين فى هذا اعتبارات ليست من الحق المطلق فى شيء وإنما صنعتها هذه الحياة

اللفقة التى اختلقت المذاهب ، والمواطن ، والعلاقات البشرية المتناقضة المضطربة القائمة على النفع العاجل والزيف . ثم هذه الشعبة الثالثة تقيم بينهم وبين الحق سداً منيعاً وتتلف أنفسهم عنه ، فتعمى أبصارهم ، ولا يعودون يرون الشيء على حقه ، وإنما يرونه حسبما تشتهي أنفسهم الكاذبة ، وشتان ما بين الحق وبين الذي يشتهيه الكاذبون

ولكي يدرك القارئ مدى الحق فيما أقول أدعوه إلى أن يتصور صاحباً له ممن عرف فيهم الميل إلى الكذب وإدمانه ، والتعلق بالغش والإسراف فيه ، فإذا ما استحضره فى ذهنه فإنى أطلب منه أن يتابع حياته وأن يرى كم يقع هذا الكذاب الغشاش فى أحابيل الكذابين الغشاشين ؟

أما أنا فأعرف أمثلة عديدة لهؤلاء المساكين ، وأعرف أنهم أسهل فريسة للكذب والغش مع تفوقهم فى تدبير الكذب ، وتمكنهم من حبك الخديعة ... فإذا اتفق صاحب القارئ مع أصحابى فى هذا جاز لنا أن نعتبرها قاعدة مطردة ، وحق علينا أن نستقصى أسبابها . ولن يجهدنا السعى إلى أسبابها كثيراً أو قليلاً لأن ذكرها تقدم فى الذى انبسط أمامنا من الحديث عن شعب الكذب . فالأصل فى الإنسان أن يستطيع التمييز بين ما هو خير وبين ما هو شر ، وإذا جاز للانسان أن يعجز عن التمييز بين الخير والشر فيما اختلف عن نوعه من المخلوقات والموجودات فإنه لا يمكن أن يلم به هذا العجز فى صدد الكائنات البشرية التى هى من نوعه ومن طينته ، فهو نفس أو روح ، وبقية الناس نفوس أو أرواح ، والتعارف بين النفوس والأرواح لا يحتاج إلى تعليم ولا تدريب ، وإنما هو شيء يحدث بالسليقة والطبع كما يعرف الزيت الزيت فيسعى إليه ويمتزج به مهما فرق الماء بينهما . ونحن إذا تأملنا الأطفال عند ما تجمعهم الظروف لأول مرة بإنسان نعرف نحن بالتجربة أنه خيِّر ، أو بإنسان نعرف نحن بالتجربة أنه شرير وكان مظهر كل من هذين يشبه إلى حد كبير أو صغير مظهر الآخر... رأينا الأطفال يندفعون إلى الذى نعرفه خيِّراً ، وينفرون من الذى نعرفه شريراً ، وليس هذا إلا لأن الأطفال أطلقوا إحساسهم صادقاً يميزون به وحدة النفوس والأرواح بعضها من بعض ، ولا يقيمون بعد ذلك وزناً للاعتبارات الأخرى التى نقيم لها نحن الأوزان ، والتى نتأثر بها قليلاً أو كثيراً فى إصدار أحكامنا على الناس فنصدرها أحكاماً اختلطت « حيثياتها » فبعضها من القانون الطبيعى الصحيح وأغلبها من قوانين أخرى وضعناها نحن ، ووضعها الزمان ، ووضعها المكان ، وما أكثر هذه عند الكذابين والغشاشين ، وما أشد تأثيرها فى أحكامهم ، وما أشد ما يتعمدون بها عن الحق فى هذه الأحكام فيغشون أنفسهم كما يغشون الناس

هذا من ناحية الإحساس وصدقه

والأصل فى الإنسان أيضاً أن يستجيب لإحساسه هذا الصادق متى تمكن من نفسه ، فإذا أحب اندفع إلى ما يحب ، وإذا كره انقبض عما يكره ، ونحن إذا تأملنا الأطفال رأيناهم يستجيبون إلى هذا القانون الطبيعى أكثر مما نستجيب له نحن الكبار ، ومهما أخذنا على الأطفال الألمانية فى مسلكهم هذا فإننا لا نستطيع أن نتهمهم فيه بالخديعة والغش ، ثم إن هذه الألمانية نفسها التى نأخذها على الأطفال تنقحها الحياة الطبيعية شيئاً فشيئاً ، وتمحوها شيئاً فشيئاً ، فالطفل كلما كبر على سجيته أدرك العلاقات الحقيقية — لا الزائفة — التى تربطه بالمجتمع الذى يحيط به ، ورأى نفسه مطالباً أمام نفسه — لا أمام غريب عنه صاحب حق مفروض وتكليف مصنوع وحساب مسلط — بأن يراعى حق هذا المجتمع عليه كى يراعى المجتمع أيضاً حقه عليه ... وهذا شيء ملحوظ فى مجتمعات الأطفال ، التى تتألب بسرعة على الطفل الطاغية الذى يميل إلى قهرها وفرض سلطانه عليها زوراً ، وهو ما تتحرج عنه مجتمعات الكبار وتحتار وتختبل وتتعثر فى القيام به

وهذا من ناحية الاستجابة للاحساس الصادق . ويجيء أخيراً التعبير الصادق عن هذا الإحساس الصادق بهذه الاستجابة الصادقة ، وأظن أنه لا أحد من القراء يختلف معى فى أن الأطفال يمارسون هذا التعبير على طول الخط ، وأنهم لا يتحرجون من مواجهة صاحب العيب بذكر عيبه أمام عينيه وفى مواجهته لا يخشون اللوم ، ولا يحسبون حساباً لهذه المجاملات المعقدة التى يحسب الكبار حسابها والتى تحملهم على ابتلاع العيوب ... ثم ابتلاع المحاسن أيضاً ... ثم التحكم فى تقرير الحكم على الأشياء وفق ما يعرض لهم بناء على هذا الحكم من نفع يكسبونه ، أو ضرر يغنمونه ...

الأطفال إذن هم الذين يحسون بالناس — على الأقل — إحساساً



لحظات الالهـــام

فى تاريخ العـلم

بقلم مريون فلورنس لانسنغ

من الألياف الى الثياب

لأحد الشعراء الإنكليز أبيات يقول فيها إن آدم كان فلاحاً يحرث الأرض وإن حواء كانت عاملة تنسج الغزل. ويتساءل هذا الشاعر أين كان أهل الكياسة والظرف فى ذلك العهد ؟

وإذا لم تكن حواء هى أول غازلة أو ناسجة فإن إحدى بناتها أو حفيداتها أو بنات الحفيدات كانت أول من فعل ذلك لأن فن النسج كان مما بدأت به الإنسانية فى طفولتها، فقبل أن يصنع الرجل من الشماليين فى العصور الأولى لنفسه ثوباً من فرو الحيوانات التى يصيدها كانت المرأة الجنوبية قد جدلت من النبات الطويل أو من ورق الأشجار المفتول أو من البوص سلالاً تحمل فيها من حاجاتها أكثر مما تتسع لحمله كفاها ، وضفرت كذلك من هذه الأنواع حصيراً تغطى بها الأرض المرطوبة أو الصلبة فى كهفها أو كوخها ، وصنعت كذلك نوعاً من الثياب تستر به جسمها

فى العهد الذى أصبح فيه جوبال أخو توبال كين راعياً وأباً لكل الرعاة كانت أمه « آده » وزوجته وابنته إخصائيات فى ضفر النبات والألياف لصنع الأغطية والحصر التى تصنع منها الخيام ، وربما كانوا يفتلون الألياف لتصنع منها جدائل غير متقنة الصنع ويمرون هذه الجدائل بين ثقوب فى قوائم الخيمة لربطها

فى هذه الأيام الأولى بدأت المرأة تهتم باللباس لها ولأسرتها كما تهتم بالطعام ، وبدأت تزاول ، بما كان بين يديها من الآلات الحقيرة، تلك الفنون الجميلة التى صارت فيما بعد من دواعى مجدها، لأنه لا شك فى أن الغزل والنسج والصباغة من الفنون النسوية

كانت المرأة أول من استخرج الألياف من نبات الكتان وصنع منها خيوطاً ، وكانت زوجة أحد الرعاة الذين يقضون نهارهم البارد فوق الجبال . كانت تلك الزوجة أول من أخذ جانباً من صوف الغنم . ومنه صنعت ثوباً تدفئ به ابنها الطفل . وخطر ببال امرأة أخرى وهى تغزل خيطاً طويلاً متيناً من ألياف الكتان أن تضع جانباً من هذه الخيوط على عصاً وأن تلف بعضها على بعض حتى يتكون منها خيط متين ، فكان اختراعها هذا أول نوع من المغزل . وكان يدار باليد ثم صار يدار كعجلة الغزل . وكانت محبة الجمال هى السبب الذى جعل المرأة تمل من اللون الساذج البسيط للأصواف ، فوضعت المرأة المادة التى تصنع منها خيوطها فى أثناء العمل فى عصارات بعض النبات لتغير من لونها

كان هؤلاء النسوة اللواتى نتحدث عنهن من نسوة القبائل الرحالة . وفى ابتداء العهد الزراعى وعهد إنشاء المساكن أتيحت الفرصة للمرأة لتوطد هذه الصناعة . ولم تعد أمامها ضرورة تقضى

صادقاً ، وهم الذين يستجيبون لهذا الإحساس الصادق استجابة صادقة ، وهم الذين فى آخر الأمر يعبرون عن هذا الإحساس الصادق فى هذه الاستجابة الصادقة تعبيراً صادقاً ... والأطفال بهذا سعداء . وهم بهذا أحب إلى الله من الكبار الكذابين . . .

فهل كل الكبار كذابون ؟ لا ... بل أغلبهم ... ونجا من الكذب الفنانون ، أولئك الذين تحرر إحساسهم ، والذين لا يمنعهم من تلبية هذا الإحساس مانع ، والذين يعبرون عنه فى صدق وتحرر كالأطفال لا يعنيهم أن يسخط الناس عليهم أو أن يرضوا ... وهم بهذا أطفال الرجال ، وحياتهم على الرغم من الشقاء الذى يظهر لنا فيها حياة سعيدة لأنها حياة طبيعية تجرى على سنة الله الأولى وفطرته .

عزيز أحمد فهمى

بالاقتناع بالمواد الخشنة التى تجدها فى الحقول بل أصبح فى وسعها زراعة الكتان والقطن لتكون ثيابها أرق وأخف وزناً مما يصنع من الصوف . وأصبح عمل الراعى أهم لما صارت الحاجة إلى صوف غنمه مثل الحاجة إلى لحومها فى السوق

وفى الكتاب المقدس أقصوصة تدل على أن ميشا ملك مؤاب قد دفع لمولاه ملك اسرائيل الجزية صوفاً لمائة ألف جمل ومائة ألف سخل . وقد كان حذق النساء صناعة المنسوجات الصوفية مما جعل لها قيمة تجارية

وفى سفر الأمثال من الكتاب المقدس صورة جيلة لامرأة متخيلة فى عهد كان قبل سبعمائة عام من التاريخ المسيحى ، وكان كل ما منزلها بحاجة إليه من الفنون خاضعاً لسلطانها . وهذا الوصف جاء على لسان ملك ليموبل الذى علمته أمه ماينبغى أن تكون عليه المرأة التى تصلح زوجة له . وهذا وصفها : « هى التى تبحث عن الصوف والكتان وتعمل بيدها راغبة فى ذلك وهى التى تصنع بالمغزل وتمسك بيديها النسيج وتمد يدها بالبر إلى الفقير وإلى المضطر وهى لا تخاف على منزلها من البرد لأن منزلها مفروش بالبساط القرمزى وهى التى تصنع أغطية من الدانتلا وترتدى ثياباً من الحرير والقماش الأحمر »

الأميرة الصينية وثوبها الحريرى

إذا كنت فتاة صينية معهوداً إليها بتربية دود القز لأمك فإنك ستملين سريعاً من جمع ما لا يحصى من ورق التوت لإطعام هذا الدود الجائع . ولكنك إذا شكوت إليها فإنها ستقول لك : « إن كانت الإمبراطورة « هسى لنج شى » المظيمة المقدسة تتعهد بيدها دود القز ، وهى فتاة، فلأى سبب لا تفعل ذلك فتاة عادية مثلك ؟ »

عند ذلك تطأطىء الرأس فى خجل وتقول : « كلا يا أمى لن أمتنع عن هذا العمل بل سأؤديه فى سرور »

ولكن عند ما تنتهى الفتاة من عملها هذا فقد تطلب إلى أمها أن تعيد عليها قصة الإمبراطورة ودود القز . وهـذه هى القصة التى ترددها الأم :

« منذ أجيال طويلة عند ما كان كل سكان العالم همجاً كان الشعب الصينى وحده شعباً حكيما ، وقد حذق عدة أمور . وهذا هو عصرنا الذهبى الذى نزل فيه الإمبراطور الأصفر هوانج تى بين الخالدين وتولى بنفسه الحكم فى هذه الأرض

وكان هوانج حكيماً رحيماً فى حكمه، واصطنع من أجل شعبه أموراً كثيرة فوضع للتجار قواعد الموازين والمكاييل والمقاييس لكى يعلم الفقير من الصينيين عند ما يشترى الشاى أو الأرز مقدار الذى اشتراه فلا ينخدع عن الثمن . وعلم سكان الشواطىء النهرية كيف ينشئون السفن وبذلك أصبحت الصين متصلة بواسطة السفن التى تجرى فى الأنهار غادية رائحة

وفى أثناء عهده الطويل استكشفت المعادن وصنعت الأطباق من الخزف لأول مرة ، وأثرى الشعب الصينى كله فى عهد هـذا الإمبراطور الأصفر سليل الخالدين الذى عاش مائة عام على الأرض وباركها بحكمته

ولكن مع أن هوانج كان أعظم المواهل فإنه بكل ما أوتى من حكمة وبكل ما بذله من جهد لم يفعل من أجل مستقبل البلاد ورخائها مثل الذى فعلته زوجته الجميلة الصغيرة هسى لنج شى التى استقرت بحديقة منزلها وأخذت تراقب دودة قبيحة الشكل فى تلك الحديقة

كانت حديقتها حافلة بأشجار التوت وهذا هو السبب فى كثرة دود القز بها، لأن ذلك الدود يحب أوراق التوت كما تعلمين ذلك يابنيتى

وكانت تلك الإمبراطورة الصغيرة لا تزاول أى عمل فأتت لتستظل بأشجار الحديقة من حرارة الشمس

وفى أحد الأيام وقفت فى ظل شجرة وأصغت، لأنه كان يصدر عن تلك الشجرة صوت كأنه صوت تساقط ماء المطر . ذلك على أن الشمس مرتفعة فى السماء . أصغت الأمبراطورة وراقبت ثم رأت أن الديدان الصغيرة التى كانت تراها من قبل متسلقة الأغصان والتى كانت تكرهها لأنها تأكل الأوراق ، رأت تلك الديدان وقد كفت عن تناول طعامها وأخذت تصنع لنفسها لوزات، وأخبرتها تابعتان أن هذه الديدان تستمر فى صنعها اللوزات ثلاث ليال وثلاثة أيام وأنها تسجن نفسها فى داخل هذه اللوزات وقاية من الهواء ومن الشمس وتنام شهراً كاملاً ثم تثقب فى نهاية هذه المدة طرفاً من اللوزة وتطير ، لأنه ينبت لها فى مدة سجنها أجنحة وتتحول إلى فراشة جيلة

وكانت هسى لنج شى لم تر إلى ذلك العهد فراشة تخرج من اللوزة فراقبت الدود ثلاثة أيام كان فى أثنائها مكباً على عمله ، فلما انتهت هذه المدة امتنعت الأصوات التى كان يحدثها بعمله وعادت الهدأة إلى الحديقة وأخذت الأمبراطورة تعد الأيام التى يخرج الفراش فى نهايتها من اللوزات

ولما عاد البدر إلى الاكتمال مرة أخرى خرج من اللوزات مئات من المخلوقات الطائرة الرقيقة الأجنحة ، ولكن الأمبراطورة لم تكن مهتمة بهذا الفراش بقدر اهتمامها بالنسيج الذي تنسجه الدودة حول نفسها ، وكان على أرض الحديقة عشرات من هذه اللوزات الذهبية المصفرة، فالتقطتها وعكفت على دراستها وسحبت خيطاً رقيقاً هو الذى تصنع منه هذه اللوزات

قالت فى نفسها : « هذا الخيط البديع أرق من الخيوط التى نسجت منها ثيابى فليتنا نستطيع غزل خيوط بهذه الرقة

وأخذت هسى لنج شي تعبث متبلدة بهذه اللوزات بجربة الخيوط وقد لاحظت مبلغ قوتها ومبلغ رقتها، ثم خطر ببالها خاطر فجائى فسألت نفسها : لماذا تتمنى صنع خيط مشابه لهذا ؟ ولماذا لا تأخذ نفس هذه الخيوط التى تصنعها الديدان وتنسج منها ثوباً لنفسها ؟

ولما جاء الموعد التالى لظهور دودة القز ذهبت الإمبراطورة الصغيرة إلى الحديقة ، ولكن عملها فى هذه المرة لم يقتصر على المراقبة ، بل كانت تأخذ اللوزة وتحاول حل الخيط على عكس النظام التى كانت تلفها به الدودة وذلك قبل أن تثقب الدودة جانباً منها لتخرج منه

فى البداية انقطع الخيط فى يدها ولكنها سرعان ما علمت أنها إذا غمست اللوزة فى ماء حار فإنها تقتل الدودة ويسهل حل اللوزة

وكان مقدار الحرير الذى يستخرج من اللوزة قليلاً جداً ولكنها كلفت كل أتباعها جمع اللوزات حتى أصبح لديها أكداس فوق أكداس منها . ولما وضعتها فى الماء الحار جلست لتلف الخيوط على عصا لفَّة فوق لفَّة حتى اجتمع لديها قدر كبير من هذه المادة الناعمة . ثم حملت هذه الخيوط إلى منسجها الذى كانت تنسج عليه التيل والصوف ونسجت قطعة صغيرة من هذا الحرير الذهبي اللامع

من أجل ذلك نذهب كل عام يا بنيتى إلى المعبد فى الوقت الذى تظهر فيه أوراق التوت ونصلى أنا وأنت وجدتك وأبوك وعمك — للامبراطورة هسى لنج شى فهى إلهة الحرير لأنها بفطنتها وبعملها اليدوى قد استكشفت سر نسج الحرير ولقنت شعبها هذا السر

وربما سألت الفتاة أمها هذا السؤال : « وهل احتفظ كل إنسان بعد ذلك بدودة القز ؟ »

فيكون جواب الأم : « نعم لما سمعت سيدات القصر أن الإمبراطورة تحتفظ بهذا الدود رغبن جميعاً فى محاكاتها، وقد اعتادت الإمبراطورة أن تخرج إلى الحديقة ومعها أدوات ذهبية لتقطع أوراق التوت وطبق من الذهب لتضعها فيه ، وسمحت لهؤلاء السيدات بأن يخرجن إلى الحديقة بآلات وأطباق من الفضة لجمع هذه الأوراق، وقد رغب الشعب كله فى أداء مثل الذى يؤديه أهل البلاط ، فلم يمض عهد طويل حتى حذق الشعب تربية دود القز ، ونسج حريره على المناسج ولبس كل الأغنياء ثياباً من الحرير . وكذلك صنعوا منها أحزمتهم وأغطية أثاثاتهم وألحفتهم

وقد تسأل الفتاة الصينية الصغيرة : « ولكن أليس كل إنسان فى العالم يحتفظ بدود القز ؟ »

فتخبرها الأم بقصة الاحتفاظ بسر دودة القز وبسر نسج الحرير الذى تخرجه مدة ثلاثة آلاف عام فى الصين

السر المصون ثلاثة آلاف عام

هل تظن أن فى وسع شعب كامل أن يحتفظ بسر ما مدة مائة عام أو مائتين ؟

هل تظن أن نساء ورجالاً وأطفالاً يعرفون كلهم ذلك السر وأن الأجانب الراغبين فى معرفة السر والآتين من بلاد بعيدة يمشون فى الأسواق ويطوفون بالمدن متجسسين على هذا السر ولكن أحداً منهم لا يستطيع أن يكشفه ؟

هذا هو الذى فعله الشعب الصينى بسر الحرير ثلاثين قرناً ثلاثة آلاف عام

كان الصينيون فى العهد الأول من إنتاج الحرير شديدى الزهو بالصناعة الجديدة التى ابتكروها فكانوا من أجل ذلك شديدى العناية برعاية هـذا السر . وأصدر الحكام قوانين تحرم على أى إنسان إخراج الحرير من بلادهم . ولتجار الأجانب أن يشتروا ما يريدون من الخزف والشاى والأرز ومن المحاريث ومن المعادن المطروقة ومن كل ما تنتجه الصين من الصناعة . ولكن

ليس لهم من النسيج اللامع الحريرى إلا أن ينظروا إليه بأعين طامعة فإن هذا الحرير لم يكن ليباع

وكانت قوانين التجارة لا تكفى لمنع التجار عن تهريب الأقمشة الحريرية من حدود الصين فخرج الحرير من الصين حتى فى العهد الذى كانت فيه القوانين صارمة وزاد مقدار المهربات زيادة مطاردة فى القرن الأخير بازدياد الاتصال بالشعوب الأخرى

وكان بين الصين وبين إيران طريق منقطع بين الجبال ويقول بعض الناس إنه أقدم طرق العالم ، وقد بدأ ضيقاً بحيث لا يتسع إلا لمرور رجل واحد فمن أجل ذلك كانوا يمشون فيه صفاً ، وعلى التدريج كانوا ينظفونه من الصخور والأحجار التى تعوق المسير فيه حتى أصبح أعظم طريق للقوافل فى الدنيا القديمة ، وهو الطريق ما بين الشرق الأدنى والشرق الأقصى ، وهو الطريق الذى يسلكه أهل البلاد المجاورة للبحر الأبيض المتوسط للحصول على المصنوعات الجميلة من الصين ومن الهند

ومن هذا الطريق كان التجار يهربون الحرير من الصين إلى الأغنياء فى مصر وفى أشور وفى بابل وفى فينيقيا ، ومع كثرة ما كان المهربون يهربونه من كميات الحرير التى تؤخذ سراً . أو تشترى علناً فإن تجار الفرس لم يعرفوا سر دودة القز

وجاء الإسكندر الأكبر ، وكادت فتوحاته تشمل العالم كله ، وفى أثناء قيادته جيوشه فى مناطق الشرق فى القرن الرابع قبل المسيح رأى نبات القطن فى الهند فنقله إلى اليونان ، ورأى الثياب الحريرية يرتديها نبلاء الصين فأتى بشىء منها إلى بلاده وذهب إلى الأماكن التى يصنع فيها الحرير فلم يكتف بنقل كميات من المنسوج بل نقل كذلك أثقالاً من مادته الخام قبل نسجها ، ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يعرف من أين تأتى هذه المادة الخام

هذا هو سر الصين الذى كتمته طول عمرها والذى لم يستطع معرفته حتى قاهر العالم الاسكندر

وكان الرومانيون فى بداية العهد المسيحى يختالون بقصورهم فى ثياب حريرية اشتروها من تجار الفرس ، وقد بلغ بهم الأمر أن حلوا النسيج الصينى واستخرجوا خيوط الحرير وأعادوا نسجها على أنوالهم ولكن هذا العمل كان كبير النفقات إلى أقصى حد . وكانت القوانين فى الإمبراطورية الرومانية تحرم لبس الحرير على غير النبلاء وقد رفض الإمبراطور أورليان (٢٧٥ — ٢١٧ قبل المسيح) أن يلبس الحرير أو أن يسمح لزوجته بلبسه لأنه غال جداً ، وكان يدعوه باسم « الهواء المنسوج » وذلك بالقياس إلى المواد السميكة الأخرى التى كان الرومانيون يصنعون منها ثيابهم

وأخيراً أفشت سر الحرير أميرة صينية مخترقة بذلك حرمة القوانين : كانت مخطوبة لملك هندى حوالى سنة ١٢٠ قبل المسيح ، وهذا الملك هو خوتان . وكان يعلم أن أميرات الصين اعتدن لبس الثياب الحريرية دون غيرها فبعث إليها بأن الهند وإن كانت قد اشتهرت بقطنها فإنها لا تستطيع أن تزودها بشىء من الحرير فخاطرت مخاطرة جسيمة عند سفرها إلى منزل زوجها فخبأت فى زينة شعرها بذور شجر التوت وبيض دود القز وغادرت الحدود دون أن يشتبه فى ارتكابها للجريمة التى عقوبتها الإعدام

ولما وصلت إلى البلاد التى اختارتها وطناً ثانياً بدأت زراعة التوت وتربية دود القز

ولكن سفراء الصين لدى بلاط زوجها رأوا ما فعلته ولم يكن فى وسعهم أن يعاقبوها لأنها أصبحت ملكة على بلاد أخرى وكانوا لا يزالون يريدون الاحتفاظ بالسر ، فأخبروا زوجها الملك بأنها تربى الثعابين السامة فأمر الملك بإحراق المكان الذى يربى فيه دود القز معتقداً أنه ثعابين

لكن السر تسرب إلى الهند فى بداية العهد المسيحى ؛ ففى سنة ٢٨٩ بعد المسيح ذهب أربع فتيات صينيات إلى اليابان لتعليم اليابانيين تربية الدود . لكن إلى سنة ٥٠٠ بعد المسيح كان صنع الحرير لا يزال مجهولاً فى القسطنطينية وهى إذ ذاك عاصمة العالم الغربى ، وكان الإمبراطور جوستنيان الذى يتولى شئون الإمبراطورية فى القسطنطينية رجلاً ذا مشاريع كبيرة حاذقاً فى تنمية التجارة ، وكان كالاسكندر الكبير دائم البحث عن شىء جديد مما يصنع فى البلاد الأخرى . وعاد اثنان من الرهبان الفارسيين ومن أصحاب المهد النسطورى المسيحى إلى القسطنطينية بعد أن عاشا فى الصين سنوات كثيرة . وعلما لطول مدة الإقامة ما لا بد أن يعلمه من طالت مدة إقامتهم هناك من سر هاتين الصناعتين : إنماء شجر التوت وتربية الدود

سمع الامبراطور قصتهما فاشتد اهتياجه وحملهما على الوعد بأن يحاولا عند عودتهما إلى القسطنطينية فى المرة التالية نقل شىء إليه من بيض دود القز . وفى سنة ٥٥٥ عاد الراهبان وقد خبآه فى تجويفى عصوين من القاب . وقد اشتدت العناية فى القسطنطينية بهذا البيض تحت إشراف الراهبين . وصنع الدود لوزاته وأخرج

من هنا ومن هناك

لماذا اتفقت روسيا وألمانيا

[ملخصة من مجلة « كرستيان ساينس »]

أصبح العالم اليوم يشاهد روسيا وألمانيا تتمشيان يداً فى يد على خريطة أوربا السياسية ، وقد يكون فى ذلك شىء من الغرابة ، ولكن الأيام من قبل قد أرتنا مثل ذلك .

فقد عاد ستالين وهتلر إلى تلك السياسة التى ترمى إلى تقوية موسكو وبرلين ضد قوى أوربا الغربية المتحدة .

وليس هذا كل ما فى الأمر ، فقد رأى هذان الرجلان المختلفان فى الرأى والمبدأ أن يخضعا المبادئ والآراء ، لضرورة الظروف الواقعة ؛ فاختلاف المبادئ لم يكن له أثر يذكر فى توثيق العلاقات التجارية بين روسيا الغنية بالخامات وألمانيا الحافلة بالمصانع والآلات . كما أن اختلاف الآراء والمناحى السياسية لم يكن ليحول دون هذا الاتفاق ، وقد كانت الصلات السياسية والحربية بين موسكو وبرلين مبنية على قواعد وأسس وطيدة الأركان ، حتى ظهر هتلر ، وأعلنت مبادئه فى ألمانيا ؛ فتغيرت الأحوال ، وحل الشقاق محل الوئام ، وتبادل كل من الدولتين الدعاية المزرية ضد الأخرى ، وتعددت الإهانات من الجانبين .

فنحن حين نذكر الاتفاق الروسى الألمانى ، جديرون بأن نذكر كلمة قالها سياسى فرنسى عظيم فى هذا الاتفاق : « لقد عجبنا ولكننا لم نفاجأ » .

على أن ألمانيا وروسيا وإن اختلفتا فى المبدأ ، فإن بينهما أواصر من التشابه تجمعهما فى سياق واحد . ونعنى هذا التشابه فى الوسائل لا فى الفكرة ولا فى الفلسفة ، فكلتا الدولتين تنفذان إلى أغراضهما عن طريق القوة ، وكلتاهما تستخدمان أشد أنواع الإرهاب للاحتفاظ بكيانهما ، وكلتاهما لا تعبآن باحتجاج الرأى العام أو تقيمان له وزناً ، وكلتاهما تخضعان لحكم الأقلية وتسيران وراء نظام حزب واحد ، وتهزآن بالنظم البرلمانية والأوضاع الشرعية ، وكلتاهما تضطهدان الأديان ، وتناديان بنوع جديد من الوطنية . ونحن نرى أن من المبالغة وسوء تقدير الموقف أن نقول إن هذه الأمور من شأنها أن تؤدى إلى تحالف دائم موطد الأركان ولكنها ولا شك تؤلف نوعاً من الوحدة بين الدولتين فلا تلبثان أن تتحدا إذا اصطدمتا عند غرض واحد .

وليس معنى هذا أن الدولتين لا تختلفان من الوجهة العملية فنحن لم ننس بعد حملة الألمان على البلشفية ، ولا ننس حملة البلشفيك على الألمان ، ولا ما بين الدولتين من الاختلافات العديدة .

ولكنا إذا أردنا أن نتبين حقيقة الموقف بين روسيا وألمانيا يجب أن نقدر ثلاثة أشياء : وجوه الاتفاق بين الأمتين ، ووجوه

فراشه كما لو كان لم ينقل إلى مسافة تقرب من نصف طول العالم . وهكذا بدأ صنع الحرير بداية حسنة فى عهد ذلك الامبراطور

وكانت كل هذه الإجراءات تعمل فى داخل القصر وتحت إشراف الامبراطور شخصياً بما فى ذلك إقامة أنوال تشتغل عليها النساء فى نسج الثياب بين جدران القصر وبملاحظة الامبراطور

لكنه لم يكن فى الإمكان الاحتفاظ بسر فى القرن السادس فى الأستانة حتى ولو كان ذلك السر فى البلاط الامبراطورى كما كان ذلك يفعل منذ قرون فى الصين . وعلى الرغم من أن جوستنيان قد احتكر صناعة الحرير ولم يكن يسمح لأحد بصنعه فسرعان ما تسربت هذه الصناعة إلى العالم الغربى . ومن البيض الذى كان فى تلك العصا نشأت هذه الصناعة وازدهرت فى جنوب أوربا وبخاصة بالقرب من البندقية مدة الألف والمائتى العام التالية. وانتهت أخيراً مدة السر المكتوم التى دامت ثلاثة آلاف عام

(يتبع) ع ١٠

الاختلاف بينهما ، ثم حكم الأمر الواقع . فهذه أمور يجب أن ينظر إليها بعين الاعتبار .

ولا يخفى أن رجال الجيش الأحمر لا يرضيهم ذلك الاتفاق بين روسيا وألمانيا ، ويعدونه من مظاهر الضعف والخذلان ، كما أن رجال « ليتفنوف » يؤيدونه ويعدونه من عوامل القوة ومظاهر الانتصار .

ومهما تختلف الآراء وتتباين الأغراض ، فإن هناك مواضع عديدة للاتفاق بين الدولتين ، فمن الواجب أن ينظر إليها بالحذر والاحتياط .

كيف أنشئ خط ماجينو ؟

[من مجلة « باريد »]

كان قواد الجيش الفرنسي في عام ١٩١٤ لا يهتمون كثيراً بفكرة التحصين . فكانت نتيجة ذلك أن الجنود الفرنسية دفعوا ثمن هذا الإهمال .

ولكن هذا الدرس لم يكن ليذهب سدى . فنحن نرى فرنسا اليوم تشيد نظامها الحربي على فكرة الحصون وتعتمد على قوة النيران ويعد خط ماجينو من الأمثلة العجيبة في قوة التحصين والدفاع .

وقد جرى العامة على تسمية هذا الخط « بحائط ماجينو » ، وهذه التسمية في الحقيقة بعيدة عن الصواب . إذ أنها تمثله في صورة الأبراج المرتفعة إلى عنان السماء ، والحقيقة أن هذا الحصن الفرنسي لا يرتفع عن سطح الغبراء . وقد صدق بعض الجنود في تسميته : « أديم الشرق » .

ومما لا شك فيه أن ذلك الأديم العجيب ، سيعد من أقوى وأعظم ما صنعته يد البشر في القرن الحديث .

حفر خط ماجينو في المدة من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٦ في مساحة قدرها اثنا عشر مليوناً من الأمتار المربعة ، ووضع فيه ما لا يقل عن ٥٠٫٠٠٠ طن من الصلب ، ويحتوي هذا الخط على كهوف وأنفاق تمتد من باريس إلى ليج في خط واحد ، وبلغ عدد المشتغلين في بناء هذا الخط ١٥٫٠٠٠ نفس ، ومقدار ما أنفق عليه سبعة آلاف مليون من الفرنكات . ولم يقف العمل في هذا الخط إلى اليوم .

ومن المؤكد أنه لا يتسنى لقوة أية كانت أن تخترق هذا الحصن المكين ، ولما كانت حصون ليج ونامور وانتورب في عام ١٩١٤ لم تقو على صد هجمات الخصوم لضعف مادتها ، بينما أعيت حصون فردان المدافع الثقيلة ، فلم تعد منها بطائل — فقد عرضت مادتها على هيئة من كبار المهندسين الفرنسيين لفحصها فحصاً جيداً ، ومعرفة ناحية المقاومة فيها للاثتناس برأيهم قبل اختيار المادة التي يصنع منها خط ماجينو العتيد . وبعد التجارب المضنية التي قام بها خاصة الخبراء والمهندسين ، قرروا أن يصنع الخط من مادة قابلة لاحتمال ثلاث قذائف متوالية على مكان واحد .

أما فيما يتعلق بالغازات السامة ، فقد أعدت آلات كهربائية داخل الخط ، ومن شأنها أن تجعل الضغط الجوي في الداخل أعلى من الضغط الخارجي ، فيمتنع تسرب الغازات السامة داخل الخط وقد أعدت المدافع والبنادق لطاردة الطيارات .

ولا تقف مهمة خط ماجينو على الدفاع ، فلا يكفي المحارب أن يكون آمناً ، فالدفاع هو الناحية السلبية في الحرب ، أما الناحية الإيجابية ، فهي الهجوم ، وكلاهما ضروريان في الحرب .

ويستطيع الجنود في خط ماجينو وهم آمنون أن يسدوا وجه الأفق بطبقة من النيران تلتهم ما أمامها وما خلفها .

كيف نصل الى الله

[من مجلة « سيكولجي ، ريلجن هلث »]

العبادة فن . ولكي نعبد الله عبادة مقبولة يجب أن نعبده عبادة صحيحة ، من الواضح أننا لا نستطيع في يوم من الأيام أن نصعد على خشبة المسرح ونتناول القيثارة ، ثم نعزف عليها الأغاني والأناشيد دون أن نتعلم كيف نحمل القوس ونستعملها استعمالاً صحيحاً . فهل العبادة أقل خطراً من العزف ؟ هل الحياة الروحية أقل أهمية من حياة اللهو ؟ لا شك أن عبادة الله تحتاج إلى كثير من الجد والتأمل والمران الطويل

يشكو الكثيرون الخمود في حياتهم الروحية . ويزعمون أنهم يخفقون كلما حاولوا الاتصال بالرفيق الأعلى . فهل حان لنا الوقت

لنسائل أنفسنا عما إذا كنا نسلك الطريق الصواب فى محاولاتنا الاتصال بالله ؟ إن العبادة كـكل شأن فى الحياة لها طريقها الخطأ وطريقها الصواب

ولا يفهم من كلامنا أننا نريد أن نقول إن الإنسان لا يستطيع أن يتصل بالله إلا إذا عرف طرق العبادة فهذا ما لا نرمى إليه ، ولكننا نستطيع أن نؤكد هنا شيئاً واحداً وهو أننا لا نستطيع أن نصقل قوانا الروحية ونصل بها إلى غايتها العليا . إلا إذا عرفنا ما يجب عن الله جل شأنه ، وما يوجبه علينا من الفروض فى هذه الحياة ، ونعد أنفسنا لطاعته على الدوام

إن العبادة أمر طبيعى فى الإنسان . فنحن فى بداوتنا أو حضارتنا ، إذا أصابتنا ملمة نفكر دائماً فى تلك القوة التى تقينا شر العوادى ، ونصور بألسنتنا أو قلوبنا ذلك الإحساس العميق نحو الخالق الذى بيده كل شىء . فبعضنا يلجأ إلى الرقى والتعاويذ وبعضنا يلجأ إلى الخلوات وبعضنا يتوجه إلى الكنائس وبعضنا يذهب إلى المساجد وبعضنا يجأر إلى القوة الإلهية مستصرخاً من شر ما يلاقيه ، ومهما تتعدد الوسائل وتختلف الأسباب ، فكلنا نتجه إلى قوة نسألها العون فى جميع المطالب

إن عقائدنا تصور نفوسنا . فمن الواجب أن نعرف الرأى السديد فى معرفة الله إذ أن حياتنا وأخلاقنا يسيران خطوة وراء هذا الرأى

نحن حين نعبد الله نعبد صفات . فماذا ترى أن تكون صفات الله . إن عبادتنا تتوقف على معرفة ذلك . فإذا عرفنا الله معرفة خاطئة لا يقبل عبادتنا . فلا يصح مثلاً أن نطلب إلى الله أن يقسو على أعدائنا ، أو نطلب إليه تحقيق رغبة من الرغبات التى تبعثها الأنانية الشخصية ، لأن الله له صفات فوق كل ذلك

يجب أن ننظر إلى الله عن طريق الحق والجمال وحب الخير، وأن نعتقد بأنه منزه عن كل ما يخالف هذه الصفات

***

(تصويب : جاء فى مقال « الحيلة فى تقليد السياسة الألمانية » المنشور فى الأسبوع الماضى كلمة «سيك» ملك بروسيا، وصحتها سيده ملك بروسيا)



فى كلية الآداب

١ — جاءنى صديق يدرّس علماً من العلوم العقلية فى كلية الآداب ، جاءنى يشكو . وهذا الصديق كان زميلى أيام التحصيل فى جامعة باريس

قال صديق : أتدرى ما يجرى عندنا ؟ قلت : خيراً ! قال : إن أحد المدرسين من الأجانب لا يقنع بما تم له فى جانب التدريس بفضل سمى مستشرق كبير ، فها هو ذا يتلطف ليظفر بإدارة شؤون مكتبة الجامعة . وأعجب من هذا أنه يتلمس من الكلية استقدام زميل له شاب من أوربة ، فيقول إنه من ذوى البسطة فى اللغة العربية ومن أهل النظر فى الاستشراق ، وإنه لا غنى للكلية عنه فى تلقين الطلبة « مناهج البحث فى المشرقيات » . ومما يورث الأسف أن آذان « قسم اللغة العربية » فى الجامعة قد نشطت إلى هذه الأقوال . ولو تدرى يا صديق أن هذا العالم الشاب — واسمه سلومون بينيس S. Pinès — قد عرفناه فى باريس

قلت : لا أذكره . قال : إنه ذلك اليهودى اللتوانىّ ، وفى منطقه عِىّ . قلت : حقاً لا أذكره ؛ ألاَ تخبرني عن كفايته ؟ قال : إنه لا يحمل سوى شهادة الدكتوراه من ألمانية ، وأنت تدرى أن الدكتوراه الألمانية ليست بشىء يذكر إذ المعول عليه هنالك شهادة « الهابليتاتسيون » ، وما الدكتوراه إلا فى مرتبة « الليسانس » الفرنسية. قلت: هل ألف الرجل شيئاً فنُعظم فهمه ونكبر عرفانه ؟ قال : إنه صنّف رسالةً فى الفلسفة الإسلامية لم يشقّ بها أفقاً ولم يكشف عن سر، فهو ممن يجرى و يُجرى مَعَهُ. بالله خبِّرنى : أكلٌّ من خطر له أن يسقط إلينا يصيب الأذرعَ إلى المناق مشتاقة ؟ ثم ماذا أقول فى هذا ، وماذا يقول إخوانى وجلُّهم من زملائى الباريسيين أو البرلينيين ؟ إنّ فى مصر غير واحد ممن حصّل فى أوربة فن الاستشراق ومارسه وألّف فيه وظفر برضا أهله وإعجابهم ، وذلك فضلاً عن أن العربيـة لغتنا فقدَمُنا فيها أثبت وبصرنا بها أعلى »

إنى أنقل شكوى الزميـل ، وأملى أن يكون حديثه وهما من الأوهام

***

٢ — فى كلية الآداب « معهد للدراسات الإسلامية » وهو اسم واقع على شىء غير موجود ، بل على خزانة كتب (وهى غير وافية فلقد شكا إلى بعضهم أن ليس فيها « كتاب الشعر » لأرسطو، ترجمة أبى بشر متى بن يونس)

وقال لى قائل : إن الوزارة السابقة وقفت دون إخراج هذا المعهد من جانب القوة إلى جانب الفعل ، وذلك دفعاً لفتنة قد تقوم بين كليتين فى هذا البلد . فانظر كيف تُفسد السياسة مسالك العلم

إن معهداً للدراسات الإسلامية مما لا معدِل عنه لمصر . وقد فصلت ذلك فى العدد الخاص لمجلة « المكشوف » البيروتية (١٠ يولية ١٩٣٩) فلا أحب أن أعود إلى ما جاء هنالك . غير أنى أذكر بعضهم أنْ ليس فى مصر — وهى مصر — مجلة محض علمية موقوفة على مسائل الإسلام وشؤون العرب ، على حين أن فى بيروت مجلة « المشرق » وفى دمشق « مجلة المجمع العلمي العربى » . وأما أوربة وأمريكة فمجلات الاستشراق تزيد فيها على الثلاثين . وأغرب من هذا أن للفرنجة فى مختلف البلدان الإسلامية مجلات رفيعة الشأن، وقدذكرت بعضها فى «المكشوف»

***

٣ — منذ تسعة أشهر أو نحو ذلك أُلفت فى كلية الآداب لجنة لوضع المصطلحات الفلسفية باللغة العربية . وأعضاء هذه اللجنة طائفة من الأساتذة والمدرسين من مصريين وأجانب . واللجنة على قسمين : قسم للتحرير وآخر للعمل . وهذا القسم

الثانى على شعب ، وإحدى هذه الشعب إنما همها منصرف إلى تأليف معجم المنطق من طريق استخراج المصطلحات فالتنقيب عن أصلها اليونانى ثم الاهتداء إلى نظائرها فى اللغات الإفرنجية الحديثة . ومما نوّه هذه الشعبة طبع منطق كتاب الشفا لابن سينا طلباً للوصول إلى مصطلحاته وبذلها للمراجعين . هذا وأعمال سائر الشعب على ذلك النحو

ولا شك أن مثل ذلك السعى محمود ، فمن ورائه تُسدّ حاجات التعبير الفلسفى بقواعد صحيحة . ولا شك فى أن جُلّ رجال تلك الشعب أهل اطّلاع ومعرفة ، وإن تُحُوّىَ عنهم غيرهم من المشتغلين بمصطلح الفلسفة الإسلامية

غير أن أعمال تلك اللجنة لا تزال حديثاً يُتناقل فى أندية الثقافة العليا ، وإن كان حديث صدق . مصداق ذلك أن شعبة معجم المنطق لم تقم فى أثناء تلك المدة إلا بتصوير منطق كتاب الشفا وهو مخطوط . وهذا البطء فى الإنجاز قد دعا بعض المستشرقين المتصلين باللجنة إلى أن يكتب إليها يستخبرها الخبر على ما انتهى إلىّ

فعسى أن تمنع اللجنة الناس أن يقولوا إن مجمع فؤاد الأول للغة العربية أوفر نشاطاً من لجنة وضع المصطلحات الفلسفية فى كلية الآداب

بشر فارس

أعجب العجب

صديقنا الدكتور بشر فارس لا يسرُّه كثيراً أن يعترف بالحق : فهو ينقل الجدل من ميدان إلى ميدان ليُنسىَ القراء موضوع الخلاف

هو يقول بوجوب إلقاء الشعر كما يُلقى النثر ، وأنا أقول إن الوزن من العناصر الأساسية فى الشعر ، ومن الواجب مراعاة ذلك عند الإلقاء

هذا هو أصل الخلاف ، فكيف استباح أن يعيد على سمعى مسألة بديهية تقرر أن الشاعر خير من الوازن ؟ وهل يظن أن « زميله الباريسى » ممن تخفى عليهم البديهيات ؟

ويقول : « إن الطرب لا يأخذ النفس اللطيفة من طريق الحس الظاهر » وهو فى هذا الحكم من المخطئين : فالحواسُّ هى أدوات النفس ، ولكل صورة وجدانية أصل من الصور الحسية ، وهذا بحث مسهب أودعته كتاب « التصوف الإسلامى » فلا أعود إليه : لأنى أبغض الحديث المعاد ، ولأنى لا أحب أن أعود إلى درس هذا البحث من جديد ، ولأن لمجلة « الرسالة » شواغل أهم من درس الموضوعات التى دُرِست من قبل

وأراد الدكتور فارس أن يداعب « زميله الباريسى » فسأله عن صحة « ليلى المريضة فى العراق »

وأقول إن « ليلى » فوق التهكم والسخرية يا دكتور فارس فاتق الله فى رأسك فقد يطيح فى لحظة غضب إذا توهمت أنه يجوز المزاح مع الحب.

وتقول إنى أردت أن أذيع فيكم أنى مفتون بالجمال

فماذا تريدون ! أتريدون أن أفتن بالقبح كما تُفتنون ؟

إن القاهرة لم تخلق فيكم شاعراً يصف أيامها الغُرّ ولياليها البيض ، وليس فيكم من تحدث عن شارع فؤاد كما تحدث طبيب ليلى المريضة فى العراق ، وهل ألهمتك باريس ما ألهمتْ صاحب كتاب « ذكريات باريس » ؟

أحبك يا ليلى ، وأحب من أجلك جميع اللائمين والعاذلين . ذكّرتنى يا بشر بليلاى ، فمتى أرى ليلاى ؟ ومتى يهديك الله ، أيها العذول ؟!

زكى مبارك

١ — الروحانية ، والفكرية

---

٢ — اللفظة الإغريقية

---

١ — مما يُروى حاشية لمقالة المَن السِنَن الدكتور زكى مبارك الأديب المشهور فى نعيم الجنة التى وُعد بها فى الغد لا اليوم المتقون — خبر فرقة اسمها (الروحانية ، الفكرية) تعجلت فى الدنيا لذات وطيبات فى الأخرى ولم تتمهل[1] و « من طلب الشىء قبل أوانه مُنِى بحرمانه » وقد ذكر تلك الفرقة المستعجلة . . (أبو الحسين محمد بن احمد المَلَطِىّ المتوفى سنة ٣٧٧) فى مصنفه (كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) وهو من الكنوز العربية التى أظهرها العربانيون — لا العربيون — منذ ثلاث سنين . وفيه من أخبار النحل ما فات كتبها المشهورة مثل مقالات الإسلاميين ، والفِصَل ، والملل والنحل ، والفَرق بين الفرَق

قال الملطى : « ومنهم الروحانية وهم أصناف ، وإنما سموا (الروحانية) لأنهم زعموا أن أرواحهم تنظر إلى ملكوت السموات وبها يعاينون الجنان ، ويجامعون الحور العين ، وتسرح فى الجنة ، وسموا أيضاً (الفكرية) لأنهم يتفكرون — زعموا — فى

(١) فى (ذيل زهر الآداب) قال أبو العيناء : محمد بن مكرم والعباس ابن رستم تعجلا الجنة فى الدنيا ؛ يشربان الخمر ولا يصليان ...

هذا حتى يصيروا إليه ، فجعلوا الفكر بهذا غاية عبادتهم ومنتهى إرادتهم ، ينظرون بأرواحهم فى تلك الفكرة إلى هـذه الغاية ، فيتلذذون بمخاطبة الإلهية لهم ، ومصافحته إياهم ، ونظرهم إليه — زعموا — ويتمتعون بالحور العين ومفاكهة الأبكار على الأرائك متكئين ويسعى عليهم الولدان المخلدون بأصناف الطعام وألوان الشراب ، وطرائف الثمار ... ولو كانت الفكرة فى ذنوبهم الندم عليها والتوبة منها والاستغفار لكان مستقيما . وأما هذه الفكرة فبوبها لهم الشيطان لأنه لا يتلذذ بلذات الجنة إلا من صار إليها يوم القيامة ، وهكذا وعد الله عباده المؤمنين والمؤمنات »

وذكر ذلك الكتاب صنفاً آخر (من الروحانية) أغرب من الصنف الأول وأنكر ... قال : « ومنهم صنف من الروحانية — زعموا — أن حب الله يغلب على قلوبهم وأهوائهم وإرادتهم حتى يكون حبه أغلب الأشياء عليهم . فإذا كان كذلك عندهم كانوا عنده بهذه المنزلة ووقعت عليهم الخلة من الله ؛ فجعل لهم السرقة والزنا وشرب الخمر والفواحش كلها على وجه الخلة بينهم وبين الله لا على وجه الحلال ولكن على وجه الخلة كما يحل للخليل الأخذ من مال خليله بغير إذنه ، منهم رباح [1] وكليب [2] كانا يقولان بهذه المقالة ، ويدعوان إليها . . . كذب أعداء الله وكيف يكون ذلك ؟ ! »

إنه البشر حائر كيف يدين ، حائر كيف يكون — لا زال فى حيرته ! — وفى هذا الوقت فى هذه (الكرة الأرضية) فى هذه الأريضة الضيقة الضئيلة الحقيرة [3] التى هى من ذنبات الشمس — أكثر من أربعة آلاف نحلة كما يقول جيو فى كتابه L'irréligion de l'avenir « وكل يعظم دينه » ويقول : إن الحق عندى ، والحق يسخر منهم

ألا « إن الدين عند الله الإسلامَ » الصحيح

***

(١) القيسى (٢) الصوفى

(٣) وقطينها فى الحقارة والضؤولة مثلها بل أحقر منها وأضأل ، قال صاحب اللزوميات ، والفصول والغايات :

ذرية الانس ، لا تزهوا فانكم ذرا تعدون أو نملا تضاهونا

٢ – مقالة الباحث الفضال (الأستاذ محمد عبدالله العمودى) فى الجزء (٣٢٧) من (الرسالة الهادية) – مكتنز بالفوائد، كشاف عن حقائق وسؤال منشيه حاذق الإغريقية واللاطينية[1] عما لا يدريه ولا ندريه من براهين فضله

وقد تمديت فى (كلمتى) السابقة البحث عن تلك اللفظة الإغريقية، وتركت مجادلة النابز فى نبزه – إن كان يعنى ما عنى – لأنى إنما قصدت أن أبث ما بثثته، وأشكو – وقد ضيم العرب فى كل إقليم – إلى سيدى (رسول الله) ما شكوته

وأقول فى هذا المقام فى حكاية ذاك النبز: إن العربية الحرة ما أَمت أو تأمت فى حين. وإن لم تكن – يا أخا العرب – عِزوةٌ من العِزَوات[2] التى خطها مؤرخون ولم يحققها باحثون؛ فإن عربية محمدية إليها ننتمى لتتضاءل بل تضمحل قدامها فى الكون كل نسبة. (*)

جوائز نوبل لسنة ١٩٣٩

منحت جائزة نوبل الأدبية لسنة ١٩٣٩ إلى الكاتب والأديب الفنلندى فرانز إميل سيلانبا

ونالها فى الطبيعة البروفسور أرنست أورلاندو لورانس الأستاذ بجامعة كاليفورنيا، مكافأة له على اكتشاف السيكلوترون وتحسينه والنتائج التى أمكن الحصول عليها بواسطته، وخاصة فيما يتعلق بالعناصر الصناعية فى محطات الإرسال الأثيرية

أما جائزة نوبل للكيمياء فى سنة ١٩٣٩ فقد نالها الأستاذان بوتناندت الأستاذ بجامعة برلين، وروزيسكانوف الأستاذ بجامعة زوريخ

وقد كانت جائزة الكيمياء لسنة ١٩٣٨ مؤجلة، فمنحها فى هذا العام البروفسور كوهن الأستاذ بجامعة هيدلبرج.

وقف دور انعقاد مجمع فؤاد الأول للغة العربية

أصدر حضرة صاحب المعالى وزير المعارف القرار الوزارى الآتى:

بعد الاطلاع على محضر الاجتماع الذى عقد فى يوم ٢ نوفبر سنة ١٩٣٩ من بعض أعضاء «مجمع فؤاد الأول للغة العربية» بشأن دور الانعقاد فى هذا العام

وبعد نظر المادة التاسعة من المرسوم الملكى الصادر فى ١٤ شعبان سنة ١٣٥١ (١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢) بإنشاء «مجمع ملكى للغة العربية»

من حيث أنه يتبين من مجموع الكتب الواردة فى هذا الصدد من الأعضاء الأجانب أنه لا ينبغى الاطمئنان إلى توافر العدد الذى يكفل عقد جلسات المجمع فى هذا العام

ومن حيث أن التوجه بالدعوة مع ذلك إلى هؤلاء الأعضاء على وجه خاص، من شأنه أن يجشمهم مشقة السفر والتخلى عن الأعمال التى يعالجونها فى بلادهم لو قدر لهم القرار فيها فى هذه الفترة. هذا على حين لا يكفل عقد جلسات المجمع، لقلة العدد أو على الأقل انتظامها على فرض اكتمال الحد الأدنى الذى أوجبه المرسوم لصحة الانعقاد

المادة الأولى: وقف دور الانعقاد «لمجمع فؤاد الأول للغة العربية» هذا العام (١٩٣٩ – ١٩٤٠)

المادة الثانية: على رئيس «مجمع فؤاد الأول للغة العربية» تنفيذ هذا القرار

الأمير شكيب أرسلان فى برلين

قالت جريدة «النهار» البيروتية:

اعتاد المذيع العربى فى راديو الشرق أن يرد على أكاذيب المذيع العربى فى راديو برلين على أثر تلاوة نشرة الأخبار المسائية. وقد تولى مساء الأربعاء تفنيد مزاعم راديو برلين التى طلعت بها على العالم العربى لمناسبة وصول الأمير شكيب أرسلان إلى العاصمة الألمانية والحفاوة التى قوبل بها

وقد علقت الصحف السويسرية على زيارة الأمير، فقالت إن رئيس الدعاية النازية اقترح منح الأمير شكيب لقب مواطن

---

(١) كتبها السلف بالطاء ويكتبها عصريون بالتاء

(٢) بسكون عين الكلمة وفتحها فقط فى مثلها

شرف الريخ ، ولكن هتلر رفض العمل بهذا الاقتراح بحجة أن الزائر من الجنس السامى ولا يجوز أن يمنح لقباً يجعله فى مستوى أبناء الريخ

وإزاء إلحاح رئيس الدعاية رضى هتلر بمنح الأمير لقب مواطن شرف على أن يرأس الحفلة رجل غير آرى فوقع الاختيار على البارون اليهودى ارنبهايم الذى كان يرأس دوائر الاستخبارات فى البلاد العربية فى الحرب العظمى

حول صوت من ألف عام

حمدنا للأستاذ الأعظمى قيامه ببعث ديوان الأمير تميم وإمتاع الناس به وإتحاف قراء الرسالة ببعض شعره ، ولكن هل كان أفضل شعره ما عرض فيه للعباس وعبد الله بن عباس فى قصيدة الرد على ابن المعتز ؛ وهل ثم ضرورة داعية إلى هذا وشعر ابن المعتز فى هذا الوجه لا يكاد ينتبه إليه أحد لإعراض الناس عن هذه المفاضلات السياسية التى كانت لها مناسبات درست ؟ ولقد كان العباس وعبد الله بن عباس وعلى والحسين أسرة واحدة وبينهم من الحرب والتناصر ما التاريخ ممتلئ به ، فما بالنا اليوم نثير فتنناً حمدنا الله على موتها ؟ والعجب أن الأستاذ الأعظمى قائم على جماعة الأخوة الإسلامية والدعوة لها ، فهل تقوم الأخوة على تذكير الناس بهذا الجانب الطائفى من الماضى السحيق ؟

محمد على النجار
مدرس بكلية اللغة العربية





في سبيل العربية

تصحيح نهاية الأرب

جزؤه الثانى عشر

بقلم الأستاذ عبد القادر المغربى

الأغلاط التى عثرنا عليها فى هذا الجزء قليلة جداً، وقد يكون معظمها مما يسمونه خطأ مطبعياً ، ومع هذا فسنذكر هنا هذه الأغلاط لتكون كالمحام يصل بين طرفى سلسلة التصحيحات التى خدمنا بها هذا الكتاب النفيس منذ أول صدوره ونشرناها على التوالى فى أجزاء[1] مجلة مجمعنا العلمى الدمشقى . وإذ قد توقفت مجلة هذا المجمع عن الصدور رأينا أن ننشر تصحيح الجزء الثانى عشر وما يليه فى مجلة « الرسالة » وذلك لسعة انتشارها ، ولأن معظم قراء مجلة المجمع الدمشقى من قرائها وهاهى ذى تصحيحات الجزء الثانى عشر

ص ٦٣ س ٨ قوله : (ويؤخذ من السُك الأصفر الطوامير مثقال) السُكُّ طيب ذكره المؤلف ووصف أنواعه . و(الطوامير) جمع طومار وهو الصحيفة . وفى اصطلاح كتّاب الدواوين قديماً صحائف ذات شكل خاص تطوى طياً خاصاً . قال كعب بن زهير فى وصف ناقته من شعر (طُمّرت تطميراً) أى كأنها طوبت طىّ الطوامير . فكلمة الطوامير إذن لا تصلح أن تكون صفة أو بدلاً من كلمة (السُك) فلعل صوابها (الطواميرىّ) بياء النسبة . ويكون معنى نسبة السك إلى الطوامير أن ذلك السك مما يحفظ فى الطوامير لا فى أوعية أو ظروف أخرى ، أو المعنى أن لون السُك الأصفر فاتح أو قاتم كلون الطوامير

وقد تتبعنا ما قاله المؤلف فى طريقة اتخاذ السُك فلم نجد ما يساعدنا على معرفة المراد من وصفه بالطواميرى

ص ٩٠ س ٥ قوله : (طبيخ البان بالأفاويه مع الماء أقوى له) الصواب أن يكون (طبخ) بصيغة المصدر إذ أن سياق الكلام والإخبار بقوله : (أقوى) يقتضيان هذا

ص ١٢١ س ٢ قوله : (ثم دُقه بشىء من ماء التمر) الضمير فى (دقّه) يرجع إلى الآس الذى دُقّ دقاً جريشاً ثم عُجن بماء التمر إلى أن قال : (ثم دقّه الخ) . ولا يخفى أن قوله : (دقه) بالقاف المشدّدة محرف أو مصحف وصوابه (دُفهُ) بالفاء الساكنة أمر من فعل داف يدوف . قال فى (الأساس) : (دافَ المسك بالعنبر خلطه به . وداف الزعفران أو الدواء خلطه بالماء ليبتلّ) ولا ريب فى أن ماء التمر لا يتصور أن يدقّ به شىء من الأشياء وإنما يداف به ويخلط . وفعل (الدوف) استعمله المؤلف فى غير ما موضع . ففى ص ١٣٢ س ٥ (ويُداَفان بالطلاء الريحانى) وفى ص ١٣٥ س ١٠ (الزعفران والمسك الدافين بدهن البلسان)

ص ١٢٨ س ١٠ قوله : (وصمّده على هبال الماء) ضمير (صمده) يرجع إلى المسك المدوف بماء الورد و (التصميد) كما فى القاموس وشرحه الإذابة ومنه قيل خلّ مصمّد . ويقال شراب مصمّد إذا عولج بالنار حتى يحوّل عما هو عليه طعماً ولوناً ا هـ . وهبال الماء بخاره الساخن الصاعد عنه وهو على النار . وهى كلمة عامية كانت شائعة على ما يظهر فى عهد المؤلف كما لا تزال شائعة فى بلادنا الشامية غير أنا نلفظها نحن الشوام (هبلة) لا (هبال) على أن (هبال) قد تكون جمعاً لهبلة فإن (فعلة) تجمع على (فعال) قياساً نحو قصعة وقصاع . واليسوعيون فى معجمهم العربى الفرنسى فسّروا الهبلة بقولهم Vapeur d'un liquide ثم وضعوا أمامها العلامة التى تدل على أن الكلمة ليست فصيحة وإنما هى مستعملة فى اللغة العامية . وأذكر أن بعض العارفين باللغات السّامية عدّ كلمة (الهبلة) فى جملة الكلمات الباقية فى العامية الشامية من اللغة السريانية . ولا يخفى أن مؤلف (نهاية الأرب)

(١) الأجزاء الخمسة الأولى من نهاية الأرب نشرت تصحيحاتها فى مجلد السنة السادسة من مجلة المجمع العلمى العربى الدمشقى . وتصحيح الجزء السادس نشر في مجلد السنة السابعة . وتصحيح الجزء السابع نشر فى مجلد السنة التاسعة وتصحيح الثامن نشر فى مجلد السنة ١٢ . وتصحيحات الأجزاء : التاسع والعاشر والحادى عشر نشرت فى مجلد السنة ١٣

هذا ومجلدات مجلة المجمع الدمشقى محفوظة فى دور الكتب العامة ولا سيما دار الكتب الظاهرية بدمشق ودار الكتب المصرية فى القاهرة

يتسامح فى استعمال الكلمات الدخيلة الجارية فى لهجة عوام زمانه : فهو يقول (شوابير) ويريد بها القطع أو الفتائل المجمولة على طول الشبر . ويقول (الريم) ويريد به الزبد أو الرغوة التى تعلو المائعات وهى تغلى على النار فتلتقط وترمى . والكلمتان عاميتان شائعتان فى مصر والشام إلى زماننا هذا . فلا حاجة إذن إلى جعل (المبال) الواردة فى كلام المؤلف محرفة عن كلمة (الهباء) بالهمزة وهو ما ارتفع من النبار وأن المراد بالهباء حينئذ البخار الساخن مجازاً .

ص ١٤٤ س ٢ قوله (ويغلى بزيت مغسول) لعل الأفصح فى استعمال هـذا الفعل هنا أن يقال (يُقلى) بالقاف لا (يُغلى) بالنين : فإن ما يطبخ بالزيوت والأدهان من دون إضافة ماء يستعمل فيه فعل قلاه يقلوه وآلته (المقلاة) . وإذا طبخ الطعام بالماء مع زيت أو دهن أو من دونهما ثم يقبق قيل إن الطعام يغلى غلياناً ، وإن الطاهى أغلاه ، وطبخه لا قلاه وحمصه . على أن الغليان فى عبارة المؤلف قد يكون له معنى ولكنا نستبعد أن يكون مراداً للمؤلف فهو فى الراجح من تصحيف النسّاخ

ص ١٦٠ س ١٠ ذكر المؤلف عقاقير سُحقت ونُخلت وعُجنت بعسل ، ثم قال : (وتُبسط على جام وتقطع وتستعمل) ثم قال فى ص ١٦١ س ٦ (ويبسط على جام الخ) واستعمال الجام فى الموضعين صحيح فصيح فلا حاجة إلى تصحيح الجام بكلمة (الرخام) وإن كان بسط الأدوية والطيوب على رخام كثير الوقوع ، غير أن بسطها على الجام أقرب تصوراً وتعقلاً . وبيانه أن للجام معانى ثلاثة تختلف باختلاف اللغات الثلاث العربية والتركية والفارسية فالجام فى العربية معناه الإناء من فضة ، وقال علماء اللغة إنه بهذا المعنى عربى فصيح . والجام فى التركية لوجاج كزجاج الشبابيك والمرايا . والجام فى الفارسية القدح الذى يشرب به الشراب فى الأكثر وغير الشراب فى الأقل

ولا يمكن أن يكون المراد من (الجام) فى عبارة المؤلف هذا المعنى الفارسى أى القدح ؛ وإنما الممكن أن يكون المراد الإناء من فضة (بالمعنى العربى) أو لوح الزجاج (بالمعنى التركى) ، فإن بسط العقاقير ومعالجة تركيبها عليه كثير الشيوع وشد ما رأيناه فى الصيدليات . ولا سيما إذا لاحظنا أن طائفة من علماء اللغة قالوا إن (الجام) هو (الفاثور) وفسروا الفاثور بالطست يكون من رخام أو فضة . وخص الأزهرى فقال : إن أهل الشام يتخذونه من رخام . فإذا كان الجام قد يتخذ من رخام فلا حاجة إذن إلى تصحيحه بالرخام . والفاثور أيضاً قد يكون بمعنى قرص الشمس وقد سموا قرصها بالفاثور على التشبيه . وهذا يدل على أن الفاثور الذى يسمى الجام لا يكون له حروف قائمة حواليه حتى قال فى (الروض الأنف) : (الفاثور سبيكة الفضة) والسبيكة لا حروف لها كما لا يخفى . ويؤيد هذا ما جاء فى كتاب (الألفاظ الفارسية المعربة) من أن (فاثور) معرب (پتر) وهو كل ما صفح من ذهب وفضة ونحاس . ثم نقلوه إلى الآنية المدنية التى لها شكل الصفائح كالخوان والطست وقرص الشمس ، ثم شبهوا به صدر الحسان وخاصة صدر بثينة الذى قال فيه جميل :

سبتنى بعينى جؤذر وسط ربرب   وصدر كفاثور اللجين وجيد

وبالجملة فإن استعمال المؤلف لكلمة (جام) بمعنى الإناء أو الزجاج صحيح ولا حاجة إلى تصحيحه بالرخام وإن كان استعمال الرخام فى هذا المقام ممكناً

ص ١٦٩ س ٦ قوله : (ويؤخذ ماء الصِلق المتصر) الفصيح فى (السلق) وهو الخضرة المعروفة أن يكون بالسين كما ورد فى معاجم اللغة . لكن لما كان المؤلف يتسامح فى استعمال الكلمات العامية كما قلنا وكان (الصلق) بالصاد مما ينطق به عامة زمانه كما ينطق به عامة زماننا — لما كان ذلك كذلك حَسُنَ الإبقاء على (الصلق) الواردة فى عبارة المؤلف بالصاد ولا حاجة إلى تصحيحها بالسين ، وهذا كما أبقينا على كلمة (ملو) بالواو وهى عامية مكان (ملء) بالهمزة فى عبارة المؤلف (ص ١٤٠ س ٥) وهى قوله : (ويكون المصير أقل من ملو القارورة) وقد أحسن المصحح الفاضل صنعاً فى قوله : (أبقينا (ملو) على حاله حرصاً على استعمال المؤلف) وكذلك نبقى كلمة (الصلق) بالصاد على حالها حرصاً على استعماله : فإن فى هذا الإبقاء على الكلمات العامية الواردة فى عبارات علمائنا وكتّابنا الأقدمين — غرضاً له قيمته فى معرفة تطور الألفاظ وتاريخ اللهجات كما لا يخفى

ص ١٦٢ إلى ١٧٧ وصف المؤلف خلال هذه الصفحات أدوية مركبة من عقاقير لتنمية (القوة الجنسية) وقد ذكر فى عنوان ثلاث (وصفات) منها أنها (تسخّن الكلَى) بالخاء وفى ثلاث وصفات أخرى أنها (تسمّن الكلى) بالميم ، فإذا كانت كلتا الكلمتين صحيحتين غير محرفتين كان ذلك من أسرار الطب القديم ، وإلا فإن طبيباً من فضلاء أطبائنا قال : (بعد أن اطلع على نصوص الكتاب) إن إحدى الكلمتين (تسخن وتسمن) محرفة عن الأخرى وأن الصواب فى ظنى هى (تسخن) بالخاء دون (تسمن) بالميم ، واستدل على ذلك بأن المؤلف وصف هذه العقاقير بأنها (كثيرة الحرارة) ، ولا ريب أن كثرة حرارتها تحدث حرارة فى البدن عامة وفى الكُلية خاصة ، قال : وهذا ما وقع لى مذ كنت فى السودان فقد دعانى شيوخها إلى وليمة أكثروا فى طعامها من الفلفل الحارّ فأدى ذلك إلى حصول التهاب ونزيف دموى فى كليتى . فلا جرم أن يكون المؤلف فى وصفاته إنما أراد أن العقاقير تسخّن وتحدث حرارة لا تسمّن الكلية وتضخمها . وفوق كل ذى علم عليم .

المغربى

Lundi - 27 - 11 - 1939

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

7me Année No. 334

بدل الاشتراك عن سنة
قرش
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٣٣٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٦ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهــــرس

خطـــاب العرش

من الوجهة الأدبية

للدكتور زكى مبارك

أخى الأستاذ الزيات

أحب أن يتسع صدر « الرسالة » لموضوع لم يكتب فيه الباحثون من قبلُ : وهو نقد خطاب العرش من الوجهة الأدبية

وأسارع فأذكّر القراء بأن هذا الموضوع لا يحتاج إلى تحفظ واحتراس ، لأن خطاب العرش ليس من إنشاء جلالة الملك ، وإن كان يُلقَى باسمه الكريم ، وإنما هو من إنشاء رئيس الوزراء ، وهو الذى يحاسَب عليه أمام الشيوخ والنواب ، بآية ما نشهد من تأليف اللجان البرلمانية للرد عليه ، فى حدود قد تصل أحياناً إلى الصرامة والعنف ، وقد تعرّض الوزارة إلى تعديل بعض النصوص أو تستقيل

ولعل هذا هو السرّ فى أن جلالة الملك لا يُلقى خطاب العرش بنفسه كما يصنع حين يتفضل بتوجيه الرأى والتحية إلى شعبه فى فواتح الأعوام وفى المواسم والأعياد

وخطاب العرش فى التاريخ الحديث يشبه العهود التى كانت تُكتب بأسماء الخلفاء فى التاريخ القديم ، ونحن نعرف أن كُتّاب

« العهود » كانوا يُسألون عما يقع فيها من خطأ أو إسراف ، لأنه كان مفهوماً أن الخلفاء لا يكتبون بأنفسهم تلك العهود ، ولذلك تفاصيل يضيق عنها هذا المقال ، وهي معروفة لجميع المطّلعين على تاريخ الحضارة الإسلامية

إن خطاب العرش من إنشاء رئيس الوزراء ، ولكنه يُلقَى باسم جلالة الملك : فمن الواجب أن يكون صورة رائعة من الوثائق الأدبية التي تمثل عظمة مصر لهذا العهد ، فهل كان كذلك ؟

إن صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا من رجال مصر المعدودين ، وهو في أنفُس خصومه أهلٌ للتبجيل ، فمن حقنا عليه ونحن نؤمن بكفايته الذاتية أن نطمع في أن يمنح خطاب العرش عناية خاصة من الوجهة الأدبية ليكون في نَسَق مع مطامحه العالية في خدمة البلاد ، وليكون في طراز مع الخطب الجيدة التي كان يلقيها يوم كان وزيراً للمعارف في سنة ١٩٢٥

وقد يمكن الاعتذار عن خطاب العرش بأنه خلاصة لآراء تصل إلى الرياسة عن مختلف الوزارات ، ولكن تنوُّع المصادر التي تؤلف خطاب العرش لا يُعفي الرئيس من إنشائه بطريقة مُحكَمة تضعه في الصف الأول بين الوثائق الأدبية التي يمتز بها العهد الجديد : عهد فاروق بن فؤاد

ولكن ما هي المآخذ التي تُوجَّه إلى خطاب العرش من الوجهة الأدبية ؟

نلاحظ أولاً أن فيه عبارات لا تقال في وثيقة رسمية كالعبارة الآتية :

« قد آن لنا أن نعمل وأن نلبي داعي الوطنية والإيمان ، داعي الرجولة والتضحية والكفاح »

لأن الحكومة الجديدة ليست أول من يعمل حتى يشهد لها بذلك ، وإنما عملُها حلقةٌ من سلسلة كونتها الحكومات المصرية من قبل ، وقد شهد رفعة الرئيس بأن فيمن سبقوه رجالاً كانت لهم وطنية وتضحية وإيمان

وكذلك نقرأ في خطاب العرش :

« وقد فطن جدي الأعلى محمد على الكبير إلى الصلة المتينة التي تربط الجيش الوطني القوي بفروع الإصلاحات والإدارة العامة : فما كاد الجيش المصري يظهر في الوجود حتى ظهرت في البلاد إدارة منظمة ومصانع ومعامل ومدارس لا عداد لها »

وليس هناك شكٌّ في أن المغفور له محمد على الكبير نهض بمصر نهضة عظيمة ، ولكن لا يقال إن عهد محمد على كان أول عهد لظهور الجيش المصري في الوجود ، فإن معنى ذلك أن مصر لم تكن أمة مهيبة قبل أن تعرف محمد على الكبير . والرأي الصحيح أن مصر كانت أمة لها وجود أدبي واجتماعي وسياسي ، فلما جاء محمد على عملت يداه في تنظيم ما كان في مصر من قوة أدبية ومعنوية فكان لها المكان الذي عرفته الأمم في التاريخ الحديث ... كان محمد على الكبير تركيًّا ، وكان يسره بالطبع أن تكون لغة مصر هي التركية ، ولكنه رأى بثاقب الفكر المبدع أن اللغة العربية من أقوى مظاهر القومية المصرية فساعد على تقوية اللغة العربية ليتأصل حبه في القلوب المصرية ، ومن كان هذا حاله لا يقال إن عهده كان أول عهد لظهور الجيش المصري في الوجود

وفي خطاب العرش أن مصر لذلك العهد ظهرت فيها مصانع ومعامل ومدارس لا عداد لها ، وجملة « لا عداد لها » جملة يراد بها التفخيم ، ولكنها لا تُقبَل في وثيقة مثل خطاب العرش ، لأن هذا مقام يفضَّل فيه القصد على الإغراق

وما ذا يريد الخطاب من العبارة الآتية :

« مصر مهد المدنية ، وعلى يديها نهضت ، ومنها خرجت وإليها تعود »

أيكون معنى ذلك أن المدنية خرجت من مصر إلى مَعاد ؟

أيكون معناه أن المدنية يوم تعود إلى مصر ستفارق ما سواها من الممالك والشعوب ؟

ويقول خطاب العرش :

« إن التفاتنا إلى الماضي لا ينسينا الحاضر ، والذكرى تبعث الذكرى » .

فما معنى عبارة : « والذكرى تبعث الذكرى » ؟ أيكون الحاضر أيضاً من الذكريات ؟

[البقية على صفحة ٢٢١٤]

فى مزارات الاسكندرية

مع الشيخ الخالدى

للدكتور عبد الوهاب عزام

لقيت الشيخ العلامة خليلا الخالدى فى الأسكندرية ، ففرحت بمقدمه إلى هذه المدينة ، وكنت أحسبه لا يعرف كثيراً من مشاهدها وأخبارها . جلسنا نتحدث والشيخ إذا تُرك لشأنه لم يتجاوز حديثه الكتب والمؤلفين ومعاهد العلم ودور الكتب . فلما تحدث عن خطوط العلماء الجيدة والرديئة — وقد ذكرت هذا فى مقال سابق — قال : وكان الطرطوشى من أصحاب الخطوط الرديئة . فلما ذكر الطرطوشى وهو من علماء الأسكندرية نقلت الحديث إلى علماء هذه المدينة ؛ فإذا الشيخ عالم بأخبارهم خبير بمزاراتهم . ذكر من المحدثين والعلماء عبد الرحمن بن هرمز والسِّلَفى والقاضى سند وابن المنيّر . وذكر من الصوفية أبا العباس المرسى والبوصيرى والأسمر وياقوت العرش . وتواعدنا يوماً نزور فيه هؤلاء الكبراء

وتلاقينا يوم الإثنين سادس رجب (٢١ أغسطس) ، وكان معنا الأستاذان عبد الفتاح عزام وعبد الغفار الطنطاوى . فذهبنا صوب الميناء نسأل عن عبد الرحمن بن هرمز حتى وقفنا على مسجد صغير فى أحد جوانبه حجرة يتوسطها قبر يقول الناس إنه لابن هرمز ، ورأينا لوحاً على الجدار كتب فيه أن هذا قبر عبد الرحمن ابن هرمز المتوفى سنة سبع عشرة ومائة . قال الشيخ : وهو ممن روى عن أبى هريرة. قلت: بل هو من واضعى علم النحو ومن تلاميذ أبى الأسود الدؤلى . قال ابن الأنبارى :

وأما الأعرج فهو أبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج . وكان مولى لمحمد بن ربيعة بن الحارث بن المطلب. وكان أحد القراء عالماً بالعربية وأعلم الناس بأنساب العرب . وخرج إلى الإسكندرية وأقام بها إلى أن مات سنة سبع عشرة ومائة

ونقل السيوطى عن الزبيدى أنه كان من أول من وضع العربية . ثم سرنا إلى مسجد آخر صغير فألفينا فى حجرة متصلة به قبرين كبيرين كتب على أحدهما : أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى المتوفى سنة ٥٢١ . قال الشيخ : له كتاب البدع وهذا الكتاب وكتاب البدع لابن وضاح مأخذ كتاب الاعتصام للشاطبي صاحب الموافقات . قال وبين وفاة الطرطوشى وابن رشد الكبير شهران أو ثلاثة

أقول : هو أحد علماء المسلمين الأعلام ينسب إلى طرطوشة من بلاد الأندلس نشأ بها وطلب العلم فى البلاد الأندلسية، أخذ عن أبى الوليد الباجى وابن حزم . ورحل إلى المشرق سنة ست وسبعين وأربعمائة وحج ولقى شيوخ العراق وأقام بالشام زمناً ودرس بها . وله مؤلفات أعظمها سراج الملوك

ونقل ابن خلكان عن كتاب الصلة لابن بشكوال أنه : « دفن فى مقبرة وعلة قريباً من البرج الجديد قبلىّ الباب الأخضر فى الاسكندرية »

والقبر الذى بجانب قبر الطرطوشى كتب عليه أنه قبر محمد الأسعد . ولست أدرى من هو

تركنا مسجد الطرطوشى لنزور اثنين من جلّة العلماء القاضى سند والحافظ السِّلَفى ، فدُللنا على مسجد صغير جداً فإذا قبر بجانب جداره الغربى علّق فوقه لوح كتب فيه أنه قبر القاضى سند بن عنان الأزدى المتوفى سنة ٥٤١ هـ . قال الشيخ الخالدى: وهو شارح المدونة فى فقه الإمام مالك . وقرأت فى حسن المحاضرة أنه « تفقه بالطرطوشى وجلس فى حلقته بعده وانتفع به الناس وشرح المدونة وكان من زهاد العلماء وكبار الصالحين، فقيهاً فاضلاً مات بالاسكندرية سنة إحدى وأربعين وخمسمائة »

وسألت أين قبر الحافظ السلفى فأشار خادم المسجد إلى موضع بجانب سارية أمام المنبر وقال : قد سوّى القبر بالأرض ليتسع المكان للصلاة . قال الخالدى وكذلك رأيت فى مساجد المغرب يصلى الناس على بلاطات تحتها قبور

والحافظ السِّلفى ولد فى أصفهان حوالى سنة ٤٧٥ وشغل بالحديث ورحل فى طلبه وورد بغداد وأخذ اللغة عن الخطيب التبريزى . وقدم ثغر الإسكندرية سنة إحدى عشرة وخمسمائة وأقام بها أكثر من ستين سنة حتى توفى سنة ٥٧٦ . وقصده الناس من مصر وغيرها يأخذون عنه وذاع صيته فى الآفاق . وبنى له العادل وزير الظافر الفاطمى مدرسة فى الإسكندرية وبقيت تعرف باسمه زمناً طويلاً ودفن فى مقبرة وعلة أيضاً

وكانت مقبرة وعلة مقبرة كبيرة بالأسكندرية دفن فيها كثير من العلماء . وسمعت من الشيخ الخالدى ثم قرأت فى رحلة

ا بن رشيد رواية عن التجيبي : « وكان شيخنا الحافظ السِّلفي رحمه الله يقول لا أعلم في البلاد التي تطوفتها تربة جمعت قبور ثلاثة أئمة في ثلاثة مذاهب إلا التربة التي بمقبرة وعلة ، وقبور الأئمة الثلاثة في الثلاثة المذاهب بالمقبرة المذكورة متلاصقة : قبر أبي الخطاب الشافعي ، وقبر أبي بكر الطرطوشي المالكي ، وقبر أبي بكر محمد بن ابراهيم الحنيفي » (يعني الحنفي على عادة الأندلس في النسبة إلى أبي حنيفة)

وقرأت في رحلة ابن رشيد أيضاً :

« زرنا بالأسكندرية حماها الله تعالى قبر الإمام الزاهد المحدث آخر الحفاظ بقية المحدثين أبي الطاهر السلفي داخل باب الأخضر على مقربة منه وله سنام كبير عال ، وعلى مقربة من قبر الزاهد الفقيه الإمام أبي بكر الطرطوشي رحمه الله ، وعلى قبره مكتوب : توفى الإمام الزاهد أبو بكر محمد بن الوليد الفهري في جمادى الآخرة سنة ٥٢٠

وبمقربة من الجدار الغربي قبر يقال إنه قبر عبد الرحمن ابن هرمز الأعرج رحمه الله » اهـ

وسرنا بعد إلى جامع المنير فراقنا جمال هندسته ونقشه وتهللت وجوهنا وانبسطت أنفسنا لمدخله حتى قلت: حبذا جلسة طويلة في هذا المسجد الطويل . وزرنا ضريح الشيخ ابن المنير وهو في جانب من المسجد عليه قبة شاهقة

وابن المنير هو عبد الواحد بن شرف الدين بن المنير . قال السيوطي نقلاً عن ابن فرحون : كان شيخ الاسكندرية ويلقب بعز القضاة فاضلاً أديباً عمّر وانتفع به الناس ، أخذ الفقه عن عمّيه ناصر الدين وزين الدين ، وألف تفسيراً في عشرة مجلدات» (لعله يريد تفسيره المسمى الانتصاف من صاحب الكشاف)

ولد سنة ٦٥١ وتوفى سنة ٧٣٦

ثم قصدنا إلى زيارة الصوفية فزرنا أبا العباس المرسي ، وقبره الآن تحت المسجد العظيم الرائع الذي تشيده وزارة الأوقاف الآن ويرجى إتمامه قريباً . وهو أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري من كبار الصالحين ، وأكبر أصحاب أبي الحسن الشاذلي . توفى سنة ٦٨٦

وعلى مقربة منه قبر العالم الكبير عثمان ابن عمر المعروف بابن الحاجب أحد أئمة العلماء المصريين في القرن السابع . ولد بإسنا في العقد الثامن من القرن السادس وتوفى بالاسكندرية سنة ٦٤٦ . وله مصنفات في الفقه والأصول . وأما مصنفاته في النحو فقد طبقت شهرتها الآفاق وعدت من أمهات كتب العربية . وحسبك في النحو الكافية وشرحها وفي الصرف الشافية وشرحها

لم نستطع الوصول إلى قبره إذ حالت دونه العمارات القائمة في جامع أبي العباس . قال ابن خلكان : ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ الصالح ابن أبي أسامة

وخرجنا بعد زيارة أبي العباس فررنا باثنين من كبار الصوفية : المكين الأسمر عبد الله بن منصور الإسكندراني شيخ القراء بالإسكندرية في وقته . مات سنة ٦٩٢

وقال ابن رشيد : « الشيخ المقرى المجود مكين الدين أبو محمد عبد الله بن منصور بن علي ويلقب بالمكين الأسمر أحد الصلحاء الفضلاء ، وهو المتصدر لإقراء القرآن بالأسكندرية . قرأت عليه بدكان منزله ـ عمره الله ببقائه ـ ضحا يوم السبت الحادي والعشرين لجمادى الآخرة من عام أربعة المذكور ، جميع المجالس الخمسية السلمانية التي أملاها الحافظ أبو طاهر السلفي الخ . »

وبجانب المكين قبر لياقوت العرش أحد الصالحين . وهو ياقوت بن عبد الله الحبشي العارف تلميذ أبي العباس المرسي . وكان الناس يقصدونه للدعاء والتبرك . مات بالإسكندرية ٧٣٢ . قال الشيخ الخالدي : ذكره ابن عطاء الله في تآليفه

وأما ابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم فهو أحمد بن محمد ابن عبد الكريم الجذامي الاسكندراني . كان صوفيًّا على طريقة الشاذلية ، جامعاً لعلوم شتى من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه ، وأخذ عن أبي العباس المرسي ، وأخذ عنه التقي السبكي ، وله كتب منها كتاب الحكم وهو من أروع ما أثر من أدب الصوفية . وكتاب التنوير في إسقاط التدبير . وكتاب لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس ، والشيخ أبي الحسن (أبي العباس المرسي وأبي الحسن الشاذلي)

ومات بالمدرسة المنصورية بالقاهرة سنة ٧٠٩ ودفن بالقرافة

وعلى مقربة من ضريحي الأسمر وياقوت في الجانب الآخر من الشارع بناء جديد نقلت إليه بلدية الاسكندرية رفات جماعة من الصالحين كانت في قبور متفرقة في المدينة . وقد قرأت على الجدار من الخارج أسماء أحد عشر منهم . وأخبرنا الخادم أنهم تسعة عشر .

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

على هامش الأبحاث الفلسفية والنفسية

بين الفرض النظرى والحقيقة الواقعة

للدكتور محمد البهى

— ١ —

للفيلسوف أن يفرض ما شاء من النظريات والمبادئ لإصلاح المجتمع وتهذيب الفرد ، وللأخلاق أن يتحدث عن كمال الإنسانية وفضائلها ، وللواقع بعد ذلك أن يسطر حوادثه فى سجل الوجود بأسلوبه الخاص وعلى النهج الذى ترتضيه الأيام ويضعها أمام الأفراد والجماعات

وضع أفلاطون « جمهوريته » وتكلم فيها عما يجب أن يتبع لقيام حكومة عادلة ونظام دائم يرعى مصلحة الفرد كما يحرص على نفع الجماعة . وأسهب فى تفاصيل ذلك النظام وقسمه وفق طبائع الإنسان التى قدرها والتى يجب أن تسودها « العدالة » فى نظره إذا قصد به إلى الكمال المطلق

وظن كثير من أتباع هذا الفيلسوف أنها أجود ما ينتجه عقل مفكر ، وأن فى نظامها خير ما تبغيه الإنسانية

إلا أرسطو — لأنه عاش بتفكيره فى عالم الواقع ووجه عمله العقلى فى أغلب الأحايين إلى إيجاد حلول لمشكلات وقته وأزمات شعبه — فقد تناول جمهورية أستاذه بالنقد مسترشداً بتجاربه ورد كثيراً من مبادئها لأنها قامت على الفرض (Utopie) الذى لا تمكن الأيام ولا طبيعة الإنسان من تنفيذه

كذلك شعّب كثير من علماء الأخلاق وجهات نظرهم فيما هو أسمى الفضائل التى تقرب الفرد والجماعة من « المثال الأعلى » وتضعهما فى مستوى روحى يحول بينهما وبين الشقاء النفسى . وتحدثوا كثيراً عن العدل « المطلق » كتحديد لهذا الأسمى من الفضائل أو تقريب لمفهومه . وآمن رجال الدين بهذا المبدأ وبنوا عليه وعظهم الخلقى كما حاول المقننون جعله غاية تقنينهم ، سواء فيما يتعلق بنظام الحكم أو بمعاملة الأفراد بعضهم لبعض

ولكن الواقع أنكر هذا الإطلاق فيما مضى ومازال — وسوف — ينكره لأن ما يقع من تصرف الإنسان مهما كان العقل مستقلاً — عن الغرائز — فى إصداره ، ومهما بدت الدوافع التى بعثت عليه فى مظهر التجرد عن الغايات الشخصية لا يخلو من تأثره « بالميول » . وهذه لا شك تضيّق من دائرة العدل وتقيد عمومه . ولذا يميل البحث الواقعى للمسائل الخلقية إلى الاكتفاء بطلب العدل النسبى فى الاتصاف بوصف العادل . وفى هذه النسبية يتفاضل العادلون

كذلك قرّ فى النفوس البشرية إما عن رغبة فى حسم النزاع بين الأفراد فى الأصل تحولت فيما بعد إلى عرف بينهم أو عن دافع فطرى ، أن « الكفاية » هى المقياس الصحيح للفصل فى أفضلية فرد على آخر . وهى تختلف طبقاً لما تتطلبه ميادين النشاط المتنوعة فى الحياة . فالكفاية الدينية غير الكفاية السياسية ، وهاتان غير الكفاية العسكرية والاقتصادية مثلاً . وكانت فى جملتها مقياساً صحيحاً لأنها تكشف عن عنصر القوة الذى يهيئ للبقاء الصالح ويمده للفوز فى معترك الوجود ، ولأنها أضمن لتوجيه نظام الجماعة للإنتاج الإيجابى والعمل المثمر فى سبيل الحصول على رغد العيش ، فضلاً عن أنها أدنى لتحقيق العدل فى توزيع منافع الحياة بين الأفراد

ويندر لذلك عدم تقرير مبدأ الكفاية من الناحية النظرية فى نظام الحكومات مهما اختلفت الأسس التى قامت عليها تلك الحكومات ، ففى عصرنا الحديث نجد الدكتاتورية ، برغم ما يبدو فى طابعها من تحكم الصفات الفردية ، تنادى بالكفاية كشرط أولى لإنتاج الأداة الحكومية . والديمقراطية طبعاً بحكم ما ترتكز عليه نظريًّا من أصل المساواة ورفع أى اعتبار آخر فى التفضيل للتكليف بالأعمال العامة سوى الجدارة المحض ، أشد إيماناً فى مجال النظر بمبدأ الكفاية من أى نظام آخر من نظم الحكم الحاضرة

ولكن إذا قطعنا على الفكر متعته العقلية حين استعراضه الآراء المختلفة المتعلقة بنظم الحكم وحملناه على ملاحظة ما يجرى فعلاً فى التفضيل والاختيار ؛ لا شك أنه سينغّص ، وسيمتد تنغيصه كلما كان أشد إيماناً « بالمثالية » Idealism

وإذا عجزت الملاحظة السطحية عن أن تقدم أمثلة كثيرة

لما يحدث فى ظل الدكتاتورية من مخالفة لهذا المبدأ - لدقة الرقابة على النشر - فسوف تلمس فى الديمقراطية البرلمانية عنصراً آخر - وهو العصبية الحزبية - له السيادة المطلقة على مبدأ الكفاية فى الاختيار

وإذا جاوزنا مثل هـذه المبادئ الخلقية العامة التى لا ننكر ضرورتها من الناحية النظرية فى حياة الجماعة ، والتى وجدت لها ، منذ أن عرفت الجماعة البشرية النظام ، أنصاراً مدافعين إلى حد التضحية بأرواحهم أو بمتعتهم الشخصية فى هذه الحياة — إلى الصفات التى هى أقرب أن تكون مذاهب فردية ، نجدها كذلك لا تنعكس على مرآة الواقع طبقاً للصورة التى صاغها العقل فيها

فالذى يدين بمبدأ الصراحة ، إذا أراد أن يتخذها أساس تصرفه وقوام عمله ، سوف يجد عنتاً فى بيئته وسوف تعقد الأمور فى طريقه لأن سبل الحياة نفسها ملتوية ورغبات الأفراد فيها مختلفة لا تنال إلا عن طريق إخفائها

والذى يقدر كرامته تقديراً مثالياً ، ينفر أشد النفرة ، مما يتوهم فيه جرح عزته والحط من مكانته ، سوف يصطدم مع الواقع صدمات عنيفة لأن ما فى الواقع منازع له ولغيره . والنزاع كثيراً ما يكون سبباً مباشراً فى اعتداء أحد المتنازعين على الآخر ، والاستخفاف بالمعتدى عليه أخص مظاهر الاعتداء

والذى ينزع إلى فهم الصداقة على أنها يجب أن تسود كل العلاقات الممكنة بين شخصين سوف تكون آلامه من جراء هذه الصداقة أكثر من سروره بها ، لأن التنافس والعمل على تحقيق المصالح والرغبات الشخصية ، وهما من الغرائز الفطرية فى الفرد ، مما يحول دون الوفاء بمقتضيات الصداقة على هذا النحو

فالمبادئ النظرية لم توجد بعد فى الواقع كما حاكها العقل النظرى ، أو على حد تعبير « كانت » العقل الخالص ، لا كما صورها الخيال

ولكن هذا لا يمنع من تأييد الفيلسوف إلى حد ما إذا دعا لمبدئه ، ورجل الدين والأخلاق إذا نادى بالتقرب من المثل العليا لأن غاية كل منهما تقليل شرور المجتمع (وليس رفعها لأنها من طبيعة الإنسان)

وإنما على الذين عاشوا حتى الآن فى حياة النظر ، واسترسلوا فى خيال الأمل وحددوا مصيرهم على فروضه ألا تدفعهم الرغبة فى تقليد المثاليين « إلى طلب مثلهم العليا حقائق واقعة لأن المثل الأعلى لم يكن كذلك إلا لبعده عن تحديد المشاهدة — وما يشاهد قريب منه فقط — ، عليهم أن يربطوا بين حياة النظر وحياة العمل حتى لا تكون خيبة الأمل فاجعة إذا هالهم فرق ما بين الحياتين ، وحتى لا يكون الانتقال من الأولى وهى حياتهم حتى الآن ، إلى الثانية ، وهى حياتهم الجديدة ، قاسياً صعب التحمل . فكثير من الناس اعوجّ سلوكه ، وكثير من الناس صحبه التشاؤم فى عمله وسيطر على حياته ، وكثير من الناس لم يصبر على مشاق الحياة الواقعية — فى نظره — فذهب ضحية اليأس والقنوط والتململ ، لا لشىء سوى أنهم كانوا جميعاً شديدى الإيمان « بالمثالية » واستمروا حديثى عهد بالواقع .

محمد البهى

السرا كينوى هم السرويون

للأب أنستاس مارى الكرملى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

٧ — ما يحصل مما سبق الكلام عليه :

يحصل مما سبق الكلام عليه أن السرا كين هم أهل السروات ، وهم قبائل تقيم فى داخل بلاد العرب من اليمن إلى ديار الأنباط ، أو جنوبى اليهودية ، بل إلى الشام

وأما (السكينتس) فليس اسم عرب ، لا عند السلف ولا عند الرومان أو اليونان . وكيف يكونون كذلك والاسم يونانى معناه (أهل الأخبية) فقد يكونون من أبناء يعرب ، كما قد يكونون من أبناء الغرب . فأهل الأخبية أو سكان الأخبية معناهُ : الرُحَّل ، أو أهل البادية ، الذين يثوون إلى الأخبية . فإذا علمتَ هذا ، عرفتَ الحقيقة على ما هى بلا تناقض ، ولا إشكال ، ولا غموض .

وقال الأستاذ العمودى — وهو ينقل دائماً ما جاء فى معلمة الإسلام ، وإن لم يذكرها — : « أما « السرا كينوى » فلم يُرْوَ لهم ذكر يذكر فى هذه الأسفار السريانية ما خلا رسالة وصفها برداسانيس (؟ كذا) السريانى فى بداية القرن الثالث للميلاد بعنوان : Ketaba de Namose d'Ataivata[1] ذكر فيها الطائيين Tayoye و« السرا كينوس » Sarakoye بقوله : إنهما قبيلتان تمثلان أهم القبائل العربية الرحّالة . » انتهى

فى هذا القول نظر ، لأن ابن دَيْصان لم يذكر السرا كينوس فى تأليفه — بل الـ « سَرْقايى » أى العرب السرويين ، وذكرها بأحرف إرَميَّة بالصورة التى ذكرناها فى العربية . وأنت خبير أن اليونان والرومان ومن نقل عنهم ذكروا أبناء عدنان وقحطان مرة باسم العرب ، وأخرى بالسرويين (أو السارا كين أو السرازين أو السرا كينوى)، وطوراً باسم سكان جزيرة العرب، أو نحو ذلك ولم يسموهم باسم واحد

(١) (كذا . والصواب ما فى المعلمة التى نقل عنها أى Ketaba de Namose d'Atrawata والأحسن أن تكتب بحروف عربية هكذا : كتابادنا موسى دأثر واثا ، أى كتاب شرائع البلاد . وأما برداسانيس ، فليس له وجود ، وإنما هو برديصان ، وهو أشهر من أن يذكر . ويسماه العرب ابن ديصان أيضا (راجع مختصر الدول لابن العبرى ص ١٢٥ من طبعة بيروت) .

أما أن المسلمين عُرفوا بعد ذلك عند الغربيين بالسرازين ، فلأن الإسلام نشأ وترعرع واكتهل فى الحجاز ، سُرّة السروات وقلبها ، ومنهُ امتد إلى ديار العالم . فمن الحق أن يسمى الغربيون المسلمين بالسرويين أو بأهل السرَوَات ، وهى تسمية مأخوذة من مسكنهم ، أو وطنهم ، أو منشأهم الأول ، كما أن المسيحيين سموا نصارى ، جمع نصرانى ، وأصلها ناصرانى ، نسبةً إلى الناصرة وهى المدينة التى طوى المسيح بساط أيامه أو معظمها فيها

إذن لا وَهْم ولا ضير فى تسمية المسلمين : « سرويين » أما أن أبناء الغرب خصوا هذا اللفظ بالمسلمين الذين افتتحوا ديارهم ، فلأنهم كانوا قد قدموا إليها عن طريق مصر وأفريقيا الشمالية

وأما أن الفرنسيين سموا العرب (سرازين) ، أى الذرة السمراء ، فهذا من رأى الأستاذ العمودى الخاص به ، ونحن لا نوافقه عليه ، ولم يقل به أحد . وذلك لأسباب منها : أن السرازين Sarrazin عند الفرنسيين ، ضرب من القمح أو الحنطة أسمر اللون أو سوداؤه ، وليس بذرة ، واسمه بلغة علماء النبات Polygonum Fagopyrum ولم يعرف اللفظ (سرازين) فى اللغة المذكورة إلا فى المائة السادسة عشرة . أما (السرازين) بمعنى العرب ، أو السرويين ، أو المسلمين ، فكان معروفاً عندهم منذ عهد الرومان واليونان

على أن الفرنسيين يسمون أيضاً سرازين ضرباً من الجاورس ، يعرف عندهم أيضاً باسم Bucail أو bucaille وبلسان العلم Fagopyrum Esculentum فاسم النبات مأخوذ من اسم العرب لا العكس ، كما ذهب إليه حضرة الأستاذ الفاضل

٨ — تفنيد آراء المخالفين لرأينا

ذهب بعضهم إلى أن (سرا كينوى أو سرازين) مأخوذ من اسم قبيل بعينه ، وكان يطلق عليه ؛ إلا أنهُ ليس فى التاريخ ما يثبت هذا الرأى ، فهو زائف لا محالة

أما أنه مأخوذ من (الشرقيين) ، فقد ذهب إليه جمهور علماء الغرب ، أو يكاد ، إلا أن العرب لم يسموا أنفسهم بشرقيين حتى ينقل عنهم . فالحقيقة تمزق هذا البرقع المهلهل

أما أنه من (سرّاقين) وأنه منقول عن العرب المتحضّرين نابزين بهذا اللفظ الأعراب الرُحّل ، احتقاراً لهم فهو محتمل ، لكن الأقدمين من الرومان واليونان يذكرون بلادهم ، وأنها من أقصى اليمن إلى اليهودية أو إلى الشام ، فليس الاسم من أسماء

البادية المتنقلة ، بل اسم عرب يسكنون دياراً معينة ، ليس إلاّ

وأما أن الاسم منحوت من « صحراء ساكن » ، فهذا من أسخف الآراء ، ولا يقول به إلا جهلة اللغة العربية ، إذ لا يُقدَّم في هذه اللفظة المضاف إليه على المضاف ، بخلاف اللغات اليافثية ، أو الآرية

وأما أن الأنباط أطلقوا اسم (الشرقيين) على القبائل التي تناوحهم من جهة الشرق ، فالتسمية سابقة لدولة النبط ، كما لا يخفى على المطلع ، وقد ذكرها اليونان والرومان في تواريخهم

بقي علينا أن نبيّن للقارئ معنى قول مؤرخي الكنيسة في القرن الرابع « إن (السارازين) انضموا إلى (الاسماعيليين) الذين كانوا يقيمون في صحراء قدش (لا قادش كما قال الأستاذ) في مقاطعة فاران » اه . فهذا معناه أن السرويين ، وهم أهل الجبال ، انضموا إلى الاسماعيليين ، سكان السهول والصحارى ليكونوا كتلةً واحدة . وليس ثَمّ غير هذا المعنى ، ولم يعرف الهاجريون باسم السرازين ، إلا لأنهم كانوا منضمين إلى أهل السراة العليا ، أو سراة الأزد

وقد أحسن الأستاذ العمودى في تزييف من قال إن السراكينوى لا تزال سلائلهم ممثلة إلى اليوم في قبيلة (السواركة) تلك القبيلة البدوية الصغيرة التي تعيش إلى هذا اليوم على شواطئ البحر بين العريش وغزة ، إذ هذا حديث خرافة

فلم يبقَ لنا إلا القول بأن (السارا كينوى) أو (السارازين) أو (السرازين) هم (السرويون) أو أهل السراة أو السرَوات . وكانوا معروفين في صدر الإسلام بهذا الاسم . قال في التاج في مادة (س ر ى) : « وكثيراً ما يذكر الدينورى في كتاب النبات عن السرويين أي من أهل السراة » اه

وفي الكامل للمبرّد (٢ : ٢٨٧ من طبعة مصر) : « ... ومن اليمن من غيرهم ، عبد الله بن الطُّفيل الأزدىّ ثم الدَّوْسِيّ ، ذو النُّور ، أعطاهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم نوراً في جبينه ، ليدعو به قومهُ ، فقال : يا رسول الله ، هذه مُثلة ، فجعلهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في سوْطهِ ، فلما ورد على قومهِ بالسراة ، جعلوا يقولون : إن الجبل ليلتهب ، وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة » ه

فهذه شهادة بَينة على أن أهل السراة عرفوا الإسلام منذ عهد الرسول. فلا عجب بعد ذلك إذا عرف المسلمون بلفظ « السرويين »

وأخذ السرويون ينالحون عن دينهم ، ويفتحون الفتوحات مع كبار القادة منذ نأنأة الإسلام . ففي تاريخ الطبرى في أخبار سنة ١٤ للهجرة (١ : ٢٢١٧ من طبعة الإفرنج) : « فخرج سعد ابن أبي وقّاص من المدينة قاصداً العراق في أربعة آلاف: ثلاثة ممن قدم عليه من اليمن والسَّرَاة ، وعلى أهل السرَوَات حُمَيضة ابن النعمان بن حُمَيضة البارقى، وهم بارق، وألمع ، وغامد ، وسائر إخوتهم في سبع مائة من أهل السراة وأهل اليمن ألفان وثلث مائة، منهم النخع بن عمرو ، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف ، مقاتلتهم ، وذراريهم ، ونساؤهم »

وفي الأغاني (١٩ : ٥٤ من طبعة بولاق الأولى) : « وذكر جرير بن عبد الله خبر إسلامه [إسلام أسد بن كرز] ، حدث بذلك عنه خالد بن يزيد عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله ، قال : أسلم أسد بن كرز ومعهُ رجل من ثقيف ، فأهدى إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قوساً فقال له : يا أسد، من أين لك هذه النبعة ؟ ـ فقال: يا رسول الله، تنبت بجبلنا بالسراة . فقال الثقفي : يارسول الله ، الجبل لنا أم لهم؟ ـ فقال : بل الجبل جبل قسر ، به سمي ابراهيم قسر عبقر . فقال أسد : يا رسول الله ، ادعُ لي . — فقال : اللهم اجعل نصرَكَ ونصر دينك في عقب أسد بن كرز » اه

فهذه الأدلة وغيرها[1] ، وهي لا تعدّ ، تبين أن السرويين دانوا بالإسلام منذ عهد الرسول ، وسعوا في نشره . ولا جرم إذا سمى العرب جميعهم باسمهم أو سمى الإسلام باسمهم ، وجرى عليه الأعاجم جميعهم

لكن لما كانت السراة أو السرَوَات ممتدة بامتداد جزيرة العرب من أقصى الجنوب إلى الشام ، كان فيها قبائل عديدة مختلفة الأسماء ، أطلق الأدباء من عرب وغير عرب اسم السرويين على كل عربي . أما أن هناك سروات مختلفة القبائل ، فيشهد عليها من كان فيها ، فمنها سراة الأزد ، وسراة ألْهان ، وسراة بجيلة ، وسراة بلد وادعة ، وسراة بني على ، وسراة جُبلان ،

(١) ومن هذه الأدلة أيضاً ما جاء في مروج الذهب ٣ : ٣٩٢ من طبعة الافرنج : « وما كان بينهم من الحروب ، إلى أن ظفرت بهم معد ، فأخرجتهم إلى أن لحقوا بالسراة ، والسراة جبل الأزد الذى هم به ، يقال له السراة . ويقال له الحجاز وإنما سمي السراة من هذا الجبل ظهره ، فيقال لظهره السراة كما يقال لظهر الدابة السراة . فأقاموا به ، فكانوا في سهله وجبله وما قاربه ، وهو جبل في تخوم الشام ، وفرز بينه وبين الحجاز مما يلى أعمال دمشق والأردن وبلاد فلسطين ويلاقى جبل موسى »

وسراة جنب، وسراة الحِجْر، وسراة خولان، وسراة دوس، وسراة الطائف، وسراة عُذَر وهِنْوَم، وسراة عنز، وسراة غامد، وسراة فَهْم وعَدْوان، وسراة قَدَم، وسراة مذحج، وسراة المصانع، إلى غيرها. وبهذا القدر كفاية في هذا الموضوع

٩ — ملاحظاتنا

الملاحظة الأولى: رأينا بين مقال الأستاذ العمودي وما جاء في ترجمة Sarrasins من معلمة الإسلام مشابهة، وكان يحسن بحضرته أن يقول: إنه اقتبس أغلب كلامه من المعلمة المذكورة، حتى لا تبخس الناس حقوقهم، ولا تذهب أتعابهم سدى

الثانية: كنا نود أن تكتب الأعلام على ما يرويها العرب لا الإفرنج، حتى لا يظهر للغير أننا نقتبس شرقياتنا من أبناء الغرب. فكان يجب أن يقال ذيوسقوريذس العَيْن زربي، لا أن يكتب بحروف أفرنجية، وفي كتابتها ثلاثة أوهام، إذا ما قابلناها برواية معلمة الإسلام. وكذلك يقال عن كتابة سائر الكلم التي دونت بحروف إفرنجية فإنّ الغالب عليها الخطأ

وقال (ص ١٩٤٠) برداسانيس. والمشهور ابن دَيْصان أو بر دَيْصان، وقال (في الصفحة المذكورة): البيزانطيون. والسلف لم يقولوا إلا «البوزنطيون» وبوزنطية أي بالواو لا بالياء، لأن اليونانيين كانوا ينطقون بها هكذا كما ينطقون بها اليوم. وهذه شهادة تاريخية على كيفية النطق بالحرف اليوناني U في أيام العرب الأُوَل

الثالثة: كنا نود أن يتحرى أفصح الألفاظ في الكلام. فالعرب لم تسمِّ ملوك الروم: المصفَّرة، بل بنو الأصفر. أما المصفَّرة فهم الذين علامتهم الصفرة. وملوك الروم ما كان هذا اللون شعاراً لها

وقال الجبال السوداء. والعرب تقول: الجبال السُود، كما تقول الرجال السُود والنساء السود، ولم يقل أحد منهم الرجال السوداء، ولا النساء السوداء. وقال: من جنوب وشمال إيطاليا. ونظن أن الصواب هو: جنوبي وشمالي إيطالية. لأن الجنوب يدل على الجهة لا على قسم الأرض. وكذلك الشمال

وذكر الأديرة. والفصحاء قالوا ديارات أو دِيَرة أو أديار أو غيرها، لكنهم لم يقولوا أديرة.

هذا ما بدا لنا في أثناء المطالعة، ونحن مهتمون بأمور خارجة عن هذا البحث. ولعل خطأنا أكثر من صوابنا.

(بغداد) الأب أنستاس ماري الكرملي

عقيدة النازى الدينية

للدكتور جواد على

تنص المادة ٢٧ والمادة ٢٨ من منهاج الحزب الوطنى الاشتراكى على الحرية الدينية لجميع الألمان وبحماية الديانة المسيحية فى داخل المملكة الألمانية ، وقد طبقت الحكومة الهتلرية فعلاً هذا النص فى جميع أنحاء الريخ فجعلت ضريبة الكنيسة ضريبة إجبارية على كل ألمانى وألمانية حضر صلاة الكنيسة أم لم يحضر ؛ وقاومت حركة الإلحاد ونكران الديانة المسيحية فطردت كل موظف يجاهر بهذه الفكرة وحكمت على كل رجل ينادى بها أو يربى أولاده عليها بأحكام تناسب ظروفه ومنزلته ، وأجبرت الأولاد فى المدارس على حضور دروس الديانة بعد أن كانت مسألة اختيارية قبل الحكم الهتلرى تتعلق بإرادة الوالد . وقد شددت الحكومة فى المراقبة لأن الذين كانوا يجاهرون بهذه الآراء كانوا إما من الحزب الشيوعى أو من الحزب الماركسى أو من الحزب الديمقراطى الاشتراكى ؛ وهذه الأحزاب الثلاثة هى من ألد أعداء هتلر ، لذلك اختفت الحركة بسرعة طبعاً خشية التعرض لهذه التهمة

وحجة الوطنية الاشتراكية فى ذلك هى أنها تقاوم المادية الصرفة البشعة التى تدعو إليها هذه الأحزاب وتدين بالمثل العليا وبالحياة الروحية Geistcsleben وبقوة خارقة عليا يدعو هتلر ويشير فى معظم خطبه إليها ، ولكنه لا يصفها بالصفات أو ينعتها بالنعوت التى ترد فى كتب الديانة واللاهوت . بل يراها كقوة مظلمة تشع أشعة مختلفة إلى النفوس حسب كفاية الأبدان التى يتمتع بها ذلك الشخص بظاهر أثرها فى الإرادة والعزم . والزعماء فى نظره هم الذين يتمتعون بها أكثر من غيرهم ويمتازون على الأفراد بالعزم والإرادة . ويدعو ممثله ووكيله A. Rosenberg إلى هذه الفكرة فى كتبه ومؤلفاته ويتوسع فى نشر الديانة المسيحية الحقيقية لا الديانة المسيحية الحالية التى هى من مبتكرات اليهود على رأيه . وحاول كذلك دعاة النازى من رجال الكنيسة وعلى رأسهم رئيس أساقفة الريخ ملر توسيع دعوة هتلر ووكيله وتنقيح العقيدة المسيحية حسب التعاليم النازية ؛ ولكنهم اصطدموا بمعارضة واسعة من البروتستانت بقيادة الباستور نيملر أسقف دالم فى برلين الذى لا زال حتى الآن فى السجن ، ومن الكاثوليك بقيادة أسقف فى إيبرك وكاردينال الراين

والنازية نفسها عقيدة دينية تحاول تنظيم حياة الأمة والفرد على أساس العنصرية والزعامة ، وتتدخل حتى فى الأحوال الشخصية للفرد لتكييف حياته وفق التعاليم الجديدة ، وهذا ما يصطدم طبعاً والعقيدة المسيحية التى تراها الوطنية الاشتراكية عقلية يهودية رومية من مبتكرات سكان البحر الأبيض المتوسط ، لا تلتئم أبداً مع العقلية الجرمانية الشمالية . وهذا النقد اللاذع للديانة المسيحية يرجع فى الحقيقة إلى أدوار تسبق هتلر والنازية بكثير ، يكفى أن نتذكر هجمات الفيلسوف فويرباخ الألمانى عليها Ludwig Feuerbach (١٨٠٤ — ١٨٧٢) ، وكذلك الفيلسوف نيتشه Fridrich Nitysche (١٨٤٤ — ١٩٠٠) والفيلسوف هوستن جامبرلين Houston Stewart Chamberlain (١٨٥٥ — ١٩٢٧) مؤسس الفلسفة الوطنية الاشتراكية والمؤثر القوى على هتلر ، والذى كانت بينه وبين هتلر صلات [1]

وعند تسلم الوطنية الاشتراكية زمام الحكم أصبحت هنالك مشكلة الديانة المسيحية مشكلة خطيرة جداً إذ أنها تصطدم مع أصول العقائد النازية ، لذلك ظهرت هنالك عدة محاولات لحل المشكلة حلاً يتفق مع المبدأ النازى ، وظهرت جماعة من بين صفوف الحزب أطلق على مؤسستها اسم (المسيحيون الألمان) Deutsches Christen لم تر إلغاء المسيحية ولا مقاومتها ، ولكنها رأت تجريد الديانة المسيحية من كل أصل أو عقيدة يهودية أو أية فكرة تراها النازية غير جرمانية ، إلا أنها سرعان ما اصدمت بمشاكل ذات خطورة عظيمة وهى تعيين الحدود بين اليهودية وبين المسيحية وإلى أى حد يجب أن يبلغه الحذف والإخراج من هذه الديانة ، وعلى أى أساس يكون ذلك ، أعلى أساس أقوال هتلر وروزنبرك أم على أساس التاريخ . وهذا ما يتعارض مع عقيدة النازى التى لا تؤمن إلا بأقوالها فقط . (أنظر كتاب Heinrich

---

(١) أنظر آراءه فى كتابه Die Grundlagen des 19. Iahrhunderts وهو من أكبر المدافعين عن نظرية العنصر والمعادين لليهود . وهو انكليزى الأصل ، ولكنه ألمانى الثقافة هجر وطنه وسكن ألمانيا فى بايروت مدينة الموسيقى الشهيرة .

Schmidt. Philosophisches Wörterbuch وكان فى نفس الوقت هنالك حركة أخرى أوسع من هذه أطلق عليها اسم الإيمان الألمانى Deutsche Glaubensbewegung انضم إليها بعض رجال الحزب مثلت نزعات مختلفة، فمنيت بالتفرقة كذلك؛ فهنالك من اعتقد بوجوب الاعتقاد فقط بقوة عظيمة هى وراء الطبيعة وفوقها يطلق عليها اسم الإله Gott كما هو فى المسيحية، ولا يتوسع بعد ذلك ولا توضع قواعد ومواد لاهوتية أخرى؛ مثل هذه الحركة كراف ريونتلو Graf Reventlow المشهور بآرائه الفلسفية والدينية، وبكتبه فى بادئ الحركة النازية وإن لم يظهر اليوم اسمه عالياً فى صفوف النازى . ومنهم من أراد الاعتقاد بالمسيح ولكن بمسيح جرمانى تكون حياته حياة جرمانية وأوصافه جرمانية كذلك، ذى شعر أشقر يميل إلى البياض، وعينين زرقاوين، طويل الجسم نحيف الوجه لم يخضع لإرادة أحد. وهذه هى آراء البروفسور مندل من جامعة كيل بألمانيا Prof. Mandel - Keil . وتطرف آخرون فقالوا بوجوب إلغاء الديانة المسيحية تماماً والاستعاضة عنها بالديانة الجرمانية القديمة، وإنشاء كنيسة ألمانية بحتة تمارس فيها الطقوس الألمانية ؛ وقام بهذه الحركة — de la vigne Erkmannsdart

وأخيراً اجتمع ممثلو هذه الحركة فى شهر يولى من سنة ١٩٣٣ فى مدينة وار تبرك Wartburg برآسة البروفسور هور Prof. Hauer ، ثم فى سنة ١٩٣٤ فى تيبنكن Thübingen حيث توصلوا إلى وضع الأسس التالية :

١ — يجب أن يكون الإيمان الألمانى مستمداً من الروحية الألمانية

٢ — إن النوع أو العنصر الألمانى مستمد من الأزلية الإلهية ، لذلك يجب إطاعة هذه الأزلية

٣ — على حسب هذه العقيدة يجب أن نتصرف أعمالنا وأقوالنا[1]

وقد ظهر بعض الكتاب يحاولون إثبات أن المسيح لم يكن يهودياً بل كان يونانياً أى آرى الجنس، ومنهم من أثبته رومانياً، ومنهم من حاول البرهنة على أنه يهودى وأن Paulus القديس بولس اليهودى الأصل هو الذى اخترع تلك القصص، أو أنه أدخلها من اليهودية وساقها إلى روما فأوربا حيث حاربت الديانة الجرمانية والأخلاق الجرمانية المتيدة وقضت على العنصرية الجرمانية التى كان يدين بها كل جرمانى حتى القرون الوسطى[1]

غير أن أقوى حركة فى صفوف النازى هى حركة ألفريد روزنبرك الذى يحاول إرجاع الديانة الجرمانية القديمة عن طريق التصوف الألمانى Die Deutsche Mystik فهو يحمل على المسيحية بنوعيها الكاثوليكية والبروتستانتية ، لأن الكثلكة ليست فى نظره سوى الفكرة الإمبراطورية الرومية القديمة Imperium Romanum تتمثل فى محاولة البابوات تكوين سيادة عالية . أضف إلى ذلك أن الكنيسة قد جردت الجرمان فى نظره من عناصر الحرية والاستقلال والعزة الوطنية الذاتية باستسلامها إلى الآراء المالية اليهودية ، وسقوط آلاف صرعى فى سبيل الامبراطورية الرومانية التى ورثها البابوات[2] . ويرى فى الكنيسة البروتستانتية كذلك تدخلاً فى السياسة وفى الشئون العامة للشعب وفى البادئ النازية كما حدث فى مجمع الأساقفة البروتستانت فى عام ١٩٣٧ فى مدينة أكسفورد حيث حمل حملة شعواء على النازية ومبادئها

والطريقة الوحيدة التى يراها هى الرجوع إلى الروحية الألمانية القديمة التى نادى بها المتصوف الألمانى الشهير مايستر إيكهارت ١٢٦٠ — ١٣٢٧ Meister Iohann Eckhart أحد أساتذة الطريقة الدومينيكانية المسيحية Dei Dominikaner وتلميذ اللاهوتى الألمانى الشهير ألبرت فون بولشتيد ١٢٠٦ — ١٢٨٠ Albert Von Bollstädt أحد رؤساء هذه الطريقة كذلك ، وأحسن رجل اطلع على الفلسفة العربية اليهودية فى زمانه ، فقد درس اللغة العربية واللغة العبرية ، وترجم كتب الفلسفة والطب والتصوف إلى اللاتينية ، لغة العلم والدين إذ ذاك ، وكان من أعظم المختصين بفلسفة ابن سينا . واليهودى ابن ميمون[3] وقد تأثر به تلميذه هذا مايستر إيكهارت فمال إلى التصوف وصار الألمان يعتبرونه المؤسس لما يسمى بالتصوف الألمانى

وقد أثرت آراء مايستر إيكهارت فى عصره تأثيراً عظيماً ولا سيما فى مقاطعات الراين حتى اضطرت الكنيسة إلى محاكمته بتهمة الهرطقة والخروج على الدين ؛ وظل تأثيره مدة طويلة حتى عصر النهضة

(١) أنظر ص ١١٩ من كتاب Heinrich Schmidt Philosophisches wörterbuch

(١) أنظر كتاب هل كان المسيح يهوديا ؟ war Iesus ein Iude

(٢) أنظر كتاب Alfred Rosenberg, Protestanische Powpiiger. 19 37

(٣) أنظر ص ١٨٣ Karl voländer, Gexhichte der Philosophie

الأوربية . كان يرى أن المعرفة لا تكون بممارسة الطقوس الظاهرية؛ إنما تتم بالتفكير العميق، وخرق الحجب بالتأمل والتدقيق، بعبارته المشهورة « إن أردت اللب فعليك بكسر القشرة » Willst den Kern haben, so musst du die schale Zerbrechen[1] وكذلك بعبارته المشهورة : « تعميق البئر ينتج ماءاً أكثر » والمعرفة Erkenntnis هي الوجود ذاته Sein وبواسطة هذه المعرفة نتوصل إلى إدراك علة الوجود Gott ، ولكن هذا الإله هو في كل مكان لم يكن شيئاً، نخلق نفسه بنفسه؛ خلق النفس Geist وجعلها مساوية لنفسه تماماً فلا يستطيع أن يؤثر عليها أبداً إذ هي حرة طليقة؛ ومن هذه الروح Seele وبواسطة الالهماك في معرفة الحقائق نستطيع الوصول إلى درجة الوحدة أو الاتحاد مع الله حيث تكون الروح كالمرآة بالنسبة لله تماماً ، ويقول في ذلك :

« أحمل فيّ صورة الله : متى أراد رؤية نفسه نظر فيّ ولو أني مثله » والصلة بيني وبين الله هي المحبة liebe وهي كذلك في جميع أجزاء العالم ، والله نفسه يحب ذاته في مخلوقاته وأعماله ، ولولا مخلوقاته هذه لما كان الله خالقاً بل ولم يكن الله موجوداً ، فلولاي لم يكن الله ، ويتصل شعاع الله Funklein بالقوى النفسية العلوية hohcre Seelen Kräfte فيحصل من جراء ذلك إدراك الحقيقة والمعرفة[2]

ويرى روزنبرك أن مايستر إيكهارت قد تكلم وعبر عن عقلية آرية جرمانية ومعتقد قديم ، لذلك يريد إحياء تعاليمه هذه وبعثها على يد الوطنية الاشتراكية إذ لا طقوس ولا كنيسة كاثوليكية أو بروتستانتية ، بل مبادئ صوفية يجب أن يخضع لها الجميع . وهذا هو خلاصة الديانة المسيحية في نظره والدين الذي يجب أن ينتشر في كل ألمانيا . ولعل ما في نفسية هتلر من اعتكاف وغموض وانزواء في وكره ، وكذلك ما في نفسية روزنبرك من اعتزال عن العالم وحب الانزواء، هما اللذان جرّا هذين الرجلين إلى التصوف مع ما بين التصوف والوطنية الاشتراكية من تباين في النظر إلى الحياة والكفاح

والواقع أن هذا التصوف ولو حاول روزنبرك وغيره إسناده إلى الجرمانية القديمة فإن من الصعب إثبات ذلك لعدم وجود نصوص تاريخية تثبت ذلك ولأن هذا الرجل كان هو نفسه تلميذ المتصوف (البرت فون بولشتيد) الشهير المترجم للكتب العربية والمتأثر بذلك ، ولأن أفكار (مايستر ايكهارت) واصطلاحاته عبارة عن نسخة طبق الأصل للفلسفة الإسلامية واصطلاحاتها . ولو كان روزنبرك من المستشرقين لغير رأيه تماماً . وروزنبرك نفسه ليس من الاختصاصيين في هذه الموضوعات بل هو كاتب عاطفي ساعدته الظروف على ذلك

ويظهر من هذه التعاليم أن التصوف وهو « التسليم » والتعمق في البحث بإعطاء النفس في العرف الألماني ، ونظرية الإشعاع الإلهي واختلافه باختلاف الناس ، ثم في سهولة توجيه الرأي العام الذي أخذ يميل بعد الحرب العظمى إلى درس المسائل الروحية هي التي دفعت بالوطنية الاشتراكية إلى إحياء فكرة التصوف والبحث عن دين جديد يتفق مع مبادئ الوطنية أو يكيَّف على حسب آراء هتلر ومبادئه .

مراد علي

خريج جامعة هامبرك بالمانيا

***

ملاحظة: لزيادة الاطلاع راجع كتاب هتلر : كفاحي ج ١ ص ٣٠١ Mein Kampf ثم ص ١٨١ Der Goebbels, Der Angriff ثم ص ٢٥١ Werner Siebarth, Hitbro Wollen 1935 ثم مجلة Nationale sonjia-listische Monatshefte ج ٦٠ سنة ١٩٣٥

---

(١) أنظر ص ٢١٨ من كتاب Der Myttus

(٢) ليس من السهل ذكر جميع آراء مايستر إيكهارت في التصوف وتكاد تكون هي فلسفة متصوفي الاسلام تماما حتى في تعابيرها إذ يظهر كأنها مترجمة إلى الألمانية القديمة واللاتينية ومن يريد التوسع فليطالع Denifte, Meister Eckehart lat. Schriften كذلك O. Kärrer die ausgewählten Texet Meisters Eckehart 1923 وكذلك L. Büttner, Meister Eckeharts schriften und Predigten 2 Bd ثم Alfred Rosenberg Der mythus des XX Iahrhunderts ثم Othmar Spann, Philosophen Spiegle 1933 ص 260 وما بعد .

الثقـــافة العسكرية

وأناشـيد الجيش

للأستاذ عبد اللطيف النشار

نشيد العـــودة

من وضع السيد الرسول صلى الله عليه وسلم

ولقد تتخيل عظم الفارق بين مسير الجيش ذاهباً إلى المعركة وبين عودته آيباً منها فهو يذهب بالأمل فى النصر ممزوجاً بالخوف من الهزيمة . يذهب ليلاقى العدو ، ويعود بالنشوة ظافراً ليلاقى الأهل والأحباب .

ومن أجل ذلك ، جاشت بنفس النبى عليه الصلاة والسلام عواطف سامية حين عودته من غزوة الأحزاب المعروفة بغزوة الخندق فى العام الرابع أو الخامس الهجرى ، غير تلك العواطف السامية التى اختلجت بنفسه عند ذهابه إليها . كلا النوعين من العواطف سام ، ولكنهما فى طبيعتهما مختلفان .

عاد النبى من غزوة الأحزاب وهو ينشد :

آيبـــون
تائبـــون
عابـــدون
ساجدون
لربنا حامدون
صدق الله وعده   ونصر عبده
وهزم الأحزاب وحده

أترى كيف تكون الخطوات العسكرية عند الأوبة ، مخالفة لها عند الذهاب ؟

أما عن اللحن ، فيقول العلامة القسطلانى فى شرح صحيح البخارى ، تعليقاً على نشيد آخر ، هو قول عبدالله بن أبى رواحة أنه عليه الصلاة والسلام كان يرفع صوته بالكلمة الأخيرة من ذلك النشيد : «أبينا» ، ويقول : أبينا ، أبينا، مرتين . وسيأتى نص هذا النشيد .

ويقول العلامة القسطلانى أيضاً فى التعليق على نشيد آخر ، وهو الذى قيل فى أثناء حفر الخندق : إن النبى كان يقول فقرة ويرد عليه الصحابة بفقرة ، (وظاهره أنهم كانوا يجيبونه تارة ويجيبهم أخرى) .

ومعنى هذين التعليقين أن هناك نغمة لكل هذه الأقوال ، أى أنها كانت ملحنة . ومالنا نستدل على الترتيل أو التنغيم بمثل هذا الاستدلال ونحن نرتل نشيد غزوة الأحزاب بلحن موسيقى عقب صلاة العيد الأكبر ؟ ثم مالنا نستدل على أن القول كان ملحناً بألحان موسيقية ، وهو لا يمكن أن يقال إلا مصحوباً بنغمة موسيقية ؟

فأنت ترى أن هذا النشيد هادئ رصين ، وقد قاله النبى لأول مرة بعد عودته من غزوة الخندق ، ولكنه صار يقال بعد ذلك عند العودة من كل غزوة ، وكان يقال والجنود سائرون ، وكان يقال ملحناً على لحن السير ؛ فهو وفقاً للتعبير المصرى : « مارش » .

وليس يغير من طبيعته أنه ليس بالشعر ، فليس من الضرورى أن يدخل كل قول موسيقى فى دائرة عروضية من دوائر الخليل بن أحمد . وإن تحدى الشعراء بما ليس من الشعر وليس من النثر ، كان صبغة اصطبغ بها هذا الجيل .

ولكن النبى عليه الصلاة والسلام لم يكتف بألحان السير ، بل أعد أو أمر بأن تعد له ألحان للعمل أيضاً . ولقد تقدمت الإشارة فى هذه الكلمة إلى لحنين رتلا فى أثناء العمل بحفر الخندق وحمل التراب منه على المتون ليكون جسراً على الخندق . أما أحدهما فهو من جزئين : جزء يقوله النبى ، وجزء يرد به الصحابة عليه . ويقول شارح البخارى : « وظاهره أنهم كانوا يجيبونه تارة ويجيبهم أخرى » .

لحن النبى :

لا هُمّ إن العيش عيش الآخرة
فاغفر الأنصار والمهاجرة

لحن الصحابة :

نحن الذين بايعوا محمداً

على الإسلام ما بقينا أبداً

أما اللحن الآخر فقد كان يقوله النبي والصحابة جميعاً في أثناء حفر الخندق ، وهو من وضع عبدالله بن رواحة أحد شعراء النبي وقائد من قواده ، وهو :

لا هم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الذين قد بغوا علينا

إذا أرادوا فتنة أبينا

« أبينا »

وكان صوته يرتفع كما يروى البخارى عند كلة « أبينا » التى كان يكررها عليه الصلاة والسلام .

وفى هذه الموقعة أيضاً كانت أناشيد صغيرة تنشد تارة فى أثناء المعركة ، وطوراً فى أثناء القتال مثل قوله عليه الصلاة والسلام :

يا منزل الكتاب

سريع الحساب

اهزم الأحزاب الخ

وقد استوفت هذه الأناشيد كل ما يشترط فى أناشيد المسير، فهى قصيرة الفقرات بحيث تصلح ألحانها أن تكون على قدر خطى الجنود . وهى معبرة عما فى أنفس الجيش من العواطف تعبيراً خالياً من التغالى المثير . وهى سهلة الحفظ ، يتوافر فيها شرط السيرورة

هذه هى أناشيد الجيش ، وهل يحسب الشعراء والموسيقيون أن لا غنى للشعوب عنهم ؟

إن الشعوب لا تستغنى عن الشعر ولا عن الموسيقى ولكنها تستغنى عن الشعراء والموسيقيين إذا ما تعالوا عليها وترفعوا عنها .

هى تؤلف لنفسها إن لم تجد من يؤلف لها .

إنها تفكر على قدر طاقتها إن لم تجد فلاسفة ومفكرين، وإنها كذلك تعيش معيشة على وجه ما إن لم تجد من يجمع شملها ويؤلف لها نظاماً ، وإنها كذلك تضع لنفسها الشعر والموسيقى إن لم تجد شعراء وموسيقيين .

كذلك الأرض التى نحن منها إن لم تجد مزارعين ينظمون لها طرق الرى والاستنبات ، فهى مخرجة من باطنها زرعاً غير منظم ولا منسق .

كذلك كانت الحال فى مصر فى الحرب الكبرى ، فقد ألف الجيش الذى اشتغل فى السلطة العسكرية لنفسه ألحاناً عبرت عما فى نفسه وأنشدها بنفسه . فهل أنت من المخضرمين الذين حضروا الحرب الكبرى ؟

لقد تذكر إن كنت من المخضرمين مسير المئات من الصعايدة المتطوعين وهم ذاهبون إلى حدود فلسطين وهم ينشدون :

يا عزيز عينى وأنا بدى اروّح بلدى

بلدى يا بلدى والسلطه خدت ولدى

وهل تذكر لحن هذا البيت ؟

فى ذلك العهد لم تكن هناك قيادة للجيش المرابط ولا كانت السلطة الانكليزية العسكرية تعنى بوضع ألحان للمصريين المتطوعين ولا كان هناك رجل كالشاذلى باشا يدعو الشعراء إلى تقديم أناشيدهم للجنة فى وزارة الشئون الاجتماعية ، لجنة دائمة اسمها « لجنة الألحان » ، ولا كان هناك قائد عظيم اسمه صالح حرب باشا يدعو الشعراء إلى وضع ألحان للجنود ، ويعد بالمكافأة السخية . ولم يكن أمير الشعراء قد وضع لحنه (بنى مصر مكانكمو تهيا) ولا كان أحمد رامى قد وضع نشيد الجامعة ، ولا كان الأستاذ صادق قد وضع النشيد القومى .

لم يكن شىء من ذلك ، ولكن كان مليون من المصريين فى ساحات القتال فى فرقة التشهيلات ، وكانوا يسيرون ، فكان لا بد لهم من لحن عسكرى . ولما لم يجدوا من يؤلفه لهم ألفوه لأنفسهم ، ولحنوه بأنفسهم ، فكان :

يا عزيز عينى وانا بدى اروّح بلدى

بلدى يا بلدى والسلطه خدت ولدى

ولكن ما رأيك فى أن هذا النشيد لعذوبته ولصدق تعبيره

بالنغمة الموسيقية عما فى أنفس الجنود قد طغى على نشيد :

It is a long way

الإنكليزى فكان الجنود الإنكليز ينشدون فى أثناء سيرهم :

يا أزيز إبنى   الخ ...

ثم ما رأيك إذا كان نشيد يا عزيز عينى هذا أبلغ فى نغمته وفى معناه وفى روحه من نشيد شوقى ومن نشيد الجامعة ومن النشيد القومى ومن نشيد الرافعى

أتحسبنى أمجنى ؟

لا والله ، ولكنى أرى أن هؤلاء الشعراء الأماجد لم يتصلوا بالطبقة التى تجند منها السلطات على اختلاف ألوانها وأزمانها ولم يتصلوا إلا بالطبقات التى تقيم حول حياتها سوراً من الارستقراطية المترفعة . لم يتصلوا بالشعب فهم لا يعبرون عنه . لذلك يحفظ شعرهم أمثالهم من طلبة المعاهد العلمية ولكن لا يصلح شعرهم للسيرورة بين العامة . وإنما يراد بالأناشيد وبخاصة العسكرية منها ما يصلح للعامة

ولقد ظهر اليوم من يكتبون للعامة ولكنهم لم يتقربوا بعدُ إلى العامة بفهم أرواحهم وبالشاركة فى عواطفهم وبتفهم أحاسيسهم وإنما تقربوا بهجر اللغة العربية وبكتابة الأزجال

« يا قاعد فى دارك   والعالم فى نار »

هذا كل مبلغ التقرب للمجندين . والمجندون يفهمون اللغة العربية ولكنهم لا يفهمون التغالى فى تصوير العواطف ولا يفهمون التكلف ، ومن أجل ذلك سيضمون لأنفسهم ألحاناً جيلة مثل :

بلدى يا بلدى   والسلطه خدت ولدى

ويتركون أناشيد الشعراء ما لم يدرس الشعراء أنفسهم وسائل الاتصال بالشعوب فيقولوا مثل نشيد :

صدق وعده

الحمد لله وحده   ونصر عبده

وأعز جنده   وهزم الأحزاب وحده

فإن أعجزهم مثل هذا وهو معجزهم بالطبع ففى رسائلى التالية نماذج لأناشيد أخرى عربية ومترجمة وجديدة مؤلفة .

عبد اللطيف النشار

استطلاع صحفي

مدرسة المدفعية الجوية

كيف يتعلم الطيار تدمير أهدافه

لمندوب الرسالة

من المراحل الهامة فى الطيران الحربى مرحلة القتال ، فهى الغاية التى استعملت من أجلها الطائرات فى القتال ؛ فأصبحت أخطر الأسلحة وأشدها فتكا إذ لا تقف فى سبيلها حصون ولا تقفها اختراعات ، فهى تصيب المحاربين والآمنين مهما ابتعدوا عنها .

خطوة أخرى

تكلمنا فى مقالتينا السابقتين عن مدارس الطيران الحربى والميكانيكى والتصوير الجوى وها نحن أولاء نبر بوعدنا فنضيف حلقة أخرى من هذا الفن المتشعب الذى يقضى الطيار حياته فى الهواء وهو يتعلم دروساً جديدة فيه . وموضوعنا هذه المرة هو مدرسة المدفعية الجوية .

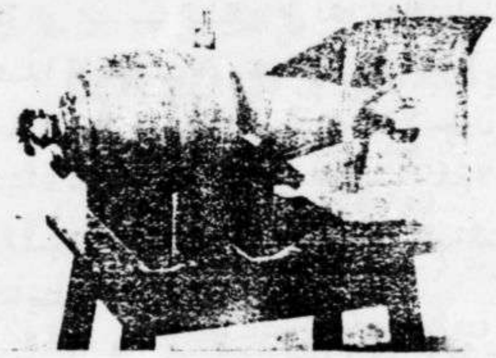


قائد الأسراب الجوية وقائد مدرسة سلاح الطيران عبد الحميد الدغيدى أفندى يلقى بعض أوامره لأحد ضباط سلاحه

فقد قرأنا كيف يتعلم الطيار قيادة طائرته وكيف يصلحها ، ومزايا الاستكشاف والتصوير بها والآن ننتقل إلى مرحلة أخرى من أدق المراحل وأكثرها خطراً وأشدها حاجة إلى حسن التقدير والمعرفة .

فالمدفعية الجوية اليوم عامل من أهم عوامل الهجوم والدفاع . فتصور قواعد الطيران الإنجليزى وهى تبعد عن ميناء كييل الألمانية مئات الأميال ومع هذا فإن الطائرات تصل إليها وتصيبها بأهدافها فتسبب أضراراً فادحة للأسطول الألمانى المرابط هناك . كما تدمر المصانع والمعاهد العامة . وقد يكون الانتقال من ميناء بارموث الإنجليزى إلى كييل سهلاً بطريق الجو ولكن إسقاط القنابل الصائبة من أشق الأمور ويحتاج إلى خبرة كاملة وتمرين طويل .

ولننتقل بالقارئ إلى مطار مصر الجديدة الحربى لنشاهد فى غرفه وحظائره كيف يجب أن يتلقى الطيار مرانه وماذا يتحمل لإتقانه ، فهناك فى إحدى الغرف تجد مجموعة كبيرة من مدافع الفيكرز والبرن ونماذج القنابل بأحجامها المختلفة وأشكالها المتعددة



نموذج قنبلة ضخمة اذا أطلقت على منزل دمرته وقد صنعت لأغراض تعليمية وقد ظهرت فيها المقدمة النحاسية والزعانف التى تضبط اتجاهها

وبعضها عملت فيه قطاعات عرضية وبعضها الآخر عملت فيه قطاعات طولية ، فانكشف داخلها وظهر الفراغ الذى تحتوى الخلطات المختلفة من المواد المتفجرة والتى تساعد على الانفجار فإن تركيب القنابل الآن من المسائل التى تحتاج إلى التخصص سنوات طويلة، ويصل ثمن الواحدة من بعضها إلى ١٥٠٠ جنيه

تنافس على الشر

فقد تنافس المخترعون فى استنباط خلطات الصلب والنحاس وغيرهما من المعادن ، وأصبح لكل دولة خلطة خاصة تنافس بها منافسيها وتحرص على التفوق عليهم بها . فهناك قنابل تنفجر بمجرد اصطدامها بجسم صلب ، وهناك قنابل تنفجر بعد زمن معين ، وهناك قنابل عملت خاصة لاحتراق طبقات الصلب ثم الانفجار . وهناك أيضاً قنابل تغوص فى لجج الماء ثم تنفجر

كل هذه الأنواع وغيرها احتاج إلى مجهود عقلى جبار وسنين طويلة ليظهر إلى عالم الوجود، ولكل نوع منها مزاياه

الخاصة . وتبعاً لهذه المزايا اختلف التركيب واختلفت المواد المستعملة ، وجميع هذه المتفجرات يستعملها الطيار . فإذا جاز له أن يجهل دقائق تركيبها فلا أقل من أن يعرف مميزاتها وطرق استعمالها والمدى الذى تصل إليه ثم تأثرها بالعوامل الجوية إذا أطلقها أو إذا تركها بدون استعمال

قتال الطائرات

والقتال الجوى بالطائرات نوعان : الأول باستعمال المدافع السريعة الطلقات ، والثانى بإلقاء القنابل ولكل منهما دروسه وتمريناته . وبعض الدافع يطلقها الطيار بالضغط على زر مثبت على عصا القيادة فينطلق المدفعان الجانبيان فى وقت واحد، وهما يثبتان عادة فى الطائرات المصرية فوق عجلتى الطائرة بحيث تتقابل طلقاتهما أمام مقدمة الطائرة وعلى بعد ٢٠٠ ياردة منها . فإذا أراد الطيار أن يهاجم عدواً ويطلق عليه مدافعه السريعة الطلقات فإنه يجب أن يحول مقدمة طائرته إليه . إذ لا يستطيع أن يتحكم فى مدافعه بغير هذه الوسيلة

ولهذا كان استعمال هذه المدافع من الأمور الصعبة . وتزود طائراتنا عادة بمدفع ثالث خلف مقعد الطيار ويديره محارب خاص .

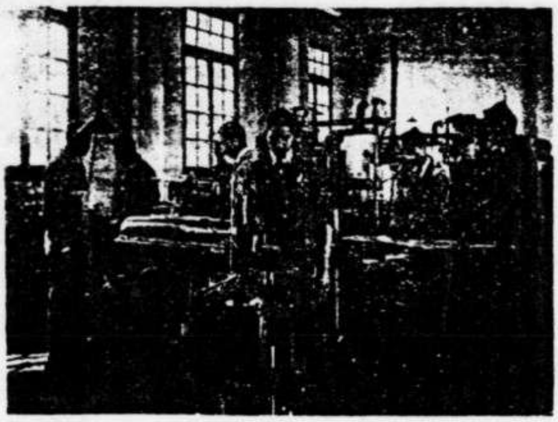


اذا احتاجت الطائرات الى أي إصلاح فهؤلاء الجنود مستعدون لتأدية اللازم وهم يبدون فى الصورة بعض الأسلاك المستعملة لتثبيت القنابل

وهذا المدفع يتجه إلى عدة اتجاهات فيستطيع المقاتل أن يصوبه إلى الوضع الذى يلائمه . ويركب هذا المدفع على إطار مستدير حول مقعد العامل فيدور إلى الخلف وإلى الجانبين ولكنه لا يتجه إلى الأمام إذ فى المنطقة الأمامية مقعد الطيار ويخشى أن تستولى حمى القتال على العامل فتنطلق من مدفعه رصاصة تقتل الطيار فتتحطم الطائرة ويهلك العامل أيضاً

١٠٥٠ طلقة فى الدقيقة

وتمكن الإنجليز فى الحرب الحالية من تجهيز طائراتهم بثمانية مدافع سريعة الطلقات حتى أصبحت طائراتهم أشبه بقلاع جوية . ويجب على الطيار ألا يطلق هذه المدافع باستمرار عند اشتباكه مع طائرات الأعداء فبعض هذه المدافع يطلق ١٠٥٠ طلقة فى الدقيقة فإذا استمر الطيار على إطلاق المدافع مدة طويلة فإن ذخيرته تنفد ولا سيما إن المدافع بعيدة عن متناول يده فلا يستطيع تعميرها . أضف إلى ذلك أن استمرار الضرب يرفع حرارة المدفع مما قد يؤدى إلى تلفه؛ ولهذا فإن الطيار يطلق مدفعه ثانية تقريباً ويستريح ثانية أخرى



فى مصنع المدرسة
يصلحون أجزاء الطائرات لتحمل الثقل المقرر لها من المتفجرات

ويجب على الطيار أن يدرس هذه المدافع دراسة جيدة حتى يستطيع إصلاح ما قد يطرأ عليها من خلل، ولهذا فإن كل طيار يعرف أنواع العطب التى قد تطرأ على كل منها ويعرف كيف يعالجها بسرعة . فإذا سألت أحدهم عن الخلل الذى قد يصيب مدفع البرن مثلاً قال أربعة وذكرها هى وطرق علاجها

مدفع التصوير

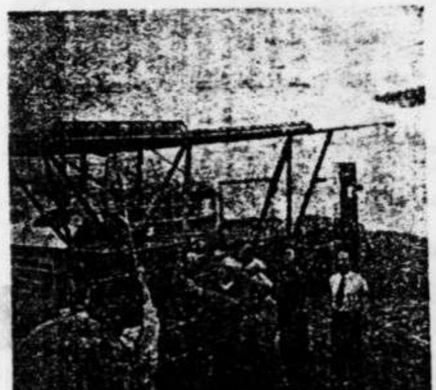
وللاقتصاد فى النفقات يستعمل الطيار فى تدريبه ما يسمى مدفع التصوير وهو لا يطلق رصاصاً ولكن يسجل على شريط تصويرى مقدار إحكام الإصابة . ويثبت هذا المدفع عادة على جناح الطائرة أو فى جزئها الخلفى وهو عبارة عن آلة تصوير على هيئة مدفع فعند ما يضغط الطالب على الزر الذى أمامه تنفتح العدسة وتسجل بعد الطلقة عن الهدف كما ترسم دوائر حول الهدف فتبين مدى الخطأ أو الصواب فى الإصابة

ويحتوى كل مدفع على اثنتى عشرة صورة مربعة طول ضلعها ستة سنتيمترات، ويفضل استعمال هذا المدفع فى التمرين على المدافع الحقيقية لسببين مهمين أولهما الاقتصاد فى المال والذخيرة، وثانيهما أن يرى الطيار بنفسه مبلغ دقته فى إصابة الهدف فيعرف الخطأ ويتعلم كيف يصححه . ويستمر على هذا التمرين مدة يتقن فيها استعمال المدفع . وتحفظ أشرطة هذا المدفع فى إدارة المدرسة ليرجع إليها الطيار كلما احتاج إليها فتراها معلقة فى أنحاء الغرفة الخاصة وقد كتب على كل منها اسم مطلقها

فإذا انتهت هذه المرحلة بنجاح انتقل الطيار إلى استعمال المدافع الحقيقية أولاً بذخيرة كاذبة وأخيراً بذخيرة حقيقية ثم يوالى مرانه فى فترات السنة المختلفة للبرنامج المعد لذلك

ثلاثة أطنان فى الطائرة

وينتقل الطيار بعد هذا إلى فترة تعليم إطلاق القنابل . وتختلف الطائرات فى قدرتها على حملها والمكان الذى توضع فيه وهى غالباً فى الطائرات المصرية تثبت تحت جناح الطائرة إلى حوامل مشدودة بأسلاك متصلة بلوحة أمام القائد . وبعض الطائرات تحمل ثقلاً يبلغ وزنه ٦٦٠ رطلاً وهى طائرات صغيرة . وبعضها تصل حمولته إلى ثلاثة أطنان من المدمرات كما هى الحال فى بعض الطائرات الإنجليزية التى تستطيع الواحدة منها أن تقطع مسافة ٤٥٠٠ ميل دفعة واحدة



هيكل طيارة يتعلم عليه الطلبة البناء الداخلى لها

وسبق أن بينا أن القنابل ذات أحجام وأوزان مختلفة يثبت منها الطيار ما يشاء بشرط ألا يزيد مجموع حمولته على الثقل المقرر تبعاً للأغراض التى يقصدها الطيار والأماكن التى يريد تدميرها

ولقذف القنابل شروط يجب أن يتقيد بها الطيار وإلا أفسد مجهوده ، ففى الجو تيارات هوائية تؤثر على سير القنبلة عند سقوطها . أضف إلى ذلك سرعة الطائرة نفسها فإن القنبلة تأخذ سرعة الطائرة ، ولهذا يجب على الطيار أن يحسب ويقدر هذين العاملين وما لهما من تأثير حتى تكون إصابته دقيقة أو تبعاً للاصطلاح العسكرى أن يكون (نشانه مضبوطاً) فقبل أن يسقط الطيار قنبلته يجب عليه أن يعرف سرعة الريح واتجاهه ، وهل هو مضاد لاتجاه الطائرة أو متفق ، وثانياً ارتفاع الطائرة عن الهدف ، وثالثاً سرعة طائرته ، ويعمل بعقله عملية حسابية شفوية فإذا وجد أن حسابه مضبوط وأن موقفه يساعده على إطلاق قنابله ضغط على الأزرار وإلا صحح موقفه بما يراه مناسباً



الضابط الطيار المردنلى افندى يختبر بعض أدوات مدرسة المدفعية الجوية ويرى فى الصورة نموذج لجناح الطائرة وبعض أشرطة مدفع التصوير

تحطيم المدينة

والقنابل ثلاثة أنواع ، الأول للتدمير وشكلها انسيابى ولها زعانف تضبط اتجاهها ولها مقدمة نحاسية ثقيلة متحركة تصطدم بالأجسام الصلبة فتضغط المواد الداخلية وتفجرها فترسل جحيمها لتدمر ما حولها ، والنوع الثانى للحريق وهو نوعان نوع يوضع فى أوعية كبيرة من الصاج توضع فيها عدة قنابل يفتحها الطيار فتتساقط القنابل فإذا لامست جسما صلباً احترقت مولدة حرارة شديدة تشمل كل ما يجاورها ، وعيب هذه القنابل صعوبة ضبط اتجاهها ولا تستعمل إلا فى القرى والأماكن السريعة الاحتراق، والنوع الثانى وهو قنابل كبيرة تشبه قنابل التدمير ويسهل ضبطها وتطلق مثلها بالضغط على الأزرار

والنوع الثالث من القنابل هو قنابل الغازات السامة على اختلاف أنواعها ، وبعضها يطلق فى قنابل وبعضها تقذفه الطائرة على هيئة رذاذ ينتشر فى جو الأماكن التى يراد إصابتها ، وكما يدرس الطيارون طرق استعمال هذه القنابل فإنهم يدرسون أيضاً طرق الوقاية منها وأهمها طريقة إخفاء المدن أو الجنود والمصانع وغيرها من الأهداف التى تقصدها الطائرات ، ويضيق بنا المقام عن سرد تفاصيلها ولكننا نرجو أن نحدث القارئ عنها فى مقال آخر

إلقاء القنابل

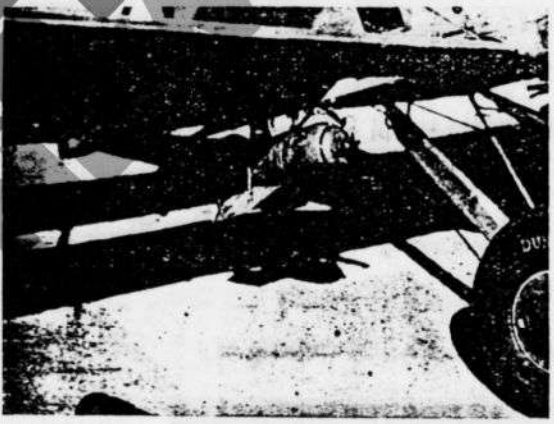
يبدأ الطيار مرانه على القتال بالقنابل باستعمال آلة التصوير وبها يسجل قدرته على إصابة الهدف . وليكون التدريب أكثر نفعاً وأوفى عناية ، شيدت إدارة سلاح الطيران الحربى بناء من طابقين يجلس الطيار فى الأعلى منهما حيث تسلط عليه التيارات المشابهة لتيارات الجو ، ويوضع فى الطابق الأسفل منهما خريطة صغيرة متحركة عليها علامات يحاول الطيار أن يصيبها بقذائفه وتسجل الإصابات بواسطة ضوء أحمر



محاضرة عن القنابل

المردنلى افندى يحاضر الطلبة عن القنابل ومميزات كل منها

ومن وسائل التدريب المهمة استعمال القنابل الكاذبة الخالية من المتفجرات الضارة . فهذه الوسيلة أقرب إلى الحقيقة من سواها إذ يجلس الطيار فى طائرته بعد أن يحمل حمولته المقررة من القنابل ثم يرتفع إلى طبقات الجو ومن هناك يسقط قنابله على الأهداف . فيستطيع بهذه الطريقة أن يتعلم أهم دروسه العملية التى تعتبر المرحلة قبل النهائية . فى الفترة الأخيرة يستعمل الذخيرة الحية



لا يحتاج إطلاق هذه القنبلة من مقالها إلا لضغط بسيط على زر أمام الطيار ويظهر فى الصورة كيف تثبت تحت جناح الطائرة

ولا يجوز للطيارين العودة إلى مطاراتهم والهبوط فيها إذا كانوا يحملون قنابل مستعدة للانفجار فيجب عليهم أن يهبطوا أولاً فى مكان منعزل حيث يتخذون بعض الاحتياطات الفنية التى تمنع حدوث انفجار هذه القنابل فى حالة حدوث طارئ مفاجئ للطائرة عند هبوطها فى أرض المطار كاصطدام جزئها الأسفل بالأرض مثلاً . وهـذا الاحتياط ضرورى للمحافظة على سلامة المطار وعماله ولتكون أرضه ممهدة صالحة لهبوط الطائرات .

فوزى الشترى

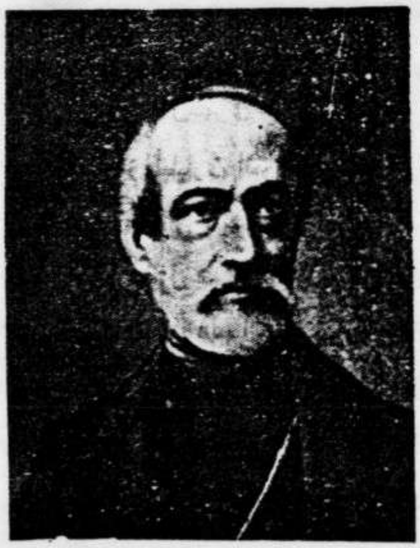
التاريخ فى سير أبطاله

مازيـــــنى

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذى أبلى فى جهاده مثـل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٤ —



على أن اليأس لم يعرف سبيلاً إلى قلبه الفتى حتى فى مثل تلك المحنـة ؛ فراح يعد العدة لثورة جديدة يشعل نارها فى بيدمنت ، ثورة تأتى هذه المرة من الشعب وكان مازينى مختبأ فى بيت أحد أصدقائه فى مرسيليا إذ راحت الحكومة تطارده هو وأصحابه ، فكان لا يخرج إلا تحت ستر الظلام متنكراً حتى لا يقع فى يد الشرطة ؛ ولما ضاق بسجنه هذا رحل إلى جنيف وأخذ يجمع المال فى سويسرا لثورته الجديدة ولقد لاقى فى سبيل ذلك من العناء ما لم يخففه على نفسه إلا شرف الغاية التى كان يسعى إلى بلوغها

وأعد فى سويسرا من الرجال ألفاً وثمانمائة ليعبروا جبال الألب إلى بيدمنت ، وكان يمنى نفسه أن ينضم الناس فى تلك الولاية إلى هؤلاء المغيرين فتشيع الثورة فيهـا وتتعداها إلى بقية الولايات ، فيبرهن بذلك لشارل ألبرت أن جنده لم يهنوا من بطش أو يستكينوا إلى ما ضرب عليهم من ذلة ، واختار لقيادة هؤلاء المجاهدين ضابطاً يدعى رامورينو حارب من قبل تحت راية بونابرت ؛ ولكن رامورينو هذا قضى على الحركة بدل أن يسير بها إلى النجاح فلقد تلكأ فى الحضور من باريس حيث راح يبدد المال الذى جمعه مازينى درهما إلى درهم ؛ ولما حضر سار بجنده وإنه ليخفى فى نفسه غير ما يبديه ، وكان هؤلاء قد فترت الحماسة فى قلوبهم لطول انتظارهم قائدهم ، فما لبثوا أن ذهبت ريحهم وباؤا بفشل عظيم ...

وأحس الغريب اللاغب بالهم والنصب يخترمان جسمه النحيل فسقط من الإعياء قوامه السمهرى ، وتمدد على فراشه أياماً كاد فيها المرض أن يودى بروحه فيطفئ ذلك السراج الوهاج ولما يؤد رسالته على تمامها

وتداركه لطف ربه فبرىء مما ألم به ؛ وكانت تخفف عنه آلامه وتسرى عن فؤاده سيدة أحبها فكانت له فى شدته ملاك الرحمة وذلك من فضل الله عليه

ولم يكد يستعيد قوته حتى ألفى الحكومة تطارد أنصاره فتخرجهم من سويسرا بأمر من الدول المسيطرة يومئذ ؛ وعز عليه أن يبرح تلك البلاد فيبعد عن إيطاليا وإنه ليحس أن قربه منها يشد عضده وربط على قلبه ، وهو لا يعرف له مستقراً إلا أن يكون ذلك فى انجلترة أو أميركا ولكنه لا يطمئن إلى أولاهما ولا يطيق البعد فى الأخرى

لذلك لاذ المجاهد المكدود بالهرب فقضى سنوات ثلاثاً مختبأ فى منازل بعض محبيه ؛ كأنما قدر عليه أن يحيا حياة السجناء وما هو بمجرم ولا مجنون ؛ وتوالت عليه المحن وانتابته النوازل ، فتمشى السقم فى بدنه وترامت الصفرة فى محياه ، ولاحت اللوعة فى عينيه ؛ ونفد ماله حتى لجأ إلى طلب العون من أصحابه وكانت أمه ترسل إليه ما تستطيع أن ترسله كلما كتب إليها يسألها المعونة ورثت ملابسه وأعوزته الكتب التى كانت عزاءه فى غربته وسلوته فى وحـدته ؛ وحيل بينه وبين أنصاره فبرم بالوحدة واستوحش الغربة ؛ وألح عليه مرض أسنانه فكان يتناوب هو والهم جسده الضنى

وأحزنه ما ترامى إليه من الأنباء عن تخاذل الناس وفتورهم فى إيطاليا ، كما آلمه أن يجد بعض المنفيين يعودون باللائمة عليه فيما أصاب حركتهم من فشل ؛ ولقد أدى ذلك إلى أن يضيق بالناس فما يصطحب إلا قطة أحبها !

وهكذا يجتاز الزعيم الطريد فترة من أشد فترات حياته المريرة

فترة البلاء التى ما خلت من مثلها فيما نعلم حياة زعيم ؛ وخيم عليه ذلك الظلام الذى يسبق فى حياة القادة النور الوهاج الذى يبدد بقوته كل ظلام

وإنما يكون هذا البلاء فى حياة الزعماء وحيالهم يشعرهم بسمو الغاية التى يجاهدون من أجلها ، فيزيدهم هذا الشعور تعلقاً بمبادئهم وحرصاً على بلوغ غاياتهم حتى ليصبح الألم محبباً إلى أنفسهم أن كان مبعث اليقين والصبر ، وتلك ناحية تمتاز بها كبار النفوس من سائر النفوس

ولن يكون عظيما من تتعاظمه الشدائد فتلويه عن وجهته ، وإنما العظيم من يسير على القتاد مغالباً كل ما يعترضه ، وعلى قدر ما يجتاز من الصعاب تكون عظمته ويكون الأثر الذى تتركه فى الناس حركاته ، ومن هنا أيضاً كان ترحيب العظماء بملاقاة المكاره ، ثم من هنا جاءت قيمة التضحية والفداء وولدت الزعامة

والألم فوق ذلك يمحص المجاهدين فيستخفون كل مرة بما يأتى بعدها من ضروبه حتى ليصير مألوفاً لديهم ؛ وذلك ضرب من الغلب يأتيهم من بطلان سبب من أكبر أسباب الهزيمة

لذلك صبر مازينى ، ومثله خليق أن يصبر وهو الذى جعل من مبادئ جمعيته التضحية والفداء والصبر على الآلام ، بل والسعى إليها ومجابهتها ، فلما كتبت إليه أمه تسأله أن يرجع عما هو بسبيله كتب إليها يقول : إنه كان يفعل ما تأمر لو أنه استطاع ذلك ! فانظر إليه كيف لا يستطيع أن يبتعد عن المحن والآلام وخذ من رده هذا معنى من أبلغ معانى البطولة ...

وكان له فى وحشته نور من مبادئه ترى قبساً منه فى قوله : « لقد جعلنا قضية الناس قضيتنا ، ولقد حملنا على عاتقنا باختيارنا آلام جيل بأجمعه ؛ وقبسنا من الله الباقى شعلة ، ووضعنا أنفسنا بينه وبين الناس ؛ واضطلعنا بدور المحرر ، وتقبلنا على ذلك الله »

وعلمه ما سبق من الفشل أن يصبغ مبادئه صبغة تجعل لها مثل قوة الدين ، فتكون بذلك أسرع نفاذاً إلى القلوب ، فإذا مستها علقت بها حتى ما تنتزع منها ؛ لذلك جعل من تعاليمه الحث على المبادئ السامية التى بها تكمل الإنسانية ؛ كأداء الواجب لذاته ، ومحبة الناس جميعاً ، والعمل لخير الإنسانية عملاً لا يبتغى المرء من ورائه جزاء ولا شكوراً ، والبذل والفداء فى غير منّ ، والصبر على المكاره فى سبيل النصر

وراح يوحى ذلك إلى الناس بخيال شاعر ويقين نبى حتى أحيطت دعوته بروح مثل روح الدين ، وأصبحت الكلمات التى لا تكون على لسان غيره أكثر من كلمات، قوة لها سحرها وفتونها على لسانه هو ؛ وأصبح شخصه بين حوارييه وكأنما رفعته قوة خفية إلى مرتبة فوق مرتبة البشر وإن كانت دون مرتبة الأنبياء وأصبحت وطنية الذين اتبعوه أكثر من أن تكون وطنية ؛ فلقد ملأت قلوبهم الآمال واشرأبت نفوسهم إلى المثل العليا ، وفى ذلك تتجلى رسالته الحق إلى الجيل ، إذ قد جعل الناس يؤمنون أن فى هذه الحياة غير الدين ما يستحق تضحية النفس فى سبيله ، ومن ذلك الوطن والحرية والكرامة الإنسانية

وكان يشتد به الحنين إلى وطنه وهو فى سويسرا حتى ليفعل به الحنين ما يفعل المرض ؛ وإنه ليعلق خياله بتلك السحب التى تجتاز الجبال لأنها تسير إلى إيطاليا ؛ وإنه ليمد بصره إلى أقصى ما يستطيع نحو وطنه وكأنه يستأنس بهذه النظرات فهو يطيلها أحياناً كما لو بات فى غيبوبة

على أن الأنباء التى كانت تصل إلى مسمعيه عن أهل هذا الوطن كانت تزيده غماً على غم ، فهذه الرجعية المتيدة التى تؤيدها النمسا تزعج خاطره وتؤلم نفسه ، وهذا الخور الذى حل بالرجال يغيظه ويحزنه ، حتى ليصل به الأمر أحياناً إلى أن يتدبر أهو على صواب فيما هو فيه من جهاد يجر عليه عذاباً كذلك العذاب الأليم ؟

ولكن نفسه كانت تحدثه أبداً أنه مهما قل أنصاره ، ومهما مسه من الضر أو أصابه من الهم ، فلا بد أن تكون العاقبة بحيث تستحق ما يلاقيه ؛ وكان قلبه يوحى إليه دائماً أن مبادئه محققة فى غد لا محالة على يده أو على يد غيره ؛ وكثيراً ما أعانه هذا الأمل على التغلب على كثير من الصعاب ؛ ولقد يشتد هذا الأمل عنده حتى لكأنه يرى المستقبل فهو يبشر أبداً بالفوز كأنما كان يوحى إليه به من وراء حجاب . فهل كان مرد ذلك إلى شدة يقينه وقوة حماسته أم إلى جموح خياله وقلة تجربته ؟ الحق أن خياله كان ذا سلطان كبير عليه ، ولكن جانب اليقين فى نفسه لم يكن أقل من جانب الخيال ، بل لقد نستطيع أن نقول إن قوة خياله كان مبعثها قوة يقينه فلولا ما أيقنه واعتزمه ما طمع فى شىء ثم ما تخيل شيئاً

وجمع مازينى فى سويسرا حوله نفراً من أهلها وأوحى إليهم

أن يعملوا للحرية وأغراهم أن ينشئوا جمعية على غرار إيطاليا الفتاة فتألفت بذلك سويسرا الفتاة ، وأصدر أعضاؤها صحيفة تعبر عن مبادئهم وعاونها مازيني بقلمه ، ولقد كان مازيني يبتغي من وراء ذلك أن تنتشر الحرية في كل مكان في أوربا لتتألف منها قوة عظيمة تجرف أمامها الرجعية ، وتقذف بها إلى غير رجعة ؛ وانتشار الحرية في سويسرا من شأنه أن يؤدي إلى تسربها إلى جارتها ، هكذا حدثته نفسه الوثابة وخيلت له روحه المتوقدة

ولكن الحكومة السويسرية تقرر نفيه من بلادها مخافة أن يبذر فيها بذور الثورة ، وتجد في البحث عنه وتقضي في غير إبطاء على حركته هذه ، وهي في مهدها ، فيجد نفسه مضطراً إلى الرحيل فيختار انجلترة ويسعى إليها عام ١٨٣٧ وهو في الثانية والثلاثين من عمره

وفي لندن يحيا حياة طليقة حرة فيظهر بشخصه في المجتمعات ولا يلجأ إلى الاختفاء ولكنه يضيق أول الأمر بجو لندن وحياتها الصاخبة وضبابها المقبض ، ويذكر ما خلف وراءه من شمس منيرة وسماء ضاحية وفضاء رحيب منضور الجوانب مسكي النفحات ، وهو بطبعه شاعر يهفو لجمال الطبيعة قلبه ، فلا عجب أن تقبض صدره عيشة لندن التي أحس منذ وطئتها أقدامه أن المادية فيها هي أساس كل شيء ، وأن الروحية فيها غريبة شريدة مثلما كان هو غريباً شريداً

ولئن منح حرية التجول والعيش السافر ، فلقد وجد أمامه من دوافع العزلة والقبوع في داره ما لا يقل إيلاماً عن نوازع الرجعية والاستبداد، وذلك هو الفقر؛ الفقر الذي تركه رث الثياب حتى ليتوارى من الخزي عن الأعين ، الفقر الذي جعله يرهن ما حمل معه من ضئيل المتاع ليقتات والذي اشتد به زمناً حتى لقد راح ذات يوم يرهن ملابسه من أجل بعض دراهم ، وذهب مرة أخرى يرهن حذاءه له ليشتري به طعاماً لغده

وأخذ يبحث عن عمل يمسك من ورائه رمقه ، فلم يجد إلا أن يكتب بعض المقالات في بعض الصحف ، على أن أجره على ذلك كان ضئيلاً وكان المترجم الذي ينقل كلامه إلى الإنجليزية يحصل على نصيب من هذا الأجر

ومن غريب أمر هذا الطريد النازح أنه كان لا يبخل في غربته على غريب غيره بماله على قلته ، فكلما اكتسب شيئاً منه أو أرسلت أمه شيئاً وجاءه أحد معارفه يسأله العون مد يده إليه بما تملك وهو في أشد الحاجة إلى من يعينه ، حتى الملابس لقد كان يجود بما ترسله إليه أمه منها على الغرباء من بني وطنه لتقيهم غائلة البرد في لندن ، وحسبه هو دفء قلبه وابتهاج نفسه بما تقدم يداه

وكان يستدين على ما كان في الدين من مذلة ، ثم يحاول أن يسد دينه بقلمه فيفلح حيناً ويفشل أحياناً فأضاف ذلك إلى آلامه وأشجانه ما نعجب كيف أطاق احتماله !

على أن أعظم ما نال من نفسه بعده عن بلاده وقصر ذات يده عن مواصلة جهاده في سبيل تحريرها ، ومخافته في هذا البلد النازح من أن تموت مبادئ جمعيته فتنحل وينساها أعضاؤها ، وفي ذلك الطامة الكبرى والبلاء الذي لا يجدي معه صبر ولا تنفع فيه حياة

ومما قاله في هـذا الصدد : « لن يستطيع رجل أن يعيش وحده ، وهأنذا لا أجد حولي من يدري ما أفكر فيه وما أبتغيه » ووصف ذلك العصر بقوله : « إنه عصر انحلال خاق ، عصر إنكار ، عصر كذلك الذي مات فيه المسيح »

وكأنه كان بينه وبين الدهر ثأر فهو يأبى إلا يأتيه بالمحن بعضها في إثر بعض ، فلقد جاءه وهو في غربته نبأ وفاة أخته العذراء ، وقد كان يحبها أشد الحب إذ كانت تكبر مبادئه وتعجب به من أجلها ، وكان إعجابها هذا به يزيده حماسة وأملاً . وكيف نستطيع أن نصف مبلغ حزنه على أخته التي ذهبت فلن يراها أبداً وهو ذلك الشاعر الرؤوف المعطوف الذي يهب حبه الناس جميعاً ؟

وكان الأسى يرمض فؤاده كلما ذكر ما عسى أن يكون عليه حال أمه المحزونة ، ويتضاعف حزنه إذا حدثته نفسه أنه كان سبب كثير من شقائها بما جره على نفسه من العذاب والغربة ، ولكن شيئاً واحداً كان يخفف عنه بعض ما به ، وذلك شعوره أنه يلقى ذلك كله من أجل وطنه ومبادئه .

(يتبع) الخفيف

أنت ...

[مهداة إلى الدكتور ابرهيم ناجى]

للأستاذ خليل شيبوب

النورُ فى عينيكِ أنشودةٌ   تروى عن البحر أعاجيبا
تُرقصُ فى هُدْبيهما ناظراً   كاللجِّ بالخضرة مشبوبا
قد أسمعتْ عينىَّ ألحانَها   عيناكِ تنغيماً وتطريبا
خدَّرتِ النفسَ أهازيجها   واقتدحتْ فى القلبِ ألهوبا
فاختبطتْ فى الصدرِ أغوارُه   تهدرُ تصعيداً وتصويبا
لكِ ابتسامُ الصبحِ خطَّتْ به   مغازلُ الشمس أساليبا
من خطفاتِ السحرِ موهومُه   يُخالُ تفضيضاً وتذهيبا
أحسُّ فى النفس حفيفاً له   أزهقها حبًّا وتعذيبا
وشعرُكِ المرسلُ نبتُ الدُّجى   يموجُ تصفيفاً وترتيبا
ملتمعٌ من سافرٍ تحته   أضفى ضياءَ البدر مسكوبا
رعاه قلبى حَلَكاً هادياً   يجلو عن النفس الغياهيبا
الحسنُ فى الوجه وفى الشَّعرِ قد   سافر تشريقاً وتغريبا
جيدُكِ أعيى الفنَّ لما بدا   فى قالبِ الفتنة مصبوبا
لانَ لُجيْناً وضياءً كما   قام عمودُ الصبح منصوبا
سطَّر فيه الحسنُ أطواقه   دائرةً لم تكسُ مسلوبا
الحسنُ وصفٌ لكِ والفنُّ قد   أضحى لأوصافكِ تلقيبا
جسمُكِ قدسُ الحبِّ طافتْ به   عبادةُ العابدِ مربوبا
فى كل عضوٍ منه أعلى الهوى   معابداً لى ومحاريبا
أعبدُ فيها اللهَ مستشعراً   قُدْرتَه لا أختشى حوبا
وقفتُ عمرى لكِ مستلحقاً   بصدرِ أيامى الأعاقيبا
عواطفى فى الصدر مكبوتةٌ   أدَّبها حسنىَ تأديبا
لو أُطلقَتْ لاندفقتْ مثلما   تدفَّقَ الغيثُ شآبيبا
أحببْتُكِ الحبَّ جميعاً فهل   أعيشُ محروماً ومحروبا
ياهند لا يُغضِبْكِ حبى فكم   وضعٌ صحيحٌ بات مقلوبا
وإننى ما اخترتُه عامداً   بل هو شىءٌ كان مكتوبا
أخفقتُ فى سعيى إليه ومن   أخفقَ فى مسعاه ما عيبا
إن عاش بالآمال غيرى فقد   أموتُ بالآمالِ منكوبا
أو صدَقَ الحبُّ لغيرى فقد   أعاد لى العمر أكاذيبا

(الاسكندرية)   خليل شيبوب

لحظـــة

للأستاذ حسن حبشى

آهِ ما أجملَها مِنْ لحظةٍ   حادثتْ عينىَّ فيها مقلتاكِ
لحظة مِنْ عُمُرى خالِدَةٌ   لامستْ كفِّى فيها راحتاكِ
وأضاءتْ ليلَ قلبى بسْمةٌ   أطلعتْها كالأمانى شفتاكِ
فصحا القلب على فتنتها   وهفا من شوقِهِ نحو عُلاكِ

* * *

أنت يا مولاى عُلوِىُّ السَّنا   فاحبُنى من نوركِ الزاهى شعاعا
هاتِهِ أجعلْ فؤادى زورقاً   وضياكِ الحلوَ فى اللجِّ شراعا
علَّهُ ينقذُ روحاً حرةً   سئمتْ فى عالم الأرض الصراعا
وامضِ لا تعبأ بذيَّاكِ الورى   فالورى قد أحسنوا فيها الخداعا

* * *

يا نجىَّ القلبِ فى عزلتِهِ   رامكَ القلبُ فهلاَّ تُشفِقُ
لا تخلْ صمتى جحوداً بالهوى   أنا إنْ أسكتْ فعينى تنطقُ
أنتِ فى هذى الدُّنا زنبقةٌ   عِطرُها الفوَّاح فينا يشرقُ
عطَّرَ الرُّوحَ فأمسى خاطرى   بالهوى العفِّ طروباً يخفقُ

حسن حبشى



دراسات فى الفن

مع هـــذه الأجسام

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— اسمعى ! إذا كنت تريدين زوجاً صالحاً فعليك بهذا الشاب الذى مر الآن ونظر

— أيهم ؟ فهم كُثر ، الذين مروا ونظروا

— نعم هم كثر ، ولكنه هو واحد ، وقد عرفك وأنت عرفتِه ، وقد حياك وأنت حييته ... فلم التجاهل ؟

— أأنا حييت أحداً الآن وحيانى؟متى كان ذلك؟وكيف كان ؟

— زعموا أن آنسة كانت جالسة على قارعة الطريق فى مقهى وكان معها دلو ...

— دلو ؟

— أى نعم ... بمعنى رجل ... وهو عند المرأة هكذا لأنها تلق به حيث شاءت ، وتملؤه بما يطيب لها ، و « تدفقه » أينما أرادت ، وتأخذ منه كل ما يحتويه فتختص به نفسها أو توزع منه على من تحب ... فإذا انثقب رقعته ، فإذا انكسر جبرته ، فإذا تحطم حرقته واستدفأت بحطامه ...

— ياله من ثأر بينك وبين المرأة ...

— أنا ؟ أنا ما بلغت إلى اليوم منزلة الدلو ... ومهما أكن فلن أزيد على لوح من ألواحه فلا يمكن أن يكون بيننا ثأر

— يا للفضيحة ... ما علينا ... أتمم قصتك ...

— ... وكان الدلو يتحدث إلى الآنسة بكلام تافه سخيف لا غناء فيه لأنه يدور حول أسرار الوجود ...

— وهل يقال عن الحديث الذى يدور حول أسرار الوجود إنه تافه سخيف ؟ فما الحديث الجليل الخطير ؟

— هو عندكن ما يدور حول هذه الجثث التى هى أنتن ، وحول هذه الخرق و « الهلاهيل » التى هى ثيابكن أو دروعكن وما أشد التباين بينها وبين دروع الرجال ، فهم يتدرعون بما يقيهم الهجمات ، وأنتن — ياويلى منكن — دروعكن مغامز ومطاعن تكشفنها كشفاً ، وتظهرنها عمداً ليسهل افتراسكن على الجرذ الضئيل كما يسهل على الأسد الضرغام

— يا أخى ! أما تُتم قصتك وتدع هذه المهاترات ...

— فلندعها ... ومر بالآنسة وصاحبها ... آخر ... عريض المنكبين متين الألواح ... طفت رجولته على جلده ولم يعد منها شىء فى داخل نفسه . فلما رأى الآنسة ، تجمعت قواه فى عينيه ، ثم انبثقت هذه القوة تياراً ، وانطلق التيار جارفاً قوياً ، فصدم الآنسة فى عينيها ، وفيما بين عينيها ، وفيما حول عينيها ، فآلمتها الصدمة ، فرفعت يدها إلى رأسها تحول بين رأسها وبين هذا التيار الذى لو ثقل عليها لتراخت وتخاذلت وتساقطت ، ولتتحسس بيدها أيضاً مكان الصدمة تختبرها وتتعرف مداها ، كما نصنع دائماً عند كل صدمة ، ولكنها فطنت إلى أنها بين جماعة من الناس قد يكون فيهم من يتتبع حركاتها ، فردت يدها سريعاً من جبهتها إلى شعرها حتى يظن الذى يراها أنها إنما رفعت يدها لتصلح من شعرها ، لا لتتقى تياراً ، ولا لتشد أعصابها ... وجازت هذه الحركة على كل من رأوها ... وصاحبها أولهم

— وما لنا نحن وهذه الحكاية ؟

— هذه الحكاية حدث الآن ما يشبهها ، وكل ما فى الأمر أنى أردت ألا تفوت من غير أن ألفتك إليها لعلك تستغلينها ، وتربطين إليك بسببٍ صاحبك هذا الذى مر ، وهو فيما يظهر ممتلىء ... رجولة وغروراً ، ومالاً أيضاً ...

— ولكن هذا أجنبى

— إذن فانتظرى الذى ليس أجنبياً ، والذى يؤثر فيك هذا التأثير ، واعلمى أنه هو الأهل لك

— ولكن رجالاً كثيرين ... كثيرين جداً يفضلون السحلب على « اللفات » ...

— نعم لأن الكاكاو أطيب طعماً من جوز الهند

— عدنا إلى الخلط ؟

— لقد مشيت معك ... كنا نتحدث عن الرجال والنساء فانتقلت أنت إلى المطارة ، فآثرت أن أجاملك وأن أمضى معك حيثما تريدين . . . فهل نعود إلى ما كنا فيه وتقولين لى مالهم الرجال الكثيرون الذين كنت تريدين أن تتحدثى عنهم . . . أو الأحسن أن ندعهم ونتحدث فى الحمص وغزل البنات ؟ مالهم الرجال الكثيرون ... مالهم ؟

— فأنت مصر على أن تهتك نفسى ؟

— مهتوكة يا آنستى نفسك وكل نفس ما دامت الأنفس فى الأجسام !

— إذن ، فليست الأجسام حجباً كما قلت مرات ؟

— إنها حجب ، وليست حجباً ، كالنور يبصر فيه البلبل ويعشى فيه الخفاش ...

— أو كالظلمة تبصر فيها البومة ويعمى فيها الطاووس ... فهل أنت طاووس أو أنت بومة ؟

— ولم لا أكون البلبل وأنت الخفاش ؟

— لم أسمعك يوماً تصدح ...

— لأنك تسهرين الليل وتنامين النهار ... عيناك لها الظلام ونفسك اطمأنت للسواد !

— قسمتى !

— ولماذا ترضين هذه القسمة وهى مما لم يكتبه الله على الناس فما كتب على المبصرين العمى، ولكنهم هم الذين يضمون أصابعهم فى أعينهم كمن يخشى أن يرى، وكمن يحب أن تزل قدمه ليسقط فينهار ! افتحى عينيك ، وانظرى ، وابصرى ، وافهمى ، والله لا يتعاطى من عبيده أجراً على ما يعلمهم ، ولا هو يتقاضاهم رسوم الألعاب .

— وماذا تريد منى أن أفعل ؟

— ترقبى حركاتك ، وترقبى دوافعها فى نفسك ، ثم ترقبى حركات الناس ، تعرفى دوافعها فى أنفسهم .

— وهل كل الناس يتشابهون ؟

— من غير شك، هم يتشابهون فى مقومات الإنسانية وأصولها كما تتشابه الأسود فى مقومات « الأسدية » ، وكما تتشابه الأبقار فى أصول « البقرية » ... وكل ما بين أفراد الناس من خلاف ، فإنما يتناول الفضول والزوائد ولا يتعداها ، فالأمير إذا مات وحيده حزن وبكى ومسح دموعه فى منديل ، والخفير إذا مات وحيده حزن وبكى ولكنه يمسح دموعه فى ذيل ثوبه ، وكل من المنديل وذيل الثوب ، لا صلة له بالحزن ولا البكاء ... أنت تضحكين فتكتمين صوتك تحشما ، وأنا أضحك فأفزع الناس بقهقهة كالرعد ولكننا مع هذا نتساوى فى أننا نضحك وإن كنت أنت تضحكين بقدر ، وأنا أضحك بكل القوة التى فى القدر والقضاء . وبهذه المراقبة يا آنستى تستطيعين أن تفهمى الناس ، وتستطيعين بعد ذلك أن تكتبيهم أو تصوريهم أو تعزفيهم أو تغنيهم أو تلعبى بهم ما شاء لك الفن ... ولكن عليك — كما رأيت — أن تعرفى نفسك أولاً ، وأن تحكمى عليها بالحق دائماً مهما آلمك هذا الحكم ، وإذا كنت تكرهين الألم فحاولى أن تصلحى نفسك بالحق ، واحذرى أن تخدعيها بالباطل لأن الباطل يتلفها فلا تعود تصلح مقياساً للحق الذى تنشدينه ، فالحق مستقيم ، ولا يقيسه إلا ما استقام ، ولا يمكن أن يحصره حلزون ...

— وكيف تعرف الحق ؟

— الحق معروف ، هو ما فطر عليه الناس لا ما اصطنعوه ، الله خلق الخلق بالحق ... فالحق فيهم ، وهو إلى اليوم على رغم ما جاهدوه طويلاً لا يزال فيهم ، ونحن نعرفه فى البشر بذيوعه بينهم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم . فالموت حق لأنه يتناول الناس جميعاً ، والحب حق لأنه يتمكن من قلوبهم جميعاً ، والفن حق لأنهم يطربون له جميعاً ... هذا هو الحق ...

— هذا حسن . فكيف تريدنى أن أبدأ فى تفهم هذا النوع من الحق الذى تدعى حدوثه بين الأجسام ، والذى يخيل إلى أنك تجعله كتيار الكهرباء . أنظر مثلاً : هذا رجل ممتلئ رجولة ، هو أيضاً كذلك الذى رأيناه فى البدء ، وهو ينظر إلى هذه السيدة ولكنها تتحسس رأسها من الخلف لا من الأمام، فهل حركتها هذه هى أيضاً تدل على أن تياراً انبثق منه نحوها، وأن هذا التيار أثر فيها إلى آخر هذه الدعاوى التى تدعيها . ليست المسألة إلا ارتباكاً فقط

— ما فى الذى قلناه شك . وكل ما فى الأمر أن هذه السيدة أنضج أنوثة من الآنسة الأولى التى هى أنت ، وعينها أشد تبجحاً من عينك ، وحيلتها أوسع من حيلتك ، وأعصابها أقوى من أعصابك . . . لقد رفعت يدها لتمر بها على جبهتها مثلما صنعت أنت ، ولكنها أفاقت ويدها فى منتصف الطريق فبدلاً من أن تضع يدها على موطن « النغزة » فى جبينها لفت بيدها إلى قفاها... وهذه هى الدرجة الثالثة من درجات الصد

— وهل للصد درجات ... غير ما فعلتُ وما فعلت ؟

— نعم ... أولى درجاته هى ما يلجأ إليها الأطفال عند ما يهاجمهم مهاجم بعينيه ونظراته ... فهم يرفعون أيديهم ويغطون

بها أعينهم ويمسكون بها رؤوسهم ، وهذه حركة من حركات الصد المكشوفة التى لا يلجأ إليها إلا الواثق من ضعفه ... وهى تشبه الجرى والهرب ... والدرجة الثانية هى هذه الحركة التى بدرت منك ، والدرجة الثالثة هى هذه الحركة التى بدرت من هذه السيدة ... والدرجة الرابعة هى الصد بالنظر ··· تيار ضد طيار ··· والفوز لمن غلب ، والفشل لمن أرخى عينيه ··· ومن الناس مخادعون ··· يريد الواحد منهم عند الهجمة أن يغطى عينيه أو أن يغطى رأسه ؛ فإذا رفع يده خشى أن ينكشف فعبث بعنقه أو بأذنه أو بأنفه ··· ألم تلحظى شيئاً من هذا ··· وبهذه المناسبة أريد أن أسألك سؤالاً لعلك تجيبين عنه ··· بعد ما استنار لك الطريق

— اسأل ··· ولكن اجعل سؤالك خفيفاً فأنا لا أزال فى فى السنة الأولى معك ···

— ليتنى أبلغ السنة الأولى أنا ! إسمعى ، ألا تستطيعين بناء على ما تقدم أن تستنبطى للتحيات التى يتبادلها الناس منطقاً ؟...

— وماذا تقصد بالتحيات ؟

— التحيات. التحيات. رفع اليد إلى الرأس. أليست هذه تحيات؟

— الناس يحيى بعضهم بعضاً لأنهم مؤدبون ، والصغير يبدأ الكبير ، لأنه مطالب باحترام الكبير ···

— ليس لى شأن بهذه المطالبات. إنما أنا أريد التحيات الطبيعية التى لا يلحظ الناس فيها الفروق الصناعية ··· حتى فروق العمر والسن يجب أن تعلمى أنها ليست طبيعية فى هذا الصدد فهناك صغار نفوسهم أقوى من نفوس الكبار ··· هأنذا وضعت لك الأساس

— وبهذا الأساس زدتنى اضطراباً ···

— لا بأس ... قوى وضعيف التقيا ... يرفع الضعيف يده إلى رأسه بالتحية فى هذا الزمن ، ولكنه فى الأصل كان يغطى عينيه ورأسه ... والكبير يرد عليه بعد ذلك من باب (جبر الخاطر) لأنه فى الواقع لم يشعر بالدافع الطبيعى الذى يحمله على أن يرفع يده إلى رأسه ... ويلتقى القويان فيرفع أحدهما يده إلى رأسه فى الوقت الذى يرفع الثانى يده فيه ... وهكذا يفعل الضعيفان . هذا هو منطق التحية الذى أطلبه ... والآن ... وبعد هذا المثل ... هل تستطيعين أن تستنبطى منطق التقبيل ؟

— وهل للتقبيل هو أيضاً منطق ؟ إن التقبيل استجابة لعاطفة ، والعواطف لا منطق لها ...

— من الذى قال لك هذا ؟ ... كل ما فى الطبيعة له منطق وقانون حتى المفاجآت والمصادفات ... وإن الذى نثر الكون فى هذا الفضاء وحفظه هذه الدهور وهذه العصور لا يمكن إلا أن يكون حكيماً له سنن هى الحكمة .. فكرى معى قليلاً ..

— طيب ! قل لى من أين أبدأ ؟

— من حيث تشائين . ابدئى بالقبلة التى يطبعها الأب على جبين الابن ··· لماذا يختار لها الجبين ؟

— لماذا ؟

— ليعطيه شحنة من الكهرباء القوية فى هذا الموطن الذى هو أصلح مكان فى جسم الإنسان لاستقبال الكهرباء ... والجبين هو المكان الذى يسلطون عليه الكهرباء فى أجسام الذين يعدمونهم بها فى أمريكا ··· أو هو المكان الرئيسى لهذا ···

— كأنه معقول . . . والابن يقبل يد أبيه . . . ثم إنه يضع يد أبيه على جبينه ... فلماذا ؟

— الابن يقبل يد أبيه فيمتص شحنة من كهرباء أبيه ، واليد من أطراف الإنسان التى تشع منها الكهرباء باستمرار وبسهولة... والنوم المغناطيسى يستعين بيديه على تنويم وسيطه إلى جانب القوة التى تنبعث من عينيه . . . والابن يضع يد أبيه على جبينه لأن الجبين كما قلت لك من أطيب المواطن فى الجسم لاستقبال الكهرباء

— والأخوان ؟ يقبل كل منهما الآخر فى خده ، أو يمسح الواحد منهما وجهه فى وجه الآخر . . .

— ذلك لأن المفروض فى الأخوين أن يكونا متساويين فى كمية الكهرباء التى شحن بها كل منهما . . . فالواحد منهما لا يريد أن يكسب من الآخر شيئاً ، ولا أن يعطى الآخر شيئاً ولذلك فإنهما يلتفان كل منهما حول الآخر ولا يتعاطيان . . .

— والعاشقان ؟ . . . يتبادلان القبل من الشفاه

— لأنهما يريدان أن يتعادلا ... فمن كان منهما قوياً أعطى الآخر الفضل من قوته . . . حتى يتم التعادل . . .

— عجيبة ... ولكن غاب عنك شىء يا سيدنا ... إن القبل ليست شائعة بين البشر جميعاً . . . وهى أقرب إلى العادات المكتسبة منها إلى الأفعال الطبيعية . . .

— إذا كانت القبل على هذه الصورة التى نعرفها ليست شائعة بين البشر جميعاً ، فللذين لا يعرفونها من البشر قُبَل ولكن على صور أخرى . . . فمنهم من يحك أنفه فى أنف صاحبه ومنهم من يحك رأسه فى رأس صاحبه . . . وبالملاحظة نرى أن من يفعلون هذا هم المتأخرون من الشعوب الذين لم يهتدوا إلى القُبل . . . وهم بتقبيلهم أقرب إلى ما يصنعه الحيوان . . . والإنسانية تتفتق عن الجديد كل يوم . . . والذين رأوا القبل من هؤلاء المتأخرين مارسوها واطمأنوا إليها . . . ولا تحسبى أن



لحظات الالهام
في تاريخ العلم

بقلم مريون فلورنس لانسنغ

اختراع الألوان

تتعلق قصتنا التالية بالعصور الحديثة فقد حدثت فى المائة والخمسة والسبعين عاماً الأخيرة . لكنه للوصول إلى مصدر هذه القصة يجب أن نعبر جسراً ضيقاً من الزمن يمتد إلى ألف عام

وكان فى خلال هذه المدة فنان يتدرجان فى سبيل التطور كلاهما يصلح للاستخدام فى تهيئة الثياب للحالة التى هى عليها اليوم

أما أحد الفنين فهو فن الصناعات الآلية فإن اختراع الآلات الميكانيكية فى القرن الثامن عشر قد أفسح المجال للحذق فى فن النسيج . وإذا أردنا أن نحدد تاريخ بدايات العهود لصناعة القماش وجدنا أنه من فجر التاريخ أى فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد كانت عناصر النسيج فى كل العالم بسيطة أولية هى المغزل بأنواعه ومنها المغزل الصينى للحرير والمغزل الهندى للقطن . ولم يكن أهل القرون الوسطى فى أوربا قادرين على إحداث تغيير عملى كبير فى صنع أنوالهم

فظل النسيج إلى منتصف القرن الثامن عشر على طريقته القديمة طريقة مجل النسج والنول الذى يدار باليد . وكان هذان العنصران هما كل ما لدى الغزالين والنساجين فى انكلترا من أدوات هذه الصناعة. لكن الناس كانوا قد بدأوا يسائلون أنفسهم:

فى هذا تنكراً على الطبيعة وإنما هو ارتقاء بها. فإنه لا يزال فى الدنيا ناس يعيشون على الأشجار ... وهؤلاء إذا عرفوا الحياة على الأرض اطمأنوا لها وعاشوا عليها كما يعيش بقية الناس لأنها الطور من أطوار الحياة الذى يتلو ذلك الطور الذى عاش فيه الناس على الأشجار...

— كأنه معقول ...

— أنا أعرف أنه لن يكون كلامى معقولاً إلا إذا كان مترجماً أو منقولاً ، وكى تطمئنى يا آنستى اعلمى أنى أخذت هذا الكلام عن الأستاذ A. B. C. D. وهو أستاذ مشهود له فى أوربا وأمريكا وآسيا وأفريقا واستراليا وهونولولو أيضاً

— على أى حال إن كلامه لذيذ . ألم يقل شيئاً غير هذا ؟

— ياما أكثر الذى قال ... ولكنى أنسى كثيراً مما يقول . أنظرى ... ألم ترى ...

— ماذا ؟ هذه الفتاة الجالسة فى الركن ؟

— نعم ... لقد نظرتُ إليها فماذا صنعت ؟

— هل تريد أن تقول إنها رفعت يدها إلى رأسها فتستدل بهذا على أنك رجل قوى الكهرباء ... لا يا سيدى لقد رأيتها وكنت مثبتة نظرى عليها ... هى لم ترفع يدها ... ولم ترفع يدها ...

— ولكنها فعلت ما هو أحلى من رفع اليد

— ماذا ؟ ... كل ما كان منها أن أطلت بلسانها من فمها فرت به بين شفتيها ...

— علامة على أى شىء ...

— إذا كان وراء هذا معنى ، فلا معنى له إلا أنها تخرج لك لسانها استهزاء بك ...

— يصح هذا ... ويصح شىء آخر ... وهو أن يكون إخراج لسانها ترطيباً لشفتيها اللتين جفتا على أثر انطلاق التيار الكهربائى منهما ، وهذا التيار لا ينطلق إلا فى حالة التقبيل شوقاً إلى الازدواج ... فهى قد شيعت لى قبلة فى الهواء ...

— كده ؟ لقد اشتد البرد فى هذا المكان ... قم بنا ... ألست تريد أن تدرك السينما من أولها ...

— والله إنى أفضل هذا « التياترو » ...

— وهذه الفتاة القبيحة التى تشيع للناس القبل فى الهواء. قم. قم

— قمنا ...

عزيز أحمد فهمى

أليس من الممكن اختراع وسيلة يمكن بها أن تظل عجلة النسيج دائرة وأن تظل الوشيمة «المكوك» تتحرك فيصبح النسج أسهل مما كان عليه بواسطة اليدين ؟

وكان أحد الضباط البحريين فى فرنسا فى القرن السابق واسمه « دى جانس » قد اخترع آلة لصنع الأقمشة التيلية لا تحتاج إدارتها إلى عامل ولكن فكرته فى الاختراع لم تنجح عملياً . وفى سنة ١٧٣٣ اخترع جون كاى فى مدينة بورى فى مقاطعة لانشستر نوعاً جديداً من الوشائع وقد سمى باسم « مكوك الذبابة » لسرعته فى الحركة سرعة خارقة للعادة

وبعد اثنى عشر عاماً صنع بالاشتراك مع جوزيف ستيل نولاً وصفه بأنه « يشتغل باليد أو بالماء أو بأية قوة أخرى » وكانت لحظة أحق بالذكر فى تاريخ العلم الصناعى تلك اللحظة التى جاءت فى سنة ١٧٦٤ إذ اخترع « جيمز هارجزيفز » دولاباً . وهو نساج يشتغل على النول وهو فى الوقت ذاته نجار . وكان يقيم فى بلا كبيرن . وقد قيل إن الفكرة قد أوحى إليه بها عند ما رأى عجلة المغزل يقلبها أحد أبنائه فرأى عند ذلك أنها استمرت تدور أفقية وأن المغزل ظل يدور عمودياً

وبواسطة هذا الدولاب صار فى الإمكان غزل عشرين أو ثلاثين خيطاً فى وقت واحد بنفس السرعة وبنفس السهولة التى يغزل بها خيط واحد

ولما عرفت هذه الحقيقة لدى زملاء هارجريفز انزعجوا خشية أن تكون نتيجة الاختراع تخفيض أجورهم وكثرة العاطلين بينهم فهاجموا بيت المخترع فى أحد الأيام وأتلفوا جهازه

وكانت الخيوط التى يخرجها النول قبل أن يبدأ النساج عمله تعرف باسم السدى . أما الخيوط التى يخرجها المكوك فتعرف باسم « اللُحمة » لكن الخيوط التى يخرجها دولاب الغزل كانت كلها من نوع اللحمة فليست متينة ولا قوية مثل السدى الذى يمتاز بالطول وبالقوة

وجاءت لحظة أخرى من اللحظات العظيمة فى تاريخ الصناعة عند ما قدر أن يؤثر رجل آخر فى حياة الملايين من زملائه، وهذه هى قصة صبى الحلاق الذى مات وهو حامل للقب سير ورتبة فارس وأصبح من كبار الأغنياء

كان رتشارد اركرايت (١٧٣٢ — ١٧٩٢) أصغر الأبناء فى أسرة عدد أبنائها ثلاثة عشر . وكان أبواه فقيرين فلم يستطيعا تعليمه إلا إلى الحد التافه فاشتغل رتشارد صبياً لحلاق ؛ فلما بلغ العشرين من العمر أنشأ لنفسه حانوت حلاق فى بولتون ولم يكتف بأن يحلق لعملائه ، وعشط لهم الشعر المستعار بل كان يبيعهم شعوراً مستعارة مصبوغة على طريقة ابتكرها . وبهذه الوسيلة أدرك ثروة وصار فى وسعه بعد ذلك أن يترك حرفة الحلاقة ، وأن تنصرف عنايته إلى غزل القطن ، وكان قد اهتم جد الاهتمام بدولاب الغزل فأخذ يجرى تجاربه ليعرف هل فى وسعه أن ينشىء دولاباً من هذا النوع يخرج خيوطاً قوية تصلح للسدى ، وقد استعان برجل اسمه جون كاى (وهو غير جون كاى مخترع المكوك السريع وربما كان من أقاربه) فصنعا دولاباً كان لأول مرة فى تاريخ النسيج يخرج الخيوط القوية اللازمة بطريقة آلية

وكان أول مصنع أنشأه اكرايت فى نوتنجهام سنة ١٧٦٨ وكان يديره بواسطة الخيل . وبعد ثلاثة أعوام أنشأ مصنعاً فى كروفورد فى دربشاير ، وكان يدار بالماء . وقد تعرض أيضاً لسخط الجماهير وتحطمت مصانعه وآلاته أكثر من مرة بسبب غضب الجماهير

ولكنه عاش العمر الكافى للانتصار على كل المصاعب ولإنشاء مصنع بخارى للنسيج فى نوتنجهام سنة ١٧٩٠

وجاءت لحظة أخرى من اللحظات العظيمة فى تاريخ الصناعة وهى قصة قسيس أديب هادئ هو الأب أدموند كارترايت وقد تغير كل نظام حياته بسبب زيارة زارها لمصانع السير رتشار اركرايت

اخترع هذا القسيس فى سنة ١٧٨٥ نولاً آلياً كان على الرغم من كل عيوبه بشيراً بالنول الذى يستعمل اليوم . واشتد به التحمس للفكرة فأنشأ مصنعاً فى دونكاستر وآخر فى مانشستر ، ولكن الرعاع المتسخطين الذين يرون فى هذه المعامل عدواً لهم قد حطموها

على أن كارترايت استمر على خطته وتحول من القطن إلى الصوف وعكف على دراسة مباحث وتجاريب كان يجريها مهندس أرلندى متأمرك اسمه روبرت فولتون ، وهو أول من أدخل قوة البخار فى الملاحة

ومع أن اختراعات كارترايت لم تمد عليه شخصيًا بالنفع الطائل فإنه لم يمت فقيراً قليل الاعتبار كثيرين من المخترعين

لأن البرلمان كافأه بمبلغ (١٠٫٠٠٠) جنيه فى سنة ١٨٠٩

وآخر قصة نرويها هنا عن تطور الصناعة الآلية لنسج القطن والصوف فى انكلترا هى قصة العازف على الكمان الذى استكشف طريقة جديدة لصنع الشاش . وهو من أهل لانكشاير مثل هارجريفز أركرايت وهو مثلهما من الأوساط الوضيعة

اسم هذا الرجل صموئيل كرمبتون وقد ولد فى فايروود بالقرب من (بولتوف ان ذى مورز) فى سنة ١٧٥٣ وقد مات أبوه وهو طفل ؛ وكانت أمه الأرملة تشتغل بالغزل فساعدها على ذلك

وبعد قليل اشتغل عازفاً على الكمان فى مسرح بولتون . وكان يقسم وقته بين العزف وبين الغزل . وكان يغيظه أن الغزل الذى يصنعه تتهدل أطرافه وخطر له أنه قد يستطيع تحسين عمله على طريقة دولاب هارجريفز فيمتنع هذا التهدل . واستمر خمسة أعوام يعمل على هذا التحسين . وفى نهاية هذه المدة اخترع آلة تغزل خيوطاً رقيقة ناعمة تصلح لنسج الشاش

أراد أصحاب المناسج أن يعرفوا سره فحاصروا منزله ولما كان المبدأ الذى بنى عليه عمله فى نهاية البساطة بحيث يستطيع أى خبير بالصناعة أن يعرفه فى لحظة فإن هذا المخترع المسكين قد اضطر إلى استئجار حرس حول المنزل طول الليل والنهار، وأخيراً أفشى سره لأحد أصحاب المصانع فى بولتون . ومما يدعو إلى الأسف أنه لم يكافئه المكافأة التى وعده بها

وأطلق فى انكلترا وفى إيقوسيا على تلك الآلة اسم بغلة النسيج . وتشجع كرمبتون بما بذله البرلمان الإنكليزى من المكافأة لكارترايت ، فاستجمع الأدلة على كثرة ما استُعمل من الآلة التى اخترعها فى أنحاء البلاد ، وطلب معونة الدولة فمنحه البرلمان ما يعدل نصف المكافأة التى منحها زميله المخترع القسيس وعاد كرمبتون المسكين إلى بولتون وهو يشعر بالخيبة والمضاضة من الاستكشافات التى استكشفها هؤلاء الأربعة الحاذقون الموهوبون نشأت المراكز الصناعية للصوف والقطن فى لانكشاير ويوركشاير وإيقوسيا ، وأصبحت هذه اللحظات الهامة فى أعمارهم حلقات فى سلسلة متصلة فى صناعة النسيج الآلى تربط مصانع اليوم بالمغزل والطارة اللذين كانا يستعملان فى أقدم العصور

وكان على الكيميائى أن يشترك بقسطه الوافر فى صناعة القماش ، فنشأ كيميائى فى السابعة عشرة من العمر كان يشتغل فى معمل فى لندن ، واستكشف فى سنة ١٨٥٦ استكشافاً يستحق أن يعد أوانه من اللحظات العظيمة العلمية فى تاريخ العالم الحديث

ومن الغريب أنه بينما كان التقدم مطرداً فى غزل الأقمشة العظيمة ونسجها كان فن الصناعة يكاد يكون من الوجهة العلمية واقفاً تمام الوقوف

كانت المواد النباتية مثل النيلة والفوة والمواد المشبهة كحشيشة البحر والمواد الحيوانية كدودة القرمز والمعدنية مثل الدار صينى، كانت هذه المواد التى تستعمل فى الصناعة إلى أن انقضى عهد ليس بالقصير من القرن التاسع عشر، وبهذه المواد المحدودة الناقصة التأثير كان النساجون فى أوربا يلونون منسوجاتهم تلويناً بديعاً كما نرى فى الحرير والشيت والقماش المطبوع الذى يوجد الكثير منه فى المتاحف

ولكن لم يظهر إلى ذلك العهد ذهن عبقرى من المخترعين يكشف أن مزج مادتين كيميائيتين يمكن أن يؤدى إلى استخراج ألوان كثيرة أخرى .

(يتبع) ع . ا

من هنا ومن هناك

ثروتنا تكسب الحرب

[ملخصة من « الأوفر »]

كانت ألمانيا عام ١٩١٤ تعتقد أنها ستمحو فرنسا فى أسابيع معدودات . ولكن الحرب مع ذلك دامت أربع سنوات . وقد تكون الحرب الأسبانية أكثر دلالة على أن الحروب العصرية ليست من الحروب القصيرة المدى ، وإن تفوقت الدول المحاربة فى التسلح . لذلك نستطيع أن نقول إن الحرب الأوربية الحالية ستكون حرب اجتياح

وتدل الجهود المضنية التى تبذلها ألمانيا فى سبيل إصلاح حالتها الاقتصادية ، على أن الدول الدكتاتورية لن تجد الفرصة المواتية فى مثل هذه الحرب

ويقول (ميجر - جنرال توماس) : إن القوة الاقتصادية فى الحروب الطويلة لها شأن أعظم من القوى الحربية ، وقد برهنت الحرب العظمى عام ١٩١٤ — ١٨ على صدق هذا القول . وهو فى الأيام الحاضرة يزداد صحة وتأييداً

إن نظام ألمانيا الاقتصادى يقوم منذ زمن طويل على أسس واعتبارات حربية ، وتدل محاولاتها فى غرب أوربا على حاجتها الملحة إلى الحنطة والبترول

ولا مفر من الاعتراف بأن ألمانيا اليوم أقل استعداداً للحرب من الناحية الاقتصادية مما كانت عليه سنة ١٩١٤. فالثروة الألمانية أقل مما كانت فى ذلك العهد . والألمان لا يستطيعون أن يقوموا بإنتاج الأطعمة والسلع التى تسد حاجتهم أيام الحرب ، بل لا يستطيعون كذلك أن يحافظوا على التوازن اللازم بين الصادر والوارد . فهم إذن إما أن يثقلوا كاهلهم بالديون أو يلجأوا إلى الاحتياطى الضئيل الذى لديهم من الذهب فينفقوه

ويعتقد « بول إينزج » الاقتصادى الإنجليزى المشهور أن الاحتياطى الذهب سيكون له الشأن الأول فى هذه الحرب دون سائر الشئون الخاصة بالحرب . ومما لا شك فيه أن ألمانيا لم تكن فى عهد من العهود أكثر استعداداً من الناحية الاقتصادية مما كانت عليه سنة ١٩١٤، ومع ذلك فقد ضاقت بها سبل الاقتصاد، ومن الحق أن يقال إنها جاعت وتسلحت ، ولا يستطيع شعب من الشعوب أن يجابه الجوع والضغط أربع سنوات ، تزداد حالته فيها سوءاً يوماً عن يوم ، ومن البديهى أن هتلر إذا استطاع أن ينال بعض الموارد عن طريق الاغتصاب ، فإن هذه الموارد لا يمكن أن تزيد على موارد ألمانيا فى الحرب السالفة ؛ وهى مع ذلك لا تكفى لإقامة نظام اقتصادى ثابت يضمن لبلاده المال الاحتياطى الضرورى لها عند الأزمات .

يقول الدكتور « فرد نزبرج » الإخصائى الألمانى : إن ألمانيا تحتاج من البترول فى زمن الحرب إلى ما يتراوح بين خمسة عشر وعشرين مليوناً من الأطنان كل عام ، ولا يزيد ما يستخرج منها على ثلاثة ملايين فى العام . ويقدر محصول رومانيا من هذه المادة بثمانية ملايين من الأطنان على أكبر تقدير ، وإذا وجهنا نظرنا نحو الدول الديمقراطية ، وجدناها أكثر استعداداً اليوم منها سنة ١٩١٤ . فاحتياطى الذهب فى انجلترا وفرنسا يزيد خمسين ضعفاً على الاحتياطى الموجود بألمانيا الآن ، وللدول الديمقراطية موارد أخرى فيما وراء البحار تستطيع أن تزودها بما يكفيها عند الحاجة . ولا ننس هنا أن أميركا على استعداد لتموينها بما تحتاج إليه دون أن يؤثر ذلك فى مركزها الاقتصادى العتيد .

من هنا يتبين أن الميزان الاقتصادى راجح فى ناحية الدول الديمقراطية ، ولا تجهل ألمانيا ذلك ، ولكنها تمنى نفسها بفكرة الهجوم السريع ، ولكن الحرب فى أوربا اليوم لا تعرف القصر

نشرة نازية !

[عن بنك التوفير العام ببرلين]

حدث بعد إقالة دكتور شاخت من رآسة بنك الريخ تغيير كبير فى سياسة ألمانيا المالية . فقد كانت أثمان الأطعمة والملابس حتى ذلك العهد تزداد زيادة لا تصل بها إلى حد التضخم ، فقد علمتنا الأيام أن تضخم الأسعار يبدأ بزيادة الأثمان كل شهر ،

وتعلو ثم تعلو حتى تصير فى كل أسبوع ، ولا تنتهى حتى يصبح المبلغ الذى يدفع فى يوم الجمعة لا يساوى شيئاً فى يوم الإثنين الذى يليه . وقد تبين فى عام ١٩٣٨ أن إيراد الضرائب لا يكفى لسد ما تنفقه الحكومة فى التسليح ، فعمدت إلى سد هذه الثغرة ببعض القروض ، ولكنها وجدت فى عام ١٩٣٩ أن تلك القروض لم تكن لتكفى لإمدادها بالمال الذى تريده . فلجأت إلى فرض الغرامة اللازمة على الأمة . وكانت حتى ذلك العهد مترددة بين أمرين : إما أن ترفع الضريبة ، أو تزيد فى عدد الأوراق المالية . وكان من رأى دكتور شاخت زيادة الضرائب . ولكن رجال المال وأصحاب الأعمال أشاروا على الحكومة باجتناب هذه الطريقة لأن ماليتهم لم تعد تحتمل زيادة فى الضرائب على الإطلاق . وعلى ذلك فقد لجأت الحكومة إلى توسيع دائرة الأوراق المالية مع فرض بعض الضرائب . وكان من البديهى بعد ذلك أن ينحى دكتور شاخت عن منصبه ، إذ لا يتسنى للحكومة أن تترك مالية الدولة فى يد رجل رفع عقيرته بالاحتجاج عليها صراحة حين اعتزمت زيادة الأوراق المالية المتداولة

نحن لا نستطيع أن ننكر بحال من الأحوال أن السياسة المالية الجديدة قد جعلت المصارف على حافة الخطر ، وعلى الأخص مصرف التجنيب (التوفير)

إننا لا نشك فى فائدة التسليح ، ونود أن يكون لألمانيا استعداد حربى يفوق كل أمة على وجه الأرض ، ولا يمكننا أن ننصح لأصحاب الأموال بأن يسحبوها من المصارف إذ يصير من المتعذر على الحكومة أن تعقد قروضاً جديدة بعد ذلك ، ولكننا على العكس قد أصبحنا مضطرين تحت ضغط بعض الظروف والاعتبارات أن نمنع سحب الأموال من المصارف لتبديدها بغير وعى فى شئون الرفاهية والأهواء . فحياة الدولة كما يقول الفوهرر فى ثروتها . ونحن نعد أموال عملائنا من مالية الأمة ومرافقها العامة . فهى العمود الفقرى لتسليح البلاد . لذلك نستطيع أن نقول لكل إنسان فى ألمانيا دع أموالك لبنك التوفير

ألم الشعور بالوحدة

[عن « يور لايف الأمريكية »]

فى الحياة آلام كثيرة ، ومن أقسى تلك الآلام الوحدة والوحدة التى نعرفها بالانفراد ، تختلف كل الاختلاف عن شعور الإنسان بأنه وحيد . كل إنسان يميل أن يكون وحيداً فى بعض الأحيان . وقد يثير نفسه ويضجرها أن يكون قريباً منه أحب الناس إليه . والمرء ينشد الهدوء والعزلة فى بعض الأوقات ليفكر ويستريح ، ويبنى قصوراً فى الفضاء . إلا أن الوحدة تئلم القلب وتؤذيه وتؤدى إلى الكآبة ، وتحرك فى النفس أفكار السوء . والنفس الوحيدة تشعر على الدوام بأنها غريبة عن العالم مجفوة من بنيه ، ومن العجيب أن صاحبها يشعر بالوحشة وهو فى المدينة تعج بالملايين من السكان المحيطين به المجاورين لداره ، كما لو كان وحده وسط صحراء قاحلة لا صديق فيها ولا أنيس

ومما يثير فى نفوسنا شعور الوحدة ، كبت بعض الغرائز التى تريد الظهور ، ففى كل إنسان غريزة تدعوه إلى البحث عن رفيق من الجنس الآخر . وكبت هذه الغريزة يسبب له كثيراً من الآلام من الطبيعى ولا شك أن يكون الإنسان وحيداً ، ولكن الوحدة ليست من الأمور التى تؤخذ بالوراثة ، ولا من الغرائز التى لا يمكن التغلب عليها وتغييرها . فنحن لم نخلق فى هذه الحياة بهذا الضعف ، إن الظروف هى التى جعلتنا كذلك ، وفى وسعنا أن نغير هذه الظروف فلا نعود إلى احتمال آلام الوحدة بعد

ويختلف علاج الوحدة باختلاف الأشخاص والأحوال ، فبعضنا يعانى آلام الشعور بالوحدة حتى يتزوج ، وبعضنا يعانى الوحدة حتى يكون له أبناء . وبعضنا يؤنسه كلب صغير أو طائر جميل . وقد كان للمذياع فضل كبير فى معالجة هذا الداء عند الكثيرين ، كما أن للقراءة والأفلام المصورة فضلا يذكر فى هذا الشأن .

من هنا يتبين أن علاج الوحدة يختلف باختلاف الظروف والبيئات . فقد يكون لعصفور صغير فضل كبير فى معالجة إنسان من هذه الحالة ، وقد يكون للطبيعة فضل فى معالجة إنسان آخر . وقد يأنس بعضنا بمشاهدة حفلات الرقص ، وقد يأنس البعض بمشاهدة بعض المباريات الرياضية والاندماج فى غمار الناس

ومن واجب الشخص الوحيد أن يتعلم كيف يتصل بالناس ، وألا يضيق على نفسه كثيراً فى اختيار معارفه ، فإن الأمور يؤدى بعضها إلى بعض

ونحن نستطيع أن نقهر الظروف وأن نحكمها ، إذا قوينا غرائزنا وأفسحنا لها طريق المران . فإذا أخذنا بهذه الأسباب أتيحت لنا الفرصة للتغلب على أحوالنا ، فأصبحت تأتمر بما نريد .



تاريخ الآداب العربية لبروكلمن

سبق لى أن وصفت الجزء الأول والثانى والثالث لذلك الكتاب من غير توسع ولا إفاضة فى الفحص عن المسائل المتناولة والتفصيلات المتفرقة فى البحث . واليوم أعدل عن الوصف المجمل إلى تعقب الفقر بعض التعقب . وقد وعدتُ الأستاذ بروكلمن نفسه بذلك ، ولا أدرى هل يصله هذا العدد من الرسالة وقد انقطع حبل البريد بين مصر وألمانية

يجرى الكلام فى الجزء الرابع على النثر فى مصر . وإليك أسماء الذين نظر المؤلف فى آثارهم : فرح أنطون ، محمد ابرهيم المويلحى ، المنفلوطى ، محمد حسين هيكل ، منصور فهمى ، محمد عبد الله عنان ، شبلى شميل ، سلامة موسى ، يعقوب صروف ، فؤاد صروف ، محمد تيمور ، محمود تيمور ، نقولا الحداد ، محمد فريد أبو حديد ، خير الدين الزركلى ، الملباوى ، حسين شفيق المصرى ، عبد الله حبيب ، عبد العزيز عمر الساسى ، توفيق الحكيم ، طاهر لاشين ، حسين فوزى . ثم عاد المؤلف إلى الكلام على أحدث ما أخرجه العقاد ومحمود تيمور بعد أن تناول هذا فى صدر الجزء الرابع وذاك فى الجزء الثالث . وهنالك طائفة من الكتاب لم يتمهل المؤلف عندهم بل قنع بذكر أسمائهم وإثبات كتبهم وتصانيفهم ، والحق أن بعضهم ، مثل ابرهيم المصرى ، يستحق فوق هذا ، وكان أولى به أن يشغل المحل الذى ظفر به بعض صغار الكتبة (أنظر مثلاً ص ٢٤١)

ولن أناقش هنا آراء المؤلف فى كتابه ، فقد قلت من قبل إنى مرجىء هذا حتى تخرج الأجزاء كلها فينتظم سلك المناقشة وينبسط على ما تقدم وما تأخر . وإنما همى اليوم التنبيه على بعض الأوهام حتى يتمكن المؤلف من مراجعة ما فاته فى المستدرك الذى أخبرنى بأنه صانعه :

١ — رسم الكلمات العربية بالحروف الرومانية ورسم الأعلام الأفرنجية

ص ١٩٣ : سياحة فى أرز لبنان — لا : عرز لبنان — ابن الشَعب — لا : الشِعب —

ص ٢١٤ : مُقدمة السوبر من — لا مَقدمة

ص ٢١٧ : أساطين العلم الحديث (لفؤاد صروف) ، لا : أساطير

ص ٢٢٠ : مَهزَلة الموت ، لا مُهزِلة

ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ : مسامرات الشَعب ، لا : الشِعب

ص ٢٢٨ : مرقص فهمى ، لا : مَرقوص

ص ٢٣٣ : محمد عَوض ، لا : عِوض

ص ٢٣٤ : شِحاته عُبيد ، لا : شحّاته

ص ٢٣٦ : مصطفى المِلباوى ، لا : المُلباوى

ص ٢٤١ : A. H. Paxton ، لا : Baxton (وكان من المدرسين الإنجليز فى كلية الآداب عندنا)

ص ٢٤٣ : Jean Giraudoux ، لا : Grandoux (وهو المؤلف المسرحى الفرنسى لهذا العهد)

ص ٢٤٣ : Morik Brin ، لا : Maurice Berin (وهو الذى نقل إلى الفرنسية « شهر زاد » لتوفيق الحكيم)[1]

ص ٢٤٣ : صلاح الدين ذُهنى ، لا : ذِهنى

ص ٢٤٨ : كوم حمادة ، لا : حمّادة

ص ٢٦٦ : رواية قَصصية ، لا : قِصصية

٢ — بعض الواقعات

ص ٢١٥ و ٢١٧ : يجعل المؤلف لفؤاد صروف لقب دكتور ويقول إنه ابن يعقوب صروف ، والوجه أن صديقى الأستاذ فؤاد ليس بدكتور وأنه ابن أخى يعقوب صروف

ص ٢٣٥ : أدخل المؤلف خير الدين الزركلى فى كتاب

(١) إنه يلوح لى أن الأستاذ بروكلمن نقل هذه الأسماء الثلاثة عن مصادر عربية فالتبس عليه النطق فاختلط الرسم

مصر باعتبار الإقامة ، وهو من أدباء الشام أصلاً

ص ٢٤٠ : جعل المؤلف أحدهم مهندساً فى مصلحة السكة الحديدية وهو موظف صغير فيها

وبعد، فهذه مآخذ حقيرة الشأن لا تضير عمل الأستاذ بروكلمن وهو جليل ، ولو كان الأستاذ يعيش بين ظهرانينا ما فاته مثل هذه الهفوات ، إلا أنه بعيد عن البيئة التى يكتب فيها ، أجنبى عن أهلها

بشر فارس

رجيع

أقول لصديقى الدكتور زكى مبارك إنى لم أقل « بوجوب إلقاء الشعر كما يلقى النثر » . فليراجع كلمتى الأولى والثانية (الرسالة ٣٣٠ ، ٣٣٢) يقرأ ما حرفه : « فإن الشعر لعهدنا هذا فى أوربة (وعنها نأخذ فن التمثيل) يلقى على المسرح كأنه نثر (إذاً : فى أوربة وكأنه) . وسبب ذلك أن القصيدة تقوم بمعانيها وألفاظها لا بتفاعيلها ... وخير من إنشاد البيت بتقطيعه وقصمه مصراعين والضغط على القافية الراجعة أن يُنشَد على حسب انسياب المعنى فى تضاعيفه » ثم « ومما يحق على الوزن أن ينتشر خفيةً فى تضاعيف البيت » . وعلى هذا فبيّن أن المحل الأول عندى فى إلقاء الشعر على المسرح للمعنى واللفظ وأما الوزن فليكن كالنغم الخفىّ يذهب ويجىء من وراء ستار رقيق . وأظننى بينت الأسباب التى من أجلها أغلّب إلقاء الشعر بحسب المعانى والألفاظ على إلقائه بحسب التفاعيل . فهل أعود إلى التبيين ؟

وأما تهديد الصديق إياى من أجل ليلاه - حَفِظت لطبيبها المهدَّا - فما أنشط له . ألا أعِدْ علىّ يا زكىُّ صروف ليالى باريس ومحن أيامها ، فقد لعمرى سئمتُ حياة الطمأنينة ومصر كلها اطمئنان . ألا « أطح رأسى عن كتفىّ » ولا تخشَ بأساً فلا ليلى لى فتنوح على . وهل تكون ليلى ، على مرضها ، إلاّ لمثلك . يا للجهال والفتنة ووسوسة الشياطين ! وأعوذ بالله من شيطان غير رجيم . . .

ب . ف

إلى مشيخة الأزهر فمشيخة المقارىء

ظهرت طبعة جديدة للمصحف الشريف بعنوان (التنزيل الربانى بالرسم العثمانى) قام بطبعها ونشرها عبد الرحمن محمد الكتبى بشارع الصنادقية بميدان الأزهر

وقد وقع فى يدى مصحف من هذه الطبعة ، فساءنى أن أجد بكتاب الله أخطاء منشؤها التهاون فى التصحيح والإهمال فى المراجعة ، كما سرنى أن أعلن للناس عنها ، ليصلحها كل من كان عنده مصحف من هذه الطبعة ذات الحجمين وإليك البيان :

ص ٩	س ٤	: بم		والصواب : بُم
» ٦٤	» ١٣	: الغيت	»	: العنت
» ٨٧	» ٧	: حاءتهم	»	: جاءتهم
» ٩٧	» ٤	: ادكر	»	: اذكر
» ١١٢	» ١٠	: نطعمها	»	: يطعمها
» ١١٢	» ١٠	: نشاء وزعمهم	»	: نشاء بزعمهم
» ١٩٨	» ٢	: فيضلّ	»	: فيضلُّ
» ٢٤٩	» ١٥	: يومئد	»	: يومئذ
» ٢٥٤	» ١٣	: ءابنى	»	: ءايتى
» ٢٥٥	» ١٠	: أتننا	»	: أتينا
» ٢٥٨	» ١	: أت	»	: أنت
» ٢٥٨	» ١٤	: فيها	»	: فيها
» ٢٦٠	» ١١	: بجُدل	»	: يجدل
» ٢٩٢	» ١٥	: علمه	»	: عليه
» ٣٠٣	» ١	: ضلّلهم	»	: ضلّلتهم
» ٣٠٩	» ١٦	: من فضله	»	: من فضله
» ٣١١	» ٢	: بالحسنة	»	: بالحسنة
» ٣١٢	» ١٢	: فبهم	»	: فيهم
» ٣١٤	» ٩	: هده	»	: هذه
» ٣٢٠	» ١٣	: حلقكم	»	: خلقكم
» ٤٢٤	» ٩	: ولا حان	»	: ولا جان

هذه هى الأخطاء التى استرعت نظرى . ولا أقول إنها كل ما فى المصحف ، بل هى ما عثرت عليه فى فترات متقطعة . وكل ما نريده أن تتخذ مشيخة المقارئ وذوو الشأن الإجراءات لتصحيح هذا الخطأ وتلافى ذلك الأمر

عبد الحفيظ أبو السعود

فى كلية الآداب

قرأنا كلمة الدكتور بشر فارس فى العدد السابق من الرسالة تحت عنوان « فى كلية الآداب » . ولا ريب أن هذه الكلمة أصابت الهدف ونبهت الأذهان إلى أشياء إن كانت معلومة عند

أغلب الجامعيين إلا أنها خافية عن الجمهور الذى من حقه أن يكون مطلعاً على ما يجرى فى دوائر العلم والثقافة

وبهذه المناسبة يحضرنى أمران عن ذلك المدرس الأجنبى الذى قال فيه الدكتور بشر إنه « يتلطف ليظفر بإدارة شؤون مكتبة الجامعة » . الأمر الأول يتلخص فى أن كليـة الآداب كانت قد أخذت صورة فوتغرافية للترجمة العربية من كتاب « الارغانون » (منطق أرسطو) وهو مخطوط فى المكتبة الأهلية بباريس. فلاحظ بعضهم أن الهوامش غير واضحة فى الصورة وكذلك كل ما هو مكتوب بالمداد الأحمر. فكلفت الكلية ذلك المدرس الأجنبى بأن يراجع الهوامش ويتمها فى باريس فى صيف ١٩٣٨ وصرفت له أجراً كبيراً لذلك ، والذى حدث أن هذا المدرس عاد من باريس بدون أن يقوم بما كلف به ، والدليل على ذلك أن كتاب أرسطو كان طول مدة صيف ١٩٣٨ — أى أثناء وجود ذلك المدرس الأجنبى فى باريس — بين يدى عالم مصرى عاد من باريس فى نهاية الصيف

أما الأمر الثانى فهو خاص بإعادة طبع كتاب « كليلة ودمنة » ، وتفصيل ذلك أن مطبعة المعارف كانت قد عزمت على إعادة طبع هذا الكتاب ورأت أن تعهد بمراجعته إلى لجنة مكونة من بعض كبار رجال وزارة المعارف . فسألت فى ذلك الدكتور بشر فارس فكان من رأيه أن تعهد بهذا العمل إلى رجال الجامعة لأنهم أدرى بفن مقابلة المخطوطات ومراجعة المصادر فى السريانية والفارسية ثم اللغات الحديثة واقترح للعمل أسماء : الدكتور طه حسين لكتابة المقدمة والمراجعة الأخيرة للأصل العربى والأستاذ عبد الوهاب عزام للمخطوطات الفارسية ، والدكتور مراد كامل للمخطوطات السريانية فضلاً عن استشارة المصادر الحديثة وبخاصة الألمانية . والذى حدث بعد ذلك أن المدرس الأجنبى حلّ محلّ الدكتور مراد كامل وإن كان الدكتور مراد كامل هو الذى يدرس اللغات السامية ومنها السريانية فى كلية الآداب

فهذان أمران يدلان على أن ذلك المدرس الأجنبى يحظى برعاية خاصة قد لا يحظى بها مدرس مصرى (جامعى)

يوميات نائب فى الأرياف للأستاذ توفيق الحكيم

نقل هـذا الكتاب إلى الفرنسية الأستاذان جاستون ڤيت وزكى محمد حسن، وقدم له صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا ونشرته (مجلة القاهرة) الفرنسية ، وقد كتب عنه الناقد الأدبى لمجلة (مريان) فى أحد أعدادها الأخيرة ما يأتى :

« قرأت فى سرور عظيم (يوميات نائب فى الأرياف) للسيد توفيق الحكيم . وهى صورة حية للريف المصرى تغلب على أكثرها الفكاهة وتظهر فى بعضها القسوة . رسمها رجل من رجال الضبط القضائى الذين لا يستطيعون أن يقفوا عند الألفاظ بحكم وظيفتهم . فبرز هذا العالم الصغير على صفحات الكتاب فى خفة عجيبة وجلاء باهر . وفى الغالب ينسى القارئ الفكرة الإصلاحية التى حركت الأستاذ توفيق الحكيم حتى ليتمنى أن يبقى كل شىء فى هذه المجموعة الإنسانية على حاله ما دامت بهذا الإمتاع والغرابة . ولكن من المؤكد أن كثيراً منها سيتغير .

إن المؤلف إذا لم يقنع بالألفاظ فإنه لا يمضغها أيضاً . ومع ذلك فإن الذى يبقى فى ذاكرة القارئ هو شعبية الحادث وطبيعة الملاحظة واطراد السياق . إن الأستاذ توفيق الحكيم هو لا شك كاتب مطبوع . وهو يكتب ليرشد وينقد ويعلن ، وليسامحنى إذا أضفت إلى ذلك أنه يكتب أيضاً لمجرد الرغبة فى الكتابة »

حول الأمير شكيب أرسلان

... قرأنا ما نشرتموه فى الرسالة عن عطوفة مجاهد الإسلام الكبير الأمير شكيب أرسلان نقلاً عن إحدى الصحف اللبنانية. والصواب هو أن الأمير يقيم فى جنيف وقبلها فى لوزان منذ أعوام كثيرة يدافع عن الإسلام والأوطان العربية ، ولما عاد إلى سويسرا بعد زيارته لمصر اقتضت ظروفه أن يزور ألمانيا لشأن يتعلق بمنزل يمتلكه فى برلين منذ عشرين سنة ، والبيت مرهون الآن ومحجوز عليه. وبعد أن سوى مسألته على وجه عاد إلى جنيف ليصوم رمضان فى بيته بين عائلته . وآخر أخبار الأمير الجليل أنه كان فى أواخر رمضان فى مدينة زوريخ السويسرية لزيارة صديقه القديم صاحب المقام الرفيع عزيز عزت باشا ، وقد بلغنا أن الأمير يفكر فى ترك أوربا والسكنى فى الحجاز إلى أن تنتهى الحرب والسلام عليكم . عربى

صدى صوت من ألف عام

أشكر للأستاذ النجار نصحه وتنبيهه ، فقد دلّ فى استهلال حديثه على براءة نقده ونزاهة قصده . أما ما نشرت من شعر الأمير تميم فى مساجلة ابن المعتز العباسى ، فما كان يعنى ، وأنا أنشر

الأنواع المختلفة من شعر تميم أن أهمل نوعاً منها ، لأنه يتناول خلافاً سياسياً لا وجود له عند أحد من الناس ، ولا عند الأستاذ النجار أيضاً .

وقد نشرت فى هذا العصر عشرات الكتب وفى طليعتها عصر المأمون وبهذه المطبوعات الحديثة شعر يؤيد العباسيين وشعر آخر فى هجائهم والطعن عليهم ، فلم يوجه مثل هذا النقص الذى لو وجه إلى كل مؤرخ لبطل التاريخ من أساسه ، أو اتهم المؤرخ على الأقل بإثارة الفتنة أو انتحال دين الأمة التى يؤرخ لها وقد تكون وثنية . وأنا حين أكتب عن الفاطميين لا أستطيع أن أهمل شأناً من شؤونهم ، فلسنا فى عصرهم ولا فى عصر منافسيهم . وكتمان الحقائق العلمية خوفاً من فتنة موهومة من شأنه أن يطمس آثار العلوم ويضلل الأذهان ويترك باب الفوضى مفتوحاً للأراجيف الباطلة التى شاع بسببها سوء الظن وانتشرت دواعى الفرقة بين شعوب الإسلام لجهل بعضهم ببعض .

ثم إنى أعتب على الأستاذ تناوله موضوع الأخوة الإسلامية فى موضوع كتبته أنا بصفتى الشخصية ، ولم أذكر فيه الجماعة ، ولا أنى أحد أعضائها . فأرجو أن لا يغيب عن الأستاذ ولا عن غيره أننى حين أتناول الأدب أو التاريخ أو الفلسفة لا أكتب لحساب الجماعة ولا لغيرها ، بل أكتبه للحق وللواجب .

محمد حسن الأعظمى

مصر فى أفريقيا الشرقية للدكتور محمد صبرى

الدكتور محمد صبرى مدير الثقافة والنشر علم من أعلام مصر فى فقه التاريخ وأصول الأدب. شغل الأذهان وملأ الأسماع حيناً من الدهر بمؤلفاته ومقالاته وبحوثه . ثم اعتكف منذ أعوام فى دور الكتب ودواوين السجلات فى مصر وفى أوربا يجمع النصوص،ويطلب الوثائق، ويستخرج الدفائن، ويسأل الآثار،حتى اجتمع له عن تاريخ مصر فى القرن التاسع عشر مالم يجتمع لغيره . ثم توفر على تحرير هذا التاريخ فى عمومه وخصوصه بعدة المؤرخ الموهوب والقارئ المتتبع والكاتب المحلل ؛ وهو فى أثناء ذلك يفرد النقط المهمة بالتصوير الخاص والنشر المستقل جلاء لغامض أو تحقيقاً لفرية أو استنباطاً لعبرة . ومن تلك الموضوعات الخاصة التى أراد الأستاذ أن ينشرها تحديداً للذكرى « التى تنشر الأمل وتحفز الهمم وتجرف قوى الاضمحلال البادى فى وجه الدولة وفى كل عضو من أعضائها » كتاب مصر فى أفريقيا الشرقية : هرر وزيلع وبربرة .

وهو كتاب لطيف الحجم أنيق الطبع رائق الأسلوب ، ألم فيه الدكتور بتاريخ هذه البلاد واستعمار إسماعيل لها وتاريخ الحكم المصرى بها، معتمداً فى ذلك على مالم ينشر من مخطوطات قصر عابدين ومحفوظات وزارة الخارجية الإنجليزية وعلى ما نشر من المطبوعات الأوربية فجاء الكتاب حقيقاً بعبقرية الكاتب خليقاً بثقة القارئ

الطفل من المهد الى الرشد للأستاذ محمد خلف الله

هو كتاب جديد فى العربية ، يتناول موضوعاً طالما شعر الآباء والمعلمون والمشتغلون بشئون التربية عامة بحاجتهم إلى كتاب فى العربية يتناوله على أسلوب من البحث العلمى يكشف لهم السبيل ويحدد لهم النهج فى دراسة الطفل دراسة نفسية تعينهم على ما هم بسبيله من شئون التربية

وإذا كانت أكثر المصادر فى مذاهب التربية وعلم النفس أوربية لا يتأتى لغير الدارس المتخصص أن يلم بها إلماماً يعينه على القصد ؛ فإن لنا أن نزعم أن كتاب (الطفل من المهد إلى الرشد) هو محاولة موفقة لتعريب هذا الفن

على أن فائدته إلى ذلك لايستغنى عنها أحد من رجال التربية، فإن فيه جهداً شخصياً يطبعه بطابع مؤلفه ويرفعه منزلة فوق كثير من الكتب المنقولة إلى العربية فى هذا الفن . وحسب القارئ أن يعلم أن مؤلفه وضعه أول ما وضعه بالإنجليزية بعد دراسة تسع سنين وتقدم به إلى جامعة لندن فمنحته به درجة الأستاذية فى علم نفس الطفل

خطاب العرش من الوجهة الأدبية

[بقية المنشور على صفحة ٢١٨٠]

ويقول خطاب العرش :

« ومما تطيب له النفس أن الأمة متعلقة بعرشها » .

فهل يظن أن هذا مما يُنص عليه ؟

إن تعلق الأمة بالعرش لا يحتاج إلى هذا النص ، لأنه من البديهيات ، ولأنه ليس من موضوع الخطاب .

ويقول :

« كان لا بدّ من السير بسفينة البلاد فى يقظة وأمن وحذر »

فا موقع كلمة « الأمن » بين اليقظة والحذر ؟ لعله كان يريد كلمة : « الإيمان » أو « العزيمة » أو « الثقة » ولم يسعفه التعبير بما يريد .

ويقول بعد أن أشار إلى وجوب العناية بإصلاح جميع المرافق :

« فلا يجدى والحالة هذه أن نعدد برامج الإصلاح فى الوزارات القائمة » .

فما معنى «الوزارات القائمة» ؟ وبأى حق يكون تعدد برامج الإصلاح شيئاً « لا يُجدى » ؟

إن خطاب العرش يريد أن يقول : إن المقام مقام إجمال لا مقام تفصيل؛ ثم ضاقت به العبارة عما يريد ، فرأى تعديد برامج الإصلاح من الفضول !

ويقول فى إعادة إنشاء المجلس الأعلى للتعليم : إن الغاية منه أن « تتحقق مصلحة البلاد العليا التى يجب أن تعلو على كل مصلحة أخرى » .

فا موقع كلمة « كل مصلحة أخرى » ؟ وما الموجب للنص عليها فى هذا الخطاب ؟

ويقول :

« وإن حرصنا على الدفاع عن أرض البلاد واستقلالها لا يحده حد ولا يدركه وهن » .

وعبارة « لا يدركه وهن » لا تخلو من وهن !

ويقول :

« إن تعاوننا مع حليفتنا سيكون أكبر رائد لنا فى العمل »

ونحن حلفاء الإنجليز ، ولكن لا ينبغى أن نقول إن ذلك التحالف أكبر رائد لنا فى العمل ، لأن لنا إرادة ذاتية هى رائدنا الأكبر فى السلم والحرب

***

بقيت مسألة على جانب من الأهمية وهى سكوت خطاب العرش عن الحياة الأدبية فى هذه البلاد

العمال موضع اهتمام ، والفلاحون موضع اهتمام ، والجنود موضع اهتمام ، كل شىء فى مصر موضع اهتمام فى خطاب العرش إلا الأدب والأدباء ، فكيف جاز ذلك ، أيها الناس ؟

إن خطاب العرش يتمدّح بما وصلنا إليه فى توثيق الروابط الأدبية والثقافية بيننا وبين الأمم الشرقية

فهل يذكر خطاب العرش أن أدباء مصر هم الذين رفعوا القواعد من تلك الروابط ؟

وهل يرى الشرق مصر إلا فى مرآة الآداب والفنون ؟

إن الأدباء هم سفراء الثقافة المصرية فى الشرق ، فكيف يكثر على منشئ خطاب العرش أن يشير إليهم بكلمة تشجيع وهو يتحدث عن صلات مصر بأمم الشرق ؟

إننا نعتب على رؤساء الحكومات المصرية أشد العَتْب ، فلكل هيئة من الهيئات حظ من الرعاية والتشجيع ، إلا جماعات الأدباء والباحثين الذين يُفقدون أبصارهم تحت أضواء المصابيح ، فهم وحدهم المنسيُّون ، مع أنهم يحملون أكثر الأعباء ، ويؤدون للأمة وللدولة أعظم الخدمات ، وبأعمالهم تظهر خصائص الشعوب

أين حظ الأدباء من ألقاب التشريف ودعوات التشريف فى المواسم والأعياد ؟ وأين الوزير الذى يقترح رتبة لموظف أو غير موظف باسم المواهب الأدبية ؟ بل أين من يعرف أن أدباء مصر رفعوا اللغة العربية مكاناً علياً لم تعرف مثله فى عهد بنى أمية وعصر بنى العباس ؟

إننا نرفع هذا الصوت إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول راجين أن يضع سُـنّة جديدة فى تشجيع الأدب والأدباء تضاف إلى مآثره الغُر فى عهده السعيد

زكى مبارك

7me Année No. 335

Lundi - 4 - 12 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٣٣٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٣ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــرس

جسومنا وعقولنــــا

بين الصحة والمعارف

إذا عجبت من أن تقوم فينا وزارة المعارف قرناً ونيفاً ثم يظل ثمانية أعشارنا أميين، فإن أعجب العجب أن تقوم فينا وزارة الصحة زهاء هذا العمر المبارك ثم لا يزال تسعة أعشارنا مرضى !

ولا تحسبن ذلك لأن شعبنا بِدْعٌ من الشعوب هواه فى أن يجهل ومزاجه فى أن يمرض ؛ فإن الله لم يخلق إلى اليوم إنساناً يكره المعرفة ولا حياً يرفض السلامة . إنما السبب الأول فى هاتين الظاهرتين الخاصتين بهذ االبلد أن القائمين على ثقافته والمسئولين عن سلامته قد حصروا همهم فى الديوان، وقصروا جهدهم على الشكل، فلم يشغلوا ذرعهم إلا بالتعيين والنقل والترقية والميزانية والدرجات والامتحانات والتقارير والتجارب والدسائس ، ولم يكلفوا أنفسهم النظر من نوافذ المكاتب الرسمية إلى هذا الشعب الذى يعيشون عليه ويعملون له ، فيضعوا سياستهم على مقتضيات حاله ، ويرسموا خطتهم على دواعى حاجته

* * *

أما الحديث عن ماضى المعارف وخيبتها فى كفاح الجهالة وتبعتها من هذه الخيبة، فقد جف من تكراره المداد والقلم، فلندعها فى ذمة الرجلين العظيمين النقراشى والسنهورى ، فعلى استقلالهما فى الرأى

يُعقد الرجاء، وبإخلاصهما فى العمل تُناط الثقة؛ ولنمض فى الحديث عن وزارة الصحة فقد راعنا أن يتخطفنا الموت اختصاراً وعلى حراستنا جيش من الأطباء له المستشفيات المنشأة على آخر طراز، والمعامل المجهزة بأحدث جهاز، والصيدليات المزودة بأندر الأدوية؛ وأصبحنا كلما رأينا القرى والقبور تكتظ بضحايا البلهرسية والأنكلستوما والطحال والملاريا والبلغرا وداء الفيل ننكر الواقع ونفكر ونطيل التفكير، ثم نسأل ونكثر السؤال: هل فى مصر وزارة للصحة؟ وهل فى وزارة الصحة أطباء؟ وهل لأطباء الصحة ضمائر؟ ولا تكلفني الإبانة عن آراء الناس، فإنك تستطيع أن تسأل هذه الأسئلة فيكون لديك من الأجوبة عنها ألوف مختلفة الصيغ والأساليب فى التألم والتهكم والاتهام والشكاية والزراية والضغينة واليأس. ثم تسمع عن المستشفيات الحكومية فى حواضر الأقاليم شجوناً من أحاديث الإهمال والقسوة والفوضى وغير ذلك مما تمسك عن ذكره محافظة على ما بقى فيها من الثقة. ولكنني أحد الذين جُنِّدوا فى جيش الإصلاح وفُرض عليهم أن تكون أقلامهم عارية كالسيف، وأصواتهم عالية كالمدفع، وألسنتهم صريحة كالحق، فأنا أروى لك حال قريتى فى وراثة المرض، ونصيب قريتى من وزارة الصحة؛ وحظ قريتى من الأدواء والأطباء هو حظ كل قرية: هى جزيرة من الأكواخ والحظائر فى مستنقع وخيم من مصافى المزارع؛ نمت على عَفَنها وأَسَنها جراثيم الأمراض المتوطنة فجعلت كل وجه فى صُفار الخوف، وكل جسم فى هزال الجوع، وكل حى فى همود الموت. وقطعت مراحل عمرها الماضى على هذه الحال الشديدة، لا يزهر فيها شباب ولا تثمر بها كهولة. ولم يكن لمصلحة الصحة يومئذ إلا شبه طبيب فى المركز لا تراه القرية إلا إذا انتشر وباء أو وقعت جناية. وعمله كله مع حلاقى القرى: يصرح لهم بدفن الموتى من بُعد، ويكلفهم جلب المرضى إلى عيادته من قرب؛ وعلاجه قائم على البرَكة والتوكل: ماء من الترعة القريبة يشتمل على عقُّور مسهل. فلما صارت هذه المصلحة وزارة أرادت أن يكون لها كالوزارات عمل، فأنشأت المستشفيات الثابتة والمتنقلة، ودرست الأمراض الوافدة والمستوطنة، وقررت تطهير القرى بقتل الأمراض وردم المناقع. وكان من نصيب حاضرتنا مستشفى، ومن حظ مركزنا طبيب. فأما الطبيب فقد عجز عن ردم البركة لأن مالكها الباشا لا يريد، وإذا لم يرد الباشا وجب ألا يريد الناس، لأنه يملك الخراف والسمن والفاكهة والكلمة المسموعة. وأما المستشفى فقد دعا القرويين إلى طبه فأهرعوا إليه من كل طريق. وأنحى طبيبه على الأذرع الذابلة بالحقن العنيف، فخشع الداء، وتنبهت العافية، وشعر الفلاح أن فى (الاسبتالية) رجاء وفى الطب منفعة، فازداد وفود المرضى على المدينة حتى شَرِقت الشوارع وغص المستشفى وضاقت المساكن. فلما وثق الطبيب من الإقبال جعل منزله عيادة خاصة، وسلط أعوانه على المرضى ينفرونهم من المستشفى، ويرغبونهم فى العيادة، حتى أشاعوا أن الطبيب يحقن هنا بالماء، ويحقن هناك بالدواء. وأخذ هو يقسو فى المعاملة ويهمل فى المعالجة ويشتط فى القبول، حتى اشتد على الناس الأذى، وخرجت بهم الأخرجة، وكثرت فيهم الوفَيات، فانقطعوا فى دورهم مفضلين الموت البطىء الهادئ على الموت السريع المضطرب. وعادت الجراثيم الطفيلية ترتعى فى الكلأ الآدمى المباح، فلم يبق فى القرية من لم يخامره داء. ثم انتشر من استفحال البلهرسية داء الطحال فانتفخت البطون واصفرت الأطراف وثقلت الجوارح، فمات به الأكثرون، ولاذ بعض الأقلين بالقصر العينى يرجون استئصال الداء بالجراحة؛ وقد سمعوا أن أساطين الطب من أساتذة الجامعة هم الذين يتولون الفحص ويزاولون العلاج ويباشرون العملية، ولكنهم حين دخلوا لم يجدوا إلا أطباء كأولئك الأطباء، ونظاماً كذلك النظام، ومعاملة كتلك المعاملة. أما بقراط وجالينوس وابن سينا فقد اتخذوا من (القصر) عنواناً ومن (الكلية) وظيفة. فهم يحضرون — إن حضروا — ساعة من النهار، فيقابلون أطباء الامتياز، ويحادثون طلاب الطب، وغاية المقابلة أو المحادثة إشارة أو عبارة، ثم ينقلبون سراعاً إلى عياداتهم أو مستشفياتهم يعملون فيها بقية النهار وطرفاً من الليل بصبر الفقير إلى الناس، وعزم الكادح لنفسه

* * *

هذه حال قريتنا فى عهد من العهود وكل القرى المصرية على هذه الحال. وإن الناس لينسجون حول المستشفيات الرسمية من الحوادث والأحاديث ما لا يجرؤ القلم على روايته مهما شجع. ولعل فى هذه الإشارة ما ينبه أولى الأمر فى وزارة الصحة إلى شدة الحساب ودقة المراقبة؛ فإن الاعتماد فى كفاح المرض على التقارير والدفاتر والأرقام، أشبه بالاعتماد فى كفاح العدو على رسم المعارك فى الورق وكسبها بالكلام!

احمد حسن الزيات

مع أبي العلاء في سجنه

للأستاذ عباس محمود العقاد

قال صديقنا الدكتور طه حسين فى تبيين مقصده من كتابه هذا : « وستقول فإنك إن مضيت على هذا النحو لم تقدم إلينا كتاباً فى البحث العلمى ولا فى النقد الأدبى ، وإنما تتحدث إلينا عن صديق ! وهذا حق ، فإنى لا أقدم إليك كتاباً فى البحث العلمى عن أبى العلاء ، ولا فى النقد الأدبى لأبى العلاء ، ولعلى قدمت إليك من ذلك ما فيه مقنع ، وإنما أتحدث إليك عن صديق لا يرجى نفعه ولا يتقى شره ، ولا يصدر المتحدث عنه إلا عن الحب البرّ من الرغب والرهب ومن الطمع والإشفاق . أفتراك تكره مثل هذا الحديث ؟ ألم تسأم هذه الأحاديث الكثيرة التى تتلى بالبحث العلمى والنقد الأدبى والتى تكتب ابتغاء لرضى الأصدقاء واتقاء لسخطهم . . . ؟ »

وقد أحسن الدكتور القصد ، وأحسن التعريف . فكتابه حديث المرء عمن يحب لمن يحب . وأراه مذكرى أحاديث الآباء عن أبنائهم الأعزاء : كيف يضحكون وكيف يبكون ، وكيف يخطون وكيف يتعثرون ، والسامع يرتاح إلى الإصغاء إن كان ممن يعنيهم أمر أولئك الأبناء ، فأما إن لم يكن منهم فإلى غيره يساق الحديث ، وليس من حقه أن يلوم المتحدث كما ليس من حق القارئ الذى يطلب الهندسة أن يلوم المؤلفين الذين لا يكتبون كتابة المهندسين

وأنا ممن يحبون أبا العلاء وممن أطالوا قراءته فى أول عهد الشباب ، وما أحسب أحداً من الشبان المشغولين بالأدب لم تمض به فترة معرية فى باكورة كفاحه حين تصطدم أحلام الصبا بمتاعب الدنيا وتجارب الأيام ، فهناك يروقنا التشاؤم ويعجبنا من يعيبون لنا الحياة . ثم نخرج من هذه الربقة فنعاودها معاودة الحنين إلى تلك الباكورة المشتهاة ، ونقرنها بذكرى الشباب وذكرى الأحلام ، ونعطف عليها كما يعطف الرجل الجلد على بكاء طفولته وهى لا تستوجب بعض ذلك البكاء . فما زلت أعتقد وأزداد مع الأيام اعتقاداً أن بغض الحياة أسهل من حب الحياة ، وأن الأدوات النفسية التى نلمس بها آلام الحياة أعم وأشيع وأقرب غوراً من أدوات النفس التى نلمس بها أفراح الحياة العليا ومحاسنها الكبرى . فالفرح أعمق من الحزن فى رأيى ولا مراء ! وليس الحزن قدرة بل هو انهزام أمام قدرة . . . أما الفرح فهو القدرة والانتصار .

والدكتور طه لفرط حبه أبا العلاء يتهم نفسه بمحاباته فيقول : « قل إنى أوثر أبا العلاء وأحابيه وأرضى منه أشياء لا أرضاها من غيره فقد لا تخطئ ولا تبعد ، وأظننى نبهتك إلى ذلك فى أول الحديث ، وقلت غير مرة إنى لا أملى كتاباً فى البحث العلمى ولا فى النقد الأدبى ، وإنما أسجل خواطر أثارتها فى نفسى عشرة أبى العلاء فى سجنه وقتاً ما »

فمن المصادفات العجيبة أننى حابيت أبا العلاء على نحو قريب من هذا النحو ، ولكنى لم أسمها محاباة بل قلت إنها هى الإنصاف المعقول فى قياس الأقوال بالقائلين ، وعبت من نصحونا بأن ننظر إلى ما قيل لا إلى من قال ، فكتبت قبل ثلاثين سنة فى مذكراتى التى جمعتها باسم « خلاصة اليومية » أنها قاعدة لا يصح إطلاقها على كل حال . فالكلمة تختلف معانيها باختلاف قائليها ، وكلمة مثل قول المعرى :

تعب كلها الحياة فما أعجـ ... ـب إلا من راغب فى ازدياد

يؤخذ منها ما لا يؤخذ مما تسممه فى كل حين بين عامة الناس من التذمر من الحياة وتمنى الخلاص منها ، لأننا نثق بأن المعرى مارس الأمور الجوهرية فى الحياة ودرس الشؤون التى تكون منها عذبة أو مرة ، نكداً أو رغداً ؛ ولم يسبر منها أولئك العامة إلا ما يقع لهم من الأمور التى لا تكفى للحكم على ماهية الحياة

فكلانا إذن يسمع القول من شيخ المعرة فيعجبه ، ويسمع القول نفسه من غير الشيخ فلا يحظى عنده بذلك الإعجاب . لكنّ صديقنا الدكتور يسميها محاباة ومجاملة لصديق ، وأنا أجرى فيها على سنتى الغالبة فى كل شىء من التوفيق بين الحجة والعاطفة فلا أبرح بالعاطفة حتى أقنع بها عقلى وأثبت له أنها جديرة بإقراره وترخيصه ، فيعيش العقل والعاطفة معاً فى وئام ، وأخلص بهذا مما يقع بينهما من ملام وصدام

وشىء آخر أخالف به الدكتور أو تخالف فيه طريقته طريقتى فى صداقة أبى العلاء

فأنا لا أذكر أننى كرهت أحداً أحبه أبو العلاء ، أو أحببت أحداً كان هو من كارهيه

أما الدكتور فيعلم ما كان فى نفس صاحبه من الحب والإكبار لأبى الطيب ثم يقول : « أنا أقدر فن المتنبي وأعجب ببعض آثاره إعجاباً لا حد له ، وأعجب ببعضها الآخر إعجاباً متواضعاً إن صح أن يتواضع الإعجاب ، وأمقت سائرها مقتاً شديداً ، ولا تثير حياة المتنبي فى نفسى إشفاقاً عليه ولا رثاء له ، وإنما هو منافس طلب مالم يخلق له ، وتعرض لما كان يحسن أن يعرض عنه فانتهى إلى ما ينتهى إليه أمثاله المنافسون »

ترى ماذا كان المعرى قائلاً للدكتور لو سمع منه هذا المقال ؟ أخشى أن تكون وقيعة بين الصاحبين وإن كنت لا أخشى أن يعود الشيخ إلى استحسان قصيدة أبى الحسين التى مطلعها :

لك يا منازل فى القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أواهل

لأن الشيخ يعلم أن الدكتور لا يكره أبا الحسين كراهة الناقص للكامل ويستشفع له بشفيع من طيب النية وصدق الولاء

والحق أننى أعجب لهذا النفور بين الدكتور وشاعرنا العربى الكبير ، وما أنا ممن يستحسنون كل شعره ولا كل عمله ولكنى أزن ما زاده فى ثروة الآداب العربية وما زاده فى شرور الحياة بسوء عمله وسوء خلقه فأعلم أن الحياة لم تفسد بفساد المتنبي وأن الأدب قد صلح بصلاح شعره ، وأن لأصغر الملافيت من خلق الله لسيئات أكبر من سيئات المتنبي بكثير واحتملتهم الدنيا مع ذلك ... أفتحتمل الدنيا هذا من أصغر الملافيت ولا تحتمله من الرجل الذى لو قبلنا حسناته بألف ضعف من سيئاته لكنا نحن الرابحين ؟

هنا أيضاً أعود إلى العاطفة والحجة وأحسبنى أقرب من الدكتور إلى وفاق الصداقة بينى وبين شيخ المعرة ، وأقرب إلى الإنصاف

* * *

أهذا كل ما أخالف به الدكتور من رأى أو هوى فى حديثه عن صديقنا العظيم ؟

كلا ! بل هناك خلاف وخلاف ، وأكثر من خلاف وخلاف

هناك قول الدكتور تعقيباً على كلام الأديب الفرنسى بول فاليرى فى المصور ديجاس : « العجيب الذى لم أكن أتوقعه ولا أفترضه أن كثيراً من صفات هذا المصور الفرنسى الذى كنت أسمع اسمه وأجهل من أمره كل شىء تشبه ما ألفت وأحببت من صفات أبى العلاء. فشدة الرجل على نفسه إلى أقصى غايات الشدة، وشك الرجل فى مقدرته إلى أبعد آماد الشك ، وارتياب الرجل بأحكام الناس فى أمور النفس ، وزهد الرجل فى الشهرة وبعد الصيت، وفى الثراء وسعة ذات اليد، وانصرافه عن الحمد الكاذب والثناء الرخيص ، وتأجيله لذة الظفر بالفوز ، وخلقه المصاعب لنفسه وبغضه للطرق القصار والأبواب الواسعة ، وإيثاره الطرق الطوال والأبواب الضيقة — كل هذه الخصال التى يحدثنا بها بول فاليرى عن صديقه وأثيره ديجاس قد حدثتنا بها القرون والأجيال عن أبى العلاء ، إلا أن الأول كان مصوراً رساماً والآخر كان شاعراً حكيما ... »

أفصحيح أن المعرى وديجاس شبيهان فى خليقة واحدة لأنهما على نفسيهما صارمان ؟

هنا قسوة وهناك قسوة ، وهنا تعذيب وهناك تعذيب ، ولكن أين قلق الفنان فى سبيل الخلق من قلق الناسك فى سبيل الإحجام؟ أين تعذيب الجواد بالسوط لينبعث ويسبق من تعذيب الجواد باللجام ليسكن ويكف عن الوثوب ؟ أين اللزوميات وهى قيود ، من « الأمبرشنالزم » وهى انطلاق من القيود ؟ أين رياضة الفقير الهندى المتقشف من رياضة الحسناء بالتقتير على جسدها فى الشراب والطعام لتزداد جمالاً على جمال ونشاطاً على نشاط ؟ أين الزهد فى المال انصرافاً إلى الغنى من الزهد فى المال انصرافاً عن الدنيا ؟ إن الفرق بين تعذيب وتعذيب ليبلغ أحياناً من السعة أبعد مما بين النعيم والعذاب ، وهكذا كان الفرق بين صرامة المعرى وصرامة ديجاس

* * *

وثمة خلاف غير هذا الخلاف بينى وبين الدكتور فى حديثه عن صديقنا القديم

فالدكتور ينقل شذرة من فصول المعرى وغاياته يقول فيها :

« يقدر ربنا أن يجعل الإنسان ينظر بقدمه ، ويسمع الأصوات بيده ، وتكون بنانه مجارى دمعه ، ويجد الطعم بأذنه ، ويشم الروائح بمنكبه ، ويمشى إلى الغرض على هامته ، وأن يقرن بين النيروسنير حتى يُريا كفرسى رهان »

ثم يعقب الدكتور على هذه الشذرة فيقول : « أما أنا فما أشك فى أن أبا العلاء قد قصد بهذا الفصل خاصة إلى رأى من أشد

الآراء الفلسفية الأبيقورية خطراً وهو إنكار العلة الغائية وإثبات أن العالم كما هو لم يخلق لغاية معينة من هذه الغايات التي نعرفها نحن ونزعم أن الأشياء قد خلقت لتحقيقها »

وعندنا نحن أن سماع الإنسان بيده أو شمه الروائح بمنكبه لا ينفي العلة الغائية ، لأن الوسيلة والغاية هنا موجودتان ، ولم تختلف إلا الوسيلة التي تتحقق بها الغاية

وأصوب من هذا أن يقال إن رأى المعرى شبيه برأى المعاصرين الذين يقولون: «إن الوظيفة تسبق العضو ، وإن القوة تسبق الظاهرة »

فإذا وجدت الرغبة في الحركة أو في هضم الطعام وجدت الأعضاء التي تتكفل بأداء هذه الوظيفة على اختلاف الأشكال والأوضاع في أجناس الحيوان

وللشاعر الإنجليزي « كولردج » على ما أذكر كلمة في مصور عظيم يقول فيها : « إنه لمصور ولو خلق بغير ذراعين » مريداً بذلك أن التصوير وظيفة قبل أن يكون عضواً من الأعضاء ، فلو خلق المصورون بغير أذرع لخلقت لهم وسائل أخرى لإبداع ما لا بد أن يبدعوه

***

وقال الدكتور يخاطب أبا العلاء :

« ... أنت لا تعرف ماباريس وما أظنها قادرة على أن تصرفك عن حزنك وتشاؤمك ، بل أنا واثق بأنك لو عرفتها لأمعنت في حزنك وتشاؤمك كشأنك حين عرفت بغداد . أما أنا فإن باريس تصرفني عن الحزن والتشاؤم وتثير في نفسي لذات عقلية ليست أقل من هذه اللذات التي أجدها في الحديث إليك والحديث عنك ، وهي على كل حال تزعجني عن سجنك الذي كنت أود لو أطيل المقام فيه . ومن يدري لعلي أسأم لذات باريس فأفزع منها إليك من حين إلى حين . فليكن وداعي لك الآن موقوتاً ولأقل لك في لهجة المحب المشفق الوامق : إلى اللقاء »

فالدكتور واثق بأن أبا العلاء لن يكون في باريس إلا كما كان في بغداد

فما باله أراد مني أن أجعل أبا العلاء يرى في باريس ما يراه السائحون ، ويقول فيها ما يقوله أولئك السائحون ؟

في هذه أنا أيضاً أقرب إلى وفاق الصداقة من الدكتور

أنا ذهبت إلى باريس بالخيال فأخذت إليها صاحبي بالخيال ، والدكتور طه ذهب إلى باريس حسًّا وخيالاً فأبى على صاحبه الزاملة وهتف به : ... إلى اللقاء !

وما أردت علم الله أن أوغر صدر الشيخ على صديقنا الدكتور أو أن أظفر بنصيب من الحظوة عنده فوق نصيبه ، ولكنني أحببت الحديث عن الشيخ ولم أحبب أن يكون تكريراً وإعادة تبطل بها متعة الحديث . فليكن خلاف وكان خلاف ! ! وإنما هو اتفاق في حب التحدث عن صاحبنا المحبوب

عباس محمود العقاد

أبو كلثوم الوفدى !

للدكتور زكى مبارك

ما كنت أنتظر أن أجد فى « شبرا » ما رأيت هذه الليلة . فشبرا حىٌّ صخّاب لا مثيل له فى الحركة والضجيج بين أحياء القاهرة . هو فى الأصل من الضواحى الهادئة الوادعة المجمَّلة الشوارع بأشجار الجمّيز والتُّوت ، ثم تحوّل فى مدة قليلة إلى محلة مزدحمة بالتجار وأرباب الأعمال

كانت سهرة هذا المساء فى منزل صديق عزيز يسكن تلك المحلة ، وكانت السهرة مثقلة بالحديث عن مشروعات وزارة المعارف ، فلم يكن فيها جانب واحد من جوانب الهدوء والصفاء

ومن عيوب رجال التعليم فى مصر أنهم يحملون شواغلهم فى كل مكان ، حتى لتحسب أن تلك الشواغل هى كل ما يملكون من زاد الحديث فى سهرات الأندية والبيوت ... لطف الله بكم يا زملائى !

وزاد فى عنف الجدل أن معالى النقراشى باشا كان تحدث مع جريدة المقطم فى أشياء تفتح المجال للنظر والتأمل ، وتقدم للمشتغلين بالتعليم فرصاً كثيرة لحركة الأفكار والعقول

وأردت أن أخرج قليلاً من ذلك الميدان الذى كنت أركض فيه وقت الصباح ، ونويت أن أتخلص من شواغله وقت الليل ، فاقترحت أن تتفضل « روحية » فتقرأ علينا حديث النقراشى باشا بصوتها الذى يشبه بُغام الظباء ، وأنا أرجو أن أحوّل تلك المعضلات التعليمية إلى مشكلات وجدانية

ولكن روحية تلحن حين تقرأ ، واللحن من مثلها لا يغتفَر : لأنها طالبة بإحدى كليات الجامعة المصرية ، ومن البعيد أن أطرب لكلامها الملحون ، فقد كان المقام مقام تعليم ، ولم يكن مقام تشبيب ، وإن كنت قصدت أن يُفيض صوتها على ذلك الموضوع الجاف نفحةً من نفحات الوجدان

فهل غيرتنى الأيام حتى صرت أعدُّ اللحن من ذنوب الملاح ؟! معذرةً ، ياروحية ، فإن عمك نقله الزمان من حال إلى أحوال !

***

خرجت مكروب الصدر أفكر فى أشياء وأشياء ، ولكن القمر طالعنى بوجه أصبح وهّاج ، فنظرت إليه برفق وحنان ، وكدت أنسى ما فى الصدر من هموم وأثقال ... والشعراء كالأطفال ينسون أشجانهم الفوادح فى لحظات !

قال رفيق : أين تقع هذه الليلة من الشهر ؟

فنظرت فى المقطم على نور القمر فرأيتنا فى مساء اليوم الثالث عشر من شوال ، فقلت : هذه ليلة البدر ، يا رفيق !

وما هى إلا لمحة حتى كان المذياع يصافح آذاننا بجلجلته من منزل بعيد فهرعت إليه وأنا مأخوذ ، فجذبنى الرفيق من يدى وهو يقول : إن لم يكن بد من السماع فارجع بنا نسمع المذياع فى البيت ؟

فقلت : أريد أن أسمع مع قوم لا يعرفون وزارة المعارف ، ولا يفكرون فى المناهج ، ولا تهمهم مصاير التلاميذ !

وقفت أسمع كما وقف ابن عبد ربه يسمع منذ أكثر من تسعة قرون ، ولم أخَف مما وقع لابن عبد ربه ؛ فقد طردوه بأسلوب قبيح حين رموه بجرة من الماء ليحرموا أذنيه ألحان الغناء !

ثم نظرت فرأيت الدنيا حولى تذكر بمحلة الصدرية فى بغداد. هى والله محلة الصدرية بمنازلها المنثورة بلا نظام ولا ترتيب ، وفى ثناياها نخلات طوال تخيلتُها نُقلتْ من هناك

قال رفيق : إن المذياع فى بيت ليس فيه ضياء

فقلت : إنه يغنّى أهل البيت فى لحظة صفاء

فقال : ألا يكون من الأدب أن ننصرف ؟

فقلت : ومن الخير أن أرجع إلى دارى لأكتب كلمة عن أبى كلثوم الوفدى ، فقد تذكرته حين رأيت فى شبرا صورة الصدرية فى وطن الأهل والأحباب ، إن بقىَ لى فى الدنيا أهلٌ وأحباب !

***

فمن هو أبو كلثوم الوفدىّ ؟

هو أبو كلثوم : لأنه مفتون كل الفتون بأغاريد أم كلثوم ، وهو يهذى بها فى كل وقت

وهو وفدىٌّ : لأنه حقًّا وصدقاً من أشياع الوفد المصرى ، وهو يهفو إليه فى كل حين

فمن هو أبو كلثوم الوفدى الموزع القلب بين القاهرة وبغداد؟

هو الأخ العزيز الأستاذ محمد باقر الشبيبى أحد الشعراء المجيدين فى العراق

وما كان باقر الشبيبي أول من فُتِن بأغاريد أم كلثوم ، فقد فتن بها الزهاوى والرصافى والبنّاء ، ولهم فى الهيام بأغانيها قصائد جياد، وربما جاز القول بأن أم كلثوم شغلت جميع شعراء العراق، فمن النادر أن تمر أغانيها هناك بلا تشوف . وقد زاد الاهتمام بأم كلثوم عند أهل العراق بعد أن عرفوا أن حنجرتها مسروقة من الحمامة الموصلية التى تقيم بإحدى نوافذ المنارة الحدباء

لم يكن باقر الشبيبى أول المفتونين بأغاريد أم كلثوم ، ولكن هيامه بها قد اتصل بنزعة نبيلة هى الجزع من الانشقاق الذى وقع فى الوفد سنة ١٩٣٢ وخرج به على الزعامة ثمانية أعضاء

فى تلك الأيام ذهبت أم كلثوم لزيارة بغداد فاستقبلها الشاعر بخفقة من القلب والروح وهو يهتف :

هنيئاً لك يا دجــله … على الشاطىء صيداحٌ
وأحيِ الليل فى الحفله … سأرعى النجم للصبحِ
ومَرحى جارة الرمله … فأهلاً ظبية النيــلِ
وهُنِّئْتِ على الرحله … وبوركتِ على السيرِ

فهذى أم كلثومِ … هنيئاً لكِ بغــدادُ
أتتنا ، لا من الروم … من الغِيد الأعاريبِ
بتغــريد وترنيم … لقد أحييتْ لياليكِ
إذا قصّر تكريمى … فعذراً فرحة النفسِ

وغنّينا إلى الفجرِ … أعيدى السجعَ والصدحَ
مُطلاتٌ مع البدرِ … فهذى الأنجمُ الزُّهرُ
وصُوغيه من السّحرِ … فغنّى أروع الشعرِ
ومن ثغرك للنحرِ … فمن نحرك للثغرِ

على المسرح واللعبْ … أطِلّى بنت فرعونِ
بأحشائى أن تُنهبْ … ورفقاً ربّة الصوتِ
فما الظبىُ وما الرَّبربْ … فأنت الكاعبُ الرُّودُ
فمصرُ الوطنُ الأقرب … خذى روحى إلى مصرِ

ثم تثور النزعة الوفدية فى صدر الشاعر فيصيح :

فقد ذاب من الوجــد … ســلى قلبى عن الحبّ
وكم حام على الوردِ … فكم لابَ على الروض
فمن مُهدٍ إلى مُهدِ … سليني شاحبَ اللونِ
فإنى فى الهوى وفدى … خــذى قلبىَ للوفدِ

ولم يكتف « وفدىُّ الهوى » بهذه الزفرة ، بل انتقل إلى انشقاق الوفد وهو يصرخ :

من الحادثة الكبرى … عجبنا أمّ كلثــوم
ومن ذا يَتِّمَ الأمرا ؟ … لماذا انقسم الوفدُ ؟
ألا من يطرد الشرّا ؟ … ألا مَنْ يجمع الشّملَ ؟
وردّى الكيدَ والمكرا … خُذِى حِذرك يا مصرُ

وتوجع الشاعر لما صار إليه سعادة الأستاذ محمد نجيب الغرابلى باشا فقال :

بما جدَّ من الخُلف … رأيت الخصمَ جذلانَ
« نجيباً » وهو فى الصف … أحقّا فصّلَ الوفدُ
أرانا موطنَ الضعفِ … فهذا الحادثُ البِكرُ
إلى الإشفاقِ والعطفِ … إلى الوحــدةِ يا مصرُ

***

نُظمتْ تلك القصيدة فى مثل هذه الأيام من سنة ١٩٣٢ فهل كانت آخر زفرة من زفرات الأستاذ باقر الشبيبى فى التشوق إلى أم كلثوم وإلى الوفد المصرى ؟

إليكم هذا الخبر الطريف :

فى بواكير الربيع من سنة ١٩٣٨ اجتمع نادى القلم العراق بمنزل سعادة الدكتور فاضل الجمالى ، وكانت الجلسة برياسة معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى ، وكانت الكلمة يومئذ للأستاذ عبد المسيح وزير ، فما الذى قال ؟ أخذ يقرأ قصة من قصصه ، فاشتركت مع الأستاذ عباس العزاوى فى السخرية من خياله الجميل!

وعند نهاية القصة طلبتُ الكلمة لأحاسب « القارىء » ، ولكن معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى خشِىَ عاقبة الهجوم على الأستاذ عبد المسيح فاقترح ترك التعقيب ، ثم قال إن عنده موعداً وانصرف

واستؤنفت الجلسة برياسة الدكتور الجمالى فقلت : إن معالى الرئيس أغلق باب التعقيب لأنه مشغول ، وهو قد انصرف ، فأنا أطلب الكلمة من جديد ، ثم قلت : إن الغرض هو إلقاء محاضرة ، لا قراءة قصة ، فكيف جاز للأستاذ عبد المسيح وزير أن يحبسنا ساعة لنشهد طريقته فى التلاوة ؟ فقال الدكتور عقراوى: الأصل أن يُلقى العضو محاضرة ، ولكن ما الذى يمنع من أن يقرأ شيئاً من آثاره الأدبية ؟ إن الأدب هو الأصل والتعليق عليه هو الفرع ، فالقصة كالقصيدة لونٌ من الأدب الصّرف

وقال الدكتور الجمالى : فليكن هذا تقليداً جديداً من تقاليد نادى القلم العراق ، ومن حق الشعراء من أعضاء نادى القلم أن ينشدوا بعض قصائدهم فى الجلسة المقبلة، وستكون فرصة نسمع فيها صوت الدكتور زكى مبارك ، فقد سمعت أنه شاعر ، وله ديوان

فقال الدكتور عقراوى : ولا يُشترط أن يكون الشعر جديداً ، فالدكتور مبارك شاعر مُقلّ ، وعليه واجبات فى دار المعلمين العالية قد تعوقه عن نظم قصيد جديد

وبهذه المحاورة نجا الأستاذ عبد المسيح من لسانى ، وما كاد ينجو ، مع أنه أبو إيناس

* * *

أنا شاعرٌ مُقِلٌ ؟

هذا صحيح، ولكن كيف ألتى نادى القلم العراق بقصيد نظمته منذ سنين ؟ وكيف أضيع الفرصة فلا أقرع أسماع بغداد بقصيد جديد ؟ ومضيت وأنا أحاور شيطانى فنظمت قصيداً (فى أحد عشر ومئة بيت) عنوانُه :

« من جحيم الظلم فى القاهرة إلى سمير الوجد فى بغداد »

وأنشدته فى الأسبوع التالى بالرستمية . فقال معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبى : كيف استجزت يا دكتور قتل هذه الشاعرية ؟ فقلت : قتلها التأليف ، وهو يشغل الفكر عن الغناء

وصاح الأستاذ رفائيل بطى : أين الشاعر الذى يجيب الدكتور مبارك ؟

فقال الدكتور الجمالى : سيجيبه الأستاذ باقر الشبيبي حين نجتمع فى منزله بالزوية فى الأسبوع المقبل ، إن شاءت الشياطين !

واجتمعنا بالزوية فى مساء مقتول النسيم ودجلة تصغى إلينا فى تودد وترفق ، والإخوان ينتظرون قصيدة السيد باقر الشبيبي ، فهتف البلبل :

وقفت أحـيّى معشرى وبنى ودى   وفاء بعهدى أو نزولاً على وعدى
وقفتُ أحيّى عُصبةً عربيةً   بها نستبين الرشدُ حقاً ونستهدى
فأهلاً بكم فى روضة الحب والصفا   وأهلاً بكم عند المسرّة أو عندى
وهيجنى فى الرستمية شاعرٌ   به مثل ما بى من أنين ومن سُهد
به من هوى ليلى رسيسٌ من الهوى
وبى لهب لا ينطفى من هوى هند

وما كاد يصل إلى هذا الحد حتى حدثنى القلب بأنه سيتحدث عن أم كلثوم والوفد لأن القافية دالية، فقلت: أراهن أنك ستعلن انضمامك إلى الوفد ! فضحك ضحكة كادت تزلزله من مكانه ، ثم مضى يقول :

سلامٌ على عهد الصبا فى رُبا نجد   وذكّرنى عهد الصبا فى نشيده
وأما هوى قلبى فللنيل و« الوفد»   هواه على أجراف دجلة وافدٌ

فصاح الأعضاء : صحتْ فراسة الدكتور مبارك فى « الوفد » فهل تصح فى « أم كلثوم » ؟ فمضى الشاعر فى النشيد :

فلا تحسبوه شارد اللب وحـــدهُ
ولا تحسبونى سادراً فى الهوى وحدى
صريع أغانى أم كلثومَ لا دعد   صريعَ الغوانى ، لاتـلُمنى فإننى
أغاريد من وحى الصبابة والوجد   سلام على تلك الأغاريد إنها

* * *

أما بعد فهذا حديث أبى كلثوم الوفدى ، أعزه الحب ورضيتْ عنه العروبة المصرية والعراقية ، فإن كنتُ فضحتُ هواه فلا يلمنى « فإنى فى الهوى وفدى » وربما صرحتُ فقلتُ إنى شيوعىٌ فى الحب : فلى صباباتٌ تغرّب فتصل إلى باريس ولواحق باريس، وتشرّق فتصل إلى بغداد ولواحق بغداد من حواضر العراق ، وهل تركتنِى دمشق وبيروت بلا عقابيل ؟

إنّ حالى لعجيبٌ   ما يُرَى أعجبُ منهُ
كلُّ أرض لِيَ فيها   غائبٌ أسأل عنـهُ

زكى مبارك

أعرابى فى المدينة

الأعرابى والشعر الحديث

للأستاذ على الطنطاوى

أتانى منذ يومين (صُلَبى) ، فقال لى : هل أنت من المَعْنيين بالشعر والأدب ؟

قلت : نعم ، فماذا عندك ؟

قال : نعمة ساقها الله إليك ، إن أنت أضعتها يوشك ألا تلق مثلها يدَ الدهر

قلت : فاذكر لى ما هى ، فإنى أرجو ألا أضيعها

قال : أتعرف (السوالم) ؟

قلت : نعم ، جمع تكسير ...

قال : لا والله ما هم بجمع تكسير ، إنهم أكرم من ذاك ، هم والله جمع مبارك

قلت : إنما أردت الكلمة ...

قال : كلمة ماذا ؟ إنها قبيلة كانت متوارية فى رملة من رمال (عالج) لا يدرى بها أحد ولم يكشفها إلا حكم الإمام عبد العزيز أطال الله عمره ، فعرفها العرب وعرفوا فيها العربية المبرأة من العجمة ، والبلاغة التى ما وراءها بلاغة ، والنبرة الصافية التى إن سمعتها فإنما سمعت كلام سحبان ، أو خالد بن صفوان ...

قلت : ولكن ما أبعدك يا رملة عالج !

قال : بل ما أدناك يا شارع الحلبونى ، ألا تعرف دار الباشا ؟

قلت : القنصلية السعودية ؟

قال : بارك الله فيك . إن شيخ السوالم نازل فيها وقد هبط دمشق ليلة دمشق ، وهو أول (سالى) يهبطها بعد إذ فارقتها قبيلته

قلت : متى فارقوها ؟

قال : صبيحة الفتنة التى قتل فيها الوليد بن يزيد ، الملك المظلوم الذى عبث خصومه بتاريخه ، فقوّلوه ما لم يقل ، ونسبوا إليه ما لم يفعل ، وروى هذا العبث مؤرخون هواهم عليه وميلهم مع أعدائه ... وأدباء محاضرون لا يبالون ما يروون

قلت : إنك لتذكر تاريخاً قديماً !...

قال : هو ما قلت لك . غير أن (الشيخ) لا يحب أن يلق أحداً ، وقد حذروه قوماً يقال لهم أهل الصحف ، يفضحون الناس : ينشرون من أسرارهم ما يطوون ، ويعلنون من أخبارهم ما يسرّون ، ليسلوا بذلك من يشترى منهم هذه الصحائف ، فاحتل للقائه بحيلة ...

قلت : وأنى لى الحيلة ؟

قال : سمعت أن ها هنا عالماً جليل القدر يقال له الشيخ بهجة البيطار ، لو أقسم على (الإمام) لأبرّه ، ولو قال لسمع منه ، وما كان الباشا ليرد له طلباً ، وإننا إن قصدناه أوصلنا إلى (الشيخ) . أفلك به معرفة ؟

قلت : لى به معرفة ؟ أقول لك هو أستاذنا وصديقنا ثم إننا إذا لم نلقه سرت بك إلى مَن مكانته عند (الإمام) مثل مكانته أو أعلى ، الزعيم العالم المصلح الشيخ كامل القصاب رئيس علماء دمشق ، ومدير معهدها العلمى

قال : إنه رئيسكم الذى ...

— فقاطعته وأنا أقول : رئيسنا ، ولكنى لست من العلماء !

قال : وله ؟ أو أنت إذن من الجهلاء ؟

قلت : إن علماءنا (يا صُلبى) لا يقبلون فيهم من كان مثلى ، مخلوع العذار ، محفوف اللحية والشاربين ، يمشى فى الطرقات حاسراً ، ولا يرون الرجل عالماً إلا إذا اتخذ عمّة طولها ثلاثون ذراعاً ، ولحية لا تقصر عن مدّ قبضة ، واتخذ جبة تَسَع معه اثنين آخرين ، ويُصنع من كمها وحده جبة ثانية ...

— فضحك صلبى وقال : ولكن هذه الكتب ما ألّفتها الأكمام ولا العمائم ، وهذا العلم ما جاءت به اللحى . . . أفلا يعلم أصحابك هؤلاء أن العلم دماغ وقلم ولسان ؟

* * *

وتفضل أستاذنا البيطار فسعى لنا بجاهه عند الباشا (القنصل) حتى جمعنا بـ (الشيخ) فإذا هو فوق ما وصف لنا ، وإذا لسان مبين ولغة معربة وحديث كأنك تقرأ فى البيان والتبيين أو فى عيون الأخبار . ولقد خضنا معه كل بحر ، وعرجنا على كل منزل ، فسألته عن الشعر واستطلعت رأيه فى جديده ، وسأله أستاذنا عن مسائل من اللغة والنحو ، وعرض عليه أشياء من تمحلات النحاة وغلاظاتهم ، فأجاب بأسدّ جواب وأحكمه ، فما كان أعجب من سؤال الأستاذ إلا جوابه ، وما تقول فيهما إلا الأصمعى يشافه بلغاء الأعراب من أهل زمانه . . .

وإنى مثبت هنا طرفاً من حديثه فى الشعر ، بكلامى أنا ، لا ببيانه هو ، فما استطعت حفظ ما قال بحروفه . ولعلى راجع يوماً فراو حديث النحو ، أو لعل الأستاذ البيطار يرويه بنفسه ليعلم

القراء أننا نصف مجلساً قد كان حقاً ، لا نتخيل ولا نبالغ . . .

***

قلت له : كيف أنت والشعر ؟

قال : أما ما قالت العرب فإنى أرويه كله لا أخرم منه شيئاً ، وأما ما قال المحدثون بعد إذ فشا اللحن فى الأمصار وعمت (فيما بلغنا) العجمة فلا أعرفه ، ولا أرضى لنفسى روايته ، لأن أصحابه أفسدوا على العرب ديوانهم ، وجاءوهم بما ينكرون من القول

قلت : ولكنك رجل عادل حصيف ، أفلا تسمع قول هؤلاء المحدثين قبل أن تحكم عليهم ؟

قال : بلى والله ، إنى سامع فأنشدنى

فنظرت فكأن الله محا الشعر كله من قلبى إلا أبياتاً لأبى تمام فى وصف الربيع نروّيها التلاميذ . فأنشدته إياها وفى ظنى أنه لا يرضى عنها ، لأنها ليست مما ألف ، ولو أنشدته لغير أبى تمام أو أنشدته لأبى تمام غيرها ، لكان ذلك أدنى إلى رضاه ، ولكن ماذا أصنع وقد نسيت كل ما جاوزها من الشعر ؟ قلت :

مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من الغضارة يمطر
غيثان فالأنواء غيث ظاهر لك وجهه والصحو غيث مضمر

فرأيته قد طرب لها طرباً لم يخفه وصفق يداً بيد من الإعجاب وتمايل فقلت وقد قويت نفسى : كيف سمعت ؟

قال : لقد أحسن وجاء بما لم يسبقه إليه سابق ، وما أحسبه يلحقه فيه فيدرك شأوه لاحق . لقد عرف الناس ثلجاً يذوب ، فأذاب لهم الصحو حتى سال ماء ، ثم عاد فجعل الصحو من طراوته كأنه يمطر ، فلم يخلهم فى المطر من صحو ذائب ، ولا فى الصحو من مطر . ثم أصّل وفرّع ، فجعل من الغيث ظاهراً ومضمراً ، وما يكون مضمر إلا وثمة ضمير ، ولا ضمير إلا فى حىّ ، أفلا تراه كيف أسبغ الحياة على الجماد ؟

قلت : هذا مذهب فى الشعر يعرفه أهل زماننا ويحسبون أنهم ابتكروه ... يعطيك صورة جميلة ولكنها ليست بينة الحدود ولا واضحة المعالم ، فأنت تستمتع فيها بكشف المجهول ، وهو لعمرى أصل الآداب ، وأقوى الغرائز ، ثم تملأ فراغها بعواطفك وتجعل حدودها من أفكارك ، فتكون كأنك صنعتها لنفسك ، وتفهم منها ما لا يفهم سواك

قال : هذا شىء ما أعرفه ولكنى لا أعيبه ، ولقد طربت لما سمعت منه ... قلت : أفلا أسمعك من شعر أهل زماننا ؟

قال متعجباً : وإن لأهل زمانكم لشعراً ؟

قلت : ولم لا يكون ؟ إسمع مقطوعة من حديث الشعر لشاعر اسمه فياض ، قالها على لسان المتنبى أكبر شعراء العرب كأنه يعلمه بها كيف يكون القول

قال : هذا لعمرى النبوغ ، فماذا قال ؟ قلت : قال :

جسدى النازل من شهوته سلم العار وروحى الساميه
يا لعمر مشيا فيه معا

فوثب كمن داس على جمرة ، أو لسعته عقرب ، فأمسك بفمى فسكت فزعاً وقلت : مالك ؟

قال : ما هذا ؟ قلت : شعر جديد !

قال : أعوذ بالله (جسدى النازل من شهوته) ؟ وهل كانت شهوته جبلاً عالى الذرى ، أو قصراً شامخ الدعائم حتى ينزل منها ؟ وإلى أين ينزل ؟ وهل بعد الشهوة منحدر ، أو دونها منزل ؟ وما (سلم العار) ؟ هل هو جسده ؟ فكيف صار سلماً ؟

قلت : لعله أراد أن جسده ينزل على سلم العار ، أى ينحط فى درك العار بسبب شهوته التى ركبت فيه ، فما استقام له طريق القول ؟

قال : برئت من العربية إن كان هذا يفهم من كلامه ، إننا نعرف (ينزل فلان) إذا كان عالياً وهبط ، و (ينزل البلدَ) إذا سكنه ، و (ينزل بالقوم وعليهم) إذا حل فيهم ، و (ينزل من الجبل) إذا كان قد صعّد فيه ، و (ينزل إلى الوادى) ، و (ينزل على السرج) ولا نعرف (نزل السلم) إلا إذا قام فيه ، كما يقيم المرء فى المدينة ، ثم إن السلم يصعد عليه من يكون على الأرض ، فأين كان هذا حتى نزل على السلم ؟ هل ولدته أمه على النارة فنشأ فيها ، ثم بدا له فنُصب له (سلّم العار) لينزل عليه ؟

قلت : أو لا تسمع سائر المقطوعة ؟ قال : لا والله

قلت : ولكنه ألقاها على ملأ من الأدباء والشعراء فى سوق من أسواق الأدب فى دمشق ، كان أقامها أديب من أدباء تنوخ اسمه عز الدين بن علم الدين ، فسمعوها وارتضوها وما رأينا فيهم من أنكرها عليه

قال الأستاذ البيطار : لقد كنت حاضر السوق وسمعتها ولكنى لم أرتضها ولا ارتضاها صديقى أبو قيس

قال الشيخ : ومن أبو قيس ؟

قلت : هو التنوخى الذى حدثتك عنه ، وهذه كلها أسماؤه وله غيرها . قال : ما أكثر ماله من أسماء !

قلت : وما أكثر ما له من فضائل وحسنات ، وكثرة الأسماء دليل على شرف المسمى

قال: هذا صحيح ! قلت: أتحب أن أقرأ لك من شعر شوقى ؟

قال : أسمع اسماً منكراً !

قلت: نعم، ولكن له شعراً معروفاً. إنه الذى يقول فى الأزهر:

تم فى فم الدنيا وحىّ الأزهرا   وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واخشع ملياً واقض حق أئمة   طلعوا به زهراً وماجوا أبحرا
كانوا أجلّ من الملوك جلالة   وأعز سلطاناً وأفخم مظهرا

فاستوى جالساً ، وقال : لا جرم أنه شعر معروف ، هذا هو الشعر لا ما صككت به سمعى آنفاً ، هذا هو الشعر . لقد أنطق أعظم ناطق وهو الدنيا ، وأسمع أجل سامع وهو الزمان ، وجعل مدح الأزهر جوهراً، وهذا العمر الحق أكبر مما صنع امرؤ القيس حين وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ... ثم وصف أئمته بخير ما يوصف به علماء ، سموٌّ كالنجم ونور كالنجم ، وهدى كهدى النجم ، وعلم كالبحر وهم بكثرتهم كماء البحر ، ولو شئت لكشفت عن خمسين معنى مستتراً وراء قوله (طلعوا به زهراً وماجوا أبحرا) زدنى من قوله ...

فمضيت فى القصيدة حتى بلغت قوله : (يا معهداً أفنى القرون جداره) فترنح طرباً ، وأعجبته صورة هذا الجدار ، وهو قائم فى وجه القرون كالصخرة المهولة ترتد عنه القرون كليلة عاجزة ، ثم تفنى وتضيع كما ترتد الأمواج عن الصخرة ثم تذهب وتضمحل والصخرة راسية ما ذهبت ولا اضمحلت

واستزادنى من شعره فأنشدته قوله وهو لم يبلغ العشرين :

صونى جمالك عنا إننا بشر   من التراب وهذا الحسن روحانى
أو فابتغى فلكاً كونى به ملكاً   لا تنصبى شركاً للعالم الفانى

فهزّه الطرب هزاً وقال : إن الشعراء يقولون ولكن مثل هذا ما يقولون . إنهم وصفوا حسن المرأة وجمالها ، ولكن لم يستطيعوا أن يرفعوها فوق الناس وأن يجعلوها من طينة غير طينتهم ، وأن يبرّئوها من مادة التراب حتى تخلص لصفاء الروح ثم يجعلوها ملكاً يسكن السماء . إنى لأعجب لكم ! ... عندكم هذا الشاعر ولا تفاخرون به شعراء الأرض ؟

* * *

ثم قرأت عليه من شعر حافظ فأعجبه ولكنه قال :

هذا من عيار وذاك من عيار ، ولست أسوّى بينهما . إن الأول عبقرى إمام، وهذا مقلد ذو بصيرة، وسبّاق ذو وثبات.

قلت : إن الناس كانوا يسوّون بينهما أو يقاربون يوم كانا حيّين ، وللأحياء مقاييس من صداقة أو عداوة ، ولهم صفات يحبون من أجلها أو يبغضون : كخفة الروح وبسطة الكف وحسن المجالسة . فلما ماتا ولم يبق إلا موازين الأدب بدأ الناس يدركون أن بينهما بوناً شاسعاً وأمداً بعيداً

ثم أسمعته لكثير من الأحياء فلم يعدل (بأحمد محرم) و (بشارة الخورى) أحداً وفضلهما على كل من ينظم اليوم شعراً ، وأعجبه غزل (رامى) ، وأنس بجزالة شعر (البارودى) وحسن ابتكار (صبرى) . وقرأت عليه من أشعار الشاميين ، فقدم (الزركلى) واستقلّ شعره وعجب من سكوته الآن ، لأن الشاعر عنده من ينظم أبداً لا ينقطع حتى ينقطع عن نفسه سيل العواطف ويجف منها معين الحسّ . ومن يقول مثل شعر الزركلى الوطنى الذى يسيل منه الدمع ، دمع القلب ، لا يمكن أن ينضب ينبوعه. وقد كره قصيدته (العذراء) ورأى فيها ضعفاً فى التأليف بيّناً . وأعجبته جزالة شعر (محمد البزم) ولكنه رأى ألفاظه أجزل من معانيه ومفرداته أمتن من جمله ، وأخذ عليه قوله :

إذا كان من أسدى لك الشر هيناً
فقل لى أبيت اللعن من أين تثار

وقال إن العرب تقول أسدى إليه يداً ولا تنطق بها فى الشر ، أما قوله (أبيت اللعن) فإقحام لا معنى له ، لأنها كلمة كان يخاطب بها ملوك الجاهلية وقد بطلت ، فأىّ ملك من ملوك الجاهلية يخاطب ؟ وأخذ على (مردم) قوله فى نشيده :

سماء لعمرك أو كالسماء

ورآه سبكاً مقلوباً ، وكان ينبغى أن يقول هم كالسماء بل هم سماء ، وكره منه قوله فى مطلع النشيد :

حماة الديار عليكم سلام

وقال بأن تنكير السلام يجعله أشبه بلغة مستعربة الروم يعنى عمال الفنادق فى الإسكندرية، وأعجبه شعر (مردم) الوصفى التصويرى أما (الشعر الجديد) كشعر الرمزيين ، والمهاجرين ، فلم يفهم منه إلا بعض مفردات من ألفاظه ولم يعده شعراً ولا كلاماً عربياً !

وقد استمر المجلس ساعات طويلة ، ومال الحديث فيه على من يتاقى العربية اليوم على أبناء باريز ، من أمثال الإمام اللغوى أبى جُرَيجَةَ الشيخ مارسيه أصمعى العصر ... وكان مجلساً نادراً ما قمنا منه إلا ونحن كارهون . نتمنى لو أنه يمتد بنا أسبوعاً ... وخرجنا وقد امتلأ وطابنا علماً وفوائد ، هذا طرف منها وإنه (طبق الأصل) بشهادة أستاذنا الجليل الشيخ محمد بهجة البيطار .

على الطنطاوى

من وراء المنظار

بيني وبين كتبي

ضقت بالكتب حتى لأخشى أن ينقلب هذا الضيق قطيعة ليس بعدها صلة . والحق أني حائر في تعليل هذا الضيق الشديد ، وأنا الذي ظل الكتاب زماناً مبعث أنسي وبهجتي ، فلا أمله إذا قعدت ، ولا أدعه إذا خرجت ، كأنما كان صار ضرورة كالهواء الذي أتنفسه ، فلا تقوم حياتي إلا به ، أو كأنه على أقل تقدير بعض ملابسي فلا أستطيع أن أبرح منزلي إلا وهو معي ، بل كثيراً ما خيل إلى رفاق – كما حدثوني – أني أستغني عن أي شيء ولا أستغني عن الكتاب ، وإن لم أفتحه فيما بينهم إلا دقائق معدودات

أيكون مرد هذا الضيق إلى ما تبعثه طول الألفة من السأم ؟ أم يكون مرده إلى أن الكتب وقد صارت عندي درساً وملهاة قد شغلتني عن كثير من متع هذه الحياة ؟ . . . فأنا أصدف عنها كيلا أنسى نصيبي من الدنيا فأحرم من زينة الله التي أخرج لعباده ؟ . .

ولكنني لا أرتاح إلى هذا التعليل ولا إلى ذلك . ففي نفسي مما يبغض الكتب إلى نفسي ما هو أعظم خطراً مما ذكرت ! . . . فلقد استحوذ على لبي خيال ، لا أدري إن كنت فيه مخطئاً أم مصيباً : وهو أن الكتب على طول صحبتي لها لم تعلمني شيئاً مما ينبغي لي أن أعلمه عن هذه الحياة ، ولا يزال هذا الخيال يوسوس إلي أني إن لبثت بعد ذلك بين كتبي ، فمصيري أن ينقطع ما بيني وبين هذا الوجود . . . ولا تحمل أيها القارئ كلامي هذا على المبالغة أو المزاح ، فلو شئت لجئتك بألف دليل على أن لي العذر فيما أقول .

وحسبك أن الكتب قد بينت لي كثيراً من أصول الفضائل وقواعد الخلق ؛ فلما أتيح لي أن أتبين ذلك في سلوك من أخالط من الناس ، وجدتني في حيرة مما تقول الكتب ، وأنكرت أكثر هؤلاء الناس وأنكروني ، ولا شك أنهم رموني بالغفلة والحمق كما رميتهم بالضلال والسفه . وحسبك أن كثيراً من ذوي قرباي ومن خلاني الأدنين ، قد سخروا مني أكثر من مرة سخراً كان ينال من نفسي بعض الأحيان ، حتى لأهم بالغضب منهم والثورة عليهم ؛ فهم يتهمونني بالغفلة إذا جادلتهم في أمر كما أرى ذلك في أعينهم ، وكما تفسره لي ابتساماتهم التي يعلقون بها على كلامي إذا خشوا أن يسيئوا إلي بألفاظهم . وكان مما يزيد تبرمي بهم أنهم يظنون بي الحمق بينما أعتقد أنا وفق ما علمتني الكتب أنهم هم بما يبدون من آراء أكبر الحمقى . ولقد يصارحني من يجد نفسه في مأمن من غضبي — إما لكبر سنه ، وإما لسمو مكانته عندي — أن عيبي الأساسي هو أني رجل خيال ، أو بعبارة أصح رجل كتب لا أدري شيئاً مما تقوم عليه الحياة بين من يفهمون الحياة ، وهو — كما ترى — سب ولكن على صورة « ذوقية » إن جاز اصطناع الذوق في السب ، وإلا فما الفرق بين هذا وبين قولهم : إني جاهل غر مثلاً ؟

وأكثر من ذلك لقد كان مرد كثير من أخطائي في معاملة من تربطني بهم صلة العمل الذي أكسب قوتي منه إلى جهلي بطباعهم ، أو قل إلى جهلي بمبادئهم . ولطالما سبب لي ذلك كثيراً من العنت . . . فأنا على حق إذا تدبرت ما تقول الكتب ، وأنا على باطل إذا قست ما يصدر عني بأقيستهم . وأنا لا أدري أأسير طوع الكتب فلا أفرغ من الخصام والحرب وإن أرحت ضميري بذلك ، أم أسير وفق تعاليمهم فأكسب الهدوء والسلام

وكادت تقل ثقتي بنفسي لما رأيت شبه إجماع ممن أخالط على إنكار مسلكي ، حتى لقد وقفت أحياناً أسأل نفسي : أأنا الغر حقاً ، أم أنهم هم الأغفال الأغرار ؟

لذلك طويت كتبي زمناً ورحت أتعلم مكر الناس لا لأمكر مكرهم ، ولكن لآمن منهم فلا يكون سبب كثير من متاعبي . ونظرت من وراء منظاري ورحت أتدبر فزادتني هذه التجربة اعتقاداً بأن الكتب جنت علي بقدر ما قدمت من قواعدها إلي . . .

وما لبثت أن رأيت منظاري يقع على كثير مما أصيب فيه الدرس، حتى لقد أصبحت أشبه نفسي بأولئك الفلاسفة الأقدمين الذين لم يأخذوا فلسفتهم من الكتب ، وإنما أخذوها من الحياة !

وليت لي مثل بصيرة هؤلاء . . . إذاً لأفدت من العلم من وراء المنظار ما لن يأتيني من جميع ما في دار كتبنا العظيمة من كتب ، ولكن لا ضير أن أنظر وأن أطيل النظر ، وأن أدور بمنظاري هنا وهناك في المدينة وفي القرية ، في القصر وفي الكوخ ، في « الدواوين » ، وفي الطرقات والمتاجر والمنتديات ودور اللهو ، وفي الحقول وعلى المصاطب وفي الأسواق، وفي غير ذلك جميعاً من نواحي هذا المضطرب الواسع ، أو هذا المسرح الهائل الذي تمثل عليه الحياة . ولعل طول النظر وتنوعه يعوض علي ما فاتني من العلم فيما تصرم من سني عمري بين أوراق وكتبي .

« عين »

الفروق السيكلوجية بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

ذكرت فى المقالين السابقين آراء بعض الفلاسفة والمربين ومعلمى البيان فى الفروق السيكلوجية ، وأشرت إلى أنهم طبقوا نظرية الفروق السيكلوجية فى الحياة العملية . فقد بنى أفلاطون نظام التربية فى المدينة الفاضلة على هذه النظرية ، كما وجه فيتو رينو دافلترى تلاميذه إلى الدراسات التى يصلحون لها بطبعهم ، وأوصى روسو أن تترك لأميل حرية اختياره العمل الذى يتفق وميوله الفطرية

غير أن هؤلاء الفلاسفة والمربين قد استنبطوا آراءهم استنباطاً من اللاحظة العامة لتصرفات الأفراد وسلوكهم ، فلم تكن إذاً هذه الآراء علمية مبنية على التجربة والبحث الاستقرائى ، وذلك طبيعى لأن علم النفس ما أصبح علماً مستقلاً بالمعنى العلمى إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وأعنى بذلك أنه اتبع فى دراسة موضوعاته التجربة والإحصاء والطريقة الاستنباطية Inductive method ذات الخطوات الأربع :

١ — ملاحظة الظواهر المختلفة للنوع الواحد فى موضوع البحث

٢ — جمع المتشابه من هذه الظواهر

٣ — اقتراح بعض الفروض لشرح هذه الظواهر وتعليلها

٤ — إجراء بعض التجارب لإثبات صحة الفرض أو الفروض المقترحة

ولم يعن علماء النفس بموضوع الفروق السيكلوجية إلا فى الربع الأخير من القرن الماضى . على أن دراسة الاختلافات البشرية بين الأفراد دراسة منظمة ، وقياس هذه الاختلافات ، وتحديد آثارها لم تنشط إلا فى القرن العشرين

ويعتبر فرانسيس[1] جولتن أول من بحث موضوع الفروق

(١) Francis Galton ولد سنة ١٨٢٢ ومات سنة ١٩١١ صاحب البحوث القيمة والمؤلفات المشهورة فى علم طبائع البشر (Anthropology) وفى علم إصلاح النسل البشرى Eugenics

الفردية بطريقة منظمة Systematic مبنية على الإحصاء . ومن الحق أن نذكر أن دارون[1] هو الذى مهد السبيل له — ولغيره ممن عُنوا بموضوع الفروق السيكلوجية الفردية — بنظرياته البيولوجية كنظرية النشوء والارتقاء ، ونظرية الوراثة فى النبات والحيوان . وقد عاصر جولتن دارون وصدق بنظرياته . وكان دارون وراثى المذهب ، وفى هذا يقول : « إن التربية أو البيئة لا تؤثر إلا قليلاً فى عقل الأفراد ومواهبهم ، وأغلب صفات الأفراد وخواصهم وُلِدَت معهم »

اعتمد جولتن على نظريات دارون فى بحوثه وبخاصة فى علم إصلاح النسل البشرى Eugenics الذى لم يسبق جولتن أحد إلى الكتابة فيه . فهو أول من وضعه . ويعرف هذا العلم « بأنه دراسة العوامل الاجتماعية والبيئية التى يمكن ضبطها ، والتى تؤثر بالإيجاب أو السلب فى تحسين الصفات الجسمية أو العقلية للأجيال البشرية المقبلة » وتشمل هذه الدراسة دراسة الفروق السيكلوجية الموروثة ، وأثر البيئة فى هذه الفروق . ويمكن إجمال رأى جولتن فى أسباب هذه الفروق فى عبارته « لقد أصبح من المؤكد أن الإنسان إنما هو إنسان نتيجة لمؤثرين : أولاً لما به من الصفات الأبوية والجنسية الموروثة ، وثانياً لما تحدثه فيه البيئة التى يعيش فيها »

وقد وقف جولتن حياته وجهوده على دراسة الفروق الفردية بين أشخاص بذواتهم ، وأسرات بذاتها ، وهو يقول فى مقدمة كتابه المسمى « بحوث فى القوة البشرية[2] » Inquirissinto Human Faculty ما يأتى :

« كانت غايتى فيما قمت به من بحوث أن أدرس القوى الوراثية المختلفة لأفراد مختلفين ، وكذلك أدرس الخصائص المختلفة لأسرات مختلفات وشعوب مختلفة ، وأن أعرف إلى أى حد يمكن أن نُعوّض عن النقص الوراثى بعناصر تربيوية ، وقد فكرت

(١) Charles Robert Darwin ولد سنة ١٨٠٩ ومات سنة ١٨٨٢ وهو أعرف من أن يعرف ، ونظرياته فى طبيعة الانسان ونشوئه شغلت عقول المفكرين فى القرن التاسع عشر ، ولا زالت موضع جدال وبحث

(٢) طبع لأول مرة سنة ١٨٨٣ م

فى أن من الواجب أن نقوم بهذا التعويض بقدر ما تسمح جهودنا وظروفنا . وبهذه الطريقة يمكننا أن نعجل إصلاح الجنس البشرى وتطوره حتى لا يقاسى من المتاعب ما يقاسى لو تُرك وشأنه يسير فى تطوره الطبيعى »

وكان جولتن قد نشر سنة ١٨٦٩ كتابه « النبوغ الوراثى » Hereditary Genius وبه كان أول عالم حاول دراسة أثر الوراثة فى نبوغ الأفراد دراسة منظمة . وقد اتخذ فى كتابه هذا منهجين علميين للبحث : أحدهما هو دراسة تاريخ الأسرة Family History Method ، والثانى طريق التلازم Correlational method . درس فى كتابه هذا بعناية حياة أفراد ٩٧٧ أسرة اشتهرت كل واحدة منها بوجود نابغة فيها فى ناحية : فى الشعر أو الكتابة أو السياسة أو الخطابة أو العلوم أو الفلسفة الخ ، كما درس أيضاً نوع المهن التى احترفها كل واحد من هؤلاء الأفراد ، وطبيعة هذه المهن ، ومقدار إنتاج الفرد فى مهنته . ثم عالج ما وصل إليه من معلومات بطريقة إحصائية لا حاجة لذكرها هنا . ولكنه استخلص من هذه الدراسات أن إمكانية وراثة النبوغ فى الأسرة التى بها نابغة تبلغ ١٣٤ مِثلاً لإمكانية وراثة النبوغ فى أسرة عادية . ومن هذه النتيجة يرى أن المواهب العقلية عند الأفراد موروثة ، وأن النبوغ الذى نجده بين عدد كبير من أفراد بعض الأسرات[1] لا يمكن أن يعزى إلى التربية والبيئة ، بل لا بد أن يكون نتيجة الوراثة . ولا شك أن القارئ يلاحظ مما سقناه عن جولتن أنه من الأنصار المتعصبين لمذهب الوراثة ، وأنه ينسب إليها كل الفروق السيكولوجية بين الأفراد . ومما يؤثر عنه فى كتابه (النبوغ الوراثى) قوله : « إن الأفراد الذين ميزوا أنفسهم فى الحياة الاجتماعية لا يمكن أن يكونوا قد وصلوا إلى مراكزهم الممتازة إلا بالمواهب الطبيعية »

وليست قيمة أبحاث جولتن محصورة فى النتائج التى وصل إليها ، بل إن الطريقة العلمية التى اتبعها فى أبحاثه تعتبر بنت[2]

(١) كأسرة عبد الرازق وأسرة أباظة وأسرة بركات مثلا

(٢) استعملت عبارة « بنت أفكاره » قاصداً ما يسمى بالفرنسية والانجليزية Original ولم أعثر بعد على كلمة فى العربية تقابل اللفظة الفرنسية فهل من مقترح ؟ (الرسالة) : لعل كلمة (الأصالة) ومشتقاتها تغنى فى ذلك

أفكاره ، فقد استخدم الإحصاء والتحليل العلمى فى طرق بحثه . وكانت نتائجه العلمية مبنية دائماً على عمليات رياضية ومقاييس حسابية دقيقة . وقد اقتدى به فى طرقه العلمية هذه خلفه الأستاذ كارل بيرسُن رئيس معمل جولتن بلندن الآن ، والأستاذ تشارلس سبيرمان السيكولوجى الشهير

كان لجولتن أثر محسوس فى إيقاظ الرغبة فى بحث الفروق السيكولوجية بين الأفراد ، كما كان ذا نفوذ علمي كبير في توجيه علم النفس التجريبى ومقاييس الذكاء . وذلك بوساطة الاختبارات التى ابتكرها لقياس قوة الخيال ودقة الإدراك الحسى . ابتكر جولتن مقياساً به تعرف دقة تمييز الأفراد للأثقال المختلفة اختلافاً بسيطاً ، كما ابتكر الصفارة المعروفة « بصفارة جولتن » لقياس قدرة الأفراد المختلفة على سماع النغم العالى وتمييزه[1] ووضع عدداً من الاختبارات لقياس قوة الشم والذوق واللمس وغيرها من الحواس

وكانت هذه المحاولات من جانبه لمعرفة الفروق الحسية بين الأفراد ترى إلى معرفة ما إذا كانت هناك علاقة تلازمية Correlation بين الذكاء وبين قوة الإدراك الحسى ودقته فى نفس الفرد . ويؤيد ما نقول أنه كان دائماً يختار للبحث والقياس أفراداً بينهم تفاوت كبير فى الذكاء . كان يختار عبقريا Genius وضعيف العقل Feeble minded ثم يجرى عليهما تجاربه فى الإدراك الحسى ليعرف : هل هناك تلازم بين قوة الإدراك الحسى ودقته فى الفرد وبين ذكائه أو غبائه

غير أنه لسوء الحظ وبالرغم من مجهوده العظيم ومحاولاته الكثيرة لم يجد تلازماً يذكر بين ذكاء الفرد وقوة إدراكه الحسى . وبالرغم من هذا نجد أن بحوثه وطرقه العلمية كان لها أثر عظيم فى كل ما أجرى من تجارب سيكولوجية حتى نهاية القرن التاسع عشر حين ظهرت مقاييس الذكاء التى وضعها السيكولوجى الفرنسى الشهير ألفريد بينيه A. Binet

***

(١) تسمى بالانجليزية Galton Whistle

يقسم جولتن الأفراد إلى أنواع وفقاً لقوة خيالهم الحسى . فمنهم النوع الإبصارى Visualiser ، وهو الذى يغلب عليه الخيال البصرى ، والنوع السمى Audile ، وهو الذى يغلب عنده الخيال السمعى ، والنوع الحركى Motile وهو الذى يغلب عنده الخيال الحركى الخ . فالنوع الإبصارى مثلاً يفكر باستحضار الأشياء المرئية ، بينما السمعى يستحضر الصور الصوتية ، على حين أن الشَّمّى يستحضر الصور الشَّمّيّة الخ ، ولكى يعرف أن فرداً يتبع للنوع الإبصارى أو السمعى أو الشَّمّى مثلاً كان يجرى عليه تجربة كالآتية :

تصور أنك جالس فى الصباح على المائدة لتناول طعام الإفطار . تخيل بدقة المائدة التى أنت جالس عليها . هل الصورة الخيالية المرئية واضحة أو غامضة ؟ هل ألوان الأطباق والفناجين والأكواب والخبز واضحة أو غامضة ؟ هل تستطيع أن ترى بخيلتك جانبى الكرة فى وقت واحد ؟ هل تستطيع أن تتخيل بوضوح تقاطيع الوجه لأقرب قريب لك (زوج أو أب أو أم الخ) ؟ هل تسمع بمخيلتك صوت السيارة تمر تحت نافذة منزلك ؟ هل يمكنك أن تتخيل حركة الفم والأسنان واللسان حينما تنطق بكلمة « تَعَجّب » أو كلمة « وطن » ؟ هل يمكنك أن تسمع بمخيلتك سقسقة العصافير فوق الشجرة ؟ هل تستطيع أن تشم بمخيلتك رائحة البطيخ أو القهوة أو البرتقال ؟ هل تستطيع أن تتخيل طعم الشكولاتة أو الليمون أو الكفتة ؟

وهكذا وضع جولتن سلسلة من الأسئلة فى أنواع الخيال الحسى المختلف ، وقسم الأفراد إلى الأنواع السابقة كما قسم النوع إلى درجات تختلف من « قوى جداً » إلى « ضعيف جداً » باختلاف قوة الفرد على التخيل

(بخت الرضا) عبد العزيز عبد المجيد

بين الأستاذين
أحمد أمين وزكى مبارك
للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

لما قرأت المقالة الأولى للأستاذ أحمد أمين فى جناية الأدب الجاهلى على الأدب العربى كان ذلك بحضرة الأستاذ الزيات صاحب مجلة الرسالة الغراء ، فذكرت له أن الأستاذ أحمد أمين يرى فى هذا ما سبقته إليه فى كتابى (زعامة الشعر الجاهلى بين امرئ القيس وعدى بن زيد) وأخذت عليه أن يجعل الزهديات من أدب المعدة لا من أدب الروح ، مع أنها أحق من غيرها بأن تكون من ذلك الأدب الذى ارتضاه ، لأن اتجاه الزهاد إلى الروح من الأمور التى لا يجهلها أحد ، وكل زهدياتهم تتجه نحو هذا الاتجاه ، فلا يمكن مع هذا أن تكون من أدب المعدة .

وقد أنكر ذلك الرأى على الأستاذ أحمد أمين كما أنكر على قبله ، وكان ممن أنكره عليه الأستاذ زكى مبارك فى مقالاته التى نشرتها له مجلة الرسالة ، وقد سبق للأستاذ زكى مبارك أن أنكر علىَّ أيضاً ذلك الرأى فى نقده لكتابى (زعامة الشعر الجاهلى) بجريدة الأهرام ، وكان مما ذكره فى ذلك أنه لا يمكن القول بأن زهديات أبى العتاهية أبلغ فى الشاعرية من خمريات أبى نواس ، فرددت عليه بأن أبا نواس نفسه يشهد بتقديم أبى العتاهية فى هذا عليه ، وذكرت له ما رواه صاحب الأغانى عن هارون بن سعدان أنه قال : كنت جالساً مع أبى نواس فى بعض طرق بغداد ، وجعل الناس يمرون به وهو ممدود الرجل بين بنى هاشم وفتيانهم ، والقواد وأبنائهم ، ووجوه أهل بغداد ، فكل يسلم عليه فلا يقوم إلى أحد منهم ، ولا يقبض رجله إليه ، إذ أقبل شيخ على حمار مريسىٍّ ، وعليه ثوبان دَبيقيَّانِ : قميص ورداء قد تقنع به ورده على أذنيه ، فوثب إليه أبو نواس ، وأمسك الشيخ عليه حماره واعتنقا وجعل أبو نواس يحادثه وهو قائم على رجليه فكثا بذلك مَليًّا ، حتى رأيت أبا نواس يرفع إحدى رجليه ويضعها على الأخرى مستريحاً من الإعياء ، ثم انصرف الشيخ وأقبل أبو نواس فجلس فى مكانه ، فقال له بعض من بالحضرة : من هذا الشيخ الذى رأيتك تعظمه هذا الإعظام وتجله هذا الإجلال ؟ فقال : هذا إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية فقال له : لم أجللته هذا الإجلال ؟ وساعة منك عند الناس أكثر منه ، قال : ويحك لا تقل ، فوالله ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوى وأنا أرضى

ولا شك أن هذا بعينه هو تقسيم الأستاذ أحمد أمين الأدب إلى أدب الروح وأدب المعدة ، فأدب الروح هو الأدب السماوى ، وأدب المعدة هو الأدب الأرضى . وخلاصة ما ذهبت إليه فى ذلك أن الشعر لا يصح أن ينظر إليه على أنه ليس إلا ألفاظاً وأخيلة من تشبيهات واستعارات ونحوها ، ولا يليق أن نعده من وحى الشياطين ، فيكون لهواً وعبثاً فى الحياة لا غير ، وإنما يجب أن يكون الشعر إلهاماً شريفاً ، ووحياً صالحاً ، وعملاً نافعاً فى هذه الحياة ، يدعو إلى النهوض ، ويجهر بالإصلاح ، ويوقظ النفوس النائمة ، ويحرك العقول الجامدة ، وبهذا يكون الشعراء فى الأمة رسل إصلاح ، وأئمة هداية فينفعون ولا يضرون ، ولا يكونون فى هذه الحياة أبواقاً للشياطين

وهذا الأدب الذى دعوت إليه وذهبت إلى تقديمه على غيره هو الأدب الذى دعا إليه الإسلام ، وجاء به القرآن الكريم ، فذم شعر الجاهلية فى جملته ، وقبح موضوعه وأغراضه ، وذلك فى قوله تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) وفى قوله أيضاً : (والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)

وقد ذمه النبى صلى الله عليه وسلم أيضاً فقال : « لما نشأت بُغِّضتْ إلىَّ الأوثان وبُغِّض إلىَّ الشعر » . وقال أيضاً : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيْحاً خير له من أن يمتلئ شعراً »

ثم جاهد فى إصلاح ذلك الأدب الجاهلى الضال جهاده فى إصلاح عقيدتهم الضالة ، وسلك سبيله فى ذلك الخلفاء الراشدون فضربوا على يد كل شاعر أراد أن يستن فى الإسلام سنة شعراء الجاهلية ، فيجعل الشعر سبيلاً لجمع المال ، ولا يعرف فى ذلك إلا المدح والهجاء ونحوهما من تلك الأغراض التى وقف عندها الشعر الجاهلى ، وجد عليها جمود أهل الجاهلية على عبادة الأوثان ، وقد حبس عمر الُحطَيْئة فى ذلك حتى استشفع إليه بقوله :

ماذا تقول لأفراخ بذى مَرَخٍ … زُغْبِ الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيتَ كاسبهم فى قعرِ مُظلِمة … فاغفر عليك سلامُ الله يا عُمرُ
أنت الأمين الذى من بعد صاحبه … ألقى إليك مَقاليدَ النُّهى البَشر
لم يُؤْثِروكَ بها إذ قدموك لها … لكنْ لأنفسهم كانت بك الِخيَر

فأطلقه عمر وهدده بقطع لسانه إن هجا أحداً ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم . وكذلك فعل عثمان رضى الله عنه مع ضابئ البُرْجُمِىّ ، وكان قد استعار كلباً من بعض بنى حنظلة يصيد به ، فطالبوه به فامتنع من إعطائه فأخذوه منه قهراً ، فغضب ورمى أمهم بالكلب وهجاهم بقوله :

فيارا كباً إما عرضتَ فبلِّغَنْ أُمامةَ عنى والأمور تَدُورُ
فأُمَّكُمُ لا تتركوها وكلبكم فإن عُقوقَ الوالدين كبير
فإنك كلب قد ضَرِيت بما ترى سميعٌ بما فوق الفراش بصير
إذا عَبِقَت من آخر الليل دخنةٌ يبيت لها فوق الفراش هَدِيرُ

فاستعدوا عليه عثمان فحبسه وقال : والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حياً لنزلت فيك آية ، وما رأيت أحداً رمى قوماً بكلب قبلك

ثم جاء بنو مروان بعد الخلفاء الراشدين فعادوا بالشعر إلى سنته الأولى قبل الإسلام ، وعملوا على تقديم الشعراء الذين سلكوا فى الشعر هذه السنة من جرير والفرزدق وأضرابهما ، وعقدوا لهم لواء الزعامة على غيرهم من الشعراء ، وتأثر علماء الأدب الذين كان يقربهم أولئك الملوك بهم ، فذهبوا فى الشعر والشعراء مذهبهم ، وقدموا من الشعراء من قدموهم على غيرهم ، حتى إن الأصمعى رحمه الله كان يقول : إن الشعر لا يقوى إلا فى باب الشر ، فإذا دخل فى باب الخير لان ، وإنما طريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة ، من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار وما إلى ذلك ، فإذا دخل فى غيره مما دخل فيه بعد الإسلام ضعف ولان . ألا ترى أن حسان بن ثابت كان شديداً فى الجاهلية والإسلام ، فلما دخل شعره فى باب الخير من مراثى النبى صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم لان شعره

ولست الآن بصدد الدفاع عن ذلك الرأى فى قياس الشعر بموضوعه وأغراضه قبل أن يقاس بألفاظه ومعانيه ، وفى تقديم الشعر الجاد النافع فى الحياة على ذلك الشعر الذى لا يعنى إلا بالألفاظ ، فالذى يهمنى الآن أن أبين أن ذلك إذا كان جناية على الأدب الجاهلى ، فإن الأستاذ زكى مبارك يجب أن يكون آخر من يدافع عنه ، وموعدنا بهذا المقال الآتى .

عبد المتعال الصعيدى

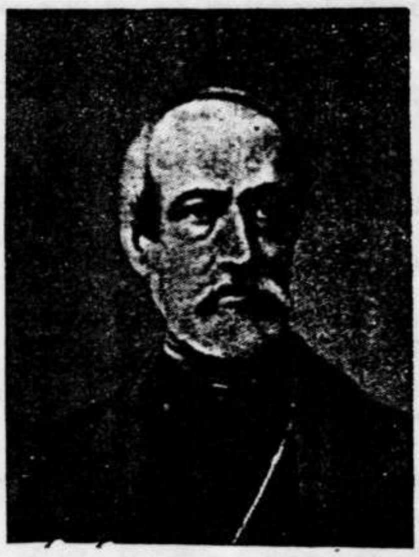
التاريخ فى سير أبطاله

مازيـــــنى

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذى أبلى فى جهاده مثل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٥ —



هكذا كانت حياة مازينى فى لندن منذ رحل إليها عام ١٨٣٧ حياة شقاء لم يكن بقوى على احتماله إلا من كان له مثل إيمانه ، وظلت هذه حاله مدة أربع سنوات طويلة ؛ وفى عام ١٨٤١ لانت الأقدار له بعض اللين ، إذ أخذت يد الصداقة تخفف عنه بعض آلام الغربة والوحدة ، وكان أكثر أصدقائه الجدد من الإنجليز ، وقد حلوا فى قلبه محل أصدقائه الأقدمين الذين نسوه وإن لم ينسهم والذين تركوه فى غربته ، وإنه ليغترب من أجل قضيتهم ويعانى من الآلام ما يعانى فى سبيل تحريرهم .

وأعجب مازينى بأصدقائه الإنجليز وأعجبوا به ، وكان يرى فى صداقة هؤلاء القوم له ما يزيده تعلقاً بهم ؛ فهو يحب إخلاصهم وصراحتهم ورقة آدابهم وظرف أحاديثهم ؛ وود مازينى لو كان لديه من المال ما يكفى لأن يشترى الملابس التى تليق به ويدفع منه أجر تنقله من جهة إلى جهة ليتسنى له أن يكثر من الأصدقاء فى هذا البلد العظيم ، وكم آلمه وأحزنه فقره فى هذه الغربة الطويلة

وكان ممن اتصلت بينه وبينهم أسباب المودة والحب الفيلسوف الإنجليزى الشهير كارليل ، فلقد أعجب كارليل بما انجلى لعينه البصيرة من معانى العظمة فى نفس هذا المجاهد الغريب ، وكانت قد ترامت إليه من قبل أنباء حركاته فى سبيل بلاده ؛ وكذلك كانت تربط قلبيهما دعوة كليهما إلى العناية بالجانب الروحى من حياة الإنسان ومحاربة النفعية والأنانية ، ثم ذلك الحماس الذى كان يبث الحرارة والحيوية فى كل ما يكتبان .

وكثيراً ما كان مازينى يزور صاحبه فى منزله ، وقد اتصلت أسباب المودة كذلك بينه وبين زوج الفيلسوف الكبير ، وأعجبت بخلاله وأكبرت مبادئه ، حتى لقد كانت تجادل زوجها غالباً وتأخذ جانب مازينى فيما كان ينشأ بينهما من خلاف فى الرأى ، فإن الأمر لم يخل من خلاف بينهما ، إذ كان كارليل يرى أن مبادئ مازينى غير ممكنة فى هذا الوجود ، الأمر الذى كان يغضب له الزعيم أكبر الغضب فيؤدى إلى احتدام الجدال بينه وبين صاحبه .

وكان عليه من أول الأمر أن يعمل ليكسب قوته ، ولم يكن أمامه إلا الكتابة ، فراح يكتب على الرغم مما كان يحسه من كآبة وهم ، وكان مما يضايقه أشد الضيق أن يرى نفسه مقيداً فى اختيار موضوعاته بما يلائم الذوق الإنجليزى ، وإلا ردها إليه أصحاب الصحف معتذرين من نشرها ؛ فكان لذلك كثيراً ما يتناول من الموضوعات ما لا يحس فى تناوله بما ينبغى من الارتياح واللذة ، وقد كانت أكثر كتاباته فى الأدب ، فجال فى ميدانه جولات موفقة ، وتوثقت الصلة بينه وبين كثير من نابهى الكتاب من الإنجليز ، وعرف فيمن عرف من كتاب فرنسا يومئذ لامنيه ، والكاتبة الفرنسية الشهيرة التى اتخذت لقلمها اسم « جورج ساند » ؛ فتبودلت الرسائل بينه وبينهما . وصار لمازينى فى الواقع شخصيتان ، فهو الزعيم السياسى الذى تعرفه الجمعيات السرية ، وهو الأديب الكاتب الذى يذيع اسمه فى الأوساط الأدبية .

ورأى الزعيم أن الأدب قد يصرفه عن السياسة كما أوشك أن يفعل ذلك من قبل فى مستهل حياته العامة ، فمال إلى السياسة وراح من جديد يوليها من عنايته إلى جانب الأدب ؛ وقد عز عليه أن تموت جمعيته إيطاليا الفتاة . فأخذ يزيح الرماد عن هذه الجمرة لتظهر من جديد متوقدة مستعرة ؛ فأكب على مراسلة أعضائها فى إيطاليا وخارج إيطاليا . وشد ما كان يزعجه ويؤلمه ألا تقابل حماسته إلا بالفتور ، وكان يعظم حزنه كلما آنس ذلك الفتور فيمن كانوا بالأمس يتحمسون أشد التحمس للجمعية ومبادئها ، ترى ذلك فى مثل قوله : « إنى لأحس بالخجل حينما أكتب من أجل إيطاليا كما لو كنت ألجأ إلى الكذب » .

وكان يخاف أن يموت دون أن يتم ما بدأه ، كما كان يعتقد

أن التراخي في الجهاد تفريط في كرامة الشهداء الذين جادوا بأنفسهم في سبيل وطنهم ، وتفريط في حق الوطن الذي يتطلب من بنيه أن يموتوا كما مات غيرهم أو يهبوه الحرية والاستقلال . وكان يسأل نفسه ماذا عسى أن يصنع وحده وقد تخاذل الرجال وهانت الحرية على كثير من طلابها بالأمس ؟ ولكن مثله لم يخلق له اليأس. ومتى كان اليأس من خلال الزعماء وهم الذين يبددون بإيمانهم ظلماته؟ وهل صرفه ما ألح عليه من المحن والشدائد عن وجهته ؟ أم أن الشدائد قد زادته صلابة ويقيناً وإن كان جسمه يشكو من التعب وسوء الغذاء وغيرهما مما يكون نتيجة للعسر المالي ؟

الحق أنه كان يزداد إيماناً فوق إيمانه كلما تصرمت الأيام . ولقد كان على بينة من أن جهاده لن يذهب سدى ، وأن هذه البذور التي بذرها فسقتها دماء الأحرار لا بد أن تنمو وتؤتي أكلها ، وأن تلك الجمرة التي يخفيها الرماد لا بد أن يتطاير الرماد من فوقها إذا نفخ فيها الشباب من روحهم فتعود كما كانت وهاجة مستعرة ولا تقوى بعد على إطفائها الأيام. ولئن تخاذل الرجال عن دعوته فذلك لأنهم فقدوا الثقة في الثورات وفي الحرب الممجية ، أما مبادئ الوطنية والحرية فقد تغلغلت في النفوس واستقرت في أعماقها ، ولسوف تكون هذه المبادئ في غد أكبر حافز لأبناء إيطاليا أن يقدموا أرواحهم رخيصة في سبيل وطنهم يوم يسيرون في حروبهم النظامية ليضربوا عدوتهم الكبرى، ألا وهي النمسا . ولئن تمت وحدة إيطاليا في غد بفضل مساعي كافور وبطولة غاريبلدي والبواسل الأشداء من رجاله ، فإن التاريخ لن يستطيع أن ينكر أن دعوة مازيني كانت الروح المحركة في جميع هاتيك الخطوات ، فهو الذي أعد الرجال وإن كان غيره ساقهم جنداً ؛ وهو الذي حشد من الأبطال ما لن يستطيع غيره أن يحصيهم عدداً ؛ وفضلاً عن ذلك ففي حجر جميته ولد كافور وغاريبلدي فكان أحدهما رأس الحركة الوطنية وكان الآخر ساعدها

دأب مازيني في غربته على العمل من أجل قضيته الكبرى؛ وما كانت الكتابة يومئذ إلا وسيلة لكسب قوته ؛ ولئن لم يستطع أن يتصل بمواطنيه في إيطاليا إلا في مشقة شاقة ، فقد أخذ يتصل بالإيطاليين في انجلترة عامة وفي لندن خاصة ونشط في بث دعوته في قلوبهم ؛ وكان يعنى أكبر العناية بأن يقبل العمال على دعوته لأنه كان يقدر القوة التي يمكن أن تنبعث من صفوف هذه الطائفة

ولم يحل الفقر بين هذا الرجل العظيم وأبناء وطنه في انجلترة ، فانظر إليه على ما كان به من الفاقة كيف يفتتح مدرسة ليلية لتعليم أبناء إيطاليا الفقراء وتثقيف عقولهم حتى ينفذ إليها النور الذي يسعى به فيكونوا عوناً لبلادهم إذا رجعوا إليها ويكونوا عدتها غداً في كفاحها ؛ ولك أن تتصور مبلغ ما عاني في سبيل جمع المال للإنفاق على هذه المدرسة ، وهو الذي فدحه الدين وتركته الفاقة رث الملابس مضعوف الجسم ؟ ولكن المدرسة قد نجحت على الرغم من ذلك ، وازداد مازيني بها قدراً في أعين الإنجليز وهم الذين يقدرون مثل هذه الأعمال حق قدرها ؛ وزاد نجاحها على نجاح المدارس فبثت الروح الوطنية في قلوب أبنائها ، وبثت فيها غير الوطنية عرفان الجميل وشكر المحسنين ، فهذا غلام يعود إلى موطنه فيأبى عليه شعوره النبيل إلا أن يسافر إلى جنوة ليحدث أم الزعيم عن ابنها العظيم ويعبر لها عن امتنانه وحفظه صنيع ذلك الرجل الذي علمه وملأ قلبه حماسة وإخلاصاً

ونشر مازيني صحيفة للعمال يحدثهم فيها عن حقوقهم وواجباتهم ويرفع بها مستوى مداركهم لأن العلم عنده من أكبر أسلحة الوطنية ، ولقد كان لهذه الصحيفة في صفوفهم أثر بالغ وإن لم يكن يستطيع أن يذيعها فيهم إلا في فترات متقطعة لحاجته إلى المال ؛ وكثيراً ما كان يهرب العمال أعداداً منها إلى إيطاليا فيكون لها في قلوب العمال هناك أكثر مما قدر لها من التأثير إذ كان يحس قراؤها أن هذا الكلام كلام زعيم إيطاليا، وأنه فوق ذلك منبعث إليهم من المنفى . . . وكان الزعيم لا يفتأ يحدثهم عما يعانون من البؤس ويلاقون من الإهمال ويبين لهم أسباب ذلك ، ويبشرهم بمستقبل سعيد تسود فيه الحرية وتقرر فيه حقوق الأفراد فينالون حظهم من التعليم والرقي والرخاء

إتكأ مازيني على نفسه على الرغم من ضنى جسمه وقصر ذات يده؛ وكلما اشتد الموقف عليه لاذ بالأمل فبدد أمله أشباح اليأس. ولئن كبر على نفسه أن تضعف « إيطاليا الفتاة » فلقد كان عزاؤه فيما بثته مبادئها في قلوب الشباب والشيوخ من الحماسة والعزم ؛ فكان العمال يتلقفون صحيفته الخاصة بهم على الرغم من يقظة الرقيب

والبوليس ، وكان شباب الجامعات يتهافتون على كتاباته ويتلونها كما يتلون الإنجيل فلها فى أنفسهم مثل جلال الإنجيل ومثل سحر الإنجيل

وكانت النمسا تضيق بهذا أشد الضيق ، كما كان يضيق به أنصار الرجعية فى القارة كلها. وأصبح اسم مازينى يقض مضاجعهم وينذرهم بالويل فى المستقبل القريب . وكان مما تطيب له نفس ذلك الغريب المجاهد ، أن يصبح وهو فرد مبعث خوف هؤلاء الجبابرة الحاكين .

وترامت إلى مازينى فى انجلترة نبأدعوة جديدة أخذت تتسرب إلى أذهان الإيطاليين ، وهى دعوة الاعتدال ، ومؤداها الاقتصار فى ذلك الوقت على المطالبة بالإصلاح الداخلى ، حتى تتهيأ البلاد للاستقلال ، فتكون وثبتها فى غد وثبة قوية لا تخاذل بعدها . وكان أصحاب هذه الدعوة يتطلعون إلى ملك بيدمنت ليكون عوناً لهم فى تحقيق آمالهم فى الإصلاح ... وغضب مازينى من هذه الدعوة وضاق بها صدره ، إذ كان يرى النمسا أساس كل فساد . وكيف يتسنى للبلاد أى صلاح وسلطانها مفروض على الأمراء ونفوذها متغلغل حتى الأعماق ؟ إنه يرى أن سياسة المعتدلين قلب للوضع المعقول ؛ فالوطنية هى الخطوة الأولى والثورة تأتى بعدها ، ومن وراء الثورات المتلاحقة يأتى الغلب فى النهاية ، ويكون بعد الغلب الإصلاح كأسرع وأكمل ما يكون الإصلاح !

وإنه ليخشى أن يركن الناس إلى هذه الدعوة فتموت روح الوطنية فى نفوسهم ويستطيع بعد ذلك المستبدون بهم أن يلهوهم عن غايتهم الكبرى ببعض مظاهر الرخاء المادى حتى تنحل عزائمهم وينسوا القبلة التى كانوا يتجهون إليها ، وتفرقهم مطامع الدنيا فيصبح بعضهم لبعض عدواً ، وقد كانوا بالوطنية والجهاد فى سبيل قضيتهم المشتركة بعضهم أولياء بعض .

وأمض نفس الزعيم النازح أن يسفه بعض دعاة الاعتدال آراءه ، وأن يهاجموا حركاته أقسى مهاجمة ، فيتهموه بأنه يلقى بالشباب بين براثن الموت وهو بعيد ، كل أولئك فى غير جدوى ، مرة بعد مرة ... وأثارت هذه التهمة نفسه حتى لقد فكر أن يذهب إلى إيطاليا على الرغم من الحكم عليه بالإعدام ، فيضحى نفسه فى سبيل قضيته. فالموت أهون على نفسه من هذه التهمة، ولولا أن صدفه عن ذلك بعض أصدقائه لأقدم عليه فى غير تردد . وكأنما أراد الغريب المناضل أن يرد عليهم بالعمل خيراً من القول ، فأخذ يدبر ثورة جديدة يذيعها فى طول إيطاليا وعرضها يكون مركزها هذه المرة الولايات البابوية ، إذ كان قد علم أن وسط إيطاليا كان يزخر يومئذ بالمؤامرات السرية ، وكان ذلك فى عام ١٨٤٣

واتصل مازينى بنبيلين ضابطين فى بحرية النمسا ، وهما أتيليو وإميليو من أهل البندقية ، وأوعز إليهما أن يوقدا نار الثورة فى وسط إيطاليا — ولكن البوليس — ألقى القبض عليهما بعد أن وثق من حركاتهما ومراميهما ، فسيقا إلى الإعدام ، وزادت دماؤهما الزكية شجرة الحرية نماء وقوة . وعلم مازينى أن الحكومة الإنجليزية هى التى دلت عليهما ، لأنها كانت تفتح رسائله إليهما ورسائلهما إليه ، فاستشاط الزعيم غضباً ، وأطلع أحد النواب فى مجلس العموم ، وكان من أصدقائه الأدنين على الأمر ، فاحتج النائب فى المجلس على مسلك الحكومة الإنجليزية ؛ وسرعان ما شاع فى المجتمع الإنجليزى شعور الخجل مما فعلت الحكومة ، حتى لقد حار وزير الداخلية ماذا يدافع به عن نفسه أمام المجلس حين وقف يرد على تساؤل بعض النواب ، وكان بينهم ما كولى الكاتب الإنجليزى العظيم . . . وكتب كارليل فى جريدة التيمس يسفه عمل الحكومة فكان مما قاله : « إن فتح الرسائل المغلقة مسألة جد خطيرة بالنسبة إلينا ، لأن هذه الرسائل كما كنا نظن تحترم فى مصلحة بريد انجلترا كما تحترم الأشياء المقدسة . إن فتح الرسائل المغلقة على غير علم من أصحابها عمل قريب جداً من سرقة جيوب الناس » .

ودافع كارليل عن صديقه مازينى فى تلك الجريدة . فكان مما ذكره عنه : « مهما يكن من رأيى فى نظرات هذا الرجل العملية وفى خبرته بشؤون الدنيا ، فإنى أستطيع فى غير تحرج أن أشهد أمام الناس جميعاً أن هذا الرجل — إن كنت قد عرفت شبيهاً له — رجل عبقرية وفضيلة ، رجل شجاعة صحيحة ورجل إنسانية ؛ وهو كذلك نبيل الفكر ، فهو أحد هؤلاء النوادر الذين ترى عددهم فى هذه الحياة وا أسفاه قليلاً، أولئك الجديرون بأن نسميهم الأرواح الشهيدة ؛ أولئك الذين يسيرون على التقوى فى حياتهم اليومية ، والذين يدركون فى صمتهم ، ويسلكون فى الحياة مسلكا يتفق مع ما يفهم من ذلك » .

« يتبع »

الخفيف

هاتف من الحرب ...

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

أغنّى ربابُك لاشدْوٌ ولا طربُ   وجفّ حانُك لا كأس ولا عنبُ
وزفّت الريح ، هل زفّ النشيد لما   أم ظلّ سأمان هذا البائس التعِب
هذا الذى اهتزّت الدنيا، وعازفه   ساهٍ على ضفّة الأحلام مكتئب
نشوانُ يمرح فى دنيا محلّقةٍ   من الخيال ترامت دونها الشهب
هزّ الطموحُ جناحيهِ وأتعبه   أنّ الطريقَ إلى الآفاق مضطرب
وأنّ أيامَهُ من طول ما رتعت   بها النوائب أدْمى نحرَها العطب
تغدو الجراح مدلاّت بشقوتها   ما دام فيها لأمجاد العُلا نسب
وجرحه راعش الآهات تحسبه   هشيمةً جنّ فى تحريقها اللهب
ناشدْتُ لوعته السلوانَ فامتعضتْ
كيف الهدوء وأنفاس الورى تجِب[1] ؟

والأرض موقدُ أعمار قد اشتعلت   فى جمره الناس لا الأعواد والحطب
كأنها رأسُ مجنونٍ قد احتدمت   به الهواجس واستشرى به الغضب
ترتجُّ فى راحة الطاغى كجمجمةٍ   تحت القتام طوت أحلامها الكرب
علا دخانُ المنايا فى سماوتها   فزلزلت رهبةً من هوله السحب
وكُبكِب الناس للميدان لا فرَق   من الحِمام، ولا خوفٌ، ولا رَهَب
كأنما سئموا الدنيا وبهجتها   فراح يغريهمُ للفتكةِ الحرب
الأرضُ أمٌّ رءومٌ ما جفت ولداً   ولا تقطّع مِنْ أرحامها سبب
تُقيتُ جائعَها حبًّا وتشربُهُ   وما تضنُّ بسترِ الهالكِ التُّرب
فما لهم مزّقوا أوصالها طمعاً
وناهشوا الوحشَ فى الآطام واحتربوا ؟

ودوّخوا كلّ سجواء الظِّلال بها
وكلّ عزلاءَ فيها السيفُ مغترِب !
وكلّ ناسكةِ الكفّينِ فى يدها   غصنُ السلام يتيم العود مستهب !
وكلّ شلاّء فى الطغيانِ ، باطشةٌ
فى الخير فى يدها الريحانُ والقُضُب !
زيتونةُ السلم خلوُها مُعفّرةً   دمُ الضحايا عليها هاطلٌ سكِب
نوْحُ الليالى ، وإعوال السنين على   ترابها جوقةٌ خرساء تنتحب

(١) تخفق من الوجيب

وللثكالى نشيجٌ ردّ حُرقتهُ   فى كلّ بيت تداعى مضجع خرِب
وللأجنةِ همسٌ حول مصرعها   كأفرخ فتّ فى أكبادها اللغب
قد أعجلتْها يدُ الفتّاك مولِدَها   فعمرُها قصة فوق الثرى عجب !
هزّ الصّباح لها مهداً ، وأرضعها
قطرَ الندى ، وكساها ضوؤُهُ القشِب
وفى الضحى نشقتْ آجالَها ... وغدتْ
عمراً حديثُ الأسى عن أمسِهِ كذب
ميدانُ حربٍ هنا !؟ أم تلك مجزرةٌ
دمُ الحضارةِ فيها راحَ ينسكِبُ ؟
فى البر ، فى البحر ، فى صدر السماء وغى
لمخلب الوحش فيها النصر والغلب
أتتْ إلى غابهِ الأشلاء صاغرةً   فعافها وتجافى نتنها السّغب[1]
يا حان « عزريل » إن الكرْم قد نضجت
به القطوفُ وحيّا كأسهُ العنب
قمْ أترع الدنّ . أوْ لا ! فهى مترعةٌ
فاحبسْ خطاك ، عداها الأيْنُ والتعب
وادعُ الندامى ، وقل للظامئين: هنا   نبعٌ من الموت بالأرواح يصطخب
هيّا اشربوها على نخبِ الطغاةِ فهمْ
من خمرِها فى ليالى الحرب كم شربوا ...
وكم تنادى ضحّى بالسّلم عاهلُهم   فما دجى الليل حتى راح ينقلب
وأرسل البغتةَ النكراء صاعقةً   تدِفُّ من نارها الأرزاء والنُّوَب
الناسُ منها أعاصيرٌ مزمجِرةٌ   ترِجُّ فى يدها الفولاذ واللهب
والموتُ شاعرُ آجالٍ على فمه   يغنى النشيدُ، ويَرْثى نفسه القصب
قد جنّ فارتجلَ الأعمارَ قافيةً   مزمورُها من قلوب الناس منتهب
تُرى الحضارةُ ثكلى فى مآتمهِ
ودمعُها من جِراح العصر منسرب !

* * *

يا قومَنا وترابُ « النيل » ضجّ بنا ...
أما كفانا عليْه اللهو واللعب !
أما كفانا كرًى فى جنّةٍ سجدت   لها العصور وأحنت رأسها الحِقب !
وجاسَ (هاروت) يوماً فى ظلائلها   فردّه سحرُها حيرانَ يرتعب

(١) الجوع

تبكي الرُّقَى بين كفَّيه تمائمها / بكاءَ راجي الأماني خانه الطلب
وكيف؟ والسحر في أعتابها صَدٍ / وحسنُها بشعاع السحر منتقب
هذي المحاريب كم رِيعت دفائنها / فأقسمت أرضها لن ترفع الحجب!
قد ختَّمت سرَّها الأقدار فانعِ لها / من راح من فمها للسر يرتقب
وكم تحطَّم جبَّارٌ على يدها / ودكَّ باغٍ قويُّ البطش مغتصب
شُطآنها الخضر ألواح مقدَّسة / تنزيلها عجزت عن حمله الكتب
سمراءُ، مسكيَّة الأغراس طاهرة / وفيَّةٌ ما دانت من عهدها الرِّيَب
كانت مصلَّى جبين الدهر في زمن / ملَّت قرابينه الأصنام والنُّصُب
والناس من نزق الفوضى وظلمتها
ماجوا من الجهل كالقطعان واضطربوا
كنا لهم قبساً (فرعون) أشعله / كيما نضيء به للعالم الشهب
لولا شعاع سرى من مهدنا لغدت / أجيالهم في ظلام الفكر تحتجب!
والنخل فيها كفرسان على كثب / ترنَّح النصر فيهم بعد ما غلبوا
ترجَّلوا، وشأت أعلامهم، ومضت
رءوسهم بفروع النار تعتصب
إن هزَّها الريح خلت الجيش صاح به
من بوق «رمسيس» صوتٌ صاخبٌ لجب
وإن سجت قلت عُبَّاد قد ابتهلوا / في معبد حفَّه الإجلال والرهب
والنيل جبار آبادٍ كم احتضرت / بشاطئيه سنونٌ واختفت حقب
الآسيويُّون حجوا فوق صفحته / وأنسيت مهدها في ظلِّه العرب
وأقبل الغرب أرسالاً متيَّمة / كأنما علِّقت في زرعه الصُّلُب
أمواجه هتفت بالناس: من زبدي / ومن رشاش هديري ينبت الذهب
دعوا الغمام وشوق الموعدين به / فلجَّتي من سفوح الخلد تنسكب
كلَّت بأرضي خطا الأيام من سفر / ما مس خطوي به بأس ولا تعب
علا وقار الندى كفي فما افتخرت / على النزيل بما تعطي وما تهب
تسيَّبت كل غريب أهله، فغدا / من ذاقني مرة للنيل ينتسب!
يا شعب (مصر) وعظت اليوم فاستمعوا
فإنني لكمُ يومَ الفخار أبُ!
خلفت من أرضكم للشمس رابية / عطر الخلود بها ريان منسكب
النور فوق مجانيها وأغصنها / متيَّم شفَّه الإغراد والطرب
وحامل الفأس يسقيها حشاشته / وحظه من جناها البؤس والوصب
من عهد آدم يرعاها... وشقوته / دمع السواقي لها غضبان ينتحب
الأسمر القانع المسكين تحسبه / في الكوخ بين حماه والبلى نسب
مرُّوا به مثلما مرَّ النعيم بكم / فما لكم بسوى أجداده حسب!
وأنقذوا مصر من خلفٍ يكاد به / جنانها من صراع القوم ينشعب
كونوا لها صفٌّ أبطالٍ على فمهم / نشيد مجد بلحن النار يلتهب
فإن دعا هاتف للحرب أو رجفت / من بوقها نذر بالشر تقترب
هبُّوا حتوفاً وطيروا أنسراً وثبوا
صواعقاً بالمنايا الحمر تصطخب
وفي دمي النغم الجبار يلهمكم / شجواً تعانق فيه السحر واللهب
والشعر دنيا من الإعجاز ساكنة
لولا الأسى رفرفت أنغامها الشهب!

أنوار...

[مهداة إلى الأستاذ خليل شيبوب]

للدكتور إبراهيم ناجي

طابت بك الأيام وافرحتاه / أنت الأماني والغنى والحياة!
قد وجد الضلِّيل نور الهدى / يا حلمه يا نجمه يا سماه!
فليذهب الليل، غفرنا له / ما دام هذا الصبح عقبى دجاه
جمالك الطاهر عندي له / إيمان قلب في خشوع الصلاة
ولي إلى ذاك الجلال اتجاه / ولي بسلطانك عزٌّ وجاه!
قد طرق الباب فتى متعب / طال به السير وكلَّت خطاه
تنقَّل في الأيام أقدامه / يبني خيالاً ماثلاً في مناه
عندك قد حط رحال المنى / وفي حمى حسنك ألقى عصاه
أين شقاء صاخب في دمي / جرَّعني الضنك إلى منتهاه
له إذا دوَّى به ساخراً / ضحك التشفي وجنون الطغاه
شكراً لذات هبطت من علٍ / تحدت النحس فشلَّت يداه
بأي كف طمأنت قلبه / فمات في قلبي حتى صداه!
قد هدأ الليل وران الكرى / إلا أخا مسهد يغني شجاه
ناداكِ من أقصى الربى فاسمعي / لحنٌ على طول الليالي نداه
نادى أليفاً نام عن شجوه / عذبٌ تجنيه عزيزٌ جناه
أحببك الحب وغنى به / عف الأماني والهوى والشفاه
وإنما الحب حديث العلى / أنشودة الخلد ونحن الرواه

ناجي



دراسات فى الفن :

اليد فاللسان فالقلب

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— أأنت الذى قطعت أوتار هذا العود هكذا ؟

— نعم

— وتقول بكل وقاحة « نعم » ؟! لم أعد أطيق معك صبراً !

— وبهذا أنذر الخضر موسى . ومع هذا فقد أصر موسى على صحبته ...

— الخضر وموسى ؟ إذن فلك حكمة فى هذا الخبل يا سيدى الخضر الثانى ...

— من غير شك . فالمحروس أخوك الصغير خلقه الله مِعْبداً بالغريزة والسليقة ، وقد كان هنا طول الأمس ، فلو أنه عثر على العود مشدود الأوتار لأبى إلا أن يطربنا ويشنف أسماعنا بنشيد «المعزة والضفدعة» وأغنية «الجحش النجيب» ، وغير ذلك من محفوظاته الرائعة ... فقطعت أوتار العود، ونجونا بذلك من الكرب

— أما كنت تستطيع أن تخفيه ؟

— كان يستطيع أن يجده !

— فإذا وجده أما كنت تستطيع أن تنهاه عن العزف ؟

— بل كنت أستطيع أيضاً أن أدعه يعزف فلا أمنعه ، ولا أنهاه ، وإنما أدعو الله فى قرارة نفسى أن تنقلب أوتار العود ألغاماً فما يمسها حتى تنفجر فى وجهه فنرتاح ويرتاح ...

— يا حفيظ ! ولماذا لم تفعل هذا يا سيدى الخضر فكنت ترينا كرامة من كراماتك ؟

— لا يفعل هذا إلا من كان إيمانهم أضعف الإيمان

— الكرامات لا يفعلها إلا ضعفاء الإيمان ؟ ما هـذا ؟ إنما الكرامات للأولياء...

— الكرامات للأولياء ، وما أكرمه على الله عبده الذى يلهمه الصواب ويوفقه إلى فعله بيده ... أتظنين أن هذا شىء يسير؟ هذه هى الكرامات ، وأولياء الله هم الذين يفعلون الصواب ، ويقيمون الحق بأيديهم ... والحق من الله ...

— كنت أحسب للأولياء آيات

— إن لهم آيات . بل إن للذين أقل منهم آيات أيضاً ... بل إن فى كل الذى ترين وتسمعين من هذا الوجود آيات ...

— ما هذا التناقض ؟ تنكر عليهم الكرامات ، وتشهد لهم بالآيات ، بل تمضى فتشهد لمن هم دونهم بها . . . ثم تذوب آخر الأمر فى هـذا الوجود الذى لا يمكن أن تحصره فتقول إنه كله آيات فى آيات ، فما الذى تحب أن أفهمه من هذا كله ؟

— إذا استطعت فافهميه كله ، ولكى تفهميه كله اذكرى الحديث الشريف من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وهذا أضعف الإيمان . واذكرى إلى جانب هذا الحديث قصة الخضر وموسى ، واذكرى مع هذا وذاك أن القرآن يروى عن حوار دار بين الكفار وبين النبى (ص) طلب فيه الكفار منه آيات ومعجزات فأوحى إليه الحق الجبار أن يقول لهم إن الوجود ملؤه الآيات والمعجزات. واعذرينى إذا كنت لا أحفظ نصوص الآيات فقد استعصى علىّ الحفظ بفضل الطرق التى كانوا يحفّظوننا بها فى المدارس ...

— إنى أذكر هذه الآيات ولكنى مع هذا لا أستطيع أن أخلص من جمعها إلى الحديث الذى ذكرته ، وإلى قصة الخضر بشىء مما تريدنى أن أخلص به ...

— هذه هى عادتك ... فلو كان ما نناقشه حسبة فستان وروائح ومساحيق لخلصت منها كالجن بالذى تريدين ... وأكثر! لا بأس فلنبدأ معاً ... أنت تعلمين أن كل ما فى هذا الوجود يتبع فى حياته قانوناً خاصاً به . وأنه لو حاد عن هذا القانون اختل واضطرب وفسد وقد يفقد الحياة . وأنت تعلمين إلى جانب هذا

أن كل القوانين التى تخضع لها كل الخلائق لها هى أيضاً قانون تخضع له هو قانون التطور والارتقاء الناهض إلى الكمال والموصل إلى الله واسمه الآخر ، تباركت أسماؤه . والخلائق متنوعة : منها ما يبدو لنا بإدراك ، ومنها ما لا يبدو له إدراك ، ومن الخلائق التى لها إدراك الإنسان ، وله إلى جانب الإدراك أو بهذا الإدراك إحساس وإرادة وعقل ، ثم إن له آخر الأمر قدرة على الإنتاج .

وحياة الموجودات فى مجموعها حين تنزع إلى الارتقاء والكمال لا تزحف بالتساوى ولا تتماسك فى صف واحد ، والذى صنع بها هذا هو تشابك القوانين المؤثرة فيها وتعقدها وتكاثر الظروف الفعالة فيها وتباين أصولها واتجاهاتها ، وهذا التشابك وهذا التعقد وهذا التكاثر وهذا التباين ... كل هذه حين تتفاعل تغلى بالوجود غلياناً ، وفى هذا الغليان تتناثر بعض الموجودات فتخرج عن محيط أخواتها متطايرة متطيرة ، فأقوى ما فى الموجودات هو الذى يستطيع أن يرد هذه الشاذة إلى مرجل الحياة بالدفع أو بالجذب ، وأقل قوة من هذا هو الذى يدعوها بالكلام عسى أن تقتنع وتعود إذا كانت مما يفهم الكلام ... والأقل قوة من هذين هو الذى ينظر إلى هذه الشاذة نظرة العارف بمروقها والآسف لهذا المروق والراغب فى عودتها ، والعاجز عن إعادتها بالفعل أو القول. وهذا الذى وصفه النبى (ص) بأنه أضعف الإيمان، وليس الإيمان - كما لعله وضح - إلا الخضوع بالرضى لقوانين الحياة الساعية إلى الله ، ومن أقوى هذا الخضوع ما لم يشبه التردد وما صاحبه الإدراك ، كخضوع الخضر ، ومن أضعفه الخضوع الذى لا إدراك فيه وهو خضوع الجماد والتراب ، وبين هذا وذاك درجات للايمان

— والآيات ... ؟

— الآيات هى البراعة فى هذا الإيمان ... إن فى تتابع الليل والنهار آية ، لأن هـذا التتابع بارع ، فهو ماض منذ كان إلى ما شاء الله لم يضطرب يوماً ولم يتأخر يوماً ، ولم يحدث أن تعاقب نهاران أو تلاحقت ثلاث ليال من غير أن يتوسطها نهاران

— فى القطب يطول النهار شهوراً ...

— نحن نتحدث فى التتابع لا فى الطول والقصر فلهذين قانون آخر هو أيضاً آية لأنه أيضاً بارع

— طيب ...

— وكما أن للشمس والقمر براعة فى إيمانهما تحتم أن يكون للناس براعة فى إيمانهم ما دام الناس هم أشرف المخلوقات . وقد حدث هذا . فإن من الناس من هم بارعون فى إيمانهم براعة هى آية ... فالخضر الذى ثقب سفينة الفقراء لينقذها من اغتصاب الحاكم الطاغية الذى كان يأخذ كل سفينة غصباً إذا أعجبته ، ولا تعجبه المثقوبة ، كان فى عمله هذا من أولياء الله ، أى من ملازمى الحق ، أى من الناس البارعين فى خضوعهم لقوانين الحياة الصحيحة التى كان جديراً بالأفراد جميعاً أن يتبعوها فلا يعتدى منهم إنسان على ملك إنسان ، أو على جهد الإنسان ، والخضر — فيما يروى كتاب الله — كانت له أفعال كثيرة كهذه ، وعلل بعضها لموسى حين ألح فى سؤاله إياه عنها ، وهذا التعليل يدل على أنه كان يستطيع التمييز بين الخلائق والحوادث المنتظمة فى النهج الصحيح للحياة — أو بعض ذلك — وبين الخلائق والحوادث الأخرى التى تشذ عن هذا النهج الصحيح — أو بعض ذلك — وبراعة الإيمان فى الخضر ليست هى مجرد الإحساس بهذا وإدراكه ، وإنما براعة إيمانه فى أنه يرد الحق إلى نصابه ... وهذا فعلاً هو الأمر الجلل الذى لا يستطيعه كل إنسان ... فنحن فى كل يوم نرى عيوباً وشذوذاً عن الحق يصاب بها الناس وتصاب بها الأشياء ، ولكن أكثرنا يتشاغل عنها بشئونه هو كأن شئونه لا تتصل بشئون الكون . وقليلون جداً من الناس هم الذين يلفتون الناس بالكلام أو بوسائل أخرى من وسائل التنبيه تشبه الكلام إلى هذه العيوب ويطلبون منهم أن يصلحوها ، وهؤلاء هم الفنانون فهم أيضاً من ملتزمى الحق أى من أولياء الله ، ولكنهم ليسوا كالخضر إيماناً ولو كانوا مثله لتحولت فنونهم هذه إلى أفعال يؤدونها بأيديهم ؛ فيقيمون بها الحق ويقومون بها المعوج بدلاً من الكلام وما يشبه الكلام ، ولكنهم على أى حال أقوى إيماناً ممن لا يفعلون ولا يقولون وإنما ينظرون ويدركون ويأسفون ويعجزون ... وحتى هؤلاء أصلح حالاً ممن ينظرون فلا يدركون ، ولا يأسفون ولا يحزنون !... وما أسعد الجمهور من الناس الذى يتولى أمره نفر من هؤلاء المؤمنين ، أولئك الذين يقومون المعوج بأيديهم ...

— وما حال الجمهور الذى يتولى أمره الفنانون ؟

— الفنانون فيهم عيب ، وهو أنهم يقولون ما لا يفعلون ... وقد وصف القرآن الشعراء بهذا ...

— هذا صحيح ، ولكن لماذا ؟

— ألم نقل إن درجات الإيمان تختلف فى الخلائق، وأن اختلافها يظهر فى مدى خضوعها لقوانين الحياة المرتقية إلى الكمال بظهور القوة على رد غيرها إلى مرجل الحق بالدفع أو الجذب، ثم بعد ذلك

بالنداء أو الكلام ثم بعد ذلك بالأسف ... إلى آخر هذا الذى قلناه

— هيه ...

— الفنانون إيمانهم من الدرجة الثانية ومظهره أنهم يقولون، أو ينتجون من الفنون ما يشبه القول ، وتنظرين بعد ذلك إلى أعمالهم فترين فيها ما قد يتناقض مع أقوالهم ...

— أو لا يستطيعون أن يصلحوا من أنفسهم ؟

— يستطيعون ... فالله لا يمنع الرقى عمن أراده ، وقد علمنا فى القرآن وفى الإنجيل وفى التوراة أن نناديه وأن نطلب منه الهداية إلى الطريق المستقيم ، وليس هذا الذى علمنا إياه عبثاً ، وهو لم يقل لنا : « أدعونى أستجب لكم » ، وفى نفسه ألا يستجيب . . . إنما هو الرحمن يريد أن يستجيب ، ويطلب منا أن ندعوه ليستجيب ... فى يد كل إنسان إذن أن يطالب من الله ما يريد على أن يكون الذى يريده شيئاً مما يعطيه الله الذى هو الحق والذى هو الرحمن والذى هو العادل ، والذى هو الهادى .. فالهداية إذن بابها مفتوح ... إنما علينا أن نطلبها ...

— علمنى كيف أطلبها لعل الله يهدينى فأكون من أولياء الله الصالحين ...

— أظن ذلك يكون بأن تمهدى لها نفسك أولاً ... أنت تريدين أن تهتدى للحق ، فمهدى نفسك للحق ... ثم اعرفى الحق ثم ابذريه فى نفسك ، ثم تعهديه بالحفظ والصون ، ثم غذيه واسقيه حقاً وحقاً ... عندئذ لا بد أن يثمر الحق فى نفسه حقاً هو أزهى الحق وأزكى الحق ... وسترين نفسك بعد ذلك ، تقولين الحق كما يفعل الفنانون ، ثم إذا رضى الله عنك رأيت نفسك تفعلين الحق بيدك كما يفعله أولياء الله الصالحون رضى الله عنهم ... أظن أن هذا هو الطريق ... بل إنه الطريق

— فلماذا لا يمضى الفنانون فى طريقهم هذا إلى نهايته ؟ ما داموا يستطيعون ؟

— لعل إعجابهم ببراعتهم فى إيمانهم يستهويهم .

— هذا الإيمان الشفوى الذى لا غناء فيه ، والذى لعنهم القرآن من أجله ...

— ليس إيمان الفنانين شفوياً يا هذه ، وإن القرآن لم يلعنهم يا تلك . . . بل إن القرآن وصفهم بأنهم يقولون ما لا يفعلون وهذا حق لأنهم هكذا ، وقال عنهم القرآن إنهم يتبعهم الغاوون وهم الذين يستهويهم كلام الشعراء وفنون غيرهم من الفنانين ، ويهيمون وراءهم فى دنيا كلها خيال تريد الكمال ولكنها لا تطلب الكمال إلا بالكلام، بينما الكلام لا يحقق هذا الكمال ،وإنما تحققه الأفعال ... فالفنانون هم حقاً لا ينتجون إصلاحاً ... ولكن دعوتهم إلى الإصلاح والكمال لا بد أن تصادف مؤمناً ممن يستطيعون أن يفعلوا بأيديهم فيحقق بهذا الإيمان الذى يستقيه منهم وبإيمانه الذى يهديه إليه الله ... ذلك الكمال أو جانباً مما كانوا ينشدون ... وحين وصف القرآن الشعراء بهذا الوصف الذى لا شك أن فيه كثيراً من التعبير كان الإسلام فى حاجة إلى الذين يبذلون الأرواح والأجسام فى تقويمه وتثبيته ، ولم يكن فى حاجة إلى من يقول شيئاً ، لأن الله عندئذ كان هو الذى يقول ...

— إذن فليسوا الآن ضالين ...

— ولم يكونوا يوماً ضالين ما استوحوا الحق فنونهم ، وإنما كان على أنوارهم أن تسجد لنور الله حين تجلى الله بنوره على محمد سيد العالمين ...

— ولكن دفاعك هذا كله عنهم لا يزال عاجزاً عن رفع إيمانهم منزلة على الإيمان الشفوى كما أقول . . .

— أعوذ بالله منك ومن اللوغاريتمات . . . إن لإيمانهم هذا المظهر الشفوى الذى تقولين عنه لأن تعبيرهم عن هذا الإيمان يكون بالكلام أو ما يشبه الكلام ، ولكن إيمانهم نفسه ليس كلاماً ولا شيئاً يشبه الكلام . وإنما هو إحساس وفهم وإدراك وتمييز واهتداء إلى الحق . هم يشعرون بأنفسهم ، ويشعرون بما يحيط بهم ، ويشعرون بالحق فى بعض هذا ، وبالشذوذ عن الحق فى بعضه ، وهم يشعرون بأن الحق واتباعه خير من الشذوذ ، فيرجون أن يحدث هذا الحق ، ويتصورون أنه قد حدث فعله لأنهم يستطيعون بعقولهم أن يرتبوا النتائج على المقدمات ، ومتى اهتدوا إلى علاج للعيب الذى يرونه فإن أنفسهم تخيل إليهم أن هذا العلاج قد تم بالفعل وأن الخلائق قد صلحت بعد ذلك واتبعت قوانين الحياة الصحيحة... وهم يصفون هذا كله بفنونهم: يصفون رجاءهم، ويصفون علاجهم، ويصفون آثار هذا العلاج ويصفون قبل هذا وذاك الأشياء التى يرونها على ما هى عليه بما فيها من خير وما فيها من شر ... ولو أنهم عدلوا عن هذا الوصف إلى الإصلاح باليد لما قلت عنهم إن إيمانهم شفوى، وإنما الذى يسحبك إلى هذه المغالطة هو المظهر الشفوى لإيمانهم . وحرام عليك هذه القسوة

— ولكن من الفنانين عابثين ، وإن منهم داعرين . . .

— ليس هؤلاء فنانين ، وإنما هم حيوانات يتفننون .

عزيز أحمد فهمى



أرقام تتحـــدث
و تنبئنا عن قصة الالــكترون
للدكتور محمد محمود غالى

— ١ —

لم يتطرق إلى ذهنى أى وهن يمنعنى عن متابعة الكتابة لقارئ (الرسالة) الذى وعدته المرة بعد المرة بأبي منبئه بقصة الوجود ، مطلعه قدر المستطاع على حلقة التفكير الإنسانى فى أحدث صوره ، مستعرض أمامه مبلغ ما وصل إليه من السمو ، مطلعه على الطفرة التى بلغتها العلوم الطبيعية والذروة التى ارتقى إليها العلم التجريبى محدثه فى الأسباب التى دعت العلماء إلى الأخذ بفكرة معينة والإعراض عن أخرى . ولكن تطرق إلى جسمى نوع من الوصب ظننته بادئ الأمر وصباً دائماً، وحل بهذ التركيب الجسمانى مرض عاقنى عن الكتابة شهراً ، اختل خلاله توازن الجسم ووصل الاختلال إلى العينين ، فغير المرض فيهما معامل الانكسار ومنعنى هذا عن المطالعة وأبعدنى عن الكتابة . ولم تكن مقالاتي بالتى أستطيع أن أمليها على أحد ، فأستطيع الاستمرار فى الكتابة ، إنما كان من الضرورى مراجعة بعض المصنفات والاطلاع على بعض الجداول ، نتاج البحث التجريبى وعماد الفلسفة الحديثة . وكان من اللازم تصفح عدد من النشرات العلمية لأستطيع أن أكوّن للقارئ هيكل موضوعاتى وأحدد معه مجمل مقصدى

وهكذا شاءت الظروف أن أحتجب عن الكتابة على غير إرادتى ، وأبتعد عن القراء على غير رغبتى ، ولكن الاختلال أخذ طريقه فى الزوال ، والمرض بدأ يتضاءل ، والعينين بدأتا عملهما كسابق عهدى بهما ، فكان أول همى أن أتصل بالقارئ وأول أغراضى أن أتم له حديثى وليكن ذلك من حيث انتهينا آخر مرة

***

حدثنا القارئ عن الألكترون الوحدة المكونة للكهرباء ، هذه الشخصية التى هى أصغر ما نعرفه فى المادة يعتبرها فريق من العلماء جسيما ضئيلاً ويعتبرها البعض الآخر اتحاداً بين جسيم صغير وموجة مستصحبة لها . ووصفنا التجارب الشهيرة التى قام بها مليكان فى خريف سنة ١٩٠٩ التي استطاع بها أن يقيس شحنة الألكترون ، هذه التجارب التى فصل فيها هذا العالم جسيماً حاملاً إلكتروناً حراً واحداً ، وقد وضعنا جهاز مليكان وشكله فى مقال سابق ، ويتكون من بخّاخة Pulverisateur تنثر رذاذاً رفيعاً من الزيت فى غرفة عليا يسقط فيها هذا الرذاذ ويمر بعد سقوطه فى غرفة سفلى فضاؤها صغير يبلغ ارتفاعه ١٥ ملليمتراً وواقع بين كفتى مكثف كهربائى . هذا الرذاذ مكهرب بسبب احتكاك جسيماته بعضها ببعض بحيث أن كل جسيم منه يحمل فريقاً من الشحنات الكهربائية بعضها سالب وبعضها موجب ، ويمكن كهربة هذه الجسيمات بتسليط أشعة راديومية عليها تخترق الغرفة التى تحويها فتُكسب هذه الجسيمات شحنات كهربائية ، وتُرى هذه الجسيمات الميكرسكوبية بتسليط حزمة ضوئية عليها بشرط أن نراها فى اتجاه عمودى على مسار الحزمة ؛ عندئذ تبدو كالكواكب اللامعة فى فضاء الغرفة الصغيرة

ولا يجوز أن يختلط الأمر على القارئ فيظن أن هذه الجسيمات المتناهية فى الصغر هى الألكترونات التى نتحدث عنها ويعتقد بهذا أن مليكان رأى الألكترون ، والواقع أن هذه الجسيمات مهما صغرت كبيرة بنسبة الألكترون ، فهى عليها كالإنسان على الأرض أو كمخلوق على كوكب المريخ — إننا نستطيع فى الليل أن نرى المريخ يتنقل فى أبراجه السماوية ونتحقق بالمنظار من دورانه حول نفسه ، ودورانه حول الشمس ، ونرى ما يحيط به من سحب وما يعلوه من جبال ويكتنفه من هضاب ووديان، ولكننا لا نستطيع بما أوتينا اليوم من علم أن نرى رأى العين ما قد يعيش عليه من حيوان أو نبات — كذلك الحال

فى تجارب مليكان . رأى جسيماً يحمل الكترونا أو بضعة الكترونات أو عدداً عديداً منها ، وكان على ثقة فى كل حالة من وجود الألكترونات على هذا الجسيم المضىء السابح فى جو الغرفة الصغيرة كما يسبح المريخ حول الشمس وكما تسبح هذه فى المجرة وكما تسبح المجرة فى الكون المحدود، ولكنه لم ير الألكترونات بذاتها

على أنى أزيد القارئ شرحاً: لو أننا استطعنا يوماً أن نتحقق من وجود مخلوقات فى المريخ فلا يتحتم أن نرى هذه المخلوقات لنعرف عددها ، ثمة وسائل أخرى يصح أن نجيل فيها النظر فإنه يكفى أن تتبادل هذه المخلوقات معنا رسائل مفهومة يستطيع هؤلاء فيها أن يوافونا بإحصاء عن عددهم ، عند ذلك نقول : إن المريخ يسكنه كذا من المخلوقات الأذكياء دون أن نكون فى حاجة لنرى أياً منهم

كذلك كان الحال فى تجارب مليكان الخالدة التى يجذبنى هيكلها الرائع منذ تجولت فيه بالمطالعة والدرس والذى أبسطه للقارئ قدر المستطاع — كان فى استطاعته أن يرى الجسيم الزيتى المتناهى فى الصغر، وكان يعرف عدد ما يحمله من الكترونات وهى جسيمات أصغر من الرذاذ المادى كما أن المخلوقات الفرضية فى المريخ أصغر بكثير من الكوكب الحامل لها وكان مليكان يعرف عدد ما يحمله الجسيم المضاء من الألكترونات كما نستطيع أن نعرف عدد ما تحمله الأرض من مخلوقات بشرية ، وليس ثمة فارق بين معرفتنا هذه ومعرفة مليكان إلا أننا لا نستطيع أن نعرف على وجه التدقيق عدد الأحياء من البشر فى لحظة معينة ، وتواجهنا فى ذلك مصاعب يتفق القارئ معنا فيها ، منها أننا لم نكتشف الأرض كلها ومنها أننا لا نستطيع فى بعض الشعوب الاعتماد على وسائل الإحصاء الصحيحة، بينا نستطيع أن نعرف على وجه التحقيق عدد المخلوقات الألكترونية التى يحملها كل جسيم، ولم يتطرق إلى ذلك أى خطأ

كيف تسنى لمليكان التحقق من وجود هذه الشخصيات التى لا تُرى ، هذه المكونات الأولى للخليقة ؟ ـ كيف استوثق من عددها ؟ ـ أمور أحدث عنها القارئ فى الأسطر الآتية واحتاج فى ذلك إلى بعض الشرح

***

فى باريس محال للبيع يسمونها Unis Prix أى « أثمان موحدة » تشبهها فى لندن محلات اسمها « ولورث » Wolworth تدخل إليها فتجد فيها كل شىء ، تجد جميع الأصناف من المأكولات فتجد الشكولاته كما تجد علب الأناناس والفواكه المحفوظة ، كذلك ترى أطباقاً ساخنة للأكل تغنيك وأنت فى عجلة عن الغداء أو العشاء يسمونها « طبق اليوم » وترى أطباقاً باردة تقوم مقام « الساندوتش » وترى الأنواع المختلفة من لعب الأطفال أو أدوات النجارة والبرادة ، وفى هذه المحلات توجد الملابس بجانبها الأدوات الكهربائية من مصابيح إلى أجراس وخلافه، وتوجد الأقمشة والأحذية بأنواعها؛ وتوجد أدوات الزينة للسيدات وأدوات الحلاقة للرجال ، كل ما يعوزنا نجده فى هذه المحلات من أدوات الحديقة إلى أدوات الحمام من المأكل إلى المشرب إلى كل ما يطرأ على بالنا من الحاجيات ، وقد حددوا الأثمان فيها فجميع ما فيها يباع مثلاً بخمسة فرنكات أو بأعداد مضاعفات للخمسة مثل عشرة أو ١٥ أو ٢٥

ثمة غاية لنا من وصف هذه المحلات يراها القارئ فيما بعد ، ونكرر القول أن المعاملة فى مختلف أقسام هذه المحلات تجرى بخمسة الفرنكات أو أضعافها ، فإذا دخلها فى اليوم الواحد ألوف من الجمهور فإننا على ثقة بأن كل شخص اشترى بضاعته بخمسة فرنكات أو بعدد منها ، ثمة رجل اشترى بمبلغ ٢٠ فرنكاً وآخر بمبلغ ٣٥ وثالث بخمسة ورابع بمائة أو مائتين ولكنه لا يوجد متردد واحد اشترى بضاعة ثمنها ٣٧ فرنكاً أو ١٠٢ من الفرنكات لسبب واحد ، ولكنه سبب رئيسى ، ذلك أن هذه البضاعة غير موجودة ولا يجوز شراؤها بهذا الثمن

ولو أننا الآن عرضنا على أحد الطلبة المبتدئين فى الحساب الجدول الآتى من الأثمان المختلفة التى اشترى بها عدد من الجمهور الباريسى

١٠ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٥ ، ١٠٥ ، ٨٠ ، ٦٠ ، ٧٥ ، ٦٥ وسألناه عن العدد الذى يقسم كل هذه الأعداد لأجابنا على الفور ٥ ، ومعنى ذلك أن كل عدد من الأعداد السابقة يقبل القسمة على ٥ فالعدد الأول يحوى اثنين منها والثانى ٧ والثالث ٩ والرابع ١ والخامس ٢١ الخ

هذه المسألة البسيطة التى يسميها المعلمون فى المدارس القاسم المشترك الأعظم الذى هو ٥ فى المسألة السابقة ، كانت المسألة الوحيدة التى استنتج منها مليكان شحنة الألكترون وثبت من وجود عدد الألكترونات الحرة المحمولة على كل جسيم كان ينظر إليه فى الغرفة الدقيقة السابقة. وإلى القارئ كيف حدث ذلك :

ترك العالم المعروف « مليكان » رذاذ الزيت يسقط فى الغرفة الأولى ، وتتبع بالميكرسكوب ما يمر من هذه الجسيمات الصغيرة فى الغرفة الثانية ، وكانت تسقط تحت تأثير جاذبية الأرض كما يسقط كل جسم عليها، وكان يراها كالكواكب تتألق ساقطة

جميعها من أعلى إلى أسفل بين كفتى المكثف المكون لسقف وأرض الغرفة الصغيرة الثانية ، وكان من الميسور باستعمال ساعة ثوان [1] أن يقيس الزمن الذى يمر على أحد هذه الجسيمات لتقطع مسافة معينة ، هى المسافة التى بين شعرتى عدسة الميكرسكوب ، مسافة تبلغ فى تجارب مليكان خمسة مليمترات

على أنى ألفت نظر القارئ إلى أن كل جسيم يسقط فى الفضاء بعجلة معروفة أى أن سرعته تزداد كلما اقترب من الأرض بمعدل فى الزيادة معروف يسمونه « العجلة » ، بمعنى أننا لو تركنا كرة تسقط من أحد الأدوار العليا فى منزل مرتفع فإن سرعة هذه تزداد كلما اجتازت الكرة الأدوار التالية حتى تبلغ أقصاها عند اقترابها من الأرض : أمر آخر يدخل فى محل الاعتبار عند سقوط هذه الكرة ، ذلك أن للهواء كما لكل سائل مقاومة للأجسام التى تتحرك فيه ، وتزداد هذه المقاومة أيضاً كلما ازدادت السرعة بحيث تتعادل بعد فترة معينة هذه القوة المقاومة مع قوة جاذبية الأرض للكرة ، عند ذلك تسير الكرة بسرعة منتظمة لتعادل القوتين ، ويسمى العلماء هذه المنطقة « المنطقة ذات السرعة المنتظمة » Regime Uniforme ، ولقد كانت المنطقة المحددة بامتداد شعرتى الميكرسكوب والعين من هذه المناطق التى تسير فيها الجسيمات بسرعة منتظمة بالنسبة للجسيمات الكروية الصغيرة التى استعملها مليكان ، وقد أعطى « ستوكس » [2] و [3] Sir G. Stokes القانون الذى يمكن أن تحسب منه سرعة هذه الكرات من كتلتها أو بالعكس ، وهو معادلة تجد فى أحد طرفيها ثقل الكرة فى السائل وفى الطرف الثانى مقاومة السائل للكرة ويحوى هذا الطرف الثاني سرعة الكرة أيضاً

راقب مليكان سرعة أحد هذه الجسيمات الساقطة والمتناهية فى الصغر بملاحظة الوقت الذى يمر على الجسيم لكى يقطع المسافة بين شعرتى الميكرسكوب ، عند ذلك أوصل التيار الكهربائى بين كفتى المكثف ، وشاهد أن هذا الجسيم الساقط بدأ يرتفع فى جو الغرفة الضيقة المحدودة بكفتى المكثف — ذلك لأن الجسيم يحمل عدداً من الألكترونات كما قدمنا أى إنه مكهرب ، وطبيعى أن تجذبه الكفة العليا إليها ، لأنها مكهربة من نوع من الكهرباء يختلف عن الكهرباء الموجودة على الجسيم — عند ذلك قطع مليكان المجال الكهربائى الموجود بين الكفتين ، وفى هذه اللحظة ذاتها بدأ الجسيم فى السقوط مرة أخرى تحت تأثير المجال الأرضى ؛ فإذا أوصل التيار الكهربائى عاد الجسيم إلى الصعود وهكذا

وقد لاحظ مليكان أن الوقت الذى يسقط الجسيم فيه المدى الواقع بين الشعرتين واحد لا يتغير — إلا فى حدود الخطأ التجربى — وأن الزمن الذى يمر لكى يصعد الجسيم فيه المدى عينه يتغير من وقت إلى آخر ، ويتخذ فترات مختلفة إلا أنها فترات تتكرر دائماً أو تتكرر مثيلاتها ؛ وهى كلها مضروبة فى عدد واحد يقسمها جميعاً ، بمعنى أن يسقط الجسيم مثلاً فى ١٣٫٦ من الثانية ولكنه يرتفع دائماً إما فى ١٢٫٥ ثانية أو ٢١٫٨ أو ٣٤٫٨ أو ٨٤٫٥ ، ومهما أعاد التجربة على الجسيم ذاته فإنه يسقط دائماً تحت تأثير المجال الأرضى فى ١٣٫٦ من الثوانى ، ولكنه يرتفع تحت تأثير مجال كهربائى ثابت فى عدد من الثوانى هو حاصل ضرب عدد معين يقسم الأعداد جميعاً

لم يكن هناك إلا فرض واحد لتفسير الحادث الواضح لحركة الجسيم فى المجال الأرضى وحركته فى المجال الكهربائى ، ذلك أن الجسيم يحمل باحتكاكه فى الهواء أو بالتأثير الراديومى فيه كميات كهربائية ذات شحنات مختلفة إلا أنها لا يمكن أن تختلف بعضها عن بعض إلا بقدر معلوم

(يتبع)

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم المهندسخانة

---

(١) تستعمل هذه الساعة عند ما يراد معرفة الزمن لأقرب $\frac{١}{٥}$ أو $\frac{١}{١٠}$ الثانية وتسمى بالانجليزية Stop-watch وبالفرنسية Montre-a-course وتستعمل فى سباق الخيل وقد استعملها مليكان فى تجاربه كما استعمل أيضا كرونوسكوب هيب Chronoscope de Hipp وهذا الأخير يقيس الواحد على ألف من الثانية

(٢) السير ج . ج ستوكس النشرات الرياضية والطبيعية . كامبردج المجلد الثالث سنة ١٩٠١

(٣) ذكرنا معادلة ستوكس فى مقال سابق . ونذكر للذين يهتمون بهذه الناحية من العلوم الرياضية والطبيعية أن جولدستاين Goldstein عدل فى سنة ١٩٢٩ معادلة ستوكس بمعادلة تجد فى الطرف الثانى منها متوالية Serie تحوى عدد رينولدز Reynolds ، وهو عدد معروف عند الطبيعيين أنه ليس له حدود

من هنا ومن هناك

السياسة والأخلاق

[عن « نشرة اكسفورد فى الأحوال الحاضرة »]

منذ عرف الإنسان السياسة لم يجد سبيلاً للتوفيق بينها وبين المثل الأخلاقية العالية . فهو إما أن يهجرها ويصد عن سبيلها كما يفعل رجال الدين فى مختلف العصور ، أو يشتغل بها ويواجه كل موقف بما هو أهل له ، فيرد ما لقيصر لقيصر كما يقول المثل المعروف . والسياسة لا تعرف غير الحقائق الواقعة ، فليس من السهل أن نسألها العطف أو الرحمة أو الأناة أو ما إلى ذلك من الخلال التى نعرفها فى حياتنا العامة .

ولعل من أهم الأسباب التى تجعل للسياسة هذا اللون ، أنها تدين فى الحياة للقوة ، والقوة سلاح خطر ، وإن كانت فى ذاتها شيئاً لا هو من الخير ولا هو من الشر ، شيئاً لا لون له ولا صفات فرجعها فى الحقيقة إلى الغاية التى تستخدم فى سبيلها والوسائل التى تلتمس لها .

وقد واجه الحكام والمحكومون هذه الصعوبات منذ عرفت السياسة . إلا أن ظروف العالم الحاضرة اليوم قد أمدتهم بشىء من الصرامة والتأييد . ويرجع ذلك إلى سببين : السبب الأول هو اتساع نطاق الحياة السياسية باشتباك الصوالح الدولية ، فكثير من أحوال السياسة اليوم لا يرجع أمره إلى المصالح والأغراض الوطنية كما كان بالأمس ، فللشئون الدولية أهميتها الكبرى فى هذه الأحوال ، ومن هنا يصير الاعتماد على القواعد الأخلاقية أشد صعوبة مما كان عليه فى العهود السالفة .

أما السبب الثانى فهو أشد عمقاً من السبب الأول : وذلك أن الشعوب فى هذه الأيام لم تعد تهتم بالدعوة الأخلاقية فى العالم السياسى ، لأنها غير واثقة من كيانها الأخلاقى نفسه .

لقد كانت الدول الأوربية منذ خمسين عاماً ، بل — منذ عشرين عاماً كذلك — يربطها وثاق متين من الأخلاق المسيحية — ولا أقول إن الحياة فى تلك العهود قد وصلت إلى مستوى الأخلاق المسيحية السامية — ولكن هذا الباب كان مفتوحاً على كل حال . ولكنا اليوم نرى فجوة واسعة فى العلاقات الدولية فلم يعد يصل ما بينها ذلك التعاون القديم الذى تقلصت ظلاله ولم يحل محله شىء على الإطلاق ، وقد أصبحنا نرى على الصهوة رجالاً متعلقين بعنان القوة ، وهم لا يخشون شيئاً غير الهزيمة ، ولا يخجلون من شىء غير الانحدار . فهل من الغريب مع هذا أن تنحط القوى الأدبية والمعنوية فى العلاقات بين الدول الأوربية إلى الحضيض الذى لم تنحدر إليه فى عهد من العهود ؟

نحن اليوم أمام موقف يدعونا إلى بعض التأمل . ومما يدعو إلى الأسف الشديد أن نرى الحالة السياسية والفكرية والأخلاقية يعروها هذا الجمود .

وإذا كنا هنا بصدد الكلام عن الأخلاق ، فمن الواجب أن نقول : إن حكام ألمانيا الحاليين قد أساءوا استعمال القوة التى فى أيديهم ، فزادوا إلى ويلات الإنسانية بلاء لم يعهد له مثيل ؛ ومن الحق أن نحملهم وزر ما جنوا على العالم الإنسانى ، ونجعل الدفاع عن الأخلاق من الواجبات العامة التى ينشدها الجميع لخير الإنسانية العام .

إن الدول الدكتاتورية ما زالت تعتقد أن القوة هى سيطرة الإنسان على الإنسان ، لا سيطرة الإنسان على الطبيعة ؛ وترى فى الجار عدواً يجب أن تتحين الفرص لهلاكه . فالجار والجار عدوان على الدوام .

وتستبيح لنفسها الاعتداء على كل أمة وهبتها الطبيعة شيئاً من خيراتها ، وهذه حالة ينهار معها كيان الشرف والأخلاق .

نحن نحارب لأجل المدنية

[نقلا عن مجلة « بكشرز بوست »]

نحن اليوم فى حرب ، فماذا نحارب من أجله ؟ أنحارب لأجل بولندة ؟ أجل ، نحن نحارب من أجل بولندة ، لا لأن فى بولونيا شعباً ضعيفاً معزولاً هوجمت بلاده دون إعلان سابق للحرب ، ولكن لما هو أكثر من هذا ، وهو أنا منحنا هذا الشعب كلمتنا

— وهى الكلمة البريطانية .. ولكننا كذلك نحارب من أجل حياتنا . فنحن نعلم أن انتصار النازية ليس فى الحقيقة انتصاراً على بولندا واستريا وتشيكوسلوفاكيا فحسب، تلك البلاد التى وجدت وذاق أهلها أشد أنواع العسف فى العصر الحديث .

نحن نحارب لهذه الأسباب — ولا شك — ولكن هناك اعتباراً أعظم وأسمى من تلك الاعتبارات ، وهو أنا نحارب لأجل المدنية ، فما هى المدنية ؟ ليست المدنية لبس القبعة الحريرية ، أو المعرفة بفن وجنر ، أو الاضطلاع بعلم الكيمياء . ولكن المدنية هى معرفة فلسفة الحياة الحقة ، هى أن تدرك تماماً أن القوة ليست الطريق إلى المجد ، وأن المادية العمياء ليست كل شىء فى الحياة ، وترى راحتك فى عمل الخير للصالح العام. إن الألمانيين ولا شك أكثر انهماكاً فى دراسة الكتب من البريطانيين ، ولكنهم لم يدركوا هذه الحقيقة ، فهم إذن بعيدون كل البعد عن المدنية

يقول بعض المتشائمين : إن كل شىء فى الحياة قد تناولته يد الفساد فما أجدرنا بأن نهدم بيدنا كل شىء ونبنى حياتنا من جديد! وما أجدرنا بأن نقتدى ببساطة ذلك الهمجى النبيل ولكن الهمجى النبيل ليس إلا أسطورة فى خيال ذلك القائل المسكين، إن أهالى الشعوب الهمجية على ما عرف عنهم من الخرافات الكثيرة ليسوا بسطاء، فهم يطوون قلوبهم على الشحناء ويجدون فخارهم فى الحروب

إن الحياة ولا شك لم تصل إلى الغاية التى يسترج فيها كل إنسان، وعلى الأخص الفقراء، ولكن حالة الفقير اليوم خير منها بالأمس والعالم بمختلف طبقاته اليوم أكثر اتجاهاً إلى البر والإحسان والاعتراف بحقوق الفقراء مما كان عليه منذ مائة عام . وقد أخذت الشعوب تجنى ثمار الراحة والرفاهية نتيجة جهادها الجهل والقسوة مئات السنين ونحن مطالبون اليوم بأن نحارب تلك الدعاوى الباطلة التى غرس بذورها هتلر ولنين ، ضناً بتلك الثمار النقية من الفساد

وإن بريطانيا وفرنسا لتزهيان بقيامهما بواجبهما فى سبيل الدفاع عن المدنية ، ضد هذه الحالة التى ترجع بالعالم إلى عصور الهمجية الأولى ، ولا تختلف عنها إلا فى استعمال الطائرات قاذفة القنابل والمدرعات الحربية بدلاً من القوس والنبال

إن الكفاح العظيم الذى نراه اليوم قد أوجد بيننا نوعاً جديداً من الوئام والارتباط ، ونحن نرى روح التعاون اليوم يشع نورها فى كافة الأنحاء ، ومن واجبنا إذا انتهت الحرب أن نعمل على دوام هذه الروح ، ومن واجب وزارة الخدمة العامة ألا تغلق أبوابها إذا دقت الأجراس مؤذنة بانتهاء الحرب ليدوم هذا التعاون الجميل لمكافحة الجهل والفقر والمرض .



في المسرح

١ — فجع المسرح الفرنسي بل العالمي في الإخراج والتمثيل بوفاة جورج بيتويف Pitoëff . وقد شارك بيتويف المجددين من المخرجين الفرنسيين في فك قيود المسرح . فأتم هو وجوفيه Jouvet ودولان Dullin وباتي Baty مسعى كوبو Copeau (ومن قبله: Antoine) في مسرحه الذي ثار فيه على الأوضاع المربوطة واسم المسرح Le Vieux-Colombier . والذي أحدثه هؤلاء النفر أنهم أنزلوا نص المسرحية في المنزل الأول فجعلوه كالصورة المنصوبة، وأخذوا هم يسلطون عليه الضوء من هنا والظل من هنا، من طريق الإخراج والتمثيل ، حتى يبرز للعين وخصائصه تكاد تجسها اليد ، ودقائقه تتعلق بها البصيرة فتتصورها الحواس . وقديماً كان النص كالعجين يعجنه المخرج والممثل على أهوائهما . ومزية بيتويف أنه ذهب في الطريقة المستحدثة أبعد مذهب ، واشتهر بالبساطة بل بالسذاجة ، وقد كنت أمل أداءه أول الأمر حتى فطنت إلى قوته المستترة وجلاله المتواري ، فأدركت كم يجتهد الرجل (وزوجته أيضاً: Ludmilla) في ساعات التدريب حتى يبرز للنظارة كأنه غائب عنهم أو كأنه شبح يذهب ويجيء في عالم ثان . وكان بيتويف يختار من المسرحيات أبعدها غاية وأدقها لمحة وألطفها وضعاً . فأدى فيما أدى مسرحيات لأندرييف وتشيكوف الروسيين وإبسن النرويجي وشكسبير، وأقدم على بيرنديللو الإيطالي فأقام باريس وأقعدها إذ أدى « ستة أشخاص يفتشون عن مؤلف » ثم أقدم على رابندرانات تاغور فأدى « رسالة أمال » . فشق بتلك المسرحيات الدخيلة كوّى ونوافذ في المسرح الفرنسي . وكان اعتماده على الجمهور المثقف، على الخاصة ، وكثيراً ما راعتني قلة النظارة في مسرحه ، ولكنه الفن الخالص ، وبيتويف وأحزابه خدّامه وسدنته . حتى إن الرجل كان يؤدي المسرحية الواقعية البيّنة المعالم في أسلوب يغلب عليه اللطف ، رغبةً في الإيحاء والإبهام ؛ وهل المسرح سوى هذا ؟

***

٢ — وأما الفرقة القومية عندنا فلا تزال تقول : إن جمهورنا يريد كذا أو لا ينشط لكذا . بالله لِمَ أنشئت الفرقة : ألتسلي الناس أم لترفع قدر المسرح وتستدرج النظارة إلى تذوق الفن الدقيق ؟ إن في مصر عدداً من المسارح القائمة للتسلية والترويح عن النفس ، والربح من وراء ذلك . وإن كان هذا غرض الفرقة فلتهجر دارَ الأوبرةَ ولتقصد إلى شارع عماد الدين تنافس فيه ما تشاء . وإنما نربأ بالفرقة أن يستهويها مثل هذا . ولكن ماذا نصنع وهي تمنينا كذا وكذا ولا تصنع شيئاً . فإذا أصرت على أنها خرجت إلينا بأموالنا لتخدم الفن فهل راجعت ما هي عليه سائرة ؟ هل نظرت في أمر لجنة القراءة التي تأذن في تأدية مسرحيات موضوعة قد نفض لونها واختل اتساقها ؟ هل جعلت لجنة من أهل الاطلاع والمعرفة تختار من المسرحيات الإفرنجية ما له شأن ؟ هل عزمت على أن تطلب المدد ممن وقف حياته على فن المسرح ؟ هل فطنت إلى إرضاء الخاصة ؟ هل ذكرت أن في أوربة ما يقال له : « تأدية الشعر » représentation poétique وهي أن ينشد رجال الفرقة الحين بعد الحين قصائد ومقطوعات في كذا وكذا من الموضوعات ؟

إن في رجال الفرقة وفيمن أقصوا عنها بغير حق من يقدر على معالجة الفن الخالص . فقد شهدت من سنوات « أهل الكهف » . ثم شهدت أول من أمس « تحت سماء أسبانيا » ، فرأيت إخراجاً حسناً وتمثيلاً صحيحاً ؛ ولن أنسى مشهداً اجتمع فيه زوزو الحكيم وعلام ومنسى فهمي وعباس فارس فتجلى الصدق في الإحساس والتعبير ، ومن وراء ذلك فتوح نشاطي . إلا أن المسرحية نفسها ليست بآية ، وهي أقرب إلى رواية سينمائية منها

إلى مسرحية، وذلك لما فيها من التأثير المباشر والحوادث النفّاثة فكيف يكون السبيل إلى التلطف فى الإخراج وبث الأوهام ؟ ولم أرَ اسم المؤلف ولا عنوان المسرحية فى لغتها على صفحات البرنامج الذى دفع إلىّ وأنا أدخل إلى دار الأوبرة ، وهذا غريب . وعلى كل حال فإن فى المسرحيات الأفرنجية ما هو خير وأعلى

وبعد فقد كتبتُ (الرسالة ٣٣٢) أن إدارة الفرقة (وغيرها) تسرف فى بذل تذاكر الدخول لهذا ولذاك على حين أنها تضن بها على الكتاب المقدّمين والنقاد البصراء ، فسألت من سألت أن يتدارك الأمر . وبلغنى بعد ذلك أن وزارة الشؤون الاجتماعية جعلت للإسراف حداً عنيفاً . على أن التشدد هنا كالترخص؛ أفلا نطلب الاعتدال ؟ والوجه أن تُعمل قائمة تدوّن فيها أسماء الذين يدعون فى الليلة الأولى La Première وفيهم النقاد والكتاب . أما الممثلون فلهم أن يظفروا بعدد من التذاكر على ألا يدْعوا حلاقهم وطباخهم وبقال الناحية . . . إلا إذا كانوا من طلاب الفن . ومتى أقول الفن الخالص ؟

بشر فارس

لغة الأدب ولغة العلم

من تَقَصَّى محققاً كما يتقصى الفاضل الباحث (الدكتور بشر فارس) الأديب العربى المشهور علم « أن اللغة لا تنحصر فى الإنشاء الأدبى فثمة الإنشاء العلمى ، وله أن يجرى إلى جانب الإنشاء الأدبى : هذا فى شعب وذاك فى شعب ، وفى تاريخ آدابنا ما يؤيد هذا ...[1] »

ولى شيء كنت قلته فى تضاعيف كلام فى خطبة طويلة منذ ثلاث عشرة سنة — يعضد المعنى الذى عزاه (أى قصده) الدكتور المفضال ، وقد رأيت أن أشيّع مقالة (الفارس) — وإن لم تفتقر إلى تقوية — بأن أروى اليوم فى (الرسالة الغراء) ذاك الكلام :

... لا تلوموا العربية ولوموا أمة ركنت إلى الدعة (قبح الله الدعة) ثم قعدت

ليس المروءة أن تبيت منعّما وتظل معتكفاً على الأقداح
ما للرجال وللتنعم ، إنما خلقوا ليوم كريهة وكفاح[2]

(١) (مسألة) للدكتور بشر فارس ، الجزء (٣٢٨) من (الرسالة)
(٢) أبو دلف القاسم بن عيسى القائد البطل

والحركة — كما قالوا — ولود والسكون عاقر ، وقد قال أبيقور : أى معنى للكون بالسلم بفقدان الحركة ؟ ولام هذا الحكيم هوميرَ حين سأل الآلهة أن تصطلح كى تزول الحروب

إذا المرء لم يغش الكريهة أوشكت
حبال الهوينى بالفتى أن تَقطعا[1]

وابن نتشه يرى أن عمل الرجال إنما هو القتال، وعمل النساء هو تمريض الجرحى . وليس القصد (يا بنى) أن تَغلب أو أن تُغلب بل القصد أن تكون حرب ، أن تكون حركة ...

... فليست اللغة العربية (والحالة فى تلكم العصور كما سمعتم عنها) بمستأهلة أن تلام وأن تعاب ، فإنها لا بست ضعفاء فلبست كساء ضعف ، وعاشرت وضعاء فارتدت شعار ضعة ، وما الضعف وما الضعة (والله) من خلائقها . ولو استمرت تلك القوة ، ولو استمرت تلك الدنية ، ولو لم يكن ما كتب فى اللوح أن يكون — لملأت بدائع العربية الدنيا ، فإنها معدن البدائع ، ومنجم كل عبقرى رائع

على أن لغة العلم فى العربية ، وللعلم لغة وللأدب لغة ، لم تُضم ضيم أختها ، وما المقاصد والمواقف وشرحاها ، وأقوال ابن الخطيب ومقدّمة[2] ابن خلدون ، وكلها فى العصور المتأخرة ، بالتى تذم (فى أسلوب اللغة العلمىّ) جلتُها ...

(*)

أصدقاء المؤلف !

أخى الأستاذ الزيات

يجب أن تصدق ما أقصه عليك :

هل تعرف أن مؤلفاتى ستضيع أصدقائى ؟

هو ، والله ، ذلك : فكل صديق ينتظر أن أهدى إليه مؤلفاتى ، فإن لم أفعل فأنا عنده من أهل العقوق !

وهل يصدّق قراؤك ما أقص عليهم ؟

ليسمعوا ، إن شاءوا :

(١) هبيرة بن عبد مناف (الكلحبة اليربوعى)
(٢) قاموس في (الفائق) : « المقدمة الجماعة التى تتقدم الجيش من قدم بمعنى تقدم ، وقد استعيرت لأول كل شيء فقيل منه مقدمة الكتاب ومقدمة الكلام ، وفتح الدال خلف » ومقدمة ابن خلدون هى الجزء الأول من كتابه (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر الخ ...)

إن صداقتي لمجلة الرسالة لا تخفى على أحد ، وقد بذلتُ في خدمتها ما أُطيق ، وجهد المقل غير قليل ، ومع ذلك رفضتُ أن تُرسل إليّ هديةً ، فأنا أشتريها من السوق كما يصنع سائر القراء ، وكذلك حالي مع جميع الجرائد والمجلات ، إلا ما يتفضل به كرام الصحفيين في مصر ولبنان والحجاز وسورية والعراق

وكانت حجتي يوم رفضت هديتك أني حين أشتري الرسالة أحس أني أقول : « صباح الخير ، يا صديقي الزيات » وقد أشتري العدد الواحد مرتين أو ثلاث مرات ليشعر الباعة الذين يعرضونها عليّ بأن الأدب شيء مقبول ، وله أنصار أوفياء

هذا ، وقد كان من عادتي أن أهدي مؤلفاتي إلى محرري الجرائد والمجلات ليؤدوا واجب النقد الأدبي في التنويه بالمؤلفات الحديثة ، ولكني لاحظت أنهم يفرّطون في هذا الواجب بحجة أني أقدم إليهم عدة كتب في العام الواحد وهم لا يستطيعون أن يتحدثوا عني في كل عام عدة مرات !

أفلا يكون من الذوق أن أعفي أولئك الأصدقاء من هذا الواجب ؟ !

قد أعفيتهم ، فهل يعفونني من العتاب حين أبخل عليهم بمؤلفاتي وأنا أنفق عليها من رزقي وأرزاق أطفالي ؟

وفي ختام هذه الكلمة أراني مضطراً إلى التنويه بفضل الأستاذ خليل بك ثابت فقد كان دائماً مثال الرجل الحريص على الواجب . أما الأستاذ حافظ محمود فقد حفظ لمؤلفاتي مكاناً في السياسة الأسبوعية ، وأما الأستاذ المازني فهو من المتوب عليهم .

وهذا آخر العهد بإهداء مؤلفاتي إلى أصدقائي ، ولا أستثني الأستاذ الزيات ولا الدكتور طه حسين ولا الأستاذ أحمد أمين !!

زكي مبارك

في كلية الآداب

أشار « جامعي » في العدد السابق من الرسالة إلى حوادث تدلّ على مقدار كبير من المحاباة يتمتع به أجنبي يدرّس الآن في كلية الآداب ، وعلى أنه يحظى برعاية لا يصيبها مصري أحق منه . وجاءت هذه الإشارة عقب كلمة الدكتور بشر فارس في العدد الذي سبقه وهي الكلمة التي كان لها فضل كبير في تنبيه الأذهان إلى مدى الحظوة التي يجود بها بعضنا على الغريب على حساب دافعي الضرائب المصريين ، فيطمع في المزيد منها ولو كان في ذلك حرمان المصري . ولا شك أن كثيراً من شباب مصر الذي نبغ في معاهدها ، ثم نال من الإجازات من معاهد أوربا أكثر مما نال هذا المدرس الأجنبي ، ثم لا يجد بعد طول التحصيل عملاً يفيد به الأمة — يشكر للدكتور بشر فارس صراحته وشجاعته. وإني لأعرف بينهم من يود إعلان تأييده إياه وبسط شكواه من الواقع لولا خشية الذين يضرون وينفعون .

وإني أرجو أن تتفضل « الرسالة » بإفساح صدرها لشرح حقائق أخرى تضاف إلى حساب هذا الشاب الأجنبي الذي عين في كلية الآداب بمرتب يزيد على مرتب اثنين من المصريين الذين أتموا من الدراسة والتحصيل ما لم يتم ، وحصلوا من الإجازات على ما لم يحصل عليه .

إن الرجل عُين في مصر بسعي مستشرق فرنسيّ كبير ذي نفوذ واسع وكلمة نافذة في بعض الدوائر المصرية ، وذلك بعد أن رفضت وزارة المعارف الفرنسية تجديد عقده الذي كان يمنحه سنوياً في باريس مبلغاً يقل بكثير — على حسب سعر العملة اليوم — عن مرتبه الشهري في مصر ؛ وقد فعلت هذا حكومة فرنسا الغنية ابتغاء للاقتصاد . وتم تعيينه عندنا في عام ١٩٣٦ . وفي عام ١٩٣٧ منحته كلية الآداب مكافأة لتمضية العطلة الصيفية في فرنسا وفعلت مثل هذا في عام ١٩٣٨ . والمتداول عندنا أن المكافأة الثانية صرفت من الاعتماد المخصص لمكافآت الطلبة. ثم إن الكلية ذهبت في سخائها الحاتمي إلى زيادة مرتبه مرتين ، وقررت أيضاً منحه مبلغ خمسمائة جنيه مصري إعانة له على طبع رسالته التي يتقدم بها أمام جامعة باريس لنيل الدكتوراه في الآداب. كل هذه الألوان المتعاقبة من المحاباة نفذت في زمن قصير بتوصية المستشرق الكبير الذي سبقت الإشارة إليه

وإني لأعرف أديباً مصرياً مشهوراً طلب إلى كلية الآداب منذ عشرة أعوام أن تمينه على طبع رسالته للدكتوراه أمام جامعة باريس فلم يجد أذناً مصغية ، وكان هذا الأديب في حاجة إلى الإعانة وقتئذ، إذ لم تجر عليه كلية الآداب راتباً شهرياً بل كان يجاهد بقلمه ليعيش أثناء إقامته للتحصيل في العاصمة الفرنسية . ولعل هذا الأديب يقرأ هذه الكلمة فيزكي هذه الذكرى بقلمه لينصف حقاً من حقوق الأمة .

وإنى أتمنى أن يجرؤ كل عارف لمثل هذه الحقائق على نشرها ليمتنع حصول مثلها . وهذا أبر بالشعب من محاربة بعضنا لبعض واضطرار الكثير منا إلى الالتجاء إلى الأجنبى يشترى عونه وحمايته بأموال مواطنيه ، وهو لا يبيعه العون والحماية إلا ليثبت مصلحة له يعلم من يعلم مقدار خطرها .

جامعى آخر

إلى الأستاذ الجليل « النشاشيبى »

كثر الجدال فى صحة نسبة نهج البلاغة وتقارعت الأدلة . فمن يرى أنه للشريف الرضى لا للإمام علىّ يقول إن أسلوبه أسلوب العصر العباسى لا أسلوب الصدر الأول ، ومن قابل بينه وبين آثار المصريين ، والثابت من مأثور المهديين ، وكان من نقدة الكلام وجهابذة القول حكم بإحالة صدوره عن الإمام . وإن فيه من الطعن على الصحابة ما ينزه عنه أبو الحسنين ويناقض ما روى عنه (بالتواتر) من الثناء على الشيخين ومبايعتهما والرضا باتباعهما ، وإن فيه أشياء من مصطلحات أهل العلوم التى لم تكن قد وضعت على عهد الإمام أصولها ، ولا اصطُلح على تلك الألفاظ فيها ، وإن فيه ما يخالف (طبائع الأشياء) . فقد كان الإمام مدة خلافته كلها فى حروب ومشاكل لا يفرغ معها ولا يجد داعياً ولا مجالاً لإلقاء خطبة طويلة فى وصف الطواويس وأنواع الخلق أو البحث فى فلسفة اللاهوت — هذه الحجج لمن ينفى ، ولمن يثبت حجج دفاعية (يرونها) مقنعة — وقد كنا فى مجلس (هو واحد من مئات أمثاله) اشتد فيه بيننا الخصام وامتد الجدال ، ثم اتفقنا على تحكيم أعلم الناس بمراجع هذا البحث وأوسعهم اطلاعاً عليها ، ومَن قوله فيها القولُ ، فوجدنا هذا الشرط فى حجة الأدب النشاشيبى

فهل لك يا أستاذنا الجليل أن تقول (كلمة الفصل) فى هذا الموضوع فتخدم بذلك الحقيقة والأدب وأهلهما ؟

(العراق) (سائل)

اليونان والبلاغة العربية

ذهب الدكتور طه حسين بك فى بحثه الذى صدر به كتاب نقد النثر لقدامة إلى أن قواعد البلاغة إنما أسست على ما وضع أرسطو ، ونقله العرب عن اليونانية ، وشايعه على ذلك الأستاذ البشرى (الهلال يناير ١٩٣٦) وقد وجدت فى المثل السائر لابن الأثير وهو من أشهر كتب البلاغة وأجودها كلة فى هذا الموضوع ، رأيت أن أطرف بها من لم يطلع عليها من القراء

قال : « ... فإن قلت إن هؤلاء وقفوا على ما ذكره علماء اليونان وتعلموا منه ، قلت لك فى الجواب هذا شىء لم يكن (إلى أن قال) : وهذا باطل بى أنا ، فإنى لم أعلم شيئاً مما ذكره حكماء اليونان ولا عرفته ، ومع هذا فانظر إلى كلامى (إلى أن قال) : ولقد فاوضنى بعض المتفلسفين فى هذا وانساق الكلام إلى شىء ذكره لأبى على بن سينا فى الخطابة والشعر وذكر ضرباً من ضروب الشعر اليونانى يسمى اللاغوذيا (؟) وقام فأحضر كتاب الشفاء لأبى على ، فوقفنى على ما ذكره ، فلما وقفت عليه استجهلته فإنه طول فيه وعرض كأنه يخاطب بعض اليونان ، وكل الذى ذكره لغو لا يستفيد منه صاحب الكلام العربى شيئاً »

ولست أنقض ما رآه الدكتور طه حسين ولا أثبته ، ولكنى أردت إطراف القراء

(ع . ط)

يوميات نائب فى الأرياف بالفرنسية

وقع تساهل فى ترجمة الفقرة الأخيرة من مقال مجلة مريان الفرنسية عن هذا الكتاب التى نشرناها فى العدد الماضى ، فقد ورد فيها : « أنه يكتب لمجرد الرغبة فى الكتابة » . والأقرب إلى الصواب : « أنه يكتب لأنه يجد لذة فى الكتابة »



المحكم فى أصول الكلمات العامية

للدكتور أحمد عيسى

من العجيب أن الذين أجدوا على العربية وخدموها أجل الخدمات ، ليسوا من أولئك الذين ربطوا أنفسهم بدراستها ، وأفنوا أعمارهم بحثاً فى أصولها وفروعها ، ونحوها وصرفها ، ولكنهم جماعة ابتدأوا حياتهم بدراسة لعلها آخر ما يتصل بالثقافة اللغوية ، ثم دفعتهم الرغبة النفسية الخالصة فخاضوا لجج البحث اللغوى ، وأمعنوا فى دراسة فقه العربية وأصولها ومفرداتها ، فخدموا لغتهم وأمتهم خدمة أقل ما يقال فيها إن مجمع اللغة بجاهه وماله لم يبلغها فى شىء . ولعل فى طليعة أولئك الباحثين الهواة (كما يقولون) الدكتور أحمد عيسى بك، فهو طبيب نابه فى مهنته ، ثم هو باحث معروف فى اللغة، وقد أخرج فى خدمتها مؤلفات قيمة، آخرها ذلك الكتاب : « المحكم فى أصول الكلمات العامية »

ووضع الدكتور الباحث كتابه هذا ليثبت به كما يقول : أن اللغة العامية التى نتكلمها الآن فى مصر ليست بعيدة كل البعد عن العربية الفصحى ، وهى تبتعد عن الفصحى فى شيئين : الإعراب وتركيب الحروف ، على أن أكثر الكلمات العامية التى ينفر منها الذوق الآن ويستنكرها الحس إنما كانت من أفصح الألفاظ العربية، وإن كثيراً منها قد استعملت فيه المجازات اللطيفة والاستعارات المستملحة التى تعد من أرق أساليب الفصاحة فى الكتابة والكلام

ولاشك أن المؤلف قد استطاع أن يحقق رأيه بما جمعه وشرحه من المفردات العامية وردها إلى أصولها وبيان ما اعتورها من التحريف ، وقد رتب سردها على حسب الحروف الهجائية ، بذكر اللفظ العامى وبجانبه تفسيره عند العوام ، ثم يأتى بالأصل الفصيح مبيناً ما فيه من الحقيقة والمجاز

والمؤلف طبعاً لم يجمع كل الكلمات المستعملة فى لغة العامة ولكنه قد جمع منها ما استطاع أن يرده إلى أصوله فى اللهجات العربية ، ومنها ما رده إلى أصله فى الفارسية واللاتينية والتركية والسريانية وغيرها من اللغات التى دخلت على لهجات المصريين. وقد قدّم لذلك كله ببحث وافٍ فى أسباب التحريف فى اللغة وتعدد اللهجات والفصيح منها والمرذول ، ومخالطة العرب للأعاجم وتحديد الصلة بين العامية المصرية واللغة العربية ، وكل هذا بأسلوب سهل مهذب ، ودقة علمية فاحصة فجاء كتابه نافعاً لا للمعنيين باللغة فحسب ! بل لكل أديب وطالب وقارئ

تاريخ الطب فى العــراق

للدكتورين هاشم الأنزى ومعمر خالد الشابندر

اشترك فى تأليف هذا الكتاب الدكتور هاشم الأنزى عميد الكلية الطبية العراقية من قبل ، والدكتور معمر خالد الشابندر المتخرج فى تلك الكلية ، وهو بحث تاريخى متصل ، يتناول سير الثقافة الطبية ، والأدوار التى اجتازتها فى ربوع الرافدين منذ أيام العباسيين حتى تأسيس الكلية الملكية فى العصر الحاضر

والكتاب فى موضوعه لا يقف عند الناحية الطبية ، ولكنه صورة رائعة لتاريخ العراق العلمى والعمرانى ، فقد قسم المؤلفان كتابهما إلى ستة فصول : الفصل الأول فى الكلام على موقع بغداد التاريخى ، وما كان لها من جد ومجد ، وما انتابها من الحوادث والكوارث ؛ والفصل الثانى عن اتصال العراق بالثقافة الطبية ومدى ما بلغته فى ذلك ؛ والفصل الثالث يتناول الأحوال الطبية فى العهد التركى ؛ والرابع فى توحيد المستشفيات والمعاهد الصحية وتوسيع المستشفى الملكى وتقدمه ؛ والفصل الخامس فى مشروع الكلية الملكية والفكرة فى إنشائها ؛ والفصل السادس فى تأسيس الكلية ومناهجها وأساتذتها ونواحى الدراسة فيها

ولقد اعتمد المؤلفان الفاضلان فى سرد الوقائع التاريخية على المراجع الصحيحة ، والروايات البعيدة عن زيف الشكوك

والأوهام ، والمشافهة من الشيوخ الثقات ، وقد حرصا على الترجمة لأشهر الأطباء والمترجين العرب الذين أقاموا أساس الطب فى العراق ، والتعريف بكثير من المدارس والمعاهد والمستشفيات ، كما حرصا على نشر كثير من الصور والرسوم للمعالم والشخصيات فجاء بحثهما وافياً من جميع جهاته ، وخدمة جليلة نحو وطنهم ونحو بغداد العظيمة جنة الدنيا فى القديم ، ومحط العلم والعرفان ، ومجمع العلماء والدارسين من أقطار الأرض وأقاصى المعمور

ساعات فى الجحيم

للأديب يوسف عيسى البندك

« هذه شعل من اللهب الأحمر ، فيها وصف لرجعية المجتمع الشنيعة ، وفيها نقد لنظم الحياة الوحشية ، ثم فيها تصوير لآلام الجماهير التى تقاسى أهوال الاستبداد والظلم ، وتهرق دماءها جزافاً إرواء لجشع الرأسمالية المكتم التى أوشكت أن تغرق الإنسانية فى طوفان من النار »

بهذه الكلمات قدم الأديب يوسف عيسى البندك كتابه « ساعات فى الجحيم » ، وإنها لكلمات تحمل فى أطوائها الفكرة التى عالجها المؤلف الفاضل بشعور ملتهب ، وعاطفة فياضة ، وثورة عنيفة على النظم المرهقة التى يدعمها الاستعمار والرجعية والجمود والتعصب ، ولقد حاول المؤلف أن يسوق أفكاره مساق القصة ، وأن يمزج الحقيقة بالخيال حتى تكون قريبة سائغة ، ولكنا لا نستطيع أن نقبل كتابه على أنه قصة لها خصائصها ومميزاتها ، إذ تنقصه الحبكة الفنية ، وقوة الحوار والسرد القصصى

وأسلوب المؤلف أسلوب ملتهب ، أسلوب أديب تفيض نفسه بحب الطبيعة وحب الحرية ، على أنه يتهاون كثيراً بحق اللغة ، وهو حق يجب العناية به ، فإن الفكرة لا يمكن أن يتميز بها الفنان إلا إذا أظهرها فى لبوس فن له روعته وله تأثيره

البلبل

للأديب حسين عفيف

هذه قصة ، أو كما يقول المؤلف « شبه قصة » فى مقطوعات غرامية من صنيع الخيال . ومؤلف هذه القصة الأديب حسين عفيف كاتب له أسلوب شعرى يفيض بالموسيقى والعاطفة ، وله قراء يتلهفون عليه ، ويطيرون به

وأسلوب المؤلف أسلوب يشيع فيه التقديم والتأخير ، ويقول حضرته : « إنه يلتزم ذلك وفقاً لما تقتضيه رغبة إشاعة النغم فيه » والواقع أن للبلاغة العربية قواعد مقررة ، وهذه القواعد تحتم على الكاتب مراعاة الدقة فى الأداء ، ولكن هذه الدقة لا اعتبار لها فى تقدير المؤلف ، فكثيراً ما يغرق فى تقديمه وتأخيره حتى من غير أن يكون هناك نغم ينشده ، بل كثيراً ما يخل بقواعد العربية فى سبيل ذلك فيقدم الصفة على الموصوف !

إن الكاتب الأسلوبى يجب عليه ألا يكتب للإفهام فحسب ، بل للتأثير الذى هو غاية البلاغة وروحها ، ولن يكون التأثير إلا بمراعاة الدقة والقوة والجزالة ؛ فإذا كان المؤلف الفاضل يريد أن يظهر بين الكتاب بأسلوبه ، فليؤد له ما يجب من قوة الأداء ، ودقة الصياغة ، وسلامة التعبير ، حتى يتم له الكمال ، والنغم ليس كل ما هنالك من خصائص الأسلوب ، كما أن الدنيا ليست كلها أشجاناً وآلاماً ، فلا ينبغى أن تكون أنغام قيثارته كلها على هذا النحو

م . ف . ع

7me Année No. 336

Lundi - 11 - 12 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٣٣٦ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ شوال سنة ١٣٥٨ — الموافق ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهــــرس

سيـاسة السمك !

« إن الحرب الحالية ستزيل الدول الصغيرة من الوجود » (هتلر)

يلتهم الدب الروسى الآن فنلندا كما التهم النمر الألمانى من قبل بولندا ! وما هذه وتلك — حفظك الله — إلا أكلة اليوم ! أما أكلات الغد وما بعده فملء بها لا يزال عند هذين الوحشين اللذين يُنقِّلان النظر المحمرّ من أوربا الشمالية إلى أوربا الشرقية، ومن آسيا الصغرى إلى آسيا الوسطى ؛ والدول الصغيرة ترى هذه العيون المتقدة والأفواه المتحلبة فترتعد فرقاً من الخطر الهاجم والعاقبة المبهمة . ولقد كان لهذه الدويلات الغريرة فيما مضى من الزمن السعيد حارس من سلطان الدين وحكم القانون وعرف السياسة ، فكانت تعيش فى ظلال الخلق الإنسانى العام حرة آمنة لا تجد من جاراتها الكبرى إلا ما يجده الصغير من عطف الكبير ، والفقير من عون الغنى . فلما كفر النازيون والشيوعيون بشرائع الله وقوانين الناس أخذوا العالم بسياسة السمك التى تجعل الضعيف طعاماً للقوى ، ففسد النظام وفقد السلام ، واختل التوازن ، واضطربت الحياة ، وذل الحق ، وأفلس المنطق ، وأخذت جماعات السمك الصغير الرخو تضطرب اضطراب القلق والحيرة بين الحيتان الدكتاتورية التى لا تريد أن تُبقى على سمكة، وبين التماسيح الديمقراطية التى لا تريد أن تُبقى على حوت

***

كان ضمان العيش والاستقلال للدول الصغرى ذلك النظام السياسي الذى وضعته الدول الكبرى وسمته « التوازن الدولى » وحمته بالقوانين والمواثيق والمعاهدات والمحالفات وعصبة الأمم ، فجعلت من بعض هذه الدويلات حدوداً فاصلة ، ومن بعضها الآخر أسواقاً مشتركة ، حتى لا يبغى حد على حد ، ولا تطغى قوة على قوة . ولكن هتلر رسول الشيطان ونبى الألمان وخليفة نيتشه ، قضى بالموت على الدول الصغرى وقرر ألا يحكم الأرض غير دولتين : دولة ملكة هى ألمانيا ، ودولة وزيرة هى انجلترا كما كان رأيه بالأمس ، وروسيا كما أصبح رأيه اليوم ! فليت شعرى ماذا تصنع هذه الدويلات وصغرُها عمل من أعمال الطبيعة لا حيلة فيه لمحتال ، كما يقصر شخص عن شخص ، ويصغر شىء عن شىء ؟ ليس لها الآن إلا أن تنضوى إلى الأمم الديمقراطية التى تجاهد فى سبيل السلام والحرية والمدنية بجانب جهادها فى سبيل نفسها ؛ حتى إذا انتصر الأحلاف على هذا الطغيان المسلح الكافر الأشِر ، نظرت هى فى يومها وفى غدها فتعالج ضعفها بما تعالج به الطبيعة ضعف النمل والنحل والقرود : وهو التجمع و (التكتل) والتعاون ، فيكون بين البلاد المتجاورة ، كدول البلطيق وأمم البلقان وشعوب الإسلام ، شبه ما بين الدول المتحدة فى أمريكا من اتحاد السياسة الخارجية والدفاع العام والدستور المشرع والرئيس الحاكم . وإذن لا يبقى على الأرض أمة صغيرة يقوم على استعمارها النزاع ، ويميل من جرّاها ميزان السلامة . واعتبر ذلك مثلاً ببلاد الوطن الإسلامى الأربعة عشر : مراكش وتونس والجزائر وليبيا ومصر والسودان وفلسطين وسورية والحجاز واليمن والعراق وتركية وإيران وأفغانستان إذا انتظمها كلها اتحاد كاتحاد الولايات الأمريكية الثمانى والأربعين ، وقدّر فى نفسك ماذا يقدم هذا الاتحاد القائم على صلة الدم أو على نسب الروح من الخير المتصل للعالم والضمان الدائم للسلام

* * *

إن الحلفاء الديمقراطيين المنتصرين متى جلسوا إلى مائدة الصلح سيذكرون ما صنعوا فى فرساى من تقسيم الممالك وتمزيق الشعوب وتركها فى حمى الضمير الإنسانى والحق الأعزل دون أن يكون لها من شرَه الدول الكبيرة وشرِّها نصير ولا عاصم . وسيفكرون ثم يفكرون فى هذا المخلوق العجيب الذى صوروه من مداد وورق ثم أسكنوه قصراً فى جنيف وألزموه حماية السلام وجعلوا فى خدمته قوماً من ذوى القبعات والقفازات والعصى ، وقالوا له مرة : قف أمام الدوتشى فانسرقت قواه ؛ ثم قالوا له مرة ثانية : اثبت فى وجه هتلر فانتهكت مفاصله ؛ وهم يقولون له اليوم مرة ثالثة : خذ الطريق على ستالين ؛ وأغلب الظن أنه لاستمرار الخجل وإلحاح الفشل وتتابع الخذلان لن يستطيع أن يتحرك . ثم سيفكر المنتصرون فيما جَنوا من (عصبة الأمم) ويقررون — إذا وفقهم الله — أن ينشئوا السلم العالمية الدائمة على قواعد من التركيب لا من التحليل ، فيؤلفوا من الأمم الصغيرة المتقاربة فى الوطن والجنس والمنفعة اتحادات مستقلة تتحد فى الرياسة والحكومة والدستور ، وتشترك فى الدفاع والسياسة والعمل ، ثم يربطوا بين الدول العظمى والاتحادات الكبرى بروابط وثيقة من الاقتصاد العادل الذى يضمن لكل أمة سداد عوزها من خير الله وغلة الأرض

على أننا الآن بسبيل الحرب لا بسبيل السلم ، فلندَعْ حديث الصلح إلى يومه ، ولندْعُ الله مخلصين أن ينصر جنود الديمقراطية على أعوان الطغيان والبغى . فإن أوربا تكابد محنة لا سابقة لها فى التاريخ . وهى بالحق أو بالباطل رأس العالم اليوم ، وقد قضى عليها جنون رجل واحد أن تصبح كلها مخزناً هائلاً للبارود والغاز ؛ فأينما تسر فى قطر من أقطارها أو على بحر من بحارها تر الموت مشتعلاً يتلظى ، أو كامناً يترقب ؛ فإذا قضى عليها جنون الرجل الآخر أن تنفجر فتنهار على شمشون وأعدائه ، زُلزلت بانهيارها القارات الأربع ، وأصبحت النكبة نكبة العالم أجمع

* * *

إن مصرع بولندا وفنلندا على هذه الصورة الأليمة الأثيمة إنذار من الله للدول الصغيرة فى الغرب والشرق أن فوز النازية والشيوعية معناه فوز الوحشية التى لا تعترف بحق الحياة لفرد ، ولا بحق الاستقلال لأمة

إن الشرف هو معنى الإنسانية وخصيصتها فى الإنسان . وهو الضمان السلمى لأداء الحق وإطراد المعاملة ؛ فإذا انتفى الشرف عن الكلمة بين الرجل والرجل ، وعن المعاهدة بين الدولة والدولة ، لم يبق لضمان الحياة والحق إلا القوة ؛ والقوة لا تتيسر لكل حى فى كل وقت وفى كل حالة

احمد حسن الزيات

(حاشية) : وقعت فى الصفحة الأولى من العدد السابق كلمة (القلم) بدل (الريق) فصواب الجملة : « فقد جف من تكراره المداد والريق » ، أى كثر فيه الكتابة والكلام

كتاب الإمتاع والمؤانسة

مصالحة الأستاذ أحمد أمين

للدكتور زكى مبـارك

لم يبق شك فى أن الأستاذ أحمد أمين غضبان بسبب المقالات التى تجاوزت العشرين ، والتى حرضت عليه بعض من خاصموه فى مجلة المكشوف وأغرت بعض « أنصاره » فى العراق ، وأخرجته عن وقاره فشتمنا فى مجلة الثقافة بأبيات جاهليـة ، سامحه الله وعفا عنى !

وأقول اليوم إنى استوحشتُ مما صنعت ــ والاعتراف يهدم الاقتراف ــ فمن واجبى نحو نفسى أن أقدم إلى الأستاذ أحمد أمين عملاً صالحاً يعطفه علىّ ، ويردُّه إلى سابق عهده فيبدأنى بالتحية حين يرانى ، ويذكرنى بالجميل كما كان يصنع قبل أن أجترح فى نقده ما اجترحت ، وليس من الكثير أن أرجو عفوه ، فقد عفا « أخٌ » له من قبلُ !

والأستاذ أحمد أمين يعرف أنى رجلٌ ممتحَن بعداوات الرجال، وقد عانيت من ذلك مصاعب لو صادفت رجلاً غيرى لدحرته فى أقصر وقت ، فمن حق عليه وهو صديقى وجارى ، وزميلى كان فى الجامعة المصرية ، أن يتجاوز عن سيئاتى ، إنه ــ ولله المثل الأعلى ــ غفورٌ رحيم !

ولـكن كيف أتقرب إلى الأستاذ أحمد أمين وهو فيما يظهر أقسى من الجلمود ؟

أتقرب إليه بالعلم الذى يقول إنه حارسه وراعيه ، فأقدم إليه ملاحظات على تصحيح كتاب الإمتاع والمؤانسة الذى نشرته لجنة التأليف بتصحيح الأحمدين أمين والزين ، كما صنعتُ يوم صحح هذان الفاضلان ديوان حافظ ابراهيم ، فقد استدركت على الجزء الأول عشرين غلطة جوهرية اعترف بها الأستاذ أحمد أمين ، ثم صرفتنى الشواغل عن النظر فى الجزء الثانى ، ولعلى أرجع إليه بعد حين

ويجب قبل الشروع فى سرد ملاحظاتى أن أقدم أصدق التحية إلى المصححين الفاضلين ، فقد بذلا فى إخراج الجزء الأول جهداً لا يعرف قيمته غير من عانى المصاعب فى تحقيق بعض النصوص المخطوطة من الأدب القديم ، جزاهما الله خير الجزاء

ويجب أيضاً أن أنبه القراء إلى واجبهم فى اقتناء هذا الكتاب، فهو تحفة أدبية قليلة الأمثال ، ورواج مثل هذا الكتاب قد يشجع لجنة التأليف والترجمة والنشر على متابعة السير فى هذا الطريق ، فتنشر من ذخائر الأدب القديم ما يعجز عن نشره الأفراد

وقد يلاحظ بعض القراء أن الكتاب غالى الثمن ، ولكنهم سيعرفون أن ثمنه معتدل حين يذكرون أن أمثال هـذه الكتب تستوجب فى تصحيحها ونشرها كثيراً من التكاليف

وأعود إلى الموضوع فأقول :

كان فى النية أن أتعقب الجزء الأول كله ، وهو يحتاج إلى عدة مقالات ، ولـكن كثرة الشواغل حالت دون ذلك ، فوقفت عند « الليلة الثامنة » وهى من عيون الكتاب

١ ــ جاء فى ص ١٣٢ «طريقة الربانيين» ويقول المصححان الفاضلان : إن الأصل « الديّانين » ولكنهما لم يجداها فى كتب اللغة بهذا المعنى

ونقول إن الديانين جمع ديّان وهو الناسك ، وهى كلمة قديمة فى اللغة العربية ، ولها شواهد فى كتب التصوف ، وهى كذلك من الألفاظ المألوفة عنـد التوحيدى ، وقد استعملها فى مواطن كثيرة سأدل عليها إن وجدت ما يوجب ذلك

والديان بمعنى الناسك كلمة عرفها الأدب الحديث : فقد رأيتها فى مقال نشره الدكتور طه بك حسين فى جريدة السياسة فى صيف سنة ١٩٢٦ وهو يقصّ حكاية ديكارت فى السخرية من المرحومين علام سلامة و محمد عبد المطلب

٢ ــ جاء فى ص ١٢٣ « وإنما يودكم أن تشغلوا جاهلاً »

ويقول المصححان الفاضلان إن« يودكم» هى فى الأصل «قولكم»

ونقول إن عبارة الأصل هى الصواب ، ويؤيد هذا أن المؤلف قال قبل ذلك « لأنكم لا تقولون بالكتب » ولم يفطن المصححان لغرض المؤلف فأثبتا فى مكان « لا تقولون » عبارة « لا تفون » وبهذا ظلما المؤلف فى صفحة واحدة مرتين

٣ ــ وجاء فى ص ١١٩ « إذا حضرتَ الحلقة استفدت »

ويقول المصححان الفاضلان إن « الحلقة » هى فى الأصل « المختلفة » ولم يفهما معناها فغيراها إلى « الحلقة »

ونقول إن « المختلفة » كلمة يريدها التوحيدى ، فمن الظلم

تحويلها من وضع إلى وضع ، والمختلفة هم طلبة العلم الذين يحضرون الدرس ، وقد وردت بهـذا المعنى فى ص ١٢٩ إذ يقول المؤلف « وأحضرُ بركةً على المختلفة »

٤ — وفى ص ١١٢ « فإن علم العالَم مبثوثٌ فى العالَم بين جميع من فى العالَم »

ونقول إن السياق يوجب أن نقرأ « فإن علم العالِم » بكسر لام العالم لا فتحها

٥ — وفى ص ١٠٩ يقول المصححان الفاضلان إن « السِماع » من صاع الشجاعُ أقرانه إذا حمل عليهم ، وهذا خطأ فى التصريف والصواب أن « السِماع » مصدر ما صَعَ بمعنى جالد ، فهو من فصل الميم لا فصل الصاد ، والسرعة هى التى أوقعت المصححين الفاضلين فى هذا الغلط

٦ — وفى ص ١٠٨ « بما حويناه من للنطق » ويقول المصححان الفاضلان إن « حويناه » هى فى الأصل « جربناه »

٧ — وفى ص ١١٥ « وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة » ويقول المصححان الفاضلان إن « الترجمة » هى فى الأصل « التجربة »

ومن هنا نفهم أن المصححين الفاضلين ظلما المؤلف فى موطنين : فالتجربة كلمة مقصودة يريدها التوحيدى بالذات . فيجب فى الطبعة الثانية أن تبقى كلمة « جربناه » فى ص ١٠٨ وكلمة « التجربة » فى ص ١١٥ فتصير العبارة الثانية هكذا :

« وإذا لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل التجربة فلا بدّ لك أيضاً من كثيرها من أجل الترجمة »

٨ — وفى ص ١١١ « فما تقول فى معان متحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية »

ويقول المصححان الفاضلان إن « متحولة » هى فى الأصل « مملوكة »

ونقول إن الأصل صحيح وتغييره ليس إلا تحكماً فى توجيه غرض المؤلف

٩ — وفى ص ١١٠ « ليس كل ما فى الدنيا يوزن ، بل فيها ما يوزن وفيها ما يكال وفيها ما يُذرع وفيها ما يُمسح وفيها ما يُحزر » ومن كلام المصححين الفاضلين نفهم أن أصل عبارة التوحيدى « وفيها ما يمسح ويحزر » وأنهما زادا عبارة « فيها ما »

وبذلك نعرف أن دقة المؤلف فى التعبير خفيتْ على المصححين الفاضلين ، وتعبير التوحيدى جيد جداً ؛ لأن ما يُحزر داخل فيما يمسح فلا موجب لتخصيصه فى التفريع

١٠ — وفى ص ١١١ « الأغراض المعقولة والمعانى المدركة لا يوصل إليها إلا باللغة »

ويقول المصححان الفاضلان : « ورد فى الأصل بعد قوله « إلا » جيم وألف وذال وهى زيادة من الناسخ والصواب حذفها »

ونقول إن المصححين الفاضلين لم يفطنا إلى أن كلمة « جاذ » محرفة ، وصوابها « مجاز » ويريد المؤلف أن يقول إن اللغة مجاز أى مَعبَر نصل به إلى المعانى والأغراض

١١ — وفى ص ١٠٩ « الأسماع المصيخة والعيون المحدِقة والعقول الحادة والألباب الناقدة »

ومن كلام المصححين الفاضلين نعرف أن « المصيخة » كانت محرفة فى الأصل ، وأقول يجب أن تصير « مُصغية » ليتم التزاوج بينها وبين « مُحْدِقة » ومن كلامهما نفهم أن العقول الحادّة هى فى معجم الأدباء العقول الجامدة ، وأقول إن الحادة لا تتزاوج مع الناقدة فيحسن أن نقول : « العقول الصامدة ، والألباب الناقدة » والصمود له معنى يتسق مع مراد المؤلف ومع أسلوبه فى إيثار الازدواج

١٢ — فى ص ١٠٦ « ومتى اتفق إنسان بهذه الحِلية »

ويقول المصححان الفاضلان : لعله الجِبلّة ، ونقول إن « الحلية » معناها الصفة ، ولها شواهد فى آثار القرن الثالث والرابع

١٣ — وفى ص ١١٥ « إنك فى هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وصفها وبنائها على الترتيب الواقع فى غرائز أهلها »

ونقول إن « وصفها » محرفة ، والصواب « رصفها » وهى كلمة معروفة فى اصطلاحات الإنشاء

١٤ — وفى ص ١١٦ « فلم يبق إلا أحكام اللغة » والسياق يوجب أن نقرأ « إحكام اللغة »

١٥ — وفى الصفحة نفسها « قبل واضع المنطق » والصواب « قبل وضع المنطق » وقد وردت كذلك فى موطن آخر من

الحوار بين متّى والسيرافى (أنظر ص ١٢٦)

١٦ — وفى ص ١١٧ « فهذا جهلٌ من كل من يدعيه ، وخطلٌ من القول الذى أفاض فيه » والقول صوابها القائل ، كما يشهد السياق

١٧ — وفى ص ١١٩ « فأما وهو يريغ أن يبرر ما صحّ له بالاعتبار والتصفح »

ومن كلام المصححين الفاضلين نعرف أن « يبرر » أصلها « يزن » ونقول إنهما أخطآ فى التصحيح : لأن « يزن » هى الكلمة التى يريدها المؤلف ، وهو قد نص عليها فى بعض المواضع وكلمة (يبرر) بهذا المعنى لا تعرفها اللغة

١٨ — فى ص ١٢٧ « فاعتقد فيه أنه [صحيح وهو] مريض العقل »

ويقول المصححان الفاضلان إنهما زادا عبارة «صحيح وهو» وتلك زيادة يضيع بها غرض المؤلف لأنه يريد أن يقول : إن الكندى اعتُقِد فيه أنه مريض العقل حين جاز عليه التلبيس

١٩ — وفى ص ١٣٤ « بَلَل الريق ، وغزارة النفث » ، والصواب حرارة النفث

٢٠ — وفى ص ١١٦ ضبط المصححان « مسكويه » بفتح الميم ، وكذلك صنعا فى ص ٣٢ والصواب مِسكويه بكسر الميم ، وقد نص عليها صاحب القاموس ، وقال إنها على وزن سِيبويه

٢١ — وفى ص ١٣٧ « ليس للعقل من شعره منال ، ولا له فى قرضه مثال »

ومن كلام المصححين الفاضلين نعرف أن « قرضه » هى فى الأصل « عرصته » وأنا أفضّل أن تبقى هذه اللفظة كما وردت فى الأصل ، ثم نقول « مثال » فى مكان « منال » ونقول « مجال » فى مكان « مثال » فتصير العبارة هكذا :

« ليس للعقل من شعره مثال ، ولا له فى عرصته مجال »

وهى أدل على المراد مما اختاره المصححان الفاضلان ، أجزل الله لهما الثواب

٢٢ — وفى ص ١٣٨ « وكان عجبى منك دون عجبك منى ، لو تقارعنا على هذا لفلجت عليك »

وكلمة « دون » صوابها « فوق » وتنقل الواو فتصير العبارة :

« كان عجبى منك فوق عجبك منى ، ولو تقارعنا على هذا لفلجت عليك »

٢٣ — وفى ص ١٣٩ « لكنه يفرص فيحزّ ، ويَشِمُ فيهز »

وكلمة « يَشِمُ » من الغلط القبيح ، والصواب « يَسِمُ » من الوسم وهو الكىّ ، بدليل قوله بعد ذلك « ويجرح فيُجهز »

٢٤ — وفى ص ١٤١ « وأما النصيبى فدقيق الكلام » و « دقيق » خطأ ، والصواب « رقيق » ورقة الكلام هى ضعف الدين بدليل قول المؤلف فى النصيبى :

« يشكّ فى النبوّات كلها » والعقيدة الصحيحة يسميها التوحيدى « الدين التخين » انظر ص ١٣٣

٢٥ — وفى الصفحة نفسها « إلا أنه يأبى لابن عباد فى سمته ولزوم ناموسه حتى خف عليه » والسياق يوجب أن نقول « تأنّى » فى مكان « يأبى » والتأنى هو التلطف

٢٦ — وفى ص ١٤٢ « إن كثيراً من الذين لا يكتبون ولا يقرأون ولا يحتجون ولا يناظرون ولا يُكرَمون ولا يفضّلون خيرٌ من هذه الطائفة »

ومن كلام المصححين الفاضلين نعرف أن « لا يُكرَمون ولا يفضّلون » أصلها « يلزمون ولا يتفضلون »

وأقول إن الصواب « ويُلزَمون ولا يَفصِلون » والمعنى أنهم يُلزَمون الحجة ولا يستطيعون الفصل ، وهو الحكم والتمييز بين دقائق الأغراض

٢٧ — وفى ص ١٤٣ « وتَحِيلَ الحالَ به عند خوضك وفيضك »

كذلك ضبط المصححان عبارة « تَحِيلَ الحال » والمعنى غير واضح ، وأنا أحب أن تكون « وتُجيل المَحال »

والمحال بفتح الميم هو الحيلة ، وهو يتسق مع المراد

* * *

أما بعد فهذه سبع وعشرون ملاحظة قيدناها عند قراءة « الليلة الثامنة » من كتاب الإمتاع والمؤانسة ، وفى هذا الفصل نفسه أشياء سكتنا عنها لأنها قليلة الأهمية

وهذه الملاحظات خليقة بأن تصلح ما بيني وبين الأستاذ أحمد أمين ، فإن لم تكف للإصلاح فسأراجع الكتاب كله

ولكن أين الوقت ؟

الوقت عند صديقنا الدكتور بشر فارس ، وهو قد عزم على مراجعة كتاب التوحيدي ، وأنا أنتظر أن يكون بحثه أوفى وأشمل ، لأنه يملك من الفراغ ما لا أملك

***

بقيت كلمة عن الأستاذ أحمد الزين وهو المسئول الأول عن تصحيح هذا الكتاب :

ألا يرى هذا الصديق أن بعض التصحيحات غلب عليها الارتجال ؟

وإلا فكيف جاز أن يكون الصاع من صاع ؟ وكيف جاز أن يكون الديان بمعنى الناسك أمراً غير معروف ؟

وأمثال هذه الأغلاط تشهد بأن الأستاذ أحمد أمين لم يشترك فى التصحيح بطريقة جدية ، لأن من كان فى مثل علمه وفضله لا يخطئُ فى هذه البديهيات

***

وفى ختام هذا البحث أعتذر للقراء من محادثتهم فى شؤون لا يدركها غير من يملك نسخة من كتاب الإمتاع والمؤانسة ، فلولا الثقة بأنهم لن يضنوا على أنفسهم بنسخة من هذا الكتاب لطويت عنهم هذه الملاحظات

وذلك إعلان ننشره فى « الرسالة » بالمجان مراعاةً للتضامن الأدبى بين المؤلفين والناشرين ، فهل يكون القراء عند الظن الجميل فيُقبلوا على اقتناء هذا الكتاب ؟

إن ثمنه لا يزيد على ثمن أربع عُلب من السجاير المصرية ، فأين من يفكر فى متعة العقل كما يفكر فى مُتعة الحس ؟ سارعوا إلى اقتناء الكتب الجيدة لتعرفوا أن العرب لهم أذواق وعقول

زكى مبارك

البغــــاء فى أوربا

للمستر أبراهام فلكسندر

بقلم الأستاذ عبد اللطيف حمدى

سندرس موضوع البغاء فى الصحائف التالية على أساس التجارب العلمية فى الأمم الأوربية . وسينصرف الجهد إلى تحقيق أنواع الدعارة ومدى انتشارها والأسباب التى تزيدها اتساعاً أو تضيق من مجالها ، وإلى تحقيق الجهود التى تبذلها الهيئات المختلفة حيال هذه الرذيلة والوسائل التى اتخذت إما لمحاربتها وإما للاشراف على تنظيمها والنتائج التى أسفرت عنها هذه الجهود

وسيضاف إلى هذه التحقيقات نتائج بحث شخصى وتحريات وملاحظات فى المدن الكبرى من انكلترا وايقوسيا وفرنسا وإيطاليا وسويسرا والسويد وألمانيا والنمسا والمجر وسائر الأقاليم التى يطلق عليها اسم أوربا الغربية والتى يشتد التشابه بين بعضها وبعض فى حياتها الاجتماعية ومُثُلها الوطنية العليا ومناهدها السياسية

ولكن القوانين فى تلك الأمم نفسها ليست متجانسة المواقف حيال مسألة البغاء ؛ ومن أجل ذلك اختلفت الآثار المترتبة على هذه القوانين بين بعضها وبعض اختلافاً بيناً ، فنى البعض أدت إلى كبح قوى ، وفى البعض الآخر أدت إلى زيادة انتشار الرذيلة نفسها . على أنه بالرغم من اختلاف هذه المظاهر فقرار هذه الرذيلة متشابه من حيث المنشأ بحيث تصلح الوسيلة المختارة للعلاج فى رأى هذا الكتاب لجميع هاته الأمم ، ولن نتجاهل فى أثناء البحث وجوه الاختلاف وإن تكن وجوه الخلاف نفسها دالة على وجوب اتخاذ وسائل متوافقة لمناهضتها ، فإن البحوث الحديثة أسفرت عن تطابق بين هذه الأسباب إلى درجة أكثر مما كان مفترضاً . فأمر البغاء ينطبق عليه المثل القائل « لا جديد تحت الشمس » أكثر من انطباق هذا المثل على أى أمر آخر . كما دلت الكتب التى خلفتها القرون الوسطى فى شأن البغاء على تطابق عجيب فى حالة هذه الرذيلة بين تلك العصور وبين العصور الحاضرة

وإن وجوه الخلاف التى سبقت الإشارة إليها فى الأمم التى ذكرناها إما بشأن وجوه النظر فيها وإما فى حالة انتشار المرض وإما فى السياسة التى تتبع حيالها — إن وجوه الخلاف هذه آخذة فى سبيل الاضمحلال والتلاشى ، فقد قرّب ما بين مختلف الأمم انتشار الأفكار الديمقراطية وتوطد الحكم الديمقراطى . ولئن اصطحب ذلك تمديل فى القواعد الخلقية ، وبخاصة بعد أن شاع مبدأ التساوى بين الجنسين ، فإن التأمل الحصيف يوجب سلوك مسلك متشابه بين هاته الأمم قائم على اعتبارات إنسانية أساسية ، وإن الذى يدرس هذا الموضوع الخاص الذى نشتغل بدراسته الآن ليدهشه اتفاق المظاهر أكثر مما يسترعى نظره اختلاف البيئات المحلية أو الاعتبارات الأهلية فى موضوع التحقيق الذى بدئ به فى جلاسجو وختم فى بودابست

ومن أهم ما يلاحظه الناظر فى هذا الموضوع عن بعد أن الدعارة فى أوربا الغربية قد تطورت فى مدى القرون القليلة الماضية على نظام واحد بين أممها المختلفة . وليس ذلك بدعاً ، فإن مدى انتشار هذه الرذيلة مرتبط بمقدار اتساع المدن لأنه بعض ظواهر المدنية ، وقد كانت المدن فى أوربا الغربية فى العصور الوسطى كلها مدناً صغيرة . أما المدن الكبرى فى تلك العصور فقد كانت كلها إسلامية ، فقد كان عدد السكان فى كل من القسطنطينية وبغداد والقاهرة يربى على المليون . وكانت كل من اشبيلية وقرطبة تربو فى عدد سكانها على نصف المليون فى حين كانت باريس لا يكاد يصل عدد سكانها إلى ٢٠٠ر٠٠٠ وفينا ٥٠ر٠٠٠ ولوندرا ٣٥ر٠٠٠ وكولونيا ٣٠ر٠٠٠ وهامبورج ١٨ر٠٠٠ ودرسدن ٥ر٠٠٠ . أما المدن التى لا تتصل بمواصلات مائية فلم يكن عدد السكان فى إحداها لتزيد على ٢٥ر٠٠٠ . وكثير جداً من المدن التى تعتبر الآن ذات أهمية لم يكن عدد سكانها فى القرون الوسطى يزيد على ٥٠٠٠ . وما من شك فى أن اتساع المدينة يؤثر فى صبغة مدنيتها ويكيف طبيعتها ، فإذا نظرت إلى تاريخ الدعارة فى أوربا فى القرون الوسطى وجدت أن معظم مدنها إذ ذاك لم يكن إلا قرى يعرف بعض أهلها بعضهم الآخر ، وكان كيان الأسرة لا يزال سليماً . ولقد يقال إنه كان فى المدائن غرباء كالصليبيين والحجاج والجيوش ولكن جموعهم لم تكن كثيفة وعلى أية حال فقد كان الغرباء معروفين كذلك كالأهلين . وكانت الدعارة فى العصور الوسطى ذات نوعين أساسيين : نوع مستوطن ونوع متجول . أما الأول فيشمل العاهرات المقيمات أو المترددات على مساكن معدة للدعارة ، وقد لا تكون الإقامة على صورة نظامية

وهذه البيوت تدعى بالمواخير . وأما النوع الثانى فكان من المتشردات اللواتى يلحقن على صورة غير رسمية بمعسكرات الجيوش التى كانت فى تلك العصور كثيرة التجوال فى القارة . أو اللواتى يلحقن كذلك على صورة غير رسمية بالطبع برجال الطوائف الدينية المجتمعين فى مجوالهم الموسمى وفاء منهن لنذور نذرنها . ولكن على أية حال فإن العاهرة كانت امرأة موسومة فى العصور الوسطى التى امتازت بقلة عدد السكان فى مدنها وما كان لينتفى هذا الوسم سواء بين المستوطنات أو المتجولات . وحتى لو أن إحداهن كانت تزاول رذيلتها سراً فسرعان ما تتلوث سمعتها وتوصف بالخطر، وبخاصة إذا كانت محترفة لأنها فى هذه الحالة تكون مميزة بشكل ثيابها ومظهرها ومسكنها وطبيعة حياتها الخارجية، وكان الفارق فى العصور الوسطى شديد الوضوح بين المرأة الشريفة والمرأة الداعرة

أما فى العصور الحاضرة فالتناقض بَيِّنٌ من هذه النواحى فالمدن كبيرة وقد أضيفت إليها لأغراض عملية ضواح تقوم منها مقام الحواشى المزركشة ، فالفروق المتعلقة بالكمية بين المدينة فى العصور الوسطى وبين المدينة فى العصور الحديثة قد رتبت فروقاً متعلقة بالكيفية فى أمر البغاء

فى أواخر عهد بابل أصبح نظام الأسرة يسمح بأن يتصل بها ألوف من الناس تتفاوت درجات الصداقة بينهم كما يختلف الشعور بالمسئوليات نحوها وفيهم الفتيات والفتيان ومعظمهم فى ظروف تقضى على الأخلاق بالانحلال

ولقد أصبحت المدن الكبرى فى العصور الحديثة فى حالة أشد تعقداً بسبب المهاجرة إلى باريس وبرلين ولوندرا إما للاتجار وإما للهو وإما للشغب

أما فى الأوساط الضيقة المحيط فإن كيان الجماعة فيه لا يزال على سذاجته ، فأفراد هذا المجتمع معروف بعضهم لبعض ومطالبهم المشتركة ومثلهم الأخلاقية العليا تخضع لتقاليد واحدة أو متقاربة من شأنها أن تسيطر على الأعضاء الضعفاء من هذا المجتمع . وفضلاً عن ذلك فإنه مهما يكن وصف هؤلاء الأفراد فإن بعضهم معروف لبعض

وأما فى المدن الحديثة، وكل منها بابل عصرية وهى التى أتحدث عنها الآن ، فإن الفرد فيها لا يعرف جيرانه الأدنين . وهنا تشتد وسائل الإغراء بقدر ما تضعف وسائل الكبح والمنع فالأحوال ليست تقف عند الحد الذى يقل فيه الشعور بالمسئولية بل قد تصل إلى حد ارتفاع هذا الشعور

ومن هذا يتبين أن مجرد زيادة العدد فى مدينة من شأنه أن يقلل إمكان التقسيم بين رجالها ونسائها إلى طبقات من حيث العفة أو الرذيلة . ومن شأنه أيضاً تجهيل ماضيهم الخلقى وهذا فارق أساسى عظيم فى موضوع الدعارة بين العصور الوسطى وبين العصر الحاضر، فقد كانت فى العصور الوسطى محدودة واضحة وهى الآن لا بالواضحة ولا المحدودة

وثمت حقائق لهامن الوجهة العملية أهمية لايستطاع جحودها فالمدينة التى فيها ثلاثون امرأة عاهرة وعدد سكانها ٣٠٠٠ تبدو كأن النسبة متجانسة فيها مع المدينة التى فيها من العاهرات خمسة آلاف وعدد سكانها نصف مليون . وذلك لأن النسبة المئوية فى الحالتين هى واحدة فى المائة . ولكن ضخامة العدد على الرغم من الاحتفاظ بالنسبة المئوية تؤدى إلى خلاف جسيم بين أمر الدعارة فى المدينتين، فإن الاجراء الذى يتخذ لمناهضة الدعارة ضد ثلاثين عاهرة فينجح لا بد من حبوطه إذا هو اتخذ ضد خمسة آلاف عاهرة فى مدينة كبيرة . وكذلك تتغير المسألة من النواحى الاقتصادية والإدارية والصحية إذا زاد العدد على حد معين

(يتبع) ترجمة عبد اللطيف حمدى

الفروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

كان كاتل[1] السيكلوجى الأمريكى الشهير معاصراً لجولتن ومن تلاميذه وأتباع مذهبه وقد بحث باستيعاب موضوع الفروق السيكلوجية . درس كاتل فى معمل جولتن بلندن ، كما درس علم النفس التجريبى على يد ڤنت Wundt الألمانى فى معمل علم النفس الذى أسسه فى ليبزج Leipsig وتأثر به

وتعتبر تجارب جولتن وكاتل أول مجهود علمى بذل فى موضوع الفروق الفردية . ويحدثنا البرفسور ثورنديك[2] تلميذ كاتل عن أستاذه فيقول « هذب أستاذى كاتل من طرق جولتن التى استعملها فى قياس الفروق السيكلوجية بين الأفراد ، وحاز اعتراف العلماء بما ابتكره من مقاييس القوى العقلية المختلفة . وبذلك جعل دراسة الفروق السيكلوجية فرعاً مستقلاً من فروع علم النفس . وكانت أبحاثه فى الفروق العقلية ومقاييسها أول حلقة من سلسلة حلقات البحوث التى توالت بعد ذلك فى السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر . وبذلك وضع كاتل مقدمة موضوع السيكلوجية الفردية Psychology Individual »

ويعزى إلى كاتل أنه أول من وضع اصطلاح « المقاييس العقلية » Mental tests . وذلك فى سنة ١٨٩٠ حينما طبع ملخصاً لتجارب مقاييس[3] الذكاء التى أجراها فى معمله بجامعة بنسلفانيا

وكانت تجارب كاتل التى أجراها لمعرفة الفروق السيكلوجية منصرفة لقياس الذاكرة ، والمخيلة ، وحدة البصر والسمع ، ومقارنة الألوان والمفاضلة بينها ، والدقة فى إدراك الأصوات والأوزان ، والإدراك الزمنى ، ودقة إحساس الألم ، وسرعة الإدراك الذهنى ، وسرعة الحركة ودقتها وتكييفها ، وزمن الرجع أو رد الفعل Reaction time

وأهم ما يوجه من انتقاد إلى هذه التجارب التى أجراها كاتل أنها أولاً : إنما تقيس فقط العمليات العقلية البسيطة كالذاكرة مثلاً ، أو المخيلة ، أو قوة الإدراك . وثانياً : إن الطرق الإحصائية التى استخدمت مع هذه التجارب لم تكن مضبوطة ومطردة بحيث تعطى نتائجها حكماً صحيحاً على ذكاء الأفراد . وإذا فلا يمكن الاعتماد عليها فى معرفة الفروق العقلية

أثار كاتل باستخدامه زمن الرجع ضمن مقاييس الذكاء اهتمام معاصريه ومن تبعه من العلماء حتى أصبح زمن الرجع مقياساً لقدرة الفرد على التمييز والاختيار وسرعته فيهما . وتستعمل لذلك آلة كهربائية خاصة يتصل بها مسجل الزمن Chronometer . ويجلس المختبَر أمام هذه الآلة ، ويطلب إليه المختبِر أن يضغط على زر خاص فى الآلة إذا رأى علامة خاصة كعلامة X أو علامة O مثلاً . ويثبت « مسجل الزمن » الفرق بين ظهور هذه العلامة وبين ضغط الزر ، أى الزمن الذى استغرقه الفرد من حين رؤية العلامة إلى أن يحدث رد فعل منه (أو رجع) لهذه الرؤية بضغط الزر . ومثل هذه التجربة تجرى فى قياس زمن الرجع السمعى أو اللمسى ، أى الذى تكون فيه العلامة شيئاً يسمع أو يلمس . وقد تكون التجربة أكثر تعقيداً فيطلب من المختبَر مثلاً أن يضغط الزر (ا) إذا كانت العلامة المعروضة X ، والزر (ب) إذا كانت العلامة O ، وبذلك يكون على المختبَر أن يميز أولاً العلامة وأن يختار ثانياً الزر المناسب لها

وبالرغم من شيوع تجارب زمن الرجع وتنوعها وتسجيل نتائجها لم يوجد بينها وبين الذكاء من التلازم الاطرادى إلا القليل بمعنى أنه لا يلزم أن يكون الذكاء أكثر كلما كان زمن الرجع أقصر . والواقع أننا لا نجد الآن بين مقاييس الذكاء الحالية مقاييس زمن الرجع التى استخدمها كاتل

ويعود كاتل فيعترف بأن مقاييس زمن الرجع ، ومقاييس الإدراك الحسى وغيره من الخواص الفردية ما قصد بها فى الأصل قياس فروق الذكاء بين الأفراد ، وإنما استخدمها لأنها تدخل ضمن موضوع علم « طبائع البشر » Anthropology الذى كان معنياً بدراسته

(١) J. Mck. Cattell ولد سنه ١٨٦٠

(٢) E. L. Thorndike أستاذ علم النفس فى جامعة بنسلفانيا وكرلمبيا

(٣) أنظر Mind الجزء ١٥ سنة ١٨٩٠ صفحات ٦٧٣ — ٣٨١

وعلى أية حال فقد كان لبحوث كاتل فى الفروق الفردية أثر واضح فى اتجاه التفكير العلمى . ففى سنة ١٨٩٥ عينت « الجمعية السيكلوجية الأمريكية » لجنة لتعمل على إيجاد الصلات والتعاون بين معامل علم النفس الأمريكية لكى تجمع المعلومات الممكنة عن الصفات العقلية والجسمية المختلفة للأفراد ، وتدرسها درساً علمياً إحصائياً . وكان كاتل عضواً فى هذه اللجنة . وكذلك عنيت معاهد التعليم بمعرفة الفروق السيكلوجية بين الطلبة وقياسها ففى سنة ١٨٩٩ أجرت جامعة شيكاغو تجارب لقياس ذكاء طلبتها وميولهم الخلقية Character

لم تكن دراسة الفروق السيكلوجية بين الأفراد — بطبيعة الحال — قاصرة على انجلترا وأمريكا ، فإنا نجد فى فرنسا عدة محاولات لمعرفة أثر كل من البيئة والوراثة فى الفرد ، كتلك المحاولات التى قام بها جولتن فى انجلترا ، فقد ظهر عدد من الكتب حول هذا الموضوع منها كتاب « تاريخ العلم والعلماء خلال القرنين الماضيين[١] » درس فيه المؤلف حياة كل عالم وأسرته وبيئته والعوامل التى أثرت فى تكوينه . وكتاب « العلاقة بين الوراثة وانتخاب الأصلح من البشر[٢] » ، وكتاب « أصل عظماء الرجال ، ورجالُ الأدب الفرنسى المعاصرون[٣] »

عالج كاتل أيضاً ضمن ما عالج من بحوث — أثر البيئة والوراثة فى إيجاد الفروق بين الأفراد . ففى سنة ١٩٠٦ كتب فى مجلة « العلوم » Science موضوعاً تحت عنوان « بحث إحصائى فى حياة رجال العلم الأمريكيين[٤] » ذكر فيه أماكن ميلاد ألف من العلماء البارزين وأماكن إقامتهم وعوامل الوراثة فى حياتهم وعوامل البيئة وإنتاجهم

وقد أثارت النتائج التى وصل إليها عجب القراء . فقد وَجد أن عدد العلماء فى ولاية ماساشوستس ٨ر١٠٨ فى كل مليون من السكان ، بينما هم ٩ر٨٦ فى كل مليون فى ولاية كونيكتيكوت ، و ٤ر١ فى كل مليون فى ولاية لويزيانا ، و ٣ر١ فى ولاية ميسيسبي واستنتج من هذا الإحصاء « أن هذا التوزيع النسبى غير المنتظم لرجال العلم بين الولايات يدل دلالة قوية على أن الاستعداد العلمى Scientific ليس وراثياً كما قال جولتن وبيرسُن ، وليس من المعقول أن ثمة فروقاً وراثية كبيرة بين الأسرات فى الولايات المختلفة نتيجتها هذا الفرق النسبى الكبير بين عدد رجال العلم الذى قد يبلغ فى ولاية مائة مرة عددهم فى ولاية أخرى . صحيح قد يكون لجنس الزنوج أثر وراثى فى ذلك ، ولكن الإحصاء لا يثبت ذلك ويظهر أن العوامل الأساسية فى المواهب العلمية والإنتاج الفكرى هى الثروة ، وازدحام السكان ، والفرص الاجتماعية ، والمؤسسات العلمية ، والتقاليد ، والمثل العليا للجماعات ، وقد يمكن إرجاع كل هذه العوامل فى النهاية إلى الوراثة الجنسية[١] ، ولكن هذا لا يمنعنا من القول بأننا إذا أخذنا أى جنس فإنه من الممكن بتسليط العوامل البيئية عليه أن نزيد فى عدد ذوى المواهب العلمية كما نشاء ، وإن كان هذا ليس معناه أننا نستطيع تحسين هذه المواهب . إن الحقيقة المشاهدة هى أنه لا يوجد فرق كبير بين مقدرة العالم فى هذه الولاية ، ومقدرة العالم فى الولاية الأخرى . ومعنى هذا أن الإنتاج العلمى هو أثر من آثار البيئة لا الوراثة » . ثم يقول فى مكان آخر « والرأى عندى أن أنواع المواهب والخلق إنما هى وراثية ، أما الاتجاهات التى تأخذها هذه المواهب ، فإنها خاضعة لتأثير البيئة »

وبالمقارنة بين مذهب كاتل ومذهب جولتن وبيرسن نجد أن الأول يرى أن الظروف والبيئة لها أهمية كبرى فى الإنتاج العلمي Scientific achievement ، وأن عامل الوراثة فقط لا يكفى لتعليل النبوغ العلمى . نعم يعترف كاتل بالوراثة وأنها البذرة الأولى التى تحمل معها خواص الفرد ، ولكنه يؤكد أن الفروق الفردية التي تظهر فى الإنتاج والابتكار والخلق إنما هى من صنع البيئة

وفى سنة ١٩١٥ نشر كاتل بحثاً جديداً عنوانه : « أسرات العلماء[٢] الأمريكيين » ، واستخلص فى بحثه هذا أن ٤٣٪

---

(١) Histoire des Sciences et des Savants depuis Deux Siècles, par de Candolle

(٢) Etudes sur la Sélection dans ses Rapports avec l'Hérédité chez l'homme par Jacoly, 1881

(٣) Genèse des Grands Hommes, Gens de lettres Modernes par Odine, 1895

(٤) Statistical study of American men of Sciencs

---

(١) المقصود بالوراثة الجنسية Racial heredity وليس المقصود هنا الذكر أو الأنثى

(٢) Families of American men of Science

من آباء هؤلاء العلماء كانوا من الموظفين وذوى الحرف غير اليدوية وأن ٧ر٣٥٪ من التجار والصناع ، وأن ٢ر٢١ من الزراع . ويعلق كاتل على هذا الاحصاء فيقول : لو أن ظروف الحياة الاجتماعية ، والفرص التربوية خاصة ، كانت متشابهة بين هذه الطبقات الثلاث لكان توزيع النسبة المئوية لرجال العلم متعادلاً ، ولما وجد ذلك الفرق بين رجال طبقة وأخرى . ولا يمكن أن تكون الوراثة هى التى أوجدت هذا التوزيع ، لأن معظم سكان القارة الأمريكية كانوا منذ قرنين من مستوى واحد تقريباً جسمياً وعقلياً . ويؤيد رأى كاتل هذا إحصاء آخر عمل سنة ١٩٣٢ ظهر فيه أن أقل الولايات علماء Scientists أكثرها تأخراً فى التعليم

وقد اقتفى أثر كاتل غيره من علماء النفس ، فاستخدموا مقاييسه وأخرى شبيهة بها فى معرفة الفروق السيكلوجية للأفراد ومعظمها لقياس الإدراك الحسى وسرعة الحركة والقدرة على تكييفها

ومن هؤلاء العلماء جاسترو Jastrow الذى انتهز فرصة معرض شيكاغو العالمى الذى أقيم سنة ١٨٩٣ فاستأجر (كشكا) وجلس فيه يجرى بعض الاختبارات على من يقدم إليه نفسه من زوار المعرض . وكذلك أجرى جلبرت Gilbert بعض الاختبارات على بعض تلاميذ المدارس وطلبة الجامعات . فقاس الطول والوزن والقوة الرئوية ودقة الإحساس وزمن الرجع والذاكرة والتأثر بالإيحاء ؛ وقارن نتيجة هذا كله بآراء المدرسين . ونشر فى ذلك بحثين الأول سنة ١٨٩٤ بعنوان « بحوث فى النمو العقلى والجسمى لأطفال المدارس[1] » والثانى سنة ١٨٩٧ بعنوان : « بحوث سيكلوجية فى أطفال المدارس وطلبة الجامعات[2] »

عبد العزيز عبد المجيد
(بخت الرضا) السودان

(١) Researches on mental Physical Development of School Children

(٢) Researches upon School Children & College Students

كتاب «الدين الاسلامى»

عودة الى الموضوع فيها ايضاح لعلمائنا وبيانه

للأستاذ على الطنطاوى

أما والله لولا اعتقادى بأن شباب المسلمين هم أحوج اليوم إلى هذا الكتاب منهم إلى الخبز الذى يأكلونه والهواء الذى يتنشقونه ، ما عدت إليه بعد إذ تكلمت فيه ، ولا ألححت عليه (هذا) الإلحاح ، بعد أن وجدت من علمائنا (ذلك) الإعراض .

وإنى لأومن بما أقول ، لا أبالغ ولا أغلو ، وإن بالهواء والخبز لحياة الشاب فى هذه الدنيا ، ولكن بهذا الكتاب حياته فى الأخرى وما الدنيا فى الآخرة إلا هباء ، ولا يؤثر الفانية على الباقية إلا جاهل أو غافل . ولو أن علماءنا داخلوا الشباب وخالطوهم وأخذوا منهم وأعطوهم ، لوجدوا الكثرة منهم تجهل المعلوم من مبادئ الإسلام وتنكر المعروف من أحكامه ، ولوجدوا فيهم من لا يعرف إذا أراد الصلاة كيف يصلى ، وفيهم من لا يفرق بين كلام الله والثابت من حديث رسوله ، وشروح الأئمة المعتبرين ، وبين كلام المشعبذين والدجالين ، ويضع ذلك كله فى سطر واحد فيقرؤه جملة أو يطمسه جملة ، ثم لا يعمل بشىء منه ، ولا يراه لازماً له فى حياته ، ولا مرافقه فى غدواته وروحاته ، ولا يدخله فى عداد الأمور الجدية التى يوليها عنايته ويجعل فيها همه ... وإذا تكلم أحدهم فى الدين . صلته بالحياة أو مساسه بالسياسة ، أعاد ما حفظ من أقوال الأوربيين والنافخين فى مزاميرهم من الشرقيين

ولقد غدا من المفهوم المشهور الذى لا يحتاج إلى إيضاح أن هؤلاء الشبان لا يمكن أن يقرءوا كتب الفقه والتفسير والحديث ولو طبعتها لهم على ورق أبيض . فأخرجتها عما ينبزونها به من أنها (كتب صفر ...) ولا يمكن أن يدخلوا المساجد فيستمعوا فيها درس العلم ، أو يحضروا مجالس الوعظ ، لأنهم نفروا منها وأبعدوا عنها ، ولا يمكن أن يتعلموا علوم الدين فى مدارسهم (النظامية) الرسمية ، لأن القائمين عليها ، فى مصر والعراق والشام لم يقتنعوا إلى اليوم بأن للدين علوماً محترمة تستحق أن تضيع فى درسها سبع ساعات فى الأسبوع ، ولم يروا فى علوم الدين ما هو أهل ليعنى به كعنايتهم بالرسم والغناء ، ونسوا أو هم لم يعلموا أن من الأوربيين من يهتم بهذه العلوم ويرفع من قدرها ، ويعلى مكانها ، وأن رجلاً جرمانياً اسمه (برتزل) قدم علينا الشام منذ سنوات ، فعرفنا بنفسه ، وأرانا بطاقته وإذا هو قد كتب عليها (فلان : متخصص بقراءة القرآن) يفخر بذلك ويعتز به ، وسأل عن الذى طبع كتاب (النشر فى القراءات العشر) فلما لقيه أكبره وعظمه ، وعلمنا بعد أنه ملم بعلم القراءة عارف برواياتها ، وقارئ للقرآن ، ناشر لكتب فى هذا العلم عدة ، ومن شباننا من لا يعرف ما الإدغام وما الاخفاء ، وما المخارج وما الأداء ، ويرى اشتغاله بذلك ذلة له لأنه لا يشتغل به (على ما أفهموه ...) إلا رجعى غير متمدن ، وشيخ جامد ... وأمثال (برتزل) أكثر من أن يحيط بهم حصر

* * *

أصبحت الحملات على الإسلام منظمة مرتبة قوية ، تأتيه من كل صوب ، وتهاجمه من كل ناحية ، من ناحية الأخلاق بنشر الفسوق والخمور ، وتهوين أمر العرض ، ونشر أدب الشهوة ، وصور العراة ، ومن ناحية العبادات بصرف الناس عنها ، والتزهيد فيها ومن ناحية العقائد بإدخال الشكوك عليها ، ووضع الشُّبَه من حولها ومن ناحية العلم ، بإبعاد الناشئة عن علوم الإسلام ، بصرفهم عن كتبه ، وتحقير علمائه فى أنظارهم . فماذا فعل علماؤنا حيال ذلك كله ؟

لا أشك فى جلال العمل الذى قام به الشباب فى مصر والشام ولا أبخسهم قيمتهم ، ولا أهمل ذكر جهادهم ؛ وإن للاخوان المسلمين فى مصر ، والشبان المسلمين فى مصر وفى غيرها ، ولشبان الأزهر ، وشباب محمد ، والتمدن الإسلامى فى الشام : (دمشق

وحلب وبيروت) وأمثالهم ممن اختصرت فلم أذكر، أو جهلت فلم أعلم، إن لهم بما عملوا لذكراً فى الناس ومجداً، وثواباً عند الله وأجراً ...

ولكن كلامى هنا عن (كبار العلماء) ماذا عملوا فى رد هذه الحملات؟

أو أقل من أن يؤلفوا للشاب المسلم كتاباً يعرف به دينه إذا ألهمه الله الرجوع إلى الدين، وخلصه من كيد الشياطين؟

***

لقد فهمت من الرسائل الكثيرة التى جاءتنى تبحث فى فكرة تأليف الكتاب أن الذى يمنع العلماء من تأليف هذا الكتاب أن عندهم علوماً متميزة، وفنوناً متباينة، فهم لا يدرون أيجعلون الكتاب فقهاً أو حديثاً، أو أصول فقه، أو مصطلح حديث؟

وهذه إن تكن هى (العلة) فإن عندى (دواءها) الذى يشفيها بإذن الله:

يقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب كبار: باب العلم، وباب العمل، وباب الاعتقاد

ففى (باب الاعتقاد) يبين للشاب كل ما يجب عليه الإيمان به بأسلوب (عصرى) بيّن، بعيد عما أحدث من الخلاف، يعرض فيه عرضاً لأهم الشبه التى تتردد كثيراً فيجاب عنها جواباً حاسماً باتًّا، ويكون (مقصد) هذا الباب تكليف الشاب بالإيمان بما لا يكفى أقلّ منه للنجاة فى الآخرة. وهو الذى جاء فى الكتاب والحديث المتواتر الذى يفيد العلم، أما ما لم يثبت بالتواتر كنزول المسيح، وظهور الدجال، ولا يكفر منكره، فلا يبحث فيه فى هذا الكتاب

وفى باب العلم يلخص له الأصول والمصطلح مع طرف من علوم القرآن، ويكون على فصول:

الفصل الأول: فى الأدلة مجملة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وبيان منزلة العقل من الشرع، وأن الحسن ما رآه الشرع حسناً، وأن العقل شارح لا شارع

الفصل الثانى: فى القرآن: نزوله وجمعه ومكيّه ومدنيّه، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه (مع بيان أن النسخ الذى هو إبطال الحكم السابق وإلغاؤه بالمرة قليل جداً) وحكمة النسخ، وإعجاز القرآن، من جهة عجز فصحاء العرب (الفعلى) عن محاكاته، ومن جهة ألفاظه وأسلوبه، وعلاقته بالشعر والنثر العربيين، ومن جهة إخباره بالمغيبات، وإشارته لبعض نواميس الكون التى لم يكن يعرفها على عهد محمد بشر على ظهر الأرض، ومن جهة إحاطته بكل شىء وأن فيه الإيمان والعلم والقانون والأخلاق مع أنه ليس كتاب تاريخ ولا علم، وما أراد التقصى وإنما ضرب الأخبار أمثلة، وأمر بالنظر فى نواميس الكون لإدراك عظمة الخالق، ـ والتفسير والمفسرين وطبقاتهم، والتلاوة والأحرف السبعة والقراءات السبع وأنها ليست هى الأحرف السبعة وإنما هى على حرف واحد، وعربية القرآن وترجمته، وأن ترجمته غير ممكنة لمكان المتشابه منه، ولأن الترجمة لا تمكن فى بليغ الشعر فضلاً عن القرآن لأنها تفقده أحد عنصريه، وهو (موسيقية) الألفاظ ـ ثم تشرح آيات من القرآن

والفصل الثالث: فى الحديث، المتن والسند، ورجال الحديث وأقسامه المتواتر والمشهور والصحيح وما دون الصحيح، والمرفوع والموقوف والمرسل، وعن تدوينه وكتبه وما يوثق به منها، وتصح الرواية عنه مع شرح نماذج منه

والفصل الرابع: فى الاجتهاد، معناه وشروطه، وكبار المجتهدين، وأسباب الاختلاف بينهم، وكون الاختلاف فى تأويل آية أو فهم حديث، لا فى الأصول، وحكم التنقل بين المذاهب

والفصل الخامس فى الإجماع وفى شرح القواعد الفقهية العامة: كالموادّ التى فى صدر مجلة الأحكام الشرعية التى يفهمها الناس على غير وجهها، فيحسبون أن قولهم: (لا ينكر تغيّر الأحكام بتغيّر الأزمان) معناه تبديل كل حكم، مع أن الحكم الثابت بالقرآن والسنة الصحيحة القطعية لا يمكن تبديله. وفى المجلة أيضاً أنه (لا مساغ للاجتهاد مع ورود النص)

والفصل السادس فى ميزة الإسلام ونظره إلى السياسة والقوانين والإدارة والأخلاق

و (مقصد) هذا الباب أن يعلم الشاب قارئ الكتاب كل ما ينبغى للمسلم أن يكون عالماً به باختصار ووضوح ، وبعد عن المصطلحات العلمية على الأسلوب الذى يدعونه اليوم بتبسيط العلم أو تعميمه

الباب الثالث فى الأعمال ويشتمل على فصول :

الفصل الأول : حقوق الله على العبد ، ويكون تلخيصاً لباب العبادات من الفقه بشرط أن تذكر كيفية العبادة وفائدتها من غير تفصيل لسننها وواجباتها وفرائضها ومكروهاتها ومبطلاتها ، وأن تقرن بما ورد فى الترغيب فيها والترهيب من تركها

الفصل الثانى : حقوق النفس ، كنحو تحريم الانتحار والإقدام على التهلكة ، وإضعاف الجسم ، وفضيلة السمو بالنفس عن الأخلاق المنحطة ، والأدواء الباطنة

الفصل الثالث : حقوق الأسرة ، كنحو حق الوالدين والأولاد والزوجة والأخ وفقراء الأسرة

الفصل الرابع : حقوق المسلمين ، من نحو عيادة المريض منهم ومساعدة الضعيف ، ونصيحتهم وحرمة غيبتهم والنميمة بينهم الخ .

الفصل الخامس : حقوق غير المسلمين ، من نحو إحسان معاملة الذمى وحفظ ماله ونفسه وضمان حريته التى هى له ، والوفاء لذى العهد من المحاربين ، واحترام المبادئ الإسلامية الإنسانية فى الحرب

الفصل السادس : حقوق الوطن ، من نحو احترام المصلحة العامة ، والاستعداد للجهاد فى سبيل الله والذود عن الحمى ، والتهيؤ للتضحية ، وتعلم الإيثار ونحو ذلك

الفصل السابع : درجة الورع والصلاح ، وبيان الصورة الكاملة للمسلم ، وأنه يعمل للدنيا ولا يجعلها فى قلبه ، ويعمل للآخرة ويستعد لها دواماً ، وتضرب الأمثلة من أخبار الصالحين من طبقة الفضيل والسفيانين وابن المبارك وابن حنبل ممن كان ورعاً وعالماً وعاملاً للدنيا فى وقت واحد

* * *

فمن اطلع من علمائنا على هذا المقال ، وكان قادراً على كتابة فصل من هذه الفصول ، فلم يكتبه ، ولم يمنعه منه مانع ، فليعلم أنه يعين بسكوته أعداء الإسلام على ما هم فيه ، وإن لنا معشر الشبان لموقفاً معه بين يدى أحكم الحاكمين ، فنقول : يا ربنا سَله لِمَ قدر على إرشادنا فلم يرشدنا ، وهو يروى قول نبيك محمد (لأن يهدى بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) ؟ فليهيئ لهذا السؤال جوابه . . . وهيهات !

(كركوك) علي الطنطاوي

بين الأستاذين

أحمد أمين وزكى مبارك

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

قلت فى مقالى السابق إن الدكتور زكى مبارك يجب أن يكون آخر من يدافع عن الأدب الجاهلى ، وإنما قلت هذا لأنه هو وأستاذه الدكتور طه حسين لا يؤمنان بصحة ذلك الأدب ، والدفاع عن الشىء لا يكون إلا بعد الاعتقاد بصحته ، فقد ألف الأستاذ طه حسين كتابه (فى الشعر الجاهلى) وكان أكبر جناية على أدب الجاهلية ، إذ أنكر فيه صحة ذلك الأدب ، وقلد فى هذا الرأى أعداء الأدب العربى من المستشرقين ، فلم يكن من الدكتور زكى مبارك إلا أن احتفل بظهور ذلك الكتاب ، وعده فتحاً جديداً فى الأدب العربى وقال فى هذا من جريدة البلاغ الأسبوعى (٣ ديسمبر سنة ١٩٢٦) : « كان كتاب الشعر الجاهلى الذى ألفه أستاذنا الدكتور طه حسين فاتحة لعهد جديد فى دراسة الآداب العربية ، وحسبك أن ترجع إلى ما كتب فى نقده من الرسائل المطولة ، والأسفار الضخام ، لترى كيف أثار ذلك الكتاب ما خمد من القرائح ، وكيف أيقظ ما هجع من العقول »

والفرق كبير بين رأى الأستاذ طه حسين فى الأدب الجاهلى ورأيى ورأى الأستاذ أحمد أمين فيه ، فالأستاذ طه حسين يرى فى رأيه إلى الهدم والطعن فى ثقة السلف ونحن نرى إلى الإصلاح ونريد تقويم اعوجاج الأدب العربى ، وهذه غاية نبيلة يكاد علماء الأدب يتفقون الآن عليها ، لإجماعهم على أن الأدب العربى فى حاجة إلى الإصلاح ، وعلى أن إصلاحه يجب أن يكون من الناحية التى أشرنا إليها ، حتى لا يكون أدب ألفاظ مزوقة ومعان خيالية لا طائل تحتها

ومن الغريب أن الدكتور زكى مبارك يؤمن أيضاً بذلك الإصلاح ، ويدعو إليه فى كتابه (النثر الفنى) ولكنه ينسى ذلك فى حب التغلب على الأستاذ أحمد أمين ، ويأخذ عليه تهوينه من شأن التشبيه وما إليه من المعانى الثانوية ، ومما جاء فى ذلك الكتاب :

ونحن نرى أن سر الفصاحة والبلاغة يرجع إلى ما فى المعنى من قوة وروح ، وقد تجد من الشعر ما تخلو معانيه وألفاظه من الروعة الظاهرة ، ولكن قوة الروح تصل به إلى أسمى غايات الإبداع ، ومثال ذلك قول حِطّانَ بن المُعَلَّى يشكو فقره ، وما وضع القدر فى رجليه من قيود الأهل والذرية :

أنزلنى الدَّهْرُ على حكمه　　من شامخٍ عالٍ إلى خَفْضِ
وغالنى الدهر بِوَفْرِ الغنى　　فليس لى مال سوى عِرْضِى
أبكانِىَ الدهر ويا رُبَّمَا　　أضحكنى الدهر بما يُرْضِى
لولا بُنَيَّاتٌ كزُغْبِ القَطَا
رُدِدْنَ من بَعْضٍ إلى بَعْضِ
لكان لى مُضْطَرَبٌ واسعٌ
فى الأرض ذات الطول والعَرْضِ
وإنما أولادنا بيننا　　أكبادنا تمشى على الأرض
لو هَبَّتِ الريح على بعضهم　　لامتنعتْ عينى عن الغَمْضِ

فقوة هذا الشعر ترجع إلى الشاعر لا إلى اللفظ ، ولا إلى الاسلوب . ومن ذلك يتضح أن من يزعمون أن القرآن ليس من جنس كلام العرب لم يفهموا شيئاً من أسرار الإعجاز ، ولذلك نراهم يدورون حول الظواهر والمحسنات اللفظية ، ويرجعون فى ذلك إلى الناحية اللفظية أو الفنية ، ونحن نرى غير ذلك ، فنرى أن محمداً عليه السلام اجتذب العرب لأنه نبى ، ولم يجتذبهم لأنه فنان ، فالفن الكلامى لم يكن جديداً عند العرب ، وإنما كان الجديد عندهم أن يأتيهم رجل منهم بأساليب من الفكر والعقل والوجدان غير التى كانوا يألفون ، ومن العبث أن نظن أن البلاغة لا تخرج عن المناورات اللفظية ، فإن هذا إسراف فى تقدير الزخرف ، وامتهان لصولة المعقول ، إن الألفاظ فى مقدور كل شاعر وكل كاتب وكل خطيب ، ولكن المعجز حقاً هو الفكرة . وليس معنى هذا أننا لا نقيم وزناً للصناعة الفنية ، ولكن معناه

أننا نقرر أن الفكرة تجيء أولاً ، ويجيء الورق ثانياً ، كما يقول الفرنسيون »

وإنما أطلت النقل من كتاب (النثر الفني) لأقيمه دليلاً قاطعاً على أن الأستاذ زكي مبارك لا يؤمن بتلك الناحية الفنية التي أخذ على الأستاذ أحمد أمين تهوينه من أمرها ، ويكاد يتفق معه في أن الشأن في ذلك لقوة الروح والفكرة ، ومن الإنصاف أن نذكر أن الأستاذ زكي مبارك لا يفرق في ذلك بين قوة الروح في الخير والشر ، ويرى أن الشاعرية روح يتمرد به الشاعر فيهز نفس القارئ أو السامع هزاً عنيفاً يحمله على أن يؤمن وهو طائع ذلول بما يدعو إليه الشاعر من تزيين الإثم والبغي ، أو تقبيح التقى والفسوق ومن الأول قول ديك الجن :

لمَّا نظرتِ إليَّ عن حَدَقِ المَها   وبسَمتِ عن مُتفتّحِ النُّوارِ
وعقدتِ بين قضيب بانٍ أهيف   وكثيب رمل عُقْدَةَ الزُّنَّار
عفَّرت خدي في الثرى لك طائعاً   وعزمتُ فيك على دخول النار

ومن الثاني قول معن بن أوس :

لَعمْرك ما أهويت كَفِّي لريبة   ولا حملتني نحو فاحشة رِجْلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها   ولا دلَّني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تُصبْني مصيبةٌ   من الدهر إلا قد أصابتْ فتىً قبلي
ولستُ بماشٍ ما حَييتُ لمنكرٍ   من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي
ولا مُؤْثِرٍ نفسي على ذي قرابة   وأوثِرُ ضيفي ما أقامَ على أهلي

ولكنا لا نحب للدكتور زكي مبارك أن يمضي في ذلك إلى حد التسوية بين روح الخير وروح الشر في الشعر ، فيجعل قول ديك الجن مثل قول معن بن أوس بعد اتفاقهما في قوة الروح ، لأنه يبقى بعد هذا شرف المعنى والغرض وهو مما لا بد من اعتباره أيضاً في المفاضلة بين شعر وشعر ، أو كلام وكلام . ولا يمكن الدكتور زكي مبارك أن ينكر هذه الناحية في الموازنة الشعرية ، فقد ذكرها في قوله تعالى : (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ على ألاَّ تَعْدِلُوا) ، فجعل الفضل فيه لهذا النصح النبيل والمعنى الشريف والدعوة إلى إيثار العدل في جميع الأحوال ، من غضب وسكون ، وحب وشنآن ، وإذا لم يكن للدكتور زكي مبارك بد من اعتبار ذلك أيضاً فإنه لا يكون بيننا وبينه فرق فيما ندعو إليه من ذلك الإصلاح ، ولا يكون له حق في تلك الحملات القاسية التي تقف عقبة في سبيل غايتنا جميعاً

هذا وإذا كنت اقتصرت في أول هذا المقال على موقف للدكتور زكي مبارك من كتاب (في الشعر الجاهلي) فلأني أحببت الترفق به ، ولم أشأ أن أذكره بمواقف له جارى فيها أستاذه في الجناية على الأدب الجاهلي ، وذهب إلى الشك في صحته كما ذهب إليه قبله ، وتلك هي الجناية على الأدب الجاهلي حقاً ، لا ما ذهبنا إليه من ذلك الإصلاح ، والله الهادي إلى الصواب .

عبد المتعال الصعيدي

من وراء المنظار

كرنفال ! . . .

أبداً لا تقع عيناى أو لا يقع منظارى على هذا الذى أحدثك عنه إلا اعتلج فى نفسى شعور من الهم والخزى يلازمنى فترة طويلة بعد فوات المنظر ، ويتجدد كلما تجدد فى خاطرى طيفه ، وأنا أكتب هذا على أثر رؤية جديدة لذلك المنظر الذى أنكره أشد الإنكار ، وما أزال أزداد إنكاراً له فى كل مرة عنى فى سابقتها .

وإنما أكتب لأدعو القارئ إلى أن يغضب مى ، فإن لم يغضب ، ومر على هذا الذى أقول مر الكرام ، فلا شك عندى أنه قوى الأعصاب جداً — على أحسن تعبير — قوة لا أدرى أيحمد عليها أم يذم من أجلها ؟ !

على أنى لا أشك فى أن كثيراً من القراء غضبوا مثلما غضبت وسيغضبون كلما وقعت أعينهم على ذلك المنظر البغيض ، منظر جنائزنا « البلدية » فى أجل وأعظم أحياء القاهرة العظيمة مهبط السائحين فى الشتاء من أنحاء الغرب والشرق ! . . .

وللقارئ أن يخطر فى باله سورة لجنازة من هاتيك الجنائز . . . فهناك فى الطليعة أنماط من الناس منهم من يرتدون هلاهيل من القماش كانت من قبل جبباً وقفاطين ، ويضعون فوق رؤوسهم ما يشبه العمائم ، أو ما يصح أن يكون أبلغ سورة هزلية للعمامة ، وكأنما يقول الواحد منهم «متى أضع العمامة تعرفونى» فهو كما أتخيل بل كما أكاد أعتقد يتخذ هذه الهيئة عن عمد ليكون جديراً بأن يظهر فى الطليعة ! وأنا أرى أبداً هذا الصنف من الخلائق على أشكال متقاربة فى سورها .

ويندس بين هؤلاء « الفقهاء » الحق فريق من « الجدعان » من أهل الحى الذى خرج منه الميت وهم يخطرون جميعاً فى جلابيبهم « البلدية » ، وإنما تتميز رؤوسهم بأشكال من الطواقى و« اللاسات » وما شئت من أنواع « الكابوش » وألوانه . . .

وينطلق هؤلاء وهؤلاء فى نشاط عجيب ، وقد تأبط كل منهم ذراع جاره ، ويطلقون حناجرهم بأفظع الأصوات وأنكرها ، يستجمعون لها كل قواتهم ، ويمضون فى ترديد عبارة حفظوها ، أو يتغنون بورد من الأوراد ، لا يفترون ولا تكل حناجرهم أبداً ، كل أولئك وهم يتمايلون ويتسابقون فى النعيق على سورة أجدر أن تكون فرحاً فى موت هذا الذى يحملونه من أن تكون حزناً عليه ، وإلا فكيف يكون هذا الزعيق وهذا التهريج حزناً فى أى وضع من الأوضاع ؟ !

ولو أن متفنناً فى التهريج أراد أن يحشد « كرنفالاً » من المهرجين لما تعلق خياله بأبلغ وأروع من ذلك الكرنفال الجنائزى

وتأتى بعد ذلك الآلة الحدباء يحف بها من رهبة الموت وجلاله ما لا يتفق مع هذا التهريج المنكر أمامها . . . ومن ورائها ذيل أسود طويل بغيض لعله أشد نكراً من الطليعة ؛ هؤلاء النسوة الماشيات أو الراكبات عربات « الكارو » ، ومنهن من تدور طرحتها حول عنقها كالحبل ، ومنهن المصفقة كفاً بكف ، والمشيرة بمنديلها إشارات عجيبة مزعجة معاً ، والولولة المترنحة ذات اليمين وذات الشمال ؛ وأفظع من هؤلاء الصابغات وجوههن « بالنيلة » فى شكل لا يمكن أن يتخيل معه أنهن ينتمين إلى بنات حواء . . . ولا أريد أن أزعج خاطرك — أيها القارئ — بوصف أصواتهن التى تجىء مع ذلك الزعيق فى المقدمة نشازاً على نشاز ، وشناعة على شناعة . . .

وبعد ، فهل فى هذا شىء يتفق مع الدين أو يجوز فى عرف معقول أو يليق بسمعة أمة ؟ . . . ولشد ما يوجع نفسى أن أذكر وا أسفاه أنى رأيت مثل هذا المنظر مرتين فى أسبوع واحد أمام دار الآثار ساعة « انصراف السائحين » ؛ فسألت نفسى والألم والخزى يحزان فى صدرى : ماذا عسى أن يقول هؤلاء عن حياتنا الاجتماعية إذا رجعوا إلى قومهم ؟ وهل هم يرون « الأنتيكة » التى جاءوا ليروها داخل « الأنتيكخانة » حقاً ؟ أم أنهم يرون ما هو أبلغ فى معناه منها فى شوارع العاصمة الكبيرة ؟ !

يا وزارة الشئون الاجتماعية . . . هذا والله فى صميم الشئون الاجتماعية . . . شيعى هذا المنظر إلى حيث لا يعود ، فهذا لعمرى وعمرك خير من إنشاء ألف حديقة فى هذه المدينة أو نشر ألف صحيفة من صحف الدعاية عن مصر والمصريين .

« عين »

الثقـــافة العسكرية
وأناشـــيد الجيش
للأســتاذ عبد اللطيف النشار

فى الثورة المصرية

ولقد مرّ بك أن « المتطوعين » المصريين فى الحرب الكبرى لم يجدوا من يضع لهم أناشيد تعرب عن آمالهم ، فوضعوا لأنفسهم تلك الأناشيد كما تخرج الأرض المهجورة زرعها « الشيطانى » ، وكان بعض الذى وضعوه نظماً ولحناً مما يستحق الإعجاب لدلالته على خوالج نبيلة كالشوق إلى الوطن ، وكالشكوى من تحكم السلطة العسكرية إذ ذاك فى التجنيد باسم « التطوع » .

ولقد قرأت فى بعض الصحف الإنكليزية على أثر الثورة المصرية بحثاً ضافياً عن أسباب تلك الثورة ، وقد عدّ كاتب ذلك البحث مسألة « التطوع الإجبارى » من أهم المسائل التى أدت إلى الثورة واستدل على ذلك باللحن الذى أشرنا إليه فى المقال السالف ونشره بلغته العربية بأحرف انكليزية مع ترجمته إلى تلك اللغة ، وهكذا كانت ترجمته :

O! My native Town! O! My native Town!
The Military Anthority has taken my boy

والنص هو :

بـــلدى يا بـــلدى والسلطة خدت ولدى !

ومن البديهى أن الذين كانوا يتغنون بهذا النشيد ليسوا هم الذين أخذت السلطة أولادهم ، ولكنهم هم الأولاد المأخوذون وكان المأخوذة أولادهم مقيمين فى مصر ، أما الذين يرددون هذا اللحن فكانوا بعداء عنها يتحرقون تشوقاً إليها بدليل البيت الآخر وهو :

يا عزيز عيـــنى وأنا بدى اروح بلدى

ولـكن هكذا الشعر الذى ينال شرف السيرورة لا يمكن إلا أن يكون صادق التعبير عن البيئة التى صدر عنها .

وكان هؤلاء « المتطوعون » يعبرون عن مصر كلها لا عن الفريق المتطوع حينما وضعوا هـذا اللحن الذى سار والذى استدل به الباحثونَ فيما بعد عن أسباب الثورة المصرية ، كما يستدل الطبيب بالنبض على حركة القلب .

وكذلك الشعر لم يكن قط قلباً للأمة ، ولـكنه نبضها الذى يستدل به على حالة ذلك القلب . وهذه الحقيقة هى أساس النقد الحديث الذى يذعن له النقاد منذ وضع سانت بيف كتابه « تاريخ الحضارة الإنكليزية كما يظهر من خلال أدبها » .

ولم يكن المتطوعون فى الحرب الكبرى كلهم من طبقة واحدة ولا كان تطوعهم ذا صبغة واحدة ، ولا كانت أغراضهم واحدة ، ولـكن كانت الـكثرة كما تقدم وصفها ، وكان فيها فريق تطوع بمحض الرغبة فراراً من الفتك الاقتصادى وطمعاً فى القوت .

وكان هذا الفريق من لابسى « الملاهيل » ، وقد أبت طبيعة الأشياء إلا أن يسجل هذا الفريق من البؤساء على جبين الزمن شكواه من ذهابه للقاء الموت من أجل الكساء الذى يستر العورة ولم توفق مصر إلى شاعر من أبنائها يحس إحساس هذا الفريق فيعبر عن مشاعره . فأعرب هؤلاء الرعاع عن مشاعرهم ولحنوها بأنفسهم (ولا الحوجة للشعراء والموسيقيين) .

وهكذا كان فى متطوعى السلطة فى الحرب الماضية مصريون كالعراة ينشدون هذا النشيد :

« ياللى رماك الهـــوى حود على الـكامبـــو
يقلموك المــلاهيل ويلبسوك البلطـــو »

ومن الذى تراه كان من شعرائنا أو موسيقيينا يستطيع أن يقول ذلك القول أو يلحنه ؟

لقـــد كنا ...
ولا تسل كيف كنا ...
نتعاطى من الهوى ما نشاء ...

كان شعراء مصر فى ذلك الحين يشربون الـكوكتيل أو الويسكى على الأقل !

هل تصدق أننى كنت فى سنوات الحرب أتقاضى مرتبى من وظيفتى فى الحكومة ، وكان مضافاً إليه علاوة الحرب مماثلاً لمرتبى الآن ؟ لقد ترقيت ترقية طبيعية فى مسافة العشرين عاماً بين الحربين ولـكن الترقية فى مسافة عشرين عاماً لا تكاد تبلغ المائة فى المائة التى كنا نتقاضاها علاوة حرب ، وكان فى الشعراء

الآخرين من هو أيسر حالاً وأهنأ بالاً ، والملة مقطوعة بطبيعتها بين شعراء مصر وبين لابسى الملاهيل ، فلم نضع ألحاناً لسير المليون مصرى الذين تطوعوا فى الحرب الكبرى ووضعوها هم لأنفسهم . فإذا بعضها :

يالى رماك الهوى حود على الكامبو

والكامبو هو ال Camp أى معسكر الجيش الإنكليزى

وانتهت الحرب الكبرى ونشبت الثورة المصرية وكان لها شأن آخر. كانت هناك قيادة للثوار واتحاد فى الغرض والوسيلة، واشترك فى المشاعر الثائرة أصحاب « الفراك » و « البونجور » و « الردنجوت » مع أصحاب الملاهيل . ومن أجل ذلك كان هناك الأناشيد التى يضعها الشعراء للسير والتى نالت شرف السيرورة لصدق تعبيرها عن عواطف البيئة

قد لا تكون هذه الأناشيد مما يسميه الشعراء غروراً « بالشعر الخالد » ولكنها على كل حال ستظل باقية ما بقى لتلك الثورة ذاكر . وإذا شئت أن تدرس طبيعة تلك الثورة وتعرف أسبابها فإن أهم مرجع هو الذى يدلك عليه سانت بيف وهو الشعر الذى قيل فيها ، هو تلك الأناشيد :

نشيد شوق . ونشيد العقاد . ونشيد صدق . ونشيد الرافعى ونشيد صادق . ومائة نشيد ونشيد غير أناشيد هؤلاء ... ولكن هل كانت الثورة المصرية خالية من الأوشاب ؟ وهل كانت كل العواطف من طراز عواطف هؤلاء النبلاء ؟ كلا . فقد كان فى المتظاهرين من لا يقنعه « حيوا العلم ! » ولا « مكانكو تهيا » ولا « لحى فتاك شهيد هواك » ولا أمثال هذه الاتجاهات السامية

ولم يكن فى الشعراء من يستطيع الإعراب عن عواطف الذين يلقون بالأحجار على اللوحات الزجاجية فيحطمونها ولم يكن فيهم من يستطيع الإعراب عمن لا يجد تعبيراً أطيب من قلب مركبة الترام أو قطع خطوط التلغراف . وكان هذا الفريق من الأوشاب موجوداً بالفعل وكان لا بد له من الإعراب بالموسيقى عن عواطفه تلك . والإنسان برغم أنف الناطقة حيوان موسيقى وليس فقط بالحيوان الناطق ، بل أستغفر الله فهو يرضى الناطقة وعن طيب خاطر منهم حيوان موسيقى لأن النطق لا يمكن أن يتم إلا والموسيقى جزء منه

ظهر فى الثائرين أيام الثورة المصرية من يحطم اللوحات ويقذف بالطوب ولم يكن بينهم شعراء من أمثال « فرلان » ذلك الوغد الفرنسى المتشرد الشاعر ليضع لهم نشيداً فوضعوا هم أناشيدهم نظماً وألحاناً ومن بينها :

مش عاوزين حد أبداً يحكمنا والا إن غلطنا حد يلومنا

كان هذا الفريق أقل من أن يعقل « حيوا العلم » فلم يثر من أجل كرامة العلم ولكنه فقد النظام فأبى أن يحكم أبداً كما يقول

وبعد فيا شعراء الجيل هل تريدون أن ينال شعركم شرف السيرورة ؟ إذن فانغمروا فى كل وسط تريدون أن ينتشر فيه شعركم . أنتم (وأنا من بينكم) من رواد المقاهى فلن يروج شعرنا إلا بين رواد المقاهى

ويا وزارة الدفاع ويا وزارة الشؤون الاجتماعية ويا قيادة الجيش المرابط ، هل تريدون ألحاناً للجنود تعرب عن روح عسكرية قوية وتدعم الروح العسكرية وتصل بين حاضرها ومستقبلها

لن تكون تلك الأناشيد من وضع الجالسين على مكاتبهم فى الدواوين ولكن أفسحوا المجال فى المعسكرات فى ساعات التدريب لطائفة من الشعراء

تقول قيادة الجيش المرابط إنها تريد أن يتعلم الفلاح المشية العسكرية والنظام فى الجلوس والقيام وحالة المعيشة العامة . هذا جميل كله ، ولكن إذا استثنينا الأستاذ الشاعر عباس العقاد فمن من بين شعرائنا يمشى مشية عسكرية ؟

أتمنى أن أرى فى ساحات التدريب الأساتذة حسين شفيق المصرى والدكتور زكى مبارك وشاعراً ثالثاً على الأقل وسيرى الجميع بعد أيام من التدريب كيف يمشى هؤلاء الثلاثة مشية غير مشيتهم الحاضرة . وإلى الملتقى فى ميادين التدريب

عبد اللطيف النشار

أحلام ســـوداء ...

للدكتور إبراهيم ناجى

رب ليل قد شفا الأفقُ به   وبما قد أبدعَ اللهُ ازدهرْ
قد سرى فيه نسيمٌ عبقٌ   فكأنَّ الليلَ بستانٌ عطرْ !
قلتُ ، يارب ، لِمَنْ جمّلتَهُ   ولِمَنْ هذى الثريّاتُ الغُرَرْ
نخليٌّ نائمٌ عنه القدَرْ   نام لم يَسعدْ بهاتيك الصُّوَرْ
وشجيُّ القلبِ يشدو للذِّكَرْ   دامِيَ الألحانِ مجروحَ الوتر
كل شيء نائمٌ فى عينه   لا الكرى طابَ ، ولا طاب السهر
غامَ وجهُ الأفقِ واربدَّت به   سُحبٌ حامتْ على وجهِ القمر
كلما تقربُ تمتدُّ له ...   كأكُفٍّ شرهاتٍ تنتظِر
قاتماتٍ ، كذئابٍ حوَّمٍ   جائعاتٍ مثلَ غربانِ الشجر
صحتُ بالبدرِ ، تنبَّه للنُّذُرْ   أدرِكِ الهالةَ حفَّتْ بالخطَر
لا تبِحْ مائدةَ النورِ لهمْ   لا تبحها لسوادٍ مُعتَكِر
قهقهَ الرعدُ ودوَّى ساخراً   فكأنَّ الرعدَ عربيدٌ سكِر
قمتُ مذعوراً ، وهمَّتْ قبضتى   ثم مُدَّت ثم رُدَّت ، مِنْ خَوَر
لهفَ القلبِ على الدنيا ، إذا   عجزَ القادرُ ، والباعُ قصر
لهفَ القلبِ ، على الحسن ، إذا   قهقهَ الغربانُ والذئبُ سخِر
تحتمى الوردةُ بالشوكِ فإنْ   كثُرَ القُطَّافُ لم تُغنِ الإبَر
آهِ مِن غصنٍ غنىٍّ بالجنى   ومِن الطامعِ فى ذاك الثمر
آهِ من شكٍّ ، ومن حبٍّ ، ومن   هاجساتٍ وظنونٍ وحذر !
كسَتِ الأفقَ سواداً لم يكن   غيرَ غيمٍ جاثمٍ فوقَ الفِكَر
طالما قلتُ لقلبى ، كلما   أنَّ فى جنبى أنينَ المحتضَر
إن تكن خانت ، وعقَّتْ حبَّنا   فأضِفها للجراحات الأُخَر ...
كان طيفاً من ظنونٍ لم تدُمْ   وسحاباً من جنون وعَبَرْ !!

ناجى

شريد !...

للأديب محمود السيد شعبان

ياليلُ ! هذا شريدٌ تائهٌ تَعِسٌ   يحوطه الصمت فى واديك والغلس
حيرانُ ... يُدلج فى طخياء مظلمة   تكاد من خوفه الأنفاس تحتبس !
لهفانُ ... تحسبُه الأنظارُ واهمةً   إنساً من الجن أو من جنة إنسوا !
أسوان ... تنشدُه الأوهام ساخرةً   لحناً من البؤس فيه العىُّ والخرس
هيمانُ ... تلقفه الأغلاسُ ذاهلةً   كأنما هو فى كف الدجى قبس !
ظمآنُ ... يرتشفُ الظلماءَ يحسبها   كأساً من الدمع فيها الطهر والقدس
ندمانُ ... يبحث عن إلف يقاسمه   جوبَ الغياهبِ مافى طبعه دنس
نهمانُ ... يُطعِمه ماليس يُطعمه   من السرابِ إذا مالفَّه غلس !
أقولُ للنجم لمَّا لاح رقبُه :   كلا كما فى الدياجى حائرٌ تعِس
علامَ لا ترقدانِ الليلَ وحدكما ؟   والكون أغفى وكل الناس قد نعسوا
وفيمَ لا تهجرانِ الليلَ ويحكما   والليل للنفس ذات الشجو يفترس
أأنتَ ياليــلُ موجٌ ضلَّ غايته
تطوى دياجيه من عاشوا ومن درسوا ؟!
علامَ ياليلُ لم تفرحْ بمن سعدوا ؟   وكيف ياليل لم تحزنْ لمن تعسوا ؟
وفيم ياليل لم تحفِل بمن ضحكوا   ولا بمن فيك يانبعَ الأسى عبسوا ؟
سيّانِ عندكَ من باتوا على أملٍ   فيه النعيمُ ومن ياليل قد يئسوا ... !

* * *

ياسائلاً عن شبابى كيف تعجبه   تلك الأناشيدُ منها الدمع ينبجس ؟
أقصِر ربّك ! .. فالآلامُ تعرفنى   لأنها فى فؤادِ الفذّ تنغرِسُ !

محمود السيد شعبان

حـــيرة !...

للأستاذ أحمد فتحى

جهلتُ حقائقَ الآمالِ ، لكن   قنعتُ بها من الزمن اللئيم
وحسبى من أعاجيب الأمانى   رِضاها بالخسيسِ وبالكريم
تكفكفُ من مدامعِ كل شاك   وتحفِزُ همَّةَ الباغى الظلوم
ويزجيها خيالٌ كالليالى ...   فلا هوَ بالصحيحِ ولا السقيم
فكمْ يهوى إلى قاعٍ سحيقٍ   وكم يسمو إلى هامِ النجوم
وكم يُغرى فؤادى بالدنايا   وكم يُغريه بالشأوِ العظيم
وما ألقاهُ يأسو مِن جراحى   ولا ألقاه يجلو من غيومى
ومن عجبٍ وصلتُ به حياتى   كما اتصلَ الشرابُ إلى النديم
إذا أزمعتُ مِنْ أملٍ فراراً   فررتُ من الجحيم إلى الجحيم !

أحمد فتحى



دراسات فى الفن

ملامح الأرواح

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— هل سمعت أن شارلس لوتون سيمثل هتلر للسينما ؟

— قرأت ذلك ومن يومها وأنا مشتاق لمشاهدة لوتون فى هتلر

— أظن أنه لم ينجح

— لماذا ؟

— لأن لوتون طويل عريض ، وهتلر ضئيل الجسم

— وأى شىء فى هذا ؟ إن الذى سيمثله لوتون من هتلر نفسه لا بدنه

— ولكن هذه الصورة الحاضرة فى أذهاننا والتى نعرف بها هتلر لا يمكن أن يمحوها لوتون بتمثيله ، وسيذكر الناس عند ما يرونه أنه ممثل يمثل ، بل قد يرى بعض الناس أنه ممثل اغتصب دوراً ليس هو أهلاً له

— هذا يخيل إليك . وقد يكون الذى تقولين حقاً إذا كان الممثل ضعيفاً ... ولكن هذا لوتون . ألم تريه فى هنرى الثامن ؟ لقد كان هو هنرى الثامن

— لأنه يشبه هنرى الثامن كثيراً فى جسمه ، وعلى الخصوص فى وجهه ...

— صحيح ! فكيف رأيت هارى بور فى بتهوفن ؟ هارى بور طويل عريض هو أيضاً وكان بتهوفن ضئيل الجسم مثل هتلر ، ومع هذا فلا أظن أحداً من النظارة أحس شيئاً من الكذب فى بتهوفن الذى أخرجه هارى بور ... اللهم إلا أولئك الذين يذهبون إلى السينما ليعرضوا على الناس أجسامهم وأزياءهم ...

— قد يكون التوفيق أتيح لهارى بور فى بتهوفن ، لأن هارى بور ممثل وبتهوفن موسيقى ، وليس عسيراً على الفنان أن يدرك الدخائل فى نفس فنان مثله ، فإذا حاكاه ومثله كان كمن يحاكى نفسه ويمثلها ...

— والله إنها فكرة لم أكن أتوقع أن تجول فى ذهنك ، وإنها لجديرة بالتأمل والدرس ، وإنك لجديرة بالمكافأة عليها ... خذى هذه النكلة ...

— شكراً . سأعلقها على باب البيت تعويذة وحجاباً دون إبليس ...

— بل أعيديها فقد وجدت الرد ... هات ... إن هتلر أيضاً ممثل

— رحت فى داهية ! هل أنت ممن يؤمنون بهذا الذى يدعيه من أنه فنان ؟ !

— ليس هذا قصدى ، وإنما الذى أقصد إليه هو أن الناس جميعاً يمثلون

— آه . هذه فكرة أخرى . ولكن ألا ترى أن فكرتك هذه لو كانت صحيحة لما ارتفع سعر التمثيل فى الدنيا ، ولما كان أجر الممثل الجيد آلاف الريالات ومئات الجنيهات فى الدور الذى لا يستغرق منه إلا الساعات القليلة ...

— الحق معك

— إذن فرأيك غير صحيح ...

— لماذا ؟ أفلا يستطيع الحق أن يكون معك وأن يكون معى فى الوقت نفسه ؟

— يستطيع . قادر على كل شيء ...

— ولا قادر غيره ... والتوفيق بين الذى تقولين وبين الذى أقول يسير . فأما أن كل الناس ممثلون فهذا حق . وأما أن أندر الناس هم الذين يستطيعون أن يمثلوا فهذا حق أيضاً ، فالناس كالأوانى : كل آنية تصلح لأن تعبأ بما يملؤها ، فإذا امتلأت لم تعد تصلح لأن تمتلئ مرة أخرى ، إلا إذا فرغت . ومن الناس من يملك نفسه يملؤها ويفرغها وهؤلاء هم الممثلون المجيدون ، ومنهم من امتلأت نفسه مرة فاكتظت وجد حشوها فيها فلم يعد ميسوراً أن تفرغ وأن تملأ . ومن هؤلاء محمد عبد الوهاب فهو يمثل على نفسه وعلى الناس دور الأستاذ الموسيقار مطرب الملوك والأمراء والعظماء وقد « عقد » هـذا الدور فى نفسه فكلما مثل دوراً ظهر فيه بمظهر هذا الأستاذ الموسيقار مطرب الملوك والأمراء والعظماء مهما تطلب منه هذا الدور الجديد شيئاً من البؤس ، أو شيئاً من الخيبة ، أو شيئاً من اليأس . زيدى على ذلك أن الصورة التى رسمها عبد الوهاب لنفسه فى خياله صورة متكلفة ليس فيها من الحقيقة شيء ، فقد عرف الناس هنا فى مصر مطرباً كان الملوك والأمراء والعظماء يطلبونه حقاً ويسمون إليه ويكرمونه كل التكريم ولم يكن فيه شيء من هذه الأرستقراطية التى يلبسها عبد الوهاب فيتعثر فى أذيالها ، ذلك هو المرحوم عبده الحامولى الذى تؤكد الروايات أنه كان يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق

— وهل لا يأكل عبد الوهاب الطعام ويمشى فى الأسواق ؟

— حاشا لله . وإن أكل فتنازل ، وإن مشى فكما كان يمشى هرون الرشيد

— إنى لا أحب فيك هذا التعصب على عبد الوهاب . وإن الذى تأخذه عليه يمكن أن آخذه على شارلى شابلن نفسه ، فلشارلى أيضاً لوازم تبدر منه فى كل أفلامه : قبعته وعصاه وشارباه ومشيته وحذاؤه وتلعيب فمه ومسحه الحذاء فى البنطلون وهزة كتفيه .

— صحيح صحيح ... ولكنك نسيت أن شارلى يمثل فى كل أفلامه شخصاً واحداً هو ذلك المتشرد الحائر الذى يطارده المجتمع فى أغلب الأحيان ، ولا يعطف عليه إلا فى أقل الأحيان . وروايات شارلى شابلن كلها يمكن أن توصل وأن تعرض على أنها حوادث حدثت لهذا المتشرد . وعلى هذا الأساس فإنه ليس عجيباً أن يلزم هذا المتشرد حركات وسكنات وإشارات خاصة هى هذه التى تقولين عنها

— طيب . ونجيب الريحانى الذى تشهد له بالتفوق . أليست له هو أيضاً لازمة لا تخلو منها رواية من رواياته هى هذه « المطة » التى يختم بها أكثر جمله وعباراته

— صحيح أيضاً . ولكنك أيضاً نسيت أن هذه (المطة) هى من آثار كشكش بك فى نجيب الريحانى ، فقد كان نجيب مثل شارلى يمثل شخصاً واحداً هو عمدة كفر البلاص ، وكان هذا العمدة لا ينجو من مأزق حتى يقع فى مأزق ، وكانت الحيرة والدهشة و (اللخمة) تأخذه من أول الرواية إلى آخرها ، وكان يستغيث ، وكان يلوم ، وكان يسترحم ، وكل هذا يستدعى منه هذه (المطة) فلزمته ولكنه بدأ يتخلص منها فهى لا تعاوده الآن إلا نادراً

— ولم تلجأ إلى هذا التعسف ولا تقول إن لكل ممثل أسلوبه الخاص به

— لأن موضوعنا هذا لا صلة له بأسلوب الممثل . وإنما أسلوب الممثل شيء آخر

— وما هو ؟

— هو الطريقة التى يتذوق بها الممثل الناس ، والتى يعرض بها بعد ذلك هؤلاء الناس

— وكيف يتذوق الممثل الناس ؟

— للأرواح ملامح كما للأجسام ملامح ، ومن الممثلين من ينعم النظر فى هذه الملامح حتى يحصرها كلها ، ومنهم من يروعه بعضها فيقف عنده ولا يعود يرى غيره ، أو يرى غيره ولا يهتم به . والممثل بعد أن يشبع من التمعن فى هذه الملامح الروحية يبدأ فيرسمها فى نفسه هو ، ويشكل روحه بشكلها ويكون تمثيله بعد ذلك إبرازاً لها ، وأقدر الممثلين على هذا من لم تكن لروحه هو ملامح قوية ناتئة تستعصى تغطيتها على الماكياج الروحى ، وهؤلاء

الممثلون القادرون هم الذين تكون نفوسهم شديدة الشبه بنفوس الأطفال فهي بريئة صافية تعيش على الفطرة والحق ، ولعلك قد لحظت أن الأطفال أقدر من غيرهم على تقليد الناس وتصوير نفوسهم والظاهر الواضحة التي تنثرها نفوسهم على أجسامهم . . ولو كان الناس كلهم يعيشون على الفطرة وعلى الحق لكثرت بينهم أوجه الشبه ، بل ربما كانت أشكالهم تتوحد فلا يكون بينها خلاف ، والذي يعزز هذا الرأي هو ما نراه من توحد أشكال الحيوانات التي من فصيلة واحدة — ولا أقول ألوانها — فهذا التوحد لا مرجع له إلا أن الحيوانات تسلك في حياتها المسلك الفطري الحق

— فكأنك تقول إن اختلاف ملامح الوجوه في الناس يرجع إلى اختلاف الملامح في أرواحهم

— هو هذا . وإن كنت لا أنكر آثار البيئة والوراثة وغيرهما

— ومعنى هذا أن الذي يسيطر على حياة الإنسان نفسه وليس بدنه وغريزته الجنسية كما يقول فرويد

— لو كانت الغريزة الجنسية هي التي تسيطر على حياة الإنسان لما اختلفت أشكال الناس ، وإنما الغريزة الجنسية نفسها تخضع لذوق الإنسان والذوق عامل نفسي لا بدني

— ولكنك قلت مرة إن له مرجعاً يرده إلى كهرباء الجسم

— وقلت لك وقتها إني أستعمل كلمة الكهرباء حيث أريد أن أقول « الروح » وإني أختارها لأضمن ارتياحك وارتياح الناس إليها فهي عند أهل هذا العصر أقرب إلى العقل من كلمة الروح ...

— فهل تريدني أن أعرف الروح على أنها كهرباء ؟

— يصح ولكن على أن تكون كهرباء لها إرادة ولها عقل ولها عواطف ولها ذاكرة ولها أمل ولها صلة بالماضي ولها صلة بالمستقبل ولها كل ما للحياة من مميزات تسمو بها على الجمود والموت

— وملامح الأرواح التي تتحدث عنها هي ملامح هذه الكهرباء ...

— ولم لا ؟ فهناك إنسان قوته ألف شمعة ، وهناك إنسان قوته خمس شمعات ، وهناك إنسان كهرباؤه مائة فولت وهناك إنسان كهرباؤه عشرون . وهناك إنسان كهرباؤه مستقاة من دينامو ، وهناك إنسان « بيطارية » ، وهناك إنسان كهرباؤه صواعق ، وهناك إنسان كهرباؤه شرر ... وهناك وهناك ... وكل هذا يحسه الممثل الجيد ويستطيع أن يقلده ...

— فإذا قصرت قوة الكهرباء في الممثل عن قوة الشخص الذي يريد أن يمثله فماذا يصنع ؟

— لا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا أراد الممثل أن يقلد طفلاً صغيراً ... وكلما كان أصغر كان تمثيله أصعب

— ومعنى هذا أن في الطفل كمية من الكهرباء أوفر مما في الكبير ...

— لا . وإنما معناه أن درجة وضوح الروح في الطفل أكبر منها في الكبير . فالطفل إذا فرح ظهر عليه الفرح فياضاً جارفاً ، وهو إذا غضب لم يمكنه أن يكتم غضبه وإنما أرسله قوياً عنيفاً وهذا شيء لا يقوى عليه إلا هو أو ممثل فيه من هذا الوضوح ما في نفوس الأطفال . وهذا الوضوح الذي يستوجبه التمثيل ، وهذه البراءة التي تستلزمها المحاكاة هي التي تحول بين النساء وبين النبوغ في هذا الفن ... إلا النادرات النوادر منهن ...

— ولماذا ؟

— لأن النساء لا يعشن على الفطرة مطلقاً وإنما كل منهن تمثل في حياتها دوراً خاصاً

— بل أدواراً

— لا ... لو أن النساء كن يمثلن أدواراً مختلفة لقلنا إنهن قادرات على التمثيل ، ولكن هذه الأثواب المختلفة التي تبدو عليهن إنما يلبسنها في دور واحد يظللن يمثلنه طول الحياة وهو دور حواء

— وهل سيطلب المسرح منهن أو السينما أن يمثلن دوراً آخر

— نعم ، والمشكلة هنا أصلها أن الذين يؤلفون الروايات رجال ، والرجل مهما ألم بنفس المرأة ومهما أحاط بها فهو لا يرضى

أو لا يستطيع أن يظهرها فى تأليفه على صورتها الطبيعية ، وإنما يكتب لها عادة صورة أقرب إلى الروحانية من صورتها ، وهذه الروحانية أمر صلة المرأة به صلة بعيدة ولذلك فإنها لا تدركها الإدراك التام ولا تخرجها الإخراج الصحيح

— فهو عيب الرجال الذين لا يطبقون أدبهم على الواقع ...

— إنه العيب الذى ينزعون إليه بأدبهم وفنونهم محاولين به أن ينقذوا الحياة من شر الواقع ...

— ولكن لماذا تقول إن صلة المرأة بالروحانية صلة بعيدة

— لأن المرأة تبدأ فى صناعة التمثيل من سن مبكرة فالتمثيل عونها على الإغراء ، وهو ستارها ، وهو سلاحها . . . وكي أثبت لك ما أقول أسألك كم مرة مثلت النساء فى السينما مريم العذراء وجان دارك مثلاً وكم مرة مثلت النساء فى السينما كليوباترا ؟ إن مريم العذراء لم تمثلها إلى اليوم ممثلة وجان دارك مثلتها ممثلة فرنسية لشركة باتيه منذ خمسة عشر عاماً على ما أذكر ... أو أكثر ... أما كليوباترا فقد مثلتها ممثلات كثيرات وفى أوقات مختلفة ...

— وعلى أى شىء تستدل بهذا ؟

— أستدل به على أن النساء أقرب إلى كليوباترا منهن إلى جان دارك ومريم العذراء

— ولكن لمريم العذراء قدسية لا تحب شركات السينما أن تمسها

— لقد مثلت شركات السينما المسيح نفسه ...

— طيب .. وجان دارك هذه لم تكن امرأة وإنما كانت رجلاً ...

— إنها التى بذلت نفسها فى سبيل وطنها ... أنا معك لم تكن امرأة

عزيز أحمد فهمى





أرقام تتحـــدث
وتنبئنا بقصة الألكترون

للدكتور محمد محمود غالى

– ٢ –

من تجارب مليكان — رسالته الشائقة يطالعها فى الطبيعة — رقصة الألكترونات وحركاتها الثابتة — مليكان كشامبليون فى تعرفه على اللغة الهيروغليفية — رقصة أخرى للجسيمات يكشف عن مغزاها جان بيران

لا بد أن يكون قد استشعر القارىء عظم المعنى الذى أدته هذه الرسالة ، رسالة الجسيمات التى علقت بها الألكترونات ، ولا بد من أن يكون قد فطن إلى مبلغ الدقة الذى يُظهر جلال هذه التجارب الرائعة لمليكان التى ذكرناها فى مقالاتنا السابقة ، وهى التى حصل فيها على ألكترون حر واحد محمول على جسيم دقيق يتحرك فى غرفة صغيرة ، وما على القارىء إلا أن يستدرك فى ذهنه أمراً سبق أن ذكرناه ليتأمل مقدار ضآلة الألكترون الذى هو أصغر ما نعرفه من الوحدات المادية والكهربائية فيذكر أن ذرة الهيدروجين التى هى واحد على ألف مليون المليون من الجرام تكبر الألكترون بحوالى ألفى مرة ، وللقارىء بعد ذلك أن يتخيل مقدار صغر الألكترون الذى يصعب استيعاب مبلغ ضآلته ، وبذكر أن هذا الألكترون بذاته هو الذى فصله مليكان وتحقق من وجوده حرا على هـذا الجسيم طوراً يعلق به وتارة ينفصل عنه ، ولا يسع القارىء مع دهشته إلا تصديق الحوادث بعد البراهين التى أدلينا بها والتى يثبت منها أنه كان يعلق بالجسيم إما قدر محدود واحد أو قدران أو ما يزيد من الأقدار الصحيحة ، ولكن لا يمكن أن يعلق به قدر ونصف القدر أو قدر وثلثان . كسور هذا القدر وأجزاء هذا الألكترون غير موجودة ، وهى حالة تشبه بالضبط تلك التى ذكرناها من قبل عن بعض المحال التجارية فى باريس ولندره التى لا تبيع الأشياء إلا بأقدار معلومة هى ضعف أو أضعاف قدر أولى معين ، فهى لا تبيع مثلاً إلا بخمسة فرنكات أو مضاعفاتها

وإلا فلماذا لم يحدث مرة واحدة فى آلاف التجارب التى أجراها « مليكان » وأجراها العلماء من بعده أن أخذ الجسيم طيلة ارتفاعه تحت تأثير المجال الكهربائى فترة تقع بين فترتين من الفترات التى كان يختارها الجسيم لذاته ويلاحظها مليكان ؟ لماذا تخيَّرَ الجسيم فى الصعود فترات معينة لا تتغير ؟

ثمة مخرج واحد وتفسير وحيد للظاهرة المتقدمة ، ذلك أن يفرض مليكان فرضين :

الفرض الأول : وجود جسيمات صغيرة كهارب يسمونها ألكترونات يستطيع أن يعلق بالجسيم واحد منها أو اثنان أو ثلاثة أو ما يزيد ، ولكن لا ينقسم الكترون منها ليعلق بالجسيم جزء منه

الفرض الثانى : أن وزن هذه الألكترونات صغير بالنسبة إلى وزن الجسيم الحامل لها ، وهذا يُفسِّر السرعة الثابتة التى يسقط الجسيم بها دائماً عند انعدام المجال الكهربائى ، هذه السرعة تتغير متى أخذ الجسيم فى الصعود تحت تأثير هذا المجال ، بحيث إذا علق بالجسيم الكترونان صعد بسرعة تعادل ضعف السرعة عند ما يعلق به الكترون واحد ، وإذا علقت به خمسة ألكترونات صعد خمسة أضعاف هذه السرعة الخ

ولا يتسع المجال هنا لنذكر للقارىء الذى قصدنا معه التبسيط

المادلات السهلة التى استنتج منها مليكان شحنة الألكترون ، وذلك من حساب المجال الكهربائى وسرعة الجسيم وهذه المادلات التى استعملها من قبله توسند وغيره من علماء معمل كافندش بكامبردج ، ولكنا نكرر أن مليكان استنتج هذا القدر الألكترونى بطريق سهلة كما يستنتج طالب المدرسة المبتدئ فى الحساب العدد خمسة فى مثال محلات باريس الذى ذكرناه فى مقالنا السابق، على أننا نورد للقارئ أمثلة من تجارب مليكان الأولى منقولة عن نشراته الخاصة :

الزمن مقدر بالثانية الذى سقط فيه جسيم معين المدى بين شعرتى الميكروسكوب		الزمن مقدر بالثانية الذى صعد فيه الجسيم ذاته المدى السابق
١٣ر٦		١٢ر٥
١٣ر٨		١٢ر٤
١٣ر٤		٢١ر٨
١٣ر٤		٣٤ر٨
١٣ر٦		٨٤ر٥
١٣ر٦		٨٤ر٥
١٣ر٧		٣٤ر٦
١٣ر٥	المتوسط	٣٤ر٨
١٣ر٥	١٣ر٥٩٥	١٦ر٠
١٣ر٨		٣٤ر٨
١٣ر٧		٣٤ر٦
١٣ر٨		٢١ر٩
١٣ر٦		
١٣ر٥		
١٣ر٤		
١٣ر٨		
١٣ر٤		
المسافة بين الشعرتين ٠ر٥٢٢٢ س . م		

ويلاحظ أنه خلال صعود الجسيم لثالث مرة تغيرت فترة صعوده من ١٢ر٤ إلى ٢١ر٨ ثانية ، وهذا يدل على أن هذا الجسيم ذا الشحنة الموجبة اكتسب يوناً[1] Ion جديداً ، ثم اكتسب بعد ذلك يونات أخرى حافظ عليها طيلة صعوده للمرة الخامسة والسادسة وفقدها فى المرة السابعة فعاد إلى فترة من فترات صعوده السابقة وهى ٣٤ر٦ ثانية وهكذا ، وفى الجدول الثانى تتضح فكرة وجود الشحنات الكهربائية بحالة متقطعة بسبب وجود الألكترونات

ويحوى العمود الأول الشحنة المرصودة والعمود الثانى مقدار هذه الشحنات لو أننا استنتجناها نظرياً بضرب عدد ثابت قدره ٤ر٩١٧ فى الأعداد الصحيحة ١، ٢، ٣، ٤، ٥ الخ، وفى العمود الثالث الأعداد الصحيحة التى بضربها فى عدد ثابت تنتج أرقام تدل على الشحنات المقيسة

الشحنة الكهربائية المرصودة	الشحنة المشتركة (٤ر٩١٧) مضروبة فى عدد صحيح قدره ١ أو ٢ أو ٣ .. الخ	العدد الذى يضرب فى العدد الثابت (٤ر٩١٧) فتنتج الشحنة المتقدمة
ــــ	٤ر٩١٧	١
ــــ	٩ر٨٣٤	٢
ــــ	١٤ر٧٥	٣
١٩ر٦٦	١٩ر٦٦	٤
٢٤ر٦٠	٢٤ر٥٩	٥
٢٩ر٦٢	٢٩ر٠٠	٦
٣٤ر٤٧	٣٤ر٤٢	٧
٣٩ر٣٨	٣٩ر٣٤	٨
٤٤ر٤٢	٤٤ر٢٥	٩
٤٩ر٤١	٤٩ر١٧	١٠
٥٣ر٩١	٥٤ر٠٩	١١
٥٩ر١٢	٥٩ر٠٠	١٢
٦٣ر٦٨	٦٣ر٩٢	١٣
٦٨ر٦٥	٦٨ر٨٤	١٤
ــــ	٧٣ر٧٥	١٥
٧٨ر٣٤	٧٨ر٦٧	١٦
٨٣ر٢٢	٨٣ر٥٩	١٧
ــــ	٨٨ر٥١	١٨

وليس أبلغ من هذه الأرقام التى تحدثنا عن قصة الألكترون وتعطينا شحنته ، إذ يرى القارئ أن ثمة عدداً ثابتاً قدره ٤ر٩١٧ إن ضربناه فى الأعداد الصحيحة ١، ٢، ٣، ٤ حتى العدد ١٨ فى الجدول السابق تنتج الشحنات الكهربائية المرصودة

وهكذا استطاع هذا العالم الكبير الذى يسرنا أن نسمع أنه سيزور مصر قريباً[1] أن يقيس قدر الألكترون، وأن يحصل على جسيمات صغيرة سخرها لتجاربه وأبحاثه جسيمات استوثق

(١) سبق أن عرفنا اليون وجمعناه على يونات بدل أيونات وهو ذرة تحمل الكترونا أو يزيد غير الكترونات الذرة ذاتها

(١) للقيام بتجارب خاصة بدراسة « الأشعة الكونية » التى حدثنا منها القارئ فى أربع مقالات سابقه

بالدليل أن بعضها كان يحمل ألكتروناً حراً واحداً ولا يحمل سواه . وكأنى بمليكان فى المريخ استطاع وهو فيه أن يعد سكان الأرض من البشر دون أن يكون بحاجة لأن يراهم . ذلك أنه كان أمام أرقام تتحدث وحقائق لا تقبل الجدل ، بل إنه كان أمام رسالة علمية عرف كيف يطالع رموزها ويستخلص منها أمراً خاصاً بقصة الوجود ، وكان شأنه فى ذلك شأن شامبليون الفرنسى عند ما استطاع أن يطالع اللغة الهيروغليفية من مجرد معرفته للغتين الإغريقية والقبطية القديمة ، وذلك عند ما وجد نصاً مكتوباً باللغات الثلاث على حجر رشيد المعروف ، وعند ما استطاع أن يجد فى إطار بيضاوى الشكل اسم « بطليموس » ذلك الاسم الذى فَصَّل شامبليون حروفه والذى بسببه قرأ الأسماء « برنيس » و « كليوبترة » و « اسكندر » ، وتوصل منها إلى حروف أبجدية أولية ساعدته فى معرفة اللغة المصرية القديمة بحذافيرها

***

تُرى هل استوعب القارئ معنا أسطورة مليكان ؟ وهل اطلع فيها على جانب من التطور العلمى وأدرك ناحية من نواحى البحث التجريبى ؟ تُرى هل لمس القارئ أمراً خالداً تدل عليه تلك الأسطورة — أمراً فى خلوده صورة من صور الأبد تختلف عن صور العاديات القديمة التى تبلى مع كر الزمن : الألكترون المكوِّن لنا — وجوده — قدره — كل ذلك نشهده فى هذه التجارب الخالدة

وعندما يتغيَّر وجه المدنية ، ويرقى الإنسان إلى مدنية أعظم شأناً ، عندما ينمو فيه عقل أكثر رجحاناً من عقله الحاضر فتوجد جماعات تتسابق جميعها فى سبيل تقدمه بدلاً من أن تتهالك أحياناً على تحطيمه ، عندما يأتى عصر تزدهر فيه دور الكتب والعلم ، ويأتى إنسان أعظم ، يطالع فيفهم ويتأمل فيُقدِّر ، فإنه سوف يرى على ممر الأجيال أسطورة مليكان ويطالعها بين الأساطير البارزة التى يحفظها التاريخ ، فإذا حصل هذا القارئ البعيد فى الزمن على « بطارية » من صنع يديه ، وصنع لنفسه مكثفاً كمكثف مليكان ، وغرفة صغيرة كغرفة جهازه ، وإذا وضع إزاء هذا ميكروسكوباً فى اتجاه عمودى على خط الضوء الواقع على جسيمات دقيقة من اليسور الحصول عليها ، استطاع أن يعيد رقصة هذه الجسيمات ، واستطاع أن يراها تعلو وتهبط فى فراغ الحجرة فيرى رقصات رذاذ الزيت كما تحددها للقارئ البعيد ، يرى رقصة الأبد وهى بهذا ثابتة مهما كرّ الزمن وأينما دارت الأرض ، رقصة يلعب الراقصون فيها على أنغام ثابتة ويبدون فى ذلك حركات لا يتغير شىء فى جوهرها ولا يتعدل حدث فى مسارها ، وهى رغم الذى ذكرناه لم تكن الدليل الأول والأخير على وجود الألكترون والتحقق من شخصيته ومن قدره . ثمة طريقة أخرى نلمس فيها هذا الكائن فى ثوب جديد وبدليل يختلف عن دليل مليكان السابق

***

ثمة شيخ بلغ اليوم السبعين حولاً لا يزال حيًّا يرزق ، متوسط القامة ينتهى وجهه بلحية مدببة وخطها الشيب ، قد تركت له الطبيعة التى تفنى كل شىء شعره المنتشر كثيفاً على رأسه والذى يكسوه طوله هيبة وجلالاً . ولو أنك جلست ظهراً فى أحد مقاهى الحى اللاتينى بباريس مر أمامك هذا الشيخ فى تجواله كما يمر أى رجل من الشارع ، وهو طوراً لا يعرفه أحد من الجالسين وتارة يشير إليه أحدهم من بعيد قائلاً : « هذا هو (جان بيران) Jean Perrin مكتشف شحنة الألكترون ومحدد عدد (أفوجادرو) » . وإذا تركت المقهى ودخلت إحدى المكتبات أمكنك أن تشترى صورته إذ تباع للجمهور كما تباع صور الملوك والفاتحين ، ذلك أن بيران من العلماء المعروفين فقد توصل فى الوقت ذاته الذى قام فيه مليكان بتجاربه السابقة إلى شحنة الألكترون وإلى النتائج ذاتها من سبيل جديد يختلف جد الاختلاف عن سبيل مليكان ، ويتميَّز بدقة الموضوع ومهارة الطريقة وبساطة التجارب وقوة الاستنتاج وعظمة الاستقراء ، فأتم هو أيضاً أسطورة جديدة نأتى عليها لنكون قد أنصفنا العلم وأرضينا التاريخ ، وهى الأسطورة التى وإن كانت تمت فصولها

فى سنتى ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ سنتى تجارب مليكان ، إلا أن معهد السويد منحه عنها جائزة نوبل فى سنة ١٩٢٩

تحضرنى ليلة فى السوربون إذ كانت الساعة التاسعة مساء دخل هذا العالم بعد نيله الجائزة المدرج الكبير ليحدث العلماء والجمهور الباريسى عن أسطورته الخالدة ، وعر بذا كرتى الصور المديدة التى عرضها ، والجمهور الغفير الذى استمع إليه ، هذه الأسطورة أخط فيها على صفحات الرسالة مقالاً أو اثنتين وأعنونها « أرقام تتحدث » وهو العنوان الذى اتخذته لموضوع مليكان ، ولقد كان فى الواقع « بيران » هو أيضاً أمام أرقام تتحدث إليه ، وفهم حديثها ، واستطاع أن ينقل هذا الحديث إلى الناس ، وأن يسطره فى حالة مفهومة ومعقولة للأجيال القادمة

***

لى من هذه الأساطير غاية لقراء الشرق ، الأدباء منهم والعلماء والمطلعون ، أطمع أن تتعدى الحدود العلمية التى أردنا منها هذا النوع من الكتابة فى التبسيط ، ذلك أن يستنتج القارىء فوق ما قصدناه من علم أن العمل العلمى ككل عمل سلمى هو حجر الزاوية فى مستقبل الإنسان ، وأنه خير لسكان هذه المعمورة عن كل ما عداه من الأعمال ، فالعلم يحمل فى طياته سر الوجود وعليه وعلى المتصلين به تترتب حركة التقدم ، وغرضنا أن يدرك القارىء من وقت لآخر أننا مهما أصبنا فى هذه الأزمنة من محن فإن أنصار الإنسان موجودون وموجودون دائماً . ثمة أناس حريصون على الميراث العلمى الكبير يشملون دائماً شمعة المستقبل ، وغايتنا أن يدرك القارىء أن الإنسانية تخطو دائماً خطوات جريئة إلى الأمام وأن يلمس شيئاً من هذه الخطوات على حقيقتها فيلمس أثر ما بلغته الفلسفة وما وصل إليه الفكر

هناك فى السوربون استطاع بيران ، كما استطاع مليكان فى باسادينا وتومسون فى كامبردج ، أن يتعرف هو أيضاً بطريقته الخاصة الألكترون ، وفى هذه البيئة الجامعية ، حيث الحسد أقل خطراً هناك منه عندنا ، وحيث الهجوم الخفى لا يعرف طريقاً للدخول ، وحيث الجميع يتعاونون على الخير وعلى رفعة حق الإنسان ، رأينا « بيران » يحدث العلماء عن قصته مع الذرة والألكترون فى المدرج ذاته الذى رأى باستير وكيرى وغيرهم من هذا الحديث الذى أصبح ملكا للبشرية ، ومن هذه الذكريات العزيزة التى مضى عليها اليوم عشرة أعوام نستملى للقارىء مقالنا القادم الذى يرى فيه كيف عثر « بيران » على رقصة تشبه الرقصة السابقة ، وكيف استنتج من طول ملاحظتها قصة خالدة من قصص الوجود ، وكيف وضع بهذا حجراً أساسياً فى بناء المعرفة .

محمد محمود غالى
دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون
ليسانس العلوم التعليمية . ليسانس العلوم الحرة . دبلوم الهندسخانة

من هنا ومن هناك

هتلر كما يراه علم النفس

[ملخصة عن « يوروب نوفل » باريس]

كثر الكلام عن دكتاتور ألمانيا فى هذه الأيام لمناسبة الحرب التى أشعلها فى أوربا ، والروح التى تسلط بها على البلاد الألمانية ، وكثر القول فى تحليل تلك العقلية الغريبة التى أورثت العالم كثيراً من النصب ، وقد نشرت مجلة « أوروب نوفل » الباريسية حديثاً للعالم النفسانى المشهور دكتور « كارل جنج » حلل فيه دكتاتور النازى من ناحية علم النفس فقال : « كان فى العصور الأولى البائدة نوعان من الرجال الأقوياء الذين تخضع لهم الجماهير : الرئيس ويمتاز عن سائر رجاله بالقوة الجسدية ، والعراف ويكتسب نفوذه عليهم بعقيدتهم فيه » .

ولا شك أن بنية هتلر لا توحى بشىء من الصرامة الجسدية . وأ كثر ما يلاحظ فى أخلاقه هو ذلك المزاج الحالم العجيب ، وتلك النظرات السماوية الرهيبة مما يجعلنا ندرجه فى صف العرافين .

ولعل تلك النزعة الروحية فى هتلر هى التى تحفزه إلى بعض الأعمال التى نراها بعيدة كل البعد عن المنطق والصواب لما فيها من الغرابة والشذوذ . وقد نستطيع أن نقول : إن تسمية الريخ الألمانى بالريخ الثالث قد قصد بها إلى معنى روحى خاص ... إن أحداً من الناس لم يفكر فى تسمية امبراطورية القيصر وليام الثانى : الريخ الثانى .

فاختيار النازى لكلمة (الريخ الثالث) لم يكن يقصد به معنى الكلمة فى ذاته ، وإنما اختارها النازى لأن كلمة « ثالث » لها معنى روحى يوحى فى الباطن إلى القداسة المثلثة .

وقد أخذ الألمان يحيون نوعاً من التقليد تحت اسم « وتان » فما هو وتان ؟ هو ألم الريخ ، وقد أنشأوا بعض الكتائب تحت اسم كتائب « العاصفة النازية » يعنون العاصفة التى تتسلط فيها الرياح فتقتلع الأخضر واليابس وهى رمز الشر عند البوزيين .

فهذه الرموز والأسرار التى ابتدعها الريخ الثالث قد ساقت الألمان ونبيهم المزعوم تحت لواء الرياح ووراء تلك الشارة التى ترمز إلى معنى الزوبعة بغير وعى ولا تعقل نحو ذلك الموقف الدقيق الذى لا يعرف نتيجته أحد .

ويعد هتلر مرآة لما هو مطبوع فى نفوس تابعيه ، فكأنه الصوت المكبر لما يجول بخواطرهم ، وهو يستمد قواه من عقله الباطن الذى يتحول إلى عقل واع يسيطر عليه ويسوقه كيف شاء نحن نعرف عقلنا الباطن ولكننا لا نطيعه ، ولكن هتلر يصغى إليه ويطيعه طاعة عمياء .

إن الألمان فى موقفهم الحالى كاليهود فى العهد القديم . فمنذ اليوم الذى هزموا فيه ، وهم ينتظرون مسيحاً . فلما وجدوا هتلر تعلقوا به وألقوا إليه القياد . وقد جعل رسالته إليهم أن يوجد بينهم ويقودهم إلى الأرض الموعودة . ومن هنا نستطيع أن نعرف السبب الذى من أجله يحارب النازى كل ديانة لا تتفق ومبدأه .

الألمان قوم وجدانيون ، يندفعون فى كل شىء نحو غاياته . وقد كان يسرهم أن يظهروا فى ثوب « الجنتلمان » الإنجليزى فنادى بهم هتلر : لقد آن الأوان لنكون ألمان ...

إن هتلر كاهن وعراف ، فإذا بحثنا عنه كرجل فقد لا نجده فى الواقع . هو شتى أحلام وأحوال تكونت جميعها فأوجدت رجلاً

الغازات السامة منذ الإغريق

[من « لارف بلج »]

قال أحد مؤرخى الإغريق الأقدمين فى سفر من مؤلفاته : « إن الأعداء فى أثناء حصارهم لمدينة « ميجارا » عام ٤٧٠ قبل الميلاد حاولوا أن يغزوا المدينة ويستولوا عليها بتسليط الدخان ، فحفروا حولها الأسوار وملؤوها بالحطب والكبريت والقار ؛ ثم أشعلوها حول المدينة ، ولكن الدخان ارتد إليهم لتغير فى مجرى الرياح فاضطرهم إلى الهزيمة والفرار .

ولكنهم أعادوا هذه التجربة فى حصار « بلاتا » ، وفازوا فى هذه المرة بالاستيلاء على المدينة إلا أنهم ما كانوا ليدركوا أن

أكسيد الكربون هو الذي ساعد على نجاحهم لا مجرد الدخان .

وقد استخدمت هذه الطريقة نفسها في العصور الوسطى ؛ ويقال : إن أحد الأعداء كان يسكن في برج عال ، فوصل إليه الدخان في قلعته وقضى عليه . إلا أن هؤلاء الذين كانوا يستخدمون هذه الوسيلة لم يدركوا أن الموت كان متسبباً عن أكسيد الكربون وكانوا يفضلون أن يدسوا في نيرانهم الكبريت والنار وهما يلتهبان حتى في الماء ويسمونها (نار الإغريق) ، وكانت (نار الإغريق) هـذه معروفة في عهد الامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية البيزنطية ، والعصور الوسطى ، وعصر النهضة .

وقد أشار أحد مؤرخي العرب في القرن الرابع عشر إلى إحراق الأفيون وإضعاف العدو بما ينبعث منه من الأبخرة السامة وقد وجد في مكتبة المواد السامة في برلين كتاب مؤرخ في سنة ١٤٣٧ يعطي فكرة عن صنع القنابل السامة المحتوية على الزرنيخ. وقد أدرك المتقدمون أن بعض الغازات تحوي ثقلاً أخف من الهواء ، ورأى العالم اللتواني (سيمونكسيس) في أواسط القرن السابع عشر أن يجعلها في ثقل الدخان الذي ينبعث من الحشائش المحترقة ، وزعم أنه بذلك يستطيع أن يخلق جواً ساماً لا ينجو منه إنسان

وإلى هنا تنتهي المرحلة الأولى من تاريخ الغازات السامة ، وإذا كنا لم نر أحداً أقدم على استعمالها حتى عام ١٩١٤ فليس ذلك لأن العاطفة الإنسانية هي التي وقفت دون ذلك ، ولكن المحاربين كانوا يخشون عند إلقاء القذيفة السامة ، أن يصيبهم دخانها كما يصيب أعداءهم وقد قدم كيميائي إنجليزي إلى نابليون اختراع قنبلة سامة فلم يوافق عليه . ثم كثرت المخترعات التي من هذا النوع وتعددت في القرن التاسع عشر ، وفي سنة ١٩١٢ أجمعت جميع الدول في مؤتمر لاهاي على عدم استعمال الغازات السامة ، ولم تسمح باستعمال شيء منها على الإطلاق ، وقد أباحت استعمال الغازات التي تسيل الدموع لأنها لاتسبب للانسان علة يعسر شفاؤها

ولكن ألمانيا استعملت الغازات في أواخر اكتوبر سنة ١٩١٤ مناقضة بذلك تعهدها في مؤتمر لاهاي . إلا أن القذائف التي استعملتها لم تف بالمرام ، فقد كانت ضعيفة القوى سريعة الزوال فعدلت عنها بعد عدة محاولات ، ولكنها عادت إلى استخدامها في فبراير ١٩١٦

وقد أحرقت ألمانيا في ثلاث سنوات ونصف ٥٠٠ر٧٥ طن من الغازات السامة ، وقد بلغ عدد الذين أصيبوا من الجنود الفرنسية بهذه الغازات ٠٠٠ر٥٠٧ جندي، وقد ثبت أن ٢٧٪ من الجنود الذين فقدتهم الحملة الأميركية في الحرب ماتوا بالغازات السامة

دراسة التوأمين

[ملخصة عن مجلة « باريد »]

بدأت في أميركا في السنين الأخيرة دراسات وأبحاث جديدة في علم النفس ، وقد بذل الباحثون مجهوداً عظيماً في تحليل نفسية التوأم ، واكتناه ما فيها من الأسرار والعجائب . وهي نفسية معقدة حار فيها الكثير من العلماء الذين قضوا حياتهم في دراسة الطفل . إذ أن حياة التوأم تختلف من الناحية العقلية والنفسية عن سائر الأطفال

وتنقسم التوائم إلى نوعين ، التوائم المتشابهة وهي التي يتشابه فيها التوأمان حتى يصعب على الإنسان التفريق بينهما ، وهذان التوأمان يتكونان في الرحم من بويضة واحدة . تنشطر بعد أن يدركها النمو ، إلى شطرين كل منهما يكون إنساناً منفصلاً عن أخيه

أما النوع الثاني فلا تكون المماثلة فيه بين التوأمين ، إلا كما تكون بين سائر الإخوة الذين يولدون لأم واحدة . وهما على هذه الحال يتكونان من بويضتين منفصلتين تنموان - كيفما كانا - في وزن واحد

وقد وضع الأسس العلمية لدراسة التوائم سير فرنسيس جالتون (١٨٢٢ — ١٩١١) واضع علم الوراثة ، وقد أمد بمباحثه القيمة في الانتقال الوراثي ، من جاءوا بعده بالحقائق الهامة ، التي استطاعوا بوساطتها أن يجنوا أحسن الثمرات

ومن الحوادث التي تسترعي الأنظار في هذا الباب : أن أختين توأمين إحداهما تعيش في باريس والأخرى في مرسيليا ، أصيبت الأولى بتدرن في موضع في الرئة فأرسل الطبيب إلى زميل له ليكشف على الأخت الأخرى ، ولشد ما كانت دهشة الطبيبين حينما تبين لهما أنها أصيبت بالتدرن في نفس الوضع الذي أصيبت به الأولى . فكان الأختان توأمين متشابهين ، وقد أثبتت التجارب أن التوائم المتشابهة تصاب بالتدرن الرئوي والتهاب الأذن والحمى القرمزية في وقت واحد .. إلا أن هذه الحالة كانت أولى ما عرف في اتفاق التوأمين في موضع الإصابة وفي الوقت الذي حدثت فيه.



خطة اعداد النشء

كُنّا ضيفاً على بحر الروم ، وكانت «النيل» موضع رعاية الأمواج البيض القِصار وهُنّ صواحب بعاشر في غالب الأمر وأكثر الحال

جلس قوم بعضهم إلى بعض يتحدثون عند صدر الباخرة (أو مَرْنَحِيها، كما كانت العرب تقول)، على عادة الذين يجتمعون في رحلة : معرفة مستطرفة أو لقاء على غير وعد . وانطلق الحديث في شؤون مصر ؛ وركَزه من ركَزَه في وجوه الإصلاح ، حتى انساق إلى قصة التعليم وتنشئة أبناء الأمة . وإذا رجل ، خافض صوته، قاصد في الإشارة، يندفع في حديث انعطفت إليه أذني . قال:

« ما أظن أحدكم يشك في أنّ وِجهة التعليم الغالبة عندنا إنما هي إخراج كتبة وموظفين . وأما علة ذلك فكذا وكذا من الأمور المتصلة بالسياسة المفروضة أول الأمر ، يوم كنا لا نملك لأنفسنا من النفع شيئاً . ثم ذهبت العلة الأولى ، ولكن الآثار بقيت من طريق تسلط العادة وتجمد المنهج . ومن هنا اختل التوازن : تكسرت القيود الاجتماعية ، فانفسحت مسالك الحياة وانبسطت مرافق العيش ـ والمدارس لا تنفك تخرج طوائف متماثلة من بناة الرزق الهيِّن ، لفتور في عزماتهم ، وقصور في مداركهم . ذلك الرزق الذى تناله وأنت جالس إلى مِنضدة عليها ركام من الملفّات والأضابير ، فلا طموح ولا اعتماد على النفس ولا رغبة في التميُّز عن النظراء باقتحام باب من أبواب الاحتراف الصعب ، وشق أفق من آفاق الارتزاق ...

« بقيت هذه الآثار ، على سعى أولى الأمر في محوها . وسبب ذلك أن الإصلاح ، في مثل هذه الحال لا يكون من باب التصور والتخيل . وشتان ما الإزماع والإنجاز . فعلى المشرف على التعليم أن ينظر في وجوه الحياة ويتتبع موارد الكسب . والحياة تقوم ، أول ما تقوم ، على المادة ؛ وموارد الكسب إنما هي السوق على تفاريقها وتفاريبها . وهكذا تصح الوِجهة إذ تَملم القصِد

« وإذا قلت السوق عنيت التجارة والصناعة والزراعة، وما ينطوى تحتها جيماً أو يأخذ مأخذها . والمدارسُ المصرية التى تعلِّم هذه الفنون الثلاثة قليلة ، ونسبتها إلى المدارس التى تخرج الكتبة والموظفين حقيرة . ومن هنا ترى أن التوظف في مصر سيمانى ما يُقال له : « التضخم » من وجهٍ ، ويعجز عن ضمّ جميع طلابه من وجهٍ آخر . وينشأ عن هذا أمران : الأول بقاء سلطان الموظف البليد الحركة ، والثانى البطالة . وينضاف إلى كل ذلك أن مرافق الحياة الاقتصادية مصيرها الانحلال أو تخرجَ من قبضة المصرى إلى الأجنبى ، بل قُلْ : أو تبقى في قبضة غير المصرى

« ثم إنه يحسن بنا أن نفسح من مجال السوق نفسها ، فنشق سبلاً جديدة ثم نُعدّ لها الناس في المدارس ؛ ولا يكون هذا إلا بمعاونة وزارة المالية ووزارة التجارة والصناعة . وعلى هذا النحو نمطّ دائرة الحياة الاقتصادية ونوزّع هم النشء ، فلا تنحصر

وقد يتفق التوأمان (المتشابهان) في الاتجاه الإجرامى إذا كانا من المجرمين ، فيأتى أحدهما بنفس الجريمة التى يأتيها الآخر وقد يكون في معزل عنه منذ أمد بعيد ، وقد أثبتت التجارب وقائع كثيرة من هذا النوع

ومن التجارب النفسية المعروفة اختبار الورقة والحبر ، فيلقى بقليل من الحبر على الصفحة من الورق وتطوى ثم تفتح . ويسأل الشخص الذى يراد اختباره عما قد تذكره به فيفسرها كل إنسان تفسيراً يختلف عن الآخر ، فبعضهم يقول مثلاً إنها تشبه الثعبان ، والبعض يقول إنها تذكر بالطائر أو المنزل أو الإنسان أو ما إلى ذلك . ولكن التوأمين المتشابهين ، يجيبان في الغالب إجابة واحدة . فبقعة الحبر المرتسمة تثير في رأسيهما صورة واحدة في غالب الأحيان .

وجوه النشاط فى مصارف معلومة مربوطة ، ولا تنقلب المنافسة إلى مناوأة . وفى ذلك كله أسباب غنى للبلد فضلاً عن استغناء . »

قال الرجل مقاله السديد ، ثم نهض ونهضنا إلى النداء فلت إلى صديق لى فسألته : من الرجل ؟ فقال : الدكتور السنهورى . واتفق لى أن جلست إليه بعد ذلك ، فإذا هو على أوفر علم وألطف أدب

***

وجمعنى بالسنهورى بك مجلس جِد، لأسبوعين مضيا. وجرى الحديث على خطة وزارة المعارف فى التعليم . فنطق الدكتور السنهورى — وهو الآن وكيل الوزارة — بما كان نطق به و « النيل » تحملنا إلى شواطىء أوربة . فأيقنت أن هذه الخطة مما ظفر بالروية والتثبت ؛ فما هى بالمرتجلة ارتجالاً ولا المبتدعة بحكم العمل

وقد بدا لى أن أسأل وكيل الوزارة فى شأن الثقافة ، وما تكون حالها إذا هو صرف همه إلى وجوه الحياة الاقتصادية . فقال : إنى أدرك ما وراء سؤالك من القلق لأحب الأشياء إليك وأعلاها عندك . فلا عليك ، لا عليك ! إن الثقافة لا تزال موضع عناية . على أننا لا بد لنا من السهر على مستقبل العيش من بسط مرافق الحياة المادية وإعداد النشء لها . هنا سهر وهنالك عناية ؛ والتفاوت بينهما فى الدرجة ، لا فى المرتبة ، على قول الفلاسفة

قلت : لأهل الثقافة إذن أن يرقبوا الإصلاح هنالك . فهل تنظر الوزارة فى إخفاق المعهد الملكى للموسيقى العربية ، وتراجع طريقة إنشاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وتسأل كلية الآداب عن صحة ما يقال فيها ، وترد بعض كبار موظفيها عن الاستبداد بتقرير الكتب ، وتجعل لتصرف بعض موظفيها من الأجانب حداً واجباً (فلا تعود قصة « نفائس دار الآثار العربية » : « الرسالة » رقم ٣٠٤ و ٣٠٦ ، ولا قصة المدرس الفرنسى : مازويل الذى نال – فيما قيل لى – شهادة الدكتوراه فى الآداب من جامعة باريس على حساب الحكومة المصرية)

ذلك قليل من كثير . وأجل من ذلك شأناً أن تصلح طرائق التلقين فيخرج النشء للقراءة والتطلع والتفكير والمرح ، لا للكسل والبلادة والتقبض . وأظننى فصلت ذلك فى بحث نشرته « مجلة الدراسات الإسلامية » فى باريس (١٩٣٦) ؛ ولا حاجة بمثل عبد الرزاق السنهورى بك إليه .

بشر فارس

النقد الأدبى

قراء « الرسالة » يذكرون مقالى فى نقد خطاب العرش من الوجهة الأدبية ، ويذكرون أن بعض الجرائد والمجلات قالت إنى تخطيت الجانب الأدبى إلى شؤون وطنية ودستورية وتاريخية ، ومن الصحفيين من أشار إلى أنى موظف بوزارة المعارف ، وهى إشارة لها مدلول !

فهل أستطيع أن أدافع عن نفسى ؟

هل أستطيع أن أقول إن النقد الأدبى لا يُقتصر على المفردات اللغوية كما قالت إحدى المجلات ؟

النقد الأدبى هو درس الصلات بين التعابير والأغراض ، فلو درست نصًّا فقهيًّا لكان من واجبى أن أنظر إلى المعنى من ناحية فقهية ، ولو كان النص فلسفياً لكان من واجبى أن أنظر إليه من ناحية فلسفية ، ومع ذلك أظل فى حدود النقد الأدبى

وخطاب العرش بطبيعة موضوعه يتعرض لشؤون وطنية ودستورية وتاريخية ، فنقده من وجهة أدبية يستوجب أن ننظر فيما احتواه من هذه الشؤون ، فكيف يستجيز بعض الناس أن يقول إنى اتخذت من النقد الأدبى ستاراً لأغراض سياسية ؟

ومعاذ الوطن أن أتبرأ من قول الحق ، ولكن يجب أن أنصف نفسى فأقول إنى لم أتجاوز الحدود الأدبية فى نقد خطاب العرش ، فمن طاب له أن يقول إنى موظف بوزارة المعارف ليحدّ من حرية الفكر فليمض فى طريقه وهو مغفور الذنوب ، لأنه على كل حال مُواطنٌ عزيز

وهنا مسألة يجب النص عليها لأهميتها من الوجهة القومية : إن مقالى فى نقد خطاب العرش مرّ على الرقابة بوزارة الداخلية فأجازت نشره وهى تعرف أنى موظف بوزارة المعارف ، فما معنى ذلك ؟

معناه أننا فى مصر وطن الرأى والحرية ومَشرِق النقد الأدبى

فإن قيل إن هذه أول مرة يُنقد فيها خطاب العرش من الوجهة الأدبية فسيقال أيضاً إن هذا تقليد يصدر أول مرة عن وطن مصطفى كامل ومحمد عبده وسعد زغلول

والصحفيون الذين أرادوا أن يعدّوا هذا المقال من ذنوبى قد نسوا أنى زميل قديم ، له عليهم حقوق ، وفيهم من يذكر

أن «الوظف» هو أيضاً وطنى له أهداف سامية ، وبعضهم يحفظ الآية الكريمة : (ولا يَجرِمنّكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا)

زكى مبارك

فى كلية الآداب

منذ أسابيع أقرأ فى (الرسالة) الغراء حملة على مدرس فى كلية الآداب ، حمل لواءها أول من حمل صديق للدكتور بشر فارس على لسان الدكتور بشر ، وتلاه من بعد (جاميان) آخران . ولا يعنينى من هذه الحملة إلا أن أراجع الوقائع التى سردها الدكتور بشر فارس نقلاً عن صديقه ، ثم ما ذكره الآخران من وقائع أخرى . وإلى الدكتور بشر أولاً أسوق الحديث:

ذكر فى حديثه عن هذا الدرس مسألتين : الأولى تتصل بمكتبة الجامعة ؛ والثانية تتصل باستقدام الأستاذ الدكتور سالومون بينس

أما المسألة الأولى وما ذكره فى شأنها من أن هذا المدرس « يتلطف ليظفر بإدارة شؤون مكتبة الجامعة » فلعله قد اقتنع من الحديث التليفونى الذى ساقه إليه أحد كبار الأساتذة فى كلية الآداب ، وهو ولى الأمر فيما يتصل بشؤون مكتبة الجامعة الخاصة بكلية الآداب ، إن هذا « التلطف » نفسه لا أساس له من الواقع ، وإنه من اختراع مخيلة صديقه الخصبة الجريئة . بل إن المسألة على العكس من ذلك تماماً . فإن صلة هذا المدرس بمكتبة الجامعة صلة يجب أن نشكره عليها كل الشكر ، فقد أدى لمن يريدون البحث فى المسائل الإسلامية أجل الخدمات دون أدنى مقابل . ويكفى أن تعلم أنه خلق قسماً خاصاً فى المكتبة يجمع كل ما تحتويه من كتب إسلامية عربية أو غربية ، وأنفق جهداً ضخماً فى مساعدة القائمين على شئون هذا القسم من موظفى المكتبة من حيث جمع الكتب وتبويبها ووضع الفهارس لها والإرشاد عن مظان المسائل الإسلامية المختلفة . كل هذا الجهد الهائل قد بذله دون أن يؤجر عليه ، على أى نحو من الأنحاء . فصلته بالمكتبة إذاً صلة فضل عليها لا صلة فضول ، صلة يجب أن يسجل له الباحثون فى المسائل الإسلامية من أجلها أعظم الشكر

وفيما يتصل بالدكتور سالومون بينس يجب أن نقرر أولاً أن هذا المدرس فى كلية الآداب لم يقترح مطلقاً على الكلية أن تستقدمه . بل إن صلته بالدكتور بينس منقطعة منذ أكثر من سنة ونصف ، وليس أدل على تهافت كلام صديق الدكتور من ذكره أن قسم اللغة العربية قد نشطت آذانه لسماع اقتراح هذا المدرس . فمثل هذا الاقتراح لا يتعلق بقسم اللغة العربية ، وإنما بقسم الفلسفة ، لأن الدكتور بينس يشتغل بالفلسفة الإسلامية فحسب ، وليست له مشاركة فى أية ناحية أخرى من نواحى الاستشراق ؛ فإذا استقدمته كلية الآداب ، فذلك لكى يكون مدرساً للفلسفة الإسلامية بقسم الفلسفة .

هذا هو الواقع فى مسألة صلة هذا المدرس بالدكتور بينس وما قيل عن اقتراحه المزعوم .

أما مسألة استقدام الدكتور بينس فهى فى ذاتها أمنية تجيش فى نفوسنا نحن المدرسين المصريين المشتغلين بالفلسفة الإسلامية وليس أدعى إلى اغتباطنا من أن يأتى إلى الكلية مدرس فى تدريسه أعظم الفائدة للطلاب ، ونهوض بمناهج الدرس للفلسفة الإسلامية . فى كلية الآداب نهوضاً كبيراً . فالدكتور بينس مستشرق ممتاز ، وقطب من أقطاب الجيل الذى بدأ يتبوأ مركز الصدارة فى حركة الاستشراق بعد أن انقضى الجيل السابق من المستشرقين أو كاد بعد موت المرحوم نلينو . وإن أعجب لشىء فعجبى لجهل الدكتور بشر فارس بمكانة بينس ، مع أن الدكتور بشر فارس ممن لهم إلمام بحركة الاستشراق غير قليل ، وأغلب الظن أنه إنما تجاهل بينس — ولم يجهله — حرصاً على إرضاء شهوة الصديق أن ينال من هذا المدرس فى كلية الآداب . فيكفى أن يذكر المرء من أبحاث الدكتور بينس « رسالته فى مذهب الجوهر الفرد عند الإسلاميين » فهذا البحث من أحسن البحوث التى كتبها المستشرقون فى الفلسفة الإسلامية على الإطلاق ؛ وسيرى ذلك قراء العربية حينما ننتهى من طبع ترجمتنا لهذه الرسالة . هذا ولم نذكر مقالاته العربية التى تظهر فى مجلات المستشرقين وخصوصاً فى مجلة « الحضارة الإسلامية » التى يصدرها بعض الهنود المشتغلين بالدراسات الإسلامية وهذه الأبحاث التى كتبها بينس تمتاز بالطرافة فى النتائج التى يصل إليها ، والاستقامة فى مناهج البحث الفيلولوجى والعمق فى فهم المذاهب الفلسفية الإسلامية وغير الإسلامية

فاستقدام الدكتور بينس للتدريس فى كلية الآدب فائدة

كبرى ، وأمل أعز ما نرجوه من أجل مصلحة الدراسة فى الكلية أن نراه عن قريب وقد تحقق

ومن هذا كله يتبين أن الحال فى المسألتين اللتين ذكرهما صديق الدكتور بشر ليست كما زعم الصديق . بل هى على العكس من ذلك تحملنا على تسجيل الشكر لهذا الدرس فى كلية الآداب

أما المسائل التى ذكرها الجامعيان الآخران فلا تستحق منا أن نرد عليها بأكثر من قولنا إن ما ذكر باطل كله . فالمرتب الذى يتناوله هو المرتب العادى الذى يتناوله أصغر المدرسين الأجانب بالكلية ، وقصة الخمسمائة الجنيه قصة أقل ما تستحقه هو السخرية لبطلانها ، وفى هذا فليرجع إلى كلية الآداب من شاء

وأخيراً أقول لمن تحدث عن الحق منهم كما أقول لزميليه الآخرين : اتقوا الله فى الحق أمام ضمائركم ، قبل أن تدعوا اتقاءه فيه أمام الناس حتى لا تضطروا إلى الدفاع عن أجنبي مواطناً لا يؤذيه شيء قدر أن يلجأ إلى الدفاع عن أجنبي بإزاء مواطنين

عبد الرحمن بدوى

المصريون فى ميدان الثقافة

اطلعت فى مجلة الرسالة بالعدد ٣٣٣ على كلمة قوية على هدوئها للدكتور بشر فارس تحت عنوان « فى كلية الآداب » أثار فيها مسائل هامة تمس الحياة الثقافية عندنا . واطلعت بعد ذلك فى مجلة (المصور) تحت عنوان « النبوغ فى مصر . هبوط سعره فى بورصة الحكومة » على بيان للأستاذ فكرى أباظة ذكر فيه حقائق خاصة بضياع حقوق الجامعيين من الشباب المصرى . وقد تلت كلمة الدكتور بشر فى الرسالة كلمة أخرى لزميل (جامعى) بيَّن فيها كيف يحظى المدرس الأجنبي بما يعز على المدرس المصرى فى بلده ، ثم بكلمة ثانية تعززها بقلم (جامعى آخر)

ولقد سمعت – حين كنت بباريس – أن بعض أولئك الأجانب – وكان قد قضى بمصر سنوات – لما سمع لأول مرة قدر المرتب الذى عرض عليه لم يصدق أذنيه ؛ فلما رأى كشف المرتبات كاد لا يصدق عينيه ! ومما لا نشك فيه أنه لو عرض على أمثاله نصف المرتب لقبلوه ولكانوا هم الفائزين . هذا مع العلم بأن فى المدرسين والأساتذة الأجانب نخبة لا ينكر فضلها وعلمها عندنا جميعاً

كيف يرفع المستوى الاجتماعى والأدبى عندنا وبين قادة الثقافة من ينتقص من أقدار مواطنيه وينظر إلى المتعلمين الأكفاء منهم كأنهم من طينة دون طينة الأجنبى إطلاقاً ... أما تعلّمنا لغة الأجانب على طول الاحتكاك بهم ، أعنى لغة الوطنية الصحيحة لا لغة الكرم والضيافة والدعاوى المريضة التى لا تجدى ؟

ثم لِمَ تنفق أموال الدولة على أعضاء البعثات الذين يقضون فى الخارج سنين أكثر أيامها جهد وكد ، فإذا عادوا إلى الوطن أشد ما يكونون حماسة لخيره وتلهفاً إلى العمل لخدمته ، رأوا زملاءهم الأجانب أوفر حظاً

رحم الله شوقياً إذ قال :

أحرام على بلابله الدو ح حلال للطير من كل جنس؟

جامعى ثالث

حول المصحف المحرف

جاءنا من الأستاذ شيخ القارئ ما يأتي :

إطلعت على الكلمة المنشورة بالعدد رقم ٣٣٤ من الرسالة الصادر فى ٢٧/١١/١٩٣٩ بشأن أخطاء فى مصحف يسمى « التنزيل الربانى » : طبعه عبد الرحمن أفندى محمد – ورداً عليها أفيد أن المصحف المذكور قام بطبعه ونشره ذلك الملتزم بدون مراجعة ولا إذن . وقد سبق لنا رفع أمره إلى مشيخة الأزهر فى شهر يناير سنة ١٩٣٩ ، وطلبنا منها إلزام ناشره بإصلاح أكلشيهاته ونسخه التى طبعت عليها مع منعه من الاتجار بها بدون إصلاح .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

الضباع
شيخ القارئ

شمال أفريقيا والأستاذ الحصرى

يقول الأستاذ الحصرى فى مقاله « بين الوحدة الإسلامية والوحدة العربية » الرسالة ٣٢٨ – (إن العالم الإسلامى يشمل الأقطار العربية وتركيا وإيران والأفغان وتركستان مع قسم من الهند وجزر الهند الشرقية وبلاد القفقاس وأفريقيا الشمالية مع قسم فى أفريقيا الوسطى)

فالأستاذ الحصرى يوهم أن الأقطار العربية هى فقط مصر والشام والعراق والحجاز واليمن أما أفريقية الشمالية التى تبتدأ من تونس وتنتهى بمراكش فهذه عنده بلاد إسلامية وليست بعربية . فهل هذا هو الحق يا سيدى الأستاذ ؟

لقد انصرم أكثر من اثنى عشر قرناً على تعريب أفريقية الشمالية ودلت الحوادث على أن جريان الزمن لا يزيدها إلا تمسكا بعروبتها وقوميتها ؛ ولكن بعض إخواننا فى الشرق ينكرون — عن غير عمد — هذه الحقائق البسيطة .

والأستاذ الحصرى نفسه زار شمال أفريقيا منذ أشهر قلائل ووصل إلى المغرب فتطلعنا لرؤيته ورجونا خيراً من زيارته للقطر العربى الذى يجهله الأقطار العربية وبحثنا عنه فى كل مكان فما أسعدنا الحظ بلقياه

سلوه هل زار كلية القرويين وشاهد مكتبتها العربية ؟ سلوه هل طاف بمدارس فاس الأثرية وشاهد ما تركته يد العرب بجدرانها ؟ سلوه هل زار قصور اسماعيل بمكناس ومنارة الكتبية بمراكش ودار الآثار العربية بفاس وهو مدير لمثل هذه الدار ببغداد إن لم تخطئنى الذاكرة

سلوه بالله ماذا أفاد من رحلته إلى (مجاهل !) أفريقيا الشمالية كان يمكنه أن يعلم شيئاً كثيراً عن عروبة هذه البلاد لو اتصل بعلمائها وأدبائها واختلط بالشعب الذى يود التعرف بأمثاله من نبهاء الشرق

وعلاوة على ذلك فإن المغرب وهو جزء من أفريقية الشمالية يمتاز فى عروبته بوحدة دينية مذهبية لا تجدها فى غيره من الأقطار العربية كمصر أو سوريا أو العراق؛ فليس فى المغرب أقليات دينية سوى أقلية ضئيلة من اليهود الذين يتكلمون باللغة العربية . وسوى أقلية تافهة من الأجانب الذين نزلوا المغرب بعد الحماية

أما الوحدة المذهبية فالمغرب من أقصاه لأقصاه على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، وليس فيه طوائف دينية كالرافضة أو الأباضية أو غيرهما من بقية الفرق الدينية التى توجد كثيراً فى بلدان الشرق العربى والإسلامى

الحق أن النزعة القومية المتأصلة فى دمائنا هى التى تضطرنا أحياناً لإصلاح أغلاط إخواننا العرب فينا، فمتى يكون بين البلاد العربيـة سفراء سياسيون وثقافيون يقومون بربط العلاقات الثقافية والسياسية بين أبناء البلاد العربية ؟

(فاس) أبو الوفا

الاحتفال الرسمى بضريح أبى العلاء

روت صحف سورية أنه احتفل بالمرة بوضع الحجر الأساسى لضريح الفيلسوف الشاعر أبى العلاء المعرى؛ وقد حضر هذه الحفلة رجال الحكومة وافتتحها السيد طالب الحراكى بكلمة ترجمها إلى الفرنسية السيد زكريا شكرى وقد تقدم رئيس الدورين والمسيو هوتكلوك فوضعا الحجر الأساسى

وألقى رئيس الدورين خطاباً تكلم فيه عن عبقرية أبى العلاء وأن الأمة التى أنجبته تنجب مثله ما دامت مياهها مياهها وسماؤها سماءها ، ثم شكر رجال فرنسا والندوبين وكل من شجع الحكومة بحضور هذه الحفلة . ثم وقف المسيو هوتكلوك فألقى خطاباً أعرب فيه عن سروره باشتراكه فى الحفلة وذكر شهرة أبى العلاء وأنه كان أبدع مظهر للذكاء العربى ، وأسهب المندوب فى الكلام عن شعره، ثم شكر باسم المفوض السامى وباسمه الذين قاموا بهذا المشروع وهنأ المعرة وتمنى أن تحذو البلاد السورية حذوها .

جائزة مختار للنحت لعام ١٩٤٠

تقيم جمعية أصدقاء مختار فى هذا العام مسابقة فى فن النحت إحياء لذكرى المرحوم المسيو فيس صديق المرحوم مختار الذى ساهم بقسط وافر فى نهضة الفنون الجميلة بمصر وظل لآخر لحظة من حياته عضواً عاملاً فى جمعية أصدقاء مختار

وجائزة هذا العام قدرها خمسة وأربعون جنيهاً مقدمة من حضرة صاحبة العصمة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى . وهذه الجائزة على ثلاث درجات: الأولى ٢٠ ج والثانية ١٥ ج والثالثة ١٠ ج

وموضوع المسابقة «الحرف الجوالة» وللمشتركين فى المسابقة الحرية فى اختيار نوع الحرفة ووضع المحترف الجوال كأن يختار واحداً من هؤلاء :

بائع العرق سوس . قرداتى . مسحراتى . حاوى . نبين زين . سن السكين وسن المقص . بائعة اللبن . بائعة على لوز . السقاء . غزالك ربّع . يا جابر . بخور عاشوراء . حب العزيز . . . الخ

وآخر موعد لقبول الاشتراك فى هذه المسابقة هو ٢٩ فبراير سنة ١٩٤٠ ويجب أن يقدم المشتركون فى المسابقة تماثيلهم قبل نهاية يوم ٢٥ مارس ١٩٤٠ بصالة العرض التى سيعلن عنها فى الوقت المناسب

والمرجو من حضرات الفنانين الراغبين فى الاشتراك فى هذه المسابقة أن يقدموا طلباتهم إلى سكرتير «جمعية أصدقاء مختار» جبرائيل بقطر أفندى بشارع الأنتكخانة رقم ٦ بالقاهرة ت ٥٢٩٤٧

رواية « الأمل » على مسرح الأوبرا

حسبك من هذه الرواية أنها تدعو الجيل الجديد للتحرر مما يرسف فى أغلاله الجيل القديم وأنها تفتح عيون الشباب على حياة جديدة جديرة بهم

أما أنها تعبر أو لا تعبر عن الروح المصرية فهذا ما ندعه جانباً إلى حين ، وحسبنا أن المؤلف (هنرى برنشتين) كان فيها إنساناً أكثر من مواطن فرنسى ، فهو لم يعبر عن حالة معينة فى الخلق الفرنسى والبيئة الفرنسية وإنما أراد أن يرسم للشباب كله — الذى خرج من الحرب منهوك القوى محطم النفس مندفعاً بكل قواه إلى الملذات والمباهج — حياة جديدة ، وأن يدعوه إليها طالباً منه أن تكون لديه الشجاعة الكافية للانتقاض على الجيل القديم وتقاليده وما عرف عنه من الاستسلام للأمر الواقع وانتظار حكم الزمن ...

أما ممثل الشباب فإنه كان قوياً بحيث لم يخش الفضيحة وألسنة الناس وهو يسترد كلمة أعطاها ووعداً ارتبط به مع فتاة عابثة ليعطى كلمته فتاة جديرة بحمل اسمه ، هى أخت الأولى ومن لحمها ودمها

ولم يستطع ممثل الجيل القديم أن يكون الإنسان الذى يدافع عن سعادته وهناءته العائلية واكتفى بأن يكون سلبياً فى انتظار حكم الزمن ، أما ممثل الجيل الجديد فقد أصدر حكمه بنفسه وفى الحال ، فآب الأول بحياة كسيرة وفاز الثانى بحياة حافلة بشتى ضروب السعادة والهناءة .

وبعد فإن مقتبسى الرواية أو على الصحيح اللذين قاما بترجمتها وتمصيرها قد فملا القليل فى هذا السبيل . ارتفعا بأشخاص الرواية إلى الطبقة الأرستقراطية كيما يبررا هذه الحياة الأجنبية التى تحياها هذه الطبقة عندنا ، وقالا فى برنامج الرواية :

« وأن تفتح عينيها — أى الزوجة العابثة — على حقائق الحياة المصرية فتعلم أن التقليد الأعمى لعوائد الغرب إنما ينقلب فى جونا الشرق وبالاً وشقاء على الأسرة » فالمقتبسان على ذلك يأخذان الصورة كما هى بنصها وفصها ليكون لهما مجال للتنديد بهذه الطبقة الارستقراطية التى تقلد تقليداً أعمى عوائد الغرب .

على حين أن الرواية لا تقصد إلى شىء من هذا وإنما ترمى إلى ما هو أسمى وأعم نفعاً وأوسع مدى من هذه الفكرة المحلية ، فهنرى برنشتين يرى أن خضوع رجل الزوجة العابثة يفقده هناءه العائلى ويحطم كيان أسرته ؛ وفرق كبير بين هاتين الفكرتين.

وما دعا المقتبسين إلى الركون إلى ذلك إلا مخافة أن يقول النقاد إن أشخاص الرواية ليس فى مصر من يشبههم ، كما قالوا — أى النقاد — فى رواية لهما من قبل هى (الزوجة الثانية)

وهذه الرواية هى الثانية التى يخرجها الأستاذ فتوح نشاطى. فأما الرواية الأولى (تحت سماء أسبانيا) فقد كان نجاحه فيها شاملاً . سيطر على المجموعة سيطرة تامة فنال عن طريق ذلك الفوز البين . أما فى هذه الرواية فقد أفلت منه البعض برغمه؛ فما يستطيع أن يقوم اللسان المعوج أو العود المائل اللذين لم يقومهما الزمن ، ومع ذلك فقد نجحت الرواية. وقد كان بارعاً البراعة كلها فى ترتيب وتنظيم المنظرين اللذين ظهرا فى الرواية، فقد نثر الأثاث فى ظرف وأناقة بحيث لا يعوق الممثلين ولا يقصر عن حاجتهم ، وكانت الحوائط قد زانتها الصور والمرايا فى تناسق مثير وأناقة بالغة؛ وكأنى بالمخرج ينظم عشه ويجمل الإطار الذى يعيش فيه

أما التمثيل فقد كان موفقاً فى أغلب المواقف. وليس يعاب على البعض إلا تعثره فى الكلمات التى لم تمها الذاكرة الكليلة؛ وبالتالى إخفاقه فى إنجاح المشاهد التى تعثر فيها . وعلى أى حال فلا بد من التنبيه إلى أن أول ما يعنى به الممثل هو حفظه دوره حفظاً تاماً فإذا لم يفعل فليس غريباً أن يخفق مهما كان فاهماً لدوره

وبعد فقد نجحت الرواية نجاحا حد منه أنها خرجت بغير ثوبها الأصلى ، فإن من رأينا ألا تمصر الروايات وأن يكتفى بترجمتها وإخراجها كما هى منسوبة إلى مؤلفيها دون سواهم . ومن رأينا كذلك أنه إذا عن لبعضهم أن يقتبس فكرة من رواية فليؤد معنى الاقتباس أداء دقيقاً وافياً فيأخذ الفكرة ويخضعها للبيئة التى ينقلها إليها ثم يكتب روايته من جديد غير ناظر إلى الرواية المصرية ، فلا ينقل منها حواراً بنصه بل بروحه حتى يكون له فضل التأليف لا فضل النقل .

فرعون الصغير

7me Année No. 337

Lundi - 18 - 12 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٣٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٨ ديسمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

صاحب المعالى وزير المعارف

على ذكر مراقبة الثقافة العامة

عرفك الناس يا صاحب المعالى فى جميع أطوار النهضة وأدوار الجهاد رجل جد وعزيمة ، وصاحب رأى ونفاذ . ولعلك واحد الزعماء فى حب الصمت وكراهة الإعلان وإيثار العمل . ولقد كان تَوليك أمور المعارف أمنية من أمانى النفس المصلحة طالما هفت بقلبك وقلوب رجال الثقافة . فإن داء وزارة التعليم قد استفحل وأعضل حتى استيأس منه الطبيب والعائد ، وأنت من الرجال القلال الذين عرفوا أن هذه الزَّمانة التى خزلت هذه الوزارة عن السير فى عصر السرعة إنما هى الذبذبة فى سياستها والفوضى فى ساستها والتواكل فى جنودها . وكنت تنظر إليها من بعيد وهى تمشى متخلجة متخلفة فترجو أن يتيح الله لها قوماً غير القوم فينفخوا فيها من روح العصر ونشاطه ما يساعدها على مسايرة النهضة وموانأة الحاجة

وها أنت ذا قد أتاحك لها الله كما رجوت ورجا أنصارك ، وقد استقر الأمر واتسق الحكم واستبان الطريق ، وعلى رأس الدولة ملك ديمقراطى النزعة عُمَرى الإصلاح ، يريد أن يكون عهده السعيد عهد مصر الذهبى فى العمران والعرفان والسلطان والنعمة ؛ وعلى رَآسة الحكومة رجل قوى الإرادة نزيه

السياسة حر الضمير ، يود أن يكون حكمه حكم الأمة فى إشاعة الخير ، وتوخى المنفعة ، وتعميم العدالة ! ولك وكيل منطق الرأى أصيل الثقافة يتساير هواك وهواه فى الطريقة والغاية . فنحن إذن حريون أن نرى وزارة المعارف فى عهدك شيئاً آخر يختلف عن هذا الشىء فى روحه ونظامه وعمله وغرضه ومداه

***

إن مراقبة الثقافة العامة يا معالى الوزير هى الناحية التى ستخرج منها الوزارة عن سياستها الديوانية التقليدية التى انحصرت إلى اليوم بين جدران المكاتب وأبواب المدارس فلم تتصل بالفكر العام اتصالاً مباشراً تغذيه أو تهديه أو تعاونه. فى هذه الناحية الجديدة ستلتقى الوزارة بالشعب وترى بعينها أنها فرطت فى جانب الثقافة العامة تفريطاً لا يسعها فيه عذر . فالأدب لا يزال ناقصاً فى نوعه ، قاصراً فى بيانه ، قليلاً فى نتاجه ، ضعيفاً فى انتشاره . فهو ناقص فى نوعه لأنه أنكر قديمه وجهل جديد الناس فلم يُغذِّه ماض ولم ينَمِّه حاضر ، فبقى مُخْدَجَ الخَلْق لا هو ميت ولا هو حى . ولقد كان أدبنا القديم فى حدود مراميه اللسانَ العام لخوالج النفس الإنسانية فى أكثر بقاع الأرض ، فلم تكن هناك فكرة تجول فى ذهن كاتب ، ولا صورة تتمثل فى خاطر شاعر ، إلا وجدت فى هذا الخِضَم المحيط صَدفة تستقر فيها . فلما تحولت عن مذاهبه الأنهار وجفّت على جوانبه الروافد، عاد كالبحيرة الراكدة المحدودة لا يمدها إلا قطرات المطر ودفعات السيل من حين إلى حين . فالقارئ العربى الحديث لا يجد فيما أُثر منه ولا فيما استجد فيه غذاء عقله ولا رضى شعوره ، لأن المأثور منه ناقص لانقطاعه عن سير المدنية ، والجديد فيه ناقص لخلوه من الآداب الأجنبية. والغريب أن المرء يقرأ أى نابغة من نوابغ العالم فى أى لغة من لغات التمدن إلا فى اللغة العربية ! فالتركى مثلاً يستطيع أن يقرأ فى لغته هوجو كله، وشكسبير كله، وجيته كله ؛ ولكن العربى لا يجد فى لغتـه لهؤلاء العالميين إلا كتاباً أو كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ونشرهما على حسابه . فإذا أردنا يا معالى الوزير لأدبنا أن يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الأمس : نرفده بآداب الأمم الأوربية ، ونصله بتيار الأفكار الحديثة . فإن لكل أمة مزايا ، ولكل بيئة خصائص . ولن يكون أدبنا عالياً ما لم يلقح بآداب العالم. والمحاكاة والاحتذاء من أقوى العوامل أثراً فى الأدب

والأدب العربى قاصر فى بيانه ، لأنه مقطوع الصلة بحضارة العصر ، فلا يستطيع أقدر كتابنا أن يتحدث عما يستعمل من ماعون وأثاث ، ولا أن يصف ما يركب من باخرة أو طائرة . ومجمعنا اللغوى ليس فى مقدوره بحكم تأليفه وطريقة عمله أن يقدم إلى الناس معجمه العتيد إلا بعد جيل أو جيلين، حين يكون كل شىء فى العالم قد تغير أو تطور ، فيصبح معجمه فى الجدّة يومئذ كمعجم لسان العرب اليوم ! فلا بد لهذه الحال من علاجك الحاسم يا معالى الوزير ، فإن اللغة الناقصة هى نصف البَكَم إن لم تكن أكثر الجهل !

والأدب العربى قليل فى نتاجه ضعيف فى انتشاره، لأن الأدباء ينتج بعضهم لبعض ؛ فهم الذين ينشئون وهم الذين يقرأون . أما الخاصة فلجهالتهم لا يفهمونه ، والعامة لأميتهم لا يعرفونه . وإذا حرم الأدب تشجيع الخاصة لا يزدهر ، وإذا لم ينل إقبال العامة لا ينتشر ، وإذا لم يكن حاجة هؤلاء وهؤلاء لا يتنوع . وعلاج ذلك يا معالى الوزير تعويض الأدب من تعضيد الجمهور بالمكافآت والجوائز ؛ فإنها تحفز القرائح للعمل ، وتضمن الإجادة بالتنافس ، وترفع المستوى بانتخاب الأجود . وببضعة آلاف جنيه من الخزانة العامة ينفق أضعافها فى تمهيد طريق أو تجميل بناء تخلق فى الأمة أدباء عالميين ، وتجمع لها من الأدب الصحيح ثروة

***

وملاك ذلك كله يا معالى الوزير أن تفكر مراقبة الثقافة العامة فى أمرين جليلين : أحدهما إنشاء دار للترجمة تنقل الآداب الأجنبية نقلاً كاملاً صحيحاً ، فلا تدع نابغة من نوابغ العالم فى العلم والأدب والفلسفة إلا نقلت كتبه ونشرتها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الأصلية ؛ والآخر تأليف مجمع للأدب يقوم على رعايته وتوجيهه وتشجيعه ونشره ؛ ثم يكون لقرائح الشباب وهى فى أول الشوط مناراً وحمى ، ولعبقريات الشيوخ وهى فى آخره أمناً ومثابة . والأستاذ المراقب الذى اخترته يا معالى الوزير أقدر من يحقق الرجاء فى هذه المراقبة متى ظفر بتسديدك وتأييدك وعطفك .

احمد حسن الزيات

الانسان والحيوان والحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

حركة !

إذن هو الخطر بعينه !

وهل فى موقف الحراسة من الميدان حركة لها أمان ؟ ...

كلا . بل هو الخطر جد الخطر على الحارس وعلى من يحرسهم ، وهم مئات ألوف .

ثم حفيف بين العشب !

فهو الخطر إذن يقترب ، وهو الانتباه أشد ما يكون انتباه ، والاستتار أخفى ما يكون استتار !

وانبطح الحارس وانتظر ، ولمت عينان على مقربة ، فإذا بالحارس كله عيون ، لو قتل إنسان شيئاً بنظرته لمات صاحب تينك العينين فى جنح الظلام !

وسدد الحارس الرامية ، ومضت العينان تدنوان وتدنوان ، وأوشكت القذيفة أن تنطلق لولا أن انطلاقها محظور لغير الخطر المحقق القريب ، مخافة الانتباه من جانب الأعداء إلى موضع الحراسة وموضع المعسكر ، فلا مناص من انتظار .

ثم بدا صاحب العينين برأسه وبشخصه :

الحمد لله ...

هو كلب ... وليس بإنسان !

* * *

تلك خلاصة قصيدة انجليزية من قصائد الجنود فى حرب الدردنيل الماضية .

حمد الشاعر ربه لأنه كان يحذر فصيلة الإنسان دون الفصائل جميعاً من عالم الحيوان ، فهو من أخيه الإنسان على أخطر الخطر فى ذلك الظلام ... أما عالم الحيوان جميعاً ، فهو منه فى أمان !

لم أقرأ هذه القصيدة قط إلا ذكرت شاعرنا العربى حين يقول :

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى
وصوت إنسان فكدت أطير

نعم . وأصدق مايكون ذلك فى مقام حراسة وفى ميدان قتال !

ثم قامت الحرب الحاضرة ، فإذا ببطل من أبطال الحيوان ، يعلو ذكره فى كل ميدان ، ويستوحونه القصائد والألحان !

ذلك تونى المنسوف

أو هو بالإنجليزية Tawny The Torpedoed

أتعرفه ؟

لم أزدك به معرفة على ما يظهر ، فاعلم أنه قط من مشاهير القطط فى الدنيا ، أو هو الآن من مشاهيرها بعد أن لم يكن على بال أحد غير أصحابه وعشرائه قبل بضعة أسابيع

كان يومئذ فى سفينة انجليزية أغرقتها الغواصات على مقربة من شواطئ السويد ، وبصر به جندى فى الماء فعاد إليه ونجاه ولم يحفل بما يصيبه من مكامن البحر « اللغوم » فى سبيل هذه النجاة : نجاة تونى المنسوف !

وضبطه رجال الميناء ميناء جوذنبرج فاعتقلوه ، وقرروا إبادته فى المحجر كما يصنعون بالحيوان من قبيله إذا خيفت منه العدوى أو احتاج أمره إلى الرقابة والتمحيص . وأين هى الحكومة التى تنفق على حيوان طريح من طرائح البحر حتى ينجلى الشك فيه ، فإما سليم فيرسل ، وإما مصاب فيباد !

يباد ؟

إن الجنود الذين أنقذوه من الغرق لم ينقذوه من الماء ليقذفوا به إلى النار المحرقة أو إلى السم الزعاف

فلن يباد تونى المنسوف ، وفى أولئك الجنود بقية من دماء

واتصلت المشكلة بالصحيفة الوقور التى أسماها بعضهم بالدولة المستقلة ، وهى صحيفة « التيمس » اليومية

فكُتبت الحياة لتونى المنسوف !

وتقاطرت الهبات على ميناء جوذنبرج للإنفاق على ضيفها المضنون به على غير أهله ، طوال مدة الرقابة الصحية وعدتها ستة شهور

وجاشت قرائح المصورين وقرائح الشعراء

فظهرت فى الصحيفة صورة « تونى » على لوحة تنوص وتطفو بين اللجج المزبدات ، والحطام المتناثر من الأحياء والأموات وعلى رأسه طيارات ، ومن حوله غواصات ، وهو ينهن

كأشجع ما يكون الشجعان من البطولة والثبات !

وكتب شاعر تحت الصورة هذه الأبيات :

« المخلوق الضعيف القليل النصير في ألعوبة من ألاعيب الأقدار، يبدو أنها ختام ما قدّر له من وجود

« تولته صداقة « التيمس » فامتدت به حبال الأجل الممدود

« ووثب من ذراعي الموت إلى أحضان الشهرة والخلود

« لقد كان مجهولاً لا عنوان له بين قطط العالمين

« فارتقى سلم الشهرة قفزة واحدة إلى مكانها المكين

« مذكور الأحزان والأشجان بين الناس، معروف الشجاعة على كل لسان مبين ، من المادحين والمعجبين

« والآن تتلقى أنباءه أمواج الأثير ، وهو قابع في المحجر مستقر أمين

« يشرب اللبن ويستطعم الغذاء، ويلعب ويطرب ويستكين

« وعلى ضفاف السويد من خليج بوهاس الجميل الموصوف

« ينتهي منظر القصة المنظومة، وتبتدئ شهرة توني المنسوف

« وتسري على « الكانيجات » أنفاس الخضم ، وآهات الخريف ! »

***

اقرأ هذه القصيدة الظريفة وقل معي : يا لذلك القط من حيوان مجدود !

بل قل معي: يا للانسان من حيوان مكدود منكود !

ولا تعجب أن تكون هذه عنايته بقط مسكين ، وفي العالم حرب ضروس تنذره بهلاك الألوف أو الملايين

أو إن عجبت فاعلم أنني لا أعجب مما أرى وأسمع من أشباه هذه الأنباء ، ولا أراها أهون ولا أهزل من أن تشغلنا ببعض الشغل في هذا البلاء أو عن هذا البلاء

فأهون ما فيها أنها لا تيئس من العاطفة الإنسانية ، وأنها تزيدنا علماً بسرائرنا النفسية ، وأنها توازن ما في الحرب كلها من عداء ، بما في ودائع القلب الآدمي من شغف بالمودة وحرص على الولاء ، وشوق إلى الوفاء

***

إن عداء الحرب لا يستنزف ما في النفس من ينابيع الرحمة بل ينبش عنها في الأعماق فيرسلها على شتى الصور وأغرب المناسبات .

فكلما اشتد العداء كان اشتداده مدعاة إلى اشتداد البحث عن جانب المودة والرفق ، وجانب الألفة والمونة ، وجانب الطمأنينة إلى ملاذ في قرارة الحياة

ولهذا تعظم الحرب لأنها تشمل الملايين من أفراد السلالة الآدمية .

وتعظم إلى جانبها حادثة « توني » الضعيف لأنها تشمل نفس الإنسان ، أو تشمل جميع بني الإنسان

***

ونحن بصدد الحيوان والإنسان فلنختم هذا المقال بقصة طريفة من قصص هذا المقام

على الصفحة الأولى من الصحيفة الإنجليزية المصورة « اللستراتد » Illustrated رسم كبير لكلب من فصيلة « البول دوج » المشهورة بين الإنجليز وعلى رأسه قبعة من قبعات الجنود

ومناسبة هذا الرسم أن « المذياع الألماني » أشاع في الشهر الماضي أن الغواصات الألمانية أغرقت « السفينة » كستريل Kestrel وليست هي بسفينة ولكنها نقطة تدريب برية يختبرون فيها سلاح السفن ويتبعونها من أجل ذلك لوزارة الشؤون البحرية

فلما شاع هذا النبأ المضحك بين جنود تلك النقطة نقله الجندي الذي يخلع قبعته على كلبها المحبوب إلى ذلك الكلب الغافل عن مذياع الألمان ودعوة الألمان ، وقال له مازحاً :

أتدري يا بولي أنك الآن في عداد الأموات وفي سجل الغرقى ؟ هكذا يزعم جوبلز بأيها الميت الذي يدعي الحياة !

قال الراوي : فزمجر بولي غاضباً : « ومن هو جوبلز ؟ »

والحق أن بولي ليقولها ويقول ألفاً من قبيلها ! . . .

نعم . . . ومن هو جوبلز ؟

ولهذا السؤال ولا ريب معناه !

عباس محمود العقاد

إليك رجعت يا قلبي

« لكاتب من الكتاب »

ينم عليه أسلوبه

قلبي ، ألم يأن لك أن تعفو وتصفح ؟

أنت تعرف أني لم أقبل على التحرير والتأليف فى شؤون الأدب القديم والحديث إلا طلباً للسلامة من ظلمك وعدوانك ، ولم أشغل قلمي بوصف أوهام المجتمع إلا لأصرفه عن الشغل بأحلامك وأوهامك

فهل تراني مع ذلك نجوت من شرك ؟

أنت تعرف أني لا أرى الناس من وقت إلى وقت إلا رغبة فى الانصراف عنك ، فإن الخلوة إلى نزَواتك وبَدَواتك تُشبه الخلوة إلى أوكار الأراقم ، وملاعب الجنّ ، ومساقط البراكين

فكيف تريد أن أرجع إليك ؟

إن لى عقلاً يعصمني من غيّك ، فاصنع ما أنت صانع

ألست أنت الذى أغراني بالتطلع إلى مشارق الأقمار والأزهار ومواسم الأفئدة والقلوب ؟

ألست أنت الذى حدثني بأن النعمة الصحيحة هى جودة الفهم لأطايب الوجود ؟

فهل تراك صدقت فيما حدثت ؟

وهل تراني أحسنت فى الاطمئنان إلى وساوسك ونجواك ؟ الدنيا فى طاعتك ليست إلا مهالك ومعاطب ، فكيف فاتني التوفيق فلم أتمرد عليك ؟

ما رأيت إنساناً يعيش فى سلام وأمان إلا حكمت بأنه يحيا بلا قلب

ولا رأيت إنساناً مَسلوب الأمن مَهدود العافية ، إلا عرفت أنه من أرباب القلوب

فتى أنجو من شرك يا قلبي ؟

إن اشتباك المهلكات والمدمرات فى المعارك البرية والبحرية والجوية ليست إلا صورة مصغّرة لما يقع بيني وبينك حين أخلو إليك

فتى أنجو من شرك يا قلبي ؟

وما يضمر الأعداء المتحاربون بعضهم لبعض ، وما تضمر الغابة الشَّجراء فى ظلام الليل ، وما يستتر فى جوف المحيط من غَدَرات وفَتَكات ، كل أولئك أخفّ وأهون مما تعدّه لمحاربتى أيها القلب !

إن الحرب بين الممالك والشعوب يسبقها النذير ليأخذ الرجال أهبتهم للصراع والقتال ، والحرب بيني وبينك لا يسبقها نذير حتى أستعد لصاولتك ومغالبتك . فمن أنت بين المقاتلين ، أيها القلب؟

وقد دَرج المقاتلون منذ آماد طوال على الترفق بأسرى الحرب وأنت لا تعرف الرفق بأسيرك ، أيها القلب !

فتى ينصرنى الله عليك فأجزيك ظلماً بظلم وعدواناً بعدوان؟

أنت الذى جعل إيذاء الصديق للصديق من شرائع الوجود ، أيها القلب

فكيف أعاتب أصدقائي وأنت على قربك أول من أتلقى منه الطعنة الدامية ؟

أنت تظلم وتغدر وتفتك ، وما أسأت إليك فى سر أو علانية ، وليس بيني وبينك واش ولا نمّام ولا رقيب

فكيف ألوم صديقاً يغدر أو يخون وبيني وبينه ألوف من المفسدين والمرجفين ؟

عنك تلقيت درساً لن أنساه ، أيها القلب ، فعدوانك وأنت صديق لا تصل إليه الوشايات والسعايات دليل على أن الدنيا قامت على أساس منخوب لا يصلح للخلود

لو كانت الدنيا أهلاً للجمال لكان من المستحيل أن تكون الأشواك أطول أعماراً من الأزهار والرياحين

ولو كانت الدنيا أهلاً للقوة لما جاز أن يقضى الأسد دهره وهو محموم

ولو كانت الدنيا أهلاً للرفق والعطف لصار من العسير أن يفسد ما بيني وبينك ، أيها القلب

إن آهة الألم من الحيوان الفاتك هى التى تدل عليه الصائد المغتال حين يطرق الغابة بليل

وزقزقة العصافير فى الظلمات هى التى ترشد الثعابين إلى عشها الأمين

ورحيق الأزهار هو الذى يسلط عليها خراطيم النحل

والنور الذى ينبعث من مخدع آمن قد يعرّض مدينة برمتها إلى غارة جوية

فما الذى دلّك عليّ ، أيها القلب ؟

دلتك القوة ؟ دلّك الرفق؟ دلّك الضعف؟ دلك الشعر والخيال؟ أنا أعرف أنى كتلة جسيمة من الأحلام والأوهام والحقائق

والأباطيل ، فمن أى جانب نفذت إلى ، أيها الغادر المغتال ؟

تخلّقْ مرة واحدة بأخلاق المحاربين الشرفاء ، أيها القلب ، وحدثنى كيف استطعت النفاذ إلى ما أقمتُ من معاقل وحصون ؟

أنت قوة خطرة مخوفة ، أيها القلب ، ومن حقك أن تَبغى وتستطيل، لأنى سوّيتك بيدى، وطوفت بك فى الشرق والغرب لأمدك بأصول القوة والعنف ، وآيةُ هذا المصرهى نكران الجميل ، فلا عتب عليك ولا ملام إن بذلتَ فى إيذائى كل ما زودتُك به من جهد وعافية « ومَن غرس الرياح جنى العواصف » !

كل حرب إلى سلام ، وكل شقاق إلى وفاق ، إلا ما بينى وبينك ، أيها القلب

سيتعب أعدائى فينسحبون من ميدان القتال ، ولن تتعب أيها القلب ، لأنك جذوة من العواطف لا تخمُد ولا تبيد

فهل ترانى أتمنى لك الخمود وأنت صديق ؟

الناس على دين زمانهم ، أيها القلب ، وأنت اصطنعت الغدر طاعةً لزمانك ، فكيف لا أستبيح الغدر طاعةً لزمانى ؟

أترانى ألتفت إلى رعاية الجوار ؟ وهل رعيت أنت الجوار ومثواك بين ضلوعى ؟

المودّات فى الدنيا أخذٌ وعطاء ، فكيف تنتظر أن يكون أمرى كله إليك ، ولا يكون لى سلطان عليك ؟

كيف تنتظر ألاّ أتقدم أو تأخر إلا بوحى منك وأنت لا تسمع دعائى مرة واحدة فتَصدِف عمن تسقيهم الشهد ويسقونك الصاب ؟

أنت الشريك المخالف ، أيها القلب ، والشريك المخالف تعوّذ منه الآباء والأجداد . فكيف أسلم من شرك ولن يفرّق بينى وبينك غير الموت ؟

إن أمرك لعجيبٌ غريب ، أيها القلب ، فأنت تغدر بى ، ثم تفى لسائر أصدقائك وأصفيائك

أنت والله لئيم ، أيها القلب ، فأنت لا ترعى عهدى لأنك وثقت بأمانتي ثقةً أبدية . وأنت تراعى غيرى ممن أحببت لأنك تخشى أن ينقلبوا عليك . والاتجار بالصداقة من أخلاق زمانك ، وأنت ابن زمانك ، فشرّق فى مكايدتى وغرّب ، فسأبقى بجانبك يوم تنكشف لك أخلاق الزمان فتصبح بلا صديق

أراك انزعجت ، أيها القلب

الحمد لله ، فلا يزال فى الدنيا إخوان يزعجهم العتاب . وبالرغم منى أن يرقّ الصخر الذى جعلتُه علامة القِبلة فى أوقات الصلوات

لا تجزع ، يا قلبي ، فلن أعاتبك فى كل يوم ، فلست بالصديق الذى يشوك أصدقاءه بالعتب فى كل حين

أراك غضبت

إتق الله والحب ، أيها القلب ، فقد صبرتُ على تجنّيك عدداً من السنين ، وما يجوز لك أن تثور على من ينطق بكلمة الحق مرة واحدة بعد أن صبر على كلمة الزُّور ألوف المرات

كنت أودّ أن ألقاك بالهجر الجميل ، أيها القلب ، كما تعودت أن ألقاك فى الليالى الخوالى ، ولكنى رأيتك تعدّ سكوتى علامة من علائم العجز أو دلالة من دلائل الشُّبهات ، فاسمع صوتى يا جاحد ، لتعرف أنى أملك الثورة عليك حين أشاء

ومن العجز أن تظن أن التفريط فى حق الصديق يمرّ بلا عقاب ، كما مرّت حسنات الصديق بلا ثواب

تلك أيامٌ خلَتْ . فأعدّ نفسك لحساب العاشق الذى صحا وأفاق

ما هذا ؟ ما هذا ؟

أراك تبكى وتنتحب أيها القلب

أمن دعابة وجهتها إليك يتفجر حزنك وأساك ؟

فكيف أكون وقد قضيت السنين الطوال فى رأب ما يَصدَع الأصدقاء ؟

كيف أكون ولى فى كل يوم رفيق يغدر ، وصديق يخون ؟

أنا أثور عليك أيها القلب ؟

وكيف وقد صفحت عن ذنوب قوم أسكنتهم فى سوادك ؟

أنا الأخير بين من تَعمَى عيونهم عن عيوب الصديق ، أيها القلب

وأنا الأخير بين من لا ترى عيونهم غير محاسن الصديق ، أيها القلب

فاغدر كيف شئت ، وليغدروا كيف شاءوا ، فأنا أحق من « الحجَر الأسود » بِحَمل الذنوب وسَتر العيوب

ولن أنطق إلا يوم ينطق الحجر الأسود ، فإن نطق فسأعتصم بالصمت

أترانى أمنّ عليك ، أيها القلب ؟

أنت الذى تمنّ علىّ ، لو شئتَ ، وأنت تشاء لأن زمانك منّان ، ولكنى سأعفيك من رذيلة المنّ على الأصدقاء

أنا أختلق المحاسن لأصدقائى ، فكيف أبخل بالثناء عليك

بما أنت له أهل ؟ وكيف أجاريك فى طمس محاسن الصديق وأنا أقوى منك ؟

لا تنزعج من كلمة الحق ، أيها القلب ، فستسمع منى بعد ذلك ما يرضيك . أنا راضٍ عنك مع جهلك ، لأن شاعرنا يقول :

ولربما اعتصم الحليم بجاهل   لا خير فى يُمنى بدون يسارِ

وعقلى محتاج إلى جهلك ، أيها القلب

أتذكر ما وقع فى صباح اليوم ؟

كنت فى سيارة عمومية ، وصعد زوجان انجليزيان ومعهما طفل وطفلة ، فوثب الطفل إلى صدرى يسكن إليه ، فنهرته أمه فنضب ، وجذبه أبوه من يده فثار وجرى إلى باب السيارة لينزل وهى فى جنون السرعة ، وخاف والد الطفل فأشار إليه أن يتوجه حيث شاء ، فأقبل الطفل على صدرى من جديد ، وأخذ يشير إلى أخته أن تصنع كما صنع ، فقضيت المسافة وأنا أحتضن طفلين عزيزين فى رقة الأزهار ونضارة الرياحين

ونظر الأب والأم إلى هذا المشهد نظرة حنان وهما فى عجب عُجاب ، فقلت : لا تعجبا يا سيدىّ ، فهذان الطفلان يعرفان بوحى الفطرة أنى رجل له قلب . . .

وشاءت ظروف عملى أن أنزل فى منتصف الطريق فتشبث الطفل بى وهو دامع العين مكروب ، فلثمت جبينه فاستراح ، وأوى إلى صدر أبيه وهو جذلان

وكان ذلك لأنك كنت فى صحبتى ، أيها القلب

وأرادت إحدى النوادر أن تنسى ما صنع قلمى فى التشبيب بجمالها الفتّان فدلت وتاهت ، فأصليتها صداًّ بصد وإغضاء بإغضاء ، فهى منذ سبعة أشهر تترضّانى برسائل تذيب الجلاميد وأنا ألقاها بصمت الأوثان ، فهل كان يمكن ذلك إلا لأنك فى صحبتى ، أيها القلب ؟

عندى ألوف من الشواهد على أنك المصدر الأصيل لما أملك من عنفوان القوة والعافية ، فإن صح أنك أصل لما قد يساورنى من ضعف فذلك دقة النصل فى السيف الصقيل

إليك رجعت يا قلبى ، فارجع إلىّ كما رجعتُ إليك :

فلقد يُسعف الجريح أخاهُ   ويواسى الغريب فى الأحزانِ

« كاتب من الكتاب »

فنلنـــــدا أو سوومى

أحدث أمة فى أقدم أرض

للدكتور مأمون عبد السلام

تقع فنلندا بين خطى العرض ٦٠ — ٧٠ شمالاً وخطى الطول ١٩ — ٢٣ شرقاً، فهى فى أقصى المعمورة شمالاً، وجوها أدفأ من جو البلاد التى تقع شرقيها على نفس خط العرض بسبب تيار الخليج الذى يمر بها . فمتوسط الحرارة فى أبرد شهور السنة خمس عشرة درجة تحت الصفر فى لابلندا شمالاً، و ٥ تحت الصفر فى المقاطعات الجنوبية، ومتوسطها فى الصيف ١٧ مئوية فى الجنوب و ١٤ فى الشمال . ويكسو الثلج الأرض نحو مائة يوم فى الجنوب ومائة وخمسين يوماً فى الوسط ومائتين وعشرين يوماً فى لابلندا شمالاً، ويتساقط على ساحلها الجنوبى خمس وعشرون بوصة من الثلج والمطر، ونحو أربع عشرة بوصة فى داخليتها الجنوبية. وكثيراً ما يشتد البرد صيفاً فيتلف الصقيع محصولاتهم كما فى صيف سنة ١٨٦٧ إذ أتلف نصف المحصول فمات مائة ألف مزارع فى الشتاء الذى تلاه واضطر عدد كبير من الفلاحين إلى النزوح إلى المدن للاشتغال فى المصانع ليدفعوا عن أنفسهم غائلة الموت جوعاً

وفنلندا سابعة دولة أوربية من حيث المساحة التى تبلغ ١٥٠,٠٠٥ أميال مربعة. فهى أكبر من الجزر البريطانية بما فيها إيرلندا، وهذه المساحة موزعة كما يأتى :

١١,٥ ٪ بحيرات أى ١٦١٥٠ ميلاً مربعاً، وأكبرها بحيرة لادوجا التى هى أكبر بحيرة فى أوربا، ويصب فى هذه البحيرات نهيرات صغيرة تتكون منها شبكة نهرية فى جنوب فنلندا كلها صالحة للملاحة ويتولد من تياراتها القوية كميات هائلة من الكهرباء

و ١,٦ ٪ من الجزر فى البحيرات أى ٢٣٨٥ ميلاً مربعاً

و ١,٣ ٪ من الجزر فى البحر أى ١٩٦٨ ميلاً مربعاً

والباق وهو ٨٥,٦ ٪ عبارة عن أرض قارية

و ٧٣,٦ ٪ من أرض فنلندا تكسوها الغابات و ٦,٣ ٪ أرض زراعية

وتقع فنلندا بين بحر البلطيق والبحار المتجمدة الشمالية، وتحيطها الأراضى الروسية والسويدية وجزء بسيط من شمال النرويج، فهى أقصى جمهورية فى شمال العالم. وتحتوى على جزء كبير من لابلندا، وفى جنوبها الغربى على جزائر خليج فنلندا وأرخبيل ألاند، وبه ما لا يقل عن ستة آلاف جزيرة

وأرض فنلندا عبارة عن عدة هضاب يرتفع بعضها إلى ٣٧٥٠ قدماً عن سطح البحر . وكان عدد سكانها فى سنة ١٧٥١ نحو ٤٢٩٩٠٠ نسمة فارتفع إلى ٨٣٢٦٥٠ بعد خمسين سنة، ثم إلى ١,٦٣٦,٩٠٥ بعد مائة سنة، وإلى ٢,٥٢٠,٤٣٧ بعد مائة وخمسين سنة، وأصبح ٢,٧١٢,٥٦٢ فى سنة ١٩٠٤ . وقد بلغ الآن ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف نسمة منهم ٨٨,٧ ٪ فنلنديون يتكلمون اللغة الفينية، و ١٠,١ ٪ فنلنديون يتكلمون السويدية ثم ثلاثة آلاف من اللابلنديين

وديانة الفنلنديين المسيحية ومعظمهم ٩٦,٢ ٪ بروتستانتيون لوثريون و ١,٨ ٪ روم أرثوذكس، والباقون وهم ٢ ٪ يتبعون ديانات مختلفة

وفنلندا من أقدم أراضى العالم من الوجهة الجيولوجية. ونظراً لكثرة ما فيها من المستنقعات سماها أهلها بلغتهم سوومى أو سووما؛ وسماها السويديون فنلندا أى أرض الفِن (بكسر الفاء وسكون النون) Fen بمعنى المستنقع

وكان يسكن هذه البلاد فى الأصل اللابلنديون، فنزاحم أسلاف الفنلنديين الحاليين وأجلوهم عنها فرحلوا إلى أقصى الشمال حيث لا يزالون يعيشون فى بيوت يزرعون بجوارها مساحات صغيرة من البطاطس ويقتنون بعض البقر . وهم يحبون الحياة المنزلية الهادئة ويتمسكون بأهداب الدين، فإذا مات أحدهم يحفظون جسمه فى صندوق إلى أن ينزل الجليد فيذهبوا به إلى أقرب كنيسة للصلاة عليه . وهم لا يهتمون بالسياسة وما تجره من الحروب، فإذا اعتدى أحد على أراضيهم تركوها له من غير حرب

وتعيش العائلة فى حجرة واحدة مع كلابها . وغذاؤهم السمك ولحم الرنة المجفف وقليل من البطاطس ونبات الخضر الوحيد الذى ينمو فى بلادهم واسمه العلمى أنجليكا أركانجيليكا Angelica archangelica وهو من فصيلة الينسون وله طعمه ورائحته فيأكلونه نيئاً أو مطبوخاً . وهم مشغوفون بشرب القهوة المحلاة بالسكر الكثير؛ وقد ألفوا شرب لبن البقر، وكانوا فى الزمن السابق يشربون لبن الرنة

ويملك اللابلنديون نحو مائتى ألف رأس من حيوان الرنة

يخص أغنامهم منها نحو ألف رأس، وهم يجمعونها فى الشتاء ويطلقون سراحها للرعى فى مايو فتسرح فى الوديان للرعى وتذهب إلى العوالى فى الليل هرباً من البعوض . ويعرف كل منهم قطيعه بما عليه من علامات الوسم

وأول من اتصل بهؤلاء الناس راهب رومى اسمه تريفون فى سنة ١٥٥٠ فأسس دير بتشينجا فنشر الرهبان المسيحية بينهم وزرعوا الأشجار وربوا الماشية وشيدوا الكنائس على الساحل، وملحوا الأسماك وبنوا السفن وحفروا طلباً للمعادن وتاجروا مع أركانجل وأنقرس وأمستردام فكانوا يصدرون إليها أسماك السالمون الأحمر . وفى سنة ١٥٨٩ أحرق السويديون الدير وقتلوا الرهبان، وبذا أصبحت بلاد اللابلنديين فريسة للطامعين من دانماركيين ونرويجيين وروسيين، وصارت مشاعاً للجميع، فكان الكل يطلبها والكل يرسل إليها عماله لجباية الضرائب من أهلها الساكين الذين كانوا يدفعون الضرائب للروسيا والنرويج والسويد فى آن واحد

وقد ورد ذكر الفنلنديين فى التاريخ من سنة ٢٥٠٠ ق . م وهم قوم من الفرع الأوجرو الفيني فهم بذلك طورانيون من العائلة الألطية الأورالية التى انتشرت فى كل فنلندا ولابلندا ومقاطعات البلطيق المسماة أستونيا وليفونيا وكورلندا، وعلى ضفتى نهر الفولجا وبيرم وفولوجدا، وغرب سيبيريا بين جبال الأورال وينيسى، وفى بلاد المجر فهم يمتون بصلة الدم؛ إلى الأتراك والبلغاريين والمجريين

وقد كانوا فى مبدأ أمرهم بدوا رحلاً يعيشون من الصيد فنزحوا غرباً واستولوا على ما هى فنلندا الآن فى القرن السابع أو الثامن الميلادى، وكانوا يعيشون إذ ذاك فى مجاميع مستقلة وفى قرى لا يربطها أى نظام حكومى. وكانت ديانتهم الوثنية إذ كانوا يعبدون القوى الطبيعية فجعلوا للرياح إلهاً سموه « أوكو » وآخر للغابات سموه « تابيو » وثالثاً للماء اسمه « أهتى » . وكانت الشجاعة والإقدام من صفاتهم فسببوا متاعب شديدة لجيرانهم فقد هاجموا شواطئ السويد مدة طويلة فجرد عليهم ملك السويد أريك التاسع فى سنة ١١٥٧ ميلادية جيشاً عرمرماً وبصحبته بطريق أوبسالا المسمى هنرى الإنجليزى فغزا البلاد وأدخل أهلها فى المسيحية ورجع تاركا جزءاً من جيشه ليتمم غزو البلاد، والبطريق هنرى وقساوسته ليعمد أهلها فقتل البطريق هنرى بعد مدة وأصبح فيما بعد قديس فنلندا وشفيعها

ولكن الفنلنديين دافعوا عن استقلال بلادهم ورفعوا نير السويد عنهم ثم ارتدوا إلى وثنيتهم الأولى إلى أن جاءهم فى سنة ١٢٠٩ مبشر إنجليزى آخر اسمه البطريق توماس فأعادهم إلى المسيحية ونجح فى فصل فنلندا تقريباً عن السويد وجعلها مقاطعة تابعة رأساً للبابا

وقد اضطرت السويد من جراء الحروب المتتالية بينها وبين الروسيا أن تحتل فنلندا فاحتلتها زهاء ستمائة سنة وأدخلتها ضمن مملكتها . وفى سنة ١٣٢٣ جعلت حدود فنلندا هى الحد الفاصل بينها وبين روسيا . وقد نشر السويديون مدنيتهم وثقافتهم بين الفنلنديين فعلموهم الزراعة وشتى ضروب الفنون والصناعة، ومنحوهم نفس الحقوق التى يتمتعون هم أنفسهم بها

وفى سنة ١٥٢٨ أدخل جوستاف فاسا الديانة البروتستانتية فى فنلندا التى رفعها الملك جون الثالث إلى درجة دوقية عظمى .

وقد خسرت فنلندا خسائر كبيرة من الحروب المستمرة بين السويد والروسيا والدانيمارك

وفى أوائل القرن السابع عشر أسس الملك جوستافوس أدولفوس مجلس النواب الفنلندى المسمى « ديات » وجعل أعضاءه من أربع طبقات : الأشراف ورجال الدين وأصحاب الأراضى والفلاحين . وقد شجع التعليم فأنشأ المدارس وأدخل الطباعة وشيد الكنائس .

وفى حكم شارلس التاسع (١٦٩٢ — ١٦٩٦) تحملت البلاد شدائد ومتاعب عظيمة من جراء ما حل بها من القحط والأوبئة فهلك فى أبرشية « أبو » نحو ستين ألفاً فى أقل من تسعة أشهر

وفى سنة ١٧١٦ ضم بطرس الأكبر قيصر الروس فنلندا إلى أملاكه، ثم استردتها السويد بعد ذلك ولكنها تخلت عنها وعن جزر ألاند فى سنة ١٨٠٨ للروسيا، ونظراً لما رآه اسكندر الأول الروسى من شجاعة الفنلنديين فقد أبقى فنلندا كدولة شبه مستقلة وجعلها تحتفظ بقوانينها وعاداتها فاجتمع البرلمان الفنلندى ونادى به دوق فنلندا المظيم فأقسم على احترام دستور البلاد وديانتها وشرائعها وحريتها . واستمرت مدينة « أبو » عاصمة للبلاد حتى سنة ١٨٢١ ثم انتقلت إلى هلسنكى ولم يجتمع البرلمان بعد ذلك لمدة ٥٦ سنة، ثم دعاه اسكندر الثانى فى سنة ١٨٦٣ . وفى حكم اسكندر الثالث نقض الروس عهودهم وأنزلوا بفنلندا من ضروب الاضطهاد ما غرس بذور الحقد والكراهية لهم فى قلوب

الفنلنديين الذين حاربوا من أجل استقلالهم ، فازداد الروس قسوة وطغياناً وحاولوا فرض لغتهم ودياناتهم وقوانينهم قسراً على الفنلنديين وملأوا البلاد بالجواسيس، فهب الفنلنديون للدفاع عن حريتهم وأعلنوا الإضراب العام فى سنة ١٩٠٥ واشتركت الأمة فيه على اختلاف طبقاتها فى كافة أنحاء البلاد فتعطلت المواصلات والبريد والتلغرافات والتلفونات وأغلقت المدارس ودور الحكومة والمتاجر، واضطرت الحكومة الروسية إزاء اتحاد كلمة الفنلنديين أن تجيب طلباتهم بمرسوم إمبراطورى صدر فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٠٥. ولكن الروسيا حاولت ثانياً حد سلطة البرلمان ، فثار الفنلنديون فى سنة ١٩٠٨ و سنة ١٩١٠ وقاوموا الروس بشدة ورفضوا أن يتجندوا فى الجيش الروسى المقوت ودفعوا ٢٠ مليون مارك سنوياً ليعفوا من الخدمة العسكرية

ولما استعرت نيران الحرب العظمى أعلن برلمان فنلندا حياد البلاد فقطع بذلك كل علاقة بين فنلندا والروسيا . وقد أعلن الفنلنديون أنهم لا يحاربون إلا من أجل فنلندا

ولما ألفت الحكومة البلشفية فى الروسيا اعتقد بعض الفنلنديين أن من مصلحة البلاد الدخول ضمن الاتحاد السوفييتى فقامت من جراء ذلك حرب أهلية بين الحمر الفنلنديين والبيض من أهل فنلندا بقيادة الماريشال مانرهايم بطل فنلندا الذى استولى على هلسنكى وطرد البلاشفة؛ وهو بعينه الذى يحاربهم الآن

وفى سنة ١٩١٩ نودى بفنلندا جمهورية مستقلة لأول مرة فى تاريخها، فهى بذلك أحدث أمة مستقلة فى العالم

وفى سنة ١٩٣٠ التحقت فنلندا بعصبة الأمم وتنازلت الروسيا بمقتضى معاهدة دوربات عن الجزء الضيق الذى فيه ميناء بتسامو لفنلندا ، وبذا أخذت فى إنشاء الطريق القطبى العظيم الذى لا مثيل له فى العالم

والعَلم الفنلندى مكون من اللونين الأزرق والأبيض رمزاً إلى زرقة السماء والماء وبياض الجليد

والفنلنديون أقوياء الأجسام وهم فى الأصل ربعون ذو رؤوس مستديرة وجباه منخفضة وجلود تضرب إلى السمرة وعظام خدودهم بارزة وشعر ذقونهم خفيف؛ وشعرهم أسود لامع طويل، وهذه من صفات المغول ولكنهم تزاوجوا مع من جاورهم من الأمم فدخل فيهم الدم النوردى الأسوجى والصقلبى الروسى؛ فأصبح شعرهم بنيا أو أحمر أو أشقر، وتحسنت سحنهم عن أسلافهم

ولا يزال الفنلنديون يحتفظون بعاداتهم البدوية التى ورثوها عن أسلافهم المغول، فهم كرماء للضيف محبون للحرية والاستقلال ميالون للانتقام، وهم أهل عفة وأمانة وطهارة وحسن خلق، يحبون وطنهم حباً يقرب من العبادة، لذلك لا يهجرون ديارهم إلا قليلاً.

والفلاح الفنلندى مجد صبور يجهد نفسه فى استغلال أرضه. ويكون الفلاحون ٨٧ ٪ من الأمة الفنلندية . وألد أعداء الفلاح الصقيع الذى ينزل فى يونية فيتلف محصولاته الجذرية

وقد ازدادت مساحة الأراضى المزروعة ولكنها ليست متصلة فى مساحات شاسعة بل هى حقول منفصلة تتخللها غابات ومستنقعات. وتبلغ المساحة المزروعة نحو ٦ر٣ ٪ من المساحة العامة . وتعمل الحكومة على إكثارها بتجفيف المستنقعات وإصلاح أرضها . ولكنها لن تبلغ أكثر من ١٢ ٪ من المساحة العامة على أكبر تقدير . وتوزع الأراضى الزراعية بالنسبة المئوية الآتية :

١ر٥٢	ملكيات فردية
٧ر٣٩	ملك الدولة
٥ر٦	ملك جمعيات تعاونية
٧ر١	ملك جمعيات أخرى

ومحصولات فنلندا محدودة؛ فهى تقتصر على الغلال كالقمح والشعير والزمير والجويدار وبعض المحصولات الجذرية كبنجر السكر واللفت والبطاطس ونباتات العلف. وتزرع هذه المحصولات بالنسبة المئوية الآتية :

٧ر٥٠	نباتات علف
٩ر١٨	زمير
٦ر٩	جويدار
٥ر٤	شعير
٣ر٣	بطاطس
١ر١٢	محصولات أخرى كالقمح والبنجر والكتان

وفنلندا غنية بنباتاتها ، وقد درست الفلورا الفنلندية دراسة مستفيضة فقسم النباتيون البلاد إلى ٢٨ مقاطعة بحسب ما فيها من أنواع النبات . وقد بلغ عدد الأنواع النباتية الفنلندية ١١٣٢ نوعاً موزعة كما يأتى :

٣١٨ — ٤٠٠ نوع	فى لابلندة
٥٠٨ — ٦٥١	فى كاريليا
٧٥٢	فى فنلندا الأصلية

ولا يوجد فى فنلندا نباتات ألبيه Alpine ولكنه يوجد منها فى شبه جزيرة كولا ٣٢ — ٦٤ نوعاً

وتبلغ مساحة الغابات فى فنلندا نحو ٦٣ مليون فدان، منها نحو ٣٥ مليوناً ملك للدولة . وقد حصروا أشجار هذه الغابات فوجدوا أن مكعب جذوعها النامية يبلغ ٥٧٢١٤ مليون قدم مكعب من الخشب . ومنها ٦٠٫٧ ٪ من الصنوبر البرى Pinus sylvestus و٢٨٫١ ٪ من شجر الأسبروس و١١٫٢ ٪ من خشب البيرش . ومن أشجار الغابات المهمة عندهم شجر البيرش القصير، والحور، واللارش السيبيرى الذى أدخلوه فى القرن الثانى عشر . ويبلغ مقدار ما يقطعونه من الأشجار سنوياً نحو ستة ملايين شجرة يلقونها فى مجارى المياه المتدفقة التى يبلغ مجموع طولها فى فنلندا نحو ٦٥ ألف ميل فتعوم إلى أن تصل إلى الآلات الخاصة بقطعها ونشرها بالتيار الكهربائى المتولد من مساقط المياه استعداداً لتصديرها وصنع لب الورق ومشتقات الأخشاب منها

ويوجد فى فنلندا خمس مدارس للغابات، مدة الدراسة فيها سنتان . وتعطى جامعة هلسنكى دراسة فى الغابات مدتها ثلاث سنوات. ويمكن للطالب أن يحصل منها على درجة الأستاذية والدكتوراه فى الغابات. ولجامعة فنلندا غابات للتمرين. وقد أنشئت من ثلاثين سنة مضت جمية للغابات يتبعها معهد للبحوث تديره الحكومة وتدرس فيه علوم الغابات ويتبعه عدة غابات للتجارب ولتدريب عمال الغابات . وتطبع هذه الجمية ثلاثة أنواع من النشرات. وتنفق الحكومة الفنلندية على أبحاث الغابات مليونين من الماركات سنوياً

وجميع مزارع فنلندا وطرقها تصرف فى مصارف وخنادق عميقة . وأرضها غنية بالدبال ، ولدفء جوها فى الجنوب ينمو الخشخاش والبانزى والفوشيا وتكثر المزارع والحقول والضياع بما فيها من المناحل وأكوام الدريس والأخشاب المقطوعة

ويشكر الفنلنديون الله على استقلالهم . فقد مكنهم من أن يمتلكوا أراضيهم إذ كان ذلك مستحيلاً تحت الحكم الروسى، ولكنه أصبح من الممكن فى أوائل القرن العشرين أن يمتلك المزارع الفنلندى الأرض التى يزرعها فبلغ ما ملكه الزراع فى سنة ١٩٠١ نحو ٤٠٪ من الأرض الزراعية والباقى أراض محكرة ولم تأت سنة ١٩٢٩، حتى أصبح ٩٠٪ من أرض فنلندا ملكاً لفلاحيها . ويرجع الفضل فى ذلك إلى قانون ليكس كاليو الذى صدر فى سنة ١٩٢٢ نسبة إلى كيوستى كاليو زعيم الحزب الزراعى الفنلندى . وبمقتضى هذا القانون أجبر كبار الملاك على بيع أراضيهم الواسعة بأثمان زهيدة جداً لصغار الزراع ، فترتب على ذلك وجود طبقة وسط من صغار الملاك فأصبحت فنلندا فى مأمن من انتشار الشيوعية . وتمد الحكومة صغار الزارعين بالنصح والإرشاد والمساعدات المالية

ويحصل المزارع من أرضه على جزء بسيط من غذائه وغذاء عائلته ، فهو يعتمد إذن فى معيشته على ألبانه ومشتقاتها ، وعلى ما يتقاضاه من الأجر من قطع الأخشاب وما يستعمله منها فى بناء بيته وفى وقوده ، فمن ذلك ترى أن فنلندا لا تقوم كقطر زراعى بحاجة سكانها

ومعظم مزارع فنلندا صغيرة. ولا تزال مزارع شرق كاريليا وشمالها فى حالة أولية محضة، ولكن الزارعين يقبلون على المستحدثات الزراعية بشغف ، فترى كل جماعة منهم يشتركون فى شراء آلة زراعية حديثة ليستعملوها شركة بينهم

وقد توصل البرفسور فيرتانين الأستاذ بجامعة هلسنكى إلى طريقة لحفظ العلف فى الشتاء وذلك بعمل حفرة فى الأرض يكوم فيها العلف الذى لم يتمكنوا من تجفيفه ، ويكومون فوقه الأجزاء الخضر المتخلفة من المحصولات الجذرية المختلفة ، ويرشون فوق الكومة محلولاً كيميائياً يجعل العلف طرياً ويحتفظ بخمس وتسعين فى المائة من مواده الغذائية التى تبلغ فى الدريس العادى ٦٠ــ٦٥٪. ويمتاز العلف المحفوظ بهذه الطريقة بأنه ليس له رائحة كريهة كالتى توجد فى العلف المحفوظ بطريقة السيلو القديمة . ولذلك تقبل الماشية على أكله إقبالها على العلف الأخضر . وقد نجحت هذه الطريقة نجاحاً باهراً ، وانتشرت فى البلاد الأجنبية تحت اسم علف V. I. V

(البقية فى العدد القادم) مأمون عبد السلام

الفروق السيكلوجية

بين الأفراد

للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

ومن بين علماء النفس الألمان الذين ساهموا بنصيب فى دراسة الفروق السيكلوجية بين الأفراد ووضع مقاييس للذكاء كريبلين Kraeplin ، وكانت مقاييسه لاختبار سرعة الإدراك أن يطلب إلى المختبَر (بفتح الباء) أن يعُدّ بأسرع ما يمكن حروف الكاف (ك) الموجودة فى مقالة ، أو أن يضع بقلم الرصاص علامة على كل حرف (راء) فى قطعة مكتوبة ، أو أن يعرض على المختبر قطعة مطبوعة بها بعض الأغلاط الإملائية أو الحروف الساقطة ويطلب إليه أن يوجد مواضع الأغلاط والحروف المفقودة. كذلك وضع اختبارات لقياس الذاكرة الرقمية ليكشف الحد الأعلى من الأرقام التى تستطيع أن تستعيده ذاكرة الفرد إذا عرضت هذه الأرقام مدة خمس عشرة ثانية مثلاً ، واختبارات أخرى لقياس القدرة على تذكر الكلمات « الفارغة » Nonsense syllables مثل : غضذ ، ثنغظ ، قصخ خخق الخ ، وغير هذه الاختبارات التى أسفرت عن أن لكل فرد خواص عقلية وذوقية تميزه عن غيره. ولكن كريبلين أدركه اليأس حينما ساقه البحث إلى أنه لا يوجد تلازم مطرد بين نتائج هذه الاختبارات المختلفة للفرد الواحد. وقد حكم من عدم اطراد التلازم أنه لا يمكن الاعتماد على مجموعة هذه الاختبارات فى قياس الذكاء . وهو يقول فى ذلك : « إننا لا نستطيع أن نخفى عن أنفسنا أن النتائج التى وصلنا إليها بعد هذه الاختبارات والبحوث الطويلة لم تحقق ما كنا نتوقع من وضع مقاييس مضبوطة للذكاء ، تقاس بها العمليات العقلية البسيطة »

كان لتقدم علم النفس التجريبى فى أواخر القرن التاسع عشر أن ظهر علم النفس التطبيقى وفكر العلماء فى كيفية الاستفادة من نتائج قياس الفروق السيكلوجية بين الأفراد ، ومعرفة الخواص العقلية والجسمية والخلقية لكل فرد للاستفادة منها فى المهن والصناعات ، وكانت غايتهم هى أن يختاروا لكل مهنة الفرد الصالح لها ، أو كما يقولون The right man for the right job . ومن الغريب أن أول من قام بتجارب الاختيار المهنى هو مهندس ميكانيكى أمريكى لا علاقة له بعلم النفس ، يسمى تيلور F. W. Taylor . كان موظفاً فى شركة لصنع العجلات . وكانت فى مصنع العجلات مهنة فنية[1] تحتاج إلى أفراد سريعى الرجع (رد الفعل) . وقد اختبر المائة والعشرين فتاة المشتغلات فى هذه المهنة فوجد أن عدداً كبيراً منهن بطىء الرجع ، فاضطر إلى فصل البطيئات وإبقاء السريعات ، وعددهن خمس وثلاثون . وكانت النتيجة أن هؤلاء الفتيات الخمس والثلاثين أمكنهن أن يعملن نفس العمل الذى كانت تقوم به المائة والعشرون فتاة وفى زمن أقل . وقد نشرت نتائج هذه الاختبارات فى سنة ١٩٠٣ ، وأثارت اهتمام علماء النفس وبخاصة القائمون منهم بدراسة الفروق الفردية السيكلوجية ومن بين هؤلاء الأفراد البروفسور هوجو مونستربرج Hugo Muensterberg الألمانى . وكان حينئذ أستاذاً لعلم النفس فى جامعة هارفرد Harvard بأمريكا ، فأجرى عدداً كبيراً من التجارب لمعرفة الفروق الفردية ، وخصائص كل فرد ، والمهنة التى تليق له أو يليق لها . وطبع فى ذلك كتاباً سماه (علم النفس والكفاية الصناعية[2]) . وقد عالج مونستربرج فى هذا الكتاب موضوع المواهب الطبيعية واللياقة المهنية . وهو يرى أن لكل فرد خواص ومميزات تجعل شخصيته أو تكوينه صالحاً لنوع من العمل دون نوع آخر . ومن العبث والإسراف الاقتصادى ألا يكون الفرد صالحاً للمهنة التى يقوم بها ، أو أن يُعَدّ لغير المهنة التى يصلح لها بطبيعته ، ولا بد إذاً من اختبار الأفراد ، ومعرفة مواهبهم واستعدادهم ، ومقدار ذكائهم ، ونوع ميولهم ومقدرتهم الجسمية وأمراضهم وأخلاقهم حتى يوكل إلى كل منهم العمل الذى يصلح له. فمن المعقول أن الرجل الذى يصلح لأن يكون سائق ترام قد لا يصلح لأن يكون ناظر زراعة ، ومن يصلح لأن يكون محامياً قديراً قد لا يمكن أن نخلق منه طبيباً نطاسيا . وإذاً فلا بد من اللياقة المهنية Vocational - Suitability حتى يستطيع الفرد أن ينتج أكثر ما يمكن من إنتاج فى أقل ما يمكن من زمن ، وبأقل ما يمكن من

(١) هى مهنة Inspecting bicycles'balls

(٢) Psychology and Industrial Efficiency

مجهود ، وهو فى أكثر ما يمكن من راحة وسعادة . فلو نجحنا فى كشف الرجل الصالح لمهنة بذاتها لأمكننا أن نقتصد فى الزمن والمجهود والمال ، وأن نرق من نوع الإنتاج وكميته ، وكذلك نجعل العامل سعيداً فى عمله . يقول مونستربرج : « حينما نبحث فى الفروق السيكلوجية بين الأفراد ونذكر كلمة (خصائص الفرد نستعمل هذه الكلمة فى معناها الأعم . فهي تشمل القوى العقلية للفرد التى قد تكون كامنة ، والتى قد تظهر وتحيا تحت ظروف خاصة ، وتشمل أيضاً الصفات الثابتة لشخصية الفرد مزاجية كانت أو خلقية ، كما تشمل معارف الإنسان وتجاربه المكتسبة . ويدخل ضمن ذلك كل أنواع الإرادة ، والشعور ، والإدراك ، والتفكير ، والانتباه ، والعاطفة ، والذاكرة ، والخيال . إن العالم النفسى حينما ينظر إلى الفرد يجده مجموعة من هذه القوى السابقة ؛ ولكننا فى الحياة العملية وحينما نريد أن نكل لفرد عملاً يجب أن ننظر أولاً إلى أخلاط الخصائص التى تكون شخصيته بغض النظر عما إذا كانت هذه الخصائص وراثية أو مكتسبة ، وعما إذا كانت خاصة بالفرد أو شائعة فى أسرته ، أو فى قبيلته ، أو فى جنسه race ؛ ومن دراسة هذه الخصائص المتداخلة يتضح لنا أن بعض الناس أصلح من بعض للقيام بنوع من العمل[1] »

ويحتج مونستربرج على جعل الامتحانات المدرسية والشهادات العلمية مقياساً لكفاية الفرد وصلاحيته للعمل الذى يقوم به ، إذ أنه ليس من المعقول أن الامتحان المدرسى يقيس غير المعلومات المكتسبة ، ولا يكشف لنا شيئاً من خصائص العقل وخصائص الخلق . ويعيب أيضاً على الآباء أن يختاروا لأبنائهم الدراسات التى يرغبون فيها ، فإن مجرد الرغبة ليس معناه أن هناك ميلاً طبيعيًا حقيقيًا إلى الشىء . فالأولاد فى سن الصغر لا يعرفون شيئاً عن استعدادهم وميولهم الطبيعية . وقد يرغب اليافع فى أن يكون طبيباً لأن أخته تتحدث بإعجاب عن زوجها الطبيب ، أو أن يكون ضابطاً حربياً لأن قريبه ضابط حربى جميل المظهر . وقد يعرف الآباء حقيقة ميول أبنائهم واستعدادهم ولكن ذلك يجىء فى الغالب متأخراً

وضع الأستاذ مونستربرج اختبارات مختلفة لقياس الذكاء، ولقياس المواهب الخاصة ، كاختبار القراءة المرتفعة السريعة ، وكطالبة المختبر بذكر ألوان الأشياء التى تتلى عليه ، وكتقسيم مجموعات من النباتات أو المعادن إلى أنواعها المتشابهة ، واختبار القدرة على الجمع والطرح بسرعة . وكذلك وضع اختبارات لقياس القدرة على تقسيم الخطوط إلى أقسام متساوية ، أو رسم خطوط تساوى خطوطاً أخرى معينة ، واختبارات أخرى لمعرفة مكان صدور الصوت ونوعه

قلنا إن مونستربرج عالج موضوع اللياقة المهنية ، ونادى بضرورة اختيار أنسب رجل لكل مهنة . ومن الأمثلة التى يسوقها لتأييد رأيه أن من الناس من هم « عمى الألوان » Colour-blind فلا يستطيعون أن يفرقوا بين اللون الأحمر واللون الأخضر . فهؤلاء لا يصلحون لوظائف إشارات السكة الحديدية ، ولا لسياقة السيارات والقاطرات ، إذ لا يخفى ما يحدث من خطر إذا التبس اللونان على السائق ، وكذلك لا يصلحون لمهنة النقاشة التى تحتاج للتمييز بين الألوان فى التصوير والتلوين

وقد أجرى بعض التجارب لمعرفة الصفات العقلية الضرورية لسائق الترام والسيارات ، فوجد بطريق الإحصاء أن بعض السائقين لم يحدث منهم أى خطأ طول مدة سياقتهم ، بينما غيرهم عرضة دائماً للأخطاء بالرغم من حرصهم الشديد . ووجد أن أهم صفات السائق هى حدة الانتباه واستمراره ، وعدم تشتت الفكر بما يحدث فى الطريق أثناء السياقة ، ودقة الحكم فى تقدير حركات الراجلين والسائقين ، وسرعة الرجع وضبط الأعصاب . واخترع آلة بسيطة أمكن بها معرفة خير الأفراد لمهنة السياقة

كذلك أجرى تجارب لمعرفة الصفات الضرورية لربّانى السفن الذين قد تودى غلطة واحدة منهم بأرواح الآلاف من الناس . واخترع لعبة مكونة من أربع وعشرين بطاقة استطاع بها أن يعرف الأفراد الصالحين لقيادة السفن

وقد وُكلَ إليه أن يضع مقاييس لمعرفة أليق العاملات فى مركز التليفون (السنترال) فوضع مجموعة اختبارات للذاكرة والانتباه والذكاء والدقة والسرعة . وأجرى هذه التجارب على فَصْل من العاملات مكون من ثلاثين وهى تتلخص فيما يأتى :

(١) أنظر صفحة ٢٧ من كتابه علم النفس والكفاية الصناعية طبعة ١٩١٣

الذاكرة : قراءة عددين مكونين من أربعة أرقام وعددين من خمسة وعددين من ستة وهكذا إلى اثنى عشر ، ثم مطالبة العاملات بكتابة ما يذكرن من هذه الأعداد كل واحدة فى ورقتها

الانتباه : أعطى كل عاملة نسخة من المقالة الأولى فى جريدة يومية ، وحدد لهن زمناً ، وأمرهن أن يضعن علامة بقلم الرصاص على كل حرف (a) فى هذه المقالة

الذكاء : قرأ على العاملات أربعة وعشرين زوجاً من الكلمات وكان بين كلمتى كل زوج ارتباط منطقى مثل : جوع وأكل ، ونار واحتراق ، وعين ودموع ، وماء وبخار ، وأسود وأبيض الخ ثم ذكر بعد ذلك أربعاً وعشرين كلمة مفردة على أن تقترح العاملة لكل كلمة كلمة أخرى ذات علاقة منطقية بها[1]

(١) سنشرح فى المقالات الآتية كيف تطورت مقاييس الذكاء منذ القرن الماضى حتى الآن

الدقة : تقسيم خطوط مختلفة الطول إلى أنصاف

السرعة فى حركة اليد : أعطى كل عاملة صفحة من أوراق المربعات ، وطلب إلى كل العاملات فى الفصل أن يرسمن فى زمن مخصوص أكثر ما يمكن من أقطار المربعات على أن تكوّن خطوطاً متصلة منكسرة

ثم تبع هذه الاختبارات الجمعية باختبارات أخرى فردية لقياس دقة الحركة وسرعتها معا

أما مقدار نجاح هذه الاختبارات فيحدثنا عنه مونستربرج بقوله : « لقد قارنت نتائج هذه الاختبارات بتقارير شركة التليفونات بعد أن مضى على هذه العاملات الثلاثين ثلاثة أشهر فى العمل فوجدت أن نتيجة المقارنة تؤيد تجاربى بصفة عامة[1] »

(بخت الرضا . السودان) عبد العزيز عبد المجيد

(١) علم النفس والكفاية الصناعية صفحة ١٠٨

من وراء المنظار

دبّ فى الترام ! . . .

أرى الناس فى هذه المركبة أبداً مرهفى الأعصاب ، وقل من رأيته فيها مطمئناً هادئاً ، وعلى الأخص فى الصباح وعند الظهيرة ؛ وليس الأمر قاصراً على الراكبين ، فقاطع التذاكر عصبى اللفتة عصبى الكلمة عصبى الزمارة ؛ والسائق من فرط يقظته ، أو من فرط توجسه مما يخبئه له القدر ، زائغ البصر ، مذعور الوجه والعينين ؛ يغضب لأى بادرة ، وينفد صبره — إن كان ثمة لديه من صبر — لأقل سبب أو لغير سبب ! ...

وأمر قاطع التذاكر وصاحبه يمكن أن نرده إلى أسبابه فى غير مشقة ... ولكننى من أمر الراكبين فى حيرة ! م تضيق صدورهم وتنقبض نفوسهم ، حتى لتقع العين منهم على قوم كأنما يساقون على رغمهم إلى ما لا يحبون ؟ ... أيكون مرد ذلك إلى أنهم فى الصباح مقبلون على عبء اليوم من العمل ، فهم متبرمون عابسون ، وأنهم فى الظهيرة خارجون من أعمالهم فهم مكدودون ساهمون ؟ أم يكون ذلك لأنهم يستبطئون هذه المركبة وليس لهم عنها منتدح ؟ ...

ومهما يكن من سبب ، فتلك ظاهرة أشاهدها فى معظم الوجوه كل يوم ، ولم أخل أنا منها ، ولكننى لا أتبرم من العمل أو يؤودنى حمله ، وليصدقنى القارئ فى ذلك أو فليكذبنى إذا شاء فليس هذا ما أردته بهذه الكلمة .

وإنما أردت أن أصور له منظراً رأيته جديراً بأن يغضب الراكبين جميعاً ولو كانوا كلهم هادئين : فهذا شاب من شبابنا المثقفين ، أو ممن يدعون من الوجهة الرسمية « مثقفين » ، انتهت المسافة التى تبلغه إلى نهايتها تذكرته ؛ فطلب إليه قاطع التذاكر أن يدفع أجراً جديداً إذا شاء أن يستمر راكباً ، ولكن صاحبنا أبى ذلك دون أن يبدى أية علة ، ثم استكبر أن يجادل الرجل ؛ فاتجه ببصره إلى الأمام ، ورفع رأسه إلى آخر ما يستطيع حتى كادت تتدلى إلى الخلف ! ...

ونفخ الرجل فى زمارته ، فوقف الترام ، وانتزع السائق مفتاحه ، وجاء إلى حيث وقف صاحبه ، ووقف خلف هذا الترام خمسة غيره أو ستة ، وأخرج معظم الراكبين ساعاتهم ، وشاعت فى وجوههم أمارات الغضب والقلق والاستنكار ...

وجاء نفر من هؤلاء العمال ، ووقفوا جميعاً ينظرون إلى هذا الذى كان سبباً فى هذا التوقف : فرأوا فتى بادى الفتوة ، عبل الساعدين ، عريض المنكبين ، غليظ العنق ؛ ورأوه لا يلتفت إليهم ، بل لا يعبأ بتلك النظرات التى رشقته من كل ناحية من نواحى العربة — وهو فى جلسته — شامخ الرأس ، هادئ المحيا كأن لم يجر حوله شىء ! ...

وحار هؤلاء العمال — أول الأمر — ما ذا يصنعون ، وليس فيهم من عابث من قبل دباً أو قرب منه ؟ ! ... ثم استجمع أحدهم قوته وقرب من هذا الدب وهو على أهبة أن يقفز إلى الخلف عند أية بادرة منه : ثم رجا منه أن يدفع الأجر حتى لا يتعطل الناس . فرماه الدب بنظرة كانت وحدها كافية لأن ينكمش ويتراجع من فوره ! ...

وازداد الناس ضيقاً وسخطاً وقلقاً ، وبلغ حنقى غايته ... ثم جرؤ أحد الراكبين فاقترب من الدب فى هيئة لم يسعنى معها إلا أن أضحك على الرغم من غيظى . فقد أخذ هذا الراكب يتلطف ويتظرف ، ويحاول أن يبتسم ، فلا يستطيع من فرط حنقه ... فيرفع شفته العليا من إحدى زاويتيها ، ويكشف عن أسنانه كأنه يبتسم ! ثم يربت على كتف الدب ويقول وهو يلوى عنقه مبالغة منه فى التواضع : « ألا ترى أنك بهذا تسبب عطلاً لنا جميعاً ؟ »

... وكأن الدب لم يعبأ به لضعفه فلم يزد على أن قال له فى هدوء : « أنت حضرتك عاوز تتفلسف ؟ » ... وانكمش الرجل ولم يلتفت بعدها إلى الخلف أبداً ...

وكان فى العربة بعض الأجانب ، فتخاطبوا بالأحداق ، وعلقوا على المنظر بالإيماء والابتسام ... وكان قاطع التذاكر المسكين قد ذهب ليحضر الشرطى ، فعاد وهو فى صحبته ، وقد بلغ قلق الناس أقصاه ! وسمع الشرطى القصة ... فما كان أشد عجب الناس أن يسمعوه يعنف « الكمسارى » ويلومه قائلاً له : « ياعنى ياسيدى هم الستة مليم دول اللى حايزودوها ؟ اطلع يا شيخ بلا عطلة دى محطتين أو تلاتة وينزل » ! !

وكان خزيى أمام الأجانب وخزى الراكبين جميعاً مما فعل الشرطى أعظم مما فعل ذلك الفتى المدل بقوته . ولعله خاف أن يقرب منه كما خاف غيره ، وأمره فى ذلك أدهى وأمر ...

وقلت فى نفسى : متى تشيع فينا الآداب الاجتماعية ؟ ومتى نحس بالوسط الاجتماعى ؟ ... ورجوت أن ينسى هؤلاء الأجانب هذا الحادث وأشباهه إذا حدثوا قومهم عن مبلغ ما وصلنا إليه من المدنية ، فبهذا تقاس المدنية الحق ، كما رجوت ألا يحكموا على شرطتنا جميعاً بما رأوا من هذا الشرطى .

« عين »

أدبائنا

بين الخوارزمي والهمذاني

للأستاذ على الجندى

— ١ —

من أروع ما وعاه تاريخ الأدب فى صفحاته تلك المناظرة الحادة العنيفة بين إمامين من أئمة الأدب ، أبى بكر الخوارزمى وبديع الزمان الهمذانى ، وقد أسفرت عن هزيمة أولهما هزيمة ساحقة ، لم يقو على احتمالها فقضى نحبه بعدها بقليل !

ما ذكرت تلك المصاولة قط إلا غام الحزن على عينى ، وملأ شِعاب قلبى ، وشعرت للبديع بمقت شديد يكاد يعقل لسانى عن الترّحم عليه !

فى الحق أن هذا الرجل بالرغم من وصف الثعالبي[1] له : بحسن العشرة ، ونصاعة الظرف ، وعظم الخُلُق ، وشرف النفس وكرم العهدة ، وخلوص الود ، وحلاوة الصداقة ، قد التاثت نفسه بأمراض تتوارثها الكثرة الكاثرة من الأدباء جيلاً بعد جيل ، وتتمثل فى تلك الصورة الشوهاء من حدة النيرة ، وفرط الأثرة وحمل الحقد ، وحب الانتقام والزراية على النظراء والسعى الجاهد فى هدمهم بالحق والباطل ، حتى كاد مدلول الأدب لطول ما اتسم أصحابه بهذه المثالب ، يرادف فى الأذهان نشوز الطبع وانحراف المزاج ، وانحلال الخلق ، والتمرد على الشرائع المرعية والارتكاس فى الخلاعة والمجون ، ورحم الله من قال :

ليس الأديب أخا الروا ... ية للنوادر والغريبْ
ولشعر شيخ المحدَثين (م) أبى نواس أو حبيب[2]
بل ذو التفضل والمرو ... ءة والعفاف هو الأديب

ولد أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى (بخُوارِزْم)[3] ونشأ بها متأدباً ، وإن كان أصله من طبرستان ثم جاب الأقطار من الشام إلى أقصى خراسان فى تحصيل العلم والأدب ، فبرع فى كل فن من فنون العربية ، وغزر محصوله من اللغة والشعر

(١) يتيمة الدهر ٤ — ٢٤١ (٢) أبو تمام

(٣) على بحر خوارزم الذى يسمى بحيرة أرال من خصائصها البطيخ الذى كان يحمل إلى المأمون والواثق فى قوالب الرصاص معبأة فى الثلج فكانت تقوم الواحدة السالمة منه بسبعمائة درهم

حتى كان يحفظ عشرين ألف[1] بيت من شعر النساء خاصة

ورشحه فضله لخدمة الملوك والأمراء والوزراء فى الدويلات المتفرعة عن الخلافة العباسية ، وكانت خاتمة مطافه ، مدينة نيسابور من أعمال خُراسان ، فاتخذها دار إقامة ، واقتنى بها الدور الفاخرة ، واعتقد الضياع المُغِـلّة ، وفرغ إلى الكتابة والشعر وتصدّر للتدريس ، وظن أنه يستطيع أن يقضى بقية عمره هادئ النفس ناعم البال ، فى ظل النعمة الفاشية والثراء الواسع والجاه العريض ، ولكن ما كل يتمنى المرء يدركه ، فقد مُنِى بهذا الواغل الدخيل ، فنغص عليه عيشه ، وشاب صفو حياته ، وساقه إلى الفناء الذريع !

ولم يكن الخوارزمى دون الهمذانى فى حوك القصائد ، وتحبير الرسائل ، وجمع اللغة ، وحفظ الأشعار والأخبار ، بل ربما كان أوفر منه حظاً فى كل ما يتصل بالنقل والرواية ؛ ولكن الهمذانى كان يمتاز بحدة القريحة وحضور البديهة وشدة العارضة وسرعة الخاطر وقوة الارتجال ، وهى أمضى سلاح يملكه المناظر لقهر خصمه وإفحامه

وما ظنك برجل[2] كان يُنشد القصيدة تبلغ خمسين بيتاً لم يسمع بها قط ، فيحفظها كلها ويؤديها لا يخرم منها حرفاً واحداً ! ويُقترح عليه إنشاء قصيدة أو رسالة فى معنى من المعانى ، فيفرغ منها فى الوقت والساعة ! وينظر فى أربع أوراق أو خمس من كتاب نظرةً طائرة فيحفظها ويسردها عن ظهر قلبه ! ويُقترح عليه الكتاب فيبتدئ بآخر سطر منه ، وينتهى بأوله ويخرجه كأحسن شىء وأملحه ! وتُلقى عليه الأبيات الفارسية فيترجمها شعراً إلى العربية جامعاً بين الإسراع والإبداع ! إلى غير ذلك من العجائب والغرائب التى يحلو لى أن أسميها بشعوذة البيان !

ومع أن هذه الصفات مواهب عظيمة لم يُرزقها كل إنسان ولا ينكر خطرها فى ميادين المصاولة الأدبية ، إلا أنها لا تصح أن تكون فيصلاً فى الحكم على أقدار الرجال وآثارهم . فأبو العتاهية مثلاً وهو رأس شعراء البديهة لا يتسامى إلى منزلة مسلم بن الوليد وأبى تمام وابن الرومى من شعراء الرّوية ، والمتنبى — على سنىّ مكانته — تعد مقطوعاته الارتجالية من سقط المتاع ، حتى تمنى بعض شارحى ديوانه أنْ لو خلا من هذا السخف والهذر ، وعبد المحسن الكاظمى أقوى شعراء العصر طبعاً وأسرعهم

(١) هبة الأيام للبديعى (٢) يتيمة الدهر ٤ — ٢٤٠ — ٢٤١

خاطراً ، ولـكنه لا يُوزن بشوقى من شعراء الأناة ، بل لا يقاس بحافظ وهو أكثر الشعراء تعباً فى نحت القريض وصوغ القوافى

ولم يكن سلاح البديع مقصوراً على هذه المزايا الخارقة التى أوردناها ، بل كان — إلى ذلك — فى طراءة عمره وغضارة شبابه وكان الخوارزمى قد علت به السن فتحيفت جسمه وعقله معاً

وأنكى من هذين على الخوارزمى أن جماعة من وجهاء نيسابور لا يخلو من أمثالهم بلد من بلاد الله ، كانوا يكرهونه وينفسون عليه نعمته ، فصاروا عليه إلباً فى هذه المحنة ، وشدوا أزر خصمه ، ولا شىء أثلم للعزمة وأقعد بالهمة من خذلان الآل والأقارب !

وهى حال شاذة ممضة أنطقت بالشكاة كثيراً من جِلّة الفضلاء ! فقال فى ذلك قاضى الأندلس وخطيبها المصقع المنذر ابن سعيد :

هـذا المقال الذى ماعابه فنَدُ   لـكنّ صاحبه أزرى به البلد
لو كنت فيهم غريباً كنت مُطَّرَفاً   لكننى منهمو فاعتالنى النَّكد

وقال الفيلسوف ابن حزم :

أنا الشمس فى جو السماء منيرة   ولكن عيبى أن مطلعى الغرب
ولو أننى من جانب الشرق طالع   لجدّ على ماضاع من ذكرىَ النهب
هنالك تدرى أن للعلم غصّة   وأن كساد العلم آفته القرب
فواعجبا من غاب عنهم تشوفوا   له ، ودنوّ المرء من دارهم عيب

ولنأخذ الآن فى إيراد هذه المناظرة ، موفّقين بقدر الإمكان بين الروايات المختلفة ، فنقول :

فى سنة ثمانين وثلاثمائة هـ فارق البديع بلده همذان التى نشأ به وتأدب ، إلى حضرة الصاحب بن عباد وزير آل بويه وخليفة ابن العميد ، وهى — إذ ذاك — مرمق العيون ، ومناط الآمال ، ومحطّ الرحال ، فلقى فيها ما يلقاه كل أديب : من كرم الوفادة ، وحسن الرعاية ، وجميل التعاهد

وكان مجلس هذا الوزير العالم الأديب ، آخر مجلس لوزير ضم خيرة العلماء وصفوة الأدباء ، وأعيان المصنفين والتكلمين ، وهم دائماً فى حوار متصل ، وجدال مستحر ، ومذاكرة دائبة لا تهدأ ولا تفتر ، فكان لذلك أثره البالغ فى صقل مواهب البديع ، وفتق جنانه ، وتزويده بمعارف جديدة واسعة ، وهو فى مقتبل الشبيبة وميعة الحداثة

وكان الظن بمثله أن يضن بمفارقة هذا الروض المونق والجناب الخصيب ، ولكنا رأيناه فى سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة يشخص إلى خراسان ، وبعد جولة قصيرة فى ربوعها يرد نيسابور[1] وقد سلبه قطاع الطريق ما يملكه من مال ومتاع !

ونيسابور هذه مدينة مغرورة يهرأ بردها الأجسام ، ويُوسم أهلها[2] بالجفاء والشغب والضعف والخبث وكراهة الغرباء ! وفيها يقول السمعانى :

لا قدس الله نيسابور من بلد   مافيه من صاحب يُسلى ولا سكن

ويقول فيها المرادى :

لا تنزلن بنيسابور مغـترباً   إلا وحبلك موصول بإنسان
أولا ، فلا أدب يغنى ولاحسب   يجدى ولا حرمة ترعى لإنسان

ويقول أيضاً :

قال المرادىُّ قولاً غـيرَ مُتَّهم   والنصحُ — ما كان من ذى اللب — مقبولُ
لا تنزلنّ بنيسابور مغترباً   إن الغريب بنيسابور مخذول

فما هو سر اختيار البديع لها بالذات ؟ وقد كان له فى غيرها مَراد ومسرح . أهو حب التنقل والضرب فى البلاد ، للدراسة والاطلاع ، واستفادة العلم والمال ؟ وهو الطابع الغالب على علماء هذه العصور وأدبائها ؟ أم هو القصد إلى مناضلة الخوارزمى وانتزاع صولجان الشهرة منه ، حتى يقال عنه : إنه غزا النسر فى وكره واقتحم على الليث عرينه ؟

على أن بعض المؤرخين[3] يسوق لهذه الرحلة علة طريفة نذكرها للتفكهة : وهى أن البديع كان فى مجلس الصاحب يوماً فخرج منه ما يخرج من غير المتمكن فى قعدته ؛ وكان خيراً له أن يعوذ بالصمت ، ولكنه أراد أن يموّه على الصاحب فقال : هذا صرير التخت ! فقال الصاحب : أخشى أن يكون صرير التحت ! فخجل البديع خجلاً شديداً حمله على مفارقة حضرته والخروج إلى خراسان !

ويلذ لنا أن نقول — بهذه المناسبة — : إن مجلس الصاحب — على رفعة شأنه — كثيراً ما كان مهبًا لهذه الزعازع ! وكان الصاحب لا يمنعه وقاره أن يعقب على ذلك بالنكتة البارعة والتورية اللطيفة

(١) كانت مدينة شهيرة من مدن خراسان عرفت بالفيروزج النفيس والثياب الرقاق ، وقد خربها التتار فى غارتهم ولم تعمر ثانياً

(٢) نهاية الأرب فى خصائص البلدان ج ١

(٣) معجم الأدباء ٢ — ١٨٤

فمن ذلك أن الصاحب أخذته ليلة سنةٌ من النوم، وبين يديه جماعة من الأدباء شرع أحدهم في قراءة (الصافات) واتفق أن نام أيضاً بعض الحضور، فأحدث صوتاً منكراً أيقظ الصاحب من نومه! فقال — يخاطب سماره —: يا أصحابنا، نمنا على (والصافات) وانتبهنا على (والمرسلات)

وأظرف من ذلك: أن الفقيه ابن الخضيري كان يحضر مجلسه بالليالي، فغلبته عينه مرة، فخرج منه شيء فخجل وانقطع عن المجلس، فقال الصاحب أبلغوه عني:

يا ابن الخضيريّ لا تذهبْ على خجَلِ ... لحادث كان مثل النّاي والعود

فإنها الريح لا تستطيع تحبسها ... إذ لست أنت سليمان بن داود

وكيفما كانت الأسباب التي حفزت البديع إلى انتجاع نيسابور فقد بدأت المناوشة بين الرجلين بكتاب أرسله الهمذاني إلى الخوارزمي، صدّره بهذا الكلام المعسول: إنا لقرب[1] دار الأستاذ — أطال الله بقاءه — كما طرب النشوان مالت به الخمر، ومن الارتياح إلى لقائه، كما انتفض العصفور بلله القطر، ومن الامتزاج بولائه، كما التقت الصهباء والبارد العذب، ومن الابتهاج بمزاره، كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب

ثم ختم كتابه بأن طلب منه إرسال غلامه لينفض له جلة حاله

والتقيا بعد ذلك على موعد مضروب في دار الخوارزمي، وما نشك في أنه أكرم مثواه، وأحاطه بألوان البر والرعاية، ولكن البديع كان مدخول النية مطويّ الجوانح على الضغينة! فخرج من دار مُضيفه غير حامدٍ لقياه، وأرسل إليه كتاباً حشوُه عتاب مرّ، يذكر فيه: أن الخوارزمي استزراه لغربته، واقتحمته عينه لرثاثة ملبسه، وأنه تكلف القيام له والسلام عليه، وأنه كان يكلمه بنصف طرفه، ويشير إليه بشطر أنفه، وأن أهل بلده همذان في الذؤابة من الشرف والسيادة، وفي الصميم من الجود والسماحة، ولو قد حل الخوارزمي بينهم لخبئوه في سواد العيون والقلوب!

وقد رد عليه الخوارزمي رداً جميلاً يستلّ السخائم، ويطفئ الأحقاد، ولكن موقف البديع منه أشبه بموقف الروسيا من فنلندا: إدلال بالباطل وتورّط في الضلال، وتجنٍ للذنوب، وتصيد للمثالب، ومن كان هذا شأنه فإرضاؤه محال!

وهكذا أخذت تتردد الرسائل بينهما وهي تزداد عنفاً وحدة، حتى انتهى الأمر إلى الخصومة الصريحة! التي كان يعمل لها البديع ومَنْ وراءه كل وسيلة!

وكان يمكن إطفاء هذه الثائرة لولا أن خصوم الخوارزمي الذين سبقت الإشارة إليهم انتهزوها فرصة للنكاية به، فأذكوا العداوة وأرّثوا النار!

وكان أن أرسل نقيب الأشراف إلى الخوارزمي يستدعيه إلى داره ليجمع بينه وبين البديع، فترفع عن المجيء لأنه كان يعرف ما دُبّر له، فأحرجه النقيب بإرسال دابته إليه، وشفع ذلك البديع برسالة يستفزه بها! فلم ير الرجل بداً من الحضور يحف به تلامیذه البررة فالتقى الخصمان في بيت النقيب وجهاً لوجه وقد حُشِرَ الناس ليروا لمن تكون الغلبة!

(يتبع) علي الجندي

[1] الوافي بالوفيات ١٢٨

منقذ الآف الأحياء

إن نحواً من العشرين ألف شخص ينقذون الآن وكل سنة في ايطاليا بفضل انجلو تشالي الاختصاصي الشهير للملاريا.

فبعد الاكتشاف الذي توصل إليه روس حوالي سنة ١٩٠٠ في الهند الانجليزية وكراسي في ايطاليا هذا الاكتشاف الذي سمح بمعرفة الدور الذي تقوم به طفيلية الملاريا فان كراسي هو أول من توصل إلى استنتاجات عملية. فالملاريا كانت تسبب في بلاده ٢٠٠٠٠٠ وفاة كل سنة وكان عدد الاصابات بالمرض يفوق بكثير فان كراسي كرس حياته ساعيا لتغيير هذه الحالة فظن أولا انه يستطيع أن يتوصل إلى نتائج جيدة بالتجائه إلى وسائل ميكانيكية بحته مثل حواجز مشبكة وناموسية وتجفيف لكنه ما لبث أن عرف ان هذا غير كاف وتوصل حينئذ إلى استعمال الكينا كدواء واق فكل الناس الساكنين في منطقة عمت فيها الحميات والملاريا رأوا أنفسهم في مناعة من عدوى هذا المرض باخذ الكينا بانتظام.

إن تشالي الذي كان عضواً في البرلمان هو الدافع إلى التشريع الايطالي الشهير بخصوص الملاريا وهو التشريع الذي يمكن أن يكون مثلا لعدد كبير من البلدان الأخرى فمنذ سنة ١٩٠٤ يلزم هذا القانون كبار الملاك والمديرين أن يوزعوا الكينا مجانا على سبيل الوقاية والشفاء فقبل الحرب الكبرى كان يوزع هكذا كل سنة في ايطاليا ٥٣٠٠٠ كيلو جرام كينا.

ثم أعلنت الحرب سنة ١٩١٤ وكان ان مات تشالي بعد أن رأى الوفيات بالملاريا ينقص عن ٩٠ بالمائة بفضل تدابيره.

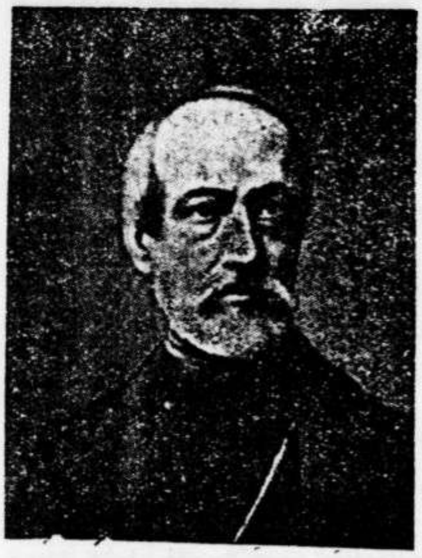
فالأسلوب الذي أشار به تشالي لمحاربة الملاريا باستعمال الكينا قد استعملته لجنة الملاريا بجمعية الأمم وأوصت بأخذ ٤٠٠ مليجرام يوميا من الكينا على سبيل الوقاية طول مدة موسم الحميات حيث يخاف الناس من العدوى. وإذا أصيب الانسان بالمرض فيجب أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من الكينا كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام ولا لزوم في هذه الحالة للمعالجة التكميلية فلجنة الملاريا تصف على الأخص استعمال الكينا بأن هذا العلاج لا ضرر منه حتى بين أيدي من يجهلون استعماله.

التاريخ في سير أبطاله

مازيـــــني

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذي أبلى في جهاده مثل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف



عول مازيني على استغلال هذا الحادث ليلفت الأنظار إلى حركته وأخذ ينشر الأحاديث عما يجب أن تسلكه الحكومة البريطانية تجاه الحركات القومية في القارة ؛ وتزايد عدد محبيه في العاصمة الإنجليزية ، وسعى كثير من ذوي المكانة والرأي إلى رؤيته ؛ وكان الإنجليز يعجبون بمرأى هذا الزعيم الغريب في ملابسه السوداء ويرونه بمظهره وبما يرتسم على وجهه من سمات الصبر والعزيمة ، ومن أمارات التعب وأثر الفاقة أقرب إلى القديسين منه إلى رجال السياسة .

وكان مازيني فضلاً عن اهتمامه بمسألة إيطاليا لا يفتأ يتصل بكثير من ذوي الأفكار الحرة في أنحاء القارة ، يريد بذلك أن يزيد شعور القومية والحرية في أوربا نماء وانتشاراً ، ليكون من حياته حرباً متصلة على الرجعية والاستبداد الغاشم ؛ ولذلك يعد مازيني إلى جانب كونه زعيم إيطاليا من أكبر المؤثرين في نمو الحركات القومية في القرن التاسع عشر . وظل مازيني يشكو العسر وما يجره العسر من إبطاء في السير نحو هدفه ، وكان يفكر في بعث حركة ثورية جديدة في إيطاليا يقودها بنفسه . فأوحى إلى بعض صديقاته من الإنجليز أن يقمن سوقاً إيطالية خيرية بدعوى جمع المال لمدرسته وكان يريد من وراء ذلك جمع مبلغ أهلي يسعى به إلى الوصول إلى غرضه ، وافتتحت تلك السوق عام ١٨٤٧ ، ولكن ما جمعه من المال من ذلك المبلغ الأهلي الذي منى به نفسه لم يزد على مائة من الجنيهات !

وكانت الأنباء التي تأتيه من إيطاليا في ذلك العام تزيده غضباً ونكداً ؛ فلقد اشتدت فيها دعوة المعتدلين ، وكان هؤلاء المعتدلون فريقين : فريق الملكيين الداعين إلى الالتفاف حول شارل ألبرت ملك بيدمنت ، وانتظار ما عسى أن تأتي به الأيام ؛ وفريق الاتحاديين المنادين ببقاء إيطاليا وحدات مستقلة بعضها عن بعض في شؤونها الداخلية مع ارتباطها في شؤونها القومية بإقامة اتحاد عام من ممثلين للولايات ؛ وكان هؤلاء الاتحاديون يدعون إلى الالتفاف حول البابا ليكون زعيم الاتحاد المطلوب ، وكان زعيمهم في ذلك جيوبرتي .

وكان مازيني ينكر دعوة هؤلاء وهؤلاء ، فلم يكن يرضى إلا بأن تتحد إيطاليا جميعاً فتصبح شعباً واحداً وقطراً واحداً يخضع لحكومة واحدة جمهورية لا ملكية ، حكومة مستقلة عن نير الأجنبي ونفوذه ، تستمد سلطانها من الشعب ، وتعمل لصالح الشعب؛ على أنه في سبيل الحرص على مبدأ الوحدة قد صرح ذات يوم أنه يقبل أي شكل من أشكال الحكومة ما دامت تقوم على أساس وحدة البلاد . وكان قد استوى على كرسي البابوية عام ١٨٤٦ بيوس التاسع ، وكان معروفاً بعدائه للنمسا وبآرائه الحرة ورغبته في الإصلاح ، فسرعان ما اتجهت الأنظار إليه في إيطاليا حتى خيل إلى الناس أن دعوة جيوبرتي وأشياعه هي الفائزة بين الدعوات ؛ وخطا البابا بعض خطوات حرة كاصدار العفو العام عن جميع المجرمين السياسيين مما أزعج له كبير الرجعيين مترنخ أشد انزعاج قائلاً : « لقد كنا على أهبة للقاء أي نبأ إلا أن نعلم نبأ ظهور بابا حر ، أما وقد ظهر هذا البابا ، فلا حد لما سنراه في المستقبل » .

وسرعان ما تحركت الولايات تطلب الإصلاح على نحو ما يصلح البابا في ولايته ، ففي الصقليتين أرغم هياج الشعب الملك على إعلان الدستور ، وفي نابلي عجل الملك فأعلنه قبل الهياج ، وسرت العدوى إلى ولايات البابا فأعلن فيها كذلك ، وكذلك أعلن في تسكانيا ؛ ومالبث أن خطا شارل ألبرت هذه الخطوة في بيدمنت ، فأعلن الحكم الدستوري على نحو ما حدث في تلك الولايات ، وهكذا تشيع المبادئ الدستورية في طول إيطاليا وعرضها .

وانبعثت الثورة في فرنسا فطاحت بالملكية هناك وأعلن الأحرار فيها قيام حكومة جمهورية ؛ ولم يقف الأمر عند فرنسا ،

بل لقد امتدت العاصفة إلى النمسا نفسها فزلزلت الحكومة فيها زلزالاً شديداً وأخذت مترنح أخذاً أليماً فأسقطته من مركزه المتيد بعد طول تربعه فيه وانبعاث سلطانه منه . وهب الناس على أثر ذلك فى لمبارديا ينضون عن أعناقهم نير النمسا ، فلم يمض أسبوع حتى طردت الحاميات النمساوية هناك ، ثم بادر ملك بيدمنت شارل ألبرت فأعلن الحرب على النمسا وتبعه أمير تسكانيا وسرعان ما أتى الناس من كل حدب ينسلون ، كأنهم شعب السيل وساروا أنماطاً من كل طبقة ومن كل حرفة عالمهم بين جاهلهم وشيخهم بين فتيانهم إلى حيث يلتقون تحت راية بيدمنت، ولم يبق فى إيطاليا ولاية لم تأخذ بقسط فى هذه الحرب حتى لقد خيل إلى الناس أن حلم مازينى قد تحقق، فها هو ذا علم إيطاليا يخفق على رؤوس الإيطاليين من كل حزب ومن كل ولاية

وكان الزعيم المجاهد يومئذ فى باريس يؤلف قلوب المنفيين من بنى قومه هناك على مبادئه ، فما أن جاءه نبأ ما حدث فى إيطاليا حتى هرع إليها وإنه ليكاد من فرط فرحه أن يطير ومن فرط حماسته أن يشتعل ؛ ونزل الزعيم فى ميلان إذ لم يكن يستطيع بناء على حكم الإعدام الذى حكم به عليه عام ١٩٣٣ أن يذهب إلى بيدمنت أو إلى جنوة ؛ وعرفه رجال الجارك من صوره التى رأوها من قبل فكانوا يحيونه فى حماسة بالغة ويسمعونه من عبارات الوطنية ، واستقبله أهل ميلان استقبالاً رائعاً ومشى والزحام من حوله إلى الفندق الذى اختاره لإقامته

وراح الزعيم القائد يعقد الآمال على فوز هذه الحركة ، وكأنما حل اليوم الموعود فتمت رسالته بعد جهاد طويل لاق فيه ما لاق من أنواع العذاب وصنوف البؤس والشقاء ... ووقف مازينى أول الأمر من الحرب موقف السياسى الرشيد ، فوجه همه إلى نصرة بنى قومه وترك الخلاف على الجمهورية والملكية جانباً فإن هذا أمر يمكن النظر فيه بعد النصر ، وأخذ الزعيم يحث الرجال إلى التطوع لنصرة قضيتهم المشتركة لا يتوانى عن ذلك ولا يكل

ولكنه ما لبث أن حاد عن هذا الطريق الخليق به وأخذ يذيع مبادئه الجمهورية على أساس الوحدة رادا بذلك على الملكيين ودعاة الاتحاد ؛ وكان عمله هذا وا أسفاه مما يعرقل سير الحرب فإن من شأن هذا الخلاف أن يشيع فى الجند وأن يتسرب إلى المتطوعين ؛ وكان الزعيم يعتذر عن فعلته بأن مخالفيه فى الرأى هم الذين بدأوا بإثارة الخلاف ، ولكن عذره هذا سقيم لا يقبل ممن كانت له مثل مكانته ومثل ماضيه فى الجهاد ... ولعل مسلك مازينى يومئذ كان أكبر أخطاء حياته جميعاً

وكتب إليه شارل ألبرت يدعوه أن يحث أتباعه الجمهوريين فى شمال إيطاليا على الانضمام إلى القائلين هناك بالاندماج فى بيدمنت وكانت قد بدأت تظهر لهؤلاء حركة قوية نحو هذا الغرض ؛ وذكر الملك فى خطابه إلى الزعيم الكبير أنه مستعد للقائه إذا قبل ذلك وعرض عليه أن يكون وزيره الأول وأن يكون له ما شاء من الرأى فى وضع دستور تحكم به المملكة على أساس ديمقراطى ورد مازينى بأنه لن يرضى بغير الوحدة للإيطاليين جميعاً وما به حاجة إلى السلطة ولا نزوع إلى الجاه ونعيم الحياة لأن هذه أمور تصغر أمام غرضه الأسمى الذى تحمل فى سبيله ما سلف من مصائب الحياة ... ولم يرد الملك على الزعيم بعد ذلك فقد يئس من ضمه إليه

ولا ريب أن إصرار مازينى على مبادئه وعدم التساهل فيها خلة من أبرز خلال الزعماء ، بل هى عندى أكبر هاتيك الخلال وأهمها ، وماذا يبقى للزعيم من زعامته إذا هو تهاون فيما يرى أنه الحق وفيما جاهد فيه جهاده ؟

وما لبث أن تجمعت عوامل الهزيمة فأحاطت بجيش الإيطاليين فإن البابا بيوس التاسع ما لبث أن أعلن استنكاره رفع الحسام فى وجه النمسا وهى من أكبر الدول الكاثوليكية ؛ وقد أدى هذا إلى أن يسحب ملك بيدمنت جنوده من الميدان ؛ كما أن الخلاف بين الزعماء قد فت فى عضد المتطوعين فتخاذلوا ثم قعدوا وتركت بيدمنت وحدها تحارب جيوش النمسا . وما لبث شارل أن انهزم فى كستوزا ، فتراجع إلى ميلان وتبعته جنود النمسا إليها فسقطت فى أيديهم بعد قتال شديد وانسحب منها شارل وجنوده

وخرج مازينى من ميلان قبل أن يصل إليها جيش النمسا ؛ وذهب يبحث عن المتطوعين من رجال غاريبلدى ، وكان هذا المجاهد البطل قد أخذ بقسط من هذا الجهاد القائم ، ولكن حماسة المتطوعين لم تغن عنهم شيئاً أمام تفوق النمسا فى العدة والعدد فتفرقوا كما تفرق الجيش الرسمى، وتم للنمسا النصر على شمالى إيطاليا ، ولحقت بالمجاهدين خيبة أخرى وكانوا من النصر على قاب قوسين . وحار مازينى ماذا يفعل وقد هده الإعياء وأحزنته الخيبة ؛ ولكنه فكر فى الذهاب إلى الولايات الوسطى ليدعو هناك إلى مبادئه الجمهورية على أساس الوحدة عسى أن يجد فى القلوب بقية من العزم أو أثراً من الرجاء ، وندم مازينى أشد الندم على أن لم

يذهب إلى تلك الولايات الوسطى منذ قيام الحرب ليدعو أهلها إلى الجهاد القومى فتكون منهم قوة إلى جانب قوة الحرب الرسمية

وكان البابا قد فر من أملاكه واعتصم بملك نابلى، فأمل مازينى أن ينشئ من أملاك البابا ومن ولاية تسكانيا وحدة على أساس جمهورى، وقد كاتب مازينى بعض الأحرار منذ أن فر البابا يدعوهم إلى ذلك، وبعد ذلك بنحو شهرين اتخذ طريقه إلى روما فبلغها فى شهر مارس عام ١٨٤٩ وكان ذوو الرأى من أهلها قد اجتمعوا فى مجلس وأعلنوا أن مازينى من مواطنى روما كما نادوا بالحكم الجمهورى وطلبوا من الزعيم أن يحضر إليهم

وقد استقبل مازينى استقبالاً عظيما فى لجهورن وهو فى طريقه إلى روما، ولاقى فى روما من روعة الحفاوة به والتحمس لمبادئه ما أنساه مرارة العيش فيما مر به من الأيام

واختاره أهل روما ومعه سافى وأرمللينى نواباً عن الجمهورية فتكونت منهم حكومة ثلاثية، وجمعت أزمة الحكم فى الحقيقة فى يد مازينى فأخذ يتأهب لتحقيق مبادئه وسرعان ما أعد للجهاد عشرة آلاف من المجاهدين

وعاش الرئيس الجديد عيشة فى غاية البساطة؛ فكان يخفض جناحه للناس جميعاً، وكان لا يضع بينه وبين أحد حجاباً فبابه مفتوح لجميع من يريدون مقابلته لا فرق بين كبير وصغير؛ وهو فى الحكم كما هو فى حياته الشخصية مثال للنبل والنزاهة واللطف، أكبر همه أن يعتنق الناس مبادئه فيجعلوا وحدة إيطاليا قبلتهم التى لا يرضون غيرها

وكان يحرص مازينى أشد الحرص أن تكون جمهوريته مثالاً يحتذى، وأن تكون فى أسلوبها وروحها خير داعية إلى مبادئه، لذلك ضرب للناس أحسن الأمثلة فى التسامح والعدالة وحب الخير للأهلين جميعاً؛ وكذلك رأى الناس من نشاطه وإقباله على عمله ما زادهم تعلقاً بشخصه وإيماناً بمبادئه.

ولكن هذه الجمهورية لم يقدر لها أن تعيش إذ ما لبثت أن جاءتها الضربة القاضية على يد دولة ما كانت ترجو منها الجمهورية الوليدة إلا العون، دولة طالما ترنم أهلها بالحرية وأشعلوا نيران الثورات فى سبيل الحرية والديمقراطية، وأعلنوا أنهم أبداً على أهبة لتعضيد كل شعب يعمل على نيل حريته، وما كانت تلك الدولة إلا فرنسا التى قضت فى أمسها القريب على الملكية، وأحلت محلها الجمهورية!

لم تتورع فرنسا عن توجيه حملة حربية لإسقاط الجمهورية فى روما وهى بذلك ترتكب إثماً من أكبر آثام السياسة الدولية فى العصور الحديثة، وكان ذلك الإثم مضاعفاً لصدوره عن فرنسا ذاتها، وإنما تكون الجريمة من أهل الشر جريمة فحسب؛ أما مجيئها على أيدى من يدعون أنهم أنصار الفضيلة ففيه معنى الجريمة ومعنى الفجور وخيبة الآمال جميعاً

وأحاط جيش فرنسا بأسوار روما وحاول مازينى وغاريبلدى ومن انضم إليهما من الأحرار الدفاع عن المدينة، وكان مازينى يشخص بنفسه إلى مركز الدفاع، يأكل أكل الجند وينام نومهم ويبث فيهم روح الفداء؛ وجاء كثير من الناس من أنحاء إيطاليا للدفاع عن الجمهورية، ومنهم اللدكيون ومنهم الأدباء والكتاب، ولكن المدينة لم تقو على الحصار، ولما رأى مازينى أنها واقعة فى أيدى الأعداء لا محالة استقال من منصبه

وصمم غاريبلدى ومعه ثلاثة آلاف من رجاله على المقاومة إلى النهاية، ودعا مازينى إلى ذلك، ولكن الزعيم رأى مالا يراه ذلك الجندى المتحمس فذهب إلى مرسيليا؛ ثم لم يلبث أن انتقل إلى سويسرا، ولكن الحكومة السويسرية ضاقت بوجوده فى بلادها كما فعلت من قبل وهو فى أولى سنى جهاده، ولذلك اتخذ مازينى سبيله إلى انجلترة وراح يستأنف العيش فيها من جديد.

وعاد إلى القلم والقرطاس يكتب ليعيش مما يكسب ولينشر مبادئه مجاهداً بالقلم بعد أن فشل جهاده بالسيف، وكأنما صارت انجلترة موطنه الثانى، فلقد استراح إلى العيش فيها وأحبها هذه المرة أكثر مما أحبها من قبل، وكثر فى المدينة العظيمة أصدقاؤه من الإنجليز ومن الفرنسيين والإيطاليين، فكانت تخفف صداقة هؤلاء عنه آلام الغربة ومصائب الزمن، تلك المصائب التى ذاق كبراها عام ١٨٥٢ بموت أمه التى ظلت حتى وفاتها تعطف أشد العطف على حركاته، وتتألم أشد الألم لما يلاقى فى سبيل بلاده

(البقية فى العدد القادم)

الخفيف

بنت القــرية

للأستاذ محمود الخفيف



أنا بنتُ الشمسِ والفجرُ أبى   شيَّع النجمَ وراقِبْ مطلعى
كمْ سبقتُ الصبْحَ فى طلعتهِ
وسرَقتُ السَّحرَ منْ غُرتِه
وفى كمْ صاغَ من بسمته
أيُّها السائلُ هـذا نسَبى   مثلَ ذا فاطلبْ وإلا فدَعِ
مِنْ جُمانِ الطَّلِّ عِقْدى انتظما
ولَكمْ صُغتُ بِليْلِى الأنجُما
وأخى البَدْرُ روَى لى حُلُما
أينَ مِن رُؤياىَ سِحرُ الذَّهبِ   ومعانى السِّحرِ والطُّهرِ معى؟
لَستُ أحصى مَنْ هوَوْنى عدَدا
ثمَّ لم أشرِكْ بِقَيسى أحدا
لا ولا أرخصتُ حُبِّى أبدا
بسمةٌ منهُ قصارَى طَلبى   وهواهُ العفُّ أقصى مطمعى
أنا أغلى عنـدهُ من ناظِريْهِ
وهْوَ ؟ ... هل أبخلُ بالرُّوح عليه ؟
إن يَشَأْ جُدتُ بها بَينَ يدَيْه
طيفُ أحلامِى ودُنيا طرَبى   وشذا رُوحى ورَيَّا أضلُعى
أَملى ... هل دونه مِن أملِ ؟
وغـداً لَيسَ سِواهُ موئِلى
أىُّ شىء قُربه لم يكُ لى ؟
كلما غازلنى مِن كثَب   لاحَ لى العهدُ الذى لم يُقطعِ
حُبُّهُ لَحنِىَ أيامَ الحصادْ
وهُيامِى كلَّ يومٍ فى ازدياد
لا أُسَمِّيهِ ولكنْ فى الفُؤاد
شخصُه منذُ زمانِ اللَّعبِ   يُنبِتُ الحبَّ بهذا الموضعِ
إنْ جفانِى فى منامى طَيفُه
أوْ رَنا يوْماً لِغيْرِى طرفُه
أوْ تجنَّى فتوَالى خُلفُه
شاعَ فى جِسْمى بَرْحُ اللهبِ   وجفا جَنبِيَ فيه مَضجعى

***

يا ابنـةَ الرِّيفِ هواىَ افتضَحا
فِيكِ كم سفَّهتُ غِرًّا نصَحا
ما انجَلَى رأيىَ إلا رَجحا
ليتنى قَيسُكِ هـذا أربى   لستُ بالعابثِ أو بالمدَّعى !
تنبتُ الزَّهرَةُ فوْقَ الجبلِ
مِثلَما تنبتُ عنـد الجدوَلِ
إنْ تفُزْ هذِى بماء سَلْسَلِ
حسب هاتيك دموع السُّحب   ومن الصبحِ ندِىُّ الأدمعِ
زَهرةٌ أنتِ ترُوعُ الناظِرِينْ
فوقَ خدَّيكِ وفى هذا الجبينْ
لمحَةُ الوَرْدِ وطيْفُ الياسَمِينْ
وومِيضٌ كوميضِ الشُّهب   ملء عينيكِ سَنِىُّ الموْقِعِ
إملِكِى ... مَنْ يَمتلكْ هذا الجمالْ
حازَ ما لنْ يُشترَى يوماً بمال
الجلالُ الحقُّ فى هـذا الجلال

لا تقولى قد تدلّى حسبى   لن يضيرَ الشمسَ قربُ المطلع
إيهِ بنتَ الشمسِ أختَ القمرِ
يا خيالى فى ليالى السَّمَرِ
ونصيبى من غناءِ الوَتَرِ
بدّدِى بالسّحرِ وَهْمَ الحقبِ   وابزغى كالشمس وارقى واسطعى
أسفرى كالصُّبحِ نوراً وابتساما
واخطرى كالغصنِ ميساً وقواما
واملأى دنياكِ سحراً وهياما
أبلغى بالحسنِ أعلى الرُّتبِ   فذبولُ الحسنِ فى أن تقنعى
أينَ فى غيرِ الحِمى هذا القوام ؟
أعلى حبِّكِ ذو لبٍّ يلام ؟
بعضُ صنعِ النّيلِ هذا الانسجام
أينَ منْ لحظكِ بنتُ العنبِ   كدتُ من سحرى به ألا أعى !
كمْ سقانى الخمرَ فى لفتتهِ
فقضى قلبى فى سكرتهِ
ويحهُ ... كمْ هِمتُ فى فتنتهِ
كم روى لى من حديثٍ عجبِ   ثم نادى مهجتى : لا تهجعى !
صدرُكِ النّاهدُ يسبى الأعينا
أبلغُ الفتنةِ والسّحرِ هنا
لم تزلْ للسّحرِ مصرُ الموطنا
منذُ (نفريتيتَ) لم يغتربِ   عن ثرى الوادى البهيج الممرعِ
أختُ بطليموسَ سحرُ القيصرينْ
لمْ ترثْ فتنتَها عنْ أبوينْ
حسنُها للنّيلِ دينٌ أىُّ دينْ
لسوى واديهِ لم ينتسبِ   فاتَ منْ يونانَ مالمْ يرجعِ
يا ابنةَ النّيلِ نميرُ النّيلِ غالى
إملأى الجرّةَ منْ هذا الزُّلالِ
حدِّثى الضفّةَ عنْ خطوِ الغزالِ
آهِ كم طفتُ بها من كثبِ   أطفئُ الشوقَ بقلبٍ مولعِ
نظراتٌ بدأتْ فى خافقى
أبداً لم أعصِ فيها خالقى
ملؤها كلُّ شعورٍ صادقِ

صلواتٌ لم تحطْ بالرّيبِ   فى جنانى للعلىّ المبدعِ
إكشفى عن هذه السّاقِ الثيابا
ملكتْ لبّى ظهوراً واحتجابا
كيف يسهو من يرى هذا الإهابا ؟
ويحَ خلخالكِ كم يصنعُ بى   لكِ ما شئتِ فما شئتِ اصنعى
اجتلى وجهكِ فى هذا النميرْ
فهوَ مرآةُ محيّاكِ النّضيرْ
واضحكى فى الماءِ للوجهِ الغريرْ
كم نفى الكربةَ عن مكتئبِ   بسناهُ العبقرىّ الأروعِ
أبهجتنى صبغةُ اللهِ بهِ
إنْ زكا الوردُ فهلْ منْ مشبهِ
للجنىّ المشتهى من رطبهِ ؟
اخلعى كلَّ طلاءٍ كذبِ   لكِ منْ غاليه ما لنْ تخلعى

الخفيف



دراسات فى الفن

يا سارية ، الجبـــل !

[مع الاجلال إلى معالى الدكتور هيكل باشا بمناسبة حديثنا الشفوى عن عمر]

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

— قرأت اليوم أن عمر ... كان يخطب يوم جمعة فى مسجد المدينة ، وكان للمسلمين جيش فى حرب مع بعض أعدائهم عند سفح جبل على حدود فارس ، وكان على هذا الجيش قائد اسمه « سارية » وحدث أن كان الأعداء قد بدأوا فى تطويق جيش المسلمين بحيث لم تكن له نجاة إلا أن يلجأ إلى الجبل ، وحدث أن توقف عمر عن الخطابة وصاح : « يا سارية الجبل » ، وحدث أن لجأ سارية إلى الجبل بجيشه، فنجوا ، فلما عاد سارية إلى المدينة روى أنه سمع هاتفاً يهتف فى أذنه صارخاً : « يا سارية الجبل » فلجأ إليه فنجا ، فقال له الناس إنه صوت عمر ... أليست هذه قصة عجيبة ؟ وهل تصدقها ؟

— ولم لا ؟ أو ما يهتف الآن الإنسان فى لندن فيسمعونه فى طوكيو ؟ هذه كتلك

— ولكنهم الآن يتصل بعضهم ببعض عن طريق التليفون

— بل لقد اختصروا الآن التليفون ، واستغنوا عن أسلاكه وجعلوه « راديو » . الناس ارتقوا

— فليكن ... ولكن الراديو لا يزال أداة يستعين بها الإنسان على التخاطب من بعد ، ولولاها لعجز عنه

— لا بأس . ولكن الإنسان إذا واصل رقيه العلمى واصل اختصار الراديو والتقليل من أدواته حتى يبلغ من الرقى درجة يستغنى بها عن اختراعه هذا واختراعاته كلها ...

وعندئذ يستطيع أن يخاطب طوكيو وهو فى لندن من غير أداة ؟

— وأن ينتقل من طوكيو إلى لندن بغير أداة !

— فى كم من الزمن ؟

— هذا يرجع إلى مقدرته على تحويل الزمن !

— تحويل الزمن ؟ وإلى أى شىء يمكن أن يتحول الزمن ؟

— إلى أزمنة وإلى غير ذلك مما يعلم الله . ما يخيل إلينا أنه مستحيل الحدوث ، يمكن حدوثه ، فالله قادر على كل شىء ... أنظرى ... أتصدقين أننى أستطيع أن أمسك هذه الزجاجة الفارغة وأن أقول فيها بعض كلمات ثم أسدها فإذا الزجاجة مصباح مضىء يلقى النور ؟

— هذه لم يصنعها حاو ، ولا نبي ، فتصنعها أنت ؟

— ولا أنا أصنعها ... ولكنى أسألك أين وجه الاستحالة فيها؟

— إستحالتها فى أن تتحول الكلمات إلى نور ... هذا هو المحال المتعذر لأن الكلمات حروف والنور أشعة

— وما رأيك فى أن هذه الاستحالة قد ذللت واستطاع أهل السينما الناطقة أن يحولوا الكلمات والحروف والأصوات إلى أشعة ونور ، بل إنهم يخزنون الصوت والضوء فى أشرطة من « الباغة » ... ما رأيك ؟

— هذا مفهوم ومعقول لأنهم يستعينون عليه بالآلات

— أنت لم تقولى فى البدء إن المعضلة معضلة آلات ، وإنما قلت إنها مسألة استحالة طبيعية ، وإنه ليس من شأن الصوت أن يتحول إلى ضوء ... والآن ، وقد رأيت أن الصوت قد تحول إلى ضوء ، قلت إن ذلك تيسر بالآلات ... وأنا أقول لك إن لكل شيخ طريقة وأدوات ، فمن الناس من يستعينون بالحديد وبالمغناطيس والكهرباء يستعيرونها من الخارج ، ومنهم

من له عزم هو الحديد ، ونزوع هو المغناطيس ، وروح مؤمنة صافية هي الكهرباء ؛ وقد كان عمر من هؤلاء ، وقد اكتفى بهذا فانطوى له الزمان وانطوى له المكان ، وهتف في المدينة فسمعه سارية وهو على حدود فارس ... وإذا كنا نحن نعيش في هذه الحضارة صما بكماً عمياً فليس لنا أن نلزم السامعين الناطقين المبصرين بأن يكونوا مثلنا فلا يسمعون ولا يتكلمون ولا يرون إلا بالآلات والأدوات ... أما ولله الحمد نظرى كامل وإن كان سمعى ناقصاً ، أفإذا رأيت النملة في السقف أنكرت أنت على أن أراها بغير منظار معظم ، فإذا سمعت أنت دبيبها أنكرت أنا عليك أن تسمعيه بغير مكبر الأصوات ؟ ليس هـذا من حتى ولا من حقك ، ولا من حق جيل الحديد والزلط الذى يريد أن ينكر على عمر إلقاء الأمر إلى سارية من المدينة وسارية على حدود فارس.

وإن نسبة التقى بين عمر البشر وأستاذه الهادى الأمى محمد النبي الرسول صلى الله عليه وسلم ، لتساوى فيما أرى النسبة بين هذه التى حدثت من عمر وبين تلك التى كانت من النبي إذ أسرى الله به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

— آمنت بالله ورسوله ... إذن فقد انتقل النبي بجسمه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ...

— انتقل بروحه وبجسمه وبكيانه كاملاً غير منقوص ، وليس هذا من الله عجباً ، وهو يرويه في القرآن ، والقرآن كتابه ، وإن كنت تنكرين فاجمى الإنس والجن وائتوا بسورة من مثله

— وأنى لى أن أجمع الجن ... هل تعرفهم أنت وهل تستطيع جمعهم ؟

— إنى لا أستطيع جمعهم لأنى أضعف من ذلك ...

— ولكنك تعرفهم ؟ ولعلك أيضاً تعرف الملائكة ؟

— لم يقل لى أحد ما الملائكة ، وإن كان أستاذى النائم عبد السلام شهاب قد عرفنى بالجن ...

— ما هذا الاسم العجيب ؟ لم أره يكتب لا في الهلال ولا في المقتطف، ولا في الرسالة ، ولا في السياسة، ولا في الثقافة ... فأين تقرأ له

— إنى لا أقرأ له ولكنى أسمع منه ، وهو يكتفى بأن يقول لى وأن أكتب أنا ، وقد قال لى إن الجن ناس ، وأسمعنى مرة إياهم وأرانى مرة بعضهم . ولم يزد على هذا

— وكيف يمكن هذا ؟ أو أن له استعداداً خاصا ؟

— له ، وهو مثل كل استعداد غيره يهبه الله لمن يشاء من عباده فيمكنهم به من القيام بما يعجز عنه غيرهم ... وهو كذلك الاستعداد الذى يستطيع به الفنان أن يلمح طبع الخير في بعض الناس وطبع الشر في بعضهم من غير أن يحتك بهم ... وهو كذلك الاستعداد الذى يلمح به المهندس العلاقات بين النقط والمستقيمات والمنحنيات فيصل بعضها ببعض ويفرق بعضها عن بعض ويبنى على ذلك ما يشاء وما لا يوفق إليه غيره ... ولقـد سمعتهم يطبلون طبلاً رهيباً في ليلة هادئة ... وهؤلاء لم أرهم ... أما الذى رأيته فواحد كان يسير في ليلة مظلمة في طريق قفر ضيق وراء بيت « عبد الرازق » في عابدين

— ألم يقل لك « بخ » ؟

— لا ... وإنما كان يهرول إلى جانب الجدران وقد انشغل كل الانشغال عن الدنيا وكل ما فيها بما لا يمكن أن يكون إلا تسبيحاً ؛ فلما قرأ عليه الذى كنت معه السلام رد السلام في خفوت وسرعة ركبت فيها حروف السلام بعضها بعضاً ...

— إذا كان هذا هو كل ما سمعته ورأيته فإنى أستطيع أن أقول إن الذين سمعتهم يطبلون الطبل الرهيب بشر ، وإن الذى رأيته وحياه صاحبك بشر أيضاً ...

— وعلى الرغم من أنه كان معنا ثالث لم يرشيئاً مما رأيناه ... ولم يسمع ، فأنا لا أقول غير ما تقولين

— إذن فلا جن ولا عفاريت

— إنكارك هذا راجع إلى أنك تتصورين الجن من غير الناس بينما هم ناس . وكل ما في الأمر ، عندى ، أنهم يختلفون عن الإنس بأنهم جنوا بمحبوب ، لكل منهم محبوب . وهم ينطلقون إلى هؤلاء بإحساسهم وتفكيرهم وأخلاقهم وأجسامهم وكل كيانهم ولم يعودوا بعد ذلك يأتنسون بغيرهم من الناس ، وقد يسندنى في هـذا أن العرب رووا أقاصيص كثيرة عن الجن وأنهم كانوا يظهرون للناس ويحادثونهم ويعاشرونهم أحياناً ، والقرآن الذى نزل بلغة العرب ذكر الجن بلغة العرب وعنى الجن الذين يعرفهم العرب . . . زيدى على ذلك أن بعض أئمة المسلمين أباحوا للمسلمين التزوج من الجن المسلمين وأهل الكتاب ، ومعنى هذا أن الجن ناس يكونون جناً أحياناً ، ويكونون إنسا أحياناً . أو يلزمون حالة الجنة إذا استغرقوا فيها .

— إذا كان هذا ممكناً فإنه ممكن أيضاً أن يتحول الإنسان إلى جن ... أليس كذلك ؟

— كل شيء ممكن . فقد كان إبليس ملكا وتحول إلى جن بعد أن فسق عن أمر ربه ، والملك الذي أرسله الله لمريم يبشرها بعيسى تمثل لها بشراً سويا . وسئل النبي (ص) كيف يرى جبريل فقال : إنه يراه أحياناً في صورة دحية الكلبي ، على ما أذكر ، وهو إنسان . وتفسير قول النبي يحتمل فرضين : فإما أن يكون النبي في الخلوة فيحضره جبريل في صورة دحية ، وإما أن يكون مع دحية على انفراد أو بين ناس فيستشف النبي في قرارة دحية ... جبريل ... وأنا أميل إلى الأخذ بالفرض الثاني ، ولا أمنع الفرض الأول ... وأعلل الرأي الذي أميل إليه بأن حالات من التقى والرحمة والصفاء تحل ببعض الناس ، فإذا هم ينقون من نوازع الدنيا ويسمون إلى دعاء الله فهم عندئذ ملائكة ... يشعرون بالخير والهدى لا يراهم إلا من فتح الله عليه ، وهم أنفسهم لا يهدون وإن كانوا يلهمون الهدى لمن قسم له الله أن يُلهم وأن يُهدى بنظرة منهم أو إشارة أو كلمة أو سكتة أو حركة

— ولكن هذا الذي تقول ليس في شيء من كتب الدين .

— وليس في كتب الدين حديث عن الألغام المنطسة ، وليس في كتب الدين ذكر التلفزيون . ولا تنس أن كثيراً من كتب الدين أحرق بعد سقوط بغداد ، وأن ديننا إسلام وتفكير وتدبر ، وللمجتهد المخفق فيه ثواب ، وللمصيب ثوابان ، والله يعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسه ... وإني سألته التوفيق فلا تقفي في طريقي ، أو قدمي لي يد العون يكن لك عند الله الجزاء ... أو تعرفين أنت الملائك والجن ؟

— لا ، وإنما أرى وصفك الملائك كأنه الشعر ، وأرى وصفك الجن يمكن أن يطبق على ناس كثيرين جداً هم الذين ينصرفون بكيانهم كله إلى هدف ما ، ومن هؤلاء من هم خيرون ، ومنهم من هم أشرار

— إني لا أستطيع أن أدافع عن رأيي في الملائك بأكثر مما قلت إلا أن أزيد أني أراك كالملائكة أحياناً ...

— إذن فرأيك صحيح ...

— وأما الجن ، فلا تتصوري أن وصفي إياهم يمكن أن يطبق على ناس كثيرين جداً كما تقولين ، فليس من الميسور للكثيرين أن ينصرفوا بكيانهم كله إلى محبوب واحد يجنون به ، ويستولي على جماعهم ... وإنما أغلب الناس بل جلهم يتشتتون وتتوزع اتجاهاتهم ورغباتهم وأهواؤهم ، وينزعون إلى الائتناس بغيرهم كلما استوحشت أنفسهم أهواءهم ورغباتهم واتجاهاتهم

— ومع هذا القيد فإني لا زلت أستطيع أن أعتبر الإنسان العبقري المنصرف إلى فنه من الجن ...

— إذا كان لا يأنس بغير فنه ، وإذا كان لا يستوحش فنه مطلقاً ، وإذا كان لا يشغله غير الفن شاغل ... وكلما قل فيه هذا كان أقرب إلى الناس

— واتباعاً لما تقول أيضاً نستطيع أن نعتبر الإنسان الشرير المستغرق في الشر جناً ...

— إذا كان لا يأنس بغير الشر ، وإذا كان لا يستوحش الشر مطلقاً ، وإذا كان لا يشغله شاغل غير الشر إذا ترك لنفسه يختار المشاغل ، فهو إذا قابل الناس ابتدرهم بالأذى ، وهو إذا غفلت عنه الدنيا أحرقها بناره . إنه الجن الشرير غير المسلم

— ولكن الذين يمنون بهذه الأحاديث يروون عن الجن أنهم قادرون على الاختفاء ، فكيف تعلل هذا الاختفاء ...

— قلت لك إنها قدرة يعطيها الله لمن يشاء فيطوى بها المكان ويطوى بها الزمن ، يقابلها في الناحية الأخرى عجز عن الملاحظة

— لقد سكت عنك حين نسبت هذه الخوارق للانسان الراقي ولكني لا أظن أنه يحسن السكوت عنك إذا نسبتها أيضاً للانسان الشرير الذي يؤذي الناس

— إن هذا الشرير الذي يؤذي الناس إنما ينزل بالناس قضاء الله الذي هم أهله ، وإن لله حكمة في كل ما ترين من تصرفات عباده ألم يقتل الخضر طفلاً لحكمة ؟

— كان الخضر شريفاً ... وقوة كقوته إذا أعطيت لشرير كان فيها تشريف للشر

— ليس التشريف في القوة ، وإنما هو في استعمالها ... كل الناس فيهم القوة التي تمكنهم من الارتقاء والتحول ، أو فيهم نواتها ، ومع هذا فأقلهم الذين يريدون أن يرقوا وأن يتحولوا ...

— وهل تريد أنت أن تتحول ؟ ... أظنك تريد أن تكون ملكاً ؟

— لا ... إنى أريد حقاً أن أرق ، ولكنى أريد أن أظل إنساناً فقد فضل الله الناس على خلقه جميعاً ... ذلك أن الملك منصرف إلى الله يعبده فقط ، والإنسان يستطيع أن يعبد الله وأن يتأمل خلقه أيضاً ، وأن يفكر فيه ، وأن يتدبر حكمة الله ، وأن يتحدث بنعمته ، وأن ينشئ بعد ذلك من فنه عبادة ترضى الله وهى غير عبادة الملائكة ... وإلا فقولى لى لماذا فضل الله الناس على خلقه جميعاً ... إلا بالعقل ، إن علينا أن نتجه إلى الله بعقولنا... كى نحقق أفضليتنا. إن فينا القوة التى تمكننا من التعالى على الملائكة...ولكن كم منا استطاع أن يكون ملكاً لا أكثر

— ألست تقول إننى أحياناً أبدو كالملائكة ؟ ...

— لا تؤاخذينى فقد نسيت ... لأنك لا تكونين هكذا إلا نادراً

— إذا كان عمر وهو عمر لم تحدث منه الخارقة فيما روى من حياته إلا مرة واحدة حسبما قرأت ، فهل تظن أن غيره يمكن أن تحدث منه أمثال هذه الخوارق مرات ؟

— كان موسى نبياً رسولاً ، وقد ساير الخضر وكأنما كان طفلاً معه ... فالله أعلم كم يستطيع كل إنسان أن يأتى من الخوارق ... ولكن المؤكد أن الجنة تصيب بعض الناس فى لحظات خاصة يتاخص فيها وجودهم فيقومون بأعمال ، أو يقولون كلاماً ، ولو سئلوا كيف صدرت عنهم أعمالهم أو أقوالهم هذه عجزوا عن تعليلها ، وقال بعضهم إنها إرادة الله ، وقال بعضهم وجدت نفسى فعلت أو قلت ، وقال بعضهم لا أدرى ، وقال بعضهم جننت ، والحق أنهم جنوا بأهوائهم ، وغلبتهم طبائعهم وانطلقوا غير مختارين ولا مقيدين بعقولهم إلى نحو ما كانت تنزع إليه أرواحهم ، وما كانت ترتاح إليه أبدانهم تنفيذاً لشىء من قضاء الله سبحانه

— وقد كان كذلك عمر ؟

— كلا ... إن عمر لم يجن ، وإنما عمر رأى ، وقال ، وسارية سمع ... فعمر إنسان ممن فضلهم الله على الجن وغير الجن من خلقه ...

عزيز أحمد فهمى



الاغمـــاء . . .

أقصوصة مصرية

[مهداة إلى الأستاذ محمود بك تيمور]

بقلم الأستاذ خليل شيبوب

كنت صديقاً حميماً للأستاذ عزيز سامر وزوجته سلمى . أما عزيز فترجع علاقتى به إلى عهد الحداثة الأولى . وأما سلمى فإن والدتها كانت وثيقة الصلة بوالدتى وكانت تصطحبها فى زيارتها إلى منزلنا حيث كنت أراها يافعة تبرق عيناها ذكاء وأستلذ محادثتها فى فترات قصيرة بين والدتها ووالدتى

ولعلى كنت السبب فى زواجهما لأن عزيزاً قابلها فى منزلنا غير ما مرة ، ولم يصادف صعوبة حين عقد النية على الزواج منها لا من أهله ولا من أهل الفتاة . وعاشا عيشة رضية بضع سنوات ماتت فى خلالها والدة سلمى ووالدتى . وكم مرة كنا نتحدث عنهما وتثير ألمنا الذكريات . ولم يرزق عزيز ولداً فما اهتم للأمر كما أن سلمى أيضاً لم تهتم له ولم ينشب بينهما ذلك الخلاف المهيد الذى يبعث به عقم الرجل أو المرأة

أجل، كنت صديقاً حميماً للأستاذ عزيز سامر وزوجته سلمى حتى أنى كنت أتناول طعام الغداء أو العشاء مرات كل شهر فى منزلها الذى اشتراه عزيز على ضفة المحمودية فى عزلة عن الأوساط الصاخبة وفرشه بأفخر أنواع الرياش ، ووسع حوله حديقة مغروسة بمختلف الأزهار والرياحين . ولا أزال أذكر مجالسنا فيها للأنس والسمر فى أيام الربيع المزهرة ، وليالى الصيف المقمرة ، كما لا أزال أذكر مجالسنا بعد العشاء فى قاعة التدخين على مقاعد الجلد العريضة فى ليالى الشتاء الباردة ، وأستار الحرير القاتم مدلاة على النوافذ ، والطنافس المفروشة تحت أقدامنا تبعث فى جو القاعة حرارة طيبة ، بينما يتساقط المطر خارجاً بين هزيم الرعود ، وولولة الرياح

والأستاذ عزيز سامر محام معروف كثير الأعمال وافر الربح يعيش فى يسر ودعة . وسلمى فتاة طيبة القلب ، جميلة الوجه ، أنيقة الملبس . تدير منزلها فى كثير من النظافة والمرح ، وتستلذ الخروج مع زوجها إلى مشارب الجمة ومسارح السينما ودور التمثيل . وكم صحبتهما إليها وكم احتدم الجدل بينى وبين سلمى على الملابس النسائية وائتلاف ألوانها ، واختلاف أشكالها وطولها وقصرها ، ومناسبتها وغير مناسبتها . وكانت سلمى تحب مداعبتى وإحراج زوجها وتهمته بفقدان الذوق فى هذه الأمور الهامة

ولا أعدو الحقيقة إذا قررت أن سلمى على جانب من الثقافة يجعلها تتذوق القراءة الأنيقة ، وبخاصة هذه الأقاصيص التى اكتظت بها الكتب الحديثة . ولكنها كانت تعجب كل الإعجاب بالكاتب القصصى جى دى موباسان، لأن أقصوصته نيرة مشرقة مترعة بالحياة بتدفق الذوق الفنى فى سطورها البارزة حتى كأنها رسم بارع الألوان تامُّ التخطيطات تكاد الصورة تنطق بين ثناياه

وإنى لأشعر بكثير من الغبطة كلما ذكرت تلك الساعات الأدبية التى مرت بنا وبخاصة كيف كنت أضحك من الأحكام الجائرة التى كان يحمل بها عزيز سامر على الأدب والأدباء فيقول لزوجته :

— دعى عنك هذه السفاسف !.. إن أدباءك أناس أخفقوا فى عواطفهم فقذفوا بها فى وجه الناس وهم يظنون أنهم يأتون بالمعجزات .

فتقول له سلمى فى كثير من التهكم :

— أنت يا عزيز لا تفهم إلا « حيث إنّ » ... تريد بذلك « حيثيات » الأحكام ... وتضيف إلى قولها : أن الأدب مرآة الحياة كما يقولون ولكن « حيث إنّ » هذه لا حياة فيها

فيجيبها عزيز بأن الأدب مرآة مشوّهة للحياة لا تعكس إلا ما يظهر منها بينما ما خفى أكثر وأدق ، وقد يكون أجل وأعظم . . .

فأتدخل بينهما وأقول :

— قد يكون ذلك كذلك وكلا كما على حق . والأدب دنيا والمحاماة دنيا، قد تلتقيان وقد تفترقان...

وكنا نفترق عادة ولم يقنع أحد فينا رفيقه

ولكن هذه العيشة الراضية لم تدم طويلاً ، لأن سلمى كانت تمر بها السنون مقفرة الأيام إلا من زوج تعودته وخدم ألفتهم وقليل من الأصدقاء ملّت صحبتهم . وصرت أشعر فى أحاديثها بكثير من الضجر والسأم فاختصر الزيارة أو أعكس وجهة الحديث أو أنقطع عنهما أسابيع

ولا أنس يوماً وأنا مكب فى مكتبى على عمل هام إذ اندفع إليه عزيز ساهم فجأة كأنه قذيفة طائشة فنهضت مذعوراً أرحب به ، وهو يقول :

— اسمع يا فريد ! إن هذه الحياة لن تطول بى وإنى لأختنق . لقد بلغت مناقشاتى مع سلمى درجة من الحدّة حملتها على التفكير فى الطلاق

فسكنت روعه ولطفت من هياجه ، وبين فنجان من القهوة ولفافة من التبغ فهمت أن سلمى اندفعت من طريق المطالعة إلى حد خرجت به عن التسلية إلى الجد ، وأنها صارت تطبق على زوجها كل الآراء والأفكار التى تقرأها. وأنها تلح عليه فى الجدل والمساجلة حتى يتبرم بها ويكاد يجنّ من الأسئلة والأجوبة، وهو رجل لا يفكر إلا فى قضاياه وملفاته ، وقد أضحكنى عزيز كل الضحك حينما سألته أن يضرب لى مثلاً لذلك فقال :

— تصور يا فريد أنها قرأت قصة من قصص موباسان حدثتنى أن صاحبتها كانت إذا أرادت رجلاً لنفسها ورأت فيه شيئاً من الاستحياء والخجل تصنّعت الإغماء بين يديه حتى يضمها إلى صدره ويغتنم فرصة إغمائها

فتهالكت من الضحك وقلت لعزيز : إن هذا لا يوجد إلا فى القصص . فتناضب عزيز وقال : لا تضحك بل اسمع ماذا سألتنى سلمى

قلت : ماذا ؟

قال: سألتنى بعد أن أعربت عن إعجابها بهذه الناشزة المريضة: ماذا أفعل لو أن سيدة أغمى عليها وألقت بنفسها بين يدى ... فأجبتها بأنى أستدعى لها الإسعاف ... فقالت لى : أنت رجل مغفّل! ومن هنا نشأ بيننا جدل عنيف لم ينته إلى الصباح، وقضينا ليلة ساهرة فى المصايحة والمهاترة

وزاد عزيز على قوله :

— لذلك أرجو منك يا صديقى أن تحاول ردّ سلمى إلى صوابها ، وتحملها على الإقلاع عن هذا الهذيان الذى يقودنا حتماً إلى المحكمة الشرعية

ووعدت عزيزاً بالتدخل ، وفعلاً خاطبت سلمى فى الأمر وأخذت أخضد من رغبتها فى قراءة الكتب الجامحة دون أن تسترشد بدليل يميز لها الغث من السمين ، والنافع من الضار . ورضيت بى سلمى مرشداً أدلها على الكتب الطيبة والأقاصيص الطريفة الأدبية التى تمتزج بالحياة من جهاتها القويمة . وصرت أشترى لها بعض الكتب التى كنت أعرف فى مؤلفيها ميلاً إلى إصلاح المجتمع والمحافظة على الأخلاق

ومضت فترة من الزمن تبينت فيها أن سلمى لم تعد تلك الزوجة المفهومة التى ترتسم على وجهها كل معانى نفسها بل أصبحت كثيرة التأنق فى ملبوسها وزينتها واختيار عطورها بل صرت أراها تتعمد إثارة الفتنة بملامحها وجلستها ومشيتها ، وكأنما زاد بريق عينيها السوداوين الواسعتين بما كانت توسع من أشفارها بالكحل ، وتبالغ فى توضيح أنوثتها بارتجاج جسمها فى نقل خطواتها . وصارت تزيد أثوابها قصراً وتغالى فى تعرية زنديها

وصدرها ، وصار زوجها يشكو من هذا كله فأقول له :

— دع سلمى ، إنها فتاة طيبة ، وإن الزينة حياة المرأة ، ولا ضير عليك ولا عليها من الأناقة ومسايرة أزياء العصر

وفى الواقع كان تطور سلمى بطيئاً وما كانت لتلفت نظرى ونظر زوجها لولا بعض أثواب قديمة لها كانت ترتديها فى بعض الأحايين فتربنا الفرق بين ما كانت عليه وما صارت إليه ، ولكننى وزوجها ما برحنا نعتقد أن شغفها بالزينة نتيجة التقليد فقط ، وأن المرأة أكثر ما تتزين لتباهى بزينتها غيرها من النساء ، وأن هذا كله برىء كل البراءة ، لا يفضى ولن يفضى إلى ما لا يصح السكوت عنه

ولقد صادفت سلمى مرات فى الشارع منفردةً تدور على المخازن كما تفعل ذلك كل النساء ، وأظن أنى لمحت مرة شاباً يترسم خطاها وهى تشجعه بابتسامها له ، ولكن ظهورى أمامها صرفه عنها وصرفها إلىّ . وأذكر أنى فسرت ذلك بأنه حادث عادى ، ولم أشأ أن أفسر ابتسامة سلمى له سوى أنها محض توهم منى

وسئمت سلمى من المطالعة ورغبت إلىّ ألاّ أتعب نفسى فى اقتناء الكتب لها ، وكنت سئمت التفكير فيما أقدمه إليها ، وهى مهمة محرجة ، لحمدت لها رغبتها تلك وفى صدرى منها مرارة مبهمة . وصرت ألاحظ أن سلمي إذا جلست إلى جانبي ألقت بنفسها متهالكة على المقعد فى حركة غريبة ، وكانت من قبل تقعد قعود الصراحة ، وصرت ألاحظ أنها ترنو إلى خلسة بعض الرنو بألحاظ فاترة مستطيلة ، وأنى إذا حملت إليها على عادتى القديمة بعض الهدايا أخذتها بلا شكر كأنها فرض أؤديه ولكنها كانت تتحين فرصة يكون فيها زوجها بعيداً عنا فتخاطبنى عن هديتى فى لطف وهدوء لم أعهدهما فيها كأنما تجمل نفسها مقصودة بها باعثة عليها ، لا المنزل ولا الصداقة القديمة

وإننا معشر الرجال ليطيب لنا مثل هذا الجو الفاتر الذى تثيره المرأة حولنا ونشعر فيه بلذة غامضة ، إلا أن هذه اللذة كانت مشوبة عندى بكثير من تأنيب النفس وكنت أشعر بأننى لست راضياً عن سلمى الجديدة لأننى كنت أكثر ميلاً إلى سلمى القديمة المرحة التى عايشتها مع زوجها عيشة الألفة البريئة الصريحة . ومما زاد فى عدم رضائى عنها أنها صارت تكثر من مخاطبتى بالتلفون وتطيل صوتها فى شىء من الدلال وتسألنى دائماً عن صحتى وعن ليلتى وعن إصباحى وعن إمسائى كأننى مريض تريد أن تطمئن على سير مرضه

ومرت الأيام وهذا الجو يزداد حرارة حتى إنى صرت أحس بأن عينىّ تثبتان على سلمى ثبوت تفحص لجسمها البض ، ووجهها الغض ، وقوامها المجدول وابتسامتها الساحرة وجبينها المشرق ، وبخاصة بريق عينيها السوداوين الواسعتين .

(البقية فى العدد القادم) خليل شيبوب

من هنا ومن هناك

حرب الحصار

[من مجلة « تروث » لندن]

الحرب الحديثة حرب مصادرات وتضييق ، فالجانب الذى يتغلب على الآخر فى مصادرة بضائعه هو الذى يكسب الحرب .

إن الحصار البحرى فضلاً عن أنه سلاح ناجح قد قل بواسطته عدد القتلى فى الحرب ، فإذا أخفق فى مهمته لم تكن الخسارة بالشىء الذى لا يحتمله المحاربون ، وقد جعلت البحرية البريطانية من همها أن يقل عدد السفن التجارية التى تغرق فى عرض البحار .

إن الحصار البحرى الناجح – مع ما له من القوة – لا يحتاج فى تنفيذه إلى شىء من العنف ، فقد تقضى السفن الحربية مدة الحرب جميعها دون أن تسمع كلمة « ارفع البندقية وكن مستعداً » وقد بلغنا عن طريق الأسر ومصادرة السفن ضعف ما بلغه عدونا بإغراق السفن بواسطة « النواصات » ؛ فإن الأسر والمصادرة « كالانتخاب ذى الصوتين » ، ولكن أصحاب العقول المخربة ، والنفوس المتعطشة للدماء ، يظنون أن الحرب لا تكسب بغير القتل والتدمير ؛ والحروب البريطانية على النقيض من ذلك ، فهى تصل بنا إلى الغاية بالمصادرة لا بالقتل ، وبالاحتفاظ ببضائع العدو التى تقع فى أيدى رجالنا لا بتدميرها . فالجندى المخرب حين يرسل إلى البحار لا يفكر إلا فى إغراق السفن ، ولكن رجل البحار يصادر بضائع العدو ليستخدمها لنفسه ، وبذلك يكسب الحرب .

إن سكان البلاد الشمالية وجيوشها ومصانعها لا تستطيع جميعاً أن تحصل على شىء من خيرات البلاد الاستوائية بغير إرادتنا .

وقد تذهب مجهودات الأمة المحاربة أدراج الرياح إذا هى حرمت من بعض المواد الأساسية : كالقطن والنترات والفسفات والمطاط وزيت النخيل وغيره من المواد الدهنية والشحوم والبن والكاكاو وأطعمة البلاد الاستوائية جميعاً . بل إن شيئاً من صادرات تلك البلاد لا يمكن أن يصل إلى أوربا بغير إرادتنا . فجميع المضايق التى تمر بها تلك الصادرات تحت إشرافنا ، ويكفى إرسال قوة من الطرادات والسفن الصغيرة تحت حراسة الأسطول لحصر التجارة بين مضيق جبل طارق البالغ اتساعه ثمانية أميال ، ومضيق دوفر البالغ اتساعه ثمانية عشر ميلاً ، ومائتى الميل الواقعة بين سكوتلاند والنرويج ، وبذلك نستطيع أن نحاصر أوربا إذا اختارت أوربا أن تكون عدواً لنا ، ومن هذه المضايق نستطيع أن نسمح بمرور ما نشاء لحلفائنا وأصدقائنا المحايدين سواء أكان وراداً إليهم من المناطق الاستوائية أو الأمريكتين أو أفريقيا أو الدنيا القديمة ...

ونستطيع أن نصادر ما يحمل منها إلى أعدائنا ونستغله لأنفسنا

وقد اختفت من البحار فعلاً جميع السفن التى كانت تحمل البضائع لألمانيا ، ولم يحاول أحد الآن أن يفر من حصارنا ويجازف بإرسال شىء إلى ألمانيا ، لأن الجميع لا يشكون فى أننا سنصادر بضاعتهم فى الحال .

فالحصار البحرى — وهو سلاحنا فى الحرب — هو أقوى الأسلحة وأكثرها اقتصاداً فى المال والأرواح ...

يوم من أيام الحرب فى برلين

[عن « لاربابليك دى لبه »]

سكان ألمانيا اليوم يعيشون عيشة رتيبة ، ويحيون حياة لا تختلف عن حياة الجنود : فالرجل الألمانى يستيقظ من الساعة السادسة والنصف صباحاً – لا لسبب – إلا أن يكون أمام موزع الألبان قبل الساعة السابعة ... فيتاح له أن يصرف البطاقة التى يستطيع بها أن ينال القرر له من هذا الطعام !

وفى غالب الأحيان لا يصل إلى أيدى الباعة أكثر من ثلثى اللبن المطلوب . فيندفع الأهالى إلى شرائه ، ويتزاحم المشترون بالمناكب ... فإذا كانت الساعة السابعة والربع جاء موعد توزيع المقرر من الخبز : وهو خمس أوقيات ونصف أوقية ؛ وعليك أن تطلبها ثلاث مرات فى اليوم الواحد ، حتى لا تحرم نصيبك من هذه المادة الأساسية فى الطعام .

ولا يحتاج المشترى لحمل نقود معه لشراء هذه الأشياء ، فيكفى

أن تكون معه البطاقة ليصرف إليه المطلوب ، وتجمع هذه البطاقات فى نهاية الأسبوع وتخصم قيمتها من مجموع الأجور ، ولا يتبقى بعد هذه المشتريات فى غالب الأحيان غير النذر القليل من باقى الأجور . ونستطيع أن نقول : إن فى مقدور الريخ أن يسخر الشعب على هذه الصورة وقتاً ما ، كما يسخر الأرقاء ، ولا يبذل « ماركا » واحداً فى الأسواق .

وكما أن جميع سكان ألمانيا المتحضرين يستيقظون كالأبطال فى ساعة مبكرة من النهار ، وينتظرون فى صبر وجلد توزيع الأقوات ، فإنهم لفى حاجة شديدة إلى الانتظار لتوزيع البترول والفحم اللذين يوزعان بمقادير دقيقة .

فالألمان والحالة هذه لا يستطيعون أن يقوموا بتحضير طعام الإفطار قبل الساعة الثامنة ، وفى هذا الوقت يستمعون إلى الإذاعة إذ أن التيار الكهربائى ينقطع بعد هذا الميعاد .

وقد وضع الفوهرر هذا النظام ليكون متفقاً مع النظام الذى وضعه للعمل . فقد لا تجد بعد الساعة الثامنة نازياً واحداً خارج العمل : إما داخل المصنع أو فى الإدارة حيث يجب أن يكون خاضعاً لمثل هذه التعاليم ، ويتسلم مثل هذه البطاقات شأن ثمانين مليوناً من الوطنيين . وفى الساعة العاشرة تماماً يجب أن يقف على قدميه سواء أكان فى المصنع أو المصلحة ليستمع إلى حديث الدعاية الرسمى ثم يعود فيعكف على عمله صامتاً حتى منتصف النهار ، إذ يتناول بطاقته ويتبوأ مكاناً فى المطعم ، وعليه أن يقضى نصف ساعة فى هذه الوجهة ، ثم يعود إلى عمله .

ويظل فى هذا العمل إلى الساعة الثامنة مساء . فإذا ما عاد إلى منزله ، فعليه أن يسارع إلى استحضار الغذاء المقرر له ، وعليه ألا يهمل حمل بطاقته . فإذا جاءت الساعة التاسعة وجب عليه أن يصغى مجبراً إلى الإذاعة مرة ثانية ، وقد لا يستطيع الخروج إلى نزهة خلوية ، أو الذهاب إلى دور السينما لتتبع الأفلام الحديثة إذا فقد البترول وانقطعت السيارات العامة . أما السهرات المنزلية المعروفة ، فقد صدرت الأوامر بمنعها بتاتاً .

وهكذا ينقضى اليوم فى ذلك البلد المسكين !



نهج البلاغة

إلى حضرة الأستاذ البارع الفاضل (سائل) من (العراق) في مجلة العرب (الرسالة)

(نهج البلاغة) يا أخي — من كتب إخواننا الإمامية ، ومن الكنوز العربية ، وهو مجموعة مصطفاة ، وإن لم يحبره سيدنا عليّ (رضوان الله عليه) فقد انتقاه وحبره علويون كما زخرف محدثون و « كل حزب بما لديهم فرحون » وإن همهم تحقيق وتأريخ، فقد ابتهج الأدب واللغة. ولولا إبداع المبدعين أو صوغ الصياغين[1] ما ورثنا هذه الثروة الفخمة الضخمة في الأدب العربي . وليس عندى اليوم مزيد على ما قلته في (نهج البلاغة) في (كلمة في اللغة العربية[2]) وفي (الإسلام الصحيح[3]) وإذا لم يكن ما خططته في الكتابين (كلمة الفصل) فربما كان (فصلاً من الفصول) المرْصّنة فيه

محمد إسعاف النشاشيبي

في كلية الآداب

كتب الأديب عبد الرحمن بدوى في عدد الرسالة الماضي كلمة حاول الرد فيها على إشارة الدكتور بشر فارس ومقالات غيره من الجامعيين التي ظهرت متعاقبة في الرسالة تحت عنوان « في كلية الآداب » وكان الغرض منها ذكر ما ينعم به مدرس أجنبيّ عندنا من حظوة وما يلاقيه المصريّ المماثل له من ضيق . ونحن ندهش كيف لم يتعرض لنا غيره مع علمنا بانتشار ما أذيع هنا في الدوائر المسئولة وإحداثه ما يستحق من تأثير . ولولا الخوف من أثر ما قد يحدثه كلام الكاتب في نفوس بعض القراء ما تعرّضنا اليوم للكشف عن اغتصابه للدفاع وتهافته فيه

يقول : « أما مسألة استقدام الدكتور بينس فهي في ذاتها أمنية يجيش في نفوسنا نحن المدرسين المصريين المستقلين أو المشتغلين بالفلسفة الإسلامية الخ » ، والذى نعرفه — وأمامنا برامج دروس كلية الآداب لهذا العام — أن الكاتب لا علاقة له بتدريس الفلسفة الإسلامية في الكلية ، وإنما هو طالب في قسم (الماجستير) فهو يتصف بغير صفته ، وقد قال بعد ذلك إنه مصرى يعز عليه الدفاع عن أجنبي إزاء مواطنين ، ويحق له أن يعتذر عن ذلك ولا سيما إذا تذكر انتماءه إلى طائفة الشباب التي اشتهرت في حين ما بالعداء المتطرّف لكل ما هو أجنبي. ألم تنشر «مصر الفتاة» صيف ١٩٣٧ مقالاً تهكّمياً عن هذا المدرس الأجنبي لما حظى إذ ذاك بمكافأة للسفر إلى باريس؟ وهذه المكافأة هي إحدى الحقائق التي ينكرها الكاتب ويحاول تكذيبها اليوم

وعلى ذلك فإذا تعرض بدوى أفندى لما لا يعنيه ، وتعامى عن الواقع الذى ثار له هو وإخوانه من قبل ، فاغتصب الدفاع عما كاد يتم لولا ما كتب في الرسالة فهنالك ما أومن أنه دفعه إلى ذلك دفعاً، وبئس التوجيه في مثل هذه الحال، ومتى استقر التوجيه قام الشك. وعليه فإننا في هذه الكلمة نزدرى دفاعه المغتصب ، وإنما غرضنا أن نبين له كيف يجرى قلمه بغير ضابط وهو يطلب العلم العالى

على أن الكاتب المدافع لا يتردد في تعمد المغالطة . وبيان هذا أن الدكتور بشر فارس ، وله الفضل في إثارة المسئلة ، أشار فيما أشار إلى « تلطف » ذلك المدرس الأجنبي للظفر بإدارة المكتبة العامة للجامعة . ولكن بدوى افندى تكلم عن مكتبة الكلية ومكتبة معهد من معاهدها مع علمه أن الإشراف على مثل هذه المكتبات لا يحتاج إلى مدير. وأما إشادته بفضل المدرس المشار إليه في ترتيب المكتبة الخاصة بقسم اللغة العربية ، فإننا نؤكد أننا لم نسمع من قبل مدحاً لهذا العمل ، بل سمعنا من المختصين بفن المكتبات الشكوى منه . ويبرر شكواهم أن هذه المكتبة الفرعية لم يستقر لها نظام بعد، وأن وجودها على ماهى عليه معطل للنظام

(١) الصياغ فيعال من الصوغ كالديار والقيام . وقد أثبت هذه اللفظة حتى لا يظن أنها خطأ كما حسب لغوى مشهور

(٢) الصفحة ٦٦ — ٧٢

(٣) الصفحة ٣٣١ — ٣٥٦

القائم فى المكتبة العامة . وما دمنا ملزمين بالكشف عن تهافت السيد بدوى فى دفاعه فانا نزيد : كيف يأذن لنفسه أن يقول فى وصف الشاب (بينس) بأنه «مستشرق ممتاز، وقطب من أقطاب الجيل» ! وادّعى أن الدكتور بشر تجاهل اسمه ! أن (بينس) لا يحمل إلا الدكتوراه الألمانية العادية ، وهى شهادة لا تقنع بها كلية الآداب ولا الجامعة الأزهرية من أعضاء بعثاتها إذ تلزمانهم نيل إجازة التدريس العالى فى ألمانيا وهى « الهابلتاسيون » . فضلاً عن أن دكتوراه (بينس) لم تقبلها جامعة باريس معادلة لشهادة « الليسانس فى الآداب الفرنسية » يوم تلمس الرجل الانتساب إلى جامعة باريس ليظفر منها بالدكتوراه

ومما يدل أيضاً على عدم نحوط الدافع فى الكتابة أنه قال : إن (بينس) « بدأ يتبوأ مركز الصدارة فى حركة الاستشراق بعد أن انقضى الجيل السابق من المستشرقين أو كاد بعد موت المرحوم نلّينو » . ألم يسمع الكاتب من أساتذته أنه لا يزال من المستشرقين على قيد الحياة أندادٌ لنلّينو العظيم ومن جيله ، وبين قراء الرسالة من يعرف بروكلمَنْ ولتمَنْ وشيدَر ورِتّر ورِفشَر وهرتمَن فى ألمانيا . ثم مارْسيه ودومامبين فى فرنسا . ومرغوليوث ومِنْفُخ ورُسّ مثلاً فى انجلترا ، وبالاثيوس فى أسبانيا ، ونيبرج فى أسوج ؟

ثم إن الكاتب يجدّ فى ترويج البضاعة المزجاة فيترخص فى استعمال الألفاظ ويسرف فى سوء الظن ويقول : إن الدكتور بشر حرص على إرضاء شهوة صديقه (يمنينا) فى أن ينال من هذا المدرس الأجنبى، والدكتور بشر وزملاؤه من الجامعيين لا يعنيهم أمر هذا المدرس على وجه التخصيص بقدر ما يعنيهم إنصاف المصرى والرفق بحاله، كما تعنيهم فوق ذلك مصلحة الثقافة إطلاقاً

وأحب أن أختم هذه الكلمة بقولى للكاتب ومن دفعه إلى الكتابة إننا نعلم اليوم حق العلم أن كلية الآداب لن تستقدم (بينس) بالرغم من سعى بعضهم . والفضل فى ذلك راجع إلى ما أثير فى مجلة الرسالة

(جامعى آخر)

١ — جائزة نوبل تمنح لأديب فنلندى

منحت جائزة نوبل فى هذا العام لأديب بارع من فنلندا اسمه Sillan pöä ، وقد أجمع أهل الرأى فى الأدب على أن هذا الأديب هو أعظم قصصي عرفته فنلندا فى هذا القرن من حيث طرافة مادته ، وخصوبة خياله ، وغزارة بيانه

ولد هذا الأديب سنة ١٨٨٨ ، فى أسرة فقيرة معدمة ، بين أحضان إحدى القرى . فقضى طفولته ، وشطراً من صباه ، بعيداً عن المدن ، بين غابات الصنوبر وشطآن البحيرات ، ومال إلى الأدب والشعر مذ كان يافعاً . ثم انكب على المطالعة الشخصية حتى استطاع أن يصبح الأديب الأول فى بلاده . فلما كانت سنة ١٩١٦ أخرج للناس كتابه الأول « الحياة والشمس » فبهر الناس بوصف رائع للطبيعة ، يجذب ويغرى . ثم أتبعه بكتابه الثانى « البؤس المقدس » . وقد نقل هذا الكتاب إلى الفرنسية . ثم اختص بالأقاصيص ، فأخرج : « وطنى العزيز » و « بالقرب من الأرض » .

وفى سنة ١٩٢٨ أخرج « اعترافاته » فأحدث أثراً فى فنلندا ، وقد شبه الناقدون كتابه هذا ، بالزهرة المتفتحة ذات الأريج العطر المسكر . لأنه كان فيه بعيداً عن التكلف والنحت ، سهلاً متدفقاً رائعاً

وكان يؤخذ على أديب فنلندا الأكبر الإطناب وعدم الدقة ، وهذا المأخذ لا يأتى من ضعف الشخصية المبدعة ، ولكن من قلة إعمال الفكر والملاحظة . على أنه نجا من هذا العيب فى كتابه الذى أسماه « ماتت فى ريعان الصبى » ، وقد ترجم إلى كثير من اللغات ويعد أروع ما أخرجه للناس

ونستطيع أن نقدّم لهذه القصّة خلاصة موجزة لشأنها الكبير : فقد كان لزوجين من أغنياء القرويين ولد فرد ، تزوج فتاة من أقرباء أبيه . ولم يلبث طويلاً حتى قضى أبوه ولحقت به أمه . فبدأ يعانى جفوة الزمان وإهمال الزوج . فقد كانت زوجه ضعيفة الخلق مريضة الجسم ، لا تستطيع أن تشد أزره أو تساعده على تدبير أطيانه واستثمار أمواله . ولم يكن ذا بأس شديد أو حزم ماض أو إرادة صلبة ، فبدأ الناس يسلبونه ماله ، ويوقعون بينه وبين أعوانه ، فاضطر إلى بيع أراضيه الواسعة وحقوله الشاسعة ، وداره التى رأى النور فيها ، ومنزله الذى عاش فيه أبواه ومن قبلهما أجداده . تخشى الذل ، ورحل إلى قرية مجاورة وعاش فيها يُعانى ألم الفقر وبؤس العوز، ثم فجع فى زوجته التى قضت نحبها أسيانة حزينة

وعاش الرجل (غوستاف) مع ابنته « سيلجا » التى تركتها زوجته من خلفها ، وكان شديد الحب لها ، والتعلق بها ، ولكنه لم يتمتع بالعيش معها طويلاً ، بل ماتت وعمرها خمسة عشر عاماً .

فاضطرها اليتم والفقر إلى الخدمة فى قرية مجاورة . وكانت حلوة العينين ، عذبة الكلام، أنيقة الجمال؛ وكانت تؤثر الوحدة والانفراد إذا فرغت من عملها على الاختلاط بالناس . وما كان أحد ليستطيع معرفة ما يجول فى خاطرها ويعج فى نفسها . فلما تخطت العشرين من عمرها التحقت بخدمة شيخ كان أستاذاً فى إحدى الجامعات فحنا عليها بلطفه وآثرها بعطفه ، فذاقت الراحة وعرفت الهناء وساعدها الزمان ، فعرفها شاب اسمه « أرماس » أتى من المدينة ليصيف ، فتحابا وقضيا ليلة « تدنيه ويدنيها » حتى إذا كان طفل الغداة تلقى كتاباً ينبئه بمرض أصاب أمه وكاد يهلكها فتفارقا ، وكان العام ١٩١٧ فى أوائله والحرب مستعرة الأوار ، والفوضى ضاربة أطنابها فى كل مكان

ومرضت « سيلجا » وما شفيت إلا بعد زمن طويل، وكان الأستاذ الشيخ قد اضطر إلى الرحيل ، فتركته والتحقت بخدمة أناس آخرين ، فعاودها المرض ، وكانت تدعو ربها أن يعيد إليها « أرماس » وأن ينقذه من شر الحرب الأهلية التى قامت آنئذ وأن يقيه شر الجنود الحمر الذين هاجوا البلاد . وأضنى المرض جسمها فعجزت عن العمل ، ولكن سيدتها أبقتها طمعاً فى صبابة مال كانت ادخرتها ، وآوتها فى غرفة حقيرة قطَّعت فيها أيامها الأخيرة وهى راضية مطمئنة لا تأبه بمرضها ولا تخشى الموت ، معتقدة أنها ستلقى يوماً خطيبها الشاب الذى أحبته ، والذى أصيب بمرض فى صدره ، وقطع الحمر رجله . وتفقدوها ذات يوم فألفوها ميتة وهى تبسم

ويُعدُّ هذا الأديب مجدِّداً ، فقد أعرض عن الأقوال السالفة والتعابير السخيفة التى لجأ إليها من سبقه من الكتاب، ولا تصلح الآن ، وابتدع أقوالاً وتشبيهات كثيرة ترقص وتعجب .

صبوح الدين المنجد

٢ — خير الدين الزركلى الكاتب

قرأت فى ثنايا نقد الدكتور بشر فارس لتاريخ الآداب العربية لبروكلمن أن هذا المستشرق قد جعل خير الدين الزركلى فى عداد الكتاب . على أن خير الدين ليس بكاتب ، ولا يصح أن نسميه كاتباً لئلا تنهار شهرته ، لأن ما أخرجه للناس فى النثر ليس بشىء ، اللهم إلا « أعلامه » وكلها جمع

أما ميزة خير الدين فهى فى شعره . ولقد كان — وأعنى خير الدين الشاعر ، لا خير الدين الموظف — من أرق شعرائنا وأنصعهم ديباجة ، وأحلاهم شعراً ؛ ولقد كان فى طليعة شعراء سورية المطبوعين السباقين

ونقد الدكتور بشر يبين للناس خلط بعض هؤلاء ...

وهل من الدقة ومن البحث والتحقيق جعل الشعراء كتاباً ومنح الألقاب من لا ألقاب لهم !

ص . ا

شعراء الشرق والطبيعة الغربية

اطلعت فى عدد يوم الأحد الماضى من جريدة (الإجبشان مايل) الإنجليزية على كلمة كتبها مكاتب فاضل بمناسبة قصيدة أخى الشاعر الأستاذ على محمود طه « أغنية الجندول » التى غناها الأستاذ عبد الوهاب فى الإذاعة المصرية

وكل ما جاء فى الإجبشان مايل خاصاً بشاعرية صديقى فهو حق؛ وصديقى شاعر مجيد له وثبات وومضات معروفة . إلا أن الكاتب الفاضل ذكر أن على محمود طه « هو الشاعر الشرقى الوحيد الذى سحر بجمال الطبيعة فى الغرب وسجل هذا الجمال فى شعره الغنائى »

والواقع أن هذا الكلام بعيد من الحق كل البعد . فنى الشرق شعراء كثيرون اطلعوا على مباهج الطبيعة فى الغرب وسجلوها فى شعرهم قبل أن يشدو على محمود طه ببيت ، وقبل أن يزور أوربا زيارته العابرة بزمن طويل

وإذا خلَّينا شوقياً وحافظاً ومطران فهناك كثير من الشعراء الشرقيين تغنوا بمحاسن الطبيعة الغربية فى شعر عربى جميل

أين إيليا أبو ماضى وقصيدته « الموسجة » وأين مخائيل نعيمة وقصيدته الخالدة « النهر المتجمد » وأين شكر الله الجر وقصيدته « شلال تيجوكا » التى نشرت بالمقتطف سنة ١٩٣٢ ؟

ولصديقى العتيق (فى الصداقة لا فى السن !) الدكتور بشر فارس قصائده الغنائية الخالدة فى وصف الطبيعة الأوربية ، وقد نظمها متأثراً بالجو الغربى الذى عاش فيه زمناً طويلاً ، وقد نشر المقتطف أكثر قصائده منذ سنة ١٩٢٨ كقصائده الأربع « الخريف ، والشتاء ، والربيع ، والصيف فى باريس » ، ثم الخريف فى برلين . وآخر قصائده «فى جبال بافاريا» التى نشرت فى مقتطف مارس سنة ١٩٣٧ وأعادت نشرها مجلة « الجمهور » البيروتية فى العام نفسه

وأغلب شعر « الشاعر القروى » فى وصف مجالى الطبيعة فى أمريكا الجنوبية . ولزميلى الأستاذ فخرى أبو السعود شعر

كثير فى وصف الطبيعة الأوربية وخاصة مقاطعة « ديفون » الإنجليزية التى عشنا فيها زماناً

ولكاتب هذه الكلمة قصائد كثيرة تنشر فى مجلة المقتطف من سنة ١٩٣٥ إلى الآن تحت عنوان (وحى انجلترة) نذكر منها « ديفون الجميلة » « وأرض شاكسبير » « وبحيرة دندرمير » والقرية النائمة — مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٩ ، وقد سجلت تذكاراً لزيارتى القصيرة للجبل الأبيض بفرنسا قصيدة فى مقتطف ديسمبر سنة ١٩٣٧ عنوانها : « ثلاجة الجبل الأبيض » ...

محمد عبد الغنى حسن

طبع الكتب الدينية

على أثر ما نشرناه من بعض الأخطاء فى طبع أحد المصاحف التى ظهرت أخيراً ، اهتم فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر بالأمر ، وأخذ فى تحقيقه تمهيداً لمنع تداول هذا المصحف

وقد قابل فضيلته فى مكتبه فضيلة شيخ القارىء ، وصاحب المطبعة التى طبعت هذا المصحف ودار البحث حول هذا الموضوع

وقد اعتزم فضيلة الأستاذ الأكبر اتخاذ التدابير لتنظيم الإشراف على طبع القرآن الكريم وكتب الحديث والتفسير والفقه والتوحيد وما إلى ذلك من الكتب الدينية ، بحيث يراجع بعض حضرات العلماء هذه الكتب فى أثناء طبعها ، فلا يؤذن لدور الطباعة فى إصدارها إلا بعد هذه المراجعة ، إذ يرى فضيلته أن وقوع أى خطأ فى هذه الكتب ، قد يقوم عليه حكم شرعى غير صحيح ، أو يتخذ منه دعاة التأويل وسيلة لتضليل العامة

تاريخ الأمة المصرية

أصدر معالى وزير المعارف قراراً بترجمة كتاب « تاريخ الأمة المصرية » من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية . وقد جاء فى ديباجة القرار أنه بالنسبة لما لهذا الكتاب الذى ألفه جماعة من المؤرخين الفرنسيين برياسة المسيو جبرييل هانوتو والذى شمله بالرعاية السامية صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول ، من القيمة العظيمة فى تصوير تاريخ مصر فى عصورها المختلفة

ولما كان من الخير أن يعم به النفع ويستطيع الرجوع إليه والانتفاع به جميع المثقفين فى مصر والشرق العربى من الذين لا يحسنون اللغة الفرنسية ، وتحقيقاً لما ينبغى من إغناء اللغة العربية بأن تنقل إليها أمهات الكتب الجامعة فى العلم والأدب والفن ، فقد تقرر ما يأتى : تؤلف لجنة لترجمة كتاب « تاريخ الأمة المصرية » إلى اللغة العربية فى أسلوب قريب يسير ولمراجعة هذه الترجمة يكافأ المترجمون والمراجعون على ما يبذلون من جهد

يشرف الدكتور طه حسين بك على هذه الترجمة تحقيقاً لما ينبغى بين أجزائه المختلفة من الوحدة والاتساق

والكتاب فى ستة أجزاء نيط كل جزء منه بمترجم من وزارة المعارف ومراجع من كلية الآداب .

الجيش المصرى قبل عهد محمد على باشا

تناول أحد الكتاب الأفاضل خطاب العرش ، فنقده نقداً أدبياً طريفاً على صفحات « الرسالة » ، غير أنه أنكر ما جاء فى هذا الخطاب من أن عهد محمد على باشا كان أول عهد لظهور الجيش المصرى فى الوجود

ولكن التاريخ يحدثنا بوضوح أن مصر لم يتكون فيها جيش مصرى صميم من أبنائها الخلصاء قبل عهد محمد على باشا الكبير بزمن طويل . ولا يمتد هذا الزمن إلى الفتح العربى فحسب ، بل إلى ما قبل ذلك أيضاً . إنه يمتد إلى حكم البطالسة لهذه الديار . فمنذ حكمت مصر الملكة كليوبترا ، وأدت سياستها إلى الاحتلال الرومانى حوالى سنة ٣٠ قبل الميلاد ، فقضى بذلك على جيش مصر قضاء مبرماً . وظلت البلاد مزرعة للرومان نحو ٦٧٠ سنة حتى استنقذها منهم العرب ، ومن هنا انتقل إليهم أمر احتلالها حتى ولوا أمرها أحمد بن طولون سنة ٢٥٤ هـ وذلك فى خلافة العباسيين

وأحمد بن طولون رجل تركى ، ولكنه صنع بهذه البلاد كما صنع محمد على باشا من بعده إذ أداه بعد نظره إلى إصلاح مرافقها والسهر على مصالحها وتدبير أموالها وتثميرها وتكوين جيش قوى لها . ثم أعلن الناس باستقلالها

هذا ما صنعه ابن طولون، غير أن أبناءه لم يحافظوا على استقلال مصر كما حافظ ، ولم يدافعوا عنها كما دافع . أما أبناء محمد على باشا فقد حافظوا على هذا الاستقلال ودافعوا عنه ، ولا يزالون مدافعين ... ليس هذا كل الفرق بين الرجلين ، بل هناك فرق لا ينسى ، وهو أن بن طولون لم يستخدم فى جيشه جنوداً مصرية من صميم أبناء البلاد كما فعل محمد على ، بل كان جيشه من المماليك الأتراك الديالمة . وقد أخطأ بعض المؤرخين المعاصرين ودونوا فى الكتب المدرسية الحالية أن أول من استخدم المماليك الأتراك فى مصر وجلبهم إليها واستعان على تثبيت سلطانه ، خلفاء الفاطميين تشبهاً منهم ببنى العباس . والواقع أن أول من فعل ذلك هو أحمد بن طولون ، فقد ذكر القلقشندى فى صبح الأعشى ما نصه عند الكلام عن ابن طولون : « وفى أيامه عظمت نيابة

مصر وشمخت إلى الملك . وهو أول من جلب المماليك الأتراك إلى الديار المصرية واستخدمهم فى عسكرها » . وقال ابن إياس :
« قال ابن وصيف شاه : فلما تم أمر الأمير أحمد بن طولون فى ولايته على مصر واستقامت أحواله بها استكثر من مشترى المماليك الديالمة حتى بلغت عدتهم أربعة وعشرين ألف مملوك »

وبعد قليل فتح الفاطميون مصر سنة ٣٥٨ هـ فاشتهروا باستخدام كثير من الجنود المرتزقة من أمم شتى ، فتكوّن الجيش فى عهدهم من أتراك وعرب ومغاربة ومصامدة وصقالبة وروم وعبيد وغيرهم . وكان عدم التجانس بين فصائل الجيش الفاطمى سبباً قوياً لنزاع طال بين هذه الأجناس أدى إلى زوال الدولة

وخلفها صلاح الدين الأيوبى عام ٥٦٧ هـ فقضى على نظام الجيش الفاطمى المضطرب، ورغب فى توحيد جنس فصائل جيشه، ولكنه بدلاً من أن يتجه إلى أبناء مصر فيتخذ منهم حاجته من قادة وجند ، إستعار ذلك من الجنس الكردى

وفى أواخر الدولة الأيوبية استكثر الملك الصالح الأيوبى من شراء المماليك الأتراك ونشأهم تنشئة عسكرية وأطلق عليهم اسم (البحرية) وهم الذين انتزعوا حكم البلاد من يد الأيوبيين سنة ٦٤٨ هـ وأسسوا دولة المماليك ...

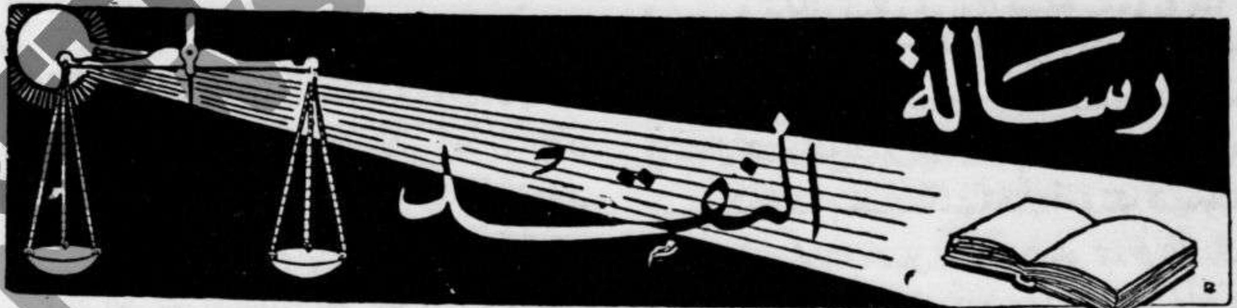
وفى عهد هذه الدولة الجديدة أصبح شراء المماليك الجدد وتزويد الجيش منهم سنة متبعة لبث زهاء ثلاثة قرون انقسمت فيها جنود المماليك إلى طوائف متنابذة كان تنابذها وبالاً على مصر، على الرغم من خدماتها الجليلة التى يعترف بها التاريخ

وقد زالت دولتا المماليك بواسطة الاحتلال العثمانى عام ٩٢٣ هـ ولم يعد فى مصر جيش خاص بها لا من أبنائها ولا من الطارئين عليها . وتضافرت عليها الكوارث فى ذلك العهد البغيض حتى أنقذها من براثن العثمانيين هذا المصامى النابه محمد على باشا . وكان من جملة ما قام به وفى مقدمة حسناته إلى مصر أن دفع أبناءها إلى ميدان الجندية وفتح لهم المدارس الحربية وغرس فيهم معنى المصرية الصحيحة ونبه روح الإقدام والتضحية ونال من وراء ذلك جاهاً عريضاً وملكاً كبيراً . وعاد جيش مصر لأول مرة فى التاريخ بعد زمن البطالسة

محمود رزق سليم

ذكرى ابن الهيثم

ستحتفل الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية فى الساعة السادسة من يوم الخميس ٢١ ديسمبر بقاعة الاجتماعات الكبرى بالجامعة المصرية بذكرى الحسن بن الحسن بن الهيثم العالم العربى الذى عاش فى القاهرة، بمناسبة مرور تسعة قرون على وفاته. وسيكون الاحتفال تحت رياسة الأمير محمد عبد المنعم رئيس الشرف للجمعية، وسيلقى كلمة الافتتاح حضرة صاحب السعادة أحمد لطفى السيد باشا مدير الجامعة ، ثم يعقبه معالى الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف السابق ؛ ثم يتكلم عن ابن الهيثم من نواحيه الرياضية والطبيعية والفلكية والهندسية الأساتذة : الدكتور على مصطفى مشرفة بك عميد كلية العلوم ، ومصطفى نظيف بك أستاذ الطبيعة بكلية الهندسة ، والدكتور محمد رضا مدور مدير مرصد حلوان ، والدكتور محمد محمود غالى بمصلحة الطبيعيات . وكلهم من أعضاء مجلس إدارة الجمعية. ثم يتناول الدكتور حجاب مدير مكتبة الجامعة الموضوع من الناحية الببليوغرافية . والاحتفال بذكرى عالم من علمائنا العظام على هذه الصورة العظيمة عمل عظيم يسجل لهذه الجمعية الجليلة بالحمد والشكر



كتاب
«الامتاع والمؤانسة»
بقلم الدكتور بشر فارس

صيف سنة ١٩٣٠ قدمت من باريس إلى القاهرة أطلب فيها كتباً ومخطوطات ؛ فاهتديت « دارَ العروبة » ، فعرفت أحمد زكى باشا – رحمه الله رحمة واسعة – فكان بينى وبينه ما تشاء من الود : أُكبره ويأنس بى . وقد وقع إلىّ فيما وقع من خزانة كتبه الخاصة كتاب «الإمتاع والمؤانسة» لأبى حيان التوحيدى. فأقبلت عليه ، فإذا هو جليل نفيس . وكم تمنيت وتمنى « شيخ العروبة » أن يُنشر هذا المخطوط فتُذاع فوائده فتُدرك على غير كلفة . وهذان الأستاذان أحمد أمين وأحمد الزين أقدما على طبعه وليس بين أيديهما سوى نسخة وبعض نسخة على جانب غير يسير من الاضطراب والتحريف (والنسختان مما خلفه زكى باشا) . فما أحرى الأستاذين بالتهنئة والشكر ! وكان الأستاذ أحمد أمين أخبر المستشرقين فى مؤتمرهم (سبتمبر ١٩٣٨ ، بركسيل) بأنه ناشر كتاب التوحيدى ، فاهتز القوم لذلك

ونشرُ كتابٍ ذاهب فى التصرف بضروب الكلام ، جامع لمنثور المسائل من أدبية وفلسفية ، مَعَ ما يُفسد ألفاظه ويُسقم عباراته من جهة مسخ النسّاخ ، ليس بالمطلب السهل . ومن هنا ما جاء فى ضبط الكتاب من فَرَطات . وقد بيّن طائفة منها صديق الدكتور زكى مبارك فى العدد الماضى من الرسالة ، ولا عجب فإن الدكتور زكيًا بأدب التوحيدى عارف وبأسلوبه بصير ؛ ألم يؤلف فيه فصولاً ؟

والحق أنى كثيراً ما توقّفت وأنا أقرأ «الإمتاع والمؤانسة» . فلا أرى بدّاً من التنبيه هنا على ما وقّفنى ، وإنما مقصِدى تقويم الكتاب لوجه العلم وحدَه . وإنى قاصر الاستدراك على الأربعين صفحة الأُوَل ، على سبيل التمثيل (والكتاب فى ٢٢٦ ص) . ثم إنى مقسم المآخذ على حسب المنهج الذى عليه يجرى العلماء فى تحرير المخطوطات .

***

١ – التباعد عن سياق النصّ :

ص ١٩ — ٢٠ : يروى التوحيدى كيف مثل فى « الليلة الأولى » بين يدى الوزير ، فأخبره الوزير بأنه استقدمه للمحادثة والتأنيس . فيكتب التوحيدى (ص ٢٠ س ٨) : « فقلت : قبل كلِ ، شئ أريد أن أجاب إليه يكون ناصرى على ما يُراد منى . فقال (الوزير) : قل ما بدا لك . قلتُ : يؤذن لى فى كاف المخاطبة وتاء المواجهة للفرار من مزاحمة الكناية ومضايقة التعريض ... »

هذا وأما الناشران الفاضلان فقد دوّنا ذلك هكذا : « فقلتُ قبلُ : كلُّ شيء أريد أن أجاب إليه يكون ناصرى ... » . وهذا غريب : فإن التوحيدى لم يبدأ بالكلام ، وإنما قوله ذلك هو فاتحة نطقه فى مجلس الوزير . فكيف يكتب : « فقلت قبلُ » . ثم إن غرضه أن يقول للوزير ما تفسيره : « أجل سأحادثك وأؤنسك ، ولكنْ قبلَ كلِ هنالك شيء أريد أن أجاب إليه وهو أن تأذن لى فى استعمال كاف المخاطبة وتاء المواجهة فترفع الكلفة وتيسّر لى الحديث إليك »

وعلى ذلك اضطراب الترقيم، وهو كثير تصيبه فى كل صفحة. ولن أتمهل عند هذا المأخذ خشية الإملال . وحسبك وضع نقطة فى آخر السطر الـ ١٤ من الصفحة الثانية ، وأخرى بعد الكلمة الرابعة ص ٧ س ٤ ، وأخرى بعد الكلمة الثانية ص ١٣ س ١١،

وأخرى بعد الكلمة العاشرة ص ١٤ س ٦ ، وأخرى بعد الكلمة السابعة ص ١٥ س ٢ ؛ ثم ضع شولة منقوطة بعد الكلمة الأولى ص ١٣ س ١١ ، ونقطتين بعد الكلمة العاشرة ص ١٤ س ٥ ، وبعد الكلمة الثانية ص ١٦ س ١٣ ؛ ثم ضع علامة استفهام بعد الكلمة السادسة ص ١٥ س ١٤ والكلمة الثانية ص ١٥ س ١٦

٢ — التجافى عن أسلوب المؤلف

ص ١٤ س ٢ ، ٣ : « وصيانة النفس حسنة إلا أنها كافة محرجة إن لم تكن لها أداة تُجِدُّها وفاشية (أى مال) تَمُدُّها » — والوجه : تُمِدُّها ، موازنةً لتُجِدُّها؛ والتوحيدى معروف بإيثار الازدواج (راجع مقدمة الكتاب لأحمد أمين ص : ق ، و « النثر الفنى فى القرن الرابع » ج ١ ص ١١٣ ، ١١٥)

ص ٢٤ — س ٤ ، ٥ : « فأما الفَلَك وأجرامه المزدهرة فى المانقة العجيبة ، ومناطقِه الخفيَّة ، فقد...» — والصواب : « فى معانِقِه » . والذى هدانى إلى ذلك كلمة « مناطقِه » ، إذ قلت : إن التوحيدى أراد الازدواج هنا . وإذا « المعانق » جمع لِمِعْنَقَة ومعناها القِلادة ، كما أن « مناطق » جمع لِمنطقة (وهو كل ما شُدَّ به وسطه كالنطاق : عن « لسان العرب ») . ثم استُعملت المِنطقة والقِلادة والمِعنقة فى مصطلح علم الهيئة (راجع مثلاً : « مفاتيح العلوم للخوارزمى » مصر ١٣٤٢ ص ١٢٨ و « محيط المحيط » مادة : ن ط ق ، ق ل د ، ونص التوحيدى) . والدليل القاطع — بعد هذا كله — أن التوحيدى كتب بعد خمس عشرة صفحة (ص ٣٩ س ٤) : « الصعود إلى معانق الفَلَك »

٣ — ترك الغامض على حاله :

ص ١٤ س ٣ ، ٤ : « وتركُ خدمة السلطان غيرُ الممكن ولا يستطاع إلا بدِينٍ متين ... » — ما المعنى هنا ؟ وما غيرُ الممكن » ؟

ص٢٥ س٦ ، ٧ : « ما الفرق بين الحادث والمحدَث والحديث؛ فكان من الجواب أن الحادث ما يُلحظ نفسُه...» — فربما كان يحسن بالناشرين أن يهتديا بكتب الفلسفة ودواوين مصطلحاتها فيشرحا تلك العبارة. لغير قراء الفلسفة، على نحو شرحهما — فى غير موطن — لألفاظ لغوية قد تدقّ على المتأدبين

٤ — التسرع فى تصويب الأصل :

ص ١٧ س ١٢ : « فذهب هذا كله ، وتَاه أهله » . وزاد الناشران فى الهامش : « تاه أهله : هلكوا . وفى الأصل : باه » — والصواب عندى : « باد » ، فهو أقرب إلى مدلول العبارة ، فضلاً عن أن التوحيدى كتب بعدُ (ص١١١س١٣) : « وقد عفت (اللغة) منذ زمان طويل ، وباد أهلها »

ص ٣٩ س ٣ : « الشهوات الغالبة ، والعقيدة الرديئة ، والأفعال القبيحة » . وفى الأصل : « العالية » — وألصق بمادة النص عندى : « الغالية أو العاتية أو العائبة . ألا ترى التوحيدى يستعمل « الرديئة » صفة للعقيدة ، و « القبيحة » صفة للأفعال، فأين ما يفيد التهجين فى كلمة « الغالبة » ؟

٥ — قلة التقصى :

ص ٣٨ س ١٥ ، ص ٣٩ س ١ : « ولا عجب فإنه إذا كانت الركاكة العائقة تمنع الناس من العدو ... لأن الحركة قد بطلت بالركاكة ... » . وهنا زاد الناشران فى الهامش : « الركاكة : الضعف أو لعل صوابه : « الزمانة » إذ الركاكة كثيراً ما تستعمل فى ضعف العقل والرأى ، والمراد هنا ما يخص البدن »

فإن صح أن الركاكة كثيراً ما تستعمل فى ضعف العقل والرأى (راجع « لسان العرب » أول مادة ر ك ك) فلا شك أنها استعملت أولَ الأمر فى ضعف البدن ، وذلك على حسب سُنّةٍ من سنن فقه اللغة : مدارها أن الألفاظ تتدرج من جانب الحِسّ إلى جانب المعنى. والركاكة للبدن معروفة، من ذلك ما جاء فى « باب ضعف الخَلق » من « مختصر تهذيب الألفاظ » لابن السكيت (بيروت ١٨٩٧ ص ٨٨) : « والركيك : الفَسل الضعيف (والفَسل بالفتح : الذى لا مروءة له ، عن « القاموس » والمروءة ههنا : الهمة) قال جميل بن مَرثد :

فلا تكوننْ ركيكا نِنْتلا لَموًا وإن لاقيتَه تقهَّلا »

(وتقهّل : مشى مشياً ضعيفاً ، عن « القاموس ») . وعلى هذا فالذى جاء فى الهامش لم يظفر بالتدبّر كله

٦ — التحكم فى رفض رواية النصّ :

ص٢٤ س١٣ ، ١٤: «وأما قولهم : هذا شىء خَلَق ، فهو مضمَّن معنيين (كذا): أحدهما يُشار به إلى أن مادته بالية ، والآخر أن نهاية زمانه قريبة » . وفى الأصل « سايلة » ـ فرفض الناشران الفاضلان رواية الأصل إذ وجدا فيها « تحريفاً وقلباً » . هذا وكان يحسن بهما أن يتبينا مُفاد كلمة « السايل » من دواوين الفلسفة ، وكلام التوحيدى فى هذا الوطن يدخل فى فنها . فالسايل فى الفلسفة العربية من السيلان الذى هو « عبارة عن تدافع الأجزاء ... » (« كشّاف اصطلاحات الفنون » كلمة « السيلان » و « السائل ») . وفى «تهافت التهافت» لابن رشد مثلاً (بيروت ١٩٣٠ ص ١٣٧ ، ١٤٠ ، ٥٧٢) يرد « السيلان » فى سياق الكلام على الفناء ، وتأتى صفة « سيّال » ضدًّا لصفة « ثابت » . وقد جاء « السايل » (لا : السائل) فى « كشاف اصطلاحات الفنون » من غير تفريق (واذكر قول الناطقة : « الألفاظ أعراض سيالة ») . وعلى هذا فرواية الأصل صحيحة إذ يجرى الحديث على الفناء فى أسلوب فلاسفة العرب

ص ٢٥ س ١٤ : « كله من ديوان واحد ووادٍ واحد وسبك واحد» . وفى الأصل ، بدلاً من «ووادٍ» : « وهو » — فرفض الناشران رواية الأصل إذ قالا « لا معنى لها » ، وكأنى بهما عدّا « هو » ضميراً منفصلاً لا اسماً مُعرباً . ففى « لسان العرب » ج ٢٠ ص ٢٥١ س ١٦ : « هَوٌ من الأرض : جانب منها » . فالهَوّ إذن له معنى ، ومعناه يفيد مُفاد الوادى وهو اللفظ الذى آثره الناشران بسلائقهما المُحدَثة على سلامتهما ، ظناً منهما أنّ الهَوّ ليس فى اللغة

أذكر فى لغتنا العامية : « الِهوّ » ، وفصيحه : الهوة

***

ذلك ما حقَّقتُه . ولعلّ الأستاذ أحمد أمين ينظر فى سطور الكتاب على منهج قويم هو به أدرى ، فيستدرك عليه . فإنى لا أشك ـ بعد الدكتور زكى مبارك ـ أنه لم يصرف إليه عند التحرير موفور همّه

بشر فارس

7me Année No. 338

Lundi - 25 - 12 - 1939

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

م

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٣٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ ذو القعدة سنة ١٣٥٨ — الموافق ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٩ » السنة السابعة

الفهـــــرس

ذكرى مولد المسيح

وعلى الأرض السلام !

فى هذا اليوم يحتفل المسيحيون بذكرى مولد المسيح عيسى ابن مريم . وفى ليلة هذا العيد المجيد بات القسس والرهبان يرتلون وحدهم بين أروقة البِيَع وصحون الكنائس ذلك القُنوت الشعرى الجميل :

« المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام، وفى الناس المسرة ! »

وربما تابعهم الأقوام فرتلوا وهللوا جرياً على التقليد وخضوعاً للعادة ؛ ولكنهم وا أسفا لا يجدون فى الآفاق ولا فى أنفسهم معنى هذا النشيد، ولا حقيقة هذا العيد !

فى أى جهة من جهات الأرض ذلك السلام ؟ وفى أى قلب من قلوب الناس تلك المسرة؟ لقد عادت روح يهوذا الأسخريوطى فى جسدى هتلر وستالين فدلا على السلام الإلهى أبالسة الشر وزبانية الجحيم فصلبوه فى بولندة، ودفنوه فى فنلندة، ومكّنوا فى الأرض لعوامل القحط والموت، فأوقروا مائدة عيسى سماً وصاباً، وأنبتوا شجرة ميلاده هماً وعذاباً، وحولوا أعشاش الأمر ورياض الحقول قبوراً موحشة على كل قبر منها ركام من الثلج وصليب من الخشب !

* * *

لكأنى بك يا روح الله كنت تمشى من الناصرة إلى بحيرة الجليل ، ومن صفد إلى كفر ناحوم ، وأنت ناكس الرأس ساهم الوجه ، يختلج بين جوانحك الهم ، ويجول فى مآقيك الدمع ، لأنك كنت ترى بعين الله التى تخترق الأزل والأبد كيف تلازَم الشر والخير فى ملكوته ، فابتَلى آدم بإبليس ، وموسى بالسامرى ، وعيسى بيهوذا ، ومحمداً بأبى لهب ؛ وقضى ألا تخلو الأرض من أتباع هؤلاء وهؤلاء ، ليدوم صلاحها بمدافعة بعض لبعض ، حتى إذا طغت قوى الشر وسادت عناصره أرسل عليها طوفان نوح بالماء أو بالوباء أو بالدم أو بالنار فترعوى وتهمد

وكان الشر فى عهد المسيح وخفّاً يتسعر فى عيون الروم ، ويتنمر فى نفوس اليهود ، فأخذ هو وحواريوه يكفكفون طغيانه بالمسالمة ، ويخففون عدوانه بالصفح ، ويسمفون ضحاياه بالمواساة ، ويشفون مرضاه بالدعاء ، ويحاربون أولياءه بالوعظ . ولكن الشر كان قد تفاقم واستطار فلم يرتدع باللين حتى جاء محمد رسول الله فردّ جماحه بالسيف . وظلت محنة عيسى عليه السلام ألماً واخزاً فى ضمير الإنسانية لا يفتُر ، وأنيناً موجعاً فى أذن الدهر لا يخفت. وتوالت القرون وتعاقبت الدول وتتابعت الحضارات ، ولا يزال إبليس والسامرى ويهوذا وأبو لهب مُنتشِرين فى الأرض ، يدعون إلى الشر ويُرَغبون فى الرذيلة ويعملون للفساد ، والعالم المسكين يتدرع فى جهادهم بالدين والمدنية والتربية والعلم ، ولكن ذلك كله لا يغنى عنه إلا كما يغنى السد فى دفع الفيضان ، أو الفرجة فى كف البركان ، أو الكوخ فى اتقاء العاصفة

* * *

يا راعى السلام وداعى المودة ، لقد ضل قطيعك كله وشرَد ! فاسأل الله أن يُطلع فى سماء أوربا القاتمة « نجم المجوس » فعسى أن يهتدى به إليك طاغية موسكو وجبار برلين . والله قادر على أن يحوِّل فى يديهما القنبلة والطربيد واللغم إلى « ذهب ولبان ومر[1] »

يا حامل الآلام ورسول المرحمة ، كيف استحال حلمك وسلمك وهداك فى ألمانيَة لوثر وروسيَة تولستوى سمائم لحظ وزلازل دمار وطوفان هُلك ؟ ! ألإنك لا تزال غريباً عن الغرب فلم يصادف دينك هواه ، أم لأنك شرعت الألم تكفيراً عن الكفر بالله ؟

لشد ما تختلف المسيحية فى الغرب عنها فى الشرق ! إنها مع المسيح قد خرجت من الغسق إلى النور ، ولكنها مع بولس قد دخلت من الشفق إلى الظلام ! ومن سار فى ضحوة النهار اهتدى ودل ، ومن ضرب فى سُدفة الليل اعتسف وأضل

* * *

بأية حال عاد عيدك يا رسول السلام وحامل الآلام على بولندة وفنلندة ؟ ! هل قضى الآباء والأمهات ليلة البارحة مُشبِلين على بنيهم وبناتهم فوق الفرش الوثيرة حول المداقئ الواهجة وعيونهم تشرق بالغبطة وقلوبهم تفيض من السرور ، وهم يتناغون بأحاديث الحنان والحب تناغى البلابل الآمنة ، فى أعشاش الربيع الساكنة ؟ هل بات الصغار الأبرار هذه الليلة فى مهودهم الحريرية يحلمون فى أحضان الكرى ببابام (نويل) وهو يضع لهم الألطاف واللعب والحلوى تحت أفنان الشجرة وفى نواحى المدفأة ؟

يا حسرتا عليهم ! لم يأتهم عيدك يا مبرئ المرضى ومحيى الموتى إلا وهم حطام وأشلاء . فلا الدار آهلة ولا الرزق موصول ولا الشمل جامع ! إن نار الأعداء تحرق البلاد فلا مأوى ، وصقيع الشتاء يهرأ الأجساد ولا دفء ، وخوَى الأمعاء يلحس الأكباد ولا قوت ، وبقايا القنابل والرصاص والغاز من النساء والأطفال والشيوخ مشرَّدون على الجليد يلتمسون الحياة الموقوتة فى قرية بعد قرية !

وليت الخراب والعذاب كانا مقصورين على أمة أو أمتين فتمدهما الأمم الأخرى بالمواساة والعون ! ولكن الخطب شامل والطامة عامة . فالأمم المحاربة والمحايدة فى شقاء العيش وبلاء الموت على حد سواء. قضت عليهم هنا وهناك نزوات الفرد وبدواته أن يساقوا إلى الجزر سوق القطيع ؛ فنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . ومن المنتظرين من يقتله الجوع والخوف ، قبل أن يقتله المدفع والسيف . والله وحده يعلم بأى حال ستعود ذكرى مولدك المقبلة على هذا الصدام ، أيقول الحى يومئذ : السلام على الأرض ، أم يقول : على الأرض السلام ! !

احمد حسن الزيات

---

(١) إشارة إلى الهدية التى قدمها مجوس الفرس إلى مريم وقد اهتدوا إلى بيت لحم بنجم بزغ فى السماء يوم ولد عيسى .

حول مراقبة الثقافة العامة بوزارة المعارف

إلى الدكتور طه حسين بك

كلمة صريحة

للدكتور زكى مبارك

أيها الأستاذ الجليل :

أقدم إليك أصدق التحيات ، ثم أذكر أن الصحف أخبرتنى وأنا ماض إلى الأسكندرية لبعض الواجبات أن معالى وزير المعارف أصدر أمراً بندبك مراقباً للثقافة العامة ، فخفق قلبى خفقة الفرح لأمرين : الأول هو الاطمئنان إلى أن للحق دولة فى هذه البلاد ، فقد كان قيل إنك انسحبت من عمادة كلية الآداب فراراً من المناوشات التى تعترضك من حين إلى حين . وكان قيل إنك طلبت إجازة طويلة تقضيها فى جوّ هادئ ، وإن معالى النقراشي باشا لم يسمح بذلك ، وقد ظهر أنه كان يدخرك لهذا المنصب الرفيع ، فكان معنى هذا التلطف أن كفاحك فى ميدان الحياة الأدبية يجعلك دائماً موضع الحظوة عند كبار الرجال .

ومن المؤكد أن فى الناس من يعترض على اختيارك لهذا المنصب ، لأسباب لا تخفى عليك ، ولكنى مغتبط بما صرت إليه ، لأنه شهادة بأن الكفاح له فى مصر جزاء ، وأنت برغم حسادك من أقطاب المكافحين .

أما الأمر الثانى فهو الاطمئنان إلى أنك أصبحت معنا فى وزارة المعارف ، وقد كان بيننا وبينك حجاب كثيف هو أشجار حديقة الارمان بالجيزة الفيحاء ، فلن تملك بعد اليوم أن تُبرِم وتَنقُض بلا رقيب ولا حسيب كما كنت تصنع فى « القصر المسحور » : قصر كلية الآداب !

أصبحت معنا فى وزارة المعارف ، وصار من السهل أن نتعقبك حين نشاء بدون أن نتجشم عُبور النيل فوق جسر فؤاد أو جسر إسماعيل أو جسر عباس .

فاذا أعددت لصحبتنا بوزارة المعارف ، أيها المراقب الحصيف ؟ أتكون جئت وفى يمينك كتابك « مستقبل الثقافة فى مصر » ؟

إن كان ذلك فاعلم ، أيها الأستاذ الجليل ، أن هذا الكتاب لا يصلح أساساً لعملك الجديد ، فقد ناشه الناقدون من كل جانب ولم يتركوا فيه أديماً صحيحاً !

وأنت قرأت مقالى فى نقد كتابك ، وقرأت مقال الدكتور عبد السلام الكردانى بك ، فهل قرأت مقالات الأستاذ ساطع الحصرى بك ، وقد نبهتك إليها منذ أكثر من شهرين ؟

أنت صرحت مرات كثيرة بأن العقلية المصرية عقلية يونانية ، وأن تلك العقلية تجب مراعاتها فى التعليم والتثقيف ، أفتظن أن هذا الأساس لا يزال صالحاً لأن تقيم عليه عملك الجديد ؟

وأنت دعوت إلى تعلم اليونانية واللاتينية بحجة أنهما أصل للحضارة الأوربية ، فهل تظن أن تلك الدعوة لا يزال لها فى مصر والشرق مكان ؟

أيها الأستاذ الجليل :

إنك لا تفرق بين ما يقال فى حُجرات كلية الآداب لتثقيف عدد محدود من الطلاب ، وما يقال فى وزارة المعارف لتثقيف السواد الأعظم الذى تدخره الأمة للنهوض بأعباء العصر الحديث .

وإليك بعض التفاصيل :

أنت سميت سميك لسيطرة الجامعة على السنة التوجيهية ، فهل تعرف كيف كانت العواقب ؟

أردت بعقليتك (الجامعية) أن تفرض على الطلبة دراسة كتاب « نقد النثر » لقُدامة بن جعفر ، فهل تظن أن نصوص ذلك الكتاب مما تسيغه عقول الطلبة فى السنة الخامسة الثانوية ؟

كان يجب أن تشتغل بالتدريس فى القسم الثانوى سنة أو سنتين قبل أن ترشح نفسك لوضع منهج الأدب بالمدارس الثانوية .

كان يجب أن تذكر مصير كتاب « المجمل » عليه رحمة الله ! وهو الكتاب الذى انتظم تاريخ الأدب من عصر امرئ القيس إلى عصر شوقى ، ومع ذلك كان من الحتم على طلبة السنة الثالثة أن يدرسوه فى عام واحد !

ولكن لا بأس ، فقد أعاننى الله على وأد ذلك الكتاب ومؤلفوه أحياء ينظرون !

وأنت سميت سميك إلى أن يكون منهج الأدب فى السنة الخامسة خلاصةً لتاريخ الآداب اليونانية واللاتينية ، وأتعبت

نفسك فى تأليف مذكرات يستعين بها الدرسون على فهم ذلك المنهج الطريف !

فهل تستطيع أن تدلنى على أمة واحدة كان فيها منهج الأدب القومى خلاصة لآداب أمة أجنبية ؟

وهل جشمت نفسك مشقة الانتقال لحضور الامتحانات الشفوية بوزارة المعارف عساك تدرك إلى أى حد نجح اقتراحك الجديد ؟

إن وزارة المعارف سكتت عنك، لأنها كانت تعرف ما (ترجوه) منك ، فقد قلت فى كتابك : إن أكثر المراقبين لم يُثقفوا ثقافة جامعية . وأنت فى الواقع خصمٌ مخيف ، فليس من المستغرب أن يسكت عنك المراقبون وهم كارهون !

فهل تنتظر أن يطول هذا السكوت ؟

هذا يوم له ما بعده ، يا سيدى الدكتور ، فقد تحدثك النفس بعد أسبوع أو أسبوعين بدعوة وزارة المعارف إلى فرض إحدى اللغات الميتة على بعض الأقسام بالمدارس الثانوية ، وقد تحدثك النفس بوجوب القول بأن عقلية مصر عقلية يونانية لا عربية ، وقد تحدثك النفس بأن الجهل بحياة البحترى لا يقاس إلى الجهل بحياة هوميروس !

هل تذكر خُرافة « تيسير النحو » التى شغلت بها وزارة المعارف ؟

وهل تذكر أين صارت تلك الخرافة بين غيابات التاريخ ؟

وهل تذكر ما قوبلت به من السخرية فى الشام والعراق ؟

إن محاسنك هى عيوبك ، يا سيدى الدكتور ، فأنت تفرّ من السكون لأنه ينافى الحياة ، وأنت بالفعل من أقوى الأحياء ، ولكنك مع ذلك لا تحب الحياة فى الحقيقة كما تحبها فى الخيال ، وإلا فكيف جازعندك أن تُدرس الخطب القديمة فى وطن ديموستين قبل أن تدرس الخطب الحديثة فى وطن زغلول ؟ وكيف صح فى ذهنك أن تُدرس مجادلات الأحزاب فى أثينا قبل أن تُدرس مصاولات الأحزاب فى القاهرة وبغداد ؟

أنا أرجو — وأنت مَن أعرفُ فى رحابة الصدر ورجاحة العقل — أن تثق بأنى لا أجامل وطنى ولا أصانع زمانى ، وإنما أنا معلمٌ يدرك أصول التعليم إلى أبعد الحدود ، وهى مهنة سأصل بها إن شاء الله إلى ذروة المجد ، فلا يعيبنى أن أستطيل بها على من أشاء ؛ ومعرفتى بهذه المهنة تفرض علىّ أن أصارحك بأنك قد تسلك مسالك لا تخلو من وعورة والتواء

أنت تلوذ بالقديم فى كل وقت لتأمن سيطرة الناقدين ، ولكن القديم قد اندحر أمام الجديد ، فمن واجبك أن تفكر فيما تقدم عليه قبل أن يذكرك ناقدوك

فأين أنت من مشكلات العصر الحديث ؟

هل ترى أن يظل شبابنا على جهل بالتطورات التى تثور فى الممالك الأسيوية والأوربية والأمريكية ، اكتفاء بما تقترح أن نعلّمهم من أخبار اليونان والرومان ؟

وهل تظن أن العلم بمناوشات الأحزاب فى أثينا القديمة يغنى عن العلم باصطخاب المذاهب فى لندن وباريس وموسكو وبرلين لهذا العهد ؟

وهل ترى أن درس مخاطرات هانيبال أنفع من درس دسائس ستالين ؟

وهل تظن أن النظر فى أسباب سقوط الأمبراطورية الرومانية أهم من النظر فى أسباب سقوط الخلافة الإسلامية ؟

وهل يخطر فى بالك أن درس تاريخ الآشوريين والبابليين أهم من درس العراق الحديث ؟

وهل تفهم أن درس الصلات بين مصر والشرق لعهد الفراعين أهم من درس الصلات بين مصر والشرق لهذا العهد ؟

التاريخ واجب الدرس ، ولكنه على كل حال تاريخ ، فكيف يغيب عنك أن من العيب ألا نعرف من مذاهب روسيا وألمانيا وإيطاليا غير ما تسوقه إلينا بعض الجرائد الأجنبية ؟

وهل تثق بأن تلاميذ المدارس عندنا يعرفون الفروق بين الاشتراكية والشيوعية ، مع أننا نعلّمهم الفروق بين مذهب أهل السنة ومذهب الاعتزال ؟

هل يعرف تلاميذنا ما النازية وما البلشفية وما الفاشيستية ؟

وهل يعرفون أصول العقائد التى تحترب فى الشرق لهذا العهد ؟

وهل فى مصر كتابٌ واحد يؤرخ الثورة المصرية التى شبت فى سنة ١٩١٩ ؟

وهل فى مدارسنا تلميذ واحد علّمه أساتذته كيف يقرأ أخبار الأسواق المالية فى الجرائد ؟

وهل تعرف مدرساً شرح لتلاميذه كيفية الاستفادة من الإذاعة اللاسلكية ؟

وهل عندك فى كلية الآداب مدرس يستطيع أن يُلقى محاضرة وافية عن الأفلام المصرية ؟

وهل تعرف أنت كُنه الاتجاهات الأدبية فى البلاد العربية لهذا العهد ، كما تعرف كُنه الاتجاهات الأدبية فى عصر بنى أمية وعصر بنى العباس ؟

وهل عندك فى مكتبة قسم اللغة العربية بكلية الآداب مجموعة من الجرائد والمجلات تصور عقول الكتاب والباحثين فى مختلف الأقطار العربية تشبه مجموعة الكتب القديمة التى اشتركتُ معك فى تكوينها سنة ١٩٢٥ ؟

وهل يعرف طلبة الفلسفة عندكم عدد المذاهب الصوفية بهذه البلاد ؟

وهل فكرتم فى تصحيح الأغلاط التى وقعت فيها بعثة بونابرت ؟

وهل أقمتم متحفاً لخطوطات العلماء والشعراء والكتاب الذين حفروا الأساس لبناء العصر الحديث ؟

وهل عندكم نبأ مما صنع النجارى فى ترتيب « لسان العرب » ؟

وهل فكرت كلية الآداب فى البحث عن كتاب تيمور باشا فى اللهجات العامية ؟

يا سيدى الدكتور

اسمع كلمة الحق من رجل كان تلميذك ، وكان زميلك ، ولا يزال أصدق أصدقائك ، وهو يصارحك بأنك تجهل بلدك وعصرك بعض الجهل

لقد جاورتَنا مدة فى مصر الجديدة ، فهل تعرف عدد المدارس فى مصر الجديدة ؟

فى مصر الجديدة أربع وثلاثون مدرسة لا تعرف منها وزارة المعارف غير آحاد !

أنت جئت إلينا فى وزارة المعارف ، ولم يعُد بيننا وبينك حجاب من أشجار الأورمان ، فأعدّ عزيمتك لحرب ضروس تنقلك من حال إلى أحوال

أقول هذا وأنا أعرفُ الناس بفضلك وشهامتك ، فإن استرحتَ لبعض ما قدمتُ إليك فذلك بعض ما عهدتُ فيك ، وإن ضاق صدرك من بعض ما أسمعتُك فلك عذرٌ مقبول : فأنت من أهل هذا العصر ، وهم يتنكرون لكلمة الحق فى بعض الأحيان .

لا تنزعج ، ياسيدى الدكتور ، فليس هذا المقال إلا صدًى لهدير البحر بالاسكندرية ، ولن ألقاك فى وزارة المعارف إلا بلسان معسول يشبه ألسنة الفنيين بوزارة المعارف !

زكى مبارك

(الرسالة) يظهر أن الدكتور المبارك فهم من (الثقافة العامة) المرحلة الثانوية من السنة الأولى إلى الرابعة . والذى نعرفه أن (مراقبة الثقافة العامة) لا يتصل عملها بالمدارس والمناهج وإنما يتصل بشؤون الثقافة الشعبية فيما وراء ذلك

فى مزارات الاسكندرية

للدكتور عبد الوهاب عزام

« بقية المنشور فى العدد ٣٣٤ »

سرنا إلى جامع البوصيرى وهو من أجل المساجد وأحبها إلى نفسى لا يمل زائره الجلوس فيه يقلب الطرف فى جوانبه ويرى البردة منقوشة على أربعة جدرانه فى إطار واحد، ويرى بين الحين والحين زرقة البحر والسماء فيطلق فكره من المعبد الصغير إلى المعبد الأكبر بين لجة الماء ولوح الجو

ذكرنا هناك المحدث الأديب الشاعر شرف الدين محمد بن سعيد البوصيرى صاحب البردة والهمزية القصيدتين المباركتين اللتين خلدتا صاحبهما وخلدتا فى صفحات الدهر ونالتا من الحفظ والإنشاد والكتابة والنقش والتذهيب والتحلية ما لم ينله شعر آخر فى الجاهلية والإسلام

وجلسنا فى الإيوان المشرف على الصحن جلسة خفيفة أنشدنا فيها الشيخ الخالدى هذه الأبيات :

أما المحبة فهي بذل نفوس ... فتنعّمى يا مهجتى بالبوس
بذل المحبّ لمن أحبّ دموعه ... وطوى حشاه على أحر رسيس
شرفاً لشاذلة ومرسية سرتْ ... لهما الرياسة من أجلّ رئيس
ما إن نسبت إليهما شيخيهما ... إلا جلوتهما جلاء عروس

وليست هذه الأبيات غريبة فى مسجد البوصيرى ، وإن لم يذكرفيها، فهو تلميذ أبى العباس المرسى. وأبو العباس تلميذ الشاذلى

وأبو الحسن الشاذلى هو الشريف تقى الدين على بن عبد الله بن عبد الجبار شيخ الطريقة الشاذلية . كان عالماً واسع العلم وبلغ الدرجات العالية فى التصوف وتوفى بصحراء عيذاب متوجهاً إلى مكة فى ذى القعدة سنة ٦٥٦ ونسبته إلى شاذلة إحدى قرى تونس

وأردنا أن نزور قبر الشاطبي الذى ينسب إليه حى الشاطبى فى رمل الاسكندرية فقيل لنا إن قبره قد اشتملت عليه العمارة الشامخة التى شادتها جمعية العروة الوثقى هناك

وهذا الشاطبى غير صاحب الشاطبية ، ولكنه من رجال القراءات كذلك ذكره السيوطى فى حسن المحاضرة فى عداد من كان بمصر من الصلحاء والزهاد والصوفية . وقد كتب لى العلامة الشيخ الخالدى ترجمته من كتاب «الزهر المضى فى مناقب الشاطبى » وهأنذا أثبتها هنا :

«أبو عبد الله محمد بن سليمان المعافرى الشاطبى نزيل اسكندرية ويعرف بابن أبى الربيع أحد أولياء الله تعالى شيخ الصالحين صاحب الكرامات المشهورة، جمع بين العلم والعمل والورع والزهد والانقطاع إلى الله تعالى والتخلى عن الناس ، والتمسك بطريقة السلف ، قرأ القرآن ببلده بالقراءات السبع على أبى عبد الله محمد ابن سعادة الشاطبى وغيره ، وقرأ بدمشق على الواسطى وسمع عليه الحديث ورحل فسمع من الزاهد أبى يوسف يعقوب خادم أضياف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبره ومنبره سنة ٦١٧ ، وسمع بدمشق على أبى القاسم بن صصرى وأبى المعالى بن خضر وأبى الوفا ابن عبد الحق وغيرهم. وانقطع لعبادة الله تعالى فى رباط سوار من الإسكندرية بتربة أبى عبد الله الرامى ، وصنف كتباً حسنة منها كتاب المسلك القريب فى ترتيب الغريب، وكتاب اللمعة الجامعة فى العلوم النافعة، وتفسير القرآن العزيز ، وكتاب شرف المراتب والمنازل فى معرفة العالى فى القراءات والنازل وكتاب المباحث السنية فى شرح الحصرية ، وكتاب الحرقة فى إلباس الخرقة، وكتاب المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد وكتاب النبذ الجلية فى ألفاظ اصطلح عليها الصوفية وكتاب زهر العريش فى تحريم الحشيش وكتاب الأربعين المضية فى الأحاديث النبوية ، ومولده بشاطبة سنة ٥٨٥ ووفاته بالأسكندرية فى رمضان سنة ٦٧٢ ، ودفن بتربة شيخه المجاورة لزاويته رحمهما الله »

ويوم الأربعاء التاسع والعشرين من رجب خرجت أنا والأستاذ الزيات لرؤية جامع الشيخ . وكنت واعدت الشيخ ابراهيم القادرى شيخ التكية القادرية أن أمرّ به صباح هذا اليوم ووعد أن يكلف خازن مكتبة الجامع أن يكون هناك ليطلعنا على خزانة الكتب .

زرنا التكية وصحبنا الشيخ ابراهيم إلى الجامع ، وكنت أسمع بجامع الشيخ وأود أن أراه فلم تتح الفرصة قبل

الجامع مبنى فوق سوق بها حوانيت كثيرة. دخلنا من الباب الخلفى فصعدنا درجاً وملنا ذات اليسار إلى مكتب لتعليم القرآن ، ثم صعدنا درَجاً آخر إلى حجرات يسكنها طلاب العلم فى ذلك الجامع . ثم هبطنا من حيث صعدنا فدخلنا إلى جامع واسع فيه مصلّى كبير تحيط به ثلاثة أروقة كبيرة، رواقان مستطيلان عن جانبى القبلة ورواق إلى الشمال كبير يفضى إلى باب المسجد الأمامى وقد ألفيت المسجد أوسع وأجل مما حسبت قبلاً

وسرنا فى الرواق الذى إلى يسار القبلة إلى حجرة ، وتقدم شيخ وقور هو إمام المسجد ففتح الغَلَق عن باب يؤدى

إلى حجرة تفضى إلى حجرة أخرى فيها الكتب

سمعت من قبل أن هذه الخزانة أغلقت أربعين عاماً ثم فتحت وقد فعلت الأرضة فعلها بالكتب فأتلفت كثيراً منها. ورأيت بقية الأرضة والإهمال من هذه الكتب مكدسة فى رفوفها لا يدرى ما فيها. ولعل فيها من نفائس الكتب ما نتفقده فى دور الكتب فلا نجده، أو ما نحن فى حاجة إليه شديدة لتصحيح ما لدينا من الكتب المخطوطة. ولست أدرى على من تقع التبعة فيما أصاب هذه الأسفار من التلف وما هى فيه من ضياع. إن أسرة الشيخ ابراهيم باشا الذى أسس هذا المسجد أسرة عريقة فى البرّ لها أياد على العلم والعلماء. وكانت دورهم مقصد رجال العلم من مصر وغيرها. وكان هذا الجامع معهداً فى الاسكندرية قبل إنشاء المعهد الدينى التابع للأزهر. فلماذا ترك الخلَف من هذه الأسرة سنن السلف وأهملوا آثار آبائهم؟ وإن كان لوزارة الأوقاف إشراف على هذا الجامع فعليها تبعة عظيمة، وعليها أن تستولى على المسجد ومكتبته أو تلزم القائمين عليهما أن يحسنا القيام

لعل كلمتى هذه لا تذهب سدى بين الأوقاف وأسرة الشيخ ابراهيم باشا.

تركنا الجامع إلى مكتبة الاسكندرية فى دار موصيرى. وهناك لقينا الأخ الأديب الشيخ بشير الشندى، فأنسنا به وأفدنا من حديثه عن الكتب، وعن آثار الاسكندرية. وقد أطلعنا على رحلة ابن رشيد التى ذكرتها فى المقال السابق. وفى المكتبة منها الجزء الثالث وهو المتضمن وصف مصر. وهو منقول عن نسخة فى الأسكوريال. وهذه الرحلة ذات جدوى كبيرة فى تاريخ مصر ولا سيما الاسكندرية، وهى جديرة بالعناية والنشر

وكان من حديث الأخ بشير أن قال: أسمعتم عن بئر مسعود؟ قلنا: نعم هو على ساحل سيدى بشر. قال: لكن مسعود الذى أضيفت إليه البئر؟ قلنا: لا ندرى. قال: عندى حديث عنه لا تجدونه فى الكتب. كان شيخنا الشيخ عبد الفتاح شريف والشيخ جاد الحق يذهبان إلى تلك الجهة للرياضة والدرس وكنت أذهب معهما؛ وكان الشيخان ومن يصحبهما يجلسون على هذه البئر يتمتعون بمنظر البحر وهوائه. وكان فيمن يحضر هذا المجلس رجل ظريف موظف فى الجمرك يسمى مسعود أفندى طراطيش فبدا لشيخنا أن يسمى البئر «بئر مسعود» فعرفت بهذا الاسم حتى اليوم قلت: هى فائدة لم يفكر فيها اللاهون حول البئر اليوم

رجعت إلى دارى وأنا أتمنى أن تمكن الفرص من بعد رؤية ما لم نر من مشاهد المدينة العظيمة

عبد الوهاب عزام

فنلندا بلاد التعاون

مواردها والحركة التعاونية فيها

للدكتور مأمون عبد السلام

(بقية المنشور فى العدد الماضى)

تعمل الحكومة الفنلندية جهدها لترقية الزراعة فأنشأت مدارس للزراعة وفلاحة البساتين وتربية الماشية وصناعة الألبان وتربية الخيل والتدبير المنزلى، وأنشأت معهداً للبحوث الزراعية يتبعه محطات تجارب لتربية النباتات وصناعة الألبان وإصلاح أراضى المستنقعات . ومما يدل على اهتمام الفنلنديين بالزراعة أن كل مزارع منهم ينتمى إلى جمعية زراعية، وجميع الجمعيات الزراعية تساعدها الحكومة

والفنلنديون مغرمون من قديم بشرب اللبن فتراهم يدعون الله فى صلواتهم أن يكثر ألبانهم. وهم مشغوفون بأكل الزبد فتحث الأم ابنتها على الإكثار من أكله وهى تنشدها قائلة :

كلى الزبد الطازج طول العام
كى يستدير جسمك
كلى لحم الخنزير طول العام
كي يزيد حسنك
كلى القشدة طول العام
كى يزيدك جمالاً

وكان الفنلنديون فى سنة ١٢٦٠ ميلادية يدفعون بعض الضرائب للحكومة أقراصاً من الزبد. وفى سنة ١٥٦٠ بلغ الزبد الذى صدرته فنلندا إلى دنزيج ولوبك والدانمارك وهولندا نصف مجموع صادراتها . أما الآن فعشرة فى المائة من الصادرات من الزبد والجبن، وقد بلغت الحركة التعاونية فى الألبان درجة لا تضارع فى أى قطر آخر. وخمسون فى المائة من أعمال الفلاح فى فنلندا محصورة الآن فى صناعة الألبان ومشتقاتها

وقد كانت الأبقار الفنلندية رديئة ضعيفة صغيرة قليلة اللبن تجوب المستنقعات وراء الغذاء، فعملت الحكومة على تحسينها فأوجدت عترات نقية جيدة وعلمت الزارعين ضرورة إنتاج الألبان الجيدة فأسست المعاهد والمدارس لتدريبهم على صناعة الألبان بالطرق الحديثة وأوجدت معياراً ثابتاً standard للبن والزبد وصدرتها على هذا الأساس

ويوجد الآن فى ميناء هانكو مخزن ومعمل عظيم للزبد المعد للتصدير فيفرزونه من حيث الرائحة والطعم والجودة ولا يصرح بالتصدير إلا للزبد المتفوق الحائز للشروط، ويباع غيره إلى داخلية البلاد للاستهلاك المحلى بسعر يتناسب مع رتبته . وبذلك أصبح الزبد الفنلندى يضارع زبد الدانمارك، والجبن الفنلندى لا يقل فى الجودة عن الهولندى والفرنسى، ويصدر ٩٠٪ من زبد فنلندا عن طريق الجمعية التعاونية المساة فاليو



عند الرأس الشمالى، على ضفة المحيط المتجمد، حيث يجرى القتال الآن فى منطقة بتسامو
(من مجموعة الدكتور بشر فارس)

وتعتمد فنلندا فى ثروتها القومية على الزراعة وصيد الأسماك والتعدين، ففيها قليل من الذهب فى لابلندا والنيكل والفضة والنحاس، ويستخرج الحديد من المناجم ومن قاع البحيرات

وقد تقدمت الصناعة فى فنلندا فى السنوات الأخيرة مما يشهد لأبنائها بطول الباع واستحقاقهم للحياة، وإليك النسبة المئوية للفنلنديين من حيث حرفهم

٥٩ر٦ يشتغلون فى الزراعة
و ١٦ر٨ فى الصناعة والأعمال اليدوية
و ٤ر٣ فى التجارة
و ٣ر٨ فى أعمال النقل
و ١٥ر٥ فى صناعات أخرى

وقد ازدهرت فى فنلندا صناعة الأخشاب والورق والسليولوز ولب الخشب وخشب الأبلاكاش والبوبينات ويشتغل ٣٥٪ من الصناع فى الصناعات الخشبية . وقد أسس أول مصنع يشتغل

بقوة المياه من مائة سنة مضت. وفى سنة ١٨٦٠ استكشفت طريقة صناعة لب الخشب ، ومن ثم انتشرت مصانعه بفنلندا

ومساكن العمال بالمصانع على جانب عظيم من النظام والنظافة. ويشتغل العامل ثمانى ساعات فى اليوم ويعطى فى أول عام من التحاقه بالمصنع أجازة قدرها أسبوع ثم أسبوعان فى السنة الثانية وهكذا إلى الخامسة إذ تزاد إلى ثلاثة أسابيع. وفى سنته العاشرة تزاد إلى شهر فى العام

وقد كانت حالة العمال قبل ذلك سيئة فقد كانوا لتفككهم وفقرهم وتحكم أصحاب الأعمال فيهم يشتغلون ١٤ ساعة فى اليوم بأجور زهيدة، فتسربت إليهم التعاليم الحديثة الخاصة بحقوق العمال من ألمانيا ، فألفوا اتحادات العمال فى المدن ، وكانت فى أول أمرها غير سياسية ، إذ اشترك فيها أصحاب الأعمال والعمال ، ولكنها ما لبثت أن لبست ثوب الاشتراكية . وفى سنة ١٨٩٩ تأسس حزب العمال ونشر برنامجه الذى طالب فيه بالمساواة فى الحقوق وبجعل ساعات العمل ثمانيا فى اليوم وتحريم الخمور . ثم تكون الحزب الصناعى وهو دائماً متحد مع حزب الفلاحين

وتتجر فنلندا مع الروسيا ثم بريطانيا العظمى وألمانيا والدانيمارك وفرنسا والسويد، وأهم وارداتها الغلال والدقيق والمعادن والآلات والمنسوجات. وأهم الصادرات الأخشاب. ومن مصنوعاتها الورق ولبه ، وبعض المنسوجات ، والمصنوعات المدنية والجلود

وقد افتتح أول خط حديدى فى سنة ١٨٦٢ وأنشئ آخر يصل عاصمتها بعاصمة الروسيا (لنينجراد) فى سنة ١٨٧٠ . وفى فنلندا نظام بديع من الترع والقنالات أهمها القنال الذى يصل بحيرة سايما بخليج فنلندا ، ويمكن بواسطته أن تتوغل البواخر من بحر البلطيق إلى ٢٧٠ ميلاً داخل فنلندا

ولفنلندا أسطول تجارى، ويمكن المسافر السويدى أن يصل إليها فى بواخر تبرح ستوكهولم فى كل مساء عدا أيام الأحد فيصل إلى ميناء توركو الفنلندى وهو ميناء عظيم على أحدث نمط فيه مصانع للسجاير والخزف والمأكولات ، والمصنوعات الحديدية والمخازن الكبيرة المملوءة بالبضائع. ومعنى توركو باللغة الفنلندية (السوق) وقد كانت كذلك أيام وثنيتها فأنشئت مكانها هذه المدينة فى القرن الثالث عشر .

وفنلندا فى مقدمة أمم العالم من حيث بواخرها التى تمخر فى الجليد وقد صنعت لأول مرة فى سنة ١٨٩٠ وهى تجرى على الجليد فتهشمه بثقلها وتشق لنفسها طريقاً فى الماء، وبذا يمكنها أن تمخر طول العام إلى ميناءى توركو وهانكو

ويؤمن الفنلنديون إيماناً صادقاً بنظام التعاون . فنظام فنلندا الاجتماعى مشبع بالجمعيات والمؤسسات التعاونية حتى لا يضارعها فيه أى قطر . فترى المزارع يبيع زبدا بواسطة الجمعية التعاونية لتصدير الزبد المسمى «فاليو» ويحصل على نقود من البنوك التعاونية ليوسع بها مصانع ألبانه ويبتاع آلاته الزراعية عن طريق الجمعية التعاونية الزراعية للبيع بالجملة المسماة هانكيجا. وتبتاع زوجته ما يلزم البيت من الشركة التعاونية المسماة إيلانتو ، ويكتب ابنه الصغير بمداد من صنع الجمعية التعاونية المسماة S. O. K. وتبيع ابنته الصغيرة ما تجمعه من الثمار البرية من الغابات لجمعيات تعاونية خاصة لتصنع منها المربيات

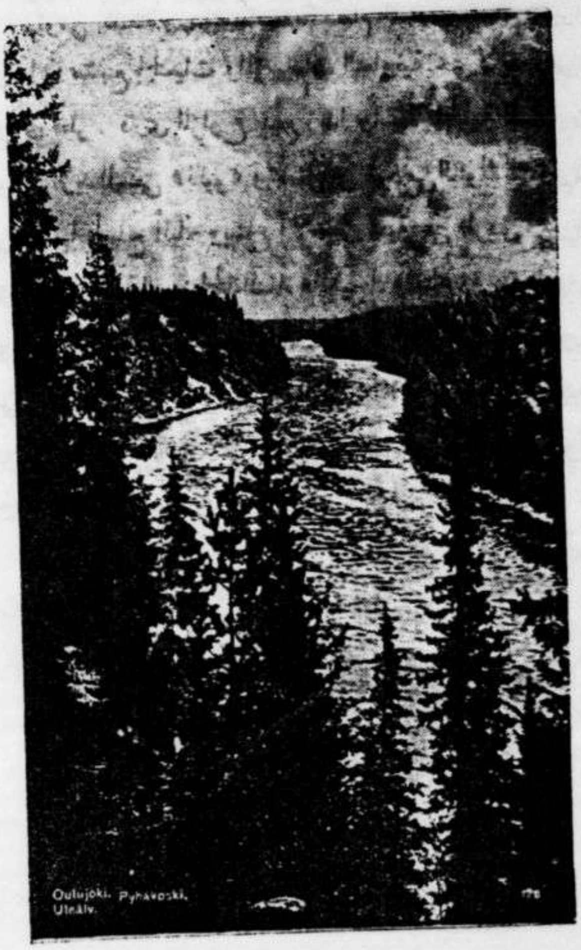


الرنة ــ وتستعمل لجر العربة ــ تستريح على الثلج فى لابلندا

وقد أدخل نظام التعاون فى فنلندا فى منتصف القرن التاسع عشر ولكنه أصبح حقيقة واقعة فى سنة ١٨٩٩ وذلك بتأسيس جمعية بليرفو التى أخذت على عاتقها نشر الحركة التعاونية فنجحت فى ذلك نجاحاً كبيراً . وكان من أكبر أسباب ضعف التعاون فى فنلندا عدم ارتباط الجمعيات التعاونية بعضها ببعض . ولكنهم تغلبوا على ذلك فى سنة ١٩١٥ بإنشاء المؤسسات التعاونية المركزية الآتية :

١ — جمعية S. O. K. وهى جمعية عظيمة تشترى جميع المواد الغذائية والبضائع المختلفة لحساب المخازن التعاونية المحايدة. وتصنع جمعية S. O. K. الكبريت والفرش والملابس الداخلية والورق والطوب والدراجات والأخشاب ، كما أنها تحفظ الفواكه وتحمص

البن . وقد شيدت بناء عظيما زودته بآلات تولد الكهرباء بقوة المياه للاضاءة والصناعة، وهى تستورد الآلات ولها من أجل ذلك مكاتب فى القارة الأوربية ولندن وأمريكا الشمالية والجنوبية



بين تيارات فنلندا وغاباتها

٢ — جمعية هانكيجا Hankkija وتشترى الآلات الزراعية والأسمدة والبذور والسيارات والزيت والأسمنت وكل ما يحتاج الزارعون وتبيعها للجمعيات التعاونية والزارعين، ولها محطات للتجارب ومشتل ومحطة لتنظيف الحبوب واختبار نقاوتها وآلة للطحن ومخازن لبيع الآلات

٣ — جمعية العمل وهى جمعية الزارعين التعاونية للجملة، وتختلف عن السابقة فى تكوين عضويتها

٤ — جمعية بنوك التسليف الزراعى المركزى لتسليف البنوك الزراعية، وهذه تسلف أعضاءها لتحسين زراعتهم أو أعمالهم الأخرى التى يعيشون منها

٥ — جمعية فاليو Valio لتصدير الزبد

٦ — الجمعية التعاونية الفنلندية لتجارة الماشية

٧ — جمعية ماتا للتصدير

٨ — جمعية انيغتين Enigheten لصناعة الألبان

٩ — الجمعية المركزية لأصحاب الغابات

١٠ — جمعية O. T. K. التعاونية للجملة وهى فرع من جمعية S. O. K. السابقة

ومما يلفت نظر زوار فنلندا وجود اسم أيلانتو فى كل مكان وهو اسم جمعية للبيع بالقطاعى أنشئت سنة ١٩٠٧ كمخبز . وهى لا تزال إلى الآن أكبر مخبز فى فنلندا، ولكنها توسعت فى اختصاصها فأصبحت تبيع مصنوعات الألبان والبقالة واللحوم والبيرة والعقاقير الطبية والملابس وإدارة المطاعم ويبلغ عدد أعضائها خمسين ألفاً

والفنلنديون أهل ذمة وأمانة ووفاء . فحكومتهم هى الوحيدة من جميع الحكومات الدينة للولايات المتحدة التى تسدد أقساط دينها بفائدته مما جعلها محط احترام الأمريكيين ومحبتهم . فالفنلنديون بطبيعتهم مقتصدون حسنو التدبير . وهم يكرهون المضاربات والمساهمة فى الشركات وكل أعمال البنوك اعتقاداً منهم أنها تخالف قواعد الأمانة وحسن الذمة، لذلك لا تجد فيهم أمثال كروجر وغيره من الدجالين النصابين من زعماء المال . وفنلندا هى الدولة الوحيدة التى أخفق كروجر فى الحصول على احتكار الكبريت فيها

وأنشىء بنك فنلندا فى سنة ١٨١١ فى هلسنكى وله فروع فى ١٣ مدينة أخرى، ومديروه ينتخبهم البرلمان وينتخب مجلس الإدارة رئيس الجمهورية مباشرة

وأسست العملة الفنلندية فى سنة ١٨٦٠ وكانت تجرى على قاعدة الذهب من سنة ١٨٧٧ واحتفظت بها حتى أول يناير سنة ١٩٢٦ . أووحدة عملتها المارك الفنلندى المجزأ إلى مائة جزء يسمى بنيا وقيمته سنتيمان

وفى فنلندا تسعة بنوك للسندات وستة للرهنيات و ٤٨٢ بنكا للايداع وبنك مركزى للتسليف و ١٣٤٢ بنكا تعاونياً للتسليف .

وتعتبر فنلندا من أرخص بلاد العالم، لأن أهلها لا يميلون إلى الكماليات إذ يعتقدون أن أحسن وسيلة للمعيشة هى اكتساب

القوت من العمل فى الحقل أو فى المصنع لا عن طريق اللصوصية المقنعة بالمضاربة وغيرها

ويعطى الفنلنديون كل عنايتهم لنشر التعليم، فخصصت حكومتهم ١٢ ٪ من ميزانيتها له ، وحتمت على كل طفل مهما نأى بلده أن يتعلم القراءة والكتابة ، فترى فى الدساكر والقرى والمدن المدارس الأولية الحرة ومدارس التعليم التعاونية والمدارس الصناعية والزراعية ومدارس التدبير المنزلى ، والدراسة فيها باللغتين الفنلندية والسويدية على أحدث النظم الألمانية

والتعليم عندهم ذو وجهة عملية يهيئ الطالب ذكراً كان أو أنثى ليكون عضواً نافعاً لبلاده جسميًّا وعقليًّا ، لذلك يتضمن التعليم التدريب الجسمى والفكرى

ويلتحق صغار الطلبة من سن ٧ إلى ١٣ أو ١٤ سنة بالمدارس الأولية الحرة التابعة للمجالس البلدية وبالمدارس التعاونية والمدارس التحضيرية . وتوجد كذلك مدارس أولية راقية للطلبة من سن ١٠ إلى ١٧ أو ١٨ سنة ، ومدة الدراسة ثمانى سنوات وتديرها الحكومة .

وبفنلندا ثلاث جامعات أنشئت فى سنة ١٦٤٠ وسنة ١٩١٧ وسنة ١٩٢٠ على التتابع، منها اثنتان فى مدينة توركو والثالثة فى هلسنكى ، وهى أكبرها وأعظمها استعداداً . والتدريس فى الجامعات باللغتين الفنلندية والسويدية وهما اللغتان الرسميتان بحسب نص الدستور . وعلى الطالب الفنلندى أن يتكلم لغة إضافية كالألمانية أو الانجليزية أو الفرنسية أو الإيطالية ليسهل عليه الاتصال بالعالم الخارجى . وكانت دراسة اللغة الروسية إجبارية فى الزمن السابق فأبطلت، وتدرس علاوة على ذلك اللغتان اليونانية القديمة واللاتينية . ونسبة الأمية فى فنلندا ٩ و ١٠ ٪ من الذين يزيد سنهم على ١٥ سنة

وتهتم فنلندا أعظم اهتمام بالرياضة البدنية . وقد اشتركت فى الألعاب الأولمبية الدولية وحاز مصارعوها السبق أربع سنوات متتالية على أمم العالم، كما أنهم تفوقوا فى كثير من الألعاب كالجرى البعيد . وقد رفع العلم الفنلندى فى سنة ١٩١٢ فوق بناء الألعاب الأولمبية الدولية بالرغم من احتجاج الروسيا . وفى سنة ١٩٢٠ دخلت فنلندا دورة أنفرس الدولية كدولة مستقلة وتبوأت مكانها كالثانية أى بعد الولايات المتحدة وأرسلت ٥٨ عضواً وقد احتفظت بمكانها فى سنة ١٩٢٤ فى دورة باريس فى جميع الألعاب التى اشتركت فيها. وسبقت فنلندا الأمم الأوربية فى منح النساء حريتهن واهتمام الفنلنديين بشؤون النساء يرجع إلى عهد بعيد فإن أقدم مستند فنلندى تاريخي يرجع إلى سنة ١٣١٦ كان خاصاً بحقوق النساء .

وتزاول الفنلنديات كافة الأعمال والحرف ، فمنهن المهندسات والمعماريات والبناءات ، ورافصات الطرق ، وسائقات السيارات وما إلى ذلك . وقد منحن حق التصويت فى الانتخاب من سنة ١٩٠٦ ، وأصبح لهن الحق فى أن ينتخبن لعضوية البرلمان فى سنة ١٩٠٧ . ونسبة النساء فى عمال المصانع ٢٠ ٪ كما أن ١٠ ٪ من مخازن الأدوية يملكها نسوة و ٨٠ ٪ من مستخدميها من النساء . وقد جاهدت الفنلنديات لمنع شرب الخمر وكان لهن الفضل فى إجبار الحكومة على مراقبة بيع المشروبات الروحية . وقد تسبب عن اشتغال النساء بالحرف متاعب زوجية عظيمة . والفنلنديات ماهرات فى فنون الطهى وتدبير المنزل



فى بحيرات فنلندا

وبرغم أن سبعة أثمان سكان فنلندا من الفنلنديين ، وبالرغم

من أنه لم يحرم عليهم التكلم بلغتهم فى عهد تحكم الدول الأجنبية فيهم ، فإن الأقلية التى تتكلم السويدية كانت تملك معظم الثروة وكل الإدارة والسلطة السياسية والمراكز الاجتماعية الهامة ، ولم توجد كتب باللغة الفنلندية قبل سنة ١٨٦٠ عدا الكتب الدينية. وقد ترجم ميخائيل أجريكولا (وهو تلميذ مارتين لوثر منشئ البروتستانتية كتاب العهد الجديد إلى اللغة الفنلندية فى سنة ١٥٤٨ وقد طبع أول قاموس لاتينى فنلندى فى سنة ١٨٢٦ ، وقد وضع لونروث فى سنة ١٨٣١ و سنة ١٨٣٥ قاموساً للغة الفنلندية وأصدر أول جريدة بهذه اللغة ولم يتكلم فى عهده أحد باللغة الفنلندية سوى ست أسر إذ كان الفنلنديون يفضلون التكلم باللغة السويدية

ولم تأت سنة ١٨٤١ حتى أصبحت اللغة الفنلندية تدرس بالمدارس الأولية ، واعترف دستور سنة ١٩١٩ بلغتين رسميتين وطنيتين : اللغة السائدة الفنلندية ولغة الأقلية السويدية

ويوجد الآن بفنلندا فئتان : الأولى فئة الفينومان الذين يرفضون التكلم بغير الفنلندية ، وفئة السفيكومان ولا يتكلمون غير السويدية قائلين إن اللغة الفنلندية ليست إلا رطانة الفلاحين. ولكن لا دخل لهذا الخلاف فى تفانيهم فى حب بلادهم وأبناء وطنهم وفى سنة ١٩٠٦ غير ستة عشر ألف أسرة أسماءها السويدية بأسماء فنلندية مدفوعين إلى ذلك بعوامل وطنية أو سياسية ، وقد رجع بعضهم إلى اسمه الأسرى القديم الذى غير مدة حكم السويد. فترى الآن أخوين يحملان اسمى أسرتين مختلفتين وأحدهما يتكلم السويدية والآخر الفنلندية

واللغة الفنلندية صعبة وهى تشبه لغة استونيا والمجر وهى خالية من أداة التعريف ومن الجنس وليس فى حروفها الأبجدية حروف b و c و f و q و w وكلماتها طويلة جداً مثال ذلك :

puunjalostusteollieuuden Keskuslütto

وحكومة فنلندا جمهورية دستورية على رأسها رئيس ينتخب كل ست سنوات وراتبه الشهرى مائتا جنيه . والقوة التشريعية فى يد برلمانها المسمى ديات ، والقوة التنفيذية فى يد مجلس الوزراء المسئول أمام الديات ، وهو فى بناء من أجمل أبنية أوربا ، وعدد أعضائه مائتا عضو ينتمون إلى الأحزاب المختلفة كما يأتى :

حزب الاشتراكيين الديمقراطيين ويمثله ٧٨ عضواً
والحزب الزراعى ويمثله ٥٣ عضواً
والحزب السويدى ويمثله ٢١ عضواً
وحزب الاتحاد ويمثله ١٨ عضواً
والحزب الوطنى الأهلى ويمثله ١٤ عضواً
وحزب التقدم ويمثله ثلاثة أعضاء
وحزب الزارعين الصغار ويمثله ثلاثة أعضاء
وحزب الشعب ويمثله اثنان

وأنشىء الجيش الفنلندى النظامى فى سنة ١٩٢٢ ، وسن الاقتراع ٢١ سنة ويمضى الفرد سنة فى سلاح المشاة وخمسة عشر شهراً فى سلاح آخر ويمكث فى الرديف سبع سنوات وفى الجيش المرابط ٢٤ سنة. ولفنلندا أسطول ولكنه ليس فى قوة جيشها وهو يحتوى على سفن للحراسة ومراكب للطوربيد وغواصات. والفنلنديون من أحسن البحارة فى العالم ، لذلك استخدمتهم الروسيا فى أساطيلها الحربية والتجارية. وللفنلنديين سمعة عالية عالية فى صيد الأسماك.

مأمون عبد السلام

حكم استئنافياً بتغريم بنيامين روفاييل البقال بشبرا بالقضية الاستئنافية رقم ١٨٥٤١ سنة ١٩٣٩ ٢٠٠ قرش صاغ بجلسة ٢٥ نوفبر لمبيعه زيت بأزيد من التسعيرة .

١٩٣٩/١٢/١٧

كاتب الجلسة
عبد العزيز حمدى

على هامش الفلسفة

للأستاذ محمد يوسف موسى

قرأت كلمة الأستاذ الكبير عباس العقاد بعدد الرسالة رقم ٣٣٥ التى عنوانها « مع أبى العلاء فى سجنه » وفيها يتعقب الدكتور طه حسين بك فى بعض ما ذكره فى بحثه عن شيخ المعرة رهين المحبسين، إذ لا يرضى ما فهم من قول أبى العلاء فى بعض فصوله: « يقدر ربنا أن يجعل الإنسان ينظر بقدمه ، ويسمع الأصوات بيده ، وتكون بنانه مجارى دمعه ، ويشم الروائح بمنكبه ، ويمشى إلى الغرض على هامته ... » لا يرضى أن فيلسوف المعرة « قصد بهذا الفصل خاصة إلى رأى من أشد الآراء الفلسفية الأبيقورية خطراً ، وهو إنكار العلة الغائية وإثبات أن العالم كما هو لم يخلق لغاية معينة من هذه الغايات التى نعرفها نحن وزعم أن الأشياء خلقت لتحقيقها » . ويرى – أى الأستاذ العقاد – أن هـذا الرأى من الدكتور فيه شىء من الصواب ، ولكن « أصوب من هذا أن يقال إن رأى المعرى شبيه برأى المعاصرين الذين يقولون : إن الوظيفة تخلق العضو ، وإن القوة تسبق الظاهرة » .

هذه الكلمة أثارت منى رغبة كامنة فى متابعة الكتابة فى الرسالة – تحت عنوانى الذى اخترته العام الماضى ، وهو على هامش الفلسفة – لو إلى ذلك سبيل الآن ! ذلك أن البحث الذى أعنى بإعداده هذا العام أو بالتحضير له عن ابن رشد ومكانته فى الفلسفة الإسلامية يملك علىّ كل أمرى ويستأثر بكل وقتى أو لا يدع هـذه الرغبة تخرج من القوة للفعل ، إلى حين أرجو أن يقصر أمده إن شاء الله تعالى . إلا أن اتصال الموضوع الذى أثاره الأستاذان عن غير قصد بالدراسات التى أحبس نفسى عليها هذه الأيام ، جعل من الواجب أن أكتب كلمة قصيرة أبين فيها أن التوفيق أخطأهما كليهما فلم يصيبا المحز. وإلى القارئ البيان: تشير كلمة أبى العلاء – فيما أرى إن كان قالها جاداً – إلى مسألة الأسباب والمسببات التى ثار حولها الخلاف الشديد بين الغزالى وبين الفارابى وابن سينا فى تهافت الفلاسفة . ثم أثارها بعده ابن رشد فى تهافت التهافت الذى كتبه دفاعاً عن الفلسفة والفلاسفة ضد ما وجهه الغزالى من هجمات نالت من الجميع نيلاً كبيراً ، ولا تزال الفلسفة متأثرة بها حتى هـذا العصر الذى نعيش فيه

يرى الغزالى ، ممثل المتكلمين فى عصره ، أنه كان من الممكن أن يكون العالم على غير ما نشاهد الآن ، وأن ما نظنه سبباً للإبصار أو الكلام أو الموت أو الحياة أو ما نعتقده أداة لشىء من هذا ونحوه ليس كذلك فى نفسه ، بل لأن الله قدره هكذا أزلاً . وفى ذلك يقول : « الاقتران بين ما يعتقد فى العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا ... فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر . مثل الرى والشرب ، والشبع والأكل ، والاحتراق ولقاء النار ، والنور وطلوع الشمس ، والموت وجز الرقبة ، والشفاء وشرب الدواء ... وإن اقترانهما لما سبق من تقدير الله سبحانه بخلقهما على التساوق لا لكونه ضرورياً فى نفسه . بل فى المقدور خلق الشبع دون الأكل ، وخلق الموت دون جز الرقبة ، وإدامة الحياة مع جز الرقبة وهلم جرا إلى جميع المقترنات، وأنكر الفلاسفة إمكانه وادعوا استحالته[١] »

إذاً فعند الغزالى أنه يمكن أن يجعل الله العين أداة وسبباً للشم لا للإبصار ، والأذن للشم لا للسمع ، وأن يخلق الشبع دون سببه وهو الأكل ، والرى دون الشرب ، وهكذا إلى سائر الأمور التى نعتقدها أسباباً تتلوها حتما مسبباتها

أما ابن رشد – وقد جعل من نفسه مدافعاً عن الحكمة ، وهى كما يقول : صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة – فيرى أن لكل شىء سبباً لا يتخلف عنه ، ولكل عضو عملاً لا يعدوه ، وأن « العقل ليس هو شيئاً أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها وبه يفترق عن سائر القوى المدركة ، فمن رفع الأسباب فقد رفع

(١) تهافت الفلاسفة للغزالى ص ٢٧٧ – ٢٧٨ الطبعة العلمية للاب بوريج

العقل . وصناعة المنطق تضع وضعاً أن ههنا أسباباً ومسببات ، وأن المعرفة بتلك المسببات لا تكون على التمام إلا بمعرفة أسبابها فرفع هذه الأشياء هو مبطل للعلم ورفع له[1] » ثم يعود إلى تأييد نظريته هذه في موضع آخر فيقول : « ولو ارتفعت الضرورة عن كميات الأشياء المصنوعة وكيفياتها وموادها كما تتوهم الأشعرية مع الخالق لارتفعت الحكمة في الصانع والمخلوقات ... إلى أن يقول : وهذا كله إبطال للعقل والحكمة[2] »

على أنه لا يجب أن يتبادر للذهن أن ابن رشد ، الرجل الذي كان يرى اكتفاء الأسباب بنفسها في خلق مسبباتها . فمن الحق أن نقول إنه يقرر « أنها ليست مكتفية بأنفسها في هذا الفعل

(١) تهافت التهافت لابن رشد ص ٥٢٢ الطبعة العلمية للأب بويج

(٢) المرجع نفسه ص ٩٣

بل بفاعل من خارج فعله شرط في فعلها بل في وجودها فضلاً عن فعلها[1] »

أعتقد أن القارئ يرى معي بعد ما سقناه من كلام الغزالي وفيلسوف قرطبة ، أن الدكتور طه حسين بك لم يكن مصيباً فيما أكده من أن شيخ المعرة كان يرى بقولته التي أسلفنا إلى شيء من الفلسفة الأبيقورية ، وأن الأستاذ الكبير العقاد لم يكن موفقاً كذلك في التعقيب عليه ، وأن المعري لم يقصد بكلمته — إن كان سلك فيها مسلك الجد — إلا الإشارة لفلسفة المتكلمين الذين يدفعون التلازم بين الأسباب والمسببات على النحو الذي ذكرناه عن ممثلهم وزعيمهم في عصره حجة الإسلام الغزالي . وبالله التوفيق .

محمد يوسف موسى

(١) المرجع نفسه ص ٥٢٤

من وراء المنظار

حلاقو القاهرة ... !

لا تفهم يا قارئى العزيز أنى أعقد لك فصلاً تاريخياً عن منظر من مناظر القاهرة العظيمة فى زمن ابن طولون أو فى زمن الحاكم بأمر الله أو فى زمن قلاوون عليهم رحمة الله، فإنى لا أكتب هنا إلا عما يقع عليه منظارى ... وإنما أنا محدثك عن منظر من مناظر هذه العاصمة الكبيرة فى القرن العشرين بل وفى عام ١٩٣٩ الذى أوشك أن ينطوى على وجه التحديد

ولا تتوهم أنى فيما أصف لك أذهب بك إلى تلال زينهم أو إلى أعلى الدراسة أو إلى جوار المحمدى أو إلى ما وراء سيدى الحلى ؛ فإنك قد تنكر على ما أقول لجهلك فيما أظن مظاهر العيش فى هاتيك البقاع ... على أنه قد لا يكون جهلك بها أكثر من جهلى

وإن لك فى أقرب شوارع المدينة غنية عن الذهاب إلى أطرافها فسر فى شارع ماسبيرو على ضفة النيل أو فى شارع شبرا حيث المدرسة التوفيقية أو فى شارع الملكة نازلى أو حول حديقة الأزبكية وانظر ماذا ترى

لاشك أنك رأيت هؤلاء الحلاقين الذين يتربعون على الأرض أو على الأسوار ويأخذون فى حلق رؤوس زبائنهم ولحاهم فى صورة تدعو إلى الاشمئزاز والأسف والضحك جميعاً

وقفت على مقربة من أحدهم ورأيته وقد شمر عن ساعديه وأمسك بالموسى ودعا إليه من زبائنه الجالسين حوله من جاء دوره. ومثل الرجل بين يديه وله لحية ما أحسبه أجرى الموسى عليها منذ مثل هذا اليوم من العام الماضى ؛ ووضع الحلاق كفه فى إناء بجواره فاغترف غرفة من الماء بيده ورشها على تلك الأشواك الكثيفة فى وجه صاحبنا وأجرى عليها قطعة من الصابون ، ثم شحذ الموسى على ذراعه بأن حكها بها عدة مرات فى سرعة عجيبة ولما استيقن من مضيها راح يقطع هاتيك الأشواك ، ثم يمسح ما تجمع منها على حافة سلاحه فى ظهر يسراه أو يأخذها على سبابته ويقذف بها فى الجو لا يبالى أين تقع ولا من يصيب رشاشها ...

ونظرت إلى الحلاق وزبائنه أتبين ماذا كان يخالجهم شعور من المبالاة ، فلم أصب فى وجوههم إلا مثل ما يرى فى الحيوانات من عدم المبالاة فيما تأتيه من أعمالها جميعاً على أعين الناس ؛ وكأن هؤلاء الناس جلوس فى دكان لا تقتحمهم فيه الأعين !

وهممت أن أدور بمنظارى عن هذا المنظر الذى لست أدرى لم وقفت إليه تلك اللحظة ، وقد كنت أبداً أمر به مسرعاً ، وإنى لأضيق به أشد الضيق، وكأن الظروف أرادت أن تكيد لى أشد الكيد فلا تقلع عن العناد حتى فى مثل هذا الموقف التافه ؛ فهذا غريب مقبل ومعه سيدة وفى يده آلة تصوير ، وإنه ليضحك ملء شدقيه كأنما يقع من الحلاق وزبائنه على بغية طالما تمناها

وأعد الفرنجى آلته للتصوير ، ولشد ما غاظنى أن أرى الحلاق ومن حوله يضحكون ضحكة البلهاء كأنما يفرحهم أن يأخذ « الخواجة » صورهم ، وسمعت ذلك « الخواجه » يقول لصاحبته بالإنجليزية ما ترجمته : « أنظرى فسنحصل على صورة ظريفة لحلاق القاهرة »

ودنوت منهما فسلمت وتكلفت الابتسام أولاً ، ثم عبست وبالغت فى العبوس لأعبر عن احتجاجى ، وتكلمت فى لهجة استخذى لها ذلك الغريب ، وحار ماذا يقول ؛ وأشارت إليه صاحبته فطوى آلة التصوير؛ وكأنما أملى عليه إحساسه بالغربة أمام احتجاجى الشديد أن يتلطف فاعتذر ، ولكنه أعقب اعتذاره بقوله : « جميل منك أن تغضب لسمعة شعبك ولكن أجمل من ذلك أن تزيحوا عن الأعين ما يشوه هذه السمعة »

وجميل من الرجل قوله هذا لا شك عندى فى ذلك ؛ ولكن ما حيلتى وما أملك غير القرطاس والقلم ؟

ليس يهمنى من هذا المنظر وأشباهه ما عسى أن يقول عنا الأجانب من أجله فحسب ، وإنما أراه على ذلك شيئاً تتأذى به العيون وتشمئز منه النفوس . ولئن لم تقع عليه وعلى أمثاله أعين غير أعيننا ، ففيه مما يشعرنا بالضعة والهمجية

« عين »

البغـــاء في أوربا

للمستر أبراهام فلكسنر
بقلم الأستاذ عبد اللطيف حمدى

البوليس والبغاء

فضلاً عما ينشأ فى المدن الفسيحة من الصعوبة فى تمييز الداعرات فهناك صعوبة أخرى مترتبة على الأولى : ذلك أنه حيث يكثر الداعرات المحترفات يكثر كذلك ما يسمونه بالدعارة السرية .

وقد كانت الدعارة السرية فى العصور الوسطى على غير ما هى عليه الآن ، فإن سهولة التعرف على الداعرات فى تلك العصور ، والنظرة التى كان ينظر بها إليهن ، كانتا سببين كافيتين لحصر بؤرهن . فكانت المومس التائبة إن تركت حياة المواخير لا تجرؤ على السكنى فى حى آخر ، بل كن يقمن فى تلك الأحياء ؛ ولم يكن ثمت شك فى أشخاصهن ولا فى ماضيهن . وفى العصور الحاضرة فريق من الداعرات يحترفن ما يسمى بالدعارة السرية وهن مثل الداعرات فى العصور الوسطى معروفات حق المعرفة لرجال البوليس ، بل هن رغم التسمى باسم « السرية » معروفات كذلك لكل عابر سبيل وذلك لافتضاح أمرهن . ولكن على الرغم من ذلك هناك فارق مهم بين أنواع من البغاء السرى فى العصور الحاضرة . فالنوع الأقل عدداً والأقل خطراً هو الفريق المعروف باحترافه للدعارة[1]

أما الكثرة من البغايا السريات ، فهن اللواتى لا يدل عليهن شىء من ثيابهن ولا مظهرهن ولا مسكنهن ، وهن يعشن بين سائر النساء بحيث يتعذر تمييزهن ، ولكنهن مع ذلك يزاولن البغاء السرى بحالة مستمرة أو متقطعة

إن المومس المجاهرة أقل أهمية ؛ ودراسةُ حالتها أقل جدارة لدى من يحاول درس التطورات التى تحدث بالمدن الكبرى أثناء تقدمها من النواحى الصناعية وغيرها

ولقد بذل جهد ليس بالقليل فى سبيل تعريف الدعارة تعريفاً دقيقاً ، لأن النظر إليها من وجوه مختلفة يسفر عن تعريفات مختلفة ، فالداعرة من وجهة النظر الإدارية لدى رجال البوليس هى التى ليس لديها وجه من وجوه الرزق غير ابتذال العرض ، وهذه هى التى توجب الإدارة تسجيل اسمها . فالأمر إذن لدى رجال البوليس يتعلق بالتسجيل . ولما كان موجبه هو الرزق فقد وجد الكثيرات من البغايا مهرباً منه لأن هذه الشبكة واسعة الخروق ، وأكثر البغايا حقاً يحترفن حرفة مكسبة . ففى ألمانيا نوع من الحانات[1] تعمل فيه أجيرات . وفى أماكن أخرى مغنيات وراقصات وذوات حرف مماثلة، وكلهن فى الواقع بغايا يتخذن هـذه الحرف ذرائع لاستجلاب الرجال ويحتمين بها فى نفس الآن من واجب التسجيل على اعتبارهن محترفات . ومتى سقط عنهن التسجيل سقط كذلك عند البوليس وصفهن بالدعارة

ومما يدل على أن هـذه الحرف التى لا تقوم أجورها بالأود أواللتى إنما تنتحل ستاراً دون قوانين البوليس ، أن علاقة هؤلاء النسوة بحرفهن علاقة تكاد تكون اسمية من حيث المواظبة من جهة والأجر من جهة أخرى ، وقد قام مستشفى زوريخ بإحصاء المريضات بأمراض تناسلية اللواتى عولجن فيه فى عام واحد فكانت النتيجة[2] أن عدد المريضات ١١٧٧ منهن ٧ وتسعة أعشار فى المائة من المومسات وستة وسبعة أعشار فى المائة لاصناعة لهن وخمسة وثمانون فى المائة وأربعة أعشار من ذوات الحرف .

فمن الواضح إذن أن التعريف الإدارى للبغاء إنما هو تعريف لا يتفق مع الواقع . ويرى الأب « دوشاتليه » فى تعريف الدعارة « أنها هى الجرائم الخلقية التى يدفع عنها أجر وترتكب فى أماكن أنشئت بمقتضى القانون ، ولا تعتبر المرأة فيها مخالفة إلا بأن يشهدها شاهد غير متهمها وغير رجال البوليس »

وهذا التعبير يخرج الدعارة السرية إخراجاً تاماً من التعريف فهو لا ينطبق عليها . وإنما يكفى لتحديد الغرض الضرورى فى نظر رجال البوليس

وعلى الخلاف من هذا التحديد الشديد الضيق أرى للأسباب

---

(١) قد يبدو من المتناقضات أن يوصفن بالسرية والمعرفة فى آن واحد ولكن تأويل ذلك أن التعبير بكلمة محترفات فى العصر الحاضر يعني من سجلت أسماؤهن فى سجلات البوليس . أما المحترفات فعلا والمعروفات باحترافهن ، ولكنهن لم يسجلن أسماءهن فى تلك السجلات، فيعرفن باسم النساء السريات .

(١) هـذا النوع من الحانات اسمه « ميريكنيب » وهونوع منحط تجالس فيه الساقية عملاءها وتشرب معهم وفى أركانه ستائر معدة للتأجير

(٢) راجع كتاب مولر Zur Kenntnis der Prostitution in Zürich (1911)

وراجع كتاب De la Prostitution dan la Ville des Paris

التى سأسردها بعد قليل أن الدعارة تتميز باجتماع ثلاثة عناصر مختلفة . وهى (١) العوض (٢) التعدد (٣) فقدان العاطفة

وليس من الضرورى أن يكون العوض نقداً ؛ فإن الهبات والهدايا والاصطحاب فى مجال اللهو – كل ذلك وهو مما لا يحصل عليه إلا بالنقد يعتبر عوضاً

وليس كذلك من الضرورى أن يكون شرط التعدد مانعاً من الاختيار ، فإن اتصاف المرأة بالدعارة لا ينفيه أنها تختار مَن تشاء وترفض حين تشاء

وأما شرط فقدان العاطفة فهو أوضح من الشرطين السابقين وعلى هذا الأساس تعتبر المرأة داعرة متى اتصلت اتصالاً جنسيًّا من أجل الأجر أو الهدايا برجال متعددين سواء كان هذا الاتصال عرضيًّا أو احترفته . وليس من الضرورى بعد ذلك أن تكون مفضوحة السمعة ولا أن تكون قد اعتقلت ولا عديمة الكسب من حرفة ؛ فقد لا تكون المرأة سيئة السمعة ولا من صواحب السوابق ولا من الخاليات من العمل لكنها مع ذلك بغى

وعلى أساس هـذا التعريف للدعارة يكون مداها قد اتسع وتكون ضرورة علاجها أَمسّ ؛ وهذا الذى أرجو أن أدل عليه

فالعوض وفقدان العاطفة وتعدد الرجال سواء قلوا أو كثروا ، كل ذلك فى المدن المصرية لا يميز العلاقة الجنسية للبغى المحترفة وحدها . بل هذه الصفات للداعرة السرية أيضاً ، بل إن أردنا التسمية بالاسم الصحيح فهذا التعريف يشمل أنواعاً كثيرة من الداعرات المحترفات اللواتى لا يعرف حقيقتهن إلا زميلاتهن فى البيوت السرية كما يشمل المرأة العادية التى تخرج بين حين وآخر من هدأة الحياة إلى هذا النوع الشاذ منها ، ويشمل كذلك ذوات المراكز المصونة اللاتى قد يزاولن عرضاً هذه الرذيلة دون أن يمسسن ظاهر شرفهن . ويشمل كذلك المتسترات بحرفة من الحرف ، واللواتى تتخذ إحداهن خليلاً واحداً ربما تستطيع الاستبدال به من تراه خيراً منه ، واللواتى تخادن إحداهن أكثر من خليل واحد لعدم استطاعة فرد من هؤلاء الأخلاء القيام بأودهن ، واللواتى تخون إحداهن خليلها الوحد مع فرد أو أكثر طلباً للنفع . وأخيراً يشمل هذا التعريف النسوة المتزوجات ولسن جميعاً من الطبقة الدنيا بل فيهن من سائر الطبقات وكلهن فى نظر العالم بريئات يرتفعن عن مظنة الكسب من الزنا ولكنهن فى الواقع يحببن من يصحبهن إلى أماكن اللهو

فهذه ثمانية أنواع تخرج عن التحديد الضيق الذى يقيد صفة الداعرة فى نظر البوليس . ولكن هذه الأنواع جميعاً تدخل تحت عنوان الدعارة إذا ما تميز هذا العنوان (١) بالعوض (٢) وبالتعدد (٣) وبفقدان العاطفة . أى أن الدافع للصلة لم يكن وجدانياً بل هو نفعى . ولكن دون هذا كله سؤالاً لا بد منه وهو لماذا نعترض على البغاء على أى نوع من أنواعه ؟

والجواب واضح وهو أن الزنا بغيض لأسباب كثيرة . فأما أولاً فلما يترتب عليه من الانحلال الشخصى

وأما ثانياً فلأنه ضار بالمجتمع من الناحية الاقتصادية

وأما ثالثاً فلأنه من الناحية الصحية ينشر أمراضاً تناسلية ، ومن الناحية القضائية لأنه يرتبط بالإخلال بالأمن وينشر الجرائم ؛ وما لا ريب فيه أن العاهرات اللواتى يقصر البوليس اهتمامه عليهن منحلات الأخلاق ينشرن الانحلال ، ويسببن استهلاكاً اقتصادياً جسيماً ، وينشرن الأمراض . والقاعدة أن بؤرهن مباءات للمجرمين . ولكن من الخطأ الفاحش أن تظن صواحب الأنواع الأخرى من البغايا أقل أثراً منهن على المجتمع فى نشر هذه الويلات ، فإن البغى العَرَضية أو المستمرة المحترفة أو الهاوية المتسترة بحرفة أو التابعة – كل أولئك يؤدين باتصالهن الأثيم إلى نفس النتائج ولقد تختلف آثار بعضهن عن بعض ولكنهن جميعاً خطرات .

(يتبع) عبد اللطيف حمدى

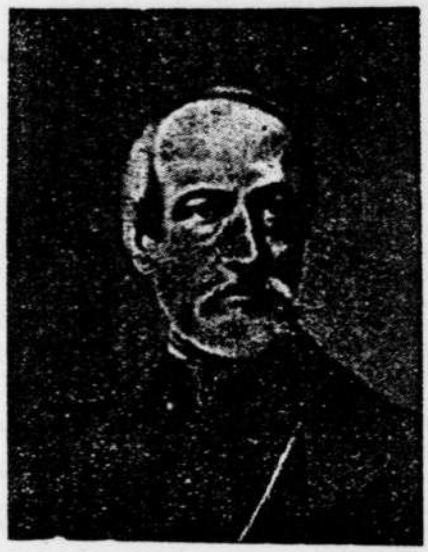
التاريخ فى سير أبطاله

مازيـــــنى

[رسول الحرية إلى قومه ، المجاهد الذى أبلى فى جهاده مثل بلاء الأنبياء]

للأستاذ محمود الخفيف

(تتمة)



ود مازينى لو أنه استطاع أن يجعل للأدب من وقته أكثر مما جعل له ، ولكن مشاغل السياسة حالت بينه وبين أمنيته ؛ وكان منذ عودته إلى لندن بعد ثورة عام ١٨٤٨ يوجه أكثر همه إلى الأدب الإنجليزى ، وقد أكب على دراسة حياة الشاعر الإنجليزى العظيم اللورد بيرون الذى أحبه أشد الحب لأنه الشاعر الذى هز القلوب وأيقظ المشاعر بأناشيد الحرية والقوة ، ولأنه ذلك الروح المتمرد على الطغيان والاستبداد ، ثم لأنه لم يكن رجل الفن الذى يجلس فى معزل عن عصره يتغنى بالجمال ويستغرق فى الفن استغراق الصوفى المسحور ، بل كان الرجل الذى كانت أغانى قيثارته صدى لآلام عصره وأحلامه ، والذى ذهب إلى حيث لاقى الموت فى مناقع مسولنجى فى سبيل الدفاع عن حرية اليونان

وجعل مازينى يوحى مبادئه إلى كل من يلاقيهم ، يريد بذلك أن يكسب لقضية إيطاليا أكثر ما يستطيع من الأنصار ؛ ثم أنشأ عام ١٨٥١ جمعية أصدقاء إيطاليا لهذا الغرض وسرعان ما انتظم فى صفوفها كثير من ذوى المكانة من الإنجليز ، وفتحت لها بعض الجرائد الذائعة أبوابها ؛ فكانت من أكبر وسائل مازينى فى الدعاية عن قضية وطنه . وكان لهذا الرجل أن يفخر يومئذ بأنه أدى إلى بلاده من جليل الخدمات ما لم يؤد مثله رجل غيره ، بل لقد كان له أن يفخر بأنه أدى إلى الجيل كله ما يجعله فى مصاف قادته ويسلكه فى سجل القلائل الأفذاذ الذين يباهى بهم تاريخ أوربا

لقد ملأ قلوب المستنيرين فى إيطاليا كلها بمعانى الوطنية والحرية ولقنهم مبادئ الديمقراطية وسيادة الشعوب ، ونشأ الجيل كله فى إلهامه ، فما من رجل من رجال السياسة وقادة الرأى فى الولايات جميعاً إلا من تأثر بتعاليم هذا المجاهد العظيم ؛ ولئن كان فيهم من يخالفه فى الوسيلة ، فما كانت الغاية التى يعمل على بلوغها إلا أنشودة كل وطنى حر

على أنه وجد البلاد تتأثر بعد فشل حركات سنة ١٨٤٨ بسياسة بيدمنت، تلك السياسة التى كان يمثلها كافور، ذلك السياسى الفذ الذى يعد فى حركة إيطاليا رأسها المفكر ؛ وكان كافور ومازينى على طرفى نقيض ؛ إذ كان أولهما رجل العمل الدبلوماسى الرشيد الذى يتحين الفرص ويسير إلى غايته فى حذر وبطء ، ولكن فى وثوق ، والذى جعل خطته تقوية بيدمنت أولاً ، ثم دفعها إلى الحرب متى آنس فيها القوة ووجد لها الفرصة ؛ وكان ثانيهما الزعيم الثائر الذى لا يفتأ يدعو البلاد إلى العصيان والتمرد لتبقى شعلة الجهاد متوهجة ، وتظل نار القلوب متأججة ، فلا يركن الشعب إلى القعود ، فينسى تلك الغاية التى تهيب بالرجال وتشد عزائم الأعزال وتوحى إليهم اليأس والاستبسال . وضاق الرجلان أحدهما بالآخر ، وكان كل منهما حرباً على صاحبه ؛ وهذا مما نعده على مازينى الذى وضع أصبعيه فى أذنيه تلقاء كل دعوة إلى مشايعة أنصار بيدمنت وتعضيدهم ، والذى اعتبر كل قاعدة غير الوحدة والاستقلال مروقاً وإلحاداً فى مبادئ الوطنية ودين الحرية ...

وليت شعرى ماذا كان يضيره لو أنه عضد كل حركة تقرب البلاد من غايتها ؛ على أنه لم يقف عند هذا الحد ، بل لقد أخذ يدعو إلى الجمهورية ضد الملكية، جاعلاً بمسلكه هذا تلك المسألة الثانوية مقدمة على المسألة الرئيسية مما أضعف دعوته وزاد الناس إقبالاً على كافور وسياسته

وكذلك أخذ كثير من الناس يعيبون على مازينى اتخاذه الثورات وسيلة إلى تحقيق آماله ؛ وعابوا عليه أكثر من ذلك

تدبيره مؤامرات الاغتيال ، ولكنهم كانوا فى ذلك يرمونه بتهمة هو منها براء ، وقد رد مازينى على متهميه بأنه يرى الثورات ضد الغاصب المسلح وسيلة شرعية ، أما الاغتيال فإنه يعده جريمة إذا أريد به الانتقام أو إذا أدى إلى القضاء على شخص لا يذهب الاستبداد معه إلى القبر ؛ وكأنما كان يبرر اغتيال من يموت بموتهم الظلم ؛ يتجلى ذلك فى رده على اتهام كافور إياه بأنه يدبر مؤامرة لاغتيال الملك فكتور عمانويل ، قال مازينى : « إن حياة الملك فى مأمن وذلك لسببين أولهما أخذه بقواعد دستورية فى حكمه ، وثانيهما أنه ليس ثمة من جدوى لهذه الجريمة »

على أن مازينى لم يعبأ بما يقول مخالفوه وما فتئ يترقب الفرص لإثارة الثورات من جديد ؛ وما لبث أن جاءته الأنباء عام ١٨٥٢ عن ثورة تدبر فى ميلان ضد النمسا بين صفوف العمال وكان فى هؤلاء كثير من شيعته ، نخف إليهم متنكراً حتى صار على مقربة منهم ، ولكن ثورتهم كان نصيبها الفشل السريع ، فاضطر الزعيم إلى العودة إلى انجلترة وفى نفسه من الألم والحزن والشعور بالخجل ما جاء عبأ جديداً فوق أعبائه ؛ ولقد حملت عليه صحافة بيدمنت حملات عنيفة وحملته مسؤولية هذه الحوادث وما ذهب فيها من ضحايا ، فازداد بذلك حنقه على الملكيين وتوالت حملاته هو أيضاً على خطتهم وعلى زعيمهم . وظل فى انجلترة يتربص ويتصل بشيعته فى وسط إيطاليا وشمالها ؛ وقد عقد النية على بعث ثورة كبرى فى الوسط والشمال تكون أبلغ رد على الملكيين ، وتكون قائمة على أساس وحدة إيطاليا وطرد النمسا وإقامة الحكم الجمهورى فى إيطاليا الموحدة ؛ واتصلت أسباب المودة بينه وبين قنصل أمريكا فى لندن ومناه القنصل بمعونة حكومته أن كان من أكبر دعاة الديموقراطية فى أوروبا

وذهب مازينى عام ١٨٥٤ متنكراً إلى باريس ثم إلى إيطاليا حيث كان يلتقى سراً بأنصاره ويوحى إليهم من خططه ما يوحى ، وكان يقضى أكثر وقته فى جنوة ، وكان تنكره يحير الشرطة ويزعجهم ، وهو فى الحق يعد من أغرب نواحى كفاح ذلك الرجل الذى قضى فى الجهاد إلى ذلك الوقت أكثر من ثلاثين عاماً بين اغتراب وسجن اختيارى وتنكر ، فما صرفه هذا العذاب عن وجهته وما قعد به الجهد عن غايته ، الأمر الذى يكفى وحده لأن يسلك هذا الرجل العظيم فى سلك أكبر زعماء الحرية فى جميع العصور ويلحقه بالشهداء والقديسين الذين وهبوا أرواحهم لخير الإنسانية

وبينما كان مازينى يعد العدة لثورته الجديدة كان كافور يمشى إلى غايته بخطى حكيمة تضعه هو أيضاً فى صف أعاظم الساسة فى تاريخ الأمم ؛ انتهت إلى كافور رياسة الحكومة فى بيدمنت عام ١٨٥٢ فجعل أولى خطاه إصلاح مرافق الولاية والنهوض بماليتها وبناء قوتها الحربية على أساس متين ، ولما تم له ذلك على خير ما يرجى أخذ يخطو خطاه السياسية وكانت تتجه إلى مكافحة النمسا بالأساليب الدبلوماسية أولاً ثم بالحرب آخر الأمر ؛ على أن يكون بدء الحرب من جانب النمسا فتكون هى المعتدية ، ويعتبر مسير كافور إلى غايته من أجل وأقوى الحركات فى تاريخ السياسة الدولية

بدأ أولاً بالتدخل فى جانب المضطهدين السياسيين فى لمبارديا وفينشيا الذين صادرت النمسا أملاكهم عام ١٨٥٣ ، فجعل بيدمنت فى ذلك زعيمة المضطهدين فى إيطاليا ، فولى الأحرار شطرها وجوههم ؛ ثم واتته الفرصة فى حرب القرم فأرسل جيوش بيدمنت لمساعدة قضية الحلفاء ضد الروسيا ، فلما عقد مؤتمر الصلح فى باريس عام ١٨٥٦ ، كان لبيدمنت مقعد فيه وهى مزية سياسية لها مغزاها بالنسبة لنفوذ النمسا ؛ وشكا كافور إلى رجال المؤتمر وقد كسب مودتهم بمساعدته قضيتهم من مسلك النمسا فى إيطاليا فهيأ بذلك الجو الصالح لخطواته فى المستقبل

واتجه كافور بعدها إلى فرنسا ، ومال إلى محالفة نابليون الثالث ، وكان نابليون يعطف على حركة إيطاليا إذ كان يرى نفسه وريث مبادئ سميه العظيم ، كما كان يطمع أن ينقض ما وضعه الساسة عام ١٨١٥ عقب هزيمة بونابرت ؛ لذلك اتفق كافور ونابليون سراً فى بلومبير عام ١٨٥٨ على أن يساعده نابليون ضد النمسا نظير أن تضم مقاطعة سافوى إلى فرنسا

وأوحى كافور إلى الملك فى بيدمنت أن يستفز النمسا ، فكان مما جاء فى خطاب العرش الذى ألقاه فكتور عمانويل فى تلك السنة : « إننا مع احترامنا جميع المعاهدات لا يمكن أن نصم آذاننا عن صيحات الألم التى تنبعث إلينا من نواح كثيرة فى إيطاليا » ؛ وسرعان ما توجه الأحرار إلى بيدمنت بآمالهم فى انتظار ساعة الخلاص على يديها

هكذا كسب كافور حليفة قوية وكسب الرأى العام فى إيطاليا وبقى أن تعلن النمسا عليه الحرب ليتم رسالتـه ؛ وكان كافور يستعجل هذه الحرب ! إذ كان يعلم أن نابليون رجل قلب كثير الأهواء والنزعات، فكان يخشى أن يتخلى عنه ؛ وكانت الحكمة تقضى على النمسا أن تتريث حتى ينقضى ما بين كافور ونابليون؛ ولكن رأى الحزب الداعى إلى الحرب فيها تغلب على أولى الحكمة فأعلنت الحرب واحتلت جنودها بيدمنت . ومشت جنود بيدمنت وفرنسا فأوقعت بالنمسا هزائم متلاحقة كانت كبراها فى سلفرينو ؛ ورأى كافور والفرح يملأ فؤاده أنه من النصر النهائى على قاب قوسين ؛ فما هى إلا أيام ثم تطرد النمسا من إيطاليا ؛ ولكن شد ما أزعجه وآلمه أن يرى نابليون يخذله على حين غفلة فيعقد الصلح مع النمسا فى فلافرنكا فى يوليو عام ١٨٥٩

حنق مازينى على كافور أشد الحنق لانضمامه إلى نابليون ؛ إذ كان الزعيم لا يؤمن بغير قوة الشعب ، ويخشى كما خشى فى أول سنى جهاده من الاعتماد على قوة خارجية قد يأتى من جانبها الخذلان بدل النصر ؛ وكان الخصام قد بلغ أشده بينه وبين كافور منذ عام ١٨٥٧ ، ففى تلك السنة فكر كافور فى بعث ثورة فى مودنيا وقابل مازينى شخصياً فى جنوة لهذا الغرض ، ووعده مازينى بالمساعدة؛ وفى العام التالى رأى مازينى أن تكون الثورة فى الجنوب أيضاً فى صقلية ونابلى ، وكان قد أعد عدته لذلك ؛ ولكن الحكومة فى بيدمنت أساءت فهم أغراض الثوار فى جنوة فحسبتهم يعملون لإقامة الجمهورية وإسقاط الملكية، فشتتت شملهم وأصدرت ضد مازينى ونفر من أصحابه حكماً غيابياً بالإعدام

ولما خذل نابليون كافور استقال هـذا من منصبه ؛ فجاء مازينى إلى إيطاليا وإنه ليرجو أن يبعث الثورات الشعبية فى ولايات الوسط والجنوب عسى أن يصل بها إلى تحقيق ما عجز الزعيم السياسى عن تحقيقه ، واختفى الزعيم الشعبى الكبير عند حاكم تسكانيا من ولايات الوسط ، فقد كان هذا الحاكم يجله ويؤمن مثله بالوحدة وإن لم يأخذ إخذه فى الاعتماد على الثورات ؛ وحاول مازينى أن يضمه إلى رأيه فلم يفلح

وأخذ الزعيم فى مخبأه يتصل بأعوانه ويحثهم على النضال ؛ وكان يرى إلى اكتساح الولايات البابوية أولاً ثم يسير منها الثوار إلى ولاية نابلى فيتم بذلك توحيد نصف إيطاليا الجنوبى ؛ وكان كافور بينه وبين نفسه يعطف على هذه الحركة ويتمنى نجاحها لتكون أجمل رد على النمسا وفرنسا ؛ وفرح أن يسمع عن مازينى أنه يدعو إلى ترك الخلاف الحزبى والعمل للوحدة فحسب ، بل لقد كان لا يرفض يومئذ ضم الولايات الجنوبية إلى بيدمنت

ولكن حاكم تسكانيا خاف من بقاء مازينى مختبئاً عنده ، ففى تهديد ولايات البابا ما يدعو إلى تدخل النمسا ، ولذلك طلب إلى مازينى أن يرحل فلم يسعه إلا الطاعة ، وخرج وإنه ليأسف الأسف كله أن يعامل هذه المعاملة من بنى وطنه وأن يكون فى إيطاليا سجيناً وهو ما يجاهد هذا الجهاد الهائل إلا من أجلها ، ولكنه تعود الألم وألف الصبر فى هاتيك السنين الطويلة ؛ واتخذ الزعيم سبيله إلى انجلترة من جديد

ومتى يهدأ هـذا الثائر المجاهد ؟ إنه لن يعرف الهدوء حتى تتحقق آماله أو يموت ، ذلك ما عقد النية عليه من أول الأمر ، وذلك ما درجت عليه نفسه الحرة وصمد له قلبه الكبير

وعاد كافور إلى الحكم واتجه صوب فرنسا من جديد وقدم نيس وسافوى إلى نابليون ليكون ظهيراً له مرة أخرى ؛ ولقد حنق مازينى وغاريبلدى على ذلك أشد الحنق . على أن مازينى أخذ من جديد يفكر فى بعث ثورة فى الجنوب يؤيدها كافور ، وصرف إلى ذلك همه وما زال بغاريبلدى حتى حمله على أن يسير هو والبواسل الألف من رجاله إلى صقلية ، وقد جاء مازينى إلى إيطاليا متنكراً ليكون على مقربة من الأبطال المجاهدين ، وحل بجنوة وأقام بها فى مخبأ لا يراه أنصاره فيه إلا تحت ستار الليل، وراح يمد غاريبلدى ورجاله بكل ما يصل إلى يده من المال ؛ وحالف النصر غاريبلدى فعبر من صقلية إلى نابلى ، وطرب الأحرار فى إيطاليا كلها لهذه الحركة العجيبة تأتى على يد ذلك البطل المظيم ؛ وانتعشت آمال مازينى وذهب إلى نابلى ليستحث المقاتلين وكانت قد سقطت تلك المدينة فى يدهم ، وأخذ كافور يترقب فى حذر على عادته ويخشى أن يعتدى غاريبلدى وجنوده على أملاك البابا فتتدخل أوربا ، ولكنه ما لبث أن وجد الفرصة المرجوة فأرسل جيشاً دخل أراضى البابا ، ثم تقدم فكتور عمانويل على رأس جيش فدخل نابلى وقابله غاريبلدى وقدم له الطاعة ؛ ورأى الأحرار أن الوحدة المرجوة أوشكت أن تتم

ولما صار مازينى على مقربة من النصر أخذ ينادى بمبادئه الجمهورية من جديد فأدى هذا إلى حنق كثير من الناس عليه حتى لقد ألقيت قنبلة فى نابلى تحت نافذة مسكنه ، وطلب إليه

أصدقاؤه ففعل بعد احتجاج شديد وعاد إلى انجلترة فى نهاية ذلك العام ١٨٦٠ ؛ ولكنه عاد هذه المرة مسروراً بما تم تحقيقه من آماله، تطيب نفسه بما يحسه من شعور الناس جميعاً نحوه حتى الملك فقد قال حينما طلب إليه الخروج : « دعوا مازينى حيث هو ؛ إذا نحن عجزنا عن بناء إيطاليا فليبنها هو ، ويومئذ أكون أول المصفقين له » وإن الملك ليشعر فى قرارة نفسه أن ما تم بناؤه حتى ذلك اليوم من هذا الصرح إنما قام أكثره على كاهل ذلك المجاهد الصبور

لم يبق إلا روما وفينسيا كى تتم الوحدة ؛ وذلك ما كان يشغل مازينى بعد عودته إلى لندن . وكان لا بد من حرب ضد النمسا كى تضم فينسيا ، أما روما فقد كانت بها حامية فرنسية وقد تعهد فكتور عمانويل ألا يمسها بسوء بعد أن رفضت الانضمام إلى بيدمنت .

ولم يكن مازينى بالرجل الذى ينتظر ما عسى أن تفعل حكومة بيدمنت، ولذلك جعل يتصل بغاريبلدى لكى يحل العقدة أو يقطعها. وقد آلمه موت كافور عام ١٨٦١ على الرغم مما كان بينهما من خلاف

وفى سنة ١٨٦٢ هجم غاريبلدى ورجاله على روما فردته جنود عمانويل وأصيب البطل فى هذا الهجوم بجرح بالغ على يد رجل من بنى وطنه . وكان مازينى قد حضر إلى لوجانو ليكون على مقربة من هذا الجهاد الجديد ، ولقد آلمه ما حل بغاريبلدى وبخاصة عند ما علم بإلقاء القبض عليه وسجنه ، فراح يندد بالملك وحكومته فى حماسة وسخيمة لم يسع الملك إزاءهما إلا أن يصدر حكم الإعدام عليه للمرة الثالثة

ولما فشلت حملة غاريبلدى ، عاد مازينى إلى انجلترة ، وكان يومئذ فى الثامنة والخمسين ، إلا أنه كان لطول ما أبلى وناضل يبدو أكبر سناً . على أنه لم يفقد شيئاً من حميته ، وظلت له حرارة قلبه وقوة روحه وحماسة عبارته وسحر نظرته ؛ وعاودته الفاقة فى غربته ، ولكنه ازداد أنصاراً ومحبين . وكان يؤلم نفسه أن يرى عمره يتصرم دون أن يستطيع أن يحمل للأدب ما أراد من خدمة. وكان فى تلك السنين يتتبع أخبار الحرب الأهلية فى أميركا ، واتصل بجماعة التحرير الانجليزية فى لندن . وكان يبدى إعجابه ببطولة الرئيس لنكولن وجهاده فى سبيل الوحدة والتحرير ويتمنى لو كان له مثل ما كان لذلك الرئيس العظيم من النفوذ الرسمى . ولما اغتيل الرئيس لنكولن حزن عليه مازينى أشد الحزن ، ولكنه كان يرى الفرق بينهما جلياً ، إذ لو حضره الموت الآن لمات قبل أن يرى وحدة بلاده ، ولم ينعم بها ساعة كما نعم لنكولن قبل موته

وحاول ملك بيدمنت أن يستعين بمازينى على بعث ثورة فى فنسيا وفاوضه فعلاً فى هذا ، ولكنه عاد فتركه أمام اعتراض رجال حكومته . وفى سنة ١٨٦٦ أعلنت حكومة بيدمنت الحرب ضد النمسا منتهزة فرصة انشغالها أمام ألمانيا ، ولكن جيوش بيدمنت هزمت فى البر والبحر هزائم كانت مخزية للملك ورجال حكومته ، ولقد أدت هذه الهزائم إلى نشاط دعوة مازينى من جديد إلى الجمهورية ، ولقد لقى فى تلك الظروف من الآذان الصاغية إليه أكثر مما لقى من قبل ؛ والحق لقد أصبح هذا الأعزل الشيخ رجل إيطاليا كلها . وأى رجل يبلغ منزلته وله من جهاده فى سبيلها زهاء أربعين عاماً لم يعرف خلالها إلا الغربة والفاقة والعذاب الشديد ؟ إن مخالفيه فى الرأى ومؤيديه جميعاً ليرون فيه الروح الذى علم الجيل وأوحى إليه الإيمان والفداء. وها هى ذى العرائض عليها أكثر من أربعين ألف توقيع ترفع إلى الملك بطلب العفو عن الغريب المجاهد كيلا يغمض عينيه إغماض الأبد فى بلد غير إيطاليا التى وهبها حياته ، وها هى ذى ولاية مسينا تختاره أربع مرات متتالية ليمثلها فى برلمان إيطاليا كلما أبطلت الحكومة انتخابه عادت الولاية فاختارته

وبقيت روما لتتم الوحدة وكان قد عاد غاريبلدى عام ١٨٦٧ بهجوم عليها ولكن الحامية الفرنسية انتصرت عليه فردته عنها . على أن مازينى كان يرجو أن تعلن روما الجمهورية فتكون عاصمة إيطاليا الجمهورية ؛ وقد عاد ينشر مبادئه الجمهورية ويأمل أن يبعث آخر ثورة فى البلاد تكون هذه المرة ضد ملكية بيدمنت وتكون غايتها إقامة الحكم الجمهورى ؛ وقد اتصل مازينى برجل ألمانيا بسمارك ورجا منه المساعدة فماطله بسمارك ثم انقطعت الصلة بينهما

وفى سنة ١٨٧٠ رحل إلى صقلية ليبدأ الثورة فيها على الرغم من توسل بعض أصدقائه إليه ألا يفعل ، وهناك ألقى القبض عليه فى بالرمو حيث سيق إلى السجن فى جيتا ؛ ودخل السجن الزعيم الشيخ وبود حراسه لو لم ينط بهم حبسه . أنظر إلى حارس السجن كيف يدير المفتاح فى مدة ثلاث دقائق حتى لا يسمع الزعيم أنه يغلق الباب عليه ...

[البقية فى ذيل الصفحة التالية]

رمَاد...

للأستاذ محمود محمد شاكر

لا تَعْبَثى بفؤادِى   وأكْثِرى آلامِى
شَبَبْتِ فى القلب ناراً   من لَوْعةٍ وهُيَام
أضْللتِنى عن حياتِى   بِلَذْعةٍ واحتِدام
فما أخافُ ورَائى   غَيْباً ، أراهُ أمامى
أرتابُ حتّى أرانِى   فى حَيْرةٍ وظَلام
فى مَهْمَهٍ من شكوك   قَفْرٍ من الأعلام
لا أهتدِى لِنَجَاةٍ   فى أُفْقِهِ المُتَرَامى
اسوَدَّ ليلِى، وصُبحى   مُلفَّفٌ فى قَتَام
فلا أرى من دَليلٍ   يَهْدِى خُطَى أقدامى
صَحِبتُ نفسى، ونفسى   من صُحبَتى فى اضطرام
كأنّنا فى زِحامٍ   يَرى بنا فى زِحام
مجَرَّحَيْن كُلُوماً   من صَدْمةٍ ولِطام
حتى أُبِيدَتْ قُوَانا   فنحنُ صَرْعَى مُدَام
ثم استفقتُ فطارتْ   لَوَاهِبٌ فى عظامى
قلبى ورُوحى وعَيْنى   — وكلهن ظَوَامى —
لا يَهْتَدِينَ لِبَرْقٍ   مُبَشِّرٍ برِهام
ولا لِنُطْفَةِ ماءٍ   تَبُلُّ حَرَّ أُوَام

ولبث فى السجن بضعة أسابيع يقرأ شكسبير وبيرون ، ثم أفرج عنه عقب سقوط روما فى تلك السنة فى بيدمنت وأصدر الملك عفوه عنه ولكنه رفض أن يقبله ؛ وشهد الزعيم فى أواخر أيامه وحدة إيطاليا ، ولكنه كان لا يفتأ يعمل للجمهورية !

وقضى سنتين متنقلاً بين بعض البلاد تحت اسم مستعار حيث زار قبور الشهداء من رجاله وحج إلى قبر أمه فى جنوة . وفى مارس من عام ١٨٧٢ سكت هذا القلب الكبير وانطوت هذه الحياة الحافلة بالجهاد المرير الطويل ، وبكت إيطاليا كلها الرجل الذى ظل حتى آخر عمره يكدح ويلاقى صنوف العذاب من أجلها

(تم البحث)   الخفيف

وعُدْتُ فرْداً وحيداً   يَجُوبُ غَوْلَ المَوَامى
حَيرانُ أعمى مجولٌ   مُصَوَّرٌ من سَقَام
يكادُ يمسِّرُ وَهْناً   بنفسِهِ فى القيام
تخطَّفَتْهُ شكوكٌ   جياشةٌ كالضِّرام
لمْ تُبْقِ إلاّ حُطاماً   يَنْقَضُّ فوقَ حطام
تستقبلُ الاذْنُ منه   حسًّا كَمَيْتِ الكلام
تخالُه من فُتُورٍ   مَناحةَ الأيتام
مُفزَّعِينَ وُجوماً   يبكونَ فوقَ رِجَام

* * *

يا مَاثِلاً لعُيونِى   وطائفاً فى منامى
وسابحاً فى سُكُوتِى   وسارباً فى كلامى
وحاسِراً عن فؤاد   صَبٍّ فضُولَ اللِّثام
أفْنَى شَكاتى ، وأوْدَى   بِمَعْتَبِهِ ومَلامى
ما كنتُ أحسبُ دَلاً   يَسيلُ سَيْلَ انتقام
أو أنَّ سُكْرَ شبابٍ   يحورُ سُكْرَ عُرَام
يَقسُو فيرمى بسهمٍ   مَهْدَ الجُرُوحِ الدوامى

* * *

أحببتُ مِلْءَ فؤادى   ومِلْؤُهُ أوهامى
حتّى وَجدْتُ كأنى   أعيشُ منْ أحلامى
ملأتِ دُنيايَ نوراً   يُضىءُ دُنيا الأنام
فكلُّ مَرْأى عليه   حَلاوةٌ من وَسام
يَغْذُوهُ نورُكِ حُسناً   حيًّا كصَوْبِ الغَمام
فما ترى العينُ إلاّ   زَهْراً على أكمام
أنفاسُهُ عَطِراتٌ   نشوَى بغير مُدَام
ممثّلاتٌ لرُوحى   مُعَرْبِدَاتَ القَوَام
أصْبِنى ، إخالُ ، كأنى   أصْبِنى إلى أنغام
تدنو فأدنو ، فتفنَى   أنغامُها فى ظَلام
وتارةً هى هَمْسٌ   كلَمحةٍ من سَلاَم
كأنها فى ضميرى   تُسِرُّ بعضَ الغَرام
أو يستطيرُ سَنَاها   فى القلب ضوءَ ابتسام

* * *

أوّاهُ من خطَراتٍ   تقودُنى بزِمام

أنا والبحر

للأستاذ خليل شيبوب

أيُّها البحرُ رَجِّعِ الأحلاما … مثلَ ترجيعِ موجِكَ الأنغاما
في ظلامِ الدُّجى تبثُّ شكاوا … كَ الحزيناتِ تستثيرُ الظلاما
غير أن النِّيامَ لم يسمعوها … إيهِ ليتَ النيامَ ظلُّوا نياما
ليس فيهم سوى الأذى لمحبٍّ … موجعِ القلبِ لا يُطيقُ مَناما
في فؤادي موجٌ كموجِكَ يبكي … بدموعِ الألحانِ تجري انسجاما
ظلماتٌ من فوقها ظلماتٌ … في فؤادي دَوِيُّها يتَرامى
لا تَهُمُّ الصخورَ شكواكَ ترويها … كشكوايَ لا تَهُمُّ الأناما
نحن إلفانِ ساهرانِ ولكنْ … ثُرتَ ماءً وثارَ قلبي ضِراما
إن شكواكَ حالةٌ ثم تمضي … لا كشكوايَ من شقاءٍ أقاما
أنتَ تصفو حيناً وتهتاجُ حيناً … وحياتي ما تستقِرُّ احتداما
لكَ هذي الآفاقُ تمرحُ فيها … وفؤادي في الصدرِ جُنَّ اكتتاما
وإليكَ الأقمارُ ترنو ولكنْ … كلُّ من قد أحببتُ عني تعامى
لك بأسٌ يغادرُ الريحَ صرعى … لا كضَعفي يصارعُ الآلاما
ويوالي النسيمُ تقبيلَ أموا … جِكَ منشورةً تُراحُ جِماما
ويوالي الغرامُ نفسيَ تعذيـ … باً ويُغري السقامَ بي والحِماما
وبقلبي كما بقلبِكَ دُرٌّ … أنبتَتْهُ الحياةُ خيراً تُؤاما
وكلانا ضَمَّتْ قرارتُه الهو … لَ وراعتْ أسرارُها الأفهاما

***

واصِليني أو قاطِعيني سِيّا … نِ إذا كنتُ لا أرومُ مَراما
حبَّذا هجرُكِ الطويلُ إلى نفـ … سي ويا ليتَهُ يدومُ دَواما
إن في لذةِ الوصالِ شكوكاً … قد أحالتهُ علقماً وسِماما
لستُ أخشى إلا الشكوكَ التي بي … كالأعاصيرِ تكسحُ الآجاما
ليتني لا أحنُّ وجداً ولا أشـ … تاقُ تلكَ العهودَ والأيّاما
كيفَ لي بالحياةِ من بعد ما أصـ … بحَ يُقذي الجمالُ عيني ابتساما
سَوْأةً للحياةِ ما كان أغنا … نيَ عنها لو استطعتُ انعداما
وأقولُ الزمانُ يُصلِحُ قلبي … ويداوي الجِراحَ والأسقاما
وعليَّ الصبرُ الجميلُ لذا رُحـ … تُ أعدُّ الشهورَ والأعواما
غير أني أزيدُ يأساً على يأ … سٍ وأستنجدُ الردى استرحاما
خجِلاً من عواطفي غاضباً كيـ … فَ أراني معذَّباً مُستضاما
مستلِذاً ما بي أغالطُ نفسي … مُستطارَ النهى رِضىً ومَلاما

***

أيها البحرُ هاجني نغمٌ كد … تَ به توقظُ الصخورَ النياما
أبديٌّ تصغي إليه الدراري … رانياتٍ تردُّ عنكَ الظلاما
حمَلَتهُ الأنسامُ فالتفَّ بالمو … جِ يُماشي الأمواجَ والأنساما
أيها البحرُ ثُرْ ورِقْ واصفُ واكدُرْ … قد رضِينا حياتَنا استسلاما

(الاسكندرية) — خليل شيبوب

لا تملكُ النفسُ منها … إلا رمادَ الكلامِ
قد كان جمراً فنامتْ … أيقاظُهُ في النيامِ
واستيقظتْ لي همومٌ … حيّاتُها من خِصامِ
أفنتْ شبابَ خيالي … وعيَّثتْ في نظامي
حتى رأيتُ الليالي … تطوفُ في أيامي

محمود محمد شاكر



دراسات في الفن

آلو ... الدكتور عزام ؟!

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— يا للنهار ! مالك أنت والغناء ؟ لك ساعة وأنت تعوى وتنهق بأكره الصوت جادا مجتهداً كأنما تجرب إذاعة لهذا المساء ؟ هل زيفت نفسك على ماركوني وألقيت فى روعه أنك موسيقى مغن مطرب ملحن ؟ أما إذا كنت فعلتها فهى كبرى المصائب ، ونكبة النكبات

— إنى لم أفعلها إلى الآن . ولكنى أعد نفسى لها ، وهى من غير شك أربح الأشغال فى هذه الأيام . فقد وصل سعر اللحن عند ماركونى إلى مائة جنيه ، ينفق عليه منها عشرة على الأكثر يأخذها تخت كامل وفوق الكامل . ثقى أنى سأبدأ العمل وثقى أنى أعرف طرق النجاح فيه

— قل شيئاً غير هذا ، وامح علامات الجد هذه من على وجهك فقد كدت أصدقك ... أمجنون ؟ !

— سترين أنى عاقل عندما تسمعين مصطفى بك رضا بنفسه يقدمنى للجمهور من خلال الميكروفون وهو يقول : « آنساتى سيداتى سادتى . أقدم لكم الآن بكل فخر كوكب الإذاعة الجديد الموسيقار العبقرى البروفسور عزيز فهمى فى أغنيته الأولى « التختروان » وهى من تأليفه وتلحينه ... على تخت مكون من كبار رجال الفن »

— وما الذى يمنعك ما دمت واثقاً أن هذا ممكن ؟

— لا شىء يمنعنى . وإنما كانت الفكرة غائبة

— وقد جاءت الفكرة وستنفذها . أليس كذلك ؟ قل لى الآن بم ستبدأ

— بالشعر ... صحيح أنى لست شاعراً ولكنى أعرف من العروض وأوزان الشعر ما أستطيع به أن أنظم الكلام . ثم إنى أعرف الكلام الذى يحبه الجمهور وليس على أكثر من أن أرصه فى النظم رصًّا وهو لا يعدو « النوح والدوح ، والأغانى والأمانى ، والدموع والخضوع ، والغزل والأمل » وسائر هذه الألفاظ التى يقولها القمر للأستاذ أحمد رامى وهو نائم تحت السرير فى الغرفة الغربية المطلة على الحقول من منزله فى حدائق القبة ... فإذا ما انتهيت من القصيدة شعراً بدأت فى تلحينها ، وهذا شىء أيسر من الشعر ، وهو لا يكلفنى أكثر من مراجعة ألحان سيد درويش وبعض الألحان الشرقيـة والغربية مما لم يسمعه الجمهور أو مما قد سمعه ، وآخذ لكل شطر أو لكل بيت من أغنيتى لحناً من هذه الألحان ، فإذا لاحظت فى هذا الترقيع أن يكون منسجماً يمشى بعضه مع بعضه من غير تنافر فإنى قد جئت بما لم يجىء به الأستاذ محمد عبد الوهاب نفسه، فنحن لا نزال نرى فى مقطوعاته جميعاً التنافر ظاهراً بين أجزائها المجموعة من الشرق والغرب ... فماذا تريدين منى أكثر من التفوق على عبد الوهاب ؟

— وبعد ؟

— أتفق مع الأستاذ محمد القصبجى على أن يتعهد بمراجعة اللحن مع أفراد التخت بخمسة جنيهات يأخذها ربحاً حلالاً على هذا ، وعلى أن يعزف معى بعوده الممتاز فى الإذاعة ... وهو لن يرفض خمسة جنيهات حلالاً ... وإذا أخذ الأستاذ إبراهيم العريان وهو سيد العازفين على القانون فى مصر جنيهاً واحداً ليشترك معى فى الإذاعة فإنه سيدعو لى ليلاً ونهاراً لأنه يقضى الشهور معطلاً لا يكاد يدعوه أحد إلا زكريا أحمد الذى يعرف قدره وقدر فنه ولأن الباقين يتقونه خشية أستاذيته ... وتبقى أربعة جنيهات بعد ذلك أوزعها على أفراد التخت ، ولا شىء أخيراً إلا وليمة لرجال الصحافة وبعض الملق والمداهنة وأنا زميل لهم وأظن أنهم يجاملوننى

— طيب والغناء ؟ أتغنى بصوتك هذا نفسه ؟

— ولم لا؟ أليس صوتي أرخم من صوت الأستاذين حسين المليجي وحامد مرسي؟ وما دامت الصحافة ستقول هي ومار كوني إني مغن ممتاز عبقري، فلا بد أن يصدق الناس أني كذلك ... والحق أني كذلك ...

— تريد أن يجوز هذا عليّ أنا أيضاً؟

— الفنان الحق يا آنستي لا بد أن يؤمن بفنه قبل أن يؤمن به الناس ...

— يا عينك! ولكنك لم تقل لي كيف تستطيع اجتياز العقبة الأولى وهي إقناع مصطفى بك رضا بأنك فنان ...

— هذه أهون الهينات ... وهي بيد الدكتور عبد الوهاب عزام الذي لا يزال يذكر أني تلميذه، والذي يعطف عليّ فيما يبدو لي، والذي أعتقد أنه لا يتأخر عن مساعدة رشيقة كهذه..

— وما للدكتور عزام الأستاذ في الجامعة والذي يكتب عن رحلاته في الشرق والغرب، وهذه «الألعوبة» أو «الألعبانة» التي تريد أن ترتكبها ...

— الرجل رجل طيب، فإذا التصقت به لم يجرؤ على طردي لأنه حيّ خجول، ولأني سأذكره بالحكمة التي تقول: «من علمني حرفاً صرت له ضيفاً» وقد علمني هو اللغة الإيرانية كلها ... والدكتور عزام قريب صاحب المعالي عبد الرحمن عزام بك وزير الأوقاف، والأستاذ مصطفى بك رضا موظف في وزارة الأوقاف فإذا رآني حول الوزير مرة أو مرتين أصبحت عنده شيئاً مذكوراً ... فإذا دعوته يوماً إلى سماعي ونبهته إلى أن الدكتور عزام سيسمعني معه خف إليّ كالبرق الخاطف حباً في مجالسة الناس الطيبين، فإذا لبى الدعوة هؤلاء الناس الطيبون الذين من عادتهم أن يجبروا خواطر الناس، بدأ الإيمان بي وبفني يدخل نفس ماركوني، فإذا جاءني أحد الناس الطيبين «بآه» أو «بأحسنت» كان هذا مستنداً لي على أني فنان مقتدر ... فإذا قلت عن نفسي بعد ذلك بأني عبقري وأني نابغة العصر والأوان زيادة على أني شاعر كبير ومثقف مطلع ومفكر عظيم فإني من غير شك واصل إلى الاتفاق الذي أرجوه ...

— ولكن هذا كله لا يساعدك في شيء ... فمصطفى بك رضا نفسه موسيقي، وهو نفسه حَكَمٌ في الفن لا يمكن التدليس عليه

— قد يكون هذا حقاً، ولكن الرجل أعقل من أن يحكم بالفن وحده ... فهو بلا شك يقيم إلى جانب الفن اعتبارات أخرى يستعينها في الحكم على الفنانين الذين يعملون في الإذاعة.. وإلا فكيف يسمح بالغناء لمن تمرفيهم من المغنين الذين لو استمعوا إلى أنفسهم لما رضوا أن يغنوا ... ألا يذيع كثيرون من هؤلاء؟

— ولماذا يفعل هذا؟

— إسأليه ... واعلمي أنه محسوب على السيدة نفيسة فهو تقي جداً وورع جداً ولا يمكن مطلقاً أن يقول غير الحق ولا أن يظهر غير ما يخفي ... زيدي على ذلك أنه من أسرة كبيرة غنية، وأن له من الحسب والنسب ما يدرأ عنه كل شبهة ... وإن كان فيه عيب فهو أنه رجل طيب ... طيب جداً، سبحته لا تفارقه، وشفتاه لا تكفان عن التمتمة والتسبيح، ولعل ماركوني لم يأخذه إلا لأنه بركة

— إذن فقد انتهى الأمر، وإني أوصيك بأن تبدأ ...

— اسألي لي عن الدكتور عزام بالتليفون، فإذا وجدته فقولي له: إن هيئة كبار العلماء ستتغدى عندك اليوم.

— وما لهيئة كبار العلماء هذه أيضاً؟

— هذا اسم كان يطلقه الدكتور عزام على فرقتنا التي كانت مؤلفة من ثلاثة. قال الأستاذ أحمد أمين يوماً: إن كلية الآداب لم تر مثلهم ولن ترى مثلهم

— في الجد والتحصيل؟

— لا. في العنف والكفاح والرجاء والإيمان. دعينا من هذه الذكريات. هل وجدت الدكتور؟

— لا. فلننتظر ساعة. والآن قل لي: لماذا اخترت أن يكون اسم أغنيتك «التختروان»؟

— أنا لم أختر هذا. وإنما هو الرد الطبيعي على أغنية «الجندول» التي غناها عبد الوهاب. «فالجندول» هذا مركب أوربي يسير في شوارع البندقية — وهي مياه — ولا يعرف هذا «الجندول» إلا فئة خاصة من المصريين؛ أما «التختروان» فيعرفه المصريون جميعاً والعرب جميعاً، لأنه «الهودج» الذي يوضع على ظهر الجمل فإذا كان «الجندول» الذي لا يعرفه المصريون قد أصبح أغنية فلا عجب في أن يتغنوا «بالتختروان»!

— ليس الذنب في «الجندول» ذنب عبد الوهاب، وإنما هو ذنب الأستاذ الشاعر علي محمود طه المهندس الذي زار البندقية وحدث له «الجندول» فيها فسجله شعراً، ولحنه عبد الوهاب

— قد يغتفر للأستاذ الشاعر هذا الجندول ما دام قد حدث له

ولكن لماذا يغنيه الأستاذ عبد الوهاب ؟ وقد خلق الله له موهبة التقليد التي يأبى أن يستغلها

— لم أسمع أن التقليد موهبة فنية لها مكانها بين الفنون إلا الآن

— هي موهبة من غير شك ، وهي موهبة عبد الوهاب ؛ وهي التي ظهرت فيه منذ طفولته ، فقد كان وهو غلام يغني كل ما يسمعه ويوفق في تأديته خير التوفيق ، حتى أن المرحوم الأستاذ عبد الرحمن رشدي أخذه معه ، وأخذ يعرضه بين الفصول يغني للنظارة بعض أناشيد المرحوم الشيخ سلامة حجازي على ما فيها من قسوة وجبروت ، فكان ينال إعجاب الناس ، وسمعه بعد ذلك المرحوم أحمد شوقي بك فطرب له فاحتضنه وتبناه وقدمه لأصفيائه وللبيئة التي كان يعيش فيها وهي بيئة الأمراء والكبراء فكان عبد الوهاب يغنيهم من محفوظاته وكان عليهم أن يستحسنوا غناءه ؛ فلما مات سيد درويش فوجئ الجمهور بعبد الوهاب الملحن الموسيقار ، وكانت المفاجأة بالطريقة التي أريد بها أن أفجأ الجمهور بها ومنذ ذلك الحين بدأ عبد الوهاب يتعثر إذ عدل عن الموهبة التي خلقها الله له إلى ما لم يسمح الله له به . على أنه كان غالباً ما ينجح إذا غنى المواليا ، ذلك أنها غناء مصري للقاهرة ، فيه أسلوب خاص تأثر به عبد الوهاب كل التأثر منذ صباه ، وقد سلمت بعض قصائده من التنافر والتخبط لكثرة ما غنى في ماضيه للمرحومين : الشيخ سلامة حجازي ، والشيخ أبو العلا محمد ؛ أما ما عدا ذلك من الأغاني ، فعبد الوهاب يعاني الأمرين في غير شك في صوغه . وقد كان المرحوم شوقي بك يغربل له موسيقاه فلما مات لم يعد عبد الوهاب يسمح لأحد بأن يكون له في موسيقاه رأى إلا السجود لها ولا أقل

— يا شيخ ! لا تكن ظالماً

— لست أظلمه . ولو أنصف عبد الوهاب لظل كما كان مغنياً يغني لغيره ممن يستطيعون التلحين ، أو أن يكون مغنياً بلدياً كغيره من أولاد البلد الفنانين البارزين ، وليس هذا عيباً ، وليس فيه حطة ، فالناس كلهم أو أغلبهم مجمعون على استحسانه في المواليا ، وفي القصائد قبل أن يفرنجها ... أليست « يا جارة الوادي » خيراً من « الجندول » ؟ ولكنه أصيب بما في رأسه ، وهو لا يريد مطلقاً أن يذكر الجمالية ، ولا باب الشعرية ، ولا « حوانيت الترزية ... » مع أنه أنفق حياته الأولى في هذه ... وهو فنان ، والفنان لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يغفل ماضيه ... وإن حياة الفنان الأولى التي قضاها وهو بعيد كل البعد عن التفكير في مشاغل الدنيا وأرباحها وخسائرها لهي المعين من الفن الذي لا ينضب ... وإنها أصدق ما يمكن أن يبرزه من الفن ، وأصفى ما يمكن أن يطالع به الناس من عواطفه وخلجات روحه . أليس كتاب « الأيام » هو أروع ما أخرجه الدكتور طه حسين بك . وأي شيء في كتاب « الأيام » غير قسط ظاهر من الصدق ... إن الدكتور طه حسين قد تحول اليوم إلى إنسان آخر غير الطفل بطل الأيام ... وهذا الإنسان الآخر له مجد وله مكانة وله شهرة ، وله منصب وله رتبة ، ومع هذا فالطفل « طه حسين » بطل الأيام أحلى من الدكتور طه حسين بك ، والدكتور طه حسين بك نفسه يعترف بهذا فلا يهمل هذه المرحلة من حياته وإنما يكتبها ويخرج من بين يديه خير ما كتب ...

— إذن فعلى عبد الوهاب أن يغني غناء بلدياً أو يقلد الشيخ سلامة حجازي وغيره ...

— من غير شك هذا هو خير ما يستطيعه عبد الوهاب ، لأنه أحلى ما فيه ، ولأنه كان هكذا في طفولته ... فهذا هو ما خلقه الله له لا ما اختاره هو لنفسه ...

— ولكن هذا الطريق لن يجدي عليه نفعاً كبيراً ... فمن الذي يعطيه مائة جنيه في أغنية قديمة ؟

— الرزق هذا شيء لا حيلة للانسان فيه ، وإنما حيلة الإنسان في عمله والله يعطي بعد ذلك من غير حساب ... إن بتهوفن وسيد درويش ماتا معدمين ولم يجمعا في حياتهما عشر معشار ما جمعه عبد الوهاب فهل هو أنصع منهما فناً ؟... إن كرستوف كولمبس الذي عثر على . أمريكا لم يمت إلا بعد أن استجدى في شوارع نابولي على ما أظن ... فالرزق شيء والعمل شيء ... والفرقة القومية بدأت تفكر في تقديم الأوبرا والأوبريت ، وعبد الوهاب من غير شك هو المغني الأول الذي أرشحه لها ... فمن ذا الذي يستطيع أن يقنعه بقبول هذا العرض ؟...

— يهديه الله ...

— سيهتدي عند ما يراني أزاحمه ، وعند ما يجد مني سر نجاحه ، وعند ما يلحظ أني سأحسن استعمال هذا السر أكثر مما يحسنه

— إذن . فأنت لا زلت مصراً

— من غير شك ... إسألني عن الدكتور ...

عزيز أحمد فهمي

(الرسالة) لا نظن كثيراً من النقاد يشاطرون الأستاذ عزيزا رأيه في الأستاذ عبد الوهاب .



الهندسة وابن الهيثم

قديماً وحديثاً (*)

للدكتور محمد محمود غالى

أفاض المتكلمون وأبدعوا، وأخرجوا للعالم العربي ما فى بطون الكتب من مآثر، لم نكن نوليها انتباهاً، فلم يدعوا لى شيئاً بارزاً أذكره لابن الهيثم، ورسموا صوراً هى أقرب الصور إليه سجلوا فيها أعماله ومبلغ تحليله للمسائل وفهمه للأشياء. هذا هو ابن الهيثم، عالم طبيعى له مشاركة فى الفلك والعلوم الرياضية والفلسفية وفضلاً عن ذلك نرى الهندسة تقترن باسمه، بل إن شهرته كمهندس غلبت على بقية صفاته، من ذلك ما ذكره القفطى فى كتابه: «أخبار العلماء» من أنه الحسن بن الحسن بن الهيثم المهندس البصرى، وأنه صاحب التصانيف والتآليف المديدة فى علم الهندسة، وهو بعد ذلك يتحدث عنه فى بقية الكلام كمهندس أكثر منه عالماً طبيعياً

والواقع أن دراسة تحليلية لابن الهيثم لقمينة أن تضعه فى صفوف علماء الطبيعة أكثر من أن تمده بين المهندسين، وإنما وصل إلى هذه النتيجة من أثره التجريبى لا من أثره فى التأليف، ولكنا لا نجزم بهذا الرأى كنتيجة نهائية لبحثنا هذا. فتجاريبه فى علم الضوء معروفة، وقد شرحها بمهارة زميلى الأستاذ مصطفى نظيف بك، ولا نزاع فى أننا متفقون فى التفريق بين الهندسة كجزء من علم الرياضة وبينها كمجموعة لأعمال فنية أو إنشائية. إنما يُعرف المهندس بآثاره الإنشائية أكثر من أثره فى التأليف.

فأحوتب مهندس الملك زوسر بانى هرم سقارة، مهندس كشف عن استعمال «الطوبة» وهى تدعو للإعجاب؛ وكيف لا نعجب له حين عرف كيف يُكوِّن من اللِبِن والحجارة أشكالاً منتظمة، أشكالاً ذات طول وعرض وارتفاع، فيها كل هندسة إقليدس. وأكتنيوس ومساعده كليكراتس، عند ما شيدا البارثينون Partinon أهم معبد فوق الأكروبول، وهو الذى تم تحت إشراف النحات المعروف فيدياس فى عهد بركليس الذهبى، كانا مهندسين عظيمين، فإن عملهما الإنشائى لا يزال إلى اليوم جديراً بالتقدير؛ وجارنييه Garnier بانى أوبرا باريس وإيفيل الذى شيد بها البرج المعروف مهندسان أحدهما فى العمارة والثانى فى الإنشاءات الحديدية وكلاهما باعث دهشة. تُرى هل كان لابن الهيثم من عمل إنشائى يضمه بين المهندسين الذين يذكرهم التاريخ؟ هذا ما لم يقم دليل عليه كما لم يقم دليل على بطلانه، ومع ذلك فهو صاحب كتاب العقود الذى لم نعثر عليه لنتبيّن غاية ما بلغه من التقدم فى أعمال ما زالت أهم ما يقابل المهندس عند تصميم القناطر والخزانات والأبنية الكبيرة

ولسنا نغض بهذا من شأن ابن الهيثم كمهندس وهو الذى بين تصانيفه كتب عديدة تمت إلى علم الهندسة وتبحث فى علم المساحة والتخطيط، وقد ذكر الكثير منها الدكتور مشرفة بك، وأضيف إلى ما ذكره كتاب العقود، وكتاب أصول المساحة، واستخراج أربعة خطوط، وحساب الخطين، وحلل الحساب الهندسى، ومسألته فى المساحة وغيرها

نرى هل خرج ابن الهيثم من مجال التأليف إلى مجال الإنشاء؟ يغلب على ظننا ذلك، وقد يدلنا التاريخ أو البحث يوماً عن آثار له فى هذا، فإن شهرته كمهندس بلغت من الذيوع والانتشار ماجعل الحاكم صاحب مصر من العلويين يتوق إلى رؤيته، وقد نقل له

(*) محاضرة ألقيت فى الاجتماع التخليدى الذى عقد بالجامعة المصرية لذكرى هذا العالم الذى عاش بالقاهرة

عن ابن الهيثم أنه قال : « لو كنت فى مصر لعملت فى نيلها عملاً يحصل منه النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فقد بلغنى أنه ينحدر من موضع عال وهو فى طرف الإقليم المصرى » فازداد الحاكم شوقاً إليه وأرسل فى طلبه ورغّبه فى الحضور ؛ فشدّ ابن الهيثم رحاله إلى مصر ولما بلغها خرج الحاكم للقائه على باب القاهرة وأمر بإكرامه ، وطالبه بما وعد به من أمر النيل ؛ فسار ومعه جماعة من الصناع ليستعين بهم على ما خطر له ، فلما جال الاقليم بطوله وتبين آثار الأقدمين ، وهى تعد بدعة فى الصناعة وآية فى الهندسة ، تحقق أن الذى يقصد إليه خارج عن طوقه ، فإن من تقدموه لم يكن ليغيب عنهم علم ما يعلم ولو أمكن لفعلوا ، ففترت همته ، ووهنت عزيمته ، ووصل إلى موضع الشلالات بعد أسوان وعاينه واختبره فوجد أنه يختلف عما كان قد فكر فيه ، وتحقق الخطأ فيما وعد به واعتذر للحاكم

وليست هذه الواقعة التى سردها بعض المؤلفين لتُقلل من شأن الرجل العالم الذى نحتفل بذكراه ، ففى بناء هيكل المعرفة خطا ابن الهيثم المهندس البصرى الخطوة الكبرى إلى الأمام ، وكان ممن وضعوا حجراً أساسياً فى العلوم تتوارثه جيلاً بعد جيل

***

جيل يتلو جيلاً ، جيل يَتصرّم ويحل جيل ، وطوى الزمن تسعمائة عام على هذا العالم ، تغيّر خلالها وجه الأرض ، وحلت مدنية تختلف عما تقدمها من مدنيات ، وعصر لا يشبه ما خلا من عصور ، وألفينا أنفسنا أمام صورة جديدة للفن الهندسى ارتبط بالتقدم العلمى ارتباطاً وثيقاً وتفرّعت الهندسة فى غير العمارة إلى هندسة آليّة وكهربائية بل وموجيّة ، وأثّر هذا فى مقدرتنا على العمل وأثرنا فى الإنتاج ، ولو أننا نظرنا إلى أحد هذه الفروع وإلى الهندسة الموجية لوجدنا أننا وصلنا إلى نتائج تستوجب النظر

أولاً : فى الانتشار الصوتى وعلى مَتنِ الأسلاك يستطيع أن يتخاطب بالتليفون مئات الأشخاص أو أكثر على سلك نحاسى واحد فى وقت واحد ، أمر يحدث اليوم بين العواصم الكبيرة . أذكر على سبيل المثال الخط بين لندرة وبرمنجهام ، حيث يتكلم على سلكين للمخاطبات التليفونية وُضِعَ بجانبهما سلكان للتوسع المنتظر فى استعمال التليفزيون حوالى ٣٥٠ شخصاً فى آن واحد ، ويفهم كل منهم أخاه دون أن تختلط هذه الأصوات العديدة . بل أرجع السامع إلى محاضرات فورتيسكيو Fortescue أستاذ جامعة لندن عند زيارته لكلية الهندسة العام الماضى بدعوة من العميد ، بل أحِيلُه إلى ظواهر يعرفها منذ عدة سنين كل الذين شغلوا أنفسهم فى المختبرات بظاهرة الانتخاب فى الظواهر الدورية

ثانياً ، فى الانتشار الموجى والتبادل الضوئى الكهربائى استطاع الإنسان أن ينقل الصور الفوتغرافية إلى مسافات بعيدة ، دون استعمال الأسلاك ، وكان تطبيق ذلك فى نقل الرسائل فى الصين بلغتهم المعروفة بحروفها العديدة مما يدعو للاعجاب ، وهو الإعجاب الذى استولى على كل منا عند ما طالعنا من أربعة أيام فى الصحف كيف نقلت باللاسلكى الصور الفوتغرافية للحوادث البحرية التى جرت فى الأورجواى ، وهى الحوادث الخاصة بالبارجة « فون شبيه » وكيف رأى البرلينيون صورها ولم يمر على أخذ الصور التى يبعد مكانها عنهم بنصف محيط الأرض إلا كسر ضئيل من الثانية

ثالثاً : فى الانتشار الكهربائى استطاع الإنسان بغير أسلاك أن يسمع الأصوات ويتكلم على مسافات بعيدة تبلغ محيط الأرض بل استطاع أخيراً أن يرى عن بعد الأشياء المتحركة كما لو كانت أمامه

هذا ما حدث من الهندسة التطبيقية ، ولقد كانت خطوات العلوم البحتة أوسع بكثير من هذه ، وجرى العلم الحديث شوطاً لم تستطع الهندسة التطبيقية أن تلاصقه فيه : ثمة اكتشافان عظيمان ، النشاط الأشعاعى والتفتت الذرى . تُرى ماذا سيحدثه الإنسان الدائب التفكير الموفور الذكاء فى أثرهما من تطبيقات تنشأ عنها مدنية تختلف عن مدنيتنا جدّ الاختلاف بل تختلف عن كل ما عهدناه من مدنيات .

أو يصبح عصر الكمّ والنسبية والموجية الذى نعيش فيه بداية لعصر أعظم شأواً وأهم قدراً وأعجب فى الحوادث ؟

إنما يلزم لذلك أناس أذكياء تعودوا الإقامة فى المختبرات والتردد على دور الكتب ؛ هؤلاء الذين أسميهم أنصار الإنسان موجودون وموجودون دائماً

عند ذلك يختلف المهد ، وينظر اللاحقون لنا نظرة جيلنا لزمان ابن الهيثم . ومع ذلك وبعد الذى ذكرناه لا يجوز لنا

أن نذهب فى المبالغة شوطاً بعيداً لما حدث بعد عهده ، فإن المواد ما زالت تُستعمَل فى عصرنا على النحو الذى عرفه ابن الهيثم ، بل إن هندسة أقليدس القديمة ونظرياته الأربع والعشرين المعروفة التى كانت حجر الزاوية لكل معارفنا الحالية هى الهندسة ذاتها التى تعلمها ابن الهيثم وعرفها وجدد فيها ونقلها قوية مجددة للأجيال التى تلته

إن الخط المستقيم والدائرة والمثلث وعلم الهندسة وعلم المساحة وما يتعلق بكل هذا من نظريات كان لازماً لنستمتع بما نستمتع به اليوم ، وكان من اللازم وجود أمثال ابن الهيثم ليرى الإنسان بعده جاليليه ونيوتن وإلا صادف عصراً بدائيًّا لا يصلح للتجديد

نعم إن المعارف القديمة لم تعد تقدم لنا صورة صحيحة لهذا الكون ، وقد غدت لدينا صورة جديدة تغاير تلك الصورة البسيطة التى عللها لنا الأولون بقوانين بسيطة سواء فى الميكانيكا أو الطبيعة ولا يزال الجامعيون يشهدون يوماً بعد يوم انقلابات فى التفكير ، ويقفون على أوصاف للكون أدق من صورته التى عهدناها حتى عصر ابن الهيثم ، بل عصر جاليليه ونيوتن ؛ فلا مادة بالمعنى القديم ، بل إن المادة جسيمات صغيرة فى حركة دائمة ، وفى هذا الكون المتكون من هذه الدقائق المتحركة لا ضوء هناك ولا لون ولا صوت ، وكل هذه مظاهر لا تختلف إلا بعدد فى الذبذبات والتردد ، والذى نسميه مادة أو ضوء ما هو إلا كهرباء ، بل لافارق بين الطاقة والمادة ، ويمكن القول اليوم إنهما تمتّان إلى أصل واحد ، بل إن المادة ذاتها كهرباء والكهرباء مادة

أجل . إن قوانين هذا العالم المضطرب باتت تختلف وفق صورته الجديدة اختلافاً كبيراً عن القوانين القديمة التى لم يظهر أنها صحيحة إلا لأنها متوسطات للقوانين الحقيقية للعالم ، وقد تعدى هذا الاختلاف فى فهمنا لظواهر العالم كل شيء ، حتى إن القوانين العادية الخاصة بالزمن والحيز اللذين يحكمان العالم باتت تختلف عن التى تعلمناها فى المدارس ، والحيز الذى اعتدنا أن نتصور فيه طوبة أحوتب هو حيز معوج ، والمثلث الذى جرينا على اعتبار أن مجموع زواياه يساوى قائمتين هو فى الواقع ليس كذلك ، والخط الذي اعتدنا اعتباره مستقيما يلتف من النهاية حول نفسه ، والكون الذى اعتبرناه لا نهائياً هو فى الحقيقة محدود ، بل إن الزمن ذاته يحمل فى طياته أغرب القضايا التى تفتقر إلى المعرفة والتعيين

نعم قد حدث هذا كله ، ووصلنا إلى نوع جديد من التفكير والتطور ، ترى ماذا سيكون من أثر المعارف الجديدة فى الإنسان القادم ؟ ومع ذلك فإن هذا النوع من التفكير قد وصل به الإنسان إلى ما وصل إليه لأن البناء كان صالحاً ، كل هذا رتب على هذا النحو لأن المعرفة القديمة كانت عظيمة الأثر ، ولأن ثمة رجالاً كابن الهيثم زرعوا لحصدنا ونزرع اليوم ليحصد الغير .

فى كثير من المحاضرات نشيد بذكر العلماء الحديثين الذين يساهمون فى تشييد صرح العلوم، وقد توجهنا فيما كتبنا هذا العام بمثل هذه التحية لكثير منهم أمثال بلانك وبيران ودى بروى ، وجدير بنا ولا ريب أن نحيي فى هذه القاعة أولئك الأعلام الذى وضعوا أساس الصرح . لهذا أتقدم فى ختام هذه الكلمة بالتحية والإجلال لابن الهيثم ، ولست أيأس من أن يقدره مجلس الجامعة قدره فيقرر إطلاق اسمه على إحدى درجات كلية العلوم

لشد ما يتزايد الميراث العلمى، ولشد ما يشتغل أنصار الإنسان!

فى مزاد للكتب كان فى القاهرة هذا الأسبوع تصفحت الكراسة التى تحوى أسماء الكتب والمؤلفين فإذا بها ما يزيد على عشرين ألف مجلد فى الأدب ، إنما لفت نظرى العدد الكبير من الأسفار للمؤلف الواحد، وقلت فى نفسى: من أين الوقت لإخراج هذا الميراث ، فلكليمنسو ١١ مؤلفاً من هذه المكتبة الخاصة ، ولديهامل Duhamel ٢٨ ، وللكاتب موروا ٢٤ ولغيرهم الكثير ؛ ولما رأيت أن لابن الهيثم ما يربو على السبعين سفراً ، وأن من بينها ما له القيمة التى ذكرها إخوانى ، أدركت حقًّا أننا بصدد عالم كبير جدير بهذا الاجتماع العظيم

محمد محمود غالى

دكتوراه الدولة فى العلوم الطبيعية من السوربون

ليسانس العلوم التعليمية. ليسانس العلوم الحرة. دبلوم المهندسخانة



الاغـمـاء !...

أقصوصة مصرية

[مهداة إلى الأستاذ محمود بك تيمور]

بقلم الأستاذ خليل شيبوب

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

زارتنى سلمى مرة فى مكتبى وطلبت منى أن أصطحبها إلى مكتب زوجها ، ففعلت ، ولما كنا فى الشارع ، علّقت يمناها بيسراى كأن ذلك طبيعى بيننا ، ولم يظهر على وجهها أى استغراب لما فعلته ، وصارت إذا جزنا عرض الشارع من رصيف إلى رصيف احتمت بى من السيارات المسرعة ، وشدت بذراعها على ذراعى فى حركة عصبية عنيفة

وصرت أفكر طويلاً ، هل بدر منى شىء يدل على رغبتى فى استدراجها إلى ، لأن سلوكها معى لم يعد يحتمل الشك فى رغبتها فى استدراجى إليها ؟ ووقفت حائراً بين أن أفقد صديقين أحبهما حب الإخلاص الصحيح ، وبين أن أخون صديقاً ألفته منذ الصبا وأحول صداقة فتاة عرفتها متدارية بثياب والدتها ووالدتى ، إلى حب لا أقدر مداه ولا نتيجته

وكانت كل هذه الأمور تجرى وسلمى لم تحرك شفتها مرة واحدة بكلمة ملتوية ، ولا تنهدت مرة واحدة فى وجهى ، ولا لمست مرة واحدة يدى لمسةً تحتمل تفسيراً أو تأويلاً . ولكن سرعان ما زحمتنى الحوادث وبعدت بى عن تلك الحياة الطيبة التى أذكرها اليوم والأسى يملأ صدرى ، والدمع يكاد يتفجر من مقلتى

أجل خاطبتنى سلمى بالتليفون تقول : ألا تشرب الشاى معنا اليوم فإنى بانتظارك فى الساعة الخامسة تماماً لعلنا نخرج فى السادسة والنصف إلى السينما

وإنى اليوم بعد طول العهد لا أزال أرانى نازلاً من العربة أمام باب الحديقة سائراً فى الممشى القصير إلى باب المنزل أقرعه قرعة تعرفها الخادمة فتخف إلى الباب تفتحه وأدخل إلى القاعة التى ألفت كل أثاث من مفروشاتها . فهذه مقاعدها الذهبية وحريرها الأحمر المجزع بالبياض ، وهذه خزانة البلور التى حفلت بقطع النفائس التى يتأنق عزيز فى اقتنائها ، وهذه مائدة الرخام المستديرة عليها طاقة الورد الصناعى ، وهذه الرسوم المعلقة التى أعرفها وتعرفنى ، وأحسن ما فيها صورة سلمى الزيتية متقنة كل الإتقان أما صورة عزيز ففيها سطور غامضة والنور منعكس عليها من فوق بينما وجب على الرسام أن يعكسه عن اليمين ، وطالما تناقشنا فى هذا الرسم وبحثنا فى نظرية النور والمنظر . وهذا صندوق اللفائف مصنوعا من الآبنوس الملبس بالأصداف أتناول منه واحدة أشعلها وأقف أمام النافذة المطلة على المحمودية أنظر مياهها الكدرة المتدفقة إذ كنا فى أول سبتمبر وفيضان النيل على أشده

نعم لا أزال أفكر فى هذا كله كأنى أراه الآن ماثلاً أمام عينى. ثم طال انتظارى فقرعت الجرس وجاءت الخادمة ، فقلت لها: أين الجماعة ؟... فأجابت : إن سيدتى ترتدى ثيابها، وأما الأستاذ فقد ذهب منذ هنيهة. ثم نظرت إلى الخادمة نظرة لم أرتح لها. وماهى إلا ثوان معدودة حتى جاءت سلمى يموج جسمها فى دثار يابانى قد التفت به حاسرة عن ذراعيها وصدرها . وقد صففت شعرها

وعقصته بمشط لين العاج قد انتظمت على حافته حجارة مبرقة ، وأصلحت من شأنها فى كثير من الاختصار والانسجام . فما أن رأتنى حتى مدت إلىّ يدها مصافحة، وقالت وهى تبتسم عن مثل اللآلىء صفاء : عفواً لقد جرى مالم يكن فى حسابى، فإن عزيزاً قد استدعى فجأة لأمرهام وهو يأسف لأنه لا يعود قبل الساعة الثامنة . وقد أوصانى أن أحتبسك حتى عودته لنصل جلسة بعد الظهر بالسهرة ...

ولم أجد غرابة فى هذا كله بل وجدته طبيعياً وقلت لها : لعلك لولا حضورى كنت تخرجين مساء . قالت : لا وحقك إنى متعبة فاجلس نثرثر قليلاً ...

وأخذنا فى حديث عن الفيضان والبعوض ، وكانت سلمى تقول إنها لم تعد تطيق السكنى فى هذا المنزل وإنها سوف تنتقل إلى ضاحية الرمل حيث أكثر الأصدقاء والمعارف، ثم اندفعت فى امتداح ضاحية الرمل بينما كانت الخادمة تحضر مائدة الشاى ، فأصبت كوباً منه وأكلت قطعة من الحلوى ، وقدمت إلى سلمى لفافة من التبغ شرعت فى تدخينها ، وقد قامت وقعدت مراراً تستحضر إما منديلاً أو صحفة أو ملعقة ، ورأيت فى تثنيها شيئاً من التصنع والارتباك ، ثم نادت الخادمة وقالت لها : إنه يمكنها الانصراف على أن تكون فى المنزل فى حدود الساعة الثامنة

وشدت سلمى ثوبها على جسمها ، وقعدت بجانبى ، فصور الثوب أعضاء جسمها تفصيلاً ، وهبّت منها رائحة عبقة تغلغلت فى دماغى ، ثم مدت ذراعها وألقتها على ظهر المقعد ورائى دون أن تمسنى ، ونظرت إلىّ نظرة كدت أستريب منها وقالت : ما رأيك فى كأس من الكونياك ؟ ولم تتم كلمها حتى وثبت إلى غرفة الطعام ، وفتحت خزانة واستحضرت منها زجاجة وهى تقول : إن هذه الزجاجة تزعم أن هذا الكونياك كان شراب نابليون

فضحكت وقلت : ونحن الآن نقلد نابليون بشربه

وسكبت لى كأساً ومثلها لنفسها فشربنا وقد تذوقت الكأس وأعجبت بجودة الصنف فعلاً ، أما هى فترشفت نصف كأسها ، ثم سكبت لى الثانية

وقد جرى هذا كله فى سهولة وبساطة ، وسلمى تقول : إن خياطتها أصبحت من الطمع بحيث صارت تفكر فى استبدالها وقالت : إنها خاطت لها قميصاً من الحرير هو هذا الذى تلبسه — ثم كشفت دثارها عنه فإذا به يضم نهديها إلى ركبتيها فى تموج غريب — وإنها تقاضت منها أجرة وكلفة لا يحتملها القميص .

وكنت تجرعت الكأس الثانيـة فسكبت لى كأساً ثالثة رفضتها رفضاً قاطعاً لكنها لم تصغ إلىّ . ومضت فى حديثها عن القميص بينما أخذت أتمصص الكأس ، ثم وقفت أنظر إليها مصغياً إلى حديثها أقول : أنتن السيدات لا تعرفن اهتماماً إلا بهذه الخرق الحريرية . . . فقالت : ألا يعجبك حرير هـذا القميص . فابتسمت ، فإذا بها واقفة حيالى فاترة العينين ملتهبة الخدين ، ثم رفعت ذراعها إلى جبينها وهى تقول : لا أدرى ما بى ... لعل هذا الكونياك قد دار رأسى به . فقلت: لا عليك اجلسى . ولكنها تثنت قليلاً وقالت كأنها تريد أن تصيح : فريد ! فريد ! اسندنى إليك . . .

فذعرت كل الذعر؛ وما أن أسندتها إلىّ حتى استرخت بين يدى وضمتنى إليها متعلقة بى متثاقلة بجسمها علىّ وأنا أدفع بها فى لطف وتؤدة حتى أجلستها على المقعد وقد تلاصقت بى تلاصقاً غريباً وشدتنى إلى صدرها شدًّا عنيفاً

وأردت أن أهرع إلى حيث أستحضر لها كوباً من الماء، ولكن تعلقها بى منعنى من ذلك . ولا أدرى لماذا خطر لى فى إبراق عجيب ذاك الحادث الذى حدثنى به زوجها عن تصنع الإغماء . فرأيتنى فى موقف مدهش يقتضينى بتًّا سريعاً: إما الخيانة ومسايرتها أو القطيعة والجفاء . وكان دمى يفور ويغلى والعرق يتصبب منى ولا أعرف كيف ولا لماذا قلت لها :

— إياك أن يغمى عليك فإنى حينئذ أستدعى لك الأسعاف .

ولا شك أنها سمعت كلامي ولم تأبه له وحسبت أ كبر حساب لغريزة الرجل فأصرت على إغمائها، وتلطفت في التملص منها وتباعدت عنها ونسيت الماء والكوب والأسعاف وبقيت واقفاً حائراً، وسلمى قد فتحت دثارها وكشفت قميصها وزاد خفقان صدرها ثم أنَّت قليلاً في خفوت واختناق ثم لزمت الهدوء

فأشعلت لفافة من التبغ وصرت أذرع الغرفة ذهاباً وإياباً وأنا لا أعي ما أطأ حتى عيل صبري . وكلما طال انتظاري وتمادت في غيبوبتها كان الغضب يطرد في صدري وتقوى عوامل الشرف والصداقة والإخلاص ، حتى رأيتني واقفاً أقول :

— هذه مهزلة مألوفة وليس مثلك من يمثلها مع مثلي . ونحن أصدقاء العمر فقد أخطأ حسابك ، وإذا كنت أتقنت مثل هذه المهازل فجربيها مع سواي

وإني لأذكر تمام الذكر أن سلمى انتفضت عن مقعدها كالنمرة الضارية ، ثم لمَّت دثارها والتفت به ووقفت في وجهي تلهث من الخيبة وتحدجني بلحظ يتقد غيظاً وقالت وهي تتلظى غضباً :

— أنت رجل مغفَّل

***

واليوم إذ أستعيد هذه الذكريات أحاول عبثاً أن أستبين كيف مضت الأيام التي تلت هذا الحادث وكيف نزلت بي حمى شديدة استوجبت نقلي إلى المستشفى حيث قضيت أشهراً بين الموت والحياة علمت بعدها أنه لم تعدني فيها سلمى ولا زوجها . وقد فتَّت الحمى في عزيمتي وغادرتني شائب الرأس مهدوم الجسم ؛ وهأنذا اليوم بعد خمس سنين أراني قد انحدرت بي السن أشنع انحدار وتوغلت في الكهولة أيما توغل .

وفي كل هذه المدة لم تقع عيني على الأستاذ عزيز سامي ولا على زوجته سلمى، ولكنني لا أزال أذكر والأسى يملأ صدري والدمع يكاد يتفجر من مقلتي أنني كنت صديقاً حميا للأستاذ عزيز سامي ولزوجته سلمى

(الأسكندرية) خليل شيبوب

الشيطان ذو الأجنحة

إن لسكان جزيرة سيلان أسطورة مقدسة تخبر بالشر عن تاريخ سيلان مدة تزيد على أربعة وعشرين جيلا ويستنتج من هذه الأسطورة أن الجزيرة التي زارها بوذا مراراً كي ينشر فيها تعاليمه بنفسه مرت بعهود من الرفاهية لم تعرف مثلها إلى ذلك الوقت ومن المحتمل أن يكون سكانها أكثر عدداً من الآن فآثار الهياكل الكثيرة والبحيرات الاصطناعية التي أهملوها لا تزال برهانا على ذلك .

ولا داعي للبحث بعيداً جداً عن أسباب نقص عدد السكان فالجزيرة المباركة قد اجتاحها مراراً المرض الوبائي بقساوة فإن أهالي الجزيرة وكذلك أيضا البرتغاليين الذين احتلوها في الجيل السادس عشر والهولانديين الذين طردوا هؤلاء وأخيراً الانجليز الذين ملكوا بعد ذلك سيلان قد قاسوا كثيراً من تفشى هذا الوباء وقد نشر الهولنديون أيضا سنة ١٦٤٧ خريطة من سيلان وقد تركت مناطق كاملة بيضاء مع أنه لم يكن المقصود من ذلك أنها أراض مجهولة إذ كان الانسان يقرأ على هذه البقع البيضاء هذه الكلمات التي لا تدع مجالا للشك جهات أقفرها المرض .

ففي سنة ٢٣٨ مسيحية على عهد « د هامابو » قد اجتاحت الحميات والأمراض هذه المناطق وأهلكت السكان على مايؤكده الرواة في سيلان بدرجة أنهم عجزوا عن أن يزرعوا الأرز وقد نتج عن ذلك مجاعة طويلة المدى فنسبوا هذه البلية إلى خبث الشيطان ذي الجوائح وسعوا لتجنبه بواسطة الرقص حسب الطقوس الدينية ولكن الرواة يؤكدون أن سكان سيلان لم يجدوا السعادة مع ذلك طالما أن الشيطان ذو الأجنحة السوداء لم يقتل بعد .

وقد قامت الحكومة الانجليزية بمحاربة بعوض الملاريا بنشاط كبير في سيلان يمكن الانسان أن يأمل الآن بعد ثمانية عشر جيلا بأن الساعة قد حانت أخيراً كي يرى نهاية حكم الشيطان ذي الجوائح كما يقول الرواة وقد بنوا أيضا مستشفيات كثيرة وفي بحر هذه السنوات الأخيرة عند ما عمت الملاريا بشكل وبائي قد وزعوا مراراً ألوف الجرامات من الكينا خلال ستة أشهر إما على سبيل الوقاية وإما على سبيل التداوي والطريقة التي تصفها لجنة الملاريا في جمعية الأمم تتلخص في تطبيق العلاج السريع بالكينا أي مقدار جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام يوميا مدة خمسة أو سبعة أيام وهي سلاح قوي لشعب يجند بأكمله ضد الشيطان ذي الأجنحة وتوصي على سبيل الوقاية بأخذ ٤٠٠ ملليجرام من الكينا يوميا طول مدة موسم الحميات.

من هنا ومن هناك

هتلر والهتلرية

[من تقرير السفير البريطانى ببرلين « سابقا »]

ظهر الهر هتلر والاشتراكية الوطنية نتيجة لهزيمة أمة كبيرة فى الحرب وما تبع هذه الهزيمة من الفوضى واليأس . والاشتراكية الوطنية فى ذاتها ثورة ، وهى كذلك مذهب فى الفلسفة الوطنية وعلى النقيض من الديمقراطية التى تجعل الحكومة خاضعة للجمهور تقوم النازية على جعل الجمهور تابعاً للحكومة خاضعاً لها بل للفرد الوحيد الذى يدير دفتها

كان العالم خارج الحدود الألمانية ، لا ينظر إلى الاشتراكية الوطنية بكثير من الاهتمام ما دام أمرها مقصوراً على داخلية البلاد. وكان بعض الناس يذهبون إلى نقد صاحب هذه الحركة وبعضهم إلى استحسانه وبعضهم يراقب حركاته بشىء من القلق ؛ ولكن الحكومة الألمانية كانت على الدوام شأناً من شئون الشعب الألمانى وحده . فلما انتقلت نظرية الوطنية الألمانية خارج الجبهة الألمانية بدأت الفلسفة النازية تبرز رأسها خارج حدود السلام

ومن الجهل أن ننكر الإصلاحات التى قام بها ذلك الرجل الذى يقود ألمانيا اليوم داخل بلاده . إلا أن الوسائل الظالمة التى اتبعت فى سبيل تنفيذها كانت مما يمجه الذوق الإنسانى ، وإن كانت لاتهم أحداً غير الألمان

ولم يكن ضم النمسا والسوديت الألمانى هو الذى أثار شعور الكراهية ضد الهر هتلر ، وحرك ضده الرأى العام فى جميع أنحاء العالم . فإن العالم الذى ذاق مضاضة الحرب ١٩١٤ — ١٩١٨ كان على استعداد لاحتمال ذلك . فقد كان منتظراً أن تضم إليه تلك البلاد طائعة مختارة ولا يمس السلم بشىء . إلا أن هتلر لم يكن ليقبل الاعتراف بحقوق الغير التى يريد أن يغتصبها لألمانيا ... والثورة آلة طائشة ، إذا تحركت لا تقف ، حتى تصل إلى النهاية التى تتحطم عندها . والتاريخ وحده هو الذى سيقول إذا كان فى مقدور الهر هتلر أن يسير بالنازية فى الطريق المعتدل القويم ، أو أنه كان ضحية الحركة التى بدأها ، أو أن نوعاً من جنون العظمة هو الذى دفع به إلى تلك النهاية التى كانت المدنية على استعداد لمجابهتها

خلقان لا يفارقان طبيعة الألمانى : عجزه عن إدراك أمر من الأمور إلا من وجهة نظره الخاصة ، وقصوره عن فهم معنى الاعتدال

إن مأساة الدكتاتور كائناً من كان ، هى أنه بتقييده حرية الرأى ، يفقد معونة خير رجاله وأصلحهم ، وأنه لا يحتمل معارضة أى إنسان . فكل من وهبهم الله شيئاً من الشجاعة لإبداء آراء مخالفة لوجهة النظر التى يراها ، يضحى بهم واحداً بعد الآخر ، حتى يصبح وليس معه إلا بعض الأفراد المتملقين الذين لا يعرفون غير كلمة « نعم » فى سائر الأحوال

وإذا كان الدكتاتور يتأثر إلى حد ما بمن يلتفون حوله ، فإن الهر هتلر لا يعتمد إلا على رأيه فى كل ما يتوجه إليه . وقد قال لى « الفيلد مارشال جورنج » ذات مرة : نحن عند البت فى أمر من الأمور لا نكون إلا كالحجر الذى تقف عليه الآن ، فالفوهرر وحده يرجع البت فى كافة الشؤون ...

يجب أن يتحرر التشيك

« لماذا يجب أن يتحرر التشيك ؟ » : هذا عنوان رسالة للاتحاد الوطنى التشيكوسلوفاكى بأمريكا جاء فيها : التشيكوسلاف أمة قديمة فى أوربا ، يرجع تاريخهم إلى العصر المسيحى القديم .

وهم جزء من ذلك العنصر السلوفى الذى حكم أواسط أوربا يوماً ما ، وامتد ملكه إلى حدود نهر الألب وجبال الألب من الناحية الغربية ، وبحرى البلطيق والإدرياتيك من ناحيتى الشمال والجنوب ...

والثقافة التشيكية تعادل أرقى الثقافات التى ظهرت فى قارة أوربا . فقد أتيح لها أن تجمع كثيراً من المدنيات العظيمة ، فحملت شجرتها للعالم ثمار المدنيات البيزنطية والألمانية والفرنسية وللتشيك أثر عميق فى المدنية الأوربية ، وعلى الأخص العصور الوسطى وفجر العصور الحديثة ، وقد كان الشعب التشيكى فيما بين القرن الثالث عشر والقرن الخامس عشر عاملا هاما فى حمل رسالة القرون الوسطى ، وكان ملوك « التشيك » رءوس الامبراطورية

الرومانية المقدسة، ولهذه المملكة الفخر فى إنشاء أول كلية فى أواسط أوربا؛ ولمركزها الممتاز بين مختلف الدول كان لها أعظم شأن فى عالم التجارة وبيوت الأموال؛ وقد انتعشت فيها الفنون والعلوم بانتعاش الحالة المالية وتوفر أسباب الترف والعيش الرغيدين للأهلين

كان التشيك فى القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر أبطال حرية الفرد وأنصار الديمقراطية الصحيحة . وكان (جورج بودبراد) ملك التشيك ، يدعى دائماً لفض الخلاف الذى يقع بين الألمان أو السادة المنجاريين ، وكان فى مقدمة رجال السياسة الأوربية الذين يدعون إلى فكرة الاتحاد الدولى لحمى السلام من الأفراد والممالك ، وإيجاد رابطة قوية منهم لحماية القانون والنظام العام

ولما فقد التشيك حريتهم فى عام ١٦٢٠ نجحوا فى الاحتفاظ بلغتهم وثقافتهم وتقاليدهم على الرغم من المظالم التى أحدقت بهم . وقد أخرجوا إلى العالم فى تلك الفترة المظلمة فى تاريخهم (كومنسكى) المشهور ، وهو من أكبر رجال التربية الذين عرفهم التاريخ

ولما كان القرن التاسع عشر وضع التشيك لأنفسهم مبادئ عملية لنيل حقوقهم السياسية والوطنية وكانت الديمقراطية والسلم رائدهم فى كل الخطوات، وقد برهنوا دائماً على مقدرتهم على حكم أنفسهم . وكانوا على الدوام أصدقاء مخلصين وجيرة مسالمين . عرف عن بلادهم أنها ترحب دائماً بالمظلومين والمضطهدين الذين يأوون إليها من البلاد الأخرى

فالتشكوسلافيون ليسوا حديثين فى أواسط أوربا ، ولهم حضارة قديمة لا تنكر وأثر خاص فى الثقافة الأوربية على وجه العموم ؛ وقد برهنوا فى حياتهم القديمة وحياتهم الحديثة على مقدرتهم على السير إلى الأمام، والتغلب على القوى المنافسة . وساروا خطوة خطوة مع تقدم الحالة الثقافية والسياسية فى أنحاء العالم . وجعلوا مبادئ مزاريك الإنسانية أساساً لمعاملاتهم فيما بينهم ومابينهم وبين العالم ، وهى مبادئ تقوم على حب الخير والشرف والتواضع

الرجل الذى يرهبه هتلر

[من « ورلد بجازين »]

من هو الشخص الذى يسند بيده الحديدية عرش هتلر ويحمل وزر تلك الأعمال القذرة ، من هو الشخص الذى يدير دفة الحركة النازية فى الحياة العملية ؟ الجواب : هو هنريك هملر رئيس قوة (الجستابو) الرهيب (البوليس السرى) و (الجستابو) ذلك الجيش الذى يتسلط على الأهلين فى ألمانيا بجواسيسه ورجاله السفاحين ، قد جعل من رئيسه (هنريك هملر) أكبر الطغاة الظالمين فى العصر الحديث . وقد تبوأ هملر مركزه من العصابة الهتلرية حين استولى هتلر على الحكم فى ألمانيا سنة ١٩٣٣ وكان إذ ذاك فى الثالثة والثلاثين من عمره ، ومنذ ذلك الوقت وهو منساق فى تيار الظلم والإرهاب بغير هوادة أو تردد

فقام بعملية التطهير فى الحزب النازى ، وقضى على الرئيس الأعلى للجيش ، وسلط النار والحديد على اليهود . فإذا نظرنا إلى أعماله وأنعمنا النظر قليلاً فى تاريخه الحافل بالمخازى لم نشك مطلقاً فى أنه يضرب بسهمين على الدوام ، فقد كان والده مدرساً بمدرسة كاثوليكية فى ميونخ وتربى تربية كاثوليكية واليوم هو يحارب الكنيسة الكاثوليكية بغير رحمة ، ويضطهد رجالها بغير وازع أو رادع ، إلى درجة لا يجاريه فيها رجل فى أوربا غير ستالين

وقد تطوع فى الحرب العظمى سنة ١٩١٧ ، ولكنه عمل على أن يكون دائماً بعيداً عن خطوط الدفاع . والتحق بجماعة هتلر — التى كان نصيبها السقوط — عام ١٩٢٣ ، ولكن سرعان ما ابتعد عن ناحية المخاطر ، فلم يدع للمحاكمة ، وكان أول عمل كبير التحق به هو اشتغاله سكرتيراً خاصاً « لجرجورستربر » ، وقد أثنى هذا على مواهبه ، وتوسط إلى هتلر فى تعيينه رئيساً لفرقة من القمصان السود ، فلما كانت سنة ١٩٣٤ صوب فريق هذه القمصان رصاص بنادقهم إلى صدر ستربر بأمر هملر فى « حمام الدماء » المعروف ... وقد كان « روهم » صديقاً حميماً له فى فرق العاصفة ، ولكن هملر كان الرجل الذى نفذ إطلاق الرصاص على روهم تحت إشرافه فى « ليلة الدماء »

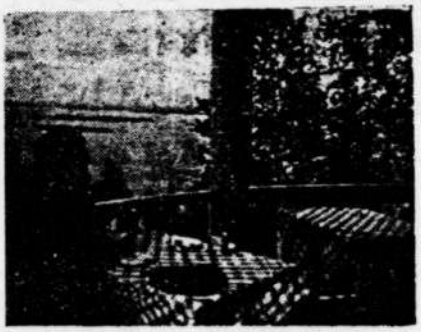
وقد عينه هتلر لتأليف فرقة قوية ، تقوم تحت إشرافه لحمايته شخصياً فلم ينته ذلك العام حتى كان لديه ١٠٠٫٠٠٠ رجل لهذا الغرض . وقد أسس هملر فريق (الجستابو) بعد ذلك ونظم له المعسكرات وأعده بالمعدات . وأوجد للريخ منه ١٣٨٫٤٧٠ رجل عام ١٩٣٣ ، وبلغ عدد الرجال الذين هم تحت إمرته اليوم ٤٣٧٠٠٠ رجل بنسبة رجل لكل ١٣٥ نفساً من سكان ألمانيا. وللجستابو قوة قاهرة فى حياة ألمانيا اليوم ، فلا يخلو من رجالهم ناد ولا يخلو منهم مصنع . ويبث بوليس (الجيستابو) فى المصالح والوزارات بما فيها وزارة الحربية ووزارة الخارجية ، وتصدر عنه التقارير إلى هملر كل يوم . مثل هذا الرجل لا غنى عنه للدكتاتور ما دام قائماً بواجباته ، ولكن هملر معروف بأنه يضرب بسهمين على الدوام ، فإذا انقلب على زعيمه أصبح الأخير فى مركز لا يحسد عليه . وهذا ما لا يجهله هتلر الآن



في شمال فنلندة

كان ذلك في « الزمان الطيّب » ، في مزدهر « الشباب الرّيق » . فررت من مصر في شهر يونية لسنة ١٩٣٤ والحرّ يفتك بالقرائح ، أقصد إلى ألمانية ، ومنها إلى بلدان الشمال . وبعد إقامة قصيرة بأسطونية صعدت إلى هلسنكي عاصمة فنلندة ، ومن هناك أخذت أتنقل في نواحي الشمال بين البحيرات والغابات حتى (بتسامو) عند بحر الشمال الجامد

ولن أحدثك هنا كيف هزّتني تلك الطبيعة الغريبة ، فلي في ذلك كلام يطول . وإنما أريد أن أروي لك قصة أظنها لطيفة ، فأنقلك معي تخيُّلاً إلى بلد هو حديث اليوم في كل مكان ، ردّ الله عنه كيد الظالم العاتي!



الكاتب إلى المائدة في الفندق عند بحيرة في منطقة بتسامو حيث يجرى القتال اليوم

في الطريق الخارج من هلسنكي إلى الشمال عدد من الفنادق ينزل فيها السياح يوماً أو أكثر من يوم . ونزلت مع غيري في فندق نطلب العشاء والنوم ؛ فجعلت أرقب موعد الطعام وأنا أتصفح الملحمة الفنلندية الشعبية « كاليفالا Kalevala » في ترجمة فرنسية . وبينا عيناي في الكتاب إذا فتاة تذهب وتجيء وفي يديها أطباق وأكواب فتنضدها على مائدة مبسوطة . وكانت كلما دنت مني تتمهل في لطف وترسل إلى الكتاب نظرة أو نظرتين ؛ ولما فرغت من عملها أتتني فقالت : عفواً ! أتقرأ « الكاليفالا » ؟ قلت : نعم ، إني أحبّ أن أطّلع على هذه الملحمة الخارجة من غاباتكم وبحيراتكم وهضباتكم . قالت : أتعلم قصتها ؟ قلتُ : أعلم أن (إلياس لونروت) Elias Lönnrot جمعها ونشرها . قالت : هل تحب أن أعلمك القصة كلها ، فهذه الشمس لم تمل بعدُ ؟ قلت : بالله اجلسي وخبريني

فروت لي الفتاة كيف خرج (لونروت) إلى فيافي منطقة (كاريليه) فمكث فيها زمناً يدوّن أغاني المنشدين حتى استقامت له عناصر الملحمة فربط بعضها ببعض وفضل رواية على رواية وأسقط الضعيف والمُعاد والتافه . إلا أنه أقام الملحمة ونظرفها وسوّاها كأنه أحد أولئك المنشدين لاتصاله بهم واستقائه منهم . ثم أخذت الفتاة تحلل لي خصائص « الكاليفالا » ، وجعلت تصف وتبيّن وتستطرد وتعارض في منطق عجيب ودراية نادرة ، حتى إنها ذهبت في الموازنة بين طائفة من أغاني الملحمة وأسطورة أرفيوس الإغريقية . فما كادت تتم حديثها حتى سألتها : من أين لك كل هذا العلم ؟ قالت : إني دكتورة في الآداب من جامعة هلسنكي ، وإنما أجيء هنا في الصيف أطلب الراحة فأخدم في الفندق فأدفع بذلك ثمن ما أطلبه وعلى هذه الحال كثير من زميلاتي



الكاتب وفتاة الفندق

وهنا كان موعد العشاء . فجلست إلى المائدة . وما كانت الفتاة تأتيني لتقضي لي حاجة إلا نهضت أمنعها . فتقول : لِمَ تمنعني من أداء الواجب ؟ أنا هنا لأخدمك . فأقول : لا أدع دكتورة في الآداب تخدمني ، فتضحك من حيائي .

قد كنت نويت فى ذلك اليوم أن أبيت الساعة التاسعة فلم أغمض عينى قبل الواحده . كرّت الساعات وأنا يقظ أستمع إلى أحاديث الفتاة؛ فوقفتنى على تاريخ الثقافة الفنلندية وهو قصير؛ ولم تترك باباً إلا طرقته : موسيقى وتصوير ونحت وأدب وفلسفة .

وكنت أجاذبها الحديث كلما أجرته فى جانب لا أجهله . من ذلك أنى شرحت لها كيف تباعد (وِسْتِرْ مَرْك) العالم الاجتماعى الفنلندى عن الواقع عند كلامه على « المهر » عند العرب فى كتابه : « نشأة المعانى الأخلاقية وتحولها » إذ يرى أن المهر إنما هو تعويض للأب مما بذله فى سبيل تنشئة ابنته

حدثتنى الفتاة عن استواء الثقافة الفنلندية القومية بفضل الموسيقى Sibelius ، والمصور Edelfelt ، والمهندس Paariren ، والقصّاص Sallanpää . وهنا وقفتنى على دقائق الطبيعة الفنلندية ، فتذاكرنا قصة (سالانبا) : « البؤس القدسى » وراجعنا ما فيها من بساطة جليلة وقوة مطمئنة وبصيرة وقّادة

ولما فرغت من حديثها قالت : أحب أن أخبرك بشىء لعلك أن تجهليه . قالت : أيتصل بأمر وطنى ؟ قلت : نعم . قالت : أى شىء يكون ؟ قلت : إن أول كتاب بُسطت فيه جغرافية فنلندة إنما كتب باللغة العربية وصاحبه الشريف الإدريسى واسمه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ؛ وقد نشره من أربع سنين مستشرق من عندكم اسمه (تلجرين توليو) . قالت : وما أدرى العرب بنا ؟ قلت : سمعت رفيقة لك تدعوك سلمى . قالت : هذا اسمى . قلت : هو اسم عربى ولديكم غيره . إن فى نسائكم من تسمى سليمى وعدلة وسوسانة، وفى رجالكم من اسمه: ألى وأمَر وسالم. قالت : هذا حق ! قلت : ذلك زمان اتصال من طريق التجارة . وهذا زمان اتصال من طريق الثقافة . مساء الخير ! وانصرفت. وإذا الفتاة تجعل على الحاكى أسطوانة للموسيقى (سيبيليوس) اسمها : « فنلاندا » أصبت فيها وأنا أعرج فى السلّم كآبة تلك الفيافى الترامية وبطء تلك الثلوج المنسابة فى بحر يريد أن يجمد

بشر فارس

شعراء الشرق والطبيعة الغربية

كتب الأخ الأستاذ محمد عبد الغنى حسن يعقب على الكاتب الذى أشاد بذكر الشاعر العبقرى على محمود طه وينحى عليه باللائمة أنه نسى كثيراً من الشرقيين الذين وصفوا الطبيعة الغربية فى شعرهم

وإنى أعتقد ـ ومعى كثير ـ أن وصف طبيعة الغرب ليست موضع فخر للمصرى ولا للشرق ولا تشرفهما فى كثير أو قليل

وأنا انى حاجة إلى الشاعر الذى يشيد بذكر مصر خاصة والشرق عامة . ومصر ـ بحمد الله ـ جميلة ساحرة ، والشرق كذلك جميل فتان

فمتى ينتقل شعراؤنا الغربيون — رحمهم الله — معازفهم ومزاهرهم ونايانهم من لندن وباريس وروما ، إلى القاهرة ودمشق وبغداد ، حتى يعيدوا إلينا عهد بنتاءور ، والبحترى ، وشوقى وغيرهم من أساطين الشعر فى الشرق . ورحم الله شوقى إذ يقول :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى

محمد عبد المنعم سالم

مدرس بمدرسة الخديو إسماعيل بالاسكندرية

مجلات الاستشراق فى ايطاليا

(١) مجلة الدراسات الشرقية Rivista degli Studi Orientali

تعتبر هذه المجلة العلمية أكبر مجلات الاستشراق فى العالم ، يصدرها أساتذة المدرسة الشرقية فى جامعة روما ، ويقوم بإدارتها كبير المستشرقين الإيطاليين البروفسور مجلنجلو جويدى ، مدير المدرسة الشرقية وأستاذ الأصول الإسلامية فى جامعة روما ومدير المعهد الشرقى فى نابولى وعضو المجمع العلمى الإيطالى

ونشرت هذه المجلة أقوم المباحث العلمية فى الاستشراق لجميع المستشرقين الأوربيين

ومن أهم مباحث أعداد هذا العام ١٩٣٩ المجلد الثامن عشر : فى تفسير جميل بثينة للأستاذ فرنشكو جبريلى أستاذ اللغة والآداب العربية فى جامعة روما

والقصيدة فى الفقهاء لموسى بن عبيد الله بن خاقان : للدكتور باولو بونسكى .

(٢) الشرق الحديث (Oriente Moderno) وهى مجلة شهرية فى الاستعلام والدراسات لتعميم معرفة الشرق ولا سيما الإسلامى يقوم بنشرها « المعهد الشرقى » بروما

وقد أسسها المستشرق الكبير المرحوم نالينو وقام بإدارتها مدة ١٨ عاماً حتى وفاته ؛ وقد خلفه فى الإدارة الأستاذ أتورى روسى ، أستاذ اللغة والآداب التركية فى جامعة روما

وتبحث هذه المجلة ذات المكان الممتاز فى جميع أوساط الاستشراق عن جميع ما يهم حياة الشعوب الشرقية الإسلامية وتنشر كل شهر مختصراً عن الحوادث السياسية والاقتصادية والثقافية فى البلاد الشرقية ، ولا سيما العربيـة ؛ وتنشر جميع الوثائق الرسمية المتعلقة بهذه البلاد . ونذكر هنا بعض أبحاثها فى هذا العام (المجلد التاسع عشر) :

الحقيقة فى مسألة قناة السويس للدكتور انجلو سنمركو . تاريخ نهضة الشعوب العربية فى كتاب حديث لجورج أنطونيوس للمستشرقة فرجينيا فكا . حوادث تركستان الشرقية الأخيرة للبروفسور اتورى رومى . الحركة الوطنية فى منطقة المغرب الأقصى الفرنسية للبروفسور اتورى رومى

(٣) المجلة الشرقية الحقوقية (Rivista giuridica del Medio ed Estremo Oriente)

وهى مجلة حقوقية تبحث فى العلوم والحقوق والتشريع ويديرها المحامى فنشنزو تاورمينا . وهى مجلة شهرية فى عامها الرابع تتناول فى أبحاثها الحقوقيـة ما يتعلق بالشرق المتوسط والشرق الأقصى والمستعمرات . ثم يلى ذلك باب الأخبار التشريعية والحوادث فى الشرق فالمباحث العلمية . وهذه المجلة فريدة فى نوعها فى أوربا (من النشرة الشهرية لمحطة بارى)

عدد سكان الأرض

نشرت عصبة الأمم إحصاء بعدد سكان الكرة الأرضية، وهو إحصاء ناقص، لأنه لم يشتمل على التعداد الصحيح لسكان أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية واستراليا . ويتضح من ذلك الإحصاء أن عدد سكان الكرة الأرضية مليار ان و ١٣٤ مليون نفس . وفيما يلى تعداد بعض البلاد :

الصين ٤٥٠ مليوناً — روسيا ١٧٨ مليوناً — الولايات المتحدة ١٣٠ مليوناً — ألمانيا ٧٩ مليوناً

اليابان ٧٢ مليوناً (يضاف إليهـا ٣١ مليوناً عدد سكان الأراضى الملحقة بها)

بريطانيا العظمى ٤٧ مليوناً (يضاف إليها ٤٩٥ مليوناً عدد سكان مستعمراتها والممتلكات الحرة)

إيطاليا ٤٣ مليوناً (يضاف إليها أكثر من ٨ ملايين فى مستعمراتها)

فرنسا ٤٢ مليوناً (يضاف إليها أكثر من ٧٥ مليوناً فى ممتلكاتها وراء البحار)

بلجيكا ٨ ملايين (يضاف إليها أكثر من ١٤ مليوناً فى مستعمراتها)

هولندا ٨ ملايين (يضاف إليها أكثر من ٦٧ مليوناً فى مستعمراتها)

البرتغال ٧ ملايين (ويضاف إليها أكثر من ١٠ ملايين فى مستعمراتها)

وقد رؤى بعد الحساب أن عدد سكان الكرة الأرضية قد زاد فى خلال سنتين ١٨ مليوناً ...

تصويب

ورد البيت الآتى فى مقال الخوارزمى والبديع هكذا :

لا تنزلنّ بنيسابور مغترباً　　إلا وحبلك موصول بإنسان

وصحته :　　إلا وحبلك موصول بسلطان

علي الجندى

أصل النور

يبحث كثيرون عن أصل النوَر (الغجر) وكيف وصلوا إلى أوربة فلا ينصرفون من بحثهم إلا بالعجز . وقد وقع لى فى بعض مطالعاتى رأى استنتجته من نصوص التاريخ لعل فيه حل هذه المشكلة

فى كتب التاريخ عند الكلام على فتنة الزُّطّ (وهم النور) فى البصرة ، أن أصلهم من أواسط آسيا (غلبوا على طريق البصرة ، وعاثوا فيها ، وأفسدوا البلاد) إلى أن تغلب عليهم قائد المعتصم (عجيف بن عنبسة) واضطرهم إلى التسليم فوجد عدتهم نحو ثلاثين ألفاً بين رجل وامرأة وصبى ، فنقلوا بأمر المعتصم إلى قرية من قرى الثغر فلبثوا فيها إلى سنة ٢٤١ هـ فأغار الروم على القرية وأسروهم جميعاً فاستاقوهم معهم

فهل يمكن أن يكون انتقالهم إلى أوربة من ثمة ؟

هذا افتراض ، ولعل فى أهل هذا الفن من ينتدب لبحثه وقبوله أو رده ...

ع . ط

قصر هشام بن عبد الملك ونقله الى الشام

من أجل الآثار العربية التى تمكنت دار الآثار فى الشام وبعثات التنقيب من كشفها فى ديار الشام ، القصر العربى الأموى الجميل الذى عثر عليه فى طريق تدمر ، وعرف أنه

« قصر الحير » أو قصر هشام بن عبد الملك

وقد نقل هذا القصر من المكان الذى كشف فيه إلى متحف الآثار فى دمشق ، حيث يتوفر المهندسون والعمال على وضعه كما وجدوه دون أن ينقص من بنائه وحجارته وزخرفه وكتابته قليل أو كثير . وقد خصصت لهذه الغاية مبالغ كبيرة من ميزانية متحف الآثار أنفقت عليها حتى الآن ثمانية وثلاثون ألف ليرة سورية

وقد تم بناء نصف هذا القصر ، والأعمال لا تزال مستمرة لإنجاز نصفه الثانى

وشغلت المساحة التى يستوعبها هذا القصر مكاناً لا يقل عن مساحة متحف الآثار كله .

حول ابن تيمية وابن بطوطة

إتماماً لكلمتى المنشورة فى (الجزء ٣٣١ من الرسالة الغراء) وتأييداً لما ذهب إليه الدكتور عبد الوهاب عزام فى (الجزء ٣٣٠) حيث قال : « لا أجد ما يحملنى على تكذيب ابن بطوطة فى أمر يدعى أنه رآه وسمعه » ، أنقل ما أورده العلامة النقاد ابن خلدون فى مقدمته (فى الصفحة ٨٩ من طبعة بولاق) :

واعتبر ذلك بما نقصه عليك من هذه الحكاية المستطرفة ، وذلك أنه ورد المغرب لعهد السلطان أبى عنان من ملوك بنى مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة ، كان رحل منذ عشرين سنة قبلها إلى المشرق وتقلب فى بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلى حاضرة (عاصمة) ملك الهند ، وهو السلطان محمد شاه ، واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروز جوه ، وكان له منه مكان ، واستعمله فى خطة القضاء بمذهب المالكية فى عمله ؛ ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبى عنان . وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الأرض ، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتى من أحواله بما يستغربه السامعون ... وأمثال هذه الحكايات ، فتناجى الناس بتكذيبه . ولقيت أيامئذ وزير السلطان فارس بن وردار البعيد الصيت ففاوضته فى هذا الشأن وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض فى الناس من تكذيبه ؛ فقال لى الوزير فارس : إياك أن تستنكر مثل هذا بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير الناشئ فى السجن ، وذلك أن وزيراً اعتقله سلطانه ومكث فى السجن سنين ربى فيها ابنه فى ذلك المحبس ، فلما أدرك وعقل سأل عن اللحمان التى كان يتغذى بها ؛ فقال له أبوه : هذا لحم الغنم ، فقال : وما الغنم ؟ فيصفها له أبوه بشياتها ونعوتها فيقول : يا أبت تراها مثل الفأر ؟ فينكر عليه ويقول : أين الغنم من الفأر ؟ وكذا فى لحم الإبل والبقر ، إذ لم يعاين فى محبسه من الحيوانات إلا الفأر فيحسبها كلها أبناء جنس الفأر . وهذا كثيراً ما يعترى الناس فى الأخبار كما يعتريهم الوسواس فى الزيادة عند قصد الإغراب ... إلى آخر ما أورده ابن خلدون

سيف الدين الحلبي

تحقيق

قرأت للأستاذ عبد المتعال الصعيدى مقالة : بين الأستاذين أحمد أمين وزكى مبارك ، ولقد استوقفنى فيها شاهد جاء به من الحديث فى ذم الشعر إطلاقاً إذ يقول : لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً . وما كنت لأبدئ أو أعيد لو أن الحديث صحيح ، أما وهو غير ما ذكرت فإنى مورد هنا قصته

فقد جاء فى رسالة « الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة » أن أبا هريرة روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً » ولما بلغ السيدة روايته ارتاعت لها وقالت : « لم يحفظ أبو هريرة الحديث ، إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً ودماً خير له من أن يمتلئ شعراً هجيت به » وهكذا أنقذت السيدة - رضى الله عنها - بسعة علمها ودقة روايتها ثروة طائلة من الكلام الجميل حرّمها أبو هريرة - غفر الله له ورضى عنه - برواية الحديث ناقصاً !

والغريب أن كثيراً من العلماء ، يولون وجوههم شطر هذا الشطر من الحديث يستشهدون به فى ذم الشعر ! وما جنى الشعر ولا جنى الشعراء ، وإنما بغض الشعر إلى النبى ، لأنه يجرى وراء الخيال ، وأن الشاعر يقول ما لا يفعل . فأما النبى فقد اتخذ من الحق نوره ، ومن الحقيقة غايته ، ومن أجل هذا ولد ، وكذلك عاش ، وهكذا مات .

عبد الرزاق أمانه الدبه

(رجع) فى مقالى السابق فى كتاب الامتاع والمؤانسة (الرسالة رقم ٣٣٧) وقع سهواً : ص ٢٣٢٤ ع ٢ س ١١ : عنى . ، والصواب منى ص ٢٣٢٥ ع ١ س ١٤ . الحفية ، والصواب : الحقبة - ع ٢ س ١ : العبارة . لغير ، والصواب : العبارة لغير - س ١١ : العائبة والصواب : العائبة » - ص ٢٣٢٦ ع ١ س ١٣ : وقد جاء « السايل » ، والصواب : وقد جاء « السيال » و « السايل » . (ب . ف)



رحـــلات

للدكتور عبد الوهاب عزام

هذه رحلات وأسفار ، صور شاهدها قلم مبين ، وناهيك بقلم يحمله الدكتور عبد الوهاب عزام

وقراء الرسالة لا شك يعرفون الدكتور الفاضل باحثاً مدققاً وعالماً متمكناً ، وناقداً بارعاً ، ورجلاً تتمثل كل معانى الرجولة فى أخلاقه وفى سلوكه ، ولكن قلّ فيهم من يعرفه شاعراً موهوباً من الطراز الأول ، يستطيع أن يجرى فى الحلبة فيسبق ، لأنه رجل لا يحب أو قل لا يحسن الإعلان عن نفسه ، فهو يجاهد ويجاهد حتى يرضى بالجهاد ربه ونفسه ، ثم لا يعنيه بعد ذلك مأرب ، فيرضى من الغنيمة بالإياب

وشاعرية الأستاذ عزام تنجلى فى قصائده « المكتمة » أو قل الموءودة ، وهو لا شك محاسب بين يدى الله « إذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت » ، وإن هـذه الشاعرية لتتجلى أيضاً فى آثار قلمه فى الوصف والإفصاح عن إحساسه بالمرئيات ، فأنت إذ تقرأ هذه الرحلات ، فستجد فيها دقة الباحث ، وحكمة العالم ، وظرف الأديب ، وخيال الشاعر وعاطفته . وأى شعر أبلغ من قول الدكتور ، وهو يجيل النظر فى أرجاء سيناء : « وأصبحنا نطل على بيداء ليس فيها إلا رمال تتخللها أعشاب وأشواك ، ولكنها سيناء ! ولله ماذا ضمنت سيناء من الخبر والعبر ! فيها الطور الذى آنس موسى من جانبه نور الهدى ، وعليها مدّ الزمان وجزر بالغير سعيدة وشقية ، والجيوش هازمة ومهزومة ، فتمثل جيوش الفراعنة ذاهبة إلى الشام وآيبة ، أو جيوش بابل وفارس مطرودة وطاردة ، ثم جيش الاسكندر وجيوش الرومان ، ثم جيوش العرب والترك دول بعد دول ، وسطور تمحو فى صحائف الزمان سطوراً ، كما خط فى القرطاس سطر على سطر ، تزاحمت الذكريات ، وترادفت العظات »

بل أى شعر أفصح من قول الدكتور على قبر صلاح الدين الخالد : « ثم رقينا درجات قليلة إلى باب آخر ؛ فيالك حجرة جمعت من العظمة سورة متلوة على الدهور ، وحوت من عبر التاريخ ما تضيق به السطور ! يالك حجرة كعنوان الكتاب الكبير يقتحمه النظر فى لحظة ، ثم لا يزال ينفتح على الصفحة بعد الصفحة ! يالك من مكان وسع ملء الزمان ! ويالك من أحجار طويت على أعصار ! مجد رجف به الشرق والغرب ، وطأطأ له الصديق والعدو . هذا مرقد « صلاح الدين » ، أطفنا بالقبر ووقفنا هنيهة خاشعين ، ووقعت أبصارنا على صورة تمثل المجاهد العظيم ؛ ثم قال أحدنا : أين التاج الذى وضعه على القبر ملك الألمان غليوم ؟ قال دليلنا : أخذه الإنكليز ! قلت : إن مجد « صلاح الدين » أعظم من أن يزيده غليوم وأجل من أن ينقصه الإنجليز ، فليعطوا أو فليأخذوا ، وليمدحوا أو يذموا ، فذلك صرح لا تناله أيديهم ، ومجد قصرت عنه أمانيهم ، وحلبة التاريخ تشهد من كان الفارس الأمجد ؟! »

فهذا هو إفصاح الشاعر وخياله وإحساسه . . . وهذا هو الأسلوب الذى صور به الدكتور الفاضل كل المشاهد التى رآها والآثار التى وقف بها فى حلب ودمشق وبغداد وبلاد الفرس وموطن الأتراك ، ثم فى الحجاز مشرق النور المحمدى ، وفى أوربا حيث السفوح كلها البهاء والرواء والشعر ، فجاءت هذه الرحلات صورة قوية من عقل الرجل وقلبه ، فهى فوق ما فيها من علم وتعريف آيات بينات من الأدب الوصفى الرائع ، وقطع من الشعر المرسل تفيض بالعواطف والأحاسيس ، وتملأ نفس القارئ بالعظات والعبر ، والحكمة والبهجة . وبهذا المعنى ستظل رحلات عزام خالدة خلود العواطف الإنسانية ، باقية بقاء الإحساس القوى فى نفس الكبير

ليلى المريضة في العراق

للدكتور زكى مبارك

هذا كتاب يأخذ موضوعه من التاريخ والعلم والأدب والشعر والحب والبغض والخير والشر ، فهو كما يقول المؤلف الفاضل « تاريخ يفصل وقائع ليلى بين القاهرة وبغداد من سنة ١٩٢٦ إلى سنة ١٩٣٨ ، ويشرح جوانب من أسرار المجتمع ، وسرائر القلوب »

ولا شك أن قراء الرسالة الكرام يعرفون بعض الشيء عن كتاب ليلى المريضة فى العراق ، نعم بعض الشيء فإن الدكتور الفاضل قد نشر صدراً منه فى الرسالة ، ثم أمسك على بقية الحديث ، وطوى جوانحه على ما بقى من الشؤون والشجون ،

ولقد يبدو هذا الكتاب هيناً فى تقدير بعض الناس ، على حين يجد بعضهم يمجده حتى ليرتفع به عالياً عالياً ... إلى السماء ، ولا غرو فى ذلك ، فقديماً كان كتاب « كليلة ودمنة » لمن يقف عند الظواهر ملهاة وتسلية ، وللعالم موعظة وحكمة ، وللأديب جمال وجلال . وكذلك كتاب صديقنا الدكتور ، فهو فى ظاهره شيء ، وهو فى دلالته ومغزاه أشياء ... ثم هو فى التقدير الصحيح صورة لما فى الإنسان من عواطف الخير والشر ، وما يصطرع فى عالم الناس ودنيا الأدباء من الحلم والجهل ، والرشد والغى ، والهدى والضلال

إنها آفاق من المعانى يتحاماها كتاب العصر الحديث ، ولقد أراد الدكتور زكى مبارك أن يكفر عن سيئات أولئك الكتاب فيتحمل المشاق فى ارتياد تلك المجاهيل ، يقول الدكتور : « ولقد اقتحمت تلك الآفاق بلا زاد ولا ماء ، وأنا أعرف أنى أعرض سمعتى للأقاويل والأراجيف ، لأن الناس عندنا لا يفهمون كيف يدخل الطبيب على نفسه ليشرح على حسابها أهواء النفوس والقلوب والعقول

إقتحمت تلك المهالك وليس لى إلا سناد واحد هو الشعور بأنى أؤدى خدمة للأدب والطب ! ! وهل كنت أملك الفرار من الصنع الذى صنعت »

وصدقنى أيها القارئ أن الدكتور ما كان يملك هذا الفرار ولو استطاع ذلك لنكص على عقبيه وكان بذلك من القاعدين الناعمين ، ولكنه رجل ابتلاه الله بالصراحة والصدق ، فهو لا يدين بمذهب « النفعية » فى شيء ، ولو استطاع زكى مبارك — كما يقول أستاذنا الزيات — أن يتملق الظروف ، ويصانع السلطان ، ويحذق شيئاً من فن الحياة فى المواربة والمداورة ، لاتقى كثيراً مما جرته عليه بداوة الطبع ، وجفاوة الصراحة

ولكن أيفلت منى الدكتور فلا أمسكه بشيء ؟ كلا ! فأنا أحب أن أسأله عن ذلك التكرار ، وتلك الكركرة « الطهوية » إذ يقول : من الذى يستطيع أن يتعقب حركات العقول والأهواء فى القاهرة ؟ من الذى يستطيع أن يحاور فى الصباح والمساء رجال الصحف الصباحية والمسائية ؟ من الذى يتسع وقته لمسامرة الصحفيين القاهريين بعد نصف الليل ؟ من الذى يستطيع أن يسجل حركات القاهريين قبل الشروق؟ من الذى يفهم أن أهل القاهرة يموتون قبل الأوان بسبب الإفراط فى الكدح والكفاح! من الذى يصدق أن من أهل القاهرة من يملأ الدنيا بالنشاط والحركة وفى جوفه خمسون علة ؟ من الذى يصدق أن فى القاهرة ألف خطيب فى فصاحة سحبان، من الذى يصدق أن الأمان ذهب من القاهرة بسبب الإفراط فى المنافسة والنضال؟ من الذى يصدق أن زكى مبارك سيؤلف كتاباً فى مثالب زكى مبارك ؟

أما أنا يا دكتور فذوق لا يحتمل كل هذه « النمنمة » ، وأنا أسألك ولا أريد الجواب ، فإنى أعلم أن أزمة الورق ستردك إلى ما كنت عليه من الإيجاز فى التعبير ، والقصد فى البيان !

م . ف . ع

﴿ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين ﴾

فهرس الموضوعات للمجلد الثانى من السنة السابعة

فهرس الكتاب للمجلد الثانى من السنة السابعة

(ا)